

النُسخة الفَريدة الكاملة والمُحققة والمهذبة لكتاب

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

من أجل الجيل الثالث من الجهاديين

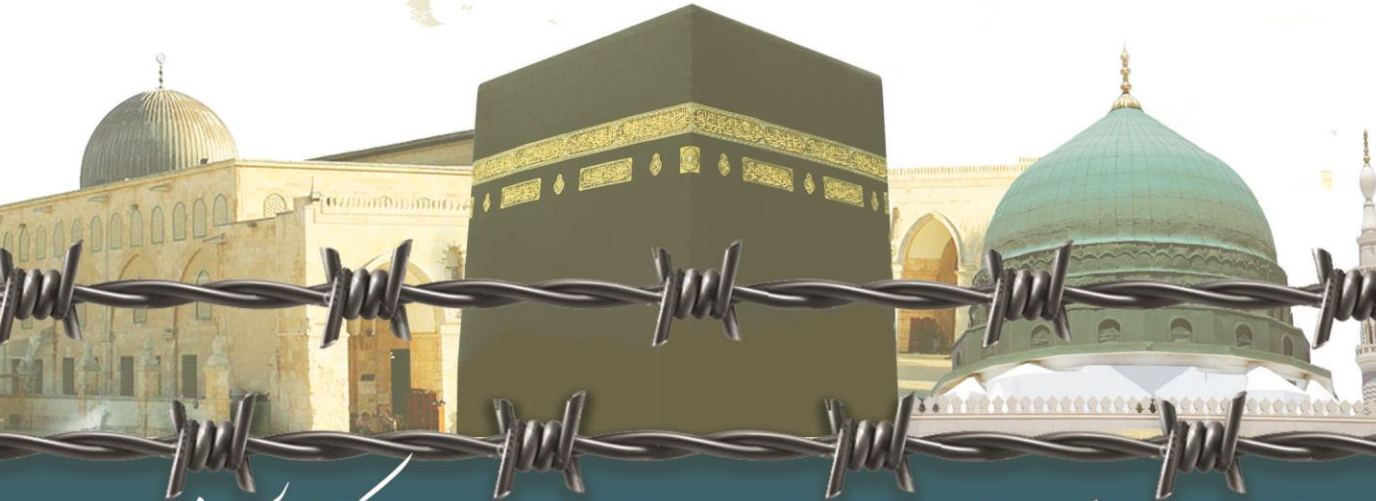
تأليف

الشَّيخ عُمَر عَبد الحَكيم أبو مُصعَب السُّوري

"فك الله أسره"

حققه وهذَّبه

أبو العباس القلموني



مكتبة الجيل الثالث

النسخة الإلكترونية

٢٠١٨م - ١٤٣٨هـ

النسخة الكاملة الفريدة المنقحة والمحققة

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

النسخة الإلكترونية الأولى

مكتبة الجيل الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية



الجزء الأول

(الجُذُور والتَّارِيخُ والتَّجَارب)

بِقَلَم الفَقِيرِ إلى رَحْمَةِ الله

الشَّيخ عُمر عبدُ الحكيم أبو مُصعب السُّوري

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد:

فلقد اشتهر وانتشر بين عموم المجاهدين وقادتهم ذكر الشيخ أبي مصعب السوريّ -رعاه الله- وما ذهب إليه من دراسات وتنظيرات وتصويبات للتيار الجهادي عبر كتبه ومقالاته وتسجيلاته، وغدا هذا الإرث الطيب المبارك مرجعًا لجيل الجهاديين الثالث، ذاك الجيل الذي قصده أبو مصعب في توجيهاته وهو الآن يعيش وتدبّ أقدامه في ساحات الجهاد، ولكنّا وبعد القراءة والتمحيص وجدنا بعض الملاحظات في أبواب ما وسع الشيخ أن يتوسع فيها نظرا للأولويات التي كان يوليها، كتخريج الأحاديث وضبط النّصوص وفهرسة المراجع والمصادر، ووفاءً منَّا لشيخنا الجليل ولجيل النَّصر القادم بإذن الله قمنا بهذا التَّحقيق المختصر المتواضع، وفق الخطة التالية:

١- قسمت الكتاب إلى أقسام على النحو التالي:

أ- المقدمة بالإضافة إلى الفصل الأول والثاني.

ب- الفصل الثالث.

ت- الفصل الرابع والخامس والسادس والسابع.

ث- الفصل الثامن والتاسع.

ج- مسك الختام وأحاديث الساعة والوصية.

٢- عدلت في غلاف الكتاب مع مراعاة ما أراده الشيخ من نسق الشعار والدلالات.

٣- ضبطت كثيرًا من علامات التَّرقيم ونسق الصفحات وتقسيم الفقرات ونوع الخط ولونه وحجمه.

٤- صححت كثيرا من الأخطاء الإملائية والنحوية وهذبت بعض العبارات الركيكة بما لا يغير المعنى ولا يحوله، ولاتزال الأخطاء الاملائية بحاجة إلى مزيد من التصحيح نظرا لكثرتها.

٥- أعدت تخريج الآيات من جديد لوقوع بعض الأخطاء في النسخة التي اعتمدنا عليها في هذا التحقيق، وهي الطبعة الأولى لـ/ ٢٠٠٤م/ مع تنسيقها ورسمها برسم المصحف العثماني وباللون الأحمر في النسخة الملونة.

٦- قمت بضبط عبارة الأحاديث وحذف تخريجها من متن الكتاب، لتعدد الأخطاء في تخريجها والحكم عليها، وهذا عائد لقلة المصادر التي كانت متوفرة لدى الشيخ حيث أنه كان مطاردا مشردا وقد ذكر هذا في مواضع من كتابه، ووضعت التخريج في الحاشية مع الحكم على الحديث وفق الآتي:

- ما كان من صحيحي البخاري ومسلم أو أحدهما اكتفيت بذكر رقم الحديث حسب ترقم محمد فؤاد عبدالباقي .
- ما كان في السنن وغيرها عزوته إلى مصدره مع ذكر حكم الشيخ الألباني أوالشيخ شعيب الأرنوؤط كلاهما أو أحدهما إن وجد.
- ما لم يرد فيه حكم للألباني أوالأرنؤوط ذكرت حكم المحدثين فيه حسب التوفر كالشيخ مقبل بن هادي الوادعي بتعقيباته على أوهام الحاكم أو أحمد شاكر رحمهم الله أو غيرهما.
- مالم أجد له حكما عند المحدثين المتأخرين نقلت فيه قولا للمتقدمين إن وجد أو ذكرت علته الظاهرة..
- الحديث الموضوع وضعت تحته سطرا وذكرت أنه موضوع فيُنتَبهُ لذلك.
- ماكان من حديث مكرر كثيرًا ربما خرجته في جميع المواضع أو اكتفي بتخريجه مرة بحسب الحديث والموضع.

٧- قمت بتخريج وتشكيل غالب النصوص الفقهية والآثار وعزوها إلى مصدرها مع إيجاد فهرس في نهاية الكتاب لأهم المصادر والمراجع التي عدت إليها في التحقيق.

٨- قمت بتنسيق بعض اللواحق كالصلاة على النبي ﷺ أو قول رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو السلام على الأنبياء والترضي عن الصحابة، مع تمييز هذه العبارات بلون خاص في النسخة الملونة.

٩- أعدت فهرسة الكتاب وضبط العناوين وتبويبها وترقيم الصفحات .

تنويه :

هناك نسخة قيد التنسيق لأجل المطابع سيتم إخراجها إن شاء الله، وقد سارعنا إلى اخراج النسخة الالكترونية نظرا لضيق الوقت وتسارع الأحداث ولأن الفائدة في انتشار النسخة الالكترونية أعم وأسرع، ولأن العمل جاري على إخراج الطبعة الثانية من الكتاب الكامل المحقق وكذلك الطبعة الثانية من المختصر الذي صدر مسبقاً وبهذا يكون كتاب الشيخ أبي مصعب «دعوة المقاومة» قد خُدم خدمة جيدة -بفضل الله وكرمه -منَ التحقيق والاختصار والتهذيب.

وأسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.. وأسأله أن يرضى عني وعن والديَّ وكل من له حق عليَّ، وأسأله أن يفك أسر إخوة وأحبة لي في سجون الطواغيت والظلمة إنَّه وليّ ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان وما كان من خير فمن الله والله أعلم.

أبو العباس القلموني



أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرَّجيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ
رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ
أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَٰجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن
دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ
جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾

[آل عمران]





رَوَى أَبو دَاود والتِّرمِذِيّ من حَديث أبي ثَعلبة الخُشَنِيّ رضي الله عنه قَال: سَألتُ الرّسُول ﷺ عَن هَذِهِ الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فقال رَسُولُ الله ﷺ «بَلِ ائتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنكرِ، حتّى إذَا رَأَيتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كلّ ذِي رَأْيٍ برَأْيِه، فعليكَ بخاصّةِ نفسِك وَدَع عَنْكَ أمرَ العوامّ، فإنَّ مِنْ وَرائِكم "أيّام الصَّبرِ"، الصَّبرُ فِيهنَّ مِثل قَبضٍ عَلى الجمرِ، للعَامِل فيهنَّ أجرُ خَمسينَ، قلتُ يا رَسُولَ الله: أجرُ خَمسينَ منهُم، قَال: أجرُ خَمسِين مِنكُم»[١].



(١) أبو داوود (٤٣٤١)، التِّرمِذِيّ (٣٠٥٨)، ابن ماجه (٤٠١٤)، وقال الألبانيّ: ضعيف لكنّ فقرة أيّام الصّبر «فإنَّ مِنْ وَرائِكم " أيّام الصَّبرِ" ...» صحيحة ثابتة (السلسة الضعيفة ١٠٢٥).

الإهداء

إلى رجالٍ مُؤمنينَ، وشَبَابٍ صَادِقِينَ، أَرَاهُم يَنظُرونَ إلى قوى الكُفرِ الصَّليبيّةِ الصُّهيونيّةِ الزَّاحِفَةِ، وقَد تَدَاعت عَلينا بقيادةِ أمريكا تَدَاعِي الأكلةِ إلى قَصعَتِها، تُزهِقُ الأرواحَ، وتَنتَهِكُ المُحرَّماتِ، وتَحتلُّ المُقدَّسَاتِ وتَدُوسُ البلادَ وتَنهَبُ أَقوَّاتَ العِبَادِ.

فَيَملأُ الحزنُ قلوبَهم، ويخنقُ القَهرُ حناجِرَهم، ويحبِسُ كبرياءُ الرّجُولةِ دُموعَ الألمِ في عُيونِهم، وتُدوّي في خواطِرِهم آياتُ الله تُنَادِيهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَانِ ﴾ [النساء: ٧٥].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأٓخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [التوبة] فيَملأُ الأسَفُ والحسرةُ نُفوسَهم، ويَتَسَاءَلُونَ! وماذا عَسَى أَحَدُنَا أن يفعلَ أمامَ هذا الطُّوفَانِ الزّاحِفِ منَ الصّليبيّينَ واليَهُوْدِ وحُلَفَائِهم مِنَ المُرتَدّينَ والمُنَافِقينَ بَينَ أَظهُرِنَا؟!

فيَأتيهِمُ الرَّدُّ الحَاسِمُ مِنْ كِتَابِ الله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [النساء]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ [التوبة: ١١١]

فَيُرَفرِفُ الأملُ في أَرْوَاحِهم، ويُشرِقُ العَزمُ في نُفُوسِهم، وتَنعَقِدُ النِّيَّة في قُلُوبِهم، ويجَأَرُونَ إلى ربّهم: لبّيكَ اللّهُمَّ لَبّيك، لَبّيكَ لَاشَرِيكَ لكَ لبَّيك، بِعنا يَاربُّ بِعنا، لانَقِيلُ ولانَسْتَقِيلُ.

إلى هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ المُتحفِّزينَ للدِّفَاعِ عَن دِينِ الله والمُستَضعَفِينَ مِنَ المُؤمِنِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

أُهدِي هَذا الكتابَ..

ليكونَ دَلِيلاً لَهُم وَمَعْلَمَاً عَلى طريقِ الجِهَاد في سَبيلِ اللهِ، وزاداً يُعينُهُم عَلى البَلاغِ بِعَونِ اللهِ، وسِفراً يَربِطُهم فِكراً ومَنهَجاً بأسلافِهِم مِنْ قافِلَةِ الغُرَباءِ الظَّاهِرينَ عَلى الحَقِّ الفَرَّارينَ بِدينِهِم، وليُعَرِّفَهُم بتَاريخِ مَنْ سَبَقَهُم في دربِ النّورِ، مِمَّنْ قَضَى نَحبَهُ ومِمَّنْ يَنتَظر، مِنَ الّذينَ هَاجَرُوا وجَاهَدُوا وآوَوا ونَصَرُوا، مِنْ رُوَّادِ التّيَّارِ الجِهاديّ والصَّحوَة الإسْلَاميّةِ المُبَارَكَةِ في هَذَا الزَّمَانِ.

وليقدِّمَ لَهُم مَنهَجَ جِهَادٍ، وفكرةَ حَركةٍ، وطريقةَ عملٍ، بَرنَامَجَ عَمَلٍ مُتكَامِلٍ يُسَاعِدُهم عَلى التَّخَلُّصِ مِنْ أَوزَارِ القُعُودِ، وكُرُبَاتِ الهَمِّ والحَزَنِ، وأَثقالِ العَجزِ والكَسَلِ، وحَسَرَاتِ قَهرِ الرِّجَالِ.

فَإلى هَؤُلَاءِ المُجَاهِدِينَ القَادِمِينَ، الّذينَ ألمحُ أَطيافَهُم في الأُفُقِ، يَحملونَ راياتِ لَاإِلَهَ إِلَّا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، تَخْفِقُ بِالعِزِّ والنَّصرِ وتَدحَرُ قُوَى الكُفرِ والطّغيان، وتُحَكِّم شَريعةَ اللهِ في الأَرضِ.

إِليهِم وَإِلى سَلَفِهِم مِنْ مُجَاهِدِي هَذَا الزّمَانِ، مِنَ الشُّهَدَاءِ والأَسْرَى والمُشرَّدِين الّذينَ رَسَمُوا لجيلِ الجِهَاد والمُقاوَمَةِ القَادِمِ، بِدِمَائِهم وآهَاتِهِم وعَنَاءِ نِسَائِهم وأَطفَالِهِم مَعالِمَ الطّرِيقِ..

إلى هَؤُلَاءِ وَأَولَئكَ **أُهدِي هَذَا الكِتَابَ**...

رَاجياً مِنَ اللهِ الحَليمِ الكَريمِ، العَليِّ العَظيمِ، الغَفُورِ الرَّحِيمِ، الحَنَّانِ المَنَّانِ، أن لايَحرِمَنِي صُحبَتَهُم في الرَّفيقِ الأَعلى مَعَ النّبيّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ، أَمَلي بِالله كَبيرٌ، وبِبُشرى حَبيبِهِ المُصطَفَى ﷺ؛ أنّ الدّالَّ عَلى الخيرِ كَفَاعِلِه، وأنَّ العَالِمَ والمُتَعلِّم شَريكَانِ، وأنَّ المَرءَ يُحشَر مَعَ مَنْ أَحَبَّ.

عُمَر عَبد الحكِيم
أَبُو مُصعَبٍ السُّورِيّ

هذا الكتاب

بفضلِ مَا يَسَّرَ اللهُ بِعَونِهِ، وَوَفَّقَ إليهِ بِفَضلِه، يحتَوِي هَذَا الكِتَابُ عَلَى مَوَادٍّ كَثيرةٍ، مِنهَا مَاهُوَ سَردٌ لِمَسَارِ التّارِيخِ، لَا تَخلُو مَادّتُهُ مِنْ إمتَاعٍ وعِبْرَةٍ، ومِنها مَاهُوَ تَحليلاتٌ سِياسِيّة، وفِكرِيّة لِذَلك التَّارِيخِ ومَسَارِه، ولا تَخلُو تِلكَ الفُصُولُ مِنْ فَائِدةٍ وفِكرةٍ، ومِنهَا مَاهُوَ سَبَحَاتٌ فِكرِيّةٌ وفَلسَفِيَّةٌ، لَا تَخلُو أَيضاً مِن دُرُوسٍ ونَظرَةٍ، وفِيهِ فُصُولٌ نَقديّةٌ لِمَسَارِ الصَّحوَةِ وتَجَارُبِ الجِهَادِ عَبرَ العُقُودِ المُنصَرِمَةِ، وفي الكِتَابِ فُصولٌ تربَوِيَّةٌ، وأحكامٌ فقهيَّةٌ، ودُرُوسٌ شَرعيّةٌ، وتَوجِيهاتٌ مَنهجيَّةٌ وأُصُوليَّةٌ، وفيه موادٌّ تربَوِيَّةٌ، ودروسٌ في الأخلاقِ والرَّقائقِ، ونُصوصٌ شَرعيّةٌ في مَسائِلِ الجِهَادِ والتَّحرِيضِ عَليهِ، وفي غيرِ ذَلِك، وفِيهِ خُلاصَةُ دُروسِ تَجَارب جهاديّةٍ كثيرةٍ، عَسكَرِيّةٍ وسِيَاسِيّةٍ وحَرَكِيَّةٍ وأَمنِيَّةٍ..إلخ.

فقد لخّصتُ فيه خُلاصَةَ تَجارُبي وخبرةَ رُبعِ قَرنٍ مِنْ مُوَاكَبَةِ الصَّحوَةِ الإِسْلَاميّةِ والعَمَلِ وَسْطَ التَّيَّارِ الجِهَادِيّ وَسْطَ الأَعَاصِيرِ الدَّاخليَّة والخَارِجيَّة الّتي عَاشَهَا خِلَالَ الفَترَةِ الوَاقِعَةِ بَينَ (١٩٨٠- ٢٠٠٤م) عَمِلَت خِلَالَهَا مَيْدانياً فِي مُختَلَفِ وُجُوهِ النَّشَاطِ والمُسَاهَمَةِ فِكرِيّاً وأَدَبِيّاً وعَسكَرِيّاً وسِيَاسِيّاً وأَمنِيّاً، في عِدّةِ سَاحَاتٍ وقَضايا سَاخِنةٍ وأَسأَلُ اللهَ القَبُولَ.

ولَقَدْ تَطَوَّرَتْ أفكارُ هَذا الكِتابِ ونَضجَت عبرَ أَربَعَة عَشَرَ عَاماً مُنذُ قِيَامِ النِّظَامِ العَالَمِيِّ الجَدِيدِ وغَزوِ أَمريكا لِلشَّرقِ الأَوسَطِ إبَّانَ حَربِ الكُوَيت سَنَةَ ١٩٩٠م، وخُطّت مُسوداته في (كَابُل[1]) خِلالَ عَهدِ الطَّالِبَان (١٩٩٧-٢٠٠١) م، وكُتِبَ بِشَكلِه النِّهائِيِّ خِلالَ ثَلاثِ سَنَواتٍ عِجَافٍ قَضَينَاهَا مُطَارَدِين مِنْ قِبَلِ الأَمريكانِ وأَعوانِهِمُ المُرتدّينَ، نَتَنَقَّلُ بينَ المَخابِئ والمَلاجِئ خِلالَ (٢٠٠١- ٢٠٠٤) م، إلى أنْ صَارَ إلى النَّصِّ الّذي بينَ أَيديكُم، وللهِ وَحدَهُ الحَمدُ والشُّكرُ والفَضلُ والمِنَّة.

---

(١) كَابُل : عَاصِمَةُ أَفغَانِستَان وأكبَرُ مُدُنِهَا وَمَركَزُهَا الاقتِصَادِيّ ، تَقَعُ عَلى ضِفَافِ نَهرِ كَابُل تُحيطُ بِهَا جِبَالُ الهِندكُوش والآن هِيَ تَحتَ سَيطَرَةِ الحُكُومَةِ العَمِيلَةِ .

وبهذا التّنوّع والسَّعة في مَوادِّ الكِتَابِ، أَرجُو أنْ يَكُون لِمُختَلَفِ صُنُوفِ القُرّاءِ، ورُوَّادِ الدَّعوَة الإِسْلَاميّةِ مِنْ مُختَلفِ التَّوجُّهَاتِ، ولِرِجَالِ مُختَلفِ التَّنظِيماتِ والجَمَاعَاتِ الإِسْلَاميّةِ، وخُصُوصَاً شَبابَ الصَّحوةِ الجهاديّةِ، ورِجَالَ المُقاوَمة القَادِمَة بِإذنِ الله، أنْ يكونَ فِيهِ مَائدةٌ واسِعةٌ ومُتَنوِّعةٌ مِنَ المَوَادِ المُفِيدَةِ والمُمتِعَةِ، يَأخُذُ كلٌّ مِنهَا مَا يُنَاسِبُهُ.

ولكنّ حُصُولَ تِلكَ الفَائِدةِ والمُتعَةِ لِمَن وَجَدَهَا فِيهِ - وإنْ كُنتُ أَرجُو نَفعَهُ وأَجرَهُ عندَ الله والدُّعاء مِن إِخوَاني بِظَهرِ الغَيبِ - لمْ يَكُن الهَدَفُ الأوّلُ والأَساسيُّ لِكِتَابَتِي لِهَذَا الكِتَاب الكَبير الّذي أَعتَبِرُهُ كِتَابَ العُمُرِ، وخُلاصَةَ أَمانَةِ القَلمِ والكَلِمَة الّتي وَددتُ أَدَاءَها قَبلَ أَن أَلقَى اللهَ تَعَالَى، وأَرجُوهُ الصَّفحَ والمَغفِرَةَ.

فالهَدَفُ منْ هَذَا الكِتَاب هُوَ إِرسَاءُ أُصولِ دَعوَةِ عملٍ وجِهَادٍ، أَسمَيتُهَا:

دَعْوَةُ المُقَاوَمَةِ الإِسْلَامِيَّةِ العَالَمِيَّةِ

فَهُوَ كِتَابٌ كُتِبَ لِدَلالةِ البَاحثِينَ عَن العَملِ مِنْ أَجلِ أَداءِ الفَرِيضَةِ، والقِيَامِ بِالوَاجِبِ فِي جِهَادِ أَعدائِنَا مِنَ الكُفَّارِ الغُزَاةِ وحُلَفائِهِم وَأوليائِهِم مِنَ المُرتَدّينَ والمُنَافِقِينَ.

وبِإمكانِ مَن أَقنَعَهُ هذا الكتابُ بِدعوتِنَا أنْ يَنضَمَّ إِليهَا، مِنْ دُونِ حَاجَةٍ لأَنْ يُلاقِينَا ونُلَاقِيهِ، وفِي ثَنَايَا الكِتَابِ مَا يَلزَمُهُ لِكَي يَكونَ عُضوَاً كَامِلَ العُضوِيَّةِ والفَاعِلِيَّةِ كَمَا سَيَرَى، فَنَحنُ فِي عَالَمِ اليَوْمَ وما يسَّرَهُ اللهُ مِن شَبَكَاتِ الاتّصَالِ، وطُرقِ إيصالِ الخِطَابِ، لَمْ نَعُد بِحَاجَةٍ حَتمِيَّةٍ لِلتَّواصُلِ واللِّقَاء المُبَاشَر، وصَارَ بِالإمكَانِ التَّواصُلُ والتَّخَاطُبُ وتَوفِيرُ موادِّ التَّربِيَةِ والإِعدادِ مِنْ دُونِ كبيرِ عناءٍ، هذا إِذا توفَّرَ العَزمُ والإِرادَةُ.

فليسَ القصدُ منْ هذا الكتاب المتعَةُ والثّقافَةُ العَامّةُ، كَمَا هُوَ هَدُفُ أَكثَرَ قرّاءِ الكُتُبِ والصُّحُفِ، والمُتَابعينَ للفَضائِيَّاتِ والانترنت مِنَ المُسلِمِينَ فِي هَذا الزّمانِ ولِلأَسفِ.

وبهذا الفَهمِ والرُّوحِ واستِشعَارِ المَسؤُولِيّةِ، مَسؤُوليّة تلقِّي دَعوةٍ جادّةٍ للجِهَادِ في سَبِيلِ الله أَرجُو أَن يَتَنَاوَلَ القرّاءُ هذا الكتابَ ويَقرؤُوهُ بكلّ رُوح الجدّ والمَسؤوليّةِ أمامَ الله، ثُمّ أمامَ الأُمّةِ، ثُمّ أمامَ أجيالِ

عشراتِ آلافِ الشُّهداءِ الّذينَ قَضوا خِلالَ هذه العقودِ الأَخيرةِ، كَي يَحيا هذا الدّينُ، وكَي تستمرَّ رايةُ الجِهَادِ تخفقُ بكلمةِ التّوحيدِ، شَهادة أن لَاإله لَّا الله إلا الله، محمّدٌ رَسُولُ اللهِ ولِتكونَ كلمةُ اللهِ هيَ العُليَا، وكَلمةُ الّذينَ كَفرُوا، كلّ الّذينَ كَفرُوا، وفي كلِّ زمانٍ ومَكانٍ هِيَ السُّفلَى.

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة]

ولا غالِبَ إلّا اللهُ، واللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ.

المُؤلّف

﴿ تنويهٌ بشأنِ -طبعةُ ذي القعدة ١٤٢٥هـ / ديسمبر ٢٠٠٤م- ﴾

الحَمْدُ لله، والصّلاةُ عَلى رَسولِ الله، وآلهِ وصَحبِه ومَن وَالاهُ، وبعدُ:

أكتبُ هذا التَّنويهَ ونحنُ في شهرِ ذي القعدة ١٤٢٥ المُوافِق لِشَهر ديسمبَر ٢٠٠٤م.

وقد كلَّفتُ بعضَ الإخوةِ وأجزتُهم بنشرِ هَذَا الكِتَابِ، وكُتُبٍ أُخرى ألّفتُهَا خِلَالَ السَنَواتِ الثّلاثِ العِجَافِ الماضيَةِ، بالإضَافةِ لنَشرِ مَا أعتَزِمُ إصدارَهُ مِن البَيَاناتِ وغيرَ ذلكَ، إنْ يسَّرَ اللهُ وأعانَ.

فقد كانت المادّةُ الرَّئيسيَّةُ لِهَذَا الكتاب، مُسجّلةً في بعضِ أشرطةِ الكاسيت والفيديو ومَحفوظةً لدى بعضِ الإخوةِ، وقد كانت مَسألةُ تَحويلها إلى كتابٍ، تُشَكِّلُ حُلماً لديَّ لم أستَطِع تَحقيقَهُ رَغمَ العزمِ مِراراً لّما كنّا في أفغانستان لانشغالِنا في أمورِ الإعدادِ والجِهَادِ معَ الإمارةِ الإِسْلَاميّةِ، نسألُ اللهَ الإخلاصَ والقَبُولَ.

فلمّا آلَ بِنَا الحالُ لِمَا هُوَ مَعروفٌ، وحُصرَ أو طُورِدَ مَنْ نَجى مِنّا مِنَ القَتلِ والأَسرِ، بَعدَ أحداثِ سِبتَمبر ٢٠٠١م، كانَ همّي الأكبرُ هوَ إنجازُ هذا الكتاب الّذي أعتبرُه كتابَ عُمُري، وخُلاصَةَ تَجربَتِي وفِكري ومُعتَقَدي، والّذي لخّصتُ فيهِ مَا علينا فِعلُه كي نُحافظَ عَلى رايةِ الجِهَادِ عاليةً، ونحفظَها بعونِ الله منَ السُّقوطِ أو الاندثارِ أو الانحرَافِ، وخُلاصة الأمانة الّتي يُثقِلُ كاهِلي الشُّعورُ بوجوبِ تسليمِهَا للجيلِ الجِهاديِّ النّاشِئ، والّذي وَقعت عليهِ مَهمّةُ مُوَاجَهةِ هذا البَلاءِ النّازلِ في الأُمّة عَلى يدِ اليَهُوْدِ والصّليبيّينَ وحلفائِهم المُرتَدّينَ والمُنَافِقينَ مِنْ أبناءِ أمَّتِنا.

ورغمَ أنّنا مَررنَا – معشرَ مَن أسمَوْنَا بالمُجَاهدينَ الأفغان العَرَب، ثمّ عمّموا عَلينا مُسمَّى القَاعِدَةِ، ثُمَّ وصفُونَا بالإرهَابيّين – وما زِلنا نَمرُّ بظروفٍ بالغةِ الصّعوبةِ والتّعقيدِ ليسَ هُنَا محلّ ذكرها، وهي أهوالٌ ومِحَنٌ مِن ظُروفِ الحِصارِ والمُطَارَدَةِ، لا يَعلم بِبَأسَائِها وضَرّائِها إلا اللهُ، ثمّ مَنْ أنعمَ الله عليه بأن يُقَاسِها من هَؤُلَاءِ الفرّارين بدينِهم في هذا الزّمان، ووالله إنّهُ لفخرٌ لا نَقيلُ بيعهُ ولا نَستقيلُ، إنْ شاءَ اللهُ.

أقولُ رغمَ ذلك، فقد استفدتُ من ظروفِ الإقامةِ الجبريّةِ وقلّةِ الحَركَةِ، ومَا وفَّرتْهُ لي مِنْ وقتٍ، وانهمكتُ في تأليفِ هذا الكتاب وعكفْتُ عَلى ذلك لَيلاً ونهاراً منذُ مَطلَعِ سنةِ ٢٠٠٢م، أي منذُ ثلاث سَنَوات (رمضان ١٤٢٣هـ/ ديسمبر ٢٠٠٢م) – (ذي القعدة ١٤٢٥هـ/ ديسمبر ٢٠٠٤م).

ورغمَ أَنّي تنقَّلتُ في أنحاءَ شتّى، وفي ظروفٍ شَتّى، إلّا أَنّي أحمدُ اللهَ أنْ ألبسَنِي ثوبَ الهِمّة لإنجازِه، وأسألهُ ضَارِعاً أنْ يمنَحنِي الإِخلاصَ والسَّدَادَ، ويُتمّمَ فَضلَه بالقبولِ.

ونتيجةَ تعقّدِ الأوضاعِ الأمنيّةِ، وخَشيتِي أن أتعرّضَ لما يحولُ بيني وبينَ نشرِ هذا الكِتابِ، قرّرتُ نشرهُ الآن رغمَ أَنّي لم أُنجِز كافّة التّصحيحاتِ والمراجعاتِ الّتي أردتُها لَهُ، وآسفُ لعددٍ منَ الأمورِ الّتي حَصَلَت لهذه النّسخة، رغم أَنّي أعتقدُ أنَّ فصولَه الرَّئيسيَّة وأفكاري الأساسيّةُ، وما أعتبرُهُ أمانتي في جِهَادِ الكلمةِ والقلمِ، قد عُرِضَت فيهِ بشكلٍ وافٍ وكافٍ.

وسأذكرُ هنا ما أعتبرهُ نَقصَاً وخللاً فيها كنت أتمنّى تَلافِيه، وآملُ أن أستطيعَ تَلافيه في الطّبعة التّالية (طبعة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) الّتي سأحاولُ أنْ لا تَتأخّرَ إنْ شاءَ الله.

وقد زادَني قناعةً بهذا القرارِ، قرار تعجيلِ نشرِ هذا الكتاب، ما اطّلعت عليهِ مُؤخّراً، وهو ما أعلَنهُ وزيرُ الخارجيّةِ الأمريكيّ (كولن بَوْلْ)، في العِشرين من نوفمبر ٢٠٠٤م، من أنّ حكومَتهُ المُجرِمَة قد رصدَتْ لِمَن يُدلي بمعلوماتٍ للقبضِ عَلى شخصي الضّعيف عِدّةَ ملايينٍ مِنَ الدّولاراتِ!! ولا أدرِي لماذا أستحقُّ هذا الكرمَ الإجراميّ حقيقةً!! وأسألُ اللهَ أنْ يعني هذا أنّني في موطئٍ يغيظُ الكفّارَ، وأرجُو أن يكتبَ لي بهِ عملاً صالحاً، بعد أن قَصُرَت همّتي عن إدراك سعي الصّالحين، فبقيتُ حثالةً، بعد أن اصطفى اللهُ الشّهداءَ، وأرجو الله أن أُدرِكهم برحمةٍ منهُ تُدركُني، فهوَ الحليمُ الكريمُ وحُقَّ لنا الطّمعُ.

فخشيتُ أن يسبقَ لي قدرٌ يَمنعُني مِنْ نشرِ الكتابِ وأداءِ الأمانةِ، فأخسرُ بلاغَهُ للأمّةِ بسببِ الحِرصِ عَلى تصحيحِه وإخراجِه كما أحبّ لهُ من التّمامِ والكمالِ إن استطعتُ، وكما قالوا فَمَا لا يُدركُ جُلّهُ لا يُترَكُ كُلّهُ، وأما ما أعتبره خللاً أو نقصاً في هذه النّسخة، أو فكرة في حسنِ إخراجِه لم أحَقّقهَا، فأهمّ ذلكَ ما يَلي:

١- بعضُ الأخطاءِ المطبعيّة، وربّما الإملائيّةُ والنَّحويّةُ، وأرجُو أن لا يَكون قد وَقعَ مثلُ ذلكَ في النّصوصِ القرآنيّةِ والحديثيّةِ، وقد راجَعتُهَا عَلى عَجَلٍ، وكذلكَ ضبطُ علاماتِ التّنقيطِ والفَواصِل، وأجيزُ من يحصلُ عَلى هذه النّسخة منَ الكتابِ (طبعة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) من أهلِ الكفاءةِ بذلك أنْ يُصلِحَ هذهِ الأخطاء في نسختِه قبلَ أن يَنشُرَهَا.

٢- عدمُ إعطاءِ بعضِ الأفكارِ حقَّها من التَّفكّرِ الأخيرِ قبلَ إخراجِ الكتابِ.

٣- عدمُ تمكّني من التّعليقِ عَلى الأحاديثِ الواردَةِ في مسكِ الخِتَامِ، عن أحداثِ الملاحِم والفِتنِ، ولديَّ معلوماتٌ وأفكارٌ كثيرةٌ كنتُ أودُّ تسجيلَها خلالَ النّصوصِ.

٤- عدمُ التّعليقِ عَلى الشَّواهدِ والنُّصوصِ الّتي جمعتُها واستشهدتُ بها في بابِ التّربيةِ السُّلُوكِيَّةِ والأخلاقِ والعِبَاداتِ.

٥- عدمُ شرحِ فصلِ المحاذِيرِ والاقتصارُ عَلى ذكرِها في الفَصلِ التّاسِعِ.

٦- حذفُ فقرةِ (ردودٌ عَلى شُبهاتٍ) يثيرُها أعداءُ الجِهَادِ والمُجَاهدينَ، ولاسيَّما من علماءِ الاستعمارِ والسَّلاطين وفقهاءِ البنتاغون[1]، وقد جَمعتُها في خمسة عشرَ شُبهةٍ واهيةٍ هيَ كلُّ بضاعتِهم الضّالَّة، وسأُفردُ إن شاءَ اللهُ لها كتابًا مُلحقًا.

٧- عدمُ وضع شواهدَ كثيرة لديّ، توفّرت من الإنترنت تقوّي بعض فُصولِ الكتاب.

٨- عدمُ التَّمكنِ من كتابةِ رسالة المَدخَل إلى دعوةِ المُقاوَمةِ الّتي تُلخّصُ أهمّ أفكارِ الكتابِ وخُلاصة الدّعوة، دعوة المُقاوَمةِ الإسْلَاميّةِ العَالَمِيّةِ، الّتي أنشدُ إطلاقَها والتّأسيس لَهَا، إنْ شَاءَ اللهُ.

٩- عدمُ تمكُّنِي من عادةٍ لازَمْتُها في أكثرِ، أَو كلِّ كتاباتي، وهي إطلاعُ بعضِ الأكفاءِ ومن أثقُ بهم عَلى ما كتبتُ ومشاورَتهم فيه، فأكثر مَن عَنَيْتُ من إخوانِنا قد قُتِلَ أو أُسرَ، والباقي مُختَفٍ يتعذَّرُ الاتّصالُ معهُ، وكم كُنتُ أتمنّى أنْ يَطّلعَ عَلى هَذا الكتاب قبلَ نشرهِ، أخي وصَديقي؛ رمزُ جِهَادنا

---

(١) البِنتَاغُون: وِزَارَةُ الدِّفَاعِ الأَمريكيّة في وَاشُنطن وسُمِّيَت بِنتَاغُون نِسبةً لشكلِهَا المُخَمّس، ويَقصُدُ: الفُقهاءَ الّذينَ يُفتُونَ ويُشَرعِنُون للحكَّام العُملاءِ للغَربِ.

الشَّيْخ المُجَاهدُ، شمسُ الأُمّةِ أُسَامَةُ بن لادن حَفظه الله[١]، ومتّعَ الأُمّةَ بسلامَتِهِ، ولا شَفى منهُ صدرَ عدوٍّ، وكذلكَ أخي وصَديقي، وشَيخي، المُجَاهد القدوة، درّة أرضِ الكنانَة مصر، الدّكتور أَيمن الظّواهريّ حَفظهُ اللهُ ورَعاهُ[٢]، ومتَّع الأُمّةَ ببقائِه، وكذلك أخي وصديقي، المُجَاهد القدوة، بقية الصّالحين من ليبيا كَما أحسَبه ولا أُزكّيه عَلى الله، الشَّيْخ أبو اللَّيث اللِّيبيّ[٣] حفظهُ اللهُ ونكأ بِهِ أعداءَه، وكذلكَ أخي وصديقي، ورفيق دربِي ومَساري، الصّابرُ المصابرُ، المُجَاهدُ الشَّيْخ أبو خَالد السُّوريّ حفظهُ اللهُ[٤] وأمتعنَا والأُمّة بِهِ وبأمثالِهِ، وما عُدتُ أعرفُ لأمثالِ هَؤُلَاءِ إلَّا القليلَ، فهَؤُلَاءِ

(١) هو الشَّيْخ الإِمَامُ المُجدّدُ الغَنيُ عن التَّعريفِ أُسَامَةُ بن مُحَمَّد عوض بن لّادن، من مَواليدِ الرِّياضِ ١٠مارس ١٩٥٧م اغتالتهُ يدُ الإجرامِ الأمريكيّة في مَدينةِ أبوت آباد الباكستانيَّة بعدَ عمليَّةِ انزالٍ واشتباكٍ في ٢مايو ٢٠١١م ﷺ، ويُعتَبرُ المُؤسِّس لتنظيم القاعدة أعزَّها اللهُ وخلِفهُ على قيادةِ التَّنظيمِ الشَّيْخ أَيمَن الظَّواهريّ حفظه الله.

(٢) الدَّكتُور أَيمَن الظَّوَاهِريّ حَفظَهُ اللهُ: هوَ الإمامُ أَبُو عَبد الرَّحمن؛ أَيمن بن مُحَمَّد ربيع الظَّواهريّ، وُلدَ في ١٥/ رمضان/ ١٣٧٠ هـ، بحيِّ "المعادي" بالقاهرة، كانَ جدُّه :"الظَّواهريّ" أحدُ شُيوخِ الجَامعِ الأزهرِ، وجدُّه لأمُّهِ: هو الدُّكتور عبدالوهَّاب عزَّام أستاذُ الآدابِ الشَّرقيَّة وعميدُ كليَّة الآدابِ ورئيسُ جامعةِ القَاهِرةِ، والده: هو الدُّكتُور مُحَمَّد ربيع الظَّواهريّ، الأستاذُ بكليَّةِ الطّبّ بجامعةِ عين شمس وأحدُ أشهرِ أطباءِ مصر، وخالُه سالم عزَّام: أمينُ المجلسِ الإسلاميّ الأوروبيّ، وخاله الآخر: محفُوظ عزَّام نائبُ رئيسِ حزبِ العملِ المصريّ، نشأَ الشَّيْخ نشأَةً جهاديّةً فمنذُ ١٩٦٦م انضمَّ إلى الحَركَةِ الإسلاميّة في بداية تأسيسهَا، وسُجن إثرَ اغتيالِ السَّاداتِ ثلاثَ سنواتٍ، ثمَّ هاجرَ والتحقَ بالرَّكبِ الأفغانيِّ وأسَّس مع الشَّيْخ أسامةَ ١٩٩٨م الجبهة الإسلاميَّة العالميَّة، ولا يزال الشَّيْخ منذُ نصفِ قرنٍ شوكةً في حلوقِ الصَّليبيّينَ وطواغيتِ العالمِ ، ولهُ نِتَاجٌ ضخمٌ من التَّحريضِ والكُتبِ والتَّوجيهِ نسألُ اللهَ أن يمدَّ في عُمرهِ ويَحفظَهُ ذخرا للأمَّة، وسيأتي الشَّيْخ أَبُو مُصعب على ذِكره في التَّجربة الجهاديَّة المِصريَّة

(٣) الشَّيْخ أبو اللَّيثِ اللِّيبيّ ﷺ: قتلَتهُ طائراتُ التَّحالُفِ الصَّليبيِّ على ثَرى وزيرستانَ ٢٨ يناير ٢٠٠٨م بعدمَا قَضى عُمُرَهُ مُهَاجِرَاً في سبيلِ الله مُصابِرَاً في السُّجونِ مُرابطاً مُدرِّباً داعياً إلى الله وقائداً ميدانيَّاً، ﷺ .

(٤) الشَّيْخُ أبو خالدٍ السُّوريّ ﷺ: (مُحَمَّد بَهايَا) شيخٌ مُصابرٌ وقائدٌ فذٌّ وقُدوةٌ ورَمزٌ من رُموزِ المُجاهدينَ وُلدَ في حلب ١٩٦٣م، والتحق بصفوفِ الطَّليعة المُقاتلة في سورية ١٩٧٩م وفي ١٩٨٢م عُيِّنَ مسؤولاً للدَّعم اللُّوجستيّ في تركيا وفي ١٩٨٧م هاجرَ إلى أفغانستان وعملَ أميرًا ومدرِّبًا ثمَّ عادَ ١٩٩٤م إلى تركيا وتردَّد إلى إسبانيا مرَّات عديدة مع الشَّيْخ أبي مصعب ثمَّ عادا إلى أفغانستان ١٩٩٧م أيَّام إمارة الطَّالبان كان فيها مُرافِقًا للشَّيخ أسامة ﷺ وبعدَ السُّقوطِ انحازَ

وبعضُ القليلِ الآخرينَ ممَّن بقيَ لَنَا، هُم منَ الأكفاءِ الّذينَ وددتُ لو حَظيَ الكتابُ بملاحظاتِهم قبل نشرِه، ولكنّ تفرُّقَنا في الدُّنيَا وتَقَطُّعِ السُّبلِ حالَ دونَ ذلك، وأرى أنَّ وقتَ نشرِهِ قد أزِفَ، وأخشى فواتَ ذلكَ، لا قدّر الله، وأسألهُ كلّ خير.

ولذلكَ فإنَّ ما جَاءَ في كتابي هذا من أفكارٍ ومبادئ هو مسؤوليّتِي وحدي، ويُعبِّرُ عن آرائي الخَاصّة، وإن كنتُ أعتقدُ أنَّ جلّهَا، وأكثرها، وغالبيّتها السَّاحقَة تشكّلُ - والله أعلمُ - قاسماً مُشتركاً لَدى عمومِ الجهاديّينَ، كما علمتُ حالَهم، وأنا بفضلِ اللهِ منهُم، وأرجو أن يَلقى الكتابُ دعمهُم وتأييدَهم ورضاهُم بعد رضَا اللهِ سُبحانَه.

١٠- وأخيرا آسفُ لعدمِ إخراجِه إخراجاً فنيّاً يُناسبُ مُستواهُ الّذي وَفّق اللهُ إليهِ، وحسبُنا اللهُ عَلى مَنْ ظلَمَنَا ونِعمَ الوَكيلُ.

وكما قلتُ، فإنّي أعتذرُ عَنِ الخللِ والنّقصِ، وأستغفرُ اللهَ العظيمَ وأتوبُ إليهِ عن كلّ زَللٍ وخطأ، وأنا عائدٌ عنه سلفاً ومتبرئٌ من كلِّ ما لا يُرضي اللهَ تباركَ وتَعالى، ورسولَه الكريم ﷺ ممَّا قد يكونُ قد زَلّ بِهِ القلمُ، أو شطحَ بِهِ الفكرُ والخاطرُ، وحسبيَ أَنّي لمْ آل جُهدًا، والنّقصُ في ابنِ آدمَ أصلٌ وطبيعةٌ، والأملُ في عفوِ الغفورِ الرّحيم.

وأسألُ كلّ من يقرأ هذه السُّطُور من المُسلِمِينَ، أن يدعوَ لي بظهرِ الغيبِ، وأن يسألَ الله ليَ صَلاحَ ديني ودُنيايَ وعاقبةَ أمري وحسنَ الخَاتمةِ، والثّباتَ عَلى الحقِّ، وأن يجمعَ لي شرفَ جِهَادِ السّيفِ والقلمِ، ويتقبَّلَ منِّي ويغفرَ زللي، وأن ألقاهُ شهيداً في سبيلِه مُقبِلاً غير مُدبرٍ، فألقاهُ فيمنْ قَالَ ﷺ

لباكستانَ ووقعَ في الأسرِ في ٢٠٠٥م ثمَّ سُلُمَ لسوريًا وبقيَ في الانفراديَّة ٧ سنواتٍ إلى أن فرَّج اللهُ عنهُ في ٢٠١١م والتحقَ بصفوفِ أحرارِ الشَّام بدايةَ تأسيسها وعُينَ أميراً لحلب وسَعى في مهمَّةٍ أوكلها لهُ الشَّيْخ أيمن للصّلح والجمعِ بينَ الفَصَائِل إلى أن قَتَلَه رَحِمَهُ الله ثلاثَةٌ من الغَادِرينَ من خوارجِ العَصرِ (جماعة دولة البغدادي) وذلك بعد إصداره بياناً بحقّهم وقد رثاه قادةُ المجاهدينَ في شتَّى الأنحاءِ .

عنهم: «أولئكَ يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ»[1]، فما أَهونَ وأسهَلَ ما نُلاقي إنْ جَعلَنَا فيهم، وعافيَتُهُ وسعَت كلَّ شيءٍ، وصلّى اللهُ وسلّمَ وباركَ عَلى حبيبِهِ المُصطَفى، وعَلى آلِهِ وصَحبِهِ وسلّم، وآخرُ دعوانا أنِ الحَمْدُ لله ربّ العَالَمِيّن.

الفقيرُ لرحمةِ ربّه وعفوه،

(أبُو مُصْعَبٍ السُّورِيّ)

ذو القعدة ١٤٢٥هـ/ ديسمبر ٢٠٠٤م

---

(١) رواه أحمد (٢٢٤٧٦) وقال الأرنؤوط: إسناده قوي، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٣٧٤٠).

فهرس

الجزء الثاني : (الدّعوة – المنهج – الطَّريقة)

﴿ الفهرس المُفَصَّل لفقرات الكتاب ﴾

الفهرس التّفصيلي للجزء الأوّل

****

****

****

****

****

****

****

الفهرس التفصيلي للجزء الثّاني

البَاب الرَّابع: النَّظريَّة العسكريّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة

البَاب السَّابع: نظريَّة تمويل سَرايا المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة

البَاب الثَّامن: نظريَّة الإعلام والتّحريض في دعوة المُقَاوَمة

* * * * * * * * * * *

الفَصل التّاسع: وصايا ومبشرات

مسك الختام

* * * * * * * * * * *

وهذه وصيّتي

* * * * * * * * * * *

﴿ تَمهيدٌ ﴾

- تعيشُ الأُمّةُ الإِسْلَاميّةُ مطلعَ القرنِ الحادي والعشرين الميلاديّ وقائعَ الغزوِ الأمريكيِّ الصُّهيونيِّ الصّليبيّ الغَربيّ، ووقائعَ التَّحالفِ الكامِلِ الّذي تُبديه الأنظمة الحاكمةُ وقُوى النِّفَاقِ في العالمِ العربيّ والإِسْلَاميِّ في تعاونِها مع قوى الكفرِ الغازيةِ.
- لقد تَفانَت كثيرٌ من كوادرِ التّيارِ الجهاديِّ وانقرضَت شريحةٌ كبيرةٌ من قواعدِه، بفعلِ الهجمةِ العسكريّةِ الأمنيّةِ لهذا الحلفِ، وأصبحَ التّيارُ الجهاديُّ مُهدَّداً في استمراريَّتهِ، وفي الحفاظِ عَلى تراثهِ الفقْهيِّ والمنهجيِّ الأَصيل.
- كما تعيشُ الصّحوةُ الإِسْلَاميّةُ تردِّياتٍ فكريّةٍ وشرعيّةٍ بفعلِ جهودِ المُنَافِقينَ من عُلماءِ السُّلطَانِ وضلالاتِ المُنهزمينَ من قياداتِ الصّحوةِ الإِسْلَاميّةِ، تردّياتٍ تُهدّدُ الصّحوةَ في قواعدها وجُمهورِها، وتهدّدُ الأُمّةَ في عقيدتِهَا وهَويَّتها ووُجودِها.
- ربَّما لاينصرمُ العقدُ الأوّلُ من القرنِ العِشرين إلَّا وقد بدأت حربُ الأفكارِ الأمريكيّةِ، والهجمةُ عَلى المناهجِ التّعليميّةِ والثّوَابِتِ الأساسيّةِ للأمّةِ تُؤتي أُكلَها إذا استمرَّت الأحوال عَلى ما تبدو عليه الآن، وهناكَ ضرورةٌ لحفظِ الهويّة العَقديّة والفِكريّة والثّقافيَّة للأُمّة، ولحفظِ الفِكرِ والمَنهجِ في الصَّحوةِ الإِسْلَاميّة وطليعتها الجِهاديّةِ.
- أعتقدُ أنّه وبفعلِ هذهِ الظّروفِ، ستنبعثُ في هذهِ الأُمّةِ الحيّةِ نُوَيّاتُ المُقاوَمةِ وستكونُ متبعثرةً لا يجمعُها شيءٌ من فكرٍ أو مَنهجٍ أو هَويَّةٍ، إلا هدفُ دحرِ العُدوانِ.
- وربَّمَا ستتولّدُ ردودُ أفعالٍ ناتجة عن الجهالةِ والاضطرابِ في أوساطِ مختلفِ أشكالِ المُقاوَمةِ الّتي سيُبديها المُسلِمُونَ، وسيستغلّ حلفُ الأَعدَاءِ تلكَ الأخطاءِ لتشويهِ الجِهَادِ، ولدقِّ الإسفين بين المُقاوَمةِ وجمهورها في الأُمّةِ، ومن ثمّ دفعها في طريقِ التّبعثرِ والهزيمةِ.

- وبفعلِ تتابعِ سقوطِ الشّهداءِ من القياداتِ والكوادرِ الّتي تربّتْ وأُعِدّتْ منهجيّاً عبرَ وقتٍ طويلٍ، ستبقى أكثر مجموعات المُقاوَمةِ والجِهَادِ مفتقرةً إلى منهجٍ تربويٍّ سياسيٍّ شَرعِيٍّ وفكريٍّ يكونُ مَرجِعَاً لها، وسبيلاً لإعداد كوادِرها الجَدِيدة عبر المسارِ، ودُسْتُوراً ترجعُ إليه في اختلافِها، وهويَّة ثابتةً تُعَرّفُ به عن نفسِها للأصدقاءِ والأعداء عَلى حدٍّ سواء.

من أجلِ ذلكَ كتبتُ هذا الكتاب لكي يكونَ بإذنِ الله وعونِه سِفْراً:

يحتوي خُلاصةَ الأساسِيَّاتِ السّياسيّةِ الشَّرعيَّةِ والفكريّةِ المنهجيّة الّتي تربّى عليها التّيارُ الجهاديُّ منذُ نشأتِه وعبرَ مسارهِ الطّويل.

- كما يضمُّ تاريخَ التَّجَارب الجهاديّةِ وخُلاصةَ الدُّروسِ المستفادةِ منها كي يبني الجيلُ الجهاديُّ القادم عليها ويستفيدَ من دُروسٍ وتجاربٍ دفعنا زكيَّ الدَّمِ، وعناءَ الطّريقِ ثمناً لها.
- كما يتضمَّن خُلاصةَ مسارِ الصِّرَاعِ بين المُسلِمِينَ والرُّومِ عبرَ القرونِ ولا سيَّما الرُّومِ المعاصرينَ [الأمريكان والأوربِّيين] ومؤامراتهم في القرنينِ الماضِيَيْنِ لإبعادِ المُسلِمِينَ عن دينِهم وأسبابِ قوّتِهم وانتصارِهم.
- لتُكَوِّنَ تلك المعلوماتُ أرضيّةً فكريّةً توفِّر للمُجَاهِدِ أساسِيَّاتٍ لفهمِ مسارِ هذا الصِّرَاعِ الدّائرِ اليَوْمَ وجُذُوره، وطريقةُ الأَعدَاء في إدارتِهِ.
- كما يحتوي بعدَ ذلكَ دليلاً للمُجَاهدينَ والمقاومينَ لأَفضَلِ السُّبلِ لمقاومةِ هذهِ الحَمَلاتِ الغَازيةِ، كما تصوُّرتُها من خلالِ ما فتحَهُ اللهُ عليَّ من خلالِ الدّراسةِ والتَّفكيرِ، وتراكمِ التَّجَاربِ ومواكبةِ المسارِ.
- ويرسمُ للعازمينَ عَلى السَّيرِ في هذا الدّربِ المنيرِ منهجَ التّربيةِ المُتكامِلةِ الّتي تُأَهِّل المُجَاهِدَ للعزمِ ثمّ السّيرِ ثمَّ الثّباتِ، وتزوِّدُهُ بما نَرجُوا أن يعينَه عَلى عملٍ مقبولٍ عندَ اللهِ في الآخرةِ، مؤهّل للنّصرِ والنَّجَاحِ في الدُّنيَا.
- وبهذا أرجو أن يكونَ هذا الكتاب قَد ضَمَّ بينَ دفَّتيهِ بمجموعِ فصولِهِ ورسائِلِهِ، منهجاً متكاملاً وهويّةً فكريّةً سياسيّةً شرعيّةً تكون مرجعاً بين قيادات الجِهَاد والمُقاوَمة وقواعِدها، ودُستوراً

يضبطُ حركَتَهَا، ومحوراً للِّقاء بين مُختَلف فصائلِ الجِهَادِ والمُقاوَمةِ الّتي أرى أطيافَ جُموعِهَا تتكوَّنُ في رحمِ هذهِ الأُمّةِ المِعطاءَة الّتي مازالت طَائفةٌ مُجَاهدةٌ منها عبرَ الأزمانِ تثبتُ أنَّها خير أمّة أُخرِجَت للنَّاسِ، وأسأَلُ اللهَ تَعَالَى أن يرزقني فيه الإخلاصَ والقَبُولَ، ويجعلَه موطئاً يغيظُ الكفّارَ، وينفعُ المُؤمِنِينَ، وأن يكتبَ لي بهِ عَملاً صالحاً، وعلماً نافعاً لا ينقطعُ أجرُه، وأسألُه أجرَ الدّالِّ عَلى الخيرِ، وأن يرزقَنِي الصِّدقَ والثّباتَ ويجمعَ لي أجرَ الجِهَادِ بالسَّيفِ والقلمِ، ويختمَ لي بالشَّهَادةِ في سبيلِه، إنّهُ حليمٌ كريمٌ، وأستغفرُ اللهَ العظيمَ وأتوبُ إليه، وصَلّى اللهُ عَلى رَسُولِه الأمين، وآلِهِ وصَحبِهِ الطّيبينَ الطّاهرينَ، والحَمْدُ لله ربِّ العَالَمِيْن.

مُقدِّمة

الحَمْدُ للهِ وحده، أهل الحمد والثَّناء، الحَمْدُ للهِ وحده، ربّ الأرض والسّماء، اللّهم لكَ الحمدُ كلّه، ولكَ المُلكُ كلّه وإليكَ يرجعُ الأمرُ كلّه ربّ الطّيبين وَوَلِيِّ الصّالحين لك الحمدُ يَا مَن لَهُ الخلقُ والأمرُ وَحده.

الحَمْدُ للهِ وَحدَهُ، صدَق وعدَهُ، ونصرَ عبدَهُ، وأعزّ جندَهُ، وهزمَ الأحزابَ وحدَهُ، لا شيءَ قبلَه ولا شيءَ بعدَهُ، مخلصين لَهُ الدّينَ ولو كرهَ الكافرُونَ.

والصّلاة والسَّلام عَلى سيّدنا وحبيبنا وقرّة أعيننا، قائدنا وشفيعنا إلى ربنا، نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللّهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعِم عليه، واجزه خيرَ ما جزيت نبيّاً عن أمّته، فقد أدّى الأمانة وبلّغَ الرّسالة ونصحَ الأُمّة، وجاهدَ في الله حقَّ جِهَاده حتَّى أتاهُ اليقين.

فصلِّ اللّهمّ وبارك عليه وعلى آلِهِ وأزواجه الطّيبين الطّاهرين، وعلى أصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدّين، صلاةً تشملُنَا بها برحمتِك وكرمِك وعفوِك وسترِك، وترزُقنا بِهَا الشَّهَادة في سبيلك يا أرحم الرَّاحمين، وبعدُ:

فلقد أَعلنت الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية المعاصرة بقيادة أمريكا، عَلى العالم العربيّ والإِسْلَاميّ أهدافها بكل جلاء، وهي أهداف تشمل كافّة مقوّمات الوجود الحضاريّ والدّيني والسّياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ والثقافيّ للمسلمين، ولقد أعلنت إدارة بوش جلاء أن أهدافهم تشمل خلال العشر سنين القادمة:

١. **تغيير الخارطة السّياسيّة في الشّرق الأوسط والعالم العربيّ الإِسْلَاميّ أي تغير الأنظمة وإعادة تركيبها أو تبديلها أو صياغتها من جديد.**

٢. **تغيير الخارطة الجغرافيّة لبعض البلدان بما يخلق مزيداً من التّشرذم والنّزاعات المحليَّة الدّينيّة والعِرقيّة والسّياسيّة.**

٣. **تغيير مقوّمات الهويّة الثّقافيَّة والتكوين الاجتماعيّ بإزاحة الأسس الدّينيّة والفكريّة والأخلاقيّة لشعوب المنطقة وإعادة صياغتها بحسب أسس الفكر الغربيّ ولا سيَّما الأمريكيّ والصّهيونيّ.**

٤. **السّيطرة عَلى مصادر الثّروة في المنطقة ولا سيَّما النّفط والغاز والثّروات المعدنيّة وسواها من المصادر الزراعيّة والحيوانيّة لضخِّها في شريان المحتلِّ الغازي القادم من وراء البحار، وفي شريان الكيان الصّهيونيّ المزروع في قلب المنطقة، وتحويل المنطقة إلى سوق لتصريف المنتجات الاستعماريّة عبر ما يُسمّى باتّفاقيّاتِ الشّراكة والتّجارة الحُرّة في الشَّرق الأَوسط.**

ولقد كشفت وسائل الإعلام المختلفة عن أن أمريكا وحليفتها بَرِيطَانيَا ومن ورائِها إسرائيل، يعاونها كافّة دول النّاتو وأوروبّا الدّائرين في فَلكها طوعاً أو كرهاً، كشفت عن أنَّها استباحت كلّ الوسائل العسكريّة والاستخباراتيّة والاقتصاديَّة والإعلاميَّة وغيرها لتحقيق هذه الأغراض.

و باختصارٍ: فإن العالم يشهد أعتا وأشرس هجمةٍ استعماريّة بربريَّة عرفها في تاريخه عَلى أيدي الحضارة الغربيّة الّتي آلت قيادتُها لشرذمةٍ من المُتَطرّفين الصّليبيّيّن المُتَصَهينين في الإِدارة الأَمريكيّة.

ويمكن القول أن هذه (**الحملات الصّليبيّة الثّالثة**) إن جاز التَّعبير هيَ استمرار بشكل شرس ومنظَّم للحملتين السّابقتين اللتين قامتا قبلاً، الأولى خلال القرنين الحادي عشر والثّاني عشر الميلاديّ، والثّانية الّتي قامت منذُ القرن السَّابع عشر إلى منتصف القرن العِشرين.

أنّنا أمام عدوان عسكريّ مسلّحٍ بأحدث الآلات العسكريّة والتكنولوجيّة العلميّة، ومجهّز بأفتك المخطّطات الاستخباراتيّة والأمنيّة والأجهزة البوليسيّة، حيث تحمل إلينا دبّاباتهم بَرَامج تغير اجتماعيّ ودينيّ وثقافيّ، تشتمل عَلى مناهج لتبديل مفاهيم الدّين الإِسْلَاميّ وتفكيك المكوّنات القوميّة للعرب والمُسلِمين، وبَرَامج إعادة صياغة المجتمعات، والمكوّنات الفكريّة والثَّقافيَّة، والمناهج الدراسيَّة والتّعليميّة وبَرَامج وسائل الإعلام، وتعيد صياغة كلّ شيء حتَّى خطب الجمعة عَلى منابر مساجد المُسلِمِين، بما فيها أكبر مراكز الإشعاع الدّينيّ والفكريّ كالمسجد الحرام في مكّة، والمسجد النّبويّ في المدينة المُنوَّرَة، والجامع الأزهر في القاهرة، وما يعادلها في التّأثير من مساجد المُسلِمِين، في كلّ بلدٍ ومدينةٍ وقريةٍ وزاويةٍ من بلاد المُسلِمِين.

باختصارٍ: لقد اتّسع الخرق عَلى الرَّاقِعِ، ونحن مطالبون بوقفة تفكّر في أساليب مُوَاجَهة هذه الحملة بعيداً عن تأثيرات العَوَاطِف السّطحيّة الفارغة، أو ردود الأفعال المُتَشَنّجَة.

إنّ هذه المصيبة الطّامّة تبلغ ذروتها المأساويّة إذا علمنا أنّه ولأوّل مرّة في تاريخ المُسلِمِين وربما تاريخ الشّعوب المُستَعمرة والمُتَعَرِّضَة للغزو، يرتكز فيها المُستَعمر الهاجم بكلّ هذه القوّة وأدواتها عَلى طابور خامس هائل منزرع في مختلف مكوّنات المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة.

فالهجمة الأمريكيّة اليَوْم تعتمد بكل بساطة مهما تكن هذه الحقيقة مفجعة، عَلى تعاون كامل من قبل الغالبيّة السَّاحقَة إن لم تكن كافّة الأنظمة الرَّسميَّة الحاليّة في بلاد العَرَب والمُسلِمين، هذه الأنظمة الّتي التقت أسباب بقائها وحماية مصالحها وعروش فراعنتها مع مخطّطَات المُستَعمر الأمريكيّ وأعوانه، فانضوت - بكل ما لهذه الكلمة من معنى- تحت قيادة الجُيُوش الغازية تنفذ أفكارها وتحارب دين شعوبها ومقوّمات وجودهم وكافّة مصالحهم، وقد جندت بالتّالي هذه الأنظمة كافّة أجهزتها الأمنيّة والإعلاميَّة والسّلطويّة لسحق أي بذور مقاومةٍ لهذا الغزو، بدءاً من قمع أي شكلٍ من أشكال التَّغيير والتّظاهر والرّفض السّلميّ، وانتهاءً بقتل وسجن وتشريد كلّ من تُسوّل لَهُ نفسُه أي شكلٍ من أشكالِ المُقاوَمة ولا سيّما بذور المُقاوَمة المُسلّحة والجِهَاد المشروع.

وتبلغ المصيبة بعدها المأساويّ عندما ترى معظم علماء المُسلِمِين قد استجرّتهم أبواب السّلاطين وسيفه وذهبه، للعب الدَّور الأبشع لصالح المُستَعمر الغازي بإصباغ الشَّرعيَّة عليه ونزعها عن المُقاوَمة! وجعل جنده وعسكره في حكم المعاهدين والمُستأمنين وصَوْن دمائهم وأموالِهم وعتادهم، والحكم عَلى من جاهدهم واعتدى عليهم بأنّهم مُفسدون في الأرض جزاؤهم أنْ يُقتّلُوا أو يُصَلَّبُوا أو تُقَطّع أيديَهم وأرجلَهم من خلافٍ أو يُنفَوا مِنَ الأرض!!

وليت المصيبة انتهت بتحالف الأنظمةِ الحاكمة وأجهزتها الدّينيّة والإعلاميَّة والأمنيّة مع العدوّ الغازي، فالمصيبة أكبر، لأنّ شرائح لا يستهان بها من مكوّنات المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة قد تمَّ مسخها فكرياً وثقافيّاً وسياسيّاً، لتكون في خندق المحتلين، حتَّى وإن كانَ بعضها في القطّاع المعارض للأنظمة الحاكمة المارقة، فإنَّ هذه المعارضات تُقدّم نفسها عَلى أنّها أكثر منها استعداداً لخدمة المُستَعمر

الغازي، حتَّى أنّ كثيراً منها يتحالف مع العدوّ لإسقاط تلك الأنظمة، لا لأنّها عميلة للمُستَعمر خائنة لشعوبها، ولكن لعرض خدماته وكفاءاته المخلصة عَلى المُستَعمر ذاته، عَلى أنه سيكون أكثر إخلاصاً وخدمةً لأمريكا من الفراعنة الّذين عبدوها عشرات السّنين، وعبّدوا شعوبهم لها ولهم وللشَّيطان، حيث أصبح النّموذج الأفغانيّ وَالعراقيّ للمعارضة العميلة مثلاً ناجحاً يُحتذى.

وهكذا تصطف الخيارات والبدائل العميلة أمام أمريكا في عقر دارنا، من قبل أبناء جلدتنا الّذين يَتَسَمّون بأسمائِنا، ويلبَسُون لباسنا ويتكلّمون بألسنتنا، تَعرُض خدماتها عَلى المُستَعمر لاغتيال أمّتها وهزيمة دينها، وقتل أبنائها وإزالة كافّة مكوّناتها الحَضَاريَّة، ولا تقتصر هذه الفئات العميلة عَلى تيّار فكريّ بعينه، ولا زمرة عرقيّة أو دينيّة معيّنة، ففي هذا الطّابور الخبيث من يرفع رايات من مختلف الشّعارات والهويّات، بدءاً من الإِسْلَاميّة المزعومة، ومروراً بكامل ألوان الطّيف العلمانيّ والسّياسيّ في بلادنا سواءً من الشّعوب العربيَّة أو غيرها من الشّعوب الإِسْلَاميّة.

ومن بعض أبعاد الكارثة، أن كثيراً من الطيبين من علماء الإِسْلَام ودعاته وقيادات أحزابه وتجمعاته، قد سحقتهم الهجمة الإعلاميَّة، فراحوا يروجون للانبطاح وعدم إمكانية المُقاوَمة، وينساقون في طرق رسمها العدوّ ذاته، من طلب العيش السّلميّ، والتّبادل الحضاريّ، والحوار الهادئ، والتّفاهم الفكريّ مع المُستَعمر الّذي يدكّنا صباحَ مساء بقنابله وصواريخه الذّكيّة، ويفتك بنا جنودُه وعبيدهم من أبنائنا الأغبياء، كلّ ذلك بدعوى الوسطيّة تارة، والاعتدال أُخرى، والحكمة مرّة، وعدم المجازفة والانتحار بلا جدوى مرّة أُخرى.

وهكذا يُهجر دين الله تَعَالَى وما يأمر به بكل جلاء، من وجوب جِهَاد هذه الهجمة وقتال أعداء الله بكل مُتيَسّر، والإِعداد لهم بكلّ ما استطعنا من قوّة، ومقاومتهم حتَّى الرّمق الأخير، وهكذا انقمعت الصّيحات المخلصة المنبعثة هنا وهناك من الشّرفاء، من مختلف شرائح المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة، وتخامدت صيحات الاعتراض والتّظاهرات في المُسلِمِين، تحت ضربات عصيّ (قوى الخوف) المدعوّة (قوى الأمن)، وقنابلها المُسِيلَة للدّموع، وتحت وطأة الآلة الإعلاميَّة المدجّجة في طليعتها بأخبث فتاوى وآراء علماء السُّلطَان وفُقهاءِ القعود ودُعَاة الانبِطَاح والخِزْيِ والعار.

ولم يبق في الميدان إلّا بعض القلوب الطّاهرة، والسّواعد المُجَاهدة، والعزائم المؤمنة، تقاوم المُستَعمر هنا وهناك، شراذم مُستضعَفَة يسقط شهداؤها بلا مردود ولا جدوى في أكثر الأحيان، اللّهمَّ إلا فوزاً شخصيًا ونصراً ذاتياً يحمل صاحبه من بين هذا النّتن والعفن الطَّاغي عَلى الأرض، وظلمات الظُّلم والقهر فيها، إلى جنّات الخلد ورضوان الله ربّ العَالَمِيّن بإذن الله.

ولا شَّكَّ أنّنا مهدّدون إن بقي الحال هكذا.

لا أقول مهدّدون بالزَّوال والاندثار، لأنَّ الله تَعَالَى، وكذلك رسوله ﷺ بشّر هذه الأُمّة بالبقاء والظّفر والنّصر.

ولكنَّنا مهدّدون بمزيدٍ من القهر والعناء والعذاب، ولباس الجوع والخوف والقتل والذلّ والعار.

ولا بُدَّ أن تُقدِم الفئةُ المُجَاهدة والنُّخبَة المثقفة المخلصة الشّريفة في هذه الأُمّة، عَلى التَّفكير في سبيل إنهاض المُقاوَمة، وتوسيع رقعتِها، كي تنهض الأُمّة وتنخرط في مقاتلة أعداء الله، وتحافظ عَلى مكوّنات وجودها ودينها وحضارتها.



﴿ محاور المُقاوَمة ﴾

أعتقد – وهذا حال لا يخفى عَلى أي متبصر– أن حجم النُّخبَة المُقاوَمة للأعداء الغُزَاة، المُجَاهدة في سبيل الله، صغيرٌ ومحدودٌ في الأُمّة بشكلٍ مخيفٍ ومرعبٍ، لا أقول بسبب شراسة هجمة الأَعدَاء فقط، ولكن بسبب ما يبدو من الغثائيّة والانهيار والقابليّة الذاتيّة للاستعمار والهزيمة في الأُمّة هذه الأيّام، ولا أدلّ عَلى ذلك من متابعة نشرات الأخبار ووسائل الإعلام الّتي تحمل صباح مساء ما يملأ النّفس حسرةً وألماً، وما يحطّم العزائم، ويحمل الخور إلى الهمم.

وأعتقد أنه لابدَّ من أجل خوض هذه الحَرب طويلة الأمد كما تبدو ملامحها، من برنامج متعدّد المناحي لتوسيع القَاعِدَة البشريّة المولّدة لبذور المُقاوَمة في الأُمّة.

فحمل السّلاح والاستعداد للجِهَاد في سبيل الله ومقاومة الأَعدَاء، هو في النّهاية ثمرة للمناخ العام، الّذي يجب أن ترتفع فيه حرارة الوعي والعاطفة، وترسخ وتتّضح فيه مفاهيم العَقِيْدَة القتاليّة، كي يصل إلى ما يمكن دعوته بـ (**المناخ الجهاديّ الثّوريّ**) الّذي يُولّد بشكل تلقائي آليات المُقاوَمة.

وأظنّ أنّ الأمر أوسع بكثيرٍ من أن يقع عَلى عاتق النُّخبَة المُجَاهدة حالياً، لا سيّما وأنّها تعرّضت إلى ما يقارب الانقراض في ظلّ هجمة مكافحة الإرهَاب العَالَمِيّة الّتي شنّتها أمريكا بالتّعاون مع حُكّام الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة ذاتها، فضلاً عن حلفائها في الغرب وباقي دول العالم، منذُ عام ١٩٩٠م وإطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، لتصل ذروتها بُعَيد أحداث سِبتَمبر ٢٠٠١م، حيث صارت حرباً عالميّة ضروساً بكل معنى الكلمة تدور رحاها في كافّة أنحاءِ المعمورةِ.

وقد أسفرت هذهِ الهجمةُ باستغلال أمريكا لأحداثِ سِبتَمبر، عن استهلاكِ كثيرٍ من كوادرِ وعناصرِ وجماعات الجِهَاد في العالم، وكثيرٍ من شرائحِ الصّحوة الإِسْلَاميّة المؤيدةِ للجِهَادِ.

وأعتقد أنّ عَلى النُّخبَةِ المؤمنةِ والواعيةِ والمثقّفةِ، من مختلفِ القوى الغيورةِ الشّريفةِ في الأُمّةِ أن تَعملَ الآن في ثلاثةِ مَناحي:

أولاً: المَنحى الدّينيّ والثّقافيّ: بوضع بَرَامج عمل وتوعية ومناهج، للحفاظ عَلى الهويّة الدّينيّة، والمكوّنات الفكريّة والثّقافيَّة والاجتماعيَّة الأصيلة، للشّعوب العربيَّة والإِسْلَاميّة.

ثانياً: المنحى السّياسيّ والفكريّ:

بوضع بَرَامج عمل ومناهج فكريّة لتنشيط الدّعوات السّياسيّة، والمؤسّسات الأهليّة، والهيئات الاجتماعيَّة المدنيّة، والنَّشَاط الإعلاميّ السّلميّ الّذي يغذّي الوجود الفكريّ والثّقافيّ للأمّة العربيَّة والإِسْلَاميّة.

ثالثا: المنحى العسكريّ:

بالعملِ عَلى وضعِ بَرَامج ومناهجَ عملٍ دعويّة ومنهجيّة، في مجال العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة، والإِعداد في مختلف مناحيهِ التربَويّة والنّفسيّة، وبَرَامج التّدريب والعلوم العسكريّة الّلازمة، من أجل إطلاق **(مقاومةٍ إسلاميّةٍ عالميّةٍ)** ووضعها موضع التّنفيذ فوراً، لتُواجه أمريكا وحلفاءَها في أرضِ بلادنا العربيَّة والإِسْلَاميّة أولاً، وفي عقر دارها ودار حلفائها وفي كلّ العالم ثانياً.

إنّ هذه الأطر الثّلاثة الّتي أضعها في هذه المقدِّمة جديرة بالتّفصيل والشّرح، ولكنّي لا أريد أن تخرج المقدِّمة وعموم الرّسائل عن الاختصار الممكن، رغم أنّها ستستغرق مئات الصّفحات، وسأترك ذلك لمجال آخر خاصّ بهذه الفكرة وتفصيلاتها إن شاءَ الله، ولكن ضمن ما تحتمله هذه المقدِّمة ألخّص **بعض التّفاصيل في نقاط موجزة:**

١. **إن العمل العسكريّ والفعل الجهاديّ الثّوريّ المُسلّح للمقاومة، هو الّذي سيجبر العدوّ عَلى التّقهقر، ويقود هذه الأُمّة إلى النّصر إن شاء الله، وبدون المُقاوَمة العسكريّة، فإن كلّ عمل سلميّ مهما بلغ من الأهمّيّة في مجالات الدّعوة والخطابة والكتابة والتّأليف، أوفي أعمال التّظاهر والعمل السّياسيّ والإعلاميّ وسوى ذلك، ستذهب آثاره أدراج الرّياح، ولن يغير من واقع الأمر شيئاً من دون عمل عسكريّ مقاوم.**

ومادام المُستَعمر الغازي الصّليبيّ الصّهيونيّ الكافر جاثمٌ عَلى صدورنا وأرضنا، ستبقى الأُمّة بكاملها آثمةً ومسؤُولةً أمامَ الله تَعَالَى، عن عدم قيام الكفاية بدفع العدوّ.

إنّنا أمام فرض عينٍ ليس أوجب بعد توحيد الله منه، كما نقل العُلَماء الإجماعَ عَلى ذلك، ويزيد هذا الفرض تأكيداً وقد دخل الصّائل علينا في عقر دارنا.

٢. **إنّ فعل الجِهَاد والمُقاوَمة المُسلّحة، لا يأتي من فراغٍ ولا يتحولُ إلى ظاهرةٍ بالحجم المطلوب ما لم يولّده مناخ جهاديّ ثوريّ، يعمل عَلى إنشائه جهود كثيرة في مجالات العمل غير القتاليّ**، من الدّعوة والإعلام والتّربية والحفاظ عَلى مكوّنات الدّين، ومن العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة وأحكام الشّريعة الّتي تملأ قلب المؤمن بالقناعة بواجبه القتاليّ كفرضٍ شَرعِيّ دينيّ.

٣. **إنّ تكوّن الخلفيّة الفكريّة والوعي السّياسيّ والمنهجيّ والحَركيّ، أساس لازم إلى جانب المعتقد الدّيني في ذهنيّة الفرد المسلم وضميره، كي يتحوّل إلى الممارسة الفعليّة للقتال والمُقاوَمة**، كفرد مُجاهد يحمل عَقِيْدَة جهاديّة وإِرادَة قتاليّة وعاطفة دينيّة تحمله عَلى مباشرة الفعل والصّبر عَلى متابعته ونشره بين النّاس ودعوتهم إليه عَلى بصيرة.

٤. إنّ الإقدام عَلى الجِهَاد اليَوْم، وحمل السّلاح في وجه أمريكا وحلفائها، وما يتبع ذلك من الاصطدام بطليعتها في بلادنا والمكونة من السُّلطات الكافرة العميلة الخَائِنة وأجهزة إعلامها وأمنها وعسكرها من المُنَافِقين أولياء الكفّار، لا يقوم به في العادة إلا نسبةٌ من الأُمّة وَصَلَ لديها الإيمان والعزيمة والقناعة والإِرادَة، لحدّ مباشرة الفعل، في حين أن ثمّةَ قطاعٌ كبيرٌ من الأُمّة مقتنعٌ بحكم الواقع بالمُوَاجَهة، ولكنّ عزيمته مازالت دون الوصول إلى حدّ نقله إلى ذروة سنام الإِسْلَام، وقد يكون كثيرٌ من هَؤُلَاءِ من النِّسَاء والشُّيُوخ والمعذورين شَرعاً عن القِيام بفريضة القِتَال، أو العاجزين عنها لسببٍ مشروعٍ وحقيقيّ، أو لسبب موهوم مَظنُونٍ، نتيجةَ الضّعف في اليقين أو الإمكانيَّات، فما دور هَؤُلَاءِ في هذه المُوَاجَهة ؟!

لا شَكَّ أنَّ لهم دوراً مُهِمّاً بالغ الأهمّيّة، يؤدونه في مجالات الجِهَاد السّلميّ، وهو العمل في المجالات الّتي أشرتُ إليها في الفقرة [١ و٢].

٥. **إذا لم تقم النُّخبَة الفاهمة لدينها المدركة للواقع، بعمل يحبط بَرَامج العدوّ في تحطيم البنية الدّينيّة والحَضَاريَّة ومكوّنات الوعي في الأُمّة، والَّتي وضعها العدوّ أصلاً لاجتثاث مقوّمات المُقاوَمة من جُذُورها، فإنّ النُّخبَة الجهاديّة ستنقرض بفعل العمل العسكريّ والأمنيّ للعدوّ نسأل الله ألّا يكون لهم ذلك.**

ولن تولِّد الأُمّةُ مع الوقت عوضاً عنها، وستذوب في بَرَامج العدوّ الإعلاميَّة والتربَويّة الّتي رسمها، والَّتي طالت حتَّى مناهج الأطفال التّعليميّة، وطالبت حتَّى بتعديل وتشويه نصوص القرآن والسّنّة الّتي

تتحدّث عن الجِهَاد ومناحي الاعتقاد، وقد جرى أكثر ذلك بأيدي كثيرٍ من علمائنا وللأسف، واشتملت الخطّة الخبيثة للعدوّ، عَلى وضع مئاتِ الخُطباء والوُعّاظ في كلّ بلدٍ إسلاميٍّ، في دورات للتّأهيل ضدّ (التّطرّفِ)! لحقنهم بالمُورّثات الجينيَّة (للوسَطِيّة) المصنَّعة في أمريكا، من أجل استنساخ (مَشَايخ البنتاغون) و(فُقَهَاء الاستعمار) المناسبين.

٦. **إن العمل في مجال الحِفَاظ عَلى الدّين والمكوّنات الحَضَاريَّة في الأُمّة، يحتاج لبَرَامج عمل قد يضطّر القائمون عليها في بعض البلاد إلى النّشر والتّربية السّريّة إن لزم الأمر**، كما حصل في نظام الحُجرات السّريّة الّتي حافظ فيها المُسلِمُون عَلى دين أبنائهم تحت الاحتلال السُّوفيتيّ وبَرَامجِه في محوِ الهويّة في الجمهوريّات الإِسْلَاميّة، وكذلك ما فعله المُسلِمُون في الصّين تحت الحكم الشُّيُوعِيّ وثورته الثَّقافيَّة.

وقد تُمكِّن أجواءُ (الدِّيمقراطيَّة المزعومة) الّتي تحملها أمريكا إلى بلادنا عَلى فوّهات المدافع، قد تُمكِّنُ من تأسيس الجَمعِيّات الأهليّة وغير الحُكُوميّة وتُمكِّنُهَا منَ القيام بأعمال التّربية والتّعليم والتّثقيف عَلى غرارِ ما فعله الشَّيْخ (ابن باديس)[1] وجَمعيَّة العُلَماء المُسلِمِين في الجَزَائِر، عندما قاوم بنجاحٍ (خُطّة الفَرْنَسَة) ومسخ الهويّة الّتي وضعتها فرنسا لمسح العروبة والإِسْلَام من الجَزَائِر، وقد كانت خُطّةً ناجحةً عندما وجد الشَّيْخ المُجَاهد ابن باديس أنّ بذور المُقاوَمة وجُذُورها قد وهنت، فعمد إلى الحفاظ عَلى جُذُورها وأرضيّتها وبَذْرها من جديدٍ، وهكذا وفّرَ هذا العمل التّربويّ المجيد خلال الثّلاثينيّات والأربعينيّات والخمسينيّات، بذور المُقاوَمة وأجيالاً قُدّمت وقوداً للثّورة والمُقاوَمة ضدّ فرنسا فيما بعد.

ويجب أنْ يكون للمساجد والكتاتيب والزّوايا الدّينيّة دورٌ كبيرٌ في هذا المجال، كما أنّ لحلقات التّدريس والتّعليم الدّينيّ المنزليّ دورٌ هامٌّ، وللنّساء والدّاعيات وسط الأسر ومن خلال البيوت، دورٌ كبيرٌ في الحفاظ عَلى دينٍ ولغةٍ وثقافةِ الأجيال.

---

(١) ابن باديس : عبدالحميد بن محمد المصطفى بن المكي بن باديس الصنهاجي الجزائري المالكي ١٨٨٩م-١٩٤٠م، الموافق : ١٣٠٧-١٣٥٨هـ ، مؤسس جمعية العلماء المسلمين في الجزائر ورائد النهضة فيها ، كانَ يحارب الفرنسيين بمحاربة الجهل والتخلف ومحو الخرافات.

والعمل في هذا المجال عمل سلميٌّ لا يحمل مخاطرَ القِتَال والمُقاوَمة المُسلّحة، الّتي يجب أنْ ينخرط فيها – منذُ السَّاعة – المعتقدون العازمون عَلى التَّضحِيَة، **لأنّها فرضُ عينٍ عَلى كلِّ مسلمٍ.**

٧. أما مجالات العمل السّياسيّ والإعلاميّ والفكريّ والثقافيّ، فإنها كذلك مجالات عمل سلميّ، يستطيع العاملون فيها نشر فكر المُقاوَمة المدنيّة ومبرّراتها، ويستطيعون أنْ يُدَافعوا عنها في داخل البلاد وخارجها، كما أنَّ مجالَ التَّأليف والنَّشر والتَّظاهر والاعتصام وغير ذلكَ من أعمال المُقاوَمة المدنيّة، عملٌ ربَّما سيكون مشروعاً ممكناً ضمن ما تُتِيحهُ (الدِّيمقراطيَّة الزّائِفَةُ) للاستعمار ونوّابه الخونة في بلادنا من أجل خداع النّاس، وسيكون العاملون في هذه المجالات في مأمنٍ مِنْ وَضْعِهِم تحتَ طائلةِ تُهمَة (الإِرهَاب) لأنّهم في مجال العمل السّياسيّ والإعلاميّ والمدنيّ.

وهناك ملاحظتَيْن هامّتَيْن جدّاً للعمل في مجال المُقاوَمة السّلميّة المدنيّة سواءً في المجال الدّينيّ أو السّياسيّ أو الفكريّ وهُما:

أولاً: لا يجوز بحالٍ منَ الأحوال، ويحرمُ شرعًا، الانتساب للأجهزة السّلطويّة والحُكُوميّة تحت دعوى (المُقاوَمة السّلميّة وخدمة الدّين)، سواءً كانَ ذلك تحت إدارة الاستعمار مباشرةً – كما يحصل في العراق وفلسطين – أو تحت حكم وإدارة الحكَّام المُرتدّين الحاليّين الحاكمين بغير ما أنزلَ الله الموالين لأعداء الله المُستَعمرين – كما يحصل من كثيرٍ من الإِسْلَاميّين في مختلف البلاد – ولا يجوز العمل في أي جهازٍ من أجهزتهم السّلطويّة التَّشريعيّة والتّنفيذيّة والقضائيّة، وهذا له تفصيل ودلائل سيأتي بيانها في البَاب الأوّل من الفَصل الثّاني من الجزء الثّاني إن شاء الله.

ثانياً: لا يجوزُ بحالٍ مِنَ الأحوال أنْ يقع العامل في مجال المُقاوَمة المدنيّة والدّعوة والسّياسة والإعلام، في جريمة التّشنيع عَلى الجِهَاد والمُجَاهدين والمقاومين المُسلِمِين، بدعوى دفع الشّبهة عن نفسِه ومُؤسّسته، وبدعوى زعم الوسطيّة والاعتدال، أو بدعوى الحفاظ عَلى نشاطاته وأخذ الإجازة مِنَ المُستَعمر أو نوّابه المرتدّين من الحكَّام الخونة لاستمرار عمله.

لأنّ الغرض من وجوده ومبرّر عمله في ذاك المجال هو خلق مناخ الجِهَاد ودعم المُقاوَمة، فكيف ستُوْلَدُ هذه المُقاوَمة وتستمر إذا تولّى كبارُ الدّعاة والمفكّرون والقادة والمثّقفون في الأُمّة تشويهَ الجِهَاد

والمُجَاهدين؟! وتحطيم سُمعة المُقاوَمة والمُقاوِمين؟! كما يفعل المغفّلون والفجرة والتّائهون اليَوْم، من بعض عُلماء الإِسْلَام ومثقّفي الأُمّة ومفكّريها! وفي الوقت ذاته، يجب عَلى المُجَاهدين المقاومين وإعلامهم الجهاديّ، أنْ لا ينجَرَّ للتّشنيع عَلى العاملين في مجال الدّعوة والمُقاوَمة السّلميّة واتِّهامِهم بالقعود وعدم الجِهَاد – ولو كانَ هذا صحيحاً في حقِّ أكثرهم – طالما أنّهم لم يدخلوا سياق دعم المُستَعمر والاعتراف به، أو محاربة الجِهَاد والدّعاية ضدّ المُقاوَمة، لأَنّهم يؤدّون عملاً مهمّاً جدّاً لأرضيّة المُقاوَمة، ومكمّلاً لجهودها.



﴿ مُستَوَيات المُقاوَمة ﴾

إنّ المشاركة في المُقاوَمة والتّدرّج في ميدان الجِهَاد في سبيل الله ومُوَاجَهةِ أعداء الله يمرّ لدى كلّ فرد في ثلاث مستويات:

العاطفة الدّينيّة الإِسْلَاميّة:

وهذه يكوّنها المفهوم العامّ للدّين، والمَورُوثات الطّبيعيّة للنّخوة والشّرف، والإباء والحميّة لدى الفرد، كردّ فعلٍ طبيعيٍّ عَلى حال الاحتلال والظُّلم، وكسر الكبرياء وهتك أستار الكرامة الدّينيّة والحَضَاريَّة والوطنيّة من قبل المُستَعمر وأعوانه، وهذه العاطفة تحمل صاحبها عَلى المشاركة في مجال المُقاوَمة المدنيّة أو ردود الأفعال العاطفيّة تجاوباً مع جَيَشَانِ هذه العَوَاطِف في قَرارة الضّمير.

إِرادَة القِتَال:

وهذه أساس تَكوُّن القدرة عَلى فعل المُقاوَمة والجِهَاد، فالإِرادَة هيَ عزم يتكوّن في العقل والقلب والنّفس للإقدام عَلى العمل، وهي أوّل مراحل العمل، وبدونها لا يقدم المرء عَلى أي عمل.

قَالَ تَعَالَى عن المُنَافِقين القاعدين عن الجِهَاد:

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٤٦﴾ [التوبة]

فمراحل الإقدام عَلى الجِهَاد والقتال هيَ (إِرادَة – إعداد – انبعاث)، وتتكون إِرادَة القِتَال بعد نضوج العاطفة الدّينيّة والقناعة بالقتال، ويساعد عَلى تشكيلها إذا كانَ الضمير حياً والقلب سليماً ما يمارسه العدوّ من أعمال العدوان والمظالم والقتل والدمار وما يلبسه للأمة من القهر والذل والخوف والجوع، فيحمل المرء السّلاح ويقاوم.

العَقِيْدَة الجهاديّة:

وهذه لا تأتي إلا عبر التّربية والتلقي[1]، وهي أساس في أمور غاية في الأهمّيّة:

- فبالعَقِيْدَة الجهاديّة وفهم أركانها واعتقادها، يكون القِتَال جِهَاداً في سبيل الله، لأنها توضح العزم والقصد، وهو من قاتل لتكون كلمة الله هيَ العليا فهو في سبيل الله، حيث أن القتيل في ذلك هو الشّهيد وإلا فلا.
- وبالعَقِيْدَة الجهاديّة يعرف المرء أحكام هذه الفريضة وآدابها ومقتضياتها ويقدِم عَلى القِتَال عَلى بيّنة وبصيرة من ربّه ودينه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟﴾ [النساء: ٩٤].
- وبالعَقِيْدَة الجهاديّة وأركانها يرسُخ في نفس المُجَاهد المنهج والفكر الجهاديّ، والوعي الكامل بناء عَلى معرفة أحكام الله الشَّرعيَّة، وبناءً عَلى فهمِ مُقتضيات هذه الأحكام من فقه الواقع الّذي يدور من حوله.
- وبدون العَقِيْدَة الجهاديّة، إمّا أن يحبطَ العمل ويسوءَ المصير أعاذنا الله من ذلك، أو تنقطعَ السّبلُ بالمقاتل عَلى محنِ الطّريق ومحكَّاته من القتل والأسر والتَّشريد، فهي الضّامن بعد الله تَعَالَىٰ، في تثبيت المُجَاهد عَلى نيته وعزيمته في وجه عواصف التضليل الإعلاميّ، والفتنة والزيغ الّذي يحاوله أعداء الإِسْلَام وآلاتهم المنافقة، وخاصة علماء السوء وفقهاء الضلالة، الّذين يحاولون تلبيس الأمر عَلى المُجَاهدين، لصرفهم عن سبيل الله، فلا بُدَّ للعاملين في مجال المُقاوَمة والجِهَاد والعمل العسكريّ المباشر ضدّ أعداء الله، أن يكون لهم علماؤهم ومفكّروهم، ومثقّفوهم وآلاتهم الفكريّة والمنهجيّة، وأدوات إعلامهم، لتوجيه العَوَاطِف الجيّاشة في نفوس المُؤمِنِين، وتحويلها عبر الإعلام والدعاية الجهاديّة إلىٰ إرادَة قتال، وصقلها وترسيخها كعَقِيْدَة جهاديّة تمكن الأجيال من استمرار المُقاوَمة وتوارثها.

---

(١) سيأتي مزيد من التفاصيل في البَاب الأول من الجزء الثّاني من الكتاب إِنْ شَاءَ اللهُ [المؤلف].

ولابدّ من ذكر الحقيقة المُرّة ؛ وهي أنّ عشرات الملايين من شباب المُسلِمِين المخلصين، ما زالوا إزاء هذه المدلهمّات المظلمة المتتابعة من النّوازل في هذه الأُمّة، تائهون متحيّرُون عجزة! يتردّدُون في مجال العاطفة الدّينيّة وحسب، يتجرّعون الحسرات والمرارات ويرتكبون بعض ردود الأفعال غير المجدية، ولم تتحوّل هذه العَوَاطِف إلىٰ إرادَة قتال، إلا عند النّزر اليسير من المئات هنا وهناك، وربّما العشرات أو الآحاد في بعض البلدان العربيَّة والإِسْلَاميّة.

وبنظرة إلى الظَّاهِرة الجهاديّة وروّادها، منذُ انطلقت خلال العقود الأربعة الماضية كما سيأتي تفصيله في الفَصل السَّادس إن شاء الله، نجد أنّ أعدادهم لم تجاوز المئات حتَّى في دول مليونيّة كمصر وبلاد الشّام، ولم تجاوز العشرات في دول أُخرى! في حين لم تقم أي بادرة جهاديّة في أكثر بلاد المُسلِمِين، رغم ما يعتريها من حالات الاحتلال المباشر وغير المباشر من قبلِ مُختلف دول الاستعمار، وما يظهره حكامها من الكفر والرِّدَّة والخيانة، فضلاً عن المظالم والمفاسد الّتي أحالت حياة أكثر الشّعوب جحيماً.

بل إنّ الإحصائيّات المؤسفة تشير، إلىٰ أنّه ومنذ استعلن الأمريكان باحتلال جَزِيرَة العَرَب، ونزلوا فيها جهاراً سنة ١٩٩٠م وما زالوا إلىٰ يومنا هذا أي منذُ نحو ١٣ عاماً[١]، حيث يسرح ويمرح في أنحائها مئات آلاف الجنود الأمريكان والإنجليز والأوروبّيّين ويتسكّع فيها مئات آلاف المدنيين منهم بأسرهم، ويشرفون علىٰ النهب والسّلب الاقتصاديّ والفساد والإفساد، ومع ذلك لم يجاوز عدد العمليَّات الجهاديّة رغم بساطتها، لم يجاوز إلا بعض العمليَّات لم يزد فيها مجموع خسارة الأمريكان علىٰ بضع عشرات، هذا رغم أن واردات الاستعمار الأمريكيّ منها (مجموع بلدان الجَزِيرَة) تُجاوِز يوميّاً المليار دولار من النّفط فقط، هذا المُستَعمر الّذي يموت في بلده من مواطنيه جرَّاء حوادث السّير أسبوعيّاً مئات الأشخاص، عدا الآلاف ممّن يقضون في باقي الجرائم وتناول الخمور والمخدّرات! وينشر الأمريكان في منطقتنا العربيَّة والإِسْلَاميّة الّتي يسمّونها (منطقة العمليَّات الوسطى) زهاء مليون ونصف المليون جنديٍّ أمريكيّ عدا جنود حلفائه، فكيف يُغَادِر مثل هذا المحتل مثل هذه الدّولة؟! الّتي تحوي

(١) ومايزال إلى عهد هذه الطبعة الوضع على حاله أي منذ أكثر من ٢٧ سنة .

أقدس مقدّسات المُسلِمِين وتشكّل عقر دارهم ؟! وهذه ظاهرةٌ نادرةٌ في تاريخ الاستعمار والمُستَعمِرين علىٰ مرّ البَشَرِيّة!!

أما الأشدّ أسفا من ذلك فهو أن تقوم دار الإِسْلَام في أفغانستان أيّام طالبان، وتفتح علىٰ مصراعيها لمدّة ستة سَنَوات، وتنشأ فيها المُعَسْكَرَات وخطوط القِتَال، وتفتح فرصة الجِهَاد تحت رايات الشّريعة، ولم يَزِد عدد من دخلها للهِجرَة والجِهَاد علىٰ ١٥٠٠ مُجَاهِدٍ، منهم نحو ٣٠٠ مُجَاهِدٍ بأسرِهم، أي نسبة واحدٍ في المليون منَ الأُمّة!! ولم يستفِدْ من فرصةِ الإِعداد والتّدريب وحضور ميدان الجِهَاد إلا أعدادٌ محدودةٌ ممّن أنعَمَ الله عليهم! بل الأنكىٰ من ذلك، أنّه لم يُهاجر إليها عالمٌ واحدٌ من علماء المُسلِمِين ولاسيّما مشاهيرهم، ولا من رموز الدّعوة الّذين ملأوا الدُّنيَا زعقاً فارغاً عن الهِجرَة والجِهَاد.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار عدد الّذين نفروا للجِهَاد لغَوْثِ إخوانهم الّذين وقعوا تحت بطش الاحتلال الصَّارِخ في أفغانستان سابقاً أيّام الرُّوس، أوفي البوسنة أو الشِّيشَان أو فِلَسطِين أو غيرها من بلاد المُسلِمِين الّتي تعرّضت للاحتلال المُعاصر، نجد أنّ النّسبة تبقىٰ في خانة الآحاد للمليون، رغم ما طبّل الإعلام وزمّر من أجل تضخيم ظاهرة الجِهَاد المُسلّح أو ما يسمّونه بـ (الإِرهَاب) من أجل تبرير أهدافهم العدوانيّة [ودع عنك الأرقام الخيالية الّتي نشرتها استخبارات أمريكا عبر وسائل إعلامها من أرقام أدخلتها تحت مسمّىٰ القَاعِدَة من أجل تحقيق أهدافها، وأنا أؤكد ما ذكرته من أرقام وبصفتي أحد الّذين خبروا هذه المَرحَلَة ميدانيّاً والحَمْدُ لله].

فإذا ما قسنا هذا الحال مع حجم النَّفِير للجِهَاد الّذي قام به المُسلِمُون عبر تاريخهم القديم وحتىٰ الحديث أيّام الاستعمار، نجد أنّ حال الأُمّة هذه الأيّام يدعو للإحباط، لولا الأمل بالله، وما تشير إليه بوادر الأمل والانبعاث في بعض شرائح الأُمّة، والَّتي تحتاج إلىٰ جهود تثمّرها وتطلقها وتأصِّل لها، وصولاً إلىٰ تحويلها إلىٰ (مقاومة إسلاميّة عالميّة) ناجعة تحمل عَقِيْدَةً جهاديّةً وإِرادَة قتال فعليّة تغذّيها عاطفةٌ مُجْدِيَةٍ.

ومن أجل هذه الغاية وعملاً علىٰ بث بذور هذه المُقاوَمة والدّعوة لها والعمل علىٰ قيامها، وُضِعت مواد هذا الكتاب وجعلت عنوانه معبراً عن محتواه:

﴿المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة – الدّعوة – المنهج – الطَّريقة﴾

مُحاولاً أن أضع بحسب ما يسر الله لي ؛ وضع أسس نظَريَّات عمل تسهم فيما يحتاجه الجيل الجهاديّ القادم من بعدنا، للإجابة علىٰ سؤال هام في غاية الاستراتيجيّة والأهمّيّة الدّينيّة والعمليّة، هذا السّؤال هو:

كيف نواجه النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد؟ وكيف نُجاهد أعداءَنا في عالمِ ما بعد سِبتَمبر؟ وكيف نقاومُ الحملات الصّليبيّة الثّالثة بقيادة أمريكا؟

لقد وُضِعَ هذا الكتاب وأسس هذه الدّعوة من أجل الإجابة علىٰ هذا السّؤال، واللهُ المُستَعان.

****

من أجل الجيل الثّالث من الجهاديّين:

﴿ جيل المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ﴾

أعتقد أنَّ جيلاً جهاديّا يُولدُ اليَوْم مع وصول حدّة الصِّرَاع إلىٰ ما وصلتْ إليه، بُعَيْد أحداث سِبتَمبر واحتلال العراق، ووصول الانتفاضة الفلسطينيّة إلىٰ ذروتها، ووقوفها علىٰ مفترق الطّريق، بعد أن أعطىٰ أهلنا المُؤمِنُون هناك كلّ ما في جُعبتهم، في حين تقف الأُمّة من تضحياتهم موقف المتفرّج، بفعل سكوت علمائها وقمع حكامها لها وشلّها عن الحركة.

فإذا أخذنا بعين الاعتبار التَّجَارب الماضية، منذُ انطلاق الجِهَاد أواسط السّتّينيّات، أي قبل نحو ٤٠ عاماً وإلىٰ اليَوْم، يمكنني أنْ أقول أنّ جيلانِ جهاديّانِ قد مضيا حتَّىٰ الآن في هذه الصّحوة، حيث سنتعرّض لتاريخهما بشيءٍ من التّفصيل في الفَصل السَّادس إن شاء الله، جيل المؤسّسين والدّفعة الأولىٰ، والّذي أشعلَ مشعلَ الفكر الجهاديّ وقدّم أُولىٰ تجاربِهِ مطلعَ السّتّينات إلىٰ أواخر السّبعينات من القرن المُنصرم، حيث لم تأت الثَّمانينيَّات إلا وقد قضىٰ معظمهم علىٰ هذا الدّرب المنير، ثمّ الجيل الثّاني الّذي قام بمتابعة المسيرة منذُ مطلع الثَّمانينيَّات، وإلىٰ أواخر القرن العِشرين، حيث انتعش الجِهَاد في مصر والشّام ثمّ شمال إفريقيا وغيرها، ثمّ فتحت بوّابة الجِهَاد علىٰ مصراعيها لعُشّاق الفريضة الغائبة في أفغانستان، حيث تكون علىٰ مدىٰ الثَّمانينيَّات إلىٰ مطلع التِّسعينيَّات الجيل الجهاديّ الثّاني، وكانت مدرسة الأفغان العَرَب تجربة متميّزة انطلق الجِهَاد مع روّادها إلىٰ مختلف بقاع العالم الإِسْلَاميّ، وساهمت ساحات البوسنة والشِّيشَان، ثمّ مرحلة أفغانستان الثّانية والإمارة الإِسْلَاميّة بعطاء زاخرٍ شهدَ أواخره لحاق طلائع الجيل الجهاديّ الثّالث.

ثمّ جاءت أحداث سِبتَمبر ٢٠٠١م، ودخل الجيل الثّاني في أُتُون المحنة، لينصرم القرن العشرون، وتفتتح الألفيّة الثّالثة بمذبحة مروّعة وأخدود عظيم، التهم معظم كوادره وقياداته وأكثر قواعده، ولم يسلم منهم من القتل أو الأسر إلا النّزرُ اليسير.

وأعتقدُ جازماً، أنَّ علىٰ الجيل الثّالث أن يهضم خُلاصة تجربة جُذُوره ليطور نظَريَّات عمله ويتابع حمل راية الجِهَاد في ظروفٍ بالغةِ الصُّعُوبة، ومعركة بالغةِ الاختلال في موازين القوىٰ.

وقد أحببت في هذا الكتاب، حيث أَنّي من بعض من تبقىٰ من الجيل الثّاني، أن أُسَلِّمَ من يسير علىٰ خطانا جزءاً من الأمانة في هذا الكتاب، وفي ما أعتزم كتابته مما يتلوه من هذهِ السّلسلة، خُلاصة منهجيّة فكريّة، وحركيّة تارِيخِيَّة، تُساعد من يَستعدّ لحمل الأمانة علىٰ متابعة الطّريق علىٰ بصيرة، من دون أن يخسر دروساً عظيمة من مسار مجيد، مخضّبٍ بدماء عشرات آلاف الشّهداء، ومُعاناةِ جِيلٍ كابَدَ في صِراعه مع الطّواغيت ومن وراءَهم أشدّ المعاناة في هذا العصر الحديث.

إذ لابدّ لجيل الجِهَاد القادم من معرفةِ جُذُوره، وهضم تجارب أسلافه، والسّير علىٰ أنوار ما قدَّموا فكراً وتجربةً وقدوةً، من خلالِ فهم جُذُور الصِّرَاع التارِيخِيَّة منذُ بدأ.

إنّ في تاريخ الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة المنطلقة منذُ مطلع القرن العِشرين وإلىٰ اليَوْم، وما تزخر به من تجارب رائعة، بصرف النَّظر عن مصيبها ومخطئها، دروساً عظيمةً، كما أنّ في تاريخ تجارب التّيار الجهاديّ المعاصر المنطلق منذُ مطلع السّتينيّات في القرن المنصرم وإلىٰ أيّامنا هذه، دروساً وعبراً ومنهاجاً وفكراً ورايةً، ولابدَّ للجيل الجهاديّ القادم أن يبنىٰ عليها، لابدّ له أولاً أن يعرفها تاريخاً ومنهجاً، وأن يهضمها حتَّىٰ يكون الجيل الجهاديّ القادم حلقةً طبيعيّةً في هذه السلسلة الّتي ترسم مسار القافلة المجيدة نحو حلم الإِسْلَام المنشود، في إعادة حكم الله لهذه الأرض، وإقامة خلافته الرّاشدة علىٰ منهاج النّبوّة إن شاء الله.

وقد حاولت أن أغطّي ذلك في بعض فصول هذا الكتاب بإيجاز، كما أنّ في فهم سياق تاريخ الأُمّة بعمومها وما حلّ بها ومسارها العامّ إجمالاً والسّياسيّ خاصّة قسطٌ أساسيّ من المعرفة، لابُدّ لجيل الجِهَاد القادم والقائمين عليه من معرفة وفهم مجرياته، وهو ما يمكن تسميته بالتّاريخ الحديث للعرب والمُسلِمين خلال القرن الماضي، منذُ سقوطِ الخِلافَة عام ١٩٢٤م، كما أنّ قسطاً من المعرفة حول تاريخ صراعنا الحاليّ مع الرُّوم المعاصرين أعدائنا الأزليّين، أقصد معرفة خُلاصة تاريخ صراعنا مع الرُّوم

وحملاتهم التارِيخِيَّة، وكيفِيَّة أداء أجدادنا في ذلك الصِّرَاع، وخُلاصة دُروس الانتصارات والهزائم عبر تلك الملاحم، أمرٌ مهمٌّ جداً لتلمّس خطىٰ المسار القادم.

إنّ فهم ذلك وربطه بتاريخ الصِّرَاع كلّه، وبجُذُور هذا النّظام الدّولي القائم ونشأته عبر العصور، واستخلاص خُلاصة أسس الصِّرَاع بين الحقّ والبَاطِل منذُ وُجِد البَشرُ علىٰ هذه البسيطة، يمهّد لهضم وفهم مكوّنات إنشاء نظَريَّات العمل المناسبة للمرحلة الحاليّة.

وإذا وَسِعَ الفرد المُجَاهد العاديّ أن يجهل كثيراً من ارتباطات هذه السِّلسلة من المعارف والدُّروس والتَّجَارب، فإنّه لا يَسَعُ النُّخبَة القادمة من قيادات الجِهَاد وجيله القادم أن تجهلَ الحكمة والعبرة من هذا السياق كلِّه.

ولذلك حرصت علىٰ أن تشتملَ الفصولُ الأولىٰ أو ما يربو علىٰ نصف هذا الكتاب خُلاصة ذلك بطريقة متسلسلة منطقيّة وموجزة، نعم موجزة رغم ضخامتها.

لقد أَصبَحتِ المعرفةُ أهمّ أَسْلِحةِ هذا العَصْر، ولا يمكنُ أنْ يقودَ الجهلةُ هذا الصِّرَاع مَهمَا كانَ من إخلاصِهِمُ المُفتَرَضِ.

هذا ما خلَصْتُ إليه، بعد تجربة ذاتيّة خاصّة طويلة قضيتها -أسأل اللهَ الإخلاص والقبول- وسط معمعة تجارب الصّحوة الإِسْلَاميّة، منذُ (١٩٨٠م) وإلىٰ أيّامنا هذه أواخر (٢٠٠٤م).

ومن خلال المشاركة الميدانيّة في التّيار الجهاديّ المعاصر خلال هذه الفترة بالغة الأهمّيَّة والعطاء، عشت خلالها تجربة الجِهَاد في سوريا ميدانيّاً منذُ ١٩٨٠م، وكنت عضواً في القيادة العسكريَّة للإخوان المُسلِمِين إبَّان أحداث حَماة ١٩٨٢م، ثمّ تجربة الجِهَاد العربيّ الأفغانيّ ضدّ الإتحاد السُّوفيتيّ والشُّيُوعِيَّة في أفغانستان ميدانيّاً أيضا (١٩٨٨-١٩٩٢م)، ثمّ مواكبة التَّجربة الجهاديَّة المريرة المؤسفة في الجَزَائِر عن قرب من خلال العمل الإعلاميّ مع أنصار الجِهَاد الجَزَائِري في لندن (١٩٩٣-١٩٩٧م)، إلىٰ أن اضطررنا إلىٰ هجرها بفعل سيطرة المنحرفين علىٰ قيادتها – كما شرحت مجريات ذلك في كتابي (شهادتي علىٰ الجِهَاد في الجَزَائِر ١٩٨٩-١٩٩٦م)، ثمّ العمل والمشاركة ميدانيّاً في آخر التَّجَارب الجهاديَّة وأهمّها في العقد المنصرم، وهي تجربة الطَّالِبَان والأفغان العَرَب في أفغانستان خلال (١٩٩٦ – ٢٠٠١ م)، وقبل

ذلك ما أتاحته لي المَهَاجِرُ العديدة، ولاسيَّما في عدد من الدّول العربيَّة والإِسْلَاميَّة والأوروبيَّة، وما وفّره لي ذلك من التّماس مع مختلف شرائح الصّحوة الإِسْلَاميَّة عامّة، والتّعرف علىٰ معظم حركات وتنظيمات وقيادات التّيار الجهاديّ المعاصر بشكل خاصّ، وما اطّلعت عليه من خلال ذلك علىٰ عشرات التَّجَارب الجهاديَّة والإِسْلَاميَّة عموماً، ومن خلال كوني أحد العاملين في التّيار الجهاديّ في مجال الفكر والكتابة والتّأريخ والنَّشَاط الإعلاميّ، بالإضافة للمباشرة الميدانيَّة.

ولا أذكر هذا هنا للفخر، وليس المقام مقامه – وأسأل الله الإخلاص – وإنّما ليَعرفَ القارئ، أنّ ما يستقبله من صفحات الكتاب هو نتاج تجربة ميدانيَّة طويلة ومتنوّعة، فيعطيه حقّه منَ الاهتمام.

ولقد جهدت أن أُعمل الفكر وأقضي الساعات الكثيرة في المناقشات والحوار مع كثيرٍ من العاملين في هذا التّيار الجهاديّ، وخاصة من كوادره وقياداته المجربين، وفي التَّفكير في طبيعة هذه الطَّامة النَّازلة بنا وطُرُق مواجهتها، وأن أضع خُلاصة ذلك بين دُفّتي هذا الكتاب، وعبر رسائله المتتالية، كي أوجز في ذلك ما يساهم في خدمة الجيل الجهاديّ القادم، ويعينه علىٰ استئناف المسار.

وكما قلت في كتابي وباكورة مؤلّفاتي:

(**الثَّورة الإِسْلَاميَّة الجهاديَّة في سوريا – آلامٌ وآمالٌ** –) الّذي كتبته عام ١٩٨٧م، أعيد القول هنا:

إن علىٰ كلّ جيل جهاديّ أن يُوَلِّدَ نظريَّتَه العمليَّة، من خلال التَّجربة الذاتيَّة، وأن يُطورها في ضوء حصاد التَّجَارب السَّابقة.

إنّ النَّظريَّة الجهاديَّة العمليَّة لا تولد في رؤوس المُؤلّفين والمفكّرين فوق المكاتب الأنيقة، ولا من خلال حياة الدعة المريحة، ولا تنزل علىٰ أصحابها من قمة الهرم التَّنظِيمي لحركتهم، بل تولد في خنادق القِتَال وساحات الإِعداد، ومسار المحنة وأتونها، نظريَّة تكلّف أصحابها العناء، وتجعلهم يدفعون ثمن كلّ خطأ وتجربة من دمائهم ومعاناتهم، حتَّىٰ يتلمس اللاحقون ما يناسب كلّ مرحلة قادمة من الخطوات الصّائبة.

إنّ التَّجَارب الفاشلة باهِظة الثَّمن، ولكنّ الفشل في كثيرٍ من الأحيان أكثر إثراء للمسار من النّصر، إذ يجمع التَّجربة إلىٰ المجرب، فإذا ما قيّض له الثّبات والعزم علىٰ المسير، فإنّه يُشكل له أرضيَّة الانتصار الحاسم القادم بإذن الله.

لقد عايشت بنفسي تجارب جهاديَّة مريرة، واستطعت من خلال صحبتي واحتكاكي أن أطّلع علىٰ كثيرٍ سواها من التَّجَارب الرّائعة، من روايات أصحابها الّذين قاموا بها، ولقد درستها دراسة مقارنة مع ما اطلعت عليه من تاريخ الحركات والثورات المعاصرة، وحاولت في هذا الكتاب أن أهضم كلّ ذلك، وأقدمه في نظَريَّات عمل قد تكون مساعدة علىٰ مسارنا القادم، ومسار من سيسير علىٰ خطانا بتوفيق الله.

لقد مثّلت أمريكا والحضارة الغربيَّة، وما أحلته بنا وبغيرنا من بني آدم، داءاً أصاب البشريَّة بكل ماتعنيه كلمة (داء) من معاني، ولا شَّكَّ أنّ بلاءَ دائِها ودوائِها داخل في ما رُوي عنه ﷺ: «**ما أنزلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ داءً إِلَّا أنزلَ لهُ دواءً، عَلِمَه من عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَه**»[1]

وقد حاولت في هذا الكتاب أن أُسَاهم في البحث عن مواصفات هذا الدَّواء لعلّ الله يجعلنا ومن سيسير علىٰ خطىٰ من مضىٰ، ممن علمه لعلّنا نستطيع أن نريح أمّتنا، وربّما البشريَّة كلّها من وراء ذلك، من أعراض هذا الدّاء – أمريكا وحلفائها – وما أحلّه في الأبرياء من بني البشر عامَّةً والمُسلِمين خاصّة من ويلاتٍ، فيكون في ذلك الشفاء بإذن الله.

****

(١) أورده الشَّيْخ بلفظ (عرفه من عرفه) وقد تم تصحيحه لـ (علمه من علمه) ورواه أحمد (٣٥٧٨، ٤٢٣٦، ٤٢٦٧، ٤٣٣٤) وابن ماجه (٣٤٣٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥١)، وفي الْبُخَارِيّ (٥٦٧٨) من حَدِيث أبي هُرَيْرَة: «مَا أنزل الله دَاء إِلَّا أنزل لَهُ شِفَاء»، وَلمُسلم (٢٢٠٤) من حَدِيث جَابر: «لكل دَاء دَوَاء» .

﴿ تعريفٌ بمراحلِ تبلور ونضوج أفكار هذا الكتاب ﴾

لقد تأجّلت كتابة هذا البحث رغم عزمي علىٰ ذلك مرّات عديدة، ولعلّ الله قدر خيراً بذلك التأخير، ولعلّ من هذا الخير، أن الهجمة العاتية الّتي تقودها أمريكا وحلفاؤُها ما يعين القارئ المسلم علىٰ فهمٍ أكبرٍ، وقناعةٍ أوضح بالأفكار وبَرَامج العمل، ودعوة الجِهَاد والمُقاوَمة الّتي ندعوه إليها في هذا الكتاب.

فقد أصبح ما لم يُمكن إدراكُه والقناعةُ به إلا بقدْرٍ من البصيرة، قبل أكثر من اثني عشر عاماً، يوم بدأت هذه الحملات الصّليبيَّة الجَدِيدة بغزو أمريكا وحلفائها للخليج تحت ستار تحرير الكويت عام ١٩٩٠م، أصبح اليَوْم يُدرَك بشيءٍ يسيرٍ من البصر، بل بقَدْرٍ بسيط من السّمع لمن خانته البصيرة ونكبه العمىٰ بعد أن فقد نعمة الإحساس.

ولعلّ من آفاق الخير في تأخير إخراج هذا البحث أيضاً، أن تنضج تلك الأفكار بعد أن أدّت شواهد حملات أمريكا وحلفائها علىٰ المُسلِمِين قاطبةً، وعلىٰ الصّحوة الإِسْلَاميَّة خاصّة، وعلىٰ المدافعين عن هذه الأُمّة من أبنائها المُجَاهدين علىٰ وجه الخصوص، إلىٰ ازدياد القناعة لدينا بضرورة شراسة المُقاوَمة، الّتي تفرضها وحشيَّة الهجمة البربريَّة العاتية.

ولعلّ من الخير أيضا في ذلك التّأخير، أن يتمّ إخراج هذا الكتاب من خلال أُتون المحنة الّتي نعيش ذروتها هذه الأيّام، ونحن نعيش مرحلة المُطاردات والمخابئ، وقمة المُوَاجَهة مع أمريكا وحلفائها.

وأرجو الله أن يكون قد قضىٰ لي التّيسير والتّوفيق في إخراجه، وأسأله تَعَالَىٰ أن يُلهمَنِي الحقَّ والصَّواب ويجنّبَني الزّلل ويوفّقَنِي لأسباب القبول، إنّه أهل ذلك والقادرُ عليه.

أمّا عن مراحل تبلور أفكار هذا الكتاب، فمن المفيد في فهمه ذكر تسلسلها.

فقد تمَّ ذلك علىٰ مراحل متدرّجة علىٰ مدىٰ أربعة عشر عاماً، ما بين أواخر عام ١٩٩٠م إلىٰ أواخر عام ٢٠٠٤م.

وأمّا صياغته الأخيرة فقد بدأتُها مطلع سنة ٢٠٠٢م، وأشارف الآن – بفضل الله – علىٰ نهايته أواخرَ سنة ٢٠٠٤م.

وقد كانت خُلاصة تلك المراحل الفكريَّة علىٰ الشّكل التّالي:

- المرحلة الأولى: بيشاور (١٩٩٠-١٩٩١)
- المرحلة الثانية: مدريد (١٩٩١)
- المرحلة الثالثة : لندن (١٩٩٦)
- المرحلة الرابعة : أفغانستان (١٩٩٧-٢٠٠١)
- المرحلة الخامسة: باكستان (٢٠٠٢-٢٠٠٣)
- المرحلة السادسة: (٢٠٠٣-٢٠٠٤) احتلال أمريكا للعراق والحملة الامريكية على الشرق الأوسط.

المَرحَلَة الأولى:

بيشاور (١٩٩٠م - ١٩٩١م)

كانَ جمع المُجَاهدين العَرَب الّذي حضرتُه ما بين (١٩٨٧- ١٩٩٢م) في أفغانستان والمناطق الحدوديَّة الباكستانيَّة، ولاسيّما عاصمتها بيشاور[١]، قد بلغ ذروته عام ١٩٩٠م، وحوىٰ بكل تأكيد كامل طيف الصّحوة الإِسْلَاميَّة، ولاسيّما العربيَّة بمدارسها المختلفة، وشهد ذلك الجمع ما يمكن وصفه بالزلزال الفكريّ والنّفسيّ علىٰ مستوى المُجَاهدين العَرَب خاصّة، وذلك بنزول قوّات التَّحالف الدّولي بزعامة أمريكا في جَزِيرَة العَرَب تحت ستار ما سُمِّيَ بتحرير الكويت، والّذي بدا بكل وضوحٍ أنَّه مجرد ستارٍ هشٍّ لحملات صليبيَّة عاتية جديدة، تقودها أمريكا وأوروبّا الغربيَّة واليَهُوْد، عَلى عقر دار الإِسْلَام في الشّام والعراق وجَزِيرَة العَرَب، لقد عصف ذلك الزلزال بكامل الأُمّة العربيَّة والإِسْلَاميَّة، وبصحوتها الدّينيَّة السّياسيَّة الّتي كانت تعيش ذروتها منذُ انطلقت قبل أكثر من نصف قرن، فقد دخل النّصَارى هذه المرة بلاد الحرمين، وأحاطوا بجَزِيرَة العَرَب - عقرِ دار الإِسْلَام - برّاً وبحراً وجوّاً، وأنزلوا فيها زهاء مليون جندي، كانَ أكثر من نصفهم من الأمريكان، ونحو عشرين بالمئة منهم مِنَ الإنجليز، وكان نحو عشرة في المئة من دول النّاتو – أوربّا الغربيَّة - وتشكّل الباقون من نحو ٣١ دولة، وكان لبعض الحُكُومَات العربيَّة والإِسْلَاميَّة مثل السّعُودِيّة ودول الخليج والباكستان وتركيّا وسوريّا ومصر والمغرب وغيرها نصيباً لا بأس به من المشاركة أيضاً، وليس هنا محل الاستطراد الّذي أطنب فيه العُلَماء والكتّابُ والصَّحفيُّون، ممَّا لم يدع مجالا للشكِّ، بأنَّ الأُمّة الإِسْلَاميَّة ومقدّساتها وثرواتها ولاسيّما النفطيَّة، هيَ المستهدفة في موجة احتلال صليبيٍّ يهوديٍّ عسكريٍّ مباشر، احتلالٌ يهدف في النِّهاية إلى القضاء عَلى الوجود الحضاريّ للمسلمين بشكل كامل.

---

(١) بيشاور: مدينة تقع شمال غرب باكستان قرب الحدود الأفغانية ، وهي مركز القطاع الحدودي (سرحد) أو إقليم خيبر (بختونخوا) يُقدَّر عدد سكانها بـ ٣ مليون نسمة، كانت تحوي أكثر من ٢٥ألف مهاجر في تلك الفترة .

تبع ذلك الزلزال وخلال أشهرٍ قلائل، وفي مطلع عام ١٩٩١م موجة زلزلة أُخرى باستعلان مشاريع السَّلام مع اليَهُوْد، لبيع ما تبقى من فِلَسطِين وبيت المَقْدِس تحت مسمّيات بَاطِلة أُخرى، من مشاريع الصُّلح والتّطبيع والسَّلام بين العَرَب واليَهُوْد، تلك الموجة الّتي انطلقت من مؤتمر مدريد عام ١٩٩١م، وشاركت فيه إسرائيل مع دول الطّوق العربيَّة (مصر – سوريا – الأردن – لبنان) بالإضافة لمنظّمة التحرير الفلسطينيَّة، وبحضور دول عربيَّة أُخرى عَلى رأسها السّعُودِيّة، حيث دعمت معظم الدّول العربيَّة والإِسْلَاميَّة تقريبا ذلك المسار الاستسلاميّ الخيانيّ.

كانَ من أهمّ أثار ما تمخّض عنه ذلك الزلزال السّياسيّ من أثار مدمّرة، أن شعوب الأُمّة العربيَّة والإِسْلَاميَّة، وخاصة الصّحوة الإِسْلَاميَّة، صحت عَلى الزلزال وقد كشف بشكل فاضح عن حقائق غاية في الخطورة، يمكن إيجازها بما يلي:

أن الأُمّة الإِسْلَاميَّة تتعرض لهجمة احتلالٍ عسكريٍّ مباشرٍ من أجل السّيطرة عَلى مقدّساتها: (مكّة – المدينة – القُدس)، ومن أجل فرض احتلال اليَهُوْد لفلسطين، ومن أجل استلاب النّفط – بيت مال المُسلِمِين – ومن أجل فرض احتلال غربيّ ثقافيّ واجتماعيّ، بعد أن رسخ الاحتلال السّياسيّ عبر الأنظمة والحُكُومَات العربيَّة والإِسْلَاميَّة، وتُوِّجَ بالاحتلالِ العسكريّ الّذي انطلق مع حرب عاصفةِ الصَّحرَاء (تحرير الكويت)، هجمة تقصد الأُمّة من أقصاها إلى أقصاها، لإخضاعها للشعار العريض الّذي أطلق تحت مسمّى (النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد)، والّذي يعني باختصار: **إخضاع الأُمّة للإِرادَة اليَهُوْديَّة الصّليبيَّة بزعامة أمريكا.**

أن كافّة حُكُومَات الدّول العربيَّة والإِسْلَاميَّة، **ودونما استثناء،** قد شاركت أو أيّدت تلك الحملة، وقام الحكَّام المرتدّون الّذين رسّخوا أنظمة الكفر في بلادهم، بتقديم كافّة أشكال الدّعم والعون والخدمات اللوجستيَّة لقوى الاحتلال برّاً وبحراً وجوّاً، ودعموها عبر أجهزة إعلامهم، بل لقد قام كثيرٌ منهم بالمشاركة العسكريَّة فعليّاً أو رمزيًا لإثبات حضورهم وانتمائهم لهذه الحملة عَلى الإِسْلَام والمُسلِمِين، لتثبت تلك الحُكُومَات أنّها جزءٌ أساسيٌ من هذا النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد في محاربة شعوبها ودينِهم الحنيف، وفي خيانة قضاياها وبيع ثرواتها وتسليم مقدّساتها.

تبيّن أنّ عموم الهيكل الدّيني في بلاد المُسلِمِين، ممثل بالعُلَماء المستقلّين من جهة، أو بقيادات الصّحوة الإِسْلَاميَّة وأحزابها وجماعاتها من جهة أُخرى، **عبارةٌ عنْ هيكلٍ مُفلِسٍ مُنهارٍ**، لا يَصلُح بحال لمُوَاجَهة هذه الهجمة، بل الأنكى من هذا أنّه قد تبين أنّ معظم من يُسمَّونَ علماء أهل السّنّة وأعلامهم المتبوعين وفقهاءهم المرموقين قد انضمّوا للحملة الإعلاميَّة لهذه الحملات الصّليبيَّة، فأسبغوا عليها الشَّرعيَّة وجوَّزوها، بل اعتبَر كبارُ المُنَافِقين منهم أنّ قدوم الأمريكان إلى جَزِيرَة العَرَب من أكبر نعم الله عَلى هذه الأُمّة وأنَّه يستأهل سجود الشّكر!! كما عبّر عن ذلك (الشَّيْخ أَبُو بَكر الجَزَائِريّ)[1] عضو هيئة كبار (العُمَلاء) في السّعُودِيّة! فمسخوا حقيقة الصُّورة، ليحوّلوها من صورة احتلال صليبيّ يهوديّ للمُسلمين، إلى صورة نصرة مشروعة من دول صديقة إسلاميَّة وغير إسلاميَّة، لدولة التّوحيد (السّعُودِيّة)، وحكومة الكويت (الشَّرعيَّة)، الّتي أطاح بها عدوٌّ كافرٌ غاشمٌ، باغٍ عَلى الدِّماء والأموال والأعراض (العراق)، وبهذا صدر البيان الختاميّ لما سُمِّيَ مؤتمرُ مكّة (١٩٩١م) والّذي دعت إليه الحكومة السّعُودِيّة نحو ٤٠٠ عالماً، هم كبار علماء العالم الإِسْلَاميّ، وزعماء ما يسمَّى بالصّحوة الإِسْلَاميَّة!! وممن كانَ فيهم ووقع عَلى هذا البيان الختاميّ: هيئة كبار العُلَماء بالسّعُودِيّة، وشيوخُ الأزهر من مصر، وما يعادلهم من العُلَماء ووزراء الأوقاف والشّؤون الدّينيَّة والجَمعِيّات الدّينيَّة الرَّسميَّة وغير الرَّسميَّة لكافّة دول العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وكذلك معظم رؤوس ورموز الحركات الإِسْلَاميَّة، من الإخوان المُسلِمِين، والجماعات السّلفيَّة والصّوفيَّة والتبليغيَّة والإصلاحيَّة، وقد صدر بذلك بيان وقع عليه ما يقرب من ٤٠٠ عالمٍ وقائدٍ ورمزٍ إسلاميّ! كما أصدرت معظم تلك الجماعات بيانات خاصّة بها دارت في فلك هذا الفقه الاستعماريّ الأمريكيّ الأخرق!! ولم يشذّ عن هذا البلاء إلا نوادر من رموز الصّحوة ممّن عصمهم الله، وكان من تبعات ذلك؛ أن تصدر الفتاوى من كثير من هَؤُلَاءِ العُلَماء بحرمة **الاعتداء!** عَلى هذه القوّات الغازية لنا، واعتبارهم **مستأمنين** شرعاً، واعتبار كلّ من يجاهدهم، **معتدين** عَلى ذمّة المُسلِمِين، مفسدينَ في الأرض، عقابهُم في الدُّنيَا: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم

(١) هو أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مواليد: الجزائر١٩٢١م، كان أحد أساتذة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، توفي في يناير٢٠١٦م.

﴿مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣]، بل زعموا أنّ المعتدي عَلى هَؤُلَاءِ **المعصومين** شَرعاً (القوّات الأمريكيَّة والصّليبيَّة) لا يروح رائحة الجنّة!! وبهذا صدر بيان بالإجماع عن هيئة كبار العُلَماء في السّعُودِيّة إثر انفجاري (الرِّيَاض) و(الخُبَر)[١] الّذَين استهدفا جنوداً أمريكان بعد حين.

تبيّن وللأسف، أنّ الجماعات والتَّنظِيمات الجهاديَّة المُسلّحة الّتي رفضت ذلك الواقع ودعت إلى جِهَادِ الأمريكان وحلفائهم، كانت بحكم واقعها الحَركيّ وضعفها وتشرّدها عن بلادها، أعجز من أن تقدِّم حلًّا لهذه الطّامّة الماحقة الّتي نزلت في بلاد المُسلِمِين، واقتصرت مواجهاتها للأمريكان عَلى بيانات محدودة الانتشار في بلاد المهجر، بعيداً عن الأُمّة، فقد كانَ موقف قياداتها ورمُوزها واضِحاً، ويُمثّل الحقّ، ولكنّه كانَ موقفاً عاجزاً مقهوراً بعيداً كلّ البعد عن دائرةِ الفعلِ والتّأثيرِ، أو الأهليَّة لقيادة المُوَاجَهة.

تبيّن أخيراً ونتيجةً لهذه الأحوال، أنّ الأُمّة الإِسْلَاميَّة وشعوبها قاطبة ونتيجةً لفساد مقوّمي الصّلاح في الأُمّة (العُلَماءُ، والأُمَرَاءُ) مُغَيّبَةً عن الحدث، تماماً كما رُوي في الأَثَرِ: «صِنفَانِ مِنَ النّاسِ إذا صَلحَا صَلَحَ النّاس وإذا فَسَدَا فَسَد النّاس، **العُلَماءُ والأمراءُ**»[٢]، وأنّ الأُمّة وقد كفر معظم ملوكها ورؤسائها وأمرائها، ونافق أكثرُ علمائها، مَدعُوّةٌ لدخول تِيهٍ عظيمٍ أكبر منَ الّذي هيَ فيه، ولأنّ حكّامها المرتدّين صارُوا في حلفِ العدوّ، ولأنّ أغلب علمائها وقادة حركاتها الإِسْلَاميَّة قد توزّعوا، إمَّا في متاهات النِّفَاق أو في جحور العجز، وأنّ العدوّ يقف في موقع ما وصفه الشّاعر[٣] بقوله:

---

(١) تفجير الرياض: حصل في ١٣نوفمبر ١٩٩٥م بسيارة مفخخة داخل تجمع سكني للأمريكان الصليبين، وتفجير الخبر: حصل في ٢٥يونيو ١٩٩٦م بسيارة مشحونة بالغاز والمتفجرات داخل تجمع للأمريكان في الخبر.

(٢) أثر مرويٌّ معناه عن ابن المبارك وغيره من السلف، ورواه أبو نعيم في [الحلية] عن ابن عباس ﷺ، وقد ذكره السيوطي في الجامع الصغير بهذا اللفظ، ورمّز له السُّيُوطي بالضَّعف، ونقل المناوي في شرحه [الجامع الصغير] عن الحافظ العراقيّ أنّه ضعيف، وذكر الألباني أنّه موضوع؛ لأن في إسناده محمد بن زياد اليشكري ، وهو كذاب، قاله أحمد وابن معين، ضعيف الجامع (٣٤٩٥).

(٣) الشاعر هو عمر أبو ريشة قاله في قصيدته المشهورة والّتي مطلعها (أمّتي هل لك بين الأمم * منبر للسيف أو للقلم)

لا يُلام الذّئبُ في عُدوانه إنْ يكُ الرّاعي عدوّ الغنمِ

فقد تبين أن شعوب المُسلِمِين مغيّبون تماماً عن واقع ما يدور بهم، وما يُخَطّط لأمّتهم، وأنّ عامّتهم غارقون إلى آذانهم في سعيهم لدنياهم، وتمرّغهم في مَرَاغَةِ ملذّاتها، وأن العدوَّ عازمٌ عَلى استكمال سلب ما تبقى لديهم من دينهم وفتات دنياهم، وعمومهم في غفلتهم معرضون، وأنّ الواعين منهم لما يدور، يَعضّون أصابعَ الغيظ والقهر والحُزن عَلى ما يحلُّ بالأُمّة، ويَشكُونَ إلىٰ الله أنّهم منَ المُستضعفين الّذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدونَ سبيلاً.

وسط تلك الزَّلازل، وتتابع الأخبار والتّحليلات عَلى ما جرىٰ ويجري، وما يتوقّع له من نتائج في غضون السّنين القادمة، بدأت تتولَّد عندي بدايات هذه الأفكار.

لقد كانت تلك الظّروف دافعةً لي عَلى التَّفكير فيما يجري وأبعاده وطرق مواجهته، وكان واضِحاً من استعراض طيف الصّحوة والحركات الإِسْلَاميَّة والجهاديَّة والفكريَّة وسواها الّتي تعرّفت عَلى من لم أكن أعرفه منها في مرحلة الجِهَاد الأفغاني، أنّ جلّها أو كلّها قد اتّخذ بَرَامج ومناهج وأهدافاً بعيدةً كلّ البعدِ عن مُوَاجَهة الأزمة القادمة.

فبَرَامجُ الإخوان وأشكالهم تحومُ حولَ فكرة البرلمانات وكسب المقاعد الانتخابيَّة، وإيجاد قاسمٍ مشتَركٍ مع الحُكُومَات، والبحث عن مواقع لا تتصادم مع الغُزَاة الجدد للمنطقة، مخطّطات للإصلاح الجزئيّ المرحليّ، تدور كلّها في فلك القطريّة بحسب انتماءات تلك الأحزاب وبلادها، وقد تداخلت فيها مصالحهم الشَّخصيَّة والحزبيَّة مع مصالح الدّعوة والإِسْلَام تداخلاً يصعب عَلى غير الله تبارك وتعالىٰ تمييزه!!

والتّيارات والجماعات والرّموز السّلفيَّة ومَشَايخها وحركاتها ومجلّاتها تصبّ اهتماماتها عَلى قطّاع العقائد والجدليّات العَقَديَّة والفقهيَّة، وتبدو وكأنّ مشاكلها الّتي تعود لمعاركِ الحنابلة مع (الجبائي) و(المعتزلة)، أقرب لاهتماماتها من بحث قضيَّة الغزو القادم، ومسائل كفر الحاكم، وقد وَجدت لنفسها بدورها مجالاً للنّشاطات المختلفة لا تثير حفيظة الحُكُومَات، ووجدت لنفسها موطئاً بعيداً عن الصّدام

ولو مرحليّاً، وقد اقتنع قطاعٌ كبيرٌ منها بفكرة البرلمانات والمرحليَّة الدعويَّة بعد أن كانَ بعضهم قد كفّر الإخوان عَلى ذلك.

أما أصحاب الانتماء لمدارس أبعد عن السّياسة كالتّبليغ والصّوفيَّة والمدارس التربَويَّة والإصلاحيَّة فأبعد بدورها بحسب بنيتها الفكريَّة وطبيعة اهتماماتها عن هذه المعتركات، فقد وجدت لنفسها طرقاً للمسالمة مع حُكُومَاتها ومن وراءهم.

وأما الجماعات الجهاديَّة وهي أقرب شرائح الصّحوة وقطاعاتها للتّصادم مع الغزو القادم بحكم ما تربت عليه من الفكر والمنهج والتّجربة والممارسات الجهاديَّة المُسلّحة في بلادها ثمّ في أفغانستان، فقد كانت معنيَّة أكثر من غيرها بالتّصَدّي للتّفكير والتّحرك تجاه ما يجري، ولكن سرعان ما بدا واضِحاً أنّها تعيش في تلك الحقبة ازدهاراً محليّاً في أفغانستان جعل هموم أكثرها منحصراً في إنشاء المُعَسْكَرَات وتوفير مصادر التّمويل والاتجاه للحشد والتّجنيد لبناء نفسها عَلى أساس تنظيمات (سِريَّة – وقطريَّة – وهرميَّة) هدفها التّقليديّ ما زال هو ذاته: (الإطاحة بحُكُومَات بلادها لإقامة حُكُومَاتٍ إسلاميَّة عَلى أنقاضها) وفق نفس الأسس الّتي طُرحت وانتشرت منذُ السَّبعينيَّات وخلال الثَّمانينيَّات وإلى مطلع التِّسعينيَّات، وهي المحاولات الّتي قامت في دول عربيَّة عديدة.

شعرت حينها أنّ النّاس وتوجّهاتها في وادٍ، وأنّ سير الأحداث وما نستقبل منها، يسير في وادٍ آخر.

في تلك الأيّام بدرت في ذهني بدايات الأفكار الّتي سأفصّلها في هذا البحث بعد أن تبلورت وصارت إلى شكلها النّهائيّ.

وأذكر أَنّي قد ناقشت في تلك الأيّام بعض هذه الأفكار مع رهط ممن حولي من المُجَاهدين العَرَب في أفغانستان، ممن كانَ لهم تجربة في عالم الفكر والبحث والكتابة والتّنظير، وبدا لي أنّ أفكاري تلك مبكّرة، وبالغةَ البعد عن واقع الجهاديّين، فضلاً عن باقي شرائح الصّحوة غير الجهاديَّة، ولقد اتّضح لي – في حينها – جملة من القناعات المبدئيَّة، كونت أساس الفكرة، ومن ذلك:

١. أن حرب عاصفة الصَّحرَاء هيَ بداية التّحوّلات النّاشئة عن قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وأنّ هذه الغزوة أبرزت العدوّ الحقيقي الّذي كانَ مختفياً وراء حُكُومَاتنا، وهم الصّليبيّة الدّوليَّة وطليعتها

دول النّاتو ومن ورائها إسرائيل، وجعلتهم العدوّ الظَّاهِر والحقيقيّ والأخطر الّذي يجب التّصَدّي له، وأن الدَّوران في فلك الإِعداد والانخراط في معارك ومواجهات جهاديَّة قطريَّة محدودة مع أنظمتنا الحاكمة لن يكتب لها النّجاح والله أعلم رغم مشروعيّته، لأنّه يصبّ نهايةً في مصلحة الأَعدَاء الحقيقيّين لأنّه يبدّد الطّاقات في متاهات لا جدوى منها، بحكم ما ثبت وما مرَّ من تجارب، وأنَّ القاتل والمقتول في ثوراتنا الجهاديَّة تلك كانَ فريسةً للعدوِّ الحقيقيِّ الّذي وزَّعَ الأدوار.

٢. **أن الحَرب العَالَمِيَّة الأمميَّة القائمة، ونظام عولمة كلّ شيء، بما فيه المُوَاجَهة القادمة بين المُسلِمِين وأعدائهم الّذين ظهروا من الخفاء للعلن، تحتاج لنظام مُوَاجَهةٍ عالميٍّ من جهتنا، عالميٍّ في التَّفكير وأساليب المُوَاجَهة غير ذلك القائم آنذاك.**

٣. أن بدايات نظام مكافحة الإِرهَاب الّذي طرحته أمريكا وأوروبّا عبر سلسلة المؤتمرات الأمنيَّة الّتي تلت مؤتمر مدريد في مطلع ١٩٩١م، تُبدِي أنّ المواجهات الأمنيَّة مع الحركات الجهاديَّة والأصوليَّة الإِسْلَاميَّة تنتقل إلى المجال الأمميّ والدّولي، بعد أن شهدت تطوراً من القطريّة إلى الإقليميَّة، وأن هذا سيؤدي إلى إجهاض كافّة أساليب عمل الجهاديّين من الحركات والتّمويل والاتّصالات والنَّشَاط وأساليب التَّنظِيم، لأنها تعتمد عَلى الحركة في الأفق العَالَمِيّ بعد مطاردتها في بلادها.

٤. **أن المؤسسة الدّينيَّة الرَّسميَّة وقطاعاً كبيراً من علمائهم ومؤسساتهم الدّينيَّة، تتجهّز تلقائياً لتكون جزءاً من النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد! وبمعنى أوضح ؛ جزءاً من العدوّ بعد أن اختارت الرّكوب رسمياً في مركب أنظمتها الكافرة الّتي توظفت ضمن الحملة الصّليبيَّة اليَهُوْديَّة الجَدِيدة، حيث ستقوم هذه الأجهزة الدّينيَّة بمهمّة الإجهاض الفكريّ والشَّرعيّ لأيّ مشروعٍ مقاومةٍ جهاديَّة.**

٥. **أن مدارس الصّحوة الإِسْلَاميَّة السّياسيَّة الأخرى، ولاسيما الأحزاب السّياسيَّة، ببحثها عن المشاركات البرلمانيَّة والحُكُوميَّة، من خلال مواقع في منتصف الطّريق مع الجَاهِليَّة العاتية الممثّلة بأنظمة الرِّدَّة، سيؤول بها الحال لأن تكون أيضاً جزءاً من النّظام الدّولي،** وجزءاً من العدوّ من حيث قصدت أو لم تقصد تحت ستار التّدرّج والشعارات الّتي لا تقنع العجماوات بجدواها ومبرراتها، لا الشَّرعيَّة ولا السّياسيَّة، خُصُوصَاً بعد الصفعات الّتي تلقتها (الدِّيمقراطيَّة الإِسْلَاميَّة) في الجَزَائِر

وتركيّا وتونس والكويت والأردن ومصر وغيرها، وأنها ستقف إلى جانب حُكُومَاتها الّتي أصبحت هذه الأحزاب (الإِسْلَاميَّة!) جزءاً من مؤسساتها الدّستُوريَّة (الشَّرعيَّة)، ضدّ المُجَاهدين.

٦. اعتقدت أن التَّنظِيمات الجهاديَّة المتبقية أو حطامها، كتلك القادمة من مصر وبلاد الشّام وسواها سواءً القائمة أو الّتي تشرع ببناء نفسها كمعظم التَّجَمُّعات والنوبات الجهاديّة القادمة من شمال أفريقيا، تبني نفسها عَلى أسس متخلفة جداً عن مستجدات المَعْرَكة، وسيلتهمها لهيب التّرتيبات الأمنيّة الجَدِيدة لمكافحة الإِرهَاب واللهُ أعلم.

و إزاء كلّ هٰذا، رأيت **أنّ المطلوب غير ممكن في تلك المَرحَلَة (١٩٩٠م)، في ذلك المكان (بيشاور ومُعَسْكَرَات أفغانستان) وللأسف، مع أنه بؤرة تجمع الجِهَاد والجهاديّين.**

وأذكر أنّي تبادلت الحوار مرّة مع أحد أبرز المشاركين في مجال التّاريخ والتّنظير للفكر الجهاديّ، في ليلة مقمرةٍ عَلى سطح بيت الشَّيْخ جلال الدّين حقانيّ في بيشاور[١]، ولاحظت بداية تولد قناعات مشابهة لديه، وقرّرنا الدّعوة لجلسات تقييم لمسار وواقع الفكر والحركات الجهاديَّة، من أجل استخلاص بعض الدُّروس، وتقييم تجربتنا في أفغانستان، وتقدير ما يستقبلها في المَرحَلَة التّالية، وفعلاً عقدنا جلستين، على المستوى الممكن من النُخبويّة، وبدا أنّ الكلّ متّفق عَلى أن عاصفة أمنيّة تلوح بالأفق ستهبّ رياحها أول ما تهب عَلى باكستان وأفغانستان لتصفية هذا الجمع الّذي يبدو أنّ دوره قد انتهى، لاسيّما بعد أن اغتيل

(١) المولوي (الشَّيْخ) جلال الدين حقاني :مواليد ١٩٣٩م عالم عامل وقائد مجاهد قاتل السوفييت منذ الثمانينيات وكان من أعمدة الجهاد الأفغاني والطالبان ومن مستشاري أمير المؤمنين الملا محمد عمر، عُيّن أيام الإمارة وزير شؤون القبائل، ثم قاتل الأمريكان واحتضن المهاجرين، ودعته حكومة كرزاي المرتدة لتولي منصب رئيس الوزراء فأبى إلا جهادهم، وله مدرسة كبيرة في ميران شاه اسمها منبع العلوم، تعد قلعة من قلاع الإسلام والجهاد، إلا أنها الآن تحت الحصار.

الشَّيْخ عبدالله عزام(١)، وبدت نذر الحملة الإعلاميَّة تحول اسم المُجَاهدين إلى (متمرّدين) ثمّ إلى (مُنشقّين) ثمّ إلى (إرهابيين) تحت مسمّى دراماتيكي جديد هو (**الأفغان العَرَب**).

وأذكر أَنّي قلت ذات يوم لأقرب أصدقائي في حينها، أَنّي أتلمّس ميلاد أفكارٍ لتطوير نظَريَّات عملٍ للجِهَاد أعتقد صحَّتها، وتوقُّعاتٍ مخيفةٍ أنا متيقِّن من خطورتها واحتمال حصولها، ويبدو لي أنَّها أفكار مبكِّرة لا يمكن طرحها الآن، وستفهم – لو طرحت – عَلى أنَّها شيء من البلبلة والإرباك الفكريّ للسّاحة العربيَّة في أفغانستان.

وكنت أودُّ لو امتلكت الشَّجاعة مطلع ١٩٩١م لجمع بعض رموز وقيادات الحركات والتَّنظِيمات الجهاديّة لأقول لهم قناعاتي تلك باختصار:

أما الصّحوة الإِسْلَاميّة فقد أفلست، وستكون قريباً بمعظم أحزابها وقياداتها في خندق العدوّ، إما قناعة بعد أن انحرفت، وإمَّا عمليَّاً وإجباراً كي تجد لنفسها مكاناً في النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، لأنّ الخيار الآخر هو الجِهَاد والمُوَاجَهة وهم قاعدون عنه، وأما نحن – معشر الجهاديّين – فأمامنا سنتين أو ثلاثة لنصل إلى طريقٍ مسدودٍ حركيَّاً، وإلى التَّفكُّك الأمنيّ عمليَّاً، ولا سبيل لتفادي هذا المستقبل – بحسب فهمي آنذاك – إلا بالتَّركيز عَلى تغيير أساليب التَّفكير والعمل العسكريّ والإعلاميّ والبُنى التَّنظِيمية، تغييراً جَذريَّاً شاملاً، وما أظنُّكم بفاعلين.

---

(١) الشَّيْخ الدكتور عبدالله عزم ﷺ :مواليد فلسطين – جنين (١٩٤١م الموافق١٣٦٠هـ) أستاذ الجيل في العلم والعمل شيخ الأفغان العرب قاتل اليهود في فلسطين والسُّوفييت في أفغانستان وحرَّض الأمّة الإسلاميَّة للنّفير إليها، كانَ يرى ردة الحكومات الحاكمة بالقوانين الوضعية وله في ذلك رسالة (العقيدة وأثرها في بناء الجيل) وقد خلف تراثا علميّاً ودعويّاً ضخماً مشهور منشور، ولعل أشهر كتبه (في ظلال سورة التَّوبة – الدِّفاع عن أراضي المسلمين أهمُّ فروض الأعيان، وغيرها وقد جمعت في مجموع تحت اسم الذخائر العظام) اغتيل في يوم الجمعة بتاريخ ٢٤/ ١١/ ١٩٨٩م على يد المخابرات الأردنية في بيشاور، كما نقل ذلك الشيخ أبو دجانة الخراساني في وصيّته ﷺ.

لم يكن ذلك بالطَّبع معقولاً ولا ممكناً، ولم تكن قد تكاملت عندي أبعاد نظَريَّات التَّغيير المطلوبة كما أعتقد، وأرجو – أن ذلك قد حصل الآن، وبهذا سيكون مثل ذلك الكلام مجرَّد تبشير بالاندحار دون تقديم حلولٍ واقعيةٍ.

والحقيقة أنَّ ملامح الكارثة كانت واضحةً لبعض من رآها، بحكم ما فتح الله ويسَّر عليهم من البصيرة والتَّجربة والفكرة، لقد كانوا أفراداً قلائل، وكان معظمهم من غير المُنهمكين في أطرٍ تنظيميِّة تحكم طبيعة تفكيرهم، ولم تكن تلك الخواطر والإشراقات الفكريّة كافية في وضوحها لتقنع الآخرين بالتَّفكير الجدّيّ وبضرورة إحداث ثورة داخليَّة في أساليب التَّنظِيم والعمل، لقد كانَ أمر الله قدراً مقدوراً.

لقد ثبت مع الوقت، أنَّ التَّنظِيمات الجهاديَّة والحركات والمحاولات المُسلّحة الّتي تقوم عَلى أسس (القطريّة، السِّريَّة، الهرميَّة التَّنظِيميَّة) تسير عَلى طريق الاندثار والفشل، لأنها لم تستوعب التّحول العَالَِيّ الّذي حصل بانطلاق قطار النّظام العَالَِيّ الجَدِيد، ولم تفهم أبعاده السّياسيَّة والأمنيَّة وانعكاس ذلك عليها، ولم تكن حرارة الاندفاع وآفاق الإخلاص والتَّفاني لدى قياداتها وعناصرها وهم زبدة شباب الأُمّة في ذلك الوقت كافية لتفادي المصير الّذي بدت مؤشراته لمن رآها.

ولم أستطع في حينها أن أقدم كبير شيء، اللّهمَّ إلا بعض المحاضرات في بعض المُعَسْكَرَات وفي (مركز النُّور للإعلام) الّذي أشرفَ عليه (الشَّيْخ أبو حذيفة) أحد طلاب العلم من تنظيم الجِهَاد المصري، من أجل إعطاء دفعة فكريّة في السَّاحَة الجهاديّة العربيَّة في بيشاور والَّتي تشكِّل الخطَّ الخلفيّ للتواجد الجهاديّ العربيّ في أفغانستان، والّذي زاد آنذاك عَلى ٤٠ ألف مُجَاهد، وكان من أهمّ المحاضرات مما له علاقة بأفكار بحثنا هٰذا، محاضرة ألقيتها خلال صيف ١٩٩١م بعنوان (**المعادلة السّياسيّة للنظام العَالَِيّ الجَدِيد**) وكان خلاصتها: أن الصِّرَاع المقبل ستكون معادلته عَلى الشّكل التّالي:

النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد × التّيار الجهاديّ المُسلّح

أي: [الصّليبيّة وزعيمتها أمريكا + الصّهيونيّة اليَهُوْدية وزعيمتها إسرائيل + الحكّام المرتدّون في بلاد المُسلِمِين + الطّوائف المنحرفة المعادية لأهل السّنّة + الهيكل الدّيني الرّسميّ لأهل السّنّة + الحركات الإِسْلَامِيّة الدِّيمقراطيّة من الصّحوة]

×

(في مُوَاجَهة) [التَّنظِيمات الجهاديّة المُسلّحة، وهي طليعة الأُمّة في المُوَاجَهة].

لقد أثارت هذه الأفكار جدلاً كبيراً في حينها، ولكن وللأسف أثبت العقد المنصرم (١٩٩٠-٢٠٠٠م) صحّتها بكل جلاء.

أتبعتُ ذلك بسلسلة من الدُّروس والحوارات، ركّزت فيها عَلى ضرورة الثّورة عَلى الهيكل المنافق لعلماء أهل السّنّة عندنا، والّذي كانَ يحظى وللأسف بتقديسٍ عجيبٍ حتَّى من القطَّاع الأكبر من المنتمين للتَّيار الجهاديّ ممن يحملون السّلاح! ولم يغير في ذلك حتَّى ولا وقوف أولئك العُلَماء العَلنيّ إلى جانب حملة (شوَارِزْكُوْف)[1]، قائد عاصفة الصَّحرَاء، واعتبارهم أنَّ المُجَاهدين له ولجنودِه المارينز مفسدون في الأرض!!

كما ألقيت عدّة محاضرات في مقوّمات التَّنظِيم وفي تقييم ماضي الصّحوة واستشراف مستقبلها، ومشروعيَّة نقد العُلَماء، وضوابط ذلك وغير ذلك من الأفكار الجَدِيدة.

كانَ واضِحاً أنّ شقّة التّغيير المطلوب في التّفكير والعمل واسعةً جداً، وأنّ نتائج العدوان الجَدِيد عَلى الأُمّة وقسطاً من البلاء القادم كانَ لازماً للأكثريَّة حتَّى يُساعدهم عَلى فهم واستيعاب ما يجري.

ولقد بدأ تحقُّقِ أول ما أنذرنا بِهِ عندما هبَّت رياحُ عاصفةِ الصَّحرَاء عَلى شكل إعصارٍ أمنيٍّ عَلى الأفغان العَرَب في باكستان، فأخرجت معظمهم إلى بلادهم، وشرَّدت من لا يستطيع العودة إلى بلاده

---

(١) هربرت نورمان شوارزكوف: كان قائد تحالف قوات الهجوم البرية والبحرية والجوية ضد العراق خلال حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م التي عرفت بعاصفة الصحراء، مات في ٢٧ ديسمبر ٢٠١٢م.

في أقطار الدُّنيَا، وخفَّضت ذلك الجمعِ من عشرات الآلاف إلى بضعةِ مئاتٍ من المُطارَدين المُختَفين في باكستان، ثمّ تتالت دفعات البلاء حتَّى بلغت ذروتها اليَوْم عَلى تردُّد أصداء دويٍّ انفجارات الحادي عشر من سِبتَمبر بعد عشر سنين من بدء ميلاد الأفكار الّتي سنعرضها في هذا الكتاب ونسأل الله الهدى والرشاد.

****

المَرحَلَة الثّانيَّة:

مدريد (١٩٩١م)

هبَّت العاصفة ونثرت آلاف الّذين قدموا للجِهَاد في أفغانستان في كال أقطار الأرض، وعادت الشريحة الأكبر لبلادها لتواجه المطاردات الأمنيَّة والتحقيقات والسّجون، وتقاسمت بعض الملاذات المؤقتة أولئك المطاردين أصلاً في بلادهم بتهمة الانتماء لجماعات جهاديَّة مسلحة، فصاروا مُطاردين عَلى هويَّة جديدة تحت المُصطلح الجَدِيد الّذي أطلَقَه عليهم الغرب باسم **(الأفغانُ العَرَب)**، وقُبَيل ذلك بفترةٍ وجيزةٍ كنت قد عدت أدراجي إلى مدريد في إسبانيا، حيث كنت أقيم منذُ سنين، وهناك كتبت بحثاً يعتبر الأساس لجزءٍ كبيرٍ من أفكار هذا الكتاب، وكان بعنوان:

(بيان من أجل قيام المُقاوَمة الإِسْلَاميَّة العَالَمِيّة)، كانَ بحثاً موجزاً يقع في نحو ٤٠ صفحة، وكنت أعتقد أن السَّاحَة المناسبة لبثِّ تلك الأفكار آنذاك ما تزال بيشاور، حيث يوجد الجمع الّذي يوشك عَلى الانفراط، وكان غرضي أن يحملها معه أكبر كَمٍّ مُمكِنٍ من المُجَاهدين العَرَب، الّذين بدا لي أنّ مصيرهم الانتشار، وهم بحكم تجربتهم الجهاديَّة وإعدادهم العسكريّ أجدرُ وأقدرُ من غيرهم عَلى العمل وفق تلك الأفكار بحسب تقديري – الخاطئ – آنذاك، **لأنّي اكتشفت فيما بعد عدم أهليّتهم لذلك، لأَنّهم تلقَّوا تدريباً عسكريّاً عالياً، ولم يتلقوا التَّوجيه العقائديّ المنهجيّ الفكريّ والسّياسيّ الّلازم.**

كانت خُلاصة الأفكار الّتي حملها ذلك البيان (البحث) ما يلي:

عرض لواقع المُسلِمِين وما وصلوا إليه ولاسيَّما إبَّان حرب الخليج (عاصفة الصَّحرَاء) وتفنيد لمزاعم من زعم بمشروعيَّة نزول الصّليبيّين في عقر دار المُسلِمِين، ودعوة لجِهَاد هذه الحملة، **وتفنيد لزعم من زعم أن صَّدَّام حُسِين[1] هو معقد الأمل في مُوَاجَهة الصّليبيّن.**

---

(١) صدام حسين : رئيس دولة العراق حكمها بالحديد والنار والطغيان من ١٤٠٠ هـ/ ١٩٧٩ م وإلى بداية الحرب الأمريكية عليها ٢٠٠٣م أجرى خلالها حربين على (الكويت و إيران) اعتقلته القوات الأمريكية ٢٠٠٤م وحُكِم عليه بالإعدام ونُفِّذ ذلك صبيحة عيد الأضحى ٢٠٠٨م.

إثبات أن القوى والتَّنظِيمات الجهاديَّة بل وقوى الصّحوة الإِسْلَاميَّة لا تكفي لمُوَاجَهة هذه الحملة اليَهُوْديَّة الصّليبيَّة العَالَمِيّة، وأنَّه لا بُدَّ من إعادة مهمَّة الجِهَاد للأمة كاملة، وإحيائها وزجها في **مقاومة إسلاميَّة عالميَّة، تكون في مقابلة هجمة صليبيَّة يهوديَّة عالميَّة.**

إثبات أن دعوة الأُمّة قاطبة لا بُدَّ وأن يستند إلى عموميات الإِسْلَام والدّعوة العاطفيَّة للجِهَاد، وليس عَلى أساس التفاصيل العقديَّة والفكريَّة، والفقهيات الجهاديَّة المعقدة – وإن كانت صواباً في عمومها ولا شَّكَّ – وذلك باختيار **مفتاح صِرَاع، ودعوة جِهَادٍ،** تجمع عليها كافّة التوجّهات الإِسْلَاميَّة للصحوة، ويستوي في فهمها كافّة شرائح وطبقات المُسلِمِين خاصتهم وعامتهم، واخترت لذلك، الدّعوة لتحرير المقدّسات شعارا لدعوة المُقاوَمة، لإنقاذ الحرمين والأقصى من اليَهُوْد والصّليبيّين، وطرح شعار جِهَاد عدو خارجي بدلا من جِهَاد الحكَّام الّذي لم تهضمه الشّعوب – بفضل خدمات علماء أهل السّنّة الأشاوس – واختيار جِهَاد اليَهُوْد ورأسهم إسرائيل والصّليبيّين ورأسهم أمريكا ودول النّاتو الأوروبيَّة كعدو خارجي غاز أساسا لهذه الدّعوة.

إبراز أهميَّة البعد الاقتصاديّ لهذا الجِهَاد، وأن بيت مال المُسلِمِين وثرواتهم وعلى رأسها النّفط قد نُهب، وستنهب هذه الحملة ما تبقى منه، وأن عَلى المسلم أن يجاهد دون قوته وقوت عياله المسلوب، وإعطاء هذا النوع من الجِهَاد الاقتصاديّ بعده الشَّرعيّ، **الّذي غاب عن طرح الجهاديّين الفكريّ وما يزال غائباً، لأنَّ بعض فُقَهَاء الجِهَاد من الشَّبَاب النَّاشئين يعتبر ذلك خدشاً في العقيد السَّمحة!**

وبالمختصر اختيار مفتاح شعبيّ لدعوة الجِهَاد مكوّن من ثلاث أبعاد: أولاً: البعد الدّيني (المقدّسات) – ثانياً: البُعد السّياسيّ (الإحتلال الخارجيّ) – ثالثاً: البعد الاقتصاديّ (الثّروات، النّفط).

دعوة الشَّبَاب وعموم المُسلِمِين لممارسة المُقاوَمة الفرديَّة، بحيث لا تعتمد المُقاوَمة عَلى هياكل ومنظومات شبكيَّة وهرميَّة يُؤَدِّي اعتقال بعض أفرادها لدمارها واعتقال جميع أفرادها، وذلك باختيار أسلوب عمل (نظام عمل)، وليس تنظيماً بالمفهوم المعروف، بحيث ينتسب كلّ مشارك في أعمال المُقاوَمة الّتي يشارك فيها عموم المُسلِمِين، لمسمَّى واحد هو (المُقاوَمة الإِسْلَاميَّة العَالَمِيّة)، حيث يتكامل بالجدوى

عمل الكل، ولا يُؤَدِّي اعتقال الآحاد لاعتقال الكلّ لأَنّهم لا رابطةَ بينهم، وكان هذا لبّ الفكرة الحَركيّ العسكريّ.

تحديد الأهداف المعادية الّتي يجب استهدافها بالضّرب، وهي باختصارٍ: كاملٍ أشكال التَّواجد البشريّ للعدوّ في بلادنا أولاً، وفي بلاد العالم ثانياً، وفي عقر دارهم ثالثاً، **ولاسيَّما أشكال تواجد العدوّ السّياسيّ والعسكريّ والتَّبشيريّ والاقتصاديّ والثّقافيّ والسّياحيّ**..إلخ، في بلادنا، وخاصّة اليَهُوْد، ثمّ أمريكا، ثمّ بَرِيطَانيَا، ثمّ روسيا، ثمّ كامل دول حلف النّاتو، ثمّ أي دولة تقف معهم في الاعتداء عَلى الإِسْلَام والمُسلِمين.

مختصر بالدَّليل الشَّرعيّ يثبت حلّ أموال ودماء كافّة أشكال رعايا ومصالح هذه الدّول والتَّقديم لذلك بفتوى جامعة للعلَّامة المُحدِّث أحمد شاكر رحمه الله[1].

ندب الجماعات والتَّنظِيمات الجهاديّة وأفراد المُسلِمِين الّذين سبق لهم التّدريب العسكريّ والممارسة القتاليّة لبدء تدوير عجلة المُقاوَمة، ودعوة عموم النّاس لأساليب المُقاوَمة المدنيّة من الأعمال الشبه عسكريّة إلى أعمال الدِّعاية الدّينيّة والسّياسيّة إلى الخطب والكتابات والشّعارات... إلخ بحيث تشارك كافّة شرائح الأُمّة بهذا الجِهَاد وهذه المُقاوَمة المفتوحة عَلى شكل انتفاضة عامَّة.

دعوة المُجَاهدين المقاوميين إلى تشكيل سَرايا صغيرة تموِّل نفسها من أسلاب العدوّ الماليِّة، ودعوة الأغنياء من المُسلِمِين لتمويل ودعم من يريد الجِهَاد وكفالة أسر المتضرِّرين منهم.

دعوة المُجَاهدين العاملين في المُقاوَمة إلى استهداف العدوّ الخارجيّ أساساً في بلادنا وبلادهم، بالإضافة إلى استهداف كبار المرتدّين من حُكَّام المُسلِمِين وكبار الطّبقة الأولى من أعوانهم، لكونهم أساس ركيزة الاحتلال، **وعدم تحويل المُوَاجَهة مع الحُكُومَات إلى ثورةٍ مفتوحةٍ، كما حصل في التَّجَارب السَّالفة**، وإنَّما التّصَدّي لقوى الجيش والأمن المحليَّة في حالات الدّفاع عن النّفس ضدّ القتل أو الأسر فقط، وتحريض هذه القوّات بالحسنى للمُشَاركة في المُقاوَمة بصفتهم جزءٌ من قوى الأُمّة.

---

(١) أحمد شاكر :إمام محدّث معاصر توفى سنة ١٩٥٨م، وكان قد عمل في مجال القضاء الشَّرعيّ في مصر ثمّ اعتزله وسيأتي ذِكره وذكر فتواه في الفصول اللاحقة.

التَّنديد بالعُلَماء المُنَافِقين، وبرموز الحركات الإِسْلَاميّة الّتي سارت في ركاب النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، ودعوة المُسلِمِين للانصراف عنهم والالتفاف حول العُلَماء المُجَاهدين، ودعوة هذا الصِّنف النَّادر من العُلَماء لقيادة المُقاوَمة الشعبيَّة، في كلّ بلدان المُسلِمِين.

اختيار شعار يعبِّر عن المُقاوَمة ودعوتها وهو عبارة عن شكل يبرز المقدّسات الثّلاثة (الكعبة – المَسجِد النَّبويّ – المَسجِد الأقصى) خلفَ قُضبان سجنٍ تدلّ عَلى الاحتلال، وقد كتب تحتها الآية الكريمة: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤] (وكتب فوقها: بيان من أجل قيام المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة).

وعُدت إلى بيشاور في مطلع عام ١٩٩١م لنشر هذا الكتاب سرًّاً، وبثّه بين المُجَاهدين هناك، ولما كانت هذه الأفكار من الخطورة بما لا يخفى، لم يشرف عَلى عمليَّة النَّشر الّتي شملت جميع البيوت والمضافات والمؤسَّسات العربيَّة إلَّا أربعة إخوة رحمهم الله تَعَالَى، حيث وزَّعنا نحو ١٠٠٠ نسخة كانت قد طبعت أيضاً سرِّاً، وتم ذلك بنجاحٍ مطلع شهر يونيو – ١٩٩١م فيما أذكر.

ثمّ ما لبثت بوادر العاصفة الأمنيّة أن اشتدَّت، وشرعت تلك الجموع بالرَّحيل عن بيشاور، ورحلتُ بدوري ثانيةً، حيث استقرَّ بي المقامُ في غرناطة آخر معاقل المُسلِمِين في الأندلس.

****

المَرحَلَة الثّالثة:

لندن (١٩٩٦م)

وكانت أواخر ١٩٩٦م، حيث كنت قد انخرطت في دعم وتأييد الجِهَاد الّذي نشب في الجَزَائِر، منذُ ١٩٩٤م، وذلك من خلال معرفةٍ قديمةٍ ببعضِ روَّاده الّذين كنت أعرفهم من أفغانستان، وكانوا وقد استقرّوا في لندن منشئين خليةً للخدمات الإعلاميَّة للجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة في الجَزَائِر، وبسبب ذلك انتقلت للإقامة في لندن، **ومرّت القضيّة الجهاديّة في الجَزَائِر بمنعطفات متعدّدة، أدّت في النّهاية إلى أن تؤول قيادة الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة بعد استشهادِ قياداتها المخلصة الواعية لبعض الجهلة والشّاذين فكريّاً ممن اعتنقوا أفكاراً تتراوح بين التّكفِير والإجرام والجهل ممزوجةً ببعض الأفكار ذات الأصول الجهاديّة، وذلك بترتيبٍ استخباراتيٍّ مُحكم، ممَّا أودى بها إلى البَوار والفشل والتَّحلل مع أوائل ١٩٩٦م.**

ولم يكن من بُدٍّ أمامنا آنذاك – ديناً وعقلاً – من البَرَاءة من الجماعة المُسلّحة وما آلت إلية الأمور بالجِهَاد في الجَزَائِر، وسأشير في الفَصل السَّادس إلى نبذة عن تلك التَّجربة إن شاء الله، وقد أعددت كتاباً بعنوان: (مختصر شهادتي على الجِهَاد في الجَزَائِر ١٩٨٨-١٩٩٦م)، وسأنشره قريباً إن شاء الله.

والأمر ذو العلاقة بين تجربتي مع الجِهَاد الجَزَائِري وأفكار هذا الكتاب الّذي بين أيدينا، هيَ الصدمة الّتي واجهناها في لندن بنجاح المخطط الدّوليّ والإقليميّ في إجهاض الجِهَاد في الجَزَائِر، بإخراجه عن مساره والسّيطرة عَلى قيادته وتفكيكه أمنيّاً، وعزله عن جماهير المُسلِمِين في الجَزَائِر وخارجها، بسبب ما ورطوهم به من مجازر ضدّ الشَّعب، المسلم أو ما ارتكبته الاستخبارات الجَزَائِرية باسمهم من مذابح أيضاً، رغم نجاحاته العسكريّة والجماهيريّة الباهرة، ورغم توفّر أفضل ظروف النَّجاح الّتي توفَّرت لحركةٍ جهاديّةٍ في العصر الحديث، لقد كانت تلك التَّجربة درساً قاسياً، أكّد عندي عدم جدوى المحاولات المحليَّة للجِهَاد في ظلِّ النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، والمُوَاجَهة العَالَمِيّة لما سُمِّي إرهاباً (أي الحركات الجهاديّة الإِسْلَاميّة).

ومنذ أواخر ١٩٩٦م وإلى أواخر ١٩٩٧م بذلت ساعات مطوَّلة للتَّأمُل والحوار، مع بعض الخواصّ من نخبة الجهاديّين المقيمين من كوادر الأفغان العَرَب والتَّنظِيمات الجهاديّة في لندن، لتقييم أسباب فشل المحاولات الجهاديّة المُسلّحة المتكرِّرة في العصر الحديث:

[المغرب ١٩٦٣م- سوريا ١٩٦٥م – مصر ١٩٦٥م – تركيّا ١٩٧٠م – الجَزَائِر ١٩٧٦م – سوريا ثانية والتَّجربة الطَّويلة ١٩٧٥م – ١٩٨٢م – مصر ثانية ١٩٨١م – ليبيا ١٩٨٩م – الجَزَائِر ثانية ١٩٩٠م–١٩٩٦م– ليبيا ثانية ١٩٩٤م – ١٩٩٦م...] عدا التَّجَارب المحدودة لغيرها من البلدان مثل: تونس والأردن واليمن ولبنان وغيرها.

وقد شكَّلنا لهذا الحوار والدّراسة شبة ندوة غير منتظمة عقدنا لها عدّة لقاءات، قارنّا فيها بين الفشل في كلّ تلك المحاولات التَّنظِيمية، وبين النَّجاحات العسكريّة في التَّجَارب الجهاديّة الجبهويَّة للمسلمين في كلّ من البُوسنة – الشِّيشَان – أفغانستان، كما عرضنا لدراسة البَوادر الجَدِيدة لأعمال الجِهَاد الفَرديِّ الّتي بدأت تحصل منذُ حرب الخليج، والَّتي قام بها بعض شباب المُسلِمِين هنا وهناك.

وأستطيع القول أنّ تأمُّلي تلك الأيّام ومحاولات البحث والكتابة في بعض الخواطر في تلك الفترة، قد شكَّلت عندي بالإضافة لما كنت قد تَوَصَّلت إلية من أفكار (بيان المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة) أساسِيَّات الأفكار التَّفصيليَّة لهذا الكتاب الّذي بين أيدينا الآن.

وقد حملت هذه الأفكار في صدري وهاجرت بها بعد قراري بالرَّحيل كليَّاً إلى أفغانستان، إثر استطلاعي لها مرَّتين بعد تمكن حركةِ طالبان من دُخول كابل وإعلان الإمارة الإِسْلَاميّة، وبعد ما بدا لي واضِحاً أنَّ بوادر هبوب عاصفةٍ أمنيّةٍ شديدةٍ عَلى الإِسْلَاميّين ولاسيَّما الجهاديّين في أوروبّا تقترب، **وآثرت ألا تنالني زوابعها في لندن الّتي فَقدت عذريَّتَها الدِّيمقراطيَّة الأصليّة عند ما عاشَرَت الكاوبوي الأمريكيّ.**

****

المَرحَلَة الرَّابعة:

أفغانستان (١٩٩٧م - ٢٠٠١)

بدأت هجرتي إلى أفغانستان في شهر أغسطس ١٩٩٧م، واستمرَّت إلى خُروجنا منها عنوةً أواخر ديسمبر ٢٠٠١م.

ولقد كانت هجرتي إلى أفغانستان لأسبابٍ عديدةٍ، السَّبب ذي الصِّلة منها بمادة هذا الكتاب هو المشاركة في المُوَاجَهة الّتي كانت ما تزال تزداد حدَّةً مع النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد الّذي تقوده أمريكا وإسرائيل، وتشارك فيه حُكُومَات الرِّدَّة في بلاد العَرَب والمُسلِمين، وقد شجَّعني عَلى ذلك أمور لمستُها خلال رحلتيّ استطلاع قمت بهما قبيل القرارِ بالهِجرَة نهَائِيًّا وذلك خلال العام الّذي سبق ذلك القرار، ومن أهمّ تلك الأمور:

انتقال الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن ونُخبة إدارته إلى أفغانستان، وتبنِّيه أفكاراً للمُوَاجَهة مع أمريكا وقناعات أمميَّة لتلك المُوَاجَهة، ودعوته للأمَّة الإِسْلَامِيّة لجِهَاد أمريكا تحت شعار (إخراج المشركين من جَزِيرَة العَرَب)، وتبنّيه - أخيراً - أفكاراً قريبةً جداً من تلك الّتي نضجت عندي عَلى مراحل منذُ حرب الخليج ١٩٩٠م وقد تبيَّن لي ذلك من خلال عدّة حوارات معه ومع بعض القريبين منه خلال زيارتي لهم سَنَة ١٩٩٦م ورأيت في تبنّيه لأفكارٍ من هذا القبيل فرصة حقيقية لنقل المُوَاجَهة بالاتِّجاه الصَّحِيح، بما للشَّيخ أُسَامَة من مكانةٍ وتاريخٍ، ولما حباه الله من الخصال والإمكانيَّات والمُواصفات الشَّخصيَّة كرمزٍ مُكِنٍّ لتلك المُوَاجَهة كما تصوُّرت حينها، ورغبتُ بأن أُساهِم وأن أكون حاضراً في هذه المُوَاجَهة الّتي ستنطلق من أفغانستان، كما توقّعت بعد لقائي بعددٍ من كبارِ طالبانَ أيضاً.

بدا لي واضِحاً أنَّ أفغانستان سوف تكون مرّةً ثانيةً محجّاً للمُجَاهدين والمُهَاجِرين في سبيل الله، وذلك بسبب العواصف الأمنيّة عَلى الجهاديّين في مختلف دول العالم والّتي بدأت تزداد شراسةً منذُ ١٩٩٥م، وكذلك بسبب نجاح طالبان في تكوين نواة دولةٍ توفِّر ملجأً آمناً لهم، وتصوُّرت أنّ مجتمعاً

جهادياً مناسباً سوف يتكوَّن قريباً في أفغانستان، وقد جذبني لأن أكون حاضراً فيه كي أُساهم بالدّعوة إلى هذه الأفكار الّتي آمنت بها.

بَدا من رسوخ قدم الطّالِبَان وحكمهم، والمعاملة الحسنة الّتي لاقوا بها العَرَب المُهَاجِرين إليهم، أنَّ إمكانيَّة تنفيذ بَرَامج للإعداد والتّدريب والمشاركة العمليّة في القِتَال إلى جانب طالبان، ستكون ممكنة من أجل إعداد نواة جيل المُوَاجَهة العَالَمِيّة القادمة، إن يسَّر الله ذلك.

هذه الأسباب بالإضافة إلى أهداف خاصّة وقناعات شرعيّة ذاتيَّة بالهِجرَة إلى دار الإِسْلَام الوليدة وتقديم العون لها جعلتني أجدُّ السّير في هذه الهِجرَة الّتي أقدمتُ عليها بكامل القناعة والعزم.

وفعلاً وكما توقعّت ذلك، فقد تقاطرت الجماعات الجهاديّة ورموز الأفغان العَرَب وتنظيمات الجِهَاد وكثير من الأفراد إلى أفغانستان، وازدهر ذلك خلال الأعوام (١٩٩٨ – ٢٠٠١م) وبدا أنّ ما أسميته (**الشَّوط الثّاني للأفغان العَرَب**) قد بدأ في أفغانستان، ونشط بشكل أذهل الأَعدَاء وبعث الأمل من جديد في أوساط الجِهَاد وأنصاره في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، بحيث أصبح هذا الجمع من جديد أملاً من آمال الأُمّة الإِسْلَاميّة، بل أكبر آمالها.

وأضفت الشّعارات الملتهبة والنَّشَاط الإعلاميّ الّذي أطلقه الشَّيْخ أُسَامَة بشخصيَّته التارِيخِيَّة في أفغانستان، طابعاً مميزاً، ولعبت حدة ردّة الفعل الأمريكيّة عليها وتسليط إعلامها الضوء عليها من أجل تبرير تطلعاتها في التَّواجد في المنطقة العربيَّة والإِسْلَاميّة، والتَّجاوب الجماهيريّ الواسع في أوساط الأُمّة الإِسْلَاميّة المقهورة، وكذلك حرارة المواجهات الجهاديّة في بعض البُؤر الأخرى إبَّان تصاعد الأحداث في أفغانستان، مثل ما حصل من اشتعال الإنتفاضة في فِلَسطِين، واشتداد حدَّة المعارك في الشِّيشَان في نفس الوقت بالإضافة إلى صفاقة الهجمة الأمريكيّة وعدائها المعلن ونواياها بتصفية الإمارة الإِسْلَاميّة وإسقاط حكومة طالبان، والحشد الدّولي الّذي حشدته في عمليَّة الحصار الاقتصاديّ والسّياسيّ والإعلاميّ ضدّ أفغانستان وضدّ الجمع الجهاديّ الأمميِّ الّذي تشكّل في كنفِها، أضفى كلّ ذلك عَلى الوسط جواً ملائماً عندي لنُضوج أفكارٍ من قبيل الّتي في هذا الكتاب، وبدا أن بعض الجهاديّين من القدماء قد توصَّلوا لقناعاتٍ قريبةٍ من ذلك.

وليس هنا محل استعراض تاريخ وأحداث تلك المَرحَلَة، وذلك الجمع الهامّ جدّاً عَلى مستوى تاريخ الجِهَاد في العصر الحديث، وأجدني راغباً جدّاً في الكتابة عن تلك المَرحَلَة الهامة العاصفة، ولعلّ الله ييسر لي ذلك من أجل تغطية أحداث ما مرَّ معنا عَلى صعيد الأفغان العرَب منذُ نشأة طالبان وقدومنا إليهم ١٩٩٦م، وإلى ما بعد أحداث الحادي عشر من سِبتَمبر ٢٠٠١، ودور ذلك التَّجمع في تلك المَرحَلَة وما بعدها إن يسَّر الله لي ذلك.

ولن أعرض هنا لتفاصيل كثيرة من ذلك وإن كانت هامَّة، إلا لما يتعلَّق منها بأفكار هذا البحث وتطوّرها وسط تلك التَّجربة، وما يهمّني من ذلك هنا هو ما يلي:

بدا لي واضِحاً من خلال عددٍ من اللِّقَاءَات والمُناقشات الّتي شرحتُ فيها مُعظم أفكار هذا الكتاب لعددٍ من قيادات التّيار الجهاديّ والمُشرفين عَلى جماعات جهاديّة كانت موجودة في السَّاحَة هناك، أو آخرين وَفَدُوا أفغانستان من أجل إنشاء جماعاتٍ جهاديّةٍ عَلى نموذج تلك القائمة بنفس الأسس والمفاهيم الفِكريّة والحَركيّة التَّقليديَّة للجهاديين، بَدَا أنَّ عمومهم مُمتلئٌ قناعة بالأهداف الّتي رسموها لأنفسهم، والتَّنظِيمات والأسس الّتي أقاموا عليها أعمالهم! وأنّهم غير مستعدِّين لإحداث أي نقلة جوهريَّة للتَّفكير والعمل عَلى أسس جديدة، وأن الفكرة الّتي فارقتُهم عليها سنة ١٩٩٠م، ما تزال سائدةً عندهم!! وهي (**إنشاء تنظيماتٍ سريّةٍ قطريّةٍ، تريد إحداث ثوراتٍ شعبيَّةٍ، أو أعمالِ عِصَاباتٍ من أجل الإطاحة بحُكُومَات بلادها، وإقامة حُكُومَاتٍ إسلاميّةٍ عَلى أنقاضها!!**)، وكل ما تَبتَغِيه تلك التَّنظِيمات من أفغانستان – من جديد – هو أنّها محطّة إنشاء وتدريب وحشد، أو ملاذٍ آمن لكوادرها وعناصرها، فراراً من الهجمة الدّولية لمكافحة الإِرهَاب، مع قناعات تتفاوت عندهم من حيث القناعة بالإمارة الإِسْلَاميّة ودار الإِسْلَام النَّاشئة في أفغانستان، وشرعيّة أمير المُؤمِنِين حيث تتدرَّج القناعات من الإنعدام التَّامِّ عند بعض من يَنسُبون أنفسهم إلى (السّلفيّة)! إلى القناعة التَّامَّة عند البعض، أما المَعْرَكة العامّة مع الهجمة الصّليبيّة اليَهُوْديَّة فلم يبدُ أنَّها تُشكِّل همَّاً عمليَّاً لتلك التَّنظِيمات إلا عَلى صعيد التَّعاطف العام مع قضايا المُسلِمِين، **ولم يستطع الشَّيْخ أُسَامَة والقَاعِدَة أن يُزَحزِحُوا تلك التَّنظِيمات، ولا معظم الشَّبَاب الّذي قدّم لهذه الأهداف عن قناعاتهم تلك من أجل تبني قناعاته بأن المَعْرَكة قد أصبحت**

مع أمريكا فحسب، إلى أن جاءت هجمة أمريكا عَلى الإمارة وتداعيات أحداث سِبتَمبر فأقنعت أمريكا الكلَّ بترك أهدافهم والتَّفرّغ لحربها، من ناحية أُخرى رأيتُ تفهُّماً وقناعة بالأفكار الّتي سأفصِّلها في هذا الكتاب من قبل بعض قُدماء الإخوة من المستقلّين عن التَّنظِيمات ذات الأهداف القُطريّة.

بدا لي أنَّ الجهة الوحيدة الّتي تقيم كثيراً من جوانب عملها الحَركيّة عَلى أسسٍ شبيهة بالأفكار الّتي اقتنعت بها، هيَ تنظيم الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن (القَاعِدَة) فهم قد أدركوا – ولاسيَّما الشَّيْخ أُسَامَة، ونائِبه أبو حفص رحمه الله[1] – أن زمن التَّنظِيمات القطريّة المحليَّة قد ولّى، وأنّه لا يصلح للمرحلة القادمة، وأن الواجب هو: **حشد الأُمّة عَلى مُوَاجَهة العدوّ الخارجيّ مُمَثَّلا بأمريكا والتَّركيز عَلى شعار إخراجهم من جَزِيرَة العَرَب ودمج هذا ببعد الصِّرَاع مع اليَهُوْد حول فِلَسطِين والأقصى، وببعد دفع عدوان أمريكا عَلى عموم المُسلِمِين، وهو ذات ما كنت قد تَوَصَّلت إليه سنة ١٩٩٠م، وسجَّلت فيه عدداً من المحاضرات والكتابات منذُ ذلك الوقت.**

ثمّ وبعد دراسة كلّ الإمكانيَّات المُتاحة لي للعمل والعَطاء، أسَّستُ مُعسكراً ومجموعة عملت بشكل مستقلٍّ مثل كافّة التَّجَمُّعات والتَّنظِيمات العربيَّة الأربعة عشر الّتي اعترفت بها طالبان، وتعاملتُ مباشرةً مع أمير المُؤمِنِين، وبدأتُ من خلال مركز اتَّخذتُه في مُعَسْكَرٍ أنشأتُه في إحدى القُطعات العسكريّة التَّابعة لطالبان، ومن خلال عشرات اللِّقَاءَات الّتي عقدتها في بيتي أو في بعض الأمكنة الأخرى، في بث هذه الأفكار وتطويرها، وأظنُّ أنَّ الفكرة قد تبلورت عبر تلك النَّشَاطات حتَّى وصلت إلى الصُّورة الّتي سأعرضها في هذا الكتاب.

---

(١) الشَّيْخ الشهيد القائد محمد عاطف المصري أو صبحي محمد أبو ستة الجوهري المعروف أيضاً باسم أبو حفص المصري، الملقب: بالكومندان، من مواليد المنيا 17 يناير عام ١٩٥٨م، وقد كان القائد العسكري لتنظيم القاعدة وأحد أبرز المؤسسين، ولمدة من الزَّمن كان النائب للشيخ أسامة رحمهما الله، وقد خطط وشارك في العديد من الضربات المباركة لصروح الكفر على مدى ٢٥ سنة قضاها مجاهدًا إلى أن قتل في غارةٍ أمريكيّةٍ بلا طيار في نوفمبر تشرين الثاني ٢٠٠١م على ثرى أفغانستان.

وكان من أهمّ تلك الدَّورات الّتي اشتملت عَلى تفاصيل هذه الأفكار من النَّاحيَة الإيديولوجيَّة والحَركيّة، تلك الّتي سجَّلتها ونشرتها في أوساط المُجَاهدين العَرَب وبعض المُجَاهدين من وسط آسيا، وهي حسب تسلسلها الزَّمني كما يلي:

أولاً: (واقع المُسلِمِين الأزمة والمخرج) وهي في ٧ أشرطة (٩٠ دقيقة).

ثانياً: (الجِهَاد هو الحلّ، لماذا ؟ وكيف؟) وهي في ٢١ شريط (٩٠ دقيقة).

ثالثاً: (المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة) وهي في ١٠ أشرطة (٩٠ دقيقة).

رابعاً: (سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة: الدّعوة – الطَّريقة –المنهج) وقد سُجِّلت على ٦ أشرطة فيديو (٣ ساعات) أي نحو ١٦ ساعة.

وأهم هذه المحاضرات من حيث شرح الدّعوة والطَّريقة هيَ أشرطة الفيديو، وقد سجلت بتاريخ ٢٠ أغسطس ٢٠٠٠م، وأمّا أوسعها من حيث المقدِّمات الفكريّة والسّياسيّة الشَّرعيَّة، فهي مجموعة محاضرات (الجِهَاد هو الحل)، وقد سجلت في سِبتَمبر ١٩٩٩م في معسكرنا الّذي دعوته (مُعَسْكَر الغُرَباء) والّذي أقيم في قاعدة (قرغة) العسكريّة التَّابعة لطالبان قرب كابل.

كما تبعثرت كثير من أفكار هذه المادّة في نحو ٦٠ شريط كاسيت في مختلف المواضيع عبر دُروس ألقيتها خلال تلك الفترة، وكذلك في خمسة أبحاث تقع في نحو ٥٠٠ صفحة نشرتها آنذاك، وكذلك من خلال مجلة غير دوريَّة أصدرتها بعنوان (قضايا الظَّاهِرين عَلى الحقّ)، حيث كانَ هذا مجمل الإنتاج الفكريّ الّذي قدَّمته خلال الفترة (١٩٩٧ – ٢٠٠١م).

ورغم الجهود الّتي بذلناها – مجموعة مُعَسْكَر الغُرَباء – فقد حالت الظّروف العامّة المتعلقة بوضع المُجَاهدين العَرَب والطَّالِبَان في أفغانستان، ثمّ ما تلا من تداعيات سِبتَمبر وسقوط الإمارة، دون أن أضع هذه الأفكار موضع التَّنفيذ، وهو ما حاولته فعلاً منذُ إنشاء المُعَسْكَر، إلا أَنّي أعتقد أنه قد كانَ في هذا الإنتاج المفصَّل عرضاً وافياً لتلك الأفكار الّتي اقتنعت بضرورتها لوضع منهج وأسلوب عملٍ جديدٍ، من أجل هذه المُوَاجَهة العَالَمِيّة الّتي نخوضُها، ولعلّ الله يُتيح لنا فرصةً فنَستَأنفُ المَسير، وهو ما أفعله الآن، وأوَّل ذلك نشر هذا الكتاب، أو يعيننا عَلى تسليم هذه الرّاية لمن يُقَيِّضُهم لها من بعدنا من المُجَاهدين

في سبيله عَلى طريق الظَّاهِرين عَلى الحَقّ في هذا الزّمان إن شاء الله، فيكون في مثل هذه الكتابات أداءٌ لجزءٍ مِنَ أمانة.

وفيما كنت أحاول وضع كتاب يجمع هذه الأفكار بصورتها النّهائيّة في كابل، جاءت أحداث سِبتَمبر ٢٠٠١م وما تلا من تداعياتها في أفغانستان وباكستان، لندخل في سياق الحدث، ولينتهي بنا المطاف حاليَّاً في مرحلة الشَّتَات والتَّشريد والاختفاء، حيث أضع اللَّمسات الأخيرة لهذا الكتاب الآن، في مخبأنا الجبليِّ الجميل.

****

المَرحَلَة الخامسة:

باكستان (٢٠٠٢م – ٢٠٠٣م) تداعيات أحداث سِبتَمبر ٢٠٠١م

زادتني تداعيات أحداث الحادي عشر من سِبتَمبر ٢٠٠١، وزخم رَدَّة الفعل الأمريكيّة والهجمة الغربيّة الصّليبيّة المبرمجة مع التَّوجُّه اليَهُوْدي العَالَمِيّ المتعاون مع قوى الرِّدَّة وأجهزة النِّفَاق في عالمنا العربيّ والإِسْلَاميّ، زادتني بل ملأتني قناعة بما كنت قد تَوَصَّلتُ إليه من أفكار حول أسلوب المُوَاجَهة اللازم لهذه الحَرب العَالَمِيّة، الّتي بدأت بقيادة أمريكا للنّظام العَالَمِيّ الجَدِيد وحملتها الصّليبيّة مع التَّحالف الدّولي في مطلع ١٩٩١م عَلى جَزِيرَة العَرَب والعراق، والَّتي تدرَّجت حتَّى انفجرت واستعلنت بعد أحداث ١١ سِبتَمبر بكل صفاقة، لتشمل كافّة العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، بل كافّة المعمورة كساحة حرب مع الإِسْلَام والمُسلِمين حيثما وُجدوا، ضمن برنامج اجتثاثٍ شاملٍ قائمٍ عَلى المفهومِ الصَّليبيّ اليَهُوْديِّ لِصِرَاعِ الحَضارات الّذي تبنَّته أمريكا والغرب الّذي يلهث وراءها.

وقد أصبحت شواهد ذلك في وسائل الإعلام مادَّة يوميَّة، حتَّى عَلى لسان الأمريكيّين أنفسهم، وكم تعجّبت من صراحةِ (جفريى سترابنبرغ) وهو صحفيٌّ ومحلِّلٌ سياسيٌّ من الحزب الدِّيمقراطيِّ في أمريكا، في مقابلة خطيرة الفحوى، أجراها مع الفضائيَّة السوريّة في (شهر يوليو ٢٠٠٢م) وكان من خُلاصة ماجاء فيها:

[أنَّ هناك كارثةٌ مقبلةٌ عَلى أمريكا والبَشريَّة بسبب السِّياسات الّتي يتبناها الحزب الجُمهُوريّ بزعامة بوش، والَّتي تتضمَّن مبدأ صِرَاع الحضارات الّذي بُني عَلى فلسفات (كيسنجر) و(هينينغتون) و(نيكسون) وغيرهم، وأنّهم يبنون أفكارهم عَلى مبدأ سيطرة العنصر الأبيض المسيحيِّ عَلى الملوَّنين في الأرض، ويعتقدون أنَّه قد حان الوقت لقيام إمبراطُوريَّة عَالَمِيّة بزعامة أمريكا، وأنهم يخطِّطون في سبيل ذلك لوقف التَّقدم الصِّناعيّ للدُّول النَّامية، ولنشر الأوبئة والأمراض من أجل التَّطهير العرقيّ للقضاء عَلى ٨٠٪ من السّكّان غير البيض في الأرض!

وأنَّ القضية أكبر من مسألة إزاحة الحكومة العِرَاقيَّة، أو زعم إحلال الاستقرار في الشّرق الأوسط، وقال بأن الولايات المتَّحدة عَلى أعتاب انهيارٍ ماليٍّ واقتصاديٍّ عالميٍّ، بسبب نشاطها العسكريّ العدوانيّ في كثيرٍ من المناطق، وأنّ بوش يحاول أن يمنع إفلاس الشّركات الأمريكيّة الكُبرى، فَسَنَّ من أجل ذلك تشريعاتٍ اقتصاديَّةٍ غير مدروسة العواقب، ووضع الضَّرائب والرُّسوم عَلى الاستيراد حتَّى من الدّول الحليفة لأمريكا، فأوجد مشاعر هستيريّة ضدّ أمريكا في الدّول الأخرى، وختم قوله بأنّ هناك كارثة مقبلة بسبب سياسات بوش ستحلُّ قريباً بأمريكا والعالم، خلال أُسبوع، أو خلالَ سنة أو أكثر أو أقلّ، المُهمُّ أنَّها قريبةٌ].

إن شواهد ما يحدث اليَوْم تدعم إلى حدٍّ كبير التَّوصيف الّذي عرضناه لطبيعة المُوَاجَهة بيننا وبين الرُّوم المعاصرين بقيادة أمريكا، بحيث لم تعد تحتاج الدّعوة إلى المُقاوَمة وفق هذه التصوُّرات، إلى أي عناء من أجل الإقناع، فقد قام العدوّ وحلفاؤه بتقديم كلّ الشواهد والدَّوافع اللازمة لإحداث القناعة بالمُقاوَمة، حيث قدَّمها بكل شراسة وعدوانيَّة، بحيث تحمل أكثر الشَّرائح مسالمةً وقعوداً في الأُمّة الإِسْلَاميّة عَلى التَّفكير في المُوَاجَهة، ممَّا يُسهِّل والله أعلم مهمَّة الدَّاعين إلى الجِهَاد والمُقاوَمة العَالَمِيّة الشّاملة ضدّ هذا العدوّ.

أثبتَ الواقع الجَدِيد - الّذي سأفصّله في هذا البحث - بل فرض اتجاه المَعْرَكة الوحيد، وعدم جدوى بل عدم إمكانيّة الاتجاه بإحداث صراعات جهاديّة قطريّة محدودة، لقد تدولت المَعْرَكة بعد سِبتَمبر ٢٠٠١م وغزو أفغانستان ثمّ العراق ٢٠٠٣م واستعداد العدوّ لما بعدها، حيث فرض العدوّ نفسه عَلى كامل ساحاتها دفاعاً عن مصالِحه وحلفائه، هذا ناهيك عن تحطّم أو تفكُّك معظم إن لم يكُن كافّة البُنَى والتَّنظِيمات الجهاديّة المحليَّة بسبب هذه الحملة الطَّاغية، والإمكانيَّات غير المتكافئة نهَائِيّاً لأطراف المَعْرَكة، وأظنُّ أنَّ في هذا الواقع الجهاديّ الجَدِيد ما يُغني عن كثرةِ النِّقاشِ لإقناع من تبقَّى من الكوادر والكيانات الجهاديّة بضرورة تغيير طريقة التَّفكير والعمل وفق الاتِّجاه الجَدِيد للمعركة.

أحدث لديَّ التَّفكير في إرهاصات وتداعيات أحداث سِبتَمبر تطويراً محدوداً ومهمّاً عَلى بعض الأفكار سأثبتها خلال البحث في مناسباتها مُشِيراً إلى ذلك إن شاء الله.

أعتقدُ باختصارٍ أنَّ أحداث سِبتَمبر وما تلاها من أحداث عالميّة قد أدخلتنا ربما في تسلسلاتِ أحداثِ الملاحمِ والفِتن الّتي أخبرنا عنها رسول الله ﷺ والله أعلم، وهاهو العالم يسير نحو أن يمتلئ جوراً وظلماً بإشراف أمريكا وأسيادها اليَهُوْد وحلفائهم من الصّليبيّين والمرتدّين والمُنَافِقِين، **وهاهم المُؤمِنُون المُجَاهدون غُرَباء مشرَّدون في الأرض لا يجدون ملجأً يأوُون إليه، يفرّون بدينهم من قرية إلى أُخرى، تماماً كما أخبر ﷺ، وقد تكون الأمور تسير نحو انحصار الثُّلة المؤمنة**، وفي كثيرٍ مما يجري شواهد قد أخبرت بها آثار السّنة بل وحتى بعض الآثار الواردة في بعض كتب أهل الكتاب، وها هو ميزان القوى يختلّ بشكل صارخ بيننا وبين أعدائنا، ابتلاءً للثلّة المؤمنة وفتنةً للزائغين عن هدي شريعة الله من المنتسبين لهذا الدّين، بحيث تمتلئ الأرض جوراً وظلماً وتتداعى الأحداث نحو ظهور المهديِّ عليه السلام ليقود مسيرة المُوَاجَهة وليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئت جوراً وظلماً، وقد تكون الخيارات أمام العصبة المؤمنة الآن محصورة بالصّبر والصُّمُود والتَّضحِيَة والثّبَات والتَّقدم بإيمان ورسوخِ قدمٍ نحوَ الأخدود، وأنّ علينا الثّبات حتَّى نكون أو ذرارينا المُصَابرة تحت رايةِ القِسط والعَدل بعد ذلك وفي وقت ليس ببعيدٍ إن شاء الله، **ولكن فريضة الجِهَاد الماضية إلى قيام السَّاعة، واستمراريَّة الطَّائِفَة الظَّاهِرة عَلى الحقّ تُقاتل عَلى هذا الدّين منصورين لا يضرُّهُم من خذلهم ولا من خالفهم حتَّى يقاتل آخرهم المَسِيح الدَّجَّال، هو أمرٌ ثابتٌ في ديننا، فإذا كانَ علينا أن نسعى أن نكون من هذه الطَّائِفَة ونتابع حمل الرّاية وتسليمها من جيلٍ إلى جيلٍ، ومن طائفةٍ إلى طائفةٍ، فإنِّي أعتقدُ أنّ الخيارات العمليّة قد أصبحت محصورةً بحكم الوضع القائم لدينا، بحيث أنَّه لم يعد أمامنا إلا المُقاوَمة بحسب طرق من قبيل هذه الّتي سأطرحها في هذا الكتاب، سعياً إلى قيام (مقاومةٍ إسلاميّةٍ عالميّة) شاملةٍ لهذا العُدوان، وأنّ الأمر أكبر من أن يقع عَلى عاتق النُّخبَة من هذه الأُمّة.**

لقد كانَ الهجوم المظفّر للشهداء الأبرار التِّسعة عشر عَلى عقر دار الكفر والطّغيان أمريكا، وذلك بضربها في صميم منشآتها الاقتصاديَّة والعسكريّة، عملاً جبَّاراً وتاريخيّاً بكل المقاييس، فرحمهم الله وأجزلَ مثوبتهم ومثوبة كلّ من أعدَّ وساعد في إخراج وتنفيذ هذا العمل القدريِّ الفذِّ.

وبصرف النَّظر عن بعض الحيثيَّات المتعلِّقة بملابسات إطلاق الحدث، والظُّروف الّتي سبقته خاصّةً في أفغانستان، عَلى صعيدِ طالبان، وعلى صعيد التَّجمُّع الجهاديّ العربيّ في أفغانستان، وكذلك بصرف النَّظر عن تداعيات الحدث وطبيعة المُوَاجَهة الّتي حصلت منْ بعده وطريقة إدارتها، لاسيَّما في أفغانستان ومن ثمّ باكستان، وهي حيثيَّاتٌ جديرةٌ بالبحث والتّأريخِ واستخلاصِ العبرِ والدُّروسِ، وهي أمورٌ لا محلَّ لتفصيلها هنا لخروجها عن موضوع هذا الكتاب، وسيأتي بعض أطرافها في ثنايا هذا الكتاب إن شاء الله، بصرف النَّظر عن ذلك يمكن القول بأنَّ توجُّه الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن حفظه الله قد وضع المَعْرَكة بهذا الشّكل في مسارها الصَّحِيح، وذلك بفرض المُوَاجَهة بيننا وبين عدوّنا الحقيقي الداعم من وراء السِّتار لكافة أعدائنا، في كلّ ساحات المُوَاجَهة الّتي نخوضها، بدءاً من صراعنا مع اليَهُوْد في فِلَسطِين، ومروراً بكل مواجهاتنا مع حكّامنا المرتدّين المدعومين من قبل أمريكا وحلفائها، فجزاه الله خيراً.

والأمر ذو العلاقة بين تداعيات سِبتَمبر وأفكار كتابنا هٰذا، هو أنّنا إذا سلمنا بهذه المقدِّمة عن حربٍ واقعةٍ ومفروضةٍ من العدوِّ علينا، فسنسلِّم إذاً وفق مُقتضيات ديننا الحنيف بأنّ علينا المُوَاجَهة، وأنّ جِهَاد الدَّفع قد صار فرضُ عينٍ عَلى المُسلِمِين، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ [البقرة: ١٩١]. فإذا كنّا سنُواجه، فلابد من خسائر في هذه الحَرب العَالَمِيّة، ويجب أن يكون واضِحاً أمامَ من يُريد الجِهَاد، أنّ من أهمّ ذلك مسألةُ (اختيار أسلوب المُوَاجَهة)، فإمّا أن ندخل المَعْرَكة وفق تصوُّرات العدوّ باستنزافنا جزئيّاً هنا وهناك، وتحطيم طاقاتنا بالصِّرَاع مع الحكَّام المرتدّين ومَنْ تَبِعَهُم من المُنَافِقين والمُكرَهين والجاهلين من جُيُوشهم ورجال أَمنِهم، وهذا ما فعلناه عبر أكثر من ثلاثين سنة، وعبر عشرات التَّجَارب الفاشلة الباهظة التّكاليف، وإما أن نوجّه المَعْرَكة نحو العدوّ الأساسيّ والمحرك لكل أعدائنا المحلّيين، وأعني الثَّالوث الخبيث (إسرائيل – أمريكا – أوروبّا النّاتو)، ولا شَّكَّ الآن، أن المنطق والواقع يثبت أن التوجه لهَؤُلَاءِ أجدى، ويتضمّن تبعاً إقناع المُسلِمِين بحرب الحكّام المرتدّين وطابور النِّفَاق معهم المُوالين لهَؤُلَاءِ الكفرة الغُزَاة، لأَنّهم سَيدخُلُون المَعْرَكة إلى جانب أمريكا

واليَهُوْد بحكم واقعهم وحرصهم عَلى عُرُوشِهم، فالمَعْرَكةُ معَ اليَهُوْدِ وأمريكا وأوروبّا النّاتو مفروضة، ولا بُدَّ من تحمُّل نتائِجِها كما قَالَ الشَّاعِرُ[1]:

إذا لَمْ يَكنْ مِنَ الموتِ بُدٌّ   فمنَ العارِ أن تموتَ جَبَاناً

فباختصارٍ:

إنّ حرب المُسلِمِين اليَوْم مع اليَهُوْد وأمريكا وأوروبّا النّاتو، وحلفائهم المرتدّين والمُنَافِقين في بلادنا، سيكون ثمنها فادحاً، في أمّة طال رُقادها، وطال قُعُودُها، وطال انغماسُ أكثرها في الدُّنيَا، وطال دبيبُ الوهن من حبِّ الدُّنيَا وكَرَاهِيةُ الموت في أوصال خاصّتها وعامّتها، وطال ركون أكثر علمائها عَلى موائد سلاطينها.

ولابدّ أنّ نبضة الحياة، وميلاد النّهضة سيتبعه مخاضٌ عسيرٌ، فلا يهولنَّ الثّمن أمَّةً وشباباً قَالَ الله تَعَالَى لهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة].

ومع ذلك لا بُدَّ من القول تنبيها عَلى واقع يحتاج إلى وضع أسس تفصيليّة عقديّة وعسكريّة وإعلاميَّة وحركيّة لهذه المُوَاجَهة، كي تدخلها الأُمّة بأفضل الصُّور ، لقد أحسن الشَّيْخ أُسَامَة اختيار طبيعة المَعْرَكة وتحديد العدوّ، فقد وُفّق – بحسب رأيي – لاختيار مفتاح الصِّرَاع والمُوَاجَهة، كما أحسن القائمون عَلى تنفيذ هجمات سِبتَمبر صناعة صاعقِ الانفجار، وابتدؤُوا المَعْرَكة بهجومٍ ظافرٍ كبَّد العدوّ خسائر فادحة، وجعل المُسلِمِين يبتدئون المبادرة المُذهلة، إلّا أنّي أعتقد أنَّ الأُمّة الإِسْلَاميّة بكامل طاقاتها ما تزال غائبة عن المَعْرَكة، رغم أنَّها هيَ المعنيَّة أساساً بهذا الجِهَاد ومادَّته، وأنَّ ساحة المُوَاجَهة ما تزال معطَّلة، إذ أنَّ ساحتها الحقيقيَّة هيَ بلاد المُسلِمِين، حيث نزلت مختلف أشكال صائل اليَهُوْد والنّصَارى وأعوانهم من المرتدّين والمُنَافِقين، وأن عَلى المشرفين عَلى الصّحوة الجهاديّة لهذه الأُمّة من الجهاديّين جميعاً أن يعملوا

(١) الشاعر: أبو الطيب المتنبّي، ولفظه في ديوانه : "فمن العجز أن تموت جبانا".

يقول الله تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾﴾ [النساء] ليقوم المُؤمِنُون – كلّ المُؤمِنِين – بمهمّة الدَّفع الأساسيّة.

لقد أُحسن اختيار اتّجاه المَعْرَكة، ولكن لا يزال أمامنا الكثير من الجهد في مجال الدّعوة والبيان وتحريض المُؤمِنِين، لوضع المَعْرَكة إدارةً وتنفيذاً في ميدانها ومجالها الصَّحِيح، كي نستعيد زمام المبادرة الّذي استردَّتْهُ أمريكا بعد أحداث سِبتَمبر، وما زال في يدها إلى الآن.

ومهما يكن من أمر المواقف والآراء في الصفِّ الإِسْلَاميّ والجهاديّ من أحداث سِبتَمبر، فإن من المسلم به أنّها قد أوجدت واقعاً جديداً، يشكّل بفعل الهجمة الأمريكيّة حملة طاغية تحتاج منا إلى مُوَاجَهة، وصرف الاهتمام لذلك، وهو خيرٌ ولا شَّكَّ من إضاعة الوقت، في التَّلاوم وتجاذب الآراء حول الأحداث وملابساتها وفاعليها، فقد وصلت المَعْرَكة لأن تكون معركة مصير نكون معها أو لا نكون.

****

المَرحَلَة السَّادسة:

احتلال أمريكا للعراق والحملة الصّليبيّة الصّهيونيّة عَلى الشّرق الأوسط

(٢٠٠٣م – ٢٠٠٤م)

ثمّ حصل ما هو معروف من زحف الأمريكان وحلفائهم الإنجليز عَلى العراق، حيث نفّذوا فيها خُطّة شبيهةً بالّتي فعلوها في أفغانستان، واستطاعوا في مدّة قياسيَّة تدمير الجيش العراقيّ وتفكيك وحداته، ودخول بغداد الّتي كانَ من قَدَرِها أن تسقط للمرة الثّانية تحت سنابك المغول، المغول الجُدد من الرُّوم المُعَاصِرين الّذين لم يكونوا أقل بربريّةً من أسلافهم الّذين قَدِموا معَ (هولاكو).

وموضوع هذه الحملة واحتلال العراق وإرهاصاته وتفاصيل يوميَّاته والغوص في تحليل أحداثه ودروسه موضوع كبير ليس محله هذا الكتاب، ولكنّي ألفت النَّظر إلى ماله علاقة بتبلور أفكار كتابنا هذا وما سأطرحه فيه من نظَريَّات عملٍ جهاديّةٍ من أجل قيام (مقاومةٍ إسلاميّةٍ عالميّةٍ) وأهمّ ذلك في نقاط موجزة:

أهمّ أسباب انتصار الأمريكان في (أفغانستان / العراق):

١. الاعتماد عَلى قوى عميلة محليَّة تعمل بإمرتها عَلى الأرض.
٢. الاعتماد عَلى عزل البلد الفريسة عن جِوَاره، وتحييد ذلك الجوار، أو الاعتماد عليه كنقطة انطلاق تقدّم الخدمات اللّوجستيّة لقوَّاتها.
٣. الاعتماد عَلى التّفوّق الجويّ والصّاروخيّ السّاحق في تدمير كلّ هدف معادٍ عَلى الأرض في ساحة الحدث.
٤. الاستعداد لارتكاب المجازر في المدنيّين من أجل تحقيق الأهداف العسكريّة والضّرب بكلّ أشكال الرَّأي العامِّ بعرض الحائط.

٥. تجاوز المجتمع الدّولي وكل رأي معارضٍ وإخضاعِهم لبرنامجها بالتّرغيب أو التّرهيب أو الإهمال، بعد أن أصبحت أمريكا فعلاً قطباً أوحداً في الدُّنيَا، تتحكّم في سياسات الدّول وتخضعها لمصلحتها.

٦. تحوُّل الشّعوب الإِسْلَاميّة إلى مجرّد مشاهدين للأحداث عجزة، بعد أن أخرجهم حكّامهم وعلماؤهم من دائرة الصِّرَاع والفعل.

تبع انتصارَ أمريكا في أفغانستان وقضائها عَلى القوّة العسكريّة لطالبان ولفصائل المُجَاهدين العَرَب والمُسلِمين من القَاعِدَة وغيرها في أفغانستان، وكذلك انتصارَها في العراق، مطاردةٌ عسكريّة وأمنيّة لكلِّ بؤرةٍ يُتَوَقّعُ منها المُقاوَمة للوجود الأمريكيّ عاجلاً أم آجلاً، وكان من أهمّ ذلك تدمير مواقع جماعة أنصار الإِسْلَام الكرديّة في منطقة (خور مال) شمال شرق العراق عَلى الحدود الإيرانيَّة، باستخدام نفس الطَّريقةِ الّتي دمّرت بها مواقع القَاعِدَة والمُجَاهدين العَرَب في (توره بوره) في أفغانستان، وذلك بالقصف الجويّ والصارُوخيّ العنيف والمُركّز، وزحفِ الميليشيات الكرديّة المحليَّة العميلة للقضاء عَلى من تبقّى من المُجَاهدين عَلى الأرض، ثُمّ أسر من يمكن أسرُه من النّاجين عبرَ الحُدود في الدّولة المُجاورة من خلال الاتّفاقات والمؤامرات الدّولية.

وكذلك تمَّ تدمير وتصفية مواقع تجمُّعات جهاديّة في (جبال حطاط) في اليمن بالاعتماد عَلى الجيش والأمن اليمنيّ عن طريق القصف الجويّ، ثمّ الزَّحف عَلى المواقع.

ثمّ تابعت أمريكا هذه الطَّريقة في كلّ بؤرة علنيّة يجتمع فيها مُجَاهدون مناوئون لأمريكا، وبالإضافة لهذا اعتمدت أمريكا نهج المطاردات الأمنيّة الّتي صفّت من خلالها تنظيماتٍ وخلايا سريّةٍ جهاديّةٍ أُخرى في أماكن كثيرةٍ، بالتّعاون مع أجهزة الأمن المحليَّة كما حصل في السّعُودِيّة والمغرب وإندونيسيا وبعض دول شرق آسيا.

وقد أكد لي تحليل هذه التَّجَارب الّتي عايشتها ميدانيّاً في أفغانستان بعيد سِبتَمبر ٢٠٠١م، وتقصَّيتُ ماجرى بعد ذلك عبر المُتابعة المركَّزة المستمرَّة؛ ما كنت قد تَوَصَّلت إليه من أفكار ونظريَّات المُقاوَمة عبر السَنَوات العشر الماضية والَّتي ضمَّنتُها هذا الكتاب وخُلاصة ذلك، والله أعلم :

أولاً: لا يمكن الْمُوَاجَهة مع أمريكا أو أيّ من حلفائها عسكريّاً بصورةٍ مكشوفةٍ طَالَمَا توفّر لديها هذه السّيطرة التَّامَّة عَلى الأجواء بهذه القدرات التّكنولوجِيَّة السَّاحقَة، خُصُوصَاً مع وجود قوىً عميلة تعمل بإدارتها عَلى الأرض، وتحاصر تلك البؤر الجهاديّة، وتشارك في الزَّحف عليها، وقد أثبتت (توره بوره – أفغانستان) ٢٠٠١م و(خورمال – العراق) ٢٠٠٣م و (جبال حطاط – اليمن) ٢٠٠٣م، ثمّ ما يجري في الفلوجة وأنا أصحّح هذه السُّطُور (نوفمبر ٢٠٠٤م)، ما كانَ قد ثبت ذلك في تجارب الْمُوَاجَهة المكشوفة للعِصَابات الْمُجَاهدة في (حماة / سوريا) ١٩٨٢م، و(طرابلس، وتلّ الزّعتر – بيروت – لبنان) ١٩٨٢م و(النَبطيّة – لبنان) ٢٠٠٠م، مع أنَّ الْمُجَاهدين واجهوا في تلك التَّجَارب جُيُوشاً بقدرات محليَّة، فما بالك بالطَّاقة العسكريّة الأمريكيّة؟ ومسألة عُقم الْمُوَاجَهة المكشوفة، من قبل العِصَابات للجُيُوش النّظاميّة المتفوّقة، أمر معروف قد بحثَتْه معظمُ كتُبِ حُرُوب العِصَابات الدِّراسيَّة.

ثانياً: لا يمكن للتّنظيمات السِّريَّة مُوَاجَهة النُّظمِ الأمنيّةِ المحليَّةِ للحُكُومَاتِ العميلةِ، بعد قيام التَّنسيق الأمنيّ عَلى مستوىً إقليميٍّ ودوليٍّ في ظلِّ ما بات يُعرف بالحَرب العَالَمِيّة عَلى الإرهَاب، وبإدارة وإشراف أمريكا خاصّة من خلال إتباع الأساليب الكلاسيكيّة القديمة للتّنظيمات السِّريَّة القطريّة ذات البناء الشَّبكيّ الهرميِّ.

ثالثاً: وحيث لا مناصَ ولا مَندُوحةَ عن الْمُقاوَمة ؛ فإن الأسلوب الوحيد للمُوَاجَهة الّذي يطرح نفسه في ظلّ هذا الواقع، هو أسلوب حرب العِصَابات السِّريّة ذات الخلايا غير المترابطة، الخلايا المتعددة الكثيرة، وهذا ما تبدو ملامح نموذج عنه واضحةً في أعمال الْمُقاوَمة العِرَاقيَّة – متعددة الأطراف – للقوَّات الأمريكيّة، وما أثبتته الإنتفاضة الْمُسلّحة في فِلَسطِين وغير ذلك من حُرُوب العِصَابات المدنيّة في العالم، وهذا ما حاولتُ الاستفادة من خلاصتِه وإضافَتِها في محلِّها في سياق فصول هذا الكتاب الّذي يطرح نظَريَّاتٍ لتفعيل (دعوةِ المقاومةِ الإسْلَاميّةِ العَالَمِيّة).

****

وفي نهاية هذا التَّقديم أقول:

لقد دفع كثيرون من شباب الصّحوة والجِهَاد، ممّن نعلمهم ومَنْ لا نعلمهم الثَّمنَ باهظاً في كلّ مكان وطالهم القتلُ والأسرُ والتَّشريدُ عبرَ نحو نصفِ قرنٍ مِنَ الزَّمن قبل أحداث سِبتَمبر، وهم خُلاصة أمَّة الإِسْلَام في هذا العصر.

وأما بعد هجمات سِبتَمبر، فقد استشهد الأبطال التِّسعة عشر وافتتحوا المَعْرَكة باتّجاهها الجَدِيد، فرحمهم الله ورفع درجاتهم وجمعنا وإيَّاهم في عليِّين.

ولقد دفع أميرُ المُؤمِنِين في أفغانستان الملّا محمّد عُمَر والمخلصون من مُجَاهدي الطّالِبَان الثَّمنَ فادِحاً، كي يحافظوا عَلى أمانتهم، ويقوموا بواجبهم في حفظ الإِسْلَام والمُسلِمِين وعدم الرُّضُوخ لتهديدات العدوّ، وأخذوا بحظهم من القتل والسّجن والتَّشريد، ودفعت أفغانستان وشعبها كاملاً الثَّمنَ معهم، فتقبّل الله منهم وغفرَ لَنَا ولَهم.

ولقد قدّمت القَاعِدَة كثيراً من رجالها ثمناً لبدء الجولة الحاسمة، ودفع الشَّيْخ أُسَامَة وأعوانه الثَّمن باهظاً وأخذوا بحظِّهم من القتل والأَسر والتَّشريد، تقبّل الله منهم وغفر لنا ولهم، وجمعنا وإيّاهم في مُستقرِّ رحمته.

ولقد قُتل كثيرٌ من كوادر وشباب الجماعات الجهاديّة العربيَّة في أفغانستان في معركة الدّفاع عن الإمارة الإِسْلَاميّة وفي التّصَدّي للهجمة الأمريكيّة العمياء عَلى أفغانستان، ودفع ذلك الرّهطُ المبارك الثَّمنَ باهظاً، وأخذوا بحظِّهم أيضاً من الأسر والقتل والتَّشريد، وهم نُخبة التّيار الجهاديّ وطليعته، تقبَّل الله منهم وغفرَ لنا ولهم وجمعنا وإيَّاهم مع الّذين أنعم الله عليهم.

فلأيِّ هدفٍ ؟ ولأيِّ مُقابل ؟ ولِمَ كانَ هذا العناء كلّه؟

لقد كانَ الهدف هو إيقاظ الأُمّة المخدّرة النّائمة، المغيّبة عن ساحة المُوَاجَهة، لوضعها أمام هذه الفريضة وجهاً لوجهٍ.

وفي هذا البحث الّذي قدّمت له بهذا التَّقديم، نحاولُ أن نعطي دَفعةً، وأن نضع خطوةً عَلى طريق المُهمَّة الكُبرى؛ وهي وضع أسسٍ تساهم في دفع الأُمّة كي تأخذ بدورها في هذه المَعْرَكة القادمة.

وإنّي مُقتنع بأنّ النّصر بيد الله، وأنّ من أوائل أسبابه الّتي يجب أن نوفّرها:

العمل عَلى تحويل هذه المُوَاجَهة لتكون معركة أمّة بعد أن أشعلتها النُّخبَة.

لقد قام التّيار الجهاديّ عبر عقودٍ أربعةٍ بالامتثال لأمر الله تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ﴾، ويجب عَلى من وقعت عليهم مسؤوليّة الكلمة وأمانة العلم والقلم أن يؤدّوا أمر الآية الثّاني: ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، كلّ ذلك ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [النساء: ٨٤]

نعم: نحن نمرّ الآن بأصعب الظّروف، ونعيش قمّة البَلاء، لقد قُتِل خيرةُ إخواننا، وأُسر نُخبة شَبابنا، وتشرّدت بقيّتنا تتخطّفها الذّئاب الخَائِنة المتربّصة من حُكُومَات الرِّدَّة وأعوانها ومخابراتها وعملائها المُنَافِقين هنا وهناك، ولكننا نعلم عِلمَ اليقين أنّ الله ناصر دينه وحزبه لا محالةَ، وأنَّ بُشرى انتصارنا وصولاً إلى فتحِ رُومَا حاصلٌ كما بشر رسوله ﷺ لا محالةَ.

ولعلّ المنكوسين من أبناء أمّتنا لا يصدِّقون هذه الحقائق الشَّرعيَّة، والبشائر النّبويّة، ولكنّ قيادات أعدائنا وكبار أحبارهم ورُهبانهم يعرفُونها كما يعرفُون أبناءهم، وهم يجمعون الجُموع الآن محاولةً منهم لتجنّبِ هذا المصيرِ، محاولةِ الطّفلِ الّذي يُحاولُ أن يحجبَ نورَ الشّمسِ بكفّهِ الصّغيرةِ.

إنّه جهدُ الّذين ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢﴾[التوبة]،

إنّهم يعرفون أنّ نجم حضارتهم قد أَفَلَ، وأنّ شمسَ حضارتنا قد بَزَغَ فجرُها.

فرحمَ الله شُهداء المُجَاهدين في كلّ مكان فقد أعذروا.

ورحم الله أسرى المُسلِمين وفرّج عنهم فقد أعذروا.

وأعان الله كلّ مشرّدٍ في سبيله مِمَّن أبلوا وأعذروا.

وتقبّل الله من كلّ الّذين ساعدوا وآووا ونصروا.

وليسمعها منا كلّ محبٍ مناصرٍ يبهجه نكاية أعداء الله، وليسمعها أيضاً كلّ منكوسٍ مرجفٍ لا يؤمن بموعودِ الله.

وليسمعها القاعدون الجبناء الّذين لا يريدون للرّجال من هذه الأُمّة أن يتصدّوا لأعداء الله حتَّى لا يتعكّر صفوَ سكونِ المَراغة الّتي يتلبّطُون فيها بينَ أوحال الدُّنيَا، وفي طليعتهم علماء النِّفَاق وفقهاء البنتاغون.

وليَسْمَعْهَا كلّ أعدائنا ومَنْ خلْفهم ومَنْ أمامهم ومَنْ مَعهم:

فليس بيننا وبين أعدائنا، كلّ أعدائنا مِن اليَهُوْد والنّصَارى وحلفائهم الكفّار، وأعوانهم من المرتدّين والمُنَافِقين في بلادنا إلا قولُ الله تَعَالَى:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾ [محمد: ٤]

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾ [الأنفال]

فإلى كلّ مبلّغ عنّا أمريكا ومن في حِلفها:

﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾ [النمل]

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [الحج]

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [العنكبوت]

فقد سبقَ القدرُ بقول الحَقّ:

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة]

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾ [غافر]

****

مع الفهرس ومنطق فصول الكتاب وسلسلة

﴿رسائل المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة﴾

كما أسلفت فإن هذا الكتاب قد وُضِعَ لإعطاء تصوُّر يُساهم في حلّ الإشكاليّة العظمى الّتي يعيشها المُسلِمُون في هذا الزّمان، وهي الإجابة عَلى سؤال هامٍّ وهو:

كيف نُواجه أعدائنا الصّليبيّين المتهوِّدين الجدد فيما نستقبل من أيّام ؟

فإنه لا يشكُّ عاقلٌ مبصر أنّنا بصفتنا مُسلِمِين نعيشُ في أزمة، بل أزَمَات من كلّ الأنواع والأَشكال، وأنّ الصّحوة الإِسْلَاميّة الّتي نشأت لتتصدَّى لحلِّ هذه الإشكالات انتهت جميع مدارسها إلى أزمةٍ بل إلى أزَمَات، وأنَّ الشَّريحة الجهاديّة المُسلّحة من هذه الصّحوة والَّتي اتَّخذت طريقَ الجِهَادِ لحلِّ تلك الإشكاليَّات، قد وصلت لأسباب تتعلق بها ولحصار العدوّ لها إلى أزمةٍ، بل إلى أزَمَات.

ونحن بصفتنا أصوليّين ومُجَاهدين، نمرّ هذه الأيّام في عنق زجاجة الأزَمَات عَلى كافّة الأصعدة، بل لقد أصبحنا بعد أحداث الحادي عشر من سِبتَمبر، أصبحنا نُقدَّمُ في وسائلِ الإعلام عَلى أنّنا نمثل الأزمة، الّتي يتصدى لها كلّ العالم.

لقد فرضتنا أجهزةُ إعلام العدوّ، والأجهزة التَّابعة لها في عالمنا العربيّ والإِسْلَاميّ وقدَّمتنا للنَّاس بصفتنا أزمةُ العالم الّتي يجب أن تُزال! بل لقد أصبح كثيرٌ من علماءِ المُسلِمِين يتناولوننا عَلى منابر خطبِ الجمعةِ حتَّى في المَسجِدِ الحرامِ بصفتِنا (الأزمة) وصار **الحبر السَّمين، الإِمَام المَنفُوخ (السُّدَيْسُ)**[1]، يدعو في قنوت ختم القرآن (رمضان ٢٠٠٤م) **لدول العالم كافّة**، والإِسْلَاميّة خاصّة بالسَّلامة من الإِرهَاب، ويدعو عَلى المُجَاهدين بالهلاك والمَحق والتشتت!! وكذلك صحفٌ ووسائلُ خطابٍ كثير من أقطاب

---

(١) عبدالرحمن السديس قارئٌ مشهور وإمام المَسجِد الحرام وله كثيرٌ من المواقف المماثلة ولعل أشهرها دعاءه لبرويز مشرف رئيس باكستان (الاسماعيليّ الباطنيّ) أثناء قصفه لمدرسة حفصة والمسجد الأحمر(لال مسجد) وقتله لطالبات الشريعة العفيفات الطَّاهرات ٢٠٠٦م ، ومؤخرا له مواقف مخزية ومردية مع طاغوت الجزيرة محمد بن سلمان.

الصّحوة الإِسْلَاميّة وجماعاتها، تتناولُنَا اليَوْمَ بنفسِ المنظُور، ومُبرِّرُهم في ذلك أنّنا بحملنا السّلاح عَلى حكّامنا عبر أربعة عقود أوجدنا الأزمة، وبتصدِّينا اليَوْمّ للأمريكان وحلفائهم وضعناهم والمُسلِمين أمام صِدَامٍ غير متكافئٍ وجعلناهم وسط الأزمة، هذا ناهيك عن كثيرٍ من عوامِّ المُسلِمِين الّذين أقنعتهم آلةُ الإعلام العَالَمِيّة والمحليَّة بأنَّنَا نُمثِّل الإشكال والأزمة.

وهذا البحث تتقاسم فصوله الرَّئيسيَّة مهمّة إثبات حقيقةً، والإجابةُ عَلى سؤالين.

أما الحقيقةُ فهي أنّ الجِهَاد المُسلّح (المُقاوَمة) هو الحلّ لكافّة أزَمَاتنا هذه، أزَمَاتنا كمُجَاهدين، وكَصَحوة إسلاميّة، وكَشُعوب مُسلِمة.

وقد تولّت الفُصول من الأوّل إلى الخَامس إثبات هذه الحقيقة، وأما السّؤال الأوّل فهو: لماذا فشلت مشاريعُ الجِهَاد الّتي قُمنا بها عَلى مدى أربعةِ عقودٍ، رغمَ أنَّ الجِهَاد هو الحلّ ؟ وقد تولَّى الفَصلان السَّادس والسَّابع معالجة هذا السّؤال.

وأمَّا السّؤالُ الجوهريُّ الثّاني والّذي عُقِدَ البحثُ لأجله، فهو كيفَ نُجاهد أعداءنا فيما نَستقبِلُ منْ أيّامٍ ؟ كيف نجاهِدُهم بأساليبَ نرجوا فيها نصرَ الله تَعَالَى.

كيف نُجاهد أعداءنا في عالَمِ ما بعد سِبتَمبر؟

وقد بُنِيَ منطقُ البحث في الكتاب عَلى أن يقدِّم كلّ فصلٍ للَّذي يليه، ويكون بمثابة تمهيدً منطقيٍّ له وصولاً إلى الفَصل الثَّامن الّذي نُفصِّل فيه الطَّريقة الّتي نعتقد جدواها لمتابعة الجِهَاد ونحن نَستقبلُ القرن الحادي والعشرين، الّذي زعموا أنَّه سيكون قرناً أمريكيَّاً!

وقد مهّدنا للبحث بنبذة عن الغُربة والغُرَباء وطائفة الظَّاهِرين عَلى الحقّ الّذين يُقاتِلون عَلى هذا الدّين إلى قيام السَّاعة، وهي في اعتقادنا حالُ من حمَلَ همَّ الجِهَاد عبر هذه العقود المنصرمة، وكذلك جيل الجِهَاد القادم الّذي نريد أن نسلِّمه راية الجِهَاد وأمانته، فقد شرحتْ هذه المقدِّمةُ خصائصَ الغُربة وسمات أصحابها وما يعتريهم من البلاء في الدُّنيَا وما ينتظرهم من الأجر عند الله في الآخرة، وكذلك خصائص وسماتِ الظَّاهِرينَ عَلى الحَقِّ.

وأما الفَصلُ الأوّل:

فهو مُرتكز البحث كما هو مُرتكز كلّ فتوى ودعوى (الواقع)، واقع المُسلِمِين اليَوْم بعد ما سيطر أعداؤهم عليهم، وأسلموا قيادَهم للمنافقين من أبنائهم، وبعد أن سكت عن الحقّ علماؤهم، وانغمس بعض كبارهم في كُنفِ النِّفَاق، وبعد أن تاهت عامّتهم في حال من ضياع الدّين والدُّنيَا، واقعنا عبر العقود المنصرمة منذُ فترة الإستعمار، ثمّ ما تلاها من حُكُومَات الإستقلال المزعوم، ثمّ واقعهم الجَدِيد في عالم ما بعد سِبتَمبر ومطلع هذا القرن الأمريكيّ المزعوم.

وأما الفَصلُ الثّاني:

فهو إثبات للحكم الشَّرعيّ في مثلِ هذا الواقع، ولنقول فيه أن البحث عن الحلّ لأزَمَات واقع المُسلِمِين ليست قضيّة هوى وأراء عقليَّة، وأنّ الأدِلَّة الشَّرعيَّة أوضح من عينِ الشّمس، وأنَّها تُشير إلى أنَّ حلّ أزَمَاتنا بصفتنا مُسلِمِين وأزَمَاتِ صحوتِنا وهي صفوتهم وأزَمَات التّيار الجهاديّ وهم صفوةُ الصَّفوة، هيَ في استئناف الجِهَاد المُسلّح الّذي صار اليَوْم فرض عينٍ كالصّلاة والصّيام، ولكن بأساليب ومناهج تناسب ما أستجدَّ من أحوالٍ، وقد أوردتُ فيه خُلاصة الأحكام الشَّرعيَّة الهامَّة، وتركتُ تفاصيلها وأدلَّتها للباب الأوّل من الجزء الثّاني الخاصّ بالعَقِيْدَة الجهاديّة والمنهج لكونها أهمّ أُسُسِه.

وأما الفَصل الثّالث:

فهو عرضٌ تاريخيٌ لمسار صِرَاع الحقّ والبَاطِل منذُ قابيل الّذي قتل أخاه الصّالح، وإلى حفيد سلالته (بوش) الّذي يقتلنا تحت نفس الشَّعَار ﴿قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾ فهذا الفَصل استعراضٌ سريعٌ لمسار صِرَاع الحقّ والبَاطِل عَلى مدى الزّمان وتغير أطرافه إلى أن قام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد واستقرَّ – كما أخبرنا ﷺ – ليكون صراعاً بيننا وبين الرُّوم نقاتلهم إلى قيام السَّاعة[1].

(١) ويفهم هذا من الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٠٠) (عَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «تغزون جَزِيرَة الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ فارس فيفتحها الله ، ثم تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللهُ، ثُمَّ تغزون الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللهُ» .قَالَ: فقال نافع :يا جَابِرُ: " لا نرى الدجال يخرج حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ") وبربط هذا الحديث مع أحاديث الطائفة

وأما الفَصل الرَّابع:

فهو فصل تاريخيٌّ سياسيٌّ بالغ الأهمّيّة، يسلِّط الضَّوء عَلى ثلاث محطَّات تارِيخِيَّة من مسار صِراعنا مع الرُّوم، لنستخرج من خلال تحليل مسار الحملات الصّليبيّة الرَّئيسيَّة عَلى المُسلِمِين، في القرن الحادي عشر والثّاني عشر، ثمّ في التّاسع عشر والعشرين، ثمّ الثّالثة الحاليَّة في نهاية القرن العِشرين ومطلع الحادي والعشرين، لنستخرج مُعادلاتها ونحاول اكتشاف مفاتيح النّصر والهزيمة والإفادة منها في جولاتنا القادمة معهم.

وأما الفَصلُ الخامسُ:

فهو استعراضٌ لمسار الصّحوة الإِسْلَاميّة ومدارسها الّتي تصدت للحملات الصّليبيّة الأخيرة عن طريق مواجهتها أو مُوَاجَهة نوَّابها حُكَّام بلاد المُسلِمِين، منذ نشأت عام (١٩٣٠م) تقريباً وإلى سنة (٢٠٠٠م) وما آلت إليه بعد أحداث سِبتَمبر.

وأما الفَصلُ السَّادسُ والسَّابعُ:

ففيه استعراض تفصيليّ لمدرستنا الخاصّة، من بين مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة، وأعني التّيار الجهاديّ، حيث نستعرض تاريخه استعراضاً تحليلياً منذُ نشأته (١٩٦٥م) وإلى بلوغه قعر الأزمة نهايات القرن العِشرين، ودخوله أخدود المحنة بعيد أحداث سِبتَمبر، **لنستخلص من خلالِ محطات النَّجاح والفشل الّتي مرَّ بها نظَرِيَّات المُوَاجَهة القادمة**، وبذلك يشكّل هذا الفَصل عمليَّةَ نقدٍ ذاتيٍّ بَنَّاءٍ للتَّيارِ الجهاديِّ المُعاصرِ، بحثاً عن الحلولِ والمخارجِ، وذلك بغرض استقصاءِ الأساليبِ المناسبةِ للجِهَادِ والمُقاوَمةِ في عالمِ ما بعدَ سِبتَمبر، وهو مسألةُ البحثِ الأساسيّةِ كما أسلفنا.

وأما الفَصلُ الثَّامن:

فهو قلبُ الكتابِ ولبُّه، حيث تعتبر كافّة الفُصول السَّابقة مقدِّمات منطقيَّة ودراسات بحثيَّة لاستخراج نظريَّاته السَّبعة الّتي نُفرد لكلِّ واحدةٍ منها باباً وهيَ:

الظاهرة على الحق المقاتلة عليه التي تواترت معنويا وحديث الملحمة الرومية مع ما حصل في التاريخ من حملات رومية وصليبية نجد أن قتال الروم مستمر إلى قيام الساعة أي ظهور أشراطها.

١. **البَابُ الأوّل: نظريَّة الُمَواجَهة (المنهج والعَقِيْدَة الجهاديّة):**

وهي العَقِيْدَة القتاليّة اللازمة لتعبئة أمة الإِسْلَام بها وتربية شباب الُمقاوَمة عليها كي يتأهلوا عقديًّاً وفكريًّاً ونفسيّاً لحربٍ قادمةٍ طويلةِ الَمدى، والله أعلم.

٢. **البَابُ الثّاني: النَّظريَّة السّياسيّة:**

وفيها تصوُّرات ونظريَّات الحركة السّياسيّة للمقاومة، من أجل حشد الُمسلِمِين، وتحييد ما أمكن من الخصوم الفرعيين، لُمَواجَهة هذه الحملات الطَّاغية.

٣. **البَابُ الثّالث: : نظريَّة التّربية الُمتكامِلة:**

وفيها شرح لأساسِيَّات التّربية اللازمة لعنصر الُمقاوَمة والَّتي تقوم على: (١) العلم الشَّرعيّ (٢) الأخلاق والعِبَادات (٣) الفهم السّياسيّ (٤) الإِعداد العسكريّ (٥) مباشرة الجِهَاد في دفع الصّائل.

٤. **البَابُ الرَّابع النَّظريَّة العسكريّة:**

وفيها خُلاصة طرح الكتاب لأسلوب الُمَواجَهة في الَمرحَلَة القادمة، حيث يستخلص الكاتب انتهاء مرحلة العمل من خلال التَّنظِيمات (القطريّة – السِّريّة – الهرميَّة) في عالم الهجمة الدّولية لمكافحة الإِرهَاب، وطرح استمرار الجِهَاد من خلال أحد أسلوبين: – إما جبهات الُمَواجَهة المفتوحة حيث توفرت شروطها.

– وأما جِهَاد الإِرهَاب الفَرديِّ من خلال طريقة: سَرايا الُمقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

٥. **البَابُ الخامس: نظريَّة التَّنظِيم والبناء ونظام العمل:**

وفيه شرح لكيفِيَّة تنظيم عمل خلايا الُمقاوَمة، بحسب ما تتصوُّره في حرب العِصَابات الشاملة، لا تعتمد التَّنظِيمات المركزيّة وإنّما نظام عمل موجَّه، وفيها يشرح الكتاب مبدأ نظام بُنية سَرايا وخلايا الُمقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة بحيث لا تعتمد الأسلوب الهرميّ ولا العنقوديّ الّذي تمكَّن العدوّ من مواجهته عبر الحملة الدّولية عَلى الإِرهَاب، وإنّما باعتماد نظامٍ للعمل الفَرديِّ يُؤَدِّي الغرض بمجموع الجهد غير المترابط.

٦. **البَابُ السَّادس: نظريَّة التّدريب:**

وذلك لإعطاء تصوُّر عن بَرَامج إعداد سَرايا المُقاوَمة لنفسها عسكريّاً بشكلٍ ذاتيٍّ وسرِّيّ، في ضوء واقعٍ يستبعدُ إمكانيَّةَ إنشاءِ المُعَسْكَرَاتِ العلنيَّةِ عَلى غرارِ الفرصة الّتي سَنحت وانتهت في البُوسنة والشِّيشَانِ وأفغانستان وأمثالِها.

٧. **البَابُ السَّابع: نظريَّة التّمويل:**

حيث يوضِّح الكتاب بعض الأحكام الشَّرعيَّة وأساليب العمل كي يُوفر الجِهَاد وعمليَّات المُقاوَمة المواردَ الذَّاتيَّة، من خلال العدوّ والصَّديق، في عالمٍ أصبح فيه من أساسِيَّات المُوَاجَهة الدّوليّة للمُجَاهدين ما أسموه تجفيفَ المنابع الماليَّةِ للإرهاب.

٨. **البَابُ الثَّامن: الإعلامُ والتّحريض:**

وهي أفكارٌ في أفاق ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ من أجل تحويل المَعْرَكة من صراعاتٍ نُخبَويَّةٍ إلى معركةِ أمَّةٍ.

وأما الفَصل التّاسع:

فهو مجموعة وصايا وتحذيرات موجَّهة لمن سيعمل في المُقاوَمة وذلك لرفع فاعليَّتها وتجنيبها مطبَّاتٍ متوقعةٍ ولقطع الطّريق عَلى العدوّ أن يجد سبيلاً لإفشال هذه الطَّريقة الّتي ندعو إليها، كما يحتوي عَلى ردودٍ عَلى شبهاتِ علماءِ السّلاطينِ وفقهاءِ الإستعمارِ، والمُنبَطِحِينَ من قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّةِ، وهي نفس الشُّبُهات الّتي طالما ردَّدها هَؤُلَاءِ في وجه المُجَاهدين عبر العقودِ الماضيةِ فوق ما يُضيفُون إليها اليَوْم بحسبِ رغباتِ أمريكا وعبيدِها المُنَافِقين.

ثمّ مجموعة من الدَّلائل الواقعيَّة والنَّصِّيَّة عَلى اقتراب النّصرِ الأكبرِ الموعود بإذن الله.

ثمّ نختم الكتاب بمسك الختام:

لنتنَّسم عبيرَ آفاق الكتاب والسُّنَّة وهدي سلفِنا الصّالح لنسير في آفاقها ونستعين بها عَلى أقدارِ البَلاء لنتحمَّل آلامها، ونستشفَّ من أنوارها لنحلِّق في آمالها ونعيم ما أعدَّه الله لأوليائه من النَّصر في الدُّنيَا وجزيلِ الإحسان في الآخرة.

﴿ سلسلة رسائل المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ﴾

بعد اكتمال هذا الكتاب، نظرتُ فيه وقد جاوز الـ ١٦٠٠ صفحة من القطعِ الكبيرِ (A4) فوجدتُه ضخماً[١]، وربما صَرَف لضخامته بعضَ من تعوزُه الهمَّة عن قراءتِه.

ووجدتُ أنَّ بعض الفصول تارِيخِيَّةً محضةً، وبعضُها سياسيّة تحليليَّة، وبعضها فكريّة، وبعضها تنظيريَّة حركيَّة، وأخرى في المنهج والسّياسة الشَّرعيَّة والأحكام والقواعد الدّينيّة، وكذلك باقي النَّظريَّات الثَّمانية، منها ما هو عسكريّ محضٌ، ومنها ما هو إعلاميٌّ، ومنها ما هو أمنيٌّ، ومنها ما هو في التّربية والسُّلُوك.

ورأيت أنَّ جعلها في كتابٍ واحدٍ فيه فائدة عدم تشتُّتها بحيث يقع من يعثر عَلى الكتاب عَلى وجبةٍ فكريّةٍ مُتكاملة، تكون منهجاً يشتمل عَلى (**التّاريخ والتَّجَارب، وعلى الدّعوة والطَّريقة والمنهج**)، لِمَا آمل قيامَه في أمّتنا من (مقاومةٍ إسلاميّةٍ عالميّةٍ).

ولكنّي رأيت أنّ لحجمه الكبير عدّة سلبيّات قد تُعيق ما أهدفُ له من التّوعية والفهم، من ذلك أنّ كثرة الأفكار ربّما تجعل من لم يألَفِ المُطالعة والدّراسة في الكتب، يُنسيه بعضُها بعضاً، ويضعّف لدى القارئ القدرة عَلى التَّركيز، ومن ذلك أنَّ ضخامة الكتاب قد تكون وازعاً لدى الكثيرين للكسل في قراءته، في زمنٍ صارت فيه الدُّشوش والكمبيوترات مصادرَ المعرفة، وصارَ فيه (الشِّبسُ والسَّندوش) الوجبة السَّريعة المفضَّلة لكثيرٍ من النّاس.

ومن ذلك ما أخشاه من عدمِ تركيزِ القارئِ عَلى لبِّ المَوضُوع، وهو الجانب العمليّ من نظريَّة المُقاوَمة العَالَمِيّة، ولأسباب أُخرى رأيت أن أُخرجَ الكتاب أيضاً بصورةٍ مُجزّأة في كتبٍ منفصلةٍ، تكون سلسلة من الرّسائل، بحيث تشتمل كلّ واحدة عَلى موضوع معين، وتشمل مجموعها عَلى مجمل أفكاره، بحيث يمكن جمعه في مطبوعةٍ واحدةٍ لمن أرادَ بعنوانٍ هو اسم السِّلسِلة: (**سلسلة رسائل المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة**)، ويمكن لمن أراد موضوعاً معيناً أن يعود للرِّسالة الخاصّة بذلك من الرّسائل.

---

(١) وهي الطبعة الأصلية ٢٠٠٤، التي اعتمدناها في إخراج هذه الطبعة وتحقيقها.

كما أنَّ لذلك فائدة أُخرى، وهو أنّ هناك مواضيع أُخرى لم أعرض لها في هذا الكتاب، وأعتقد أنّها تشكّل جزءاً من فكر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة الّتي أدعو إليها وأعمل عَلى تأسيسها، وبالإمكان – إن يسرَّ الله وأعان وكان في العمر بقيَّة – أن أكتبها فيما بعد وأُلحقها بسلسلة الرّسائل برقمها في السِّلسلة.

كما أن تقسيم البحث في كتبٍ يُساعدُ عَلى ترجمَتها إلى اللغات الأُخرى وهو هدفٌ مقصودٌ لذاتِه إذ أن العَرَبَ في المُسلِمِين لا يزيدُ نسبةُ عددهِم عَلى ٢٠٪ في حين أنَّ الهدف من دعوة المُقاوَمة عالميٌّ عَلى مستوى أمَّة الإِسْلَام في مُوَاجَهة أمم الكفر، ولهذا استقر عزمي عَلى ما يلي:

(١) إنجاز الكتاب كاملاً وإخراج نسخته الأولى باسم (دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة)، وهذا الكتاب الجامع يحتوي جزئين، الأوّل: ويحتوي (الجُذُور والتّاريخ والتَّجَارب)، والجزء الثّاني ويحتوي (الدّعوة والطَّريقة والمنهج).

(٢) إخراجه مقسّماً إلى أحد عشر رسالة، بالإضافة إلى رسالة مقدّمة، بحيث تحوي كلّ رسالة موضوعاً واحداً متجانساً ومستقلاً، وذلك كما يلي:

أولاً: إخراج الكتاب إن شاء الله تَعَالَى في رسائل تحمل جميعها عنواناً جانبياً في أعلاها باسم السِّلسلة (**سلسلة رسائل المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة**) وتحمل كلّ واحدة منها رقم الرّسالة من السِّلسلة.

ثانياً: اختيار عنوان يناسب الموضوع لكل رسالة ككتابٍ مستقلّ.

ثَالثاً: وستكون عناوين الرّسائل والكتب من السِّلسلة عَلى الشّكل التّالي إن شاء الله:

- **المقدِّمة والتعريف.**
- **الرّسالة الأولى: (المدخل إلى دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة).**
- **الرّسالة الثّانية: (واقع المُسلِمِين اليَوْم وأحكامٌ شرعيّةٌ في هذا الواقع).**
- **الرّسالة الثّالثة: (جُذُور النّظام الدّولي ومسار الصِّرَاع من قابيل إلى بوش).**
- **الرّسالة الرَّابعة: (فلسفة الصِّرَاع ومعادلاته بين المُسلِمِين والرُّوم الصّليبيّين عبر التّاريخ).**
- **الرّسالة الخامسة: (حصاد الصّحوة الإِسْلَاميّة والتّيار الجهاديّ ١٩٣٠ – ٢٠٠٢م).**

- الرّسالة السَّادسة: (نظريَّة المنهج والعَقِيْدَة القتاليّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيَّة).
- الرّسالة السَّابعة: (النَّظريَّة السّياسيّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيَّة).
- الرّسالة الثَّامنة: (نظريَّة التّربية المُتكامِلة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيَّة).
- الرّسالة التاسعة: (النَّظريَّة العسكريّة والحَركيّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيَّة).

[وتشمل النَّظريَّة العسكريّة ونظريات التَّنظِيم والحركة، والإِعداد والتّدريب، ونظريَّة التّمويل]

- الرّسالة العاشرة: (نظريَّة الإعلام والتّحريض لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيَّة).
- الرّسالة الحادية عشرة: (وصايا ومحاذير وبشائر عَلى طريق المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيَّة).

وأسأل الله تَعَالَىٰ أن يعيننا، وأن يوفّقنا للإخلاص وأسباب القبول، وأن يفتح علينا بما ينصر دينه، وأن يجعلنا هداةً مهديّين لا ضالِّين ولا مُضلِّين، وأن يجعلنا للمتَّقين إماماً، وأن يجعل لنا نصيباً من أجر من تبع دعوة الخير والجِهَاد، فقد روي عنه ﷺ: «**الدَّالُّ عَلَى الخيرِ كَفاعِلِه**»[1]، كما رُوي عنهُ ﷺ: «**العَالِمُ والمُتَعَلِّمُ شريكَانِ**»[2].

****

(١) رواه أبو داوود (٥١٢٩)، والتِّرمِذِيّ (٢٦٧١)، وأحمد (١٧٠٨٤، ١٧٠٨٦، ٢٢٣٣٩، ٢٢٣٥١)، ولفظ مسلم (١٨٩٣): (مَنْ دَلَّ عَلى خَيرٍ فَلهُ مثلُ أجرِ فَاعلِه).

(٢) رواه ابن ماجه مرفوعا (٢٢٨) ، وحكم الألباني بضعفه، والجمهور ضعَّفوه لأن في إسناده علي بن زيد بن جدعان، ويؤيد المعنى الذي قصده الشَّيْخ حديث أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألا إن الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه ، وعالم أو متعلم» أخرجه التِّرمِذِيّ (٢٣٢٢) وابن ماجه (٤١١٢) وحسنه الألباني (صحيح الترغيب والترهيب٧٤).

الغربة والغرباء الظاهرين على الحق

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود]

قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :

- «لا تزالُ طائفةٌ منْ أُمَّتي يُقاتلِون عَلى الحقِّ ظَاهرينَ عَلى من نَاوَأَهم حتَّى يُقاتلَ آخرهم المسِيح الدَّجَّال».
- **«بدأ الإِسْلَامُ غريبًا وسَيَعُودُ غَريبًا كما بَدَأ فَطُوبَى لِلغُرَباء».**

﴿ فصلٌ في الغُربة والغُرَباء والظَّاهِرين عَلى الحقّ ﴾

في هذا العصر اليَهُوْدي الأمريكيّ كما يَزعمُون، أظلَّتنا أيّامٌ أصبحَ فيها المُسلِمُون في أهلِ الأرضِ الكفّار غُرَباء، وأصبحَ المُصلُّونَ في مئاتِ ملايين المُسلِمِين غُرَباء، وأصبحَ الملتزمون بما أمرَ اللهُ ونَهى من دِينهم في المصلِّينَ غُرَباء، وأصبح الدَّاعون للإيمانِ والاعتقادِ الصَّحِيحِ في الملتزمين غُرَباء، وأصبَح الدّاعونَ إلى الله الآمرونَ بالمعروفِ النَّاهونَ عنِ المُنكرِ في هَؤُلَاءِ المُؤمِنُون غُرَباء، وأصبح الدَّاعون لِجِهَاد أعداء الله ودفع صَائِل الكفّارِ والمرتدّين والمُنَافِقين عنها أغرب الغُرَباء.

وصدق رسول الله ﷺ وها نحن نسير إلى ما بشَّر به بقوله: «**بدأَ الإِسْلَامُ غريبًا وسَيَعُودُ غَريبًا كما بَدَأ فَطُوبَى لِلغُرَباء**»[1].

والحَمْدُ لله أن رسول الله ﷺ قد بشّر بأنّه: «**لا تَزالُ طائفةٌ من أُمّتي يُقاتِلونَ عَلى الحقِّ ظاهرينَ عَلى مَن ناوأَهم حتَّى يُقاتلَ آخرَهُم المَسيح الدَّجّال**»[2]، وأخبرَ عن ثباتِهم ﷺ فقال: «**لا تَزالُ أَمّةٌ مِنْ أُمّتي ظَاهِرين عَلى الحقِّ لا يَضرُّهم مَن خَالَفَهُم حتَّى يَأتِيَ أَمرُ الله وهُم ظَاهرُونَ عَلى النَّاسِ**»[3].

ولأنَّنا نكتب هذا الكتاب لأولئكَ الغُرَباء الظَّاهِرينَ عَلى الحَقِّ الّذين لا يَضُرُّهُم من خَذَلَهُم، يقاتِلونَ عَلى هذا الدّين حتَّى يأتي أمر الله.

ولأَنَّنا نكتبه وقد أصبحت الثّلّة المؤمنة الثَّابِتة في وجه أعاصيرِ أمريكا الهَوجَاء وحلفائِها صَابرةً صَامدةً لا تعبأُ باستكبارِ أمريكا، ولا كَثرَة حلفائها ولا تخذيل عبيدها، أصبحت من أغرب الغُرَباء في النّاس، غُرَباءٌ ظاهرون عَلى الحقّ يُقاتلون عَلى الحقّ هنا وهناك، ولأَنَّنا نكتبُ هذا الكتاب لهم.

---

(١) رواه مسلم (١٤٥) .

(٢) رواه أحمد (١٩٨٥١، ١٩٨٩٥، ١٩٩٢٠)، وأبو داوود (٢٤٨٤)، وقال شعيب الأرنؤوط : الحديث صحيح على شرط مسلم.

(٣) رواه مسلم (١٠٣٧)، والبخاري (٧١، ٣١١٦، ٣٦٤١، ٧٣١٢، ٧٤٦٠)، وأحمد (١٦٩١٢).

ولأنَّنا نكتبه ونحن نعيشُ بفضل الله الّذي يُؤتيه من يشاء، ونَسألُه الإخلاصَ والثّباتَ والقبول برحمته، نعيش وإخواننا المُجَاهدين والمُهَاجِرين في سبيل الله أشدّ حالات الغُربة والحصار والمطاردة والقتل والأسر، فإنّا نورد هنا من الزّاد ما نَشدُّ به عضُدنا ونُثبِت به أنفسنا، ونقدِّمه بشائر إلى أولئك الصّابرين الثَّابِتين الّذين نحسب أنّهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهُم من قضى نَحبهُ ومنهُم مَن يَنتَظِر وما بدّلوا تبديلاً، كما نقدِّمُه إلى كلِّ العازمين عَلى الانضِمام لقافلة الغُرَباء وركب الظَّاهِرين عَلى الحقِّ من الأجيال القادمة الّذين سيرفع الله بهم إن شاء الله رايةَ دينِه، ويُرِيَ كلَّ فرعونٍ وهامانٍ من فراعنةِ الكفّارِ والمرتدّين، وكلَّ جنودهم منهُم ما كانوا يَحذَرُون.

فإن من خيرِ الزَّاد، ومن بشارةِ عاجلِ الخير وآجله، أن نقدِّم لفصول هذا الكتاب ببعض عبير السُّنة المطهَّرة، وما جاء من بعض الآثار المباركة من صفات وأحوال الغُربة والغُرَباء والظَّاهِرين عَلى الحقّ الّذين يقاتلون عَلى هذا الدّين غير عابِئين بمن خذلهم ولا من خالفهم حتَّى يأتي أمر الله، وما جاء ممَّا أعدَّه الله لهم من البِشَارة في الدُّنيَا والكَرَامة في الآخرة.

آملين أن يكون فيها ما يربط عَلى قلوب الشَّبَاب المؤمن العازم عَلى المُقاوَمة، مقاومة طغيان أمريكا وحلفائها، بقلبٍ عامرٍ بالإيمانِ، وبيدٍ تشدُّ عَلى الزِّنَاد.

فإلى أولئك الّذين أحبّوا الموت في سبيلِ الله كما أحبَّ عبادُ أمريكا الحياةَ، إليهم ومعهم نتنسَّم عبير هذه الآثار النّبويّة العطِرة وأنوارها:

جاء في باب الغُربة من كتاب مدارجِ السّالِكين للإمام العامل ابن القيّم رحمه الله تَعَالَى[1] ما نقتطف منه باختصار ما يلي:

(١) ابن القيم: هو شيخ الإسلام الإمام العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، ولد ٦٩١هـ الموافق لـ١٢٩٢م و مات سنة ٧٥١هـ الموافق لـ١٣٤٩م رحمه الله، وله مؤلفات مفيدة مشهورة.

(بابُ الغُربَةِ)

قَالَ تعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود].

استشهاده بهذه الآية في هذا البَاب يدلُّ عَلى رُسُوخه في العلم والمعرفة وفهمِ القرآن، فإنَّ الغُرَباء في العالم هم أهلُ هذه الصِّفة المذكورة في الآية، وهمُ الّذين أشار إليهم النبيُّ ﷺ في قولِه: «**بدأَ الإِسْلَامُ غريباً وسيعودُ غريباً كَما بدأَ فَطُوبى للغُرَباءِ، قيل: ومَنِ الغُرَباء يا رسول الله؟ قَالَ: الّذين يَصلُحُون إذا فسد النّاس...**»[1]، وعن عبدالله بن مَسعُودٍ قَالَ رسول الله ﷺ «**إنَّ الإِسْلَام بدأَ غريباً وسيعودُ غريباً كما بدأَ فطوبى للغُرَباءِ، قيل: ومن الغُرَباء يا رسول الله؟ قَالَ: النُّزَّاع منَ القَبَائِل**»[2] وفي حديث عبدالله بن عمرو قَالَ: قَالَ النبيّ ﷺ ذاتَ يوم ونحن عنده «**طوبى للغُرَباء، قيلَ: ومَنِ الغُرَباءُ يا رَسُولَ الله؟ قَالَ: نَاسٌ صَالِحُونَ قَليلٌ في ناسِ سُوءِ كَثيرٍ مَنْ يَعصِيهم أَكثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهم**»[3].

وقال أحمد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قَالَ: «**إنَّ أحبَّ شيءٍ إلى الله الغُرَباء، قيلَ: ومن الغُرَباء؟ قَالَ: الفرَّارُون بدينِهم يَجْتَمِعُونَ إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام يوم القيامة**»[4].

وفي حديث القاسِم عن أبي أُمَامَة عن النبيّ ﷺ قَالَ عن الله تَعَالَى: «**إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِ ذُو حَظٍّ من صَلاتِه أحسنَ عبادَةَ رَبّه وكانَ رِزقُه كفافاً وكان مع ذلك غامضاً في النّاس لَا**

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٦٩٠) وصححه الألباني السلسلة الصحيحة (١٢٧٣).

(٢) رواه التِّرمِذيّ (٢٦٢٩)، وأحمد (٣٧٨٤) ، وابن ماجه (٣٩٨٨) وقال الألباني : صحيحٌ ثم توقّف فيه، النُّزَّاع : جمع نازع ونزيع وهو الغريب عن أهله وعشيرته أي الذين يخرجون عن الأوطان لإقامة سنن الإسلام.

(٣) رواه أحمد (٦٦٥٠، ٦٥٧١، ٦٥٧٠، ٧٠٧٢) وقال الأرنؤوط : حسن لغيره، وصححه الألباني: الصحيحة (١٦١٩).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٥) وعنه الديلمي، وأحمد في الزهد (٨٠٩،٤٠٤) وضعّفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٨٥٩).

يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابعِ وصَبَرَ عَلى ذَلك حَتَّى لَقي الله ثُمّ حلَّت منيَّته وقلَّ تُرَاثه وقلَّت بَواكِيه»[1]، وقال الحَسَنُ: " الْمُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا كَالْغَرِيبِ لَا يَجْزَعُ مِنْ ذُلِّهَا، وَلَا يُنَافِسُ فِي عِزِّهَا، لِلنَّاسِ حَالٌ، وَلَهُ حَالٌ، النّاس منه في راحةٍ وهو من نفسِه في تعبٍ"[2].

وهَؤُلَاءِ هم القابضون عَلى الجمر حقّاً، وأكثر النّاس بل كلّهم لائِمٌ لهم، فلغربتهم بين هذا الخلق يعدّونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسَّواد الأعظم، { **فانظر إلى هذا الوصف وقارِنه بحالِ المُجَاهدينَ للأمريكانِ واليَهُوْدِ وأوليائِهم اليَوْمَ، وكيف يَتناوَلُهم الإعلامُ حتَّى أكثر خُطباءِ الجُمعةِ عَلى مَنابرِ المَسَاجدِ**}.

ومعنى قول النَّبيّ ﷺ همُ النُّزاعُ من القبائل، أنَّ الله سبحانه بعث رسوله وأهل الأرض عَلى أديانٍ مختلفة، فهم بين عبّاد أوثان ونيران، وعبّاد صُوَر وصُلبان، ويهود وصابئة وفلاسفة، وكان الإِسْلَام في أوَّل ظهورِه غريباً، وكان من أسلمَ منهُم واستجاب لله ولرَسُولِهِ غريباً في حَيِّه وقبيلتِه وأهلِهِ وعشيرته.

فكان المستجيبون لدعوة الإِسْلَام نزاعًا من القبائل، بل آحادًا منهم، تغربوا عن قبائلهم وعشائرهم ودخلوا في الإِسْلَام، فكانوا همُ الغُرَباء حقًا، حتَّى ظهر الإِسْلَام وانتشرت دعوته ودخل النّاس فيه أفواجا، فزالت تلك الغُربة عنهم، ثمّ أخذ في الإغتراب والتّرحال حتَّى عاد غريباً كما بدأ، بل الإِسْلَام الحقّ الّذي كانَ عليه رسول الله ﷺ وأصحابه هو اليَوْمَ أشدّ غربةً منه في أول ظهوره وإن كانت أعلامه ورسومه الظَّاهِرة مشهورة معروفة، فالإِسْلَام الحقيقي غريبٌ جداً وأهله غُرَباء أشدّ الغُربة بين النّاس، وكيف لا تكون فرقةٌ واحدةٌ قليلةٌ جداً غريبةً، وسبعين فرقةٍ ذات أتباع ورئاسات، ومناصب وولايات، ولا يقوم لها سوقٌ إلا بمخالفةِ ما جاءَ به الرَّسُول، فإنَّ نفس ما جاء به يضادّ أهواءَهم ولذَّاتهم وما هم عليه من الشُّبُهات والبِدَع، الّتي هيَ نصُّ فضيلتهم وعملهم والشَّهوات الّتي هيَ غايات مقاصدهم وإراداتهم.

---

(١) رواه أحمد (٢٢١٦٧، ٢٢١٩٧)، وابن ماجه (٤١١٧)، والتِّرمِذِيّ (٢٣٤٧) وضعفه الأرنؤوط، وأورده الألباني في الجامع الصغير (٢٨٩٩).

(٢) أخرجه: ابن أبي شيبة (٣٥٢١٠) ، وابن أبي عاصم في الزهد : ٢٦٢ (ط. دار الريان للتراث).

{ انظر سبحان الله! ما يقول ابنُ القيِّم في القرن الثَّامن الهجريّ أنّ الإِسْلَام في زمانه أشد غربةً من وقت ظهر، فماذا نقول نحن اليَوْم والله المُستَعان ؟!!}.

فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله عَلى طريق المتابعة غريباً بين هَؤُلَاءِ الّذين قد اتَّبعوا أهواءهُم وأطاعوا شحَّهم وأُعجب كلّ منهم برأيه، كما قَالَ النبيّ ﷺ: «مُرُوا بِالمعرُوفِ وانهَوا عنِ المُنكرِ حتَّى إِذا رأَيتُم شُحَّاً مُطاعاً وهوىً متَّبعًا ودُنيا مُؤثَرة وإعجاب كلُّ ذِي رأيٍ بِرأيه، ورأيتَ أمراً لا يَدَ لكَ بِهِ فعليكَ بِخَاصَّةِ نفسكَ، وإيَّاك وعوامَّهم فإنَّ وَرَاءَكُم أيّاماً صَبرُ الصَّابرِ فِيهنَّ كَالقَابضِ عَلى الجَمْرِ»(١)، ولهذا جُعل للمسلم الصَّادق في هذا الوقت إذا تمسَّك بدينه أجر خمسين من الصّحابة، ففي سُنَنِ أبي داود والتِّرْمِذِيّ من حديث أَبي ثَعْلَبَة الخُشَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سألتُ رسولَ الله ﷺ عنْ هذهِ الآيةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥] فقال: «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنكرِ ، حتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا ، وَهَوًى مُتَّبَعًا ، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً ، وَإِعْجَابَ كلّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِه، فعليكَ بخاصّةِ نفسِكَ ودَع عَنْكَ أمرَ العوامّ، فإنَّ مِنْ وَرائِكم " أيّام الصَّبرِ"، الصَّبرُ فِيهنَّ مِثلُ قبضٍ عَلى الجمرِ، للعَاملِ فيهِنَّ أجرُ خمَسينَ، قلُتُ يارَسُولَ الله: أجرُ خَمسينَ منهُم، قَالَ: أجرُ خمسِين مِنكُم»(٢)، وهذا الأجرُ العظيمُ إنَّما هو لغُربته بين النّاس والتَّمسُّك بالسُّنة بين ظلمات أهوائهم وآرائهم، فإذا أراد المؤمن الّذي قد رزقه الله بصيرةً في دينه، وفقهاً في سنَّة رسوله وفهماً في كتابه، وأراهُ ما النّاس فيه من الأهواء والبِدَع والضَّلالات وتنكُّبهم عن الصِّرَاط المُستقيم الّذي كانَ عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فإذا أراد أن يسلك هذا الصِّراط فليُوَطِّن نَفْسَه عَلى قدح الجُهَّال وأهلِ البِدَع فيه، وطعنِهم عليه وإزرَائهم بهِ وتَنفير النّاس عنه وتحذيرهم منه، كما كانَ سلفهم منَ الكفّار يفعلون مع متبوعه وإمامه ﷺ، فأمَّا إن دعاهم إلى ذلك وقدح فيما هم عليه، فهنالك تقوم قيامَتهم ويبغون له الغَوائل وينصُبُون له الحبائل، ويجلِبُون عليه بِخَيل كبيرِهم ورجله.

---

(١) سبق تخريجه ص٤.

(٢) سبق تخريجه ص٤ .

فهو غريبٌ في دينه لفساد أديانهم، غريبٌ في تمسُّكه بالسُّنة لتمسُّكهم بالبِدَع، غريب في اعتقاده لفساد عقائدهم، غريبٌ في صلاته لسُوء صَلَاتهم، غريبٌ في طريقه لضلال وفساد طُرقهم، غريبٌ في نسبته لهم لمخالفة نسبهم، غريبٌ في مُعَاشرته لهم لأنَّه يُعاشرهم عَلى ما لا تهوى أنفسهم.

وبالجملة فهو غريب في أمور دنياه وآخرته، لا يجد من العامّة مُسَاعداً ولا مُعيناً، فهو: عالمٌ بين جهَّال، صاحب سنَّة بين أهل بدع، داع إلى الله ورسوله بين دعاة إلى الأهواء والبِدَع، آمرٌ بالمعروف ناهٍ عن المُنكر بين قوم المَعرُوفُ لديهم مُنكرٌ والمُنكرُ لديهم معروفٌ].[1] **انتهى كلامُ ابن القيِّم** رحمه الله.

ومن الآثار النّبويّة الّتي جاءت في الغُرَباء وكرامتهم وفضل الغُربة وأحوالها:

جاء في [مجمَع الزَّوائِد] عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِي رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهَّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهَّ؟» قَالُوا: اللهَّ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ:« أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهَّ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ، الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً فَيَقُولُ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ، وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي، لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ، وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً قَالَ: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد]»[2].

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٣/ ١٨٩).

(٢) رواه أحمد (٦٥٧٠) وابن حبان (٧٤٢١) وصححه شاكر والألباني والأرنؤوط.

وفي مسند الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو قَالَ: كنت عند رسول الله ﷺ وطلعت الشّمسُ فقالَ: «يأتي اللهُ بقومٍ يومَ القيامةِ نُورُهم كنورِ الشّمسِ، فقالَ أبُوبكر: أَنَحنُ هُم يارسول الله؟ قَالَ: لا ولَكُم خيرٌ كثيرٌ، ولكنّهم الفُقَرَاءُ المُهَاجِرُون الّذين يُحشرون من أقطارِ الأرضِ»(١).

- وفي [فيض القدير: ٤-٢٧٤]:[قَالَ الثّوريّ رحمه الله: **"إذا رأيت العالِمَ كثيرَ الأصدقاء فاعلم أنّه مخلّط، لأنه لو نطق بالحقِّ لأَبغَضوه"، وقال الغزاليُّ** رحمه الله: **"وقد صار ما ارتضاه السَّلَف من العلوم غريباً بل اندرس وما أكبَّ النّاس عليه فأكثره مُبتَدع وقد صارت علوم أولئك غريبةً بحيث يُمقت ذاكِرُها"**].

هذا بعض ما جاء من الآثار في الغُربة والغُرَباء، جعلنا الله منهم ومعهم في الدُّنيَا والآخرة.

ومما جاء من الآثار النّبويّة وأقوال أهل العلم في الطَّائِفَة المَنصُورَة الظَّاهِرين عَلى الحقّ يقاتلون عَلى هذا الدّين ما نقتطف منه ما يلي:

- عن معاوية رضي الله عنه يرفَعُه: «لا يزالُ مِنْ أمّتي أمَّة قائمةٌ بأمرِ الله لا يَضرُّهُم مَنْ خَذَلَهُم ولا مَنْ خَالَفَهُم حَتَّى يَأتِيَ أمرُ الله وهُم عَلى ذلِكَ»(٢).
- عن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه يَرفَعُه: « لَن يَبرَحَ هذا الدّينُ قائمًا يُقاتِل عليه عِصَابةٌ مَنَ المُسلِمِينَ حتَّى تقومَ السَّاعةُ»(٣).
- عن جابر يرفعه: «لا تزالُ طائفةٌ من أمّتي يُقاتِلون عَلى الحَقِّ ظاهرينَ إلى يوم القيامةِ»(٤)، وفي رواية النسائيّ عن سلمة بن نُفيل الكندي قَالَ: كنت جالسا عند رسولِ الله، فقال رجل: يا رسول الله

---

(١) رواه أحمد والطبراني، وزاد: ثم قال: «طوبى للغرباء» قيل: من الغرباء؟ قال: «أناس صالحون قليل في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم» وأحد إسناد الطبراني رواته رواة الصحيح ، ورواية أحمد في المسند برقم (٧٠٧٢) وقال شاكر: إسناده صحيح جرياً على منهجه في تصحيحه حديث ابن لهيعة بإطلاق.

(٢) رواه البخاري: (٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢، ٧٤٦٠) ومسلم (١٠٣٧).

(٣) رواه مسلم (١٩٢٢)، وأحمد (٢٠٨٥٩).

(٤) رواه مسلم (١٥٦، ١٩٢٣) وأحمد (١٤٧٢٠، ١٥١٢٧).

أذال النّاسُ الخيلَ ووضعوا السّلاحَ وقالُوا: لا جِهَادَ قَد وَضَعَتِ الحَربُ أَوزَارَها فأقبل رسولُ اللهِ بوجهِهِ وقال: «كذبُوا الآنَ جاءَ القِتَالُ ولا يزالُ مِنْ أمّتي أمّةٌ يُقَاتِلونَ عَلى الحقِّ ويَزيغُ الله لهُم قُلوب أقوامٍ ويَرزُقهم مِنهُم حتَّى تقومَ السَّاعَةُ وحتَّى يَأتِيَ وعدُ الله والخيلُ معقودٌ في نواصِيها الخَير إلى يَومِ القِيامَة وهو يُوحى إليَّ أنّي مَقبُوضٌ غير مُلبث وأَنتُم تتبّعُوني أَفنادًا يَضربُ بَعضُكم رقابَ بعضٍ وعقرُ دار المُؤمِنِين الشّام»[١].

- عن المغيرة يَرفَعُه: «لا يزالُ ناسٌ مِنْ أُمَّتي يُقاتِلُون عَلَى الحَقّ ظَاهِرين حَتَّى يَأتيهم أمرُ الله»[٢].
- عن معاوية يرفَعُهُ: «مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خيراً يُفقِّهه في الدّين ولا تزالُ عِصَابةٌ من المُسلِمِين يُقاتلون عَلى الحَقّ ظاهرينَ عَلى مَنْ نَاوأَهُم إلى يومِ القيامَة»[٣].
- عن معاوية يرفَعُهُ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا وَطَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ، لَا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ نَصَرَهُمْ»[٤].

جاء في كتاب العمدة في إعداد العدة، للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز وفقه الله لرضاه وفرج كربته وفك أسره، تحت عنوان هل الفرقة النَّاجِيَة هيَ الطَّائِفَة المَنصُورَة ؟ قَالَ:

"ورد في معظم كتب العَقِيْدَة، أن الفرقة النَّاجِيَة (أهل السّنّة والجماعة) هيَ الطَّائِفَة المَنصُورَة (على سبيل المثال: انظر البَاب الأخير من العَقِيْدَة الواسطيّة لابن تَيمِيّة، وكذلك مقدّمة كتاب معارج القبول لحافظ حكمي، وغيرها)، والّذي يترجَّح عندي أن الفرقة والطّائفة ليستا مترادفتين، وأنَّ الطَّائِفَة جزءٌ من الفرقة، فالطّائفة المَنصُورَة هيَ الجزء أو البعض القائم بنصرة الدّين علماً وجِهَاداً، من الفرقة النَّاجِيَة الّتي هيَ عَلى المنهج والاعتقاد الصَّحِيح، وتفريعاً من ذلك نقول أيضاً إنّ المجدد هو أحد أفراد الطَّائِفَة

---

(١) رواه النسائي (٣٥٦١)، وأحمد (١٦٩٦٤، ١٦٩٦٥) والدارمي (٥٦). وصححه الألباني (١٩٣٥الصحيحة).

(٢) رواه البخاري (٣٦٤٠، ٧٣١١، ٧٤٥٩)، ومسلم (١٩٢١)، وأحمد (١٨١٦٦) واللفظ له.

(٣) رواه البخاري (٧٣١٢) ومسلم (١٠٣٧) واللفظ له.

(٤) رواه ابن ماجة (٩) وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، ولكن الحديث صحَّ من طريق آخر وذكره البخاري برقم (٣٦٤١).

المَنصُورَة الّذي قام بأهمّ واجبات الدّين في زمنه، عَلى قول الجُمهور بأنّ المجدد فرد واحد ودليلي في هذا ما يلي:

١- قول الله تَعَالَى: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فهذه الآية فرقت بين الفرقة والطّائفة، وبيَّنت أنَّ الطَّائِفَة جزءٌ من الفرقة، وأنّها هيَ الجزء القائم بالعلم والجِهَاد من الفرقة، كما في تفسير هذه الآية [راجع ابن كثير][1].

٢- العلم والجِهَاد، وهما أهمّ صفات الطَّائِفَة المَنصُورَة، أصل مشروعيّتها أنّهما من فروض الكفاية، يجب عَلى البعض دون الكلّ من أبناء الأُمّة القيام بهما، وهذا البعض القائم بالعلم والجِهَاد من الأُمّة هم الطَّائِفَة المَنصُورَة.

و المقصد من هذا أن يسعى كلّ مسلم لأن يكون من هذه الطَّائِفَة المَنصُورَة القائمة بنصرة الدّين بالعلم والدّعوة والجِهَاد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ [المطففين] ، قلت: ومع ذلك فإن الطَّائِفَة قد تكون هيَ الفرقة بأكملها، وذلك في آخر الزّمان حينما ينحازُ المُؤمِنُون إلى الشَّام وعليهم ينزل عيسى بن مريم عليه السلام لقتال الدَّجَّال، كما في الأحاديث الصَّحِيحة، وعلى هذا تنزل الرِّوايات الّتي ذكرت أن الطَّائِفَة تكون بالشّام أو بيت المَقْدِس (حديث أبي أمامة)[2] وأن هذا يكون بالنسبة لآخر هذه الطَّائِفَة بَإطلاق، أما قبل ذلك من الأزمنة، فالطّائفة قد تكون بالشّام أو بغيره، وانظر كلام صاحبُ كتاب فتح المجيد شرح كتاب التّوحيد في شرح الطَّائِفَة (ط أنصار السنة صـ٢٧٨، ٢٧٩)، والله تَعَالَى أعلم". أهـ[3]

---

(١) تفسير ابن كثير(٤/ ٢٣٦).

(٢) انظر الجزء الأخير (مسك الختام) يتحدث عن الفتن وعلامات الساعة ويذكر هذه الأحاديث بشيء من التفصيل.

(٣) (العمدة في إعداد العدة ص ٧٨).

فأقول والله الموفق:

أن المستفاد مما سبق، أن العُلَماء اعتبروا الأقسام التّالية للطّائفة المَنصُورَة:

أهل العلم بالكتاب والسّنّة.

أهل الدّعوة والأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر.

أهل الجِهَاد والقتال في سبيل الله.

والّذي يبدو لي جمعاً بين هذه الأقوال - والله أعلم - ما يلي:

١) أن معظم السَّلَف ممَّن جعلهم أهل الحديث وأهل العلم قالوا ذلك لأَنّهم كانوا أسبق النّاس إلى الجِهَاد والقتال إذا تعيَّنت الفريضة أو إذا لم تحقِّق الكفاية في القِتَال، بل قد ورد عن بعض السَّلَف أنَّه دخل الثُّغُور أكثر من مئةِ مرّة ليس بقصد القِتَال وإنَّما لأخذ الحديث لكثرة (أهل الحديث) في مواقع الرِّبَاط، وثغور الجِهَاد، وهذا عندما كانَ أهل الحديث أهل الجِهَاد وليس عندما صار أكثرهم (أهل حديث)، وأهل قيلٍ وقال وكثرة سؤال.

أنَّ الطَّائِفَة المَنصُورَة هم الّذين يتصدَّرون لأهمِّ الأولويَّات والفُرُوض والواجبات في زمانهم من هذه الأبواب الثّلاثة - العلم- الدّعوة والأمر والنَّهي - القِتَال والجِهَاد.

ففي زمن مثل زمن البُخَارِيّ والإمام أحمد رحمهما الله تَعَالَى، كانت الخِلافَة الإِسْلَاميّة قويّة مهيمنة غازية لأعدائِها، واضعةً للجِزية والصَّغار عَلى من جاوَرها من الكفّار، فكان حريَّاً أن يكون رؤوس الطَّائِفَة المَنصُورَة من أمثال أولئك الأئمة متصدِّرين للأولويَّة الأولى، وهي العلم بالسُّنة وجِهَادُ البِدَع وهو جِهَاد البيان، أو متصدِّرين لجِهَاد أئمة البَاطِل وأمراءِ الجُور، من الّذين ظلمُوا أو ابتدعوا كموقف الإِمَام أحمد رحمه الله من بني العبّاس وبدعة خلق القرآن، فكانت ثغرة شاغرة في حين لم يكن هناك من صائلٍ محاربٍ عَلى الأُمّة، بينما نجد الإِمَام ابن تَيمِيّة جعل جيش الشّام ومصر - عَلى ما كانَ فيهم من البِدَع والجَهل - من أخصِّ من عمَّهم الإنتماء للطَّائفة المَنصُورَة، لدفعهم العدوّ عن دين الله وبيضة المُسلِمِين وحوزتهم، رغم عدم اتِّصَافهم بالعلم، ولم يكن المماليك من أهل الحديث كما هو معلوم، بل كانوا للجهل والبِدَع أقرب منهم للعلم بعمومهم، ولكنَّهم كانوا عَلى الثَّغرة الشَّاغِرَة وهي دفع الصّائل.

٢) لاشكَّ أن القِتَال من غير علمٍ بدين الله، ودون انطلاق من أصوله، وإن كانَ أصحابه مأجورين بنيَّتهم في دفع أعداء الله عن الدّين والأنفس والأعراض والأموال، لا يجعل القائمين بهذا عَلى تمام صفة الطَّائِفَة الظَّاهِرة عَلى الحقّ، لأَنّهم لا يكونون ظاهرين عَلى الحقّ ولا قائمين بأمر الله تماماً وكمالاً إلّا بالعلم مع الجِهَاد.

٣) ليس بالضَّرورة أن يكون كلّ فرد في الطَّائِفَة المَنصُورَة من أهل العلم، ولكن يكفي أن يكون ومن لهم الأمر والقيادة فيها قد توفَّرت في مجموعهم صفات العلم والدّعوة مع الجِهَاد والقتال، ويحكم للطَّائفة بحكم الرَّاية العَامّة والقيادة والمنهج والمُعتقد.

٤) أخيراً – ولا شَّكَّ – لا بُدَّ من البيان أنَّ الكمال في الطَّائِفَة المَنصُورَة ورؤوسها أنْ تجمع العلم إلى الدّعوة والأمر والنَّهي إلى القِتَال والثّبات عَلى ذلك، كما كانَ حال أئمة الإِسْلَام العظام من أمثال الإِمَام ابن المبارك رحمه الله[1]، وهو من كبار علماء الإِسْلَام ومحدثيهم وفقهائهم ومن كبار المُجَاهدين المرابطين في الجِهَاد، وكذلك الإِمَام ابن تَيمِيّة رحمه الله[2]وهو كذلك من كبار العُلَماء وأهل الحديث، ومن كبار المُجَاهدين كلما نزل الصّائل، ومن أولئك الإِمَام الجليل العز بن عبد السَّلام[3]، وهو كذلك سلطان العُلَماء ومن مُجَاهديهم أيّام التّتار.

---

(١) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي رحمه الله (١١٨ –١٨١ هـ) أمير المؤمنين في الحديث عالم عصره كان يمضي أيامه مرابطاً على الثغور ، – قال أبو حاتم الرازي : حدثنا عبدة بن سليمان المروزي قال : كنا سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فطارده ساعة فطعنه فقتله فازدحم إليه الناس، فنظرت فإذا هو عبد الله بن المبارك وإذا هو يكتم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو هو. فقال : وأنت يا أبا عمرو ممن يُشنع علينا.

(٢) هو شيخ الإسلام الإمام: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، الحرّاني، ثمَّ الدِّمشقيّ، ولد(٦٦١هـ)، وقد توفي رحمه الله، وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق، ليلة الاثنين ٢٠ من شهر ذي القعدة سنة (٧٢٨هـ)

(٣) العز بن عبدالسلام : أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن السُّلَمي الشافعي (٥٧٧هـ/ ١١٨١م – ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) الملقب بسلطان العلماء وبائع الملوك وشيخ الإسلام، وكان عمره أيام غزو التتار وعين جالوت ثمانين سنة، ومواقفه مشهورة.

٥) الخلاصة أن الطَّائِفَة المَنصُورَة هيَ الطَّائِفَة القائمة بأمر الله، الظَّاهِرة عَلى الحقّ الثَّابِتة عليه، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، يقاتلون عَلى هذا الدّين، ولا شَّكَّ أنَّ القِتَال والجِهَاد هو من أبرز خصائصهم في النّصوص (حتَّى يكاد يكون شرطاً عليهم)، لاسيَّما إذا تعين أو لم تقم به الكفاية كما هو حالنا اليَوْم، فلا يمكن للطَّائفة المَنصُورَة الظَّاهِرة عَلى الحقّ – وهم نُخبة أهل الإِسْلَام- أن يتركوا عندئذٍ أوجب الواجبات بعد الإيمان، وهو دفع الصّائل قتالاً!!

إذاً وحسب ما تقدَّم؛ من هُم الطَّائِفَة المَنصُورَة في هذا الزّمان؟ وهنا يجب أن نعلم مواصفات هذا الزّمان، تلك المواصفات الّتي أصبح العلم بها من المعلوم من العقل والفهم والنَّظر بالضَّرورة.

أولاً: بلاد الإِسْلَام من أقصاها إلى أقصاها محتلة بصائل اليَهُوْد أو النّصَارى أو الملحدين أو الشُّيُوعِيّين أو المُشركين الوَثنيين، مباشرة بالغزو والاحتلال الظَّاهِر كما هو حال فِلَسطِين والشّام عموماً، والبُوسنة والشِّيشَان، وجمهوريّات وسط آسيا وتُركستان الشَّرقيَّة الّتي تحتلُّها الصِّين، وكشمير الّتي تحتلُّها الهند، وبلادٌ كثيرةٌ وخلقٌ لا يعلمهم إلَّا الله تحت حكمِ الكفّار الأصليِّين، أو بصورة غير مباشرة عبر تولية الكفّار الأصليِّين للمرتدِّين، كما في عموم باقي بلاد المُسلِمِين.

ثانياً: كافّة بلاد الإِسْلَامِ من أقصاها إلى أقصَاها، استبعد فيها الحكَّام المرتدّون شرعَ الله، وبارَزُوه العَدَاء، وحكَمُوا بغير ما أنزلَ الله، وبدَّلوا شرائعه ووالوا أعداءه.

ثالثاً: كافّة بلاد الإِسْلَام، يُسَام فيها أهل الإِسْلَامِ عموماً، وأهل الدّين والدّعوة والالتزام خُصُوصَاً، الظُّلم والجورُ والعَسفُ والقتلُ وهتكُ الأعراض والسُّجون والعذاب، مما أصبح معلوماً للقاصي والدَّاني.

- فهل يُعقل في مثل هذه الحالات، أن نقول أنَّ الطَّائِفَة المَنصُورَة اليَوْمَ هُم الّذين لا يَعبَؤُون بكلِّ هٰذا، ويتفرّغُون لتنقيح الأَسانيد، وتصنيفِ الكُتب، وروايةِ الحديث؟!

- هل يُعقل أنّهم الّذين لا يهمُّهم من أمرِ المُسلِمِين شيئاً، ويتفرَّغون للعبادة والنُّسك وترديد الأوراد والاعتزال في الزَّوايا؟!
- هل يُعقل أنَّهم الّذين لم يتكلموا في كلّ هذه النَّوازل ببنت شَفة، ثمّ لا يكون من شغلهم إلا تنقيح العَقِيْدَة الصَّحِيحة بزعمهم، ومحاربة الأضرحة والقبور وشرك الأموات ؟! والكفر يحكُمهم ويُحيط بهم، ويُدخل الفُسوق والعصيان والعُهرَ عليهم وعلى ذراري المُسلِمِين بكل وسائل الإعلام، وحالهم معهم عَلى أحسن ما يرام؟!
- أم هل يكون مِنَ الطَّائِفَة المَنصُورَة أولئك الّذين يجلِسُون في بلاد الكفّار وبين أحضانهم، ويُنادون ويُفتون بأحكام الجِهَاد والهِجرَة؟! ويَفتَتِحُون المراكز الإِسْلَاميّة عَلى مقاييس الإِسْلَام الغربيّ.
- أم تراهم أولئك الّذين يجلسون تحت أحكام المرتدّين أو الكفّار، يعافِسُون الأموال والأزواج والأولاد، وينهشون في لُحوم المُجَاهدين في سبيلِ الله والمُهَاجِرين إلى الله، بأي دعوى من دعاوى التَّسرُّع، وهدم الدّعوة، وتعجُّل المراحل، وصحَّةِ الرّايات، وفَذْلَكَاتِ[1] الكلام ؟!

لا نشكُّ قيد لحظة بأنّ الطَّائِفَة المَنصُورَة في هذا الزّمان وفي مثل هذه الأحوال هم أهل الجِهَاد، أهل القِتَال، أهل السِّلاح المُجَاهدين تحتَ راية لَاإِلٰهَ إِلَّا الله محمّد رَسُولُ الله، يدفعون صائل الكفّار والمرتدّين.

يقول الدّكتور عبد القادر بن عبد العزيز[2] –حفظه الله– صاحب كتاب (العمدة في إعداد العدة في ختام حديثه عن الطَّائِفَة المَنصُورَة)، من هيَ ومن تكون، وكلام أهل العلم فيها، فيقول في صفحة (٨٠) تحت عنوان " **أهمّ واجبات الطَّائِفَة المَنصُورَة في هذا الزّمان** ".

---

(١) فذلكات : مصطلح منحوت من (فذلك كذا ... وذلك كذا) ولعل الشَّيْخ قصد فضول الكلام وكثرة التفاصيل التي لا طائل منها.

(٢) الدكتور عبد القادر عبدالعزيز : (سيد إمام ، أو الدكتور فضل) له إنتاج جيد قبل أن يتغير حاله، ومن إنتاجه كتاب (العمدة)، وهو كتاب نافع في مجمله، واستفاد منه المجاهدون، وله كتابه (الجامع)، وفيه مباحث مفيدة نافعة، ولكن فيه أخطاء نبَّه الشَّيْخ الظَّواهريّ على بعضها في كتابه (التبرئة) في الملاحظات على منهج وثيقة الترشيد والتراجعات في

" هذا وأن من أعظم واجبات الطَّائِفَة المَنصُورَة في هذا الزّمان هو جِهَاد الحكَّام المرتدّين المبدلين لشرع الله الّذين يحكمون المُسلِمِين بالقوانين الوضعِيَّة الكفرية- إلى أن قَالَ- وإفساد هَؤُلَاءِ الحكَّام وتبديلهم للشرائع والمفاهيم، وإشاعتهم للفواحش في المُسلِمِين، ولو كانَ الصّحابة رضوان الله عليهم أحياءً اليَوْم لكان أعظم أعمالهم هو جِهَاد هَؤُلَاءِ الحكَّام- إلى أن قَالَ- **وما أرى أحدًا من المُتسبين إلى العلم الشَّرعيّ في زماننا هذا لم يتكلَّم في هذه المسألة مُنكراً ومحرّضاً المُسلِمِين عَلى الجِهَاد ما أرى مثل هذا يلقى الله إلّا والله تَعَالَى ساخط عليه**، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة]

إذن لقد دخل الصّائل الكافر وانحاز إليه صائل المرتدّين والمُنَافِقين، فإذا كانت الطَّائِفَة المَنصُورَة هيَ صفوة أهل هذا الدّين، فلا يعقل أن تفرط بأوجب الواجبات بعد التّوحيد -وهو دفع الصّائل- بدعوى القيام بالأعمال الّتي هيَ دون ذلك بإجماع العُلَماء، لأنَّ من فعل ذلك هو من الطَّائِفَة المدحورة وليس من الطَّائِفَة المَنصُورَة، إنَّه من الفئة القَاعِدَةِ الفارَّة من الزَّحف، هذا حكمه وقد فجأنا العدوُّ في عقر دارنا.

فالطّائفة المَنصُورَة في هذا الزّمان هم حملة السّلاح ورايات الجِهَاد لدفع هذا الصّائل:

أولاً: دفع صائل الكفّار الأصليين من يهودٍ ونصارى ومُشركين وملحدين ومرتدِّين وأعوانهم، **دفعهم** بالسّلاح والسَّيف، وهذا جِهَاد السنان، فمن قام بذلك اليَوْم فهم من أرومة الطَّائِفَة المَنصُورَة وأعيانها وأهلها، أفراداً كانوا أم جماعات.

ثانياً: دفع صائل المُنَافِقين والمُجادلين عن هَؤُلَاءِ الأَعدَاء بالبَاطِل من علماء السّلاطين ومبتدعة الدّعاة والمرجفين والمخذّلين، دفعهم بالحجّة والبيِّنة بِقَال الله وقالَ رسُول الله ﷺ، وهذا هو جِهَاد البَيَان الّذي بيَّنه العُلَماء.

السجون المصريَّة التي انتهجها سيد إمام ، كما رد عليه الشَّيْخ المقدسي في (النكت اللوامع) ، والكمال لله وحده. وانتفاع المجاهدين بما كتب دليل على أن المجاهدين لا يعرفون الحقَّ بالرِّجال، ولكن يعرفون الحقَّ فيعرفون رجاله، نسأل الله أن يفرج كربه، ويصلح أحوالنا وأحواله، وينجينا وإياه والمسلمين من قهر الظَّالمين ومكرهم.



فمن قام بهذا اليَوْم وتحمَّل في سبيل ذلك مشاقّ المطاردة والمُحَاربة والتَّشويه فهو من أعوان الطَّائِفَة المَنصُورَة ونرجوا أن يلحق بهم، وهم دون أهل القِتَال ما لم يكن من أهل العُذر الشَّرعيّ، ولا شَّكَّ عندي بذلك.

وأما من جمع السّيف إلى القلم، والرَّشَّاش إلى اليَراع، والقتال إلى العلم والدّعوة والأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر، فلا شَّكَّ أنَّهم من رؤوس الطَّائِفَة المَنصُورَة وقادتها وأعلامها وعلمائها ودعاتها المُجَاهدين، وهم فوق سابقيهم بالمرتبة ولا شكَّ.

نسأل العلي القدير برحمته وفضله الّذي يؤتيه من يشاء، أن يجعلنا منهم ومعهم، دنيا وآخرة، تحت لواء حبيبه المُصطفى ﷺ.

****

المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة

الجزء الأوّل

(الجُذُور- التّاريخ – التَّجَارب)

(فصول تمهيديَّة في التّاريخ والتَّحليل السّياسيّ والفقه الجهاديّ الحَركيّ)

- الفَصلُ الأوّل: واقع المُسلِمِين اليَوْم.
- الفَصلُ الثّاني: أحكامٌ شرعيّةٌ في ضوءِ هذا الواقع.
- الفَصلُ الثّالث: جُذُور النّظام الدّولي ومسار الصِّرَاع من قابيل إلى جُورج بُوش.
- الفَصلُ الرَّابع: الصِّرَاع مع الرُّوم ومُعادلات القوى فيه عبر التّاريخ.
- الفَصلُ الخامس: خُلاصة مسار الصَّحوة الإِسْلَاميّة (١٩٣٠– ٢٠٠٤) م.
- الفَصلُ السَّادس: خُلاصة مسار التّيار الجهاديّ المُسلّح (١٩٦٥–٢٠٠٤) م.
- الفَصلُ السَّابع: الحلول الّتي طُرِحَت لدى الجهاديّين للخُروجِ منَ الأزمة.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

واقعُ المُسلِمينَ اليَوْم

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ١٢٤﴾ [طه]

ورُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «وَإِنَّ أَشْقَى الْأَشْقِيَاءِ مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ».(١)

«يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خِصَالٌ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِالله أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ:

لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤْونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ الله عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ الله عَزَّوَجَلَّ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ الله إِلاَّ جَعَلَ الله بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»(٢).

«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ، وَالْبُخْلُ، وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ، وَيَهْلِكَ الْوُعُولُ، وَتَظْهَرَ التَّحُوتُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوُعُولُ وَالتَّحُوتُ؟ قَالَ: «الْوُعُولُ: وجُوهُ النَّاسِ وَأَشْرَافُهُمْ، وَالتَّحُوتُ: الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ لَا يُعْلَمُ بِهِمْ»(٣).

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٣١٥٤) والحاكم في المستدرك (٧٩١١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني وأخطأ ابن الجوزي فجعله موضوعاً.

(٢) ابن ماجه (٤٠١٩) عن عطاء عن عبدالله بن عمر ﷺ، وحسنه الألباني (الصحيحة١٠٦) والأرنؤوط.

(٣) أخرجه الحاكم (٨٦٤٤) وابن حبان (٦٨٤٤)، وضعفه الأرنؤوط، وصححه لغيره الألباني(الصحيحة ٣٢١١).

الفصل الأول

﴿ واقع المُسلِمين اليَوْم ﴾

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه]

وقد روي عن رسول الله ﷺ في الحديث الّذي صحَّحه الحاكم من رواية أبي سعيد الخدريّ أنه قَالَ: «وَإِنَّ أَشْقَى الْأَشْقِيَاءِ مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ»(١).

والحقيقة : ليس أوجز لوصف واقع أكثر المُسلِمين اليَوْم من هذه الآية وهذا الحديث.

إذ يمكن تلخيص واقع المُسلِمين اليَوْم تحت عناوين رئيسيَّة ثلاثة:

أولاً: ذهاب الدّين عند أكثرية المُسلِمين.

ثانياً: ذهاب الدُّنيَا لدى الغالبيّة السَّاحقَة من المُسلِمين.

ثالثاً: تسلُّط الأَعدَاء وتحكمهم في كافّة مناحي حياة المُسلِمين.

ولنقف عَلى نبذة من التَّفصيل في هذه العناوين.

****

---

(١) سبق تخريجه.

﴿ أولاً: ذهاب الدّين ﴾

فإنَّ الأُمّة كادت تفقد معظم مقوّمات دينها، ويتجلَّى ذلك في مظاهر انهيار الحياة الدّينيّة وفسادها لدى معظم المُسلِمِين، وكذلك فساد أحوالها وضياع مقدّساتها، وأهمّ ذلك غياب الحكم بشرع الله عنها، ويمكن إبراز أهمّ وجوه ذلك فيما يلي:

١- غياب الحكم بشرع الله عن كافّة بلاد المُسلِمِين:

فكما رُوي عن رسول الله ﷺ قوله: «لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ»[1].

وقد تحقق إخبار رسول الله ﷺ بذلك، ونقض الحكم بشكل متدرج إلى أن اندثر بالكامل، فقد كانت الثلمة الأولى بانصرام الخِلافَة الرّاشدة الّتي سارت عَلى هدي النبوة بعد ثلاثين سنة من وفاته ﷺ، وعقب ذلك تحول الحكم إلى نظام الملك العضوض الوراثي عَلى يد بني أميَّة، ثمّ استمر ذلك في ملك بني العبّاس ومن تلاهم من الملوك الطَّوائف، مع ما يتبع ذلك مما يلازم نظام الملوك في الحكم حيث تدرجت القصور -وهي مراكز الحكم المركزيِّ- في الفساد حتَّى بلغت من ذلك مبلغاً عارماً.

وبتسلّل الضّعف إلى خلافة بني العبّاس نهايات القرن الثّالث الهجريّ، تفكَّكت الممالك في أطراف الدّولة الإِسْلَاميّة لتقوم بذلك سلطناتٌ ومملكاتٌ وإماراتٌ تعتمد القهر والجبروت، وتتفاوت فيها وتختلط مظاهر الصَّلاح والفساد، وتحوَّلت الخِلافَة شيئاً فشيئاً إلى رمزٍ شكليّ أكثر منه نظام حكم وسلطة.

وكلما أوغل الحكم مع الوقت بعداً عن شريعة الله الكاملة، بسبب تلاعب أهواء الملوك وتدليس علماء السُّلطَان، دبَّت بسبب ذلك مظاهر الفساد في كافّة مرافق حياة المُسلِمِين، إلى أن وصلت الأحوال إلى اجتياح التّتار لمشرق بلاد الإِسْلَام وغزو الخِلافَة في عقر دارها، بعد أن نشطت الهجمات الصّليبيّة عَلى يد الرُّوم والممالك المسيحيَّة الأوروبيَّة وتمكَّنت من إقامة مُستَعمرات صليبيّة عَلى سواحل الشّام، إلى أن

---

(١) رواه أحمد (٢٢١٦٠) عن أبي أمامة ﵁ يرفعُه، وصححه الألباني في صَحِيح الجَامِع: (٥٠٧٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده جيد.

تواصل التردِّي ليبلغ قمَّته في سقوط بغداد بيد التّتار سنة ٦٥٦ هجريَّة، وتقطّع أوصال الخِلافَة العبّاسيّة لتدخل كافّة بلاد الإِسْلَام تحت وطأة سلاطين الحكم الجَبريّ بالكامل، ولكن مع بقاء مبدأ الحكم بالشّريعة كأساس في معظم تلك الممالك بشكل عام.

ثمّ حصلت نهضة استثنائيَّة ولفترة محدودة بقيام الدّولة العُثمَانِيّة الّتي نقلت الخِلافَة إليها، وأعادت إليها هيبتها المركزيّة ردحاً من الزّمن، ثمّ ما لبثت أن دبَّ إليها الانحلال، وبدأ الفساد يطال مجال التّشريعات والحكم بما أنزل الله، ثمّ تكالبت عليها الدّول الاستعماريّة الأوربيَّة، وتآمر عليها اليَهُوْد كي يصلوا إلى فِلَسطِين، حيث تمكَّن حلف الخصوم من إسقاط الخِلافَة العُثمَانِيّة سنة ١٩٢٤ ميلاديَّة وتبع ذلك سقوط كافّة البلاد الإِسْلَاميّة تحت استعمار مختلف الدّول الأوربية الصّليبيّة وعلى رأسها إنجلترا وفرنسا وروسيا وغيرها، وخلال فترة الإستعمار نشأت مذاهب العلمانيّة في بلاد الإِسْلَام وانتشرت في أوساط الطبقات المثقفة من أبناء المُسلِمِين برعاية المُستَعمر الّذي أنشأ عَلى عينه منها أحزابا سياسيّة وشخصيات وأسر مالكة مهد لها استلام السّلطة من بعده في مرحلة ما بعد الإستعمار، أو ما أطلق عليه اسم (الاستقلال)، ليقوم بذلك حكم الطواغيت بغير ما أنزل الله في كافّة بلاد الإِسْلَام برعاية وإشراف الدّول الاستعماريّة.

وهكذا مر الحكم الّذي نقض عروة عروة بالمراحل الّتي أخبر عنها رسول الله ﷺ فيما روي عنه من حديث حذيفة رضي الله عنه: «**تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ**»[1].وفي رواية غاية في الأهمّيّة أوردها ابن حمَّاد في كتاب الفتن من حديث أنس رضي الله عنه قَالَ: «**إنَّها ثمّ .. ثمّ مُلكٌ عَضُوض ثُمّ جَبريّة ثمّ**

(١) رواه أحمد (١٨٤٠٦) وقال الأرنؤوط: إسناده حسن ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥).

طَواغِيت»[١]، وهذا الّذي حصل في بلاد المُسلِمِين منذُ رحيل الإستعمار وقيام حُكُومَات الطّواغيت لترعى مصالحه وتحكم بشرائعه إلى يومنا هٰذا، حيث تجاهر معظم حُكُومَات بلاد المُسلِمِين بحكمها بغير ما أنزل الله، بل وتجاهر أكثرها بعدم صلاحيَّة الشّريعة الإِسْلَاميّة للحكم في العُصُور الحديثة! بل وتنسب تخلُّف المُسلِمِين الحاليّ ومشاكلهم إلى الشّريعةِ ذَاتها!

وهكذا وضعت الدَّسَاتير، وسنَّت في ضوئها آلاف القوانين الّتي تحاربُ الله ورسولَه ودين المُسلِمِين، وتعاكس شريعة ربّهم بكلِّ صَفَاقة ودون أيّ مواربة ولا حَيَاء.

ففي كثيرٍ من بلادِ الإِسْلَامِ أُزيلَت حَاكِمِيَّة الشّريعة نصَّاً من تلك الدَّساتير، وأبقيت في بعضها مجرَّد عنوان ممزوج بالشِّرك الصَّريح بقولهم (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ المَصدر الأساسيّ للتَّشريع) جاعلينها مَصدَراً إلى جانبِ مصادر أُخرى، في حين زعمت بعض البلاد كما (السّعُودِيّة) (أنَّ الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ المصدر الوحيد للتَّشريع) ولكنَّها جعلت إلى جانب المحاكم الشَّرعيَّة محاكم مدنيّة أو وضعِيَّة أو مُختصَّة بحسب ما أسموها وكلّها تحكم بتشريعاتٍ وقوانينٍ ولوائح تنظيميّة مستمدّة أو مُستَوحاة من تشريعاتِ أوروبّا أو من تلك الّتي ابتدعها كفار العلمانيين والمشرِّعين المنتسبين لهذه الأُمّة بالأسماء والأشكال، فاستعلنت تلك التَّشريعات وصارت لها المحاكم والهياكل الإداريَّة والقوانين الّتي تنفذ وتحكم في رقاب المُسلِمِين إلى جانب ما بقي في بعض البلاد من قوانين الشّريعة الإِسْلَاميّة في بعض

---

(١) لم أقف له على ذكر لفظ (ثم طواغيت) في كتاب الفتن لنعيم بن حماد كما ذكر الشَّيْخ ، ولعله قصد الحديث الذي أورده أبو عمرو الداني في كتابه السنن الواردة في الفتن ورقمه (٤١٨) ونصه: - حَدَّثَنَا ابْنُ عَفَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شِمْرِ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «إِنَّهَا نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ، ثُمَّ خِلَافَةٌ وَرَحْمَةٌ ، ثُمَّ مُلْكٌ عَضُوضٌ ، ثُمَّ جَبْرِيَّةٌ ، ثُمَّ طَوَاغِيتُ». ولو أنَّ الشَّيْخ ذكره من طريق بن أبي الشيبة في المصنف ورقمه (٣٠٥٦٥، ٣٧١٩٣)، ونَصّه : حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ زَائِدَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ شِمْرٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ مُلُوكٌ ثُمَّ الْجَبَابِرَةُ ثُمَّ الطَّوَاغِيتُ» الحديث موقوف على أنس ، وإسناده صحيح ، ورجاله ثقات، وإن الإمام أحمد بن حنبل قال لم يسمع الأعمش من شمر ، ولقد صحح الحاكم وابن حبان حديث الأعمش عن شمر، وروى شعبة عن الأعمش عن شمر حديثاً، وهو لا يروي عن الأعمش إلا ما صرح فيه بالسماع، فيحتمل سماع الأعمش عن شمر، وأما شمر بن عطيّة فقد كانَ بالكوفة وعاصر أنس نزيل البصرة إذ أن أنس توفي ٩٠هـ، وشمر توفي قرابة ١٢٠هـ .

مجالات الأحوال الشَّخصيَّة، حيث تتولى السُّلطات الكافرة الحاكمة بالحديد والنار إنفاذ قوانين الكفر وإخضاع النّاس لها.

وهكذا اكتمل نقض الحكم في كافّة بلاد الإِسْلَام بلا استثناء، وهذا البلاء هو أهمّ مظاهر ذهاب الدّين، وأساس كافّة أنواع البلاء الأخرى من مظاهر فساد الدّين وذهاب الدُّنيَا وتسلط الأَعدَاء، ولا جرَم أنَّ كلّ ما نحن فيه مما سنورد بعضه في هذا الفَصل متفرِّع عن هذه الطَّامة العُظمى وهي (**الحكمُ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ وتبديلُ شرائِعهِ عَلى يدِ حكَّامنا المرتدّينَ الخَونةِ وولايتِهم لليهودِ والنّصَارى مِن أسيادِهم الكافِرين**).

****

٢- احتلال المقدّسات الثّلاثة في ملة الإِسْلَام:

وهي مكّة المكرمة وفيها الكعبة والمسجد الحرام، والمدينة المنورة وفيها مسجد رسول الله ﷺ، والقُدس الشَّريفة وفيها المَسجِد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشَّريفين.

فعلى عكس ما هو شائع ومعروف من أن القُدس كانت أول المقدّسات ذهابًا وذلك سنة ١٩٦٧م، وأنَّ مكّة والمدينة وجَزِيرَة العَرَب عقر دار الإِسْلَام قد وضعت تحت نفوذ الأمريكان وقوّات التَّحالف الصّليبيّ الّتي أطبقت عليها إبّان حرب الخليج الثّانية سنة١٩٩١م، ثمّ الثّالثة سنة ٢٠٠٣م.

فإنَّ الحقيقة أنَّ مكّة والمدينة كانت قد ذهبت ووضعت تحت نفوذ الصّليبيّيّن قبل ذلك بكثير، وأن ذهاب القُدس كانَ تبعا لذهاب مكّة قبله، وأن قوى الرِّدَّة الّتي سيطرت عَلى مكّة كانت صاحبة دور أساسيّ في ذهاب القُدس عَلى أربعة مراحل رئيسيَّة، وهي: (١٩٣٦- ١٩٤٧- ١٩٦٧- ٢٠٠٢ م).

وذلك أن بَرِيطَانيَا الإمبراطوريَّة كانت قد احتلَّت منذُ مطلع القرن السَّادس عشر وعبر القرون الثّلاثة الّتي تلَته كثيرًا من أطراف العالم الإِسْلَاميّ، وبسطت سيطرتها المباشرة عليها، ومنها أطراف جَزِيرَة العَرَب (سواحل اليمن وعُمان وإماراتِ الخليج والكويت) وقد تنبَّهت بَرِيطَانيَا لما تشكّله بلاد الحجاز من قدسيّة لدى المُسلِمِين وما تميّزت به بلاد نجد من الإستقلال الذَّاتيّ حتَّى عن مركزيَّة الخِلافَة العُثمَانِيّة، فعمدت إلى مكرٍ خبيث منذُ مطلع القرن التّاسع عشر من أجل السَّيطرة عليها، وذلك بالتّعاون

مع عميلهم الأكبر عبد العزيز آل سعود مؤسِّس الدّولة السّعُودِيّة الثّالثة الحاليَّة، حيث كانَ والده عبد الرحمٰن وأسرته وأولاده قد لجؤوا إلى الكويت فارِّين من نجد بعد انهيار الدّولة السّعُودِيّة الثّانية.

تلَّقفت وزارت المُستَعمرات البريطانيَّة بإشراف مندوبها وعميلها الجَدِيد عبد العزيز آل سعود سنة (١٨٩٨م) وكان قد جاوز العِشرين من عمره بقليل، ورأت صلاحيَّته للمهمّة الّتي نفّذتها بحذاقة، فقدمت له الدّعم العسكريّ والذَّهب البريطانيّ وأوحى إليه مستشاروه باستغلال الدّعوة الوَهَّابيّة وحماسُ دعاتها المُجَاهدين من (الإخوان).

وتمكَّن عبد العزيز من السّيطرة عَلى الرِّيَاض ثمّ نجد عبر عدّة حملات منذُ (١٩٠٢م) ثمّ وقع الخيار من قبل بَرِيطَانيَا عليه لمشروعها في جَزِيرَة العَرَب، بعد أن خدعت (الشَّريف حسين) عميلها الآخر في الحجاز، وتمكنت بَرِيطَانيَا من إعلان عبد العزيز سلطانًا عَلى نجد والحجاز، بعد أن ضمُّوا إليها مناطق نجران اليمنيّة، سنّة (١٩٣٢م)، حيث عقدوا معه صكَّ ضمان لملكه لتلك البلاد تحت المسمَّى الجَدِيد الّذي أقامته بَرِيطَانيَا وهو (المملكة العربيَّة السّعُودِيّة)، وضمِنَت بموجب ذلك بَرِيطَانيَا العرش لعبد العزيز وأولاده من بعده مقابل نفوذها عَلى تلك البلاد، وأخذت عليه ألا يعقد عقدًا ولا يبرم أمرًا ولاسيَّما في علاقاته الخارجيّة بغير إذنها ومشورتها، وقد أصبحت هذه الاتِّفاقيات الآن وثائق منشورة معروفة تناولتها الكتب الّتي أرَّخت لتلك الفترة، وهي مثبتة فيما نشر من وثائق وزارة الخارجيّة البريطانيَّة الّتي تنشر بعض أرشيفها كلما مرَّ عليها ثلاثين سنة.

وبقيام حكم عبد العزيز آل سعود وسيطرته عَلى بلاد الحجاز بعد المذابح الّتي أقامها جيشه بمساعدة الطَّيران الإنجليزيّ (للإخوان) في معركة (السبيلة)، قضى عَلى قوى الخير الّتي أوصلته إلى الملك بعد أن خدعها بتبنِّيه المزعوم للدَّعوة الوهَّابيَّة، وهكذا صفا الجوُّ لعبد العزيز وأولاده من بعده، ليضعوا مقدَّرات الأُمّة الماليَّة ومقدّساتها الدّينيّة تحت هيمنتهم وسلطانهم الّذي تعهَّدوا أن لا يخرجوا فيه عن مشورة التَّاج البريطانيّ.

منذُ ذلك الحين ومكّة والمدينة وجَزِيرَة العَرَب تحت سيطرة الإنجليز، ومن ثمّ الأمريكان الّذين ورثوا العرش السّعُودِيّ ونفط جَزِيرَة العَرَب والإشراف عَلى مكّة والمدينة ضمن ما ورثوه من ممتلكات

التَّاج البريطانيّ بعد الحَرب العَالَمِيّة الثّانية (١٩٤٥م) الّتي أزالت سيادة أوروبّا الاستعماريّة، لتتقاسمها سيادة أمريكا وروسيا، وكانت جَزِيرَة العَرَب وأمراء محميَّاتها البريطانيَّة ومنهم آل سعود ضمن ما ورثت أمريكا من بَرِيطَانيَا، والتقى الرَّئيس الأمريكيّ (رُوزفِلت) بالملك (عبد العزيز) عَلى ظهر سفينة حربيّة أمريكيّة بعد الحَرب العَالَمِيّة الثّانية، ونقلت في ذلك اللّقاء كفالة ذلك العرش السّعُودِيّ الخَائِن إلى الأمريكان بعد البريطانيّين مقابل سمعهم وطاعتهم، فصار يتلقّى المدد من الأسياد الجدد (الأمريكان)، ويعطيهم الوَلَاء كما كانَ الحال مع أسلافهم الإنجليز.

وممّا نشر من وثائق تلك المَرحَلَة موافقة عبد العزيز عَلى بَرَامج الإنجليز في الهِجرَة الصّهيونيّة إلى فِلَسطِين وعدم الاعتراض عَلى إعطائها لليهود، وموافقته عَلى وعد بلفور.

وفي عام (١٩٣٦م) قامت الثَّورة الكُبرَى الّتي أَشعَلَهَا الشَّيْخ عزُّ الدّين القَسَّام رحمه الله[١] في فِلَسطِين ضدّ المُستوطنين اليَهُوْد، الّذين بدؤوا يزحفون عَلى فِلَسطِين بإشراف الإنجليز الّذين كانوا قد تعهَّدوا بإعطاء فِلَسطِين وطنًا قوميّاً لليهود عبر وعد بلفور رئيس وزراء بَرِيطَانيَا سنة (١٩١٧م)، وعجزت بَرِيطَانيَا عن إخماد الثَّورة، فاستنجدت بعميلها (الملك عبد العزيز)، الّذي أرسل ولده ووزير خارجيّته (فيصل) ليتحايل عَلى عرب فِلَسطِين وزعماء ثورة (١٩٣٦م)، من أجل إيقافها بعد أن كفل لهم وفاء (صديقتنا بَرِيطَانيَا) عَلى حدِّ وصفه، فأُوقفت الثَّورة ثمّ أُخمدت، وكان ذلك أوَّل خطوات ضياع القُدس.

ثمّ أشرفت الجُيُوش العربيَّة السَّبعة وحكّام بلادها عَلى الانسحابات الشَّكليّة للجُيُوش العربيَّة بإشراف بَرِيطَانيَا، لتقوم عَلى إثر تلك الهزائم المبرمجة دولة إسرائيل سنة (١٩٤٧م) عَلى أكثر أرض فِلَسطِين، وليضيع معها النّصف الغربيّ للقدس.

وعبر مؤامرةٍ شبيهةٍ سنة (١٩٦٧م) تمَّ لإسرائيل احتلال القُدس الشَّرقيَّة وفيها مسجد الصّخرة والمسجد الأقصى ضمن ما احتلَّت من الضِّفة الغربيّة وأجزاء من سوريا ومصر والأردن.

---

(١) هو الشَّيْخ محمد عز الدين بن عبدالقادر القسام الشهير بعزِّ الدين القسام، عالم وداعية مجاهد من مواليد جبلة من أعمال اللاذقية سنة ١٨٨٣م درس في الأزهر وتوفي في ٢٠نوفمبر ١٩٣٥م .

ثمّ تتالت فصول المؤامرة – وليس هذا الكتاب محلَّ تفصيلها – لتمرّ بمحطة مؤتمر مدريد للسّلام سنة (١٩٩١م) من أجل التَّطبيع مع اليَهُوْد حيث شاركت فيه السّعُودِيّة وصدرت الفتاوى التّارِيخِيَّة بإباحة ذلك والتَّدليل عليه بالآيات والأحاديث من قبل هيئة كبار العُلَماء في السّعُودِيّة ورئيسها – أبُوهم الوَالد – الشَّيْخ (عبد العزيز بن باز)[1]، بعد أن كانوا قد أفتوا بإباحة دخول جُيُوش الصّليبيّين الأوربّيين والأمريكان لجَزِيرَة العَرَب بدعوى ضَرورة مُوَاجَهة خطر صدَّام حسين!

ثمّ تابع قطار المؤامرة والكوارث مسيره ليصل إلى (مبادرة الأمير عبدالله بن عبد العزيز) وليّ العهد السّعُودِيّ، والحاكم الفعليّ الحاليّ للرِّياض أواسط عام (٢٠٠٢م) ليعرض التَّطبيع الكامل مع اليَهُوْد والاعتراف بإسرائيل مقابل إعادة ما احتلَّته سنة (١٩٦٧م) متنازلًا عن باقي فِلَسطِين! ولينعقد مؤتمر القمّة العربيّ الّذي حول مبادَرته إلى مشروعٍ عربيّ كانَ الغرض منه إجهاض الإنتفاضة الّتي انطلقت بعنفٍ وقوةٍ في رجب (١٤٢٣هـ) أي قبل المبادرة بسنة، وقام (سعود الفيصل) وزير خارجية السّعُودِيّة بتسويق المبادرة عربياً وعالمياً ليكمل ما قام به أبُوه وعمُّه وجدُّه من قَبل، رغمَ أنَّ إسرائِيل قبِلَت نصفَ

---

(١) عبدالعزيز بن عبدالله بن باز: عالم مشهور وفقيه قاض شغل منصب مفتي عام للسعودية منذ ١٩٩٢م وحتى وفاته (١٣ مايو ١٩٩٩م)، كما أنه شغل منصب رئيس هيئة كبار العلماء في السعودية، وكان يرى حكام الجَزِيرَة ولاة أمر المسلمين ويجب طاعتهم. ومن أقواله : (وهذه الدولة السعودية دولة مباركة وولاتها حريصون على إقامة الحق وإقامة العدل ونصر المظلوم وردع الظالم واستتباب الأمن، وحفظ أموال الناس وأعراضهم) نقلاً من شريط مسجل للشيخ في ٢٩/ ٤/ ١٤١٧هـ. بعنوان "حقوق ولاة الأمر على الأمة ".

وقال عنه الشّيخ أبو محمّد المقدسيّ: (يعلم أنّهم علماء في الشّريعة وأنّ أصولهم وقواعدهم سلفيّة صحيحة، وقد استفاد منهم في غير هذه الأبواب وتتلمذ عليهم وعلى كتاباتهم أكثر أهل هذا الزّمان وأنا واحدٌ منهم، لكنّ هذا لا يعني أن نقرّهم على أخطائهم في تلكم الأبواب أو أن نسكت عن الانكار عليهم فيها، بل ننكرها ونشدّد أو نخفّف في إنكارها عليهم وعلى مقلّدتهم بحسب فداحة الخطأ وعظمه، ولا يضرُّنا مع هذا كلِّه من شنَّع علينا في ذلك واتّخذه ذريعة للطَّعن فينا عموماً والتّنفير عن كتاباتنا ودعوتنا أو سلَّماً لنيلِ رضى الطّواغيت وأذنابهم، فحسبينا نحن وهؤلاء وأولئك من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصُّدور وعنده سبحانه قريباً سيجتمع الخُصوم) [الدّولة السّعودية وموقف الشّيخين بن باز والعثيمين منها] للمقدسيّ.

المُبَادَرَة (التَّطبيع والاعتراف بها) ورفضت نصفها (الانسحابات مما احتلَّته سنة ١٩٦٧م) وتوَّجت ذلك بالإطاحة بالسّلطة الفلسطينيّة وإعادة احتلال ما خوَّلتها إيَّاهُ من الضِّفَّة الغربيّة وقطَّاع غزَّة، وصعَّدت مجازرها للفلسطينيّين منذُ ذلك الحين.

وخلال تلك السِّنين وفي أواخر (١٩٩٠م) وأوائل (١٩٩١م) زحفت جُيُوش التَّحالف الدّولي وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا لتُنزل في جَزِيرَة العَرَب مليون جندي بمعدَّاتها وآليَّاتها العسكريّة وبوارِجها وطائِراتِها تحتَ سِتارِ تحريرِ الكويتِ ليبدأ الإحتلالُ والتَّمركزُ المُنَظَّم للأمريكان والهجمة الصّليبيّة الحديثة عَلى الشَّرق الأوسَط (جَزِيرَة العَرَب والشّام ومصر والعراق)، وهكذا وُضِعَت مقدّسات المُسلِمِين الثّلاثة (مكّة والمدينة وبيت المَقْدِس) تحت الإحتلال الصّليبيّ المباشر بإشراف حُكَّام آل سعود وأمراءِ جَزِيرَةِ العَرَبِ الّتي توفّي رسولُ الله ﷺ وهو يُوصي المُسلِمِينَ وينشدهم بقوله «**أخرجوا المُشرِكينَ مِنْ جَزِيرَة العَرَب**»(١)، وبوجود (القُدس) تحت احتلال اليَهُوْد بمساعدة الأمريكان وتعهُّد الإنجليز تكونُ مقدّسات المُسلِمِين الثّلاثة قد وُضعت تحت احتلال اليَهُوْد والصّليبيّن وهذا من أظهر مظاهر فساد الدّين لدى المُسلِمِين الّذين خلَّوا بين أعدائهم وأقدس مقدّساتهم وللأسف.

****

٣- فساد عَقِيْدَة التّوحيد لدى معظم المُسلِمِين وانتشار البِدَع واندثار السُّنة:

فإن النَّاظر في أحوال المليار وربع المليار من المنسوبين لملّة الإِسْلَام اليَوْم يجد أنّ أغلبهم لم يعد لديهم من الدّين إلّا رسَمهُ، بل ربما إلّا اسمهُ، ويجد أنّ الملتزمين بالشّعائر منهم وهم في أهل الإِسْلَام قلّة في هذا الزّمان، قد توفّروا عَلى عقائد مشوّهة، ليس فيها ممّا كانَ عليه سلف هذه الأُمّة ورعيلها الأوّل إلا النّزر اليسير، فقد درست معالم العَقِيْدَة السّمحَاء الّتي جاءنا بها رسول الله ﷺ ووصف أصحابها بخُلاصة قوله «**مَا أَنَا عَلَيهِ اليَوْمَ وأصحَابِي**»(٢)، قد وَهَت هذه العَقِيْدَة في نفوس أكثر من يُنسبُون إلى الالتزام بل إلى

(١) متفق عليه، البخاري (١١٤، ٣١٦٨) ومسلم (١٦٣٧).

(٢) جزء من حديث افتراق الأمة، أخرجه التِّرمِذيّ (٢٦٤١) وقال الألباني: حسن (السلسلة الصحيحة٢٠٤)

الإنتماء للصَّحوة الإِسْلَاميّة ومدارسها المختلفة، وحصل ما أخبر به ﷺ من افتراق هذه الأُمّة عَلى ثلاثٍ وسبعينَ شُعبة كلّها في النّار إلا واحدة، كما تحقّق ما أخبر عنه من قيام دعاة عَلى أبواب جهنّم من أجابهم إليه قذفوه فيها، وقد تدرّج اندراس هذه العَقِيْدَة لدى المُسلِمِين منذُ القرن الثّاني الهجريّ، وما زال البلاء والبِدَع والانحرافات تطرأ تدريجيّاً عليها بما أفسد الملوك وفجّار القرّاء من هذا الدّين، كما قَالَ ابن المُبَارَك رحمه الله:

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا المُلُوكُ ۞ وأَحبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

والنَّاظر في أحوال العُلَماء اليَوْم وتلاميذهم وأحوال المنسوبين لقيادة مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة، لا نجد ممّن يدعوا إلى ما كانَ عليه الرَّعيل الأوّل إلَّا أحاد الغُرَباء هنا وهناك، فمن نجا من (ترهّات) المبتدعة والضَّلال والمنحرفين وأهل الأهواء والملل والنِّحل المختلفة، لم ينجُ في الغالب من البلاء العامّ في زماننا هذا وهو عَقِيْدَة الإرجاء، وهو دينُ الملوك في زماننا هذا وكلّ زمان، فلا تجد في أكثر قادة وعلماء ورموز من يُنسبون للصَّحوة الإِسْلَاميّة والعمل الإِسْلَاميّ والدّعوة، من أَقصى المُتصوِّفة إلى أقصى السّلفيّة مرورًا بمعظم روّاد الحركات الإِسْلَاميّة والدَّعويّة، إلا مُسبِّحًا بحمد السّلاطين، مواظبًا عَلى موائد الحكّام ومجالسهم، مُستجدياً لِرِضَاهُم، ممَّا أضعف مكانة الدّين كلّه في نفوس العامّة، فقد مَسخت عَقِيْدَةُ الإرجاء توحيدَ الألوهيّة وتوحيدَ الحاكِمِيَّة في ضميرِ أكثرِ الأُمّة، حتَّى أصبح الحكّام المرتدّون العملاء الحاكمون بغير ما أنزل الله، الظَّالمون لرعيّتهم وأهل ملّتهم، الفاسقون في سلوكهم وأحوالهم، الكافرون بشريعة ربّهم أصبحوا لدى أغلب علماء اليَوْم وكأنّ القرآنَ – حاشاه – قد نزل فيهم: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئكَ همُ المُؤمِنُون الصّالحون! وليس كما نزل بالحقِّ والعدل والصّدق﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة]﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾ [المائدة]﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧﴾[المائدة][كما عبَّر عن ذلك شهيدُ الإِسْلَامِ سيّد قُطب رحمه الله][١].

---

(١) سيد قطب: الأستاذ الداعية الكاتب الأديب المفكر الشهيد عملاق الفكر الإسلامي، ولد رحمه الله في قرية من قرى الصعيد اسمها (موشه) سنة (١٩٠٦م) وسَجنه وحَكَمَ عليه المجرم الطاغية جمال عبد الناصر بالإعدام وطلبوا منه أن يعتذر لِيُلغى الحكم فأبى وقال: إنّ الإصبع التي تشهد بالتَّوحيد لا يمكن لها أن تخطّ اعتذاراً لطاغية ، وتمَّ التنفيذ في =

وهذا من أعظم مناحي فساد العَقِيْدَة لدى العامّة والخاصة، ناهيك عما انتشر بين من بقي في أنفسهم للدين مكانة، من أنواع الخرافات والبِدَع و(الخُزَعبَلات) والتَّعلُّق بالأموات والقُبور والمَزَارَات وشعوذات المشعوذين، هذا عند أكثر من ينسب للتَّدين.

أما الدَّهماء والعوامّ، فقد نَسي معظمُهم اللهَ فأنساهُم أنفسَهم، وأصبحَ أكثرُهم يعبدُ الحُكُومَات، أو يعبد المال، أو يعبد أهواءَ نفسِه، أو يعبدُ القنوات الفضائيَّة وشاشات التّلفزيون يقوم عليها اللّيل ويعتقد بكل ما تدسّه في رأسه من سُمُوم.

وصارت إلٰـه العصر (أمريكا والغرب) وثقافتهم وأفكارهم، تعبد وتقدّس ويُعتقد بها أكثر مما يتعبّد النّاس لله بعقيدتهم الصَّحِيحة، وصار أكثر النّاس يعتقدون في رؤسائِهم وكبرائِهم وأغنيائِهم أنّهم ينفعون ويضرّون، ويُرزقون ويَحرمون، ويعطون ويمنعون ويرفعون ويخفضون، بل يُحيون ويُميتون، فأيّ معنى وأيّ إيمانٍ بقي لأَسماء الله الحُسنى وصفاته العلى في نفوس أئمة وعلماء هَؤُلَاءِ ناهيك عن عوامهم؟! وأي طعمٍ بقي لزعمِهم تصحيح العقائد.

وأما أكثر من يسمَّون (طلاب علم) فقد تفشّى في أكثرهم داءُ عبادة الأحبار والرّهبان الّذين أحلّوا لهم الحرام فتبعوهم، وحرَّمُوا عليهم الحلال فصدّقُوهم، ونافقوا لملوكهم ورؤسائهم فاقتدوا بهم، ونشروا فيهم بدعًا وضلالاتٍ ما أنزل الله بها من سلطان عَلى أَنَّها دين الله فتبعوهم.

وأمُا (دعاةُ الإسلام) والعاملونَ في الحركات الإِسْلَاميّة فقد أنزلوا أحزابهم وقياداتِهم، مثل ما أنزلَ طلابُ العلم مَشَايخَهُم من الإتّباع والطّاعة العمياء، رغم علمهم بأنّ ذلك مُنافٍ لأبسطِ مقوّماتِ عقائد

---

٢٩ أغسطس ١٩٦٦م ﵀ ، يقول سيد في فصل (نقلة بعيدة / معالم في الطريق ٢٠٦): (لن نتدسس إلى الناس بالإسلام تدسساً ولن نربِّت على شهَواتهم، وتَصَوُّرَاتِهم المنحرفة، سنكون معهم صُرَحاء غاية الصَّراحة، هذه الجاهليَّة التي فيها خبث، والله يريد أن يطيِّبكم)، ولسيِّد العديد من المواقف والكتب العظيمة والمقالات الأدبية والأشعار ولعل من أشهر كتبه (في ظلال القرآن – هذا الدين – معالم في الطريق ...) وغيرها وللتعرّف على هذه الشّخصية العظيمة إقرأ كتيب [عملاق الفكر الإسلامي الشّهيد سيّد قطب ـ بقلم الشّيخ عبدالله عزّام ﵀].

الوَلَاء والبَرَاء، وأن لا طاعة لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق، ثمّ لا تجد إلّا متمحّكاً لتبريراتٍ، ومتعسّفًا لتعليلاتٍ من أجلِ تسويغ الإتباع الأعمى وعبادة الرّجال، إلّا من رحمَ الله وقليلٌ ما هم.

والمصيبة أنّ كثيرين منهم يظنُّون أنّ تصحيح العَقِيْدَة هو مجرّد التّوغّل في بحوث الأسماء والصّفات، ومحاربة القبور والموتى والمزارات، وما دروا أنّ صحّة الاعتقاد تشمل كافّة مناحي الحياة عَقِيْدَةً وعبادةً وسلوكاً واتباعاً.

حتَّى صار الدَّاعي إلى الله، وإلى حقيقة العودة إلى دينه غريباً بين النّاس، قابضاً عَلى جمرة الصّبر، منطوياً عَلى حُرقة المعاناة تمامًا كما وصف رسول الله ﷺ، فقد انتشرت البِدَع، واندثرت كثيرٌ من السُّنن حتَّى عند الملتزمين من المتديِّنين وهم القلَّة في الأُمّة، وأما أكثر باقي الأُمّة، فما هم في السُّنة ولا في البِدَعة لقد أصبح أكثرهم يستنُّ بسُنن المُغنّيين والمُغنّيات والرّاقصين والرّاقصات والرِّيَاضيين والرِّيَاضيات، الأحياء منهم والأموات، وأصبحت دور الأزياء ورموز الفنّ والمجلّات، ونجوم الشّاشات الصّغيرة والكبيرة نموذجاً للتَّقليدِ والإتِّباعِ، ولم يَعُد عند هَؤُلَاءِ من النِّسبة لأهل الإِسْلَام إلا التّسمّي بالأسماء والتّمسّك ببعض العادات والتَّقاليد ذات الأصول الدّينيّة مع بعض رسوم العِبَادات والمواسم الدّينيّة.

****

٤- انتشار الفسوق والعصيان والمجاهرة بالمُنكرات:

فقد صار هذا سمت أغلب المنسوبين للإسلام، وماذا نسوق من الأمثلة وعن ماذا نعرض؟! فالبلاء عامّ، والكوارث طامة.

فإذا جئت لدنيا المال والأعمال ومعايش النّاس؛ لرأيت أكثر النّاس لا يبالون هل حصلوا رزقهم من حلالٍ أم من حرامٍ، ولرأيت التَّعامل بالرِّبا قد حلّ في كلّ زاوية، وأنّ النّاس يأكلون أموالَ بعضهم بالبَاطِل، بالغشّ والخداع وبيع العينة ونظام البُنوك والتّعاملات، وأما معاملات الأسواق فقائمةٌ أصلاً عَلى الحرام، هذا ناهيك عن تفشّي الرّشوة والفساد والسّرقات والاحتيال والنَّهب.

وإن جئت لوسائل الإعلام من الفضائيَّات والدّشوش وشاشات التّلفزيون إلى محطات الإذاعة إلى شبكات الانترنت والمعلومات الدّولية إلى الصّحف والمجلّات، إلى المُنتديات والمَراكز الثَّقافيَّة... إلخ،

لرأيت غالبيّتها مصدر البَلاء وبوّابات الشّياطين عَلى بني البَشر، فإن سمّتها الأساسيّة قائمة عَلى أنواع المحرّمات والموبقات، من الموسيقى والطرّب إلى اللّهو والعريّ وعروض الاختلاط وبَرَامج الزّنا والدّعارة، إلى نشر الرَّذِيلة وأفكار الفساد وموديلات الأزياء الغربيّة الفاضحة، هذا ناهيك عن نشر فلسفات الإلحاد وأفكار العلمانيّة والثّقافات المحاربة لله ورسوله ودين المُسلِمِين، هذا فضلاً عما ابتدعوه حديثاً من عرض ما أَسموه (الإِسْلَام المُعتدل) ونموذج حياة أصحابه وطرق تفكيرهم، وقد صار لبوابات الضَّلال هذه فُقَهَاء ومُفتون وأُسُسا تُؤطِّر للكفر والمروق من الدّين باسم الإِسْلَام (المعتدل) بدعوى مواكبة العصر وعدم إعطاء الحجّة لأعداء الدّين بتهمتنا بالتّطرف والإِرهَاب، ويكفيك أن تتابع عَلى الفضائِيَّات بَرَامج (فتاوى عَلى الهوا) ولو صدقوا لكتبوها بالألف المقصورة لتصبح (فتاوى عَلى الهوى) عَلى هوى كفار الحكَّام وفسّاق المحكومين.

وأما حياة أكثر المُسلِمِين الاجتماعيَّة والأخلاقيّة، فلم تعد تقوم عَلى أصول الإِسْلَام من الحياء والحشمة والصّدق والإخلاص والرّحمة والتّعاون عَلى البرّ والتّقوى، فحياة أكثر العامّة قائمة عَلى الرّياء والنِّفَاق والغيبة والنّميمة، وقطيعة الرّحم، والتّدابر والتّناكر، والتّحاسد والكذب، والغشّ والمكاسب الحرام، هذا ناهيك عن انتشار السّفور حتَّى صار الحجاب نادراً ومحارباً عَلى الصّعيد الرّسميّ والاجتماعيّ، كما أدَّت حياةُ الاختلاط وعمل المرأة في أوساط الرّجال في كلّ مجال إلى انتشار الفساد والرَّذِيلة والخيانات الزّوجيّة، وتفشّى الزّنا، وانتشار الطّلاق، مما أورث المجتمعات أمراضاً خطيرةً لم تكن فيها من قبل، هذا فضلاً عن مصائبِ السياحةِ وشواطئِ العراةِ، وأنديةِ الرَّذِيلة ومقاهي الفساد، وصالات الأفراح، وملاهي المُجون، وانتشار الخمور والمخدّرات وصالات القمار ومختلف أنواع المحرمات.

وأما عن الحياة الثَّقافيَّة والفكريّة! فثقافات مُستوردة من شرقٍ وغربٍ، وفلسفاتٍ قائمةٍ عَلى الإلحاد والعلمانيّة والتّنكّر لدين هذه الأُمّة وهويّتها وأصالتها في كافّة مجالات الفكر والثّقافة والأدب والفنون، وكأنّه لم يكفنا ما حصل لنا عبر العقود المُتوالية منذُ الإحتلال وما تلاه من بلاء حُكُومَات الإستقلال، فها هيَ أمريكا اليَوْم تطاردنا بمخطّطاتٍ تُغيِّر مناهج التّعليم والإعلام والتّدريس الدّيني

عَلى كلّ صعيد، وتصنع لنا بَرَامج التَّغيير الثّقافيّ لتطال كلّ مجال، في اللّغة والتّاريخ والدّين والثّقافة وكل مكوناتنا الحَضَاريَّة والدّينيّة.

وأمّا عن الحياة السّياسيّة، فمجالٌ أخصبُ للفساد والبُعد عن الدّين؛ فقد انتشرت الأحزابُ والتّياراتُ والتَّجَمُّعاتُ السّياسيّة القائمة عَلى معتقداتٍ وأفكارٍ مناهضةٍ لدينِ الإِسْلَام، ويكفي أن تستعرض الشّرائح السّياسيّة في بلاد المُسلِمِين داخل ما يسمّى (البرلمانات)، ويكفي أن تطّلع عَلى قوانين تشكيل الأحزاب وسَيرِ الإنتخابات، حتَّى تعلم أيّ نوعٍ من البشر صار هَؤُلَاءِ الّذين يسمّون (مُسلِمِين)! ولتدرك أنّ بينهم وبين كلّ أمّةٍ نسبٌ إلّا مع أمّتهم ودين آبائهم وأجدادهم!

فقد صارت (الدِّيمقراطيَّة) ونموذجها الغربيّ ديناً يُعتقد، وتسيل في سبيله الدِّماء في المظاهرات وعلى صناديق الاقتراع، وأما الأحزاب الّتي تسمَّى (إسلاميّة) فبَرَامجها السّياسيّة قائمةٌ عَلى مزيجٍ من الأصول الإِسْلَاميّة والدِّيمقراطيَّة الغربيّة مع كمٍّ من الفكر المُستورد ومنوَّعات من الإنحرافات والبِدَع الّتي اخترعها أصحابها ومزجوها ببعض أصول الدّين ليسمّوها (بَرَامج إسلاميّة) و(أحزاب إسلاميّة)، بل ليطلقوا عَلى ضلالها مصطلح (فقه برلمانيّ)!

وهكذا دبَّ الفساد في كافّة مرافق الحياة، السّياسيّة، والدّينيّة، والاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، والأخلاقيَّة، والفكريّة، والثَّقافيَّة...إلخ.

وكيف لا ينتشر الفساد والرَّذِيلة ومقوّمات الصّلاح في أمّة الإِسْلَام قد دبّ فيهما العطب: فكما روي في الأثر:«**صِنفَانِ مِنَ النّاسِ إذا صَلحَا صَلَحَ النّاس وإذا فَسَدَا فَسَد النّاس، العُلَماءُ والأمراءُ**»(١).

كيف لا ينتشر الفساد ويجاهر بالمُنكرات ؟ والحُكُومَات القائمة في كافّة بلاد الإِسْلَام مشجّعة عَلى ذلك؟! تنفق ميزانيّاتها ومصادر ثرواتها في وجوه الفساد والإفساد، كيف لا والقيادات السّياسيّة والأمراءُ منَ المُلُوكِ والرُّؤساءِ والسَّلاطينِ وحاشيتِهم ووُزرائهم ومُشرِّعيهم وقياداتهم العسكريّة

---

(١) أثرٌ مروي عن عبدالله بن المبارك وبعض السَّلف، ولم تصح نسبته لابن عباس فقد رواه أبو نعيم في الحلية عنه ﵁ وقال الألباني: موضوع عن ابن عباس – ضعيف الجامع (٣٤٩٥).

والأمنيّة والسّياسيّة، هم أئمة الرَّذِيلة والفساد، وهم من أكابر روّاد مراتع الُمنكر وهم المستخفّون بلا حياء بشرائع الدّين وشعائر الإِسْلَام؟! إنَّهم باختصار: أئمَّة الكفرِ والفَسادِ.

وكيفَ لا وعلماءُ الُمسلِمِين ومَشَايِخِهم وقادَتِهم قد هجروا الأمرَ بالمعروفِ والنّهيَ عن الُمنكر وصارَ أكثرُهم مجرّد (ديكور) يكمّل به الحكّام موائدهم ومنصّاتهم وصالوناتهم، في الإجتماعات والحفلات والمناسبات! كيف لا والصّالحون منهم اكتفوا بالسّكون في جحور العجز وأعذار الرَّخص والتقيَّة! حتَّى صغر شأنهم وهيبتهم في أعيُنِ العامّة ولم يعودوا قدوةً تُحتذى بل زهّدوا النّاس في أمور الدّين وصارَ كثيراً منهم نموذجاً للضِّعَة والتَّخلُّف والعمالة والجهل.

****

٥- غربة أهل الحقّ:

ومن جرَّاء مَظاهر فَساد الدّين واستعلاء أَهل الضَّلالة، وكَون أَكثر أَكَابر النَّاس في مُجتَمعَات الُمسلِمِين هم أَكَابِر الُمجرمين مِمَّن قَدَّمنا أَحوالهم مِن أعيان رِجال السِّيَاسَة والتِّجارة والفُنُون والفَسَاد ومَن فِي حَاشِيَتِهم من الُمنحرفين.

فقد أصبحت الفئة المتمسكة بدينها، الآمرة بالمعروف الناهية عن الُمنكر، الداعية إلى تغييره، صارت غريبة في المجتمع، وأصبحت الثلة المؤمنة المتمسكة بالاعتقاد الصَّحِيح والسُّلُوك الملتزم بقواعد الدّين غريبة في تلك الفئة الصّالحة، وصارت القلة الُمجَاهدة في سبيل الله، الُموَاجَهة لأعداء الله في الداخل والخارج من أجل تصحيح هذه الأوضاع ودفع هذا البلاء، صارت هذه القلّة غريبة في تلك الثّلّة، وصار حالها إلى ما وصف رسول الله ﷺ مما قدّمنا له في فصل الغُربة والغُرَباء والظَّاهِرين عَلى الحقّ.

وعلى هذا الحال انصرم القرن الميلادي العشرون ودخلنا في القرن الحادي والعشرين، لتجد أنّ أكثر النّاس وكأنّهم يتهيّؤون لإتّباع المسيح الدَّجَّال، لا يحول بينهم وبين ذلك إلا خروجه، والعياذ بالله ونسأل الله السَّلامة في ديننا وأعراضنا وأنفُسِنا وذريَّاتنا وكلِّ أمرنا.

****

﴿ ثانياً: ذهاب الدُّنيَا ﴾

وأما عن ذهاب دنيا أكثر المُسلِمِين، فإن الأكثرية السَّاحقَة للمليار وربع المليار من المُسلِمِين تعيش في هذا الزّمان معيشة ضنكا، من سوء حال دنياها، وضيق معايشها، فضلا عما قدمنا من فساد دينها وبعدها عن ربها، ويكاد يطابق حال أكثرهم ما وصف رسول الله ﷺ في الحديث الّذي رواه ابن ماجة وصححه الحاكم من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حيث قَالَ: «وَإِنَّ أَشْقَى الْأَشْقِيَاءِ مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ»(١) فكأن غالبهم يصير إلى هذا الحال ما لم تتداركهم رحمة الله وعفوه.

وتتجلى مظاهر ذهاب دنيا المُسلِمِين وأسبابها في أمورٍ كثيرة لعلّ أهمّها ما يلي:

١- سرقة بيت مال المُسلِمِين وثرواتهم الأساسيّة:

فمن المعلوم للقاصي والداني أن منطقة الخليج العربيّ تحتوي عَلى أكبر احتياطي للنفط المعروف في الكرة الأرضية، وهو خزان النّفط الأوّل في الأرض كما أن الكشوف الحديثة أثبتت أن الخزان الثّاني في الأهمّيّة عَلى مستوى العالم هو في منطقة جمهوريّات وسط آسيا الإِسْلَاميّة، والمنطقة الممتدة من بحر قزوين إلى القفقاس، بالإضافة إلى أن ثروات نفطية وغازية هامة أُخرى تتركز في بلاد العراق والشّام، وهنالك بحيرة نفطية أُخرى في جنوب السُّودَان والقرن الأفريقي وثالثة ممتدة من مصر إلى الجَزَائِر، هذا عَلى صعيد الثّروات الأساسيّة في العالم الحديث وهي مصادر الطاقة الّتي تشكل الثقل الأساسي اقتصادياً وسياسيّاً بل واستراتيجياً عَلى كلّ المستويات، فإذا ما أضفنا إليها أن العالم الإِسْلَاميّ الممتد من أفغانستان والباكستان والفلبين شرقا إلى شواطئ المحيط الأطلسي وسواحل المغرب وموريتانيا والسنغال غربا ومن أوسط آسيا والقفقاس والبلقان وشمال أفريقيا شمالا وإلى جنوب آسيا وجزر إندونيسيا وأواسط أفريقيا السوداء جنوبا إذا علمنا أن هذا العالم الإِسْلَاميّ يمتلك من الثّروات المعدنية المختلفة مخزونا هائلا استراتيجيا، بحيث أن عددا من دوله تعتبر من الدّول الأولى المصدرة لمعادن صناعية هامة وإذا

---

(١) سبق تخريجه.

أضفنا إلى ذلك الثّروات الحيوانية والزراعية الّتي تتوفر عليها هذه المناطق، بالإضافة لما توفره مصادر المواصلات البرية والبحرية والجوية وحقوق (الترانزيت) لهذه المنطقة الّتي تحتوي عَلى أهمّ أربع مضائق ومعابر مائية عالميّة من أصل خمسة هيَ مضيق هرمز، وباب المندب، وقناة السويس، ومضيق جبل طارق وتشكل أجواؤها عقدة مواصلات بين الجهات الجغرافيّة الأربع في العالم; لعجبنا كيف أن هذه المنطقة تشتمل عَلى بلاد قد تصدرت قوائم الدّول الأكثر فقرا وتخلفا وجهلا وأمية في العالم!! وأن الأكثرية السَّاحقَة لشعوب هذه المنطقة بما فيها شعوب دول نفطية ذات عضوية في منظّمة الأوبك تعيش تحت خط الفقر، رغم أن الإحصائيات الاقتصاديَّة المنشورة علنا من قبل مراكز الدراسات العَالَمِيّة، تشير إلى ثروات خيالية، تفوق الحصر وتذهل المطلع.

ويكفي عَلى سبيل المثال أن نعلم أن ٦٥٪ من استهلاك أوروبّا للغاز الطبيعي يأتي من الجَزَائِر مرورا بالمغرب، وأن نعلم أن جَزِيرَة العَرَب وهي عقر دار الإِسْلَام وبيت مالهم الأساسي تحوي ٧٥٪ من احتياطي النّفط المعروف في الأرض، وأنها تنتج نحو ١٦ مليون برميل نفط يوميا!! وأن أحد حقول النّفط في جنوب العراق قادر عَلى إنتاج ٥ مليون برميل نفط يومياً هذا عدى ما ينتج من الغاز فيها، هذا عدا ما هو معلوم من احتياطي النّفط والغاز في بلاد مثل إيران والجَزَائِر وسوريا والسُّودَان، وعن ثاني أكبر احتياطي للنفط في العالم في محيط ببحر قزوين.

فكيف اتفق هذا ؟! أن تكون شعوب أغنى بقعة في الأرض، هيَ أفقر شعوب الأرض!

يزول العجب إذا اطلعنا عَلى آلية السرقة التارِيخِيَّة الأسطورية الّتي يمارسها الغرب بدوله المختلفة، وعلى رأسها أمريكا ودول أوروبّا النّاتو وروسيا، وهم العدوّ الصّليبيّ الزاحف علينا اليَوْم، حيث يمول حُرُوبه الّتي تزهق أرواح أطفالنا بأموالنا وثروات بيت مالنا، إنهم ببساطة يأخذونها ويذبحوننا بها! يأخذون بترولنا ليحركون به طائراتهم وأساطيلهم ودباباتهم الآتية لقتل أطفالنا ونسائنا، ولتعود أرباحه عَلى شعوبهم لتعيش رفاه العيش.

إن الثّروات تسرق من مصادرها، لأنها تستخرج كلها عبر شركات أجنبية تشرف عَلى مراحل الاستخراج والتسويق والتجارة، وتدير البنوك الدّولية حيث تستقر الأرصدة، فتستكمل دائرة السرقة من البداية إلى النهاية!!

ذلك أن السرقة تبدأ من عقد العقود مع الحُكُومَات الخَائِنة عميلة اللصوص المُستَعمرين الّذين يمتلكون ويديرون تلك الشركات، حيث يذهب ما بين ٤٠-٦٠٪ إليهم عبر عقود الشراكة، وهذه أول مراحل السرقة! ثمّ تأتي المَرحَلَة الثّانية من السرقة بتزوير كميات المواد المستخرجة لأَنّهم هم المشرفون عَلى استخراجها بواسطة مهندسيهم وخبرائهم، فضلا عن رشوتهم للمشرفين من حاشية حكامها عَلى هذه الثّروات من أجل تزوير الكميات في العديد من البلاد، ثمّ تأتي ثالث مراحل السرقة، في تحديد أسعار هذه المواد وتسويقها عالمياً بأبخس الأثمان، ويكفي أن نعرف أن السعر الحقيقي المفترض أن يكون لبرميل النّفط الخام إذا ما قيس بأسعار المواد المصنعة، ودوره في تشغيل مصانعها هو بحسب بعض مراكز الدراسات الاقتصاديَّة العَالَمِيّة في بلاد الغرب ذاته ٢٦يجب أن يكون ٢٦٠ دولار للبرميل الواحد، في حين لم يتجاوز في الحقيقة سعره عالمياً في تاريخه ٤٥ دولار!! وقد تراوح في معظم وقته حول ٢٠دولار للبرميل! وانخفض في بعض الأحيان عن ١٠ دولار!! كلّ ذلك لأن أسياد البورصة العَالَمِيّة الّتي تلعب باسعار البضائع الأساسيّة، وقيمة العملات الدّولية، هم من اليَهُوْد ومن كبار الرأسماليين الصّليبيّين، أي نفس المحتل المُستَعمر لبلادنا! ثمّ نضيف للمأساة فصلا جميلا حين نعلم أن حُكُومَات بلادنا العميلة، واللصوص المحليين من حكامنا وملوكنا وأبنائهم وإخوانهم وكبار حاشيتهم، يحصلون من هذا البترول عَلى هبات من خارج الحصص المقرر إنتاجها عالمياً في تلك البلاد، فيبيعوه بنحو٣ دولار للبرميل الواحد في المياه الدّولية وأعالي البحار، فيخسفون بسعر النّفط عالميا، ولكن ناقلة صغيرة من نصف مليون برميل تكفي عائداتها (١,٥ مليون دولار) لتغطية مصاريف نزواتهم من الزنا والفجور والقمار لعدة أسابيع!!!

هذا مثال واحد من عالم النّفط وقس عليه كافّة الثّروات وطرق سرقتها.

ثمّ تأتي المَرحَلَة الرَّابعة من السرقة، حين تنتقل حصة بلادنا من ثمن هذه المواد إلى بنوكهم، لتتحول إلى أرقام وأصفار الكترونية متراكمة عندهم في الحسابات يشغلون بها اقتصادهم ولا يسمحون لحُكُومَاتنا أن تسحب منها إلا كميات محدودة ومحسوبة، لتذهب معظمها في شراء المواد الصناعية والأَسْلِحة واحتياجاتنا مما نستورده من عالمهم المصنع، حيث يفرضون أسعار موادهم كما يحبون ويشتهون! بل يفرضون عَلى بلادنا نوع وكميات السّلاح والذخائر الّذي نستورده! وسعره طبعا! يكفي مثالا أن أحد نواب مجلس الأُمّة الكويتي قد فجر فضيحة حين كشف عن فاتورة بمليارات الدّولارات الّتي تحاسب بها أمريكا الكويت عن نفقات قوّاتها هناك، حيث سجل في مصاريف الطعام ثمن (الخسة) من الخضار المستخدمة في السّلطة ٣٠ دولار أمريكي!!

لتكتشف في نهاية المطاف أنّنا لا نحصل من ثرواتنا إلا عَلى نسب مئوية مضحكة يذهب معظمها للحسابات السرية لحكامنا وجلادينا في البنوك السويسرية والأوروبية والأمريكيّة ذات الإدارة اليَهُوْدية، ولا يصل للشعوب إلا ما يغطي نفقات تلك الحُكُومَات وبعض مشاريعها الأساسيّة، أما معظم الثّروات المعدنية فهي تسرق بنفس الطَّريقة وتنقل غالبا عَلى شكل فلزات وأحجار ومواد خام للتصدير، بحيث لا تصنع وتستخلص محلياً حتَّى لا يكون في أكثر تلك البلاد بنى تحتية صناعية ولا تستعمل اليد العاملة المحليَّة فيها إلا عَلى صفة حمالين من المناجم إلى موانئ التّصَدّير!!

وهكذا تحولت تلك الثّروات والنعمة العظيمة الّتي منحها الله بلاد عباده المُسلِمِين، إلى نقمة صارت سببا لتصارع الحُكُومَات والانقلابات السّياسيّة والعسكريّة محلياً من أجل تولي السّلطة، والإشراف عَلى نهب هذه الثّروات وتسليمها للسيد المُستَعمر من قبل الحكَّام المرتدّين المتعاقبين عَلى حكم بلادنا، وسببا في النهاية للغزو الأجنبيّ والحُرُوب والموت ولباس الخوف والجوع، هذا ناهيك عما تفرضه أمريكا عَلى معظم حُكُومَات بلادنا ولاسيما في عقر دارهم وبيت مالهم (جَزِيرَة العَرَب) من فواتير تكاليف غزواتها في بلادنا عَلى شكل نفقات قوّات (حفظ السَّلام) و(المساعدات العسكريّة) المزعومة!! وهو الاسم الملطف للاستعمار العسكريّ الحديث، كما فعلت أمريكا بالسّعُودِيّة عندما قدرت تكاليف (عاصفة الصَّحرَاء/ تحرير الكويت) بـ (٥٦٠ مليار دولار)! فاستولت عَلى ميزانية السّعُودِيّة

لديها وجعلت ما عجزت عنه عَلى شكل ديون ربوية جعلت السّعُودِيّة – أكبر مصدر للنفط في العالم – دولة مدينة ربوياً لصندوق النقد الدّولي!! هذا بعض ما كشفته وسائل الإعلام، والمخفي عنا أدهى وأعظم وأمر.

****

٢–سوء توزيع الثّروة في بلادنا الإسْلَاميّة:

لا تنتهي مأساة سرقة بيت مال المُسلِمِين وثرواتهم عند حد سرقتها، فالمصيبة الأعظم هيَ أن ما يسلم من الثّروات المحليَّة وما يصل منها لبلادنا يتولى سرقة معظمه حفنة من الحكَّام الفراعنة المسيطرين عَلى مقدرات البلاد والعِبَاد لينهبوا معظمه، وليتقاسموا بعضه مع المقربين من حاشيتهم وشركائهم وعملائهم وكبار التجار والقائمين عَلى أجهزتهم السلطوية والطَّاغوتية! فيكفي أن تعلم أن ثروات بلاد الخليج النفطية والغازية الّتي تجاوز مواردها المليار دولار يوميا، يتقاسمها أسر حاكمة ومالكة لا يتعدى تعداد أفرادها في بعض الدّول العشرات من الأمراء، وهم بمجموعهم في دول الخليج العربيّ لا يزيدون عَلى بضعة مئات من الملوك والأمراء وكبار أبنائهم، يتقاسمون ثروة الأُمّة الإِسْلَاميّة بكاملها، فيكفي أن تعلم مثلا أن المصروف اليومي للأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثّاني لملك ما يسمى بـ (المملكة العربيَّة السّعُودِيّة) يبلغ ٣ مليون دولار يومياً بحسب بعض مراكز الدراسات الملمة بإحصائيات دنيا المال والأعمال وحياة الأغنياء! حيث تغطي هذه المبالغ خدمات قصوره الممتدة من سواحل أمريكا إلى أوروبّا إلى شرق آسيا بما فيها من خدمات اللهو والدعارة والقمار والفساد، وقس غيره عليه، ومن الطريف المحزن أن تعلم أن الأخبار قد نشرت أن فيصل بن فهد ملك السّعُودِيّة مات فجأة بسكة قلبية لأنه خسر عَلى موائد القمار في بعض معاركه عَلى طاولة الميسر (١٠ مليار دولار) يعني عشرة آلاف مليون دولار، وقس عليه حُكَّام باقي بلاد العالم الإِسْلَاميّ المنكوب حيث يتولى أبناء الملوك والرؤساء وكبار أعوانهم وقواد جُيُوشهم وأجهزة استخباراتهم تقاسم ثروات البلاد، بحيث يعيش معظم أفراد الشّعوب الإِسْلَاميّة عملياً تحت خط الفقر بموجب إحصائيات دراسات اقتصاديَّة واجتماعيَّة يتفطر لها القلب ويندى لها الجبين فسوء توزيع الثّروة يتدرج عَلى كلّ المستويات.

فثمة سوء توزيع للثروة بين البلاد الإِسْلَاميّة ذاتها بحكم التقسيم السّياسيّ الاستعماريّ لبلاد العالم الإِسْلَاميّ وتوزيعها بين دول غنية متخمة ودول فقيرة هالكة، ففي حين يصل متوسط دخل الفرد في بعض البلاد الإِسْلَاميّة مثل بنغلادش وأفغانستان وبعض البلاد الأفريقية الإِسْلَاميّة ليقل عن ١٠٠ دولار في السنة للفرد! أي نحو ربع دولار يومياً يصل متوسط دخل الفرد في البلاد الخليجية إلى عشرات آلاف الدّولارات سنوياً للفرد الواحد حيث تسجل بعضها –مثل الكويت وقطر– أعلى معدل لدخل الفرد في العالم، ثمّ هناك سوء توزيع ثروة داخل كلّ بلد، ففي حين تصل ثروة بعض الأفراد في بعض البلاد الإِسْلَاميّة حتَّى الفقيرة ولاسيَّما في طبقات السِّلطة العليا في كلّ بلد إلى مرتبةِ المليارديرات، حيثُ يتصدَّر بعض حُكَّام بلاد المُسلِمِين وبعض أبنائهم وإخوانهم قوائم أغنى عشر مليارديرات في العالم، تجد بعض أفراد رعيتهم يموتون جوعًا وتُسحَقُ البَطالة مُعظم أفرادِ شُعوبهم.

كلّ هذا علمًا أنَّ من أساسِيَّات ديننا أنَّ أمَّة الإِسْلَام واحدة، وأنَّ ذمَّتهم واحدة، وتكاملهم واحد، حتَّى أنَّ رسول الله ﷺ، أخبرنا بأنَّه ما آمن من بات شبِعاً وجارُه جائعٌ ... الحديثَ[1].

فثروات المُسلِمِين هيَ ملك المُسلِمِين، بمعنى أنَّ جميعَ الثّرواتِ لجميعِ المُسلِمِينَ.

ولكنَّ تقسيمات وزارات المُستَعمراتِ الغربيّةِ لبلادنا قسَّمت الثّرواتِ ووزَّعت الفقر والغنى، فأين حالُ الأُمّة ممَّا كانَ عليه الأمرُ الأوّلُ؟!

فقد روت الآثار أنَّ الصّحابة رضوانُ الله عليهم لَمَّا فتحوا العراق وكَثُرَتِ الغنائم والمال، نظر عمرُ في سعة الأرض بعد فتوح العراق وما أفاء الله عَلَى المُؤمِنِين، فجمع الصّحابة وناظرهم في أنه يرى ترك أراضي سواد العراق لبيت مال المُسلِمِين، ثروة لمن يأتي من بعدهم رغم أن بعض الصّحابة احتج وطالب بأن تقسم عَلَى المُجَاهدين الّذين غنموها، وكان لهم في ذلك أدِلّة ونصوص من كتاب وسنة.

ومما جاء من الآثار في ذلك:

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :«ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه»، رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢) وصححه الألباني (الصحيحة ١٤٩).

«عن أَسْلَمَ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ: " اجْتَمِعُوا لِهَذَا الْمَالِ، فَانْظُرُوا لِمَنْ تَرَوْنَهُ وَإِنِّي قَدْ قَرَأْتُ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ سَمِعْتُ اللهَ يَقُولُ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الحشر: ٧] إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠] وَاللهِ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا وَلَهُ حَقٌّ فِي هَذَا الْمَالِ، أُعْطِيَ مِنْهُ أَوْ مُنِعَ، حَتَّى رَاعٍ بِعَدَنَ».(١)

فقد فكَّر رضي الله عنه في الّذين جاؤوا من بعدهم، وقال رضي الله عنه: (وَوَاللهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ، لَيَأْتِيَنَّ الرَّاعِيَ بِجَبَلِ صَنْعَاءَ حَظُّهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَهُوَ يَرْعَى مَكَانَهُ)(٢).

وقال رضي الله عنه: (ما عَلى وَجْهِ الأَرْضِ مُسلِمٌ إلّا وَلَهُ فِي هَذَا الفَيء حَقٌّ أُعطِيَهُ أو مُنِعَهُ إلَّا ما مَلَكَت أَيْمانُكُم)(٣).

وقد ضرب عمر رضي الله عنه المثال بحق فقير يمني بما فتح الله في العراق، وهي من أبعد ما كانَ يصل إليه حكمه من ديار الإِسْلَام عن مكان الثّروة والمال الجَدِيد، فجعل لأهلها نصيبا مما دخل بيت المال من الثّروات حتَّى الزراعية وهي أرضي سواد العراق، فما بالك بثروات باطن الأرض الطائلة ؟! ولكن السياسات الاستعماريّة قسمت البلاد وأذلت العِبَاد، حتَّى تمكنت من سرقة الجزء الأكبر، وجعلت المُسلِمِين يتفاضلون فيما بقي منه في أسوء مثال لتوزيع الثّروة في التّاريخ والواقع، وبذهاب الثّروة وضياعها وسوء توزيع ما تبقى منها، نتجت نتائج خطيرة جدا عَلى الصعيد الاقتصاديّ والاجتماعي والسّياسيّ في بلاد المُسلِمِين، وانعكست بالإضافة لما نتج عن غياب شرع الله والحكم به مما قدمنا، لتولد باقي أعراض ذهاب الدُّنيَا نكد العيش عَلى كلّ صعيد، ومن بعض وجوه ضياع الدُّنيَا ونكد العيش عَلى سبيل الذكر وللإشارة.

****

(١) كنز العمال (١١٥٤٧)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٣٠٠٢) وحسنه الألباني في إرواء الغليل (١٢٤٥).

(٢) كنز العمال (١١٥٤٧)، وروى أحمد (٢٩٢) نحوه وصححه أحمد شاكر.

(٣) كنز العمال (١١٥٤٨)، وأخرجه الشافعي في مسنده ص٣٢٥، وصححه الألباني إرواء الغليل (١٢٤٥).

٣- الظُّلم:

إن غياب عدالة الشّريعة، وغياب عدالة توزيع المال، جعل أكثر النّاس وحوشا ضارية يأكل بعضهم بعضا ويظلم بعضهم بعضا، والناظر في تسلسل مراتب الظُّلم والمظالم يجده طابعا أساسياً لعيش المُسلِمِين، فأمريكا والدّول الاستعماريّة تظلم بلاد المُسلِمِين حكاماً ومحكومين وتخضعهم لجبروتها، والحكَّام الفراعنة يظلمون من تحتهم من أعوانهم وشعوبهم ويقهرونهم، وكبار الأعوان يظلمون صغارهم بحسب تفاوت قربهم وبعدهم من السُّلطَان، وبحسب مناصبهم وصلاحيات طغيانهم، وهم بجملتهم يظلمون باقي النّاس بحسب قدرتهم أيضا أغنياءَهم وفقراءَهم عَلَى حد سواء، ويبتزون أموالهم وينتهكون حرماتهم، وحتى داخل طبقات الشعب ؛ فإنك تجد القوي يظلم الضعيف، والغني يظلم الفقير، وهكذا، حتَّى أن الظُّلم كاد أن يكون عرفا مقبولاً، لا تكاد تجد عليه اعتراضاً من أحد، وكأنه قدر مقدور لا طاقة ولا قبل لأحد بإزالته، حتَّى أصبحت المحاكم وهي ما تسمَّى (بيوت العدالة) أصبحت دورًا لأخذ الرشوة وأكل الحقوق، فأين ينتصف مظلوم من ظالم؟!

****

٤- القهر والذل:

وهكذا ألبس النّاس ثياب الذّلّ والانكسار، كلّ ضعيف تجاه من هو أقوى منه، وكل فقير تجاه من هو أغنى منه، وكل محكوم تجاه من بيده شيء من السُّلطَان أكثر منه، وأصبحت الضغائن ومشاعر القهر تسيطر عَلَى معظم النّاس تجاه حكامهم خاصّة، وفيما بين أكثريتهم عامة، وأورث هذا النّاس أمراضا اجتماعيَّة مستعصية من الرياء والنِّفَاق والتحاسد والتباغض.

****

٥- الخوف:

وأما لباس الخوف فهو سربال يتسربل به أكثر المُسلِمِين منذُ نعومة أظفارهم بسبب ما تقدم من العوارض، فالمسلمون حكاما ومحكومين يخافون من سيطرة وسلطان الأَعدَاء وعدوانهم، والشّعوب تخاف حكامها، وكل ضعيف يخاف من هو أقوى منه.

ففي ظل الأنظمة البوليسية حيث تتعدد أجهزة الإستخبارات، ويتفنن الجلادون في صنوف التعذيب، وتنفق الحُكُومَات قسطا كبيرا من ميزانيتها في بناء السّجون، يسيطر الرعب عَلى كافّة طبقات النّاس، فالموظف يخاف المدير، والأستاذ يخاف المخبر من التلاميذ، والسائق يخاف شرطي المرور، والمواطن يخاف المخابرات، والمتظاهر يخاف القمع، وخطيب الجمعة يخاف الجاسوس بين المصلين، والكتاب يخافون الرقابة، وهكذا، إلى الحاكم العميل الّذي يخاف من أمريكا، ويواليها خوفا وطمعا كي تُبقي عليه، وتضمن توريث ملكه لأبنائه أو ذويه وأتباعه.

****

٦- الجوع والأمراض:

وبسبب سرقة بيت مال المُسلِمِين الأساسي (نفطهم وثرواتهم)، وبسبب سوء توزيع ما تبقي ونهبه من قبل الكبراء، ألبس النّاس لباس الجوع مع لباس الخوف، فالأكثرية السَّاحقَة للمسلمين تعيش تحت خط الفقر، وتثبت هذا إحصائيات المنظمات المحليَّة والعَالَمِيّة ذات العلاقة بهذا الشأن، كما أن كثيرا من بلاد المُسلِمِين مثل بلاد القرن الأفريقي وبنغلادش وسواها تجتاحها المجاعات والأمراض والكوارث، الّتي تحصد مئات آلاف البشر كلّ سنة، ومعظم بلاد المُسلِمِين نتيجة اختلال موارد الثّروة تعيش حياة متدنية عَلى مستوى الخدمات الصحية، مما نشر الأمراض المزمنة والأوبئة وجعل إمكانيَّات الحكومة دون مستوى التّصَدّي لها، كما جعل تكاليف العلاج بعيدة عن متناول معظم العائلات الفقيرة.

وقد أودى الفقر بكثير من الشَّبَاب والرّجال إلى الرحيل عن بلادهم طلبا لموارد الرزق، حتَّى صارت كثير من بلاد المُسلِمِين كالباكستان ودول شمال أفريقيا وتركيا وسواها، بل معظم بلاد المُسلِمِين مصدرا لتصدير العمالة الرخيصة المهاجرة إلى كافّة أنحاء العالم ليضيع الرّجال شبابهم بعيدا عن أسرهم

ونسائهم وأطفالهم من أجل كفاف العيش، أما عن الجهل فحدث ولا حرج، ويكفي عَلى سبيل المثال أن نعلم أن الإحصائيات تشير إلى وجود (٦٥ مليون) أمي في العالم العَرَب فقط، علما أن تعداد السّكّان فيه يناهز الـ٣٠٠ مليون نسمة!!

٧-القتل الجماعي:

تتعرض كثير من بلاد المُسلِمِين اليَوْم لحملات للإبادة الجماعية من قبل المُستَعمر الغربيّ في ظل النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وتكاد لا تخلو نشرة أخبار يوميًّا من خبر أو أكثر عن تلك المجازر، فخلال العقدين الأخيرين فقط، حصدت المجازر مئات آلاف المُسلِمِين في البوسنة، والشِّيشَان، وكوسوفو، وكشمير، والهند، والفلبين، وأفغانستان، والعراق، وفلسطين، ولبنان، والصّومال، وإندونيسيا، ونيجيريا، وبورما، واريتريا، وكردستان العراق، وغيرها.

بل إن حملات القتل المنظّم والتّجويع نالت ملايين الأطفال كما في العراق، حيث لم تكتف أمريكا بقتل أكثر من ٣٠٠ ألف مدنيّ وعسكريّ في حرب الخليج الثّانية (عاصفة الصَّحرَاء)، فقتلت عبر ١٠ سَنَوات من الحصار أكثر من مليون ونصف طفل من سوء التّغذية وانعدام الدَّواء، وملف المجازر الجماعيّة وعمليَّات الإبادة العرقيّة والتّصفية الجسديّة الحاصلةِ للمسلمين اليَوْم تحتاج إلى مجلّدات قائمة بذاتها ومؤرّخين متفرّغين يتابعون تفصيلها وإحصائيّاتها!

هذا ناهيك عن عمليَّات القتل والإبادة عبر أنظمة وبَرَامج تحديد النّسلِ، والأدوية المعقِّمة والفاسدة والنّاشرة للأمراض، الّتي يُرسل بها الغرب عبر شحنات الأغذية والمُسَاعدات الّتي تدخل بلاد المُسلِمِينَ المنكوبة تحت عناوين المساعدات الغذائيّة!!

ناهيك عن عمليَّات التّصفية والمجازر الّتي تقوم بها الحُكُومَات وأنظمتها الطَّاغوتيّة لشعوبها، وخاصّة للشّباب المسلم في حال شعورها بأيّ خطر، وقوائم جرائمهم طويلة، فقد قَتَلَ صدّام خلال حكمه في العراق أكثر من مليونِ إنسان، وقتل الملكُ حسين في الأردن في أيلول الأسود ١٩٧٠م عشرين ألف فلسطينيّ، وقَتَلَ حافظ أسد مطلع الثّمانينيَّات أكثر من ٤٠,٠٠٠ من الشَّعب السّوريّ وفي تلّ الزّعتَر في بَيروت - لبنان نحو ٦٠,٠٠٠ من الفلسطينيّين، وفي طرابلس كذلك أكثر من ٢٠,٠٠٠

لبنانيّ، كما حصد النّظام الجَزَائِري بعد الإنقلاب العسكريّ ١٩٩١م وإلى اليَوْمِ أكثر من ١٥٠,٠٠٠ إنسان، وهلُّمَ جرّاً.

****

٨-التَّهجيرُ الجَماعيّ:

كذلك وفي كلّ مناطق الحُرُوب والكوارث، وفي مناطق المجازر آنفةِ الذِّكر، نجد أنَّ كثيرًا ممَّن سلِمُوا منَ القَتل، خرجُوا في أفواجِ هِجرَةٍ جماعيّةٍ فارِّينَ من عمليَّات الموت الزَّاحف، كما حصل في البُوسنَة والشِّيشَان وأفغانستان والصّومال وإرتريا وفلسطين وكشمير وكوسوفو، ويكفي أن تطَّلِع عَلى إحصائيَّات المنظَّماتِ الدّوليّة لرعاية اللّاجئين، لتكتشفَ أنَّ عشراتِ الملايين من المُسلِمِينَ يعيشُون مُهجَّرين عن بِلَادِهِم في مخيَّماتٍ تفتَقِرُ لأدنَى مقوّماتِ حقوقِ الحيوان فضلاً عن حقوقِ الإِنسان.

****

٩-انتهاكُ الأعراضِ:

وفي كلّ تلكَ المناطق المنكوبة بالحُرُوبِ وعُدوان الدّولِ والعِصَاباتِ الصّليبيّةِ والهندوسيَّة والملحِدَةِ وغيرها من أنواعِ الكافرين، لم تَسلَم أعراض المُسلِمِين من أبشعِ عمليَّات الانتهاك والاعتداء من قبل الكفرة، بل بلغت مدى مرعبًا في بعضِ مناطقِ البَلاءِ كما حَصَل في البوسنة حيثُ سجَّلت منظّماتُ حقوق الإنسان أكثر من٥٠٠٠٠ حالةِ اغتصابٍ للمسلماتِ هناك، فضلاً عمَّا ترصُده الأخبارُ هُنا وهُناك من هذه الجَرائم، هذا من قِبل الأَعدَاء الخارجيين، فضلاً عما تقوم به أجهزة الحُكُومَات البوليسيّة الفاجرة ورجال استخباراتها في بلاد المُسلِمِين من العدوان عَلى أعراضهم في سجونها بلا حسيبٍ ولا رقيبٍ، هذا عن الانتهاك الإجباريِّ للأَعراض، ناهيك عمَّا فشَا في المُسلِمِين من انتهاك طوعيٍّ للأعراض بفضلِ سياسات الحُكُومَات وأجهزة إعلامها الدَّاعرة في نشر الرَّذِيلة والفساد وسوء الأخلاق، حتَّى انتشر الزّنا في المُسلِمِين انتشار الوَباء.

****

١٠- القَلَقُ والضَّيَاعُ النّفسِيُّ:

وهو النَّتِيجَة الطّبيعيّة لكل ما سبق، فإنّ أمّة تعيشُ بعيدةً عن دينِ ربِّها، غريبةً عن معتقداتِها، محكومَةً بشرائِعِ أعدائِها، قد هجَرَت دينَها ولم تَنسَجِم في دين أعدائِها، فبقيت مغرَّبة لا هيَ تعيش الإِسْلَام، ولا هيَ تذوب في دين غيره، يعيش أفرادها انعكاسات كلّ ما قدَّمنا من ألوان البلاء، من الفقر والجوع، والخوف والمرض والقهر والذُّل والظُّلم والفساد، وتسلُّط الفراعنة الحكَّام، وطُغيان الأَعدَاءِ وعدوانهم، بكل ما أورثَ ذلك من الأزَمَاتِ السّياسيّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والفكريّة والنّفسيَّة، لا شَّكَّ أنَّ أمَّة كهذه سيعيش أفرادها التِّيه والضَّياع والقلق، فلا هيَ في دنيا مريحة، ولا هيَ تتسلح بدينٍ يُسعفها بالصّبر والتَّوكُّل والقدرة عَلى مقارعة الخُطُوب، وهذا ما أثبتته دراساتٌ مطّلعة، وإحصائيَّات مُقلقة، من ازدياد معدّلات الانتحار، والطَّلاق، والأمراض النّفسيّة والاجتماعيَّة، وانتشار كثيرٍ من مظاهرِ الهستيريا وأعراض الإكتئاب، وبالخُلاصة، وكما عبر القرآن عن ذلك بكل اختصار وصرامة، وصدق الله تَعَالَى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ [طه]

وما أوجز العبرة فيما روي عن رسول الله ﷺ فيما روي عنه: «وَإِنَّ أَشْقَى الْأَشْقِيَاءِ مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ»[1].

****

(١) ضعيف، سبق تخريجه مقدمة الفصل.

﴿ ثالثا: تسلط الأعدَاء وتحكمهم في كافّة مناحي حياة المُسلِمِين﴾

تماماً وحرفياً، وكواحدة من أنصع دلائل النبوة، حلّ بالأُمّة ما أخبر بحصوله ﷺ، فقد روى أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[(١)].

فالعالَمَ الإِسْلَامِيّ اليَوْمَ يعيشُ حَالَةً مِنَ التَّسَلُّطِ الكَامِلِ لِلأَعداءِ عَلَى جميع مقدَّراتهم وسُبل حيَاتهم بشكلٍ فظيعٍ ما مرَّ في تاريخِهم مِثله، ويتجلَّى ذلك في مظاهر عدّة من أهمّها:

١- تحويل بلاد المُسلِمِينَ إلى مَيدانٍ لنهبِ الثّرواتِ وسُوقٍ لتصريفِ مُنتجاتِ الأَعدَاءِ:

أما نهب الثّروات فقد مرَّت نبذةٌ عنهُ، وخلاصةُ ذلكَ إشراف الإستعمار وعلى رأسه أمريكا وأوروبّا الغربيّة عَلَى عمليَّات استخراج الثّروات النَّفطيّة والمعدنيّة وغيرها من الموارد، ثمّ الإشراف عَلَى نقلها وتحديد أسعارها والتِّجارة بها والاستيلاءِ عَلَى أثمانِها في بنوكِهم الصّليبيّة اليَهُوْديّة.

وفي مقابل ذلكَ يقومُ الغربُ المُستَعمر في بلادنا الّتي تضمّ نحو خُمس سكان الأرض، بتحويلها إلى سوقٍ لتصريفِ منتجاتِه بدءًا من الأَسْلِحة والآليات والكمبيوتراتِ ومُختَلفِ مُنتجات التّكنولوجيا، وانتهاءً بالصّناعات الاستهلاكيّة العاديّة من أنواعِ الأطعمةِ والملبوساتِ والموادِ الاستهلاكيّة المصنَّعة.

فالمسلمون يستوردُون من الغربِ حتَّى الملابس الداخليَّة والشَّباشِب، بل حتَّى الخُبز والورق النَّاشِف، وبالرَّغم من أنَّ العدوّ المُستَعمر يفرض عَلَى الدّول المُستَعمرة ومنها العالم الإِسْلَامِيّ أسعار

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط ، وقال الألباني : صحيح – السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

ثرواتها المعدنيّة ومنتجاتها الزّراعيّة والحيوانيّة، وهي عصب صناعاته وموارد غذائه، بل يفرض عليها قيمة عملاتها الشّرائيّة؛ فإنّه في الوقت ذاته يفرض أعلى الأسعار والرُّسوم عَلى منتجاته المصدَّرة إلينا، بل وتبلغ المأساة مَدَاها إذا علمنا أنَّ الغرب ذاته وعلى رأسه أمريكا يقوم بعمليّة منعِ انتشارِ التَّصنيع الحديث والتّكنولوجيا، بل وحتّى التّصنيع المتوسّط في معظم بلاد العالم الإِسْلَاميّ، كي نَبقى سوقًا لتصريفِ منتجاتِه بل إنَّهم يفرضون حتَّى السِّياسات الاقتصاديَّة وبَرَامج التَّنمية وخطط الزِّراعة والإنتاج الحيوانيّ، الّتي يتحكَّم بها بالتَّفصيل صندوقُ النَّقد الدّوليّ، بحيث لا تصل بلادنا إلى الاكتفاء الذَّاتيّ من الأغذية الأساسيّة كالقمح والسّكر والأرزّ وغيره، وهناك أمثلة كثيرة صارخة عَلى هٰذا، فقد منع صندوق النّقد الدّولي السُّودَان – مثلاً – من البدء بمشروعِ اكتفاءٍ ذاتيٍّ بالقمحِ بعد وصول حكومة (البَشِير) إلى السّلطة، ولما أصرَّت هدَّدها بوقفِ المساعداتِ، وأغرَّتها أمريكا بإمدادِها بالقمحِ لمدَّة عشرِ سَنَواتٍ بقروضٍ غير ربويَّة، وبكميَّاتٍ منَ المِنَحِ الغِذَائيَّة عَلى شكل هبات بدون مقابل! وكان الغرض واضح، وهو تحويل الأراضي الخصبة إلى أراضي بور لا تَصلحُ للزِّرَاعَة، وربطِ رغيفِ الخبزِ في السُّودَانِ بالقرارِ الأمريكيِّ، ويكفِي أنْ نعلمَ أنّ مصرَ الّتي كانَت في العهد الرُّومانيّ تكفي الإمبراطوريَّة الرُّومانيَّة من القمح، تعيش اليَوْم عَلى احتياطيٍّ من القمح الأمريكيِّ يكفي المصريين من الخبز لمدَّة ثلاثةِ أشهرٍ، وليس هنا محل سردِ الإحصائيّاتِ والتّقاريرِ، فباختصارٍ يمكنٌ القول بأنَّ الحالَ الاقتصاديّ والغذائيّ والصّحيّ للشّعُوبِ الإِسْلَاميّة مُرعبٍ بسببِ هذهِ السِّيَاسَاتِ.

****

٢- تسخير اليد العاملة الإِسْلَاميّة لخدمة صناعات الأَعدَاء:

فبسبب سياسات التجويع والحصار وحُكُومَات الظُّلم، هاجر من بلاد المُسلِمِين ملايين العمال، ومئات الآلاف العُلَماء والمثقفين وحملة الشهادات إلى بلاد الغرب ولاسيما أوروبّا وأمريكا، ليسدوا ثغرات ضخمة في البنية التحتية لمصانعهم بأبخس الأثمان، وفوق ذلك فإن الدّول الرأسمالية الغربيّة جميعها ولاسيما الأوروبية قد أنشأت مصانعها المتخصصة في لصناعات البسيطة والمتوسطة في بلاد المُسلِمِين، ولاسيما في مجالات الأغذية والملبوسات والمواد الإستهلاكية تحت مسمّى (الماركات) العَالَمِيّة

الشهيرة التَّابعة لها، لتستفيد من رخص اليد العاملة في بلادنا دون أن تخل بالقَاعِدَة الصارمة المفروضة من قبلهم بأن لا تكون تلك الصناعات من مستوى التكنولوجيا حتَّى لا تستفيد تلك البلاد من الخبرات الصناعية.

بل إن نظام التسخير للعمالة – شبة المجانية – من قبل الغرب لليد العاملة في البلاد الإِسْلَاميّة وبلدان العالم الثّالث ولاسيما غير المسيحي، دخل المجال العسكريّ منذُ الحَرب العَالَمِيّة الأولى والثّانية، ويكفي أن نعلم أن وقود المعارك الضخمة الّتي دارت رحاها في شمال أفريقيا وغيرها من ساحات المُوَاجَهة بين دول الحلفاء ودول المحور – كمعركة العلمين وغيرها – كانت من الجنود المجندين من دول المُستَعمرات ومعظمها دول عربيَّة وإسلاميّة، وأن نعلم أن فرنسا خسرت في فيتنام في معركة سقوط (دان بيان فو)، أكثر من ١٦٠٠٠ من القوَّات الخاصّة كانَ منهم الآلاف من الجَزَائِريين والمغاربة وجنود المُستَعمرات الإفريقية وكثير منهم مسلمون، واليوم تشكل قوَّات الأمم المتحدة وقوَّات حفظ السَّلام في مختلف مناطق التوتر ولاسيما في البلاد الإِسْلَاميّة من جنود ومرتزقة ومتطوعين من المُسلِمِين، أو من قطعات عسكريّة ساهمت بها حُكُومَات نوابهم الطواغيت في بلادنا! وها هيَ أمريكا اليَوْم تقوم باستخدام جنود بعض بلادنا لغزو بلاد أُخرى، ولما تفتحها، تشكل من أبنائها شرطة وعساكر، تجعلهم درعا واقيا لعساكرها، وتستخدمهم في ذبح أبناء بلدهم المُستَعمر ذاته!! كما يجري الآن في العراق.

بل إن نظام الاستعباد والعمالة المسخرة لخدمتهم وصل إلى مجال الدعارة والترفيه في استيراد نساء المُسلِمِين للترفيه عن جنود المُستَعمرين الغُزَاة لبلادنا كما حصل وذكرت بعض الصّحف ووسائل الإعلام عن استخدام القوَّات الأمريكيّة والغربيّة في حرب الخليج الثّانية لما يسمى بعاصفة الصَّحرَاء أو تحرير الكويت لمئات العاهرات من بعض الدّول العربيَّة استقدمن بالاتفاق مع حُكُومَات تلك البلاد للترفيه عن القوَّات الأمريكيّة والغربيّة في استراحات معارك عاصفة الصَّحرَاء، وهم يحررون الكويت!

فهذا النّظام الاستعبادي الجَدِيد هو اختراع جديد لإعادة نظام العبودية بأسلوب معاصر يتناسب مع العقليَّة العبقرية لحضارة ما يسمونه الجنس الأبيض الأوربي الأمريكيّ.

٣- سلب الإِرادَة لصالح العدوّ:

في ظل أنظمة الفراعنة القائمة في بلاد المُسلِمِين، فإن المواطن العادي مسلوب الإِرادَة، مقهور من قبل السّلطة، وحتى رجال الفكر والثّقافة والفعاليات الاجتماعيَّة والسّياسيّة والاقتصاديَّة فإنهم مسلوبي الإِرادَة لصالح أجهزة القمع السلطوية المتشعبة، ولا تنتهي هذه المصيبة هنا، فإن حُكُومَاتنا ذاتها مسلوبة الإِرادَة لصالح إِرادَة العدوّ المُستَعمر، ولاسيما أمريكا وحلفاءها الأوروبيين في ظل النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد.

فلا عقود تجاريَّة ولا نظام تسليح، ولا نظام تحول للسلطة، ولا انتخابات ديمقراطية أو انقلابات عسكريّة إلا بإشراف السيد الخفي الظَّاهِر (أمريكا وحلفائها).

والأمثلة كذلك تحتاج لمجلدات متخصصة بالتّاريخ السّياسيّ للمنطقة العربيَّة والإِسْلَاميّة، ومن ذلك عَلى سبيل النموذج :

هلك حافظ أسد في سوريا سنة (٢٠٠٠م)، فحضرت (أولبرايت) وزيرة الخارجيّة الأمريكيّة – اليَهُوْدية – وأشرفت عَلى نقل السّلطة، وراحت تتنقل بين القاهرة وعمان ودمشق وتل أبيب، ولم تغادر المنطقة إلا بعد أن صرحت في مؤتمر صحفي بكل وقاحة بأن أمريكا مرتاحة لعملية انتقال السّلطة في سوريا! وذلك أن حافظ أسد كانَ قد رتب خلافته لولده الأكبر باسل ورتبت عقود النّفط المستقبلية، كما وقعت اتفاقية التطبيع السرية مع إسرائيل وغير ذلك من المؤامرات باسمه، ولكن باسل اختطفه القدر وهلك في حادث تحطم سيارته فجأة، وتطلع عمه (رفعت الأسد) للاستيلاء عَلى السّلطة ودعمه بعض رؤوس النصيرية، وكذلك تطلع بعض ضباط السنة من حزب البعث الحاكم للسلطة، ولكن حافظ أسد وبترتيب مع أمريكا وحلفائها استدعى ولده الأصغر بشار الّذي كانَ يدرس في بَرِيطَانيَا، حيث جرى تعديل الدّستُور لتخفيض عمر الرَّئيس من ٤٠ سنة إلى عمر بشار ٣٦ سنة وصوت البرلمان السّوري في جلسة عاجلة استغرقت نصف ساعة فقط ليحصل الإجماع عَلى ولاية بشار لما مات أبوه! بإشراف أولبرايت رغم أنف الأكثرية من الطَّائِفَة السنية المحكومة، والأقلية من الطَّائِفَة النصيرية الحاكمة عَلى حد سواء.

ومثل ذلك دون أن ندخل في التفاصيل الخارجة عن موضوع الكتاب، نذكر ما حصل من ولاية عهد الملك حسين رغم أنف الأسرة الهاشمية، حيث استبعد أخاه وولي عهده لأكثر من أربعين عاماً (الأمير حسن) وعيّن ابنه (عبدالله) وعدّل الدّستُور كذلك لإزالة شروط تقف في وجه تعيينه ملكا، وتم كلّ ذلك خلال الدقائق الأخيرة من حياة الملك حسين.

ومن ذلك قتل الملك فيصل في السّعُودِيّة لما لم يلتزم في بعض مواقفه بما تعهد به أبوه من الوَلَاء فوق سطح البارجة الأمريكيّة لروزفلت!

ومن ذلك اغتيال الرَّئيس الباكستاني (ضياء الحقّ)[1] والإشراف عَلى تعيين القيادات المتوالية في باكستان وصولا إلى الإنقلاب الأمريكيّ الّذي جاء بـ(برويز مشرف)[2] ليشرف عَلى الإطاحة بطالبان، ثمّ أشرفت أمريكا عَلى إعادة نموذج أمريكي للديمقراطية في باكستان لمتابعة لعبة غزوها لباكستان ووسط آسيا والشرق الأوسط، وكما قلنا فالأمثلة كثيرة يضيق عنها المجال، ويكفي أن نعلم أن من المعلومات الّتي حصل عليها الطلاب الإيرانيون عندما احتلوا السفارة الأمريكيّة بعيد ثورة (الخميني) سنة ١٩٧٩م أن المخابرات الأمريكيّة (CIA)[3] كانت تدفع أكثر من ٢٥٠ ألف مرتب شهري لعملاء في منطقة الشّرق الأوسط تتراوح مراكزهم من رؤساء دول، إلى وزراء وقيادات حزبية وسياسيّة حاكمة ومعارضة عَلى حد سواء، وتتسلسل المراتب من العملاء، لتصل إلى تجار وفنانين وكناسين في الشَّوارع!! هذا من عالم السّياسة.

ومن الأمثلة من عالم الاقتصاد بعد السّياسة:

---

(١) ضياء الحق :الرئيس السادس لباكستان من عام ١٩٧٨م حتى اغتياله في عام ١٩٨٨م.

(٢) برويز مشرف : طاغوت حَكَمَ باكستان بانقلاب عسكري في ٢٠ يونيو ٢٠٠١م واستقال بعد أن عقد البرلمان جلسة لعزله في ١٨ أغسطس ٢٠٠٨م وكان أهم سبب لعزله قضية اقتحامه للمسجد الأحمر في اسلام آباد، وهو من الطائفة الإسماعيلية ومن أصول هندية.

(٣) وكالة المخابرات المركزية الأمريكية : (Central Intelligence Agency) وتعرف إختصاراً بـ" سي آي إيه "

فقد أرادت الحكومة السّعُودِيّة سحب مبالغ كبيرة من ودائعها لبعض مشاريعها الداخليَّة، فاعترضت الحكومة الأمريكيّة بحجة أن الاقتصاد الأمريكيّ لا يحتمل ذلك، ولم يستطع (فهد) خلال زيارة قام بها لأمريكا أن يحصل عَلى موافقة من (ريغان) وعاد خائبا، في حين أن إدارة (ريغان) أرادت خفض عائدات إيران من النّفط إبَّان حرب الخليج الأولى مع العراق، فطلب (ريغان) من (فهد) هاتفيا خفض سعر برميل النّفط من (٤٠ دولار) إلى (١٥ دولار) للبرميل، ومن أجل أن تحافظ السّعُودِيّة عَلى وارداتها – أو بالأحرى أن تحافظ البنوك الأمريكيّة اليَهُوْدية عَلى مداخيلها من ودائع السّعُودِيّة – فأمره بزيادة الإنتاج اليومي من (٥ مليون) إلى (١٠ مليون) برميل، وهكذا خسرت السّعُودِيّة ٠٠٠,٠٠٠,١٠ × – ٢٥ = – ٢٥٠ مليون دولار، هذا عدا آلاف الملايين من الدّولارات الّتي سببتها من الخسارة لكل الدّول الإِسْلَاميّة المصدرة للنفط، كلما أشرقت الشّمس وغربت من أموال المُسلِمِين الّذين يموت الملايين منهم جوعا، بل خسرت معها كلّ الدّول المصدرة للنفط في العالم، ولم يكلف ذلك (ريغان) إلا هاتفا فقط!!

وأما تدخل المؤسسات المالية الدّولية في السياسات المالية والاقتصاديَّة للدول العربيَّة والإِسْلَاميّة فأشهر من أن ننقل الأمثلة عليه.

وقد وصل الأمر اليَوْم بفقدان الأُمّة الإِسْلَاميّة لإرادتها، وسلب العدوّ لهذه الإِرادَة، أن يصل ذلك لمجال أخص خصوصيات الأُمّة، وهو مناهج التّربية والتّعليم الّتي تتدخل أمريكا والغرب اليَوْم فيها، وتملك القدرة عَلى أن تحذف وتضيف فيها! ووصل الأمر حتَّى للخطب في المساجد! والحبل عَلى الجرار.

فالأُمّة الإِسْلَاميّة مسلوبة الإِرادَة أمام حكامها، وحكامها لا إِرادَة لهم أمام أعدائها.

****

٤- الإحتلال العسكريّ المباشر وغير المباشر لكافة بلاد العالم الإِسْلَاميّ:

العالم الإِسْلَاميّ اليَوْم محتلّ من قبل مختلف أنواع الكفّار، من اليَهُوْد، والصّليبيّين، والهندوس، والملحدين، والوثنيّين، إمّا مباشرة وإمّا بصورة غير مباشرة.

فبقاع كثيرة ترزح تحت الإحتلال المباشر كالفلبّين، وأجزاء من إندونيسيا وبورما، وأجزاء من الهند وكشمير، وتركستان الشّرقيّة، والمقاطعات الإِسْلَاميّة في روسيا، والقفقاس والشِّيشَان، والبلقان والبوسنة وكوسوفو، وفلسطين وأجزاء من بلاد الشّام، وبقع من المغرب الأقصى، والعراق أخيراً وليس آخراً، والسُّودَان الّتي يبدو أنّه قد حان دورها، والإشارات بوضع سوريا ومصر، وبقاع من جَزِيرَة العَرَب عَلى القائمة أيضـًا.

وأمّا باقي بلاد العالم الإِسْلَاميّ قاطبة، فهي تحت الإحتلال غير المباشر من قبل دول الغرب الصّليبيّة بنيابَةِ الحكّام المُرتدّين، وباستحكام الإحتلال الاقتصاديّ للاحتكارات الرّأسماليّة الكبرى، وبانتشار القواعد العسكريّة البريّة والبحريّة والجويّة في جميع أجزائه، وبشبكة مكاتب الإستخبارات الأجنبيّة ولاسيّما (CIA) و(FBI)[1] الّتي انتشرت في جميع بلاد المُسلِمِين بشكل علنيٍّ أو بستار المنظّمات والمؤسسات المتنوعة.

****

٥- التبعية الثَّقافيَّة والفكريّة للعدو:

بسبب مظاهر الإحتلال العسكريّ والاقتصادي والسّياسيّ والأمني الّتي ربطت الأُمّة بعجلة العدوّ الصّليبيّ اليَهُوْدي الكافر في كافّة المجالات، جاء دور الإستعمار الفكريّ والثقافي والاجتماعي، حيث تسن القوانين وتوضع المخططات وتعقد المعاهدات وتبرمج وسائل الإعلام والتّربية والتّعليم والثّقافة لتغريب مجتمعاتنا وإعادة صياغتها وهيكلتها تبعا لهوى المُستَعمر، فتارة باسم حقوق الإنسان،

---

(١) هي إختصار لـ (Federal Bureau of Investigation) وتعني مكتب التحقيقات الفيدرالي أو الاتحادي وهي وكالة استخبارات داخليَّة تابعة لوزارة العدل الأمريكية ومقرها واشنطن.

وتارة باسم تحرير المرأة، وتارة باسم التطبيع الثقافي، وتارة باسم التطوير الاجتماعي، وأخرى لتحديث المناهج التّعليميّة، ولبَرَامج إعادة صياغة المجتمعات، وهكذا.

حتَّى طال تدخل العدوّ بَرَامج تدريس الأطفال في المَرحَلَة الابتدائية فما فوقها، حيث تتدخل الأمم المتحدة وبَرَامج اليونسكو، فضلا عن سفارات الدّول الغربيّة في تقرير ما يجوز ومالا يجوز في مواد الدّراسة، بل بلغ تدخل الحُكُومَات الطَّاغوتية بأوامر أسيادها في تحديد ما يقال وما لا يقال في خطب الجمعة حتَّى منعوا فيها ذكر اليَهُوْد والنّصَارى بالسوء، حتَّى في السّعُودِيّة! بلاد التّوحيد المزعومة.

ناهيك عن ما يسمح بنشره وما لا يسمح في الصّحف والمجلات وجميع أوجه النَّشَاط الفكريّ والأدبي، وقد أجبر الغرب حُكُومَات بلادنا عَلى توقيع معاهدات عَلى بَرَامج اجتماعيَّة تتنافى مع أسس ديننا وأعرافنا وتقاليدنا، ولم تعد أخبار حرب الأفكار الّتي أعلنها وزير الدّفاع الأمريكيّ (رامسفيلد) بخافية عَلى أحد، هذا ناهيك عمَّا استفحل في مجتمعاتنا من حمَّى تقليد الغرب اختيارًا، في أساليب تفكيره وعيشه وطرق طعامه ولباسِهِ بل وحتَّى بناءِ حمَّاماته ودور خَلائِه!

****

والخُلَاصةُ:

باختصارٍ، فإنَّ هذا بعض من واقعِ المُسلِمِينَ خلالَ العُقودِ السَّبعةِ الأخيرةِ من القرنِ العِشرين، والّذي تدرَّجَ فيه البلاءُ منذُ سُقوطِ الخِلافَةِ وتجزئةِ بلادِ المُسلِمِينَ عَلى شكلِ مُستَعمراتٍ تحتَ الإحتلالِ الصّليبيِّ، ثمّ ما تلا ذلك من مرحلةِ ما سُمِّي (حُكُومَاتِ الإستقلالِ) إلى أن بلغَ البلاءُ قمَّتهُ بعد انهيارِ الإتِّحاد السُّوفييتيّ وتفرّد أمريكا وحلفائها في أوروبّا النّاتُو بَاطِلاقِ ما سمِّي (النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد) منذُ مَطلعِ التِّسعينيَّات وإلى اليَوْم.

وكانَ منَ المفروضِ أن يقفَ لكلِّ هذه الانهياراتِ حَمَلَةُ الإِسْلَامِ وحرَّاسه منَ العُلَماءِ والدُّعاة وما سُمِّي بجماعاتِ الصّحوةِ الإِسْلَاميّةِ والحركاتِ الجهاديّةِ، ولكن وكما سنُفَصِّلُ في الفُصُولِ القَادِمَة، فقد شهدتِ العُقودُ الأربعةُ الأخيرة مَخاضاً صَعبًا، كانت خُلاصَته أنَّ مُعظم علماءِ الهَيكلِ الدّينيّ المعروفِ لأهلِ السّنّةِ في كافّةِ بلادِ العالمِ الإِسْلَاميّ قد توزّع إمَّا في متاهاتِ النِّفَاقِ للحكّامِ والدّخولِ في تبريراتٍ

عرجَاءَ من أجلِ تَسويغِ خيانَاتِهم للدِّينِ وعَمالَتِهم للمُستَعمرينَ الجُدُدِ، وإمَّا في جحورِ العَجزِ والتّسويغات المُتعسِّفة، من أجلِ تفادي دفعِ ضريبةِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المُنكرِ وقولةِ الحقِّ عندَ سلاطين جائرين فَسَقة ظلَمة كافِرين.

وأمَّا مَا سُمّي بالصّحوة الإِسْلَاميّة الّتي انطلقت بُعَيْدَ سقوطِ الخِلافَة بقليلٍ، فقد خَرَجَت من مُصَادَمَاتِها مع حُكُومَاتِ بلادها مقلَّمَةَ الأظافرِ مدجَّنة، تتقاسمها التَّشكيلات السّياسيّة والحزبيَّة المُسَمَّاة "إسلاميّة"! لتجد لها أمكنةً في منتصف الطّريق مع الجَاهِليَّة، بعد أن انسلَخَت عن معظمِ مبادِئِهَا وشِعَاراتِها وبَرَامجِها وأفكارِ مُؤسِّسِيها الأوائل رَحِمَهُم الله، ليتحوَّل شعارها من كونِه (الله غايتنا والرَّسُولُ قُدوتُنا، والقرآنُ دُستُورُنا، والجِهَادُ سبيلُنا، والموتُ في سبيلِ الله أسمَى أمانينا) ليتحوَّلَ وكأنَّه صارَ (البرلمانُ غايتُها، والدِّيمقراطيَّةُ الغربيّةُ قدوتُها، والدّستُور العلمانيُّ دُستُورُها وعليه قَسَمُهَا، والانتخاباتُ سَبيلُهَا، والفوزُ بالمقاعدِ في حُكُومَاتِ الكُفرِ أَسمَى أمانِيهَا!!).

وأما الصّحوة العقديَّة لإعادةِ المُسلِمِينَ إلى مَا كانَ عليهِ السَّلَفُ الصّالحُ، فقد توزَّعت جهودُها في جدليَّات الأبحاثِ والانشغالِ بمكافحةِ أنواعِ البِدَعِ ومكافحةِ القُبورِ والأمواتِ، وانتهت إلى الإرجاءِ وتقديسِ الملوكِ وأولياءِ الأمرِ ومكافحةِ مناوِئيهم، وأخذتْ بحظِّهَا من السَّعيِ للبرلماناتِ أيضاً.

وأمَّا الجماعاتُ الإصلاحيَّة والصُّوفيَّة والتَّبليغيَّة، فقد ازدادَت عبثيَّةً وبُعدًا عن واقعِ المُسلِمِين.

وأمَّا التّيارُ الجهاديُّ المُسلّحُ وتنظيماته في بلادٍ عربيَّةٍ وإسلاميّةٍ كثيرةٍ، فقد أبلَت بلاءً حسنًا وقدَّمت وسعَها منذُ مطلعِ السِّتينيَّات، وضحَّى أفرادُها في أجواءِ قعودِ الصّحوةِ وخُذلانها، وقعودِ عامَّة الأُمّة وضياعهم وَتِيهِهِم، فانفردَ العدوُّ بها وسجَّل روَّادُها ومُجَاهدوها أسماءَهم في سجلَّات الشُّهداءِ والأَسرى والمُشَرَّدين في سبيل الله، ليكونوا شُهود أخدودٍ جديدٍ عَلى أمَّةٍ مقهورةٍ قاعدةٍ مُفكَّكةٍ، أمَّةٌ نسيَ معظمُ شعوبِها اللهَ فأنساهُم أنفسَهم وأعقَبَهُم نكدَ العيشِ، وحُكُومَاتٍ كافرةٍ بالله مُحكِّمةٍ لشرائعِ أعدائِهِ، وعُلماء كانوا السَّببَ الأساسيَّ في تخديرِ هذهِ الأُمّةِ من بينِ منافقٍ وعاجزٍ، ودعاةٍ لما سُمِّي صَحوَة إسلاميّة، انتهى كثيرٌ منهم دعاةً عَلى أبوابِ جهنَّم، وهكذا انفردت حُكُومَاتُ الفراعنَة بشراذِمِ الجهاديّين ذبحًا وسجنًا وتعذيبًا وتشريدًا وقهرًا.

وانهارت بُؤَرُ الجِهَاد واحدةً تلوَ الأُخرى ولم ينصرم القرنُ العشرونَ إلَّا ومعظمُ المحاولاتِ الجهاديّة مفكَّكة مشتَّتة، تتقاسمُ من بقيَ من روَّادها ثابتًا عَلى الطّريق متاهاتُ الهِجرَةِ والتَّشريد والغربةِ، يعيشون أكبرَ مُطاردةٍ لأهلِ الحقِّ عرفَها تاريخُ البَشَريَّة.

وانصَرَمَ القرنُ العشرونَ، وانصرمَت الألفُ الثّانيةُ للميلادِ، لنستقبل القرنَ الحاديَ والعِشرينَ وألفيَّته الثّالثَة، ولتفتتحه أمريكا وحلفاؤُها من أوروبّا النّاتو بمخطَّطاتٍ جعلت منَ الإِسْلَامِ والُمسلِمينَ عدوَّها الإستراتيجيّ والتّاريخيّ القائِم والقادِم، ولتتبنَّى سياساتها عَلى مبادئ صِرَاع الحضارة الغربيّة النّصرانيَّة مع حضارةِ الإِسْلَامِ والُمسلِمينَ، ولتنطلقَ الحملاتُ الصّليبيّةُ الثّالثةُ صراحةً وعلنًا.

وصحَا العالم عَلى دويٍّ انفجاراتِ الحادي عَشَرَ من سِبتَمبرَ، قبل أن ينصرمَ العامُ الأوّل من القرنِ الحادي والعشرين، وابتدأنا ما سُمِّي (عالمَ ما بَعد سِبتَمبر).

فما هو واقعُ الُمسلِمِين اليَوْم في ضوءِ ظروفِ هذا العالم ؟؟

****

﴿ واقع المُسلِمِين اليَوْم في عالم ما بعد ١١- سِبتَمبر -٢٠٠١م ﴾

كما أسلفت في التَّقديم فإن ما نعيشه اليَوْم من أوضاع في العالم الإِسْلَاميّ بعد أحداث الحادي عشر من سِبتَمبر، ليس أبدًا نتيجةً لذلك الحدث المحدود وإن كانَ عظيمًا، فما نحن فيه هو مرحلة جاء دورها وفق مخطّطات الأمريكان والأوروبّيين وأسيادهم اليَهُوْد، وهي فصول من مقتضيات النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد الّذي انطلق مطلع التّسعينيّات، بعد تفكيك حلف وارسو وإدخال مكوّناته في حلف النّاتو، وبدء مرحلة القطب الواحد (الأمريكيّ اليَهُوْدي) الّذي يريد إدارة شؤون العالم.

ولذلك فإن قولنا (واقع المُسلِمِين بعد سِبتَمبر) هو من باب التّاريخ الزَّمني وليس قناعة بما تريد أمريكا إقناع العالم به من كون ما نحن فيه نتيجةً لسِبتَمبر.

ويكفي من الأدِلَّة عَلى ذلك ما نشر من المخطّطات الصّهيونيّة عن عزم اليَهُوْد عَلى استكمال احتلال فِلَسطِين وهدم المَسجِد الأقصى، وطرد من تبقّى من الفلسطينيين منها، وفرض سياسة التطبيع الشّامل مع جيرانها من حُكَّام العَرَب والمُسلِمين، هذا التّطبيع الّذي أعلنت خططه في مؤتمر مدريد ١٩٩١م.

ومن الأدِلَّة عَلى ذلك أيضاً ما نشر عن بَرَامج الأمريكان لإعادة احتلال الشّرق الأوسط والسّيطرة عَلى منابع النّفط فيه وفي وسط آسيا، وتشكيل قوّات التَّدخل السَّريع في أمريكا من أجل ذلك منذُ أيّام كارتر سنة ١٩٧٣م، وما تبع ذلك من سياسات استعماريّة أمريكيَّة مُعلَنة.

وما العاصفة الأمنيّة الحاليَّة الّتي تثير هياجها أمريكا وما أسمته (الحَرب العَالَمِيّة لمكافحة الإِرهَاب) إلَّا تنفيذاً لبَرَامج المؤتمرات الأمنيّة الّتي انطلقت منذُ ١٩٩٠م وتتابعت بمعدّل مؤتمرٍ عالميٍّ أو إقليميٍّ كلّ ثلاثة أشهر؛ مثل مؤتمرات برشلونة، وباريس، وميلانو، وشرم الشَّيْخ، واجتماعات وزراء الداخليَّة العَرَب في تونس وجدّة والقاهرة كلّ ستّة أشهر، والمؤتمرات الأمنيّة لدول المتوسّط الّتي شاركت فيها أوروبّا وحكام العَرَب وإسرائيل وأمريكا رغم بعدها عن المتوسّط! ثمّ تتابع المؤتمرات الأمنيّة في آسيا وأفريقيا.

ومن الأدِلَّة عَلى هذه الحملة قبل سِبتَمبر، أنّ عدد مكاتب الـ (FBI) العلنيّة قد بلغ في الشّرق الأوسط إلى ما قبل سنة ٢٠٠١م، (٢٣) مكتباً، في الرِّيَاض وعمّان والخرطوم وتونس والمغرب، وغيرها، هذا عدا مئات المكاتب السّريّة للـ (CIA).

وكما قلت، فنحن نعيش الآن حالة استغلال إعلاميّ أمريكيّ يهوديّ مبرمج، وتضخيم إعلاميّ لسِبتَمبر وتداعياته وأصحابه، من أجل تبرير عدوانهم وإقناع العالم بعكس الحقيقة الّتي تدل عَلى أنّ سِبتَمبر وغيرها من العمليَّات، وكذلك الإنتفاضة وسواها من أعمال المُقاوَمة، ما هيَ إلّا ردود أفعال عَلى عدوان وليست عدوانًا ابتداءًا كما أقنعوا معظم العالم بذلك وحتَّى كثيرًا من المُسلِمِين.

وإذا ما أردنا أن نجمل القول عن واقع المُسلِمِين اليَوْم بعد سِبتَمبر ٢٠٠١م فإنّنا نقولُ بأنَّ أحوالهم قد ازدادت سوءًا وتماديًا تحت كافّة العناوين الّتي أوردناها سابقا، من ضياع دينهم ودنياهم وتسلّط الأَعدَاء عليهم.

ففي ضياع دينهم، ازداد إصرار الحُكُومَات ومبرّراتها لتبديل الشَّرَائع ومحاربة الإِسْلَام، كما ازدادت حالة احتلال المقدّسات صراحة، وتفاقمت موجة إفساد العقائد ونشر البِدَع وسعار الفسوق والضّلال، بسبب شراسة الهجمة الإعلاميَّة وانتشار الفضائِيَّات الهادفة إلى سياسات الإفساد، وازدادت غربة المُؤمِنِين والمُجَاهدين والآمرين بالمعروف والنّاهين عن المُنكر بفعل شراسة الهجمة الأمنيّة.

وأما تحت عنوان ذهاب الدُّنيَا: فنحن اليَوْم لسنا أمام تمادي سرقة الثّروات بالحيلة والنّيابة، وإنّما أمام حالة إعادة احتلال لمصادر الثّروات، وأما سوء توزيع الثّروة والظُّلم والقهر والذّل والخوف والقتل وانتهاك الأعراض فازدادت معدّلاته المُخيفة، وانتشرت حيث لم تكن قائمة قبل سِبتَمبر، في مجتمعاتٍ كانت أكثر أمنًا واستقرارًا كمجتمعات الخليج العربيّ وبلدان المُسلِمِين البعيدة عن مركز الشّرق الأوسط كبلاد آسيا وأفريقيا الإِسْلَاميّة.

وأما تسلّط الأَعدَاء فهو سمة عالم ما بعد سِبتَمبر المعلنة الموغلة في العدوانيّة، فلم يعد هناك إِرادَة حُكُومَات وخصوصيّات شعوب، والبرنامج اليَوْم عبارة عن إعادة احتلالٍ شاملٍ، هذا إذا أردنا الإجمال، ولكن يجدر بنا تسليط الضَّوء من باب التّاريخ الموجز، ومن باب التَّوصيف المفيد، من أجل

تحريك دواعي المُقاوَمة لدى الأُمّة، وذلك بذكر بعض ما حلّ بالمُسلِمين بعد أحداث الحادي عشر من سِبتَمبر ٢٠٠١، ومن أهمّ ذلك باختصار:

١- تدمير الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان:

فقد كانت أمريكا وحلفاؤها قد أعلنت سياستها وإرادتها بإسقاط حكومة طالبان في أفغانستان منذُ أواسط ١٩٩٧م، وتزايدت وتيرة نواياها ظهورًا مع الوقت واتَّخذت لذلك إجراآت اقتصاديَّة وسياسيّة من الحصار والعقوبات والتَّلويح بالغزو والحَرب، إلى أن جاءت أحداث سِبتَمبر فوضعت نواياها موضع التَّنفيذ، وبتعاون غربيّ ولاسيّما من بَرِيطَانيَا وأوروبّا النّاتو، ووسط سكوتٍ دوليٍّ وخيانة صريحة من الحُكُومَات العربيَّة والإِسْلَاميّة، ولاسيَّما حُكُومَات باكستان والسّعُودِيّة وإيران، تمَّ إسقاط حكومة طالبان في ديسمبر ٢٠٠١م عبر حملة عسكريّة أمريكيّة، تحركت في طليعتها عَلى الأرض قوَّات المرتدّين العملاء في أفغانستان، الّذين دخلوا كابل بحماية الطّائرات الأمريكيّة، وهكذا تمَّ إجهاض التَّجربة الوحيدة الوليدة لإقامة الدّولة الإِسْلَاميّة منذُ سقوط الخِلافَة العُثمَانِيّة، ونصبت أمريكا حكومةً عميلةً في كابل لتحوّل أفغانستان إلى قلعة أمريكيّة تسيطر منها عَلى كافّة المنطقة في وسط آسيا ذات الأهمّيّة الاقتصاديَّة والإستراتجيّة.

****

٢- محاولة إبادة خُلاصة الصّحوة الجهاديّة في العالم الإِسْلَاميّ:

من المعلوم أنّ قيام الإمارة الإِسْلَاميّة ورسوخ حكم طالبان، في ظل أوضاع دوليّة كانت تتصاعد فيها هجمة الغرب وحلفائه عَلى التّيار الجهاديّ المُسلّح، منذُ انفراط عقده في أفغانستان ١٩٩٢م، وما تبع ذلك من تصفية جيوبه في البوسنة والشِّيشَان، وإغلاق ملاذاتهم الآمنة مؤقّتا في أوروبّا والسُّودَان واليمن وتركيا وبعض البلاد العربيَّة، جعل ما تبّقى من خُلاصة التّيار الجهاديّ تفيء طبيعيّاً إلى أفغانستان، الّتي لجأ إليها أيضاً كثيرٌ من المُجَاهدين من وسط آسيا.

وقد اتخذت أمريكا من أحداث سِبتَمبر ستارًا، ومن دمار الإمارة الإِسْلَاميّة وسيلةً، من أجل تحقيق هدفها في ذبح ما تبَّقى من خُلاصة هذا التّيار المُجَاهد الّذي يمثّل آخر خطوط دفاع أُمَّة الإِسْلَام عن نفسها في هذا الزَّمن المؤسف.

وعبر معارك القصف الجويِّ المتوحّش، والهجمات الضّارية للمرتدّين الأفغان الّذين أسقطوا الحكومة الإِسْلَاميّة، أنزلت أمريكا وحلفاؤها بالمُجَاهدينَ العَرَبِ والمُجَاهدينَ من وسط آسيا والباكستان خسائرَ فادحة قتلاً وأسرًا، وقد أضافت الحكومة الباكستانيّة برئاسة (مشرف) فصلًا مروعًا إلى المذبحة، حيث قتلت عَلى أراضيها العشرات وأسرت عدّة مئات من المُجَاهدين وسلّمتهم لأمريكا، وسط صمت وبلادة مخجلة من الشّارع الإِسْلَاميّ في باكستان، رغم ما أبداه بعض الصّالحين من الإخوة الباكستانيين من تعاون أنقذ ما يمكن إنقاذه ممن تشرّدوا عبر باكستان وإيران، وتمكّنوا من إعادة الانتشار في الدُّنيَا يلتقطون أنفاسهم بعد المعارك الطّاحنة والمطاردة العمياء، راجع تفاصيل ذلك في كتاب: (باكستان مشرف – المشكلة والحلّ والفريضة المتعينة) للمؤلف.

وقد ترافقت هذه الهجمة عَلى أفغانستان، مع هجمةٍ شرسةٍ وتعاونٍ أمريكيٍّ روسيٍّ لتصفية المُجَاهدين في الشِّيشَان، والَّتي نجحت إلى حدٍّ كبيرٍ، بعد أن كانت حملةٌ غربيَّةٌ أمريكيَّةٌ أُخرى قد نَجحت في تصفيَة المُجَاهدين في البوسنة سنة ١٩٩٥م، وتابعت أمريكا الحملة في محاولة لتصفية الجيوب المُسلّحة في الفلبِّين واليمن والقرن الأفريقي وحيثما استطاعت بعد أن خضبت شوكتهم الرَّئيسيَّة في أفغانستان، وما تزال المُوَاجَهة مستمرَّة مع اليَهُوْد في أكنافِ بيتِ المَقْدِس منذُ نحو ثلاثِ سَنَواتٍ.

****

٣- العاصفة الأمريكيّة الأمنيّة عَلى الإِسْلَام والمُسلِمين في جميع أنحاء العالم بدعوى مكافحة الإرهَاب بعد أحداث سِبتَمبر:

وهذا عنوان يكتب تحته كتبٌ بل مجلداتٌ بكاملها، لإحصاء تاريخ وأحداث هذه الهجمة البربريّة الظَّالمة عَلى الإِسْلَام والمُسلِمين، والّذي برمجوا له عبر العقود الثّلاثة الماضية مستغلّين أحداثِ سِبتَمبر، ولا يتَّسعُ المقامُ هنا للتَّفصيل، وإنَّما أورد أهمّ ما حدث في عناوين:

تصفية معظم التّيار الجهاديّ المُسلّح عَلى مستوى الجماعات والقيادات والرُّموز والهيئات والـمؤيّدين والـموالين، عن طريق الاغتيالات المعلنة والسّريّة وعمليَّات الخطف والأسر، ونقل المعتقلين إلى سجن غوانتانامو الأمريكيّ في كوبا، أو سجونها المتناثرة في قواعدها الأمريكيّة في أفغانستان وفي مختلف أنحاء العالم، أو بالتّعاون مع حُكُومَات الرِّدَّة وسجونها الكبرى المشرعة الأبواب للشّباب المسلم في هذا الزّمان، ولاسيّما الحُكُومَاتِ العريقة في مكافحة الجِهَاد والإِسْلَام والمُسلِمين كحُكُومَات السّعُودِيّة ومصر والأردن والمغرب وسوريا وتركيا وباكستان وتونس والجَزَائِر وَ...إلخ، وقد طالت هذه الحملة كثيرًا من الأبرياء حتَّى من (التّهمة الجهاديّة) إن جاز التّعبير.

محاولة تصفية كامل طيف الصّحوة الإِسْلَاميّة السّياسيّ والدَّعويّ والاجتماعيّ بإطاره العريض العام، تحت دعوى مكافحةِ الإِرهَابِ، وقطع جُذُور الأصُوليَّة الّتي تكوِّن مَحضنًا له، بل لقد طالت الحملة كلّ ما نسب للإسلام والإِسْلَاميّة، مؤسّسات إغاثيّة إسلاميّة إنسانية، هيئات اجتماعيَّة، شركات تجاريَّة، بنوك إسلاميّة، جماعات، أحزاب، حتَّى بنوك إسلاميّة – نصف ربوية! بل لقد نال البلاء حتَّى شخصيات عادية، نالها الاعتداء الأمريكيّ لأنّهم مسلمون أثرياء يشكلون صيدا للصوصية الأمريكيّة، كلّ ذلك باستغلال مسمّى الإِرهَاب والحملة لمكافحته.

البدء بخطة متدرجة لتصفية الجاليات الإِسْلَاميّة والعربيَّة ووجودها في الغرب، فقد سنت أمريكا وكافة الدّول الأوروبية قوانين لمكافحة الهِجرَة واللجوء السّياسيّ، بل وأحكاما عرفية تتيح لها اعتقال الأجانب وتوقيفهم وسحب جنسياتهم إن كانوا مجنّسين وإلغاء إقامتهم الرَّسميَّة إن كانوا مقيمين، واعتقالهم لمدد مفتوحة دون توجيه أي تهمة، قوانين عرفية أشرس بكثير من الأحكام العرفية الّتي تسنها الحُكُومَات الانقلابية العسكريّة في العالم الثّالث، ولم تسلم من هذا حتَّى أعرق بلاد الدِّيمقراطيَّة كبريطانيا والدّول الإسكندنافية وفرنسا، وفي ظل هذا السعار والكلب الّذي رافقه موجة إعلاميَّة موجهة من وسائل الإعلام الّتي يسيطر عليها اليَهُوْد والصّليبيّون عبر التلفزيونات والصّحف والأفلام وكافة وسائل النشر والإعلام، كما تزايدت أعمال الجرائم العنصرية حتَّى ذكرت إحدى الإحصائيات في أوروبّا أن هذه الاعتداءات العنصرية عَلى المُسلِمِين قد تزايدت بعد سِبتَمبر خلال سنة ٢٠٠٢م بمعدل

٦٦٪ عن السنة السَّابقة، وخلال هذا الأسبوع الّذي أجري فيه التصحيحات، والإضافات الأخيرة عَلى الكتاب، ونحن في (نوفمبر ٢٠٠٤م) أحرق في هولندا عشرين مسجدا ومركزا إسلاميا في غضون عشرة أيّام!!

فقد أحرقت مساجد، وانفجرت قنابل عَلى مراكز إسلاميّة، وقتل أفراد من الجاليات المسلمة وجرح آخرون، واعتدي عَلى محجبات، حتَّى أنه قتل بعض الهندوس في أمريكا اعتقادًا من الرعاع هناك أنَّهم مسلمون لأَنّهم يلبسون عمائم هندوسيَّة! هذا فضلاً عن انتشار ما دون ذلك من العدوان من السبِّ والشَّتم والضَّرب في الطُّرقات وإرسال رسائل التَّهديد.. إلخ.

أجبرت أمريكا كافّة دول العالم بالتَّرغيب والتَّرهيب بكافَّة الوسائل، عَلى الدخول في حملتها لمكافحة الإِرهَاب وقام وزير خارجيَّتهم (كولن بول) وسفراؤهم الدّبلوماسيّون والأمنيّون، فجابوا العالم يعقدون المعاهدات الأمنيّة والاتّفاقيّات البوليسيّة هنا وهناك في كافّة أقطار الأرض، وألزمت أمريكا حُكُومَات الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة بالتّعاون الكامل في الحملة تحت تهديد السّطوة العسكريّة، حتَّى صرّح بعض رؤساء الدّول العربيَّة بذلك كرئيس اليمن ومصر.

كما ضربت أمريكا بعرض الحائط بكافّة الأصوات المعترضة عليها من منظّمات حقوق الإنسان أو الهيئات الدّولية أو أعيان الشّخصيّات العامّة رغم كثرة المعترضين عَلى تجاوزها لكافّة القوانين الدّولية ولوائح حقوق الإنسان، وسوء معاملتها للأسرى والموقوفين، واستهتارها خلال عمليَّاتها العسكريّة بالمدنيّين وقتلهم، وبفضائح سجنها التّاريخي في غوانتانامو، فتجاهلت كلّ ذلك بصرف النَّظر عن مصدره سواءً كانَ من بلاد المُسلِمِين أو أوروبّا أو من الدّول الحليفة لها أو حتَّى من داخل أمريكا.

****

٤ – انطلاق الحملات الصّليبيّة الثّالثة نحو احتلال الشّرق الأوسط:

فقد صرح بوش بذلك علنا وأنه بصدد حرب صليبيّة، ثمّ اعتذر ببلاهة معللا ذلك بأنه زلة لسان، ثمّ توالت زلات لسانه، وألسنة معاونيه وكذلك تصريحات الوزراء والقيادات العسكريّة لبعض دول



النّاتو بذلك، ناهيك عن آلاف المقالات الصحفية والتصريحات من مختلف المصادر، وهكذا بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر.

واتخذت أمريكا من مشروع احتلال العراق بداية لبرنامج إعادة رسم خارطة المنطقة سياسيّاً وجغرافيا، بل تكشفت معلومات عن مشاريع لتقسيم بلاد الشّام والعراق ومصر والسّعُودِيّة وحتى تركيا إيران، واحتلال بعضها مباشرة، حيث يتزامن هذا مع برنامج أمريكي كبير للسيطرة عَلى وسط آسيا انطلاقًا من أفغانستان وباكستان، وقد تدرجت أمريكا بانتحال الأعذار الواهية من أجل احتلال العراق كبوَّابة للزَّحف عَلى الشّرق الأوسط، بدءًا من ضرورة إسقاط صدام، وانتهاء بتدمير أَسْلِحة العراق للدمار الشّامل الّتي لم يعثر عليها، ولست هنا بصدد التّاريخ لتفاصيل ما يجري وهو معلوم.

ويكفي أن أقول أن كلّ التفاصيل تشير بوضوح إلى حملة احتلال صليبيّة تقودها أمريكا وبريطانيا وإسرائيل، ويتعاون فيها كافّة دول النّاتو الأوروبية وروسيا وحلفاء أمريكا في المنطقة وعلى رأسها الهند وتركيا والباكستان وحكام البلاد الإِسْلَاميّة، كلّ هذا وسط صمتٍ وبلادةٍ دوليةٍ مخيفةٍ.

٥- توسيع حلف النّاتو ورفع شعارات الحملات الصّليبيّة:

عقد حلف النّاتو مؤتمره في شهر ١١ -٢٠٠٢م برئاسة بوش ورؤساء ١٩ دولة أوروبية من أجل ضمّ عدّة دول من أوروبّا الشرقية، بعد أن عرض ضمّ روسيا في مؤتمر آخر قبيل بضعة أشهر، حيث صرح (أثنار) رئيس وزراء أسبانيا (اليميني الصّليبيّ) خلال الحفل بأن دخول روسيا في الحلف يعزز الهويّة والروح العقائدية للحلف، في إشارة واضحة إلى التوجه الصّليبيّ.

وهكذا يتجهز العالم الصّليبيّ اليَوْم برئاسة أمريكا وعضوية أوروبّا الغربيّة ومن لحق بهم من أوروبّا الشرقية لبدء المَرحَلَة الرَّئيسيَّة من الحملات الصّليبيّة الثّالثة الّتي ابتدأت عام ١٩٩٠م بحرب عاصفة الصَّحرَاء، بعد تفكيك الإتحاد السُّوفيتيّ، حيث يتحرك النّاتو بزعامة أمريكا في هذه الحملة نحو الشّرق الأوسط بعد أن وصل عدد أعضائه مطلع (٢٠٠٤م) ليصل أعضاؤه إلى ٢٦ دولة، معظمها أوربية.

****

٦- توسيع الإتحاد الأوروبي عَلى أسس صليبيّة أيضا:

وذلك بإدخال باقي دول أوروبية الشرقية فيه تدريجيا، واللافت للنظر أيضا، إبراز الهويّة المسيحية للإتحاد الأوروبي برفض عضوية تركيا في الحلف رغم استجدائها عَلى بابه لعدة سَنَوات، ورغم علمانية حكومتها وذلك لأن شعبها مسلم، فقد أرجأ الإجتماع الأخير للإتحاد خلال شهر ١٢-٢٠٠٢م برئاسة (الدانمرك)، بحث عضويتها إلى أواخر ٢٠٠٤م، وقد أوجز الرَّئيس الفرنسي الأسبق (ديستان) السّبب بصراحة بقوله: "إنّ الإتحاد الأوروبّي يضمّ دولاً مسيحيَّة، وإنّنا إن قبلنا تركيا فيجب أن نتساءل عن حدود أوروبّا"، وقد أصبح تعداد سكّان دول الإتّحاد الأوربّي الآن ٤٥٠ مليون نسمة!

****

٧- انطلاق البرنامج اليَهُوْدي التّلموديّ الكبير:

برعاية شارون الّذي يتحرك في حالة من وحدة الصف السّياسيّة والدّينيّة والاجتماعيَّة في إسرائيل حول هذا المشروع، الّذي يشتمل عَلى هدم المَسجِد الأقصى، وطرد ما تبقى من العَرَب الفلسطينيين بعد إحداث مجازر مروعة فيهم كما ينبئ بعض ما يتسرب من أخبار.

فقد جاء اليَهُوْد بشارون الّذي رئس حكومة وحدة وطنيّة من أجل مُوَاجَهة الإنتفاضة الّتي انطلقت بشراسة وانتقلت إلى المُوَاجَهة المُسلّحة لليهود، منذُ عام ٢٠٠٠م، وتبنت أسلوب العمليَّات الاستشهادية الّتي أودت بأكثر من٤٠٠ قتيل ومئات الجرحى من اليَهُوْد عبر نحو سبعين عمليَّة استشهادية حتَّى الآن.

وتجري هذه الأيّام سلسلة من المجازر الرّهيبة للفلسطينيين عَلى يد الجيش اليَهُوْديّ وسط دعمٍ أمريكيّ علنيّ، وأوروبيّ مبطّن، وصمت دوليٍّ مُخزٍ، وتعاونٍ عربيٍّ خيانيّ ولاسيّما من حكومتي الأردن ومصر، ويبدو التّناغم كاملاً بين المشروع الصّهيونيّ الّذي يقتضي حضوراً أمريكيًا وصليبيًا كبيرًا من أجل دعم التّحرّك العسكريّ للجيش الإسرائيليّ قليل العدد، وبين المشروع الصّليبيّ الّذي يقتضي تعاونًا إسرائيليًا عَلى الصّعيد العسكريّ، ودعمًا يهوديًا عالميًا عَلى الصَّعيد الماليّ والسّياسيّ والإعلاميّ.



٨- انعدام أي معارضة دولية لهذه الهجمة والغطرسة الأمريكيّة الصفيقة:

اللّهمَّ إلَّا شذرات تنطلق عَلى استحياء من بعض الدّول مثل الصّين وألمانيا وفرنسا وبعض المواقف الرُّوسية بين الحين والأخر، مواقف يمكن اعتبارها تمثيليَّات دبلوماسيَّة، ومظاهر تململ وإثبات وجود، وسعي لحصّةٍ أكبر في قصعة المُسلِمِين الّتي تشرف أمريكا عَلى توزيع حصصها، أكثر من حملها عَلى محمل الجد، والأدِلَّة كثيرة ولا يتَّسع المجال للاستفاضة بمزيد من التَّحاليل السّياسيّة هنا.

****

﴿ أحوال العَرَب والمُسلِمين في ظلّ هذا الوَضع الدّوليّ بعد أحداثِ سِبتَمبر ﴾

١- على الصَّعيد الرَّسميّ لحُكُومَات الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة:

فقد لخّصت آخر مؤتمرات للقمّة العربيَّة والإِسْلَاميّة في ظلّ عالم ما بعد سِبتَمبر الحال بكل وضوح، فقد انفضّ المؤتمرون من كلّ تلك الإجتماعات المخجلة، بعد طول خلاف ولسان حال الأُمّة يقول:

لا يلامُ الذِّئبُ في عُدوَانِه ۞ إن يَكُ الرَّاعي عدوّ الغَنَمِ(١)

فأما مؤتمر القمة العربيَّة الشهير عام ٢٠٠٢م، فكان أبرز ما فيه وفي أهدافه:

تبني الدّول العربيَّة لمبادرة ولي العهد السّعُودِيّ (الأمير عبدالله بن عبد العزيز)، والَّتي عرض فيها عَلى إسرائيل تطبيعاً عربياً كاملاً، مقابل انسحابها من الأراضي الّتي احتلتها سنة ١٩٦٧م.

وقد جاء رد إسرائيل مبكِّرًا حتَّى قبيل انفراط اجتماعات المؤتمر، فقد اقتحم الجيش الإسرائيلي الضفَّة الغربيّة وأعاد احتلالها! ونفّذ مجازر واسعة طالت البنية الإداريّة والأمنيّة للسّلطة الوطنيّة الفلسطينيّة، والبنية التّحتيّة للمنظّمات الفلسطينيّة مخلفةً مئات الضّحايا الأبرياء وآلافَ الأسرى، كما دمّرت مخيّمات بكاملها.

وأما عن مبادرتهم فقد قبلت إسرائيل نصفها وهو التّطبيع، ورفضت نصفها وهو الانسحاب المطلوب مقابل ذلك، وأحرجت صاحبها عبدالله ومملكته السّعُودِيّة، وذلك بطلبها منه أن يزور إسرائيل أو يسمح لرئيسها أن يزوره في السّعُودِيّة لمناقشة المبادرات إن كانَ جادّاً!!

وأما مؤتمر قمة منظّمة الدّول الإِسْلَاميّة الّذي تلاه بعد وقت قصير، فعدا عن ترحيبِه بوفدِ أفغانستان الجَدِيد من المرتدّين والعُملاء الّذين عيّنتهم أمريكا، فقد خرج المؤتمر بمقرّرات شبيهة ومن ذلك:

- تأييد المبادرة السّعُودِيّة الّتي صارت عربيَّة من أجل التَّطبيع مع اليَهُوْد والتَّنديد الأجوف بعدوان اليَهُوْد، دون طرح أي مقابل لذلك.

---

(١) الشاعر : عمر أبو ريشة.

- خذلان فِلَسطِين والقُدس وعدم تقديم أيّ مشروع جدِّي لأجلها.
- تأييد الحملة الأمريكيّة لمكافحة الإِرهَاب والتَّأكيد عَلى أنّ الإِسْلَام الّذي يمثِّله الحكَّام المرتدّون لأكثر من ٥٢ دولة إسلاميّة ينبذ (العنف والإِرهَاب)، وهو المُسمَّى العَالَمِيّ الجَدِيد للجِهَاد وحقّ المُقاوَمة!

وما يزال الوضع العربيّ والإِسْلَاميّ في تدهور منذُ سِبتَمبر ٢٠٠١م.

فقد وضعت الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة ولاسيّما تركيا والباكستان ودول الخليج والأردن أراضيها وبحارها وسماءها وجُيُوشَها في خدمة الحملة الأمريكيّة البريطانيَّة لاحتلال العراق، حيث تدفق مئات آلاف الجنود ومئات الطّائرات وحاملاتها والبوارج والسُّفن والمعدات الحَربية إلى المنطقة، وسط إعلانات أمريكيَّة عن ضرب إيران وسوريا ولبنان وتقسيم السّعُودِيّة والتّجهيز لنزع سلاح الباكستان، ووصلت الصّفاقة والابتزاز، أن تسرّب أمريكا معلومات عن نيّتها الاستيلاء عَلى جميع الودائع الماليّة للحكومة والمواطنين السّعُودِيّين في البنوك الأمريكيّة، وهي مبالغ خرافيّة من مرتبة مليارات المليارات من الدّولارات، وذلك بدعوى دعم الإِرهَاب.

ولم تزد هذه الأحوال الحُكُومَات الإِسْلَاميّة إلَّا انبطاحاً وارتماءً عَلى أعتاب باب البيت الأبيض، ثمّ استضافت قطر قيادة القوَّات الأمريكيّة الّتي نُقِلت من فلوريدا إليها، وأدارت أمريكا غزو العراق من أراضيها، وأما الجيش الأردنيّ فقد أجرى مناورات عسكريّة مع أربع آلاف جنديّ أمريكي في المنطقة المُمتدَّة من خليج العقبة إلى حدود العراق قبيل الغزو بقليل، ثمّ تكشّفت الأنباء عن عبور القوَّات الأمريكيّة للعراق من غربه عبر الأردن! وقد أيدت دول الخليج كاملة الحَرب عملياً ساعدت فيها، وتغيّب معظم رؤسائها عن مؤتمر مجلس التّعاون الخليجيّ قبل أيّام منها في قطر، تهرّباً من مسؤوليّة المواقف المعلنة، ووضعت الكويت ٦٠ ٪ مساحتها الشّماليّة كمنطقة عسكريّة أمريكيّة للتّدريب والخدمات اللوجيستيّة للجيش الأمريكيّ البريطانيّ!! حيث عبر منها أكثر من ١٤٠٠,٠٠٠ جنديٍّ أمريكيٍّ بالإضافة إلى ٤٥,٠٠٠ جنديٍّ بريطانيّ، وترك ثلثها الباقي لاستراحة واستجمام الجنود، وطار بشَّار الأسد رئيس سوريا إلى لندن والعواصم الأوروبيّة ليطمئنَّ عَلى حفظ عرشه من الاهتزاز وسط

زلازل حرب العراق ونيران الإنتفاضة في فِلَسطِين، وحرَّكت إيران المعارضة الشِّيعيّة العِرَاقيَّة بين طهران ولندن وواشنطن، وتابعت باكستان كسائر حُكُومَات البلاد الإِسْلَاميّة تَصَيُّدَ المُجَاهدين العَرَب والطَّالِبَان وتسليمهم لأمريكا.

ثمّ غزت أمريكا العراق، ودخلت عاصمة الرَّشِيد، ودخل جنودها فيها وتبروا ما علو تتبيراً، ثمّ أعلنت أمريكا وضع العراق تحت الإحتلال بتأييد من أوربّا، وترخيص دوليٍّ من مجلس الأمن! ثمّ عيّنت فيه حكومةً عميلةً، وفرضت الاعتراف بها قسراً عَلى الدّولِ العربيَّةِ، والجامعة العربيَّةِ!

ثمّ استدعى بوش رئيس تونس (بن علي)(١) إليه قبيلَ انعقاد القمة العربيَّة برئاسة بلاده بشهر، وأملى عليه الأوامر الأمريكيّة لينقلها لباقي أمثاله من الرُّؤساء العَرَب! ثمّ اجتمع وزراء الخارجيّة العَرَب وتشاجروا، بسبب عدم تنسيق مواقفهم تجاه إملاءات بوش، ثمّ اجتمع مؤتمر القمَّة العربيّ ٢٠٠٤، تحت ضغط الشَّارع العربيّ ليتمخَّض عن الفراغ المنتظر، فتمخَّضُوا ولم يلدوا لنا حتَّى فأراً!!

وهكذا أعلن النّظام العربيّ إفلاسَه، ليتابع كلّ زعيم لهاثه عَلى حده وهرولته خلف إدارة بوش! والعامل المشترك بين الجميع هو السّباق في مكافحة الإِرهَاب إرضاءً لأمريكا وسيِّد البيتِ الأبيض.

وها نحن نشارف عَلى نهايات ٢٠٠٤، وما تزال الإستخبارات العربيَّة والإِسْلَاميّة تعمل جنباً إلى جنبٍ مع ضبَّاط الـ(FBI) والـ(CIA) الأمريكيّة، في مكافحة إرهاب الإِسْلَام والمُسلِمين، من سوريا إلى مصر إلى المغرب إلى الجَزَائِر إلى تونس إلى السُّودَان إلى جَزِيرَة العَرَب، إلى باقي بلاد المُسلِمِين، الكلّ في خدمة أمريكا اليَوْم، ويحتاج استقصاء تأريخ وتسجيل ما يجري إلى مجلداتٍ كثيرةٍ.

****

---

(١) زين العابدين بن علي : رئيس تونس ما بين ٧ نوفمبر ١٩٨٧م إلى ١٤ يناير ٢٠١١ حكم تونس بالحديد والنار وطغى كثيرا حتى أنه سعى في منع صلاة الجماعة وتقييدها ، ثم لجأ إلى آل سعود بعد أن فشل في إيقاف الثورة التي اندلعت ضده بعد إحراق بوعزيزي نفسه ، وقد رحب الديوان الملكي به ترحيب الأبطال .

٢- عَلى صعيد العُلَماء (علماء المُسلِمِين)!:

و يا حسرتاه عَلى النّسبة والمنسوب إليهم (علماء)، (المُسلِمِين)!!

فباختصارٍ شديدٍ لموضوعٍ يقزّزُ النّفس ويملؤها ألماً:

لقد ازداد المنافقون منهم نفاقاً بعد سِبتَمبر، وازداد السّاكتون الخائفون منهم سكوتاً، فاستعلنَ علماءُ السّلاطين المنافقون حتّى عَلى منابرِ خطبِ الجمعةِ في المَسجِد الحرامِ في مكّةَ، والمسجد النَّبوي في المدينة والمساجد الكُبرى في العَواصم العربيَّة والإِسْلَاميّة من القاهرةِ إلى دمشقَ إلى الدَّار البَيضاء إلى غيرها يُهاجمون الجِهَاد والمُجَاهدين، ويُدافعون عن الحكَّام، ويدعون لعصمَةِ دماء الغُزَاة الكافرين! حيث نقلت شاشات التّلفزيونات خطب أئمتها وهم يدعون لمكافحةِ الإِرهَابِ، ويُطالبون بمطاردةِ أصحابه، وتجفيفِ منابِعهم الماليّة، ودعاء الله أن يكشفهم وينقذ المُسلِمِين من شرورهم، وبُثّت خطبهم وهم يطالبون أولياءَ الأمور بمطاردتهم وقطع دابرهم، وتحريض المُسلِمِين عَلى نبذِهم ومحاربتِهم، من دونِ نسيانِ الحديث عن حقوقِ الكفّار الّتي حفظها الإِسْلَامُ في بلادِ المُسلِمِينَ، وضرورة حسنِ معاملتهم، وخلطِ الأحكامِ الشَّرعيَّةِ لأنواع الكفّارِ والذِّمّيين والمُستأمنِين.. إلخ

حالة من الاستخذاء والاستجداء والنِّفَاق للأعداء، حملة دعائيّة توقر المسامع وتدمي القلوب وتجمّد الدّموع في العيون حسرةً وألماً، آيات الله تُتّخذ هُزوًا وتُحرَّف وتُؤوَّل، وأحاديث الرَّسُول ﷺ، تُفَسَّر وتُشَوَّه وتُوضَعُ في خدمةِ بُوش!

وتسابق أرتال العُلَماءِ العُمَلاء، عَلى شاشات الفضائيَّات ليتباروا في سباق ماراتوني للنِّفاق والخيانة، حتَّى خرج - عَلى سبيل المثال ليُعلَم إلى أيّ مدا وصَل البلاءُ - أحد مشاهير علماءِ المُسلِمِين في بلادِ الحرمين، وهو: (عايض القرنيّ)[1] ليستنكر ويصيح: عَلى شاشة (MBC) الفضائيّة معلّقًا عَلى

(١) عائض بن عبدالله القرني: أديب وداعية سعودي ولد في ١٩٥٩م الموافق لـ ١٣٧٩هـ حاصل على دكتوراه في الحديث النبوي، كان أحد المنتقدين للقوات الأجنبية في الكويت أيّام حربها ، فتمّ التّضييق عليه لفترة ثم سُجِنَ وبعد إطلاق سراحه خرج ليَلبس ثوبَ النفاق ويدافع عن آل سعود صباح مساء، ثم ليصبح رائد مشروع الإصلاح داخل السجون الذي يعمل على إقناع المجاهدين بعد التحقيق معهم ببطلان جهادهم، وصحة إمامة ولي أمره السعودي، وأن

أحداث سِبتَمبر: (هل أمرنا الدّين بقتل النّاس ؟هل أُمرنا بهدم العمارات ؟! لماذا لا نركّز عَلى دعوتهم للإسلام؟! لماذا لا ندعوا أعضاء الكُونغرِس الأمريكيّ للإِسلام ؟ بضعَ سنيين ويدخلون في دين الله)!!

ترى هل يدري هذا المِسكين (الّذي كانَ قد طالب بضرورة محاكمة الشّهِيد البطل خطّاب[1] وزميله المُجَاهد البطل – شامل باساييف[2]– أبطال الجِهَاد في الشِّيشَان، عَلى ما سبّبوا من سفكِ دماء المُسلِمِينَ!! لأنّهم يجاهدون الرُّوس!!)، هل يدري أن الإحصائيّات تشير إلى أنّ ٨٥ ٪ من أعضاء الكونغرس هم من اليَهُوْدِ أو أزواج ليهوديَّات! وأنَّ الخمسة عشر الباقين، أكثرهم من الصّليبيّين المتهوّدين وأتباع الكنيسة الإنجيليّة، الّذين يعتقدون بأنّ مسيحهم لا يخرج إلا بعد مذبحة عُظمى تجتثُّ خضراء المُسلِمِين ؟! أظنّه لا يدري، فقد روى لنا إخوة مُجَاهدون من الجَزِيرَةِ أنَّه لبس بزّة عسكريّة وصلّى بالقوَّات السّعُودِيّةِ المرابطة عَلى حدود العراق بقيادة (شوارزكوف) وتحت رايات أمريكا، أيّام عاصفة الصَّحرَاء،

مقارعة الصليبيين على أرض الجزيرة فتنة وغيرها من الأفكار المسمومة، ولقد سُجِّلت للقرني العديد من المواقف المخزية بحق الأمة كمدحه لبوتفليقة وحكومته وتعظيمه لعلي عبدالله صالح وغيرهم وكإنكاره على المجاهدين بالعراق جهادهم وذمِّه المتكرر للشيخ أسامة لتحطيمه بُرجي التجارة وحربه ضد اليهود والنصارى وإنكاره على الشَّيْخ الزرقاوي عمليَّاته ..إلخ .

(١) سيف الإسلام (خطاب): سامر بن صالح بن عبد الله السويلم، من مواليد ١٤ أبريل ١٩٦٩م ، أحد أبرز رموز المجاهدين المهاجرين في هذا العصر، تشهد له ساحات أفغانستان وداغستان وطاجيكستان والشيشان، وقصصه وإرثه منشور مشهور، ولشدة الرعب الذي بثه في قلوب جنرالات الروس سخروا له فرق خاصة للقضاء عليه ، وتوفي إثر دسّ السمّ له في رسالة سلّمها إيّاه عميلٌ مزدوجٌ في أوائل شهر صفر من عام ١٤٢٣ هـ، والموافق ٢٠ مارس ٢٠٠٢م ﷺ.

(٢) شامل سلمانوفيتش باساييف: أحد أكبر قادة المجاهدين في القوقاز من مواليد ١٩٦٥م، خاض ملاحم القوقاز وعُيِّن نائباً لرئيس الوزراء في حكومة أصلان مسخادوف بين عامي ١٩٩٧–١٩٩٨م ثم استقال، واختير قائدًا لقوات مجلس شورى المجاهدين في القوقاز، ولم يمنعه بترُ رجله وقتلُ الروس لأهله وعائلته عن أن يواصل مشاركة المجاهدين ميدنياً في الحروب والمعارك مع زميله خطاب، رغم أن شامل ولمدةٍ من الزمن كان المطلوب الأوّل لروسيا ومطلوبا للأمم المتحدة والاتحاد الأوربي، وفي ٨ أغسطس ٢٠٠٣، أعلن وزير الخارجية الأمريكي كولن باول أن شامل باساييف يشكل تهديدًا لأمن الولايات المتحدة ومواطنيها، وقد استقال شامل من جميع مناصبه ليدير حرب عصابات طويلة المدى ويستهدف الروس بعملياته الموجعة إلى أن استشهد بانفجار لغم ﷺ في ١٠يوليو ٢٠٠٦م.

وخطب فيهم صائحاً: (سِرْ يا خادم الحرمين ونحنُ نبايعكَ عَلى الجِهَاد!) فكيف يدري أمثال هذا ما عليه حال الكونغرس؟

وتتابعت لقاءات نظيره، الشَّيْخ (سعد البريك)(١) الّذي بذل كلّ جهده عَلى الفضائِيَّات السّعُودِيّة لإقناع المُسلِمِين أنّ الله ماخلق جَزِيرَة العَرَب إلَّا للمشركين! وليثبت أنّ المُجَاهدين لهم ولأسياده هم كلابُ أهلِ النَّار.

وأما الّذي يستحق لقب (**شيطان العُلَماء**) بكلّ جدارة، فهو المنافق الخبيث المنكوس الشَّيْخ (**عبدالمحسن العبيكان**)(٢) فقد وصلت فيه قلّة الحياء -قبّحهُ الله- أن يتابع سلسلة من حلقات عَلى الفضائيّة السّعُودِيّة، وعلى قناة (MBC) اللبنانيّة الإدارة المموّلة من السّعُودِيّة، حيث ذهب للقول دعمًا لحكومة العميل (علّاوي)(٣)، بعد زيارة الأخير للسّعوديّة: فقال، أنّه وليّ أمر شَرعِيّ تجب طاعته، فلما قَالَ له السّائل (ولكنّ أمريكا هيَ الّتي عيّنته وفرضته!)، فقال: (**ولوعيّن الكفّار وليّ أمرٍ لبلادِ المُسلِمِينَ، فهم إمامٌ شَرعِيٌّ تجبُ طاعته**)، ولا أدري حقيقة عَلى أي دين تخرج مثل هذه الفتاوى، الّتي لا يقبلها ولا دين المجوس ولا عبّاد البقر، فكل الشّعوب والأديان تنكر حاكمًا عيّنه العدوّ وتعتبره غير شَرعِيّ، وحتّى قوانين أوربّا والأمم المتحدة، ولذلك يعتبروه مؤقّتًا وليس شرعيًا، أمّا هذا الضّال المضلّ فيعتبره إمامًا شرعيًا! ثمّ لمّا سأله السّائل عن جواز مقاومة جنود الأمريكان لعدوانهم، قَالَ له – وتأمّل: (**هم يدافعون عن أنفسهم ضدّ من يعتدي عليهم في العراق!! ولا يضربون من لا يضربهم!!**)

---

(١) سعد البريك: داعية سعودي وأكاديمي وإمام وخطيب ومحام ومستشار قانوني ، مواليد:١٩٦٢م، عضو في فريق مناصحة السجناء الذين يحملون الفكر الإرهابي (إخواننا المجاهدوين فك الله أسرهم)، وهو مشهور على القنوات في دفاعه عن آل سعود أولياء أمره وتخطيئه للمجاهدين إضافة لكونه تلميذا للعبيكان.

(٢) عبد المحسن بن ناصر بن عبد الرحمن آل عبيكان آل عمران: ولد عام ١٣٧٢هـ في مدينة الطائف، لشدة تقربه من آل سعود عُيّن قاضيا ثم مستشاراً برتبة وزير ثم أعفي بعد مدة ، ومن أشهر فتاويه أن الجهاد فرض كفاية وليس بعين، ويُعتبر العبيكان الأشهر في نفاقه وعدائه للمجاهدين.

(٣) علاوي: عراقي بعثي شيعي رافضي، تولى رئاسة الحكومة العراقية العميلة المؤقتة التي تلت مجلس الحكم العراقي وذلك بالفترة من ٢٨ يونيو ٢٠٠٤ إلى ٦ أبريل ٢٠٠٥م.

فتخيّلوا مشروعيّة دفاع أمريكي مدجّج بالسّلاح عن نفسه في العراق! ضدّ مدنيّ عراقيّ يعتدي عليه!! وليست هذه الأمثلة أقذر ما تُصبِّحنا وتُمسِّينا به الفضائِيَّات والصّحف ووسائل الإعلام من دور علماء السّلاطين اليَوْم في هذه الحملة الصّليبيّة، فلشيخ الأزهر (طنطاوي)[1] إبداعاته الّتي زعم في بعضها أنَّ منع فرنسا للحجاب مسألة داخليَّة[2]، ليس للمسلمين أن يتدخَّلوا فيها! ولعلماء الشّام كما المغرب العربيّ فنونهم أيضاً، وما كانَ كثير من علماء العجم في باكستان وغيرها، بأقلّ براعة في النِّفَاق والاستخذاء من أقرانهم علماء سلاطين العَرَب، قبَّحهم الله وأسكنهم مضائق سَقَره، فهذا المدعو بـ (المُفتي الأعظم) في باكستان الشَّيْخ (رفيع عُثمَانِيّ)[3]، قَالَ في خُطبة حفل لختم البُخَارِيّ: أنَّ الّذين يقتلون وهم يُدافعون عن أنفسهم في (إقليم وزيرستان) ضدّ غارات الجيش عليهم، بأنَّهم ليسوا شهداء! ولا أدري أين يذهب حمار البُخَارِيّ هٰذا، الّذي حمله أسفاراً، أين يذهب بقوله ﷺ: «من قُتِل دُون مالِه.. دُونَ أهلِهِ.. دُون دَمِهِ.. فهُو شَهِيدٌ»[4] ؟! وأضاف أنَّ الجِهَاد لا يكون إلا بأمر وليّ الأمر مشرَّف، وأنَّ الأمريكان وأشكالهم في باكستان (ذمّيّين لا يجوز العدوان عليهم)، بل لا يجوز العدوان عليهم في بلادهم! وقاس فاعلُ ذلك

---

(١) محمد سيد طنطاوي: شيخ الجامع الأزهر من عام ١٩٩٦م إلى حين موته في ٢٠١٠م، في شهر فبراير ٢٠٠٣، وقبل احتلال القوات الأمريكية للعراق أقال طنطاوي الشيخ علي أبو الحسن رئيس لجنة الفتوى بالأزهر من منصبه بسبب ما قيل إنه صرح بفتوى يؤكد فيها «وجوب قتال القوات الأمريكية إذا دخلت العراق، وأن دماء الجنود الأمريكيين والبريطانيين تعد في هذه الحالة حلالا، كما أن قتلى المسلمين يعدون شهداء». وأصدر قرار بإيقاف الشيخ نبوي محمد العش رئيس لجنة الفتوى عن الإفتاء وإحالته للتحقيق؛ لأنه أفتى بعدم شرعية مجلس الحكم الانتقالي العراقي وحرم التعامل معه، كما أن جلساته ومصافحاته مع شمعون بيريز الرئيس الإسرائيلي تكررت على الإعلام.

(٢) وذلك خلال استقباله لوزير داخلية فرنسا نيوكولا ساركوزي في الأزهر في ٣٠ ديسمبر٢٠٠٣.

(٣) مفتي باكستان: ولد بالهند عام 1355 هـ تولى عدة مناصب منها: مستشار المحكمة الشرعية العليا بباكستان ورئاسة جامعة دار العلوم بكراتشي.

(٤) يقصد الشَّيْخ حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه الذي أخرجه النسائي برقم (٤٠٩٥) وأهل السنن وأحمد وصححه الألباني، وله شواهد في الصحيحين، وهو عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد».

عَلى قولِ سيّدنا موسى عليه السلام لمّا قتلَ نفساً: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾ [القصص: ١٥] الآية! وقس عَلى ذلك، والحبل عَلى الجرَّار.

وأما دعاة الصّحوة ومشاهيرها، فأكثرهم منشغلون في الدّعوة للاعتدال، فهذا شيخ الصّحوة سفر الحوالي[1] (هداه الله) قد فتح بيته لدعوة المُجَاهدين للإستسلام لفراعنة بلاده والتَّوبة! التَّوبة من جِهَاد الأمريكان في بلاد الحرمين!!

و راح صنوه (سلمان العودة)[2] يحدّثنا عَلى شاشة (الجَزِيرَة) عن فقه (المشروع الخاص)، وأن ليس عَلى كلّ أحد أن يفزع لجِهَاد الأمريكان في غزو العراق، فقد يكون بقاءه عَلى مشروعه الخاصّ أجدى، ولو كانَ أطروحة ماجستير، أو مشروع زواج، أو قراءة كتاب، أو حتَّى جلسة تأمّل! ولم يخبرنا، التَّأمُّل في ماذا؟!

أما الأخيار، أخيار العُلَماء في هذا الربع الأوّل من القرن الخامس عشر الهجريّ، فهم السَّاكتون عن الحقّ، الصَّامتون الخرس، القاعدون عن الجِهَاد وعن الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر في كلّ ما يثير حفيظة السّلاطين، حتَّى صار من يريد مدح أحدهم يقول عنه: (جزاه الله خيراً، لا ينافق للحكومة ساكتٌ معتزلٌ)!

---

(١) د.سفر بن عبد الرحمن الحوالي: من مواليد حوالة جنوب غرب الجزيرة العربية ١٣٧٥هـ، له نتاج علميّ مفيد نافع لا تُنكر فائدته ، نسأل الله أن يصلح حاله ويرده رداً جميلا، ومؤخرا تم اعتقاله بعد توجيهه نصيحة لآل سعود رغم مرضه وحالته الصحية.

(٥) سلمان بن فهد بن عبدالله العودة : داعيةٌ سعوديّ حاصلٌ على دكتوراه في الشَّريعة من أشهر رموز الصَّحوة ومن مواليد جمادى الأولى 1376 هـ الموافق ١٤ ديسمبر ١٩٥٦م ، برز في الثَّمانينيَّات والتّسعينيّات، واعترض على تعاون الخليج مع أمريكا بعد حرب الخليج فمُنع من الخُطب والدّروس ثم اعتقل في سجون آل سعود وتمّ الإفراج عنه في١٩٩٩م، وبعد سبتمبر بدأ يدعو للمصالحة مع الأنظمة الملكيّة، ويُخذِّل الشَّباب عن النَّفير للعراق واصفاً الشَّيْخ أسامة وصحبه بالخوارج، إلى غيرها من المواقف التي لا ترضي الله ، ومؤخرا وضعه محمد بن سلمان في السجن ولا يزال، نسأل الله أن يرزقه العودة ويرده رداً جميلا.

أحوال تقطّع القلوب كمدًا، هذه هيَ خُلاصة أحوال العُلَماء والأمراءِ، وصدق ابن المبارك حين قَالَ:

وَهَلْ أَفسَدَ الدّينَ إلّا المُلُوكُ ❁ وأَحـبَارُ سُـــوءٍ ورُهـبَانُهَـــا

فنحن اليَوْمَ أمام هذه الهجمة ولا صلاح الدّين يواجه الصّليبيّن، ولا قطز يواجه التّتار، ولا العّز بن عبد السَّلام ولا ابن تَيمِيّة يجيّشون المُسلِمِين ويسيرون أمامهم، فنحن أمام أحفاد ابن أبي دؤاد، ولا أحفاد (لابن حنبل) وإنَّما نحن أمام مثل الّذين حمّلوا التوراة ثمّ لم يحملوها، وأمام الّذين أتتهم آيات الله فانسلخوا منها فاتبعهم الشّيطان فكانوا من الغاوين، أمام حمير تحمل أسفارَ الحقّ، ثمّ تجد سعيًا في مكافحة الإِرهَاب مع حكامها! وكلابٌ إن تحمل عليها تلهث أو تتركها تلهث، ما فتئت تنبح تكافح الإِرهَاب مع أمريكا وتكافح المُسلِمِينَ المُجَاهدينَ لصالحِ جورج بوش!

وأما من تتعلق بهم آمال بعض الآملين، من مظنَّة الخير في العُلَماء في مختلف بلاد المُسلِمِين، فما زال أمل الآملين في انتظار، وما أدري ماذا ينتظرون ؟! فاسألوهم إن كانوا ينطقون، ودعنا نأمل مع الآملين لنقول: هذا هو حال عموم عملاء (عفواً) أقصد (علماء) المُسلِمِين اليَوْم - إلّا مَن رحمَ اللهُ -!

و ليظنّ كلّ طالب علم أنّ شيخه الجليل -ممن رحم الله- وليستريح البعض إلى أن محبوبهم (أبو فلان) وشيخهم (ابن علّان) ممن قصدنا بمن رحم الله.

والحقيقة لابدّ أن يكون هناك من أهل الخير من العُلَماء من لم نسمع بهم! رغم متابعتنا لوسائل الإعلام! فأمّتنا أمّة خير!

فالسَّلام عَلى كلّ واحد من أولئك يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً.

ونسأل الله تَعَالَى الشَّهَادة في سبيله وأن يقبضنا وقد اكتحلت عيوننا برؤيتهم يقودون الجِهَاد، وتشنَّفت آذاننا بسماع نداءاتهم للنَّفير أو نحتسبها حسرة ضمن حسراتٍ كثيرةٍ في (زمن الصّبر والقهر) هٰذا، ونستريح من عيش زمن صار فيه بطن الأرض خير من ظاهرها والحَمْدُ لله الّذي أحيانا لنشهد نبوءته – فدته نفوسنا وآباؤنا وأمّهاتنا وأبناؤنا– ﷺ، فكما جاء في الأثر الّذي رواه أبو عمرو الداني في كتابه: (السنن الواردة في الفتن – ٣٧١):

«لَا يَزَالُ الْجِهَادُ حُلْوًا أَخْضَرَ مَا قَطَرَ الْقَطْرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَقُولُ فِيهِ قُرَّاءٌ مِنْهُمْ: لَيْسَ هَذَا زَمَانَ جِهَادٍ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ فَنِعْمَ زَمَانُ الْجِهَادِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاحِدٌ يَقُولُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، مَنْ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[1].

نعم، صدق الصَّادق المصدوق: «**عليهم لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**».

وربّما لو طال بنا عُمْرٌ أو بأولادنا شهدنا ما روي في حديث آخر عنه ﷺ، فقد أخرج ابن أبي الدُّنيَا عن مالك بن دينار قَالَ:

«**بَلَغَنِي أَنَّ رِيحًا تَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَظُلْمَةً، فَيَفْزَعُ النَّاسُ إِلَى عُلَمَائِهِمْ، فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ مُسِخُوا**»[2].

وأخرج التِّرْمِذِيّ في نوادر الأصول عن أبي أمامة قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تكُونُ فِي أمّتِي فَزعةٌ فَيصيرُ النَّاسُ إِلَى عُلَمَائهمْ فَإِذا هُم قِرَدَةٌ وَخَنَازِير»[3]!!

فوالله لست أعجب لو أصبح النّاس فرأوا أمثال هذا (**العبيكان**) الّذي يقول **أنَّ العراقيين يعتدون عَلى الأمريكان في بغداد!! لست أعجب أن يجدوه قرداً!** ولست أعجب لو رأوا الإمَام المنفوخ (**السّديس**)، إمام الحرم المكّي الّذي لا يستحي من الله أن يدعو **بالسّلامة من التفجيرات الإرهَابية للدّول الكافرة، وعلى المُجَاهدين بالهلاك، على باب الكعبة في دعاء ختم القرآن في آخر ليلة من رمضان ٢٠٠٤م!! ثمّ يفرغ توسّلاته إلى الله بحفظ وليّ الأمر والنّائب الأوّل، والثّاني! لست أعجب لو أصبح النّاس فرأوه خنزيراً، وكيف العجب، وما أشبهها بذلك حتّى قبل المسخ!**

****

---

(١) الحديث إسناده ضعيف لأن فيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو متروك الحديث وقد أجمع المحدثون على تضعيفه. قلتُ ولكن معنى الحديث واقع نعيشه ويُفهَمُ من حديث ثوبان ﷺ حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أخاف على أمّتي الأئمة المضلين»، قال: وقال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمّتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من يخذلهم حتى يأتي أمر الله» رواه التِّرمِذِيّ (٢٢٢٩) وصححه الألباني، ومن حديث «الجهاد ماض إلى قيام الساعة».

(٢) ذم الملاهي لابن أبي الدنيا ٢٢ – (١/ ٣٧).

(٣) نوادر الأصول للترمذي (٢/ ١٩٦).

٣- وأما عَلى صعيد الصّحوة الإِسْلَاميّة:

فالمتابع لأخبارها وأخبار قادتها وأحزابها وشبابها وصحفها، لا يكاد يرى إلا الجدليَّات، والقيل والقال في مجالسهم وندواتهم ومقابلاتهم عَلى الفضائِيَّات، واسمع عجبًا من تفسيراتِ نصوصِ الدّين في نبذِ الإِرهَاب، مع شيءٍ من نقد الأمريكان عَلى استحياء، والتَّنويه والتَّعريض بحكام المُسلِمِين، مع شيءٍ من الطّبطبة عَلى أكتافهم ومراعاة مشاعرهم، وفتِّش عن قيادات الصّحوة في مقاعد البرلمانات المشركة المشرِّعة من دون الله، وفي مناصب الوزارات في حُكُومَات الكفر الحاكمة بغير ما أنزل الله، الخَائِنة لله ورسوله والمُؤمِنِين، وتوقف أمام أعذار هَؤُلَاءِ الدُّعاة (الإِسْلَاميّين الدّيمقراطيين!)، ودعاوى الإصلاح والتّدرّج والتَّريُّث والتَّعقُّل، لتتذكَّر قول المتنبّي:

يَرى الجُبناءُ أنَّ العَجزَ عقلٌ ۞ وتلكَ خديعةُ الطَّبعِ اللَّئيمِ

وتابع مقابلاتهم عَلى شاشات التّلفزيون، وفتّش في ثناياها عن كلمة حقّ تتلجلج وقد أذابوها في برميل من الكلام الفارغ والتّدليس والنِّفَاق، حتَّى لا تحسب عليهم دعمًا للإرهاب، فأمريكا بالمرصاد، وأجهزة الرَّقابة والإستخبارات يُحصون الأنفاس، ويكشفون عن الخواطر وراء الكلمات، وينبشون الأسرار من قعر الصُّدور، والتّهمة جاهزة، أصوليَّةٌ، فتشدّدٌ، فتطرُّفٌ، فتأييدٌ للإرهابِ، فانتماءٌ للقاعدة!!

وهناك تقع الواقعة! فتُجمَّد الحسابات في البنوك، والدِّماء في الشَّرايين، وتذاب الأجساد تحت سياط الجلَّادين، ويعاد تجميعها عَلى كهرباء أجهزة التَّعذيب المُستوردة.

وما لأحد بهذا الإعصار الأمريكيّ الهائج لمكافحة الإِرهَاب اليَوْمَ قِبَلٌ ولا طاقةٌ، ولا تكفي لحية الدَّاعية المقصوصة إلى ما قبل حدِّ النَّتف بقليل، ولا قبّته البيضاء، ولا (الكرافتّة) الأورُبِّيَّة والبدلة الأنيقة عَلى الطِّراز الغربيّ الحديث، ولا المشاركة في الدِّيمقراطيَّة والدّعوة إليها، لإثبات الإعتدال!

فعُملاء أمريكا واستخباراتهم بالمرصاد عَلى كلّ حال، والدّين عند قيادات الصّحوة يسرٌ، إلى حدّ ما قاله الشَّاعر:

" وهذا الدّين لفرطِ يُســـــره ۞ قد احتوى مُســـــيلمة..."

ويتّسعُ عندهم لَمَّا يَعرضُونه ملفّقًا تحت دعوى الإعتدال وأعذار الحنكة السّياسيّة وآخر الإختراعات (الشّفافيَّة)!! و(احترام الآخر)!! من غير أن يفهمونا من هو هذا الآخر؟!

****

٤ – وأما أحوال الأُمّة الإِسْلَاميّة وشعوبها بعد سِبتَمبر:

فمن المفارقة أنّي سمعت فيها كنت أكتب بعض أوراق هذا الكتاب أصوات إطلاق الرَّصاص وانفجارات الألعابِ النَّاريَّة والموسيقى والصِّياح، وتحيَّرت لأنّه لا يتوقع أن تكون القُدس قد تحرّرت فجأة!! أو أنَّ الهند قد انسحبت من كشمير! ونزلت استطلع الخبر، لقد كانت احتفالات (المُسلِمِين) بدخولِ السَّنة النّصرانيَّة الجَدِيدة ٢٠٠٣م! إنَّه عيد رأس السَّنة الميلاديَّة، لقد دقَّت السَّاعة الثّانية عشر، وجنّ جُنون البَقر!

ودخلت صبيحة السّنة الجَدِيدة، ولا شَّكَّ أنَّها كانت ليلة حفلاتٍ ورقصٍ وخمرٍ ودعارةٍ لملايينِ (المُسلِمِينَ)! ولا شَّكَّ أنَّ حُكُومَاتهم وأجهزةَ إعلامهم قد قدَّمت لهم كلّ وسائل الفساد ومستلزماته.

وباختصارٍ: لا تشير وقائع المُسلِمِين هذه الأيّام إلّا إلى مزيدٍ من التِّيه والضَّياع والهزيمة والبَوار.

ولولا الأمل بالله تَعَالَى، وما وعدَ رسولُه ﷺ وما بشَّر، وذلك حقٌّ ولا ريب، لانقطع الرَّجاءُ، وانطفأ الأملُ، ولكنَّها نعمة الله وأمل الإيمان.

فما أدري والله ما الّذي يلزم هذه الأُمّة بعد حتَّى تتحرَّك للجِهَاد ؟!

فماذا أكثر من استغاثة القُدس ونداء مسجدها الأقصى ؟! وماذا أكثر من انتفاضة الأقصى وما قدَّمت ؟! وماذا أكثر من أفغانستان وما أعطت ؟! وماذا أكثر من أخبار الشِّيشَان وما أبلت ؟! والبوسنة وكوسوفو وما عانت ؟ وما تضعه وسائل الإعلام في كلّ بيتٍ من أخبارِ البلاء في المُسلِمِين في كلّ مكان؟!

وماذا يهزُّ كيان الأُمّة ويحرّك وجدانها أكثر من دويّ انفجارات سِبتَمبر؟! ومشهد صقور الإِسْلَام وشهدائه يمزِّقون رمز استكبار أمريكا وجبروتها ويقتحمون نيران الانفجار بأجسادهم الطّاهرة ؟ وماذا

أكثر من مشهد خمسة وعشرين صبيَّة من نساءِ وأراملِ الشِّيشَان في عمر الوَرد، وقد حزَّمنَ المتفجرات عَلى أجسادهنَّ، يجاهدن في قلب موسكو ؟

فيا لِخزيِ العمائم، ويالِعَارِ الشَّوَارب واللّحى، لقد حمل صبايا المُسلِمِين الرَّشَّاش وخرجنَ لجِهَادِ الرُّوسِ في عقرِ دارِ الرُّوسِ في موسكو!

وماذا يثير الوجدان أكثر من صُور أطفال فِلَسطِينَ تقلّ أعمار بعضهم عن السَّادسة من العمر، يواجهون الدَّبَّابات ويجرُون خلف جنودِ اليَهُوْد ؟ وماذا أكثر من مشاهد الإنزالاتِ الأمريكيّة والبريطانيَّةِ العسكريّةِ الحاشدة في بلاد المُسلِمِينَ والإعلانات عن تدمير العراق وبَرَامج احتلال البلاد والعِبَاد؟! وماذا ؟! وماذا؟

ماذا أكثر من مشاهدِ الموت والدَّمار والخزي والمَصَائِب تضعها شاشات التّلفزيون في كلّ بيت من بيوت المُسلِمِينَ، فَيُشَاهِدُونَها ويتنقّلُون بينها وبين الأفلام الخليعة والرُّسُوم المتحرّكة وعروض الأزياء ومباريات الرِّيَاضة، وحفلاتِ الرَّقص والموسيقى ودورات مسابقات الـ (ستار أكاديمي) ؟!

لقد ماتت النُّفوس، وتعفَّنت الضَّمائِر، ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين].

فالشارع الإِسْلَامِيّ بليدٌ، ساكنٌ إلّا من بعض المُظَاهراتِ هنا وبعض صياح الشَّجب هناك، ولم تبد بعد بوادر الحركة، والأمل بموعود الله كبيرٌ، ولعلّه يتحقّق ما يتخوّف منه الفراعنة وينذرون منه أمريكا اليَوْمَ من أنَّ غزوها للعراق وحملاتها العسكريّة والأمنيّة ستخصب تربة الإِرهَاب عَلى حدِّ زعمهم.

فنسأل الله أن يصدق فألهم ويخيب مسعاهم.

ومن باب الإحاطة بتوصيف واقع المُسلِمِين، يجب أن نذكر أنَّ بذور المقاومة تنتعش هنا وهناك عَلى شكلِ عمليَّات محدودة ومبادرات فرديَّة شرقًا وغربًا.

قليلة هيَ المبادرات! ولكن الاستياء عارم والجوّ مشحون، والمناخ الثّوريّ يسخن، ويبشر بوصوله لحرارة الجِهَاد، بفضل الله ثمّ بفضل جبروت الأمريكان وشراسة حقد اليَهُوْد، وجشعِ الحملاتِ الصّليبيّة وبفضل انكشاف عورات الفراعنة وسقوطِ آخرِ أوراق التُّوت عنها.

هذه المُقاوَمة تبشّر بميلاد شمس الأمل؛ شمس يكاد لم يبقَ من الدّليل عَلى بزوغها الأكيد إلا أنوار فجر البشائر الصَّادقة، وبصيص لمعان الأمل في عمليَّات جِهَاد المُجَاهدين هذه، فالوعد حقٌّ ولا شكَّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور]، وصدق الله العظيم: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ٦﴾ [القصص]، فقد قارب حال الصَّابرين ما يبشِّر بالفرج: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف].

فخلاصة واقع الأُمّة اليَوْم هو ما قدَّمنا وسط دوَّامة فساد الصّليبيّين في الأرض وعلوِّ اليَهُوْد الكبير فيها، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾ [يوسف].

****

٥- أحوال الجهاديّين بعد سِبتَمبر:

أما هذه فكان الله في العون، ورحم الله الشّهداء، وأسكنهم فسيح جناته، وصبر الله الأسرى وأحسن خلاصهم من سجون غوانتانامو وفروعها الأسوأ حالا في سجون حُكَّام المُسلِمِين، وحفظ الله المشردين ويسر أمرهم، وثبت الله العازمين الثَّابِتين عَلى الطّريق، وأعانهم عَلى حمل الرّاية خفاقة رغم الجراح، وتسليمها شامخة لجيل قادم يخلص في حملها.

فالتّيار الجهاديّ بكامل طيفه عَلى صعيد الجماعات والقيادات والرموز والأفراد، بل وكل مؤيد ومناصر، يمرون في هذه الأيّام بأشد محنة مرت عَلى التّيار الجهاديّ المعاصر منذُ انطلاقه قبل أربعين عاماً، وذلك بسبب الحملة الظَّالمة الّتي تشنها أمريكا تحت شعار (مكافحة الإرهَاب).

لقد مرت جماعات جهاديّة عديدة عبر مسيرها بأزَمَات وملاحم ومصائب بالغة الشدة، من قبيل ما حصل بالمُجَاهدين في سوريا وتونس وليبيا والجَزَائِر ومصر وغيرها، ولكن محنة الحَرب العَالَمِيّة الحالية عَلى الإرهَاب، كما يسمونها، تختلف من حيث اتساعها وزخمها وحجم خسائرها، فقد افتتحتها أمريكا،

وجيشت لها حلفاءها من دول النّاتو وغيرهم من الكفّار، ومن قوى الرِّدَّة المتمثلة بحكام المُسلِمِين وأجهزة قمعهم، لقد وصلت هذه الحملة إلى ذروتها بعد أحداث سِبتَمبر، حيث دمرت أمريكا الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان، الّتي شكلت الملاذ الأخير لنخبة الجماعات الجهاديّة وكوادرها، حيث قتل المئات من كوادر التّيار الجهاديّ في معركة الدّفاع عن الإمارة، ثمّ أتبعت أمريكا ذلك بأسر أكثر من ٦٠٠ مُجَاهد من مختلف البلاد العربيَّة، في باكستان ونقلتهم إلى سجونها، كما ألقت القبض بالتّعاون مع حلفائها من الكفّار والمرتدّين في بلاد المُسلِمِين وغيرها عَلى عدّة مئات أُخرى، وأدرجت عَلى قائمة الإِرهَاب عشرات الجماعات الجهاديّة من مختلف بلاد المُسلِمِين، لتطارد عناصرها في كلّ بلاد الدُّنيَا، حيث دخل من تبقى من عناصر الجهاديّين ولاسيما رموزه وقياداته وقدماء كوادره في حالة من الشتات والتَّشريد والمطاردة بفعل أكبر حملة أمنيّة عالميّة يشهدها التّاريخ، حتَّى صاروا إلى حال يذكر بها وصف رسول الله ﷺ المُؤمِنِين في آخر الزّمان بقوله: «**لَا يَجِدُ الْمُؤْمِنُ مَلْجَأً يَلْتَجِئُ إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ**»(١)، واستقصاء تفاصيل ما حلّ من نكبات وعناء بالمُجَاهدين الّذين وقفوا لأمريكا وحلفائها بالمرصاد يدافعون عن هذه الأُمّة ودينها، يحتاج إلى مجلد كبير يروي أروع قصص الثّبات والتضحيات والعناء الّتي نزلت بهم وبنسائهم وأطفالهم وذويهم وبكل من آواهم ومد يد العون إليهم، ولا يسمح المجال هنا بالسرد والإطالة، وعلى كلّ حال فلسان حال من تبقى يلهج بالثّبات والعزم والتحدي.

فلله الحمد، ما زلنا عازمين، **"والله لا نُعطيهم إلّا السّيف"** إن شاء الله، **"ولو لم نجد إلّا الذَّرَّ لنُقاتلهم به"**، **"أو تَنفردَ هذهِ السَّالفة"** حتَّى يرضى الله تَعَالَى، **"وليأخذ الله من دمائنا ما شاء حتَّى يرضى"**، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ﴾، وإنا في طائفة قد باعت، ولقد وقع البيع، **"ولا نقيل ولا نستقيل"** إن شاء الله.

---

(١) [تمّ ضبط اللّفظ]، أخرجه الحاكم (٨٤٣٨) وقال صحيح الإسناد ولم يُوافقه الذّهبيّ، وضعّفه الألبانيّ: مشكاة المصابيح (٥٤٥٧).

فما عذرنا وقد قضى من مضى، ولعلّنا نلحق بالرّفيقِ الأَعلى: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء]، وكما قَالَ الأوّلُ عاصمﷺ وقد أحاط به الكفّار يستأسروه فأبى، فإنَّا نُنشِدُ كما أنشد:

ما علَّتي والقوسُ منِّي نابلُ ۞ والقوسُ فيها وترٌ عَنابِلِ

إن لم أُقاتـلكم فأمِّي هـابـِلُ[1]

فنسأل الله أن يمنعنا منهم أحياء وأمواتا كما منع عاصم رضي الله عنه.

وهذا إن شاء الله حالنا وحال إخواننا الُمجَاهدين، ولنبشر الُمؤمِنِين، ولنخزي أمريكا ومن معها من المنافقتن: فقد أبقى الله رغم كلّ ما حدث من النكبات من الُمجَاهدين في كلّ مكان لأمريكا وحلفائها ما يسوؤهم، ونسأل الله أن يؤهلنا لأحوال تصدُّق هذه الأقوال، فليصيحوا ما شاؤوا في مسيرة بوش: "**أُعلُ هبل**" فما زلنا نردد عَلى أصداء صوت عمر رضي الله عنه: "**الله أعلى وأجل**" وليعبدوا أمريكا وليقولوا: "**لنا في أمريكا العزَّى ولا عُزَّى لكم**" فإن نقول لهم كما رد عمر عَلى أسلافهم: "**الله مولانا ومولاكم**"... " **قتلانا في الجنّة وقتلاكم في النار، ولا سواء**"[2].

****

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٧٠)، و النابل: صَاحب النبل. ويروى: «بازل» وَهُوَ القوى. وعنابل (بِالضَّمِّ): غليظ شَدِيد، هابل: ثاكل.

(٢) من أطراف حديث أُحُد الذي رواه أحمد (٢٦٠٩،٤٤١٤) وحسّنه الأرنؤوط.

الفَصْلُ الثَّانِي

أحكام شرعيّة في هذا الواقع

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ٥٥﴾

[الأنعام]

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾

[آل عمران: ١٨٧]

الفصل الثاني

﴿ أحكامٌ شرعيّةٌ في هذا الواقعِ ﴾

نعتقدُ باختصارٍ أنّ أحكام الشّريعة تقرّر أنَّ الجِهَاد يكون فرضُ عينٍ علىَ كلّ مسلمٍ في مثل هذا الواقع اليَوْم، هذا ما تقرره أحكام الشّريعة.
كما أنَّ العقلَ والمنطقَ والفهمَ السَّليم يدلُّ علىَ أنَّ (الجِهَادَ المُسلَّحَ هوَ الحلُّ) من أجلِ وضع حدٍّ لأزَمَاتِ هذا الواقع.

فأما الأدِلَّة الشَّرعيَّة عَلى ذلك فهي أوضح من عين الشّمس كما سنبين إن شاء الله، فالجِهَاد فرض عين اليَوْم عَلى كافّة المُسلِمِين من وجوه كثيرة، ولا نورد الأدِلَّة العقليَّة والمَنطِقيَّة عَلى ذلك إلا من باب التأكيد، وإفحام من لا تكفيه الأحكام الشَّرعيَّة للقناعة – والعياذ بالله – وإلا فالمقرر من أساسِيَّات العَقِيْدَة أن لا رأي مع رأي الشَّرع، ولا اختيار مع اختيار الله ورسوله كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[الأحزاب].

هذه هيَ الحقيقة: **فالمُقاوَمة العامّة لهذا الإحتلال الأجنبيّ الكافر، وهذه القوى المرتدّة المتعاونة معه والرازحة عَلى صدور المُسلِمِين، هيَ فرض واجب تقرره الشّريعة الإِسْلَاميّة، وحقيقة يقتضيها العقل السَّليم، كما هو الحال في كلّ أمر حيث تتوافق أدِلّة الشَّرع القويم مع مقتضى العقل السَّليم في كلّ زمان ومكان.**

فهناك أحكام شرعيّة هامة تتعلق بواقع المُسلِمِين اليَوْم يجب عَلى علماء الإِسْلَام وقيادات الصّحوة والجِهَاد بيانها للنَّاس، نذكر هنا أهمّها بغية الإختصار، تاركين تفصيل أداتها إلى الجزء الثّاني من هذا الكتاب.

فإن من أهمّ ما تقرره الأدِلَّة الشَّرعيَّة من أحكام في واقع المُسلِمِين اليَوْم ما يلي:

أولاً: بلاد الإِسْلَام اليَوْم في حالة احتلال مباشر أو غير مباشر من قبل الأَعدَاء، وجِهَادهم فرض عين عَلى المُسلِمِين بالإجماع.

ثانياً: حُكُومَات بلاد المُسلِمِين اليَوْم مرتدة كافرة لتبديلها الشَّرَائع وحكمها بغير ما أنزل الله، وولائها للكفار وخيانتها لله ورسوله والمُؤمِنِين.

ثالثاً: الخروج عَلى الحاكم إن ارتدَّ عن الإِسْلَام أو كانَ كافرًا فرض عَلى المُسلِمِين بالإجماع.

رابعاً: أحكام الشّريعة الإِسْلَاميّة تقرر بالإجماع كفرَ وردَّة من تعاون مع الكفّار وأعانهم عَلى المُسلِمِين وتُوجِبُ قتالَه.

خامساً: أحكام الشّريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصّائل عَلى دين المُسلِمِينَ أو أنفسِهم أو أعراضِهمأو أموالهم، حتَّى ولو كانَ مسلمًا.

ولنتناول هذه الأحكام بشيء من التفصيل في أدلَّتها:

أولاً: بلاد الإِسْلَام في حالة احتلال وعدوان وغزو من قبل الأَعدَاء، وجِهَاد الغُزَاة اليَوْم فرض عين عَلى المُسلِمِين بالإجماع:

كما أثبتنا في الفَصل الأوّل تحت عنوان (واقع المُسلِمِين اليَوْم) فإنه قد صار من المسلم به اليَوْم لدى كلّ عاقل مبصر، أن بلادنا كلها من أقصاها إلى أقصاها محتلة إما مباشرة من قبل الأَعدَاء، وإما بالنيابة من قبل نوابهم المرتدّين، مع تواجد عسكريّ كثيف للصليبيين بانتشار قواعدهم في جميع أرجائها، مع احتلال اقتصادي كامل عبر سيطرة الاحتكارات الاقتصاديَّة، وبانتشار شبكات استخباراتهم ومراكزهم الأمنيّة.

وهاهي أمريكا اليَوْم تعيد احتلال العالم الإِسْلَاميّ من جديد جهارا نهارا، فقد احتلت أفغانستان مباشرة، وبسطت سيطرتها عَلى باكستان ووسط آسيا، وهاهي قد احتلت العراق، ووزعت مئات آلاف الجنود في جَزِيرَة العَرَب وتركيا وجنوب الشّام فضلا عن ما تنشره في مصر والقرن الإفريقي وشمال

أفريقيا وما حول هذه المناطق من بحار، وهاهو بوش يعلن أنه يقود عَلى بلاد المُسلِمِين حملة صليبيّة ومعه حلفائه في حلف النّاتو من البلاد الأوروبية بالإضافة للحليف الرَّئيسي (إسرائيل) الّتي تحتل فِلَسطِين، وتستعد لهدم المَسجِد الأقصى وطرد من تبقى فيها من المُسلِمِين.

فما حكم الشّريعة في مثل هذه الأحوال؟ وماذا تفرض أحكام الدّين عَلى كلّ مسلم تجاهها؟

الجِهَاد عبادة وفريضة، فرضها الله عَلى المُسلِمِين، وهي ثابتة بتواتر الآيات في كتاب الله والأحاديث في سنة رسول الله ﷺ بما يغني عن إيراد الشواهد هنا، فهي أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر.

جاء في كتاب (الدّفاع عن أراضي المُسلِمِين أهمّ فروض الأعيان) للشيخ المُجَاهد الشّهِيد عبدالله عزام شيخ المُجَاهدين العَرَب في أفغانستان أيّام جِهَاد الرُّوس رحمه الله ما نقتطف منه ما يلي:

وجِهَاد الكفّار نوعان:

جِهَاد الطلب (طلب الكفّار في بلادهم) بحيث يكون الكفّار، لا يحتشدون لقتال المُسلِمِين، فالقتال فرض كفاية، وأقل فرض الكفاية سد الثُّغُور بالمُؤمِنِين لإرهاب أعداء الله...الخ) ثمّ قَالَ رحمه الله وهو مكان الشاهد:

جِهَاد الدَّفع (دفع الكفّار من بلادنا) وهذا يكون فرض عين، بل أهمّ فروض الأعيان، ويتعين في حالات:

أولاً: إذا دخل الكفّار بلدة من بلاد المُسلِمِين.

ثانياً: إذا التقى الصفان وتقابل الزَّحفان.

ثالثاً: إذ استنفر الإِمَام أفرادا أو قوما وجب عليهم النَّفِير.

رابعاً: إذا أسر الكفّار مجموعة من المُسلِمِين.

ثمّ تحدث الشَّيْخ عبدالله ﷺ عن الحالة الأولى وهي نزول الكفّار في أرض من أراضي المُسلِمِين فقال:

(ففي هذه الحالة اتفق السَّلَف والخلف وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدثون والمفسرون في جميع العصور الإِسْلَاميّة إطلاقا، أن الجِهَاد في هذه الحالة يصبح فرض عين عَلى أهل هذه البلدة الّتي هاجمها الكفّار، وعلى من قرب منهم، بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه، فإن لم يكف أهل تلك البلدة أو قصروا، أو تكاسلوا، أو قعدوا، يتوسع فرض العين عَلى شكل دوائر، الأقرب فالأقرب، فإن لم يكفوا أو قصروا، فعلى من يليهم ثمّ من يليهم، حتَّى يعم فرض العين الأرض كلها).

ثمّ أوجز الشَّيْخ ﷺ مختصر الأدِلَّة عَلى ذلك عند مذاهب أهل السّنّة وعلمائهم فقال:

أولاً: فُقَهَاء الحنفية:

قَالَ ابن عابدين في حاشيته: [**وَفَرْضُ عَيْنٍ إنْ هَجَم العدوُّ عَلَى ثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ، فَيَصِيرُ فَرْضَ عَيْنٍ عَلَى مَنْ قَرُبَ مِنْهُمْ، ، فَأَمَّا مَنْ وَرَاءَهُمْ بِبُعْدٍ مِنْ الْعَدُوِّ فَهُوَ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَسَعُهُمْ تَرْكُهُ إذَا لَمْ يُحْتَجْ إلَيْهِمْ فَإِنْ اُحْتِيجَ إلَيْهِمْ بِأَنْ عَجَزَ مَنْ كَانَ يَقْرُبُ مِنْ الْعَدُوِّ عَنْ الْمُقَاوَمَةِ مَعَ الْعَدُوِّ أَوْ لَمْ يَعْجِزُوا عَنْهَا، لكِنَّهُمْ تَكَاسَلُوا وَلَمْ يُجَاهِدُوا فَإِنَّهُ يُفْتَرَضُ عَلَى مَنْ يَلِيهِمْ فَرْضَ عَيْنٍ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، لَا يَسَعُهُمْ تَرْكُهُ ثُمَّ وَثُمَّ إلَى أَنْ يُفْتَرَضَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ شَرْقًا وَغَرْبًا عَلَى هَذَا التَّدْرِيجِ**][1] إهـ.

وبمثل هذا أفتى الكاساني في بدائع الصنائع[2]، وكذلك ابن نجيم في البحر الرائق[3] ، وكذلك ابن الهمام في فتح القدير[4] من أئمة الأحناف.

(١) حاشية بن عابدين (٤/ ١٢٤).

(٢) بدائع الصنائع (٧/ ٩٧).

(٣) البحر الرائق (٥/ ٧٨).

(٤) فتح القدير (٥/ ٤٤٢).

ثانياً: عند المالكية:

جاء في حاشية الدسوقي، الجزء الثّاني ص ١٧٤ : [**ويتعين الجِهَاد بِفَجْءِ الْعَدُوِّ: أي تَوَجَّهَ الدَّفْعُ بفجئ (أي مفاجأة) عَلى كلّ واحد وإن امرأة أو عبداً أو صبياً، وَيَخْرُجُونَ وَلَوْ مَنَعَهُمْ الْوَلِيُّ وَالزَّوْجُ وَالسَّيِّدُ وَرَبُّ الدَّيْنِ**].

ثالثاً: عند الشّافعية:

جاء في نهاية المحتاج للرملي، في الجزء الثَّامن الصفحة ٥٩ : [**فَإِنْ دَخَلُوا بَلْدَةً لَنَا أَوْ صَارَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَنَا دُونَ مَسَافَةِ الْقَصْرِ، فَيَلْزَمُ أَهْلَهَا الدَّفْعُ، حَتَّى عَلَى مَنْ لَا جِهَادَ عَلَيْهِ مِنْ فَقِيرٍ وَوَلَدٍ وَمَدِينٍ وَعَبْدٍ وَامْرَأَةٍ**].

رابعاً: عند الحنابلة:

جاء في المغني لابن قدامة[١]: [**وَيَتَعَيَّنُ الْجِهَادُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ:**

١. **إذَا الْتَقَى الزَّحْفَانِ، وَتَقَابَلَ الصَّفَّانِ.**
٢. **إذَا نَزَلَ الْكُفَّارُ بِبَلَدٍ، تَعَيَّنَ عَلَى أَهْلِهِ قِتَالُهُمْ وَدَفْعُهُمْ.**
٣. **إذَا اسْتَنْفَرَ الْإِمَامُ قَوْمًا لَزِمَهُمْ النَّفِيرُ مَعَهُ**].

يقول شيخ الإِسْلَام ابن تَيمِيّة: "**وَأَمَّا قِتَالُ الدَّفْعِ فَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ دَفْعِ الصَّائِلِ عَنْ الْحُرْمَةِ وَالدِّينِ فَوَاجِبٌ إجْمَاعًا فَالْعَدُوُّ الصَّائِلُ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لَا شَيْءَ أَوْجَبَ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ دَفْعِهِ فَلَا يُشْتَرَطُ لَهُ شَرْطٌ بَلْ يُدْفَعُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ**"[٢].

ويقول ابن تَيمِيّة : "**وَإِذَا دَخَلَ الْعَدُوُّ بِلَادَ الْإِسْلَام فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَجِبُ دَفْعُهُ عَلَى الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ إذْ بِلَادُ الْإِسْلَامِ كُلُّهَا بِمَنْزِلَةِ الْبَلْدَةِ الْوَاحِدَةِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ النَّفِيرُ إلَيْهِ بِلَا إذْنِ وَالِدٍ وَلَا غَرِيمٍ، وَنُصُوصُ أَحْمَدَ صَرِيحَةٌ بِهَذَا**"[٣].

---

(١) المغني لابن قدامة (٩/ ١٩٧).

(٢) الفتاوى الكبرى (٥/ ٥٣٨).

(٣) المرجع السابق.

ثمّ أضاف الشَّيْخ عبدالله عزام إثر هذه الأدِلَّة قوله: [وهذا يعرف بالنَّفِير العام ثمّ قَالَ وأدلة النَّفِير العام:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة]

وقد جاءت الآية قبلها ترتب العذاب والاستبدال جزاءً لترك النَّفِير، ولا عذاب إلا عَلَى ترك واجب أو فعل حرام، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة].

قَالَ ابن كثير ﵀: [أمر الله تَعَالَى بالنَّفِير العام مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الرُّوم الكفرة من أهل الكتاب وقد بوَّب البُخَارِيّ ﵀: "باب وجوب النَّفِير وما يجب من الجِهَاد والنِّيَّة" وأورد هذه الآية، وكان النَّفِير العام بسبب أنَّه ترامى إلى أسماع المُسلِمِين أنَّ الرُّوم يعدُون عَلى تخوم الجَزِيرَة لغزوِ المدينة، فكيف إذا دخل الكفّار بلاد المُسلِمِين، أفلا يكون النَّفِير أولى؟ قَالَ أبو طلحة ﵁ في معنى قوله تَعَالَى: ﴿ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾، كهولاً وشبابًا ما سمع اللهُ عذر أحد][1]، وقال الحسن البصريّ: "في العسر واليسر".

ويقول ابن تَيمِيّة في الجزء ٢٨ ص ٣٥٨: [فَأَمَّا إذَا أَرَادَ الْعَدُوُّ الْهُجُومَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ يَصِيرُ دَفْعُهُ وَاجِبًا عَلَى الْمَقْصُودِينَ كُلِّهِمْ وَعَلَى غَيْرِ الْمَقْصُودِينَ؛ لِإِعَانَتِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ ﴾ [الأنفال: ٧٢]. وَكَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِنَصْرِ الْمُسْلِمِ وَسَوَاءٌ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ الْمُرْتَزِقَةِ لِلْقِتَالِ أَوْ لَمْ يَكُنْ، وَهَذَا يَجِبُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ مَعَ الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ وَالْمَشْيِ وَالرُّكُوبِ كَمَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَمَّا قَصَدَهُمْ الْعَدُوُّ عَامَ الْخَنْدَقِ لَمْ يَأْذَنْ اللهُ فِي تَرْكِهِ لِأَحَدٍ] وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: خَرَجَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ إلَى الْغَزْوِ وَقَدْ ذَهَبَتْ إحْدَى عَيْنَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: إنَّك عَلِيلٌ، فَقَالَ: "اسْتَنْفَرَ اللهُ الْخَفِيفَ وَالثَّقِيلَ، فَإِنْ لَمْ يُمْكِنِّي الْحَرْبُ كَثَّرْتُ السَّوَادَ وَحَفِظْتُ الْمَتَاعَ "[2].

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني: (٢/ ١٤٤).

(٢) القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: (٨ / ١٥٠).

ثمّ يتابع الشَّيْخ عبدالله عزام ﵀ أدِلّة النَّفِير العام فيقول:

١. **ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦﴾ [التوبة]، قَالَ ابن العربيّ:" كافّة" يعنى محيطين بهم من كلّ جانب وحالة.(١)

٢. **ويقول عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩] **الْفِتْنَةُ هي الشِّرْكُ،** كما قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالسُّدِّيُّ(٢)، وعند هجوم الكفّار، واستيلائهم عَلى الدِّيَار فالأُمّة مهدّدة في دينها، وعرضة للشكّ في عقيدتها، فيجب القِتَال لحماية الدّين والنّفس والعرض والمال.

قَالَ ﷺ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**»(٣) فيجب النَّفِير إذا استنفرت الأُمّة، وفي حالة هجوم الكفّار فالأُمّة مستنفرة لحماية دينها، ومدار الواجب عَلى حاجة المُسلِمِين واستنفار الإِمَام، كما قَالَ ابن حجر في شرح هذا الحديث، جاء في فتح الباري (الجزء٦-ص٣٩)، قَالَ القرطبيّ: (**كلّ مَن عَلِمَ بضعف المُسلِمِينَ عن عدوّهم وعلمَ أنَّه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضاً الخروج إليهم**)، قَالَ الإِمَام الجصاص في أحكام القرآن(٤): "**وَلَا نَعْلَمُ خِلَافًا أَنَّ رَجُلًا لَوْ شَهَرَ سَيْفَهُ عَلَى رَجُلٍ لِيَقْتُلَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ أَنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَتْلَهُ**"، وفي هذه الحالة – الصِّيال – إذا قتل الصّائل فهو في النَّار ولو كانَ مسلمًا، وإذا قتل العادل فهو شهيدٌ، هذا حكم الصّائل، فكيف إذا صال الكفّار عَلى أرض المُسلِمِين، حيث يتعرَّض الدّين والعرض والنّفس والمال للذّهاب والزَّوال؟! ألا يجب في هذه الحالة عَلى المُسلِمِين دفع الصّائل الكافر والدّولة الكافرة.

٣. **قتال الفئة الباغية: يقول الله عَزَّ وَجَلَّ** ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

---

(١) رواه القرطبي في الجامع: (٨ / ١٣٦).

(٢) ذكره القرطبي في الجامع: (٢/ ٢٥٤).

(٣) رواه البُخَارِيّ (١٨٣٤) ومسلم (١٣٥٣) وأصحاب السنن.

(٤) أحكام القرآن للجصاص : (٤/ ٤٦).

﴿ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾ [الحجرات]، فإذا فرض الله علينا قتال الفئة الباغية المسلمة حفاظاً عَلى وحدةِ كلمةِ المُسلِمِينَ وحمايةِ دينها وأعراضها وأموالها، فكيف يكونُ الحكمُ في قتالِ الدّول الكافرة الباغية؟ أليس هذا أولى وأجدر.

٤. حدُّ الحرابة: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة] هذا حكم المحاربين من المُسلِمِين الّذين يخيفون عامَّة المُسلِمِينَ ويُفسدون في الأرضِ ويعبثون بأموالِ النّاس وأعراضهم، فكيف بالدّول الكافرة الّتي تُفسِدُ عَلى النّاسِ دينَهم ومالَهم وعرضَهم، أليسَ قتالها أوجب عَلى المُسلِمِين وأحرى؟!

هذه بعض الأدِلَّة والمبرِّرات للنَّفير العام، إذا دخل الكفّار أرض المُسلِمِين، أن دفع العدوّ الكافر هو أوجب الواجبات بعد الإيمان]. **انتهى النقل عن كتاب الدّفاع عن أراضي المُسلِمِين، باختصارٍ طفيف.**

وأقول: فإذا تأمَّلنا أحوال المُسلِمِين اليَوْم، لوجدنا أن الجِهَاد قد تعيَّن عليهم من الوجوه الأربعة، في كلّ الأرض، وأوضح وجوه فرضيّته هو البَاب الأوّل (وهو نزول الأَعدَاء في أكثر بلاد المُسلِمِين).

فما من بلد من بلاد المُسلِمِين اليَوْم، إلّا وهو محتلٌّ من قبل أنواع الكفّار، من اليَهُوْد كبلاد فِلَسطِين وأجزاءٍ من بلاد الشّام[1]، أو من قبل الصّليبيّن، كبلاد البوسنة والبلقان، والشِّيشَان والقفقاس، والجمهوريّات الإِسْلَاميّة في وسط آسيا والفلبين، وغيرها، أو من قبل الوثنيين مثل كشمير الّتي يحتلها الهندوس وتركستان الشَّرقيَّة وأجزاء من جنوب شرق آسيا الّتي تحتلُّها الصين...وغير ذلك.

وكل هذه البلاد قد عجز أهلها ومن جاورهم، ثمّ من جاورهم. ثمّ جميع من تلاهم وجاورهم، عجزوا أو تكاسلوا أو فرَّطوا، فعَمَّت الفريضةُ العينية بالجِهَاد كلّ أهل الإِسْلَام.

(١) وقد غدت محتلة بأجمعها من قبل من هو أعتى من اليهود إلا بضع بلدات قليلة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما باقي البلاد الإِسْلَاميّة والعربيَّة، بما فيها عقر دار الإِسْلَام وكعبتهم، ومسجد نبيهمﷺ، فمحتلة بصورة غير مباشرة من قبل الصّليبيّين واليَهُوْد، بنيابة الحكّام المرتدّين، وأعوانهم المُنَافِقين الّذين وضعوا جُيُوشهم في خدمة الكفّار، بزعامة أمريكا وسيّدتها إسرائيل وحلفائهم الصّليبيّين، الّذين ملؤوا البلاد بالقواعد العسكريّة البَرِّيَّة والبحريَّة والجويَّة، واحتلُّوا البلاد بهذه الطَّريقة الحديثة، بتجميع قوَّاتهم فيها في قواعد مركَّزة بدل نشرها، واكتفوا بنشر المرتدّين لجُيُوشهم من المُنَافِقين والجهَّال والمكرهين والضَّائعين، الّذين يقومون بدور المحتلِّ بالنِّيابة، حيث يُخرج الصّليبيّون قوَّاتهم من مراكزها وقت الحاجة، ويكفى أن نعلم أنَّ لأمريكا وحلفائهم الصّليبيّين فوق أرض جَزِيرَة العَرَب أكثر من مائتي ألف جندي، وسلاحاً وعتادًا مخزنًا يكفي لمليون جنديّ، يمكن نقلهم خلال أسابيع وقت الحاجة، وبهذه الطَّريقة الخَبيثة، بتجميع القوَّات في قواعد مركزيَّة، والاعتماد عَلى قوَّات المرتدّين في الخدمات التَّفصيليَّة، يتفادى المحتلُّون الجُدُد استفزاز المُسلِمِينَ للجِهَادِ، ويسمحونَ للحكَّام المرتدّين بادِّعاء الإستقلال، ولعلماءِ السَّلاطين بصرف النّاس عن الجِهَاد ودعوتهم لطاعة أولياء الأمور المُرتدّين!

فالمآلُ واحدٌ، فالبلادُ محتلَّة، والثّرواتُ منهوبة، والكافرون يسومُونَ المُؤمِنِينَ ألوانَ الذّلِّ والهوان عَلى أيدي أعوان المرتدّين، وشريعة الله معطَّلة، وكلمة الكفّار هيَ العُليا، والصّالحونَ نُزلاء السّجون وأقبية التَّعذيب، والنَّاظر في أحوال بلاد الحرمين والشّام ومصر وشمال إفريقيا وتركيّا والباكستان وأسبابها يرى ذلك بأوضحِ صُوّرِه.

وأما إذا جئنا للبند الثّاني من فريضة الجِهَاد العَينيّ، وهي (التقاء صفّ المُؤمِنِين بصفِّ الكافرين)، لوجدناها متحقِّقَة في كلّ بلاد المُسلِمِين بأشرسِ صُورها، ولكن بصورة خبيثة أيضاً، فقد نشر الكافرون الصّليبيّون، والكفار المرتدّون، قوَّاتهم ورصُّوا صفوفَهم وأكَّدُوا حضورهم في كلّ شبرٍ من بلادِ المُسلِمِينَ، عبرَ مئاتِ الآلاف من الجيش والشّرطة والإستخبارات ورجال الأمن والجواسيس والمخبرين، ناهيك عمَّن ذكرنا من آلاف الجنود الصّليبيّين المجمعين في مراكزهم وقواعدهم العسكريّة في كلّ بلد، بحيث أنه ما من مسلم يقف موقف الدّفاع عن دينه والالتزام به والدّفاع عن قضايا أمته، إلا وتخطفته أيدي تلك العساكر وترصدته عيون أولئك الجواسيس!! فهل التقى صف الكافرين بصف المُؤمِنِين أم

ليس بعد؟ أم يحتاج مَشَايخنا حتَّى يبصروا ذلك ويفتون به، أن يتجمع كلّ أولئك العساكر والمخابرات والجواسيس في صف واحد أمام المساجد وأمام أبوب بيوتهم؟!

وأما إذا جئنا إلى البند الثّالث وهو (استنفار الإِمَام) فلله المشتكى وله الحمد عَلى كلّ حال، فليس للمسلمين عَلى وجه الأرض اليَوْم إمام شَرعِيّ واحد، وما فيهم اليَوْم إلا محارب لله ورسوله ساع في الأرض الفساد، فكلهم معتمد عَلى ألوان الكفّار من اليَهُوْد الصّليبيّين والوثنيين، ومن اشترى ذمتهم من المُنَافِقين، فليس هناك إمام شَرعِيّ يستنفر للجِهَاد، بل هناك أئمة الكفر والردة يستنفرون الأراذل عَلى المُؤمِنِين!! فهل سقط الجِهَاد لغياب الإِمَام الشَّرعيّ؟! فمن يدفع الصّائل اذن؟

والحقيقة أن حجة الله قد قامت عَلى عباده المُسلِمِين في أكثر بلاد الدُّنيَا، فما من بلد من بلاد المُسلِمِين إلا وقام فيه دعاة للهدى، من علماء عاملين، أو دعاة صادقين أو أمراء جِهَاد مخلصين، دعوا النّاس للجِهَاد والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، واستنفروهم، وحتى لو خلا بلد من البلاد عن مثل هَؤُلَاءِ الأئمة، وأمراء الجِهَاد الصّالحين، عَلى فرض ذلك، فأمة الإِسْلَام واحدة، ولا إعتبار من وجهة نظر الإِسْلَام للحدود الّتي رسمها الصّليبيّون بين بلادنا، وما اخترعوه من جنسيات وتابعيات وأعلام وجوازات سفر، فأمة الإِسْلَام واحدة وتبقى واحدة، ولم تخل عن أمراء جِهَاد دعوا المُسلِمِين واستنفروهم، وعلى المُسلِمِين إجابتهم والنَّفِير معهم لدفع الصّائل، ومن أمثال هَؤُلَاءِ وقت غزو الرُّوس لأفغانستان الشَّيْخ عبدالله عزام ﵀، ومن وقف معه في الدّعوة للنفير العام بالجِهَاد من علماء باكستان وأفغانستان وغيرهم، ومنهم كافّة شيوخ وأمراء الجماعات والدعوات الجهاديّة في مختلف البلاد الإِسْلَاميّة، ومن هَؤُلَاءِ اليَوْم الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن حفظه الله، الّذي يستنفر المُسلِمِين لجِهَاد الأمريكان واليَهُوْد اليَوْم، ومثله العديد من العُلَماء ودعاة الجِهَاد ضدهم من بلاد العَرَب والعجم في العراق والشِّيشَان وفلسطين والفلبين وإندونيسيا وغيرها، وعلى المُسلِمِين إجابتهم للنفير.

وأما إذا جئنا للوجه الرَّابع من فريضة الجِهَاد العينية وهو (إذا أسر العدوّ بعض المُسلِمِين)، فماذا نقول؟ وماذا نعيد؟ وأين نعد؟ وماذا نزيد؟

- فأسرى الشَّبَاب المسلم المخطوف من مختلف بلاد الدُّنيَا إلى سجن غوانتانامو الأمريكيّ المخزي قد جاوز اليَوْم ٧٠٠ أسير من مختلف الجنسيَّات بحسب المصادر الأمريكيّة ذاتها، ومثل هذا العدد في السّجون الأمريكيّة في أفغانستان وباكستان.
- وأكثر من هذا العدد مجموع أسرى الشَّبَاب المسلم في سجون أوروبّا الغربيّة(برِيطَانيَا- فرنسا- أسبانيا- ألمانيا- بلجيكا-إيطاليا-...).
- (وأما في روسيا فبالآلاف، وقل مثلها في كشمير والفلبين وإرتريا وبلاد إفريقيا، وبلاد وسط آسيا وبلاد التركستان).
- وأما سجون طغاة بلاد العَرَب والمُسلِمين من أمثال حُكَّام السّعُودِيّة ومصر وبلاد الشّام وشمال أفريقيا وتركيا والباكستان، فالأرقام المنشورة عبر منظمات حقوق الإنسان، وتقارير منظّمة العفو الدّولية تذهب إلى عشرات الآلاف في البلد الواحد أحيانا!! فلا شَّكَّ أن الأرقام عن أسرى الشَّبَاب المسلم في تلك البلاد يجاوز مئات الآلاف!! وهذه حقيقة موثقة وليست مبالغات موهومة.
- وأما عن فِلَسطِين فالأخبار العَالَمِيّة تطالعنا في كلّ يوم عن قتل المئات وأسر الآلاف، فقد أسر اليَهُوْد في يوم واحد من أيّام الإنتفاضة أكثر من ألف أسير! وقد طال الأسر في عموم تلك البلاد النِّسَاء والفتيات وحتى الأطفال.
- وأما عن حوادث القتل والتعذيب والاغتصاب وهتك أعراض الرّجال والنِّسَاء، فلا تكاد تخلوا بلد منها!! فهل وجب الجِهَاد أم لم يجب بعد؟! وعلماء المُسلِمِين قد أفتوا بأنه إذا سبيت امرأة مسلمة في المشرق وجب عَلى أهل المغرب تخليصها، وأن عَلى المُسلِمِين إنقاذ أسراهم ولو استنفذوا في ذلك جميع أموالهم.

ولعلّ بعض المُنَافِقين أو بعض الجهال، ينفي حالة الإحتلال عن بعض بلاد المُسلِمِين، ويحرم مقاتلة الغُزَاة بدعوى أنهم قدموا بموجب اتفاقات مع حُكَّام

بلاد المُسلِمِين، فينبغي أن نثبت لهَؤُلاَءِ أن هذا لا يجوز لحاكم مسلم لو كانَ مسلما، وأن نبين لهم أن هَؤُلاَءِ الحكّام قد فقدوا شرعيتهم بكفرهم وردتهم وخروجهم من ملتنا.

وهو ما ستبيّنه الفقرة التّالية...

****

ثانياً: حُكُومَاتُ بلادِ المُسلِمِينَ اليَوْم مُرتَدَّةٌ كَافِرَةٌ لتبديلها الشَّرَائع وحُكمِها بغيرِ ما أنزلَ اللهُ، وولائها للكفّار وخيانتها للهِ ورسُولهِ والمُؤمِنينَ:

لقد تسرَّب العديد من أنواع الشِّرك بالله إلى معتقدات الكثير من المُسلِمِين مع تتالي الأزمان حتَّى وصلنا إلى هذه الأزمنة التعيسة المتأخرة.

ومن ذلك ما حصل من الكثيرين من عبادة غيره من دونه، ومعصيته وإنكار أحكامه مع طاعة غيره وطاعة أحكامهم، وترك ولايته وولاية أوليائه، ثمّ ولاية أعدائه من دون أوليائه.

فكل مسلم يعتقد ويعترف ويدعى الإيمان بأن الله هو الخالق، وأنه هو الرزاق، وأنه هو المحيي، وأنَّه هو المميت، وأنَّه الضَّارُّ النَّافع، وأنَّه الخافض الرَّافع، وأنَّه الحكم العدل، إلى آخر أسماء الله وصفاته، ولكن كثيراً من المُسلِمِين في واقعهم يتوجّهون في جلب النّفع ودفع الضر وطلب الرّزق، والخوف والرّجاء، والتّحاكم والتَّشريع، والتّحليل والتّحريم، عَلى غير ما أمر الله به، إلى البشر من أمثالهم، وخاصّة من الحكّام والكبراء، والأحبار والرّهبان والعُلَماء والمَشَايخ، ومن يعتقدون فيهم من الرّجال!

وهذه هيَ حقيقة العِبَادة وحقيقة الطاعة، الّتي تنقض زعمهم الإيمان بالرب الخالق كما يدعون، الرب الّذي لا يتم الإيمان به إلا بملازمة عبادته إلها، وطاعته وحده لا شريك له في أحكامه، تماما كما يجب الإيمان به ربا خالقا رازقا.

إن من أعظم وجوه عبادة الله وطاعته، التزام أحكامه وأوامره ونواهيه وشرائعه وهذا بديهي، فهل ثمة تكذيب أكبر من أن يدعي رجل الإيمان بالله، ثمّ ينكر تشريعاته ويتنقصها! ويدَّعي عدم صلاحيتها للعصر! وأنها سبب تخلف المُسلِمِين!! ويقدم غيرها من شرائع البشر عليها عمليا! ويحكم النّاس بها ويقهرهم عَلى قوانينها بالقوة!

إن هذه الطاعة لا يتقبلها أحدهم من زوجته، ولا ولده، ولا خادمه ـ ولله المثل الأعلى ـ فهل يقبل ربّ البيت من زوجته ادعاء حبه وهي تطيع غيره وتنفذ أوامر غيره في بيته؟! وهل يقبل من ولده ادعاء طاعته ثمّ يطيع جاره ويعصيه ؟ وهل يقبل من خادمه وعامله الّذي يأكل من رزقه، أن يدعي سيادته، ثمّ يتحرك وفق توجيهات غيره! فهم لا يقبلون ذلك عَلى أنفسهم ولله المثل الأعلى، ولهذا جاءهم الخطاب أفلا تتقون ؟! أفلا تذكرون ؟! فهذا ادعاء بَاطِل وعمل مُنكر.

إن كون الحاكِمِيَّة لله وحده، وأن التَّشريع منه وحده، وأن الطاعة له وحده، وأن الحلال ما أحله الله، وأن الحرام ما حرمه، وأن ما أمر به نافذ، وأن ما نهى عنه يُترك، هيَ أمور من صميم توحيد الألوهية وعبادة الله وحده، وقد أثبت القرآن هٰذا، وأثبت الكفر لُمنكره، كما أثبتته السنة واستقر عليه إجماع هذه الأُمّة، وسادة علمائها وفقهائها عبر الأزمان والعصور، ولا يكون الدّين كله لله في الحقيقة إلا هكذا، والآيات متواترة عَلى هذه المعاني متعاضدة، ومن ذلك قوله تَعَالَى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾[المائدة].

قَالَ ابن كثير ﵀ في تفسيره: [﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ أَيْ: فَاحْكُمْ يَا مُحَمَّدُ بَيْنَ النَّاسِ: عَرَبِهِم وَعَجَمِهِمْ، أُميهم وَكِتَابِيِّهِمْ، ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ] ثمّ قَالَ: [﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾: أَيْ: آرَاءَهُمُ الَّتِي اصْطَلَحُوا عَلَيْهَا، وَتَرَكُوا بِسَبَبِهَا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ أَيْ: لَا تَنْصَرِفْ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي أَمَرَكَ اللهُ بِهِ إِلَى أَهْوَاءِ هؤلاء من الجهلة الأشقياء]، ثمّ قَالَ: وانتبه إلى هذا الأثر العظيم الهام ـ

قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: [وقوله تَعَالَى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يُنْكِرُ تَعَالَى عَلَى مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ اللهِ الْمُحْكَم الْمُشْتَمِلِ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ، النَّاهِي عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَعَدْلٍ إِلَى مَا سِوَاهُ مِنَ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ وَالِاصْطِلَاحَاتِ، الَّتِي وَضَعَهَا الرِّجَالُ بِلَا مُسْتَنَدٍ مِنْ شَرِيعَةِ اللهِ، كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْكُمُونَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَاتِ وَالْجَهَالَاتِ، مِمَّا يَضَعُونَهَا بِآرَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، وَكَمَا يَحْكُمُ بِهِ التَّتَارُ مِنَ السِّيَاسَاتِ الْمَلَكِيَّةِ الْمَأْخُوذَةِ عَنْ مَلِكِهِمْ (جِنْكِزْخَانَ)، الَّذِي وَضَعَ لَهُمُ (اليَساق) وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كِتَابٍ مَجْمُوعٍ مِنْ أَحْكَامٍ قَدِ اقْتَبَسَهَا عَنْ شَرَائِعَ شَتَّى، مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَفِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْكَامِ أَخَذَهَا مِنْ مُجَرَّدِ نَظَرِهِ وَهَوَاهُ، فَصَارَتْ فِي بَنِيهِ شَرْعًا مُتَّبَعًا، يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قِتَالُهُ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى حُكْمِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ فَلَا يُحَكِّمُ سِوَاهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أَيْ: يَبْتَغُونَ وَيُرِيدُونَ، وَعَنْ حُكْمِ اللهِ يَعْدِلُونَ؟ وقوله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أَيْ: وَمَنْ أَعْدَلُ مِنَ اللهِ فِي حُكْمِهِ لِمَنْ عَقل عَنِ اللهِ شَرْعَهُ، وَآمَنَ بِهِ وَأَيْقَنَ وَعَلِمَ أَنَّهُ تَعَالَى أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَأَرْحَمُ بِخَلْقِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا، فَإِنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْعَادِلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ] اهـ.[1]

ومما قاله ابن كثير عن (الياسق) في تاريخه (البداية والنهاية)، قَالَ: [ثُمَّ ذَكَرَ الْجُوَيْنِيُّ نتفا من الياسا مِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ مَنْ زَنَا قُتِلَ، مُحْصَنًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُحْصَنٍ، وَكَذَلِكَ مَنْ لَاطَ قُتِلَ، وَمَنْ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ قُتِلَ، وَمَنْ سَحَرَ قُتِلَ، وَمَنْ تَجَسَّسَ قُتِلَ، وَمَنْ دَخَلَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فَأَعَانَ أَحَدَهُمَا قُتِلَ، وَمَنْ بَالَ فِي الْمَاءِ الْوَاقِفِ قُتِلَ، وَمَنِ انْغَمَسَ فِيهِ قُتِلَ .... وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ مُخَالَفَةٌ لِشَرَائِعِ اللهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى عِبَادِهِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَمَنْ تَرَكَ الشَّرْعَ الْمُحْكَمَ الْمُنَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَتَحَاكَمَ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الشَّرَائعِ الْمَنْسُوخَةِ كَفَرَ، فَكَيْفَ بِمَنْ تحاكم إلى الياسا وَقَدَّمَهَا عَلَيْهِ؟ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَفَرَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ] اهـ[2].

قلتُ:

---

(١) تفسير ابن كثير(٣/ ١٢٨-١٣١).

(٢) البداية والنهاية (١٣/ ١١٨).

و**(الياسا)**: هو دُستُور ومجموعة قوانين، وضعها جنكيز خان، (الملك التَّتريّ) لما اجتاح المشرق، ورأى تعدُّدَ الأديانِ والفلسفاتِ، فوضعَ بمشاورةِ المُشَرِّعينَ عندَهُ هذا الدّستُور، ممَّا استحسنوهُ بعقولِهم ومن وَحيِ تَجاربهم، وخلطُوهَا بأحكامٍ من الإِسْلَامِ والنّصرانيَّة وأديانهم الوَثنيَّة.

وهو نفسُ الفعلِ الّذي يقومُ بِهِ اليَوْم حُكَّامُ المُسلِمِينَ بمساعدةِ مشرِّعيهم وبرلماناتِهم، حيث بَنَوهَا أساساً عَلى القوانين الفَرنسيَّة والإنجليزيَّة، ذات الأصل الرُّومانيِّ، وخلطوا فيها شيئاً من الشّريعةِ الإِسْلَاميّةِ، وما أمْلَتهُ عليهم أهواؤُهم! ثمّ كتبوا في أعلاها كما في بعض البلاد الإِسْلَاميّة: (الشّريعةُ الإِسْلَاميّةُ هيَ المصدرُ الأساسيّ للتَّشريع والتَّقنيين!!) وفي بعض البلاد بخلوا حتَّى بهذهِ العبارةِ الشِّركيَّة الكاذِبَة.

فإذا كانَ ابن كثير قد نقل إجماع المُسلِمِين عَلى كفر من حكمَ باليَاسا أو سِوَاه من جهالاتِ البَشَر، فكيف بمن حكَم بهذهِ الشَّرَائع الوضعِيَّة في المُسلِمِينَ وأجبرَهُم عليها بقوةِ وقهرِ السّلاحِ!!

ويكفي لكلّذ من أرادَ أن يطَّلع عَلى حجمِ الكفرِ والفسقِ والظُّلمِ، وتبديلِ الشَّرَائع، واتّخاذ آياتِ الله هُزُوا، أن يطَّلعَ عَلى نسخةٍ من دستورِ بلادِه، والقوانين المَعمُولِ بها في المَحاكم، والمَراسيم التَّشريعيَّة الّتي تَصدُر عن حكومةِ بلادِهِ كلّ يومٍ، وهذه هيَ الحالة في باكستانَ وكافَّة بلادِ المُسلِمِينَ، تماماً كما أخبَرَ ﷺ فيما روى عنهُ الإمَام أحمد: «**لَتُنْتَقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتُقِضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضاً: الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ**»(١)، فلا شَّكَّ أن من حكّم هذه القوانين كافر يجب قتاله بإجماع المُسلِمِين.

وفي قوله تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء]

يقول ابن كثير رحمه الله:

---

(١) رواه أحمد (٢٢١٦٠) وابن حبان (٦٧١٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٧٥) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي.

[هَذَا إِنْكَارٌ مِنَ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى مَنْ يَدَّعِي الْإِيمَانَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ الْأَقْدَمِينَ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُرِيدُ التَّحَاكُمَ فِي فَصْلِ الْخُصُومَاتِ إِلَى غَيْرِ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ] ثمّ قَالَ: [وَالْآيَةُ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَإِنَّهَا ذَامَّةٌ لِمَنْ عَدَلَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَحَاكَمُوا إِلَى مَا سِوَاهُمَا مِنَ الْبَاطِلِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِالطَّاغُوتِ هَاهُنَا، وَلِهَذَا قَالَ :يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ إلى آخرها][1] أي كما قَالَ في نفس سورة النِّسَاء بعد بضع آيات في قوله تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء] أي: [إِذَا حَكَّمُوكَ يُطِيعُونَكَ فِي بَوَاطِنِهِمْ فَلَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا حَكَمْتَ بِهِ، وَيَنْقَادُونَ لَهُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فَيُسَلِّمُونَ لِذَلِكَ تَسْلِيمًا كُلِّيًّا مِنْ غَيْرِ مُمَانَعَةٍ وَلَا مُدَافِعَةٍ وَلَا مُنَازِعَةٍ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»[2]]اهـ[3]

وفي قوله تعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

قَالَ ابن كثير ﵀: [فَهَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا حَكَمَ اللهُ وَرَسُولُهُ بِشَيْءٍ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مُخَالَفَتُهُ، وَلَا اخْتِيَارَ لأحد هنا، ولا رأي ولا قول وَلِهَذَا شَدَّدَ فِي خِلَافِ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ النور: ٦٣] اهـ[4].

قَالَ الإِمَام أبو بكر الجصاص ﵀ في تفسير قوله تعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ... ﴿٦٥﴾﴾ **الآية السَّابقة:** **[وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مَنْ رَدَّ شَيْئًا مِنْ أَوَامِرِ اللهِ تَعَالَى أَوْ أَوَامِرِ رَسُولِهِ ﷺ فَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْإِسْلَامِ**

---

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٤٦)

(٢) الحديث ضعّفَ إسنادَه الألبانيّ. وأورده النَّوَويّ في الأربعين النّوويّة وقال: حديث صحيح رويناه في كتاب الحجَّة بإسنادٍ صحيح.

(٣) تفسير ابن كثير : (٢/ ٣٤٩)

(٤) تفسير ابن كثير(٦/ ٤٢٣).

سَوَاءٌ رَدَّهُ مِنْ جِهَةِ الشَّكِّ فِيهِ أَوْ مِنْ جِهَةِ تَرْكِ الْقَبُولِ وَالِامْتِنَاعِ مِنْ التَّسْلِيمِ وَذَلِكَ يُوجِبُ صِحَّةَ مَا ذَهَبَ إلَيْهِ الصَّحَابَةُ فِي حُكْمِهِمْ بِارْتِدَادِ مَنْ امْتَنَعَ مِنْ أَدَاءِ الزَّكَاةِ](١).

وقال الإِمَام ابن تَيمِيّة ﷺ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾ [النور]، قَالَ: [فبيَّنَ سبحانَهُ أنَّ منْ تَوَلَّى عن طاعةِ الرَّسُولِ وأعرضَ عن حكمِهِ فهوَ منَ المُنَافِقينَ وليسَ بمؤمنٍ، وأنَّ المؤمنَ هوَ الّذي يقولُ سَمِعنَا وأَطَعنَا، فإذا كَانَ النِّفَاقُ يثبتُ ويزول الإيمانُ بمجرّدِ الإعراضِ عن حكمِ الرَّسُولِ وإرادَةِ التّحاكمِ إلى غَيرِه مع أنَّ هَذا تركٌ محضٌ، وقد يكونُ سَبَبُهُ قوّة الشّهوةِ فكيفَ بالتنقُّصِ ونحوه]اهـ.(٢)

- كذلك نقل شيخُ الإِسْلَام اتفاقَ الفُقَهَاء فقال: [وَالْإِنْسَانُ مَتَى حَلَّلَ الْحَرَامَ الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ، أَوْ حَرَّمَ الْحَلَالَ الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ، أَوْ بَدَّلَ الشَّرْعَ الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ، كَانَ كَافِرًا مُرْتَدًّا بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ](٣).
- وقال ﷺ في الفتاوى: [وَمَنْ حَكَمَ بِحُكْمٍ مِمَّا يُخَالِفُ شَرْعَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَحُكْمَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ ذَلِكَ: فَهُوَ مِنْ جِنْسِ التَّتَارِ الَّذِينَ يُقَدِّمُونَ حُكْمَ "الياسق" عَلَى حُكْمِ اللهِ وَرَسُولِهِ](٤).
- ويقول أيضا في منهاج السنة: [فَمَنِ اسْتَحَلَّ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا يَرَاهُ هُوَ عَدْلًا مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعٍ لِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَهُوَ كَافِرٌ](٥).
- وفي الفتاوى الكبرى: [وَمَعْلُومٌ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَبِاتِّفَاقِ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ مَنْ سَوَّغَ اتِّبَاعَ غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ أَوْ اتِّبَاعَ شَرِيعَةٍ غَيْرِ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كَافِرٌ](٦).

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ١٨١).

(٢) الصارم المسلول: (ص ٣٨)

(٣) الفتاوى: (ج٣ / ٢٦٧).

(٤) الفتاوى: (٣٥/ ٤٠٨).

(٥) منهاج السنة: (٥/ ١٣٠).

(٦) الفتاوى: (٢٨/ ٥٢٤).

- ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: عند قوله تعالَى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء]. قَالَ: [وهذا دليلٌ قاطعٌ عَلى أنَّه يَجِبُ ردُّ موارِد النِّزَاعِ في كلِّ ما تَنَازَع فيهِ النّاسُ، منَ الدّينِ كلِّه، إلى اللهِ ورسولِهِ ﷺ، لا إلى أحدٍ غيرَ اللهِ ورسُولِهِ ﷺ، فمَن أحَالَ الرَّدَّ إلى غيرهِمَا، فقد ضَادَّ أمرَ الله، ومن دعَا عندَ النِّزَاع إلى حكمِ غيرِ الله ورسُولهِ، فقد دَعَا بدَعوَى الجَاهِليَّةِ، فلا يَدخل العبدُ في الإيمانِ حتَّى يَردّ كلَّ ما تنازعَ فيهِ المُتَنَازِعُونَ إلى الله ورسُولِه، ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ وهذا ممَّا ذكر آنفاً، أنَّه شَرطٌ ينفي المَشرُوط بانتفائه، فدلَّ عَلى أنَّ من حكّم غيرَ اللهِ ورسولِهِ في مواردِ النِّزاعِ كانَ خارجَاً عن مُقتَضَى الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخِر، وحَسبُك بهذِهِ الآيةِ العاصِمَةِ القَاصِمَةِ بيانًا وشفاءً فإنَّها قاصمَةٌ لظُهورِ المُخَالفينَ لَها، عاصمةٌ للمُستمسِكِينَ بها، المُتَمَثِّلين ما أَمَرَت بِهِ][1]

- وفي نفس هذه الآية قَالَ ابن كثير رحمه الله: [فَدَلَّ عَلَى أَنَّ منْ لَمْ يَتَحَاكَم فِي محلِّ النِّزَاعِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا يَرْجِعْ إِلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ فَلَيْسَ مُؤْمِنًا بِاللهِّ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ]اهـ[2].

- ويقول ابن القيم رحمه الله: [ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ مَنْ تَحَاكَمَ أَوْ حَاكَمَ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فَقَدْ حَكَّمَ الطَّاغُوتَ وَتَحَاكَمَ إِلَيْهِ، وَالطَّاغُوتُ: كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ؛ فَطَاغُوتُ كُلِّ قَوْمٍ مِنْ يَتَحَاكَمُونَ إلَيْهِ غَيْرَ اللهِّ وَرَسُولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِّ، أَوْ يَتْبَعُونَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنْ اللهِّ][3].

- وقال رحمه الله في مدارج السالكين: [وَإِنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ، وَأَنَّهُ مُخَيَّرٌ فِيهِ، مَعَ تَيَقُّنِهِ أَنَّهُ حُكْمُ اللهِّ، فَهَذَا كُفْرٌ أَكْبَرُ][4].

---

(١) الرّسالة التبوكية: (١/ ٤٢).

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٤٦).

(٣) إعلام الموقعين: (٢/ ٩٢).

(٤) مدارج السالكين: (١/ ٣٤٦).

- يقول القاضي أبو يعلي في أصول الدّين ص ٢٧١: [ومن اعتقدَ تحليلَ ما حرَّمَ اللهُ بالنصِّ الصَّريحِ، أو من رسُولِه أو أجمعَ المُسلِمُون عَلى تحريمِهِ، فهوَ كافرٌ، كمن أباحَ شُربَ الخَمرِ ومَنَعَ الصَّلاةَ والصِّيَامَ والزَّكَاةَ، وكذلكَ من اعتقَدَ تحريمَ شيءٍ حلَّله اللهُ أباحَهُ بالنَّصِّ الصَّريحِ أو أَبَاحَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، والوجهُ فيهِ أنَّ في ذلكَ تكذيبٌ لله تَعَالَى ولرسولِهِ في خَبَرِهِ، وتكذيبٌ للمُسلمينَ في خَبَرِهم، ومن فعلَ ذلكَ كَفَرَ بإجماعِ المُسلِمِينَ][1].
- قَالَ الإِمَام القرطبي رحمه الله في تفسيره عند قوله تَعَالَى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ [التوبة]، قَالَ: [اسْتَدَلَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى وُجُوبِ قَتْلِ كُلِّ مَنْ طَعَنَ فِي الدِّينِ، إِذْ هُوَ كَافِرٌ. وَالطَّعْنُ أَنْ يَنْسُبَ إِلَيْهِ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ، أَوْ يَعْتَرِضُ بِالِاسْتِخْفَافِ عَلَى مَا هُوَ مِنَ الدِّينِ، لِمَا ثَبَتَ مِنَ الدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ عَلَى صِحَّةِ أُصُولِهِ وَاسْتِقَامَةِ فُرُوعِهِ][2].

فانظروا اليَوْمَ في خطاباتِ وتصريحاتِ هَؤُلَاءِ الرُّؤَسَاءِ وأعوانِهِم، وما فِيهَا مِنْ طعنٍ بالدّينِ واستخفافٍ بِشَعَائِرِه.

- وقال رحمه الله: "إِنْ حَكَمَ بِمَا عِنْدَهُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَهُوَ تَبْدِيلٌ لَهُ يُوجِبُ الْكُفْرَ"[3]
- وقال: "إِنَّ مَنْ طَلَبَ غَيْرَ حُكْمِ اللهِ مِنْ حَيْثُ لم يرضى به فهو كافر"[4].

ونكتفي بهذه الآثار، والشواهد كثيرة جدّاً، من أقوال الأئمة والعُلَماء ونصوص الكتاب والسنة.

وقد تكلم في هذه المسألة جمع من علماء المُسلِمِين المعاصرين الّذين عاشوا واقع كفر حكامنا في هذا العصر، وبيَّنوا أنَّ ما يصدر عنهم من تشريعٍ وتبديلٍ لشرعِ الله وحكمٍ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ هو كفرٌ أكبر، وننقل ههنا طائفةً من أقوالهم:

---

(١) أصول الدّين: (ص٢٧١).

(٢) تفسير القرطبي: (ج٨ / ٨٢).

(٣) تفسير القرطبي: (ج٦ / ١٩١).

(٤) تفسير القرطبي: (٦/ ١٨٨).

- قَالَ الشَّيْخ محمود الآلُوسي في تفسيره: [لا شَكَّ في كفرِ من يستحسن القانون ويفضله عَلى الشَّرع، ويقول هو أوفقُ بالحكمةِ، وأصلحُ للأمَّة، ويتميَّزُ غيظاً ويتعصَّب غَضباً إذا قيلَ لهُ في أمرِ الشَّرعِ فيه كذا، كما شهدنا ذلكَ في بعضِ من خذَلهُم اللهُ فأصمَّهُم وأعمَى أبصَارَهُم.... فلا يَنبَغي التَّوقُّف في تكفيرِ من يستحسنُ ما هوَ بينَ المخالفةِ للشَّرعِ منها، ويقدِّمهُ عَلى الأحكامِ الشَّرعيَّةِ مُنتَقِصًا للحقِّ][١].
- وقال الشَّيْخ محمّد أمين الشنقيطي رحمه الله: [وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ، مُعَارَضَةً لِلرُّسُلِ وَإِبْطَالًا لِأَحْكَامِ اللهِ، فَظُلْمُهُ وَفِسْقُهُ وَكُفْرُهُ كُلُّهَا كُفْرٌ مُخْرِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ][٢].
- وقال في تعليقه عَلى حديث عدي بن حاتم وقول النبيّ ﷺ: «أَلَمْ يُحِلُّوا لَكُمْ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَيُحَرِّمُوا عَلَيْكُمْ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتَتَّبِعُوهُمْ؟» قال: بَلَى، قال: «ذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ»[٣]، قَالَ رحمه الله: [وهذا التفسيرُ النبويُّ المقتضِي أن كُلَّ مَنْ يَتَّبِعُ مُشَرِّعًا فيما أَحَلَّ وَحَرَّمَ مُخَالِفًا لتشريعِ اللهِ أنه عابدٌ له، متخذُه رَبًّا، مُشْرِكٌ به، كافرٌ بالله هو تفسيرٌ صحيحٌ لا شَكَّ في صحتِه، اعْلَمُوا أيها الإخوانُ أن الإشراكَ بِاللهِ في حُكْمِهِ والإشراكَ به في عبادتِه كلاهما بمعنًى واحدٍ، لا فَرْقَ بينهما ألبتةَ، فالذي يَتْبَعُ نظامًا غيرَ نظامِ اللهِ، وتشريعًا غيرَ ما شَرَّعَهُ اللهُ، وقانونًا مُخَالِفًا لشرعِ اللهِ من وَضْعِ البشرِ، مُعْرِضًا عن نورِ السماءِ الذي أَنْزَلَهُ اللهُ على لسانِ رسولِه، مَنْ كان يفعلُ هذا هو وَمَنْ يعبدُ الصنمَ ويسجدُ للوثنِ لاَ فرقَ بينَهما البتةَ بوجهٍ من الوجوهِ، فَهُمَا واحدٌ، فَكِلاَهُمَا مشركٌ بِاللهِ، هذا أَشْرَكَ به في عبادتِه، وهذا أَشْرَكَ به في حُكْمِهِ][٤].

---

(١) روح المعاني: (١٤/ ٢١٥).

(٢) أضواء البيان: (١/ ٤٠٨) وتمام كلامه: (.. وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مُعْتَقِدًا أَنَّهُ مُرْتَكِبٌ حَرَامًا فَاعِلٌ قَبِيحًا فَكُفْرُهُ وَظُلْمُهُ وَفِسْقُهُ غَيْرُ مُخْرِجٍ عَنِ الْمِلَّةِ).

(٣) رواه التِّرمِذِيّ (٣٠٩٥) والطبراني في المعجم الكبير (٢١٨)، والبيهقي في سننه. وحسنه الألباني في غاية المرام (٦).

(٤) العذب النمير في مجالس الشنقيطي في التفسير: (٥/ ٤٤١)، أضواء البيان (٣/ ٢٥٩).

- ويقول في نفس التَّفسير: [وَبِهَذِهِ النُّصُوصِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَا يَظْهَرُ غَايَةَ الظُّهُورِ: أَنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْقَوَانِينَ الْوَضْعِيَّةَ الَّتِي شَرَعَهَا الشَّيْطَانُ عَلَى أَلْسِنَةِ أَوْلِيَائِهِ مُخَالَفَةً لِمَا شَرَعَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ لَا يَشُكُّ فِي كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ إِلَّا مَنْ طَمَسَ اللهُ بَصِيرَتَهُ، وَأَعْمَاهُ عَنْ نُورِ الْوَحْيِ مِثْلَهُمْ][1].
- ويقول ﷺ: [وَأَمَّا النِّظَامُ الوضْعِيُّ الْمُخَالِفُ لِتَشْرِيعِ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَتَحْكِيمُهُ كُفْرٌ بِخَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، كَدَعْوَى أَنَّ تَفْضِيلَ الذَّكَرِ عَلَى الْأُنْثَى فِي الْمِيرَاثِ لَيْسَ بِإِنْصَافٍ، وَأَنَّهُمَا يَلْزَمُ اسْتِوَاؤُهُمَا فِي الْمِيرَاثِ، وَكَدَعْوَى أَنَّ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ ظُلْمٌ، وَأَنَّ الطَّلَاقَ ظُلْمٌ لِلْمَرْأَةِ، وَأَنَّ الرَّجْمَ وَالْقَطْعَ وَنَحْوَهُمَا أَعْمَالٌ وَحْشِيَّةٌ لَا يَسُوغُ فِعْلُهَا بِالْإِنْسَانِ وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَتَحْكِيمُ هَذَا النَّوْعِ مِنَ النِّظَامِ فِي أَنْفُسِ الْمُجْتَمَعِ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَعُقُولِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ كُفْرٌ بِخَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ][2].
- قَالَ الشَّيْخ أحمد شاكر ﷺ[3]، وهو إمامٌ محدِّثٌ مُعاصرٌ تُوفِّي سنة ١٩٥٨م، وكان قد عملَ في مجالِ القَضاءِ الشَّرعيّ في مصرَ ثمّ اعتزَلَه، قَالَ في تَعليقِه وتحقيقه لمسند الإِمَامِ أحمدَ عندَ الحَدِيث رقم(٧٧٤٧): [**ومن حكمَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ عامدًا عارِفًا بذلك فهو كافرٌ، ومن رضيَ عن ذلكَ وأقرَّهُ فهو كافرٌ، سواءٌ أحكمَ بما يُسمَّى "شريعةَ أهلِ الكِتَاب"، أم حكَمَ بما يُسَمَّى "تشريعًا وضعيًا"! فكلّه كفرٌ وخروجٌ**][4].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) أضواء البيان : (٣/ ٢٦٠).

(٢) الشَّيْخ أحمد شاكر ﷺ: هو العالم المحدث المفسر الفقيه اللغوي الأديب الكاتب، [١٣٠٧-١٣٧٧هـ = ١٨٩٢-١٩٥٨م] إمام أهل الحديث في عصره، له نتاجٌ ضخمٌ في الحديث ومنه تخريجه وتحقيقه لمسند أحمد وغيره من المسانيد وأيضاً في الفقه إذ رتَّب وأخرج وفهرس رسالة الشافعي وفي الأدب وغيره من علوم الشَّريعة، (تقديم : كلمة حق) وله مواقفٌ سجَّلها التَّاريخ ضدَّ الإنكليز وقد ذكره الشَّيْخ الظَّواهري على رأس الأئمة الرَّبانيين المعاصرين في كتابه "التبرئة".

(٤) مسند أحمد، ت : أحمد شاكر: (٧/ ٤٦٤) شرح حديث رقم (٧٧٤٧).

- وممَّا جاءَ عنهُ ﵀: [أفيجوزُ معَ هذا في شرعِ الله أن يُحكَمَ المُسلِمُونَ في بلادهم بتشريعٍ مُقتبسٍ عن تشريعاتِ أوربّا الوَثنيَّة المُلحدةِ، بل بتشريعٍ تدخُلُه الأراءُ والأهواءُ البَاطِلةُ، يغيِّرونَه ويبلونَه كما يَشاؤُون، ولا يُبالي واضعُهُ أوَافَقَ شرعَ الإِسْلَامِ أم خالفَهُ، إنّ المُسلِمِينَ لم يُبتَلَوا بهذا قطّ إلّا في عهدِ التّتَار -إلى أنْ قَالَ- ما أظنُّ رجلاً يعرفُ دينَه ويؤمنُ به جملةً وتفصيلاً، ما أظنُّه يستطيعُ إلّا أن يجزمَ غير متردِّدٍ ولا مُتَأَوِّلٍ، بأنَّ ولايةَ القَضَاءِ في هذهِ الحالَةِ بَاطِلة بطلاناً أصليَّاً لا يلحَقه التَّصحيح ولا الإجازة، إنَّ الأمر في هذه القَوانِين الوَضعِيَّة واضح وضوحَ الشّمسِ هيَ كفرٌ بواحٌ لا خَفَاءَ فيهِ ولا مُدَاراة ولا عُذر لأحدٍ ينتسب لأهلِ الإِسْلَام كائنًا من كانَ في العملِ بهَا أو إقرارها][1].

ومن الأدِلَّة النَّاصعَة في القرآن والسُّنَّة، عَلى كفرِ من أَعطى نفسَه حقَّ التَّشريعِ من التَّحليل والتَّحريم، وتبديلِ الشَّرَائع والعدوانِ عَلى حاكِمِيَّة الله، وجعلَ نفسَه بذلكَ ربَّاً يعبد، ما أخبر به سبحانه عن كفر اليَهُوْدِ والنّصَارَى، في قولِه: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة]، فقد روى الإِمَام أحمد والتِّرْمِذِيّ وابن جرير عن طريق عدي ابن حاتم﵁، كما نقل ذلك ابن كثير في تفسيره، أن عديًّا لما جاء رسول الله ﷺ، ليسلم وكان نصرانيًّا، وجده يقرأ هذه الآية، فقال لرسولِ الله ﷺ: "إنَّهم لم يعبدوهم"، فقال ﷺ: «بَلَى، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ»[2]، ومعلوم أن تفسير القرآن بالسُّنَّة الثَّابِتة هو من أصحّ التَّفاسير، ودلالة الآية والحديث واضحة تمامًا، تدلُّ عَلى أنَّ من شرَّع فحلَّلَ وحرَّم، فقد جعل نفسه ربًا، وعلى أنَّ من أطاعه فقد عبده، وهذه هيَ عبادة قوم فرعون لفرعون، فهو لما قَالَ لهم ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص] ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤﴾ [النازعات] لم يطلب منهم أن يعتقدوا أنَّه هوَ الّذي خلقهم ورزَقهم وخلق الكون ودبَّره، فقد

---

(١) عمدة التفاسير: (ج٤ص١٧١).

(٢) رواه التِّرمِذِيّ (٣٠٩٥) وقال: حديث غريب، وقال الألباني :حسن.

كانَ للمصريّين في عهده آلهة يعبدونها بهذه الصّفة، وإنّما عبدوه إلهًا مشرّعًا بالطّاعة، وهو نفس الدَّور الّذي يقوم به حُكَّام المُسلِمِين اليَوْم ومشرِّعُوهُم، وبرلماناتِها الكافِرة الظَّالِمَة الفَاسِقَة، وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف].

كيف لا وهم في مراسيمهم وبرلماناتهم يُحلُّون الخُمور، تصنيعاً وبيعاً وترخيصاً، ويقبضون عليها الرُّسوم والمكوس، وكذلك دور الزّنا وبنوك الرِّبا، ويساوون في حقِّ التَّصويت عَلى التَّشريع، بينَ المؤمنِ والكافرِ، وبين البَرّ والفَاجِر، وبينَ الرَّجل والمرأة، وبين العالم والجاهل، ويعقدون الأحلاف المحرَّمة، ويُبرِمُون المُعاهدات البَاطِلة، ويمنعُون مساجد الله أن يُذكرَ فيها اسمُه، ويسعونَ في خرَابها، ويُحرّمُون في مقابل ذلكَ ممَّا أحلُّوا، الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المُنكر، والجِهَاد، والجِزية، والاحتساب، وأنواعًا من البيع الحَلال، ناهيك عن القوانين الّتي تُبيح المكوس الظَّالمة، وتقنِّن لقتلِ وسجنِ وتشريدِ النّاسِ ظلمًا وعدوانًا، إلى آخر ما شرَّعوا وقنَّنوا وأحلُّوا وحرَّمُوا، قاتلهمُ اللهُ أنَّا يُؤفَكُونَ.

ويجدر بنا لفت النَّظر إلى أمرٍ هامٍّ، وهو أنَّ بقاءَ رسومٍ من أثارِ الشّريعةِ، ونتفًا من أحكامها طيَّ سجلَّاتِ القوانين الوضعِيَّة، كبعض أحكام الأحوالِ الشَّخصيَّة، والزَّواج والطَّلاق والميراث، في بعض البلاد الإِسْلَاميّة، لا يجعل الحكم يوصف بأنَّه حكم الشّريعة، كما أن التَّزوير والضَّحك عَلى عقول البُسطاء بِعَنوَنَةِ الدّستُور بالكلمة الفارغة الخادعة، وهي قولهم (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ مَصدر التَّشريع والتَّقنين) أو (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ المصدر الأساسي للتَّشريع) كما في بعض البلاد، أو حتَّى بالمبالغة بالدَّجل بالقول (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ المصدر الوحيد للتَّشريع والتَّقنين)، ثمّ التَّشريع والتَّقنين من دون الله تحت هذا العنوان، كما في بعض البلاد كالسّعُودِيّة والسُّودَان واليمن، فهذا لا يجعل الحكم شرعيًا، ولله المُشتكى كم يستخفُون بعقولِ شعوبهم، باستخدام بعض العُلَماء من عملاء السُّلطَان، فمن يقبل أن يشتري قارورة خمرٍ، كُتب عليها (حليب) عَلى أنَّها حليبٌ، أو زيتٌ!!! وهل يطهر الخمر بالكتابة علية؟! هذا من جهة، ومن جهة أُخرى، فإنَّ من المعلومِ في ديننا أنَّ النَّجاسة تلغى الطَّهارة، والله أغنى الأغنياء عن الشِّرك، كما أخبر عن نفسِهِ ﷻ، وقال في الحديث القُدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ،**

مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» رواه مسلم(١)، والله لا يقبل إلَّا أن يكون الدّين كله لله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢ – ٣]

والعبرة ليست في كبر وعظم هذا الشرك بالتَّشريع، أو بحجم ما خلط بالحكم بغير ما أنزل الله، وإنما باستحلال هذا الفعل والإقدام عليه، والعدوان عَلى حاكِمِيَّة الله الّذي قَالَ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، والفتنة الّتي نحن فيها هيَ أنَّ الدّين في بلادنا لم يعد كلّه لله، قَالَ ابن كثير رحمه الله في قوله تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩]، [عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "يعني لَا يَكُونَ شِرْكٌ"، عَنْ عُرْوَة بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنْ عُلَمَائِنَا: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ حَتَّى لَا يُفْتَنَ مُسْلِمٌ عَنْ دِينِهِ ، وعن مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَيَكُونَ التَّوْحِيدُ خَالِصًا للهِ، لَيْسَ فِيهِ شِرْكٌ، وَيَخْلَعَ مَا دُونَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ"](٢).

قَالَ الإِمَام الشاطبي رحمه الله: [كُلَّ بِدْعَةٍ وإِن قَلَّت تشريعٌ زَائِدٌ أَو نَاقِصٌ، أَو تَغْيِيرٌ للأَصل الصَّحِيحِ، وكلُّ ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ عَلَى الِانْفِرَادِ، وَقَدْ يَكُونُ مُلْحَقاً بِمَا هُوَ مَشْرُوعٌ، فَيَكُونُ قَادِحًا فِي الْمَشْرُوعِ، وَلَوْ فَعَلَ أَحد مِثْلَ هذا في نفس الشريعة عامداً لكفر، إِذِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ فِيهَا أَوِ التَّغْيِيرُ، قَلَّ أَوْ كَثُرَ كُفْرٌ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ مَا قَلَّ مِنْهُ وَمَا كَثُرَ](٣).

وقال الإِمَام ابن تَيمِيّة رحمه الله: [فَإِذَا كَانَ بَعْضُ الدِّينِ للهِ وَبَعْضُهُ لِغَيْرِ اللهِ وَجَبَ قِتَالُهُمْ حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ ، ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩] وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الطَّائِفِ لَمَّا دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَالْتَزَمُوا الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ؛ لَكِنْ امْتَنَعُوا مِنْ تَرْكِ الرِّبَا، فَبَيَّنَ اللهُ أَنَّهُمْ مُحَارِبُونَ لَهُ وَلِرَسُولِهِ إذَا لَمْ يَنْتَهُوا عَنْ الرِّبَا، وَالرِّبَا هُوَ آخِرُ مَا حَرَّمَهُ اللهُ وَهُوَ مَالٌ يُؤْخَذُ بِرِضَا صَاحِبِهِ، فَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ مُحَارِبِينَ للهِ وَرَسُولِهِ يَجِبُ

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) تفسير ابن كثير: (٤/ ٥٦).

(٣) الاعتصام: (٢/ ٣٩٦).

جِهَادُهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ يَتْرُكُ كَثِيرًا مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ أَوْ أَكْثَرَهَا كَالتَّتَارِ؟! وَقَدْ اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنْ الطَّائِفَةَ الْمُمْتَنِعَةَ إذَا امْتَنَعَتْ عَنْ بَعْضِ وَاجِبَاتِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ فَإِنَّهُ يَجِبُ قِتَالُهَا إذَا تَكَلَّمُوا بِالشَّهَادَتَيْنِ وَامْتَنَعُوا عَنْ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ أَوْ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ أَوْ حَجِّ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أَوْ عَنْ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ عَنْ تَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ أَوْ الْخَمْرِ أَوْ نِكَاحِ ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ أَوْ عَنْ اسْتِحْلَالِ النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوْ الرِّبَا أَوْ الْمَيْسِرِ أَوْ عَنْ الْجِهَادِ لِلْكُفَّارِ أَوْ عَنْ ضَرْبِهِمْ الْجِزْيَةَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُمْ يُقَاتَلُونَ عَلَيْهَا حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ][1].

فالخلاصة:

أنه اذا ما اختلط دين الله بدين غيره، وتشريعه بتشريع غيره، وحكمه بحكم غيره، كانت الفتنة عن دين الله، ووجب القِتَال حتَّى لا تكون فتنة، وهذا هو الحاصل اليَوْم وما جناه حكامنا علينا من فساد في الداخل، وعدوان من الخارج وضنك في الحياة العامّة، وذل عَلى يد الأَعدَاء.

ولقد سمى ربنا ﷻ أمثال هَؤُلَاءِ الحكَّام (الكافرون، الفاسقون، الظَّالمون)، فجاء من عملاء السّلاطين من يسمى هَؤُلَاءِ الحكَّام مسلمون صالحون، وأولياء أمور شرعيون، وكأن عندهم قرآنا خاصا بهم كتبوا فيه: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المُسلِمُون المُؤمِنُون الصّالحون!!!

سبحان الله!! كيف وقد أوجدوا مختصين بالقانون الوضعي، درسوا في بلاد الصليب الكافرة في الغرب، وأسموا واحدهم(مشرع) هكذا باللفظ الصريح، ناهيك عن ما يفعله هَؤُلَاءِ الملوك والرؤساء والأمراء من سن القوانين وتشريع المراسيم، بما في ذلك حلّ أجهزة التَّشريع ذاتها (البرلمان) اذا خطر لهم ذلك! فالحاكم تارة يعبد المشرع ويطلب من النّاس عبادته، وتارة يسجنه، وإذا أراد أن يقتله قتله!!! كما كانَ عباد الأصنام يصنع واحدهم إلها من تمر ثمّ يأكله! أو إلها من خشب ثمّ يحرقه ليطبخ عليه! ناهيك عن وجوه الكفر الأخرى الّتي تلبسوا بها من ولاء الكافرين، وقتل المُؤمِنِين، وأوجه نواقض الإيمان من الأقوال والأفعال.

---

(١) الفتاوى: (٢٨/ ص ٥٤٥).

هذا عن كفر حُكّام بلاد الإِسْلَام في هذا الزّمان من باب التَّشريع من دون الله والحكم بغير ما أنزل الله.

ولكن هَؤُلَاءِ المحاربين لله ورسوله لم يكتفوا بكفرهم من هذا الوجه، فأضافوا إليه كفرا أشد وضوحا، وأسهل إثباتا، وهو ولاؤهم لأعداء المُسلِمِين ومعاونتهم ومظاهرتهم عَلى شعوبهم وأهل ملتهم، فلنتأمل في بعض التفصيل الموجز في الحكم الشَّرعيّ في جريمتهم الأخرى هذه.

****

عَقِيْدَة الوَلَاء والبَرَاء. وحكم مُوالاة الكافرين وأنواعها وحكم قتال المُسلِمِين إلى جانب الكفرة والمرتدّين:

بصرف النَّظر عن أجناس البشر وألوانهم، واختلاف لغاتهم وشعوبهم، وغناهم وفقرهم، أو أي اعتبار آخر، فقد اعتبرت الشّريعة لهم نسبتان فقط هما: (مؤمن) و(كافر)، وقررت بالنصوص الواضحات من الكتاب والسنة، أن أهل الإيمان إخوة، ويشكلون أمة واحدة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

كما قررت أن الكفّار عَلَى اختلاف مذاهب كفرهم، وأجناسهم، وشعوبهم، ولغاتهم (ملة واحدة)، وبهذا الوضوح تقرر أن أهل التكليف إنسهم وجنهم في هذه الأرض أمتان (أهل الإيمان) و(أهل الكفر).

وقد أمر الله ﷻ بكل وضوح المُؤمِنِين بموالاة بعضهم بعضا، والبَرَاءة من الكافرين، وعلى هذا بنيت (عَقِيْدَة الوَلَاء والبَرَاء)، وليست هذه القضية، قضية فرعية من قضايا الإيمان، بل هيَ قضية أساسية، مرتبطة بأساس التّوحيد، إذ يبنى عليها الإيمان أو الكفر، ونسبة الإنسان لإحدى هاتين الأمتين.

وقد قَالَ تَعَالَىَ: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة].

وأخبر بقوله: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ [الأنفال: ٧٣]، ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ ﴾ [التوبة: ٦٧]. وقال تَعَالَىَ: ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الجاثية]، فهما نسبتان وجنسيتان، وآصرتان ورابطتان فقط، (مسلم يُوالي مسلماً) و(كافر ومنافق يوالون بعضهم بعضاً)، وقد أمر الله باعتقاد هذه العَقِيْدَة، وأخبر أنّنا إن لم نفعلها ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنفال]، والناظر في آيات القرآن الكريم، يجد أنها غطت مسألة الأمر بولاية المُؤمِنِين وما يترتب عليها، والنهي عن ولاية الكافرين والأمر بالبَرَاءة منهم وما

يترتب عليها، بكل التركيز والوضوح، ويمكن أن نورد طرفا من ذلك بالإيجاز من خلال استخلاص الأحكام والتقريرات القرآنية كما يلي:

١. المؤمن ولي المؤمن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ [التوبة: ٧١]

٢. الكافر وليُّ الكافر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ﴾ [الأنفال: ٧٣]، ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]

٣. النَّهي عن ولاية الكافرين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾ [النساء: ١٤٤]

٤. ولاية المؤمن للمؤمن هيَ ولاية لله ورسوله وهي نصر وغلبة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥٥]، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦﴾ [المائدة].

٥. ولاية المُسلِم للكَافِرين هيَ ولاية للشَّيطَان، ودُخول في حِزبِه:

وهي خسارة وسخط من الله تعَالَىٰ يوجب الخلود في النَّار، قَالَ تعَالَىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤﴾ [المجادلة]، إلى قوله تعَالَىٰ: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩﴾ [المجادلة].

كما قَالَ تعَالَىٰ: ﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١﴾ [المائدة].

وقال تعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩﴾ [النساء]

٦. ولاية المسلم للكافرين واهية وسيتبرأ الشّيطان من ولايتهم بعد أن ورطهم في الكفر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٥﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الحشر].

٧. ولاية المسلم للكافرين تجعله منهم وتحبط عمله وتُفضي بِهِ إلى الرِّدَّة:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة]، ثمّ قال بعدها: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة]، وبعد أن قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤﴾ [النساء]، قال بعدها: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء: ١٤٥].

٨. النَّهي عن اتّخاذ الأقرباءِ والقومِ والعَشيرة أولياءَ إن كانُوا كَافِرينَ:

وأن ودهم مع كفرهم بسبب القرابة مناقض للإيمان، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة]

٩. النهي عن اتخاذ الكفرة بطانة وأعوانا وقد بدت البغضاء من أفواههم:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨﴾ [آل عمران].

١٠. النَّهي عَن وِلايَة مَن قَاتَلَنَا وأَخرَجَنَا من دِيَارِنَا:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الممتحنة].

١١. النَّهي عن ولاية من اتخذ ديننا هزوًا ولعباً:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [المائدة]

١٢. التَّشديد في النَّهي عن ولاية اليَهُوْد والنّصَارى خاصّة من بين الكافرين:

إن الناظر في أسباب نزول معظم آيات النهي عن ولاية الكافرين، يجد أنها نزلت في النهي عن ولاية اليَهُوْد والنّصَارى، ومع ذلك فقد سمتهم آيات القرآن صراحة من بين الكافرين المنهي عن ولايتهم جميعا قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٥١]

و قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ ﴾ [المائدة: ٥٧].

١٣. الأمر بِالأخذ بِملَّة إبرَاهِيم بِالبَرَاء ة الكَامِلَة منْ الكَافِرين وبُغضِهم ومُعَادَاتِهم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [الممتحنة]

١٤. حدَّدَت الآيَاتُ القُرآنيَّة أَعذَارَ مَنْ يَتَولَّى الكُفَّارَ منَ المُسلِمينَ ويَقعُونَ في النِّفَاقِ أنَّهَا إمَّا من أَجلِ طَلَبِ العزَّةِ أو للخَوف منَ الأذَى والدَّوَائر:

وقد رد القرآن عَلَى هذه الأعذار وأبطلها، وحكم عَلَى أصحابها بالنِّفَاق والردة والانتساب للكفار، وذلك بسبب مرض قلوبهم وأن عاقبتهم الندم في الدُّنيَا والآخرة وأن مصيرهم إلى النار، قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء]، و قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المائدة]

****

ومن أخطر مظاهر مُوالاة الكافرين:

١- الجلوس مع الكفرة والمرتدّين والمُنَافِقين وهم يستهزئون بآيات الله وشعائر دينيه وعباده المُؤمِنين؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: ١٤٠]

٢- طاعة الكفّار فيما نهى الله عنه ولو بشيء قليل؛ قَالَ تَعَالَىٰ في سورة محمّد ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [محمد]

٣- فطاعة الّذين كرهوا شريعة الله، في أمرهم ولو بشيء قليل طريق للردة.

٤- اتخاذ الكفرة بطانة ومستشارين، وناصحين ومعاونين، ووضع المُسلِمِين تحت أمرهم ونهيهم، فهذا شكل من أشكال ولايتهم الّتي نهى الله عنها.

٥- النصيحة للكفار ودلالتهم عَلى ما يقويهم ونصرتهم بالرّاي عَلى المُسلِمِين.

٦- التحاكم إلى قوانينهم وشرائعهم، هو من أكبر أشكال ولايتهم، قَالَ الإِمَام ابن تَيمِيّة رحمه الله في مجموع الفتاوى ج٢٨/ ١٩٩: [وَمِنْ جِنْسِ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ الَّتِي ذَمَّ اللهُ بِهَا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُنَافِقِينَ: الْإِيمَانُ بِبَعْضِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الْكُفْرِ أَوْ التَّحَاكُمُ إلَيْهِمْ دُونَ كِتَابِ اللهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء]

إلا أن أخطر ذلك وأوضحه ردة هو:

القِتَال معهم وتحت رايتهم وفي خدمة مصالحهم، وهذه أعظم أشكال الولاية، حيث يضحي المرء بروحه في سبيل الكفّار، وهو كفر مخرج من ملة الإِسْلَام، وانتماء إليهم بنص القرآن: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] وقد برئ الله منه: ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦] وقال تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر].

ومن الآثار الّتي وردت في تفسير بعض النّصوص القرآنية السَّابقة:

قَالَ ابن حزم ﷺ ينقل الإجماع: [وَصَحَّ أَنَّ قَوْلَ اللهَّ ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] إِنَّمَا هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ بِأَنَّهُ كَافِرٌ مِنْ جُمْلَةِ الْكُفَّارِ فَقَطْ، وَهَذَا حَقٌّ لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ][1].

قَالَ الطبري ﷺ في تفسيره: [وَمَنْ يَتَوَلَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى دُونَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ، يَقُولُ: فَإِنَّ مَنْ تَوَلَّاهُمْ وَنَصَرَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ دِينِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ ، فَإِنَّهُ لَا يَتَوَلَّى مُتَوَلٍّ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ بِهِ وَبِدِينِهِ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ رَاضٍ ، وَإِذَا رَضِيَهُ وَرَضِيَ دِينَهُ فَقَدْ عَادَى مَا خَالَفَهُ وَسَخِطَهُ ، وَصَارَ حُكْمُهُ حُكْمَهُ][2].

وقال ابن جرير في تفسير[لَا تَتَّخِذُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكُفَّارَ ظَهْرًا وَأَنْصَارًا، تُوَالُونَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَتُظَاهِرُونَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَدُلُّونَهُمْ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهَّ فِي شَيْءٍ؛ يَعْنِي بِذَلِكَ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهَّ، وَبَرِئَ اللهُّ مِنْهُ بِارْتِدَادِهِ عَنْ دِينِهِ][3].

وقال ابن القيِّم في كتابه أحكام أهل الذِّمة: [أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ حَكَمَ، وَلَا أَحْسَنَ مِنْ حُكْمِهِ، أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّى الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فَهُوَ مِنْهُمْ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، فَإِذَا كَانَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنْهُمْ بِنَصِّ الْقُرْآنِ كَانَ لَهُمْ حُكْمُهُمْ][4].

قَالَ ابن كثير في تفسير سورة المائدة الآية (٥٠-٥٣): [أي نَهَى تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَالَاةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، قَاتَلَهُمُ اللهُّ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، ثُمَّ تَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ مَنْ يَتَعَاطَى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ قال ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: "... أَنَّ عُمَرَ أَمَرَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ مَا أَخَذَ وَمَا أَعْطَى فِي أَدِيمٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ لَهُ كَاتِبٌ نَصْرَانِيٌّ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ ذَلِكَ، فَعَجِبَ عُمَرُ وَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَحَفِيظٌ، هَلْ أَنْتَ قَارِئٌ لَنَا كِتَابًا فِي الْمَسْجِدِ جَاءَ مَنَ الشَّامِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَجُنُبٌ هُوَ؟ قَالَ: لَا بَلْ نَصْرَانِيٌّ، قَالَ: فَانْتَهَرَنِي وَضَرَبَ فَخِذِي، ثُمَّ قَالَ: أَخْرِجُوهُ

---

(١) المحلى لابن حزم: (١٢/ ٣٣)

(٢) تفسير الطبري: (١٠/ ٤٠٠).

(٣) تفسير الطبري: (٣/ ٣١٣).

(٤) أحكام أهل الذمة : (١/ ١٩٥).

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١] حدثنا محمّد بن الحسن(...) قَالَ عبدالله بن عتبة: " لِيَتَّقِ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، قَالَ: فَظَنَنَّاهُ يُرِيدُ هَذِهِ الْآيَةَ][1].

قَالَ ابن كثير: [وَقَوْلُهُ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أَيْ: شَكٌّ، وَرَيْبٌ، وَنِفَاقٌ ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾ أَيْ: يُبَادِرُونَ إِلَى مُوَالَاتِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ فِي الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، ﴿يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞ﴾ أَيْ: يَتَأَوَّلُونَ فِي مَوَدَّتِهِمْ وَمُوَالَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ أَنْ يَقَعَ أَمْرٌ مِنْ ظَفَرِ الْكُفَّارِ بِالْمُسْلِمِينَ، فَتَكُونُ لَهُمْ أَيَادٍ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَيَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ، عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ﴾ قَالَ السُّدِّي: يَعْنِي فَتْحَ مَكَّةَ. وَقَالَ غَيْرُهُ: يَعْنِي الْقَضَاءَ والفصلِ ﴿أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ قَالَ السُّدِّي: يعني ضرب الجزية على الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ﴿فَيُصۡبِحُواْ﴾ يَعْنِي: الَّذِينَ وَالَوُا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنَ الْمُنَافِقِينَ ﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ مِنَ الْمُوَالَاةِ ﴿نَٰدِمِينَ ۝٥٢﴾ [المائدة] أَيْ: عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، مِمَّا لَمْ يُجْدِ عَنْهُمْ شَيْئًا، وَلَا دَفَعَ عَنْهُمْ مَحْذُورًا، بَلْ كَانَ عَيْنَ الْمَفْسَدَةِ، فَإِنَّهُمْ فُضِحُوا، وَأَظْهَرَ اللهُ أَمْرَهُمْ فِي الدُّنْيَا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا مَسْتُورِينَ لَا يُدْرَى كَيْفَ حَالُهُمْ. فَلَمَّا انْعَقَدَتِ الْأَسْبَابُ الْفَاضِحَةُ لَهُمْ، تَبَيَّنَ أَمْرُهُمْ لِعِبَادِ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ][2].

(سبحان الله كأنما تحكى هذه الآية وتفسيرها حالة حُكَّام بلاد المُسلِمِين الّذين يعاونونها كمشرف وحكومته الباكستانية في موالاتهم لأمريكا لأنّهم يظنُّون أنها ستنتصر عَلى المُسلِمِين فيكون لهم عندهم مكانة، واعتذارهم عن ذلك بخوف الدّائرة والمصيبة منها، والرغبة في طلب العز منها، وما سيندمون عليه من افتضاح أمرهم وخسارتهم وعقوبتهم عَلى أيدي المُؤمِنِين لما يأتي نصر الله).

وفي قوله تعَالَى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]، قَالَ ابن كثيرﷺ تَعَالَى: [نَهَى اللهُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُوَالُوا الْكَافِرِينَ، وَأَنْ يَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ يُسِرُّون إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ تَوَعَّدَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ

---

(١) تفسير ابن كثير: (٣/ ١٣٢).

(٢) المرجع السابق.

﴿مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾ أَيْ: مَنْ يَرْتَكِبُ نَهْيَ اللهِ فِي هَذَا فَقَدْ بَرِئَ اللهُ مِنه ... ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ أَيْ: يُحَذِّرُكُمْ نِقْمَتَهُ، أَيْ مُخَالَفَتَهُ وَسَطْوَتَهُ فِي عَذَابِهِ لِمَنْ وَالَى أَعْدَاءَهُ وَعَادَى أَوْلِيَاءَهُ.][(١)].

وفي قوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨﴾ [آل عمران]، قَالَ ابن كثير: [يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَاهِيًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اتِّخَاذِ الْمُنَافِقِينَ بِطَانَةً، أَيْ: يُطْلعونهم عَلَى سَرَائِرِهِمْ وَمَا يُضْمِرُونَهُ لِأَعْدَائِهِمْ، وَالْمُنَافِقُونَ بِجُهْدِهِمْ وَطَاقَتِهِمْ لَا يَأْلُونَ الْمُؤْمِنِينَ خَبَالا أَيْ: يَسْعَوْنَ فِي مُخَالَفَتِهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، وَبِمَا يَسْتَطِيعُونَهُ مِنَ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ، وَيَوَدُّونَ مَا يُعْنِتُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحرِجُهُمْ ويَشُقّ عَلَيْهِمْ][(٢)].

وكما ذكرنا فالآيات والأحاديث والآثار وأقوال العُلَماء متضافرة بهذه المعاني.

وهذه الحقائق هيَ من أولويات الإِسْلَام وأساسِيَّات العَقِيْدَة، الّتي يلخصها بكل إيجاز ووضوح، خطاب القرآن الصَّريح لكلِّ مسلم:

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة: ٥١] ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾ **وهذا واضح، فمن يتولَّى الكفّار فهو كافرٌ مرتدّ مثلهم قد برئ الله منه.**

وقد عد الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب مظاهرة الكفّار عَلَى المُسلِمِين في نواقض الإِسْلَام العشرة الّتي ذكرها وهي:

١- الشرك بالله، الذبح لغير الله وللقبر.

٢- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم.

٣- من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم، كفر.

٤- من اعتقد أن غير هدي النبيّ ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت عَلى حكمه فهو كافر.

---

(١) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣١).

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/ ١٠٦).

٥- من أبغض شيئا مما جاء به الرَّسُول ﷺ - ولو عمل به - فهو كافر.

٦- من استهزأ بشيء من دين الرَّسُول أو ثوابه أو عاقبه كفر، والدليل: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة].

٧- السحر، فمن فعله أو رضي به كفر، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٨- مظاهرة المشركين ومعاونتهم عَلَى المُسلِمِين: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، **وهي محل الشاهد.**

٩- من اعتقد أن بعض النّاس يسعه الخروج عن شريعة محمّد ﷺ، كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

١٠- من أعرض عن دين الله، لا يتعلمه ولا يعمل به ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾[الأحقاف]

قَالَ سليمان بن عبدالله بن الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب: [اعلم رحمك الله: أنَّ الإنسان إِذا أَظهر للمشركين الموافقة على دينهم: خوفاً منهم ومداراةً لهم، ومداهنةً لدفع شرِّهم، فإِنَّه كافرٌ مثلهم وإِنْ كان يكره دينَهم ويبغضهم، ويحبُّ الإسلام والمسلمين، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كانَ في دار منعة واستدعى بهم، ودخل في طاعتهم، وأظهر الموافقة عَلَى دينهم البَاطِل، وأعانهم عليه بالنّصرة، ووالاهم، وقطع الموالاة بينه وبين المُسلِمِين، فإن هذا لا شَكَّ مسلم أنه كافر من أشد النّاس عداوة لله ورسوله ﷺ ولا يستثنى من ذلك إلا المكره، وقد أجمع العُلَماء عَلَى أن من تكلم بالكفر هازلاً فإنَّه يكفر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً]... وساق الشَّيْخ عشرين دليلاً عَلَى قوله منها: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة]

الحديث «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ»(١)، قَالَ الشَّيْخ سليمان بن عبدالله بن محمّد بن عبد الوهاب: [إن الّذي يدعي الإِسْلَام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنّصرة والمنزل معهم يعده المشركين منهم فهو كافر مثلهم، إن ادعى الإِسْلَام، كالنّاس الّذين أقاموا في مكّة وادعوا الإِسْلَام بعد الهِجرَة، وخرجوا في بدر فظن بعض الصّحابة إنهم مسلمون وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [النساء: ٩٧] من ظهرت منه علامات النِّفَاق الدالة عليه كارتداده عند التحزيب عَلَى الْمُؤمِنِين وخذلانهم عند اجتماع العدوّ، يجوز إطلاق اسم منافق عليه](٢).

إذن، وللشهادة لله نقول:

إن من أعظم التلبيس والظُّلم والافتراء عَلَى الله الكذب. ومن أعظم تبديل آيات الله واتخاذها هزوا، ومن بيع الدّين بالدنيا والشراء بآيات الله ثمنا قليلا، أن يحاول المدلسون أن يصوروا هذا الوَلَاء الكامل الحاصل من حُكَّام الْمُسلِمِين، وهذا الحلف المتين القائم بينهم وبين اليَهُوْد والنّصَارى، من أمريكان وأوروبيين وسواهم من الكفّار عَلَى أنه قضية ضرورات ومصالح مشروعة، أو حالات إكراه، بعد أن تبدى النِّفَاق منهم، وتنوعت أشكال ولائهم للكفار، بل بلغت أعلاها، من القِتَال معهم والدّفاع عنهم، وبنصرتهم عَلَى الْمُسلِمِين مهما كلف ذلك من خراب ديار الْمُسلِمِين، وزهق أنفسهم وسفك دمائهم وبيع أراضيهم ونهب ثرواتهم، مما لا يمكن تسميته إلا أنه خيانة وعمالة لهم وولاء للكافرين وبراء من الْمُؤمِنِين.

والحقيقة الّتي لاغباش فيها، هيَ أن الرِّدَّة المتأتية عن هذا الوَلَاء للكفار، الّتي تلبس بها أكثر حُكَّام الْمُسلِمِين اليَوْم، وجروا إليها أنظمتهم وحُكُومَاتهم، وجروا إليها، جودهم ورجال أمنهم والعاملين في حُكُومَاتهم، هيَ من أوضح وجوه كفرهم ونفاقهم.

---

(١) رواه أو داود (٢٧٨٧) وقال الألباني: صحيح . وقال الأرنؤوط : إسناده مسلسل بالضعفاء ، ويغني عنه ما صح عن جرير بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «أنا بريء من كل مسلم يُقيم بين أظهر المشركين» قالوا: يا رسول الله، لم؟ قال: «لا تراءى ناراهما».

(٢) الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك : (٢٩).

وهي بالإضافة لما تلبسوا به من الكفر الصريح لتبديلهم شرائع الإِسْلَام واستبدالها بشرائع الكفر والطَّاغوت، من فلسفات وشرائع أعداء هذا الدّين، الّذين والوهم، تكون شاهدين يدمغان هَؤُلَاءِ الحكَّام بالردة والكفر والخروج من ملة الإِسْلَام.

ولا يدفع هذا الحكم عنهم تدليس المدلسين الّذين نصبوا من أنفسهم خصماء عن هَؤُلَاءِ الخونة رغم قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ١٠٥﴾

فقد قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ١٠٥ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ١٠٧ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ١٠٩﴾ [النساء]

فسبحان الله! ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ٢٤﴾؟ [محمد] وما أظنها إلا الاثنتين معاً.

قلوب مقفلة ولاتتدبر القرآن، بسبب ما ران عَلى تلك القلوب من السحت وأكل أموال السّلاطين، مصداقاً لقوله ﷺ: «مَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا»(١) أبعدهم الله.

****

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩) وأحمد (٨٨٣٦،٩٦٨٣) وضعفه الأرنؤوط ، وحسنه الألباني – الصحيحة (١٢٧٢).

ثالثا: الخروج عَلى الحاكم إن ارتد عن الإِسْلَام أو كانَ كافرا واجب عَلى المُسلِمِين بالإجماع:

ماذا يترتب شَرعاً عَلى كفر الحاكم للمسلمين أو ردته عن الإِسْلَام؟:

كما ذكرنا آنفا، فان كافّة مصائب المُسلِمِين وما نزل بهم من كوارث داخليَّة مردها في الحقيقة إلى غياب شرع الله عنهم، وحكمهم بغير ما أنزل الله، وكفر حكامهم، وولائهم للكفار، فالأصل في الشّريعة أن «الإِمَام جُنَّة»[1] يقاتل من ورائه ويدفع به العدوان، ويقوم به العدل والقسط، وتقضى به الحقوق، فتتوازن الأُمّة داخليا، وتدفع عدوها خارجيا، وبقدر فساد الحاكم تفسد أحوال الرعية، والعُلَماء هم ضابط الحكَّام، وبقدر فسادهم يفسد الحكَّام، فكما جاء في الأثر:«صِنفَانِ مِنَ النّاسِ إذا صَلحَا صَلَحَ النّاس وإذا فَسَدَا فَسَد النّاس، العُلَماءُ والأمراءُ»[2]، والحقيقة أن بحث مسألة إسلام حكامنا أو كفرهم وردتهم، بعدما آلت الأحوال إلى ما نراه اليَوْم، هيَ مسألة في غاية العظمة والخطورة، لأنها بوابة البحث عن مخرج لمشاكل المُسلِمِين اليَوْم، فهي مسألة ديننا ودنيانا، وبالاختصار، فإن الحكم الشَّرعيّ بإسلام الحاكم، أو كفر الحاكم، يترتب عليه من اللوازم والنتائج، أحد فقهين متناقضين تماماً.

وقبل الخوض في مترتبات إسلام الحاكم أو كفره، نذكر بأمر هام جدا، وهو مفصل الهدى والضلال في هذه المسألة، هذا الأمر هو: أن إسلام الحاكم أو كفره مرتبط تماما بقضية حكمه بالشّريعة الّتي يحكم بها، بمعنى:

- **إذا كانَ الحكم لله، والشّريعة قائمة، فالحاكم مسلم، ما لم ينقض إسلامه.**
- **وإذا كانَ الحاكم مسلما، فمن لوازم ذلك أن يحكم بما أنزل الله.**

---

(١) طرفٌ من حديثٍ رواهُ البخاري (٢٩٥٧) ومسلم (١٨٤١) وغيرهما عن أبي هريرة يرفعه ومنه : «إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى الله عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ».

(٢) أثرٌ مروي عن عبدالله بن المبارك وبعض السَّلف، ولم تصح نسبته لابن عباس فقد رواه أبو نعيم في الحلية عنه رضي الله عنه وقال الألباني: موضوع عن ابن عباس – ضعيف الجامع (٣٤٩٥).

فليس هناك حكم بما أنزل الله إن كانَ الحاكم كافراً، ولا يكون الحاكم مسلماً إذا حكم بغير ما أنزل الله، فهما مترادفتان: حاكم مسلم = حكم بما أنزل الله.

وعكسها بعكسها: حكم بغير ما أنزل الله = حاكم كافر.

وهذا أوضحناه في الفقرة السالفة، عندما تكلمنا عن الحاكِمِيَّة والوَلَاء.

من لوازم ونتائج كون الحاكم مسلما يحكم بشريعة الله ويوالي الْمُؤمِنِين ويعادي الكافرين:

وجوب السّمع والطاعة له في كلّ ما يأمر به، ما لم يكن معصية، في المنشط والمكره، والصّبر عَلى الأثرة، وأن لا ينازعه أمره قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩].

وجوب احترام الْمُسلِمِين لعهوده، وعقوده ومعاهداته واتفاقاته وأمانه وذمته، مادامت في حدود الشّريعة.

وجوب النَّفِير معه إن استنفر الْمُسلِمِين للجِهَاد في سبيل الله، ضدّ الكفّار او المرتدّين، أو البغاة أو المفسدين في الأرض.

وجوب نصيحته، والتّعاون معه عَلى البر والتقوى والمعروف قدر الاستطاعة، وعدم الافتئات عليه ما لم يفرط بالأمر بالمعروف والنهى عن الْمُنكر.

وجوب الصّبر عليه، وطاعته، وإن أخذ مالك، وجلد ظهرك، وإن تلبس بالفسق في نفسه، والجور في حكمه، ما لم يتلبس بكفر فيه من الله برهان، والأحاديث الدالة عَلى هذه الأمور كثيرة.

هذا كله مادام الحاكم مسلما لم يتلبس بناقض من نواقض الإيمان، أو كفر فيه من الله برهان كما في الحديث الصَّحِيح المتفق عليه، عن عبادة بن الصامت ﷺ قَالَ: " **دَعَانَا رَسُولُ الله ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ» قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ»** " وهذه رواية مسلم(١).

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥٥، ٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

وجوب جِهَاد الحاكم الكافر أو المرتدّ:

نقل الإِمَام النووي في شرحه لصحيح مسلم عند شرح هذا الحديث عن القاضي عياض الإجماع عَلى الخروج عَلى الحاكم إن كفر، فقال: [**قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَةَ لَا تَنْعَقِدُ لِكَافِرٍ وَعَلَى أَنَّهُ لَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ الْكُفْرُ انْعَزَلَ قَالَ وَكَذَا لَوْ تَرَكَ إِقَامَةَ الصَّلَوَاتِ وَالدُّعَاءَ إِلَيْهَا ... قَالَ الْقَاضِي فَلَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ كُفْرٌ وَتَغْيِيرٌ لِلشَّرْعِ أَوْ بِدْعَةٌ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ الْوِلَايَةِ وَسَقَطَتْ طَاعَتُهُ وَوَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْقِيَامُ عَلَيْهِ وَخَلْعُهُ وَنَصْبُ إِمَامٍ عَادِلٍ إِنْ أَمْكَنَهُمْ ذَلِكَ فَإِنْ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ إِلَّا لِطَائِفَةٍ وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْقِيَامُ بِخَلْعِ الْكَافِرِ وَلَا يَجِبُ فِي الْمُبْتَدِعِ إِلَّا إِذَا ظَنُّوا الْقُدْرَةَ عَلَيْهِ فَإِنْ تَحَقَّقُوا الْعَجْزَ لَمْ يَجِبِ الْقِيَامُ وَلْيُهَاجِرِ الْمُسْلِمُ عَنْ أَرْضِهِ إِلَى غَيْرِهَا وَيَفِرَّ بِدِينِهِ**](١)

قَالَ الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البُخَارِيّ: [**أَنَّهُ- أي الإمام- يَنْعَزِلُ بِالْكُفْرِ إِجْمَاعًا فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ الْقِيَامُ فِي ذَلِكَ فَمَنْ قَوِيَ عَلَى ذَلِكَ فَلَهُ الثَّوَابُ وَمَنْ دَاهَنَ فَعَلَيْهِ الْإِثْمُ وَمَنْ عَجَزَ وَجَبَتْ عَلَيْهِ الْهِجْرَةُ من تِلْكَ الأَرْض**](٢).

قَالَ أبو يعلى: [**إن حَدَثَ مِنهُ مَا يَقدَحُ فِي دِينِهِ نَظَرتَ فَإِن كَفَرَ بَعدَ إِيمَانِهِ فَقَد خَرَجَ عَن الإِمَامَة وَهَذَا لَا إِشكَالَ فِيهِ لِأَنَّه خَرَجَ عَنْ المِلَّةِ وَوَجَبَ قَتلُه**](٣).

قَالَ الأستاذ عبد القادر عودة ﷺ في كتابه (الإِسْلَام بين جهل أبنائه وعجز علمائه): [**وأن إباحة المجمع عَلى تحريمه كالزنا والسكر واستباحة إبطال الحدود وتعطيل أحكام الشّريعة وشرع ما لم يأذن به الله إنما هو كفر وردة وأن الخروج عَلى الحاكم المسلم إذا ارتد واجب عَلى المُسلِمِين وأقل درجات الخروج عَلى أولي الأمر هو عصيان أوامرهم ونواهيهم المخالفة للشريعة**].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: (ج١٢- ص٢٢٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر: (ج١٣ص١٢٣).

(٣) المعتمد في أصول الدين: (ص: ٢٤٣).

وقد استنبط العُلَماء والمفسرون من قوله تَعَالَى لسيدنا إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ [البقرة]

أن الإمامة لا تنعقد لكافر بل ولا لفاسق أو ظالم ابتداء، وكذلك استنبطوا من قوله تَعَالَى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾ [النساء]، أي لا يجعل الله للكافرين عَلَى الْمُؤمِنِين سلطة وقهرا وتحكما، ومن أعظم السّلطة ولاية الحاكم، فهي الإمامة العظمى، وأعظم سبيل للطاعة والقهر بل لقد منع العُلَماء بيع الرقيق المسلم لكافر، وكذلك منعوا المناصب والولايات الّتي يكون فيها المسلم تحت الكافر، ومن هذا الوجه حرم زواج المسلمة بالكافر، لأن ولاية البيت للزوج، وستكون المسلمة في أمر كافر، في حين أباح العكس، فالخلاصة كما نقل النووي الإجماع عَلَى بطلان ولاية الحاكم الكافر أو من ارتد وطرأ عليه الكفر ووجوب الخروج عليه وخلعه.

جاء في كتاب الإمامة العظمى عند أهل السّنّة (تأليف عبدالله الدميجي) في الفَصل الثّالث تحت عنوان (عزل الإمَام والخروج عَلَى الأئمة) ص ٤٦٥ ما ننقل منه باختصار مايلي:

[من المتفق عليه بين العُلَماء أن الإمَام ما دام قائما بواجباته الملقاة عَلَى عاتقه في تدبير شؤون رعيته، عادلا بينهم فلا يجوز عزله ولا الخروج عليه، بل ذلك مما حذر منه الإِسْلَام وتوعد الغادر بعذاب أليم، لكن هناك أموراً عظيمة لها تأثير عَلَى حياة الْمُسلِمِين الدّينيّة والدنيوية منها ما يُؤَدِّي إلى ضرورة عزل الإمَام المرتكب لها، وهذه الأمور منها ما هو متفق عليه بين العُلَماء ومنها ما هو مختلف فيه، والآن نستعرض هذه الأسباب لنرى آراء العُلَماء فيها:

الأوّل: الكفر والردة بعد الإِسْلَام:

أول الأمور وأعظم الأسباب الموجبة لعزل الوالي هو الرِّدَّة والكفر بعد الإيمان، فإذا ما ارتكب الإمَام جرماً عظيماً يُؤَدِّي إلى الكفر والإرتداد عن الدّين فإنه ينعزل بذلك ولا يكون له ولاية عَلَى مسلم بحال.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾ [النساء] وأي سبيل أعظم من سبيل الإمامة؟ وفي الحديث الّذي رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه قَالَ: "بَايَعَنَا – أي رَسُولَ الله ﷺ– عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي

مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ» قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»"(١)، قَالَ الخطابي: (معنى بواحاً: يريد ظاهراً بادياً) «**عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**» قَالَ الحافظ بن حجر في شرح البُخَارِيّ(٢): (أَيْ نَصُّ آيَةٍ أَوْ خَبَرٌ صَحِيحٌ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ)، وقال النووي في شرحه لمسلم: (وَالْمُرَادُ بِالْكُفْرِ هُنَا الْمَعَاصِي وَمَعْنَى عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ أَيْ تَعْلَمُونَهُ مِنْ دِينِ اللهِ تَعَالَى وَمَعْنَى الْحَدِيثِ لَا تُنَازِعُوا وُلَاةَ الْأُمُورِ فِي وِلَايَتِهِمْ وَلَا تَعْتَرِضُوا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنْ تَرَوْا مِنْهُمْ مُنْكَرًا مُحَقَّقًا تَعْلَمُونَهُ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ)(٣)، ومن مفهوم هذا الحديث أنه لا يشترط أن يعلن هذا الحاكم الرِّدَّة عن الإِسْلَام أو الكفر، بل يكفى إظهاره لبعض المظاهر الموجبة للكفر، قَالَ الشَّيْخ أنور شاه كشميري في كتاب (إكفار الملحدين) ص٢٢ في نسخة (المجلس العلمي في كراتشي): "ودل – أي هذا الحديث– أيضاً عَلى أن أهل القبلة يجوز تكفيرهم وإن لم يخرجوا عن القبلة، وأنه قد يلزم الكفر بلا التزام وبدون أن يريد تبديل الملة، وإلا لم يحتج الرائي إلى برهان".

فظاهر الحديث أن من طرأ عليه الكفر فإنه يجب عزله وهذا أهون ما يجب عَلى الأُمّة نحوه، إذ الواجب أن يقاتل ويباح دمه بسبب ردته لقوله ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(٤)، – ثمّ نقل الدّميجيّ كلام القاضي عياض وكلام ابن حجر والقاضي أبو يعلى الّذي أسلفناه– ثمّ قَالَ:[قَالَ السّفاقسي: "أجمَعُوا عَلى أنَ الخَلِيفَة إذا دَعَى إِلى كُفر أو بِدعة يُقَامُ عَلَيِهِ"(٥).

الثّاني: ترك الصّلاة والدّعوة إليها(...).

الثّالث: ترك الحكم بما أنزل الله:

---

(١) متفق عليه، البخاري (٧٠٥٥، ٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر: (ج١٣/ ص٨)

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي: (١٢/ ٢٢٩)

(٤) رواه البخاري: (٣٠١٧،٦٩٢٢) وأصحاب السنن.

(٥) إرشاد الساري بشرح صحيح البُخَارِيّ: (ج ١٠ ص ٢١٧).

والّذي يدل عَلى أن هذا السبب موجب لعزل الإِمَام بجميع صوره المكفرة والمفسقة هو ورودها مطلقة في الأحاديث النّبويّة الصَّحِيحة الآتية:

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»[1].

عن أم الحُصين الأحمسيَّة ﷺ قالت: "حَجَجْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ "، إلى أَنْ قَالَت ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ - حَسِبْتُهَا قَالَتْ - أَسْوَدُ، يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ الله تَعَالَى، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»[2] وفى رواية التِّرْمِذِيّ والنسائي سمعته يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ مَا أَقَامَ فِيكُمْ كِتَابَ الله»[3].

فهذه الأحاديث واضحة الدلالة عَلى أنه يشترط للسمع والطاعة أن يقود الإِمَام رعيته بكتاب الله، أما إذا لم يحكم فيهم شرع الله فهذا لا سمع له ولا طاعة وهذا يقتضي عزله، وهذا في صور الحكم بغير ما أنزل الله المفسقة، أما المكفرة فهي توجب عزله ولو بالمقاتلة كما سبق بيانه في السبب الأوّل، والله أعلم].أهـ.

وقد وقفت عَلى كلام في غاية الأهمّيّة كشاهد معاصر في موضوعنا هٰذا:

فقد جاء في كتاب (تكملة فتح الملهِم – في شرح صحيح مسلم) لشيخ الإِسْلَام في باكستان (الشَّيْخ محمّد تقي العُثمَانِيّ): عند شرح هذا الحديث الشريف:

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٦٩٦،٦٩٣).

(٢) رواه مسلم (١٢٩٨،١٨٣٨). ش: "عبد مجدّع" أي مقطع الأعضاء والتشديد للتكثير وإلا فالجدع قطع الأنف والأذن والشفة.

(٣) رواه الترمذي (١٧٠٦) والنسائي (٤١٩٢) وأحمد (١٦٦٤٩،١٦٦٤٦) وصححه الألباني والأرنؤوط على شرط مسلم.

عن جنادة بن أبي أمية، قَالَ: دخلنا عَلى عبادة بن الصامت وهو مريض فقلنا: حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به سمعته من رسول الله ﷺ، فقال:" دَعَانَا رَسُولُ الله ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ» قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ»"[1].

قَالَ الشَّيْخ تقي عُثمَانِيّ: [قوله: « **وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ** » أي لا ننازع الأمير في إمارته، وزَادَ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقِ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ عَنْ جُنَادَةَ: « **وَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ لَكَ** »[2] **أي فِي الْأَمْرِ حَقًّا**، فَلَا تَعْمَلْ بِذَلِكَ الظَّنّ، بَلْ اِسْمَعْ وَأَطِعْ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَيْك بِغَيْرِ خُرُوجٍ عَنْ الطَّاعَة وزَادَ فِي رِوَايَةِ حَيَّانَ أَبِي النَّضر عَن جُنَادَة عِنْد ابن حِبَّانَ وَأَحْمَدَ: « **وَإِنْ أَكَلُوا مَالَكَ، وَضَرَبُوا ظَهْرَكَ** »[3] كما في فتح الباري (١٣/ ٨).

قوله: « **إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحً** » بفتح الباء الواو، يُرِيدُ ظَاهِرًا بَادِيًا مِنْ قَوْلهمْ بَاحَ بِالشَّيْءِ يَبُوحُ بِهِ بَوْحًا وَبَوَاحًا: إِذَا أَذَاعَهُ وَأَظْهَرَهُ ، ووقع في بعض الروايات: « **براحا** » بالراء بدل الواو، وهو قريب من هذا المعنى، وَأَصْلُ الْبَرَاحِ الْأَرْضُ الْقَفْرَاءُ الَّتِي لَا أَنِيس فِيهَا وَلَا بِنَاءَ وَقِيلَ الْبَرَاحُ الْبَيَانُ يُقَال بَرِحَ الْخَفَاءُ إِذَا ظَهَرَ ، وَوَقَعَ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ فِي الحديث: « **كُفْرًا صُرَاحًا** » بصادٍ مضمومة ثمّ راء، هذا ملخص ما في فتح الباري (١٣/ ٨).

مسألة الخروج عَلى أئمة الجور:

وبهذا الحديث استدل جمهور العُلَماء عَلى أنه لا يجوز الخروج عَلى السُّلطَان الجائر أو الفاسق إلا أن يظهر منه كفر صريح، قَالَ الحافظ في الفتح (١٣/ ٧): " **قَالَ ابن بَطَّالٍ: فِي الْحَدِيثِ حُجَّةٌ فِي تَرْكِ الْخُرُوجِ عَلَى السُّلْطَانِ وَلَوْ جَارَ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ عَلَى وُجُوبِ طَاعَةِ السُّلْطَانِ الْمُتَغَلِّبِ وَالْجِهَادِ مَعَهُ وَأَنَّ طَاعَتَهُ خَيْرٌ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ حَقْنِ الدِّمَاءِ، وَتَسْكِينِ الدَّهْمَاءِ، وَحُجَّتُهُمْ هَذَا الْخَبَرُ وَغَيْرُهُ مِمَّا يُسَاعِدُهُ**

---

(١) متفق عليه، البخاري (٧٠٥٥، ٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

(٢) رواه أحمد (٢٢٧٣٥) وصححه الأرنوؤط على شرط الشيخين.

(٣) رواه أحمد (٢٢٧٣٦) وابن حبان: (٤٥٦٢،٤٥٦٦) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني: الصحيحة (٣٤١٨).

وَلَمْ يَسْتَثْنُوا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا وَقَعَ مِنَ السُّلْطَانِ الْكُفْرُ الصَّرِيحُ، فَلَا تَجُوزُ طَاعَتُهُ فِي ذَلِكَ بَلْ تَجِبُ مُجَاهَدَتُهُ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهَا".

وربما يفهم منه بعض النّاس أن الإِمَام الجائر لا يجوز الخروج عليه في حال من الأحوال مادام متسمِّيا باسم الإِسْلَام، وليس الأمر عَلى هذا الإطلاق، ولاسيَّما عَلى مذهب الإِمَام أبي حنيفة ﵀ تَعَالَى.

يقول الإِمَام أبو بكر الجصاص ﵀ في أحكام القرآن (١/ ٨٦) تحت قوله تَعَالَى:" ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة] وَكَانَ مَذْهَبُهُ (**يعني أبا حنيفة**) مَشْهُورًا فِي قِتَالِ الظَّلَمَةِ وَأَئِمَّةِ الْجَوْرِ ، ولذلك قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: احْتَمَلْنَا أَبَا حَنِيفَةَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى جَاءَنَا بِالسَّيْفِ يَعْنِي قِتَالَ الظَّلَمَةِ فَلَمْ نَحْتَمِلْهُ ... وَقَضِيَّتُهُ فِي أَمْرِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ مَشْهُورَةٌ وَفِي حَمْلِهِ الْمَالِ إلَيْهِ وَفُتْيَاهُ النَّاسَ سِرًّا فِي وُجُوبِ نُصْرَتِهِ وَالْقِتَالِ مَعَهُ وَكَذَلِكَ أَمْرُهُ مَعَ مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ ابْنَيْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ".

أما الّذي أشار إليه الجصاص من قضية زيد بن علي، فما ذكره أصحاب التواريخ أن زيد بن علي لما خرج عَلى بني أمية أيده الإِمَام أبو حنيفة بماله، وقد أخرج الموفق بسنده: (كانَ زيد بن علي أرسل إلى أبي حنيفة يدعوه إلى نفسه، فقال أبو حنيفة لرسوله: لو عرفت أن النّاس لا يخذلونه ويقومون معه قيام صدق، لكنت أتبعه وأجاهد معه من خالفه، لأنه إمام حق، ولكني أخاف أن يخذلوه كما خذلوا أباه، لكني أعينه بمالي فيتقوى به عَلى من خالفه، وقال لرسوله: (ابسط عذري عنده، وبعث إليه بعشرة آلاف درهم)، ثمّ قَالَ الموفق (وفي غير هذه الرواية اعتذر بمرض يعتريه في الأيّام حتَّى تخلف عنه، وفي رواية أُخرى: **سئل عن الجِهَاد معه، فقال: خروجه يضاهي خروج رسول الله ﷺ يوم بدر**، فقيل له: فلم تخلفت عنه؟ قَالَ: لأجل ودائع كانت عندي للنَّاس عرضتها عَلى ابن أبي ليلى، فما قبلها، فخفت أن أقتل مجهلا للودائع، وكان يبكي كلما ذكر مقتله) راجع مناقب الإِمَام الأعظم للموفق المكي(١/ ٢٦٠ و٢٦١).

وأما قصته مع محمّد النّفس الزكية وأخيه إبراهيم بن عبدالله، فإنهما خرجا عَلى المنصور، وذكر المكي في المناقب (٢/ ٨٤) أن أبا حنيفة كانَ يحض النّاس عَلى إبراهيم ويأمرهم بإتباعه، وذكر قبل ذلك **أنه كانَ يفضل الغزوة معه عَلى خمسين حجّة**، وذكر الكردي في مناقبه (٢/ ٢٢) أن الإِمَام أبا حنيفة منع

الحسن بن قحطبة أحد قواد المنصور من الخروج إلى إبراهيم بن عبدالله، **ويقال: إن المنصور سمَّ أبا حنيفة من أجل هٰذا، حتَّى توفى** رحمه الله.

وكذلك قصة سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه مع يزيد بن معاوية معروفة، وخرجت جماعة من المتقين عَلى الحجاج بن يوسف.

فالذي يظهر لهذا العبد الضعيف عفا الله عنه بعد مراجعة النّصوص الشَّرعيَّة وكلام الفقهاء والمحدثين في هذا البَاب – والله أعلم – أن فسق الإِمَام عَلى قسمين:

- **الأوّل ما كانَ مقتصرا عَلى نفسه، فهذا لا يبيح الخروج عليه، وعليه يحمل قول من قَالَ: إن الإِمَام الفاسق أو الجائر لا يجوز الخروج عليه.**
- **والثّاني: ما كانَ متعديا وذلك بترويج مظاهر الكفر، وإقامة شعائره، وتحكيم قوانينه، واستخفاف أحكام الدّين، والامتناع من تحكيم شرع الله مع القدرة عَلى ذلك لاستقباحه، وتفضيل شرع غيرالله عليه، فهذا ما يلحق بالكفر البواح، ويجوز حينئذ الخروج بشروطه.**

وأحسن ما رأيت في هذا الموضوع كلام نفيس لشيخ مَشَايخنا حكيم الأُمّة **أشرف علي التهانوي** رحمه الله رسالته " جزل الكلام في عزل الإِمَام " وإنها مطبوعة في المجلد الخامس من إمداد الفتاوى (ص١١٩ إلى ١٣١).

وإن خُلاصة ما ذكره رحمه الله في تلك الرّسالة أن الأمور المخلة بالإمامة عَلى سبعة أقسام:

القسم الأوّل: أن يعزل الإِمَام نفسه بلا سبب، وهذا فيه خلاف، كما في شرح المقاصد (٢/ ٢٨٢).

والقسم الثّاني: أن يطرأ عليه ما يمنعه من أداء وظائف الإمامة، كالجنون، أو العمى، أو الصمم أو البكم، أي صيرورته أسيرا لا يرجى خلاصه، وهذا ما ينحل به عقد الإمامة، فينعزل الإِمَام في هذه الصُّور جميعا.

والقسم الثّالث: **أن يطرأ عليه الكفر، سواء كانَ كفر تكذيب وجحود، أو كفر عناد ومخالفة، أو كفر استخفاف أو استقباح لأمور الدّين، وفي هذه الصُّورة ينعزل الإِمَام، وينحل عقد الإمامة، فإن أصر عَلى بقائه إماما، وجب عَلى المُسلِمِين عزله بشرط القدرة ولكن يشترط في ذلك أن يكون**

الكفر متفقا عليه، بدليل قوله ﷺ (في حديث البَاب): «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»(١) وكما يشترط قطعية الكفر، يشترط أيضا أن يكون صدوره منه قطعيًا كرؤية العين، ولا يكتفى في ذلك بالرِّوايات الظَّنِّيَّة، بدليل قوله ﷺ: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا**» المراد به رؤية العين بدليل تعديته إلى مفعول واحد، ثمّ قد تختلف الآراء في كون الصادر من السُّلطَان كفرا، أو في دلالته عَلى الكفر، أو في ثبوته بالقرائن الحالية والمقالية، أو في قطعية الكفر الصادر منه، فكل من عمل عند وقوع مثل هذا الخلاف برأيه الّذي يراه فيما بينه وبين الله يعتبر مجتهدا معذورا، فلا يجوز تفويق سهام الملامة إليه، عَلى أن وجوب الخروج في هذه الصُّورة مشروط بشرط القدرة، وبأن لاتحدث به مضرة أكبر من مضرة بقاء مثل هذا الإِمَام، يقول الشريف الجرجاني في شرح المواقف (٨/ ٣٥٣): **(إِنَّ لِلْأُمَّةِ خَلْعَ الْإِمَامِ وَعَزْلَهُ بِسَبَبٍ يُوجِبُهُ، مِثْلُ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ مَا يُوجِبُ اخْتِلَالَ أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَانْتِكَاسَ أُمُورِ الدِّينِ كَمَا كَانَ لَهُمْ نَصْبُهُ وَإِقَامَتُهُ لِانْتِظَامِهَا وَإِعْلَائِهَا، وَإِنْ أَدَّى خَلْعُهُ إِلَى فِتْنَةٍ احْتُمِلَ أَدْنَى الْمَضَرَّتَيْنِ)**(٢)، فيمكن أيضا أن يقع الخلاف في تعيين أدنى المضرَّتين، فكل يعمل بما يراه فيما بينه وبين الله، فلا يجوز لواحد أن يلوم الآخر، وعلى مثل هذه الأمور الاجتهاديَّة يحمل اختلاف الصّحابة والتَّابعين ومن بعدهم في الخروج عَلى بعض الأئمة في زمنهم.

القسم رابع: أن يرتكب السُّلطَان فسقا مقتصرا عَلى نفسه، كالزنا، وشرب الخمر وما إلى ذلك، وحكمه أنه لا ينعزل به بنفسه، ولكنه يستحق العزل، فعلى الأُمّة أن تعزله إلا أن تترتب عَلى العزل فتنة، قَالَ في الدرّ المختار، باب الإمامة (**يكره تقليد الفاسق ويعزل به إلا لفتنة**) وقال ابن عابدين تحته:" **قَوْلُهُ: وَيُعْزَلُ بِهِ، أَيْ بِالْفِسْقِ لَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ؛ وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْعَزْلَ كَمَا عَمِلْت آنِفًا، وَلِذَا لَمْ يَقُلْ يَنْعَزِلُ...، وَقَالَ ابن الهمام فِي الْمُسَايَرَةِ: وَإِذَا قُلِّدَ عَدْلًا ثُمَّ جَارَ وَفَسَقَ لَا يَنْعَزِلُ؛ وَلَكِنْ يُسْتَحَبُّ**

---

(١) متفق عليه سبق تخريجه.

(٢) الدر المختار بحاشية ابن عابدين: (٤/ ٢٦٤)

الْعَزْلُ إنْ لَمْ يَسْتَلْزِمْ فِتْنَةً"[١] وحاصله أنه لا يجوز الخروج عليه في هذه الصُّورة بما فيه سفك الدِّماء وإثارة الفتنة.....

والقسم الخامس: أن يرتكب فسقا يتعدى أثره إلى أموال غيره، بأن يظلم النّاس في أموالهم، **ولكن يتأول في ذلك بما فيه شبهة الجواز**، مثل أن يحمل النّاس الجبايات متأولاً فيها بمصالح العامّة، وحكمه أنه لا ينعزل به، وتجب إطاعته، ولا يجوز به الخروج عليه، كما سيأتي في عبارة ابن عابدين.

والقسم السَّادس: **أن يظلم النّاس أموالهم، وليس له في ذلك تأويل، ولا شبهة جواز، وحكمه أنه يجوز للمظلوم أن يدفع عنه الظُّلم، ولو بقتال ويجوز الصّبر أيضا بل يؤجر عليه، وأن هذا القِتَال ليس للخروج عليه، بل للدفاع عن المال، فلو أمسك الإمَام عن الظُّلم وجب الإمساك عن القِتَال**، قَالَ ابن عابدين ناقلا عن فتح القدير: **"وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ أَطَاقَ الدَّفْعَ أَنْ يُقَاتِلَ مَعَ الْإِمَامِ إلَّا إنْ أَبْدَوْا مَا يُجَوِّزُ لَهُمْ الْقِتَالَ كَأَنْ ظَلَمَهُمْ أَوْ ظَلَمَ غَيْرَهُمْ ظُلْمًا لَا شُبْهَةَ فِيهِ بَلْ يَجِبُ أَنْ يُعِينُوهُمْ حَتَّى يُنْصِفَهُمْ وَيَرْجِعَ عَنْ جَوْرِهِ، بِخِلَافِ مَا إذَا كَانَ الْحَالُ مُشْتَبَهًا أَنَّهُ ظُلْمٌ مِثْلُ تَحْمِيلِ بَعْضِ الْجِبَايَاتِ الَّتِي لِلْإِمَامِ أَخْذُهَا وَإِلْحَاقُ الضَّرَرِ بِهَا لِدَفْعِ ضَرَرٍ أَعَمَّ مِنْهُ"**[٢]، **وهذا حكم المظلوم الّذي يقاتل دفعا للظلم عن نفسه، أما غيره فهل يجوز له أن ينصر هذا المظلوم ضدّ الإمَام ؟ اختلفت فيه عبارات القوم، فذكر في فتح القدير أنه يجب عَلَى غير الظلوم أن يعين هذا المظلوم والمقاتل حتَّى ينصفه الإمَام ويرجع عن جوره، وذكر في جامع الفصولين والمبتغي والسراج أنه لا ينبغي للنَّاس معاونة السُّلطَان ولا معاونتهم، ووفق ابن عابدين بين القولين بأن وجوب إعانتهم إذا أمكن امتناعه عن بغيه، وإلا فلا**، راجع رد المحتار، باب البغاة (٣/ ٣٤١)[٣]، وأما كون الصّبر أولى في هذه الحالة، فما سيأتي عند المصنف من حديث **حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ** رضي الله عنهما أخبر فيه عن أئمة الجور، وفيه:" **قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ الله، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ**

---

(١) الدر المختار بحاشية ابن عادين : (١/ ٥٤٩).

(٢) الدر المختار بحاشية ابن عادين: (٤/ ٢٦٥) وفي فتح القدير لابن الهمام : (٦/ ١٠٢).

(٣) في طبعة التحقيق هو (٤/ ٢٦٠).

ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»"(١) فالمراد من قوله ﷺ: «فَاسْمَعْ وَأَطِعْ» نهيُهُ عن الخروج، وأما القِتَال لدفع الظُّلم فجوازه مبني عَلى الأحاديث الّتي تبيح عن القِتَال عن النّفس وعن المال، وبما أن هذا القِتَال يشابه الخروج صورة، فتركه أولى استبراءً للدِّين.

والقسم السَّابع: أن يرتكب فسقاً متعدِّياً إلى دين النّاس، فيكرههم عَلى المعاصي، وحكمه حكم الإكراه المبسوط في محله، ويدخل هذا الإكراه في بعض الأحوال في الكفر حقيقة أو حكما، وذلك بأن يصر عَلى تطبيق القوانين المصادمة للشريعة الإِسْلَاميّة، إما تفضيلا لها عَلى شرع الله، وذلك كفر صريح، أو توانيا، وتكاسلا عن تطبيق شريعة الله ؛ بما يغلب منه الظن أن العمل المستمر عَلى خلاف الشّريعة يحدث استخفاف لها في القلوب، فإن مثل هذا التواني والتكاسل، وإن لم يكن كفرا صريحا بحيث يكفر به مرتكبه، ولكنه في حكم الكفر، بدليل ما ذكره الفقهاء من أنه لو ترك أهل بلدة الأذان حلّ قتالهم، لأنه من أعلام الدّين، وفي تركه استخفاف ظاهر به، راجع باب الأذان من الدر المختار ورد المحتار(١/ ٣٨٤)، وحينئذ يلحق هذا القسم السَّابع بالقسم الثّالث، وهو الكفر البواح، فيجوز الخروج عَلى التفصيل الّذي سبق في حكمه.

ثمّ إن وجوب الخروج في القسم الثّالث والسَّابع مشروط بالقدرة والمنعة، وجواز الخروج فيهما مشروط بأن يرجى عقد الإمامة لرجل صالح تواجد فيه شروط الإمامة، وأما إذا صار الأمر من جائر إلى جائر، أو استلزم، مثل استيلاء الكفّار عَلى المُسلِمِين، فلا يجوز الخروج في هاتين الصُّورتين أيضا.

وما روى من خروج سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما عَلى يزيد بن معاوية، وتأييد الإِمَام أبي حنيفة زيد بن علي، ومحمّد النّفس الزكية وإبراهيم بن عبدالله في خروجهم عَلى أئمة زمنهم محمول عَلى القسم الثّالث أو السَّادس أو السَّابع، وقد ذكرنا أن الآراء يمكن أن تختلف في تعيين ما يبيح الخروج، والله ﷻ أعلم] أهـ.(٢)

---

(١) رواه مسلم (١٨٤٧).

(٢) تكملة فتح الملهم (ج٣/ ص ٣٢٦-٣٣١).

فكما أسلفنا فإننا أمام حالة كفر حكامنا بواحا من بابين عظيمين من أبواب الرِّدَّة وهما:

التَّشريع من دون الله واستبدال شرع الله بشرائع البشر والحكم بها بغير ما أنزل الله.

ولاية الكفّار من اليَهُوْد والنّصَارى وغيرهم وقتال المُسلِمِين معهم وفى سبيل مصالحهم.

هذا غير ما تلبسوا به من أشكال مكفرات الأقوال والأفعال وما أتوا به من أسباب الخروج من ملة المُسلِمِين، مما يوجب الخروج عليهم ومقاتلتهم وقتلهم إجماعا كما تقدم من الأدِلَّة.

****

من لوازم ومترتبات كفر الحاكم أصلاً أو ردّةً:

١- سقوط ولايته وبطلان إمامته.

٢- وجوب الخروج عليه بالسّلاح وخلعه.

٣- وجوب قتله لردته، قَالَ ﷺ: «من بدَّل دينَهُ فاقتلُوه»، رواهُ أحمد[1].

٤- وجوب أو جواز مقاتلة طائفته إن منعوه بالسّلاح.

٥- وجوب عدم السّمع والطاعة وجباية الأموال له.

٦- وجوب عدم معاونته، ولا العمل لديه ولا مشاركته جريمة الحكم بغير ما أنزل الله

٧- بأى منصب أو أي شكل.

٨- بطلان جميع عهوده ومواثيقه، ومعاهداته وأمانه... لأنه لا يمثل المُسلِمِين.

٩- وجوب العمل فوراً، عَلى نصب إمام مسلم بدلا عنه وطاعته بما تقدم من الحقوق والواجبات.

فمسألة ارتداد الحاكم وما يترتب عَلى ذلك من ضياع الحقوق وفساد أنظمة الحكم في الدِّماء والأموال والإعراض وما يترتب عَلى ذلك من طغيان الكافرين واستعلاء الظَّالمين وسيادة المفسدين والفاسقين، وتسلط الأَعدَاء الخارجين من الكفّار والملحدين وتعاون المُنَافِقين معهم، وما يترتب عَلى ذلك من ضياع

---

(١) البخاري (٦٩٢٢) وأصحاب السنن.

البلاد والعِبَاد، ليست مسألة فرعية ثانوية ليس للشريعة فيها أحكام وواجبات وأوامر ونواهي؟ كيف والله تَعَالَى يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]

فهي مسألة رئيسيَّة وإن أهملها أكثر النّاس اليَوْم عامتهم وخاصتهم.

كما يجب لفت النَّظر إلى حالة خطيرة متفشية بين كثير من أهل العلم وأتباعهم، وهي أنهم لو اهتدوا وفق الأدِلَّة الشَّرعيَّة إلى كفر الحاكم اليَوْم، وهو حال أصبح العميان يبصرونه بحواسهم وجوعهم وأحوالهم، فإن هَؤُلَاءِ لا ينتقلون إلى الإقرار بالمترتبات السالفة عَلى كفر الحاكم، فتراهم يقرون بكفر الحاكم، ولكنهم يعملون عنده، ويتسلمون المناصب، ويدخلون مؤسساته الكافرة، التَّشريعية والقضائية والتنفيذية، بل قد يقاتلون في صفه وتحت رايته ولو ذبح المُسلِمين وقتل الّذين يأمرون بالقسط من النّاس!

وهذا من البلاء الّذي عم وطم في أكثر بلاد المُسلِمين، ولأسباب مردها في النهاية لدى عامة المُسلِمين وخاصتهم إلى الجهل أو العجز، فهم لا يخرجون عَلى هَؤُلَاءِ الحكَّام الكفرة المناصرين لأعداء الله ولا يقاتلونهم، فهم إما جهلة بوجوب هذا القِتَال، وإما أنهم يقرون بالوجوب ويدعون العجز.

وفى التحقيق في أسباب ذلك وما يدعونه من العجز تجد أن الحقيقة عكس ذلك، وأن السبب الّذي يظهر بكل جلاء هو ما أوجزه ﷺ في كلمتين، لقد أصاب الأُمّة: (الوهن) الّذي أخبر عنه ﷺ ففي الحديث الّذي رواه أبو داوود في سننه: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١)، لقد أحب النّاس الدُّنيَا عامتهم وخاصتهم إلا من رحم الله، وكرهوا الموت فتداعت عليهم الأمم، وأعقبهم ذلك عيشا ضنكا عَلى أيدي حكامهم، عيش الموت أرحم منه كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وقال الأرنؤوط: حسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

رابعا: أحكام الشّريعة تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون من المُسلِمِين مع الكفّار وأعانهم عَلى المُسلِمِين، وتوجب قتاله:

لكل جمع ورابطة تقوم بين فئة من النّاس مقوّمات تربط بينهم من أهمّها، فكرة يعتقدونها وصفة اجتمعوا عليها ومصلحة توحد بينهم، وقيادة أو رأس اجتمعوا عليه يأتمرون بأمره، ويصدرون عن مشورته، وراية يقاتلون تحتها، وهدف مشترك يسعون لتحقيقه، فإذا ما توفرت مثل هذه المواصفات لجمع من النّاس أطلق عليهم اسم جماعة، أو اصطلح عليهم شَرعاً باسم (طائفة)، فإن كانَ لهم منعة وشوكة وقوة يدافعون بها سموا (طائفة ممتنعة ذات شوكة)، فإن اجتمعت هذه الطَّائِفَة عَلى الإِسْلَام والإيمان سميت (طائفة إيمان وإسلام)، وإن التقوا عَلى ناقض من نواقض الإِسْلَام، سموا (طائفة ردة) كما كانَ حال المرتدّين أيّام أبي بكر رضي الله عنه، وإن كانوا كفاراً أصلا سموا (طائفة كفر)، وإن خرجوا عَلى إمام شَرعِيّ مع تمسكهم بالإِسْلَام، وبغوا عليه سموا (طائفة باغية)، وإن خرجوا للسلب والنهب والقتل سموا (طائفة فساد) وهكذا.

ومن البديهي أن هذه الطَّائِفَة تسمَّى بصفة الغالب عليها، مع وجود من لا تنطبق عليه صفاتها معهم، كانَ يكون أحدهم جاهلا بهم، أو مكرها عَلى الوجود معهم، أو جمعته إليهم مصلحة ذاتية أو عصبية قرابة أو غير ذلك، فلا شَّكَّ أنه يوجد منافقون في طائفة الإِسْلَام ليسوا منهم، وقد حصل هذا في غالب تاريخ المُسلِمِين ولم يسلم منه حتَّى جيش رسول الله ﷺ، وكذلك قد يوجد في صف المُسلِمِين، المنتفعون والمنتسبون للإسلام لأجل الدُّنيَا، وكذلك قد يوجد في طائفة الكفر مسلم أكره عَلى الوجود معهم، أو جاهل بحالهم تلبس أمره عليهم، وينطبق هذا الاستثناء في وجود من ليس من الطَّائِفَة فيها عَلى طوائف البغاة والمفسدين والمرتدّين والكافرين، ووجود هَؤُلَاءِ الشواذ عن الطَّائِفَة لا يكون له حكم الغالب، أو حكم الرّاية أو الرابطة الّتي اجتمعت عليها، ولا يتغير اسمها ولا حكمها الشَّرعيّ بسبب هَؤُلَاءِ الشواذ، وفي حكم الشّريعة، فلكل طائفة من هذه الطوائف حكمها الشَّرعيّ، فالواجب تجاه طوائف أهل الإيمان الوَلَاء والنّصرة، وتجاه طوائف الرِّدَّة والكفر البَرَاءة والمعاداة، وتجاه أهل الشر والفساد الدَّفع والقتال ضدهم إن صالوا عَلى دين أو عرض أو مال أو نفس لأهل الإِسْلَام، وهكذا.

فإذا ما اتضح لنا مفهوم الطَّائِفَة، وحكمها الغالب عَلى من فيها من الشواذ عنها، انتقلنا إلى الحديث عن مشكلة أعوان الكافرين والمرتدّين من المنتسبين للإسلام، والّذين يقاتلون المُسلِمِين مع طوائف الكفر أو الرِّدَّة أو سوى ذلك، خاصّة أولئك العاملين في مجال السّلطة والدّفاع عنها، يقاتلون المُسلِمِين بأوامر الحكَّام المرتدّين، مثل العاملين في أجهزتهم العسكريّة والأمنيّة كالجيش والدرك والشّرطة وأجهزة الأمن وما يتبعها من القوَّات المُسلّحة وشبه المُسلّحة وما يخدمها من أجهزة تابعة.

فما الحكم الشَّرعيّ الواجب اعتقاده في هَؤُلَاءِ المنتسبين أصلا لملة الإِسْلَام؟ ويدينون بدينهم ويتسمون بأسمائهم وقد يُؤَدِّي بعضهم بعض شعائر الإِسْلَام، ثمّ يأتي المُسلِمِين فيقاتلهم ويطاردهم ويحاربهم، تنفيذا لأوامر أسياده من الحكَّام المرتدّين، ولا يمنعه إسلامه أن يقاتل حتَّى إلى جانب الكفّار الأصليين بأوامر أولئك الحكَّام الّذين أعلنوا موالاتهم ونصرتهم للكفار، والدّفاع عن مصالحهم وقبول أوامرهم؟

فنقول والله المُستَعان وهو يهدي السبيل:

إن هذا الجندي أو رجل الأمن أو الشّرطة، المدافع عن الطَّاغوت، العامل عنده، المحارب للمسلمين معه ومع أوليائه الكفّار، له إحدى حالات:

أولاً: أن يكون هذا التَّابع موافقا لسيده الحاكم الكافر، فيما ذهب إليه من عداء الإِسْلَام وموالاة الكافرين والعدوان عَلى شريعة الله، عارفا بأحوال رئيسه متفقا معه مقتنعا بما هو عليه من حرب الإِسْلَام والمُسلِمين.

ثانياً: أن يكون هذا التَّابع يعمل ويقاتل مع سيده وهو غير موافق لسيده في محاربة الإِسْلَام والمُسلِمين، وهذا له إحدى ثلاث حالات:

أن يكون جاهلا بالأمر كله لا يدرك ما يقوم به ولا يفهم أنه حرب للدين وللمسلمين، جاهلا بردة سيده وكفره ونفاقه للكافرين، فهو (**جاهل**).

أن يكون مكرها عَلى تنفيذ أوامر سيده، بتهديده بالعقاب أو السّجن أو القتل، إن هو لم ينفذ الأوامر، تهديدا فعليا لا يستطيع الفكاك أو الهرب منه، فهو (**مكره**).

أن يكون عارفا بأحوال سيده، وليس جاهلا ولا مجبرا مكرها، وإنما اتخذ موقعه معهم لمصلحة دنيوية من الكسب والوظيفة، أو لعصبية قرابة عائلية أو حزبية أو مذهبية، أو أي سبب دنيوي فهو **(مرتزق أو متعصب)**.

أما من النَّاحية العمليّة: فإن هَؤُلَاءِ الأصناف الأربعة:

١- العارف القاصد.

٢- المكره.

٣- الجاهل.

٤- المرتزق بالبَاطِل.

لا يختلفون عمليا فيما يقومون به من محاربة الله ورسوله والمُؤمِنِين وقتل وسجن ومطاردة وأذى الّذين يأمرون بالقسط من النّاس... فهم يَقتُلُون ويقتَلون بأوامر أسيادهم وأمرائهم ورؤسائهم، ويحاربون شعوبهم أو غيرها.

وخلاصة الحكم الشَّرعيّ في هَؤُلَاءِ نوجزه في نقاط مختصرة لا تخرج عن إيجاز هذا الكتاب، وينقسم الحكم الشَّرعيّ إلى مسألتين وهما:

الأوّل: هل ما زال هَؤُلَاءِ عَلَى حكم الإِسْلَام؟ أم أنهم كفروا وخرجوا من ملة الإِسْلَام؟

والثّاني: هل يجوز قتالهم وقتلهم أم لا يجوز؟

فأما المسألة الأولى: وهو المقتنع بما عليه أسياده من محاربة الإِسْلَام والمُسلِمين وولائهم للكافرين، فهو مثلهم في الحكم الشَّرعيّ، منافق مرتد كافر، أصالة وقناعة بالكفر وليس تبعا لأسياده، ولنفس الأدِلَّة السالفة الذكر في حقهم، أما النوع الثّاني: وهم الّذين لا يوافقون أسيادهم، ولكن يقاتلون معهم، وهم الجاهل، والمكره والمقاتل للدنيا ومكاسبها وروابطها، فهَؤُلَاءِ يرتكبون بفعلهم هٰذا، عملا من أعمال الكفر، وهو قتال المُسلِمِين مع الكافرين، فهم بهذا ينتمون إلى طائفة الرِّدَّة، إن قاتلوا بقيادة مرتد، وإلى طائفة الكفر، إن قاتلوا تحت راية كافر أصلي، وهذا ثابت لقوله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ



كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [النساء] وهذه الآيات تثبت أن المؤمن يقاتل في سبيل الله، والقتال في سبيل الله علامة انتماء لطائفة الإيمان، وأن الكافر يقاتل في سبيل الطَّاغوت وأن القِتَال في سبيل الطَّاغوت علامة انتماء لطائفة الطَّاغوت، وأن فاعل هذا ولي للشيطان أمر الله بقتاله وبشر بالنّصر عليه، والآية صريحة واضحة.

وفي آية أُخرى أخبر سبحانه عن فرعون وطائفته، وما هم عليه من الكفر وحرب الْمُؤمِنِين، فقال: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ [القصص] فجمع لفرعون ووزيره ومعاونه ونائبه هامان وجنوده نفس الصفة ﴿ خَـٰطِـِٔينَ ﴾ ومعلوم أن خطيئة فرعون هيَ الكفر بالله وحرب الْمُؤمِنِين، فهو- أي فرعون- جعل نفسه ربا يشرع ويعبد واستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين، فشملتم الصفة:

وأما الحكم التفصيلي لِهَؤُلَاءِ الجنود الّذين يقاتلون اليَوْم: (الجاهل، المكره، المقاتل للدنيا عن علم) فهو ما يلي والله تَعَالَى أعلم:

الجاهل جهلا حقيقيا يمنعه من إدراك ما هو عليه من الحال، وما عليه حال رؤسائه [هذا عَلَى افتراض وجود مثل هذا الجهل]، وكذلك المكره إكراها حقيقيا فعليا، مهددا بالقتل والأذى، لا يستطيع فرارا من عمله، ولا هِجرَة من مكان إجباره، فهَؤُلَاءِ قد نص علماء أهل السّنّة والجماعة، عَلَى أن جهلهم وإكراههم (إن كانَ حقيقيا) يعتبر لهم عذرا شرعيا وفيبقى لهم حكم الإِسْلَام عَلَى ظاهره مع بقاء حكمهم العام، (أنهم من طائفة الكفر) لأَنّهم معهم، ولا يعنى هذا كفرا عينيا لكل واحد من طائفة الكفر.

وأما المقاتل للدنيا للكسب والوظيفة أو الارتزاق، أو لعصبية للقوم أو الوطن أو الحزب أو القبيلة أوأي رابطة عصبية، وهو يعرف أنه يقاتل الْمُسلِمِين، مع حاكم كافر ظالم يوالي الكفّار ويعاونهم، فهذا الجندي ليس جاهلا بالأمر ولا مكرها بالتهديد، بل هو مختار يستطيع ترك عمله، أو الفرار منه، أو عدم الدخول فيه أصلا لو أراد، وقد دخله للأسباب الدنيوية، فهذا منافق اشترى الدُّنيَا بالآخرة، وقاتل الْمُسلِمِين من أجل الدُّنيَا، فهو كافر يقاتل تحت راية الكافرين، لا عذر له من جهل أو إكراه، وأما قصد الدُّنيَا

والمكاسب فليس من الأعذار الشَّرعيَّة في فعل الكفر، فهذه الأعذار معروفة عند أهل السّنّة والجماعة وهي (الجهل، والإكراه، والتأويل، وعدم القصد للفعل)، وهذه سيأتي شرحها إن شاء الله، ففي أمثال هَؤُلَاءِ الّذين اشتروا الدُّنيَا بالآخرة يقول تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [البقرة]، وقد روى الإِمَام مسلم ﵀ من حديث أبي هريرة ﵁ عن النبيّ ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»[1].

هذا من حيث حكمهم الشَّرعيّ النَّظري، هل يحكم لهم بالكفر أم بالإِسْلَام.

وأما المسألة الثّانية: وهي حكم قتال هَؤُلَاءِ المنتسبين للإسلام المقاتلين للمسلمين مع الكافرين، فهو إيجازا كما يلي والله تَعَالَى أعلم:

كلّ من قاتل المُسلِمِين مع الكافرين فقتاله واجب عَلى المُسلِمِين، ولا يجب عَلى المسلم، ولم يكلفه الله ما لا يستطيع، من تمييز الجاهل من القاصد، ولا المكره من العامد.

بل قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٩٠] وقد استدل العُلَماء بحديث عائشة ﵂ الّذي جاء فيه أن رسول الله ﷺ أخبر عن جيش يغزو الكعبة، حتَّى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم، فقالت عائشة: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم عبيدهم وأسواقهم ومن ليس منهم، فأخبرها رسول الله ﷺ بأنه يخسف بأولهم وآخرهم ويحشرون يوم

(١) رواه مسلم: (١٨٤٨).

القيامة عَلى نياتهم[١]، وفي رواية أم سلمة رضي الله عنها كما جاء في صحيح مسلم قَالَ رسول الله ﷺ: «**يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ**» **فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهًا؟ قَالَ:** «**يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ**»[٢]، فاستدل العُلَماء بهذا الحديث عَلى قتل الجاهل والمكره وغير القاصد، ممن قصد المُسلِمين بالحَرب مع الكافرين، ويبعثه الله عَلى نيته معذورا إن كانَ له عذر.

فقال العُلَماء: إذا كانَ الله–وهو القادر لو شاء عَلى تمييز المكره والجاهل – لم يميزه من الخسف، فكيف لعبيد الله أن يميزوه من الكافرين وهو يقاتل معهم؟!

فهذا الخسف به أو قتله معهم، هو من العقوبة القدرية عَلى وجود المسلم في سواد الكافرين أو الظُّلمة، فيأخذه العقاب معهم، ولا يظلمه الله فيبعث عَلى نيته، إن كانت صالحة نفعته في الآخرة.

وعلى كلّ حال، فالهاجم عَلى المُسلِمين يريد بهم الأذى، هو في أحسن أحواله (مسلم صائل) وقد تكلم العُلَماء في حكمه الّذي سنشير إليه في آخر هذه الفقرة.

فالخلاصة:

نحن لنا الظَّاهِر والله يتولى السرائر، فظاهره مقاتل مع الكافرين، فيجب قتاله أو يجوز، وسريرته إلى الله، إن كانت صالحة نفعته يوم القيامة، فقد روى البُخَارِيّ رحمه الله تَعَالَى في كتاب الشهادات من صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قَالَ: «**إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا، أَمِنَّاهُ، وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ**»[٣].

---

(١) رواه البخاري (٢١١٨) ومسلم (٢٨٨٤).

(٢) رواه مسلم : (٢٨٨٢).

(٣) رواه البخاري: (٢٦٤١).

فالحكم العام له أنه من (طائفة الكفر) إن كانَ مع الكفّار، وأنه من (طائفة الرِّدَّة) إن كانَ مع المرتدّين، وأنه من (طائفة البغاة) إن كانَ معهم وهكذا، وسيأتي التفصيل عن أعذار المكرهين والجاهلين في الفقرة التّالية إن شاء الله.

ولمزيد من الوضوح نقول والله المُستَعان:

إن هَؤُلَاءِ الّذين يزعمون أنهم مُسلِمِين، ويتسمون بأسمائهم ويلبسون لباسهم، وربما صلوا أو صاموا، من الّذين يعملون في جُيُوش حُكَّام المُسلِمِين أو شرطتهم أو استخباراتهم، ثمّ ينفذون أي أمر صدر إليهم من رؤسائهم، حلالا كانَ أم حراما، ويطيعونهم عن قناعة أو جهل أو إكراه، وقد رباهم أسيادهم عَلى ذلك وأخذوا عليهم العهود والمواثيق، فإنهم كما هو معلوم، يدافعون عن حُكَّام كفرة ظلمة فسقة، ويقاتلون إلى جانب جُيُوش الكافرين، كما هو حاصل اليَوْم من جُيُوش تركيا وباكستان وبعض البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة، ويعملون إلى جانب أجهزة أمن واستخبارات اليَهُوْد والنّصَارى من الأمريكان والأوروبيين وغيرهم من الكفّار، ويحرسون قواعدهم العسكريّة، ومراكزهم الدبلوماسية، والتجاريَّة، بل ومراكز تنصير المُسلِمِين، ومراكز نشر الدعارة والفساد والمجون، ولا يبالون في سبيل تنفيذ أوامر أسيادهم، هل قتلوا مسلما، أو روعوا مؤمنا، أو شردوا امرأة مسلمة، أو يتموا طفلا، أو انتهكوا حرمات بيوت وأعراض المستضعفين.

بل تراهم مستعدين لأن يحارب بعضهم بعضا، وأن يضرب بعضهم رقاب بعض، في الانقلابات الداخليَّة، أو في الحُرُوب الأهلية الناشبة بين حكامهم الطواغيت في البلدان المتجاورة! حيث كثيرا ما تتحارب دول إسلاميّة أو عربيَّة مع بعضها، فترى هَؤُلَاءِ الجنود (المُسلِمِين!) يخلصون في سفك دماء بعضهم، وفى أسر وإفناء بعضهم! وهم يدّعون الإِسْلَام! وعموم قتالهم هو عَلى سلطان ملوكهم، أو عَلى الصِّرَاع عَلى الأراضي واختلاف السياسات، لتكون العزة لفلان أو فلان، وليس لاستعلاء حق، أو اندحار بَاطِل، لأَنّهم تربوا عَلى طاعة الملوك والرؤساء والوَلَاء للوطن أو القوم أو الحزب.

فالحقيقة الشَّرعيَّة الناصعة – والله تَعَالَى أعلم – أن هَؤُلَاءِ المقاتلين إجمالا لهم حكم راياتهم وطائفتهم، كما أسلفنا، فمن قاتلنا تحت راية حاكم مرتد، نقاتلهم بصفتهم طائفة ردة، ومن قاتلنا تحت راية الأمريكان والكفار نقاتلهم بصفتهم طائفة كفر.

وعلى هذا فلا يجوز أن يصلى عَلى قتلاهم، ولا يدفنون مع المُسلِمِين، مع التنبيه المهم جداً عَلى أنّنا لا نحكم بالكفر العيني عَلى كلّ فرد منهم، كما تقدم إلا إذا علمت منه بينة بأنه ليس جاهلا ولا مكرها وإنما عامد قاصد، ومن علم منه أنه موافق لأسياده المرتدّين، موال لأسيادهم الكفّار من أمريكان وغيرهم فهذا نحكم بكفره وردته حيا وميتا، ويأخذ أحكام ذلك، فزواجه من مسلمة بَاطِل، ولا يرث مسلما ولا يورثه، إلى آخر أحكام المرتدّين.

يقول الشَّيْخ أحمد شاكر محدث الدِّيَار المصريَّة، المتوفى سنة ١٩٥٨م، في فتواه الشهيرة بقتال الإنجليز والفرنسيين ومن شابههم ممن اعتدى عَلى بلاد المُسلِمِين، وحكم من أعانهم من المُسلِمِين والَّتي نشرها في مجلة الهدي النبوي:

[أما التّعاون مع الإنجليز، بأي نوع من أنواع التّعاون، قل أو كثر، فهو الرِّدَّة الجامحة، والكفر الصراح، لا يقبل فيه اعتذار، ولا ينفع معه تأول، ولا ينجي من حكمه عصبية حمقاء، ولا سياسة خرقاء، ولا مجاملة هيَ النِّفَاق، سواء أكان ذلك من أفراد، أو حُكُومَات أو زعماء، كلهم في الكفر والردة سواء، إلا من جهل أو أخطأ ثمّ استدرك أمره وتاب، وأخذ سبيل المُؤمِنِين، فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم، إن أخلصوا من قلوبهم لله لا للسياسة ولا للنَّاس (...) ألا فليعلم كلّ مسلم، في أي بقعة من بقاع الأرض إذا تعاون مع أعداء الإِسْلَام، مستعبدي المُسلِمِين، من الإنجليز والفرنسيين وأحلافهم وأشباههم، بأي نوع من أنواع التّعاون، أو سالمهم فلم يحاربهم بما استطاع، فضلا عن أن ينصرهم بالقول أو العمل عَلى إخوانهم في الدّين إن فعل شيئا من ذلك ثمّ صلى فصلاته بَاطِلة، أو تطهر بوضوء أو غسل أو تيمم فطهوره بَاطِل، أو صام فرضا أو نفلا فصومه بَاطِل، أو حج فحجه بَاطِل، أو أدى الزّكاة المفروضة، أو أخرج صدقة تطوعا، فزكاته بَاطِلة مردودة عليه، أو تعبد لربه بأي عبادة فعبادته بَاطِلة مردودة عليه، ليس له في شيء من ذلك أجر، بل عليه الإثم والوزر، ألا فليعلم كلّ مسلم أنه إذا ركب هذا المركب الدنيء فقد حبط

عمله، من كلّ عبادة تعبد بها لربه قبل أن يرتكس، في حمأة هذه الرِّدَّة رضي لنفسه، ومعاذ الله أن يرضى بها مسلم حقيق بهذا الوصف العظيم، ذلك بأن الإيمان شرط في صحة كلّ عبادة، وفى قبولها كما هو بديهي، معلوم من الدّين بالضّرورة، لا يخالف فيه أحد من المُسلِمِين، وذلك بأن الله سبحانه يقول: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة] وهو في الآخرة من الخاسرين (...) ألا فليعلم كلّ مسلم كلّ مسلمة، أن هَؤُلَاءِ الّذين يخرجون عَلى دينهم ويناصرون أعداءهم، من تزوج منهم فزواجه بَاطِل بطلانا أصليا، لا يلحقه تصحيح، ولا يترتب عليه أي أثر من آثار النكاح، من ثبوت نسب وميراث وغير ذلك، وأن من كانَ منهم متزوجا بطل زواجه كذلك، وأن من تاب منهم ورجع إلى ربه وإلى دينه، وحارب عدوه ونصر أمته، لم تكن المرأة الّتي تزوج بها حال الرِّدَّة، ولم تكن المرأة الّتي ارتد وهي في عقد نكاحه زوجا له، ولا هيَ في عصمته، وأنه يجب عليه بعد التوبة أن يستأنف زواجه بها، فيعقد عليها عقدا صحيحا شرعيا كما هو بديهي واضح، ألا فليحتط النِّسَاء المسلمات اللاتي ابتلاهن الله بأزواج ارتكسوا في حمأة هذه الرِّدَّة أن قد بطل نكاحهن، وصرن محرمات عَلى هَؤُلَاءِ الرّجال، ليسوا لهن بأزواج حتَّى يتوبوا توبة صحيحة عمليَّة، ثمّ يتزوجوهن زواجا صحيحا، ألا فليعلم النِّسَاء المسلمات أن من رضيت منهن بالزواج من رجل هذا حاله وهي تعلم حاله، أو رضيت بالبقاء مع زوج تعرف فيه الرِّدَّة فإن حكمها وحكمه في الرِّدَّة سواء، ومعاذ الله أن ترضى النِّسَاء المسلمات لأنفسهن ولأعراضهن، ولأنساب أولادهن شيئا من هٰذا، ألا إن الأمر جد (...) فلينظر كلّ امرئ لنفسه، وليكن سياجا لدينه من عبث العابثين وخيانة الخَائِنين] انتهى الشاهد من كلام الإِمَام المحدث ﷺ، نقلاً عن كتابه (كلمة الحقّ – أحمد شاكر)[1].

فهذه الأحكام الشَّرعيَّة، ذات الصلة بالعَقِيْدَة وأصول الدّين، من قواعد الحاكِمِيَّة لله، والوَلَاء والبَرَاء في ذات الله، ليست مسائل فرعية، وإن الأمانة كما كررنا متعلقة في أعناق علماء كلّ بلد أن يبينوها للنَّاس ولا يكتمونها، رغبة في ما عند السّلاطين أو رهبة مما لديهم، ذلك أنها مسألة إيمان وكفر قد تطال مئات الآلاف من البشر الّذين يقاتلون في سبيل الطَّاغوت ويحسبون أنهم مُسلِمِين.

---

(١) (كلمة حق: ص ٧٧ وما بعدها)

ويجب الإجابة عَلى أسئلة هامة وبصدق وصراحة ورجولة خاصّة من قبل كلّ عالم وقائد وداعية مسلم:

هل نريد أن ننهض بأمتنا؟ هل نريد أن نتحرر من مُستَعمرينا؟ هل نريد أن نرقى باقتصادنا ونستثمر ثرواتنا ونسترد حقوقنا؟ هل نريد أن ندافع عن أنفسنا ضدّ مختلف أنواع الكافرين؟

وقبل ذلك هل نريد أن نحكم بشريعة الله؟ ونتخلص من شرائع النّصَارى وقوانين الكفّار الّتي تحكمنا؟

فإذا كانَ جواب أحدهم عَلى هذه الأسئلة بالنفي! فهو ليس معني بما يهم المُسلِمِين من مسائل هذا الكتاب، بل لا يكون مدرجا عَلى قائمة المُسلِمِين.

وأما إذا كانَ الجواب كما هو مفترض من كلّ مسلم بنعم، فإن المسائل السَّابقة وعلى رأسها مسألة كفر وردة الحكَّام الموالين للكفار، ومسألة قتالهم مع أوليائهم، وبالتالي قتال جنودهم تأتى عَلى رأس تلك المسائل وفى مقدمتها، ولا شَّكَّ شَرعاً وعقلا ومنطقا في ذلك.

وإن من نافلة القول، ومن المعلوم من العقل والبصر بالضَّرورة، أن نعلم أن الأمريكان اليَوْم لا يحاربوننا مباشرة، ولا يواجهوننا عَلى الأرض بجنودهم إلا قليلا! وهم يدفعون بالآلاف من المنتسبين للإسلام من هَؤُلَاءِ الضلال والجهال والمكرهين والمرتزقة والمُنَافِقِين، يقاتلون من بين أيديهم ومن خلفهم، عن أيمانهم وعن شمائلهم، بأمر من أسيادهم المرتدّين، كما حصل معنا في أفغانستان، ويحصل اليَوْم معنا أيضا في باكستان، وكما حصل في حرب الكويت، حيث دخلت الجُيُوش العربيَّة والإِسْلَاميّة تفتح الطّريق للأمريكان، وكما تفعل أمريكا اليَوْم في العراق بالجيش والعملاء العراقيين، وبخدمات جُيُوش دول الخليج العربيّ، والأردن وباكستان وسواها.

وأما عَلى صعيد مطاردة الأمريكان، للعلماء والشَّبَاب المسلم، فيعرف كلّ عالم، وداعية إلى الله، وكل شاب مُجَاهد، أن الّذي يضرب عليه البَاب ليلا ويجره بثياب النوم إلى السّجن، ويكشف سوأة بيته وأهله، ليس أمريكيا وإنما من بني جلدته! فهل الجلاد الّذي يستقبله بالضرب والركل والشتم في السّجن؟ وهل القاضي الّذي يحكم عليه بغير ما أنزل الله، بالإعدام أو السّجن؟ وهل الّذين ينفذون هذه الأحكام؟ هل

كلّ من سبق من هَؤُلَاءِ هم من اليَهُوْد والأمريكان؟ أم من الّذين يزعمون أنهم مُسلِمِين؟! إنهم من المرتدّين والضلال من بني قومنا، فهل سنقاتلهم، أم سنسلم إليهم ديننا وأعراضنا، ونبيح لهم أموالنا ودمائنا؟ وبالتالي يضرب اليَهُوْد والأمريكان والصّليبيّون جُذُورهم في بلادنا ويفعلون بنا ما يشاؤون.

يجب أن نقاتلهم دفاعًا عن دين الله والمستضعفين، وأمر الله واضح:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة]

﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النساء]

ونلفت النَّظر إلى أنّنا هنا بصدد معرفة الحكم الشَّرعيّ لقتال هَؤُلَاءِ، ولسنا بصدد قضايا الرَّأي والحَرب والمكيدة، من قتالهم هجومًا أم دفاعًا، وتقديم ذلك أو تأخيره عن قتال الأمريكان والكفّار فذلك متروكٌ لقادة الجِهَادِ وأمراءِ الحَربِ من المُسلِمِين، بحسبِ مقتضياتِ الضَّرورة والمَصلحة.

****

هل يعذر الجندي المقاتل للمسلمين مع الكافرين بالجهل؟ :

أما العذر بالجهل، فهو كما قلنا أن يُقدِم المسلمُ عَلى فعلِ الكفر، جاهلًا بأنَّه فعل محرّمٌ يترتَّب عليه الكفر، أي في حالة مثالنا أن يقدم هذا الجندي المسلم عَلى قتال المُسلِمِين، معتقدا أن رئيسه ولي أمر مسلم، وأنه يقاتل ناسًا غير مُسلِمِين، أو مُسلِمِين مستحقين للقتال (بغاة، مفسدين)، بحيث يكون جهله هذا حقيقيًّا، وكأن يجهل أنه يقاتل مع الكفّار، أو يظن أنَّهم كفَّار جاؤوا لمساعدة رئيسه المسلم ضدّ من يجوز قتالهم شرعًا.

فإن توفَّر مثل هذا الجهل المفترض لهذا الجندي، فقاتل المُسلِمِين مع الكافرين وهو لا يدري حال رئيسه ومن معه ولا حال المُسلِمِين المظلومين الّذين يقاتلهم، فهذا قد يعذر بجهله عند الله، لا نحكم بكفره عينا، لو ثبت لدينا له مثل هذا الجهل.

فهل يتوفَّر مثل هذا الجهل اليَوْمَ، لهَؤُلَاءِ الجنود والضُّبَّاط والشّرطة والإستخبارات المقاتلين للمسلمين والمُجَاهدين، بأوامر هَؤُلَاءِ المرتدّين إلى جانب وبقيادة جُيُوش اليَهُوْد والنّصَارى؟! هل يعقل هذا مع انتشار وسائل الإعلام المختلفة، من الإذاعات، والتلفزيونات، والدُّشوش، والصّحف والمجلات؟! بالإضافة إلى قيام المُسلِمِين بالمظاهرات في الشَّوارع، والخطباء في المساجد، وحديث النّاس في كلّ مكان عن هذه القضايا! حتَّى يمكن القول اليَوْم بأنَّ طبيعة المَعْرَكة بين المُسلِمِين والكافرين، وفساد الحكَّام وكفرهم وفجورهم، وسفور نسائِهم وفضائح أبنائهم وأقربائهم، وحكمهم بغير شريعة الإِسْلَام وولائهم للكفَّار، ومحاربتهم للمساجد والعُلَماء والشَّبَاب المُسلِمِين المُجَاهدين...الخ، قد صارت معلومةً لكلِّ أحد، في كلّ بلاد المُسلِمِين ومنها باكستان، فإن كانَ في هَؤُلَاءِ الجنود من بلغت بِهِ البَلاهَةُ أن يجهل هذه الأمور!! فهو معذور بجهله والله تَعَالَى أعلم، نقاتله وجوبًا أو جوازًا، وقد ينفعه عذره عند الله، ويُبعثُ عَلى نيَّته.

هل يعذر الجنديّ المقاتل للمسلمين مع الكافرين بالإكراه ؟:

سنتوقف مع هذا العذر، بشيءٍ من التَّفصيل- رغم رغبتنا بالإيجاز- لأنَّه الأهمُّ، ولأنَّه العذر الشائع، فمعظم هَؤُلَاءِ الجنود والضُّبَّاط العاملين في الجيش والشُّرطة وقوى الأمن، يعترفون بإدراكهم للواقع، ولكن يعتذرون أو يعتذر من يدفع عنهم صفة الرِّدَّة والكفر، بأنّهم مُكرَهُون ومُجبَرون عَلى قتال المُسلِمِين بأوامر أسيادهم المرتدّين أو الظَّالمين، إلى جانب وبقيادة الكافرين، كما حصل في بعض الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة، حيث ساقت أمريكا عبيدَها الحكَّام لقتال المُسلِمِين، فساقوا عبيدَهم الجنود لذلك.

فهل يمكن قبول عذر هَؤُلَاءِ بالإكراه ؟! فلنَرَ ذلك:

الإكراه شرعًا:

هو الإجبار، والمُكرَه هو المَجبُور عَلى فعل أو قول شيءٍ لايُريده، ولا يفعله في حال زوال الإكراه عنه، يقول الإِمَام ابن حجر في كتابه الجليل، فتح الباري في شرح صحيح البُخَارِيّ، في باب الإكراه : [الإكراه: **هُوَ إِلْزَامُ الْغَيْرِ بِمَا لَا يُرِيدُهُ وَشُرُوطُ الْإِكْرَاهِ أَرْبَعَةٌ:**

الأوّل: أَنْ يَكُونَ فَاعِلُهُ قَادِرًا عَلَى إِيقَاعِ مَا يُهَدِّدُ بِهِ وَالْمَأْمُورُ عَاجِزًا عَنِ الدَّفْعِ وَلَوْ بِالْفِرَارِ.

الثَّاني: أَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ إِذَا امْتَنَعَ أَوْقَعَ بِهِ ذَلِك.

الثَّالث: أَن يكون ماهدده بِهِ فَوْرِيًّا، فَلَوْ قَالَ: إِنْ لَمْ تَفْعَلْ كَذَا ضَرَبْتُكَ غَدًا لَا يُعَدُّ مُكْرَهًا وَيُسْتَثْنَى مَا إِذَا ذَكَرَ زَمَنًا قَرِيبًا جِدًّا أَوْ جرت الْعَادة بِأَنَّهُ لايخلف.

الرَّابع: أَنْ لَا يَظْهَرَ مِنَ الْمَأْمُورِ مَا يَدُلُّ عَلَى اخْتِيَارِهِ كَمَنْ أُكْرِهَ عَلَى الزِّنَا فَأَوْلَجَ وَأَمْكَنَهُ أَنْ يَنْزِعَ وَيَقُولُ أَنْزَلْتُ فَيَتَمَادَى حَتَّى يُنْزِلَ]أهـ[1].

فالمستخلص من كلامه ﵀، أن المُكرَه هو: من أُجبِرَ عَلى فعلِ مالا يريد، بحيث:

أولاً: أنَّه لا يريد هذا الفعل باختياره وإنّما بالإجبار الحقيقيّ.

ثانياً: أنَّه لا يستطيع عدم الاستجابة، عاجزاً عن دفع الإكراه.

ثالثاً: أنَّه لا يستطيع التّخلّص ممَّن أكرهه بفرار أو بهِجرَة أو نحوها.

رابعاً: أنَّه يتيقن وقوع التَّهديد قريباً وبالتَّأكيد.

خامساً: أن لا يتمادى بالفعلِ إن زالَ عنه الإكراهُ، لمصلحةٍ أو شهوةٍ.

فهل تنطبقُ هذه الشُّروط عَلى هذا الّذي يزعم أنَّه مسلمٌ، ثمّ يقصد قتال المُسلِمِين، فيسفك دماءهم، ويهتك أعراضهم، وينهب أموالهم، بأوامر المرتدّين وصحبة الأمريكان والكافرين؟! يجب أن يُسأل هذا الجنديُّ أو الشّرطيُّ أو رجل الأمن، بضع أسئلة، ليعلم هل هو مُكره أم غير مُكرَه، أسئلة تحدّد إجاباتُها، تبرئتَه إن كانَ معذورًا في فعلته المكفِّرة هذه أو الحكم عليه بعدم العذر.

هل دخل هذا الجنديّ الجيش أو الشّرطة أو الاستخبارات، باختياره أم مجبرًا؟ وهذا يختلف من دولة إلى أُخرى فهناك دول تجنِّدُ الشَّبَاب إجباريّاً في هذه القوَّات، وهناك دول يكون دخول هذه القوَّات اختياراً، بل يحتاج إلى الواسطة والرَّشوة! لما فيها من المكاسب وفرص الرَّشوة والنَّهب والغصب لأموال النّاس.

---

(١) فتح الباري لابن حجر: (١٢/ ٣١١).

هل يستطيع هذا الجنديّ الاستقالة والانسحاب من عمله هٰذا، بعد أن رأى ما يُكرَه عليه، أم لا يستطيع؟

هل يستطيع الفرار من عمله إذا لم تمكّنه الاستقالة، بالاختفاء في بلده، أو الهِجرَة عنها إن لزم الأمر أم لا يستطيع ؟

هل هو مهدّد فعلاً، إن لم يُنفِّذ الأوامر، ومتيقِّن بوقوع العقاب به أم لا ؟

هل يتمادى بالقتل والنَّهب وهتك الأعراض! تحقيقاً لرغباته ومصالحه أم للإكراه.

أمور أُخرى يجب بيانها في قضية الإكراه:

أولاً: عندما قام مدعي الإكراه بهذا العمل مختارا متطوعا- أي دخل الجيش والشّرطة باختياره- وليس عبر التَّجنيد الإجباري-هل كانَ يعلم أن عمله يقتضي إكراهه عَلى فعل ما حرم الله أم لا؟ فإذا كانَ يعلم أنه سيكره عَلى تنفيذ الأوامر! حلالها وحرامها بحكم نظام الجيش والشّرطة والأمن، ثمّ أكره من بعد، لم يكن إكراهه عذرا له، لأنها قدم مختارا عَلى ما يعلم أنه سيكره فيه عَلى الكفر أو الظُّلم أو ما حرم الله، وذلك من اشتهار حال هذه المؤسسات وأعمالها! وقد ضرب العُلَماء مثلا لهذه الحالة، بمن دخل أرض قوم يكرهون من ساكنهم عَلى الكفر، وهو يعلم قبل أن يدخل بذلك، ثمّ دخل فأكرهوه، لم يكن الإكراه عذرا له، فهل يعلم من يتطوع في هذه القوَّات مختارا، أنه سيقدم عَلى هذه الأعمال أم لا يعلم؟ فإذا كانَ يعلم ما سيكلف به، قبل أن يكره، لم يكن عذره بالإكراه مقبولا، ولو أكره فعلا عَلى عمل يكرهه.

ثانياً: المكره نوعان:

١. **من يكره عَلى قول أو عمل كفري لا يؤذي به غيره من المُسلِمِين:**

وإنما يقدم عَلى ما ينتقض الدّين بفعله أو قوله، وهو كاره كما أكره سيدنا عمار بن ياسر تحت التعذيب عَلى النيل من رسول الله ﷺ مجبرا، بعد أن قتلوا أباه وأمه وغطوه في البئر حتَّى كاد يهلك من التعذيب،

فقال كلمة الكفر، فعذره رسول الله ﷺ وأجازه، وجعلها رخصه للمسلمين، فقال: «**إنْ عَادُوا فَعُدْ**»(١)، وبين أن العزيمة والصّبر أولى في حالة الإكراه وأكثر أجرا، وأن الإكراه عذر لمن فعله وقلبه مطمئن بالإيمان، في حين لم يقبل العُلَماء العذر ممن هدد بالعذاب، ولم يتيقن وقوعه، وهكذا لم يقبل الإِمَام أحمد بن حنبل عذر العُلَماء الّذين أجابوا الحاكم للقول بخلق القرآن لما هددهم واعتذروا بقول الله تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] وبحديث عمّار ﷺ، قَالَ الإِمَام أحمد: "إنَّ عماراً ضربُوه وأنتم قِيلَ لكُم سَنضرِبُكُم" ولما احتج يحيى بن معين، وهو إمام جليل من المحدثين، كانَ قد ضعف للتهديد، واستجاب واعتذر بهذا العذر، رفض الإِمَام أحمد حجته وقال: " يقول لي أُكرِهَ ولم يضرب سوطاً واحداً"، ولم يكلمه بقية حياته، ولم يرد عَلَيْه السَّلام لَّمَا سلَّم عليه ابن معين، والإمام أحمد عَلى فراش الموت!! ﷺ وأكثرَ في أمّتنا من أمثاله! وقد رُويَ: عنهُ قوله :"لا إِكرَاهَ إلَّا بالسَّيفِ" وعن غيره من العُلَماء أن الإكراه هو بالتهديد بالقتل، أو ببتر عضو، وذهب بعضهم بأنه مطلق العذاب الّذي لا يطيقه، ولا يستطيع الفرار منه.

وقد يقول البعض ويعتذر عن فعل حكومة الباكستان أو الكويت والسّعُودِيّة والأردن، مثلا بمعاونة الأمريكان، بأن الله قد أباح التقية من الكافر، ويقولون: نحن نقاتل معهم اتقاء لشرهم علينا وعلى بلادنا، فهذا زعم مردود، فإن الله تَعَالَى قَالَ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران]

---

(١) رواه البيهقي في السنن الصغرى (٢٥٣١) و مستدرك الحاكم (٣٣٦٢) وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي . وقد ذكره الحافظ في " الفتح " وقال: هو مرسل ورجاله ثقات، وذكره من عدة طرق مرسلة، وقال: وهذه المراسيل يقوى بعضها ببعض. وقال الألباني : في إسناده نظر. وحكم به بعضهم: حسن لغيره.

قَالَ ابن كثير في تفسيرها: [أي إلَّا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرِّهم فله أن يتَّقيهم بظاهره لا بباطنه ونيَّته، كما قَالَ البُخَارِيّ عن أبى الدَّرداء إنَّه قَالَ: «**إنَّا لنكشِّر في وجوهِ أقوامٍ وقُلوبُنَا تَلعَنُهُم**»(١)، وقالَ الثّوريُّ: " قَالَ ابن عبَّاس: ليس التَّقيَّة بالعمل، إنَّما التَّقيَّة باللِّسَان"(٢)] اهـ(٣).

٢. هو المكره عَلى فعل يؤذي به غيره من الْمُسلِمِين:

كمن يأمر بقتل مسلم أو هتك عرضه أو نهب ماله، أو أذيته، وقد نص العُلَمَاء عَلى أن المسلم لا يعذر أن يوقع بغيره الأذى إن هدد هو به، فلا يجوز له إن هدد بأخذ ماله إن لم ينهب غيره من الْمُسلِمِين، أن يدفع عن ماله بنهب مال مسلم آخر، ثمّ يقول أنا مكره.

وأخطر من ذلك، لا يجوز له أن يقتل مسلما، إن هدد بالقتل إذا لم يقتله، فقال العُلَمَاء: ليس حفظ نفسه مقدم عَلى إزهاق نفس مسلم، بل يجب عليه ألا يقتل مسلما ولو قتلوه، فيقتل صابرا محتسبا، وبهذه النِّيَّة يكون شهيداً إن شاء الله.

فهل يفعل هَؤُلَاءِ الجند (المكرهون بزعمهم) هٰذا؟! هل لو رفض هذا الجندي قتل الْمُسلِمِين، يقتل؟ أم يسجن؟ أم يقطع مرتبه ومعاشه؟ أم يطرد من وظيفته في الجيش أو الشّرطة فقط؟

فيقدم عَلى قتل الْمُسلِمِين، وقد جعل الله زوال الكعبة أهون عنده من قتل امرئ مسلم! كما أخبر ﷺ(٤) وقد قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء] هذا إن قتله في شجار عَلى الدُّنيَا، أو نزغة شيطان، فكيف بمن قتله لأنه مؤمن مهاجر مُجَاهد في سبيل الله، إرضاء لأمريكا ؟!

---

(١) صحيح البخاري (كتاب الأدب: باب المداراة مع الناس) معلقاً (٨/ ٣١).

(٢) ورد في (تفسير ابن أبي حاتم: ٢/ ١٨٩) و (تفسير ابن جرير: ٦/ ٣١٥) بإسنادين منقطعين، ووصله الحاكم بلفظ آخر صححه ووافقه الذهبي، وعزاه السيوطي إلى: عبد بن حميد، وابن المنذر والبيهقي، انظر: (الدر المنثور: ٢/ ١٧٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠).

(٤) روى التِّرمِذِيّ (١٣٩٥) من حديث عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم» وصححه الألباني.

فهَؤُلَاءِ الجنود الّذين يظنُّون أنفسهم مكرهين، يقتلون المُسلِمِين، حتَّى لا يطرد واحدهم من وظيفته، أوينالهه بعض العذاب، فهذا ليس حاله حال المكره، وإنما كمن قَالَ الله تَعَالَى عنهم﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾، فهناك فرق بين من أكره فنطق بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، وبين من شرح بالكفر صدرا، فقال كلمة الكفر، وفعل فعل الكفر، حفاظا عَلى حظه من الدُّنيَا، وقد بين القرآن الكريم هذا صراحة: إذ قَالَ الله تَعَالَى في سورة النحل: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل]

فهل هَؤُلَاءِ الجنود في الجيش والشّرطة والأمن والإستخبارات، والسجانين والجلادين الّذين يعذبون النّاس حتَّى الموت، مكرهون؟! نعوذ بالله من قول الزور وشهادة الزور!! هل هَؤُلَاءِ المجرمون مكرهون؟! أنظر في حالهم وسلوكهم واحكم عليه بمقياس الإِسْلَام، أنظر في صلاتهم، وصيامهم، وأدائهم لشعائر الإِسْلَام؟ ثمّ أنظر في كسبهم السحت من الرشاوى وما يظلمون النّاس، ويقبضون المكوس عَلى الطرقات، وفى الأسواق وعلى أبواب البيوت! ثمّ انظر في تسابقهم عَلى الوظيفة في هذه المؤسسات الظَّالمة النجسة من الشّرطة والإستخبارات والقيام عَلى السّجون والمعتقلات!!

نعم، قد يكون هناك من لا يتلبس بذلك ممن التحق بالجيش للدفاع عن البلاد وقتال أعداءها ولم يكن بعلمه ولم يدر بخلده أن يزجّ به أسياده في قتال المُسلِمِين إلى جانب الكافرين، ولكن هل يعذر هذا بالقتال تحت قيادة وراية الكافرين، والأمريكان والإنجليز، لسفك دم المُؤمِنِين، ثمّ يقول: أنا مجبورٌ مُكرهٌ!

فهل تطوع بالجيش وهو يعلم حال قيادته ورئاسته وما هم عليه من الرِّدَّة، بتبديل الشَّرَائع والعمالة للكفار والفساد والرشوة والبغي والظُّلم، أو لا؟

وهل دخل الجيش دفاعا عن الوطن والأرض والقوم؟ هذه كلها ليست من سبيل الله في شيء ما لم تكن لتكون كلمة الله هيَ العليا بل هيَ نوايا عصبية جاهلية!

فإن كانَ قد دخل بنية الجِهَاد في سبيل الله، لأنه قد دلس عليه بعض العُلَماء المدلسين، بأن هذه الحكومة ورؤساءها مسلمون وأولياء أمور شرعيون، وأن مفاسدهم لا تخرجهم عن الإِسْلَام! وانطلت عليه هذه الخديعة الضالة، ثمّ وجد نفسه أمام الحال الجَدِيد، فهذا قد يعذر بجهله لوجوده في مثل هذا الجيش، وقتاله تحت رايته بقصد الدّفاع عن المُسلِمِين، ولكن هل يعذر بجهله، وبالإكراه في قتل المُسلِمِين إرضاء للكافرين، وتحت رايتهم وقيادتهم؟! اللّهم لا.

هذا واجبه الاستقالة من هذا الجيش، أو عَلى الأقل رفض الأوامر من هذا النوع، والفرار من القِتَال ولو سجن أو عذب أو طرد من وظيفة، وهذا العقاب في حقه نعمة من الله يخرجه من الضلالة ومن غضب الله عليه – فإن خُيرِّ وأُجبر عَلى قتل مسلم أو يقتل، فواجبه أن يختار القتل صابرا محتسبا عَلى أن يقتل مسلما، وليس له أن يقتل مسلما ثمّ يقول أنا مكره، هذا ليس بعذر إكراه شَرعِيّ، فليس من الإكراه أن يقدم عَلى قتل المُسلِمِين وهتك حرماتهم ثمّ يقول: إذا لم أفعل طردت من عملي، أو قطع راتبي أو وضعت عَلى عقوبات مالية! إن واجب هذا الجندي إن وجد نفسه مكرها عَلى قتال المُسلِمِين من قبل أسياده المرتدّين، أو أسيادهم الأمريكان والإنجليز والكافرين أن يستدير بسلاحه لقتال من يكرهه عَلى فعل الكفر، ويجاهده بسلاحه ويقتل شهيداً صابراً مُجَاهداً وليس أن يتلطخ بدم المُسلِمِين وأعراضهم ويظن نفسه مكرها، فإن لم يمكنه الخلاص إلا بالفرار من الجيش وعجز عن قتالهم لضعفه أو لقلة من معه، وجب عليه الفرار والهِجرَة عن بلده، وأرض الله واسعة وعندها يكون مهاجراً في سبيل الله صابراً فاراً من الفتنة بدينه، والهِجرَة والفرار من حكومة كهذه القائمة في باكستان، فرض عَلى من وجد نفسه أمام الفتنة في دينه والاضطرار لفعل الكفر بالقتال تحت قيادة وراية الأمريكان إن عجز عن قتال هذه الحكومة

وقد أخبر القرآن الكريم، وبينت السيرة النّبويّة الشريفة، ونصوص السنة(١) عن قوم مُسلِمِين بقوا في مكّة بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يهاجروا لأن لهم في مكّة مصالح، من أهل ومساكن وتجارة، فلما كانت غزوة بدر بين المُسلِمِين ومشركي مكّة، أكرهوا عَلى الخروج مع كفار مكّة إجبار أو حياء من قومهم، فقتل بعضهم في المَعْرَكة فتأسف المُسلِمُون عَلى قتلهم وقالوا قتلنا إخواننا! فأنزل الله تَعَالَى فيهم قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء]

وقد بينت هذه الآيات بصراحة كما شرحها المفسرون أحكاماً هامة منها:

- وجوب الهِجرَة من ديار الكفر والفرار من فتنها، خاصّة لمن يتعرض للفتنة إلى حيث لا يفتن في دينه.
- أن من أكره وخرج للقتال مع الكافرين، لم يتقبل عذره لأنه كانَ عليه أن يهاجر بدل البقاء حتَّى يكره للخروج لقتال المُسلِمِين مع الكافرين، وأن من قتل منهم كانَ مصيره إلى جهنم ولم يقبل عذره.
- أن الله عذر المستضعفين الّذين لم يهاجروا لأنه لا حيلة لهم، ولا يهتدون إلى طريق للهِجرَة، ولا سبيل لديهم إليها، فهَؤُلَاءِ معذورون بعدم الهِجرَة، (وليس العذر للقتال مع الكفّار) ووعدتهم الآية بالعفو والمغفرة عن تقصيرهم بعدم الهِجرَة.
- ثمّ بشر القرآن المهاجر في سبيل الله بكفالة الله له بسعة الرزق في الدُّنيَا، وأنه إن مان فإن الله ضامن لأجره في الآخرة.

---

(١) منها حديث في سبب نزول الآية في صحيح البخاري (٤٥٩٦).« عن ابن عباس ﷺ، أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِّ، يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ، فَيَقْتُلُهُ – أَوْ يُضْرَبُ فَيُقْتَلُ – فَأَنْزَلَ اللهُّ الآية».

فأين هذه الأحوال، من هَؤُلَاءِ المتسبين لهذه الجُيُوش الظَّالمة.

هل هم مكرهون مهددون بالقتل إن لم يقتلوا المُسلِمِين؟ لا، وحتى لو كانَ ذلك، فليس هذا بعذر وعليهم حينها الهِجرَة والفرار ممن أكرههم.

ولكن الحقيقة المرة، هيَ أن أكثرهم يقدم عَلى فعل الكفر هذا بقتال المُسلِمِين مع الكافرين حرصا عَلى ما توفره له الوظيفة في الجيش أو الشّرطة أو الاستخبارات، من البيوت الفارهة، والسيَّارات الفخمة، والمرتَّبات العالية المنهوبة من ثروات المُسلِمِين، والمكوس الموضوعة عَلى ضعفائهم، ثمّ يعتذرون بأنهم في الجيش والشّرطة للدّفاع عن الوطن، وأنّهم مُكرهون عَلى قتال المُسلِمِين بحكم الوظيفة.

فهذا ليس بإكراهٍ لا شَرعاً ولا عقلاً، أيقبلُ عذرُ واحدِهم بالإكراهِ عَلى قتل مسلمٍ؟ ولا يقبل عذر المسلم المهاجرُ المُجَاهدُ في سبيل الله بقتل هَؤُلَاءِ دفاعًا عن نفسه؟ وهم الّذين قصدوه بالعدوان وجاءوه بصحبة الجنود الأمريكان ودهموا بيته عليه وعلى زوجته وأولاده.

فكما أسلفنا هذا ليس بإكراه وإنّما هو حال وصفه ﷻ بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧﴾ [النحل]

وأمّا حالُ المُكرَهِ المعذورِ شَرعاً من الّذين يُقاتلون المُسلِمِين فهو كما يلي:

- أنه أكره عَلى التّجنيد إجباريّاً في جيشٍ يُقاتل المُسلِمِين وليس باختياره.
- أنَّه عَجَزَ فِعلاً عن الفرارِ أو الهِجرَةِ.
- يجب عليه أن يتورع في القِتَال ولا يمد سلاحَهُ لأذى المُسلِمِينَ بل يُعطِّلُ سلاحَهُ ولو قُتِل بيد الكفّار أو المُسلِمِينَ، وهو بهذه النّيَّة شهيدٌ إن شاء الله، فإن كانَ في جُيُوش الطّواغيت وشرطتهم ممن قاتلوا المُسلِمِين، أو فيمن فعل فعلتهم، جنديٌّ تنطبقُ عليه مواصفات هذا المُكرَه فهو معذورٌ، وإلّا فلا عذرَ له.

****

خامساً: أحكام الشّريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصّائل عَلى دين المُسلِمِين أو أنفسهم أو أعراضهم أوأموالهم ولو كانَ مسلمًا.

قد يصر مكابرٌ، رغم الأدِلَّة الواضحة، بأنَّ هَؤُلَاءِ الجنود المقاتلين للمسلمين مع الكافرين والمرتدّين، هم مسلمون، يصلُّون ويصومون، ويشهدون أن لا إِلَهَ إِلَّا الله، وأنَّ محمّداً رسول الله، ولا يَكفُرون بقتالهم للمسلمين، فلمثل هذا حتَّى نكون عمليين وحسمًا لجدلٍ فارغٍ لا يقوم بالأدِلَّة وإنَّما بالعَوَاطِف والأهواء نقول: هب ذلك، فإنَّ للمسلم الّذي يحمل السّلاح عَلى المُسلِمِين، بغيًا، أو فسادًا في الأرض، أحكامًا بيَّنها العُلَماءُ تحت عنوان (**دفع الصّائل المسلم**)، فقد بيَّن العُلَماءُ أنَّ كلّ دين نزل من عند الله، جاء للحفاظ عَلى الضَّرورات الخمسة (الدّين – النّفس – العِرض – العَقل – المال) ولذا فيجب المحافظة عَلى هذه الضَّرورات بأيِّ وسيلةٍ مشروعةٍ، ومن هنا شرع الإِسْلَام دفع الصّائل.

والصِّيال شرعاً: كما عرفه العُلَماء هو الوثوب عَلى الشَّيء المعصوم بغير حقٍّ، والمَعصُوم هو النّفس أو العرض أو المال.

والصّائل كما عرفه العُلَماء: هو كلّ معتدٍ عَلى ما كانَ معصوماً شَرعاً سواء كانَ مسلمًا عُصِم بحقِّ الإِسْلَام أو عصمته ذمَّة المُسلِمِين، فالقتال لدفع هذا المُعتدي مشروعٌ شَرعاً بالدفع عن الحُرمات بل يصير واجبًا في كثيرٍ من الحالات، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤]

أما الصّائل عَلى الدّين:

فواجب بقوله ﷺ «مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» قَالَ ابن تيميّة ﵀: **[وَأَمَّا قِتَالُ الدَّفْعِ فَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ دَفْعِ الصَّائِلِ عَنْ الْحُرْمَةِ وَالدِّينِ فَوَاجِبٌ إجْمَاعًا فَالْعَدُوُّ الصَّائِلُ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لَا شَيْءَ أَوْجَبَ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ دَفْعِهِ فَلَا يُشْتَرَطُ لَهُ شَرْطٌ بَلْ يُدْفَعُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ]**.(١)

وأما الصّائل عَلى العرض:

(١) الفتاوى الكبرى: (ج٥/ ص٥٣٨).

فيجب دفعه باتفاق الفقهاء ولو أدى إلى قتله وإن كانَ مسلما، قَالَ النووي: "وأما المدافعة عن الحريم فواجبة بلا خلاف"، وقال الشَّيْخ عبدالله عزام رحمه الله: [قد يسأل سائل: أو يجوز لنا أن نقتل شرطياً يصلي ويصوم، من أجل أنه يريد أن يأخذني إلى قسم البوليس؟ فقال: (وأما رأي الفقهاء بالإجماع أنه لا يجوز لأحد أن يستسلم لإنسان يريد أن ينتهك عرضه (...) إتفق الفقهاء جميعاً عَلى أن دفع الصّائل عن العرض واجب بالإجماع، فإذا أنت تركت الشّرطة يقتحمون بيتك في وهن من الليل، وزوجتك عارية في ثياب النوم يكشفون عنها غطائها ليبحثوا أنك نائم عندها فعرضك منتهك وأنت آثم عند ربّ العَالمِيّن فهنا الظُّلم، والصّلاة والصّيام من مثل هذا الشّرطي لا تمنع عنه قضية القتل][1].

وأما الصّائل عَلى النّفس:

فيجب دفعه عند جمهور العُلَماء، وقد ذهب البعض للجواز دون الوجوب، ولو كانَ مسلما وفى الحديث الصَّحِيح: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[2]، وروي عنه ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[3].

قَالَ الإِمَام الجصاص بعد هذا الحديث في أحكام القرآن: [**لَا نَعْلَمُ خِلَافًا أَنَّ رَجُلًا لَوْ شَهَرَ سَيْفَهُ عَلَى رَجُلٍ لِيَقْتُلَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ أَنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَتْلَهُ**][4].

قَالَ الشَّيْخ الشّهِيد عبدالله عزام رحمه الله: [وفى هذه الحالة– الصيال – إذا قتل الصّائل فهو في النار ولو كانَ مسلما وإذا قتل العادل فهو شهيد].

وأما الصّائل عَلى المال:

فقد ذهب جمهور علماء المُسلِمِين إلى جوازه واعتبره البعض واجبًا، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَة** رضي الله عنه، **قَالَ**: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ

---

(١) الجِهَاد فقه وإجتهاد: شريط الشهداء ودفع الصائل/ قاعدة دفع الصائل ،(ج٣ / ص١٣٩).

(٢) رواه أحمد (١٦٥٢) وصححه الأرنؤوط ، وروى أبو داود نحوه (٤٧٧٢) وصحَّحه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه النسائي (٤٠٩٣، ٤٠٩٦) وقال الألباني: صحيح– صحيح الجامع الصغير (٦٤٤٧).

(٤) أحكام القرآن للجصاص: (٤/ ٤٦).

مَالَكَ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ»(١).

ويقول الإمَام ابن تيميه ﵀ في مجموع الفتاوى(٢): [**السُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ مُتَّفِقَيْنِ عَلَى أَنَّ الصَّائِلَ الْمُسْلِمَ إذَا لَمْ يَنْدَفِعْ صَوْلُهُ إلَّا بِالْقَتْلِ قُتِلَ وَإِنْ كَانَ الْمَالُ الَّذِي يَأْخُذُهُ قِيرَاطًا مِنْ دِينَارٍ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»**(٣)].

قال الشّافعي ﵀: [**وَإِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ مَنْزِلَ الرَّجُلِ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا بِسِلَاحٍ فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ فَلَمْ يَخْرُجْ فَلَهُ أَنْ يَضْرِبَهُ وَإِنْ أَتَى الضَّرْبُ عَلَى نَفْسِهِ**](٤)، أي: إذا قتَلَ المَدفوع.

هذا مختصر أحكام دفع الصّائل المسلم عَلى أحاد المُسلِمِين، فكيف به لو جاء يريد الدّين أو النّفس أو العرض أو المال أو كلّ ذلك، تحت راية وقيادة الأمريكان والمرتدّين؟!

وسنعيد إيراد هذه الأدِلَّة الشَّرعيَّة بمزيد من التفصيل بالإضافة لسواها من الأحكام الشَّرعيَّة الأساسيّة في مثل جِهَادنا لأعدائنا هذه الأيّام، في البَاب الأوّل من الفَصل الثَّامن في الجزء الثّاني من هذا الكتاب، وهو بعنوان (الفكر والمنهج والعَقِيْدَة الجهاديّة لدعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة) حيث نعرض لتفاصيل الأدِلَّة الشَّرعيَّة لبعض المسائل المنهجيّة إن شاء الله.

****

(١) رواه مسلم (١٤٠).

(٢) مجموع الفتاوى: (ج٢٨ ص٥٤٠).

(٣) متفق عليه ، البخاري (٢٤٨٠) ومسلم (١٤١).

(٤) الأم للشافعي: كتاب جراح العمد، فصل التعدي ودخول المنزل (ج٦ ص٣٥) .

﴿أدِلّة العقل والمنطق عَلى أن الجِهَاد المُسلّح هو الحلّ ﴾

نحن نسأل من يريد جدالنا في حقيقة أن الجِهَاد المُسلّح اليَوْم هو الحلّ الوحيد حقيقة!

إذا لم يكن الحلّ لمشاكلنا هذه وقد دهمنا العدوّ، بالمُقاوَمة المُسلّحة، فبم يكون ؟!

- هل بطقطقة المسابح في أركان الزوايا ؟!
- أم بتنقيح الأسانيد وتأليف الأبحاث الشَّرعيَّة ؟!
- أم تراه بالسهر عَلى أزرار الكمبيوتر في معارك الإنترنت ومناقشاتها الحامية – الوطيس؟! أم تراه بالمداخلات التلفونية الثائرة مع مقابلات الفضائِيَّات؟!
- أم تراها بالتصفية والتّربية وتزكية النفوس ؟! وها هو العدوّ يصفي مقوّمات وجودنا، ويربي أجيالنا حسبما يريد عَلى مر الساعات والدقائق!
- أم تراها بالصياح في المظاهرات، وما تجود به الحُكُومَات من إجازة الاحتجاجات الصامتة أو الصاخبة في الشَّوارع؟!
- أم تراها بالاختراع العظيم الّذي تَوَصَّلت إليه الصّحوة، وما جاءنا به الفقه البرلماني؟ بالاعتراض عَلى الإحتلال وعلى إزهاق الأنفس وعلى نهب الثّروات وعلى نهك الأعراض، تحت قبة البرلمان ؟!
- أم بـ (الحملة العَالَمِيّة لمكافحة العدوان)، ببيان أجوف يرسل بالفاكس للفضائِيَّات لاستنكار ما يجري من طامات في بلاد المُسلِمِين!!

الحقيقة أن حالنا مع هذه الآراء كأهل بيت كانوا ينامون مطمئنين، فدهمهم اللصوص ليلا، فبعضهم ذبح الأب، وبعضهم أثخن الأم بالجراح، وثالث يقصد الأخت لينهك العرض، ورابع منشغل بنبش الخزائن لسرقة المال، وخامس دهس الأطفال في عتمة الليل، وسادس ينهب أثاث البيت ويضرم النار في أنحائه.

والرّجال من أفراد الأسرة موزعون في بعض الغرف قد شغل كلا منهم أمره، وقد هب أخوهم الأصغر يناديهم ليهبوا للدفاع عن الدَّم المسفوك والعرض المنهوك والمال المنهوب والبيت الّذي تنهدم أركانه، ولا مجيب.

فأحدهم منهمك في قيام الليل يُؤَدِّي ورده، ومن شدة خشوعه لم يسمع ما يجري!

والثّاني منكب عَلى كتب العلم يفتش عن تحقيق سند لم يتأكد من صحته منذُ أيّام!! والثّالث منهمك في نقاش دعوى مع أحد الجيران يدعوه للصلاح!!!

والرَّابع يتابع حوارا دينيا مفتوحا عبر الإنترنت أمام شاشة الكمبيوتر!!!!

والخامس يطبع بعض الدعايات الانتخابية لدعم ترشيح بعض العُلَماء والدعاة لانتخابات البرلمان المقبلة. والشاب الصغير يصيح، وأخته تلطم الخد وتستغيث، وبعض الأطفال يرمون اللصوص المُسلّحين بالحجارة، وقد شغل إخوانهم بالدّعوة وأنواع العمل الإِسْلَاميّ!!

هذا عن إخوانهم الملتزمين، فلهم إخوة آخرون مشغولون بأمور أُخرى!

فبعضهم يسهر أمام التلفزيون يتابع برنامج ستار أكاديمي عَلى قناة فضائيّة.

وآخر يرتمي ثملاً من السُّكر في إحدى زوايا البيت!

وثالثٌ منغمسٌ في حديثٍ عاطفيٍّ عَلى الموبايل، يُرسلُ رسائلَ غراميَّة عبر قناة رُوتَانا!

أما أولاد العمومة والجيران من حولهم، فبعضهم في السهرات والسمر، وآخرون يقومون الليل عَلى الفواتير والحسابات التجاريَّة لمبيعات ذلك اليَوْم، وبعضهم يحتسي الشاي عَلى ناصية المقهى حتَّى ساعة متأخرة من الليل!

ويهبّ الشّاب اليافع ليدفع اللصوص المُسلّحين بسكّينه، والأطفال يدفعون بالحجارة، والأخت تحاول جهدها بكفها العزلاء، فهذا مبلغ الجهد أمام اللصوص المدجَّجين بالسّلاح فالدَّفع والموت والشَّهَادة أرحم من العيش في مثل هذا البيت الّذي تشهد جدرانه عَلى هذا الخزي والعار والصَّغار، هذا نموذج أحوال أمّتنا اليَوْم.

فهل يظنُّ الطَّيبُون جزاهم الله خيراً عَلى جهودهم في دعوة الفسَّاق إلى الهدى، أنَّهم قد سقطت عنهم الفريضة المتعيَّنة بالدَّفع؟! أم يظنُّون أنَّ دعوتهم تلك ستدفع عدوّاً غاشمـًا، أو تقيم شَرعاً مُغَيَّبـًا، أو تُغيِّر حكومةً خائنةً كافرةً فاجرةً؟

أم هل يظنُّون بأنَّ الحملات الصّليبيّة إن ضربت بجرانها في بلادنا، وساقَت عَبيدَها من الحُكَّام إلى مزيدٍ من محاربةِ الدّينِ وإضلالِ أهلِهِ، أنَّهم سيَبقَى أَمَامَهم مجالٌ للتَّبليغ والدّعوة وعِمارَة المَسَاجِدِ ؟!

أم هل يظنُّ الدُّعاةُ إلى تصحيحِ عَقائِدِ المُسلِمِين أنَّه ستبقى لنا عقائد مع غزو الصّليبيّن لديارِنا، ومع استعلاءِ عملائِهِم مِنَ العلمانيّين والمُرتدّين؟!

وأيّ عقائدٍ ستبقى لنا بعدَ أن صَارَت أمريكا إلـٰهـًا يُعبد طوعًا وكرهـًا في بلادنا من قِبَلِ كثيرٍ مِن المُسلِمِين؟! أيّ عقائدٍ ستبقى لِأَطفالِنا وشبابِنا بعدَ أن صَارَت المُنَظَّمَاتُ الدّوليَّة تَفرض عَلى بلادنا مناهج التَّدريس في كافّة المَراحل، بل وتتدخَّل حتَّى في نصوص خُطب الجُمُعة في مساجدنا؟! أيّ عقائدٍ بعد أن صاروا يَضَعُونَ لَنَا سِيَاسَات التَّعامُل معَ نِسَائِنا من خِلالِ إلزَامِ حُكُومَاتنا بِمُعَاهَدَاتِ (حقوقِ المرأةِ) بِحَسبِ ثَقَافَاتِهِم الإلحَادِيَّة الإبَاحِيَّة؟!

أيّ عقائدٍ سَتبقى معَ بَرَامج (إعادَة صِيَاغة المُجتَمعات) الخليجيَّة والعربيَّة والإِسْلَاميّة كما أعلنها الأمريكان؟!

أم هل يظن الصّالحون المواظبون عَلى تزكية أنفسهم، أنَّ الدُّشوش والفضائيَّات ستترك من ذريَّتهم وأبنائهم من يلتفت إلى السُّلُوك والصَّلاح في ظلِّ هذه الأحوال الفاجرة؟!

أم هل يعتقدُ (الدِّيمقراطيُّون الإِسْلَاميّون)، أن في مزيد من التَّجَارب جدوى بعدما حصل في الجَزَائِر وتركيا وتونس ؟! وبعدما حصل من إنجازات الإِسْلَاميّين في برلمانات مصر والأردن وباكستان ودول الخليج والمغرب وغيرها؟!

وهل يظنُّون أنَّ وجودهم كأقليَّات إسلاميّة مسحوقة بين الأحزاب العلمانيّة المعارضة والحاكمة في البرلمان، سيغيُّر مَجرَى التّاريخ الّذي تكتُبه حرابُ الصّليبيّن اليَوْم ؟!

أم يعتقدون بعدما انتشرت مكاتب (CIA) و (FBI) وتدفَّق مئات آلاف الجنود والجُيُوش الصّليبيّة في البلاد، وراحت أمريكا تعيِّن من تشاء من الحكَّام وتعزلُ من تشاء، أنَّ بإمكانهم تحقيق الأغلبيَّة وإقامة حكم الإِسْلَامِ، بعدما رَأوهُ من العاصفة الّتي اجتثَّت حكومةَ طالبان وحكومةَ العراقِ، وراحت تُعلن أنَّها ستُعيد رسمَ الخريطةِ السّياسيّةِ بل والجُغرافيّة في الشّرق الأوسط؟!

وصدق الله العظيم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

سبحان الله! حقيقة صار حالنا كما قَالَ الشاعر[1]:

وليسَ يَصحُ فِي الأَذهَانِ شَيءٌ   إذا احتاجَ النَّهَارُ إلى دَلِيل

نحنُ نعتقدُ أنَّ تلكَ الحلولُ – جزى الله أصحابها خيراً كلَّا بنيَّته – لن تُحل مَشكِلُنا اليَوْم، ونعتقد أنَّ الْمُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة الْمُسلّحة الشّاملة هيَ الحلّ، وأنَّ بإمكانِها – بإذنِ الله – دَحرَ العدوّ.

ونقولُ بملءِ أفواهِنا نعم إنَّ الأمرَ كذلك، نعم مدعومة بالأدِلَّة الشَّرعيَّةِ، ونَعَم كما تَقتَضِي أدِلّة العقلِ والمنطقِ والواقعِ، فإنَّ هُنَاكَ حَقائق وَاضحة تَدعمُ ما نذهبُ إليهِ:

<u>أولاً</u>: إنَّ شعوبَ الأُمّةِ العربيَّةِ، ومثلها جميعُ الشّعوبِ الإِسْلَاميّةِ، قد غَسَلَت أيديَها وانقطَعَ رَجاؤُها مِنْ كافّةِ المَذَاهِبِ والتّياراتِ والفلسفات والأفكار الوَافدةِ والمَحليَّةِ الّتي لا تَنطَلِقُ مِن الإِسْلَامِ كَحَلٍّ مُمكنٍ لمُوَاجَهةِ هذا الصّائل، ومن يتابع ما تكتبه الصّحف، وما يكتبه النّاس العاديون في زوايا القرّاء، أو ما يقولونه في مداخلاتهم عبر الفضائِيَّات، أو ما يصيحون به في مظاهراتهم، يجد أن الجميع، وحتى الفساق من الْمُسلِمِين ومن أسرفوا عَلَى أنفسهم، ناهيك عن الملتزمين والمتدينين، الجميع يصرحون بجلاء بأنهم مع الجِهَاد، وأنهم يعتقدون بأنه لن يقوم لهذا العدوّ الغازي إلا رايات الجِهَاد تحت شعار (لَاإِلـٰهَ إِلَّا الله محمّدٌ رسُولُ الله)، وحتى التَّنظِيمات العلمانيّة والشخصيات الوطنيّة والتّيارات القوميّة في فِلَسطِين كما في كلّ مكان، بدأت تتأسلم حقيقة، أو زعما، وصارت تتأقلم في إعلامها وشعاراتها مع

---

(١) الشاعر أبو الطيب المتنبي.

الإِسْلَام، إما بعودة صادقة إلى جُذُورها، وإما مجاراة للشارع الإِسْلَاميّ الّذي بدأ يشهد عودة نحو الدّين كرد طبيعي عَلى الهجمة الصّليبيّة عَلى أمة الإِسْلَام واستهدافها في عقيدتها ومكوّناتها.

وهكذا كانَ حال أمّتنا أيّام النّوازل عبر تاريخنا كله، بل هذه طبيعة الإنسان أمام الكوارث الكبرى، أن يعود إلى ربه ومعتقده راجيا النّصر والنجاة.

بل إن الأمل في الإِسْلَام، والجِهَاد تحت شعارات الإِسْلَام كحل لمُوَاجَهة طغيان أمريكا، قد صار أملا لدى كلّ أعداء أمريكا من الشّعوب المستضعفة، حتّى الجماعات اليسارية وجماعات السَّلام في العالم الصّليبيّ ذاته، والمتابع لكتابات بعض الكتاب الغربيّين يجد أن بعضهم قد بدأ يصرح في سياق ما يكتب عن طغيان أمريكا، بأنه لم يعد هناك أمل لمُوَاجَهة أمريكا إلا بالمُسلّحين المُسلِمِين، بل وصل الأمر بإحدى المظاهرات المضادة للعولمة والحَرب الّتي خرج فيها مئات الآلاف في إيطاليا أن ترفع ضمن شعاراتها صورة لـ (ابن لادن) وقد ألبسوه قبعة (جيفارا)[1] ورسموه بطريقة تشبهه! وكتبوا تحت صورته شعارات مضادة لأمريكا! وعبروا بذلك عن أن رمز الجِهَاد الإِسْلَاميّ المُسلّح اليَوْم هو الحلّ في مُوَاجَهة أمريكا!

فالكل يعلم ويؤمن اليَوْم أن الحلّ يجب أن يخرج من جعبة الإِسْلَاميّين بالجِهَاد لمُوَاجَهة طغيان النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد.

ثانيًا: إن جماهير الصّحوة الإِسْلَاميّة وكوادرها والنشطاء فيها، يشكلون اليَوْم كتلة هائلة عَلى الصعيد العددي في بلاد المُسلِمِين قاطبة وفي كلّ منها عَلى حدة، ففي كلّ مؤتمر للتبليغ يجتمع في مساجدهم أحيانا ما يربو عَلى عشرات الآلاف في المدينة الواحدة، بل يبلغ حشدهم السنوي من مختلف دول العالم في باكستان ما يزيد عَلى ما يجتمع في مكّة للحج، أكثر من مليوني مسلم.

وأما السلفيون وأتباع مدرسة أهل الحديث وجماعاتهم وتلاميذ مدرستهم، فالمتابع لمواقعهم عَلى الإنترنت وصحفهم ونشاطاتهم في البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة يجد أنهم اليَوْم – تبارك الله – يعدون بمئات الآلاف إن لم يكن بالملايين، ناهيك عن من يرتاد مساجدهم من العامّة.

---

(١) إرنستو "تشي" جيفارا (١٤ يونيو ١٩٢٨ – ٩ أكتوبر ١٩٦٧): ملحد شيوعي كوبي من أتباع ماركس ولينين كانَ رمزًا للثورة الشُّيوعيَّة في الأرجنتين وكوبا.

وأما الإخوان المُسلِمُون وفروعهم والجماعات الإِسْلَاميّة المنبثقة عنهم والحاملة لفكرهم تحت مختلف المسميات فما تزال الشريحة الأساسيّة عددا وحضورا في الصّحوة في أكثر بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، فهم يُعدون بالملايين أيضا، فضلا عن عشرات الملايين من أنصارهم والمصوتون لهم في الإنتخابات.

هذا ناهيك عن الجماعات الصوفية وأتباعها ومَشَايخها ومريديها، فضلا عن مئات الجماعات والأحزاب والكتل الإِسْلَاميّة المختلفة الّتي تدخل بمجموعها تحت مسمّى (الصّحوة الإِسْلَاميّة) والَّتي تشكل بلا مبالغة عَلى كتلة بشرية ضخمة في العالم الإِسْلَاميّ، فإذا ما أضفنا إليهم المتعاطفون معهم ومع عموميات شعار الإِسْلَام لوجدنا أنّنا أمام جموع غفيرة هائلة قد نما في قلبها اليَوْم التطلع إلى مُوَاجَهة أمريكا واليَهُوْد وحلفائهم الصّليبيّين تحت شعار الجِهَاد والإِسْلَام، ولكنها ما تزال كتلة غثائية لا قيمة لها لأنها تفتقر إلى ثلاثة أشياء:

- **منهج الاعتقاد والعَقِيْدَة القتاليّة الجهاديّة.**
- **بَرَامج العمل الجاد المباشر.**
- **القدوة الميدانية من قيادات تلك الصّحوة ورموزها الجهاديّة في كلّ بلد إسلامي.**

وكل متبصر يدرك اليَوْم، أن مشكلة هذه الأُمّة، هيَ في أن أكثر علمائها قد نكصوا عَلى أعقابهم بين خائن وعاجز، وأن عموم قيادات الصّحوة فيها قد اختاروا الاستراحة وقد انعقدت غبار الحَرب يبحثون عن حلول وسط مع الجَاهِليَّة عَلى قارعة منتصف الطّريق، إنَّه الوَهن: «**حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْموت**» وصدق الصَّادق الأمين.

ثالثا: لقد أثبتت تجارب الشّعوب الإِسْلَاميّة وغير الإِسْلَاميّة منذُ مرحلة الإستعمار، وخاصة بعد الحَرب العَالَمِيّة الثّانية وإلى اليَوْم، قدرة الشّعوب الّتي أخذت بمنهج المُقاوَمة الشعبيَّة عَلى إرهاق المُستَعمرين وإجبارهم عَلى الرحيل.

هذا في وقت كانَ الزخم الحضاري لذلك الإستعمار الأوروبي والأمريكيّ والرُّوسي هائلا، وفي أوج عنفوانه، وكان بمقدوره الاستمرار وتحمل ضربات المُقاوَمة، ومع ذلك أسفرت كلّ تلك المقاومات عن دحر المُستَعمرين وهزيمتهم، في كلّ مكان.

وفي عالمنا العربيّ والإِسْلَاميّ من ذلك الملف تجارب رائدة، في المغرب، والجَزَائِر واليمن، والعراق، ومصر، والشّام، وأفغانستان والقفقاس والهند وإندونيسيا وغيرها.

وفي تجاربنا المعاصرة كذلك، نجد في ملفنا انتصارات الجِهَاد المجيدة في البوسنة والشِّيشَان وأفغانستان، ما يثبت القدرة عَلى الانتصار ودحر العدوّ، وأما اليَوْم ونحن نخوض الحَرب ضدّ أمريكا، فيكفي للمتابع أن يلمس بوادر التصدع والإنهيار والسُّقوط فيها من جراء عمليَّة واحدة فقط في أحداث الحادي عشر من سِبتَمبر، وقد أثبتت المواجهات مع الأمريكان في العراق وأفغانستان أخيرًا، ومن قبلها في الصّومال وفي حرب عاصفة الصَّحرَاء، أن الأمريكان عاجزون عن الحضور والمُوَاجَهة عَلى الأرض، إلا باستخدام عملائهم المرتدّين من أبناء جلدتنا، وأن أمجادهم محصورة في نشر الخراب والموت والدمار فوق رؤوس المدنيين من الجوّ فقط ، فكيف لو واجهت أمريكا مقاومة إسلاميّة عالميّة شاملة في كافّة بلاد المُسلِمِين، بل وفي كافّة بلاد الدُّنيَا، وفي عقر دارها ؟ ماذا لديها من حيلة إلا الانسحاب والفرار؟

وأما عن حلفائها الأوروبيين في النّاتو فهم أضعف منها وأهزل عسكريّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً، والحلف بينهم متصدّع أصلاً.

فالحضارة الغربيّة عامَّة والأمريكيّة خاصّة، حضارة هشَّة عجوز، تعصف بها الأمراض السّياسيّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والنّفسيّة، إلى حدٍّ يَعجَبُ معه المَرءُ كيف استطاعت أن تحيط بنا وتَسعى لإعادة استعمارنا، وما ذلك إلَّا لأنَّ أمَّتنا قد بلغت بسبب بُعدها عن شريعةِ الله، حَدّاً من الوهن جعلها قصعةً لأولئكَ الطَّامعينَ رغمَ هُزَالِهم!

فالمُقاوَمة المُسلّحة مفروضَة شَرعاً وواقعاً، وهي ممكنةٌ ومضمونةُ النَّتائج بإذن الله، بأدلَّة الشّريعة وشواهد الواقع والتّاريخ، ولكنَّها تحتاجُ أن تشارك بها جماهير المُسلِمِين عامَّة، وأن تقودها صَحوَة

إسلاميّة يقودها علماء وقادة قدوة روّاد، مقاومة تنهضُ بها أمَّة بكاملها، وليس عشرات الفدائيّين المُخلِصِينَ.

نحتاجُ مقاومةً تكونُ نهجَ ومعركةَ أمَّةٍ، وليست طريقَ وتضحياتِ نخبةٍ فقط.

وأما انتظار الحلول لأزَمَات هذا الواقع، من خلال الطّرق المطروحة اليَوْم في سوق الصّحوة، عبر مدارسها كلّها، من أقصى الصّوفيّة إلى أقصى السّلفيّة مرروًا بتجارب الأحزاب السّياسيّة الإِسْلَاميّة وبطروحات الإصلاح والتّربية، فيكفي في استعراض نتيجة تجاربها، وحصاد عطائها عبر أكثر من سَبعين سنة حتَّى الآن أن نستنتج أنَّها طرقٌ وحلولٌ قد بلغت حدَّ الإفلاس، ولم تقدّم حلًّا لما نحن فيه، بل لم تصل إلى نتائجها وأهدافها الذَّاتيّة.

فلا مدارس التّربية والتَّصفية والإصلاح والسُّلُوك، لا الصُّوفيَّة منها ولا السّلفيّة ولا التَّبليغيَّة، تمكَّنت من إصلاح أفراد المجتمعات، والفساد اليَوْمَ عارمٌ، والفسوقُ منتشرٌ، والعقائدُ مهزوزةٌ، والأحوالُ أسوأ اليَوْمَ من حالها يوم انطلقت تلكَ المدارسُ بكثيرٍ.

ولم تستطع الأحزاب الإِسْلَاميّة السّياسيّة الّتي قصدت الوصول إلى السّلطة من أجل إقامة حكم الشّريعة أن تصل إلّا إلى السّجونِ والمُعتَقَلاتِ، ثمّ إلى نقض المَناهج الّتي أَرسَاها المُؤَسِّسُون الأوائل رَحِمَهُم الله، ثمّ وصلت إلى الارتماء عَلى أعتاب السُّلطاتِ الغَاشِمة في أدوار سياسيّة هامشيَّةٍ مُخجِلَة، هذا ناهيكَ عن المتاهة الّتي أضاعت فيها أسسَ عَقِيْدَة التّوحيد بدعوى المَصلَحةِ والتّدرُّجِ.

والحلّ واضحٌ عقلاً ومنطقًا كما هو ثابتٌ دينًا وشرعًا:

يجب أن يقامَ شرعُ الله عَلى أنقاض الجَاهِليَّة والرِّدة الحاكمة، وعلى فلول جحافل المُستَعمرين الغُزَاة.

وعندما يقوم حكمُ الله، يزعُ اللهُ بالسُّلطان ما لا يزعُ بالقرآنِ كما قَالَ سيُّدُنا عثمانُ رضي الله عنه.

ولم يقم في تاريخ البشرية حكم، ولم تؤسّس دولة، ولا نهضت حضارة قديمة ولا حديثة، إلا عَلى أسنة الحراب، وتحت ظلال السيوف، وفي تجارب المُؤمِنِين والكافرين عَلى حد سواء عبر التّاريخ أكبر برهان، ومن هالته هذه الحقيقة فليقرأ التّاريخ، فإن لم يبصرها ويفهمها فليراجع عقله، وهذه دولة

إسرائيل وحضارة أوروبّا الغربيّة المعاصرة وأمجاد أمريكا اليَوْم آخر الأدِلَّة عَلى قيام الدّول ونشوء الحضارات.

والخلاصة:

إن حكم الشّريعة ومقتضى أحكام دين الله في واقع المُسلِمِين اليَوْم وأزَمَاته الشَّرعيَّة والدنيوية، تفيد أن الجِهَاد هو الحل، وأن سبيله الوحيد في قيام المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة المُسلّحة، وفي المُوَاجَهة الشّاملة مع أعدائنا المحتلين وحلفائهم المرتدّين والمُنَافِقين.

ليس من حلّ إلا في دروب الشَّهَادة، في أن يطلب شباب هذه الأُمّة الموت كي توهب لهم ولأمتهم الحياة، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤﴾ [التوبة]

وعندها فقط ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم: ٤ – ٥]

وعندها ترى ﴿ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢﴾ [النصر]

وعندها تقام الصّلاة ويحكم العدل ويؤمر بالمعروف وينهى عن المُنكر، وتصح العقائد ويتهذب السُّلُوك، لأن أولياء الله قد مكنوا في الأرض وأقاموا شرعه كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج]

وقبل أن نخوض في لبِّ هذا الكتاب لنعرض وجهة نظرنا في كيفِيَّة هذا الجِهَاد وطرق المُقاوَمة ومنهجها، وهو ما نعتقد أنه مقدمة الحلّ بإذن الله، سنمر بعدد من الفصول التمهيدية وصولا إلى الفَصل الثَّامن الّذي يشتمل عَلى ذلك إن شاء الله، ونستهل ذلك باستعراض تاريخ صراعنا الأزلي مع الرُّوم وجُذُوره منذُ قام الصِّرَاع بين الحقّ والبَاطِل عَلى هذه الأرض وذلك هو الفَصل التّالي وقصة مسار ذلك الصِّرَاع من أيّام قابيل إلى أيّام بوش، حيث ما زال البَاطِل يصرخ في وجه الحقّ: ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾ .. لأن فهم التّاريخ يشكل أساس فهم الواقع الّذي يشكل إدراكه أساس استلهام خطى المستقبل.

****

الفهرس

الفَصْلُ الثَّانِي ١٩٤

يتبع في الجزء الثالث...

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية



الفصل الثالث

جُذُور النّظام الدّولي ومسار الصِّرَاع

من «قابيل» إلى «جورج بوش»



مكتبة الجيل الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

النسخة الكاملة الفريدة المنقحة والمحققة

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

النسخة الإلكترونية الأولى

مكتبة الجيل الثالث



قَالَ الله تَعَالَى:

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة]

روى أبو داود عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قَالَ:

«يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».

«رواه أبو داود وصححه الألباني»



الفَصْلُ الثَّالِث

﴿ جُذُور النّظام الدّولي ومسار الصِّرَاع من قابيل إلى جورج بوش(١) ﴾

يشكل الاستعراض الموجز لمسار الصِّرَاع منذُ تقاتل ولدا آدم عليه السلام وقتل الشرير منهما (قابيل) أخاه الصّالح (هابيل)، وإلى قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكيّة عَلى مبادئ (صِرَاع الحضارات) وحتمية تصفية بعضها لبعض، يشكل ملخصا لجُذُور النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وبمعنى أدق استعراضا لتاريخ النّظام الدّولي وصراع أطرافه إلى أن استقر صراعا بين المُسلِمِين والرُّوم كأبرز أوجه الصِّرَاع الدائم في تاريخ البشرية الوسيط والحديث.

وسأوجز في هذه النبذة تحت هذا العنوان ما يُؤَدِّي الغرض كتوطئة تارِيخِيَّة لأفكار هذا الكتاب الّذي يشتمل عَلى دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ومنهجها وطريقتها.

بدايات الصِّرَاع ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ :

لقد قص علينا القرآن الكريم خبر اعتداء ولد آدم الأوّل عَلى أخيه وقتله إياه بعد وعيده الصريح وإقدامه بذلك عَلى سن سنة القتل في بني البشر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة]

---

(١) فكرة الربط بين قابيل وجورج بوش، ووحدة شعارهما (لأقتلنك)، سمعتها في درس للشيخ (أبو الوليد المصري) – مصطفىٰ حامد –، ومن الأمانة أن أذكر له هٰذا هنا، وقد استعرت الفكرة لعنوان هٰذا الفَصل، والرجل من عباقرة الكتاب والمفكرين ومن الدرر الّتي ضاع قدرها وقيمتها في بحر الأمواج المتلاطمة لمسار الجِهَاد العربيّ في أفغانستان، وهو صحفي محترف وكاتب ومؤرخ، ومفكر استراتيجي علىٰ مستوىٰ عال، ولا أدري ما مصيره بعد الأحداث، وأسأل الله أن يكون في عافية، ويبلغه مني السَّلام، وأن يدعو لي بظهر الغيب .[المؤلف]

وبصرف النَّظر هنا عما خاضت فيه بعض روايات التفاسير من أسباب القتل، والاكتفاء بالسبب الظَّاهِر الّذي ذكرته الآيات حيث اتقدت نار الحقد في صدر الشرير فصرخ متوعدا أخاه بقوله (لأقتلنك)! فإنا نجد أن تلك النار المتأججة في صدره لم يخمدها رد الأخ الصّالح بما احتواه من الوعظ واللين والتذكير بالله والتخويف من النار، فطوعت له نفسه فعلا أن يقدم عَلى أول جريمة عَلى سطح الأرض.

وهكذا سارت مسيرة الشر مع قسم من أولاد آدم فحملوا مهمة سفك الدِّماء والعدوان والظُّلم عبر مسار البشرية إلى أن وصلت تلك الرّاية المضمخة بالدِّماء إلى أيدي الحضارة الغربيّة ووريثتها المتجبرة أمريكا لتتبنى نظريَّة صِرَاع الحضارات، تلك النَّظريَّة الّتي مفادها أن الأرض لا تتسع لحضارات متناقضة، ولابد من أن الصِّرَاع الحتمي سيجعلها تصفي بعضها بعضاً، وأنه إن كانَ بإمكان الحضارة الغربيّة ذات الطابع النّصراني الصّليبيّ والنَّظريَّة الاقتصاديَّة الرأسمالية والفلسفة العلمانيّة الإباحية والنهج السّياسيّ القائم عَلى الدِّيمقراطيَّة، بإمكانها أن تتعايش مع بعض الحضارات فإن صدامها مع الحضارة الإِسْلَاميّة عدوها الّذي افترضته بعد قضائها عَلى حضارة الشّرق السُّوفيتيّة هو صدام حتمي، حيث اعتقدت أمريكا وراحت تجر وراءها أوروبّا الغربيّة وروسيا المنهارة ودول (حلف وارسو) اللاهثة من أجل دخول النّاتو للاعتقاد بأن عليها إزالة حضارة الإِسْلَام والُمسلِمين وفرض سياستها وهيمنتها وثقافتها وفلسفتها الكافرة عَلى شعوبهم.

وهكذا استعلن بوش بأنه يقود حرباً صليبيّة مقدرة له من قبل الرب الّذي اختاره لها بعد أن شفاه من الإدمان عَلى الخمر!! كما استعلن معاونوه الصّليبيّون المتصهينين بالقول بأنهم ورثة الحضارة الرُّومانية المسيحية وأن أعداءها في التّاريخ ـ يقصد الُمسلِمين ـ هم أعداؤها في الحاضر والمستقبل.

ومن هنا تحركت أمريكا عَلى كافّة الصعد لتفرض عَلى العالم ما أسموه (النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد) منذُ انفراط عقد الإتحاد السُّوفيتيّ مطلع العقد الأخير من القرن العِشرين.

ليسير وفق أحلام المنظرين المتصهينين الأمريكان من أمثال (كيسنجر) و(هينينغتون) و(ولف) وغيره، الّذين صرحوا بأن عَلى أمريكا أن تعمل ليكون القرن الحادي والعشرين مطلع الألفية الثّالثة

قرنا أمريكيا، وهكذا، عاد شعار الشر (لأقتلنك) ليرتفع مع رايات الإجرام الأمريكيّة مهددا كلّ من يقف في وجه هجمة الطمع والطّغيان الأمريكيّة المعاصرة وخاصة كلّ قوى المُقاوَمة والمُوَاجَهة في ديار الإِسْلَام والمُسلِمين.

****

محطات من تاريخ الصِرّاع وجُذُوره من خلال قصص الأنبياء وأتباعهم:

انتشر أبناء آدم، وعبدوا الله عَلى دين التّوحيد كما علمهم أبوهم عليه السلام، ثمّ تطاول العهد واجتالتهم الشياطين يمينا وشمالا عن الصراط السوي ودب فيهم الشرك والظُّلم والطّغيان.

فأرسل الله الرسل تباعا، مبشرين ومنذرين في كلّ أمة كما أخبر تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر]

لقد كانَ من أكبر أسباب تمسك المشركين بشركهم: تقليد الآباء، وطاعة الكبراء، والتزام العادات وما ألفته النفوس، وإتباع الشَّهَوَات، وأساس كلّ ذلك جري السادة والملأ من الكبراء ورجال الدّين الفاسدين وراء المصالح، وتعطيل العامّة لعقولهم وإتباعهم لكبرائهم رهبا ورغبا، وهكذا أخبرنا تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٤٤﴾ [المؤمنون]

لقد كانت خُلاصة دعوة الأنبياء وأساس عقيدتهم واحدة:

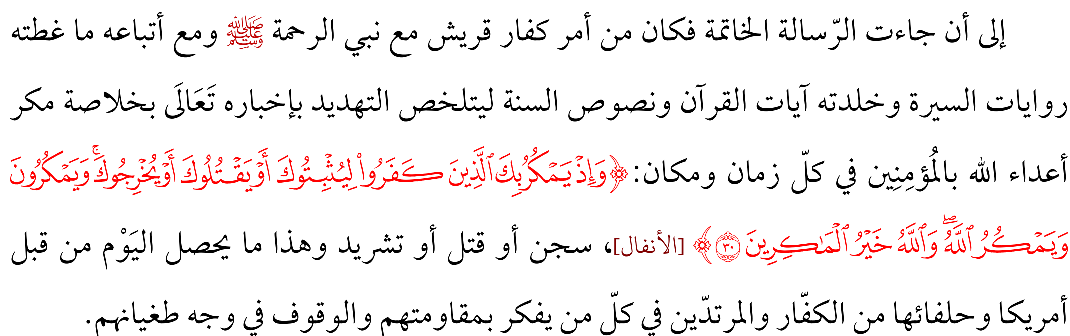
﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ [النحل] وكذلك كانت ردود الكفرة والملحدين عَلى رسلهم متشابهة واحدة، وتنوعت أشكال الصِّرَاع وقصص تلك المواجهات الدامية، ولكن أساس صورتها كانت شديدة التشابه، فأهل الحقّ يعبدون الله ويوحدونه وويريدون تعبيد الخلق له، والكفار بزعامة سادتهم وكبرائهم وكهانهم وعلماء سلاطينهم وأصحاب المصالح فهم يعبدون الطواغيت والأهواء ويريدون صرف النّاس عن الحقّ، فيعذبون أهله ويطاردونهم.

وتكررت شعارات الشر ووعيده، لنخرجنكم، لنرجمنكم، لنقتلنكم، لنسجننكم، وهكذا كانَ منذُ قالها الأخ الشرير لأخيه الصّالح: (لأقتلنك).

فأما نوح عليه السلام أول الرسل فقد صبر عَلى قومه قرابة ألف سنة وكان جزاؤه وعيدهم الدائم ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦﴾ [الشعراء] وهَؤُلَاءِ قوم إبراهيم عليه السلام يقولون لأبي الأنبياء كما قص علينا تبارك وتعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٤﴾ [العنكبوت]. حتَّى أبوه قَالَ له ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾ [مريم]، وهَؤُلَاءِ قوم شعيب عليه السلام يتهددونه وأتباعه: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ٨٨﴾ [الأعراف] وزادوه من الوعيد: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١﴾ [هود] وأما قوم لوط عليه السلام فكذلك قولهم: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦﴾ [النمل]، إلى أن جاء موسى عليه السلام وقص القرآن علينا قصة صراعه الطويل مع فرعون وقومه حيث أعلن الفرعون عن أصل المشكلة: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ٢٩﴾ [الشعراء] ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [الأعراف].

ثمّ أخبرنا القرآن الكريم بما كانَ من سلوك بني إسرائيل وكبرائهم وكهانهم الفسقة الفاسدين مع أنبيائهم: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧﴾ [البقرة].

إلى أن جاء نبي الله عيسى عليه السلام فمكر به الأحبار والرهبان من اليَهُوْد وسعوا إلى الحاكم الرُّوماني لقتله وصلبه فنجاه الله منهم ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النساء: ١٥٧] فطاردوا أتباعه عَلى مدى قرنين من الزّمان قتلا وتشريدا حيث ذكر القرآن إحدى صور تلك المعاناة في قصة أصحاب الأخدود: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨﴾ [البروج]



إلى أن جاءت الرّسالة الخاتمة فكان من أمر كفار قريش مع نبي الرحمة ﷺ ومع أتباعه ما غطته روايات السيرة وخلدته آيات القرآن ونصوص السنة ليتلخص التهديد بإخباره تَعَالَى بخلاصة مكر أعداء الله بالمُؤمِنِين في كلّ زمان ومكان: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ [الأنفال]، سجن أو قتل أو تشريد وهذا ما يحصل اليَوْم من قبل أمريكا وحلفائها من الكفّار والمرتدّين في كلّ من يفكر بمقاومتهم والوقوف في وجه طغيانهم.

****

عبر وملاحظات:

إن الدارس لقصص الأنبياء بدءا من دعوة نوح عليه السلام وانتهاء بالسيرة العطرة لسيدنا المصطفى عليه الصّلاة والسَّلام كما غطتها نصوص القرآن والسنة النّبويّة عَلى صاحبها أفضل الصّلاة والسَّلام يخرج بعبر ودروس لا تنتهي عن مسير الصِّرَاع مع البَاطِل، كما أن دراسة التّاريخ البشري عموما والإِسْلَاميّ خُصُوصَاً تعطي أفضل الدُّروس وأوضحها عن مسيرة هذا الصِّرَاع عبر التّاريخ وفي حدود الإيجاز الّذي نحن بصدده نذكر من ذلك:

عدم إمكانية عيش قوى الخير والشر في مكان واحد:

فرغم أن أسرة آدم عليه السلام كانت صغيرة جدا بل الأسرة الوحيدة في الأرض لم تتسع الأرض بكاملها لذلك الأخ الشرير كي يتحمل وجود أخ صالح يتقبل الله منه معه فيها، فلقد كانَ بإمكانه أن يقول لأخيه لا أريدك بقربي أخرج إلى أرض أُخرى، إلى جبل آخر، إلى إقليم آخر، إلى قارة أُخرى، ولكن لم يجد إلا مقالة: ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾ فالشر لا يتحمل وجود الخير عَلى ظهر الأرض كلها إن استطاع، وهذه لفتة تفيدنا أن من العبث حقيقة، ومن مصادمة السنن الكونية ومنطق التّاريخ أن يتخيل بعض أهل الحقّ أن أهل البَاطِل وقوى الشر تتحمل جوارهم بل مجرد وجودهم.

ومن هنا تسقط كلّ نظَريَّات التعايش بينهما عَلى كافّة الأصعدة.

فلم يمكن لحاكم طاغية عبر التّاريخ أن يتحمل وجود من يوحد الله في شعبه ولا يعبده، حتَّى ولو تركه وشأنه وطغيانه، كما لا يمكن لدولة جرثومية في بنيتها وفكرتها مثل إسرائيل أن تتحمل قيام دويلة فلسطينية في خاصرتها ولو بمواصفات ممسوخة عَلى جزء من أرض فِلَسطِين، حتَّى ولو سلمت هذه الدويلة لإسرائيل بكل ما سلبته منها واعترفت بشرعيتها الغير مشروعة أصلا، وهذا ما أثبته المسار السخيف لاتفاقيات السَّلام بدءا من (أوسلو) ومرورا بـ (مدريد) وغيرها وانتهاء بـ (خارطة الطّريق) إلى الهاوية.

كما أثبتت التَّجَارب السّياسيّة في كافّة الدّول الإِسْلَاميّة أن قوى الكفر والعلمنة والإلحاد والتغريب لم تتحمل وجود قوى أصوليَّة وأحزاب إسلاميّة معها تحت قبة البرلمان، إلا ممسوخة مدجّنة مسيّرة، وقد رفضتها حتَّى مع حالتها هذه في الغالبيّة السَّاحقَة من التَّجَارب، فمن السذاجة أن يتصوُّر بعض الإِسْلَاميّين تلك الرقعة المحدودة تحت قبة البرلمان تتسع لقوى الإيمان والكفر بالله في ألوهيته وربوبيته، وهي تتعايش بسلام، حيث لم تتسع الأرض كاملة لجوار الحقّ والبَاطِل، حيث ما لبث البَاطِل أن صرخ بالحق ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾.

****

إن الشر لا يندفع بالمواعظ وتحريك الضمير وإنما بمقاومته وقطع دابره:

فلم ينفع قابيل أن ذكّره أخاه بأنه مسالم له، وأنه لم يحرك يده ضده، وتذكيره بالخوف من الله، وتوعّده بالنار جزاء للظالمين.

فقال تَعَالَى: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾ [المائدة] ثمّ قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾ [المائدة]

ولأن العبرة في الجرأة عَلَى القتل لا بكمية القتل، فمن قتل نفسا زورا وطغيانا وظلما فهو مستعد لقتل غيرها لنفس الدوافع، وهذا ما أثبتته هذه الحضارة الغربيّة البربرية الهمجية الّتي تسود صفحات تاريخها بقصص مروعة من الجرائم.

فمنذ انطلقت حملة الكشوف الجغرافيّة بتفويض ومباركة من بابا الفاتيكان مطلع القرن السَّادس عشر، تركت الدّول النّصرانية الأوروبية وراءها قصصا من القتل والفتك بالبشر في القارات الخمسة الأخرى تشيب لها الولدان.

لقد أباد الغرب أعراقا وأمما بكاملها في الأمريكيّتين وأستراليا، وارتكب عبر التّاريخ منذُ ذلك الوقت وإلى يومنا هذا فضائع جاوزت ضحاياها مئات الملايين من البشر، بل لقد أباد الأوروبيون بعضهم بعضا في صراعهم عَلَى عائدات الاستعمار وعلى المصالح والسياسات المختلفة فقتل في الحَرب العَالَمِيّة الأولى نحو ٨ مليون نسمة، وأفنى الأوروبيون فيما بينهم بالإضافة للروس والأمريكان واليابان نحو ٨٢ مليون إنسان في الحَرب العَالَمِيّة الثّانية، حيث قصفوا المدن عَلَى رؤوس المدنيين وجعلوهم حقل تجارب لمخترعاتهم العسكريّة الفاتكة وانفردت أمريكا بتجريب أول قنبلتين نوويتين في التّاريخ الحديث فقتلت زهاء ربع مليون نفس في لحظات!

ولعلم الله بأن في بني الإنسان أمثال هَؤُلَاءِ، شرع الجِهَاد والدفع فقال تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج] وقال تَعَالَى عنهم: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۝١٠﴾ [التوبة]، ولذلك قَالَ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٩٤﴾ البقرة] ولهذا شرع الجِهَاد وفرض الإعداد، إعداد القوّة بهدف (الإرهَاب)، نعم إرهاب هذا الجنس النكد المعتدي من أبناء آدم حيث ما وجدوا، ولذلك أمر تَعَالَى بوضوح وصراحة ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ وحدد الهدف بصراحة مكملاً ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]

والآيات بهذا المعنى كثيرة، لقد علم الله أن هذا الجنس الشرير القاتل من بني البشر يجب أن يردعوا، وأن تستأصل شأفتهم إن لم يردعوا، وألا يسمح لهم بالعيش إلا تحت الذلة والصغار يدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون، وأن أكثره لا يستقيم إلا ما دمت عليه قائما، وهكذا أثبت التّاريخ وصدق الله العظيم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك]

****

الصِّرَاع بين الحقّ والبَاطِل أزلي، كانَ وسيستمر، وأعداء الحقّ عَلى مر التّاريخ هم الملأ المستكبرون من الحاشية والأعوان وكهنة السُّلطَان:

منذُ نشأ الشرك، وقامت نواة السّلطة وتكون الطّغيان ارتبطت مصالح السُّلطَان والطَّاغوت بمصالح أهل الأموال والدُّنيَا بزيف سدنة الضلال من الكهان، فصار لهم الملأ، وحرسهم الأعوان، وكثيرا ما أطلق القرآن الكريم عَلى هذه الثلة أداة الشّيطان في وجه أهل الحقّ لفظ ﴿الْمَلَأُ﴾ أو لفظ ﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ أو لفظ ﴿الّذينَ أُترِفُوا﴾.

نعم بدأ هذا الصِّرَاع منذُ قابيل واستمر مع المتكبرين من قوم نوح ثمّ ما تلاه من الأنبياء عليهم السَّلام ممن قص علينا القرآن ذكرهم إلى تفصيلات ذلك في قصة موسى عليه السلام مع عد والله فرعون إلى قوى الكفر وأصحاب المصالح ممن سعوا في قتل المسيح فأنجاه الله، وصولا لدعوة خاتم الأنبياء عليه الصّلاة والسَّلام، واستمر بعد ذلك كما سنبين عبر التّاريخ الإِسْلَاميّ بين دول الكفر ودولة الإِسْلَام، وبين قوى الحقّ والصلاح وقوى الاستكبار والظُّلم والجور داخل دولة الإِسْلَام ذاتها، منذُ أن افترق السُّلطَان والقرآن، كما أخبر سيد المرسلين ﷺ.

قَالَ الله تَعَالَى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ [الأعراف].

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف]

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٣]

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف]

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥]، ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف]

ثمّ إلى قصة فرعون وملئه وموقفهم من سيدنا موسى ﷺ إلى قريش والسادة الملأ الّذين استكبروا وتجبروا حتَّى قذفوا بالقليب وهكذا، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سبأ].

****

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف]

هكذا أخبر ربنا تبارك وتعالى عن أهل الحقّ بأنهم الثّلة والقلّة في كلّ قوم عبر التّاريخ عَلى مستوى الأرض وعلى مستوى كلّ قوم وإزاء كلّ دعوة حقّ، وهكذا أثبتت عبر تاريخ كلّ الدّعوات المؤمنة وكل دعوة حقٍّ، فقد دعا نوحٌ قومه ألفَ سنةٍ إلا خمسينَ عاماً، فما آمن معهُ إلا قليلٌ.

وقد ذكر المفسرون أرقامـاً أقلّها أولاده الثّلاثة، وأعلاها ثمانون، وأقواها اثـني عشر مؤمنًا!! فالمسلمون في الكفّار قليلٌ، والمُؤمِنُون في المُسلِمِين قليلٌ، وقليل من عبادِ الله الشَّكورُ، والمقرَّبون ثلّة من الأولين وقليلٌ من الآخرين، وأصحاب اليمين في أهل الإِسْلَام ثلّةٌ من الأولين وثلّةٌ من الآخرين.

****

إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ولا رابطة بين مؤمن وكافر:

أخبر الله ﷻ رسوله ﷺ بأنه يهدي من يشاء وأنه ليس له من الأمر شيء وقال له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص] والآيات في هذا المعنى كثيرة جدّاً والله أعلم بمن هو أهل للرَّحمة والهُدى، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر]

كما قررت العَقِيْدَة بصرامة أن لا رابطة بين مؤمنٍ وكافرٍ، فقال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وكذلك: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]، وهكذا انفصلت علاقة الأبوّة عَلَى أساس الكفر والإيمان فقال تَعَالَى يقطع العلاقة بين نوح عليه السلام وابنه الكافر: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ﴾ [هود: ٤٦].

كما انفصلت علاقة البنوة بين إبراهيم وأبيه فقال تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة].

وكذلك بين الزوج وزوجه ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم]، وبين ﷻ أن هذا هو سبيل الأسوة الحسنة فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة] وكذلك أثنى الله تَعَالَى عَلَى صحابة رسوله عندما تمثلوا ذلك وأنزل القَاعِدَة فقال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

هذه نقطة أساسية لفهم الصِّرَاع بين الحقّ والبَاطِل من منظور أهل الإيمان.

وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٢٣ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤ ﴾ [التوبة].

****

نمو التَّجَمُّعات البشرية وقيام الممالك، ونشوء السّلطة وقيام النموذج الفرعوني المتكرر عبر التّاريخ (حاكم.كاهن.أعوان):

في بؤر التجمع البشري الأولي بدأت تتكون نويات العشائر من الأسر المتقاربة نسبا ومسكنا، من أولاد الأب الواحد وأولادهم، ومع تناميها بدأت تتكون القبائل من تجمع العشائر أولاد الجد الواحد.

وبشكل فطري وطبيعي قامت الحاجة لنشوء السّلطة، الّتي تكونت بشكل تلقائي من كبير الأسرة أو جدها أو شيخها المطاع الّذي ترجع إليه القبيلة في شؤونها وحاجتها.

ولما كانَ اجتماع القبائل عَلى موارد الغذاء والرزق من المياه والمراعي ومواطن الصيد، سرعان ما ضاقت المواقع بأهلها فتباعد النّاس في المساكن بحثا عن موارد الرزق نتيجة الحاجة والصِّرَاع عَلى تلك الموارد.

فكانت السّلطة في تلك المَرحَلَة مكونة من شيخ القبيلة وكبير رجال الدّين أو الكهان فيها وكبار رؤوس العشائر أو الأسر وأهل المال أو القوّة والبأس.

ومع تفاوت القبائل في حجمها سيطرت القوية منها عَلى من حولها من الأسر والقبائل الضعيفة إما بالتزاوج أو التَّحالف أو بالبطش والسّيطرة، وبدأت القبائل المتضخمة تأخذ شكل الممالك الصغيرة، وسرعان ما برزت الحاجة لمستلزمات المُلْك من الأعوان والسّلاح والحصون، ونشأت طبقة الملأ والأعوان، وأدوات الملك ونويات مؤسساته.

وكما حصل في تضخم بعض القبائل، تضخمت بعض الممالك لتبتلع من حولها أو تهجِّرها وتسيطر عَلى أرضها، ومكنت كثرة العدد والموارد بعضها من أن تتحول إلى ممالك قوية تقوم عَلى نظام

إقطاعي يسود فيه كبار القادة والملاك الّذين يشكلون كبار أعوان الملوك، الّذين اتسع مع اتساع الموارد والسلطان مدى نفوذهم وبالتالي مظاهر سلطانهم من كثرة الجند والسّلاح وإنشاء القلاع والحصون والأسوار عَلى مدنهم وممالكهم، ونشأت أنظمة اجتماعيَّة واقتصاديَّة وسياسيّة بحسب حال كلّ مملكة، وبالطبع كانَ لكل مملكة دينها ومعتـقداتها وبالتالي نشأت طبقة رجال الدّين والكهان الّذين يديرون الحياة الدّينيّة لكل مملكة.

وكما توسعت القبائل توسعت الممالك، وقام الصِّرَاع عَلى النفوذ والسلطان أو الموارد والأراضي وسوى ذلك من متاع الدُّنيَا، فقامت الحُرُوب بين الممالك وابتلع الأقوياء الضّعفاء فبدأت تتكون الممالك الكبرى الّتي ازدهرت فيها حضارات عظيمة في مختلف مناطق الأرض عَلى يد أولئك الملوك الأقوياء، واضطرت الممالك الصغرى إلى الدخول في حمايتها أو الذوبان فيها أو الرحيل من جوارها إلى مناطق أُخرى، فتوسعت تلك الممالك لتصل إلى حجم الإمبراطوريات في بعض الأحيان.

ونتيجة الظُّلم، والتـنوع العرقي والدّيني في مكوّنات الإمبراطوريات، أو الممالك الكبرى، ونتيجة الصِّرَاع فيما بينها، تفككت في كثير من الأحيان تلك الإمبراطوريات والممالك الكبيرة إلى مكوّنات أُخرى من الممالك الصغيرة، وعادت إلى مستوى المملكة أو الإمارة أو حتَّى القبيلة لتعاود دورة التّاريخ سيرها معها بأشكال مختلفة فتتسع وتمتد ثمّ تتفكك وتتحلل، وهكذا دواليك.

* قيام النموذج الفرعوني ومثلث السّلطة: (الحاكم- الكاهن - الأعوان):

حكم الملوك والزعماء شعوبهم ورعاياهم بالترغيب والترهيب، فالعطايا والمناصب والمكاسب لمن يطيع السُّلطَان، والبطش والقتل والنكال لمن يخالفه، ومع الوقت أدرك الملوك والطغاة ما للسيف والذهب، أو العصا والجزرة ـ من أثر ناجع في سياسة النّاس،

إلا أن دهاة الساسة والملوك الطواغيت، لفت نظرهم طاعة النّاس لرجال لا يملكون سيفا ولا ذهبا، ولا حراسا ولا أعوانا، ولا شيئا من هيلمان السُّلطَان! إنهم رجال الدّين والكهان الّذين يقبعون في معابدهم، حيث يأتيهم النّاس طواعية ليدفعوا لهم الصدقات ويقربوا بين أيديهم القرابين بلا إجبار،

ويقضون لهم المهام والخدمات، بل ويهبون لهم حياتهم بكل اختيار، حيث لا يحصل الملوك عَلى ذلك من النّاس إلا بالسيف والسوط.

فالنّاس يطيعون الكهان بسبب دواعي الفطرة الكاملة الّتي فطرها الله في قلوب النّاس من السعي لعبادة خالقهم وإرضائه.

فإما يعبد النّاس ربّهم وفق هدي الأنبياء، ثمّ ورثتهم من العُلَماء، فيوصلونهم إلى الله عَلى الطّريق المستقيم لا يريدون منهم جزاءا ولا شكورا، وإنما هداة ربانيين يبتغون الأجر من الله تَعَالَى، وإما أن تجتال الشياطين النّاس ذات اليمين وذات الشمال فيعبدون الطَّاغوت ويشركون بربهم، وتقودهم في هذا الضلال شياطين الإنس والجن من السحرة والكهان ورجال الدّين المنحرفين، فينحرف النّاس في دروب الضلالة كلّ أمة بحسب شيطانها وضلالها، ذلك منذُ عبد النّاس حجارة الطوطم والكواكب والظواهر الطبيعيّة والحيوانات والنار والأصنام، أو عبدوا البشر والطواغيت إلى آخر أشكال الشرك المتطورة بحسب تطور المجتمعات.

إن النّاس يطيعون كهانهم ورجال الدّين فيهم ظنا منهم أنهم يوصلون إلى طاعة خالقهم، فتستريح فطرتهم في عبادة ذلك الخالق، حيث لا تستريح فطرة ولا تستقر نفس إلا بالركون إلى معبودها بالحق أو بالضلالة.

ولذلك ترى الإنسان مهما سما في مراتب العلم والمعرفة والذكاء، يخلع عقله وتفكيره مع حذائه عَلى باب المعبد، ويستعد في غالب الأحيان نفسيا، لطاعة رجل الدّين القابع في داخله، ليدله عَلى رضا معبوده ويعلمه كيف يعبده ويطيعه، وهو عَلى استعداد لبذل كلّ غال ونفيس في سبيل هذه الراحة، وهكذا مازلت ترى اليَوْم حامل شهادة دكتوراة في أرقى العلوم، يثني ركبتيه ويبسط راحتيه ساجدا لبقرة أو فأرة أو نار، أو تمثال أصم مزركش! فيما يرش عليه الكاهن بعض رذاذ الماء من يده المتعفنة، ويطلق دخان البخور لتغطي عَلى نتنه ونتن معبده، أو ربما يتبع هذا الحصيف فتوى عوجاء من رجل دين منافق لسلطانه، حتَّى ولو كانت لا تدخل في عقل عنزة، من قبيل إضفاء الشَّرعيَّة عَلى احتلال

النّصَارى لبلاد الحرم بدعوى الاستعانة، وجعل من جاهدهم مفسدا في الأرض!! وهكذا كانَ وما زال ديدن البشر.

وحتى لما ثار النّاس مؤخرا عَلى رجال الدّين وانخلعوا من أديانهم، وفروا إلى ظلمات الإلحاد، لم تستقر نفوسهم وما زالوا يتيهون في ظلمات السحر والكهانة والبحث في المغيبات، والاعتقاد في الأوهام والأشباح والأطباق الطائرة! حتّى يسكن هذا العطش الفطري لعبادة ربّ قادر مهيمن يلجؤون إليه في المهمات!

أدرك الساسة ودهاة الطواغيت هذه الظَّاهِرة، وأدركوا أن استيعاب هَؤُلَاءِ المستحوذين عَلى الطاعة بلا سلطان ولا أعوان أفضل من مواجهتهم، وعلموا أنهم إن خضعوا إليهم خضع لهم القطاع الأكبر من النّاس الّذين لم يتمكن السّيف والسوط ولا الذهب من إخضاع أكثرهم إلا مؤقتا، حيث يكون الأصل في النّاس هو التفلت والبغض للسلطان وسيفه وذهبه لولا الخوف والحاجة.

فقرّب رجالُ الملْك رجالَ الدّين، وأغدقوا عليهم الذهب والعطايا، وأوعدوا من أبى منهم السّيف والعذاب، فطوعوا أكثرهم، فأنشؤوا لهم هيلمانا كهيلمان الملك، فارتفعت قباب المعابد كما ارتفعت أبراج القصور، وصار لهم الحراس والأعوان والأتباع والخدم، وهكذا انضم رجال الدّين إلى الملأ من كبار القواد والأمراء والأعوان وشكلوا الحاشية، وقام التزاوج النكد بين الملوك والكهان ورجال الدّين، هذا التزاوج الّذي دمر مستقبل البشرية في معظم تاريخها، وعبّد النّاس للطاغوت بدل أن يعبدوا ربّهم.

وبهذا اكتمل مثلث السّلطة الّذي قام عَلى (**الحاكم والكاهن والأعوان**)، وشكل كبار الكهان وكبار الأعوان وجنودهم الظُّلمة ما اصطلح عليه القرآن بلفظة ﴿الملأ﴾ أو ﴿الّذينَ استكْبَرُوا﴾ أو ﴿الّذينَ أُتْرِفُوا﴾، وحاز هَؤُلَاءِ ما شاؤوا، واستولوا عَلى ما أرادوا من دنيا النّاس والشّعوب المسحوقة طوعا أو كرها.

وتنوعت أشكال مثلث السّلطة بحسب تنوع وتطور المجتمعات والممالك والحضارات، ولكن التّاريخ وآثاره وما تركته تلك الحضارات من شواهد مكتوبة أو ملموسة، وكذلك ما أخبرتنا به الكتب

الدّينيّة السَّابقة ثمّ القرآن الكريم، دلت جميعها عَلى أن مثلث السّلطة كانَ مكونا من هذا الحلف: **(الحاكم والكاهن والأعوان)**، حيث كانَ صلاح الملأ والحاشية دائما بصلاح ذلك السُّلطَان، والعكس بالعكس، فالملوك العادلون قربوا العُلَماء الصّالحين ورجال الدّين المخلصين، واستقام تبعا لذلك مسلك الجند والأعوان، وأما الطغاة فقد قربوا المجبرين والفاسدين، وكان النّاس دائما عَلى دين ملوكهم.

وهكذا قام الساحر المشعوذ يهيج النار إلى جانب رئيس القبيلة، ويدير الطقوس في المجتمعات البدائية، ثمّ تطورت الحضارات فقام النموذج الفرعوني الّذي فصل القرآن وأفاض في تركيبته وأحواله، فوقف النمرود وكهان الأصنام لسيدنا إبراهيم عليه السلام حتَّى رموه في النار ثمّ هجّروه بعد نجاته، ولما جاء موسى عليه السلام إلى فرعون وقف في وجهه حلف السحرة والأعوان من الملأ إلى جانب الفرعون، ثمّ وقف الأحبار والرهبان من اليَهُوْد إلى جانب الملوك الطغاة ضدّ الصّالحين في كثير من تاريخهم، فجاء نموذج (بلعام بن باعوراء) الّذي قصَّ الله قصَّته مع القوم الجبَّارين وملكهم ضدّ نبيّ الله والمُؤمِنِين من بني إسرائيل، ثمّ جاء اليونان وقامت حضارتهم الوثـنيَّة، فكان لها أباطرتها وكهانها وآلهتها وجندهم وملوكهم، ثمّ جاء الرُّومان فورثوا حضارة اليونان بحذافيرها، وقامت حضارات كثيرة في المشرق والمغرب، وكلها تدل آثارها عَلى نفس المسالك والبنية في مثلث السّلطة، **(حاكم وكاهن وأعوان)**، ولما جاء سيدنا عيسى عليه السلام وقف الأحبار والرهبان والملأ من بني إسرائيل وأرباب الدُّنيَا والمصالح مع الحاكم الرُّوماني وسعوا في قتله فأنجاه الله منهم، ثمّ طارد القياصرة والملوك أتباعه وقتلوهم حتَّى حفروا لهم الأخدود الّذي ذكره القرآن، وطاردوا أصحاب الكهف وأمثالهم، حتَّى سمي القرن الأوّل والثّاني الميلادي في التّاريخ المسيحي بعصر الشّهداء.

ثمّ غزت النّصرانية الإمبراطورية الرُّومانية، بعد أن شوهها الرهبان والأحبار اليَهُوْد ومزجوها بالوثنية وبعض تعاليم اليَهُوْدية.

وتكررت السنّة فكان البابا كبير الرهبان والأحبار النّصَارى إلى جانب الإمبراطور القيصر، ونشأ له ما هو معروف من المؤسسة الدّينيّة وسلطانها، واكتمل عَلى يد النّصَارى الهيكل الدّيني الّذي

صار البابا الأكبر فيه إمبراطورا دينيا متوجا يضاهي الإمبراطور الرُّوماني وملوك أوروبّا في ملكهم وذهبهم وحراسهم وحشمهم، وشهدت أوروبّا كثيرا من الحُرُوب والنزاعات بين الملوك والأباطرة العظام وبين البابا وكبار كرادلته ورهبانه وكانت الغلبة دائما للباباوات، حتَّى ثار بعض الملوك واتخذوا لأنفسهم باباوات فرعيين غير البابا المركزي.

والتّاريخ الأوروبي والكنسي يقص الفظائع من أفعال مثلث السّلطة هذا (الحاكم والكاهن والأعوان) وما فعلوا بالشّعوب مما يشيب له الولدان، ويشابه الأساطير، فقد استلبوا الأموال، وسفكوا الدِّماء، واستحلوا من الأعراض ما شاؤوا، حتَّى بلغ بهم أن يبيعوا النّاس إقطاعات في الجنّات من عالم الآخرة! حتَّى ثار النّاس عَلَى دين البابا، وإله البابا، وكفروا وألحدوا ورموا الدّين جانبا، لتقوم الحضارة الغربيّة عَلَى مزيج من الإلحاد والعلمانيّة والنّصرانية المتهودة الملوثة، كما يشهدها العالم منذُ أكثر من قرنين من الزَّمن، فلما جاء دين الله الخاتم وشريعته المحمّدية، ركزت العَقِيْدَة عَلَى ربط العبد بربه وأزالت وألغت دور الكاهن في حياة المسلم الإيمانية، فكان للدين علماء بمنزلة ورثة أنبياء يهدون النّاس إلى ربّهم بلا جزاء ولا أجر ولا إلزام، حيث يستطيع أي أحد من النّاس أن يسلك سبيل طلب العلم ليكون من أهل العلم، كما قـننت الشّريعة للسلطان دوره وحقوقه وصلاحياته، وكانت الشّريعة فوق الحاكم والمحكوم.

ولكن الّذي حصل في أرض الواقع هو ما أخبر به رسول الله ﷺ من أن أهل الإِسْلَام سيتبعون سنن من كانَ قبلهم حذو القذة بالقذة، قالوا يا رسول الله اليَهُوْد والنّصَارى؟ قَالَ:« فمن؟»[1] (أي فمن إلا هم؟!) لقد تبعهم أهل الإِسْلَام في كثير من الأمور وكان شر ذلك؛ الإتباع في النّظام السّياسيّ وهيكله، من قيام الملوك والسلاطين ونظامهم الوراثي، ونشأ هيكل شبيه بهيكل الأحبار والرهبان إلى جانب كلّ سلطان، وتماما كما أخبر رسول الله ﷺ في أحد أحاديث معجزات النبوة فيما روي عنه من

(١) أخرج مسلم (٢٦٦٩) والبخاري (٣٤٥٦) بمعناه ولفظه: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِّ: اليَهُودَ وَالنَّصَارَى، قَالَ: «فَمَنْ؟» .

حديث حذيفة ﵁: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، ثُمَّ سَكَتَ»(١)، **وفي رواية غاية في الأهمّيّة أوردها أبو عمرو الداني في كتاب السنن الواردة في الفتن من حديث أنس** ﵁ **قَالَ**: «إِنَّهَا ثمّ .. ثمّ مُلكٌ عَضُوض ثُمّ جَبريّة ثمّ طَواغِيت»(٢)، وفي رواية: **عن أنس بن مالك قَالَ**: «إِنَّهَا سَتكُونُ مُلُوكٌ ثُمَّ الْجَبَابِرَةُ ثُمَّ الطَّوَاغِيتُ»(٣).

وهذا الّذي حصل في المُسلِمِين منذُ رحيل الإستعمار وقيام حُكُومَات الطواغيت لترعى مصالحه وتحكم بشرائعه إلى يومنا هٰذا، وهكذا سن بنو أمية سنة الملك في الأُمّة المحمّدية وتبعهم بعدهم سلاطين المُسلِمِين وخلفاؤهم (كما اصطلح عَلى تسميتهم اصطلاحاً)، وكذلك كانَ دأب الملوك والأمراء المُسلِمِين لما تفرقت ممالك بلاد الإِسْلَام إلى دول وممالك شتّى.

فكانت النبوة فينا كما حفظت قصتها لنا كتب السيرة العطرة ونصوص السنة، وكان النبيّ ﷺ هو الحاكم السّياسيّ كما أنه مصدر التَّشريع والتلقي.

فلما قامت الخِلافَة الرّاشدة عَلى منهاج النبوة، قام خليفة رسول الله ﷺ بأعباء الحكم والسّياسة والريادة الدّينيّة، يعاونه أهل الحلّ والعقد من علماء الصّحابة والتّابعين.

فلما انقلب الأمر كسروية قيصرية، وانتقل إلى الملك العضوض، فالملك الجَبريّ استلزم الملك والسلطان مقوّمات مثلث السّلطة من الكهان والأعوان.

(١) رواه أحمد (١٨٤٠٦) وحسن إسناده الأرنؤوط، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥).

(٢) انظر السنن الواردة في الفتن للداني (٤١٨).

(٣) أخرجه ابن أبي الشيبة في المصنف ورقمه (٣٠٥٦٥، ٣٧١٩٣) عن أَبُي أُسَامَةَ عَنْ زَائِدَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ شِمْرٍ عَنْ أَنَسٍ ﵁، والحديث موقوف على أنس ، ورجاله ثقات.

فسلك أهل الإِسْلَام في ذلك سنة من كانَ قبلهم، فما بالك عند ما تحقق ما ورد به رسول الله ﷺ من قيام الطواغيت؟

وهكذا كانَ إلى جانب كلّ ملك صالح علماء صالحون وأعوان مقسطون، ونادرا ما مر هذا في التّاريخ الإِسْلَاميّ، وكذلك قام إلى جانب ملوك الجور من الخُلَفَاء والسلاطين والأمراء المُسلِمِين، علماء سلطان منحرفون عَلى قدر جور أمرائهم.

إلى أن قام الطواغيت يحكمون المُسلِمِين، فطغى علماؤهم وابتدعوا وزادوا ونقصوا في دين الله قدر ما استطاعوا، ولم يسلم من عبثهم إلا القرآن الكريم، الّذي تكفل الله بحفظه، وما حفظ من سنته ﷺ ، ومع ذلك لعب علماء السوء دورهم في تحريف الكلم عن مواضعه وسوء التّأويل ولي أعناق النّصوص، لتوافق أهواء الملوك، وكان الجند والأعوان من أعوان الظُّلمة وأصحاب السّيطرة رهن إشارة الملوك الّذين انتهبوا من دين أولئك العُلَماء وفتاويهم ما شاؤوا قدر ما استطاعوا.

وهكذا حصل ما أخبر به رسول الله ﷺ من افتراق القرآن والسلطان، ومن نعمة الله عَلى أهل مكّة الإِسْلَام أن حفظ لهم القرآن بحفظه وقيض لهم من حفظ السنة ونقحها، وأنعم عليهم ببعض العُلَماء والعاملين المخلصين في كلّ ظروف من تقوم بهم حجة الله عَلى خلقه، فوقفوا بالمرصاد لذلك الإنحراف وتحملوا في سبيل الله جبروت الملوك وضريبة مُوَاجَهة فُقَهَاء السّلاطين وعلماء الضلالة وجهالات وطغيان الجنود والأعوان من أتباع السادة والكبراء.

وهكذا كانَ إلى جانب كلّ سلطان من أمثال المأمون والمعتصم أمثال أحمد بن أبي دؤاد وأصحابه ممن يقول للمعتصم محرضا له عَلى قتل أحمد بن حنبل: (اقتله يا إمام ودمه في عنقي) حتّى كانَ في خلفهم من شيوخ الأزهر في مصر من يفتي بقتل سيد قطب وإخوانه، ومن هيئة كبار العُلَماء في السّعُودِيّة ومن يفتي بقتل المُجَاهدين للأمريكان ويحكم بأنهم لا يروحون رائحة الجنّة!!

إن فهم هذه السنة الكونية أساسٌ هام جدا لفهم طبيعة صِرَاع الحقّ والبَاطِل عبر التّاريخ عامة، وفي زماننا هذا خاصّة، حيث ترزح كافّة بلادنا تحت احتلال قوى الكفر مباشرة وبصورة غير مباشرة، كما مر معنا في الفَصل الأوّل، حيث ينوب عنهم ويقوم عَلى حراسة مصالحهم ويشاطرهم المكاسب

حُكَّام مرتدون تترسوا خلف علماء ضلالة، فأسبغوا الشَّرعيَّة عليهم وعلى الإحتلال الصّليبيّ بل واليَهُوْدي، وأفتوا بقتل المُجَاهدين وحرمة التّعاون معهم، ليصبحوا جُزءاً من الحملة الأمريكيّة لمُكَافحَة الإِرهَاب، وهكذا تكرر عبر الأزمان وعلى مر الحضارات والممالك النموذج الفرعوني لمثلث السّلطة الّذي فصل فيه القرآن وبين وأفاض بطريقة تبعث عَلى الدهشة والعجب.

* النموذج الفرعوني من خلال نصوص القرآن:

لقد قص الله ﷻ قصة فرعون من خلال مساحة واسعة في القرآن بصورة تختلف من حيث الشرح والاختصار في ٢٧ سورة من سور القرآن، حيث ورد ذكر فرعون زهاء ٧٦ مرّة، وغالبا ما جاء مقترنا بذكر السحرة أو الملأ أو الجند والأعوان، ولعلّ أكثرها تفصيلا ما جاء في سور ﴿الأعراف، يونس، طه، الشعراء، القصص، الزخرف﴾، وانظر إلى الإعجاز المذهل في تصوير السّلطة الفرعونية وأركانها في كلّ زمان ومكان، وأساليبها في الصِّرَاع مع الحقّ وأدوار أركانها الثّلاثة (الحاكم - الكاهن - الجند والأعوان)، وحيثيات المُوَاجَهة ودور الأجهزة السلطوية، وأداء أهل الحقّ والبَاطِل عَلى مسرح الحدث من خلال مشاهد الصِّرَاع ونختار من تلك النّصوص وقفة سريعة مع ما جاء في سورة الشعراء الآيات:

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ
أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧ قَالَ
رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٨ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ
٢٩ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ٣٠ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣١ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ
ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ٣٣ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ٣٤
يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ٣٥ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦
يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ٣٧ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ٣٩
لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤٠ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ

﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟
بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ
﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى
عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ
رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ * وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ
بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا
لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ
إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الشعراء]

****

* وهكذا جاء دور السحرة وعلماء الفرعون:

ابتدأ الحوار بين موسى عليه السلام وفرعون عقديا، فلما بين موسى أن لهم ولآبائهم ربا هو مالك الملك ورب المشارق والمغارب، دب في فرعون شيطان الطّغيان فاتهمه بالجنون، ثمّ هدده بالسّجن إن هو اتخذ ربا يطيعه ويدين له بدلا عن طاعة الملك ودينه، ثمّ عرض موسى عليه السلام المعجزات والدلائل المفحمة، وهنا أسقط في يد الفرعون، فهذه معجزات لا تناقش، ولا توضع في السّجن، عندها ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ اتهمه بقدرة السحر، واستنجد بالملأ يستفز فيهم حرصهم عَلى الملك ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ ويظهر الدِّيمقراطيَّة الآن رغم أنه الآمر الناهي الّذي قَالَ لهم يوميا ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر]، حتَّى بلغ أن يقول لهم ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]!! الآن يخاطب أعوانه باللين ومنطق المشاركة ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾؟ وهكذا هم في كلّ زمان كما يفعلون اليَوْم في مسرحيات الإصلاح السّياسيّ بعد زلازل العراق.

وهكذا أدرك الملأ أن المسألة مسألة خوارق وعقائد تحتاج أهلها، فاستنجدوا بعكاز الفراعنة في كلّ زمان المَشَايخ و(رجال الدّين)، ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾ أي أجل حواره الآن ﴿وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ٣٧﴾ بكل مقتدر من الكهان، سحار كثير السحر عليم به، وهنا تأتي لفتة هامة وما أشبهها بما يحصل اليَوْم ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨﴾ ، وكم تذكرت هذه الآية عندما قرأت ذات مرّة بيانا لهيئة كبار العُلَماء بعد أن فجر المُجَاهدون مواقع للأمريكان في **(الخبر والرِّيَاض)** في السّعُودِيّة، فجاء في مطلع بيان هيئة كبار العُلَماء: (بناءا عَلى دعوة من وزير الداخليَّة سمو الأمير نايف بن عبد العزيز، اجتمعت هيئة كبار العُلَماء في دورتها الطارئة بتاريخ..)، فسبحان الله كيف تشابهت الأمور.

لقد أرسل فرعون وزارة الداخليَّة إلى هيئة كبار العُلَماء حاشرين، فاجتمعوا في دورتهم الطارئة لميقات يوم معلوم! وقيل للنَّاس يومها: إن هَؤُلَاءِ الّذين ضربوا الأمريكان في السّعُودِيّة شرذمة قليلون، وأنه لولي الأمر غائظون، وأن الجميع حاذرون، وأن عَلى كلّ مواطن أن يكون رجل أمن.

فلماذا يجتمع السحرة؟! إنهم يجتمعون لتطويع النّاس للفرعون ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ٣٩﴾ لماذا؟ ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤٠﴾ وهنا لفتتان هامتان:

أولاهما: أن الملأ يتبعون فرعون في العادة، فكيف رضي لهم الفرعون وللنَّاس أن يتبعوا السحرة ؟! ما كانَ ذاك إلا لعلمه أن إتباعهم للسحرة هو في نهايته طاعة للفرعون لأَنّهم سيأمرونهم بهٰذا.

ثانيهما: أن شرط طاعة النّاس للسحرة﴿إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤٠﴾، فالنّاس تتبع الحجة والبرهان الشَّرعيّ منهم إن غلبوا أو أوهموا النّاس بغلبتهم، ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤١﴾ فهم يعملون للدنيا والأجر، فما أجرهم؟ لقد اختار لهم الفرعون أعلى الأجر وأحبه إلى النفوس المتعلقة بالدنيا، فقال: ﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٢﴾ **الأجر هو القرب من السُّلطَان، لأن بالقرب منه تقضى الحوائج، ويتقرب بعدها النّاس لهم بما شاؤوا من النِّسَاء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، أما الفرعون فهو يضمن بقربهم فسادهم لأنه كما جاء في الحديث**

«وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا»(١)، وهو يعلم هذا وكل السّلاطين والحكام يعرفونه.

فلما اتفقوا عَلى أن يلقوا، استعلنوا بالشعار كما يستعلن عباد السّلاطين اليَوْم ﴿وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ۝٤٤﴾، فلما غُلبوا وتبين الإعجاز الإلهي لهم، وعرفوا لأن الله كانَ قد كتب لهم السعادة ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾.

أدرك الفرعون أن عكاز السُّلطَان الأوّل قد انصدع وتكسر وتخلى عنه، فأشهر عكازه الثّاني وهم (الجند والأعوان) وأخذ بالتهديد والوعيد ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٤٩﴾.

فلما آمن من آمن وشرعوا بالهِجرَة والاختفاء، جاء دور الآلة الإعلاميَّة ﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ۝٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ۝٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ۝٥٦﴾، وما أشبه تلك البارحة بهذه الليالي، وما تديره آلة الإعلام اليَوْم فيما يسمونه (مُكَافحَة الإِرهَاب).

فسبحان الله، وكما تشابه المسار ستتشابه النَّتِيجَة بإذن الله، فالعاقبة للمتقين، وقعر اليم لكل جبار عنيد.

❋ أما الملأ:

من المستشارين والأعوان والحاشية والجند، فهم كما جاؤوا في سياق القرآن شركاء في كلّ شيء، شركاء في التسلط والطّغيان، شركاء في الجرم، كما أنهم شركاء في حكمهم الشَّرعيّ، وكذلك شركاء في العاقبة والمصير.

فقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم ثلاثين مرّة، وكلها للتعبير بحسب سياق الآيات عن كبار أعوان الملك ومستشاريه وقادته والمقربين منه، وقد مرت في أكثر آيات قصص الأنبياء كما سبق في بعض الشواهد بصفتهم الأعوان الواقفين دفاعا عن الطَّاغوت دائما في وجه الأنبياء وأتباعهم، فهم كما وصفهم تَعَالَى:

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩) وأحمد (٩٦٨٣، ٨٨٣٦) وضعفه الأرنؤوط، وحسنه الألباني – الصحيحة (١٢٧٢).

المتكبرين: ﴿ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ [الأعراف: ٧٥]، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف: ٧٦]

والمترفين: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [هود]

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سبأ]

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء]

والمتتبع لأمرهم في الآيات لاسيما في قصص فرعون المتكررة يلاحظ أمورا ثلاثة:

١. **أن السُّلطَان يرتكز إليهم وأنهم يرتكزون إليه.**
٢. **أن دورهم مباشر في تثبيت أركان الفرعون، وفي التخطيط والتآمر، وبتنفيذ الحَرب ضدّ حزب الإيمان.**
٣. **أن القرآن الكريم قد قرنهم إلى الفرعون في الحكم الشَّرعيّ وكذلك العقاب والمصير.**

- فهم يباشرون المؤامرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص]

- وهم أركان ألوهية الفراعنة وعباد طاغيتهم: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، ولذلك شملهم موسى بدعائه عَلى الفرعون لما قَالَ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس]

- كيف لا وهم شركاء في الظُّلم كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأعراف]

- وهم المتكبرون معه، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المؤمنون]

- وقد كانت الدّعوة إلى فرعون ولهم سواء بسواء: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص]

ولكنهم استكبروا وتولوا مهمة فتنة المُؤمِنين ومطاردتهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [يونس]

فلما استجاب الله دعاء موسى، أخذهم العذاب الأليم وغرقوا معه، وسبحان المنتقم العادل والجزاء من جنس العمل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود]

* وأما الجند وصغار الأعوان:

فحالهم حال الملأ وهم جزء منهم، والطّبقة السفلى من تكوينهم، وينسحب عليهم ما سبق من الملاحظات، فهم السند الحقيقي عددا وعدة، في تثبيت أركان الفرعون والملأ، وهم المباشرون لعذاب المُؤمِنِين ونكالهم، وهم الّذين باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم من أجل بعض الفتات، ولذلك أشارت الآيات أيضا إلى اشتراكهم في الجرم وقصدهم بالدّعوة واشتمالهم عَلى عقاب طاغوتهم معه، في الدُّنيَا والآخرة، والآيات واضحة لا تحتاج إلى تعليق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء] فالقتال مع المُؤمِنِين في سبيل الله علامة عَلى الإيمان، والقتال في سبيل الطَّاغوت علامة عَلى الكفر.

وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾﴾ [القصص]، فخطيئتهم واحدة جملة وهل كانت خطيئة الفرعون إلا الكفر بالله ومحاربة أوليائه.

﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [القصص] فهم شركاء في الاستكبار، شركاء في الجحود، ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ [يونس: ٩٠] فهم الأداة، أداة جريمة الفرعون ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ [البروج] فما فرعون وثمود لولا الجنود؟ ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [طه] شراكة العقاب في الدُّنيَا ومثلها قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص] تأكيد لسابقتها



وكذلك قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝﴾ [القصص]

وهكذا رأى الجند والأعوان من العقاب مع فرعون وهامان ما كانوا يحذرون.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ۝ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ۝﴾ [هود]، وهذه أسوأ ما ينتظرهم من شراكة المصير في الآخرة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝﴾ [الأحزاب]، فجند الطَّاغوت في مقابلة جند الله وملائكته، ومصيرهم هو مصير زعيمهم إبليس وكل جنده، ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۝ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ۝﴾ [الشعراء] فهكذا اشتركوا في المصير إلى النار.

وهكذا فهم عسكر إبليس مع كلّ طاغية جبار، وحّدهم الجرم ووحّدهم العقاب في الدُّنيَا والمصير في الآخرة إلا ما شاء ربّك، وهكذا أعود لأؤكد.

من أنّي أعتقد كما اعتقدت دائما، أن مشكلة أهل الإيمان والجِهَاد في هذا الزّمان كما كانت في معظم الأزمان، وهي اليَوْم أوضح وأكبر، في كهنة هذا الزّمان علماء السُّلطَان المجرمين الّذين لبسوا عَلَى النّاس دينهم، وشرّعوا للكفر وجوده، وحاربوا من وقف في وجههم، وكانوا نكالا ووبالا عَلَى أمة الإِسْلَام ودعاتها إلى الله ومُجَاهديها المستضعفين، ولا عجب أن يخصهم القرآن بأشد آيات الوعيد والعقاب كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ۝﴾ [البقرة] **وقوله:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾ [البقرة]

وكذلك هَؤُلَاءِ الّذين يدَّعون أنهم أتباع مستضعفون، عبيد مأمورون، لا ذنب لهم، من الجند والشّرطة وصغار الأعوان والإستخبارات، فكذلك لا عجب أن يجمعهم الله تبارك وتعالى في جهنم إلى أسيادهم وكبرائهم الّذين اجتمعوا إليهم في الدُّنيَا، ولا تنفعهم إذ ذاك براءتهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا

مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة]

****

نشوء الممالك وزوالها ونظريَّة ابن خلدون في قيام الحضارات، ونظريَّة تويني في تنقلها بين المشرق والمغرب:

تدل الدراسات التارِيخِيَّة والآثار في مختلف أنحاء المعمورة عَلى أن حضارات كثيرة وممالك لا حصر لها قد قامت وبادت هنا وهناك، والمجهول منها أكثر من المعروف، ولم يبق لنا منها إلا ما تدل عليه بعض الحفريات الأثرية، وما دوّن في بعض الأدبيات القديمة وما أشارت إليه بعض الكتب المقدّسة.

وقد قامت ممالك وتوسعت حتَّى وصلت حد الممالك العظيمة والاتساع الإمبراطوري، ثمّ دبت فيها عوامل الضّعف والفناء، واجتاحتها ممالك أقوى منها، فأدى ذلك إلى تحللها إلى مكوّناتها وقيام ممالك أصغر أو أكبر منها بحسب أمواج وتفاعلات التّاريخ البشري، وقد تقصى العلامة الباحث العبقري ابن خلدون رحمه الله، نشأة تلك الممالك وزوالها، وقيام الحضارات والعمران واندثاره، وأسباب ذلك وعوامله وأطواره ومراحله، فتوصل إلى نظَريَّات أساسية في علم التّاريخ والاجتماع والسّياسة.

وقد ضمن نظريته تلك كتابه المشهور بـ (مقدمة ابن خلدون)، وبمقتضى تلك النَّظريَّات أو الملاحظات، فإنه أثبت أن الممالك والحضارات تولد وتتطور، وتشب وتهرم وتموت بأطوار شبيهة جدا بالأطوار الّتي يمر بها الإنسان.

ويجدر بالإشارة أن فهم منطق التّاريخ وسياقه في ذلك، يهمنا جدا في فهم أسباب ومراحل قيام النّظام الدّولي والصِّرَاع التّاريخي بين الممالك والحضارات، لأن هذا يساعدنا عَلى فهم أسباب النهضة والهزيمة في تاريخ المُسلِمِين، ماضيهم وحاضرهم، ولنفهم ونستنبط ما يشير من الأدِلَّة إلى أن الحضارة الغربيّة المعاصرة، وآخر مراحلها الحالية بقيادة أمريكا آيلة إلى زوال لا محالة، وأن حضارة الإِسْلَام ماضية إلى بزوغ شمسها وقيام نهضتها بإذن الله، مما يدفعنا للأمل والجد والعمل، فالمستخلص من كلام

ابن خلدون رَحِمَهُ اللهُ أنه كما أن الإنسان يولد ضعيفا مرميا عَلى الأرض لا يستطيع حراكا ولا سعيا ويحتاج غيره في كلّ حاجاته، ثمّ يتطور فيحبو عَلى أربع، ثمّ ينمو فيشب عَلى قدميه ويسير متعثرا، حتَّى يستقيم له المسير، ثمّ يصير غلاما يرتع ويلعب، ثمّ شابا جلدا صلب العود، فرجلا تاما المدارك والقوى، فإذا ما بلغ الأربعين بلغ أشده وذروة قواه البدنية والعقليَّة، ثمّ يبدأ به الهبوط والتراجع في كافّة القوى، فيكتهل ثمّ يصبح شيخا، ثمّ شيخا فانيا، كما قَالَ تَعَالَى:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٧٠﴾ [النحل]

وهكذا يشيب الشعر، ويرق العظم، وينحني الظهر، وهي رسل ملك الموت تؤذن بالرحيل، ثمّ يسير عَلى ثلاث ؛ رجليه وعكازه، وقد يحبو عَلى أربع ليقضي حاجته كما بدأ، ثمّ ينطرح في فراشه أرضا لا حراك به حتَّى يدركه الموت، فيعود من حيث أتى، ونسأل الله حسن الختام.

وقد رأى ابن خلدون؛ - وأثبتت حوادث الأيّام ما رأى – أن الدّول كذلك تمر بهذه الأطوار، فهي تنشأ وتشب وتستوي قواها ثمّ تذبل وتضعف، وتنهار قواها، ثمّ تموت ليتقاسم إرثها وحضارتها وأراضي شعوبها دول أُخرى، وهكذا وكما تتفاوت أعمار الإنسان، تتفاوت أعمار الدّول، وكما يموت البعض بسبب أمراض داخليَّة أو عدوى أمراض خارجية، فكذلك الدّول في الغالب، وكما يختطف موت الفجأة أو القتل بعض البشر، فربما هلكت دول بمفاجأة قوى أكبر منها، أو بالعوارض الطبيعيّة، وقد تعمر بعض الدّول أشهرا أو سَنَوات، وقد مر في التّاريخ دولا وحضارات قد عمرت آلاف السنين أو مئاتها، وصدق الله العظيم: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران].

ومن المهم الّذي أشار إليه ابن خلدون أن الدّول تنشأ لاجتماع مؤسسيها عَلى عصبية ما (يقصد رابطة)، قد تكون مِلكا، أو قرابة، أو دينا، أو عرقا قوميا، أو مصالح مشتركة، فتنشأ عصبية المُلْك، وتبدأ أمرها بقيامهم عَلى العصبية فيما بينهم، وعلى الخشونة والبأس والتَّضحِيَة في سعيهم.

وغالبا ما يكون المؤسسون الأوائل زاهدون في المتاع، منصرفون إلى الحَرب والجد والبناء، ثمّ يتلوهم جيل يولد في القوّة والنعيم فيكتسب صفات من قبله لقربه منها ويحافظ عَلى الملك ويطوره،

ولكن بشيء من الترف والمتعة في الملك، ثمّ يتلوه جيل أقل صلابة وأكثر ترفا وبعدا عن الكد والتعب، وهكذا حتَّى تقوم أجيال قد انحلت لديها العصبية، وأرخت قواها ومفاصلها أثار الترف والنعيم، فيدب الضّعف للدولة، فتطمع بها دول أو عصبيات أُخرى فتعدوا عليها وتستلب ملكها لتبدأ الدَّورة مع الجدد من جديد، وقد تكون أسباب السُّقوط داخليَّة أو خارجية وقد تجتمع كلّ العوامل.

وهكذا وباستعراض تاريخ الأمم والملوك القريب المعروف لدينا منذُ دون الإنسان آثاره أي منذُ نحو ٦٠٠٠ –٧٠٠٠ عام تقريبا نجد أن حضارات الصين والهند والسند واليونان والرُّومان والفراعنة وسواها، وما تخلل ذلك من ممالك ثانوية، قد مرت كلها في هذه الأطوار وصدقت ما ذهب إليه ذلك العلامة العظيم رحمه الله.

ويجب أن نعلم أن هذه السنة ما تزال سائرة في النظم والدّول الحديثة، وقد مرت بها الحضارة الإِسْلَاميّة إلى أن دب بها الضّعف، وتناهبت إرثها ممالك الحضارة الأوربية، الّتي انفردت بالسيادة منذُ نحو٢٠٠ سنة، إلى أن قام النّظام العَالَمِيّ الحديث بعد الحَرب العَالَمِيّة الثّانية فنشأت أمريكا وروسيا كوريثـتين لإرث المُستَعمرات الأوروبية، إلى أن أزالت أمريكا وحلفائها حضارة الشّرق السُّوفيتيّة، ليقوم (النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد) عَلى أساس القطب الأوحد المنفرد بالسلطة والقوة لأول مرّة في تاريخ البشر المعروف.

وقد قام المؤرخ الإنجليزي المعروف (أرنولد توينبي) المتوفى سنة ١٩٦٣م بإضافة ملاحظة عَلى منطق سير التّاريخ.

إذ لاحظ وتنبأ بناء عَلى ملاحظته أن الحضارة قد تداولت بين الشّرق والغرب أربع مرات وهي سائرة للخامسة بلا شك، فقال أن الحضارة ولدت في الشّرق في ممالك السند والهند والصين وفارس القديمة وحضارات العراق ومصر واليمن ثمّ انتقلت للغرب إلى اليونان ثمّ الرُّومان، ثمّ انتقلت للشرق عَلى يد المُسلِمين وقامت الحضارة الإِسْلَاميّة، ثمّ انتقلت للغرب عَلى يد الحضارة الغربيّة الأوروبية فالأمريكيّة، وقال أنها تسير ولا شَّكَّ للعودة للشرق والمُسلِمين بناء عَلى نذر الإنهيار والتحلل في الحضارة الغربيّة وبذور النهضة والإشراق في الشّرق الإِسْلَاميّ.

وهذا ثابت لدينا في البشائر النّبويّة وحتى في نبوءات كتب أهل الكتاب القديمة، وقد أوضح كتاب وفلاسفة غربيون معاصرون ذلك بصورة أصرح، بل كتب بعض الكتاب الأوروبيين والأمريكان مؤخرا كتبا تـنبؤوا فيها بسقوط أمريكا والحضارة الغربيّة في خلال عشرين سنة، وقد مضى عَلى بعض تلك الكتابات نحو عشر سنين، فسقوطهم لا شَّكَّ قادم، ونهوضنا لا شَّكَّ قائم، وهو غيب في علم الله، نسأل الله أن يشهدنا إياه، أو أن يجعلنا ممن عمل له عملا ينفعه يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

****

الحضارات والنّظام الدّولي القديم إلى ظهور الإِسْلَام:

رغم أن الدراسات الأثرية تشير إلى أن حضارات قديمة موغلة في القدم قد قامت وازدهرت في كلّ أنحاء الأرض وكافة قاراتها، إلا أنه لم يمكن معرفة تاريخ الإنسان بشئ من تفاصيله إلا عندما بدأت الكتابة ويرجع ذلك إلى نحو ٦٠٠٠ أو ٧٠٠٠ عام، ومن أشهر الحضارات القديمة المعروفة، تلك الّتي قامت في بلاد الصين والهند وفارس، وحضارات العراق القديمة من الآشورية والكلدانية والبابلية وغيرها، وحضارات بلاد الشّام كالفنيقية والسومرية والكنعانية، وحضارات جَزِيرَة العَرَب، كعاد وثمود، وحضارات اليمن كسبأ وحمير وقوم تبع، وكذلك حضارات مصر الفرعونية ووادي النيل، وحضارات شمال إفريقيا وقرطاجة، وكذلك حضارة اليونانية، ثمّ الحضارة الرُّومانية، وكذلك حضارات الهنود الحمر وقدماءهم في الأمريكتين ولاسيما الجنوبية فيها حيث قامت حضارات متطورة وراقية.

ومع تطور الحضارات وقيام التّواصل بينها عبر علا قات السلم والحَرب، بدأ ما يمكن تسميته بـ**النّظام الدّولي**، حيث تمكنت حضارات وممالك عظمى من بسط سيطرتها عَلى ما جاورها، وكان لها نظما سياسيّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة وثقافية، كما كانَ لها سياسات عسكريّة داخلها وفي جوارها، ومنازعات مع من جاورها من الإمبراطوريات القوية.

ومن أشهر ذلك ما قام في العالم القديم آسيا وأفريقيا وأوروبّا ـ وهو العالم المتواصل جغرافيا وحضاريا مثل ما كانَ بين حضارة فارس القديمة الّتي عمرت عدّة آلاف من السنين، وحضارة اليونان وصراعها عَلى خط التماس في الشّرق الأوسط، وهي مناطق بلاد الشّام والعراق وتركيا (أو ما يعرف بهضبة الأناضول أو آسيا الصغرى)، وقد شهدت تلك المَرحَلَة انتصار فارس وتفكك حضارات اليونان وضعفها وتمزقها، ثمّ نهوضها مرّة أُخرى وتوحدها عَلى يد القائد التّاريخي الإسكندر المقدوني، الّذي جمع اليونان ثمّ غزا بهم المشرق ودحر الفرس ووصل إلى تخوم الصين، كما دخل مصر الفرعونية ومعظم بلاد المشرق.

ثمّ نهضت فارس ثانية وأقامت إمبراطورية امتد ملكها من بلاد الرافدين في العراق إلى بلاد فارس (إيران) والسند (باكستان) وأفغانستان وأجزاء من وسط آسيا، وفي ذلك الحين نهضت الإمبراطورية الرُّومانية في شبه الجَزِيرَة الإيطالية وورثت حضارة اليونان وتمددت لتشمل كلّ البلاد المحيطة بالبحر المتوسط: الشّام ومصر وشمال إفريقيا وأجزاء من الأنضول وكافة القارة الأوروبية.

وهكذا آل النّظام الدّولي القديم إلى وجود **حضارتين متنافستين، تتحاربان أيضا عَلى خطوط التماس في الشّرق الأوسط، في الشّام والعراق!**

وكان لذلك النّظام الدّولي كثيرا من صفاته في الوقت الحاضر، من نفوذ الدّولتين العظميين عَلى جيرانهم، وتدخلهم في شؤونهم الداخليَّة، وقيام نظام الحُرُوب بالوكالة بين أتباع الإمبراطورية الفارسية من أعراب العراق وبلاد الرافدين وهم ملوك المناذرة الّذين كانوا عَلى دين أسيادهم الفرس مجوسا يعبدون النار مثلهم، وبين أتباع الإمبراطورية الرُّومانية البيزنطية الّتي آلت عاصمتها إلى القُسطَنْطينيَّة وهم عرب الشّام الغساسنة وكانوا عَلى دين أسيادهم الرُّومان نصارى مثلهم.

وقد تبادل الرُّوم والفرس النّصر والهزيمة مرات عدّة في حُرُوب طاحنة أيضا، كما قامت بينهم في أيّام السلم علاقات التبادل الحضاري والإقتصادي.

و في ذلك الوقت كانَ عرب جَزِيرَة العَرَب يعيشون في عزلة سياسيّة تامة عن الجوار، في نظام بدائي متفكك مستقل عما حوله يقوم عَلى تجمعات قبلية وعشائرية متحاربة فيما بينها متفرقة سياسيّاً

لا يجمعها ملك ولا نظام، فقد كانت متفرقة دينيا تعبد كلّ قبيلة آلهتها وأوثانها، وكان للعرب في الجَزِيرَة نظام اقتصادي بدائي يقوم في معظمه عَلى الرعي، وشيء من الزراعة حول واحات مياه الصَّحرَاء، وعلى التجارة وخطها القديم الّذي يعبر مكّة والمدينة والعقبة من اليمن إلى الشّام ويربط بين تجارة المشرق القادمة من الصين والهند بحرا إلى اليمن، وتجارة الغرب القادمة من بلاد الرُّومان من الأناضول وشمال الشّام، ولم يكن في جَزِيرَة العَرَب نظام موحد ومستقل إلا في اليمن، حيث قامت ممالك وطيدة الأركان، إلى أن غزاها الأحباش النّصَارى حلفاء الرُّومان، ثمّ غلب عليها ملوك ارتبطوا بفارس الّذين عينوا عليهم حكاما تابعين لهم.

هذه هيَ الأحوال السّياسيّة وما يمكن أن نسميه اصطلاحا بـ(النّظام الدّولي) في قلب العالم القديم، أوروبّا وشمال أفريقيا ونصف آسيا الغربيّ.

وفي هذه الأجواء في بدايات القرن السَّابع الميلادي (٦١٠ ميلادي)، بزغ شمس الإِسْلَام، وبعث سيد ولد آدم، وخير الأولين والآخرين، سيدنا محمّد صلوات الله وسلامه عليه، وبزغت شمس الحضارة الإِسْلَاميّة حيث قامت نواة دولة الإِسْلَام وتوحدت جَزِيرَة العَرَب خلال باقي حياته وبعثته ﷺ الّتي امتدت ٢٣ سنة.

لتدخل دولة الإِسْلَام بذلك معترك النّظام الدّولي الّذي صار يتشكل من ثلاثة أقطاب هم: الرُّوم والفرس ودولة الإِسْلَام، منذُ القرن السَّابع الميلادي.

****

أهمية معرفة التّاريخ:

من الضَّروري جدا من أجل فهم أحداث الحاضر، واستقراء المستقبل، وفهم جدلية صِرَاع الحقّ والبَاطِل، سواء عَلى الصعيد الداخلي (بين المُسلِمِين)، أو عَلى الصعيد الخارجي، (مع أعدائهم وخاصة الرُّوم)، الإلمام ولو بشكل عام، بالمحطات التارِيخِيَّة الّتي مررنا بها نحن المُسلِمِين، وكذلك تاريخ أعدائنا بشكل عام، والمحطات المشتركة بيننا وبينهم، كما أن لهذا فائدة كبرى في فهم سنن النّصر

والهزيمة، وأسباب القوّة والضّعف، مما يساعد المسلم عامة والمُجَاهد خاصّة، وقياداتهم الواعية – كما يفترض – عَلى وجه الخصوص، عَلى التّحرّك في صراعاتنا القائمة والقادمة عَلى بصيرة.

كما أن معرفتنا بتاريخنا المجيد، تزودنا بدافع قوي، عَلى المضي قدما عَلى آثار خطى أجداد أماجد طاولوا الثريا رفعة وعزا، عندما فهموا أنّنا قوم أعزنا الله بالإِسْلَام، ومهما ابتغينا العز في سواه أذلنا الله، كما قَالَ سيدنا عمر رضي الله عنه(١)، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾ [الحج: ١٨]

ولذلك نعرض في الصفحات المقبلة لنبذة مختصرة من محطات تاريخنا المجيد وما فيه من دُروس وعبر لا تحصى.

ونلي ذلك بلمحة عابرة عن تاريخ أعدائنا الأزليين الرُّوم (بني الأصفر)، قاتلهم الله.

****

النّظام الدّولي زمن البعثة النّبويّة (صِرَاع الفرس والرُّوم):

ولد رسول الله ﷺ سنة ٥٧٠م، وأوحي إليه كما هو معروف سنة ٦١٠ ميلادية، وكان الرُّوم والفرس يقتسمان سيادة العالم المحيط بالجَزِيرَة العربيَّة، وكان كلّ منهما يطمع في الاستيلاء عَلى منطقة النفوذ الممتدة من شاطئ الفرات إلى سواحل البحر المتوسط، ويعمل عَلى تحطيم قوة خصمه العسكريّة، ومن أجل ذلك كانت الحُرُوب متصلة بينهما، وكانت سجالا تقطعها مهادنات لا تطول، وقد اتسمت تلك الحُرُوب بضروب القسوة، من تقتيل وتدمير وتخريب.

وقد اشتد ذلك الصِّرَاع بين الدّولتين في عهد الملكين:

جوستنيان الأوّل الّذي نصب إمبراطورا عَلى الرُّوم عام (٥٢٧م).

---

(١) أخرجه الحاكم (٢٠٧، ٢٠٨) وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي، ولم يجرح به الوادعي وأورده الألباني كشاهد في الصحيحة (٥١). ومن الألفاظ الواردة : «.. إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللهُ».

كسرى الأوّل (أنوشروان) الّذي نصب ملكاً عَلى فارس عام (٥٣١م)، ففي عام (٥٤٦م) شن كسرى أنوشروان حربا عَلى الرُّوم وانقض عَلى سوريّة الشمالية فاستولى عَلى أنطاكية عاصمة الشّرق آنئذ، واستولى عَلى الرها (أوذيسا) وقنسرين وحلب ومدن أُخرى، ونقل آلاف الأسرى من أنطاكية إلى مدينة بناها عَلى غرارها بالقرب من المدائن دعاها (أنطاكية) وعرفت باسم (الرُّومية)، وولي عليها رجلا من نصارى الأهواز.

لم يستطع جوستنيان صد كسرى عن بلاده لاشتغاله بحُرُوبه مع قبائل (الآفار) و(السلاف) الّذين كانوا يغيرون عَلى حدود مملكته من جهة أوروبّا، وقد اضطر أن يعقد صلحا مع كسرى، وفي عام (٥٦٣م)، تمَّ هذا الصُّلح عَلى أن ينسحب كسرى من البلاد الّتي احتلها لقاء فدية كبيرة وجزية سنوية يدفعها الرُّوم.

وفي عام (٥٦٥م) مات جوستنيان الأوّل وخلفه جوستنيان الثّاني فنقض الصُّلح الّذي أبرمه سلفه مع كسرى، فارتد كسرى عَلى سوريّة فدمرها، ويموت جوستنيان الثّاني عام (٥٧٨م) فيخلفه الإمبراطور (تيبريوس) فيصالح كسرى عَلى مال وجزية.

وفي عام (٥٧٩م) يموت كسرى أنوشروان فيخلفه ابنه (هرمز)، ويموت كذلك (تيبريوس) فيخلفه الإمبراطور (موريس) وتتألب قبائل الترك في الشمال الشرقي لفارس بعد موت كسرى، فيرسل هرمز لحربهم جيشا بقيادة قائد يدعى (بهرام) فيهزمهم ويغنم أموالهم، ويغريه النّصر فينقلب عَلى مليكه هرمز ويخلعه ويسمله، ويستولي عَلى الملك.

ويحاول **كسرى الثّاني (أبرويز)** ابن هرمز أن يسترد عرش أبيه فلم يفلح، فيلجأ إلى إمبراطور الرُّوم (موريس) يستنصره عَلى (بهرام)، فيكرمه الإمبراطور ويستجيب لنصرته ويزوجه ابنته ويمده بجيش عظيم يتغلب به عَلى (بهرام) ويسترد عرش أبيه ويخلفه في الملك.

وفي عام (٦٠٢ م) يغتال القائد البيزنطي (فوكاس) الإمبراطور (موريس)، ويستولي عَلى الحكم وينصب نفسه إمبراطورا ويقتل أبناء موريس إلا واحدا منهم استطاع النجاة والهرب، فلجأ إلى كسرى

أبرويز يستنصره عَلى (فوكاس) كما نصره أبوه عَلى (بهرام) من قبل، فيطلب كسرى من الرُّوم تنصيبه ملكا خلفا لأبيه ويهددهم بحرب إذا لم يفعلوا فيرفضون،

ويشن كسرى إبرويز حربا ضروسا عَلى الرُّوم ويستولي فيها عَلى بلاد الشّام ومصر والنوبة، ويحمل خشبة الصليب (المزعوم) من بيت المَقْدِس إلى المدائن عاصمة الفرس، ثمّ يوجه جيشا كثيفا إلى القُسطَنْطينيَّة فيحاصرها ويستعين عَلى حصارها بقبائل (الآفار) و(السلاف)، أعداء البيزنطيين، فيحاصرونها من جهة أوروبّا، ويتمكن (هرقل) قائد الجيش البيزنطي من فك الحصار عن القُسطَنْطينيَّة، حيث استطاع بمحالفة الترك، أعداء الفرس، طرد جيش كسرى من بلاد الرُّوم.

وفي عام (٦١٠ م) وهو عام البعثة النّبويّة، يخلع (هرقل) الإمبراطور (فوكاس)، لما شاع من فساد حكمه، ويدفعه إلى الشعب فيقتله وينصب الجيش هرقل لتغلبه عن الفرس وخلعه ملكا ضالا، ويشن هرقل حربا عَلى الفرس يسترد بها ما كانوا قد استولوا عليه من بلاد الرُّوم، ثمّ يهاجمهم في بلادهم ويكسر جُيُوشهم في وقعة (نينوى) عام (٦٢٧ م) ويحمل كثيرا من أموالهم ويفرض عليهم جزية سنوية.

وقد كانت هذه الوقعة آخر الحُرُوب بين الفرس والرُّوم، وهي الّتي أشار إليها القرآن الكريم بقوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم] وبعد هذه الوقعة جاء دور المُسلِمِين فاكتسحوا الدّولتين في آن واحد بقوة الواحد الأحد.

****

خُلاصة تاريخ الدّول والممالك في التّاريخ العربيّ والإِسْلَاميّ

منذ قيام الدّولة النّبويّة وإلى أيّامنا هذه

(١هـ-٦٢٢م /١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م). [١]

---

(١) [المؤلف] اعتمدت في كتابة هٰذا الفَصل (الفَصل الثّالث) الّذي يحوي الملخص التاريخي، علىٰ عدد من الأقراص الإلكترونية الّتي تحوي بَرَامج في التاريخ الإِسْلَاميّ، بالإضافة لعدد من المراجع التارِيخِيَّة. وقد قمت بإعادة صياغة ما نقلته عن تلك البَرَامج والمراجع بتصرف كبير جدا، لأن غالبها كتب بأيد غير إسلامية، أو ربما معادية للإسلام حاقدة علىٰ تاريخ المُسلِمِين أو بعض صناعه. وقد افتقرت للأمانة أحيانا، وقد تخلل مادتها شيء من التزوير أحيانا، ولم تحترم قداسة بعض الشخصيات ذات المكانة الدّينيّة (كالصحابة) رضوان الله عليهم. ولا مكانة بعض الخُلَفَاء والملوك والصّالحين المشهود لهم بحسن السيرة والمكانة. وأكثرها كتب بنفس قومي علماني، وليس إسلامي ولا محايد.

وقد استفدت من تلك المراجع في المعلومات العامّة والتواريخ، ونقل بعض النّصوص الّتي لم يتخللها ما يشين في التاريخ الإِسْلَاميّ. وقمت بتعديل كلّ ما استوقفني من تشويه أو صيغة غير مناسبة. بما يشبه عمليَّات التجميل الجراحية الدقيقة. وقد ساعدني علىٰ ذلك ما قد يسر الله لي من دراسة التاريخ دراسة أكاديمية، ثمّ تعمقي فيه بجهود دراسية ذاتية وخاصة في التاريخ الإِسْلَاميّ، وكتب التاريخ السّياسيّ المعاصر.. وعملي في مجال الصحافة والإعلام.

وعموما وللأمانة العلمية، فإني أذكر هنا أهمّ مراجع هٰذا الفَصل هيَ:

١- برنامج تاريخ الإِسْلَام -إنتاج مؤسسة حرف - بتصريح من الأزهر (الّذي كانَ شريفا). - كما وصفه الشَّيْخ ابراهيم عزت ﵀ - وهو مصدر أساس النّص، وعليه تمت التعديلات والتصحيح بتصرف واسع جدا.

٢- برنامج التاريخ الإِسْلَاميّ - إنتاج مؤسسة صخر.

٣- كتاب تاريخ الدّولة العُثْمَانِيّة - لفريد بك المحامي. وهو فيما يبدو مصري من أصل تركي كتب كتابه سنة ١٩٠٩. ويتضح فيه نفسه الماسوني، وحقده علىٰ السُّلطَان عبد الحميد ﵀، ونفسه الشّعوبي التركي، وتأييده لجَمعيَّة الإتحاد والترقي اليَهُوْدية الماسونية. وكتابه منشور في برنامج الألفية المعروف.=

٤- كتاب البداية والنهاية لابن كثير ﵀ وهو المرجع الّذي اعتمدته في تصحيح كثير مما مر من أخطاء في ما سبق من مراجع.

الدّولة النّبويّة (١-١١هـ)

في اليَوْم الثّاني عشر من ربيع الأوّل (٢٤ أيلول- سِبتَمبر ٦٢٢ م) من السنة الثّالثة عشرة للبعثة، وصل رسول الله ﷺ إلى يثرب لتكون أول عاصمة لدولة الإِسْلَام وتسمى المدينة المنورة، وتصبح منطلقا لجُيُوش المُسلِمِين الفاتحة، حيث اعتبرت سنة الهِجرَة في عهد عمر رضي الله عنه بداية لتاريخ الإِسْلَام.

أهمّ أحداث العصر النبوي من هِجرَة الرَّسُول ﷺ إلى وفاته:

و يمكن تلخيص أهمّ المحطات في تلك الفترة بالنقاط التّالية:

وقعة بدر (٢ هـ):

في رمضان من السنة الثّانية للهِجرَة، علم النبيّ ﷺ أن قافلة كبيرة قادمة من الشّام عليها أبو سفيان ابن حرب، وأنها ستمر ببدر تستقي من مائها وتريح فيها.

فجهز النبيّ ﷺ حملة من ثلاثمائة رجل ونيف، واتجه بها إلى بدر ليفجأ القافلة، وراع قريشا ما سمعوا وتنادوا إلى حرب المُسلِمِين، ومع أن أبا سفيان أرسل بعد ذلك يخبرهم أنه تحول إلى الساحل ونجا من المُسلِمِين ودعاهم إلى الرجوع إلى مكّة إلا أن كبراء قريش عزموا عَلَى قتال المُسلِمِين.

وفي ١٧ رمضان من تلك السنة التقى الجمعان في أول معركة تفجرت فيها طاقة الإيمان وانتصر فيها المُسلِمُون عَلَى قلة عددهم وقتلوا نحو سبعين من أبطال قريش ورءوسهم، وأسروا مثل ذلك.

لقد كانت وقعة بدر فاتحة التّاريخ الإِسْلَاميّ، فلم تكن حربا بين متكافئين في العدد والعدة، وإنما كانت حربا بين حب العَقِيْدَة الّتي تطلب من أجلها الشَّهَادة، وبين حب المال الّذي تطلب من أجله الحياة، **ولا يمكن لطالب الحياة أن يقهر طالب الشَّهَادة.**

٥- مؤلفات شهيد الإِسْلَام الشَّيْخ عبدالله عزام، ولاسيما كتبه (خط التّحول التاريخي، أضواء علىٰ القوميّة العربيَّة، السرطان الأحمر.)

٦- مراجع أُخرىٰ، ومعلومات خاصّة جمعتها من وسائل الإعلام ومن مصادر معلوماتية أُخرىٰ....(المُؤلّف).

وهذا هو العامل الأساسي الّذي جعل العَرَب بعد إسلامهم يغلبون بأعداد قليلة جُيُوش الدّول العظمى من حولهم - بفضل الله - في حُرُوب الفتوح.

نقض اليَهُوْد عهد النبيّ:

عاد النبيّ ﷺ إلى المدينة فوجد اليَهُوْد قد تغيرت قلوبهم، فقد آلمهم نصر المُسلِمِين ببدر، ولم يحتسبوه ولم يصبروا عَلى كتمان ما في نفوسهم.

وكان بنو قينقاع أكثر اليَهُوْد سخطا لهذا النّصر وتهوينا من شأنه، فأخذوا ينفسون عَلى المُسلِمِين ما نالوا من فوز ويتحدونهم ويتحرشون بهم، فحاصرهم رسول الله ﷺ في حصونهم، فاستسلموا له واكتفى النبيّ ﷺ بإجلائهم عن المدينة وإبعادهم إلى بلاد الشّام.

وقعة أحد (٣ هـ):

ثارت ثائرة اليَهُوْد لما حلّ ببني قينقاع، فأخذوا يغرون الأعراب بالإغارة عَلى المدينة والاعتداء عَلى المُسلِمِين، كذلك أخذوا يحرضون قريشا عَلى حرب المُسلِمِين ليثأروا لقتلاهم في وقعة بدر ووعدوهم بمظاهرتهم في الحَرب، وكان أشد المحرضين اثنان من رؤساء يهود بني النضير وهما: **كعب الأشرف ، وسلام ابن أبي الحقيق** .

فتطوع فريق من الأنصار لاغتيالهما بأمر رسول الله ﷺ فقتلوهما.

تأثرت قريش بتحريض اليَهُوْد، فجهزت جموعها لحرب المُسلِمِين، وتوجهت قريش بمن حشدت نحو المدينة يقود حشدها أبو سفيان ابن حرب.

ولما علم النبيّ ﷺ بذلك جهز جيشا وخرج بهم إلى جبل أحد القريب من المدينة ووضع خيرة الرماة في أعلى الجبل لحماية ظهور المُسلِمِين.

وظهرت طلائع النّصر وتراجعت قريش يتبعهم المُسلِمُون ويجمعون ما غنموه منهم، وظن رماة المُسلِمِين أن المَعْرَكة قد انتهت فأخلوا أماكنهم وسارعوا لينالوا نصيبهم من الغنائم، واهتبل **خالد بن الوليد** الفرصة، وكان يقود رماة المشركين، فصعد الجبل من الخلف وأخذ يمطر المُسلِمِين بوابل من

السهام، وارتدت جموع قريش عليهم، فأصبحوا بين نارين واضطربت صفوفهم وعم الذعر فيهم حتَّى قتل بعضهم بعضا وانهزم من نجا من القتل.

وقد قتل في هذه الوقعة أكثر من سبعين رجلا من المُسلِمِين بينهم بطل الإِسْلَام **حمزة بن عبد المطلب** عم النبيّ، قتله (وحشي) أحد رماة الأحباش، وأصيب النبيّ ﷺ بجرح في وجنته وشج رأسه الشريف، وصاح صائح قريش أن محمّدا قد قتل، وصدق المشركون وكفوا عن القِتَال وانسحبوا، فقد نالوا – بظنهم– ما كانوا يبتغون.

اليَهُوْد يحاولون اغتيال النبيّ ﷺ:

لم يهنأ يهود بني النضير بنجاة النبيّ ﷺ ، فعقدوا العزم عَلى اغتياله أخذا بثأر ابن الأشرف وابن أبي الحقيق، ففشلوا وانكشف أمرهم وعلموا أن النبيّ ﷺ سيعاقبهم فآووا إلى حصونهم.

فحمل عليهم النبيّ ﷺ وحاصرهم، ولما استيأسوا طلبوا أن يأذن لهم بالخروج من المدينة كما خرج بنو قينقاع، فاستجاب لهم وخرجوا بأموالهم، ونزل فريق منهم في خيبر وانضموا إلى يهودها، وتابع الآخرون مسيرتهم إلى بلاد الشّام.

وقعة الخندق (٥هـ):

لم يبق من يهود المدينة سوى بني قريظة، وقد آلمهم ما حلّ بإخوانهم بني قينقاع وبني النضير، ورأوا أن يؤلبوا قريشا وأحلافهم من قبائل العَرَب عَلى حرب المُسلِمِين والقضاء عَلى دولتهم، وتعهدوا بمظاهرتهم في هذه الحَرب.

وحشدت قريش ونادت أحلافها وأحزابها فجاءوها برجالهم يلبون نداءها، وبلغ الحشد عشرة آلاف مقاتل.

وعلم النبيّ ﷺ بخبر هذه الحملة العظيمة فاستشار أصحابه فأشاروا عليه أن يقف المُسلِمُون موقف المدافع عن مدينتهم، وأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر خندق حول المدينة يقف الرماة دونه، يمنعون من يحاول اجتيازه من المشركين.

وجاء من يخبر النبيّ ﷺ بما فعل بنو قريظة فأرسل إليهم سيدين من سادة الأنصار هما سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج لتذكيرهم بعهد النبيّ ﷺ ونهيهم عن الغدر بالمُسلِمين وتحذيرهم عاقبته، فسخروا منهما وأظهروا عزمهم عَلَى مظاهرة قريش.

ولما وصل جيش المشركين وقف دون الخندق ولم يستطع الدخول إلى المدينة وأخذ رماة المُسلِمين يصرعون من يحاول اجتياز الخندق، ودام الحصار شهرا حتَّى برم حلفاء قريش (الأحزاب) بطول الانتظار وفوت ما كانوا يأملون من الغنائم، ووقع الخلف والشقاق بينهم وبين قريش.

وهنا يسر الله إسلام زعيم من زعماء العَرَب هو نعيم بن مسعود الأشجعي، وكان قد قدم مع قومه بني الأشجع لقتال المُسلِمين مع من قدم من أحلاف قريش، فأعلن إسلامه وطلب من النبيّ ﷺ أن يشترك مع المُسلِمين في الدّفاع عن المدينة فطلب منه الرَّسُول أن يخفي إسلامه وأن يخذل قريشا وبني قريظة ويوقع بينهما الشقاق، ففعل ونجحت الخطة.

ثمّ أرسل الله ريحا عاتية عَلَى جيش قريش والأحلاف فانتزعت الخيام وكفأت القدور وملأت الأفواه والعيون بالرماد، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا العون الإلهي بقوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾ [الأحزاب] وكان الأحزاب قد سئموا الانتظار وطول الحصار، فأخذوا يتراجعون، وارتدت قريش وهي تتجرع غيظها، وفي ذلك يقول الله تَعَالَى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥]

تحكيم سعد بن معاذ بما فعل يهود بني قريظة: فور انتهاء غزوة الخندق جهز النبيّ ﷺ سرية وتوجه إلى بني قريظة ليعاقبهم عَلَى نقضهم العهد، فتحصنوا في حصونهم، ولما اشتد عليهم الحصار طلبوا تحكيم **سعد بن معاذ** وكانوا حلفاءه، واستجاب النبيّ ﷺ لطلبهم، فحكم سعد بقتل رجالهم وسبي نسائهم وأطفالهم، ونفذ النبيّ ﷺ حكم سعد فيهم.

تحول المُسلِمين من حالة الدّفاع إلى حالة الهجوم:

بعد أن خلت المدينة من اليَهُوْد، وسلم الإِسْلَام من منافسة اليَهُوْدية، وسلم المُسلِمُون من مكر اليَهُوْد وخداعهم، تحول المُسلِمُون من حالة الدّفاع إلى حالة الهجوم.

وبدأ النبيّ بغزو القبائل المشركة الموالية لقريش ليثبت أن بالمُسلِمين قوة وأنه لم يصبهم وهن بعد وقعة أحد ووقعة الخندق، فانتصر وعاد بمغانم كبيرة، وعلمت القبائل أن لا طاقة لها بقتال المُسلِمين.

صلح الحديبية (٦هـ):

في أواخر شهر شوال من السنة السَّادسة للهِجرَة، أعلن النبيّ ﷺ أنه يريد المسير إلى مكّة لأداء العمرة، وأذن في أصحابه بالرحيل إليها لأدائها معه، ففرحوا وطابت نفوسهم بزيارة الكعبة وقد حرموا منها، وكان المُهَاجِرون قد اشتد شوقهم إلى ديارهم ومن خلفوا فيها من أهلهم.

وسار النبيّ ﷺ بألف وخمسمائة من المُهَاجِرين والأنصار، لا يحملون من آلات الحَرب إلا السيوف في القرب، ولبسوا لباس الإحرام ليؤكدوا لقريش أنهم يريدون العمرة ولا يقصدون الحَرب، وما حملوا من سيوف إنما كانَ للحماية مما قد يعترضهم في الطّريق.

ووصلت قافلة المُسلِمين إلى الحديبية القريبة من مكّة، ولما علمت قريش بقدوم نبينا محمّد ﷺ وصحبه رفضت السماح لهم بدخول مكّة وكان شهر ذي القعدة قد حل، وهو من الأشهر الحرم الّتي يمتنع فيها القِتَال.

وأرسل النبيّ ﷺ عثمان بن عفان ليفاوض قريشا، وتأخرت عودته وأشيع أنه قتل، وهنا عزم النبيّ ﷺ عَلى دخول مكّة.

واستجاب المُسلِمُون لما عزم عليه النبيّ ﷺ وبايعوه عَلى الموت وهو جالس في ظل شجرة، وقد أثنى الله عَلى المبايعين ورضي عنهم في آية نزلت بهذه المناسبة:

﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح] ومن ثمّ دعيت هذه المبايعة ببيعة الرضوان.

لم يقتل عثمان ﷺ، كما كانَ أشيع وعاد إلى الحديبية، وكان قد تأخر في مفاوضة قريش وفي إزالة مخاوفها، وكان المطلب الأساسي لقريش أن يعود المُسلِمُون ذلك العام عَلى أن يدخلوا مكّة معتمرين في العام المقبل، لكي لا يقول العَرَب أن قريشا استذلت للمسلمين فيصيبها من ذلك معرة.

ووافق النبيّ ﷺ عَلى مطلب قريش، وعلى أساسه عقد اتفاقا بينه وبين قريش عرف بصلح الحديبية وبمقتضاه عقدت هدنة بين الطّرفين مدتها عشر سَنَوات.

وقد تضمن عقد الصُّلح شروطا منها أن يرد المُسلِمُون من يأتيهم من قريش مسلما بدون إذن وليه، وألا ترد قريش من يعود إليها من المُسلِمِين، وأن من أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد محمّد من غير قريش دخل فيه، والدخول في العهد محالفة توجب مناصرة الحليف إذا ما استنصره واستنجد به، فدخلت خزاعة في عهد رسول الله ودخلت بنو بكر في عهد قريش.

غزو المدن اليَهُوْدية:

أتاحت الهدنة بين النبيّ ﷺ ، وبين قريش، أن يفرغ النبيّ لحرب من تبقى من اليَهُوْد في جَزِيرَة العَرَب، فقد كانَ إلى جانب يهود المدينة جاليات يهودية تقطن في خيبر ووادي القرى وفي فدك وتيماء، وهي مدن تقع عَلى الحدود الفاصلة بين شمال بلاد العَرَب وبلاد الرُّوم.

وقد كانَ يهود تلك المدن يثيرون الأعراب عَلى المُسلِمِين، فجهز النبيّ ﷺ حملة عَلى أولئك الأعراب فأخضعهم، وتوجه بعد ذلك إلى خيبر فافتتحها واستسلم يهود المدن الأخرى دون حرب.

وكان النبيّ ﷺ متسامحا مع اليَهُوْد، فأبقاهم في أراضيهم واستعملهم في الزراعة عَلى أن يجليهم متى شاء.

عمرة القضاء (٧ هـ):

ومضت السنة الأولى من الهدنة، فتوجه النبيّ ﷺ مع جميع المُسلِمِين إلى مكّة لقضاء العمرة، وأمضوا فيها ثلاثة أيّام، ثمّ خرجوا منها كما قضى بذلك صلح الحديبية.

وقد عاين رجال قريش سلوك المُسلِمِين عن كثب، فوجدوا فيهم قوما آخرين، صاغهم الإِسْلَام صوغا جديدا، وأخذ كثير منهم يفكرون ويتدبرون مبادئ الإِسْلَام، وسرعان ما أقبل جماعات منهم إلى المدينة مُسلِمِين، ومن هَؤُلَاءِ **خالد بن الوليد** وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة ﷺ، وهم من سادة قريش وأبطالها، ممن شاركوا في قتال المُسلِمِين من قبل.

الرَّسُول ﷺ يوجه رسائل إلى ملوك وأمراء الدّول المجاورة:

أخذ الإِسْلَام ينتشر في جَزِيرَة العَرَب بعد الانتصارات الّتي حققها النبيّ ﷺ في أعقاب صلح الحديبية ورأى النبيّ ﷺ أن تبلغ دعوته مسامع ملوك وأمراء الدّول المجاورة، فأرسل إليهم كتبا مع سفراء يدعوهم إلى الإِسْلَام، فاستجاب البعض لدعوته كالمنذر بن ساوى أمير البحرين ورد الآخرون السفراء.

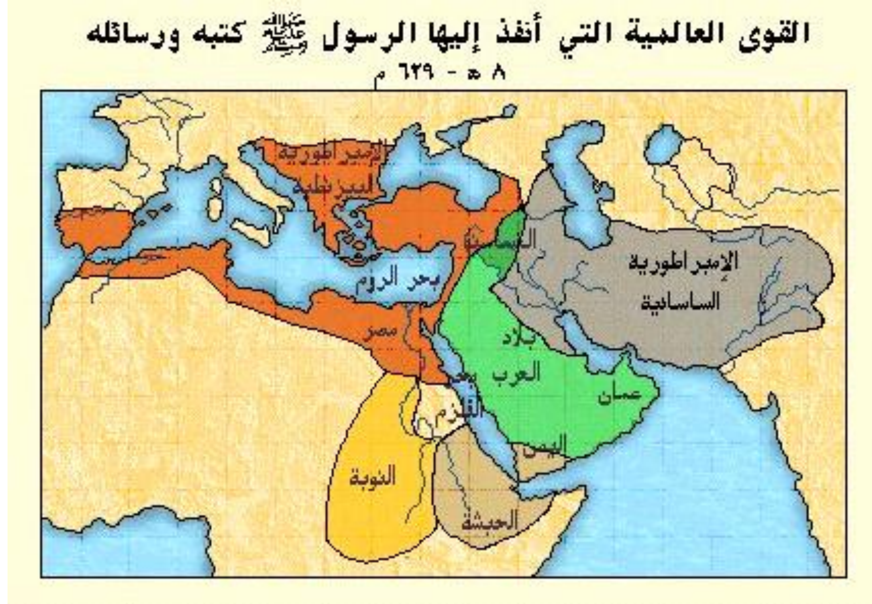
فمنهم من كانَ رده جميلا كملك الرُّوم والمقوقس صاحب مصر، ومنهم من كانَ رده قبيحا ككسرى أبرويز ملك فارس فقد مزق كتاب النبيّ ﷺ، وكذلك شرحبيل أمير غسان الّذي سخر من الدّعوة للإسلام، وقتل سفير رسول الله ﷺ (الحارث بن عمير الأردي رضي الله عنه).

الرَّسُول ﷺ يجهز حملة انتقام لقتل سفيره الحارث بن عمرو: وقعة مؤتة:

كانَ قتل هذا السفير شديد الوقع عَلى رسول الله ﷺ، فجهز حملة عدتها ثلاثة آلاف رجل لحرب الغساسنة، وجعل قيادتها لزيد بن حارثة، ولما علم الغساسنة بأمرها استنجدوا بحلفائهم الرُّوم فانجدوهم بجيش عظيم، وكان اللقاء في (مؤتة).

وفي تلك المَعْرَكة قتل زيد بن حارثة قائد الجيش، وقتل من بعده عبدالله بن رواحة ثمّ جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه، ثمّ انتدب النّاس خالد بن الوليد لتولي قيادته، وأدرك أن في استمرار المَعْرَكة فناء جيش المُسلِمِين، فانسحب بخطة عسكريّة باهرة، إذ أثار الغبار خلف جيشه المنسحب، فأوهم الرُّوم أن مددا ضخما جاء من المدينة وأرهبتهم حيلة خالد فتوقفوا عن تتبع الجيش المنسحب.

وبهذا الانسحاب ظهرت مهارة خالد الحَربية وارتقى إلى صف القادة الّذين رفعوا راية الإِسْلَام، وكانت وقعة مؤتة فاتحة النضال للفتوحات الإِسْلَاميّة خارج الجَزِيرَة، **وبداية الصِّرَاع بين المُسلِمِين والرُّوم**.



فتح مكّة (٨ هـ):

وجاءت السنة الثَّامنة للهِجرَة وقد كثر عدد المُسلِمِين بدخول كثير من القبائل في الإِسْلَام، ويشاء الله أن تنقض قريش عهدها مع المُسلِمِين، فقد عدت قبيلة بني بكر عَلى قبيلة خزاعة، وكان بنو بكر قد دخلوا في عهد قريش ودخل بنو خزاعة في عهد النبيّ ﷺ، فانتصرت قريش لحلفائها واستنجدت خزاعة بالنبيّ ﷺ، وحانت بذلك فرصة لفتح مكّة.

فقد أصبحت قريش في عزلة بعد أن أسلمت أكثر القبائل العربيَّة وفقدت قريش في حُرُوبها مع المُسلِمِين كثيرا من رجالها، ولحق بالمُسلِمين جمع من أبطالها المغاوير.

أعد النبيّ ﷺ جيشا عظيما من المُهَاجِرين والأنصار وانضمت إليه القبائل الّتي أسلمت، وأعلن النبيّ ﷺ أنه يريد مكّة لحرب قريش الّتي نقضت عهدها.

وسار الجيش يتبع قائده العظيم عليه الصّلاة والسّلام، وعسكر خارج مكّة ورأت قريش أن النبيّ ﷺ جاء ومعه جمع كبير من العَرَب وأنه لا طاقة لها بحربهم، فاستسلمت، وجاء العبّاس، عم النبيّ ومعه أبو سفيان فأسلما وفتحا له أبواب البلد الحرام، وقبل أن يدخلها استعرض الجيش بحضورهما، فمرت سَرَاياه أمامهما وهي تهتف: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء]

ودخل النبيّ ﷺ مع الجيش إلى مكّة وتوجه إلى الكعبة راكبا ناقته بتواضع جم، فأخذ بتحطيم الأصنام ومحو الصُّور من جدران الكعبة، ثمّ أمر بلالا الحبشي أن يصعد إلى سطح الكعبة فأذن بالنّاس معلنا هزيمة الشرك.

غزو ثقيف وهوازن (٨ هـ):

انضمت قريش إلى صفوف المُسلِمِين وانتظمت معهم في جيشه لحرب قبيلتي هوازن وثقيف، وقد رفضوا الدخول في الإِسْلَام، والتقى المُسلِمُون مع هوازن في (وادي حنين) وانتصروا عليهم بعد حرب ضروس، كاد أن يغلب فيها المُسلِمُون لولا ثبات النبيّ ﷺ، ثمّ حاصر المُسلِمُون ثقيفا في مدينتهم (الطائف) فاضطروا للاستسلام، ودخلت هوازن وثقيف في الإِسْلَام.

المسيرة النّبويّة لقتال الرُّوم: غزو تبوك ودومة الجندل (٩ هـ):

عاد النبيّ إلى المدينة بعد فتح مكّة وكانت السنة التاسعة للهِجرَة قد حلت، فجهز جيشا كبيرا عدته أربعون ألف رجل، وسار به نحو (مؤتة) يريد أن يثأر لما حلّ بجيش المُسلِمِين فيها، ولما وصل إلى مدينة تبوك عسكر فيها، وعلم الرُّوم بقدومه فلم يتقدموا لحربه، فقد راعهم لقاء هذا الجيش الكبير، يقوده رجال لا يعرفون الهزيمة، واتخذ جيش الرُّوم مكانه داخل بلاده مدافعا بعد أن كانَ يريد الهجوم.

واكتفى النبيّ ﷺ بما أحدثه من رهبة في قلوب الرُّوم، وعقد بعض المعاهدات مع مدن الحدود وكانوا عَلى النّصرانية مقابل تعهدهم بدفع الجزية، واستعصت (دومة الجندل)، فأرسل النبيّ ﷺ خالد بن الوليد على رأس سرية فأخضعها وأسر صاحبها أكيدر بن عبد الملك فقدم به المدينة فأسلم وعقد معه النبيّ ﷺ معاهدة ورده إلى قومه، وكانت غزوة تبوك آخر غزوات النبيّ ﷺ.

إقبال وفود القبائل العربيَّة إلى المدينة وإعلان إسلامها:

وبلغت مسامع العَرَب انتصارات النبيّ ﷺ بفتح مكّة وإسلام قريش وإسلام ثقيف وهوازن، وإخضاع صاحب دومة الجندل ودخول مدن الحدود الشمالية في عهد النبيّ وتعهدها بدفع الجزية إليه، فأقبلت وفود القبائل العربيَّة من كلّ فج تعلن إسلامها، فكان النبيّ يعرفها بعَقِيْدَة الإِسْلَام ومبادئه ويرسل معها من يختاره لها من صحابته ليعلمها شعائر الدّين ويبين لها أحكامه.

إنذار من بقي عَلى الشرك من العَرَب (٩ هـ):

أما من بقي عَلى الشرك من العَرَب فقد أمهلوا أربعة أشهر، فإذا انقضت ولم يسلموا فقد أمر النبيّ بقتالهم حتَّى ينتزع الشرك من جَزِيرَة العَرَب.

وقد نزل بهذا الإنذار نص قرآني في مطلع سورة التوبة المعروفة بسورة (براءة) وهو: ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢﴾ [التوبة]، ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]، وقد تلا هذا الإنذار علي ابن أبي طالب عَلى مسامع المُسلِمِين في موسم الحجّ من السنة التاسعة.

ولم تمض تلك السنة حتَّى دانت جَزِيرَة العَرَب بدين الإِسْلَام وتوحدت في دولة واحدة وفرضت الزّكاة عَلى المُسلِمِين، وعين النبيّ ﷺ مطارحها ومقاديرها وأرسل عمالا لجبايتها.

حجة الوداع (١٠ هـ):

وهلت السنة العاشرة للهِجرَة وقد دخل العَرَب في الدّين الجَدِيد وانتظموا تحت راية الإِسْلَام، وأقبل موسم الحجّ فخرج النبيّ ﷺ في أكثر من مئة ألف مسلم حاجا، وخطب في عرفات في هذه الجموع مودعا، وفيها بين أركان الإِسْلَام وأعلن المساواة بين المُسلِمِين وجعل تقوى الله معيار التفاضل بينهم، وتلا آخر آية من آيات التنزيل الحكيم: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]، وبهذه الخطبة اختتم النبيّ العظيم ﷺ مهمته في أداء رسالته وفي تجهيز العَرَب بالطاقة الإيمانية ليكونوا رسلها إلى العالم.

ظهور حركة الرِّدَّة:

لم يكد النبيّ ﷺ يفرغ من حجة الوداع حتَّى ظهرت في اليمن حركة الارتداد عن الإِسْلَام وقد تزعمها مشعوذ يدعى (عيهلة بن كعب العنسي) ويعرف بالأسود العنسي، وقد استهوى قومه بما أراهم من ضلالات سحره فاتبعوه.

وسرت حركة الرِّدَّة إلى اليمامة وظهر فيها رجل من بني حنيفة يدعى مسيلمة بن ثمامة، وأرسل إلى النبيّ ﷺ يطلب منه أن يشركه في أمره، ودعاه النبيّ ﷺ، **مسيلمة الكذاب**.

واتسع خطر **الأسود العنسي** في السنة الحادية عشرة للهِجرَة، فأرسل النبيّ ﷺ إلى من بقي في اليمن من المُسلِمِين يحضهم عَلَى قتله فاغتالوه، وقضي عَلَى حركة الرِّدَّة في اليمن بعد مقتله، ولكنها ظلت قائمة في اليمامة حتَّى خلافة أبي بكر رضي الله عنه فقضى عليها في عهده.

مرض الرَّسُول ﷺ ووفاته (١١ هـ):

وفي مطلع ربيع الأوّل من السنة الحادية عشرة للهِجرَة، مرض رسول الله ﷺ وقبضه الله إلى جواره في يوم الاثنين الثّاني عشر من ذلك الشهر، وبانتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ختمت حياة خاتم الأنبياء وأعظم العظماء في تاريخ الإنسانيّة.

****

الدّولة الإِسْلَاميّة في عهد الخُلَفَاء الرّاشدين (١١-٤١ هـ)

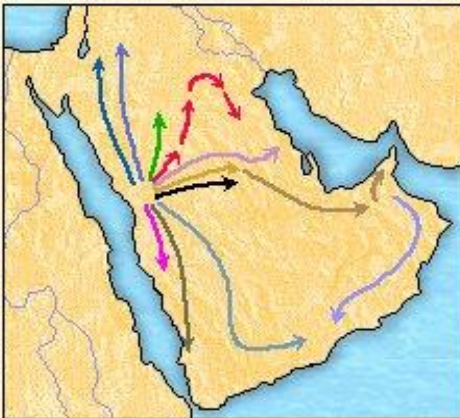
مدّة خلافة الخُلَفَاء الرّاشدين وأعمارهم:

- **أبو بكر الصّديق**ﷺ: سنتان وثلاثة أشهـر توفّي في جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ عن ٦٣ عامًا.
- **عمر بن الخطّاب**ﷺ: ١٠ سَنَوات وستة أشهـر توفّي في ذي الحجة سنة ٢٣هـ عن ٦٣ عامًا.
- **عثمان بن عفّان** ﷺ: اثنتا عشر سنة توفّي في ذي الحجّة سنة ٣٦هـ عن ٨٢ عامًا.
- **علي بن أبي طالب**ﷺ: ٤ سَنَوات وتسعة أشهـر توفّي في رمضان سنة ٤٠ هـ عن ٦٠ عامًا.

خلافة أبي بكر الصّدِّيقﷺ (١١-١٣ هـ):

بعد وفاة الرَّسُولﷺ، أسفرت الشُّورى بين المُسلِمِين عن بيعة أبي بكر الصّديقﷺ.

وكان من أهمّ إنجازات أبي بكرﷺ خلال مدّته القصيرة، قمع المرتدّين، وإنفاذ جيش أُسَامَة الّذي جهَّزه رسول اللهﷺ لغزو الرُّوم في الشّام، وكذلك إطلاقه ﷺ حركة الفتح الإِسْلَاميّ نحو العراق.





خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣ هـ):

عهد سيدنا أبو بكر أثناء مرضه بالخِلافَة إلى سيدنا **عمر بن الخطّاب** رضي الله عنهما، وكان قد استشار فيه **عبد الرَّحمٰن بن عوف** وعثمان بن عفّان، فذكرا فضله وحمدا رأي أبي بكر، ثمّ ظهر أبو بكر للنَّاس في المَسجِد وقال لهم: هل ترضون بمن أستخلف عليكم، فما ألوت من جهد الرَّأي، ولا وليت ذا قرابة.

ويروي الإِمَام السيوطي عن ابن عساكر[١] أن علياً ابن أبي طالب قام فقال: **لَا نرضى إِلَّا أَن يكون عمر**، فقال أبو بكر: هو عمر فاسمعوا له وأطيعوا، ثمّ أحضر أبو بكر عمر وقال له: أَنّي قد استخلفتك عَلى أصحاب رسول الله ﷺ وأوصاه بتقوى الله، ولما توفي أبو بكر بايع النّاس عمر بمن فيهم علي ابن

(١) تاريخ الخلفاء: ص٦٧.

أبي طالب، ومعه بنو هاشم ﷺ أجمعين، وتولى عليّ القضاء لعمر مدّة خلافته، وزوجه ابنته أم كلثوم، وهي بنت فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وولدت له ابنه زيدا وابنته رقية، وقد رتب الفقهاء عَلى الطَّريقة الّتي جرى فيها استخلاف عمر قاعدة في أصول الحكم، وهي جواز انعقاد الخِلافَة بعهد من قبل الخَليفَة السابق.

امتدت ولاية عمر عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلة، وانتهت حياته بيد أبي لؤلؤة المجوسي الّذي اغتاله في فجر يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ للهِجرَة، وقد تولى اغتيال عمر بمؤامرة دبرها **الهرمزان** القائد الفارسي، الّذي أسره المُسلِمُون سنة ١٧هـ في وقعة (تستر) وأرسل إلى **عمر بن الخطاب** بطلب منه، فأراد عمر قتله ولكنه نجا من القتل بإعلان إسلامه، ولما قتل عمر أقدم ابنه عبيد الله فقتل **الهرمزان**.

كانَ عدل عمر رضي الله عنه أشهر من أن يشار إليه، وكان من أهمّ الإنجازات في عهده، **فتح الشّام والعراق ومصر، وأكثر بلاد فارس** حيث وصلت جُيُوش المُسلِمِين إلى أذربيجان.

خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣- ٣٦ هـ):

لما اغتيل عمر رضي الله عنه، طُلب إليه أن يولي ابنه عبدالله بن عمر فأجاب: "مَا حَمِدْتُهَا فَأَرْغَبُ فِيهَا لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي بِحَسْبِ آلِ عُمَرَ أَنْ يُحَاسَبَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ"(١).

وقد رأى أن يختار ستة من أجل صحابة رسول الله ﷺ، ممن بشرهم بالجنة ليتشاوروا فيما بينهم ويختاروا للخلافة واحدا منهم، وهم:

عثمان ابن عفان وعلي ابن أبي طالب وعبد الرَّحمٰن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنهم، وأوصى أن يحضر معهم ابنه **عبدالله بن عمر** على أن لا يكون له من الأمر شيء، بل ليحكم بينهم إذا اختلفوا.

---

(١) أورده الطبري في الأمم والملوك: (٤/ ٢٢٨) وابن الأثير في الكامل (٢/ ٤٤٠).

دعا عمر أصحاب الشورى وأمرهم أن يجتمعوا بعد وفاته، وحدد لهم مهلة ثلاثة أيّام تلي وفاته ليختاروا في خلالها خليفة منهم، وعين **المقداد بن الأسود** حاجبا لهم، وقال له: إن أجمع خمسة عَلى رجل منهم وأبى الآخر فاضرب عنقه، وإن أجمع ثلاثة عَلى واحد، وثلاثة عَلى واحد، فليحكموا **عبدالله بن عمر** فأي الفريقين حكم له فليختاروا خليفة منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبدالله فليكونوا مع الّذين فيهم **عبد الرَّحْمٰن بن عوف** ثمّ بين عمر فضل كلّ واحد منهم وامتدح مزاياه، وقال: ما أظن أن يلي الخِلافَة إلا أحد رجلين: علي أو عثمان.

وفعلا أسفرت الشورى عن اختيار عثمان ﷺ وبايعه الصّحابة، **وتميزت فترة عثمان ﷺ باتساع الفتوحات، حيث سقط آخر الأكاسرة وقتل، ودخلت بلاد فارس في الإِسْلَام، كما توغل جيش الصّحابة الفاتحين في شمال إفريقيا، وعبر إلى الأندلس، ولكنه لم يمكث فيها، وفتحت منطقة بلاد الري وأعالي الجَزِيرَة حول بحر قزوين إلى تخوم الأناضول**، وهكذا أقبلت الدُّنيَا عَلى المُسلِمِين تماما كما بشرهم بها رسول الله ﷺ.

ثمّ نزغ الشّيطان وتسلل الخلاف، واستغل رؤوس الفتنة بعض الملاحظات الّتي أثيرت حول سياسات ذي النورين عثمان ﷺ وحصلت الفتنة المشهورة، الّتي تولى كبرها أوباش من النّاس، والَّتي أسفرت عن حصاره وقتله في بيته ﷺ وأرضاه، لتفتح عَلى الأُمّة فتنة لم ترتق بعد آثاها إلى يومنا هٰذا.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

خلافة علي بن أبي طالب ﷺ (٣٦- ٤٠ هـ):

بعد مقتل عثمان بايع أهل المدينة عليا ابن أبي طالب رضي الله عنهما وقام بنو أمية يطالبون بدم عثمان المظلوم، متهمين عليا بحماية قاتليه، وانضمت إليهم السيدة **عائشة بنت أبي بكر** الصّديق وزوج النبيّ ﷺ، ووقعت الفتن المشهورة الّتي كانَ فيها موقعة الجمل، ثمّ انحاز معاوية بن أبي سفيان بأهل الشّام، حيث تمركز علي ﷺ في العراق، ووقعت الفتنة الكبرى، ثمّ حصلت واقعة التحكيم المشهورة بين علي ومعاوية، وفشلت وأسفرت عن ميلاد فرقة الخوارج.

و صمم الخوارج عَلى قتل علي ابن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان وعمرو ابن العاص، وتطوع ثلاثة لهذه المهمة، وهم: عبد الرَّحمٰن بن ملجم وقد ضمن قتل علي، والحجاج بن عبدالله البرك التميمي وقد ضمن قتل معاوية، وعمرو بن بكر التميمي وقد ضمن قتل **عمرو بن العاص** ، وقد نفذ الملعون **ابن ملجم** ما ضمنه فقتل عليا ﷺ، وأخفق الآخران، فنجا معاوية وعمرو بن العاص ﷺ أجمعين.

خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ (٤٠-٤١ هـ):

بويع الحسن بالخِلافَة بعد اغتيال أبيه، وبلغه أن معاوية ابن أبي سفيان قد سار إلى حربه وإسقاط الخِلافَة عنه وأنه نزل (مسكن)، فجهز الحسن جيشا من أهل الكوفة وتوجه به إلى لقاء معاوية، ولكنهم انخذلوا عنه كما تفرقوا عن أخيه وأبيه من قبل - وما يزال هذا دأب الشّيعة إلى يومنا هذا - وكرهوا القِتَال وتفرقوا عن الحسن ونهبوه، وقيل إنه أصابته منهم طعنة حربة، فلم يجد الحسن جدوى في متابعة الحَرب بمثل أولئك، وأرسل إلى معاوية كتابا يعلن فيه رغبته في مصالحته والتنازل له عن الخِلافَة لقاء شروط، فأرسل معاوية إليه صحيفة بيضاء مختومة بخاتمه ليملي فيها ما يشاء من شروط، فأملى فيها الحسن ﷺشروطه، وقدمها إلى معاوية فتقبلها وعاد مع الحسن إلى الكوفة، وفي مسجدها أعلن الحسن تنازله لمعاوية وبايعه النّاس، وسمي ذلك العام عام الجماعة لاجتماع المُسلِمِين عَلى خليفة واحد، وعاد الحسن بعد ذلك إلى المدينة، ثمّ توفي ﷺ في المدينة سنة ٥٠هـ، بعد أن تحققت فيه نبوءة جده ﷺ عندما قَالَ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَّ أَنَّ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[1].

الفتوحات الإِسْلَاميّة في عهد الخُلَفَاء الرّاشدين:

بعد أن أخمد أبو بكر عصيان المرتدّين وعم الإِسْلَام الجَزِيرَة العربيَّة، قام بتنفيذ السّياسة الّتي قررها الرَّسُول ﷺ في نشر الإِسْلَام خارج الجَزِيرَة، فوجه القوى الإِسْلَاميّة إلى الجِهَاد في جبهتين: جبهة العراق بقيادة **خالد بن الوليد** وجبهة الشّام بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح ومعه يزيد ابن أبي سفيان وأخوه معاوية وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص، وفي العراق تمَّ فتح القسم الجنوبي منه، ثمّ أمر

---

(١) رواه البخاري (٣٦٢٩، ٣٧٤٦، ٧١٠٩).

أبو بكر **خالد بن الوليد** أن يتوجه إلى الشّام مع قسم من جيش العراق مددا لأبي عبيدة ابن الجراح وتم فتح الشّام بعد وقعة اليرموك سنة ١٣هـ وقبيل وفاة أبي بكر ﷺ أجمعين.

وفي عهد **عمر بن الخطاب** ﷺ، (١٣ - ٢٣هـ) غزا معاويةُ الرُّومَ حتَّى بلغ (عمورية) وسط (تركيا الحالية) وفتحت الجَزِيرَة وأرمينية وأذربيجان، وطرق المُسلِمُون باب الأبواب عَلَى بحر الخزر (قزوين) عَلَى يد **عياض بن غنم** ، وفتحت مصر عَلَى يد **عمرو بن العاص** ، وامتد الفتح الإِسْلَاميّ عَلَى الأقاليم الساحلية الليبية (طرابلس وبرقة).

وفي العراق تولى قيادة الجيش الإِسْلَاميّ **سعد بن أبي وقاص** ، وتم عَلَى يده فتح ما تبقى من العراق بعد وقعة القادسية (سنة ١٤هـ) وفيها هزم جيش الفرس وقتل قادته، واجتاز المُسلِمُون حدود بلاد إيران ففتحوا خراسان والأهواز وإقليم فارس وامتد الفتح جنوبا حتَّى مكران (بلوشستان)إلى حدود السند وشرقا إلى سجستان (أفغانستان).

وفي خلافة عثمان (٢٣ – ٣٥هـ) أعيد فتح خراسان وأرمينية وأذربيجان بعد انتقاضها، وفتحت الري وهمذان وطبرستان وجرجان واكتمل فتح إيران، وفي بلاد الشّام لم يبق بعد وقعة اليرموك إلا حاميات بيزنطية في بعض مدن فِلَسطِين والساحل، فأتم فتحها معاوية ابن أبي سفيان، وكان **عمر بن الخطاب** ﷺ، ولاه عَلَى الشّام بعد وفاة أخيه زيد بطاعون عمواس سنة ١٨هـ.

وعلى جبهة الرُّوم أنشأ معاوية نظام الصوائف والشواتي لمتابعة غزو الرُّوم، وفي سنة ٢٧هـ بلغ القُسطَنْطينيَّة وحاصرها، وأنشأ في عكا دارا لصناعة السفن، وفيها تمَّ أول أسطول إسلامي وكان باكورة عمله الاستيلاء عَلَى جزيرتي قبرص وأرواد، وبه أبيد الأسطول البيزنطي في وقعة (ذات السواري) سنة ٣٤هـ، وأصبح شرق البحر المتوسط بعدها بحرا إسلاميا، وفي مصر امتد الفتح الإِسْلَاميّ نحو إفريقية بقيادة عبدالله بن سعد بن أبي سرح الّذي ولاه عثمان بعد عزله **عمرو بن العاص** وانتصر المُسلِمُون عَلَى جيش الرُّوم، وكان بقيادة (جرجيرgregarious) وتم الاستيلاء عَلَى (سبيطلة) الّتي اتخذها عاصمة له، وفتحت بعد هذه المَعْرَكة أبواب المغرب.

وفي عهد علي ابن أبي طالب توقفت الفتوحات، ما خلا توغل جرى في جبهة السند، وذلك بسبب الفتن الّتي ثارت في عهده وانتهت بقتله رضي الله عنه.

****

الدّولة الإِسْلَاميّة في عهد الخِلافَة الأموية (٤١-١٣٢هـ)

بتنازل الحسن بن علي ﷺ عن الخِلافَة إلى معاوية ابن أبي سفيان، انتقلت الخِلافَة إلى بني أمية. وانتهت بذلك الخِلافَة الرّاشدة، وابتدأ عصر الملك العضوض في تاريخ الإِسْلَام والمُسلِمين.

وقد انطوى العهد الأموي عَلى فترتين:

أ – **الفترة السفيانية**: وهي الفترة الّتي تولى الخِلافَة فيها معاوية ابن أبي سفيان وابنه يزيد بن معاوية وحفيده معاوية بن يزيد وقد امتدت ٢٣ سنة (٤١ –٦٤هـ).

ب– **الفترة المروانية**: وهي الفترة الّتي انتقلت فيها الخِلافَة إلى الفرع المرواني من بني أمية بتولي، مروان بن الحكم حتَّى عهد حفيده مروان بن محمّد بن الحكم، آخر خُلَفَاء بني أمية، ومدتها ٦٨ سنة (٦٤ – ١٣٢هـ).

وفي خلال الفترتين ومدتها ٩١ سنة وتسعة أشهر توالى أربعة عشر خليفة كانَ أعظمهم شأنا معاوية ابن أبي سفيان ﷺ، وعمر بن عبد العزيز ﷺ، واتسعت الدّولة وتوطدت أركانها في عهد وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وأخوه هشام بن عبد الملك ، وكانت مدّة خلافتهم (٧١ سنة) من أصل (٩١ سنة) فالدّولة الأموية كانت دولتهم، وفي عهدهم امتدت رقعتها من المحيط الأطلسي إلى حدود الصين، ثمّ أخذت شمس الخِلافَة الأموية بالغروب، بما شب فيها من ثورات أضرمها الصِّرَاع عَلى الخِلافَة والانقضاض عَلى الحكم، وثورات الخوارج، وحُرُوب أهلية أثارتها العصبية القبلية بين المضرية واليمنية.

وقد ترتب عَلى انتقال الخِلافَة إلى بني أمية النتائج التّالية:

– في المجال السّياسيّ:

أ – **تحول الخِلافَة إلى ملك موروث**، ينتقل بعهد من الخَليفَة السابق إلى ابنه أو إلى اثنين أو أكثر من أولاده بالترتيب، كما فعل عبد الملك بن مروان حين عهد بالخِلافَة إلى ولديه الوليد وسليمان، إذ تبدلت صيغة البيعة، فبعد أن كانت بيعة الخَليفَة في عهد الخُلَفَاء الرّاشدين تقوم عَلى مبايعته عَلى الشورى، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله، وتؤخذ ممن حضر المبايعة من أهل الحلّ والعقد من كبار

الصّحابة وأولى الأحلام والنهى في المدينة، أصبحت تؤخذ من الرعية بحضور الخَليفَة في عاصمة الدّولة (دمشق) وبحضور كبار عماله في الولايات، وكان الخَليفَة يأخذ البيعة لمن يعهد بالخِلافَة من أولاده من بعده، وإذا ما رفض أحد البيعة، فكانت تؤخذ بالقهر والغلبة.

ب – **إنتقال عاصمة الدّولة الإِسْلَاميّة إلى دمشق** بعد أن كانت في العراق – الكوفة – زمن علي رضي الله عنه، وفي المدينة المنورة قبل ذلك.

ج– **انتقال سلطة الحكم إلى بني أمية**، وقد تجمعت عصبيتهم في الشّام منذُ الفتح الإِسْلَاميّ والتقت مع قبيلة كلب اليمانية المتوطنة هناك قبل الإِسْلَام، وبذلك ارتبطت القبائل الكلبية مع بني أمية برابطة المصاهرة وشكلت الثقل السّياسيّ الّذي دعم الدّولة الأموية حتَّى أواخر عهدها.

د– **نشوء عهد من الاستقرار السّياسيّ في الدّولة الإِسْلَاميّة** أتاح لها هضم الفتوحات الّتي تمت في عهد الخُلَفَاء الرّاشدين، والإضافة عليها، واتساع الدّولة الإِسْلَاميّة إلى أوج مساحتها الّتي امتدت من حدود الصين شرقا إلى الأندلس ومراكش غربا، ومن بلاد القفقاس شمالا إلى بحر العَرَب وبلاد النوبة جنوبا، وانتظام كلّ هذه الرقعة في إطار الحكم الإِسْلَاميّ.

هـ – **أصبح نظام الخِلافَة أشبه شيء بالنّظام الملكي أو القيصري**، ومن ثمّ زادت الصفة الزَّمنية في الخِلافَة عَلى الصفة الدّينيّة وابتدأ ما أخبر به رسول الله ﷺ من أن السُّلطَان والقرآن سيفترقان، كما أخذت الدّولة بالنّظام الإداري والمالي الّذي كانَ متبعا في الدّولتين الفارسية والبيزنطية.

– في المجال الاقتصاديّ:

تحولت طرق التجارة إلى موانى الشّام ومصر، وخاصة بعد معركة (ذات الصواري) سنة ٣٤هـ وتدمير الأسطول البيزنطي.

وأصبحت عواصم بلاد الإِسْلَام الكبرى وفي طليعتها مدن الشّام ومصر والعراق وخراسان وشمال إفريقيا، والأندلس، عواصم الدُّنيَا وزهرتها، وفي طليعتها عاصمة الخِلافَة الأموية دمشق، حيث ازدهرت التجارة، وسارت الركبان آمنة تربط شرق العالم القديم بغربه من تخوم الصين وبلاد الهند والسند، إلى بلاد الرُّوم وممالكهم عَلى الشاطئ الآخر للبحر الأبيض المتوسط.

- في المجال العلمي:

ازدهرت الحضارة والعلوم في عهد الدّولة الأموية وبلغت مستوى رفيعا، فقد انتشر صحابة رسول الله ﷺ في مختلف البلاد المفتوحة واستوطنوها ولاسيما بلاد الشّام والعراق ومصر، وقد حمل التَّابعون علوم الصّحابة وفقهم وسمتهم، بعد ذلك إلى فارس وخراسان وإفريقيا الشمالية.

ودون الحديث الشريف في زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ونبغ في طبقة التَّابعين وتابعي التَّابعين خلال تلك الفترة علماء أفذاذ حفظوا علوم الشّريعة ووضعوا الأساس العلمي الّذي شمخت عليه مناراتها فيما بعد.

ولكن وإلى جانب ذلك شهد تحول نظام الحكم إلى الشّكل الملكي الكسروي القيصري، أن تظهر ظاهرة علماء السّلاطين، وفقهاء القصور، حتَّى وجدنا في وثائق تاريخ تلك المَرحَلَة بعض الأئمة الأعلام كأبي حازم والحسن البصري والأوزاعي، يزرون بتلك الظَّاهِرة وأربابها، وفي مجالات الحضارة الأخرى من العمران والعلوم والفنون، أدى دخول العَرَب بلاد الحضارات القديمة، كبلاد فارس، والرُّوم، والسند والهند، وبلاد الترك إلى جوار الصين، إلى هضمهم لخلاصة تلك الحضارات ومزجها، وإنتاج نموذج فريد للحضارة، بقيت إشعاعاته منارة للإنسانية إلى قرون طويلة بعد ذلك.

مدّة خلافة الخُلَفَاء الأمويون وأعمارهم ٦٦١ - ٧٥٠ م:

١. **معاوية بن أبي سفيان** رضي الله عنه : ٦٦١ - ٦٨٠ م، تسعة عشرة سنة وثمانية أشهر توفي في رجب سنة ٦٠هـ عن ٧٨عاما.
٢. **يزيد بن معاوية:** ٦٨٠ - ٦٨٣ م، ثلاثة سنين وثمانية أشهر توفي في ربيع الأوّل سنة ٦٤هـ عن٣٨عاما.
٣. **معاوية بن يزيد** : ٦٨٣- ٦٨٣ م أربعون يوما توفي في سنة٦٤هـ عن٢٣عاما.
٤. **مروان بن الحكم** : ٦٨٣- ٦٨٥ م سنة وعشرة أشهر وتوفي في رمضان سنة ٦٥هـ عن ٧١عاما.
٥. **عبد الملك بن مروان:** ٦٨٥ -٧٠٥ م إحدى وعشرون سنة توفي سنة ٨٦ هـ عن ٦٠عاما.

٦. **الوليد بن عبد الملك:** ٧٠٥- ٧١٥ م تسع سنين وثمانية أشهـر توفي في جمادى الآخرة سنة ٩٦ هـ عن ٤٨ عاماً.

٧. **سليمان بن عبد الملك** : ٧١٥- ٧١٨ م سنتان وثمانية أشهـر توفي في سنة ٩٩هـ عن ٤٥ عاماً.

٨. **عمرو بن عبد العزيز** رضي الله عنه: سنتان وخمسة أشهـر توفي في رجب سنة٧١٨ ٧٢٠ م ١٠١ هـ عن ٤٠عاما.

٩. **يزيد بن عبد الملك بن مروان:** ٧٢٠ -٧٢٤ م : أربع سنين وشهـر توفي في شعبان سنة ١٠٥هـ عن ٣٨ عاماً.

١٠. **هـشام بن عبد الملك بن مروان** ٧٢٤- ٧٤٣ م : تسعة عشرة سنة وسبعة أشهـر توفي في ربيع الآخر سنة ١٢٥هـ عن ٥٤ عاماً.

١١. **الوليد بن يزيد بن عبد الملك** ٧٤٣ - ٧٤٤ م: سنة وشهـران توفي في جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ عن ٣٨عاما.

١٢. **يزيد بن الوليد بن عبد الملك** ٧٤٤- ٧٤٤ م: خمسة أشهـر توفي في ذي الحجة سنة ١٢٦هـ عن ٤٠ عاماً .

١٣. **إبراهـيم بن الوليد بن عبد الملك:** ٧٤٤- ٧٤٤ م: سبعون يوما خلع سنة ١٢٧هـ وتوفي في ربيع الآخر سنة ١٣٢هـ عن ٦٠عاما.

١٤. **مروان بن محمّد بن مروان بن الحكم** ٧٤٤ - ٧٥٠ م: خمس سنين توفي في ذي الحجة سنة ١٣٢هـ عن٦٠عاما.

الفتوحات في عهد بني أمية:

في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (٤١ - ٦٠هـ) استمرت الفتوحات في صعود، فقد امتدت شرقا إلى ما وراء النهر وفتحت بخارى وبلاد الصغد، وتوغل المُسلِمُون في إفريقية واستولوا عَلى (قابس) و(بنزرت) و(سوسة) عَلى يد معاوية ابن حديج، أمير إفريقية، ثمّ فتحت (قفصة)

و(قسنطينة) عَلى يد عقبة بن نافع، وفي المشرق تمَّ فتح خراسان وسجستان بعد انتقاضهما واستمرت غارات الصوائف في جبهة الرُّوم، وتوالت الغارات البحرية عَلى جزيرتي (صقلية) و(رودوس) تلك الغارات الّتي مهدت للاستيلاء عليهما.

وفي عام ٤٨هـ أرسل معاوية حملة استطلاعية إلى ضواحي القُسطَنْطينيَّة ليختبر خط الدّفاع البيزنطي عن العاصمة (القُسطَنْطينيَّة)، وفي عام ٥٣هـ وجه معاوية حملة لغزو هذه المدينة بقيادة ابنه يزيد ومعه قائد البحر سفيان بن عوف الأزدي، وضم إليه الصحابي الجليل أبا أيوب الأنصاري، وعادت الحملة بعد حصار دام سبع سَنَوات، وفيها توفي أبو أيوب ودفن قرب أسوار القُسطَنْطينيَّة.

وفي عهد يزيد بن معاوية (٦٠ – ٦٤هـ) اقتصرت الفتوحات عَلى توغل عقبة بن نافع في إفريقية وبلوغه ساحل البحر الأطلسي، وغزا المُسلِمُون خوارزم من بلاد ما وراء النهر، وقد مضى أكثر أيّام خلافته في صِرَاع مع الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما والّذي انتهى بقتل الحسين، وفي صِرَاع مع عبدالله بن الزبير وقد طلب الخِلافَة بعد استشهاد الحسين.

وفي عهد عبد الملك بن مروان (٦٤ – ٨٦هـ) توقفت الفتوحات عند حدودها السَّابقة، ما عدا بعض التوسع في بلاد ما وراء النهر، وكان سبب ذلك اشتغال عبد الملك في صراعه مع ابن الزبير واشتغاله بقمع الثورات والفتن الّتي أثارها الشّيعة والخوارج، وقد أرهقت عبد الملك واضطرته إلى مصالحة الرُّوم عَلى مال لوقف هجومهم عَلى الثُّغُور الإِسْلَاميّة.

وفي عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦هـ) أخذت مسيرة الفتوح في صعود، فقد توغل أخوه مسلمة بن عبد الملك في أذربيجان وفتح عددا من القلاع والحصون، واتسع الفتح فيما وراء النهر عَلى يد قتيبة بن مسلم ففتحت (بخارى) و(سمرقند) و(بلاد الشاش) و(فرغانة) و(كاشان) وامتدت فتوحات قتيبة إلى دلتا نهر جيحون.

وفي إفريقية أكمل موسى بن نصير أمير إفريقية، فتح المغرب وفي سنة ٨٦هـ وجه حملة بحرية بقيادة عياش بن آشيل فغزا صقلية وعاد منها بغنائم، وجهز موسى جيشا بقيادة مولاه طارق بن زياد فاجتاز البحر إلى الأندلس سنة ٩٣هـ وانتصر عَلى ملك القوط (رودريق) في معركة جرت في

(شذونة)، ثمّ لحق به موسى بن نصير واشترك معه في فتح بعض الأقاليم الأسبانية، وفي الهند توغل محمّد بن القاسم الثقفي فيها وفتح كثيرا من قلاعها ومدنها.

وفي عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩هـ) اجتاز قتيبة بن مسلم حدود الصين وفتح مدينة (كاشغر)، وفي الأندلس توغل عبد العزيز بن موسى، -وكان قد خلف أباه في إمارة الأندلس- في أسبانيا، وفتح عددا من أقاليمها، وفتح يزيد بن المهلب أمير خراسان جرجان وقهستان وطبرستان، وجهز سليمان حملة بحرية بقيادة عمر بن هبيرة، وأخرى برية بقيادة أخيه مسلمة، فحاصرت القُسطَنْطينيَّة من البر والبحر، وعادت بأمر من عمر بن عبد العزيز بعد توليه الخِلافَة.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز ﵁، (٩٩ - ١٠١هـ) اجتاز المُسلِمُون جبال (البرتات - البيرينيه) إلى بلاد الغال (فرنسا) بقيادة السمح بن مالك، أمير الأندلس، واستولوا عَلَى (أربونة - ناربون) و(طولوشة - تولوز)، ولم تتسع الفتوحات في عهد عمر إلى أبعد من ذلك لقصر مدّة خلافته.

وفي عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥هـ) توغل المُسلِمُون في بلاد الغال (فرنسا) بقيادة عنبسة بن سحيم أمير الأندلس، حتَّى بلغ أعلى نهر الرون وقام الأسطول الإِسْلَاميّ في المغرب بغارات عَلَى جَزِيرَة صقلية وجَزِيرَة سردينية.

وفي خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ) صعدت مسيرة الفتوحات الإِسْلَاميّة إلى أبعد غاياتها وبلغت الأوج، فقد غزا أسد بن عبدالله القسري، أمير خراسان ما وراء النهر بلاد الصغد والترك، وغزا الحجاج بن عبد الملك بن مروان بلاد الخزر وأرمينية وبلاد اللان وفرض عليها الجزية، وتابع الجراح الحكمي أمير أرمينية غزو بلاد الخزر، ولما استشهد سنة ١١٢هـ خلفه في الإمارة مروان بن محمّد فغزا أقاليم بحر الخزر (قزوين) ووطد الحكم الإِسْلَاميّ فيها.

وفي بلاد السند توغل الجنيد بن عبد الرَّحْمٰن المري فيها وفتح عددا من بلدانها، ثمّ توقف الفتح حتَّى أيّام الغزنويين في أواخر القرن الرَّابع والقرن الخامس الهجريّ، وفي بلاد الغال غزا عبد الرَّحْمٰن الغافقي، أمير الأندلس، جنوبها الغربيّ واستولى عَلَى مدينة (بوردو) ثمّ صعد شمالا والتقى مع (شار مارتل) بين مدينتي (تور) و(بواتيه) في معركة ضارية جرت سنة (١١٤هـ - ٧٣٢م) استشهد فيها

عبد الرَّحْمٰن وهزم جيشه، بسبب انشغال الجند بحماية الغنائم الّتي كانوا غنموها، واستشهد معه في تلك المَعْرَكة كثير من المُسلِمِين، حتَّى أطلق عَلى تلك المَعْرَكة (بلاط الشّهداء).

وخلف عبد الرَّحْمٰن في إمارة الأندلس عبد الملك بن قطن ، فغزا بلاد (البشكنس – الباسك)، وفي إفريقية وجه عبيد الله بن الحبحاب أمير إفريقية، جيشا بقيادة حبيب بن أبي عبيدة الفهري ففتح بلاد السوس وغزا أرض السُّودَان (السنيغال)، وفي البحر المتوسط غزا الأسطول الإِسْلَاميّ، بقيادة حسان بن محمّد بن أبي بكر جزيرتي (ساردينية) و(كورسيكا)، وتوجه أسطول آخر بقيادة حبيب بن أبي عبيدة الفهري ومعه ابنه عبد الرَّحْمٰن، فغزا جَزِيرَة (صقلية) سنة ١٢٢هـ والتحم مع الأسطول البيزنطي في معركة هزم فيها هذا الأسطول، وكان في نية حبيب أن يمضي في الفتح حتَّى يستولي عَلى الجَزِيرَة كلها، غير أن ثورة البربر بزعامة ميسرة المدغري اضطرته إلى العودة، وفي جبهة الرُّوم استمرت غزوات الصوائف والشواتي، كشأنها في عهد الخُلَفَاء السابقين.

وبوفاة هشام بن عبد الملك تنتهي المَرحَلَة المروانية الأولى، وفيها امتدت رقعة الدّولة الإِسْلَاميّة من أسبانيا والبحر الأطلسي والمغرب الأقصى إلى حدود بلاد الهند والصين، ومن بحر الخزر وأرمينية إلى المحيط الهندي، وقد اعتبر الخُلَفَاء الأمويون حدود البلاد المفتوحة بدايات لفتوحات مستمرة لا تنتهي عند حدود، ما دام الجِهَاد مفروضا عَلى المُسلِمِين لنشر رسالة الإِسْلَام، وما دامت الغنائم تدفع المُجَاهدين لمتابعة الجِهَاد.

وبعد هشام بن عبد الملك تبدأ المَرحَلَة الثّانية والأخيرة من الفترة المروانيّة، وفيها توقّفت الفتوحات، وقد تولّى الحكم أربعة خُلَفَاء، كانت مدّة خلافتهم ستّ سَنَوات وهم: الوليد بن يزيد بن عبد الملك ويزيد بن الوليد بن عبد الملك، وأخوه إبراهيم، ومروان بن محمّد بن مروان بن الحكم، ولم تتجاوز مدّة خلافة الثّلاثة الأوّل بضعة أشهر، وشغلت خلافة الأخير المدّة الباقية (١٢٧ – ١٣٢هـ)، وقد أمضاها في قمع الفتن والثّورات الداخليَّة الّتي أحاطت به من كلّ جانب، ولم يتمكَّن، عَلى ما أوتي من صبرٍ وشجاعةٍ وإقدامٍ من كبحِها، وانتهى مصيره بقتله بيد العبّاسيين، وبه ختمت حياة الدّولة الأمويّة، وانطوت رايتها الّتي انتشرت في ظلها راية الإِسْلَامِ، في تلك الرُّقعة الواسعة من الأرض.


الفتوح العربية الإسلامية
١١ - ١٣٣ هـ . ٦٣٢ - ٧٥٠ م
المحيط الأطلسي
ناربونة
سرقسطة
طنجة
فاس
تاهرت
تلمسان
أغادير
قسنطينة
القيروان
برقة
الإسكندرية
القسطنطينية
تفليس
قزوين
نيسابور
بخاري
كابول
هراة
ملتان
الموصل
بغداد
القدس
البصرة
الفسطاط
أسوان
مملكة النوبة
النيل
عدن
المحيط الهندي
عند وفاة النبي ﷺ ٦٣٢م
بعد وفاته باثني عشر عاما ٦٤٤ م
وفي ٧٥٠م بعد حوالي قرن .
الإمبراطورية البيزنطية في ٦٣٠م
الإمبراطورية الساسانية في ٦٣٠م
اتجاه حركة الفتوح


الدولة العربية الإسلامية في أقصى اتساع لها زمن الأمويين
١٣٢هـ - ٧٥٠ م
قرطبة
القيروان
الإسكندرية
حلب
دمشق
القدس
المدينة
مكة
الطائف
أصفهان
سمرقند
الهند

أسباب سقوط الدّولة الأموية:

أولاً: صراعات القصور عَلى السّلطة وجعل ولاية العهد لأكثر من واحد وما ولد هذا الأمر من صِرَاع عَلى الملك، أضعف الحكومة المركزية، وأطمع فيها الثائرين عليها.

ثانيا: أثر العصبية القبلية في الصِّرَاع عَلى الملك.

ظهر أثر هذه العصبية بعد وفاة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وتخلي ابنه معاوية (الثّاني) عن الخِلافَة، فقد نصرت قبيلة كلب اليمانية **مروان بن الحكم** حين رشح نفسه للخلافة، وقاتلت معه الضحاك بن قيس الفهري، زعيم القيسية في الشّام، وكان يدعو لعبدالله بن الزبير، وانتصر مروان في وقعة (مرج راهط) سنة ٦٤هـ بسواعد الكلبيين، وقتل الضحاك بن قيس في الموقعة وهزم القيسية، ومن بعدها تأصلت العداوة بين اليمانية والقيسية (المضرية)، وظل اليمانية حلفاء بني أمية حتَّى خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك حين ثار عليه يزيد بن المهلب بن أبي صفرة زعيم اليمانية.

وقد سرت العصبية القبلية بين اليمانية والقيسية إلى الأندلس وخراسان، وقد انضم اليمانية إلى المعارضة في النهاية، ومالوا مع أبي مسلم الخراساني ضدّ **نصر بن سيار** ، وقد أفاد أبو مسلم، القائم بالدّعوة العبّاسيّة، من هذا الصِّرَاع القبلي، الّذي أضعف الحكم الأموي في مقاومة الدّعوة العبّاسيّة وكان من أسباب انتصارها.

ثالثاً: بذخ الخُلَفَاء والأمراء وإسرافهم:

لما آلت الخِلافَة إلى بني أمية وتحولت إلى ملك موروث، برزت مظاهر الملك في البذخ لدعم ملكهم واكتساب الوَلَاء، وقد أفاضوا عطاياهم عَلى الشعراء، لتنطلق لهواتهم بمدحهم ونشر مآثرهم والدّفاع عنهم، والشعراء يومئذ وسيلة الدعاية والإعلام، واتبعوا سياسة البذخ والإنفاق، واتخذوا أبهة الملك في مظهرهم وملبسهم ومجالسهم، وقد مال بعضهم إلى حياة اللهو والمجون، ومنهم من أسرف ورويت عنه حكايات وأخبار تخرج عن نطاق الدّين والأخلاق.

ومن المؤرخين من يطعن في صحة هذه الحكايات، لما في بعضها من الإغراق في المبالغة، ويرى أنها وضعت في العصر العبّاسي الأوّل للتشهير ببني أمية، تتمة لحملة التنكيل بأحيائهم وأمواتهم بعد سقوط دولتهم، ولكن الثَّابِت أن تحول الخِلافَة إلى ملك منذُ ذٰلك العهد، أدخل عَلى نظام الحكم كلّ لوازم فساد الملوك وما تحتويه قصورهم.

رابعاً: جور العمال وظلمهم:

واجه الأمويون ثورات وفتن كثيرة، وقد كلفت الدّولة نفقات باهظة، وقضي فيها آلاف القتلى والشّهداء، وكان موطن هذه الفتن والثورات العراق والجَزِيرَة وخراسان ثمّ انتقلت إلى أفريقية، وقد اختار خُلَفَاء بني أمية ولاة لهذه الأقاليم من أشد الرّجال قسوة، وكان منهم **زياد بن أبيه** ، **وابنه عبيد الله بن زياد** ، والحجاج ابن يوسف الثقفي، وابن أخيه عمر بن يوسف الثقفي.

وقد منحهم الخُلَفَاء السّلطة المطلقة لقمع هذه الثورات والفتن وفرض الطاعة بالقوة، فكانوا هم ومن كانوا يولونه من الأعمال في ولاياتهم ينكلون بمن يقع في قبضتهم من الثائرين والعصاة، وكان من وجوه الظُّلم القتل بالشبهة ومصادرة الأموال.

خامساً: الإخلال بمبدأ المساواة بين العَرَب والموالي:

كانَ مبدأ المساواة الّذي أعلنه الإِسْلَام الدافع القوي لإقبال شعوب البلاد المفتوحة عَلى الدخول في الدّين الجَدِيد، وقد قام بينهم وبين المُسلِمِين ولاء متبادل فعرفوا باسم (الموالي)، وقد ضمن لهم مبدأ التساوي مع العَرَب، ما ورد في القرآن الكريم، وما روي من أحاديث الرَّسُول ﷺ، وقد طبق هذا المبدأ في عهد الرَّسُول ﷺ وعهد الخُلَفَاء الرّاشدين، فلم يكن هناك تمييز بين **صهيب الرُّومي** وسلمان الفارسي وبلال الحبشي، وبين أي مسلم عربي، مهما علا نسبه.

ولما تولى الخِلافَة بنو أمية، نقضوا هذا المبدأ وتعصبوا للعرب ووضعوا الموالي في درجة أدنى في الحقوق والواجبات وكان يعهد إليهم بالأعمال الدُّنيَا، أما العليا فللعرب.

ولما كثرت نفقات الدّولة بسبب الحُرُوب وقمع الثورات والفتن، فرض عمال الأقاليم الجزية عَلى من أسلم من الموالي، كما فرضوا الخراج عَلى أراضيهم، خلافا لأحكام الإِسْلَام، الّتي قضت بإعفاء من أسلم من الموالي من الجزية، وألزمته بدفع العشر بدلا من الخراج.

وقد أدى التمييز بين العَرَب والموالي إلى التحاق الموالي بأحزاب المعارضة من علوية وخوارج، ودعم ثوراتهم عَلى الحكم الأموي، كما أدى إلى ظهور فكرة الشّعوبية، وهي إحياء الموالي، وخاصة الفرس، لقوميتهم وتقاليدهم والتفاخر بها والحط من شأن العَرَب.

تلك هيَ الأسباب الّتي أدت إلى سقوط دولة بني أمية، يضاف إليها الدّعوة السرية الّتي اختطها بنو العبّاس ووجهوا دعاتهم لنشرها في العراق وخراسان، وانضم إليهم العلويون وشيعتهم ومعهم الموالي وتوحدت صفوفهم في مقاومة الحكم الأموي.

وقد أورد المسعودي ما قاله شيخ من شيوخ بني أمية في أسباب سقوط دولتهم:

(لقد شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كانَ تفقده يلزمنا، فظلمنا رعيتنا، فيئسوا من إنصافنا وتمنوا الراحة منا، وتحومل عَلى أهل خراجنا فتخلوا عنا وخربت ضياعنا، فخلت بيوت أموالنا، ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم عَلى مرافقنا، وأمضوا أمورا دوننا، وأخفوا علمها عنا، وتأخر عطاء جندنا، فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم أعادينا فتضافروا معهم عَلى حربنا، وطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا، وكان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا).

ويضيف المسعودي عَلى هذه الأسباب إثارة روح العصبية القبلية بين اليمنية والقيسية (عرب الشمال والجنوب)، وافتخار كلّ منهما عَلى الأخرى وادعاؤها بما لها من المناقب، فنتج عن ذٰلك تعصب القيسية لمروان بن محمّد وانحراف اليمنية عنه إلى الدّعوة العبّاسيّة، وانتهى الأمر إلى انتقال الدّولة عن بني أمية إلى بني هاشم.

وقد تخلل دولة بني أمية محاولة للإصلاح قام بها أمير المُؤمِنِين الرّاشد عمر بن عبد العزيز؛ فقد أراد **عمر بن عبد العزيز** أن يقوِّم في خلافته ما اختل من سياسة أسلافه، وما ساء من سلوكهم، وأن يتأسى بسياسة جده **عمر بن الخطاب** رضي الله عنهما، فألزم رجال الدّولة بالتقشف واستبدل بعمال الولايات

عمالا اختارهم من أهل التقوى والأمانة والعلم والشَّرع، ورد جميع ما اغتصبه الولاة وأصحاب النفوذ من أموال إلى بيت المال إن كانت من أموال الدّولة، وإلى أصحابها إن كانت من أموال الأفراد.

وتألف قلوب العلويين ومنع سب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخذ الخوارج بالمناظرة وحجهم فيها، وأصلح السّياسة الضرائبية فمنع أخذ الجزية الّتي كانَ يأخذها عمال الولايات من أهلها بعد إسلامهم، ومنع فرض الخراج عَلى أراضي من أسلم منهم.

ولما قيل لعمر إن هذا الإصلاح يضر بموارد الدّولة، أجاب: (إن الله أرسل محمّدا صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يرسله جابيا)، وقد أجرى إصلاحات إدارية ومالية أُخرى لم يكتمل تنفيذها لقصر مدّة خلافته وهي سنتان ونيف، وقد رفعته تقواه وورعه إلى مرتبة سامية، وعده كثير من السَّلَف، خامس الخُلَفَاء الرّاشدين وقيل إن بني أمية دسوا له السم لانتزاعه منهم كثيرا مما اغتصبوه، وأنه هم أن يعيد الأمر شورى بين المُسلِمِين.

تقييم عهد بني أمية:

مهما قيل في الأسباب الّتي أدت إلى سقوط الدّولة الأموية، فلا ينكر أنها كانت أول دولة عالميّة للإسلام، وأنها هيَ الّتي نشرته في الرقعة الواسعة من العالم الّتي تمتد من ساحل البحر الأطلسي إلى حدود الهند والصين، ومن البحر الأسود وبحر الخزر (قزوين) إلى المحيط الهندي، وأنها كانت أقوى، دول الإِسْلَام، وكان عصرها بفضل العَرَب والمُسلِمين، أكثر العصور الإِسْلَاميّة قدرة عَلى الجِهَاد، وقوة في الكفاح، وأشدها نشاطا وحيوية.

وفي عهدها تلاقى العَرَب، في البلاد المفتوحة، مع شعوب أُخرى كانت تتقدمهم في الحضارة وتفوقهم في المعرفة، فتأثروا بثقافاتهم وتقاليدهم ونظمهم، واستطاعوا أن يتمثلوها وأن يضفوا عليها روحا إسلاميّة.

واتسمت الحياة العلمية بتدوين الحديث والتفسير والمغازي والأخبار، كما اتسمت بنمو الفقه واستيعاب تطبيقاته لحاجات الحياة المتطورة، واتسمت الحياة الثَّقافيَّة بدراسة المذاهب الفلسفية واللاهوتية ومناظرة أصحابها.

كذلك اتسمت الحياة الثَّقافيَّة بالأخذ بعلوم اليونان في الطب والكيمياء، وكان **خالد بن يزيد** بن معاوية بن أبي سفيان أول من اهتم بنقل تلك العلوم إلى اللغة العربيَّة، واتسمت الحياة الاقتصاديَّة بنشاط التجارة واتساعها، وخاصة بعد أن سيطر الأسطول الحَربي عَلى شرقي البحر المتوسط، في أعقاب المَعْرَكة الحَربية المعروفة بذات السواري سنة ٣٤هـ وبسط سيادة الدّولة الإِسْلَاميّة عليها، واتسع نشاط التجارة بعد فتح إفريقية والأندلس، فكانت السفن التجاريَّة تمخر في البحر وتسعى بين موانئ بيزنطة وإيطاليا وصقلية وكريت ورودوس وقبرص، تتجر معها، عَلى الرغم من استمرار الغزوات البحرية الّتي كانت تشنها عَلى تلك البلاد.

كذلك نشطت التجارة البرية، فكانت القوافل تعبر الطرق البرية إلى الهند والصين، وتسلك بلاد إيران وما وراء النهر إلى سمرقند بخارى وبلاد الخزر وتحمل تجارتها من تلك البلاد وإليها، واتسمت الحياة الزراعية بتوفير الأيدي العاملة المجلوبة من إفريقية لاستصلاح أراضي السواد جنوبي العراق.

واتسمت الحياة العمرانية ببناء المساجد الفخمة والقصور الشاهقة والمستشفيات (البيمارستانات) وببناء المدن ودور الصناعة المعدة لبناء السفن التجاريَّة والحَربية، ففي عهد **معاوية بن أبي سفيان** بنيت مدينة القيروان بناها عقبة بن نافع سنة ٥٠هـ وفي عهده بنيت دار الصناعة في عكا.

وفي عهد **عبد الملك بن مروان** بنيت قبة الصخرة في القُدس وبدئ ببناء المَسجِد الأقصى، وأعيد بناء الكعبة والحرم المكي سنة ٧٤هـ، وبنيت مدينة (القيروان) - تونس - وأقيمت فيها دار لصناعة السفن، تولى بناءها **حسان بن النعمان** أمير إفريقية سنة ٨٢هـ وبنيت مدينة واسط بناها الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراق، سنة ٨٢ - ٨٣هـ لتكون وسطا بين الكوفة والبصرة، وفي عهد **الوليد بن عبد الملك** اكتمل بناء الجامع الأموي بدمشق سنة ٨٧ - ٩٦هـ، وجدد بناء الحرم النبوي مع توسيعه وتزيينه بالفسيفساء، وبنيت القصور الصحراوية.



واهتم الوليد بالمرافق العامّة من إصلاح الطرق وحفر الآبار في طريق الحجّ وإنشاء البيمارستانات للمرضى وبناء دور خصصت للمجذومين وأخرى للعميان والمقعدين، وأجرى الخَليفَة عليها أرزاقا.

وفي عهد **سليمان بن عبد الملك** بني الجامع الأموي في حلب سنة ٩٧هـ، وبنى سليمان وهو ولي للعهد مدينة الرملة بفلسطين، وفيها بنى القصور والجامع، وفي سنة ١٠٩هـ بنى **هشام بن عبد الملك** قصر الرصافة بالقرب من الرقة وبنى **عبيد الله بن الحبحاب** أمير إفريقية، جامع الزَّيتونة، وفي عام ١٢٧هـ بنى **مروان بن محمّد** مدينة حران قرب الموصل لتكون عاصمة مؤقتة له بين الشّام والعراق، لكي يسهل عليه مراقبة ما يجري فيهما.

وإلى جانب النَّشَاط العمراني تمت إصلاحات مالية وإدارية، فقد عرب **عبد الملك بن مروان** القراطيس، وهي ورق البردي، وكان الأقباط في مصر يصنعونه ويتوجونه باسم المسيح، فأمر عبد الملك أن يستبدل اسم المسيح بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾

كذلك ضرب عبد الملك السكة وضرب الدنانير الذهبية لأول مرّة في الإِسْلَام، وضرب **الحجاج الثقفي** أمير العراق، الدراهم الفضية المنقوشة ووضع لها الوزن، وفي سنة ٨١هـ نقل عبد الملك الديوان من الرُّومية إلى العربيَّة، وكذلك فعل **الحجاج الثقفي** فقد نقل الديوان من الفارسية إلى العربيَّة، ومثله فعل عبدالله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر سنة ٨٦هـ فقد نقل الديوان من القبطية إلى العربيَّة، وتأسى به **حسان بن النعمان** أمير إفريقية، فنقل ديوان إفريقية إلى العربيَّة، ويعتبر ضرب السكة وتعريب الدواوين تأكيدا لكيان الدّولة المالي والاقتصادي.

وإذا كانَ يؤخذ عَلى دولة بني أمية الظُّلم والجور، فلعل ذٰلك ما كانت تقتضيه الظّروف الحرجة، وخاصة أن الخارجين عليها، كانوا من الأشداء في نضالهم، ومن المتعصبين لعقائدهم.

وقد رأينا أن الثورات والفتن قد أحاطت بدولة بني أمية، واندلعت في عدّة جبهات، وخاصة في العراق، ثمّ أضحى مقرا للشيعة، وفيه ظهر الخوارج الثائرون عَلى نظام الحكم.

ظاهرة علماء السُّلطَان في العصر الأموي:

كما ذكرنا سالفا، فقد استتبع تحول نظام الحكم الإِسْلَاميّ من الخِلافَة لإلى الملك عَلى يد بني أمية، أن تظهر توابع النّظام الملكي وأركانه، من مثل ما ألف عبر التّاريخ من فساد القصور، وقيام نظام السّلطة عَلى أسَّسَها الثّلاثة (الحاكم – الكاهن – الأعوان)، وهكذا ظهرت طائفة علماء السُّلطَان لأول مرّة في تاريخ المُسلِمِين لتزين مجالس الأمراء وأبواب السّلاطين، وتلحق بالملأ.

ولقرب العهد بخير القرون، فقد انبرى من أئمة الهدى من وقف لهذه الفئة بالمرصاد واستعصى عَلى ملوك الجور الّذين تدرجوا في الفساد، وقد حفظ لنا كتب التّاريخ الإِسْلَاميّ منذُ ذٰلك العهد تراثا رائعا من مواقف علماء الحقّ وأئمة الهدى.

ومن ذلك ما قاله الإِمَام الحسن البصري يوبخ أولئك المتزلفين عَلى أبواب الأمراء: [جاء في كتاب سير أعلام النبلاء: روى أبو نعيم في الحلية حدثنا... حَدَّثَنَا فُضَيْلُ بنُ جَعْفَرٍ قَالَ خَرَجَ الحَسَنُ مِنْ عِنْدِ ابْنِ هُبَيْرَةَ، فَإِذَا هُوَ بِالقُرَّاءِ عَلَى البَابِ فقال: مَا يُجْلِسُكُمْ هَا هُنَا؟! تُرِيْدُوْنَ الدُّخُوْلَ عَلَى هَؤُلاَءِ الخُبَثَاءِ، أَمَا وَالله مَا مُجَالَسَتُهُمْ مُجَالَسَةُ الأَبرَارِ، تَفَرَّقُوا، فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ أَرْوَاحِكُم وَأَجسَادِكُم، قَدْ فَرطَحْتُم نِعَالَكُم، وَشَمَّرْتُم ثِيَابَكُم، وَجَزَزْتُم شُعُوْرَكُم، فَضَحْتُمُ القُرَّاءَ، فَضَحَكُمُ اللهُ، وَالله لَوْ زَهِدْتُم فِيمَا عِنْدَهُم، لَرَغِبُوا فِيمَا عِنْدَكُم، وَلَكِنَّكُم رَغِبْتُم فِيمَا عِنْدَهُم، فَزَهِدُوا فِيْكُم، أَبْعَدَ اللهُ مَنْ أَبْعَدَ][1]

كانَ هذا سرد لبعض أخبار بني أمية وعهدهم، وصدق الله العظيم:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة]

****

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٨٦).

الدّولة الإِسْلَاميّة أيّام الخِلافَة العبّاسيّة (١٣٢-٦٥٦هـ)

انتقال الخِلافَة إلى بني العبّاس:

انتقلت الخِلافَة إلى بني العبّاس بعد نجاح الدّعوة السرية الّتي أطلقها دعاتهم منذُ بداية السنة المئة للهِجرَة في خراسان حتَّى سنة ١٣٢هـ، وفيها انكشف سر الدّعوة الّتي كانَ ظاهرها الدّعوة لاختيار خليفة من بيت آل النبيّ ﷺ يرضى عنه المُسلِمُون، وكان يطلق عليها (الرضا من آل محمّد)، إمعانا في الكتمان، ثمّ تبين أنها كانت تخفي الدّعوة لبني العبّاس.

وفي يوم الجمعة الثّاني عشر من ربيع الأوّل سنة ١٣٢هـ دخل الكوفة أبو العبّاس عبدالله بن محمّد بن علي بن عبدالله بن عباس وبويع في مسجدها، وألقى في أهل الكوفة خطابا، بين فيه حق بني العبّاس في الخِلافَة ولقب بالسفاح.

ومن ذلك اليَوْم طوي علم بني أمية الأبيض وارتفع علم بني العبّاس الأسود، وأخذ عما السفاح عبدالله وصالح ولدا علي بن عبدالله العبّاسي يطاردون بني أمية بعد هزيمة **مروان بن محمّد** آخر خلفائهم والقبض عليه في (بوصير) بمصر وقتله، فنبشوا قبور بني أمية في دمشق وأحرقوا ما تبقى من رفاتها، وأثخنوا بجمع كبير من بني أمية في فِلَسطِين فقتلوهم عَلى شاطئ نهر (فطرس) وتشتت من نجا منهم في الآفاق، وسبحان الّذي يؤت الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعزون يشاء ويذل من يشاء.

النتائج الّتي ترتبت عَلى انتقال الحكم إلى بني العبّاس:

ترتب عَلى انتقال الحكم إلى بني العبّاس النتائج التّالية:

أولاً: نقل العاصمة من الشّام إلى العراق.

ثانياً: انتقال النَّشَاط التجاري إلى العراق، وربط التجارة البرية ببغداد والبحرية بالبصرة.

ثالثاً: قيام صِرَاع بين أشراف العَرَب وأشراف الموالي من الفرس، ثمّ الترك عَلى نيل مناصب الدّولة، وإيثار الموالي بهذه المناصب، مما أدى لسقوط الدّولة في نصفها الثّاني تحت إدارتهم كليا.

رابعاً: اشتداد مقاومة الناقمين من العلويين والخوارج وتوالي ثوراتهم عَلى الحكم العبّاسي، وانشغال الدّولة بقمعها مما أدى إلى:

أ – توقف الفتوحات وتحول الدّولة العبّاسيّة من موقف الهجوم – وهو موقف الدّولة الأموية – إلى موقف الدّفاع، واعتبار الحدود الّتي وصل إليها الأمويون في فتوحاتهم، حدودا نهائية والوقوف عندها والاكتفاء بالدّفاع عنها عَلى الحدود مع الرُّوم غربا أو الترك شرقا.

ب – عجز الدّولة عن ضبط الحكم في الولايات الإفريقية، مما اضطرها إلى السكوت والاعتراف بحالة راهنة قضت بانتزاع بعض الأقاليم من سيادة الدّولة، مما أظهر الدّول المستقلة، كما فعل عبد الرَّحمٰن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي الملقب بالداخل، حين انتزع الأندلس سنة ١٣٨هـ وأقام فيها إمارة مستقلة تحولت إلى خلافة سنة ٣٠٠هـ في عهد **عبد الرَّحمٰن النّاصر**، وكما فعل إدريس الأوّل، بعد نجاته في وقعة (فخ) سنة ١٦٩هـ، وإقامته في المغرب دولة علوية مستقلة، كذلك أدى اختلال الأمور في المغرب الأدنى (تونس) إلى تولية **إبراهيم بن الأغلب** عليه ومنحه الاستقلال الذاتي سنة ١٨٤هـ، وإنشائه دولة بني الأغلب، لتحول دون امتداد دولة الأدارسة نحو المشرق، وإلى جانب هذه الدّول المستقلة الّتي انفصلت سياسيّاً وإداريا عن دولة بني العبّاس، نشأت في إفريقية إمارات مستقلة كإمارة بني مدرار الّتي أنشأها في (سجلماسة) أبو القاسم سمغو سنة ١٥٥هـ، والإمارة الرستمية الّتي أنشأها **عبد الرَّحمٰن بن رستم** في (تاهرت) سنة ١٦٠هـ، وكانت كلا الإمارتين تدينان بمذهب الخوارج.

خامساً: تخصيص بعض الولاة بإقليم من أقاليم الدّولة استقلالا، مكافأة لهم لقيامهم بخدمة الدّولة، كما فعل **المأمون** بتخصيص **طاهر بن الحسين** بإقليم خراسان إمارة مستقلة يتوارثها أبناؤه من بعده، وذلك مكافأة له للتغلب عَلى أخيه الأمين.

- **ويمكن تقسيم مرحلة الخِلافَة العبّاسيّة إلى ثلاثة أطوار، بحسب القوّة والضّعف وهي:**

- الطور الأوّل: طور القوّة والعصر الذهبي: (١٣٢– ٢٤٧ هـ/ ٧٥٠–٨٦١ م).

- الطور الثّاني: طور الضّعف والتفتت وتسلط القادة الأعاجم من الفرس والترك: (٢٤٧- ٤٨٧هـ/ ٨٦١ - ١٠٩٤م)
- الطور الثّالث: طور الإنهيار والغزو الخارجي من الصّليبيّين والتّتار: (٤٨٧-٦٥٦هـ/ ١٠٩٤ - ١٢٥٨م)

الخُلَفَاء العبّاسيون في بغداد:

الطور الأوّل:

١- أبو العبّاس السفاح: ٧٥٠ - ٧٥٤ م/ ١٣٢ - ١٣٦ هـ.

٢- أبو جعفر المنصور: ٧٥٤- ٧٧٥ م/ ١٣٦ - ١٥٨ هـ.

٣- محمّد المهدي بن أبي جعفر المنصور: ٧٧٥ - ٧٨٥ م/ ١٥٨- ١٦٩ هـ.

٤- موسى الهادي بن محمّد المهدي: ٧٨٥ - ٧٨٦ م/ ١٦٩ - ١٧٠ هـ.

٥- هارون الرَّشِيد بن محمّد المهدي: ٧٨٦ - ٨٠٩ م/ ١٧٠ ١٩٣- هـ.

٦- الأمين بن هارون الرَّشِيد: (قتل) ٨٠٩- ٨١٣ م/ ١٩٣ - ١٩٨ هـ.

٧- المأمون بن هارون الرَّشِيد: ٨١٣- ٨٣٣ م/ ١٩٨- ٢١٨ هـ.

٨- محمّد المعتصم بالله بن هارون الرَّشِيد: - ٨٣٣ ٨٤٢ م/ ٢١٨ - ٢٢٧ هـ.

٩- هارون الواثق بالله بن المعتصم بالله: ٨٤٢ - ٨٤٧ م/ ٢٢٧ - ٢٣٢ هـ.

١٠- جعفر المتوكل عَلى الله بن المعتصم بالله: (قتل) ٨٤٧ -٨٦١ م/ ٢٣٢ -٢٤٧ هـ

الطور الثّاني:

١١- المستنصر بالله بن المتوكل عَلى الله: (قتل) ٨٦١- ٨٦٢ م/ ٢٤٧ - ٢٤٨ هـ.

١٢- احمد المستعين بالله بن المعتصم بالله: (قتل) ٨٦٢ -٨٦٦ م/ ٢٤٨ ٢٥٢ هـ.

١٣- المعتز بالله بن المتوكل عَلى الله: (قتل) ٨٦٦ -٨٧٠ م/ ٢٥٢ -٢٥٥ هـ.

١٤- محمّد المهتدي بن الواثق بالله: (قتل) ٨٧٠ -٨٧٠ م/ ٢٥٥- ٢٥٦ هـ.

١٥- احمد أبو العبّاس المعتمد عَلى الله بن المتوكل: ٨٧٠ -٨٩٢ م/ ٢٥٦ ٢٧٩ هـ.

١٦- احمد أبو العبّاس المعتضد بالله بن الموفق بن المتوكل عَلى الله: ٨٩٢ -٩٠٢ م / ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ.

١٧- علي المكتفي بالله بن المعتضد بالله: ٩٠٢ -٩٠٨ م / ٢٨٩ - ٢٩٥ هـ.

١٨- جعفر أبو الفضل المقتدر بالله بن المعتضد بالله: (خلع مرتين ثمّ قتل) ٩٠٨ - ٩٣٢ م / ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ.

١٩- عبدالله بن المعتز الراضي بالله: (ولي الخِلافَة يوما واحدا)! ٩٠٩ م / ٢٩٦ هـ.

٢٠- محمّد القاهر بالله بن المعتضد بالله: ٩٣٢- ٩٣٤ م / ٣٢٠ - ٣٢٢ هـ.

٢١- احمد أبو العبّاس الراضي بالله بن المقتدر: ٩٣٤ -٩٤٠ م / ٣٢٢ -٣٢٩ هـ.

٢٢- ابراهيم المتقي بالله بن المقتدر بالله: ٩٤٠ -٩٤٥ م / ٣٢٩ - ٣٣٣ هـ.

٢٣- عبدالله أبو القاسم المستكفي بالله بن المكتفي: (سملت عيناه وسجن حتَّى مات)! ٩٤٥ - ٩٤٦ م/ ٣٣٣ - ٣٣٤ هـ.

٢٤- المطيع لله ابن المقتدر: (خلع نفسه)! ٩٤٦ - ٩٧٤ م / ٣٣٤ - ٣٦٣ هـ.

٢٥- عبد الكريم أبو بكر الطائع لله بن المطيع: ٩٧٤ -٩٩١ م / ٣٦٣ - ٣٨١ هـ.

٢٦- احمد أبو العبّاس القادر بالله بن الأمير اسحق بن المقتدر بالله: ٩٩١ -١٠٣١ م / ٣٨١ - ٤٢٢هـ.

٢٧- عبدالله أبو جعفر القائم بأمر الله بن القادر بالله: ١٠٣١ -١٠٧٥ م/ ٤٢٢ - ٤٦٧ هـ.

٢٨- عبدالله المقتدي بأمر الله حفيد القائم بأمر الله: (لأن أباه مات قبله) ١٠٧٥ - ١٠٩٤ م / ٤٦٧ - ٤٨٧ هـ.

الطور الثّالث:

٢٩- احمد أبو العبّاس المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله: ١٠٩٤ -١١١٨ م / ٤٨٧ - ٥١٢ هـ.

٣٠- أبو منصور فضل المسترشد بالله بن المستظهر بالله: (قتله الباطنيون) ١١١٨ - ١١٣٥ م / ٥١٢- ٥٢٩ هـ.

٣١- أبو جعفر المنصور الرّاشد بالله بن المستظهر بالله: (خلعه السُّلطَان مسعود) ١١٣٥ - ١١٣٦ م/ ٥٢٩ - ٥٣٠ هـ.

٣٢- محمّد المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله: ١١٣٦ -١١٦٠ م/ ٥٣٠ - ٥٥٥ هـ.

٣٣- يوسف المستنجد بالله بن المستظهر بالله: ١١٦٠ -١١٧٠ م/ ٥٥٥- ٥٦٦ هـ.

٣٤- أبو محمّد الحسن المستضيء بأمر الله بن المستنجد بالله: ١١٧٠ - ١١٨٠ م/ ٥٦٦ - ٥٧٥ هـ.

٣٥- النّاصر لدين الله بن المستضيء بأمر الله: ١١٨٠ - ١٢٢٥ م/ ٥٧٥ ٦٢٢ هـ.

٣٦- أبو النّصر محمّد الظَّاهِر بأمر الله بن النّاصر لدين الله: ١٢٢٥ -١٢٢٦ م/ ٦٢٢ - ٦٢٣ هـ.

٣٧- أبو جعفر المنصور المستنصر بالله بن الظَّاهِر بأمر الله: ١٢٢٦ - ١٢٤٢ م/ ٦٢٣ - ٦٤٠ هـ.

٣٨- أبو احمد عبدالله المستعصم بالله بن المستنصر بالله: (قتله التتر) ١٢٤٢ - ١٢٥٨ م/ ٦٤٠ ٦٥٦ هـ.

الفتوحات في عهد الدّولة العبّاسيّة:

وقفت الدّولة العبّاسيّة عند الحدود الّتي انتهت إليها الدّولة الأموية قبل سقوطها، وما جرى في عهد الدّولة العبّاسيّة إنما كانَ إخضاعا لأقاليم انتقضت عليها وتم إخضاعها، فكأنما فتحت من جديد، كانتقاض بعض نواح فيما وراء النهر سنة ١٣٤هـ، وانتقاض طبرستان سنة ١٤٢هـ، وانتقاض سجستان سنة ١٥٢هـ، وانتقاض جرجان سنة ١٦٧هـ، وقد كانت هذه الانتفاضات ثورات عَلى الحكم العبّاسي أو تمردا عليه قمعت بشدة وعنف.

وقد استمرت غزوات الصوائف في جبهة الرُّوم واقتصرت عَلى حماية الثُّغُور الإِسْلَاميّة، الجزرية والشّامية، وتتابعت من عام ١٤٢هـ حتّى عام ١٩١هـ وتوقفت بعد ذلك إلى عام ٢١٥، بسبب الحَرب

الأهلية بين الأمين والمأمون، من أجل الخِلافَة، وما تبعها من أحداث، ولما استقر الملك للمأمون استأنف حملات الصوائف، وكان آخرها الحملة الّتي قادها بنفسه سنة ٢١٨هـ وتوقف بها عند مدينة طرسوس، وفيها توفي تلك السنة، بعد أن أمر أن يحمل إليه الإِمَام أحمد بن حنبل ليمتحنه في مسألة خلق القرآن، فحمل إليه في أغلال ثقيلة، وقد اشتهر أن الإِمَام دعا ربه في الطّريق، أن لا يجمعه الله بالمأمون، فجاء خبر وفاته وهم في الطّريق، وأعيد الإِمَام إلى بغداد!

توقفت حملات الصوائف بعد ذلك، وأصبحت الثُّغُور الإِسْلَاميّة هدفا لغارات الرُّوم، ففي سنة ٢٤٣هـ أغار الرُّوم عَلى الثُّغُور الجزرية وبلغوا مدينة (شمشاط) واقتربوا من مدينة (آمد - ديار بكر) كما أغاروا سنة ٢٤٥هـ عَلى الثُّغُور الشّامية من جهة (أنطاكية) ولم تفلح حملات الصوائف الّتي قادها قائدان شهيران وهما: علي بن يحيى الأرميني، وعمر بن عبدالله الأقطع، في صد غارات الرُّوم واستشهد الاثنان في عراك معهم.

على أنّنا لا بُدَّ أن نشير إلى ثلاث حملات عسكريّة ضخمة توجهت إلى بلاد الرُّوم وكانت حملات تأديبية:

الأولى: وجهها الخَليفَة المهدي سنة ١٦٥هـ بقيادة ابنه **هارون الرَّشِيد** وفيها بلغ القُسطَنْطينيَّة فهادنته الملكة (إيرين) وعقدت معه صلحا مع جزية سنوية مجزية.

والثّانية: قادها الرَّشِيد بنفسه وهو خليفة سنة ١٨٧هـ عندما نقض الإمبراطور(نقفور) الّذي خلف(إيرين) الهدنة، وأرسل رسالة حادة للرشيد، فكتب له الرَّشِيد عَلى ظهرها مجيبا: [بِسْمِ اللهَّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى نِقْفُورَ كَلْبِ الرُّومِ، قَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ يَابْنَ الْكَافِرَةِ، وَالْجَوَابُ مَا تَرَاهُ دُونَ مَا تَسْمَعُهُ، وَالسَّلَامُ!!](1)، ثمّ غزاه وانتصر عليه، فصالحه الإمبراطور (نقفور) وعقد معه هدنة جديدة.

والثّالثة: الحملة الّتي قادها الخَليفَة **المعتصم بالله** بنفسه سنة ٢٢٣هـ انتقاما من الرُّوم الّذين أغاروا عَلى ثغور الجَزِيرَة ودخلوا مدينة (زبطرة) فنهبوا وسبوا النِّسَاء وهدموا المدينة، وكانت غارة

---

(١) البداية والنهاية : (١٠/ ١٩٥)

الرُّوم هذه بطلب من الثائر **بابك الخرمي** الّذي كانت جُيُوش الخَليفَة تلاحقه، فلما ضيقت عليه الخناق طلب من الإمبراطور البيزنطي (تيئوفيل) أن يشن الغارات عَلى الثُّغُور الإِسْلَاميّة ليضطر الخَليفَة إلى سحب جُيُوشه عنه، وقد استجاب الإمبراطور لمطلبه وزحف عَلى الثُّغُور، ولكن بعد أن كانَ بابك قد وقع في قبضة جيش الخَليفَة حيث أسره (الإفشين) قائد المعتصم.

فقد روت كتب التّاريخ[1] أن امرأة من نساء المُسلِمين كانت مأسورة في عمورية فاستغاثت بالمعتصم، ونادت: (وا معتصماه)! فقال لها الرُّومي: ليأتك المعتصم عَلى حصان أبلق، فبلغ ذلك المعتصم، فأمر بتجييش جيش حمل فيه ثمانين ألف حصان أبلق! وقد نفذ المعتصم حملته المشهورة الّتي خلدها، الشاعر أبو تمام بقصيدة عصماء، وذلك عندما زعم المنجمون وقالوا له: أن النجوم والنبوءات تشير لعدم إمكانية النّصر في ذلك الوقت، فأصر المعتصم عَلى الغزو وخرج، وكان في جيشه جم غفير من العُلَماء والصّالحين المشاهير منهم محمّد بن واسع رحمه الله والتقى المعتصم مع جيش الإمبراطور في معركة جرت في (عمورية) انتهت بهزيمة الرُّوم وأسر الإمبراطور، وتخريب عمورية وتحريقها، وقد قَالَ في ذلك أبو تمام شعرا جاء في مطلعه:

السّيفُ أَصدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ ۞ في حَدِّهِ الحدُّ بينَ الجِدِّ واللعِبِ

وإذا كانَ من فتح في هذا العصر من دولة بني العبّاس، فهو فتح صقلية الّذي تولاه الأمراء الأغالبة، أمراء إفريقية، ففي سنة ٢١٢هـ جهز الأمير زيادة الأوّل بن إبراهيم بن الأغلب حملة بحرية بقيادة القاضي العالم المُجَاهد: **أسد بن الفرات** رحمه الله.

ومنها أغاروا عَلى جَزِيرَة مالطة وافتتحوها أيّام **محمّد بن الأغلب** سنة ٢٦١هـ، وعبروا مضيق مسينا وغزوا قلورية (كالابريا calabria) وهي المنطقة الواقعة في أقصى الجنوب من شبه جَزِيرَة إيطاليا.

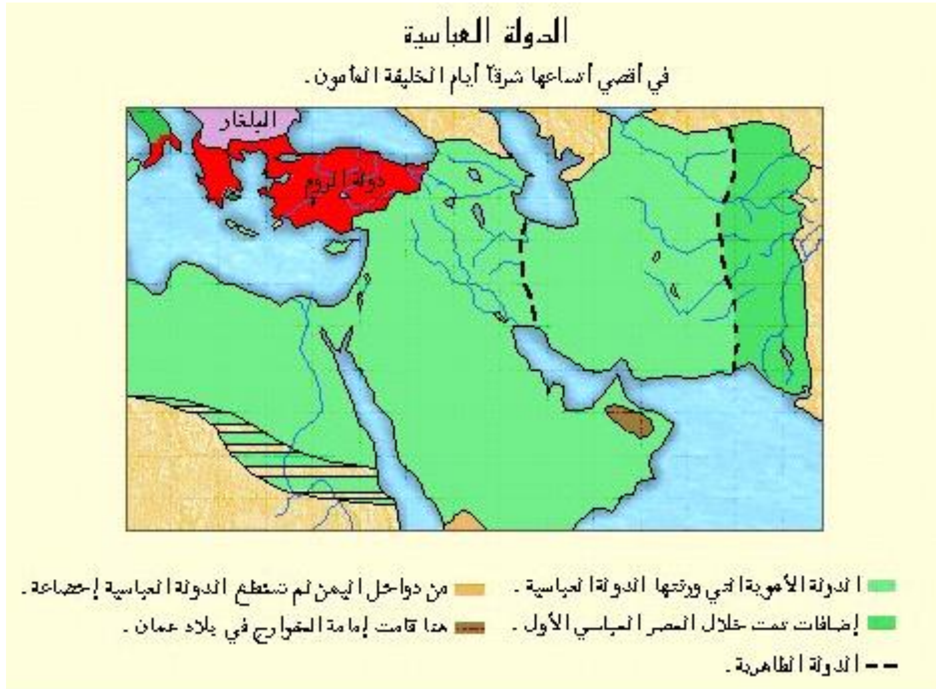
---

(١) الإنباء في تاريخ الخلفاء (١٠٦)، وتاريخ ابن خلدون (٣/ ٣٢٧).

تقييم العصر العبّاسي الأوّل:

يمكن القول أنه إذا كانَ العصر الأموي عصر الفتوحات الإِسْلَاميّة، فإن العصر العبّاسي كانَ عصر الحضارة الإِسْلَاميّة، وقد ظهر أثرها في تطور علوم الشّريعة، ومختلف مناحي الحياة العمرانية والأدبية والفكريّة والعلميّة والاجتماعيَّة.

فقد تطورت علوم الدّين المختلفة، كعلوم القرآن، وعلوم الحديث، كما نشأت في هذه المَرحَلَة المذاهب الأربعة، وهي مدارس الأئمة الأجلاء (الإِمَام أبو حنيفة النعمان، والإمام مالك، والإمام الشّافعي، والإمام أحمد بن حنبل)، وغيرهم من الأئمة الأعلام الّذين كانَ لهم مذاهب ومدارس فقهيّة، كانت أقل انتشارا، كالإمام سفيان الثّوريّ، والإمام الأوزاعي، وغيرهم، وقد ظهر تدوين السيرة النّبويّة، وتاريخ الخُلَفَاء الرّاشدين من بعده وسيرهم وما بعد ذلك من أحداث، فوضعت أسس علم التّاريخ الإِسْلَاميّ، وظهر تدوين الحديث وتمحيص الصَّحِيح منه من غير ذلك، وبرز أئمة الحديث الأعلام، كالبخاري ومسلم، وعبدالله بن المبارك، وابن عيينة، وأحمد ابن حنبل وغيرهم كثير رحمهم الله تَعَالَى.



وتبعا لذلك تطورت علوم العربيَّة، وظهرت علوم قواعد اللغة لضبط لفظها عَلى نحو كلام الأعراب وعرف بعلم النحو وكذلك علم الصرف، وظهر رجال عنوا بمفردات اللغة ومعانيها المختلفة واستعمالاتها معتمدين في ذلك عَلى شواهد من كلام العَرَب وأشعارهم وأمثالهم، فكان من كلّ هذا الّذي صنعوه عمدة في تفسير القرآن والحديث، أعان الفقهاء في استنباط الأحكام من مصدريها الأساسيين وهما القرآن والسنة، وغير ذلك من العلوم اللازمة للفقه الّذي تأسست مدارسه في تلك الفترة.

وأما في المناحي الحَضَاريَّة الأخرى، فقد تطورت الحياة العمرانية ونجد من آثار ذلك في تجديد أبي العبّاس السفاح لمدينة الأنبار، واتخاذها عاصمة له وفي بنائه مدينة الهاشمية، وفي بناء المنصور مدينة بغداد، ونقل العاصمة إليها، وفي بنائه مدينة الرافقة، إلى جانب مدينة الرقة، وفي بناء مدينة سامراء الّتي كانَ اسمها (سُرَّ من رأى) في عهد المعتصم، وفي بناء مدينة المتوكلية أيّام المتوكل، وفيما شيد في هذه المدن من قصور، أثار بهاؤها قرائح الشعراء.

وقد تجلت الحياة الأدبية في شعر الشعراء، فقد أضفت نعومة الحياة رقة في الشعر، وابتداعا لمعان جديدة، وألهمت خيال الشعراء بصور فنية لم يكن لشعراء العصر الأموي عهد بها، وكان عطاء الخُلَفَاء وسخاؤهم، ومن كانَ يجاريهم في العطاء من الوزراء والكبراء يشحذ إلهام الشعراء ويطلق لهواتهم بجيد الشعر، وكان الشعر وسيلة إطرائهم والتغني بفضائلهم، وإلى جانب الشعراء ظهر الكتَّاب، فابتدعوا أسلوبا جديدا يقوم عَلى سلاسة التعبير، ودقة المعاني وإشراق البيان، ومن هَؤُلَاءِ من رقا إلى الوزارة.

وفي الحياة الفكريّة نجد أثر الثقافات الأجنبيّة الّتي حملها الموالي معهم، من حكمة الهند وأدب الفرس وفلسفة اليونان والعلوم التطبيقية الأخرى، وقد تأثر بها الفكر الإِسْلَاميّ، وتلقاها بما نقل منها إلى العربيَّة، فانعكست عليه خيراً وشرا.

وكان الخَليفَة المنصور أول من عني بهذا النقل وتبعه حفيده الرَّشِيد ثمّ المأمون الّذي أنشأ دارا للترجمة أسماها (دار الحكمة) واشتهرت بما جلب إليها من كتب الأوائل، وخاصة ما كتب منها

باليونانية والسريانية والقبطية، ووكل بها مترجمين من كلّ الاختصاصات: في الطب والهندسة والفلك (التنجيم) والصيدلة، وقد كانَ لتلك الظَّاهِرة أثرا إيجابيا تجلى في ازدهار العلوم البحتة والتطبيقية، كالطب والرِّيَاضيات، والهندسة، والفلك، والكيمياء، ولكنه لم يخلو من أثر سلبي بالغ الضرر بسبب ما دخل من علوم الفلسفة والمنطق عَلى أبحاث الشّريعة، مما أوجد ما عرف بـ (علم الكلام) الّذي دخل في علم العقائد والتّوحيد، وأوجد مذاهب عقدية منحرفة وضالة كالجهمية، والقدرية، وغيرها، وكان في طليعتها مذهب المعتزلة، الّذي يتلخص باعتماد تحكيم العقل عَلى نصوص الشَّرع كتابا وسنة، والّذي فجر مسألة فتنة خلق القرآن الّتي طحنت العُلَماء والرعية أيّام المأمون والمعتصم والواثق، وبقيت آثار هذا المذهب المنحرف إلى يومنا هٰذا، حيث ينتمي أكثر من يسمون مفكرين إسلاميين، ورموز صَحوَة إسلاميّة إليه، وبعضهم لا يدري!

وكان من مظاهر الحضارة الّتي تميز بها العصر العبّاسي تطور الحياة الاجتماعيَّة، فقد أدى امتزاج العَرَب بالموالي، وأكثرهم من الفرس، إلى ظهور طبقة من المولَّدين، أحدثت تطورا في حياة الأسرة والمجتمع.

ففي الأسرة الحاكمة تقدمت زوجات الخُلَفَاء، وزوجات كبار الوزراء والأمراء، اللواتي دعين بأمهات الأولاد - وهن الجواري المستولَدات بالزواج بعد تحريرهن - عَلى الحرائر العربيات في كثير من الأحيان، ونلن الحظوة عند الأزواج، وحظي أبناؤهن عند آبائهم بما لم يحظ به أبناء الحرائر، وقد ضرب الخُلَفَاء العبّاسيون في ذلك المثل.

وإذا نحن استثنينا أبا العبّاس السفاح ومحمّد المهدي بن المنصور، ومحمّد الأمين بن الرَّشِيد، فكل خُلَفَاء بني العبّاس ولدن من إماء وجواري محظيات!!!

وكان لأمهاتهم الفارسيات والتركيات والرُّوميات والبربريات، الكلمة العليا في اختيار أولياء العهد، فكانت صاحبة الدل عَلى الخَلِيفَة تفرض ابنها ليخلف أباه وتلزمه بالعهد إليه، فيقوم بين الأبناء نزاع كانَ يُؤَدِّي إلى صِرَاع دموي، كما حدث بين الأمين والمأمون، وكما جرى مع المتوكل، فقد عهد بالخِلافَة إلى ابنه محمّد (المنتصر) وهو ابن أمة تدعي (حبشية)، فزاحمتها أم محمّد (المعتز) وهي مثلها أمة

تدعى (صبيحة)، فلقبوها (قبيحة) وجعلت المتوكل يعزم عَلى تقديم ابنها في ولاية العهد عَلى أخيه محمّد (المنتصر)، ولما علم هذا ما عزم عليه أبوه، ائتمر مع القادة الأتراك عَلى قتله، فقتلوه.

وقد أدى تغلب العنصر الفارسي منذُ أيّام المأمون الّذي كانَ أخواله من الفرس، ثمّ التركي منذُ أيان المعتصم الّذي كانَ أخواله من الأتراك. كذلك تسربت التقاليد الفارسية إلى الحياة الاجتماعيَّة، فظهرت الأزياء الفارسية في البلاط وتقرر في قصور الخُلَفَاء ما كانَ متبعا من المراسم في قصور الفرس، واحتفل بالأعياد الفارسية كالمهرجان والنيروز ورام، وغيرها من الأعياد الأخرى!

وهكذا سيطر المولَّدون وبرز إمساكهم بزمام الدّولة إلى انحسار العنصر العربيّ الخالص وارتداده إلى البادية الّتي خرج منها، وتوقفت فريضة جِهَاد الطلب، وبها توقفت حدود الدّولة الإِسْلَاميّة عند النهايات الّتي بلغتها الدّولة الأموية، ولم تعد تلك النُّخبَة كما وصفها الله تَعَالَى بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

ظاهرة علماء السُّلطَان في العصر العبّاسي الأوّل:

حاول الخُلَفَاء العبّاسيون – كما كانَ ذلك دأب خُلَفَاء بني أمية – استمالة الفقهاء ورجال الدّين ليدعموا سلطانهم عند العامّة، فازدادت ظاهرة علماء السُّلطَان بروزا، حتَّى ظهر ابن أبي دؤاد أيّام المأمون والمعتصم، وبلغ بأحد أتباعه أن ينصح المعتصم بقتل أحمد بن حنبل، قائلا له: اقتله يا إمام ودمه في عنقي!

ولكن تلك الأيّام كانَ فيها من علماء الحقّ، من يقف لجور أولئك الملوك، ويأبون أن يكونوا (ديكورا) في حاشيتهم، كما كانَ من الأئمة الأربعة، وغيرهم من الأعلام كسفيان الثّوريّ، والأوزاعي، وغيرهم كثير، كما وقف أولئك العُلَماء للمنافقين من علماء القصور.

وكان جل العُلَماء يتعففون عن أبواب السّلاطين، ويعتبرونها أبواب الفتنة في الدّين وبوابة البوار في الآخرة، وقد سجلت سيرهم أنصع صور الثّبات في تلك الآونة.

أهمّ القضايا والمشكلات الّتي اعترضت دولة بني العبّاس في ذلك الطور:

اعترضت دولة بني العبّاس في نصفها الأوّل (١٣٢ - ٢٥٠هـ) عدّة قضايا ومشكلات كانَ أهمّها:

- ولاية العهد:

أدت الطَّريقة الّتي اتبعت في اختيار ولاة العهد إلى انقسام البيت العبّاسي وإلقاء العداوة والبغضاء بين أفراده، فالمنصور انتزع ولاية العهد من ابن أخيه عيسى بن موسى ونقلها إلى ابنه المهدي، وكان المهدي هدد بقتل أبيه إذا قدم عليه أخاه جعفرا.

والهادي أراد خلع أخيه الرَّشِيد من ولاية العهد ونقلها إلى ابنه جعفر فقتل قبل أن يتمكن من ذلك.

والأمين خلع أخاه **المأمون** وعهد بولاية العهد إلى ابنه القاصر موسى، فخلعه **المأمون** وقاتله وانتهت حياة الأمين بقتله.

والعبّاس بن **المأمون** تآمر عَلى قتل عمه المعتصم لانتزاع الخِلافَة منه فقتله المعتصم،

والمنتصر تآمر عَلى قتل أبيه المتوكل لأنها راد أن يقدم عليه أخاه المعتز.

فكانت ولاية العهد من أسباب تفكك البيت العبّاسي كما كانت من قبل من أسباب تفكك البيت الأموي.

- ظاهرة النعرة الشّعوبية:

الشّعوبية نسبة إلى (الشّعوب) وهم الأقوام الّذين فتح العَرَب المُسلِمُون بلادهم ودخلوا في الإِسْلَام وعرفوا باسم (الموالي)، أي أنهم ارتبطوا مع العَرَب برابطة الوَلَاء.

وقد محا الإِسْلَام الفوارق الطبقية والقومية وجعلهم إخوة، تقوم أخوتهم عَلى رابطة الإيمان، وفي ذلك يقول الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقد سوى النبيّ ﷺ بين الموالي وبين العَرَب بقوله: «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ... إِلَّا بِالتَّقْوَى»(١)

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩) وصححه الأرنؤوط، وأورده ابن تيمية في "الاقتضاء (١/ ٤١٢)" وقال صحيح.

ولما تولى الخِلافَة بنو أمية، أحيوا العصبية العربيَّة، الّتي كانت سائدة زمن الجَاهِليَّة، وميزوا بين العربيّ والعجمي، فكان المولى أدنى مرتبة من العربيّ في المرتبة الاجتماعيَّة، وكانوا دون العربيّ في الفيء والعطاء، بل كانَ عمالهم يفرضون الجزية عَلى رءوسهم والخراج عَلى أراضيهم بعد إسلامهم!

وقد أدى هذا الإخلال بمبدأ المساواة إلى تذمرهم، وأيدوا الدّعوة العبّاسيّة، وكانوا أعوان العبّاسيين في إقامة دولتهم.

وقد اعترف لهم الخُلَفَاء العبّاسيون بالفضل وحفظوا لهم يدهم فولوهم الوظائف الكبرى، وكانت أسرة البرامكّة أول من تقدم في دولة بني العبّاس، منذُ أبي العبّاس السفاح، فكان منهم الوزراء والولاة وكان منهم الكتاب.

وفي عهد الرَّشِيد لمع نجمهم، وتولوا مقاليد الحكم في الدّولة، وفي زمنهم نشط الشّعوبيون، يستظلون بحمايتهم، وأخذ الكتاب والشعراء منهم يمتدحون فيهم أمجاد الفرس، وفي عهد **المأمون** حل بنو سهل وبنو طاهر - وكانوا قبل إسلامهم من أشراف الفرس ومجوسهم - محل البرامكّة بعد نكبتهم، فكان **الفضل بن سهل** ومن بعده أخوه **الحسن بن سهل** وزراء **المأمون** والقائمين عَلى تدبير أموره ومخططي سياسته، وكان **طاهر بن الحسين** وأولاده قادة جُيُوشه وبقوتهم ارتفع إلى سدة الخِلافَة بعد قتلهم أخاه الأمين، فانتعشت الشّعوبية، ولم تعد تقتصر عَلى مديح الفرس وتمجيد ماضيهم، بل تجاوزته إلى القدح بالعرب ونشر مثالبهم والسخرية من تقاليدهم.

وفي عهد **المأمون** خاض الكتاب والشعراء الشّعوبيون في امتداح الفرس وذم العَرَب.

ولم يكتف الشّعوبيون بالقدح في طبائع العَرَب وحياتهم الاجتماعيَّة بل تجاوزوا ذلك إلى الانتقاص من ثقافتهم ومقامهم، وامتدحوا الثقافات الأعجمية، وتغافلوا عن التطور الكبير الّذي حدث في تاريخ العَرَب في النواحي الاجتماعيَّة والفكريّة، حتَّى فسروا بعض آيات القرآن بما يفيد تفضيل العجم عَلى العَرَب.

وقد رد كتاب العَرَب وشعراؤهم عَلى الشّعوبيين ودفعوا ما قيل في مثالب العَرَب ببيان ما لهم من المزايا والفضائل، من كرم وشجاعة ونجدة ومروءة، ومن فصاحة وبيان، ومن تكريم عند الله تَعَالَى

باختيار النبيّ ﷺ منهم وإنزال القرآن الكريم بلغتهم، وبدينهم اهتدى النّاس وخرجوا من الظُّلمة إلى النور، وكان ذلك الصِّرَاع أحد أوجه التركيب الاجتماعي.

- حركات الزندقة:

يطلق اسم زنديق - بالفارسية (زند كراي) - عَلَى الملحد الّذي لا يؤمن بوحدانية الله ولا باليوم الآخر، وقد شاعت الزندقة في فارس وأطلقت عَلَى من ظل معتنقا تعاليم (مزدك) و(ماني) الّتي تدعو إلى عبادة إلهين إله النور، وإله الظُّلمة وأباحت ما حرم الإِسْلَام من حرمات، وتأثرت بعقائد الهند الّتي تقول بالتناسخ والحلول، ثمّ تدثرت بدثار التشيع وأخذت تقاوم الإِسْلَام، وكانت ترمي بذلك إلى تحقيق هدفين:

- الانتقاض عَلَى الحكم العربيّ - وإفساد عَقِيْدَة الْمُسلِمِين.

أما الانتقاض فقد جرى عَلَى أسلوبين، أحدهما سياسي ساعد عليه تقريب العناصر الفارسية ومشاركة الخَلِيفَة العبّاسي في السّلطة، وأحيانا الاستقلال بها من دونه بتفويض منه، فقد كانت هذه العناصر تحلم بإعادة مجدها المفقود وتشجع حركات الزندقة والشّعوبية، وكانت تخفي أحلامها بمطاوعة الخُلَفَاء فيما يشتهون وإشباع شهواتهم وإظهار الوفاء لهم، وكان من هَؤُلَاءِ **أبو مسلم الخراساني** ثمّ البرامكّة، ثمّ آل سهل وآل طاهر.

أما الأسلوب الثّاني، فكان في خلع طاعة الخَلِيفَة وإعلان الثَّورة عليه، ومنها ثورة الراوندية والخرمية والبابكية وغيرها.

وكان الهدف الثّاني الّذي ترمي إليه الزندقة هو إفساد عَقِيْدَة الْمُسلِمِين تحت شعار التشيع، ومن خلاله تسربت عقائد وديانات الفرس السَّابقة للإسلام، فكانت تغرر بالشبان بما كانَ ماني يدعو إليه من طلب اللذة بإباحة شرب الخمر ووطء المحرمات ومنهم الأخوات والبنات.

وقد بدأ الخَلِيفَة المنصور بتتبع الزنادقة وقتل من قامت عليه الحجة، واشتد المهدي في تتبعهم، وكان يستتيبهم، فمن تاب أطلقه ومن أبى قتله، وبذلك أوصى ابنه موسى (الهادي)، وقد سار الرَّشِيد بسيرة أبيه وأخيه فتعقب الزنادقة وبطش بمن ثبتت عليه الزندقة، أما **المأمون** فكان إذا سمع بزنديق

أمر بحمله إلى مجلسه وفيه جماعة من المتكلمين - المعتزلة - فناظروه لعلهم يقنعونه ويردونه إلى الإِسْلَام، وكان **المأمون** يشترك في مناظرته، فإذا لم يكف عن غوايته، أمر بقتله.

كذلك فعل المعتصم فقتل قائده (الإفشين) بعد محاكمته وثبوت الزندقة عليه.

- مسألة خلق القرآن:

كما ذكرنا آنفا؛ فقد أدى الاحتكاك بفلسفات اليونان، والانفتاح عَلى ثقافات الدّول المفتوحة الفارسية والشرقية الأخرى إلى دخول أفكار شاذة لدى بعض من مزج ذلك بعلوم الشّريعة ولاسيما في مجال العقائد، مما ولد مذاهب منحرفة كانَ من أبرزها تأثيرا في تلك الفترة، ما سمي بمذهب المعتزلة، الّذين جعلوا العقل - بحسب فهم عقولهم السقيمة - حكما عَلى النّصوص الشَّرعيَّة المحكمة كتابا وسنة! وقد صار بعض أئمة ذلك المذهب مقربين من الخَليفَة المأمون، وأقنعوه بمذهبهم! وفي أواخر خلافته ابتدع المعتزلة وزعيمهم مسالة القول بخلق القرآن الّتي تصدى لضلالها أئمة أهل السّنّة وفي طليعتهم الإِمَام أحمد بن حنبل.

وفي أواخر عهد خلافته ألزم المأمون الفقهاء بالأخذ بها، ففي سنة ٢١٨هـ توجه **المأمون** لحرب الرُّوم فأناب عنه في بغداد إسحاق بن إبراهيم المصعبي، وهو ابن عم **طاهر بن الحسين** ولما وصل إلى مدينة (طرسوس) كتب لنائبه يأمره أن يدعو الفقهاء ويسألهم عن رأيهم في خلق القرآن، فمن قَالَ إنه مخلوق أطلقه، ومن قَالَ بغير ذلك فقد أمره ألا يستعين به في عمل وأن يسقط شهادته وأن يمنعه من التحديث بحديث رسول الله ﷺ، ومن الفتوى، فإن أصر بعد ذلك فليشده بالحديد ويرسله إليه بـ(طرسوس)، وقد حمل إليه الإِمَام ابن حنبل مصفدا بالسلاسل، ودعا ربه في الطّريق أن لا يجمعه بالمأمون، فجاءهم خبر وفاته في الطّريق ورد ابن حنبل إلى بغداد.

وكان **المأمون** قد عهد بالخِلافَة من بعده إلى أخيه **المعتصم بالله** وأوصاه أن يستمر بامتحان الفقهاء، فسلك مسلك **المأمون** وكتب إلى الولايات بذلك، وأمر المعلّمين أن يعلّموا الصّبيان أن القرآن مَخلوق، وقاسى النّاسُ منه مشقّةً وجُوراً عظيماً، وقتل كثيراً من العُلَماء، وضُرب الإِمَام أحمد بن حنبلَ بين يديهِ وعُذِّب.

ثمّ أوصى المعتصم ابنه الواثق بامتحان العُلَماء، فتبع أباه وسلك مسلكه في امتحانهم وقتل المحدّث **أحمد بن نصر الخزاعي** لأنّه لم يَقُل بخلق القرآن وسعى بالخروج عَلى الواثق، ولما جرى الفداء بين المُسلِمِين والرُّوم سنة ٢٣١هـ أمر أن لا يفتدى من أسرى المُسلِمِين إلّا من قَالَ بخلقِ القرآن، فمن رفض تُركَ في أيدي الرُّوم.

وأمر الواثق بامتحان أهل الثُّغُور فقالوا بخلقه جميعاً إلّا أربعةِ نفرٍ، فأمر الواثق بضرب أعناقِهم إن لم يقولوا بخلقِ القُرآن، فأبَوا فضَربَ أعناقهم، ولما تولى المتوكل الخِلافَة أبطل القول بخلقِ القرآن وخرج أحمد بن حنبل من بيتِه بعد أن لزمَهُ طيلةَ عهدِ المُعتَصِم والوَاثِق، فأكرمه المتوكّلُ، وغضب عَلى أحمدَ بن أبي دؤاد فعزَلَه وصادَرَ أمواله وحَبَسَهُ مع أبنائه وإخوته وأصابه الفَالجُ فَمَات.

- حياة الترف وبداية التحلل من القيم الدّينيّة:

فقد أحدثت هذه الحياة الطارئة، تراخيا في الأخلاق الإِسْلَاميّة، وأصبح اللهو والمجون والعبث من سمات كثير من أهل ذلك العصر، وتطنب كتب التّاريخ بأخبار ما عجت به قصور الخُلَفَاء والكبراء من قصص تكاد تقرب من الخيال مما يطول ذكره، ولا داعي للإفاضة فيه هنا، وأظن أن كثيرا من تلك الأقاصيص كانت من نسج خيال الوضاعين والأدباء والقصاصين، ولكن الحقيقة أن لكل تلك التهويلات أصلا.

وكان ذلك الترف وما ذكرنا من أسباب التقهقر المعول الّذي قد جُذُور الخِلافَة الإِسْلَاميّة، لتصبح في العصر العبّاسي التّالي منصبا يعبث به القادة والمماليك.

****

العصر العبّاسي الثّاني:

ويمتد من خلافة المستنصر الّذي قتل أباه المتوكل بالتآمر مع القادة الأتراك، إلى خلافة المقتدي بالله الّذي شهدت خلافته بداية الحملات الصّليبيّة عَلى سواحل الشّام، وبداية تحرك التّتار في شرق الخِلافَة عَلى تخوم بلاد ما وراء النهر.

السمات الّتي يتميز بها العصر العبّاسي الثّاني:

أولاً- تغلب القادة المتغلبين عَلى الخِلافَة:

يعتبر إقدام القادة الأتراك عَلى قتل الخَليفَة **المتوكل عَلى الله** في الخامس عشر من شهر شوال سنة ٢٤٧هـ، بداية العصر العبّاسي الثّاني، وفيه استبد القادة بالسلطة، وأصبح الخَليفَة طوع إرادتهم وأسير هواهم، وقد أصبح مصير الخِلافَة في أيديهم، فمن شاءوا خلعوه ثمّ قتلوه، ومن شاءوا ألزموه خلع نفسه وسملوه وصادروا أمواله، وحين خلع الخَليفَة أحمد المستعين بالله، وهو أول خليفة خلع، لم يلبث أن قتل بعد خلعه.

ولما استولى البويهيون عَلى السّلطة بعد الأتراك، اتبعوا نهجهم، فكان الأمير البويهي يولي الخِلافَة من يشاء ويخلع من يشاء وكان الخلع كثيرا ما يتم بالذل والهوان.

وكان خلع الخَليفَة يوم ابتهاج عند الجند، ففيه يجري نهب دار الخِلافَة وفيه يطالب الجند الخَليفَة الجَدِيد برسم (بيعته)، وكان يجري عَلى الخَليفَة المخلوع نفقة قد لا تكفيه، فيضطر إلى التكفف واستعطاف النّاس، كما جرى للخليفة القاهر بالله بعد خلعه ومصادرة أمواله وسمله، فكان يخرج إلى جامع المنصور ويتكفف المصلين ويقول: تصدقوا علي فأنا من قد عرفتم، وذلك بعد أن كانَ قد حفر الأخاديد في قصره وملأها ذهبا وفضة!! وسبحان مالك الملك!

وقد توالى عَلى الخِلافَة منذُ خلافة **المنتصر بالله** سنة ٢٤٨هـ إلى خلافة المستظهر بالله سنة ٤٨٧هـ، أي خلال ٢٣٩ سنة، سبعة عشر خليفة، منهم أربعة قتلوا وهم: المستعين بالله والمعتز بالله والمهتدي بالله والمقتدر بالله، ومنهم ثلاثة خلعوا وسملوا (قلعت عيونهم) وهم: القاهر بالله والمتقي لله والمستكفي بالله، ومنهم اثنان أجبرا عَلى خلع نفسيهما وهم: المطيع والطائع، وهناك خليفتان قيل في بعض الروايات أنهما قتلا بالسم وهما: **المعتمد عَلى الله** و المعتضد بالله، فيكون مجموع من قتل وخلع ومات بالسم عشر خُلَفَاء، من أصل سبعة عشر!!

ثانياً - عزل الوزراء ومصادرتهم:

لم يكن حال الوزراء بأفضل من حال الخُلَفَاء، فكان الوزير يأتمر بأمر المتغلبين، فإذا غضبوا عليه عزلوه وصادروا أمواله، وقد يقتلونه، كما جرى للوزير **أحمد بن إسرائيل** ولكاتبه عيسى بن نوح، فقد صادرهما القائد التركي **صالح بن وصيف** وقتلهم ضربا بالسياط، ومثل ذلك بل أشد ما جرى لكثير من الوزراء.

وكثيرا ما كانَ الوزير يُنصب ثمّ يُعزل، ويتكرر نصبه وعزله عدّة مرات لا يفصل بينهما إلا أمد قصير، وغالبا ما كانَ ينتهي عزله بمصادرته وقتله، ومع ذلك فإن الكثيرين كانوا يطمعون في تولي الوزارة، ويبذلون المال في سبيل توزيرهم!!

ذلك أن الوزارة كانت موردا للثراء الفاحش عن طريق الرشاوى، ومن ذلك أن محمّد بن **عبيد الله بن خاقان وزير المعتضد بالله** كانَ يأخذ الرشوة من كلّ طالب وظيفة، وربما عين للوظيفة الواحدة عددا من الموظفين، وقيل إنه عين في يوم واحد تسعة عشر ناظرا للكوفة وأخذ من كلّ واحد رشوة وكان أهمّها ضمان الخراج وتعيين الولاة والعمال والقضاة والكتاب، فيكون للوزير عَلى من يوليه جبايات يجني منها ربحا وفيرا، ويثري به ثراء فاحشا.

من أجل ذلك كانت الوزارة هدفا للدسائس من حاسدي الوزير، الطامعين في منصبه، فإذا أفلح الدس عَلى الوزير عزل وصودرت أمواله، وكان ما يصادر يعد بآلاف الآلاف من الدنانير، ومع ذلك فقد يسلم له الكثير مما يكون قد طمره في حفرة، أو أخفاه في مكان بعيد.

ثالثا – ابتداع الألقاب والكنى:

لما انتقلت الخِلافَة إلى بني العبّاس أضافوا إلى هذا اللقب ألقابا تدل عَلى صفة يتميز بها الخَليفَة، فقد عرف عبدالله أبو العبّاس أول خليفة عباسي، بلقب (السفاح) وتلقب أخوه عبدالله أبو جعفر بلقب (المنصور) وتلقب ابنه محمّد من بعده بلقب (المهدي) وتلقب من بعده ولداه، موسى وهارون بلقب موسى (الهادي) وهارون (الرَّشِيد)، ولقب الرَّشِيد أولاده الثّلاثة: محمّد وعبدالله والقاسم بلقب محمّد (الأمين) وعبدالله (المأمون) والقاسم (المؤتمن).

ولما تولى الخِلافَة محمّد بن الرَّشِيد خلفا لأخيه **المأمون** ابتدع لقبا، أضافه إلى اسم الله تَعَالَى فتلقب بمحمّد (المعتصم بالله)، وجرى الخُلَفَاء من بعده عَلى تقليده، وأصبح الخَليفَة يعرف بلقبه.

ولما استبد القادة الأتراك بالسلطة منح الخَليفَة إلى من بيده السّلطة منهم لقب (أمير الأمراء) ولقب (معز الدّولة) و(عماد الدّولة) (ركن الدّولة)، و(عضد الدّولة) و(جلال الدّولة) و(بهاء الدّولة) و(فخر الدّولة).

ولم يكتف بنو بويه بهذه الألقاب، بل أضافوا إليها لقب (السُّلطَان)، ومنهم من تلقب بلقب (شاهنشاه) أي ملك الملوك الّذي أفتى العُلَماء بحرمته، ثمّ سرت هذه الألقاب بعد ذلك إلى أمراء الأقاليم المستقلين، فكان من الحمدانيين في الموصل وحلب: (ناصر الدّولة) و(سيف الدّولة) و(شبل الدّولة)، وتبعهم بعد ذلك أمراء بني عقيل في الجَزِيرَة وملوك **الإخشيد** في مصر، وسلاطين غزنة وكان منهم: (ناصر الدّولة) سبكتكين و(يمين الدّولة) محمود، و(شهاب الدّولة) و(جمال الدّولة) و(كمال الدّولة)، وإلى هذه الألقاب أضيفت أيضا كنى (كأبي الفضائل) و(أبي المعالي) وما شابه ذلك.

وقد أصبحت الكنى والألقاب في العصر العبّاسي الثّاني موردا للخُلَفَاء، وخاصة بعد أن رفعت عن أيديهم أموال بيت المال في عهد **معز الدّولة البويهي** فكان بعض الخُلَفَاء يبيع الألقاب لمن يطلبها**!**

رابعا - مظالم عمال الخراج:

يشمل الخراج ضريبة ما تخرجه الأرض من ثمرات ومحاصيل، وكان يتولى جبايتها مع جباية موارد الدّولة الأخرى عمال يدعون (عمال الخراج) وكانوا يتمتعون بسلطة كبيرة، وقد عرفوا بالظُّلم والعسف فكانوا يجبون أضعاف ما كانوا يضمنون أداءه للدولة.

وقد روى المؤرخون ما كانَ يجري عَلى أيديهم من المظالم، وما كانَ يلقى المكلفون من صنوف العذاب.

ومثل ذلك يفعلون مع من يرث ميراثا ضخما، فكانوا يعملون عَلى الاستيلاء عَلى ميراثه، أو يشركونه فيه، فإذا رفض سجنوه وأخذوا في تعذيبه حتَّى ينالوا ما يريدون.

وقد جمع عمال الخراج مما جنوه ثروات كبيرة، ملكوا بها الضياع وبنوا الدَّور والقصور وعقدوا فيها مجالس الطرب والسمر والشراب، وقصدهم الشعراء يتكسبون بمدحهم.

وقد يتولى الوزير مع وزارته ضمان الخراج، فيجبي بسلطانه مالا كثيرا، يُؤَدِّي بعضه إلى بيت المال ويوفر لنفسه ما تبقى.

خامسا – مصادرة الأموال:

لم تقتصر المصادرة عَلَى أموال من يخلع من الخُلَفَاء أو يعزل من الوزراء والعمال، بل شملت أموال النّاس وخاصة التجار منهم، فكان الخَلِيفَة العبّاسي أو السُّلطَان البويهي، إذا أعوزه المال أمر بمصادرة التجار.

سادسا – فساد القضاء:

كانَ القضاء هو الأداة الّتي تضمن سلامة المجتمع وأمنه بإشاعة العدل والمساواة بين أفراده، ويشترط في القاضي أن يكون عالما بأحكام الشَّرع، مراعيا مقاصده ومجتهدا فيه، وأن يكون عفيفا، غير طامع في مال ولا مغتر بجاه ولا مطيع لسلطان في غير ما أمر الله.

وكان القاضي يرتزق من بيت المال في حدود حاجته وقد يتورع فيقضي بغير أجر، ومن الفقهاء من كانَ يعتبر القضاء محنة وابتلاء فيأبى توليه مخافة أن يصدر في قضائه عن جور أو يلحق ظلما بأحد، فيبوء بخسران يقاضيه الله عليه، ففي حديث الرَّسُول ﷺ: «**قَاضِيَانِ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ فِي الْجُنَّةِ**»[1] فهو يخشى أن يكون أحد القاضيين.

وهذا **أبو حنيفة** يريده الخَلِيفَة المنصور العبّاسي عَلَى القضاء فيمتنع، فيأمر المنصور بضربه بالسياط، ثمّ يأمر بحبسه، وقيل إنه مات في الحبس، وهذا **سفيان الثّوريّ** يكتب إليه الخَلِيفَة المهدي بولاية قضاء الكوفة عَلَى أن لا يتعرض أحد لحكم من أحكامه، فيأخذ العهد ويرميه في دجلة ثمّ يتوارى، ومثله إسماعيل بن إبراهيم الأسدي المعروف بابن علية، وعبدالله بن وهب وكثيرون غيرهم ممن تحرج من تولي القضاء فامتنع عن قبوله.

---

(١) رواه أبو داوود (٣٥٧٣) والترمذي (١٣٢٢) واللفظ له، وابن ماجة (٢٣١٥) وصححه الألباني والأرنؤوط.

هكذا كانَ شأن القضاء فيما مضى حتَّى جاء العصر العبّاسي الثّاني، فتأثر القضاء بفساد العصر وأصبح وسيلة للارتزاق!! وارتقى إليه من ليس من أهله، ففي عهد الخَليفَة المقتدر، ولى وزيره أبو الحسن بن الفرات القضاء تاجرا كانَ أسدى إليه معروفا.

ومضت فترة جرى فيها تضمين القضاء لقاء رشاوى ومبالغ ضخمة!! ففي عام ٣٥٠هـ ضمن السُّلطَان **معز الدّولة البويهي** قضاء بغداد لأبي عبدالله بن أبي الشوارب ومعه قضاء القضاة، لقاء مائتي ألف درهم يدفعها كلّ سنة إلى خزانة السُّلطَان.

وكان تضمين القضاء وسيلة للرشوة، ويبدو أنها كانت مألوفة عند بعض أبناء أبي الشوارب، وأكثرهم ممن تولى القضاء فقد روى **ابن كثير** أن محمّد بن الحسن بن عبدالله بن أبي الشوارب، قاضي بغداد كانَ ينسب إلى أخذ الرشوة في الأحكام والولايات، عَلى أن هذه الأسرة قد تولى أكثر أبنائها القضاء، وكانوا عَلى جانب كبير من العلم والورع، غير أن الفساد سرى إلى بعضهم، وكان فساد القضاء كما يقول صاحب المنتظم، أول ما انحل من سياسة الملك.

وقد أورد **محمّد بن سعد الزهري** المتوفى عام ٢٣٠هـ مقارنة بين قضاة صدر الإِسْلَام وقضاة زمانه فقال: كانَ الرجلان يتقاولان بالمدينة في أول الزّمان فيقول أحدنا للآخر: لأنت أفلس من القاضي، فصار قضاة اليَوْم ولاة وجبابرة وملوكا وأصحاب غلات وضياع وتجارات وأموال!!

سابعاً – الفتن والصِّرَاعات الداخليَّة:

أ – الفتن المذهبية:

ثارت فتن بين الشّيعة وبين أهل السّنّة، وخاصة الحنابلة منهم، فتن كانَ مسرحها بغداد، وقد بدأت في أوائل القرن الرَّابع الهجريّ وامتدت إلى أواخر القرن الخامس الهجريّ، وكانت تتوالى الفتن عاماً بعد عام، وكثيرا ما كانت تشتد، فينشب فيها قتال مرير يرافقه حرائق وتدمير.

وقد شد آل بويه أزر الشّيعة لتشيعهم، وشد الأتراك أزر أهل السّنّة لأخذهم بمذهبهم، وكان القُصاص من الجانبين يثيرون شعور الطّرفين بالعداء ويحرشون فيما بينهم، حتَّى بلغ الإسفاف في إحدى السنين – كما جاء في تاريخ ابن كثير – أن يخرج الجهال والرعاع من المنسوبين للسنة جملا رمزوا

به إلى جمل موقعة الجمل وساروا خلفه، ورفع الشّيعة راياتهم واستعلنوا بسب الصّحابة! واقتتل النّاس حتَّى تعطلت الأسواق والحياة وانتشر الشر في بغداد!!

وكذلك كانت تثور الفتن أحيانا حتَّى بين أهل السّنّة، بين الحنابلة والأشاعرة، وبين الحنفية والشّافعية، فكان أهل كلّ مذهب يتعصبون لمذهبهم، ويدفعهم التعصب إلى أن يقتتلوا، ففي عام ٤٦٩هـ قدم أبو نصر القشيري إلى بغداد فوعظ بالمدرسة النّظامية ونصر الأشاعرة وحط عَلى الحنابلة، فهاج عوام أهل السّنّة وأحداثهم وقصدوا المدرسة النّظامية، وحميت الفتنة وقتل جماعة منهم، وثارت الفتنة في عام ٤٧٦هـ بين الفريقين وتلتها فتن أُخرى كانت تثور بين حين وآخر وامتدت إلى آخر القرن السَّادس الهجريّ.

كذلك ثارت الفتن بين الحنفية والشّافعية، وكلاهما من أهل السّنّة، ففي عام ٤٦٨هـ نشبت فتنة كبرى بينهم بسبب تحول إمام من أئمة الحنفية إلى المذهب الشّافعي، فقد روى السبكي أن الإِمَام أبو المظفر منصور بن أحمد بن عبد الجبار المعروف بابن السمعاني الخراساني، تحول من المذهب الحنفي الّذي ناظر فيه ثلاثين سنة، إلى المذهب الشّافعي، فقامت الحَرب بين جماعة المذهبين، واضطرمت الفتنة بينهم، حتَّى كادت أن تملأ ما بين خراسان والعراق.

ويصف لنا ياقوت في معجمه[1]، آثار الخراب الّذي أصاب بعض المدن في أعقاب الفتن الّتي كانت تنشب بين أصحاب المذهبين، فحين يذكر مدينة أصفهان يقول: " وقد فشا الخراب في نواحيها لكثرة الفتن والتعصب بين الحنفية والشّافعية، والحُرُوب المتصلة بين الحزبين، فكلما ظهرت طائفة نهبت الأخرى..."، وجرى مثل ذلك في مدن أُخرى كالري وساوة.

وروى الإِمَام السبكي[2]: أن مسعود بن علي وزير خوارزم شاه، أمير خوارزم كانَ متعصّباً للشّافعيّة، وقد بنى في مدينة (مرو) جامعاً، فتعصّب عليه أهل المدينة وهم أحناف، فأحرقوا الجامع، وقامت فتنةٌ هائلةٌ، كادت الجماجم فيها تطيرُ عن الغَلاصم.

---

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي: (١/ ٢٠٩)

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٩٩١- (ج٧/ ص٢٩٦)

ب – فتن الجند:

كانَ الجيش في أغلبه يتألف من الأتراك والديلم، وكثيرا ما شغبوا عَلى الخَليفَة لتأخر أعطياتهم، وكثيرا ما أدى شغبهم إلى خلع الخَليفَة طمعا برسم البيعة ممن يخلفه، وقد يرتد شغبهم عَلى النّاس، فتندلع فتنة يكثر ضحاياها.

ففي عام ٤٢١هـ برم النّاس من اعتداء الجند الأتراك، وعجزت الدّولة عن ردعهم لضعفها وهوانها، فاجتمع الهاشميون والعلويون ومعهم الفقهاء، فاستنفروا النّاس لصد الأتراك، فعمد الأتراك إلى رفع الصليب عَلى رمح!! يتحدون بذلك الدّولة، وترامى الفريقان بالنشاب والآجر، وقتل طائفة من النّاس.

وفي عام ٤٢٩هـ تظلم النّاس من اعتداء الديلم واقتحامهم الدَّور وتعرضهم للنساء، فلم يستمع السُّلطَان البويهي لتظلمهم، فالتحموا مع الديلم في قتال مرير، واهتبل العيارون انشغال النّاس في القِتَال، فداهموا البيوت والمخازن، واقتحم اللصوص بغداد فأخذوا ما وجدوا من الخيول.

ج – فتن العيارين والشطار (السراق والحرامية والصعاليك):

كانَ للعيارين والشطار نصيب كبير في الفتن، فقد تألف منهم فرق منظّمة، كانت تخضع لزعيم يدعى (مقدم العيارين) وهو الّذي يزودها بالسّلاح ويتولى تدريبها وتوجيهها، وكان ينتظم في هذه الفرق أوزاع من النّاس وأخلاط من الفقراء، فيهم السني والشيعيّ، وفيهم الهاشمي والعلوي وفيهم الأعرابي والكردي والعجمي، كانت فرقهم تنتهز انشغال النّاس في الفتن الّتي تثار، فيغيرون عَلى منازل الأغنياء، وكثيرا ما تغلبوا عَلى الشّرطة وهزموها، وقد بلغ من قوتهم أن فرضوا الخطبة لزعيمهم في صلاة الجمعة في إحدى المرات!

ففي عام ٤٢٤هـ اجتمع في الرصافة ببغداد فريق منهم وألزموا الخطيب أن يخطب للبرجمي (زعيم العيارين) مع خطبته للخليفة والسلطان! وكانوا يفرضون الأتاوات عَلى أصحاب الأعمال، وربما تولوا حفظ الأمن! وتلقب زعماؤهم بلقب القواد، وكانت أفعالهم فيها ظاهرة الثَّورة عَلى فساد

الحكم، وقد التزم (البرجمي) ومن بعده (الطقطقي) بمعاني الثَّورة، وطريقة الصعاليك، في مقاومة حكم تسوده الفوضى ويطغى عليه نهب الأموال، واختل فيه ميزان العدل وسرت فيه الرشاوي.

وكان سلوك هَؤُلَاءِ الحرامية مطبوعا بالمروءة! فلم يكن يسمح لأحد من أعوانهم الاعتداء عَلى امرأة أو أخذ شيء منها، ولا التعرض لأوساط النّاس وفقرائهم.

على أن جماعات اتخذوا اسم العيارين كانوا أقرب إلى اللصوص والسراق، وفيهم فجار وقوادون، فكانوا يمارسون عدوانهم عَلى النّاس فلا ينكرها عليهم أحد، لأن قائدا من قواد الديلم يدعى أبا جعفر بن شيرزاد، ضمن لهم ما كانوا يمارسونه بمبلغ خمسة وعشرين ألفا دينار يدفعونها إليه في كلّ شهر!

ثامنا – الثورات:

نشبت الثورات في العصر العبّاسي الثّاني بين عامي ٢٥٥ و٣٦٦هـ ما يزيد عَلى خمسين ثورة، منها ما كانَ ثورة عَلى الحكم، ومنها ما كانَ انتقاضا عَلى الحاكمين، من خليفة وسلطان.

وكان أهمّ الثورات خطرا في أسبابها ونتائجها ثورتان هما: ثورة عرفت باسم ثورة الزنج وثورة القرامطة.

أ – ثورة الزنج:

سبق للزنج أن ثاروا سنة ٧١هـ ثمّ ثاروا سنة ٧٦هـ لما فشا فيهم من الأفكار الشاذة، والزعماء الأدعياء، ونتيجة لما كانَ ينالهم من ظلم ملاك الأراضي الّذين جلبوهم من شرق إفريقيا لاستصلاح أراضيهم، وقد قمع الحجاج أمير العراق الثورتين.

ثمّ قامت لهم ثورة عارمة في عهد الخَليفَة المعتز بالله، قادها رجل فارسي دعا نفسه محمّد بن علي وزعم أنه علوي النسب وتروي الروايات، أنه قدم من الأهواز سنة ٢٥٥هـ ونزل في منطقة تقع في جنوب العراق حيث كانَ يقوم باستصلاحها الزنوج الإفريقيون، وكانوا يلاقون ظلما مريرا من أصحاب الأراضي، فاندس فيهم ذلك الرجل وادعى أنه من آل البيت، ودعاهم لاتباعه ليحررهم من

الرق، وينجيهم من عذاب أسيادهم، وأخذ يظهر لهم، بما أوتي من ذكاء وسعة حيلة، أعمالا فيها كثير من الشعوذة وينبئهم بأخبار يزعم أنها من الغيب.

وقد أقام دعوته عَلى دعوة الخوارج وهي المساواة بين المُسلِمِين، وقد استجاب له الأعراب الّذين كانوا يسكنون في بوادي البصرة، ويعملون لشظف العيش بشن الغارات عَلى القرى واعتراض قوافل الحجاج، ينهبون ويسلبون، وقد أغراهم بما يطمع فيه الفقراء الّذين ضمر في قلوبهم الشعور بالإيمان وتراخت عقيدتهم، فأباح لهم شيوعية الأموال والنِّسَاء، وهي عَقِيْدَة مزدك الفارسي، فاجتمعوا عليه مؤمنين بدعوته.

وقد عرف القائم بتلك الدّعوة، الناظم لتلك الجموع الغفيرة بصاحب الزنج، لأن العدد الغالب من أتباعه كانَ منهم، ولأنهم أول من استجاب لدعوته، فاستولى عَلى البحرين والأحساء، ثمّ توجه صعدا إلى البصرة، وفي شوال سنة ٢٥٧هـ أغار عَلى تلك المدينة وهي غافلة، فداهمها بجموعه وأمعن أتباعه فيها نهبا وسلبا وقتلا وتحريقا، فلم يسلم من أهلها إلا من هرب وهام عَلى وجهه يلتمس النجاة.

وأوى من ظل في المدينة إلى المَسجِد الجامع ظنا منهم أنهم يأمنون فيه عَلى أرواحهم، لكن الثائرين ما لبثوا أن داهموا المَسجِد وقتلوا من أوى إليه، ثمّ اقتحموا البيوت وقتلوا الأطفال وسبوا النِّسَاء، وفيهم كثير من شرائف النِّسَاء، فتقاسمهم الآسرون، ومن دخلت في سهمه استخدمها وفجر بها ثمّ باعها.

ثمّ أحرقوا البصرة فأضحت معالمها أطلالا، وبعد خراب البصرة توجه **صاحب الزنج** بأتباعه إلى الأهواز وهزم الحملات الّتي كانَ يرسلها الخَليفَة **المعتمد عَلى الله** لقتاله.

وبعد ذلك قصد (واسط) وهم بالتوجه إلى بغداد لولا أن الخَليفَة جمع له جيشا كثيفا قاده أخوه الموفق بالله، فتغلب عَلى **صاحب الزنج** بعد قتال مرير وتمكن من قتله والقضاء عَلى الفتنة الّتي أثارها والَّتي دامت خمس عشرة سنة (٢٥٥ – ٢٧٠هـ).

ب – ثورة القرامطة:

لم تكد تنتهي ثورة الزنج حتَّى نشبت ثورة أُخرى كانت امتدادا لها ومنادية بشعارها وهو مقاومة الظُّلم، معلنة مبدأ المساواة بين النّاس لتتستر وراءه عن حقيقة الزندقة الّتي تحتويها، وقد عرفت بثورة القرامطة، وتنسب هذه التسمية إلى رجل فارسي عرف بلقب (قرمط)، وقيل أن اسمه (حمدان الأشعث)، وقد كانَ أحد دعاة الإِمَام الإسماعيلي (المنتظر) الّذين بثهم في الأقطار عبدالله بن ميمون القداح.

فلما تمَّ القضاء عَلى ثورة الزنج سنة ٢٧٠هـ اجتمع حوله فلولها وبدأ بما بدأ به **صاحب الزنج** من إظهار الزهد والتقشف والورع، فجذب إليه قلوب النّاس، وكان يخفي وراء هذا السُّلُوك هدفا سياسيّاً، وقد دعا إلى مذهب فيه مزيج من المزدكية الفارسية واليَهُوْدية والنّصرانية والإِسْلَام، جعل الصّلاة أربع ركعات، ركعتان قبل طلوع الشّمس وركعتان بعد غروبها، وجعل القبلة والحج إلى بيت المَقْدِس وجعل الصّوم يومين في السنة، وهما يوم المهرجان ويوم النيروز، وعدل في الأذان، وفرض جزية عَلى من خالفه وأباح قتله إن أمكن ذلك، وأخذ يفسر آيات القرآن بتأويل، بدعوى أن لآياته وأحكامه تأويلا باطنيا يفسر به ظاهرها، ومن ثمّ عرف مذهبهم بالباطنية.

وقد كثر أتباع قرمط وكثر، وقد أقام هَؤُلَاءِ دولة لهم في القطيف والبحرين واليمن وقادوا حُرُوبا في العراق أرادوا بها انتزاع الخِلافَة، ونازعوا الفاطميين زعامة الدّعوة الشيعيّة، فهاجموا قواعدهم في الشّام وهموا بمهاجمة القاهرة وقد تمكن الفاطميّون من صدهم.

وفي سنة ٣١٧هـ أغاروا عَلى مكّة فقلعوا الحجر الأسود وقتلوا الحجاج، وحملوا الحجر الأسود إلى القطيف عاصمة ملكهم وأعادوه سنة ٢٣٩هـ لقاء السماح لهم بفرض ضريبة عَلى الحجاج.

ومن تتبع الأسباب الّتي انطلقت منها ثورة الزنج، ثمّ ثورة القرامطة والتأمل بنتائجها نجد أنها ترجع إلى سببين مفترقين ومتوازيين.

فالأول: هو استغلال دعاة الثَّورة جهل العامّة من أجل سلخهم من العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة من دعاة يحملون حطام دياناتهم السَّابقة الّتي ما زالوا متأثرين بها.

والسبب الثّاني: هو استغلال الضجر والضيق من استبداد الولاة ومن إرهاق عمال الخراج، يضاف إلى بؤس الفقراء الّذين يعانون ألم الجوع والعطالة والحرمان، وكان هَؤُلَاءِ مع كلّ دعوة للتحرر من الظُّلم الّذي يحل بهم والضيق الّذي يكابدونه.

وقد اختار دعاة الثَّورة جنوب العراق والمناطق المجاورة له لبعدها عن بغداد وعجز الدّولة عن تتبع الثائرين.

تاسعاً – تقسيم الدّولة العبّاسيّة بين الخِلافَة المركزية والمتغلبين:

كانت الدّولة في أيّام بني أمية وحدة شاملة من شرقها الممتد من بلاد ما بين النهرين وحدود الصين والهند إلى مغربها في المغرب الأقصى والأندلس، وكان يحكم أقاليمها ولاة يوليهم خليفة دمشق وإليه يرجعون في أمورهم الهامة، ينفذون سياسته ويحكمون بسلطانه، ولما انتقلت الخِلافَة إلى بني العبّاس استقلت بعض الأقاليم بتفويض منهم واستقل البعض الآخر بالغلبة عليهم.

ففي عهد أبي جعفر المنصور استولى عبد الرَّحمٰن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك سنة ١٣٨هـ عَلى الأندلس واستقل بها وأنهى الحكم العبّاسي وأعاد الحكم إلى بني أمية.

وفي عهد المنصور أيضا أنشأ إدريس بن محمّد (النّفس الزكية)، وهو من أحفاد الحسن بن علي بن أبي طالب دولة الأدارسة في المغرب الأقصى سنة ١٧٢هـ.

وفي ١٤٠هـ قامت الدّولة المدارية في المغرب الأقصى وهم من الخوارج الصفرية.

وفي ١٦٢هـ قامت في تاهرت (الجَزَائِر) الدّولة الرستمية وهم من الخوارج الإباضية.

وفي عام ١٨٤هـ أنشأ **إبراهيم بن الأغلب** بتفويض من الخَليفَة **هارون الرَّشِيد** دولة الأغالبة في المغرب الأدنى (تونس).

وفي عام ٢٠٥هـ أنشأ **طاهر بن الحسين** بتفويض من **المأمون** دولة بني طاهر في خراسان مكافأة له لنصرته عَلى الأمين.

فهذه الأقاليم الأربعة انفصلت عن الدّولة العبّاسيّة، واستقلت عنها، وتداولت الحكم بطريق الإرث، غير أن انفصال بعضها كانَ يختلف عن انفصال البعض الآخر، ففي دولة بني أمية في الأندلس

وفي دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، انقطعت الصلة بدولة الخِلافَة العبّاسيّة، أما في دولة بني طاهر ودولة الأغالبة، فلم تنقطع الصلة بها، بل ظلت عَلى ولائها وتبعيتها.

وفي العصر العبّاسي الثّاني ازدادت الظَّاهِرة وانفصلت عن دولة الخِلافَة الأقاليم الآتية:

ففي سنة ٢٥٤هـ انفصلت مصر والشّام وقامت فيهما الدّولة الطولونية، أَسَّسَها **أحمد بن طولون**.

وفي سنة ٢٥٤هـ قامت دولة بني الصفار في سجستان بزعامة الليث بن الصفار واستولت عَلى خراسان وقضت عَلى دولة بني طاهر.

وفي سنة ٢٦١هـ قامت دولة بني سامان في خراسان بزعامة نصر بن أحمد ابن أسد بن سامان وقضت عَلى الدّولة الصفارية.

وفي سنة ٣٣٢هـ قامت الدّولة الإخشيدية، وحكمت مصر والشّام وامتدت لليمن.

وفي سنة ٢٩٧هـ قامت في إفريقية دولة العبيديين بزعامة أبي عبيد الله المهدي وقضت عَلى دولة الأغالبة، ثمّ عَلى دولة بني الإخشيد وامتد حكمها إلى مصر والشّام والحجاز.

وفي سنة ٣٢٠هـ قامت دولة بني بويه في فارس وأصبهان وهمذان والري بزعامة أبناء بويه وهم: الحسن وعلي وأحمد وأبناؤهم من بعدهم.

وقامت في الموصل والجَزِيرَة وحلب دولة بني حمدان بزعامة أبناء حمدان بن حمدون التغلبي ٢٩٢هـ.

وفي سنة ٣٢١هـ قامت دولة الغزنويين فيما وراء النهر بزعامة سبكتكين، أمير غزنة ومن بعده ابنه محمود المعروف باسم **محمود الغزنوي** فقضى عَلى دولة بني سامان وامتدت دولته إلى الهند.

وفي عام ٣٢٨هـ لم يبق في يد الخَليفَة سوى بغداد وسواد العراق، وقد جرّد منهما حين استولى **معزّ الدّولة البويهيّ** على بغداد سنة ٣٣٤هـ فلم يبق من الخِلافَة غير لقبها.

وفي عام ٤٢١هـ قامت دولة التّرك (الغزّ) السّلاجقة.

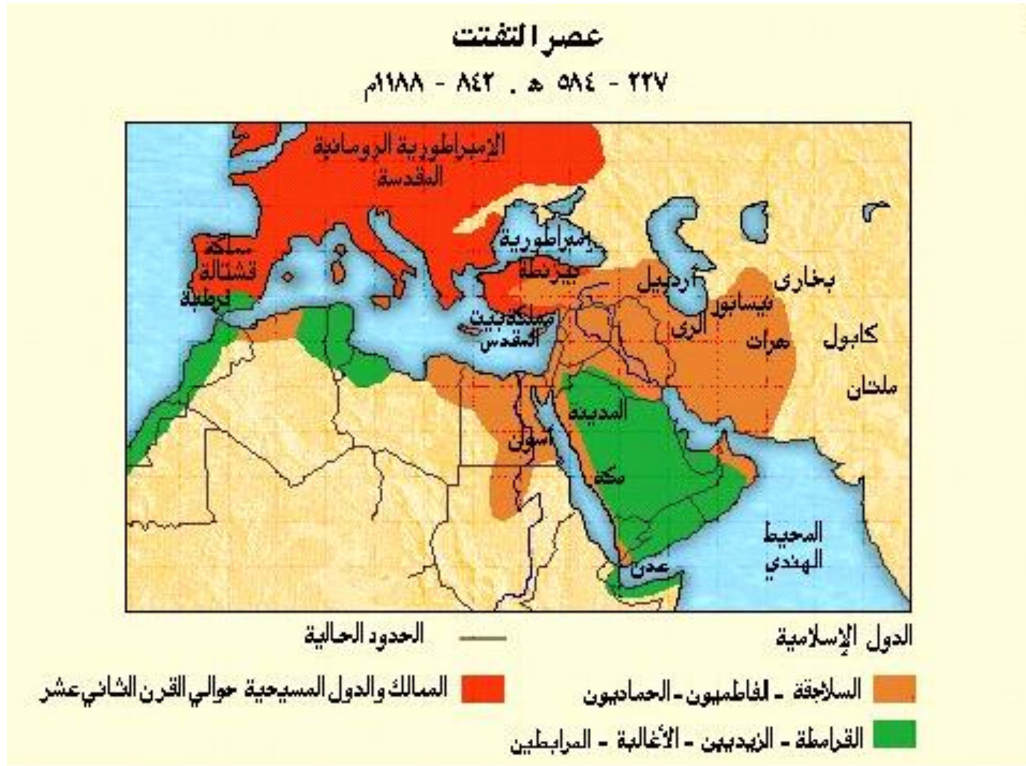
القادمين من بلاد تركستان، فأزالت دولة الغزنويّين والبويهيّين والدّويلات الأخرى، بزعامة **طغرلبك** السّلجوقي.

ولما مات **طغرلبك** خلفه ابن أخيه **ألب أرسلان** فقامت في عهده وحدة الدّولة الإِسْلَاميّة الممتدَّة من بلاد ما بين النَّهرين إلى بلاد الشّام، غيرَ أنَّ الخلاف ما لبث أن ثار بينه وبين أولاد عمِّه، وقامت سنة ٤٧٠هـ دولة عرفت بدولة سلاجقة الرُّوم (يقصد بها سكنهم في بلاد الرُّوم)

وقد أحدث الانشقاق بين السَّلاجقة أحقادًا، فواجهوا الغزو الصّليبيّ متفرِّقين، ولو أنَّهم واجهوه متَّحدين، لتحوَّلت مسيرةُ الأحداث وجهة أُخرى ولسَلِمَت بلادُ الإِسْلَام من غزوٍ ما زَالت تَتَجرَّع مرارَتَه.

عاشرًا: انتشارُ الترفِ والانحلالُ والفسادُ الاجتماعيّ في كثيرٍ من العامّة والخاصَّة:

فقد أدى فساد القصور، وما تلطخت به من الصِّرَاعات والمفاسد، إلى تفشي ذلك في أوساط مختلف طبقات العامّة، ولاسيما الموسرة منها، نتيجة ازدهار التجارة، وانفتاح الدُّنيَا عَلى النّاس، ونلاحظ هذا في كثير من كتابات الوعاظ والعُلَماء في تلك الفترة، والّذين لم يألوا جهدا في الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر للحكام والمحكومين، ولكن عجلة الإنهيار كانت دائرة بقوة، ومقتضى السنن في الممالك والدّول كانت تسير بدولة العبّاسيين إلى أجلها المحتوم.



الطور الثّالث من الخِلافَة العبّاسيّة:

ويمتد من خلافة المستظهر، حيث بدأت القوى الخارجيّة تتربص بدولة الإِسْلَام وتعد العدة للانقضاض عليها، وينتهي بانتهاء دولة بني العبّاس تحت سنابك خيل المغول، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود] ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب]

السمات المميزة للعصر العبّاسي الثّالث:

هذا العصر هو امتداد للعصر العبّاسي الثّاني وقد تميز هذا العصر بكل سمات العصر الّذي تقدمه من الانحلال وأسباب الضّعف وفساد الحكم، وضياع العوام وترف الخواص، وزاد عليها ما لقي العالم الإِسْلَاميّ من غزو مغولي أتاه من المشرق وغزو صليبي أتاه من الغرب، وكان من قبل مستشريا في الأندلس، وما أصاب الإِسْلَام من محن ما زال يئن تحت وطأتها إلى الآن.

****

أهمّ الدّول المستقلة منذُ قيام العصر العبّاسي وإلى قيام الدّولة العُثمَانِيّة:

(أ) – في المشرق والعراق والشّام ومصر:

١- الدّولة الصفارية (٢٥٤-٢٩٨هـ / ٨٦٨-٩١١م):

أسَّسَها يعقوب بن ليث الصفار في سجستان (إيران) وتوسع عَلى حساب الدّولة الطّاهرية في خراسان الّتي أسَّسَها طاهر بن الحسين سنة (١٩٨هـ/ ٨١٣ م)، والدّولة العلويّة في طبرستان الّتي أسَّسَها الحسن بن زيد سنة (٢٥٠هـ/ ٨٦٣م)، ولعجز دولة الخِلافَة العبّاسيّة، اعترفت بشرعيّة حكم الصّفار، الّذي أسّس جيشا قويّا قمع به الخوارج وسيطر عَلى طرق التّجارة بين الهند ووسط آسيا، ثمّ فكّر بغزو بغداد، فاستنجد الخَليفَة بأحمد بن اسماعيل أمير الدّولة السّامانيّة، فهزم الصّفّاريين وقضى عَلى دولتهم سنة (٢٩٨هـ/ ٩١١م).

٢- الدّولة الطّولونيّة (٢٥٦- ٢٩٢ هـ / ٨٧٠-٩٠٥ م):

أسَّسَها أحمد بن طولون في مصر وهو قائد تركيّ استفاد من ضعف الدّولة العبّاسيّة الّتي كانت تُرسل من ينوب عنها في حكم الولايات البَعيدة عن مركز دولةِ الخِلافَة، وقد جاء أحمد بن طولون مصر نائباً عن (باكباك التركيّ) ثمّ قلّده الخَليفَة ولاية مصر، فاستقلّ بها، ووسّع دولته، ولما كلّفه الخَليفَة بحماية الثُّغُور الشّاميّة، ضمّ الشّام إلى مصر، ثمّ مدّ دولته إلى ليبيا، والحجاز، وبلاد النوبة جنوب مصر، وقد عم الرخاء عصره، وكان عادلاً حازماً وكوّن جيشاً قويّاً، ثمّ تولّى بعده ابنه (خمارَوَيْه) فحفظ أملاك أبيه، وضمّ إليها الموصل، وتوطّدت العلاقة بينه وبين الخَليفَة، فزوّجَ ابنتَه (قطر النّدى) للخليفة المُعتضد ثمّ ضعفت الدّولة، وأعاد الخَليفَة العبّاسيّ ضمّ تلك البلاد للخلافة المركزيّة سنة (٢٩٢هـ).



٣-الدّولة السّامانيّة (٢٦١-٣٨٩هـ/ ٨٧٤-٩٩٨م):

وتنسب لأسرة فارسيّة اعتنقت الإِسْلَام في العصر الأمويّ، وأسَّسَها نصر بن أحمد السّاماني في بلاد ما وراء النّهر، وتوسّعت في عهد اسماعيل بن أحمد وضمّت طبرستان وبلاد الريّ، وقد تصدت الدّولة السّامانيّة للخطر الصينيّ عَلى آسيا الوُسطى، واستفادوا من طرق التّجارة، وازدهر في عهدهم العمران، وكان معظمهم عَلى مذهب السُّنّة، وقد ازدهرت حاضرات الإِسْلَام، في عهدهم، وحفلت بالحركة العلميّة والشّعراء والأُدباء، وأصبحت بُخَارى وسمرقند ومدن تركستان من ألمعِ حاضرات الإِسْلَام.

٤- الدّولة الحمدانيّة (٢٩٢-٣٩٢هـ/ ٩٠٤-١٠٠٢م):

وهم من أسرة عربيَّة اعتنقت المذهب الشيعيّ الإمامي الإثناعشري، وقد تأسست في الموصل سنة ٢٩٢هـ، في عهد الخَليفَة المكتفي بالله، وساندته في مُوَاجَهة الخوارج والقادة الأتراك، واشتهرت بجِهَاد الرُّوم البيزنطيين، وقد قضى البويهيون الشّيعة عليهم سنة ٣٦٨هـ، وبقي نفوذهم في حلب، وامتد ملكهم إلى دمشق، واصطدموا بالإخشيديين، وبعد وفاة سيف الدّولة سنة ٣٥٦هـ ضعفت

حالهم وقضى الفاطميّون الشّيعة عليهم سنة ٣٩٢هـ، وقد اشتهر بلاط سيف الدّولة بالأدباء والشعراء، من أمثال المتنبّي الّذين ذاع صيتهم، وشاعرهم أبو فراس الحمداني، والأصفهاني (الزنديق) صاحب كتاب الأغاني الشّهير المليء بالأكاذيب والطّرائف.

٥ - الدّولة الفاطميّة (٢٩٨- ٥٦٧هـ / ٩٠٩-١١٧١م):

قامت الدّولة الفاطميّة في إفريقية سنة ٢٩٨هـ بزعامة عبيدالله المهدي مدّعياً أنّه صاحب الحقّ في الخِلافَة وأنّه حفيد محمّد بن إسماعيل بن جعفر الصّادق وقد مهّد لقيامها داعية إسماعيليّ يدعى أبو عبدالله الشّيعيّ وحشد لنصرتها قبيلة (كتامة)، وعرفت بـ (الدّولة العبيديّة).

ولما رسخت قواعدها قضت عَلى دولة الأغالبة في القيروان ثمّ قضت عَلى دولة الإخشيد في مصر، وبنت فيها مدينة القاهرة ثمّ انتقلت إليها في عهد المعز لدين الله ودُعِيَت بالدّولة الفاطميّة، ولم يستطع الخَليفَة العبّاسي المقتدر بالله أن يدفع قيامها.

ثمّ حدثت بها أحداث سياسيّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة تراخت فيها قوتها وانتهت إلى الزَّوال، وقد بدأ هذا التّراخي في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي الّذي بلغ من الكفر والظُّلم شأواً عظيماً، **وازداد الضّعف والتّراخي في عهد المُستنصر بالله الفاطميّ، فقد ولد من جارية تربّت في بيت يهوديّ يُدعى أبا سعيد التّستريّ وتولّت أمّه تدبير أمور الدّولة واستوزرت وزراء يهود، منهم صدقة بن يوسف الفلاحيّ وأبو سعيد التّستريّ، وقد أسند هَؤُلَاءِ مناصب الدّولة إلى أبناء جِلدَتِهم من اليَهُوْد، فاضطهدوا المُسلِمِين.**



وفي عهد المُستنصر بالله انحسر سلطان الفاطميّين عن بلاد الشّام باستيلاء السّلاجقة عليها وزالت دولتهم في جَزِيرَة صقّلية باستيلاء النّورمان عليها سنة ٤٦١هـ، وعم الوباء الّذي يعتبر أطول وباء عرفته مصر في العصور الوسطى، إذِ امتدّ ثماني سنين (٤٤٦ – ٤٥٤هـ) واقترنت هذه الشّدة الّتي اصطلح المؤرخون تسميتها بسنين الشّدة العظمى بقيام الحُرُوب الأهليّة الداخليَّة، حتَّى تدارك الأمر وزيرهم بدر الجمالي، والي عكّا وقد استدعاه المُستنصِر سنة ٤٦٦هـ فأعاد النّظامَ وَوَجَّهَ همَّه إلى إصلاح البلاد، وتزوَّج المُستنصر ابنته ووَلَدَت له ابنه (المُستَعلي).

ولما تُوفي المستنصر سنة ٤٨٧هـ بعد حكم دام ستين سنة ادّعى الخِلافَة ابنُه (نزار) وكان أبوه قد عهد بها إليه، ولكن الأفضل بن بدر الجماليّ، الّذي خلف أباه في قيادة الجيش، قدم عليه أخاه (المُستعلي) وهو ابن أخته، وتمّ ذلك بقتل (نزار)، وبقتله افترقت الإسماعيليّة إلى فِرقَتين: فِرقَة المُستعلية، وفرقة النزاريّة.

وفي عهد المستعلي بدأت الحُرُوب الصّليبيّة عَلى بلاد الشّام واحتل الصّليبيّون بيت المَقْدِس سنة ٤٩٣هـ، وقد أعقب المستعلي خُلَفَاء منهم المخلوع ومنهم المقتول إلى أن انقضى عهد الدّولة الفاطميّة – غير مأسوف عليها – سنة ٥٦٧هـ عَلى يد صلاح الدّين الأيوبي وقيام الدّولة الأيوبية.

وكان الفاطميّون من الباطنيّة الشّيعة الغلاة، وقد حكم علماء أهل السّنّة الأثبات ممن عاصروهم بكُفرِهِم وخروجِهم عن الإِسْلَام، وقد طبعت الدّولة الفاطميّة بالظُّلم والعنت فوق الكفر، وراسل كبار وزرائهم الصّليبيّين والرُّوم مرارًا واستدعوهم لغزو مصر ووعدوهم العون ضدّ جيش الشّام الّذي حمل في ذلك الزّمان مهمّة جِهَاد الصّليبيّين عَلى عاتقه.

٦ – الدّولة الإخشيدية (٣٢٣– ٣٥٨هـ/ ٩٣٥-٩٦٩ م):

وتنسب إلى محمّد بن طغج الإخشيد وهو تركي، وكان في خدمة والي مصر، وأبلى في صد غارات الفاطميين عن مصر، فأسند إليه الخَليفَة ولاية مصر، ثمّ ضمّ إليها الشّام واليمن، فنظم البلاد وقوي مركزه، ثمّ فسدت علاقته بالخِلافَة وقامت الحَرب بينهم، وبعد موت الإخشيد خلفه ابنه أبو القاسم أنجور وكان طفلا، فتولى الوصاية عليه معلمه كافور الإخشيدي وكان عبدا أسودا يخدمهم، فاستولى عَلى البلاد، وبعد موت كافور سيطر الفاطميّون عَلى مصر بقيادة جوهر الصقلي وضمها للفاطميين.

٧– الدّولة البويهية (٣٣٤-٤٤٧ هـ/ ٩٤٥-١٠٥٥م):

البويهيون أسرة فارسية شيعيّة سكنت شمال فارس عند قزوين، وتمكن علي والحسن وأحمد أولاد أبي شجاع، مستغلين الفوضى في فارس فقضت عَلى الكيانات السّياسيّة، وقد حاول الخَليفَة المستكفي بالله أن يتخلص من سلطة القادة الأتراك، فاستعان بالبويهيين فدخلوا بغداد سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م، فرحب الخَليفَة بهم وأعطاهم ألقاب سامية، فسمي أحمد (معز الدّولة) وحسن (عماد الدّولة) وعلي (ركن الدّولة)، ولكونهم من الشّيعة انتزعوا السّلطة من الخُلَفَاء، واتخذوا لقب (السُّلطَان) وأحيوا لقب الملك الفارسي (شاهنشاه)، استمال البويهيون الرعية بتخفيف الضرائب، وقاموا بإصلاحات، ثمّ

دب الصِّرَاع بينهم، وأسقطهم السلاجقة الأتراك سنة٤٤٧هـ، وقد شجع البويهيون الحركة العلمية ولاسيما الفلاسفة، والزنادقة من أمثال الفارابي وابن سينا وأمثالهم.

٨- الدّولة الغزنوية (٣٦٦-٥٥٥هـ/ ٩٧٦-١١٦٠م):

قامت هذه الدّولة بزعامة القائد التركي (ألب تكين) وكان مولاه **منصور بن نوح الساماني** ملك خراسان قد ولاه سنة ٣٥١هـ أميرا عَلى سجستان (أفغانستان)، فاستقل بها وأقام فيها دولة اتخذ من مدينة (غزنة) عاصمة لها فعرفت بالدّولة الغزنوية،

وقد تعاقب عليها واحد وعشرون ملكا كانَ أشهرهم محمود بن سبكتكين المعروف بمحمود الغزنوي، الملك الصّالح المعروف، الّذي فتح الهند، وحطم أصنام الوثنيين وأدخل الإِسْلَام إليها، واتسعت دولته وشملت بلاد أفغانستان وما وراء النهر وشرق إيران وبلاد السند (باكستان) وأجزاء شاسعة من الهند.

ثمّ انقضى عهدها باستيلاء الدّولة الغورية عليها سنة ٥٨٢هـ في عهد آخر ملوكها تاج الدّولة خسرو ملك.

٩- دولة السلاجقة (٤٣١-٥٩٠هـ/ ١٠٤٠-١١٩٤ م):

تنتسب هذه الدّولة إلى سلجوق بن دقاق، وهو زعيم دولة تركية كبيرة كانت تقطن فيما وراء النهرين (سيحون وجيحون) في منطقة واسعة تعرف بتركستان، أي بلاد الترك، وفي عام ٤٢٩هـ آلت زعامة هذه القبيلة إلى (طغرلبك) حفيد (سلجوق) فاجتاز بقبيلته منطقة ما بين النهرين متوجها نحو المشرق وانتهز انشغال الغزنويين بحُرُوب أنهكتهم، فاستولى عَلى خراسان والري وهمذان وأزال الحكم الغزنوي عنها وأقام فيها دولة لقومه عرفت بدولة السلاجقة.

وفي عام ٤٣٢هـ استولى عَلى جرجان وطبرستان وامتدت دولته إلى قزوين، وفي عام ٤٤٦هـ استنصره الخَليفَة العبّاسي **القائم بأمر الله** ودعاه إلى بغداد لينقذه من وزيره أرسلان البساسيري، وكان قد استولى عَلى السّلطة واستبد بها وملك أمر العراق وخطب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر،

فاستجاب **طغرلبك** لدعوته وزحف إلى بغداد وقضى عَلى البساسيري وأنهى الحكم البويهي فيها، ثمّ استولى عَلى الموصل وأذربيجان وسنجار وتمت له السّيطرة عَلى البلاد الإيرانية من شاطئ نهر سيحون إلى ساحل البحر الأسود ومن شواطئ بحيرة خوارزم إلى بحر عمان.

وفي عام ٤٥٥هـ توفي **طغرلبك** وآلت خلافته إلى ابن أخيه **ألب أرسلان** فتابع مسيرة عمه ووجه عام ٤٦٣هـ جيشا بقيادة قائده (أتسز) إلى بلاد الشّام فاستولى عَلى دمشق **وتوجه سنة ٤٦٤هـ عَلى رأس جيش لفتح الأناضول فاستولى عَلى أرمينية بعد معركة ضارية مشهورة مع الرُّوم جرت في (ملاذ كرت) وفيها هزم جيش الرُّوم وأسر ملكه (رومانوس الرَّابع)، الّذي كانَ قد رفض الصُّلح مع السُّلطَان ألب أرسلان، وكانت تلك المَعْرَكة واحدة من مشاهد الإِسْلَام العظيمة مع الرُّوم، ولم يكن في جيش السُّلطَان الّذي طلب من جنوده أن لا يخرج معه من ارتبط بالدنيا بحاجة ينتظر قضاءها، إلا خمسة عشر ألف مقاتل وقد ذكرت الروايات أن الرُّوم ناهزوا مأتي ألف مقاتل، وقد نصح شيخ السُّلطَان له أن يوقت المَعْرَكة وقت صلاة الجمعة حيث تكون المنابر داعية للمُجَاهدين، وفي أول المَعْرَكة ألقى السُّلطَان خوذته عَلى الأرض وتذلل إلى الله، وصاح بالجند قائلا: (ما هاهنا ملك يأمر فيطاع، من شاء الانصراف فلينصرف)، وأمر الجند أن يخلصوا في طلب النّصر أو الشَّهَادة، ثمّ كبر وهجم، فحملوا كرأس الحَربة عَلى خيمة الإمبراطور رومانوس، الّذي سقط أسيرا بيد السُّلطَان وانهزم جيشه الّذي هلك جله في طريق الفرار والعودة إلى القُسطَنْطينيَّة.**

وفي عام ٤٦٥هـ أقدم باطني إسماعيلي عَلى اغتيال (ألب أرسلان) فخلفه ابنه (**ملك شاه**) وفي عهده أخذت الدّولة السلجوقية في التقلص بعد انقسامها إلى دولة موزعة بين أبناء البيت السلجوقي، فدولة في خراسان ودولة في الشّام ودولة في بلاد الرُّوم.



أما دولة السلاجقة في خراسان فقد آلت إلى سنجر بن ألب أرسلان وانتهت بوفاته سنة ٥٥٢هـ باستيلاء دولة خوارزم عليها.

وأما دولة السلاجقة في العراق فقد آلت إلى **محمّد بن ملكشاه** ومن بعده إلى ابنه محمود وتوارثها من بعده أبناؤه ثمّ زالت باستيلاء دولة خوارزم عليها سنة ٥٧٣هـ في عهد آخر ملوكها ركن الدّين طغرل (الثّاني).

وأما دولة السلاجقة في الشّام فقد آلت إلى (تتش) بن ملكشاه وانقسمت بعد مقتله سنة ٤٨٨هـ بين ولديه: دقاق ورضوان، فاختص دقاق بدمشق واختص رضوان بحلب، وانقضت دولة حلب بعد وفاة آخر ملوكها سلطان شاه بن رضوان باستيلاء **نجم الدّين إيلغازي** صاحب ماردين عليها سنة ٥١١هـ بدعوة من أهلها، ثمّ بقيام **عماد الدّين زنكي** صاحب الموصل بالاستيلاء عليها سنة ٥٢١هـ، وبعد اغتياله سنة ٥٤١هـ قيام ابنه نور الدّين محمود خلفا له فيها.

وانقضت دولة دمشق وصاحبها دقاق بن تتش سنة ٤٩٧هـ باستيلاء أتابكه (نائبه) القائد **طغتكين** على السّلطة، وبوفاته سنة ٥٢٢هـ قيام ابنه تاج الدّولة بوري خلفا له، وقد نسبت الدّولة إليه فعرفت بالدّولة البورية وامتدت أيّامها حتَّى استولى عليها نور الدّين محمود بن **عماد الدّين زنكي** سنة ٥٤٩هـ وضمها إلى حلب وجعلها عاصمة الدّولة الأتابكية في بلاد الشّام.

وأما دولة السلاجقة في بلاد الرُّوم فقد قامت بزعامة سليمان بن قتلمش، من أحفاد سلجوق ومن أبناء عمومة **ألب أرسلان** فقد تزعم سليمان عِصَابات تركية في أعقاب وقعة (ملاذ كرت) وأخذ يطارد فلول جيش الرُّوم ويستولي عَلى الأقاليم الّتي يجتاحها حتَّى إذا اقترب من سواحل بحر مرمرة سنة ٤٧٠هـ استقر في مدينة (نيقية) - أزنيك الحالية - وأقام فيها دولة سلجوقية.

وفي عام ٤٧٧هـ حاول سليمان الاستيلاء عَلى بلاد الشّام واستخلاصها من (تتش) بن ملكشاه في معركة جرت بينهما فلم يتمكن من الفرار وقتل فيها فخلفه ابنه داود وتلقب بلقب (قليج أرسلان).

ولما قدمت الحملة الصّليبيّة الأولى واقتحمت القُسطَنْطينيَّة سنة ٤٩٠هـ ثمّ اجتازتها إلى آسية، اضطر قليج أرسلان إلى التخلي عن (نيقية) وانسحب مع قومه إلى الجنوب الشرقي من الأناضول واتخذ من مدينة (قونية) عاصمة لملكه.

وفي عام ٥٠٠هـ توفى قليج أرسلان فتوزعت أقاليم دولته بين أبنائه وإخوته واستحالت إلى مجموعة دويلات اتصلت بينها الحُرُوب، إلى أن قامت الدّولة العُثْمَانِيّة عَلى أنقاضها سنة ٦٩٩هـ - وهم من سلالاتهم - فانطوت تحت جناحها.

١٠ - الدّولة الغورية (٤٣٩-٦١٢هـ/ ١٠٤٨-١٢١٥م):

تأسست هذه الدّولة في بلاد الغور سنة ٤٣٩هـ بزعامة عز الدّين حسين ابن حسن بن محمّد وأخذت تزاحم الدّولة الغزنوية حتَّى قضت عليها سنة ٥٨٢هـ وضمتها إليها، وقد امتدت فتوحاتها إلى بلاد الهند ومنها انبثقت دولة المماليك الأتراك وكان **قطب الدّين أيبك** أول ملوكهم في الهند.

وفي عام ٦١٢هـ خضعت الدّولة الغورية للسيادة الخوارزمية وزالت معها بالغزو المغولي سنة ٦٢٨هـ.

١١- الدّولة الخوارزمية (٤٧٠- ٦٢٨هـ/ ١٠٤٨- ١٢٥٨م):

قامت هذه الدّولة في بلاد خوارزم جنوب بحيرة (أورال) ومصب نهر (جيحون)، بزعامة القائد التركي (أنوشتكين)، وكان السُّلطَان السلجوقي قد ولاه عليها سنة ٤٧٠هـ،

وقد اتسعت في عهد ملكها سلطان شاه محمود بن إيل أرسلان باستيلائها عَلى خراسان وإزالة الحكم السلجوقي عنها بعد وفاة السُّلطَان سنجر بن ملكشاه سنة ٥٥٢هـ ثمّ باستيلائها عَلى الدّولة الغورية سنة ٦١٢هـ.

وفي عام ٦٢٨هـ استولى عليها المغول وأزالوا دولتها في عهد آخر ملوكها جلال الدّين منكبرتي.

١٢- الدّولة الأرتقية (٤٩٩- ٥٢١ هـ/ ١٠٧٧- ١١٢١ م):

تنتسب هذه الدّولة إلى زعيم عشيرة من التركمان يدعى (أرتق بن أكسب)، وكان قد التحق عام ٤٤٩هـ بخدمة السُّلطَان السلجوقي **تتش بن ألب أرسلان** صاحب بلاد الشّام فأقطعه القُدس وما حولها، ولما توفي (أرتق) خلفه ولداه: معين الدّين سقمان، ونجم الدّين إيلغازي.

وفي سنة ٤٩١هـ استرد الفاطميّون القُدس فأخرجوهما منها، فتوجها بقومهما من التركمان إلى الجَزِيرَة الفراتية فتملك معين الدّين سقمان ديار بكر (آمد) وتملك **نجم الدّين إيلغازي** (ماردين) وأقام كلّ منهما فيما تملك دولة أرتقية.

وفي عام ٥١١هـ حاصر الصّليبيّون مدينة حلب فاستنجد أهلها بنجم الدّين إيلغازي فأنجدهم وقاتل الصّليبيّين في معركة جرت في (سهل بلاط) سنة ٥١٣هـ وأسر زعيمهم (روجيه ده سالرنو) أمير أنطاكية وتملك حلب وأقام فيها دولة أرتقية تعاقب أبناؤه عليها إلى أن استولى عليها **عماد الدّين زنكي** عام ٥٢١هـ وأقام فيها دولة أتابكية.

١٣- الدّولة الأتابكية (٥١٦- ٥٧٩هـ/ ١١٢٢ - ١١٧١م):

تنتسب هذه الدّولة إلى **عماد الدّين زنكي** بن آقسنقر وكان (أتابك) - أي نائب - السُّلطَان السلجوقي **محمود بن محمّد بن ملكشاه** سلطان العراق، وفي عام ٥١٦هـ ولاه السُّلطَان عَلَى الموصل فأقام فيها دولة عرفت بالدّولة الأتابكية.

وفي عام ٥٢١هـ استولى عماد الدّين عَلَى حلب وأزال الدّولة الأرتقية، وقد اشتهر عماد الدّين رحمه الله بجِهَاد الصّليبيّين، وإسقاطه أولى الإمارات الصّليبيّة في سواحل الشّام

وفي عام ٥٤١هـ اغتال الحشاشون الباطنية (أجداد النصيرية العلوية الحاكمين لسوريا ولبنان في زماننا هٰذا) – اغتالوا الأمير المُجَاهد **عماد الدّين زنكي** رحمه الله فانقسمت الدّولة الأتابكية إلى دولتين: دولة في الموصل ودولة في حلب.

أما دولة الموصل فخلفه فيها ابنه سيف الدّين غازي الأوّل وتعاقب عليها من بعده أبناؤه حتَّى انقضى عهدها باستيلاء المغول عليها سنة ٦٦٠هـ.

وأما دولة حلب فخلفه فيها ابنه الملك الصّالح المُجَاهد نور الدّين محمود وحمل بعده لواء جِهَاد الصّليبيّين، وفي عام ٥٤٩هـ استولى نور الدّين عَلَى دمشق وضمت إليه بلاد الشّام.

ولما توفي نور الدّين سنة ٥٦٩هـ خلفه فيها ابنه الصّالح إسماعيل وكان طفلا صغيرا، وفي عام ٥٧٩هـ تولى صلاح الدّين الأيوبي ضمها إلى الدّولة الأيوبية الّتي أقامها في مصر فأضحت معها دولة واحدة، بشورى علماء الشّام ومصر، ليوحد البلاد في مُوَاجَهة الصّليبيّن.

١٣- الدّولة الأيوبية (٥٦٧ – ٦٤٨هـ/ ١١٧١ - ١٢٥٠ م):

وقد أسس هذه الدّولة الميمونة الملك النّاصر صلاح الدّين يوسف بن نجم الدّين أيوب، وكان قد توجه إلى مصر كقائد من قواد خاله (أسد الدّين شيركوه) قائد الجيش الّذي أرسله الملك الصّالح نور الدّين زنكي سلطان الشّام المُجَاهد لصد حملة الصّليبيّن عَلَى مصر.

وقد استعان الخَليفَة الفاطمي **العاضد بأسد الدّين وأسند إليه الوزارة، ليتقوى به عَلى أمراء الفاطميين المتنافسين وكبيرهم (شاور)، ولما توفي (أسد الدّين في مصر وهو يعد العدة لصد الحملة الصّليبيّة، عين الخَليفَة الفاطمي صلاح الدّين مكان خاله، وبعد انتصار صلاح الدّين وجيش الشّام ومصر عَلى الصّليبيّين بقليل، توفي الخَليفَة الفاطمي** سنة ٥٦٧هـ بعد قتل وزيره شاور بن مجير السعدي الّذي كانَ يكاتب الصّليبيّين، واستولى صلاح الدّين عَلى حكم مصر، وقطع الخطبة للفاطميين وجعلها للخليفة العبّاسي ببغداد، وألغى المذهب الفاطمي العبيدي الإسماعيلي القائم عَلى الزندقة، وأعاد المذهب الشّافعي السني لمصر، ثمّ تصدى لعدد من المحاولات الصّليبيّة مع فلول الفاطميين ودعم الأسطول الرُّوماني وانتصر عليهم، واستتب له الأمر في مصر، وبعد وفاة نور الدّين محمود، حضر صلاح الدّين إلى الشّام وعقد له علماء الشّام ومصر البيعة سلطانا عل بر مصر والشّام، ثمّ توسعت مملكته وضم إليها الحجاز واليمن وبعض أنحاء الجَزِيرَة، وقد سجل صلاح الدّين رحمه الله انتصارات مشهودة عَلى الصّليبيّين أدت لاسترجاع بيت المَقْدِس سنة ٥٨٣هـ، محققا حلم الملك الصّالح نور الدّين زنكي رحمه الله، وقد تقسمت أقاليم الدّولة، بعد وفاته، بين أبنائه وإخوته وتحولت تلك الدّولة الكبرى بعد وفاته سنة ٥٨٩هـ إلى دويلات ثارت فيها الحُرُوب، وقد استقرت أحوالها لبعض الوقت في زمن الملك العادل أخو صلاح الدّين، ثمّ آلت الشّام للملك الصّالح إسماعيل الّذي ناصر الصّليبيّين عَلى عمة نجم الدّين أيوب الّذي استقل بملك مصر، ثمّ توفي نجم الدّين وهو يصد الحملة الصّليبيّة السَّابعة، فتابعها قائده معز الدّين إيبك، الّذي تزوج زوجته (شجرة الدر)، وآلت إليه السلطنة لتنتهي الدّولة الأيوبية وتقوم في مصر دولة المماليك، وقد تتابع سقوط الدويلات الأيوبية الأخرى في بلاد الشّام في عهد الملك المملوكي الظَّاهِر بيبرس البندقداري وضمت إلى دولة المماليك.

١٥- دولة المماليك (٦٤٨ - ٩٢٢هـ / ١٢٥٠- ١٥١٧ م):

تنتسب هذه الدّولة إلى الملوك الأتراك الّذين كانوا من مماليك السُّلطَان نجم الدّين أيوب ابن الملك الكامل الأيوبي وكان الملك الكامل قد بنى لهم في جَزِيرَة الروضة بنهر النيل - وكان يعرف ببحر

النيل - قلعة فعرفوا بالمماليك البحرية وأولهم الملك المعز عز الدّين إيبك، وقد انتقل إليه الملك عن طريق شجرة الدر زوجة الملك الصّالح نجم الدّين وكانت تولت الملك بعد وفاته ثمّ تزوجت من عز الدّين إيبك وتنازلت له عن الملك فانتقل الملك عن طريقها إلى المماليك.

وقد اتسعت دولة المماليك في عهد الملك الظَّاهِر بيبرس البندقداري فقضى عَلَى الدويلات الأيوبية في بلاد الشّام وضمها إلى دولة المماليك في مصر.

و حمل المماليك لواء الجِهَاد ضدّ الصّليبيّين بعد الأيُّوبيين، فقد أزال السُّلطَان بيبرس معظم تلك الإمارات، ليزول آخرها (إمارة عكا ١٢٩١هـ) في عهد السُّلطَان خليل بن قلاوون.

ودامت دولة المماليك حتَّى استولى العُثمَانِيّون عَلَى مصر والشّام سنة ٩٢٢هـ بعد هزيمة المماليك في معركة مرج دابق.



ملوك دولة المماليك:

١ – المماليك البحرية:

م	الملك	نهايته	مدته
١-	عز الدّين إيبك	قتل	١٢٥٠ – ١٢٥٧ م
٢-	نور الدّين علي بن عز الدّين	خلع	١٢٥٧ – ١٢٥٨ م
٣-	المظفر سيف الدّين قطز	قتل	١٢٥٨ – ١٢٦٠ م
٤-	الظَّاهِر ركن الدّين بيبرس البندقداري		١٢٦٠ – ١٢٧٧ م
٥-	الملك السَّعيد أبو المعالي محمّد	خلع	١٢٧٧ – ١٢٧٩ م
٦-	الملك العادل سيف الدّين بن الظَّاهِر	خلع	١٢٧٩ – ١٢٧٩ م

٢ – المماليك البرجية:

م	الملك	نهايته	مدته
٧-	قلاوون الألفي المنصور سيف الدّين		١٢٧٩ –١٢٩٠ م
٨-	صلاح الدّين خليل الأشرف بن قلاوون		١٢٩٠– ١٢٩٣ م
٩-	الملك النّاصر محمّد بن قلاوون	خلع	١٢٩٣ – ١٢٩٤ م
١٠-	الملك العادل كتبغا	خلع	١٢٩٤ – ١٢٩٦ م
١١-	المنصور حسام الدّين لاجين	خلع	١٢٩٦– ١٢٩٨ م
١٢-	النّاصر محمّد بن قلاوون ثانية	خلع ثانية	١٢٩٨ – ١٣٠٨ م
١٣-	المظفر ركن الدّين بيبرس	خلع	١٣٠٨– ١٣٠٨ م
١٤-	النّاصر محمّد بن قلاوون ثالثة		١٣٠٨– ١٣٤١ م
١٥-	المنصور أبو بكر بن قلاوون	قتل	١٣٤١ – ١٣٤٢ م
١٦-	الأشرف علاء الدّين كجك	خلع	١٣٤٢– ١٣٤٢ م
١٧-	النّاصر شهاب الدّين احمد الملك الصّالح	خلع	١٣٤٢ – ١٣٤٢ م

١٨-	الملك الصّالح علاء الدّين ابو الفداء اسماعيل		١٣٤٢ - ١٣٤٥ م
١٩-	الملك الكامل شعبان	خلع ثمّ قتل	١٣٤٥ - ١٣٤٦ م
٢٠-	المظفر حاجي	قتل	١٣٤٦- ١٣٤٧ م
٢١-	الملك النّاصر أبو المحاسن حسن	خلع	١٣٤٧ - ١٣٥١ م
٢٢-	الملك صلاح الدّين صالح	خلع وسجن حتّى مات	١٣٥١ - ١٣٥٤م
٢٣-	الملك النّاصر أبو المحاسن حسن	ثانية	١٣٥٤- ١٣٦١ م
٢٤-	الملك صلاح الدّين محمّد بن المظفر حاجي	خلع	١٣٦١- ١٣٦٣ م
٢٥-	الملك الأشرف أبو المعالي زين الدّين شعبان	قتل	١٣٦٣ - ١٣٧٧ م
٢٦-	الملك المنصور علاء الدّين علي بن الأشرف		١٣٧٧- ١٣٨١ م
٢٧-	الملك الصّالح أمير حاج بن الأشرف	خلع	١٣٨١ - ١٣٨٢ م

وهو آخر سلاطين المماليك الأتراك.

٣ - المماليك الشراكسة:

م	الملك	نهايته	مدته
٢٨-	برقوق الظَّاهِر سيف الدّين	خلع	١٣٨٢ -١٣٨٩ م
٢٩-	الملك الصّالح أمير حاج	تولى وخُلِعَ ثانية وسجن حتَّى مات	١٣٨٩- ١٣٨٩ م
٣٠-	الملك الظَّاهِر برقوق	ثانية	١٣٨٩- ١٣٩٩ م
٣١-	الملك النّاصر زين الدّين أبو السعادات	اختفى ثمّ ظهر	١٣٩٩ - ١٤٠٥ م
٣٢-	الملك المنصور عز الدّين أبو العز عبد العزيز	خُلِعَ وسجن	١٤٠٥ - ١٤٠٥ م
٣٣-	النّاصر زين الدّين أبو السعادات	ثانية قتل	١٤٠٥ - ١٤١٢ م
٣٤-	الخَليفَة المستعين بالله جمع بين الخِلافَة والسلطنة		١٤١٢- ١٤١٢ م
٣٥-	الأمير شيخ المؤيد أبو النّصر		١٤١٢ -١٤٢١ م
٣٦-	الملك المظفر أبو السعادات احمد	خُلِعَ	١٤٢١- ١٤٢١ م
٣٧-	الظَّاهِر سيف الدّين أبو سعيد ططر		١٤٢١ - ١٤٢١ م
٣٨-	محمّد بن ططر الملك الصّالح ناصر الدّين	خُلِعَ وسجن	١٤٢١- ١٤٢٢ م

٣٩-	الأمير برسباي الدقماقي الملك الأشرف أبو النّصر		١٤٢٢ - ١٤٣٨ م
٤٠-	الملك العزيز أبو المحاسن جمال الدّين	خُلِعَ	١٤٣٨ - ١٤٣٨ م
٤١-	الملك الظَّاهِر أبو سعيد جقمق	استقال	١٤٣٨ - ١٤٥٢ م
٤٢-	الملك المنصور أبو السعادات فخر الدّين عثمان	خُلِعَ	١٤٥٢ - ١٤٥٣ م
٤٣-	اينال العلائي الملك الأشرف أبو النّصر سيف الدّين		١٤٥٣-١٤٦١ م
٤٤-	الملك المؤيد احمد أبو الفتح شهاب الدّين	خُلِعَ	١٤٦١-١٤٦١ م
٤٥-	خوشقدم الملك الظَّاهِر أبو سعيد سيف الدّين		١٤٦١-١٤٦٧ م
٤٦-	بلباي الملك الظَّاهِر أبو النّصر سيف الدّين	خُلِعَ	١٤٦٧ - ١٤٦٧ م
٤٧-	تمر بغا الملك الظَّاهِر أبو سعيد	خُلِعَ	١٤٦٧ - ١٤٩٦ م
٤٨-	الملك النّاصر أبو السعادات ناصر الدّين	خُلِعَ	١٤٩٦ - ١٤٩٨ م
٤٩-	قانصوه الملك الظَّاهِر أبو سعيد		١٤٩٨ - ١٥٠٠ م
٥٠-	الأمير جان بلاط الملك الأشرف أبو النّصر	خُلِعَ وسجن وخنق	١٥٠٠ - ١٥٠١ م
٥١-	طومان باي الملك العادل		١٥٠١ - ١٥٠٢ م
٥٢-	قنصوه الغوري الملك الأشرف	قتل في الحَرب مع العُثمانِيّين	١٥٠٢ - ١٥١٦ م
٥٣-	طومان باي الثّاني	شنقه العُثمانِيّون	١٥١٦ - ١٥١٧ م

١٦- الخِلافَة العبّاسيّة (الرمزيّة) في مصر (٦٥٦-٩٢٢ هـ/ ١٢٥٨- ١٥١٧م):

ادعى الخِلافَة بعد مقتل الخَليفَة المستعصم سنة ٦٥٦هـ اثنان من بني العبّاس، أحدهما يدعى أبا العبّاس أحمد بن علي (وجده الأعلى **المسترشد بالله** بن المستظهر بالله)، والآخر يدعى أبا القاسم أحمد بن الظَّاهِر بأمر الله وهو أخو المستنصر بالله ويلتقي مع الأوّل بالخليفة المستظهر بالله.

وقد توجه الأوّل إلى حلب وأثبت فيها نسبه بشهادة جماعة من عرب خفاجة فبايعه أمير حلب حسام الدّين بن أبي الفوارس وبايعه معه جماعة من العُلَماء وفيهم الشَّيْخ عبد الحليم بن تَيمِيّة.

وتوجه الآخر إلى القاهرة وأثبت نسبه بشهادة جماعة من عرب مهارش فبايعه **الملك الظَّاهِر بيبرس** وبايعه معه جماعة من الأعيان والعُلَماء وتلقب بالمستنصر بالله عام ٦٥٩هـ، وقد طلب من الملك

الظَّاهِر أن يجهزه بقوة ليقاتل المغول فزوده بقوة قليلة هزمها المغول وفيها قتل الخَليفَة المستنصر، وقدم أبو العبّاس أحمد إلى القاهرة فبويع فيها خلفا للمستنصر وتلقب بالحاكم بأمر الله.

واستمرت خلافة بني العبّاس في مصر حتَّى استولى العُثْمَانِيّون عليها سنة ٩٢٢هـ بقيادة **السُّلطَان سليم الأوّل** وقد تنازل الخَليفَة العبّاسي عن الخِلافَة للسلطان العُثْمَانِيّ فنقلها إلى القُسطَنْطينيَّة وظلت قائمة في أعقابه إلى أن زالت بزوال الدّولة العُثْمَانِيّة سنة: ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م.



(ب) – الدّول الّتي استقلت في جَزِيرَة العَرَب زمن العبّاسيين:

١٧– الدّولة الإباضية في عمان (١٧٦هـ/ ٧٩٢م):

الإباضية هم من الخوارج المعتدلين القريبين من مذهب السنة، يعود مذهبهم لعبدالله بن إباض التميمي وقد حاربهم الأمويون والعبّاسيون وطردوهم من الشّام والحجاز واليمن وإفريقيا، ولكن أقلية منهم بقوا في عمان إلى أيّامنا هذه.

وقد تأسست الدّولة الإباضية في عمان سنة ١٧٦هـ، أَسَّسَها الجلندي بن مسعود الإباضي، وقد كانَ من أبرز دعاتهم غسان بن عبدالله الحميدي، والصلت بن مالك، وقد عملوا في التجارة وازدهرت دولتهم بذلك.

١٨- دولة القرامطة - البحرين - (٢٩٦- ٣٩٨هـ/ ٩٠٩- ١٠٠٨م):

وقد مر نبذة عنها لما ذكرنا الثورات، وقد ابتدأت عَلى يد داعية فاطمي متخفي هو (الحسين الأهوازي) الّذي حمل الدّعوة الإسماعيلية إلى جنوب العراق والبحرين، ولما مات خلفه، رجل فارسي عرف بلقب (قرمط)، قيل أن اسمه (حمدان الأشعث) وقد كانَ أحد دعاة الإِمَام الإسماعيلي (المنتظر) الّذين بثهم في الأقطار عبدالله بن ميمون القداح، منظم الدّعوة الإسماعيلية.

وقد دعا إلى مذهب فيه مزيج من المزدكية الفارسية واليَهُوْدية والنّصرانية والإِسْلَام،

وقد أقام هَؤُلَاءِ دولة سنة ٢٩٦ هـ في القطيف والبحرين واليمن وقادوا حُرُوبا في العراق أرادوا بها انتزاع الخِلافَة، ونازعوا الفاطميين زعامة الدّعوة، فهاجموا قواعدهم في الشّام وهموا بمهاجمة القاهرة وقد تمكن الفاطميّون من صدهم.

وفي سنة ٣١٧هـ أغاروا عَلى مكّة فقلعوا الحجر الأسود وقتلوا الحجاج، وحملوا الحجر الأسود إلى القطيف عاصمة ملكهم وأعادوه سنة ٢٣٩هـ لقاء السماح لهم بفرض ضريبة عَلى الحجاج.

وبقيت هذه الدّولة قائمة إلى أن زالت سنة ٣٩٨ هـ.

١٩- دولة بني نجاح في (زبيد - اليمن) (٤٢١-٥٥٤هـ/ ١٠٣٠ ١١٦٠م):

أسس هذه الدّولة عبد حبشي تمكن من التحرر، وأقام دولة في زبيد، ولكن أفراد الأسرة تصارعوا، مما مكن والي تهامة (علي بن محمّد) القضاء عليهم سنة ٥٥٤هـ.

٢٠ – الدّولة الصليحية (صنعاء – اليمن) (٤٥٠– ٦٤٧هـ/ ١٠٥٨ – م):

دانت هذه الدّولة بالمذهب الإسماعيلي، وقد أَسَّسَها محمّد الصليحي الّذي تلقى الدّعوة عَلى يد الدعاة الإسماعيلية في اليمن، وكانت عاصمتهم صنعاء وارتبطت بصلات ودية مع الفاطميين في مصر، حيث أسبل عليهم الألقاب السامية مثل (أمير الأمراء) و(المكرم)، وقد مدوا نفوذهم للحجاز ثمّ سقطت الدّولة عَلى يد توران شاه آخر سلاطين الأيوبيين، ومن أبرز شخصياتهم السيدة الحرة (أروى بنت أحمد) الّتي قامت بدور هام بنشر المذهب الإسماعيلي في الهند وعمان، وبقي من آثارها مسجد في صنعاء.

٢١– دولة بني رسول (اليمن) (٦٢٦– ٨٢٦ هـ/ ١٢٢٩ –١٤٢٣ م):

أَسَّسَها علي بن رسول وهو من نسل الغساسنة (ملوك الشّام قبل الفتح)، وقد عينه الأيوبيون واليا عَلى مكّة سنة ٦٥٢هـ ثمّ أسندوا إليه حكم اليمن، فمد نفوذه من حضرموت إلى مكّة، وبقيت دولته في سلالته قرابة قرنين وكانوا تجارا، أثروا من التجارة البحرية ولاسيما مع الهند، وتقدمت في عهده الصناعة والزراعة، وقد كانوا عَلى المذهب الشّافعي، وشجعوا العُلَماء وجمعوا المكتبات.

(ج)- الدّول الّتي استقلت في إفريقية:

٢٢– الدّولة المدارية (١٤٠– ٢٩٧هـ/ ٧٥٧–٩٠٩ م):

قامت هذه الدّولة في المغرب الأقصى، وقد أَسَّسَها (عبد) يدعى عيسى بن يزيد الأسود، وكان أحد الخوارج الصفرية، ولكن قبيلة (مكناسة) البربرية ثارت عليه وواستولت عَلى الإمارة الّتي رئسها أبو القاسم (سمكو بن واسول) وكانت عاصمة الدّولة مدينة (سلجماسة) في واحة في الصَّحرَاء، وقد اهتموا بالتجارة مع إفريقيا السوداء جنوب الصَّحرَاء الكبرى، وحازوا ثروة كبيرة، ثمّ تنازع أفراد الأسرة، إلى أن دهمهم جيش أبي عبدالله الشيعيّ داعية الفاطميين، وأسقط دولتهم سنة (٢٩٧هـ).

٢٣- الدّولة الرّستميّة (١٦٢- ٢٩٦هـ/ ٧٧٩- ٩٠٨ م):

أَسَّسَها عبد الرَّحْمٰن بن رستم وهم من الخوارج الإباضية المعادين للدولة العبّاسيّة، وقد تأسست في تاهرت (الجَزَائِر)، وتميز حكمه بالعدل في الرعية، واشتهر بالتجارة مع إفريقيا السوداء وجلبوا الذهب والرقيق، مما أعطى (تاهرت) مركزا حضاريا وعمرانيا، ثمّ تصارعت داخل دولتهم العناصر العربيَّة والبربرية والفارسية عَلى الملك، ونشأت بينهم صراعات مذهبية بين الإباضية والصفرية والمعتزلة والشّيعة والسنة، ثمّ سقطت بيد أبي عبدالله الشيعيّ الفاطمي سنة ٢٩٦هـ.

٢٤ - دولة الأدارسة (١٧٢-٣٧٥هـ/ ٧٨٨-٩٨٥ م):

في عهد الخَلِيفَة أبي جعفر المنصور، قام ضدّ العبّاسيين في المدينة محمّد (النّفس الزكية)، وأرسل المنصور إليه جيشا، واشتبك معه في معركة انتهت بقتل محمّد سنة ١٤٥هـ.

وفي عام ١٦٩هـ ثار عَلى المنصور علوي آخر هو الحسين بن علي بن الحسن ابن الحسن بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ومعه عماه إدريس ويحيى ابني عبدالله، فأرسل المنصور جيشا لقتاله، وجرت بين الفريقين معركة في موقع قرب المدينة يعرف بـ (فخ)، وفيها قتل الحسين وتمكن عمه إدريس بن محمّد (النّفس الزكية) من الهرب، وتوجه إدريس إلى المغرب الأقصى ونزل عَلى قبيلة من البربر تدعى (أوربة) فعرفها بنفسه، فبايعته ودخلت في طاعته قبائل أُخرى، وخُلِعَ إدريس طاعة بني العبّاس وأنشأ مدينة (فاس) واتخذها عاصمة له وفيها أقام سنة ١٧٢هـ دولة علوية مستقلة عرفت بدولة الأدارسة.

ولما استقر إدريس في ملكه جند من قبائل البربر جيشا فغزا المغرب الأوسط وضمه إلى مملكته، واستمرت تلك الدّولة إلى أن قضت عليها الدّولة الفاطميّة سنة ٣٧٥هـ.

٢٥- الدّولة الأغلبية (١٨٤-٢٩٦ هـ/ ٨٠٠-٩٠٩ م):

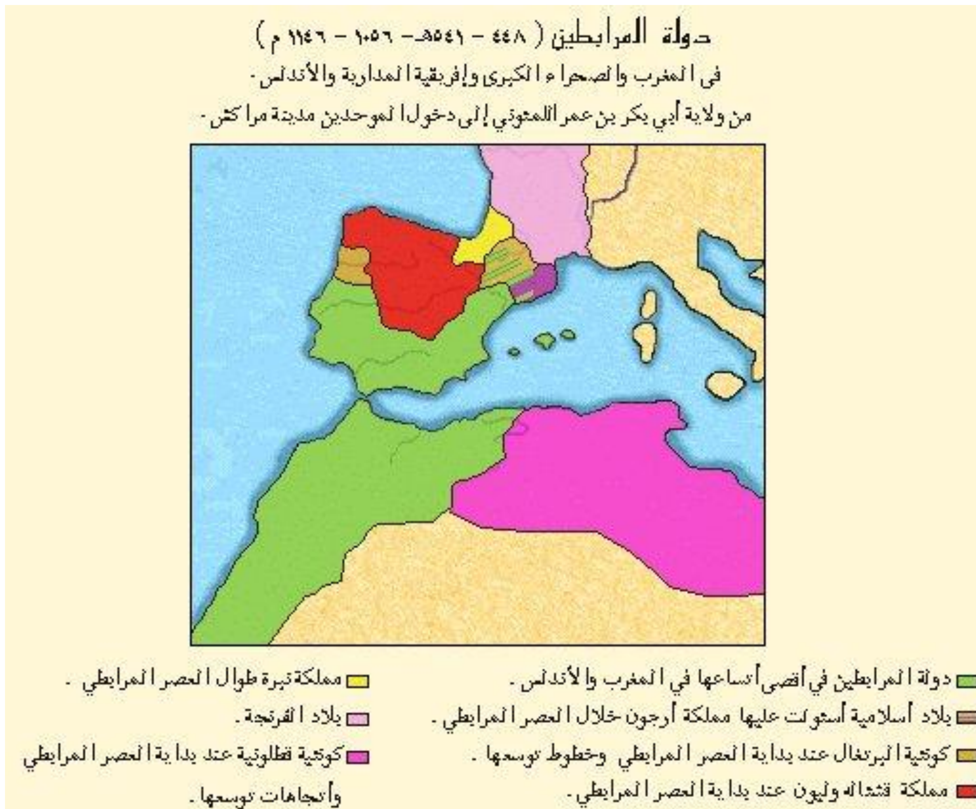
خشي **هارون الرَّشِيد** أن تمتد أطماع الأدارسة فيستولوا عَلى المغرب الأدنى (تونس)، وكان يعرف باسم (إفريقية) فأراد أن يقيم حكما ثابتا يناط برجل يستقل به ليدفع عنه خطر الأدارسة، فوقع اختياره

عَلى إبراهيم ابن الأغلب، فولاه عَلى إفريقية سنة ١٨٤هـ، عَلى أن تكون ولايته وراثية في مقابل مبلغ من المال يدفعه إلى الخَليفَة، وكانت (القيروان) عاصمة للولاية، فبنى **إبراهيم بن الأغلب** مدينة دعاها (العبّاسيّة) اتخذها عاصمة لدولته الّتي عرفت بدولة الأغالبة.

وفي عهد حفيده زيادة الله الأوّل تمَّ الاستيلاء عَلى جَزِيرَة (صقلية) بقيادة الفقيه الكبير (أسد بن الفرات) وضمت إلى دولة الأغالبة، وقد امتد حكم الدّولة الأغلبية حتَّى قيام الدّولة الفاطميّة الّتي قضت عليها.

٢٦- دولة المرابطين (٤٥٣ – ٥٤١هـ/ ١٠٦٢- ١١٤٧ م):

تأسست هذه الدّولة في المغرب الأقصى سنة ٤٥٣هـ بزعامة يوسف بن **تاشفين اللمتوني** (نسبة إلى قبيلة لمتونة البربرية) وكان رجالها يشدون اللثام (النقاب) عَلى وجوههم فعرفوا بالملثمين.



وقد لبى الملك المُجَاهد **يوسف بن تاشفين** دعوة **المعتمد بن عباد** ملك أشبيلية، ليصد عنه عدوان ألفونسو السَّادس ملك قشتالة فاجتاز البحر إلى الأندلس سنة ٤٧٩هـ عَلى رأس جُيُوش من البربر وتمكن من هزم الملك الأسباني في وقعة شهيرة جرت في سهل (الزلاقة)، وخضعت بعدها دويلات طوائف الملوك لسلطان المرابطين.

وبعد وفاة **يوسف بن تاشفين** سنة (٥٠٠هـ) خلفه ملوك من أبنائه فيهم المنصرف إلى لهوه وفيهم الفتى الماجن وفيهم الحدث القاصر، ولم يخل الأمر من نزاع بينهم فأخذت الدّولة في الانهيار وطمع بها الموحدون فاستولوا عليها سنة ٥٤١هـ في عهد آخر ملوكها إسحاق بن علي بن تاشفين حفيد **يوسف بن تاشفين** .

٢٧- الموحدون (٥٤١- ٦٦٨هـ/ ١١٤٧- ١٢٧٠ م):

تنتسب هذه الدّولة إلى محمّد بن تومرت، من قبيلة (زناتة البربرية) وموطنها في الجنوب الشرقي من المغرب الأقصى، وكان **ابن تومرت** قد دعا إلى مذهب التّوحيد فعرف أصحابه بالموحدين وتلقب بالمهدي، ولما توفي سنة ٥٢٤هـ خلفه في دعوته تلميذه المقرب إليه عبد المؤمن بن علي، فأخذ يغير عَلى المرابطين وتمكن في عام ٥٤١هـ من الاستيلاء عَلى مدينة مراكش وأزال دولة المرابطين في المغرب الأقصى وأقام دولة للموحدين.

وقد اشتدت قوة الموحدين في عهد ابنه أبي يعقوب يوسف الأوّل، ففي عام ٥٦٧هـ اجتاز البحر إلى الأندلس وأخضع بها من ظل مواليا للمرابطين كابن مردنيش وابن غانية.

ولما توفي سنة ٥٨٠هـ خلفه ابنه **أبو يوسف** يعقوب المنصور وفي عهده بلغت دولة الموحدين أوجها في العز والمنعة، فقد اجتاز البحر إلى الأندلس عدّة مرات صد فيها عدوان الأسبان وكان آخرها عام ٥٩١هـ في الوقعة الّتي هزم فيها ألفونسو الثَّامن هزيمة مُنكرة وعرفت بوقعة (الأراك) وأحيا فيها وقعة الزلاقة الّتي جرت من قبل عام ٤٧٩هـ.

ولما توفي **أبو يوسف** يعقوب المنصور سنة ٥٩٥هـ خلفه ابنه **النّاصر لدين الله** محمّد وفي عهده أخذت دولة الموحدين في الانهيار، فقد اشتبك مع الأسبان في معارك هزم فيها وكان أشدها وقعا تلك الّتي جرت سنة ٦٠٩هـ والَّتي عرفت بوقعة (العقاب) وتتابعت هزائم الموحدين بعدها في عهد أخلافه منها هزيمة وقعة (أبي دانس) سنة ٦١٤هـ.

ولم يطل عهد الموحدين بعد ذلك فقد استولى بنو مرين عَلى دولتهم سنة ٦٦٨هـ في عهد آخر ملوكهم إدريس الملقب بأبي دبوس.



٢٨- دولة بني مرين (٦٦٨- ٨٧٥هـ / ١٢٧٠- ١٤٧٠ م):

تنتسب هذه الدّولة إلى مؤسسها **عبد الحقّ المريني** من قبيلة زناتة البربرية، المقيمة في منطقة (سلجماسة) بالمغرب الأقصى، ففي عام ٦١٠هـ تحول عبد الحقّ بقبيلته إلى بلاد الريف منتجعا وأخذ يغير عَلى مناطق الموحدين والتقى معهم سنة ٦١٢هـ في معركة هزمهم فيها وتوالت بعد ذلك هزائم

الموحدين حتَّى تمَّ لبني مرين إزالة دولتهم سنة ٦٦٨هـ وقد امتدت دولة بني مرين في المغرب الأقصى إلى سنة ٨٧٥هـ.

٢٩- دولة بني زيان من بني عبد الواد (٦٣٣-٩٦٢هـ/ ١٢٣٥ - ١٥٥٥ م):

تنتسب هذه الدّولة إلى مؤسسها أبي يحيى **يغمراسن بن زيان** العبدوادي، من بني زيان بتلمسان، ففي عام ٦٣٣هـ استقل يغمراسن بتلمسان واشتملت دولته عَلى إفريقية الوسطى (الجَزَائِر) وخضعت بضع سنين للسيادة المرينية وامتد عمرها حتَّى استولى عليها العُثْمَانِيّون سنة ٩٦٢هـ.

٣٠- دولة الحفصيين (٦٢٥- ٩٤١هـ/ ١٢٢٧ - ١٥٣٤م):

تنتسب هذه الدّولة إلى أبي حفص عمر بن أبي زكريا يحيى الهنتاتي، وكان أبو زكريا من عمال دولة الموحدين بتونس ثمّ استقل عنها سنة ٦٢٥هـ، وقامت بين أخلافه خصومات انقسمت بسببها الدّولة سنة ٦٨١هـ إلى دولتين: دولة في تونس ودولة في (بجاية) بالمغرب الأوسط، وامتدت إلى أن استولى عليها العُثْمَانِيّون سنة ٩٤١هـ.



(د) الدّولة الإِسْلَاميّة في الأندلس:

٣١- دولة الأمويين في الأندلس (٩٢- ٨٩٧هـ/ ٧١٣- ١٤٥٢م):

اجتاز المُسلِمُون البحر من المغرب الأقصى إلى الأندلس عام ٩٢هـ بقيادة **طارق بن زياد** وموسى بن نصير وخضعت مع ما فتح من بلاد شمال إفريقية إلى دولة بني أمية بدمشق.

١- عبد الرَّحْمٰن الداخل (١٣٨- ١٧٢هـ):

ولما انقضى عهد الأمويين بقتل مروان الثّاني آخر ملوكهم، تمكن عبد الرَّحْمٰن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان أن يفلت من قبضتهم وأن ينجو من القتل، وتوجه متخفيا إلى المغرب لاجئا إلى قبيلة (نفزة) وفيها أخواله، فلما اطمأن إلى نفسه، أخذ يكاتب من ظل من أهل الأندلس عَلى ولائه لبني أمية، فجاءه تأييدهم لقدومه.

وفي شهر ذي الحجة من عام ١٣٨هـ اجتاز عبد الرَّحْمٰن البحر، ومعه جمع من العَرَب والبربر، ونزل الأندلس، وانضم إليه من كانَ يرقب قدومه، وتوجه إلى قرطبة فدخلها بعد أن قضى عَلى أميرها يوسف بن عبد الرَّحْمٰن الفهري، المعتمد من قبل الخَليفَة العبّاسي أبي جعفر المنصور، ومن ثمّ دعي عبد الرَّحْمٰن بلقب (الداخل).

تمكن عبد الرَّحْمٰن من القضاء عَلى الثورات الّتي أثارها المؤيدون لبني العبّاس، وفيهم الطامعون بالاستقلال بما في أيديهم من أقاليم ومدن، ومنهم من استنصر بشارلمان، ملك الفرنجة، فجاء بجُيُوشه سنة (١٦١هـ- ٧٧١م)، ولكنه لم يلبث أن عاد بعد أن فشل في حملته، ولم يصرف عبد الرَّحْمٰن انشغاله بقمع تلك الثورات الّتي توالت طيلة حكمه عن الإدارة والعمران، فقد أنشأ جامع قرطبة الّذي أصبح جامعة اجتذبت إليها مشاهير علماء المشرق.

٢- هشام بن عبد الرَّحْمٰن الداخل (١٧٢- ١٨٠هـ):

توفي عبد الرَّحْمٰن سنة ١٧٢هـ فخلفه ابنه هشام الأوّل بعهد من أبيه، فثار عليه أخواه سليمان وعبدالله، ينازعانه الإمارة، وامتدت ثورتهما إلى عهد ابنه الحكم الأوّل، وقد تمكن هشام من صد

هجمات ملوك الفرنجة واستولى عَلى بعض قلاعهم وحصونهم، وأضاف إلى جامع قرطبة المئذنة، وجدد بناء القنطرة عَلى نهر قرطبة المعروف باسم (الوادي الكبير)، وكان **السمح بن مالك** أمير الأندلس قد بناها سنة ١٠٠هـ.

٣ – الحكم بن هشام (١٨٠– ٢٠٦ هـ):

توفي هشام الأوّل سنة ١٨٠هـ وخلفه ابنه الحكم الأوّل بعهد من أبيه فقمع ثورة عميه سليمان وعبدالله بقتل الأوّل واستسلام الثّاني، وقضى عَلى ما نشب من فتن، وغزا بلاد الفرنجة وصد عدوانهم عَلى الثُّغُور.

٤ –عبد الرَّحمٰن (الثّاني) بن الحكم (٢٠٦– ٢٣٨هـ):

توفي الحكم الأوّل سنة ٢٠٦هـ فخلفه ابنه عبد الرَّحمٰن الثّاني بعهد من أبيه، في عهده ثارت فتنة بين اليمينية والمضرية عَلى منطقة (تدمير)، فقمعها الحكم وأمر بهدم (تدمير) وأقام مكانها مرسى للسفن، فسميت (مرسية)، وأخمد عصيان أهل طليطلة وتابع غزو الممالك النّصرانية.

٥ – محمّد (الأوّل) بن عبد الرَّحمٰن (٢٣٨–٢٧٣ هـ):

توفي عبد الرَّحمٰن الثّاني سنة ٢٣٨هـ، فخلفه ابنه محمّد الأوّل بعهد من أبيه، في عهده ثار المولدون بزعامة عمر بن حفصون، وثار عليه أهل طليطلة وتحالفوا مع ملك (جليقة)، وأثار الراهب (ايلوخيو) فتنة انتهت بقتله، ونشبت بين محمّد وبين ملوك النّصَارى حُرُوب انتهت بغلبته عليهم والاستيلاء عَلى كثير من قلاعهم وحصونهم، في عهده هاجم (النورمان – الفايكونج) السواحل الأندلسية وتولى قائد البحرية الأندلسية (خشخاش بن سعيد) طردهم.

٦ – المنذر بن محمّد (٢٧٣–٢٧٥ هـ):

توفي محمّد الأوّل سنة ٢٧٣هـ وخلفه ابنه المنذر الأوّل، ولم يطل حكمه سوى سنتين.

٧ – عبدالله بن محمّد (٢٧٥– ٣٠٠هـ):

توفي المنذر سنة ٢٧٥هـ وخلفه أخوه عبدالله بن محمّد، ثار عليه أمراء أشبيلية وتتابعت في عهده ثورات المولدين وطال حكمه خمسا وعشرين سنة.

٨ – خليفة الأندلس عبد الرَّحمٰن النّاصر (٣٠٠–٣٥٠):

توفي عبدالله بن محمّد فخلفه حفيده عبد الرَّحمٰن (الثّالث)، وتلقب بلقب الخِلافَة، حين انهارت سلطة الخَليفَة في بغداد وهو أول من تلقب بلقب الخِلافَة في دولة الأمويين بالأندلس، وكان أسلافه يتلقبون بلقب (الإمارة)، امتد حكمه خمسون سنة أمضاها في قمع الثورات وفي حُرُوبه مع الفرنجة، وقد بلغت الدّولة الأموية في عهده منتهى رفعتها في القوّة والعلم والعمران، ففي القوّة كانَ لها السّيطرة الكاملة عَلى بلاد الثُّغُور المتاخمة لبلاد العدوّ، وفي العلم أصبحت قرطبة محجة العُلَماء، وكثر قصادها من أعلام المشرق، ونفست بهم عَلى بغداد، وفي العمران بني عبد الرَّحمٰن مدينة الزهراء وصب فيها عبقرية العَرَب في الهندسة والبناء والزخرفة العجيبة، فجاءت أعجوبة الزّمان وآية من آيات الفن الرفيع، وقد أضاف إلى لقب الخِلافَة لقب (النّاصر لدين الله)، فكان يعرف به.

٩ – المستنصر بالله الحكم بن عبد الرَّحمٰن النّاصر (٣٥٠– ٣٦٦هـ):

توفي **عبد الرَّحمٰن النّاصر** سنة ٣٥٠هـ فخلفه ابنه الحكم (الثّاني) بعهد من أبيه وتلقب بلقب (المستنصر بالله)، وقد سار سيرة أبيه، فحارب ملوك (قشتالة) و(ليون) و(نافار) وقهرهم وصد هجماتهم، في عهده أغار (النورمان – الفايكونج) عَلى السواحل الأندلسية للمرة الثّانية فصدهم، ازدحم العُلَماء عَلى بابه، وغصت بهم مجالسه، وترجمت إلى العربيَّة كتب كانت تهدى إليه من أباطرة الرُّوم، وقد أنشأ مكتبة حوت أربعمائة ألف مجلد، ولم يكن من أهل الأندلس في عهده من لا يعرف القراءة والكتابة، بينما كانَ الجهل يسود أوروبّا، ولم يكن فيها من يعرف الكتابة والقراءة إلا القليل.

١٠ – هشام بن الحكم (٣٦٦هـ):

– توفي الحكم (الثّاني) المستنصر بالله سنة ٣٦٦هـ وخلفه ابنه هشام (الثّاني) بعهد من أبيه وتلقب بلقب (المؤيد بالله)، ولم يكن قد تجاوز الحادية عشرة من عمره، وكان العهد إليه بإصرار أمه (صبح) البشكنسية عن زوجها الحكم وبتأييد حاجب القصر محمّد بن أبي عامر، وقد استطاع هذا الحاجب أن ينتزع السّلطة من الخَليفَة القاصر وأن يستقل بها وأن يقيم الدّولة العامرية بزعامته.

الدّولة العامرية:

١١ – **قضى ابن أبي عامر** عَلى نفوذ (صبح) أم الخَليفَة، كما قضى عَلى نفوذ الوزير عثمان المصحفي وحجب الخَليفَة عن النّاس، وألزمه الإقامة في القصر وأعد له ما يلهي طفلا في مثل سنة ويصرفه عن التَّفكير في غير ما أريد له وفرض عليه، خاض ابن أبي عامر حُرُوبا بلغت – كما يقول المؤرخون – خمسين وقعة، كتب له النّصر في أكثرها، ومن أجل ذلك تلقب بالمنصور، ومات متأثرا بجراح أصابته في آخر حُرُوبه، وأمر أن يوسد في القبر عَلى لِبنَتَيْنِ صنعهما مما جمع عَلى وجهه من غبار جِهَاد النّصَارى.

ثمّ تحالف ملوك الفرنجة لقتال المُسلِمِين بعد وفاة ابن أبي عامر وقيام دول الطوائف، وذلك بإثارة الضغائن بين ملوك تلك الدّول واستنجادهم بملوك وأمراء الفرنجة، الّذين كانوا يفرضون عَلى من أعانوه مبالغ كبيرة، كثيرا ما كانَ يعجز عن أدائها، وينتهي الأمر بالاستيلاء عَلى مملكته وطرده منها.

١٢ – **توفي ابن أبي عامر** (المنصور) بعد سبع وعشرين عاماً من تغلبه عَلى الحكم، فخلفه في الحجابة ابنه عبد الملك، وتلقب بلقب (المظفر بالله)، وسار في تدبير الملك سيرة أبيه، وظل الخَليفَة هشام محجوبا عن النّاس وقد بلغ من العمر سبعا وثلاثين عاماً.

١٣ – **توفي عبد الملك** سنة ٣٩٩هـ فخلفه في الحجابة أخوه عبد الرَّحْمن الملقب بلقب (شنجول) فأخرج هشاما من معتقله وأكرهه أن يوليه الخِلافَة من بعده، فكتب له بذلك عهدا، ولما علم أهل قرطبة بالأمر ثاروا عَلى عبد الرَّحْمن واجتمعوا عَلى أموي يدعى محمّد بن هشام من أحفاد **عبد الرَّحْمن النّاصر** وبايعوه وتلقب بمحمّد المهدي وتمكن من قتل (شنجول) وبه انتهت دولة بني عامر.

عودة الخِلافَة إلى بني أمية (محمّد المهدي وسليمان المستعين):

١٤ - **حجز محمّد المهدي هشاما المؤيد** وادعى أنه مات وأعلن للنَّاس وفاته وأخرج لهم جثة شخص شبيه به وصلى عليها ودفنها باحتفال، ولم يلبث أن ثار عَلى محمّد المهدي ابن عم له يدعى سليمان بن الحكم ابن سليمان بن عبد الرَّحمٰن النّاصر ونازعه الخِلافَة، والتف حوله البربر، وقد استعان كلّ منهما بملك من ملوك الفرنجة، وفي الحَرب تمت الغلبة لسليمان بن الحكم وقتل محمّد (المهدي) ودخل سليمان إلى قرطبة وكان ذلك سنة (٤٠٠ - ٤٠٢هـ) وأحضر هشاما (المؤيد) وكان حيا، فتنازل لسليمان عن الخِلافَة وبايعه وتلقب بلقب (المستعين بالله).

واختفى بعد ذلك المؤيد وقيل أن المستعين قتله، وقد أقطع المستعين زعماء البربر الّذين نصروه إقطاعات في جنوب الأندلس وشرقه، فأعلن بقية الولاة استقلالهم وانفصالهم عن قرطبة وبذلك انفرط عقد الدّولة الأموية، وقامت عَلى أنقاضها دويلات مستقلة لطوائف من العَرَب والبربر والصقالبة، يحكم كلّ طائفة منها حُكَّام سلكوا مسلك الملوك وعرفوا بملوك الطوائف وفقدت قرطبة مكانتها كعاصمة واستوت مع دول الطوائف، وتعاقب عليها حُكَّام من أصول عربيَّة منهم أدارسة من بني حمود ومنهم من بني جهور ومنهم بقايا من بني أمية.

قيام دولة بني حمود في قرطبة:

(علي بن حمود الإدريسي والقاسم بن حمود ويحيى بن علي بن حمود):

١٥ - ساءت سيرة المستعين بالله فثار أهل قرطبة عليه واستنجدوا بالأمير **علي بن حمود الإدريسي** الهاشمي، أمير (سبتة)، فاستجاب لهم وتوجه سنة ٤٠٧هـ مع جيش من البربر، فدخل قرطبة وقتل المستعين ولقب نفسه (المتوكل عَلى الله النّاصر لدين الله)، وكان شديدا عَلى مماليكه فاغتالوه سنة ٤٠٨هـ، فخلفه أخوه القاسم ابن حمود، وتلقب بلقب (المأمون).

وفي سنة ٤١٣هـ ثار عليه البربر وخلعوه وولوا ابن أخيه يحيى بن علي الإدريسي وتلقب بلقب (المعتلي بالله)، ولم يلبث أن خلعه البربر وأعادوا عمه **القاسم بن حمود** فبايعوه وتلقب بلقب (أمير المُؤمِنِين) ثمّ إنهم خلعوا القاسم وأعادوا ابن أخيه يحيى للمرة الثّانية.

عودة الحكم إلى بني أمية:

(المستظهر، المستكفي، المعتد)

١٦ – خلع أهل قرطبة يحيى بن علي وبويع أموي يدعى عبد الرَّحمٰن (الخامس) ابن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرَّحمٰن النّاصر خليفة وتلقب بلقب (المستظهر بالله)، ولم يلبث سوى شهر ونصف من عام ٤١٣هـ حتَّى خُلِعَ وبويع أموي يدعى محمّد (الثّالث) ابن عبد الرَّحمٰن بن عبيد الله بن عبد الرَّحمٰن النّاصر وتلقب بلقب (المستكفي بالله)، وبعد أربع سَنَوات من ولايته خُلِعَ وبويع أموي آخر يدعى هشاما (الثّالث) ابن محمّد بن عبد الملك بن عبد الرَّحمٰن النّاصر وتلقب بلقب (المعتد بالله) وقد ضاق أهل قرطبة بسوء تصرفه فخلعوه وأخرجوه من قرطبة سنة ٤٢٢هـ وبه انقرضت دولة بني أمية في الأندلس.

قيام دولة بني جهور في قرطبة:

بعد خلع **المعتد بالله** ولى أهل قرطبة عليهم الوزير أبا الحزم بن جهور، فقام بتدبير الأمور إلى أن مات سنة ٤٣٥هـ وخلفه ابنه أبو الوليد محمّد بن جهور، وما زال عَلى قرطبة حتَّى خلعه أهلها سنة ٤٦٢هـ فأعقبه ابنه عبد الملك، فأساء السيرة فأخرجوه عنها.

ضم قرطبة إلى أشبيلية:

بعد خلع عبد الملك بن جهور سنة ٤٦٨هـ زحف **المعتمد بن عباد** أمير أشبيلية عَلى قرطبة فملكها وزالت دولة بني جهور ومعها دولة قرطبة.

دولة المرابطين في الأندلس:

في عام ٤٧٧هـ استولى ألفونسو السَّادس ملك (ليون) عَلى طليطلة واستخلصها من بني ذي النون وعقد حلفا مع ملوك الأقاليم المسيحية للاستيلاء عَلى أشبيلية، فاستنجد أميرها **المعتمد بن عباد** بيوسف بن تاشفين، أمير دولة المرابطين في المغرب الأقصى، فأنجده وقدم إلى الأندلس عَلى رأس جيش من البربر وقاتل ألفونسو ومحالفيه في معركة شهيرة جرت في موقع يعرف بالزلاقة، بالقرب من

بطليوس وذلك في ١٢ رجب سنة ٤٧٩هـ وانتهت بنصر المرابطين وسحق الجيش الأسباني في موقعة مشهودة من أيّام الإِسْلَام.

وبعد هذه الموقعة أخذ المرابطون يستولون عَلى دول الطوائف واحدة بعد أُخرى وينفون ملوكها إلى المغرب الأقصى وأقاموا في الأندلس دولة للمرابطين عاصمتها قرطبة، وقد دامت دولتهم حتَّى قضى عليها الموحدون بزعامة عبدالله بن تومرت.

دولة الموحدين في الأندلس

اضمحلت دول المرابطين في الأندلس بعد وفاة **يوسف بن تاشفين** وقد أطمع اضمحلالها ملوك النّصَارى، فتحالفوا للقضاء عليها، فسارع الموحدون إلى صدهم ودخلت جُيُوشهم الأندلس سنة ٥٤٣هـ والتحموا مع الأسبان في معركة ضارية عرفت بمعركة (الأرك) وانتصروا عليهم نصرا مبينا.

وقد أخذ الأسبان بعدها يعدون العدة لمعركة أُخرى، جمعوا لها قواهم وحشدوا جُيُوشهم، والتقوا مع جيش الموحدين سنة ٦٠٩هـ في معركة عرفت بمعركة (العقاب) وكانت معركة فاصلة تمَّ فيها النّصر للأسبان.

نهاية دولة الموحدين في الأندلس:

بعد معركة العقاب بدأ مصير الأندلس يهتز، وأخذت قواعد الأندلس تسقط في يد الأسبان ولم تأت سنة ٦٤٤هـ حتَّى سقطت دولة قرطبة وبلنسية ودانية ومرسية في أيديهم، أما غرناطة فقد ثبتت خلف حصونها، ثمّ انهارت مقاومتها وسقطت بيد الأسبان سنة ٨٩٧هـ (١٤٩٢ م) وبسقوطها انتهى حكم المُسلِمِين في أسبانيا ودالت دولتهم بعد حكم دام ثمانمائة عام.


الأندلس
حدوده عند قيام الدولة الأموية سنة ١٣٨هـ/٧٥٦م
مملكة الفرنجة
مملكة ليون
نبرة
أرجون
قطلونية
مملكة ليون
مملكة الفرنجة
أرجون
نبرة
قطلونية


الأندلس خلال عصر الطوائف
الأندلس الإسلامي بعد سقوط طليطلة.
مملكة قشتالة وليون.
كونتية البرتغال.
مملكة نبرة.
إمارة أرجون.
كونتية قطلونية.
بلاد الفرنجة.


بلاد الأندلس أسبانيا الإسلامية

تاريخ سقوط أهمّ المدن الأندلسية:

١٣٠ هـ / ٧٤٨ م: بمبلونة	Pmpalone
٣٧٤ هـ / ٩٨٥ م: برشلونة	Barcelona
٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م: سانتياغو	Santiago
٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م: ليون	Leon
٤٤٦ هـ / ١٠٥٥ م: سلمنقة	Salamanca
٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م: قلمرية	Colambra
٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م: بربشتر	Barbastro
٤٧٦ هـ / ١٠٨٤ م: مجريط	Madrid
٤٧٧ هـ / ١٠٨٥ م: طليطلة	Toledo
٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م: وشقة	Huesca
٥٠٧ هـ / ١١١٤ م: تطيلة	Tudela
٥١٢ هـ / ١١١٩ م: سرقسطة	Zaragoza
٥٤٣ هـ / ١١٧٧ م: قونقة	Cuonca
٥٨٥ هـ / ١١٧٩ م: شلب	Silves
٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م: ماردة	Merida
٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م: بطليوس	Badajos
٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م: ميورقة (من جزر الباليار)	Mallorca
٦٣٢ هـ / ١٢٣٥ م: يابسة	Ibza
٦٣٣ هـ / ١٢٣٦ م: قرطبة	Cordoba
٦٣٣ هـ / ١٢٣٦ م: طلبيرة	Tolavera
٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م: دانية	Denia
٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م: قرطاجنة	Cartagena
٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م: دانية	Denia
٦٤١ هـ / ١٤٤٣ م: مرسية	Murcia
٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م: جيان	Jaen
٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م: لشبونة	Lisbaana
٦٤٥ هـ / ١٢٤٧ م: شاطبة	Jativa
٦٤٦ / ١٢٤٨ م: إشبيلية	Sevilla
٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م: لاردة	Lerida
٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م: ولبة	Huelva



٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م: لبلة	Nibela
٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م: قادس	Cadis
٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م: منورقة (بقية جزر الباليار)	Menorca
٧٠٢ هـ / ١٣١٠ م: جبل طارق	Giraltar
٨١٨ هـ / ١٤١٥ م: سبتة	Ceuta
٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م: رندة	Ronda
٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م: مالقة	Malaga
٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م: وادي آش	Cudix
٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م: المرية	Almeria
٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م: غرناطة	Granada

****

أعمار الدّول الإِسْلَاميّة

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ ﴾ [آل عمران]

وعن حذيفة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قَالَ: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»(١).

وفي رواية للداني: من حديث أنس ﷺ قَالَ: «إِنَّهَا ثمّ .. ثمّ مُلكٌ عَضُوض ثُمّ جَبريّة ثمّ طَواغيت»(٢).

وفي رواية عن شمر بن عطية عن أنس بن مالك قَالَ: «إِنَّهَا سَتكُونُ مُلُوكٌ ثُمَّ الجَبَابِرَةُ ثُمَّ الطَّوَاغِيتُ»(٣).

---

(١) رواه أحمد (١٨٤٠٦) وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥).

(٢) السنن الواردة في الفتن للداني (٤١٨).

(٣) أخرجه ابن أبي الشيبة في المصنف ورقمه (٣٠٥٦٥، ٣٧١٩٣) عن أَبُي أُسَامَةَ عَنْ زَائِدَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ شِمْرٍ عَنْ أَنَسٍ ﷺ، والحديث موقوف على أنس، ورجاله ثقات.

الدّولة النّبويّة: .... ١- ١١هـ .... (١١ عاماً).

دولة الخُلَفَاء الرّاشدين: .... ١١-٤١هـ .... (٣٠ عاماً).

دولة الخِلافَة الأموية: .... ٤٢- ١٣٢هـ .... (٩٠عاما).

دولة الخِلافَة العبّاسيّة: .... ١٣٢- ٦٥٦هـ............... (٥٢٤ عاماً).

أعمار الدّول الإِسْلَاميّة المستقلة، بحسب تسلسل تاريخ قيامها:

١- دولة بني أمية في الأندلس مع دول الطوائف: .....١٣٨-٨٩٧هـ (٨٠٥ أعوام).

٢- الدّولة المدارية – المغرب الأقصى: ....١٤٠-٢٩٧ هـ . (١٥٧ عاما)

٣- الدّولة الرستمية – تاهرت/ الجَزَائِر: ....١٦٢ – ٢٩٦ هـ (١٤٣ عاما)

٤- دولة الأدارسة – المغرب الأقصى -: ....١٧٢ – ٣٧٥ هـ (٢٠٣ أعوام)

٥- الدّولة الإباضية – عُمان-: ....١٧٦-٧٩٢ هـ . (٦١٢ عاما)

٦- الدّولة الأغلبية – تونس-: ....١٨٤ – ٢٩٦ هـ (١١٢ عاما)

٧- الدّولة الصفارية – سجستان / إيران -: ....٢٥٤- ٢٩٨ هـ.... (عاما ٤٤)

٨- الدّولة الطولونية – مصر والشّام -: ....٢٥٦- ٢٩٨ هـ.... (عاما ٤٢)

٩- الدّولة السامانية- ما وراء النهر وطبرستان -: .....٢٦١- ٣٨٩هـ .... (عاما ١٢٨)

١٠- الدّولة الحمدانية – الموصل والشّام -: ....٢٩٢- ٣٩٢ هـ.... (١٠٠ عاما)

١١- الدّولة القرامطة – الخليج العربيّ -: ....٢٩٦- ٣٩٨هـ .... (١٠٢ أعوام)

١٢- الدّولة الفاطميّة- مصر والشّام -: ....٢٩٨ – ٥٦٧ هـ (٢٧٩ عاما)

١٣- الدّولة الإخشيدية – مصر -: ....٣٢٣ – ٣٥٨ هـ (٣٥ عاما)

١٤- دولة بني بويه – بلاد فارس -: ....٣٣٤- ٤٤٧ هـ (١١٣ عاماً)

١٥- الدّولة الغزنوية – أفغانستان والهند -: ....٣٦٦- ٥٥٥هـ (١٧٩ عاما)

١٦- دولة بني نجاح – زبيد / اليمن -: ....٤٢١- ٥٥٤هـ (١٣٢ عاما)

١٧- دولة السلاجقة – بلاد الري في المشرق-: ....٤٢٩ – ٥٨٣ هـ (١٥٤ عاماً).

- دولة السلاجقة في الشّام: ....٤٧٠ – ٥٠٨ هـ (٣٨ عاماً).

- دولة السلاجقة في الأناضول: ....٤٧٠ – ٧٠٧ هـ (٢٣٧ عاماً).

١٨- الغورية – أفغانستان والهند –: ....٤٣٩– ٦١٢ هـ (١٧٣ عاما)

١٩- الصليحية– صنعاء/ اليمن –: ....٤٥٠– ٦٤٧هـ (١٩٧ عاماً)

٢٠- دولة المرابطين – المغرب الأقصى –: ....٤٤٨ – ٥٤٠ هـ (٩٢ عاماً).

٢١- الدّولة الخوارزمية – ما وراء النهر/ خوارزم ....٤٧٠ – ٦١٧ هـ (١٤٧ عاماً).

٢٢- الدّولة الأرتقية (في آمد وماردين): ....٥٠٠ – ٨٠٩ هـ (٣٠٩ أعوام).

٢٣- الدّولة الأتابكية (في الموصل): ....٥١٦ – ٦٦٠ هـ (١٤٤ عاماً).

- الدّولة الأتابكية (في الشّام): ....٥٤١ – ٥٧٩ هـ (٣٨ عاماً).

٢٤- دولة الموحدين – المغرب الأقصى/ بفاس-: ...... ٥١٥ – ٦٦٨ هـ (١٥٣ عاماً).

٢٥- الدّولة الأيوبية في مصر: .... ٥٦٤ – ٦٤٨ هـ (٨٢ عاماً).

- الدّولة الأيوبية في الشّام: ....٥٧٩ – ٦٦١هـ (٨٢ عاماً).

٢٦- دولة بني حفص بتونس: ....٦٢٥ – ٩٧٧ هـ (٣٥٢ عاماً).

٢٧- دولة بني رسول في اليمن: ....٦٢٦–٨٢٦هـ (٢٠٠ أعوام)

٢٨- دولة بني زيّان بن عبد الواد بتلمسان: ....٦٣٣ – ٩٦٢ هـ (٣٢٩ عاماً).

٢٩- دولة المماليك – مصر –: .... ٦٤٨ – ٧٩٢ هـ (١٤٤ عاماً).

٣٠- الخِلافَة العبّاسيّة في مصر: .... ٦٥٩ – ٩٢٣ هـ (٢٦٤ عاماً).

٣١- دولة بني مرين المغرب الأقصى / فاس –: .... ٦٦٨ – ٨٣١ هـ (٢٣٩ عاماً).

أسباب انهيار الخِلافَة الإِسْلَاميّة:

يعود انهيار الخِلافَة الإِسْلَاميّة إلى عدّة أسباب، لعلّ من أهمّها:

أولاً- تحول نظام الخِلافَة إلى النّظام الملكي الوراثي:

لما انتقلت الخِلافَة إلى بني أمية بدلوا نظام الشورى بنظام الإرث في الأسرة، وبدات مرحلة الملك العضوض، فقد عهد معاوية بالخِلافَة من بعده لابنه يزيد وانتزع البيعة له بالمال لمن يخضع للمال، وبالقوة لمن يخضع بالقوة، ثمّ انتقلت الخِلافَة، إلى بني مروان ابن الحكم من بني أمية، ثمّ اتسع بعد ذلك نطاق الخلفية، فأصبح الخَليفَة يعهد إلى ابنين أو أكثر من أبنائه يتوارثونها واحدا بعد آخر بالترتيب الّذي يقرره، كما فعل **عبد الملك بن مروان** بن الحكم فقد عهد بالخِلافَة من بعده إلى أبنائه: الوليد ثمّ سليمان ثمّ يزيد ثمّ هشام، وقد توسط **عمر بن عبد العزيز** بين سليمان ويزيد بعهد من سليمان.

واستقر نظام الخِلافَة في الدّولة الإِسْلَاميّة بعد ذلك عَلى نظام الإرث وأصبحت البيعة رسما شكليا يقبل عليها النّاس، يتقدمهم الأمراء والكبراء والعُلَماء، وتؤخذ عليهم الأيمان المغلظة مع الحلف بالطلاق والعتاق لكي لا يتحللون منها، وفي العصر العبّاسي الثّاني لم يعد أحد يبالي بالبيعة بعد أن أصبح مصير الخِلافَة بيد المتغلبين من القادة الأعاجم من فرس وترك، وقد ترتب عَلى وراثة الخِلافَة مفسدتان أساسيتان وهما:

الصِّرَاع من أجل الملك، وظاهرة الاستبداد والظُّلم.

١ - الصِّرَاع من أجل الملك:

وقد امتلأت كتب التّاريخ المختلفة بصور كثيرة من صراعات الأسر المتعددة عَلى الملك، ومن صراعات القصور داخل الأسرة الواحدة عَلى ولاية العهد.

وقد وقف الفقهاء من نظام الإرث في الخِلافَة موقف المسلم بالأمر الواقع، من باب سد باب مزيد من الفتن، فأجازوا للخليفة أن يعهد بالخِلافَة إلى ابنه أو إلى ابن أخيه، ثمّ أجازوا أن يعهد بالخِلافَة لعدد من أبنائه يتوارثونها عَلى الترتيب الّذي يقرره، كذلك قبلوا خلافة من ينال الخِلافَة بالغصب

والسيف، حتَّى لو كانَ فاجرا، لكيلا يبيت المُسلِمُون بلا خليفة، وبذلك يدخل في باب الإجازة جميع الخُلَفَاء والملوك والأمراء الّذين شملتهم قاعدة الإرث أو التغلب، البر منهم والفاجر.

٢ – ظاهرة الاستبداد والظُّلم:

لما انتقل نظام الخِلافَة من قاعدة الشورى إلى نظام الإرث، وأصبحت البيعة رسما شكليا، تؤخذ بالرغبة أو الرهبة.

صار سلطان الملوك مطلقا لا رقيب عليه، يتصرف عَلى هواه، وقد نشأ عن ذلك انحراف عن خُطّة الإِسْلَام وتعطيل لجدوى فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر.

فلم يعد الأمر كما جاء في خطاب أبي بكر حين تولى الخِلافَة فقال: (أيها النّاس، أَنّي قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني عَلى حق فأعينوني، وإن رأيتموني عَلى بَاطِل فسددوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتَّى أخذ الحقّ له، وأضعفكم عند القوي حتَّى آخذ الحقّ منه)[1].

وقد ترتب عَلى ممارسة الخَليفَة سلطانه المطلق نشوب هذا العدد الكبير من الثورات، وهكذا أدت ظاهرة الإحتجاج عَلى الظُّلم والاستبداد، إلى إنهاك موارد الدّولة وأضعفت قوتها.

وقد وقف الفقهاء أمام مشاهد الاستبداد والظُّلم فريقين: فريق أراد الدُّنيَا فدخل في دنيا الخُلَفَاء ونال حظه منها، ومنهم من زين أفعالهم فازداد منهم قربا، وفريق أراد الآخرة وسعى لها فتنكب عنهم وصمت عَلى مضض، وأبى أن ينال عملا من ولاية أو قضاء، لكيلا يعمل في ظل حكم جائر فيسأل عنه، ويعتبر عمله عنده شهادة حسن سلوك من العالم للحاكم أمام الرعية، وهي من أسوأ شهادات الزور العمليّة، ومن هَؤُلَاءِ الإِمَام أبو حنيفة والإمام أحمد وسفيان الثّوريّ وعبدالله بن إدريس وعبدالله بن وهب ووكيع بن الجراح وطاووس والأوزاعي، ومحمّد بن أسلم الطوسي، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، كثيرون غيرهم، في حين أخذ البعض بعزيمة الأمر والنهي العملي، فخرج يقارع الطّغيان كما حصل من الإِمَام الحسين رضي الله عنه، وكما حصل من القرّاء الّذين خرجوا عَلى الحجاج، وكما

---

(١) جامع معر بن راشد (٢٠٧٠٢).

حصل من أحمد بن نصر الخزاعي في عهد الواثق العبّاسي، ولما لم تؤدي كلّ تلك المحاولات إلى إزالة الظُّلم لأسباب يطول شرحها، وصار قصارى موقف الصّالحين اعتزال القصور وحكامها، والصدع بالحق، أو الاعتزال عنهم إيثارا لسلامة الدّين.

ويلحق بهذا الفريق من تزهد وتصوف وأعرض عن الدُّنيَا واعتزل أهلها وانصرف إلى عبادة الله والتأمل في ملكوته، فصفت نفسه ورقت وأمتعته بلذة روحانية لا تعدلها لذة الحياة المادية، وبهذا الفريق بدأ عهد التصوف كظاهرة رفض للحياة المترفة واحتجاجا عَلَى شيوع الظُّلم والاستبداد.

وقد اشتدت ظاهرة الظُّلم في العصر العبّاسي الثّاني وتضاعفت مع مضاعفة السّلطة بين الخُلَفَاء والمتغلبين، فقد أضيفت إلى وسائل القتل والسمل والنفخ والفصد وقطع الأعضاء والحبس في المطامير والتوسيط، والموت عطشا وجوعا والطرح تحت أقدام الفيلة والإلقاء في حظيرة السباع، فكان الخَليفَة أو القائد المتغلب يختار لمن يقتله الميتة بإحدى هذه الوسائل.

وقد ازدادت ظاهرة الظُّلم ضراوة عندما انتقل الحكم من الملك العضوض، كما كانَ حال بني أمية وبني العبّاس، إلى مرحلة الملك الجَبريّ، كما كانَ حال معظم حُكَّام التغلب وأمراء وملوك الدّول المستقلة المتصارعة عَلَى الملك والسلطان، يكاد لا يستثنى من ذلك إلا ومضات مضيئة قليلة لملوك وأمراء صالحين، مروا في سماء تاريخ أكثر الملوك والسلاطين، كشهب لامعة في سماء الظُّلم والظُّلمات.

وقد أدى اشتداد ظاهرة الظُّلم منذُ العصر العبّاسي الثّاني إلى نشاط التصوف والتفاف العامّة حول المتصوفة، يجدون العزاء عندهم والاطمئنان، ويلتمسون في جوارهم الصّبر عَلَى احتمال الظُّلم وتعزية النّفس بوعيد الله الانتقام لهم، بعد أن ازداد مع الأيّام افتراق السُّلطَان والقرآن كما أخبر رسول الله ﷺ، حتَّى ما إذا دخلنا تاريخنا الحديث، وجاء عصر الطواغيت الّذي أخبر عنه سيدنا المصطفى ﷺ، منذُ أواخر الدّولة العُثمَانيّة ثمّ حُكُومَات الإستعمار، ثمّ حُكُومَات ما أسمي (الإستقلال)، وصلنا إلى مرحلة تواجه السُّلطَان مع القرآن، وليس مجرد افتراق السُّلطَان والقرآن، كما سيمر بعض شواهد ذلك في فصول الكتاب اللاحقة إن شاء الله تَعَالَى ويسر، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ثانياً – الزواج من الإماء وتدخلهن في شؤون الحكم وولاية العهد:

كانت زوجات وأمهات الخُلَفَاء في عهد الخُلَفَاء الرّاشدين من شريفات النِّسَاء ومن أعراق عربيَّة، كذلك كانَ خُلَفَاء العهد الأموي.

ولم يشذ عن القَاعِدَة سوى اثنين من خُلَفَاء بني أمية هما: يزيد بن الوليد بن عبد الملك ومروان بن محمّد بن الحكم، آخر خُلَفَاء بني أمية، فأم يزيد فارسية تدعى (شاه فرند) وهي بنت فيروز بن يزدجرد بن كسرى، آخر ملوك الفرس، وأم مروان بربرية من قبيلة (نفزة) بالمغرب الأقصى.

أما زوجات وأمهات خُلَفَاء بني العبّاس فجميعهن من الجواري المحررات، من فارسية ورومية وتركية وأرمنية وبربرية، باستثناء ثلاثة منهم وهم: **أبو العبّاس السفاح** والمهدي والأمين، كذلك كانت زوجات وأمهات أمراء وخُلَفَاء بني أمية في الأندلس، فقد كن من نساء النّصَارى المستبيات أو المهداة إلى الأمراء والخُلَفَاء وفيهن من بنات ملوك وأمراء النّصَارى الأسبان.

ومن أشهر النِّسَاء في دولة بني العبّاس، **الخيزران** زوجة المهدي وأم ولديه موسى (الهادي) وهارون (الرَّشِيد)، وصبيحة (القبيحة) زوجة المتوكل وأم ولده المعتز، و(شغب) زوجة المعتضد وأم ولده المقتدر، ومن أشهر النِّسَاء في دولة الأندلس (**طروب**) زوجة الأمير الأموي عبد الرَّحْمن الثّاني وأم ابنه عبدالله، و(صبح) زوجة الخَليفَة الأموي **الحكم المستنصر** الأندلسي وأم ولده هشام (المؤيد).

وقد جرى عَلى هذه السنة الوزراء والحجاب وملوك الطوائف، فقد تزوج **المنصور بن أبي عامر** ابنة (سانشو الثّاني) ملك (نافار) ثمّ تزوج ابنة (برمود الثّاني) ملك (ليون)، وكان زواجه منهما لغرض سياسي أريد منه التقوي بمن صاهروه عَلى أعدائه من ملوك آخرين أو عَلى أمراء من المُسلِمِين كانوا قد خرجوا عليه، وتزوج **المعتمد بن عباد** أمير إشبيلية جارية من جواري نخاس يدعى (ابن رميك)، فعرفت بالرميكية، كذلك كانَ شأن الخُلَفَاء الفاطميين.

وقد كانَ لكثير من هَؤُلَاءِ الجواري الأمهات دورا في سياسة الدّولة أدى إلى صِرَاع من أجل الخِلافَة وانشقاق بين الأخوة وأبناء العمومة، وكان ذلك من أسباب ضعف الدّولة وانهيارها.

من ذلك ما كانَ للخيزران، زوجة المهدي، من شأن في عهد زوجها، فكان الوزراء والكبراء يقفون عَلى بابها لحاجاتهم، ولما تولى ابنها موسى (الهادي) الخِلافَة أراد الحط من شأنها ومنعها من التدخل في شئون الدّولة فعملت عَلى قتله كما قيل.

وهذه (قبيحة) زوجة المتوكل أغرت زوجها بتقديم ابنها (المعتز) عَلى أخيه المنتصر في ولاية العهد، فكانت سبب قتل زوجها المتوكل.

وأما (شغب) فقد كانَ لها مشاغباتها والكلمة العليا في قصر المعتضد وولي عهده المقتدر، ويكفي للدلالة عَلى ذلك ما زعموا من أن قهرمانتها تولت النَّظر في المظالم.

وأما (طروب) فقد حاولت مؤامرة لقتل زوجها **عبد الرَّحمٰن بن الحكم** لتدفع عن ابنها (عبدالله) منافسة أخيه (محمّد) في خلافة أبيه، وقد اكتشف زوجها عبد الرَّحمٰن المؤامرة وتغابى عن فعل زوجته وظل محتفظا بإيثاره لها ودلها عليه لفرط حبه لها.

وهذه (صبح) زوجة **الحكم المستنصر** فقد فرضت ابنها (هشاما) لولاية العهد ولما يبلغ الحادية عشرة من عمره.

وهذه (**الرميكية**) زوجة ابن عباد تفتن زوجها بدلها وتصبيه بجمالها فينطلق في التغزل بها بشعر عذب رقيق، حتَّى فرش لها المسك والكافور معجونا بماء الورود فصنع لهل طينا لما اشتهت أن تعافس الطين كفلاحات رأتهن من نافذة القصر!! فصرفته عن أمور الدّولة إلى لهو أغرى به ألفونسو السَّادس الملك الإسباني، فهم بالانقضاض عليه، لولا أن أنجده **يوسف بن تاشفين** زعيم المرابطين، فدفع عنه الأسبان ثمّ استولى عَلى ملكه، ونفاه إلى المغرب الأقصى مع زوجته وأولاده ليقرض الشعر في سجن(أغمات).

ولا ريب أن الأمهات الأجنبيّات قد خلَّقن أبناءهن بأخلاقهن ورسخن فيهم تقاليدهن الّتي نشأن عليها ورفعن إلى سدة الحكم أبناء فيهم من لم يبلغ الحلم، وفيهم من عاش في نعيم القصور فغلب عليه اللهو والمجون، وتولى الحكم أعوان، من وزراء وقادة، فانقادوا لأطماعهم وأهوائهم وكانوا من أسباب انهيار الدّولة، وصدق عمر رضي الله عنه.

فقد ورد في مصنف ابن أبي شيبة عن خرشة بن الحرِّ قَالَ: قَالَ عمر: «**هَلَاكُ الْعَرَبِ إِذَا بَلَغَ أَبْنَاءُ بَنَاتِ فَارِسَ**»(١)، وكذلك جاء فيه عن عبدالله بن عمرو قَالَ: «**لَمْ يَزَلْ أَمْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعْتَدِلًا حَتَّى نَشَأَ فِيهِمْ أَبْنَاءُ سَبَايَا الْأُمَمِ فَقَالُوا فِيهِمْ بِالرَّأْيِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(٢).

ثالثا - تجنيد الموالي:

لما تولى المعتصم بن الرَّشِيد الخِلافَة تحول الطابع العربيّ للجيش، وصار أكثر الجند من الأتراك، وكان يُأتي بهم من تركستان أطفالا، حيث يربون عَلى الحَرب والقتال، وعظم شأنهم في عهد الخَليفَة الواثق ومن بعده المتوكل، وارتقى فريق منهم إلى رتبة القادة.

ومن ذلك الوقت أضحى الإِسْلَام في حالة دفاع عن الحدود الّتي وقفت عندها فتوح الخُلَفَاء الرّاشدين ومن بعدهم بنو أمية، وقد تحول الجند الموالي إلى جنود مرتزقة، يعتصبون إذا ما تأخرت أرزاقهم ويهددون بالعصيان وقد رتبوا لأنفسهم حقوقا عند نصب الخَليفَة يعرف برسم البيعة.

رابعا: حياة الترف والسرف:

أخذت الفتوحات تتوالى وتتسع حتَّى بلغت منتهاها في العصر الأموي، فانبسطت أسارير الدُّنيَا عَلى المُسلِمِين، وفي العصر العبّاسي بلغ السرف غايته عند الخُلَفَاء والأمراء والوزراء وسراة النّاس، وتطاولت القصور، واتسعت الدَّور، تخطر في أبهائها جوار مثل الحور من كلّ جنس ولون.

وقد حفلت القصور بمجالس الطرب، يرتادها الشعراء ويتبارون بوصف ما يجري فيها من لهو وعبث، فينالون بما تجود به قرائحهم وتنطلق به لهواتهم، الجوائز عَلى أقدارهم، وقد دونت أخبار تلك المجالس وما كانَ يجري فيها من إسراف باللهو والمجون وحتى الخمور في دواوين الشعراء وكتب الأدب والأخبار.

---

(١) رواه ابن أبي الشيبة في المصنف (٣٢٤٧٠) والحديث موقوف وإسناده ثقات .

(٢) رواه ابن أبي الشيبة في المصنف (٣٧٥٩٢) والبزار (٢٤٢٤)، وروى ابن ماجة نحوه (٥٦)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٣٣٦).

ومن مشاهد اللهو والعبث ومظاهر الترف والسرف ما روي عن ترف الخَليفَة المقتدر، فقد كانَ مبذرا مؤثرا للشهوات، وقد وزع جواهر الخِلافَة ونفائسها عَلى حظاياه، ومن فنون لهوه أنه أراد في يوم أن يشرب عَلى نرجس في بستان قصره، وكان وقت تسميد الزرع، فاستبدل السماد بالمسك، بمقدار ما احتاج إليه البستان من السماد وسمد به، وجلس يشرب يومه وليلته، واصطبح من غده، فلما قام أمر بنهب المسك، فانتهبه الخدم والعاملون في البستان واقتلعوه من أصول النرجس، وخرج منه مال عظيم.

ومن مشاهد الترف والسرف ما كانَ ينفق في أعراس الخُلَفَاء، ففي عرس الرَّشِيد عَلى **زبيدة بنت جعفر** بن المنصور، قدم الرَّشِيد ما لم يقدم لامرأة قبلها من الجوهر والحلي والتيجان والأكاليل وقباب الفضة والذهب والطيب والكسوة، وقد بلغت نفقة هذا العرس من مال بيت المال – سوى ما أنفقه الرَّشِيد – خمسون ألف ألف (مليون) درهم، وفي عرس **المأمون** على **بوران بنت الحسن** بن سهل وزعت رقاع بأسماء ضياع وقصور وصلات، وجعلت الرقاع في بنادق المسك، ونثرت بين أيدي العروس، فكان الّذي يلتقط شيئا يحبس عليه، وقد قدرت نفقة ذلك العرس بأربعين ألف ألف (مليون) درهم، عدا ما أنفقه والد العروس.

ومن مشاهد الترف والسرف ختان أبناء الخُلَفَاء، فقد حفظ التّاريخ لنا وصفا مسهبا لاحتفال الخَليفَة المتوكل بختان ولده المعتز، وقد بلغت نفقاته ستة وثمانين ألف ألف درهم، وقيل إن النّاس كانوا يستكثرون ما أنفق في عرس **المأمون** ثمّ أتى ما أنفق في ختان ابن المتوكل ما أنسى ذلك.

ومثله ما أنفقه الخَليفَة الأندلسي **عبد الرَّحمٰن النّاصر** في إعذار (ختان) حفدته بقصر الزهراء.

ومن مشاهد الترف والسرف النهم في الطعام وفي النكاح، فانتشرت المطاعم الشهية، وصارت تقدم في أوان من ذهب وفضة،

وقد أزاح سيف الجلاد ميزان العدل فأصمت الحقّ، وأضحى قوله مهلكة يطلبها من أراد الاستشهاد.

ولم تقتصر مجالس الخُلَفَاء ومن سار سيرتهم من السّلاطين عَلى مشاهد الترف والسرف بل كانت تحفل باللهو والعبث، فكان الندماء يقومون بضروب اللهو الماجن، وربما تحلل الحضور من أبهة الملك لمزيد من العبث، وقد تأسى الوزراء والكبراء بسيرتهم وكانت تجري في مجالسهم مشاهد فيها أنوع من اللهو والطرائف.

و من أسباب وعوامل تتابع انهيار الدّول الإِسْلَاميّة:

١ – ارتقاء ملوك صغار سدة الملك:

فقد ابتليت الأُمّة بما أخبر عنه رسول الله ﷺ من «**إمارة الصِّبيَان**»:

فعن أبي هريرة يقول: قَالَ رسول الله ﷺ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ رَأْسِ السَّبْعِينَ، وَمِنْ إِمْرَةِ الصِّبْيَانِ**»[1].

فارتقى سدة الملك ملوك صغار منهم أطفال ومنهم أحداث مراهقون، وقد بدأ هذا منذُ عهد بني أمية، وأما في المَرحَلَة الّتي نحن بصددها فنذكر فيما يلي طرفا منهم:

(١) رواه بن أبي الشيبة في المصنف (٣٧٢٣٥) وأحمد (٩٧٨٢، ٨٦٥٤، ٨٣٢٠) وضعفه الأرنؤوط وصححه شاكر، وأورده الألباني في الصحيحة (٣١٩١).

**** في دولة بني العبّاس:**

أ- المقتدر خلف أخاه المكتفي سنة ٢٩٥هـ وعمره ثلاث عشرة سنة.

ب- المقتدي خلف جده القاسم بأمر الله سنة ٤٦٧هـ وعمره ستة عشر عاماً.

جـ- المستظهر خلف أباه المقتدي سنة ٤٨٧هـ وعمره سبعة عشر عاماً.

**** وفي الدّولة السلجوقية:**

أ- **ملكشاه** الثّاني خلف أباه **بركياروق** وعمره أربع سَنَوات!!

ب- **محمود بن محمّد بن ملكشاه** الأوّل خلف أباه وعمره أربعة عشر عاماً.

**** وفي الدّولة الفاطميّة:**

أ- الظَّاهِر بن الحاكم بأمر الله خلف أباه سنة ٤١١هـ وعمره ستة عشر عاماً، وكان أبوه الحاكم قد خلف أباه العزيز سنة ٣٦٥هـ وعمره أحد عشر عاماً!

ب- المستنصر خلف أباه الظَّاهِر سنة ٤٢٧هـ وعمره سبع سنين.

جـ- الآمر بأحكام الله خلف أباه المستعلي سنة ٤٩٥هـ وعمره خمس سنين!! وما أدري بأي أحكام سيأمر مثل هذا الرضيع ؟!

د- الظافر خلف أباه الحافظ سنة ٥٤٤هـ وعمره سبعة عشر عاماً.

هـ- الفائز خلف أباه الظافر سنة ٥٤٩هـ وعمره خمس سنين!

و- العاضد خلف جده الحافظ سنة ٥٥٥هـ وعمره أحد عشر عاماً.

**** وفي الدّولة الأتابكية:**

أ- **عز الدّين مسعود** الثّاني خلف أباه مودود بن عماد الدّين زنكي سنة ٥٧٢هـ وعمره عشر سنين!

ب- نور الدّين أرسلان خلف أباه **عز الدّين مسعود** سنة ٥٨٩هـ وعمره عشر سنين!

ج- الصّالح إسماعيل خلف أباه نور الدّين محمود بن عماد الدّين زنكي سنة ٥٦٩هـ وعمره ١١عاما!

**** وفي الدّولة الأيوبية:**

أ- المنصور محمّد حفيد النّاصر صلاح الدّين الأيوبي خلف أباه العزيز عثمان سنة ٥٩٥هـ وعمره عشر سنين!

ب- الأشرف موسى حفيد الملك الكامل الأوّل خلف ابن عمه توران شاه ابن الملك الصّالح نجم الدّين أيوب سنة ٦٤٨هـ وعمره ستة أعوام!!

ج- الملك العزيز محمّد خلف أباه الملك الظَّاهِر غازي بن صلاح الدّين الأيوبي سنة ٦١٢هـ وعمره ثلاث سَنَوات!!

د- النّاصر صلاح الدّين (الثّاني) يوسف بن العزيز محمّد خلف أباه سنة ٦٣٤هـ وعمره سبع سنين!

**** وفي دولة المماليك:**

أ- الملك العادل سلامش خلف أباه **الملك الظَّاهِر بيبرس** سنة ٦٧٨هـ وعمره سبع سنين.

ب- **الملك النّاصر محمّد** ابن الملك المنصور قلاوون خلف أباه (في ولايته الأولى) سنة ٦٩٣هـ وعمره تسع سنين، وفي ولايته الثّانية أربعة عشر عاماً.

جـ - الملك الأشرف كجك خلف أباه النّاصر محمّد بن قلاوون وعمره سبع سنين!

د- الملك الصّالح إسماعيل بن النّاصر محمّد بن قلاوون خلف أخاه شعبان وعمره سبعة عشر عاماً.

هـ- الملك **النّاصر حسن** خلف أخاه سيف الدّين حاجي بن النّاصر محمّد بن قلاوون وعمره أحد عشر عاماً.

**** وفي الدّولة الأموية بالأندلس:**

هشام الثّاني المؤيد بن الحكم المستنصر خلف أباه سنة ٣٦٦هـ وعمره عشر سنين.

**** وفي دولة المرابطين:**

إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين خلف ابن أخيه **إبراهيم بن تاشفين** سنة ٥٤١هـ وعمره عشر سنين.

**** وفي دولة الموحدين:**

المستنصر أبو يعقوب بن محمّد النّاصر خلف أباه سنة ٦١١هـ وعمره ستة عشر عاماً.

****

ولم يكن ما مر من عددنا من أطفال وأحداث ومراهقين رقوا سدة الملك عَلى سبيل الحصر، بل عَلى سبيل المثال، فقد أتاح نظام الخلفية في دول الإِسْلَام أن يخلف الابن أباه أو أخاه ولو لم تتوفر فيه أهلية الحكم، وهذا ما لا يأتلف مع شريعة الإِسْلَام، لأن شروط الخِلافَة أن يقوم اختيار الخَليفَة عَلى مبدأ الشورى وأن يكون راشدا سليم العقل ومن أهل العلم فضلا عن الشُّرُوط الأخرى.

وقد أدى نظام الخلفية في الملك وارتقاء الصغار سدة الحكم إلى تزاحم الوزراء والأمراء في الوصاية عليهم أو النيابة عنهم، لأن من يحظى بذلك تؤول إليه السّلطة الفعلية في الحكم وفي التصرف بأموال الدّولة كما يشاء فيغنى غناء فاحشا، وإذا وقع الاختيار عَلى واحد منهم، أقيم الاحتفال بخلافة الخلف فيزين بزينة الملك ويكسى بكسوته، وقد يكون الخلف صغيرا فيحمله من انتصب وصيا عليه ويدخل به مكان الاحتفال، وقد يرتاع الصغير مما يشهد فيندفع بالبكاء، وقد يشتد روعه ويجري له أمر مفزعا، كما جرى للفائز الفاطمي – وكان في الخامسة من العمر – حين حمله الوزير العبّاس بن أبي الفرج الصنهاجي ودخل به إلى مكان الاحتفال، فارتاع الصبي مما رأى وبال عَلى كتف الوزير، فأفاض من كرمه عَلى معالي الوزير!!

وإذا كانَ الخلف حدثا حجزوه بالقصر، بعد الاحتفال بخلافته، وحجبوه عن النّاس وجمعوا له صبية في مثل عمره يلاعبونه، وإذا كانَ الخلف مراهقا ألهوه بالجواري وبكل ما يغري من كانَ في مثل سنه من أنواع المتع واللهو الماجن كما جرى للظافر بن الحافظ الفاطمي حين بويع خلفا لأبيه وهو في السَّابعة عشرة من العمر.

٢- الصِّرَاع عَلى الملك:

أدى انشطار العالم الإِسْلَاميّ إلى دويلات كثيرة إلى نزاع بين ملوكها وصراع مرير أدى إلى انهيارها وزوالها، كما أدى تربع الصغار والأحداث سدة الملك إلى استئثار نوابهم (الأتابكة) بالسلطة وائتمار بعضهم ببعض لانتزاع هذه السّلطة واستبدادهم بها.

أ- ففي دولة السلاجقة:

كانَ طغرلبك الأوّل، مؤسس دولة السلاجقة، قد عهد بالخِلافَة من بعده إلى ابن أخيه سليمان بن داود، فلما توفي طغرلبك سنة ٤٥٥هـ انتزع ألب أرسلان بن داود السلطنة من أخيه سليمان، ثمّ ثار عليه ابن عمه قتلمش بن أرسلان بيغو فقاتله ألب أرسلان وقتله.

وخلف ملكشاه أباه ألب أرسلان بعد وفاته سنة ٤٦٥هـ فخرج عليه سليمان بن قتلمش وتمكن من بسط نفوذه عَلى قسم كبير من آسيا الصغرى (الأناضول) كما أوضحنا من قبل، وفي عام ٤٦٦هـ ثار قاورت بن داود عَلى ابن أخيه ملكشاه فلقيه ملكشاه بناحية همذان وأسره ثمّ قتله.

وفي عام ٤٧٣هـ ثار (تتش بن ألب أرسلان) عَلى ابن أخيه ملكشاه واستولى عَلى بعض مدن خراسان فصالحه ملكشاه على أن يملك (تتش) بلاد الشّام فملكها وأقام فيها دولة سلجوقية عَلى نحو ما بينا من قبل.

وفي عام ٤٨٦هـ توفي ملكشاه فخلفه ابنه بركياروق سلطانا أعظم عَلى السلاجقة فطلب (تتش) السلطنة لنفسه وتوجه إلى (أصبهان) يقاتل بركياروق من أجلها وجرت بينهما معركة فاصلة سنة ٤٨٨هـ قتل فيها (تتش).

ولم يكد بركياروق يفرغ من قتال عمه (تتش) حتَّى نازعه عَلى السلطنة العظمى أخواه (سنجر) و(محمّد) ابنا ملكشاه وجرت بينهما حُرُوب أدت إلى وهن فيهم وضعف وانتهت باستيلاء دولة خوارزم عَلى دولة السلاجقة في المشرق.

ب- وفي الدّولة الفاطميّة:

بلغت الدّولة الفاطميّة أوج رفعتها وأقصى سعتها في عهد **المعز لدين الله** ثمّ أخذت في التردي والانهيار في عهد ابن حفيده المستنصر بن الظَّاهِر بن الحاكم بأمر الله ويرجع هذا التردي إلى العوامل الآتية:

أ- صغر سن المستنصر، فقد بويع خلفا لأبيه الظَّاهِر سنة ٤٢٧هـ وله من العمر سبع سنين فتولت الجواري والخصيان العناية به والإشراف عليه، وتركت أمور الدّولة بين يدي والدته ووزيره أبي منصور صدقة بن يوسف الفلاحي.

وكانت أم المستنصر جارية سوداء ليهودي يدعى أبا سعد إبراهيم بن سهل التستري وكان الظَّاهِر قد اشتراها منه واستولدها ابنه المستنصر.

ولما خلف المستنصر أباه وزر له أبو منصور صدقة الفلاحي، وكان يهوديا ثمّ ادعى أنه أسلم وارتفع شأن اليَهُوْد في زمان وزارته وأسندت إليهم مناصب الدّولة، وولت أم المستنصر سيدها أبا سعد التستري اليَهُوْدي وظيفة المستشار لها وعهدت إليه بإدارة أملاكها، وأخذ اليَهُوْدي في اضطهاد المُسلِمِين.

ب- أخذ الوزير الفلاحي والمستشار التستري يتنازعان السّلطة، وقد استمال الفلاحي الجند الأتراك فقتلوا بأمره التستري ونقمت أم المستنصر عَلى الفلاحي فشرعت في شراء العبيد السود فقتلوا الفلاحي، وثارت الفتنة بين الأتراك والعبيد ودعي القائد بدر الجمالي، أمير عكا فقدم إلى مصر سنة ٤٥٥هـ وأخمد الفتنة.

جـ- توفي بدر الجمالي سنة ٤٨٧هـ فخلفه في الوزارة وفي قيادة الجيش ابنه الأفضل أبو القاسم شاهنشاه، وكان المستنصر قد تزوج بأخت الأفضل واستولدها ولدا سماه أحمد وكان له من زوجة أُخرى ولد اسمه نزار، وهو أكبر أولاده وقد عهد إليه بخلافته.

وتوفي المستنصر بعد وفاة بدر الجمالي بقليل وولى الأفضل ابن أخته أحمد الخِلافَة ولقبه المستعلي وقتل نزارا، وقد أدى ذلك إلى شطر الفاطميّة الإسماعيلية إلى شطرين: المستعلية والنزارية.



د- في أيّام المستعلي اجتاحت الحملة الصّليبيّة الأولى بلاد الشّام سنة ٤٩٢هـ واستولت عَلى أنطاكية وعلى مدن الساحل، وكانت إمارات مستقلة، ثمّ استولت عَلى مدينة القُدس سنة ٤٩٣هـ ولم تتمكن الحامية الفاطميّة من الدّفاع عنها فاجتاحها الصّليبيّون وحلت بها الكارثة الكبرى وأقامها الصّليبيّون عاصمة لمملكتهم فيها.

هـ- وفي عام ٤٩٥هـ توفي المستعلي فخلفه ابنه علي وله من العمر خمس سَنَوات ولقبوه بلقب الآمر بأحكام الله وتولى الأفضل بن بدر الجمالي زمام الحكم واستبد به، ولما شب الآمر برم به وعزم عَلى قتله وتولى تنفيذ القتل رجل مقرب من الآمر يدعى أبا عبدالله البطائحي، وكان الآمر قد مناه بالوزارة فقتله وخلفه في الوزارة سنة ٥١٥هـ وتلقب بالمأمون.

و- وكان للآمر أخ يدعى جعفرا، وكان يطمع بالملك فاتفق مع البطائحي عَلى قتل أخيه الآمر، فأحس الآمر بالأمر فقتل البطائحي سنة ٥١٩هـ ثمّ لقي الآمر المصير نفسه إذ تربص به جماعة من الإسماعيلية النزارية (وهم خصوم الإسماعيلية المستعلية) وقتلوه وهو يجوز الجسر إلى جَزِيرَة الروضة ثمّ يقبض عليهم ويقتلون.

وفي أيّام الآمر استولى الصّليبيّون عَلى طرابلس سنة ٥٠٢هـ ثمّ استولوا عَلى (عرقة وبانياس وبيروت وصيدا) وتسلموا مدينة صور سنة ٥١٨هـ وحاولوا غزو مصر.

ز- بعد مقتل الآمر خلفه عبد المجيد بن محمّد بن المستنصر وتلقب بالحافظ، وولى الوزارة أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي، ولم يلبث أحمد أن اغتيل فولى الحافظ الوزارة ابنه الحسن وكان ولي عهده، فأساء السيرة وقتل كثيرا من الأمراء وصادر الأموال وتواعد عَلى قتل من سلم من الأمراء فقتله أبوه الحافظ بالسم.

حـ- توفي الحافظ سنة ٥٤٤هـ فخلفه ابنه إسماعيل وتلقب بالظافر وعمره سبعة عشر عاماً وأقاموا له سليمان بن مصار وزيرا فأقام في الوزارة شهرين وخرج عليه أبو الحسن علي بن سلار والي الإسكندرية وانتزع منه الوزارة وتلقب بالعادل سيف الدّين.

وفي عام ٥٤٨هـ اغتاله ربيب له يدعى نصر بن العبّاس بن أبي الفتوح الصنهاجي فتولى أبوه العبّاس الوزارة وكان الظافر – فيما يقال – مولعا بابنه نصر، فأوعز إليه أبوه أن يقتله فقتله ورماه في بئر وفقد ولم يعلم بقتله أحد واتهم العبّاس الصنهاجي أخوي الظافر بقتله فقتلهما ودخل إلى القصر وأخرج عيسى بن الظافر، وعمره خمس سَنَوات، وحمله عَلى كتفه ودخل به إلى مجلس فيه الأعيان والفقهاء فبايعوه ولقبوه بالفائز، ونظر الطفل إلى المشهد الحافل وسمع ضجيج النّاس فارتاع وبال عَلى كتف الوزير كما ذكرنا من قبل وتولى العبّاس الصنهاجي الوزارة وتلقب بالأفضل ركن الدّين، وآلت إليه أمورها، فاستبد واستباح الأرواح والأموال، ولم يلبث أن ثار عليه الجند والنّاس واستنجدوا بأمير الصعيد، طلائع بن رزيك فقصد القاهرة وتمكن من القبض عَلى العبّاس الصنهاجي وعلى ابنه نصر وقتلهما وولى شاور بن مجير السعدي خلفا له عَلى إمارة الصعيد.

ط- تولى طلائع بن رزيك الوزارة خلفا للعباس الصنهاجي وتلقب بالملك الصّالح واستقل بأمور الدّولة وأخذ يبيع الولايات للأمراء ويجمع الأموال، فساءت سيرته وضاق به رجال القصر، وبرم النّاس بتصرفاته، وكان الفائز بكفالة عمته الكبرى، فشرعت تعد العدة لقتله، فلما علم بذلك سارع إلى قتلها ونقل كفالة الفائز إلى عمته الصغرى.

وفي عام ٥٥٥هـ توفي الفائز عن عشر سنين وجاء طلائع بحفيد للحافظ الفاطمي يدعى عبدالله بن يوسف بن الحافظ، وكان طفلا في الحادية عشرة من عمره فبويع بالخِلافَة ولقبوه بالعاضد واستمر طلائع بن رزيك في الوزارة، وكانت عمة الفائز الصغرى الّتي تولت رعايته بعد مقتل أختها قد عزمت عَلى قتله وتمكنت من دس جماعة لاغتياله فقتلوه وتولى الوزارة من بعده ابنه رزيك بن طلائع

ي- ثار شاور بن مجير السعدي، أمير الصعيد، عَلى رزيك، وكان طامعا بالوزارة، فقصد القاهرة مع جمع من أعراب الصعيد وقاتل رزيك وقتله واستولى عَلى الوزارة، فنازعه فيها ضرغام بن عامر اللخمي، وكان من أمراء رزيك وأعوانه، وانتزع منه الوزارة.

ك- فزع شاور إلى نور الدّين محمود بن عماد الدّين زنكي صاحب الشّام فأنجده لقاء شروط تعهد بها، وجهز له جيشا بقيادة القائد أسد الدّين شيركوه ومعه ابن أخيه يوسف بن أيوب، وقصد

الجيش القاهرة وقاتل ضرغاما في معركة قتل فيها ضرغام وأعيد شاور إلى الوزارة وعاد أسد الدّين إلى دمشق، ولما استقل شاور بالحكم خشي من أطماع نور الدّين محمود فحالف الصّليبيّين وأدخلهم أرض مصر، فوجه نور الدّين جيشا إلى مصر بقيادة أسد الدّين شيركوه ومعه ابن أخيه يوسف بن أيوب، فأخرج الصّليبيّين منها وقبض عَلى شاور وقتله.

ل- أسند الخَليفَة العاضد الفاطمي الوزارة إلى أسد الدّين شيركوه فتوفي بعدها بستة أشهر فأسند الخَليفَة الوزارة إلى ابن أخيه يوسف ولقبه النّاصر لدين الله صلاح الدّين، ولم يلبث صلاح الدّين أن قطع الخطبة للعاضد وخطب للخليفة العبّاسي المستضيء بأمر الله ومات العاضد، وكان آخر خُلَفَاء الفاطميين، واستقل صلاح الدّين بمصر وبه قامت الدّولة الأيوبية.

وقد علق المؤرخ المصري ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة، بما كانَ يجري بين الطامعين بالوزارة في العهد الفاطمي من تآمر وقتال فيقول [... وهذا شأن أرباب المناصب، إذا عزل أحدهم بآخر أراد هلاكه ولو هلك العالم معه، وهذا البلاء من تلك الأيّام إلى يومنا هٰذا][1].

ج-وفي الدّولة الأيوبية:

أ- قسم صلاح الدّين الأيوبي، قبيل وفاته، دولته الّتي ضمت مع مصر بلاد الشّام والحجاز واليمن والجَزِيرَة، بين أبنائه وبين إخوته وأبنائهم وبين أبناء أعمامه، فجعل دمشق ومدن الساحل لابنه الأفضل علي، وهو أكبر أبنائه، وجعل مصر وجنوب الشّام لابنه الملك العزيز عثمان وجعل حلب وأعمالها لابنه الملك الظَّاهِر غازي، وجعل الأردن والكرك لأخيه الملك العادل (الأوّل) وجعل بعلبك لأخيه الملك المعظم توران شاه (الأوّل)، وجعل اليمن لأخيه سيف الإِسْلَام طغتكين وجعل حماة لابن أخيه الملك المظفر تقي الدّين عمر بن نور الدّين شاهنشاه، وجعل حمص لابن عمه ناصر الدّين محمّد بن أسد الدّين شيركوه .

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٥/ ٢٠).

ب- ثمّ ما لبث هَؤُلَاءِ أن تنازعوا واختصموا، فحاول الملك العزيز عثمان أن يستخلص دمشق من أخيه الأفضل علي، وتمكن من ذلك سنة ٥٩١هـ وتملك دمشق وولى عليها عمه الملك العادل وولى أخاه عليا عَلى صرخد.

جـ- وفي عام ٥٩٥هـ يتوفى الملك العزيز عثمان فيخلفه ابنه الملك المنصور محمّد وله من العمر عشر سنين ويتولى عمه الملك الأفضل رعايته والنيابة عنه.

د- وفي عام ٥٩٦هـ يجهز الملك الأفضل جيشا ويتوجه به إلى دمشق لانتزاعها من عمه الملك العادل سيف الدّين فيهزمه الملك العادل ويتوجه إلى مصر فيدخلها ويخلع الملك القاصر المنصور محمّدا ويستولي عَلى مصر ويولي عليها ابنه الملك ناصر الدّين محمّدا ويلقبه بالملك الكامل (الأوّل) ويجعله ولي عهده ويولي ابنه الآخر الملك المعظم عيسى عَلى دمشق وهكذا تتحول السلطنة في مصر والشّام من أبناء صلاح الدّين إلى أخيه الملك العادل وأبنائه.

هـ- وفي عام ٦١٥هـ يتوفى الملك العادل فيخلفه ابنه الملك الكامل (الأوّل)، وفي عام، ٦٢٤هـ أراد الملك الكامل أن ينتزع دمشق من عمه الملك المعظم عيسى، فكتب إلى الملك فردريك الثّاني ملك الألمان، يستنجده عَلى عمه ويعده إن هو تسلم دمشق أن يسلمه القُدس، وكان الملك فردريك آنئذ في قبرص مع حملة صليبيّة جهزها للقدوم إلى بلاد الشّام واسترداد بيت المَقْدِس من المُسلِمِين، وقد أصابه من تأخره في تجهيزها حرمان من البابا، واستجاب فردريك لطلب الملك الكامل وقدم إلى مدينة (عكا) سنة ٦٢٦هـ وكان الملك المعظم عيسى قد توفي قبيل قدومه وخلفه في دمشق ابنه الملك النّاصر داود ووجد الملك داود أن لا قبل له بحرب عمه ومعه الصّليبيّون، فتنازل له عن دمشق وعوضه الملك الكامل عنها بالكرك وصرخد والشوبك وولى الملك الكامل أخاه الملك الصّالح إسماعيل عَلى دمشق، وقد وفى الملك الكامل وعده بعد أن تسلم دمشق فسلم القُدس إلى فردريك، فدخلها وتوج نفسه ملكا عليها في كنيسة القيامة وعاد إلى بلاده، وكان الملك الكامل قد عقد معه معاهدة صلح في (يافا) لمدة عشر سَنَوات، واشترط عليه بموجبها أن لا يعمر الصّليبيّون خرابها وأن لا يبنوا بها حصونا، وفي عام

٦٣٧هـ تمكن الملك النّاصر داود من الاستيلاء عَلى القُدس وإخراج الصّليبيّين منها لمخالفتهم شروط معاهدة (يافا) وكانت قد مضت عليها المدة المحددة فيها.

و- وفي عام ٦٣٥هـ يتوفى الملك الكامل فيخلفه بعهد منه ابنه سيف الدّين أبو بكر ويلقب بالملك العادل (الثّاني) ويبلغ الخبر أخاه الملك الصّالح نجم الدّين أمير (آمد والرها وحران) فيرفض الاعتراف بأخيه ويتوجه إلى مصر ويجمع مماليك أبيه ويخلع أخاه ثمّ يقتله، ويبلغ الخبر الملك الصّالح إسماعيل فينقم عَلى ابن أخيه نجم الدّين ويقبض عَلى ابنه عمر - وكان في دمشق - ويعتقله بقلعة دمشق وفيها يموت.

ز- ويشتد النزاع بين الملك الصّالح نجم الدّين وبين عمه الملك الصّالح إسماعيل ويتجهز كلّ منهما لقتال الآخر ويستنجد الصّالح بالصّليبيّين، فيلبي الصّليبيّون طلب الملك الصّالح إسماعيل في مقابل استلامهم القُدس وينضم إليه كلّ من الملك النّاصر داود والملك المنصور إبراهيم بن شيركوه الثّاني صاحب حمص، وفي المَعْرَكة الجارية قرب (غزة) حدث ما لم يكن بالحسبان، فقد انضم جند الملك الصّالح إسماعيل إلى جند الملك الصّالح نجم الدّين وكانوا من الخوارزمية الّذين هربوا من المغول وأنفوا أن يحاربوا مع الصّليبيّين، وانتهت المَعْرَكة بهزيمة مُنكرة للصليبيين وأسر الكثير منهم.

ح- وفي عام ٦٤٣هـ تسلم الملك الصّالح نجم الدّين دمشق من عمه الملك الصّالح إسماعيل وعوضه عنها ببعلبك وبصرى وأعمالهما، ويسترد الجند الخوارزمية - الّذين انضموا إلى الملك الصّالح نجم الدّين - القُدس في ذلك العام ويخرجون الصّليبيّين منها، وتعود القُدس نهَائِيًّاً إلى المُسلِمِين، بعد أن تكرر احتلالها من الصّليبيّين أربع مرات: سنة ٤٩٣ ٦٢٧، ٦٣٧، ٦٤٣هـ.

ط- وفي سنة ٦٤٧هـ يتوفى الملك الصّالح نجم الدّين أيوب أثناء الحملة الصّليبيّة السَّابعة الّتي قادها الملك لويس التّاسع ملك فرنسا سنة ٦٤٦هـ وفيها يهزم الصّليبيّون ويؤسر الملك الفرنسي، ويخلف نجم الدّين أيوب ابنه توران شاه، وكان شابا فيه رعونة الشَّبَاب، فاختلف مع زوجة أبيه شجرة الدر ومع مماليك أبيه، فائتمرت مع أربعة منهم عَلى قتله فقتلوه، ويقول ابن تغري بردي: (إن الّذين قتلوا توران شاه هم أنفسهم الّذين كلفهم نجم الدّين أيوب من قبل بقتل أخيه سيف الدّين أبي بكر

فكان موت ابنه مقدرا عَلى أيديهم) وبقتل توران شاه انقضى عهد الدّولة الأيوبية وقامت من بعدها دولة المماليك (البحرية).

د- وفي دولة المماليك البحرية:

أ- كانَ الملك نجم الدّين أيوب قد تزوج جارية تركية تدعى شجرة الدر وأنجب منها ولدا سماه (خليلا) فكانت تدعى أم خليل وقد تسلطنت بعد مقتل ابن زوجها توران شاه ثمّ تزوجت القائد المملوكي عز الدّين إيبك وتنازلت له عن السلطنة فكان أول سلطان مملوكي يتولى السلطنة سنة ٦٤٨هـ.

ب- في سنة ٦٥٥هـ أقدمت شجرة الدر على قتل زوجها عز الدّين إيبك لأنه بلغها أنه ينوي خطبة ابنة الأمير بدر الدّين لؤلؤ أمير الموصل واستعانت عَلى قتله بمماليكها فقتلوه ضربا بالقباقيب، وبعد قتله عهد لابنه علي بخلافته فقبض عليها وأمر بقتلها ضربا بالقباقيب كما فعلت بأبيه.

جـ- وفي سنة ٦٥٧هـ أقدم القائد المملوكي قطز عَلى خلع علي بن عز الدّين إيبك ونفيه من مصر مع أسرته، وولى القائد بيبرس البندقداري إمارة الجُيُوش، وكان المغول قد اجتاحوا بلاد الشّام وتوجهوا يريدون مصر فتقدم قطز للقائهم بجيش يقوده بيبرس وجرى اللقاء في موضع يدعى (عين جالوت) وفيه كانت الموقعة الكبرى الّتي كتب فيها النّصر لجيش المماليك بما أبدوا من شجاعة فائقة وما أبدى قائدهم بيبرس من مهارة في الحَرب وقد تشتت جيش المغول وقتل قائده (كتبغانوين) وكان صهر هولاكو زعيم المغول.

د- في أعقاب تلك المَعْرَكة أقدم القائد بيبرس عَلى اغتيال السُّلطَان قطز، فقد كانَ وعده بأن يوليه عَلى مملكة حلب بعد جلاء المغول عنها وأن يعهد له بالسلطنة من بعده فأخل السُّلطَان بوعده فأقدم عَلى اغتياله مع جماعة من القادة المماليك.

هـ- تولى بيبرس السلطنة وتلقب بالملك الظَّاهِر ودامت سلطنته ثمانية عشر عاماً قضى خلالها عَلى الإمارات الأيوبية في بلاد الشّام وضم بلاد الشّام إلى مصر وأجلى الصّليبيّين عن مدن الساحل وحرر سنة ٦٦٥هـ أنطاكية وغزا كليكيا الأرمنية وأخضعها لسلطانه، وفي سنة ٦٧٦هـ غزا بلاد

سلاجقة الرُّوم، وكانت مشمولة بحماية المغول فحررها منهم بعد موقعة كبرى جرت في مكان يدعى (ألبستين) وفيها مزق جيشهم.

و- توفي الظَّاهِر بيبرس سنة ٦٧٦هـ في أعقاب معركة (ألبستين) فخلفه ابنه ناصر الدّين محمّد بركة وتلقب بالملك السَّعيد وعمره ثمانية عشر عاماً، وبعد سنتين من سلطنته أقدم المماليك عَلى خلعه لسوء تدبيره وولوا أخاه الأمير سلامش وعمره سبع سنين ولقبوه بالملك العادل بدر الدّين وولوا القائد قلاوون نائبا عنه.

ز- لم يلبث قلاوون أن خلع بدر الدّين سلامش سنة ٦٧٨هـ وتولى السلطنة وتلقب بالملك المظفر سيف الدّين وقد امتدت سلطنته أحد عشر عاماً حرر خلالها ما تبقى في يد الصّليبيّين من قلاع وحصون في بلاد الشّام ومنها مدينتا اللاذقية وطرابلس، وفي عام ٦٨٩هـ يتوفى قلاوون فيخلفه ابنه خليل ويتلقب بصلاح الدّين ويسترد من الصّليبيّين قلعة صفد ومدينة طرطوس ثمّ يستولي عَلى عكا بعد معركة شديدة مع الصّليبيّين.

حـ- وفي عام ٦٩٣هـ يقدم قائدان من قادة المماليك هما (بيدرا) و(لاجين) عَلى اغتيال السُّلطَان صلاح الدّين خليل بن قلاوون وقيام (بيدرا) خلفا له، ولم يلبث هذا في السلطنة إلا يوما واحدا، إذ أقدم القائد (كتبغا) عَلى قتله وقتل من اشترك في اغتيال السُّلطَان صلاح الدّين خليل واختار المماليك محمّد بن قلاوون أخا خليل سلطانا فبايعوه ولقبوه بالنّاصر وله من العمر تسع سنين.

ط- لم يلبث (كتبغا) أن خلع محمّد بن قلاوون متعللا بصغر سنه وتولى السلطنة، وقد حاول القائد (لاجين) اغتيال (كتبغا)، ولما علم بذلك هرب إلى دمشق وخلع نفسه سنة ٦٩٦هـ فتولى السلطنة (لاجين) وتلقب بالمنصور حسام الدّين وبعد سنتين أي في عام ٦٩٨هـ اغتيل وأعيد إلى السلطنة محمّد بن قلاوون وقد بلغ من العمر أربعة عشر عاماً،

ي- وفي سنة ٧٠٨هـ يخلع محمّد بن قلاوون ويتولى السلطنة قائد مملوكي يدعى بيبرس الجاشنكيري، ثمّ يخلع بعد سنة (٧٠٩هـ) ويعاد إلى السلطنة محمّد ابن قلاوون للمرة الثّالثة وهو في الخامسة عشرة من عمره ويتوفى سنة ٧٤١هـ وقد امتدت سلطنته (٣١) عاماً، فكان أطول ملوك

المماليك عهدا وأعظمهم مهابة وأغزرهم عقلا وأحسنهم سياسة وأكثرهم شجاعة وأحسنهم تدبيرا وقد بلغت دولة المماليك في عهده ذروة ارتقائها ثمّ توالى عليها أبناؤه وأخذت شمسها في الكسوف.

ك- تولى السلطنة من بعد محمّد بن قلاوون ثمانية من أبنائه، كانَ أولهم أبو بكر سيف الدّين الملقب بالمنصور ولم يلبث سوى سنة واحدة وخلع سنة ٧٤٢هـ وتولى السلطنة من بعده أخوه (كجك) وتلقب بالملك الأشرف علاء الدّين وعمره خمس سنين وخلع بعد أقل من سنة وتولى السلطنة من بعده أخوه أحمد وتلقب بالملك النّاصر شهاب الدّين وبعد شهرين من سلطنته يخلعه أخوه إسماعيل ويقتله ويتلقب بالملك الصّالح عماد الدّين ويستمر إسماعيل في السلطنة ثلاث سنين يقتل بعدها سنة ٧٤٦هـ

ويتولى السلطنة أخوه شعبان (الأوّل) ويتلقب بالملك الكامل سيف الدّين وبعد سنة من سلطنته يخلع ويسجن ويقتل في سجنه ويتولى السلطنة من بعده أخوه (حاجي الأوّل) ويتلقب بالملك المظفر سيف الدّين وبعد أقل من سنة يخلع ويقتل ذبحا ويولى أخوه الحسن سنة ٧٤٨هـ ويتلقب بالملك النّاصر ناصر الدّين ويخلفه من بعده سنة ٧٥٢هـ أخوه صالح ويتلقب بالملك الصّالح صلاح الدّين، وتمتد سلطنة المماليك البحرية من بعده إلى سنة ٧٨٤هـ ثمّ تنتقل إلى المماليك البرجية وهم كالبحرية من المماليك الأتراك والجراكسة وتنتهي سلطنتهم بالفتح العُثْمَانِيّ سنة ٩٢٢هـ.

هـ- وفي دولة المرابطين:

بلغت دولة المرابطين منتهى علاها في عهد يوسف بن تاشفين وابنه علي (٤٥٣ - ٥٣٧ هـ) ثمّ أخذت مسيرة أحداثها في الانحدار، وقد تولى ملك المرابطين في آخر عهدهم ملكان لم يبلغا الحلم وهما: إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين وابن عمه إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين وقد بويع الأوّل سنة ٥٤٠هـ بعد وفاة أبيه ولم يتمكن المرابطون في عهده من صد الموحدين في معركة انتهت بهزيمتهم والقبض عَلى إبراهيم وقتله ومبايعة الثّاني من بعده سنة ٥٤١هـ، فلما احتل الموحدون مراكش قتلوه وقتلوا معه من وجدوا من أمراء المرابطين وقضوا عَلى دولتهم.

و- دولة الموحدين

بلغت هذه الدّولة أوج قوتها في عهد ملكها أبي يوسف يعقوب (٥٩٥ - ٥٨٠هـ) وذلك بعد انتصاره عَلى ألفونسو الثَّامن ملك قشتالة في وقعة (الأرك) سنة ٥٩١هـ، ثمّ أخذت في الانحدار في عهد ابنه محمّد النّاصر (٥٩٥ - ٦١١هـ) إثر هزيمة الموحدين أمام الأسبان في وقعة (العقاب) سنة ٦٠٩هـ ثمّ هزيمتهم في وقعة (أبي دانس) سنة ٦١٤هـ في عهد ابنه يوسف المستنصر (٦١١ - ٦٢٠هـ).

وقد اشتد الوهن في الدّولة بعد خلع عبد الواحد ابن يوسف الأوّل ابن يعقوب سنة ٦٢١هـ وتولية أبي محمّد عبدالله ابن أخيه يعقوب المنصور وتلقيبه بالملك العادل ثمّ خلعه سنة ٦٢٤هـ وقتله وتولية يحيى بن محمّد النّاصر وتلقيبه المعتصم بالله وازداد الوهن شدة حين رفض عمه أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور الاعتراف ببيعته وبايعه أهل الأندلس وتلقب بالمأمون وانقسمت دولة الموحدين عَلى نفسها: دولة في الأندلس ودولة في المغرب، وتوجه المأمون إلى المغرب لانتزاع الملك من ابن أخيه والانتقام ممن قتلوا أخاه الملك العادل واستعان بجيش من الأسبان وكانت أمه منهم وقد أمده به الملك الإسباني فرديناند الثّالث ملك قشتالة لقاء شروط منها أن يعطيه عشرة حصون مما يلي إشبيلية وأن يبني لجنده الأسبان كنيسة في مراكش إذا دخلها وأن من أسلم من جنده لا يقبل إسلامه.

وقد تمكن المأمون من اقتحام مراكش فهزم ابن أخيه يحيى المعتصم بالله وقتل شيوخ الموحدين الّذين بايعوه، ونفذ المأمون شروط الملك الإسباني فسلمه الحصون العشرة وبنى في مراكش كنيسة لجنده الأسبان، ولم يلبث أن ثار عليه أخوه أبو موسى عمران بن يعقوب أمير (سبتة) فتوجه لقتاله وحاصره، وفي غيابه بهذا الحصار عاد ابن أخيه يحيى ومعه جموع من العَرَب والبربر ودخلوا مراكش وعاد المأمون مسرعا ومات في الطّريق سنة ٦٣٠هـ وبويع من بعده عبد الواحد الرَّشِيد واستمر النزاع بين الأعمام وأبنائهم إلى أن استولى عَلى مراكش بنو مرين عام ٦٦٨هـ في عهد آخر ملوك الموحدين أبي العلاء إدريس الواثق بالله الملقب بأبي دبوس وبه انقضت دولة الموحدين وقامت عَلى أنقاضها دولة بني مرين.

ز- وفي دول الشمال الإفريقي:

بعد القضاء عَلى دولة الموحدين الّتي كانت تسيطر عَلى الشمال الإفريقي من تونس إلى مراكش قامت دول ثلاث: دولة بني مرين في المغرب الأقصى وعاصمتها مراكش ودولة بني زيان من بني عبد الواد في المغرب الأوسط (الجَزَائِر) وعاصمتها (تلمسان) ودولة بني حفص في المغرب الأدنى (تونس) وعاصمتها مدينة تونس.

وقد أنهكتهم الحُرُوب والثورات والفتن الّتي ثارت بينهم وشغلتهم عن نصرة إخوانهم في الأندلس، فأسلموهم للأسبان وكانوا هم عرضة لغزو الأسبان والنورمان حتَّى فتح العُثْمَانِيّون الجَزَائِر سنة ٩٦٢هـ ثمّ تونس سنة ٩٨٢هـ وقامت في مراكش دولة بني الحسن العلويين سنة ٩١٦هـ.

٣- الانصراف إلى اللهو والمجون:

إلى تلك الأسباب الّتي أدت إلى تشتت الدّولة الإِسْلَاميّة وانقسامها إلى دول ثمّ تسارع انهيارها وتعرضها لغزو أتاها من المشرق والمغرب، يضاف سبب آخر أتاها من سوء سلوك بعض الحاكمين وانصرافهم إلى اللهو والمجون، وغالبا ما يكون هَؤُلَاءِ ممن تولوا الملك صبيانا يولى عليهم نواب يعملون عَلى إشغالهم باللهو ويصرفونهم عن شئون الحكم ليستقلوا به من دونهم، فإذا بلغ الصبي سن الشَّبَاب تفتحت غرائزه، فأخذ يعب من شهواته، تاركا أمور الدّولة لوزرائه ونوابه والأمثلة عَلى ذلك كثيرة ونحن نورد طرفا منها.

فقد روي ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة (أن المستنصر الفاطمي خلف أباه الظَّاهِر وعمره سبع سنين ونشأ عَلى حب اللهو والمجون، ولما شب كانَ أمره قد اضمحل لتشاغله باللهو والشراب والطرب وكان من عادته في كلّ سنة أن يركب عَلى النجب (النفيس من الإبل) إلى مكان قريب من القاهرة يدعى (جب عميرة) وهو موضع نزهة فيخرج إليه بهيئة أنه خارج إلى الحجّ عَلى سبيل الهزء والمجانة ومعه الخمر في الروايا (الأواني) عوضا عن الماء ويسقيه للنَّاس كما يسقى الحاج في طريق مكّة).

فماذا نقول في خليفة توالى القحط عَلى بلاده سبع سنين حتَّى أكل النّاس الموتى ولحوم الأطفال يفعل ما روي عنه ويهزأ بركن من أركان الدّين، ونراه في مدّة خلافته قد استكان لسلطان وزيره بدر الجمالي وليس له من الأمر شيء.

كذلك يروي ابن تغري بردي: (إن الملك المسعود يوسف صلاح الدّين الثّاني، المعروف باسم (أتسز) ابن الملك الكامل الأيوبي كانَ قد ولاه أبوه سنة ٦١١ هـ فاستولى عَلى مكّة سنة ٦١٩هـ فكان ينام في دار المسعى سكران ويخرج أعوانه يمنعون النّاس من الصياح والضجيج في المسعى).

ثمّ إليك ما يرويه ابن الأثير عن جلال الدّين منكبرتي آخر ملوك خوارزم (فقد كانَ هذا الملك يهوى خادما خصيا له يدعى (قليج) فاتفق أن مات الخادم، فأظهر الملك من الحزن والهلع والجزع عليه ما لم يسمع بمثله ولا لمجنون ليلى، وأمر الجند والأمراء أن يمشوا في جنازته رجالة وكان موته في موضع يبعد عن (تبريز) - عاصمة الدّولة - عدّة فراسخ، فمشى خلف جنازته راجلا فألزمه أمراؤه بالركوب، فلما وصل إلى (تبريز) أرسل إلى أهل البلد فأمرهم بالخروج لتلقي تابوت الخادم، ففعلوا، وأنكر عليهم أنهم لم يظهروا من الحزن والبكاء أكثر مما فعلوا وأراد معاقبتهم عَلى ذلك فشفع فيهم أمراؤه فتركهم.

ثمّ إنه لم يدفن الخادم وإنما أخذ يستصحبه معه حيث سار وهو يلطم ويبكي، وامتنع من الأكل والشرب، فإذا قدم إليه طعام قَالَ: احملوه إلى فلان، يعني الخادم ولا يتجاسر أحد أن يقول إنه مات، فإذا قيل إنه مات قتل القائل، فكانوا يحملون إليه الطعام ويقولون للملك: إنه يقبل الأرض ويقول الآن أنا أصلح مما كنت، ثمّ انفض عنه أمراؤه فبقي حيران لا يدري ما يصنع وراسل وزيره واستماله فلما حضر إليه قتله).

وهناك خبر عن الملك النّاصر صلاح الدّين الثّاني ابن العزيز محمّد ابن الملك الظَّاهِر غازي صاحب حلب، فقد تولى الملك وعمره سبع سنين وشب عَلى حب اللهو تاركا أمور الدّولة إلى وزرائه، ولما اجتاح المغول حلب سنة ٦٥٧هـ غادرها إلى دمشق.

ويروي صاحب نفح الطّيب أن الأديب الأندلسي موسى العنسي (ت: ٦٨٥هـ) لما رحل إلى المشرق، قدم إلى دمشق وفيها النّاصر صلاح الدّين المذكور هٰذا، وكان المغول قد أمعنوا في حلب قتلا وسبيا وتخريبا، فدخل عَلى النّاصر صلاح الدّين يعزيه عَلى ما فعله المغول بمدينة حلب وما حلّ بها من المصائب والمحن، فأضرب النّاصر عن سماع ذلك وأنشد أبياتا في مملوك له يهواه قتل في تلك الكارثة، فهو لا يبكي لفقد ملكه وإنما يبكي لفقد حبيبه، ثمّ نراه بعد ذلك هائما عَلى وجهه حتَّى لجأ إلى هولاكو ملك المغول ومعه أخوه الملك الظَّاهِر سيف الدّين غازي (الثّاني) وأمراء آخرون من البيت الأيوبي فأحسن هولاكو إليهم ولما بلغه هزيمة المغول في (عين جالوت) سنة ٦٥٨هـ قتله وقتل من كانَ معه من الأمراء.

كذلك يروي ابن طباطبا في كتابه تاريخ الدّول الإِسْلَاميّة أن الخَليفَة المستعصم بالله آخر خُلَفَاء بني العبّاس في بغداد كانَ شديد الكلف باللهو وسماع الأغاني، لا يكاد مجلسه يخلو من ذلك ساعة واحدة، وكان ندماؤه وحاشيته جميعهم منهمكين معه عَلى التنعم بالملذات، لا يراعون له صلاحا، وقد كتبت له الرقاع من العوام، وفيها أنواع التحذير وألقيت الأشعار في أبواب دار الخِلافَة.

كلّ ذلك وهو عاكف عَلى سماع الأغاني وملكه قد أصبح واهي المباني، **ومما اشتهر عنه أنه كتب إلى الأمير بدر الدّين لؤلؤ صاحب الموصل يطلب منه جماعة من أهل الطرب، وفي تلك الحال وصل رسول هولاكو يطلب من بدر الدّين منجنيقات وآلات حصار لحصار بغداد فقال بدر الدّين: انظروا إلى المطلوبين وابكوا عَلى الإِسْلَام.**

وإذا عرجنا عَلى دولة المماليك نجد منهم من شغف بالجواري وتخلى عن أمور الدّولة إلى نوابه، **كالملك الصّالح إسماعيل بن النّاصر محمّد بن قلاوون، فقد شغفه حب الجواري فأسرن قلبه وكانت لهن الكلمة العليا في الدّولة وأعرض عن تدبير الملك بإقباله عَلى النِّسَاء والطرب، وكان يؤثر الجواري السود.**

فحظيت بحبه جارية سوداء تدعى (اتفاق) تحسن الضرب عَلى العود وتجيد الغناء فتزوجها وكان أخوه الملك شعبان يهواها، فلما مات الصّالح إسماعيل سنة ٧٤٦هـ خلفه عليها أخوه ودخل بها ليلة وفاته!!

ولما خلع الملك الكامل شعبان ثمّ قتل سنة ٧٤٧هـ خلفه أخوه الملك المظفر (حاجي) فتزوج بها ليلة خلع أخيه!! فغنته فأنعم عليها بأربعة فصوص وست لؤلؤات ثمنها أربعة آلاف دينار، وهذا ثالث سلطان من أبناء محمّد بن قلاوون يتزوج بهذه الجارية السوداء وفي كلّ مرّة كانَ يعقد العقد لها عَلى أخ من الإخوة الثلاث قاض مع علمه بأن العقد بَاطِل لتجاوز العدة المفروضة عَلى زوجة المتوفى.

وقد نالت هذه الجارية السوداء عند الإخوة الثّلاثة من الحظ والسعادة ما لا يعرف لامرأة في زمانها!

فلم لا وقد قَالَ الشاعر مجنون ليلى في محبوبته السوداء:

يقولون عنك سوداء حبشية ولولا سواد الـمسك ما انباع غاليا

وحري بهذا الفاسق أن ينسج عَلى منواله، (فلولا سواد الزِّفت...)، ولله في خلقه شؤون.

****

أثر ما تقدم من الأسباب في حياة المجتمع الإِسْلَاميّ:

كانَ من الطبيعي أن تنعكس هذه الأسباب في حياة المجتمع الإِسْلَاميّ، السّياسيّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة.

١ – في الحياة السّياسيّة: تفرقت الكلمة وطمع الأَعدَاء:

فقدت الدّولة الإِسْلَاميّة وحدتها، وبدأت تتفكك منذُ بداية العصر العبّاسي الأوّل، وازداد تفككها في العصر العبّاسي الثّاني، ففي المشرق قامت دولة للبويهيين والسامانيين والغزنويين والسلجوقيين، وفي إفريقية، قامت في المغرب الأقصى دولة الأدارسة وفي المغرب الأدنى ومصر والشّام دولة الفاطميين وفي الأندلس قامت دولة للأمويين، وتوزعت الخِلافَة بين هذه الدّول، فخليفة عباسي في بغداد وخليفة إدريسي في المغرب الأقصى، وخليفة فاطمي في مصر، وخليفة أموي في قرطبة وأمراء غلبوا عَلَى بعض المناطق واستقلوا فيها، ولم يقم بين تلك الدّولة والإمارات سلم دائم، بل كثيرا ما كانت تستعر بينهم الحُرُوب، فضلا عن الثورات والانتفاضات الّتي كانت تتخللها، وانتهت بذلك إلى حالة من الضّعف والوهن فلم تقو عَلَى صد العدوان المسيحي الّذي كانَ يترصدها، وقد طوقها من الشّرق والغرب، وامتنع بافتراق المُسلِمِين إلى دول متناحرة وتوزعهم في شيع متنافرة أن يجمعوا شملهم لمُوَاجَهة ذلك العدوان الّذي انصب عليهم.

ففي الفترة الواقعة بين عامي ٤٧٧ و٤٩٣هـ استولى ألفونسو السَّادس، ملك الأسبان عَلَى طليطلة واستولى (الكمبيادور) زعيم المرتزقة الأسبان عَلَى (بلنسية) سنة ٤٨٧هـ، وهم ألفونسو السَّادس بالاستيلاء عَلَى إشبيلية، فأنقذها المرابطون وأسقطوا حكم أمراء الطوائف وأقاموا في الأندلس دولة لهم.

وفي الفترة الواقعة بين عامي ٤٨٧ و٤٩٨هـ قامت دعوة البابا أوربّان الثّاني لأمراء الإقطاع في أوروبّا للاستيلاء عَلَى بلاد الشّام وإنقاذ بيت المَقْدِس من يد المُسلِمِين، وكان من أسبابها إقدام الخَليفَة الفاطمي الحاكم بأمر الله على هدم كنيسة القيامة في بيت المَقْدِس.

وقد وحدت دعوة البابا صفوفهم وكانت قد فرقتها الحُرُوب الّتي نشبت بينهم، فقادوا الحملة الصّليبيّة الأولى، وأتاح لهم الصِّرَاع بين ملوك السلاجقة، كما نوهنا بذلك من قبل، أن يجتازوا بلاد الأناضول، وأن يحتلوا مدينة (نيقية) ثمّ مدينة (قونية)، وأن يجتاحوا بلاد الشّام وفيها استولوا عَلى معرة النعمان وأنطاكية، ثمّ اتبعوا الساحل فاستولوا عَلى (طرابلس) ثمّ عَلى (حيفا) و(يافا) و(قيسارية) و(الرملة)، ثمّ عرجوا عَلى مدينة بيت المَقْدِس فاستولوا عليها في ٢٣ نيسان سنة ٤٩٣هـ، وهي السنة الّتي سقطت فيها مدينة (طليطلة) بيد الإسبان.

وفي بيت المَقْدِس أباح قائد الحملة الصّليبيّة (جود فروا دو بويون) للصليبين القتل والنهب وهتك الأعراض، فلم يقصروا فيما أبيح لهم، ونصبوا قائدهم ملكا عَلى بيت المَقْدِس ثمّ توجهوا إلى دمشق فحاصروها وتوجه وفد من أهالي المدينة برئاسة قاضي دمشق زين الدّين أبي سعد الهروي إلى بغداد يستعينون بالخليفة المستظهر بالله، فأظهر الخَليفَة عجزه وبكى وبكى الوفد لعجزه، وتمكن أهل دمشق من صد الصّليبيّن.

وتوجه الصّليبيّون بعد ذلك إلى عكا وجبيل فاستولوا عليهما، واستمرت حملات الصّليبيّن واستولوا عَلى كثير من المواقع في بلاد الشّام وفيها بنوا القلاع والحصون، حتَّى وحد صلاح الدّين الأيوبي جموع المُسلِمِين بعد قضائه عَلى الدّولة الفاطميّة، وتم عَلى يده جلاء الصّليبيّن.

٢ – في الحياة الاقتصاديَّة:

تتوقف سلامة الاقتصاد عَلى عامل أساسي هو الأمن، فبدونه لا يمكن دوام العمل والإنتاج والتبادل والاتجار وأكثر ما يعيق الأمن هو الثورات، وقد نشبت في العصر الأموي وفي العصر العبّاسي الأوّل ثورات كثيرة شغلت الدّولتين، ولكنها لم تنتقص من نشاط الحياة الاقتصاديَّة لتوفر القوّة عَلى قمعها، ولأن النّاس كانوا ينعمون في بحبوحة من العيش من خيرات الفتوح، فلم تكن تلك الثورات ثورات فقراء أو مستضعفين وإنما كانت في جلها ثورات سياسيّة، يدور الصِّرَاع فيها حول الخِلافَة، أو فتن تثيرها العصبيات القبلية.

ومع ذلك فإن البلاد الإِسْلَاميّة كانت تصاب في بعض مناطقها بجوائح، منها القحط وتلف المحاصيل بكوارث طبيعيّة، كانَ ينشأ عنها مجاعات وينتشر الوباء، ولكن ذلك لم يكن ليطول، أما في العصر العبّاسي الثّاني فقد ثار الفقراء والمستضعفون عَلى ظلم الولاة وعمال الخراج، فكانت ثورة الزنج الّتي استمرت خمس عشرة سنة، فتكت في خلالها بالكثير من النّاس وخربت الكثير من المدن وحرمت الأرض من أيدي العاملين، الّذين انقلبوا إلى ثائرين ومخربين.

وقد أعقبت هذه الثَّورة ثورة القرامطة الّتي امتدت نحو سبعين سنة، وفي خلالها اختل الأمن وعاث اللصوص فسادا في المدن والقرى، ينهبون ويسلبون ويقتلون، ونشط أعراب البوادي في الوثوب عَلى قوافل التجار وفي الإغارة عَلى قوافل الحجاج، فتوقفت التجارة وامتنع الحجّ عدّة سَنَوات، وقد أدى ذلك كله إلى اضطراب الحياة الاقتصاديَّة وزاد عليها توالي الكوارث الطبيعيّة ومنها الزلازل وفيضان الأنهار وطغيانها عَلى الأراضي الزراعية، وما ينشأ عنها من قحط ومجاعات يتلوها أوبئة كانت تفتك بالنّاس فتكا وتحصدهم حصدا.

٣ – في الحياة الاجتماعيَّة:

انعكس في حياة المجتمع الإِسْلَاميّ ما عاناه في حياته السّياسيّة والاقتصاديَّة من فوضى واضطراب، فقد استذلته الأحداث السّياسيّة وأفقرته الأحداث الاقتصاديَّة وتشتت شمله في دويلات، آلت معها حياة المجتمع الإِسْلَاميّ إلى طبقة عليا مترفة، التفت حول ملوك وأمراء متغلبين، تزين لهم ظلمهم لتنعم بعطاياهم، وتسلك سلوكهم فيما ينكره الدّين والأخلاق، وطبقة سفلى يشيع فيها الفقر والبؤس والحرمان ويحملها ذل الحاجة إلى سلوك ما لا يحله الدّين أيضا.

وفي كلتا الطبقتين شاع عند السفلة منهم تعاطي الخمرة وما يتبعها من لهو وفجور، كانَ يجري في الطّبقة العليا بمظاهر الترف، وكان يجري في الطّبقة السفلى في مظاهر الحطة والبؤس، وبين الطبقتين، العليا والسفلى، كانت طبقة الخاصّة، وهي الطّبقة الوسطى، وفيها العُلَماء من فُقَهَاء ومحدثين ومفسّرين، وفيها الصُّلحاء من أهل الزهد والتقوى، ولم يكن لهَؤُلَاءِ، كما كانَ لأسلافهم، مقام يدنيهم

من الملوك والأمراء، ولا مسمع لقول عاذل ونصيح، وليس لهم سلطة تمكنهم من الردع بالقوة لما يجري من الفواحش، فقد جهر كثير من النّاس بشرب الخمرة، يتعاطونها في حانات الخمارين وفي المتنزهات، ويلتمسون معتقها في الأديرة.

هذه هيَ السمات العامّة الّتي كانت تطبع المجتمع الإِسْلَاميّ في العصر العبّاسي الثّاني وما تلاه، وقد مهد لها العصر العبّاسي الأوّل، بما ساد فيه من مظاهر الترف والانصراف إلى الملاذ والجهر بها مع كثير من اللهو والمجون والتحدي للدين والأخلاق، وهذا ما نراه مبسوطا في أشعار أبي نواس وأخباره مع مطيع بن إياس وحماد عجرد ووالبة بن الحباب، وفي أشعار ابن هرمة ومسلم بن الوليد، وغيره من شعراء ذلك العصر من الماجنين.

وكما نراها مبسوطة في كتب الأدب والأخبار كالأغاني والعقد الفريد ونهاية الأرب والنجوم الزاهرة وعيون الأخبار، وغيرها من كتب الأدب، وكما نراها منثورة في كتب التّاريخ والأخبار كالطبري وابن الأثير ومروج الذهب للمسعودي، وتاريخ بغداد وتاريخ ابن كثير وغيرها من كتب التّاريخ، وكلها شاهد – وإن كانَ فيها كثير من الدس والتأليف – عَلى التراخي في تنفيذ تعاليم الإِسْلَام عند الطّبقة الحاكمة ومن التف حولها.

وكان أول ما انحسر من تعاليم الإِسْلَام العدل، وقد أخلت به الأهواء الّتي اشتد فيها الصِّرَاع عَلى الملك وما يتبعه من الظُّلم والاستبداد، يمارسهما صاحب السّلطة عَلى هواه، خليفة أو ملكا أو سلطانا أو أميرا، ويأخذ النّاس بالظنة، فيقتل ويصادر الأموال ولا معقب لما يشاء، وبرزت في هذا الجو المشبع بالظُّلم، ظاهرة الخوف ومعها ظاهرة النِّفَاق.

وكلاهما من العوامل الّتي عطلت العقل عن النمو فجف عطاؤه وتراخت عزائمه، وأصبح الخائف في معزل عن الحياة العامّة خوفا من وشاية واش، أو تعرضه لما يخشاه، وسلك مسلك الزهد والتصوف طلبا للسلامة، وشاع النِّفَاق في ضعاف النفوس، يزين به المنافقون صنع السُّلطَان فيزيدونه طغيانا، لينالوا رفده، فهم فيما يفعلونه أعوانه في الظُّلم.

وقد دون رواة موثوقون ما شهدوا من ظاهرة الظُّلم والجور في العصر الّذي عاشوا فيه، وإليك ما دونه الرحالة ابن حوقل المتوفى سنة ٣٦٧هـ، في مقدمة كتابه: (صورة الأرض)، وفيه يصف ما عاينه في بغداد قبل سفره: [... وأعانني عَلى تأليف هذا الكتاب تواصل السفر وانزعاجي عن وطني مع ما سبق به القدر، لاسيما الرزق والأثر، والشهوة لبلوغ الوطر، بجور السُّلطَان، وكلب الزّمان، وتواصل الشدائد عَلى أهل المشرق والعدوان، واستئناس سلاطينه بالجور والطّغيان، وكثرة الجوائح والنوائب، وتعاقب الكلف والمصائب، واختلال النعم وقحط الديم][1].

وإليك ما دونه الفيلسوف المؤرخ مسكويه في كتابه (تجارب الأمم) وفيه يبين أسباب ضعف السّلطة وانهيار الحكم في العصر العبّاسي:

[فليعتبر الناظر، هل أتي هَؤُلَاءِ الملوك إلا من سوء تحفظهم واشتغالهم عن ضبط أمورهم وتفقدها بلذاتهم وشهواتهم، وإغفالهم أمر أصحاب الأخبار وتركهم تعرف نيات وزرائهم وقوادهم وأمور عساكرهم وتعويلهم عَلى الاتفاقات والدّول الّتي لا يوثق بها، وقلة تصفحهم أحوال الملوك قبلهم ممن استقامت أمورهم، كيف كانت سيرتهم، وكيف ضبطوا ممالكهم ونيات أصحابهم بضروب الضبط، أولاً بالدّين الّذي يحفظ نظامهم ويملك سرائرهم، ثمّ بأصحاب الأخبار الثقات والعيون المذكاة علي مدبري أمورهم، والتفقد لهم يوما يوما وحالا فحالا وترك إيحاشهم ما أمكن ومداراة من تجب مداراته، والبطش بمن لا حيلة في استصلاحه ولا دواء لسيرته][2].

ثمّ إليك ما دونه الإِمَام السيوطي في تاريخه:

[في دولة بني العبّاس افترقت كلمة الإِسْلَام وسقط اسم العَرَب من الديوان وأدخل الأتراك في الديوان واستولت الديلم ثمّ الأتراك، وصارت لهم دولة عظيمة، وانقسمت الممالك عدّة أقسام وصار بكل قطر قائم يأخذ النّاس بالعسف ويملكهم بالقوة][3].

---

(١) صورة الأرض لابن حوقل : (١/ ٣)

(٢) تجارب الأمم وتعاقب الهمم : (٦/ ٦٨).

(٣) تاريخ الخلفاء (١٩٣).

ولم يكن أمراء وخُلَفَاء الأندلس أفضل حالا من أهل المشرق، فقد جاروهم في الترف، فأغفلهم عن عدوهم، فسطا عليهم وأخرجهم من ديارهم، ففي سنة ٤٥٦هـ جرت وقعة بين المُسلِمِين والأسبان في قرية (بطرنة) من أعمال (بلنسية) وفيها تغلب الإسبان عَلى المُسلِمِين، ومنها توجهوا لاحتلال (بلنسية).

ويصف لنا ابن بسام ما حلّ بأهل بلنسية حين داهمهم الإسبان فيقول:

[... ونزل الفرنج عَلى بلنسية وأهلها جاهلون بالحَرب، معرضون عَلى أمر الطعن والضرب، مقبلون عَلى اللذات من الأكل والشرب، وأظهر الفرنج الندم عَلى منازلها والضّعف عن مقاومة من فيها، وخدعوهم بذلك فانخدعوا وأطمعوهم فطمعوا، وكمن في عدّة أماكن جماعة من الفرنج، وخرج أهل البلد بثياب زينتهم، وخرج معهم أميرهم عبد العزيز بن عامر، فاستدرجهم الفرنج ثمّ عطفوا عليهم فاستأصلوهم بالقتل والأسر وما نجا منهم إلا من حصنه أجله، وخلص الأمير نفسه].

وهكذا جرى لأهل (طليطلة) - كما يقول ابن بسام - فإن ألفونسو السَّادس استظهر عليهم، وقتل جماهيرهم، وكان من جملة ما غنمه الفرنج من أهلها، لما خرجوا إليهم في ثياب الزينة، ألف غفارة خارجا عما سواها.

وليس أوجز ولا أبلغ في وصف حال الأندلس آنذاك، وحال معظم ممالك وإمارات المُسلِمِين الّتي دهمها الصّليبيّون والتّتار كذلك بعد ذلك بقليل، مما وصف به الإِمَام الجليل (**ابن حزم الأندلسي**) أحوال الأندلس في القرن الخامس الهجريّ مما أحدثه ملوك الطوائف، فقال رَحِمَهُ الله كلمات تحس الأسى يشع من بين حروفها، وأعجب ما فيها أنها تصلح لوصف أحوالنا هذه الأيّام في ظل حكامنا وتعاونهم مع الصّليبيّين عَلى بعضهم وعلى شعوبهم.

قَالَ ابن حزم عن أمراء الأندلس في زمانه، في كتاب(**التلخيص في وجوه التخليص**):

[فهذا أمر امتحنا به نسأل الله السَّلامة، وهي فتنة سوء أهلكت الأديان إلا من وقى الله تَعَالَى، لوجوه كثيرة يطول لها الخطاب، وعمدة ذلك ؛ أن كلّ مدبر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه، أولها عن آخرها محارب لله ورسوله ﷺ، ساع في الأرض بالفساد، للذي ترونه عيانا من شنهم الغارات عَلى

أموال المُسلِمِين من الرعية الّتي تكون في ملك من ضادهم، وإباحتهم لجندهم قطع الطّريق، ضاربون للجزية والمكوس والضرائب عَلى رقاب المُسلِمِين، مسلطون لليهود والنّصَارى عَلى قوارع طرق المُسلِمِين، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله، غرضهم منها استدامة إنفاذ أمرهم ونهيهم، فلا تغالطوا أنفسكم، ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن عَلى قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، النّاصرون لهم عَلى فسقهم.

فالمخلص لنا منها ؛ الإمساك بالألسنة جملة وتفصيلا إلا عن أمر بالمعروف أو نهي عن المُنكر وذم جميعهم، والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية لأمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون النّصَارى، ويمكنون لهم من حرم المُسلِمِين، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعا، فأخلوها من الإِسْلَام وعمروها بالنواقيس.

لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفا من سيوفه، فمن عجز عن ذلك رجوت أن تكون التقية تسعه، وأن ينكر بقلبه، هذا مع أنه لو اجتمع كلّ من ينكر بقلبه لما غلبوا عَلى أمرهم] أهـ.[1]

****

ضعف الوازع الإيماني وأثره في انهيار الدّولة الإِسْلَاميّة:

لقد كانَ إيمان المُسلِمِين الأولين ناصعا لا تفسده الأهواء، قوي الإحساس بالعدل وبكل مكارم الأخلاق، فقادهم إلى الفتح العظيم، ودخل النّاس في دينهم أفواجا لما رأوا من صدق دعوتهم، وكانوا فيها مثلا يحتذى، فلما ترف أخلافهم بنعماء الدُّنيَا وأسرفوا منها، تعلقوا بأذيالها، وأقبلوا عليها إقبال عاشق غاب رقيبه.

ويستفاد مما تقدم أن ضعف الوازع الإيماني في الراعي وغالبية الرعية، قد حاد بالمُسلِمين عن خُطّة الإِسْلَام، فالإِسْلَام أقام الإيمان رقيبا عَلى أعمال الإنسان وزوده بدقة الحس في التمييز بين الخير

(١) رسائل ابن حزم : رسالة التلخيص لوجوه التخليص (٣/ ١٧٣)

والشر، وبين الفضيلة والرَّذِيلة، وبين العدل والظُّلم، وعندما تعصف الأهواء بالإيمان، يفقد الإحساس بالخير والعدل والفضيلة.

ولما تراخت رقابة الإيمان عَلى أعمالهم حلّ الظُّلم محل العدل، فأخفت صوت الحقّ، وقضى سيف الظُّلم عَلى صولته، وأضحت القوّة هيَ الحاكم الّذي لا يرد والحكم الّذي لا ينقض، وبرز البَاطِل يختال في قصور الخُلَفَاء والأمراء والوزراء والأثرياء، متشحا بكل مظاهر العبث والمجون، فألهاهم عن مصالح الأُمّة، فشاع الفساد في الحكم والقضاء والإدارة، وقفز إلى مناصب الدّولة المنافقون ومنهم من اتخذ الدّين سلما للوصول إليها، فساهموا في الإفساد وأعانوا عَلى الظُّلم، وسادت الفوضى فكانت غنما للصوص والعيارين، وقامت لهم دولة في بغداد يحميها قادة من الجيش لقاء جزية يتقاضونها مما ينهبون.

وعاش عامة الشعب في فقر وخوف، وقهر ومذلة، فضمر ساعده وفقد قدرته عَلى القِتَال، وخمدت همته، فأضحى في حالة رق فقد فيها قدرته عَلى الإبداع، فأوقفه الزَّمن عن المسير، وأخذ ينظر إلى الشّعوب تتقدمه وهو معقود اللسان ومغلول اليدين، فلا يستطيع حراكا، إلى هذه الحالة آل أمر المُسلِمِين، في جميع الدّول الّتي تشتت فيها دولتهم، لتساوي العلة فيها.

وقد كانَ رسول الله ﷺ كانَ يعلم ما سيؤولون إليه حين قَالَ لهم: «**ثمّ يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**»، **فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ**: «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ**»، **فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ**: «**حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»[1].

****

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني: السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

تفشي ظاهرة علماء السُّلطَان خلال المَرحَلَة العبّاسيّة:

إن فساد الدّين، وفساد الخلق أساسه فساد فئتين من النّاس هم العُلَماء والحكام كما قَالَ ابن المبارك ﵀:

وهل أفسد الدّين إلا الملوك ۞ وأحبار سوء ورهبانها

وفساد الحكَّام سببه فساد العُلَماء، وفساد العُلَماء سببه الإخلاد إلى الأرض وحب المال والجاه، يقول حجة الإِسْلَام الإِمَام **أبو حامد الغزالي** ﵀، واصفاً حال علماء عصره بعد أن ذكر من مواقف علماء السَّلَف وتضحيتهم في سبيل الحقّ وعدم اكتراثهم ببأس السّلاطين، وكان قد عاش في القرن الخامس، وعاصر الدّولة السلجوقية، وما عاصرها من الممالك المستقلة، بعد أن وهنت عرى الخِلافَة العبّاسيّة:

[وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العُلَماء فسكتوا، وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم، فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا، ففساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العُلَماء، وفساد العُلَماء باستيلاء حب المال والجاه، ومن استولى عليه حب الدُّنيَا فلم يقدر عَلَى الحسبة عَلى الأراذل، فكيف عَلى الملوك والأكابر، والله المُستَعان عَلى كلّ حال][1].

وأما الإِمَام الجليل ابن تَيمِيّة فقد قضى عمره في صِرَاع مع من فسد من علماء السّلاطين، وأئمة البِدَع، وكان معاصرا للدولة المملوكية في القرن الثَّامن في عهد محمّد بن قلاوون فيما كانت هجمات التّتار تعصف ببلاد الشّام، حتَّى بلغ به أن يقول مما يرى من نفاق علماء السّلاطين وممالأتهم للأمراء عَلى جورهم وفساد أحوالهم، فقال:

[وَمَتَى تَرَكَ الْعَالِمُ مَا عَلِمَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَاتَّبَعَ حُكْمَ الْحَاكِمِ الْمُخَالِفِ لِحُكْمِ اللهِ وَرَسُولِهِ كَانَ مُرْتَدًّا كَافِرًا يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ!!][2].

وأما ابن حزم الّذي عاش زمن ملوك الطوائف، فقد مر قوله يعرض بفقهاء القصور، وعلماء السُّلطَان في زمانه:

---

(١) إحياء علوم الدين: (٢/ ٣٥٧).

(٢) الفتاوى: (ج٣٥ ص٣٧٢-٣٧٣).

[.. مسلطون لليهود والنّصَارى عَلى قوارع طرق المُسلِمِين، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله، غرضهم منها استدامة إنفاذ أمرهم ونهيهم، فلا تغالطوا أنفسكم، **ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن عَلى قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، النّاصرون لهم عَلى فسقهم...**](١) وقد طفحت كتب التّاريخ بما سجله علماء الحقّ، وأئمة الهدى الّذين اعتزلوا قطار الظُّلم والضلال مما عانوه وشاهدوه من فساد طبقة علماء السّلاطين، وممالأتهم للأمراء.

وكان هذا من أسباب فساد الأحوال الّتي مهدت، لتتابع العقاب السنني القدري، باجتياح غارات الأَعدَاء لعقر ديار المُسلِمِين، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾ [الإسراء]

وهكذا جرت السنن عَلى تلك الممالك ومن عاش فيها من حُكَّام ومحكومين.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود]

وهكذا مضت الأمم وتفانت الدّول، وبقيت العبرة مريرة والسنن ماضية. قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٥﴾ [الأنعام] وهكذا هجم الرُّوم والصّليبيّون عَلى بلاد المُسلِمِين من الغرب، واجتاحهم المغول من الشّرق، وسقطت بلاد الإِسْلَام والمُسلِمين تحت سنابك خيل العدوّ، ليسجل لنا التّاريخ أهوالا يشيب لذكرها الولدان، وتقشعر لها الأبدان، بما كسبت أيدي النّاس حكاما ومحكومين ولله الأمر من قبل ومن بعد.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧﴾ [ق]

****

(١) رسائل ابن حزم: رسالة التلخيص لوجوه التخليص (٣/ ١٧٣).

الغزو الخارجي للعالم الإِسْلَاميّ

في خضم تلك الأحداث الّتي سادت العالم الإِسْلَاميّ من انقسام دوله وتسارع انهيارها، وتنازع ملوكها وسلاطينها وأمرائها وقادتها، وإفناء بعضهم البعض بالحُرُوب في التزاحم عَلى السّلطة والاستئثار بها.

في خضم تلك الأحداث كانَ العالم الإِسْلَاميّ هدفا لعدوان انصب عليه من المغرب والمشرق.

* فمن المغرب شنت أوروبّا المسيحية عليه خلال قرنين من الزّمان سبع حملات صليبيّة عَلى بلاد الشّام ومصر.

وفي بلاد الأندلس تتابعت حملات الإسبان الصّليبيّة، وكانت البابوية صاحبة الدّعوة لهذه الحُرُوب.

* ومن المشرق اقتحمت جُيُوش المغول (التّتار) الدّول الإِسْلَاميّة في بلاد ما بين النهرين وتجاوزتها إلى إيران والعراق وآسيا الصغرى وأخيرا بلاد الشّام متجهة إلى مصر.

وقد تمكنت دولة الأيوبيين ومن بعدها دولة المماليك من صد هذه الحملات في موقعتين شهيرتين هما (حطين) مع الصّليبيّين، و(عين جالوت) مع التّتار.

أما في بلاد الأندلس فكان الصِّرَاع عَلى الملك بين الملوك والانشغال به عن أمور الدويلات المتصارعة القدر المحتوم للنهاية الّتي ختمت بها دولة الإِسْلَام بعد حكم دام ثماني مئة عام.

أولا- النورمانديون يخرجون المُسلِمِين من جنوب إيطاليا وصقلية:

في عام ٢١٢هـ استولى العَرَب عَلى جَزِيرَة صقلية بقيادة قاضي القيروان أسد ابن الفرات في عهد زيادة الله الأوّل الأغلبي، أمير إفريقية (تونس) واكتمل فتحها سنة ٢٤٨هـ وأقيمت مدينة (بالرمو) عاصمة لها، وضمت إلى دولة الأغالبة في تونس.

وفي عام ٢٢٦هـ اجتاز العَرَب البحر من شمال صقلية إلى جنوب إيطاليا واستولوا عَلى مدينة (باري) وألحقوها بدولتهم بصقلية.

وفي عام ٢٩٧هـ انقضت دولة الأغالبة باستيلاء العبيديين عليها بزعامة عبيد الله المهدي وألحقوها بدولتهم الّتي أقاموها في تونس حتَّى سنة ٣٣٦هـ، إذ ثار الكلبيون في صقلية عَلَى حكم العبيديين واستقلوا بها بزعامة الحسن بن علي الكلبي.

وفي عام ٤٣٢هـ استولى النورمانديون عَلَى جنوب إيطاليا بزعامة (toncred de hauteville تنكريد ده هوتفيل) وأقاموا فيها دولة نورماندية وأخرجوا العَرَب من مدينة (باري).

وفي عام ٤٦٤هـ اجتاز النورمانديون البحر إلى صقلية بزعامة (rober jescar i روبير جيسكار الأوّل) وأخذوا بطرد العَرَب منها وأتموا الاستيلاء عليها سنة ٤٨٠هـ، وأزالوا الحكم العربيّ وانطوى علمه، الّذي كانَ خفاقا مدّة (٢٧٠) عاماً.

ثانياً - الحُرُوب الصّليبيّة: أسبابها وعواملها:

ترجع هذه الحُرُوب في أسبابها إلى ثلاثة عوامل مجتمعة: دينية وسياسيّة واقتصاديَّة.

ففي أعقاب خطاب ألقاه البابا (أوربّان الثّالث) في مدينة كليرمون فراند (clermont ferrand) بفرنسا في ٢٦ نوفمبر – تشرين الثّاني – سنة ٤٨٨ / ١٠٩٥م استجاب فيه لنداء من الإمبراطور البيزنطي ألكسيس كومنين يطلب منه العون ضدّ السلاجقة الأتراك وإعلان الحَرب عليهم، لبس لباس النسك وعرف ببطرس النّاسك، وفيها دعا إلى حرب المُسلِمِين واسترداد بيت المَقْدِس من أيديهم.

وقد استجاب لنداء البابا وصيحة الراهب فئات ثلاث: الفقراء والأقنان (أرقاء الأرض)، وأمراء الإقطاع، وأصحاب التجارات، فأما الفقراء وهم الطّبقة الكبرى فكانوا يعيشون في قلة وحرمان، تفتك فيهم الأوبئة الّتي كانت تجتاح أوربّا ومثلهم الأقنان، وهم الأرقاء المرتبطون بأراضي السادة الإقطاعيين، يملكهم السيد الإقطاعي مع الأرض، فكان هَؤُلَاءِ يحلمون ببلاد فيها كلّ النعيم ويطمعون بغفران الكنيسة لخطاياهم، وكانت هذه هيَ القوّة الروحية الدافعة للحرب.

وأما أمراء الإقطاع فكانوا فئتين، فئة تملك اللقب والمال وفئة فقيرة تملك اللقب ولا تملك المال، وذلك أن شريعة الإرث في نظام الإقطاع كانت تقضي بتوريث الولد البكر اللقب والمال وتخص الآخرين من الأبناء باللقب دون المال، وكان يطلق عليهم اسم (المعدمينsans avoir) أي الّذين لا يملكون شيئا أو يطلق عليهم اسم (بدون أرض sans terre) أي الّذين لا يملكون أرضا.

وكان الأمراء المالكون للإقطاع في صِرَاع فيما بينهم، وكانت الدّعوة للحرب الصّليبيّة سببا في عقد أيديهم بالصُّلح وتحويل الصِّرَاع إلى قتال المُسلِمِين، أما الأمراء الّذين لا يملكون فكانوا ينتزعون معيشتهم بالقتل والقتال، ينقمون عَلى مجتمع خصهم بالحرمان، فكانت الدّعوة لحرب المُسلِمِين منفرجا لهم ومنعرجا في سلوكهم، فانضمت أفواجهم إليها طمعا في أرض يملكونها وغنائم ينعمون بها، وأما أصحاب التجارات فهم أصحاب المدن البحرية الّذين يملكون السفن ويحلمون بالوصول إلى شواطئ بلاد الشّام لإقامة علاقات تجاريَّة مع مدنها، وقد حققت مدن جنوة وبيزا والبندقية الإيطالية أحلامها وجنت أرباحا كبيرة في نقل الحملات الصّليبيّة والاتجار مع بلاد مصر والشّام، وقد تعاقبت الحُرُوب الصّليبيّة في سبع حملات في مدى مائتي عام:

الحملة الصّليبيّة الأولى (٤٩١هـ/ ١٠٩٧ م):

وتقسم إلى قسمين:

الحملة الشعبيَّة: وقد قادها بطرس النّاسك، والأسقف مونتي، وتكونت من جموع غفيرة غير منتظمة ولا مؤتلفة، وكان أكثرها من الفرنسيين، لأن الدّعوة لحرب المُسلِمِين جاءت من (بابا) فرنسي وصدرت من بلدة فرنسية ونادى بها راهب فرنسي، لذلك كانَ المُسلِمُون يسمون الصّليبيّين بالفرنجة وهو الاسم القديم للفرنسيين في ذلك الزّمان من العوام والغوغاء تحركوا بغير تجهيز ولا ترتيب، واعتمدوا في طريقهم النهب والسلب، فقاتلهم النّاس عَلى طول طريقهم في بلدان أوربّا الشرقية، ثمّ مروا بالقُسطَنْطينيَّة، وعبروا منها إلى أسيا الصغرى، وهناك تولى السلاجقة القضاء عليهم بكل سهولة.

حملة الأمراء: وقد تحركت في إثرها وقد تألفت هذه الحملة من خليط من أمراء أوربيين، وقد تولى قيادة تلك الجموع أمراء فرنسيون توجهوا بها بطريق البر واجتازوا بها مدينة القُسطَنْطينيَّة، وتمكنت الحملة من شق طريقها إلى الحدود الفاصلة بين شرق الأناضول وبلاد الشّام فافترقت إلى ثلاث فرق، فرقة اتجهت شرقا واحتلت مدينة (الرها edesse) سنة ٤٩١هـ وأقامت بها إمارة صليبيّة بزعامة (بودوان الأوّل baudouin)

وفرقة اتجهت نحو الجنوب ودخلت بلاد الشّام باتجاه ساحل المتوسط واحتلت مدينة أنطاكية سنة ٤٩٢هـ وأقامت فيها إمارة صليبيّة أُخرى بزعامة (بوهمند الثّاني النورماندي(bohemond II) ثمّ اتجهت نحو القُدس فوصلتها سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م وأطبقت عليها بحصارها، ولم تتمكن الحامية الفاطميّة من الدّفاع عنها فاستسلمت ودخلها الصّليبيّون في يوم ١٥ تموز / يوليو / سنة ١٠٩٩م وأثخنوا القتل في أهلها من مُسلِمِين ويهود ومسيحيين أرثوذكس، ويعترف المؤرخون الأوروبيون بهول ما فعله الصّليبيّون وفي ذلك تقول المؤرخة الألمانية (زوي أولدنبورغ zoe oldenburg) في كتابها عن الحُرُوب الصّليبيّة: (إن المذبحة الّتي أقدم عليها الصّليبيّون في اجتياحهم القُدس تعد في عداد أكبر جرائم التّاريخ).

وقد أقام الصّليبيّون في القُدس مملكة صليبيّة بزعامة أمير اللورين (غودفراده بويون godefroy de bouillon) وفي عام ١١٠٠م توجه لحصار عكا فأصابه سهم فقتل وخلفه أخوه (بودوان baudouin).

الحملة الصّليبيّة الثّانية (٥٣٩هـ/ ١١٤٥ م):

في عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م استرد أمير الموصل عماد الدّين زنكي مدينة الرها من الصّليبيّين، وأسقط إمارتها فتألفت بسببها حملة صليبيّة ثانية بزعامة كونراد الثّالث (Conrad III) ملك ألمانيا ولويس التّاسع (Louis ix) ملك فرانسا، ولكن عماد الدّين زنكي دحرهم، وبعد أن اغتال الحشاشون الباطنية عماد الدّين زنكي، حمل ابنه نور الدّين زنكي لواء الجِهَاد ضدّ الصّليبيّين، واستطاع

استرداد مدينة انطاكية سنة (٥٥٩هـ/ ١١٦٣ م)، وهكذا عادت الحملة الثّالثة أدراجها بعد فشلها في حصار دمشق، ثمّ تابع نور الدّين جِهَادهم طيلة حياته بلا كلل.

ولما ورث صلاح الدّين الأيوبي مملكة نور الدّين، وأقام الدّولة الأيوبية حمل الأمانة بهمة وتفاني، وتتالت انتصاراته إلى أن توجها بمعركة حطين (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) حيث أسر فيها ملك بيت المَقْدِس الصّليبيّ(جان لوزجنان) وكبار أمراء الصّليبيّين، وقتل أرناط الّذي قطع طريق الحجّ وكان سبب انهيار الهدنة بينه وبينهم، ثمّ تابع صلاح الدّين بعد حطين، فاسترد طبريا، وعكا، وقيسارية، وحيفا، ويافا، وصيدا، مما سبب قدوم الحملة الثّالثة.

الحملة الصّليبيّة الثّالثة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م):

نتيجة انتصاراتِ صلاحِ الدّين، تألَفت حملةٌ صليبيّةٌ ثالثة بزعامة فردريك بارباروس الأوّل ملكُ ألمانيا (Fredric barbarous) و(فيليب أوغست Philippe Augusta) ملك فرنسا و(ريتشارد قلب الأسد Richard Coeur de lion) ملك إنكلترا.

وقد سلك فردريك طريق البرّ واجتاز القُسطَنْطينيَّة إلى برّ الأناضول وغرق أثناء عبوره نهراً في (كليكيا) وتشتَّت حملته، وعاد فيليب أوغست إلى فرنسا بعد اختلافه مع ريتشارد قلب الأسد وزعموا أنَّ ذلك كانَ لمرضه، أما ريتشارد قلب الأسد فقد تابع طريقه، ولكنّ صلاح الدّين تمكَّن من فتح بيت المَقْدِس (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) ثمّ عقد صلحًا مع ريتشارد قلب الأسد دعي بصلح الرَّملة سنة (٥٨٨هـ - ١١٩٢م)، رجع ريتشارد عَلى إثره إلى بلاده.

الحملة الصّليبيّة الرَّابعة (٥٩٥هـ/ ١١٩٨ م):

بعد استرداد بيت المَقْدِس، استصرخ البابا (أنوست الثّالث) ملوك أوربّا لاسترداد بيت المَقْدِس، وفي عام ٥٩٨ هـ/ ١٢٠٢م تألفت حملة صليبيّة أعدها أمراء فرنسيون منهم (بودوان التّاسع أمير فلاندر) و(تيبو الثّالث أمير شامباني) و(لويس أمير بلوا) وآخرون، وكانت مصر هدفا لهم، وقد اتفقوا مع ملاحي البندقية عَلى نقلهم إلى الإسكندرية، ولما علم الملك العادل الأيوبي بهذا الاتفاق، منح

البنادقة امتيازات تجاريَّة فتحول قادة الحملة إلى القُسطَنْطينيَّة فاجتاحوها وأقاموا فيها دولة لاتينية سنة (٦٠٠هـ/ ١٢٠٤م) ولّوا عليها بودوان التّاسع ملكا وأعلنوا المذهب الكاثوليكي وقد استمرت هذه الدّولة قائمة حتَّى سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م، ولكن بعض جنود الحملة تابعوا طريقهم وانضم إليهم بعض الصّليبيّين من سواحل الشّام وهاجموا مدينة رشيد في دلت النيل، وفشلوا في دخولها وعادوا خائبين لم تحقق هدفها كحملة صليبيّة.

**** حملة الأطفال (٦٠٨هـ/ ١٢١٢ م):**

بعد شيوع أخبار سقوط بيت المَقْدِس وفشل الحملة الرَّابعة عم السخط الأوسط الأوربية، وتعاظم الحماس الدّيني حتَّى بين الأطفال، الّذين زعم أحدهم أن العناية الإلهية كلفته بقيادة الحملة وانضم بعض القساوسة للترويج لها، حيث توجه بالأطفال من قادهم إلى موانئ إيطاليا، حيث حملتهم السفن إلى موانئ الشّام، حيث يروى أن تجار الرقيق غدروا بهم حيث باعوهم في أسواق النخاسة في المشرق.

الحملة الصّليبيّة الخامسة (٦١٤هـ/ ١٢١٢ م):

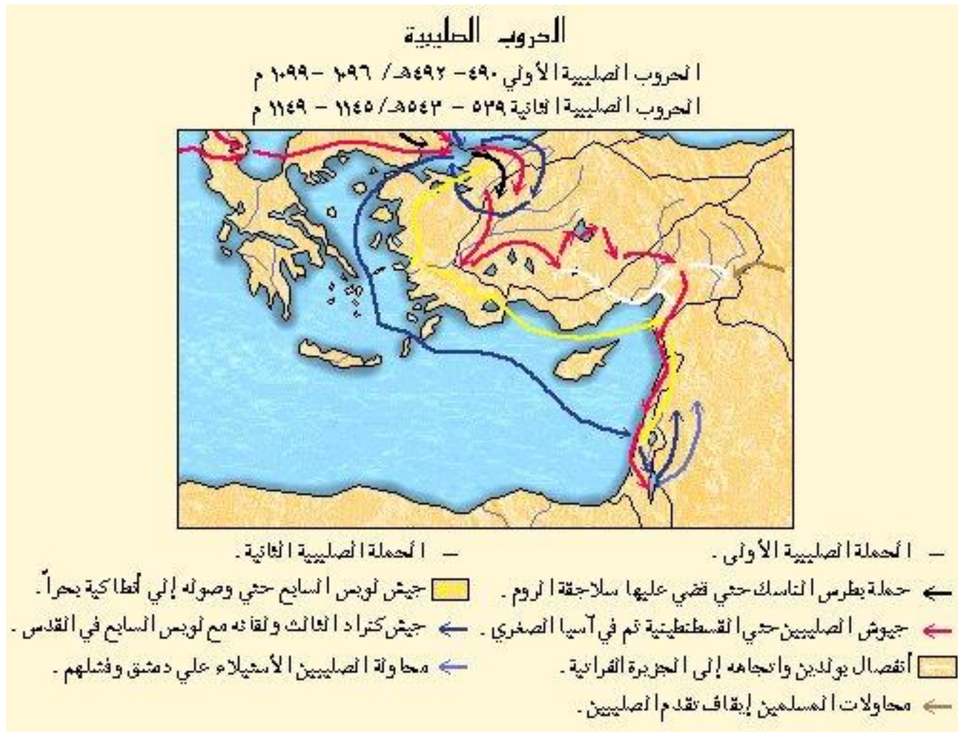
تألفت هذه الحملة سنة ٦١٥ هـ/ ١٢١٩م بزعامة (جان ده بريان Jean de brienne) ملك بيت المَقْدِس الّذي أراد حماية أملاكه في الشّام، واتجهت الحملة إلى مصر فاستولت عَلى مدينة دمياط نتيجة مرض الملك الكامل، ثمّ اتجهوا إلى مدينة فارسكو، وقت فيضان النيل، ففتح الفلاحون عليهم سيول ماء النيل، ثمّ هاجمتهم جُيُوش الكامل وغنمت معظم سفنهم وسلاحهم، ثمّ استرد المصريون دمياط وأجلوا الحملة عن مصر.

الحملة الصّليبيّة السَّادسة (٦٢٥هـ/ ١٢٢٨ م):

أعد هذه الحملة الملك (فردريك الثّاني، ملك ألمانيا Frederic) بتحريض من البابوية، فقد توجه بحملته سنة ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٨م إلى بلاد الشّام بطريق البحر، وكان الملك الكامل، صاحب

مصر، قد استنجد به ليعينه عَلى أخيه الملك المعظم عيسى لكي ينتزع منه دمشق وفق شروط تمَّ الاتفاق عليها منها تسليمه القُدس وقدم فردريك بحملته إلى عكا، وكان الملك المعظم عيسى قد توفي وخلفه ابنه الملك المنصور داود فتصالح مع عمه الملك الكامل وسلمه دمشق حيث أعطاه بدلا منها مدن صرخد والشوبك والكرك.

وباستلام الملك الكامل لمدينة دمشق نفذ شروط الاتفاق وسلم فردريك مدينة القُدس فدخلها وتوج نفسه ملكا عليها وعاد إلى بلاده وبذلك أنهى مهمة الحملة الصّليبيّة الّتي قادها دون قتال.







الحملة الصّليبيّة السَّابعة (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م):

جهز هذه الحملة الملك الفرنسي لويس التّاسع الملقب – لتدينه – بالقديس لويس، ووجهها نحو مصر، فقد رأى أن استرداد بيت المَقْدِس عن طريق مصر أيسر من استردادها عن طريق بلاد الشّام،

فتوجه بحملة بحرية إلى مصر سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٩م واستولى عَلى مدينة دمياط نتيجة مرض الملك الصّالح نجم الدّين أيوب، ثمّ توجه لحصار المَنصُورَة، وخلال الموقعة الّتي جرت فيها بينه وبين المُسلِمِين توفي الملك الصّالح نجم الدّين أيوب فأخفت زوجته شجرة الدر الخبر، وقاد ابنها توران شاه، وقائد أبيه ومملوكه (المعز إيبك) المَعْرَكة الّتي كتب فيها النّصر، وأسر الملك الفرنسي مع جملة من أمراء الحملة، وأودعوا السّجن في دار ابن لقمان ثمّ أطلق لقاء فدية كبيرة.

**** محاولة صليبيّة لغزو مصر من إفريقية:**

لم يبرح الملك لويس التّاسع التّفكير بغزو مصر وعزم عَلى تنفيذ فكرته بغزوها عن طريق إفريقية (تونس) فقاد إليها سنة ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠م حملة، ولكن القدر كانَ أغلب منه، فقد نبا به جواده وهلك، وقيل أن هلاكه كانَ بسبب الوباء، وهكذا باءت خطته بالفشل والخسران.

وقد توقفت بعد هذه الحملة الحملات الصّليبيّة عَلى بلاد الشّام ومصر وانصرف أمراء أوربّا إلى حُرُوبهم الداخليَّة هناك، غير أن احتلال الصّليبيّيّن لبعض مدنها وقلاعها ظل قائما إلى أن جاءت دولة المماليك البحرية فجرد عليهم الملك الظَّاهِر بيبرس البندقداري ومن بعده الملك قلاوون جُيُوشه وأخرجهم من بلاد الشّام فتحررت منهم بعد مائتي عام ونيف من السنين قضوها في بعض مناطقها، وكانت سنة (٦٤٨هـ / ١٢٩١م) سنة سقوط عكا، آخر معاقل الصّليبيّيّن في بلادنا موعد تنظيف سواحل الشّام من دنسهم.

****

ثالثا- اجتياح التّتار (المغول) للعالم الإِسْلَاميّ:

قامت دولة المغول بزعامة مغولي يدعى (تيموجين)، وقد تمكن من جمع أشتات قبيلته والاستيلاء عَلى بلاد الصين وبلاد التيبت وقهر الشّعوب المحيطة بدولته، فدعاه شيوخ قبيلته (جنكيزخان) أي الملك القاهر وأصبح معروفا بهذا اللقب.

وقد أراد أن يقيم علاقات حسن جوار مع دولة خوارزم وكانت أكبر دولة إسلاميّة في المشرق وملكها يومئذ علاء الدّين محمّد، لتأمين التبادل التجاري مع بلاده وحماية القوافل التجاريَّة مع البلاد الإِسْلَاميّة، فأرسل إليه رسلا يحملون كتابا منه يطلب فيه أن يتعهد له بتأمين التبادل التجاري وحماية القوافل التجاريَّة، فلم يجد خوارزم شاه في عبارة الكتاب ما يليق بمقامه، فقد وجد أن جنكيزخان يخاطبه كما يخاطب ابنه، فوافق عَلى طلبه عَلى مضض، وكتم غيظه حتَّى وقعت الواقعة.

فقد توجهت قافلة كبيرة، تحمل أموالا ثمينة، فلما اجتازت حدود خوارزم ودخلت مدينة (أترار) قبض عاملها عَلى أفرادها فقتلهم وصادر أموال القافلة، وقيل إن ما فعله كانَ بأمر شاه خوارزم علاء الدّين، فلما علم جنكيز خان بالأمر صمم عَلى الانتقام، وتوجه سنة ٦١٤هـ عَلى رأس جيش جرار، فغزا خوارزم وأخرب مدنها ومنها سمرقند وبخارى وقتل من فيها من السّكّان، ولم يستطع علاء الدّين خوارزم شاه مقاومة هذا الغزو، فهرب من وجه المغول، فتبعوه وأخذوا يطاردونه حتَّى بلغ بحر قزوين فلجأ إلى جَزِيرَة فيه، وفيها توفي سنة ٦١٧هـ مطرودا منسيا،

فخلفه ابنه جلال الدّين منكبرتي، فكان أسوأ حظا من أبيه، وأمضى مدّة ملكه مع فلول جنده، هاربا من إقليم إلى إقليم، حتَّى انتهى به المطاف سنة ٦٢٩هـ إلى ميافارقين بجَزِيرَة عمر، فأوى إلى قرية قريبة منها، فدخل عليه من اغتاله فقضى شريدا، وبه انتهت دولة خوارزم.

وعاد جنكيزخان إلى بلاده، وتولى حفيده (هولاكو) قيادة جحافل المغول متجها نحو المشرق، يغير عَلى مدنه ويمعن فيها القتل والسبي والنهب، حتَّى أحاطت جُيُوشه ببغداد في شهر صفر سنة ٦٥٦هـ فاجتاحها وأخذ جنده في تخريبها وسفك دماء أهلها، ولم يسلم الخَليفَة المستعصم بالله من نقمة المغول فقتلوه مع أهله في اليَوْم الرَّابع من شهر صفر من ذلك العام وبقتله انقضت دولة بني العبّاس ببغداد.

خُلاصة أحوال المُسلِمِين إبَّان اجتياح التّتار بحسب رواية ابن كثير رحمه الله:

وسأورد مجملا عنها بشيء من الإسهاب لما فيها من الدُّروس والعبر والتشابه مع أحوالنا هذه الأيّام، والله المُستَعان.

قَالَ ابن كثير رحمه الله:

ففي سنة٦١٦ هـ:

عَبَرَتِ التَّتَارُ نَهْرَ جَيْحُونَ صُحْبَةَ مَلِكِهِمْ جِنْكِزْخَانَ مِنْ بِلَادِهِمْ، وَكَانُوا يَسْكُنُونَ جِبَالَ طَمْغَاجَ مِنْ أَرْضِ الصِّينِ وَلُغَتُهُمْ مُخَالِفَةٌ لِلُغَةِ سَائِرِ التَّتَارِ، وَهُمْ مِنْ أَشْجَعِهِمْ وَأَصْبَرِهِمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَسَبَبُ دُخُولِهِمْ نَهْرَ جَيْحُونَ أَنَّ جِنْكِزْخَانَ بَعَثَ تُجَّارًا لَهُ وَمَعَهُمْ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ إلى بلاد خوارزم شاه يبتضعون له ثِيَابًا لِلْكُسْوَةِ، فَكَتَبَ نَائِبُهَا إِلَى خُوَارَزْمَ شَاهْ يَذْكُرُ لَهُ مَا مَعَهُمْ مِنْ كَثْرَةِ الْأَمْوَالِ، فأرسل إليه بأن يقتلهم ويأخذ ما معهم، ففعل ذلك، فلما بلغ جنكزخان خبرهم أرسل يتهدد خوارزم شاه، ولم يكن ما فعله خوارزم شاه فعلا جيدا، فلما تهدده أشار مَنْ أَشَارَ عَلَى خُوَارَزْمَ شَاهْ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ، فسار إليهم وهم في شغل شاغل بِقِتَالِ كَشْلِي خَانَ، فَنَهَبَ خُوَارَزْمُ شَاهْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبَى ذَرَارِيهِمْ وَأَطْفَالَهُمْ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ مَحْرُوبِينَ فَاقْتَتَلُوا مَعَهُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ قِتَالًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ، أُولَئِكَ يُقَاتِلُونَ عَنْ حَرِيمِهِمْ وَالْمُسْلِمُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مَتَى وَلَّوا اسْتَأْصَلُوهُمْ، فَقُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، حَتَّى إِنَّ الْخُيُولَ كَانَتْ تَزْلَقُ فِي الدِّمَاءِ.

وَكَانَ جُمْلَةُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا، وَمِنَ التَّتَارِ أَضْعَافُ ذَلِكَ، ثُمَّ تَحَاجَزَ الْفَرِيقَانِ وَوَلَّى كُلٌّ مِنْهُمْ إِلَى بِلَادِهِ وَلَجَأَ خُوَارَزْمُ شَاهْ وَأَصْحَابُهُ إِلَى بُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ فَحَصَّنَهَا وَبَالَغَ فِي كَثْرَةِ مَنْ تَرَكَ فِيهَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ، وَرَجَعَ إِلَى بِلَادِهِ لِيُجَهِّزَ



الْجُيُوشَ الْكَثِيرَةَ، فَقَصَدَتِ التَّتَارُ بُخَارَى وَبِهَا عِشْرُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ فَحَاصَرَهَا جِنْكِزْخَانُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَطَلَبَ مِنْهُ أَهْلُهَا الْأَمَانَ فَأَمَّنَهُمْ وَدَخَلَهَا فَأَحْسَنَ السِّيرَةَ فِيهِمْ مَكْرًا وَخَدِيعَةً، وَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ الْقَلْعَةُ فَحَاصَرَهَا وَاسْتَعْمَلَ أَهْلَ الْبَلَدِ فِي طم خندقها وكانت التَّتَارُ يَأْتُونَ بِالْمَنَابِرِ وَالرَّبَعَاتِ فَيَطْرَحُونَهَا فِي الْخَنْدَقِ يطمونه بها ففتحوها قَسْرًا فِي عَشَرَةِ أَيَّامٍ، فَقَتَلَ مَنْ كَانَ بِهَا، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْبَلَدِ فَاصْطَفَى أَمْوَالَ تجارها وأحلها لِجُنْدِهِ فَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَسَرُوا الذُّرِّيَّةَ وَالنِّسَاءَ، وَفَعَلُوا مَعَهُنَّ الْفَوَاحِشَ بِحَضْرَةِ أَهْلِيهِنَّ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَاتَلَ دُونَ حَرِيمِهِ حَتَّى قُتِلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُسِرَ فَعُذِّبَ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، وَكَثُرَ الْبُكَاءُ والضجيج بالبلد من النساء والأطفال والرجال، ثُمَّ أَلْقَتِ التَّتَارُ النَّارَ فِي دُورِ بُخَارَى وَمَدَارِسِهَا وَمَسَاجِدِهَا فَاحْتَرَقَتْ حَتَّى صَارَتْ بِلَاقِعَ خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا، ثُمَّ كَرُّوا رَاجِعِينَ عَنْهَا قَاصِدِينَ سمرقند.

وفي سنة ٦١٧ هـ:

فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَمَّ الْبَلَاءُ وَعَظُمَ الْعَزَاءُ بجنكزخان المسمى بتموجين لعنه الله تعالى، ومن مَعَهُ مِنَ التَّتَارِ قَبَّحَهُمُ اللهُ أَجْمَعِينَ، وَاسْتَفْحَلَ أمرهم واشتد إِفْسَادُهُمْ مِنْ أَقْصَى بِلَادِ الصِّينِ إِلَى أَنْ وَصَلُوا بِلَادَ

الْعِرَاقِ وَمَا حَوْلَهَا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى إِرْبِلَ وَأَعْمَالِهَا، فَمَلَكُوا فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ هَذِهِ السَّنَةُ سَائِرَ الْمَمَالِكِ إِلَّا الْعِرَاقَ وَالْجَزِيرَةَ وَالشَّامَ وَمِصْرَ، وَقَهَرُوا جَمِيعَ الطَّوَائِفِ الَّتِي بِتِلْكَ النَّوَاحِي الْخُوَارَزْمِيَّةِ وَالْقَفْجَاقِ وَالْكُرْجِ وَاللَّانِ وَالْخَزَرِ وغيرهم، وقتلوا في هذه السنة من طوائف المسلمين وغيرهم في بلدان متعددة كبار مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ، وَبِالْجُمْلَةِ فَلَمْ يَدْخُلُوا بَلَدًا إِلَّا قَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ فِيهِ من المقاتلة وَالرِّجَالِ، وَكَثِيرًا مِنَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ، وَأَتْلَفُوا مَا فِيهِ بِالنَّهْبِ إِنِ احْتَاجُوا إِلَيْهِ، وَبِالْحَرِيقِ إِنْ لَمْ يَحْتَاجُوا إِلَيْهِ، حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوا يَجْمَعُونَ الْحَرِيرَ الْكَثِيرَ الَّذِي يَعْجِزُونَ عَنْ حَمْلِهِ فَيُطْلِقُونَ فِيهِ النَّارَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَيُخَرِّبُونَ الْمَنَازِلَ وما عجزوا عن تخريبه يحرقوه، وأكثر ما يحرقون المساجد والجوامع، وَكَانُوا يَأْخُذُونَ الْأُسَارَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيُقَاتِلُونَ بِهِمْ وَيُحَاصِرُونَ بِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَنْصَحُوا فِي الْقِتَالِ قَتَلُوهُمْ.

وَقَدْ بَسَطَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي كَامِلِهِ خَبَرَهُمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بَسْطًا حَسَنًا مُفَصَّلًا، وَقَدَّمَ عَلَى ذَلِكَ كَلَامًا هَائِلًا فِي تَعْظِيمِ هَذَا الْخَطْبِ الْعَجِيبِ، قَالَ فَنَقُولُ: هَذَا فَصْلٌ يَتَضَمَّنُ ذِكْرَ الْحَادِثَةِ الْعُظْمَى وَالْمُصِيبَةِ الْكُبْرَى الَّتِي عقمت الليالي والأيام عَنْ مِثْلِهَا، عَمَّتِ الْخَلَائِقَ وَخَصَّتِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَوْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّ الْعَالَمَ مُنْذُ خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَإِلَى الْآنَ لَمْ يُبْتَلَوْا بِمِثْلِهَا لَكَانَ صَادِقًا، فَإِنَّ التَّوَارِيخَ لَمْ تَتَضَمَّنْ مَا يُقَارِبُهَا ولا يُدَانِيهَا، وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَذْكُرُونَ مِنَ الْحَوَادِثِ ما فعل نصر ببني إسرائيل من القتل وتخريب بيت الْمَقْدِسِ، وَمَا الْبَيْتُ الْمُقَدَّسُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا خَرَّبَ هَؤُلَاءِ الْمَلَاعِينُ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي كُلُّ مَدِينَةٍ مِنْهَا أَضْعَافُ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَمَا بَنُو إسرائيل بالنسبة لما قُتِلُوا، فَإِنَّ أَهْلَ مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ مِمَّنْ قُتِلُوا أَكْثَرُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَعَلَّ الْخَلَائِقَ لَا يَرَوْنَ مِثْلَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ إِلَى أَنْ يَنْقَرِضَ الْعَالَمُ وَتَفْنَى الدُّنْيَا إِلَّا يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَأَمَّا الدَّجَّالُ فَإِنَّهُ يُبْقِي عَلَى مَنِ اتَّبَعَهُ وَيُهْلِكُ مَنْ خَالَفَهُ، وَهَؤُلَاءِ لَمْ يُبْقُوا عَلَى أَحَدٍ، بَلْ قَتَلُوا الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ، وَشَقُّوا بُطُونَ الحوامل وقتلوا الأجنة، فـ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، لِهَذِهِ الْحَادِثَةِ الَّتِي اسْتَطَارَ شَرَرُهَا وَعَمَّ ضَرَرُهَا، وَسَارَتْ فِي الْبِلَادِ كَالسَّحَابِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَإِنَّ قَوْمًا خَرَجُوا مِنْ أَطْرَافِ الصِّينِ فَقَصَدُوا بِلَادَ تُرْكِسْتَانَ مِثْلَ كَاشْغَرَ وَبَلَاسَاغُونَ، ثُمَّ مِنْهَا إِلَى بِلَادِ مَا وراء النهر مثل سمرقند وبخارا وَغَيْرِهِمَا، فَيَمْلِكُونَهَا وَيَفْعَلُونَ بِأَهْلِهَا مَا نَذْكُرُهُ، ثُمَّ تَعْبُرُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى خُرَاسَانَ فَيَفْرَغُونَ مِنْهَا مُلْكًا وَتَخْرِيبًا وَقَتْلًا وَنَهْبًا، ثُمَّ يُجَاوِزُونَهَا إِلَى الرَّيِّ وَهَمَذَانَ وَبَلَدِ

الْجَبَلِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْبِلَادِ إِلَى حَدِّ الْعِرَاقِ، ثُمَّ يَقْصِدُونَ بِلَادَ أذربيجان وأرانية ويخربونه وَيَقْتُلُونَ أَكْثَرَ أَهْلِهَا وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ النَّادِرُ فِي أَقَلِّ مِنْ سَنَةٍ، هَذَا مَا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ.

ثُمَّ سَارُوا إِلَى دَرْبَنْدَ شَرْوَانَ فَمَلَكُوا مُدُنَهُ وَلَمْ يَسْلَمْ غَيْرُ قَلْعَتِهِ الَّتِي بِهَا مَلِكُهُمْ، وَعَبَرُوا عِنْدَهَا إِلَى بلد اللان اللكز وَمَنْ فِي ذَلِكَ الصَّقْعِ مِنَ الْأُمَمِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَأَوْسَعُوهُمْ قَتْلًا وَنَهْبًا وَتَخْرِيبًا، ثُمَّ قَصَدُوا بِلَادَ قَفْجَاقَ وَهُمْ مِنْ أَكْثَرِ التُّرْكِ عَدَدًا فَقَتَلُوا كُلَّ مَنْ وَقَفَ لَهُمْ وَهَرَبَ الْبَاقُونَ إِلَى الْغِيَاضِ وَمَلَكُوا عَلَيْهِمْ بِلَادَهُمْ، وَسَارَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى إِلَى غَزْنَةَ وَأَعْمَالِهَا وَمَا يُجَاوِرُهَا مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ وَسِجِسْتَانَ وَكَرْمَانَ فَفَعَلُوا فِيهَا مِثْلَ أَفْعَالِ هَؤُلَاءِ وَأَشَدَّ.

هَذَا مَا لَمْ يُطْرِقِ الْأَسْمَاعَ مِثْلُهُ، فَإِنَّ الْإِسْكَنْدَرَ الَّذِي اتَّفَقَ الْمُؤَرِّخُونَ عَلَى أَنَّهُ مَلَكَ الدُّنْيَا لَمْ يَمْلِكْهَا فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، إِنَّمَا مَلَكَهَا فِي نَحْوِ عَشْرِ سِنِينَ، وَلَمْ يَقْتُلْ أَحَدًا بَلْ رَضِيَ مِنَ النَّاسِ بِالطَّاعَةِ وَهَؤُلَاءِ قَدْ مَلَكُوا أَكْثَرَ الْمَعْمُورِ مِنَ الْأَرْضِ وَأَطْيَبَهُ وَأَحْسَنَهُ عِمَارَةً وَأَكْثَرَهُ أَهْلًا وَأَعْدَلَهُمْ أَخْلَاقًا وَسِيرَةً فِي نَحْوِ سَنَةٍ، وَلَمْ يَتَّفِقْ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ الَّتِي لَمْ يَطْرُقُوهَا بَقَاءٌ إِلَّا وَهُوَ خَائِفٌ مُتَرَقِّبٌ وُصُولَهُمْ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ، وَلَا يُحَرِّمُونَ شَيْئًا، وَيَأْكُلُونَ مَا وَجَدُوهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالْمَيْتَاتِ لَعَنَهُمُ اللهُ تَعَالَى.

قَالَ: وَإِنَّمَا اسْتَقَامَ لَهُمْ هَذَا الْأَمْرُ لِعَدَمِ الْمَانِعِ لِأَنَّ السُّلْطَانَ خُوَارَزْمَ شَاهْ مُحَمَّدًا كَانَ قَدْ قَتَلَ الْمُلُوكَ مِنْ سَائِرِ الْمَمَالِكِ واستقر في الأمور، فَلَمَّا انْهَزَمَ مِنْهُمْ فِي الْعَامِ الْمَاضِي وَضَعُفَ عَنْهُمْ وَسَاقُوا وَرَاءَهُ فَهَرَبَ فَلَا يُدْرَى أَيْنَ ذَهَبَ، وَهَلَكَ فِي بَعْضِ جَزَائِرِ الْبَحْرِ، خَلَتِ الْبِلَادُ وَلَمْ يَبْقَ لَهَا مَنْ يَحْمِيهَا: ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال].

ثم قصد سمرقند فحاصرها في أول المحرم من هَذِهِ السَّنَةِ وَبِهَا خَمْسُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ مِنَ الْجُنْدِ فَنكَلُوا وَبَرَزَ إِلَيْهِمْ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْعَامَّةِ فَقُتِلَ الْجَمِيعُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَلْقَى إليه الخمسون ألف السَّلَمَ فَسَلَبَهُمْ سِلَاحَهُمْ وَمَا يَمْتَنِعُونَ بِهِ، وَقَتَلَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَاسْتَبَاحَ الْبَلَدَ فَقَتَلَ الْجَمِيعَ وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ وَحَرَقَهُ وَتَرَكَهُ بِلَاقِعَ، فـ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

وَأَقَامَ لَعَنَهُ اللهُ هُنَالِكَ وَأَرْسَلَ السَّرَايَا إِلَى الْبُلْدَانِ فَأَرْسَلَ سَرِيَّةً إِلَى بِلَادِ خُرَاسَانَ وَتُسَمِّيهَا التَّتَارُ الْمُغَرِّبَةَ، وَأَرْسَلَ أُخْرَى وَرَاءَ خُوَارَزْمَ شَاهْ، وَكَانُوا عِشْرِينَ أَلْفًا قال اطلبوه فأدركوه ولو تعلق بالسماء فساروا وراءه فَأَدْرَكُوهُ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ نَهْرُ جَيْحُونَ وَهُوَ آمِنٌ بِسَبَبِهِ، فَلَمْ يَجِدُوا سُفُنًا فَعَمِلُوا لَهُمْ أَحْوَاضًا يَحْمِلُونَ عَلَيْهَا الْأَسْلِحَةَ وَيُرْسِلُ أَحَدُهُمْ فَرَسَهُ وَيَأْخُذُ بذنبها فتجره الفرس بالماء وهو بحر الْحَوْضَ الَّذِي فِيهِ سِلَاحُهُ، حَتَّى صَارُوا كُلُّهُمْ فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِمْ خُوَارَزْمُ شَاهْ إِلَّا وَقَدْ خَالَطُوهُ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ إِلَى نَيْسَابُورَ ثُمَّ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا وَهُمْ فِي أثره لا يمهلونه يَجْمَعَ لَهُمْ فَصَارَ كُلَّمَا أَتَى بَلَدًا لِيَجْتَمِعَ فيه عساكره له يُدْرِكُونَهُ فَيَهْرُبُ مِنْهُمْ، حَتَّى رَكِبَ فِي بَحْرِ طَبَرِسْتَانَ وَسَارَ إِلَى قَلْعَةٍ فِي جَزِيرَةٍ فِيهِ فَكَانَتْ فِيهَا وَفَاتُهُ، وَقِيلَ إِنَّهُ لَا يُعْرَفُ بَعْدَ رُكُوبِهِ فِي الْبَحْرِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ بَلْ ذَهَبَ فَلَا يُدْرَى أَيْنَ ذَهَبَ، وَلَا إِلَى أَيِّ مَفَرٍّ هَرَبَ، وَمَلَكَتِ التَّتَارُ حَوَاصِلَهُ فَوَجَدُوا فِي خِزَانَتِهِ عَشَرَةَ آلَافِ (...) ثُمَّ سَارُوا إِلَى مَازَنْدَرَانَ وَقِلَاعُهَا مِنْ أمنع القلاع، بحيث إن المسلمين لم يفتحوها إلا في سنة تسعين من أَيَّامِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَفَتَحَهَا هَؤُلَاءِ فِي أَيْسَرِ مُدَّةٍ وَنَهَبُوا مَا فِيهَا وَقَتَلُوا أهاليها كلهم وَسَبَوْا وَأَحْرَقُوا، ثُمَّ تَرَحَّلُوا عَنْهَا نَحْوَ الرَّيِّ فَوَجَدُوا فِي الطَّرِيقِ أُمَّ خُوَارَزْمَ شَاهْ وَمَعَهَا أَمْوَالٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا، فَأَخَذُوهَا وَفِيهَا كُلُّ غَرِيبٍ وَنَفِيسٍ مِمَّا لَمْ يُشَاهَدْ مِثْلُهُ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَغَيْرِهَا، ثُمَّ قَصَدُوا الرَّيَّ فَدَخَلُوهَا عَلَى حِينِ غفلة من أهلها فقتلوهم وسبوا وأسروا.

ثُمَّ سَارُوا إِلَى هَمَذَانَ فَمَلَكُوهَا ثُمَّ إِلَى زَنْجَانَ فَقَتَلُوا وَسَبَوْا، ثُمَّ قَصَدُوا قَزْوِينَ فَنَهَبُوهَا وَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، ثم تيمموا بلاد أذربيجان فصالحهم ملكها أزبك بْنُ الْبَهْلَوَانِ عَلَى مَالٍ حَمَلَهُ إِلَيْهِمْ لِشُغْلِهِ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ السُّكْرِ وَارْتِكَابِ السَّيِّئَاتِ وَالِانْهِمَاكِ عَلَى الشَّهَوَاتِ، فَتَرَكُوهُ وَسَارُوا إِلَى مُوقَانَ فَقَاتَلَهُمُ الْكُرْجُ فِي عَشَرَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ فَلَمْ يَقِفُوا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى انْهَزَمَتِ الْكُرْجُ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِمْ بِحَدِّهِمْ وَحَدِيدِهِمْ، فَكَسَرَتْهُمُ التَّتَارُ وقعة ثانية أقبح هزيمة وَأَشْنَعَهَا.

وَهَاهُنَا قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: وَلَقَدْ جَرَى لِهَؤُلَاءِ التَّتَرِ مَا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ وَحَدِيثِهِ: طَائِفَةٌ تَخْرُجُ مِنْ حُدُودِ الصِّينِ لَا تَنْقَضِي عَلَيْهِمْ سَنَةٌ حَتَّى يَصِلَ بَعْضُهُمْ إِلَى حُدُودِ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةَ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ وَيُجَاوِزُونَ الْعِرَاقَ مِنْ نَاحِيَةِ هَمَذَانَ وتاللهِ لَا أَشُكُّ أَنَّ مَنْ يَجِيءُ بَعْدَنَا إِذَا بَعُدَ الْعَهْدُ وَيَرَى هَذِهِ الْحَادِثَةَ

مَسْطُورَةً يُنْكِرُهَا وَيَسْتَبْعِدُهَا، وَالْحَقُّ بِيَدِهِ، فَمَتَى اسْتَبْعَدَ ذَلِكَ فَلْيَنْظُرْ أَنَّنَا سَطَرْنَا نَحْنُ وَكُلُّ مَنْ جَمَعَ التَّارِيخَ فِي أَزَمَانِنَا هَذِهِ فِي وَقْتٍ كُلُّ مَنْ فِيهِ يَعْلَمُ هَذِهِ الْحَادِثَةَ، قَدِ اسْتَوَى فِي مَعْرِفَتِهَا الْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ لِشُهْرَتِهَا، يَسَّرَ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْإِسْلَامِ مَنْ يَحْفَظُهُمْ وَيَحُوطُهُمْ، فَلَقَدْ دُفِعُوا مِنَ العدو إلى أمر عَظِيمٍ، وَمِنَ الْمُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَنْ لَا تَتَعَدَّى هِمَّتُهُ بَطْنَهُ وَفَرْجَهُ، وَقَدْ عُدِمَ سُلْطَانُ الْمُسْلِمِينَ خُوَارَزْمُ شَاهْ.

قَالَ: وَانْقَضَتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَهُمْ فِي بِلَادِ الْكُرْجِ، فَلَمَّا رَأَوْا مِنْهُمْ مُمَانَعَةً وَمُقَاتَلَةً يَطُولُ عَلَيْهِمْ بِهَا الْمَطَالُ عَدَلُوا إِلَى غَيْرِهِمْ، وَكَذَلِكَ كَانَتْ عَادَتُهُمْ فَسَارُوا إِلَى تِبْرِيزَ فَصَالَحَهُمْ أَهْلُهَا بِمَالٍ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى مَرَاغَةَ فَحَصَرُوهَا وَنَصَبُوا عَلَيْهَا الْمَجَانِيقَ وَتَتَرَّسُوا بِالْأُسَارَى من المسلمين، وعلى البلد امرأة «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً»(١) فَفَتَحُوا الْبَلَدَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهِ خَلْقًا لَا يَعْلَمُ عِدَّتَهُمْ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَغَنِمُوا مِنْهُ شَيْئًا كَثِيرًا، وَسَبَوْا وَأَسَرُوا عَلَى عَادَتِهِمْ لَعَنَهُمُ اللهُ لَعْنَةً تُدْخِلُهُمْ نَارَ جَهَنَّمَ، وَقَدْ كَانَ النَّاسُ يَخَافُونَ مِنْهُمْ خَوْفًا عَظِيمًا جِدًّا حَتَّى إِنَّهُ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ إِلَى دَرْبٍ مِنْ هَذِهِ الْبَلَدِ وَبِهِ مِائَةُ رَجُلٍ لَمْ يَسْتَطِعْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ، وَمَا زَالَ يَقْتُلُهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى قُتِلَ الْجَمِيعُ وَلَمْ يَرْفَعْ مِنْهُمْ أَحَدٌ يَدَهُ إِلَيْهِ، وَنَهَبَ ذَلِكَ الدَّرْبَ وَحْدَهُ، وَدَخَلَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ فِي زِيِّ رَجُلٍ بَيْتًا فَقَتَلَتْ كُلَّ مَنْ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ وَحْدَهَا ثُمَّ اسْتَشْعَرَ أَسِيرٌ مَعَهَا أَنَّهَا امْرَأَةٌ فَقَتَلَهَا لَعَنَهَا اللهُ.

ثُمَّ قَصَدُوا مَدِينَةَ إِرْبِلَ فَضَاقَ الْمُسْلِمُونَ لِذَلِكَ ذَرْعًا وَقَالَ أَهْلُ تِلْكَ النَّوَاحِي هَذَا أَمْرٌ عَصِيبٌ، وَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَى أَهْلِ الْمَوْصِلِ وَالْمَلِكِ الْأَشْرَفِ صَاحِبِ الْجَزِيرَةِ يَقُولُ إِنِّي قَدْ جَهَّزْتُ عسكرا فكونوا معه لقتال هؤلاء التتار، فَأَرْسَلَ الْأَشْرَفُ يَعْتَذِرُ إِلَى الْخَلِيفَةِ بِأَنَّهُ مُتَوَجِّهٌ نَحْوَ أَخِيهِ الْكَامِلِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بِسَبَبِ ما قددهم المسلمين هناك من الفرنج، وأخذهم دمياط الّذي قَدْ أَشْرَفُوا بِأَخْذِهِمْ لَهَا عَلَى أَخْذِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ قَاطِبَةً، وَكَانَ أَخُوهُ الْمُعَظَّمُ قَدْ قَدِمَ على والى حَرَّانَ يَسْتَنْجِدُهُ لِأَخِيهِمَا الْكَامِلِ لِيَتَحَاجَزُوا الْفِرِنْجَ بِدِمْيَاطَ وَهُوَ عَلَى أُهْبَةِ الْمَسِيرِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ إِلَى مُظَفَّرِ الدِّينِ صَاحِبِ إِرْبِلَ لِيَكُونَ هُوَ الْمُقَدَّمَ عَلَى الْعَسَاكِرِ الَّتِي يَبْعَثُهَا الْخَلِيفَةُ وَهِيَ عَشَرَةُ آلَافِ مُقَاتِلٍ، فَلَمْ يَقْدِمْ عليه منهم ثَمَانِمِائَةِ فَارِسٍ ثُمَّ تَفَرَّقُوا قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعُوا، فـ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ بِأَنْ

---

(١) صحيح البخاري (٤٤٢٥، ٧٠٩٩).

صَرَفَ هِمَّةَ التَّتَارِ إِلَى نَاحِيَةِ هَمَذَانَ فصالحهم أهلها وترك عندهم التتار شحنة، ثم اتفقوا على قتل شِحْنَتِهِمْ فَرَجَعُوا إِلَيْهِمْ فَحَاصَرُوهُمْ حَتَّى فَتَحُوهَا قَسْرًا وَقَتَلُوا أَهْلَهَا عَنْ آخِرِهِمْ.

ثُمَّ سَارُوا إِلَى أَذْرَبِيجَانَ فَفَتَحُوا أَرْدَبِيلَ ثُمَّ تِبْرِيزَ ثُمَّ إِلَى بَيْلَقَانَ فَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا كَثِيرًا وَجَمًّا غَفِيرًا، وَحَرَّقُوهَا وَكَانُوا يَفْجُرُونَ بِالنِّسَاءِ ثُمَّ يَقْتُلُونَهُنَّ وَيَشُقُّونَ بُطُونَهُنَّ عَنِ الْأَجِنَّةِ ثُمَّ عَادُوا إِلَى بِلَادِ الْكُرْجِ وَقَدِ اسْتَعَدَّتْ لَهُمُ الْكُرْجُ فَاقْتَتَلُوا مَعَهُمْ فَكَسَرُوهُمْ أَيْضًا كَسْرَةً فَظِيعَةً، ثُمَّ فَتَحُوا بُلْدَانًا كَثِيرَةً يَقْتُلُونَ أَهْلَهَا وَيَسْبُونَ نِسَاءَهَا وَيَأْسِرُونَ مِنَ الرِّجَالِ مَا يُقَاتِلُونَ بِهِمُ الْحُصُونَ، يَجْعَلُونَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ تُرْسًا يَتَّقُونَ بِهِمُ الرَّمْيَ وَغَيْرَهُ، وَمَنْ سَلِمَ مِنْهُمْ قَتَلُوهُ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَرْبِ.

ثم ساروا إلى بلاد اللان والقبجاق فَاقْتَتَلُوا مَعَهُمْ قِتَالًا عَظِيمًا فَكَسَرُوهُمْ وَقَصَدُوا أَكْبَرَ مدائن القبجاق وَهِيَ مَدِينَةُ سُودَاقَ وَفِيهَا مِنَ الْأَمْتِعَةِ وَالثِّيَابِ والتجائر من البرطاسي والقندر والسنجاب شيء كثير جدا، ولجأت القبجاق إِلَى بِلَادِ الرُّوسِ وَكَانُوا نَصَارَى فَاتَّفَقُوا مَعَهُمْ عَلَى قِتَالِ التَّتَارِ فَالْتَقَوْا مَعَهُمْ فَكَسَرَتْهُمُ التَّتَارُ كسرة فظيعة جدا، ثم ساروا نحو بلقار فِي حُدُودِ الْعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ فَفَرَغُوا مِنْ ذَلِكَ كله ورجعوا نَحْوِ مَلِكِهِمْ جِنْكِزْخَانَ لَعَنَهُ اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ، هَذَا ما فعلته هذه السرية المغرّبة.

وَكَانَ جِنْكِزْخَانُ قَدْ أَرْسَلَ سَرِيَّةً فِي هَذِهِ السنة إلى كلانة وَأُخْرَى إِلَى فَرْغَانَةَ فَمَلَكُوهَا، وَجَهَّزَ جَيْشًا آخَرَ نَحْوَ خُرَاسَانَ فَحَاصَرُوا بَلْخَ فَصَالَحَهُمْ أَهْلُهَا، وَكَذَلِكَ صَالَحُوا مُدُنًا كَثِيرَةً أُخْرَى، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الطَّالَقَانِ فَأَعْجَزَتْهُمْ قَلْعَتُهَا وَكَانَتْ حَصِينَةً فَحَاصَرُوهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ حَتَّى عَجَزُوا فَكَتَبُوا إِلَى جِنْكِزْخَانَ فَقَدِمَ بِنَفْسِهِ فَحَاصَرَهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ أُخْرَى حَتَّى فَتَحَهَا قَهْرًا، ثُمَّ قَتَلَ كُلَّ مَنْ فِيهَا وَكُلَّ مَنْ فِي الْبَلَدِ بِكَمَالِهِ خاصة وعامة.

ثم قصدوا مدينة مرو مع جنكزخان فقد عَسْكَرَ بِظَاهِرِهَا نَحْوٌ مَنْ مِائَتَيْ أَلْفِ مُقَاتِلٍ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ فَاقْتَتَلُوا مَعَهُ قِتَالًا عَظِيمًا حتى انكسر المسلمون فـ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾، ثُمَّ حَصَرُوا الْبَلَدَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ وَاسْتَنْزَلُوا نَائِبَهَا خَدِيعَةً ثُمَّ غَدَرُوا به وبأهل البلد فقتلوهم وغنموهم وسلبوهم وَعَاقَبُوهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، حَتَّى إِنَّهُمْ قَتَلُوا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ سَبْعَمِائَةِ أَلْفِ إِنْسَانٍ.

ثُمَّ سَارُوا إلى نيسابور ففعلوا فيها ما فَعَلُوا بِأَهْلِ مَرْوَ، ثُمَّ إِلَى طُوسَ فَقَتَلُوا وخربوا مشهد على بن موسى الرضى سلام الله عليه وعلى آبائه، وخربوا تربة الرشيد الخليفة فتركوه خرابا، ثُمَّ سَارُوا إِلَى غَزْنَةَ فَقَاتَلَهُمْ جَلَالُ الدِّينِ بن خوارزم شاه فكسرهم ثُمَّ عَادُوا إِلَى مَلِكِهِمْ جِنْكِزْخَانَ لَعَنَهُ اللهُ وَإِيَّاهُمْ، وَأَرْسَلَ جِنْكِزْخَانُ طَائِفَةً أُخْرَى إِلَى مَدِينَةِ خُوَارَزْمَ فَحَاصَرُوهَا حَتَّى فَتَحُوا الْبَلَدَ قَهْرًا فَقَتَلُوا مَنْ فِيهَا قَتْلًا ذَرِيعًا، وَنَهَبُوهَا وَسَبَوْا أَهْلَهَا وأرسلوا الجسر الّذي يمنع ماء جيحون منها فَغَرِقَتْ دُورُهَا وَهَلَكَ جَمِيعُ أَهْلِهَا ثُمَّ عَادُوا إلى جِنْكِزْخَانَ وَهُوَ مُخَيِّمٌ عَلَى الطَّالَقَانِ فَجَهَّزَ مِنْهُمْ طَائِفَةً إِلَى غَزْنَةَ فَاقْتَتَلَ مَعَهُمْ جَلَالُ الدِّينِ بْنُ خُوَارَزْمِ شَاهْ فَكَسَرَهُمْ جَلَالُ الدِّينِ كَسْرَةً عَظِيمَةً، وَاسْتَنْقَذَ مِنْهُمْ خَلْقًا مِنْ أُسَارَى الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى جِنْكِزْخَانَ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَبْرُزَ بِنَفْسِهِ لِقِتَالِهِ، فَقَصَدَهُ جِنْكِزْخَانُ فَتَوَاجَهَا وَقَدْ تَفَرَّقَ عَلَى جَلَالِ الدِّينِ بَعْضُ جَيْشِهِ وَلَمْ يَبْقَ بُدٌّ مِنَ الْقِتَالِ، فَاقْتَتَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لم يعهد قبلها مثلها من قتالهم، ثم ضعفت أصحاب جلال الدين فذهبوا فركبوا بَحْرِ الْهِنْدِ فَسَارَتِ التَّتَارُ إِلَى غَزْنَةَ فَأَخَذُوهَا بِلَا كُلْفَةٍ وَلَا مُمَانَعَةٍ، كُلُّ هَذَا أَوْ أكثره وقع في هذه السنة.

وفي سنة ٦١٨:

استولت التتر على كثير من البلدان بكلادة وَهَمَذَانَ وَأَرْدَبِيلَ وَتِبْرِيزَ وَكَنْجَةَ، وَقَتَلُوا أَهَالِيَهَا وَنَهَبُوا مَا فِيهَا، وَاسْتَأْسَرُوا ذَرَارِيَّهَا، وَاقْتَرَبُوا مِنْ بَغْدَادَ فانزعج الخليفة لذلك وحصن بَغْدَادَ وَاسْتَخْدَمَ الْأَجْنَادَ، وَقَنَتَ النَّاسُ فِي الصَّلَوَاتِ وَالْأَوْرَادِ.

وَفِيهَا قَهَرُوا الْكُرْجَ وَاللَّانَ، ثُمَّ قَاتَلُوا القبجاق فَكَسَرُوهُمْ، وَكَذَلِكَ الرُّوسَ، وَيَنْهَبُونَ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ، ثم قاتلوهم وسبوا نساءهم وذراريهم.

وفي سنة ٦٢١ هـ:

فِيهَا وَصَلَتْ سَرِيَّةٌ مِنْ جِهَةِ جِنْكِزْخَانَ غَيْرُ الْأَوَّلَتَيْنِ إِلَى الرَّيِّ، وَكَانَتْ قَدْ عُمِّرَتْ قَلِيلًا فَقَتَلُوا أَهْلَهَا أَيْضًا، ثُمَّ سَارُوا إِلَى سَاوَهْ، ثم إلى قم وقاسان، وَلَمْ تَكُونَا طُرِقَتَا إِلَّا هَذِهِ الْمَرَّةَ، فَفَعَلُوا بِهَا مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّبْيِ، ثُمَّ سَارُوا إِلَى هَمَذَانَ فَقَتَلُوا أَيْضًا وَسَبَوْا، ثم ساروا إلى خلف الخوارزمية إلى أذربيجان فكسروهم وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، فَهَرَبُوا مِنْهُمْ إِلَى تِبْرِيزَ فَلَحِقُوهُمْ وَكَتَبُوا إِلَى ابْنِ الْبَهْلَوَانِ:

إِنْ كُنْتَ مُصَالِحًا لَنَا فَابْعَثْ لَنَا بِالْخُوَارَزْمِيَّةِ وَإِلَّا فَأَنْتَ مِثْلُهُمْ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا وَأَرْسَلَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَيْهِمْ، مَعَ تُحَفٍ وَهَدَايَا كَثِيرَةٍ، هَذَا كُلُّهُ وَإِنَّمَا كَانَتْ هَذِهِ السَّرِيَّةُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَالْخُوَارَزْمِيَّةُ وَأَصْحَابُ الْبَهْلَوَانِ أَضْعَافُ أَضْعَافِهِمْ، وَلَكِنَّ اللهَّ تَعَالَى ألقى عليهم الخذلان والفشل، فـ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾.

وفي سنة ٦٢٢:

فِيهَا عَاثَتِ الْخُوَارَزْمِيَّةُ حِينَ قَدِمُوا مَعَ جَلَالِ الدِّينِ بْنِ خُوَارَزْمَ شَاهْ مِنْ بِلَادِ غَزْنَةَ مَقْهُورِينَ مِنَ التَّتَارِ إِلَى بِلَادِ خُوزِسْتَانَ وَنَوَاحِي الْعِرَاقِ، فَأَفْسَدُوا فِيهِ وَحَاصَرُوا مُدُنَهُ وَنَهَبُوا قُرَاهُ. وَفِيهَا اسْتَحْوَذَ جَلَالُ الدِّينِ بْنُ خُوَارَزْمَ شَاهْ على بلاد أذربيجان وكثيرا مِنْ بِلَادِ الْكُرْجِ، وَكَسَرَ الْكُرْجَ وَهُمْ فِي سَبْعِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ عِشْرِينَ أَلْفًا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ، وَاسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ جِدًّا وَعَظُمَ شَأْنُهُ، وَفَتَحَ تَفْلِيسَ فَقَتَلَ مِنْهَا ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَزَعَمَ أَبُو شَامَةَ أَنَّهُ قَتَلَ مِنَ الْكُرْجِ سَبْعِينَ أَلْفًا فِي الْمَعْرَكَةِ، وَقَتَلَ مِنْ تَفْلِيسَ تَمَامَ الْمِائَةِ أَلْفٍ، وَقَدِ اشْتَغَلَ بِهَذِهِ الْغَزْوَةِ عَنْ قَصْدِ بَغْدَادَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا حَاصَرَ دَقُوقَا سبه أهلها ففتحها قسرا وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا كَثِيرًا، وَخَرَّبَ سُورَهَا وَعَزَمَ عَلَى قَصْدِ الْخَلِيفَةِ بِبَغْدَادَ لِأَنَّهُ فِيمَا زَعَمَ عَمِلَ عَلَى أَبِيهِ حَتَّى هَلَكَ.

وَاسْتَوْلَتِ التَّتَرُ عَلَى الْبِلَادِ، وَكَتَبَ إِلَى الْمُعَظَّمِ بْنِ الْعَادِلِ يَسْتَدْعِيهِ لِقِتَالِ الْخَلِيفَةِ وَيُحَرِّضُهُ عَلَى ذَلِكَ، فَامْتَنَعَ الْمُعَظَّمُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمَّا عَلِمَ الْخَلِيفَةُ بِقَصْدِ جَلَالِ الدِّينِ بْنِ خُوَارَزْمَ شَاهْ بَغْدَادَ انْزَعَجَ لِذَلِكَ وَحَصَّنَ بَغْدَادَ وَاسْتَخْدَمَ الْجُيُوشَ وَالْأَجْنَادَ، وأنفق فِي النَّاسِ أَلْفَ أَلْفِ دِينَارٍ، وَكَانَ جَلَالُ الدِّينِ قَدْ بَعَثَ جَيْشًا إِلَى الْكُرْجِ فَكَتَبُوا إِلَيْهِ أَنْ أَدْرِكْنَا قَبْلَ أَنْ نَهْلِكَ عَنْ آخِرِنَا، وَبَغْدَادُ مَا تَفُوتُ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ وَكَانَ من أمره ما ذكرنا.

وفي سنة ٦٢٣:

فِيهَا الْتَقَى الْمَلِكُ جَلَالُ الدِّينِ بْنُ خُوَارَزْمَ شَاهِ الْخُوَارَزْمِيُّ مَعَ الْكُرْجِ فَكَسَرَهُمْ كَسْرَةً عَظِيمَةً، وَصَمَدَ إِلَى أَكْبَرِ مُعَاقَلَتِهِمْ تَفْلِيسَ فَفَتَحَهَا عَنْوَةً وَقَتَلَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْكَفَرَةِ وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِهَا.

وَاسْتَقَرَّ مُلْكُهُ عَلَيْهَا، وَقَدْ كَانَ الْكُرْجُ أَخَذُوهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَهِيَ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى الْآنَ حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُمْ جَلَالُ الدِّينِ هَذَا، فَكَانَ فَتْحًا عَظِيمًا ولله المنة.

وَفِيهَا سَارَ إِلَى خِلَاطَ لِيَأْخُذَهَا مِنْ نَائِبِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ أَخْذِهَا وَقَاتَلَهُ أَهْلُهَا قِتَالًا عَظِيمًا فَرَجَعَ عَنْهُمْ بِسَبَبِ اشْتِغَالِهِ بِعِصْيَانِ نَائِبِهِ بِمَدِينَةِ كَرْمَانَ وَخِلَافِهِ لَهُ، فَسَارَ إليهم وَتَرَكَهُمْ.

وفي سنة ٦٢٤:

فيها كانت عَامَّةُ أَهْلِ تَفْلِيسَ الْكُرْجَ فَجَاءُوا إِلَيْهِمْ فَدَخَلُوهَا فَقَتَلُوا الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ، وَنَهَبُوا وَسَبَوْا وَخَرَّبُوا وَأَحْرَقُوا، وَخَرَجُوا عَلَى حَمِيَّةٍ، وَبَلَغَ ذَلِكَ جَلَالَ الدِّينِ فَسَارَ سَرِيعًا لِيُدْرِكَهُمْ فَلَمْ يُدْرِكْهُمْ.

وَفِيهَا قَتَلَتِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ أَمِيرًا كَبِيرًا مِنْ نُوَّابِ جَلَالِ الدِّينِ بْنِ خُوَارَزْمَ شَاهْ، فَسَارَ إِلَى بِلَادِهِمْ فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا، وَخَرَّبَ مَدِينَتَهُمْ وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ وَنَهَبَ أَمْوَالَهُمْ، وَقَدْ كَانُوا قَبَّحَهُمُ اللهُ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، لَمَّا قَدِمَ التَّتَارُ إِلَى النَّاسِ، وَكَانُوا أَضَرَّ عَلَى النَّاسِ مِنْهُمْ.

وَفِيهَا تَوَاقَعَ جَلَالُ الدِّينِ وَطَائِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ التَّتَارِ فَهَزَمَهُمْ وَأَوْسَعَهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا، وَسَاقَ وَرَاءَهُمْ أَيَّامًا فَقَتَلَهُمْ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الرَّيِّ فَبَلَغَهُ أن طائفة قد جاءوا لقصده فأقام ينتظرهم.

وممن توفي في هذه السنة:

جنكيز خان:

السُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ عِنْدَ التَّتَارِ وَالِدُ مُلُوكِهِمُ الْيَوْمَ، ينتسبون إليه ومن عَظَّمَ الْقَانَ إِنَّمَا يُرِيدُ هَذَا الْمَلِكَ وَهُوَ الّذي وضع لهم (السياسا) الَّتِي يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهَا، وَيَحْكُمُونَ بِهَا، وَأَكْثَرُهَا مُخَالِفٌ لشرائع الله تعالى وكتبه، وهو شَيْءٌ اقْتَرَحَهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ، وَتَبِعُوهُ فِي ذلك، وكانت تزعم أمه أنها حملته مِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ، فَلِهَذَا لَا يُعْرَفُ لَهُ أَبٌ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَجْهُولُ النَّسَبِ.

وَقَدْ رَأَيْتُ مجلدا جمعه الوزير بِبَغْدَادَ عَلَاءُ الدِّينِ الْجُوَيْنِيُّ فِي تَرْجَمَتِهِ فَذَكَرَ فِيهِ سِيرَتَهُ، وَمَا كَانَ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَقْلِ السِّيَاسِيِّ وَالْكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ وَالتَّدْبِيرِ الْجَيِّدِ لِلْمُلْكِ وَالرَّعَايَا، وَالْحُرُوبِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ خَصِيصًا عِنْدَ الْمَلِكِ أُزْبَكْ خَانَ، وَكَانَ إذا ذَاكَ شَابًّا حَسَنًا وَكَانَ اسْمُهُ أَوَّلًا

تَمَرْجِي، ثم لما عظم سمى نفسه جنكيزخان، وَكَانَ هَذَا الْمَلِكُ قَدْ قَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ، فَحَسَدَهُ عُظَمَاءُ الْمَلِكِ وَوَشَوْا بِهِ إِلَيْهِ حَتَّى أَخْرَجُوهُ عليه، ولم يقتله وَلَمْ يَجِدْ لَهُ طَرِيقًا فِي ذَنْبٍ يَتَسَلَّطُ عليه به، فَهُوَ فِي ذَلِكَ إِذْ تَغَضَّبَ الْمَلِكُ عَلَى مملوكين صغيرين فهربا منه ولجئا إلى جنكيزخان فَأَكْرَمَهُمَا وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا فَأَخْبَرَاهُ بِمَا يُضْمِرُهُ الْمَلِكُ أزبك خان من قتله، فَأَخَذَ حِذْرَهُ وَتَحَيَّزَ بِدَوْلَةٍ وَاتَّبَعَهُ طَوَائِفُ مِنَ التَّتَارِ وَصَارَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ أُزْبَكْ خَانَ يَنْفِرُونَ إِلَيْهِ وَيَفِدُونَ عَلَيْهِ فَيُكْرِمُهُمْ وَيُعْطِيهِمْ حَتَّى قَوِيَتْ شَوْكَتُهُ وَكَثُرَتْ جُنُودُهُ، ثُمَّ حَارَبَ بَعْدَ ذَلِكَ أُزْبَكْ خَانَ فَظَفَرَ بِهِ وَقَتَلَهُ وَاسْتَحْوَذَ عَلَى مَمْلَكَتِهِ وَمُلْكِهِ، وَانْضَافَ إِلَيْهِ عَدَدُهُ وَعُدَدُهُ، وَعَظُمَ أَمْرُهُ وَبَعُدَ صِيتُهُ وَخَضَعَتْ لَهُ قَبَائِلُ الترك ببلاد طمعاج كُلِّهَا حَتَّى صَارَ يَرْكَبُ فِي نَحْوِ ثَمَانِمِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، وَأَكْثَرُ الْقَبَائِلِ قَبِيلَتُهُ الَّتِي هُوَ منها يقال لهم قيان، ثُمَّ أَقْرَبُ الْقَبَائِلِ إِلَيْهِ بَعْدَهُمْ قَبِيلَتَانِ كَبِيرَتَا العدد وهما أزان وقنقوران وَكَانَ يَصْطَادُ مِنَ السَّنَةِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالْبَاقِي لِلْحَرْبِ وَالْحُكْمِ.

ثُمَّ نَشِبَتِ الْحَرْبُ بينه وبين الملك علاء الدِّينِ خُوَارَزْمَ شَاهْ صَاحِبِ بِلَادِ خُرَاسَانَ وَالْعِرَاقِ وأذربيجان وغير ذلك والأقاليم والملك، فقهره جنكيزخان وَكَسَرَهُ وَغَلَبَهُ وَسَلَبَهُ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى سَائِرِ بِلَادِهِ بِنَفْسِهِ وَبِأَوْلَادِهِ فِي أَيْسَرِ مُدَّةٍ كَمَا ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي الْحَوَادِثِ.

وَكَانَ ابْتِدَاءُ مُلْكِ جِنْكِزْخَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَكَانَ قِتَالُهُ لِخُوَارَزْمَ شَاهْ فِي حُدُودِ سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَمَاتَ خُوَارَزْمُ شَاهْ فِي سَنَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ كَمَا ذَكَرْنَا، فَاسْتَحْوَذَ حِينَئِذٍ عَلَى الْمَمَالِكِ بِلَا مُنَازِعٍ وَلَا مُمَانِعٍ.

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ كَانَ يَصْعَدُ جَبَلًا ثُمَّ يَنْزِلُ ثُمَّ يَصْعَدُ ثُمَّ يَنْزِلُ مرارا حَتَّى يُعْيِيَ وَيَقَعَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، وَيَأْمُرُ مَنْ عِنْدَهُ أَنْ يَكْتُبَ مَا يُلْقَى عَلَى لِسَانِهِ حِينَئِذٍ، فَإِنْ كَانَ هَذَا هَكَذَا فَالظَّاهِرُ أَنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ يَنْطِقُ عَلَى لِسَانِهِ بِمَا فِيهَا.

وَذَكَرَ الْجُوَيْنِيُّ أَنَّ بَعْضَ عُبَّادِهِمْ كَانَ يَصْعَدُ الْجِبَالَ فِي الْبَرْدِ الشَّدِيدِ لِلْعِبَادَةِ فَسَمِعَ قَائِلًا يقول له إنا قد ملكنا جنكيزخان وَذُرِّيَّتَهُ وَجْهَ الْأَرْضِ قَالَ الْجُوَيْنِيُّ فَمَشَايِخُ الْمُغُولِ يُصَدِّقُونَ بِهَذَا وَيَأْخُذُونَهُ مُسَلَّمًا.

ثُمَّ ذَكَرَ الْجُوَيْنِيُّ نتفا من الياسا مِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ مَنْ زَنَا قُتِلَ، مُحْصَنًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُحْصَنٍ، وَكَذَلِكَ مَنْ لَاطَ قُتِلَ، وَمَنْ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ قُتِلَ، وَمَنْ سَحَرَ قُتِلَ، وَمَنْ تَجَسَّسَ قُتِلَ، وَمَنْ دَخَلَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فَأَعَانَ أَحَدَهُمَا قُتِلَ، وَمَنْ بَالَ فِي الْمَاءِ الْوَاقِفِ قُتِلَ، وَمَنِ انْغَمَسَ فِيهِ قُتِلَ، وَمَنْ أَطْعَمَ أَسِيرًا أَوْ سَقَاهُ أَوْ كَسَاهُ بِغَيْرِ إِذْنِ أَهْلِهِ قُتِلَ، وَمَنْ وَجَدَ هَارِبًا وَلَمْ يَرُدَّهُ قُتِلَ، ومن أطعم أسيرا أو رَمَى إِلَى أَحَدٍ شَيْئًا مِنَ الْمَأْكُولِ قُتِلَ، بَلْ يُنَاوِلُهُ مِنْ يَدِهِ إِلَى يَدِهِ، وَمَنْ أَطْعَمَ أَحَدًا شَيْئًا فَلْيَأْكُلْ مِنْهُ أَوَّلًا وَلَوْ كان المطعوم أميرا لا أسيرا وَمَنْ أَكَلَ وَلَمْ يُطْعِمْ مَنْ عِنْدَهُ قُتِلَ، وَمَنْ ذَبَحَ حَيَوَانًا ذُبِحَ مِثْلَهُ بَلْ يَشُقُّ جَوْفَهُ وَيَتَنَاوَلُ قَلْبَهُ بِيَدِهِ يَسْتَخْرِجُهُ مِنْ جَوْفِهِ أَوَّلًا!!

وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ مُخَالَفَةٌ لِشَرَائِعِ اللهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى عِبَادِهِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَمَنْ تَرَكَ الشَّرْعَ الْمُحْكَمَ الْمُنَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَتَحَاكَمَ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ الْمَنْسُوخَةِ كَفَرَ، فَكَيْفَ بِمَنْ تحاكم إلى الياسا وَقَدَّمَهَا عَلَيْهِ؟ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَفَرَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة] وقال تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]

ومن آدابهم: الطاعة للسلطان غَايَةَ الِاسْتِطَاعَةِ، وَأَنْ يَعْرِضُوا عَلَيْهِ أَبْكَارَهُمُ الْحِسَانَ لِيَخْتَارَ لِنَفْسِهِ وَمَنْ شَاءَ مِنْ حَاشِيَتِهِ مَا شَاءَ مِنْهُنَّ، وَمِنْ شَأْنِهِمْ أَنْ يُخَاطِبُوا الْمَلِكَ بِاسْمِهِ، وَمَنْ مَرَّ بِقَوْمٍ يَأْكُلُونَ فَلَهُ أَنْ يأكل معهم من غير اسْتِئْذَانٍ وَلَا يَتَخَطَّى مَوْقِدَ النَّارِ وَلَا طَبَقَ الطَّعَامِ، وَلَا يَقِفُ عَلَى أُسْكُفَّةِ الْخَرْكَاهْ وَلَا يَغْسِلُونَ ثِيَابَهُمْ حَتَّى يَبْدُو وَسَخُهَا، وَلَا يُكَلِّفُونَ الْعُلَمَاءَ مِنْ كُلِّ مَا ذُكِرَ شَيْئًا مِنَ الْجِنَايَاتِ، وَلَا يَتَعَرَّضُونَ لِمَالِ مَيِّتٍ.

وَقَدْ ذَكَرَ عَلَاءُ الدِّينِ الْجُوَيْنِيُّ طَرَفًا كَبِيرًا مِنْ أَخْبَارِ جنكيزخان وَمَكَارِمَ كَانَ يَفْعَلُهَا لِسَجِيَّتِهِ وَمَا أَدَّاهُ إِلَيْهِ عقله وإن كان مشركا بِاللهِ كان يَعْبُدُ مَعَهُ غَيْرَهُ، وَقَدْ قَتَلَ مِنَ الْخَلَائِقِ مَا لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَلَكِنْ كَانَ الْبَدَاءَةُ مِنْ خُوَارَزْمَ شَاهْ، فَإِنَّهُ لما أرسل جنكيزخان نجارا مِنْ جِهَتِهِ مَعَهُمْ بَضَائِعُ كَثِيرَةٌ مِنْ بِلَادِهِ فَانْتَهَوْا إِلَى إِيرَانَ فَقَتَلَهُمْ نَائِبُهَا مِنْ جِهَةِ خوارزم شاه، وهو والد زوجة كَشْلِي خَانَ، وَأَخَذَ جَمِيعَ مَا كَانَ مَعَهُمْ، فأرسل جنكيزخان إِلَى خُوَارَزْمَ شَاهْ يَسْتَعْلِمُهُ هَلْ وَقَعَ هَذَا الأمر عن

رضى منه أو أنه لا يَعْلَمْ بِهِ، فَأَنْكَرَهُ وَقَالَ لَهُ فِيمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِ: مِنَ الْمَعْهُودِ مِنَ الْمُلُوكِ أَنَّ التُّجَّارَ لَا يُقْتَلُونَ لِأَنَّهُمْ عِمَارَةُ الْأَقَالِيمِ، وَهُمُ الَّذِينَ يحملون إلى الملوك ما فيه التُّحَفَ وَالْأَشْيَاءَ النَّفِيسَةَ، ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ التُّجَّارَ كَانُوا عَلَى دِينِكَ فَقَتَلَهُمْ نَائِبُكَ، فَإِنْ كَانَ أمرا أمرت به طلبنا بدمائهم، وإلا فأنت تنكره وتقتص من نائبك، فَلَمَّا سَمِعَ خُوَارَزْمُ شَاهْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ جنكيزخان لَمْ يَكُنْ لَهُ جَوَابٌ سِوَى أَنَّهُ أَمَرَ بضرب عنقه فأساء التدبير، وقد كان خرف وَكَبُرَتْ سِنُّهُ، وَقَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ «اتْرُكُوا التُّرْكَ ما تركوكم»[1] فلما بلغ ذلك جنكيزخان تَجَهَّزَ لِقِتَالِهِ وَأَخْذِ بِلَادِهِ، فَكَانَ بِقَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى مَا كَانَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَمْ يسمع بأغرب منها ولا أشنع.

قَالَ وَلَمَّا احْتُضِرَ جنكيز خان أَوْصَى أَوْلَادَهُ بِالِاتِّفَاقِ وَعَدَمِ الِافْتِرَاقِ، وَضَرَبَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْأَمْثَالَ، وَأَحْضَرَ بين يديه نشابا وأخذ سهما أعطاه لواحد منهم فكسره، ثم أحضر حزمة ودفعها إليهم مجموعة فَلَمْ يُطِيقُوا كَسْرَهَا، فَقَالَ: هَذَا مَثَلُكُمْ إِذَا اجْتَمَعْتُمْ وَاتَّفَقْتُمْ، وَذَلِكَ مَثَلُكُمْ إِذَا انْفَرَدْتُمْ وَاخْتَلَفْتُمْ.

وفي سنة ٦٢٥:

فِيهَا كَانَتْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ بَيْنَ جلال الدين والتتر، كَسَرُوهُ غَيْرَ مَرَّةٍ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ كَسَرَهُمْ كَسْرَةً عَظِيمَةً، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا وَأُمَمًا لا يحصون، وكان هؤلاء التتر قد انفردوا وعصوا على جنكيزخان فكتب جنكيزخان إلى جلال الدين يقول له: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنَّا وَنَحْنُ أَبْعَدْنَاهُمْ، وَلَكِنْ سترى مناما لَا قِبَلَ لَكَ بِهِ.

وفي سنة ٦٢٨:

اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَالْمَلِكُ الْأَشْرَفُ مُوسَى بْنُ العادل مقيم بالجزيرة مَشْغُولٌ فِيهَا بِإِصْلَاحِ مَا كَانَ جَلَالُ الدِّينِ الْخُوَارَزْمِيُّ قَدْ أَفْسَدَهُ مِنْ بِلَادِهِ، وَقَدْ قَدِمَتِ التَّتَارُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ إِلَى الْجَزِيرَةِ وَدِيَارِ بِكْرٍ فَعَاثُوا بِالْفَسَادِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَتَلُوا وَنَهَبُوا وَسَبَوْا عَلَى عَادَتِهِمْ خَذَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

وفي سنة ٦٢٩:

---

(١) رواه النسائي (٣١٧٦) وأبو داود (٤٣٠٢) وحسنه الألباني (الصحيحة-٧٧٢).

وَفِيهِ أَقْبَلَتْ طَائِفَةٌ مِنَ التَّتَارِ فَوَصَلُوا إِلَى شَهْرَزُورَ فَنَدَبَ الْخَلِيفَةُ صَاحِبَ إِرْبِلَ مُظَفَّرَ الدِّينِ كُوكُبُرِي بْنَ زَيْنِ الدِّينِ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ عَسَاكِرَ مِنْ عِنْدِهِ، فَسَارُوا نَحْوَهُمْ فَهَرَبَتْ مِنْهُمُ التَّتَارُ وَأَقَامُوا فِي مُقَابَلَتِهِمْ مُدَّةَ شُهُورٍ، ثُمَّ تَمَرَّضَ مُظَفَّرُ الدِّينِ وَعَادَ إِلَى بَلَدِهِ إربل، وتراجعت التتار إلى بلادها.

وفي سنة ٦٣٤:

فِيهَا حَاصَرَتِ التَّتَارُ إِرْبِلَ بِالْمَجَانِيقِ وَنَقَبُوا الْأَسْوَارَ حَتَّى فَتَحُوهَا عَنْوَةً فَقَتَلُوا أَهْلَهَا وَسَبَوْا ذَرَارِيَّهُمْ.

وفي سنة ٦٣٨:

وَفِيهَا قَدِمَ رسول من ملك التتار تولى بن جنكيزخان إِلَى مُلُوكِ الْإِسْلَامِ يَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ وَيَأْمُرُهُمْ بِتَخْرِيبِ أَسْوَارِ بُلْدَانِهِمْ، وَعُنْوَانُ الْكِتَابِ:

مِنْ نَائِبِ رَبِّ السَّمَاءِ مَاسِحِ وَجْهِ الْأَرْضِ مَلِكِ الشرق والغرب خاقان، وَكَانَ الْكِتَابُ مَعَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ.

وفي سنة ٦٤٢هـ:

{ وانظر لحالة ملوك المُسلِمِين والتّتار عَلى أبواب بلادهم وعاصمتهم!!}:

فِيهَا اسْتَوْزَرَ الْخَلِيفَةُ الْمُسْتَعْصِمُ باللهَّ مُؤَيِّدَ الدِّينِ أَبَا طَالِبٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بن محمد الْعَلْقَمِيِّ الْمَشْئُومَ عَلَى نَفْسِهِ، وَعَلَى أَهْلِ بَغْدَادَ، الّذي لَمْ يَعْصِمِ الْمُسْتَعْصِمَ فِي وِزَارَتِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَزِيرَ صِدْقٍ وَلَا مَرْضِيَّ الطَّرِيقَةِ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي أَعَانَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي قَضِيَّةِ هولاكو وَجُنُودِهِ قَبَّحَهُ اللهَّ وَإِيَّاهُمْ

وَفِيهَا كَانَتْ وَقَعَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الْخُوَارَزْمِيَّةِ الَّذِينَ كَانَ الصَّالِحُ أَيُّوبُ صَاحِبُ مِصْرَ اسْتَقْدَمَهُمْ لِيَسْتَنْجِدَ بِهِمْ عَلَى الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ أَبِي الْحَسَنِ صَاحِبِ دِمَشْقَ، فَنَزَلُوا على غزة وأرسل إليهم الصالح أيوب الخلع والأموال وَالْأَقْمِشَةَ وَالْعَسَاكِرَ، فَاتَّفَقَ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ وَالنَّاصِرُ دَاوُدُ صَاحِبُ الْكَرَكِ، وَالْمَنْصُورُ صَاحِبُ حِمْصَ، مَعَ الْفِرِنْجِ وَاقْتَتَلُوا مَعَ الْخُوَارَزْمِيَّةِ قِتَالًا شَدِيدًا، فَهَزَمَتْهُمُ الْخُوَارَزْمِيَّةُ كَسْرَةً مُنْكَرَةً فَظِيعَةً، هَزَمَتِ الْفِرِنْجَ بِصُلْبَانِهَا وَرَايَاتِهَا الْعَالِيَةِ، عَلَى رُءُوسِ أَطْلَابِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ كُئُوسُ

الْخَمْرِ دَائِرَةً بَيْنَ الْجُيُوشِ فَنَابَتْ كُئُوسُ المنون عن كئوس الزرجون، فَقُتِلَ مِنَ الْفِرِنْجِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ زِيَادَةٌ عن ثلاثين ألف، وَأَسَرُوا جَمَاعَةً مِنْ مُلُوكِهِمْ وَقُسُوسِهِمْ وَأَسَاقِفَتِهِمْ، وَخَلْقًا مِنْ أُمَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَبَعَثُوا بِالْأُسَارَى إِلَى الصَّالِحِ أَيُّوبَ بِمِصْرَ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ يَوْمًا مَشْهُودًا وَأَمْرًا محمودا، ولله الحمد.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ أُمَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّا لَمَّا وَقَفْنَا تَحْتَ صُلْبَانِ الْفِرِنْجِ أَنَّا لا نفلح. وغنمت الخوارزمية من الفرنج ومن كَانَ مَعَهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا، وَأَرْسَلَ الصَّالِحُ أَيُّوبُ إِلَى دِمَشْقَ لِيُحَاصِرَهَا، فَحَصَّنَهَا الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ وَخَرَّبَ مِنْ حَوْلِهَا رِبَاعًا كَثِيرَةً، وَكَسَرَ جِسْرَ بَابِ توما فسار النَّهْرَ فَتَرَاجَعَ الْمَاءُ حَتَّى صَارَ بُحَيْرَةً مِنْ بَابِ تُومَا وَبَابِ السَلامَةِ، فَغَرِقَ جَمِيعُ مَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْعُمْرَانِ، وَافْتَقَرَ كَثِيرٌ مِنَ الناس، فـ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾.

وفي سنة ٦٤٣هـ:

وَهِيَ سَنَةُ الْخُوَارَزْمِيَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الصَّالِحَ أَيُّوبَ بْنَ الْكَامِلِ صَاحِبَ مِصْرَ بَعَثَ الْخُوَارَزْمِيَّةَ وَمَعَهُمْ مَلِكُهُمْ بَرَكَاتُ خَانَ فِي صُحْبَةِ مُعِينِ الدِّينِ ابن الشَّيْخِ، فَأَحَاطُوا بِدِمَشْقَ يُحَاصِرُونَ عَمَّهُ الصَّالِحَ أَبَا الجيش صاحب دمشق، وحرق قَصْرُ حَجَّاجٍ، وَحِكْرُ السُّمَّاقِ، وَجَامِعُ جَرَّاحٍ خَارِجَ باب الصغير، ومساجد كثيرة، ونصب الْمَنْجَنِيقُ عِنْدَ بَابِ الصَّغِيرِ وَعِنْدَ بَابِ الْجَابِيَةِ، ونصب من داخل البلد منجنيقان أيضا، وتراءى الْفَرِيقَانِ وَأَرْسَلَ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ إِلَى الْأَمِيرِ مُعِينِ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ بِسَجَّادَةٍ وَعُكَّازٍ وَإِبْرِيقٍ وَأَرْسَلَ يَقُولُ: اشْتِغَالُكَ بِهَذَا أَوْلَى مِنَ اشْتِغَالِكَ بِمُحَاصَرَةِ الْمُلُوكِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْمُعِينُ بِزَمْرٍ وَجَنْكٍ وَغُلَالَةِ حرير أحمر وأصفر، وأرسل يقول له: أَمَّا السَّجَّادَةُ فَإِنَّهَا تَصْلُحُ لِي، وَأَمَّا أَنْتَ فَهَذَا أَوْلَى بِكَ، ثُمَّ أَصْبَحَ ابْنُ الشَّيْخِ فَاشْتَدَّ الْحِصَارُ بِدِمَشْقَ، وَأَرْسَلَ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ فَأَحْرَقَ جوسق قصر وَالِدِهِ الْعَادِلِ، وَامْتَدَّ الْحَرِيقُ فِي زُقَاقِ الرُّمَّانِ إلى العقبية فأحرقت بِأَسْرِهَا، وَقُطِعَتِ الْأَنْهَارُ وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ، وَأُخِيفَتِ الطُّرُقُ وجرى بدمشق أمور بشعة جدا، لم يتم عَلَيْهَا قَطُّ، وَامْتَدَّ الْحِصَارُ شُهُورًا مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ إِلَى جُمَادَى الْأُولَى

ثمّ اتَّفَقَ الْحَالُ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ إِلَى بَعْلَبَكَّ وَيُسَلِّمُ دِمَشْقَ إلى الصالح أيوب، فاستبشر الناس بذلك وأصبح الصالح إسماعيل خارجا إلى بعلبكّ.

وَأَمَّا الْخُوَارَزْمِيَّةُ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا حَاضِرِينَ وَقْتَ الصُّلْحِ، فَلَمَّا عَلِمُوا بِوُقُوعِ الصُّلْحِ غَضِبُوا وَسَارُوا نَحْوَ دَارَيَّا فَنَهَبُوهَا وَسَاقُوا نَحْوَ بِلَادِ الشَّرْقِ، وَكَاتَبُوا الصَّالِحَ إِسْمَاعِيلَ فَحَالَفُوهُ عَلَى الصَّالِحِ أَيُّوبَ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ وَنَقَضَ الصُّلْحَ الَّذِي كَانَ وَقَعَ مِنْهُ، وَعَادَتِ الْخُوَارَزْمِيَّةُ فَحَاصَرُوا دِمَشْقَ، وَجَاءَ إِلَيْهِمُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ مِنْ بَعْلَبَكَّ فَضَاقَ الْحَالُ عَلَى الدَّمَاشِقَةِ، فعدمت الأموال وَغَلَتِ الْأَسْعَارُ جِدًّا، حَتَّى إِنَّهُ بَلَغَ ثَمَنُ الغرارة ألف وستمائة، وقنطار الدقيق تسعمائة، والخبز كل وقيتين إلا ربع بدرهم، ورطل اللحم بسبعة وبيعت الأملاك بالدقيق، وأكلت القطاط والكلاب والميتات والجيفات، وَتَمَاوَتَ النَّاسُ فِي الطُّرُقَاتِ وَعَجَزُوا عَنِ التَّغْسِيلِ وَالتَّكْفِينِ وَالْإِقْبَارِ، فَكَانُوا يُلْقُونَ مَوْتَاهُمْ فِي الْآبَارِ، حتى أنتنت المدينة وضجر الناس، فـ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾.

قَالَ ابْنُ السِّبْطِ: وَمَعَ هَذَا كَانَتِ الْخُمُورُ دَائِرَةً وَالْفِسْقُ ظَاهِرًا، وَالْمُكُوسُ بِحَالِهَا وَذَكَرَ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ أَنَّ الْأَسْعَارَ غَلَتْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ جِدًّا، وَهَلَكَ الصَّعَالِيكُ بِالطُّرُقَاتِ، كَانُوا يَسْأَلُونَ لُقْمَةً ثُمَّ صَارُوا يَسْأَلُونَ لُبَابَةً ثُمَّ تَنَازَلُوا إلى فلس يشترون به نخلة يَبُلُّونَهَا وَيَأْكُلُونَهَا، كَالدَّجَاجِ، قَالَ: وَأَنَا شَاهَدْتُ ذَلِكَ، وَذَكَرَ تَفَاصِيلَ الْأَسْعَارِ وَغَلَاءَهَا فِي الْأَطْعِمَةِ وَغَيْرِهَا.

وَلَمَّا بَلَغَ الصَّالِحَ أَيُّوبَ أَنَّ الْخُوَارَزْمِيَّةَ قَدْ مَالَئُوا عَلَيْهِ وَصَالَحُوا عَمَّهُ الصَّالِحَ إِسْمَاعِيلَ، كَاتَبَ الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهْ صَاحِبَ حِمْصَ، فَاسْتَمَالَهُ إِلَيْهِ وَقَوِيَ جَانِبُ نَائِبِ دمشق معين الدين حسين ابن الشَّيْخِ، وَلَكِنَّهُ تُوُفِّيَ فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السنة كما سيأتي فِي الْوَفَيَاتِ، وَلَمَّا رَجَعَ الْمَنْصُورُ صَاحِبُ حِمْصَ عَنْ مُوَالَاةِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ شَرَعَ فِي جَمْعِ الْجُيُوشِ مِنَ الْحَلَبِيِّينَ وَالتُّرْكُمَانِ وَالْأَعْرَابِ لِاسْتِنْقَاذِ دِمَشْقَ مِنَ الْخُوَارَزْمِيَّةِ، وَحِصَارِهِمْ إِيَّاهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْخُوَارَزْمِيَّةَ فخافوا من غائلة ذلك، وَقَالُوا دِمَشْقُ مَا تَفُوتُ، وَالْمَصْلَحَةُ قِتَالُهُ عِنْدَ بلده، فساروا إلى بُحَيْرَةِ حِمْصَ، وَأَرْسَلَ النَّاصِرُ دَاوُدُ جَيْشَهُ إِلَى الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ مَعَ الْخُوَارَزْمِيَّةِ، وَسَاقَ جَيْشَ دِمَشْقَ فَانْضَافُوا إِلَى صَاحِبِ حِمْصَ، وَالْتَقَوْا مَعَ الْخُوَارَزْمِيَّةِ عِنْدَ بُحَيْرَةِ حِمْصَ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا، قُتِلَ فِيهِ عَامَّةُ الْخُوَارَزْمِيَّةِ، وَقُتِلَ مَلِكُهُمْ بَرَكَاتُ خَانَ، وَجِيءَ بِرَأْسِهِ عَلَى رُمْحٍ، فَتَفَرَّقَ شَمْلُهُمْ وَتَمَزَّقُوا شَذَرَ مَذَرَ، وَسَاقَ الْمَنْصُورُ صَاحِبُ حِمْصَ إِلَى بَعْلَبَكَّ فَتَسَلَّمَهَا الصَّالِحُ أَيُّوبُ، وَجَاءَ إِلَى دِمَشْقَ فَنَزَلَ بِبُسْتَانِ سَامَةَ خِدْمَةً لِلصَّالِحِ أَيُّوبَ،

ثُمَّ حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِأَخْذِهَا فَاتَّفَقَ مَرَضُهُ، فَمَاتَ رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ، وَنُقِلَ إِلَى حِمْصَ، فَكَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ بَعْدَ أَبِيهِ عَشْرَ سِنِينَ، وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ فِيهَا ابْنُهُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ مُدَّةَ سَنَتَيْنِ، ثُمَّ أُخِذَتْ مِنْهُ عَلَى مَا سَيَأْتِي وَتَسَلَّمَ نُوَّابُ الصَّالِحِ أَيُّوبَ بَعْلَبَكَّ وَبُصْرَى، وَلَمْ يَبْقَ بِيَدِ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ بَلَدٌ يَأْوِي إِلَيْهِ وَلَا أَهْلٌ وَلَا وَلَدٌ وَلَا مَالٌ، بَلْ أُخِذَتْ جَمِيعُ أَمْوَالِهِ وَنُقِلَتْ عِيَالُهُ تَحْتَ الْحَوْطَةِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَسَارَ هُوَ فَاسْتَجَارَ بِالْمَلِكِ النَّاصِرِ بْنِ الْعَزِيزِ بْنِ الظَّاهِرِ غَازِيٍّ صَاحِبِ حَلَبَ، فَآوَاهُ وَأَكْرَمَهُ وَاحْتَرَمَهُ، وَقَالَ الْأَتَابَكُ لُؤْلُؤٌ الْحَلَبِيُّ لِابْنِ أُسْتَاذِهِ النَّاصِرِ، وَكَانَ شَابًّا صَغِيرًا: انْظُرْ إِلَى عَاقِبَةِ الظُّلْمِ.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ وَقْعَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ جَيْشِ الْخَلِيفَةِ وَبَيْنَ التَّتَارِ لَعَنَهُمُ اللهُ، فَكَسَرَهُمُ المسلمون كسرة عظيمة وفرقوا شملهم، وهزموا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ، فَلَمْ يَلْحَقُوهُمْ وَلَمْ يَتْبَعُوهُمْ، خَوْفًا مِنْ غَائِلَةِ مَكْرِهِمْ وَعَمَلًا بِقَوْلِهِ ﷺ: «**اتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ**»(١).

ثمّ دخلت سنة ثمان وأربعين وستمائة.

وفي سنة ٦٤٨هـ:

فِي ثَالِثِ الْمُحَرَّمِ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ كَانَ كَسْرُ المعظم توران شاه لِلْفِرِنْجِ عَلَى ثَغْرِ دِمْيَاطَ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا وَقِيلَ مِائَةَ أَلْفٍ، وَغَنِمُوا شَيْئًا كَثِيرًا وَللهِ الْحَمْدُ.

ثُمَّ قَتَلَ جَمَاعَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ الذين أسروا، وكان فيمن أسر ملك الفرنسيس وَأَخُوهُ، وَأُرْسِلَتْ غِفَارَةُ مَلِكِ الْإِفْرَنْسِيسِ إِلَى دِمَشْقَ فَلَبِسَهَا نَائِبُهَا فِي يَوْمِ الْمَوْكِبِ، وَكَانَتْ مِنْ سقرلاط تَحْتَهَا فَرْوُ سِنْجَابٍ، ثُمَّ لَمْ يَخْرُجْ شَهْرُ الْمُحَرَّمِ حَتَّى قَتَلَ الْأُمَرَاءُ ابن أستاذهم توران شاه، وَدَفَنُوهُ إِلَى جَانِبِ النِّيلِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَرَحِمَ أَسْلَافَهُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

الملك المعظم تورانشاه بن الصّالح أيوب بن الكامل بن العادل:

كَانَ أَوَّلًا صَاحِبَ حِصْنِ حيْفَا فِي حياة أبيه، وكان أبوه يستدعيه فِي أَيَّامِهِ فَلَا يُجِيبُهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُوهُ كَمَا ذَكَرْنَا اسْتَدْعَاهُ الْأُمَرَاءُ فَأَجَابَهُمْ وَجَاءَ إِلَيْهِمْ فَمَلَّكُوهُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ كَمَا ذَكَرْنَا، وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ، وَقَدْ قيل إنه كان متخلفا لَا يَصْلُحُ لِلْمُلْكِ.

---

(١) رواه النسائي (٣١٧٦) وأبو داود (٤٣٠٢) وحسنه الألباني (الصحيحة-٧٧٢).

وفي سنة ٦٥٠هـ:

فِيهَا وَصَلَتِ التَّتَارُ إِلَى الْجَزِيرَةِ وَسَرُوجَ وَرَأْسِ الْعَيْنِ وَمَا وَالَى هَذِهِ الْبِلَادَ، فَقَتَلُوا وَسَبَوْا وَنَهَبُوا وَخَرَّبُوا فـ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، ووقعوا بسنجار يَسِيرُونَ بَيْنَ حَرَّانَ وَرَأْسِ الْعَيْنِ، فَأَخَذُوا مِنْهُمْ سِتَّمِائَةِ حِمْلِ سُكَّرٍ وَمَعْمُولٍ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَسِتَّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ، وَكَانَ عِدَّةُ مَنْ قُتِلُوا فِي هَذِهِ السَّنَةِ مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ نَحْوًا مِنْ عَشَرَةِ آلَافِ قَتِيلٍ، وَأَسَرُوا مِنَ الْوِلْدَانِ والنساء ما يقارب ذلك، فـ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

وفي سنة ٦٥١هـ:

فيها دخل الشيخ نجم الدين البادرائي رَسُولُ الْخَلِيفَةِ بَيْنَ صَاحِبِ مِصْرَ وَصَاحِبِ الشَّامِ، وأصلح بين الجيشين، وكانوا قد اشتد الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ وَنَشِبَتْ، وَقَدْ مَالَأَ الْجَيْشُ الْمِصْرِيُّ الْفِرِنْجَ وَوَعَدَهُمْ أَنْ يُسَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ إِنْ نَصَرُوهُمْ عَلَى الشَّامِيِّينَ، وَجَرَتْ خُطُوبٌ كَثِيرَةٌ، فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ وَخَلَّصَ جَمَاعَةً مِنْ بُيُوتِ الْمُلُوكِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، مِنْهُمْ أَوْلَادُ الصَّالِحِ إِسْمَاعِيلَ، وَبِنْتُ الْأَشْرَفِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَوْلَادِ صَاحِبِ حِمْصَ وغيرهم، جزاه اللهُ خَيْرًا.

وفي سنة ٦٥٥هـ:

فِيهَا أَصْبَحَ الْمَلِكُ الْمُعَظَّمُ صَاحِبُ مِصْرَ عِزُّ الدين أيبك بِدَارِهِ مَيِّتًا وَقَدْ وَلِيَ الْمُلْكَ بَعْدَ أُسْتَاذِهِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ بِشُهُورٍ، كَانَ فِيهَا ملك توران شاه المعظم بن الصالح، ثم خلفته شجرة الدُّرِّ أُمُّ خَلِيلٍ مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ثُمَّ أُقِيمَ هُوَ فِي الْمُلْكِ، وَمَعَهُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ موسى بن الناصر يوسف بن أقسيس ابن الْكَامِلِ مُدَّةً، ثُمَّ اسْتَقَلَّ بِالْمُلْكِ بِلَا مُنَازَعَةٍ، وَكَسَرَ النَّاصِرَ لَمَّا أَرَادَ أَخْذَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَقَتَلَ الْفَارِسَ أَقْطَايَ فِي سِنَةِ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَ، وَخَلَعَ بَعْدَهُ الْأَشْرَفَ وَاسْتَقَلَّ بِالْمُلْكِ وَحْدَهُ، ثُمَّ تزوج بشجرة الدر أم خليل، وكان كريما شجاعا حييا دَيِّنًا، ثُمَّ كَانَ مَوْتُهُ فِي يَوْمِ الثُّلَاثَاءِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَهُوَ وَاقِفُ المدرسة المعزية بِمِصْرَ وَمَجَازُهَا مِنْ أَحْسَنِ الْأَشْيَاءِ، وَهِيَ مِنْ دَاخِلٍ لَيْسَتْ بِتِلْكَ الْفَائِقَةِ.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: هَذِهِ مَجَازٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَلَمَّا قُتِلَ ﷺ فاتهم مماليكه زوجته أم خليل شجرة الدر به، وقد كان عزم على تزوج ابْنَةِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بَدْرِ الدِّينِ لُؤْلُؤٍ، فَأَمَرَتْ جواريها أن يمسكنه لها فما زالت تضر به بقباقيبها والجواري يعركن في معاربه حتى مات وهو كذلك، ولما سمعوا مَمَالِيكُهُ أَقْبَلُوا بِصُحْبَةِ مَمْلُوكِهِ الْأَكْبَرِ سَيْفِ الدِّينِ قُطُزَ، فَقَتَلُوهَا وَأَلْقَوْهَا عَلَى مَزْبَلَةٍ غَيْرَ مَسْتُورَةِ الْعَوْرَةِ، بَعْدَ الْحِجَابِ الْمَنِيعِ وَالْمَقَامِ الرَّفِيعِ، وَقَدْ عَلَّمَتْ عَلَى الْمَنَاشِيرِ وَالتَّوَاقِيعِ، وَخَطَبَ الْخُطَبَاءُ بِاسْمِهَا، وَضُرِبَتِ السِّكَّةُ بِرَسْمِهَا، فَذَهَبَتْ فَلَا تُعْرَفُ بَعْدَ ذَلِكَ بِعَيْنِهَا وَلَا رَسْمِهَا.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران]

وَفِيهَا كَانَتْ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ بِبَغْدَادَ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وأهل السنة، فنهب الْكَرْخُ وَدُورُ الرَّافِضَةِ حَتَّى دُورُ قَرَابَاتِ الْوَزِيرِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ في ممالأته للتتار.

وَفِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ بَعْدَ مَوْتِ البادرائي بِأَيَّامٍ قَلَائِلَ نَزَلَتِ التَّتَارُ عَلَى بَغْدَادَ مُقَدِّمَةً لملكهم هولاكو بن تولى بن جنكيزخان عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ الرَّحْمَنِ، وَكَانَ افْتِتَاحُهُمْ لَهَا وَجِنَايَتُهُمْ عَلَيْهَا فِي أَوَّلِ السَّنَةِ الْآتِيَةِ.

وفي سنة ٦٥٦ هـ:

فِيهَا أَخَذَتِ التَّتَارُ بَغْدَادَ وَقَتَلُوا أَكْثَرَ أَهْلِهَا حَتَّى الْخَلِيفَةَ، وَانْقَضَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْهَا.

اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَجُنُودُ التَّتَارِ قَدْ نَازَلَتْ بَغْدَادَ صُحْبَةَ الْأَمِيرَيْنِ اللَّذَيْنِ عَلَى مُقَدِّمَةِ عَسَاكِرِ سلطان التتار، هولاكوخان، وَجَاءَتْ إِلَيْهِمْ أَمْدَادُ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ يُسَاعِدُونَهُمْ عَلَى الْبَغَادِدَةِ وَمِيرَتُهُ وَهَدَايَاهُ وَتُحَفُهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنَ التَّتَارِ، وَمُصَانَعَةً لَهُمْ قَبَّحَهُمُ اللهُ تَعَالَى، وَقَدْ سُتِرَتْ بَغْدَادُ وَنُصِبَتْ فِيهَا الْمَجَانِيقُ وَالْعَرَّادَاتُ وَغَيْرُهَا مِنَ آلَاتِ الْمُمَانَعَةِ الَّتِي لَا تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ ﷻ شَيْئًا، وتأمل!!! و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾:

وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى أُصِيبَتْ جَارِيَةٌ كَانَتْ تَلْعَبُ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ وَتُضْحِكُهُ، وَكَانَتْ مِنْ جملة حظاياه، وَكَانَتْ مُوَلَّدَةً تُسَمَّى عَرَفَةَ، جَاءَهَا سَهْمٌ مِنْ

بَعْضِ الشَّبَابِيكِ فَقَتَلَهَا وَهِيَ تَرْقُصُ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ، فَانْزَعَجَ الْخَلِيفَةُ مِنْ ذَلِكَ وَفَزِعَ فَزَعًا شَدِيدًا، وَأَحْضَرَ السَّهْمَ الَّذِي أَصَابَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَإِذَا عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ إِذَا أَرَادَ اللهُ إِنْفَاذَ قضائه وقدره أذهب من ذَوِي الْعُقُولِ عُقُولَهُمْ، فَأَمَرَ الْخَلِيفَةُ عِنْدَ ذَلِكَ بزيادة الاحتراز، وكثرة الستائر على دار الخلافة.

وكان قدوم هلاكوخان بِجُنُودِهِ كُلِّهَا، وَكَانُوا نَحْوَ مِائَتَيْ أَلْفِ مُقَاتِلٍ- إِلَى بَغْدَادَ فِي ثَانِي عَشَرَ الْمُحَرَّمِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَهُوَ شَدِيدُ الْحَنَقِ عَلَى الْخَلِيفَةِ بِسَبَبِ مَا كَانَ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللهُ وَقَضَاهُ وَأَنْفَذَهُ وَأَمْضَاهُ، وَهُوَ أَنَّ هلاكو لما كان أول بروزه من همدان مُتَوَجِّهًا إِلَى الْعِرَاقِ أَشَارَ الْوَزِيرُ مُؤَيِّدُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلْقَمِيِّ عَلَى الْخَلِيفَةِ بِأَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ بِهَدَايَا سَنِيَّةٍ لِيَكُونَ ذَلِكَ مُدَارَاةً لَهُ عَمَّا يُرِيدُهُ مِنْ قَصْدِ بِلَادِهِمْ فَخَذَّلَ الْخَلِيفَةَ عَنْ ذَلِكَ دُوَيْدَارُهُ الصَّغِيرُ أَيْبَكُ وَغَيْرُهُ، وَقَالُوا إِنَّ الْوَزِيرَ إِنَّمَا يُرِيدُ بِهَذَا مُصَانَعَةَ مَلِكِ التَّتَارِ بِمَا يَبْعَثُهُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَأَشَارُوا بِأَنْ يَبْعَثَ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ، فَأَرْسَلَ شَيْئًا مِنَ الهدايا فاحتقرها هلاكوخان، وَأَرْسَلَ إِلَى الْخَلِيفَةِ يَطْلُبُ مِنْهُ دُوَيْدَارَهُ الْمَذْكُورَ، وسليمان شاه، فلم يبعثهما إليه ولا بالا بِهِ حَتَّى أَزِفَ قُدُومُهُ، وَوَصَلَ بَغْدَادَ بِجُنُودِهِ الْكَثِيرَةِ الْكَافِرَةِ الْفَاجِرَةِ الظَّالِمَةِ الْغَاشِمَةِ، مِمَّنْ لَا يُؤْمِنُ باللهَّ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

فَأَحَاطُوا بِبَغْدَادَ من ناحيتها الغربية والشرقية، وجيوش بَغْدَادَ فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ وَنِهَايَةِ الذِّلَّةِ، لَا يبلغون عشرة آلاف فارس، وهم وَبَقِيَّةُ الْجَيْشِ، كُلُّهُمْ قَدْ صُرِفُوا عَنْ إِقْطَاعَاتِهِمْ حَتَّى اسْتَعْطَى كَثِيرٌ مِنْهُمْ فِي الْأَسْوَاقِ وَأَبْوَابِ المساجد، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم وَيَحْزَنُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ.

وَذَلِكَ كُلُّهُ عَنْ آرَاءِ الْوَزِيرِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ الرَّافِضِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ كَانَ بَيْنَ أهل السنة والرافضة حرب عظيمة نهبت فيها الكرخ ومحلة الرَّافِضَةِ حَتَّى نُهِبَتْ دُوْرُ قَرَابَاتِ الْوَزِيرِ، فَاشْتَدَّ حَنَقُهُ عَلَى ذَلِكَ، فَكَانَ هَذَا مِمَّا أَهَاجَهُ عَلَى أَنْ دَبَّرَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ الَّذِي لَمْ يُؤَرَّخْ أَبْشَعُ مِنْهُ مُنْذُ بُنِيَتْ بَغْدَادُ، وَإِلَى هَذِهِ الْأَوْقَاتِ، وَلِهَذَا كَانَ أَوَّلُ مَنْ بَرَزَ إِلَى التتار هو، فخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه، فاجتمع بالسلطان هلاكوخان لعنه الله، ثُمَّ عَادَ فَأَشَارَ عَلَى الْخَلِيفَةِ بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ وَالْمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ لِتَقَعَ الْمُصَالَحَةُ عَلَى أَنْ يَكُونَ نِصْفُ خَرَاجِ الْعِرَاقِ لَهُمْ وَنِصْفُهُ لِلْخَلِيفَةِ، فَاحْتَاجَ

الْخَلِيفَةُ إِلَى أَنْ خَرَجَ فِي سَبْعِمِائَةِ رَاكِبٍ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ وَرُءُوسِ الْأُمَرَاءِ وَالدَّوْلَةِ وَالْأَعْيَانِ، فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْ مَنْزِلِ السُّلْطَانِ هولاكو خان حُجِبُوا عَنِ الْخَلِيفَةِ إِلَّا سَبْعَةَ عَشَرَ نَفَسًا، فَخَلَصَ الْخَلِيفَةُ بِهَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ، وَأُنْزِلَ الْبَاقُونَ عَنْ مَرَاكِبِهِمْ وَنُهِبَتْ وَقُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ، وَأُحْضِرَ الْخَلِيفَةُ بين يدي هلاكو فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ فَيُقَالُ إِنَّهُ اضْطَرَبَ كَلَامُ الْخَلِيفَةِ مِنْ هَوْلِ مَا رَأَى مِنَ الْإِهَانَةِ وَالْجَبَرُوتِ.

ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ وَفِي صحبته خوجه نصير الدين الطوسي، وَالْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ وَغَيْرُهُمَا، وَالْخَلِيفَةُ تَحْتَ الْحَوْطَةِ وَالْمُصَادَرَةِ، فَأَحْضَرَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الذَّهَبِ وَالْحُلِيِّ وَالْمَصَاغِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَشْيَاءِ النَّفِيسَةِ، وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أَنْ لَا يُصَالِحَ الْخَلِيفَةَ، وَقَالَ الْوَزِيرُ مَتَى وَقَعَ الصُّلْحُ عَلَى الْمُنَاصَفَةِ لَا يَسْتَمِرُّ هَذَا إِلَّا عَامًا أَوْ عَامَيْنِ ثُمَّ يَعُودُ الْأَمْرُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَحَسَّنُوا لَهُ قَتْلَ الْخَلِيفَةِ، فَلَمَّا عَادَ الْخَلِيفَةُ إِلَى السُّلْطَانِ هُولَاكُو أَمَرَ بِقَتْلِهِ، وَيُقَالُ إِنَّ الَّذِي أشار بقتله الوزير ابن العلقميّ، والمولى نصير الدين الطُّوسِيُّ، وَكَانَ النَّصِيرُ عِنْدَ هُولَاكُو قَدِ اسْتَصْحَبَهُ فِي خِدْمَتِهِ لَمَّا فَتَحَ قِلَاعَ الْأَلْمُوتِ، وَانْتَزَعَهَا مِنْ أَيْدِي الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، وَكَانَ النَّصِيرُ وَزِيرًا لِشَمْسِ الشُّمُوسِ وَلِأَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ عَلَاءِ الدِّينِ بْنِ جلال الدين، وكانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر العبيدي، وانتخب هولاكو النَّصِيرَ لِيَكُونَ فِي خِدْمَتِهِ كَالْوَزِيرِ الْمُشِيرِ، فَلَمَّا قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة هون عليه الوزير ذَلِكَ فَقَتَلُوهُ رَفْسًا، وَهُوَ فِي جُوَالِقَ لِئَلَّا يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ مِنْ دَمِهِ، خَافُوا أَنْ يُؤْخَذَ بِثَأْرِهِ فِيمَا قِيلَ لَهُمْ، وَقِيلَ بل خنق، ويقال بل أغرق فاللهُ أَعْلَمُ، فَبَاءُوا بِإِثْمِهِ وَإِثْمِ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ سَادَاتِ الْعُلَمَاءِ وَالْقُضَاةِ وَالْأَكَابِرِ وَالرُّؤَسَاءِ والأمراء وأولى الحل والعقد ببلاد بغداد.

وَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللهُ سُنِّيًّا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ الْجَمَاعَةِ كَمَا كَانَ أَبُوهُ وَجَدُّهُ، وَلَكِنْ كَانَ فِيهِ لِينٌ وَعَدَمُ تَيَقُّظٍ وَمَحَبَّةٌ لِلْمَالِ وَجَمْعِهِ، ومن جملة ذلك أنه استحل الْوَدِيعَةَ الَّتِي اسْتَوْدَعَهُ إِيَّاهَا النَّاصِرُ دَاوُدُ بْنُ الْمُعَظَّمِ وَكَانَتْ قِيمَتُهَا نَحْوًا مِنْ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ فَاسْتُقْبِحَ هَذَا مِنْ مِثْلِ الْخَلِيفَةِ، وَهُوَ مُسْتَقْبَحٌ مِمَّنْ هُوَ دُونَهُ بِكَثِيرٍ بَلْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ كما قَالَ الله تَعَالَى:

﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥]

{ أقول: ولا أدري الحقيقة كيف يكون عَلى طريقة السَّلَف، من يغل الوديعة، ويتلهى براقصة ودولة الإِسْلَام تسقط!! أي سلف هَؤُلَاءِ الّذين كانَ مثل هذا الخَليفَة الساقط عَلى طريقتهم ؟!}.

و يتابع ابن كثير رحمه الله:

قَتَلَتْهُ التَّتَارُ مَظْلُومًا مُضْطَهَدًا فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ رَابِعَ عَشَرَ صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ سِتَّةٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، وكانت مدة خلافته خمسة عشر سَنَةً وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا، فَرَحِمَهُ اللَّهُ وَأَكْرَمَ مثواه، وبل بالرأفة ثَرَاهُ، وَقَدْ قُتِلَ بَعْدَهُ وَلَدَاهُ وَأُسِرَ الثَّالِثُ مَعَ بَنَاتٍ ثَلَاثٍ مِنْ صُلْبِهِ.

{ وما أدري من ظلم هذا المظلوم أيضا؟ هل هم التّتار، أم هو الظَّالم لنفسه ورعيته؟! وسبحان ربنا القائل: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت]}.

وَمَالُوا عَلَى الْبَلَدِ فَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ وَالْمَشَايِخِ وَالْكُهُولِ وَالشُّبَّانِ

وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي الْآبَارِ وَأَمَاكِنِ الْحُشُوشِ، وَقُنِيِّ الْوَسَخِ، وَكَمَنُوا كَذَلِكَ أَيَّامًا لَا يَظْهَرُونَ، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الْخَانَاتِ وَيُغْلِقُونَ عَلَيْهِمُ الْأَبْوَابَ فَتَفْتَحُهَا التَّتَارُ إِمَّا بالكسر وإما بِالنَّارِ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ فَيَهْرُبُونَ مِنْهُمْ إِلَى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة، حَتَّى تَجْرِيَ الْمَيَازِيبُ مِنَ الدِّمَاءِ فِي الْأَزِقَّةِ، فـ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، وَكَذَلِكَ فِي الْمَسَاجِدِ وَالْجَوَامِعِ وَالرُّبَطِ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ سِوَى أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَمَنِ الْتَجَأَ إِلَيْهِمْ وَإِلَى دَارِ الْوَزِيرِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ الرَّافِضِيِّ وَطَائِفَةٍ مِنَ التُّجَّارِ أَخَذُوا لَهُمْ أَمَانًا، بَذَلُوا عَلَيْهِ أَمْوَالًا جَزِيلَةً حَتَّى سَلِمُوا وَسَلِمَتْ أَمْوَالُهُمْ.

وعادت بغداد بعد ما كَانَتْ آنَسَ الْمُدُنِ كُلِّهَا كَأَنَّهَا خَرَابٌ لَيْسَ فيها إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ، وَهُمْ فِي خَوْفٍ وَجُوعٍ وَذِلَّةٍ وَقِلَّةٍ.

وَكَانَ الْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ قَبْلَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ يَجْتَهِدُ فِي صَرْفِ الْجُيُوشِ وإسقاط اسمهم مِنَ الدِّيوَانِ، فَكَانَتِ الْعَسَاكِرُ فِي آخِرِ أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ قَرِيبًا مِنْ مِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، مِنْهُمْ من الأمراء من هو كالملوك الأكابر الأكاسر، فَلَمْ يَزَلْ يَجْتَهِدُ فِي تَقْلِيلِهِمْ إِلَى أَنْ لم يبق سوى عَشَرَةُ آلَافٍ، ثُمَّ كَاتَبَ التَّتَارَ وَأَطْمَعَهُمْ

فِي أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك، وحكى لَهُمْ حَقِيقَةَ الْحَالِ، وَكَشَفَ لَهُمْ ضَعْفَ الرِّجَالِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ طَمَعًا مِنْهُ أَنْ يُزِيلَ السُّنَّةَ بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة وَأَنْ يُقِيمَ خَلِيفَةً مَنَ الْفَاطِمِيِّينَ، وَأَنْ يُبِيدَ الْعُلَمَاءَ وَالْمُفْتِينَ، وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَقَدْ رَدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ، وَأَذَلَّهُ بَعْدَ الْعِزَّةِ القعساء، وجعله حوشكاشا للتتار بعد ما كَانَ وَزِيرًا لِلْخُلَفَاءِ، وَاكْتَسَبَ إِثْمَ مَنْ قُتِلَ ببغداد مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ، فَالْحُكْمُ للهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي كَمِّيَّةِ مَنْ قُتِلَ بِبَغْدَادَ مِنَ المسلمين في هذه الوقعة، فَقِيلَ ثَمَانُمِائَةِ أَلْفٍ، وَقِيلَ أَلْفُ أَلْفٍ وَثَمَانُمِائَةِ أَلْفٍ، وَقِيلَ بَلَغَتِ الْقَتْلَى أَلْفَيْ أَلْفِ نَفْسٍ فـ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَكَانَ دُخُولُهُمْ إِلَى بَغْدَادَ فِي أَوَاخِرِ الْمُحَرَّمِ، وَمَا زَالَ السَّيْفُ يَقْتُلُ أَهْلَهَا أربعين يوما، وَكَانَ قَتْلُ الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَعْصِمِ بِاللهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يوم الأربعاء رابع عشر صفر وعفى قَبْرُهُ، وَكَانَ عُمْرُهُ يَوْمَئِذٍ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَمُدَّةُ خِلَافَتِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَثَمَانِيَةُ أَشْهُرٍ وَأَيَّامٌ، وَقُتِلَ مَعَهُ وَلَدُهُ الْأَكْبَرُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ، وَلَهُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، ثُمَّ قُتِلَ وَلَدُهُ الْأَوْسَطُ أَبُو الْفَضْلِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَلَهُ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَأُسِرَ وَلَدُهُ الْأَصْغَرُ مُبَارَكٌ وَأُسِرَتْ أَخَوَاتُهُ الثَّلَاثُ فَاطِمَةُ وَخَدِيجَةُ وَمَرْيَمُ، وَأُسِرَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ مِنَ الْأَبْكَارِ مَا يُقَارِبُ أَلْفَ بكر فيما قيل والله أعلم، فـ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

وَقُتِلَ أُسْتَاذُ دَارِ الْخِلَافَةِ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي الفرج ابن الْجَوْزِيِّ، وَكَانَ عَدُوَّ الْوَزِيرِ، وَقُتِلَ أَوْلَادُهُ الثَّلَاثَةُ: عبد الله، وعبد الرحمن، وعبد الكريم، وأكابر الدولة واحدا بعد واحده، منهم الديودار الصَّغِيرُ مُجَاهِدُ الدِّينِ أَيْبَكُ، وَشِهَابُ الدِّينِ سُلَيْمَانُ شَاهْ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أُمَرَاءِ السُّنَّةِ وَأَكَابِرِ الْبَلَدِ.

وَكَانَ الرَّجُلُ يُسْتَدْعَى بِهِ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ من بنى العباس فيخرج بأولاده ونسائه فَيُذْهَبُ بِهِ إِلَى مَقْبَرَةِ الْخَلَّالِ، تُجَاهَ الْمَنْظَرَةِ فَيُذْبَحُ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ، وَيُؤْسَرُ مَنْ يَخْتَارُونَ مِنْ بَنَاتِهِ وَجَوَارِيهِ. وَقُتِلَ شَيْخُ الشُّيُوخِ مُؤَدِّبُ الْخَلِيفَةِ صَدْرُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ النَّيَّارِ، وَقُتِلَ الْخُطَبَاءُ وَالْأَئِمَّةُ، وَحَمَلَةُ الْقُرْآنِ، وَتَعَطَّلَتِ الْمَسَاجِدُ وَالْجَمَاعَاتُ وَالْجُمُعَاتُ مُدَّةَ شُهُورٍ بِبَغْدَادَ، وَأَرَادَ الْوَزِيرُ ابْنُ الْعَلْقَمِيِّ قَبَّحَهُ اللهُ وَلَعَنَهُ أَنْ يُعَطِّلَ

المَسَاجِدَ وَالْمَدَارِسَ وَالرُّبَطَ بِبَغْدَادَ وَيَسْتَمِرَّ بِالْمَشَاهِدِ وَمَحَالِّ الرَّفْضِ، وَأَنْ يَبْنِيَ لِلرَّافِضَةِ مَدْرَسَةً هَائِلَةً يَنْشُرُونَ عِلْمَهُمْ وَعَلَمَهُمْ بِهَا وَعَلَيْهَا، فَلَمْ يُقَدِّرْهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ، بَلْ أَزَالَ نِعْمَتَهُ عَنْهُ وَقَصَفَ عُمْرَهُ بَعْدَ شُهُورٍ يَسِيرَةٍ مِنْ هَذِهِ الْحَادِثَةِ، وَأَتْبَعَهُ بِوَلَدِهِ فَاجْتَمَعَا وَاللهُ أَعْلَمُ بِالدَّرْكِ الْأَسْفَلِ من النار.

ولما انقضى الأمر المقدر وَانْقَضَتِ الْأَرْبَعُونَ يَوْمًا بَقِيَتْ بَغْدَادُ خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا لَيْسَ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا الشَّاذُّ مِنَ النَّاسِ، وَالْقَتْلَى فِي الطُّرُقَاتِ كَأَنَّهَا التُّلُولُ، وَقَدْ سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد، وَتَغَيَّرَ الْهَوَاءُ فَحَصَلَ بِسَبَبِهِ الْوَبَاءُ الشَّدِيدُ حَتَّى تَعَدَّى وَسَرَى فِي الْهَوَاءِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، فَمَاتَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ تَغَيُّرِ الْجَوِّ وَفَسَادِ الرِّيحِ، فَاجْتَمَعَ عَلَى النَّاسِ الْغَلَاءُ وَالْوَبَاءُ وَالْفِنَاءُ والطعن والطاعون فـ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

وَلَمَّا نُودِيَ بِبَغْدَادَ بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقني والمقابر كَأَنَّهُمُ الْمَوْتَى إِذَا نُبِشُوا مِنْ قُبُورِهِمْ، وَقَدْ أَنْكَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَا يَعْرِفُ الْوَالِدُ وَلَدَهُ وَلَا الْأَخُ أَخَاهُ، وَأَخَذَهُمُ الْوَبَاءُ الشَّدِيدُ فَتَفَانَوْا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى، واجتمعوا تَحْتَ الثَّرَى بِأَمْرِ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨]

وكان رحيل السُّلطَان المسلط هولاكو قان عَنْ بَغْدَادَ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ إِلَى مَقَرِّ مُلْكِهِ، وَفَوَّضَ أَمْرَ بَغْدَادَ إلى الأمير علي بهادر، فوض فوض إليه الشحنكية بها وإلى الوزير ابن العلقمي فلم يمهله الله ولا أمهله، بَلْ أَخَذَهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، فِي مُسْتَهَلِّ جُمَادَى الْآخِرَةِ عَنْ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَكَانَ عِنْدَهُ فَضِيلَةٌ فِي الْإِنْشَاءِ وَلَدَيْهِ فَضِيلَةٌ فِي الأدب، ولكنه كان شيعياً جلداً رافضياً خبيثاً، فمات جهداً وَغَمًّا وَحُزْنًا وَنَدَمًا، إِلَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمٍ، فَوَلِيَ بَعْدَهُ الْوِزَارَةَ وَلَدُهُ عِزُّ الدين بن الْفَضْلِ مُحَمَّدٌ، فَأَلْحَقَهُ اللهُ بِأَبِيهِ فِي بَقِيَّةِ هَذَا الْعَامِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَذَكَرَ أَبُو شَامَةَ وَشَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الذَّهَبِيُّ وَقُطْبُ الدِّينِ الْيُونِينِيُّ أَنَّهُ أَصَابَ النَّاسَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِالشَّامِ وَبَاءٌ شَدِيدٌ، وَذَكَرُوا أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ مِنْ فَسَادِ الْهَوَاءِ وَالْجَوِّ، فَسَدَ مِنْ كَثْرَةِ الْقَتْلَى بِبِلَادِ الْعِرَاقِ وَانْتَشَرَ حَتَّى تَعَدَّى إِلَى بِلَادِ الشَّامِ فَاللهُ أَعْلَمُ..

{ وتأمل في حال جيران الكارثة من الأمراء!! }

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ اقْتَتَلَ الْمِصْرِيُّونَ مَعَ صَاحِبِ الْكَرَكِ الْمَلِكِ المغيث عمر بن العادل الكبير، وكان في حبسه جَمَاعَةٌ مِنْ أُمَرَاءِ الْبَحْرِيَّةِ، مِنْهُمْ رُكْنُ الدِّينِ بيبرس البند قداري، فَكَسَرَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ وَنَهَبُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الأثقال والأموال، وأسروا جماعة من رؤس الْأُمَرَاءِ فَقُتِلُوا صَبْرًا، وَعَادُوا إِلَى الْكَرَكِ فِي أسوأ حال وأشنعه، وَجَعَلُوا يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَعِيثُونَ فِي الْبِلَادِ، فأرسل الله الناصر صاحب دمشق فبعث جَيْشًا لِيَكُفَّهُمْ عَنْ ذَلِكَ، فَكَسَرَهُمُ الْبَحْرِيَّةُ وَاسْتَنْصَرُوا فَبَرَزَ إِلَيْهِمُ النَّاصِرُ بِنَفْسِهِ فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ وَقَطَعُوا أَطْنَابَ خَيْمَتِهِ الَّتِي هُوَ فِيهَا بِإِشَارَةِ رُكْنِ الدِّينِ بِيبَرْسَ الْمَذْكُورِ، وَجَرَتْ حُرُوبٌ وَخُطُوبٌ يطول بسطها وبالله المستعان

وفي سنة ٦٥٧هـ:

اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ وَلَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ خَلِيفَةٌ، وَسُلْطَانُ دِمَشْقَ وَحَلَبَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَلَاحُ الدِّين يُوسُفُ بْنُ الْعَزِيزِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الظَّاهِرِ غَازِيٍّ بن الناصر صلاح الدين، وَهُوَ وَاقِعٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمِصْرِيِّينَ وَقَدْ مَلَّكُوا نُورَ الدِّينِ عَلِيَّ بْنَ الْمُعِزِّ أَيْبَكَ التُّرْكُمَانِيَّ ولقبوه بالمنصور، وقد أرسل الملك الغاشم هولاكو خان إلى الملك الناصر صاحب دمشق يَسْتَدْعِيهِ إِلَيْهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَلَدَهُ الْعَزِيزَ وَهُوَ صَغِيرٌ وَمَعَهُ هَدَايَا كَثِيرَةٌ وَتُحَفٌ، فَلَمْ يَحْتَفِلْ به هولاكو خان بل غضب على أبيه إذ لم يقبل إليه، وأخذ ابنه وقال: أنا أَسِيرُ إِلَى بِلَادِهِ بِنَفْسِي، فَانْزَعَجَ النَّاصِرُ لِذَلِكَ، وَبَعَثَ بِحَرِيمِهِ وَأَهْلِهِ إِلَى الْكَرَكِ لِيُحَصِّنَهُمْ بِهَا وخاف أهل دمشق خوفاً شديداً، ولا سيما لما بلغهم إن التتار قد قطعوا الفرات، سافر كثير منهم إلى مصر في زمن الشتاء، فمات ناس كثير منهم ونهبوا فـ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾.

وَأَقْبَلَ هُولَاكُو خان فقصد الشام بجنوده وعساكره، وقد امتنعت عليه ميافارقين مُدَّةَ سَنَةٍ وَنِصْفٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا وَلَدَهُ أَشْمُوطَ فافتتحها قسراً وأنزل مَلِكَهَا الْكَامِلَ بْنَ الشِّهَابِ غَازِي بْنِ الْعَادِلِ فَأَرْسَلَهُ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ مُحَاصِرٌ حَلَبَ فَقَتَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَنَابَ عَلَيْهَا بَعْضَ مَمَالِيكِ الْأَشْرَفِ، وَطِيفَ بِرَأْسِ الْكَامِلِ فِي الْبِلَادِ، وَدَخَلُوا بِرَأْسِهِ إِلَى دِمَشْقَ، فَنُصِبَ عَلَى بَابِ الْفَرَادِيسِ.

و تأمل في فرج الله وأسبابه وفي النهضة وبداياتها وكيف تكون!

وَفِيهَا قَدِمَ الْقَاضِي الْوَزِيرُ كَمَالُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ أَبِي جَرَادَةَ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَدِيمِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ رَسُولًا مِنْ صَاحِبِ دِمَشْقَ النَّاصِرِ بْنِ الْعَزِيزِ يَسْتَنْجِدُ الْمِصْرِيِّينَ على قتال التتار، وأنهم قَدِ اقْتَرَبَ قُدُومُهُمْ إِلَى الشَّامِ، وَقَدِ اسْتَوْلَوْا على بلاد الجَزِيرَة وَحَرَّانَ وَغَيْرِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَقَدْ جَازَ أَشْمُوطُ بْنُ هُولَاكُو الْفُرَاتَ، وَاقْتَرَبَ مِنْ مَدِينَةِ حَلَبَ، فَعُقِدَ عِنْدَ ذَلِكَ مَجْلِسٌ بَيْنَ يَدَيِ الْمَنْصُورِ بْنِ الْمُعِزِّ التُّرْكُمَانِيِّ، وَحَضَرَ قَاضِي مِصْرَ بَدْرُ الدِّينِ السِّنْجَارِيُّ، وَالشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، وَأَفَاضُوا الْكَلَامَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَخْذِ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِ الْعَامَّةِ لِمُسَاعَدَةِ الْجُنْدِ، وَكَانَتِ الْعُمْدَةُ عَلَى مَا يَقُولُهُ ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ [سلطان العلماء]، فَكَانَ حَاصِلُهُ:

إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي بَيْتِ الْمَالِ شَيْءٌ، وَأَنْفَقْتُمُ الْحَوَائِصَ الذَّهَبَ وَغَيْرَهَا مِنَ الزِّينَةِ، وَتَسَاوَيْتُمْ أَنْتُمْ وَالْعَامَّةُ فِي الْمَلَابِسِ سِوَى آلَاتِ الْحَرْبِ، وَلَمْ يَبْقَ لِلْجُنْدِيِّ شَيْءٌ سِوَى فَرَسِهِ الَّتِي يَرْكَبُهَا، سَاغَ أَخْذُ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ فِي دَفْعِ الْأَعْدَاءِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا دَهَمَ الْعَدُوُّ وَجَبَ عَلَى النَّاسِ كَافَّةً أَنْ يَدْفَعُوهُمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ..

ولاية الملك المظفر قطز:

وَفِيهَا قَبَضَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قُطُزُ عَلَى ابْنِ أُسْتَاذِهِ نُورِ الدِّينِ عَلِيٍّ الْمُلَقَّبِ بِالْمَنْصُورِ، وَذَلِكَ فِي غَيْبَةِ أَكْثَرِ الْأُمَرَاءِ مِنْ مَمَالِيكِ أَبِيهِ وَغَيْرِهِمْ فِي الصَّيْدِ، فَأَمْسَكَهُ وَسَيَّرَهُ مَعَ أُمِّهِ وَابْنَيْهِ وَإِخْوَتِهِ إِلَى بِلَادِ الْأَشْكُرِيِّ، وَتَسَلْطَنَ هُوَ، وَسَمَّى نَفْسَهُ بِالْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ، وَكَانَ هَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّهُ الَّذِي يَسَّرَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ كَسْرَةَ التَّتَارِ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَهَذَا الَّذِي اعْتَذَرَ بِهِ إِلَى ابْنِ الْعَدِيمِ فَإِنَّهُ قَالَ: لَابُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ يُقَاتِلُ التَّتَارَ، وَهَذَا صَبِيٌّ صَغِيرٌ لَا يَعْرِفُ تَدْبِيرَ الْمَمْلَكَةِ.

وَفِيهَا بَرَزَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَاحِبُ دِمَشْقَ إِلَى وَطْأَةِ بَرْزَةَ فِي جَحَافِلَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْجَيْشِ وَالْمُطَّوِّعَةِ وَالْأَعْرَابِ وَغَيْرِهِمْ، وَلَمَّا عَلِمَ ضَعْفَهُمْ عَنْ مُقَاوَمَةِ الْمَغُولِ، ارْفَضَّ ذَلِكَ الْجَمْعُ، وَلَمْ يَصْبِرْ لَا هُوَ وَلَا هُمْ، فـ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾.

وفي سنة ٦٥٨ هـ:

اسْتَهَلَّتْ هَذِهِ السَّنَةُ بِيَوْمِ الْخَمِيسِ وَلَيْسَ لِلنَّاسِ خَلِيفَةٌ، وَمَلِكُ الْعِرَاقَيْنِ وَخُرَاسَانَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ بِلَادِ الْمَشْرِقِ السُّلْطَانُ هُولَاكُوقَانَ مَلِكُ التَّتَارِ ابْنُ تُولِي بْنِ جِنْكِزْخَانَ، وَسُلْطَانُ دِيَارِ مِصْرَ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ سَيْفُ الدِّينِ قُطُزُ مَمْلُوكُ الْمُعِزِّ أَيْبَكَ التُّرْكُمَانِيِّ، وَسُلْطَانُ دِمَشْقَ وَحَلَبَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ بْنُ الْعَزِيزِ بْنِ الظَّاهِرِ غَازِيِّ بْنِ النَّاصِرِ فَاتِحِ الْقُدْسِ، وَبِلَادِ الْكَرَكِ وَالشُّوبَكِ لِلْمَلِكِ الْمُغِيثِ بْنِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْكَامِلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ، **وَهُوَ حِزْبٌ مَعَ النَّاصِرِ صَاحِبِ دِمَشْقَ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ، وَمَعَهُمَا الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ بِيبَرْسُ الْبُنْدُقْدَارِيُّ، وَقَدْ عَزَمُوا عَلَى قِتَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأَخْذِ الْبَلَدِ مِنْهُمْ!!**

أخذ التّتار حلب ودمشق:

وَبَيْنَمَا النَّاسُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ بِقَصْدِ التَّتَارِ بِلَادَ الشَّامِ، إِذْ دَخَلَ جَيْشُ الْمُغُولِ صُحْبَةَ مَلِكِهِمْ هُولَاكُو، وَجَازُوا الْفُرَاتَ عَلَى جُسُورٍ عَمِلُوهَا، وَوَصَلُوا إِلَى حَلَبَ فِي ثَانِي صَفَرٍ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَحَاصَرُوهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ افْتَتَحُوهَا بِالْأَمَانِ، وَغَدَرُوا بِهِمْ، فَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا خَلْقًا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ وَسَبَوُا النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ، وَجَرَى عَلَيْهِمْ قَرِيبٌ مِمَّا جَرَى عَلَى أَهْلِ بَغْدَادَ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ فـ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

وَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِمْ قَلْعَتُهَا شَهْرًا، ثُمَّ تَسَلَّمُوهَا بِالْأَمَانِ، وَخُرِّبَتْ أَسْوَارُ الْبَلَدِ وَأَسْوَارُ الْقَلْعَةِ، وَبَقِيَتْ حَلَبُ كَأَنَّهَا حِمَارٌ أَجْرَبُ، وَكَانَ نَائِبُهَا الْمَلِكُ الْمُعَظَّمُ تَوْرَانْشَاهُ بْنُ صَلَاحِ الدِّينِ، وَكَانَ عَاقِلًا حَازِمًا لَكِنَّهُ لَمْ يُوَافِقْهُ الْجَيْشُ عَلَى الْمَصْلَحَةِ وَلَكِنْ سَرِعُوا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا. وَقَدْ كَانَ السُّلْطَانُ هُولَاكُو أَرْسَلَ إِلَى أَهْلِ الْبَلَدِ يَقُولُ لَهُمْ حِينَ قَدِمَ بِجَحَافِلِهِ: نَحْنُ إِنَّمَا جِئْنَا لِقِتَالِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ بِدِمَشْقَ، وَنَحْنُ نُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَجْعَلُوا بِالْقَلْعَةِ شِحْنَةً، فَإِنْ كَانَتِ النُّصْرَةُ لَنَا فَالْبِلَادُ كُلُّهَا فِي حُكْمِنَا، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْنَا فَإِنْ شِئْتُمْ قَبِلْتُمُ الشِّحْنَةَ وَإِنْ شِئْتُمْ أَطْلَقْتُمُوهُ. فَأَجَابُوهُ: مَالَكَ عِنْدَنَا إِلَّا السَّيْفُ. فَتَعَجَّبَ مِنْ ضَعْفِهِمْ وَجَوَابِهِمْ بِهَذَا، فَزَحَفَ حِينَئِذٍ إِلَيْهِمْ، وَأَحَاطَ بِالْبَلَدِ، وَكَانَ مَا كَانَ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَلَمَّا فُتِحَتْ حَلَبُ أَرْسَلَ صَاحِبُ حَمَاةَ بِمَفَاتِيحِهَا إِلَيْهِ، فَاسْتَنَابَ عَلَيْهَا رَجُلًا مِنَ الْعَجَمِ يَدَّعِي أَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ يُقَالُ لَهُ: خُسْرُوشَاهْ. فَخَرَّبَ أَسْوَارَهَا كَمَا فُعِلَ بِمَدِينَةِ حَلَبَ.

أَرْسَلَ هُولَاكُو وَهُوَ نَازِلٌ عَلَى حَلَبَ جَيْشًا مَعَ أَمِيرٍ مِنْ كِبَارِ دَوْلَتِهِ يُقَالُ لَهُ: كَتْبُغَانُوِينَ. فَوَرَدُوا دِمَشْقَ فِي آخِرِ صَفَرٍ، فَأَخَذُوهَا سَرِيعًا مِنْ غَيْرِ مُمَانَعَةٍ وَلَا مُدَافِعَةٍ، بَلْ تَلَقَّاهُمْ كِبَارُهَا بِالرُّحْبِ وَالسَّعَةِ، وَقَدْ كَتَبَ مَعَهُمُ السُّلْطَانُ هُولَاكُو فَرَمَانَ أَمَانٍ لِأَهْلِ الْبَلَدِ، فَقُرِئَ بِالْمَيْدَانِ الْأَخْضَرِ، وَنُودِيَ بِهِ فِي الْبَلَدِ، فَأَمِنَ النَّاسُ عَلَى وَجِلٍ أَنْ يَغْدِرُوا كَمَا فُعِلَ بِأَهْلِ حَلَبَ، هَذَا وَالْقَلْعَةُ مُمْتَنِعَةٌ مَسْتُورَةٌ، وَفِي أَعَالِيهَا الْمَجَانِيقُ مَنْصُوبَةٌ، فَنُصِبَ الْمَجَانِيقُ عَلَى الْقَلْعَةِ مِنْ غَرْبِيِّهَا وَهَدَمُوا حِيطَانًا كَثِيرَةً فَأَجَابَهُمْ مُتَوَلِّيهَا فِي آخِرِ ذَلِكَ النَّهَارِ لِلْمُصَالَحَةِ، فَفَتَحُوهَا وَخَرَّبُوا كُلَّ بَدَنَةٍ فِيهَا، وَأَعَالِي بُرُوجِهَا، وَذَلِكَ فِي الْمُنْتَصَفِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَقَتَلُوا الْمُتَوَلِّيَ بِهَا بَدْرَ الدِّينِ بْنَ قَرَاجَا، وَنَقِيبَهَا جَمَالَ الدِّينِ بْنَ الصَّيْرَفِيِّ الْحَلَبِيَّ، وَسَلَّمُوهَا إِلَى أَمِيرٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: إِيلَ سَبَانَ.

وكَانَ لَعَنَهُ اللهُ تَعَالَى مُعَظِّمًا لِدِينِ النَّصَارَى، فَاجْتَمَعَ بِهِ أَسَاقِفَتُهُمْ وَقُسُوسُهُمْ، فَعَظَّمَهُمْ جِدًّا وَزَارَ كَنَائِسَهُمْ، فَصَارَتْ لَهُمْ دَوْلَةٌ وَحَوْلَةٌ وَصَوْلَةٌ بِسَبَبِهِ، لَعَنَهُمُ اللهُ تَعَالَى، وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ النَّصَارَى إِلَى هُولَاكُو بِهَدَايَا وَتُحَفٍ، وَقَدِمُوا مِنْ عِنْدِهِ وَمَعَهُمْ أَمَانٌ؛ فَرَمَانٌ مِنْ جِهَتِهِ، وَدَخَلُوا الْبَلَدَ مِنْ بَابِ تُومَاءَ وَمَعَهُمْ صَلِيبٌ مَنْصُوبٌ يَحْمِلُونَهُ عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ، وَهُمْ يُنَادُونَ بِشِعَارِهِمْ، وَيَقُولُونَ ظَهَرَ الدِّينُ الصَّحِيحُ، دِينُ الْمَسِيحِ.

وَيَذُمُّونَ دِينَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ وَمَعَهُمْ أَوَانٍ فِيهَا خَمْرٌ لَا يَمُرُّونَ عَلَى بَابِ مَسْجِدٍ إِلَّا رَشُّوا عِنْدَهُ خَمْرًا، وَقَمَاقِمَ مَلْآنَةً خَمْرًا يَرُشُّونَ مِنْهَا عَلَى وُجُوهِ النَّاسِ، وَيَأْمُرُونَ كُلَّ مَنْ يَجْتَازُونَ بِهِ فِي الْأَسْوَاقِ وَالطُّرُقَاتِ أَنْ يَقُومَ لِصَلِيبِهِمْ، وَدَخَلُوا مَنْ دَرْبِ الْحَجَرِ، فَوَقَفُوا عِنْدَ رِبَاطِ الشَّيْخِ أَبِي الْبَيَانِ، وَرَشُّوا هُنَالِكَ خَمْرًا، وَكَذَلِكَ عَلَى بَابِ مَسْجِدِ دَرْبِ الْحَجَرِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَاجْتَازُوا فِي السُّوقِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى دَرْبِ الرَّيْحَانِ أَوْ قَرِيبٍ مِنْهُ، فَتَكَاثَرَ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ، فَرَدُّوهُمْ إِلَى سُوقِ كَنِيسَةِ مَرْيَمَ، فَوَقَفَ خَطِيبُهُمْ إِلَى دَكَّةِ دُكَّانٍ فِي عَطْفَةِ السُّوقِ هُنَالِكَ، فَذَكَرَ فِي خُطْبَتِهِ مَدْحَ دِينِ النَّصَارَى، وَذَمَّ دِينَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ فـ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، ثُمَّ وَلَجُوا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى كَنِيسَةِ مَرْيَمَ، وَكَانَتْ بَعْدُ عَامِرَةً، وَلَكِنْ كَانَ هَذَا سَبَبَ خَرَابِهَا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

قَالَ: وَذَكَرَ أَنَّهُمْ دَخَلُوا إِلَى الْجَامِعِ بِخَمْرٍ، وَكَانَ مِنْ نِيَّتِهِمْ إِنْ طَالَتْ مُدَّةُ التَّتَارِ أَنْ يُخَرِّبُوا كَثِيرًا مِنَ الْمَسَاجِدِ وَغَيْرِهَا، فَكَفَى اللهُ شَرَّهُمْ. وَلَمَّا وَقَعَ هَذَا فِي الْبَلَدِ اجْتَمَعَ قُضَاةُ الْمُسْلِمِينَ وَالشُّهُودُ وَالْفُقَهَاءُ، فَدَخَلُوا الْقَلْعَةَ يَشْكُونَ هَذَا الْحَالَ إِلَى مُتَسَلِّمِهَا إِيلَ سَبَانَ، فَأُهِينُوا وَطُرِدُوا، وَقَدَّمَ كَلَامَ رُؤَسَاءِ النَّصَارَى عَلَيْهِمْ، فـ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾.

وَقَدْ كَانَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السَّنَةِ سُلْطَانُ الشَّامِ النَّاصِرُ بْنُ الْعَزِيزِ، قَدْ أَقَامَ فِي وَطْأَةِ بَرْزَةَ، وَمَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْجُيُوشِ وَالْأُمَرَاءِ وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ لِيُنَاجِزُوا التَّتَارَ إِنْ قَدِمُوا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ مِمَّنْ مَعَهُ الْأَمِيرُ بِيبَرْسُ الْبُنْدُقْدَارِيُّ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْبَحْرِيَّةِ، وَالْكَلِمَةُ بَيْنَ الْجُيُوشِ مُخْتَلِفَةٌ غَيْرُ مُؤْتَلِفَةٍ، لِمَا يُرِيدُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَدْ عَزَمَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ عَلَى خَلْعِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ وَسَجْنِهِ وَمُبَايَعَةِ أَخِيهِ شَقِيقِهِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ عَلِيٍّ، فَلَمَّا تَنَسَّمَ النَّاصِرُ ذَلِكَ هَرَبَ إِلَى الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ وَتَفَرَّقَتِ الْعَسَاكِرُ شَذَرَ مَذَرَ، وَسَاقَ الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ بِيبَرْسُ الْبُنْدُقْدَارِيُّ فِي أَصْحَابِهِ إِلَى نَاحِيَةِ غَزَّةَ، فَاسْتَدْعَاهُ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ قُطُزُ إِلَيْهِ، وَاسْتَقْدَمَهُ عَلَيْهِ، وَأَقْطَعَهُ قَلْيُوبَ، وَأَنْزَلَهُ بِدَارِ الْوِزَارَةِ، وَعَظَّمَ شَأْنَهُ لَدَيْهِ، وَإِنَّمَا كَانَ حَتْفُهُ عَلَى يَدَيْهِ.

وقعة عين جالوت ٢٧ رمضان ٦٥٨هـ:

وَاتَّفَقَ وُقُوعُ هَذَا كُلِّهِ فِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، فَمَا مَضَتْ سِوَى ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ حَتَّى جَاءَتِ الْبِشَارَةُ بِنُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّتَارِ بِعَيْنِ جَالُوتَ وَللهِ الْحَمْدُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ الْمُظَفَّرَ قُطُزَ صَاحِبَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ التَّتَارَ قَدْ فَعَلُوا بِالشَّامِ مَا ذَكَرْنَا، وَقَدْ نَهَبُوا الْبِلَادَ كُلَّهَا حَتَّى وَصَلُوا إِلَى غَزَّةَ، وَقَدْ عَزَمُوا عَلَى الدُّخُولِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَقَدْ عَزَمَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَاحِبُ دِمَشْقَ عَلَى الرَّحِيلِ إِلَى مِصْرَ، وَلَيْتَهُ فَعَلَ. وَكَانَ فِي صُحْبَتِهِ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ صَاحِبُ حَمَاةَ، وَخَلْقٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ، وَقَدْ وَصَلَ إِلَى قَطْيَةَ، وَتَهَيَّأَ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ لِلِقَائِهِ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَإِلَى الْمَنْصُورِ مُسْتَحِثَّيْنَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَقُولُ: تَقَدَّمْ حَتَّى نَكُونَ كَتِفًا وَاحِدًا عَلَى التَّتَارِ.

فَتَخَيَّلَ مِنْ ذَلِكَ وَخَافَ أَنْ يَنْتَصِرَ عَلَيْهِ، فَكَرَّ رَاجِعًا، وَمَا زَالَ التَّتَارُ وَرَاءَ النَّاصِرِ حَتَّى أَخَذُوهُ وَأَسَرُوهُ عِنْدَ بِرْكَةِ زَيْزَاءَ، وَأَرْسَلُوهُ مَعَ وَلَدِهِ الْعَزِيزِ وَهُوَ صَغِيرٌ، وَأَخِيهِ إِلَى مَلِكِهِمْ هُولَاكُو وَهُوَ نَازِلٌ عَلَى حَلَبَ، فَكَانُوا فِي أَسْرِهِ حَتَّى قَتَلَهُمْ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ، كَمَا سَنَذْكُرُهُ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْمُظَفَّرَ لَمَّا بَلَغَهُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ التَّتَارِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسَةِ وَأَنَّهُمْ عَازِمُونَ عَلَى الدُّخُولِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ بَعْدَ تَمْهِيدِ مَمْلَكَتِهِمْ بِالشَّامِ بَادَرَهُمْ هُوَ قَبْلَ أَنْ يُبَادِرُوهُ، وَبَرَزَ إِلَيْهِمْ، أَيَّدَهُ اللهُ تَعَالَى، وَأَقْدَمَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ أَنْ يُقْدِمُوا عَلَيْهِ، فَخَرَجَ بِالْعَسَاكِرِ الْمِصْرِيَّةِ، وَقَدِ اجْتَمَعَتِ الْكَلِمَةُ عَلَيْهِ، حَتَّى انْتَهَى بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى الشَّامِ وَاسْتَيْقَظَ لَهُ عَسْكَرُ الْمُغُولِ، وَعَلَيْهِمْ كَتْبُغَا نُوِينَ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ فِي الْبِقَاعِ، فَاسْتَشَارَ الْأَشْرَفُ صَاحِبُ حِمْصَ وَالْقَاضِي مُجِيرُ الدِّينِ بْنُ الزَّكِيِّ فِي لِقَاءِ الْمُظَفَّرِ، فَأَشَارَ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ لَا قِبَلَ لَهُ بِالْمُظَفَّرِ حَتَّى يَسْتَمِدَّ هُولَاكُو، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يُنَاجِزَهُ سَرِيعًا، فَصَمَدُوا إِلَيْهِ، فَكَانَ اجْتِمَاعُهُمْ عَلَى عَيْنِ جَالُوتَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْخَامِسَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا عَظِيمًا شَدِيدًا، فَكَانَتِ النُّصْرَةُ، وَللهِ الْحَمْدُ، لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، فَهَزَمَهُمُ الْمُسْلِمُونَ هَزِيمَةً هَائِلَةً، وَقُتِلَ كَتْبُغَا نُوِينَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ بَنِيهِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الَّذِي قَتَلَ كَتْبُغَا نُوِينَ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ آقُوشُ الشَّمْسِيُّ، وَاتَّبَعَهُمُ الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ يَقْتُلُونَهُمْ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ وَفِي كُلِّ مَأْزِقٍ، وَقَدْ قَاتَلَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ صَاحِبُ حَمَاةَ مَعَ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ فِي هَذِهِ الْوَقْعَةِ قِتَالًا عَظِيمًا، وَكَذَلِكَ الْأَمِيرُ فَارِسُ الدِّينِ أَقْطَايُ الْمُسْتَعْرِبُ، وَكَانَ أَتَابِكَ الْعَسْكَرِ، وَقَدْ أُسِرَ مِنْ جَمَاعَةِ كَتْبُغَا نُوِينَ الْمَلِكُ السَّعِيدُ بْنُ الْعَزِيزِ بْنِ الْعَادِلِ، فَأَمَرَ الْمُظَفَّرُ بِضَرْبِ عُنُقِهِ، وَاسْتَأْمَنَ الْأَشْرَفُ صَاحِبُ حِمْصَ وَكَانَ مَعَ التَّتَارِ، وَقَدْ جَعَلَهُ هُولَاكُو نَائِبًا عَلَى الشَّامِ كُلِّهِ، فَأَمَّنَهُ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ، وَرَدَّ إِلَيْهِ حِمْصَ، وَكَذَلِكَ رَدَّ حَمَاةَ إِلَى الْمَنْصُورِ، وَزَادَهُ الْمَعَرَّةَ وَغَيْرَهَا، وَأَطْلَقَ سَلَمْيَةَ لِلْأَمِيرِ شَرَفِ الدِّينِ عِيسَى بْنِ مُهَنَّا بْنِ مَانِعٍ أَمِيرِ الْعَرَبِ، وَاتَّبَعَ الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ بِيبَرْسُ الْبُنْدُقْدَارِيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الشُّجْعَانِ التَّتَارَ يَقْتُلُونَهُمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ، إِلَى أَنْ وَصَلُوا خَلْفَهُمْ إِلَى حَلَبَ، وَهَرَبَ مَنْ بِدِمَشْقَ مِنْهُمْ، وَكَانَ هَرَبُهُمْ مِنْهَا يَوْمَ الْأَحَدِ السَّابِعَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ صَبِيحَةَ النَّصْرِ الَّذِي جَاءَتْ فِيهِ الْبِشَارَةُ بِالنُّصْرَةِ عَلَى عَيْنِ جَالُوتَ، فَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ دِمَشْقَ يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ وَيَنْهَبُونَ الْأَمْوَالَ فِيهِمْ، وَيَسْتَفِكُّونَ الْأُسَارَى مِنْ أَيْدِيهِمْ قَهْرًا، وَللهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى جَبْرِهِ الْإِسْلَامَ، وَمُعَامَلَتِهِ إِيَّاهُمْ بِلُطْفِهِ الْحَسَنِ.

وَجَاءَتْ بِذَلِكَ الْبِشَارَةُ السَّارَّةُ، فَجَاوَبَتْهَا الْبَشَائِرُ مِنَ الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ وَفَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَئِذٍ بِنَصْرِ اللهِ فَرَحًا شَدِيدًا، وَأَيَّدَ اللهُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ تَأْيِيدًا، وَكُبِتَ أَعْدَاءُ اللهِ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ وَالْمُنَافِقُونَ، وَظَهَرَ دِينُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ، وَنَصَرَ اللهُ دِينَهُ وَنَبِيَّهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

فَتَبَادَرَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى كَنِيسَةِ النَّصَارَى الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا الصَّلِيبُ، فَانْتَهَبُوا مَا فِيهَا وَأَحْرَقُوهَا وَأَلْقَوُا النَّارَ فِيمَا حَوْلَهَا، فَاحْتَرَقَتْ دُورٌ كَثِيرَةٌ لِلنَّصَارَى، وَمَلَأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، وَأَحْرَقَ بَعْضَ كَنِيسَةِ الْيَعَاقِبَةِ، وَهَمَّتْ طَائِفَةٌ بِنَهْبِ الْيَهُودِ، فَقِيلَ لَهُمْ: إِنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ فِيمَا ظَهَرَ مِنَ الطُّغْيَانِ كَمَا كَانَ عَلَى عَبَدَةِ الصُّلْبَانِ. وَقَتَلَتِ الْعَامَّةُ فِي وَسَطِ الْجَامِعِ شَيْخًا رَافِضِيًّا كَانَ مُصَانِعًا لِلتَّتَارِ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ يُقَالُ لَهُ: الْفَخْرُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْكَنْجِيُّ. كَانَ خَبِيثَ الطَّوِيَّةِ مَشْرِقِيًّا مُمَالِئًا لَهُمْ عَلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، قَبَّحَهُ اللهُ تَعَالَى، وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِثْلَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الْمُمَالِئِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ..

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام]

وَلَمَّا كَسَرَ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ قُطُزُ عَسَاكِرَ التَّتَارِ بِعَيْنِ جَالُوتَ سَاقَ وَرَاءَهُمْ، وَدَخَلَ دِمَشْقَ فِي أُبَّهَةٍ عَظِيمَةٍ، وَفَرِحَ النَّاسُ بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا وَدَعَوْا لَهُ دُعَاءً كَثِيرًا، وَأَقَرَّ صَاحِبَ حِمْصَ الْمَلِكَ الْأَشْرَفَ عَلَى بَلَدِهِ، وَكَذَلِكَ الْمَنْصُورَ صَاحِبَ حَمَاةَ، وَاسْتَرَدَّ حَلَبَ أَيْضًا مِنْ أَيْدِي التَّتَارِ وَعَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ، وَمَهَّدَ الْقَوَاعِدَ، وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأَمِيرَ رُكْنَ الدِّينِ بِيبَرْسَ الْبُنْدُقْدَارِيَّ لِيَطْرُدَ التَّتَارَ وَيَتَسَلَّمَ مَدِينَةَ حَلَبَ، وَوَعَدَهُ بِنِيَابَتِهَا، فَلَمَّا طَرَدَهُمْ عَنْهَا، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا، وَتَسَلَّمَهَا الْمُسْلِمُونَ اسْتَنَابَ عَلَيْهَا غَيْرَهُ، وَهُوَ عَلَاءُ الدِّينِ ابْنُ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ الْوَحْشَةِ الَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَهُمَا، وَاقْتَضَتْ قَتْلَ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرِ قُطُزَ سَرِيعًا، وَللهِ الْأَمْرُ.

ذكر سلطنة الملك الظَّاهِر وهو الأسد الضاري بيبرس البندقداري:

وَذَلِكَ أَنَّ السُّلْطَانَ الْمَلِكَ الْمُظَفَّرَ قُطُزَ لَمَّا عَادَ بِالْعَسَاكِرِ قَاصِدًا الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ، فَوَصَلَ إِلَى مَا بَيْنَ الْغُرَابِيِّ وَالصَّالِحِيَّةِ، عَدَا عَلَيْهِ الْأُمَرَاءُ، فَقَتَلُوهُ هُنَالِكَ وَقَدْ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا، كَثِيرَ الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ، وَلَا يَتَعَاطَى الشَّرَابَ وَلَا شَيْئًا مِمَّا يَتَعَاطَاهُ الْمُلُوكُ، وَكَانَتْ مُدَّةُ مُلْكِهِ مِنْ حِينَ عَزَلَ ابْنَ أُسْتَاذِهِ الْمَنْصُورَ

عَلِيَّ بْنَ الْمُعِزِّ التُّرْكُمَانِيَّ إِلَى هَذِهِ الْمُدَّةِ، وَهِيَ أَوَاخِرُ ذِي الْقَعْدَةِ نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ، رَحِمَهُ اللهُ، وَجَزَاهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ خَيْرًا.

وَكَانَ الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ بِيبَرْسُ الْبُنْدُقْدَارِيُّ قَدِ اتَّفَقَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ عَلَى قَتْلِهِ، وَأَلْقَوْهُ عَنْ فَرَسِهِ، وَرَشَقُوهُ بِالنِّشَابِ حَتَّى أَجْهَزُوا عَلَيْهِ، فَاتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى أَنْ بَايَعُوا الْأَمِيرَ رُكْنَ الدِّينِ بِيبَرْسَ الْبُنْدُقْدَارِيَّ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَكَابِرِ الْمُقَدَّمِينَ فِيهِمْ، وَلَكِنْ أَرَادُوا أَنْ يُجَرِّبُوا فِيهِ، وَلَقَّبُوهُ الْمَلِكَ الظَّاهِرَ، فَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ الْمَمْلَكَةِ وَحَكَمَ فَعَدَلَ، وَقَطَعَ وَوَصَلَ، وَكَانَ شَهْمًا شُجَاعًا، أَقَامَهُ اللهُ لِلنَّاسِ لِشِدَّةِ احْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ الشَّدِيدِ وَالْأَمْرِ الْعَسِيرِ، ثُمَّ شَرَعَ فِي مَسْكِ مَنْ يَرَى فِي نَفْسِهِ رِئَاسَةً مَنْ أَكَابِرِ الْأُمَرَاءِ حَتَّى مَهَّدَ الْمُلْكُ كَمَا يُرِيدُ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

وَقَدْ كَانَ السُّلْطَانُ هُولَاكُوقَانُ لَمَّا بَلَغَهُ مَا جَرَى عَلَى جَيْشِهِ بِعَيْنِ جَالُوتَ أَرْسَلَ جَمَاعَةً كَثِيرَةً مِنْ جَيْشِهِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ لِيَسْتَعِيدُوهُ مِنْ أَيْدِي جَيْشِ الْإِسْلَامِ، فَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ، وَرَجَعُوا إِلَيْهِ وَهُمْ خَائِبُونَ خَاسِرُونَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ نَهَضَ إِلَيْهِمُ الْهِزَبْرُ الْكَاسِرُ وَالسَّيْفُ الْبَاتِرُ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ الظَّاهِرُ، فَقَدِمَ إِلَى دِمَشْقَ وَأَرْسَلَ الْجُيُوشَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، لِحِفْظِ الثُّغُورِ وَالْمَعَاقِلِ بِالْأَسْلِحَةِ التَّامَّةِ وَالْجَحَافِلِ، فَلَمْ يَقْدِرِ التَّتَارُ عَلَى الدُّنُوِّ إِلَيْهِ، وَلَا الْقُدُومِ عَلَيْهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ نَكَصَتْ شَيَاطِينُهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَكَرَّتْ رَاجِعَةً الْقَهْقَرَى عَلَى أَذْنَابِهَا، وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَتَكْمُلُ الْمَسَرَّاتُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبَعْدَ الْمَمَاتِ.

وفي سنة ٦٦٠ هـ:

وَفِي ذِي الْحِجَّةِ قَدِمَتْ وُفُودٌ كَثِيرَةٌ مِنَ التَّتَارِ عَلَى الْمَلِكِ الظَّاهِرِ مُسْتَأْمِنِينَ، فَأَكْرَمَهُمْ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمْ، وَأَقْطَعَهُمْ إِقْطَاعَاتٍ حَسَنَةً، وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِأَوْلَادِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ، وَرَتَّبَ لِإِخْوَانِهِمْ رَوَاتِبَ كَافِيَةً.

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ أَرْسَلَ هُولَاكُو طَائِفَةً مِنْ جُنْدِهِ نَحْوَ عَشَرَةِ آلَافٍ، فَحَاصَرُوا الْمَوْصِلَ، وَنَصَبُوا عَلَيْهَا أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ مَنْجَنِيقًا، وَضَاقَتْ بِهَا الْأَقْوَاتُ.

وَفِيهَا وَقَعَ الْخُلْفُ بَيْنَ هُولَاكُو وَبَيْنَ السُّلْطَانِ بَرَكَةَ ابْنِ عَمِّهِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بَرَكَةُ يَطْلُبُ مِنْهُ نَصِيبًا مِمَّا فَتَحَهُ مِنَ الْبِلَادِ، عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُمْ، فَقَتَلَ رُسُلَهُ، فَاشْتَدَّ غَضَبُ بَرَكَةَ، وَكَاتَبَ الظَّاهِرَ لِيَتَّفِقَا عَلَى هُولَاكُو.

وفي سنة ٦٦١هـ:

وَفِيهَا الْتَقَى بَرَكَةُ قَانَ وَهُولَاوُو وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ جُيُوشٌ كَثِيرَةٌ، فَاقْتَتَلُوا فَهُزِمَ هُولَاكُو هَزِيمَةً فَظِيعَةً، وَقُتِلَ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ، وَغَرِقَ أَكْثَرُ مَنْ بَقِيَ، وَهَرَبَ هُوَ فِي شِرْذِمَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَللهِ الْحَمْدُ. وَلَمَّا نَظَرَ بَرَكَةُ خَانَ إِلَى كَثْرَةِ الْقَتْلَى قَالَ: يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ يَقْتُلَ الْمُغُولُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلَكِنْ كَيْفَ الْحِيلَةُ فِيمَنْ غَيَّرَ سُنَّةَ جِنْكِزْخَانَ؟ ! ثُمَّ أَغَارَ بَرَكَةُ خَانَ عَلَى بِلَادِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، فَصَانَعَهُ صَاحِبُهَا، وَأَرْسَلَ الظَّاهِرُ هَدَايَا عَظِيمَةً إِلَى بَرَكَةَ وَتُحَفًا كَثِيرَةً هَائِلَةً.

وفي سنة ٦٦٢هـ:

وَفِيهَا قَدِمَتْ رُسُلُ الْمَلِكِ بَرَكَةَ قَانَ إِلَى الْمَلِكِ الظَّاهِرِ، وَمَعَهُمُ الْأَشْرَفُ بْنُ شِهَابِ الدِّينِ غَازِي بْنِ الْعَادِلِ، وَمَعَهُمْ مِنَ الْكُتُبِ وَالْمُشَافِهَاتِ مَا فِيهِ سُرُورٌ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مِمَّا حَلَّ بِهُولَاكُوَ وَأَهْلِهِ.

وَفِيهَا قَدِمَ نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ إِلَى بَغْدَادَ مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ هُولَاكُو قَانَ، فَنَظَرَ فِي الْأَوْقَافِ وَأَحْوَالِ الْبَلَدِ، وَأَخَذَ كُتُبًا كَثِيرَةً مِنْ سَائِرِ الْمَدَارِسِ، وَحَوَّلَهَا إِلَى الرَّصْدِ الَّذِي بَنَاهُ بِمَرَاغَةَ، ثُمَّ انْحَدَرَ إِلَى وَاسِطٍ وَالْبَصْرَةِ.

وَفِيهَا اسْتَحْضَرَ الْمَلِكُ هُولَاكُوقَانَ مَلِكُ التَّتَارِ الزَّيْنَ الْحَافِظِيَّ، وَهُوَ سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُؤَيَّدِ بْنِ عَامِرٍ الْعَقْرَبَانِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالزَّيْنِ الْحَافِظِيِّ، وَقَالَ لَهُ: قَدْ ثَبَتَ عِنْدِي خِيَانَتُكَ. وَقَدْ كَانَ هَذَا الْمُغْتَرُّ لَمَّا قَدِمَ التَّتَارُ مَعَ هُولَاكُو دِمَشْقَ وَغَيْرَهَا مَالَأَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَآذَاهُمْ، وَدَلَّ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ، حَتَّى سَلَّطَهُمُ اللهُ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ وَالْمُثْلَاتِ ؛﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ [الأنعام: ١٢٩] وَفِي الْجُمْلَةِ مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سُلِّطَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ اللهَ يَنْتَقِمُ مِنَ الظَّالِمِ بِالظَّالِمِ، ثُمَّ يَنْتَقِمُ مِنَ الظَّالِمِينَ جَمِيعًا، نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ مِنَ انْتِقَامِهِ وَغَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ.

وفي سنة ٦٦٣هـ:

فِيهَا جَهَّزَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ عَسْكَرًا جَمًّا كَثِيفًا إِلَى نَاحِيَةِ الْفُرَاتِ لِطَرْدِ التَّتَارِ النَّازِلِينَ بِالْبِيرَةِ، فَلَمَّا سَمِعُوا بِالْعَسَاكِرِ الظَّاهِرِيَّةِ قَدْ أَقْبَلَتْ تَوَلَّوْا عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْهَزِمِينَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَطَابَتْ تِلْكَ النَّاحِيَةُ وَأَمِنَتْ تِلْكَ الْمُعَامَلَةُ، وَقَدْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ لَا تَسْكُنُ مِنْ كَثْرَةِ الْفَسَادِ بِهَا وَالْخَوْفِ، فَعَمَرَتْ وَأَمِنَتْ وَللهِ الْحَمْدُ.

وفي هذه السنة هلك هُولَاكُوقَانَ بْنُ تُولِي قَانَ بْنِ جِنْكِزْ خَانَ:

مَلِكُ التَّتَارِ بْنِ مَلَكِ التَّتَارِ بْنِ مَلَكِ التَّتَارِ، وَهُوَ وَالِدُ مُلُوكِهِمْ، مَلِكُ التَّتَارِ بْنِ مَلَكِ التَّتَارِ بْنِ مَلَكِ التَّتَارِ، وَهُوَ وَالِدُ مُلُوكِهِمْ، وَقَدْ كَانَ مَلِكًا جَبَّارًا عَنِيدًا، قَتَلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ شَرْقًا وَغَرْبًا مَالَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَسَيُجَازِيهِ عَلَى ذَلِكَ شَرَّ الْجَزَاءِ، كَانَ لَعَنَهُ اللهُ، لَا يَتَقَيَّدُ بِدِينٍ مِنَ الْأَدْيَانِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ زَوْجَتُهُ ظُفْرُ خَاتُونَ قَدْ تَنَصَّرَتْ، وَكَانَتْ تُفَضِّلُ النَّصَارَى، وَكَانَ - لَعَنَهُ اللهُ - يَتَرَامَى عَلَى مَحَبَّةِ الْمَعْقُولَاتِ، وَلَا يَتَصَوَّرُ مِنْهَا شَيْئًا، وَكَانَ أَهْلُهَا مِنْ أَفْرَاخِ الْفَلَاسِفَةِ عِنْدَهُ لَهُمْ وَجَاهَةٌ وَمَكَانَةٌ، وَإِنَّمَا كَانَتْ هِمَّتُهُ فِي تَدْبِيرِ مَمْلَكَتِهِ وَتَمَلُّكِ الْبِلَادِ شَيْئًا فَشَيْئًا، حَتَّى أَبَادَهُ اللهُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَقِيلَ: فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ، وَدُفِنَ فِي مَدِينَةِ تَلَا، لَا رَحِمَهُ اللهُ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

وفي سنة ٦٦٥:

وَمِمَّنْ تُوُفِّيَ فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ:

السُّلْطَانُ بَرَكَةُ خَانَ بْنُ تُولِي بْنِ جِنْكِزْ خَانَ بْنِ خَاقَانَ: وَهُوَ ابْنُ عَمِّ هُولَاكُو،، وَقَدْ أَسْلَمَ بَرَكَةُ خَانَ هَذَا، وَكَانَ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْ أَكْبَرِ حَسَنَاتِهِ كَسْرُهُ لِهُولَاكُو وَتَفْرِيقُهُ جُنُودَهُ، وَكَانَ يُنَاصِحُ الْمَلِكَ الظَّاهِرَ وَيُعَظِّمُهُ وَيُكْرِمُ رُسُلَهُ إِلَيْهِ، وَيُطْلِقُ لَهُمْ شَيْئًا كَثِيرًا، وَقَدْ قَامَ فِي الْمُلْكِ بَعْدَهُ بَعْضُ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَنْكُوتَمُرُ بْنُ طُغَانَ بْنِ بَاتُو بْنِ تُولِي بْنِ جِنْكِزْ خَانَ، وَكَانَ عَلَى طَرِيقَتِهِ وَمِنْوَالِهِ، وَللهِ الْحَمْدُ.] (انتهى النقل الملخص عن ابن كثير الدمشقي رحمه الله)

ولم تنته تماما مصيبة التّتار بذلك، إذ تتابعت غاراتهم، وعظم البلاء بهم في مشرق بلاد المُسلِمين، وإلى بلاد الشّام في زمن تيمورلنك، أحفاده، إلى أن انتصر المُسلِمُون عليهم، وارتدوا إلى بلادهم وقد

فشا الإِسْلَام فيهم، وأقاموا ممالك تترية وسط آسيا وامتدت فتوحاتهم حتَّى شملت معظم شمال وشرق آسيا، وهكذا فتحوا البلاد بالإِسْلَام بعد أن فتحهم دين الله وغزا قلوبهم، في ظاهرة تارِيخِيَّة فريدة حيث اتبع الغالب دين المغلوبين.

****



تعليقات وملاحظات سريعة عَلى مسار التّاريخ الإِسْلَاميّ منذُ بني أمية وإلى قيام الدّولة العُثْمَانِيّة:

إن المتتبع لمسار تاريخ الدّول والممالك الإِسْلَاميّة وقد قدمنا نبذة مختصرة عنها، يخرج بنتيجة واضحة، وهي أن مثل هذا المسار، ومثل هذا المسلك، من الحكَّام أولا، ومن علمائهم ثانيا، ومن الرعية ثالثا، ما كانَ له بموجب السنن الشَّرعيَّة والقدرية، وكذلك العقليَّة والمَنطِقيَّة وبحكم سنن السّياسة، وصراع البقاء بين القوى، إلا أن يسفر ذلك الحال عن النَّتِيجَة الّتي أسفر عنها.

ولكن، يخشى عَلى من يقرأ التّاريخ ولاسيما الملخصات الموجزة له، وخاصة تلك المعاصرة الّتي كتبت بأيدي العلمانيين المعاصرين، وتلاميذ المستشرقين، يخشى عَلى القارئ أن يخرج بصورة شوهاء عن تاريخنا الإِسْلَاميّ المجيد، فيظن أن كلّ ملوك وأمراء المُسلِمِين، كانوا ظلمة طاغين لا خير فيهم، فساقا عابثين، لاهين بالقيان والجواري، منصرفين إلى المجون، وإلى اللهو ما أحل الله منه وما حرم!

وأن كلّ أو جل علماء المُسلِمِين كانوا مقصرين في أداء أمانتهم، قاعدين عن الأمر والنهي والجِهَاد، مصطفين عَلى أبواب الأمراء ينتظرون المنح والعطايا!

ويظن أن معظم الرعايا كانوا منغمسين في التيه والانحلال، فسقة عَلى دين ملوكهم، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون مُنكرا ولا يدافعون في سبيل الله.

ومثل هذا الاستنتاج مغاير لحقيقة تفاصيل الواقع، وإن كانَ ما روينا ملخصا عن كتب التّاريخ صحيح في مجمله، وأكبر شاهد عَلى صحة ذلك، النَّتِيجَة السوداء الّتي آلت إليها أحوال الأُمّة في نهاية ذلك الانحلال، وهي الجُذُور التارِيخِيَّة لما نعاني منه اليَوْم من بلايا مخزية.

ومما يجب أن ينتبه إليه من يقرأ التّاريخ الإِسْلَاميّ في الكتب المعاصرة، أو في كتب المناهج الدراسية المعتمدة في معظم أو كافّة بلاد المُسلِمِين، أن معظم هذه الكتابات قد خطتها أقلام علمانية من تلاميذ المستشرقين أو الّذين تربوا ودرسوا عَلى أيديهم، وقد نهجت هذه الكتب نهجا يعتمد التزوير والدس من أجل النيل من تاريخنا المجيد ولإضعاف صلتنا بتراثنا، ولتشويه تاريخ جِهَاد أجدادنا

العظام ون مختلف مكوّنات النسيج العرقي لأمم الإِسْلَام عربا وغير عرب، وللإلقاء بذور الفتنة بين تلك المكوّنات.

وأذكر مما درسنا في الراحل الدراسية المختلفة مما كتبه الكتاب القوميون العَرَب، كميات هائلة من ذلك الدس والتزوير، مما يضيق المجال هنا عن نقل شواهده، كما أذكر عَلى سبيل المثال عَلى ذلك، أنني عندما درست في (كلية قسم التّاريخ في جامعة بيروت العربيَّة) درسنا في مناهجنا غرائب كثيرة، منها أن الّذين وضعوا المناهج قد قسموا تاريخنا الإِسْلَاميّ إلى ما أسموه (الدّولة العربيَّة- وتشمل الدّولة النّبويّة ودولة بني أمية -) ثمّ (الدّولة الفارسية- وتشمل صدر العصر العبّاسي -) ثمّ (الدّولة التركية – وتشمل باقي العصر العبّاسي -) ثمّ تاريخ بعض الممالك المستقلة، كما صنفوا الدّولة العُثْمَانِيّة عَلى أنها (الإحتلال العُثْمَانِيّ للبلاد العربيَّة)، كما عرضوا الفتح الإِسْلَاميّ منذُ الدّولة النّبويّة وما تلاها عَلى أنه استدراج سياسي وليس كما حقيقته منهج دين وتكليف شَرعِيّ لنشر الدّين العَالَمِيّ وآخر الرسالات للعالمين، كما درسنا من تاريخ أوربّا مثل أو أكثر مما درسونا عن تاريخنا، هذا ناهيك عن إبراز تاريخ الزنادقة والمارقين من الملوك والثوار والفلاسفة والعُلَماء الضالين ومشاهير شعراء المجون والخمر والانحلال وإشهارهم كالقرامطة والزنج ورجالهم، ومن الأعلام أمثال الفارابي وابن سينا وأبو العلاء المعري وبشار وأبو نواس (قبل توبته)، والأصفهاني الزنديق واضع كتاب الأغاني المليء بالأكاذيب والدس عَلى سير الخُلَفَاء وما حوى من قصص المجون الموضوعة، وغير ذلك كثير، وأما التزوير المتعمد بسبب الهويّة القوميّة للجامعة وعلمانيتها، فحدث ولا حرج عن العبث الرخص بتاريخ المُسلِمِين وحضارتهم وتقييم مناهجهم ورجالهم، في مخطط مدروس للغزو الفكريّ ليس هنا مجل تناوله.

وأما اليَوْم وفي ظلال حرب الأفكار الّتي تشنها علينا الحملات الصّليبيّة الأمريكيّة بقيادة (بوش، ورامسفيلد، وكونديليسا رايس..) وتنفيذ (منظّمة اليونسكو والأمم المتحدة) فقد ذهبت الطامة في إعادة تزوير المزور من تاريخ المُسلِمِين إلى مجالات تهدف إلى إخراج المُسلِمِين من دينهم كليا

وسلخهم من تاريخهم كليا، ولذلك يجب الانتباه إلى مصادر التّاريخ والتمحيص في هوية كاتبيها ومن وراءهم.

ولكن وحتى تكون الصُّورة متكاملة وصحيحة وشاملة فيما لخصت آنفا من تاريخنا الإِسْلَاميّ، يجب أن نذكر أيضا الوجوه المشرقة للحضارة والتّاريخ الإِسْلَاميّ الّذي تركت خيراته بصماتها عَلى جبين البشرية.

وبذلك نفهم منطق السنن المختصر في قواعد وسنن ثابتة، تفسر لنا أسباب القوّة والانتصارات الكثيرة، وأسباب الضّعف وتسلط الأَعدَاء والهزائم المُنكرة الّتي مرت وما تزال علينا، من قبيل ما قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد]

وكما قَالَ عز من قائل: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٦٥﴾ [آل عمران]

وقوله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦﴾ [طه]

وغير ذلك في كتاب الله من السنن والقوانين الربانية الكثيرة، المبينة المفصلة في سنة رسول الله ﷺ، ومن ذلك قوله:

«يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خِصَالٌ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِالله أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ:

-لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا.

-وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ المَؤُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ.

-وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا.

-وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ الله عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ.

-وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ الله عَزَّوَجَلَّ وَيَتَخيَّرُوْا مِمَّا أَنْزَلَ الله إِلاَّ جَعَلَ الله بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»[1].

وليس هنا مجال استقصاء تلك الشواهد وما تزخر به من القواعد والسنن في فهم مسار التّاريخ وقيام الممالك وزوالها.

فعلينا حتَّى نفهم هذه السنن من أن أجل أن نحترمها ونعمل بأحسنها، ونتحرك عَلى بصيرة من هدي ربنا.

وفي النهاية عَلى كلّ من نكص عن شريعة الله واتخذ أوامره ظهريا، أن يفهم قوله تَعَالَى لبني إسرائيل لما عصوا الله ورسله وأدركتهم العقوبة:

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝٨﴾ [الإسراء] فليس بين الله وأحد من خلقه نسب ولا صهر، وصدق الله العظيم: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]

وأهم الملاحظات الّتي يجب أن نذكر بها ونأخذها بعين الاعتبار ونحن ندرس تاريخنا المجيد النقاط التّالية:

أولا: أن شريعة الله تبارك وتعالى، كانت هيَ المرجع المحترم من كلّ طبقات الحاكمين والمحكومين، في كلّ تلك الممالك والمجتمعات، وكانت هيَ الحاكم عليهم جميعا، وكانت هيَ دستور الدّولة الأعلى، ومصدر جميع قوانينه التفصيلية، فإذا ما حاد عنها حاكم أو محكوم، فمن باب الفسوق والعصيان والزلل والتقصير، الّذي كانَ أصحابه – حكاما ومحكومين – يعرفون أنهم مقصرون آثمون، ولم يدخل التبديل والتغيير عَلى شرع الله عَلى وجه التَّشريع والحكم بغير ما أنزل الله، زهدا بشريعة الله أو تفضيلا لغيرها عليها، أوجودا لأحكامها، أو للشعور بإمكانية المفاضلة بينها وبين غيرها، إلا متأخرا، في الربع الأخير من الدّولة العُثْمَانِيّة كما سنرى في استعراض تاريخها، أو ما حصل من بعض الممالك المستقلة الّتي قامت أصلا عَلى المروق عن دين الله كما كانَ من الدّولة العبيدية الفاطميّة الّتي

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١٩) عن عطاء عن عبدالله بن عمر ﵄، وحسنه الألباني (الصحيحة١٠٦) والأرنؤوط.

قامت في المغرب ومصر ثمّ الشّام، وتأسست أساسا عَلى الزندقة والسحر والفلسفة والشعوذة والمذاهب البَاطِلة، وقد حكم علماؤنا من أئمة عصرها بكفرها ومروقها من الدّين، وكذلك ما حصل من بعض ملوك التّتار الّذين ادعوا الإِسْلَام، وتحاكموا لشريعة رئيسهم جنكيزخان الّتي تركها لهم مدونة في ما عرف بـ (الياسا) أو (الياسق)، وقد مر التعريف بهمثا تيمور لنك وأحفاده، فهي ليست شاهدا عَلى ما نحن بصدده من الممالك الّتي اعتورها الإنحراف، ولكنها لم تخرج عن أصل الإحتكام لشرع الله، فلم يجاوز الإنحراف الظُّلم والفسق، إلى المروق والكفر كما حصل لاحقا، وإن كانت تلك الممالك والدّول- بحكامها ومحكوميها - قد نالت عقابها القدري المحتوم بحكم السنن، بقدر ظلمها وفسوقها وعصيانها.

ثانياً: أن الغالبيّة العظمى لأولئك الملوك والأمراء المنحرفين، وحتى أشدهم فسادا، وفسوقا وصراعا عَلى الملك، كانوا مُجَاهدين لأعداء الإِسْلَام من الكفّار دفعا وطلبا، وخاصة في الدَّفع عن أراضي المُسلِمِين وأنفسهم وحرماتهم، وقد مر معنا في الاستعراض شواهد عديدة، وقد رأينا هذا من الطغاة الفاسدين من بني أمية، وكذلك من بني العبّاس، وصولا إلى ملوك الممالك المستقلة، فالحمدانيون - رغم كونهم من الشّيعة-، ورغم ما ابتلوا به من البِدَع والمظالم، كانوا ممن جاهد الرُّوم وأبلوا بلاءا حسنا، والسلاجقة الأتراك رغم ظلمهم وبطشهم وعدوانهم عَلى الخُلَفَاء وعلى الرعية، وقفوا سدا منيعا في وجه الرُّوم، وكان لهم المشاهد العظيمة، والأتابكة الزنكيون وملكهم الصّالح نور الدّين رحمه الله، ثمّ الأيوبيون ومؤسس دولتهم المُجَاهد النّاصر صلاح الدّين كذلك، وغيرهم، وحتَّى بيبرس المملوكي الّذي قتل أمير المُسلِمِين إثر النّصر الأكبر في (عين جالوت) من أجل الملك والإمارة، وكان بعد ذلك ظلوما غشوما جبارا، إلا أنه لم ينزل عن صهوة جواده سبعا وعشرين عاماً، جاهد فيها الرُّوم والتّتار وهم بنو عمه، وجاهد الصّليبيّين حتَّى أجلاهم من أكثر البلاد، ثمّ تولى المماليك ممن خلفه المهمة حتَّى أنجزوها، وقل مثل ذلك عن باقي الممالك من الغزنويين وملكم الصّالح محمود سبكتكين، و السلاجقة وسلطانهم المُجَاهد (ألب أرسلان)، والغوريين والمغول المُسلِمِين في آسيا والهند، وعن

ممالك شمال أفريقيا من الأغالبة الفاتحين المُجَاهدين في تونس، إلى المرابطين والموحدين في المغرب، إلى حيث قامت للإسلام مملكة.

ولم يخرج إلى خندق القعود والخيانة، والعمالة للعدو إلا أفراد من المتأخرين من تلك الممالك، كما كانَ من الملك الطالح (الصّالح إسماعيل الأيوبي) الّذي حالف الصّليبيّين، وبعض (ملوك الطوائف في الأندلس)، وغيرهم، ممن سجل التّاريخ لعناته عليهم، وأكثرهم خلع من قبل أسرته أو ممن جاوره من الممالك، وعدت فعلتهم مُنكرة من الحكَّام والعُلَماء والرعايا في ذلك الزّمان.

ثالثا: أن معظم علماء المُسلِمين المرموقين المشاهير، كانوا إما من أهل العزائم، فاحتسبوا عَلى الملوك والأمراء، وأمروهم بالمعروف ونهوهم عن المُنكر، وقد سجل التّاريخ قصصا رائعة تكتب بماء الذهب، وأحرف النور، منذُ ظهر الملك في بني أمية، وحتى زمن قريب، وقائمة أسماء هَؤُلَاءِ السَّلَف الصّالح طويلة تزخر بالمآثر، وإما لم يكونوا من أهل العزائم، فاعتزلوا القصور ومن فيها، واعتزلوا مسائل الحكَّام وتفرغوا للعلم والزهد، ولم يتمرغوا في أوحال النِّفَاق للسلاطين، ولم يشذ عن ذلك من العُلَماء المرموقين، إلا أوشاب من المتساقطين في أوحال الدُّنيَا، أو أوباش من المنسوبين لعالم العلم والعُلَماء، ولم نبتلى بفساد العُلَماء عامة إلا قليلا جدا ممن عصم الله، كما في زماننا هذا إلا في أوقات متأخرة من تاريخنا الطويل، كما كانَ العُلَماء قدوة في الجِهَاد، ولاسيما في الأزَمَات والنّوازل الكبرى، فكانوا يخرجون للغزو دفعا وطلبا مع أئمة المُسلِمين برهم وفاجرهم ضدّ أعداء المُسلِمين من الكفّار، وذلك قبل أن يظلنا زمان الدشوش، وتتدلى الكروش، وتسعى كرام العمائم واللحى خلف القروش والحشوش.

رابعا: أن غالبية فساق الأمراء وطغاتهم وحتى الجبارين منهم، ممن عرفوا بالبأس والقسوة، كانوا إذا وُعظوا من قبل العُلَماء وأهل الحسبة، والآمرين بالمعروف الناهين عن المُنكر، اتعظوا وخشعوا، وربما تأثروا وبكوا، ورجعوا عن مظلمة أو زلة، حتَّى وإن عادوا إلى قبيح أعمالهم، فقد كانَ للدين عَلى أنفسهم سلطانا، وللعلماء الصادقين – حتَّى ممن وقفوا لهم بالمرصاد – احتراما وهيبة، وقد جمعوا إلى هذه المزية الخيرة، رغم طغيانهم وفسوقهم، وصراعهم عَلى الملك، ومظالمهم، جمعوا لذلك حب الخير،

والصدقات والإحسان، ومختلف وجوه البر والخير، ليكفروا عن غيهم، ولأصالة في معدنهم، فبنوا المساجد، والتكايا، وأوقفوا الأوقاف في مختلف وجوه الخير، إضافة إلى جِهَادهم، وحكمهم أساسا بشريعة الله.

خامسا: أن غالبية الرعايا من المُسلِمِين كانوا عَلى أصل الصلاح واحترام الدّين، وكانوا تبعا للعلماء الصّالحين، مآزرين لهم في مواقفهم، مما شجع العُلَمَاء عَلى النهوض في كثير من الأحيان، وكانوا يخرجون للجِهَاد والنَّفِير وثغور الرِّبَاط، وقد اختلط الخير والشر في تلك العصور كثيرا، ولكن لم تكن تصل الأمور إلى ما فشا في الأزمنة المتأخرة من وجوه مجاهرة العوام بألوان الكفر والفسوق والعصيان، ونسال الله السَّلامة.

سادسا: أن الخير لم يكن ينقطع عبر تاريخنا ذاك، وأن راية الإِسْلَام والصلاح والعزة، لم تزل تتنقل بين الأيادي المختلفة، والمكوّنات المتعددة لنسيج الأُمّة من عرب وعجم وترك وفرس وبربر ومغول وأفارقة وغير ذلك، إلخ. وأنه كلما ضعف الإِسْلَام في مكان، كانَ ينهض في آخر، وكان آخر الشواهد قيام الدّولة العُثْمَانِيّة الّتي حفظت رمزية الخِلافَة الجامعة للمسلمين، بعد أن تولى من سبقهم، فاستبدلهم الله بغيرهم.

سابعا: أن معجزة الرَّسُول الخالدة في إخباره ﷺ، أن طائفة مُجَاهدة في سبيل الله لم تزل ولن تزال قائمة:

فعن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه يرفعه إلى النبيّ ﷺ، أنه قَالَ:

«لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» رواه مسلم[1].

وعن معاوية يرفعه أيضا: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَلَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» رواه مسلم[2].

---

(١) رواه مسلم (١٩٢٢).

(٢) رواه مسلم (١٠٣٧).

و في رواية عنه أيضا: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا وَطَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ، لَا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ نَصَرَهُمْ**» رواه ابن ماجة[(١)].

وهكذا بقيت وما زالت الطَّائِفَة المَنصُورَة، طائفة الجِهَاد والدفع هذه قائمة تجاهد عَلى مر العصور، وحتى إلى يومنا هذا ولله الحمد والمنة.

وشواهد ما أسلفت من الملاحظات في كتب التّاريخ كثيرة جدا، لعلّ الله يوفقنا لذكر طرف منها في كتاب منفصل عن تاريخنا المجيد ونوادره الرائعة، وكنت أود أن أنقل أطرافا من ذلك هنا مما جمعته، ثمّ عدلت عن ذلك خشية أن يطول بنا المقام عن المقصد من هذه النبذة التارِيخِيَّة في سياق هذا الكتاب.

وبالخلاصة:

فقد أدت (**مورثات الصلاح الكامنة في الأُمّة**) في الحكَّام والعُلَماء والمحكومين عَلى مر تلك العصور، إلى استمرار الخير ينازع وجوه الشر والفساد في الأُمّة، مما مد في عمر حضارتها لأكثر من ثلاثة عشر قرنا، ولقد تحطمت عَلى صخور دول الإِسْلَام الصامدة كلّ الهجمات العاتية الّتي تكسرت موجاتها عليها، وبقي الإِسْلَام شامخا، وبقي المُسلِمُون أعزاء، وكانت كلّ دولة ومملكة وأمة تلاقي مصيرها بموجب السنن القدرية بقدر مالديها من صلاح وفساد.

إلى أن استهلت العقود الأخيرة منذُ القرن العِشرين، وبدأت الغالبيّة من جموع الأُمّة حكاما ومحكومين، تنسلخ عن شريعة ربها، ونجحت مؤامرات العدوّ في سلخهم عن دينهم، اعتقادا وتطبيقا إلا في الأقلية ممن رحم الله، فبدأ يحل بنا ما نشاهد اليَوْم من الانهيار الّذي لم يشهد له تاريخنا مثيلا، حيث أصبح الغُزَاة يقاتلون الأُمّة بأبنائها والمنتسبين (إسما) إليها، وهذا ما سنفصل أسبابه وشواهده في الفصول القادمة إن شاء الله، ونبحث عن الحلول له، عساها تنفع الطَّائِفَة المَنصُورَة، وعسانا نكون منهم إن شاء الله.

****

(١) رواه ابن ماجة (٩) واللفظ له، وهو عند البخاري (٣٦٤١).

عود عَلى بدء...

ونستأنف من حيث وصلنا في استعراض موجز عن تاريخنا، بعد أن استعرضنا أهمّ الغارات الّتي تعرض لها عالمنا الإِسْلَاميّ في تاريخنا القديم وهي الحملات الصّليبيّة وغارات المغول، وكنا قد عرضنا للدول المستقلة، بعد ذكر نبذة عن تاريخ الدّولة النّبويّة، وخلافة الرّاشدين، والدّولة الأموية والدّولة العبّاسيّة.

وفي بدايات القرن العاشر الهجريّ، ومطلع السَّادس عشر الميلادي، كانَ (آل عثمان) أحفاد السلاجقة في هضبة الأناضول، قد نهضوا وأسسوا مملكة، اتسعت من غرب الأناضول شيئا فشيئا، وتحولت إلى سلطنة قوية، وتمكنت من فتح القُسطَنْطينيَّة عاصمة الرُّوم البيزنطيين سنة (١٤٥٣ ميلادية)، مما أحدث نقلة تارِيخِيَّة عالميّة، حيث عدت تلك الواقعة عند المؤرخين الغربيّين نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة.

وبعد أن فتح العُثْمَانِيّون القُسطَنْطينيَّة تحركوا شمالا وغربا في أوربّا، وفتحوا بلاد القرم ومحيط البحر السود وبلاد القفقاس ووأوربّا الشرقية وبلاد البلقان، ووصلوا إلى وسط النمسا، وشمال إيطاليا! كما تحركوا جنوبا، وبسطوا سيطرتهم عَلى بلاد الشّام والعراق ومصر، والحجاز واليمن، ثمّ وسط شمال إفريقيا، وأكثر جزر البحر المتوسط، وبعد فتحهم مصر، نقلوا إليهم الخِلافَة، وتسلموها من آخر الخُلَفَاء الرمزيين لبني العبّاس الّذين كانوا في القاهرة في كنف دولة المماليك سنة (٩٢٢ه)، ومنذ ذلك الوقت قامت الخِلافَة العُثْمَانِيّة الّتي أعادت جمع شتات المُسلِمِين تحت رايتها وسلطانها، وحملت راية الجِهَاد دفعا وطلبا في مُوَاجَهة دول وممالك أوربّا الّذين ورثوا راية الرُّوم بعد سقوط القُسطَنْطينيَّة، ومهما كانَ من آراء المؤرخين في تلك الخِلافَة والدّولة العُثْمَانِيّة، إلا أن مما لا شَّكَّ فيه أنها كانت امتدادا لدولة الإِسْلَام ورايته وحضارته، وامتدادا لمسمى الخِلافَة الإِسْلَاميّة الّتي غابت عن الوجود بغياب دولت العُثْمَانِيّين وسقوطها عَلى أيدي الدّول الأوربية سنة ١٩٢٤م.

ولأهمية هذه الحقبة من تاريخ المُسلِمِين الحديث، بل وتاريخ الصِّرَاع حامي الوطيس بين المُسلِمِين والرُّوم المعاصرين (الدّول الأوربية) نعرض أيضا لنبذة عن تاريخ الدّولة العُثْمَانِيّة، حيث سنتوسع فيه

بعض الشيء (٨٠ صفحة تقريبا) اختصرت فيها مئات الصفحات من مصادرها، لأنه يمثل المراحل الأولى للصراع الحديث بين المُسلِمِين والدّول الأوربية، كما يشكل بدايات لنشوء النّظام الدّولي الحديث القائم عَلى نظام صِرَاع المصالح والأحلاف الدّولية.

حيث سيرى القارئ أن ما نعيشه اليَوْم من حبائل الدّول الرُّومية الحديثة المتعددة: (أوربّا وروسيا وأمريكا) ما هو إلا تكرارا لما جرى خلال القرنين الماضيين، حيث يزخر ذكر ذلك التّاريخ – الّذي يعيد نفسه الآن – بدروس كثيرة بالغة الأهمّيّة للطليعة القيادية الّتي ستقود جِهَادنا الحالي والقادم، بعون الله.

****

الدّولة الإِسْلَاميّة في عهد الخِلافَة العُثمَانِيّة

مختصر تاريخ الدّولة العُثمَانِيّة [١]

(١٣٠٠- ١٩٢٤ م)

مؤسس هذه الدّولة هو أرطغرل بن سليمان شاه التركماني قائد إحدى قبائل الترك النازحين من سهول آسيا الغربيّة إلى بلاد آسيا الصغرى.

فقد قام أرطغرل أواسط القرن السابع الهجريّ بنصرة الملك علاء الدّين سلطان عَلى خصومه في قونية، وهي إحدى الإمارات السلجوقية الّتي تأسست عقب انحلال دولة آل سلجوق بموت السُّلطَان ملك شاه في ١٥ شوال سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م.

فكافأه الملك علاء الدّين عَلى مساعدته له بإقطاعه عدّة أقاليم ومدن، ثمّ لقب قبيلته بمقدمة السُّلطَان لوجودها دائما في مقدمة الجُيُوش.

---

(١) كما أسلفت في بداية فصل التاريخ فقد اعتمدت في كتابة مختصر تاريخ الدّولة العُثمَانِيّة علىٰ كتاب (تاريخ الدّولة العُثمَانِيّة) - باختصار وتصرف وإضافات - لكاتبه (فريد بك المحامي)، وهو فيما يبدو مصري من أصل تركي كتب كتابه سنة ١٩١٠م، ويتضح فيه نفسه الماسوني، وحقده علىٰ السُّلطَان عبد الحميد ﵀، ونفسه الشّعوبي التركي، وتأييده لجَمعيَّة الإتحاد والتّرقّي اليَهُوْديّة الماسونيّة، وكتابه منشور في برنامج الألفيّة المعروف، ولم يؤثر نفس الكاتب علىٰ موضوعيّته كثيراً إلّا في تأريخه لمرحلة السُّلطَان عبد الحميد وصراعه مع الماسون، وتأريخه للمراحل الأخيرة منذُ بدأ نشاط الماسون، وأمّا ما سبق من مراحل فنفس الكاتب فيها موضوعيّ نسبيّاً ومقبول وغزير المعلومات في تاريخ العُثمَانِيّين الّذي أبدىٰ الكاتب ولاءً كبيراً لدولتهم.

وآسفُ لأنّي لم أجد الوقت لإصلاح اللكنة الأعجميّة في أسلوب كتابة الكاتب المنقولة من القرص المدمج - إلّا قليلاً - ولعلّي أفعل ذلك في نسخةٍ تاليةٍ إنْ شَاءَ اللهُ.[المؤلف]

(١) - السُّلطَان عثمان مؤسس الدّولة العُثمَانِيّة (١٣٠٠-١٣١٧م):

ولما توفي أرطغرل سنة ٦٨٧ هـ الموافقة سنة ١٢٨٨ م، عين الملك علاء الدّين أكبر أولاده مكانه وهو عثمان مؤسس الدّولة العُثمَانِيّة.

وفي سنة ١٣٠٠ م تقريباً الموافقة سنة ٦٩٩ هـ، أغارت جموع التّتار عَلى بلاد آسيا الصغرى وفيها كانت وفاة علاء الدّين آخر السلجوقيين بقونية وانفتح المجال لعثمان فاستأثر بالأراضي المقطعة له ولقب نفسه باد شاه آل ثمّ أخذ في توسيع دائرة أملاكه.

ثمّ أرسل إلى جميع أمراء الرُّوم ببلاد آسيا الصغرى يخيرهم بين ثلاثة أمور الإِسْلَام أو الجزية أو الحَرب فأسلم بعضهم وانضم إليه وقبل البعض دفع الخراج واستعان الباقون عَلى السُّلطَان عثمان بالتّتار، وبعد أن انتصر عَلى التّتار عاد مسرعاً لمحاصرة مدينة بورصة سنة ٧١٧ هـ الموافقة سنة ١٣١٧م، حيث أسلم حاكمها افرينوس وأعطى له لقب بك وصار من مشاهير قواد العُثمَانِيّين، وعقب ذلك بقليل مات عثمان بعد أن أوصى للملك بعده لأورخان ثاني أولاده.

(٢) - السُّلطَان الغازي أورخان الأوّل(١٣١٧- ١٣٦٠م):

كانَ أوّل عمل أجراه هو نقل مقرّ الحكومة إلى مدينة بورصة.

أرسل إليه ملك الرُّوم بالقُسطَنْطينيَّة سنة ١٣٥٥ وفداً يطلب منه أن يمده بالمساعدة لصد غارات دوشان ملك الصّرب ولما نزل العُثمَانِيّون بساحل أوروبّا تحققوا ضعف مملكة الرُّوم وما آلت إليه من الانحلال فأخذ السُّلطَان أورخان في تجهيز الكتائب سراً لاجتياز البحر واحتلال بعض نقط عَلى الشاطئ الأوروبيّ تكون مركزاً لأعمال العُثمَانِيّين في أوروبّا، وساعَدَتهُم المقادير بسقوط جزءٍ من أسوار جاليبولي عقب زلزال شديد فدخلها العُثمَانِيّون بدون كبيرِ عناءٍ واحتلّوا عدّة مدائِن أُخرى منها ابسالا ورودس وغيرهما.

تأسيس الجيش العُثمانيّ المُحترف (الإنكِشَارِيّة):

وقد عاون أورخان أخوه علاء الدّين في الإدارة الداخليَّة، وكان من أهمّ أعمال علاء الدّين أن أمر بضرب العملة من الفضة والذهب، ووضعَ نظاماً للجُيُوش المظفّرة وجعلها دائمة إذ كانت قبل ذلك لا تجمع إلا وقت الحَرب وتصرف بعده ثمّ خشي من تحزب كلّ فريق من الجند إلى القبيلة التَّابع إليها وانفصام عرى الوحدة العُثمَانِيّة الّتي كانَ كلّ سعيهم في إيجادها فأشار عليه أحد فحول ذلك الوقت واسمه قرة خليل وهو الّذي صار فيما بعد وزيرا أولاً باسم خير الدّين باشا بأخذ الشبان من أسرى الحَرب وفصلهم عن كلّ ما يذكّرهم بجنسهم وأصلهم وتربيتهم تربية إسلاميّة عُثمَانِيّة بحيث لا يعرفونَ أباً إلا السُّلطَان ولا حرفةً إلا الجِهَاد في سبيل الله، ولعدم وجود أقارب لهم بين الأهالي لا يخشى من تحزبهم معهم فأعجب السُّلطَان أورخان هذا الرَّأي وأمر بنفاذه ولما صار عنده منهم عدد ليس بقليل سار بهم إلى الحاج بكطاش شيخ طريقة البكطاشية بأماسية ليدعو لهم بخير فدعا لهم هذا الشَّيْخ بالنّصر عَلى الأَعدَاء وقال فليكن اسمهم (يني تشاري) ويرسم بالتركية هكذا (يكيجاري) أي (الجيش الجَدِيد) ثمّ حرف في العربيَّة فصار (إنكشاري)، ثمّ ارتقى هذا الجيش في النّظام وزاد عدده حتَّى صار لا يعول إلا عليه في الحُرُوب وكان هو من أكبر وأهم عوامل امتداد سلطة الدّولة العُثمَانِيّة كما أنهم خرجوا فيما بعد عن حدودهم وتعدوا واستبدوا بها جعلهم سبباً في اضطرابات الدّولة إلى أن ألغى السُّلطَان محمود الثّاني الإنكِشَارِيّة بعد أن قتل أغلبهم ١٢٤١م لمقاومتهم إجراءات السّلاطين وعصيانهم عليهم وتعديهم عَلى حقوقهم.

وفي سنة ٧٦١ هـ - ١٣٦٠م توفي السُّلطَان أورخان الغازي وسِنّهُ ٨١ سنة ومدّة حكمه ٣٥ سَنة بعد أن أيد الدّولة بفتوحاته الجَدِيدة وتنظيماته العديدة ودفن في مدينة بورصة.

(٣) - السُّلطَان الغازي مراد خان الأوّل (١٣٦٠-١٣٨٩م):

ومدة حكمه ٣٥ سنة، وكانت فاتحة أعماله احتلال مدينة أنقرة مقر سلطنة القرمان، أما في أوروبّا ففتح مدينة أدرنه في سنة ١٣٦١م واستمرت عاصمة للعُثمَانِيّين إلى أن فتحت مدينة القُسطَنْطينيَّة سنة ١٤٥٣م، وفتح أيضا مدينة فيلبه عاصمة الرُّومللي الشرقية وفتح افرينوس بك مدينتي وردار وكلجمينا باسم سلطان العُثمَانِيّين وبذلك صارت مدينة القُسطَنْطينيَّة محاطة من جهة أوروبّا بأملاك آل عثمان وفصلت عن باقي الإمارات المسيحية الصغيرة الّتي كانت شبه جَزِيرَة البلقان مجزأة بينها وصارت الدّولة العلية متاخمة لإمارات الصّرب والبلغار وألبانيا.

فاستغاث الرُّوم بالبابا فلبى استغاثتهم وكتب لجميع الملوك بالتأهب لمحاربة المُسلِمِين وحرضهم عَلى محاربتهم محاربة دينية حفظا للدين المسيحي من الفتوحات الإِسْلَاميّة.

لم ينتظر أوروك الخامس الّذي عين عظيم فرسان المجر وسار بهم لمهاجمة مدينة أدرنة عاصمة الممالك ولم يلبثوا إلا قليلا حتّى ولوا الأدبار وكان ذلك في سنة ٨٦٦ هـ سنة ١٣٦٣ م.

ولما عظم شأن الدّولة خشيها مجاوروها خُصُوصَاً الضّعفاء منهم فأرسلت جمهوريّة راجوزه في سنة ١٣٦٥م إلى السُّلطَان مراد رُسُلاً أمضوا معه معاهدة ودية وتجاريَّة تعهدوا فيها بدفع جزية سنوية قدرها ٥٠٠ دوكا ذهب وهذه أول معاهدة أمضيت بين العُثمَانِيّين والدّول المسيحية.

وفي سنة ١٣٧٩م اتحد لازارجر بلينانوفتش الّذي تربع عَلى مملكة الصّرب، مع سيسمان أمير البلغار عَلى مقاتلة العُثمَانِيّين ثمّ تحققا عجزهما فأَبرَمَا الصُّلحَ معَ السُّلطَانِ عَلى أن يتزوج السُّلطَان بنت أمير البلغار وعلى أن يدفع له الأميران خراجاً سنوياً معيناً، وفي ابتداء سنة ١٣٨١م ابتدأت الفتوحات ثانياً وأخذت سيرها الأوّل فألزم السُّلطَان أمير إقليم الحميد بالتّنازل له عن بلاده وفتح مدائن موناستر وبرلبه واستيب ووقعت مدينة صوفيا في قبضة العُثمَانِيّين بعد محاصرة استمرت ثلاث سَنَوات من سنة ١٣٨١م إلى سنة ١٣٨٣م وعقب ذلك فتح الصدر الأعظم خير الدّين باشا مدينة سلانيك الشهيرة، سنة ١٣٨٩م وانتشب القِتَال بين الصّرب والعُثمَانِيّين وبهذه الواقعة المهمة كانت الغلبة للعُثمَانِيّين وزال

استقلال الصّرب كما فقدت البلغار والرُّومللي والأناضول استقلالها من قبل، وبينما كانَ السُّلطَان مراد يمر من بين القتلى إذ قام من بينهم جندي صربي وطعن السُّلطَان بخنجر طعنة كانت هيَ القاضية.

(٤) - السُّلطَان الغازي بايزيد خان الأوّل (١٣٨٩-١٤٠٢م):

اتفق أركان الدّولة عَلى توليته وكان له أخ أصغر منه بقليل يدعى يعقوب مُتَّصِفاً بالشَّجاعة والإقدام وعلوّ الهمّة فخيف عَلى المملكة منه من أن يدعي الملك ولذلك قتل باتفاق أمراء الدّولة وقواد جُيُوشها، وادّعى مؤرخو الإفرنج أن قتله كانَ بناء عَلى فتوى شرعيّة أفتى بها علماء ذلك الزّمان منعا لحصول الفتنة بناء عَلى قوله تَعَالَى: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ [البقرة: ١٩١] وكانت هذه الفعلة الشنيعة، أول السنة الّتي سنها سلاطين العُثْمَانِيّين لأنفسهم بقتل إخوة السُّلطَان عند توليته، درءاً للفِتَن بحسبِ عُقُولهم السَّقِيمة، – بحسب المؤرخين إن صحَّ الزَّعم المتواتِر عنهُم – وابتدأ السُّلطَان بايزيد الأوّل أعماله بأن ولى الأمير اسطفن بن لازار ملك الصّرب حاكما عليها وتزوج أخته (أوليفيرا) وأجازه بأن يحكم بلاده عَلى حسب قوانينهم بشرط دفع جزية معينة وتقديم عدد معين من الجنود ينضمون إلى الجُيُوش الشّاهانيّة وقت الحَرب، ولما ساد الأمن في أوروبّا قصد بلاد آسيا وفتح مدينة (آلا شهر) المعروفة عند الإفرنج باسم فيلادلفيا سنة ١٣٩١م وهي آخر مدينة بقيت للروم في آسيا، وهكذا صار شرق بحر مرمرة خالصا للعُثْمَانِيّين.

فلما علم سجسمون ملك المجر خبر ما حلّ ببلاد البلغار خشي علي مملكته إذ صار متاخما في عدّة نقط للدولة العلية فاستنجد بأوروبّا وساعده البابا وأعلن الحَرب الدّينيّة بين أقوام أوروبّا الغربيّة فأجاب الدّعوة (دوك بورغونيا) وأرسل ابنه الكونت (دي نيفر) ومعه ستة آلاف محارب أغلبهم من أشراف فرنسا وفيهم كثير من أقارب ملك فرنسا نفسه وانضم إليه حين مسيره إلى بلاد المجر أمراء (بافاريا، واستيريا، وشواليه) والقدّيس حنّا الأورشليمي وكثير من الألمان ثمّ اجتاز هذا الجيش نهر الدانوب، فسار إليهم السُّلطَان بايزيد ومعه مائتا ألف مقاتل بهم كثير من أهالي الصّرب تحت قيادة أميرهم (اسطفن بن لازار) وغيرهم من الأمم المسيحية الخاضعة لسلطان العُثْمَانِيّين وقاتلهم قتالاً

عنيفاً، في يوم ٢٣ ذي القعدة سنة ٧٩٨هـ– ٢٧ سِبتَمبر سنة ١٣٩٦م كانت نتيجتها انتصار العُثمانِيّين عَلى الجُيُوش المتألبة عليهم وأسر كثير من أشراف فرنسا منهم الكونت دي نيفر نفسه وقتل أغلبهم وأطلق سراح الباقي والكونت دي نيفر بعد دفع فداء اتفق عَلى هٰذا.

وقد شدد الحصار بعد ذلك عَلى مدينة القُسطَنْطينيَّة، ولولا إغارة المغول عَلى بلاد آسيا الصغرى لربما كانَ تمكن من فتحها لكن الأمور مرهونة بأوقاتها، فاكتفى بإبرام الصُّلح مع ملكها هذه المرة بشرط دفع عشرة آلاف ذهب سنوياً من عملة وقتها، وأن يجيزَ للمسلمين أن يبنوا بها جامعاً لإقامة شعائر الدّين الحنيف وأن تقام لهم محكمة شرعيّة للنّظر في قضايا المستَوطنين بها منهم.

إغارة تيمورلنك عَلى آسيا الصغرى:

أغار تيمور بجُيُوشه الجرارة عَلى بلاد آسيا الصغرى وافتتح مدينة سيواس بأرمينيا ولذلك جمع السُّلطَان بايزيد جُيُوشه وسار لمحاربة تيمور الأعرج فتقابل الجيشان في سهل أنقره، فسقط أسيرا في أيدي المغول هو وابنه موسى وكان ذلك في ١٩ ذي الحجة سنة ٨٠٤هـ، ٢٠ يوليو سنة ١٤٠٢ م، ومات في الأسر.

وبعد موت السُّلطَان بايزيد تجزأت الدّولة إلى عدّة إمارات صغيرة كما حصل بعد سقوط دولة آل سلجوق، لأن تيمورلنك أعاد إلى أمراء قسطموني وصاروخان وكرميان وآيدين ومنتشا وقرمان ما فقدوه من البلاد، واستقل في هذه الفترة كلّ من البلغار والصّرب والفلاخ ولم يبق تابعا للرّاية العُثمَانِيّة إلّا قليل من البلدان، ومما زاد الخَطر عَلى هذه الدّولة عدم اتفاق أولاد بايزيد عَلى تنصيب أحدهم بل كانَ كلّ منهم يدعي الأحقيَّة لنفسه فتحالف بعضهم مع الرُّوم، وبعضهم مع تيمورلنك، إلى أن آل الأمر لأحدهم ويُدعى محمّد، وبذلك انفرد بما بقي من بلاد آل عثمان.

(٥) - السُّلطَان محمّد جلبي الغازي (١٤١٠-١٤٢١):

هَذَا وَقد كَانَت مُدَّة حكم السُّلْطَان مُحَمَّد كلهَا حروباً داخلية لإرجاع الإمارات الَّتِي اسْتَقَلت فِي مُدَّة الفوضى الَّتِي أعقبت موت السُّلْطَان بايزيد فِي الأسر وحافظ على محالفة ملك الرّوم الَّذِي لَوْلَا

مساعدته لَهُ لخيف على عرى الدولة الْعلية من الانفصام، وَمِمَّا يُؤثر عَن هَذَا السُّلْطَان أنه اسْتعْمل الحزم مَعَ الْحلم في معاملة من قهرهم، اشتغل بقمع الفتن وترتيب أمور الدّولة إلى أن فاجأه الموت في سنة ٨٢٤ هـ سنة ١٤٢١م في مدينة أدرنه فأسلم الرّوح وعمره ٤٣ سنة بعد أن أوصى بالملك لابنه مراد، واشتهر السُّلْطَان مُحَمَّد بحبه للعلوم والفنون وَهُوَ أول ملك عثماني أرسل الْهَدِيَّة السنوية إِلَى أمير مَكَّة الَّتِي يُطلق عَلَيْهَا اسْم الصرة حَتَّى الْآن وَهِي عبارَة عَن قدر معِين من النُّقُود ترسل إِلَى الأمير لتوزيعه على فُقَرَاء مَكَّة وَالْمَدينَة

(٦) - السُّلطَان مراد خان الثّاني (١٤٢١ –١٤٥١م):

تولى وعمره ثماني عشرة سنة وافتتح أعماله بإبرام الصُّلح مع أمير القرمان والاتفاق مع ملك المجر عَلى هدنة خمس سَنَوات حتَّى يتفرغ لإرجاع من شق عصا الطاعة من ولايات آسيا لكن حدث ما شغله عن هذا بتحالف بعض أقربائه مع ملك الرُّوم.

وفي سنة ١٤٣٠م أعاد السُّلطَان فتح مدينة سلانيك وبعد ذلك أراد السُّلطَان مراد أن يفتح ما بقي من بلاد الصّرب وبلاد ألبانيا الأرنؤوط والفلاخ قبل أن يعيد الكرة عَلى القُسطَنْطينيَّة حتَّى لا يكون لها من هذه الولايات نصير، وقد خاضَ السُّلطَان مُراد حُرُوبا كثيرة مع الصّرب والبلغار والألبان، وتنازل عن السلطنة لابنه محمّد، ليتفرغ للعزلة، وتوفي في ٧ فبراير سنة ١٤٥١م وسِنُّهُ: ٤٩سنة، ومُدة حكمه: ٣٠ سنة، وتولّى بعده ابنه السُّلطَان أبو الفتح محمّد الثّاني.

(٧) - السُّلطَان الغازي محمّد الثّاني فاتح القُسطَنْطينيَّة (١٤٥١- م):

وهو سابع السّلاطين ولما تولى الملك بعد أبيه لم يكن بآسيا الصغرى خارجاً عن سلطانه إلا جزء من بلاد القرمان ومدينة سينوب ومملكة طرابزون الرُّومية وصارت مملكة الرُّوم الشَّرقية قاصرة عَلى مدينة القُسطَنْطينيَّة وضواحيها، وكان إقليم موره مجزَّأ بين البنادقة وعدة إمارات صغيرة يحكمها بعض أعيان الرُّوم أو الإفرنج الّذين تخلفوا عن إخوانهم بعد انتهاء الحُرُوب الصّليبيّة، وبلاد الأرنؤوط (البوسنة)، وقد زعم المؤرخون أنّه أمر بقتل أخ له رضيع اسمه أحمد، وبإرجاع الأميرة مارا الصّربية

- محظية أبيه - إلى والدها، ثمّ أخذ يستعد لتتميم فتح ما بقي من بلاد البلقان ومدينة القُسطَنْطينيَّة حتَّى تكون جميع أملاكه متصلة.

فتح القُسطَنْطينيَّة (٨٥٧ هـ - ١٤٥٣م):

حاصر السُّلطَان المدينة في أوائل أبريل سنة ١٤٥٣م من جهة البرَّ بجيش يبلغ المائتين وخمسين ألف جندي ومن جهة البحر بأسطول مؤلف من مئة وثمانين سفينة وأقام حول المدينة أربع عشرة بطارية طوبجية مدفعية وضع بها مدافع جسيمة صنعها له صانع مجرى شهير اسمه أورباان، وكانت تقذف كرات من الحجر زنة كلّ واحدة منها اثنا عشر قنطاراً إلى مسافة ميل، وفي إثناء الحصار اكتشف قبر أبي أَيوب الأنصاريّ الّذي استشهد حين حصار القُسطَنْطينيَّة في سنة ٥٢ هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وبعد الفتح بنى له مسجداً جامعاً وجرت العادة بعد ذلك أن كلّ سلطان يتولى يتقلّد سيف عثمان الغازي الأوّل بهذا المَسجِد.

ولما شاهد قسطنطين آخر ملوك الرُّوم هذه الاستعدادات استنجد بأوروبّا فلبّى طلبه أهالي جَنوة وأرسلوا لهُ أُسطولاً بحرياً فأتى بمراكبه فعارضته السُّفن العُثمَانِيّة وانتشرت بينهما حرب هائلة، انتهت بفوز أسطول جنوة ودخوله الميناء بعد أن رفع المحصورون السلاسل الحديدية الّتي وضعت لمنع المراكب العُثمَانِيّة من الوصول إليها ثمّ أعيدت بعد مروره كما كانت، فلم تستطع سفن العُثمَانِيّين مطاردتها، فأوصلت المؤن للمدينة، وبعدها أخذ السُّلطَان يفكّر في طريقة لدخول مراكبه إلى الميناء لإتمام الحصار برّاً وبحراً، فخطر بباله فكرة عبقريّة، وهي أن ينقل المراكب عَلى البر ليجتازوا السّلاسل الموضوعة لمنعه وتمّ هذا الأمر المستغرب بأن مهد طريقا عَلى البر بمسافة فرسخان أي ستة أميال (١٠كم) ورُصَّت فَوقه ألواحٌ من الخشبِ صُبَّ عليها الزَّيت والدّهن لسهولة زلق المراكب عليها وبهذه الكيفيَّة أمكن نقل نحو سبعين سفينة بأحمالها ومدافعها، إلى الطّرف الثّاني من الخليج في ليلة واحدة!! حتَّى إذا أصبح النَّهار ونظرها المحصورون أيقنوا أن لا مناص من نصر العُثمَانِيّين عليهم. ثمّ أمر السُّلطَان جُيُوشه بالاستعداد للهجوم في يوم / ٢٠ جماد أول سنة ٨٥٧ هـ - ٢٩ مايو سنة

١٤٥٣م/ ، وفي الليلة السَّابقة لليوم المحدّد أشعلت الجنود العُثمَانِيّة الأنوار أمام خيامها للاحتفال بالنّصر المحقق لديهم وظلوا طول ليلهم يهلّلون ويكبّرون حتَّى إذا لاح الفجر صدرت إليهم الأوامر بالهجوم فهجم مئة وخمسون ألف جنديّ وتسلّقوا الأسوار حتَّى دخلوا المدينة من كلّ فج وأعملوا السّيف فيمن عارضهم ودخلوا كنيسة القديسة صوفيا حيث كانَ يصلي فيها البطريق وحوله عدد عظيم من الأهالي، ويعتقد الرُّوم حتَّى الآن أن حائط الكنيسة انشق ودخل فيه البطريق والصُّور المقدّسة، وفي اعتقادهم أن الحائط ينشق ثانية يوم يخرج الأتراك من القُسطَنْطينيَّة ويخرج البطريق منها ويتم صلاته الّتي قطعها عند دخول العُثمَانِيّين عليه عند الفتح!!

وسميت المدينة **إسلام بول** أي **مدينة الإِسْلَام** وجعلت عاصمة للدولة، ونذكر هنا أنّ المُسلِمِين حاصروا القُسطَنْطينيَّة إحدى عشرة مرّة قبل هذه المرة الأخيرة منها سبعة في القرنين الأولين للإسلام:

فقد حاصرها معاوية في خلافة سيدنا علي ﵁ سنة ٣٤ هـ ٦٥٤ م

وحاصرها يزيد بن معاوية سنة ٤٧ هـ ٦٦٧ م في خلافة سيدنا علي أيضا.

وحاصرها سفيان بن أوس في خلافة معاوية سنة ٥٢ هـ ٦٧٢ م وفي ٩٧ هـ ٧١٥ م

وحاصرها مسلمة بن عبد الملك في زمن الخَلِيفَة عمر بن عبد العزيز ﵁.

وحوصرت أيضا في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٢١ هـ ٧٣٩ م.

وفي المرة السَّابعة حاصرها الخَلِيفَة هارون الرَّشِيد سنة ١٨٢ هـ ٧٩٨ م.

هذا ثمّ دخل السُّلطَان المدينة فوجد الجنود مشتغلين بالسلب والنهب، فأصدر أوامره بمنع كلّ اعتداء، فساد الأمن حالا ثمّ زار كنيسة أيا صوفيا وأمر بأن يؤذن فيها بالصّلاة إعلانا بجعلها مسجدا جامعا للمسلمين، وبعد تمام الفتح عَلى هذه الصُّورة أعلن في كافّة الجهات بأنه لا يعارض في إقامة شعائر ديانة المسيحيين بل أنه يضمن لهم حرية دينهم وحفظ أملاكهم فرجع من هاجر من المسيحيين، وفرض عليهم دفع الخراج مستثنيا من ذلك أئمة الدّين فقط.

وبعد إتمام هذه الترتيبات وإعادة ما هدم من أسوار المدينة وتحصينها سافر بجُيُوشه لفتح بلاد جديدة:

فقصد بلاد موره لكن لم ينتظر أميراها دمتريوس وتوماس أخوا قسطنطين قدومه بل أرسلا إليه يخبرانه بقبولهما دفع جزية سنوية قدرها اثنا عشر ألف دوكا فقبل ذلك السُّلطَان.

وغير وجهته قاصداً بلاد الصّرب فأبرم أمير الصّرب الصُّلح مع السُّلطَان محمّد الثّاني عَلى أن يدفع له سنويا ثمانين ألف دوكا وذلك في سنة ١٤٥٤م.

وفي السنة التّالية وصل مدينة بلغراد الواقعة عَلى نهر الدانوب وحاصرها من جهة البر والنهر ثمّ أرسل الصدر الأعظم محمود باشا لإتمام فتح بلاد الصّرب فأتم فتحها من سنة ١٤٥٨ إلى سنة ١٤٦٠م.

وفي هذه الأثناء تمَّ فتح بلاد موره ففي سنة ١٤٥٨م فتح السُّلطَان مدينة كورنته وما جاورها من بلاد اليونان حتَّى جرد توماس بالولوج أخا قسطنطين من جميع بلاده ولم يترك إقليم موره لأخيه دمتريوس إلا بشرط دفع الجزية.

وفي ذلك الوقت فتحت جزائر تاسوس والبروس وغيرها من جزائر بحر الرُّوم، ثمّ أغار السُّلطَان فوصل في أقرب وقت إلى مدينة بوخارست.

وفي سنة ١٤٦٢ حارب السُّلطَان بلاد البوسنة لامتناع أميرها عن دفع الخراج وأسره بعد محاربة عنيفة هو وولده وأمر بقتلهما فدانت له جميع بلاد البشناق وأهالي البوسنة.

وفي سنة ١٤٦٣ استولوا عَلى مدينة أرجوس وغيرها، ثمّ بعد هدنة استمرت سنة واحدة عادت الحُرُوب بين العُثْمَانِيّين والبنادقة وكانت نتيجتها أن افتتح العُثْمَانِيّون جَزِيرَة نجربونت وتسمى في كتب الترك أجريبوس مركز مُستَعمرات البنادقة في جزائر الرُّوم وتم فتحها في سنة ١٤٧٠م وبعد أن ساد الأمن في أنحاء أوروبّا حول السُّلطَان أنظاره إلى بلاد القرمان بآسيا الصغرى.

ثمّ فضل البنادقة أن يبرموا صلحاً جديداً مع السُّلطَان ويتنازلوا عن اشقودره في مقابلة بعض امتيازات تجاريَّة وتمّ الصُّلح بين الفريقين عَلى ذلك وأمضيت به بينهما معاهدة في يناير سنة ١٤٧٩م، وكانت هذه أول خطوة خطتها الدّولة العُثْمَانِيّة للتدخل في شؤون أوروبّا إذ كانت جمهوريّة البنادقة حين ذاك أهمّ دول أوروبّا في التجارة البحرية وما كانَ يعادلها في ذلك إلا جمهوريّة جّنوا.

فتح جزائر اليونان ومدينة أوترانت:

وبعد أن تمَّ الصُّلح مع البنادقة وجهت الجُيُوش إلى بلاد المجر، وفي سنة ١٤٨٠ فتحت جزائر اليونان الواقعة بين بلاد اليونان وإيطاليا وبعدها سار القائد كدك أحمد باشا بمراكبه لفتح مدينة أوترانت بإيطاليا الّتي كانَ عزم السُّلطَان عَلى فتحها جميعها ويقال أنه أقسم بأن يربط حصانه في كنيسة القديس بطرس بمدينة روما مقرّ البابا، ففتحت مدينة أوترانت عنوة في أغسطس سنة ١٤٨٠ م.

وفي سنة ١٤٨١م تُوفي أبو الفتح السُّلطَان محمّد الثّاني الغازي عن ثلاث وخمسين سنة، ومدة حكم ٣١ سنة، تمم في خلالها مقاصد أجداده ففتح القُسطَنْطينيَّة وزاد عليها فتح مملكة طرابزون الرُّومية والصّرب والبشناق وألبانيا الأرنؤوط وجميع أقاليم آسيا الصغرى ولم يبق في بلاد البلقان إلا مدينة بلغراد التَّابعة للمجر وبعض جزائر تابعة للبنادقة ودفن في المدفن المخصوص الّذي أنشأه في أحد الجوامع الّتي أسَّسَها في الآستانة، فرَحِمَهُ اللهُ وجزاه عن الإِسْلَام خيراً.

ويُروَى أَنَّه عمل تنظيمات إدارية كثيرة كانَ منها، وضع أول مبادئ القانون المدني وقانون العقوبات فأبدل العقوبات البدنيّة أي السنُّ بالسنِّ والعينُ بالعينِ وجعل عوضها الغرامات النقدية بكيفِيَّة واضحة أتمها السُّلطَان سليمان القانُونيّ الّذي توسَّع في التَّشريعات الوضعِيَّة، وعليه – إن صحَّ الخبر – يكون هذا أول السّير عَلى طريق الكفر والبوار وأسباب هزيمة هذه الأُمَّة، فقبح الله – من غير شرائعه – قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]

(٨) - السُّلطَان الغازي بايزيد خان الثّاني(١٤٨١- ١٥١٢م):

توفي السُّلطَان أبو الفتح محمّد الثّاني عن ولدين أكبرهما بايزيد وكان حاكما باماسيا، وثانيهما جم المشهور في كتب الإفرنج باسم البرنس زيزيم وكان حاكما في القرمان، وحصلت شواشر كثيرة بين الأخوين تدخل فيها البابا وملوك النّصَارى، وانتهت بموت الأمير جم مَسموماً في كنف ملك فرنسا.

لم تحصل فتوحات ذات بال في عهد بايزيد الثّاني، ولكن توسّعت العلاقات في عهده بين السّلطنة وروسيا وممالك أوربّا.

وكان للسلطان ثلاثة أولاد استعجلوا النزاع عَلى السلطنة واستطاع الإنكِشَارِيّة فرض السُّلطَان سليم في حياة أبيه وأتوا به إلى القُسطَنْطينيَّة باحتفال زائد وساروا به إلى سراي السُّلطَان وطلبوا منه التنازل عن الملك لولده المذكور فقبل واستقال في يوم ٨ صفر سنة ٩١٨هـ، ٢٥ أبريل سنة ١٥١٢م، ولم تزد أملاك الدّولة العلية في زمن السُّلطَان بايزيد الثّاني إلا قليلاً لحبّه السلم وحقن الدِّماء، فكانت حُرُوبه الخارجيّة اضطراريّة للمدافعة عن الحدود حتَّى لا يستخفّ بها أعداؤها وكان سلميّ الطّباع كارهاً للقتل.

(٩) - السُّلطَان سليم الأوّل الغازي (١٥١٢- ١٥٢٠م):

عين سليم الأوّل الّذي لقب بـ(ياوز) أي القاطع ابنه سليمان حاكما للقُسطَنْطينيَّة وسافر بجُيُوشه إلى بلاد آسيا لمحاربة إخوته وأولاد إخوته حتَّى لم يبق له منازع في الملك بعد أن قتل من عثر عليه من إخوته وأولادهم!

ثمّ عاد إلى مدينة أدرنه حيث كانَ بانتظار سفراء من قبل البندقية والمجر وموسكو وسلطنة مصر فأبرم مع جميعهم هدنة لمدد طويلة بما أن مطامعه كانت متجهة إلى بلاد الفرس الّتي كانت أخذت في النموّ والارتقاء في عصر ملكها شاه اسماعيل الصّفويّ الشّيعيّ، الّذي بدأت دولته تنمو شرق السلطنة، فقد كانَ اسماعيل قد فتح ولاية شيروان وجعل عاصمته مدينة تبريز سنة ١٥٠١م، وبعدها فتح العراق وبلاد خراسان وديار بكر سنة ١٥٠٨م، وأرسل أحد قواده فاحتل مدينة بغداد، وفي سنة ١٥١٠م ضمّ إلى أملاكه بلاد فارستان وأذربيجان وبذلك امتدت مملكته من الخليج الفارسي إلى بحر الخزر ومن منابع الفرات إلى ما وراء النهر، وهكذا تاخمت دولة الصفويين الدّولة العُثمَانِيّة وأراد السُّلطَان سليم إبعادها عنه.

فوقع القِتَال بين الجيشين في أغسطس سنة ١٥١٤م فانتصرت الجُيُوش العُثمَانِيّة نصراً مبيناً لتفوقها في سلاح المدفعيّة، وفرّ الشّاه بما بقي من جُيُوشه ووقع كثير من قواده في الأسر وأسرت أيضاً إحدى زوجاته ولم يقبل السُّلطَان أن يردّها لزوجها، بل زوجها لأحد كتابه انتقاماً من الشّاه! وفتحت

المدينة أبوابها ودخلها السُّلطَانُ منصوراً في يوم ٤ سِبتَمبر سنة ١٥١٤م، واستولى عَلى خزائن الشّاه وأرسلها إلى القُسطَنْطينيَّة، ثمّ فتحت الجُيُوش العُثمَانِيّة مدائن ماردين وأورفه والرّقة والموصل وبذلك تمَّ فتح إقليم ديار بكر وأطاعت كافّة قبائل الكرد بدون كثير عناء بشرط بقائهم تحت حكم رؤساء قبائلهم.

فتح مصر وانتقال الخِلافَة إلى العُثمَانِيّين:

لم ينته السُّلطَان سليم من محاربة الشّيعة وفتح بلاد ديار بكر والموصل حتَّى أخذ في الاستعداد لفتح سلطنة مصر، بما أن سلطانها قانصوه الغوري كانَ قد تحالف مع الشّاه اسماعيل لمحاربة الدّولة العُثمَانِيّة، وسار بجيشه إلى بلاد الشّام فتقابل الجيشان بقرب مدينة حلب الشهباء (حرسها الله وردنا إليها منصورين)، فالتقوا في واد يقال له مرج دابق وقتل الغوري في أثناء انهزام الجيش المملوكي، وكان ذلك في أغسطس سنة ١٥١٦م، وبعد هذه الموقعة دخل السُّلطَان حلب، ويروى أنّه قتل كلّ من كانَ فيها من الشّيعة، وقيل أنّهم ثلاثين ألفاً! ثمّ احتلّ السُّلطَان سليم بكل سهولة مدائن حماه وحمص ودمشق وعيّن بها ولاة من طرفه، وقابل من بها من العُلَماء فأحسن وفادتهم وفرق الإنعامات عَلى المساجد وأمر بترميم الجامع الأموي بدمشق، ولما صلّى السُّلطَان الجمعة به أضاف الخطيب عندما دعا له صفة: (**خادم الحرمين الشريفين**) وبقيت نعتاً للخُلَفَاء العُثمَانِيّين، (ثمّ اغتصبها في زماننا المنحوس خادم اليَهُوْد والنّصَارى والمجوس، ملك آل سعود فهد بن عبد العزيز).

ثمّ احتل العُثمَانِيّون مدينة غزة ثمّ مدينة القاهرة رغما عن مقاومة المماليك الّذين حاربوهم من شارع لآخر ومن منزل لآخر حتَّى قتل منهم ومن أهالي البلد ما يبلغ خمسين ألف نسمة! أما طومان باي فلم يلبث أن وقع في أيدي العُثمَانِيّين بخيانة بعض من معه، وشنق بأمر السُّلطَان سليم في أبريل سنة ١٥١٧م بباب زويلة.

ومما جعل لفتح وادي النيل أهمية تارِيخِيَّة عظمى أن محمّد المتوكل عَلى الله، آخر ذرية الدّولة العبّاسيّة الّذي حضر أجداده لمصر بعد سقوط مدينة بغداد مقر خلافة بني العبّاس في قبضة هولاكو خان التتري

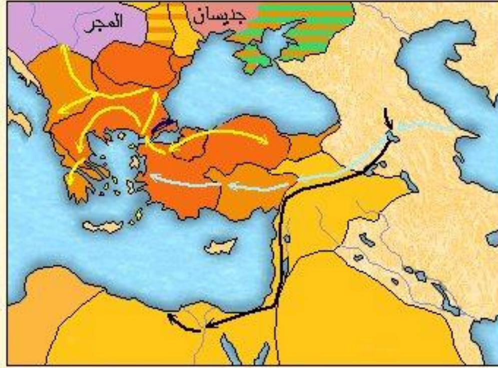
سنة ٦٥٦ هـ - ١٠٩١ م وكانت له الخِلافَة بمصر اسما تنازل عن حقه في الخِلافَة الإِسْلَاميّة إلى السُّلطَان سليم العُثمَانِيّ، وصدق الله العظيم: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]**، وسلمه الآثار النّبويّة الشريفة: وهي البيرق (العلم) والسيف والبردة، وسلمه أيضا مفاتيح الحرمين الشريفين، ومن ذلك التّاريخ صار كلّ سلطان عُثمَانِيّ أميراً للمؤمنين وخليفة للمسلمين.**

وفي أوائل شهر سِبتَمبر سنة ١٥١٧م سافر السُّلطَان سليم من القاهرة عائداً إلى القُسطَنْطينيَّة، وفي ٢٠ رمضان سنة ٩٢٣هـ وصل السُّلطَان إلى مدينة دمشق ومكث بها إلى ٢٢ صفر سنة ٩٢٤هـ، **وحضر الاحتفال بإقامة الصّلاة أول مرّة في الجامع الّذي أقامه بدمشق عَلى قبر محيي الدّين بن العربيّ،** ثمّ سافر إلى مدينة حلب ومنها إلى أدرنه، وفي الطّريق وصل إليه سفير من قبل مملكة إسبانيا ليخابره بشأن حرية زيارة المسيحيين للقدس الشريف الّذي كانَ قبلا تابعا لسلطنة مصر وتبعها في دخولها تحت ظل الدّولة العُثمَانِيّة، في مقابلة دفع المبلغ الّذي كانَ يدفع سنويا للمماليك فأحسن السُّلطَان مقابلته وصرح بقبوله ذلك، وأبرم الإسبان معاهدة مع البَاب العالي، وكذلك أتى إليه سفير من قبل جمهوريّة البندقية ليدفع له خراج سنتين متأخر الخراج المقرر عليها نظير بقائها في جَزِيرَة قبرص.

وسبحان من يعز من يشاء ويذل من يشاء، حيث صارت الدّولة العُثمَانِيّة منذُ عهد الفاتح دولة عظمى يحسب لها ملوك أوربّا ألف حساب.

وكان السُّلطَان سليم في هذه المدة مشتغلا بتجهيز أسطول بحري لمعاودة الكرة عَلى جَزِيرَة رودس بحرا، وكان يستعد أيضا لمحاربة شاه العجم ثانياً ولكن لم يمهله المنون ريثما يتم مشروع فتح جَزِيرَة رودس بل عاجله في رحلته من القُسطَنْطينيَّة إلى أدرنه فتوفي في سِبتَمبر سنة ١٥٢٠م.

و كانَ حضرته - كما سجل المؤرخون - سفاكا للدماء، ولوعا بفك الرقاب، فقد قتل سبعة من وزرائه لأسباب واهية، وكان كلّ وزير مهدداً بالقتل لأقل هفوة، حتَّى صار يُدعى عَلى من يرام موته بأن يصبح وزيراً له، وقد بنى السُّلطَان سليم كثيراً من الجوامع، وحول أجمل كنائس القُسطَنْطينيَّة إلى مساجد مع سبق الوعد من السُّلطَان محمّد الثّاني الفاتح لبطريق الرُّوم بعدم مسّ نصف الكنائس الثّاني الّذي تركه لهم بعد فتح المدينة.



(١٠) - السُّلطَان الغازي سليمان خان الأوّل القانُونيّ (١٥٢٠- ١٥٦٦):

وهو عاشر ملوك آل عثمان، وأوسعهم عزا ومجدا، ويمثل عهده قمة بهاء دولتهم، وكان من عادته إرسال الخطابات إلى كافّة الولاة وأشراف مكّة والمدينة بخطابات مفعمة بالنصائح والآيات القرآنية المبينة، وذكر فضل العدل والقسط في الأحكام، ووخامة عاقبة الظُّلم، وكان يستهل خطاباته بالآية الشريفة: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠﴾ [النمل]، وكان من أهمّ أحداث عهده:

فتح مدينة بلغراد في سنة ١٥٢١م: بعد أن ورد خبر قتل السفير الّذي أرسله السُّلطَان إلى ملك المجر يطلب منه دفع الجزية أو الحَرب، فاستشاط السُّلطَان غضبا وسار هو بنفسه في مقدمة الجيش إلى بلغراد فدخلها وصلى الجمعة في إحدى كنائسها الّتي حولت مسجدا وصارت هذه المدينة الّتي كانت أمنع حصن للمجريين أكبر مساعد لها عَلَى فتح ما وراء نهر الدانوب من الأقاليم والبلدان.

فتح جَزِيرَة رودس سنة ١٥٢٣ م: وبعد ذلك أخذ السُّلطَان في الاستعداد براً وبحراً لفتح جَزِيرَة رودس الّتي لم يتمكن السُّلطَان محمّد الفاتح من فتحها لتكون حلقة اتصال بين القُسطَنْطينيَّة ومصر من جهة البحر، ولكي لا يكون للمسيحيين مركز حصين في وسط بلاده تلجأ إليه أساطيل الدّول المعادية للدولة وقت الحَرب.

فتح بلاد المجر وعاصمتها سنة ١٥٢٦ م: كانت الحَرب غير منقطعة بين المجر وبين العُثمَانِيّين عَلى التخوم، وبعد أن افتتح الجيش عدّة قلاع ذات أهمية حربية عَلى نهر الطونة وصل بجيشه إلى وادي موهاكس في أغسطس سنة ١٥٢٦م فقتل هناك أغلب الفرسان المجريّة وقتل ملكهم ولم يعثر عَلى جثته، فكانت هذه الواقعة سبب فتح بلاد المجر بأسرها، ولذلك أرسل أهالي مدينة (بود) عاصمة المجر مفاتيح المدينة إلى السُّلطَان فاستلمها مشدداً الأوامر عَلى الجنود بعدم التعرّض للأهالي والمحافظة عَلى النّظام لكن لم تجد تنبيهاته شيئاً.

ابتداء الحُرُوب مع النّمسا وحصار عاصمتها (فيينا):

ثمّ قام السُّلطَان بجُيُوشه قاصداً مدينة (فيينا) ووصل السُّلطَان سليمان بجُيُوشه أمام عاصمة بلاد النمسا ووضع الحصار حولها وسلط مدافعه عَلى أسوارها فهدم جُزءاً منها وفتح بها ثلما حتَّى صار يمكن الجُيُوش الهجوم منه ثمّ أمر الجنود بالهجوم، ولكنه لم يتمكن من دخول في المدينة، ولما نفدت الذّخيرة وأقبل الشتاء أصدر أوامره بالرجوع عن فيينا، تلك السنة وإعداد الجُيُوش لمعاودة الكرة فيها بعد، وفي ١٩ رمضان سنة ٩٣٨ هـ، ٢٥ أبريل سنة ١٥٣٢ سار السُّلطَان سليمان قاصدا مدينة فيينا ثانية لفتحها، ولما وصل إلى مدينة نيش ببلاد الصّرب وجد في انتظاره سفراء من قبل أرشيدوق النمسا ووجد بمدينة بلغراد سفيراً جديداً من قبل ملك فرنسا وبعد المقابلة وتبادل عبارات السَّلام بين السفير الفرنساوي والخليفة عاد السفير لملكه حاملاً خطاباً يؤكّد السُّلطَان فيه اتحادهما عَلى محاربة شارلكان (وكان ملكا للنمسا وهولندا وأسبانيا وإمبراطورا لألمانيا ويدخل معظم جنوب إيطاليا وجنوة وجَزِيرَة مينوركا، ووهران في ساحل الجَزَائِر في ملكه) وبهذا كانَ يحيط بفرنسا من جميع الجهات، ووعد السُّلطَان بإمداد فرنسا بالأسطول العُثمَانِيّ إذا مسّت الحاجة، ثمّ سار السُّلطَان بجُيُوشه الّذين كانَ يبلغ عددهم مائتي ألف مقاتل وانضم إليهم بعد مزاولتهم مدينة بلغراد خمسة عشر ألف فارس من تتر القرم وفي أثناء المسير نحو مدينة فيينا، فتح الجيش عدّة قلاع وحصون بدون مقاومة تذكر، ولعدم وجود مدافع حصار معه ولاقتراب فصل الشتاء بزمهريره عاد عنها أيضا.

ولما وصل السُّلطَان في إيابه إلى مدينة فيليبه عين صاحب كراي التتري خانا لبلاد القرم بدل أخيه مكافأة له عَلى خدماته أثناء مرور الجيش بأراضي النمسا، وفي أثناء انتشاب هذه الحُرُوب من جهة البر، أتت مجموعة من سفن شارلكان الحَربية ومعها عدّة من سفن البابا بقصد محاربة العُثمَانِيّين من جهة البحر، فاحتلت مينائي كورون وباتراس ببلاد موره بعد قتل من كانَ بها من الجنود الإنكِشَارِيّة وتدمير القلعتين اللتين أقامهما السُّلطَان بايزيد الثّاني عَلى ضفتي خليج ليبالت ببلاد اليونان، وفي أوائل سنة ١٥٢٣م أرسل أرشيدوق النمسا سفيراً من قبله إلى الآستانة يعرض طلب الصُّلح عَلى جلالة السُّلطَان، ولم يقبل السُّلطَان الصُّلح بل قبل المهادنة مؤقتاً حتَّى تسلم إليه مفاتيح مدينة جران، وبعدها تحول الهدنة إلى صلح فأرسل السفير إلى لعرض هذه الشُّرُوط عَلى أكابر الدّولة وأعيانها فقبلوها، وبعد ذلك تحررت بين الطّرفين معاهدة الصُّلح في يونيو سنة ١٥٣٣م، وأهم ما فيها أن يرد النمساويون مدينة كورون للدولة العُثمَانِيّة ولا يردوا شيئا مما فتحوه من بلاد المجر، وأن ما تتفق عليه النمسا مع زابولي صاحب بلاد المجر لا ينفذ ما لم يعتمده جلالة السُّلطَان العُثمَانِيّ وهي أول معاهدة صلح بين النمسا والباب العالي.

الامتيازات القنصلية:

وفي أوائل شهر فبراير سنة ١٥٣٦م تمَّ الاتفاق بين سفير فرنسا والباب العالي وصدر به خط شريف يمنح بعض امتيازات لرعايا ملك فرنسا النازلين بأراضي الممالك الثمانية، ويدل نص المعاهدة عَلى عظيم ما وصلت إليه الدّولة العُثمَانِيّة آنذاك من العز والقوة والمهابة، وبذلك صارت فرنسا الدّولة الأوروبية الوحيدة الحائزة امتيازات لرعاياها ولكن يؤخذ عليها فتح البَاب للإمتيازات القنصلية الّتي أعطت الأجانب الحقّ في التدخل في شؤون الدّولة العُثمَانِيّة الداخليَّة خُصُوصَاً في القرن التّاسع عشر والعشرين بحجة الأقليات النّصرانية، والجاليات، كما سيجيء لاحقا.

خير الدّين باشا البحري وفتح إقليمي الجَزَائِر وتونس:

اشتهر القبطان خير الدّين في كتب الإفرنج باسم (باربا روسا) أي ذي اللحية الشقراء، واصل خير الدّين باشا من جَزِيرَة مدللي إحدى جزائر الرُّوم، وكان هو وأخ له يدعى (اوروج) يشتغلان

بالقراصنة في بحر الرُّوم (البحر المتوسط)، ثمّ أسلما ودخلا في خدمة السُّلطَان محمّد الحفصي صاحب تونس، واستمرا في حرفتهما وهي أسر مراكب المسيحيين التجاريَّة وأخذ كافّة ما بها من البضائع وبيع ركابها وملاحيها بصفة رقيق، وفي ذات يوم أرسلا إلى السُّلطَان سليم الأوّل إحدى المراكب المأسورة إظهاراً لخضوعهم لسلطانه فقبلها منهما، وأرسل لهما خلعا سنية وعشر سفن ليستعينوا بها عَلى غزو مراكب الإفرنج، فقويت شوكتهما وتمكنا من فتح إقليم الجَزَائِر باسم السُّلطَان العُثْمَانِيّ سنة ١٥٣٣م، وحاولا فتح تونس سنة ١٥٣٥م، وقاموا بجهود جليلة في مساعدة المُسلِمِين الفارين من بطش النّصَارى بعد سقوط غرناطة (١٤٩٢م)، وساعدوا في نقلهم بحرا إلى المغرب.

ثمّ جرى حلف بين فرنسا والدّولة العُثْمَانِيّة عَلى محاربة النمسا:

وكان من نتائج محالفة فرنسا مع الدّولة العُثْمَانِيّة، أن اتفاقهما كانَ قاضيا بأن الدّولة العلية تجعل وجهة حُرُوبها بلاد نابولي وجَزِيرَة صقلية وأسبانيا عوضاً عن مهاجمة النمسا الّتي تتحد مع جميع إمارات وممالك ألمانيا للمدافعة عنها، إذ هيَ مع استقلالها جزء من التَّحالف الألماني، وأن جُيُوش فرنسا تدخل بلاد إيطاليا من جهة إقليم بيمونتي بشمال غرب إيطاليا حينما تدخلها الجُيُوش العُثْمَانِيّة من جهة مملكة نابولي، لكن عدم دخول جمهوريّة البندقية في هذا التَّحالف وإظهارها العدوان لهم كانَ سببا في عدم نجاح كلّ هذه التدابير، فأراد السُّلطَان سليمان الانتقام من جمهوريّة البنادقة عَلى عدم انحيازها لتحالفه مع أنه راعى جوارها ولم يغز بلادهم فأرسل خير الدّين باشا الّذي ترقى إلى رتبة (قبطان باشا جميع الأساطيل العُثْمَانِيّة) ومعه نحو ألف سفينة لمحاصرة جَزِيرَة كورفو! فحاصرها في شهر سِبتَمبر سنة ١٥٣٧م وأتى السُّلطَان بنفسه لمراقبة الحصار، لكنه أمر برفعه عنها لشدة دفاع أهلها وعدم ضياع وقته حول هذه الجَزِيرَة، وعاد هو إلى القُسطَنْطينيَّة وأرسل خير الدّين باشا لفتح ما بقي من جزائر الرُّوم، ففتح أغلبها وغزا جَزِيرَة كريت، وفي عودته قابل أسطولاً مؤلفاً من مئة وسبعين سفينة تقريباً يقودها أندري روبا أميرال شارلكان فحاربها وانتصر عليها في ٢٥ سِبتَمبر سنة ١٥٣٨م، وفي مايو سنة ١٥٣٨م جمع السُّلطَان سليمان ببلاد الأرنؤوط جيشاً عظيماً مؤلفاً من مائة ألف مقاتل لشنّ الغارة عَلى بلادِ إيطاليا.

وفي الوقت نفسه نزل خير الدّين باشا بميناء (أوترانته) بجنوب إيطاليا استعداداً لمهاجمتها من جهة الجنوب بينما يهاجمها السُّلطَان سليمان من جهة الشّرق وملك فرنسا من جهة الغرب، لكن إحجام فرنسا عن التقدم إطاعة للرأي العام كما ذكرنا كانَ السبب في عدم نجاح هذا المشروع الّذي لو تمَّ لكانت نتيجته دخول بلاد إيطاليا بأسرها تحت ظل الدّولة العُثمَانِيّة، وانتهى الأمر بأن تهادن ملك فرنسا مع شارلكان وأمضيا مهادنة نيس سنة ١٥٣٨م أما من جهة البندقية فاستمرت الحَرب بينها وبين الدّولة العُثمَانِيّة سجالاً وانتهت بالصُّلح في أواخر سنة ١٥٣٨م، بتنازل البندقية عن ملفوازي ونابولي دي رومانيا من بلاد موره، أما من جهة بلاد المجر فابتدأت الحُرُوب ثانية سنة ١٥٣٧م، وانتهت بانهزام جيش ألماني مرسل من قبل شارلكان تحت رياسة أشهر قواده في ديسمبر سنة ١٥٣٧م، واستمرت المواجهات بين العُثمَانِيّين والنمسا بشأن النّفوذ في المجر وتعيين حكامها إلى سنة ١٥٤١م، **وتدل التفاصيل (المختصرة) السَّابقة عَلى مدى قوة العُثمَانِيّين في عهد سليمان وسعي أكبر دول أوربّا لطلب ودها والتَّحالف معها.**

سفر الأسطول العُثمَانِيّ إلى فرنسا وفتح مدينة نيس:

أرسل فرانسوا الأوّل إلى السُّلطَان سليمان يطلب منه مساعدته عَلى محاربة شارلكان بسفنه وقائدها خير الدّين باشا، فتردد السُّلطَان أولاً لعدم ثبات ملك فرنسا وضعف عزيمته، وقبل أخيرا بناء عَلى إلحاح السفير وتعضيد خير الدّين باشا له، لاسيّما وقد وصل إليه خبر مهاجمة شارلكان بجُيُوشه لمدينة الجَزَائِر وارتداده عنها خائباً في أكتوبر سنة ١٥٤١م، وفي ربيع سنة ١٥٤٣م سافر السُّلطَان بجُيُوشه إلى بلاد المجر لاستئناف المحاربات وفي الوقت نفسه أقلع خير الدّين باشا من مياه الآستانة بمراكبه ومعه السفير الفرنساوي بولان قاصداً مرسيليا إحدى موانئ فرنسا الجنوبية فوصلها بعد أن غزا في طريقه سواحل جَزِيرَة صقلية، وقوبل من الفرنساويين بكل تجلة وإكبار وانضمت سفنه إلى سفنهم ومنها أقلعوا إلى مدينة نيس، فحاصروها من جهة البحر وفتحوها عنوة في أغسطس سنة ١٥٤٣م، ولوقوع الشحناء بين العسكريّن لم يتمّ احتلالها، ثمّ أذن لخير الدّين باشا ومراكبه بتمضية فصل الشّتاء في ميناء طولون بفرنسا، وأعطى له ثمانمائة ألف ريال فرنساوي للصّرف عَلى جنوده، وفي

ربيع السّنة التّالية سنة ١٥٤٤م رفض فرانسوا الأوّل مساعدة الأسطول العُثْمَانِيّ له لهياج جميع المسيحيين عليه ونسبتهم إيّاه للمروق عن دينه لاستعانته بالمُسلِمين، وأبرم مع شارلكان في مارس سنة ١٥٤٤م معاهدة كريسي القاضية بالصُّلح فعاد خير الدّين باشا إلى القُسطَنْطينيَّة وتوفي سنة ١٥٤٦م ودفن عَلى شاطئ البوسفور في إسلامبول.

إبرام الصُّلح مع النمسا:

أما من جهة النمسا فاستمر القِتَال بينها وبين العُثْمَانِيّين مدّة من الزَّمن كانَ النّصر فيها غالبا في جانب العُثْمَانِيّين، وأخيرا توصل الطّرفان إلى عقد صلح مرضى لكل منهما رغم سعي سفير فرنسا في عدم الوصول إلى الوفاق طمعا منه في تجديد علائق الإلفة بين دولته والدّولة العُثْمَانِيّة، وتم الصُّلح بينهما في سنة ١٥٤٧ م، على هدنة خمس سَنَوات بشرط أن يدفع فردينان ملك النمسا جزية سنوية مقدارها ثلاثون ألف دوكا نظير ما بقي تحت يده من بلاد المجر، وان تبقى بلاد المجر تابعة لابن زابولي أميرها الأخير تحت وصاية أمه ايزابلا ورعاية الدّولة العُثْمَانِيّة.

أما في جهات آسيا:

فقد حضر إلى دار الخِلافَة العظمى سنة ١٥٣٧ سفير من قبل صاحب دهلي بالهند يستنجده ضدّ همايون بن ظاهر الدّين محمّد الشهير ببابر صاحب دهلي وآخر من قبل صاحب الجوزرات بالهند ويطلب منه أيضا المساعدة ضدّ البرتغاليين الّذين أغاروا عَلى بلاده واحتلوا أهمّ ثغورها.

فتح عدن: فأرسل السُّلطَان أوامره إلى والي مصر إذ ذاك بتجهيز أسطول بحري بثغر السويس عَلى البحر الأحمر لمحاربة البرتغاليين وفتح عدن وبلاد اليمن حتَّى لا تستولي عليها البرتغال أو أي دولة أوروبية أُخرى فتصير حجر عثرة في سبيل تقدم الدّولة العُثْمَانِيّة في جهات الشّرق وقاعدة لأعمال الدّولة الّتي تحتلها ضدّ مصر، فصدع بأمره وشيد أسطولا بحريا هائلا مؤلفا من سبعين سفينة عَلى عجل، وسلحها بالمدافع الضخمة وسار بها في يونيو سنة ١٥٣٨ ومعه عشرون ألف جندي، وفتح مدائن عدن ومسقط، وحاصر جَزِيرَة هرمز عند مدخل بلاد العجم، ثمّ قصد سواحل الجوزرات

وفتح اغلب الحصون الّتي أقامها البرتغاليون هناك، ثمّ قفل راجعا بالغنائم، وفتح في أيّامه معظم إقليم اليمن وجعله ولاية عُثمَانِيّة.

وفي سنة ١٥٤٧ أتى إلى البَاب العالي أخ لشاه العجم يدعى القاصب مرزا وطلب من السُّلطَان إنجاده ضدّ أخيه الّذي اهتضم له حقوقا، فانتهز السُّلطَان هذه الفرصة لتجديد الإغارة عَلى بلاد العجم وانتظر ريثما يتم الصُّلح بأوروبّا.

وفي أوائل سنة ١٥٤٨ سار بجُيُوشه قاصدا مدينة تبريز، فدخلها وفتح في طريقه الجزء التَّابع للعجم من بلاد الكرد وقلعة وان الشهيرة.

ولم تدم السكينة في ربوع بلاد المجر، فأرسل جيشا مؤلفا من ثمانين ألف جندي إلى بلاد المجر في شهر سِبتَمبر سنة ١٥٥١، ولم يقابل هذا الجيش في طريقه مقاومة تذكر بل فتح بكل سهولة القلاع والحصون الّتي احتلتها جُيُوش النمسا لإخلاء النمساويين لها عند اقتراب الجنود العُثمَانِيّة إليها ودنوها منها.

وفي سنة ١٥٥٢ انتصر العُثمَانِيّون عَلى النمساويين في عدّة وقائع وفتح الوزير الثّاني احمد باشا مدينة تمسفار وحاصرت الجُيُوش بعد ذلك مدينة ارلو الحصينة ببلاد النمسا، وفي أثناء ذلك كانَ القبطان طرغول الّذي خلف خير الدّين باشا في غزو مراكب الإفرنج وشواطئ بلادهم قد حاز شهرة عظيمة في الحُرُوب البحرية، وخافت من اسمه جميع دول الإفرنج المعادية للدولة العُثمَانِيّة وحفظ اسم البحرية العُثمَانِيّة من السُّقوط بموت رئيسها ومؤسسها الأكبر خير الدّين باشا.

معاهدة سنة ١٥٥٣ بين الدّولة العُثمَانِيّة وفرنسا:

بعد موت السُّلطَان فرانسوا الأوّل ملك فرنسا، حذا ولده هنري الثّاني حذوه ونسج عَلى منواله في مُوالاة الدّولة العُثمَانِيّة والمحافظة عَلى محبتها وتوثيق عرى الإلفة والاتحاد معها للاستعانة ببحريتها عند الحاجة، فأبقى المسيو جبريل درامون سفيرا له في إسلامبول وأمره بمرافقة السُّلطَان في حملته الأخيرة عَلى بلاد العجم فرافقه، وفي عودته زار بيت المَقْدِس، **فقابله الرهبان والقسس بكل احتفال لتأييد المعاهدات السَّابقة القاضية بجعل جميع الكاثوليك المستوطنين بأراضي الدّولة العُثمَانِيّة تحت حماية**

فرنسا ثمّ عاد إلى فرنسا فوجد نيران الحَرب قد اشتعلت ثانياً بينها وبين النمسا، فعاد إلى إسلامبول واتفق مع البَاب العالي عَلى أن يتحد الأسطول العُثمَانِيّ مع الأسطول الفرنسي لفتح جَزِيرَة كورسيكا، مجازاة لأهالي جنوه المحتلين لها عَلى مساعدتهم لشار لكان، ولتكون مركزا لأعمال الأسطولين في غزو سواحل أسبانيا وايطاليا.

وأبرمت بذلك معاهدة بتاريخ ١٦ صفر سنة ٩٦٠هـ، أول فبراير سنة ١٥٥٣، **ونقل بعضا مما جاء فيها لدلالتها عَلى مجد الدّولة العُثمَانِيّة الّتي حملت لواء الإِسْلَام في ذلك الزّمان:**

[ان جلالة السُّلطَان سليمان وهنري دي فالوا الثّاني ملك الفرانك قد ابرما اتحادا مشتملا عَلى العبارة الآتية بخصوص الحَرب البحري - جعله الله حميد العاقبة -!! والّذي سيشرعان فيه ضدّ الإمبراطور شارلكان:

البند ١: بما أن جلالة السُّلطَان سليمان سلطان الترك بإرساله أسطولا بحريا في بحر التوسكان ضدّ الإمبراطور شارل الخامس، قد أعان بذلك هنري دي فالوا مدّة سنتين بناء عَلى طلبه المتكرر في بادئ الأمر وبالخصوص بناء عَلى ترجيعاته البالغة أقصى درجات الحض، فقد اتفق بأن الملك هنري يدفع ثلاثمائة ألف قطعة من الذهب بصفة متأخر مرتب الأسطول.

البند ٤: كلّ سفينة تابعة للإمبراطور أو للمتحالفين معه سواء أكانت معدة للنقل أو كانت من المراكب الخفيفة وسواء أكانت سفنا حربية صغيرة أو كبيرة فبمجرد وقوعها أسيرة لدى الأسطول العُثمَانِيّ تصير من تلك اللحظة ملكا للسلطان سليمان ملك الترك.

البند ٥: المدن والقصبات والقرى والكفور الّتي تتغلب عليها البحرية العُثمَانِيّة تكون مباحة غنيمة للترك وجميع سكانها راشدين أو قاصرين رجالا كانوا أو نساء ولو أنهم معتنقون الديانة المسيحية ويكونون قد سلموا أنفسهم باختيارهم فانه لا بُدَّ من تركهم أسراء وعبيدا للترك.

البند ٦: إذا أصدر الملك هنري أمره إلى أسطول جلالة السُّلطَان سليمان بان تحارب شارل ملك النمسا غير متجهة نحو الغرب بل نحو الشّرق والجنوب ويقصد بذلك مسيرها في الشواطئ من عند مصب نهر ترونتو لغاية كروتون بحيث أن هذه السفن تقوم بأعباء أوامر هنري بدون مقابل فقد اتفق

عَلى أن المواد الحَربية ومؤونات المدن والقصبات الّتي تقع تحت يد الترك يتنازل عنها للملك هنري، ولكن المدن والقصبات والقرى والكفور فانها تترك غنيمة للترك كما تقرر ذلك بالبند السابق، وأما السّكّان والمزارعون والقاطنون البالغون والقاصرون الرّجال منهم والنِّسَاء فإنهم يسلمون للأسر بدون معارضة حتَّى ولو كانوا ممن يعتنقون الديانة المسيحية بل ولو كانوا ممن اسلم نفسه بمحض إرادته.

البند ٧: يمكن لأميرال جلالة الملك سليمان أن يستولي ويأسر باسم مليكه الأفخم كلّ مكان تقدم عليه البحرية التركية المظفرة متى رأى ثمة من فائدة وذلك من ابتداء حدود نهر ترونتو لغاية اوترانت وكرتون ومن ثمّ لغاية صقلية ونابولي وعموما جميع الأقاليم المملوكة للإمبراطور شارل الخامس ملك النمسا، سواء أكان ذلك المكان داخل الأراضي أو سواء كانَ مدينة أو قصبة أو قرية أو كفرا أو ميناء أو خليجا وله الحقّ في الاستيلاء عَلى أي سفينة يصادفها وله أن يغزو بل وان ينهب ويأسر الرّجال والنِّسَاء البالغين أو القاصرين حتَّى انه يمكنه متى شاء أن يحافظ ويتملك جميع ما يغتنمه سواء أكان من بني الإنسان أو المدن أو البيوت الخلوية وان يعدها ويستعملها لاحتياجاته ولو ضدّ رغبة الفرنك وبالرغم عن مضاداتهم الشديدة في ذلك .

البند ٩: جلالة السُّلطَان سليمان يسلم عدا عن ذلك الثلاثين سفينة حربية وبحارتها بدون أدنى فدية وكذا المدافع والمؤن وجميع المواد ويستثنى من ذلك رجال بحريته الخصوصيون وعساكره، كما وانه يدفع في أقرب وقت لبرنس سالرن الّذي بذل نفسه وكل ما في وسعه للحصول عليها وكان نصيبه أن حرم من منصبه وطرد من وطنه وبيته مبلغ الثلاثين ألف قطعة من الذهب الّتي صرفها بكل ارتياح وكرم.] أهـ.

ثمّ تتابعت المناوشات بين السلطنة والنمسا في المجر ولم تحصل أمور مهمة.

ثمّ افتتح أميرال العُثمَانِيّين طرغول طرابلس الغرب (ليبيا) في غضون سنة ١٥٥١م:

ووجه السُّلطَان سليمان اهتمامه إلى تعزيز سفنه الحَربية لحماية الجَزَائِر وطرابلس الغرب لبعدها عن مقر الخِلافَة العظمى وطموح أنظار أسبانيا إلى إرجاعها، إذ أن وجود العُثمَانِيّين فيها يهدد سواحل أسبانيا ونابولي الّتي كانت تابعة لأسبانيا في ذلك الحين.

حصار جَزِيرَة مالطة:

في أوائل سنة ١٥٦٥ أرسلت قطع بحرية مؤلفة من نحو مائتي سفينة لفتح جَزِيرَة مالطة مقر رهبنة القديس حنا الأورشليمي لأهمية هذه الجَزِيرَة الواقعة بين إقليم تونس وجنوب ايطاليا وضرورة احتلالها لكل دولة تريد أن تكون لها اليد الطولى عَلى البحر الأبيض المتوسط، فامتد حصارها سِبتَمبر ١٥٦٥ وعادت السفن بجُيُوشها إلى إسلامبول.

الفتن داخل بيت السُّلطَان سليمان:

حصلت حادثة شنيعة وهي قتل السُّلطَان لولده الأكبر مصطفى بناء عَلى دسيسة إحدى زوجاته المسماة في كتب الإفرنج (روكسلان الرُّوسية) أما في كتب الترك فاسمها خورم أي (الباسمة) وذلك حتَّى يتولى بعده ابنها سليم بمساعدة الصدر الأعظم رستم باشا، وكانت هذه الفعلة الشنعاء نقطة سوداء في تاريخ السُّلطَان سليمان الّذي اتسعت دائرة السلطنة في أيّامه، ولم تكن هذه الحادثة خاتمة الفظائع بل أعقبها فتن ودسائس أدت لقتل السُّلطَان لأولاد آخرين له ولأحفاده منهم.

موت السُّلطَان سليمان:

واشتد مرض السُّلطَان وتوفي في سِبتَمبر سنة ١٥٦٦، عن أربع وسبعين سنة قمرية، وكانت مدّة ملكه ثمانية وأربعين سنة قضاها في توسيع نطاق الدّولة وإعلاء شانها حتَّى بلغت في أيّامه أعلى درجات الكمال.

وقد اشتهر السُّلطَان سليمان بـ (القانُونيّ) لما وضعه من النظم الداخليَّة في كافّة فروع الحكومة فادخل بعض تغييرات في نظام العُلَماء والمدرسين الّذي وضعه السُّلطَان محمّد الفاتح، ويعتبر موت السُّلطَان سليمان نهاية لعصر القوّة في الدّولة العُثمَانِيّة وبداية السّير نحو الانحطاط ثمّ الإنهيار فالنهاية.

أسباب بداية انحطاط الدّولة العُثمانِيّة:

وكان ذلك لجملة أسباب منها:

العدوان عَلى سلطان الله بالتَّشريع الوضعي، والّذي ابتدأ من قبل ولكنه توسع في عهد سليمان حتَّى لقب بالقانُونيّ.

إعطاء الامتيازات القنصلية لسفراء الدّول الأجنبيّة، كما رأينا سفير فرنسا، والّذي تحول لحق في التدخل في شؤون الدّولة، ثمّ التآمر عليها.

بذخ السّلاطين، ودخولهم مرحلة الانصراف للدنيا والاستكثار من المحظيات اللواتي كانَ أكثرهن من الدّول النّصرانية المجاورة.

زيادة الثّروة بسبب الفتوحات العديدة والغنائم الكثيرة، ولا يخفى أن الثّروة تورث غالبا المفاخرة في المصرف والتغالي في الزهو والترف وكل امة سادت فيها هذه الخصال لا بُدَّ لها من الإنهيار.

كانَ الإنكِشَارِيّة لا يخرجون إلى الحَرب إلا إذا كانَ السُّلطَان معهم، ولذا كانت أهمّ الحُرُوب والغزوات تحت إمرة السُّلطَان وقيادته، فغير السُّلطَان سليمان هذه السنة الحميدة وأجاز للإنكشارية القِتَال تحت إمرة قائدهم الأكبر ولو لم يكن السُّلطَان موجودا فكان هذا التَّغيير سببا في تقاعس اغلب من خلفه من السّلاطين عن الخروج من قصورهم الباذخة وتفضيلهم البقاء بين غلمانهم وجواريهم المختلفات الأجناس عَلى الخروج للقتال وتكبد مشاقه.

ومنها أن كافّة أمور الدّولة المهمة كانت تنظر في ديوان الوزراء تحت رئاسة السُّلطَان فأبطل السُّلطَان سليمان هذه العادة وصار الديوان ينعقد تحت رئاسة أكبر الوزراء وهو الصدر الأعظم والسلطان لاه عن ذلك معرض عن دسائس الوزراء ومن يستعينون بهم من جواريه وأزواجه وترتب عَلى ذلك أن صارت الأمور بيد الوزراء المغايرين للجنس العُثمَانِيّ أصلا ونسبا إذ أن اغلبهم ممن اسلم أو تظاهر بالإِسْلَام من النّصَارى أو من غلمان وخدم.

ومنها الإباحة للانكشارية بالتزوج والإقامة خارج ثكناتهم مع إعطائهم بعض امتيازات وقبول الأخلاط ضمن زمرتهم مما جعلهم من اكبر موجبات تأخر الدّولة بعد أن كانت من أعظم عوامل تقدمها إلى غير ذلك من الاسباب الّتي سنوردها تباعا بحسب مقتضياتها.

(١١) - السُّلطَان الغازي سليم خان الثّاني(١٥٦٦-١٥٧٧م):

وهو **ابن روكسلان الرُّوسية** سابقة الذكر وتولى الملك بعد موت أبيه، ولم يكن السُّلطَان متصفا بما يؤهله للقيام بحفظ فتوحات أبيه فضلا عن إضافة شيء إليها ولولا وجود الوزير الطويل محمّد باشا صقللي المدرب عَلى الأعمال الحَربية السّياسيّة للحق الدّولة الفشل، لكن حسن سياسة هذا الوزير وعظم اسم الدّولة ومهابتها في قلوب أعدائها حفظتها من السُّقوط مرّة واحدة، ومن أهمّ ما جرى في عهد هذا السُّلطَان:

تم الصُّلح بينها وبين النمسا سنة ١٥٦٨ بمعاهدة من شروطها حفظ النمسا أملاكها في بلاد المجر ودفعها الجزية السنوية المقررة بالعهود السَّابقة واعترافها بتبعية أمراء ترانسلفانيا والفلاخ والبغدان إلى الدّولة العُثمَانِيّة، كما تجددت أيضا الهدنة مع ملك بولونيا باعتراف البَاب العالي بالتَّحالف الّذي حصل ما بين ملك بولونيا وأمير البغدان، وكذلك جددت مع شارل التّاسع ملك فرنسا في سنة ١٥٦٩ الاتفاقيات الّتي تمت بين الدّولتين في عصر السُّلطَان سليمان.

وأيد السُّلطَان سليم (ابن الرُّوسية) الامتيازات القنصلية وزاد عليها امتيازات أُخرى أهمّها معافاة كلّ فرنساوي من دفع الخراج الشخصي وان يكون للقناصل الحقّ في البحث عمن يكون عند العُثمَانِيّين من الفرنساويين في حالة الرق وإطلاق سراحهم والبحث عمن أخذهم بصفة رقيق لمجازاته وان يرد السُّلطَان كافّة الأشياء الّتي تأخذها قراصنة البحر من المراكب الفرنساوية ومعاقبة الآخذ لها وان تكون المراكب العُثمَانِيّة ملزمة بمساعدة ما يرتطم من السفن الفرنساوية عَلى شواطئ الدّولة وبحفظ ما بها من الرّجال والمتاع وان يكون لفرنسا كلّ الامتيازات الممنوحة لجمهوريّة البنادقة.

ولزيادة توثيق عرى الاتحاد بين الدّولة وفرنسا وزيادة نفوذ اتحادهما اتفقت الدّولتين عَلى ترشيح هنري دي فالوا أخي ملك فرنسا لعرش بولونيا ليكون لهم ظهيرا ضدّ النمسا من جهة وضد روسيا من جهة أُخرى وقد تمَّ ذلك فعلا وصارت بولونيا تحت حماية الدّولة العُثْمَانِيّة حماية فعلية وان لم تكن اسمية.

وبذلك صارت فرنسا ملكة التجارة في البحر الأبيض المتوسط وجميع البلاد التَّابعة للدولة وأرسلت تحت ظل هذه المعاهدات عدّة إرساليات دينية كاثوليكية إلى كافّة بلاد الدّولة الموجودة بها مسيحيون خُصُوصَاً في بلاد الشّام لتعليم أولادهم وتربيتهم عَلى محبة فرنسا، وكانت هذه الامتيازات الموجبة لضعف الدّولة بسبب تدخل القناصل في الإجراء آت الداخليَّة بدعوى رفع المظالم عن المسيحيين واتخاذها لها سبيلاً لامتداد نفوذها بين رعايا الدّولة المسيحيين واهم نتائج هذا التدخل وأضره مآلا وأوخمه عاقبة استعمال هذه الإرساليات الدّينيّة في حفظ جنسية ولغة كلّ شعب مسيحي حتَّى إذا ضعفت الدّولة أمكن هذه الشّعوب الاستقلال بمساعدة الدّول المسيحية أو الانضمام إلى إحدى هذه الدّول كما شوهد ذلك في هذا القرن الأخير من عمرها مما سيأتي مفصلا.

ومن أعمال الوزير محمّد باشا صقللي أن أرسل جيشا عظيما إلى بلاد اليمن في سنة ٩٧٦ سنة ١٥٦٩ م تحت قيادة عثمان باشا الّذي عين عاملا عليها لقمع ثورة أهاليها الّذين خرجوا عَلى الدّولة العُثْمَانِيّة مع سلطانهم الشريف مطهر بن شرف الدّين يحيى فانتصر عثمان باشا عليهم بمساعدة سنان باشا والي مصر ودخلت الجُيُوش المظفرة مدينة صنعاء.

فتح جَزِيرَة قبرص:

ومن أعماله أيضا فتح جَزِيرَة قبرص الّتي كانت تابعة للبندقية فأرسلت إليها المراكب الحَربية، حيث فتحت في أغسطس١٥٧٠م، وصارت من ذلك العهد تابعة للدولة العُثْمَانِيّة إلى أن احتلها الإنكليز سنة ١٨٧٨.

وفي هذه الأثناء غزت المراكب العُثمَانِيّة جَزِيرَة **كريت**، وظنته، وغيرها بدون أن تفتحها واحتلت مدائن دلنسنيو وانتيباري عَلى البحر الأدرياتيكي ولما رأت البندقية تغلب العُثمَانِيّين عليها وفتح كثير من بلادها استعانت بأسبانيا والبابا وتم بينهم الاتفاق عَلى محاربة الدّولة بحرا خوفا من امتداد سلطتها عَلى بلاد ايطاليا، فسارت سفن المسيحيين إلى شواطئ الدّولة وكانت تلك الحملة المختلطة، وانتهى الأمر بانتصار الأسطول المسيحي فأخذت ١٣٠ سفينة عُثمَانِيّة، وأحرقت وأغرقت ٩٤، وغنمت ٣٠٠ مدفعا و٣٠ ألف أسير، وهذه أول واقعة حصلت بين الدّولة من جهة وأكثر من دولتين مسيحيتين من جهة أُخرى، وكان اشتراك البابا فيها يدل عَلى أن المحرك لهذه التَّحالفات ضدّ الدّولة الإِسْلَاميّة آنذاك هو الدّين كما أثبتت الحوادث والحُرُوب فيما بعد وليس مسائل السّياسة والمصالح كما يدعون، مما لا يجعل عند المطالع اقل ريبة أو شك في أن (المسألة الشرقية) كما دعيت فيما بعد مسالة دينية أساسا،

أما من جهة أسبانيا فقد قصد دون جوان مدينة تونس في أواخر سنة ١٥٧٢، لكن لم يلبث العُثمَانِيّون إلا نحو ٨ اشهر حيث تمَّ استرجاعها ثانية إلى أملاك الدّولة بواسطة سنان باشا في أغسطس سنة ١٥٧٥.

وفي جهة بلاد البغدان انتصر العُثمَانِيّون بعد موقعة هائلة في ٩ يونيو سنة ١٥٧٤ عَلى الأمير ايوونيا الّذي تمرد عَلى الدّولة طلبا للاستقلال وصلب جزاء عصيانه.

وفي ديسمبر سنة ١٥٧٤، توفي السُّلطَان سليم الثّاني وعمره اثنين وخمسون سنة قمرية ومدة حكمه ثماني سنين و٥ اشهر وتولى بعده ابنه السُّلطَان مراد الثّالث.

(١٢) - السُّلطَان الغازي مراد خان الثّالث (١٥٧٤-١٥٩٥م):

وكانت فاتحة أعماله أن أصدر أمرا بعدم شرب الخمر الّذي شاع استعماله أيّام السُّلطَان السابق (**ابن الرُّوسية**) وأفرط فيه الجنود خُصُوصَاً الإنكِشَارِيّة فثار الإنكِشَارِيّة لذلك واضطروه لإباحته لهم بمقدار لا يترتب منه ذهول العقل وتكدير الراحة العمومية.

وأمر بقتل إخوته وكانوا خمسة ليأمن عَلى الملك من المنازعة إذ صار قتل الإخوة عادة تقريبا.

وكانت علاقات هذا السُّلطَان مع فرنسا حسنة جدا وكذلك مع جمهوريّة البندقية فجدد لهما الامتيازات القنصلية والتجاريَّة مع زيادة بعض بنود في صالحهما أهمّها أن يكون سفير فرنسا مقدما عَلى كافّة سفراء الدّول الاخرى في المقابلات والاحتفالات الرَّسميَّة **حيث كثر توارد السفراء عَلى بابه العالي، للسعي في إبرام معاهدات تجاريَّة تكون ذريعة في المستقبل للتدخل الفعلي.**

وفي أيّامه تحصلت ايزابلا ملكة الإنكليز عَلى امتياز خصوصي لتجار بلادها وهي أن تحمل مراكبها العلم الإنكليزي وكان لا يجوز لها ذلك قبلا بل كانت السفن عَلى اختلاف أجناسها ما عدا سفن البندقية لا تدخل إلى موانئ الدّولة العُثمَانِيّة إلا تحت ظل العلم الفرنساوي!

وصول نفوذ العُثمَانِيّين إلى مراكش:

في سنة ١٥٧٨، حصلت فتنة داخليَّة في مملكة مراكش بالمغرب الأقصى ونازع زعيمها سلطان المغرب في الملك وحصلت بينهما عدّة وقائع مهمة وأخيرا استنجد سلطانها بالعُثمَانِيّين واستعان مدعي الملك بالبرتغاليين فأوعزت الدّولة لوالي طرابلس بإنجاد سلطانها الشَّرعيّ فأسرع بمساعدته والتقى الترك والبرتغال بالقرب من محل يقال له القصر الكبير وكان يوما مشهودا دارت فيه الدّائرة عَلى البرتغال وقتل فيه رئيس الثائرين المستنجد بهم، وبعد تمام النّصر وإعادة الأمن والسكينة إلى ربوع مراكش، عادت الجُيُوش العُثمَانِيّة حاملة ما أغدق عليها من الهدايا وبذلك دخلت مملكة مراكش ضمن دائرة نفوذ الدّولة وصار شمال أفريقيا بأجمعه تابعا لها تماما أو خاضعا لنفوذها.

وفي هذه السنة حصل الصُّلح بين الدّولة وأسبانيا للوصول، لكن لم يمنع ذلك القراصنة من الطّرفين عَلى نهب السفن التجاريَّة وسبي واسترقاق من بها من النِّسَاء والرّجال، حتَّى كانَ من يستعد للسفر في البحر الأبيض المتوسط في ذلك الزّمان يتجهز كمن يستعد لرحلة حربية لعدم الأمن وكثرة القراصنة بما لم يسبق له مثيل، لأنكلا من الطّرفين كانَ يعتبر غزو سفن الطّرف الآخر من الواجبات الدّينيّة والقربات المشروعة.

سنة ١٥٧٩ قتل الصدر الأعظم محمّد باشا صقللي الّذي حافظ عَلى نفوذ الدّولة بعد موت السُّلطَان سليمان بدسائس حاشية السُّلطَان قضت عليه بالموت غدرا تبعا لدسائس الأجانب الّذين لا يروق في أعينهم وجود مثل هذا الوزير يدير دولاب الأعمال عَلى محور الاستقامة فدسوا إليه من قتله تخلصا من صادق خدمته للدولة فكان موته ضربة شديدة ومحنة عظيمة لاسيما وقد كثر بعده تنصيب وعزل الصدور ودبت الفوضى في الجيش.

ثمّ أصيب السُّلطَان بداء عياء وتوفي سنة ١٥٩٥ وله من العمر خمسون سنة وكانت مدّة ملكه إحدى وعشرين سنة تقريبا وقالوا أنه كانَ شاعرا مجيدا، فطنا لبيبا، إلا انه كانَ كثير الميل لاقتناء الجواري الحسان، عاملا بمشورتهن في كلّ آن، وكان من ضمن حظياته جارية بندقية الأصل من عائلة شهيرة بها اسمها (بافو) سباها من البحر قرصان، وبيعت في السراي السلطانية وسميت (صفية) حيث اصطفاها السُّلطَان وتدخلت كثيرا في السّياسة الخارجيّة للدولة، وساعدت بلادها الأصلية كثيرا وهي والدة ولي عهد السُّلطَان، (أمان يا ربي أمان، على ما فات من ذلك الزّمان).

(١٣) - السُّلطَان الغازي محمّد خان الثّالث (١٥٩٥-١٦٠٣م):

تولى بعد موت أبيه مراد الثّالث ابن صفية الإيطالية الأصل وكان له تسعة عشر أخا غير الأخوات فزعم المؤرخون أنه أمر بخنقهم جميعا قبل دفن أبيه ودفنوا معا تجاه آيا صوفيا!! وفي أوائل حكمه سار عَلى اثر سلفه في عدم الخروج إلى الحَرب وترك الأمور الداخليَّة في أيدي وزرائه الّذين منهم سنان باشا وجفالة زاده وهو ابن القائد جفالة باشا الجنوي الأصل الّذي قتل في محاربة العجم الأخيرة، وآخر يدعى حسن باشا فأفسدوا في الأرض وباعوا المناصب الملكية والعسكريّة وقللوا عيار العملة حتَّى علا الضجيج من جميع الجهات وتعاقب انهزام الجُيُوش العُثمَانِيّة أمام ميخائيل الفلاخي فضم لسلطانه بمساعدة الجُيُوش النمساوية وإقليم البغدان وجُزءاً عظيما من ترنسلفانيا لعدم وجود القواد الأكفاء لصدهم.

ومما يخلد للسلطان الغازي محمّد الثّالث الذكر ويجعله رصيفا لأجداده الأوائل، انه لما تحقق أن هذا الانحلال ناشئ من تحجبه عن الأعمال وعدم قيادته الجُيُوش، برز بنفسه وتقلد المركز الّذي كانَ ترك مراد الثّالث وسليم الثّاني له من دواعي تقهقر الدّولة أمام أعدائها، فسار إلى بلغراد ومنها إلى ميدان الحَرب والنزال وبعد قليل دبت في الجُيُوش الحمية الدّينيّة والغيرة لعسكريّة، ففتح قلعة ارلو الحصينة الّتي عجز السُّلطَان سليمان عن فتحها في سنة ١٥٥٦، ودمر جُيُوش المجر والنمسا تدميرا في سهل كرزت بالقرب من هذه القلعة في ٢٦ أكتوبر سنة ١٥٩٦ حتَّى شبهت هذه الموقعة بواقعة (موها كز) الّتي انتصر فيها السُّلطَان سليمان سنة ١٥٢٦.

وفي ابتداء القرن السَّابع عشر للميلاد حصلت في بلاد الأناضول ثورة داخليَّة كادت تكون وخيمة العاقبة عَلى الدّولة خُصُوصَاً ونيران الحُرُوب مستعر لهيبها عَلى حدود المجر والنمسا.

ومن ذلك الحين بدأ يظهر جليا اختلال النّظام العسكريّ وعدم صلاحيته لحفظ اسم الدّولة وشرفها بين أعدائها، ثمّ توفي السُّلطَان وكانت وفاته س ١٦٠٣ وعمره ٣٧ سنة ومدة حكمه ٩ سنين وخلفه ابنه احمد الأوّل.

(١٤) - السُّلطَان الغازي أحمد خان الأوّل (١٦٠٣-١٦١٧م):

فتولى الملك ولم يتجاوز سنه الرَّابعة عشر إلا بقليل ولم يأمر بقتل أخيه مصطفى بل اكتفى بحجزه بين الخدم والجواري، وكانت أركان الدّولة غير ثابتة في كافّة بلاد آسيا ونار الحَرب مستعرة عَلى حدود العجم شرقا والنمسا غربا وكانت الحَرب مع العجم شديدة الوطأة في هذه المرة لتولي الشّاه عباس الشهير قيادتها، ومما جعل لها أهمية أعظم من كافّة الحُرُوب السَّابقة، اضطراب الأحوال في الولايات الشرقية عموما وسعي كلّ أمة من الأمم المختلفة النازلة بها للحصول عَلى الاستقلال، لكن قيض الله للدولة في هذه الشدة الوزير مراد باشا الملقب (بقوي وجي) الّذي عين صدرا أعظم وكان قد تجاوز الثمانين ليكون عونا وعضدا للسلطان الفتى فتقلد مع كبر سنه ووهن قواه قيادة الجُيُوش وحارب الثائرين بهمة ونشاط زائدين فانتصر.

وقد حصلت ما بين سنة ١٦١١ وسنة ١٦١٤ بعض مناوشات بحرية بين مراكب الدّولة العُثمَانِيّة وسفن رهبان مالطة وملك إسبانيا وولايات ايطاليا كانَ الفوز فيها غالبا لمراكب الأَعدَاء، فانتهز بعض أخلاط القوزاق انسحاب السفن الحَربية من البحر الأسود، وأغاروا عَلى ثغر سينوب ونهبوا ما به ولما علم السُّلطَان بذلك غضب عَلى الصدر الأعظم وسعى به بعض مبغضيه طمعا في نوال منصبه وما فتئوا يوغرون صدر سيده عليه حتَّى أمر بقتله في ١٤ أكتوبر سنة ١٦١٤ فخنق في قصره.

هذا وازدادت في أيّام السُّلطَان احمد الأوّل العلاقات السّياسيّة مع دول الإفرنج وازداد بذلك تأثيرهم.

وفي نوفمبر سنة ١٦١٧ م توفي السُّلطَان أحمد الأوّل وعمره ٢٨ سنة ومدة حكمه ١٤ سنة تقريبا ولصغر سن ولده عثمان الّذي كانَ لم يتجاوز ثلاث عشرة سنة من عمره خالف العادة المتبعة من ابتداء الغازي السُّلطَان عثمان الأوّل أي تنصيب أكبر الأولاد أو أحدهم مكان والده وأوصى بالملك بعده لأخيه.

(١٥) - السُّلطَان مصطفى خان الأوّل (١٦١٧- ١٦١٨م):

وكان قد قضى عمره داخل محلات الحريم ولم يتعاطى أشغالا السّياسة مطلقا، بل ولم يعلم من أمور المملكة شيئا، ولم يلبث هذا السُّلطَان عَلى سرير الملك إلا ثلاثة اشهر تقريبا ثمّ عزله المفتي وآغا السراي، وساعدهم الإنكِشَارِيّة عَلى ذلك، فعزل في فبراير سنة ١٦١٨ م وأقاموا مكانه السُّلطَان عثمان الثّاني.

(١٦) - السُّلطَان عثمان خان الثّاني (١٦١٨- ١٦٢٢ م):

اشهر هذا السُّلطَان الحَرب عَلى مملكة بولونيا وحقيق أمنيته وهي فتح هذه المملكة وجعلها فاصلا بين أملاك الدّولة ومملكة روسيا الّتي ابتدأت في الظهور، وقبل الشُّروع في الحَرب أمر بقتل أخيه محمّد تبعا للعادة المشروعة عندهم! ثمّ أصدر أمرا بتقليل اختصاصات المفتي ونزع ما كانَ له من السّلطة في تعيين وعزل الموظفين وجعل وظيفته قاصرة عَلى الإفتاء، حتَّى يأمن شر أن يكون سببا في

عزله كما كانت سبب عزل سلفه، لكن أتى الأمر عَلى الضد بما كانَ يؤمل، وبعد أن أتم هذه التمهيدات الداخليَّة سير الجُيُوش والكتائب لمحاربة مملكة بولونيا ولكنه عجز عن ذلك لتلكؤ الإنكِشَارِيّة، ثمّ تمَّ الصُّلح في أكتوبر سنة ١٦٢٠ فحنق السُّلطَان عَلى الإنكِشَارِيّة من طلبهم الراحة وخلودهم إلى الكسل وإلزامه عَلى الصُّلح مع بولونيا بدون تتميم قصده وعزم عَلى إبطالها ولتنفيذ هذا الأمر الخطير أمر بحشد جُيُوش جديدة في ولايات آسيا وتنظيمها وتدريبها عَلى القِتَال حتَّى إذا كملت عدّة وعددا استعان بها عَلى إبادة الإنكِشَارِيّة، وشرع فعلا في إنفاذ هذا المشروع لكن أحس الإنكِشَارِيّة بذلك فهاجوا واتفقوا عَلى عزل السُّلطَان وتم لهم ذلك في مايو سنة ١٦٢٢، وأعادوا مكانه السُّلطَان مصطفى الأوّل، ولم يكتفوا بعزله بل هجموا عليه في سراي قصره، وانتهكوا حرمتها وقبضوا عليه بين جواريه وزوجاته وقادوه قهرا إلى ثكناتهم موسعيه سبا وشتما وإهانة، مما لم يسبق له مثيل في تاريخ الدّولة العُثْمَانِيّة، وزيادة عَلى ذلك قاموا بإعدامه، وقد قتل ولم يتجاوز الثَّامنة عشرة من عمره ومدة حكمه أربع سنين وأربعة اشهر.

وبعد ذلك صارت الحكومة ألعوبة في أيدي الإنكِشَارِيّة ينصبون الوزراء ويعزلونهم بحسب أهوائهم فعزلوا داود باشا قاتل السُّلطَان، بعد بضع أيّام وصاروا يمنحون المناصب لمن يجزل إليهم العطايا فكانت الوظائف تباع جهارا، وارتكبوا أنواع المظالم في الآستانة، واستمرت الإضطرابات الداخليَّة في نفس كرسي الخِلافَة العظمى فلا امن ولا سكينة مدّة ثمانية عشر شهرا متوالية، حتَّى إذا شعر العموم بما وراء هذه الفوضى من الدمار والخراب عينوا كمانكش عَلى باشا صدرا أعظما لتوسمهم فيه الخبرة والاستعداد فأشار عليهم بعزل السُّلطَان مصطفى ثانياً لضعف عزيمته ووهن قواه العقليَّة فعزلوه في سِبتَمبر سنة ١٦٢٣ وولوا مكانه السُّلطَان مراد الرَّابع وبقي في العزل إلى أن توفي في سنة ١٦٣٩ م.

(١٧) - السُّلطَان الغازي مراد خان الرَّابع (١٦٢٣- ١٦٤٠م):

هو ابن السُّلطَان احمد الأوّل ابن السُّلطَان محمّد الثّالث وولاه الإنكِشَارِيّة بعد عزل عمه السُّلطَان مصطفى الأوّل ابن السُّلطَان محمّد الثّالث مع حداثة سنة كي لا يكون معارضا لهم في أعمالهم الاستبدادية ولا مضعفا لنفوذهم الّذي اكتسبوه بقتل سلطان وعزل غيره واستمروا مدّة العشر سنين الأولى من حكمه عَلى غيهم وطغيانهم.

وانتهز الشّاه عباس ملك العجم هذا الاختلال فرصة لتوسيع أملاكه من جهة حدود الدّولة العُثْمَانِيّة، فسار الشّاه بجنوده لاحتلالها.

ثمّ توفي الشّاه عباس واسترد السُّلطَان بغداد من العجم سنة ١٦٣٨م، وكان يؤمل في السُّلطَان مراد الرَّابع أن يضارع السُّلطَان الغازي سليمان الأوّل القانُونيّ في الفتوحات وبعد الصيت إلا أنه توفي وهو في مقتبل الشَّبَاب عن غير عقب في فبراير سنة ١٦٤٠ م وسنه ٣١ سنة ومدة حكمه ١٦ سنة و١١ شهرا وتولى بعده أخوه ابراهيم.

(١٨) - السُّلطَان الغازي ابراهيم خان الأوّل (١٦٤٠-١٦٤٨م):

هو ابن السُّلطَان احمد الأوّل وكان غير ميال لمحاربة النمسا فاطمأنت، وافتتح حُرُوبه الخارجيّة بإرسال جيش جرار إلى بلاد القرم لمحاربة القوزاق الّذين احتلوا مدينة آزاق فحاربهم العُثْمَانِيّون وابلوا فيهم بلاء حسنا واستردوا المدينة منهم بعد أن أحرقوها وذلك سنة ١٦٤٢.

ومن أعماله أيضا فتح جَزِيرَة **كريت** وكانت تابعة لجمهوريّة البندقية.

ثمّ إن السُّلطَان ابراهيم أراد أن يفتك برؤوس الإنكِشَارِيّة في ليلة زفاف إحدى بناته عَلى ابن الصدر الأعظم لتذمرهم وانتقادهم لأعماله ورغبتهم في التدخل في شؤون الدّولة والخروج عن حدودهم، فعلموا بقصد السُّلطَان وتآمروا عَلى عزله وانضم إليهم بعض العُلَماء والمفتي عبد الرّحيم أفندي واهاجوا عساكر الإنكِشَارِيّة وقرر الجميع عزله وتولية ابنه محمّد الرَّابع في سنة ١٦٤٢ م ولم يتم السَّابعة من عمره، وتمت هذه الثَّورة في أغسطس سنة ١٦٤٨ وبعد ذلك بعشرة أيّام اظهر العسكر عدم ارتياحهم من الملك الفتي وطلبوا إعادة السُّلطَان ابراهيم إلى عرش الخِلافَة فخشي رؤساء



العِصَابة الّتي عزلته من تغلبهم بإرجاعه رغم انفهم وصمموا عَلى قتله فساروا إلى السراي ومعهم الجلاد وقتلوه خنقا كما قتلوا السُّلطَان عثمان الثّاني من قبله فكانت مدّة حكمه ٨ سنين و٩ شهور وسنه ٣٤ سنة.

(١٩) - السُّلطَان الغازي محمّد خان الرَّابع (١٦٤٨- ١٦٨٧م):

ولصغر سنه وقعت المملكة في الفوضى وصارت الجنود لا ترحم صغيرا ولا توقر كبيرا وسعوا في الأرض فسادا، ورجعت الحالة إلى ما وصلت إليه قبل تولي السُّلطَان مراد الرَّابع بل إلى أتعس منها، وسرى عدم النّظام إلى الجنود المحاصرة كنديا واضطروا قائدهم السر عسكر حسين باشا لرفع الحصار عنها، وكذلك سرى هذا الداء العضال إلى الجنود البحرية، وسبب انهزام الأسطول العُثْمَانِيّ أمام العدوّ أمام مدينة فوقيه سنة ١٦٤٩، ثمّ ثار بآسيا الصغرى ثائرون وتتابعت الفوضى.

إلى أن قيض ﷻ الوالي الوزير محمّد باشا الشهير بكوبريلي الّذي تولى منصب الصدارة سنة ١٠٦٧ هـ سنة ١٦٥٦ فعامل الإنكِشَارِيّة معاملة من يريد أن يطاع إطاعة عمياء وقتل منهم خلقا كثيرا، وأمر بعد تعيينه بقليل بشنق بطريرك الأروام (جمع روم بحسب المرجع!) **لما ثبت له تدخله في الدسائس والفتن الداخليَّة.**

ولم تثن الإشكالات عزيمة كوبريلي محمّد باشا بل ما لبث يقاوم أعداء الدّولة في الداخل والخارج حتَّى أعاد لها سالف مجدها وجعلها محترمة في أعين الدّول، وه بعد وفاته سنة ١٦٦١ خلفه ابنه كوبريلي زاده احمد باشا.

وكان خير خلف لأبيه فانه كانَ متصفا بالشجاعة والإقدام وحسن الرَّأي والتدبير، واستمر في محاربة أعداء الدّولة بدون فتور أو ملل حتَّى يزيل من أذهانهم ما خامرها من تضعضع أحوال الدّولة وقرب زوالها، وقاد الجُيُوش بنفسه وعبر نهر الطونة لمحاربة النمسا ووضع الحصار أمام قلعة نوهزل مع أن هذه القلعة كانت مشهورة في جميع أوروبّا بالمناعة، واضطر كوبريلي احمد باشا حاميتها إلى التسليم بشرط خروج من بها من الجنود بدون أن يمسهم ضرر تاركين ما بها من الأَسْلِحة والذخائر

وأخلوها فعلا في سِبتَمبر سنة ١٦٦٣، ولذلك اضطربت أوروبّا بأجمعها لهول هٰذا، فسعى البابا جهده لدى ملك فرنسا حتَّى قبل بإرسال ستة آلاف جندي فرنساوي وأربعة وعشرين ألف من محالفيه الألمانيين تحت قيادة الكونت دي كوليني، ثمّ لم يمكن الإنكِشَارِيّة من الثّبات أمام جنود العدوّ الأكثر منهم عددا وسميت هذه الواقعة بواقعة سان جوتار نسبة لكنيسة قديمة حصلت الحَرب بالقرب منها، ثمّ تمَّ الصُّلح، وبعد عشرة أيّام أبرمت بين الطّرفين معاهدة أهمّ ما بها إخلاء الجيش لإقليم ترنسلفانيا تحت سيادة الدّولة العُثمَانِيّة وتقسيم بلاد المجر بين الدّولتين بان يكون للنمسا ثلاث ولايات وللباب العالي أربعة مع بقاء حصني نوفيجراد ونوهزل تابعين للدولة العُثمَانِيّة،

ثمّ تعكزت العلاقات مع فرنسا، وأرادت إعلان الحَرب عَلى الدّولة العُثمَانِيّة لولا نصائح الوزير كولبر بحكمته وسياسته ومعاملة الدّولة العلية باللين والخضوع من تجديد المعاهدات القديمة في سنة ١٦٧٣، **وفوض ثانياً إلى فرنسا حق حماية بيت المَقْدِس كما كانَ لها ذلك من أيّام السُّلطَان سليمان،** وبذلك عادت العلاقات إلى سابق صفائها بين الدّولتين.

ومما زاد حدود الدّولة اتساعا ومنعة من جهة الشمال خضوع جميع القوزاق الساكنين بالجزء الجنوبي من بلاد روسيا إلى السُّلطَان محمّد الرَّابع بدون حرب بل حبا في الدخول في حمى حامي دولة الإِسْلَام، ولذلك أغارت بولونيا عَلى ولاية أوكرين فاستنجد حاكمها الأكبر بالعُثمَانِيّين فأنجده السُّلطَان، واستمرت الحَرب بين الدّولتين سجالا إلى سنة ١١٦٧.

وكانت روسيا آخذة إذ ذاك في تنظيم داخليتها وتقدم وكانت تتوق للدخول ضمن المجتمع الأوروبي فاستمرت الحَرب بين القوزاق والرُّوس من جهة والعُثمَانِيّين من جهة أُخرى بين اخذ ورد حتَّى سنة ١٦٨١ حيث تمَّ الصُّلح بينهم.

حصار مدينة فيينا من جديد:

وبعد أن انتصرت جُيُوش العُثمَانِيّين في عدّة مواقع عَلى النمساويين قصد ت عاصمة النمسا فحاصرتها سنة ١٦٨٣ مدّة شهرين واستولى العُثمَانِيّون عَلى كافّة قلاعها الأمامية وهدم أسوارها

بالمدافع ولما لم يبق عليه إلا المهاجمة المتممة للفتح، أتى سوبيسكي ملك بولونيا ومنتخبي ساكس وبافيرا بجُيُوشهم بناء عَلى إلحاح البابا عليهم واستنهاضه هممهم لمحاربة المُسلِمِين حتَّى أضرم فيهم نار التعصب الدّيني، وفي سِبتَمبر سنة ١٦٨٣ فاز المسيحيون بالنّصر وانهزم جيش الصدر مصطفى باشا وأمر السُّلطَان محمّد الرَّابع بقتل الصدر قره مصطفى باشا وأرسل احد رجال حاشيته فقتله وأرسل برأسه إلى القُسطَنْطينيَّة!

وبعد نجاة مدينة فيينا الّتي لم تحاصر بعد ذلك، تألبت كلّ من النمسا وبولونيا والبندقية ورهبنة مالطة والبابا ومملكة روسيا عَلى محاربة الدّولة الإِسْلَامِيّة لمحوها من العالم السّياسيّ، والّذي يدل عَلى أن هذا التَّحالف كانَ دينيا محضا أن أصحابه أسموه (التَّحالف المقدّس)، ومما زاد أحوال هذه الدّولة القائمة بمفردها أمام جميع الدّول المسيحية ارتباكا قطع العلاقات بينها وبين فرنسا بسبب المناوشات البحرية المستمرة بين مراكبها وقراصنة المغرب، فان جُيُوش الملك سوبيسكي كانت تهدّد بلاد البغدان وسفن البنادقة تهدّد سواحل اليونان وبلاد موره ولعدم وجود المراكب الكافية لصد هجمات سفن البنادقة الّتي كانت تعززها مراكب البابا ورهبنة مالطة احتلت جُيُوش البنادقة في سنة ١٦٨٦ اغلب مدن اليونان حتَّى كورنته وأثينا، أما النمسا فأغارت جُيُوشها عَلى بلاد المجر واحتلوا مدينة يست الواقعة أمام مدينة بود، وفي سنة ١٦٨٥ احتل النمساويون عدّة حصون وقلاع شهيرة أهمّها قلعة نوهزل، ووصلت الدّولة إلى درجة من التقهقر أمام هذه القوى المتألبة عليها صار معها الخلاص صعبا.

وتتابعت النكسات عَلى العُثمَانِيّين، فهاجت الجُيُوش الموجودة في الآستانة وأرسلوا الجُيُوش الباقية مع الصدر سليمان باشا فاشهروا عليه العصيان ولولا فراره إلى بلغراد لأعدموه، ثمّ أرسل الإنكِشَارِيّة والسباه(اسم فرق من الجُيُوش العُثمَانِيّة) وفدا للآستانة يطلب من السُّلطَان الأمر بقتل الصدر فلم ير بدا من ذلك وأمر بقتله تسكينا لثورة غضب الجند، ولما لم يفد شيئا ولم تعد السكينة بين الجُيُوش وخيف عَلى المملكة العُثمَانِيّة من الداخل، فقرر الوزير الثّاني القائم مقام قره مصطفى باتحاده

مع العُلَماء عزل السُّلطَان محمّد الرَّابع فعزلوه في سنة ١٦٨٧ م، بعد إن حكم أربعين سنة وخمسة اشهر وبقي في العزلة إلى أن توفي في ديسمبر سنة ١٦٩٢ م، وولوا بعد عزله أخاه.

(٢٠) - السُّلطَان الغازي سليمان خان الثّاني (١٦٨٧- ١٦٩١ م):

وهو ابن السُّلطَان ابراهيم تولى وكانت الآستانة فوضى، وانتهز الأَعدَاء هذه الإضطرابات المستمرة لفتح الحصون العُثمَانِيّة فاحتل النمساويون قلاع ارلو ولبا وغيرها واحتل موروزيني البندقي مدينة ليبه من بلاد اليونان وكافة سواحل دلماسيا سنة ١٦٨٧ وفي السنة التّالية أي سنة ١٦٨٨ سقطت مدائن سمندريه وقلومباز وبلغراد في أيدي النمساويين ثمّ فقدت الدّولة العُثمَانِيّة في سنة ١٦٨٩ مدائن نيش وودين من بلاد الصّرب.

ثمّ تمكن الصدر الأعظم كوبريلي مصطفى باشا من تحقيق انتظام الجيش وساد الأمن داخل البلاد وسار بنفسه لمحاربة الأَعدَاء فاسترد في قليل من الزَّمن مدائن نيش وودين وسمندريه وبلغراد في سنة ١٦٩٠ بينا كانَ سليم كراي خان القرم يخضع الثائرين الصّرب وتيكلي المجري يرجع اقليم ترنسلفانيا إلى أملاك الدّولة وبذلك أعاد كوبريلي مصطفى باشا بعض ما فقدته الدّولة من المجد والسؤدد بسبب ضعف الوزراء وعدم إطاعة الإنكِشَارِيّة، وفي يونيو سنة ١٦٩١ توفي السُّلطَان سليمان الثّاني عن غير عقب وعمره ٥٠ سنة بعد أن حكم ثلاث سَنَوات وثمانية اشهر وتولى بعده أخوه.

(٢١) - السُّلطَان الغازي احمد خان الثّاني (١٦٩١- ١٦٩٥م):

ولم تحصل أمور ذات بال في أيّام هذا السُّلطَان بل اقتصرت الحَرب عَلى بعض مناوشات ليس لها من الأهمّيّة شان يذكر غير أن البنادقة احتلت في سنة ١٦٩٤ جَزِيرَة ساقز، ثمّ توفي في فبراير سنة ١٦٩٥ وعمره ٥٤ سنة قمرية تقريبا بعد أن حكم ٤ سنين و٨ اشهر وتولى بعده السُّلطَان الغازي مصطفى خان الثّاني.

(٢٢) - السُّلطَان الغازي مصطفى خان الثّاني (١٦٩٥-١٧٠٣م):

ابن السُّلطَان محمّد الرَّابع، وكان متصفا بالشجاعة وثبات الجأش ولذلك أعلن بعد توليته بثلاثة أيّام رغبته في قيادة الجُيُوش بنفسه، فسار إلى بلاد بولونيا مستعينا بفرسان القوزاق وانتصر عَلى البولونيين عدّة مرات ومن جهة أُخرى حارب الرُّوس سنة ١٦٩٥ وبعد ذلك وفي سنة ١٦٩٦ فاز السُّلطَان فوزا مبينا عَلى جيش ساكس في موقعة اولاش وبعد ذلك هُزم جيش السُّلطَان أمام النمساويين، وكان ذلك في سِبتَمبر سنة ١٦٩٧، وفي إثناء اشتغال السُّلطَان ببلاد المجر، عاد الإمبراطور الرُّوسي بطرس الأكبر لفتح ميناء ازاق لأهميتها لمملكته فدخلها في خلال سنة فكانت الدّولة في خطر شديد من جهتي روسيا والنمسا، ثمّ ابتدأت الاتّصالات للوصول إلى الصُّلح فتدخل ملك فرنسا لويس الرَّابع عشر، وبعد مباحثات طويلة أمضيت بين الدّولة العُثمَانِيّة والنمسا وروسيا والبندقية وبولونيا معاهدة كارلوفتس في يناير سنة ١٦٩٩، فتركت الدّولة بلاد المجر باجمعها وإقليم ترنسلفانيا لدولة النمسا، وتنازلت عن مدينة ازاق وفرضتها لروسيا فصار لها بذلك يد عَلى البحر الأسود وزادت أهمية جوارها للدولة العُثمَانِيّة أضعاف ما كانت عليه من قبل وردت لمملكة بولونيا مدينة كمينك وإقليمي بود وليا وأوك روين وتنازلت للبندقية عن جَزِيرَة مورا وإقليم دلماسيا عَلى البحر الأدرياتيكي بأجمعه تقريبا واتفقت مع النمسا عَلى مهادنة خمس وعشرين سنة وان لا تدفع هيَ أو غيرها شيئا للدولة العُثمَانِيّة، لا عَلى سبيل الجزية ولا عَلى مجرد الهدية.

وبهذه المعاهدة فقدت الدّولة جزأ ليس بقليل من أملاكها بأوروبّا وزادت أطماع الدّول في بلادها كما سيأتي.

ويمكننا القول بان الاتفاق قد تمَّ من ذلك التّاريخ بين جميع الدّول الأوربية إن لم يكن صراحة فضمنا، عَلى الوقوف أمام تقدم الدّولة العُثمَانِيّة أولا، ثمّ تقسيم بلادها بينهم شيئا فشيئا، وهو ما يسمونه في عرف السّياسة بـ (المسالة الشرقية) المبنية عَلى الخوف من انتشار الدّين الإِسْلَاميّ وحلوله محل الدّين المسيحي ليس إلا.

أما ما كانوا يسترون خلفه غاياتهم من الدّفاع عن حقوق الأمم المسيحية الضعيفة الخاضعة للدولة فلم يكن إلا ذريعة .

ثمّ عين السُّلطَان رامي محمّد باشا، فسار في إبطال المفاسد ومعاقبة المرتشين ومنع المظالم فأهاج ضده أرباب الغايات وكثير عدادهم وأثاروا عليه الإنكِشَارِيّة لميلهم بالطبع إلى الهياج للسلب والنهب وهتك الأعراض، فطلبوا عزله من السُّلطَان فامتنع وأرسل لقمعهم فرقة من الجنود فانضمت إلى الثائرين وعزلوا السُّلطَان مصطفى الثّاني في أغسطس سنة ١٧٠٣ بعد أن حكم ٨ سَنَوات و٨ شهور وبقي معزولا إلى أن توفي وأقاموا مكانه بعد عزله أخاه.

(٢٣) - السُّلطَان الغازي أحمد خان الثّالث (١٧٠٣ - ١٧٣٠م):

وهو ابن السُّلطَان محمّد الرَّابع، وفي تلك الآونة كانَ بطرس الأكبر ملك روسيا يعمل عَلى إضعاف الأقوياء من مجاوريه أي السويد، وبولونيا، والدّولة العُثمَانِيّة، ولما تولى الصدارة (بلطه جي محمّد باشا) مال لإثارة الحَرب عَلى روسيا فأشهر عليها الحَرب وقاد الجُيُوش بنفسه وبعد مناورات مهمة حصرت الجُيُوش العُثمَانِيّة البالغ قدرها مائتي ألف جندي قيصر روسيا وخليلته كاترينا، ولو استمر عليهم الحصار قليلا لربما كانَ أخذ أسيرا هو ومن معه وانمحت الدّولة الرُّوسية كلية من العالم السّياسيّ، لكن كاترينا استمالت بلطه جي محمّد باشا إليها، وأعطته كافّة ما كانَ معها من الجواهر الكريمة والمصوغات الثمينة، فخان الدّولة ورفع الحصار عن القيصر وجيشه مكتفيا بإمضاء القيصر لمعاهدة فلكزن في يوليه سنة ١٧١١ والّذي أخلى بمقتضاها مدينة ازاق وتعهد فيها بعدم التدخل في شؤون القوزاق مطلقا.

لكن لم تمض عَلى هذه المعاهدة بضعة أشهر حتَّى قامت الحَرب ثانية بين الدّولتين بسبب عدم قيام بطرس الأكبر بأحد شروط معاهدة فلكزن فتدخلت إنكلترا وهولندا في منع الحَرب لإضرارها بتجارتهما، وبعد مباحثات طويلة أمضيت بينهما معاهدة جديدة سميت بمعاهدة أدرنه في يونيو ١٧١٣

م، وتنازلت روسيا بمقتضاها عما لها من الأراضي عَلى البحر الأسود حتَّى لم يبق لها عليه موانئ أو ثغور.

وتتابعت المناوشات بين الدّولة العُثْمَانِيّة والبنادقة، والنمسا وروسيا واضطرت الدّولة العُثْمَانِيّة لقبول معاهدات جديدة كانت في صالح روسيا الّتي قوي حضورها في السّياسة الأوربية، ثمّ حصل صِرَاع بين روسيا والدّولة العُثْمَانِيّة عَلى النفوذ في بلاد القفقاس وأرمينيا وبلاد الكرج وسواحل بحر الخزر الغربيّة، فكادت الحَرب تقوم بين الدّولة والرُّوس ولتحقق بطرس الأكبر من عدم اقتداره عَلى مُوَاجَهة الجُيُوش العُثْمَانِيّة، طلب من سفير فرنسا بالآستانة أن يتوسط بينهما فقبل، ووفق بين الطّرفين بان يمتلك كلّ منهما ما احتله من البلاد وقبلت الدّولتان بذلك وأمضيتا بهذه الشُّرُوط معاهدة يونيو سنة ١٧٢٤، أما الفرس فلم يقبلوا هذا التقسيم المزري بشرفهم والقاضي بضياع جزء ليس بقليل من بلادهم وقاموا لمحاربة الأجانب، لكنهم لم يتمكنوا من صد هجمات العُثْمَانِيّين الّذين فتحوا في سنة ١٧٢٥ عدّة مدن وقلاع أهمّها مدائن همذان وتبريز وساعد ذلك تسلط الفوضى في إيران وانتهت هذه الحَرب بالصُّلح مع الشّاه أشرف في أكتوبر سنة ١٧٢٧م، ولكن لما مات الشّاه اشرف وانفرد طهماسب بالملك طلب من الدّولة العلية أن ترد إليه كلّ ما أخذته من بلاد أجداده فلم تجبه الدّولة ولذا أغار عَلى بلادها، ولعدم ميل السُّلطَان إلى الحَرب ورغبته في الصُّلح ثار الإنكِشَارِيّة فأعلنوا إسقاطه سنة ١٧٣٠ م ونادوا بابن أخيه السُّلطَان محمود الأوّل خليفة للمسلمين فأذعن السُّلطَان احمد الثّالث وتنازل عن الملك بدون معارضة، وكانت مدّة حكمه ٢٧ سنة و١١ شهرا.

(٢٤) - السُّلطَان الغازي محمود خان الأوّل (١٧٣٠- ١٧٥٤م):

هو ابن السُّلطَان مصطفى الثّاني ولما تولى لم يكن له إلا الاسم فقط وكان النفوذ للصدر بطرونا خليل يولي من يشاء ويعزل من يشاء تبعا للأهواء والإغراض حتَّى عيل صبر السُّلطَان من استبداده وتجمهر حوله رؤساء الإنكِشَارِيّة لتعدي هذا الزعيم عَلى حقوقهم واتفقوا عَلى الغدر به تخلصا من

شره فقتلوه، وبعد أن استتب الأمن استأنفت الدّولة الحَرب مع مملكة الفرس وتغلبت الجُيُوش العُثمَانِيّة عَلى جنود الشّاه طهماسب في عدّة وقائع.

وفي غضون كانت الحُرُوب كثيرة بين الدّول الأوربية نفسها، وكذلك قامت الحَرب بين الدّولة وروسيا بسبب مملكة بولونيا، فأعلنت روسيا والنمسا الحَرب عَلى بولونيا، ومن جهة أُخرى أشهرت فرنسا الحَرب عَلى النمسا دفاعا عن بولونيا، **وسعت لدى البَاب العالي بواسطة المسيو دي بونفال الّذي خدم الدّولة بعد أن اسلم واشتهر فيها باسم احمد باشا قائد الطوبجية لاستمالته للدفاع عن استقلال بولونيا الحاجز الحصين بينها وبين روسيا**، وتغلبت روسيا واحتلت جنودها مملكة بولونيا، ولما أحست النمسا أن فرنسا تسعى وراء التَّحالف مع الدّولة، خشيت من حصول هذا الاتفاق الّذي يكون نتيجته عدم نجاح مسعاها مع روسيا في بولونيا، أسرعت في إرضاء فرنسا فأبرمت معها معاهدة فيينا في سنة ١٧٣٥، وأخذت في التأهب والاستعداد للاشتراك مع روسيا في محاربة الدّولة، وأوعزت إلى روسيا بافتتاح القِتَال فاتخذت هذه الأخيرة مرور بعض قوزاق القرم من أراضيها في مارس سنة ١٧٣٦ متجهين إلى بلاد الكرج لمساعدة الدّولة ضدّ العجم حجة لإعلان الحَرب، وأغارت بكل قواها عَلى بلاد القرم واحتلت عددا من الثُّغُور البحرية، وهو ما حدا بالدّولة إلى إبرام الصُّلح مع نادر شاه لتتفرغ لصد هجمات الرُّوس، ولحسن حظ الدّولة كانَ قد تقلد منصب الصدارة رجل محنك اشتهر بحسن السّياسة وهو الحاج محمّد باشا، فلم يغفل طرفة عين عن جمع الجُيُوش وتجهيز المعدات حتَّى أمكنه في اقرب وقت إيقاف تقدم الرُّوس الّذين كانوا قد احتلوا إقليم البغدان ودخلوا عاصمة الإقليم، ومن جهة أُخرى انتصرت الجُيُوش العُثمَانِيّة عَلى جُيُوش النمسا الّتي أغارت عَلى بلاد البوسنة والصّرب والفلاخ فانتصر المُسلِمُون في الصّرب والجؤوا النمساويين إلى الجلاء عنها تاركين في كلّ موضع قدم جثث رجالهم وتقهقروا إلى ما وراء نهر الدانوب في سنة ١٧٣٧، واستمر الحال عَلى هذا المنوال من النّصر والفوز عَلى الأَعدَاء حتَّى طلبت النمسا الصُّلح بواسطة سفير فرنسا، فكان هذا الفوز الأخير اكبر مساعد للوصول إلى الصُّلح الّذي تمَّ بينهما وبين روسيا في سِبتَمبر سنة ١٧٣٩ م، عَلى أن تتنازل النمسا للدولة العُثمَانِيّة عن مدينة بلغراد وما أعطي لها من بلاد الصّرب والفلاخ بمقتضى معاهدة

بساروفتس، أما روسيا فتعهدت قيصرتها (حنه) بهدم قلاع ميناء آزاق وعدم تجديدها في المستقبل، وبعدم إنشاء سفن حربية أو تجاريَّة بالبحر الأسود أو ببحر آزاق، بل تكون تجارتها عَلى مراكب أجنبية وبان ترد للدولة كلّ ما فتحته من الأقاليم والبلدان وسميت هذه المعاهدة معاهدة بلغراد، وبذلك انتهت هذه الحَرب باسترداد جزء عظيم مما فقدته الدّولة من ممالكها بمقتضى معاهدة كارلوفتس.

وبعد ذلك بذل سفير فرنسا جهده في إقناع البَاب العالي بضرورة الاتحاد مع السويد لمحاربة روسيا لو تعدت عَلى إحداهما خوفا من أن يلحق بهما تباعا ما أودى ببولونيا وجعلها خاضعة فعلا لأوامر روسيا فاقتنعت الدّولة، وأبرمت مع السويد محالفة هجوم ودفاع ضدّ روسيا في سنة ١٧٤٠.

وفي هذه السنة تحصل سفير فرنسا عَلى تجديد الامتيازات القنصلية وكافة المزايا الممنوحة للتجار الفرنساويين وأمضى الطّرفان هذه المعاهد الجَدِيدة في سِبتَمبر سنة ١٧٤٠ وهي عبارة عن معاهدة سنة ١٦٧٣ مع بعض تسهيلات جديدة لفرنسا وتجارتها، وأرسل السُّلطَان سفيرا من طرفه اسمه سعيد ليقدم صورة المعاهدة إلى ملك فرنسا لويس الخامس عشر مع كثير من الهدايا الثمينة فقابله الملك بالاحتفاء والإكرام اللائق بمقام مرسله السامي.

وعند عودته شيعه بالتبجيل والإجلال وأرسل معه مركبين حربيين وجملة من المدفعية الفرنساويين هدية منه للخليفة الأعظم ليكونوا معلمين في الجُيُوش العُثمَانِيّة فيمرنوا الجنود المظفرة عَلى النظم الجَدِيدة الّتي ادخلها لوفوا الشهير في الجُيُوش الفرنساوية، وكان هذا من بدايات البلاء الّذي تتابع فيما بعد، بتولي ضباط ألمان في نهايات الدّولة تدريب الجيش، مما مكن المدربين الأجانب من فرنسيين وألمان، من دس أفكار الثَّورة والتمرد عَلى الخِلافَة، وزرع الأفكار القوميّة، والتَّنظِيمات الماسونية في الجيش العُثمَانِيّ فيما بعد.

وبعد ذلك بقليل توفي شارل السَّادس إمبراطور النمسا في ٢٠ من شهر أكتوبر سنة ١٧٤٠ وتولت بعده ابنته ماريه تيريزه فاتحدت فرنسا مع بعض الدّول عَلى محاربة هذه الملكة واقتسام أملاكها لما بين فرنسا والعائلة الحاكمة في النمسا من الضغائن القديمة، وسعي فرنسا دائما في إذلال النمسا وهدم أركان سلطانها، وبسبب موت هذا الملك حصلت الحَرب الشهيرة بين فرنسا والنمسا المعروفة

في التّاريخ بـ (حرب ارث ملك النمسا)، الّتي استمرت عدّة سنين وانتهت بفوز ماريه تريزه عَلى فرنسا، ولما ابتدأت هذه الحَرب أظهرت فرنسا للدولة العلية بواسطة سفيرها لدى البَاب العالي ما يعود عليها من الفوائد لو اتحدت معها عَلى محاربة النمسا، وعرضت عليها احتلال بلاد المجر واسترجاعها إلى أملاكها بحيث ترجع الدّولة إلى ما كانت عليه من الاتساع أيّام سليمان الأوّل القانُونيّ ويمكنها بعد ذلك مقاومة روسيا والوقوف في طريق تقدمها، وأبانت لها أنها إن لم تفعل ذلك تقدمت روسيا شيئا فشيئا وقويت شوكتها تدريجيا حتَّى يخشى منها عَلى وجود الدّولة، وقد أثبتت الأحداث لاحقا أن هذه الملاحظات كانت صحيحة، ولو أنها صادرة من فرنسا طمعا في نوال غايتها وهي إذلال النمسا.

وفي ديسمبر سنة ١٧٥٤ توفي السُّلطَان محمود الأوّل بالغا من العمر ستين سنة، وكانت مدّة حكمه ٢٥ سنة وفي أيّامه اتسع نطاق الدّولة بآسيا وأوروبّا.

(٢٥) - السُّلطَان الغازي عثمان خان الثّاني (١٧٥٤-١٧٥٧ م):

وبعد أن تقلد السّيف في جامع أبي أيوب الأنصاري عَلى حسب العادة القديمة، عين في منصب الصدارة العظمى نشانجي علي باشا بدل محمّد سعيد باشا الّذي سبق تعيينه صدرا بعد عودته من مأموريته في فرنسا، فسار في طريق غير حميد حتَّى أهاج ضده الأهالي اجمع، ولكون السُّلطَان كانَ من عادته المرور ليلا في الشَّوارع والأزقة متنكرا لتفقد أحوال الرعية والوقوف عَلى حقيقة أحوالهم، سمع إثناء تجواله بما يرتكبه وزيره من أنواع المظالم والمغارم وبعد أن تحقق ما نسب إليه بنفسه أمر بقتله جزاء له وبوضع رأسه في صحن من الفضة عَلى باب السراي عبرة لغيره.

ثمّ توفي السُّلطَان عثمان الثّالث في أكتوبر سنة ١٧٥٧ بدون أن يحصل في أيّام حكمه القلائل ما يستحق الذكر وكانت مدّة حكمه ٣ سنين و١١ شهر وخلفه مصطفى الثّالث.

(٢٦) - السُّلطَان الغازي مصطفى خان الثّالث (١٧٥٧- ١٧٧٤م):

وهو ابن السُّلطَان احمد الثّالث وكان ميالا للإصلاح محبا لتقدم بلاده خُصُوصَاً وزيره الأوّل راغب باشا الّذي مر ذكره، فاخذ هذا الوزير في إصلاح بعض الشؤون بمساعدة السُّلطَان وتعضيده

له، وبعد موت هذا الوزير الجليل نشبت الحَرب بين الدّولة العُثمانِيّة وروسيا، وكانت روسيا قد تبنت توجها إمبراطوريا منذُ عهد قيصرها بطرس الكبر، ووضعت برنامجا توسعيا طموحا نحو الشّرق والغرب والجنوب.

- **ومن المفيد في هذا المقام أن نأتي بنصوص من وصية قيصر روسيا، وهي منقولة بحروفها من الجزء الأوّل من تاريخ جودت باشا، وتعطينا فكرتين هامتين:**

*** الأولى عن الصِّرَاع بين القوى الأوربية في القرن السَّابع عشر والثَّامن عشر.**

*** والثّانية عن الأطماع الرُّوسية الّتي لم تتبدل بعد القياصرة، وما زالت إلى اليَوْم.**



وصية قيصر روسيا بطرس الأكبر لخلفائه:

[* **البند الأوّل:** يجب أن تقاد العساكر دائما إلى الحَرب، وينبغي للأمة الرُّوسية أن تكون متمادية عَلى حالة الكفاح لتألف الحَرب، وعلى هذه الصُّورة ينبغي لروسيا أن تتخذ زمن الصُّلح والأمان وسيلة قوية للحرب، وكذلك زمن الحَرب لأيّام السلم، وذلك لأجل زيادة قوتها وتوسيع منافعها.

* **البند الثّاني:** في وقت الحَرب ينبغي اتخاذ جميع الوسائل الممكنة لاستجلاب ضباط للجنود من بين الملل والأقوام الّذين هم أكثر تطورا في أوروبّا، وكذلك في زمن الصُّلح يتعين استجلاب أرباب العلم والمعارف منهم أيضا، ويلزم الاعتناء بما يجعل الأُمّة الرُّوسية تستفيد من منافع سائر الممالك ومحاسنها.

* **البند الثّالث:** عندما تسنح الفرصة ينبغي التدخل في جميع الأمور والمصالح الجارية في أوروبّا وفي اختلافاتها ومنازعتها، وعلى الخصوص في نزاعات ممالك ألمانيا.

* **البند الرَّابع:** ينبغي استعمال الرشوة لأجل إلقاء الفساد والبغضاء والحسد دائما في داخليَّة ممالك بولونيا وتفريق كلمتهم، واستمالة أعيان الأُمّة ببذل المال واكتساب النفوذ في مجلس الحكومة، حتَّى نتمكن من التدخل في انتخاب الملك وبعد الحصول عَلى انتخاب من هو من حزب روسيا من تلك الأُمّة، ينبغي حينئذ دخول عساكر روسيا إلى داخل البلاد لأجل حمايتهم والتعصب لهم بإقامة العساكر المذكورة مدّة طويلة هناك، إلى أن تحصل الفرصة لاتخاذ وسيلة تمكننا من الإقامة، وعندما تظهر مخالفة في ذلك من طرف الدّول المجاورة فلأجل إخماد نار الفتنة مؤقتا ينبغي أن نقاسم المخالفين في ممالك بولونيا، ثمّ نترقب الفرص لاسترجاع الحصص الّتي تكون قد أعطيت لهم.

* **البند الخامس:** ينبغي الاستيلاء عَلى بعض الجهات من ممالك اسوج بقدر الإمكان ثمّ نسعى في اغتنام وسيلة لاستكمال الباقي منها، ولا نتوصل إلى ذلك إلا بوجه تضطر فيه تلك الدّولة إلى أن تعلن الحَرب عَلى دولة روسيا وتهاجمها، والّذي يلزم أولاًهو أن نصرف المساعي والهمة لإلقاء الفساد والنفرة دائما بين اسوج والدانمرك بحيث ان يكون الاختلاف والترقب بينهم دائمين باقيين.

* **البند السَّادس:** يجب عَلى الأسرة الإمبراطورية الرُّوسية أن يتزوجوا دائما من بنات العائلة الملكية الألمانية، وذلك لتكثير روابط الزوجية والاتحاد بينهم واشتراكهم في المنافع، إذ بهده الصُّورة يمكن إجراء نفوذهم في داخل ألمانيا وبهذا يربطون أيضا المالك المذكورة لصالح منافعنا ومصالحنا.

* **البند السَّابع:** إن دولة إنكلترا هيَ الدّولة الأكثر احتياجا إلينا في أمورها البحرية ولهذه الدّولة فائدة عظيمة جدا لزيادة قوتنا البحرية، فلذلك من الواجب ترجيح الاتفاق معها في أمر التجارة عَلى سائر الدّول، وبيع محاصيل ممالكنا كالأخشاب وسائر الأشياء إلى إنكلترا وجلب الذهب من عندهم إلى ممالكنا، واستكمال أسباب الروابط والمناسبات بين تجار وملاحي الطّرفين، فيتوسع بهذه الوسيلة أمر التجارة وسير السفن في ممالكنا.

* **البند الثَّامن:** عَلى الرُّوسيين أن ينتشروا يوما فيوما شمالا في سواحل بحر البلطيق وجنوبا في سواحل البحر الأسود.

* **البند التّاسع:** ينبغي التقرب بقدر الإمكان من استانبول والهند، **وحيث انه من القضايا المسلمة أن من يحكم عَلى استانبول يمكنه حقيقة أن يحكم عَلى الدُّنيَا بأسرها،** فلذلك من اللازم إحداث الحُرُوب المتتابعة تارة مع الدّولة العُثمَانِيّة وتارة مع الدّولة الإيرانية، وينبغي ضبط البحر الأسود شيئا فشيئا وذلك لأجل إنشاء دار صناعات بحرية فيه، والاستيلاء عَلى بحر البلطيق أيضا، لأنها هم موقع لحصول المقصود، وللتعجيل بضعف بل بزوال دولة **إيران لنتمكن من الوصول إلى خليج البصرة، وربما نتمكن من إعادة تجارة الممالك الشرقية القديمة إلى بلاد الشّام،** والوصول منها إلى بلاد الهند، **الّتي هيَ بمثابة مخزن للدنيا،** وبهذه الوسيلة نستغني عن ذهب إنكلترا.

* **البند العاشر:** ينبغي الاهتمام بالحصول عَلى الاتفاق والاتحاد مع دولة اوستريا (النمسا)، والمحافظة عَلى ذلك ومن اللازم التظاهر بقبول أفكار الدّولة المشار إليها من جهة ما تطمع إليه من النفوذ في المستقبل في بلاد ألمانيا، وإما باطنا فينبغي لنا أن نسعى في تحريك حسد وعداوة سائر حُكَّام ألمانيا لها، وتحريك كلّ منهم لطلب الاستعانة والاستمداد من دولة روسيا ضدها، ومن اللازم إجراء نوع حماية للدول المذكورة بصورة يتسنى لنا فيها الحكم عَلى تلك الدّول في المستقبل.

* **البند الحادي عشر**: ينبغي تحريض العائلة المالكة في اوستريا عَلى طرد الأتراك وإبعادهم من قطعة الرُّوملي (الأراضي العُثْمَانِيّة عَلى سواحل غرب بحر مرمرة) **وحينما نستولي عَلى استانبول**، علينا أن نسلط دول أوروبّا القديمة عَلى دولة اوستريا حربا، أو نسكن حسدها ومراقبتها لنا بإعطائها حصة صغيرة من الأماكن الّتي نكون قد أخذناها من قبل، وبعده نسعى بنزع هذه الحصة من يدها.

* **البند الثّاني عشر: ينبغي أن نستميل لجهتنا جميع المسيحيين الّذين هم من مذهب الرُّوم المُنكرين رياسة البابا الروحية والمنتشرين في بلاد المجر والممالك العُثْمَانِيّة في جنوبي ممالك بولونيا (أتباع المذهب الأرثوذوكسي) ونجعلهم يتخذون من دولة روسيا مرجعا ومعينا لهم، ومن اللازم قبل كلّ شيء إحداث رياسة مذهبية حتَّى نتمكن من إجراء نوع نفوذ وحكومة رهبانية عليهم**، فنسعى بهذه الواسطة لاكتساب أصدقاء كثيرين ذوي غيرة نستعين بهم في ولاية كلّ من أعدائنا.

* **البند الثّالث عشر**: حينما يصبح الاسوجيون متشتتين، والإيرانيون مغلوبين، والبولونيون محكومين والممالك العُثْمَانِيّة مضبوطة، أيضا حينئذ نجمع معسكراتنا في محل واحد مع المحافظة عَلى البحر الأسود وبحر البلطيق بقوتنا البحرية، وعند ذلك نظهر أولاًلدولة فرنسا كيفِيَّة مقاسمة حُكُومَات الدُّنيَا بأسرها بيننا ثمّ لدولة اوستريا، ويعرض ذلك عَلى كلّ من الدّولتين المشار إليهما كلّ منهما عَلى حدة بصورة خفية جدا لقبول ذلك وحيث انه لا بُدَّ من أن تقبل إحداهما، فعند ذلك ينبغي مداراة واحترام كلّ منهما، وأن نجعل من كانَ منهما قابلا بما عرضناه عليهما واسطة للتنكيل بالأخرى، وتكون روسيا حينئذ قد ضبطت جميع الممالك الشرقية، عند ذلك يسهل علينا أن نقهر وننكل فيما بعد أية دولة بقيت في الميدان من الدّولتين المذكورتين.

* **البند الرَّابع عشر**: عَلى فرض المحال أن كلا من الدّولتين المشار إليهما لم تقبل بما عرضته عليهما روسيا، فينبغي حينئذ لروسيا أن تنصرف لمراقبة ما يحدث من النزاع والخلاف بينهما، فإذا وقع ذلك فلا بُدَّ أن يحصل تعب للطرفين، وفي ذلك الوقت يجب عَلى روسيا أن تنتظر الفرصة العظيمة وتسوق حالا عسكرها المجتمعين أولاًبأول عَلى ألمانيا، فتهجم في تلك الجهات، ثمّ تخرج أسطولين من السفن أحدهما من بحر ازاق حيث يحتشد عساكرنا، من أقوام الأناضول المتنوعة، والثّاني من ليمان خليج

ارخانكل الكائنة في البحر المتجمد الشمالي، فتسير هذه السفن وتمر في البحر الأبيض والبحر المحيط الشمالي مع الأسطول المرتب في البحر الأسود وبحر البلطيق، وتهجم عَلى سواحل فرنسا، وأما ألمانيا فانها تكون إذ ذاك مشغولة بحالها، وبما ذكرناه تصبح المملكتان المذكورتان مغلوبتين، فالقطعة الّتي تبقى من أوروبّا تدخل تحت الانقياد بسهولة وبدون محاربة وتصير جميع قطعة أوروبّا قابلة للفتح والتسخير.] اهـ.

******

وبعد اشتعال المعارك بين الرُّوس والعُثمَانِيّين، وفي يونيو سنة ١٧٧٢ م تهادن الفريقان بناء عَلى توسط النمسا ثمّ طلب مندوب كاترينه الاعتراف باستقلال تتار القرم وحرية الملاحة لسفن روسيا التجاريَّة في البحر الأسود وجميع بحار الدّولة العُثمَانِيّة، ولما لم تقبل الدّولة هذه الشُّرُوط انفض الجمع عَلى غير جدوى ثمّ مدت المهادنة سبعة اشهر واجتمع المؤتمر ثانية وطلبت كاترينه بلسان مندوبها طلبات أكثر إجحافا بحقوق الدّولة وأرسلت بها بلاغا نهَائِيّاً ١٥ نوفمبر سنة ١٧٧٣ وكان من تلك الشُّرُوط:

(سابعا: أن يكون لروسيا حق حماية جميع المسيحيين الأرثوذكسيين في بلاد الدّولة العُثمَانِيّة...)

ويظهر للمطلع عَلى تلك الشُّرُوط أن كاترينه ما كانت تظن قبول الدّولة لها بل جعلتها طريقة لاستمرار الحَرب، ولذلك رفضتها الدّولة العُثمَانِيّة، وأصدرت أوامرها للجُيُوش باستئناف القِتَال بكل شدة خُصُوصَاً في بلاد الطونه فانهزم الرُّوس عدّة هزائم.

ثمّ توفي السُّلطَان مصطفى الثّالث في يناير سنة ١٧٧٤ وبلغت مدّة حكمه ست عشرة سنة وثمانية شهور وذكر أنه كانَ عادلا محبا للخير وله عدّة مآثر خيرية كالمدارس والتكايا.

(٢٧) - السُّلطَان الغازي عبد الحميد خان الأوّل (١٧٧٤- ١٧٨٩ م):

وهو ابن السُّلطَان احمد الثّالث، وكان قد قضى مدّة حكم أخيه مصطفى الثّالث محجوزا في سرايته كما جرت به العادة.

وفي أول عهده كانت روسيا تستعد استعدادا هائلا لرد ما فقدته من الاسم والشرف في أواخر أيّام مصطفى الثّالث، ولم يأت شهر يونيو سنة ١٧٧٤ إلا وزحفت جُيُوشها إلى مُعَسْكَر الصدر الأعظم، وبعد عدّة انتصارات طلب الصدر من رومانزوف المهادنة وتوقيف القِتَال، وأرسل إليه مندوبين للاتفاق عَلى عقد الصُّلح وقبول الشُّرُوط الّتي رفضتها الدّولة عند اجتماع مؤتمر بوخارست، وبعد محادثات طويلة بين الطّرفين قبل الصدر **المعاهدة الّتي تمَّ الاتفاق عليها في يوليو سنة ١٧٧٤** وهي مكونة من ثمانية وعشرين بندا، **وتعتبر بداية الدلائل عَلى انهيار الدّولة العُثمَانِيّة:**

أهمّها استقلال تتار القرم وبسارابيا وقوبان – مع حفظ سيادة الدّولة العُثمَانِيّة عليهم فيما يتعلق بالأمور الدّينيّة – وتسليم كافّة البلاد والأقاليم الّتي احتلتها روسيا إلى خان القرم ما عدا قلعتي كريش ويكي قلعه، ورد ما أخذ من أملاك الدّولة في الفلاخ والبغدان وبلاد الكرج ومُنكريل وجزائر الرُّوم ما عدا بعض المناطق– وأن يعطى إلى إمبراطور روسيا لقب بادي شاه في المعاهدات والمحررات الرَّسميَّة – وأن يكون للمراكب الرُّوسية حرية الملاحة في البحر الأسود والبحر المتوسط.
وأن تبني روسيا كنيسة بقسم بيرا بالآستانة ويكون لها حق حماية جميع المسيحيين التَّابعين للمذهب الأرثوذكسي من رعايا الدّولة – وأن تكون كافّة المعاهدات السَّابقة لاغية ... وغير ذلك.

ومن الغريب أنه لم يذكر شيء فيها عن مملكة بولونيا وهي سبب هذه الحَرب الّتي عادت عَلى الدّولة بأوخم العواقب.

وأضيف إلى هذه المعاهدة بندان سريان جاء في أحدهما أن الدّولة تدفع إلى روسيا مبلغ خمسة عشر ألف كيس بصفة غرامة حربية عَلى ثلاثة أقساط متساوية في أول يناير سنة ١٧٧٥ وسنة ١٧٧٦ وسنة ١٧٧٧ ميلادية، وفي الثّاني أنها تقدم لروسيا المساعدات المقتضية للجلاء عما احتلته من جزائر الرُّوم وسحب أسطولها منها.

وكانت هذه أول مرّة تدفع فيه الدّولة العُثمَانِيّة الجزية لدولة أُخرى!!!

ومن المفيد الإطلاع عَلى بعض البنود من نص تلك المعاهدة الّتي دعيت (معاهدة قينا رجه) نقلا عن ترجمة الجزء الأوّل من تاريخ جودت باشا:

* **المادّة الأولى:** كلّ ما سبق وقوعه بين الدّولة العُثمَانِيّة ودولة روسيا من عداوة ومخاصمة قد محي وأزيل من الآن وإلى الأبد، وكل الأضرار والتّعدّيات الّتي صار الشُّروع في استعمالها وإجرائها من الطّرفين بالآلات الحَربية وبغيرها صارت نسياً منسيّاً إلى الأبد، ولا يجري بعد الآن ولا في وقت ما انتقام، بل صار الصُّلح براً وبحراً عوضاً عن العدوان بوجه لا يعتريه التّغير، بل يُراعى ويُصان من طرف الهمايوني ومن طرف خلفائي الأماجد، وكذلك يُحفظ ويُصان ما جرى تمهيده مع ملكة رُوسيا المُشار إِليها وحلفائها **من الاتّفاق والموالاة الصّافية المؤبّدة والسّالمة من التَّغيير**، وتستمر هذه المواد جارية ومعتبرة بكمال الدّقة والاهتمام وتكون قضية الموالاة مرعية بهذه الصُّورة بين الدّولتين وفي أملاكهما وبين رعايا الطّرفين بحيث لا تقع فيما بعد ضديّة بين الفريقين لا سرّاً ولا جهراً ولا نوع من أنواع البغضاء والأضرار.

*** ومما جاء في المادّة الثَّامنة: تعطى الرخصة التَّامَّة لرهبان دولة روسيا ولسائر رعاياها بزيارة القُدس الشريف وسائر الأماكن الّتي تستحق الزيارة ولا يتكلف المسافرون ولا السائحون لدفع نوع من أنواع الجزية والخراج و(الويركو) أصلا، ولا يطلب ذلك منهم إثناء الطّريق لا في القُدس الشريف ولا في سائر ألاماكن، وتعطى لهم الفرمانات بالوجه اللائق مع أوامر الطّريق الّتي تعطى إلى رعايا سائر الدّول، والّذين يقيمون منهم في أراضي دولتي العلية لا يمكن أن يحصل لهم تعرض ومداخلة بوجه من الوجوه، بل تصير حمايتهم وصيانتهم تماما بمقتضى قوة أحكام الشّريعة.**

*** وجاء في المادّة الرَّابعة عشرة: يجوز لدولة روسيا أن تبنى كنيسة عَلى الطّريق العام في محلة بك أو غلي في جهة غلطة غير الكنيسة المخصوصة قياسا علي سائر الدّول، هذه الكنيسة هيَ كنيسة العوام وتسمى كنيسة دوسوغرنه وتكون تحت صيانة سفير دولة روسيا إلى الأبد وتكون أمينة من كلّ تعرض.**

*** وجاء في المادّة السَّادسة عشرة:**

- ثانياً: الديانة المسيحية تكون من كلّ الوجوه حرة كالأول ولا يحصل ممانعة لإجرائها قط ولا يمنع إحداث كنائس جديدة ولا ترميم الكنائس القديمة.

- ثالثاً: الأراضي والأملاك الموجودة ضمن دائرة ابرائل وخوتين وفي سائر المواضع المأخوذة بغير حق المتعلقة من القديم بالأديرة وبسائر الأشخاص فهذه جميعا ترد للمرسومين المعبر عنهم الآن بالرعايا.

- رابعاً: يكون لجماعة الرهبان الاعتبار بما يناسبهم من الامتياز.

- ثامناً: بعد انقضاء هذه المهلة تتعهد دولتنا العلية بمعاملتهم بالمروءة الكلية في أمر تعيين الجزية وتحافظ عَلى سخائها الجليل عَلى قدر الإمكان ويصير تأدية جزيتهم بواسطة مبعوثيهم مرّة في كلّ سنتين وبعد أداء هذه الجزية بتمامها فلا يتعرض لهم احد أصلا كائنا من كانَ من باشا أو حاكم ولا يطالبون بشيء ما من اقتراحات الضرائب بأي اسم كانت، بل يكونون متمتعين بالامتيازات الّتي تمتعوا بها في الزَّمن السَّعيد أيّام سلطنة جدي الأمجد السُّلطَان محمّد خان الرَّابع.

- تاسعاً: يرخص لأمراء هذه الحُكُومَات أن يقيم من طرفه وكيلا لدى دولتي العلية باسم مصلحتك دار ويكون هَؤُلَاءِ الوكلاء نصارى من ملة الرُّوم بدلا عن (القبوكتخدايات) الّذين كانوا يتعاطون رؤية أمور الملك وتجري في حقهم من جانب دولتي العلية المعاملة بكمال المروءة وينالون ما يستحقونه بحسب قواعد الملل أي أنهم يكونون معتبرين ومن كلّ تعرض آمنين ومصانين.

- عاشراً: تعطى الرخصة وتحصل الموافقة من جانب لدولة العلية إلى سفراء إمبراطورية روسيا بان يتذاكروا عند الاقتضاء فيما يتعلق بصيانة ومساعدة الحكومتين المذكورتين وتتعهد الدّولة العلية برعاية ما يعرضه سفراء روسيا من المواد بحسب اعتبار الصداقة اللائقة بالدّولتين.

*** وجاء في المادّة العشرون:**

بحسب مفهوم السندات الّتي عقدت بين الحاكم توليستوي وبين حسن باشا محافظ آجو بتاريخ سنة ١٧٠٠ ميلادية وسنة ١١٠٠ هجرية خصصت قلعة آزاق بحدودها الأولى إلى دولة روسيا للأبد.

*** وجاء في المادّة الثّالثة والعشرون:**

... ودولتي العلية تتعهد أيضا بحسب مضمون المادّة السَّابقة بان تشمل بالعفو جميع الّذين صدرت منهم حركات ضدّ دولتي العلية في أثناء امتداد المحاربة وأن تكف يدها إلي الأبد عن اخذ الويركو عن الصبيان والبنات وعن طلب أي نوع كانَ من الجزية وانه ما عدا الّذين لهم تعلق بها من القديم لا تدعي علي فرد واحد من الطوائف المذكورة بكونه من رعاياها وأنها تترك مرّة أُخرى جميع الأراضي وسائر الاستحكامات الّتي ضبطها الكرجيون والمكريون لحكومتهم ولمحافظتهم المطلقة وأنها لا تتعرض ولا تجري تضييقا عَلى أديرة وكنائس الديانة بوجه ما ولا تمنع ترميم القديم ولا بناء الجَدِيد منها وبأن تمنع باشا جلدر وجميع رؤساء الجُيُوش والضُّبَّاط من التعرض بأي داع كانَ لأموال الأديرة والكنائس المذكورة وإضاعتها ولا تتعرض دولة روسيا للطوائف المذكورة ولا تتدخل في أمورهم لأَنّهم من رعايا دولتي العلية.

* **وجاء في المادّة الخمسة والعشرون:** جميع أسرى الحَرب من ذكور وإناث من أي درجة ورتبة كانوا يسرحون ويردون الى أوطانهم ماعدا المسيحيين الّذين دخلوا في الدّين المحمّدي بإرادتهم في دولتي العلية والمُسلِمين الّذين تنصروا بإرادتهم في أثناء وجودهم في أراضي روسيا وهكذا كله بعد مبادلة التّصَدّيق عَلى صكوك هذه العهدة المباركة حالا بلا عذر أصلا وبلا عوض وبغير فدية، وكذلك جميع المسيحيين الّذين وقعوا في الاسترقاق من بولونيين وبغدانيين وافلاقيين ومن أهالي الموره والجَزَائِر والكرجيين كافّة بلا استثناء يعتقون بلا ثمن وبغير عوض وكذلك الّذين استرقوا من رعايا روسيا ووجدوا في ممالكي المحروسة يصير تسليمهم وردهم إلى مواطنهم وذلك بعد انعقاد المصالحة المباركة وكذلك تجري هذه الأمور أيضا بهذه الصُّورة عينها في حق رعايا دولتي العلية.

* **وجاء في المادّة الثَّامنة والعشرون:**

... وبما أن الصدر الأعظم وفلدمار شال دولة روسيا بتروقونت رومان جوف قد فوض إليهما من طرفي الهمايوني ومن طرف إمبراطورية روسيا المشار إليها أمر تمهيد عقود وعهود عهدة الصُّلح المباركة المنعقدة فجميع مواد الصُّلح المؤبد المسطر في العهدة المذكورة يصير إمضاؤها من طرف الصدر الأعظم وفلد مارشال وختمها بأختامها للتصديق كما لو كانت جرت بحضورهما والمواد المنعقدة الّتي

تمهدت وصار الوعد بها تراعى مراعاة قوية بدون تغيير ولا تبديل وتجري بالدقة بحسب منطوقها ولا يفعل شيء مخالف لها قطعيا ويحرر في المواد المذكورة الّتي تقررت وجرى التّصَدّيق عليها من طرف الصدر الأعظم والفلد مارشال المشار إليهما سندان ممضيان بامضائهما ومختومان بخاتميهما....

*** وجاء في الخاتمة:**

إن ما جري تحديده وتمهيده بحسب المواد المذكورة من الصُّلح والصلاح المبطل للحرب والكفاح يكون مقررا ومعتبرا من بعد الآن، وكذلك شرط المادتين المحررتين.

ذكر مادتان في خاتمة العهدة:

** إحداهما تتضمن المصاريف الحَربية وذلك لأنالدّولة العُثمَانِيّة كانت تعهدت بتأدية خمسة عشر ألف كيس لروسيا في مدّة ثلاث سنين يدفع منها في كلّ سنة قسط وهو خمسة آلاف كيس.

** والمادّة الثّانية سرعة تخلية جزائر البحر الأبيض تأييدا لما هو مذكور في المادّة السَّابعة عشرة من العهدة المذكورة وأسطول روسيا الموجود في البحر الأبيض وان كانَ مشترطا في المادّة المذكورة انه يخرج في مدّة ثلاثة اشهر فدولة روسيا قد تعهدت بإخراجه قبل المدة المذكورة إذا أمكن. انتهى!!!

وبذلك انتهت هذه الحَرب ونالت روسيا أقوى أمانيها بعد إذلال مملكة اسوج ومحوها من العالم السّياسيّ تقريبا بحصرها ضمن حدودها الطبيعيّة، وهي طمس آثار مملكة بولونيا من الوجود كلية تقريبا وتجزئة معظمها بينها وبين النمسا وبروسيا بمقتضى معاهدة بين روسيا وبروسيا في ٧ فبراير سنة ١٧٧٢ وقبلتها النمسا في ابريل وأعلنت لملك بولونيا في ١٨ سِبتَمبر سنة ١٧٧٢ وبذلك سقط الحاجزان الأولان من الحواجز الثّلاثة الحائلة بين تقدم روسيا من جهة أوروبّا وأمكنها أن توجه كلّ قواها لمُكَافحَة الدّولة العُثمَانِيّة.

استيلاء روسيا عَلى بلاد القرم:

أما روسيا فأخذت تبث رجالها في بلاد القرم لإيجاد المشاغبات الداخليَّة بها وبالتالي لابتلاعها وضمها الى أملاكها، وما زالت مستمرة في إلقاء الدسائس ونشر الفتن بين الأهالي حتَّى عزلوا أميرهم دولت كراي الّذي انتخبه الأهالي بمقتضى نصوص معاهدة قينا رجه واحتلت روسيا تلك البلاد بسبعين ألف جندي كانوا منتظرين عَلى الحدود لهذه الغاية فتم لها مقصدها الّذي كانت تسعى وراءه من مدّة وهو امتلاك كافّة سواحل البحر الأسود الشمالية في غضون سنة ١٧٧٣ فهاجت الدّولة وأرادت إشهار الحَرب عَلى روسيا، لكن حولت أنظارها ثانياً عن الحَرب بمساعي فرنسا لعدم استعداد الدّولة وقدرتها في ذاك الوقت عَلى مقاومة روسيا فبلت مشورة فرنسا والاعتراف بضم القرم لروسيا واعترفت بذلك في سنة ١٧٧٤ م، لكن لم يكن قصد روسيا ومساعديها إلا انتشاب القِتَال، وأرسلوا جواسيسهم إلى بلاد اليونان وولايتي الفلاخ من البغدان لتهييج المسيحيين عَلى الدّولة، وفي سنة ١٧٨٧ م ساحت كاترينه في البلاد الجنوبية وبلاد القرم بأبهة واحتفال زائد وأقام لها القائد بوتمكين أقواس نصر كتب عليها: (طريق بيزنطة) فعلمت الدّولة من كلّ هذه الأحوال أنها تقصد محاربتها ثانيا، ولذلك أرادت هيَ المبادرة بإعلان الحَرب قبل تمام استعداد أعدائها، وفي هذه الأثناء كانت النمسا أعلنت الحَرب عَلى الدّولة مساعدة لروسيا، وحاول إمبراطورها يوسف الثّاني الاستيلاء عَلى مدينة بلغراد فعاد بالخيبة إلى مدينة تمسوار حيث اقتفى أثره الجيش العُثمَانِيّ وانتصر عليه نصرا مبينا، ثمّ بعد ذلك بقليل توفي السُّلطَان عبد الحميد الأوّل في ١٢ رجب سنة ١٢٠٣ ه ٨ ابريل سنة ١٧٨٩ بالغا من العمر ٦٦ سنة ومدة حكمه ١٥ سنة وثمانية شهور وتولى بعده سليم الثّالث.

****

(٢٨) - السُّلطَان الغازي سليم خان الثّالث (١٧٨٩-١٨٠٧م):

وهو ابن السُّلطَان مصطفى الثّالث، تولى وجو السّياسة مكفهر، ورحى الحَرب دائرة فبذل جهده في تقوية الجُيُوش وإرسال المؤن والذخائر، لكن اليأس كانَ قد استولى عَلى الجنود وغادر كثير منهم

مراكزهم، وفي هذه السنة اتحد القائد الرُّوسي مع قائد الجُيُوش النمساوية في الأعمال الحَربية وضما جُيُوشهما لبعضهما فاستظهرا عَلى العُثْمَانِيّين في سِبتَمبر سنة ١٧٨٩ م استولى الرُّوس عَلى مدينة بندر الحصينة واحتلوا معظم بلاد الفلاخ والبغدان وبسارابيا ودخل النمساويون مدينة بلغراد وفتحوا بلاد الصّرب، فكانت الدّولة في خطر عظيم، ولو استمر اتحاد النمسا وروسيا لفقدت اغلب أملاكها لكن من حسن حظها توفي الإمبراطور يوسف سنة ١٧٩٠ م وخلفه ليوبولد الثّاني فشغلته الثَّورة الفرنسية الّتي قامت عَلى الملك لويس السَّادس عشر خوفا من امتداد لهبها، وسعت النمسا في مصالحة الدّولة العُثْمَانِيّة وردت إليها النمسا بلاد الصّرب ومدينة بلغراد وجميع فتوحاتها تقريبا.

إلا أن روسيا لم تتبع النمسا حليفتها في طريق الصُّلح بل استمرت عَلى محاربة الدّولة بمفردها، ثمّ توسطت إنكلترا وبروسيا وهولندا بين الدّولة وروسيا وتم الصُّلح بين الطّرفين في سنة ١٧٩٢ عَلى أن تمتلك روسيا بلاد القرم نهَائِيَّاً وجزء من بلاد القوبان وبسارابيا والأقاليم الواقعة بين نهري بوج ودينستر بحيث يكون هذا النهر الأخير فاصلا بين المملكتين، وتتنازل لها الدّولة العُثْمَانِيّة عن مدينة اوزي اوتشاكوف، وأمضيت بذلك معاهدة في مدينة ياش أطلق عليها اسم هذه المدينة نسبة إليها.

وبعد إتمام الصُّلح مع النمسا وروسيا أخذت الدّولة في إصلاح داخليتها وخصوصا العسكريّة والبحرية فعين احد المتقربين من السُّلطَان واسمه كوشك حسين باشا قبطانا عاماً وكان من الشبان الّذين درسوا في أوروبّا، وزوجه السُّلطَان إحدى أخواته فاستحضر عددا عظيما من مهرة المهندسين من السويد وفرنسا لصب المدافع في معامل الطوبخانة، وأصلح مدرسة البحرية ومدرسة الطوبجية الّتي أَسَّسَها البارون دي توت المجري وترجم لتلامذتها مؤلفات المعلم فوبان الفرنساوي في فن الاستحكامات، وأضاف إلى مدرسة الطوبجية مكتبة جمع فيها أهمّ ما كتب في الفنون الحَربية الحديثة والرِّيَاضيات لتكون التلامذة عَلى إطلاع تام في العلوم العصرية، و وضع نظاما للجنود المشاة وشرع في تنسيق فرق جديدة وتدريبها عَلى النّظام الأوروبي، **فأنشأ أول فرقة منتظمة في سنة ١٧٩٦ وجعل عددها ١٦٠٠ جندي تحت قيادة ضابط إنكليزي دخل في الدّين الإِسْلَاميّ وسمي إنكليز مصطفى وكان القصد من ترتيب العساكر النّظامية الاستغناء بهم عن جنود الإنكِشَارِيّة.**

وفي سنة ١٧٩٨ أمرت الجمهوريّة الفرنساوية بونابرت القائد الشهير بالمسير إلى مصر لفتحها بغير إعلان حرب عَلى الدّولة العُثْمَانِيّة وأوصته بكتمان هذا الأمر حتَّى لا تعلم به إنكلترا فتسعى في إحباطه وكان القصد منه منع مرور تجارة الإنكليز من مصر إلى الهند، وحصلت بينه وبين أمراء المماليك واقعة الأهرام الّتي اظهر فيها المماليك من الشجاعة ما أدهش الفرنساويين، وبعد أن بذلوا وسعهم في الدّفاع عن مصر، تقهقروا أمام المدافع الفرنساوية فدخل بونابرت وجُيُوشه مدينة القاهرة بعد أن أعلن بها انه لم يأت لفتح مصر بل انه حليف البَاب العالي، وأنه أتى لتوطيد سلطته ومحاربة المماليك العاصين أوامره، كما زعم الإنكليز بعد ذلك عند دخولهم مصر سنة ١٨٨٢.

ولكن لم يلبث ان وصله خبر واقعة أبي قير البحرية الّتي دمر فيها نلسن أمير البحر الإنكليزي الشهير جميع المراكب والسفن الحَربية الفرنساوية في أغسطس سنة ١٧٩٨، وتسلطن الإنكليز عَلى البحر المتوسط، وقطعوا المواصلات بينه وبين فرنسا، ولما علمت الدّولة العُثْمَانِيّة باحتلال الفرنساويين القطر المصري أخذت في الاستعداد لمحاربتهم لاسيما وأنها كانت مطمئنة البال من جهة النمسا وروسيا اللتين كانتا مشتغلتين بمحاربة الجمهوريّة الفرنساوية خوفا من امتداد مبادئ الثَّورة الفرنسية إلى بلادهم فتفل عروشهم كما حصل للويس السَّادس عشر ملك فرنسا، ومن جهة أُخرى عرضت عليها الدّولة الإنكليزية مساعدتها عَلى إخراج الفرنساويين من مصر لا رغبة في حفظ أملاك الدّولة بل خوفا عَلى طريق الهند من أن تكون في قبضة دولة قوية يمكنها معاكستها فقبلت الدّولة العُثْمَانِيّة مساعدتها بكل ارتياح، وكذلك عرضت عليها روسيا إمدادها بمراكبها الحَربية وانضمامها إلى السفن العُثْمَانِيّة والإنكليزية فقبلت أيضا، وأعلنت الحَرب رسميا عَلى فرنسا في سِبتَمبر سنة ١٧٩٨، وأخذت الدّولة في جمع الجُيُوش بمدينة دمشق وبجَزِيرَة رودس لإرسالها إلى مصر واتت السفن الرُّوسية من البحر الأسود إلى بوغاز الآستانة وخرجت إلى البحر الأبيض مع السفن العُثْمَانِيّة وذلك بمقتضى معاهدة أبرمت بين هذه الدّول الثلاث الّتي اتفقت لأول مرّة عَلى عمل حربي مع ما بين الدّولة العلية وروسية من العداوة القديمة المستمرة، ولما شعر بونابرت باجتماع الجُيُوش لمحاربته تحقق أن من يحتل مصر لا يكون آمنا عليها إلا إذا احتل القطر السّوري، فلهذه الدواعي عزم بونابرت عَلى فتح بلاد

الشّام، ودخل الرملة ثمّ يافا، ثمّ حاصر مدينة عكا من جهة البر ولم يدخلها لتيقظ احمد باشا الجزار قائد حاميتها، وفي أوائل ابريل بلغه تحرك جيش دمشق العُثْمَانِيّ لإنجاد مدينة عكا فأرسل القائد كليبر لمحاربته ومنعه من الوصول إليها فالتقى بالعُثْمَانِيّين عند جبل وأنجده بونابرت فتفرق الجيش المجتمع، وقطع نابليون بعدم النجاح وعاد بمن بقي من جُيُوشه إلى القاهرة، وفي أغسطس سافر بونابرت من الإسكندرية قاصدا فرنسا خفية مع بعض قواده حتَّى لا يضبطه الإنكليز القاطعون بمراكبهم سبل البحر الأبيض عَلى الفرنساويين، وذلك أن الأميرال الإنكليزي أرسل إليه عدّة نسخ من الجرائد الفرنساوية المذكور بها خبر تغلب النمساويين عَلى فرنسا ووقوع الفوضى في داخليتها فأراد بونابرت الرجوع إليها لاستمالة الخواطر إليه، فغادره تاركا القائد كليبر وكيلا عنه، فبقي الجيش الفرنساوي بمصر بدون مراكب تحميه من نزول الإنكليز والعُثْمَانِيّين عَلى الثُّغُور أو تأتي إليه بالمدد أو مجرد الأخبار من فرنسا، ونقص عدده إلى خمسة عشر ألفا بعد من مات ببر الشّام بالطاعون والحَرب، وظهر أن هذا العدد غير كاف لحماية السواحل وحفظ الطّريق والمحافظة عَلى الأمن في الداخل، ولذلك يئس القائد كليبر من حفظ مصر واتفق مع البَاب العالي والأميرال سدني سميث في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ عَلى أن تنسحب العساكر الفرنساوية بسلاحها ومدافعها وترجع فرنسا عَلى مراكب إنكليزية، وسار بعدها لمحاربة الجيش التركي الّذي أتى إلى مصر في مارس سنة ١٨٠٠، وبعد محاربة عنيفة فاز كليبر بالنّصر وعاد إلى القاهرة فوجدها في قبضة ابراهيم بيك احد أمراء المصريين، فأطلق القنابل عليها وخرب منها جُزءاً عظيما واستمر الحَرب في شوارعها نحو عشرة أيّام، وفي ١٤ يونيه سنة ١٨٠٠ قتل مُجَاهد فدائي من مدينة (حلب حرسها الله) اسمه (سليمان الحلبي) القائد كليبر في بستان السراي وهرب، فضبطوه وقتلوه هو ورفاق له ثلاثة اتهموا معه في القتل، منهم الشَّيْخ الّذي أفتاه بذلك في بيت المَقْدِس رحمهم الله، ثمّ عين مكانه الجنرال مينو وكان قد زعم أنه اعتنق الدّين الإِسْلَاميّ وتسمى عبدالله مينو!!

ولما علم الإنكليز والعُثْمَانِيّون بموت كليبر وخروج بونابرت من مصر، أيقنوا بالغلبة عليهم وانزلوا بابي قير ثلاثين ألف مقاتل تحت قيادة الجنرال ابركرومبي في أوائل سنة ١٨٠١ فسار القائد مينو لمحاربتهم فانهزم أمامهم، ثمّ سار الإنكليز والأتراك إلى القاهرة وحصروا من بقي منها من

الفرنساويين، أما القائد مينو فبقي محصورا في الإسكندرية ولم يقبل التسليم إلا في سِبتَمبر سنة ١٨٠١ بعد أن وقعت بينه وبين العُثمَانِيّين والإنكليز موقعة عظيمة قتل فيها كثير من الطّرفين فخرج منها مع من بقي معه وسافر إلى بلاده عَلى مراكب الإنكليز وبذلك انتهت الحَرب ورجعت البلاد إلى العُثمَانِيّين.

وبعد ذلك اتصل بونابرت الّذي كانَ تعين رئيسا للجمهوريّة الفرنسية مع سفير الدّولة العُثمَانِيّة واظهر له ضرر اتحاد الدّولة مع روسيا وإنكلترا خُصُوصَاً وان روسيا قد احتلت جزائر اليونان الواقعة ما بين جنوب ايطاليا وبحيث جَزِيرَة موره وجنود إنكلترا باقية بمصر مماطلة في إخلائها، وما احتلته من ثغور الشّام، وأخيرا أقنعه بوجوب تجديد العلاقات الودية مع فرنسا فكاتب السفير العُثمَانِيّ دولته بذلك، وبعد الحصول منها عَلى الإذن أمضى مع بونابرت مشروع معاهدة سنة ١٨٠١، أساسها إخلاء مصر وتأييد امتيازات فرنسا السَّابقة في الشّرق.

وفي هذه الأثناء حصلت في داخليَّة الدّولة بعض اضطرابات بسبب شروع السُّلطَان سليم الثّالث في تنظيم الجُيُوش عَلى النّظام الجَدِيد فان الإنكِشَارِيّة لم ينظروا لهذه الإصلاحات العسكريّة بعين الارتياح، فلما مات الجنرال دو بايت الفرنساوي الّذي كانَ استحضر لتدريب النّظام في سنة ١٧٩٧ سعى الإنكِشَارِيّة مع بعض العُلَماء المتذمرين من توجهات السُّلطَان الغربيّة، وكان السُّلطَان قد أصدر أمرا ساميا بفصل المدفعية عن الإنكِشَارِيّة وتنظيمها ويكون مقرهم في الآستانة وان يكون لكل منهم موسيقى عسكريّة وإمام لتعليم الدّين وإقامة الصّلاة.

الفتن الداخليَّة بسبب توجهات السُّلطَان الغربيّة:

وقد انتشرت خلال انشغال الدّولة العُثمَانِيّة بحرب مصر، وهاجت ثورات كثيرة من قبل سكان اليونان والبلقان والصّرب وغيرها من باقي ولايات الدّولة بأوروبّا بدسائس الدّول الأوربية، وطموح السّكّان للاستقلال، ولم يتمكن الإنكِشَارِيّة من كبح جماحهم بل فاز المفسدون عليهم في عدّة وقائع وصارت البلاد في كرب عظيم وبلاء شديد وهدد هَؤُلَاءِ الثائرون مدينة أدرنه نفسها مع مناعتها، ويزعم مؤلف كتاب تاريخ الدّولة العُثمَانِيّة (فريد بيك) أن السُّلطَان سليم أراد تجربة الفرق

المنتظمة الجَدِيدة الّتي أنشأها ودربها عسكريّون أوربيون وأدخلوا عليها الأنظمة الأوربية، فقامت هذه الجنود بما عهد إليها خير قيام، وعادت السكينة إلى ربوعها ورجعت الجنود المنتظمة إلى الآستانة مكللة بالظفر فانشرح السُّلطَان من نجاح مشروع هذا النّظام الجَدِيد، وأغدق عليهم العطايا والهبات ثمّ أصدر في شهر مارس سنة ١٨٠٥ أمرا ساميا خط شريف إلى جميع الولايات بتركية وأوروبّا بجمع جميع الشبان من الإنكِشَارِيّة والأهالي البالغين سن الخمسة والعشرين وإدخالهم العسكريّة وتربيتهم عَلى النّظام الجَدِيد بإشراف الضُّبَّاط والمدربين الأجانب، فلم يقبل الإنكِشَارِيّة هذا الأمر واظهروا التمرد.

واتحد بعض العُلَماء والطلبة ضدّ النّظام الجَدِيد فأذعن السُّلطَان لمطلب الإنكِشَارِيّة وأرجع العساكر النّظامية إلى ولايات آسيا وعزل الوزراء وعين رئيس الإنكِشَارِيّة صدرا أعظما، ومع ذلك فلم تنته هذه المسألة بسلام بل جرَّت بعد قليل إلى عزل السُّلطَان، وكانت هذه بداية وقوف العُلَماء، وقيادات الإنكِشَارِيّة في وجه عمليَّة التغريب، والغزو الأوربي للجيش العُثمَانِيّ الّذي تولى كبره السُّلطَان سليم الثّالث هٰذا.

وقد أدت قلاقل بلاد الصّرب إلى قيام الحَرب بين الدّولة العلية وروسيا الّتي سيأتي بيان أسبابها.

علاقات البَاب العالي مع فرنسا وروسيا وإنكلترا بعد خروج الفرنساويين من مصر:

أرسل بونابرت إلى بلاد الشّرق الجنرال سبستياني لتجديد ربط الاتحاد والوداد مع الدّولة العُثمَانِيّة، **وفي أثناء إقامته بالآستانة تمكن بمساعيه من عزل أميري الافلاق والبغدان المنحازين لروسيا، فساء ذلك روسيا وخشيت من امتداد نفوذ فرنسا** في الشّرق فأرسلت جُيُوشها لاحتلال هاتين الولايتين بدون إعلان حرب بدعوى أن تغيير أميريهما مضر بحقوق جوارها، فانتشبت نيران القِتَال بينها وبين الدّولة واتحدت إنكلترا مع روسيا في هذه الحَرب، فأرسلت إحدى فرقها البحرية أمام الدردنيل وأرسل سفيرها بلاغا إلى البَاب العالي يطلب منه: **تحالف الدّولة العلية وإنكلترا وتسليم الأساطيل العُثمَانِيّة وقلاع الدردنيل إلى إنكلترا والتنازل عن ولايتي الافلاق والبغدان إلى روسيا وطرد**

الجنرال سبستياني من الآستانة وإعلان الحَرب عَلى فرنسا وإلا فستكون إنكلترا مضطرة لاجتياز الدردنيل وإطلاق مدافعها عَلى الآستانة.

وفي فبراير سنة ١٨٠٧ قرن الإنكليز القول بالفعل واجتاز الأميرال الإنكليزي الدردنيل ودمر كافّة السفن الحَربية العُثمَانِيّة الراسية بها، ومكث خارج البوسفور ينتظر تنفيذ لائحته الّتي سبق ذكرها، وبورود الخبر إلى الدّولة بذلك وقع الرعب في قلوب سكان الآستانة خشية من وصول السفن الإنكليزية إلى البوسفور وهناك تكون الطامة الكبرى لوجود اغلب السَرايات الملكية ودواوين الحكومة عَلى ضفتيه، وكادت الدّولة تستسلم للشروط، ولكن الفرنسيين شجعوها عَلى الصمود ووعدوا بالمساعدة، فاخذوا في تحصين العاصمة وبناء القلاع حولها وتسليحها بالمدافع الضخمة وشكل الفرنساويون النازلون بالآستانة فرقة **من مائتي مقاتل!!** أغلبهم من المدفعية **وكذلك الأسبان** لمضادة سفيرهم لسياسة إنكلترا في الشّرق، واهتم كلّ من في الآستانة في هذا العمل حتَّى الشُّيُوخ والأطفال والنِّسَاء وبذل الإنكِشَارِيّة جهدا كبيرا رغم خلافهم مع السُّلطَان، فلم يمض بضعة أيّام حتَّى صارت المدينة في مأمن، فلما رأى الأميرال الإنكليزي استحالة دخوله البوسفور وقرب انتهاء تحصينات الدردنيل خشي من حصر مراكبه بين البوغازين وقفل راجعا في مارس سنة ١٨٠٧ فنجا بمراكبه بعد أن قتل من رجاله ستمائة وغرق من سفنه اثنتان من مقذوفات قلاع الدردنيل، واجتمع بمراكب روسيا عند مدخل البوغاز، ثمّ أراد الأميرال الإنكليزي أن يأتي عملا يمحو ما لحقه من العار بسبب فشله في هذه المأمورية فقصد ثغر الإسكندرية فاحتلها في مارس سنة ١٨٠٧ ثمّ سير فرقة إلى ثغر رشيد لاحتلاله فانهزمت وحاصر المدينة في ابريل لكن لم يقو عَلى فتحها لإرسال محمّد باشا المدد إليها، وأخيرا رحلوا عن الدِّيَار المصريَّة، بعد أن أجروا تجربة لاحتلالها.

عزل السُّلطَان سليم الثّالث: في هذه الأثناء الّتي كانت فيها رحى الحَرب دائرة بين العُثمَانِيّين والرُّوس دخل والي بوسنه بجُيُوشه إلى بلاد الصّرب لمنع الثائرين من اللحاق بالجيش الرُّوسي، **وفي غضون ذلك توفي المفتي الّذي كانَ معضدا للسلطان عَلى إدخال الإصلاحات العسكريّة وتولى مكانه قاضي عسكر الرُّوملي وكان عَلى الضد من سلفه، فاتحد مع مصطفى باشا قائم مقام الصدر الأعظم**

المتغيب في محاربة الرُّوس ولفيف من العُلَماء عَلى السعي في إبطال النّظام العسكريّ الجَدِيد، معتبرين انه بدعة مخالفة للشرع، واخذوا يقنعون العساكر الغير منتظمة الّتي كانت أضيفت إلى الفرق المنتظمة ببطلان إكراههم عَلى لبس الملابس الغربيّة والتزيي بزي النّصَارى مع ما في ذلك من مخالفة القرآن الشريف والشَّرع المنيف، وحصلت بينهم معركة سالت فيها الدِّماء ثمّ انتشرت هذه الفتنة وامتد لهيبها إلى جميع القلاع وحصلت عد معارك بين الفريقين كانت نتيجتها أن وصل الجمع الثائر عَلى السُّلطَان، ولما بلغ السُّلطَان خبر هذه الثَّورة أصدر عَلى الفور أمرا بإلغاء النّظام الجَدِيد وصرف العساكر النّظامية، لكن لم يكتف الثائرون بل قرروا عزل السُّلطَان خوفا من أن يعود لتنفيذ مشروعه وساعدهم عَلى ذلك المفتي الّذي كانَ المحرك لهذه الثَّورة، فأفتى بأن كلّ سلطان يدخل نظم الإفرنج وعوائدهم ويجبر الرعية عَلى إتباعها لا يكون صالحا للملك.

واستمرت هذه الثَّورة يومين ثمّ نودي في يونيو سنة ١٨٠٧ بخلع السُّلطَان سليم الثّالث فعزل وكانت مدّة حكمه ١٩ سنة وأقيم بعده مصطفى الرَّابع.

(٢٩) - السُّلطَان الغازي مصطفى خان الرَّابع (١٨٠٧-١٨٠٨م):

عقب ذلك حصل الصُّلح بين فرنسا وروسيا بمقتضى معاهدة تلسيت في يوليو سنة ١٨٠٧ الّتي جاء البند الثّاني والعشرين وما بعده منها أن روسيا تكف عن محاربة الدّولة العُثْمَانِيّة حتَّى يتوسط نابليون بين الطّرفين، وانه بمجرد ما أمضيت الهدنة الابتدائية تخلي جُيُوش روسيا ولايتي الافلاق والبغدان بدون أن تدخلها الجُيُوش العُثْمَانِيّة حتَّى يتم الصُّلح نهَائِيّاً وجاء في المعاهدة السرية الّتي اتفق عليها نابليون واسكندر الأوّل قيصر روسيا إن لم يقبل البَاب العالي توسط فرنسا بسبب الحوادث الأخيرة الّتي حدثت بالآستانة أو إن لم يتم المقصود بكيفِيَّة مرضية بعد قبول هذا التوسط بخمسة وثلاثين يوما فتتحد فرنسا مع روسيا عَلى سلخ جميع الولايات العُثْمَانِيّة بأوروبّا ما عدا الآستانة وما حولها وتقسيمها فيما بينهما مع إرضاء النمسا بجزء يسير، **وهذا يظهر النوايا المبيتة لكافة الخصوم**

المتحالفين، ويبين أنه لم يكن هناك أي دولة أوروبية تود خيراً أو تبغي صلاحا لدولة أو أمة إسلاميّة مطلقا.

ولم يطل العهد بالسلطان مصطفى الرَّابع فتم حجزه في نفس السراي الّتي كانَ محجوزا بها السُّلطَان سليم، وعزل بعد أن حكم ثلاثة عشر شهرا وقتل في سرايته بعد ذلك بقليل وأقيم بعده محمود الثّاني.

(٣٠) - السُّلطَان الغازي محمود خان الثّاني (١٨٠٨ – ١٨٣٩م):

وهو ابن السُّلطَان عبد الحميد الأوّل، وقد افتتح أعماله بأن قلد مصطفى باشا البيرق دار منصب الصدارة العظمى ووكل إليه امر تنظيم الإنكِشَارِيّة، ولكنهم قاوموه وحصلت فتنة كبيرة أدت إلى قتل السُّلطَان السابق المحجوز في السَرايا (مصطفى الرَّابع).

ثمّ وجه السُّلطَان الجَدِيد اهتمامه لإصلاح الشؤون الداخليَّة والاستعداد لإهلاك طائفة الإنكِشَارِيّة وللتفرغ لذلك عقد الصُّلح مع الإنكليز في يوليو سنة ١٨٠٩، وافتتح الإيصالات مع روسيا بدون أن يتوصل إلى اتفاق مرض للطرفين فاستؤنفت الحَرب وكانت سجالا بين الجيشين، وفي هذه الأثناء فترت العلاقات بين روسيا ونابليون لعدم تنفيذ شروط معاهدة تلسيت وكانت الحَرب بينهما قاب قوسين أو أدنى فسعت روسيا في مصالحة الدّولة العُثمَانِيّة، وتوصل الطّرفان إلى معاهدة بوخارست في مايو سنة ١٨١٢، ولقد اعتبرت فرنسا هذه المعاهدة خيانة من الدّولة للروابط القديمة الموجودة بين الدّولتين، إذ بإبرامها تمكنت روسيا من استعمال الجُيُوش الّتي كانت مشتغلة بمحاربة العُثمَانِيّين في صد غارات فرنسا عن بلادها وإلزام نابليون بالعودة القهقرى بعد حرق مدينة موسكو وهلاك اغلب جُيُوشه عند عبورهم نهر بيريزينا عائدين إلى بلادهم مكسورين مدحورين، ولما بلغ رؤساء ثورة الصّرب خبر معاهدة بوخارست القاضية بإرجاعهم إلى سلطة الدّولة العلية المطلقة بعد ما بذلوه من الأموال والأرواح لإعطائهم نوعا من الاستقلال الإداري، ووعد قيصر روسيا بمساعدتهم، لم يقبلوا وآثروا الفناء في الدّفاع عن استقلالهم فسيرت الدّولة إليهم الجُيُوش فأخضعتهم

إلى سلطانها قهرا، وأعطيت تعليمات شديدة تقضي بمعاملة الصّربيين بالرفق واللين كي يحافظوا عَلى ولاء الدّولة، وصارت الصّرب مستقلة تقريبا واستبد زعيمهم ميلوش كملك مطلق لا سلطة للوالي العُثمَانِيّ عليه.

ثمّ قامت الحركة الوهابية في نجد في الجَزِيرَة العربيَّة، وقمعتها الدّولة العُثمَانِيّة باستخدام محمّد علي باشا والي مصر وابنه ابراهيم باشا ومستشاريه الفرنسيين، والقصة مشهورة بما يغني عن تفصيلها هنا.

وثارت اليونان وأيدتها الدّول الأوربية وروسيا، واستخدم العُثمَانِيّون محمّد علي باشا لقمع الثَّورة وفتح بلاد اليونان فنجح بذلك سنة ١٨٢٦، وفي يونيو من السنة التّالية فتح العُثمَانِيّون مدينة أثينا وقلعتها الشهيرة اكروبول رغما عن دفاع عنها.

تدخل الدّول الأوربية في شؤون الدّولة العُثمَانِيّة:

وبينما كانَ ابراهيم باشا يستعد لفتح ما بقي من بلاد اليونان في أيدي الثائرين، إذ تدخلت الدّول بين البَاب العالي ومتبوعيه بحجة حماية اليونانيين في الظَّاهِر ولفتح ما دعوه بـ (**المسألة الشرقية**) وتعني عمليا (الإِعداد لتقسيم بلاد الدّولة العُثمَانِيّة بينهم).

فقد عاتبت الدّولة العُثمَانِيّة روسيا أكثر من مرّة عَلى مساعدتها الثائرين وحماية من يلتجئ منهم إلى بلادها واستمرت روسيا عَلى مساعدتهم طمعا في نوال بغيتها الأصلية وهي احتلالها الآستانة وجعلها مركزا للديانة الأرثوذكسية عَلى غرار مدينة روما الّتي تعتبر مركزا للديانة الكاثوليكية، ثمّ استمرت المحادثات بين الدّولتين مدّة بدون فائدة لرغبة روسيا وعدم قبول البَاب العالي أي تدخل أجنبي في شؤونه الداخليَّة وفي سنة ١٨٢٥ تولى نيقولا الأوّل فاهتم بمسألة اليونان متبعا خُطّة سلفه السّياسيّة، وباتحاده مع إنكلترا اضطر البَاب العالي إلى التّصَدّيق عَلى معاهدة آق كرمان سنة ١٨٢٦، وملخصها أن يكون لروسيا حق الملاحة في البحر الأسود والمرور من البوغازين بدون أن يكون للدولة حق في تفتيش سفنها وأن تنتخب حُكّام ولايتي الافلاق والبغدان بمعرفة الأعيان لمدة سبع سَنَوات

مع عدم جواز عزلهما إلا بإقرار روسيا، وأن تكون ولاية الصّرب مستقلة تقريبا، وأن لا تحتل العساكر التركية إلا قلعة بلغراد وثلاث قلاع أُخرى، ولم يذكر بهذه المعاهدة شيء عن اليونان لإيجاد سبب للإشكال في المستقبل بل اتفقت روسيا وإنكلترا عَلى استعمال كلّ نفوذهما لوضع حد للحُرُوب المستمرة بها ولو كره البَاب العالي ووافقتهما دول النمسا وبروسيا وفرنسا.

واقعة ناورين:

وفي ٥ فبراير سنة ١٨٢٧ عرضت إنكلترا رسميا عَلى الدّولة العُثْمَانِيّة توسط جميع الدّول بينها وبين متبوعيها فلم تقبل ذلك بل أجابت سفير الانكليز، بعد التروي والتأمل في عاقبة هذا التدخل، أنها لم تسمح ولن تسمح به مطلقا، فاغتاظت الدّول من هذا الجواب، واتفقت كلّ من فرنسا وإنكلترا وروسيا عَلى إلزام البَاب العالي بالقوة بمنح بلاد اليونان استقلالها الإداري بشرط أن يدفع اليونانيون جزية معينة يتفق عَلى مقدارها فيما بعد، كما يتفق عَلى حدود الفريقين وأمهل البَاب العالي شهرا لإيقاف الحركات العدوانية ضدّ اليونان وإلا فتضطر الدّول لاتخاذ طرق أُخرى لنفاذ رغبتها، ولما بلغت صورة هذه المعاهدة إلى البَاب العالي لم يحفل بها وبعد انقضاء الشهر أصدرت الدّولة الثلاث أوامرها إلى قواد أساطيلها التوجه لسواحل اليونان وطلبت بعد ذلك من ابراهيم باشا الكف فورا عن القِتَال فقبل إيقاف الحَرب مدّة عشرين يوما ريثما تأتيه تعليمات جديدة، واجتمعت سفن الثلاث دول المتحالفة في ميناء ناورين لمنع الأسطول التركي والمصري من الخروج منها، وفي أكتوبر سنة ١٨٢٧ تكامل اجتماع سفن الدّول المتحدة، ولم تلبث السفن المقابلة لبعضها حتَّى انتشبت نيران الحَرب بين الفريقين لسبب واه، وسلطت جميع السفن الأوروبية مدافعها عَلى المراكب التركية والمصريَّة بعد أن استمر القِتَال عدّة ساعات، وانتهت بانتصار الدّول المتحدة، ولما وصل خبر هذه الحادثة الّتي حصلت بدون إعلان حرب كما هيَ العادة بين الدّول إلى البَاب العالي، أرسل بلاغا إلى سفراء هذه الدّول الثّلاثة يقيم فيه الحجة ضدّ هذا العمل المخالف للقوانين الدّولية ويطلب به أن تمتنع الدّول كلية عن التدخل في شؤون الممالك العُثْمَانِيّة وأن تدفع له تعويضا عن الخسائر الّتي نجمت من تدمير المراكب العُثْمَانِيّة، فلم يجاوب

السفراء عَلى هذا البلاغ بل قطعوا العلائق مع البَاب العالي ونزلوا إلى مراكبهم مسرعين، **ونشر السُّلطَان في جميع الولايات منشورا عاماً (خط شريف) يبين فيه سوء مقاصد الدّول عموما وروسيا خُصُوصَاً نحو الدّولة العلية الدّولة الإسْلَاميّة الوحيدة، مثبتا للأهالي عَلى أن الباعث عَلى هذا العدوان هو الدّين لا السّياسة، وختمه بحض المُسلِمِين عَلى القِتَال دفاعا عن الدّين والملة والوطن**، فاغتاظت روسيا لذلك وأعلنت الحَرب عَلى الدّولة في ابريل سنة ١٨٢٨.

ثمّ تلقى ابراهيم باشا أوامر والده واتفق مع الدّولة المتحدة في أغسطس سنة ١٨٢٨ بناء عَلى الرجوع إلى مصر، عَلى ما بقي من السفن المصريَّة، وابتدأ انسحاب الجنود المصريَّة وكانت كلما أخلت محلا دخله الفرنسيون الّذين نزلوا ببلاد اليونان، وفي نوفمبر سنة ١٨٢٨ عقدت الدّول الثلاث مؤتمرا في مدينة لندن لتقرير أحوال اليونان ودعت إليه الدّولة العُثْمَانِيّة فأبت إرسال مندوب من طرفها، فاجتمع مندوبوها في اليَوْم المعين واتفقوا عَلى استقلال موره وجزائر سكلاده واجتماعها عَلى هيئة حكومة مستقلة يحكمها أمير مسيحي تنتخبه الدّول ويكون تحت حمايتها عَلى أن تدفع الحكومة اليونانية للباب العالي جزية سنوية قدرها خمسمائة ألف قرش فلم يقبل البَاب العالي هذا القرار الصادر من دول غير مُختصَّة فيما يقع بينه وبين متبوعيه واشتغل بمحاربة روسيا الّتي أعلنت الحَرب عليه بعد أن دمر أسطوله، وأخيرا في ١٨٣٠ أعلن البَاب العالي بتصديقه عَلى الشُّرُوط المدونة في الاتفاق الّذي امضي بين الدّولة في لندن في نوفمبر سنة ١٨٢٨ القاضي باستقلال اليونان.

إلغاء طائفة الإنكِشَارِيّة: زعم المؤرخ أنه لما تحقق السُّلطَان محمود أفضلية النظم العسكريّة المستعملة في جُيُوش أوروبّا، وسمع بما أتته الجنود المصريَّة المنتظمة من الأعمال الباهرة في محاربة موره، وعلم أن انتصارات ابراهيم باشا عَلى اليونانيين لم تكن إلا نتيجة النّظام العسكريّ، زاد تعلقه بإصلاح النظم العسكريّة، وأراد إتمام المشروع الّذي لم يمكن السُّلطَان سليم الثّالث إتمامه فجمع جميع ذوات واعيان المملكة وكبار ضباط الإنكِشَارِيّة في بيت المفتي في أوائل سنة ١٨٢٦، وتلا عليهم مشروعا محتويا عَلى ستة وأربعين بندا ذكر بها بكل إيضاح كيفِيَّة التَّنظِيمات المراد إدخالها وبعد إقرار الجَمعيَّة عليه حرر بذلك محضرا ختمه جميع الحاضرين حتَّى ضباط الإنكِشَارِيّة وأفتى المفتي بجواز العمل بها

شَرعاً ومعاقبة من يعارض في نفاذها، ثمّ تلا المشروع عَلى جميع ضباط الإنكِشَارِيّة فأقروا عليه لكن لم تكن موافقتهم إلا ظاهرية فقط فانه لما ابتدئ في تعليم الضُّبَّاط بمعرفة من تعين من ضباط الإفرنج بصفة معلمين تنبه الإنكِشَارِيّة واخذوا يستعدون للثورة والعصيان ليوقفوا تنفيذه كما فعلوا قبلا، ولم يمض قليل حتَّى تمَّ حلّ الإنكِشَارِيّة ومطاردتهم وإبادة من عارض منهم.

ثمّ سار السُّلطَان في خُطّة الإصلاحات الداخليَّة بناء عَلى الفتوى الشَّرعيَّة!! وقد ذكر (المؤرخ الّذي اعتمدنا مصدره آنف الذكر) ممتدحا أعمال السُّلطَان فقال: (... ومن جهة أُخرى اخذ في تغير العوائد القديمة واتباع المستحسن من عوائد أوروبّا، فاستبدل العمامة بالطربوش الروني، وأمر بالزي الأوروبي، وأمر بأن يكون هو الزي الرسمي في العسكريّة والمدنيّة، وأسس وساما دعاه وسام الافتخار، وأخيرا تجول بذاته في ممالك أوروبّا ليستطلع أحوالها ويقف عَلى حقائق الأمور، وبالاختصار فانه سار سير من يردي مجاراة أوروبّا في نظاماتها وعدم الوقوف حال تقدم الدّول الاخرى بسرعة لعلمه أن الوقوف في مثل هذه الظّروف هو عين التأخر..) **كما زعم من لعب بعقله من الضُّبَّاط الّذين تفشت فيهم الماسونية والافتتان بالغرب، وزيادة عَلى ذلك أحيا ما أقامه السُّلطَان مصطفى الثّالث من مدارس الطوبجية وانشأ مدرسة حربية لتخريج الضُّبَّاط عَلى مثال مدرسة سان سير الفرنساوية الّتي أسَّسَها نابليون الأوّل بفرنسا لتربية أولاد الضُّبَّاط والإشراف عَلى النظم العسكريّة الغربيّة.**

احتلال فرنسا لجزائر الغرب: وفي أواسط سنة ١٨٣٠ نفذت فرنسا ما كانت تنويه من مدّة ضدّ ولاية الجَزَائِر بدعوى منع تعدي قراصنة البحر المُسلِمِين عَلى مراكبها التجاريَّة، وكانت الحقيقة رغبتها في أن يكون لها مركز حربي بشمال إفريقيا حتَّى لا تكون إنكلترا صاحبة السيادة بمفردها عَلى البحر الأبيض المتوسط باحتلالها معاقل جبل طارق وجَزِيرَة مالطة واتخذت لذلك سبيلاً وقوع الخلاف بينها وبين عامل الدّولة العلية عليها، وقررت فرنسا في مجلس الوزراء المنعقد تحت رئاسة الملك نفسه في ٧ فبراير سنة ١٨٣٠ وجوب الاستيلاء عَلى هذا الإقليم، ثمّ أرسلت للجزائر جيشا مؤلفا من نحو ثمانية وعشرين ألف مقاتل وأسطولا بحريا مؤلفا من مائة سفينة وثلاثة سفن تحمل سبعة وعشرين ألف

جندي بحري، ولما علمت إنكلترا بذلك خشيت عَلى نفوذها من مشاركة فرنسا واحتجت ضدّ هذا المشروع ولما لم يفد احتجاجها شيئا.

وفي ٢٠ ذي الحجة سنة ١٢٤٥/ ١٢ يونيو ١٨٣٠ نزلت عساكر فرنسا بالقرب من مدينة الجَزَائِر ونشب القِتَال بين الفريقين في يونيو وبعد محاربة شديدة فاز الفرنساويون بالغلبة، ودخلت الجُيُوش مدينة الجَزَائِر نفسها، وأعلنت فرنسا امتلاكها لها وبعد ذلك أخذت ترسل الجُيُوش تباعا إلى الجَزَائِر لفتحها.

وخلال هذه الفترة تمرد محمّد علي باشا في مصر وزحف عَلى الشّام وأدت وساطات ومداولات إلى تدخل الدّول الأجنبيّة وإعطائه ولاية مصر وراثية في أبنائه بدعم من فرنسا في القصة المشهورة تاريخيا.

ثمّ توفي السُّلطَان محمود الثّاني في يوليو سنة ١٨٣٩ وكانت مدّة خلافته إحدى وثلاثين سنة وعشرة شهور وتولى بعده ابنه عبد المجيد.

(٣١) - السُّلطَان الغازي عبد المجيد خان (١٨٣٩- ١٨٦١م):

تولى الخِلافَة ولم يبلغ الثَّامنة عشرة من عمره، وكانت الحكومة في غاية الاضطراب بسبب انتصار جُيُوش محمّد علي باشا والي مصر عَلى جُيُوش العُثمَانِيّين، واحتلال جُيُوشه لمدائن عين تاب وقيصرية وملطية، ومما زاد أحوال الدّولة ارتباكا أن احمد باشا القبطان العام للأسطول التركي خرج بجميع مراكبه الحَربية واتى بها إلى ثغر الإسكندرية وسلمها إلى محمّد علي باشا، ولما علم قناصل الدّول بالآستانة بتسليم الأسطول إلى محمّد علي باشا خشوا زحف ابراهيم باشا عَلى القُسطَنْطينيَّة أرسلوا إلى البَاب العالي لائحة سنة ١٨٣٩ ممضاة من سفراء فرنسا وإنكلترا وروسيا والنمسا وبروسيا يطلبون منه أن لا يقر شيئا في أمر المسألة المصريَّة إلا بَاطِلاعهم، وأنهم مستعدون للتوسط بينه وبين محمّد علي باشا لحل هذه المسألة المهمة، فقبل البَاب العالي هذه اللائحة واجتمع السفراء عند الصدر الأعظم وتداولوا فيما يجب إعطاؤه لمحمّد علي باشا، وحصلت مداولات كثيرة، ولم تقبل روسيا تحويل مؤتمر

دولي حق تحديد علاقاتها مع البَاب العالي بل أعلنت أنها مصرة عَلى التمسك بنصوص معاهدة (خونكار اسكله سي) وهي حماية الدّولة بعساكرها ومراكبها وبالتالي احتلال معظم أملاكها بدون حرب لو تعدى ابراهيم باشا حدود الشّام، فعند ذلك طلبت كلّ من فرنسا وإنكلترا من البَاب العالي التصريح لمراكبها بالمرور من بوغاز الدردنيل لحمايته عند الضَّرورة من روسيا ومن العساكر المصريَّة، ولما علم باقي السفراء بهذا الطلب اضطربوا وخشوا حصول شقاق بين الدّول المتوسطة وأعلن سفير روسيا بأنه إذا دخلت المراكب الفرنسية والإنكليزية البوغاز فسيقطع علاقاته السّياسيّة مع البَاب العالي ويسافر في الحال وكانت حكومته قد أرسلت له مركبا حربيا ليسافر عليه إذا اقتضى الحال ذلك، وكتبت النمسا إلى لندن وباريس بأن طلبهما هذا مخل بسلم أوروبّا وأنهما لو أصرا عليه فستخرج من التَّحالف وتحفظ لنفسها حرية العمل، فلما علم البَاب العالي بذلك خاف من تفاقم الخطب ورفض طلب حكومتي فرنسا وإنكلترا وطلب منهما إبعاد مراكبهم عن مدخل البوغاز، فلهذه الأسباب ولعدم الإتفاق بين وزراء الدّول توقفت المحادثات إلى سِبتَمبر سنة ١٨٣٩، حتَّى عرض سفير إنكلترا عَلى البَاب العالي أن دولته مستعدة لإكراه محمّد علي باشا عَلى رد السفن التركية بشرط أن يكون لها حق إدخال مراكبها في خليج إسلامبول لصد روسيا عند الضَّرورة، فلما علمت بذلك حكومة فرنسا أرسلت إلى قائد أسطولها في مياه تركيا أمرا في ديسمبر سنة ١٨٣٩ أنه لا يشترك مع مراكب إنكلترا في أي حركة عدوانية ضدّ حكومة محمّد علي باشا (وهناك أدِلّة تارِيخِيَّة كثيرة عَلى عمالة محمّد علي لفرنسا ضدّ العُثمَانِيّين، وتولي كثير من النّصَارى والمفتونين بفرنسا مناصب عنده)، فعلم الكل أنه لا بُدَّ من حصول خلاف بين فرنسا وإنكلترا بخصوص المسألة المصريَّة، وأخذت الدّول حذرها مما عساه يحصل من الأمور الّتي تنشأ بسبب هذا الخلاف، فأعلنت النمسا بأنها لا ترغب التداخل لعدم نجاح طلبها المختص بانعقاد مؤتمر دولي في فيينا أو برلين وأعلنت بروسيا وروسيا بأنهما يقبلان كلّ ما تقرره الدّول في هذا الشأن بشرط أن يكون موافقا لرغبة البَاب العالي وان يكون قبوله لهذا القرار صادرا عن كمال الحريَّة، فكأن الدّول قبلت ما اتفقت عليه فرنسا وإنكلترا بالاتحاد مع البَاب العالي ولكن لم يتم الاتفاق بين هاتين الدّولتين لسعي إنكلترا في إرجاع المصريين إلى حدودهم الأصلية وعدم قبول فرنسا ذلك

ورغبتها في مساعدة محمّد علي باشا، وذلك أن فرنسا كانت تود أن تكون ولايتا مصر والشّام له ولذريته وإقليما أدنه وطرسوس له مدّة حياته وأما إنكلترا فكانت لا تريد أن يعطى إلا ولاية مصر لكن رغبة في إرضاء فرنسا قبلت أن يعطى مدّة حياته نصف بلاد الشّام الجنوبي بشرط أن لا تكون مدينة عكا من هذا النصف فرفضت فرنسا هذا الاقتراح دعما لعميلها محمّد علي باشا.

وفي تاريخ ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ اتفقت الدّول عَلى معاهدة صدق عليها مندوب الدّولة العلية مقتضاها:

* **أولاً**: أن يلزم محمّد علي باشا بإرجاع ما فتحه للدولة العلية ويحفظ لنفسه الجزء الجنوبي من الشّام مع عدم دخول مدينة عكا في هذا القسم.

* **ثانياً**: أن يكون لإنكلترا الحقّ بالاتفاق مع النمسا في محاصرة الشّام ومساعدة كلّ من أراد من سكان بلاد الشّام خلع طاعة المصريين والرجوع إلى الدّولة العُثْمَانِيّة.

* **ثالثا**: أن يكون لمراكب روسيا والنمسا وإنكلترا معا حق الدخول في البوسفور لوقاية القُسطَنْطينيَّة لو تقدمت الجُيُوش المصريَّة نحوها.

* **رابعا**: أن لا يكون لأحد الحقّ في الدخول في مياه البوسفور ما دامت القُسطَنْطينيَّة غير مهددة.

* **خامسا**: يجب عَلى الدّول الّتي وقع مندوبوها عَلى هذا الاتفاق أن تصدق عليه في مدّة لا تزيد عن شهرين بحيث يكون التّصَدّيق في مدينة لندن.

وشفعت هذه المعاهدة بملحق مصدق عليه من مندوب الدّولة العلية مبين فيه الحقوق والامتيازات الّتي يمكن منحها لمحمّد علي باشا.

وقبل إمضاء هذه المعاهدة ابتدأت إنكلترا في تحريض سكان لبنان من دروز ومارونية ونصيرية عَلى شق عصا الطاعة.

ثمّ عادت الدّول للاختلاف وكادت تقوم الحَرب مع محمّد علي باشا، ثمّ أرسل قناصل الدّول الأربع المتحدة لمحمّد علي (خلافا لفرنسا الداعمة له)، وعرضوا عليه باسم دولهم أن تكون ولاية مصر له ولورثته وولاية عكا له مدّة حياته وأمهلوه عشرة أيّام لإعطاء جوابه فطلب منهم كتابة بذلك

فلبوا طلبه ثمّ في اليَوْم التّالي افهموه أن فرنسا لا يمكنها مساعدته قط وان الدّول مصممة عَلى تنفيذ ما اتفقت عليه ولو أدى ذلك إلى حرب أوروبية لكنه أصر عَلى عدم القبول والدّفاع عن حقه، وفي ٢٤ أغسطس ١٨٤٠ حضر إليه القناصل ومعهم مندوب الدّولة واخبروه بأنه لا حق له الآن في ولاية عكا، وأن الدّول لا تسمح له إلا بولاية مصر فقط له ولذريته فغضب وطردهم من عنده، فانصرفوا وأعطوه عشرة أيّام أخر لإبداء جوابه بحيث إن لم يجاوب تكون الدّول غير مسؤولة عما يحصل له من الضرر، وبعد انقضاء هذه المدة بدون أن يبدي لهم جوابه كتب القناصل بذلك إلى سفراء الدّول باستانبول فاجتمعوا مع الصدر الأعظم وقرروا باتحادهم اخذ مصر والشّام من محمّد علي باشا، وفي أثناء هذه المدة عجزت فرنسا عن مساعدة محمّد علي باشا، وأرسلت أوامرها لسفنها أولاًبالانسحاب إلى مياه اليونان ثمّ بالعودة إلى فرنسا وتركت مصر والشّام لمراكب إنكلترا تحرق موانئها بمقذوفاتها.

وفي ١١ سِبتَمبر أنزلت العساكر إلى البر في نقطة تبعد نحو ستة أميال في شمال بيروت ولم يتمكن ابراهيم باشا من منعهم لوجود هذه النقطة تحت حماية المدافع الإنكليزية، ثمّ جاء سليمان باشا بلاغ من الأميرالين الإنكليزي والنمساوي بان يخلي مدينة بيروت حالا فطلب منهم مسافة أربع وعشرين ساعة كي يتداول مع ابراهيم باشا فلم يقبل طلبه، وابتدؤوا في إطلاق المدافع عَلى المدينة لمدة يومين، حتَّى هدم أو حرق اغلب المدينة، كما أحرقت كذلك الثُّغُور الشّامية قصد استخلاصها من محمّد علي باشا وإرجاعها إلى الدّولة العُثْمَانِيّة.

وفي أثناء هذه المدة عرض الكومودور نابير عَلى محمّد علي باشا أن الحكومة الإنكليزية تسعى لدى البَاب العالي في إعطاء مصر له ولورثته لو تنازل عن الشّام ورد السفن التركية إلى الدّولة العلية فامتثل لهذا الأمر وقبل هذه الشُّرُوط لحفظ مصر لذريته وتم بينهما الاتفاق في نوفمبر سنة ١٨٤٠، ولم يقبل البَاب العالي هذا الاتفاق إلا بعد تردد وإحجام.

مسألة لبنان: وبمجرد إخلاء الجُيُوش المصريَّة لبلاد الشّام وجبال لبنان تحركت في سكانها الدوافع الدّينيّة القديمة الكامنة، وزادت الدسائس الأجنبيّة لإضرام نار الشقاق وبذر الفتن الداخليَّة توصلا لغاياتهم، وكانت فرنسا مساعدة للمارونية الكاثوليك، وإنكلترا معضدة للدروز ضدهم

لتلجئهم لترك المذهب الكاثوليكي واعتناق المذهب البروتستانتي، فيدخلوا بذل تحت حمايتها الفعلية، ولا يعود لفرنسا حجة حمايتهم لسبب مذهبي، وظن كلّ فريق من هَؤُلَاءِ التعساء أن الدّولة الّتي تغرره تود صلاح حاله وترقيه، ولم ينتبهوا لدخائل هذه السّياسة الخبيثة الّتي لا يتأخر أصحابها عن إهراق دماء الأبرياء توصلا لمآربهم، وبهذه الدسائس ساد الهياج في جميع أنحاء لبنان وظهر ما تكنه صدور سكانه من الأحقاد القوميّة والدّينيّة، حتَّى تعدى الدروز عَلى المارونية في سنة ١٨٤١، ودخلوا دير القمر وارتكبوا فيه ما تقشعر منه الأبدان من النهب والسلب، ثمّ قام الدروز ثانية في سنة ١٨٤٥، وقتلوا المسيحيين وحرقوا جثثهم ثمّ أضرموا النار في الدير بعد أن نهبوا كلّ ما به من المنقولات والأمتعة، بدون أن يحصل أقل أذى **للمبشرين البروتستانت من الأمريكان والإنكليز!!** الأمر الّذي يدل دلالة واضحة عَلى أن هذه المذابح لم تخل من تأثيرهم.

وبسبب هذه الإضطرابات المتعاقبة لم ير البَاب العالي بدا من التدخل في إدارة الجبل لمنع هذه الفتن، فعزل الأمير بشير الشهابي بعد خروج العساكر المصريَّة من الشّام، وعين مكانه واليا عُثْمَانِيّا، وأبطل بذلك جميع امتيازات سكان الجبل الممنوحة لهم قديما، فلم تقبل الدّول الأجنبيّة **الّتي صار تدخلها مألوفا**، وجربت الدّولة العُثْمَانِيّة حلولا عدّة كانت في كلّ مرّة ترضي هذا فتغضب ذاك، وزاد تدخل الدّول الأزمة تعقيدا، وحصلت مذبحة سنة ١٨٤٥ بين الطوائف، فأرسلت الدّولة جُيُوشها واحتلت البلاد سهلا وجبلا بصفة عسكريّة وأجرت فيها الأحكام العرفية ثمّ دارت المحادثات بين الدّول العظمى والباب العالي لتقرير ما يضمن السَّلام في الحال والاستقبال فاجتمعت آراؤهم أخيرا بعد مداولات طويلة واخذ ورد واتفق عَلى حلّ وسط، وبذا انتهت مسألة لبنان مؤقتا، وبما أن الدروز لم يقبلوا هذه التسوية إلا مؤملين نوال زيادة عما فيها طبقا لوساوس مندوب إنكلترا لهم بأنها ستمنحهم مع الوقت السيادة عَلى جميع الشّعوب الساكنة بلبنان، واستمرت الفتن جارية مجراها حتَّى حصلت مذبحة سنة ١٨٦٠ وتدخلت فرنسا عسكريّاً لحماية المارونية، وانسحبت ثانياً بعد توطيد الأمن وحفظ حقوق الموارنة.

حرب القرم وأسبابها:

كانت المنافسات دائمة بين قساوسة الأرثوذكس والكاثوليك بشأن التملك أو إقامة شعائر دينهم في الكنائس المعتبرة عندهم في مدينة القُدس، وكانت فرنسا الحائزة بمقتضى عدّة معاهدات قديمة تدعم الكاثوليك، وكانت روسيا تسعى من جهة أُخرى لتجريد الكاثوليك من هذا الامتيازات لإعطائها للأرثوذكس لتتمكن بواسطتهم من بث سياستها ونشر نفوذها بين رعايا الدّولة العُثمَانِيّة المتمسكين بهذا المذهب، والبالغ عددهم زيادة عن عشرة ملايين نسمة، ثمّ لما عين نابليون الثّالث رئيسا للجمهوريّة الفرنسية الثّانية باسم البرنس لويس نابليون، فاتَح الدّولة العُثمَانِيّة في هذه المسألة، فعين البَاب العالي لجنة مشكلة من عدّة أعضاء مختلفي المذهب لفصلها بمقتضى المعاهدات القديمة، فقررت اللجنة بعد عدّة اجتماعات متوالية الأولوية للكاثوليك في امتلاك عدّة كنائس وأديرة، فعارضت روسيا في نفاذ هذه الاتفاقية، وهددت البَاب العالي بالحَرب لو أمر بنفاذها.

وفي أثناء ذلك عمل القيصر نيقولا عَلى سبر أفكار السّير هاملتون سيمور سفير إنكلترا لدى حكومته مظهرا له ضرورة اتحاد دولتي روسيا وإنكلترا معا عَلى إضعاف نفوذ فرنسا في الشّرق وأخذ الاحتياطيات، لتجزئة بلاد الدّولة العُثمَانِيّة حيث صار من المستحيل شفاء هذا (الرجل المريض) كما صارت تدعى الدّولة العُثمَانِيّة في المحافل الدّولية آنذاك عَلى حد زعمهم، وعرضت روسيا أن تتساهل مع إنكلترا لو ساعدتها عَلى نفاذ مشروعها في إعطائها القطر المصري وجَزِيرَة كريت، فلم يجبه السفير الإنكليزي جوابا شافيا، بل أجاب القيصر أن الأولى معالجة هذا المريض وتعهده بالعناية حتَّى ينقه من مرضه، لأنه لو مات فستحصل حُرُوب أوربية تهدر فيها الدِّماء انهارا عند تقسيم تركته، ولم يكن ذلك من الدّولة الإنكليزية حبا بتقوية الدّولة العُثمَانِيّة أو شغفا ببقائها، بل خوفا من امتداد روسيا في الشّرق واحتلالها الآستانة فتشارك عندها إنكلترا في ملك البحر الّذي انفردت هيَ به.

ولما رأى إمبراطور روسيا عدم إصغاء إنكلترا لطلباته فاتح سفير فرنسا في أمر التساهل معها عَلى تقرير الأمور في بلاد فِلَسطِين طبق مرادها، وعرض عليه أن تتساهل روسيا أيضا مع فرنسا في

مقابلة ذلك بل وتساعدها عَلى امتلاك القطر التونسي لتقوية نفوذها في بلاد الغرب! ومراقبة إجراءات إنكلترا في جَزِيرَة مالطة، لكنه لم يجد من السفير الفرنساوي أيضا أذنا صاغية.

فتحقق للعموم من ذلك أن قصد روسيا الوحيد هو إعلان الحَرب عَلى الدّولة العُثمَانِيّة، وتقسيم ممالكها ولذلك أرسلت فرنسا سفنها البحرية إلى مياه اليونان سنة ١٨٥٣ واستعدادا للحوادث الّتي لم تكن في الحسبان، أما إنكلترا فأذنت لمراكبها بالتربص في مالطة لحين صدور أوامر جديدة لها، وفي أثناء ذلك كانَ البرنس منشيكوف يبذل جهده لدى البَاب العالي للحصول عَلى تجديد شروط معاهدة (خونكاراسكله سي) القاضية بان يكون لروسيا حماية جميع المسيحيين الموجودين ببلاد الدّولة، وكان البَاب العالي يماطله في الإجابة، ثمّ أرسل للباب العالي بلاغا نهَائِيّاً وقطع السفير الرُّوسي العلاقات مع البَاب العالي وبارح الآستانة عَلى إحدى مراكب روسيا.

ولما أبلغت الدّولة صورة هذا البلاغ إلى إنكلترا تحققت من سوء نية روسيا نحو الدّولة العُثمَانِيّة، فانضمت إلى فرنسا وأرسلت إلى سفنها بمالطة أن تنضم إلى السفن الفرنسية وتتحد معها في كافّة أعمالها، ومن ثمّ ظهر لجميع أوروبّا أن فرنسا وإنكلترا متحدتان عَلى حماية الممالك العُثمَانِيّة ضدّ أطماع روسيا، ثمّ أصدرت هاتان الدّولتان أوامرها إلى مراكبها سنة ١٨٥٣ بالاقتراب من بوغاز الدردنيل لمد يد المساعدة للدولة العُثمَانِيّة إذا اقتضى الحال.

واجتازت عساكر روسيا نهر البروث الفاصل بين أملاك الدّولتين في يوليو سنة ١٨٥٣ واحتلت الولايتين فعلا إذ لم يخطر ببال روسيا أن الدّول الغربيّة تتألب مع الدّولة العُثمَانِيّة عَلى محاربتها لحماية الدّولة.

واهتم مندوبو بروسيا والنمسا بالاتحاد مع مندوبي فرنسا وإنكلترا في التوفيق بين الخصمين وإصلاح ذات بينهما منعا لسفك الدِّماء واشتعال نيران الحَرب الّتي ربما عمت أوروبّا بأسرها، وانفض المؤتمر بدون جدوى، ثمّ اجتاز عمر باشا النهر في ٣ نوفمبر ١٨٥٣، وبعد موقعة عظيمة هائلة انتصرت الجُيُوش العُثمَانِيّة عَلى الجُيُوش الرُّوسية وأخرجتها من معاقلها الكائنة عَلى ضفة النهر اليسرى قهرا، وفاز عمر باشا وجُيُوشه فوزا مبينا أدهش جميع العالم لعدم توقع انهزام روسيا، وعندما شاهد

الإمبراطور نيقولا هذا الحال اجتمع مع فرنسوا جوزيف إمبراطور النمسا وفاوضه في خوفه من نجدة الدّول الغربيّة فرنسا وإنكلترا للدولة العُثْمَانِيّة وسأله المساعدة والتَّحالف فلم يقبل الإمبراطور ذلك واظهر له شديد أسفه.

وفي هذه الأثناء تقدمت السفن الفرنسية والإنكليزية إلى بوغاز البوسفور برضا البَاب العالي لتكون اقرب إلى البحر الأسود وإلى حماية الآستانة لو حاول الرُّوس الهجوم عليها بحرا.

وفي نوفمبر سنة ١٨٥٣ فاجأت السفن الرُّوسية السفن التركية الموجودة في ميناء سينوب عَلى البحر الأسود ودمرتها عن آخرها تقريبا مع أنها كانت تعهدت لدولتي فرنسا وإنكلترا بعدم إتيان أي أمر عدواني في البحر الأسود، ومن ذلك الحين صارت الحَرب بين هذه الدّول وروسيا أمرا واقعا لا محالة، لحماية الدّولة العُثْمَانِيّة من عدوان روسيا وأطماعها، لا حبا في الدّولة العُثْمَانِيّة، بل خوفا من امتداد نفوذ روسيا وبسط يدها عَلى الآستانة كما أسلفنا.

وفي مارس سنة ١٨٥٤ أمضي بين فرنسا وإنكلترا والدّولة العلية في مدينة الآستانة اتفاق عَلى محاربة روسيا وحماية الدّولة العُثْمَانِيّة، وأرسل نابليون الثّالث رسالة إلى مجلس النواب يخبره بإعلان الحَرب عَلى روسيا بالاتحاد مع إنكلترا.

وبعد ذلك أخذت الدّولتان المتحالفتان في جمع الجُيُوش وما يلزم لها من المؤن والذخائر والسفن اللازمة لنقلها، وقبل وصول الجُيُوش البرية كانَ القِتَال قد ابتدأ فعلا في البحر الأسود، وفي أثناء ذلك أعلن الإمبراطور نقولا الحَرب عَلى الدّول المعادية له ثمّ زحف الحلفاء بجُيُوشهم، ولما انسحب الجيش الرُّوسي عن ولايتي الأفلاق والبغدان، احتلها الجيش النمساوي!

ولم تعترض روسيا ضدّ هذا الاحتلال خوفا من إغضاب النمسا ودخولها في التَّحالف المنعقد ضدها لتفضيلها وجود جُيُوش النمسا فيهما عَلى وجود الأتراك أو الفرنسيين لعدم ميل النمسا للحرب، ثمّ أرسلت فرنسا وإنكلترا سفنها إلى بحر البلطيق والبحر الأبيض الشمالي، والمحيط الهادي لضرب الثُّغُور الرُّوسية، وفي أواخر هذه السنة دارت الاتّصالات ثانياً في مدينة فيينا للوصول إلى

الصُّلح وإيقاف أضرار الحَرب قبل اشتدادها، وذلك أن فرنسا وإنكلترا عرضتا عَلى النمسا أن تتحد معهما ضدّ روسيا إن لم تقبل روسيا الصُّلح قبل ختام السنة وتتعهد للدول الأربع بطلباتها وهي:

أولاً: عدم استئثار روسيا بحماية مسيحي الدّولة العُثمَانِيّة وحماية ولايتي الافلاق والبغدان.

ثانياً: حرية الملاحة لجميع الدّول في نهر الطونه.

ثالثا: تعديل المعاهدات المختصة بالمرور في ضائق الآستانة وخصوصا معاهدة سنة ١٨٤١.

رابعا: وضع قاعدة جديدة لتوازن القوى في البحر الأسود فتكون هذه المعاهدة الثلاثية الجَدِيدة نافذة المفعول.

ثمّ في ٢٨ ديسمبر اجتمع سفراء إنكلترا وفرنسا وروسيا والنمسا عند وزير خارجية فيينا وقرروا إعطاءه المهلة المطلوبة وبذلك انتهت هذه السنة والآمال متجهة نحو الوصول إلى صلح، ثمّ هاجم الرُّوس العُثمَانِيّين ومن كانَ معهم من الجنود المصريَّة، في مدينة اوباثويا، فردهم عمر باشا القائد العُثمَانِيّ عَلى أعقابهم وكان النّصر بمجرد فضل الجُيُوش الإِسْلَاميّة، وفي مارس توفي إمبراطور روسيا وخلفه ابنه اسكندر الثّاني.

وفي يناير سنة ١٨٥٥ أمضى فكتور عمانويل ملك البيمونتي بايطاليا معاهدة هجومية ودفاعية ضدّ روسيا، وأرسل إلى بلاد القرم جيشا مؤلفا من ثمانية عشر ألف مقاتل، وفي ٢٦ أغسطس انتصر المتحدون في واقعة تراكيتو وأخلى الرُّوس مدينة سباستوبول بعد أن احرقوها عن آخرها، واحتلتها الجُيُوش المتحدة، أو بالأحرى احتلوا أطلالها، وبعد ذلك سارت الجُيُوش المتحدة نحو مدينة قلبرون فاحتلوها، وفي اليَوْم التّالي هدم الرُّوس قلاع مدينة اوتشاكوف وأخلوها قاصدين داخليَّة البلاد، ولولا ابتداء فصل الشتاء الّذي يأتي مبكرا بتلك البلاد، لما وجدت روسيا من الجُيُوش ما يكفي لإيقاف أعدائها عن المدينة كيف المقدّسة لديهم، وفي أثناء سنة ١٨٥٥ أطلقت سفن فرنسا وإنكلترا قنابلها عَلى عدّة ثغور في بحر بلطيق وعطلت التجارة الرُّوسية بالمرة، وكذلك حاصرت مدخل البحر الأبيض الشمالي ومنعت المراكب التجاريَّة من الدخول فيه بالكلية، وبعد ذلك لم تحصل وقائع حربية مهمة بل دخلت المسألة في دور سياسي لتحقق اسكندر الثّاني عدم الفوز خُصُوصَاً وان النمسا قد أظهرت له

العداوة جهارا بعد سقوط سباستوبول وانضمت مملكة السويد إلى التَّحالف الأوروبي ضدها، وانعقد مؤتمر جديد في فيينا في شهر فبراير سنة ١٨٥٥، وتظاهرت باقي الدّول ضدها خُصُوصَاً مملكة السويد الّتي كانت تستعمل معها روسيا طرق التهديد والوعيد للحصول عَلى بعض امتيازات تختص بالصيد عَلى شواطئ النرويج، فأبرمت مع فرنسا وإنكلترا معاهدة هجومية ودفاعية ضدّ روسيا في ٢٠ نوفمبر سنة١٨٥٢ وأعلنتها رسميا لجميع الدّول، وبذلك تحققت روسيا انه صار من المستحيل عليها الانتصار عَلى جميع هذه القوى المتألبة ضدها ومالت إلى السلم قلبا وقالبا منتظرة اقل مفاتحة من الدّول الغربيّة فتلبيها بالقبول، وفي أواخر سنة ١٨٥٥، عرضت النمسا أن يرسل إلى روسيا بلاغا نهَائِيَّاً بطلبات الدّول الأصلية مع ما سبق عرضه من الاقتراحات أثناء المؤتمر الّذي انعقد أخيرا بمدينة فيينا في ابريل سنة ١٨٥٥، وان لم تجب روسيا جميع هذه الاقتراحات يستأنف القِتَال في ربيع سنة ١٨٥٦ بكل شدة وصرامة وتنضم إلى الجُيُوش المحاربة جُيُوش النمسا ومملكة السويد والنرويج، فأقرت الدّول عَلى ذلك وقبلت روسيا هذه الإقتراحات الأكثر تأثيرا عَلى نفوذها مما رفضته في السابق، وبعد محادثات طويلة تمَّ الاتفاق عَلى أن ينعقد مؤتمر سلام جديد في مدينة باريس لتقرير السلم نهَائِيَّاً سنة ١٨٥٦ واختار لرئاسته وزير خارجية فرنسا وفيه أمضيت جميع بنود معاهدة باريس الشهيرة الّتي أوصلت نابليون الثّالث إلى أوج فخاره وأعادت لفرنسا سابق مجدها، إذ أنها لم تشترك في مثل هذه الحَرب من عهد نابليون الأوّل وحفظت للدولة العُثمَانِيّة أملاكها من غوائل روسيا، وتبين فيما بعد أن الدّول الأوروبية دافعت عن الكعكة والغنيمة الّتي ستتقاسمها فيما بعد!!

ومما زاد في أحوال الدّولة العُثمَانِيّة ارتباكا، تدخل الدّول في الشؤون الداخليَّة ومنعها الدّولة العُثمَانِيّة من محاربة الثائرين، بتهديدها بقطع العلائق السّياسيّة ونزول سفرائهم إلى مراكبهم بل وإرسال بعض السفن الحَربية لتقرير مطالب الثائرين، كما أرسلت فرنسا وروسيا مراكبها في سنة ١٨٥٨ إلى سواحل الجبل الأسود لمنع الجُيُوش العُثمَانِيّة من الدخول بهذا القطر ومعاقبة أميره عَلى مساعدة الثائرين في البوسنة والهرسك، ومن هذا يتضح جليا أن الدّولة كانت في أحرج المواقف لعدم وجود مخلص لها أو صديق بين جميع الدّول المسيحية المتألبة عليها سياسيّاً لإضعافها وعرقلة جميع

مساعيها الإصلاحية في داخل بلادها، وتدخل تلك الدّول في أمورها الداخليَّة المحضة، حتَّى خيل للمتأمل أن سفراء الدّول بالآستانة صاروا شركاء لوزراء الدّولة في جميع الأعمال في تلك الفترة.

وفي أوائل سنة ١٨٥٨ توفي الصدر الأعظم رشيد باشا، وخلفه في هذا المنصب الخطير خُصُوصًا في هذه الظّروف السّياسيّ الشهير عالي باشا وولى فؤاد باشا وزيرا للأشغال الخارجيّة وكان كلّ منهما عَلى جانب عظيم من الحذق في الأعمال السّياسيّة وعالما بمقاصد أوروبّا السيئة نحو الدّولة الإِسْلَاميّة الوحيدة فعملا عَلى تسوية جميع المسائل الداخليَّة بحكمة وسداد رأي، حتَّى لم يدعا لسفراء الدّول حقا في التدخل، إذ لم يمض طويل زمن حتَّى عادت السكينة إلى بلاد البوسنة والهرسك، لوعد أهاليها بإصلاح أحوالهم، وكذلك انهيا مسألة الجبل الأسود بتحديد الحدود بمعرفة لجنة مشكلة من أربعة أعضاء (فرنسي وروسي وعُثمَانِيّ وجبلي) وقبلا قرار هذه اللجنة مع إجحافه بحقوق السلطنة، لكن لما كانَ السكون وانتظام الأحوال.

ثمّ حصلت الحَرب بين الموارنة والدروز ١٨٦٠ وأدت إلى تدخل الجيش الفرنسي في لبنان، وبعد خروج الجُيُوش الفرنسية من بيروت بعشرين يوما توفي السُّلطَان عبد المجيد خان في يونيو سنة ١٨٦١، وكانت مدّة حكمه ٢٢ سنة ونصف وفي يوم موته بويع بالخِلافَة لأخيه.

(٣٢) - السُّلطَان الغازي عبد العزيز خان (١٨٦١- ١٨٨٦م):

وقد جرت في عهده جملة من الإصلاحات الداخليَّة منها:

** وضع مجلة الأحكام العدلية **والقوانين الّتي أجازت للأجانب امتلاك العقارات وكافة الحقوق العينية والتصرف فيها بجميع الممالك العُثمَانِيّة بعد أن كانت ممنوعة عنهم كلية وذلك في سنة ١٢٨٥ الموافقة سنة ١٨٦٩.**

** ومنها وضع مجلة الأحكام الشَّرعيَّة ليعمل بها في المحاكم النّظامية الّتي أنشئت وكان جاريا إصلاحها، وكان وضع هذه المجلة بمعرفة لجنة من أشهر متشرعي ذلك العصر من العُلَماء والقانُونيّين والإداريين في الدّولة العُثمَانِيّة.

وبعد الحوادث الّتي مر ذكرها اقتنع السُّلطَان أن تحالف الدّول الأوربية مع الدّولة في حرب القرم وما بعدها لم تكن نتيجة إلا إضعافها بالتدخل في شؤونها الداخليَّة ومساعدة الطوائف المسيحية الخاضعة لها عَلى الانشقاق عنها وبث روح الفتن والفساد في ممالكها تحت غطاء الحريَّة ونشر العلوم، وأن كلّ ذلك يعود بالنفع عَلى روسيا جارتها القوية وعدوتها القديمة، لاسيما وقد عدَّل الدّول بعد الحَرب الفرنسية الألمانية أهمّ بنود معاهدة باريس الّتي أبرمت بعد حرب القرم لحفظ التوازن في البحر الأسود وعدم مراعاتها عقب إبرامها في حق ولايتي الأفلاق والبغدان، فلهذه الاسباب اعتقد السُّلطَان أن الأولى والأنجح لسياسة الدّولة هو التباعد عن الدّول الغربيّة والتَّحالف مع روسيا، وعضده في هذا الفكر الصدر الأعظم محمود نديم باشا، فأكثر السُّلطَان من الاجتماع مع سفير روسيا بالآستانة، والمتواتر وان لم تثبته أوراق رسمية أنهما كانا يسعيان لوضع أساس معاهدة هجومية ودفاعية يكون من أهمّ بنودها الاختصاص بجميع بلاد الشّرق وأن تتبع الولايات الإِسْلَاميّة الّتي يغلب فيها العنصر الإِسْلَاميّ للدولة العلية الإِسْلَاميّة، وضم جميع الأقاليم المسيحية أو الّتي يسود فيها هذا العنصر للدولة الرُّوسية ولما شاع هذا المشروع، لم يرق للدول الأوروبية الّتي لها مصالح في الشّرق، وخصوصا إنكلترا، فاخذ عمالهم وسفراؤهم الظَّاهِرون والسريون يعملون حتَّى اقنعوا الوزراء بوجوب عزله وصادفت مساعيهم أذنا صاغية عند بعض العُلَماء لما خالج صدورهم من عدم الميل للسلطان بسبب فسوقه العَلنيّ وزيارته معرض باريس وحضوره المسارح والمراقص، فقد كانَ خليفة (عكروتا) كما يدعو أمثاله أهل الشّام.

و أصدر شيخ الإِسْلَام فتوى بوجوب خلعه هذا نصها: (إذا كانَ زيد الّذي هو أمير المُؤمِنِين مختل الشعور وليس له إلمام في الأمور السّياسيّة وما برح ينفق الأموال الميرية في مصارفه النّفسانية، في درجة لا طاقة للملك والملة عَلى تحملها، وقد اخل بالأمور الدّينيّة والدنيوية وشوشها وخرب الملك والملة، وكان بقاؤه مضرا بها فهل يصح خلعه ؟: الجواب: يصح، كتبه الفقير حسن خير الله عفى عنه).

وخلع في ٣١ مايو ١٨٧٦ م، ثمّ حصلت المبايعة للسلطان الجَدِيد مراد خان الخامس من جميع الحاضرين عَلى الأسلوب المتبع.

(٣٣) - السُّلطَان مراد الخامس (مايو١٨٨٦- أغسطس ١٨٨٦ م):

هو ابن السُّلطَان عبد المجيد خان ارتقى منصب الخِلافَة في ٣١ مايو ١٨٧٦ وقيل أنه كانَ متعلما متثقفا بالثقافات الغربيّة، مقتنعا بالمساواة بين جميع أصناف رعيته، ولكنه زُعم أنه ظهرت عليه علامات الاضطراب العصبي عقب توليته بنحو أسبوع ثمّ ازدادت شيئا فشيئا، وكان الصدر الأعظم يخفي هذا الأمر عن العموم، لكن ذاع خبره لعدم إجراء الاحتفال بتسليمه السّيف السلطاني في جامع أبي أيوب الأنصاري، حسب العادة، ولعدم مقابلته قناصل الدّول ليقدموا إليه أوراق تجديد تعيينهم لدى حكومته، وأخيرا لما اشتد عليه الحال استدعى الوزراء الطبيب ليدز ورف النمساوي الشهير بمداواة الأمراض العقليَّة، فحضر وبعد أن فحصه ولازمه عدّة أيّام متفرسا كلّ ما يبدو منه من الأقوال والإشارات، واستعلم عن عاداته وكيفِيَّة معيشته قَالَ بتعسر برئه من هذا المرض، فتشاور الوزراء في الأمر ثمّ عرضوا عَلى أخيه عبد الحميد أفندي أن تسلم إليه مقاليد الأحكام حيث حكم الأطباء بعدم لياقة أخيه السُّلطَان مراد لإدارة مهامها، واجتمعوا في يوم الأربعاء ١٠ شعبان سنة ١٢٩٣ ٣١ أغسطس سنة ١٨٧٦ وقرروا بوجوب المبايعة لمولانا السُّلطَان عبد الحميد خان الثّاني، واستفتوا مولانا شيخ الإِسْلَام في الأمر فأفتى بوجوب عزله وهذه نص الفتوى: (إذا جنَّ إمام المُسلِمِين جنونا مطبقا ففات المقصود من الإمامة، فهل يصح حلّ الإمامة من عهدته ؟ الجواب: يصح والله اعلم، كتبه الفقير حسن خير الله عفى عنه).

أقول: ويجب النَّظر بعين الشك إلى ما يرويه المؤرخون عن تلك المَرحَلَة الّتي سيطر فيها الماسون عَلى أمور الدّولة العُثْمَانِيّة الداخليَّة والخارجيّة، بدءا من مرحلة ما بعد السُّلطَان عبد المجيد والله أعلم بتفاصيل هذه الواقعة، وشهودها من الطبيب النمساوي، إلى آخر من تولاها.

(٣٤) - السُّلطَان الغازي عبد الحميد خان الثّاني (١٨٨٦- ١٩٠٩ م):

تزايدت ضغوط المفسدين عَلى السُّلطَان من أجل إلزامه بالدستور الّذي كانَ أهمّ أهدافه مساواة المُسلِمِين بالرعايا من اليَهُوْد والنّصَارى، وتمكن الفساد باستلام مدحت باشا الصدارة سنة ١٨٧٦ وكان من أشد المنادين بهذه الإصلاحات.

والحقيقة – كما أشرت آنفا – فإنه يجب النَّظر بعين الريبة والتدقيق لمعظم ما كتب عن تاريخ الدّولة العُثمَانِيّة خلال القرن الأخير من حياتها، لأن الماسون واليَهُوْد كانوا قد تغلغلوا في الجيش وعموم دوائر الدّولة، ولم يتيسر لي الإطلاع عَلى مصادر تفصيلية عن تاريخ تلك المَرحَلَة، ويُستنتج مما بلغنا عن مؤامراتهم عَلى السُّلطَان عبد الحميد الّذي انقلبوا عليه، أن تلك الدسائس كانت قد بدأت قبل عهده بعدة عقود، منذُ زاد نفوذ القناصل الأوربيين، وازداد تعلق الطّبقة الجَدِيدة من السّياسيّين والضُّبَّاط، وحتى بعض السّلاطين بالنموذج الأوربي للحضارة والسّياسة، ونهش الماسون واليَهُوْد في بنية الدّولة، إلى أن آلت لإسقاطها عَلى يد ربيب يهود الدونمة المدعو (أتاتورك)**!**

- **ولنتأمل فيما كتب فريد بك المحامي (صاحب مصدرنا الأساسي (كتاب تاريخ الدّولة العُثمَانِيّة)، ويبدو أنه مصري من أصل تركي، وقد نشر كتابه سنة ١٩٠٩ فيما يبدو والله اعلم، وكتابه يؤيد(جَمعيَّة الإتحاد والترقي) الماسونية، الّتي أشرفت عَلى خلع السُّلطَان عبد الحميد، فقد كتب يقول:**

الدستور العُثمَانِيّ والنهضة الوطنيّة والإصلاحات في الدّولة العُثمَانِيّة:

(توفي السُّلطَان سليمان القانُونيّ سنة ١٥٦٦ م والدّولة العلية في إبَّان مجدها وأوج عظمتها وكانت ممالكها تحد شرقا بالحدود الهندية وغربا بالمحيط الأطلنطي وكانت أوروبّا ترهب سطوته وتخشى قوته، فخلفه من بعده ملوك لم يتعقبوا خطواته ولم ينهجوا منهجه لاسيما وقد تألبت عليها الدّول الأوروبية واختلفت عليها الفتن الداخليَّة، فبدأت في الانحطاط وانسلخت منها أجزاء كثيرة، وكانت أحيانا تنحط إلى أن تولى الخِلافَة السُّلطَان سليم الثّالث سنة ١٧٨٩، والبلاد في اختلال والأحكام في ضعف والإنكِشَارِيّة قابضون عَلى زمام الأمور يولون من شاؤوا من السّلاطين، ويخلعون من شاؤوا ويقتلون من لم يسر وفق أهوائهم وأغراضهم، والبلاد في فوضى كادت تمزق شملها، فهاجه حب الإصلاح وصرح بميله إلى تنظيم الجند عَلى النمط الحديث وتسليحهم بالأَسْلِحة الحديثة الاختراع فلم يوافق

ذلك الإنكِشَارِيّة فبطشوا به فمات والإصلاح في مهده، {**وانتبه لمديح الكاتب فإن السُّلطَان سليم هو أول من جاهر بالفسوق وبعملية التغريب وخلع بفتوى من المفتي**}.

عَلى أن الفكرة رسخت في أذهان العُثمَانِيّين فتلقاها السُّلطَان محمود وعمد إلى الإصلاح من الوجهة الإدارية والعسكريّة فبدد جند الإنكِشَارِيّة واحل محلهم جيشا منظما واخذ يبعث بمنشورات الإصلاح إلى الولاة والحكام ولكنه توفي ولم يتمم من فروع الإصلاح إلا تنظيم الجند تنظيما غير تام، وكانت فكرة الإصلاح قد سرت بين فئة من رجال الدّولة فقاموا يبثونها عَلى عهد السُّلطَان عبد المجيد والسلطان عبد العزيز وأعظمهم شأنا وأعلاهم يدا مصطفى رشيد باشا وعالي باشا وفؤاد باشا، فلما توفي السُّلطَان محمود وخلفه السُّلطَان عبد المجيد، نشر خط الكلخانة المشهور سنة ١٨٣٩ م أي في ٢٦ شعبان سنة ١٢٥٥ هجرية، فكانت له ضجة اهتزت لها أوروبّا **واخذ رجال الدّولة منذُ إصدار ذلك الخط الهمايوني ينظمون القوانين الخاصّة لكل فرع من فروع القضاء**، ثمّ تألفت لجنة جمعت أعاظم الأساتذة العُثمَانِيّين فألفوا المجلة الشَّرعيَّة الّتي صدرت الإِرادَة الشاهانية من السُّلطَان عبد العزيز عام ١٢٨٩ هجرية بالسير حسب نصوصها وسن قانون الأراضي سنة ١٢٧٤ هجرية وقانون الطابُّو سنة ١٢٧٥ هجرية وقانون الجزاء سنة ١٢٧٤ هـ **وكل هذه القوانين مقتبسة من القوانين الفرنسية مع مراعاة نصوص الشّريعة الإِسْلَاميّة (!!)** ثمّ وضع قانون التَّابعية (الجنسية) العُثمَانِيّة وتنظيم المحاكم الشَّرعيَّة!والمحاكم النّظامية والمحاكم التجاريَّة{**وهي قوانين وضعِيَّة**} ونظامات الإدارة الملكية، ونظام إدارة الولايات، ونظام شورى الدّولة، ووضعوا نظاما للمعارف، ونظاما للمطبوعات، ونظامات أُخرى للمطابع والطبع وحقوق التأليف والترجمة، ونظامات للرسومات وآخر للمعادن وغيره للطرق والمعابر وغير ذلك مما يقتضيه سير الحضارة ويلائم حالة الأُمّة، وبالجملة فإنهم لم يتركوا شيئا من لوازم إدارة الدّولة حتَّى دونوا له قانونا، فمجموع هذه القوانين والنّظامات كانَ معروفا في بلاد الدّولة العلية **بالدستور**.

{وبالطبع فقد كانت مبارزة الله تَعَالَى بالحَرب بالتَّشريع من دونه أول بوادر البوار والخسران وتألب الأَعدَاء، فإنه:

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت]

ومع ذلك فكان الحكم مطلقا وإِرادَة السُّلطَان فوق كلّ قانون، وفي المدة الوجيزة الّتي جلس فيها السُّلطَان مراد عَلَى سرير الملك كانَ **مدحت باشا** وحزبه الحر قد انتهى من إعداد القانون الأساسي وترتيب نظام مجلس المبعوثين، {ومدحت باشا هذا هو رأس الأفعى الماسونية كما سيأتي تعريفه وبيانه}

القانون الأساسي والسلطان عبد الحميد:

خلع السُّلطَان مراد سنة ١٢٩٣ هجرية الموافق ١٨٧٦ م وجلس السُّلطَان عبد الحميد عَلَى عرش الخِلافَة وكان قد وعد **رئيس الأحرار مدحت باشا** قبل جلوسه عَلَى العرش بمنح القانون الأساسي وإمتاع الأُمّة العُثْمَانِيّة بالحريَّة، إلا أن عبد الحميد اظهر حين جلوسه علامات دلت عَلَى إخلافه وعده، فمن ذلك انه جمع أعداء الأحرار وأضداد القانون الأساسي وعينهم في السراي لتقوية مركزه، مع انه وعد مدحت باشا بتعيين الشاعر العُثْمَانِيّ الكبير نامق كمال بك زعيم الانقلاب، وضياء باشا الأديب السّياسيّ الشهير، مشيرا فاخلف وعده، كما انه كانَ يسعى جهده لاستمالة الرَّأي العام إليه فكان يخدع الأهالي، إلا أن الأحرار لم ينخدعوا واستعدوا للمناضلة في سبيل القانون الأساسي، وكانت الدّولة في ذلك الوقت تحارب الصّرب فهزمتها واستولى العُثْمَانِيّون عَلَى قلعة اكسناج ووضعت شروطا قاسية عليهم، ولكن هذه الدّول رفضت هذه الشُّرُوط وطلبت من البَاب العالي إبقاء الصّرب عَلَى ما كانت عليه قبل الحَرب ومنح البوسنة والهرسك الّتي كانت ثائرة أيضا إدارة مستقلة مع منح البلغار مثلها، فكان ذلك سببا لطمع الصّربيين فقرروا محاربة الدّولة ونظم جُيُوشهم المهندسون الرُّوس.

ولكن كانَ الانهزام نصيبهم فاستولى العُثْمَانِيّون عَلَى الكسناج وبلغراد وساروا نحو العاصمة بلغراد فاستنجد أمير الصّرب بروسيا فأمر قيصرها سفيره في الآستانة بتقديم بلاغ شديد اللهجة إلى البَاب العالي، وقرر بعد ذلك عقد مؤتمر في الآستانة للنظر في أمر البلقان، وبالجملة فقد كانَ مركز الدّولة العلية حرجا للغالية لأن أوروبّا كلها تألبت عليها وكان يشتم من بلاغ سفير روسيا رائحة الحَرب، فقرر الوكلاء إذ ذاك منح القانون الأساسي للتخلص من هذه الغوائل، واقتنع السُّلطَان عبد

الحميد بوجوب تنفيذه لأنه كان من المستحيل قبول طلبات أوروبّا، ولاتقاء الأخطار الّتي تنجم من رفض تلك الطلبات كانَ الواجب إجراء بعض الإصلاح الّذي لا تتمكن أوروبّا من انتقاده هو تنفيذ القانون الأساسي.

{وانتبه لضغوط أوربّا لفرض الماسون، والدستور الوضعي عَلى الدّولة العُثْمَانِيّة، إذ يتابع فريد المحامي فيقول:}

وفي ذلك الوقت تعين مدحت باشا صدرا أعظما، وذلك لأن الدّول الأوروبية كلها تثق به، لعلمها أنه رئيس الأحرار وواضع القانون الأساسي، وقرر السُّلطَان عبد الحميد تعيين مدحت باشا كي ينظر في مسألة (المؤتمر الأوروبي) الّذي قررت الدّول عقده في الآستانة، فكان أول ما قام به مدحت باشا هو إنهاء المنازعات بين الدّولة وبين الصّرب والجبل الأسود وبلغاريا، وفي ٢٤ ديسمبر ١٨٧٧ اجتمع الوكلاء والعُلَماء والأمراء وغيرهم في البَاب العالي ثمّ اقبل مدحت باشا وقرأ الإِرادَة الشاهانية الّتي منحت الأُمّة العُثْمَانِيّة الدستور والحريَّة.

على أنه لم يكد ينتظم مجلس المبعوثين وينظر في شؤون الدّولة حتَّى صدرت الإِرادَة الشاهانية بفضه فتقوضت كلّ أركان ذلك البناء وابتليت الأُمّة بطور استبداد جديد لم تعهد نظيره حتَّى في عصور الظُّلمات، هدم السُّلطَان عبد الحميد ما بناه الأحرار ولكن رغما من ذلك لم تمت الفكرة في رؤوس العُثْمَانِيّين فان هذا الجسم عَلى قوته الكامنة بل عَلى ضعفه الظَّاهِر لم يقو عَلى تحمل أذى الحكومة الحميدية بما انتابته من ضروب الظُّلم لاسيما وألوية الحُكُومَات الدستورية قد انتشرت من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق وكواكب الحريَّة قد سطعت في كلّ مكان.

فبدأ الأحرار يعملون ليل نهار حتَّى انتصروا ذلك الانتصار الباهر عام ١٩٠٨ فنالت الأُمّة العُثْمَانِيّة الدستور بجِهَاد جيشها الباسل وانتشرت الفكرة الوطنيّة من عهد **مدحت باشا** وساعد عَلى انتشارها قصائد الشاعر العظيم **نامق كمال بك** الّذي أدركه الموت في سجن ماغوسه، وألف **نيازي بك** أول عِصَابة في رسنة، وسار عَلى إثره **أنور بك** و**رائف بك**، و**حسن بك**، و**صلاح الدّين بك** .

أما **إدارة الحركة فكانت في سلانيك** و**الجَمعيَّة العمومية للاتحاد والترقي في باريس** وكان الجميع يجتهدون لنشر الأفكار الحرة والمبادئ الدستورية، ومما ساعدهم عَلى نشر أفكارهم انه لم يكن بينهم خائن فقويت حركتهم واتسعت حتَّى أصبح لا يمكن بقاؤها تحت طي الخفاء، وكانت لجنة الاتحاد والترقي وقفت مقدما عَلى القوى الّتي يمكنها أن ترتكن عليها فوجدتها كافية وهذه القوى مؤلفة من الفيلقين الثّاني والثّالث المعسكريّن في مناستر واسكوب وأدرنه وأزمير، ومن الفيلق الرَّابع المُعَسْكَر في أرض روم، فكان من المستحيل عَلى الحكومة الحميدية إرسال الفيلق الأوّل المُعَسْكَر في الآستانة لمحاربة الدستوريين لأنه لا يمكن تجريد العاصمة من الجند، ومع ذلك فكان أغلب الضُّبَّاط منضمين إلى الدستوريين، وكان جنود الفيلق الثّاني والثّالث أكثر من غيرهما فبدأ الدستوريون يؤلفون عِصَابات وطنيّة لمقاومة الحكومة إذا حاولت عرقلة مساعيهم فقامت عِصَابة نيازي بك ثمّ ظهرت عِصَابة أنور بك ورائف بك وحسن بك وغيرهم.

وانتهى الدستوريون من وضع الخطة في أواخر شهر يونيو سنة ١٩٠٨ فأرسلت الحكومة الحميدية شمسي باشا لاقتفاء أثر عِصَابة نيازي بك، ولكنه قتل قبل أن يبدأ في مهمته، وأرسلت أيضا من أزمير ثلاثين فرقة من فرق الرديف فانضمت إلى الدستوريين وقوت صفوفهم وفي يوم ٢١ و٢٢ و٢٣ يوليو أرسل الدستوريون التلغرافات إلى الصدر الأعظم من سالونيك ومناستر واسكوب وسيريس، هددوا فيها الآستانة بالزَّحف عليها إذا لم يعلن الدستور، فلما وصلت هذه التلغرافات إلى السُّلطَان عبد الحميد أصدر الإِرادَة الشاهانية بمنح الدستور والقانون الأساسي.

الحادثة الإرتجاعية وخلع عبد الحميد:

تفرق شمل المستبدين منذُ إعلان الدستور وازداد النفور بينهم وبين لجنة الاتحاد والترقي فأخذوا يفكرون في اجتثاث أصول الفساد.

فشجعوا أولاً الجرائد عَلى الكتابة ضدّ الجَمعيَّة ثمّ قامت حامية الآستانة بإيعاز من أركان السراي ولخصوا مطالبهم في شكل ديني كي ينضم إليهم أهالي الآستانة وها هيَ مطالبهم:

١ – إحياء الشّريعة.

٢– عزل الصدر الأعظم وناظري الحَربية والبحرية.

٣ – طرد أحمد رضا بك وحسين جاهد بك وجاويد بك ورحمي بك وطلعت وإسماعيل حقي بك...الخ من المجلس.

٤– عزل محمود مختار باشا لأنه لم يشترك معهم.

٥– العفو عنهم.

فعقد مجلس المبعوثين اجتماعا فوق العادة ومع أن عدد الأعضاء لم يتجاوز الخمسين فإنهم قرروا إجابة مطالب الثوار وانتخبوا وفدا منهم ليبلغ السُّلطَان قرارهم فتعين إذ ذاك توفيق باشا صدرا أعظم وادهم باشا ناظرا للحربية وقرر العفو عن الجنود فبدأ أولئك يطلقون البنادق احتفالا وكان يبلغ عدد أولئك ثلاثين ألفا واجتمع المجلس مرّة أُخرى بعدها فقرر قبول استقالة الرَّئيس أحمد رضا بك وانقلبت لهجة الجرائد انقلابا إجباريا فباتت تتكلم عن السُّلطَان عبد الحميد كما كانت تتكلم عنه أيّام الاستبداد وكانت الحالة كذلك في الآستانة، فوردت الأنباء بمجيء الجنود من (الرُّوم ايلي) لحماية الدستور ومجلس المبعوثين، ثمّ حاصر جيش الحريَّة الآستانة فأوفد المبعوثون وفدا لمقابلته، ودخل الجيش تحت قيادة محمود شوكت باشا الآستانة وحاصر يلديز وحدثت هناك موقعة كبيرة انتهت بتسليم حامية يلديز ولكن السُّلطَان عبد الحميد استمر عَلى المُقاوَمة فقرر جيش الحريَّة أن يحمل الحملة الأخيرة فأطلقت القنابل عَلى حامية البَاب العالي والنادي العسكريّ واستولت عليهما ثمّ قبضت عَلى الكثيرين من أنصار الحكم القديم الّذين أثاروا الفتن ومن بينهم مراد بك الداغستاني، واعدم الجواسيس رميا بالرصاص، ويقدر عدد القتلى ١٢٠٠ قتيل وحاصرت الجنود الدستورية بعدها قشلاقات(مُعَسْكَرَات) اسكودار فاستولت عليها ولم يبق إذ ذاك أي خطر عَلى القانون الأساسي فعاد أعضاء البرلمان إلى الآستانة واجتمعت الجَمعيَّة العمومية لتتداول في أمر السُّلطَان عبد الحميد، وكانت النَّتِيجَة عزل السُّلطَان عبد الحميد وتولية السُّلطَان رشاد مكانه.

وتم يوم ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٩ تتويج السُّلطَان رشاد باسم السُّلطَان محمّد الخامس وبالجملة فان أنصار الاستبداد أثاروا فتنتهم الأخيرة فوقع الدستور في أزمة شديدة وتشتت شمل عشاقه وحماته، وترقب الملأ أن يعيد السُّلطَان عبد الحميد ما فعله مع الدستور الأوّل، ولكن كانت الرّوح الدستورية قد قويت في قلوب العُثمَانِيِّين وارتكزت عَلى قوة الجند فاحتمل أنصار الدستور تلك الضربة بالصّبر والثّبات وتجدد النزاع الطبيعي بين الاستبداد والحريَّة وانتهى بخلع السُّلطَان عبد الحميد.

(...)إلا أن عبد الحميد الّذي طبع عَلى الاستبداد لم يرقه أن يرى أمته متمتعة بالحريَّة راقية أوج الكمالات منظّمة أمورها بنفسها مقيمة العدل فسولت له نفسه إحداث تلك الفتنة الارتجاعية لتقويض صروح الإدارة الدستورية ولولا أن أدرك الآستانة في ذلك الوقت بطل الحريَّة وقائد جيش الفدائيين محمود شوكت باشا، وبطلا الحريَّة نيازي بك وأنور بك لتم له ما أراده ولذهبت أتعاب **حزب الاتحاد والترقي الّذي جاهد في سبيل الحريَّة ثلاثين عاماً** أدراج الرّياح.

واجتمع المجلس العمومي اجتماعا سريا وخلع عبد الحميد بموجب فتوى من شيخ الإِسْلَام هذا نصها: (إذا اعتاد زيد الّذي هو إمام المُسلِمِين أن يرفع من الكتب الشَّرعيَّة بعض المسائل المهمة الشَّرعيَّة وان يمنع بعض هذه الكتب ويمزق بعضها ويحرق بعضها وان يبذر ويسرف في بيت المال ويتصرف فيه بغير مسوغ شَرعِيّ وان يقتل الرعية ويحبسهم وينفيهم ويغربهم بغير سبب شَرعِيّ، وسائر أنواع المظالم ثمّ ادعى انه تاب وعاهد الله وحلف انه يصلح حاله ثمّ حنث وأحدث فتنة عظيمة جعلت أمور المُسلِمِين كلها مختلة، وأصر عَلى المقاتلة وتمكن منعة المُسلِمِين من إزالة تغلب زيد المذكور ووردت أخبار متوالية من جوانب بلاد المُسلِمِين أنهم يعتبرونه مخلوعا وأصبح بقاؤه محقق الضرر وزواله محتمل الصلاح فهل يجب احد الأمرين خلعه أو تكليفه بالتنازل عن الإمامة والسلطنة عَلى حسب ما يختاره أهل الحلّ والعقد وأولي الأمر من هذين الوجهين، الجواب: يجب. **كتبه الفقير السيد محمّد ضياء الدّين عفى عنه**).

فلما قرئت هذه الفتوى الجليلة عَلى الأعيان والمبعوثين سألهم سعيد باشا رئيس الأعيان الّذي كانَ يرأس الجلسة أتختارون خلعه أم تكليفه بالتنازل، فأجابوا بصوت واحد الخلع، الخلع.

وهذه ترجمة قرار هذا المجلس العمومي المُؤلّف من الأعيان والمبعوثين: يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ و١٤ نيسان سنة ١٣٢٥ / ٢٧ ابريل ١٩٠٩ م (قرئت الفتوى الشَّرعيَّة الموقع عليها بتوقيع شيخ الإِسْلَام محمّد ضياء الدّين أفندي في المجلس العمومي المُؤلّف من المبعوثين والأعيان، ورجح بالاتفاق وجه الخلع الّذي هو أحد الوجهين المخير بينهما، فاسقط السُّلطَان عبد الحميد خان من الخِلافَة الإِسْلَاميّة والسلطنة العُثْمَانِيّة، واصعد ولي العهد محمّد رشاد أفندي باسم السُّلطَان محمّد خان الخامس إلى مقام الخِلافَة والسلطنة.

[انتهى كلام فريد بك، وينتهي هنا التلخيص من كتابه بتصرف كبير.]

ولكن الحقيقة كانت غير ذلك الّذي زعمه محامي الإتحاد والترقي هٰذا، فقد كانت باختصار أن:

اليَهُوْد ومسألة فِلَسطِين وتناهب الدّول الاستعماريّة للعالم الإِسْلَاميّ كانت السبب الأساسي وراء خلع السُّلطَان عبد الحميد:

فقد كتب الشَّيْخ عبدالله عزام يقول في كتابه الهام جدا: (خط التّحول التّاريخي):

إن معظم الأحداث الكبرى الّتي جرت في المنطقة الإِسْلَاميّة - العربيَّة خاصّة - كانت ترمي إلى الهدف الكبير الّذي وضعه هرتزل ومن ورائه اليَهُوْد نصب أعينهم وهو الوصول إلى أرض الميعاد كانَ أمام اليَهُوْد عقبة كأداء لا يمكن تجاوزها وهي الدّولة العُثْمَانِيّة وعلى رأسها السُّلطَان عبد الحميد الثّاني الّذي حكم بين (١٨٧٦-١٩٠٩)

حاول اليَهُوْد أولاًإغراء السُّلطَان الصّالح عبد الحميد، فالسلطان عبد الحميد وصل إلى الخِلافَة في وقت كادت الماسونية تأخذ بخناق الدّولة حيث تمكن **مدحت باشا - أبو الأحرار كما يسمونه - وبعبارة أدق في نظرنا (أبو الماسونية آنذاك)** أقول تمكن أن يخلع خليفتين ويقتل السُّلطَان عبد العزيز عم السُّلطَان عبد الحميد، واشترط عَلى السُّلطَان عبد الحميد قبل أن يأتي إلى الحكم أن يعلن الدستور "أي الدستور العلماني الغربيّ الّذي يتساوى فيه اليَهُوْد والنّصَارى مع المُسلِمِين - وكان السُّلطَان عبد الحميد شخصية داهية ذكية معتزة بربها فقبل، **وبعد أن وصل إلى الحكم ألقى القبض عَلى مدحت باشا وأودعه السّجن في الطائف وأخيرا قتل مدحت في السّجن بطريقة ذكية مما أثار سخط العالم الّذي تحركه**

الماسونية عَلى السُّلطَان عبد الحميد، إلا أن تلاميذ مدحت واصلوا التخطيط للانتقام من السُّلطَان عبد الحميد.

ولنرجع إلى هرتزل الّذي توجه إثر انتهاء مؤتمر بال سنة (١٨٩٧) لمقابلة السُّلطَان عبد الحميد وأخذ معه حاخام القُسطَنْطينيَّة (موسى ليفي) وعرضوا عَلى السُّلطَان عروضا منها:

١- إنشاء أسطول عُثمَانِيّ.

٢- دعم سياسة العُثمَانِيّين في العالم الخارجي.

٣- مساعدة اليَهُوْد للسلطان في تحسين أوضاعه المالية.

٤- إنشاء جامعة عُثمَانِيّة في القُدس.

قَالَ هرتزل " مثلا لو رضي مولانا وباع لنا الأراضي الّتي ليس لها مالكون في فِلَسطِين بالثَّمن الّذي يقدره" فغضب السُّلطَان وقال: (إن أراضي الوطن لا تباع، إن البلاد الّتي امتلكت بالدِّماء لا تباع إلا بالثَّمن نفسه)

ولم ييأس هرتزل وقابل السُّلطَان مرّة ثانية (١٩٠١) وفي هذه المرة عرضوا عَلى السُّلطَان نفسه (١٥٠) مائة وخمسين مليونا من الجنيهات الذهبية الإنجليزية فقال (إنكم لو دفعتم ملء الأرض ذهبا – فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإِسْلَاميّة والأُمّة المحمّدية ما يزيد عَلى ثلاثين سنة، فلن أسود صحائف المُسلِمِين آبائي وأجدادي من السّلاطين والخُلَفَاء العُثمَانِيّين).

ولقد كانت المقابلة هذه المرة مع (قرة صو) المحامي اليَهُوْدي الماسوني الّذي أشرف عَلى محفل سالونيك.

ولقد نقلت بعض المصادر أن السُّلطَان صاح في وجه هرتزل (أخرج من وجهي يا سافل) وصاح بالحاجب الّذي أدخله قائلا (أما كنت تعلم ما يريده هذا الخنزير مني)

فطار هرتزل مع قرة صو إلى إيطاليا وأرسل (قرة صو) برقية إلى السُّلطَان.

(ستدفع الثَّمن هذه المقابلة من نفسك وعرشك).

يقول هرتزل في مذكراته: (**ونصحني السُّلطَان عبد الحميد بأن لا أتخذ أية خطوة أُخرى في هذا السبيل لأنه لا يستطيع أن يتخلى عن أي شبر واحد من أرض فِلَسطِين إذ هيَ ليست ملكا له، بل هيَ لأمته الإِسْلَاميّة الّتي قاتلت من أجلها وروت التربة بدماء أبنائها.... وقال عبد الحميد: إن عمل المبضع في بدني لا أهون علي من أن أرى فِلَسطِين تقتطع من امبرطوريتي، ثمّ قَالَ: وفر نقودك يا هرتزل فعندما يذهب عبد الحميد ستأخذون فِلَسطِين مجانا**).

وبعد هذا صمم اليَهُوْد عَلى الإطاحة بعبد الحميد: وفي سنة (١٩٠٤) فجروا عربة أمام المَسجِد الّذي يصلي فيه السُّلطَان صلاة الجمعة ونجاه الله من الموت وقتل كثير من النّاس.

وتكالب الماسون عَلى إقصائه، ودفعت الماسونية بعملائها إلى أن تصدروا المناصب العليا في الدّولة أمثال طلعت باشا، أنور باشا – وزير الحَربية – أرستيدي باشا – رومي أصبح وزيرا للنافعة، جمال باشا – حاكم الشّام – مصطفى كما باشا قائد جبهة الشّرق العربيّ في الحَرب العَالَمِيّة الأولى جاويد باشا (دافيد باشا) – وزير المالية.

حسين جاهد يالشين أحد أعضاء لجنة التوفيق الثّلاثة (أمريكي وفرنسي وتركي) بين العَرَب واليَهُوْد وأصبح السُّلطَان يجد نفسه يوما بعد يوم محاطا برجال اشترتهم الماسونية من خلال جَمعيَّة (الإتحاد والترقي) وأصبحت قبضته تخف تدريجيا حتَّى استطاعوا أن يجبروه عَلى إعلان الدستور، فأنشأ مجلس المبعوثان (مجلس النواب) الّذي دخله اليَهُوْدي والنّصراني والمسلم وجاء (قرة صو) إلى مجلس المبعوثان.

وكان إعلان الدستور نصرا للنصارى واليَهُوْد في كلّ الأرض حتَّى أهدى **جورجي زيدان النّصراني – دار الهلال – كتابه الإنقلاب العُثمَانِيّ إلى الأبطال!!؟** الّذين أعلنوا الدستور سنة (١٩٠٨)، ثمّ استطاع الماسون أن يحركوا الجيش بقيادة محمود شوكت – العربيّ – وللأسف – واجتمع مجلس النواب لينتزعوا قرارا بالإطاحة بالسلطان، ولقد كانت أصابع ناحوم حاييم (حاخام القُسطَنْطينيَّة) بارزة في الأمر، وقدم كتاب الخلع إلى السُّلطَان عبد الحميد ثلاثة.

١- قره صو. ٢-أستيدي باشا. ٣- عارف حكمت الّذي كانت أمه خادمة في قصر السُّلطَان فأخذ السُّلطَان ابنها هذا – عارف – وأدخله في البحرية حتَّى أصبح ياورا في البحرية.

كانَ إقصاء السُّلطَان عبد الحميد عن الخِلافَة في نيسان سنة (١٩٠٩) وكانت هذه أكبر طعنة وجهت للإسلام، وفي تلك الليلة الّتي نزل فيها السُّلطَان عبد الحميد عن سدة الحكم نستطيع القول بأن:

الإِسْلَام الفعلي أزيل من الوجود والشهود وسقطت فِلَسطِين – حقيقية – في يد اليَهُوْد.

يقول أنور باشا – أحد أقطاب الماسونية والإنقلاب عَلى السُّلطَان عبد الحميد مخاطبا جمال باشا أتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟

نحن لم نعرف السُّلطَان عبد الحميد فأصبحنا آله في يد الصّهيونيّة واشترتنا الماسونية العَالَمِيّة، نحن بذلنا جهودنا للصهيونية فهذا ذنبنا الحقيقي.

ويقول برنارد لويس: (لقد تعاون الإخوة الماسون واليَهُوْد سرا عَلى إزالة السُّلطَان عبد الحميد لأنه كان معارضا قويا لليهود، إذ رفض بشدة إعطاء أي شبر أرض لليهود في فِلَسطِين)(١).

---

(١)(الذخائر العظام / ص: ٩٢١)



تركيا بعد السُّلطَان عبد الحميد:

سقط السُّلطَان المظلوم عبد الحميد بفعل الماسونية اليَهُوْدية، وأصبحت تركيا تسير من قبل (جَمعيَّة تركيا الفتاة، وجَمعيَّة الاتحاد والترقي) الّتي أضحت لعبة بيد الماسونية، فقد كانت القوميّة التركية الّتي يدعو إليها حزب الإتحاد والترقي بيد اليَهُوْد

وهكذا توالت النكبات عَلى تركيا، الخِلافَة ضعيفة تلعب بها جَمعيَّة الاتحاد والترقي – الدعاة القوميون – وهم علمانيون لا متدينون، والمحافل الماسونية تنتشر انتشار النار في الهشيم، والديون تتراكم، ومن وراء ذلك كله الأصابع اليَهُوْدية الّتي صممت الإطاحة بتركيا لتصل إلى أرض الميعاد.

(٣٥) - السُّلطَان محمّد رشاد خان الخامس (١٩٠٩- ١٩٢٤م):

تمت تولية السُّلطَان رشاد وتم يوم ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٩ وتوج السُّلطَان رشاد باسم السُّلطَان محمّد الخامس.

وكان قد قضى اغلب عمره في قصر زنجيرلي كوي، إلى حين حدوث الانقلاب العُثْمَانِيّ عَلى السُّلطَان عبد الحميد.

وقد بقي السُّلطَان رشاد حبيسا في قصره فيما كانَ العسكريّون والسّياسيّون من جَمعيَّة الإتحاد والترقي يلعبون بمصير الخِلافَة.

وقد ورط هَؤُلَاءِ المجرمون الخِلافَة العُثْمَانِيّة في عهده بدخول الحَرب العَالَمِيّة الأولى إلى جانب ألمانيا ضدّ الحلفاء، وكان ولي عهده الأمير وحيد الدّين، وقد توفي السُّلطَان محمّد الخامس قبل نهاية الحَرب سنة ١٩١٨.



(٣٦) - السُّلطَان محمّد السَّادس (وحيد الدّين) (١٩١٨-١٩٢٤):

وقد خلف السُّلطَان محمّد الخامس، وبقي كذلك حبيس قصره، فيما كانَ الحلفاء يسيطرون عَلى مقدرات الخِلافَة ويقطعون أوصالها إربا بإشراف الإنكليز، ومؤامرات اليَهُوْد، وتنفيذ الماسون، حيث أبرزت المؤامرات كما سنرى، **مصطفى كمال أتاتورك**، وخرجت تركيا محطمة من الحَرب العَالَمِيّة الأولى

وتقاسمت الدّول الكبرى ورثة الرجل المريض! كما كانوا يطلقون عَلى تركيا، واستراحت أوروبّا من هذا الغول الرهيب الّذي كانَ يقض مضاجعها لقرون طويلة.

وجاء مصطفى كمال بعد هزيمته في جبهته في الشّرق العربيّ وبرزت شخصيته كقائد عسكريّ من خلال بعض الإشتباكات العسكريّة المسرحيَّة مع اليونان، وانطلقت الأقلام لتبرزه.

وفعلا رتبت لدول الكبرى (ولاسيما بَرِيطَانيَا) مع مصطفى كمال واشترطت عليه شروطا في معاهدة لوان (١٩٢٢) حيث كانَ يمثله فيها عصمت إينونو، فاشترط عليه كرز ون – وزير الخارجيّة بَرِيطَانيَا – آنذاك – شروطا أربعة وهي:

إسقاط الخِلافَة في تركيا.

سحق أية محاولة لإعادة الخِلافَة.

محاربة الشعائر الإِسْلَاميّة.

اتخاذ قانون غربي للحياة في تركيا بدل الشّريعة الإِسْلَاميّة، وقبل مصطفى كما بهذه الشُّرُوط وانسحبت دول الحلفاء من تركيا وعندما وقف مجلس العموم البريطاني في وجه كرزون الّذي وافق عَلى سحب جُيُوش الحلفاء من تركيا، قائلين ستعود تركيا مرّة أُخرى لاحتلال أوروبّا فقال: اطمئنوا.

(لن تقوم لتركيا قائمة بعد أن جردناها من الإِسْلَام والخِلافَة).

وتمسح مصطفى كمال أولاًبمسوح الرهبان، وتظهر صورة مصطفى كمال وهو يلبس ثياب العُلَماء في عيد الأضحى ويحمل السبحة الطويلة ويحث النّاس عَلى الشعائر الإِسْلَام ومرت الأيّام وجمع مصطفى كمال العُلَماء واستشارهم بفصل الدّين عن الدّولة (كالكنيسة) واستنكر العُلَماء هذه الخطة فطبق مسحا بالنواصي والأعناق وقتل من العُلَماء مقتلة كبيرة. وأعلن إسقاط الخِلافَة سنة (١٩٢٤) وناح النّاس عليها، وتداعى النّاس لينصبوا لهم خليفة ولو كانَ الخَليفَة هو ملك مصر – ومع هذا رفضت بَرِيطَانيَا – أن يعود هذا الإسم المجرد صورة نظريَّة مصطنعة، وبذلك كانَ السُّلطَان (محمّد السَّادس) آخر الخُلَفَاء العُثمَانِيّين وآخر من سمي خليفة في تاريخ الإِسْلَام والمُسلِمين حتَّى الآن، حيث لم تقم وإلى يومنا هذا خلافة إسلاميّة، وهكذا وصلت جَمعيَّة الإتحاد والترقي إلى الحكم واستراحت من

الغول الرهيب الّذي طالما أقض مضجعها وأرق أجفانها (عبد الحميد) وأصبحت تركيا الإِسْلَاميّة دمية في يد اليَهُوْدية تحركها كيف شاءت وأنى أرادت، وأصبحت مقاطعاتها حمى مستباحا للذئاب الغربيّة من أعداء الإِسْلَام، وأصبح هذه المارد الجبار (الدّولة العُثمَانِيّة) يؤكل شلوا شلوا.

فابتلع الغرب أولاًدول البلقان النمسا والمجر والبوسنة والهرسك في تشرين الأوّل سنة (١٩٠٨) (أي بعد تسلم الإتحاد والترقي زمام الأمور)، وبعد إعلان الدستور بشهرين فقط، **وانفصلت بلغاريا، واعتدت إيطاليا عَلى ليبيا في خريف سنة (١٩١١) ثمّ نشبت الحَرب البلقانية سنة (١٩١٢)**، وفي هذه السَنَوات القليلة فقدت الدّولة العُثمَانِيّة جميع ولاياتها في أوربّا (ماعدا تراقيا الشرقية)، وفقدت ذلك الجزء من ليبيا الّذي يتألف من ولايتي طرابلس الغرب وبني غازي - وقد انسحبت تركيا من ليبيا بمؤامرة خيانة مكشوفة لا تخفي عَلى كلّ ذي عينين، ولا يفوتنا أن نذكر أن اليَهُوْد الإيطاليين هم المحافل الماسونية في سالونيك، وفي بيوت هَؤُلَاءِ اليَهُوْد الإيطاليين كانت نعقد اجتماعات جَمعيَّة الإتحاد والترقي، فليس كبيرا أن تعطي جَمعيَّة الإتحاد والترقي ليبيا هدية متواضعة إلى إيطاليا كرد جميل عَلى صنيعهم السابق الكبير.

{ولا أنسى أن أضيف عَلى سرد الشَّيْخ الشّهِيد خبر دعوة حكومة القذافي لرئيس الكنيست وهو يهودي ليبي لزيارة ليبيا بدعوة رسمية في - نوفمبر ٢٠٠٤- بعد أن فتح أتاتورك ليبيا (القذافي) أبوابها مشرعة للأمريكان والأوربيين واليَهُوْد، وسلمهم سلاحها الثقيل طواعية عَلى ظهر السفن إلى المعارض الأمريكيّة قبل ذلك بعدة أشهر!!}.

وفضلا عن هذه الخسارة **فقدت كريت**، وكانت ميزانية تركيا قد ناءت بأعباء النفقات العسكريّة.

وبدأت محاربة الشعائر في تركيا، فمنع الأذان باللغة العربيَّة، ومنع اللباس الشَّرعيّ، ومزق رجال الأمن لدى مصطفى كمال ثياب النِّسَاء في الشَّوارع، وحرم غطاء الرأس بالنسبة للنساء، ومنعت الكوفية والعقال (لأن العَرَب يلبسونها) بالنسبة للرجال، وفرض لبس القبعة بالنسبة للرجال ومنع قراءة القرآن بالعربيَّة، وأمر بترجمته إلى التركية، وحول كمال مسجد أيا صوفيا إلى متحف، وأقفرت

المساجد وخلت المحاريب، وصوحت المآذن، وافتقد النّاس الشَّبَاب من طريق الإِسْلَام، وأصبح اللقاء عَلَى كتاب الله فِي المَسجِد جريمة يحاكم عليها القانون، واختلف من المساجد حلقات العلم ودُروس الفقه، وتوارى العُلَماء أمامه تحت التراب قتلا أو فِي بيوتهم، وتقدم السفهاء، وتكلمت الرويبضات كما جاء فِي الحديث:

* وعن أبي هريرة مرفوعا: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ، وَالْبُخْلُ، وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنَ الخَائِن، وَيَهْلِكَ الْوُعُولُ، وَتَظْهَرَ التَّحُوتُ» قَالُوا: يَا رَسُول اللهِّ، وَمَا الْوُعُولُ وَالتَّحُوتُ؟ قَالَ: «الْوُعُولُ: وجُوهُ النَّاسِ وَأَشْرَافُهُمْ، وَالتَّحُوتُ: الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ لَا يُعْلَمُ بِهِمْ»[1].

* وفِي الحديث الآخر الصَّحِيح الّذي رواه الطبراني عن عوف بن مالك مرفوعا:

«أَخَافُ عَلَيْكُمْ سِتًّا: إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ، وَسَفْكُ الدِّمَاءِ، وَبَيْعُ الْحُكْمِ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَنَشْوٌ يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ، وَكَثْرَةُ الشُّرَطِ»[2].

وبقى مصطفى كمال يواصل الحَرب عَلَى الإِسْلَام حتَّى نهاية حياته وتركيا تتحطم فِي جميع الميادين وتتراجع فِي كلّ مضمار.

****

(١) رواه الحاكم (٨٦٤٤) وابن حبان (٦٨٤٤) من حديث سعيد عن أبي هريرة ﷺ، وضعفه الأرنؤوط، وقال الألباني: صحيح لغيره (الصحيحة ٣٢١١).

(٢) رواه الطبراني فِي الكبير (١٠٥) وأحمد (٢٣٩٧٠) وصححه الأرنؤوط فِي تحقيقه، و الألباني فِي الجامع الصغير (٢١٦).

أهمّ الأسباب الداخليَّة المباشرة الّتي أدت إلى سقوط الخِلافَة

أولاً: انتشار الدعوات القوميّة:

وخاصة (دعوة القوميّة التركية (الطورانية)، والقومية العربيَّة، وأشراف الماسون واليَهُوْد عَلى إحيائها وإذكاء نار التعصب والفرقة بين أتباع القوميتين الرَّئيسيتين المكونتين للدولة العُثمَانِيّة.

القوميّة التركية (الطورانية):

لقد بذرت البذور الأولى للقومية التركية في داخل الأكاديمية العسكريّة في إسطنبول مع الأساتذة العسكريّين الألمان الّذين وفدوا إلى الكلية ليدربوا الأتراك الّذين كانوا بحاجة إلى جيش قوي مدرب عَلى وسائل القوّة الحديثة وأساليب القِتَال العسكريّة، خاصّة وأن تركيا تقاتل العالم بأسره يرميها عن قوس واحدة، فقد وصلت بعثة عسكريّة ألمانية سنة (١٨٨٣) يرأسها الكولونيل (فون درجولسن) وبقي يعمل قرابة ثلاث عشرة سنة تمت خلالها بذرة القوميّة.

وأما العامل الثّاني لنشوء القوميّة الطورانية هو: هِجرَة اللاجئين المجريين والبولنديين إلى تركيا بعد فشل ثورتهم سنة (١٨٤٨)، واعتنق هَؤُلَاءِ الإِسْلَام وأصبحوا من الطّبقة المتنفذة في الدّولة، ومن هَؤُلَاءِ (قسطنطين بورزيكي)، وقد سمى نفسه بعد ذلك مصطفى جلال الدّين باشا، فلقد كانَ هذا الرجل هو رأس الأفعى القوميّة الّتي نقلت سمها إلى عقول ونفوس الأتراك، يقول برنارد لويس:

(ولقد عمل بورزيسكي عَلى نقل القوميّة البولونية ووضعها في قالب تركي، وساعده عَلى هذا العمل ما عرضه من أعمال المستشرقين الغربيّين الباحثين في الشئون التركية، وكان لها تأثيرا هام في تقدير التّاريخ التركي القديم، والاعتقاد بالهويّة المميزة).

ولا يفوتنا أن نعود فنذكر بأن جَمعيَّة الإتحاد والترقي كلهم ماسون (يهودية عالميّة)، وأن يهود سالونيك هم اليد المحركة لهذه الجَمعيَّة وهم داخلون فيها، ونعود مرّة أُخرى فنذكر بكلام ستون

وتسون: (**إن الحقيقة البارزة في تكوين جَمعيَّة الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلاميّة**) فأطاحت بعبد الحميد وبتركيا وبالإِسْلَام.

ولقد كانَ لهذه الدّعوة إلى القوميّة التركية أثر سيء انعكس في نفوس الشّعوب الإِسْلَاميّة الّتي تخضع للسيادة العُثْمَانِيّة، و بدؤوا يطالبون بالاستقلال ويشكلون الجَمعِيّات السرية لمحاربة تركيا، خاصّة بعد السُّلُوك المشين الغريب الّذي سارت عليه جَمعيَّة الإتحاد والترقي، وعلى رأس هذه الشّعوب العَرَب الّذين اتخذوا من هذا السُّلُوك مبررا للوقوف بجانب بَرِيطَانيَة ضدّ الأتراك في الثَّورة العربيَّة الكبرى بقيادة الشريف حسين، وكان لها من النتائج الوخيمة عَلى العالم الإِسْلَاميّ.

فقد كتب ستون وستون يقول:

(إن الحقيقة البارزة في تكوين جَمعيَّة الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلاميّة، فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضوا واحد من اصل تركي صاف، فأنور باشا هو ابن رجل بولندي مرتد وكان جاويد من الطَّائِفَة اليَهُوْدية المعروفة (دونمة)، وكراسو من اليَهُوْد الأسبان القاطنين في مدينة سالونيك، وكان طلعت باشا من أصل غجري اعتنق الإِسْلَام دينا، وأما أحمد رضا أحد زعمائهم في تلك الفترة فكان نصفه غجريا إلى جانب كونه من أتباع مدرسة كونت الفلسفية).

ويضيف ستون وتسون قائلا إن أصحاب العقول المحركة وراء الحركة كانوا يهودا أو مُسلِمِين من أصل يهودي، وأما العون المالي فكان يجيئهم عن طريق (الدونمة) ويهود سالونيك الأثرياء، كما أنه كانت تأتيهم معونات مالية من الرأسمالية الدّولية – أو الشبيهة بالدّولية – من فينا وبودبست وبرلين من باريس ولندن).

ويقول هربرت أبري:

(كانَ يهود سالونيكا يهوديا ويعرفون (بالدونمة) – أي المرتدّون – شركاء الثَّورة التركية الحقيقيين، وهَؤُلَاءِ هم من العرق اليَهُوْدي، ولكن معتقدهم قد لا يكون يهوديا أصلا، والاعتقاد الشائع بين النّاس هو: أنهم مسلمون بالاسم، وأما بالفعل فإنهم من أتباع توراة موسى، وفي تلك الفترة الّتي نحن بصددها لم يعرف أحد من النّاس شيئا عنهم، سوى قلة من العُلَماء المختصين بدراسة الشّرق الأدنى،

ولم يكن أحد من النّاس يجرؤ أن يتنبأ أن هذه اليَهُوْدية المعروفة (بالدونمة) ستلعب دورا رئيسيا في ثورة كانَ لها نتائج خطيرة في سيرة التّاريخ).

يقول توينبي:

(إن الضُّبَّاط في تركيا الحميدية هيَ الطّبقة الوحيدة الّتي استطاعت أن تفتح نافذة فكريّة دائمة تنفذ عن طريقها التّأثيرات الغربيّة في سنة (١٩٠٨) وبعد ثلاثين عاماً من حكم استبدادي مظلم كانَ الجيل التركي الجَدِيد من العسكريّين هو رأس الحَربة لهجوم الليبرالية الغربيّة عَلى تركيا).

وثيقة السفير البريطاني في استانبول (لاروز) سنة ١٩١٠ حول العلاقة بين جَمعيَّة الإتحاد والترقي وبين اليَهُوْد والماسونية:

هذه الوثيقة السرية هيَ أصلا رسالة سرية جدا أرسلها السفير البريطاني في القُسطَنْطينيَّة (السّير جيرار ولاوزر) بتاريخ (٢٩/ ٥/ ١٩١٠م) إلى وزير الخارجيّة بَرِيطَانيَا (السّير ش. هارونج) وتحوي معلومات دقيقة حول العلاقة بين (جَمعيَّة الإتحاد والترقي) واليَهُوْد والماسونية.

وهذه الوثيقة السرية كُشف عنها النقاب في بَرِيطَانيَا حديثا، وقد نشرتها مجلة (المجتمع الكويتية) ابتداء من (٢٥/ ١٢/ ١٩٧٨م) في الإعداد (٤٢٩, ٤٢٥) نقلا عن مجلة آفاق العِرَاقيَّة، ونقتطف منها الأجزاء الأهم:

[- في مدينة (سالونيك) { مدينة يونانية كانت آنذاك تحت الحكم العُثمَانِيّ } مائة وأربعون ألف نسمة، منهم ثمانون ألف نسمة يهودي من أصل أسباني (أي هربوا من أسبانيا) (٢٠,٠٠٠) يهودي من سبط (لآوي) أو من اليَهُوْد المتظاهرين بالإِسْلَام والّذين يدعون (يهود الدونمة).

- ومعظم اليَهُوْد الإسبان يتمتعون بالجنسية الإيطالية، وهم ماسونية ينتمون إلى المحافل الإيطالية، فهم لذلك يتمتعون بالحصانة الممنوحة للأجانب في الدّولة العُثمَانِيّة ضدّ الملاحقة والتفتيش.

- أسس اليَهُوْدي (قره صو) قبل بضعة أعوام في سالونيك - بالتّعاون مع الماسونية الإيطالية - محفل (ماسيدونيا روزيتا)، وأقنع رجال تركيا الفتاة ضباطا ومدنيين بالإنتماء إلى الماسونية، وهدفه فرض النفوذ اليَهُوْدي عَلى الأوضاع الجَدِيدة في تركيا.

يظهر أن المخططين لحركة تركيا الفتاة في سالونيك كانوا بالدرجة الأولى من اليَهُوْد.

بعد ثورة (١٩٠٨م) بقليل أصبح من المعروف بأن عددا كبيرا من قاداتها كانوا من الماسونية.

جميع اليَهُوْد عَلى الإطلاق كانوا مؤيدين متحمسين للعهد الجَدِيد.

أصبح كلّ اليَهُوْدي جاسوسا لجَمعيَّة الإتحاد والترقي.

بدأ النّاس يقولون: إن الحركة اليَهُوْدية أكثر منها تركية.

عينت إيطاليا اليَهُوْدي (بريموليفي) قنصلا عاماً في سالونيك وعينت الولايات المتحدة (أوسكار شتراوس) سفيرا لها في القُسطَنْطينيَّة، وكان شتراوس يهودي.

العقيد اليَهُوْدي الدونمه (رمزي بيك) كانَ قائد الأفواج الأربعة الّتي أرسلت خصيصا من سالونيك إلى القُسطَنْطينيَّة وقد عين رئيسا لأركان حرب السُّلطَان (محمّد الخامس)، وعندما خلع السُّلطَان (عبد الحميد) واعتقل في سالونيك عين أخ لرمزي بيك مشرفا عَلى السُّلطَان في سجنه.

أعلن المؤتمر الصّهيونيّ التّاسع المنعقد في هاسبورج في شهر كانون الأوّل سنة (١٩٠٩م) أن إنقسام اليَهُوْد إلى صهيونيين، ودعاة للهِجرَة إلى مناطق أُخرى غير فِلَسطِين، قد انتهى بفضل (معجزة الثَّورة التركية) بمعنى أن فِلَسطِين أصبحت مضمونة بلا شك.

بعد خلع عبد الحميد أُعلنت الأحكام العرفية لمدة سنتين، وكان معظم الضُّبَّاط في المحاكم العرفية ماسونيين.

مدير المطبوعات في الدّولة يهودي من سالونيك وله سلطة إيقاف أي جريدة.

وكالة الأنباء التلغرافية – الّتي تقدم رأي الاتحاديين في الأحداث الداخليَّة والخارجيّة – مديرها يهودي من بغداد.

رئيس الفرع الرَّئيسي لجَمعيَّة الإتحاد والترقي في القُسطَنْطينيَّة يهودي من سالونيك.

مديرية الأمن العام في الدّولة بيد ماسوني من سلانيك.

في مقدونيا والقُسطَنْطينيَّة ظهر خلال العام الماضي (١٩٠٩م) إثنتا عشر محفلا ماسونيا جديدا.

أُفهم الموظفون وغيرهم – من ذوي المناصب المهمة – أن مناصبهم وموارد رزقهم تتوقف عَلى دخولهم في المحافل الماسونية.

لكي تشدد الجَمعيَّة قبضتها عَلى الجيش أدخل عدد كبير من الضُّبَّاط – وخاصة من ذوي الرتب الصغيرة – في محفل ماسوني يسمى (ريسنا) بلد (نيازي بيك)، ويرأس المحفل أخوه النقيب (عثمان فهمي بك).

دخل في الماسونية معظم نواب الجَمعيَّة في مجلس المبعوثان والأعيان في المحفل الّذي يسمى (الدستور) وكان من كبار رؤسائه (طلعت بيك).

نواب المعارضة وخاصة العَرَب بدؤوا ينشئون لهم محافل خاصّة بهم مثل (محفل التآخي العُثْمَانِيّ) (أصدقاء الحريَّة) أو ينضمون إلى المحفل القائمة.

طائفة البكطاشية تفشت بينهم الماسونية.

في المدة الّتي بين (١٩٠٩م- ١٩١٠م) أنشئت المحافل الماسونية التّالية: (الوفاء الشرقي، نهضة بيزنيطة، الأصدقاء الحميمون للإتحاد والترقي، الحقيقة، الوطن النهضة، وفرع من محفل (نهضة مقدونيا)، الفجر)، ويبدوا أن جميع هذه المحافل الماسونية – مثل شبكة المحافل الماسونية في سالونيك ومقدونيا – كانَ يقودها أو يخطط لها اليَهُوْد.

الأمير المصري سعيد حليم وأخوه الأمير عباس حليم والأمير عزيز حسن ماسونييون.

إدريس بيك راغب – رئيس المحفل المصري الأعظم – هو المؤسس والمهيمن عَلى عدد من المحافل الماسونية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان.

عدد كبير من الرُّوم الكاثوليك في لبنان ماسونييون.

محمّد أورفي باشا أسس عددا من المحافل الماسونية في مصر والقُدس وجنوب سوريا

يوسف بيك السكاكيني من زعماء الماسون.

الزعيم الوطني المصري (محمّد فريد) ماسوني كبير عين ممثلا في مصر لمحفل الشّرق العُثْمَانِيّ الأعظم واقيمت حفلة التنصيب في محافل ماسوني في (طنطا).

(حاييم ناحوم) حاخام الطَّائِفَة اليَهُوْدية الأكبر الجَدِيد في تركيا كانَ زميل دراسة لعدد من أعضاء جَمعيَّة أعضاء الإتحاد والترقي البارزين.

(طلعت وجاويد) يمثلان قمة الماسونية في تركيا، وطبعا جاويد يهودي.

ومنذ أن أصبح طلعت وزيرا للداخليَّة - قبل حوالي سنة - عمل عَلى نشر شبكة الماسونية في جميع مناطق الدّولة، وأخذ يسند إلى الماسونيين الوظائف الكبرى في الأقاليم.

وقال (لاوزر): **يتبين من هذا أن الحكومة الخفية لتركيا إنما هيَ محفل الشّرق الأعظم الماسوني وعلى رأسه الأستاذ الأعظم (طلعت بيك).**

الماسونية تمد نشاطها من تركيا إلى إيران، وجَمعيَّة الإتحاد والترقي الماسونية وراء الإنقلاب الّذي وقع في إيران ويدور الحديث الآن حول بدء بإنشاء محفل الشّرق الماسوني في إيران، و(فرح الله خان) القائم بأعمال السفارة الإيرانية الجَدِيدة في القُسطَنْطينيَّة انضم إلى الماسونية حديثا.

يهتم اليَهُوْد أعظم الاهتمام بالاحتفاظ بنفوذهم المطلق في مجلس وزراء تركيا الجَدِيدة.

يهتم اليَهُوْد أعظم الاهتمام بإيقاد شعلة الفرقة والخصام بين الأتراك وبين خصوم اليَهُوْد المحتلين.

الممولون اليَهُوْد يرحبون بتقديم القروض للعهد الجَدِيد في تركيا مقابل مكاسب اقتصاديَّة.

لليهود نفوذ هائل في الصحافة الأوربية.

اليَهُوْد يسعون إلى تحقيق أهداف إسرائيل العليا في المستقبل.

قد أحكم اليَهُوْد سيطرتهم عَلى هَؤُلَاءِ الأتراك الشبان.

اليَهُوْد يمولون جريدة (تركيا الفتاة) وعددا أخر من الجرائد في القُسطَنْطينيَّة.

الممولون الأوروبيون – ومعظمهم من اليَهُوْد – يزودون تركيا الآن بالمبالغ المطلوبة.

جَمعيَّة الإتحاد والترقي الماسونية تشجع الثّوريّين اليَهُوْد والأرمن عَلى تفجير القلاقل والإضطرابات والتوازن في روسيا القيصرية.

أعضاء جَمعيَّة الإتحاد والترقي يقلدون الثَّورة الفرنسية في أساليبها بتوجيه من اليَهُوْد.

اليَهُوْد يزينون للأتراك الإلتقاء مع الهنغاريين (المجر) بدافع القوميّة الطورانية، لأن المجريين من أصل طوراني، وجميع هذه المعلومات حصلنا عليها من ماسونيين محليين في سرية تامة.] أهـ.انتهت وثيقة السفير البريطاني (لاوزر) الّتي كتبها سنة (١٩١٠م)

(نقلا عن كتاب (الذخائر/ ٧٣٨- ٧٤٠). للشيخ عبدالله عزام رَحِمَهُ اللهُ).

ثانياً: الثَّورة العربيَّة الكبرى:

ووقوف الشريف حين إلى جانب بَرِيطَانيَا في الحَرب العَالَمِيّة الأولى ضدّ الخِلافَة العُثمَانِيّة، بعد أن خدعه الإنكليز وأوهموه بأنهم سيساعدونه عَلى إقامة خلافة عربيَّة في جَزِيرَة العَرَب والشّام والعراق.

وقد كانَ الشريف حسين يتلمس المناسبة للتخلص من الحكم التركي، خاصّة وأنه أحس أن الاتحاديين سنة (١٩١٤) يريدون التّخلّص منه، وكان عبدالله بن الشريف حسين {جد (الملك حسين)الهالك، والد (الملك عبدالله) الحالي سلسل عمالة الإنكليز والخيانات المتتالية}.

وكان عبدالله بن حسين آنذاك نائبا في البرلمان التركي، وقد اتصل بكتشنر (المعتمد البريطاني في مصر) ورونالد ستورز المستشار الشرقي في دار الاعتماد البريطاني، وأطلعه عَلى النفور الشديد بين أبيه وبين الأتراك، وسأله عن إمكانية وقوف بَرِيطَانيَا بجانب الشريف فيما إذا أعلن الشريف الحَرب عَلى تركيا، إلا أنه لم يلق أي تشجيع منهما، وقال كتشنر: ليس من المحتمل أن تقف بَرِيطَانيَا بجانب أبيك.

(وكان الأمير عبدالله نفسه عضوا في إحدى الجَمعِيّات السرية، وكان مؤمنا بفوائد التفاهم الإنجليزي العربيّ متحمسا له) ونشبت الحَرب الكبرى في آب سنة (١٩١٤)، وكان عبدالله متحمسا لإعلان الحَرب عَلى تركيا، بينما كانَ أخوه الأمير فيصل يرى الوقوف معها.

وفي سنة (١٩١٥) زار فيصل دمشق واستانبول، وفي دمشق انضم إلى جَمعيَّة (العربيَّة الفتاة) وأقسم عَلى نصرتها.

وأعلن الشريف الحَرب عَلى تركيا يوم الإثنين (٥) حزيران سنة (١٩١٦)، (وسبحان ربي! كانت هزيمة العَرَب في (٥) حزيران يوم الإثنين سنة ١٩٦٧)!!!

ومن جانب قبر حمزة بن عبد المطلب ﷺ بالمدينة أعلن الحَرب بعد أو وعدته بَرِيطَانيَا باستقلال بلاد العَرَب وبتتويجه ملكا عليها، وكان كتشنر قد أصبح وزيرا للحربية البريطانيَّة، واستلم مكماهون معتمدا بَرِيطَانيَا في مصر، وحدثت الكاتبات المعروفة بينه وبين مكماهون (مراسلات حسين – مكماهون)، ووعدوه بملك البلاد العربيَّة بعد استقلالها.

واندفع الشريف حسين بكل طاقته يؤجج نار الحمية العربيَّة ضدّ الأتراك، وهُزم الأتراك، وحصلت اتفاقية (سايكس بيكو) لتقسيم البلاد العربيَّة بين بَرِيطَانيَا وفرنسا، وأعطيت فسلطين لليهود بوعد بلفور١٩١٧، وكان الجزء الجميل للشريف حسين أن نفته بَرِيطَانيَا ست سَنَوات وسلبت ملكه!! ولقد كانت الصدمة عنيفة لأعِصَاب الشريف حتَّى داهمه الفالج وذاب جسده حسرة وألما، وكان يصب جام غضبه طيلة بقية حياته عَلى مكماهون ولويد جورج – الوزير البريطاني المعروف.

يقول جورج أنطونيوس:

(لقد زرته قبل موته بأشهر سنة (١٩٣١م)، وقد قلصه الفالج وابيض وجهه الوسيم من شحوب الموت، فقال لي: الإنجليز يا ولدي قوم شرفاء في أقوالهم وأفعالهم، في سراء والضراء: شرفاء! ماعادا صاحب السعادة الموقر الهمام لويد جورج فهو أشبه بالبهلوان وبالثعلب، أقول: ثعلب، حاشا مقامك رحم الله صاحب السعادة كتشنر!!).

كانت هذه النَّتِيجَة الأسيفة الأليمة للتعاون مع الإنجليز، وصدق الله العظيم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩﴾ [آل عمران]

ولقد حذر بعض الصادقين العقلاء الشريف حسين من مغبة غدر الإنجليز ومن هذه الفاجعة المتوقعة، **فد كتب (الأمير أرسلان) إلى الشريف عندما بلغه عزم لغزو سوريا مع جُيُوش الحلفاء قائلا: (أتقاتل العَرَب بالعرب أيها الأمير؟! حتَّى تكون ثمرة دماء قاتلهم ومقتولهم استيلاء إنجلترا عَلى الجَزِيرَة العَرَب وفرنسا عَلى سوريا واليَهُوْد عَلى فِلَسطِين ؟!).**

يقول لورنس في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة): (لقد كنت أعلم أنّنا إذا كسبنا الحَرب إن عهودنا للعرب ستصبح أوراقا ميتة، ولو كانت ناصحا شريفا للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم، لقد كانَ قادة الحركة العربيَّة يفهمون السّياسة الخارجيّة فهما عشائريا بدويا، وكانت بَرِيطَانيَا والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتمادا عَلى سذاجة العَرَب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم، ولهم ثقة بالعدو، إنني أكثر فخرا أن الدَّم الإنجليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين الّتي خضتها، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنجليزي واحد)!!

ويقول وايزمان: (لقد قدم لنا لورنس خدمات جليلة).

وهذا هو لجاسوس لورنس المشهور الّذي كانوا يسمونه – (لورنس العَرَب) ويلقبونه: (ملك العَرَب غير المتوج)!!

مقارنة بين القوميّة الطورانية والقومية العربيَّة:

لقد التفت القوميّة الطورانية (التركية) والعربيَّة عَلى أشياء أهمّها:

أن الغرض من كلّ منهما هو القضاء عَلى تركيا المسلمة، وعلى السُّلطَان عبد الحميد بالذات.

لقد بدأت القوميتان في وقت واحد تقريبا وإن كانت القوميّة العربيَّة تقدمت قليلا عَلى الطورانية.

القوميتان علمانيتان اتفقا عَلى استبعاد الإِسْلَام عن الحياة.

إن كلا من القوميتين نشأتا في محاضن أجنبية فالقومية العربيّ نشأت في المحاضن الأمريكيّة وفي الجامعة الأمريكيّة، بينما الطورانية نشأت في المحافل الماسونية اليَهُوْدية الّتي يشرف عليها اليَهُوْد الأسبان والبولنديون الإيطاليون.

إن الرواد الأوائل لكل من الدعوتين لم يكونوا مُسلِمِين أصلا ولا من الجنس الّذي يدعون إلى قوميته! فمثلا (بورزيكي) الّذي سمى نفسه مصطفى جلال الدّين – بولندي الأصل – عمل عَلى نقل القوميّة البولندية وصبها في قالب تركي، ومنذ تأسيس جَمعيَّة الإتحاد والترقي، لم يظهر بين زعمائها وقادتها واحد من أصل تركي صاف! فأنور باشا بولندي مرتد، وجاويد من الطَّائِفَة اليَهُوْدية (دونمة)،

وكراسو (من اليَهُوْد الأسبان) في سالونيك، وطلعت باشا من أصل غجري، وأما أحمد رضا فنصفه شركسي ونصفه مجري ومتأثر بالفيلسوف (كونت)!

و الرواد الأوائل للقومية العربيَّة كانوا جمعيا من غير المُسلِمِين! من بطرس البستاني، وناصيف وابنه إبراهيم اليازجي، والشدياق، وأديب إسحق، ونقاش، وشميل، وتقلا وصروف، وزيدان، ونمر، ومشاقة، كلّ هَؤُلَاءِ عَلى الإطلاق من النّصَارى!! ثمّ جاء القرن العشرون وكان من قادتهم: زكي الأرسوزي (نصيري تركماني)، وميشيل عفلق (نصراني) زوجته يهودية! وهما قائدا حزب البعث، وأنطون سعادة وجورج عبد المسيح، من قادة الحزب القومي السّوري، نصرانييان!وجورج حبش – من قادة القوميين العَرَب كذلك!!

يقول الكاردينال بريتولي للبابا: (إن المسيحية في الشّرق هيَ الّتي زرعت الحركات الثّوريّة وحركات التَّغيير، وإن أسماء مثل **ميشيل عفلق**، و**أنطوان** سعادة، و**جورج** حبش قد تفسر لك ما أعنيه)!!

إن الأصابع الماسونية– اليَهُوْدية – كانت تحرك طلائع الحركتين، فالخمسة الأوائل الّذين أنشأوا (**جمعيَّة بيروت السرية**) كلهم من الماسون، وكذلك الّذين نادوا بالقومية الطورانية هم من الماسون.

تأثرت القوميّة العربيَّة بالنَّظريات الأمريكيّة، وتأثرت الطورانية بالثَّورة الفرنسية، يقول فيليب حتَّى – أحد مؤرخي وفلاسفة القوميّة العربيَّة! –: (**كانَ من نتاج الاحتكاك بين العقليَّة السوريّة والنتاج الفكريّ الغربيّ أن تولدت مبادئ القوميّة العربيَّة الشّاملة، واستمدت وحيها بالأكثر من النَّظريَّات الأمريكيّة، بخلاف القوميّة التركية الّتي جاءت متأخرة عن العربيَّة والَّتي استمدت إلهامها من مبادئ الثَّورة الفرنسية**).

كانت الأصابع اليَهُوْدية بارزة في القوميّة التركية، لا يزال اليَهُوْد يحرصون عَلى ربط العَرَب بقوميتهم.

يقول (**أبا إيبان**) – **الّذي كانَ وزير خارجية إسرائيل** – في محاضرة له في جامعة برنستون الأمريكيّة: (**يحاول بعض الزعماء العَرَب أن يتعرف عَلى نسبة المد الإِسْلَاميّ بعد الهزيمة الأخيرة**



(١٩٦٧)، وفي ذلك الخطر الحقيقي عَلى إسرائيل، ولذا كانَ من أولى واجباتنا أن نبقي العَرَب عَلى يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإِسْلَاميّ)[١].

****

(١) (الذخائر ج١/ ٨٩٣- ٨٩٥).

مصطفى كمال يحطم تركيا ويلغي الخِلافَة

ولد (أتاتورك) سنة (١٨٨٠) في مدينة سالونيك وهي – كما مر معنا – (مدينة يونانية – يهودية) حيث يقطنها (١٤٠) ألف منهم (٨٠) ألفا من اليَهُوْد الإسبان و(٢٠) ألفا من يهود الدونمة (أي المتظاهرين الإِسْلَام).

ينسب مصطفى كمال رسميا إلى (علي رضا) وأمه (زبيدة) وتحيط شكوك كثيفة حول نسبه، فمصطفى لا يعترف بأبيه (علي رضا) ويقال: إن أصل أبويه من ألبانيا.

ولقد راجع مصطفى كمال دائرة النفوس في (سالونيك) وأسقط قيد الأبوة عنه.

ويقال أن زبيدة حملت به سفاحا من شخص اسمه (أبدو مسن آغا) لأنها كانت تعمل في أحد مواخير سالونيك، فولد أتاتورك لا يعلم اسم جده لأمه ولا لأبيه.

التحق بمدرسة دينية، ثمّ ألحقته أمه بمدرسة عصرية ثمّ دخل المدرسة الحَربية في سالونيك سنة (١٨٩٣م) وبعد أربع سَنَوات تخرج من المدرسة الابتدائية العسكريّة الثانوية في (موناستر) بالبلقان حيث كانت الفتنة متأججة عَلى الخِلافَة.

وبمعونة أصحابه نقل إلى سالونيك في صيف سنة (١٩٠٧م) وعين في دائرة أركان الجيش الثّالث، وهناك دخل في جَمعيَّة الإتحاد والترقي فوجد فيها منافسين أقوى منه مثل أنور باشا، وطلعت بيك فحصل بينه وبينهم نزاع، وفي سنة (١٩٠٨م) قام الإنقلاب العُثمَانِيّ عَلى السُّلطَان عبد الحميد من أجل إعلان الدستور (للتسوية بين اليَهُوْد والنّصَارى والمُسلِمين) ونجحت الحركة ولم يشترك مصطفى كمال فيها.

وفي هذا العام نفسه سنة (١٩٠٨م) أرسل إلى (طرابلس الغرب في ليبيا) لإبعاده، ثمّ رجع واشترك مع حركة (محمود شوكت) سنة (١٩٠٩م) لإسقاط السُّلطَان عبد الحميد، وكان آنذاك أحد ضباط الأركان وليس رئيسا للأركان.

وفي سنة (١٩١٠م) أُرسل إلى فرنسا لحضور مناورات عسكريّة، وبعد أن رجع من فرنسا عين مشرفا عَلى مدرسة الضُّبَّاط فامتلأ حقدا عَلى الإتحاد يين لتجاهلهم إياه فنقلوه قائدا لفرقة المشاة الثَّامنة والثلاثين في سالونيك.

ثمّ أغارت إيطاليا عَلى ليبيا فأُرسل مصطفى ورقي إلى درجة بكباش

ثمّ أرسلوه إلى الشّام سنة (١٩١٧م) وكان قد وصل إلى رتبة لواء أي باشا وصار مساعدا لقائد الجيش الثّاني، **ثمّ عين قائدا لجبهة فِلَسطِين:**

وفي فِلَسطِين تمت الصفقة مع (اللنبي) القائد الإنجليزي الّذي احتل فِلَسطِين، واتفق الإنجليز مع مصطفى كمال عَلى الانسحاب، ليدخل اللنبي بردا وسلاما، وليضرب الجُيُوش التركية الأربعة ضربة قاصمة بعد أن ارتد اللنبي خائبا من أبواب السلط بعد أن هزمه جمال باشا قائد الجيش الرَّابع.

وكانت نتيجة هذه الخيانة تحطيم تركيا إلى الأبد، وأما نتيجة المَعْرَكة فكانت كارثة:

كانَ عدد الأسرى يقرب من مائة ألف جندي عدا القتلى برصاص الدروز والأرمن.

وبعد انتصار اللنبي حضر إلى اسطنبول فطلب من الدّولة التركية المهزومة أن تعين مصطفى كمال قائدا للجيش السَّادس قرب الموصل حيث النفوذ الإنجليزي ومنطقة البترول لحماية مصالح الإنجليز وأمنهم هناك.

وكان مصطفى كمال بعد الهزيمة الكبرى الّتي كبدها تركيا، وبعد رجوعه كانَ عَلى صلة بالقس المشهور (FRID) فرد الّذي كانَ رئيسا للاستخبارات الإنجليزية في تركيا.

و كانَ مصطفى كمال عَلى صلة وثيقة بالسلطان وحيد الدّين (محمّد السَّادس)، وذلك لأنه عين في ربيع سنة (١٩١٨م) مرافقا عسكريّاً له، وكان آنذاك وليا للعهد، وأظهر مصطفى كمال آنذاك لوحيد الدّين كراهيته للإتحاد والترقي، وأبدى صلاحا وحرصا عَلى مصلحة تركيا، وسرعان ما أصبح الاثنان صديقين حميمين، وغدا مصطفى جنديا للأمير وأمينا لسره.

وفي أثناء الحَرب مات السُّلطَان محمّد رشاد (الخامس) وتولى وحيد الدّين الخِلافَة، فقرب مصطفى كمال ورفع من مكانته.

ثمّ جرت مسرحيات انتصارات مصطفى كمال السَّاحقَة في الأناضول وخاصة في سقاريا أفيون، أزمير الّتي جعلت من مصطفى كمال خارقة من الخوارق تغني بمدحها الشعراء حتَّى قَالَ أحمد شوقي:

اللهُ أكبَرَ كم في الفتح من عجبٍ يا خالد الترك جدد خالد العَرَب

لقد تمت المسرحيَّة بهذا الإخراج الساحر الّذي يأخذ بالألباب، ولقد شدد الإنجليز في فرض الشُّرُوط عَلى الخَليفَة ليبدو عاجزا ضعيفا وتساهلت مع مصطفى كمال ليظهر بطلا فريدا.

ثمّ تظاهر الحلفاء بالعطف عَلى الخَليفَة والسخط عَلى مصطفى كمال، فقد احتل الإنجليز القُسطَنْطينيَّة في (١٦) مارس سنة (١٩٢٠م) وطلب الحلفاء من الأهليين إطاعة الأوامر الّتي تصدر إليهم من الخَليفَة مما أدى إلى ازدياد النقمة عليه، وفي المقابل تمَّ الجلاء عن (أسكى شهر) والمحاصرة من قبل مصطفى كمال وعن (قونية) بدون حصول أدنى اشتباكات وتنظف الأناضول من القوّات الحليفة والنّاس مبهورون بهذه الانتصارات.

وفي نفس المدة تخرج فتوى من شيخ الإِسْلَام تصف مصطفى كمال وجماعته بالكفر فيزداد سخط النّاس عَلى السطان والمفتي.

وبمعاهدات سرية واتفاقات خفية مع أتاتورك يقرر الحلفاء الجلاء عن استانبول

المخطط التدميري:

إن هذه المخطط يكشف الصلة الوثيقة المبكرة بين مصطفى كمال وبين الإنجليز والحلفاء، ويبين لك بوضوح سر إبراز مصطفى كمال وانسحاب جُيُوش الحلفاء.

وقد كشف عن هذه الوثيقة صديقه الحميم وأمين سره (مظهر مفيد قنصوه) في مذكراته فيقول: وفي (٧/ ٧/ ١٩١٩) قرب الفجر وفي أرضروم بالأناضول أسر إلي مصطفى كمال وأكد كثيرا في وجوب كتمان السر وقال: هذا الدفتر سيبقي سرا حتَّى النهاية بيني وبينك وبين ثريا (شوكة ثريا ايدمير).

وبعد أن أكدنا له حفظ السر قَالَ: إذن فسجل التّاريخ أولا... قَالَ فسجلت التّاريخ (٧/ ٨) تموز سنة (١٩١٩م) قرب الفجر بعد أن رأى أنني سجلت التّاريخ عَلى الصفحة قَالَ: حسنا أكتب ثمّ تابع

أولا: ستكون الجمهوريّة هيَ شكل الحكومة بعد الانتصار، هذه واحدة.

ثانيا: سيؤخذ التدبير اللازم بحق السُّلطَان والعائلة المالكية عندما يحين الوقت المناسب.

ثالثا: سيرفع الستر عن النِّسَاء.

رابعا: سيلغي الطربوش وسنلبس القبعة مثل سائر الأمم المتمدنة.

قَالَ مظهر مفيد: هنا سقط القلم من يدي بدون إِرادَة، تطلعت إليه كانَ يتطلع إلي قَالَ لي: لماذا توقفت، قلت له: أرجو أن لا تؤاخذني يا باشا إذا قلت لك بأن لك جانبا خياليا، قَالَ لي ضاحكا: سيكون الزَّمن هو الحكم في هٰذا، أما أنت فاكتب، استمررت في الكتابة.

خامسا: سنأخذ الأحرف اللاتينية... يكفي يا باشا يكفي.

ثمّ نفذ البرنامج التدميري، وبعد أن نفذ بعضه، لمح مظهر مفيد فقال له: يا عزيزي السيد مظهر مفيد ما هو رقم الفقرة الّتي وصلنا إليها ؟ هل تلقي نظرة عَلى دفترة ملاحظاتك؟

وفي (٣) مارس سنة (١٩٢٤م) ألغيت الخِلافَة:

إذ تقدم أتاتورك بمرسوم يقضي:

**** إلغاء الخِلافَة وفصل الدّين عن الدّولة، وبإلغاء المحاكم العتيقة وقوانينها، حيث يجب أن تستبدل بها محاكم وقوانين عصرية.**

**** مدراس رجال الدّين يجب أن تخلي مكانها لمدارس حكومية غير دينية.**

وأقرت الجَمعيَّة الوطنيّة القانون بلا مناقشة، وبعد يومين حشد مصطفى كمال أمراء العهد القديم وأميراته ورحلوا إلى خارج البلاد، وكان قبلها بيوم أصدر قرارا بطرد الخَليفَة.

لقد اقتلع مصطفى كمال هذا الصرح الشّامخ من الجُذُور، هذا الصرح الّذي بقي منارا للمسلمين في أرض تركيا لمدة خمسة قرون، وفرق الرّاية الإِسْلَاميّة الّتي يأوي إليها المُسلِمين منذُ أربعة عشر قرنا،

وتشتت النّاس متفرقين عي سبل شتّى كالغنم في الليلة الشاتية، وأصبحت الذئاب تنهش من هذه الفئام المتفرقة، كلّ يسن سلاحه ويمتشق حسامه ليذبح من شاء وكيف شاء.

وبقى أتاتورك وفيا للإنكليز حتَّى الموت إذ أنه صمم وهو عَلى فراش الموت أن يوصي برئاسة الجمهوريّة إلى السفير البريطاني (بيرس لورين).

وثيقة يوصي بها مصطفى كمال لسفير بَرِيطَانيَا لورين برئاسة تركيا:

وقد نقلتها ننقلها بنصها الحرفي جريدة الأهرام الّتي قامت بنقلها من جريدة صندي تايمز في يوم الخميس (١٦) ذي القعدة (١٣٨٧هـ) المصادف (١٥) فبراير(١٩٦٨) تحت عنوان (كمال أتاتورك يستدعي سفير بَرِيطَانيَا ليخلفه في رئاسة الجمهوريّة التركية).

نشرت (صندي تايمز) أغرب صفحات التّاريخ الدبلوماسي بعنوان: (كيف يرفض رجلنا أن يحكم تركيا ؟) قالت الصحيفة:

أنه في نوفمبر (١٩٣٨) كانَ (كمال أتاتورك) رئيس تركيا يرقد عَلى فراش الموت وعلى امتداد (١٥) سنة حاول أتاتورك بدكتاتورية صارمة أن يجرجر تركيا رغم أنفها ويدخلها إلى القرن العِشرين، ومنع لبس الطربوش والحجاب وحطم سلطان الدّين وأدخل نظام اللغة التركية بالحروف اللاتينية.

وعندما رقد أتاتورك عَلى فراش الموت، كانَ يخشى ألا يجد شخصا يخلفه يكون قادرا عَلى استمرار هذا العمل الّذي بدأه، فاستدعى السفير (بيرسي لورين) السفير البريطاني إلى قصر الرياسة في استانبول، أما ما دار بينهما فقد ظل سرا أكثر من ثلاثين عاماً وها هو اليَوْم يكشف النقاب عه عَلى يد (بيرز ديكسون) عن حياة والده (بيرسون ديسكون) فقد كانَ بين أوراق (ديسكون) برقية بعث بها (بيرسي لورين) إلى اللورد هاليفاكس) وزير الخارجيّة وربما كانت هذه البرقية أغرب وثيقة في التّاريخ البريطاني المعاصر عَلى الإطلاق، ففيها يروي (لورين) تفاصيل مقابلته غير المألوفة مع الديكتاتور المحتضر، وها هيَ الوثيقة:

[عندما وصلت وجدت صاحب الفخامة يجلس عَلى فراشه تسنده بعض الوسائد ويحط به طبيب وممرضات، وما أن دخلت حتَّى صرف الطبيب والممرضتين قائلا إنه سيضرب الجرس إذا احتاج لهم، وعندئذ بدأ فخامته يتحدث ببطء ولكن بعناية شديدة، وقال لي: إنه أرسل في طلبي لأنه يريد أن يطلب مني طلبا عاجلا راجيا أن أعطيه جوابي عليه بطريقة قاطعة.

ثمّ قَالَ السفير: لقد كانت صداقتي ونصيحتي إليه هيَ الوحيدة الّتي كانَ يحفل بها ويقدرها أكثر من أية نصيحة أُخرى، لأنها كانت ثابتة لا تتغير، وكان هذا هو السبب الّذي جعله يستشرني في مناسبات متعددة، بحرية تامة كما لو كنت وزيرا في مجلس الوزراء التركي، ثمّ قَالَ: وقد كانَ من سلطاته (كرئيس للجمهوريّة) أن يختار خليفة له قبل وفاته، وقد كانَ أخلص رغبة له أن أخلفه في منصب الرَّئيس، ومن ثمّ فقد كانَ يريد أن يعرف رد فعلي عَلى الاقتراح]،

ثمّ بعد التَّفكير العميق اعتذر السفير وشكر العميل الّذي ظهر عليه التأثر، ومال بظهره إلى الوسائد.

تقييم موجز لدولة الخِلافَة العُثمَانِيّة

يمكن تقسيم مرحلة الدّولة العُثمَانِيّة إلى ثلاثة أطوار:

١- **طور القوّة:** ويمتد من تأسيسها إلى نهاية عهد السُّلطَان الغازي مصطفى خان الثّالث (١٧٧٤م)، وقد كانَ أوج الدّولة العُثمَانِيّة في عهد السُّلطَان سليم الأوّل وابنه سليمان القانُونيّ (١٥١٢-١٥٦٦م).

٢- **طور الضّعف والتراجع:** وابتدأ منذُ عهد السُّلطَان عبد الحميد خان الأوّل (١٧٧٤م) حيث دفعت السلطنة الجزية للمرة الأولى في حياتها، لروسيا (١٧٧٧م)، وأقرت بجملة من الإمتيازات لنصارى الدّولة العُثمَانِيّة وصلاحيات تدخل الأجانب في شؤونها إلى نهاية عهد عبد المجيد خان (١٨٦١م).

٣- **طور الإنهيار ومؤامرات اليَهُوْد والماسون وسقوط الدّولة العُثمَانِيّة:** ويبدأ منذُ عهد السُّلطَان عبد العزيز خان (١٨٦١م) الّذي عزله المفتي لفسوقه، وينتهي بخلع السُّلطَان عبد الحميد (١٩٠٩م)، ثمّ استلام الماسون، ثمّ إسقاط أتاتورك للخلافة العُثمَانِيّة وإلغائها حيث ختمت بالسلطان محمّد السَّادس سنة ١٩٢٤.

أسماء الخُلَفَاء العُثمَانِيّين ومدة حكمهم:

أولاً- طور القوّة:

- **(١) - السُّلطَان عثمان مؤسس الدّولة العُثمَانِيّة (١٣٠٠- ١٣١٧م)**
- **(٢) - السُّلطَان الغازي أورخان الأوّل(١٣١٧- ١٣٦٠م)**
- **(٣) - السُّلطَان الغازي مراد خان الأوّل (١٣٦٠-١٣٨٩م)، قتل في حرب الصّرب**
- **(٤) - السُّلطَان الغازي بايزيد خان الأوّل(١٣٨٩- ١٤٠٢م)، قتل أسيرا بيد تيمورلنك.**
- **(٥) - السُّلطَان محمّد جلبي الغازي (١٤١٠-١٤٢١)**
- **(٦) - السُّلطَان مراد خان الثّاني (١٤٢١ -١٤٥١م)**

- (٧) – السُّلطَان الغازي محمّد الثّاني فاتح القُسطَنْطينيَّة (١٤٥١– م)
- (٨) – السُّلطَان الغازي بايزيد خان الثّاني(١٤٨١– ١٥١٢م).خلعه الإنكِشَارِيّة.
- (٩) – السُّلطَان سليم الأوّل الغازي (١٥١٢– ١٥٢٠م)
- (١٠) – السُّلطَان الغازي سليمان خان الأوّل القانُونيّ (١٥٢٠– ١٥٦٦)
- (١١) – السُّلطَان الغازي سليم خان الثّاني(١٥٦٦–١٥٧٧م)
- (١٢) – السُّلطَان الغازي مراد خان الثّالث (١٥٧٤–١٥٩٥م)
- (١٣) – السُّلطَان الغازي محمّد خان الثّالث (١٩٩٥– ١٦٠٣م)
- (١٤) – السُّلطَان الغازي احمد خان الأوّل (١٦٠٣– ١٦١٧م)
- (١٥) – السُّلطَان مصطفى خان الأوّل (١٦١٧– ١٦١٨م)..عزله المفتي والإنكِشَارِيّة.
- (١٦) – السُّلطَان عثمان خان الثّاني (١٦١٨– ١٦٢٢ م)....عزله الإنكِشَارِيّة وقتلوه.
- (١٧) – السُّلطَان الغازي مراد خان الرَّابع (١٦٢٣– ١٦٤٠م):
- (١٨) – السُّلطَان الغازي ابراهيم خان الأوّل (١٦٤٠– ١٦٤٨م): خلع وقتل.
- (١٩) – السُّلطَان الغازي محمّد خان الرَّابع (١٦٤٨– ١٦٨٧م): عزله المفتي.
- (٢٠) – السُّلطَان الغازي سليمان خان الثّاني (١٦٨٧– ١٦٩١ م)
- (٢١) – السُّلطَان الغازي احمد خان الثّاني (١٦٩١– ١٦٩٥م)
- (٢٢) – السُّلطَان الغازي مصطفى خان الثّاني (١٦٩٥– ١٧٠٣م): عزله الإنكِشَارِيّة.
- (٢٣)– السُّلطَان الغازي احمد خان الثّالث (١٧٠٣ – ١٧٣٠م): ..عزله الإنكِشَارِيّة.
- (٢٤) – السُّلطَان الغازي محمود خان الأوّل (١٧٣٠– ١٧٥٤م)
- (٢٥) – السُّلطَان الغازي عثمان خان الثّاني (١٧٥٤– ١٧٥٧ م)
- (٢٦) – السُّلطَان الغازي مصطفى خان الثّالث (١٧٥٧– ١٧٧٤م).

ثانياً – طور الضّعف:

- (٢٧) – السُّلطَان الغازي عبد الحميد خان الأوّل (١٧٧٤– ١٧٨٩ م)
- (٢٨) – السُّلطَان الغازي سليم خان الثّالث (١٧٨٩– ١٨٠٧م): عزله المفتي.
- (٢٩) – السُّلطَان الغازي مصطفى خان الرَّابع (١٨٠٧– ١٨٠٨م).....خلع وحجز.
- (٣٠) – السُّلطَان الغازي محمود خان الثّاني (١٨٠٨ – ١٨٣٩م)
- (٣١) – السُّلطَان الغازي عبد المجيد خان (١٨٣٩– ١٨٦١م).

ثالثا – طور الإنهيار والموت:

- (٣٢) – السُّلطَان الغازي عبد العزيز خان (١٨٦١– ١٨٨٦م) عزله المفتي.
- (٣٣) – السُّلطَان مراد الخامس (مايو١٨٨٦– أغسطس ١٨٨٦ م): عزله المتآمرون.
- (٣٤) – السُّلطَان الغازي عبد الحميد خان الثّاني (١٨٨٦– ١٩٠٩ م): عزله المتآمرون بدسائس اليَهُوْد.
- (٣٥) – السُّلطَان محمّد رشاد خان الخامس (١٩٠٩– ١٩٢٤م).
- (٣٦) – السُّلطَان محمّد السَّادس (وحيد الدّين) (١٩١٨–١٩٢٤): أسقطه الماسون بتخطيط اليَهُوْد والإنكليز والأوربيين، وتنفيذ أتاتورك. وهو آخر الخُلَفَاء العُثمَانِيّين.

وبه انتهى مسمّى الخِلافَة الّذي استمر زهاء ثلاثة عشر قرنا ونصف القرن.

أولاً: المناحي الإيجابية في دولة الخِلافَة العُثمَانِيّة:

إبتداءا يجب أن نلفت النَّظر إلى أن معظم المراجع التارِيخِيَّة المعاصرة الّتي أرخت للعُثمَانِيّين، قد ظلمت هذه الدّولة المجيدة، وزورت تاريخها وتاريخ المُسلِمِين في أيّامها، وذلك لأن معظم كتاب التّاريخ بعدها من المستشرقين، وتلاميذهم من ذراري المُسلِمِين بما فيهم الأتراك والعرب كانوا حاقدين عليها، حيث ينتمي معظم كتاب السّياسة والتّاريخ المعاصرين من المنسوبين للمسلمين هم من العلمانيين، والقوميين، وقد تولى أتاتورك وأتباعه إلى اليَوْم الحجر عَلى وثائق كثيرة هامة من أرشيف الدّولة العُثمَانِيّة، وخاصة عن المَرحَلَة الأخيرة من تاريخها والَّتي تولى فيها الماسون إسقاط الدّولة.

وأذكر أنّنا درسنا في بلادنا العربيَّة منذُ الطفولة في المدارس الابتدائية ثمّ ما تلا ذلك من مراحل الدّراسة شيئا من تاريخ تلك المَرحَلَة تحت عنوان (الإحتلال العُثمَانِيّ)!!

ولما درست في قسم التّاريخ من جامعة بيروت دراستنا المناهج - الّتي وضعها التربويون والكتاب بحسب أهواء فراعنة بلادنا من عملاء اليَهُوْد والنّصَارى –درسونا تاريخ الّذين تآمروا لإسقاطها وتعاونوا مع الكفّار من الإنكليز وحلفائهم، من القوميين والماسون العَرَب، ومعظمهم من نصارى الشّام، عَلى أنهم أبطال القوميّة العربيَّة، وشهداء الإستقلال!! كما قدمت لنا الّذين قادهم لورنس الجاسوس الإنكليزي عَلى أنهم قادة الثَّورة العربيَّة الكبرى عَلى الإحتلال العُثمَانِيّ!

ومن هنا نقول أنه يجب أن تقرأ تلك التّاريخات بعين الإتهام، ومنهج التمحيص، لتميز حقيقة ما كانَ في تلك الدّولة من سلبيات – سأذكر لاحقا أهمّها – عما هو افتراءات وتزوير من وضع المستشرقين وعملائهم من المرتدّين العلمانيين.

فإذا ما جئنا إلى إيجابيات دولة الخِلافَة العُثمَانِيّة.

فيأتي في طليعتها الحفاظ عَلى مسمّى الخِلافَة الإِسْلَاميّة، وحمل مشعل حماية المُسلِمِين ضدّ هجمات أعدائهم، وتوحيد معظم ممالكهم الرَّئيسيَّة في دولة واحدة قوية، بعد أن كانت الخِلافَة قد تحولت لمسمي رمزي في مصر حيث كانَ الخَليفَة لا يسيطر حتَّى عَلى قصره في ظل سلطان دولة المماليك منذُ

سقوط بغداد، بل حتَّى قبل ذلك عندما كانَ القادة الأتراك يسيطرون عَلى مقدرات ما بقي من الخِلافَة في بغداد فيما كانت عشرات الممالك والإمارات المستقلة تتقاسم رقعة العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.

وأما الفضيلة الثّانية لها، فهي إنهاء دولة الرُّوم البيزنطيين، وتردد أصداء الأذان في عاصمة ملكهم (القُسطَنْطينيَّة)، الّتي صار اسمها مدينة الإِسْلَام (إسلام بول)، والَّتي انبعثت منها رايات الفتح والجِهَاد لتُدخل الإِسْلَام إلى ربوع أوربّا الشرقية بكاملها (اليونان وبلغاريا، ورومانيا والمجر، وبلاد الصّرب والبوسنة والهرسك، فمدت دولة الإِسْلَام إلى بلاد البلقان بكاملها، ووصلت كما رأينا تفصيلا إلى وسط النمسا، وشمال إيطاليا، وملكت جزر المتوسط بكاملها، وأخذت الجزية والضرائب من معظم عظماء ملوك أوربّا في حينها.

أما ثالث فضائلهم فلقد اعتبر العُثْمَانِيّون أنفسهم حماة المُسلِمِين، واعتبر الخَليفَة العُثْمَانِيّ واجب حمايتهم مسؤولية في عنقه، فدافع عن شواطئ شمال إفريقيا من ليبيا وحتى مراكش، وأرسل الجيش والمدد، برئاسة وزير حربيته حتَّى إلى بلاد ما وراء النهر ليدافع عن بخارى وترمذ وطشقند!! وردت هجمات الصفويين عن العراق وشرق الأناضول، وبلاد القفقاس، وطردت البرتغاليين من شواطئ البحر الأحمر وبحر العَرَب وبحر الهند.

لقد وصلت الدّولة العُثْمَانِيّة إلى أوج من الحضارة والسّيطرة والقوة إلى مستوى لم تصل له دولة إسلاميّة في تاريخها، لقد تمكن العُثْمَانِيّون من دك أسوار القُسطَنْطينيَّة بقنابل تزن أكثر من ٢٠٠٠(كيلو غرام) وترميها من الشاطئ الآسيوي لمسافة ٢ كيلو متر!! وذلك أواسط القرن الخامس عشر! وجابت أساطيل العُثْمَانِيّين البحر المتوسط وما حوله من البحار، وكانت تهاجم أساطيل الأوربيين وموانئهم أحيانا بأكثر من ألف سفينة محملة بالمدافع الثقيلة! حتَّى استطاع خليفتها العُثْمَانِيّ (السُّلطَان عبد المجيد) في القرن الثَّامن عشر أن يسمي البحر الأبيض المتوسط: (بحيرة عُثْمَانِيّة)، فلما سأله أحد الصحفيين الإنجليز مستغربا ذلك الاسم قائلا: (إذا كنت تعتبر المتوسط بحيرة عُثْمَانِيّة! إذن ماذا تدعون البحر الأسود الّذي تحيط مملكتكم وجُيُوشكم به ؟ فأجابه مبتسما: ذاك مسبح قصري عَلى شوطئ إسلام بول!)

أما البحر الأحمر فقد اعتبره الأتراك العُثْمَانِيّون حملة مشعل الإِسْلَام (بحر الحرم)، وجعلوه محرما عَلَى السفن الصّليبيّة حتَّى التجاريَّة المدنيّة، كي لا يمر صليب من أمام مدينة جدة، فيدنس الماء الّذي يلمس شواطئها وهي في الحرم!! اللهُ أكبَر.. جدة هذه..الّتي أطلقت البوارج الأمريكيّة تحت رعاية آل سعود اليَوْم صواريخ كروز منها عَلَى أفغانستان وبغداد من، (بحر الحرم) أي البحر الأحمر، من شواطئها الّتي عمرها آل سعود بالملاهي ومرافق الفسوق، وسبحان مقلب الأحوال.

ولقد كانت الهويّة الإِسْلَاميّة لراية العُثْمَانِيّين ظاهرة، رغم ما اعتراهم من البِدَع والإنحرافات كما سنذكر لاحقا، وكانوا معظمين لشعائر الله، مهتمين بحماية الحرمين، والإنفاق عَلَى خدمتهما، وحراسة سبيل الحجيج، كما نشروا المساجد في كلّ الأصقاع الّتي وصلها سلطانهم، وأوقفوا الأوقاف، وبنوا التكايا ومنشآت الخدمات المختلفة، وما تزال آثارهم بطابعها المعماري التركي بارزة شاهدة في مشارق بلاد المُسلِمِين ومغاربها.

وفي الوقت الّذي كانت أوربّا الشرقية مسرح معظم مواجهاتهم مع أوربّا كما رأينا، ازدهرت الحياة الاقتصاديَّة والتجاريَّة والصناعية تبعا لقوتهم وما فرضوه من الأمن والاستقرار، و صارت استانبول عاصمة الدُّنيَا تليها في ذلك عواصم مصر والشّام والحجاز، وموانئ جَزِيرَة العَرَب وشمال إفريقيا، وتحركت قوافل التجارة عَلَى الطرق التجاريَّة القديمة (طريق التوابل، وطريق الحرير)، ونقلت البضائع من وإلى تلك العواصم، لتنقلها سفن المُسلِمِين إلى شواطئ المتوسط، وحتى إلى موانئ أوربّا.

ثانيا: المناحي السلبية في دولة الخِلافَة العُثْمَانِيّة:

إن أول سلبية تذكر لسلاطين بني عثمان الأتراك هيَ أن تسلل التَّشريع الوضعي إلى نظام الحكم، عَلَى وجه التَّشريع والتقنين والحكم بغير ما أنزل الله، قد حصلت في زمانهم ولأول مرّة في تاريخ الإِسْلَام والمُسلِمين، في حين كانَ ذلك قبلا من بعض فساق ملوك وأمراء المُسلِمِين وبعض خلفائهم، عَلَى وجه الاحتيال والتهرب والمراوغة، ولم يتجرأ أحد أن ينتقل للتشريع والتقنين، إلى زمان العُثْمَانِيّين، وقد بدأ هذا كما رأينا زمن سليمان القانُونيّ، بل منذُ أيّام الفاتح بشيء قليل إن صح ما روي في ذلك،

وتطور بعد ذلك مع تسلل الضّعف والإعجاب والافتتان بأوربّا لكثرة احتكاكهم بها، مما فتح باب التغريب وضياع الهويّة، وإفساد النُّخبَة الّتي تولت في النهاية إسقاط الدّولة.

ويشترك سلاطين بني عثمان مع من سبقهم من خُلَفَاء وملوك وأمراء الدّول والممالك الإِسْلَاميّة السَّابقة بمعظم السلبيات الّتي طبعت قصور الحكم منذُ تحول نظام الحكم من الخِلافَة إلى الملك عضوض ثمّ الملك جبري، ومن ذلك:

الصِّرَاع عَلى الملك بين الأبناء والإخوة، وكثرة القتل والخلع بين الإخوة ومن التف حمل كلّ واحد منهم من حاشية السوء، إلا أن سلاطين العُثمَانِيّين زادوا عَلى ذلك رذيلة لم يسبقهم إليها أحد من المتصارعين عَلى الملك في تاريخ المُسلِمِين ؛ إلا وهي بدعة قتل إخوة السُّلطَان عند توليه، واجتثاثهم جميعا حتَّى الرضع!! وذلك بدعوى تلافي فتنة منافسة الخَليفَة عَلى الملك مما يفسد الدّولة ويضعفها أمام أعدائها! وقد وجد السّلاطين بحسب ما ذكر بعض المؤرخين من بعض شياطين الإنس من يفتيهم أن لهذا حجة في قوله تَعَالَى ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ [البقرة: ١٩١] فهم يرتكبون قتل الإخوة خوف فتنة الخلاف والفرقة!!

تدخل الأمهات الأجنبيّات في صراعات القصر، وزاد الطين بلة أن العديدات منهن كن من بنات ملوك الكفّار أو من صفيات السبايا بين روسية وصربية وإيطالية، اللواتي عملن لصالح بلادهن وزاحمن إخوة أولادهن عَلى ولاية العهد.

البذخ والترف والاستكثار من القصور والفرش والرياش، والمطابخ والحمامات الملكية، ولقد تيسر لي أن أزور بعض تلك الآثار في استانبول حيث يرى الناظر العجب العجاب من بقايا آثارهم الّتي سرق أنفسها في العهد الأتاتوركي.

الأثرة وظلم الرعايا وكثرة المكوس والضرائب الّتي فرضها الضامنون لمهمات جمع الضرائب والمتصدرون لشؤون العامّة، وقد زاد هذا في أواخر الدّولة بتحولها إلى النّظام الإقطاعي، حيث أقطع السُّلطَان (الباشاوات) و(البيكاوات) الأراضي، فملكوها بمن عليها من الزراع والفلاحين وساموا النّاس خسفا وظلما سارت بأخباره الركبان.

وصار مادة للمسلسلات والأفلام فيما تتالى من أيّام حتَّى وصلت إلى (غوار الطوشة!).

ولقد كانَ للمرحلة العُثمَانِيّة سلبيات خاصّة بها فوق ما اشتركوا به مع غيرهم، من السلبيات آنفة الذكر، ومن ذلك:

أن اتجاههم الحضاري كانَ أحاديا وتجلى بالمنحى العسكريّ، ولم يولوا المناحي الأخرى للتقدم الحضاري في مجال العلوم الإِسْلَامية والتطبيقية، ومجالات الفكر والأدب، أهمية، فطبع العالم الإِسْلَاميّ بالجهل والتخلف فمنذ القرن السبع عشر فيما كانت أوربّا تشهد التّحول الكبير في ثوراتها الفكريّة والسّياسيّة والاجتماعيَّة، والصناعية، مما أوجد هوة حَضَاريَّة بين الشّرق والغرب ساهمت في انتقال راية الحضارة البشرية من شرقنا إلى غربهم.

التخلف الدّيني، والتقوقع والتعصب المذهبي (إذ حكم الأتراك وتعصبوا لمذهب الإِمَام أبي حنيفة رحمه الله)، في حين أنهم حكموا رقعة إسلاميّة تتعدد مذاهبها الأصيلة في المُسلِمِين، كما شهدت مرحلتهم، تشجيعا للتصوف ومدارس الدراويش، فقد كانَ سلاطين العُثمَانِيّين، وشيوخ السّلاطين من الصوفية، وقد ساعدت أجواء التخلف والفقر والظُّلم الّتي طبعت تلك الفترة النّاس عَلى الاندفاع وراء الطرقية الصوفية فرارا من واقعهم المرير، وزادت الصوفية الأُمّة جهلا عَلى تخلف ولاسيما في ثلثها الأخير.

العنصرية التركية، والّتي وجدت منذُ البداية، حيث تولى الأتراك معظم المناصب الهامة، والغريب أن الإهمال للعنصر العربيّ، والعناصر العرقية المشرقية الأخرى كانَ ملحوظا في حين تمكن بعض المُسلِمِين من البلاد الغربيّة المفتوحة أن يجدوا فسحة في المناصب، وقد أوجد هذا هوة بين العُثمَانِيّين والمكون الأساسي للأمة الإِسْلَاميّة عددا وأهمية وهم العَرَب، وقد زادت حدة هذه الظَّاهِرة في الطور الأخير من الخِلافَة العُثمَانِيّة عندما وجدت الفكرة القوميّة – بعد الثَّورة الفرنسية – طريقها إلى المفتونين من الترك والعرب عَلى حد سواء، وبرزت القوميّة الطورانية (التركية) بحدة، وتسلم جبابرتها من الماسون واليَهُوْد مقاليد الأمور، فأوجدوا المبرر للمتآمرين من ماسون العَرَب، ومن المغرر

بهم من المثقفين، ومن الطامعين بالملك، أن يرفعوا نعرتهم القوميّة العربيَّة أيضا، وكان هذا أكبر المعاول الّتي هدمت صرح الخِلافَة.

وهكذا تجمعت السلبيات رغم ما أسلفنا من الإيجابيات العظيمة لترسم النَّتِيجَة المحتومة بقدر الله، ويمكن تلخيص مجمل أسباب السُّقوط بالنقاط التّالية باختصار.

ثالثا: الأسباب العامّة لانهيار الدّولة العُثمَانِيّة:

دخول التَّشريع الوضعي عَلى الشّريعة الإِسْلَاميّة بدعوى التقين والتَّنظِيم وهبوب رياح التغريب جراء الإعجاب ببهارج الحضارة الغربيّة، وهذا من أهمّ أسباب ضياع المُسلِمِين قديما وحديثا.

الترف والبذخ في حياة السّلاطين، ولقصور الحاشية، ورجال الأجهزة الحُكُوميّة وكبار طبقات المجتمع وهو ثاني أهمّ أسباب انهيار الممالك والدّول.

الظُّلم والطّغيان والنّظام الاستبدادي الفَرديِّ الفئوي القومي، وكثرة المكوس عَلى الرعية، وتفشي النّظام الإقطاعي بأسوأ صوره وسيئاته، وتفشي الطبقية في المجتمع، وهو ثالث أهمّ أسباب الزوال والبوار.

الجمود الفكريّ والفقهي والدّيني، والتقوقع المذهبي، والاتجاه الأحادي العسكريّ للحضارة العُثمَانِيّة عَلى حساب المناحي الحَضَاريَّة الأخرى.

تدخل قناصل وسفارات الدّول الأجنبيّة في شؤون البيت العالي (ديوان الخِلافَة) ودعم الأقليات لاسيما النّصرانية للعبث بوحدة الدّولة.

طغيان الشعور القومي لدى الأتراك، واعتماد سياسة التـتريك والتميز العنصري وقمع القوميات ولاسيما في البلاد العربيَّة.

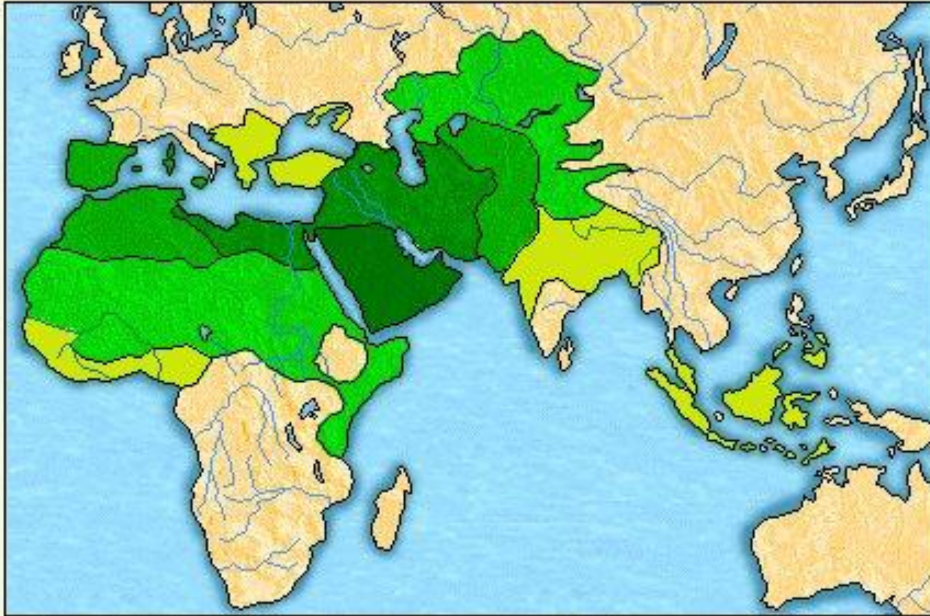
سيطرة يهود الدونمة والماسون عَلى إدارة الدّولة في الثلث الأخير من حياة الدّول العُثمَانِيّة ولاسيما القرن الأخير.

تفشي روح الشّعوبية والقومية لدى العَرَب وغيرهم كرد فعل عَلى سياسة التمييز التركي، والاتجاه لمقاومة الخِلافَة العُثْمَانِيّة، ومحاربتها ومعاونة الإنكليز عليها!

افتتان نخبة الطّبقة السّياسيّة، والعسكريّة، والثّقافيَّة والفكريّة في الدّولة العُثْمَانِيّة عامة بالحضارة الغربيّة، وسعيهم لتقليدها، وفقدان روح العزة الإِسْلَاميّة .

وأخيرا: السبب الخارجي:

وهو تآمر الدّول الأوربية وخاصة الإنكليز والرُّوس والفرنسيين والطليان وغيرهم، وتعاونهم مع اليَهُوْد وإصرارهم عَلى إسقاط الدّولة العُثْمَانِيّة وتحالفهم ضدها، من أجل إيصال اليَهُوْد إلى فِلَسطِين، وتقاسم الأوربيين ولاسيما تلك الدّول الثّلاثة لإرثها، وتقطيع أوصال العالم الإِسْلَاميّ والعربي وابتلاعه.



استعراض لأحوال دول وممالك العالم العربيّ والإِسْلَاميّ

منذ انهيار الخِلافَة العُثمَانِيّة

(منذ ١٢١٤هـ - ١٨٠٠م وإلى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م)

أعتقد أنه حتَّى تكتمل الفائدة ويتحقق الغرض المقصود، من سرد خُلاصة التّاريخ الإِسْلَاميّ في مقدمة بحث غرضه التأسيس لدعوة مقاومة إسلاميّة عالميّة، يقودها طلائع واعية مستوعبة لعقيدتها الجهاديّة، فاهمة لمعطيات واقعها، مدركة لدروس تاريخها، أن من المفيد أن نختم هذا الفَصل التّاريخي بخلاصة تاريخ ما حلّ ببلدان العالم العربيّ والإِسْلَاميّ بعد انفراط عقد الخِلافَة، وهو ما يصطلح عليه بالتّاريخ الحديث

للعرب والمُسلِمين، ورغم أن أكثر تلك الأحداث المأسوية قد حلّ بالمُسلِمين بعد انفراط عقد الخِلافَة العُثمَانِيّة وتناهب الغرب الأوربي وروسيا لتركتها وذلك بعد سقوطها الرسمي بعد الحَرب العَالَمِيّة الثّانية وخسارتها إلى جانب ألمانيا لتلك الحَرب.

إلا أن تلك الأحداث الّتي تعتبر الجولة الثّانية من الحملات الصّليبيّة، كانت قد بدأت قبل ذلك حيث قضمت البلاد الأوربية الاستعماريّة ما استطاعت من بلدان المُسلِمين في الأطراف البعيدة للعالم الإِسْلَاميّ وقد بدأ ذلك منذُ القرن السَّادس عشر، إلا أنه يمكن التّاريخ لبدايته الجدية منذُ حملة نابليون عَلى مصر سنة ١٧٩٨ ميلادية، وهو التّاريخ الّذي يوافق بدايات الضّعف والتقهقر في الخِلافَة العُثمَانِيّة كما رأينا آنفا.

ونظرا لعدم تمكني من المراجع المعاصرة وأنا أخط هذا البحث في مرحلة المخابئ، حيث لا تتوفر لي الكتب اللازمة، ونظرا لعدم توفر المراجع الّتي كنت أتمناها ولاسيما كتاب (موسوعة التّاريخ الإِسْلَاميّ) للأستاذ المؤرخ العبقري محمود شاكر رحمه الله حيث أرخ لسائر بلاد المُسلِمين منذُ انطلاق دولة الإِسْلَام وإلى مطلع الثمانينات من القرن العِشرين، وغيره من الكتب التارِيخِيَّة المتخصصة في التّاريخ السّياسيّ المعاصر، فلذلك ستكون هذه الفقرة موجزة أعتمد في جلها عَلى ما علق في ذاكرتي مما

قرأت أو درست، أو مما عشته وشهدته من تاريخنا خلال هذا الربع الأخير من القرن العِشرين، وهي صفحات ربما يكون من الأفضل أن نصفها بأنها قاسية مريرة حتَّى نفر من وصفها بأنها سوداء، ولو قلنا ذلك لما عدونا الواقع.

وإن كنت أعتقد أنه سواد ليل أذن بالرحيل إن شاء الله، حيث ألمح انبعاث طلائع من الشَّبَاب المُجَاهد الظَّاهِرين عَلَى الحقّ، ينسجون بأشلائهم خيوط الفجر ليشرق صباحه المنير قريباً- إن شاء الله - في سماء عالمنا العربيّ والإِسْلَاميّ الكبير.

وما هذا السهر الدؤوب الّذي أستعين الله عليه في كتابة هذا البحث الكبير منذُ ثلاثة سنين، ونحن في مرحلة الخوف والتنقل والاختفاء هذه، إلا مساهمة متواضعة في حياكة حصة متواضعة في نسيج ذلك الفجر العظيم المنشود، القادم لا محالة بإذن الله.

وأسأل الله الإخلاص والقبول، وخاتمة بالشَّهَادة في سبيل الله، بعد أن نشهد إطلال إشراقاته الأولى لننعم بدفئ وضياء ذلك النور، بعد أن تطاولت علينا عقود ذلك الليل البهيم شديد الظُّلمة قاسي الصقيع.

وسأسرد خُلاصة ذلك التّاريخ الحديث عَلى قسمين، بلاد العالم العربيّ، ثمّ أهمّ بلاد العالم الإِسْلَاميّ، وسأبدأ بالعالم العربيّ مسلسلا الدّول من المشرق إلى المغرب، ومن آسيا إلى إفريقيا، فقد تفتت العالم العربيّ إلى اثنتين وعشرين دولة! قابلة للزيادة هذه الأيّام بحسب بَرَامج جورج بوش! وتجاوز عدد الدّول الإِسْلَاميّة خمسا وخمسين دولة!! وليس هذا لدخول مزيد من الدّول في الإِسْلَام بالطبع، وإنما لتقسيم قصعته عَلى مائدة الُمستَعمرين شذر مذر!

أولاً: العالم العربيّ:

العراق:

كانَ العراق ولاية عُثمَانِيّة منذُ عام (٩٢٢هـ - ١٥١٦م) وحتى (١٣٣٥هـ - ١٩١٧م)، وتنافست عَلى احتلاله ألمانيا وفرنسا وإنجلترا، فبعد تحقيق الوحدة الألمانية، اتجهت ألمانيا إلى سياسة

التوسع شرقا عَلى حساب الدّولة العُثمَانِيّة المنهارة، ويتضح ذلك في مشروعها الخاص بمد سكة حديد برلين – بغداد.

وقد أدركت بَرِيطَانيَا خطورة النفوذ الألماني فتصدت لمواجهته نظرا لتهديده الوجود البريطاني في الخليج.

ولما اندلعت الحَرب العَالَمِيّة الأولى سنة (١٣٣٢هـ – ١٩١٤م) بدأت القوَّات البريطانيَّة تتحرك من الهند لاحتلال العراق منتهزة فرصة انضمام الدّولة العُثمَانِيّة إلى ألمانيا، ونجحت هذه الجُيُوش في الاستيلاء عَلى الفاو والبصرة وسيطرت تدريجيا عَلى جنوب العراق سنة (١٣٣٣هـ ١٩١٥م)، وفي سنة (١٣٣٥هـ – ١٩١٧) احتلت بغداد والموصل وأعلنت بَرِيطَانيَا نهاية تبعية العراق للدولة العُثمَانِيّة.

وفي مؤتمر (سان ريمو) سنة (١٣٣٨هـ – ١٩٢٠م) تقرر وضع العراق تحت الحماية البريطانيَّة.

أما عن تطور الحركة الوطنيّة العِرَاقيَّة، فقد بدأت من قبل أعضاء (جَمعيَّة العهد) الّذين عقدوا اجتماعا بدمشق أعلنوا فيه استقلال العراق واتحاده مع سوريا سياسيّاً واقتصاديا كما قاموا بتحركات عسكريّة عَلى الحدود السوريّة العِرَاقيَّة.

ولبى العراقيون في الداخل نداء المُقاوَمة وقاموا بثورة سنة (١٣٣٧هـ – ١٩٢٠م) الّتي امتدت من الموصل إلى البصرة وشارك فيها سائر القبائل والطوائف ولم يبق في أيدي الإنجليز سوى البصرة وبغداد والموصل.

وكانت بَرِيطَانيَا قد توجت الأمير فيصل بن الشريف حسين ملكا عَلى العراق وذلك في عام (١٣٣٩هـ – ١٩٣٠م) فعمل عَلى تحقيق الاستقلال عن طريق المفاوضات وعقدت معاهدة (١٣٥٠هـ –١٩٣٢م) فحصلت العراق بمقتضاها عَلى بعض المكاسب منها قبول العراق عضوا في عصبة الأمم سنة (١٣٥٠هـ – ١٩٣٢م).

وعندما قامت الحَرب العَالَمِيّة الثّانية سنة (١٣٧٥هـ – ١٩٣٩م) رأت بَرِيطَانيَا الفرصة سانحة لتستفيد من امتيازات معاهدة (١٣٤٨هـ – ١٩٣٠م) وذلك باستعمال قواعد المواصلات العِرَاقيَّة

وبعض القواعد العسكريّة مما جعل الوضع بالعراق يزداد توترا إلى أن انفجر بثورة رشيد عالي الكيلاني سنة (١٣٥٩هـ - ١٩٤١م) بالعراق.

وتفجر الصِّرَاع العسكريّ بين الإنجليز والعراقيين الّذي انتهى بهرب رشيد عالي الكيلاني خارج العراق كما نجحت بَرِيطَانيَا في استمالة الأمير عبد الإله ونوري السَّعيد لتنفيذ مخططاتها في دعم نفوذها بالعراق.

وفي سنة (١٣٦٤هـ - ١٩٤٤م) جرى تشكيل خمسة أحزاب عراقية تبنى بعضها معارضة السّياسة البريطانيَّة في العراق لكن استطاعت بَرِيطَانيَا حلها.

وفي (٨/ ٥/ ١٣٧٤هـ - ٥إبريل سنة ١٩٥٥م) أعلن قيام (حلف بغداد) بين العراق وتركيا ثمّ انضمت إليه بَرِيطَانيَا وإيران وباكستان والولايات المتحدة الأمريكيّة، فكان ذلك نوعا من عزل العراق وبعض البلدان العربيَّة عن التّيار العربيّ التحرري الّذي راج آنذاك.

ولمُوَاجَهة الحلف تشكلت لجنة وطنيّة من القوى القوميّة والشُّيُوعِيّة تصدت لقيادة الحركة الوطنيّة، وانتهت جهودها إلى تفجير ثورة (١٠/ ٧/ ١٣٧٧هـ - ١٤يوليو سنة ١٩٥٨م) الّتي أطاحت بالنّظام الملكي وأعلنت الجمهوريّة.

سنة (١٩٦٥) استولى (حزب البعث العربيّ الاشتراكي) عَلى السّلطة عبر الإنقلاب في العراق، ونصب (أحمد حسن البكر) رئيسا للعراق، وبعد ثلاث سَنَوات تمكن رجل حزب البعث النافذ (صدام حسين) نائب الرَّئيس البكر من إزاحته بهدوء وتولى رئاسة العراق، وابتدأ عهده بتصفية كافّة مراكز القوى في الحزب والدّولة بالبطش والإعدامات الدموية، حتَّى سيطر بمفرده عَلى الحكم كواحد من أقوى رؤساء الأنظمة العربيَّة الديكتاتورية وأكثرهم بطشا وجبروتا، وقد تميزت فترة حزب البعث في العراق - كما في سوريا - بتصفية كافّة الاتجاهات السّياسيّة الأخرى، واتبعت نهجا علمانيا إلحاديا يساريا مواليا لموسكو، وقد حارب صدام البعث الإِسْلَام والإِسْلَاميّين وبطش بهم وسار بالعراق عَلى طريق الكفر والظُّلم والطّغيان، ولكن الّذي يحسب لصدام أنه سعى لبناء دولة قوية متطورة علميا وتكنولوجيا، وأسس جيشا قويا كثير العدد موفور العتاد، وطور الصناعات العسكريّة ولاسيما

الصاروخية، بل طمح لأن يمتلك القدرات النووية، وشهد العراق في عهده الديكتاتوري الدموي نهضة عمرانية وازدهارا اقتصاديا مستفيدا من الموارد النفطية الهائلة للعراق.

وبعد الثَّورة الشيعيّة الخمينية الّتي أطاحت بشاه إيران، تبنت إيران مبدأ تصدير الثَّورة للدول العربيَّة والإِسْلَاميّة، وحركت القوى الشيعيّة الّتي كانَ صدام قد اضطهدها كغيرها بقسوة، فبطش صدام بالشّيعة ونكل بهم بوحشية، واستغلت أمريكا الحال بين الجارتين القويتين ونجحت في إشعال حرب ضروس بينهما اتهمت كلّ دولة فيها الأخرى بالتسبب في بدء الحَرب الّتي استمرت من (١٩٧٩) وإلى (١٩٨٧) ودمرت موارد البلدين، ولكن العراق خرج بتجربة عسكريّة كبيرة وطور جيشه، واستغلت أمريكا النزعة التوسعية لدى صدام، واستدرجته السفيرة الأمريكيّة وزينت له احتلال الكويت، فتورط في حرب الخليج الثّانية واحتل الكويت بسهولة سنة ١٩٩٠م، وبذلك بلع صدام الطعم الّذي وضعته له أمريكا ليكون عذرها الواهي للتواجد الاستعماريّ في المنطقة، وهكذا زحفت أمريكا مع جُيُوش حلفائها بنحو مليون جندي لتحرير الكويت وإنقاذ أصدقائها من حُكَّام الخليج كما ادعت وادعى أولئك الحكَّام الخونة، وأسفرت الحَرب سنة ١٩٩١ عن تدمير الجيش العراقي، وتركيع حُكَّام الخليج وابتزاز مخزونهم المالي في بنوك أمريكا، ووضع الأمريكان قدمهم في المنطقة، وفرضت أمريكا حصارا ظالما عَلى الشعب العراقي بحجة احتواء نظام صدام، وعبر ١٣ سنة من الحصار الوحشي قتل أكثر من مليون ونصف من الأطفال لانعدام الغذاء والدَّواء عدا ما هلك من الرّجال والنِّسَاء، فضلا عن الحَرب الّتي قتل فيها أكثر من ٣٠٠ ألف عسكريّ ومدني تحت القصف الأمريكيّ الوحشي! وبعد أن تأكدت أمريكا من انهيار العراق ونظامه، نفذت الحلقة الثّانية من البرنامج اليَهُوْدي الصّليبيّ واحتلت العراق كاملا بشكل مكشوف في حرب الخليج الثّالثة الّتي أسمتها حرب تحرير العراق وذلك بعد أن سهل لها ذلك لفيف من المعارضين العراقيين الّذين ربتهم أمريكا وبريطانيا عبر سَنَوات الحصار وكان في طليعتهم القوى الشيعيّة الّتي تمركزت في إيران بالإضافة لقوى أُخرى، حيث أوصل صدام الشّيعة والقوى الأخرى ببطشه إلى الاستعداد للتعاون مع الشّيطان للإطاحة به، وتداخلت المسائل السّياسيّة المتشابكة – وليس هنا محل استقصائها – لتكون بداية

البرنامج الاستعماريّ الكبير الّذي تجتاح به أمريكا وحليفتها بَرِيطَانيَا الشّرق الأوسط برمته من بوابة العراق، بعد أن احتلت أفغانستان وفرضت نفسها كقوة استعماريّة إمبراطورية جديدة عَلى العالم بأسره، وهكذا سقط نظام صدام وحكم البعث الّذي استمر زهاء ٣٥ سنة، لتتولى هذه الأيّام حكومة عميلة معينة من قبل أمريكا حكم العراق الّذي يعيث فيه فسادا أكثر من ١٥٠ ألف جندي أمريكي، ونحو ٥٠ ألف جندي بريطاني عدى جُيُوش بقية الحلفاء الصّليبيّين.

سوريا:

بقيت سوريا خاضعة للحكم العُثْمَانِيّ نحو ٤٠٠ سنة، ومع تهلهل أحوال الدّولة العُثْمَانِيّة بدأت بذور العمل التّحرّك القومي العربيّ في سوريا من جراء دسائس تلاميذ المستشرقين الصّليبيّين، ومعظمهم من النّصَارى، حيث لاقت أفكارهم رواجا نتيجة سياسة (التتريك) الّتي اتبعها الماسون الّذين استولوا عَلى الدّولة العُثْمَانِيّة في أواخر عهدها، وقد بدأ النَّشَاط القومي في صور جمعيات ثقافية الطابع داخل سوريا وخارجها نذكر منها جَمعيَّة النهضة العربيَّة الّتي أسست في دمشق سنة (١٣٢٤هـ -١٩٠٦م) وجَمعيَّة العربيَّة الفتاة الّتي أسست سنة (١٣٢٩هـ - ١٩١١م) في باريس وانتقلت لدمشق وبقيت بها حتَّى سنة (١٣٣٧هـ - ١٩٢٠م)، ثمّ عقد في باريس المؤتمر العربيّ الأوّل سنة (١٣٣١هـ -١٩١٣م) والّذي مثل اتحادا عربيا ضمن إطار القوميّة العربيَّة.

أعقب هذا المؤتمر محاولة الأتراك للتقرب من العَرَب، واستجاب لهم العَرَب في محاولة لصد أخطار المطامع الأوروبية، لكن حركتي (التتريك) و(القوميّة العربيَّة) كانتا تمضيان قدما، ولم يكن من المستطاع التوفيق بين قوميتين في نطاق دولة واحدة، ومنذ ذلك الوقت حدث انفصام بين الأمتين وساد سوء الظن، وعندما قامت الحَرب العَالَمِيّة الأولى سنة (١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) دخلت تركيا الحَرب إلى جانب ألمانيا؛ وهنا قامت ما يعرف بالثّورة العربيَّة الكبرى عَلى تركيا، حيث قادها الأمير حسين بن علي والي الحجاز ضدّ الأتراك، حيث خدعه البريطانيون فتحالف معهم، واشترك معه أهل الشّام،

وانتهت الحَرب العَالَمِيّة بهزيمة ألمانيا وحلفائها، وانتصار بَرِيطَانيَا وفرنسا اللتان قسمتا المنطقة فيما بينهما بموجب اتفاقية سيكس – بيكو، ووعد بلفور الّذي منح فِلَسطِين لليهود.

وفي عام (١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م) عين المؤتمر السّوري العام فيصل بن الحسين ملكا عَلى سوريا، وفي نفس السنة صدرت قرارات مؤتمر سان ريمو الّذي كانَ من بين قراراته أن توضع سوريا تحت الانتداب الفرنسي، ووجهت فرنسا إنذارا للملك فيصل تطلب منه قبول الانتداب الفرنسي وتسريح الجيش السّوري خلال ٤٨ ساعة.

وقبل انتهاء الإنذار زحفت القوّات الفرنسية إلى دمشق ؛ فأعلن الملك فيصل الجِهَاد ؛ وهاج الشعب والتف حول حكومته والتقى الجيش الفرنسي بالجيش السّوري والمتطوعين بقيادة وزير الدّفاع يوسف العظمة في معركة ميسلون البطولية في يونيو (١٣٣٨هـ -١٩٢٠م) ولكنها انتهت بانتصار الجيش الفرنسي ليحتل دمشق ومن ثمّ سائر المدن السوريّة.

وعلى إثر ذلك غادر الملك فيصل دمشق وسيطر الفرنسيون عَلى البلاد سيطرة كاملة، واتبعت فرنسا سياسة طائفة فقسمت سوريا إلى أربع دويلات هيَ: دمشق، وحلب، ودولة العلويين، ودولة الدروز.

ولم يستسلم السوريون لهذه التدابير ؛ فقامت بعض حركات المُقاوَمة، وفي سنة (١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م) ثار الدروز عَلى الفرنسيين ثمّ امتدت الثَّورة إلى حماة ودمشق، وانتصر الثوار في عدّة معارك لكن الفرنسيين قمعوها بوحشية.

وأمام ضغوط الثوار وافقت فرنسا عَلى تشكيل حكومة وطنيّة بدمشق حاولت عن طريق المفاوضات عقد معاهدة تنص عَلى تكوين جيش وطني وإصدار دستور للبلاد، لكن المقيم الفرنسي عمل عَلى حلّ الحكومة سنة (١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م).

شكلت فرنسا حكومة عقدت معها معاهدة سنة (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م)، ثمّ اعترفت فرنسا بمنح سوريا استقلال مشروطا.

ولما قامت الحَرب العَالَمِيّة الثّانية سنة (١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م) أعادت فرنسا الحكم العسكريّ في سوريا، وأدى استمرار المُقاوَمة الوطنيّة والتنافس البريطاني الفرنسي إلى إجبار فرنسا عَلى منح سوريا الاستقلال سنة (١٣٥٩هـ / ١٩٤١م)، مع بقاء قوّاتها فيها.

وفي سنة (١٣٦١هـ / ١٩٤٣م) تمَّ انتخاب (شكري القوتلي) رئيسا للجمهوريّة السوريّة المستقلة ثمّ اضطرت فرنسا إلى سحب قوتها من سوريا سنة (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م) ليكتمل تحريرها واستقلالها.

بعد الإستقلال قامت في سوريا سلسلة من الانقلابات العسكريّة بمؤامرات وتخطيط ودعم من السفارة الأمريكيّة في دمشق، وفي سنة ١٩٥٨ قامت الوحدة بين مصر وسوريا في عهد جمال عبد النّاصر، ثمّ انفصلت سوريا عن مصر، بانقلاب عسكريّ بعد ثلاث سَنَوات عَلى الوحدة! ثمّ جاء الدَّور عَلى (حزب البعث العربيّ الاشتراكي) ليقوم بانقلاب ٨ آذار ١٩٦٣. وكان جل قيادات الحزب من الطوائف غير الإِسْلَاميّة، فكانوا من النّصَارى والدروز والإسماعيلية والنصيرية، وقد أعلن البعثيون الكفر والإلحاد وحرب الإِسْلَام بلا خفاء ولا مواربة، كما انفردوا بالسلطة وبطشوا بالقوى السّياسيّة الإِسْلَاميّة والقومية واليسارية الأخرى، ثمّ انقسموا عَلى بعضهم، وأعدم بعضهم بعضا، وقام انقلاب سنة ١٩٦٥ عَلى الرَّئيس (أمين الحافظ) ذي الأصل السني، ليزداد نفوذ النصيرية والدروز في الحكم، وفي ٥ حزيران من سنة ١٩٦٧ خسرت سوريا ومصر الحَرب مع إسرائيل وهزمتا هزيمة مُنكرة، واحتلت إسرائيل مرتفعات الجولان من غير قتال، حيث تولى وزير دفاع سوريا آنذاك (حافظ الأسد) بيع الجولان لإسرائيل واشتهرت قصة الفضيحة دوليا وإقليميا، ومن ثمّ كوفئ حافظ الأسد والنصيرية بتسليمهم مقاليد الحكم في سوريا بدعم من القوى العَالَمِيّة والصّهيونيّة، وكان ذلك بعد آخر الانقلابات في سوريا، وهو ما سمي بالحركة التصحيحية، يقصدون تصحيح مسار حزب البعث!

ومنذ ذلك الوقت تحكم الطَّائِفَة النصيرية سوريا حكما طائفيا استبداديا.

حكم حافظ أسد سوريا خلال (١٩٧٠ – ١٩٩٨)، حكما عسكريّاً استخباراتيا بقبضة من حديد، وبطش بكل همسة معارضة لحكمه من أي هوية سياسيّة كانت، وضعف نفوذ البعثيين المرتدّين المنحدرين من أصول الطَّائِفَة السنية الّتي تشكل ٨٠٪ من سكان سوريا، وسارت البلاد في دروب الكفر والإلحاد والعلمنة بوتيرة متسارعة، كما دب الفساد والرشوة في كافّة مفاصل الحياة السّياسيّ والإدارية والقضائية والاقتصاديَّة، وذاق الشعب فيها ألوان العذاب!

قامت في سوريا ثورة إسلاميّة مسلحة عَلى نظام حافظ أسد بقيادة الشَّيْخ مروان حديد، وامتدت أحداثها من (١٩٧٣) إلى (١٩٨٣)، ولاقت انتشارا في صفوف الْمُسلِمِين السنة، ولكن النّظام بطش بالشعب بقسوة وبكافة ألوان الإِسْلَاميّين ولاسيما بالجهاديّين، وبالإخوان الْمُسلِمِين، وامتد عدوانه لكل ما يمت للإسلام بصلة، حتَّى دوهمت المساجد ومزقت المصاحف، وقتل المصلون، وفي فبراير ١٩٨٢ بلغت الثَّورة أوجها وتركزت في مدينة حماة، فقام النّظام النصيري البعثي بدك المدينة بالمدافع والطائرات وقتل أكثر من (٥٠ ألف مسلم) خلال ١٤ يوما! وسط صمت إعلامي دولي مريب عجيب، وتابعت الحكومة الاعتقالات الّتي كانت قد اشتدت منذُ ١٩٧٩ وأعدم في السّجون أكثر من ٢٥ ألف مسلم في حملات إعدام ومجازر منظّمة! دفن أصحابها في مقابر جماعية، وانتهت الثَّورة (راجع كتاب الثَّورة الإِسْلَاميّة الجهاديّة في سوريا، وكتاب الْمُسلِمُون والنصيرية في بلاد الشّام – للمؤلف).

أراد حافظ الأسد تولية ابنه باسل لخلافته في رئاسة الجمهوريّة، ورتب ذلك مع أمريكا والقوى الإقليمية، وفي طليعتها إسرائيل، ولكن باسل هلك فجأة في حادثة سيارة كما قيل، فرتب استخلاف ابنه بشار عَلى عجل مع نفس القوى، وحضرت وزيرة خارجية أمريكا، اليَهُوْدية الشمطاء (أولبريت) إلى دمشق وأشرفت عَلى تصويت البرلمان السّوري عَلى تعديل الدستور بالإجماع خلال ٤٠ دقيقة، وعلى نقل ولاية العهد لبشار الّذي مازال يحكم سوريا عبر أجهزة الإستخبارات الّتي أَسَّسَها أبوه إلى اليَوْم.

لبنان:

كانت لبنان جُزءاً من بلاد الشّام الّتي كانت ولاية عُثمَانِيّة، ولما تقاسمت بَرِيطَانيَا وفرنسا الشّرق الأوسط، خرجت لبنان في حصة فرنسا باعتبارها جُزءاً من سوريا، ولكن فرنسا أعطت لبنان وضعا خاصا لوجود طائفة مسيحية كبيرة فيه، أرادت فرنسا الاعتماد عليها في نفوذها في المنطقة، ولما قسمت فرنسا سوريا إلى عدّة دويلات، كانت لبنان إحدى لك الدويلات، فوضعت لبنان تحت الانتداب الفرنسي تطبيقا لمعاهدة (سان ريمو) وبدأ الجنرال غورو إعادة تقسيم سوريا ولبنان، وفي أغسطس سنة (١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠) صدر قرار بإعلان قيام دولة لبنان، كما أعلن استقلالها عن سوريا، ثمّ اقتطعت فرنسا أجزاء من الأقاليم المجاورة لإقليم لبنان وألحقتها به وأسمته (دولة لبنان الكبير!!)، علما أن هذا (الُّبنان الكبير)!! بلغت مساحته بعد ما الحقّ به (١٠ آلف كم مربع فقط)!

ثمّ قام الفرنسيون باستغلال لبنان، وعمدوا إلى تمزيق شمل المواطنين والدس بينهم لتمكين أقدامهم في البلاد، لكن بعض اللبنانيين لم يستكينوا لفرنسا فقامت بعض الثورات من حين لآخر ؛ ومن أشهرها ما حصل في سنة (١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م) ثورة جبل عامل الّتي أخمدها الفرنسيون، ولكن الفرنسيين اعتمدوا عَلى ولاء النّصَارى الموارنة لبسط نفوذهم.

ثمّ توالت الثورات وتلاقت مع ثورات سوريا خاصّة في ثورة عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م) في جبل الدروز، ثمّ حكم الفرنسيون بعد ذلك لبنان حكما مباشرا وإن أوجدوا مجلسا تمثيليا – حتَّى عام (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م) حيث أعطوا البلاد دستورا، وتم انتخاب رئيس للجمهوريّة اللبنانية هو شارل دبَّاس الّذي بقى حتَّى وفاته سنة (١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م).

وفي سنة (١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م) تمَّ تعيين حبيب باشا السعد رئيسا جديدا ثمّ تبعه عام (١٩٣٦م) إميل أده، وفي سنة (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م) تمَّ الاتفاق بين فرنسا واللبنانيين عَلى أن يكون رئيس الجمهوريّة، مارونيا ورئيس الوزراء مسلما سنيا.

وعندما قامت الحَرب العَالَمِيّة الثّانية عبثت السُّلطات الفرنسية بالنّظام السّياسيّ والإداري في لبنان، وعملت عَلى انتشار الفساد في البلاد.

وفي سنة (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م) تقدم الشَّيْخ محمّد توفيق خالد مفتي المُسلِمِين إلى المفوض السامي بعدة مطالب لتحقيق الإستقلال الشّامل والاعتراف بسيادة لبنان ووحدته مع سوريا، بينما تقدم بطرس عويضة زعيم الطَّائِفَة المارونية بمطالب تهدف إلى تحقيق الاستقلال والسيادة، وتوطيد العلاقات مع سوريا، ووضع دستور للبلاد.

وفي سنة (١٣٦١هـ/ ١٩٤٣م) تشكلت حكومة تمثل الطوائف الرَّئيسيَّة في لبنان وهي: (الموارنة، والسنة، والشّيعة، والرُّوم الأرثوذكس، والرُّوم الكاثوليك، والدروز) معبرة في ذلك عن شكل من الوحدة الوطنيّة وكان رئيس الجمهوريّة (بشارة الخوري). ثمّ أعطت فرنسا لبنان الاستقلال سنة (١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م) وتم جلاء القوَّات الفرنسية عن لبنان سنة (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م).

استمر الاضطراب الطائفي في دويلة لبنان الإصطناعية! وانفجرت الحَرب الأهلية بين الموارنة والطوائف الإِسْلَاميّة والملحقة بالإِسْلَاميّة والقومية سنة ١٩٥٨، وسكنت الأحداث لتنفجر ثانية سنة ١٩٧٥ بين تحالف النّصَارى الموارنة المدعومة من إسرائيل علنيا، والقوى القوميّة والإِسْلَاميّة والفلسطينيين المقيمين في لبنان، ودخل النّظام النصيري بإجازة أمريكية في الحَرب بين الأطراف، ونفذ الجيش السّوري بالتّعاون مع الطيران الإسرائيلي مذبحة مخيم تل الزعتر الفلسطيني وقتل زهاء ٥٠ ألف نسمة في تلك المذبحة! ثمّ أحدث النصيرية مذبحة أُخرى في المُسلِمِين في طرابلس شمال لبنان، ونمت قوة الطَّائِفَة الشيعيّة والنصيرية اللبنانية خلال تلك الحَرب بدعم من سوريا وإيران، ودمرت الحَرب الأهلية لبنان وهلك زهاء مأتي ألف من مختلف الطوائف، ثمّ تدخلت إسرائيل علنيا وزحفت جُيُوشها برئاسة شارون آنذاك واحتلت بيروت! ونفذت مجازر مهولة في الفلسطينيين في سنة ١٩٨٢ وخاصة فيما عرف بمذابح صبرا وشاتيلا، وأجبرت المنظمات الفلسطينية عَلى الرحيل من لبنان.

ثمّ عقد مؤتمر القمة العربيَّة في الطائف وأرسى دعائم اتفاق هش، أطلق فيه يد سوريا في لبنان بإجازة أمريكية إسرائيلية، والآن وبعد احتلال العراق، تغير البرنامج الأمريكيّ الصّهيونيّ حيث تعيد أمريكا ترتيب خريطة المنطقة، لتطالب سوريا برفع يدها عن لبنان، حيث يبدوا أن الطوائف وعلى

رأسها الموارنة سيلعبون دورا جديدا في برنامج بوش لإعادة تقسيم ما قسمته سيكس بيكو ورسمها من جديد وإعادة تقسيمها وتركيبها تحت المجهر.

فِلَسطِين:

لفلسطين منزلة كبرى عند المُسلِمِين نظرا لوجود بيت المَقْدِس ثاني الحرمين وأولى القبلتين، وقد اتفق الشريف حسين بن علي مع بَرِيطَانيَا عَلى أن تكون فِلَسطِين ضمن الدّولة العربيَّة الكبرى الّتي وعدوه بها قبل الحَرب العَالَمِيّة الأولى، لكن بَرِيطَانيَا كانت تريد ضمها إلى إمبراطوريتها لإعطائها لليهود بموجب وعد بلفور سنة الصادر سنة (١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م) والّذي تعهدت فيه بَرِيطَانيَا بتبني قرار المؤتمر الصّهيونيّ الأوّل سنة (١٣١٤هـ/ ١٨٩٧م) بأن تكون فِلَسطِين وطنا قوميا لليهود.

انتهت الحَرب العَالَمِيّة الأولى بانتصار الحلفاء - ومنهم بَرِيطَانيَا - وتم وضع فِلَسطِين تحت الانتداب البريطاني سنة (١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م)، في مؤتمر سان ريمو، وتنكرت بَرِيطَانيَا لوعودها للعرب بالاستقلال بينما التزمت بوعدها للصهاينة بالوطن لليهود في فِلَسطِين، وخلال فترة الانتداب من (١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م) - (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م) مكنت بَرِيطَانيَا الصهاينة من امتلاك الأراضي، وفتحت أبواب فِلَسطِين لاستقبال يهود العالم، فرفعت عدد اليَهُوْد الأصليين الّذي كانَ ١٥ ألف نسمة من السّكّان اليَهُوْد الأصليين، إلى مئات الآلاف قبل سنة ١٩٤٨، وجعلت اللغة العبرية لغة رسمية، وسمحت لهم بتكوين فرق عسكريّة، بينما اتبعت خُطّة من شأنها التضييق عَلى العَرَب.

خلال تلك الفترة قامت ثورات شعبيَّة فلسطينية وأبرزها ثورات (١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠) (١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م) (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م) فكان الحاج أمين الحسيني مفتي القُدس أبرز القادة في تلك الفترة، وكنوع من التهدئة طرحت بَرِيطَانيَا مشروع تقسيم فِلَسطِين لثلاث مناطق: يهودية، وعربيَّة، وبريطانية، رفض الفلسطينيون هذا التقسيم واندلعت الثورات من جديد.

وكانت ثورة (١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م) الّتي قادها الشّهِيد عز الدّين القسام أشدها ولكن بَرِيطَانيَا أجهضتها بتوسط من بعض زعماء العَرَب ولاسيما الأمير فيصل بن عبد العزيز ملك السّعُودِيّة!

واضطرت بَرِيطَانيَا عام (١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م) للتخلي عن الفكرة، وبعد الحَرب العَالَمِيّة الثّانية تراجعت بَرِيطَانيَا إلى دولة من الدرجة الثّانية، وبرزت الولايات المتحدة الأمريكيّة لتصبح إحدى القوتين الأعظم في العالم؛ وركز اليَهُوْد جهودهم لاستمالة الولايات المتحدة، وأثبت الرَّئيس الأمريكيّ ترومان للصهيونية أن الولايات المتحدة حليف أفضل حين مارس ضغطا عَلى بَرِيطَانيَا كانت نتيجته السماح بدخول ١٠٠ ألف يهودي إلى فِلَسطِين وهي العمليّة الّتي جعلت بَرِيطَانيَا تعجل بتدويل القضية وبتحويلها إلى الأمم المتحدة عام (١٩٤٧م).

وأوصت اللجنة الخاصّة للأمم المتحدة بشأن فِلَسطِين بقسيمها إلى دولتين إحداهما عربيَّة والأخرى يهودية مع تدويل القُدس وجرى التصويت عَلى ذلك وقامت بذلك دولة إسرائيل عام (١٩٤٨م) وانسحبت بَرِيطَانيَا من فِلَسطِين بعد أن سلمت الصهاينة كلّ مقوّمات الدّولة إداريا وعسكريّاً، وبعد أن مكنتهم من السّيطرة عَلى مساحات من أرض تزيد عَلى المساحات الّتي حددها تقسيم الأمم المتحدة، وفي (٧/ ٧/ ١٣٦٧هـ) (١٥ مايو سنة ١٩٤٨م) جرى إعلان قيام دولة إسرائيل وواصلت المنظمات الصّهيونيّة غاراتها للتوسع عَلى حساب المناطق الّتي يسكنها العَرَب.

أدى إلى ذلك القيام الحَرب الأولى بين العَرَب وإسرائيل سنة (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م) الّتي انتهت بهزيمة الجُيُوش العربيَّة بفعل خيانات الرؤساء والملوك العَرَب ولاسيما في الدّول المجاورة والسّعُودِيّة، وتأكد قيام دولة إسرائيل، واستولى اليَهُوْد عَلى مزيد من الأراضي بحيث لم يبق من فِلَسطِين سوى الضفة الغربيّة الّتي وضعت تحت الحكم الأردني وقطاع غزة الّذي وضع تحت الحكم المصري، وفي سنة (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م) كانَ اعتداء إسرائيل عَلى غزة وسيناء بالتواطؤ مع إنجلترا وفرنسا الّذي انتهى بتوسيع دولة إسرائيل وضم أراضٍ جديدة إليها بعد مذابح شنيعة ضدّ عرب فِلَسطِين.

وفي عام (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م) كانَ إعلان قيام (منظّمة التحرير الفلسطينية) الّتي أسست جيشا فلسطينيا نجح في إلحاق بعض الخسائر بإسرائيل في الداخل وفي خارج حدودها مع لبنان والأردن، وفي عام (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م) اندلعت الحَرب بين العَرَب وإسرائيل للمرة الثّانية وخسر عَلى أثرها

العَرَب الجولان والضفة الغربيّة وقطاع غزة وشبه جَزِيرَة سيناء الّتي احتلتها إسرائيل، نتيجة خيانة النّظام السّوري، واختراق الإستخبارات الإسرائيلية لقيادات جيش عبد النّاصر من الزناة الماجنين!

وفي عام (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م) قامت حرب أكتوبر حيث انتصرت الجُيُوش العربيَّة عَلى إسرائيل، لكنها لم تستطيع تحرير تلك المناطق المحتلة نظرا لتدخل الولايات المتحدة ووقوفها إلى جانب إسرائيل ولخيانة الرَّئيس السادات الّذي أوقف الهجوم، وتكرار النّظام السّوري لخياناته المألوفة.

وبعد أن تحصلت منظّمة التحرير الفلسطينية، عَلى كونها المثل الشَّرعيّ والوحيد للقضية الفلسطينية، بدأت بسلسلة مفاوضات سرية وعلنية مع إسرائيل برعاية من الأنظمة العربيَّة الخَائِنة، وإشراف دولي، من أجل إنهاء الصِّرَاع العربيّ الإسرائيلي، وقد بدأ ذلك من اتفاقيات كامب ديفد بين مصر وإسرائيل والفلسطينيين برعاية أمريكية سنة ١٩٨٠، ثمّ حصلت قفزة استسلامية في مؤتمر مدريد للسلام (١٩٩١) والّذي تبعه اتفاقيات أوسلو بين المنظّمة ولإسرائيل، ثمّ تتابعت المؤتمرات والمؤامرات، بإشراف أمريكي وتعاون من الأنظمة العربيَّة، ومنظّمة المؤتمر الإِسْلَاميّ الّتي تضم الدّول (ذات الشّعوب الإِسْلَاميّة)، إلى أن تولى بوش وضع ما سمي بـ (خارطة الطّريق) لتسوية القضية الفلسطينية سنة ٢٠٠٢، ولإقامة دولة شكلية للفلسطينيين في غضون سنة ٢٠٠٥ولكن إسرائيل مازالت تتملص وتتابع مسلسل القتل والمجازر في الفلسطينيين، وأمريكا مازالت تزداد علنية في انحيازها، فيما يبدو مخططا مكشوفا لتهجير ما تبقى من الفلسطينيين، وهدم المَسجِد الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم عَلى أنقاضه.

وقد انفجرت الإنتفاضة الفلسطينية ضدّ اليَهُوْد في سنة ٢٠٠٠ وانتقلت للعمل المُسلّح وبرزت المنظمات الجهاديّة الإِسْلَاميّة لتملأ فراغ السَّاحَة بعد انكشاف إفلاس الخط اليساري القومي العلماني وخيانته لقضية المُسلِمِين، وعجزه، وتشهد هذه الأيّام صدامات عنيفة بين قوى الجِهَاد الفلسطينية واليَهُوْد، فيما تتابع السّلطة الفلسطينية بعد هلاك عرفات تعفنها وتفسخاتها بقيادة الخونة من أمثال محمود عباس (أبو مازن) المرشح لإطلاق رصاصة الرحمة عَلى قضية فِلَسطِين هذه الأيّام.

الأردن:

كانت الأردن جُزءاً من ولاية الشّام عبر التّاريخ الإِسْلَاميّ، ولكنها بدأت تاريخها كدولة مستقلة منذُ عام (١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م) بموجب اتفاقية سيكس بيكو الّتي جعلتها في حصة الإنكليز، فرسمت حدوده عَلى الرقعة الجغرافيّة الممتدة شرق نهر الأردن ما بين السّعُودِيّة والعراق وسوريا، وقد كانت الأردن متصرفية تتبع سوريا في العصر العُثْمَانِيّ، ووفق اتفاقية سان ريمو وضع شرق الأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني، ثمّ قررت بَرِيطَانيَا فصل شرق الأردن عن فِلَسطِين، وعينوا عليها الأمير عبدالله بن الشريف حسين عَلى أن يكون حكمه مستقلا إداريا و(مستنيرا)! برأي مندوب بريطاني يقيم في عمان.

وفي سنة (١٣٤٦هـ /١٩٢٧م) عقدت معاهدة أردنية - بَرِيطَانيَة اعترفت بَرِيطَانيَا فيها باستقلال شرق الأردن شكليا، وتكون حكم فيها ملكي مطلق، ثمّ عدلت سنة (١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م) بحيث حصلت المملكة عَلى قدر من السيادة والاستقلال، وخلال الحَرب العَالَمِيّة الثّانية وقف الأردن إلى جانب الحلفاء، وشاركت القوّات الحَربية الأردنية في المجهود الحَربي ثمّ أعلنت بَرِيطَانيَا إنهاء انتدابها للأردن، في (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م) وتم إعلان قيام (المملكة الأردنية الهاشمية)، وبويع الأمير عبدالله ملكا دستوريا عَلى البلاد.

في عام (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م) انفجرت الحَرب بين العَرَب واليَهُوْد وكان الملك عبدالله هو القائد الأعلى للجُيُوش العربيَّة! ولكن الضابط الإنكليزي (غلوب باشا) كانَ القائد الفعلي!!!! وهكذا انتهت الحَرب بالنكبة واستيلاء اليَهُوْد عَلى قسم من الأراضي، وقيام إسرائيل، وفي عام (١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م) أعلن الملك عبدالله ضمّ الضفة الغربيّة من فِلَسطِين إلى الأردن وذلك بعد قيام دولة إسرائيل.

وفي عام (١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م) قتل الملك عبدالله وتبعه ابنه الملك طلال الّذي قام في سنة (١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) بوضع دستور يساير الواقع الجَدِيد، ولكنهم أعلنوا اختلاله العقلي، وخلفه في سنة (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م) ابنه الملك حسين بن طلال.

استمر حسين في الحكم لأكثر من ٤٦ سنة! وكان داهية محنكا، وعميلا خائنا ماهرا، أجاد اللعب عَلى متناقضات المنطقة وعرف بمالأته للإنكليز الّذين صنعوا العرش الأردني ثمّ للأمريكان الّذين ورثوا النفوذ في المنطقة، كما أن اتصالاته القديمة جدا باليَهُوْد الصهاينة كانت شبه معلنة، وقد تولى كشفها بنفسه وأعلن قدمها وأنها تعود لأيّام صداقته مع بنغوريون مؤسس إسرائيل!

تتمتع الأردن باقتصاد ضحل جدا، فهي بلد صحراوي قليل الموارد وتعتمد في استمراريتها عَلى المساعدات الإقليمية والدّولية، ويتكون ثلثي السّكّان من الفلسطينيين المهجرين إبَّان الحُرُوب المتتالية في فِلَسطِين، ولذلك فالتوازن السّياسيّ الداخلي فيها حرج، وقد فقد توازنه سنة ١٩٧٠ حيث وقع القِتَال بين الفلسطينيين والنّظام الأردني وراح ضحيته أكثر من عشرين ألف فلسطيني! وأخرجت المنظمات الفلسطينية من الأردن ليستقر معظمها في لبنان، حيث أخرجت كما رأينا بعد الحَرب الأهلية المجازر سنة ١٩٨٢.

وقع الحسين معاهدة صلح مع إسرائيل أقام علاقات دبلوماسية معها ورفرف العلم الإسرائيلي في سماء عمان جهارا نهارا فوق رؤوس شعبها ذي الأغلبية الفلسطينية!

هلك الحسين إثر إصابته بالسرطان سنة ١٩٩٨-على ما أذكر - وتولت أمريكا تغيير ولاية العهد، فأبعدت أخاه وولي عهده لعشرات السنين، وولت ابنه (الملك عبدالله الحالي) الّذي قضى معظم حياته في بَرِيطَانيَا، ليتابع سياسة أبيه، فتوطدت علاقاته وزياراته لإسرائيل، وعندما غزت أمريكا العراق واحتلته، قدمت حكومة الأردن لأمريكا خدمات لوجيستية هامة، وتحركت القوّات الأمريكيّة من الأراضي والأجواء الأردنية، بعد مناورات مشتركة مع الجيش الأردني، وترتكز البَرَامج الأمريكيّة الإسرائيلية اليَوْم في انطلاقتها الشّاملة في المنطقة اليَوْم إقتصاديا وثقافيّاً وسياسيّاً، عَلى ما يقدمه النّظام الأردني من خدمات خيانية جليلة للأعداء.

وفيما كنت أضع اللمسات الأخيرة عَلى الكتاب، أوردت الأنباء خبرا طريفا يذكرنا بأيّام المماليك ودول الطوائف! حيث أعلن الملك عبدالله عزل أخيه حمزة عن ولاية العهد، وتولية ابنه البالغ من

العمر ٩ سَنَوات، وتهافتت الشخصيات الأردنية لإعلان إشادتها بهذا الإنجاز الشَّرعيّ! والعظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل عَلى زمان المهازل الّذي نعيشه!!

بلاد الحرمين المسماة بـ (السّعُودِيّة!!):

خلال المَرحَلَة العُثْمَانِيّة كانت البلاد المعروفة باسم (السّعُودِيّة) اليَوْم مكونة من أجزاء شبه مستقلة، أهمّها نجد، ولم تخضع عمليا للحكم العُثْمَانِيّ، والحجاز الّتي حكمها الأشراف وتبعوا فيها العُثْمَانِيّين وكانوا تحت حمايتهم ورعايتهم، والشمال المتاخم للشام والعراق، وكان يخضع لحكم آل الرَّشِيد بتوكيل من العُثْمَانِيّين أيضا.

وقد مر قيام الدّولة السّعُودِيّة الحالية منذُ القرن الثَّامن عشر الميلادي بثلاثة أدوار:

الدَّور الأوّل: الدّولة السّعُودِيّة الأولى:

ويبدأ من سنة (١١٥٧ هـ - ١٧٤٤م) وهي السنة الّتي هاجر فيها الداعية الشَّيْخ (محمّد بن عبد الوهاب) إلى بلدة الدرعية وعقد الاتفاق بينه وبين أميرها الإِمَام (محمّد بن سعود عَلى النّصرة والتّعاون عَلى نشر الدّعوة، ويعتبر الأمير الإِمَام سعود بن محمّد بن مقرن (١٧٢٥م-١٧٦٥م) مؤسس الدّولة السّعُودِيّة الأولى، ثمّ انتشر صدى الدّعوة الوهابية في أنحاء الجَزِيرَة،

توفي الأمير محمّد بن سعود سنة (١١٧٨هـ/ ١٧٦٥م) فبويع عَلى الإمامة ابنه الأمير عبد العزيز ابن محمّد، فوسع دولتهم ووصل في الجنوب إلى وادي الدواسر وفي الشمال إلى السماوة في شرق العراق، وقد اغتيل الإِمَام عبد العزيز بن محمّد سنة (١٢٢٨هـ / ١٨١٣م) وكان قد عين ابنه سعودا خلفا له فبايع النّاس سعود عَلى الإمامة، فتمكن سنة (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م) من فتح مكّة والقضاء عَلى نفوذ الأشراف في الحجاز.

ولم ترض الدّولة العُثْمَانِيّة عن ضياع سلطانها عَلى الحجاز، ثمّ إن النَّشَاط المتزايد للحركة السّلفيّة في نواحي العراق زاد من مخاوف العُثْمَانِيّين، وبعد أن استنجد الشريف غالب بالعُثْمَانِيّين كلف السُّلطَان محمود الثّاني وإليه عَلى مصر (محمّد عَلى باشا) باستعادة الحجاز فاستولى عَلى مكّة والطائف.

الحملة المصريَّة الثّانية:

ثمّ خرج محمّد عَلى بنفسه إلى الحجاز سنة (١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م) واستطاع تمكين سلطانه في مكّة والمدينة والطائف ودخل تهامة وعسير، وفي تلك الأثناء توفي الإِمَام سعود بن عبد العزيز وخلفه ابنه عبدالله سنة (١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م) ثمّ أعد محمّد علي حملة قوية جديدة جعل عليها ابنه إبراهيم باشا فتقدم إبراهيم باشا نحو واستولى عَلى الدرعية عاصمة السّعُودِيّين بعد حصار طويل وقتال مرير، ووقع الصُّلح بينهما وذهب الإِمَام عبدالله إلى مصر مع من بقي من أنصاره لتوقيع الصُّلح مع محمّد علي واستطاعت قوَّات محمّد عَلى أن تمد نفوذها إلى منطقة القطيف.

وينتهي الدَّور الأوّل أو الدّولة السّعُودِيّة الأولى باستسلام الإِمَام عبدالله سنة (١٨١٨م).

الدَّور الثّاني أو الدّولة السّعُودِيّة الثّانية:

يبدأ عندما استطاع الأمير مشاري بن سعود الكبير الهرب من مصر، ثمّ بويع إماما سنة (١٢٣٥هـ/ ١٢٣٦هـ) (١٨١٩م/ ١٨٢٠م)، وأقام تركي بن عبدالله بن محمّد بن سعود والّذي كانَ قد لاذ بالفرار عند تسليم الدرعية – أميرا عَلى الرِّيَاض ثمّ خلف الأمير تركي ابنه الأمير فيصل بن تركي سنة (١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) واستمر في كفاحه مع منافسي بيته من ناحية، ومع المصريين من ناحية أُخرى.

وكان الإِمَام فيصل بن تركي قد أعطى إمارة حائل لأحد رجاله الّذين ساعدوه في القضاء عَلى قاتل والده تركي، وهو عبدالله بن الرَّشِيد الّذي سيكون مؤسسا لإمارة بيت الرَّشِيد، ويقسم عهد فيصل بن تركي إلى دورين: الأوّل يبدأ بتوليه الإمارة بعد مقتل والده (١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) وهو دور الفتن والاضطرابات، وينتهي بتسليم فيصل لخورشيد باشا والي مصر عَلى نجد والحجاز بعد تسع سنين من المُقاوَمة – حيث أخذه إلى مصر وولى مكانه عمه خالد ابن سعود جاء يحكم نجدا حكما عصريا، فنفر منه أهل نجد، وعدوه أجنبيا، ثمّ أجمعوا عَلى خلعه فخلعوه بعد أن قاوموا سنتين، ثمّ تولى الإمارة بعده عبدالله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود سنة (١٢٥٧هـ/ ١٨٤٢م) ولكن

حكمه لم يدم فقد كانَ محمّد علي قد أطلق سراح الإِمَام فيصل بن تركي فبايعه أهل نجد سنة (١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م) واستمر في الدَّور الثّاني أربعا وعشرون سنة فبسط سيادته عَلى الشطر الأكبر في شبه الجَزِيرَة فدانت له الأحساء والقطيف ووادي الدواسر وعسير والجبيل والقصيم، وبوفاته سنة (١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م) ينتهي الدَّور السّعُودِيّ الثّاني أو الدّولة السّعُودِيّة الثّانية حيث تنازع أبناء فيصل بن تركي الملك، وكانت الدّولة العُثْمَانِيّة قد أنهكت أهل نجد بحملاتها المتعددة، واستمر الخلاف بين سعود وعبدالله ومحمّد أبناء فيصل، ولكن في سنة (١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م) توفي الإِمَام بن فيصل وتولى الإمامة بعده أخوه عبد الرَّحمٰن، واستطاع أن يعيد أخاه الكبير عبدالله ويصالحه، وبايع أخاه عبدالله ولكن أبناء سعود انشقوا عن العائلة، وكان آل رشيد إلى ذالك الحين في طاعة آل سعود.

ولكن في سنة (١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م) حدثت وقعة الحمادة والَّتي أدت إلى استيلاء ابن رشيد عَلى نجد وأخذه للإمام عبدالله وأخيه عبد الرَّحمٰن سجينين إلى حائل مع عشرة آخرين من آل سعود، وأقام سالم بن السبهان أميرا عَلى الرِّيَاض والّذي قام بقتل أبناء سعود محمّد وسعدا وعبدالله وأجلى أهلهم إلى حائل.

وفي سنة (١٣٠٨هـ/ ١٨٨٩م) مرض الإِمَام عبدالله ؛ فأذن له وأخيه عبد الرَّحمٰن بأن يعودا إلى الرِّيَاض ؛ ولكن الإِمَام عبدالله مات في نفس السنة، وبويع أخوه عبد الرَّحمٰن بالإمامة، ثمّ استولى ابن الرَّشِيد عَلى نجد، فأخرج عبد الرَّحمٰن حريمه وأولاده فارتحلوا منها إلى الأحساء ثمّ إلى قطر وأخيرا إلى الكويت حيث بقوا فيها إلى أن فتح ابنه عبد العزيز الرِّيَاض وأقام الدّولة السّعُودِيّة الثّالثة.

الدَّور الثّالث– الدّولة السّعُودِيّة الثّالثة:

كانت بَرِيطَانيَا قد بسطت سلطانها في الكويت كما سيأتي، وكانت أطماعها تمتد للسيطرة عَلى جَزِيرَة العَرَب وبلاد الحرمين، ولكنها بمعرفتها الواقعية لمكانة بلاد الحرمين في نفوس المُسلِمِين، ونفرتهم من وجود قوّات أجنبية فيها، عمدت إلى احتلالها بصورة غير مباشرة، وذلك بتولية أسرة مالكة تابعة لها فيها، وهذا ما فعلته بعد دراسة في تاريخ المنطقة والقوى القبلية فيها.

وقد نصح حاكم الكويت التَّابع للإنكليز (مبارك الصباح) البريطانيين باعتماد عبد الرَّحمٰن بن فيصل آل سعود - الّذي كانَ لاجئا عنده - لهذه المهمة، وبعد اجتماع المندوب البريطاني بعبد الرَّحمٰن آل سعود، أقنعه عبد الرَّحمٰن بأن كبر سنه لا يناسب المهمة، وقدم له ولده (عبد العزيز) ليقوم بالبرنامج البريطاني، وأعجب المندوب بعبد العزيز الّذي كانَ في العِشرين من عمره، وتوسم فيه القدرة والنجابة، ومن تلك النقطة يبدأ تاريخ الدّولة السّعُودِيّة الثّالثة والَّتي مازالت مستمرة إلى يومنا هٰذا، أخزاهم الله وأهلكهم.

زودت بَرِيطَانيَا عبد العزيز بالذهب اللازم وبالمستشارين وبخبير عسكريّ يساعده في إعداد قوَّاته، وقام بحلته الأولى سنة ١٩٠١م تحت دعوى استعادة ملك آبائه، ولكنه مُنيَ بفشل ذريع، وعاد للكويت.

وبعد تدارس الأمر قرر عبد العزيز أن يعاود الكرة ولكن تحت دعوى إحياء دعوة الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب وأن يتستر تحت هذه الدّعوة الدّينيّة المحبوبة من أهل نجد، وفعلا لاقت دعواه التأييد من النّاس وتمكن عبد العزيز سنة (١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م) من العودة إلى نجد والاستيلاء عَلى الرِّيَاض وإعلان نفسه أميرا، وبدأ بإزالة كلّ أثر لسلطان بني رشيد في حائل،

ثمّ بدأ عبد العزيز بجمع أنصار الدّعوة الوهابية وكون منهم ما عرف باسم **(إخوان من طاع الله)**، وكانت أشبه بميليشيا مسلحة من المُجَاهدين العقائديين الّذين عرفوا بالبأس وشدة الأيمان. وتوسعت قوَّات عبد العزيز فتحرك بهمة ونشاط وأثبت كفاءته ودهاءه،

ثمّ فتح القصيم سنة (١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م) بعد انتصارين حاسمين في(البكرية والشنانة) وتم الانتصار النّهائيّ عَلى ابن رشيد في موقعة (روضة مهنا) بالقرب من مدينة بريدة في سنة (١٣٣٤هـ/ ١٩١٣م) وبذلك انتهى حكم الأتراك للأحساء والّذي دام ٤٢سنة.

وبعد الحَرب العَالَمِيّة الأولى، لقب عبد العزيز بسلطان نجد وملحقاتها.

وكان لبريطانيا في تلك الأوقات عميل آخر يعمل في منطقة الحجاز مع الأشراف هو العميل الشهير (لورنس العَرَب)، وكان قد خدع الشريف حسين - كما مر معنا - بأنهم سيساعدوه عَلى قيام

خلافة عربيَّة في الجَزِيرَة العربيَّة والشّام والعراق إن هو حارب الخِلافَة العُثمَانِيّة إلى جانبهم، وهو ما فعله تحت اسم الثَّورة العربيَّة الكبرى، ثمّ خدعته بَرِيطَانيَا وقسمت مملكة أحلامه بينها وبين فرنسا، وأصبح عَلى البريطانيين أن يختاروا لجَزِيرَة العَرَب أحد العميلين (عبد العزيز) و(الشريف حسين)، وبعد مداولات ومشاورات، وقع خيار وزارة المُستَعمرات البريطانيَّة عَلى أتعس التعيسين، فاختاروا عبد العزيز، ونفوا المخدوع الآخر ليقضي بقية حياته ويموت منفيا في قبرص!

وبعد ذلك أرسل حملتين إلى الحجاز واستولى عليها وصار لقبه (ملك الحجاز وسلطان النجد وملحقاتها، وكان عزم الإنكليز معقودا عَلى تمليك السُّلطَان عبد العزيز جميع أجزاء الجَزِيرَة العربيَّة فاستطاع أن يدخل عسيرا ونجران في حدود مملكته، وفي عام (١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م) أصدر الملك عبد العزيز مرسوما وحد به أجزاء المملكة الحجازية والسلطنة النجدية والإمارات الأخرى وأسماها البريطانيون هذا الإسم المُنكر العجيب باسم أسرة عميلهم فولدت الدّولة الّتي سميت (**المملكة العربيَّة السّعُودِيّة**)!

كانَ إخوان من طاع الله قد صدقوا دعاوى ابن سعود الدّينيّة، وهموا بالاستمرار بنشر دعوة التّوحيد في الجوار نحو العراق والكويت واليمن والشّام، ولكن البرنامج البريطاني كانَ غير ذلك، ولم يرد الإنكليز من دعوة التّوحيد إلا ستارا لبرنامجهم في تمليك آل عبد العزيز أل سعود المنطقة الّتي رسموا حدودها، فبدأت النفرة بين عبد العزيز و(إخوان من طاع الله) الّذين كانوا وقود قيام ملكه! كما أنكر الإخوان عَلى عبد العزيز عدو أشياء منها تسميه بالسلطان صاحب الجلالة، ومنها كثرة مستشاريه الإنكليز والتزامه مشورتهم، ومنها ما لاحظوه من بدء تسلل النكهة العصرية لنظامه، وآل الأمر للحرب بين عبد العزيز والإخوان، فساعده الإنكليز بضرب تجمعاتهم بالطائرات، وزحف بمن والاه من القبائل والأعوان فقضى عليهم في الموقعة الشهيرة باسم (**موقعة السْبِيْلَهْ**) فذبح دعاة التّوحيد وقتل أكثرهم، وتفرق من بقي حيا في القرى والقفار، وبعد السبيلة طار المستشارون الإنكليز فرحا ورموا (كوفياتهم العربيَّة في الهواء استعلنوا بملابسهم وهويتهم.

بعد ذلك أبرم عبد العزيز مع الإنكليز معاهدة تلتزم بموجبها حكومة جلالة الملكة اليزبيت بحصر ملك السّعُودِيّة في عبد العزيز وذريته من بعده، عَلى أن لا يبرم أمرا ولا قرارا سياسيّاً إلا بمشورتهم، ووقع المندوب البريطاني والملك عبد العزيز بذلك وثيقة نشرت من قريب فيما نشلا من وثائق وزارة الخارجيّة البريطانيَّة، وتناولتها الكتب ووسائل الإعلام! كما اشتهرت وثيقة أُخرى اعترف فيها عبد العزيز بحق اليَهُوْد في فِلَسطِين، حيث ساعدهم ولده ووزير خارجيته (فيصل) عَلى إجهاض الثَّورة الكبرى ضدّ المُهَاجِرين اليَهُوْد سنة (١٩٣٦) كما مر ذكر ذلك في الفَصل الأوّل، ثمّ ظهر النّفط وتناهبته الشركات البريطانيَّة، ثمّ الأمريكيّة.

وبعد الحَرب العَالَمِيّة الثّانية، وبروز أمريكا كقوة عظمى، وتراجع حجم ودور بَرِيطَانيَا نسبيا، ورثت أمريكا السّيطرة عَلى معظم المُستَعمرات البريطانيَّة بعد أن غابت عنها الشّمس وحتى القمر وصارت ذيلا لأمريكا!

وبدهائه أدرك عبد العزيز التّحولات الدّولية، واجتمع بالرَّئيس (اليَهُوْدي) روزفلت عَلى ظهر بارجة حربية أمريكية، وتعهدت له أمريكا ولورثته بما تعهدت به بَرِيطَانيَا، كما تعهد لهم وذريته بما كانَ قد تعهد للإنكليز من قبل من الوَلَاء والطاعة والعمالة، وهو ما حصل وما يزال يحصل مما شهدنا في هذه الأيّام النحسات الأخيرة! وفي عام (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م) توفي الملك عبد العزيز.

ثمّ خلف الملك سعود أباه سنة (١٩٥٣) وبايعته الأسرة والعُلَماء، ولكن سعود اقتنع بالأفكار القوميّة الّتي ازدهرت في بلاد العَرَب آنذاك، كما استعلن بأفكاره العصرية وسلوكياته الفاسقة المجاهرة، فاجتمعت الأسباب عَلى خلعه، وما قامت به الأسرة والعُلَماء، فخلع سنة (١٩٦٤م)، وخرج أبناؤه ليقيموا في الغرب، ولتصبح بناته وأحفاده مادة لمجلات أخبار الجنس والخلاعة والبذخ الفاجر مما نهبوه من حصتهم من أموال المُسلِمِين، حتَّى نشرت بعض المجلات صورة لبعض أولاد بناته من السفاح والزنا.

ثمّ تولى الحكم الملك (فيصل بن عبد العزيز) الّذي استمر حكمه إلى عام (١٩٧٥م)،

ويعد الملك فيصل مؤسس السّعُودِيّة الحديثة، ومؤسس العلمانيّة فيها، فقد شهدت المملكة في عصره طفرة النّفط، وتدفقت الأموال الطائلة عَلى خزينته، ولكونه قد عمل وزير خارجية لأبيه أكثر عمره، فقد كانَ محنكا متمرسا بالسياسات الدّولية، وقد شهدت البلاد في عهده ثراء وعمرانا، وتطويرا في التّعليم، وأنشأ الإذاعة والتلفزيون السّعُودِيّ عَلى الأسس العصرية وما فيها من الفسوق والعصيان والموسيقى وتكشف النِّسَاء والفتن، ولما ثار عَلى ذلك بعض الأمراء من أولاد إخوته ممن فيهم بعض النخوة والصلاح قمعهم وقتل زعيمهم، ولكي يكبح جماح العُلَماء الوهابيين ورئيسهم العالم الصّالح- كما نحسبه - (محمّد بن ابراهيم آل الشَّيْخ)، تفتقت عبقرية فيصل عن تقنين المؤسسة الدّينيّة فنشأت في عهده فروع المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة، وعلى رأسها هيئة كبار العُلَماء، ولجان الفتوى والدّعوة والإرشاد، وهيئة القضاء الأعلى، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، إلى آخر تلك الهيئات، ومن أجل الدَّور العَالَمِيّ الّذي ستلعبه السّعُودِيّة لمكانة الحرمين فيها ولقدراتها المالية، ولكي ينافس عبد النّاصر الّذي سعى لتزعم العَرَب، وأنشأ لذلك المؤسسات والإذاعات، تفتقت عبقرية السّعُودِيّين بمشورة أسيادهم عن إنشاء مؤسسات دينية عالميّة لزرع مشروع الهيمنة الروحية عَلى العالم الإِسْلَاميّ، فأنشئت: (رابطة العالم الإِسْلَاميّ) و(الندوة العَالَمِيّة للشباب الإِسْلَاميّ) و(الهلال الأحمر السّعُودِيّ) و(هيئة الإغاثة العَالَمِيّة).

وبنيت المؤسسات الدّينيّة في الداخل عَلى طريقة هيكل الـ (فاتيكان) وجعل عَلى رأسها ما يشبه الـ (بابا)، فاستحدث منصب مفتي الدِّيَار، ورئيس هيئة كبار العُلَماء، وصرفت المليارات في هذه المؤسسات داخليا وخارجيا لفرض حضورها الإعلاميّ وإثبات هيبتها في الداخل والخارج ونجحوا في ذلك لأسباب كثيرة، منها أن أكثر العاملين في تلك المؤسسات كانَ من الصادقين المخلصين الصّالحين، الّذين رأوا الآثار القريبة المنظورة لأعمال البر والخير، ولم يدركوا أهداف ون أوجدها وأهداف أسيادهم.

وفي أخر عهد ه شهد فيصل - كما يقول بعض النّاس - تحولا نحو النخوة والصلاح، وصار يأمل في استرداد القُدس، وحاولت المملكة في عهده لعب دور أساسي في السياسات العربيَّة والإقليمية

والدّولية، دخل الملك فيصل في حرب مع التّيار القومي واليساري في العالم العربيّ، ومثلت السّعُودِيّة طليعة ما سمي بـ (الرجعية العربيَّة)، أو التّيار(اليميني العربيّ) الموالي لأمريكا والغرب، في مُوَاجَهة قوى اليسار الاشتراكي والقومي والشُّيُوعِيّ العربيّ، الّذي تزعمه عبد النّاصر، والبعثيون في سوريا والعراق وأمثالهم، ودخل فيصل مع مصر عبد النّاصر في حرب بالوكالة عَلى أرض اليمن حيث دعمت السّعُودِيّة الإماميين ودعم عبد النّاصر الجمهوريّين.

وفي حرب ١٩٧٣ بين العَرَب وإسرائيل، قرر العَرَب استعمال سلاح النّفط ضدّ إسرائيل وأعوانها في الغرب، فنفذ الملك فيصل قرار حظر النّفط عن الغرب، فارتبك الاقتصاد العَالَمِيّ، وظهر أثر هذا السّلاح الاقتصاديّ الخطير، وقررت أمريكا قتل الملك فيصل، كما وضعت سياسات بعيدة المدى لإحتلال الخليج والسّيطرة عَلى منابع النّفط عسكريّاً وهو ما ينفذ منذُ ١٩٩٠م، وفعلا استطاعت أمريكا تجنيد أحد أولاد أخوة فيصل، وكان من أحد الأمراء المتسكعين في مواخير أربا وأمريكا من الزناة الخمارين، وما أكثرهم في آل سعود وأشباههم، في الأسر الحاكمة في عالمنا الإِسْلَاميّ المنكوب، فتسلل لقصر عمه واغتاله، وهكذا قُتل فيصل وانتهى عهده، والله أعلم بحاله وعلى أي حال ونية لاقى ربه.

ثمّ تولى الحكم بعد وفاة الملك فيصل أخوه خالد بن عبد العزيز، وبويع لأخيه فهد بولاية العهد من بعده، واستمرت المملكة في عهده عَلى النهج التبعي لأمريكا والغرب، وبلغت النهضة العمرانية والتحديث في عهده ذروتها في مختلف المجالات.

وخلال حكم خالد كانَ الحاكم الفعلي هو فهد ولي العهد، ثمّ توفي خالد فجأة، وقيل أنه مات مسموما، ليحل الأعور الدَّجَّال مكانه ويتولى كبر الكفر والعمالة عَلى أرض الحرمين.

وبعد وفاة الملك خالد، تولى الحكم الملك فهد بن عبد العزيز الّذي كانَ مشهورا بمجونه وفسقه ولياليه الحمراء في منتجعات أوربّا وأمريكا الراقية المعدة لأمثاله من أغنياء الداعرين، كما اشتهر كواحد من أكبر المقامرين في صالات القمار في أوربّا وأمريكا، حتَّى كتبت عنه إحدى الصّحف البريطانيَّة تحت

عنوان: (الأمير الّذي خسر ستة ملايين باوند وخرج يضحك!!) وذلك عندما خسر في إحدى صالات لندن ما يعادل عشرة ملايين دولار! وصورته الصحافة مبتسما، لم تهزه تلك النازلة، لا بارك الله فيه.

تولى فهد والصّحوة الإِسْلَاميّة في المملكة تعيش عصرها الذهبي، بعد أن صارت المملكة ملجأ للإسلاميين الفارين من الحُكُومَات العسكريّة المجرمة في مختلف بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، ولاسيما من مصر ثمّ سوريا حيث خاض الإخوان المُسلِمُون وما انشق عنهم من التَّنظِيمات الجهاديّة مواجهات مسلحة، وأدى لجوء كبار الإِسْلَاميّين إلى السّعُودِيّة إلى تمازج صحوتها السّلفيّة الوهابية بالأفكار الحَركيّة السّياسيّة والجهاديّة الإِسْلَاميّة الوافدة من مصر والشّام وغيرها، وكانت سياسة السّعُودِيّة استيعاب تلك الظَّاهِرة باعتبار الهويّة الّتي ترفعها ولظروفها الخاصّة.

ثمّ تبنت المملكة بإيعاز من أمريكا دعم الجِهَاد الأفغاني، وفتحت البَاب عَلى مصراعيه لمن أراد النَّفِير بماله وبنفسه، وأدى هذا لارتياد عشرات الآلف من السّعُودِيّين لأفغانستان وتأثرهم بالأفكار الجهاديّة المعاصرة الّتي بنيت عَلى مسائل الحاكِمِيَّة، وأدى كلّ هذا إلى تطور الصّحوة الإِسْلَاميّة في المملكة في تلك الفترة، في نفس الوقت الّذي فتح فيه فهد البَاب عَلى مصراعيه لتيار الحداثة والعلمنة، وأدى هذا إلى حالة من الفرز في المجتمع السّعُودِيّ بين هذه التّيارات، بالإضافة للتيار الدّيني الرسمي المتحالف مع الملكية الديكتاتورية المطلقة، وما يزال هذا الصِّرَاع عَلى أشده إلى اليَوْم بين هذه التّيارات الثّلاثة.

وبعد غزو العراق للكويت وتهديده السّعُودِيّة، كما برمجت أمريكا مع صدام واستدرجته لذلك، حضرت القوَّات الأمريكيّة والمتحالفة معها وضربت بجرانها في السّعُودِيّة وما حولها من إمارات النّفط، وأدى هذا لحالة غليان في السّعُودِيّة بعد عودة الجهاديّين من أفغانستان إلى قواعدهم سالمين، مما أدى لطرح فكرة جِهَاد الحكومة السّعُودِيّة والخروج عليها لعمالتها للأمريكان ولتفشى التَّشريعات الوضعِيَّة في قوانينها، ونتيجة تراكم مختلف مظاهر الفساد نشأت دعوات إصلاحية سياسيّة سلمية عديدة بين إسلاميّة وعلمانية، وبدأت الأوضاع السّياسيّة في مملكة فهد تضطرب منذُ مطلع التسعينات،

ليصل الأمر إلى ذروته بخروج الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن عَلى الحكومة ودعوته لجِهَادها بعد أن أطلق شعار **(إخراج المشركين من جَزِيرَة العَرَب).**

وبعد أحداث سِبتَمبر ٢٠٠١ التي نفذها استشهاديون سعوديون في معظمهم، وبعد احتلال أمريكا للعراق، وتواجدها الكثيف في المنطقة، كشرت أمريكا عن أنيابها وكشفت عن بَرَامجها الّتي من ضمنها إحداث تغييرات في الأوضاع في السّعُودِيّة، مما وضع مستقبل الأسرة السّعُودِيّة منذُ سنة ٢٠٠٣ عَلى كف العفريت الأمريكيّ، وصدق رسول الله ﷺ، «مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا بِبَاطِلٍ لِيَدْحَضَ بِبَاطِلِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ»[1].وقال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام]

وفي مطلع سنة ٢٠٠٤ تفجرت أحداث ثورة جهاديّة مسلحة تستهدف الأمريكان والتواجد الغربيّ في السّعُودِيّة، كما تستهدف الأسرة الحاكمة وأجهزتها الأمنيّة عَلى حد سواء، لتصبح السّعُودِيّة ميدانا جديدا للمُوَاجَهة المكشوفة بين المُسلِمِين وطليعتهم الجهاديّة وصحوتهم الإِسْلَاميّة وبين أمريكا وحلفائها وطليعتهم من قوى الرِّدَّة والنِّفَاق من حُكَّام العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، حيث تأتي الأسرة الحاكمة في السّعُودِيّة ومؤسستها الدّينيّة الرَّسميَّة في طليعة هذه الجبهة من المرتدّين والمُنَافِقين.

ويحتاج التّاريخ للدولة السّعُودِيّة المعاصرة وعلماءها المنافقون، في عهد عبد العزيز وذريته إلى مجلدات كبيرة متخصصة تسجل تاريخهم الأسود وما ألحقوه من المصائب بأمة محمّد ﷺ، محليا، وعلى الصعيد العربيّ والإِسْلَاميّ والدّولي، فقد قام ملوك هذه الأسرة الّذين بلغوا خلال القرن العِشرين (١٩٠١- ٢٠٠٤) زهاء (٧٠٠٠) أمير، وكونوا قبيلة (يأجوج ومأجوج) مصغرة محليَّة في جَزِيرَة العَرَب وبلاد الحرمين، فأذلوا العِبَاد وأظهروا في الأرض الفساد، وإذا كانَ يأجوج ومأجوج سيشربون الفرات وبحيرة طبريا كما في الآثار، فقد شرب يأجوج ومأجوج آل سعود، بحيرة نفط الجَزِيرَة، وضخوها في شرايين اليَهُوْد والنّصَارى، وقاموا بكل أشكال حرب الله ورسوله والمُؤمِنِين.

(١) رواه الطبراني في الأوسط: (٢٩٤٤) وأبو نعيم في الحلية، وأورده الألباني في الصحيحة (١٠٢٠).

فعلى صعيد المملكة الّتي أسموها باسم من خلَّفهم، دسوا التَّشريعات الوضعِيَّة في ثنايا قوانينهم، وضربوا بعرض الحائط بكل ما راجعهم فيه بعض علمائهم الصّالحين من أمثال محمّد بن ابراهيم الّذي كتب فيهم وفي أمثالهم (رسالة تحكيم القوانين) وأفتى وحكم كما كثير ممن عاصره من علماء الجَزِيرَة بكفر من حكم القوانين الوضعِيَّة، أو خلطها بالشّريعة الإِسْلَاميّة، كما شهدت سياساتهم الداخليَّة والخارجيّة مُوالاة مطلقة للغرب ولاسيما لأمريكا، إلى أن ظهر هذا منهم جليا في معاونتهم والقتال معهم وتقديم الخدمات العسكريّة وغيرها لهم في الحُرُوب الأمريكيّة الأخيرة في المنطقة، وأما عَلى صعيد قتل وسجن الّذين يأمرون بالقسط من النّاس فحدث ولا حرج عن جرائمهم، وأما فسادهم وفسوقهم وهدرهم لأموال المُسلِمِين في مغامراتهم الفاسقة عَلى موائد الخمور والقمار، ومواخير المترفين، فقد صاروا مادة للإعلام، ويكفي أن نورد خبرا نشرته إحدى الصّحف الّتي تعنى بأخبار الأغنياء في العالم، حيث قالت أن مصروف الأمير سلطان اليومي، (وانتبه: اليومي!) هو ٣ مليون دولار! وأما فهد فهو الأمير الّذي خسر ١٠ مليون دولار وخرج يضحك، قبحهم الله! وما زال يدفع – بحسب ما تواتر من أخباره في وسائل الإعلام والكتب – شيكات الابتزاز للعديد من المومسات ومضيفات الطيران، والغانيات من عميلات أجهزة الاستخبارات اللواتي قضى في أحضانهن أيّام شبابه، فأخذت له الصُّور التذكارية سرا، ليدفع ثمنها ابتزازا في المواقف والسياسات الداخليَّة والخارجيّة للمملكة، وليسدد للمومسات حقوق التقاعد والشَّيْخوخة!

كما دعم ملوك السّعُودِيّة المتوالين عَلى الحكم، بمئات ملايين الدّولارات كلّ طاغوت من طواغيت بلاد العَرَب والمُسلِمين اهتز عرشه في مُوَاجَهة المُجَاهدين له، فساندوا النصيرية إبَّان الجِهَاد في سوريا، وساندوا حكومة الجَزَائِر في مُوَاجَهة المُسلِمِين، وساندوا الشُّيُوعِيّين في اليمن في حربهم مع الشماليين، وساندوا النّصَارى الموارنة ضدّ المُسلِمِين والفلسطينيين في الحَرب الأهلية في لبنان، وساندوا حتَّى (الديكتاتور ماركوس) في الفلبين ضدّ المُسلِمِين، وساندوا (بوتين) ضدّ المُجَاهدين الشِّيشَان، ودعموا حكومة الهند وهي تذبح المُسلِمِين في كشمير وآسام، ومولوا حرب أمريكا ضدّ الطّالِبَان، وقائمة جرائمهم العلنية فضلا عن السرية تطول.

وأما جريمتهم الكبرى في تبديد مليارات المليارات من أموال النّفط، فمن يتأملها يتملكه الجزع والقهر، فالسّعُودِيّون أكبر بلد منتج للنفط في التّاريخ، إذ تصدر المملكة أكثر من ١٠ مليون برميل يوميا، عدا الصادرات الأخرى وموارد الترانزيت، أي ما يربو عَلى نصف مليار دولار يوميا كلما أشرقت الشّمس وغربت، ومعظم هذه الموارد تصب في بنوك اليَهُوْد والصّليبيّين، وتدفع منها السّعُودِيّة فواتير طائلة في تنفيذ السياسات الأمريكيّة، وهذا بحث يطول، والمنشور منه في الكتب والمُؤلّفات كثير جدا لمن أراد استقصاءه، ويكفي أن نذكر أن من آخر ما تسرب للإعلام خبر دفعهم رشوة مالية كبيرة للحكومة الأسبانية في عهد (أثنار) لكي تتحالف مع بوش في غزوه لإحتلال العراق سنة ٢٠٠٤، والله أعلم بكمية المبالغ! فتأمل، فقاتلهم الله، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الكويت:

كانت منطقة الكويت تعرف باسم " القرين"، أما " الكويت" فهو تصغير لكلمة "كوت" وهي منطقة مجاورة لها، وهي ميناء صغير بناه (محمّد بن عريعر) زعيم قبيلة بني خالد الّتي كانت تسيطر عَلى المنطقة.

بدأ تاريخ الكويت الحديث بهِجرَة **" آل الصباح"** من نجد، حيث اتفقوا مع بني خالد عَلى إدارة شئون البلاد إدارة مشتركة، لكن آل الصباح استقلوا بحكم الكويت سنة (١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م)، وترأسهم الأمير (صباح الجابر) الّذي لقب بصباح الأوّل.

وحصل خلفه (الشَّيْخ عبدالله المبارك)عام (١٢٩٢هـ ١٨٧٦م) عَلى لقب قائم مقام في المنطقة من الأتراك العُثمَانِيّين، ثمّ تولى بعد ذلك الشَّيْخ (مبارك بن صباح الثّاني) الحكم خلال (١٣١٣هـ – ١٣٣٤/ ١٨٩٦م–١٩١٧م).

وقد رأى الشَّيْخ مبارك كي يحفظ الملك في أسرته بدعم من بَرِيطَانيَا، أن يوقع معاهدة حماية مع بَرِيطَانيَا عام (١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م)، وأصبحت بَرِيطَانيَا بعد هذه المعاهدة مسؤولة عن علاقات الكويت الخارجيّة!

وفي سنة (١٩١٥م) توفي الشَّيْخ (مبارك الصباح) الّذي يلقبه المبشرون والمنصرون الأوربيون في كتبهم بلقب (مبارك العظيم)، ويثنون عَلى خدماته في تسهيل دخول النَّشَاط التنصيري إلى جَزِيرَة العَرَب ومنطقة الخليج العربيّ! كما يثني عليه الإنكليز كواحد من أخلص أعوانهم ومستشاريهم، وقد أسلفنا أنه كانَ وراء اقتراح آل سعود وجبارهم عبد العزيز لمهمة السّيطرة عَلى بلاد الحرمين ونجد وتوابعها ضمن البرنامج الإنكليزي للسيطرة عَلى جَزِيرَة الإِسْلَام والمُسلِمين، وتكفيه هذه مفخرة موبقة بالإضافة لخدماته الجليلة بوضع الكويت تحت الحماية البريطانيَّة ليحافظ عَلى حكمه، وتسليمهم قرارات البلاد الخارجيّة وسياستها الداخليَّة، ودعمه للمنصرين.

وفي سنة (١٩٢١م) تولى (الشَّيْخ أحمد الجابر) الحكم وشهدت فترة حكمه التنقيب عن البترول وتصدير أول شحنة من النّفط الكويتي سنة (١٩٤٦م)، وكذلك نظمت في زمنه الإدارات الحُكُوميّة المختلفة، وتم استقدام البعثات التّعليميّة، ودخل النفوذ الأمريكيّ إلى جانب النفوذ البريطاني.

ثمّ خلف (الشَّيْخ أحمد الجابر) ابن عمه (عبدالله السالم الصباح) عام (١٩٥٠م) وقد أحدث في الكويت انتفاضة اجتماعيَّة وثقافية وسياسيّة، وفي عهده أعلن استقلال الكويت في (يونيو ١٩٦١م) لتنضم للجامعة العربيَّة والأمم المتحدة سنة (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م).

ثمّ خلفه الأمير الحالي (جابر الصباح)، وفي عهده صارت الكويت أفسد دول الخليج العربيّ في مجالات الدّين والأخلاق والسياسات العلمانيّة، حتَّى صار الدّين والشّريعة مادة للهزء والسخرية في صحفها الرَّسميَّة، حتَّى أعلن فيها عن تولى كويت متنصر مرتد رتبة في الكنيسة، وحتى حكمت محكمة عَلى كاتبة كويتية تنقصت من الذات الإلهية، بغرامة ١٠٠ دينار كويتي والسّجن شهرا مع وقف التنفيذ!! - تَعَالَى الله عن جحود الجاحدين.

وأما تحول الكويت لقاعدة أمريكية حقيقية، وممرا ومرتكزا لعبور القوَّات الأمريكيّة لإحتلال المنطقة، فأشهر من أن نضيع الصفحات في شرحه هنا، فقد منحت الكويت القوَّات الأمريكيّة والبريطانيَّة ٦٠٪ من أراضيها كقاعدة عسكريّة للمناورات للهجوم لاحتلال العراق سنة ٢٠٠٣، والتفاصيل مشهورة، وأما دعم حكومتها كما حكومة السّعُودِيّة وكافة دول الخليج بالأموال الطائلة

لحرب الإِسْلَام والمُسلِمين، فمشهور، ويكفي أن نورد مثالا عَلى ذلك مما يحضرني من الذاكرة ما اشتهر من دعم الكويت لحكومة موسكو الشُّيُوعِيّة بـ (٤ مليار دولار) فيما كانَ المُجَاهدون الأفغان يدقون أبواب كابل قبيل سقوطها سنة ١٩٩٢ وكان الإفلاس يهدد الجيش الأحمر بالإنحلال.

قطر:

تقع شبه جَزِيرَة قطر داخل الخليج العربيّ، وعاصمتها "الدوحة" وهي منطقة غنية بالبترول والغاز، وكانت قطر جُزءاً من ساحل الخليج العربيّ الّذي كانَ يسمى البحرين، وفي عام (١٣٦٠هـ/ ١٨٤٢م) عين الشَّيْخ محمّد خليفة (أحد رؤساء القبائل) واليا عَلى قطر فحاول أن يستقل عن آل خليفة، واشتبك معهم في قتال هزم فيه، وعاد آل خليفة لحكم قطر.

تنازع السّعُودِيّون مع آل خليفة عَلى حكم قطر، واشتبكوا معهم في قتال عنيف انتهى لصالح السّعُودِيّين الّذي أصبحوا يحكمون قطر، وكان أول المبايعين محمّد بن ثاني الّذي تولى زعامة قبيلته ؛ ومنذ ذلك الحين ظهر آل ثاني في قطر، وحاول الشَّيْخ محمّد بعد ذلك الانفصال عن حكم آل خليفة والانفراد بالحكم فجرت معارك بين الطّرفين، انتهت عام (١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م).

على أن محاولة الشَّيْخ محمّد أثمرت في عهد ابنه قاسم الّذي اعتبر مؤسس إمارة آل ثاني المستقلة تحت سيادة الخِلافَة العُثمَانِيّة في قطر ؛ إذ إنه وحد قطر واستقل عن البحرين،

ثمّ تولى بعده ابنه الشَّيْخ عبدالله من (١٣٣١هـ/ ١٩١٣م) إلى (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م).

و في عهد الشَّيْخ عبدالله فقدت قطر سيادتها واستقلالها وأصبحت تحت الحماية البريطانيَّة كجاراتها، وعقدت معاهدة حماية سنة (١٣٣٤هـ ١٩١٦م) وفي فترة حكمه تمَّ اكتشاف البترول في قطر، ثمّ توفي الشَّيْخ عبدالله، وخلفه ابنه الشَّيْخ علي من (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م) إلى (١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م) وانسحبت بعد ذلك بَرِيطَانيَا من الخليج لتعلن قطر استقلالها عام (١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م)، حيث دخلت كليا في النفوذ الأمريكيّ كما حصل لجيرانها.

وفي سنة (١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م) قام الشَّيْخ خليفة بن حمد آل ثاني بالاستيلاء عَلى السّلطة في البلاد، وأعطتها بَرِيطَانيَا الاستقلال عن الحماية البريطانيَّة، وتحسنت أحولها الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة مستفيدة من ثروة النّفط الّذي بدأ إنتاجه وتصديره منذُ عام (١٩٤٩م).

ثمّ ظهر الغاز في قطر وصارت من أولى الدّول المصدرة له في العالم، ثمّ عزل أمير قطر الحالي أباه أواخر التِّسعينيَّات وتولى السّلطة، وبدأت قطر في عهده تحاول لعب دور إقليمي في المنطقة، وتناوئ السياسات السّعُودِيّة، وتشهد تحولات سياسيّة تطويرية جريئة مقارنة بنظم الحكم الشمولية في الخليج العربيّ، وكان من أنجح سياساتها تلك، إنشاء قناة الجَزِيرَة الفضائية الجريئة المشهورة ذائعة الصيت.

وفي حرب احتلال العراق سنة ٢٠٠٣، نقلت أمريكا كما هو معروف قيادة جُيُوشها قوَّاتها الّتي تتحرك فيما تسميه منطقة العمليَّات الوسطى إلى الدوحة في قطر، وهي القيادة المسؤولة عن زهاء مليون جندي في المنطقة الممتدة من وسط آسيا إلى المغرب الأقصى، وقد أدارت أمريكا من قاعدة (السيلية) قرب الدوحة عمليَّات القصف الجوي والصاروخي والحَرب الإلكترونية، ثمّ الإحتلال البري للعراق والّذي زحف من خلال أراضي الكويت، كما كانَ فيها المركز الإعلاميّ للقوَّات الأمريكيّة أثناء الحَرب، و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

البحرين:

هيَ مجموعة جزر تقع في الخليج العربيّ بين شبه جَزِيرَة قطر وساحل الأحساء، وتحتوي عَلى إحدى عشرة جَزِيرَة أكبرها جَزِيرَة البحرين، وكانت من قبل تعرف باسم جَزِيرَة "أوال" حكمها آل خليفة من قبيلة العتوب، وقد وطدوا علاقتهم بآل سعود ضدّ العُثمَانِيّين.

ثمّ توطد مركز بَرِيطَانيَا في البحرين بعد الحَرب العَالَمِيّة الثّانية، ففي سنة (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م) أصبحت البحرين قاعدة للاستعمار البريطاني في الخليج.

ثمّ أعلنت بَرِيطَانيَا سنة (١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م) استقلال البحرين وصدر قرار بتسميتها " دولة البحرين " في عهد عيسى بن سلمان أمير البحرين، ثمّ توفي أمير البحرين وخلفه ولده حمد بن عيسى،

وفي سنة ٢٠٠٢ قرر هذا (الحمد) تحويل البحرين إلى مملكة! وسن دستورا وأعطى بعض الحريات، ولقب نفسه بصاحب العظمة ملك مملكة البحرين! (العظَمة بفتح الظاء دفعا للحرج! مع استحقاقه للسكون عَلى ظائه بجدارة) علما أن مملكة عظمته لا تزيد مساحتها عن ٦٠٠ كم مربع، أي ما يزيد قليلا عن مساحة ملعب كولف متوسط، ولله في خلقه شؤون.

وقد حول الأمريكان البحرين إلى ماخور لاستجمام واستراحة عساكرهم المحاربين في المنطقة حيث، نقلوا إلى هناك فرق من العاهرات من دول أوربّا الشرقية ومختلف الدّول الحليفة ومنها بعض العربيَّة! إبَّان حرب تحرير الكويت، وحرب تحرير العراق، وما ننتظره من تحريرات تالية، والله أعلم، ببركات أصحاب العَظْمة والجلْلالة والسيادة والمعالي، وعلمائهم المنفوخين من أصحاب السماحة، قبحهم الله.

الإمارات العربيَّة المتحدة:

تقع هذه الدّولة عَلى طرف الجَزِيرَة العربيَّة الشرقي محاذية للخليج العربيّ وخليج عمان لتشمل سبع إمارات هيَ: - أبو ظبي، ودبي، والشارقة، وأم القوين، وعجمان، ورأس الخيمة، والفجيرة، وقد سادت قبيلة القواسم هذه المناطق، وقامت بنشاط بحري ضخم ؛ إذا سيطرت عَلى الملاحة في الخليج في عهد زعيمها رحمة بن مطر القاسمي عام (١١٥٩هـ/ ١٧٤٧م)، وقد نجحت في هزيمة البرتغاليين، وامتد نفوذها، في المنطقة.

ثمّ تمكنت بَرِيطَانيَا بعد حملات من القضاء عَلى القواسم، وعقدت معاهدة مع شيوخ الإمارات، وبموجب ذلك صار المقيم السّياسيّ البريطاني يدير شئون (الإمارات المتصالحة) كما أسموها، من مركزه في إيران منذُ عام (١٨٢٣م) وحتَّى عام (١٩٣٤م)، ثمّ انتقل المقيم السّياسيّ للبحرين عام (١٩٤٨م) وعين أول ضابط سياسي بريطاني مقيما سياسيّاً في الشارقة.

ثمّ أنشئت هناك عام (١٩٥٣م) دار الاعتماد البريطاني، وانتقلت لدبي عام (١٩٥٤م)، وفي عام (١٩٦٨م) أعلنت الحكومة البريطانيَّة انسحابها من منطقة الخليج في مواعد لا يتجاوز (١٩٧١م)،

وبدأت مساعي توحيد الإمارات في دولة واحدة، وفي نفس العام (١٩٦٨م) اتفق الشَّيْخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبو ظبي مع الشَّيْخ راشد بن سعيد المكتوم حاكم دبي، وبحث معه اتحاد الإمارتين، تمَّ دعوة الإمارات السبع الأخرى والبحرين وقطر للاجتماع في دبي، وانبثقت من هذا الاجتماع الاتفاقية المعروفة باتفاقية دبي، وتم اختيار الشَّيْخ زايد رئيسا للمجلس الأعلى للاتحاد.

لكن الخلاف دب بين الأمراء حول وضع الدستور، وفي سنة (١٩٧١م) تمَّ التوصل إلى صيغة اتحاد سباعي يضم إمارات الساحل العماني، وأعلن مولد " **دولة الإمارات العربيَّة المتحدة** " سنة (١٩٧١م) الّتي ضمت ست إمارات هيَ: أبو ظبي، ودبي، والشارقة، وعجمان، وأم القوين، والفجيرة، ثمّ انضمت بعد ذلك إمارة رأس الخيمة (١٩٧٢م) إلى الدّولة الجَدِيدة الّتي كونتها بَرِيطَانيَا واعترفت بها، كما وافقت الجَمعيَّة العمومية للأمم المتحدة عَلى قبولها عضوا فيها، فيما نأت البحرين وقطر بنفسها عن الاتحاد الوليد.

يبلغ عدد سكان الإمارات رغم كبر مساحتها النسبية زهاء ٢٥٠ ألف مواطن فقط، ويقيم فيها منذُ عشرات السنين زهاء مليون هندي معظمهم من الهندوس، بالإضافة لمليون آخر من الأجانب فيهم جالية فلبينية نصرانية كبيرة، وعدد كبير من الأوربيين ولاسيما البريطانيين، وتعتبر الإمارات مركزا لنشاط المنظمات التنصيرية في المنطقة بأسرها، كما أصبحت بعد دخول النفوذ الأمريكيّ قاعدة جوية وبحرية رئيسيَّة للقوّات الأمريكيّة والبريطانيَّة المحالفة لها، وصارت دبي إحدى أكبر العواصم التجاريَّة العَالَمِيّة، ووكرا للفساد والمجون والدعارة عَلى المستوى العَالَمِيّ، كما صارت مقرا رئيسيا لإدارة مُكَافحَة الإِرهَاب، وفيها مكاتب أمنيّة أمريكية رئيسيَّة يديرها الأمريكان والبريطانيون بالتّعاون مع بعض الإستخبارات العربيَّة ولاسيما المصريَّة ذات الخبرات الواسعة في حرب الإِسْلَاميّين، كما أن القيادة العليا لجيش الإمارات الصغير هم من البريطانيين، والرتب المتوسطة من المرتزقة الباكستانيين، والدُّنيَا من متطوعين شتّى! ويرأسهم بعض الجنرالات الفخريين من أبناء الأسرة الأميرية!

عُمان:

تقع عمان في الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه جَزِيرَة العَرَب، وتعد معقلا للخوارج الإباضية الّذي أسسوا بها دولة منذُ أواخر العصر الأموي.

وقد تعرضت عمان للخطر البرتغالي، فتصدى العُثْمَانِيّون لمواجهتهم، كما تعرضت لتنافس تركي فارسي نظرا لأهمية موقعها الإستراتيجي، لكن ضعف العُثْمَانِيّين والبرتغاليين فتح البَاب للنفوذ البريطاني والفرنسي، وفي عهد السُّلطَان سعيد بن تيمور، تمكن من إقرار وحدة عمان بضم واحدة " البوريمي" بمساعدة بَرِيطَانيَا سنة (١٩٥٤م) ثمّ تولى الحكم السُّلطَان قابوس بن سعيد عام (١٩٧٠م) بعد أن قتل أباه واستولى عَلى السّلطة، وقد شهدت البلاد في عهده نهضة سياسيّة واقتصاديَّة، وفي عهده دخلت سلطنة عمان الجامعة العربيَّة وهيئة الأمم المتحدة بعد استقلالها، وتعتبر عمان أحد أهمّ القواعد العسكريّة البريطانيَّة والأمريكيّة في المنطقة.

اليمن:

لم يخضع اليمن خضوعا كليا لحكم الدّولة العُثْمَانِيّة، وفشلت كلّ الحملات الّتي نفذت من أجل تحويله إلى إدارة عُثْمَانِيّة، نظرا لحصانة الطبيعة والتفاف أهله عَلى الأئمة الزيدية في صنعاء.

وقد قامت الأسر الزيدية بالحكم في اليمن من سنة (١٥٠٦م) في العاصمة صنعاء، وخلال تلك الفترة حدث صِرَاع طويل بين الأتراك والأسرة الزيدية، وفي القرن التّاسع عشر الميلادي اقتصر نفوذ العُثْمَانِيّين عَلى تهامة وجنوبي اليمن وصنعاء وما حولها.

واستمر الحال إلى أن حصلت هدنة بين العُثْمَانِيّين واليمنيين، وعرفت باتفاقية (الدعان) وأثناء ذلك كانَ الإنجليز يحاولون تثبيت قدمهم في عدن وتوسيع رقعة نفوذهم ؛ وبعد الحَرب العَالَمِيّة الأولى وخسارة تركيا تعهد العُثْمَانِيّون بالجلاء عن بلاد العَرَب – ومنها اليمن – فاستولى الإِمَام يحيى حميد الدّين عَلى الملك واستقل بالبلاد سنة (١٩٢٣م) واعترف العُثْمَانِيّون باستقلال اليمن، وظل الصِّرَاع في اليمن ضدّ بَرِيطَانيَا إلى أن أبرمت معاهدة سنة (١٩٣٤م) الّتي اعترفت فيها بَرِيطَانيَا باستقلال اليمن.

ولكنها أبقت مشكلة الحدود في الجنوب، وهكذا بقى النزاع قائما، وبقيت بَرِيطَانيَا موجودة في الجنوب العربيّ في عدن، وكررت بَرِيطَانيَا هجومها عَلى اليمن سنة (١٩٥٦م)، وفي (١٩٥٧م) ثار عبدالله بن الزير عَلى الإِمَام يحيي وتمكن من اغتياله واستولى عَلى الحكم في صنعاء، ولكن الإِمَام أحمد بن يحي نجح في هزيمته واسترداد الحكم.

وفي مارس سنة (١٩٥٥م) قام انقلاب ضدّ الإِمَام أحمد، لكنه فشل.

وفي سِبتَمبر سنة (١٩٦٢م) تفجرت الثَّورة الّتي قادها عبدالله السلال باليمن بمساعدة من مصر، ونجحت في إعلان نظام الجمهوريّة في اليمن الشمالي.

وكانت بَرِيطَانيَا قد انسحبت من عدن وسلمت الحكم فيها للشيوعيين، فاستقلوا في اليمن الجنوبي، وحاربوا الإِسْلَام والمُسلِمين، و استعلنوا بالإلحاد وهدموا المساجد وقتلوا العُلَماء، ثمّ سلطهم الله عَلى بعضهم فأفنوا بعضهم في حرب ضروس خلال مدّة قصيرة.

وكان قد تولى الحكم في اليمن الشمالي (الجاويش) علي عبدالله صالح، وما زال في السّلطة إلى الآن، وقد تمكن بدهائه من الإمساك بزمام الأمور، ثمّ استغل ضعف الجنوبيين، وسن حرب الوحدة بالتّعاون مع الإِسْلَاميّين وقبائل الشمال، وتوحدت اليمن بعامته سنة ١٩٩٣.

ثمّ بدأ عبدالله صالح سياسة التقرب من أمريكا، وتحجيم الإِسْلَاميّين وقمع كلّ أشكال مناوئيه، وبعد أحداث سِبتَمبر تحالف صالح علانية مع أمريكا في حملاتها لمُكَافحَة الإِرهَاب، وشن حملات تصفية عَلى الجهاديّين، وخاض الجيش اليمني عددا من المعارك الطاحنة لإخراجهم من حصونهم القبلية – نيابة عن أمريكا – حيث الحقّ بالجهاديّين خسائر كبيرة، وما تزال الأحداث متكررة جارية في اليمن إلى الآن.

لتذكرنا بكل مرارة بما قاله شاعرها البردوني وكأنه يصف البلاد ورئيسها ومن امتطى من كبار شيوخها وعلمائها عندما قَالَ يعارض بائية أبي تمام:

ماذا أُحدثُ عن صنعاءَ يا وطــني ... مليحةٌ عاشـقاها الســـلُّ والجربُ
ماذا تَرى يا أبـا تمامْ ؟ هلْ كـذبتْ ... أحسـابنا؟ أمْ تـناسى عـرقهُ الذهبُ

تَأبى الرُؤوسُ العَوالي نارَ نخوتها إذا امتطاها إِلى أسيادِهِ الذنبُ

وما زال الأمل بالله أن يبعث من اليمن ببركة دعاء حبيبه المصطفى ﷺ، من يشبهون جند المعتصم الّذين وصفهم البردوني في نفس قصيدته فقال:

سُتونَ ألفاً كآسادِ الشَّرى انطلقتْ وللمنجمِ قالتْ: أنّنا الشهبُ

ولا يحتاج الأمرُ ستون ألفا، وأسأل الله أي يسلط عَلى (الجاويش) من شباب الإِسْلَام من يشفي بهم صدور قوم مؤمنين، وما ذلك عَلى الله بعزيز.

مصر:

تنافست إنجلترا وفرنسا لاحتلال مصر أواخر القرن الثَّامن عشر، نظرا لموقعها الإستراتيجي واهتمت بها بَرِيطَانيَا خاصّة، لوقوعها في طريق مُستَعمراتها في آسيا.

ولذلك أرسلت بَرِيطَانيَا أسطولا تمكن من هزيمة الفرنسيين – بعد احتلالهم مصر بحملة نابليون سنة (١٢١٢هـ – ١٧٩٨م) – في معركة أبي قير البحرية سنة (١٢١٢هـ – ١٧٩٨)، وبعد جلاء الفرنسيين عن مصر سنة (١٨٠١م)، أرسلت بَرِيطَانيَا أسطولا لغزو مصر عن طريق رشيد سنة (١٢١٢هـ – ١٨٠٧م)، لكن مقاومة أهلها أدت إلى فشل هذا الغزو.

كانَ (محمّد علي) قد نجح بذكائه في التسلق عَلى أكتاف الحركة الشعبيَّة، واستطاع أن يقنع النّاس به فاتخذ العُثمَانِيّون قرار بتعيينه واليا عَلى مصر، ونجح في الاستقلال بمصر سنة (١٢١٩هـ–١٨٠٥م) ثمّ أذعن السُّلطَان سليم الثّالث وأصدر فرمانا بتعيينه سنة (١٨٠٦م)، وكون جيشا حديثا، وأنفذ البعثات إلى فرنسا لتي أيدته ودست العملاء في مستشاريه في شتّى الميادين ولاسيما في مجال التّعليم والغزو الفكريّ الإستشراقي، فتأسست العلمانيّة ومدارس الضلال العربيَّة المعاصرة في عهده، وكانت بوابة البلاء عَلى مصر والعالم العربيّ كله، كما سنرى في الفَصل التّالي.

وقد قام محمّد علي بحملات عسكريّة ناجحة في السُّودَان وشبه الجَزِيرَة العربيَّة والشّام وبلاد اليونان، لكن تحالف الدّول الأوروبية خاف من طموحاته، فوضعوا له حدا، أدى إلى فقدانه أحلامه

الإمبراطورية بعد هزيمته في معركة نوارين البحرية سنة (١٢٤٢/ ١٨٢٧م) مع البريطانيين، وإرغامه عَلى الانسحاب من كلّ الأقاليم الّتي استولى عليها ما عدا مصر وفق مؤتمر لندن سنة (١٢٥٥هـ / ١٨٤٠م).

ومع ذلك نجح محمّد علي في تأسيس أسرة حاكمة في مصر إذ تولاها بعد وفاته عباس الأوّل، ثمّ سعيد باشا، ثمّ الخديوي إسماعيل، ثمّ الخديوي عباس، وصولا إلى الملك فاروق أخر حُكَّام الأسرة، الّتي انتهت بقيام ثورة يوليو سنة (١٢٧١هـ/ ١٩٥٢م) الّتي تزعمها الرَّئيس جمال عبد النّاصر ورفاقه الّذين عرفوا بالضُّبَّاط الأحرار، وانتهى الأمر بالملك الفاروق منفيا في إيطاليا حيث عملت أسرته في الدعارة!

وتجدر الإشارة إلى أنه في عهد الخديوي إسماعيل تعاظم النفوذ الفرنسي في مصر، والّذي كانَ من مظاهره حصول (فرديناند ديليسبس) عَلى امتياز حفر قناة السويس لتوصيل البحر الأحمر بالبحر المتوسط، وكلف حفر القناة وافتتاحها مصر أرواحا كثير من المصريين وأموالا طائلة، فوقعت الدّولة تحت طائلة الديون، الأمر الّذي أدى إلى تدخل إنجلترا وفرنسا ونجاحهما في الإشراف عَلى الشؤون المالية في مصر عن طريق (صندوق الدّين)، وتشكيل لجنة ثنائية فرنسية إنجليزية لضمان تحصيل الديون.

وكانت فرنسا وبريطانيا قد عقدتا اتفاقا وديا سنة (١٨٠١م) جلت بمقتضاه فرنسا عن مصر وتخلت عن أطماعها الاستعماريّة في إخضاع مصر لسيطرتها.

وانتهزت بَرِيطَانيَا فرصة قيام الثَّورة العرابية بقيادة أحمد عرابي ضدّ الخديوي توفيق لتحقيق هدفها في احتلال مصر.

فأرسلت بَرِيطَانيَا حملة عَلى مصر سنة (١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م)، ونجحت في الاستيلاء عَلى الإسكندرية، ثمّ هزمت العرابيين عند التل الكبير، ثمّ احتلت القاهرة وقضت نهَائِيًّا عَلى الثَّورة العرابية، ولكن حركة المُقاوَمة السّياسيّة ضدّ الإنجليز استمرت بعد ذلك بزعامة مصطفى كمال الّذي حاول استغلال عداء فرنسا لبريطانيا وندد بالإنجليز في المحافل الدّولية خُصُوصَاً بعد أن اقترفوا

جريمة مذبحة دنشواي سنة (١٣٢٣هـ - ١٩٠٦م) كما أسس الحزب الوطني سنة (١٣٢٤هـ / ١٩٠٧)، وكان قد أصدر صحيفة اللواء سنة (١٣١٨هـ/ ١٩٠١م) الّتي فجرت الحركة الوطنيّة في مصر ضدّ الإنجليز.

وفي سنة (١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م) قامت ثورة كبرى ضدّ الإنجليز بزعامة سعد زغلول مطالبة بالاستقلال وإلغاء الحماية البريطانيَّة عَلى مصر الّتي فرضها الإنجليز سنة (١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م).

وبعد فشل الثَّورة لجأ المصريون إلى أسلوب المفاوضات لتحقيق الاستقلال، ثمّ عقد مصطفى النحاس معاهدة مع بَرِيطَانيَا سنة (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م) فحققت لمصر استقلالا غير تام.

وظلت إنجلترا تتعاون مع القصر والملك فاروق وأحزاب الأقلية الّتي شكلت حُكُومَات ضعيفة نجم عن سياستها مزيدا من الفساد، ثمّ قامت حركة الضُّبَّاط الأحرار بزعامة جمال عبد النّاصر بثورة (٢٣يوليو سنة ١٩٥٢م).

وكانت قد نشأت في مصر أواخر العشرينات حركة إسلاميّة كانَ لها بالغ الأثر عَلى مسار الأحداث في مصر والعالم العربيّ عموما، وهي حركة الإخوان المُسلِمِين الّتي أَسَّسَها الشَّيْخ حسن البنا، الّذي وضع أسس حركته الّتي كانت تهدف إلى إعادة الخِلافَة الإِسْلَاميّة وتصحيح أوضاع المُسلِمِين والدّعوة إلى العود إلى تحكيم الشّريعة الإِسْلَاميّة والدّفاع عن قضايا المُسلِمِين، وما لبثت الحركة أن دخلت في صِرَاع مع القصر، والنفوذ البريطاني، وقد انتشرت الحركة مابين (١٩٢٨) ونهاية الأربعينات انتشارا واسعا في مصر، وامتدت إلى بلاد الشّام وغيرها، وتوجف الإنكليز منها شرا، ولاسيما بعد مساهمات مُجَاهدي الإخوان في مصر وسوريا في حرب اليَهُوْد سنة (١٩٤٨)، ثمّ تآمر الإنكليز والملك فاروق عَلى الحركة، فأودع المُجَاهدون العائدون من فِلَسطِين في السّجون، واغتيل الإِمَام حسن البنا رحمه الله تَعَالَى وغفر له، ثمّ كانَ للتنظيم الخاص (السري) الّذي أنشأه دور في مقاومة الإنكليز في منطقة قناة السويس، ثمّ اتفق الإخوان مع الضُّبَّاط الأحرار عَلى إسقاط الملك فاروق، ونجح انقلاب الضُّبَّاط الأحرار في سنة ١٩٥٨، وتولى اللواء نجيب رئاسة الدّولة، ثمّ انتقلت الرئاسة لجمال عبد النّاصر الّذي تنكر للإخوان وانقلب عليهم وأودع قياداتهم في السّجون سنة ١٩٥٤، وأعدم

بعضهم من أبطال مقاومة الإنكليز، ثمّ أعلن عبد النّاصر تأميم قناة السويس وحصلت الحَرب الّتي دعيت بالعدوان الثلاثي عَلى مصر سنة ١٩٥٦، واشتركت فيها بَرِيطَانيَا وفرنسا وإسرائيل، ووفرت هذه الحَرب لعبد النّاصر الدعاية الكافية لدعوته الحماسية للقومية العربيَّة، والوحدة العربيَّة، والأفكار الإشتراكية، والدعوات التحررية الّتي نادى بها، وكانت كثير من بلاد العالم العربيّ تشهد حركات تحررية تحمل تلك الأفكار، كما كانَ لعبد النّاصر تحركا دوليا، مع بعض الزعماء العَالَمِيِّين، ولاسيما دعوة تجمع دول عدم الانحياز إلى جانب الزعيم اليوغوسلافي الشُّيُوعِيّ (تيتو)، والزعيم الهندي (نهرو)، والإندونيسي (سوكارنو) حيث عقد في بلاده مؤتمر باندونغ (١٩٥٤)، وكانت تلك الأفكار ميالة للإتحاد السوفييتي فيما عرف بسياسة الحياد الإيجابي في الصِّرَاع الأمريكيّ السُّوفيتيّ، وقصة عبد النّاصر تطول وهي مرحلة مهمة في تاريخ مصر والعالم العربيّ، وليس هنا محل استقصائها، وسرت أفكار عبد النّاصر ودعاياته في العالم العربيّ الّذي كانت تروج فيه دعوة القوميّة العربيَّة وتنشأ الأحزاب السّياسيّة المختلفة عَلى أساسها، وفي سنة ١٩٥٨ توصل القوميون العَرَب في سوريا وعبد النّاصر إلى إعلان الوحدة الّتي طبلت لها الجماهير وزمرت، ثمّ انفصمت الوحدة خلال ٣ سَنَوات، وقد حكم عبد النّاصر مصر حكما استبداديا فرعونيا، وأنشأ لذلك أجهزة أمنيّة واستخباراتية استباحت دماء العِبَاد وأعراضهم وحرماتهم، وقد نشرت عشرات الكتب والدراسات عن تلك الحقبة السوداء بما يغني عن الشواهد هنا.

وقد بطش (الزعيم الملهم) كما أسموه بكل معارض له، وكان للحركة الإِسْلَاميّة وخاصة الإخوان المُسلِمُون النصيب الأوفر من ذاك البطش الّذي بلغ ذروته سنة ١٩٦٥، إذ أعلن عبد النّاصر الحَرب عليهم خلال زيارة له لموسكو، وافتخر بأنه أدخل السّجن (١٧ ألف) رجل منهم في ليلة واحدة! ثمّ أعدم كوكبة من خيرة أبناء مصر كانَ عَلى رأسهم الشّهِيد المعلم الأستاذ سيد قطب، رَحِمَهُ اللهُ وجمعنا به في عليين، ودخل عشرات الألوف من الإخوان سجون عبد النّاصر منذُ ١٩٥٤ عَلى مراحل، ولم يخرج أكثرهم إلا في عهد خلفه السادات أواسط السَّبعينيَّات!

وخلال حكم عبد النّاصر، عم الفساد أجهزة الدّولة وانتشرت الخلاعة والمجون ولاسيما في قيادات الجيش وأجهزة الإستخبارات، وتمكن الموساد الإسرائيلي من زرع العملاء في قيادات الجيش الّذي غرق قادته وقادة الأمن في الدعارة والانحلال، وفي صبيحة الخامس من حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧، كانت مصر عَلى موعد مع نتائج تلك الحقبة الّتي عبد فيها أكثرهم الرجل الوثن، وخلال أقل من نصف ساعة وفيما كانَ كبار قادة وضباط الجيش المصري يغطون في نومهم بعد ليلة حمراء قضوها زناة مخمورين، كانَ الطيران الإسرائيلي يدمر سلاح الطيران المصري وهو في مطاراته عَلى الأرض، وهكذا تُركت القوَّات البرية المصريَّة تحت رحمة الطيران الإسرائيلي الّذي نفذ فيها مجازر مروعة، لتنجلي معركة الأيّام الستة عن احتلال اليَهُوْد لصحراء سيناء وصولا إلى ضفة قناة السويس، فيما تكفل البعثيون والنصيريون في الجبهة السوريّة ببيع مرتفعات الجولان لإسرائيل، وتولى حافظ الأسد – كما مر معنا إعلان سقوط الجبهات والانسحاب الكيفي منها قبل وصول اليَهُوْد إليها بأربع وعشرين ساعة، ثمّ مرر عبد النّاصر وعباده مسرحيَّة استقالته بعد الهزيمة، وخرج الغوغاء إلى الشَّوارع هاتفين بحياته وبقائه في السّلطة، وبعد سنتين من الهزيمة توفي عبد النّاصر سنة ١٩٦٩، وبعد وفاته نشرت الكثير من الكتب عنه بين من ذهب به مذهب التقديس، إذ انتشر ما عرف بالأحزاب النّاصرية في مصر والعالم العربيّ، وذهب البعض إلى الاعتقاد بما نشره بعض المتقاعدين من الإستخبارات الأمريكيّة وغيرها، حيث أثبتوا أنه كانَ عميلا للاستخبارات الأمريكيّة وأنه نفذ برنامجا معدا معهم منذُ البداية وإلى النهاية، ومن أشهر تلك الكتب كتاب (لعبة الأمم) لمؤلفه (كوبلاند) الّذي فصَّل في تلك الفرضية الّتي رفضها محبوه واعتبروها دعاية صهيونية! ومهما يكن من أمر التكهنات، فالوقائع الّتي لا مجال للمماراة فيها أنه كانَ طاغوتا جبارا ملحدا في دين الله، ذاقت مصر وأبناؤها في عهده الويلات، وتركها بعده قاعا صفصفا من الفقر والفساد، وانتشار الفسوق والعصيان والأفكار الضالة المارقة.

ثمّ خلفه في السّلطة (أنور السادات)، وسرعان ما اتجه اتجاها معاكسا، فنهج نهجا أمريكيا وأسمى سياسته (سياسة الانفتاح)، فنمت الرأسمالية في عهده وتقلصت العلاقات مع الإتحاد السوفييتي، ولمُوَاجَهة المد اليساري الّذي نمى نموا سرطانيا في عهد سلفه الهالك، اتبع السادات

سياسات كانَ منها إطلاق المجال للحركات الإِسْلَاميّة، فأفرج عن الإخوان المُسلِمِين وسمح للدعوة الإِسْلَاميّة بالنمو في الجامعات، وسرعان ما ملأ الإِسْلَاميّون الجامعات والنقابات المهنية والعلمية، واكتسحوا الشارع المصري، فبدأ بكبح جماحهم.

وفي سنة ١٩٨٠ فاجأ السادات العالم بطرحه فكرة الصُّلح مع إسرائيل وتطبيع العلاقات تحت ذريعة بناء مصر وتنميتها في جو السلم، وأتبع ذلك بزيارته الشهيرة لإسرائيل والقُدس، وعاد ليجد المارد المسلم الّذي أطلقه من (قمقم) عبد النّاصر بانتظاره في القاهرة، ثمّ أتبع خطواته السريعة باتفاقيات كامب ديفيد الشهيرة، وعرضته وسائل الإعلام يصافح مناحيم بيغن جزار مذابح (دير ياسين الشهيرة)، وبموجب تلك الاتفاقيات، ردت إسرائيل صحراء سيناء لمصر بحيث تبقى تحت سيطرتها عمليا، ورفرف العلم الإسرائيلي في سماء القاهرة عَلى ضفاف النيل فوق أول سفارة لدولة إسرائيل في العالم العربيّ، فحمل عليه العُلَماء والخطباء الشرفاء، فألقاهم في السّجون، وأعلن الحَرب عَلى الإِسْلَاميّين سنة (١٩٨١)، وزج قادتهم في السّجون، وتحدى الخلق معلنا أنه ألقاهم في السّجون كالكلاب!

وبعيد ذلك قيض الله له من أسود الإِسْلَام من ألقاه تحت الكراسي صريعا كالكلب حقيقة لا مجازا، إذ قتله المُجَاهدون من تنظيمي الجماعة الإِسْلَاميّة والجِهَاد في حادثة المنصة الشهير، وهو في يوم عزه واستعراض قوَّاته، إذ أنه كانَ قد خرج عَلى قومه في زينته في استعراض عسكريّ كبير، فخسف الله به، وأرسله جند الله ليلحق بسلفه الفرعون ويكون لمن خلفه آية.

ثمّ خلفه الفرعون الحالي نائبه (حسني مبارك) لا بارك الله فيه، فأكمل المشوار الّذي رسمته أمريكا وسار في سياسات التطبيع مع اليَهُوْد قدما، ومازال يحكم مصر بالحديد والنار وقبضة الأجهزة الأمنيّة، وقوانين الطوارئ العرفية منذُ ١٩٨١وإلى اليَوْم حيث يرتب مع الأمريكان توريث عرش الفرعونية لولده جمال مبارك!

وقد شهد عهد مبارك حربا ضروسا من النّظام المصري عَلى الإِسْلَاميّين، وتصدت له الجماعات الجهاديّة ودخلت في صِرَاع مرير لم يضع أوزاره إلا من قريب بعد أن نجحت أجهزة الأمن بفضل

سياسات التصفية والبطش، وبتعاون علماء السّلاطين أخزاهم الله معه، فأجهض الجِهَاد، وخلا الجو لمبارك ورهطه يبيضون ويصفرون في أنحاء أرض الكنانة.

واليوم تعتبر مصر أحد أعمدة السياسات الأمريكيّة الصّهيونيّة في المنطقة، ومستند الأنظمة العربيَّة والإِسْلَاميّة في كفاح الإِسْلَاميّين أمنيّاً وفكريا.

ورغم ذلك مازالت أمريكا تلوح ببَرَامجها الّتي تستهدف مصر بالتقسيم والتهديد بعد أن تغلغل عملاؤها في مختلف مناحي حياة المصريين.

السُّودَان:

نجح محمّد علي باشا حاكم مصر في إرسال عدّة حملات إلى السُّودَان بقيادة أصغر أبنائه إسماعيل كامل سنة (١٨١٩م/ ١٨٢١م) وتمكنت هذه الحملات من ضمّ السُّودَان إلى مصر وتحقيق وحدة وادي النيل، فلما استولت بَرِيطَانيَا عَلى مصر سنة (١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م) خططت لفصل السُّودَان عن مصر والوصول إلى منابع النيل.

وعندما قامت الثَّورة المهدية في السُّودَان بزعامة السيد محمّد أحمد المهدي، طلبت بَرِيطَانيَا من مصر سحب قوَّاتها من السُّودَان وأرسلت حملة بقيادة (غوردون) لكن الثوار هزموه وقتلوه بالخرطوم سنة (١٣٠٢هـ -١٨٨٥م) وفي سنة (١٣١٣هـ -١٨٩٦م) أرسلت بَرِيطَانيَا حملة (كتشنير) إلى السُّودَان واستعانت بجهود عساكر مصريين! ونجحت الحملة في هزيمة الثوار المهديين سنة (١٣١٥هـ - ١٨٩٨م) بعد الاستيلاء عَلى أم درمان وبذلك تحقق لبريطانيا ضمّ السُّودَان إلى إمبراطوريتها.

واتفقت بَرِيطَانيَا والحكومة العميلة لها في مصر سنة (١٣١٦هـ - ١٨٩٩م) عَلى حكم السُّودَان حكما ثنائيا رغم احتجاجات الوطنيين المصريين وأخذت بَرِيطَانيَا في إثارة الصِّرَاع بين المصريين والسُّودَانيين لكنها لم تنجح، إذ بعد قيام ثورة سنة (١٣٣٧هـ - ١٩١٩م) في مصر قامت ثورة في السُّودَان بزعامة (عبد القادر ود حبوبة) تطالب بجلاء بَرِيطَانيَا عن وادي النيل.

وبرغم قضاء بَرِيطَانيَا عَلى الثَّورة تصاعدت الحركة الوطنيّة في السُّودَان، ففي عام (١٣٤٠هـ - ١٩٢٢) تشكلت جَمعيَّة الإتحاد السُّودَاني وجَمعيَّة اللواء الأبيض، وأخذتا تعملان سرا لطرد بَرِيطَانيَا وتحقيق وحدة مصر والسُّودَان.

لكن الحركة الوطنيّة السُّودَانية ظلت تقاوم الوجود البريطاني، وتشكل حزب الأُمّة بزعامة المهدي، والحزب الوطني الاتحادي بزعامة الأزهري ليقودا النضال ضدّ بَرِيطَانيَا، وبعد قيام ثورة يوليو في مصر سنة (١٣٧١هـ - ١٩٥٢م) وعقد اتفاقية الجلاء سنة (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م) اتفقت مصر وبريطانيا عَلى ترك الخيار للسودانيين لتقرير مصيرهم ؛ فاختاروا الإستقلال الّذي تمَّ عام (١٩٥٦م) وقامت دولة وفق النّظام الجمهوريّ اعترفت بها جامعة الدّول العربيَّة وهيئة الأمم المتحدة.

وتتالت الحُكُومَات المدنيّة والعسكريّة عَلى السُّودَان، إلى أن تسلم الحكم جعفر النميري بانقلاب عسكريّ، وفي عهده نمت الحركة الإِسْلَاميّة الّتي كانَ أبرزها حركة (الجبهة القوميّة الإِسْلَاميّة السُّودَانية) الّتي تزعمها حسن الترابي، وقامت عَلى أسس الإخوان المُسلِمين ثمّ فصلها الترابي مستقلا لها بفكر جديد يرتكز إلى أفكاره واجتهاداته الحَركيّة والفقهيّة الخاصّة، ثمّ تحالف الترابي والنميري عَلى أساس تحكيم الشّريعة في السُّودَان، ثمّ رتب الترابي انقلابا عسكريّاً أطاح بالنميري وجاء بحكم ما عرف بثورة الإنقاذ من الضُّبَّاط المنتمين للترابي بزعامة الرَّئيس (عمر البشير)، ثمّ وقع الطلاق بين الترابي وتلاميذه الضُّبَّاط فاعتقلوا شيخهم مرات، حيث تحول للمعارضة!

وقد حاول البشير ورفاقه النهوض بالسُّودَان، وتطبيق الشّريعة، ولكن المؤامرات الأمريكيّة أنهكتهم بدعم حركات التمرد المُسلّحة جنوب السُّودَان وشرقه ثمّ في غربه مؤخرا، وآل الأمر بزمرة البشير لاختيار سياسة الرُّضُوخ لأمريكا وطلباتها الّتي لم تنتهي، فطردوا الجهاديّين، ثمّ طردوا بن لادن، ثمّ وقعوا اتفاقيات مهينة مع النّصارى الجنوبيين، ثمّ افتتحوا مكاتب معلنة لـ(FBI) وعقدوا الاتفاقيات الأمنيّة لمُكَافحَة الإِرهَاب، وبلغ بهم الأمر أن يسلموا بض المُجَاهدين المطاردين من قبل نظام ليبيا لحكومة القذافي وهم يعلمون أنهم يسلمونهم للإعدام، كما سلموا عددا من الإخوة السّعُودِيّين لأجهزة أمن بلدهم سنة ٢٠٠٤، ورغم التنازلات اللامتناهية، مازالت الحكومة الأمريكيّة

تطارد حكومة السُّودَان بالتهديد والوعيد، إلى أن بلغ الأمر هذه الأيّام بإعلان أمريكا والدّول الغربيّة ومنها بَرِيطَانيَا وفرنسا وغيرها التدخل المباشر السّياسيّ والعسكريّ في غرب السُّودَان، بدعوى المنازعات القبلية في إقليم دارفور، في مخطط مكشوف لتقسيم السُّودَان، لتثبت سياسة المداهنة والتنازلات أنها لا تسفر إلا عن افتراس الوحش للثور الأسود بعد أن أكل الثور الأبيض فيما كانَ ينظر إليه ويخذله، وسبحان الديان فكما تدين تدان، وإن في ذلك لعبرة لأولي الألباب، إن كانَ ثمّ هناك بقية منهم.

ليبيا:

بعد تحقيق الوحدة الإيطالية سنة (١٢٨٥هـ/ ١٨٧٠م) تطلعت إيطاليا إلى المشاركة في حركة الاستعمار الأوروبي، ونظرا لقربها من ليبيا فقد اعتبرتها مجالا حيويا، لذلك هاجر الكثيرون من الإيطاليين إلى ليبيا، وشكلوا جالية أخذت تنشر الثّقافة واللغة الإيطالية في البلاد وتمهد للنفوذ السّياسيّ والاقتصادي الإيطالي.

ثمّ مهدت إيطاليا لاحتلال ليبيا بعد موافقة القوى الدّولية مثل إنجلترا وفرنسا وروسيا وألمانيا عَلى طموحاتها، فأرسلت حملة احتلت طرابلس وبنغازي بعد إخفاق الحامية العُثمَانِيّة في القِتَال سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)، وقدر للأقاليم الأخرى السُّقوط في يد الغُزَاة سنة (١٩١٢م)، أما مدينة أجدابية فسقطت سنة (١٩٢٣م)، كما سقطت فزان سنة (١٩٢٨م).

وفي سنة (١٩٢٩م) أصدر موسوليني مرسوما بتوحيد برقة وطرابلس في ولاية واحدة، كما احتلت قوَّاته واحة الكفرة سنة (١٩٣٠م).

ولما قامت حركة الجِهَاد ضدّ إيطاليا، قمعتها بوحشية وقوة، فاستنفرت المُسلِمِين في الدّولة العُثمَانِيّة والعالم العربيّ، وأخذ المتطوعون يتدفقون عَلى ليبيا بقيادة عزيز المصري وأنور باشا، كما قام السنوسيون (وهم حركة دينية صوفية جهاديّة) في إقليم برقة بدور هام في الجِهَاد وضيق الثوار الخناق عَلى الإيطاليين، وشدوا من أزر الحاميات العُثمَانِيّة في ليبيا.

وبعد إخفاق الدّولة العُثمَانِيّة في حربها مع إيطاليا في البلقان، خضعت لمطالب إيطاليا بسحب قوَّاتها نهَائِيَّاً من برقة وطرابلس.

فتصدى السنوسيون لمقاومة الاحتلال، واتبعوا أسلوب الغارات الخاطفة (حرب العِصَابات) وكادوا ينتصرون عَلى الإيطاليين لولا دعم بَرِيطَانيَا عسكريّاً واستمالتها أحمد السنوسي الّذي غادر ليبيا إلى الآستانة سنة (١٩١٨م).

وفي سنة (١٩٢٠م) عقدت إيطاليا معاهدة مع محمّد إدريس السنوسي، اتفق فيها الطّرفان عَلى إنهاء الحَرب واعترف السنوسي بسيادة إيطاليا عَلى برقة، كما اعترفت له إيطاليا بالسيادة عَلى الأراضي الّتي كانت تحت نفوذه.

ومع ذلك واصلت الحركة الوطنيّة النضال خُصُوصَاً بعد وصول موسوليني إلى الحكم في إيطاليا سنة (١٩٢٢م)، فقد أعلن أن ليبيا إيطالية وألغى جميع الاتفاقات السَّابقة.

ثمّ قاد المُجَاهد الشَّيْخ الشّهيد عمر المختار ﵀ حركة النضال متبعا أسلوب الحَرب الخاطفة، مما أنهك الجُيُوش الإيطالية، لكن إيطاليا أرسلت قوَّات جديدة إلى ليبيا ونجحت بعد عناء وخسائر كبيرة في الإيقاع بالثوار، وقبض عَلى عمر المختار وشنق شهيداً – كما نحسبه- سنة (١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م).

ولما قامت الحَرب العَالَمِيّة الثّانية وانضمت إيطاليا إلى ألمانيا، عاد محمّد إدريس السنوسي إلى ليبيا بصحبة قوَّات بَرِيطَانيَة تمكنت من تحرير ليبيا سنة (١٩٤٣م) بعد هزيمة قوَّات المحور، وأصبح الوضع ممهدا لاستقلال ليبيا، والّذي أعلن في عام (١٩٥١م)، وقام بذلك النّظام الملكي في ليبيا.

وفي سنة (١٩٦٨) قام العقيد القذافي بانقلاب عسكريّ (يعتقد أنه رتبه مع المخابرات البريطانيَّة)، واستولى عَلى السّلطة في ليبيا وما زال فيها حتَّى الآن وأطلق عَلى ليبيا اسم الجمهوريّة الشعبيَّة العربيَّة الليبية العظمى.

وقد اشتهر العقيد بمزاجه المتقلب، وحكمه الديكتاتوري الدموي القمعي، كما اشتهر بمغامراته العسكريّة والسّياسيّة في الجوار، وفي القضايا الإقليمية، مما أنهك اقتصاد ليبيا وكبد جيشها الصغير العدد نظرا لقلة عدد سكانها خسائر فادحة، ثمّ سولت للقذافي شياطينه أن يخرج عَلى العالم بنظريات

سياسيّة عجيبة، فأظهر كتابا نسب تأليه لنفسه ودعاه الكتاب الأخضر، وزعم أنه النَّظريَّة الثّالثة للحكم بين النهج الاشتراكي والديمقراطي، والكتاب مزيج من الغرائب والتفا هات والكفر والضلال والسماجة الّتي تثير الغثيان، وقد قرأت أكثره بالجهد والعناء وكثير من الصّبر رغم صغره، وعجبت من قدرة كاتبه عَلى جمع ذاك القدر من السخافة والبلادة والحقارة.

ثمّ استعلن القذافي بالكفر والآراء الدّينيّة الشاذة، فأنكر السنة، وحذف بعض الكلمات من القرآن، وشرع وفنن وافترى عَلى الله الكذب، واتخذ من بعض الغانيات حرسا شخصيا له، وله غرائب وتفاهات يطول لها الخطاب تذكر بصرعات الحاكم بأمر الله الفاطمي العبيدي الزنديق الأحمق صاحب العجائب.

وقد قامت عَلى القذافي انقلابات عديدة كادت تطيح به لولا تدخل الإستخبارات الأمريكيّة والبريطانيَّة لإنقاذه رغم دعاويه الثّوريّة، كما قامت في ليبيا حركة جهاديّة ضده سنة ١٩٨٩ فقمعها بقسوة ودموية، ثمّ قامت حركة جهاديّة أواسط التِّسعينيَّات تمكن من القضاء عليها أيضا، وملأ سجون ليبيا بخيرة الشَّبَاب المسلم وأطلق عليهم لقب الزنادقة!

- قاتله الله - وقد زاود القذافي طوال سني حكمه العجاف عَلى الدُّنيَا بشعارات العروبة والإشتراكية والوحدوية، إلا أنه طلع عَلى الأُمّة مؤخرا بدعاويه الإفريقية وعزمه عَلى الانسلاخ عن العالم العربيّ والانسحاب من الجامعة العربيَّة.

ثمّ لبس قميصا عجيبا مزينا بصور بعض الرؤساء الأفارقة، وصور رؤوس تشبه الغوريلات، ثمّ أعلن مؤخرا انبطاحا كاملا للسياسات الأمريكيّة والغربيّة، فسلم جميع مخزون بلاده الإستراتيجي من الصواريخ وبدايات مشروع الأبحاث النووية وزعم أنه مخزون ليبيا من أَسْلِحة الدمار الشّامل، وصار بوش يضرب به المثل كنموذج يحتذى يريد من رؤساء العَرَب والعالم الإِسْلَاميّ وغيره اقتفاء أثره.

وتقوم ليبيا هذه الأيّام بدفع التعويضات الهائلة لكل دولة أوربية تزعم أنها تعرضت لعمل إرهابيّ كانَ مدعوما من ليبيا، حيث يعلن الساسة الأوربيون عودة العلاقات مع ليبيا، كما أعلن بوش

أنه راض عن ليبيا، وأعلن موافقته عَلى أن تستأنف شركات النهب الاستعماريّ نهب بترول ليبيا كمكافأة للقذافي عَلى استخذائه المهين قبحه الله.

تونس:

دخلت تونس سنة (٩٨٠هـ/ ١٥٧٣م) تحت حكم العُثْمَانِيّين كغيرها من البلاد العربيَّة الّتي سبقتها، وبقى فيها الأتراك زهاء ٣٠٠ سنة، ونظرا لضعف الدّولة العُثْمَانِيّة، فقد تنافست كلّ من فرنسا وإيطاليا لاحتلال تونس، لكن فرنسا نجحت في مد نفوذها من خلال عقد معاهدة ودية مع باي تونس سنة (١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م) حصلت بمقتضاها عَلى امتيازات تجاريَّة داخل تونس.

كما استطاعت فرنسا أن تحول دون تدخل بَرِيطَانيَا في أمور تونس بأن اتفقت معها عَلى أن تطلق إنجلترا يدها في قبرص مقابل عدم منافسة إنجلترا لفرنسا في تونس.

وانتهزت فرنسا فرصة عبور قبيلة تونسية إلى الجَزَائِر، وأرسلت جيشا إلى تونس تمكن من هزيمة الباي محمّد الصادق سنة (١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م) وأرغمته عَلى توقيع معاهدة يعترف فيها بتحويل تونس إلى محمية فرنسية.

ثمّ اندلعت حركة الجِهَاد والمُقاوَمة الإِسْلَاميّة والوطنيّة التونسية سنة (١٨٨١م) بتكوين حركة " الجامعة الإِسْلَاميّة " الّتي لجأت إلى التنديد بالاحتلال وإثارة المشاعر الوطنيّة من منطلقات إسلاميّة وتحرك بعض العُلَماء من علماء مسجد الزَّيتونة للدعوة للجِهَاد، وبالفعل تحرك الثوار من مراكز التَّجَمُّعات القبلية في الجنوب، وامتدت الثَّورة إلى مدن القيروان وسوسة وقابس وزغوان وصفاقس، وتمكن الثوار من السّيطرة التَّامَّة عَلى جنوب البلاد لكن فرنسا اتبعت أسلوب وحشيا في قمع الثَّورة والتنكيل بالثوار، وفي سنة (١٩٠٨م) " تأسس حزب تونس الفتاة " الّذي طالب بالدستور والتحم رجاله في معارك مع الفرنسيين سنة (١٩١١م) لكن فرنسا قمعتهم بوحشية.

وفي مارس سنة (١٩٢٠م) تأسس " الحزب الحر الدستوري التونسي" الّذي تمكن من الاستيلاء عَلى قيادة النضال ضدّ الاستعمار الفرنسي دعائيا وسياسيّاً واجتماعيا، واستطاع تجنيد المثقفين والعمال،

حيث أبرمت فرنسا معه اتفاقية استقلال تونس سنة (١٩٥٦م)، وبذلك سلمت تونس لعميلها الماكر (الحبيب بورقيبة) الّذي استطاع خداع العُلَماء، بهوية إسلاميّة مزيفة، ثمّ استعلن بهويته العلمانيّة المارقة لما تمكن من الأمر، وجاهر بمحاربة التَّشريع الإِسْلَاميّ والسير بتونس بسرعة في طريق التغريب ونشر الفسوق ومسح الهويّة الدّينيّة.

وفي مطلع الثمانينات هبت رياح الصّحوة الإِسْلَاميّة عَلى تونس من المشرق، وأسس عدد من الدعاة (حركة الإتجاه الإِسْلَاميّ) بزعامة الشَّيْخ راشد الغنوشي، ودخلت الحركة معترك المنافسة السّياسيّة السّلميّة، ولكن بورقيبة قمع الحركة وسجن شيوخها واستطاع تقسيم قيادتها واستمالة بعضهم، ثمّ دخلت الحركة الإنتخابات العامّة أواسط الثَّمانينيَّات، وفازت بأكثرية أدهشت الأوساط المختلفة وضربت لها أجهزة الإنذار في أوربّا ولاسيما فرنسا، فقعت الحركة، تابعت عملها السّياسيّ، وكانت تعد لانقلاب عسكريّ مفاجئ، ولكن البرنامج كشف.

ثمّ رتب وزير داخليتها آنذاك (زين العابدين بن علي) انقلابا أبيضا عَلى عجل بالترتيب مع الأمريكان تفاديا لنجاح انقلاب الإِسْلَاميّين، واستولى بذلك عَلى السّلطة، وخسف بالإِسْلَاميّين وغيرهم وحكم تونس حكما ديكتاتوريا متابعا مسار تغريب هذا البلد الإِسْلَاميّ العريق، وتشردت الحركة الإِسْلَاميّة وقياداتها في البلاد الأوربية، وطورد مؤيدوهم شر مطاردة، وصارت تونس إحدى ركائز السّياسة الأمريكيّة الاستعماريّة في العالم العربيّ، ثمّ أجرى فرعون تونس في أوكتوبر ٢٠٠٤ انتخابات هزلية لتجديد ولايته ففاز بـ ٩٦, ٩٥٪ في مشهد ديمقراطي يثير الغثيان.

الجَزَائِر:

حكمت الدّولة العُثْمَانِيّة الجَزَائِر مثل باقي الدّول العربيَّة الأخرى، واستمر حكمهم زهاء ٣٠٠سنة، وقد مر الحكم العُثْمَانِيّ للجزائر بعدة بمراحل بدءا من عصر (البالارباي) من عام (١٥٤٦م) إلى (الدايان)عام (١٠٨١هـ/ ١٦٧١م) والّذي انتهي عام (١٩٣٠)، وفي نفس الوقت

كانت فرنسا تطمع في احتلال الجَزَائِر الاستراتيجي، خُصُوصَاً وأنها كانت تتمتع بامتيازات تجاريَّة فيها منذُ القرن السَّادس عشر.

وفي سنة (١٣١٥هـ-١٨٠١م) وقعت فرنسا مع الجَزَائِر معاهدة تنص عَلى حرية التجارة بين الطّرفين، وعجلت باحتلال الجَزَائِر لتحول دون تغلغل النفوذ البريطاني فيها، ومن أجل ذلك عقدت معاهدة سرية مع روسيا سنة (١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م) حظيت فيها فرنسا بموافقة روسيا عَلى احتلال الجَزَائِر.

لكن انشغالها بمشكلاتها الأوروبية أجل الغزو حتَّى سنة (١٢٤٥/ ١٨٣٠م)، ثمّ تذرعت فرنسا بمسألة تافهة مؤداها إهانة الداي حسين لقنصلها حين صفعه بمنشته عَلى وجهه لتتخذ من الحادثة ذريعة للغزو والإحتلال.

و بالفعل أرسلت فرنسا أسطولها الّذي حاصر سواحل الجَزَائِر مدّة ثلاثة أعوام.

وفي عام (١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م) انتهزت فرنسا ضعف الدّولة العُثْمَانِيّة وأرسلت حملة عسكريّة نجحت في الاستيلاء عَلى الجَزَائِر سنة (١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م) بعد طرد الحامية العُثْمَانِيّة منها، ثمّ تطورت حركة المُقَاوَمة الجَزَائِرية المناهضة للاحتلال بزعامة الأمير عبد القادر الجَزَائِري الّذي التفت حوله القبائل وبايعته في وهران سنة (١٨٣٢م)، كما أيده رجال الصوفية واتفق الجميع عَلى الجِهَاد.

ومن مدينة " المُعَسْكَر " في غرب الجَزَائِر أخذ الأمير عبد القادر، يغير عَلى الأراضي الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي بعد أن فرض نفوذه عَلى الأقاليم الغربيّة من البلاد، وقد انتصر الثوار عَلى جُيُوش فرنسا في " معركة المقطع " سنة (١٢٥٠هـ/ ١٨٣٥م)، ثمّ لجأ إلى حرب العِصَابات، وتمكن من إنزال هزائم متوالية بالفرنسيين، وفي مايو سنة (١٢٥٢هـ/ ١٨٣٧م) عقد الفرنسيون معاهدة مع الأمير عبد القادر هيَ " معاهدة تافنا " وفيها اعترفت فرنسا بسيادة الأمير عبد القادر عَلى غربي الجَزَائِر، كما اعترف هو بسلطة فرنسا عَلى الأراضي الّتي احتلتها، واستفاد الأمير من المعاهدة الّتي أتاحت له تنظيم قوَّاته وتحصين المدن والثغور، كما اهتم بتنظيم شؤون دولته، ولما أخلت فرنسا بشروط المعاهدة

وهاجمت الثوار، تمكن الأمير عبد القادر من الاستيلاء عَلى المناطق المحيطة بمدينة الجَزَائِر سنة (١٢٥٥هـ/ ١٨٤٠م).

فكان رد الفعل الفرنسي في الإغارة عَلى مدن غربي الجَزَائِر، فاستولت عَلى تلمسان ومستغانم وغيرها من المدن في إقليم وهران، فاضطر الأمير عبد القادر إلى الهرب إلى الصَّحرَاء، وانتهى مصيره بالقبض عليه وسجنه في الجَزَائِر سنة (١٢٦٨هـ/ ١٨٥٢م) ثمّ سمح له الفرنسيون بالخروج من الجَزَائِر، فتوجه إلى دمشق لتكون منفى له، وظل بها حتَّى وفاته (١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م).

ثمّ اتبعت فرنسا سياسة توطين الفرنسيين في الجَزَائِر بعد نزع أملاك الأهالي وأراضيهم، وعمدت إلى إثارة الفرقة بين العَرَب والبربر في محاولة لطبع البلاد بالطابع الفرنسي وإلغاء هويتها العربيَّة الإِسْلَاميّة.

ثمّ قيض الله للجزائر رجلا فذا هو الشَّيْخ (عبد الحميد بن باديس)، الّذي أسس (جَمعيَّة العُلَماء المُسلِمِين)، الّتي حفظت بأعمالها التربَويّة والعلمية هوية الجَزَائِر الإِسْلَاميّة وعروبتها، وكونت الجيل الّذي حمل لواء الثَّورة الكبرى الّتي انطلقت سنة (١٩٥٤)، والَّتي استمرت إلى أن تحقق الإستقلال سنة (١٩٦٣)، بعد أن دفعت الجَزَائِر أكثر من مليون نسمة من الضحايا والشّهداء.

ولكن الّذي حصل أن فرنسا بدهائها، بعد أن أيقنت أن استقرارها في الجَزَائِر مستحيل، وأن الإستقلال لابد حاصل، اختارت العمل عَلى أن يكون الأمر من بعدها لثلة من التَّنظِيمات والأحزاب الّتي كانَ روادها قد تربوا عَلى الأفكار الوافدة من أوربّا ولاسيما من التّيارات القوميّة والاشتراكية والليبرالية الغربيّة، والَّتي كانت قد كونت بمجموعها ما عرف باسم (جبهة التحرير الوطني) الّتي بدأ نفوذ الإِسْلَاميّين فيها يتضاءل مع الوقت، وهكذا حددت فرنسا من سيخلفها عَلى الجَزَائِر، وقيدتهم ببنود اتفاقية (إيفيان)، وقال الرَّئيس الفرنسي ديغول أيّامها:

(يريدون استقلال الجَزَائِر؟ حسنا! سنعطيهم إياها ونستردها بعد ثلاثين سنة!).

واستقلت الجَزَائِر، وآلت رآستها إلى (هواري بومدين)، وكان قوميا عربيا، ويساريا قريباً من الفكر الشُّيُوعِيّ، وسارت الجَزَائِر في عهده الطَّاغوتي البوليسي إلى الإفلاس والهاوية. وازداد نفوذ

العسكر من أعضاء (حزب جبهة التحرير الوطني) الّذين كانَ العديد منهم يحمل الجنسية الفرنسية، وأصبح هذا الحزب منذُ ذلك الوقت حزب السّلطة الحاكمة الأوحد، وتولى هذا التّيار الّذي عرف (بالتّيار الفرانكفوني) مهمة حرب الإِسْلَام وتصفية الإِسْلَاميّين في الجَزَائِر.

وبعد هلاك بومدين خلفه الرَّئيس (الشاذلي بن جديد)، واستمر (حزب جبهة التحرير) في سياسة الحزب الواحد، وزاد الشاذلي عَلَى سيئات سلفه سياسة العودة إلى أحضان فرنسا، حيث كانَ بومدين عربيا ويساريا قوميا معاديا لفرنسا، وهكذا ازداد نفوذ التّيار الفرانكفوني وكبار العسكر المتنفذين.

وازدادت أحوال الجَزَائِر سوءا وإفلاسا رغم أنها واحدة من كبريات الدّول المصدرة للنفط والغاز في العالم.

وفي مطلع السَّبعينيَّات، نهض الشَّيْخ (مصطفى بويعلي)، يطالب حكومة الشاذلي بوقف زحف الفساد، وبالعودة بالبلاد إلى أصالتها الإِسْلَاميّة ويذكرهم بمبادئ ثورة ١٩٥٤التي رفعت شعار الإِسْلَام والجِهَاد، حيث كانَ الشَّيْخ أحد المُجَاهدين الّذين شاركوا فيها، ثمّ ما لبث الشَّيْخ (بويعلي) أن أعلن الجِهَاد وأسس (حركة الدّولة الإِسْلَاميّة)، وحمل السّلاح وصعد الجبال في ثلة من أنصاره يجاهدون النّظام الجَزَائِري، ثمّ تمكنت الحكومة في سنة ١٩٧٦ من قتله رحمه الله، واعتقلت العديد من أنصاره وساقتهم إلى السّجون.

وفي أواخر الثمانينات بلغت الأزمة الاقتصاديَّة في الجَزَائِر مداها، وانفجر الشعب الجَزَائِري في ثورة تظاهرات عامة عرفت بـ(مظاهرات الخبز)، وأدرك النّظام الجَزَائِري ورئيسه الشاذلي أنه لابد من إحداث تغير جذري في الأوضاع، فأعلن الشاذلي سنة (١٩٨٨) سلسلة من الإصلاحات الشّاملة كانَ من أهمّها، إنهاء سياسة الحزب الواحد، وإطلاق المسار الديمقراطي وحرية تشكيل الأحزاب السّياسيّة.

وهكذا أقبل الجَزَائِريون بحماس عَلَى تشكيل الأحزاب وإنشاء الصّحف، وازدهرت الحركة السّياسيّة، وكان في طليعة الّذين تحركوا بحماس في هذه الفسحة من الحريَّة، مختلف مكوّنات الصّحوة

الإِسْلَاميّة فِي الجَزَائِر والَّتي كانت تشهد ازدهارا مكبوتا منذُ أواسط السَّبعينيَّات، شأنها في ذلك شأن باقي البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة الّتي كانت تشهد صَحوَة إسلاميّة عارمة، بعد أن بدأ يتبدى إفلاس سراب الأفكار القوميّة واليسارية الّتي ازدهرت خلال الخمسينيات والستينيات.

وهكذا أعلن الشاذلي عن إجراء انتخابات بلدية (١٩٨٨)، تتبعها انتخابات برلمانية سنة (١٩٨٩) من أجل بدء المسار الديمقراطي في الجَزَائِر، وبدأت الأحزاب المتنوعة استعدادها لخوض تلك التَّجربة.

تكونت السَّاحَة السّياسيّة في الجَزَائِر إبَّان الإنتخابات سنة (١٩٨٩) من ثلاث محور، هيَ:

١- حزب السّلطة وهو حزب (جبهة التحرير الوطني)، الّذي حكم الجَزَائِر منذُ الإستقلال بطريقة بوليسية وانفرد بالسلطة ربع قرن من الزَّمن.

٢- قوى الصّحوة الإِسْلَاميّة.

٣- الأحزاب العلمانيّة الّتي شكلت آنذاك.

وكانت الجبهة الإِسْلَاميّة للإنقاذ أقوى التكتلات الإِسْلَاميّة وتزعمها الشَّيْخ (عباسي مدني)، وبرز إلى جانبه الشَّيْخ (علي بلحاج)، أحد دعاة التّيار السلفي، وتكونت الجبهة من خليط من مدارس الصّحوة وقياداتها والتَّنظِيمات الإِسْلَاميّة والدعاة المستقلين، بالإضافة لقواعد عريضة من عوام المُسلِمِين الّذين آمنوا بعموميات مشروع الإِسْلَام السّياسيّ، وأما القوى العلمانيّة الناشئة بعد حرية الأحزاب:

فقد تعددت تلك القوى والأحزاب، بعد أن أطلقت الحريات، ولكن أبرز تلك القوى بحسب ما أثبتته الإنتخابات التّالية كانت:

- أولا: حزب جبهة القوى الإشتراكية: وهو حزب ينتشر في منطقة القبائل ويحمل فكرا غربيا ليبراليا، وقد تزعمه) آيت أحمد)، وقد سير المظاهرات بعد فوز الإنقاذ يبدد بها ويخوف الحكومة والغرب من زحف الأصوليَّة.

- ثانيا: حزب التجمع من أجل الثّقافة والدِّيمقراطيَّة: وهو حزب شديد العداء للإسلاميين ينادي بالحلّ الإستئصالي لهم، وقد وتزعمه (سعيد سعدي).

- ثالثا: الحزب الشُّيُوعِيّ: وتزعمته (لويزا حنون)، تبنت الطرح الديمقراطي.

ومع انصرام الإنتخابات البلدية، تبين أن الجهة الإِسْلَاميّة للإنقاذ، قد سحقت أقوى الأحزاب السّياسيّة العلمانيّة في الجَزَائِر، وهو حزب السّلطة! (حزب جبهة التحرير الوطني)، وأن الأحزاب العلمانيّة حديثة التشكيل لم تحصل إلا عَلى الفتات.

وتولت بذلك جبهة الإنقاذ معظم بلديات الجَزَائِر، وبدأ عناصرها في خدمة النّاس بروح طيبة وإخلاص افتقدتها الجَزَائِر منذُ عهود طويلة، مما رفع في أسهم الجبهة شعبيا وأهلها للنصر التّالي، وهو الإنتخابات التَّشريعية (البرلمانية)، وتمخض الدَّور الأوّل فيها عن فوز الجبهة بأغلبية ساحقة من دورها الأوّل، وبدا أن ذلك سيمكنها خلال الشوط الثّاني من الدَّورة الإكمالية من الأغلبية السَّاحقَة، الّتي تأهلها لتشكيل الحكومة منفردة، والترشح بذلك لرئاسة الدّولة!!

وضربت نواقيس الخطر في مشارق الأرض ومغاربها، وأعلنت الدّول الصّليبيّة الكبرى عن استعدادها للتدخل لقطع الطّريق عَلى الإِسْلَاميّين من الوصول للسلطة، بل صرح (فرانسوا ميتران)، الرَّئيس الفرنسي في حينها، أن فرنسا عَلى استعداد للتدخل العسكريّ للحيلولة دون وصول الإِسْلَاميّين للسلطة، وكان الحلّ الوحيد أمامهم هو إحداث إنقلاب عسكريّ مدعوم من قبل الغرب ولاسيما فرنسا لقطع الطّريق عَلى الإِسْلَاميّين من أن يصلوا لحكم الجَزَائِر.

وحصل الإنقلاب، وجاء العسكر بجنرال سابق هو (محمّد بوضياف) ليتولى رآسة الدّولة، واعتقلت قيادات الجبهة الإِسْلَاميّة للإنقاذ وأودعت السّجون، وقمعت المظاهرات بالعنف، وفتح النّظام العسكريّ الّذي استولى عَلى السّلطة وسحق الدِّيمقراطيَّة بدعم من الغرب المنافق، فتح العديد من السّجون الصحراوية لعشرات آلاف المعتقلين من الإِسْلَاميّين، وكان هذا سبب بداية الإنتفاضة الجهاديّة المعاصرة في الجَزَائِر، وبداية لفصل دموي فيها لم تنته ذيوله إلى الآن، فصل كبد ذلك البلد الحبيب إلى الآن زهاء ربع مليون ضحية من المُسلِمِين الأبرياء، ورحبت فرنسا والغرب بالانقلابيين

الّذين خططوا لهم ودعموهم، لينقضوا معهم عَلى نتائج هذه الكذبة الكبرى الّتي يسمونها (ديمقراطية)، [وقد كتبت في تفاصيل هذه الأحداث كتابا فيه تفصيل عنها بعنوان (شهادتي في أحداث الجِهَاد في الجَزَائِر ١٩٨٩ - ١٩٩٦) لمن أراد استزادة في التفاصيل].

ويرأس الجَزَائِر حاليا الرَّئيس (عبد العزيز بوتفليقة)، وقد فاز بتأييد شعبي كاسح في الإنتخابات الرئاسية، معتمدا عَلى مشروع مصالحة وطنيّة تبناه لإنهاء إرهاصات تلك الأحداث، وقد بناه عَلى مشروع قانون (الوئام المدني) الّذي طرحه سلفه والّذي يقضي بالعفو عن المُسلّحين الّذين يسلمون أنفسهم للسلطات.

وتشهد الجَزَائِر الّتي عرفت بروابطها المتينة مع فرنسا، في عهد بوتفليقة، تزايدا في روابطها مع أمريكا، الّتي اعتبرتها من الحلفاء المفضلين لديها في مُكَافحَة الإِرهَاب، حيث يعلن بوش رضاه بين الحين والآخر عن سياسات بوتفليقة في تصفية التّيارات الأصوليَّة وحصارها، وما تزال أحداث الجَزَائِر مستمرة وإن كانت حدتها قد خفت بعد القضاء عَلى الجماعات المُسلّحة الّتي انحرف كثير منها عن جادة الصواب بفعل اختراق المخابرات لها ووقعت في استهداف الأبرياء مما أفقدها شعبيتها وأوردها دروب الهزيمة والتشرذم، وأسأل الله أن يقيض لهذا البلد الحبيب أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته، إنه عَلى ذلك قدير.

المغرب:

ظلت مراكش مستقلة عن العُثمَانِيّين وإن قامت بينهما علاقات التّعاون وتبادل المنافع بين حين وآخر، وكذلك بقيت مناهضة لأطماع أسبانيا والبرتغال حتَّى أوائل القرن العِشرين، وبعد احتلال فرنسا الجَزَائِر سنة (١٨٣٠م) وتونس (١٨٨١م) توجهت بأنظارها نحو المغرب الأقصى الّذي كانت تحكمه دولة الأشراف العلويين، وفي نفس الوقت كانت أسبانيا تطمع في احتلال البلاد، وأما فرنسا فقد عقدت مع إنجلترا " الاتفاق الودي" سنة (١٩٠٤م) الّذي أتاح لها موافقة بَرِيطَانيَا عَلى احتلال المغرب الأقصى.

وفي مؤتمر الجَزِيرَة سنة (١٩٠٦م) تقرر إقامة نظام دولي خاص في طنجة، كما تقرر إطلاق يد أسبانيا وفرنسا لبث نفوذها في المغرب، وبينما نجحت أسبانيا في الاستيلاء عَلى منطقة "الريف" في الشمال، وجهت فرنسا حملة عَلى المغرب الأقصى سنة (١٩٠٧م) مقابل إطلاق فرنسا يد إنجلترا للعمل في مصر، فاحتلت مدينتي الدار البيضاء و"وجدة"، ثمّ استولت عَلى مدينة فاس سنة (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م).

وفي سنة (١٩١٢م) أرغمت فرنسا السُّلطَان عبد الحفيظ عَلى توقيع معاهدة الحماية عَلى البلاد، ولما احتجت أسبانيا عَلى ذلك جرت مفاوضات بينها وبين فرنسا، انتهت بتوقيع معاهدة تقسيم المغرب إلى منطقتين منفصلين: إحداهما لفرنسا، والأخرى لأسبانيا، بينما تظل طنجة منطقة دولية.

ثمّ عملت فرنسا عَلى محو شخصية المغرب العربيَّة الإِسْلَاميّة بفضل جهود ممثلها في المغرب "الجنرال ليوتي" المقيم العام الّذي جمع في يده السُّلطَان السّياسيّة والعسكريّة والإدارية والمالية، والّذي سمح للمهاجرين الفرنسيين بالاستيطان في المغرب الأقصى، واندلعت حركت الجِهَاد والمُقاوَمة الوطنيّة عَلى إثر ذلك فقامت ثورة في فاس سنة (١٩١٢م) ما لبثت أن انتشرت في المناطق المجاورة، فقمعتها فرنسا بوحشية وقسوة.

ثمّ قامت ثورة أُخرى من قبل قبائل البربر وسكان الشاوية وضرب الثوار الحصار حول فاس، لكن «ليوتي» استخدم المدفعية في ضرب الثوار وإفشال الحصار.

ثمّ تركزت المُقاوَمة في منطقة الأطلس المتوسط ونجح الثوار في الاستيلاء عَلى مراكش وأغادير سنة (١٩١٢م)، لكن الفرنسيين قمعوا الثَّورة واستولوا عَلى المدينتين وأمنوا المواصلات بين فاس ومكناس والرِّبَاط.

عندئذ اعتصم الثوار بالجبال وحققوا الاستقلال بها حتَّى عام (١٩٣٤م).

أما عن المُقاوَمة الوطنيّة في منطقة الريف فقد قادها عبد الكريم الخطابي سنة (١٩٢١م) وظلت مستقلة حتَّى سنة (١٩٢٦م).

وقد انتصر الثوار في عدّة معارك مثل «أبران» و «إغرين» عَلى الأسبان وتمكنوا من هزيمتهم وقتل قائدهم في معركة «أنوال» الشهيرة الّتي هزم فيها الخطابي جُيُوش خمس دول أوربية من الفرنسيين والأسبان ومن عاونهم، وقتل الآلاف منهم وأسر عشرة آلاف من الجنود فيهم زهاء ١٠٠ جنرال و٥ ماريشالات.

وبويع الخطابي من قبل الثوار ليكون «أمير الريف» فحكم الشّريعة الإِسْلَاميّة وأرسل الشّرطة والقضاة والفقهاء يعلمون النّاس دينهم في قراهم المتناثرة وسط الجبال، وأدركت فرنسا خطر انتصارات الخطابي فتدخلت بمساعدة الأسبان، ونجحت القوَّات الفرنسية بمساعدة البحرية الأسبانية في هزيمة الثوار، وضرب الطيران الإسباني القرى والسّكّان بالغازات السامة!! وهُزم الخطابي ونفي إلى فرنسا، ولكن أعوانه هربوا به في الطّريق، ولجأ إلى مصر حيث ظل فيها هذا الشَّيْخ البطل إلى حين وفاته سنة (١٩٦٣م)، رَحِمَهُ اللهُ رحمة واسعة، ومع ذلك استمرت الْمُقاوَمة ضدّ الفرنسيين والأسبان، ففي عام (١٩٣٤م) تشكل أول تنظيم سياسي في المغرب باسم «كتلة العمل الوطني المغربية» من أجل تحرير البلاد، ثمّ تأسس «الحزب الوطني» وازدادت الحركة الوطنيّة اشتعالا بتولي محمّد بن يوسف الحكم وتأييده للثوار ومساعدتهم، كما تأسس «حزب الاستقلال» سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م) واندلعت حركة الْمُقاوَمة في كلّ أرجاء المغرب، وفي سنة (١٩٤٧م) خطب السُّلطَان محمّد بن يوسف في طنجة خطبة حماسية طالب فيها بالحريَّة والسيادة ووحدة البلاد، الأمر الّذي ألهب حماس الثوار الّذين ظلوا يتعاونون مع السُّلطَان حتَّى نال المغرب استقلاله ووحدته سنة (١٩٥٦م).

ثمّ حكم المغرب بعد ذلك الملك الحسن الثّاني بن محمّد الخامس، مدّة طويلة، وكان فرعونا ظالما وديكتاتورا طاغية، فقتل كلّ من ناوأه من كلّ اتجاه ومشرب من الإِسْلَاميّين وحتى الشُّيُوعِيّين وما بينهما من الأفكار، وملأ سجونه الشهيرة المرعبة بالسّجناء الّذين قضى الكثيرون منهم تحت سياط الجلادين وأجهزة التعذيب المستوردة من أوربّا! كما أحاط الملك نفسه بأجهزة أمنيّة كثيرة ومجرمة، وسيَّج ملكه بطبقة كثيفة من علماء السُّلطَان وفقهاء القصر من المغاربة الّذين يركعون ويسجدون له

بدعوى سجود الملائكة لآدم ﷺ! بل استورد الملك علماء السُّلطَان من أصقاع الدُّنيَا من بلاد العَرَب والعجم، واشتهرت المغرب في عهده بالفقر والبطالة والفساد وانتشار المخدرات والدعارة والمجون والانحلال الاجتماعي في كثير من طبقات النّاس، وكان الملك في طليعة الزناة المشاهير والفاسدين المعروفين حتَّى قيل أن الممثلة الفرنسية الشهيرة (بريجيت باردو) ذكرت خبر لياليها الحمراء معه في مذكراتها! كما حاز الملك (الخنفوس) - كما كانَ يسميه (الشَّيْخ عبد الحميد كشك) رحمه الله - عَلى عدّة جوائز من دور الأزياء العَالَمِيّة كملك للأناقة!! فيما يموت أكثر شعبه من الفاقة والعوز، ويرمي شبابه بأنفسهم في براثن الموت في مراكب الهِجرَة غير الشَّرعيَّة بحثا عن العمل في شواطئ أوربّا! ولكن صَحوَة إسلاميّة متعددة المشارب من الصوفية إلى السّلفيّة إلى الجهاديّة، إلى السّياسيّة وقفت لذلك الفساد بالمرصاد، ولاقت من الملك العنت والبطش والتضييق بحسب جدية مواجهتها له.

ثمّ هلك الملك سنة ٢٠٠٢، ليخلفه الملك الحالي (محمّد السَّادس) نسخة عفنة عن أبيه، حيث دخلت المغرب في فلك أمريكا أيضا كغيرها وصارت أجهزة أمنها كتيبة في الهجمة الأمريكيّة لحرب المُسلِمِين فيما عرف بمُكَافحَة الإرهَاب، أسأل الله له ولأمثاله من فراعنة بلاد المُسلِمِين دعوة سيدنا نوح ﷺ: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧﴾ [نوح]

موريتانيا:

تقع جنوب المملكة المغربية الحالية وقد دخلها الإِسْلَام بعد فتح العَرَب بلاد المغرب أواخر القرن الأوّل الهجريّ، وأطلقوا عَلى المنطقة اسم (شنقيط) وكانت هذه المنطقة تتبع الدّول المغربية مثل دولة الموحدين ودولة الحفصيين ودولة السعديين والدّولة العلوية.

تعرضت المنطقة لغارات البرتغاليين الّذين أسسوا بها مراكز لتجارة الصمغ والذهب والرقيق، ثمّ تلاهم الأسبان بعد قرنين ثمّ تلاهم الفرنسيون فالهولنديون.

وفي سنة (١٩٠١م) أرسلت فرنسا حملة لاحتلال البلاد أقنع قائدها الأمراء المحليين بطلب الحماية الفرنسية، ولما احتلت فرنسا مراكش – المملكة المغربية حاليا – خضعت البلاد جميعها للاحتلال الفرنسي الّذي أطلق عليها اسم (موريتانيا).

واتبع الفرنسيون سياسة التفرقة بين المُسلِمِين البيض والزنوج وحاربوا اللغة العربيَّة وحاولوا نشر الثّقافة الفرنسية، لكن حركة الجِهَاد المُقاوَمة للاحتلال تفجرت عام (١٩٠٨م)، واستمرت حتَّى عام (١٩٣٤م) مطالبة بالاستقلال.

ثمّ تشكل حزبان أساسيان تصديا للاستعمار الفرنسي هما ، (حزب الاتحاد الوطني) و(حزب منظّمة الشَّبَاب) ثمّ اندمجا في حزب واحد سنة (١٩٤٨م) هو (حزب التفاهم الموريتاني) ثمّ انشق عَلى نفسه، وأخيرا ثمّ الاتحاد سنة (١٩٥٨م) تحت اسم (حزب التجمع الموريتاني) الّذي تبنى قضية التحرير والاستقلال.

وفي عهد (ديجول) أصدر لهم دستورا قبلته موريتانيا مرغمة وأصبحت بمقتضاه عضوا في الجامعة الفرنسية، وفي سنة (١٩٥٩م) فاز حزب التجمع الموريتاني في الانتخابات وشكل رئيسه المختار ولد داده الوزارة وأصبح الحزب الحاكم في البلاد.

ثمّ نشأ حزب جديد يدعو إلى الاستقلال التام والانضمام إلى المغرب هو (حزب النهضة)، وفي سنة (١٩٦٠م) أحرزت موريتانيا استقلالها وأصبحت عضوا في الأمم المتحدة كما قبلت عضوا في الجامعة العربيَّة سنة (١٩٧٣م).

وفي سنة (١٩٧٨م)، قام انقلاب في موريتانيا بزعامة محمّد السالك ولكنه لم يستمر في الحكم طويلا فقد أطاح انقلاب آخر به، ثمّ لحقته عدّة انقلابات أدت إلى عدم استقرار أحوال البلاد خُصُوصَاً بعد تعرضها لمشكلات اقتصاديَّة وسياسيّة مع جارتها (السنغال).

وآل الأمر أخيرا عبر انقلاب عسكريّ منذُ نحو عشرين سنة إلى الرَّئيس الحالي (معاوية ولد سيدي أحمد الطايع)، فحكم البلاد حكما عسكريّاً استخباراتيا، وأوصلها لقعر الأزَمَات والفقر والفساد، ولكن القفزة الجَدِيدة الّتي أحدثها هذا الطَّاغوت هيَ الانفتاح عَلى أمريكا وإسرائيل، حتَّى

وصل الأمر به لإقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع تل أبيب، وافتتح سفارة للعدو الصّهيونيّ في نواكشوط العاصمة!

وقد قامت عليه عدّة انتفاضات شعبيَّة وانقلابات عسكريّة قمعها كلها بالحديد والنار، ومازال يجثم عَلى صدور المُسلِمِين في موريتانيا قبحه الله وأهلكه وأمثاله من فراعنة بلاد المُسلِمِين.

اريتريا:

ليس تحت يدي الآن ما يكفيني من المعلومات لكتابة ملخص واف عن هذا الإقليم المسلم، ولكن الّذي أذكره من معلوماتي العامّة، أنها كانت تخضع للاحتلال الإثيوبي (الحبشة)، منذُ زمن بعيد، وقد ذاق المُسلِمُون في عهد إمبراطورها (هيلا سي لاسي) صنوف العذاب، وقامت فيها منذُ عشرات السنين ثورات جهاديّة للتخلص من حكم الأحباش وتحصيل الاستقلال عنهم، ثمّ حصل انقلاب شيوعي في إثيوبيا، ولكن اريتريا بقيت تعاني نفس البلاء تحت حكمهم واستمرت الثورات الجهاديّة المُسلّحة.

ثمّ تسللت المنظمات التنصيرية إلى إثيوبيا وأنشأت أجهزة الإستخبارات المختلفة كيانات ثورية وسياسيّة تقوم عَلى عقائد علمانية ويسارية ونصرانية، تطالب أيضا باستقلال إثيوبيا، وتقاتل الأحباش، وقد لاقى الثوار الإرتريون مختلف أشكال الدّعم من البلاد والأنظمة العربيَّة، إلى أن تحقق استقلالها، ولكن الحكم آل فيها إلى المدعو (أسياسي أفورقي) فقلب ظهر المجن للعرب وتنكر لعروبة إريتريا بل ولإسلاميتها، واتبع سياسة انفتاح عَلى الغرب وعلى إسرائيل الّتي كثفت حضورها في البحر الأحمر مقابل سواحل الحرم المكي، وتحكمه بمضيق باب المندب! وتابع المُجَاهدون المُسلِمُون قتالهم ولكن ضدّ حكومة بلادهم هذه المرة، وفي إريتريا اليَوْم عدد من المنظمات الإِسْلَاميّة المُسلّحة العاملة في ظروف صعبة من العزلة والعوز، حتَّى صارت قضية شبه منسية من العَرَب والمُسلِمين فيما تعيث المنظمات التنصيرية والموساد الإسرائيلي فيها فسادا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الصّومال وجيبوتي:

وتحتل موقعا استراتيجيا يعرف بالقرن الإفريقي في مقابلة سواحل اليمن وجَزِيرَة العَرَب، وقد هاجرت إليها منذُ أزمنة سحيقة قبائل العَرَب واختلطت بالأفارقة، وكانت عَلى علاقة تجاريَّة بالعرب منذُ عصور ما قبل الإِسْلَام، وبعد ظهور الإِسْلَام، واستمرت هذه العلاقات، ثمّ وهاجرت قبائل عربيَّة في القرن الرَّابع الهجريّ إلى شرقي إفريقية وأسست مدنا تجاريَّة مثل مقديشو وبراوة ونقلت معها الإِسْلَام والحضارة العربيَّة، واختلط العَرَب بسكان السواحل من قبائل البانتو فامتزجت الدِّماء وتكون الشعب السواحلي الّذي يتكلم اللغة الساحلية، ثمّ خضعت المنطقة للاستعمار البرتغالي بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصّالح سنة (١٤٩٨م)، ولما استقر العُثْمَانِيّون في عدن أغاروا عَلى البرتغاليين بمساعدة العناصر العربيَّة، ففي سنة (١٥٨٦م) تمكنوا من إلحاق مقديشو بالدّولة العُثْمَانِيّة.

ولما قامت (دولة اليعاربة) في عُمان أرسلت أسطولا بحريا إلى ساحل إفريقية الشرقي سنة (١٦٩٨م) تمكن من بسط سيادة العمانيين عَلى البلاد باستثناء مُستَعمرة موزنبيق.

وفي عهد دولة بوسعيد العمانية سقطت (ملبسة) في يد السُّلطَان سعيد بن سلطان سنة (١٨٣٧م)، بل إنه نقل عاصمته من مسقط إلى زنجبار.

ونظرا لقيام الصِّرَاع بين أفراد أسرة البوسعيديين تدخلت بَرِيطَانيَا في شؤون الصّومال، كما تدخلت فرنسا، وبريطانيا وإثيوبيا وكينيا لدعم نفوذهم في البلاد.

ثمّ تمكنت فرنسا من وضع يدها عَلى منطقة قريبة من مضيق باب المندب عرفت بالصّومال الفرنسي، وكذلك إنجلترا عَلى منطقة أُخرى عرفت بالصّومال البريطاني وإيطاليا عَلى ثالثة عرفت بـالصّومال الإيطالي.

ثمّ اندلعت الحركة الوطنيّة الصّومالية أواخر القرن التّاسع عشر وأرغمت بَرِيطَانيَا عَلى إخلاء المناطق الداخليَّة من الصّومال البريطاني.

ثمّ تعاظمت حركة المُقاوَمة ضدّ الفرنسيين والبريطانيين والإيطاليين مطالبة باستقلال الصّومال وتحقيق وحدته.

وقد تحقق تحرير الصّومال الإيطالي سنة (١٩٦٠م) بعد صدور قرار هيئة الأمم المتحدة سنة (١٩٥٩م) كما تحقق تحرير الصّومال البريطاني في نفس العام ثمّ اتحد الإقليمان في جمهوريّة واحدة عرفت باسم (جمهوريّة الصّومال) سنة (١٩٦٠م) أما الصّومال الفرنسي فلم يحرز الاستقلال إلا في عام (١٩٧٧م)، وتسمى باسم (جهورية جيبوتي).

والتحقت الدّولتان بالجامعة العربيَّة.

قد حكم الصّومال لفترة طويلة طاغوت عنيد هو (محمّد سياد بري)، ولكنه لما هلك أواخر الثَّمانينيَّات، تفتت الصّومال في صِرَاع قبلي نظرا لتجذر الصِّرَاع القبلي فيها وتعقده وتشابكه، مما أتاح المجال مطلع التِّسعينيَّات للتدخل الأمريكيّ، فرست البوارج الأمريكيّة عَلى شواطئ الصّومال، ولكنها سرعان ما غاصت في رمالها وأوحالها، وتصدت لها القبائل والمُجَاهدون، وبدأت نذر فيتنام صومالية تلوح أمام الأمريكان، ففروا عَلى عجل لا يلوون عَلى شيء ومل زال الصّومال متفتتا في حالة استقرار حرج يندلع فيه القِتَال بين الفينة والأخرى.

ثانياً: أحوال بعض دول العالم الإسْلاَميّ:

تركيا:

حكم مصطفى كمال أتاتورك لتركيا (١٩٢٤- ١٩٣٨):

يكاد المتتابع لتاريخ مصطفى كمال، يجزم أن هذه الرجل حكم تركيا وحده حكما مطلقا لا ينازعه فيه أحد، حكما دكتاتوريا يقوم عَلى السحق والإبادة والدِّماء والأشلاء.

فقد أعلن الجمهوريّة بعد مؤامرة حاكها مع أصحابه وكان يرى وجوب اقتلاع سيطرة الدّين من تركيا، ثمّ ألغى الخِلافَة وأقر قانونا يقضي اعتبار كلّ معارضة للجمهوريّة وكل ميل إلى السُّلطَان المخلوع خيانة يعاقب عليها بالموت.

وفي (٣) مارس سنة (١٩٢٤م) تقدم بمشروع إلغاء الخِلافَة وطرد الخَليفَة، وفصل الدّين عن الدّولة وإلغاء المحاكم الدّينيّة العتيقة وقوانينها ليحل محلها محاكم وقوانين عصرية، وإلغاء المدارس الدّينيّة ليحل مكانها مدارس حكومية علمانية.

وفي اليَوْم الثّاني أصدر أمرا بطرد الخَليفَة وجميع الأمراء والأميرات من تركيا ورحِّلوا خارج البلاد.

بعد أن تخلص من خصومه واصل تدميره للإسلام والبلاد، ففرض القبعة – الّتي كانت رمز الكفر في نظر الأتراك – فعارضها الأتراك، فنصب لهم المشانق في ميادين المدن.

ثمّ استورد القوانين الوضعِيَّة الأوروبية، فاستدعى الخبراء ليضعوا القوانين الجنائية والمدنيّة والتجاريَّة المأخوذة من القوانين الإيطالية والسويسرية والألمانية.

ثمّ ألغى الحروف العربيَّة الّتي يكتب بها الأتراك والَّتي كتب بها التراث الإِسْلاَميّ كله من فقه وحديث وتفسير وتاريخ، وأرغمهم عَلى الكتابة بالأحرف اللاتينية حتَّى يفصلهم نهَائِيّاً عن دينهم وتراثهم.وحددوا يوما ليعاقب بعده كلّ من لم يتقن الحروف اللاتينية من حرمان وظيفة، وتجريد جنسية وطرد من البلاد وسجن.

ثمّ منع تعدد الزوجات، وقرر المساواة بين الرّجال والنِّسَاء في جميع الحقوق والواجبات والمواريث، وأنشأ مدارس الفنون للشباب والشابات، ومدارس لتعليم الرقص الشرقي والغربيّ، ومنع الحجاب وأخرج المرأة من بيتها وأدخلها في مناصب الدّولة، وأنشأ المسارح المختلطة، وشجع الحفلات الراقصة.

حول المسجدين العظيمين – أيا صوفيا، ومسجد الفاتح – إلى متحفين، ونصب تماثيله في كلّ مكان.

ألزم النّاس الأذان باللغة التركية، وألزمهم تلاوة القرآن الكريم باللغة التركية لا بالعربيَّة، وسمع مرّة أذان الفجر من مسجد مجاور فأمر بهدم المئذنة.

أدخل التقويم الجريجوري الغربيّ محل التقويم الهجريّ، وألغى عيد الفطر والأضحى، وجعل يوم الأحد العطلة الأسبوعية بدل الجمعة، منع الحجّ، ومن الحجاب.

وخلاصة القول لقد كانَ يحكم وكأنه ليس في تركيا أحد.

كانَ يقول: أنا تركيا وتركيا هيَ أنا، أنا رئتها الّتي تتنفس بها، فكل محاولة لتدميري هيَ محاولة لتدمير تركيا.

وهكذا استمر يدمر تركيا ويمسح عن وجهها هذا الدّين – الّذي رفعها – لتحكم خمسة قرون متتالية أراض لا تغيب عنها الشّمس، وواصل تدميره لكل الأعمدة الّتي أقيم عليها صرح هذه الدّولة المسلمة الشّامخ إلى أن أصبحت تركيا في ذيل قافلة الرقيق في كلّ مناحي الحياة.

وقد قامت ضدّ أتاتورك عدّة ثورات أهمها ثورة الصوفية النقشبندية سنة ١٩٢٤م، ثمّ سنة ١٩٣٠م ولكنه قمعهم بقسوة، كما قاومه الصوفيون من الطَّريقة التيجانية، وحركة سعيد النور سي بالطرق السّلميّة والدّعوة، فقمعهم أيضا، ثمّ تفرد في الحكم.

ثمّ أصيب أتاتورك بمرض الكبد بسبب الخمر وضعفت ذاكرته وأصيب بالأمراض الجنسية المختلفة. وفي أثناء مرض الموت استدعى أتاتورك السفير البريطاني (لورين) ليوصي له برئاسة الجمهوريّة التركية كما سبق!!!

ويحدث الأتراك عن العذاب الّذي كانَ يعاني منه أثناء مرضه العجب، وكان يصيح صياحا يخترق شرفات القصر الّذي يقيم فيه (دولة باغجة) في القُسطَنْطينيَّة.

وأصبح جلدا عَلى عظم، وسقطت أسنانه، وأوصى أن لا يصلى عليه صلاة الجنازة، وفي نوفمبر سنة (١٩٣٨م) رحل أتاتورك من الدُّنيَا ملعونا في السّماء والأرض.

بعد أن دمر تركيا الإِسْلَام، ومزق الأسرة، وحطم الأخلاق، وداس القيم، وانتهك الشعائر وحول المساجد إلى مخازن للحبوب.

يقول عرفان أوركا: (إن أتاتورك قد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجه إلى الدّين وكان يعتقد من صغره أن لا حاجة إلى الله، وكان يقول: إن قوة العقل والإِرادَة تتغلبان عَلى قوة الإله، وكان في آخر عهده يرفع قبضته ويشير إلى السّماء ساخرا مهددا)(١).

تركيا بعد أتاتورك (١٩٣٨- ٢٠٠٤م)

١. مات أتاتورك بعد أن خلف تركيا فقرا بلقعا، وكانت أعماله محط أنظار الغرب، فعض عَلى إنجازاته التدميرية بالنواجذ وجيء بنائبه عصمت إينونو ليصبح رئيسا للجمهوريّة، فاعترف بإسرائيل سنة (١٩٤٨م)، وبدأت أمريكا بزرع القواعد العسكريّة فيها.

٢. ثمّ أراد الغرب أن يسبر غور التَّجربة الكمالية في الشعب التركي، فأجبروا عصمت إينونو عَلى إنشاء الأحزاب السّياسيّة، فاختار إينونو (جلال بايار) وكلفه بتشكيل الحزب المعارض والحزب الديمقراطي، وكان يساعد جلال بيار عدنان مندريس فأصبح عدنان قطب الرحى في الحزب.

٣. ثمّ دخلت تركيا حلف شمال الأطلسي سنة ١٩٥٠وانتشرت فيها القواعد الأمريكيّة، وصارت تحت النفوذ الأمريكيّ واليَهُوْدي

---

(١) عن كتاب الذخائر (ص٧٤٠-٧٤٤).

٤. ويشاء الله أن تحصل في هذه الفترة حادثة عجيبة لعدنان مندريس فبينما كانَ ذات مرّة يركب طائرة توقف أحد محركاتها وأعلن الربان حالة الخطر، فعاهد مندريس ربه لئن أنجيتني لأعيدن الإِسْلَام إلى تركيا، واحترقت الطائرة وكان الشخص الوحيد الّذي نجا منها هو مندريس.

٥. دخل الحزب الديمقراطي سنة (١٩٥٠م) الإنتخابات ببرنامج عجيب توقعت له كلّ الدراسات الأمريكيّة الفشل المطلق.

كانَ البرنامج لا يتضمن أكثر من عودة الأذان باللغة العربيَّة، والسماح للأتراك بالحج، وإعادة إنشاء وتدريس الدّين بالمدارس، وإلغاء تدخل الدّولة في لباس المرأة.

وقد بنى دعايته الانتخابية عَلى أساس العودة التدريجية إلى الإِسْلَام كمصدر أساسي لقوة الشعب التركي المتدين.

كانت النَّتِيجَة مذهلة، سقط حزب أتاتورك إلى اثنين وثلاثين نائبا، وفاز الحزب الديمقراطي بثلاثمائة وثمانية عشر مقعدا، وكانت دهشة اليَهُوْدية العَالَمِيّة الماسونية عظيمة حين اكتسح مندريس خليفة أتاتورك، ويومها صاح إينونو قائلا: لقد انتصر عدنان مندريس بدعايته الدّينيّة.

وتسلم عدنان مندريس مقاليد الحكم رئيسا للوزراء، وجلال بايار رئيسا للجمهوريّة، وشرع لتوه ينفد وعوده الّتي بذلها للشعب أثناء عمليَّة الإنتخابات.

واستجاب مندريس لمطالب الشعب فعقد أول جلسة بمجلس الوزراء في غرة رمضان، وقدم للشعب هدية الشهر الكريم: (الأذان بالعربيَّة وحرية اللبس وحرية التدريس الدّين وبدأ بتعمير المساجد).

وجاءت انتخابات عام (١٩٥٤م) وهبط نواب حزب أتاتورك إلى (٢٤) نائبا، وسمح بتعليم اللغة العربيَّة، وقراءة القرآن وتدريسه في جميع المدارس حتَّى الثانوية وإنشاء عشرة آلاف مسجد، وأنشأ اثنين وعشرين معهدا في الأناضول لتخريج الوعاظ والخطباء وأساتذة الدّين، وسمح بإصدار

مجلات وكتب تدعو إلى التمسك بالإِسْلَام والسير عَلى هديه، وأخلى المساجد الّتي كانت الحكومة السَّابقة تستعملها مخازن للحبوب وأعادها أماكن للعبادة.

وتقارب مندريس مع العَرَب ضدّ إسرائيل، وفرض الرقابة عَلى الأدوية والبضائع الّتي تصنع في إسرائيل وطرد السفير الإسرائيلي سنة (١٩٥٦م)، وفتح (٢٥) ألف مدرسة لتحفيظ القرآن.

تحركت اليَهُوْدية العَالَمِيّة ضدّ مندريس، وحركت أمريكا والدّول الغربيّة الماسونية في الجيش، فقام الجنرال الماسوني (جمال جو رسل) سنة (١٩٦٠م) بانقلاب وشنق عدنان مندريس وفطين زورلو، وحسن بلكثاني.

وكتب الصحفي اليَهُوْدي سامي كوهين: لقد كانَ السبب المباشر الّذي قاد مندريس إلى حبل المشنقة سياسته القاضية بالتقارب مع العالم الإِسْلَاميّ والجفاء والفتور التدريجي في علاقتنا مع إسرائيل، ثمّ ضرب حزب العدالة.

١- في سنة (١٩٦٥م) أجريت انتخابات مرّة أُخرى ربح فيها حزب العدالة بأغلبية ساحقة، وكان رئيسه سليمان ديميريل، وقال إينونو: أنا لم يهزمني ديميريل، بل هزمتني جماعة النور الإِسْلَاميّة الصوفية، أتباع الشَّيْخ سعيد نورسي.

وحصل حزب العدالة عَلى (٢٦٣) مقعدا من (٤٥٠) مقعدا وضاعف ديميريل مدارس الأئمة إلى (٧٢) ومدارس تحفيظ القرآن إلى اثنتي عشر ألف مدرسة وتقرب للعرب وفترت علاقاته مع إسرائيل، واشترك بالمظاهرة الإِسْلَاميّة ضدّ إسرائيل في الرِّبَاط فتحركت أمريكا ومن ورائها اليَهُوْدية العَالَمِيّة وحركت الجيش وجاء الإنقلاب العسكريّ الّذي نحي فيه ديميريل عن الحكم، ولكن لم يعدم بسبب أنه ماسوني.

٢- و تزداد الديون عَلى تركيا يوما بعد يوم، بالأضعاف إلى أن نسبة التضخم بلغت (٤٢٪ - ٦٠٪) سنة (١٩٧٠م والبطالة (٢٠٪) والديون كانت سنة (١٩٧٠م) (٢١) مليار دولار، وفي سنة (١٩٧٩م) أصبحت (١٧) مليار).

واستسلمت الحكومة للبنك الدّولي وخفضت قيمة الليرة التركية إلى (٨) مرات وفي سنة (١٩٨٠م) ارتفعت نسبة الربا إلى (٣٠٪) أعلى نسبه في العالم.

٣- ظهر حزب السَّلامة الوطني الإِسْلَاميّ سنة (١٩٧٢م) الّذي كانَ يقوده الدكتور (نجم الدّين أربكان) الحاصل عَلى دكتوراه من جامعة ألمانية، والتف كثير من الشَّبَاب التركي حول هذا الحزب، ووقف الحزب ضدّ الغرب الصّليبيّ بزعامة أمريكا، فطالب بالخروج من حلف الأطلسي وتحرير تركيا من القواعد الأمريكيّة، ووقف ضدّ إسرائيل، واليَهُوْد وعارض انضمام تركيا إلى السوق الأوروبية المشتركة، وطالب بإرسال كتائب من الجيش التركي لمساعدة المُجَاهدين الأفغان، كما أرسلت الحكومة جيشا يحارب مع أمريكا في كوريا.

٤- وفي سنة (١٩٧٢م) دخل المَعْرَكة الإنتخابية وفاز باثنين وأربعين مقعدا، وشارك في الحكم مع حزب الشعب الّذي يرأسه أجاويد، وشرط أربكان أن يكون هو النائب لرئيس الوزراء وأن يكون له ثمانية من الوزراء في الحكومة التركية.

٥- وفي هذه السنة غزت تركيا قبرص لحماية المُسلِمِين الأتراك من فتك القبارصة اليونانيين النّصَارى، ولعب أربكان دورا مهما في قرار التدخل.

٦- وبدأ الحزب يحاول إعادة تربية الأتراك عَلى الإِسْلَام، ففتح أبوب الحجّ للشعب فبلغ عدد الحجاج (١٥٠) ألف سنويا، وهذا رقم خيالي بالنسبة لما سبق، رغم أن عدد السّكّان كانَ زهاء خمسين مليون نسمة! وافتتح الحزب (٣٠٠٠) مركز للتعليم في القرى و(٣٠٠٠) مدرسة لإعداد الأئمة والخطباء، ووضع خُطّة لإنشاء جامعة إسلاميّة، والتحق بمدارس الأئمة والخطباء ما يقرب من مائتي ألف طالب، وطالب الحزب بجعل العطلة الرَّسميَّة يوم الجمعة بدل الأحد، وإجراء عقود الزواج حسب الشّريعة وبتعليم القرآن واللغة العربيَّة في المدارس، وسيطر الحزب عَلى الإتحاد العام لطلبة تركيا.

وفي (٧/ ٩/ ١٩٨٠م) عمل الحزب مظاهرة تحت شعار يوم إنقاذ القُدس، وحرق العلم الإسرائيلي وطالب بإقامة دولة إسلاميّة وحكم الشّريعة الإِسْلَاميّة، وهنا حركت أمريكا الجيش التركي وأقام كنعان إيفرين بالإنقلاب الأمريكيّ في (١٢/ ٩/ ١٩٨٠).

كما صرح بعض المسؤولين الأمريكيّين، أن هناك مخاوف متزايدة من حكم إسلامي وبصورة تتعارض مع خط الزعيم التركي (أتاتورك) الّذي أرسى دعائم الدّولة العلمانيّة في تركيا، فالانقلاب التركي أنقذ تركيا من أن تتحول من دولة علمانية إلى دولة تحكمها التقاليد الدّينيّة الإِسْلَاميّة، ومدح واينبرغر إفرين وزمرته وأعطوا تركيا سبعمائة وثلاثة مليون دولار.

واعتقل إفرين أربكان ورجال حزب السَّلامة وافتتح عهده بوضع إكليل من الزهور عَلى قبر أتاتورك، واعتبر إيفرين وحكومته عام (١٩٨١) هو عام أتاتورك.

منع إفرين الملتحين من البقاء في الجامعات خاصّة أكاديمية (سكا ريا) ومنع الحجاب.

٧- في (٢٤) إبريل سنة (١٩٨١م) مثل نجم الدّين أربكان زعيم حزب السَّلامة الوطني هو وثلاثون من أعضاء الحزب أمام محكمة عرفية عسكريّة، وقد قرأ المدعي العام العسكريّ لائحة الإتهام، أما الجرائم الّتي جاءت في لائحة الإتهام فهي:

أ. العمل عَلى استبدال مبادئ الدّولة القانُونيّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسّياسيّة بمبادئ تقوم عَلى أساس الإِسْلَام.

ب. قيام عدد من المنظمات الشَّبَابية والطلابية والعمالية والمهنية والمرخصة والمرتبطة سرا بالحزب والَّتي تعمل عَلى تطبيق الشّريعة الإِسْلَاميّة في تركيا.

ج. اجتماعات الحزب وهتافات تكشف أهدافه، ومن هذه الهتافات (محمّد قائدنا)، (سنحطم الأصنام ونقيم دولة الإِسْلَاميّة)، ومن لافتاته ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٤٤﴾ [المائدة]

د. ترديدهم لذكر الله في اجتماعاتهم وتذكيرهم الأُمّة بأنها حاربت خلال تاريخها من أجل الإِسْلَام لا من أجل أشخاص أو أبطال.

هـ. إصرار أربكان عَلى افتتاح مدارس تعليم القرآن في كلّ قرية وإصراره عَلى فتح مسجد أيا صوفيا.

و. هاجم معاهدة لوزان وتغيير الحروف العربيَّة واستبدال القوانين، وختم حديثه بأن تركيا اليَوْم جمهوريّة ملحدة.

ز. طالب الحزب بأن تكون الجمعة يوم العطلة الرَّسميَّة وأن يكون الزواج شرعيا، وقد طلبت النيابة العامّة بسجن أربكان وإخوانه (١٤- ٣٦) عاماً.

تركيا بعد حكم الإنقلاب العسكريّ:

في مطلع التسعينات قبل العسكر بإعادة الدِّيمقراطيَّة وانتخب تورغوت أوزال لرئاسة الوزراء، ثمّ نجح في انتخابات رئاسة الجمهوريّة وحقق إصلاحات اقتصاديَّة مشهودة.

وفي ١٩٩٦ خاض حزب السَّلامة الإنتخابات تحت اسم (حزب الرفاه)، وحاز عَلى أعلى الأصوات إذ حصل لوحده نسبة ٢٢٪ من الأصوات، فقامت الدُّنيَا، واستلم أربكان رئاسة الوزراء، وتعرض لضغوط دولية اضطر تحتها لتوقيع عدد من المعاهدات مع إسرائيل، ولم يرض العسكر والعلمانيون عنه مع ذلك، وحكمت عليه المحكمة الدستورية بحل الحزب ومنعه وكبار وعاونيه من مزاولة السّياسة وحل حزب الرفاه.

وفي سنة ٢٠٠٣ عاد بعض الإِسْلَاميّين من بقايا الرفاه وغيرهم لتشكيل حزب يتبنى خطا علمانيا إسلاميا معتدلا جدا جدا في نظر الغرب بقيادة، (رجب طيب أردوغان) الّذي كانَ من تلاميذ أربكان وكان واليا لبلدية استانبول، وكان رجلا ذائع الصيت مشتهرا بنزاهته وخدماته، وفاز الحزب الّذي حمل اسم (حزب العدالة والتنمية) بـ (٣٦٪) من الأصوات بالانتخابات!! فرضخ العلمانيون للنتيجة واعترفت أوربّا بنزاهتها، وشكلوا حكومة ما تزال تتعرض للضغط والابتزاز من أمريكا والغرب، وتقوم بتنازلات شرعيّة ومبدئية كثيرة، ولكن يشهد لها أنها استعصت عَلى الأمريكان ولم تقدم كلّ الخدمات العسكريّة المطلوبة منها، ولم تسمح للأمريكان بالمرور برا إلى شمال العراق من تركيا، وكان

موقفا مشرفا (نسبيا) قياسا بما فعله خونة الحكَّام العَرَب أثناء وبعد احتلال العراق، وتشهد تركيا تجاذبا اجتماعيا وسياسيّاً كبيرا بين الإِسْلَاميّة المتأصلة والعلمانيّة المتفشية، ويجب أن نذكر هنا أن الحكومة الحالية تقدم لأمريكا خدمات كبيرة في مجالات مُكَافحَة الإِرهَاب ومطاردة الجهاديّين من أتراك وغيرهم مما جعل تركيا هدفا لعمليَّات بعض التَّنظِيمات الجهاديّة.

باكستان:

تقع باكستان في شبه القارة الهندية ويبلغ تعداد سكانها اليَوْم زهاء ١٤٠ مليون نسمة، وقد دخل الإِسْلَام في الهند إبَّان عصر الخِلافَة الأموية، واستطاع العبّاسيون استرداد النفوذ الإِسْلَاميّ بالهند خلال العصر العبّاسي الأوّل بعد ثورة الهندوس ضدّ المُسلِمِين، كما شهدت الهند قيام دول إسلاميّة متتالية مثل الدّولة الغزنوية الّتي استطاع مؤسسها محمود الغزنوي أن يتوسع في شبه القارة الهندية عَلى حساب الهندوس، وبذل جهودا جبارة تابعتها بعد ذلك الدّولة الغورية من أجل نشر الإِسْلَام، كما تلتها دول أُخرى مثل دولة المغول الّتي أحرزت شهرة كبيرة في الفن والعمارة الإِسْلَاميّة والتجارة، وعم الإِسْلَام وحكم ثلثي القارة الهندية.

وفي أواخر عهد الدّولة المغولية تعرضت البلاد للغزو الأجنبيّ من قبل البرتغاليين والفرنسيين والإنجليز.

وأسس الإنجليز شركة الهند الشرقية البريطانيَّة منذُ مطلع القرن السَّادس عشر الميلادي سنة (١٠٠٩هـ)، فناهضت النفوذ البرتغالي في الهند وفتحت المجال أمام احتلال الإنجليز لبعض أقاليم الهند.

اتبع الإنجليز سياسة إثارة الهندوس ضدّ المُسلِمِين، وتمثل رد الفعل في ظهور حركات إسلاميّة تناهض بَرِيطَانيَا، لكن الإنجليز قمعوا الثوار بوحشية وقسوة، وأعلنوا أن (الهند مُستَعمرة بَرِيطَانيَة) عَلى إثر ذلك اندلعت حركات الجِهَاد الإِسْلَاميّة والمُقاوَمة الوطنيّة، ثمّ بدأ التّيار الإِسْلَاميّ ينشط عَلى يد بعض العُلَماء والمفكرين من أمثال محمّد إقبال ومن السّياسيّين مثل محمّد عَلى جناح اللذين وطالبوا

بتحرير المُسلِمِين في الهند، وفي سنة (١٣٢٤هـ) تأسس (حزب الرابطة الإِسْلَاميّة) الّذي أنشأ جامعة إسلاميّة في (دكا).

وخلال الحَرب العَالَمِيّة الأولى قام (غاندي) بمناهضة الاحتلال البريطاني سلميا، كما قام محمّد علي جناح بدعوة إسلاميّة تدعو إلى العنف من أجل تحرير البلاد بدلا من سياسة غاندي المسالمة.

وفي سنة (١٣٤٧هـ) قرر زعماء المُسلِمِين بقيادة محمّد علي جناح المطالبة بنظام اتحادي يمنح المُسلِمِين في الهند حكما ذاتيا، فرفضه حزب المؤتمر الهندي بزعامة غاندي.

وفي سنة (١٣٤٩هـ) طالبت (الرابطة إسلاميّة) بقيادة محمّد إقبال بتأسيس دولة إسلاميّة في الهند برئاسة محمّد علي جناح.

وفي سنة (١٣٥٦هـ) أعلن محمّد علي جناح تمسكه بتأسيس دولة إسلاميّة منفصلة في الهند أطلق عليها لأول مرّة اسم (باكستان).

تلت ذلك فترة صراعات دموية بين المُسلِمِين والهندوس، صمد المُسلِمُون خلالها وظلوا متمسكين بمطالبهم حتَّى وافقت بَرِيطَانيَا عَلى استقلال الهند سنة (١٣٦٦هـ)(١٩٤٧) واعترفت بدولة باكستان في نفس العام.

ويعتقد أن جناح كانَ عميلا لبريطانيا، وهو من أصل إسماعيلي باطني، وما لبثت زوجته وأسرته أن تنصرت وقد أقام الباكستان عَلى أصول إنكليزية دستوريا وسياسيّاً.

انضمت باكستان إلى هيئة الأمم المتحدة في منتصف شوال سنة (١٣٦٦هـ) وكان محمّد علي جناح أول رئيس لها، وبعد وفاته سنة (١٣٦٧هـ) خلفه (الخوجا) نظام الدّين الّذي أعلن تطبيق الشّريعة الإِسْلَاميّة، ولكن ذلك لم يطبق.

وفي سنة (١٣٧٦هـ) وضع أول دستور لباكستان عَلى أسس التَّشريعات الإنكليزية المتناقضة جملة وتفصيلا مع الشّريعة الإِسْلَاميّة، وبمقتضاه أصبحت (جمهوريّة دستورية)، وكانت عاصمتها مدينة (كراتشي)، وتولى (إسكندر ميرزا) رئاسة الجمهوريّة ثمّ تنازل عنها للقائد العسكريّ (محمّد أيوب خان).

وفي سنة (١٣٨٥هـ) وقعت الحَرب بين الهند وباكستان حول إقليم كشمير ذي الغالبيّة المسلمة، وهزمت الأخيرة فتنازل أيوب خان عن رئاسة الجمهوريّة لقائد الجيش (الجنرال يحي خان) سنة (١٣٨٩هـ).

وفي سنة (١٣٩٠هـ ١٩٧١م) أجريت الانتخابات وفاز فيها (حزب عوامي) برئاسة (مجيب الرَّحْمٰن) الّذي عارض (حزب الشعب) بقيادة (ذو الفقار علي بوتو) وعبر هذا الصِّرَاع عن صِرَاع أعنف بين (باكستان الشرقية) و(باكستان الغربيّة) وفي سنة (١٣٩١هـ ١٩٧٢) أعلنت باكستان الشرقية استقلالها فقامت الحَرب الأهلية الّتي انتهت بإعلان رئيس حزب الشعب ذو الفقار علي بوتو رئيسا لجمهوريّة باكستان الغربيّة، بعد انفصال باكستان الشرقية الّتي تكونت بها دولة (بنغلاديش).

وفي سنة (١٣٩٧هـ) قام انقلاب عسكريّ بقيادة (الجنرال ضياء الحقّ) عَلَى حكم ذو الفقار علي بوتو الّذي أعدم فيما بعد.

وعمل ضياء الحقّ عَلَى تحكيم الشّريعة تدريجيا، وقدم خدمات كبيرة للمُجَاهدين الأفغان، وخضعت باكستان في عهده للنفوذ الأمريكيّ، ولكن المطالب الأمريكيّة وتدخلها في شؤون الباكستان والأفغان كانت كبيرة، ولم ينفذها ضياء الحقّ كليا، فقد كانَ الرجل تحت تأثير قناعاته القوميّة وعاطفته الإِسْلَاميّة، فاغتالته أمريكا وتولت أسرة بوتو (ابنته بنظير بوتو، وابنه مرتضى بوتو) تنفيذ العمليّة، بإشراف السفارة الأمريكيّة ثمّ عاد الحكم إلى حزب الشعب الّذي تترأسه (بنظير بوتو) رئيسة وزراء باكستان، ثمّ خسرت الانتخابات أمام حزب جديد نشأ باسم (الرابطة الإِسْلَاميّة) وتزعمه (نواز شريف)، ورغم أن الباكستان خضعت كليا للسياسات الأمريكيّة في عهد بنظير وشريف، إلا أن أمريكا كانت تحتاج لحاكم عسكريّ عميل وقوي ينفذ سياساتها في باكستان وأفغانستان بشكل ديكتاتوري، فرتبت لانقلاب عسكريّ عَلَى نواز شريف، أوصل الجنرال (برويز مشرف) للسلطة سنة ١٩٩٧، ومنذ ذلك الوقت تحكم أمريكا باكستان حكما شبه مباشر.

وفي سنة ٢٠٠١ قام مشرف بالمهمة الرَّئيسيَّة الّتي جاء من أجلها، واعتمدت أمريكا عليه بشكل كلي في إسقاط نظام طالبان، وتصفية المُجَاهدين العَرَب، والباكستانيين، ومُجَاهدي وسط آسيا في مذبحة مروعة (راجع التفاصيل في كتاب – باكستان مشرف –المشكلة والحلّ والفريضة المتعينة).

ثمّ أجرى مشرف انتخابات صورية مزورة عين بها نفسه رئيسا دستوريا! ثمّ أجرى مسرحيَّة أُخرى جاء بها ببعض الأحزاب للبرلمان، واشترك الإِسْلَاميّون في هذه المسرحيَّة!!

يتابع مشرف اليَوْم خدماته الجليلة لأمريكا في اجتثاث الإِسْلَام من باكستان، وسط ذهول وعجز من تيارات العُلَماء والإِسْلَاميّين الّذين ضرب غالبيتهم فالج القعود أو عمى البصيرة، رغم قوتهم وكثرتهم، فقد أعلن مشرف يوم توليه السّلطة أن قدوته هو أتاتورك محطم الخِلافَة في تركيا وماسح الإِسْلَام منها، وما تزال باكستان تعيش تبعات هذا المخطط، والله المُستَعان.

إيران:

إيران كلمة مشتقة من اسم الشّعوب الآرية الّتي هاجرت إلى الإقليم الواقع شرق العراق وحتى الحدود الغربيّة لبلاد التركستان في العصور القديمة.

وقد أطلقت كلمة (بلاد فارس) عَلى هذا الإقليم في العصر الإِسْلَاميّ، وقد أقام المغول (دولة الإيليخانين) في إيران الّتي ظلت تحكم معظم أقاليمها حتَّى قيام الدّولة الصفوية الشيعيّة سنة (٩٠٦هـ) الّتي يعد قيامها بداية لتاريخ إيران الحديث.

وكان مؤسس هذه الدّولة هو الشّاه إسماعيل الصفوي الّذي استطاع أن يوحد البلاد ويقيم دولة عَلى المذهب الشيعيّ الاثني عشري.

وقد دخلت الدّولة الصفوية في صِرَاع مع الدّولة العُثْمَانِيّة السنية، وانتهى الأمر بهزيمة الصفويين في معركة «جالديران» سنة (٩٣٠هـ).

ومن أشهر حُكَّام الدّولة الصفوية طهماسب ابن الشّاه إسماعيل الّذي رفض الاعتراف بالتبعية للعُثْمَانِيّين، فحاربوه ودخلوا بغداد ثمّ تبريز عاصمة الصفويين سنة (٩٤١هـ).

وبعد موته خلفه ابنه الشّاه عباس الكبير الّذي شهد حكمه تدخل بَرِيطَانيَا في شؤون إيران ونجح في استرداد بغداد وتبريز من العُثمَانِيِّين، كما أسس مدينة عرفت باسمه هيَ «بندر عباس» صارت قاعدة تجاريَّة هامة.

ولما ضعفت الدّولة الصفوية ارتقى عرش إيران قائد من قوادهم هو «نادر شاه» سنة (١١٤٩هـ) الّذي انتصر عَلى العُثمَانِيِّين، وطرد الرُّوس من بعض المدن إيران الّتي استولوا عليها من قبل، كما توسع شرقا حتَّى بخارى وأفغانستان وهاجم دولة المغول في الهند وخرب عاصمتهم «دهلي».

وبعد مقتله سنة (١١٦٣هـ) استقلت الكثير من الأقاليم عن إيران كبلاد الأفغان وجورجيا وسيطرت روسيا عَلى تركستان وحلت الفوضى والقلاقل بإيران، وظل الحال كذلك حتَّى قيام الدّولة القاجارية سنة (١١٩٣هـ)، ومؤسس هذه الدّولة في إيران هو «أقا محمّد خان» الّذي استطاع القضاء عَلى الفتن وأعاد وحدة إيران.

وفي عهد خلفه «فتح شاه» صارت إيران ميدانا للصراع الدّولي بين فرنسا وروسيا وبريطانيا، إذا استولى الرُّوس عَلى بعض الأقاليم الشمالية من إيران، كما حصلت بَرِيطَانيَا عَلى امتيازات تجاريَّة، كما استولت عَلى بعض الأراضي في شرق إيران وضمتها إلى الهند.

وفي عهد «ناصر شاه» جرى اقتباس بعض مظاهر الحضارة الأوروبية، و اتبع خلفه الشّاه مظهر الدّين الّذي تولى سنة (١٣١٤هـ) سياسة الأخذ بالحضارة الأوروبية، وبفعل ضغط المعارضة الوطنيّة أصدر دستورا للبلاد سنة (١٣٢٤هـ).

ولما قامت الحَرب العَالَمِيّة الأولى أصبحت إيران ميدانا للصراع الدّولي بين ألمانيا وتركيا من جهة وروسيا وإنجلترا من جهة ثانية، وبعد انتهاء الحَرب عقدت معاهدة بين إيران وبريطانيا اعترفت فيها الأخيرة باستقلال إيران.

وفي سنة (١٣٤٠هـ / ١٩٢٢) قام أحد الضُّبَّاط وهو «رضا بهلوي» بانقلاب عسكريّ، وتحررت إيران من الرُّوس والبريطانيين.

و سار رضا بهلوي عَلى نهج كما أتاتورك في تركيا، فاتجه إلى سياسة «التغريب» فأدخل النظم الغربيّة الحديثة كما ألغى الامتيازات الأجنبيّة، وأسس جامعة طهران سنة (١٣٥٤هـ).

ولما قامت الحَرب العَالَمِيّة الثّانية التزم رضا بهلوي موقف الحياد، لكن تآمر الحلفاء أدى إلى هجوم روسي إنجليزي تؤيده الولايات المتحدة عَلى إيران، وتم خلع رضا بهلوي سنة (١٣٦٣هـ/ ١٩٤٥) وخلفه محمّد رضا بهلوي.

أعلن محمّد رضا بهلوي الحَرب عَلى دول المحور، وقدم الحلفاء مقابل ذلك مساعدات اقتصاديَّة وعسكريّة إلى إيران، ثمّ دخلت إيران في النفوذ الأمريكيّ والبريطاني تماما، وصار الشّاه شرطيهم في منطقة الخليج.

وبعد الحَرب تعاون الرُّوس مع «حزب توده» الشُّيُوعِيّ لإحداث المتاعب في وجه الشّاه، لكن في سنة (١٣٦٥هـ) تحسنت العلاقات مع روسيا وتم توقيع معاهدة سنة (١٣٦٥هـ) انسحب الرُّوس بمقتضاها من شمال إيران.

أما بَرِيطَانيَا فقد حصلت عَلى امتيازات التنقيب عن البترول في إيران، كما حصلت عَلى امتيازات تجاريَّة للإيرانيين وفق اتفاقية عقدت سنة (١٣٦٧هـ)، ورفع (محمّد مصدق) لواء المعارضة ضدّ الشّاه والإنجليز، وأقر المجلس النيابي تأميم صناعة النّفط، واستعان الشّاه بالجنرال زاهدي وأسند إليه رئاسة الوزراء، ونجح في إخماد الحركة الوطنيّة، وقبض عَلى محمّد مصدق وحكم عليه بالإعدام.

حمل «حزب توده» الشُّيُوعِيّ لواء المعارضة، ونجح الشّاه في قمعه، كما قمع حركة فدائيان إسلام" ذات التوجه السّياسيّ الإِسْلَاميّ الشيعيّ، وولدت أحزاب معارضة عديدة، وفي سنة (١٣٧٥هـ) انضمت إيران إلى «حلف بغداد» الموالي للغرب وخصوصا الولايات المتحدة، فأثار ذلك الاتحاد السُّوفيتيّ.

حاول الشّاه تحت هذه الظّروف القيام بالإصلاحات السّياسيّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، فألغى الإقطاع، وأصدر قانون الإنتخابات، وعمل عَلى استرضاء العمال عن طريق مشاركتهم في الأرباح، ونشر الثّقافة الغربيّة في البلاد.

ومع ذلك ازدادت المعارضة الوطنيّة والإِسْلَاميّة الّتي استطاع (الخميني) أحد رجال الدّين الشّيعة تزعمها وهكذا أطاحت الثَّورة الإِسْلَاميّة الشيعيّة سنة (١٣٩٨هـ / ١٩٧٩) بزعامة «الخميني» بالنّظام الملكي وأعلنت قيام الجمهوريّة الإِسْلَاميّة في إيران، وما تزال تحكم إيران إلى اليَوْم.

أفغانستان:

وتقع في قلب وسط آسيا، وعاصمتها «كابول» وتحيط بها باكستان شرقا وجنوبا، وتحدها إيران غربا وبلاد تركستان الغربيّة شمالا.

وكان لهذا الإقليم الّذي اعتنق سكانه الإِسْلَام في العصر الأموي، دور هام في التّاريخ والحضارة الإِسْلَاميّة، وقد عرب بتعدد عناصر سكانه من عرب وترك وفرس ومغول، كما تعددت لغاته من عربيَّة وتركية وفارسية فضلا عن «لغة البشتو» الأفغانية.

وقد تأسس بها عدّة دول إسلاميّة في العصر العبّاسي منها الدّولة السامانية والطّاهرية والصفارية، كما قامت الدّولة الغزنوية بهذا الإقليم ونجحت في نشر الإِسْلَام في كثير من أقاليم بلاد الهند.

ثمّ تعرضت أفغانستان للغزو المغولي، ووقعت تحت حكم «التيموريين» وقد شهدت في عهدهم ازدهارا حضاريا وعمرانيا وفكريا، ثمّ اجتاحتها الدّولة الصفوية، لكن أحد القادة الأفغان وهو «أحمد خان» استطاع أن ينفصل عنها ويؤسس حكما مستقلا سنة (١١٥٣هـ)، وقد عرفت هذه الدّولة لأول مرّة في التّاريخ باسم «الدّولة الأفغانية» الّتي كانت «قندهار» عاصمة لها.

وفي عهد ابنه «تيمور شاه» نقلت العاصمة إلى «كابول» وامتد نفوذ دولته إلى الهند بعد الانتصار عَلَى «المهراتا» في معركة «باني بت».

بوفاة تيمور شاه ضعفت الدّولة الأفغانية، ونجح السيخ في الهند في انتزاع الكثير من ولاياتها الهندية.

وفي عهد «زمان شاه» الّذي خلف والده تيمور شاه سنة (١٢٠٧هـ) شب الصِّرَاع بين أفراد الأسرة الحاكمة، وحاول استرداد أمجاد دولته بعد أن صفا الجو له، فاصطدم بالإنجليز في الهند لذلك تآمروا عليه وأيدوا أخاه محمود شاه الّذي تولى الحكم بدلا منه، وفي عهده شب الصِّرَاع بين أفراد الأسرة الحاكم حتَّى ظفر «دوست محمّد» بالحكم ولقب نفسه بلقب «أمير كابول» دون أن يلقب بالشاه أو الملك لا هو ولا أحد من خلفائه.

ثمّ تنافست بَرِيطَانيَا وروسيا للاستيلاء عَلى أفغانستان ونجحت بَرِيطَانيَا في احتلالها سنة (١٢٥٥هـ)، لكن عودة «دوست محمّد» إلى الحكم أتاحت له طرد الإنجليز سنة (١٢٥٧هـ) وأرغمهم عَلى الاعتراف بسيادته عَلى بلاده.

وفي سنة (١٢٨٠هـ) توفي دوست محمّد وخلفه ابنه «شير علي» وفي عهده حاولت بَرِيطَانيَا بسط نفوذها عَلى بلاد الأفغان فاستعان بالرُّوس، وقامت الحَرب الأفغانية الثّانية سنة (١٢٩٥هـ) بين شير علي وبريطانيا الّتي انتهت بهزيمته ووقوع بلاده فريسة الاحتلال البريطاني.

لكن حركات الجِهَاد ومقاومة القبائل الأفغانية اندلعت ضدّ الإنجليز في عهد عبد الرَّحمٰن حفيد دوست محمّد، وتدخلت روسيا في الصِّرَاع الّذي انتهى بعقد معاهدة بطرسبورج سنة (١٣٢٥هـ) الّتي كانَ من أهمّ شروطها الاعتراف باستقلال أفغانستان واحترام سيادتها.

وفي عهد خلفه «أمان الله خان» عاد النفوذ البريطاني إلى أفغانستان مرّة أُخرى، فاندلعت الحَرب الأفغانية الثّالثة بين الطّرفين سنة (١٣٣٩هـ - ١٩٢١) وتمكن الأفغان من هزيمة الإنجليز هزيمة مُنكرة واضطروهم إلى الاعتراف باستقلالهم مرّة أُخرى.

وفي عهد أمان الله خان، جرت محاولة الاتجاه نحو العلمنة والأخذ بالنظم الغربيّة عَلى طريقة مصطفى كما أتاتورك، فاندلعت الثَّورة الشعبيَّة الإِسْلَاميّة بقيادة العُلَماء، وتنازل أمان الله خان عن الحكم لأخيه عناية الله عام (١٣٤٨هـ)، ونجح أحد قطاع الطرق ويسمى «باجه السقا» في الاستيلاء عَلى كابول وأعلن نفسه ملكا عَلى بلاد الأفغان باسم «حبيب الله غازي».

وعاد القائد (محمّد نادر شاه) ابن عم الملك المخلوع إلى البلاد واستولى عَلى السّلطة وأعلن نفسه ملكا عَلى أفغانستان، وفي عهده تأسس الحزب الديمقراطي ذي الميول الشُّيُوعِيّة سنة (١٣٥١هـ).

وبعد وفاته تولى ابنه الملك «محمّد ظاهر شاه» فنهض بالجيش، وحاول إنشاء نظام دستوري ونشر التّعليم، ووثق علاقاته بالدّول الإِسْلَاميّة واتبع سياسات الانفتاح عَلى الغرب وكان كثير التردد عَلى إيطاليا ودول أوربّا.

وبدأ التنافس الرُّوسي الأمريكيّ في أفغانستان، وتعاظم الخطر الرُّوسي، وحاول الشُّيُوعِيّون قلب نظام الحكم متعاونين مع السردار (محمّد داوود) ابن عم الملك ونجحوا في القيام بانقلاب سنة (١٣٩٣هـ) ألغى الملكية وأعلن قيام الجمهوريّة، وحكم البلاد بطريقة دموية بالغة القسوة فقتل آلاف النّاس!

ثمّ نجح الشُّيُوعِيّون في إحداث انقلاب عسكريّ جديد سنة (١٣٩٨هـ / ١٩٨٠م) بزعامة «محمّد نور تراقي»، فقتل آلاف النّاس خلال أيّام! وأعدم ٢٩ ولدا من أبناء داوود أمام عينيه، ثمّ ختم به وأعدمه رميا بالرصاص!!! فذاق داوود ما أذاق النّاس من القهر والقتل! ثمّ نهج تراقي نهج الشُّيُوعِيّة الحمراء.

فاندلعت المُقاوَمة وحركات الجِهَاد الّتي اتخذت طابع الجِهَاد الإِسْلَاميّ ضدّ الحكومة الشُّيُوعِيّة، وتدخل الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة في «المسألة الأفغانية»، فقام السوفيت بإعداد انقلاب آخر بزعامة «بابراك كارمل» المؤزر بالقوّات السوفييتية الّتي تدخلت مباشرة في عمليَّة غزو مكشوفة سنة ١٩٧٩ م.

وانطلقت أحزاب المُجَاهدين تواجه روسيا وتلقت دعما إسلاميا وعالميا، مما أدى لهزيمة الرُّوس هزيمة مُنكرة فانسحب الرُّوس سنة ١٩٨٩، وكانت هزيمتهم في أفغانستان إيذانا بانهيار الإتحاد السوفييتي وتفككه وتفكك حلف وارسو العَالَمِيّ.

ثمّ تمكن المُجَاهدون من إسقاط الحكم الشُّيُوعِيّ خُصُوصَاً بعد انهيار الإتحاد السوفييتي سنة ١٩٩٠م وسقوط الشُّيُوعِيّة العَالَمِيّة وزوالها.

لكن فتنة الصِّرَاع بين الفصائل المختلفة من المُجَاهدين أوقع البلاد في حُرُوب أهلية مابين (١٩٩٢-١٩٩٦)، بتدبير من أمريكا وبعض الدّول الأوربية، والإِسْلَاميّة وعلى رأسها باكستان والسّعُودِيّة، وراح ضحية هذه الحَرب زهاء ٤٠ ألف مسلم فيهم خيرة المُجَاهدين.

ثمّ ولدت حركة طالبان في قندهار أواخر سنة ١٩٩٣، بزعامة الملا محمّد عمر، وتمكنت من إقامة إمارة إسلاميّة أعلنت الحكم بالشّريعة الإِسْلَاميّة بعد دخولها كابل سنة ١٩٩٦، وصارت أفغانستان ملجأ للحركات الجهاديّة العربيَّة والإِسْلَاميّة، ودخل طالبان في صِرَاع مرير مع تحالف أحزاب الشمال من الأوزبك والفرسوان والهزارة الشّيعة، وتدخلت القوى الدّولية والإقليمية مرّة أُخرى.

إلى أن غزت أمريكا أفغانستان بمعاونة باكستان والسّعُودِيّة ودول الخليج وبعض الدّول الأوربية وإيران! بعد أحداث سِبتَمبر الشهيرة، وأسقطت إمارة طالبان في ديسمبر ٢٠٠١ وما تزال القوى الإِسْلَاميّة المتعددة، والطّالِبَان يخوضون غمار الجِهَاد من جديد ضدّ القوَّات الأمريكيّة وحلفائها إلى الآن.

راجع كتاب (طالبان وأفغانستان ومعركة الإِسْلَام اليَوْم - ١) للمؤلف، وستأتي تفاصيل لاحقة متعلقة بهذا الموضوع في الفصول القادمة إن شاء الله.

دول وسط آسيا (تركستان):

تقع تركستان (بلاد الأتراك) في أسيا الوسطى وتحدها من الشّرق الصين ومنغوليا، ومن الغرب قزوين ونهر أورال، ومن الجنوب التبت وكشمير وباكستان وأفغانستان وإيران، ومن الشمال منغوليا وسيبيريا، وكان يتقاسمها بالاحتلال كلّ من الاتحاد السُّوفيتيّ السابق والصين الشعبيَّة، بموجب معاهدات عديدة بدأت بمعاهدة «برشينك» في أغسطس ١٦٨٩ م، وانتهت بمعاهدة «سانت بتروسبورغ» في فبراير ١٩٨١م.

ويعرف الجزء الغربيّ الّذي كانَ يحتله الاتحاد السوفييتي بتركستان الغربيّة ويتألف من خمس دول تبلغ مساحتها مجتمعة زهاء ٥ مليون كم مربع! أما الجزء الشرقي الّذي احتلته الصين الشعبيَّة فيعرف

بتركستان الشرقية (سيانغ يانغ) كما أسماه الصينيون بعد احتلاله، وتبلغ مساحته زهاء (٧٥٠ ١ , ٧٣٤) كم مربع.

الغزو الرُّوسي لبلاد آسيا الوسطى الإسْلَاميّة ومراحله:

- كانَ الرُّوس أمة وثنية ثمّ دخلوا النّصرانية سنة ٣٧٨هـ أي ٩٨٨م.
- بعد فتح القُسطَنْطينيَّة من قبل العُثمَانِيّين سنة (٨٥٧ هـ/ ١٤٥٢م) فر قساوستها إلى روسيا وصار الرُّوس يمثلون الكنيسة الشرقية ويحملون لواء الصّليبيّة في آسيا.
- ظهر إيفان الثّالث سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠ ميلادية، وبدأ حُرُوبه ضدّ التّتار المُسلِمِين وأبعدهم عن موسكو.
- خلفه حفيده (إيفان الرهيب) الّذي اكتسح بلاد التّتار المُسلِمِين واستولى عَلى حوض نهر الفولغا وفرض النّصرانية عَلى التّتار فيها أو الهِجرَة.
- فرض إيفان النّصرانية عَلى بلاد المُسلِمِين البشكير، فاستخفى أهلها بالإِسْلَام نحو ٣٠٠سنة وأعلن أحفادهم الإِسْلَام عام ١٩٠٥ عَلى عهد القيصر الّذي أعطى الحريات الدّينيّة.
- انتزع إيفان سيبيريا من المُسلِمِين عام ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م، ثمّ احتل بلاد القفقاس الّتي كانت تابعة للعُثمَانِيّين مستفيداً من نزاعهم مع الشّيعة الصفويين في إيران.
- اعترف شاه إيران (نادر شاه) للروس بالسّيطرة عَلى بلاد القفقاس عام ١٨١٣م وأعلن أهل القفقاس الجِهَاد ضدّ الرُّوس بقيادة شعب الداغستان وذلك ١٧٢٢ – ١٨٥٩ م، فحاربوا الرُّوس ١٣٧ سنة حتَّى خضعت القفقاس، ثمّ انطلق الرُّوس إلى وسط آسيا بعد أن رأوا صعوبة الانتشار في أوربّا، فقرر اسكندر الثّاني قيصر روسيا عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م أن وسط آسيا هو مجال التوسع الرُّوسي واتجهت القوّات القيصرية إلى وسط آسيا اعتباراً من ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م.
- احتل الرُّوس **طشقند عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م**، وتوالى بعد ذلك سقوط المدن والخانيات وهي (الإمارات الصغيرة).

- فسقطت **سمرقند ١٨٦٨**م، ثمّ **بخارى ١٨٧٣**م، ثمّ **خوارزم ١٨٧٤**م، وواجه الرُّوس مقاومة شديدة في **خوقند**، فدكوا المدينة وأحدثوا بها مذبحة رهيبة سنة ١٨٧٦م، ثمّ سقطت **مرو وبلاد التركمان** بعد مقاومة عنيفة من **١٨٧٣ م إلى ١٨٧٤ م، وأتم الرُّوس السّيطرة عَلى بلاد التركستان سنة ١٩٠٠م** وأصبحت حاضنة للإدارة العسكريّة الرُّوسية الّتي اتبعت فيها سياسة الستار الحديدي وحاولوا تنصير المُسلِمِين.
- كانَ تحرك الرُّوس وسقوط المُسلِمِين سريعاً، وذلك رغم المُقاوَمة الباسلة نتيجة عوامل عديدة أهمّها النزاع القومي والفرقة العرقية بين أكثر من مئة عرق وجنس قومي يكونون نسيج المنطقة الإثني! وكذلك التخلف وتدني مستوى التّعليم والتسليح بين المُسلِمِين، وكذلك ضعف الدّولة العُثمَانِيّة في استنابول وترهلها وعدم قدرتها عَلى نجدة للمسلمين كما مر في تاريخها تلك الفترة.
- فرض الرُّوس القياصرة سياسة البطش وفرضوا التخلف والجهل عَلى البلاد ليسهل احتلالها.
- دبت الفوضى في دولة القياصرة مدّة ربع قرن من (١٩٠٥– ١٩٢٨) واتسعت حركات التمرد السّياسيّة الّتي أسفرت عن الثَّورة البلشفية بعد هزيمة القياصرة أمام اليابان وانهيار هيبتهم سنة ١٩٠٤م ونتيجة كثرة الفساد الإداري والاقتصادي وسوء الإدارة في الأقاليم.
- بدأت الثَّورة البلشفية بحركة عمالية في مدينة بتروغراد في آذار سنة ١٩١٧م وعاد لينين (اليَهُوْدي) من سويسرا يحمل مبادئ الشُّيُوعِيّة الّتي نادى بها ماركس (اليَهُوْدي) أيضا، وتسلم السّلطة ونادى الأقليات في الاتحاد السُّوفيتيّ لمساعدته مقابل إنصاف الأعراق والأديان بوعود كاذبة جذابة خص المُسلِمِين بقدر كبير منها واستحثهم حتَّى انضم كثير من المُسلِمِين إلى ثورة البلشفيك سعياً منهم للثأر من طغيان القياصرة.
- ورغم بوادر خيانة الرُّوس البلشفيك للمسلمين سيطرت حالة التشرذم والتفكك عليهم **وسعى كثير من رجال الدّين المُسلِمِين والعُلَماء في الوقوف مع البلشفيك والسُّلطات الرُّوسية وجروا وراءهم عوام المُسلِمِين إلى الكفر والضلال والاحتلال!**

- استمر لينين في سياسة الخداع ووجه نداءات استعطاف وتعاضد مع المُسلِمِين وانزل وثائق وبيانات استحثت المُسلِمِين العُثْمَانِيّين والإيرانيين ضدّ القياصرة وأرفق ذلك ببعض السياسات المنفتحة مع المُسلِمِين مثل تسليم بعض الأوقاف والآثار الإِسْلَامِيّة لإدارتهم الدّينيّة.
- مع ذلك لم يكن انخداع المُسلِمِين بلينين كاملاً، فقد لاقت قوَّاته مقاومة شرسة ولاسيما في بلاد التركستان وأوزبكستان ووادي فرغانة.
- حصلت ثورة أهلية إسلاميّة عارمة في منطقة الأورال وسيبيريا فهزموا الجيش الأحمر واستقرت تلك الثَّورة في وادي فرغانة وحاول العُثْمَانِيّون مساعدتهم واستمرت تلك المُقاوَمة من ١٩١٨-١٩٢٨م.
- **بعد انهيار المُقاوَمة دبت الفرقة والفساد في أوساط كثير من المُسلِمِين التركستان والأوزبك وانضم كثير منهم للأحزاب والجَمعِيّات والمؤسسة الشُّيُوعِيّة والاشتراكية وحاول كثير من رجال الدّين المُسلِمِين التوفيق بين الشُّيُوعِيّة والإِسْلَام والماركسية ولم يحل هذا دون حصول سياسة تصفية المُسلِمِين عَلى عهد لينين ثمّ ستالين حتَّى قضوا عَلى من ناصرهم من المُسلِمِين.**
- خلف ستالين لينين واستمرت سياسة البطش الّذي صار معلناً لاسيما بعد انتهاء الحَرب العَالَمِيّة الثّانية الّتي أبلى بها المُسلِمُون الرازحون تحت احتلال الاتحاد السُّوفيتيّ بلاءً عظيماً، ووقفت كثير من قيادات المُسلِمِين الدّينيّة بصلابة مع الاتحاد السُّوفيتيّ وموسكو وستالين ضدّ الألمان في الحَرب الثّانية!!
- استطاع ستالين أن يخدع كثير من القيادات الدّينيّة الإِسْلَامِيّة المنافقة من أعلى ممثلي الإفتاء ووصولا إلى كثير من عوام المُسلِمِين، وبعد انتهاء الحَرب العَالَمِيّة شن ستالين حرب إبادة عَلى المُسلِمِين في القفقاس وجهوريات وسط آسيا وبلغ ضحاياه أكثر من ٢٠ مليون مسلم، نقل الملايين منهم ليموتوا في صحراء سيبيريا الجليدية حتَّى أكلوا جثث موتاهم! ثمّ استمرت هذه السّياسة بعده في عهود خروتشوف ثمّ خلفه بريجينيف ومن تلاهم، حتَّى تفكك الاتحاد السُّوفيتيّ

بفضل الله ثمّ بفضل الجِهَاد الأفغاني ووقوف الأُمّة الإِسْلَاميّة وطليعتها المُجَاهدة وقفة الدّين والشرف في أفغانستان وذلك بهزيمتهم وانتهاء دولتهم سنة ١٩٩٠ م، ولله الحمد.

- وصل غورباتشوف إلى الحكم بعد حركة الإصلاح (البروستريكا)، وتفكك الاتحاد السُّوفيتيّ وزالت الشُّيُوعِيّة واستقلت شكلياً جمهوريّات وسط آسيا، وربطتها روسيا معها بإدارة عسكريّة وتواجد عسكريّ فعلي لاسيما عَلى الحدود وخصوصاً في طاجيكستان وأوزبكستان وتركمانستان.
- ثمّ أنشئ بإشراف أمريكي رابطة دول وسط آسيا لمقاومة الإِسْلَام الزاحف من أفغانستان.
- وعلى جبهة القفقاس ذاق الرُّوس هزيمة مُنكرة عَلى يد الشِّيشَان ما بين ١٩٩٤ و١٩٩٧، وأعقب ذلك استقلال الشِّيشَان ثمّ احتلالها مرّة أُخرى وتهجير أكثر أهلها، وما يزال الجِهَاد فيها جاريا إلى الآن، وتلوح بوادر انتقال الثَّورة إلى الداغستان ثمّ سائر القفقاس لتلتقي مع أوار النار المضطرمة تحت الرماد أيضاً في منطقة ما وراء النهر ووسط آسيا قريباً إن شاء الله.

واقع جمهوريّات آسيا الوسطى والمسلمون بعد تفكك الاتحاد السُّوفيتيّ:

تكون الاتحاد السُّوفيتيّ البائد قبل تفككه من خمسة عشر جمهوريّة اتحادية رئيسيَّة وبلغ عدد سكانه مجتمعاً نحو ٢٨٦ مليون نسمة، وشغل مساحة إجمالية قدرها ٢٢ مليون كم٢، وكانت نسبة عدد السّكّان المُسلِمِين فيه نحو ٧٥ مليون نسمة.

والمطلع عَلى نسبة المُسلِمِين في تلك الجمهوريّات في أسيا الوسطى يندهش من الاكتشاف أن أكثر من نصف مساحته قائمة أصلاً عَلى الجمهوريّات الإِسْلَاميّة الأصل، وأن معظم عواصمه الرَّئيسيَّة كانت حواضر إسلاميّة قبل مائة سنة فقط، وأن ذلك امتد لأكثر من ألف سنة، فسبحان الله، ولعلّ الإحصائيات الرَّسميَّة التّالية تبرز هذا وهي إحصائيات ذات دلالات سياسيّة وعسكريّة مستقبلية بعيدة المدى.

فجمهوريّات الاتحاد السُّوفيتيّ البائد حسب أهميتها ونسبة المُسلِمِين فيها هيَ عَلى الشّكل التّالي[1]:

أولاً: جمهوريّة روسيا الاتحادية:

عاصمتها موسكو، مساحتها نحو ١٠ مليون كم٢، عدد سكانها نحو ١٤٣مليون نسمة ونسبة المُسلِمِين فيها تتراوح ما بين ١٠- ٢٥ ٪ من السّكّان.

ويتبع جمهوريّة روسيا الاتحادية عدّة جمهوريّات تقع في حوض الفولغا وهي:

١- **جمهوريّة بشكيريا**: عاصمتها (أوفا)، عدد سكانها ٥, ٤ مليون نسمة، نسبة المُسلِمِين فيها ٥٦٪.

٢- **تتارستان**: عاصمتها (قازان) سكانها ٥, ٤ مليون نسمة، نسبه المُسلِمِين فيها ٥٠٪.

٣- **مورد يفيا**: (شار نسك) ١٥, ١ مليون، نسبة المُسلِمِين ٥٥٪.

٤- **ماري**: (يوشكارا اولا) ١، ١٥ مليون نسبة المُسلِمِين ٥٢٪

٥- **أورنبرغ**: (ألوينبرغ شكالوف) ٢٥٠ ألف نسمة نسبة المُسلِمِين ٥٠٪.

٦- **أدمورت**: (أجنسيك) ١,٨٥٠ مليون نسمة نسبة المُسلِمِين ٥٢٪.

ويبتع جمهوريّة روسيا الاتحادية خمس جمهوريّات ذات حكم ذاتي تقع شمال القفقاس وهي:

١- داغستان: عاصمتها (محج قلعة) وعدد سكانها ٣٥, ٢ مليون، نسبة المُسلِمِين ٦٠٪.

٢- كبا رداي بلكار: عاصمتها(نالجيك ٧٦٠ ألف نسمة، نسبة المُسلِمِين ٥٥٪.

٣- جمهوريّة قار شاي شركس: عاصمتها شركس، ٤٥٠ ألف نسمة، المُسلِمِين ٦٠٪.

٤- أو ستينيا الشمالية: عاصمتها (اردجونيكرزي) مليون نسمة، المُسلِمِين ٥٥٪.

٥- الشِّيشَان أنجوش: عاصمتها (جروزني) سكانها ٧٣, ١ مليون المُسلِمِين ٦٦٪.

٦- جمهوريّة الأديجا: عاصمتها (ماي كوب) ٥٤٠ ألف نسمة، المُسلِمِين ٥٠٪.

٧- جمهوريّة سيبيريا: عاصمتها (أو مسك) ٢٥ مليون نسمة نسبة المُسلِمِين ٢٥٪.

---

(١) (أخذت الإحصائيات من رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإِسْلَاميّة المنورة عن أحوال المُسلِمِين في وسط آسيا) [المؤلف].



هذا عن جمهوريّة روسيا الاتحادية ذاتها، ثمّ نأتي إلى الجمهوريّات الّتي استقلت:

ثانياً: جمهوريّة روسيا البيضاء: عاصمتها (مسنك) مليون نسمة نسبة المُسلِمِين غير محددة.

ثالثاً: جمهوريّة أوكرانيا: عاصمتها (كييف) وعدد سكانها ٥١ مليون نسمة بما في ذلك سكان ولاية القرم (وعددهم ٧ مليون) ونسبة المُسلِمِين فيها ٧١٪!!!

رابعاً: جهورية لا تفيا: عاصمتها (ميلنوس) وسكانها ٥, ٢مليون نسبة المُسلِمِين غير معروفة.

خامساً: جمهوريّة استونيا: عاصمتها (نازلين) سكانها ١٥ , ١ مليون نسمة، نسبة المُسلِمِين غير معروفة.

سادساً: جمهوريّة مولدا فيا: عاصمتها (كشينوف) عدد سكانها ٤ مليون نسمة نسبة المُسلِمِين ٥٪.

سابعاً: جمهوريّة ليتوانيا: عاصمتها (ريجا) سكانها ٥ , ٣ مليون نسمة وفيها ١٨٠٠٠ مسلم.

ثامناً: جمهوريّة أرمينيا: عاصمتها (باريفان) وسكانها ٣ , ٣ مليون نسمة نسبة المُسلِمِين فيها ١٧٪.

ويتبعها جمهوريّة نخجيفان بحكم ذاتي وسكانها ٣٠٠ ألف نسمة عاصمتها ناجوان ونسبة المُسلِمِين ٩٥٪.

تاسعاً: جمهوريّة جورجيا: وعاصمتها (تفليس) وسكانها ٥ , ٣ مليون نسمة نسبة المُسلِمِين فيها ١٩٪ وتتبع جورجيا كلّ من:

جمهوريّة أبجازيا: عاصمتها (سوقوم) وسكانها ٧٥٠ ألف نسمة نسبة المُسلِمِين فيها ١٩٪.

جمهوريّة أجاريا: عاصمتها (باطوم) وسكانها ٤٥٠ ألف نسمة نسبة المُسلِمِين فيها ٤٠٪.

عاشراً: جمهوريّة أذربيجان: عاصمتها باكو وعدد سكانها ٧, ٢٧ مليون نسمة، نسبة المُسلِمِين فيها ٨٢٪ أكثرهم من الشّيعة.

ثمّ جمهوريّات آسيا الوسطى الإِسْلَاميّة وهي:

أحد عشر: جمهوريّة أوزبكستان: مساحتها ٤٠٠ , ٤٤٧ كم٢، عاصمتها (طشقند) عدد سكانها ٢٥ مليون نسمة، نسبة المُسلِمِين فيها ٨٨٪ من السّكّان.

إثنى عشر: جمهوريّة طاجيكستان: عاصمتها (دوشنبيه). وسكانها ٥ , ٥مليون نسمة نسبة المُسلِمِين فيها ٨٠٪.

ثلاث عشر: جمهوريّة قيرغيزستان: وعاصمتها (بتشكيك) وسكانها ٥ مليون نسمة، نسبة المُسلِمِين ٧٣٪.

أربعة عشر: جمهوريّة تركمانستان: عاصمتها عشق أباد، سكانها ٤ مليون، نسبة الإِسْلَام فيهم ٨٦٪.

خمسة عشر: جمهوريّة كازاخستان: وعاصمتها(المآتا)، وسكانها ١٧ مليون نسبة المُسلِمِين ٥٢٪.

وقد استقلت الجمهوريّات الأربعة عشر عن الاتحاد السُّوفيتيّ الّذي لم يبقى منه إلا روسيا الاتحادية.

وخلاصة أحوال المُسلِمِين في آسيا الوسطى بعد رحيل السّيطرة الرُّوسية:

١- استمرار العلاقات الأمنيّة والعسكريّة مع الجيش والأمن الرُّوسي لاسيما عَلى الحدود مع أفغانستان.

٢- ارتباط الدّول الخمسة بإشراف روسي أمريكي في حلف دول وسط آسيا وهو حلف أمني عسكريّ لمُوَاجَهة مد الجِهَاد والإِسْلَام القادم من أفغانستان.

٣- حلول الاحتلال والنفوذ الأمريكيّ اليَهُوْدي الغربيّ وما يتبع ذلك من سيطرة اقتصاديَّة وثقافية وحركات تبشير وتنصير مكان النفوذ الرُّوسي الشُّيُوعِيّ السابق.

٤- تحول الكوادر والأحزاب والشخصيات الشُّيُوعِيّة الأساسيّة إلى العمالة للأمريكان تحت مسميات جديدة قومية ووطنيّة وديمقراطية.

٥- استمرار سياسة العداء للإسلام وبشكل سافر عَلى يد المرتدّين والشُّيُوعِيّين من أبناء المُسلِمِين في البلد بعد أن كانت هذه المهمة موكلة للاستعمار الصّليبيّ الرُّوسي، وبذلك شنت هذه الحُكُومَات حرباً مكشوفة عَلى الحركات والدّعوة والنَّشَاطات الإِسْلَاميّة المختلفة كالمدارس ودور التحفيظ ومظاهر الالتزام، فطاردت بشكل خاص التوجّهات الجهاديّة كما في عموم بلاد الإِسْلَام تحت مسمّى مُكَافحَة الإِرهَاب

٦- في طاجيكستان وصلت المُوَاجَهة مع الإِسْلَاميّين لحد الصدام المُسلّح وتمكنت الحكومة من تدجين الحركة الإِسْلَاميّة الأساسيّة فيها وهي حركة النهضة فيما تستمر أجزاء من الحركة ذات التوجه الجهاديّ مسيطرة عَلى مناطق وأجزاء من طاجيكستان.

٧- في أوزبكستان ومع ميلاد بوادر جهاديّة وصلت لحد التخطيط لقتل رئيس الدّولة وتنفيذ بعض الأعمال الجهاديّة العسكريّة حصلت موجة من الاعتقالات تلتها محاكم صدرت فيها أحكام ظالمة بالإعدام عَلى بعض المُجَاهدين وبالسّجن عَلى عشرات آخرين، وأثبتت هذه المُوَاجَهة الدّعم والتّعاون الأمني الإقليمي عَلى مستوى الدّول الخمسة والدّولي بإشراف أمريكي حيث اعتقل العديد من هَؤُلَاءِ المتهمين من دول متعددة وسلموا لحكومة أوزبكستان فوراً وذلك بفعل التّعاون المباشر بين دول المنطقة وروسيا والأمريكان والنّظام الدّولي، خوفا من قفزة يحققها جِهَاد المُسلِمِين إلى آسيا الوسطى بعد الانتصار الزاهر الّذي حققوه في أفغانستان وأدى لقيام نواه حقيقية لدولة الإِسْلَام المرتقبة ونهضة المُسلِمِين العائدة المنشودة إن شاء الله.

٨- قيرغيزستان: جرت المناورات العسكريّة ضدّ الإِرهَاب والخوف من الهجوم المفترض لطالبان!رغم تشتت طالبان واختفائها وذلك أواسط سنة ٢٠٠٤ م.

٩- تركمانستان: منعت بناء المساجد الجَدِيدة وطباعة القرآن، ومنعت اللحى والحجاب، وأمرت الحكومة بكتابة هلوسات رئيس تركمانستان – في كتاب كتبه –على جدران المساجد إلى جانب القرآن أو عوضا عنه!

تركستان الشرقية المحتلة من قبل الصين (١):

فتحت تركستان الشرقية أول مرّة عَلى يد القائد المُجَاهد قتيبة بن مسلم حيث دخل إلى «كاشغر» وذلك في عهد الخَلِيفَة الأموي الوليد بن عبد الملك عام (٩٦ هـ/ ٧١٥ م)

(١) [هذه التفصيلات كتبها الشّهِيد الأمير حسن أبو محمد التركستاني في كابل سنة ٢٠٠٠ لتلحق برسالة – المُسلِمُون في آسيا الوسطىٰ ومعركة الإِسْلَام القادمة – للمؤلف].

وفي نهاية العصر الأموي وبداية العصر العبّاسي الأوّل في القرن الثّالث للهِجرَة أسلم الخاقان سلطان الترك «ستوق بوغراخان» وسمى نفسه عبد الكريم، وتبعه في الإِسْلَام أبناؤه وكبار رجال دولته، ومنذ ذلك اليَوْم أصبح الإِسْلَام دينا رسميا للدولة، وبقيت تركستان دولة إسلاميّة مستقلة حوالي تسعة قرون، ومنذ ذلك الحين جميع أهلها مسلمون.

الاحتلال الصيني لتركستان الشرقية:

في القرون الثَّامن عشر الميلادي وقعت أجزاء كثيرة من العالم الإِسْلَاميّ فريسة للاستعمار الأوروبي والآسيوي، ففي أسيا اتفق المُستَعمران الرُّوسي والصيني عَلى تقسيم أرض المُسلِمِين الأتراك من خلال عدّة معاهدات، وسقط هذا الجزء المسلم في يد الصين بعد أن لقي (٠٠٠. ٢٠٠. ١) تركستاني مسلم حتفهم، ونفي (٢٢٠٠٠) عائلة تركية إلى داخل الصين ليذوبوا في شعوب الصين!

الاستقلال التركستاني:

ثار المُسلِمُون في تركستان الشرقية ضدّ الاستعمار الصيني والاضطهاد البوذي سبعة ثورة كبيرة عارمة، أثمر آخرها عام ١٨٦٣ م عن تحرير تركستان الشرقية من الحكم الصيني وتكوين مملكة مستقلة في القرن التّاسع عشر الميلادي، تشكلت حُكُومَات محليَّة في خمس مناطق، وانضوت جميعها تحت حكم " أتاليق غازي يعقوب بك " الّذي منحه السُّلطَان العُثمَانِيّ لقب أمير المُسلِمِين، وكان أتاليق رجلا جيدا أنشأ المساجد والمدارس الإِسْلَاميّة، ومازال عدد منها موجودا حتَّى الآن، ولكن الأطماع الاستعماريّة لروسيا والصين تجددت، وبالفعل استولت القوَّات الصينية عَلى تركستان الشرقية في عام ١٨٧٨ م، وصدر مرسوم في ١٨ نوفمبر ١٨٨٤ م بجعل تركستان الشرقية مقاطعة، وتسميتها «سنكيانج» أي المُستَعمرة الجَدِيدة وجعل «أورومتشي» عاصمة لها.

الاستقلال الثّاني لتركستان الشرقية:

استمرت ثورات التركستانيين ضدّ الاستعمار الصيني، وقتل الكثير من المُسلِمِين في سبيل خلاصهم وخلاص بلادهم من الحكم الصيني البوذي، وكانت الحكومة الصينية تقمع تلك

الانتفاضات بكل وحشية وقسوة، وكلما زادت في اضطهادهم وعنفها تجد في أهلها الإصرار، حتّى تمكن أحد أصحاب الاتجاهات الدّينيّة وهو " ثابت داموللا " من تحرير البلاد وتشكيل جمهوريّة تركستان الشرقية في كاشغر في نوفمبر ١٩٣٣ م.

ولكن الوالي الصيني (شنغ شي تساي) قضى عَلى الثوار وجمهوريّتهم في شهر يوليو ١٩٣٤ م بمساعدة روسيا الخائفة من وجود هذه الدّولة الفتية المسلمة في جوارها.

الحكم الصيني الشُّيُوعِيّ في تركستان الشرقية:

في عام ١٩٤٩ م أعلن قائد الجيش الصيني في تركستان الشرقية استسلام البلاد وخضوعها لرأس الكفر والإلحاد في الصين " ماوتسي تونغ " زعيم الحزب الشُّيُوعِيّ الصيني، ودخلت القوَّات الصينية الشُّيُوعِيّة تركستان الشرقية في أكتوبر ١٩٤٩ م، وبذلك بدأ عهد جديد من الإِرهَاب والظُّلم في تاريخ تركستان الشرقية المسلمة.

مرحلة ما بعد ماوتسي تونغ:

تتميز هذه الفترة بتحول الشُّيُوعِيّين من تطبيق سياسة الإِرهَاب المكشوف إلى ممارسة سياسة تطبيق الشُّيُوعِيّة العلمية و(التصيين) الثقافي، ومن أبرز هذه الممارسات:

أولا: التضييق في ممارسة الشعائر الدّينيّة والحيلولة دون انتشار تعاليم الإِسْلَام وذلك لقطع صلة الأجيال الجَدِيدة بهويتهم الإِسْلَاميّة.

ثانيا: منع أفراد الشعب التركستاني من ممارسة حقوقهم الإنسانية المشروعة كالتّعليم وحرية التعبير إلى جانب الاعتداء بالمطاردة والاعتقال بل والقتل.

ثالثا: مصادرة ثروات تركستان الشرقية وحرمان أهلها الأصليين من خيرات بلادهم، وفرض حياة الفقر والعوز عليهم وإهمال التنمية الاقتصاديَّة في البلاد.

رابعا: خداع العالم بإقامة حكم ذاتي صوري لتركستان الشرقية يديره الصينيون من وراء الستار، وينفذه الموظفون التركستانيون العملاء التَّابعون لهم.

خامسا: إغراق تركستان الشرقية بالمُهَاجِرين الصينيين وإحلالهم في أماكن سكن وعمل أهل البلد الأصليين.

سادسا: القيام بتنفيذ التفجيرات النووية في الأراضي التركستانية مما نتج عنه إفساد البيئة بالسموم ونشر الأمراض بين أفراد الشعب التركساني.

سابعا: إجبار أفراد الشعب التركستاني المسلم عَلى تنفيذ سياسة تحديد النسل، وممارسة أقصى العقوبات مع المخالفين لهذه السّياسة.

ثامنا: تشجيع الزواج بين التركستانيين والصينيين.

وما يزال المُسلِمُون إلى اليَوْم يرزحون تحت هذا الحيف والجور والظُّلم، مما جعل بعضهم يحملون السّلاح ضدّ الحكومة الصينية الّتي تطاردهم بضراوة، وقد لجأ بعضهم سنة ١٩٩٧ إلى طالبان، وأعادوا إنشاء الحزب الإِسْلَاميّ التركستاني، وقد قتل الكثير منهم إبَّان الغزو الأمريكيّ لأفغانستان مدافعين عن الإمارة الإِسْلَاميّة سنة ٢٠٠١، ثمّ قتل الجيش الباكستاني في مناطق سرحد الحدودية أميرهم (حسن أبو محمّد التركستاني) مع رهط من رفاقه في شهر ١١/ ٢٠٠٣، رحمهم الله تَعَالَى وتقبلهم في الغُرَباء الفرارين بدينهم، وجمعنا بهم في عليين.

إندونيسيا:

وهى أكبر الدّول الإِسْلَاميّة في تعداد السّكّان، إذ يبلغ عدد سكانها ما يزيد عَلى ٢٠٠ مليون نسمة، ويعتنق الإِسْلَام منهم حوالي (٩٢٪) من عدد السّكّان، وقد انتشر الإِسْلَام فيها عن طريق التجارة وحل محل الوثنية والبوذية، وتضم إندونيسيا مجموعة من الجزر الواقعية في جنوب شرق آسيا وأكبرها سومطرة، وجاوة، وبورنيو، وسيليبس، وتيمور، وجزائر الملوك، وغينيا الجَدِيدة، وشبه جَزِيرَة الملايو.

ونظرا لأهمية موقعها الإستراتيجي تعرضت للتنافس الاستعماريّ البرتغالي والهولندي والإنجليزي والأسباني والأمريكيّ، وكانت البرتغال سباقة إلى احتلال اندونيسيا، وقد اتبع

البرتغاليون سياسة التبشير الّتي حولت بعض إلى المسيحية، ثمّ آلت إندونيسيا لحكم الأسبان الّذين ورثو إمبراطورية البرتغال.

ثمّ استولى الهولنديون عَلى البلاد سنة (١٠٠٥هـ) وأقاموا شركة الهند الشرقية الهولندية سنة (١٠١١هـ) الّتي اتخذت من (جاكرتا) مقرا لها.

وفي سنة (١٢٢٦هـ)، استولت بَرِيطَانيَا عَلى البلاد ثمّ تقاسمت حكمها مع هولندا بموجب اتفاق بينهما عقد سنة (١٢٢٩هـ).

اندلعت مقاومة سكان إندونيسيا ضدّ الاستعمار بزعامة الأمير عبد الفتاح الّذي شكل جيشا من الفدائيين وبنى أسطولا قويا أثار المتاعب في وجه الهولنديين.

وفي القرن الثّالث عشر لم تتوقف المُقاوَمة فاندلعت حرب طويلة كبدت الهولنديين خسائر فادحة.

تأسست عدّة أحزاب إندونيسية بعد الحَرب العَالَمِيّة الأولى مثل (الجَمعيَّة المحمّدية) وحزب (شركت إسلام) و(الجَمعيَّة العائشية) الخاصّة بالسيدات، و(حزب جاوة الفتاة) و(جَمعيَّة اتحاد علماء المُسلِمِين) وغيرها ومعظمها ذات طابع إسلامي جهاديّ، ثمّ تبلورت هذه الجَمعِيّات والأحزاب في حزبين رئيسين هما (حزب القمصان الخضراء) وحزب (القمصان الحمراء)، كانَ الحزب الأوّل يلجأ إلى أسلوب المفاوضات لتحقيق الاستقلال أما الحزب الآخر فقد اتخذ أسلوب الجِهَاد المُسلّح وتحول إلى (حزب شيوعي) وخلال الفترة ما بين الحَربين تأسس (حزب إندونيسيا العظمى) و(الحزب الوطني) بزعامة سوكارنو اللذان نجحا في إرغام هولندا عَلى تخفيف سياسة العنف والابتزاز الاقتصاديّ.

ولما قامت الحَرب العَالَمِيّة الثّانية استولت اليابان عَلى إندونيسيا سنة (١٣٦١هـ) فاندلعت حركة المُقاوَمة الوطنيّة برئاسة أحمد سوكارنو ومحمّد حتا، كما تأسس حزب إسلامي يسمى (حزب الله) واشترك الجميع في مُوَاجَهة الاحتلال الياباني.

ولما انتهت الحَرب أعلنت اليابان استقلال إندونيسيا سنة (١٣٦٤هـ) وبعد انسحاب اليابان اشتركت إنجلترا وهولندا في حملة عَلى إندونيسيا تمكنت من الاستيلاء عَلى بعض الجهات والمدن الهامة في سومطرة وجاوة، ومع استمرار النضال أرغمتها عَلى الاعتراف باستقلال إندونيسيا وفق اتفاقية عقدت سنة (١٣٦٦هـ) لكن هولندا لجأت مرّة أُخرى إلى غزو البلاد سنة (١٣٦٨هـ) وألغت اتفاقية سنة (١٣٦٦هـ)، ونتيجة للضغط الدّولي جرى عقد مؤتمر لاهاي سنة (١٣٦٩هـ) الّذي أسفرت عن إنهاء الاستعمار الهولندي.

ثمّ حدث صِرَاع بين الأحزاب ذات الميول الشُّيُوعِيّة والأخرى الإِسْلَاميّة وأسفر الصِّرَاع عن انقسام إندونيسيا إلى حكومتين إحداهما سوفيتية ومركزها (ماديون) والأخرى وطنيّة ومركزها (جاكرتا)، ثمّ اتحدت الدّولتان سنة (١٣٦٩هـ) تحت اسم (جمهوريّة إندونيسيا) برئاسة أحمد سوكارنو.

قام انقلاب شيوعي سنة (١٣٨٥هـ)، لكن وزير الدّفاع كلف الجنرال (سوهارتو) بمُوَاجَهة الانقلاب الّذي أيده أحمد سوكارنو.

وتحت ضغط القوى الوطنيّة الإِسْلَاميّة أرغم سوكارنو عَلى التنازل عن الحكم سنة (١٣٨٦هـ – ١٩٦٨) وتولى الجنرال سوهارتو رئاسة الجمهوريّة.

ثمّ تدهورت أحوال البلاد بسبب فساد سوهارتو وأسرته، وحصلت اضطرابات كثيرة، وأدت إلى اعتماد الإصلاحات السّياسيّة والانتخابات الّتي تنازعنها أحزاب علمانية وشخصيات مدنيّة وعسكريّة، وما تزال هذه أحوالها إلى اليَوْم، حيث آلت رئاسة الجمهوريّة في الإنتخابات الأخيرة ٢٠٠٤ إلى جنرال عسكريّ تعهد في خطاب فوزه بمُكَافحَة الإِرهَاب بالتّعاون مع أمريكا وأستراليا!!

تعرضت البلاد وما تزال لحركة تنصير قوية منذُ مئات السنين، وقد اشتدت خلال القرن الأخير، وقد قرأت في بعض التقارير الإحصائية لبعض المؤسسات الإِسْلَاميّة السّعُودِيّة سنة ١٩٩٢أن عدد الّذين تنصروا في أند ونسيا يبلغ زهاء ٣٠ مليون نسمة!



ونظرا لكبر البلاد وتطورها الصناعي وانتشار الصّحوة الإِسْلَاميّة القوية فيها، تتعرض إندونيسيا لمؤامرات لتقسيمها، وقد نجحت الدّول الأوربية بدعم حركات النّصَارى الّذين نصروهم عبر سنين الإحتلال ثمّ الإستقلال، بفصل تيمور الشرقية عن إندونيسيا، وتشهد جزر الملوك أعمال قتال بين المُسلِمِين والنّصَارى الّذين قاموا بأعمال وحشية، فأحرقوا البيوت، وصوروا بعضهم وهم يأكلون لحوم القتلى من المُسلِمِين نيئة ومشوية! وقد انتعشت مؤخرا في إندونيسيا وماليزيا وتايلاند وما جاورها من دول شرق آسيا صَحوَة إسلاميّة قوية تحولت للجِهَاد والمُوَاجَهة للمصالح الأمريكيّة والغربيّة والأسترالية، مما جعل تلك البلاد هدفا للحملات الأمريكيّة المسعورة تحت دعاوى مُكَافحَة الإِرهَاب، أن الله إخواننا ونصرهم.

ماليزيا:

مملكة إسلاميّة معاصرة تضم شبه جَزِيرَة من الملا يو وشمال جَزِيرَة بورنيو وتتألف من ثلاثة عشرة ولاية، وقد انتشر الإِسْلَام في ماليزيا عن طريق التجارة، ففي عام (٦٧٥هـ) أسلم ملكها باسم (سلطان محمّد شاه) وتبعه رعاياه وكانت البلاد من قبل قد تعرضت للاستعمار البرتغالي عام (٩١٨هـ) ثمّ حلّ محله الاستعمار الهولندي سنة (١٠٥١هـ).

وفي سنة (١٢٠١هـ) وقعت البلاد تحت الحكم البريطاني وفي سنة (١٣٦٠هـ -١٩٤٠) اجتاحت اليابان البلاد، ثمّ انسحبت منها بعد الحَرب العَالَمِيّة الأولى وعاد الاستعمار البريطاني الّذي أقام اتحادا بين المحميات البريطانيَّة في الملايو.

وفي سنة (١٣٧٥هـ) صدر الدستور وتألفت جبهة ائتلاف برئاسة (تنكو عبد الرَّحمٰن) استطاعت أن تحصل عَلى الاستقلال سنة (١٣٧٦هـ).

وفي عام (١٣٨٣هـ) تأسس اتحاد يضم الملايو وسنغافورة وشمال بورنيو عرف باسم (اتحاد ماليزيا) وفي عام (١٣٨٥هـ) خرجت سنغافورة عن دولة الاتحاد.

قامت نهضة معاصرة في ماليزيا متأثرة بالنموذج الياباني، فتحولت إلى دولة صناعية مزدهرة، وتشهد ماليزيا صَحوَة إسلاميّة وجهاديّة واعدة هذه الأيّام فتح الله عليهم.

ونكتفي بهذه النماذج من الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة، فالقصة متكررة، وبسيطة، وخلاصتها:

احتلال الدّول الأوربية وغيرها لبلاد المُسلِمِين بالتدريج منذُ القرن السَّابع عشر، وتصاعد ذلك بعد انهيار الدّولة العُثمَانِيّة، ثمّ قيام حركات مقاومة وجِهَاد لذلك الإحتلال، ثمّ نشوء أحزاب علمانية وقوميو ويسارية، استولت عَلى جهود الجِهَاد، ورتب المُستَعمرون لهم استلام الحكم بعد الإستقلال، فحاربوا الإِسْلَام ونهبوا البلاد وأذلوا العِبَاد لصالح أسيادهم، ثمّ ورث الرُّوس والأمريكان النفوذ الإستعمار، واستمرت المأساة وازدادت ضراوة.

ثمّ لما انفردت أمريكا بالسّيطرة عَلى العالم منذُ ١٩٩٠م، سيطرت عَلى أولئك الحكَّام وأخضعتهم، وبعد إحداث سِبتَمبر ٢٠٠١م، ازدادت الكارثة، وتحولت لكابوس عَلى المُسلِمِين جراء تحالف أولئك الحكَّام المرتدّين مع أمريكا ضدّ شعوبهم عامة والمُسلِمين الملتزمين خاصّة، تحت دعوى مُكَافحَة الإِرهَاب، حيث أعلنت أمريكا بقيادة جورج بوش الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الجَدِيدة مفتتحة ذلك باحتلال أفغانستان ثمّ العراق، حيث تستعد للمراحل التّالية فيما يجاورها.

وبعد ما مر من الاستعراض السريع لأهم محطات التّاريخ الإِسْلَاميّ، وأهم الممالك والدّول الّتي قامت عبر ذلك التّاريخ، وقبل أن نزدلف إلي الفَصل التّالي الّذي سندرس فيه دراسة تحليلية محطات الصِّرَاع مع الرُّوم، وملامح ذلك الصِّرَاع، ومعادلات القوى فيه، وذلك من أجل البحث عن مسببات النّصر والهزيمة في مراحل ذلك الصِّرَاع، نرى من المفيد بل الضَّروري أن نعرض قبل ذلك لفكرة سريعة عن تاريخ هَؤُلَاءِ الرُّوم، والمحطات الرَّئيسيَّة للدول والممالك الّتي حملت رايتهم عبر التّاريخ، وإلى أيّامنا هذه، وكذلك عن خُلاصة مسار صِرَاع المُسلِمِين مع الرُّوم منذُ البعثة النّبويّة وإلى أيّامنا هذه.



لأن أهمّ المعلومات اللازمة لنا بعد معرفتنا بأنفسنا وتاريخنا ومحطات نصرنا وهزائمنا وأسباب ذلك، أن نعرف ما يمكن من مثل ذلك عن عدونا، لنعرف نقاط ضعفه وقوته وندرس تاريخ صراعنا معه، ومعطيات وأسباب النّصر عليه بإذن الله.

****

نبذة سريعة وموجزة عن تاريخ الرّوم (١)

(٦٠٠ قبل الميلاد – ٢٠٠٤ ميلادية)

بدأ تجمع قبائل الرُّومان القدماء في السهول الشرقية لشبه الجَزِيرَة الإيطالية، وهناك بنوا النواة القديمة لمدينة روما، خلال القرن السَّادس قبل الميلاد.

ونتيجة لضيق السهول الزراعية من حولها، خاضت تلك القبائل داخل شبه الجَزِيرَة صراعا داميا عَلى موارد الرزق، مما أكسبها مراسا في القِتَال ودفعها للانتشار خارج الجَزِيرَة والتمدد برا في أوروبّا وبحرا عَلى طول سواحل البحر المتوسط.

ورث الرُّومان عن اليونان حضارتهم الّتي انهارت، وورثوا معظم مكوّناتها، فورثوا دينها وآلهتها، كما ورثوا فلسفة اليونان ونظامهم السّياسيّ والاجتماعي الّذي يقوم عَلى نظام الطبقات (الأشراف ـ العبيد ـ العامّة)، كما طوروا نظامهم الديمقراطي واخذوا عنه أسس حضارتهم الّتي تعتبر امتدادا لحضارات اليونان من حيث الخصائص العامّة.

ولكونهم نشؤوا عَلى سواحل البحر، بنى الرُّومان الأوائل أسطولا تجاريا جابوا به موانئ المتوسط شرقا وغربا، وسرعان ما أغرت القوّة والأطماع ملوك الرُّومان الأوائل لبناء أسطول عسكريّ قوي يسيطرون به شيئا فشيئا عَلى سواحل ذلك البحر الّذي عرف لاحقا ببحر الرُّوم، حيث غزت جُيُوشهم برا وبحرا كامل البلاد الّتي حوله، لينشئوا مع الوقت إمبراطورية استعماريّة عتيدة ضمت كامل أوروبّا وبلاد اليونان وغرب بلاد الأناضول وبلاد الشّام ومصر وشمال أفريقيا، ووصل سلطانهم إلى القرن الإفريقي وبلاد الحبشة.

(١) لا تتوفر لي الآن – في عزلتي الحالية – أية مصادر لإعطاء هٰذا العنوان الكبير حقه علميا. وما كتبته هو حصيلة ما تبقىٰ في ذاكرتي مما درسته في منهج قسم التاريخ في جامعة بيروت العربيَّة، وما تراكم عندي من المعلومات والثّقافة العامّة. ولعلي أوفي الفقرة حقها في طبعة تالية إن يسر الله وأعان وكان في العمر والعزم بقية والله المستعان [المؤلف].

بهذا التمدد أصبح الرُّومان عَلَى تماس وصراع مع الإمبراطورية القوية الأخرى في الشّرق وهي (فارس)، حيث كانت الأناضول (تركيا) وحدود الشّام عَلَى العراق مسرح صِرَاع طويل ومرير بين الإمبراطوريتين استمر إلى قيام الحضارة الإِسْلَاميّة الّتي أزالتهما معا عن المشرق.

كما ذكرنا فقد بقي الرُّوم عَلَى دينهم الوثني إلى أن جاء المسيح عليه السلام بدين النّصرانية، وتولى أحبار اليَهُوْد تحريض الحاكم الرُّوماني في فِلَسطِين عليه وعلى أتباعه، وسعوا في قتله وغدروا به، فرفعه الله تَعَالَى:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء]

فطاردوا أتباعه عَلَى مدى أكثر من قرنين من الزَّمن، تولى أحبار اليَهُوْد خلالها تحريف الدّين الجَدِيد، وساح أتباع المسيح عليه السلام وحواريوه وتلاميذهم في الأرض مطاردين، وأقام لهم الرُّومان المذابح في كلّ مكان فروا إليه، كما جاء ذكر بعض ذلك في القرآن الكريم في قصة أصحاب الأخدود وأصحاب الكهف، واستمر ذلك إلى أن بلغ أوجه في عصر الإمبراطور(دقليديانوس) الّذي بطش بالنّصَارى بطشا شديدا حتَّى، سمي عصره في التّاريخ المسيحي بعصر الشّهداء، وهو الإمبراطور الّذي خرج في عهده أصحاب الكهف أواخر القرن الثّالث الميلادي والله أعلم.

وشيئا فشيئا ازداد أتباع النّصرانية في أنحاء الإمبراطورية الرُّومانية، وخلف الإمبراطور (قسطنطين) سلفه (دقليديانوس)، وكانت زوجة قسطنطين نصرانية، فاعترف بالديانة النّصرانية ديانة رسمية ثانية إلى جانب الوثنية، وهدأت مطاردة النّصَارى، ثمّ ما لبث قسطنطين أن تنصر وزالت الوثنية لتصبح النّصرانية دين الرُّومان منذُ مطلع القرن الرَّابع الميلادي وإلى اليَوْم.

لما تبنى قسطنطين النّصرانية، وجدها مشتتة عَلَى مذاهب كثيرة، نتيجة انتشار الحواريين وسرية أتباعهم وخلط الأحبار، فطلب إليهم أن يجمعوا الأناجيل الكثيرة ويختصروها في كتاب واحد تعتمده الإمبراطورية، فانعقد المجمع النّصراني الأوّل حيث وجد الأحبار والرهبان أمامهم زهاء أربعمائة إنجيل مختلفة الروايات يعود أقربها تاريخيا إلى المسيح إلى نحو مأتي سنة بعد رفعه عليه السلام واعتقادهم

بصلبه، وذلك نتيجة البطش وتناقل أحبار النّصَارى روايات الإنجيل مشافهة خوفا من كتابتها خشية الرُّومان، فلما كتبت بعد قرنين من رفع المسيح أو أكثر، حوت كثيرا من الخلط نتيجة دس الرواة وتقادم العهد وهذا هو السبب الأساسي في تحريف الإنجيل، الّذي تتابعت عمليَّة تحريفه من قبل رجال الكنيسة زمن الرُّومان وبعده، وهكذا خرج المجمع الكنسي الأوّل بأربعة أناجيل معتمدة هيَ أناجيل (لوقا، ويوحنا، ومتى، مرقص).

كانَ (بطرس) أحد كبار أحبار اليَهُوْد المعادين لدين المسيح وأتباعه حيث تولى تعذيب من قدر عليه بالتّعاون مع الحاكم الرُّوماني في فِلَسطِين، ثمّ زعم أنه تنصر وأن لديه تكليفا ببناء الكنيسة الكبرى عَلى صخرة روما فذهب إلى هناك وأقام الكنيسة الّتي تطورت لتكون الفاتيكان وتصبح مقر باباوات النّصَارى إلى اليَوْم، وإلى بطرس هذا يعود تشويه وتحريف كثير من عقائد النّصَارى (وخاصة في المذهب الكاثوليكي) وهكذا أصبحت مذاهب النّصرانية خليطا من تعاليم المسيح والأصول اليَهُوْدية وما بقي من أثار الوثنية الرُّومانية الإغريقية الأصل، حيث سادة عَقِيْدَة التثليث، والأقانيم الثّلاثة (الأب والابن والروح القُدس) كما يدجل النّصَارى ويفترون عَلى الله الكذب، سُبحَانَهُ وتَعَالَى عما يشركون.

وتبنى النّصَارى عَقِيْدَة صلب المسيح، وأقاموا دينهم عَلى هذه الفرية الكبرى، ثمّ سيطر المذهب الكاثوليكي الّذي تولى أصحابه برئاسة بابا روما ودعم إمبراطورها مطاردة باقي المذاهب النّصرانية الّتي لم تؤمن بألوهية المسيح وغير ذلك من الأباطيل، وبطشت بهم بأقسى أساليب البطش وأنهت وجودهم.

الأمر المهم الثّاني الّذي فعله قسطنطين بعد إدخال النّصرانية وتوحيد الأناجيل، أنه بنى مدينة القُسطَنْطينيَّة، في مكان اختاره في إحدى رحلاته في منطقة القرن الذهبي عَلى مضيق البوسفور الّذي يصل البحر الأسود ببحر مرمرة، وهي مدينة إسلام بول (اسطنبول) اليَوْم، واتخذها قسطنطين عاصمة ثانية للامبراطورية بعد روما وكان ذلك بداية انقسام الرُّوم إلى شرقيين وغربيين وكان انقساما سياسيّاً وحتى مذهبيا.

بعد موت قسطنطين خلفه إمبراطور آخر رأى اتساع الإمبراطورية الرُّومانية الّتي شملت كامل أوروبّا وضفاف البحر الأسود ومعظم الأناضول وبلاد الشّام ووادي النيل والحبشة وشمال إفريقيا، فرأى تقسيمها إداريا إلى أربعة أقسام لكل قسم منها حاكم مستقل الإدارة، وبعد موت الإمبراطور تحول هذا التقسيم إلى ولايتين شرقيتين عاصمتهما القُسطَنْطينيَّة تضمان شرق أوروبّا وشرق وجنوب المتوسط وغربيتان تشملان معظم أوروبّا الغربيّة وعاصمتهما روما.

أواخر القرن الرَّابع الميلادي حصلت هجرات بشرية واسعة من وسط آسيا باتجاه غربها، فتدافعت القبائل وأجلى بعضها بعضا عن أراضيها، مما دفع بكثير منها إلى العبور إلى شمال شرق أوروبّا، وعرف ذلك بغزوات البرابرة الّذين نزلوا إلى شمال أووربا من جهة الدّول الإسكندنافية، وكان من أبرز تلك القبائل، قبائل الجرمان والألمان والتشيك والسلاف والغال والقوط والآلان والهون والوندال، وامتازت تلك القبائل بالبأس والوحشية في هجماتها ذات الطابع البربري، ولم تعرف تلك الشّعوب الوثنية الرعوية من أوجه الحضارة إلا القِتَال والتدمير.

أتعبت تلك الغزوات وأعمال السلب والنهب الّتي مارسها البرابرة عَلى شمال شرق الإمبراطورية الرُّومانية الأباطرة واستنزفت كثيرا من قوتهم فيما كانوا منهمكين في صراعهم التّاريخي مع الفرس في المشرق، واضطر إمبراطور الرُّوم إلى أن يعرض عَلى تلك القبائل أن تستوطن شمال شرق أوروبّا، ويكون لها حقوق السكن والزراعة والصيد شمال نهر الدانوب، لعله يستريح من هجماتهم، فاستقروا فترة ثمّ ما لبثوا أن اتخذوا من هذه المنطقة منطلقا للهجوم عَلى غرب أوروبّا.

وبرز (أتيلا) زعيم قبائل الهون الشرس، الّذي قاد جُيُوشا جرارة بلغ أن يهجم في بعض معاركة بربع مليون فارس! وكان شعار رايته خنجرا مغروسا في الأرض كتب تحته: (الأرض الّتي تطؤها خيلي لا ينبت فيها العشب)!

وأسفرت هجماته في النهاية عن سقوط روما أواسط القرن الخامس الميلادي وبالتالي اندفعت قبائل البرابرة لتستوطن غرب أوروبّا ولتستقر كلّ منها في ناحية من نواحيها مكونة الأساس القديم للدول الأوروبية القوميّة الحالية، فسكن **الغال** فرنسا وسموا بالفرنجة، وسكن **الجرمان والألمان**

حوض الرّاين (ألمانيا)، وسكن **الآلان** (إيطاليا)، وسكن **القوط** (أسبانيا)، وسكن **الوندال** جنوبها وإليهم نسبت أرضهم باسم (وندالوس) يعني أرض الوندال، والَّتي صارت مع الوقت (الأندلس).

ومع الوقت اختلطت هذه الشّعوب بالرُّومان وشعوب تلك البلاد الأصلية، وتزاوجت معها ثمّ تنصرت، وقام لتلك الدّول ملوك وحضارات مستقلة، وتبع الجميع روما وبابا الفاتيكان كمركز للإشعاع الدّيني لكل أوروبّا، فيما بقي شرق أوروبّا موحدا حيث يقوم قيصر الرُّوم بحكمها ويسيطر عَلى قسم من الأناضول وبلاد الشّام ومصر والحبشة وأجزاء من شمال أفريقيا حيث صار للروم الشرقيين الّذين سموا (البيزنطيين)، صار لهم مذهبهم المستقل وكنيستهم الـ(أرثوذوكسية)، وتحولت بعض الممالك في أوروبّا إلى الحجم الإمبراطوري كألمانيا وفرنسا وأسبانيا، فيما قامت ممالك أُخرى في إيطاليا والبرتغال وإنجلترا عَلى النّظام الإقطاعي حيث تحالف الملك والنبلاء والكنيسة خلال تلك العصور الوسطى.

وهكذا بعث رسول الله ﷺ سنة ٦١٠ ميلادية، وكانت هذه أحوال النّظام الدّولي آنذاك، الفرس في العراق وإيران وحوض قزوين وأجزاء من أفغانستان والسند، والرُّوم البيزنطيين وملوك أوروبّا يتقاسمون الغرب وحوض المتوسط، وقامت دولت الإِسْلَام وتحققت نبوءته ﷺ حيث أخبر فيما روي عنه: «**فَارِسُ نَطْحَةٌ أَوْ نَطْحَتَانِ ثُمَّ لَا فَارِسَ بَعْدَهَا أَبَدًا وَالرُّومُ ذَاتُ الْقُرُونِ أَصْحَابُ بَحْرٍ وَصَخْرٍ كُلَّمَا ذَهَبَ قَرْنٌ خَلَفَ قَرْنٌ مَكَانَهُ، هَيْهَاتَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ هُمْ أَصْحَابُكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ**»(١).

فزحفت جُيُوش المُسلِمِين لتدخل فارس بمكوّناتها في حضارة الإِسْلَام، ولتنتزع من ملك الرُّوم كامل مُستَعمراتهم شرق وجنوب المتوسط، وليؤول النّظام الدّولي كما بينا في الفَصل السابق، صراعا بين المُسلِمِين والرُّوم.

خلال القرن الحادي عشر والثّاني عشر الميلادي أغرى ضعف المُسلِمِين الرُّوم، وبتشجيع من بابا الفاتيكان الّذي التقت نداءاته مع مصالح ملوك أوربّا الاقتصاديَّة ومشاكلهم الداخليَّة وفيما بينهم،

---

(١) رواه ابن أبي الشّيبة في مصنّفه (١٩٣٤٢)، وابن حمّاد في الفتن (١٣٤٦)، وقال الألباني: رجاله ثقات لكنه مرسل وعليه فهو ضعيف (الضعيفة – ٣٩٩٩).

انطلقت الحملات الصّليبيّة الأولى من أوربّا الغربيّة، وساهم فيها ملوك أوربّا وعلى رأسهم ملوك إنجلترا وفرنسا وألمانيا، وعاونهم قيصر القُسطَنْطينيَّة بالعتاد وبالأسطول البحري.

استمرت الحُرُوب الصّليبيّة نحو قرنيين ونيف، ولم تنقطع خلالها الحُرُوب الداخليَّة بين الممالك الأوربية، وكذلك الصِّرَاعات الدامية بين نبلاء أوربّا وأمراء الإقطاعيات وبين ملوكها، وكذلك بين الملوك والباباوات المتعاقبين، وكذلك بين الرُّوم الشرقيين ومن جاورهم من ممالك أوربّا الشرقية، وباندحار الحملات الصّليبيّة كما سنبين في الفقرات اللاحقة من هذا الفَصل، عادت جُيُوش أوربّا من المشرق تحمل معها روح الحضارة الإِسْلَاميّة وعلومها الإنسانية والعلمية، وخلاصة ما حفظته من حضارات الشّرق الّتي صهرتها حضارت الإِسْلَام ونقلت خلاصتها، كحضارات الهند وفارس والتركستان وتخوم الصين.

وخلال تلك العصور الوسطى (من القرن الخامس، وإلى القرن الخامس عشر الميلادية) كانت أوربّا تغط في حال من التخلف والجهل، وظلمات صِرَاع الملوك وأمراء الإقطاع وهيمنة الكنيسة المتحالفة معهم، والَّتي تولت إغراق النّاس في ظلمات الجهل والجَاهِليَّة، وكانت ممالك أوربّا عَلى تماس حضاري مع ممالك المُسلِمِين في الأندلس، وكان أبناء الملوك وكبار النبلاء يقصدون عاصمتها قرطبة وجامعاتها ومكتباتها للدراسة وطلب العلم.

وبقي الحال هكذا إلى أن استطاع الأتراك العُثْمَانِيّون إسقاط القُسطَنْطينيَّة عام ١٤٥٣ ميلادية، لتنتهي العصور الوسطى ويبدأ العصر الحديث في أوربّا، وبعد ذلك بقليل تمكن ملوك أسبانيا النّصَارى مدعومين من ملوك أوربّا من إسقاط آخر ممالك المُسلِمِين في الأندلس(غرناطة) سنة ١٤٩٢م، وكذلك ورثوا خُلاصة حضارتها، وأدت هذه العوامل إلى نهضة الممالك الأوروبية ودولها القوميّة.

وفي نفس الوقت مطلع القرن الخامس عشر أيضا، ابتدأ انطلاق روسيا القيصرية شرقا لتسيطر عَلى النصف الشمالي لقارة آسيا(خلال القرون الثّلاثة التّالية)، وتنضم إلى نادي الدّول الأوربية الصّليبيّة الكبرى، ولتدخل في حُرُوب صليبيّة طاحنة مع الدّولة العُثْمَانِيّة فيما بعد كما رأينا.

خلال القرون الخامس عشر والسَّادس عشر والسَّابع عشر وإلى منتصف الثَّامن عشر، سيطرت الدّولة العُثمَانِيّة عَلى البحر المتوسط وعلى الشّرق، وتوغلت في شرق أوربّا واستولت عَلى ممالكها وعلى مخلفات الإمبراطورية الرُّومانية البيزنطية وتوغلت غربا في بلاد البلقان، لتقف منذُ القرن السَّابع عشر وإلى أواسط القرن الثَّامن عشر عَلى أسوار فينا عاصمة النمسا، وهناك اتحدت جهود ملوك أوربّا والفاتيكان لوقف هذا الزَّحف الإِسْلَاميّ، حيث بدأ العد التنازلي للإمبراطورية العُثمَانِيّة خلال النصف الثّاني من القرن الثَّامن عشر، ولينطلق نجم الحضارة الأوربية الحديثة (الرُّوم المعاصرون)، بعد أن أفل نجم المُسلِمِين.

وخلال القرن الخامس عشر ونتيجة لما عانت شعوب أوربّا من سيطرة بابا الفاتيكان والمذهب الكاثوليكي، قامت حركات إصلاحية ولدت في ألمانيا وانتشرت في أوربّا وأدت إلى ظهور مذهب نصراني جديد هو المذهب (البروتستانتي) الّذي حمل كثيرا من المؤثرات اليَهُوْدية التوراتية، ثمّ ما لبث أن لاقى رواجا في بَرِيطَانيَا وانتقل منها ليستقر في الولايات المتحدة بعد ذلك، وبذلك انقسمت أوربّا عَلى ثلاثة مذاهب رئيسيَّة توزعت الأغلبية جغرافيا فيها بحيث ساد المذهب (الأرثوذوكسي) في روسيا وشرق أوربّا، وساد المذهب (الكاثوليكي) وسط أوربّا وغربها وانتشر المذهب (البروتستانتي) في بَرِيطَانيَا والولايات المتحدة.

أدت الثَّورة الصناعية والعلمية لنهضة أوربّا، وأدت الثَّورة الفرنسية أواخر القرن الثَّامن عشر إلى يقظة شعوب أوربّا ونهضتها، وكانت حركة الكشوف الاستعماريّة الّتي انطلقت من أوربّا منذُ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي بمباركة البابا قد أسفرت عن قيام إمبراطوريات بحرية استعماريّة كبرى عَلى رأسها: البرتغال – أسبانيا- بَرِيطَانيَا- فرنسا- هولندا....

وخلال القرن الثَّامن عشر شهدت أوربّا ثورات عديدة، وانهار النّظام الإقطاعي، وتكونت (البرجوازية)، لينهض النّظام الصناعي الرأسمالي مكان الإقطاع، وقامت معارك كبرى بين الملوك والنبلاء أسفرت عن توحيد إمارات مبعثرة وتكوين دول اتحادية، مثل حُرُوب توحيد إيطاليا وألمانيا

خلال القرن التّاسع عشر، وبدأت ترتسم معالم خارطة أوربّا ودولها القوميّة بالشكل القريب من شكلها الحالي.

وخلال القرن الثَّامن عشر والتاسع عشر دخلت الإمبراطوريات الكبرى الأوربية حُرُوبا استعماريّة عديدة فيما بينها في داخل أوربّا وفي المُستَعمرات البعيدة وراء البحار، من أمريكا الشمالية والجنوبية إلى إفريقيا إلى جنوب وجنوب غرب آسيا وفي الجزر النائية في المحيطات، وأسفرت تلك المعارك عن اندحار أسبانيا والبرتغال، واستيلاء البريطانيين والفرنسيين عَلى معظم مُستَعمراتها لتصبح الدّولتان الأقوى في أوربّا الّتي صارت حضارتها الغربيّة الوريثة الطبيعيّة لحضارة الرُّوم.

وبوصول الإمبراطورية العُثْمَانِيّة لما أسلفنا من أسباب الضّعف، دخلت في حالة الاحتضار ودعيت في عرف السّياسة الدّولية آنذاك بـ(الرجل المريض)، وبدأت أوربّا الاستعماريّة، تتآمر عَلى تقاسمها، وتسن سكاكينها لتقسيم وابتلاع أشلائها، ودخل اليَهُوْد عَلى خط المؤامرة في هذه المَرحَلَة ليتولوا الدسائس، ويستولوا عَلى الجملة العصبية للروم الجدد (أوربّا وأمريكا)، وذلك بسيطرتهم عَلى عالم السّياسة والمال والفكر الإعلام والدعارة والجاسوسية!

أهمّ أسباب نهضة أوربّا واسترجاعها لواء الحضارة وقيام الحضارة الغربيّة وانطلاقتها الاستعماريّة منذُ مطلع القرن السَّادس عشر- باختصار-

الحملات الصّليبيّة عَلى المشرق ونقل خُلاصة التراث الحضاري الإِسْلَاميّ وما حفظته من حضارات المشرق في فارس والهند ووسط آسيا والإفادة من كلّ ذلك، ونشاط حركة الترجمة العلمية ودراسة أسباب الهزيمة في الحُرُوب الصّليبيّة، (منذ القرن الثّالث عشر).

سقوط القُسطَنْطينيَّة وهِجرَة العُلَماء والمكتبات وإرث الحضارة الرُّومانية إلى أوربّا، (خلال القرن الخامس عشر).

سقوط الأندلس ونهب مكتباتها الزاهرة وإكمال ما حصلوه من الحملات الصّليبيّة من وراثة مكوّنات الحضارة العربيَّة الإِسْلَاميّة، (منذ القرن السَّادس عشر).

الكشوف الجغرافيّة وتطور الأساطيل الأوربية وعودة فوائد ذلك من أرباح التجارة ولاسيما بعد اكتشاف رأس الرجاء الصّالح وتحويل طريق التجارة عن بلاد المُسلِمِين، وما جنوه من كنوز البلاد المفتوحة لاسيما العالم الجَدِيد (القارة الأمريكيّة) منذُ القرن السَّادس عشر).

اكتشاف البخار وتطوير السفن والقاطرات واكتشاف البارود والمتفجرات وتطوير الأَسْلِحة (منذ القرن السَّابع عشر).

الثَّورة الفرنسية نهايات القرن ١٨ عَلى الملكية وحلفها المقدّس مع الكنيسة وانطلاق الأفكار السّياسيّة والنهضة القوميّة الّتي أدت إلى سقوط النّظام الإقطاعي وتوحد الدّول القوميّة الكبرى كألمانيا وإيطاليا وفرنسا عَلى حساب الإمارات الصغيرة.

الثَّورة عَلى الكنيسة والتفلت من تحجرها وانطلاق العالم التجريبي والحريَّة الفكريّة بعد الثَّورة الفرنسية عَلى الملوك والكنيسة.

الثَّورة الصناعية في القرنين الـ (١٨) والـ (١٩) وثورة المخترعات العلمية وتطوير الآلة الصناعية المدنيّة والعسكريّة.

الرّوح العسكريّة والتوجه الإستعمار للغزو والفتوح والتَّضحِيَة وبذل الجهود في مختلف أقطار الأرض تحت قيادة ملوك مغامرين تواقين للمجد والثراء والتوسع.

وهكذا ولّدت هذه العوامل دولا استعماريّة قوية كانَ في طليعتها روسيا القيصرية الّتي اجتاحت جُيُوشها وسيطرت أكثر من نصف قارة آسيا، وبريطانيا الّتي شكلت إمبراطورية احتوت الصين والهند ومعظم أمريكا الشمالية ودول كثيرة أُخرى في آسيا وأفريقيا حتَّى أطلقوا عليها اسم (الإمبراطورية الّتي لا تغيب عنها الشّمس)، وفرنسا الّتي تليها في الانتشار والاتساع وكذلك أسبانيا الإمبراطورية والبرتغال اللتان كانتا سباقتان للانتشار الاستعماريّ ودول أُخرى كهولندا وبلجيكا وإيطاليا.

خلال القرن التّاسع عشر بدأت حُرُوب الإستقلال في أمريكا الشمالية وأسفرت الثَّورة الّتي قادها (جورج واشنطن) عن قيام الولايات المتحدة الأمريكيّة الّتي تكونت بعد الحُرُوب الأهلية التّالية لتنضم إلى جانب روسيا القيصرية ودول أوربّا الغربيّة إلى نادي الدّول الكبرى.

أدى الصِّرَاع الأوربي – الأوربي عَلى السياسات الأوربية وعلى الغنائم الاستعماريّة إلى اشتعال الحَرب العَالَمِيّة الأولى (١٩١٤-١٩١٨)، الّتي ذهب ضحيتها زهاء ستة ملايين إنسان! الّتي كانَ من نتائجها انهيار الإمبراطورية العُثمَانِيّة، حيث رسمت بَرِيطَانيَا وفرنسا خُطّة تقاسم تركتها، وامتدت لتصبح أكبر دولتين استعماريّتين، في التّاريخ ولاسيما بَرِيطَانيَا الّتي صارت إمبراطورية لا تغيب عنها الشّمس.

وهكذا انطلقت أوربّا بعد الحَرب العَالَمِيّة الأولى في الموجة الرَّئيسيَّة من الحملات الصّليبيّة الثّانية عَلى العالم الإِسْلَاميّ، والَّتي يمكن التّاريخ لها عمليا منذُ حملة نابليون عَلى مصر عام ١٧٩٨، رغم أن زحف الصّليبيّين عَلى أطراف العالم الإِسْلَاميّ كانَ قد بدأ منذُ مطلع القرن السَّادس عشر حيث احتلت البرتغال وأسبانيا وفرنسا وبريطانيا وهولندا كثيرا من المُستَعمرات في أطراف العالم الإِسْلَاميّ، ولكن ذروة الحملات كانت بعد اتفاقية سيكس – بيكو سنة ١٩١٧ م، بين فرنسا وبريطانيا.

أدى الصِّرَاع الاستعماريّ بين الدّول الأوربية ذاتها وظهور ألمانيا النازية وتكوينها محورا مناوئا للدول الأوربية بالتّعاون مع إيطاليا واليابان إلى نشوب الحَرب العَالَمِيّة الثّانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، وأدت هذه الحَرب الّتي حصدت زهاء من ٨٢ مليون إنسان إلى تحطيم البنى الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة للدول الاستعماريّة الأوربية وأعادت رسم خارطة أوربّا بشكلها الحالي تقريبا، كما أدت إلى ضمور الدّول الأوربية وبروز الإتحاد السوفييتي الّذي ورث روسيا القيصرية وأقام دولة شيوعية تحكم إرثها من موسكو، بعد الثَّورة البلشفية الشُّيُوعِيّة سنة ١٩١٧ م، وكذلك بروز الولايات المتحدة الأمريكيّة كأكبر دولتين من دول الرُّوم تسيطران عَلى مقدرات العالم، وورثت هاتان الدّولتان معظم الإرث الاستعماريّ الهام للدول الأوربية، وورثتا بذلك راية الرُّوم المعاصرين بصورة رئيسيَّة.

كما أسلفنا قام النّظام الدّولي الجَدِيد بعيد الحَرب العَالَمِيّة الثّانية وتقاسم الإتحاد السُّوفيتيّ بشكل رئيسي والولايات المتحدة وما تبقى من دول أوربّا القوية ؛ فرنسا وبريطانيا سيادة العالم مدّة نصف قرن.

إنهار الإتحاد السُّوفيتيّ بعد ورطته في أفغانستان وانفردت الولايات المتحدة الأمريكيّة الّتي نضجت قوتها العسكريّة لتصبح أقوى من مجموع أقوى ٩ دول عظمى عسكريّاً تليها في قائمة الدّول القوية كما تقول الدراسات الاستراتيجيّة، ولينضم اقتصادها ليكون أعلى اقتصاد قوي في الأرض، لتصبح بقدراتها العلمية والتكنولوجية وتعدادها الّذي ناهز ٣٠٠ مليون نسمة، وريثة حضارة الرُّومان كما أعلن قادتها، وهذه حقيقة.

وهرعت بَرِيطَانيَا (الدّولة الاستعماريّة العجوز المنحلة) لتدخل في فلكها بحكم وحدة اللغة والمذهب (البروتستنتي)، والتّاريخ المشترك، وصارت بقية الدّول الأوربية تابعة لها عبر حلف النّاتو، الّذي بدأ يلحق به معظم مكوّنات حلف وارسو من دول أوربّا الشرقية وحتى روسيا ذاتها، لتتحد جهود الرُّوم في الحملات الصّليبيّة الثّالثة عَلى العالم الإِسْلَامِيّ بقيادة أمريكا الّتي انطلقت منذُ إعلان قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد عام ١٩٩٠م وبلغت مداها منذُ نهاية القرن العِشرين ومطلع الألفية الميلادية الثّالثة، وهي أيّامنا هذه، حيث تولت أمريكا وحلفاؤها وذيولها المنافقون أن يملؤوا الأرض جورا وظلما.

السّيطرة اليَهُوْدية عَلى الرُّوم المعاصرين (الإتحاد السوفييتي البائد – أوربّا– أمريكا):

(١) - تسلط اليَهُوْد عَلى الإتحاد السوفييتي البائد وروسيا الحالية:

– الثَّورة البلشفية واليَهُوْد:

الثَّورة البلشفية يهودية التَّفكير والتخطيط والتّمويل والتنفيذ، ففيلسوفها ومفكرها هو ماركس، حفيد حاخام اليَهُوْدي (مردخاي ماركس)، وكذلك لينين، الّذي حول كلمات ماركس إلى واقع ثورة، وأمد الحركة الشُّيُوعِيّة بمؤلفاته هو يهودي كذلك.

جاء في قرار بني بيرث (أبناء العهد اليَهُوْدية) سنة (١٩٣٩) مايلي: (لقد نشرنا روح الثّوريّة التحريرية الكاذبة بين شعوب الغير، لإقناعهم بالتخطي عن أديانهم بل بالشّعوب بالخجل من

الإعلان عن تعاليم هذه الأديان، ونجحنا في إقناع كثيرين بالإعلان جهارا عن إلحادهم الكلي وعدم الإيمان بخالق البتة، وأغويناهم بالتفاخر بكونهم أحفاد القرود – نظريَّة داروين –، ثمّ قدمنا لهم عقائد يستحيل عليهم سبر أغوارها الحقيقيَّة: الشُّيُوعِيّة والفوضوية الّتي تخدم مصالحنا وأهدافنا.

وأما التّمويل فهو يهودي كما مر.

وكان (يح بروكلن) الحي الشرقي من نيويورك مسرحا لتخطيط للثورة، يتولاه (تروتسكي) ولا زال هذا الحي هو مركز التخطيط اليَهُوْدي العَالَمِيّ لتدمير البشرية.

وقد صدر في الأسبوع الأوّل للثورة قرار ذو شقين بحق اليَهُوْد:

- يعتبر عداء اليَهُوْد عداء للجنس السامي يعاقب عليه قانُونيّا.
- الاعتراف بحق اليَهُوْد في أنشاء وطن قومي في فِلَسطِين.

– المكتب السّياسيّ الأوّل للثورة البلشفية:

مكون من سبعة أشخاص خمسة من اليَهُوْد لأبوين وهم:

لينين: يهودي، وزوجته (تربسكايا) يهودية.

تروتسكي: يهودي.

كامينيف: يهودي.

سوكولنكوف: يهودي.

زينونيف: يهودي.

أما ستالين فزوجته يهودية اسمها (روزاكاجا نوفتش).

يبنوف: روسي وليس يهوديا، وهو الوحيد.

– الدّولة الّتي شكلها لينين سنة (١٩١٨م).

وهذه أول حكومة بعد الثَّورة:

الجهة	العدد الكلي	اليَهُوْد
الوزراء	٢٢	١٧
إدارة الحَرب	٤٣	٣٤
لجنة الشئون الداخليَّة	٦٤	٤٥
لجنة الشئون الخارجيّة	١٧	١٣
لجنة الصحافة	٤٢	٤١
مجموع كبار الموظفين	٥٣٢	٤٢٥

أي أن نسبة الموظفين (٨٠٪) من اليَهُوْد.

ولعلّ القارئ الكريم يحسب أن هذا كانَ في بداية الثَّورة، إلا أن الأمر استمر حتَّى يومنا هذا ففي سنة (١٩٦٥م) كتبت الكاتبة السُّوفيتيّة (نينا اليكسيفا): (عدد اليَهُوْد في الإتحاد السُّوفيتيّ لا يزيد عن واحد في المئة، وكلنهم يمثلون ستين في المائة من هيئة التدريس في المعاهد العليا والجامعات، وثمانين في المائة من مسؤولية التوجيه العقائدي في الحزب السّياسة الخارجيّة، وإن نائب رئيس الوزراء ورئيس المجلس الاقتصاديّ في الوسفيات يهودي)[١].

(٢) - مؤتمريالطة سنة (١٩٤٥م) وتسلط اليَهُوْد عَلى الدّول العظمى:

إثر الحَرب الثّانية اجتمع الأقطاب الثّلاثة (روزفلت، ستالين، تشرشل) وقرروا: محو النازية وتقسيم ألمانيا إلى مناطق احتلال بين الحلفاء، وتصفية الإمبراطورية اليابانية، وتشكيل حُكُومَات ديمقراطية في أوروبّا الشرقية، ودرسوا المذكرة الصّهيونيّة الّتي تتضمن:

- أن يفرض عَلى ألمانيا تعويضات قدرها (٥ مليارات) دولار توزع عَلى اليَهُوْد المتضررين في أوربّا والّذين نزحوا إلى أمريكا وفلسطين.

---

(١) (الذخائر ج١/ ٩٧١-٩٧٣)

- رفع جميع القيود عن الهِجرَة اليَهُوْدية إلى فِلَسطِين.
- منح اليَهُوْد المساعدات لإنشاء كيانهم السّياسيّ.

أما الأقطاب الثّلاثة فيهم يهود إما نسبا وإما ميولا وعاطفة.

فروزفلت: يهودي منحدر من أسرة يهودية اسمها (روزنبرغ)، ثمّ تحولت إلى روزفلت، وهاجرت من أسبانيا إلى أمريكا، وكان جده (كلينتون روزفلت) أحد ثلاثة كونوا لجنة لجمع الأموال لماركس وإنجليز لإخراج البيان الشُّيُوعِيّ، وقد قدم اليَهُوْد إلى الرَّئيس الأمريكيّ روزفلت ميدالية ذهبية مكتوب عليه:

(الرفاهية والحكمة لفرنكلين روزفلت نبينا الجَدِيد الّذي سيعيدنا إلى الأرض الميعاد).

أما ستالين: فهو يهودي نسبا، وزوجته يهودية اسمها (روزاكاجان فتش)، وقد بقيت هذه الحسناء اليَهُوْدية مع أسرتها تدير الإتحاد السُّوفيتيّ قرابة ثلاثة عقود حكم فيها ستالين، وقد كانَ (لازاركاجانوفتش) شقيق روزا مسيطرا عَلى ستالين ومولوتوف].

{ **وأما تشرشل** فهو من أخلص المتحمسين للفكرة الصّهيونيّة }(١).

(٣) - تسلط اليَهُوْد عَلى أوربّا:

كنت أمتلك في أرشيفي بعض المعلومات الإحصائية والدراسات حول هذا الموضوع، ولكني فقدتها في لندن بسبب هجرتي السريعة منها إلى أفغانستان، ثمّ فقدت القسم الآخر في أفغانستان إبَّان سقوطها.

ولكن خُلاصة ما أتذكره من ذلك هو السّيطرة الهائلة للوبيات اليَهُوْدية والصّهيونيّة عَلى عالم السّياسة والصحافة والإعلام والبنوك والمؤسسات الاقتصاديَّة في أوربّا عموما.

فمما أذكر عَلى سبيل المثال:

---

(١) (الذخائر ج١/ ٩٨١)

- نشرت مجلة (المشاهد السّياسيّ) وتصدرها الـ (BBC) في أحد أعدادها سنة ١٩٩٦، دراسة عن قوة اللوبي اليَهُوْدي في الحزبين البريطانيين الرَّئيسيين (حزب المحافظين) و(حزب العمال)، وخلصت إلى نتيجة، أن اليَهُوْد يسيطرون عَلى الحزبين بدرجة متقاربة ومدهشة، وتحيرت في السّؤال: من سيدعم اليَهُوْد في الإنتخابات بين الحزبين ؟! وكنت أمتلك المجلة في أرشيفي، وفيها تقرير إحصائي مهم.

- ولما كنت أدرس في فرنسا سنة (١٩٨٥) عقدت المنظمات والجَمعِيّات اليَهُوْدية مؤتمرا تحت شعار (سنة ٢٠٠٠- فرنسا يهودية!) وكان بالفرنسية: **L an 2000 La France est juif.**

ونشرت الصّحف دراسات عن انتشار اليَهُوْد في مختلف مؤسسات الدّولة فكانت إحصائية مدهشة! وقد قام حزب الجبهة الوطنيّة اليميني القومي الفرنسي المتطرف ضدّ اليَهُوْد والعرب والأجانب بنشر معلومات خطيرة عن هذا التغلغل اليَهُوْدي.

وقل مثل ذلك عن كلّ بلد آخر ويمكن تحصيل هذه المعلومات لمن أراد استزادة من الإنترنيت، ويكفي أن نرى مواقف الإتحاد الأوربي ومنها إعلانه المنظمات الفلسطينية ومنها حماس منظمات إرهابية، رغم اعتراف أوربّا بحق مقاومة الإحتلال، والشواهد كثيرة، رغم أن الشّعوب الأوربية بدأت تعلن تبرمها بهذا الوضع، حتَّى أعلنت إحصائية رسمية للاتحاد الأوربي أن زهاء ٦٠٪ من الشعب الأوربي يرى إسرائيل هيَ الخطر الأوّل عَلى السَّلام العَالَمِيّ، مما أثار ردة فعل عنيفة في أوساط اليَهُوْد الأوربيين وإسرائيل.

(٤) - تسلط اليَهُوْد عَلى أمريكا المعاصرة، وظاهرة المسيحيين المتهودين (الكنيسة الإنجيلية) و(المحافظون الجدد):

اكتشفت أمريكا سنة ١٤٩٢ميلادية، ولما بدأت أخبار خيرات العالم الجَدِيد تصل إلى مسامع النّاس في أوربّا، صارت عَلى مر ثلاث عقود تلت مهوى أفئدة المغامرين، والمنشقين والمطاردين في أوربّا، كما أصبحت منفى للمجرمين والمنفيين.

وأدرك اليَهُوْد الّذين كانوا يعانون في أوربّا من الظُّلم والاحتقار من النّصَارى، أهمية هذا العالم الجَدِيد بل اعتقد بعضهم أنها أرض الميعاد الّتي بشروا بها في كتبهم القديمة.

ولما ظهرت مناجم الذهب والثّروات الطائلة تحركت حاسة الشم والنهم لدى اليَهُوْد وبدؤوا بهِجرَة كثيفة نحو العالم الجَدِيد، وسرعان ما شكلوا جالية كبيرة وعملوا في مجالهم التّاريخي، المال والربا.

ولما استقلت أمريكا وبدأت تتكون الولايات المتحدة الأمريكيّة كانَ بعضهم قد حاز نفوذا في مجالات البنوك ورؤوس الأموال، والأعمال المصرفية، حتَّى تخوف وتنبأ أحد أوائل الرؤساء الأمريكان وهو (؟؟)، من نفوذ هذه الشرذمة وحذر منهم، وقال في وثيقة ما تزال محفوظة في مكتبة الكونغرس محذرا قومه منهم، بأنه يتوقع إلاّ يكبح جماح هذه الفئة ويحال بينها وبين طموحاتها وجشعها فإنه يتوقع إن يأتي عَلى أمته الأمريكيّة زمان يتحكم فيهم هَؤُلَاءِ ويملكون أقوّاتهم، وكنت أحتفظ بصورة عن مقولته تلك وهي شهيرة.

وفعلا آل الأمر إلى ماحذر منه، فقد لعب اليَهُوْد دورا ماليا بارزا في تمويل الدّول في الحَرب العَالَمِيَّة الأولى، ثمّ الثّانية، ودخلوا في تمويل نهضة التصنيع في أوربّا وأمريكا، ولم ينصرم القرن التّاسع عشر إلا واليَهُوْد يحتكرون تجارة المال والأعمال ولأعمال المصرفية في أوربّا وأمريكا، وصار لهم لوبي يتحكم بحملات الإنتخابات الأمريكيّة، والأوربية، وسيطروا عَلى قطاع الإعلام والصحافة في أمريكا كما أوربّا، وسيطروا عَلى صناعة السينما وعالم هوليود، ودسوا حسناواتهم ليكونوا عشيقات أو زوجات لكبار الشخصيات السّياسيّة والاقتصاديَّة! وقامت لهم الجَمعِيّات والمنظمات، وبلغ تعداد الجالية اليَهُوْدية في أمريكا أكثر من ثمانية مليون نسمة يقطن أكثرهم قلب الولايات المتحدة الاقتصاديّ (مدينة نيويورك) الّتي تعتبر من عواصم اليَهُوْد في العالم، ثمّ دخل اليَهُوْد وأبناء اليَهُوْديات مجال السّياسة بأنفسهم وصار منهم النواب في الكونغرس ومجلس الشُّيُوخ والوزراء وحتى الرؤساء!

ونظرا لاعتناق الغالبيّة من نصارى أمريكا المذهب البروتستانتي، الّذي يرتكز عَلى تفسيرات العهد القديم (التوراة) والكتب والأدبيات اليَهُوْدية، ولدت مدارس مذهبية جديدة تعتبر حب اليَهُوْد والعمل عَلى إعادة مجدهم لإسرائيل من أقرب القربات الدّينيّة.

وتطورت هذه المذاهب والجَمعِيّات وصار لها وسائلها الإعلاميَّة الكثيرة من مئات محطات الراديو والقنوات التلفزيونية والجرائد والمجلات، والكتاب ومراكز الدراسات والدّعوة...إلخ،

ثمّ ظهرت الكنيسة (الإنجيلية) وكان من أبرز معتقدات وجوب دعم إسرائيل كواجب ديني، والاعتقاد بأن معركة عالميّة ستقوم في سهل (هرمجدون) شمال فِلَسطِين بين اليَهُوْد المدعومين من ملوك النّصَارى، وبين المُسلِمِين، وأنها ستكون معارك يفنى فيها ملايين البشر، وهي مقدمة لعودة المسيح نزوله من السّماء لإنقاذ المُؤمِنِين به، واعتقد هَؤُلَاءِ أن نهايات القرن العِشرين أو أوائل القرن الحالي هيَ موعد لهذا الحدث، وكان الكثيرون من الساسة الأمريكان من اعتقد بهذه الطلاسم منهم الرَّئيس ريغان نفسه! وقد كتبت كتب عدّة حول هذا الموضوع وترجم بعضها للعربيَّة، (وللشيخ سفر الحوالي دراسات وكتب قيمة في هذا الموضوع لمن أراد استزادة).

ولذلك تلقت إسرائيل دعما لا متناهيا من أمريكا خلال الربع الأخير من القرن الماضي وما زالت، ثمّ ظهرت نهايات القرن الماضي في أمريكا مدرسة دينية سياسيّة ألعن في معتقداتها، أطلقوا عَلى أنفسهم (المحافظون الجدد)، وكان منهم إدارة الرَّئيس بوش الأب، وإدارة الحالية والرَّئيس الحالي جورج بوش الابن نفسه.

ويقيم هَؤُلَاءِ مذهبهم كذلك عَلى الأساطير التوراتية ووجوب إعادة بناء الهيكل ومملكة إسرائيل وأن الله يبارك أمريكا لقيامها بهذه المهمة، بالإضافة للأحلام الإمبراطورية في توسع أمريكا، وسيطرتهم عَلى الشّرق الأوسط متحالفين مع اليَهُوْد، وعلى سيادة حضارة العرق الأبيض، وضرورة إفناء الأعراق الأخرى، وتبنوا نظَرِيَّات (**صِرَاع الحضارات**) وأن الأرض لا تتسع لحضارتين، وأن عَلى **حضارة العرق الأبيض: النّصرانية الدّين، الدِّيمقراطيَّة السّياسة، الرأسمالية الاقتصاد، الإباحية الأخلاق والثّقافة،** أن تسحق الحضارات الأخرى وتخضعها وتفرض عليها دينها وثقافتها ونظامها،

بل إن المحافظين الجدد هَؤُلَاءِ والّذين يمكن تسميتهم بالصّليبيّين المتهودين، أعلنوا اتخاذهم من الإِسْلَام والمُسلِمين عدوهم الأوّل، وأعلنوا الصدام مع حضارتهم كقدر محتوم، بل قَالَ أحد كبرائهم: (نحن ورثة حضارة الرُّوم، وأعداؤها في التّاريخ أعداؤنا في الحاضر)، وصرح جورج بوش بأن حربه الحالية في الشّرق الأوسط حرب صليبيّة، ثمّ اعتذر وقال أنها زلة لسان، ثمّ زلّها الخبيث عدّة مرات متتالية! وقام أحد كبراء جنرالاته من القساوسة العاملين في التوجيه بالنيل من الإِسْلَام ومن رسول الإِسْلَام ﷺ بأسلوب يتماشى مع حقارة ذلك الجنرال الملعون، والشواهد تحتاج كتابا مفردا، وهي مشتهرة،

وهكذا سيطر اليَهُوْد عَلى الإدارة الحالية سيطرة تامة، وصار اليَهُوْد وأبناء وأزواج اليَهُوْديات وتلاميذهم أغلبية في مجلس الشُّيُوخ، والكونغرس، والحكومة، والمؤسسات، وصارت حربنا مع إسرائيل هيَ عمليا حرب مع أمريكا، أهلكهم الله.

هذا بإيجاز مختصر تاريخ الرُّوم منذُ نشأتهم وإلى يومنا هذا والّذي استمر زهاء ٢٥٠٠ سنة حتّى الآن وسيستمر إلى أن تقوم السَّاعة عَلى شرار الخلق، ويكون الرُّوم حينها أكثر النّاس، كما أخبر الصادق المصدوق عليه الصّلاة والسَّلام .

****

تطور النّظام الدّولي وخلاصة الصِّرَاع بين المُسلِمين والرُّوم
(٨هـ - ١٤٢٥هـ)(٦٢٩ م - ٢٠٠٤ م)

عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قَالَ: «ثمّ يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١).

وعن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «فَارِسُ نَطْحَةٌ أَوْ نَطْحَتَانِ ثُمَّ لَا فَارِسَ بَعْدَهَا أَبَدًا وَالرُّومُ ذَاتُ الْقُرُونِ أَصْحَابُ بَحْرٍ وَصَخْرٍ كُلَّمَا ذَهَبَ قَرْنٌ خَلَفَ قَرْنٌ مَكَانَهُ، هَيْهَاتَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ هُمْ أَصْحَابُكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ»(٢).

و عنه ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْكُمُ الرُّومُ، وَإِنَّمَا هَلَكَتُهُمْ مَعَ السَّاعَةِ»(٣).

لو أردنا أن نلخص صراعات الحضارة الإِسْلَاميّة وحُرُوبها مع أعدائها عبر التّاريخ منذُ قامت وإلى يومنا هٰذا، نجدها تثبت ما جاء في إخباره ﷺ بكل جلاء، فقد كانت مراحل الصِّرَاع عَلى الشّكل التّالي:

الصِّرَاع مع الرُّوم خلال الدّولة النّبويّة:

كانَ توجيه الرَّسُول ﷺ للمسلمين لجِهَاد الرُّوم (بني الأصفر)، هو الأساس لما تمَّ بعد ذلك، من استمرار لهذا الصِّرَاع الأزلي، وقد كانَ فاتحة ذلك كما رأينا في مؤتة (٨هـ - ٦٢٩م) بعد غدرهم برسول

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

(٢) رواه ابن أبي الشّيبة في مصنّفه (١٩٣٤٢)، وابن حمّاد في الفتن (١٣٤٦)، وقال الألباني: رجاله ثقات لكنه مرسل وعليه فهو ضعيف (الضعيفة - ٣٩٩٩).

(٣) رواه أحمد (١٨٠٢٣) وضعفه الأرنؤوط، والألباني في (الضعيفة-٢٧٨٤).

رسول الله، ﷺ، ثمّ تبوك، ثمّ تجهيز رسول الله ﷺ، لجيش أُسَامَة لغزو الرُّوم، وإشرافه بنفسه الشريفة عليه، إلى آخر رمق في حياته، حيث كانَ من آخر كلامه الشريف كما جاء في الآثار الشريفة: «أنفذوا بعث أُسَامَة.. لعن الله من تخلف عنه»[1]..ومنذ ذلك الحين ما تزال رحى هذه المُوَاجَهة الأزلية دائرة.

الصِّرَاع مع الرُّوم في دولة الخُلَفَاء الرّاشدين:

يتبين مما سبق، أن الصِّرَاع مع الرُّوم، كانَ احد شقي الجهد الأساسي للمُوَاجَهة في زمن الرّاشدين، وبعد زوال فارس ودخولها في الحضارة الإِسْلَاميّة خلال عهد عمر وعهد عثمان رضي الله عنهما، صارت المُوَاجَهة مع الرُّوم هيَ المحور الأساسي، حيث تميزت المُوَاجَهة الإِسْلَاميّة بالطابع الهجومي، وكما رأينا ذلك تفصيلا في فصل التّاريخ، فقد انتزع المُسلِمُون خلال مدّة وجيزة من الرُّوم؛ بلاد الشّام ومصر، ومعظم ممتلكات الرُّوم البيزنطيين في شمال إفريقيا، وهددوا عاصمة الرُّوم (القُسطَنْطينيَّة) ذاتها في ولاية عثمان ﷺ، بل دخلوا الأندلس عَلى الرُّوم الغربيّين، وإن لم يمكثوا فيها.

الصِّرَاع مع الرُّوم في العصر الأموي:

وكما فصلنا في فصول سابقة أن الصِّرَاع مع الرُّوم كانَ هو المحور الأساسي لحُرُوب الدّولة الإِسْلَاميّة إلى جنب حركتهم شرقا في بلاد السند (باكستان) وكرمان (بلوشستان)، سجستان (إيران)، وخراسان (أفغانستان)، وبلاد ما وراء النهر (وسط آسيا)، وتميز الصِّرَاع آنذاك بأنه طور هجومي، واستطاع فيه المُسلِمُون انتزاع كامل شمال إفريقيا من الدّولة البيزنطية، وانتزاع الأندلس من ملول (القوط)، ودخلوا بلاد الفرنجة (الغال) وهي فرنسا فدخلوا مدنها تولوز وليون وبوردو، حيث توقف الزَّحف عند مدينة (تور) شمال غرب فرنسا!!

---

(١) أورده الألباني في الضعيفة (٤٩٧٢) وقال منكر.

وهكذا شمل الصِّرَاع الرُّوم الشرقيين (البيزنطيين) والغربيّين (ممالك غرب أوربّا)، كما استولى المُسلِمُون خلالها عَلى بعض جزر المتوسط، وحاصروا القُسطَنْطينيَّة عدّة مرات، ولم يكن للروم مبادرات هجومية مهمة خلال المَرحَلَة الأموية، وكان أهمّ ذلك:

- **غارات الجراجمة (المردة):**

أغار الجراجمة عَلى الثُّغُور الإِسْلَاميّة في عهد عبد الملك بن مروان سنة ٧٠هـ بتحريض من الرُّوم، مهتبلين انشغاله بحرب ابن الزبير وقمع الفتن الّتي ثارت في عهده، وقد عالجهم عبد الملك بالمال، فقد فاوض الإمبراطور البيزنطي جوستنيان الثّاني عَلى أن يدفع له ألف دينار كلّ أسبوع، عَلى أن يتخلى عن مساعدتهم في غاراتهم.

- **غارات الرُّوم البحرية:**

أغار الأسطول البيزنطي عَلى الأسطول العربيّ سنة ١٢٩هـ وهزمه، وتمكن الأسطول البيزنطي من الاستيلاء عَلى قبرص.

وخلال هذه الفترة دخل المُسلِمُون في صِرَاع مع الترك الوثنيين في وسط آسيا، وواصل القائد الفاتح (قتيبة بن مسلم) حتَّى فتح أفغانستان وبلاد ما وراء النهر وتركستان الغربيّة والشرقية ووصل إلى تخوم الصين مضيفا إلى رقعة الدّولة الإِسْلَاميّة نحو (٥ مليون) كيلومتر مربع، فيما كانَ نظراؤه يتقدمون في فتح بلاد السند وشمال الهند، لتصل الدّولة الإِسْلَاميّة خلال الخِلافَة الأموية لأقصى اتساعها عبر الفتوح.

الدّولة العبّاسيّة والصِّرَاع مع الرُّوم:

أولاً: الصِّرَاع مع الرُّوم خلال المَرحَلَة العبّاسيّة الأولى (مرحلة القوّة):

كما رأينا تفصيلا، فقد كانَ الصِّرَاع مع الرُّوم هو المحور الأساسي، وشبه الوحيد خلال تلك الفترة، وقد كانَ في بدايته هجوميا عبر نظام الصوائف والشواتي، ثمّ تحول دفاعيا بشكل شبه كامل

تقريبا، وكثرت غارات الرُّوم عَلى خط الدّفاع الطويل معهم، والممتد من تخوم الجَزِيرَة شرق الأناضول وإلى شمال الشّام وصولا إلى أنطاكية والبحر المتوسط شمال غرب الشّام.

وكان من أهمّ الغارات الّتي تعرضت لها الدّولة خلال تلك الفترة:

* غارات الخزر مع جموع من الترك عَلى أرمينية سنة ١٤٧هـ وسبيهم المُسلِمِين وأهل الذمة وتخريبهم مدينة تفليس (عاصمة جورجيا اليَوْم)، ثمّ غارتهم ثانية سنة ١٨٣هـ.

* غارات قراصنة البحر (الميذ) عَلى البصرة سنة ١٤٨هـ وسنة ١٤٩هـ وسنة ١٥٣هـ وسنة ١٧٨هـ وسنة ١٧٩هـ وسنة ٢٢٥هـ وسنة ٢٢٧هـ وسنة ٢٣١هـ.

* وغارتهم عَلى جدة سنة ١٥١هـ.

* غارات الرُّوم بمراكبهم عَلى دمياط (مصر) سنة ٢٣٨هـ.

أما الرُّوم الغربيّون (ممالك أوربّا الغربيّة) فقد كانت الهدنة هيَ طبيعة العلاقة معهم، وقد تحولت لعلاقات حسنة أحيانا كما كانَ بين الرَّشِيد وشارلمان مللك بلاد الغال (فرنسا الحالية) حتَّى تبادلوا الهدايا.

ثانياً: صِرَاع العبّاسيين والدّول الإِسْلَاميّة المستقلة مع الرُّوم منذُ العصر العبّاسي الثّاني، وإلى قيام الدّولة العُثْمَانِيّة (٢٤٧هـ - ٩٢٢هـ):

لم يتوقف الصِّرَاع مع الرُّوم بشقيهم، الشرقي (الرُّوم البيزنطيين)، والغربيّ (ممالك أوربّا المسيحية)، وكما أسلفنا فقد غلب عليه منذُ انصرام العصر الذهبي للدولة العبّاسيّة، الطابع الدّفاعي، إلا في حالات قليلة، والحقيقة أنه مع ضعف الخِلافَة المركزية لبني العبّاس في بغداد، تصدت الدّول المستقلة، كما مر معنا في ثنايا مختصر تاريخها لشرف مهمة الجِهَاد، دفعا وطلبا، وحماية الحوزة والدّفاع عن ديار المُسلِمِين وأنفسهم وأعراضهم.

فوجدنا السلاجقة في بلاد الري والأناضول، يجاهدون الرُّوم البيزنطيين بضراوة، وكذلك فعل الحمدانيون، في شمال غرب بلاد الشّام. ولما قامت الدّولة الأتابكية، قام الزنكيون بجِهَاد الصّليبيّين

الّذين قدموا من ممالك أوربّا، ولم يأل قيصر القُسطَنْطينيَّة في دعمهم عَلى مدى قرنين من الزّمان، فلما قامت دولة الأيوبيين ورثوا من أولاد عمومتهم

الزنكيين مهمة الشرف تلك، فلما ورث المماليك حكم مصر والشّام، ورثوا معها إتمام المهمة الشريفة، ونظفوا بلاد الشّام من دنس الصّليبيّين نهَائِيًّا، فيما كانَ السلاجقة مستمرين بجِهَاد الرُّوم في آسيا الصغرى، حتَّى قام العُثْمَانِيّون من أحفادهم وحملوا شرف الرّاية الّتي كانت ما تزال خفاقة يحملها الملوك والأمراء المختلفون رغم ما اعتورهم من فسوق وصراع عَلى الملك، وقد مر معنا ذكر طرف منها.

أما في مغرب بلاد المُسلِمِين، فما زال الأمر كذلك كما رأينا، فقد قام الأغالبة، والموحدون، والمرابطون، وغيرهم مت ملوك وأمراء ممالك المغرب الأقصى بالدّفاع عن الإِسْلَام والمُسلِمين، كلما سولت للروم - بشقيهم - أنفسهم أن يهاجموا ديار الإِسْلَام، وأما في دولة الأندلس، فما فتئت غبار الحَرب معقودة بين المُسلِمِين، ونصارى أسبانيا المدعومين من ملوك أوربّا، إلى أن استطاعوا في النهاية أن يديلوا دولة الإِسْلَام هناك بعد أن دبت الفرقة والضلال، والتّعاون مع النّصَارى في ملوك الطوائف، عندما استباحوا أن يستنصروا بهم عَلى بعضهم، فسلطهم الله عليهم وادالوا دولتهم.

وهذا استمرت السنة مضطردة، إلى أن تسلم راية جِهَاد الرُّوم، الدّولة العُثْمَانِيّة الإِسْلَاميّة الناشئة الّتي كانت تدك حصون القُسطَنْطينيَّة في مشرق المُسلِمِين، فيما كانَ الرُّوم الغربيّون يدكون حصون غرناطة في مغربها عَلى شواطئ الأطلسي، لتبتدئ حقبة جديدة من هذا الصِّرَاع الأزلي بيننا وبين الرُّوم.

الدّولة العُثْمَانِيّة والصِّرَاع مع الرُّوم:

ثمّ ولدت الدّولة العُثْمَانِيّة من أحفاد السلاجقة الأتراك، في الأناضول، وتمكن السُّلطَان محمّد الفاتح من دك أسوار القُسطَنْطينيَّة بمدافع زنة قذائفها يصل إلى (٣ طن) سنه (١٤٥٢) م! بعد أن نهضت الدّولة العُثْمَانِيّة نهضة وازت وفاقت نهضة الرُّوم البيزنطيين ودول أوربّا المتطورة آنذاك.

وشكل سقوط القُسطَنْطينيَّة زلزالا عَلى مستوى التّاريخ، حتَّى اعتبره المؤرخون نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة، وحق لهم، فقد كانَ هذا سببا في انسياح العُثمَانِيّين في الفتوح شمالا وجنوبا وغربا، ونهضتهم حتَّى وصلت دولة الإِسْلَام تحت راياتهم إلى الحجم الإمبراطوري وأعادت توحيد أجزاءها تحت خليفة واحد، بعد أن نقل العُثمَانِيّون الخِلافَة إليهم وجعلوا مركزها القُسطَنْطينيَّة الّتي غدا اسمها (إسلام بول) أي مدينة الإِسْلَام تلك الّتي صار اسمها فيما بعد (إسطنبول).

كما كانَ بداية نهضة الدّول الأوربية وما تلا ذلك من الثَّورة الصناعية والثورات الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، وبذلك ولدت دول أوربية حديثة ذات بأس، حيث تولت الصِّرَاع مع دولة الإِسْلَام آنذاك وهي الخِلافَة العُثمَانِيّة.

وقد انساحت جُيُوش العُثمَانِيّين تفتح بلاد اليونان وسواحل البحر الأسود والبلقان ودول شرق أوربّا، حتَّى وصلت إلى أسوار (فيينا) عاصمة النمسا، أواخر القرن السَّابع عشر حيث توقفت، وبدأت أوربّا هجومها الصّليبيّ المعاكس الثّاني.

وفيما كانَ الأتراك ينساحون في أوربّا وآسيا بعد فتح القُسطَنْطينيَّة عام ١٤٥٢، كانت جُيُوش النّصَارى تحاصر آخر ممالك المُسلِمِين في الأندلس، لتسقط آخر معاقل الإِسْلَام في أوربّا الغربيّة (غرناطة) سنة ١٤٩٣، وليتأجج الصِّرَاع بين العُثمَانِيّين ودول أوربّا الاستعماريّة، الّتي حملت مشعل حضارة الرُّومان الصّليبيّن بعد الإمبراطورية البيزنطية الرُّومانية من القُسطَنْطينيَّة، وهكذا استمر الصِّرَاع بين الإِسْلَام والرُّوم طيلة فترة الخِلافَة العُثمَانِيّة، إلى أن تمكنت الدّول الأوربية من إسقاطها وإعلان ذلك عام ١٩٢٤، حيث تقاسمت الدّول الاستعماريّة إرثها، وهو مجموع بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، فيما تقاسمت من دول العالم.

العالم الإِسْلَاميّ بعد سقوط الخِلافَة العُثمَانِيّة والصِّرَاع مع الرُّوم:

لم يتوقف صِرَاع المُسلِمِين مع الرُّوم بغياب المُسلِمِين كقوة سياسيّة عن المسرح الدّولي بسقوط العُثمَانِيّين، لقد استمر صِرَاع الإِسْلَام ممثلا بالشّعوب الإِسْلَاميّة وحركاته الجهاديّة والتحررية ضدّ

قوى دول أوربّا الاستعماريّة في كافّة بلدانه، ففي أقصى مشرق المُسلِمِين، انساحت جُيُوش الرُّوس لتسقط العواصم الإِسْلَاميّة في آسيا، فاستولت قوَّاتهم عَلى بلاد البشكير وتتارستان والقرم وشرق البحر الأسود وسيبيريا والقفقاس، ثمّ زحفوا عَلى جمهوريّات وسط آسيا وأسقطوا عواصمها الكبرى بعد مقاومة ضارية وخسائر مليونية، وسقطت تركمانستان وأوزبكستان وكازاخستان وقيرغيزستان وطاجيكستان، وعواصم الإِسْلَام الشهيرة مرو / بخارى / ترمذ / طشقند، ما بين مطلع القرن ١٦ وعام ١٩٠٤ حيث استقرت جُيُوش روسيا القيصرية عَلى ضفاف نهر جيحون الّذي يشكل حدودها مع أفغانستان، الّتي كانت في مجال النفوذ الإنكليزي.

وبعد أن استولت دول أوربّا عَلى بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ في آسيا وأفريقيا استمر المُسلِمُون في صراعهم مع الرُّوم الجدد متمثـلين بالدّول الاستعماريّة الكبرى وعلى رأسها بَرِيطَانيَا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا وهولندا والبرتغال وبلجيكا، وغيرها، حيث تقاسمت هذه الدّول احتلال العالم، وكان نصيب الأسد فيها لبريطانيا ثمّ فرنسا، حيث قسمت وزارتا المُستَعمرات في (باريس / لندن) إرث الدّولة العُثْمَانِيّة، وخاصة بلاد العالم العربيّ، فيما عرف بمؤامرة أو اتفاقية (سيكس ـ بـيكو) الّتي أبرمت سنة ١٩١٩، ولتُـدخل بَرِيطَانيَا في الصِّرَاع مع المُسلِمِين عاملا جديدا هم اليَهُوْد، بَاطِلَاق الوزير البريطاني (بلفور) وعده المشؤوم، بجعل فِلَسطِين وطنا قوميا لليهود، وهكذا رزحت بلاد الهند والسند (باكستان) وأفغانستان وإيران وجنوب شرق آسيا وكثير من الدّول الإِسْلَاميّة، وفيها الجَزِيرَة العربيَّة والسُّودَان ومصر والعراق والأردن وفلسطين، تحت الإحتلال الإنجليزي، ورزحت كلّ من سوريا وفيها لبنان وتونس والجَزَائِر وأجزاء من المغرب وقسم من القرن الأفريقي تحت الإحتلال الفرنسي، وأخذت أسبانيا أجزاء من المغرب وموريتانيا وبعض البلاد الأفريقية كما أخذت إيطاليا ليبيا وأجزاء من القرن الأفريقي.

وكانت أغلب بلاد وسط أفريقيا الإِسْلَاميّة قد سقطت تحت احتلال تلك الدّول الأوربية قبل ذلك، وكانت حصة الأسد فيها لفرنسا كما سقطت جزائر المحيط الهندي والهادي من الفلبين إلى إندونيسيا إلى سنغافورة إلى تيلاند وماليزيا وبورما وبنجلادش، تحت احتلالها أيضا قبل ذلك، وقد

شكلت المَرحَلَة الاستعماريّة تلك ميدانا للصراع بين الشّعوب الإِسْلَاميّة والرُّوم ممثلين بدول أوربّا الاستعماريّة، ولم تخف الدّول الاستعماريّة اليَهُوْدية الرُّومانية الرّوح الصّليبيّة في حركتها الاستعماريّة تلك وقد ظهرت في كثير من تصريحاتهم، ومن ذلك: أن القائد البريطاني (اللورد اللنبي) لما ركز علمه ذي الصّليبيّن فوق جبل الزَّيتون في بيت المَقْدِس صرخ قائلا: (الآن انتهت الحُرُوب الصّليبيّة)، بروح الثأر لهزيمة أجداده عَلى يد صلاح الدّين الأيوبي، أما (غورو) الجنرال الفرنسي فقد كانَ من باكورة أعماله أن زار قبر صلاح الدّين وضربه بالسيف وكسر قطعة حجر منه ما تزال محفوظة في المتحف الحَربي بدمشق، ليقول له: (ها قد عدنا يا صلاح الدّين)، أما الإيطاليون فقد كانَ نشيدهم العسكريّ أيّام احتلال ليبيا، ينضح بالأحقاد الصّليبيّة ويفتخر بذهاب الجند لقتل المُسلِمِين، والأمثلة كثيرة عَلى الرّوح الصّليبيّة لحركة الإستعمار الحديث .

الصِّرَاع بين الرُّوم أنفسهم بعد غياب المُسلِمِين عن مسرح القوى الدّولية وتحولهم إلى غنائم استعماريّة:

وهكذا تغير شكل النّظام الدّولي ليصبح مجال الصِّرَاع فيه بين الرُّوم أنفسهم عَلى الغنائم الاستعماريّة والسياسات الأوربية، مما أشعل حربين عالمتين مدمرتين، استمرت الأولى مابين (١٩١٤ ـ ١٩١٨) وأزهقت فيها أوربّا زهاء ٩ ملايين نفس، وتمكنت ألمانيا فيها من جر الدّولة العُثمَانِيّة الّتي تولى زمام أمورها (الماسون) ويهود الدونمة فجرتها إلى دخول الحَرب إلى جانبها، مما برر تقاسم أشلائها بخسارة ألمانيا الحَرب وكذلك حليفتها الدّولة العُثمَانِيّة المتهاوتة.

ثمّ اشتعلت الحَرب العَالَمِيّة الثّانية ما بين (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) لتزهق أوربّا بالإضافة إلى روسيا وأمريكا زهاء ٨٢ مليون نفس بشرية ولتسفر تلك الحَرب عن تدمير بنية أوربّا التحتية، اقتصاديا واجتماعيا، لتسمح بميلاد قوتين عظيمتين استعماريّتين جديدتين عَلى وجه الأرض هما (روسيا / أمريكا) حيث تسابقت دول أوربّا لتنتمي إلى حلف إحدى هاتين الدّولتين فدخلت دول شرق أوربّا مع الإتحاد السُّوفيتيّ مكونة حلف وارسو بزعامة موسكو، ولتدخل معظم دول أوربّا الغربيّة في حلف

أمريكا مكونة حلف النّاتو بزعامة واشنطن ولتبدأ مرحلة جديدة من مراحل النّظام الدّولي يقوم فيها الصِّرَاع بين هذين القطبين حيث لم يعد للمسلمين وجود عَلى المسرح الدّولي كقوة تمثل طرفا، لأَنّهم صاروا في قصعة الغنائم، تـتـناهبهم تلك الدّول وتديرهم في فلكها عَلى دأب أجدادهم من الغساسنة والمناذرة.

النّظام العَالَمِيّ الحديث وقـيام الإمبراطوريتان الـسوفييتية والأمريكـيّة وصراعهما عَلى النفوذ:

كما أسلفنا أدت الحَرب العَالَمِيّة الثّانية إلى دمار أوربّا وتقهقر دولها الاستعماريّة عن مرتبة الصدارة، وبروز قوتين عظيمتين هما الإتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكيّة، ومن ثمّ دخلت دول أوربّا الشرقية كشبه مُستَعمرات للإتحاد السوفييتي لتشكيل حلف وارسو وما يسمى بالمُعَسْكَر الشرقي، ولتدخل أوربّا الغربيّة وعلى رأسها بَرِيطَانيَا وفرنسا في حلف أمريكا وتكون حلف النّاتو أو المُعَسْكَر الغربيّ، وقد أسفرت الحَرب العَالَمِيّة الثّانية عام ١٩٤٥ عن إعادة رسم ميزان القوى في العالم عَلى هذا الأساس، وأُنشأت عصبة الأمم المتحدة من الدّول الكبرى لوضع أساس لنظام دولي عالمي جديد في حينها، ثمّ تعدلت لتقوم هيئة الأمم المتحدة، ونهضت الصين كقوة اقتصاديَّة ونووية وبشرية وفرضت نفسها في مصاف الدّول العظمى، لتكوّن مع أمريكا والإتحاد السُّوفيتيّ وفرنسا وبريطانيا الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن، المؤسسة الأهم المنبثقة عن هيئة الأمم المتحدة.

وبدأت الحَرب الباردة بين القطبين في مجالات التجسس وسباق التسلح وصراع النفوذ في إلحاق أكبر قدر ممكن من دول العالم الثّالث تلك في فلك هذا الحلف أو ذاك.

وكانت الثَّورة البلشفية الشُّيُوعِيّة قد قامت في روسيا سنة ١٩١٧ وحل الإتحاد السوفييتي بفلسفـته اللينينية الماركسية محل روسيا القيصرية، ودعم الإتحاد السوفييتي بعيد الحَرب العَالَمِيّة الثّانية حركات التحرر في البلدان الّتي لم تكن قد استقلت عن الدّول المُستَعمرة خلال الثورات الّتي قامت عليها في مرحلة ما بين الحَربين، كما انتشر الفكر الإشتراكي والشُّيُوعِيّ في كثير من الدّول وحمل مبدأ



الثَّورة عَلى الدكتاتوريات المدعومة من قبل الدّول الاستعماريّة لاسيما أمريكا ودول أوربّا الغربيّة، ودعم الإتحاد السوفييتي تلك الحركات وأدى الصِّرَاع عَلى النفوذ بين أمريكا والإتحاد السُّوفيتيّ إلى قيام نظام الحُرُوب بالوكالة بدعم الرُّوس السوفييت لتلك الحركات.

وقد أدت حُرُوب الوكالة وصراعات النفوذ إلى اكتساح السوفيـيت لمعظم دول العالم الثّالث ولاسيما في كثير من دول إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وقد رسخ السوفيـيت أقدامهم في بلاد عربيَّة مهمة مثل العراق وسوريا ومصر واليمن الجنوبي وليـبيا والجَزَائِر والقرن الأفريقي.

وقد قامت تبعا لذلك عدّة حُرُوب بالوكالة تقاتلت فيها دول متعددة أو حتَّى شعوب دولة واحدة في صِرَاع النفوذ هٰذا، كتـلك الّتي قامت في كوريا والفيتنام والقرن الأفريقي واليمن الشمالي والجنوبي ولبنان وكذلك العديد من دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

كما لعبت الدّولتان عَلى حبل الصِّرَاع العربيّ الإسرائيلي بالدعم السافر من قبل أمريكا لإسرائيل وتمثيل السوفييت دور دعم الجانب العربيّ، والملاحظ أن كثيرا من تلك الحُرُوب والثورات قد ضيقت مجالات النفوذ الأمريكيّ حتَّى يمكن القول أن حصيلة جولات الملاكمة تلك بين أمريكا والسوفيـيت الرُّوس قد أبرزت تفوق الرُّوس بالنقاط في معظم تلك الجولات، إلى أن ارتكب الرُّوس في نشوة الظفر والتقدم تلك غلطتهم التارِيخِيَّة القاتلة فأقدموا عَلى احتلال أفغانستان عام ١٩٧٩ بصورة شبه مكشوفة إثر سلسلة انقلابات شيوعية مدعومة من قبلهم عَلى الملكية فيها منذُ عام ١٩٦٥، وهكذا حققوا في قفزة استراتيجية نصف الطّريق إلى الحلم القيصري بوصولهم إلى المياه الدافئة في الخليج العربيّ إذا لم يبق بينهم وبينه من فاصل إلا مثلث بلوشـستان الباكستاني الإيراني بمسافة لا تزيد عن ٥٠٠ كيلومتر.

وبدا وكأن أمريكا قد قبلت الأمر الواقع وسلمت ولم تبد حراكا يذكر رغم صفارات الإنذار باقتراب الخصم اللدود إلى منابع النّفط الّتي يتحكم من يسيطر عليها باقتصاديات العالم الرَّئيسيَّة، ولم يتوقع أحد المفاجأة الّتي حصلت وقلبت وجه العالم بل ذهبت به إلى مرحلة تارِيخِيَّة جديدة عصفت بكل ثوابته القديمة.

هزيمة روسيا في أفغانستان وانهيار الإتحاد السوفييتي، وقيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد بزعامة أمريكا كقطب أوحد ينفرد بمقدرات السّياسة والاقتصاد في العالم:

لم يدر في خلد أحد من صناع السّياسة وعباقرة العسكريّة وأفذاذ المفكرين أنه يمكن لشعب يشغل المرتبة الرَّابعة في قائمة أفقر شعوب العالم، يمكن له أن يصمد لأقوى قوة عسكريّة في الأرض ومتاخمة له بحدود يزيد طولها عَلَى ١٠٠٠ كيلومتر توفر له إمدادا لوجيستيا نموذجيا ومباشرا، ولكن شاء الله أن تتحقق المعجزة، فقد صمد الأفغان لعملاء الرُّوس من حكامهم منذُ عام ١٩٦٥ إلى ١٩٧٩ مما سبب الإطاحة بالانقلابات الواحد تلو لآخر، ثمّ صمدوا للغزو المباشر والمُوَاجَهة العسكريّة الشرسة مع الآلة العسكريّة السَّاحقَة للجيش الأحمر ثلاث سَنَوات (١٩٧٩ ـ ١٩٨٢) حتَّى اقتنعت الإدارة الأمريكيّة وحلفاءها في النّاتو بأن هناك فرصة تارِيخِيَّة لتحطيم الجيش الأحمر السوفييتي عَلَى قمم وسفوح الهندوكوش بصورة أسوأ كثيرا مما فُعل بالجيش الأمريكيّ في فيتـنام، فقرر الكونغرس سنة ١٩٨٢ تبني الجِهَاد الأفغاني وركوب موجته.

وأدى الإذن الأمريكيّ بدعمه والأمر بذلك لحلفائهم الأوربيـين وأذيالهم من دول العالم الإِسْلَاميّ، ولاسيما دولا رئيسيَّة مثل الباكستان الّتي تزيد حدودها مع أفغانستان عن ٢٢٠٠ كيلومتر والسّعُودِيّة الّتي تتمتع بنفوذ المرجعية والحرمين عَلَى المُسلِمِين، ومصر ذات الوزن الإستراتيجي في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وسواها من الدّول إلى فتحت أبواب كافّة أنواع الدّعم بالمال والسّلاح للجِهَاد الأفغاني، فقد ساهمت أمريكا وحلفاؤها الأوربيون بحصص مالية كبيرة وألزمت دول الخليج ولاسيما السّعُودِيّة بدفع حصص كبيرة من الدّعم، وانفتح البَاب أمام كلّ من أراد من المُسلِمِين دعم الجِهَاد الأفغاني، وفتحت الباكستان سفاراتها أمام من يريد الذهاب إلى هناك، وخفضت بعض شركات الطيران العربيَّة قيمة تذاكر السفر أمام من يريد الجِهَاد! فقد كانَ ثمة إجازة من أمريكا، واستفادت الحركات الإِسْلَاميّة ولاسيما الجهاديّة من الفرصة فتواجدت في السَّاحَة وخاضت معركة نصرة المُسلِمِين، بالمختصر؛ لقد قدر الله أن تتوفر كلّ الظّروف للانتصار المذهل، وليس هنا مقام

التّاريخ لهذه التَّجربة الفريدة في تاريخ المُسلِمِين بل والعالم في حيثياتها وما نتج عنها، وهو موضوع مهم جدا يحتاج أسفارا خاصّة به، ولكن المتعلق بموضوعنا هنا أن نقول أن النزاع بين الجيش الأحمر السوفييتي وحلف وارسو برمته وبين المُسلِمِين عَلى أرض أفغانستان، أسفر عن نصر مذهل أجبر الرُّوس عَلى جر أذيال الخيبة والهزيمة والانسحاب من أفغانستان بعد عشر سَنَوات، أي عام ١٩٨٩ متكبدين عشرات آلاف القتلى والجرحى وتاركين وراءهم أشلاء أكثر من ٥٠,٠٠٠ آلية عسكريّة فضلا عن حطام مئات الطائرات.

وهكذا ربحت أمريكا آخر جولة في الحَرب بالوكالة مع السوفييت بالضربة القاضية حيث قام المُسلِمُون بلكم الإتحاد السوفييتي تلك اللكمة! وكانت الحصيلة لصالح أمريكا، وكانت نقطة البداية لانهيار المُعَسْكَر الشرقي وانفراد أمريكا بالسّيطرة عَلى العالم وتمكنها من إعلان النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد.

وتدحرجت الكرة بسرعة إذ أُجبر الرُّوس عَلى إعلان تفكك الإتحاد السوفيـيتي، وحل حلف وارسو وإزالة جدار برلين بين الألمانيـتيـن، وسرعان ما استقلت الجمهوريّات المتعددة عن روسيا وسقطت الأنظمة الشُّيُوعِيّة في دول أوربّا الشرقية تباعا كأحجار الدومينو، وقام محلها أنظمة سارعت للارتماء عَلى أعتاب القوّة العظمى الوحيدة في العالم أمريكا.

وهكذا تغيرت معطيات النّظام الدّولي ليقوم عَلى أنقاضه مرحلة جديدة يمكن التّاريخ لبدايتها بـ ١٩٩٠م موعدا لانطلاق ما سمي بـ (النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد).

واجتمع (غورباتشوف) الّذي أشرف عَلى حلّ الإتحاد السوفييتي بـ (مرغريت تاتشر) رئيسة وزراء بَرِيطَانيَا آنذاك بالرَّئيس الأمريكيّ (ريغان)، ليعلنوا أن الإِسْلَام وحضارته وشعوبه هم العدوّ المقبل للحضارة الغربيّة، وطرحت فكرة توسيع حلف النّاتو ليشمل روسيا ودول أوربّا الشرقية، أي دمج (وارسو) في (النّاتو) عمليا ولما سُئل عن جدوى ومعنى بقاء حلف النّاتو بعد زوال المُعَسْكَر الشرقي، ولم لا يحول لحلف اقتصادي وثـقافي؟ أجاب القائمون عليه بأن هناك ضرورة لتقويته وتوسيعه لمُوَاجَهة الخطر القادم والمتمثل بالإِسْلَام والأصوليَّة الإِسْلَاميّة، ثمّ خلف (كلينتون)(ريغان) ليعلن انطلاق حملات مُكَافحَة الإِرهَاب الإِسْلَاميّ، وبدأت أمريكا رسم سياسات العالم والتدخل في

مصائر شعوبه ودوله، ومن أبرز الآثار الّتي نتجت عن قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد عَلى العالم العربيّ والإِسْلَاميّ ما يلي:

استدراج أمريكا للعراق لغزو الكويت وتزعم أمريكا وبريطانيا ودول النّاتو لحلف دولي من ٣١ دولة، حيث أُلزمت بعض الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة بالدخول في غزو العراق والخليج، حتَّى وصل الحشد إلى ما يقارب المليون جندي! كانَ نصفهم من الأمريكان وشكل الإنجليز ٢٠٪ منهم فيما شارك النّاتو فيه بكامل الأعباء والمسؤوليات، وأسفرت الغزوة الّتي كانت باكورة الحملات الصّليبيّة الجَدِيدة عَلى العالم الإِسْلَاميّ ـ كما صرح بذلك أكثر من مسؤول أمريكي ـ أسفرت عن تثبيت أمريكا لأقدامها في الخليج واحتلاله عمليا.

وكشفت كثير من الدراسات عن هذا البرنامج وهو احتلال منابع النّفط والطاقة بشكل مكشوف، كانَ قد خطط له منذُ أوائل السَّبعينيَّات أيّام الرَّئيس (كارتر) وشكلت قوَّات التدخل السريع الأمريكيّة (المارينز) خصيصا له، وهكذا بدأ برنامج الصّليبيّين الجدد باجتياح الشّرق الأوسط والعالم الإِسْلَاميّ.

إلزام الدّول العربيَّة المعنية والفلسطينيـين والعالم العربيّ والإِسْلَاميّ من ورائهم بتوقيع اتفاقيات السَّلام والتطبيع مع اليَهُوْد وبدأ البرنامج الصّهيونيّ بالسير نحو طرد الفلسطينيـين والسّيطرة عَلى المنطقة عبر برنامج التطبيع الثقافي والإقتصادي والسّياسيّ والاجتماعي مع اليَهُوْد.

انطلاق ما يسمى بحملات مُكَافحَة الإِرهَاب ضدّ الحركات الجهاديّة والأصوليَّة الإِسْلَاميّة، الّتي تطورت لتكون حملات ضدّ كافّة الصّحوة الإِسْلَاميّة ووصلت في عهد (بوش) الّذي تلا (كلينتون) لتكون حملات إبادة أو تركيع لكافة المُسلِمِين، وهكذا بدأت مؤامرة تصفية مكتسبات الجِهَاد الأفغاني وانطلقت حُرُوب الإبادة ضدّ المُسلِمِين في البوسنة والشّيشَان، وانطلقت الحُكُومَات العربيَّة والإِسْلَاميّة بتنفيذ ما أوكل إليها من تصفية قواعد وتنظيمات الصّحوة الإِسْلَاميّة والجهاديّة بكاملها في كلّ مكان.

وهكذا أعيد المُسلِمُون قسرا إلى مسرح الصِّرَاع مع الرُّوم بعد أن أسفر صِرَاع الرُّوم فيما بينهم خلال مرحلة الحَرب العَالَمِيّة الأولى إلى الثّانية ثمّ مرحلة الحَرب الباردة عن حسم المنافسة لصالح أمريكا الّتي سارعت بَرِيطَانيَا بالدخول في ركابها وانجرت دول أوربّا النّاتو من كانَ راغبا منها ومن كانَ راهبا للسعي خلفها في إدارة هذا النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد.

آخر الحلقات في صراعنا مع الرُّوم: (صِرَاع المُسلِمِين مع أمريكا وحلفائها) حاليا:

أحداث الحادي عشر من سِبتَمبر ٢٠٠١، واحتلال أمريكا للعراق، واشتعال الحَرب الصّليبيّة ضدّ المُسلِمِين بقيادة أمريكا ورئيسها الحالي جوج بوش منذُ مطلع القرن ٢١:

انتهت ولاية (كلينتون)، وأسفرت الإنتخابات الأمريكيّة عام ٢٠٠٠ عن فوز (جورج Wبوش) إبن الرَّئيس الأمريكيّ (جورج بوش) الأب الّذي انطلق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد والحملات الصّليبيّة في عهده، واستطاع حفنة من رجال أبيه ومن بعض المتطرفين المسيحيين المتصهينين، ممن يطلقون عَلى أنفسهم اسم (**المحافظون الجدد**) الانضمام إليه لتشكيل الإدارة الأمريكيّة الجَدِيدة، وتسابق القادة والسّياسيّون والمفكرون والمنظرون منهم إلى إعلان مبادئهم وتطلعاتهم وأفكارهم، ولم يستحوا منها، فاستعلن أحدهم بالقول: (إن الأمريكان هم ورثة الإمبراطورية الرُّومانية وأن أعداءها في التّاريخ هم أعداءها في الحاضر والمستقبل)، ولم يخف بوش فيما بعد قوله (بأنه يقود حملة صليبيّة عَلى المُسلِمِين)، ولم يعد موضوع أولوية دعم إسرائيل واحتلال منابع النّفط وزيادة رقعة مكاتب مُكَافحَة الإِرهَاب في عواصم دول العالم ولاسيما العربيَّة والإِسْلَاميّة سرا، وانطلقت أمريكا في سياسة تحجيم أوربّا ودول العالم الرَّئيسيَّة واتخذت الإدارة من مشروع مُكَافحَة الإِرهَاب عالميا برنامجا لتصفية الحركات الإِسْلَاميّة وجر الحُكُومَات العربيَّة والإِسْلَاميّة إليه طوعا وكرها.

وكانت حركة طلاب العلوم الشَّرعيَّة في أفغانستان أو ما يسمى بـ(حركة طالبان) قد استطاعت إنهاء الحَرب الأهلية وهزيمة الأحزاب المتصارعة في أفغانستان ووضعت حدا لانتشار الفساد في الأرض، وأقامت نظاما للحكم بالشّريعة الإِسْلَاميّة، وأعلنت قيام إمارة أفغانستان الإِسْلَاميّة،

ودخلت كابول سنة ١٩٩٦ وأعلن الملا محمّد عمر أميرا للمؤمنين فيها، واستطاعت إلى عام ٢٠٠٠ ترسيخ أقدامها وحكمها في أفغانستان والسّيطرة عَلى نحو ٩٤ ٪ من مساحتها.

ولما كانت حملات مُكَافحَة الإِرهَاب قد ضيّقت أقطار الأرض عَلى كثير من شباب الحركات الجهاديّة، وكثير من الشَّبَاب المسلم خاصّة من البلاد العربيَّة ووسط آسيا، أصبحت الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان ملاذا ومهجرا لكثير من كوادر وشباب تلك الحركات، فأصبح تدمير الإمارة الإِسْلَاميّة وإخراج هذه النُّخبَة المهاجرة المُجَاهدة الّذين سموا (الأفغان العَرَب) منها، وابتدأت أمريكا ذلك بسلسلة من إجراءات الحصار السّياسيّ والإقتصادي والتشويه الإعلاميّ والمواجهات الأمنيّة.

وفي صبيحة ١١ سِبتَمبر ٢٠٠١، تمكن ١٩ شابا من المُجَاهدين التَّابعين لتنظيم القَاعِدَة الّذي يتزعمه الشَّيْخ المُجَاهد (أُسَامَة بن لادن)، تمكنوا من اختطاف عدد من الطائرات والدخول بها في عمليَّات استشهادية في واشنطن ونيويورك فدمروا أبراج مركز التجارة العَالَمِيّة، وجانبا من مبنى الـ (بنتاغون) مقر وزارة الدّفاع الأمريكيّة مما أسفر عن مقتل وجرح عدّة آلاف من الأمريكيّـين.

ومع أن هذه العمليَّات شكلت تصعيدا كبيرا بعد عدد من العمليَّات الأخرى الأصغر حجما ضدّ الأهداف الأمريكيّة الّتي قام بها تنظيم القَاعِدَة أو غيره من التَّنظِيمات بسبب موجة الاعتداءات الأمريكيّة عَلى المُسلِمِين ودعمهم لليهود في فِلَسطِين ولكافة أعداء الإِسْلَام، إلا أن وسائل الإعلام الأمريكيّة والدّولية استطاعت تصوير ما تلا ذلك الحدث من ردود أفعال أمريكا الوحشية الطَّاغية، وإطلاق حرب عالميّة لمُكَافحَة الإِرهَاب ومحاربة المُسلِمِين عَلى كلّ صعيد، استطاعت تصوير ذلك عَلى أنه رد فعل مبرر بسبب هجمات الإِرهَاب الإِسْلَاميّ عَلى أمريكا وأمنها القومي.

وابتدأ بوش حربه العَالَمِيَّة عَلى الإِرهَاب، وكان من ذلك:

شن حرب إعلاميَّة عارمة من أجل شحن الأجواء وتهيئتها، بتصوير المُسلِمِين عموما والصّحوة الإِسْلَاميّة والجهاديّين خُصُوصَاً عَلى أنهم الخطر المحدق بالبشرية، والتضخيم من حجم هذا العدوّ وإمكاناته حتَّى وصل إلى الزعم بأن الجهاديّين يمتلكون أَسْلِحة الدمار الشّامل، وأحدث تكنولوجيات العصر، وعشرات آلاف المقاتلين المدربين المنتشرين في عشرات البلدان، ودمجت أمريكا

كلّ ذلك تحت مسمّى (القَاعِدَة) الّذي صنع الأعلام الأمريكيّ من اسمها (بعبعا) مخيفا يجب محاربته، حيث أدخلت تحت هذا المسمى كلّ جهد إسلامي في مواجهتها، بل كلّ من أرادت سحقه في حملتها، وبهذا بررت أمريكا كلّ ما تلا ذلك من عدوان وإجراءات، وبررا زحفها في حملة احتلال عَلى الشّرق الأوسط والعالم الإِسْلَاميّ.

الهجوم عَلى الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان وإسقاط حكومة طالبان وتدمير البنية التحتية للمُجَاهدين الأفغان العَرَب وغير العَرَب فيها.

إطلاق حملة مُكَافحَة الإِرهَاب وإلزام كافّة الدّول بها، وعقد عشرات المؤتمرات من أجل ذلك، ورفع بوش شعار جده قابيل (لأقتلنك)! وأطلق مقولة (من لم يكن مع أمريكا في حربها مع الإِرهَاب فهو ضدها) ولم يترك أي هامش للحياد.

أطلق بوش يد أجهزته الأمنيّة من الـ CIA والـ FBI وسواها، وما تبعها من أجهزة أمن من باقي دول العالم الّتي أدخلها طوعا أو كرها في حملة بربرية من القتل والأسر والتنكيل والتَّشريد وإقامة المعتقلات الّتي فاقت معتقلات النازية في إجراءاتها ضاربا بعرض الحائط بكل نداءات الهيئات الدّولية والأمريكيّة المعنية بحقوق الإنسان.

في شهر مارس ٢٠٠٣ فرغت أمريكا من إعداد الأجواء السّياسيّة والإعلاميَّة عَلى مدى عام ونصف من التهويل من أجل تضخيم إمكانية العراق ونظام صدام حسين، بامتلاكهم لأَسْلِحة الدمار الشّامل، واخترعت وهما آخر هو علاقة (صدام حسين) بـ (القَاعِدَة)، وصنعت خوفا من تسرب أَسْلِحة الدمار الشّامل (الموهومة) من العراق إلى القَاعِدَة والإِرهَابيين، بناء عَلى هذه العلاقة (الموهومة)، فزحفت جُيُوش أمريكا وحليفتها بَرِيطَانيَا بنحو ٣٠٠,٠٠٠ جندي مدجج بأرقى ما وصلت إليه التكنولوجية العسكريّة عبر التّاريخ، وهاجمت العراق انطلاقا من أراضي عدد من الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة وعلى رأسها الكويت وقطر والسّعُودِيّة والأردن ومصر وباكستان وتركيا، وعلى مدى عشرين يوما دكت الطائرات والصواريخ الأهداف المدنيّة والعسكريّة ثمّ أعلنت في أول شهر يوليو انتهاء عمليَّاتها واحتلال العراق، وسارع مجلس الأمن الدّولي بكامل أعضائه لإضفاء الشَّرعيَّة

عَلى هذا الإحتلال بعد أن تخلت روسيا وفرنسا وألمانيا عن معارضتها المتعثرة للحرب ودخلت في الفلك الأمريكيّ.

يهيئ بوش الأجواء الآن هو وكبار رجال إدارته وإعلامه للقفز نحو الخطوة التّالية، سوريا وربما إيران ويلوح بتقسيم السّعُودِيّة والاستيلاء عَلى مصر، وليس هنا محل استعراض تاريخ يجب كتابته وتحليله بكل دقة وأمانة نحو أجيال المُسلِمِين القادمة، إلا أن الأهداف المعلنة بلا حياء من قبل بوش وإدارته قد أعلنت بلا خفاء وهي:

تغيير خارطة الشّرق الأوسط السّياسيّة بتبديل بعض الأنظمة وإعادة رسم ملامح وجودها.

تغيير خارطة الشّرق الأوسط جغرافيا بتقسيم دول وإنشاء أُخرى وتوسيع البعض وقضم أطراف أُخرى.

إعادة رسم معالم الثّقافة والمكوّنات الحَضَاريَّة والدّينيّة العَرَب والمُسلِمين وتبديل مكوّناتها بما يضمن انسجامها مع أفكار المُستَعمر والقضاء عَلى كلّ بذور النهضة والمُقاوَمة.

العمل عَلى ربط منطقة الشّرق الأوسط بالاقتصاد الأمريكيّ عبر اتفاقيات للشراكة الاقتصاديَّة والتبادل التجاري تدخل إسرائيل في صلبه ويحول شعوب المنطقة إلى عبيد مستهلكة للإنتاج الأمريكيّ وإدارة الصّهيونيّة.

احتلال العراق لأجل غير مسمّى والسّيطرة بذلك عَلى أكبر احتياط نفطي في العالم فضلا عما تسيطر عليه من نفط الخليج ووسط أسيا بما يضمن لأمريكا أن تمسك بشريان الاقتصاد العَالَمِيّ وتتحكم بدول أوربّا وروسيا وشرق آسيا والصين.

فرض المشروع الصّهيونيّ لدولة إسرائيل الّتي أصبحت تمتلك الجيش الوحيد وليس الأقوى فقط في المنطقة بعد أن فككت أمريكا جيش مصر ودمرت جيش العراق ووضعت لسوريا برنامج إلغاء جيشها وعدم تحديثه وإلغاء التَّجنيد الإلزامي فيه مما يخفض عدده إلى الحد اللازم لحفظ الأمن الداخلي فقط.

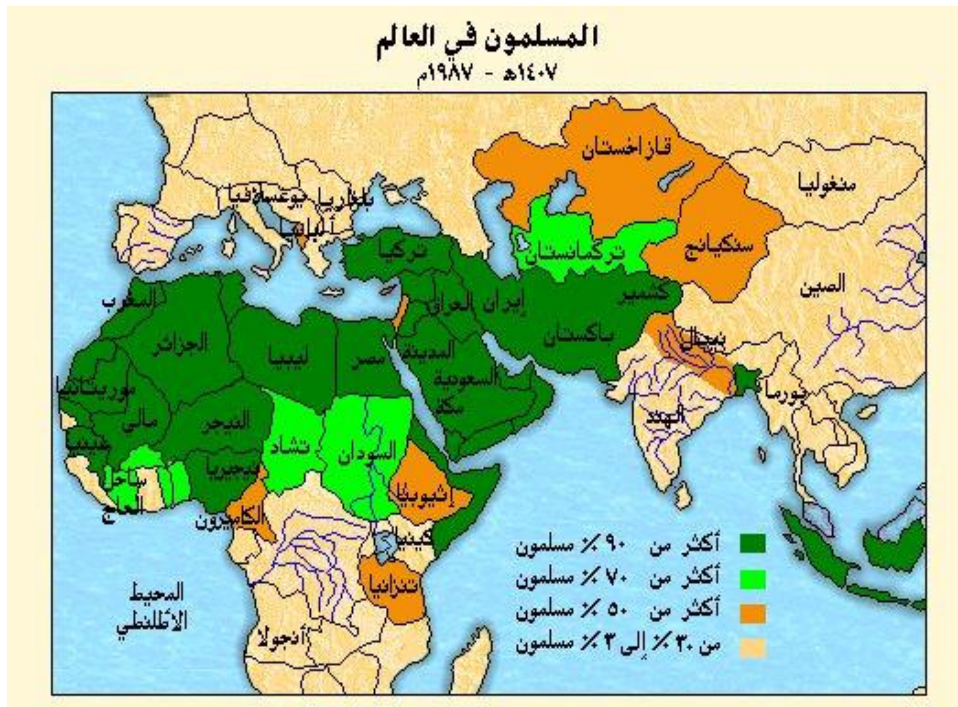
وهكذا عاد شعار (لأقتلنك) ليرفع من جديد عَلى يد هولاكو القرن الحادي والعشرين: (مستر بوش!) وحملته الصّليبيّة اليَهُوْدية الأمريكيّة البريطانيَّة الجَدِيدة.

وليستمر الصِّرَاع بكل جلاء بين الإِسْلَام والمُسلِمين وخصومه الرُّوم الجدد كما كانَ عبر ١٤ قرنا، تماما كما أخبر الصادق المصدوق عليه الصّلاة والسَّلام، صراعا أبديا أزليا مع الرُّوم، وسيستمر كذلك إلى قيام السَّاعة.

خُلاصة النّظام الدّولي، وصراع المُسلِمين مع الرُّوم عبر التّاريخ الإِسْلَاميّ.

المَرحَلَة وتاريخها	أطراف الصِّرَاع	ملاحظات
المَرحَلَة النّبويّة بعد قيام دولة المدينة: ١ هـ - ١١ هـ	المُسلِمُون × مشركي جَزِيرَة العَرَب المُسلِمُون × الرُّوم	عم الإِسْلَام جَزِيرَة العَرَب بعد عام الوفود مؤتة ـ تبوك ـ بعث أُسَامَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
خلافة أبي بكر الصّديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ١١ هـ - ١٣ هـ	المُسلِمُون × المرتدّين في الجَزِيرَة المُسلِمُون × الفرس المُسلِمُون × الرُّوم	تثبيت الإِسْلَام في الجَزِيرَة بداية فتوح العراق فتح الأردن وجنوب فِلَسطِين
خلافة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ١٣ هـ - ٢٥ هـ	المُسلِمُون × الفرس المُسلِمُون × الرُّوم	فتح العراق وفارس (القادسية ـ نهاوند) فتح الشّام ومصر
خلافة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ٢٥ هـ - ٣٣ هـ	المُسلِمُون × الفرس المُسلِمُون × الرُّوم	زوال فارس ودخولها في الحضارة الإِسْلَاميّة فتح شمال إفريقيا ودخول الأندلس وبعض جزر المتوسط
خلافة علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ٣٣ هـ - ٤٠ هـ	الفتنة الكبرى المُسلِمُون × الرُّوم	لا حول ولا قوة إلا بالله هدنة مؤقتة
الخِلَافَة الأموية: ٤١ هـ - ١٣٢ هـ	المُسلِمُون × الترك وسط آسيا المُسلِمُون × الرُّوم	فتح تركستان والسند وما وراء النهر تثبيت الفتح في شمال إفريقيا والأندلس وفتح بعض جزر المتوسط
الخِلَافَة العبّاسيّة: ١٣٢ هـ -٦٥٦هـ	المُسلِمُون × الرُّوم المُسلِمُون × التّتار	مواجهات العبّاسيين مع الرُّوم البيزنطيين ـ هدنة مع الرُّوم الغربيّين (ملوك أوربّا) ـ المُسلِمُون في الأندلس × الرُّوم الغربيّين
دول الطوائف الإِسْلَاميّة: ٦٥٦ هـ - ١٤٥٢م	المُسلِمُون × الرُّوم	المُسلِمُون × الصّليبيّين والبيزنطيين في الشّام ـ المُسلِمُون في الأندلس × ملوك أسبانيا وأوربّا

الدّولة العُثمَانِيّة: ١٤٥٢م – ١٩٢٤ م	المُسلِمُون × الرُّوم	الصِّرَاع بين الدّولة العُثمَانِيّة والدّول الأوربية خلال مرحلة الفتح ثمّ مرحلة السُّقوط
المُسلِمُون تحت الإحتلال خلال ما بين الحَربين: ١٩١٤ م – ١٩٤٥	الرُّوم × الرُّوم المُسلِمُون × الرُّوم	أوربّا × أوربّا الحَرب العَالَمِيّة الأولى والثّانية المُسلِمُون يجاهدون الإحتلال
المُسلِمُون تحت حكم نواب الإستعمار: ١٩٤٥ م – ١٩٩٠م	الرُّوم × الرُّوم المُسلِمُون × المرتدّين نواب الرُّوم	الحَرب الباردة: روسيا × أمريكا الحكَّام المرتدّين × الصّحوة الإِسْلَاميّة
النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد: ١٩٩٠ م – ؟؟٢٠ م	أمريكا × كلّ البشرية! المُسلِمُون × الرُّوم بقيادة أمريكا	نظام القطب الأوحد والسّيطرة الأمريكيّة عَلى الأرض. الحركات الجهاديّة × أمريكا وحلفائها



فهرس

الفصل الثالث

الدّولة الإِسْلَاميّة في عهد الخِلافَة العُثمَانيّة ٥١٢

يتبع في الفصل الرابع ...

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

الفصل الرابع

الصِّرَاع مع الرُّوم ومعادلات القوى فيه عبر التّاريخ

الفصل الخامس

مختصر مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة

«١٩٣٠-٢٠٠٣» م

الفصل السادس

مسار التّيار الجهاديّ وتجاربه

«١٩٦٠-٢٠٠١» م

الفصل السابع

حصاد التّيار الجهاديّ في أربعين عاماً

«١٩٦٣-٢٠٠٣» م

بسم الله الرحمن الرحيم

النسخة الكاملة الفريدة المنقحة والمحققة

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

النسخة الإلكترونية الأولى

مكتبة الجيل الثالث



الفَصْلُ الرَّابِعُ

الصِّرَاع مع الرُّوم

ومعادلات القوى فيه عبر التّاريخ



عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قَالَ:

«يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١).

وعن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «فَارِسُ نَطْحَةٌ أَوْ نَطْحَتَانِ ثُمَّ لَا فَارِسَ بَعْدَهَا أَبَدًا وَالرُّومُ ذَاتُ الْقُرُونِ أَصْحَابُ بَحْرٍ وَصَخْرٍ كُلَّمَا ذَهَبَ قَرْنٌ خَلَفَ قَرْنٌ مَكَانَهُ، هَيْهَاتَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ هُمْ أَصْحَابُكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ»(١).

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

(١) رواه ابن أبي الشّيبة في مصنّفه (١٩٣٤٢)، وابن حمّاد في الفتن (١٣٤٦) بنحوهِ، وقال الألباني: رجاله ثقات لكنه مرسل وعليه فهو ضعيف (الضعيفة – ٣٩٩٩).

الفَصْلُ الرَّابِعُ:

الصِّرَاع مع الرُّوم ومعادلات القوى فيه عبر التّاريخ

كما تبين لنا من الفَصل السابق فقد استمر صِرَاع المُسلِمِين مع الرُّوم منذُ عهد النبيّ ﷺ وإلى يومنا هذا وما زال، وقد أخبر رسول الله ﷺ في بعض الآثار الّتي تعتبر من معجزات نبوته ﷺ عن أن قتالنا معهم قتال أزلي مستمر إلى قيام السَّاعة ومن تلك الآثار:

جاء في مسند الحارث وزوائد الهيثمي ج٢ / ص ٧١٣:

باب قتال فارس والرُّوم: حدثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو إسحاق عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو عن بن محيريز قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «فَارِسُ نَطْحَةٌ أَوْ نَطْحَتَانِ ثُمَّ لَا فَارِسَ بَعْدَهَا أَبَدًا وَالرُّومُ ذَاتُ الْقُرُونِ أَصْحَابُ بَحْرٍ وَصَخْرٍ كُلَّمَا ذَهَبَ قَرْنٌ خَلَفَ قَرْنٌ مَكَانَهُ هَيْهَاتَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ هُمْ أَصْحَابُكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ»[١].

جاء في مسند الإِمَام أحمد رحمه الله:

حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَٰنِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّ الْمُسْتَوْرِدَ قَالَ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقُلْتُ لَهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْكُمُ الرُّومُ، وَإِنَّمَا هَلَكَتُهُمْ مَعَ السَّاعَةِ»[٢] فَقَالَ لَهُ عمرو: أَلَمْ أَزْجُرْكَ عَنْ مِثْلِ هَٰذا.

وفعلا فقد صدّقت أحداث التّاريخ ما كانَ قد أخبر به رسول الله ﷺ، فما أن قامت دولة الإِسْلَام عَلى عهد النبيّ ﷺ حتَّى بدأ اشتباك المُسلِمِين مع الرُّوم وتتابع ذلك كما أوجزنا سابقا بلا توقف حتَّى يومنا هٰذا، فقد قرأت في إحدى الصّحف أيّام حرب الخليج الثّانية، (عاصفة الصَّحرَاء وتحرير

---

(١) رواه ابن أبي الشّيبة في مصنّفه (١٩٣٤٢)، وابن حمّاد في الفتن (١٣٤٦) بنحوهِ، وقال الألباني: رجاله ثقات لكنه مرسل وعليه فهو ضعيف (الضعيفة – ٣٩٩٩).

(٢) رواه أحمد (١٨٠٢٣) وضعفه الأرنؤوط، والألباني في (الضعيفة–٢٧٨٤).

الكويت) أن بعض المؤرخين قد أحصى الحُرُوب الّتي قامت بين المُسلِمِين والرُّوم، فبلغت أكثر من ٣٦٠٠ حرب بين مختلف دول الإِسْلَام ودول الرُّوم! خلال ١٤١٠ سنين.

فقد قاتل المُسلِمُون أمما كثيرة، من الفرس والترك والسند والهند والمغول والصين، وغيرهم وقد كانت جميعها حُرُوبا وصدامات محدودة بتاريخها وزمانها، ولكن التّاريخ أثبت أنها الرُّوم ذات القرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن وكلما تلاشت دولة منهم آلت القيادة إلى أُخرى، فهم أهل جُيُوش البر والبحر، وما زلنا وإياهم في قتال وسيبقى ذلك إلى قيام السَّاعة، فحتى اليَهُوْد سينتهي القِتَال معهم بإبادتهم في معركة الحجر والشجر، وحتى يأجوج ومأجوج سينتهي القِتَال معهم حيث يهلكهم الله تَعَالَى، ولكنهم الرُّوم ودولهم وممالكهم والقتال معهم إلى قيام السَّاعة كما جاء في الحديث وهم أشد النّاس عَلى المُسلِمِين، بل تقوم السَّاعة والرُّوم أكثر النّاس كما في الحديث الصَّحِيح رغم أنها لا تقوم إلا عَلى شرار الخلق وهم غالبيتهم وما ذاك إلا لأنّهم حازوا من الخصال – بقدر الله – ما مكنهم من البقاء.

فقد جاء في صحيح مسلم: قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ، عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «**تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ**» فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَال: (لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ)(١).

ومن المفيد ونحن نتصدى في البحث للإجابة عَلى السّؤال الهام، الّذي كتب الكتاب من أجله وهو: (**كيف نواجه أعداءنا في عالم ما بعد سِبتَمبر بقيادة أمريكا ؟**) أي كيف نتصدى للحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الثّالثة بنجاح إن شاء الله، من المفيد أن نعرض للمحطات الرَّئيسيَّة في صدامنا مع الحملات الصّليبيّة السَّابقة، لنتلمس مفاتيح النّصر والهزيمة فيها، عبر دراسة تحليلية هادفة، وهي مادة هذا الفَصل إن شاء الله.

(١) رواه مسلم (٢٨٩٨).

كيف سارت تلك الحملات الأولى والثّانية وهذه الثّالثة الأخيرة؟ من كانَ أطرافها من جانب الرُّوم؟ من قام بالمُوَاجَهة والدفع والمُقاوَمة من جانب المُسلِمِين؟ من كانَ معنا ومن كانَ علينا من داخلنا ومن خارجنا خلالها؟

ولن أقف هنا مع تفاصيل أحداث التّاريخ، فهو مسجل معروف في مراجعه، ولا سيما تاريخ الحُرُوب الصّليبيّة الأولى وكذلك الثّانية الّتي تمثل تاريخ العَرَب الحديث، وقد مر نبذة عن ذلك في الفَصل السابق، ولكني سأكتفي هنا بالتحليل واستقصاء العبر واستخلاص الدُّروس.

فهذا الفَصل من أهمّ مرتكزات دعوة المُقاوَمة في مجال فقه الواقع واستكشاف أسباب النّصر والهزيمة.

وسنأخذ من التّاريخ المحطات الرَّئيسيَّة الثّلاثة لحملات الرُّوم عَلى المُسلِمِين، ونعتبر لها تقسيما تاريخيا نظريا، حيث نلاحظ أنها كانت عَلى الشّكل التّالي:

- **الحملات الصّليبيّة الأولى** (من منتصف القرن الحادي عشر وإلى نهاية القرن الثّالث عشر الميلادي تقريبا)، عَلى سواحل بلاد الشّام ومصر وكان فيها احتلال بيت المَقْدِس.
- **الحملات الصّليبيّة الثّانية** (١٨٠٠-١٩٧٠) تقريبا، عَلى مكوّنات الدّولة العُثْمَانِيّة والعالم الإِسْلَاميّ ولاسيما العالم العربيّ بعد معاهدة (سيكس-بيكو١٩١٩) ووعد بلفور (١٩١٧).
- **الحملات الصّليبيّة الثّالثة** (١٩٩٠- ٢٠٠٤ وما زالت) عَلى العالم الإِسْلَاميّ عامة والشرق الأوسط خاصّة.

وهناك ملاحظة واضحة وهي أن مركز الصِّرَاع كانَ في الحملات الصّليبيّة الثّلاثة يدور في بلاد الشّام وما جاورها من بلاد العراق ومصر وجَزِيرَة العَرَب بشكل رئيسي، وهناك كانت مفاتيح النّصر والهزيمة لكلا الطّرفين.

ولا ننسى أن ساحة الصِّرَاع الحديث (منذ ا القرن السَّادس عشر وإلى اليَوْم) مع الرُّوم المعاصرين عموما، قد امتدت عَلى طول رقعة العالم الإِسْلَاميّ وعرضه واستهدفت كافّة بلاده من أقصى جزر

الفلبين في المحيط الهادي شرقا وإلى أقصى سواحل مراكش وموريتانيا عَلى ضفاف الأطلسي غربا، ومن وسط آسيا والقرم والبلقان وشمال أفريقيا شمالا، وإلى أواسط أفريقيا وجنوب شرق آسيا وإندونيسيا جنوبا.

المرجعيات عند المُسلِمِين:

وقبيل أن ندخل إلى دراسة الحملات الصّليبيّة الثّلاثة ومعادلات القوى فيها، من المفيد أن نلفت النَّظر إلى مفهوم المرجعية والقيادة لدى المُسلِمِين عبر التّاريخ الإِسْلَاميّ لأن ذلك يساعد كما سنرى عَلى فهم إدارة ذلك الصِّرَاع.

فبحسب المفهوم المتفق عليه فإن **(أولي الأمر)** كمصطلح سياسي شَرعِيّ لدى المُسلِمِين، هم **العُلَماء والأمراء**، وبحكم النّصوص الشَّرعيَّة وما دأب عليه الحال فقد شكل رؤوس النّاس وقياداتهم ولاسيما زعماء القبائل والعشائر الكبرى وأصحاب الرَّأي وذوي الأحلام والنهى منهم، القطب الثّالث في المرجعية لدى المُسلِمِين إلى جانب الأمراء والعُلَماء، وهكذا يمكن تحديد المرجعية لدى المُسلِمِين عبر تاريخهم، بثلاثة مرجعيات، هيَ بحسب أهميتها كما يلي:

المرجعية السّياسيّة: وتتكون من الخَليفَة الشَّرعيّ حال وجوده أو من السّلاطين والملوك والأمراء من أصحاب الحكم والسلطان حال تعدد الممالك الّتي غلبت عَلى معظم التّاريخ الإِسْلَاميّ.

المرجعية الدّينيّة: وتتكون من علماء الدّين الإِسْلَاميّ حيث آلت هذه المرجعية إلى علماء وأئمة المذاهب الأربعة وكبار علمائهم وفقهائهم المتبوعين عبر التّاريخ الإِسْلَاميّ، ثمّ ظهرت القيادة الروحية للطرق الصوفية ومَشَايخها ذوي الأتباع والنفوذ، وكثيرا ما كانَ أئمة المذاهب أنفسهم أئمة للطرق الصوفية المتبوعة في أغلب رقعة العالم الإِسْلَاميّ.

المرجعية الاجتماعيَّة: وتكونت في الغالب من رؤساء القبائل والعشائر الّتي تكون البنية الأساسيّة للمجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة.

وهكذا كانَ عبر التّاريخ الإِسْلَاميّ في حالات الوحدة السّياسيّة تحت خليفة واحد أو خلال فرقتها تحت سلطان ملوك وأمراء متعددين.

فإن النّاس رجعوا في قيادتهم وإتباعهم دائما ولاسيما عند الملمات الكبرى إلى هذه المرجعيات.

ولست هنا بصدد الاستطراد في تحليل ذلك ودوره في التّاريخ الإِسْلَاميّ وآثاره السّياسيّة والاجتماعيَّة إلا بالقدر اللازم لفهم بنية المُقاوَمة في المجتمعات الإِسْلَاميّة ضدّ الحملات الصّليبيّة، ودور هذه المرجعيات في ذلك.

كما أن من الضَّروري أن أوضح أن هذا التقييم الدراسي القائم عَلى الملاحظة والاستنتاجات، ليس تقييما للصواب والخطأ في مناهج تلك التَّجَمُّعات لا من النَّاحية العقليَّة ولا من وجهة النَّظر الشَّرعيَّة، فقد يفيد البحث أن شريحة معينة أو مذهبا معينا كانَ له دور في المُقاوَمة نذكره بحسب أهميته، من دون أن يكون ذلك- كما يفترض أن ذلك مفهوم- تزكية لتفاصيل معتقدات ونهج وطريقة تفكير أصحاب تلك الظَّاهِرة، فهو تقييم وتصنيف دراسي وليس تقييم ترجيح وتصويب للمناهج والمعتقدات عَلى سبيل تحديد الصواب من عدمه، وفق موازين السّياسة الشَّرعيَّة.

وأعتقد أنه في حين يجهل أكثر المُسلِمِين اليَوْم دور هذه المرجعيات وتماسكها وأثر ذلك عَلى تماسك الأُمّة وقدرتها عَلى المُقاوَمة، فإن العدوّ قد أدرك ذلك وعمل عَلى تحطيم هذه المرجعيات الثّلاثة ما وسعه ذلك، واخترع بدائل لها أو أفسدها وجعلها تخدم أغراضه كما سنرى بالسير مع تلك الحملات في الدّراسة التحليلية التّالية.

الحملات الصّليبيّة الأولى (١٠٥٠-١٢٩١)

المستخلص عَلى سبيل النبذة من المراجع التارِيخِيَّة، أنه لما ضعفت خلافة بني العبّاس وصار النفوذ من حول الخَليفَة العبّاسي للقادة والجند الّذين كانَ معظمهم خلال النصف الثّاني من تاريخها من الأتراك الّذين نصبوا سلطانا منهم كانَ الحاكم الفعلي لمركز الخِلافَة وما حولها، وانحصر نفوذ الخَليفَة في الغالب في قصره أو في بغداد وما حولها، ومع الوقت استقل الأمراء الّذين يتبعون للخليفة نظريا في أطراف دولة الخِلافَة بدول وممالك متعددة، كثيرا ما تصارعت فيما بينها أو تصارع كبراؤها عَلى الملك والسلطان فيها، وتقسمت تلك الممالك في كثير من الأحيان لتشتمل عَلى مجرد مدن صغيرة أو حتَّى قلاع وحصون، فمملكة في الموصل، وأخرى في بيروت، وثالثة في طرابلس، ورابعة في حلب، وأخرى

في دمشق وهكذا، وسيطرت الشّيعة عَلى بلاط الخَليفَة ببغداد، وانتشر القرامطة في الخليج العربيّ، وسيطر الإسماعيلية والنصيرية من غلاة الشّيعة عَلى سواحل الشّام وقامت الدّولة العبيدية الّتي نسبت نفسها للفاطمية وأقامت خلافة مستقلة لها في مصر استمرت ما يقرب من قرنين.

خلال ذلك الوقت مطلع القرن الحادي عشر الميلادي أطلق بابا الفاتيكان نداءه إلى ملوك أوروبّا بضرورة تخليص بيت المَقْدِس وصليب الصلبوت - الّذي يزعمون كذبا أن المسيح صلب عليه- من أيدي (الكفّار) – يقصد المُسلِمِين- وسرعان ما استجاب الملوك من مختلف أوروبّا ولاسيما إنجلترا وفرنسا وألمانيا للنداء لمصالح سياسيّة واقتصاديَّة كما يذهب كثير من المؤرخين ولم تكن الرّوح الصّليبيّة غائبة عن دوافعهم أيضا، وتعاون قيصر القُسطَنْطينيَّة مع تلك الحملات بتزويدها بالمؤن عند مرورها من أراضيه في شرق أوربّا وآسيا الصغرى وكذلك بوضع الأسطول الرُّوماني في خدمتهم.

وهكذا تتالت الحملات الصّليبيّة الّتي يؤرخ لها المؤرخون بسبع حملات رئيسيَّة عَلى سواحل الشّام وجنوب غرب الأنضول(في منطقة الرها وهي ما بين أدنه ولواء اسكندرون في تركيا اليَوْم) ومصر أخيرا عبر مائتي سنة، وتمكن الصّليبيّون خلالها من احتلال بيت المَقْدِس وإقامة إمارة مركزية فيه، وتمكنوا من إقامة العديد من الإمارات الصّليبيّة المستقلة عن بعضها بحسب ارتباطها بملوك أوروبّا المتعاونين عَلى المُسلِمِين المتصارعين فيما بينهم في كثير من الأحيان.

كانت الإمارات الإِسْلَاميّة المحاذية للإمارات الصّليبيّة ضعيفة مفككة متصارعة فيما بينها، كإمارات حلب وحماة ودمشق وحمص والموصل، وقد شهدت الكثير من الانقلابات والتصارع الداخلي، وأذاق الأمراء والسلاطين فيها شعوبهم ويلات المكوس وأنواع المظالم، وهكذا احتل الصّليبيّون المناطق الواقعة بحسب مصطلحات الجغرافيّا المعاصرة منطقة لواء الاسكندرون والساحل السّوري غرب الشّام من الجبل إلى البحر المتوسط ومنطقة لبنان وفلسطين بالكامل، ولم يستطع الخَليفَة العبّاسي الضعيف في بغداد أن يفعل شيئا، ولم يحرك الخَليفَة الفاطمي في القاهرة ساكنا، بل شهد تاريخ الفاطميين تعاونا مع الصّليبيّين، كما سجل التّاريخ تعاون النصيرية الّذين يسكنون الجبال الغربيّة في

محاذات الساحل في سوريا مع الصّليبيّين أيضا حيث قاتلوا إلى جانبهم، وشهد العالم الإِسْلَاميّ خاصّة والمشرق العربيّ عامة حالة شديدة الاضطراب والضّعف في تلك الفترة.

ولكن الوثائق التارِيخِيَّة الّتي تثبت هذا الحال المتدهور عَلى صعيد المرجعية السّياسيّة تثبت في الوقت ذاته أن تلك الفترة كانت تشهد ازدهارا علميا برز فيه الكثير من العُلَماء الكبار والأئمة والخطباء، وحملت المساجد مسؤولية المرجعية الدّينيّة ومسؤولية سياسة النّاس إلى جانب المرجعية الاجتماعيَّة بعيدا عن مفاسد القصور وصراع الأمراء.

حيث كانت البنية الاجتماعيَّة القبلية متماسكة سليمة البنيان، وهكذا رجع النّاس إلى رؤوسهم من العُلَماء ورؤوس القبائل وصدروا عن رأيهم.

ومع قدوم الصّليبيّين هب العُلَماء والخطباء يحثون النّاس عَلى الجِهَاد ويطرقون أبواب الأمراء يحرضونهم عَلى القِتَال، بدءا من باب الخَليفَة في بغداد وصولا إلى أبواب أمراء الشّام، ولكن المراجع التارِيخِيَّة تروي قصصا مؤسفة من حالة التفكك وفساد أنواع الأمراء وحكام المدن والحصون، وقد ذكر بعض المؤرخين من قصص تلك المَرحَلَة، أن العُلَماء جالوا المساجد واستحثوا النّاس وجمعوا أموالا من أجل بناء جيش للجِهَاد، وطرقوا أبواب الأمراء بحثا عن أهل لهذه المهمة، فلم يرحب بهم أحد من الأمراء حتَّى سمعوا بأحدهم عَلى أنه مظنة خير ونخوة، فذهبوا إليه ودفعوا إليه المال بعد أن وعدهم خيراً، ثمّ رجعوا إليه ولم يعثروا عليه فبحثوا عنه شهرا في بادية الشّام فوجدوه قد خرج للصيد وبنى بأموالهم الّتي جمعت لجِهَاد الصّليبيّين قصرا في البادية ليأوي إليه مع ندمائه وحاشيته في ليالي الصيد والقنص!!

وروى المؤرخون أن حال أكثر الأُمّة آنذاك كانَ انصرافا إلى الدُّنيَا وزخرفها ورووا كيف أن الخطباء والوعاظ كانوا يلهبون حماس النّاس في المساجد الّتي كانت تضج بالبكاء والعويل، حتَّى ما إذا خرج الرّجال من المَسجِد عاد كلّ إلى دنياه لا يلوي عَلى شيء، وكأنما يعيد التّاريخ نفسه اليَوْم!!

وسرعان ما أفاقت الأُمّة من الصدمة وعملت المرجعية الدّينيّة عملها في الأُمّة، حيث تروي الكتب الّتي أرخت لتلك المَرحَلَة كيف قامت هذه المرجعية الدّينيّة بشحذ همة رجال الأُمّة وكيف

تجاوبت المرجعية الاجتماعيَّة ورؤوس القبائل والعشائر في الشّام وما حولها مع نداءات الجِهَاد، وباشرت نخب الأُمّة آنذاك بالاشتباك مع الصّليبيّين منذُ اليَوْم الأوّل، إلى أن تصاعدت المُقاوَمة.

واستردت الأُمّة مرجعيتها السّياسيّة بسرعة بقيام أحد أمراء شمال الشّام وهو الأتابك الأمير المُجَاهد (عماد الدّين زنكي) الّذي تصدى للصليبيين شمال غرب الشّام واستطاع إسقاط إمارة الرها الصّليبيّة، فلمع نجمه والتف المُجَاهدون وبعض الأمراء حوله وبدأت تتكون نواة الدّولة الزنكية الّتي كانت عاصمتها في البداية الموصل (شمال غرب العراق عَلى حدود الشّام) ثمّ انتقلت إلى حلب (شمال غرب الشّام) في عهد ابنه الملك (نور الدّين محمود زنكي) رحمه الله، الّذي تولى بعد أن اغتال الحشاشون الباطنية من نصيرية الشّام أباه، فتولى الإمارة وامتد سلطانه ليشمل شمال العراق وسوريا والأردن ولتقوم الدّولة الزنكية وليحمل نور الدّين عَلى عاتقه مهمة بناء القَاعِدَة الأساسيّة للجِهَاد ضدّ الصّليبيّين في المشرق، حيث يعود الفضل إليه رحمه الله في كلّ الأمجاد الّتي حصلت فيما بعد عَلى يد صلاح الدّين، وتاريخ هذه الفترة مشهور جدا، قد تناولته الكتب ووسائل الإعلام والأفلام والمسلسلات التلفزيونية بما يغني عن الترديد والاستطراد.

فقد قضى الملك الزاهد نور الدّين حياته مُجَاهدا للصليبيين في الشّام، محققا الانتصار تلو الآخر وامتد سلطان الزنكيين إلى دمشق الّتي صارت عاصمتهم بعد حلب في الجِهَاد.

واهتم الصّليبيّون بالاستحواذ عَلى مصر لما لها من أثر في دعم من يستحوذ عليها في الصِّرَاع عَلى الشّام، حيث أغراهم ضعف الفاطميين ومكاتبة بعض كبار وزرائهم للصليبيين في بيت المَقْدِس يستقدمونهم إلى مصر ويعدونهم بتسليمها، وأدرك نور الدّين أهمية السباق إلى مصر فأرسل جيشه إليها بقيادة القائد الكردي (أسد الدّين شيركوه) ليدعم جيش الخَليفَة الفاطمي ضدّ الحملة الصّليبيّة المرتقبة عَلى مصر، واصطحب أسد الدّين معه ابن أخيه القائد الناشئ (صلاح الدّين الأيوبي) رغم كراهته لمغادرة الشّام، ولكن أقدار المجد كانت بانتظاره في مصر.

توفي أسد الدّين شيركوه الّذي كانَ الخَليفَة الفاطمي يستقوي به عَلى وزرائه المتصارعين عَلى السُّلطَان والمتآمرين مع الصّليبيّين، فاختار الخَليفَة الفاطمي صلاح الدّين لمنصب الحاجب الّذي يرأس

الوزراء ظنا منه أنه يستطيع السّيطرة عليه لصغر سنه ولكونه غريبا عن مصر، وليستقوي بجيشه عَلى أمراء الفاطميين، وحصلت الحملة الصّليبيّة عَلى مصر واستبسل صلاح الدّين وجيش الشّام ومصر، وأمدهم نور الدّين بالمدد فتمكنوا من صد الحملة الصّليبيّة الّتي هاجمتهم برا وبحرا بمساعدة أسطول الرُّوم القادم من القُسطَنْطينيَّة، وبعيد النّصر بقليل توفي آخر الخُلَفَاء الفاطميين حيث أعلن صلاح الدّين نهاية الخِلافَة الفاطميّة، وخطب الجمعة باسم الخَليفَة العبّاسي وأعاد المذهب السني الشّافعي إلى مصر، وتوطد ملكه فيها، حتَّى خشي نور الدّين ومعاونوه في دمشق من استقلال صلاح الدّين بملك مصر، فأرسل إليه مرات يستقدمه، فأبطأ صلاح الدّين عليه، حتَّى هم نور الدّين بالخروج إلى مصر بجيشه ليضمن ضمها إلى مملكته من أجل توحيد مصر والشّام في الجِهَاد ضدّ الصّليبيّين.

وكان من قدر الله ولطفه أن توفي نور الدّين الملك الزاهد المُجَاهد، فأعلنت أسرته ولده اسماعيل ولي عهد له، وكان طفلا في الحادية عشر من عمره، فنزل صلاح الدّين إلى دمشق معترفا بإسماعيل ومن أجل مناقشة مُوَاجَهة الصّليبيّين واجتمع أهل الحلّ والعقد من علماء وقادة مصر والشّام عَلى بيعة صلاح الدّين الأيوبي سلطانا عَلى بر مصر والشّام، حيث اقتنعوا بعدم صلاحية أن يؤول الأمر إلى طفل في ظروف مُوَاجَهة الصّليبيّين، وضرورة قيام سلطان قوي لولاية أمر المُسلِمِين وقيادة الجِهَاد، وبذلك قامت الدّولة الأيوبية.

وعمد صلاح الدّين إلى مكاتبة الأمراء في الحجاز واليمن وشمال إفريقيا وكذلك ملوك السلاجقة في الري شمال العراق، وكذلك توطدت علاقته بالخليفة العبّاسي في بغداد محأولاًرص صفوف الأُمّة في المُوَاجَهة المقبلة، حيث كانَ صلاح الدّين قد عقد هدنة مؤقتة مع الصّليبيّين حتَّى يفرغ من القضاء عَلى فتن صغار الأمراء من الفاطميين في مصر والمتناحرين عَلى الإقطاعيات والحصون في الشّام، ثمّ نقض الصّليبيّون الهدنة بإغارة قائدهم (أرناط) عَلى قافلة للحجاج جنوب الأردن فنقضت الهدنة واشتعل القِتَال وتتالت انتصارات صلاح الدّين وتتوجت بمعركة حطين ثمّ بفتح بيت المَقْدِس لينصب صلاح الدّين منبر الجمعة الرائع الّذي كانَ نور الدّين زنكي رحمه الله قد أمر بصناعته ليضعه في المَسجِد الأقصى لأول خطبة جمعة بعد الفتح، وكان القدر أن ينصب في عهد صلاح الدّين ويخطب

عليه إمام مسجد الجمعة في حلب الّذي كانَ قد بشر بالفتح الّذي تمَّ سنة ٥٨٣ هجرية، في نفس الموعد الّذي بشربه الشَّيْخ!!

ولما أدركت الوفاة صلاح الدّين، قسم المملكة بين أبنائه الّذين سرعان ما اختلفوا فيما بينهم ليؤول الملك إلى أخيه الملك العادل الّذي تولى ملك مصر والشّام وحصلت في عهده آخر الحملات الصّليبيّة الّتي كانت عَلى مصر، والَّتي قادها ملك فرنسا (لويس التّاسع) الّذي أسره الملك العادل وأودعه السّجن في المَنصُورَة، ثمّ أطلق سراحه، وهناك كتب بعد تفكر وتأمل في تاريخ قرنين من الحملات الصّليبيّة العسكريّة كتب ملاحظاته في فشل الغزو العسكريّ للشرق الإِسْلَاميّ وضرورة العمل عَلى الغزو الفكريّ حيث شكلت ملاحظاته الأرضية الأولى للحملات الصّليبيّة المعاصرة الّتي قامت عَلى التبشير والتغريب ثمّ الإستعمار بعد ذلك بخمسة قرون،

ثمّ توفي الملك العادل بعد أن حمل مهمة جِهَاد الصّليبيّين، ثمّ لما آل الأمر إلى الملك الصّالح اسماعيل الّذي صار سلطانا عَلى الشّام، وإلى عمه الملك نجم الدّين أيوب الّذي صار ملكا عَلى مصر، وتواطأ اسماعيل مع الصّليبيّين واستعان بهم ضدّ نجم الدّين في مصر وأعطاهم عددا من القلاع والحصون، وسمح لهم بشراء السّلاح من أسواق دمشق، فوقف له بالمرصاد سلطان العُلَماء في زمانه (العز بن عبد السَّلام) عالم دمشق، فسجنه ثمّ أطلق سراحه فارتحل إلى مصر ليتابع سيرة الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر عَلى سلطان مصر الّذي آواه وأكرمه.

واستكثر الأيوبيون في مصر من العبيد والمماليك فحشدوا منهم المئات والآلاف، واتخذوا منهم الجند والقواد، وصارت قوة كلّ أمير من أمراء مصر والشّام من الأيوبيين بعدد عبيده ومماليكه الّذين كانَ كثير منهم من وسط آسيا وبلاد التركستان، وأغرى قادة المماليك ما هم عليه من القوّة وما عليه حال ملوكهم وأمرائهم الأيوبيين من التفسخ والضّعف فانقلبوا عليهم واستلموا الحكم في مصر والشّام تبعا لذلك، بعد وفاة نجم الدّين أيوب أثناء معركة المَنصُورَة (١٢٥٠م)، حيث تزوجت زوجته (شجرة الدر) بكبير قواده من المماليك ثمّ تنازلت له عن الملك، لتقوم بذلك الدّولة المملوكية، وكان لسلطان العُلَماء العز بن عبد السَّلام رَحِمَهُ اللهُ القصة التارِيخِيَّة المشهورة، حيث لم يفت بصحة ولايتهم لأنّهم

عبيد غير أحرار، واضطروا للنزول عَلَى فتواه بضرورة بيعهم ورد ثمنهم لبيت مال الْمُسلِمِين حتَّى صاروا أحرارا وصحت ولايتهم!!

وحملت دولة المماليك راية الجِهَاد ضدّ التّتار الّذين كانوا قد اجتاحوا المشرق وأسقطوا بغداد واستباحوا مدن الشّام، وقرعوا أبواب مصر، فنهض لهم سلطانها المملوكي الْمُجَاهد (قطز) الّذي لم يفت له سلطان العُلَماء بالأخذ من أموال العامّة لشراء السّلاح، إلا بعد أن وضع ماله وأخذ مال أمراء المماليك لذلك الغرض، فأفتاه وحرض الْمُسلِمِين عَلَى الجِهَاد في مصر والشّام وكانت موقعة عين جالوت أول هزيمة استراتيجية للتتار، أدت إلى بداية تراجعهم.

وخلف الملك الظَّاهِر بيبرس قطز عَلَى السُّلطَان بعد أن اغتاله وهم عائدون من عين جالوت ليظفر بالملك وبهجة النّصر! ومع ذلك حمل بيبرس مسؤولية جِهَاد الصّليبيّين في الشّام زهاء ٢٧، إلى أن أجلاهم عن آخر حصونهم، حيث تمَّ الجلاء الكامل في عهد السُّلطَان خليل بن قلاوون وانتهت بذلك الحملات الصّليبيّة الأولى (١٢٩١).

والمستخلص من مسار هذه الحملات دُروس وعبر كثيرة وما يخصنا لهذا البحث هو معرفة ما كانَ من أمر المرجعيات الّتي تولت إدارة الْمُوَاجَهة في الطّرف الإِسْلَاميّ:

١- **المرجعية السّياسيّة**: كانت غائبة ابتداء، ثمّ تكونت عبر الزنكيين ثمّ الأيوبيين ثمّ المماليك.

٢- **المرجعية الدّينيّة**: تولت الْمُوَاجَهة إلى أن قامت المرجعية السّياسيّة، ثمّ وقفت ردءا لها إلى نهاية الْمُوَاجَهة،

٣- **المرجعية الاجتماعيَّة**: وقفت إلى جانب المرجعيتان، واكتمل النصاب، فواجهت الأُمّة الإِسْلَاميّة أمة الصّليبيّين.

و كانت معادلة الْمُوَاجَهة في الحملات الصّليبيّة الأولى باختصار:

أمة الإِسْلَام × أمة الصليب ← انتصرت أمة الإِسْلَام

لم تواجه أمة الإِسْلَام بشرائح قليلة، ولا بعِصَابات صغيرة، ولا بتنظيمات محدودة لا سرية ولا علنية، لقد وقفت الأُمّة بكاملها للحملات الصّليبيّة وهزمتها، ولم يعطل صِرَاع الأمراء والسلاطين عَلى الملك ولا خور عامة الأُمّة وقعودها عن الجِهَاد.

الحملات الصّليبيّة الثّانية (١٧٩٨-١٩٧٠)

أقامت الحملات الصّليبيّة الأولى في المشرق العربيّ زهاء مائتي سنة، مكنتهم من الاحتكاك عن قرب بالحضارة الإِسْلَاميّة، ليس عسكريّاً فحسب، فقد كانَ هناك كثير من فترات الهدنة، كما قامت كثير من العلاقات التجاريَّة بين الإمارات الصّليبيّة والإِسْلَاميّة من حولها، وتمكن كثير من الرحالة ورجال الدّين الأوربيين أن يزوروا بلاد المُسلِمِين ويطلعوا عَلى البون الشاسع في التَّفكير والتطور والنّظام السّياسيّ والإقتصادي والحياة الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة، كما تمكنوا من نقل كثير من المخطوطات والكتب حتَّى عد المؤرخون الأوربيون الحملات الصّليبيّة من أسباب عصر النهضة في أوروبّا ونهاية العصور الوسطى،

وفي أواخر أيّام الحملات أدرك ملوك النّصَارى ألا سبيل لهم إلى البقاء، وبدؤوا يعيدون التَّفكير في طريقة غزوا المُسلِمِين والتعامل معهم،

وفي الحملات الأخيرة عَلى مصر(١٢٤٩ميلادية)، وقع (لويس التّاسع) ملك فرنسا أسيرًا مع آلاف من جنوده الصّليبيّين بيد المماليك، وأودع السّجن، وهناك كانَ لديه فسحة من التأمل ليضع أسس هامة لتفكير الصّليبيّين في كيفِيَّة غزو المُسلِمِين، وكتب توجيهاته الهامة تلك والَّتي كانَ خلاصتها:

(إن المُسلِمِين لا يهزمون ما دامت عقيدتهم قائمة ويجب أن تبدأ الحَرب عَلى المُسلِمِين بحرب الكلمة)

ثمّ ما لبثت الحملات الصّليبيّة الأولى أن انتهت كليا بسقوط عكا سنة (٦٤٠هجرية - ١٢٩١ميلادية)،



وهكذا أدرك الغرب الصّليبيّ أنه لا يمكن التغلب عَلى المُسلِمِين بالقهر والقوة العسكريّة لأن ذلك يستفز لديهم بسبب المشاعر الدّينيّة وطبيعة عقيدتهم كلّ أسباب المُقاوَمة والقتال، وأن السبيل إلى ذلك هو غزوهم فكرياً وتغيير طريقتهم في الاعتقاد والتّفكير لتجفيف جُذُور قوتهم وقدرتهم عَلى المُقاوَمة ومن ثمّ يسهل الاستيلاء عليهم عسكريّاً.

الغزو الفكريّ للمسلمين ونتائجه العمليّة في الميدان السّياسيّ:

انتهت الحملات الصّليبيّة الأولى نهاية القرن الثّالث عشر، وابتدأت الثّانية مطلع الثّامن عشر، فكيف استفاد الصّليبيّون من مدّة ٥٠٠ سنة للإعداد والتخطيط للعودة عَلى خبرة ومعرفة ؟!

منذ عادت بقايا الحملات الصّليبيّة مدحورة إلى أوربّا انكب العُلَماء والمفكرون الأوربيون عَلى دراسة خُلاصة حضارتنا العربيَّة والإِسْلَاميّة ونشطت حركة الترجمة وقامت مراكز وجامعات الإستشراق وهو التخصص في الدّراسة الشرقية، ومع انهيار الحكم الإِسْلَاميّ للأندلس ١٤٩٢م، حصل مثل ذلك وخلال القرون السَّادس عشر والسَّابع والثَّامن عشر نشطت حركة الرحالة والكشافة والمستشرقين، ثمّ نشأت حركات التبشير برعاية البابا ودعم وتسابق ملوك أوربّا عَلى دعم المهام المقدّسة للبحارة والمكتشفين، وعلى مدى هذه القرون الطويلة توغل هَؤُلَاءِ البحاثة والبعثات الإستشراقية والاستكشافية في كافّة أرجاء العالم العربيّ والإِسْلَاميّ وقدموا الدراسات والأبحاث ونقلوا الكتب والمخطوطات الّتي تجمعت في جامعات ومراكز دراسات استشراقية عملاقة تخصصت في دراستنا.

وأذكر عَلى سبيل المثال من ذلك أَنّي دخلت مكتبة جامعة الدراسات الشرقية في لندن للبحث عن كتب في التّاريخ السّياسيّ المعاصر للجزائر، فلما دخلنا إلى دليل كمبيوتر المكتبة علمت أن المكتبة تحوي عَلى ما طوله ١١٤ كم من الرفوف المرصوصة بالكتب من مختلف الدراسات واللغات من العربيَّة وسواها ! ولما طلبت منه كتب عن الجَزَائِر، علمت بوجود (٣٠٠٠٠) كتاب عن الجَزَائِر بمختلف اللغات، فلما حددنا اللغة العربيَّة أذكر أنها كانت ما يربوا عن ٥٠٠٠ كتاب فلما حددنا المطلوب باللغة العربيَّة عن التّاريخ السّياسيّ المعاصر للجزائر عثرت عَلى ٢٦٣ كتاب، ووجدت

ضالتي من وثائق مرحلة الاستقلال في عشرات الكتب منها !! فتأمل، وقد عرفت بالصدفة أن المكتبة تحوي ٦٠٠٠ مخطوطة بلغة البشتون تعود لتواريخ مختلفة ولك أن تتساءل، كم من البشتون يعرف قراءة لغتهم المكتوبة ؟! فيما درسها علماء أوربّا وقرؤوا مخطوطاتها !

ولقد رأيت مثل ذلك في مركز(جورج بومبيدو) في باريس وهو مكتبة مقروءة مسموعة مرئية تحتوي مئات آلاف الكتب والأبحاث والدراسات، وسعت عن مثل ذلك عن جامعات هولندا وألمانيا ويرها، ورأيت في أسبانيا مكتبة (الأوسكوريال) قرب مدريد حيث تحتوي زهاء خمسين ألف مخطوطة عربيَّة، عدا ما تحتويه مكتبة الفاتيكان وسواها من مراكز التبشير والتنصير.

باختصار؛ لقد توغل الإستعمار الحديث في بلادنا بعد أن امتلك معلومات في كافّة المناحي وقرأنا وفهمنا كما يقرأ خطوط كفه، لقد تحركوا بعلمية وعملية، إنهم الرُّوم وخصالهم، هَؤُلَاءِ الّذين لا يعرف أكثرنا عنهم إلا ظاهر قشرتهم الحَضَاريَّة حاليا من الانحلال والفجور والمجون، ولكن القَاعِدَة الحَضَاريَّة لهذه الأمم الرُّومية أعقد من ذلك بكثير، ولا بُدَّ من أن نعرفهم كما عرفونا ونقاومهم عَلى بصيرة كما غزونا عَلى بصيرة ومعرفة.

وقد كتب بعض المؤرخين والبحاثة العَرَب والمُسلِمين عددا من الكتب حول الإستشراق وعلاقته بالاستعمار وحركات التبشير وعلاقتها بالاستعمار، مما يندهش له المرء من ترابط هذه المواضيع الثّلاثة، وهكذا بدأ الغزو الفكريّ لبلادنا مع قدوم حملة نابليون (١٧٨٩م)، وبدأ تغلغل الماسون في البلاد العربيَّة والخِلافَة العُثْمَانِيّة، وبدأت رياح التغريب والإستعمار الفكريّ تهب عَلى بلادنا قبل الإستعمار الّذي أتى بزخمه أواسط القرن التّاسع عشر ومطلع القرن العِشرين، وكان قد بدأ منذُ القرن السَّادس عشر يقضم أطراف العالم الإِسْلَامِيّ.

وعلى منحى مواز للغزو الفكريّ دأبت طلائع الإستعمار عَلى صناعة الصنائع الاستعماريّة وإقامة علاقاتها بمختلف شرائح المجتمع ولاسيما قطاع أمرائه وعلمائه وهكذا تسللوا إلى الجملة العصبية للجسد الإِسْلَاميّ الّذي كانَ يرتمي مريضا يحتضر مع الخِلافَة العُثْمَانِيّة، فلما نضجت الطبخة الاستعماريّة الكبرى، أعان الإستعمار عَلى غزواته ما حققته أوربّا مما أسلفنا من النهضة العلمية والثَّورة

الصناعية والتطور في مجال السّلاح ووسائل النقل السريعة، وهكذا دهمنا الإستعمار وقد توفر له كلّ شيء وتساقطت بلاد المُسلِمِين بأسهل مما تسقط العاصفة أوراقا صفرا لشجرة مريضة قد نخر السوس ساقها وتآكلت جُذُورها ودب العطب في كلّ مناحي حضارتها دينيا وفكريا وسياسيّاً وعلى كلّ صعيد.

لقد أوصلتها السنن لأن يتحقق لنا ما أخبر به بن خلدون من قيام الممالك وزوالها واندثارها، وهكذا شهدت الحضارة نقلتها الرَّابعة بحسب توينبي كما أسلفنا في الفَصل السابق من الشّرق الإِسْلَاميّ إلى أوربّا الغربيّة الصّليبيّة ووريثتها أمريكا.

بداية الحملات الصّليبيّة الثّانية:

ويمكن التّاريخ للحملات الصّليبيّة الثّانية ودفعتها الرَّئيسيَّة بمطلع القرن التّاسع عشر حيث انطلقت حملة نابليون إلى مصر سنة ١٧٨٩، مع أن انطلاقهم نحو أطراف العالم الإِسْلَاميّ وتمكنهم من إنشاء رؤوس جسور وقواعد بحرية عَلى شواطئ بلاد المُسلِمِين واحتلال الجزر البعيدة في أطراف العالم الإِسْلَاميّ يرجع إلى أواسط القرن السَّادس عشر، حيث وصلت بهم الجرأة أن ينشئوا مُستَعمرات لهم عَلى شواطئ جَزِيرَة العَرَب وحتى عَلى التَّفكير في غزو الحرمين كما حاول الأسطول البرتغالي ذلك، ولكن العُثمَانِيّين وقوتهم البحرية المسيطرة أفشلت المحاولة، وما لبث العُثمَانِيّون أن سيطروا عَلى البحر المتوسط والبحر الأحمر وبحر العَرَب، وبعد أن سيطر الإنجليز عَلى مُستَعمرات البرتغال عَلى سواحل إفريقيا والهند والجزر الواصلة إلى الفلبين، وبعد احتلالهم لشبه القارة الهندية، تمكنوا من احتلال السواحل الجنوبية للجَزِيرَة العربيَّة وسواحل الخليج العربيّ – الفارسي– وأقاموا بالتّعاون مع مشيحات الخليج محميات لهم تتبع عمليا التاج البريطاني، ولم يتجرؤوا – لفهمهم الحضاري واستيعابهم– عَلى التَّفكير في احتلال قلب الجَزِيرَة العربيَّة ولاسيما الحجاز، لوجود المقدّسات فيها وخشية وجود الخِلافَة المركزية(العُثمَانِيّة) ولو شكليا، وخشية أن يستفز إعلان الجِهَاد العام من قبلها دفاعا عن الحرمين المُسلِمِين ضدّ بَرِيطَانيَا في مناطق هيَ في غنى عن الصدام معهم فيها.

ثمّ بدأ التسابق الفرنسي – البريطاني بشكل سافر عَلى قلب العالم الإِسْلَاميّ جنوب المتوسط في بلاد الشّام ومصر وشمال أفريقيا والجَزِيرَة العربيَّة فاحتل نابليون مصر مطلع القرن التّاسع عشر

وزحف إلى جنوب فِلَسطِين كما احتلت فرنسا تونس والجَزَائِر وأجزاء من شمال مراكش ما بين ١٨٣٠ – ١٨٤٤م، كما دخلت أسبانيا الصَّحرَاء المغربية ومنطقة الريف سنة ١٨٦٠م.

وبلغت الحملات الصّليبيّة الثّانية نقطة الذروة بعيد الحَرب العَالَمِيّة الأولى وخسارة الدّولة العُثمَانِيّة للحرب إلى جانب ألمانيا بعد سيطرة الماسون عَلى إدارتها، والحجر عَلى آخر خلفائها السُّلطَان عبد الحميد، فأبرمت معاهدة أو مؤامرة سيكس بيكو سنة ١٩١٧ وفي نفس السنة صدر وعد بلفور عن وزارة المُستَعمرات البريطانيَّة بإعطاء فِلَسطِين وطنا قوميا لليهود بعد أن تسيطر عليها بَرِيطَانيَا بحسب الاتفاقية الّتي جعلت فِلَسطِين في حصتها.

وهكذا سقط المشرق العربيّ كله تحت احتلال جُيُوش الحملات الصّليبيّة الثّانية تحت مسمّى الاستعمار الحديث، فدخل الجنرال الفرنسي (غورو) دمشق سنة ١٩٢٠ واحتلت فرنسا سوريا وكان لبنان ضمنها، ودخل الجنرال الإنجليزي (اللنبي) القُدس سنة ١٩٢١، واحتل الجيش البريطاني فِلَسطِين وشرقي الأردن والعراق بعد أن غدرت بَرِيطَانيَا بالشريف حسين ونكثت بوعودها الّتي كانَ قد أبرمها معه وزيرها (مكماهون) من أجل كسب معاونته وجر العَرَب للانقلاب عَلى الأتراك العُثمَانِيّين، حيث خدع الشريف حسين وظن أن بَرِيطَانيَا سوف تعاونه عَلى إقامة خلافة عربيَّة عَلى أنقاض العُثمَانِيّة تشمل جَزِيرَة العَرَب والعراق والشّام فقاد ما عرف باسم الثَّورة العربيَّة الكبرى حيث قاتل العَرَب في الحجاز والشّام إخوانهم الأتراك من جنود الخِلافَة بدعم وتعاون من الإنجليز، وكانت بَرِيطَانيَا قد احتلت مصر والسُّودَان قبل ذلك فيما آلت ليبيا إلى إيطاليا (١٩٠٤م).

هذا عن العالم العربيّ، أما في العالم الإِسْلَاميّ فقد تقاسمته أوربّا الاستعماريّة كذلك، فصارت الهند وبلاد السند (باكستان) وإيران تحت الاحتلال البريطاني، ووُضعت تركيا باسم الاستقلال والجمهوريّة تحت حكم يهود الدونمة بإشراف اليَهُوْدي (مصطفى كمال أتاتورك) الّذي أقام الجمهوريّة التركية وأعلن إسقاط الخِلافَة، وتخلت بذلك تركيا عن إرثها في الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة للعالم الصّليبيّ، فيما تقاسمت فرنسا وبريطانيا الدّول الإِسْلَاميّة في وسط إفريقيا.

أما روسيا فقد انطلق قياصرتها منذُ أواسط القرن السَّادس عشر في حركة استعماريّة التهمت الممالك الإِسْلَاميّة واحدة تلو الأخرى فاحتلت روسيا بلاد القرم والبشكير وتتارستان وبلاد القفقاس؛ الشِّيشَان وداغستان وجورجيا وأذربيجان وانطلقت شرقا لتبتلع تركمانستان وأوزبكستان وطاجيكستان وقيرغيزستان وكازاخستان وكانت قد استولت عَلى سيبيريا بالكامل وحطت جُيُوش القياصرة رحالها عَلى ضفاف نهر جيحون عَلى حدود أفغانستان سنة ١٩٠٤ بعد أن كانت قد أسقطت عواصم الإِسْلَام الكبرى؛ مثل: مرو وبخارى وترمذ وسمرقند وطشقند... ثمّ ورثت روسيا الشُّيُوعِيّة بعد الثَّورة البلشفية ١٩١٧م تلك المُستَعمرات بعد أن قضت عَلى الأسرة القيصرية وكان لليهود الرُّوس دور رئيسي في الثَّورة الشُّيُوعِيّة فكرا وتنفيذا.

أما بلاد نجد والحجاز فقد استولت عليها بَرِيطَانيَا بطريقة ذكية تتناسب مع قدسية الحرم، فقد تبنت بَرِيطَانيَا أميرا شابا من أسرة آل سعود الّتي كانت قد لجأت إلى الكويت بعد سقوط الدّولة السّعُودِيّة الثّانية، حيث تعرفت وزارة المُستَعمرات عَلى عبد الرَّحمٰن آل سعود عن طريق عميلهم الأكبر في الكويت (مبارك الصباح) الّذي يدعوه قادة التنصير في جَزِيرَة العَرَب بـ (مبارك العظيم) جراء ما قدم لهم من خدمات وتسهيلات للتنصير في جَزِيرَة العَرَب[1]، وهكذا عرضت بَرِيطَانيَا عَلى عبد الرَّحمٰن آل سعود معاونتها لاستعادة ملك أجداده في نجد، فقدم لهم بسبب كبر سنه ولده عبد العزيز سنة ١٨٩٨، فمولت بَرِيطَانيَا حملته الأولى عَلى نجد سنة ١٩٠١ ثمّ ونتيجة ما لاقاه من الصعوبات تبنى عبد العزيز فكرة إحياء الدّعوة الوهابية وعاود الكرة في السنة التّالية، وتمكن بمساعدة بَرِيطَانيَا الّتي أمدته بالمال والخبراء والضُّبَّاط الإنجليز وبسبب زعمه حمل راية الدّعوة الوهابية حصل عبد العزيز عَلى مساعدة جماعات (الإخوان) حملة الدّعوة الوهابية الّذين ساعدوه فتمكن من دخول نجد والاستيلاء عليها، وبعد تفكير عميق تخلت بَرِيطَانيَا عن (الأشراف) في الحجاز لصالحه لتضع كامل بلاد نجد والحجاز ومعظم جَزِيرَة العَرَب تحت سلطة عبد العزيز بن عبد الرَّحمٰن آل سعود الّذي أعلنته بَرِيطَانيَا سلطانا عَلى نجد والحجاز سنة ١٩٣٥ لتقوم (الدّولة السّعُودِيّة الثّالثة)، وأبرم التاج البريطاني

---

(١) انظر محاضرة (صانعوا الخيام) للشيخ سلمان – رزقه الله – العودة.[المؤلف]

مع عبد العزيز اتفاقية تبعية يلتزم فيها بان لا يخرج عن مشورتهم وأوامرهم وأن لا يبرم معاهدة ولا اتفاقا إلا بإذنهم مقابل كفالة التاج البريطاني لعرشه مدّة حياته ولأبنائه وراثيا من بعده، ثمّ أمدت بَرِيطَانيَا عبد العزيز ليحارب الإخوان وساعدته بالطائرات فقضى عَلى بقيتهم في معركة(السبيلة) الشهيرة، ليخلوا له الجو ويدخل من تبقى من حملة الدّعوة الوهابية تحت عباءة سلطانه وملكه.

وبعد أن سيطرت بَرِيطَانيَا عَلى فِلَسطِين تعاونت بشكل كثيف مع الوكالة اليَهُوْدية للهِجرَة الّتي أقامتها الحركة الصّهيونيّة، وضخت في فِلَسطِين مئات آلاف اليَهُوْد الّذين شحنتهم السفن من مختلف الدّول الأوربية ولم يكن عدد اليَهُوْد الأصليين في فِلَسطِين يجاوز ١٥٠٠٠ نسمة عندما احتلتها بَرِيطَانيَا، وشعر المُسلِمُون بالخطر الداهم وقامت الثَّورة الّتي قادها الشَّيْخ عز الدّين القسام ﵀ الّذي قدم من الساحل السّوري لإحياء الجِهَاد في فِلَسطِين سنة ١٩٣٦، واشتعلت المعارك بين المُسلِمِين واليَهُوْد، فاستنجدت بَرِيطَانيَا بعبد العزيز آل سعود لإخماد الثَّورة، فأرسل ابنه ووزير خارجيته فيصل من أجل إقناع الفلسطينيين بوقف الثَّورة وإعلان الهدنة، فاقنع فيصل زعمائها بالوثوق بوعود (صديقتنا بَرِيطَانيَا) عَلى حد زعمه، وهكذا أجهضت الثَّورة الرَّئيسيَّة الّتي وقفت في وجه حملات التهجير والتهويد في فِلَسطِين، ثمّ تتابعت جهود مختلف الدّول الأوربية في دعم وكالة الهِجرَة اليَهُوْدية وإمداد اليَهُوْد بالمال والسّلاح حتَّى وصل عددهم سنة ١٩٤٧ إلى ٦٥٠ ألف نسمة، وتمت مسرحيَّة دخول الجُيُوش العربيَّة وهزيمتها في فِلَسطِين سنة ١٩٤٧ فأعلن اليَهُوْد ميلاد دولة إسرائيل لتسارع الجَمعيَّة العامّة للأمم المتحدة وبمباركة من دول أوروبّا وأمريكا وروسيا للاعتراف بها.

وهكذا زرعت الحملات الصّليبيّة الثّانية الكيان السرطاني اليَهُوْدي في أقدس مقدّسات المُسلِمِين واحتل اليَهُوْد نصف مدينة القُدس بعد أن استولت بَرِيطَانيَا الصّليبيّة عَلى بلاد نجد والحجاز بصورة غير مباشرة عبر صك الملك الوراثي في عبد العزيز وأبنائه.

إذن...

لقد سقط العالم العربيّ والإِسْلَاميّ برمته تحت الإحتلال الغربيّ الّذي لم يخف هويته الصّليبيّة، فقد صاح الجنرال اللنبي وهو يركز علم بَرِيطَانيَا ذي الصّليبيّن عَلى قمة جبل الزَّيتون في بيت المَقْدِس



قائلا: (**الآن انتهت الحُرُوب الصّليبيّة**)، وكذلك ذهب الجنرال غورو الفرنسي إلى ضريح صلاح الدّين وضرب قبره بالسيف وكسر قطعة منه وقال له: (**ها قد عدنا يا صلاح الدّين**)، وصرح موسوليني حاكم إيطاليا الاستعماريّة بأنه يحمل أمجاد الرُّومان إلى جنوب المتوسط، وهكذا كانَ سلوك باقي الدّول الأوربية حيث ذهبت.

واستمرت هذه الحملات في احتلالها المباشر العَلنيّ طيلة ما سمي بمرحلة الإستعمار القديم، إلى أن أدت الثورات الجهاديّة، والحركات التحررية إلى إجبار الدّول المُستَعمرة عَلى تغيير أسلوبها إلى مرحلة الإستعمار الحديث، لتتابع الحملات فتكها بكافة بلاد العالم الإِسْلَاميّ بشكل أذكى وأدهى، فبدأ إعلان استقلال الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة منذُ مطلع الأربعينات وكان آخرها دولة الإمارات العربيَّة المتحدة، الّتي أعلن (استقلالها!!) سنة ١٩٧٣، أما الممالك الإِسْلَاميّة الّتي احتلها الرُّوس فلم ينفك عن الإحتلال المباشر إلا بعضها عند تفكك الاتحاد السوفييتي سنة ١٩٩٠م.

وكما أسلفت فإن استقلال تلك البلاد كانَ شكليا، وأدى قيام روسيا وأمريكا كدولتين عظميين إلى أن ترث كلّ منهما القيام بمهام الإستعمار الحديث في معظم تلك الدّول ولم يبق لفرنسا وبريطانيا إلا بعض الفتات الاستعماريّ هنا وهناك.

وقد سجل التّاريخ الحديث أن الثورات الجهاديّة الّتي قارعت الاستعمار وواجهت الحملات الصّليبيّة الثّانية قد اشتعلت في كافّة بلاد العالم الإِسْلَاميّ، ولم تترك الاستعمار ينعم بالهدوء، فكانت الثورات ما تلبث أن تهدأ لتندلع من جديد، فقد أجبرت ثورات العُلَماء بَرِيطَانيَا عَلى الرحيل مبكرا عن أفغانستان، ثمّ جلت عن الهند وباكستان بعد احتلال دام قرابة قرنين، وكذلك أجبرتها ثورات العراق ومصر والسُّودَان وعدن عَلى الرحيل بعد خسائر كبيرة، وكذلك خرجت فرنسا من الجَزَائِر وتونس والمغرب وسوريا بعد خسائر فادحة، وبنفس الطَّريقة خرجت إيطاليا من ليبيا وكذلك أسبانيا من المغرب... وهلم جرا.

والدارس لمسار الحملات الصّليبيّة الثّانية يجد بعض النقاط الهامة في الإختلاف وتطوير الصّليبيّين لأساليبهم بين الحملتين الأولى والثّانية، ومن أهمّ ذلك:



أن الحملات الصّليبيّة الأولى كانت ذات بعد ديني أساسا ممتزج ببعد اقتصادي ثانوي، في حين كانت الحملات الثّانية ذات بعد ديني صليبي واقتصادي استعماريّ وسياسي من أجل الصِّرَاع عَلى النفوذ، وكذلك ذات بعد حضاري يقصد إلى نشر ثقافة الُمستَعمر ونظمه العلمانيّة في البلاد الُمستَعمرة.

أن الحملات الصّليبيّة الأولى تركزت عَلى سواحل المشرق والشّام فقط، في بيت المَقْدِس وأكنافه وسواحل سوريا ولبنان، في حين استهدفت الحملات الصّليبيّة الثّانية كامل بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وتركزت في الشّرق الاوسط وفي دعم إسرائيل في بيت المَقْدِس.

أن الحملات الصّليبيّة الأولى استهدفت الأرض باحتلالها، في حين استهدفت الحملات الثّانية احتلال الأرض والإنسان المسلم الّذي قصدته بالمسخ والتغيير في كافّة أبعاد مكوّناته الحَضَاريَّة.

وهذه أهمّ الملاحظات؛ وهي أن الحملات الأولى تمت في حالة جهالة تامة من قبل الُمستَعمرين الصّليبيّين بالأرض الإِسْلَاميّة وسكانها وكامل مكوّناتهم الحَضَاريَّة والدّينيّة والثَّقافيَّة، في حين تمت الحملات الثّانية بناء عَلى معرفة تفصيلية ودراسات متعمقة مكنتهم من الدخول عَلى بصيرة توغلوا فيها وفق خرائط واضحة المعالم للأرض والشّعوب وتركيبتها النّفسية والعرقية والدّينيّة وكامل مواصفاتها، وهذه نقطة تحتاج الوقفة التّالية:

فماذا كانَ من شأن المرجعيات الثّلاثة في قيادة المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة؟؟

حالة المرجعيات الإِسْلَاميّة خلال الحملات الصّليبيّة الثّانية:

على صعيد المرجعيات السّياسيّة:

كانت قد سقطت تماما بسقوط الخِلافَة العُثمَانِيّة عمليا (منذ نهايات القرن الثَّامن عشر) ثمّ رسميا (١٩٢٤م) وكان حال القيادة السّياسيّة لا يقل إن لم يزد سوءا في الغالب عن أحوال أمراء المشرق المتنازعين أيّام غزو الصّليبيّين والتّتار، وبالإمكان القول أن الُمسلِمِين كانوا بلا مرجعية سياسيّة عمليا.

عَلى صعيد المرجعية الدّينيّة:

فقد كانت المرجعية ما تزال حية، وتمثلت في تلك المَرحَلَة بأئمة المذاهب الفقهيّة، ومراكز الإشعاع الدّيني ككبريات المساجد في كلّ بلاد الُمسلِمِين، وبرزت في هذه المَرحَلَة الطرق الصوفية

كمرجعية دينية في أكثر بلاد المُسلِمِين، حيث كانت الصوفية قد ازدهرت خلال المَرحَلَة العُثْمَانِيّة وما سبقها، وهكذا قام العُلَماء وأئمة الصوفية بدعوة العامّة للجِهَاد والمُقاوَمة وقادوا تلك الانتفاضات الجهاديّة بأنفسهم.

على صعيد المرجعية الاجتماعيَّة:

فقد كانَ النّظام القبلي العشائري مازال متماسكا في معظم العالم العربيّ والإِسْلَاميّ وكان متداخلا جدا مع المرجعية الدّينيّة مما وفر القَاعِدَة الشعبيَّة لوقود الثَّورة.

وهكذا عمت الثورات عَلى الإستعمار العالم الإِسْلَاميّ بأكمله، مثل ثورة الإِمَام شامل في القفقاس عَلى الرُّوس والَّتي استمرت زهاء أربعين سنة وكذلك ثورات الأوزبك وغيرهم في وسط آسيا والَّتي أخمدها الرُّوس بكل قسوة، فتحول المُسلِمُون في جِهَادهم إلى الحفاظ عَلى دينهم وقومياتهم سرا، وما زالت الثورات تندلع ضدّ الرُّوس طوال تاريخهم، وكذلك قامت ثورات ضدّ الإنجليز قادها (علماء الديوبند) وأئمة المذهب الحنفي والطرق الصوفية في شبه القارة الهندية وبلاد السند وأفغانستان الّتي انتهت بجلائهم، وكذلك واجه الإنجليز ثورات العراق والثَّورة المهدية في السُّودَان والانتفاضات الّتي قادها علماء الأزهر في مصر، وكذلك ثورة علماء اليمن عَلى الإنجليز، كما واجهت فرنسا ثورة ضارية في الجَزَائِر وكذلك اعمال مقاومة كثيرة في المغرب وسوريا وبعض البلاد الإفريقية كما قام عبد الكريم الخطابي بجِهَاد الإسبان وتحالف جُيُوش أوربّا في الريف المغربي وهزم في معركة أنوال الشهيرة جُيُوش خمس دول أوربية مجتمعة أسر فيها آلاف الجنود وأكثر من مئة جنرال، وكذلك قاد عمر المختار والسنوسيين الجِهَاد ضدّ إيطاليا في ليبيا لأكثر من أربعين سنة، وكذلك كانَ الأمر في مختلف بلدان العالم الإِسْلَاميّ.

وهكذا ورغم غياب المرجعية السّياسيّة، تمكنت المرجعيتان الدّينيّة والاجتماعيَّة من لم شمل الأُمّة، وإطلاق المُقاوَمة عبر حُرُوب العِصَابات الجهاديّة وأنواع المُقاوَمة المدنيّة والعصيان وأعمال التظاهر والكفاح السّياسيّ، مما أدى في نهاية المطاف إلى إجبار المُستَعمرين عَلى الرحيل وإعطاء تلك

البلاد استقلالها، ولكن بعد أن تمكن الاستعمار من وضع أسس المَرحَلَة التّالية من الحملة الصّليبيّة الثّانية بأسلوب ماكر خبيث، وهو ما عرف باسم الاستعمار الحديث.

وكانت معادلة القوى في صِرَاع المُسلِمِين مع الحملات الصّليبيّة الثّانية خلال مرحلة الاستعمار العسكريّ إلى الاستقلال بعد أن دخل اليَهُوْد فيها بشكل أساسي منذُ الحَرب العَالَمِيّة الأولى فصارت المعادلة عَلى الشّكل التّالي:

أمة الصليب + أمة اليَهُوْد × أمة الإِسْلَام ← انتصرت أمة الإِسْلَام

ومرة أُخرى يمكننا القول هنا أن المُقاوَمة والمُوَاجَهة لم تكن من فعل عِصَابات محدودة ولا تنظيمات سرية ولا نخب عقدية فقط وإنما شملت أمة الإِسْلَام في كلّ قطر حيث التفت حول زعماء الجِهَاد والثَّورة، فلما كانت قضية الصِّرَاع قضية أمة في مُوَاجَهة أمم تأهلت الأُمّة للانتصار ورحل الاستعمار.

وهنا ينتقل الحديث إلى مرحلة الاستعمار الحديث ما بين الحملتين الصّليبيّتين الثّانية والثّالثة والَّتي تناولتها في المحاضرات السَّابقة الّتي غطت هذا البحث تحت عنوان المَرحَلَة الثّانية من الحملات الصّليبيّة، ثمّ أجد الآن أنها مرحلة مستقلة مهدت للحملات الثّالثة ولذلك سأتناولها هنا بعنوان مستقل هو ما يلي.

مرحلة الاستقلال السّياسيّ (الشكلي) وقيام الاستعمار الحديث

خلال المَرحَلَة الممتدة ما بين حصول الاستقلال في البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة، وقيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد (١٩٩٠م) أي منذُ الأربعينات إلى السبعينات بحسب استقلال الدّول وإلى سقوط الاتحاد السُّوفيتيّ وتفرد أمريكا بإدارة العالم وقيادة الرُّوم المعاصرين، تحولت الدّول الأوربية وروسيا وأمريكا اللتان دخلتا عَلى خط الاستعمار تحولت إلى مرحلة عرفت بمصطلح الإستعمار الحديث، والّذي لم تنفك منه بلاد العَرَب والمُسلِمين إلى يومنا هٰذا، حيث ورثت أمريكا وإدارتها الصّهيونيّة مهمة قيادة الحملات الصّليبيّة الثّالثة كما سنبين لاحقا إن شاء الله.

أما عن هذه المَرحَلَة، فاستكمالا لما كانَ المُستَعمرون الأوربيون قد قرروه من الغزو الفكريّ للمسلمين من أجل إحكام السّيطرة عليهم، لم يضيع المُستَعمرون الوقت واستفادوا من تجربهم السَّابقة

وما أسسوه من مشاريع التبشير والاستشراف والاستعمار، فقد قدمت مع جحافل الاحتلال الأولى وسائل الغزو الفكريّ والثقافي، فافتتحت المدارس التبشيرية والجامعات الغربيّة وأنشئت المطابع والأندية الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة، والصّحف ودور النشر، ونشر الاستعمار أفكار التغريب والعلمانيّة وأنشأ الأحزاب الوطنيّة عَلى أساسها ليؤهلها لمرحلة الاستقلال، وشجع الاستعمار عبر النَّشَاطات الأدبية والفكريّة والثَّقافيَّة عمليَّات التغريب، كما فتح البَاب عَلى مصراعيه لخروج الشَّبَاب المثقف إلى الدّول المُستَعمرة من أجل إكمال دراساتهم الجامعية والعليا، ليعودوا محملين بأفكاره وثقافته وقد بهرتهم حضارته وملئت قلوبهم وعقولهم ولم يبق لهم من النسبة إلى أمتهم إلا لون البشرة ولغة اللسان !! وقد أسفرت هذه الجهود عبر مرحلة الإستعمار الّتي استغرقت عقودا في بعض البلاد، وجاوزت القرن في بلاد أُخرى كما في الجَزَائِر وشبه القارة الهندية، بل أكثر من ذلك في مناطق أُخرى كوسط وأطراف آسيا وبعض بلاد أفريقيا، وأثمرت هذه الجهود الاستعماريّة بالغة الذكاء عن نتائج غاية في الأهمّيّة كونت مقوّمات الاستعمار الحديث ومهدت للحملات الصّليبيّة الثّالثة، ومن تلك النتائج:

أنشأ المُستَعمر عَلى عينه نخبا سياسيّة في بلادنا وأهلها لتحل محله وتسهر عَلى حراسة مصالحه وتقوم بأعبائه بأبنائنا، فتحقق له المكاسب ولا يتحمل خسائر المُوَاجَهة مع المُقاوَمة، لأن هذه النُّخبَة الوطنيّة تبدو أمام شعوبها راعية الاستقلال.

إختار الإستعمار بحسب أحوال كلّ بلد شكل السّلطة؛ إما أسرا حاكمة تتوارث الملك كما في بلاد جَزِيرَة العَرَب والأردن والمغرب بكفالته وإشرافه، وإما أحزابا سياسيّة تتدوال السّلطة عبر حياة نيابية مسرحيَّة كما في الهند وباكستان وبعض الدّول العربيَّة، في حين اختار طريقة الانقلابات والدكتاتوريات العسكريّة لبلاد أُخرى، كما مصر وسوريا والعراق، كما أوجد نوعا من الدكتاتوريات المدنيّة في صنف ثالث، لتتولى تلك السُّلطات الحكم من بعد رحيله فيما عرف بمرحلة الإستقلال.

أشرف المُستَعمر عبر تسليط الضوء الإعلاميّ والمسرحيات السّياسيّة والعسكريّة أحيانا عَلى صناعة هذه النخب الّتي قرر الاعتماد عليها لتبدو أمام شعوبها وكأنها صانعة الإستقلال، وتمت سرقة الجهود الجهاديّة الّتي قام بها العُلَماء والمرجعيات الدّينيّة والشّعوب الّتي جاهدت تحت شعار الإِسْلَام

من أجل تحقيق الاستقلال، وهكذا سارت المظاهرات المصفقة من قطعان البشر الّتي مسخها الاستعمار مع الوقت لتحمل أفكار القوميّة والوطنيّة وتنتمي إلى تيارات الفكر السّياسيّ الغربيّ من اشتراكية وديمقراطية وشيوعية ولبرالية رأسمالية وسواها، وهكذا أعلن الإستقلال الشكلي في بلادنا وطبّلت الشّعوب وزمّرت للأصنام المصطنعة الّتي حملت عَلى عاتقها مهمة استمرار المَرحَلَة الثّانية من الحملات الصّليبيّة الثّانية وسيطر الاستعمار الحديث عَلى بلادنا بشكل كامل.

ربط المُستَعمر هذه الأنظمة الّتي صممها ورسم حدود بلادها وشكل بنيتها به عبر أساليب عديدة من أهمّها إقامة القواعد العسكريّة لجُيُوشه في أكثر تلك البلاد بحيث يستطيع نشرها وإعادة السّيطرة متى شاء ومن أجل استخدامها في صراعاته الدّولية، كما ربط تلك الأنظمة والبلاد (المستقلة!) بالمعاهدات السّياسيّة والاقتصاديَّة والعسكريّة والثّقافيَّة والأمنيّة بطريقة تضمن له تبعيتها أكثر من فترة الاستعمار العسكريّ.

أقام المُستَعمر عبر شركاته الاحتكارية الكبرى، وما قيدنا به من الاتفاقيات الاقتصاديَّة وما وضعنا به تحت الإشراف القسري بمؤسسات النقد الدّولي، ما شكل عمليا إخطبوطا أمسك بكافة مقدرات بلادنا وضمن له نهب ثرواتنا ولاسيما النفطية والغازية والثّروات المعدنية، وأنشا مع عملائه وشركائه من أبناء وطننا الّذين تكونوا من رجال السّلطة وكبار التجار، وبهذا قام الإستعمار الاقتصاديّ بامتصاص دماء شعوبنا وقوت أبنائنا، ليحصل عَلى ما جاء من أجله بجُيُوشه الجرارة ولكن دونما خسائر ولا عساكر في هذه المَرحَلَة.

نشر المُستَعمر مؤسسات التنصير وحماها، فتعرضت بلاد العالم الإِسْلَاميّ لحملات كثيفة من التنصير لم تثمر في قلب العالم الإِسْلَاميّ والعربي إلا عن تشكيك بعض المُسلِمِين بدينهم وإضعاف ارتباطهم به ولكنها نجحت في أطراف العالم الإِسْلَاميّ كأواسط إفريقيا وجنوب شرق آسيا كالفلبين وإندونيسيا وبنغلادش وبورما حيث تنصر عشرات الملايين من المُسلِمِين!

عمل الإستعمار الحديث عبر نوابه الأشاوس هَؤُلَاءِ! عَلى استبعاد الشّريعة الإِسْلَاميّة والحكم بما أنزال الله في بلاد المُسلِمِين، وقام أبناؤنا الّذين تخرجوا من كليات الحقوق والقانون في جامعات

الغرب، بوضع دساتير وتشريعات وقوانين مبنية عَلى أصول القانون الغربيّ والحضارة الرُّومانية ودساتيرها الوثنية، وقام هَؤُلَاءِ (المشرّعون) الّذين اغتصبوا (حق الألوهية والتَّشريع) بسن القوانين وصياغة الدساتير الّتي استمدت من القانون الفرنسي والبريطاني وصارت أساس بنية السُّلطات والهيكل السّياسيّ في بلاد المُسلِمِين.

عمل المُستَعمر نتيجة دراسة متعمقة لشعوبنا ومكوّناتها الدّينيّة والاجتماعيَّة والحَضَاريَّة عموما عَلى تحطيم المرجعيات الثّلاثة الّتي تحدثنا عنها والَّتي تولت هزيمته في الحملتين الصّليبيّتين الأولى والثّانية:

فأما المرجعية السّياسيّة:

فقد أسقطت الخِلافَة ثمّ تولى المُستَعمر بنفسه المرجعية السّياسيّة، ثمّ تولى تسليمها إلى من نصبهم من الملوك والرؤساء والأمراء والسلاطين ليتبعوه في كلّ شيء فيحكمون بقوانينه، ويقيمون نظامهم السّياسيّ عَلى أصوله، ويبنون أفكارهم وأحزابهم عَلى أفكاره المستوردة، ويرتبطون به بكل أواصر الوَلَاء والمودة، وهكذا دمرت المرجعية السّياسيّة للمسلمين وغابت نهَائِيًّا منذُ سقوط الخِلافَة حتَّى بشكلها الرمزي ١٩٢٤ م.

وأما المرجعية الدّينيّة:

فقد ركز المُستَعمر حربه عَلى المساجد والعُلَماء والهيئات الدّينيّة المستقلة عند الحُكُومَات كالأزهر في مصر، وجمعيات علماء الإِسْلَام ومؤسساتهم المختلفة، فاستمال نوابه عبر سيف المعز وذهبه كثيرا من أقطاب الوسط الدّيني ورجالاته وعلمائه، واستحوذت حُكُومَات الإستقلال بعد الإستعمار عَلى المؤسسات الدّينيّة ودمجتها في وزارة سميت وزارة الأوقاف أو الشؤون الدّينيّة أو ما شابهه.

وأنشأت أكثر الحُكُومَات مرجعيات دينية منافقة تعمل بأمر السُّلطَان وتصدر الفتاوى المفضلة بحسب الإرادات الملكية والرئاسية كما حصل لإدارة الأزهر في مصر والزَّيتونة في تونس وهيئة كبار العُلَماء والأمر بالمعروف والقضاء الأعلى والدّعوة والإرشاد في السّعُودِيّة وقس عليها ما جرى في سواها.

وعمدت أجهزة الإعلام وسياسات الدّولة إلى تشويه كلّ من أبى من العُلَماء المخلصين وأئمة المساجد المستقلين والعُلَماء وطلاب العلوم الشَّرعيَّة فقطعت أرزاقهم وحاصرتهم ماديا ومعنويا، ومع الوقت حولتهم في نظر المجتمع (المتحضر) كما يسمونه ويروجون في الإعلام إلى نموذج مضحك من التخلف والنفعية والبعد عن الواقع، وهكذا راقبت الحُكُومَات المساجد وفرضت خطب الجمعة واستوعبت بشكل أو بآخر هذه المرجعية الدّينيّة الّتي كانت الملاذ الأخير للأمة، ونجحت هذه الخطة الاستعماريّة بشكل متفاوت بحسب بلاد المُسلِمِين فقد كانَ نجاحها باهرا في العالم العربيّ ولاسيما الشّام ومصر وشمال أفريقيا وبلاد الجَزِيرَة، وكان تاما كاملا كما في تركيا في، حين كانَ أقل من ذلك في بعض البلاد، ومحدودا كما في أفغانستان والباكستان وما شابهها من الظّروف، ولكن بالإجمال؛ تمَّ تدمير أو شل المرجعية الدّينيّة الكلاسيكية الّتي حفظت للمسلمين المحرك الوجداني للمقاومة عبر التّاريخ.

ومن الإنصاف أن نقول ونذكر أنه رغم الدَّور البارز الّذي لعبته المرجعيات الدّينيّة في مقارعة الإحتلال إلا أنها كانت ومنذ المَرحَلَة العُثمَانِيّة تسير نحو التخلف وتعتريها الأمراض والعلل عَلى صعيد انتشار البِدَع والطرق الصوفية الغالية والمتحللة والداعية إلى الخنوع، كما أصاب المرجعية الدّينيّة عموما البعد عن المنهج العلمي الشَّرعيّ والتخلف في مجالات الإبداع والاجتهاد، مما سهل عَلى المُستَعمر والحُكُومَات عزلها وتفكيكها مع الوقت، بل استطاع المُستَعمر أيّام الاستعمار أن يستميل كثيرا منها إلى صفه ويكون طبقة من علماء الاستعمار تضاهي طبقة علماء السُّلطَان وتجاوزها في الاثر والضرر عَلى الأُمَّة وبدا أن هذه المرجعية الدّينيّة ذاتها بحاجة إلى ثورة تجديد تعيدها لأصولها الصَّحِيحة ونضارتها وجدارتها التارِيخِيَّة.

أما عَلى صعيد المرجعية الاجتماعيَّة:

فقد تمَّ تفكيكها مع قيام الدّول الحديثة والمدن الكبرى وهِجرَة العمال والطلاب والموظفين من الأرياف إلى المدن بسبب طبيعة المجتمع المدني المعاصر، مما أدى لتحلل القبائل وضعفت الروابط العشائرية وتهلهلت وعجزت عن أن تكون رابطة عصبية تمكن زعماءها ورؤوسها من لعب دور مركز ثقل في الأحداث والتغيرات السّياسيّة، وقد تفاوت هذا التحلل من بلد لآخر، ففي حين ما تزال

القبلية مسيطرة قوية في بعض البلدان مثل أفغانستان واليمن وبعض أطراف جَزِيرَة العَرَب وإفريقيا، تفككت هذه الروابط بشكل شبه كامل، وغاب أثر هذه المرجعية تماما وزال في معظم باقي الدّول نتيجة التّحولات الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة المعاصرة.

وهكذا قامت أنظمة الرِّدَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ لتتولى حكم شعوبها بالحديد والنار وتقوم بكافة مهام الإستعمار لصالحه من أجل الحفاظ عَلى عروشها.

فمن الّذي واجه مصائب هذه المَرحَلَة الماكرة من الحملات الصّليبيّة الثّانية بإدارة نوابها من الحكَّام المرتدّين؟ لاسيما بعد تحطم الهياكل الأساسيّة لمرجعيات الأُمّة وانهيار مقوّمات الصمود والمُقاوَمة فيها؟!

لقد قامت بعض الأحزاب المعارضة لأنظمة الحكم هذه، بمناوأة الإستعمار في أهدافه السّياسيّة والاقتصاديَّة، ولكن معظم تلك الأحزاب قامت أيضا عَلى نفس الأفكار الوافدة من الغرب، وتبنى معظمها في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ الإيديولوجيات القوميّة اليسارية أو الليبرالية الدِّيمقراطيَّة، ولأن هذه المعارضات هيَ أيضا صنائع استعماريّة من النَّاحية الفكريّة، أمكن للمُستَعمر أن يستعملها ويوظفها أو يقضي عليها، أو يعطيها فرصة استلام السّلطة للانقلاب عَلى الحكم القائم واستبداله بحكم جديد من تلك الأحزاب العلمانيّة والمعارضات السّياسيّة، كما حصل في سلسلة الانقلابات العسكريّة في سوريا ومصر والباكستان والجَزَائِر والعراق واليمن وليبيا، وفي كثير من البلاد الإفريقية أو في جنوب شرق آسيا، وفسح الاستعمار المجال لشيء من التبادل الديمقراطي للسلطة في بعض البلاد، فحلت أحزاب المعارضات محل أحزاب الحُكُومَات بالتداول، ولكن الحال العام ومقوّمات الارتباط بالاستعمار لم تختلف في شيء يذكر، في حين حافظ الإستعمار الحديث عَلى قبضته بالاستغلال الاقتصاديّ وامتصاص الثّروات وعلى سيطرته عَلى مركز الإشعاع الصّليبيّ والفكريّ الغربيّ عبر حُكُومَات بالية حفظ لها شكلها الخارجي وحكم كلّ شيء من خلالها، ولم يسمح لأي شكل من أشكال التداول الحقيقي للديمقراطية الّتي طبقت في بلاده.

لقد شهد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ خلال مرحلة الخمسينيات والستينيات والسَّبعينيَّات تنامي المد القومي واليساري إلى أقصى حالاته، حيث وصل للسلطة في العديد من البلدان، فأدخل البلاد حيث وصل في حالة من التبعية للاتحاد السوفييتي مع شيء من الموازنة مع المصالح والارتباطات مع الغرب كما حصل في مصر والجَزَائِر وسوريا واليمن الجنوبي والصّومال وغيرها، وشهدت مرحلة الحَرب الباردة والصِّرَاع بين القطبين حالة انعكست عَلى بلادنا بالاضطراب السّياسيّ نتيجة تبعية الأحزاب القوميّة والوطنيّة واليسارية وكذلك الليبرالية بحسب تبعيتها للشرق أو للغرب، بحسب صِرَاع تلك البيادق عَلى السّلطة والنفوذ والعمالة للجهات الخارجيّة الّتي تمدها بالدعم المادي أو المعنوي والسّياسيّ من أجل الوصول لسلطة.

وهكذا عانت الشّعوب الإِسْلَاميّة من كافّة تلك الخيارات الّتي سمح لها الشّرق أو الغرب الصّليبيّ بالتنافس، في حين حكمت جميعها بأمر من أسيادها عَلى التوجّهات الإِسْلَاميّة بالإقصاء ومنعتها من أن تشكل مرجعية دينية تنهض بالأُمّة إلى مستوى مُوَاجَهة الانهيار الّذي غدا شاملا في كلّ منحي الحياة.

وخلال هذه الفترة تمددت إسرائيل لتلتهم باقي فِلَسطِين والشطر المتبقي من القُدس بل ولتحتل أجزاء من الدّول العربيَّة المجاورة تزيد مساحتها عَلى ستة أضعاف مساحة فِلَسطِين عبر حُرُوب مسرحيَّة كانَ أهمّها نكسة (٥ يونيو حزيران ١٩٦٧)، حيث أصبحت إسرائيل بعدها واقعا مريرا يستنزف مقدرات الأُمّة ويمرغ كبرياءها ويرهق واقعها السّياسيّ ويوفر لفراعنتها مادة المزايدات عَلى شعوبها.

ولأن الله تَعَالَى قد قضى بحفظ دينه وكتابه وببقاء طائفة ظاهرة عَلى الحقّ في هذه الأُمّة تقاتل عَلى هذا الدّين لا يضرها من خذلها ولا من خالفها وهم عَلى ذلك، نشأ في هذه الأُمّة ومنذ الأيّام الأولى لسقوط الخِلافَة، بذور الصّحوة الإِسْلَاميّة والنهضة المباركة في هذه الأُمّة عَلى شكل مدارس متنوعة المناهج والمشارب، ولكنها تسعى لهدف واحد هو إعادة الأُمّة إلى دينها وشريعتها وحكم ربها، وسأترك

التفصيل في ظاهرة الصّحوة للفصلين القادمين، ولكن أكتفي هنا بذكر معادلة المُوَاجَهة وأطراف الصِّرَاع في تلك الفترة بين الصّليبيّين وقوى المُقاوَمة في هذه الأُمّة.

فقد انتشرت ظاهرت الصّحوة الإِسْلَاميّة بأشكال شتّى، فكان أبرزها ما قام عَلى شكل أحزاب سياسيّة دخلت المعترك السّياسيّ سعيا إلى السّلطة من أجل تطبيق الشّريعة، وقام بعضها عَلى شكل مدارس فكريّة عقدية أو شكل جمعيات أو جماعات إصلاحية تهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع كي يتأهل لحكم الشّريعة، في حين قامت في أماكن أُخرى عَلى شكل أئمة وخطباء شعبيين وعلماء عامة ودعاة إصلاح، ووصلت في بعض الأحيان لتأخذ شكل المواجهات المُسلّحة مع الحُكُومَات المرتدّة. وكان لهذه الظَّاهِرة إنتاجها الأدبي وكتابها ومفكروها ورموزها، وانعكس الصِّرَاع الحضاري عَلى كثير من شرائح المجتمع بالرغبة بالتدين وانتشرت مظاهر الحجاب واللحى وانتشر الكتاب الإِسْلَاميّ وبعض العادات والأعراف الدّينيّة الّتي بدأت تغزو كافّة المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة.

وأحس الغرب الصّليبيّ والشرق الملحد الداعم لأنظمة الحكم المختلفة بالخطر، ودق ناقوسه وأوعز للحُكُومَات بدء حملات المُوَاجَهة والتصفية لهذه البذرة الحية الناشئة، لقطع جُذُورها قبل أن يسمق جذعها وتورق أغصانها وتوتي أكلها، وهكذا تحول الصدام في الأُمّة من كونه مع الإستعمار مباشرة ليصبح صداما بين أفراد وجماعات الصّحوة وبين الحُكُومَات المرتدّة صنيعة الاستعمار واتخذ هذا الصدام أشكالا عديدة من القمع والسّجون وحل الأحزاب وإغلاق الصّحف والجَمعيّات، ووصل في بعض الأحيان إلى مواجهات مسلحة عنيفة.

وخلال الفترة الممتدة من بدايات الاستقلال وإلى قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد وانطلاق الحملات الصّليبيّة الثّالثة بزعامة أمريكا، كانت بلاد العالم الإِسْلَاميّ جميعها تقريبا ميدانا مختلف السخونة والغليان لهذا الصِّرَاع الّذي صارت معادلته بعد دخول طرف جديد فيها عَلى الشّكل التّالي:

أمة الصليب + أمة اليَهُوْد + طائفة(حُكَّام) الرِّدَّة × الصّحوة الإِسْلَاميّة ← هزمت الصّحوة

والملاحظ عَلى هذه المعادلة أمور في غاية الأهمّيّة، غيرت طبيعة قوى الصِّرَاع ونتيجته عما حصل في الحملتين الصّليبيّتين الأولى والثّانية ومن ذلك:

أولا: اختفاء دور الصّليبيّين واليَهُوْد في المُوَاجَهة المعلنة ليصبح إدارة ودعما من وراء الستار وتصدرت طائفة الرِّدَّة بقيادة الحكَّام من أوليائهم لمهمة المُوَاجَهة.

ثانيا: خروج الأُمّة وشعوبها من المُوَاجَهة لعدم ظهور العدوّ الحقيقي، وأخذ الصِّرَاع شكلا من أشكال الفتنة والاقتتال بين الحاكم وبعض طبقات المحكومين.

ثالثا: وقوع مهمة المُوَاجَهة مع هذه القوى الجبارة عَلى عاتق الصّحوة الإِسْلَاميّة الّتي لم تكن تشكل إلى قوى جزئية تعد بالعشرات أو المئات أو الآلاف عَلى أحسن الأحوال بحسب كلّ بلد مما أدى إلى سحقها أو إخراجها عن مسارها وإفشالها في تحقيق أهدافها.

رابعا: برز الدَّور الهام في هذه المَرحَلَة من الصِّرَاع للمؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة وكتيبة علماء السُّلطَان لتؤكد وتساعد عَلى خروج الأُمّة من المَعْرَكة وانحصارها في الفئات القليلة للظاهرين عَلى الحقّ، حيث قامت هذه المؤسسة بإصباغ صفة الشَّرعيَّة والشَّهَادة بالإِسْلَام والإيمان عَلى الحكَّام المرتدّين وأضفت عليهم لقب (أولياء أمور شرعيين) وبالتالي أكدت القناعة لدى العامّة بأن الخروج عليهم حرام وأن مواجهتهم فتنة وأن علاقتهم بالغرب وما يبرمون من المعاهدات الاستعماريّة هيَ ضمن صلاحياتهم بصفتهم أئمة شرعيون، وهذا ما باركه الغرب وسعى إلى تحقيقه.

وهكذا تصاعدت وتيرة الصدام بين تلك الحُكُومَات والصّحوة الإِسْلَاميّة بمختلف مدارسها ولاسيما المدرسة الجهاديّة المُسلّحة منذُ أواسط الستينات، ولكن الّذي حصل في نهاية هذا الصِّرَاع أنه لم يأتي عام ١٩٩٠م إلا وقد دحر نواب الإستعمار وطلائع الصّليبيّين من حكامنا المرتدّين قوى الصّحوة بمساعدة أسيادهم المُستَعمرين وبدعم استراتيجي من أجهزتهم الدّينيّة المنافقة وآلاتهم الإعلاميَّة الرهيبة، حيث استطاعوا دحر مختلف مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة وإيصالها إلى الفشل عمليا ومنعها من تحقيق أهدافها وحشرها في عنق زجاجة الأزمة، في حين وقفت شرائح الأُمّة من هذه المَعْرَكة المصيرية موقف المتفرج بكل بلادة تتجرع القهر وتتقلب في ألوان الاضطهاد وتعيش نكد العيش.

ومن المفيد جدا أن نعرض لخلاصة البرنامج الاستعماريّ في الغزو الفكريّ منذُ بداية الحملات الصّليبيّة الثّانية بقيادة أوربّا، وإلى قيام الحملات الصّليبيّة الثّالثة الأخيرة بقيادة أمريكا.

مسار المأساة وأسبابها بين الحملتين الصّليبيّتين الثّانية والثّالثة (١٧٩٨ م – ١٩٩٠م)

سأعتمد في بناء هذه الفقرة عَلى بعض الكتب البالغة الأهمّيّة الّتي لخص فيها شيخنا الشّهيد عبدالله عزام ﷺ خُلاصة أسباب وطبيعة الإنقلاب الشّامل الّذي حصل في أحوال العَرَب والمُسلِمين خلال هذه الفترة، وهي كتاب (خط التّحول التّاريخي)، وكتاب (أضواء عَلى القوميّة العربيَّة) وكتاب (السرطان الأحمر)، حيث تشكل مادة هذه الكتب أساسا في فهم أسباب ما نحن فيه مما نعيشه اليَوْم، وفهم بَرَامج الحملات الأمريكيّة الحالية، الّتي سرعان ما يكتشف المرء بقراءته لهذه الكتب:

أن برنامج الأمريكان اليَوْم مطلع القرن الحادي والعشرين، حول الشّرق الأوسط الكبير، وبَرَامج تغيير المناهج التّعليميّة والدّينيّة، وبَرَامج رامسفيلد (لحرب الأفكار)، ما هيَ إلا عبارة عن تطبيق مكرر- ولكن بحماقة - لبرنامج الإستعمار الأوربي خلال القرنين الثَّامن عشر والتاسع عشر من قبل.

حيث سأنقل مقاطع واسعة منها باختصار وتصرف طفيف، وأضع تلك النقول بين قوسين [..] مشيرا إلى مكانها في المصدر وهو: (موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن عبدالله عزام)، وأضع تعليقاتي وإضافاتي في ثناياها بين قوسين {..}. وقد كفتني كتبه الثّلاثة هذه – رَحِمَهُ اللهُ رحمة واسعة – عن العودة اللازمة لعشرات المراجع الّتي تغطي تاريخ وأحداث تلك الفترة، وهو أمر غير متيسر لي الآن ونحن نعيش مرحلة المخابئ والمطاردات الأمريكيّة – أخزاهم الله –، وأعيد التنويه إلى أن تراث الشَّيْخ عبدالله يحتوي من الكنوز السّياسيّة والفكريّة والشَّرعيّة ما يجعله ركنا أساسيا للتربية الفكريّة والمنهجيّة للمُجَاهدين في هذا الزّمان، فجزاه الله ما هو أهله.

قَالَ الشَّيْخ عبدالله عزام ﷺ: [لقد شهدت المنطقة الإِسْلَاميّة خلال القرون الثّلاثة الماضية، تغيرا بدأ بطيئا ثمّ أخذ يشتد تدرجيا حتَّى إذا بدأ النصف الأوّل من القرن العِشرين بلغ التَّغيير قمته،

وأصبح سبيل التقليد للغرب عارما، حتَّى أصبح الناظر لأول وهلة يحسب أن هذا السيل الجارف لا يمكن الوقوف في وجهه، وأن محاولة التّصَدّي له هو ضرب من العبث الضائع أو الانتحار الواضح، وكانت معركة التَّغيير عَلى ثلاثة أطوار:

الطور الأوّل: اللقاء بين الغرب والشرق في ميدان القِتَال.

الطور الثّاني: المَعْرَكة بين الغرب والشرق في ميدان الفكر والثّقافة والدّين.

الطور الثّالث: المَعْرَكة بين أبناء الشّرق أنفسهم في ميادين الفكر والدّين والسّياسة.

(١) - أما الطور الأوّل:

فكان للغرب صولات وجولات إبَّان الحُرُوب الصّليبيّة، ثمّ انتهت بهزيمته نهَائِيًّا وخروجه مهزوما مدحورا.

(٢) - أما الطور الثّاني:

فقد اتبع الغرب أساليب عديدة، واستعمل وسائل كثيرة لإماتة المُسلِمِين موتا بطيئا، وكان هدفه في هذا الطور غسل أدمغة المُسلِمِين من إسلامهم وإخراجهم بهدوء من دين الله إلى دين الطَّاغوت، دون إثارة ضجة ولا صخب.

وتولت الأجهزة الغربيّة تربية طبقة بديلة لهم في جميع المجالات، وسلمت مقاليد الأمور لهم، وأبعدت الصادقين عن أجهزة التوجيه والبناء وأصبحت دوائر التّعليم والإعلام – الصحافة والراديو ومن ثمّ التلفزيون – بأيدي الطّبقة المنسلخة عن الشّرق (المسلم) المعلنة لولائها للغرب (الصّليبيّ الملحد).

ويمكن أن تتخلص مهمة هذه الفترة بكلمة جب – المستشرق الإنجليزي –:

(هذا – التّعليم – هو السبيل الوحيد لفرنجة البلاد الإِسْلَاميّة وتغريبها، لقد كانَ التركيز قويا لإنشاء الطّبقة الّتي تأخذ نهَائِيًّا بوجهة نظر لا سلطان للدين عليها، وحينئذ يمكن الجلاء عن أرضها وتسليمها زمام السّلطة فيها لأنها امتداد لفكر المحتل).

وكذلك تمثلها كلمة (لورد ميكالي) رئيس اللجنة التّعليميّة في الهند –:

(يجب أن ننشيء جماعة تكون ترجمانا بيننا وبين الملايين من رعيتنا وستكون هذه الجماعة هندية اللون والدم إنجليزية الذوق والرّاي واللغة والتَّفكير).

وهي نفس كلمة (اللورد ليد) – المعتمد البريطاني عن كلية فيكتوريا سنة (١٩٣٦م):

(ومتى تسنى للجمهور بأن يعرف هذه الكلية يتنبه الآباء أن تعليم أولادهم فيها ينمي فيهم من الشعور الإنجليزي ما يكون كافيا لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرقي والغربيّ).

(٣) – أما الطور الثّالث:

(طور الإستقلال الوطني) كما يحلو لهم أن يسموه، ومجيء الأنظمة المحليَّة، والعسكريّة بالذات، فقد كانَ هذا الطور أشد الأطوار تأثيرا، وفرضت الحضارة الغربيّة بالقوة العسكريّة الّتي تسمَّى بالوطنيّة والتقدمية والشعبيَّة، وهذه الأنظمة الّتي جاءت بضجة الزفاف الوطني، والَّتي قدمت إلى الأُمّة بأهازيج شعبيَّة حماسية، وتحت هذا الضجيج والصخب قام أبناء الوطن – المستغربين – الحاكمين بنصب المشانق وسحق المبادىء واجتثاث القيم، وإبادة العُلَماء والمخلصين.

ولقد لقي الصادقون من أبناء جلدتهم الحاكمين – من العذاب والاضطهاد – أضعاف أضعاف ما رأوه أيّام الإنجليز والفرنسيين، ويكفي أن نضرب أمثلة لهذا:

ما لقيه الباتان[1] عَلى يد أمان الله خان في أفغانستان.

ما لقيه الأكراد عَلى يد مصطفى كما أتاتورك في تركيا.

ما عاناه الإخوان المُسلِمُون عَلى يد عبد النّاصر وزبانيته في مصر.

وما يواجهه الصادقون عَلى أيدي الأنظمة العسكريّة المنبثة في أرجاء العالم العربيّ والإِسْلَاميّ فهي نسق واحد ونموذج واحد في محاربة الحقّ وأهله ينسجون عَلى منوال سابقيهم ويسيرون عَلى نهجهم.

وإن صورة القسوة والوحشية الّتي عامل بها الغرب أبناء المُسلِمِين لتبدو هزيلة صغيرة بجانب الصُّورة الّتي عاملهم بها الحكَّام المحليون (الإنجليز السمر).

---

(١) الباتان : لفظ بلغة الأوردو واللهجة البنجابية يقصدون به البشتون .

خطوط التَّغيير:

هذا وقد سار التَّغيير في العالم الإِسْلَاميّ في خطوط ثلاثة متوازنة:

١- الخط الأوّل: خط الإفساد الأخلاقي.

٢- الخط الثّاني: خط محاربة مصادر التَّشريع الإِسْلَاميّ وتمييع النّصوص.

٣- الخط الثّالث: خط التمزيق الأُمّة الإِسْلَاميّة.

أما الخط الأوّل: الإفساد الخلقي:

فيتخلص في كلمة زويمر - رئيس المبشرين - في مؤتمر القُدس سنة (١٩٣٤م):

(... نريد أن نخرج جيلا لا صلة له بالله، ولا صلة له بالأخلاق الّتي تقوم عليها الأمم).

فكان التركيز عَلى المرأة وإخراجها، وعمل الإتحادات النسائية والمسرح والغناء والتمثيل ومعاهد الفنون الجميلة، والمعاهد الرِّيَاضية للبنات، ونشر العري والمسا بح ودور الأزياء، والصُّورة العارية، ودكاكين التجميل، حتَّى أصبحت المرأة كما قَالَ (موروبيرجر) في كتابه - العالم العربيّ اليَوْم: (**إن المرأة المسلمة المتعلمة هيَ أبعد أفراد المجتمع عن تعاليم الدّين وأقدر أفراد المجتمع عَلى جر المجتمع كله بعيدا عن الدّين**).

وقد بدأت ثورة المرأة عَلى الإِسْلَام بوضوح في مصر إبتداءا من منيرة ثابت: (أول صحفية مصرية) والَّتي يسمونها (الفتاة الثائرة) وكانت صديقة لسعد زغلول وتستطيع أن تتدخل في توجيه دفة الحكم.

ثمّ جاءت هدى شعراوي وقامت في ثورة سنة (١٩١٩) بمظاهرة نسائية، وأحرقن الحجاب في الشَّوارع العامّة، وكانت (صفية زغلول) زوجة سعد زغلول أول زوجة زعيم تظهر سافرة في المحافل العامّة وسمت نفسها عَلى الطَّريقة الإنجليزية باسم زوجها وأطلقت عَلى نفسها لقب (أم المصريين).

ولقد كانَ زوجها سعد زغلول زعيما من زعماء الحركة النسائية ويقول: (لقد شاركت صديقي قاسم أمين في أفكاره الّتي ضمنها كتابه (المرأة الجَدِيدة).

وصدرت الصّحف تدافع عن حقوق المرأة منها (فتاة الشّرق) ومجلات (الهلال) و(المقتطف) و(المصور).

ونادى (لطفي السيد) بالتّعليم المختلط وفرضه عَلى الجامعة المصريَّة، ولذا فقد أشادت (هدى شعراوي) بهذا الفعل، ثمّ أيده طه حسين وسمير القلماوي، وغيرهم.

وفي تركيا سنة (١٩٢٩) صدر قرار حرَّم تعدد الزوجات وقضى عَلى الحجاب، ونظام الحريم، وقانون الطلاق وخرجت المرأة في مدن تركيا باللباس العاري.

وفي سنة (١٩٦٥) أصدر الحبيب بورقيبة قرارات مشابهة في تونس، وهكذا في باقي البلاد.

أما الخط الثّاني: (التشكيك في مصادر التّشريع الإِسْلَاميّ وتمييع نصوصها)

فقد تمثل في الهجوم على:

القرآن نفسه: وتميز القرآن المكي، والتشكيك بالمدني وسلخ القرآن عن الوحي، واعتبار الوحي انفعالا نفسيا وحالات عصبية.

وكان أول من جاهر من ذراري المُسلِمِين بإنكار ربانية القرآن ورفع عقرته بجحود المصدر الإلهي للقرآن هو(طه حسين) في كتابه (الشعر الجاهلي) الّذي اتبع فيه مصدر التشكيك الّذي ورثه عن ديكارت.

السنة المشرفة: وقد كانَ التركيز في عدائها لتحطيمها كمصدر أساسي لشرح القرآن وبيان مجمله وتقييد مطلقه وتخصيص عمومه.

وقد جاء الهجوم عَلى السنة من نواح كثيرة أهمّها:

التعرض لشخصية الرَّسُول ﷺ والنيل منها.

التركيز عَلى صحيح البُخَارِيّ باعتباره أصح كتاب بعد كتاب الله والتشكيك فيه: وقد كتب (أبو ريا – أضواء عَلى السنة المحمّدية –) (وصالح أبو بكر – الإسرائيليات في البُخَارِيّ –) وكتبت مجلة العربيّ (راجعوا البُخَارِيّ فليس كلّ ما فيه صحيح).

التركيز عَلَى النيل من شخصيّة أبي هريرة كأكثر راوٍ عن رسول الله ﷺ روايةً، والطّعن بشخصيّة السّيدة عائشة كمصدر غنيٍّ من مصادر نقل هذا الدّين.

والآن هناك دعوة عريضة تتبناها بعض الأنظمة مثل (القذافي) في ليبيا لنبذ السنة نهَائِيًّاً.

اللغة العربيَّة: باعتبارها لغة القرآن فنادوا:

نبذ قواعد اللغة (النحو والصرف) وقد نادى بهذا سلامه موسى، وطه حسين، وتوفيق الحكيم صاحب قاعدة (سكِّن تسلم).

العامية بدل الفصحى: ابتداء من (ونلهلم سبيتا) (الألماني: مدير دار الكتب المصريَّة)، ثمّ (ويلمور) القاضي الإنجليزي، و(نليكوكس) – المهندس الزراعي الإنجليزي – وأخيرا جاء سلامة موسى، وقاسم أمين، ثمّ كتب بالعامية المصريَّة كلّ من يوسف السباعي وإحسان عبد القدوس.

اتخاذ الأحرف اللاتينية بدل العربيَّة: ونادى بهذا عبد العزيز فهمي – مصر – وسعيد عقل – لبنان –.

وأما مصطفى كمال أتاتورك فقد نفذ هذا الأمر بالحديد والنار.

د- (الدعاية) للشعر المنثور بدل الشعر الموزون، {لكون الشعر العمودي أحد أهمّ أوعية اللغة العربيَّة}.

التّاريخ الإِسْلَاميّ: والتركيز عَلَى الشُّبُهات فيه وتضخيم مساحة الإختلاف بين الصّحابة ﷺ، والتركيز عَلَى أن الدّولة العبّاسيّة هيَ دولة الإماء والخمور والغلمان خاصّة في عهد الرَّشِيد {كما روج لذلك} – كتاب الأغاني للأصفهاني – ثمّ تشويه تاريخ الدّولة العُثْمَانِيّة الإِسْلَاميّة واعتباره نوعا من الإستعمار.

استبدال الثّقافة الغربيّة بالثّقافة الإِسْلَاميّة:

ففي مصر – قائدة العالم العربيّ – أوصى المؤتمر التبشيري المنعقد سنة (١٩٠٦) بإنشاء جامعة علمانية تناهض الأزهر الّذي (يهدد الكنيسة بالخطر) ولتكن هذه الجامعة عَلَى غرار الجامعات الفرنسية، فقامت الجامعة المصريَّة (١٩٠٨م) واستلم رئاستها بعد فترة لطفي السيد.

وقد ظهرت كتابات تنادي بالذوبان بالغرب مثل كتابات طه حسين في كتابه (مستقبل الثّقافة في مصر) حيث يقول: (**علينا أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يُحب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب**).

وقد بدأ هذا الخط أيّام (محمّد علي باشا) من خلال كتابة رفاعة الطهطاوي في (تخليص الإبريز بتلخيص باريز) واشتدت الدّعوة إليه أيّام الخديوي إسماعيل وظهر خط إسماعيل في كتابات (محمّد عثمان جلال) خليفة الطهطاوي، ووضع إسماعيل نظاما للأزهر سنة (١٨٧٢م) وجاء دنلوب واستلم التوجيه في وزارة المعارف وأقصى الإِسْلَام نهَائِيّاً عن المدارس وازدرى الأزهر وحاول الحط من مكانته فكان حامل شهادة اللغة الإنجليزية يأخذ شهريا (١٢) جنيه وحامل شهادة اللغة العربيَّة يأخذ (٤) جنيهات، وأما الأزهري يأخذا (١١٢) قرشا مصريا.

ثمّ ظهرت مدارس كثيرة في هذا الشأن:

المدرسة الأولى (مدرسة الذوبان في الغرب نهَائِيّاً) وقطع الصلة بالإِسْلَام ومن أبرز الأسماء في هذا الشأن: طه حسين، سلامه موسى، لطفي السيد وصهره إسماعيل مظهر، وعبد العزيز فهمي.

مدرسة الخلط والترقيع (بين الإِسْلَام والثّقافة الغربيّة) ويتزعمها (الشَّيْخ جمال الدّين الأفغاني ومحمّد عبده).

وارتفعت في هذا المجال دعوات وعلت أصوات بشعارات كبيرة منها:

التطوير: ومعناه تمييع النّصوص الإِسْلَاميّة، وإدخال الإلحاد والعلمانيّة الغربيّة بالثوب المقنع البراق، ومن هذا القانون تطوير الأزهر الّذي صدر أيّام عبد النّاصر فكان ضربة قاصمة له.

ومعنى التطوير كذلك بناء قنطرة فوق الهوة الّتي صنعها الإِسْلَام بين الشّرق والغرب من أجل الوصول إلى التفاهم والتّواصل وبالتالي تؤدي إلى تمزيق العالم الإِسْلَاميّ كما يقول جب: (**لعل الآراء الجَدِيدة وحاجات الحياة ستنجح أخيرا في تشتيت المجتمع الإِسْلَاميّ وتمزيق وحدته**).

الاتّصال بالثّقافة اليونانية كأساس من أسس التطوير.

رفع شعار الحريَّة: وقد قامت الحُكُومَات العلمانيّة في العالم الإِسْلَاميّ بتوفير الحريَّة الفكريّة إذا استعملها النّاس ضدّ الدّين.

الدّعوة إلى دين عالمي: كما نادى به: (كالغرلي): ومعنى الدّين العَالَمِيّ إنهاء الإِسْلَام نهَائِيًّاً وذوبانه في بوتقة اليَهُوْدية العَالَمِيّة.

التقارب بين الأديان: كما نادى بذلك (آصف عَلى قبطي الإسماعيلي) وأصبحت المؤتمر تعقد من أجل هذا الشأن.

الدّعوة إلى أنواع للإسلام: كالإِسْلَام الكلاسيكي، والإِسْلَام الحديث كما قَالَ فضل الرَّحْمٰن الهندي، وبه قَالَ أحمد خان مؤسس الكلية المحمّدية الإنجليزية الشرقية (نشر الإِسْلَام الحديث المتأثر بالمذاهب الغربيّة) وكذلك تكرار أسماء الإِسْلَام الهندي والإِسْلَام الباكستاني والإِسْلَام التركي.

العلمانيّة (secularism) (اللادينية) وذلك ليصبح الإِسْلَام كالمسيحية تماما لا صلة له بالحياة كما جاء في كتاب (الإِسْلَام وأصول الحكم) علي عبد الرازق.

الإصلاح الدّيني: كما يسمونه، كما حصل في برنامج (التحطيم الكمالي للإسلام) باسم الإصلاح الدّيني كما يسميه (سميث) و(بروكلمان) وغيرهم من المستشرقين، ومعنى الإصلاح الدّيني تغيير نصوص الإِسْلَام نصوص جديدة ويبقى عليه اسم الإِسْلَام.

وقد كانَ الإستعمار والإستشراق والتبشير هذه الأصابع الثّلاثة للأخطبوط المعادي للإسلام تسير جنبا إلى جنب.

وقد عقدت الجامعات الأمريكيّة بالذات عدّة مؤتمرات لمحاربة الإِسْلَام عَلى رأسها المؤتمرات الّتي عقدت في جامعة (برنستون) في أمريكا.

مؤتمر جامعة بن ستون سنة (١٩٤٧م) واسمه (الشّرق الأدنى مجتمعه وثقافته).

مؤتمر جامعة برنستون سنة (١٩٥٣م) واسمه (الثّقافة الإِسْلَاميّة والحياة المعاصرة)

مؤتمر لاهور الّذي عقد سنة (١٩٥٥م) بترتيب المستشرقين الغربيّين وفشل تماما.

الخط الثّالث: خط التمزيق للأمة المسلمة:

ومن وسائله:

القوميّة: العربيَّة والكردية والهندية.

الدعوات العَالَمِيّة: كالشُّيُوعِيّة.

الدعوات الإنسانية الماسونية – اليَهُودية – وفروعها مثل نوادي الليونز، والروتاري، شهود يهوه، بني برث، (أبناء العهد).

الفرق (الكافرة) المنسوبة للإسلام: مثل: القاديانية – البابية – البهائية – النصيرية– الدروز...]. أهـ.

خط التّحول التّاريخي:

[إن أخطر ما تعرضت له الأُمّة الإِسْلَاميّة هو عمليَّة التّحول الداخلي أي الهزيمة الروحية والنّفسية والعقليَّة أمام أعدائها، فاستخذت أمام الأصنام، وركعت عَلى أقدام الطغاة، وأصابها الوهن الّذي عرفه رسول الله ﷺ بأنه «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»، ففي الحديث الصَّحِيح: الّذي رواه أحمد: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، **فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ:** «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، **فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ:** «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[1].

- فكيف أصبحت ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ غثاءا؟
- وكيف أصبح الخير النافع زبدا وجفاءا؟
- وكيف خلفت الأسود قرودا؟
- وكيف ولدت ليوث الغاب خنازيرا؟

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

إن أخطر ما يمكن أن تصاب به الأمم هو هزيمتها في أعماقها، فهذا هو الداء القاتل، إن أشد رمية أصابت الأُمّة في مقتلها هيَ فقدان الثقة بنفسها، فالشّعوب إنما تنتصر يوم أن تتفاعل بمبادئها وتحيا بعقائدها وتستعلي بدينها، ولن تهزم أمة تلتف عَلى عَقِيْدَة صحيحة تعيش من أجلها وتجاهد لإحيائها مهما كانَ أعداؤها، ومهما تألبت عليها القوى، وهذا المبدأ هو الّذي سطره ربّ العزة في سبب النّصر والهزيمة إذ يقول سبحانه:

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران]. فالهزيمة تبدأ داخليَّة ثمّ تنعكس عَلى ساح المَعْرَكة، والخلل يبدأ في أعماق النّفس ثمّ نرى آثاره اندحارا في ميادين الحياة، سلوكا وأخلاقا ومعاملة، فكيف تمت عمليَّة التحويل ؟!

أوربّا وحرب الكلمة بدل حرب السّيف:

في الحملات الأخيرة عَلى مصر(١٢٤٩ميلادية)، آخر أيّام الأيوبيين وأول أيّام المماليك، وقع (لويس التّاسع) ملك فرنسا أسيرا وأودع سجن القلعة، وهناك كانَ لديه فسحة من التأمل ليضع أسس هامة لتفكير الصّليبيّين في كيفِيَّة غزو المُسلِمِين، وكتب توجيهاته الهامة تلك والَّتي كانَ خلاصتها:

(إن المُسلِمِين لا يهزمون ما دامت عقيدتهم قائمة ويجب أن تبدأ الحَرب عَلى المُسلِمِين بحرب الكلمة).

وهكذا أدرك ملوك النّصَارى ألا سبيل لهم إلى البقاء، وبدؤوا يعيدون التَّفكير في طريقة غزوا المُسلِمِين والتعامل معهم.

و كانت حملة نابليون عَلى مصر نقطة بارزة في تحول المَعْرَكة وأساليبها، فلقد غزا نابليون مصر (١٧٩٨م) مدججا بأحدث الأَسْلِحة الفرنسية ومدافعها ورشاشاتها، ودخلت الخيل الأزهر وداست سنابكها الحصير الّذي خرج عشرات الألوف من علماء الأُمّة، فانتفض الأزهر وهب دفاعا عن كرامة هذا الدّين وأقض مضجع نابليون وأرق أجفانه ولم يستطع الاستقرار رغم العملاء الّذين وقفوا بجانبه

كيعقوب القبطي ومن وقف معه الأروام ونصارى الشّام وغيرهم، وأخيرا انقض (سليمان الحلبي) عَلى (كليبر) نائب نابليون الّذي خلفه في مصر وقتله.

وكان خروج الفرنسيين من مصر من أبرز المعالم في أوروبّا الحديثة، إذ أدت إلى تصميم أوروبّا عَلى خوض معركة اللسان بدل معركة السنان، واتجهت إلى نزع هذا الدّين من أعماق هذه الأُمّة ليغرسوا بدله القوميّة والعصبية وغيرها من الشعارات لمحاولة لملأ الفراغ.

فقد جاء في مؤتمر (الشّرق الأدنى وثقافته) الّذي أقامه مجموعة من المستشرقين في جامعة أمريكية جاء في:

(أنّنا في كلّ بلد إسلامي دخلناه نبشنا الأرض حتَّى نخرج أثار ما قبل الإِسْلَام ونحن لا نطمع أن يرتد المسلم عن عَقِيْدَة الإِسْلَام إلى عَقِيْدَة ما قبل الإِسْلَام ولكن يكفي تشتيت ولائه).

وجاء في تقرير أحد معاهد الإرساليات بقلم نبيه أمين فارس:

(بينما كانَ الشّرق الأدنى مطمحا لأفكار بناء الإمبراطوريات كانَ أيضا مطمح جماعة أُخرى من النّاس تنشد أن تنجز عن طريق الكلمة ما عجز أجدادهم الصّليبيّون عن تحقيقه عن طريق السّيف).

{ولنضرب مثالا عن ذلك بما بدأ في عقر دار لإسلام ن الإفساد، في مصر والشّام}

محمّد علي باشا (وريث نابليون) (١٩٠٤-١٩٤٩):

وجاء محمّد علي باشا ليعمل ما عجز عن عمله نابليون، وأراد أن يحول مصر قطعة من فرنسا، وبدأ بإرسال البعثات إلى فرنسا لتغسل أدمغة المبعوثين، ومن بين الّذين ذهبوا هناك (رفاعة الطهطاوي) الّذي عاد داعية للثقافة الغربيّ وكتب (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) ونقل القانون الفرنسي، واتخذ محمّد علي باشا رجلا فرنسيا - وهو طبيب - مستشارا له وكان اسم هذا الرجل (كلوت بك) وكان لهذا الفرنسي تأثيرا كبيرا في تغريب مصر، وفي عهد محمّد علي أدخلت القوانين الفرنسية لتحل تدريجيا محل الشّريعة الإِسْلَاميّة، وكان جلساءه الخاصين من السياح والقناصل والمبشرين، ومن أعمق الآثار السيئة الّتي حلت أيّام محمّد علي باشا أنه فتح أبواب مصر والشّام -

عندما خضعت له – للمبشرين النّصَارى، فقد كانت موصدة دون هَؤُلَاءِ بسبب صرامة الدّولة العُثْمَانِيّة وحزمها في هذا الموضوع ومنعها للمبشرين.

وكان نتيجة دخول المبشرين للشام أن أنشأوا جامعتين في لبنان:

الأولى: الكلية السوريّة الإنجيلية الّتي أنشأها البروتستانت ثمّ أصبح اسمها (الجامعة الأمريكيّة) – بيروت.

الثّانية: كلية العزير الّتي أنشأها الكاثوليك ثمّ أصبح أسمها (الجامعة اليسوعية).

ولقد كانت الجامعة الأمريكيّة نقطة الانطلاق لكثير من الآراء والاتجاهات المنحرفة الّتي تركت أثارا عميقة في عمليَّة تحويل العالم العربيّ، ومن هذه الاتجاهات الإتجاه القومي الّذي كانَ يراد له أن يحل محل عَقِيْدَة الإِسْلَام في القلوب لملء الفراغ الّذي خلفه الإِسْلَام بعد أن انحسر في جميع مناحي الحياة.

جاء في كتاب المجتمع العربيّ / جامعة بيروت / كلية الآداب:

(إن أول جَمعيَّة بدأت تدعو إلى القوميّة العربيَّة هيَ جَمعيَّة مسيحية أوحى بفكرة تأسيسها رجل يسمى (الياس حبالين) من بلدة ذوق مكايل، وكان أستاذا للغة الفرنسية يدرسها في الجامعة الأمريكيّة لطلاب صف، فيهم إبراهيم اليازخي ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس وكان الأستاذ معجبا بالثَّورة الفرنسية).

وأصبحت القوميّة العربيَّة بفضل قادتها ودعاتها ومعظمهم من النّصَارى دينا جديدا حلّ محل الإِسْلَام كما قَالَ علي ناصر الدّين في مقدمة كتبه قصة العَرَب، هامش ص: ٣٨ (**العروبة نفسها دين عندنا نحن القوميين العَرَب المُؤمِنِين العريقين من مُسلِمِين ومسيحيين، لئن كان لكل عصر نبوته المقدّسة، فالقومية العربيَّة هيَ نبوة هذا العصر**).

وقدمت لنا الجامعة الأمريكيّة ومدارسها في المنطقة قادة الأحزاب القوميّة في المنطقة: فأسس حزب القوميين السوريين: أنطون سعادة ومن بعده أسد أشقر ثمّ جورج عبد المسيح.



وأسس حزب البعث: ميشيل عفلق النّصراني، زكي الأرسوزي النصيري، ورئس حزب القوميين العَرَب: جورج حبش بتوجيه من أستاذه قسطنطين زريق – الأستاذ في الجامعة الأمريكيّة.

جاء في البروتوكول الخامس من بروتوكولات حكماء صهيون: (لقد بذرنا الخلاف بين كلّ واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين الشّخصيَّة والقومية خلال عشرين قرنا).

وقد نجحت الدّول الغربيّة في توجيه محمّد عَلى باشا لتأدية أكبر خدمة للغرب ومنها:

١. **زلزلة سلطة الدّولة العُثمَانِيّة الإِسْلَاميّة عَلى الشّرق ومحاربة تركيا في موطن كثيرة.**
٢. **تنشيط حركة التبشير النّصراني في المنطقة.**
٣. **تحويل مصر وسوريا إلى دول متغربة بتفكيرها وحياتها.**
٤. **ضرب الحركة الإِسْلَاميّة الّتي ظهرت في الجَزِيرَة العربيَّة (الحركة الوهابية).**
٥. **إدخال القوانين الغربيّة لتطبيق عَلى المُسلِمِين.**

وكل القضايا الّتي فعلها (الخمسة المتقدمة) خطيرة وأحدثت أثرا كبيرا في حياة المُسلِمِين خاصّة فيما يتعلق بإدخال الدّين الجَدِيد (دين نابليون) أي القوانين الفرنسية وخلطها بالقانون الإلهي فأنشأ دينا جديد خليطا من (الدّين الفرنسي والدّين الإِسْلَاميّ) وكان ساعده الأيمن في تبديل دين الله هو رفاعة الطهطاوي، وأما أستاذه الكبير فهو الدكتور (كلوت) الّذي وجه الحياة المصريَّة في أكثر مناحيها، وأما بالنسبة لضرب الحركة والوهابية (دعوة التّوحيد) في الجَزِيرَة العربيَّة فأرسل محمّد علي ابنه إبراهيم باشا سنة (١٢٣١هـ) (سنة ١٨١٥م) إلى جَزِيرَة وفي سنة (٢٣٣هـ) (١٨١٧م) فدخل إبراهيم باشا (الدرعية) عاصمة الدّعوة، وقضى عَلى الحركة الوهابية.

وقبل أن نطوي صفحة محمّد علي باشا لا بُدَّ من وقفة عند رفاعة الطهطاوي الّذي كانَ له اكبر الأثر في عمليَّة التحويل.

لقد أقام الطهطاوي (أحد أعضاء بعثات محمّد عَلى إلى باريس) في باريس من (١٨٢٦-١٨٣١) فرجع وكتب كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) الّذي كتبه أثناء إقامته في فرنسا وعرضه عَلى

أستاذه (جومار)، وأبدى إعجابه الشديد بفرنسا، وقد قام في تخليص الإبريز بترجمة الدستور الفرنسي وبتمجيد الثَّورة الفرنسية الّتي حطمت الكنيسة وأحالتها إلى ركام من مخلفات التّاريخ.

وفي زمن الخديوي إسماعيل كانَ الطهطاوي عضده الأيمن في الإفساد والتغريب وكتب زمنه كتابيه (منهاج الألباب المصريَّة في مناهج الآداب العصرية) و(المرشد الأمين للبنات والبنين) وهو يبدي اهتماما ظاهرا بالتّاريخ الفرعوني ويسمى رمسيس الثّاني (فرعون سيدنا موسى): **(فخر الدّولة المصريَّة في الأزمان الجَاهِليَّة ومصباح تاريخها)**، ولا ينقضي عجب المسلم وهو يرى الطهطاوي يعرض نظام الشركات والمصاريف الربوية دون تعليق، ويرى أن الرقص الفرنسي نوع من الشلبنة (الأناقة والفتوة والرِّيَاضة ويعجب بالمرح ويشجع الطهطاوي عَلى اختلاط الجنسين، وتعليم الفتيات دون قيود ولا التزام بحدود شرعيّة ومنع تعدد الزوجات وتحديد الطلاق وأصبح يردد شعارا جديدا (أخوة الوطن)، هذا الشَّعَار الّذي أصبح دينا لدعاة القوميّة والعنصرية فيما بعد.

والطهطاوي شأنه شأن معاصره (خير الدّين التونسي) الّذي ألف كتاب (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) هما أول رسل الحضارة الغربيّة في بلادنا اللذين عملا كطلائع لهدم صرح الإِسْلَام العظيم في نفوس أبنائه.

صالون الأميرة نازلي فاضل:

كانت نازلي ابنة مصطفى فاضل – أخ إسماعيل باشا – وكان مصطفى وليا للعهد ثمّ أقصاه إسماعيل فسافر إلى تركيا ثمّ إلى أوروبّا وهناك تربت ابنته نازلي وأتقنت عدّة لغات وتزوجت أحد وزراء تونس ثمّ عادت إلى مصر لتعمل بها من التخريب ما عجزت عنه الدوائر الغربيّة، ففتحت صالونها ملتقى هواة السّلطة ومحط أنظار الّذين يحلمون بالعلو في الأرض، لأن الصالون أصبح يحظى برعاية (كرومر) – المعتمد البريطاني في مصر– وكان الرواد الدائمون لهذا الصالون ممن يتطلعون إلى الانتفاع بجاه الأميرة وبمالها.

من بين هَؤُلَاءِ الّذي يعتبرون علية مجلسها:

- **سعد زغلول:** الّذي جاء من الشارع – دون جاه ولا علم ولا مال – وتولى رئاسة مكتبها وبقي حتَّى سن السَّادسة والثلاثين لم يتزوج ثمّ تزوج (صفية ابنة مصطفى فهمي) رئيس وزراء الإحتلال البريطاني لبضعة عشرة عاماً، والغريب أن هذا الزواج من ابنة رئيس الوزراء الّتي لا تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها، وأصبحت (صفية) فيما بعد تحمل اسم (**صفية زغلول**) وتكنى (**بأم المصريين**).

ومن رواد الصالون: الشَّيْخ **جمال الدّين الأفغاني وتلميذه الشَّيْخ محمّد عبده**ولقد اطلعت عَلى رسالة بين الشَّيْخين عن الأميرة مما يدمي القلب عن حالة قادة الفكر الإِسْلَاميّ!! في ذلك الوقت.

ومن رواد الصالون كذلك:

لطفي الخولي، ثمّ جيء **بقاسم أمين** الّذي رد مرّة عَلى أحد الفرنسيين (دار كور)، وقد نال هذا الفرنسي من مكانة المرأة في الإِسْلَام، فقام أمين ورد عليه وبين أن الإِسْلَام أعطى المرأة مكانتها اللائقة وحفظ وظيفتها الأساسيّة واحتشامها بلباسها، وبسبب هذه المقالة أوغر سعد زغلول ومحمّد عبده صدر الأميرة نازلي عَلى قاسم أمين لأن كلامه ينال من مقام الأميرة لأنها تدعو إلى العري والتهتك، ثمّ اقترحوا حلا لرضا الأميرة عليه بأن يكتب كتابا عن المرأة فخرج سنة (١٩٠٠م) بكتاب (تحرير المرأة) الّذي اشترك في كتابته قاسم أمين والشَّيْخ محمّد عبده، وقبل سَنَوات اكتشف هذا السر فقد أعلن حفيد محمّد عبده أن جده هو كاتب كتاب (تحرير المرأة) ومعنى تحرير المرأة: تحريرها من القيم والمبادئ والحياء والخلق.

وبقيت بَرِيطَانيَا ترعى هذا الصالون ورواده حتَّى أوصلوهم إلى سدة الحكم:

فقد أصبح محمّد عبده مفتيا للديار المصريَّة، وأصبح سعد زغلول وزيرا للمعارف ثمّ رئيسا للوزراء وأضحى لطفي السيد (أستاذ الجيل) رئيسا للجامعة المصريَّة وفرض الاختلاط بين الجنسين في الجامعة.

ولطفي سيد: هذا هوا الّذي سخر صحيفته المسماة (بالجريدة) لتكريس آراء كرومر والدّفاع عنها، والدّعوة إلى الفرعونية وصياغة شخصية مصرية ذات طابع مميز.

وقد كانَ صنائع صالون نازلي فاضل يتبنون هذا بفصل مصر عن العالم العربيّ الإِسْلَاميّ.

فمثلا سعد زغلول أجاب عن سؤال حول الوحدة العربيَّة قائلا: (إنها وحدة بين أصفار)، وسار في هذا الخط طه حسين الّذي قَالَ: (**إن الدّين واللغة لا يصلحان أساسا للوحدة السّياسيّة، وإن المصري فرعوني قبل أن يكون عربيا**)، وقد نشر هذا الحديث (سلامة موسى) في صحيفته (المجلة جديدة (١٩٢٨م) لأنه كان يسير في نفس الخط.

وقال طه حسين (**لو وقف الإِسْلَام بيني وبين فرعونيتي لنبذت إسلامي**).

وفي سنة (١٩٢٧م) مات زغلول ليأتي النحاس رئيسا للوفد، حيث فرضته الدبابات البريطانيَّة في ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ رئيسا للوزراء رغم أنف الملك فؤاد.

- **صفية زغلول (أم المصريين) وهدى الشعراوي**، ولقد كانَ لصفية وهدى أثر كبير في إفساد فطرة المصريَّة الطيبة، أما صفية فكانت تدير عجلة الفساد من فوق سدة الحكم بسبب كون زوجها رئيسا للوزراء، وهي كما ذكرنا ابنة مصطفى فهمي رئيس الوزراء من قبل.

أما هدى شعراوي فهي ابنة سلطان باشا الّذي وقف بجانب الإنجليز ضدّ الثَّورة العرابية وقد استلم من الإنجليز مبلغا ضخما لقاء عمالته ثمّ أصابه السرطان وقبل أن يموت زوج ابنته من رجل ثري اسمه (علي شعراوي) في الخمسينات من عمره فأصبح اسمها (هدى شعراوي) وكان علي شعراوي من عملاء الإنجليز **وقد أُخذت هدى إلى أوربّا ولدى عودتها من رحلتها، وعلى سلم الباخرة نزعت خمارها (منديل الرأس) ووضعته تحت قدميها وقالت: انتهى عصر الظلام إلى الأبد، وشكلت (جمعيَّة السيدات المصريات)**.

كرومر حاكم مصر البريطاني والقس دنلوب:

أما كرومر فهو المعتمد البريطاني الّذي يدير مصر منذُ الاحتلال سنة ١٨٨٢ إلى ١٩٠٦، وقال الدكتور النشار (**أعلن كرومر منذُ مجيئه إلى مصر أنه سيهدم القرآن والكعبة والأسرة الإِسْلَاميّة والأزهر**)[(١)].

---

(١) لاحظ قوله وتفاصيل ما سيأتي من بَرَامج الأوربيين في ما أسموه (حرب الكلمة) منذُ القرن التّاسع عشر. وقارن برنامج (كرومر) الحاكم البريطاني لمصر منذُ (١٨٨٢)، مع برنامج (بريمر) الحاكم الأمريكيّ للعراق منذُ (٢٠٠٣).

ركز كرومر في هجومه عَلى الدّولة العُثمَانِيّة وحمل عَلى الإِسْلَام من خلال تركيا الّتي تمثله، ونشر الإنجليزية، وحارب العربيَّة، ونادى بفكرة مصر للمصريين، وحط من قيمة الأزهر ورجاله رقى طبقة المتفرنجين، وكان يقول: (**سوف يجد محبو الوطنيّة أحسن أمل لهم في ترقي أتباع محمّد عبده للحصول عَلى مصر مستقلة بالتّدرّج**)(١).

ألف كرومر كتاب (مصر الحديثة New Egypt) وادعى أن الإِسْلَام مناف للحضارة ويعلم أتباعه الحقد عَلى مخالفيهم !! وهو ينافي العمران ويبيح الطلاق ويحرم الربا والخمر.

كانَ لطفي السيد أحد الّذين حملوا لواء الدّفاع عن كرومر وسياسته في صحيفته (الجريدة)، وصحيفة المقطم.

أما دوجلاس دنلوب:

فهو أحد سيئات كرومر الكبرى، فلقد شجع كرومر المبشرين في مصر والسُّودَان إلا أنه عندما رأى طريقتهم الساذجة في التعرض للنَّاس في الشَّوارع خشي أن يُؤَدِّي عملهم هذا إلى يقظة النّاس ومن ثمّ تتفجر ثورة وطنيّة بحمية إسلاميّة، فحد من نشاطهم، فرفع المبشرون تقرير إلى الحكومة البريطانيَّة فأرسلت بَرِيطَانيَا عتابا إلى كرومر فرد عَلى المبشرين بأني سأعمل عن طريق راهب واحد أضعاف عملكم، وأحضر دنلوب سنة (١٨٨٩) وهو راهب تخرج من كلية لاهوت بَرِيطَانيَة وعينه كرومر (١٨٩٧) سكرتيرا للمعارف، ثمّ سنة (١٩٠٦) عين مستشارا لوزارة المعارف، وقد كانَ دنلوب هو الوزير الفعلي.

وكان ينفذ سياسة كرومر (**عقل بريطاني وأيدي مصرية**)(٢) ويرفع شعار سيده:

واستراتيجية (رامسفيلد) و(رايس) لـ(حرب الأفكار) و(تطوير المجتمعات) العربيَّة والإِسْلَاميّة دينيا وثقافيّاً وسياسيّاً واجتماعيا ! لتكتشف أن ما يجري الآن هو مجرد فصل لاحق لفصل سابق..ولم يختلف إلا الغباء في التطبيق الأمريكيّ الّذي يقوم علىٰ الحمق والجهل والبطش وهمجية الكاوبوي الّذي حرم ثقافة الأوربيين ومكرهم ![المؤلف].

(١) الآن (عراق) مستقلة بالتّدرّج !! [المؤلف].

(٢) الآن (عقل أمريكي يهودي بريطاني).. وأيدي عراقية وأردنية وسعودية وباكستانية ومصرية....إلىٰ آخر قافلة السوائم !! [المؤلف]

(متى توارى القرآن ومكّة من بلاد العَرَب يمكننا حينئذ أن نرى العربيّ يتدرج في سبيل الحضارة)(١).

وقد حارب دنلوب اللغة العربيَّة والأزهر، وشجع الإنجليزية وأصبح تدريس العلوم والرِّيَاضيات والكيمياء والجغرافيًا بالإنجليزية وحارب التّعليم العالي بحجة أن المصريين لا يصلحون للتعليم العالي وحارب الكتب الإِسْلَاميّة أو الّتي فيها عاطفة إسلاميّة مثل كتب علي مبارك وعبد العزيز جاويش.

وأخطر ما عمله دنلوب، أنه رسم المناهج الّتي أصبحت مثلا يحتذى للدول العربيَّة وقسم التّعليم إلى قسمين:

- **ديني: وجعله خاصا بالأزهر ومعاهده.**
- **ومدني: حارب فيه كلّ كلمة دينية، ومنع من توظيف خريجي الأزهر – أهل العلم الحقيقي–** وإذا احتاج إلى بعضهم كانَ يدفع للواحد ١١٢ قرشا مصريا في الشهر، هكذا كانت الحال في مصر – رائدة العالم العربيّ – أواخر القرن التّاسع العشر وأوائل القرن العِشرين.

ففي السّياسة: يرجع الأمر إلى الإنجليز فمعتمدهم هو الحاكم الفعلي للبلد وأما الخديوي فلا يملك من أمره شيئا.

وفي الاقتصاد: خيرات مصر تصب في جيوب الإنجليز.

والأزهر: مقصى عن توجيه دفة الحياة.

الإعلام: الإذاعة مديرها لطفي السيد وأمثاله كما أنه مدير الجامعة، والصّحف اليومية والدَّورية، والمجلات معظمها بي النّصَارى كالأهرام، والمقطم، والمقتطف، الهلال، ما ينوف عَلى عشرين منها بأيدي النّصَارى، ووزارة المعارف والمناهج: بيد دنلوب.

---

(١) الآن تطالب أمريكا بحذف ما تسميه آيات وسور الجِهَاد والتّحريض علىٰ الكراهية من مناهج التّعليم، وتروج لمصحف مختصر تريد نشره أسموه (فرقان الحقّ) !!يحرض علىٰ التسامح بين الذئاب والنعاج ! وتدخل الحُكُومَات الأئمة في دورات تأهيلية لتجنب التطرف ! [المؤلف]

والجامعة: بيد لطفي السيد، ثمّ جاء طه حسين ليواصل الدَّور من خلال كتبه (الشعر الجاهلي) و(الأدب الجاهلي) لينكر ربانية القرآن وأطلق كلمته.

(للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ولكنا لا نرى هذين مصدرا تاريخيا موثوقا) ثمّ استلم الجامعة، ثمّ المعارف قَالَ بعضهم (انتهى عهد دنلوب وابتدأ عهد طه حسين).

وفي أواخر القرن التّاسع عشر حصل أخطر حدث في العصر الحديث وهو مؤتمر بال (١٨٩٧م) الّذي عقده هرتزل في سويرا.

مؤتمر بال في سويسرا / ١٨٩٧ / :

يكاد كثير من مفسري التّاريخ يجمعون أن مؤتمر بال يعتبر أخطر حادث في العصر الحديث، وهو نقطة التّحول بالنسبة للعالم الإِسْلَاميّ، إذ دأبت بعده اليَهُوْدية العَالَمِيّة عَلى تنظيم الخطط وإحكام الأحابيل والشباك الّتي تصطاد بها المُسلِمِين للوصول إلى أرض الميعاد.

وأما هرتزل فهو صحفي يهودي نمساوي ولد سنة (١٨٦٠) وفي سنة (١٨٩٤) حضر محاكمة الضابط اليَهُوْدي (دريفوس) الّذي يحمل الجنسية الفرنسية حيث اتهم هذا الضابط بالتعامل مع ألمانيا وحكمت عليه بجريمة الخيانة عشر سَنَوات مع تجريده من مناصبه العسكريّة، ولقد أثرت المحاكمة في نفس هرتزل، إذ ظن أن دريفوس حكم ظلما بسبب دينه اليَهُوْدي وقال – من شاء أن يُنصف في هذا المجتمع فلينتصر – وصمم أن يعمل من أجل إنشاء وطن لليهود، وبعد هذا الحدث بسنة أي سنة (١٨٩٥م) أصدر كتابه (الدّولة اليَهُوْدية) وهو شبيه بالكتاب الّذي أصدره موسى هيس (من روما إلى القُدس).

وفي سنة (١٨٩٧) استطاع أن يجمع المنظمات الصّهيونيّة في مؤتمر صهيوني عالمي في بال، وأعلن هرتزل في نهاية المؤتمر أن الدّولة اليَهُوْدية قامت وحدد لذلك زمنا لا يتعدى خمسين سنة.

وانبثقت عن هذا المؤتمر (بروتوكولات حكماء صهيون) الّتي تعتبر أخطر الوثائق في العصر الحديث، ومعظم التدمير الّذي حلّ بالبشرية في القرن العِشرين كانت بسببها.

من نصوص من البرتوكولات:

البرتوكولات الثّاني (لا تحسبوا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء، نحن الّذين رتبنا نجاح داروين – من قبل – وإن فرويد منا، وإن ماركس ونيتشة منا، وسنبقى ننشر آراءهم لما لها من أثر هدام عَلى الفكر الأممي)، (الفكر الأممي) يعني فكر الأمم غير اليَهُوْدية، وقد أشار القرآن إلى طبيعة اليَهُوْد هذه فقال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [آل عمران]

ليس من حرج ولا إثم علينا – اليَهُوْد – إذا أسأنا إلى الأمم الأخرى غير اليَهُوْدية.

البرتوكول الثّالث: (سننشر بين الشّعوب أدبا قذرا مريضا يهدم الأسرة، وسنستمر بالترويج لهذا الأدب، يجب أن نعمل – لتنهار – الأخلاق في كلّ مكان فتسهل سيطرتنا.

إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشّمس لكي لا يبقى في نظر الشَّبَاب شيء مقدّس ويصبح همه ارواء غريزته الجنسية وعندئذ تنهار الأخلاق في كلّ مكان ونستولي عَلى العالم وهو مخدر).

البرتوكول الرَّابع: (سننزع فكرة الله من أذهان المسيحيين ونضع بدلها أرقاما حسابية وضرورات مادية).

وخلاصة البرتوكولات تتخلص في كلمة (أوسكار ليفي) الّتي قالها بتبجح وصلف:

(نحن اليَهُوْد سادة العالم ومفسدوه ومحركوا الفتن فيه وجلادوه).

وكانت طريقة اكتشاف البرتوكولات أن روسيا علمت أن اليَهُوْد يخططون ضدها فأرسلت لاقتحام مقر حكماء صهيون وبالفعل وبخطة محكمة أوقدوا النيران حول العمارة فهرب اليَهُوْد من العمارة فاقتحموها وأخرجوا ما استطاعوا أن يخرجوه من الأوراق ثمّ أحضرتها روسيا، وقام الدكتور (نيلوس) بتحليلها وتوقع نيلوس سقوط القيصرية في روسيا، وسقوط الدّولة العُثْمَانِيّة.

وقد كانَ البرتوكول الرَّابع عشر يقول: (يجب علينا أن نحطم كلّ عقائد الأديان) .

السُّلطَان عبد الحميد يعرقل عَلى اليَهُوْد الطّريق إلى فِلَسطِين:

إن معظم الأحداث الكبرى الّتي جرت في المنطقة الإِسْلَاميّة – العربيَّة خاصّة – كانت ترمي إلى الهدف الكبير الّذي وضعه هرتزل ومن ورائه اليَهُوْد نصب أعينهم وهو الوصول إلى أرض الميعاد كانَ أمام اليَهُوْد عقبة كأداء لا يمكن تجاوزها وهي الدّولة العُثَمانِيّة وعلى رأسها السُّلطَان عبد الحميد الثّاني الّذي حكم بين (١٨٧٦-١٩٠٩)

حاول اليَهُوْد أولاً إغراء السُّلطَان الصّالح عبد الحميد، فالسلطان عبد الحميد وصل إلى الخِلافَة في وقت كادت الماسونية تأخذ بخناق الدّولة.

ولنرجع إلى هرتزل الّذي توجه إثر انتهاء مؤتمر بال سنة (١٨٩٧) لمقابلة السُّلطَان عبد الحميد وأخذ معه حاخام القُسطَنْطينيَّة (موسى ليفي) وعرضوا عَلى السُّلطَان عروضا منها:

١- إنشاء أسطول عُثَمانِيّ.
٢- دعم سياسة العُثَمانِيّين في العالم الخارجي.
٣- مساعدة اليَهُوْد للسلطان في تحسين أوضاعه المالية.
٤- إنشاء جامعة عُثَمانِيّة في القُدس.

قَالَ هرتزل: (مثلا لو رضي مولانا وباع لنا الأراضي الّتي ليس لها مالكون في فِلَسطِين بالثَّمن الّذي يقدره) فغضب السُّلطَان وقال: (إن أراضي الوطن لا تباع، إن البلاد الّتي امتلكت بالدِّماء لا تباع إلا بالثَّمن نفسه).

ولم ييأس هرتزل وقابل السُّلطَان مرّة ثانية (١٩٠١) وفي هذه المرة عرضوا عَلى السُّلطَان نفسه (١٥٠) مائة وخمسين مليونا من الجنيهات الذهبية الإنجليزية فقال (إنكم لو دفعتم ملء الأرض ذهبا – فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإِسْلَاميّة والأُمّة المحمّدية ما يزيد عَلى ثلاثين سنة، فلن أسود صحائف المُسلِمِين آبائي وأجدادي من السّلاطين والخُلَفَاء العُثَمانِيّين).

ولقد كانت المقابلة هذه المرة مع (قره صو) المحامي اليَهُوْدي الماسوني الّذي أشرف عَلى محفل سالونيك.

ولقد نقلت بعض المصادر أن السُّلطَان صاح في وجه هرتزل (أخرج من وجهي يا سافل) وصاح بالحاجب الّذي أدخله قائلا (أما كنت تعلم ما يريده هذا الخنزير مني)

فطار هرتزل مع قره صو إلى إيطاليا وأرسل (قرة صو) برقية إلى السُّلطَان: (ستدفع الثَّمن هذه المقابلة من نفسك وعرشك).

يقول هرتزل في مذكراته: (ونصحني السُّلطَان عبد الحميد بأن لا أتخذ أية خطوة أُخرى في هذا السبيل لأنه لا يستطيع أن يتخلى عن أي شبر واحد من أرض فِلَسطِين إذ هيَ ليست ملكا له، بل هيَ لأمته الإِسْلَاميّة الّتي قاتلت من أجلها وروت التربة بدماء أبنائها.... وقال عبد الحميد: إن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فِلَسطِين تقتطع من إمبراطوريتي، ثمّ قَالَ: وفر نقودك يا هرتزل فعندما يذهب عبد الحميد ستأخذون فِلَسطِين مجانا).

وبعد هذا صمم اليَهُوْد عَلى الإطاحة بعبد الحميد وفي سنة (١٩٠٤) فجروا عربة أمام المَسجِد الّذي يصلي فيه السُّلطَان صلاة الجمعة ونجاه الله من الموت وقتل كثير من النّاس.

وتكالب الماسون عَلى إقصائه، ودفعت الماسونية بعملائها إلى أن تصدروا المناصب العليا في الدّولة أمثال طلعت باشا، أنور باشا – وزير الحَربية – أرستيدي باشا – رومي أصبح وزيرا للنافعة، جمال باشا – حاكم الشّام – مصطفى كما باشا قائد جبهة الشّرق العربيّ في الحَرب العَالَمِيّة الأولى جاويد باشا (دافيد باشا) – وزير المالية.

(حسين جاهد يالشين) أحد أعضاء لجنة التوفيق الثّلاثة (أمريكي وفرنسي وتركي) بين العَرَب واليَهُوْد وأصبح السُّلطَان يجد نفسه يوما بعد يوم محاطا برجال اشترتهم الماسونية من خلال جَمعيَّة (الإتحاد والترقي) وأصبحت قبضته تخف تدريجيا حتَّى استطاعوا أن يجبروه عَلى إعلان الدستور، فأنشأ مجلس المبعوثان (مجلس النواب) الّذي دخله اليَهُوْدي والنّصراني والمسلم وجاء (قره صو) إلى مجلس المبعوثان.

وكان إعلان الدستور نصرا للنصارى واليَهُوْد في كلّ الأرض حتَّى أهدى جورجي زيدان النّصراني – دار الهلال – كتابه الإنقلاب العُثمَانِيّ إلى الأبطال !!؟ أعلنوا الدستور سنة (١٩٠٨) ثمّ استطاع الماسون

أن يحركوا الجيش بقيادة محمود شوكت – العربيّ واجتمع مجلس النواب لينتزعوا قرارا بالإطاحة بالسلطان. ولقد كانت أصابع ناحوم حاييم (حاخام القُسطَنْطينيَّة) بارزة في الأمر، وقدم كتاب الخلع إلى السُّلطَان عبد الحميد ثلاثة.

١- قره صو.٢-أستيدي باشا.٣- عارف حكمت الّذي كانت أمه خادمة في قصر السُّلطَان فأخذ السُّلطَان ابنها هذا – عارف – وأدخله في البحرية حتَّى أصبح ياورا في البحرية.

كانَ إقصاء السُّلطَان عبد الحميد عن الخِلافَة في نيسان سنة (١٩٠٩) وكانت هذه أكبر طعنة وجهت للإسلام، وفي تلك الليلة الّتي نزل فيها السُّلطَان عبد الحميد عن سدة الحكم نستطيع القول بأن: الإِسْلَام الفعلي أزيل من الوجود والشهود وسقطت فِلَسطِين – حقيقية – في يد اليَهُوْد.

يقول أنور باشا – أحد أقطاب الماسونية والإنقلاب عَلى السُّلطَان عبد الحميد مخاطبا جمال باشا أتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟

نحن لم نعرف السُّلطَان عبد الحميد فأصبحنا آله في يد الصّهيونيّة واشترتنا الماسونية العَالَمِيّة، نحن بذلنا جهودنا للصهيونية فهذا ذنبنا الحقيقي.

ويقول برنارد لويس: (لقد تعاون الإخوة الماسون واليَهُوْد سرا عَلى إزالة السُّلطَان عبد الحميد لأنه كان معارضا قويا لليهود، إذا رفض بشدة إعطاء أي شبر أرض لليهود في فِلَسطِين.

تركيا بعد السُّلطَان عبد الحميد:

سقط السُّلطَان الصّالح عبد الحميد بفعل الماسونية اليَهُوْدية وأصبحت تركيا تسير من قبل (جَمعيَّة تركيا الفتاة، وجَمعيَّة الاتحاد والترقي) الّتي أضحت لعبة بيد الماسونية، فقد كانت القوميّة التركية الّتي يدعو إليها حزب الإتحاد والترقي بيد اليَهُوْد .

وهكذا توالت النكبات عَلى تركيا، الخِلافَة ضعيفة تلعب بها جَمعيَّة الاتحاد والترقي – الدعاة القوميون – هَؤُلَاءِ علمانيون لا متدينون، المحافل الماسونية تنتشر انتشار النار في الهشيم، الديون تتراكم، ومن وراء ذلك كله الأصابع اليَهُوْدية الّتي صممت الإطاحة بتركيا لتصل إلى أرض الميعاد.

مصطفى كمال يحطم تركيا ويلغي الخِلافَة:

وخرجت تركيا محطمة من الحَرب العَالَمِيّة الأولى وتقاسمت الدّول الكبرى ورثة الرجل المريض! كما كانوا يطلقون عَلى تركيا، واستراحت أوروبّا من هذا الغول الرهيب الّذي كانَ يقض مضاجعها لقرون طويلة.

وجاء مصطفى كمال بعد هزيمته في جبهته في الشّرق العربيّ وبرزت شخصيته كقائد عسكريّ من خلال بعض الإشتباكات العسكريّة مع اليونان، وانطلقت الأقلام لتبرز مصطفى كمال، وهناك بعض المحللين التّاريخيين والسّياسيّين يرون أن سكوت دول الحلفاء الثلاث الّتي كانت تعسكر قوّاتها عَلى مقربة من أرض المَعْرَكة كانَ لخطة وهي إبراز مصطفى كمال من أجل دور الّذي ينتظره وهو محاربة الإِسْلَام وإسقاط الخِلافَة.

وانسحبت دول الحلفاء من تركيا وعندما وقف مجلس العموم البريطاني في وجه كرزون الّذي وافق عَلى سحب جُيُوش الحلفاء من تركيا قائلين ستعود تركيا مرّة أُخرى لاحتلال أوروبّا فقال: اطمئنوا .. (لن تقوم لتركيا قائمة بعد أن جردناها من الإِسْلَام والخِلافَة).

حالة العالم الإِسْلَاميّ بعد منتصف القرن التّاسع عشر (إلى منتصف القرن العِشرين):

كانَ العالم الإِسْلَاميّ في النصف الأوّل من القرن العِشرين نائما في سبات عميق مستسلما للذل قد استمرأ السياط الّتي بيد جلاديه تلهب ظهره.

وقد اتفق الغرب الّذي يقبض بخناق العالم الإِسْلَاميّ عَلى أمرين:

أن لا تقوم للإسلام قائمة.

أن تقوم الدّولة اليَهُوْدية في فِلَسطِين.

والعالم الإِسْلَاميّ قسمان: العالم الإِسْلَاميّ العربيّ، والعالم الإِسْلَام غير العربيّ.

- **أحوال العالم الإِسْلَام العربيّ:**

أما العالم الإِسْلَاميّ العربيّ: فقلبه النابض مصر وهي في قبضة بَرِيطَانيَا وقد رأينا كيف عاثوا بها فسادا عن طرق أسرة محمّد علي وعن طريق صنائعهم فيها، وكانت الأردن والعراق وفلسطين تحت وطأة الإحتلال البريطاني كذلك، ولم يكن حالها أحسن من حال سابقتها مصر.

وأما فرنسا: فكانت تتحكم بسوريا ولبنان والشمال الأفريقي، حيث صممت أن تحول الشمال الأفريقي إلى ماخور كبير من مواخير باريس من تونس حتَّى طنجة، وفرضت اللغة الفرنسية وأخرجت الظهير البربري (القانون البربري) في ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ الّذي قضى بتنفيذ الأحكام العرفية البربرية وقانون الأحوال الشَّخصيَّة البربرية بدل الشّريعة الإِسْلَاميّة، وذلك للتفريق بين العَرَب والبربرية، وتحويل البلد إلى ساحة نزاع عرقي وسلخ المُسلِمِين عن دينهم.

وفي نفس الوقت أثار سعيد عقل، ويوسف السودا، وفيكتور خلاط، شبح الفنيقية، وإحياء أسماء هاينبال، وصناعة حزب القوميين السوريين، وإعلان أن لبنان لا ينتمي إلى العَرَب بل هو جزء من حضارة البحر المتوسط.

وفي مصر: يثير سلامة موسى وطه حسين الفرعونية، وأعلن طه حسين في مستقبل الحضارة في مصر: أن مصر جزء من حضارة المتوسط (الأوروبية) وليست عربيَّة فهي أقرب إلى حضارة إيطاليا وفرنسا واليونان منها إلى جَزِيرَة العَرَب، ويجب تقليد الأوربيين في مأكلهم ومشروبهم وملبسهم وحياتهم.

وأما فِلَسطِين: فهي تحت إدارة المندوب السامي البريطاني- اليَهُوْدي (هربرت صموئيل)، الّذي يمهد لإقامة دولة اليَهُوْد فيها، ولذا فإنه يغرق المدن الكبرى بالمسارح والسينما والأندية الليلية بالإضافة إلى التحكم بالمناهج المدرسة العلمانيّة وإقصاء التّربية الإِسْلَاميّة والتّاريخ الإِسْلَاميّ عن الحياة المدرسية، وكانت الإذاعة بأيديهم.

وأما النصيريون في سوريا: فكانت فرنسا بالإضافة إلى ما تقدم من وسائل بَرِيطَانيَا في عمليَّة التَّغيير، كانت ترعى طائفة النصيريين الّذين سمتهم العلويين ليختلط أمرهم لدى المُسلِمِين، وهذه الطَّائِفَة الّذين كانوا قد اتخذوا من بينهم إلها وهو (سليمان المرشد) وقد كانَ راعيا للبقر واتخذ رسولا اسمه (سليمان الميدة) كانَ يعمل راعيا للجمال، وسليمان المرشد هذا من قرية (جوبا يرغال) شرقي

اللاذقية، وكان المستشار الفرنسي يسجد له مع الساجدين ليزيد أتباعه غيا، وقد صنع له جلبابا فيه مصابيح كهربائية تضيء فيسجد له الأتباع !

أحوال بقية المُسلِمِين في العالم الإِسْلَاميّ:

أما عن المُسلِمِين في بقية العالم الإِسْلَاميّ فحدث عنهم ولا حرج، فزيادة عن الجهل المطبق الّذي يتضور فيه غالبية المُسلِمِين، شجعت الدّول الاستعماريّة وعلى رأسها بَرِيطَانيَا الطرق الصوفية المنحرفة الّتي لا تفهم من الإِسْلَام إلا العزلة السلبية والصّبر عَلى الإتسعمار، لأنها بتلاء من الله، والتمسح بالقبور وإقامة الأضرحة ورفع الرّايات فوقها من أجل التبريكات، وإشغال الشعب بعيد ميلاد المَشَايخ وتتويجهم ثمّ الدعوات حول قبورهم والحلف بأسمائهم وإهداء الزهور عَلى أنصابهم.

وزيادة عَلى هذا فقد ابتدعت نبوات جديدة وظيفتها إلغاء الجِهَاد، وترسيخ الوَلَاء لبريطانيا.

١- **ففي الهند**: أبرزت (ميرزا غلام أحمد) القادياني، وهذا المتنبىء ولد سنة (١٨٤٠) في قاديان وأصيب في شبابه بالهستيريا، وفي سنة (١٨٨٤) أعلن حرمة الجِهَاد ضدّ الإنجليز في كتابه (براهين أحمدية).

وفي المَرحَلَة الثّانية: أعلن تشبهه بالمسيح سنة (١٨٩١) وأصدر ثلاثة كتب (فتح الإِسْلَام توضيح مرام، إزالة أوهام)، وقال: أنه المسيح الموعود.

وفي المَرحَلَة الثّالثة أعلن أنه نبي سنة ١٩٠٠، وقد ادعى أن الله جمع جميع الأنبياء في شخصه.

قَالَ بشير محمود (أحد الدعاة القاديانيين): (غلام احمد أفضل من بعض أولي العزم من الرسل)!!

ولقد تبعه الكثيرون ليبايعوه عَلى الوَلَاء لبريطانيا، يقول محمود أحمد (خليفة ميرزا غلام أحمد في رسالته: (هدية لسمو الأمير ويلز نجل جورج الخامس سنة ١٩٣١):

(أنا أرحب بك وأؤكد لك أن الجماعة الأحمدية وفية لبريطانيا وستبقى وفية – إن شاء الله – وإن منهج هذه الجماعة منذُ تأسيسها أن تطيع الحكومة القائمة بَرِيطَانيَا وهذا شرط البيعة فيها).

جاء في كتاب (ترياق القلوب) لميرزا غلام أحمد: (لقد قضيت عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها، وألفت في منع الجِهَاد ووجوب طاعة أولي الأمر الإنجليز من الكتب والنشرات ما لو جمع لملأ خمسين خزانة، وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربيَّة ومصر والشّام وكابل).

٢- البابية والبهائية في إيران:

وهذا دين آخر رعته بَرِيطَانيَا وحرصت عَلى نشره روسيا من أجل تمييع العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة، والبابية مؤسسها شيعيّ يدعى (ميرزا علي محمّد الشيرازي) تلقب بالباب واشتق اسمه من الحديث الموضوع (أنا مدينة العلم وعلي بابها)، وادعى النبوة أولا، ثمّ ادعى أنه المظهر لله، ثمّ أسس تلميذه (البهاء) دين البهائية.

وفي سنة ١٨٤٨ عقد البهائية مؤتمر بدشت، وأعلنت البابية نسخ الشّريعة الإِسْلَاميّة بالبابية، ثمّ أعدم البهاء، وتفرقت جماعته إلى فرق (في نواحي إيران).

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن النواة الأولى لأتباع البَاب كانَ لليهود فيها عدد كبير منهم، وقد كانَ قسم من أعمال السفارة الرُّوسية في طهران منحصرا في تهيئة الألواح وتنظيم أعمال البابية.

وقد مرت دعوة البهاء بثلاثة أطوار، الأوّل ادعى فيه أنه عيسى عليه السلام، ثمّ ادعى النبوة ثمّ ادعى الألوهية.

مدرسة مد الجسور نحو الغرب:

لقد اشرنا أكثر من مرّة إلى أن الغرب آثر أن لا يستعمل القوّة إلا في حالات الضَّرورة القصوى لأنها درك أن بإمكانه أن يصنع من خلال ربائبه من أبناء البلد أضعاف ما تحققه جنده وأساطيله الجوية والبحرية.

ولقد رأى الإنكليز- بالذات - أن من أفضل الطرق لضرب جُذُورهم في أرض المُسلِمِين هو إقامة مدارس تقوم بردم الهوة بين الغرب المشرك والشرق المسلم بتمييع الحواجز وإزالة الفواصل

وتقريب الشقة بين الإيمان الناصع والكفر الصريح بتلبيس الأمور واختلاط الشارات وهدم الفوارق بين المُسلِمِين والكافرين (١)، ومن هذه المدارس:

مدرسة محمّد عبده في مصر.

مدرسة أحمد خان، وعلى طريقته وحيد الدّين خان، (في الهند).

مدرسة محمّد عبده في مصر:

يختلف المفسرون لأحداث التّاريخ حول شخصية محمّد عبده وفي تحليل مواقفه السّياسيّة وصلته بالاحتلال البريطاني (٢):

فمنهم من يغالي فيه ويرى فيه المصلح الّذي أيقظ مصر من سباتها العميق، وأنه بذل وسعه في إصلاح الأزهر، وأنه كانَ لا يستطيع مُوَاجَهة بَرِيطَانيَا فاضطر إلى مهادنتها من أجل حماية الأوقاف الإِسْلَاميّة والقيام بالإصلاح الجذري للأزهر والعُلَماء، ومن هَؤُلَاءِ تلميذه محمّد رضا، ومحمّد البهي.

ومنهم من يرى أنه قام بدور كبير في خدمة بَرِيطَانيَا أكثر من العلمانيين الصرحاء، وذلك لأنه مد الجسور بين النّفسية المصريَّة الإِسْلَاميّة والنّفسية الإنجليزية الحاقدة، واستطاع أن يقنع الكثيرين أنه لا بُدَّ من التّعاون مع بَرِيطَانيَا.

ومن أصحاب هذا الرَّأي الشَّيْخ عليش شيخ الأزهر الّذي كفر محمّد عبده.

ومهما يكن من أمر فهناك قضايا كبرى لا نستطيع إغفالها في حياة محمّد عبده:

(١) الآن تقوم أمريكا بنفس البرنامج، عن طريق افتتاح المراكز الثَّقافيَّة، والمؤسسات العلمية والبحثية العالية، وعن طريق أخذ الطلبة المتفوقين دراسيا، وأبناء الأغنياء والشخصيات السّياسيّة والاجتماعيَّة في بعثات دراسية إلىٰ أمريكا لغسل عقولهم وإعادتهم بعقول وثقافة وتبعية روحية لأمريكا، وتصرح أمريكا في دعايتها لبَرَامج تلك البعثات، أن هَؤُلَاءِ الخريجين سيتسلمون مهمة إدارة بلادهم في كلّ المجالات، وسيكونون زعماء بلادهم في المستقبل! [المؤلف]

(٢) أما نحن فلا نختلف، ولا ريب عندنا أن محمد عبده كانَ ماسونيا عميلا لبريطانيا مرتدا ملحدا في دين الله، ونحن متفقون مع شيخ الأزهر في زمانه (الشَّيْخ عليش) ﷺ، حيث كفره علنا وبين وجوه ردته – قاتله الله – وسامح الطيبين المغفلين المخلصين، المخدوعين به. [المؤلف]

١- دخوله الماسونية وهذا أثبته له حتَّى تلميذه وأثبت حصوله عَلى أوسمة في الماسونية من الملحق الثقافي الأمريكيّ في المحفل الماسوني اللبناني.

٢- وقوفه بجانب كرومر ضدّ الخديوي عباس، ومكانته الرفيعة لدي الإنكليز وتدخلهم لدعمه في كلّ ملمة به، كما خصوه بمنصب الإفتاء في مصر وحصروه فيه.

٣- كانَ محمّد عبده من رواد صالون الأميرة نازلي كما أسلفنا، وقد حفظت صور لمحمّد عبده يخالط فيها بعض نساء الإفرنج وغيرهن من خليعات مصر في ذلك الزّمان.

٤- كانَ كرومر يقول للخديوي عباس:

(إسمح لي أن أقول أنه مادام لبريطانيا العظمى نفوذ في مصر، فإن الشَّيْخ محمّد عبده يكون هو المفتي حتَّى يموت).

وقد جاء في كتاب كرومر (مصر الحديثة):

(إن محمّد عبده كانَ مؤسسا لمدرسة حديثة قريبة الشبه من تلك الّتي أسَّسَها السيد أحمد خان في الهند مؤسس جامعة عليكرة).

يقول المستشرق الإنكليزي (هاملتون جب) في كتابه: (أين يتجه الإِسْلَام):

(ومن ناحية أُخرى نجد أن الشَّيْخ محمّد عبده قد صنع جسرا فوق الهوة الّتي تفصل التّعليم التقليدي الجاف عن التّعليم المصري الخاضع لمذهب العقليين الّذي غزا الشّرق والغرب).

لا أشك أن تفسير محمّد عبده للقرآن والّذي نقله تلميذه محمّد رضا يدل عَلى الهزيمة الروحية أمام ضغط الغرب الجاثم عَلى صدور المُسلِمِين واستحياء من المستشرقين، حيث أول الملائكة بالقوى الطبيعيّة، وفسر سجودهم لآدم بتسخير قوى الأرض له، وأول الجن بالميكروبات، والطير الأبابيل بمخلوقات من جنس البعوض والذباب، والحجارة مت سجيل بالجراثيم!

فأين كانَ محمّد عبده من قوله تَعَالَى:

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود]

مدرسة أحمد خان بهادور في الهند:

لقد أقلق بَرِيطَانيَا وجود علماء صادقين مُجَاهدين في شبه لقارة الهندية من أمثال الشَّيْخ (أحمد بن عرفان الشّهِيد ١٨٤٢م)(١) الّذي ألهب شعلة الحماس والجِهَاد في نفوس المُؤمِنِين في الربع الأوّل من القرن التّاسع عشر، ولذلك لجأت إلى تربية صنائع دينية تمسح من الأذهان فكرة الجِهَاد فاخترع تعددا من المدارس مثل:

القاديانية، وقدمت ميرزا غلام أحمد عَلى أنه نبي ينسخ الجِهَاد.

أحمد خان، العلماني الّذي نادى بإلغاء الجِهَاد أيضا، وقد ولد أحمد خان هذا سنة ١٨١٧في دهلي، ثمّ عمل في خدمة بَرِيطَانيَا أمينا في الحكم الجنائي ١٨٣٧، ولدى قيام المُسلِمِين بالجِهَاد سنة ١٨٥٧، وقف أحمد خان ضدّ الثَّورة الإِسْلَاميّة، وخلص كثيرا من البريطانيين من القتل، ودفع مبلغا ضخما من ماله لإنقاذهم، وألف كتابا عن أسباب الثَّورة أنحى فيه باللائمة عَلى المُسلِمِين الجهلة.

وقد منحته بَرِيطَانيَا وسام نجمة الهند، وفي سنة ١٨٧٥ أنشأ (الكلية الشرقية الإنجليزية) في عليكرة، واسمها الآن (الجامعة الإِسْلَاميّة)، وهلك سنة ١٨٩٨.

ومن أهمّ محاولات أحمد خان:

إنشاء دين جديد تنصهر فيه الأديان الثّلاثة (الإِسْلَام، النّصرانية، اليَهُوْدية).

محاولة إثبات صحة الأناجيل، وكتب في هذا كتابا سنة ١٨٦٢أسماه تبيان الكلام.

نادى بالمذهب الطبيعي الدهري، وقال أن جميع الأنبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بالإله- والعياذ بالله- ولقب نفسه بالطبيعي.

زعم أن النبوات تكتسب بالرِّيَاضة الروحية، إلغاء فريضة الجِهَاد.

مدرسة وحيد الدّين خان في دلهي بالهند:

وقد أشد وحيد خان بسلفه أحمد خان، وكان من أفكاره الّتي جاءت في كتبه:

---

(١) انظر كتاب (إذا هبت ريح الإيمان) للشيخ علي الطنطاوي.

١ – الدّعوة إلى إنشاء مركز عالمي عصري بشرط أن يبتعد عن السّياسة بكل شكل.

٢ – ترك الدُّنيَا لأهلها وتذكير النّاس بالموت فقط.

٣–إلغاء الجِهَاد والدّعوة لترك مُوَاجَهة الغرب، والدّعوة إلى الإستكانة والذل والصّبر.

٤ – أن الأنبياء بعثوا للمؤمنين الفاسدين.

المستشرق الإنكليزي (جب) يكتب عن العالم الإِسْلَامِيّ سنة ١٩٣٢ :

خلال الثلث الأوّل من القرن العِشرين، نجح اليَهُوْد وحلفاؤهم الغربيّين في مجالات شتّى في العالم الإِسْلَاميّ.

فقد أسقطوا الخِلافَة العُثْمَانِيّة، وزجوا بتركيا في الحَرب العَالَمِيّة الأولى، فحطموها وتقاسموا ممتلكاتها، وقد وقف الزعماء العَرَب بسذاجتهم إلى جانب الحلفاء والإنجليز خاصّة ضدّ إخوانهم المُسلِمِين الأتراك العُثْمَانِيّين، ظنا منهم أنهم سف يساعدوهم عَلى قيام مملكة عربيَّة مستقلة! ولمن الحقائق الّتي سبق أن أشار إليها القرآن كانت غير ذلك ! يقول لورنس (رجل الإستخبارات البريطاني) الّذي رتب الثَّورة العربيَّة الكبرى ضدّ العُثْمَانِيّين لمساعدة بَرِيطَانيَا الّتي أغدقت الوعود الكاذبة للشريف حسين والي مكّة والحجاز آنذاك، يقول: (**كنت أعلم أنّنا إذا كسبنا الحَرب فإن عهودنا للعرب ستصبح أوراقا ميتة، ولو كنت ناصحا شريفا للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم، لقد كانَ قادة الحركة العربيَّة يفهمون السّياسة الخارجيّة فهما عشائريا بدويا، وكان البريطانيون والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتمادا عَلى سذاجة العَرَب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم، وكان لهم ثقة بالعدو، إنني أكثر ما أكون فخرا أن الدَّم الإنكليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين الّتي خضناها، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنكليزي واحد**).

لقد قَالَ ويزمن بعد ذلك: (**لقد قدم لورنس خدمات جليلة لليهود**)!

ثمّ بدأ الغرب عن طريق التّعليم ينفث الم في أوصال هذه الأُمّة، فأفسد الناشئة، وأفسد النِّسَاء وحطم المكوّنات الأسرية، وأدخل أندية الماسون والروتاري في نخبة المجتمعات، ونشر الفسوق عبر المسرح والسينما ووسائل الإعلام.

يقول المستشرق **الإنكليزي جب** في كتابه وجهة العالم الإِسْلَاميّ:

[عن (**التّعليم**) (١): **إن هذا هو السبيل الوحيد لفرنجة بلاد المُسلِمِين وتغريبها، لقد كانَ التركيز قويا لإنشاء الطّبّقة الّتي تأخذ نهَائِيَّاً بوجهة نظر لا سلطان للدين عليها، وحينئذ يمكن الجلاء عن أراضيها وتسليمها زمام السّلطة فيها لأنها امتداد لفكر المحتل**] !.

ويقول: [**إن المدارس والمعاهد لا تكفي فليست إلا الخطوة الأولى ويجب صرف الاهتمام إلى خلق رأي عام بالاعتماد عَلى الصحافة، فهي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذا في العالم الإِسْلَاميّ، ومديرو الصّحف القوميّة معظمهم من التقدميين والصّحف تتميز بنزعة علمانية غالبة كما يرى**] !

ويضيف بأن التّعليم والصحافة قد ترك المُسلِمِين لا دينيين إلى حد بعيد: [**إن العالم الإِسْلَاميّ سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينيا في كلّ مظاهر حياته**]

ويبدي جب تخوفه من ناحيتين:

١- **المعاهد الدّينيّة.**

٢- **الحركات الإِسْلَاميّة**: الّتي يرى أنها تتطور بسرعة مذهلة مدهشة، وتنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من إماراتها ما يدعوهم إلى الريبة في أمرها.

و يقول: [**إن الحركات الإِسْلَاميّة لا ينقصها إلا الزعامة وظهور صلاح الدّين**] !

(١) انتبه لاهتمام الإستعمار الأوربي بالتّعليم، ولتصريحهم بلا خفاء عن أهدافهم من وراء ذلك، وتذكر الإلحاح والإجبار الّذي تمارسه أمريكا اليَوْم لإعادة مسخ ما مسخ من مناهج التّعليم.وعقد الحُكُومَات العربيَّة والإِسْلَاميّة بضغط من أمريكا عشرات المؤتمرات تحت الشَّعَار الخادع: (تطوير مناهج التّعليم). [المؤلف]

زعيم المبشرين (زويمر) يصف المُسلِمِين الّذين يريدهم الغرب سنة ١٩٣٣[١]:

يقول زويمر مخاطبا المبشرين في مؤتمر القُدس سنة 1933:

[... إن مهمتكم هيَ إخراج المسلم من الإسْلاَم ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق الّتي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم طليعة الفتح الاستعماريّ في الممالك الإسْلاَميّة، هذا ما قمتم به خلال الأعوام المئة السَّابقة خير قيام.

لقد قضينا في هذه الحقبة من الدهر منذُ الثلث الأخير من القرن التّاسع عشر إلى يومنا هذا علىَ جميع بَرَامج التّعليم في الممالك الإسْلاَميّة، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجَمعِيّات والمدارس المسيحية، تلك الّتي تهيمن عليها الدّول الأوربية والأمريكيّة.

أنتم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسْلاَميّة إلى قبول السّير في الطّريق الّذي مهدتم له كلّ تمهيد.

إنكم أعددتم شبابا في ديار الإسْلاَم لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسْلاَم ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسْلاَميّ طبقا لما أراد له الإستعمار، لا يهتم للعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في الدُّنيَا إلا في الشَّهَوَات، فإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشَّهَوَات يجود بأغلى ما يملك.] !

ويقول زويمر:

[إن السّياسة الاستعماريّة لما قضت منذ1882م علىَ بَرَامج التّعليم في المدارس الابتدائية، أخرجت منها القرآن، ثمّ تاريخ الإسْلاَم، وبذلك أخرجت ناشئة لا هيَ مسلمة، ولا هيَ مسيحية، ولا هيَ يهودية، ناشئة مضطربة، مادية الأغراض، لا تؤمن بعَقِيْدَة ولا تعرف حقا، فلا للدين، ولا للكرامة، ولا للوطن حرمة] ! أهـ.

لقد وصف(**زويمر**) الجيل خلال القرن التّاسع عشر والثلث الأوّل القرن العِشرين وصفا دقيقا، ولكنه خاب فأله فيما بعد، ولم يصدق ظن (**جب**)، الّذي رأى أن الشّرق المسلم سيصبح علمانيا عن قريب.

(١) إقرأ وتمعن وستفهم: أنه لم يتبدل أي شيء في برنامج الإستعمار بين الرُّوم الصليبيّن الأوربين، والرُّوم المتصهينين الجدد الأمريكيّين، اللهم إلا ما أشرنا إليه من خصائص الكاوبوي الأمريكيّ، وثلاثيته: الحمق والجهل والبطش، لأنه يستعجل النَّتِيجَة، ولأنهم قزم بلا تاريخ ولا حضارة. [المؤلف]

لقد كانَ الله – عَزَّ وَجَلَّ – لهم بالمرصاد، (فقد نهضت الصّحوة الإِسْلَاميّة بمدارسها المختلفة، ثمّ أفرزت الصّحوة الجهاديّة، وعادت الأُمّة تلتمس الخلاص في طريق القرآن).

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ٣٦﴾ [الأنفال]. أهـ[1]

الدّعوة القوميّة بداية القرن العِشرين:

وأما دعاة القوميّة العربيَّة فبالإضافة إلى نصارى الشّام في القاهرة الّذين تولوا توجيه الفكر في مصر كلها ! فقد كانَ يعمل هناك في المركز الآخر في باريس بعض النّصَارى السوريين ومنهم: نجيب عازوري، وهو نصراني سوري ألف سنة (١٩٠٤) جَمعيَّة (عصبة الوطن العربيّ) في باريس، وكان هدفها الّذي أعلنته تحرير الشّام والعراق من السّيطرة التركية، ونشر سنة (١٩٠٥) كتاب (يقظة الأُمّة العربيَّة) باللغة الفرنسية، وأصدر بالاشتراك مع الكتاب الفرنسيين مجلة (الاستقلال العربيّ) حيث صدر العدد الأوّل منها في أبريل سنة (١٩٠٧)، وتوقفت بعد إعلان دستور سنة (١٩٠٨).

يقول ساطع الحصري احد كبار الكتاب القوميين: (إن القوميّة ابتدأت بنجيب عازوري الّذي وضع آماله العربيَّة السوريّة في فرنسا أولاً وفي إنجلترا ثانياً) وكانت أعمال نجيب عازوري تمهيدا لمؤتمر باريس سنة (١٩٣١).

مؤتمر باريس سنة (١٩١٣):

يكاد كثير من كتاب القوميّة العربيَّة يعتبرون مؤتمر باريس أساسا للقومية الحديثة، وكان عدد المشتركين (٢٤) عضوا نصفهم من المسيحيين ونصفهم من أبناء المُسلِمِين، ويقول عنه أنيس الصايغ بأنه كانَ خاليا من المطالبة بالاستقلال حتَّى لا تحرج بعض الدّول الأوربية الّتي كانت تشجع الحركة القوميّة وتمدها بالأموال، وقد صرح الزهراوي رئيس المؤتمر لمراسل جريدة (الطان: Le tamp) الفرنسية بأنه ليس للمؤتمر علاقة بولايات العَرَب غير العُثْمَانِيّة – أي الشمال الأفريقي –، فإن فرنسا

(١) (الذخائر العظام – ج١/ ٩٠٨– ٩٣٩).

تشرف عَلى المؤتمر وهي تحكم الشمال الأفريقي، وشكر وزراة الخارجيّة الفرنسية، ورفض المؤتمر إشراك مصر في المؤتمر، وقد طالبوا بجعل اللغة العربيَّة رسمية في البلاد العربيَّة واضطرت الحكومة الاتحادية أن تفاوضهم بإدخال (٣) وزراء عرب وخمسة من الولاة العَرَب كذلك في سلك الدّولة.] أهـ.

عوامل هامة في تطور الحركة القوميّة:

هنالك عوامل هامة كانَ لها أثر كبير في تأجيج نار القوميّة العربيَّة في الرَّابع الأوّل من القرن العِشرين، ومن أهمّ هذه العوامل:

استلام جَمعيَّة الإتحاد والترقي الحكم في تركيا بعد إسقاط السُّلطَان عبد الحميد في (٢٧) نيسان سنة (١٩٠٩)، وبدأت المناداة بالقومية الطورانية التركية، ومن فلاسفتها خالدة أديب – اليَهُوْدية – الّتي أصبحت فيما بعد وزيرة للمعارف، وكذلك ضيا كوك ألب وهو تلميذ اليَهُوْدي دوركايم وتلميذ اليَهُوْدي الآخر مويز ألب، ومن المعلوم أن قادة الإتحاد والترقي كلهم عَلى الإطلاق من الماسون، وليس منهم واحد مسلم الأصل أو تركي العرق، فأنور بولندي، جاويد – يهود دونمة – كاراسو – يهودي أسباني، وبدأت جَمعيَّة الإتحاد والترقي بفرض عمليَّة التتر يك عَلى جميع المحافظات العربيَّة وغيرها، ففرضت التركية في الدواوين والمدارس والمناهج، وبدأت عمليَّة التتريك كذلك في أجهزة الدّولة، وقد ظهر هذا واضِحاً في انتخابات مجلس النواب (المبعوثان) الّذي انتخب عَلى أثر إعلان الدستور سنة (١٩٠٨) فأشرفت جَمعيَّة الإتحاد والترقي عَلى الإنتخابات لتكون النَّتِيجَة في جانب الجنس التركي، فكانت النَّتِيجَة أن نجح (١٥٠) من الأتراك و(٦٠) من العَرَب، بينما العَرَب متفوقون في عدد السّكّان بنسبة (٥: ٢).

وفي غمرة الفرحة بتكبيل أيدي السُّلطَان عبد الحميد أنشئت (جَمعيَّة الإخاء العربيّ العُثمَانِيّ) وفي (٢) أيلول سنة (١٩٠٨) بعد الدستور بشهر، فعاشت هذه الجَمعيَّة ثمانية أشهر ثمّ حلتها الجَمعيَّة الإتحادية.

وقد أدت عمليَّة التتريك الجَبريّ عَلى يد يهود الدونمة إلى ردود فعل عنيفة لدى العَرَب بإنشاء الجَمعِيّات السرية والعلنية.

تشكيل الجَمعِيّات العلنية والسرية الّتي تنادي بالقومية العربيَّة، وتنادي بفصل الدّول العربيَّة عن الأتراك، ولو عَلى الأقل عبر الحكم الذاتي في داخل الدّولة العُثمَانِيّة، بحيث يكون للعرب إدارة أمورهم الداخليَّة من تعليم واقتصاد وثقافة، ومشاركة الدّولة العُثمَانِيّة في الأمور الخارجيّة كالدّفاع وغيرها.

٣- تولية جمال باشا واليا عَلى بلاد الشّام، وكانت خالدة أيب اليَهُوْدية أمينة سره، وقد اضطر جمال باشا أن يهادن العَرَب ويحسن إليهم في بداية الحَرب الكبرى، لئلا ينضم العَرَب إلى مُعَسْكَر الحلفاء ضدّ تركيا، وقد استلم جمال باشا قيادة الجيش الرَّابع في سوريا، وكان يحس بوجود التَّجَمُّعات القوميّة السرية في بلاد الشّام ويعلم أن العَرَب قد ضاقوا ذرعا بتصرفات الاتحاديين وبتعصبهم لتركيا، فكان العَرَب يبحثون عن مخرج، واتصل زعماؤهم بفرنسا، مما جعل جمال باشا يقتحم السفارة الفرنسية في كلّ من بيروت ودمشق ويضبط وثائق فيها تثبيت اتصال قادة التَّنظِيمات والجَمعِيّات بفرنسا وتنادي بانفصال سوريا عن العُثمَانِيّين، إلا أن جمال باشا أراد أن يغض الطّرف عن القضية طمعا في وقوف العَرَب لجانب تركيا في الحَرب.

وبعد إحساس جمال بنية الشريف حسين بدخول الحَرب ضدّ تركيا إلى جانب بَرِيطَانيَا استشاط جمال باشا غضبا وأمر بإعدام (١١) شخصية عربيَّة في (٢١) آب سنة (١٩١٥) بعد المحاكمة العسكريّة في (عاليه) في لبنان.

وفي (٦) أيار سنة (١٩١٦) شنق (٢١) شخصية عربيَّة أُخرى منهم عبد الحميد الزهراوي (رئيس مؤتمر باريس وعضو مجلس الأعيان التركي)، وسليم الجَزَائِري مساعد عزيز المصري في الجَمعيَّة القحطانية، وكانت كذلك للمرة الثّانية في عاليه.

ولقد أحدثت هذه الإعدامات هزة عنيفة في العالم العربيّ، وقد نفذ جمال باشا الإعدام بعد توسط الشريف حسين وابنه فيصل، إلا أنه لم يصغ إليهما، وقد كانَ الأمير فيصل بن الحسين آنذاك في دمشق فرمى كوفيته عَلى الأرض وداسها وقال: (طاب الموت يا عرب).

٤- دخول الشريف حسين الحَرب العَالَمِيّة إلى جانب بَرِيطَانيَا ضدّ تركيا، فقد بقي الشريف حسين في تركيا ستة عشر عاماً، وكان السُّلطَان عبد الحميد يخشى منه، وبعد إعلان الدستور سنة (١٩٠٨) اختارته جَمعيَّة الإتحاد والترقي ليكون أميرا لمكّة، وعارض عبد الحميد في هذا التعيين.

وقد كانَ إعلان الدستور في (٢٤) تموز سنة (١٩٠٨) بعد مؤتمرات طويلة المدى أدارها أعضاء جَمعيَّة الإتحاد والترقي الّذين كانَ معظمهم من اليَهُوْد الدونمة أو الأتراك المتهودين الّذين تلعب بهم أصابع الماسونية في محافل سالونيك، وقد كانت الجَمعيَّة تعقد اجتماعاتها في بيوت اليَهُوْد المنتمين إلى الجنسية الإيطالية.

فقد كتب ستون وستون يقول:

(إن الحقيقة البارزة في تكوين جَمعيَّة الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلاميّة، فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضوا واحد من اصل تركي صاف، فأنور باشا هو ابن رجل بولندي مرتد، وكان جاويد من الطَّائِفَة اليَهُوْدية المعروفة (دونمة)، وكراسو من اليَهُوْد الإسبان القاطنين في مدينة سالونيكا، وكان طلعت باشا من أصل غجري اعتنق الإِسْلَام دينا، وأما أحمد رضا أحد زعمائهم في تلك الفترة فكان نصفه غجريا إلى جانب كونه من أتباع مدرسة كونت الفلسفية).

ويضيف ستون وتسون قائلا: إن أصحاب العقول المحركة وراء الحركة كانوا يهودا أو مُسلِمِين من أصل يهودي، وأما العون المالي فكان يجيئهم عن طريق (الدونمة) ويهود سالونيكا الأثرياء.... كما أنه كانت تأتيهم معونات مالية من الرأسمالية الدّولية – أو الشبيهة بالدّولية – من فينا وبودبست وبرلين من باريس ولندن).

ويقول هربرت أبري:

(كانَ يهود سالونيكا ويعرفون (بالدونمة) – أي المرتدّون – شركاء الثَّورة التركية الحقيقيين، وهَؤُلَاءِ هم من العرق اليَهُوْدي، ولكن معتقدهم قد لا يكون يهوديا أصلا، والاعتقاد الشائع بين النّاس هو: أنهم مسلمون بالإسم، وأما بالفعل فإنهم من أتباع توراة موسى، وفي تلك الفترة الّتي نحن بصددها لم يعرف أحد من النّاس شيئا عنهم، سوى قلة من العُلَماء المختصين بدراسة الشّرق الأدنى،

ولم يكن أحد من النّاس يجرؤ أن يتنبأ أن هذه اليَهُوْدية المعروفة (بالدونمة) ستلعب دورا رئيسيا في ثورة كانَ لها نتائج خطيرة في سيرة التّاريخ).

وقد كانَ الشريف حسين يتلمس المناسبة للتخلص من الحكم التركي، خاصّة وأنه أحس أن الاتحاديين سنة (١٩١٤) يريدون التّخلّص منه وكان عبدالله بن حسين آنذاك نائبا في البرلمان التركي، وقد اتصل بكتشنر (المعتمد البريطاني في مصر) وبـ (رونالدستورز) المستشار الشرقي في دار الاعتماد البريطاني، وأطلعه عَلى النفور الشديد بين أبيه وبين الأتراك وسأله عن إمكانية وقوف بَرِيطَانيَا بجانب الشريف فيما إذا أعلن الشريف الحَرب عَلى تركيا، إلا أنه لم يلق أي تشجيع منهما، وقال له كتشنر: ليس من المحتمل أن تقف بَرِيطَانيَا بجانب أبيك.

(وكان الأمير عبدالله نفسه عضوا في إحدى الجَمعِيّات السرية، وكان مؤمنا بفوائد التفاهم الإنجليزي العربيّ ومتحمسا له) ونشبت الحَرب الكبرى في آب سنة (١٩١٤)، وكان عبدالله متحمسا لإعلان الحَرب عَلى تركيا، بينما كانَ الأمير فيصل يرى الوقوف معها، وفي سنة (١٩١٥) زار فيصل دمشق واستانبول، وفي دمشق انضم إلى جَمعيَّة (العربيَّة الفتاة) وأقسم عَلى نصرتها.

وأعلن الشريف الحَرب عَلى تركيا يوم الاثنين (٥) حزيران سنة (١٩١٦م)

وسبحان ربي ! فقد كانت هزيمة العَرَب في يوم الاثنين (٥) حزيران سنة (١٩٦٧م).

ومن جانب قبر حمزة بن عبد المطلب ﵁ بالمدينة أعلن الحَرب بعد أو وعدته بَرِيطَانيَا باستقلال بلاد العَرَب وبتتويجه ملكا عليها، وكان كتشنر قد أصبح وزيرا للحربية البريطانيَّة، واستلم مكماهون معتمدا بَرِيطَانيَا في مصر، وحدثت المكاتبات المعروفة بينه وبين مكماهون، ووعدوه بملك البلاد العربيَّة بعد استقلالها.

واندفع الشريف حسين بكل طاقته يؤجج نار الحمية العربيَّة ضدّ الأتراك، وهُزم الأتراك، وحصلت اتفاقية سيكس بيكو لتقسيم البلاد العربيَّة بين بَرِيطَانيَا وفرنسا، وأعطيت فِلَسطِين لليهود بوعد بلفور، وكان الجزاء الجميل للشريف حسين أن نفته بَرِيطَانيَا ست سَنَوات وسلبت ملكه، ولقد

كانت الصدمة عنيفة لأعِصَاب الشريف حتَّى داهمه الفالج وذاب جسده حسرة وألما، وكان يصب جام غضبه طيلة حياته عَلى مكماهون ولويد جورج – الوزير البريطاني المعروف.

يقول جورج انطونيوس:

(لقد زرته قبل موته بأشهر سنة (١٩٣١م)، وقد قلصه الفالج وابيض وجهه الوسيم من شحوب الموت، فقال لي: الإنجليز يا ولدي قوم شرفاء في أقوالهم وأفعالهم، في السراء والضراء: شرفاء، ما عدا صاحب السعادة الموقر الهمام لويد جورج فهو أشبه بالبهلوان وبالثعلب، أقول: ثعلب، حاشا مقامك رحم الله صاحب السعادة كتشنر).

كانت هذه النَّتِيجَة الأسيفة الأليمة للتعاون مع الإنجليز، وصدق الله العظيم:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ١٤٩﴾ [آل عمران]

ولقد حذر بعض الصادقين العقلاء الشريف حسين من مغبة غدر الإنجليز ومن هذه الفاجعة المتوقعة، فد كتب شكيب أرسلان إلى الشريف عندما بلغه عزمه لغزو سوريا مع جُيُوش الحلفاء قائلا: **(أتقاتل العَرَب بالعرب أيها الأمير حتَّى تكون ثمرة دماء قاتلهم ومقتولهم استيلاء إنجلترا عَلى جَزِيرَة العَرَب وفرنسا عَلى سوريا واليَهُوْد عَلى فِلَسطِين).**

يقول لورنس في أعمدة الحكمة السبعة: (لقد كنت أعلم أنّنا إذا كسبنا الحَرب إن عهودنا للعرب ستصبح أوراقا ميتة، ولو كانت ناصحا شريفا للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم، لقد كانَ قادة الحركة العربيَّة يفهمون السّياسة الخارجيّة فهما عشائريا بدويا،

وكان بَرِيطَانيَا والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتمادا عَلى سذاجة العَرَب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم ولهم ثقة بالعدو، إنني أكثر فخرا أن الدَّم الإنجليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين الّتي خضتها، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنجليزي واحد).

ويقول وايزمان (لقد قدم لنا لورنس خدمات جليلة)، هذا هو لورنس الّذي كانوا يسمونه – ملك العَرَب غير المتوج.

وصلت جَمعيَّة الإتحاد والترقي إلى الحكم واستراحت من الغول الرهيب الّذي طالما أقض مضجعها وأرق أجفانها (عبد الحميد) وأصبحت تركيا الإِسْلَاميّة دمية في يد اليَهُوْدية تحركها كيف شاءت وأنى أرادت.

وأصبحت مقاطعاتها حمى مستباحا للذئاب الغربيّة من أعداء الإِسْلَام، وأصبح هذه المارد الجبار (الدّولة العُثْمَانِيّة) يؤكل شلوا شلوا، فابتلع الغرب أولاً دول البلقان: النمسا والمجر والبوسنة والهرسك في تشرين الأوّل سنة (١٩٠٨) -أي بعد تسلم الإتحاد والترقي زمام الأمور- وبعد إعلان الدستور بشهرين فقط، وانفصلت بلغاريا، واعتدت إيطاليا عَلى ليبيا في خريف سنة (١٩١١) ثمّ نشبت الحَرب البلقانية سنة (١٩١٢)، وفي هذه السَنَوات القليلة فقدت الدّولة العُثْمَانِيّة جميع ولاياتها في أوربّا (ماعدا تراقيا الشرقية)، وفقدت ذلك الجزء من ليبيا الّذي يتألف من ولايتي طرابلس الغرب وبني غازي – لقد انسحبت تركيا من ليبيا بمؤامرة خيانة مكشوفة لا تخفي عَلى كلّ ذي عينين، ولا يفوتنا أن نذكر أن اليَهُوْد الإيطاليين هم أساتذة المحافل الماسونية في سالونيك، وفي بيوت هَؤُلَاءِ اليَهُوْد الإيطاليين كانت تعقد اجتماعات جَمعيَّة الإتحاد والترقي، فليس كبيرا أن تعطي جَمعيَّة الإتحاد والترقي ليبيا هدية متواضعة إلى إيطاليا كرد جميل عَلى صنيعهم السابق الكبير.

وفضلا عن هذه الخسارة فقدت كريت، وكانت ميزانية تركيا تنوء بأعباء النفقات العسكريّة.

القوميّة بعد الحَرب الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨):

تعتبر وقفة العَرَب بجانب الحلفاء ضدّ تركيا المسلمة نقطة تحول كبرى في الفكر القومي والتجمع عَلى أساس القوميّة، إذ لم يكن الإنجليز يحلمون في يوم من الأيّام أن يقف العَرَب بجانبهم بوصفهم كفار ضدّ بني دينهم وعقيدتهم (الأتراك المُسلِمُون).

يقول لورنس: (رجل المخابرات البريطاني وملك الصَّحرَاء العربيَّة كما يسمونه):

(وأخذت أفكر طيلة الطّريق إلى سوريا وأتساءل: هل تتغلب القوميّة ذات يوم عَلى النزعة الدّينيّة؟ وهل يغلب الاعتقاد الوطني المعتقدات الدّينيّة ؟ وبمعنى أوضح: هل تحل المثل العليا السّياسيّة مكان الوحي والإلهام، وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الدّيني بمثلها الأعلى الوطني؟).

ويعتبر الغرب هذا الموقف نقطة تحول إلى مرحلة جديدة في التَّفكير القومي.

كتبت (الايكونومست) في حزيران سنة (١٩٦٢) تحت عنوان (الإِسْلَام ضدّ القوميّة) مايلي:

(لقد وضع العَرَب منذُ الحَرب العَالَمِيّة الأولى القوميّة في المكان الأوّل حين قاتلوا بجانب الإنجليز – الكفّار – من أجل التحرر من المُسلِمِين الأتراك، باستثناء من (الإخوان المُسلِمِين) فليس هناك في العالم العربيّ اليَوْم أناس ذوو تفكير سياسي يضعون مجتمع الدّول الإِسْلَاميّة فوق قوميتهم العربيَّة).

ولكن بعد الحَرب الأولى إن كانت التَّجربة القوميّة مريرة إلا أنه برز عامل جديد وهو: جثوم الإستعمار بثقله عَلى كاهل العالم العربيّ، وأصبح هذا العامل وترا جديدا يعزف عليه دعاة القوميّة ومفكروها، خاصّة بعد ازدياد الهِجرَة اليَهُوْدية إلى فِلَسطِين وقيام ثورة سنة (١٩٣٦) فِلَسطِين.

فهناك نقاط بارزة ما بين الحَربيين الأولى والثّانية أدت إلى ازدياد التَّفكير القومي أهمّها:

الإستعمار البريطاني والفرنسي وقد نقل معه:

العلمانيّة (اللادينية) إلى أجهزة الدّولة، ورفع الطّبقة المنزقة اجتماعيا، المتفلتة أخلاقيا، المستعدة للنفاق وإيقاد البخور وإشعال الشموع للحاكم، الجَدِيد وأصبحت هذه الطّبقة هيَ المُستَعمر الجَدِيد وإن كانت من أبناء المنطقة.

المناداة بالأفكار القوميّة كبديل للإسلام وكأساس للتفكير والتجمع والتنفير من الإتجاه الدّيني، وأخذ العبرة من التّاريخ الأسود المرير لرجال الدّين في العصور الوسطى في أوربّا.

أصبح نغم التحرر من الإستعمار مادة دسمة للطبقات الناقمة عَلى الإِسْلَام والَّتي تريد أن تجعل من بعض فترات الحكم التركي صورة للإسلام الّذي يمثل الجمود والتأخر والانحطاط!!

إسقاط الخِلافَة عَلى يد مصطفى كمال أتاتورك، وما تبع ذلك من تفكير جدي بإنشاء تنظيم حركي إسلامي لإعادة الخِلافَة وقيام حركة (الإخوان المُسلِمِين) عَلى يد حسن البنا.

٣- بروز التَّفكير القومي عَلى شكل تنظيمات يقودها المسيحيون، وبروز حزب البعث، والقوميين العَرَب، والقوميون، السوريون عَلى السطح، وكانت الجامعة الأمريكيّة محضنا دافئا لكثير من هذه الأفكار)] أهـ.(١)

ولنعرض إلى نموذج من نماذج الفكر القومي العربيّ ومنهجه السّياسيّ الّتي ازدهرت أشباهها في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ:

حزب البعث العربيّ الاشتراكي:

تكون حزب البعث الاشتراكي من حزبين:

١- **حزب البعث العربيّ**: وقد أسسه الأرسوزي وعفلق.

٢- **الحزب العربيّ الاشتراكي**: الّذي أسسه سنة (١٩٣٨) عثمان الحوراني، ثمّ آلت قيادته إلى أكرم الحوراني، وقد انضم أكرم الحوراني سنة (١٩٣٦) إلى الحزب السّوري القومي وانسحب منه سنة (١٩٣٨) لينضم إلى حزب الشَّبَاب العربيّ الاشتراكي.

وفي (٢٦/ ١/ ١٩٥٢) انضم الحزبان الأوّل والثّاني فكونا حزب البعث العربيّ الاشتراكي.

حزب البعث العربيّ:

اختلف في المؤسس، فمنهم من قَالَ ميشيل عفلق وصلاح البيطار، ومنهم من قَالَ زكي الأسوزي، إلا أن حركة (٢٣) شباط الّتي عملها صلاح جديد النصيري سنة (١٩٦٦) في سوريا أحلت الأرسوزي أبًا روحياً للحزب، والبعث هو وارث (عصبة العمل القومي) وهي عبارة عن نواة تنظيمي كلّ من عفلق والأسوزي، وقد بقيت هذه العصبة من (١٩٣٢- ١٩٣٩).

وفي سنة (١٩٣٩) انسحب الأرسوزي منها وشكل الحزب القومي العربيّ).

أما زكي الأرسوزي: فهو رجل نصيري، ملحد، لا يتكلم العربيَّة**!** متأثر بمباديء الثَّورة الفرنسية والنازية، وخاصة كتاب نيتشة: (هكذا تلم زرداشت) عن موت الإله ونشوء الإنسان

(١) الذخائر العام: (ج١/ ٨٨٢-٨٨٩).(خط التحول التاريخي لعبدالله عزام)

السوبرمان، بدأ يتعلم العربيَّة بعد سنة (١٩٤٠) ! وكان الأرسوزي يرى الجَاهِليَّة العربيَّة مثله الأعلى، ويعتبرها المَرحَلَة العربيَّة الذهبية.

يقول سامي الجندي (ناقشته سنة (١٩٤٦) بالقرآن فعاب علي نزعتي الدّينيّة).

مبادئ الحزب البعث:

المنقولة عن مباديء الحزب القومي الّذي شكله الأرسوزي سنة (١٩٣٩) ورمزه النمر.

١- العَرَب أمة واحدة.

٢- للعرب زعيم واحد يتجلى من إماكانات الأُمّة العربيَّة يمثلها ويعبر عنها.

٣- العروبة وجداننا القومي، مصدر المقدّسات، عنه تنبثق المثل العليا، وبالنسبة إليه تقدر قيم الأشياء.

٤- العربيّ سيد القدر، وفسرها الأرسوزي مستشهدا بالإنجيل: (لا تسقط شعرة من رؤوسكم إلا بأمر أبيكم الّذي في السموات).

يقول الجندي:

(وفي ٢٩/ ١١/ ١٩٤٠، كنا في غرفة فقال الأرسوزي: أرى أن نؤسس حزبا نسميه حزب البعث العربيّ).

(أصبحت مباديء الحزب القومي هيَ مباديء حزب البعث العربيّ هيَ هيَ).

ويقول سامي الجندي:

(كنا عصاة تمردنا عَلى كلّ القيم القديمة، أعداء لكل ما تعارف عليه البشر، ألحدنا بكل الطقوس والعلاقات والأديان).

(اتهمنا بالإلحاد وكان ذلك صحيحا أيضا، رغم كلّ ما زعم البعثيون فيها بعد من مزاعم التبرير).

أما مشيل عفلق:

وفي آذار سنة (١٩٤٩) جاء حسني الزعيم فأيده البعث، ثمّ اختلفوا معه فألقى ميشيل عفلق في السّجن، فكتب مذكرة استعطاف له فخرج ثمّ جاء (الحناوي) بعد حسني الزعيم فاختار ميشيل وزيرا

للمعارف، فاغتنمها فرصة ليرسل البعثيين في بعثات دراسية إلى فرنسا، فعادوا واستلموا الجامعات والإدارات.

كانَ الصِّرَاع عَلى أشده بين قادة الحزب، حتَّى أنه في انتخابات سنة (١٩٥٥) للمؤتمر القطري كانوا يقولون (عفلق جاسوس إنجليزي، والحوراني فرنسي، والبيطار عميل لأكثر من دولة).

أما الاتهامات بالسرقة والجرائم الخلقية فحدث عنها ولا حرج.

وهنا نسجل بعض الملاحظات:

١-لقد كانَ الحزب مأوى يتجمع فيه كلّ الناقمين عَلى الإِسْلَام أو الطامعين في الحكم، فانتبه النصيريون إليه ودخلوه ليكون سلما إلى دولتهم النصيرية، ودخل فيه الإسماعيليون مثل سامي الجندي وعبد الكريم الجندي.

والدروز: مثل سليم حاطوم.

واليَهُوْد: مثل أحمد رباح الّذي كانَ رئيسا للحزب في دمشق.

و إيلي كوهين: ضابط المخابرات الإسرائيلي الّذي ذهب إلى الأرجنتين، وأقام صداقة مع أمين الحافظ، ثمّ دخل سوريا باسم (كامل أمين ثابت)، وسكن حي (أبو رمانة) في دمشق، وأصبح شقته الحصن الحصين الّذي يأوي إليه قادة البعث وفوق أسرة كوهين شرب نخب النّصر سليم حاطوم وعبد الكريم زهر الدّين يوم الإنقلاب البعثي (٨ آذار ١٩٦٣)، وعرضت عَلى كوهين الوزارة، واستشار بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل فلم يوافق، وكان يسمى الشاب الثّوريّ الأوّل، وكان الشخص المدني الوحيد الّذي يدخل المطارات والقواعد العسكريّة، وأخيرات اكتشفت السفارة الهندية أن يهودي من خلال الإشارات اللاسلكية الّتي يرسلها إلى إسرائيل يوميا، وكانت فضيحة عالميّة، وحوكم كوهين، وكان الّذي يحاكمه هم تلاميذه وربائب حجره، ولعله وعد بأن يخلي سراحه إذا أخفى مصائب الحزب البعثي الحاكم، وكان سليم حاطوم هو رئيس المحكمة العسكريّة الّتي حاكمته، وبسرعة فائقة طويت القضية، وأعدم كوهين ليطوي في صدره مآسي ونكبات الصبية البعثيين الّذي تديرهم اليَهُوْدية العَالَمِيّة من خلال المرأة والكأس.

٢-إن المؤسسين الحزب البعث ليسوا مُسلِمِين أصلا فزكي الأرسوزي نصيري ملحد، وميشيل عفلق مسيحي – قيل أنه يوناني الأصل.

٣-إن مباديء حزب البعث كفر صريح، (العروبة مصدر المقدّسات، عنه تنبثق المثل العليا، وبالنسبة إليه تقدر قيم الأشياء، العربيّ سيد القدر) فالمثل العليا هيَ العروبة وليس الإِسْلَام أو القرآن والسنة.

٤-كانَ أتباع البعث الأوائل ملحدين، أعداء للأديان جميعا، قَالَ سامي الجندي في كتابه البعث: (لقد كنا خوارج عَلى الشرائع الّتي تعارف عليها النّاس فنسفناها جميعا).

٥-ويقول: (إن الحزب رغم ادعائه القوميّة والوطنيّة لم يعد دراسة عن القضية الفلسطينية أخطر قضية العربيَّة في العصر الحديث).

٦-لقد تسلق النصيريون عَلى سلم البعث فاستطاعوا أن يستلموا البلد عسكريّاً ومدنيا، وفي (٢٢) شباط سنة (١٩٦٦) قام صلا جديد – النصيري–بإقصاء عناصر أهل السّنّة من مراكز القوى – وفي سنة (١٩٧٠) عندما جاء حافظ الأسد – بالحركة التصحيحية جعل الدّولة نصيرية خالصة.

٧-إن الأحزاب القوميّة ليس لها أيديولوجية (عَقِيْدَة) تجاه الكون والإنسان والحياة، ولذا بقيت إطارا فقط دون مضمون، ولذا اضطرت أن تملأ فراغها العقائدي بالماركسية والاشتراكية، ولذا فإن الأحزاب القوميّة كلها أصبحت: (عربيَّة الإطار والمظهر شيوعية الحقيقيَّة والمخبر) وهذا الّذي أقر به جلال السيد في كتابه (حقيقة القوميّة العربيَّة) بأن هنالك تيار عفوي قام بصياغة المواضيع الاقتصاديَّة، لأن الرواسب قد أطلت تحت ستار التقدمية والاشتراكية وبأن الشُّيُوعِيّة هيَ حقيقة هذا التّيار.

٨-لقد انتحر الحزب بمجرد وصوله إلى الحكم، ولقد انتقد ميشيل عفلق سنة (١٩٦٥) في سوريا تسلط العسكريّين عَلى الحزب وإقصاء المدنيين من اللجان المركزية للحزب، فطرد عفلق، بل حكم عليه بالإعدام هو والمؤسس الآخر صلاح البيطار، ثمّ لوحق البيطار حتَّى اغتالته النصيرية في منفاه في باريس سنة (١٩٨١)، وأما عفلق فقد احتضنه البعث العراقي بعد وصوله إلى الحكم

في إنقلاب (١٩٦٨) عَلى عبد الرَّحْمن عارف، فجاء به تلميذه صدام حسين الّذي أصبح نائبا لرئيس الجمهوريّة ثمّ بالتالي رئيسا لجمهوريّة العراق.

* وقد سئل صدام حسين في مقابلة صحيفة له طبعت ووزعت في الأردن سنة (١٩٨١):

ما علاقتك بميشيل عفلق ؟ فرد صدام: **(علاقة الابن بأبيه، ولولا ميشيل ما كانَ صدام شيئا)**، ومن المعروف أن صداما كانَ حارسا خاصا لميشيل عفلق من بداية الستينات، وكان ميشيل يستعمله لتصفية خصومه السّياسيّين، وفي سنة (١٩٧٩) صفى الرَّئيس صدام حسين – منذُ الأيّام الأولى لحكمه – معظم قادة الحزب لمعارضتهم المبدئية لرئاسته.

وكتب عن مأساة الحزب بعض قادته مثل الدكتور منيف الرزاز (التَّجربة المرة)، ومطاع الصفدي (حزب البعث مأساة المولد ومأساة المصير).

لقد انتهى الحزب في سوريا إذ تسلق عله النصيريون ثمّ قتلوه، وأصبحوا يتفكهون بالتعدي عَلى كلّ الأديان والقيم المباديء، فاستعانوا أولاًبذراري المُسلِمِين الداخلة في حزب البعث، ثمّ صفوهم تدريجيا، وأصبح الكفر هو شعار الدّولة في كلّ الأجهزة: كتب إبراهيم خلاص في مجلة جيش الشعب السوريّة (٢٥/ ٤/ ١٩٦٧):

(والطريق الوحيد لتشييد حضارة العَرَب وبناء المجتمع العربيّ هيَ خلق الإنسان الاشتراكي العَرَب الجَدِيد الّذي يؤمن أن الله والأديان والإقطاع ورأس المال والاستعمار والمتخمين وكل القيم الّتي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمي محنطة في متاحف التّاريخ)، تَعَالَى الله عما يلحد المجرمون.

وقال شفيق الكمالي يمدح صداما:

تبارك وجهك القُدسي فينا ۞ كوجه الله ينضح بالجلال

{ أستغفر الله العظيم وأتوب إليه !! وتعالى الله عما افترى هذا الكلب الّذي سرعان ما لاقى جزاءه في الدُّنيَا قبل الآخرة، **ولتوفيق الكمالي مع صدام قصة هيَ في الحقيقة من آيات الله، ففي الحَرب العِرَاقيَّة الإيرانية ١٩٧٩-١٩٨٦ عرض الخميني وقف الحَرب مقابل استقالة صدام، وفي إحدى جالسته الخاصّة، قَالَ هذا الشاعر توفيق الكمالي لجلسائه، لو أن سيادة الرَّئيس قبل وحقن الدِّماء، ورفعت**

الإستخبارات التقرير، فاستدعى صدام الكمالي، الّذي اعترف باقتراحه معتذرا بأنه رأي أن ذلك سيكون من فضائل الرَّئيس الكثيرة عَلى الأُمّة، فأمره صدام أن يمد لسانه، وأخذه بيده وقطعه بمدية حادة، وهكذا ألقي صدام اللسان الّذي شبه وجهه القذر، بوجهه سُبحَانَهُ وتَعَالَى، فألقي في المزبلة الّتي يستحقها بيد ذات الطَّاغية الّذي امتدحه، فسبحان الله ربّ العَالِمَيّن، وقد سمعت هذه القصة من أحد تسجيلات الشَّيْخ عبدالله عزام رحمه الله.}

وعندما دخلت قوَّات البعث حماة سنة (١٩٦٤) كانت تهزج قائلة:

هاتْ سلاح خُذْ سلاح ۞ دين محـــمّدْ ولَّى ورَاح

وفي سنة (١٩٨٠) خرجت سَرايا الدّفاع والحزبيون يهتفون (سقط الله) (الأسد ربنا) (لا إله إلا الوطن ولا رسول إلا البعث) (لا إله إلا ساجي – ابن سليمان المرشد –الّذي ادعى الألوهية بين النصيرية في الأربعينات!).

{وفي النصف الثّاني فمن الثمانينات، وبعد القضاء عَلى الثَّورة الجهاديّة في سوريا، خرجت مظاهرة بعثية نصيرية في مدينة حمص الّتي يضم ثراها قبور عشرات آلاف الصّحابة رضي الله عنهم، وكانوا يهتفون:

(حلَّك يا الله حلَّك..تعين حافظ محلك).

(حلك) تعني بلهجة تلك المنطقة (حان لكَ)، أي (آن لله) أن يستخلف حافظ الأسد ربا مكانهُ، – أستغفر الله العلي العظيم– ولعنة الله عَلى الطغاة الملحدين}

٩–لقد ابتدأ حزب البعث مع بداية الحَرب الثّانية (١٩٣٩)، وكانت النازية والفاشستية تملأ برنينها العالم وذا فقد تأثر بها، فمثلا كانَ زكي الأرسوزي متأثر بنيتشة فيلسوف النازية، وخاصة بكتابه (هكذا تكلم زرداشت عن موت الإله....) وأما عفلق فهو متأثر كذلك (بنيتشه) و(جيد)، فجاءت أفكارهم تلخيصيا للإلحاد والقلق الّذي كانَ يعاني منه نيتشه الّذي كانَ يسمي المسيحية (دين الكلاب العرجاء)، وأهم سمات فلسفة نيتشة تتخلص في ثلاثة نقاط:

١–الإلحاد.

٢- إن فكرة القيامة هيَ الّتي جعلت من المسيحية (أخلاق العبيد) إذا أن، حقد الضّعفاء تجاه الأقوياء جعلهم يوحون لهم بفكرة الآخرة، فاستسلم الأقوياء للأساطير، وعم ظلام المسيحية العالم.

٣-اليأس والقلق: اللذان هما شرطان دائمان للعظمة الإنسانية.

وإليك مقارنة بين كلام عفلق وكلام النازية والفاشستية:

١-(البعث قدر الأُمّة العربيَّة) يقابل كلام موسوليني (الفاشستية هيَ قدر الأُمّة الإيطالية) وهو الحقّ الإلهي عند هتلر، وهو نفس كلام تروتسكي: (إن الحزب الشُّيُوعِيّ لا يخطئ لأنه تجسيد للحتمية التارِيخِيَّة).

٢-إن العَقِيْدَة البعث لا يمكن الوصول إليها بالعقل ولكن بالإيمان وحده) يقابل كلام موسوليني (الفاشستية لا تنافس، إنها تدرك بالإحساس).

٣-(إن القدر الّذي حملنا رسالة البعث أعطانا الحقّ في أن نأمر بقوة ونتصرف بقسوة) وهو نفس الكلام موسوليني (إن القدر الّذي حملنا رسالة الفاشستية أعطانا الحقّ في أن نأمر بقوة، ونتصرف بقسوة).

٤-(إن البعث هو الطليعة، وعلى الجماهير أن تمشي وراءها)، وهو نفس كلام موسوليني (إن الفاشستية هيَ حكم الصفوة المختارة وعليها أن تقود الجماهير).] أهـ.[1]

{ تذكرني هذه الشواهد، بما لفت نظري أثناء دراستي التّاريخ في جامعة بيروت، ما وجدته في أحد الكتب المقررة عن وحدة إيطاليا، وجدت تشابها كبيرا بين فكر وأعمال أحد دعاة القوميّة والوحدة الإيطالية – لا يحضرني اسمه الآن – وما كنا نسمعه من أفكار عفلق والأرسوزي وحزب البعث في سوريا، ومن ذلك الشَّعَار الثلاثي، وتسمية جريدتهم البعث، وغير ذلك، ولا أشك الآن أن أفكار البعث صنعت في أقبية الماسونية، ومؤامرات الصّليبيّة، حتَّى أَنّي قرأت في إحدى الصّحف أن البابا قَالَ لعفلق في إحدى لقاءاته معه: لقد نجحت يا ميشيل فيما فشلت فيه الحُرُوب الصّليبيّة !

---

(١) الذخائر العظام للشيخ عبدالله عزام: (ج١/ ٨٨٩-٨٩٢)، (خط التحول التاريخي لعبدالله عزام).

ثمّ كانت تجربة عبد النّاصر والضُّبَّاط الأحرار، ودعواهم القوميّة العربيَّة نموذجا شبيها في مصر لما سلف من نموذج البعث في سوريا والعراق. }

الانقلابات العسكريّة والقومية:

إن الأفكار الجَدِيدة لا بُدَّ لها من قيادات عسكريّة تفرض آراءها بالقوة، وبهذه الطَّريقة استبدل الإِسْلَام بالقومية والإشتراكية.

ولذا فقد أوصت الدوائر الغربيّة في بلادنا والمستشرقون بوجوب المجيء بقيادت شابة عسكريّة يفرض من خلالهم ما يريد الغرب من مبادىء.

يقول قسطنطين زريق:

(إن العَرَب لا بُدَّ لهم في عهدهم الجَدِيد من قيادة قديرة وتقدمية، وأن عليهم أن ينبذوا من تقاليدهم العناصر الرجعية، وعندئذ فقط تستطيع الطَّائِفَة المستنيرة أن تواصل كفاحها ضدّ العناصر الرجعية بالتّعاون مع الغرب).

ويقول جب:

(إن نجاح التطور يتوقف إلى حد بعيد عَلى القادة والزعماء في العالم الإِسْلَاميّ وعلى الشَّبَاب منهم خاصّة).

وفكرة القوميّة قضية جذابة براقة تستطيع أن تخدع الجماهير بسهولة باسم التحرر والتقدم والوطنيّة.

يقول جب: (إن الأسلوب الّذي استطاعت به طبقة المتغربين تأمين الثَّابِتة عَلى السّلطة في الدّولة، فالقومية هيَ فكرة غربية تماما).

ومن المعلوم أن العسكريّين لا علم لهم بإدارة الأمم ولا رعاية الشّعوب ولا سياسة الجماهير، ولذا تدار البلاد من خلالهم، لقد وصف (ستيف ميد) المبعوث من وزارة الخارجيّة الأمريكيّة فئة العسكر لانقلاب سنة (١٩٥٢) في مصر وصفا دقيقا يصلح لكل العسكريّين فيقول:

(إن هَؤُلَاءِ الأولاد يظنُّون أنفسهم أعضاء عِصَابة (روبين هود) الهزلية، وهم فرحون بأنهم يحملون صفة (أبطال الثَّورة)، ولكني لم أجد واحد استطاع أن يشرح لي ما هو هدف هذه الثَّورة، إنهم لا يهتمون بالسّياسة، ولعلّ هذا من حظنا نحن وعبد النّاصر معنا، إنهم بحاجة إلى من يقول لهم ماذا يفكرون ويعملون).

ولقد سأل بعض ضباط الجيش عبد الحكيم عامر – غداة إطلاق النار عَلى عبد النّاصر في ميدان المنشية – سنة (١٩٥٤) عما حققته الثَّورة وأسباب الحادث فقال في صراحة (إنه لا يعرف عما تحققه الثَّورة، وأن جمال هو الّذي خطط ونفذ، وهو الّذي يعرف خطوات المستقبل).

ويقول مورو بيرجر في كتابه (العالم العربيّ اليَوْم):

(إن النُّخبَة العسكريّة في الشّرق الأدنى في مصر والسُّودَان والعراق وتركيا وإيران وباكستان كانت عوامل هامة في جلب التَّغيير، فأصبح العَرَب متغربين بدون أن يتكلفوا الذهاب إلى أوربّا)، يقول مايلز كوبلاند:

(إن عبدا النّاصر لو لم يكن قد ولد فإن لعبتنا كانَ عليها أن تخلقه أي تربي حاكما دكتاتوريا مثله)،

ولذلك فإن مناداة عبد النّاصر بالقومية سنة (١٩٥٤) كانَ بإشارة أمريكا كما بين ذلك مايلز كوبلاند – رجل المخابرات الأمريكيّ –، ولقد كانَ لمناداة عبد النّاصر أثرا بالغا في العالم العربيّ، وما كانَ للقومية أن يكون لها هذا الانتشار لولا مصر وزعيمها، ولقد مهد عبد النّاصر لهذا الانتشار القومي وكذلك نجاح البعث وتغلغل الشُّيُوعِيّة وانحسار الإِسْلَام من المنطقة كلها، ولكن الأفكار الّتي فرضت عَلى المنطقة بالقوة اجتثت من فوق الأرض – كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار – كما يقول بنارد لويس:

(إن أخذ أي نظام سياسي جاهز ليس فقط من بلد مختلف بل من حضارة مختلفة وفرضه بواسطة الغربيّين أو الحكَّام المتغربين في الشّرق عمل خاطىء، فلقد فرضت الدِّيمقراطيَّة بأوامر وفرمانات

الحاكم المطلق، فكانت النَّتِيجَة قيام نظام لا صلة له بماضي أو بحاضر البلد، ولا صلة له بحاجات مستقبلة)(١).

ولقد نادى (كوك ألب) التركي، بفصل الدّين عن الدّولة (علمانية الدّولة)، ونادى بوجوب أخذ ثقافة الغرب بحذافيرها، ومع الاحتفاظ بالثّقافة القوميّة أو بعبارة أدق هو يريد إقصاء الإِسْلَام نهَائِيًّا عن الحياة مع عدم السماح للنَّاس أن يسموا هذا العمل إلحادا أو زندقة، بل عَلى النّاس أن يسموا هدم الإِسْلَام سلاما.

ويعتبر الغربيّون كوك ألب (واضع الأسس النَّظريَّة للدولة التركية الحديثة) كما يقول هارولد سميث]أهـ.

القوميّة التركية الطورانية:

لقد بذرت البذور الأولى للقومية التركية في داخل الأكاديمية العسكريّة في (استانبول) مع الأساتذة العسكريّين الألمان الّذين وفدوا إلى الكلية ليدربوا الأتراك الّذين كانوا بحاجة إلى جيش قوي مدرب عَلى وسائل القوّة الحديثة وأساليب القِتَال العالية، خاصّة وأن تركيا تقاتل العالم بأسره، والّذي يرميها عن قوس واحدة، فقد وصلت بعثة عسكريّة ألمانية سنة (١٨٨٣) يرأسها الكولونيل (فون درجولسن) وبقي يعمل قرابة ثلاث عشرة سنة تمَّ خلالها بذر بذرة القوميّة.

وأما العامل الثّاني لنشوء القوميّة الطورانية فهو: هِجرَة اللاجئين المجريين والبولنديين إلى تركيا بعد فشل ثورتهم سنة (١٨٤٨)، واعتناق هَؤُلَاءِ الإِسْلَام، حيث أصبحوا من الطّبقة المتنفذة في الدّولة، ومن هَؤُلَاءِ (قسطنطين بورزيكي)، وقد سمى نفسه بعد ذلك مصطفى جلال الدّين باشا، فلقد كانَ هذا الرجل هو رأس الأفعى القوميّة الّتي نقلت سمها إلى عقول ونفوس الأتراك، يقول برنارد لويس:

---

(١) وهذا بالضبط ما تفرضه أمريكا اليَوْم فرضا في البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة وهو ما تسميه الشّرق الأوسط الكبير! [المؤلف]

(ولقد عمل يورزيسكي عَلى نقل القوميّة البولونية ووضعها في قالب تركي، وساعده عَلى هذا العمل ما عرضه من أعمال المستشرقين الغربيّين الباحثين في الشئون التركية، وكان لها تأثير هام في تقدير التّاريخ التركي القديم، والاعتقاد بالهويّة المميزة).

ولا يفوتنا أن نعود فنذكر بأن أعضاء (جَمعيَّة الإتحاد والترقي) كلهم ماسون (منظّمة يهودية عالميّة)، وأن يهود سالونيك هم اليد المحركة لهذه الجَمعيَّة، ونعود مرّة أُخرى فنذكر بكلام ستون وتسون: (إن الحقيقة البارزة في تكوين جَمعيَّة الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلاميّة) فأطاحت بعبد الحميد وبتركيا وبالإِسْلَام.

ولقد كانَ لهذه الدّعوة إلى القوميّة التركية أثر سيء انعكس في نفوس الشّعوب الإِسْلَاميّة الّتي تخضع للسيادة العُثْمَانِيّة، وبدأوا يطالبون بالاستقلال ويشكلون الجَمعِيّات السرية لمحاربة تركيا، خاصّة بعد السُّلُوك المشين الغريب الّذي سارت عليه جَمعيَّة الإتحاد والترقي، وكان عَلى رأس هذه الشّعوب (العَرَب) الّذين اتخذوا من هذا السُّلُوك مبررا للوقوف بجانب بَرِيطَانيَا ضدّ الأتراك في الثَّورة العربيَّة الكبرى بقيادة الشريف حسين، وكان لهذا نتائج وخيمة عَلى العالم الإِسْلَاميّ.

يقول توينبي:

(إن الضُّبَّاط في تركيا الحميدية هيَ الطّبقة الوحيدة الّتي استطاعت أن تفتح نافذة فكريّة دائمة تنفذ عن طريقها التّأثيرات الغربيّة، لذلك ففي سنة (١٩٠٨) وبعد ثلاثين عاماً من حكم استبدادي مظلم كانَ الجيل التركي الجَدِيد من العسكريّين هو رأس الحَربة لهجوم الليبرالية الغربيّة عَلى تركيا).

مقارنة بين القوميّة الطورانية والقومية العربيَّة:

لقد التقت القوميّة الطورانية والعربيَّة عَلى أشياء أهمّها:

أن الغرض من كلّ منهما هو القضاء عَلى تركيا المسلمة، وعلى السُّلطَان عبد الحميد بالذات.

لقد بدأت القوميتان في وقت واحد تقريبا وإن كانت القوميّة العربيَّة تقدمت قليلا عَلى الطورانية.

القوميتان علمانيتان اتفقا عَلى استبعاد الإِسْلَام عن الحياة.

إن كلا من القوميتين نشأتا في محا ضن أجنبية، فالقومية العربيَّة نشأت في المحاضن الأمريكيّة وفي الجامعة الأمريكيّة، بينما الطورانية نشأت في المحافل الماسونية اليَهُوْدية الّتي يشرف عليها اليَهُوْد الإسبان والبولنديون الإيطاليون.

إن الرواد الأوئل لكل من الدّولتين لم يكونوا مُسلِمِين أصلا ولا من الجنس الّذي يدعون إلى قوميته، فمثلا (بورزيكي) الّذي سمى نفسه مصطفى جلال الدّين – بولندى الأصل – عمل عَلى نقل القوميّة البولندية وصبها في قالب تركي، ومنذ تأسيس جَمعيَّة الإتحاد والترقي لم، لم يظهر بين زعمائها وقادتها واحد من أصل تركي صاف، فأنور باشا بولندي مرتد، وجاويد من الطَّائِفَة اليَهُوْدية (الدونمة)، وكراسو (من اليَهُوْد الإسبان) في سالونيك، وطلعت باشا من أصل غجري، وأما أحمد رضا فنصفه شركسي ونصفه مجري ومتأثر بـ (كونت).

الرواد الأوائل للقومية العربيَّة كانوا جمعيا من غير المُسلِمِين من بطرس البستاني، وناصيف وابنه إبراهيم اليازجي، والشدياق وأديب إسحق ونقاش وشميل وتقلا وصروف وزيدان ونمر ومشاقة، كلّ هَؤُلَاءِ عَلى الإطلاق من النّصَارى، ثمّ جاء القرن العشرون وكان من قادتهم: زكي الأرسوزي (نصيري تركماني) وميشيل عفلق (نصراني) • قادة البعث، وأنطو ن سعادة وجورج عبد المسيح من قادة الحزب القومي السّوري حبش – من قادة القوميين العَرَب. وكلهم نصارى !!

يقول الكاردينال بريتولي للبابا: (**إن المسيحية في الشّرق هيَ الّتي زرعت الحركات الثّوريّة وحركات التَّغيير، وإن أسماء مثل ميشيل عفلق، وأنطوان سعادة، وجورج حبش قد تفسر لك ما أعنيه**).

إن الأصابع الماسونية– اليَهُوْدية – كانت تحرك طلائع الحركتين، فالخمسة الأوائل الّذين أنشأوا (جَمعيَّة بيروت السرية) كلهم من الماسون، وكذلك الّذين نادوا بالقومية الطورانية هم من الماسون.

هناك بعض الرؤوس المدبرة للإطاحة بالإِسْلَام في تركيا، انتقلت لتواصل عملها في القاهرة ! فمثلا عزيز المصري كانَ في جَمعيَّة الإتحاد والترقي، ثمّ أنشا (الجَمعيَّة القحطانية) و(جَمعيَّة العهد)، والحاخام اليَهُوْدي في استانبول – ناحوم حاييم _إنتقل إلى القاهرة بعد إسقاط الخِلافَة في تركيا وكان

له تأثير في السّياسة المصريَّة، أيّام عبد النّاصر، وكذلك اسماعيل أحمد أدهم، جاء من تركيا إلى مصر وألف كتاب (لماذا أنا ملحد) وأسس (المجمع الشرقي لنشر الإلحاد).

تأثرت القوميّة العربيَّة بالنَّظريات الأمريكيّة، وتأثرت الطورانية بالثَّورة الفرنسية، يقول فيليب حتَّى: (كانَ من نتاج الاحتكاك بين العقليَّة السوريّة والنتاج الفكريّ الغربيّ أن تولدت مبادئ القوميّة العربيَّة الشّاملة، واستمدت وحيها بالأكثر من النَّظريَّات الأمريكيّة، بخلاف القوميّة التركية الّتي جاءت متأخرة عن العربيَّة والَّتي استمدت إلهامها من مبادئ الثَّورة الفرنسية).

كانت الأصابع اليَهُوْدية بارزة في القوميّة التركية، لا يزال اليَهُوْد يحرصون عَلى ربط العَرَب بقوميتهم، يقول (أبا إيبان) - الّذي كانَ وزير خارجية إسرائيل - في محاضرة له في جامعة برنستون الأمريكيّة: (يحاول بعض الزعماء العَرَب أن يتعرف عَلى نسبة المد الإِسْلَاميّ بعد الهزيمة الأخيرة (١٩٦٧)، وفي ذلك الخطر الحقيقي عَلى إسرائيل، ولذا كانَ من أولى واجباتنا أن نبقي العَرَب عَلى يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإِسْلَاميّ).]أهـ. (١)

قَالَ الشَّيْخ عبدالله عزام:

[**وأخيرا فإنا نقول:** إن واقع العَرَب يدل دلالة واضحة عَلى النتائج الّتي تَوَصَّلت إليها الدعوات القوميّة والإقليمية والعلمانيّة هيَ:

قطع صلة العَرَب بالدّولة الإِسْلَاميّة.

تمزيق العالم العربيّ إلى دويلات هزيلة حتَّى تبقى في قبضة العالم الغربيّ والشرقي، تتسابق في ولائها لأمريكا أو إلى روسيا لتحمي أنظمتها في المنطقة.

تضخم الكيان الإسرائيلي الّذي أصبح تنينا يفتح شدقيه يبتلع كلّ فترة جزءا من بلاد العَرَب، انهيارات في معظم النواحي الاجتماعيَّة والسّياسيّة والاقتصاديَّة والعسكريّة.

---

(١) (الذخائر العظام: ج١/ ٨٩٣ - ٨٩٥)

نشوء أجيال ليس لها هوية معينة، وليس لها أي مبدأ في الحياة، لا تعلم لماذا تعيش؟ ممزقة خلقيا، متفسخة اجتماعيا، متفككة أسريا، أفئدتهم هواء، تراهم كلّ يوم في رأي، يغيرون أفكارهم كما يغيرون أزيائهم في الاعتقاد والاقتصاد والثّقافة والاجتماع، يقول زويمر – زعيم المبشرين – مخاطبا المبشرين:

(إنكم أعددتم شبابا في ديار الإِسْلَام لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإِسْلَام فجاء النشء الإِسْلَاميّ طبقا لما أراده الإستعمار، لا يهتم للعظائم، ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه في الدُّنيَا إلا في الشَّهَوَات).

إن هذا الشّرق لم يشهد في يوم من الأيّام وحدة ولا عزة، ولم يكن له كيان إلا بالإِسْلَام الّذي وحده أول مرّة، ولن يجد نفسه مرّة ثانية إلا بالإِسْلَام.

لقد مزقت القوميّة أوربّا فنقلها العَرَب ليمزقوا أمتهم الإِسْلَاميّة، بل ليفتتوا الشّعوب العربيَّة نفسها.

كما يقول توينبي متسائلا ومعترفا بذنب بلاده وحضارته:

(فهل من الضَّروري حقا أن يتفتت العالم العربيّ كما تفتت الإمبراطورية الأسبانية في أمريكا – لسوء الحظ – إلى عشرين دولة مستقلة عن بعضها تعيش في قوالب ضيقة غربية النمط. هذا هو الوجه الثّاني الكالح لحضارتنا الغربيّة، ومن المؤسف أن تقلده الشّعوب الناطقة بالعربيَّة تقليدا تاما، إن سحر القوميّة جذاب في أمثال هذه المجتمعات الإِسْلَاميّة المبعثرة، ولكن القوميّة لن تقود هذه المجتمعات إلى حياة جديدة، بل إلى حكم بالموت والفناء).

إن النغمة الّتي عزفتها الطبقات المتسلطة في العالم الإِسْلَاميّ والعربي هيَ نغمة القوميّة، وهي مزوقة جميلة تشنف الأسماع وتبهج القلوب، ولكنها مخدرات تذبح الشّعوب من خلالها عَلى مذابح الشَّهَوَات قرابين رخيصة في سبيل الطغاة والطَّاغوت، وإن الخرير الّذي يعكسه صوت النزيف الدموي قد جذب كثيرا من القطعان لتساق إلى مذبحها ونهايتها البئيسة الأليمة.

يقول جب: **(إن الأسلوب الّذي استطاعت به طبقة المتغربين تأمين قبضتها الثَّابِتة عَلى السّلطة في الدّولة، كانَ القوميّة، فالقومية هيَ فكرة غربية تماما).**

وإن سبب انتشار القوميّة في العالم العربيّ هو سيطرة الغرب نفسه عَلى العالم الإِسْلَاميّ.

يقول المؤرخ الإنكليزي توينبي في كتابه (الغرب والشرق والمستقبل):

(ففي الوقت الحاضر الّذي يجد الغرب نفسه منذُ الحَرب العَالَمِيّة الثّانية ويرى أنه جزء إلى أكثر من أربعين دولة قومية مستقلة ذات سيادة يهدد بانهيار البيت كله كاملا عَلى من فيه بسبب انقسامه هكذا عَلى نفسه.

ومع ذلك فإن اعتبار الغرب لا يزال له من القوّة في العالم ما يبقي جرثومة القوميّة الغربيّة قادرة عَلى السريان والعدوى، ومن المأمول أن يستطيع العالم الإِسْلَاميّ عَلى كلّ حال إيقاف انتشار هذه الداء السّياسيّ الغربيّ – القوميّة – عن طريق الشعور الإِسْلَاميّ القومي بالوحدة)!!

إن القوميّة ليست الدَّواء الناجع لأمراضنا، بل هيَ داء عضال مما أصابنا.

يقول سميث: **(وتاريخ الشّرق الأدنى الحديث يدل أن القوميّة المجردة ليست القَاعِدَة الملائمة للنهوض بالواجب الشاق، وما لم يكن المثل الأعلى إسلاميا عَلى وجه من الوجوه، لن تثمر الجهود البتة).**

وما أجمل كلمة سيدنا عمر بن الخطاب ننهي بها هذا الحديث: (نحن قوم أعزنا الله بهذا الدّين ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله).

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ [الأنبياء]

فالمسلمون والعرب يُذكرون بالقرآن، فبسبب من هذا الكتاب تذكر هذه الأُمّة، ولقد تقدم العَرَب أول مرّة إلى البشرية عَلى هدي هذا القرآن، وأمسكوا بزمام البشرية بعد أن تمسكوا بالكتاب وأقاموه في حياتهم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ۝٤٤﴾ [الزخرف]

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ﴾ [المائدة: ٦٨].

فأهل القرآن ليسوا عَلى شيء، ولا وزن لهم ولا قيمة إلا إذا أقاموه فيهم، وعملوا به في حياتهم، وطبقوه في واقعهم.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ [النساء].

جاء في تقرير ديلسبس – القنصل فرنسا العالم في سوريا – في (١٩/ ٨/ ١٩٥٦م) الّذي كتبه بمساعدة مساعده (بلانس) مايلي:

(من أبرز الحقائق الّتي يلحظها من يريد دراسة هذه البلدان، المكانة الّتي يحتلها الدّين في نفوس النّاس، والسلطة الّتي له في حياة النّاس، فالدّين يظهر في كلّ مكان وفي كلّ أمر.

ففي المجتمع الشرقي يظهر أثر الدّين في الأخلاق العامّة، وفي اللغة، وفي الأدب وفي جميع المؤسسات الاجتماعيَّة.

والرجل الشرقي لا ينتمي إلى وطن ولد فيه – الشرقي ليس له وطن – بل إلى الدّين الّذين ولد فيه، وكما أن الرجل في الغرب ينتمي إلى وطن، فإنه في الشّرق ينتمي إلى دين، وأمة الرجل الشرقي هيَ مجموعة النّاس الّذين يعتنقون الدّين ذاته الّذي يعتنقه هو، وكل فرد خارج عن حظيرة الدّين هو بالنسبة إليه رجل أجنبي غريب).

القوميات والإقليميات الجَاهِليَّة:

لقد حرك الغرب وتلاميذه في كلّ مكان نغمات الارتباط بالجاهليات الّتي تسبق الإِسْلَام حتَّى يقطع الصلة بالإِسْلَام ويتجاوزها.

ففي المغرب: حاولت الإدارة الفرنسية أن تشد أزر الرّوح الجنسية بين بربر مراكش، فقامت بإصدار الظهير البربري في ١٦ مايو سنة ١٩٣٠ الّذي قضى بتنفيذ الأحكام العرفية البربرية وقانونهم الخاص بالأحوال الشَّخصيَّة بدل الشّريعة الإِسْلَاميّة.

وفي إندنوسيا: اكتشف الحضارة الجاوية – الهندوكية.

وفي لبنان: أثار سعيد عقل ويوسف السودا وفيكتور شبح الفينيقية، وقالوا بأن لبنان لا ينتمي إلى العَرَب، بل هو جزء من حضارة البحر المتوسط – إيطاليا، واليونان.

وفي مصر: أثيرت الحضارة الفرعونية، خاصّة بعد اكتشاف توت عنخ آمون، وبعد أن حلّ شامليبون ألغاز(حجر روزيتا)، وتولى سلامة موسى، ولطفي سيد، ثمّ سعد زغلول، وطه حسين الدّعوة إلى الفرعونية، وبدأت تظهر أسماء رمسيس، الأهرام، نفرتيتي، أبو الهول، واتخذ أبو الهول شعارا يمثل نهضة مصر، وفي زمن عبد النّاصر أقيم السد العالي فأثارت اليونسكو همة العالم لإنقاذ معبد (أبي سنبل الفرعوني)، ونقل تمثال رمسيس – فرعون موسى – إلى القاهرة وكلف الملايين، وأصبح الأتراك ينادون بشعار (تركيا للأتراك) ومصر (للمصريين).

يقول (كويلرينغ) عن لويس توماس:

(أنه قد استطاع أن يرسم الخطوط العريضة للظروف التارِيخِيَّة والاجتماعيَّة للحركة الّتي انتهت بالزعماء الأتراك المحدثين إلى تحقيق مبدأ تركيا للأتراك، وهذا المبدأ الّذي سار عليه أغلب شعوب المنطقة).

ولذلك كانَ الكماليون يقولون:

(نريد أن نبني إسلاما تركيا يكون ملكا لنا وجزءا من مجتمعنا الجَدِيد عَلى نحو الكنيسة الإنجليكانية الّتي هيَ مسيحية عَلى النمط الإنجليزي).

وفي مصر العربيَّة كانت أضواء هذه الصيحات تتجاوب فتحرك الببغاوات المصريَّة الّتي تلعب بها الأصابع الغربيّة (الإنجليزية بالذات) فتنادي (بفرعونية مصر)، فقال طه حسين (**المصري فرعوني قبل أن يكون عربيا**)، وقال طه حسين: (**لو وقف الإِسْلَام بيني وبين فرعونيتي لنبذت إسلامي**) !

وعليه فانه ليس من الغريب أن ترى اهتمام الغرب الكبير بالآثار والمتاحف الوطنيّة حيث تأسست قبل قرن تقريبا هيئات غربية للإشراف عَلى التنقيب في العالم الإِسْلَاميّ لربط المُسلِمِين بالآثار وبالقيم والأعلام الّذين كانوا قبل مجيء الإِسْلَام، فجاء (بوتا) و(لايارد) إلى العراق، وعملت (مارييت) في مصر، و(سشلمان) في تركيا ثمّ أنشئوا دوائر الآثار والمتاحف الوطنيّة، وليس عجيبا بعد ذلك أن ندرك تبرع مؤسسة (روكفلر اليَهُوْدية) بعشرة ملايين دولار لإنشاء متحف للآثار الفرعونية ومعهد لتخريج رجال الآثار، ولعلنا بعد هذا نصل إلى سبب النّص في صك الانتداب البريطاني عَلى

فِلَسطِين مادة (٢١): (يجب أن تضع الدّولة المنتدبة وتنفيذ في السنة الأولى من تاريخ هذا الانتداب قانونا خاصا بالآثار والعاديات)، كلّ هذا لقطع صلة بإسلامهم وربطهم بالجَاهِليَّة الأولى، حتَّى يتسنى للغرب أن يستعبدهم ويذلهم تحت يده.

يقول الدكتور (ولسون) في مؤتمر الثّقافة الإِسْلَاميّة والحياة المعاصرة الّذي عقد في جامعة (برنستون) سنة (١٩٥٢): (إن في بلاد الشرقيين الأدنى والأوسط في هذه الأيّام نهضة حَضَاريَّة هيَ من ناحية جديدة، ومن ناحية أُخرى بعث القديم، إن نهضة الغرب المسيحي وحركة إحياء المعارف فيه قامت عَلى عمليَّات التَّفكير والجدل فيها عَلى الأعمال الكلاسيكية والوثنية).

وفي إيران: قام الصفويين والحكم البهلوي بتوهين العلاقة مع العالم الإِسْلَاميّ، فأشأ الحكم البهلوي أكاديمية للتخلص من المفردات العربيَّة في الفارسية، واكتشفت الأكاديمية مجد إيران القديمة، وبزغ مذهب زرداشت من جديد، واحتل مكانا مرموقا في بلاد السبع والشّمس، وبدأت العمارات الجَدِيدة تبني عَلى لطراز الأخميني القديم، وأقام الشّاه محمّد رضا بهلوي احتفالا بمناسبة مرور (٢٥) عَلى كورش صانع الأمبرطورية الفارسية، وثارت في إيران قوميات أُخرى مثل: البلوش، والأكراد والعرب،

وفي العراق: ثارت النعرات، فنادى بعضهم بالقومية العربيَّة، ونادى الأكراد بقوميتهم والكردية والأتراك بالتركية، وثارت الدعوات الآشورية والكلدانية.

وفي الهند: تأججت نار العصبية الهندية، وأصبح الهنود يفخرون بالهندية، ويرون الانقطاع عن ماء زمزم في مكّة إلى نهر(جنجا)، ويتغنون بأبطال الهندوم (بهيم أرجن، رام ها).

وأصبحوا ينظرون إلى الفتح العربيّ عَلى أنه استعمار واستبعاد واحتلال الغريب لأرض الوطن، وهذا الّذي يفخر به المُسلِمُون، مما جعل المُسلِمِين ينادون بقيام دولة يعيشون فيها حياة إسلاميّة، وبفكر إسلامي، تكون فيها جنسية المسلم هيَ عقيدته ودينه وإسلامه،

وقد قَالَ إقبال يخاطب المسلم – حيث كانَ –:

(لا تقس أمم الغرب عَلَى أمتك، فإن أمة الرَّسُول الهاشمي ﷺ فريدة في تركيبها، أولئك إنما يعتقدون باجتماعهم عَلَى الوطن والنسل، ولكن إنما يستحكم اجتماعك أيها المسلم بقوة الدّين).

وفي الأردن وفلسطين: ارتفعت الأصوات بالتغني بالأمجاد القبلية القديمة وقامت النزاعات بين قبائل الشمال والجنوب في شرق الأردن وبين الفلسطين وبين أبناء شرق الأردن، وأصبحنا نسمع عن مدن: مؤاب، وفيلادلفيا، وعمون.

لقد صدق فينا قول ربّ العزة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠﴾ [المجادلة]

﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [طه]

وصدق رسول الله ﷺ: «**بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»[1].

لقد ذقنا مرارة بعدنا عن كتاب الله، وتجرعنا آلام تنكبنا لطريق الله، وحصدنا ما زرعنا من بذور القوميّة ثمار القطيعة والتمزق والضياع والخذلان والخسران:

﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾ [التوبة]

لقد آن لنا أن نرجع إلى الله، وننبذ من أيدينا كلّ أو صار الجاهلي، وندعو أنفسنا بالعودة إلى طريق السعادة ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾ [طه]، إما الله أو الفناء، إما الإِسْلَام أو الدمار]أهـ.[2]

---

(١) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصححه شاكر والألباني (صحيح الجامع-٢٨٣١) ولأطراف الحديث شواهد في البخاري.

(٢) الذخائر العظام: (ج ١/ ٩٠١)

[الدّعوة القوميّة والأسباب الحقيقيَّة الّتي كانت وراءها:

السبب الرَّئيسي: هو محاولة الغرب استعاد الإِسْلَام كرابطة وحيدة وإحلال رابطة جديدة مكانه بعد فشل الغرب في الحُرُوب الصّليبيّة، فأراد أن يستعمل أسلوب الفكر واللسان بدل السنان، وذلك ليسهل للغرب تثبيت أقدامه في بلادنا، خاصّة بعد حملة نابليون عَلى مصر.

طموح محمّد علي باشا وإبراهيم باشا إلى عمل إمبراطورية قومية عربيَّة.

التّخلّص من تركيا المسلمة والقضاء عليها حتَّى يرث الغرب ممتلكاتها.

محاولة النّصَارى التّخلّص من تركيا لأنها كانت تطبق عليه الجزية وبعض الواجبات الاستثنائية الّتي تقابل المُسلِمِين دفع الزّكاة والقيام بالجندية لحماية الدّولة الإِسْلَاميّة.

وطمعا من المسيحيين أن يقودوا المجتمعات الّتي يعيشون فيها ويوجهوا دفتها ويصبحوا سادتها وعلية أقوامها.

التطور التّاريخي للفكرة القوميّة:

تعتبر حملة نابليون النقطة الأولى في بداية تحويل العَرَب من الإِسْلَام إلى القوميّة، وقد اختمرت هذه الفكرة في ذهن نابليون عَلى أثر المُقاوَمة الّتي حركها الأزهر بنداء (اللهُ أكبَر) واقتنع الغرب بهذه الفكرة.

وخرج الفرنسيون سنة (١٩٠٤) من مصر وجاء محمّد علي باشا، وكان محمّد علي ضابطا ألبانيا – لا يعرف العربيَّة جاء مع الحملة الّتي أرسلها الخَليفَة إلى مصر لمقاومة نابليون، وكان محمّد علي يتيما طموحا ذكيا، ولكنه كانَ أميا، فكان مصابا بعقدة النّقص بسبب أميته، فأراد أن يحضر مصر ويطورها، فقضي عَلى المالك ونودي به حاكما عَلى مصر.

محمّد علي باشا والفرنسيون:

كانَ محمّد علي معجبا بالفرنسيين، فهو منذُ صغره عَلى صلة بفرنسي اسمه ليون (Lion) ثمّ استقدم إلى مصر د. (كلوت) الطبيب الفرنسي ليكون مستشاره، فأشار عليه بفكرة القوميّة (وقد عنى كلوت بأن يطبع الطلاب في الدارس العليا الّتي كانَ يديرها عَلى الشّعوب الصَّحِيح بالقومية العربيَّة)

وبدأ محمّد علي يرسل البعثات إلى فرنسا، فرجعت البعثات تحمل بذور الفكرة القوميّة، ومن بين هَؤُلَاءِ رفاعة الطهطاوي الّذي أقام في باريس (١٨٢٦ - ١٨٣١) فحمل فكرة الثَّورة الفرنسية القوميّة.

ابراهيم باشا في بلاد الشّام:

كانَ محمّد علي باشا يطمع في امبرطورية عربيَّة تنفصل عن الحكم العُثْمَانِيّ، وقد زين له هذا الأمر الغرب (الفرنسيون بالذات) فأرسل ابنه إبراهيم باشا واحتل الشّام كلها، ومكث حكم إبراهيم في بلاد الشّام سبع سَنَوات (١٨٣٣- ١٨٤٠) وقد كانَ لهذه السَنَوات أثر عميق في تغيير مجرى الأحداث في الشّام ولمدة قرن ونيف.

فماذا صنع إبراهيم باشا في الشّام:

ألغى الأحكام الإِسْلَاميّة المطبعة عَلى النّصَارى في الشّام ونادى بمساواتهم بالمُسلِمين وكذلك فعل أبوه في مصر.

شجع الجَمعِيّات التبشيرية ومدارسها، وأما أبوه في مصر فكان جلساؤه دائما من السفراء والسائحين والمبشرين، وكان نتيجة هذا التشجيع للمبشرين في الشّام.

أ- **قدوم البعثات البروتستنتية (الأمريكيّة) وكان من بين رجالاتها** [1]:

(أيلي سميث)، الّذي مكث يعمل دائبا للنصرانية من (١٨٣٤ - ١٨٥٧) فنقل المطبعة الّتي كانت للبعثة من مالطة إلى بيروت وبدأت تطبع بالعربيَّة وهي أول مطبعة من نوعها في بلاد الشّام، وأقام سميث هو وزوجته في بيروت مدرسة للبنات وهي أول مدرسة في بلاد الشّام من هذا النوع.

الدكتور (**كورنيليوس فاندك**) جاء طبيبا مع البعثة الأمريكيّة وبقي يعمل ٥٥ سنة في بلاد الشّام (ربما كانت جهوده أكبر الجهود الفرديَّة الأجنبيّة قيمة وأكثرها أثرا في التطور الثقافي في البلاد.

---

(١) لاحظ قدم المحاولات الأمريكيّة للتسلل للمنطقة، حيث لم يتمكنوا لقوة بَرِيطَانيَا وفرنسا وغيرها من دول الإستعمار آنذاك، حتَّىٰ جاءتهم الفرصة وجاء مقت أن يحصدوا ما زرع أجدادهم المبشرون البروتستانت من النّصَارىٰ المتهودين. [المؤلف]

ناصيف اليازجي: (١٨٠٠-١٨٧١) لبناني نصراني، عمل مع البعثة الأمريكيّة، وفي مطبعتها مع سميث وفانديك، وقام هو وابنه إبراهيم اليازجي بترجمة التوراة، وكان ابنه إبراهيم هو أول من أسس (جَمعيَّة بيروت السرية) ذات الطابع القومي.

وإبراهيم هذا كانَ نصرانيا ماسونيا، عاش ما بين (١٨٤٧-١٩٠٦)، مات في مصر ونعته المحافل الماسونية فيها، وهو صاحب القصيدة الّتي تنادي بالثَّورة عَلى الأتراك.

تنبهوا واستفيقوا أيها العَرَب   لقد طما السيل حتَّى غاصت الركبُ
أقداركم في عيون الترك نازلة   حقكم بين أيدي الترك منتهبُ
لنطلبن بحد السّيف مأربنا   فلن يخيب لنا في جنبه أربُ

بطرس البستاني: (١٨١٩-١٨٨٣)، وهو لبناني كانَ يعمل مترجما في القنصلية الأمريكيّة في بيروت، غير دينه من ماروني إلى بروتستنتي بسبب صداقته مع سميث وفاندك، وظفه المبشرون مدرسا في مدرسة عبية، ترجم التوراة مع سميث واستغرق في الترجمة عشر سَنَوات، أصدر قاموس (محيط المحيط) ومختصره (قطر المحيط) و(دائرة المعارف للبستاني).

أصدر في فتن عام (١٨٦٠) (بين النّصَارى والدروز في لبنان) مجلة اسمها (نفير سوريّة) يدعو إلى الوحدة القوميّة، أسس عام (١٨٦٣) (المدرسة الوطنيّة) كانَ يدرس هو وناصيف اليازجي فيها، وأصدر عام (١٨٧٠) مجلة اسمها (الجنان) صحيفة نصف شهرية سياسيّة وأدبية، - شعارها (حب الوطن من الإيمان)، وأصدر صحيفتي (الجنّة) و(الجنينة).

ويعتبر اليازجي والبستاني من الرواد الأوائل لفكرة القوميّة العربيَّة، فلقد قام تلاميذهم بالتَّنظِيمات القوميّة الّتي آتت أكلها فيما بعد وأثمرت هذا الإقصاء لدين الله عن الحياة وتربية الرواد الّذين يعتبرون القوميّة مثلهم الأعلى الّذي تقدم له القوانين والتضحيات.

من ثمار البعثة الأمريكيّة عدا إبراز اليازجي والبستاني أنها قامت بإنشاء أكبر معهد لحضانة الفكر القومي وهو:

الجامعة الأمريكيّة في بيروت (١٨٦٦):

وكان اسمها في البداية (الكلية السوريّة الإنجيلية)، وكان أول رئيس لها هو (دانيال بلس) راهب أمريكي يحمل الدكتوراه في اللاهوت، وبقي رئيسا للجامعة حتَّى عام (١٩٠٢) وخلفه ابنه (هوا رد بلس)، وأثر الجامعة الأمريكيّة في المنطقة لا يوازيه أي أثر في الفكرة القوميّة، ولقد خرجت الجامعة أجيالا من قادة بلاد الشّام عَلى مدى قرن ونيف، ومن أساتذتها المعروفين برعاية الفكر القومي (قسطنطين زريق) الّذي نخرج عَلى يديه (جورج حبش).

البعثة الكاثوليكية – اليسوعية، وقد قامت بإنشاء مطبعة حجرية (١٨٤٧) وأسست مدرسة يوسف الّتي عرفت فيما بعد بالجامعة اليوسعية.

ج – اللعازريون: افتتحوا كلية (عين طورة) في لبنان.

- الجَمعِيّات القوميّة:

ومن الأعمال الّتي قامت بها البعثات التبشيرية إنشاء الجَمعِيّات الّتي تنادي بالفكر القومي وأهمّها:

١- جَمعيَّة الآداب والفنون عام (١٨٧):

أسستها البعثة التبشيرية الأمريكيّة وعلى رأسها سميث وفاندك والبستاني وناصيف اليازجي، ولم يمض عليها عامان حتَّى بلغ أعضاؤها خمسين عضوا أكثرهم من النّصَارى السوريين في بيروت، ولم يكن فيهم مسلم واحد ولا درزي، وبقيت الجَمعيَّة خمس سَنَوات.

٢- الجَمعيَّة الشرقية عام (١٨٥٠):

أسَّسَها اليسوعيون وكان يشرف عليها الأب دبر ونر.

٣- الجَمعيَّة العلمية السوريّة عام (١٨٥٧):

بلغ أعضاؤها مائة وخمسين عضوا، اشترك فيها بالإضافة إلى مؤسسيها من أتباع البعثة الأمريكيّة بعض المُسلِمِين والدروز، ونالت اعتراف الحكومة بها عام (١٨٦٨).

(كانَ أول صوت ظهر لحركة العَرَب القوميّة هو صوت إبراهيم اليازجي أحد أعضاء الجَمعيَّة فألقى قصيدة اتخذت صورة النشيد القومي).

٤- جَمعيَّة ببيروت السوريّة عام (١٨٧٥):

يقول جورج انطونيوس (يرجع أول جهد منظم في حركة العَرَب القوميّة إلى العام (١٨٧٥) أي قبل ارتقاء عبد الحميد العرش بسنتين حين ألف خمسة شبان من الّذين درسوا في الكلية البروتستنتية السوريّة – الجامعة الأمريكيّة – ببيروت جَمعيَّة سرية وكانوا جميعا من النّصَارى، ولكنهم أدركوا قيمة انضمام المُسلِمِين والدروز إليهم، فاستطاعوا أن يضموا إلى الجَمعيَّة نحو اثنين وعشرين شخصا ينتمون إلى مختلف الطوائف الدّينيّة، ويمثلون الصفوة المختارة والمستنيرة في البلاد، وكانت الماسونية قد دخلت قبل ذلك بلاد الشّام عَلى صورتها الّتي عرفتها أوروبّا، فاستطاع مؤسسو الجَمعيَّة السرية عن طريق أحد زملائهم أن يستميلوا إليهم المحفل الماسوني الّذي كانَ قد أنشئ منذُ عهد قريب ويشركوه في أعمالهم)

من هذا ندرك: –

أن بداية العمل القومي المنظم كانَ في بلاد الشّام عن طريق النّصَارى.

أن هَؤُلَاءِ النّصَارى من تلاميذ البستاني واليازجي أو من محبيهم وكانوا ثمرة جهود البعثة الأمريكيّة.

إن من بين المؤسسين إبراهيم اليازجي صاحب شعار الجَمعيَّة.

لنطلبن بحد السّيف مأربنا فلن يخيب لنا في جنبه أربُ

وكذلك كانَ فارس نمر باشا (نصراني لبناني) وصهره (شاهين مكاريوس) من مؤسسيها، وهَؤُلَاءِ الثّلاثة من كبار الماسونيين المعروفين.

فالأيادي الماسونية – اليَهُوْدية – هيَ الّتي تبنت فكرة القوميّة العربيَّة، وهي نفس الأيادي الّتي كانت تحرك في الوقت ذاته (القوميّة الطورانية) الّتي يتبناها يهود الدونمة في سالونيك وتعقد اجتماعاتهم في بيوت اليَهُوْد الإيطاليين.

وأن الّذي أوحى بفكرة تأسيس جَمعيَّة بيروت السرية هو رجل يسمى إلياس حبالين من بلدة ذوق مكايل، وكان أستاذا للغة الفرنسية يدرسها في الجامعة الأمريكيّة لطلاب صف فيهم اليازجي ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس، وكان الأستاذ معجبا بالثَّورة الفرنسية).

وقد كانَ يشك أن مدحت باشا - زعيم الماسونية وكان يكنى بأبي الأحرار - وراء تشكيل الجَمعيَّة، فقد جاء في برقية أرسلها القنصل البريطاني في حزيران عام (١٨٨٠):

(ظهرت في بيروت منشورات تحض عَلى الثَّورة يشك في أن مدحت هو منشؤها) وكان مدحت آنذاك واليا عَلى الشّام.

ولكن حزم السُّلطَان عبد الحميد ومتابعته للجَمعيَّة ومنشوراتها جمد نشاطها، وكان أهمّ منشورات الجَمعيَّة هو المنشور الثّالث الّذي صدر في ٣١ ديسمبر ١٨٨٠ وحدد مطالبهم بأربع نقاط.

منح سوريا مع لبنان الاستقلال.

الاعتراف بالعربيَّة لغة رسمية.

رفع الرقابة عن حرية التّعليم.

عدم إرسال أبناء العَرَب للحرب مع الأتراك خارج بلادهم.

هِجرَة دعاة القوميّة إلى القاهرة:

نتيجة مكافحة السُّلطَان عبد الحميد للجمعيات السرية القوميّة، انتقل أولئك الدعاة الأوائل للقومية إلى القاهرة حيث يجثم كرومر المعتمد البريطاني، فهاجرت العائلات النّصرانية إلى القاهرة لتبث من هناك الأفكار العلمانيّة والدّعوة القوميّة، ولتنطلق منها لمحاربة تركيا، وكان من أبرز تلك الأسماء الّتي استقرت في القاهرة:

فارس نمر وصهره شاهين مكاريوس، صاحب جريدة المقطم اليومية، ومجلة المقتطف الشهرية وهما ماسونيان.

سليم تقلا الّذي أسس جريدة الأهرام اليومية الّتي مازالت إلى يومنا هٰذا.

جو رجي زيدان: صاحب دار الهلال وله مؤلفات كثيرة.

أديب اسحق (مدير صحيفة مصر) وسليم نقاش (مدير صحيفة التجارة)، وكان هذا ن النّصرانيان يعملان بإدارة جمال الدّين الأفغاني، وهو الّذي أسس هاتين الصحيفتين.

روز اليوسف، وقد جاءت من الشّام وكانت نصرانية، وتظاهرت بالإِسْلَام، وسمت نفسها فاطمة يوسف، ولكنها سمت صحيفتها باسمها القديم (روز اليوسف).

أحمد فارس الشدياق- ماروني اعتنق المذهب البروتستانتي عَلى يد البعثة الأمريكيّة، ثمّ جاء مصر وأصدر صحيفة (الجوائب) ثمّ أسلم عَلى يد (باي تونس).] أهـ[1].

[(جمال الدّين الأفغاني) و(محمّد عبده) و(عبد الرَّحمن الكواكبي):

ولا بُدَّ هنا أن أشير إلى ثلاثة من الدعاة ممن كانوا يتزيون بزي العُلَماء وهم مشهورون في العالم كله كدعاة إلى الوحدة الإِسْلَاميّة، وكانوا مع الوقت نفسه يهاجمون تركيا ويسعون إلى هدم صرح الخِلافَة، وهم:

الأفغاني: وكان يحتضن كثيرا من النّصَارى واليَهُوْد، وكان طبيبه الخاص اسمه هارون يهوديا، وقد حضر موته هو ونصراني آخر اسمه (جو رجي كنجي)، وكان ينزل في لندن ضيفا عَلى (مستر لنت) البريطاني صاحب كتاب (مستقبل الإِسْلَام)، وعندما حاول الخَليفَة منع الأفغاني من الخروج من تركيا توسط له السفير البريطاني وخرج، وكان الأفغاني رئيسا لمحفل الشّرق الماسوني.

أما محمّد عبده: فكان صديقا حميما لكرومر، وصرح بأن الشَّيْخ عبده سيبقى مفتيا لمصر مادامت بَرِيطَانيَا فيها، وكان ماسونيا، وكان من رواد صالون الأميرة نازلي فاضل، ومن تلاميذه: أحمد لطفي السيد العلماني الّذي أعلن كفره البواح في صحيفته (الجريدة) وسعد زغلول، وقاسم أمين (صاحب كتاب تحرير المرأة)، وهَؤُلَاءِ كانَ لهم أثر عميق في مجرى الأحداث في مصر.

---

(١) (الذخائر العظام: ج ١ / ٨٧٩ - ٨٨٢).

وعبد الرَّحمٰن الكواكبي (١٨٤٩-١٩٠٣): وكان جل أصدقاؤه وتلاميذه من المُسلِمِين واليَهُوْد والنّصَارى، وكانت دروسه في مقهى (سبنلددبار)، نادى بمبايعة خليفة عربي في كتابه (أم القرى)، وله كتاب آخر اسمه (طبائع الاستبداد)، دعا إلى المساواة بين الأديان لتحقيق التمسك القومي:

(دعونا ندبر حياتنا الدُّنيَا ونجعل الأديان تحكم الأخرى فقط، دعونا تجتمع عَلى كلمة سواء، ألا وهي فلتحيا الأُمّة، فليحيا الوطن، فلنحيا طلقاء أعزاء)، (هذه الأمم أوروبّا وأمريكا قد هداها العلم لطرائق الاتحاد الوطني دون الدّيني، والوفاق الجنسي دون المذهبي، والارتباط السّياسيّ دون الإداري).

هَؤُلَاءِ الثّلاثة [1] كانت أفكارهم تمهيدا للعلمانية، فقد كانت آراؤهم قنطرة عبرت عليها العلمانيّة إلى الإِسْلَام كما يقول البرت حوراني.

وحطموا الحاجز النّفسيّ بين الكافرين والمُسلِمين، وأصبحت نفوس المُسلِمِين قابلة لتقبل الأفكار الواردة وعلى رأسها القوميّة، يقول البرت حوراني:

(ومن الحقّ أن الّذي يقرأ لمحمّد عبده في مناظراته مع رينان ومع فرح انطون يحس أنه كانَ يريد أن يقيم سدا في وجه الاتجاه العلماني يحمي المجتمع الإِسْلَاميّ من طوفانه، ولكن الّذي حدث هو أن هذا السد قد أصبح قنطرة للعلمانية عبرت عليه إلى العالم الإِسْلَاميّ لتحتل المواقع الواحد تلو الآخر).

ثمّ جاء تلاميذ محمّد عبده ليعمقوا هذا التّيار وليقودوا بعلمانيتيهم.

فمثلا لطفي السيد: عمق الوطنيّة الإقليمية وتزعم الدّعوة إلى التّاريخ الفرعوني.

وجاء سعد زغلول: وسلمه كرومر وزارة المعارف لينادي بالاتجاه الوطني الإقليمي الفرعوني عَلى الصعيدين السّياسيّ والاجتماعي، ويقول كرومر بأني سلمته وزارة المعارف لأنه من تلاميذ الشَّيْخ عبده.

---

(١) الثّلاثة هم: عبد الرَّحمٰن الكواكبي (السّوري)، والشَّيْخين جمال الدين (الأفغاني) وتلميذه محمد عبده (المصري)، ومن المؤسف أنّنا درسنا في كلّ مراحل التّعليم في بلادنا: أطفالا وشبابا، أنهم من رواد الإصلاح والتنوير، والتحرر، بل أَنّي أتذكر أن عبده والأفغاني كانا يعتبران من المدرسة الإصلاحية في مناهج الإخوان المُسلِمِين والحركة الإِسْلَاميّة، ويرد ذكرهم بالثناء والتزيين..فلا حول ولا قوة إلا بالله ! [المؤلف]

وجاء قاسم أمين: ليوضح العموميات ويفصل مجمل ما كانَ يدعو إليه الشَّيْخ عبده، وينادي بخلع الحجاب ونزع الحياء من حياة المرأة حتَّى أن الكتاب (تحرير المرأة) نال إعجاب الشَّيْخ عبده، وقد اطلع عَلى مسودته هو وتلميذه لطفي في جنيف سنة (١٨٩٧) كما ذكر لطفي السيد وقاسم أمين.

ولذا تعزى الفصول الفقهيّة في الكتاب إلى الشَّيْخ محمّد عبده – كما يظن – لأن قاسم أمين لا علم لهذه القضايا.

ويذكر في هذا المجال إسماعيل مظهر صاحب (مجلة العصور) وهو صهر لطفي السيد، وكذلك لا بُدَّ من الإشارة إلى إصبع من أصابع التخريب وهو عبد العزيز فهمي – صديق لطفي السيد الحميم، وصديقهم الثّالث طه حسين الّذي فصل من الجامعة بسبب كفره الصريح في كتابه (الشعر الجاهلي) فاستقال لطفي السيد من الوزارة (وكان وزيرا للمعارف) احتجاجا عَلى فصل طه حسين من الجامعة المصريَّة.

هذه المجموعة هيَ الّتي فرغت الشعب المصري من الإِسْلَام لتحل محلة أفكار جديدة من الفرعونية والعلمانيّة والوطنيّة اللادينية، وقد تكون الصداقة بين هَؤُلَاءِ وبين الشَّيْخ عبده إن هيَ إلا محاولة لتقريب هذه الفئة من الإِسْلَام، ولكنه لم يستطع بعد أن تساهل – من أجل جذبهم – في كثير من القواعد الشَّرعيَّة الّتي تحدد الولاية والعداوة والصداقة والمقاطعة، وأفتى بكثير من الفتاوى من أجل رفع الحواجز بينه وبين كرومر من جهة، وبينه وبين هذه الفئة من جهة أُخرى، مثل الفتوى الترنسفالية، وفتواه في المرآة والطلاق بالإضافة إلى تفسير كثيرا من الآيات الغيبية في القرآن تفسيرا يكاد يخرجها عن اللسان العربيّ ويلغي مضمونها بالكلية.

جاء في تقرير كرومر سنة (١٩٠٦) المقدم إلى الحكومة البريطانيَّة عن حزب محمّد عبده:

(... وهَؤُلَاءِ راغبون في ترقية مصالح مواطنيهم وإخوانهم في الدّين، ولكنهم غير متأثرين بدعوى الجامعة الإِسْلَاميّة، ويتضمن برنامجهم – إن كنت فهمته حق الفهم – التّعاون مع الأوربيين لا معارضتهم في إدخال الحضارة الغربيّة إلى بلادهم)

ويقول كرومر: (**أَنّي أشك كثيرا أن صديقي محمّد عبده ما كانَ إلا إدريا** Agnostic).

ويقول صديقه بلنت – الإنجليزي –: (**أخشى أن أقول أن محمّد عبده – بالرغم من أنه المفتي الأعظم – ليس له من الثقة بالإِسْلَام أكثر مما لي من الثقة في الكاثوليكية**).

وأصدق كلمة في محمّد عبده وشيخه كلمة الشَّيْخ مصطفى صبري شيخ الإِسْلَام في الدّولة العُثْمَانِيّة: (**فلعل الشَّيْخ محمّد عبده وصديقه أو شيخه جمال الدّين أرادا أن يلعبا في الإِسْلَام دور لوثر وكلفن – زعيمي البروتستانت – في المسيحية فلم يتسن لهما الأمر بتأسيس دين حديث للمسلمين، وإنما اقتصر سعيهما عَلى مساعدة الإلحاد المقنع بالنهوض والتجديد**)، ويقول شيخ الإِسْلَام مصطفى صبري – كذلك –: (**أما النهضة الإصلاحية المنسوبة إلى محمّد عبده فخلاصتها أنه زعزع الأزهر من جموده عَلى الدّين، فقرب كثيرا من الأزهريين إلى اللادينين خطوات، ولم يقرب اللادينين إلى الدّين خطوة، وهو الّذي أدخل الماسونية في الأزهر بواسطة شيخه جمال الدّين الأفغاني، كما أنه هو الّذي شجع قاسم أمين عَلى ترويج السفور في مصر**). (١)

الشُّيُوعِيّة في العالم العربيّ خلال القرن العِشرين:

[لقد أشرف اليَهُوْد عَلى تنظيم وتكون الأحزاب الشُّيُوعِيّة في العالم العربيّ فهم قادتها ومخططوها.

يقول الشُّيُوعِيّ اليَهُوْدي الفرنسي (روبنسون):

(لم تتأسس أحزاب شيوعية ومنظمات متعاطفة إلا في الحلقات الأجنبيّة في البلدان العربيَّة في مصر وفلسطين، ولم تجد إلا القليل من الأتباع وكانت مقطوعة عن واقع تلك البلاد، وانتهت دون أن تثير اهتماما كبيرا).

---

(١) لاحظ التركيز الإنكليزي الأوربي علىٰ أمور رئيسيَّة، يتكرر التركيز عليها اليَوْم من قبل الاستعمار الأمريكيّ ؛ ومن أهمّ ذلك:

– تمييع مسألة الوَلَاء والبَرَاء وإزالة الحواجز النّفسية ووضوح الأحكام الشَّرعيَّة في الفرق بين المؤمن والكافر.

– الإصرار علىٰ إفساد المرأة كبوابة لإفساد الأسرة والمجتمع والأمة بأسرها. [المؤلف]

وفيما يلي نورد الأسماء اليَهُوْدية المؤسسة للشيوعية في البلدان العربيَّة:

الحزب الشُّيُوعِيّ في مصر:

بدأ التَّنظِيم سنة (١٩٢١) في الإسكندرية عَلى يد روسي يهودي اسمه (جوزيف روزنبرغ) تصحبه ابنته (شار لوت)، وفي سنة (١٩٢٧) أوفدت موسكو ثلاثة يهود لتشكيل التَّنظِيم ومتابعته.

ثمّ انتدبت روسيا اليَهُوْدي المصري (هنري كوريل) وأمدته بأموال طائلة أسس بها (بنك كوريل) في مصر، وشكل الحركة الدِّيمقراطيَّة للتحرر الوطني (حدتو).

ثمّ تشكلت (منظّمة الأسكرا) أي الشرارة وهو نفس اسم الجريدة الّتي كانَ يصدرها لينين في سويسرا قبل نجاح الثَّورة، شكل هذه المنظّمة اليَهُوْدي (ايلي شوارتز)، ثمّ غير اسمها فيما بعد إلى (نحشم): (نحو حزب الشُّيُوعِيّ مصري)، ثمّ انضمت إلى (حدتو).

(منظّمة الفجر الجَدِيد) أَسَّسَها اليَهُوْديان يوسف درويش وريمون دويك، ثمّ أصبح اسمها (د.ش) الدِّيمقراطيَّة الشعبيَّة.

(المنظّمة الشُّيُوعِيّة المصريَّة) (م.ش.م): أَسَّسَها اليَهُوْديان أوديت وزوجها لمون سدني.

(منظّمة تحرير الشعب): أَسَّسَها (مارسيل إسرائيل).

الحزب الشُّيُوعِيّ في العراق:

أسسه اليَهُوْد وكان معظم أفراده في بداية الأمر من اليَهُوْد، وعلى رأس قادته ساسون دلال، ناجي شميل، وصديق يهوذا، ويوسف حز قيل، وكلهم من اليَهُوْد.

ويروي قدري قلعي في كتابه (تجربة عربي في الحزب الشُّيُوعِيّ) ص (٢١-٢٢) يروي الأستاذ بدر شاكر السياب – بالإضافة إلى ما رواه من فضائح أخلاقية لا نريد الوقوف عندها – كيف كانَ يعمل مع رفاقه الشُّيُوعِيّين العراقيين لنشر الشُّيُوعِيّة فيقول: (رحنا نضرب عَلى كلّ وتر تخرج نغمته موافقة لما نريد، بثثنا بين الطلاب الأكراد أن القوميين يكرهون الأكراد وقوميتهم بينما نعتبرهم نحن إخواننا، وأخذنا نسب القوميّة العربيَّة أمامهم، بل رحنا ننتقص من العَرَب، ونزعم أن التّاريخ العربيّ

ما هو إلا مجموعة من المذابح والمجازر، وزعماؤهم العظام ما هم إلا إقطاعيون جلادون إلى غير ذلك، ومررنا عَلى إخواننا اليَهُوْد دون حاجة إلى دعوة، واستغللنا بعض الرفيقات للتأثير عَلى بعض الطلبة.

الحزب الشُّيُوعِيّ السّوري اللبناني:

تأسس الحزب سنة (١٩٢٤) بعد الحزب الشُّيُوعِيّ الفلسطيني والمصري، وكان يرأسه في لبنان (جاكوب تايبر) اليَهُوْدي الرُّوسي، وكان يساعده ثلاثة يهود هم: ميك، أوسكار، مولر.

ثمّ دخل بيروت يهود ثلاثة عن طريق حيفا وكلهم من الرُّوس، وهم عيون موسكو الثّلاثة جوزيف بيرجر، اليهوبيتر، نخبمان لتفينسكي.

وقد كانَ الحزب السّوري اللبناني تابعا للحزب الشُّيُوعِيّ اليَهُوْدي في فِلَسطِين، ثمّ تبع الحزب الشُّيُوعِيّ الفرنسي.

الحزب الشُّيُوعِيّ الفلسطيني والأردني:

لقد كانَ التَّفكير بفلسطين من القضايا الكبرى الّتي تشغل رؤوس قادة الثَّورة البلشفية، ومنذ الأيّام الأولى من الثَّورة: أصدر لينين في روسيا قرار ذا شقين بحق اليَهُوْد.

أولا: اعتبار العداء لليهود (للسامية) جريمة قانُونيّة.

ثانيا: تأييد إقامة وطن قومي لليهود في فِلَسطِين.

وقد صدر هذا القرار قبل صدور وعد بلفور – وزير خارجية بَرِيطَانيَا – في (٢) تشرين الثّاني سنة (١٩١٧م) بأقل من عشرين يوما.

ولذا اهتم شيوعيو روسيا بالتَّنظِيم الشُّيُوعِيّ في فِلَسطِين، فكان الّذي تأسس سنة (١٩١٩م) أول حزب في المنطقة، وقد شكله أولاًاليَهُوْدي الرُّوسي (روزشتاين)، وأوفدت موسكو قطبين يهوديين من أقطاب الحزب الشُّيُوعِيّ الرُّوسي للتنظيم في فِلَسطِين، وهما: جاك شابيليف، رادول كارن بورغ وكان جميع عناصر الحزب الشُّيُوعِيّ الفلسطيني في بداية الأمر يهودا روسيين.

ثمّ أرسلت موسكو (فلاديمير جابو تينسكي) فنشط نشاطا ملحوظا في فِلَسطِين، ثمّ انتدب (س. افربوخ) اليَهُوْدي – الملقب بأبي زيام – لتنظيم الحزب الشُّيُوعِيّ في البلاد العربيَّة، وكان الأخير صديقا للينين في سويسرا، وأبرز الشُّيُوعِيِّين في الفلسطين، وقد تولى رئاسة الحزب الشُّيُوعِيّ في فِلَسطِين من (١٩٢٤-١٩٢٩م).

وكانت عضوية الحزب الشُّيُوعِيّ الفلسطيني أولا، قاصرة عَلى اليَهُوْد ودخله قلة من الفلسطينيين العَرَب، وقد كانوا غير موثوقين لدى الأكثرية الشُّيُوعِيّة وغير مؤتمنين عَلى أسرارهم، وفي سنة (١٩٣٧) تأسست أو حركة علنية للحزب الشُّيُوعِيّ الفلسطيني وراء ستار نقابة عمال في حيفا سكرتيرها إميل توما.

وفي النّاصرة نقابة عمال سكرتيرها إميل حبيبي، وفي يافا سكرتيرها فؤاد نصار.

سنة (١٩٣٩) أنشأ الشُّيُوعِيّون عصبة التحرر الوطني، وكان سكرتيرها اليَهُوْدي (بن فكي)، ومساعده توفيق طوبي، وكانت مطالب هذه العصبة جلاء بَرِيطَانيَا، ثمّ تشكيل حكومة مشتركة بين اليَهُوْد والعرب.

وفي حرب (١٩٤٨) تحول أعضاء عصبة التحرر إلى قادة عِصَابات مسلحة، يذبحون الشعب الفلسطيني فانسحب بعض الشَّبَاب المغرر بهم، في حين وقف الشُّيُوعِيّون المتحمسون يدفعون عن اليَهُوْد ويقفون بجانبهم، منهم المحامي إبراهيم بكر في النّاصرة، وفؤاد نصار في يافا، وغيرهم من قادة الشُّيُوعِيّون العَرَب في فِلَسطِين.

وبعد نكبة (١٩٤٨) صار الحزب الشُّيُوعِيّ الفلسطيني اليَهُوْدي يشرف عَلى بقية فِلَسطِين غير المحتلة، وكان في رئاسة الحزب إميل توما وتوفيق طوبي وإميل حبيبي، وهذا ن الأخيرين عضوان في الكنيست اليَوْم، وكانت الصلة بين الشُّيُوعِيّين في قسمي فِلَسطِين عن طريق (ضابط إسرائيلي وسكرتير صحفي من الشُّيُوعِيّين يعملان في لجنة الهدنة)، وكانت نشرات الحزب الشُّيُوعِيّ تذيل بعبارة في أسفلها بالعبرية: طبعت بمطابع الحزب الشُّيُوعِيّ الفلسطيني، أي (القسم المحتل).

وفي سنة (١٩٥٠) ضمت الضفة الغربيّة إلى الأردن وقد اعتقل طلعت حرب الشُّيُوعِيّ في رام الله وهو يوزع المنشورات الشُّيُوعِيّة الّتي أحضرها من إسرائيل، سنة (١٩٥١)، عثرت قوّات الأمن في عمان عَلى مطبعة للشيوعيين وهي مسجلة بأرقام وعبارات عبرية.

سنة (١٩٥٢) صدر الأمر من موسكو بفصل الحزب الشُّيُوعِيّ الأردني عن الحزب الشُّيُوعِيّ الفلسطيني، وكان فائق وراد لا زال في المنطقة المحتلة، فسمحت له القوّات الإسرائيلية بالخروج ليصبح قائدا من قادة الحركة الشُّيُوعِيّة، ولتقدمه منطقة رام الله سنة (١٩٥٦) نائبا عنها في مجلس النواب الأردني، ويومها قدمت القُدس يعقوب زيادين – الشُّيُوعِيّ النّصراني – نائبا عنها.

وفي سنة (١٩٥٧) حلّ الحزب الشُّيُوعِيّ الأردني واعتقل قادته وأودعوا معتقل الجفر، وألقى فؤاد نصار سكرتير الحزب الشُّيُوعِيّ الأردني عدّة محاضرات أولها (الشُّيُوعِيّة وإسرائيل) جاء فيها (أنّنا نعلم ويعلم الجميع بأن إسرائيل أمر واقع ودولة لها كيانها السّياسيّ والإقتصادي والعسكريّ، وإن اليَهُوْد شعب كباقي الشّعوب له حق الحياة، وأنا أعترف باليَهُوْد كدولة لأن الشّمس لا تغطي بغربال).

وعندما مات فؤاد نصار في عمان سنة (١٩٧٧): أقام الحزب الشُّيُوعِيّ الإسرائيلي (راكاح) له حفلا تأبينيا في النّاصرة تلك فيه زعيم الحزب (ماير ملنر)، وكذلك توفيق طوبي وإميل توما، وتوفيق زياد صاحب فكرة (يوم الأرض) – ٣٠ آذار –، وتوفيق هذه عضو في الكنيست الإسرائيلي وكان يجمع التبرعات سنة (١٩٧٨) بالعلم الإسرائيلي من أمريكا.

ولا زالت البرقيات تتبادل بين الحزب الشُّيُوعِيّ الأردني الإسرائيلي، منها ما جاء بالنشرة الشُّيُوعِيّة الأردنية في نيسان سنة (١٩٧٧) ما يلي: (كما قدر المجلس عاليا المواقف المبدئية والثَّابِتة ي القوى التقدمية في إسرائيل نفسها وفي مقدمتها الحزب الشُّيُوعِيّ (راكاح).

وقد كانَ محمود درويش وسميح القاسم الشاعران الفلسطينيان الشُّيُوعِيّان – الممثلان للأرض المحتلة – يحملان علم إسرائيل في مؤتمر صوفيا الدّولي.

يقول الأستاذ سعد جمعة: (وقد ثبت بما يقطع كلّ شبهة قيام تنظيم موحد، وترابط عقائدي، وتخطيط، وتكامل في التخطيط والهدف بين كلّ من الحزب الشُّيُوعِيّ الإسرائيلي والأحزاب الشُّيُوعِيّة

العربيَّة، ومن عانى متاعب الحكم في الأردن، يعرف أن الكثير من المنشورات الشُّيُوعِيّة العربيَّة كانت تأتينا عبر الحدود من إسرائيل، وإن كثيرا من قادة الحزب الشُّيُوعِيّ الأردني قذفوا علينا من إسرائيل بعد أن تتلمذوا وتدربوا عَلى أيدي دهاقنة الحزب الصّهيونيّ المضللين).] أهـ[١].

الشُّيُوعِيّون العَرَب وقضية فِلَسطِين:

رأينا فيما سبق أن التَّنظِيمات الشُّيُوعِيّة في العالم العربيّ، كلها أشرف عليه اليَهُوْد وسهروا عليها، وأما قادة الشُّيُوعِيّين الّذين ينتسبون إلى العروبة فقد تربوا عَلى أيدي دهاقين اليَهُوْد بعد أنّي غيروا عقولهم فأصبحت يهودية، وقد كانَ اليَهُوْد يعلقون آمالا كبيرة عَلى هَؤُلَاءِ التلاميذ وعلى التقدم الإشتراكية في المنطقة.

وفي سنة (١٩٤٨) كانَ الشُّيُوعِيّون العَرَب – من أبناء فِلَسطِين – يكتبون إلى موسكو: (إن جعل فِلَسطِين وطنا قوميا لليهود هو الطّريق الوحيد والوسيلة الناجحة لبلشفة العالم العربيّ).

وعندما كانَ قرار التقسيم، وبعد أن أعلنت روسيا عن تأييدها الصارخ للقرار، عاد الشُّيُوعِيّون العَرَب يؤيدون التقسيم، فقد أعلن السكرتير العام للشيوعيون العَرَب – خالد بكداش – قائلا: (الحُكُومَات الرجعية العربيَّة هيَ المسؤولة، لقد عارضت الإتحاد السُّوفيتيّ الصّديق حتَّى اللحظة الأخيرة ولم تخطب وده، صحح أن اليَهُوْد ليسوا أمة لكنهم شعب له حق الحياة).

ولقد كشف رفيق رضا (عضو قيادة الحزب الشُّيُوعِيّ اللبناني السّوري) الّذي انشق عَلى خالد بكداش وكان مساعدا له، فيقول: (كانت قيادة الحزب الشُّيُوعِيّ بمثل حماس ابن غوريون عَلى بعث الدّولة ليهودية في فِلَسطِين، فإسرائيل في نظرها واحة من واحات الدِّيمقراطيَّة في الشّرق الأدنى، والشعب الإسرائيلي المشرد لا بُدَّ وأن يلتقي في أرض الميعاد، وإن واجب التضامن الأممي في عرف القيادة المذكورة هو من صلب المبادئ الماركسية ولذا فوجود إسرائيل له في عرفها مبرراته الإنسانية الّتي تتخطى المبررات والوقائع القوميّة).

---

(١) (الذخائر: ٩٧٤- ٩٧٦).

ولقد عرف النّاس جميعا موقف الشُّيُوعِيّة المخزي تجاه إخوانهم من أبناء جلدتهم، فقد رموا العَرَب المشردين – الّذين يدافعون عن كيانهم وعن حياتهم ودينهم وأعراضهم – عن قوس واحدة، وهاجموهم واعتبرهم معتدين، وكانوا يصفون اليَهُوْد بأنهم مظلومين، وقد كانوا يعتبرون الدّفاع عن فِلَسطِين رجعية دينية ومؤامرة ضدّ اليَهُوْد.

ففي العراق قَالَ الشُّيُوعِيّون: (إن الشعب العراقي يرفض بإباء أن يحارب الشعب الإسرائيلي الشقيق).

وقال سكرتير الحزب في العراق (يوسف سلمان الملقب بفهد): (مرحبا بإنشاء دولتين عربيَّة ويهودية في فِلَسطِين واشترط لهما الإشتراكية والتَّحالف ضدّ الرجعية الدّينيّة العربيَّة).

وكتبت المنظّمة الشُّيُوعِيّة المصريَّة في (١٥) مايو سنة (١٩٤٨) تحت عنوان: (غزت جُيُوش البلاد العربيَّة فِلَسطِين): (وهذه الحَرب حرب رجعية تخدم البرجوازية العربيَّة وتكبت البروليتاريا الصاعدة (اليَهُوْد) الثّوريّة في فِلَسطِين).

وبعد قيام إسرائيل أخذ الشُّيُوعِيّون ينادون بالصُّلح معها، فقد كانَ الشُّيُوعِيّون يوزعون باستمرار مقالات (صموئيل ميكونيس) سكرتير الحزب الشُّيُوعِيّ الإسرائيلي الّتي كانَ ينشرها في جريدة (الكومنفورم) تحت عنوان (في سبيل سلم دائم).

وألقى فؤاد نصار (سكرتير الحزب الشُّيُوعِيّ الأردني سنة (١٩٥٧) محاضرة في الجفر قَالَ فيها: (أنّنا نعلم ويعلم الجميع بأن إسرائيل أمر واقع ودولة لها كيانها السّياسيّ والإقتصادي والعسكريّ، وإن اليَهُوْد شعب كباقي الشّعوب له حق الحياة، وأنا أعترف باليَهُوْد كدولة لأن الشّمس لا تغطي بغربال)

وبعد قيام الثَّورة الفلسطينية واشتداد عودها اندس الشُّيُوعِيّون في أوساطها وصاروا ينادون بمقالتهم (التفريق بين اليَهُوْدي والصّهيونيّ) وذلك لتمييع القضية الفلسطينية.

قالوا: نحن لا نقاتل اليَهُوْد الشرفاء إنما نقاتل الصّهيونيّة.

ولا ندري كيف نفرق في الميدان العام بين يهودي شريف؟! عَلى حد زعمهم وبين صهيوني، بينما يرى قادة المنظمات الصّهيونيّة أن كلّ صهيوني يهودي، بل صهيون يطلق عَلى الجزء الجنوبي من القُدس (جبل اليبوسيين)، ثمّ أصبح اليَهُوْد يطلقونه عَلى القُدس ويسمونها (ابنة صهيون) وفي التوراة (ترنمي يا ابنة صهيون، إهتفي يا ابنة أورشليم).

يقول هرتزل: (الصّهيونيّة هيَ العودة إلى حظيرة اليَهُوْدية قبل أن تصبح العودة إلى أرض الميعاد).

ويقول بن غوريون: (أنا يهودي أولاً وإسرائيلي بعد ذلك، لاعتقادي بأن دولة إسرائيل أوجدت لأجل الشعب اليَهُوْدي بأسره ونيابة عنه).

وأخذ قادة الثَّورة الفلسطينية ومنظماتها يثقفون الشَّبَاب الثّقافة الثّوريّة !! ثقافية ماو وجيفارا، وثورية لينين وستالين، وآراء ماركس وحياة كاسترو، لقنوا الشَّبَاب عشرين اصطلاحا يلفون ويدورون حولها، إمبريالية، برجوازية، ديماغوجية، بروليتاريا.

وظن الشَّبَاب أنهم قد ملكوا شيئا جديدا استبدلوه بدين الله – عَزَّ وَجَلَّ – واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وبالمقدّسات.

وأعلنوا الحَرب ضدّ الرجعية (دين الإِسْلَام)، إلى صِرَاع داخلي نقل إلى كلّ بيت بين الأخ وأخيه وبين الابن وأبيه، وبين الفتاة وأمها.

وصار مسؤلوا منظّمة الأنصار (الشُّيُوعِيّة) – الّتي ماسمعنا بها إلا من خلال الأوراق – يحضرون في مجمع النقابات سنة (١٩٦٩– ١٩٧٠) ويقولون: أعداؤنا (الإمبريالية الصّهيونيّة وليس اليَهُوْد الشرفاء!!).

واحتفلت الفئات الثّوريّة في أمانة العاصمة في عمان في (١٠) نيسان (١٩٧٠) أسبوعا كاملا بعيد ميلاد لينين المئوي، وما بقي مفرق طريق، ولا باب، ولا بقالة، ولا حانوت، إلا وألصقت عليه صور لينين العظيم !! – غارس دولة الإلحاد في الأرض –.

أما في قواعدهم فقد رأيناهم عن كثب، وأسماؤهم الحَركيّة أبو جهل، أبو لهب، وماو، وجيفارا، وهوشي منه.

أما سر الليل عندهم: فهو شتم الدّين الرب، وأما طعامهم: فقد كانوا يصطادون الكلاب ببنادقهم ثمّ يأكلونها، لأنه لا فرق عندهم بين الكلب والخروف، إذ دعوى التفريق خرافة رجعية جاء بها أحد الأعراب في الصَّحرَاء اسمه (محمّد ﷺ).

ولقد رأيناهم عندما كانَ الشَّبَاب المسلم المُجَاهد الّذي يحمل السّلاح، يرفع الأذان في التَّجَمُّعات الفدائية، كانَ أبناء لينين وماوتسي تونغ يصفقون ويلعنون ويرفعون أصواتهم قائلين:" **إن تسل عني فهذي قيمي أنا ماركسي لينيني أممي !**"

وصدق الله العظيم: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝٥٨﴾ [المائدة]

ولا يزال الشَّبَاب المسلم المُجَاهد الّذي يرزح تحت الأغلال في سجون إسرائيل – عندما يقوم الصّلاة – يعاني من الضجة الّتي يفتعلها الّذين يعملون لحساب جورج حبش ونايف حواتمة، وكم حصلت خلافات وصدامات بسبب تعرض أحد الشَّبَاب المسلم لماو أو لجيفارا أو للينين أو لماركس.

وبعد انتهاء العمل الثّوريّ في الأردن، رأينا بعض قادة اليساريين مثل جورج حبش يظهر مرّة أُخرى في (اليمن الجنوبية الدِّيمقراطيَّة) – أرض عاد – ينظم جامعات ومعاهد ولماو وماركس ولينين.

وعجبت كيف يتعاون الإنجليز مع دعاة القوميّة العربيَّة الشُّيُوعِيّين، لولا أنها جبهة واحدة سخرت لمحاربة الإِسْلَام وأهله.

(الصليب الإنجليزي يمكن للشيوعيين في اليمن ليرفع منجلهم و(شاكوشتهم) وتنظم طلائع القوميّة العربيَّة ممثلة بشخص جورج – اسمه ليس عربيا –) وذلك لترويع الشعب اليمني المسلم بفطرته، ولإرسال العبوات النّاسفة إلى اليمن الشمالية لهدم المنشآت وقتل الأطفال والبنات.

وأدركت عندها أبعاد المؤامرة العَالَمِيَّة ضدّ الإِسْلَام وأهله، أما القيم والأخلاق فليس لها أي اعتبار عند الثّوريّين الاشتراكيين، فكم من الرفيقات !! قد غرر بهن باسم فِلَسطِين وكنت تدخل قواعدهم – خاصّة – في مكاتب المدن كعمان، فتجد ذوات البنطال الضيق اللواتي ينمن عَلَى أنغام الموسيقى ويستيقظن عَلَى أوتار العود بين مجموعات الخنافس والهيبيين!!

وفي مظاهرة في الجامعة الأردنية سنة (١٩٧٩) كانت أصوات هَؤُلَاءِ ترتفع فتقول:



(مطالبنا شرعيّة خبز وحرية والشاب بجنب الصبية).

وقد رأيت أحد الشَّبَاب اقترب منهم وقد بدأت بعض النعرات الإقليمية تظهر، فقال هذا الشاب الطّيب لهم: أيها الإخوة أخاطبكم باسم الإِسْلَام، فقام له أحد المغرر بهم من الرفقاء الاشتراكيين الثّوريّين: (مطالبنا عَلى الكشوف رجعية ما بدنا يشوف) أي: لا نريد أن نرى الإِسْلَام]أهـ.[1]

****

(١) (الذخائر العظام: ٩٨٤- ٩٨٦)

هزائم العَرَب والمُسلِمين وتفككهم ومسيرهم نحو قعر الهاوية خلال النصف الثّاني من القرن العشري:

وهكذا شهد النصف الثّاني من القرن العِشرين استقلال الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة، وكان استقلالا شكليا مبرمجا لم يكن في حقيقته أكثر من عمليَّة تحول في أسلوب المحتلين المُستَعمرين إلى ما عرف باسم الإستعمار الحديث، حيث فتت الإستعمار العالم العربيّ إلى نحو ٢٢ دولة، وفتت العالم الإِسْلَاميّ إلى ما بلغ بمجموعه أكثر من ٥٥ دولة، وقد تسلط عَلى حكم تلك البلاد بترتيب دقيق ومباشر من الإستعمار، نماذج متعددة من أنظمة الحكم، فكان منها الأسر الو راثية المالكة، ولاسيما في مناطق الثّروات الطبيعيّة الكبيرة الهامة ولاسيما مناطق النّفط، وكان منها الأنظمة الديكتاتورية العسكريّة القمعية، ولاسيما في مناطق الحركة والنَّشَاط والوعي والثّقافة، كما في بلاد العراق والشّام ومصر، وكان منها أنظمة ديكتاتورية تسترت بالنّظام الليبرالي الغربيّ، وغير ذلك.

ولكن كلّ تلك الأنظمة ساست شعوبها بالقمع والظُّلم والقهر، ومارست عليهم سياسات الإفقار والتجهيل، والسير بهم نحو دروب الفسوق ونشر الفواحش، والتيه والضلال.

كما حكمت كلّ تلك الأنظمة بلا استثناء – بالقوانين الوضعِيَّة المستوردة من بلاد الغرب المُستَعمر كلا أو جزءا.

وخلال تلك الأعوام انحط العالم الإِسْلَاميّ إلى أسفل قائمة الدّول المتخلفة الّتي تعاني من

كم هائل ومتنوع من الأزَمَات، وبسبب ذلك، وبسبب ما أوجد الغرب في تلك البلاد من التّيارات الفكريّة والسّياسيّة المتعددة المشارب والأهواء بين فلسفات الشّرق الشُّيُوعِيّ الاشتراكي الملحد، وهرطقات الغرب الإباحي الليبرالي المتهتك، قام صِرَاع مرير عَلى السّلطة في كثير من تلك البلاد، وتمكنت كتل سياسيّة مناوئة للأنظمة الحاكمة من الوصول للحكم، وقدمت نماذج مغايرة عنها لم تكن أقل منها كفرا وظلما وتيها وانحلالا، واستمر مسلسل الضياع والأزَمَات.

كما دخلت كثير من الأنظمة المصطنعة حُرُوبا إقليمية فيما بينها، ولم يحل الدّين الواحد، ولا حتَّى روابط القوميّة بين الحكَّام وبين قيام تلك الحُرُوب، فحرب بين إيران والعراق، وبين العراق

والكويت، وبين اليمن والسّعُودِيّة، وبين السّعُودِيّة ومصر، وحُرُوب بين ليبيا وتشاد وبين الجَزَائِر والمغرب، وبين سوريا والأردن وبين سوريا وقوى متعددة في لبنان، ونزاعات حدودية بين إمارات الخليج، بين السّعُودِيّة وقطر، وبين قطر والبحرين، وقتال ضار بين النّظام الأردني والفلسطينيين، وبين النّظام السّوري والفلسطينيين، وبين القوى اللبنانية المختلفة والفلسطينيين، وتهديدات كادت تشعل الحَرب بين سوريا وتركيا، وبين سوريا والعراق، وبين السُّودَان واريتريا، وبينها وبين تشاد، إلى آخر تلك الصِّرَاعات والحُرُوب الّتي أهلكت مئات آلاف الأرواح وأفقرت البلاد والعِبَاد ولم يكن منها صِرَاع واحد يمكن اعتباره عَلى حق وبَاطِل، أو أن فيه رائحة من دواعي القِتَال الشَّرعيّ، وإنما قتال عَلى نزوات الملوك والحكام، لتكون العزة لفلان أو لعلان، من الجرابيع الحاكمة في بلاد المُسلِمِين.

وفي ظل هذه الأوضاع طمع الأَعدَاء فينا، فاحتل اليَهُوْد ثلثي فِلَسطِين سنة ١٩٤٨، بخيانة قيادات الجُيُوش العربيَّة السبعة، ثمّ احتل سنة ١٩٦٧ ما تبقى من فِلَسطِين والقُدس الشرقية والمسجد الأقصى المبارك، بالإضافة إلى أراض من سوريا ومصر ولبنان والأردن تزيد مساحتها عَلى ٥ أضعاف مساحة فِلَسطِين، كلّ ذلك بسبب خيانة الأنظمة في كلّ من سوريا البعث والنصيرية، ومصر عبد النّاصر والقومية العربيَّة، ونظام الماسوني العريق الملك حسين في الأردن، وفي سنة ١٩٧٣ حول النّظام النصيري في سوريا، ونظام الخَائِن أنور السادات النّصر العربيّ اليتيم الوحيد ضدّ اليَهُوْد إلى هزيمة عسكريّة ثمّ سياسيّة، في حرب رمضان الشهيرة بعد عبور القوَّات المصريَّة التّاريخي لقناة السويس تحت صيحات اللهُ أكبَر، والزَّحف الرائع للقوَّات السوريّة الّتي وصلت بحيرة طبريا وأنزلت قوَّاتها في مرتفعات الجولان.

ومنذ الاتفاقات الخيانية للرئيس السادات سنة ١٩٨٠م، ثمّ اتفاقيات فصل القوَّات بين سوريا الأسد النصيري وإسرائيل، ثمّ ما تلا ذلا من الخيانات الّتي تولى كبرها ياسر عرفات ومنظّمة التحرير الفلسطينية ثمّ ما سمي بالسلطة الوطنيّة الفلسطينية، خسر العَرَب كلّ شيء بما فيها أرضهم ومقدّساتهم بل وكرامتهم، أما م إسرائيل المدعومة من أمريكا وأوربّا، وأما في العالم الإِسْلَاميّ فقد قضمت قوى الكفر المختلفة كثيرا من بقاعه واحتلتها، فاحتلت الهند كشمير، واحتفظت روسيا

القفقاس والجمهوريّات وسط آسيا، وفقد المُسلِمُون استقلالهم وأكثر بلادهم في دول أوربّا الشرقية، وكذلك في العديد من الدّول الأفريقية وجنوب شرق آسيا.

وأما منذُ ١٩٩٠م، ومنذ تسلمت أمريكا راية العدوان وتحكمت في العالم واتخذت من الشّرق الأوسط (الكبير) وهم معظم العالم العربيّ والإِسْلَامي مجالا لغزواتها وطموحاتها الإمبراطورية ونهبها الاستعماريّ، فقد وصل العالم العربيّ والإِسْلَاميّ إلى قعر الانحلال والتفكك والهزائم وكان فاتحة ذلك، احتلال أفغانستان ودخول القوّات الأمريكيّة اليَهُوْدية الصّليبيّة المشتركة عاصمة الرَّشِيد (بغداد) في ابريل ٢٠٠٣.

وبالاختصار، فقد سجلت العقود السبعة الأخيرة تاريخا أسودا محزنا للعرب والمُسلِمين امتلأت فيه الأرض بين جور الحكّام وعدوان المُستَعمرين جورا وظلما وبلاءا وظلمات وهزائم وبلاءات لا يعلم مداها إلا الله.

جُذُور البلاء وأسباب الهزيمة:

قَالَ الشَّيْخ عبدالله عزام طيب الله ثراه:

لقد لخص ربّ العزة ﷻ أسباب الهزيمة في سطر واحد.

فقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴾ [المجادلة: ٢٠]

وقال تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]

وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٩]

وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣]

وفي الحديث الصَّحِيح الّذي رواه أحمد:

« بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[1].

إذن فخلاصة أسباب الهزيمة:

- **عصينا الله فهزمنا.**
- **نسينا الله فنسينا.**
- **تحدينا الله فأذلنا.**

وأضاف رحمه الله:

وأنا أسوق لك بعض أخبار العالم العربيّ خلال الستينيات والسَّبعينيَّات للإثبات:

---

(١) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصحّحه شاكر، والألبانيّ صحيح الجامع-(٢٨٣١) ولأطراف الحديث شواهد في البخاريّ.

اختطف الجيش السّوري، مدير مخابرات إربد (شمال غرب الأردن)، فبادره مدير استخبارات درعا (جنوب غرب سوريا) بشتم آل البيت، فقيل له ألا تستثني الرَّسُول الكريم: فأجاب هو عَلى رأس القائمة.

قَالَ أحد (الملاعين) قادة المنظمات الفلسطينية في الأردن، قبل فتنة أيلول الأسود: (لو امتدت إلينا يد الله لقطعناها) تَعَالَى الله عما يشركون.

عرضت في مصر سنة ١٩٦٧ مسرحيَّة اسمها (أصل الحكاية) ألفها (بكر الشرقاوي)، وكان بطلها (الله سبحانه) وتقول المسرحيَّة أن الإنسان خلق قبل الله، تَعَالَى الله عما يلحد الجاحدون.

الدبابات المصريَّة الّتي دخلت سيناء في حرب ١٩٦٧ كانَ مكتوبا عليها (ناصرنا ناصر) ! أي الّذي سينصرنا هو (جمال عبد النّاصر) ! بينما كتب اليَهُوْد عَلى دباباتهم نصوصا من التوراة.

بتاريخ (٢٤/ ١/ ١٩٦٥) دخلت الدبابات لأول مرّة في تاريخ دمشق مسجد بني أمية بالمصلين فاستشهد منهم مائتان وأغلق الجامع أيّاما لإزالة ما علق بستائره ومحرابه من دماء المُسلِمِين.

وفي ذلك اليَوْم قَالَ مذيع دمشق (أنّنا لن نسمح لمن كانوا يعيشون في هذه البلاد قبل ألف وأربعمائة سنة أن يفرضوا علينا أنظمتهم القديمة وأن يضعوا لنا أسس حياة نعيشها في هذه العصر).

في مدينة جنين / الضفة الغربيّة/ فِلَسطِين قامت مظاهرة خرجت من مدرسة جنين الثانوية وهجموا عَلى دار الإخوان وأخرجوا المصاحف والتفاسير ومزقوها وداسوها بالأقدام عَلى طول الشارع العام وذلك في شهر نيسان سنة (١٩٦٧) قبل الهجوم بشهرين.

عندما أعدم جمال عبد النّاصر المفكر الإِسْلَاميّ سيد قطب ﵀ وزع أهل مدينة نابلس / فِلَسطِين الكنافة احتفاء بهذا النّصر.

قالت لي إحدى المثقفات وهي تناقشني: عمر بن الخطاب لم يعمل مثل عبد النّاصر فغضب زوجها وقال: والله إن محمّدا لم يعمل مثل عبد النّاصر.

كانت كلمة (سر الليل) في بعض قواعد الجبهة الدِّيمقراطيَّة في الأردن سنة (١٩٦٩) ؛ سب الرب، وشتم الدّين، وعلى سبيل المثال قاعدة (حرثا).

في تجمع للفدائيين في قرية (الرام/ إربد/ الأردن) سنة (١٩٦٩) عندما كانَ الشَّبَاب المسلم (الإخوان المُسلِمُون) يؤذنون للصلاة يصطف مقابلهم الجبهة الشعبيَّة الدِّيمقراطيَّة / نايف حواتمة والجبهة الشعبيَّة / جورج حبش ينشدون:

إن تسل عني فهذي قيمي أنا ماركسي لينيني أممي

وقد رأيت هذا بنفسي.

١) (ليلي خالد) تسمَّى مجموعتها مجموعة (جيفارا) وتعلن في صحيفة لبنانية أنها (ماركسية) وأنها أكبر من أن تؤمن بالله لأنها سخافة.

٢) أعلنت (فدوى طوقان) في صحيفة إسرائيلية أنها تنكر وجود الله: فتقول لها الكاتبة الإسرائيلية (لهذا بنينا وهدمتم... وغلبنا وانهزمتم)

٣) يقول سعد جمعة: (في يدنا وثائق تثبت أن المخابرات الأمريكيّة والبريطانيَّة كانت وراء إنقلاب البعث في العراق في (١٧) أيلول سنة (١٩٦٨) وكان همزة الوصل مع المخابرات الأجنبيّة هو العميل الشهور (لطفي العبيدي) وكان العبيدي عَلى اتصال مستمر بعدد من البعثيين وفي طليعتهم أحمد حسن البكر).

٤) يقول هيكل في عدد الأهرام (١٥/ ١/ ١٩٧١): وهو يستعير لسان الأديب الفرنسي مالرو: (لدي تصوُّر عن انتشار الإِسْلَام في مصر بسرعة، وإن مصر دائما تبحث عن فرعون يمثل سمو روحها... إن الإِسْلَام لم ينتشر بسرعة بعد الفتح العربيّ، لكنه انتشر بسرعة بعد الخِلافَة حين أصبح الخَليفَة – بالسلطان الزَّمنية والروحية في يده – فرعونا يلبس بدل التاج عمامة)

٥) كتبت جريدة البعث العراقي – في أول مرّة استلم فيها البعث لعراق عن ميشيل عفلق (الله العائد) وقال شاعرهم:

ياسيدي ومعبدي وإلهي حسبي ألم فتاتكم حسبي.

٦) قَالَ إبراهيم خلاص في مجلة (جيش الشعب السوريّة) في (٢٥/ ٤/ ١٩٦٧) (قبل الهزيمة بشهر واحد):

(والطريق الوحيد لتشييد حضارة العَرَب وبناء المجتمع العربيّ هيَ خلق الإنسان الاشتراكي العربيّ الجَدِيد الّذي يؤمن: أن الله والأديان والإقطاع ورأس المال الإستعمار والمتخمين وكل والقيم الّتي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمي محنطة في متاحف التّاريخ).

٧) كتبت عناصر الوحدات والسَرايا والحزبيون – التَّابعون للسلطة في سوريا – لافتات تقول مايلي: (يسقط الله) (الأسد ربنا) (لا إله إلا الوطن ولا رسول إلا البعث)

كانَ هذا في رجب سنة (١٤٠٠هـ) الموافق أيار سنة (١٩٨٠م).

وأظن أن هذا النقل من هذا الغثاء يكفي.

وأنقلك إلى صفحة أُخرى عن أعدائنا – ليهود –.

١- تقول ابنة دايان في كتابها (جندي من إسرائيل): لقد كانت فرائصنا ترتعد عندما سمعنا أن العدوّ عَلى الجبهة الجنوبية ولكن عندما جاء الحاخام وصلى بنا تبدل الخوف أمنا.

(**وتقول:** إن مراسيم الطقوس • في التوراة – أن يقدم للجنود يوم السبت معلبات، وعندما أحضروا لنا طعاما طازجا مطهيا قبل المَعْرَكة – يوم السبت – (٣/ ٦/ ١٩٦٧) رفض الجنود الأكل فأفتى لهم الحاخام الأكبر جواز هذا أثناء الإستنفار).

٢- تقول جولدا مائير (إن أساس قوتنا الوحيد هو ارتباط كلّ يهودي في الدُّنيَا بنا ارتباط العَقِيْدَة)

٣- حضر ابن غوريون وزلمان شازار تشييع جنازة تشرشل وكان اليَوْم – السبت – فسارا عَلى أقدامهما حوالي ٦ كم لأن ركوب السيارة ممنوع عندهم يوم السبت، مع أنهما قد بلغا من العمر عتبا.

٤- كتب ابن غوريون إلى ديجول – رئيس وزراء فرنسا – سنة (١٩٦٧) يقول: (إن سر بقائنا بعد التدمير البابلي والرُّوماني وحقد المسيحيين الّذين أحاطوا بنا ألف عام يكمن في صلاتنا الروحية بالكتاب المقدّس، وعندما جاءت اللجنة الملكية البريطانيَّة في آخر سنة (١٩٢٦) لتدرس مستقبل الانتداب قلت لها: الانتداب الخاص بنا هو التوراة، لقد استخرجنا منه قوتنا لنقاوم عالما عاديا ولنستمر في الإيمان بعودتنا إلى بلادنا).

٥- وفي الصفحات الأخيرة من مذكرات وايزمن – وهو ما يعتبر توصية عامة لإسرائيل – هدفنا هو بناء حضارة تقوم عَلى المثل الصارمة للآداب اليَهُوْدية عن تلك المثل يجب أن لا نحيد، فإذا استهدف اليَهُوْد في نشاطهم قيما حقيقية، عندما يطل الله بعطف عَلى أبنائه الّذين عادوا بعد تيه طويل إلى بيتهم ليخدموه وعلى شفاههم مزمور، محيين بلادهم القديمة وجاعليها مركز حضارة إنسانية).

٦- عندما دخل دايان القُدس سنة (١٩٦٧) قَالَ: يا لثارات خيبر، وقال الجنود الإسرائيليون وأنا سمعت أصواتهم مسجلة من الإذاعة الإسرائيلية: محمّد مات، محمّد مات، وخلف بنات.

٧- لقد رفض الحاخام أن يكتب عقد قران (ابنة ابن غوريون) رئيس وزراء إسرائيل لأن أمها ليست يهودية، والتوراة تعتبر النسب للأم.

٨- يقول بيغن أثناء لقاء مع السادات حول الضفة الغربيّة: (أنا رجل مؤمن بالتوراة، رباني الأب الروحي جابوتنسكي – كما ربى حسن البنا عندكم سيد قطب، وأنا أعتبر الانسحاب من الضفة الغربيّة مخالفة للتوراة ولمبادئي الروحية)

حدثني هذا الإخوة عن إخواننا في المنطقة المحتلة سنة (١٩٤٨) الّذين قاموا بترجمتها من العبرية.

قَالَ ابن غوريون عندما دخل القُدس سنة (١٩٦٧) (هذا أعز يوم علي منذُ دخولي أرض الميعاد)

بعد احتلال القُدس (١٩٦٧) جاء ليفي اشكول يحمل ورقة صغيرة كتب فيها أمانيه ووضعها في شق من شقوق حائط المبكى (حائط البراق للمسلمين) كما تفعل العجائز عندنا.

١١- في مقابلة إذاعية مع جندي إسرائيلي في جبهة السويس صيف سنة (١٩٦٩) يقول المذيع له: أنت شاب في العِشرين من عمرك وقد قدمت إلى إسرائيل بعد حرب الأيّام الستة من كاليفورنيا فما الّذي حفزك ؟ قَالَ الشاب: لقد حفزني ديني ودفعني إيماني للمجيء إلى الأرض المقدّسة لأحقق رسالة الأنبياء والسعادة الّتي أحسها في الدّفاع عن معتقداتي الدّينيّة لا تعدلها سعادة في الدُّنيَا.

١٢- لقد أحيت إسرائيل اللغة العبرية – لغة التوراة – بعد أن درست منذُ ثلاثة آلاف عام – فأسماء: الهستدروت، الكنيست، إيلات أصبحت هيَ أسماء مؤسسات ومدن.

١٣- هل عرفت بعد هذه المقارنة لماذا انتصر اليَهُوْد ؟ ولا يغر البعض قوله: أنّنا مسلمون أفضل من اليَهُوْد عَلى أية حال، فقد كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص ﵁: (أما بعد، فإني أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله عَلى كلّ حال، فإن تقوى الله أفضل العدة عَلى العدوّ.... فإن ذنوب الجيش أخوف من عدوهم، وإنما ينصر المُسلِمُون بمعصية عدوهم لله... فإن استوينا وإياهم في المعصية كانَ لهم فضل في قوة... وإن الله سلط المجوس الكفّار عَلى اليَهُوْد وهم أهل الكتاب)]أهـ.[1] انتهى النقل من كلام **الشَّيْخ عبدالله عزام** ﵀.

****

(١) (الذخائر: ج١/٩٥٥ ـ ٩٥٨).

النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد ١٩٩٠ وانطلاق الحملات الصّليبيّة الثّالثة بقيادة أمريكا

استتب الأمر للغرب بالسّيطرة عَلى مقدرات العالم الإِسْلَاميّ، ونجحت خطته في تولية أوليائه مسؤولية رعاية شؤونه دون أن يتكبد أي خسائر، وامتصت الاحتكارات الأمريكيّة والأوربية الكبرى زبدة خيرات بلادنا وثرواتها دونما رقيب ولا حسيب ودون أي بادرة مقاومة، وانهار الإتحاد السوفييتي بعد غلطته التارِيخِيَّة في أفغانستان كما رأينا، وأعلن رؤساء حلف النّاتو أنهم اختاروا الإِسْلَام عدو استراتيجيا بديلا، وآتت الحملات الدّولية والإقليمية لمكافحة الإِرهَاب بعيد الجِهَاد الأفغاني ضدّ الرُّوس أكلها، وتشتت كوادر التّيار الجهاديّ وتنظيماته وتحقق للغرب ما يريده من تفكيكها وحوصرت الصّحوة الإِسْلَاميّة السّياسيّة ودجنت أحزابها وادخلت في متاهات اللاجدوى ودروب الإنحراف، واستتب الوضع لإسرائيل وانخرط الثّوريّون الفلسطينيون في مسارات أوسلو! وأفتى علماء المُسلِمِين الكبار بشرعيّة الوجود الأمريكيّ في الجَزِيرَة العربيَّة! كما أفتو بشرعيّة التطبيع مع الإحتلال اليَهُوْدي لفلسطين وبيت المَقْدِس!!

فلم يكن هناك فيما يبدو أي سبب ظاهر يدعو الغرب للعودة إلى أسلوب الحملات العسكريّة عَلى المُسلِمِين، ولكن المفاجأة كانت في أن الغرب بقيادة أمريكا وتبعية بَرِيطَانيَا وأوربّا النّاتو وروسيا قد قرروا الزَّحف عسكريّاً عَلى العالم الإِسْلَاميّ عامة وعلى الشّرق الأوسط خاصّة، فيما يبدو وكأنه عمليَّة إعادة احتلال مباشر جديد، وسيكس بيكو أمريكية بَرِيطَانيَة صليبيّة جديدة.

فلماذا أقدم الغرب عَلى هذه الخطوة؟ علما أن غنائمه كانت تصل باردة بلا عناء ولا دماء يتكفل بإيصالها زعماء العَرَب والمُسلِمين!

في رأيي يعود ذلك إلى عدّة أسباب، منها ما يتعلق بالصّليبيّين وقيادتهم الجَدِيدة أمريكا وحلفائها، ومنها ما يتعلق باليَهُوْد ومشروعهم الصّهيونيّ في إسرائيل، ومنها ما يتعلق بما استجد من ظروف عالمنا الإِسْلَاميّ وصحوته الجهاديّة، واختصر ذلك في النقاط التّالية:

أسباب الحملات الصّليبيّة الثّالثة عَلى العالم الإِسْلَامِيّ منذُ ١٩٩٠م:

أولا: الاسباب المتعلقة بالرُّوم الجدد (أمريكا – أوربّا – روسيا):

التدهور الاقتصاديّ والركود والتضخم وتراجع الواردات المالية في العالم الصناعي الغربيّ بشكل حاد، نتيجة أسباب كثيرة أهمّها تقلص العائدات الاستعماريّة من العالم الثّالث نتيجة صَحوَة الشّعوب وإدراكها لقيمة ثرواتها ونشوء بعض الأنظمة الوطنيّة الّتي تعمل عَلى سد أوجه الفقر في بلادها ووقف نزيف النهب من مخزونها الوطني نحو الغرب الإستعمار، كما عانت الحضارة الغربيّة نتيجة الترف ورفاه العيش من تراجع القطاع المنتج في المجتمع في مجالات الزراعة والصناعات الأساسيّة عَلى حساب توسع هائل في مجالات الشرائح المستهلكة غير المنتجة من الحرف الكمالية، (الفنون – الأمن – البحوث – التجار – الرِّيَاضيين...الخ) كما تراجع الميزان التجاري نتيجة عجز الدّول الفقيرة عن استهلاك ما تنتجه الدّول الغنية وانخفاض قدرات الشراء لديها وبالتالي انخفاض قدرة الغرب الصناعي عَلى التصريف، كما أن هناك عاملين قاتلين نخرا في بنية الحضارة الغربيّة اقتصاديا واجتماعيا، أطنب كثير من البحاثة والكتاب الغربيّين فيهما مؤخرا بجرأة وصراحة ودقوا لها ناقوس الخطر وهما (تفشي الربا في كلّ مفاصل الاقتصاد الغربيّ) وكذلك (عمل المرأة في مجالات عمل الرّجال وإخلائها لموقعها في المنزل) فقد تحقق للاقتصاد الغربيّ بسبب (الربا) ما بشر الله من أعمل به من(المحق) كما قَالَ تَعَالَى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، فالاقتصاد الغربيّ ومعظم العَالَمِيّ يصير إلى (المحق) عمليا، كما خلف عمل المرأة انتشار البطالة في أوساط الرّجال، وكذلك أدى إلى دمار البنية الاجتماعيَّة للأسرة وتراجع الاقتصاد، كلّ هذا وغيره جعل الدّول الاستعماريّة وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا بحاجة إلى رفع وارداتها الاستعماريّة لسد عجزها الاقتصاديّ عن طريق السّيطرة عَلى منابع الثّروة ولاسيما منابع الطاقة (البترول والغاز) في الشّرق الأوسط الخليج العربيّ الفارسي ومحيط بحر قزوين، وحتى تستطيع أمريكا أن تسيطر عَلى عصب الاقتصاد العَالَمِيّ وبالتالي تستنزفه لصالح اقتصادها.

١. **سحر القوّة الّذي سيطر عَلى الإدارة الأمريكيّة وجنون الحلم الإمبراطوري:**

تضخمت القوّة العسكريّة الأمريكيّة بشكل هائل، حتَّى غدت بمفردها أكبر من مجموع قدرات النّاتو وروسيا مجتمعة بحسب تقارير مراكز الدراسات الاستراتيجيّة العَالَمِيّة، كما تقدمت قدراتها التكنولوجية بشكل مذهل جعل منها قوة أسطورية لا تنازع ولاسيما في مجال القدرات الجوية والصواريخ العابرة والسّيطرة عَلى أنحاء الأرض بالقدرات التجسسية الهائلة للأقمار الصناعية وقدرتها عَلى توجيه الرمايات الصاروخية والجوية والبحرية، وبامتلاكها لأضخم ترسانة نووية في العالم.... كلّ ذلك ولد بشكل طبيعي لدى الإدارة الأمريكيّة الحلم بالانفراد بحكم العالم وقد طفحت كتابات منظريها بذلك حتَّى قبل القضاء عَلى الاتحاد السوفييتي ربما بعقدين من الزَّمن حيث تبنوا ونظروا للإنفراد بحكم العالم والتخطيط لأن يكون القرن الحادي والعشرون قرنا أمريكيا وأن تقود أمريكا حضارة الرُّوم وترث أمجادها وتغزو العالم، وكان من الطبيعي أن تفكر أمريكا من أجل تركيع حلفائها ودحر خصومها بالإمساك بشريان الحياة وعصب الحركة للعالم الصناعي وذلك باحتلال منابع النّفط وامتلاكها مباشرة، والسّيطرة عَلى المعابر الاستراتيجيّة للعالم ونشر قوَّاتها في كافّة أرجائه ومنع نهوض أي قوة مناوئة لها وامتلاكها لأَسْلِحة دمار شامل استراتيجية، هذه القناعات الّتي تبلورت أواخر القرن العِشرين لدى مجموعة من المنظرين والساسة في الحزب الجمهوريّ ممن أسموا أنفسهم (المحافظون الجدد)، والّذين تبنوا لسوء الحظ عقائد الحلم الصّهيونيّ وقيام إسرائيل واجتماع اليَهُوْد فيها كمقدمة لنزول المسيح بعد حرب كونية مع المُسلِمِين... إلى آخر ترهاتهم الّتي تختلط فيها أساطير الدّين بأحلام الاستعمار.

٢. **سعي الدّول الأوربية وروسيا لمعاونة أمريكا خوفا وطمعا بالإضافة للدافع العقدي الصّليبيّ المتجذر لدى جميعهم**: فالخوف من أن تمتلك أمريكا وحدها فعليا منابع الطاقة ومصادر القوّة وأن تتحكم بها، وطمعا في ما يمكن أن تجره لها المشاركة من مكاسب ترقع بها اقتصادها المنهار، جعلها تشارك جميعا في حرب الخليج الثّانية بفاعلية، وبلغت نسبة المشاركة الأوربية ما لا يقل عن ٢٥٪ في حين شاركت بَرِيطَانيَا وحدها بـ١٥٪ وزادت نسبة الأمريكان في القوَّات الّتي بلغت مليون جندي عَلى ٥٥٪، حيث أسفرت حرب (عاصفة الصَّحرَاء) أو (تحرير الكويت) كما

أسموها عن تدمير العراق وجيشه وترسيخ أقدام بَرِيطَانيَا وأمريكا في قلب المنطقة العربيَّة والإِسْلَاميّة سنة ١٩٩١، كما شاركت أوربّا وفرنسا وبريطانيا والفاتيكان بصورة رئيسيَّة بالحَرب الصّليبيّة عَلى المُسلِمِين في البوسنة (١٩٩٤-١٩٩٦) من أجل توحيد الدّين في القارة الأوربية الساعية إلى الوحدة عَلى الهويّة الصّليبيّة، أما روسيا فقد تولت فصلا صليبيا مستقلا في الشِّيشَان القفقاس منذُ (١٩٩٤) وإلى اليَوْم حيث ما زال المسلسل الدموي يجري بمشاركة أوربية أمريكية بالدعم بالصمت أو بالمواقف السّياسيّة والإعلاميَّة، إلى أن حملت أمريكا حملتها الكبرى عَلى العراق في حرب الخليج الثّالثة الّتي أسموها (حرية العراق !) والَّتي قامت بها أمريكا وبريطانيا بمشاركة لوجستية فاعلة من قبل كامل دول النّاتو رغم الموقف الفرنسي الألماني والرُّوسي المعارض الّذي ما لبث أن لحق بالركب الاستعماريّ من أجل حصة في كعكة العراق حيث اعترفوا بالإجماع بحالة الاحتلال الأمريكيّ للعراق في مجلس الأمن ثمّ تابعوا التدحرج نحو المسار الأمريكيّ عَلى استحياء خف مع الوقت ليصير إلى الوقاحة الصريحة، وهكذا حضرت الحملات الصّليبيّة بسبب هذا الدافع الذاتي.

ثانياً: نضوج المشروع الصّهيونيّ واقتراب اليَهُوْد من موعد هدم المَسجِد الأقصى وإعلان مملكة إسرائيل الكبرى بحسب الأحلام التلمودية:

لم يخف كبار زعماء الصهاينة في كتاباتهم ومقابلاتهم حلمهم الأكبر وهو إقامة إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل، ولم يستحوا من إعلان عزمهم عَلى هدم الأقصى وإقامة هيكل سليمان المزعوم عَلى أنقاضه، كما لم يخفو عزمهم عَلى إقامة دولة يهودية صرفة وما يقتضيه ذلك من طرد ما تبقى من المُسلِمِين والعرب من أرض فِلَسطِين.

وبعد أن دجنت إسرائيل بالتّعاون مع أمريكا أنظمة الحكم في الجوار أو ما يسمى بدول الطوق وتمكنت بواسطة السادات من تفكيك الجيش المصري واختصاره لأقل من الثلث عدديا وتسليحا وبعد أن كفل لهم الملك الحسين الخَائِن حاكم الأردن وولده من بعده أطول حدود لهم مع الجوار، وتكفل النصيرية في سوريا أيضا بتفكيك الجيش السّوري أكبر جُيُوش المنطقة وأشدها تسليحا

تدريجيا، وضمن نصارى لبنان أمان حدودها الشمالية، انتقل اليَهُوْد لمرحلة فرض التطبيع السّياسيّ والإقتصادي والثقافي عَلى الدّول العربيَّة بل وطمحوا لأن يشمل ذلك العالم الإِسْلَاميّ، ولم يبق في المنطقة من القوى العسكريّة العربيَّة إلا العراق ومن القوى الإِسْلَاميّة إلا الباكستان فوضع اليَهُوْد نصب أعينهم هدف تدمير الجيش العراقي أولا، ثمّ الباكستاني ولما كانوا لا يستطيعون ذلك بأنفسهم كانَ لا بُدَّ من استقدام الجُيُوش الصّليبيّة ولاسيما الجيش الأمريكيّ ليقوم بالمهمة كما أن اليَهُوْد بما فطروا عليه من ذل ومسكنة وخوف وجبن لا يطمئنون لجيشهم المتفوق عددا وتسليحا عَلى مجموع ما تبقى من قوة عسكريّة في دول الجوار حتَّى مع وجود أكثر من ٢٥٠ رأس نووي جاهز لتدمير ما يريدونه من أهداف من حولهم، فهم يخشون أن تتمرد الشّعوب العربيَّة والإِسْلَاميّة عَلى صنائعهم الحاكمة في عواصم العَرَب والمُسلِمين ويجدون أنفسهم بملايينهم الستة محاطون بمئات ملايين الشّعوب الغاضبة الّتي تناصبهم العداء وتحمل من الأحقاد المقدّسة ما يكفي لسحقهم إن اتيحت الفرصة لتلك الشّعوب، ولذلك عمل اليَهُوْد عَلى استقدام جُيُوش النّصَارى لترابط في المنطقة وتبقى وتعمل عَلى تفتيت دولها إلى كيانات أصغر وتفتعل حُرُوبا داخليَّة مذهبية وعرقية تضمن الاستقرار والسيادة والتفوق العسكريّ بل تضمن أن تكون إسرائيل هيَ الدّولة الوحيدة الّتي تمتلك جيشا في المنطقة، ولم يكن هذا الهدف صعبا عَلى الصهاينة بعد أن أدت دسائسهم ومكرهم وأعمال الاختراق والتجسس وشراء الذمم والتغلغل بالأسلوب اليَهُوْدي عَلى مدى نصف قرن، أدت إلى سيطرة اليَهُوْد عَلى حكومة أمريكا وحُكُومَات معظم دول النّاتو، وتشير الإحصائيات إلى نسبة عالية مخيفة من الوزراء وأعضاء الحُكُومَات وأعضاء البرلمانات والأجهزة النافذة والأحزاب السّياسيّة الرَّئيسيَّة وكافة وسائل الإعلام العَالَمِيّة وأجهزة السينما والإنتاج التلفزيوني والصّحف، كلهم يهود أو أولاد أو أزواج ليهوديات، وهذا يعني يهود يتهم بحسب عَقِيْدَة الّتي تعتبر أبن اليَهُوْدية يهودي، هذا فضلا عن سيطرتهم التَّامَّة عَلى النّظام المصرفي والمؤسسات المالية الكبرى في العالم وتحكمهم في الأمم المتحدة وما ينبثق عنها من مؤسسات، لقد وصل اليَهُوْد إلى ما ذكره القرآن من العلو الكبير وها هم يفسدون في الأرض كيف يشاؤون، واستطاع أحبار اليَهُوْد المتسللون إلى النّصرانية ولاسيما للمذهب البروتستانتي السائد في



أمريكا وبريطانيا، أن يخترعوها ويؤسسوا في أمريكا مذاهب ومنظمات كنسية صليبيّة متطرفة تقوم عَلى ازدواجية المصدر العقدي بحيث تكون العَقِيْدَة في الولايات المتحدة الصّهيونيّة وآمال إسرائيل وأحلامها وأفضلية شعبها المختار، حتَّى بلغ أنصار هذه المنظمات والكنائس عشرات الملايين وصارت مواردها المالية بالمليارات وما أصبح تملكه من شبكات التلفزيون ووسائل الإعلام ما يجعلها إمبراطورية طاغية مكنت اللوبي الصّهيونيّ من أن يتلاعب بالكونغرس والانتخابات الأمريكيّة كيفما أحب، وهكذا ظهر المنظرون الجدد في السّياسة الأمريكيّة في الحزبين الديمقراطي والجمهوريّ وخاصة في الثّاني وتولوا دعم بَرَامج إسرائيل الّتي اقتربت من تحقيق أهدافها، وهكذا ساق اليَهُوْد الجيش الأمريكيّ وجُيُوش أوربّا الصّليبيّة ليحتلوا الشّرق الأوسط ويفتتحوا ذلك بتدمير آخر الجُيُوش المتبقية وهو الجيش العراقي عبر حرب ١٩٩١م وحرب ٢٠٠٣م، فيثأروا لليهود من العراق وأرض بابل بحسب معتقداتهم ويثأروا لمرحلة الأسر البابلي ويذيقوا أحفاد أولئك الأجداد أبشع ألوان الذّلّ والهوان كما ضمنوا تفكيك العراق وسحق قدراته، وتجدد الضغط باتجاه سوريا الّتي ألغي فيها نظام التَّجنيد الإلزامي لأول مرّة في تاريخها منذُ الاستقلال مما سيقلص عدد الجيش السّوري الّذي يناهز مليون جندي إلى أقل من ٢٠٪ منه ليقوم عَلى المتطوعين الّذين تتكون غالبيتهم السَّاحقَة من النصيرية وأبناء الأقليات الدّينيّة الأخرى ويبقى المُسلِمُون السنة وهم الغالبيّة السَّاحقَة من سكان سوريا أكثرية غير مسلحة يسلخ اليَهُوْد وعملاؤهم جلدهم متى شاؤوا، كما تتجه أنظار أمريكا علنا لتفكيك وتقسيم تركيا والباكستان والسّعُودِيّة ومصر، وتنشر في الشّرق الأوسط الادنى وهو ما يسمونه منطقة العمليَّات الوسطى أكثر من ٥ , ١ مليون جندي أمريكي يرابط نحو مليون منهم في البلاد العربيَّة من بغداد إلى طنجة منهم نحو الثلثين في منطقة الشّرق الأوسط !!! وهكذا كانت الاسباب الصّهيونيّة أساسية في حضور الصّليبيّن، وإعلام بوش هذه الأيّام إطلاق مشروع ما أسماه (الشّرق الأوسط الكبير).

ثالثا: أسباب متعلقة بظروف العالم الإِسْلَاميّ:

كما سيأتي التفصيل في الفَصلين التاليين عن مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة الجهاديّة، فقد أدى نشاطا لصحوة الإِسْلَاميّة الّتي سارت في محاور ثلاثة دعوية/ سياسيّة / جهاديّة مسلحة، إلى أن تكون شبحا مرعبا يهدد مصالح الصّليبيّيّن والمشروع الصّهيونيّ في المنطقة، فقد انتشرت الأحزاب الّتي تبني المشروع الإِسْلَاميّ واستطاعت أن تكون كتلا نيابية كبيرة في عدد من برلمانات الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة، بل بعضهم أن يشكل الحُكُومَات كما في تركيا أو كاد كما في الجَزَائِر، كما أدى النَّشَاط الدعوي لمختلف مدارس الصّحوة إلى أسلمة قطاعات كبيرة من المجتمع ولو عاطفيا، ولكن الأخطر من ذلك أن قمع السُّلطات لمختلف مجالات الصّحوة السّلميّة والّذي كانَ ترتيبا لحصار الصّحوة أدى إلى امتداد الصّحوة الجهاديّة وازدياد منجزاتها وخبراتها ولاسيما بعد نضوج كوادرها وتضخمها من خلال تجربة الأفغان العَرَب الأولى في أفغانستان (١٩٨٤-١٩٩٢)، فقد شكلت الظَّاهِرة الإِسْلَاميّة تهديدا حقيقيا للأنظمة العربيَّة والإِسْلَاميّة وأصبح الصّليبيّون غير مطمئنين إلى حسن أداء تلك الأنظمة الّتي أقاموها في المنطقة ولا إلى مصيرها ورغم نجاح هذه الأنظمة في قمع كافّة مدارس الصّحوة وإيصالها إلى الفشل في تحقيق أهدافها وإدخالها في ضحضاح الأزمة عمليا، إلا أن الغرب بما درس من تكويننا الحضاري يعلم مدى خطورة الجذوة الكامنة تحت الرماد الساكن حاليا، ورأى أن وجوده العسكريّ الفعلي هو خير ضامن لمصالحه، وأن عليه أن يقوم بتنفيذ سيكس بيكو جديدة تقسم المقسم وتجزئ المجزأ من هذه الكيانات وتضمن بحسب ما يتخيل مصالحه بنفسه وبحراسة حراب جنوده.

وهكذا تضافرت الأسباب الثّلاثة لأن تزحف تلك الحملات الصّليبيّة الثّالثة وتجتاح الشّرق الأوسط من جديد.

****

محطات الحملات الصّليبيّة الثّالثة (١٩٩٠-٢٠٠٣):

١- حرب العراق الأولى (عاصفة الصَّحرَاء - حرب تحرير الكويت):

افتتحت أمريكا حملاتها الصّليبيّة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي (١٩٩٠م) مباشرة بتنفيذ برنامجها الّذي أعدت له من أواسط السبعينات وشكلت من أجله آنذاك قوَّات التدخل السريع للسيطرة عَلى منابع النّفط وتحدثت العديد من الدراسات والكتب في حينها عن سيناريوهات افتعال تهديد لدول الخليج إما من العراق أو إيران لتبرير التدخل الأمريكيّ.

وفعلا وكما صار معروفا في وسائل الإعلام فقد تمَّ استدراج صدام حسين عن طريق السفيرة الأمريكيّة في بغداد وإغرائه باحتلال الكويت، وكان الجيش العراقي قد بلغ مستوى رفيعا بعد حرب الخليج الأولى مع إيران (١٩٧٩-١٩٨٧)، ومنذ ذلك الحين ضربت القوَّات الأمريكيّة والبريطانيَّة بجرانها في المنطقة، وكما ذكرت آنفا في مطلع البحث فقد قدمت حُكُومَات الدّول العربيَّة وعلى رأسها السّعُودِيّة ودول الخليج والمغرب والباكستان وسوريا والأردن ومصر وتركيا مشاركة فعالة، فقاتلت جُيُوشها الجيش العراقي تحت القيادة الأمريكيّة، ولكن العامل الأبرز في تحولات معادلة القوى في الحملات الصّليبيّة الثّالثة كانَ في دخول الأجهزة الدّينيّة الرَّسميَّة ومؤسسات علماء السُّلطَان وقسم كبير من قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة إلى جانب هذا الحلف بقيادة أمريكا، حيث دفع بهم الحكَّام الخونة إلى إصدار الفتاوى الّتي تضفي الشَّرعيَّة عَلى حضور الصّليبيّين وتمركزهم في جَزِيرَة العَرَب وسيطرتهم عَلى عقر دار الْمُسلِمِين، ولكن أدهى ما في هذا الأمر هو انزلاق المدجنين والفاسدين من بعض قيادات الصّحوة إلى التوقيع عَلى فتاوي تشرع لذلك وذلك نتيجة دخولهم عبر بوابات الدِّيمقراطيَّة ليصبحوا جزءا من السُّلطات الرَّسميَّة في حُكُومَات الرِّدَّة، فكانت هذه الفتنة جزءا من الثَّمن الّذي يدفعه المتخوضون في مستنقعات السّياسة اللاشرعيّة أنهم تجاوزوا ما روي عن رسول الله ﷺ:

«مَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا»[1].

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩) وأحمد (٩٦٨٣، ٨٨٣٦) وضعفه الأرنؤوط، وحسنه الألباني - الصحيحة (١٢٧٢).

وسحقت القوَّات الأمريكيّة الجيش العراقي وخلفت أكثر من ٣٠٠ ألف قتيل بين المدنين والعسكريّين ودمرت البنية التحتية للعراق الّتي بنيت عبر نصف قرن من الإستقلال ثمّ ضربت الحصار القاتل عَلى العراق لمدة ثلاثة عشر عاماً قتلت خلالها أكثر من مليون ونصف المليون طفل من أطفال العراق عدا ما قتلت من ذويهم نتيجة النّقص الحاد في الغذاء والدَّواء.

وهكذا أهلت أمريكا العراق للحرب التّالية الّتي أجهزت عليه فيها في مارس وأبريل ٢٠٠٣.

وبعيد الحَرب العِرَاقيَّة الأولى مباشرة وكإجراء احتياطي ضدّ المُقاوَمة المفترضة الّتي ستنشأ كرد فعل عَلى هذه الحملات الصّليبيّة، والَّتي من المفترض أن تقوم بها أوساط الحركات الجهاديّة وشباب الصّحوة الإِسْلَاميّة، أطلقت أمريكا حملتها لمطاردة الجهاديّين ورموز الصّحوة الجهاديّة تحت دعوى مكافحة الإِرهَاب، وتصاعدت وتيرة المؤتمرات الأمنيّة العَالَمِيّة والإقليمية خلال ولاية كلينتون الّذي خلف بوش الأب لتتابع أمريكا هجماتها عَلى العالم الإِسْلَاميّ فتتابع حصار العراق وتتولى إجبار الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة عَلى مشاريع التطبيع مع اليَهُوْد وتتولى بنفسها مكافحة (الإِرهَاب الإِسْلَاميّ) كما وصفوه.

٢- المذابح الصّليبيّة للمسلمين في البلقان والقفقاس (١٩٩٤-١٩٩٧):

في زحمة زخم الهجمة الأمريكيّة الصّليبيّة عَلى العالم الإِسْلَاميّ ومزاعم مكافحة الإِرهَاب والأصوليَّة الإِسْلَاميّة، استغل الرُّوس الظّروف العَالَمِيّة في مُوَاجَهة المُسلِمِين وشنوا حربهم الدموية عَلى الشِّيشَان حيث ارتكبت أبشع المجازر وتعرض المُسلِمُون الشِّيشَان لحرب إبادة ما زالوا يقدمون قرابينها بالآلاف إلى اليَوْم.

كما شن الصّرب والكروات بدعم من الفاتيكان ودعم وسكوت الدّول الأوربية حرب إبادة عَلى المُسلِمِين في البوسنة ثمّ كوسوفو، حيث ارتكبت أبشع المجازر الّتي راح ضحيتها مئات الألوف من المُسلِمِين تحت سمع وبصر الأمم المتحدة بل في داخل محمياتها كما حصل في مذبحة (سيربينتسا) حيث انسحبت قوَّات الحماية الفرنسية الموكلة بحراسة محمية للأمم المتحدة لتفسح المجال لمليشيات الصّرب

أن تقتل أكثر من ٨٠٠٠ مدني بوسني مسلم أكثرهم من النِّسَاء والأطفال والعجائز في أكبر سلسلة مذابح إبادة جماعية في أوربّا منذُ الحَرب العَالَمِيّة الثّانية.

٣-حصار الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان ثمّ تدميرها سنه (٢٠٠١):

لم يرق للأمريكان وأوربّا النّاتو الّتي خططت ونفذت الحَرب الأهلية بين فصائل المُجَاهدين في أفغانستان (١٩٩٢-١٩٩٦) من أجل تنفيذ برنامج الأمم المتحدة الّذي يقضي بأن يحكم الصليب الأحمر الغربيّ بعد المطرقة والمنجل الأحمر الشرقي أفغانستان وبعد حرق ما تكدس في أفغانستان من سلاح وخبرات جهاديّة في تلك الحَرب الأهلية، لم يرق لهم أن يفاجئهم القدر بظهور طالبان وتمكنها من تحكيم الشّريعة وإقامة إمارة أفغانستان الإِسْلَاميّة، كما لم يرق لهم أن تسفر حملات مكافحة الإرهَاب العَالَمِيّة لكوادر التّيار الجهاديّ والأفغان العَرَب عن عودتهم إلى أفغانستان وتشكيلهم إلى جانب طالبان بؤرة قضت مضاجع أمريكا والغرب ونوابهم من الحكَّام المرتدّين.

فبدأت أمريكا وأوربّا عمليَّات الحصار الاقتصاديّ والسّياسيّ عَلى الإمارة الإِسْلَاميّة منذُ نشأتها وتتابع ذلك في عهد كلينتون الّذي اختتمه بقصف ٧٥ صاروخ كروز عَلى بعض مُعَسْكَرَات المُجَاهدين العَرَب والطّالِبَان واستمر الحصار في عهد بوش الابن الّذي أطلق صيحته بأنه مكلف من قبل الرب برسالة إصلاح العالم وأنه متوجه لقيادة حملة صليبيّة ومكافحة الإرهَاب الإِسْلَاميّ حيث افتتح حملته تلك بعد أحداث سِبتَمبر بغزو أفغانستان وتدمير الإمارة الإِسْلَاميّة إبادة ما استطاع إبادته من اللاجئين العَرَب والمُسلِمين إلى أفغانستان في ديسمبر٢٠٠١.

٤-حرب احتلال العراق (مارس ٢٠٠٣)، والزَّحف الأمريكيّ عَلى الشّرق الأوسط:

وقد تكلمنا عنها فيما سبق بما يغني عن الإعادة.

حالة المرجعيات في العالم الإِسْلَاميّ ووقوف التّيار الجهاديّ وحيدا في مُوَاجَهة الحملات الصّليبيّة الثّالثة:

أما المرجعية السّياسيّة للمسلمين:

فكما مر معنا فقد دمرها الإستعمار الصّليبيّ منذُ إسقاط الخِلافَة ولم تقم لها بعد ذلك قائمة، بل إن الّذي حصل أن حُكَّام بلاد المُسلِمِين صاروا جزءا من معادلة القوى إلى جانب الصّليبيّين وقد ازداد هذا فظاعة خلال الحملات الصّليبيّة الثّالثة.

وأما المرجعية الدّينيّة:

فقد تولت الحُكُومَات الخَائِنة العميلة تصفيتها في كافّة بلدان العالم العربيّ وأكثر العالم الإِسْلَاميّ كما مر معنا في الفقرات السَّابقة، وقد حاولت الصّحوة الإِسْلَاميّة أن تقدم بديلا وتتسلم زمام المرجعية، خُصُوصَاً أن علماء مرموقين وقادة بارزين مؤهلين وقيادات عديدة من مختلف مدارسها لمعت وتأهلت ولكن ولأسباب عديدة سنتناولها في الفقرات التّالية بالتفصيل لم تستطع الصّحوة أن تقدم بديلا عن المرجعية الكلاسيكية المتمثلة بأئمة المذاهب الأربعة والمراجع الفقهيّة وأئمة الطرق الصوفية، ولم تستطع بالخلاصة أن تكون مرجعية شعبيَّة وتمتلك طاعة الشارع المسلم وتبعيته.

وهكذا لم يكن هناك مرجعية دينية مؤهلة لمُوَاجَهة الحملات الصّليبيّة الثّالثة.

وأما المرجعية الاجتماعيَّة:

فقد كنا قد تحدثنا عن تفككها منذُ منتصف القرن العِشرين نتيجة الإستعمار ونتيجة التطور الاجتماعي نحو التصنيع والهجرات نحو المدن الكبرى وتفكك الروابط القبلية، فتابع ذلك سيره بتسارع كبير، وتراجع دور البوادي والأرياف في السّياسة لصالح المدن الكبرى والحياة المدنيّة الّتي لا تقيم وزنا لهذه الروابط، وباستثناء بعض البلدان الإِسْلَاميّة كأفغانستان واليمن، وبعض البلدان الأخرى، كانت هذه المرجعية أضعف من أن تمارس دورا في المُوَاجَهة، وقد كانَ من سياسة الحكَّام جميعا قتل هذه المرجعية ونزع سلاح القبائل والعشائر وسياسات التفرقة بينها وأضعاف كلّ منها عَلى حدة، وبطبيعة الحال كانت هذه المرجعيات دائما تبعا للمرجعية الدّينيّة أو للدينية والسّياسيّة معا،

ولذلك كانت هذه المرجعية غائبة عن ساحة المُوَاجَهة أيضا شأنها شأن سابقاتها في هذه المُوَاجَهة الأخيرة

إذاً من وقف للحملات الصّليبيّة الثّالثة منذُ ١٩٩٠م وإلى ٢٠٠١ م؟:

في الحقيقة وباختصار.

لقد قدمت الحملات الصّليبيّة الثّالثة بعد أن صفت من أمامها كلّ إمكانيَّات المُقاوَمة، فقد قضت عَلى المرجعيات كلها تقريبا، وقضت إلى حد بعيد عَلى مقوّمات نشوء المُقاوَمة والمُوَاجَهة في الشّعوب العربيَّة والإِسْلَاميّة، ولئن كانت الحملات الثّانية قد قدمت عَلى بصيرة وخبرة من تجارب قرنين من الزَّمن خلال الحملات الأولى وعلى دراسات وأبحاث لهذه الأُمّة عَلى كافّة الأصعدة عبر ٥٠٠ سنة بعدها، فإن هذه الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الأمريكيّة الجَدِيدة تأتي عَلى خلفية كلّ ذلك بالإضافة إلى تجارب الحملات الثّانية وما وفرته خدمات طبقة المرتدّين من الحكَّام وعملائها من المستغربين عبر نصف قرن أو أكثر من الزَّمن.

كما توفرت لها كلّ إمكانيَّات النجاح، ولئن كانَ هناك شيء من التوازن في معطيات المُوَاجَهة عَلى الأرض بين قوَّات الحملات الصّليبيّة الأولى وحتى الثّانية وبين قوَّات المُجَاهدين الّتي واجهتها عددا وعدة، فإن تقهقر المُسلِمِين إلى حضيض التخلف في معظم الميادين، ونهوض الحضارة الأمريكيّة تكنولوجيا عسكريّاً إلى قمة التطور، وما سبق من تدمير نوابهم الحكَّام لكل إمكانيَّات المُقاوَمة جعل السَّاحَة عمليا شبه خالية في هذا الصِّرَاع وصارت المُوَاجَهة اليَوْم غير متوازنة البتة.

وأما خُلاصة نبضات المُقاوَمة للحملات الصّليبيّة الثّالثة وأعوانها المرتدّين والمُنَافِقين خلال (١٩٩٠- سِبتَمبر٢٠٠١) فيمكن ذكر أهمّها بحسب التسلسل الزَّمني بحسب ما أتذكره الآن عَلى الشّكل التّالي:

- حركة الجِهَاد المُسلّح في الجَزَائِر (١٩٩١- ١٩٩٥) والَّتي تمَّ القضاء عليها خلال السنتين التاليتين من خلال عمل استخباراتي ناجح وبالغ التعقيد من التّعاون بين المخابرات الجَزَائِرية والفرنسية وبعض المخابرات العربيَّة حيث أخرج الجِهَاد عن مساره ودمره بعد أن عزله عن

جمهوره بسبب انحرافه (يمكن لمن أراد تفاصيل عن تلك التَّجربة العودة إلى كتاب – شهادتي عَلى الهاد في الجائر – للمؤلف).

- المواجهات الجهاديّة المُسلّحة الّتي قامت في ليبيا ضدّ نظام القذافي (١٩٩٣-١٩٩٥) والَّتي كانَ أبرزها محاولة الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة في ليبيا والَّتي تمكن النّظام من تحديد نشاطها العسكريّ في داخل ليبيا وتحولت إلى العمل التَّنظِيمي الدعوي السري والنَّشَاط في المهجر.
- حركة نفاذ الشّريعة شمال غرب باكستان سنة (١٩٩٦) والَّتي قضت عليها الحكومة الباكستانية أمام تخاذل الشارع الإِسْلَاميّ وتخلف حركات الصّحوة في باكستان عن نصرتها.
- حركة جيش عدن أبين في اليمن بقيادة الشّهِيد أبو الحسن المحضار رحمه الله والَّتي قضي عليها في مهدها (١٩٩٨).
- حركة الشَّبَاب الجهاديّ في جبال النبطية شمال لبنان بقيادة الشّهِيد أبو عاشة اللبناني والَّتي قضي عليها في مهدها (١٩٩٩).
- حركة طالبان الّتي انطلقت سنة ١٩٩٤ وأقامت الإمارة سنة ١٩٩٦ وسقطت أواخر ٢٠٠١ وكانت بمن لحق بها من التَّجَمُّعات الجهاديّة العربيَّة والباكستانية والوسط آسيوية أهمّ الظواهر الجهاديّة خلال العقد المنصرم.
- الإنتفاضة الفلسطينية المُسلّحة الّتي انطلقت سنة ٢٠٠٠ وما زالت إلى الآن وهي من أهمّ فصول المُوَاجَهة والمُقاوَمة الجهاديّة للحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الثّالثة.
- عدد من المحاولات الجهاديّة المحدودة والمبادرات الفرديَّة الّتي قام بها المُجَاهدون ضدّ مختلف أشكال تواجد الصّليبيّين في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ والَّتي حصلت في بلدان مختلفة خلال العقد المنصرم ومن ذلك بعض عمليَّات المُقاوَمة المتواضعة في السّعُودِيّة ضدّ الأمريكان والَّتي كانَ أهمّها تفجيرات الرِّيَاض والخبر.
- عمليَّات المُقاوَمة والدّفاع عن النّفس الّتي قام بها حطام التّيار الجهاديّ في مُوَاجَهة حملة المطاردات بعد سِبتَمبر في مختلف دول العالم ولاسيما في مُوَاجَهة الكارثة الّتي نفذتها الحكومة

الباكستانية خلال ملاحقة الناجين عَلى أراضيها والَّتي أسفرت عن مقتل عشرات المُجَاهدين العَرَب وأسر ما يزيد عَلى ٦٠٠ منهم سلمتهم إلى أمريكا ليستقروا في معتقل غوانتانامو التّاريخي، وغيره من السّجون الأمريكيّة في أماكن عدّة.

- حركات الجِهَاد الّتي نشرت في وسط آسيا ضدّ الحُكُومَات الشُّيُوعِيّة المدعومة من الاتحاد السوفييتي ولاسيما في طاجيكستان (١٩٩٣/ ٢٠٠١) ثمّ ما تلاها في أوزبكستان (١٩٩٧/ ٢٠٠١).
- وكذلك جِهَاد المُسلِمِين في تركستان الشرقية (١٩٩٦/ ٢٠٠١) ضدّ الحكومة الصينية.
- هذا بالإضافة إلى حركات المُقاوَمة والمُوَاجَهة الّتي تمت ضدّ القوى الصّليبيّة في ساحات الجِهَاد المختلفة خلال هذه الفترة مثل الجِهَاد الّذي حصل في البوسنة (١٩٩٤/ ١٩٩٦) وكذلك في الشِّيشَان خلال نفس الفترة وما تلاها والّذي ما زال مستمرا، وكذلك المُوَاجَهة البطولية الّتي قام بها المُجَاهدون في الصّومال، وكذلك حركات الجِهَاد القديمة والمستمرة خلال هذه المَرحَلَة في الفلبين وكشمير وارتيريا وبورما واندونيسيا وغيرها من الجبهات الّتي اشتعلت أو كانت مشتعلة واستمرت ضدّ الصّليبيّين وغيرهم من الكفّار المُستَعمرين.
- بالإضافة لبعض العمليَّات الّتي قام بها تنظيم القَاعِدَة ضدّ التواجد الأمريكيّ في المنطقة والَّتي كانَ أهمّها عمليَّات تفجير سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السَّلام ونسف البارجة الأمريكيّة كول في عدن، ثمّ كانَ آخرها العمليَّات الاستشهادية في نيويورك وواشنطن (١١- سِبتَمبر٢٠٠١) والَّتي افتتحت فصلا جديد من المُوَاجَهة بين الصّليبيّين والمُسلِمِين وغيرت وجه التّاريخ ومعطيات الصِّرَاع.

وبالنَّظرة الدارسة لمعادلة الصِّرَاع بين المُسلِمِين والحملات الصّليبيّة الثّالثة منذُ ١٩٩٠ وإلى احتلال العراق ٢٠٠٣ نجد أن معادلته قد أخذت الشّكل التّالي:

أمة اليَهُوْد(على رأسها إسرائيل) + أمة النّصَارى(على رأسها أمريكا وبريطانيا ودول النّاتو وروسيا) + طوائف حُكَّام الرِّدَّة في العالم الإسْلاَميّ + قوى المُنَافِقين وعلى رأسها المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة وعلماء السُّلطَان ومن فسد من قيادات الصّحوة في بلادنا × التّيار الجهاديّ المُسلّح جماعات وأفراد ← هزمت قوى المُقاوَمة، وحصر التّيار الجهاديّ، وشلت الصّحوة الإسْلاَميّة، وخرجت الأمّة من المَعْرَكة.

وقفه تأملية مع معادلات الصِّرَاع بين المسليمن والحملات الصّليبيّة الثّلاثة:

وجدنا أن معادلات الصِّرَاع كانت مع تلك الحملات عَلى الشّكل التّالي:

الحملات الصّليبيّة الاولى (١٠٥٠/ ١٢٩١): وكانت معادلاتها:

أمة الصليب × أمة الإسْلاَم ← انتصرت أمة الإسْلاَم (1)

الحملات الصّليبيّة الثّانية (مرحلة الإستعمار القديم) (١٨٠٠/ ١٩٧٠):

أمة الصليب + أمة اليَهُوْد × أمة الإسْلاَم ← انتصرت أمة الإسْلاَم (2)

الحملات الصّليبيّة الثّانية (مرحلة الإستعمار الحديث) (مرحلة الإستقلال):

أمة الصليب + أمة اليَهُوْد + طوائف الحُكُومَات المرتدّة × الصّحوة الإسْلاَميّة ← هزمت الصّحوة الإسْلاَميّة وخرجت الأمّة من المَعْرَكة (3)

الحملات الصّليبيّة الثّالثة (المَرحَلَة الأمريكيّة) (١٩٩٠-٢٠٠٣):

أمة اليَهُوْد(على رأسها إسرائيل) + أمة النّصَارى(على رأسها أمريكا وبريطانيا) + طوائف حُكَّام الرِّدَّة في العالم الإسْلاَميّ + قوى المُنَافِقين وعلى رأسها المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة وعلماء السُّلطَان ومن فسد من قيادات الصّحوة في بلادنا × التّيار الجهاديّ المُسلّح جماعات وأفراد ← هزمت قوى المُقاوَمة، وحصر التّيار الجهاديّ، وشلت الصّحوة، وخرجت الأمّة من المَعْرَكة (4)

وإذا أردنا أن نضع بعض الملاحظات التوضيحية لمزيد من الفهم لهذه المعادلات التارِيخِيَّة الرهيبة وما نستخلصه منها من دُروس عظيمة كي ندرك أسباب الهزيمة ونتلمس مقوّمات النّصر حيث حصل كي يتكرر معنا بإذن الله نجد من ذلك:

١. إن أول ما تطالعنا به هذه المعادلات من حقائق أن خلاصتها أنّنا انتصرنا في المعادلتين (١) و(٢) وانهزمنا في (٣) وانسحقنا في (٤) وواضح تماما أنّنا انتصرنا عندما واجهت الأُمّة عدوها عسكريّاً رغم الفارق الهائل في العدد والعتاد، وفي واقعنا المعاصر الحالي أمثلة متكررة عَلى هذا كما حصل في أفغانستان عندما واجهت الأُمّة عدوها بكامل طبقاتها وتكرر ذلك بشكل جزئي في الشِّيشَان وفي البوسنة رغم أنّنا في زمن الهزيمة والتراجع.

وكذلك توضح المعادلات أنّنا انهزمنا عندما واجهت شريحة محدودة العدوّ ووقفت الأُمّة تتفرج عليها وانسحقنا عندما خرجت معظم هذه الشريحة من المُوَاجَهة بل وانضم قسط

من الأُمّة إلى العدوّ ولم يبق في المُوَاجَهة إلا حفنة قليلة من الجهاديّين، وكأن المعادلات يمكن اختصارها ببساطة بمعادلتين:

أمة الإسْلَام × أمم الكفر ← انتصرنا

نخبة من الأمّة × أمة الكفر + منافقي الأمّة ← انهزمنا

فأول الدُّروس المستفادة من هذه العبرة والمعادلات هو أن علينا أن نعيد الأُمّة إلى المُوَاجَهة بحيث (تعود المُوَاجَهة معركة أمة وليست صراعات نخبة) كما هو حاصل الآن، وأول ما يستلزم هذا أن تقنع النُّخبَة الأُمّة بأن من وقف مع العدوّ ليس منها وإنما من العدوّ ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] وأن مواجهته من صميم الجِهَاد وليست فتنة.

٢. أن الأُمّة قد تحركت لما توفرت لها المرجعية الشَّرعيَّة القدوة الّتي تحركها في حين لم تستطع الصّحوة ولا نخبتها الجهاديّة أن تشكل مرجعية تقنع الأُمّة بالتحرك معها وأن عَلى أي نخبة ستتصدى للمقاومة أن تعمل عَلى أن تشكل مرجعية تشمل قيادات الجِهَاد وعلمائه ومفكريه ورموزه وأن تلف الأُمّة من حولها.



٣. أن العدوّ قد انهزم أمامنا في ساحات المُوَاجَهة العسكريّة ولكنه انتصر علينا عندما مهد لغزوه بغزو فكري حضاري وفكك البنى التحتية الّتي تولد بذور المُقاوَمة في الأُمّة وأن علينا أن نبدأ بترميم هذه البنية بالإضافة لما يجب من إطلاق المُقاوَمة كما اشرنا آنفا، (راجع / مستويات المُقاوَمة المقدِّمة)

٤. أن اليَهُوْد قد دخلوا الحملات الصّليبيّة الثّانية كعنصر مساعد في الإستعمار القديم، ولكنهم تحولوا إلى طليعة قائدة ومحركة للحملات الصّليبيّة الثّالثة، ويجب علينا أن نواجههم بهذه الصفة ونعطي تدمير طليعتهم إسرائيل وأداتهم أمريكا أولوية تناسب حجم دورهم وخطره في المَرحَلَة القادمة.

٥. تبين المعادلتين (٣) (٤) أن المرتدّين قد حسموا المَعْرَكة لصالح العدوّ الصّليبيّ اليَهُوْدي عمليا، وذلك بخداع الأُمّة بانتمائهم المزيف للمسلمين وهويتهم الوطنيّة المزورة، فيجب عَلى طلائع الجِهَاد والمُقاوَمة وإعلامهم الموجه وقياداتهم المفكرة والمنظرة لمستقبل العمل أن تعيد إبراز دور المحرك الأساسي للمرتدين وهم الصّليبيّون وتحريك المُقاوَمة تجاههم لأن ذلك سيعيد إدخال الأُمّة في المَعْرَكة ويقنعها بقتال المرتدّين تبعا للصليبيين عَلى أنهم جزء من العدوّ الحقيقي والأساسي وأنهم ليسوا أكثر من مجرد ستار له.

٦. تبرز المعادلة الأخيرة دور أمريكا كقوة قائدة للحملات وككتلة رئيسيَّة في الوزن العسكريّ مما يعطي مواجهتها أولوية كبرى كما يلفت النَّظر بفهم التناقضات الداخليَّة داخل الحلف الصّليبيّ وما بين محاوره الثّلاثة (أمريكا – بَرِيطَانيَا / أوربّا الغربيّة / روسيا) إلى ضرورة العمل عَلى فك هذا الحلف والإنفراد بالمحور الصّهيونيّ الأمريكيّ ما أمكن ذلك وسيأتي تفصيل عَلى هذا في النَّظريَّة السّياسيّة من الفَصل الثَّامن إن شاء الله.

٧. من خلال المتابعة نجد أن الشّعوب الأوربية كلها قد وقفت وراء جُيُوشها وملوكها داعمة مؤيدة في الحملات الصّليبيّة الأولى وكذلك في الثّانية، ولكن انتشار مفاهيم التّواصل الحضاري وحركات السَّلام في كثير من شرائح المجتمع الأوروبي وازدياد المعرفة بالإِسْلَام في

أوربّا جعل جماهير غفيرة مليونية العدد تقف موقف المعارضة والشجب لتلك الحملات حتَّى في بَرِيطَانيَا، في حين وقفت الغالبيّة السَّاحقَة من المجتمع الأمريكيّ المتصهين وراء رئيسها الصّليبيّ المتهود بوش وعساكره وهذا أمر يجب التَّفكير فيه ونحن نصيغ نظَرِيَّات الْمُقاوَمة القادمة.

٨. إن نظرة في الصُّورة الأخيرة للمعادلة نجدها قد عادت إلى صيغتها أيّام الإِسْلَام الاولى لتكون:

يهود + نصارى + مشركين + مرتدين + منافقين × المُؤمِنِين المُجَاهدين

وهكذا نعود كما بدأنا، ويعود الإِسْلَام وأهله الْمُؤمِنُون المصابرون غُرَباء كما بدؤوا غُرَباء، فطوبى للغُرَباء من الأولين والآخرين ونسأل الله أن يجعلنا منهم.

٩. الملاحظة الأخيرة، وهي في غاية الأهمّيّة وتشكل ركنا أساسيا في فهم طبيعة صراعنا الحالي ويجب أن تكون ركنا أساسيا من العَقِيْدَة الجهاديّة للمقاومة في هذا الزَّمن وهي الفقرة الهامة التّالية:

دور الْمُنَافِقين من علماء السُّلطَان، والفاسدين من قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة في هزيمة الأُمّة المسلمة وطليعتها الْمُجَاهدة أمام الأَعدَاء:

أمام الحملات الصّليبيّة المعاصرة خلال الإستقلال ولاسيما بعد الحملة الصّليبيّة الأمريكيّة الجَدِيدة.

فكما مر معنا في الفَصل السابق عن كيفِيَّة نشوء مدرسة علماء السُّلطَان في التّاريخ الإِسْلَاميّ منذُ تحول الخِلافَة الرّاشدة إلى الملك العضوض ثمّ الجَبريّ ثمّ قيام حكم الطواغيت، وكيف اتبع الْمُسلِمُون سنن من كانَ قبلهم من اليَهُوْد والنّصَارى، وأصبحت السّلطة فيهم كما كانت عبر التّاريخ في كلّ الممالك الضالة تقوم عَلَى (الحاكم والكاهن والأعوان)، فقد اصطف علماء السُّلطَان عَلَى أبواب سلاطين بني أميه منذُ النصف الثّاني للقرن الأوّل الهجريّ ولم يمض عَلَى وفاة رسول الله ﷺ إلا خمسين سنة، وسجلت لنا أقوال علماء الحقّ الّذين اعتزلوا أبواب الأمراء بعض النّصوص في نهي أولئك والتشنيع عليهم وتحذير العامّة من فسادهم ؟ فقد قام في مقابلة ذاك الفريق التعيس من علماء السُّلطَان



علماء للحق صدعوا به واحتسبوا عَلى الأمراء وقاموا بحق الله في الحكّام والمحكومين، وما زالت هذه الطَّائِفَة تقل في حين تتوسع فرقة علماء السّلاطين مع الوقت وتفسد دورها مع ازدياد وتطور فساد الملك من العضوض إلى الجبرية إلى ملك الطواغيت إلى أن قامت اليَوْم فئة علماء الإستعمار وفقهاء البنتاغون وجهز آلات حرب الأفكار من علماء مكافحة الإِرهَاب تحت قيادة رامسفليد ! ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وقد كانَ دور هذه الفئة الخبيثة من علماء السُّلطَان محدودا في تأييد الحملات الصّليبيّة الأولى حيث وقفت الأُمّة ومرجعياتها الدّينيّة في وجه ذلك الغزو الصّليبيّ، واقتصر دور الفاسدين منهم عَلى تأييد الملوك والأمراء الّذين خانوا أمتهم وتعاونوا معهم من أمثال الصّالح اسماعيل أيوب ملك دمشق الّذي والى الصّليبيّن وأدخلهم أسواق دمشق وباعهم السّلاح وملكهم بعض حصون المُسلِمِين وكذلك بعض أمراء الأندلس الّذين تعاونوا مع النّصَارى وملكوهم حصون المُسلِمِين وتعاونوا معهم، وقد ذكرت وثائق التّاريخ طرفا من ذلك من مثل ما قاله الإِمَام ابن حزم الّذي عاش ذلك الحين في القرن الخامس الهجريّ أي الحادي عشر الميلادي، قَالَ ابن حزم عن أمراء الأندلس في زمانه، في كتابه **(التلخيص في وجوه التخليص)**:

[فهذا أمر امتحنا به نسأل الله السَّلامة، وهي فتنة سوء أهلكت الأديان إلا من وقى الله تَعَالَى، لوجوه كثيرة يطول لها الخطاب، وعمدة ذلك؛ أن كلّ مدبر مدينة أو حصن في شيء من أندلسنا هذه، أولها عن آخرها محارب لله ورسوله ﷺ، ساع في الأرض بالفساد، للذي ترونه عيانا من شنهم الغارات عَلى أموال المُسلِمِين من الرعية الّتي تكون في ملك من ضادهم، وإباحتهم لجندهم قطع الطّريق، ضاربون للجزية والمكوس والضرائب عَلى رقاب المُسلِمِين، مسلطون لليهود والنّصَارى عَلى قوارع طرق المُسلِمِين، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرم الله، غرضهم منها استدامة إنفاذ أمرهم ونهيهم.

فلا تغالطوا أنفسكم، ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن عَلى قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، النّاصرون لهم عَلى فسقهم.

فالمخلص لنا منها ؛ الإمساك بالألسنة جملة وتفصيلا إلا عن أمر بالمعروف أو نهي عن المُنكر وذم جميعهم، والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية لأمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون النّصَارى، ويمكنون لهم من حرم المُسلِمِين، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعا، فأخلوها من الإِسْلَام وعمروها بالنواقيس.

لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفا من سيوفه، فمن عجز عن ذلك رجوت أن تكون التقية تسعه، وأن ينكر بقلبه، هذا مع أنه لو اجتمع كلّ من ينكر بقلبه لما غلبوا عَلى أمرهم] [1]أهـ.

وهكذا لم يغفل الاستعمار الصّليبيّ الّذي قاد الحملات الصّليبيّة الثّانية منذُ القرن السَّابع عشر وإلى منتصف القرن العِشرين دور هذه الشريحة الخبيثة في إسناد احتلاله وإجهاض المُقاوَمة وتجفيف جُذُورها في الأُمّة، فكما لم يهمل ملوك وسلاطين المُسلِمِين في تلك الحقبة دورهم في تركيع الشّعوب واستعبادهم وانتزاع طاعة النّاس لهم، لم يهمل المُستَعمر ذلك، فقد استطاع الإنجليز في كلّ مكان احتلوه من العالم الإِسْلَاميّ تجنيد بعض العُلَماء و، بعض الصوفية أئمة الطرق لهم في مصر والسُّودَان وشبه القارة الهندية وغيرها، فقد كتب (كرومر) المندوب البريطاني المشرف عَلى استعمار مصر كثيرا من الرّسائل إلى محمّد عبده (شيخ الأزهر) في حينها وأثنى عليه وعلى تعاونه، ولما مات محمّد عبده كتب (كرومر) إلى حكومته ينعي فيه أخلص أصدقاء بَرِيطَانيَا في مصر!! حيث كانَ لمحمّد عبده وأستاذه الأفغاني من قبل دورا بارزا في حركة التغريب والغزو الفكريّ في أوساط المُسلِمِين بل وصل الحد إلى أن يكونوا أعضاءا في أول محفل ماسوني في الشّرق الأوسط !!

بل ذهب الإنجليز لأبعد من استخدام علماء السُّلطَان، فلقد استحدثوا مذاهب جديدة من العدم وأوجدوا لها ملايين الأتباع مع الوقت في شبه القارة الهندية مثل مذهب القاديانية، والبهائية وسواها، الّذي كانَ أهمّ أهداف استحداثه أنه يسقط الجِهَاد ضدّ الإنجليز، كما استطاعت فرنسا تجنيد بعض علماء الشّام وشمال إفريقيا وأئمة بعض الطرق الصوفية الّذين أفتوا بأن (فرنسا قدر الله)، ومن يحاربها فهو كمن يحارب قدر الله ويرفض ما قدر وكتب عَلى المُسلِمِين!

---

(١) رسائل ابن حزم : رسالة التلخيص لوجوه التخليص (٣/ ١٧٣)

كما لعب بعض علماء المُسلِمِين وشيوخ الطرق في وسط آسيا والممالك الإِسْلَامِيّة في القفقاس وما حولها دورا بارزا في النِّفَاق للقياصرة وللثورة البلشفية وللينين ولستالين ذاته، والوثائق متوفرة لمن أراد جمعها وليس هنا محل الاستقصاء.

فلما رحل الإستعمار وقامت الحُكُومَات الوطنيّة والأحزاب السّياسيّة المحليَّة صار لكل حزب شيوخ وعلماء دين في حملاتهم الانتخابية وقوائمهم من المرشحين، وصار لكل حكومة منذُ ذاك الوقت وزراء أوقافها ومراجع إفتاء تنافق لها، ومما نذكره في سوريا أن (أحمد كفتارو) وزير الأوقاف الحالي وطيلة حكم النصيرية في سوريا منذُ ١٩٧٠ وإلى اليَوْم (أي طيلة عهد حافظ أسد وابنه بشار)، كانَ سنة ١٩٥٤ يقود الحملة الانتخابية (لخالد بكداش) مؤسس الحزب الشُّيُوعِيّ السّوري واللبناني، الّذي أدخل الإلحاد والشُّيُوعِيّة إلى بلاد الشّام، فقد قاد حملته الانتخابية في المساجد! في مُوَاجَهة الحملة الانتخابية للإخوان المُسلِمِين ومرشحها الدكتور مصطفى السباعي رَحِمَهُ اللهُ، فقد كانَ يخطب اثر صلاة الجمعة في المَسجِد الأموي ليثني عَلى خالد بكداش الّذي يصلي سنة الجمعة البعدية ثمان ركعات! فيما ينتظر النّاس والشَّيْخ فراغه من النوافل حتَّى يبدؤوا الحملة الانتخابية، فتأمل !! وهكذا كانَ لحزب البعث علماء سلطة في سوريا حتَّى وقف الشَّيْخ الدكتور العلامة (سعيد رمضان البوطي) في محاضرة في استانبول في تركيا يقول لما سألوه عن مذبحة حماة الّتي راح ضحيتها زهاء ٥٠ ألف مسلم من الشعب المسلم السني عَلى أيدي الجيش النصيري وقائده حافظ أسد، قَالَ البوطي: [لقد تترس بهم المجرمون (يقصد المُجَاهدين لما انتفضت المدينة مع المُجَاهدين) فحل لولي الأمر أن يقتلهم)! ومشاهد البوطي كثيرة يطول ذكرها هنا حتَّى كانَ آخرها أنه أم صلاة الجنازة عند موت حافظ أسد وخنقته الدموع وهو يدعو رافعا صوته لينقل التلفزيون الرسمي دعاءه (الجهري!) في صلاة الجنازة فقال: (اللّهم إنا – أي هو ومن يصلي خلفه من الإستخبارات وكبار النصيرية والبعثيين – أنه – أي حافظ اسد– قد لقيك يشهد أن لا إله إلا أنت وأن محمّدا عبدك ورسولك اللّهم اجمعنا (أي الحفل الكريم وإمامهم البوطي) معه في الفردوس الأعلى !! وللبوطي هذا صولات وجولات في دعم الحُكُومَات اللبنانية (النّصرانية) والأردنية (الماسونية) وبعض حُكَّام دول الخليج، وكان له مقام رفيع في الندوة

الحسنية عند الملك الحسن الثّاني في المغرب، وكتاب البوطي العجيب (الجِهَاد كيف نمارسه وكيف نفهمه) الّذي توصل فيه إلى أن المُجَاهدين للحكام في هذا الزّمان ليسوا شهداء حق ولا بغاة حتّى!! وإنما مفسدون في الأرض حكمهم أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض !، وكان من آخر مآثره وقوفه بشراسة مع حكومة الجَزَائِر ضدّ الانتفاضة الجهاديّة الرائدة في الجَزَائِر قبل أن تستولي الاستخبارات عَلى قيادتها وتصبغها بالتكفير! ولم يعجبه ولا حتّى الجبهة الإِسْلَاميّة للإنقاذ فحمل عليها واعتبرها خارجة عَلى الحكومة الشَّرعيَّة!!

وفي مصر كانَ لعبد النّاصر في مصر بعض شيوخ الأزهر الّذين أفتوه بقتل سيد قطب وإخوانه وبعدم جواز توبتهم بعد أن قدر عليهم، وكان للسادات من بعده في مصر فُقَهَاء للتطبيع والسَّلام مع اليَهُوْد مثل الشَّيْخ الشعراوي الّذي كتب القصائد في مدح فاروق ثمّ كتب الشعر في الثناء عَلى إنقلاب عبد النّاصر ضدّ الملك فاروق ! وامتدح الأخير! ثمّ ألَّه السادات وكان هو الّذي رد عَلى من عارض السادات بعد زيارته الخيانية للقدس بقوله بأن الرَّئيس هو بمنزلة من لا يسأل عن ما يفعل وهم يسألون!! فأنزله منزلة الرب سُبحَانَهُ وتَعَالَى عما يجحد الجاحدون ! ثمّ نافق الشعراوي لمبارك حتّى قبيل أن يلتئم عليه قبره بأيّام في واقعة مشهودة، وهو الّذي قرأ البيان الّذي وقع عليه ستة من العُلَماء منهم شيخ الأزهر ومفتي الدّولة ووزير الأوقاف والشَّيْخ محمّد الغزالي والشَّيْخ القرضاوي وجاء فيه أن ما يجري من أعمال عنف ضدّ الحكومة ليس جِهَادا وإنما إرهابا محرما وقالوا بالحرف: (ذلك بأننا لا نعلم بأن حُكَّام مصر قد ردوا لله حكما) ! وكان ذلك في عهد حسني مبارك الّذي ورث العرش الفرعوني فورث معه من ضل من سحرة مصر وكهانها، فلم يرو أنه رد لله حكما في (مصر) ! البلد المسلم الّذي تدفع فيه العاهرات ضريبة الدخل بموجب القانون لوزارة المالية باعتبارهن من مرافق السياحة!!وأما سلسلة الطنطاويات من فتاوى شيخ الأزهر الأخير (سيد طنطاوي) فأشهر من أتذكر وأكثر من أن تحضر، وكان آخرها دعمه لفرنسا في منع المسلمات من لبس الحجاب!

كما كانَ لآل سعود في السّعُودِيّة هيئة كبار العُلَماء والدّعوة والإرشاد، والقضاء الأعلى وغيرها من المؤسسات الدّينيّة الرَّسميَّة الّتي كانَ لها مآثرها منذُ أَسَّسَها الملك فيصل، وقل مثل ذلك عن علماء

المغرب الأقصى الّذين يركعون ويسجدون للملك ويتعذرون بدعوى سجود الملائكة لآدم وأنه سجود شكر وليس سجود عبادة وكيف لا يسجدون كما سجد الملائكة لآدم والملائكة خير منهم والملك من أولاد آدم – عَلى الأرجح – !

ولا ننسى شهادة أبو شقرة العالم (السلفي) في الأردن، الّذي قَالَ أنه نظر في حال الأُمّة فوجد أن مجدد القرن الخامس عشر الهجريّ هو جلالة الملك الحسين المعظم حفظه الله، ولا ندري كيف حلّ الإشكال مع علماء السّعُودِيّة الّذين عقدوا مؤتمرا في الذكرى المئوية لدخول الملك عبد العزيز الرِّيَاض مع أعوان الإنكليز ووجدوا أن المجدد هو الملك عبد العزيز آل سعود! وهكذا قل مثل ذلك عن كافّة الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة وموقف علماء السُّلطَان مع ملوكهم ورؤسائهم وأمرائهم وعن تسويغهم لحكمهم بغير ما أنزل الله وما يسومون النّاس به من العذاب والمكوس وصولا إلى موالاتهم لليهود والنّصَارى.

ولكن الأنكى من الدَّور البشع الّذي لعبه علماء السُّلطَان إلى جانب حُكُومَات الطواغيت والحملات الصّليبيّة الثّانية والثّالثة، هو الدَّور المفاجئ الّذي لعبه بعض الفاسدين من قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة ذاتها، فإذا كانَ العُلَماء المنافقون قد لعبوا دور مفتي السوء إلى جانب السّلطة، فقد دخل بعض قيادات الصّحوة أولئك في السّلطة ذاتها وصاروا من أركانها بدعوى المصلحة وفن الممكن، كما سنرى في الفَصل القادم إن شاء الله، وهكذا وبصفتهم يمثلون الدّين والعمل الإِسْلَاميّ وينتمي بعضهم إلى قطاع العُلَماء، فتكامل البلاء بهم ليكوّنوا مع علماء السُّلطَان والمؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة عكاز الكهانة إلى جانب الحكَّام.

ولكن الدَّور الأخبث لطائفة علماء السُّلطَان برز مع قدوم الحملات الصّليبيّة الثّالثة بقيادة أمريكا منذُ ١٩٩٠ عَلى الشّرق الأوسط، فلما زحفت إلينا جحافل الأمريكان والأوربيين وحلفائهم المرتدّين وعساكرهم، تولى علماء السُّلطَان وفقهاء الضلالة والفاسدين في الصّحوة كسح الألغام أمام تلك العساكر وتحطيم أي إمكانية مقاومة قد تنشأ ونزع غطاء الشَّرعيَّة عنها سلفا، وقد تولى تنظيم ذلك النّظام الحاكم في السّعُودِيّة وجهازه الدّيني الّذي بادر إلى إطلاق فتاوى جواز الاستعانة بالكفار

للضرورة من قبل أولياء الأمور الشَّرعيين وإضفاء الشَّرعيَّة عَلى ما حصل، وبذلك قطعوا الطّريق عَلى من يفكر بالجِهَاد، وشكل مؤتمر مكّة ١٩٩٠م الّذي دعي له ٤١٣ شخصية من كبار علماء المُسلِمِين وقيادات الصّحوة والرموز الدّينيّة من كافّة دول العالم الإِسْلَاميّ الثمانية والخمسين، وحضر منهم ٣٩٨ شخصية، فأصدروا بيانا ختاميا شرع للوجود الأمريكيّ والتّعاون معه ضدّ العراق بصفتها استعانة شرعيّة، ثمّ تتالى البلاء لتصدر الفتاوى من السّعُودِيّة بجواز التطبيع مع اليَهُوْد حيث تولى مفتي الدِّيَار الشَّيْخ ابن باز إصدار الفتوى الّتي لا يعبر عن مدى فداحتها إلا أن نعلم أن (بيريز) رئيس وزراء إسرائيل في حينها لما ذكرها أمام أعضاء الكنيست وقفوا يصفقون لها وأثنى (بيريز) عَلى الشَّيْخ المعتدل ودعا شباب المُسلِمِين لإتباع آراء هذا الشَّيْخ الجليل وعدم السعي وراء آراء أمثال حزب الله المتطرف، فتأمل إلى أين وصلت الفتنة والبلاء!

وعلى مدى عقد أسود من الزَّمن (١٩٩٠/ ٢٠٠٠) تولى الجهاز الدّيني الرسمي وعلماء السُّلطَان وعملاء الصّحوة الإِسْلَاميّة في السُّلطات المرتدّة الحاكمة وبرلماناتها ووزاراتها مكافحة التّيار الجهاديّ جنبا إلى جنب مع مشروع مكافحة الإِرهَاب الّذي قادته أمريكا وانعقدت من أجله عشرات المؤتمرات الأمنيّة في العالم وفي بلاد العَرَب والمُسلِمين، مما أدى إلى تشريد الجهاديّين وتمزيقهم شر ممزق.

ولما قامت دولة الشّريعة في أفغانستان عَلى يد طالبان (١٩٩٤/ ٢٠٠١) تولت هذه المرجعيات الدّينيّة العميلة إسقاطها جنبا إلى جنب مع الجهود الأمريكيّة الصّليبيّة بدافع من حكامهم، وحتى في المسائل الصارخة الحساسية لم يستح أولئك العُلَماء والقادة العملاء أن يسدوا خدماتهم الجليلة تلك، ومن أوضح وأفظع الأمثلة عَلى ذلك أنه لما اتخذ أمير المُؤمِنِين في أفغانستان (ملا محمّد عمر) قرارا بهدم الأصنام الأثرية العملاقة لبوذا، هرع فريق من هَؤُلَاءِ العُلَماء ورموز الإِسْلَام، وكان عَلى رأسهم الشَّيْخ القرضاوي إلى أفغانستان بدفع من حكامهم المدفوعين من أسيادهم، بتحريك من المنظمات الصّليبيّة الدّولية، للحيلولة دون هدم الأصنام !وكانت فضيحة للجهاز الدّيني الرسمي في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ ولا سيما في السّعُودِيّة ومصر، الّذين اتخذوا من تلك الفعلة المجيدة لطالبان قضية لتشويههم

والعمل عَلى إسقاطهم، وهو ما حققته أمريكا أواخر ٢٠٠١ بمشاركة فعالة من حكومة باكستان ودول الخليج وهياكلها الدّينيّة المنافقة.

ولما قامت بعض الأعمال الجهاديّة المحدودة بعيد حرب العراق الأولى ١٩٩١ وإلى سنة ٢٠٠٠م ضدّ الصّليبيّن الغُزَاة، أصدرت هيئة كبار العُلَماء أقبح الفتاوى بالحكم عَلى المُجَاهدين بالإفساد في الأرض وأن عقابهم القتل والقطع والنفي، فدعوا النّاس لحربهم وتوعدوهم بعدم دخول الجنّة الّتي صارت ملكا لباباوات المُسلِمِين القابعين في السّعُودِيّة يوزعون أملاكها عَلى النّاس، ويحددون من يروح ريحها ومن لا يروح، كما فعل باباوات النّصَارى في العصور الوسطى!

ولما جاءت أحداث سِبتَمبر ٢٠٠١ وتذرعت بها أمريكا وزحفت عَلى أفغانستان وأسقطت الإمارة الشَّرعيَّة فيها ثمّ أطلق جورج بوش حملته الصّليبيّة تحت شعار مكافحة الإِرهَاب، هب الهيكل المنافق من علماء المُسلِمِين وكثيرون من قيادات الصّحوة لينضموا إلى تلك الحملة بكل جدارة وإخلاص وتفاني.

ويكفي كي يمتلئ القلب حزنا والنّفس كمدا أن تتابع البَرَامج الدّينيّة وخطب الجمعة عبر الفضائِيَّات اليَوْم من المَسجِد الحرام إلى المَسجِد النبوي إلى المَسجِد الأزهر إلى كبريات المساجد في عواصم بلاد العَرَب والمُسلِمين لتشهد الدَّور الرائد الّذي تؤديه المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة وما تقدمه من خدمات جليلة لأمريكا، حتَّى أصبح لبَرَامج مكافحة الإِرهَاب وصب جام الغضب والتضليل والتهمة بالانتماء للخوارج وعِصَابات الإجرام والمخدرات، عَلى كلّ من تسول له نفسه مقاومة أمريكا في غزوتها الصّليبيّة ومقارعة حُكَّام بلادنا المرتدّين الّذين يقودون طلائع حملتها، ولا يتسع المكان للشواهد هنا وقد جمعت كثيرا منها مع مسودات بحث كنت أعده قبل سقوط كابل وكان بعنوان **(الفرقان بين علماء الرَّحمٰن وعلماء السُّلطَان)** ونماذجهم منذُ علماء بني أمية إلى فُقَهَاء البنتاغون اليَوْم، وأسأل الله أن يعينني عَلى جمعه مرّة أُخرى وإخراجه.

وأخص الدَّور الّذي لعبه وما يزال يلعبه علماء السُّلطَان والفاسدون من قيادات الصّحوة إلى جانب الحملات الصّليبيّة الحديثة في أربعة أهداف أساسية بالإضافة لخامس أشد شرا منها عَلى المدى البعيد وهذه الأهداف هيَ:

١- الحكم بإسلام الحكَّام المرتدّين الحاكمين لبلاد العَرَب والمُسلِمين رغم تشريعهم من دون الله وحكمهم بغير ما أنزل الله وولائهم للأعداء الكفرة وسهرهم علىَ مصالحهم والقتال دفاعا عنهم إلى جانب عساكرهم وتحت قيادتهم، فضلا عما يرتكبوه من ألوان الكفر والفساد واعتبار كلّ ذلك فسوقا وظلما لا يعدوا أن يكون كفرا أصغرا لا يخرجهم من ملة المُسلِمِين، وبالتالي الحكم بشرعيتهم كأولياء أمور لهم علىَ الرعية المسلمة كافّة حقوق الطاعة والوَلَاء والتّعاون.

2- الحكم بمشروعية الإحتلال الصّليبيّ الأمريكيّ وغيره لبلاد المُسلِمِين بدعوى أن ذلك استنصارا مشروعا بهم تبرره الضَّرورة، والإفتاء بمشروعية التطبيع مع اليَهُوْد، وإسباغ الشَّرعيَّة علىَ احتلال فِلَسطِين بدعوى أن كلّ ذلك قد تمَّ بموجب اتفاقيات ومعاهدات سياسيّة وعسكريّة واقتصاديَّة تمت بين الكفّار وأولياء الأمور الشَّرعيين، بما فيهم عرفات وسلطته صاحبة أوسلو ومدريد وخارطة الطّريق.

3- تحريم المُقاوَمة للمحتلين الصّليبيّين واليَهُوْد، بوصفها إرهابا للمستأمنين والمعاهدين، وخروجا علىَ أولياء الأمور الشَّرعيين، وسحب الشَّرعيَّة بذلك عن أي شكل من أشكال جِهَادهم.

4- الحكم علىَ المُجَاهدين والمقاوميين بأنهم مفسدون في الأرض، وإباحة قتلهم وسجنهم وتعذيبهم ومطاردتهم من قبل أولياء الأمور(المُسلِمِين!) (الشَّرعيين!) وأسيادهم (المستأمنين!) و(المعاهدين!) الّذين صاروا بكامل عتادهم ومئات آلاف من جنودهم وطائراتهم وقنابلهم الذكية وصواريخهم المدمرة (ذميين!)، وتحريم خفر ذمة ولي الأمر الّذي أمنهم وجاء بهم من أجل مصلحتنا ونصرتنا! فكيف يخيفهم الإرهَابيون!!

5- أما الخامسة الفاجعة الأخبث من كلّ هذا والأبعد أثرا في تحطيم جُذُور الإسْلاَم والمُقاوَمة عند المُسلِمِين؛ فهو ما يقوم به علماء النِّفَاق وفقهاء البنتاغون والقيادات الفاسدة في الصّحوة من إفساد عَقِيْدَة المُسلِمِين بدعوى

(الوسطيّة) و(الإعتدال) و(الإِسْلَام العصري المنفتح) و(حوار الحضارات) و(الشفافية) و(الحكمة في الدّعوة) و... و...وغيرها من الشعارات الزائفة الّتي يتم عبرها (أمركة الإِسْلَام) اليَوْم.

وقد تولت الفضائِيَّات الّتي تنتشر سمومها القاتلة انتشار السرطان في جسد الأمّة وكذلك أجهزة الإعلام والنشر الأخرى هذه الدعاوى الّتي أصبح الإعراض عليها جريمة تدل علىَ أن صاحبها من الإرهَابيون! ويأخذ عليها بالنواصي والأقدام، وأقل عقوباتها الإعدام.

وهذا البند موضوع يستأهل أن تكتب فيه الكتب الكثيرة لغزارة مادته وكثرة شواهده وليس كتابنا محل ذلك، فحسبنا الله ونعم الوكيل فقد اتسع الخرق عَلى الراقع، بل تاه المرقعون وسط مئات الخروق الّتي تغوص الأُمّة في أنحائها والله المُستَعان.

وهناك حالة خاصّة من بين كلّ أجهزة السحرة والكهان وعلماء السُّلطَان في كافّة أنحاء العالم العربيّ والإِسْلَاميّ تستأهل الوقوف معها بشكل منفصل لخصوصيتها وخطرها وهي:

****



المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة للمملكة العربيَّة السّعُودِيّة ودورها إلى جانب الحملات الصّليبيّة الثّالثة:

يحتاج الحديث عن هذه المؤسسة الخبيثة المتشعبة العريقة، ودورها الشيطاني في حرب الله ورسوله والمُؤمِنِين إلى مجلدات مستقلة، ويا ليت كانَ بإمكاني توفير الوثائق والمراجع عن نشأتها وفتاويها ورصيدها في عالم النِّفَاق، لتفرغت إذا لإخراج هذا السفر الهام، وأسال الله أن يقيض لذلك أقلاما للحق من أهل بلاد الحرمين ذاتهم من يقوم بذلك وهم أدرى ولا شَّكَّ بشعابها فهناك مواضيع عظيمة يجب التحقيق فيها قد قامت بها الحكومة السّعُودِيّة عبر هذه المؤسسات الدّينيّة الرَّسميَّة وأذكر من ذلك بالعناوين لمن أراد البحث والتحقيق ملفات مثل: دور السّعُودِيّة في (تدمير الجِهَاد الأفغاني ومطاردة المُجَاهدين الأفغان العَرَب) (تدمير الجِهَاد العربيّ في البوسنة) (حصار المُجَاهدين العَرَب وإخوانهم في الشِّيشَان) ودعم روسيا واعتبار المسألة الشِّيشَانية شأن داخلي روسي – كما صرح مؤخرا ولي العهد السّعُودِيّ عبدالله بن عبد العزيز أثناء زيارته لموسكو سِبتَمبر٢٠٠٣ – وكذلك (دورها في اختراق وتوظيف الأقليات الإِسْلَاميّة في العالم) (دورها في اختراق وتوظيف الجاليات الإِسْلَاميّة في المهجر) (دورها في إسقاط الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان) (دورها في حرب العراق الأولى والثّانية) (دورها في مكافحة التّيار الجهاديّ ضمن حملة مكافحة الإِرهَاب) (دورها في دعم الأنظمة العربيَّة الّتي تعرضت للمُوَاجَهة من قبل حركات جهاديّة مثل ما حصل في سوريا والجَزَائِر)، والقضايا كثيرة ودور هذه المؤسسة الدّينيّة وتاريخها وإنجازاتها بحث يطول ولكن وللفائدة وعلى سبيل النبذة ألفت النَّظر إلى نقاط مختصرة:

- بدأ تكون نواة هذه المؤسسة الدّينيّة منذُ عهد الملك عبد العزيز الّذي استطاع أن يضحك عَلى لحى بعض الطيبين في نجد ويقنعهم بأنه جاء ليجدد دعوة الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب رحمه الله، فلما اكتشف (الإخوان) خدعته وواجهوه، بعد أن نصبه الإنجليز سلطانا عَلى نجد والحجاز، أبادهم في معركة (السبيلة) بتعاون من الإنجليز حيث انقسم الإخوان عَلى أنفسهم، ووقف بعضهم معه بدعوى أنه ولي الأمر، ومن هناك كانت البداية.

- تولت المؤسسة الدّينيّة الّتي لم تكن قد تبلورت بعد بالتّعاون مع أمراء الأسرة بعد عبد العزيز خلع سعود وتنصيب الملك فيصل ولي أمر جديد، فكان من باكورة أعمال هذا الداهية (مؤسس العلمانيّة في السّعُودِيّة) أن قنن لهذه المؤسسة وجعلها رسمية فتأسست مع الوقت (**هيئة كبار العُلَماء**) وهيئات ومؤسسات أُخرى مثل(**الدّعوة والإرشاد**) و(**الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر**) و(**هيئة القضاء الأعلى**).... إلخ. **وتمت هندستها ليقوم مفتي الدِّيَار عَلى رأسها وليتكون أول (فاتيكان) حقيقي للمسلمين يرأسه (بابا) للمسلمين، سعى السّعُودِيّون بقوة (البترو دولار) وحرمة الحرمين أن يفرضوه عَلى العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، ونجحوا في ذلك إلى حد بعيد،** وساعد عَلى ذلك الشق الخارجي من المؤسسة الدّينيّة السّعُودِيّة الّتي جاء في طليعتها (**رابطة العالم الإِسْلَاميّ**) و(**الهلال الأحمر السّعُودِيّ**) و(**الندوة العَالَمِيّة للشباب الإِسْلَاميّ**) و(**هيئة الإغاثة العَالَمِيّة**) وغيرها من المؤسسات الرَّسميَّة بالإضافة إلى عشرات المؤسسات الدعوية الخيرية الأهلية غير الحُكُوميّة – نظريا – وقد مكنت الميزانيات المليارية وتأثير الحرمين وما أسبغته عَلى ملوك السّعُودِيّة وعلمائها من شرعيّة ومرجعية، مكنتها من أهدافها الّتي رسمت بعناية في لندن وورثتها من بعد واشنطن ونفذتها الرِّيَاض بكل حذاقة، ومع الوقت وتوالي الملوك بعد فيصل زاد فساد هذه المؤسسة الدّينيّة ولاسيما بعد وفاة عالمها الّذي حاول الإصلاح محمّد بن ابراهيم آل الشَّيْخ ﵀ الّذي اكتشف بدايات الكفر والضلال في المؤسسة الحاكمة واصطدم معها برسالته القيمة (تحكيم القوانين) ورسائله مشهورة إلى أمراء آل سعود، ثمّ عاجلته المنية قبل أن يحقق شيئا، ثمّ تأصل الإنحراف في عهد خلفه **الشَّيْخ عبد العزيز بن باز**، والركن المتين الآخر **الشَّيْخ ابن عثيمين** الّذي شكل مع مفتي الدِّيَار الركيزة الأساسيّة لشرعيّة آل سعود والجبهة الأمامية في ترقيع سوآتهم، ثمّ خلفهم الأسوأ من ذلك بعد أن أفضيا إلى ما قدما، واستلم راية الكهانة في بلاد الحرمين الشَّيْخ **عبد العزيز آل الشَّيْخ** سنة ٢٠٠٠، وبقية الأعوان من (آلات) الشَّيْخ و(ماكينات) الملوك!

وقد ساعد عَلَى نجاح هذه المؤسسة عوامل عدّة كانَ في طليعتها:

١. استغلال المرجعية الدّينيّة للحرمين ووجودهما تحت حكم آل سعود.

٢. الميزانية المالية الهائلة الّتي صرفت لعمل ونشاطات هذه المؤسسات.

٣. الميزانية الهائلة الّتي صرفت عَلَى الدعاية لهذه المؤسسات ورجالاتها وعلمائها وإنجازاتها حتَّى زرعت في عقول المُسلِمِين وواقعهم في كلّ العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.

٤. وجود كم هائل من الدعاة المخلصين والعاملين للدعوة والإِسْلَام بكل تفاني خدموا في هذه المؤسسات من باب إيصال الخير لأهله والتّعاون عَلَى البر والتقوى غير واعين للنتيجة النّهائيّة ومن سيحصد ثمرة الجهود من آل سعود ثمّ الصّليبيّين واليَهُوْد.

٥. استغلال الهويّة السّلفيّة والمذهب الوهابي عَلَى صاحبه رحمة الله والّذي انتشر وصار له قواعد وقبول في أوساط الصّحوة ولا سيما الجهاديّة منها في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ وما مارسته هذه المؤسسات من طباعة الكتب وتوزيع النشرات الّتي تحمل العَقِيْدَة السّلفيّة وغيرها من العلوم وما فيها من الخير، وما لقيه هذا العمل من القبول في العالم الإِسْلَاميّ، إلى أن وجدت الحكومة السّعُودِيّة نفسها مؤخرا متورطة في حمل عبئ رسالة الدّعوة الوهابية الّتي شكلت أساسا في قاعدة فكر أكثر جماعات التّيار الجهاديّ المعاصر مما أوقعها هذه الأيّام في أزمة حقيقية مع أمريكا فقررت بإكراه منها محاربة هذه الهويّة فجأة بعد أحداث سِبتَمبر عندما اكتشف الأمريكان مصيبتهم في عَقِيْدَة الوَلَاء والبَرَاء عند المُسلِمِين والَّتي ركزت الدّعوة الوهابية عليها جدا.

- المشكلة الحقيقيَّة الّتي سببتها هذه المؤسسة السّعُودِيّة للأمة الإِسْلَاميّة والعربيَّة عموما هو أن كافّة مؤسسات وشخصيات علماء السُّلطَان في عموم بلاد العَرَب والمُسلِمين يقتصر دورها المخرب ونفاقها عَلَى الإطار المحلي ويتسع جزئيا بما يتناسب مع حجم دولتها وقوة حكومتها ودورها الإقليمي، إلا المؤسسة السّعُودِيّة، فإنه وللأسباب آنفة الذكر يتعدى ضررها ليشمل كافّة العالم الإِسْلَاميّ حيث صار لها مرجعية مقبولة في كلّ البلاد، وذلك بسبب التداخل

المربك الّذي حصل بينها وبين الصّحوة الإِسْلَاميّة المباركة الّتي نشطت في السّعُودِيّة وصار لها علماؤها ودعاتها خلال العقدين الأخيرين من القرن العِشرين(١٤٠٠-١٤٢٠ هجرية) وكانت المشكلة أن تلك الصّحوة خرجت من رحم تلك المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة وتخرجت عَلى علمائها وتورط كبار الدعاة المخلصين فيها، في نحت الأصنام العظيمة من رموز المؤسسة الدّينيّة تلك وعلى رأسها سيئا الذكر ابن باز وابن عثيمين اللذان لعبا دورا مشينا إلى جانب الحملات الغازية والحُكُومَات العميلة القائمة في السّعُودِيّة وغيرها، حتَّى ضج من بلاء هذه المؤسسة الكهنوتية كبار قادة المُجَاهدين والدعاة في السّعُودِيّة ذاتها، بعد أن أفتت بزج خيارهم وكبارهم في سجون آل سعود وقضت بتوجيهات من نايف بن عبد العزيز بمنع المئات منهم من التدريس والخطابة.

- لقد تعمقت أزمة المُسلِمِين مع هذه المؤسسة عندما التبس أمرها وأمر علمائها وفتاويها المناصرة للاستعمار وعملائه، المحاربة للجِهَاد والمُجَاهدين وكل من فكر في المُقاوَمة، بسبب أن التّيار الجهاديّ المعاصر كما أسلفت قد استند في كثير من أساسِيَّات فكره ومعتقداته ولاسيما في اعتماد فقه الدليل وأصول الوَلَاء والبَرَاء وكثير من أساسِيَّات العَقِيْدَة إلى نفس المدرسة الفكريّة العقدية (السّلفيّة) الّتي تتاجر بها المؤسسة الدّينيّة السّعُودِيّة، ويتبناها كثير من الدعاة الطيبين الّذين تداخل نشاطهم معها، مما جعل شرائح كبيرة من رواد الفكر الجهاديّ داخل المملكة وخارجها يكنون الكثير من الاحترام والتبجيل لهذه المراجع، فكان أثر ذلك بالغ السوء عَلى أوساط الجِهَاد، وتعرض المدركون لواقع حال هذه المؤسسة إلى صدامات وجدل عنيف داخل أوساط الجهاديّين وإلى الكثير من العنت وهم يحاولون كشف زيف هذه المؤسسة، وهكذا حاربت هذه المؤسسة الجِهَاد والمُجَاهدين داخل المملكة وخارجها وكان لها أثرا سيئا عَلى الجِهَاد في عدد من البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة ودورا في حصار الإمارة الإِسْلَاميّة وإسقاط طالبان، وفي الحملة عَلى الجِهَاد والمُجَاهدين الدّائرة بقيادة أمريكا تحت شعار الحَرب العَالَمِيّة في مكافحة الإِرهَاب، وتقف اليَوْم بالمرصاد لأعمال الجِهَاد والمُقاوَمة ضدّ الأمريكان في



السّعُودِيّة، ولاسيما بعد الهجمات المظفرة الّتي قامت في شهر مايو(٢٠٠٣) عندما نسف استشهاديون سعوديون المساكن الفاخرة لأسر العسكريّين الأمريكان والعاملين في استخباراتهم في الرِّيَاض.

- ويكفي استطلاع بسيط لوسائل الإعلام السّعُودِيّة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفزيون لترى سيل الفتاوى والمقابلات مع عشرات العُلَماء من المؤسسة الرَّسميَّة وغير الرَّسميَّة وقد اصطف كلهم ليكيلوا الشتائم والتهم البَاطِلة للشباب المُجَاهد مستغلين بعض أخطائهم، ويكيلوا المديح وعبارات الوَلَاء للنظام الإِسْلَاميّ الأوحد في الدُّنيَا الّذي يقوم عَلى الشّريعة الإِسْلَاميّة كما يزعمون! وليملؤوا الدُّنيَا ضجيجا بحقوق الكفّار والمعاهدين ويلبسوا الحقّ بالبَاطِل وهم يعلمون.
- وقد أثارت المواقف المخزية للمؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة في السّعُودِيّة حفيظة المُجَاهدين والعُلَماء المخلصين والشرفاء من أبناء الجَزِيرَة وصرحوا بذلك في كثير من الأدبيات والبيانات.
- **قد جمعت بعض ذلك مما أصدره الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن حول هذه المؤسسة الدّينيّة وكذلك بعض ما أصدره أحد أبرز المعارضين السّياسيّين للنظام السّعُودِيّ وهو الدكتور سعد الفقيه في كتاب بعنوان (شهادة قادة المُجَاهدين ورؤوس الإصلاح والمعارضة في بلاد الحرمين عَلى علماء السُّلطَان في بلادهم المسماة "سعودية")**
- والرجلان من الثقاة بصرف النَّظر عن رأينا في طريقتهما المتباينتين في مُوَاجَهة النّظام السّعُودِيّ ومؤسساته الدّينيّة وغيرها، وأقتطف من كتابي المذكور شواهد قصيرة من بعض ما قالوه:

جاء في البيان رقم (١١) هيئة النصيحة والإصلاح بتوقيع (أُسَامَة بن لادن) تاريخ ٢٧/ ٧/ ١٤١٥هـ -٢٩/ ١٢/ ١٩٩٤م وهي بعنوان:

رسالة مفتوحة إلى الشَّيْخ ابن باز ببطلان فتواه بالصُّلح مع اليَهُوْد.

[فضيلة الشَّيْخ: لقد أردنا من ذكر ما سبق تذكيركم بواجبكم تجاه الدّين، وتجاه الأُمّة، وتنبيهكم إلى مسؤولياتكم العظيمة، فإن الذكرى تنفع المُؤمِنِين، أردنا تذكيركم في هذا الوقت الّذي انتفش فيه البَاطِل، وعربد المبطلون المضلون، ووئد الحقّ، وسجن الدعاة، وأسكت المصلحون، **والأغرب أن ذلك لم يتم بعلم منكم وسكوت فقط، بل مرر عَلى ظهر فتاواكم ومواقفكم، ونحن سنذكركم – فضيلة الشَّيْخ – ببعض هذه الفتاوى والمواقف الّتي قد لا تلقون لها بالا، مع أنها قد تهوي بها الأُمّة سبعين خريفا في الضلال كي تدركوا معنا ولو جانبا من خطورة هذا الأمر والآثار السيئة المترتبة عليه.**

وإليكم بعض الأمثلة:

١- إن مما لا يخفى عَلى أحد المدى الّذي وصل إليه انتشار الفساد العارم والّذي شمل كافّة نواحي الحياة حيث فشت المُنكرات المختلفة الّتي لم تعد تخفى عَلى أحد، كما فصلت ذلك مذكرة النصيحة الّتي تقدم بها نخبة من العُلَماء ودعاة الإصلاح، وكان من أخطر ما بينوا هو الشرك بالله المتمثل في التَّشريع وسن القوانين الوضعِيَّة الّتي تستبيح الحرمات والَّتي من أشنعها التعامل بالربا المتفشي في البلاد، وذلك من خلال مؤسسات الدّولة وبنوكها الربوية الّتي تزاحم أبراجها مآذن الحرمين وتعج بها البلاد طولها وعرضها، ومما هو معلوم بالضَّرورة أن الأنظمة والقوانين الربوية الّتي تتعامل بها هذه البنوك والمؤسسات مشروعة من قبل النّظام الحاكم ومصدق عليها منه، **ومع ذلك لم نسمع منكم إلا أن تعاطي الربا حرام لا يجوز !! غير مكترثين بها في كلامكم هذا من التلبيس عَلى النّاس، بعدم التفرق بين حكم من يتعاطى الربا فقط وحكم من يشرع الربا ويقننه.**

مع أن الفرق بينهما واضح كبير، فمتعاطي الربا مرتكب لموبقة من أكبر الموبقات، أما مشرع الربا ومقننه فهو مرتد كافر كفرا مخرجا من الملة بعمله هٰذا، لأنه جعل من نفسه ندا لله وشريكا له في التحليل والتحريم – وهذا ما فصلناه في بحث مستقل سينشر قريباً إن شاء الله-.

ومع أن متعاطي الربا غير المنتهي عنه قد أعلن الله ورسوله عليه الحَرب ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، فما زلنا نسمع منكم عبارات الثناء والإطراء لهذا النّظام الّذي لم يكتف بالإدمان عَلى تعاطي الربا فقط، بل شرعه وقننه وأباحه، وقد قَالَ ﷺ «الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ»[1] صحيح رواه الحاكم.

وقد قَالَ ابن عباس رضي الله عنهما: (فَمَنْ كَانَ مُقِيمًا عَلَى الرِّبَا لا يَنْزِعُ عَنْهُ، فَحَقٌّ عَلَى إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْتَتِيبَهُ، فَإِنْ نَزَعَ وَإِلا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ)[2] اهـ (رواه بن جرير بسنده عن ابن عباس)، هذا فيمن يتعاطى الربا فما بالكم بمن يحلل وشرع الربا؟!!

إن ما تتخبط فيه البلاد من أزَمَات اقتصاديَّة وسياسيّة وما انتشر فيها من الجرائم بشتى أنواعها وبشكل مذهل ما هو إلا عقوبة من الله وجزء من الحَرب الّتي أعلنها سبحانه عَلى من لم ينته عن تعاطي الربا ونحوه من المُنكرات والمحق الّذي حكم به عَلى الربا ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

٢- وحينما علق الملك الصليب عَلى صدره، وظهر به أمام العالم فرحا مسرورا، تأولتم فعله وسوغتموه مع شناعة وفظاعته رغم وضوح أن هذا الفعل كفر، والظَّاهِر من حال فاعله الرضا والاختيار عن علم.

٣- ولما قررت قوّات التَّحالف الصّليبيّة واليَهُوْدية الغازية في حرب الخليج - بتواطؤ مع النّظام - احتلال البلاد باسم تحرير الكويت سوغتم ذلك بفتوى متعسفة بررت هذا العمل الشنيع الّذي أهان عزة الأُمّة ولطخ كرامتها، ودنس مقدّساتها، معتبرة ذلك من باب الاستعانة بالكافر عند الضَّرورة، مهملة قيود هذه الاستعانة، وضوابط الضَّرورة المعتبرة شرعا.

٤- ولما قام النّظام السّعُودِيّ الحاكم بمساعدة ودعم رؤوس الرِّدَّة الاشتراكية الشُّيُوعِيّة في اليمن ضدّ الشعب اليمني المسلم في الحَرب الأخيرة التزمتم الصمت، ثمّ لما دارت الدّائرة عَلى هَؤُلَاءِ

(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني: صحيح الجامع(٣٥٣٩).

(٢) رواه الطبري في تفسيره ت شاكر: (٦/ ٢٥/ ٦٢٦١).

الشُّيُوعِيّين، أصدرتم – بإيعاز من هذا النّظام – (نصيحة !!) تدعو الجميع إلى التصالح والتصافح باعتبارهم مُسلِمِين !! موهمة النّاس أن الشُّيُوعِيّين مسلمون يجب حقن دمائهم، فمتى كانَ الشُّيُوعِيّون مُسلِمِين ؟ ألستم أنتم الّذين أفتيتم سابقا بردتهم ووجوب قتالهم في أفغانستان؟ أم أن هناك فرقا بين الشُّيُوعِيّين اليمنيين والشُّيُوعِيّين الأفغان؟ فهل ضاعت مفاهيم العَقِيْدَة وضوابط التّوحيد واختلطت إلى هذا الحد؟

وما زال النّظام الحاكم يؤوي أئمة الكفر هَؤُلَاءِ في مختلف مدن البلاد، ولم نسمع لكم نكيرا، وقد قَالَ ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا» رواه مسلم(١).

٥- وحينما قرر النّظام البطش بالشَّيْخ سلمان العودة والشَّيْخ سفر الحوالي – اللذين صدعا بالحق وتحملا في الله الأذى استصدر منكم فتوى سوغ بها كلّ ما تعرض ويتعرض له الشَّيْخان ومن معهما من دعاة ومشائخ وشباب الأُمّة من البطش والتنكيل، فك الله أسرهم ورفع عنهم ظلم الظَّالمين.

هذه بعض الأمثلة الّتي لم نقصد منها الحصر، ولكن اقتضى المقام ذكرها ونحن بين يدي فتواكم الأخيرة بشأن ما يسمى بهتانا بالسَّلام مع اليَهُوْد، الّتي كانت فاجعة للمسلمين، حيث استجبتم للرغبة السّياسيّة للنظام لما قرر إظهار ما كانَ يضمره من قبل من الدخول في هذه المهزلة الاستسلامية مع اليَهُوْد، فأصدرتم فتوى تبيح السَّلام مطلقا ومقيدا مع العدوّ، فما كانَ من رئيس وزراء العدوّ الصّهيونيّ وبرلمانه إلا أن صفقوا لها وأشادوا بها، كما أعلن النّظام السّعُودِيّ عقبها عن نيته في تنفيذ المزيد من التطبيع مع العدوّ.

وكأنكم لم تكتفوا بإباحة بلاد الحرمين الشريفين القوَّات الاحتلال اليَهُوْدية والصّليبيّة، حتَّى أدخلتم ثالث الحرمين في المصيبة بإضافتكم الصبغة الشَّرعيَّة عَلى صكوك الاستسلام الّتي يوقعها الخونة والجبناء من طواغيت العَرَب واليَهُوْد.

إن هذا الكلام خطير كبير، وطامة عامة لما فيه من التلبيس عَلى الأُمّة ....

---

(١) رواه مسلم (١٩٧٨).

وقد سبقنا إلى تنبيهكم عليه نخبة من علماء ودعاة الأُمّة، حيث تقدموا لكم بمناشدات عدّة في هذا الصدد منها مناشداتهم إياكم قبل مدّة بالامتناع عن الفتوى بجواز هذا السَّلام، الاستسلامي المزعوم مع اليَهُوْد، مبينين عدم استيفائه للشروط اللازمة شرعا، محذرين من المخاطر الجمة الدّينيّة والدنيوية المترتبة عليه، ومن الموقعين عَلى تلك المناشدة الشُّيُوخ الأفاضل: عبدالله بن عبد الرَّحْمن بن جبرين، عبدالله بن حسن القعود، حمود بن عبدالله التويجري رحمه الله حمود بن عبدالله الشعبي، عبد الرَّحْمن بن ناصر البراك، سلمان العودة، إبراهيم بن صالح الخضري، عبد الوهاب النّاصر الطريري، إبراهيم بن محمّد الدبيان، عبدالله بن حمود التوجري، عبدالله الجلالي، عائض القرني، وغيرهم كثير – حفظهم الله جميعا – وستجدون نص مناشدتهم مع هذه الرّسالة إن شاء الله.

وفي حرب اليمن الأخيرة، لما صدر الكلام المشار إليه سابقا، أصدر خمسة وعشرون عالما فتوى معارضة له مبينة الصواب الشَّرعيّ في المسألة، ومن هَؤُلَاءِ العُلَماء الأفاضل: عبدالله سليمان المسعري، حمود بن عبدالله الشعبي، عبدالله الجلالي، سلمان العودة، د.سفر الحوالي، د.ناصر العمر، يحيى بن عبد العزيز اليحيى، د.عبدالله بن حمود التويجري، وغيرهم كثير – حفظهم الله جميعا –.

وفي البيان رقم (١٢) هيئة النصيحة والإصلاح بتوقيع (أُسَامَة بن لادن) بتاريخ ٢٨/ ٨/ ١٤١٥هـ. ٢٩/ ١/ ١٩٩٥م، وهي بعنوان: الرّسالة الثّانية إلى الشَّيْخ عبد العزيز بن باز.

جاء فيها ما نقتطف منه ما يلي:

[غير أن الجميع فوجئ لا لأنكم أكدتم فتواكم السَّابقة بما نشرته الجريدة المدعوة «المُسلِمُون» بتاريخ ١٩ شعبان ١٤١٥هـ، الموفق ٢٠ يناير ١٩٩٥ في عددها (٥٢٠) فقط، بل لما تضمنه هذا التأكيد أيضا من إضافات وتفسيرات لمفهومكم لما يسمى بالسَّلام مع اليَهُوْد، حيث تضمنت تلك التفسيرات أمورا لم يكن اليَهُوْد وعملاؤهم يحلمون بصدورها منكم لما أشادوا بالفتوى السَّابقة وصفقوا لها ....

إن الأُمّة عموما وأهالي فِلَسطِين خُصُوصَاً كانوا ينتظرون منكم القيام بواجبكم الشَّرعيّ تحريضا عَلى الجِهَاد واستنهاضاً للهمم له وحثاً للنَّاس عليه وتأييداً ودعما للناهضين بأعبائه من الأفراد والجماعات.

وما كانوا يتوقعون منكم مثل هذه الفتوى الّتي تؤثم المُجَاهدين لتحرير الأقصى وفلسطين، نعم تؤثمهم، لأَنّهم بعمليّاتهم الجهاديّة ضدّ اليَهُوْد يخرقون اتفاق غزة أريحا الّذي وقعه (ولي أمر المُسلِمِين في فِلَسطِين) كما زعمتم، وخرق اتفاق وقعه ولي أمر المُسلِمِين لا يجوز !!

وبهذه الفتوى تثبطون وتصيبون بالإحباط أولئك الّذين قدموا الآباء والأبناء والأخوان والأزواج شهداء في سبيل الله لتحرير القُدس وفلسطين، لأَنّهم بمقتضى هذه الفتوى يكونون ماتوا عَلى معصية لأَنّهم خرقوا اتفاقا عقده (ولي أمر المُسلِمِين في فِلَسطِين) هذا معنى كلامكم ومقتضى فتواكم، فهل تعون ما تقولون ؟!أم تقولون عَلى الله ما لا تعلمون؟!...

فإنْ كُنتَ لَا تَدرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ ۞ وَإِنْ كُنْتَ تَدْرِي فَالمصِيْبَةُ أَعْظَمُ

خامسا: إن ما يبعث عَلى الخوف والقلق ليس مجرد صدور هذه الفتوى منكم، ولكن الأدهى أن هذه الفتوى صدرت بمقتضى منهج متبع من قبلكم في إصدار مثل هذه الفتاوى، أهمّ ما يميزه:

1- أنه ينطلق من مبدأ مجاراة حُكَّام السوء في أهوائهم السّياسيّة، ومواقفهم علىَ تصرفاتهم.
2- وفي سبيل ذلك يتعسف الأدِلَّة ويلوي أعناق النّصوص لتستجيب لتلك الرغبات.
3- وإذا لم تسعف النّصوص القابلة لذلك في الواقعة والمعروضة أبهم الحكم بصورة يتوصل بها الحكَّام لمرادهم.
4- أنه قائم علىَ الجهل بالواقع الّذي هو مناط الحكم ولا تجوز الفتوى علىَ جهل به.
5- ولأنه مبني علىَ رغبات الحكّام المتقلبة فقد اتسم بكثير من التناقض والتعارض.
6- وقد أوردنا في رسالتنا السَّابقة من الأمثلة ما يشهد بصدق هذا الكلام.

ولا يخفى ما في هذا المنهج من البطلان الظَّاهِرِ والفساد الجلي لأنه قائم علىَ التشهي والمحاباة في إصدار الفتاوى. أهـ.

كما جاء في منشورات الحركة الإِسْلَاميّة للإصلاح الّتي يرأسها الدكتور سعد الفقيه في لندن:

النشرة ٢٤ بعنوان: الشَّيْخ بن عثيمين أجوبة تثير أسئلة بتاريخ ١٢ربيع الثّاني ١٤١٧هـ ٢٦/ ٨/ ١٩٩٦ صدرت هذه النشرة بعد نشر جريدة «المُسلِمُون» لمقابلة مع الشَّيْخ محمّد بن عثيمين، وهي بعنوان: (الشَّيْخ ابن عثيمين...أجوبة تثير أسئلة).

مقتطفات من بعض فتاوى ابن عثيمين السّياسيّة الشَّرعيَّة ومن ذلك:

قَالَ الشَّيْخ في معرض رده عَلى سؤال حول طاعة ولي الأمر:

(وإذا فرضنا عَلى التقدير البعيد أن ولي الأمر كافر فهل يعني ذلك أن نوغر صدور النّاس عليه حتَّى يحصل التمرد والفوضى والقتال، لا شَّكَّ أنه من الخطأ، المصلحة الّتي تحصل غير مرجوة في هذا الطّريق، المصلحة الّتي يريدها هذا لا يمكن أن تحصل بهذا الطّريق، بل يحصل بذلك مفاسد عظيمة لأنه مثلاً إذا قام طائفة من النّاس عَلى ولي الأمر في البلاد وعند ولي الأمر من القوّة والسلطة ما ليس عند أحد ما الّذي يكون ؟ هل تغلب هذه الفئة القليلة ؟ لا تغلب بل بالعكس يحدث الفوضى والفساد، ولا تستقيم الأمور، والإنسان يجب أن ينظر أولاًبعين الشَّرع، ولا ينظر أيضاً إلى الشَّرع بعين عوراء ينظر إلى النّصوص من جهة دون الجهة الأخرى، بل يجب أن يجمع بين النّصوص).

وأما في السّؤال الآخر حول البيعة فقد قَالَ الشَّيْخ: (لا شَّكَّ أن هٰذا(١) خاطئ وإذا مات فإنه يموت ميتة جاهلية لأنه سيموت وليس في رقبته بيعة لأحد، والقواعد العامّة في الشّريعة الإِسْلَاميّة أن الله يقول ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦] فإذا لم يوجد خليفة للمسلمين عموماً فمن كانَ ولي أمر في منطقة فهو ولي أمرها، وإلا لو قلنا بهذا الرَّأي الضال لكان النّاس الآن ليس لهم خليفة ولكان كلّ النّاس يموتون ميتة جاهلية، ومن يقول بهذا ؟ الأُمّة الإِسْلَاميّة تفرقت من عهد الصّحابة تعلمون أن عبدالله بن الزبير في مكّة، وبني أمية في الشّام، وكذلك في اليمن أناس وفي مصر أناس، وما زال المُسلِمُون يعتقدون أن البيعة لمن له السّلطة في المكان الّذي هم فيه ويبايعونه ويدعونه بأمير المُؤمِنِين ولا أحد ينكر ذلك فهذا شاق لعصا المُسلِمِين من جهة عدم التزامه بالبيعة ومن جهة أنه خالف إجماع المُسلِمِين من عهد قديم).

---

(١) يقصد المواطن المسلم الّذي ليس عنده بيعة لولي أمر بلاده.

وفي معرض جوابه عن قضية البيعة قَالَ الشَّيْخ: (ثمّ إنه إذا بويع الإنسان بالإمرة عَلى بلد من البلاد ثمّ جعل له ولي عهد فهو ولي عهده من بعده، إذا انتهت ولاية الأوّل صار الثّاني ولي أمر بدون مبايعة ولا يصلح النّاس إلا هٰذا، لو قلنا أن ولي العهد ليست له ولاية عهد حتَّى يبايع من جديد صارت فوضى، لكن مثل هذه الآراء يلقيها الشّيطان في قلوب بعض النّاس من أجل أن تفترق جماعة المُسلِمِين ويحصل التحريش الّذي بينه الرَّسُول عليه الصّلاة والسّلام إذ قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**»[1]). اهـ.

وقد علق الفقيه عَلى فتاوى ابن عثيمين تعليقا لاذعا ساخرا يناسب ما حوته من الدجل والأباطيل الّتي يصل إلى حد التناقض مع صريح القرآن وصحيح السنة وإجماع علماء الأُمّة في كلّ تاريخها.

وفي النشرة (٢٨) بتاريخ ١١/ جمادى الأولى ١٤١٧هـ ٢٣/ سِبتَمبر ١٩٩٦م، صدرت هذه النشرة بعد أن نشر تعليق للشيخ ابن باز حول بيان ابن لادن والدّعوة لمحاربة الأمريكان، وهي بعنوان: (ابن باز بين محمّد بن عبد الوهاب وابن تَيمِيّة).

قَالَ سعد الفقيه:

لكن آلمنا أي إيلام هذه التزكية العظيمة الّتي أعطاها الشَّيْخ للدولة السّعُودِيّة الحالية بقيادة خادم الحرمين، قَالَ الشَّيْخ: (**وهذه الدّولة السّعُودِيّة دولة مباركة نصر الله بها الحقّ ونصر بها الدّين وجمع بها الكلمة وقضى بها عَلى أسباب الفساد، وأمن بها البلاد، فحصل بها من النعم العظيمة ما لا يحصيه إلا الله**).

وهذا القول من الشَّيْخ خطير جدا لأن الشَّيْخ يعلم تمام العلم أن هذا الّذي قاله هو عكس الواقع بالضبط، والّذين يرددون بأن الشَّيْخ يدلس عليه مخطئون لأنّنَا نعلم يقينا، ونحن شهود عَلى ذلك في الدُّنيَا والآخرة، أن هذا الأمر غير صحيح، وأن الشَّيْخ عَلى اطلاع كامل وتفصيلي عَلى ما يجري في البلد ويعلم كلّ تفاصيل المخالفات الشَّرعيَّة الّتي يرتكبها النّظام عَلى مستوى الدّولة وعلى مستوى الأفراد المتنفذين، بل إن الشَّيْخ كما يعرف القريبون منه أعلم بكثير ممن يدعون أنهم عَلى علم بما يجري،

---

(١) أصله عند مسلم (٢٨١٢) بلفظ: «... أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ ...».

لأن معظم أهل الإصلاح يوصلون من عندهم من أخبار ومعلومات وملاحظات ونصائح للشيخ نفسه، ولقد شهدنا شخصيا جلسات كثيرة بسط فيها الواقع للشيخ بشكل تفصيلي ليس فيه مواربة، بل أننا نستطيع أن نقول إن الحجة قد أقيمت عَلى الشَّيْخ وأن الذمة قد برئت معه من قبل عدد كبير من المشائخ وأساتذة الجامعات والمصلحين، وأن إقامة الحجة في بيان الواقع عَلى التفصيل للشيخ قد حصلت مرارا وتكرارا من قبل أناس يثق الشَّيْخ ويأخذ بحديثهم، والّذي يشك في ذلك ليس عليه إلى قراءة مذكرة النصيحة الّتي قدمت للشيخ وراجعتها اللجنة الخماسية وهيئة كبار العُلَماء والشَّيْخ هو رئيس تلك الجهتين، ولا يجادل أحد أن تلك المذكرة حجة عَلى من قرأها، والّذين يحاولون الدّفاع عن الشَّيْخ من خلال تصويره كرجل ساذج جالس في سرداب لا يتعرف إلا عَلى ما يطلعه النّظام عليه مخطئون، فالشَّيْخ عَلى اتصال بالعالم كله داخلياً وخارجياً، وعلى دراية تفصيلية بالأوضاع، ومتابعة إجبارية أجبره عليها عدد كبير من الدعاة والمصلحين وطلبة العلم.

ولذلك فإن الشَّيْخ يرتكب خطأً عظيماً ومنزلقاً خطيراً حين يزكي الدّولة هذه التزكية وهو يعلم حالها، ويعلم كذلك من خلال اطلاعه الشَّرعيّ خطورة مثل هذا العمل، فالشَّيْخ ليس غريباً عن مؤلفات وأقوال علماء الدّعوة وخاصة الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب، الشَّيْخ مثلاً يعلم يقيناً أن النّظام يحكم بغير ما أنزل الله رغم تكرار التنبيه والنصيحة.

فماذا يقول الشَّيْخ إذا بقول محمّد بن عبد الوهاب عن أولئك الّذين يزكون من يحكم بغير ما أنزل الله ؟

قَالَ رحمه الله: (إن هَؤُلَاءِ الطواغيت الّذي يعتقد النّاس فيهم وجوب الطاعة من دون الله كلهم كفار مرتدون عن الإِسْلَام، كيف لا وهم يحلون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله، ويسعون في الأرض فساداً بقولهم وفعلهم وتأييدهم، ومن جادل عنهم، أو أنكر علىَ من كفرهم، أو زعم أن فعلهم هذا لو كانَ بَاطِلاً لا ينقلهم إلى الكفر، فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق، لأنه لا يصح دين الإِسْلَام إلا بالبَرَاءة من هَؤُلَاءِ وتكفيرهم)[1].

(١) (الرّسائل الشَّخصيَّة، ١٨٨).

فإذا كانَ مجرد عدم التَّكفِير جريمة كبرى عند الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب، فكيف بمن يصفهم بأحسن أوصاف الإِسْلَام ويزكي دولتهم ونظامهم ويحمل عَلى من أنكر عليهم)...

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة].

وهذا في مجرد كاتم العلم فقط، فكيف بمن يذهب إلى أبعد من مجرد كتمان العلم إلى تزكية الطَّاغوت وتزكية الّذي يوالي أعداء الله وتزكية الظَّالم المحارب للإسلام والدّعوة، والناشر للربا والفساد؟

ونحن يسرنا أن يتوب الشَّيْخ من هذا الأمر ويقلع عن مثل هذه التزكيات الخطيرة الّتي تدخله في كلام الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب ويسرنا أن يتحول الشَّيْخ من مدافع عن النّظام إلى مدافع عن الحقّ والدّين وكاشف لجرائم النّظام ضدّ الإِسْلَام، ولكن هذا ليس هو الأهم، إن الأهم هو أن يتذكر المُسلِمُون أنهم لا يأخذون الدّين إلا ممن يوافق كلامه الكتاب والسنة وينزل علم الشَّرع بأمانة وإخلاص عَلى الوقع حتَّى يكون موقعا عن الله في ركب العُلَماء المصلحين، والمسلم ليس متعبداً بكلام ابن باز ولا ابن عثيمين بل هو متعبد بقول الله وقول رسوله ﷺ، ومن فضل الله علينا أنه ليس في الإِسْلَام كهنوت ولا فاتيكان يحتكر تفسير القرآن وفهم السنة، بل إن الحقّ الّذي في الكتاب والسنة هو الحكم عَلى الرّجال وليس الرّجال حكم عَلى الكتاب والسنة، إن مشكلة الشَّيْخ ابن باز ليست مجرد تزكية النّظام بل لقد اضطر الشَّيْخ أن يتناقض أكثر من مرّة في فتاويه بسبب مداراة النّظام، ومن أمثلة هذا التناقض الصريح فتوى الشَّيْخ في تحريم الاستعانة بغير المُسلِمِين الّتي وجهت لجمال عبد النّاصر، والَّتي قَالَ فيها الشَّيْخ أن الاستعانة لا تجوز حتَّى عند الضَّرورة[1]، وكان ذلك هو هوى النّظام في تلك الفترة، ومرت السنين وانقلبت الصُّورة فاحتاج آل سعود لقلب الفتوى فانقلب معهم الشَّيْخ ولم يكتف

---

(١) أفتىٰ الشَّيْخ بمثل هٰذا التحريم للمُجَاهدين في سوريا ضدّ حافظ الأسد عندما حرم الاستعانة بالأحزاب المرتدّة وبالنّظام العراقي في ذلك الجِهَاد، وكان نص فتواه (تحريم الاستعانة مطلقا)، راجع كتاب (الثَّورة الإِسْلَاميّة الجهاديّة في سوريا) للمؤلف (١/ ٢٦٤).

بتجويز الاستعانة للضرورة بل اعتبرها واجبة وآثم من لم يعملها، تناقض آخر وقع فيه الشَّيْخ عندما أصدر بيانا ينصح فيه حكمتيار بالانضمام إلى (ولي الأمر) رباني مع أن حكمتيار له جيشه وله أرضه الّتي يسيطر عليها، وميزة رباني أن هوى الدّولة معه، وعندما حصلت حرب اليمن كانَ الانفصاليون الشُّيُوعِيّون في حكم الخوارج عَلى الحاكم حسب نظريَّة الشَّيْخ، ومع ذلك فقد أصدر الشَّيْخ بيانا يدعو فيه إلى حقن الدِّماء والصُّلح بين الفريقين ولم يدع إلى الانضمام إلى ولي الأمر، لأن هوى النّظام كانَ مع الشُّيُوعِيّين، هذا فضلا عن قائمة الفتاوى الصادرة من الشَّيْخ تبعا لرغبة النّظام وأولها فتوى استدعاء القوّات الّتي اعتبرها الشَّيْخ واجبة وليست مجرد جائزة، ثمّ بيان هيئة كبار العُلَماء، ضدّ خطاب المطالب وبيان الهيئة ضدّ مذكرة النصيحة وبيان الهيئة ضدّ لجنة الدّفاع، وبيان الهيئة في الأمر بتوقيف الشَّيْخين سلمان وسفر من أجل ((حماية المجتمع من أخطائها)) والفتاوى الأخيرة الّتي جعلت الأمريكان من المعاهدين معصومي الدَّم واعتبار قتلهم من أعظم أنواع الفساد في الأرض، ترى هل قرأ الشَّيْخ كلام شيخ الإِسْلَام بن تَيمِيّة فيمن يفتي بخلاف الكتاب والسنة موافقة لهوى السُّلطَان.

قَالَ الإِمَام ابن تَيمِيّة في الفتاوى[1]:

[وَمَتَى تَرَكَ الْعَالِمُ مَا عَلِمَهُ مِنْ كِتَابِ اللهَّ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَاتَّبَعَ حُكْمَ الْحَاكِمِ الْمُخَالِفِ لِحُكْمِ اللهَّ وَرَسُولِهِ كَانَ **مُرْتَدًّا كَافِرًا** يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ].

نسأل الله أن يبصر المُسلِمِين جميعا بدينهم ويرزقهم الفرقان الّذي يفرقون به بين علماء الرَّحمٰن وعلماء السُّلطَان...).اهـ.

وفي النشرة (٣١) بتاريخ ٢جمادى الآخرة ١٤١٧، الموافق ١٤/ ١٠ / ١٩٩٦، وهي بعنوان:

(جريمة كبرى في سجون آل سعود) أورد الفقيه معلومات خطيرة عن التعذيب في السّعُودِيّة وحمل العُلَماء الرسميين المسؤوليّة في ذلك فقال:

(١) الفتاوى (ج٣٥ ص٣٧٢-٣٧٣)

لقد ثبت لدى الحركة من مصادر مطلعة داخل الجهاز الأمني أن فرق التعذيب اقترفت الجرم الأثيم، المتمثل في هتك أعراض عدد كبير من المعتقلين وتكرار الاعتداء الجنسي عليهم، في محاولة لسحق شخصياتهم والقضاء عَلَى نفسياتهم العالية.

لقد أفادت المعلومات القادمة من داخل السّجون أن الّذين طالهم الاعتقال بسبب ماضيهم الجهاديّ يتعرضون لسلسلة من الضغوط تنتهي بتلك النهاية المشينة والعياذ بالله، حيث يطلب من كلّ من له علاقة بذلك التّيار بالإقرار (كرها) بأنه يؤمن بتكفير الحكَّام والمجتمع والعُلَماء، وإذا لم يوافق عذب تعذيبا شديدا بشتى أنواع التعذيب النّفسيّ والجسدي، فإن أصر عَلَى الرفض، يهدد بالاعتداء الجنسي فحينئذ لا تتورع الكلاب البشرية عن تنفيذ ذلك التهديد وارتكاب الجريمة القذرة ولربما تمَّ تصويره في هذا الوضع المشين إمعانا في إهانته وابتزازه إلى أقصى حد ممكن.

ولقد علمت الحركة أن هذه الجريمة الحقيرة الّتي تحصل في قلب جَزِيرَة العَرَب وعلى يد زبانية (دولة التّوحيد) إنما تأتي تنفيذا للبرنامج الّذي اقترحه مستشارو وزارة الداخليَّة القادمون من شمال أفريقيا(١)، والّذين نجحوا في إقناع وزير الداخليَّة بفعالية هذا الأسلوب في تحقيق الجزء الهام من تجفيف المنابع، من خلال تحطيم شخصية أولئك الشَّبَاب والقضاء عَلَى معنوياتهم ونفسياتهم، نعم لربما حصل شيء من التهديد بالاعتداء في الماضي لمن يعتقد أنهم ممن ليس لهم ظهر يحميهم، بل ربما استغل المحققون صلاحياتهم في حالات فرديَّة شاذة ونادرة دون علم، رؤسائهم، لكن لم يخطر ببال أحد من أن تتحول هذه الممارسات إلى عمل روتيني بعلم وتوجيه وإقرار الرؤساء الكبار وعلى رأسهم وزير الداخليَّة شخصيا.

إن تحمل نايف مسؤولية هذه الجريمة لا يعني أبدا إعفاء أخوته من المتنفذين، فكل صاحب قرار في سياسة هذه الدّولة مسؤول عن هذه الجريمة القذرة، ويتحمل تبعاتها مثلما تحملها نايف، ويستحق ما يترتب عَلَى ذلك في الحاضر والمستقبل، ولا ولن يعفيه كونه خارج وزارة الخارجيّة، وإذا كانَ نايف

---

(١) كانَ من أبرز مستشاري وزير الداخليَّة نايف بن عبد العزيز فريق من خبراء الأمن المصري يرأسهم وزير الداخليَّة المصري الأسبق زكي بدر الّذي عرف بفجوره وبذاءته وسقوطه فضلاً عن كفره.[المؤلف]

لا يقيم وزنا للعرض ولا للشرف ولا للغيرة كما فعل في حياته الشَّخصيَّة، فإن هذا سيندرج بعد هذه الجريمة عَلى إخوته وسيكونون جميعا متهمين بما اتهم به نايف.

بل إن المسؤوليّة تتجاوز المتنفذين من آل سعود إلى أولئك الّذين يضفون عليهم وعلى أعمالهم الشَّرعيَّة صفات التّوحيد، ويمعنون في تزكية هذا النّظام وحرصه عَلى الدّين والدّعوة وخدمة الإِسْلَام وأنه قد حقق عَلى يديه (من النعم ما لا يحصيه إلا الله) فهَؤُلَاءِ لا نعتبرهم مقصرون فحسب في إنكار المُنكر الصريح والمعلن، والّذي يستحقون به ما جاء في سورة البقرة من وعيد للمتخلف عن البيان، بل إنهم في الحقيقة، ونقولها بكل قناعة وعلم ومعرفة – شريكون في الجريمة، نعم شركاء فيها وسيحاسبون عليها يوم القيامة كما لو كانوا قد مارسوها بأنفسهم، فإنهم من أقوى الأركان الّتي يتكئ عليها النّظام في استقراره، وأقوالهم ومواقفهم من أقوى الحجج الّتي يحتج بها النّظام في ممارساته، بل إن جريمتهم أعظم كونهم لبسوا لباس العلم وتحملوا مسؤولية الفتيا، فلم يتورعوا بعد ذلك عن الكذب عَلى الله ورسوله والحيدة عن الحقّ الّذي استأمنهم الله عليه، والمصيبة أنهم يعلمون كلّ ذلك من خلال معرفتهم بسيرة علماء السَّلَف من أمثال الإِمَام مالك والإمام أحمد بن تَيمِيّة وغيرهم، يعلمون أنهم ليسوا مجرد أعوان للظلمة بل هم الظُّلمة أنفسهم، يعلمون هذا كله، ويعلمون أن إثم وجرم ومآل العالم الّذي يدافع عن الظَّالم ويزكيه أعظم من جرم وإثم ومآل الظَّالم نفسه، ولا ندري حقيقة لماذا يصر بعض السذج عَلى الفزعة إليهم والشكوى عندهم وهم يرون تزكيتهم للكفر والشرك والظُّلم والفسوق والعصيان، بل وتنافسهم وتحايلهم في الحصول عَلى مخرج وتفسير لكل جريمة للنظام مهما عظمت، بطريقة لا يمكن أن تخطر ببال أساطين النّظام نفسه، وإذا كانَ النّاس قد انبهروا بنصوص ومتون محفوظة فقد وصف القرآن الحفاظ من علماء بني إسرائيل الّذين لا يعملون بعلمهم ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة: ٥]، بل إن كثيرا من علماء المستشرقين أعداء الإِسْلَام لم يقصروا في حفظ النّصوص والمتون والقيام عليها وخدمتها وتصنيفها وترتيبها رغم عداءهم للإسلام وحربهم له.

أنّنا نقولها مرّة أُخرى، أن العُلَماء الرسميين شريكون في هذه الجريمة القذرة، ونشهد أمام الله ثمّ أمام النّاس أن الحجة قد قامت عليهم علما بالشَّرع وعلما بالواقع). اهـ.

وفي النشرة (٣٣) بتاريخ ١٦جمادي ٢/ ١٤١٧ – ٢٨اكتوبر ١٩٩٦، بعنوان: (من هم علماء الإِسْلَام؟) قَالَ الفقيه:

التمييز بين علماء رسميين وغير رسميين لم يكن واضِحاً قبل أن تدخل الصّحوة في مُوَاجَهة مع النّظام والَّتي بدأت بشكل واضح منذُ أزمة الخليج الثّانية، وتصاعدت بعد ذلك في الخطوات الإصلاحية الّتي تلت أحداث تلك الأزمة، ثمّ بلغت ذروتها في الحملة الشرسة ضدّ العُلَماء والدعاة، الّتي شنها النّظام قبل سنتين ومازالت قائمة إلى الآن.

ليس المقام هنا مقام تصنيف العُلَماء، ولكنه استجماع للصورة الّتي تكونت إثر تلك المحنة والتجربة القاسية، ومن ثمّ مراجعة المواقف والنَّظرات تجاه العُلَماء الرسميين، وخاصة أولئك الّذين كانوا يصنفون إلى عهد قريب، وكأنهم جزء من كيان الصّحوة والحركة الإصلاحية.

لا يجادل أحد بأن آل سعود يعتمدون بشكل كبير عَلى مؤسسة دينية ضخمة تؤمن لهم (الشَّرعيَّة) ويجمع كلّ آل سعود – حتَّى الملحدين منهم – عَلى ضرورة هذه المؤسسة، لتأمين انقياد الشعب، الّذي يشكل الدّين جزءا رئيسيا من تركيبته النّفسية والثَّقافيَّة، وأهم مكوّنات هذه المؤسسة الدّينيّة، هيَ هيئة كبار العُلَماء، والقضاة، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، ورغم ضخامة هذه المؤسسة من حيث العدد، لكن قيمتها المعنوية مرتبطة بعدد قليل جدا من العُلَماء، منحوها ثقلها في الوقت الحاضر وحولها إلى قوة فاعلة، ولولا الارتباط برمز أو رمزين من أولئك العُلَماء لتهاوت كلّ تلك المؤسسة وتهاوى ثقلها تماما، وسبب ذلك أن الّذين يشكلون هذه المؤسسة، سواء كانوا أعضاء في هيئة كبار العُلَماء أو قضاة أو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر ن هَؤُلَاءِ نوعين، الأوّل مغمور غير معروف وليس له تاريخ علمي أو دعوي يجعل منه صاحب ثقل ينتفع به النّظام، والثّاني مشهور ومعروف لكنه مفضوح في خيانته للدين ومتفق عَلى أنه يأكل بدينه ويبيع الفتاوى ويتاجر بعلمه الشَّرعيّ، ويبقى سوى أولئك شخص أو شخصان من المعروفين المشهورين بسعة معرفتهم بالعلوم الشَّرعيَّة ونشاطهم العلمي والتدريسي، وفي نفس الوقت صلاحهم عَلى المستوى المالي والسُّلُوكي، ونجاتهم من مشكلة المتاجرة (ماليا) بالفتاوى والمرافق الدّينيّة.

قبل أن تبدأ مُوَاجَهة الصّحوة مع النّظام، وقبل أن يدخل العُلَماء في اختبار (تغيير المُنكر) كانَ قد سطع نجم هَؤُلَاءِ للسببين المذكورين سابقا، ولسبب آخر هو غياب المُوَاجَهة بين الإِسْلَام والنّظام مما جعل المقياس محدودا عَلى الصلاح الشخصي والأمانة المالية ودرجة الزهد والتنسك، أما اختبار العُلَماء عَلى قدر مواجهتهم للظلم وصدعهم بالحق وإنكارهم للمُنكر، فلم يكن ذلك الميدان قد فتح بعد، ولذا فاز نفر قليل من العُلَماء الرسميين بالقبول لدى النّاس، وكسبوا مصداقية كبيرة.

جاءت أزمة الخليج وكان الاختبار الأوّل فانكشف العُلَماء الرسميون لأول وهلة ولم يقل واحد منهم كلمة الحقّ، بل لقد تجاوز بعضهم الفتوى بجواز الاستعانة بالكفار إلى جعلها واجبة ومن ثمّ آثم من لم يقم بها، وحين تحرك الدعاة والعُلَماء ينتقدون الأوضاع الخاطئة سعياً لتغيير المُنكر بلسانهم وقياماً بواجب البلاغ والصدع بالحق الّذي تخلف عنه أولئك الرسميون، حدث تطور آخر.

حيث تشكل بأمر ملكي لجنة خماسية يرأسها الشَّيْخ بن باز مهمة هذه اللجنة تأديب أولئك الدعاة وفصلهم عن الخطابة ومنعهم من تأدية الواجب الشَّرعيّ، وتقوم هذه اللجنة بدراسة القوائم الّتي تقدمها لها وزارة الداخليَّة والتقارير الّتي يعدها جهاز المباحث، ثمّ تقرر من خلال ذلك أن فلاناً يجب إيقافه عن الخطابة أو التدريس، وفلاناً يجب فصله تماماً وفلاناً يجب تنبيهه، وإذا قدمت القوائم لهذه اللجنة فقلما ينجو منها أحد فالجميع يوقف أو يفصل، وعلى يد هذه اللجنة فصل عشرات بل وربما مئات من الخطباء والدعاة، وفي حين كانت فتوى الهيئة بإضفاء الشَّرعيَّة عَلى احتلال الكفّار لجَزِيرَة العَرَب دعماً شرعياً دون حدود للنظام، فقد كانَ تشكيل اللجنة الخماسية المرة الأولى الّتي ينكشف فيها كون هذه المؤسسة جزء من النّظام، لقد ظن الكثير من الدعاة والمصلحين أن هذا التطور دخيل عَلى أعضاء هذه المؤسسة والحقيقة هيَ غير ذلك، فلم يكن هناك تغير في سياسة وتفكير أولئك العُلَماء وكل الّذي حصل أنهم أصبحوا في الواجهة مع النّظام فانكشف الدَّور بعد أن كانَ لا مُوَاجَهة.

بعد ذلك أخذت مُوَاجَهة الدّعوة من قبل هذه المؤسسة الدّينيّة شكلاً سياسيّاً مفضوحاً حين أصدرت هيئة كبار العُلَماء بياناً ضدّ خطاب المطالب، وتحولت إلى مدافع عن النّظام ضدّ الدعاة والمصلحين، وكذلك ضدّ الشعب كله الّذي دعم هذه المطالب، ولم يكن بيان الهيئة ضدّ خطاب المطالب

زلة أو هفوة بل كانَ عملاً مؤسساً مقصوداً، وثبت ذلك حين تكرر ذلك الموقف في بيان الهيئة ضدّ مذكرة النصيحة، ذلك البيان الّذي احتوى من العبارات ما لا يقبلها حتَّى المسلم العامي، لأنه تهجم عَلى النيات والمقاصد واتهم معدي المذكرة بسوء النِّيَّة وقصد التخريب، ثمّ عادت الهيئة وكررت العمليّة في بيانها ضدّ لجنة الدّفاع، توطئة للحملة الأمنيّة الّتي شنت ضدّ اللجنة بعد ذلك جاءت مرحلة المُوَاجَهة الحقيقيَّة والشّاملة مع الدّعوة والمصلحين وعلماء الحقّ، حيث سخرت الهيئة مظلتها وخاصة الشَّيْخ عبد العزيز بن باز لاعتقال الشَّيْخين سلمان وسفر، في خطاب طويل، استخدمه النّظام علناً في تبرير اعتقال الشَّيْخين وشن الحملة الضخمة عَلى المصلحين والدعاة.

ومنذ أن اعتقل الصفوة من العُلَماء وازدادت حملة القمع والاعتقال وأعلنت الحَرب المكشوفة عَلى الدّعوة والهيئة لا تزال في ولائها المطلق وطاعتها التَّامَّة للنظام، وتكرر الموقف تلو الموقف في التفاني في تزكية النّظام والدّفاع عنه واتهام كلّ من يسعى لإنكار المُنكر بإثارة الفتنة والبلبلة، بل وأبعد من ذلك التبرع بمجموعة من الفتاوى في وصف أعمال أُخرى بالفساد في الأرض وضرورة تطبيق حد الحرابة عَلى فاعليها.

إن إدراك هذه القضية وتصوُّرها عَلى الوجه الصَّحِيح ضروري جداً لسلامة مسيرة الصّحوة، وهناك فرق كبير بين أن يعتبر هَؤُلَاءِ العُلَماء جزء من كيان الصّحوة ودعاة الإصلاح وعلماء الدّعوة، أو أن يعتبروا جزءاً من النّظام بل ركناً من أركانه وأكثر أهمية له من جهاز المباحث وجهاز الإعلام.

إن مهمة العالم في الإِسْلَام ليست مجرد صلاحه الشخصي ونزاهته المالية، بل إن مهمته هيَ التوقيع عن الله، وحمل أمانة العلم، ووراثة النبوة، والعالم يقترف جريمة عظيمة لمجرد قعوده عن واجب البلاغ وكتمان العلم، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة].

ولا يسلم العالم من هذه اللعنة – لعنة الكتمان – إلا إذا أدى ما جاء في الآية الّتي تتلوها: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة] وكتمان العلم ليس هو كتمان الكتاب والسنة فلا أحد يستطيع كتمان الكتاب والسنة، لكنه عدم إنزالها عَلى الوجه الصَّحِيح، في النّوازل الّتي

يستوجب عَلَى العالم إنزال النّصوص عليها، هذه الجريمة العظيمة إذا اكتفي بالكتمان فقط، فكيف إذا خان الأمانة، وكذب عَلَى الله حين يبلغ عنه غير ما أراد سبحانه في كتابه وسنة رسوله، فهَؤُلَاءِ هم المقصودون بقول الله تَعَالَى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [الأعراف]

هذه هيَ الطَّريقة الّتي وصف القرآن بها العُلَماء وميز بها من يقوم بواجب البلاغ أو يكتم البلاغ وأشد من ذلك من يكذب عَلَى الله ويخون الأمانة.

والحديث هنا ليس في مقام نصح وتذكير أولئك العُلَماء ولو أن نصحهم وتذكيرهم واجب مهما عظمت جريمتهم، لكنه حديث موجه لشباب الدّعوة، وكل المنتمين لمسيرة الإصلاح أن يعرفوا رجالهم.

إن تراكم الشهرة والسمعة الحسنة لبعض العُلَماء الّذي اجتمع قبل أن يبدأ الاختبار الحقيقي ينبغي أن لا يحرفنا عن الطَّريقة القرآنية في معرفة العُلَماء المتبعون المطاعين.

وليس المطلوب هنا تجريم فلان أو سب فلان أو لعن فلان، لكن المطلوب هو ألا يخدع شباب الإِسْلَام نفسه ويستمر في التعامل مع أولئك العُلَماء وكأنهم قيادات إصلاحية ورؤوس في إنكار المُنكر.

إن توقير شخص معين لعلمه ولسنه أو لجهد بذله في يوم من الأيّام، لا يعني أبداً وضعه في موضع القيادة والاتباع واللجوء عند النّوازل، بل الأولى الرجوع إلى القرآن والسنة وتعلم طريقة التعامل مع العُلَماء عَلَى ما ورد في القرآن والسنة، ومعرفة العُلَماء الحقيقيين الّذين تستفتيهم الأُمّة وتنزل عند اختياراتهم.

وما نقل عن الشَّيْخ ابن عثيمين في جريدة المُسلِمُون وما نقل عن الشَّيْخ ابن باز في الصحافة السّعُودِيّة، مما تناوله مقالي «الإصلاح» يمثلان نموذج الانكشاف لهذه المجموعة.

وهي فرصة لمن يريد التقييم عَلَى الطَّريقة القرآنية والنهج المحمّدي، والقريبون من الشَّيْخين يلاحظون التزامهما عَلَى المستوى الشخصي من حيث العِبَادة والاستقامة ومن حيث النزاهة المالية

والزهد، ويلاحظون كذلك سعة علمهم الشَّرعيّ وقدراتها في التدريس والتّعليم، لكنهم يلاحظون كذلك ما عنيناه في كلامنا السابق من مشكلة كبيرة في القضية الأهم وهي قضية قيامهم بواجب البلاغ.

نحن نتمنى عَلى الشَّيْخين ابن باز والشَّيْخ ابن عثيمين أن يتوبا إلى الله ويصلحا ويبينا بمعنى بأن يعترفا بما كانَ مخالفاً من كلامهما للشرع وينبها الأُمّة عَلى هذا الخطأ كما جاء في هدي القرآن، ونتمنى أن يتحول الشَّيْخ ابن باز والشَّيْخ ابن عثيمين إلى صادعين بالحق مواجهين للظلم، محاربين للطغيان، داعمين لكل راية دعوة وإصلاح.

غير أن الأهم هو أن يدرك شباب الصّحوة والمنتمين لمسيرة الإصلاح حقيقة العالم العامل، الداعي لعلمه، الصّابر عَلى الأذى فيه، المُجَاهد في سبيله، وحقيقة العالم الّذي كتم ما علمه الله، بل كذب عَلى الله ورسوله وخان الأمانة.

لقد مضى من الزَّمن ما يكفي للاختبار، ولقد أثبتت الأيّام أن هيئة كبار العُلَماء وكل المنتسبين لها لم يقفوا ولا موقفاً واحداً مع الدّعوة وضد الظُّلم، ولقد سجلت كلّ مواقفهم مع الظُّلم والطّغيان وضد الدّعوة، وأنه لمن الحمق وسوء التصرف أن يلجأ المرء لعدوه من أجل أن يحميه.

إن مشكلة أعضاء المؤسسة الدّينيّة ليست مجرد العجز، فالعاجز بإمكانه أن يعترف بعجزه ويقول: (أنا عاجز) ويستقيل ويخرج منها كفافاً، لكن أحداً منهم لم يعمل بذلك ولو عمله لصنع خيراً كثيراً، لكن مشكلتهم هيَ الوقوف بثقل وجدية ونشاط مع البَاطِل وتأييده بالكلمة والموقف والفتوى والدّفاع عنه بما يستطاع.

هذا الحديث ليس المراد منه أن يقال أن فلاناً صالح، وفلاناً من أهل الجنّة، وفلان من أهل النار، فالله أعلم بقلوب النّاس ومقاصدهم ونياتهم وأعمالهم وخواتيمهم، لكن المقصود هو الجانب العملي في القضية ومن هو العالم المتبوع.

وكأننا في هذا الاستعراض قد علمنا حقيقة العالم المتبوع، وهل يستحق أعضاء هيئة كبار العُلَماء هذه الصفة أم لا). أهـ.

****

وفي النشرة (١٥٥) بتاريخ ٩ذي الحجة ١٤١٩هـ – ٥أبريل ١٩٩٩م، وهي بعنوان: (رسالة مفتوحة إلى الشَّيْخ عبد العزيز بن باز) قَالَ الفقيه:

اسمح لنا يا سماحة الشَّيْخ أن نستعرض سجلكم من خلال السنين الماضية في قضية البلاغ.

لقد صدر عنكم أقوال كثيرة تزكون فيها الدّولة وتصفونها بأحسن الأوصاف الشَّرعيَّة رغم أنكم عَلى اطلاع كامل وتفصيل عَلى ما يجري في البلد وكل تفاصيل المخالفات الشَّرعيَّة الّتي يرتكبها النّظام عَلى مستوى الدّولة وعلى مستوى الأفراد المتنفذين.

بل إنكم كما يعرف القريبون منكم أعلم بكثير مما يدعون أنهم عَلى علم بما يجري لأن معظم أهل الإصلاح يوصلون ما عندهم من أخبار ومعلومات وملاحظات ونصائح إليكم، ولقد شهدنا شخصياً جلسات كثيرة بسط فيها الواقع لكم بشكل تفصيلي ليس فيه مواربة، بل أننا نستطيع أن نقول أن الحجة قد أقيمت عليكم وأن الذمة قد برأت معكم من قبل عدد كبير من المشائخ وأساتذة الجامعات والمصلحين، وإن إقامة الحجة في بيان الواقع عَلى التفصيل لكم قد حصل مراراً وتكراراً من قبل أناس تثقون بهم وتأخذون بحديثهم، ولا أدل عَلى ذلك من مذكرة النصيحة الّتي قدمت لكم وراجعتها اللجنة الخماسية وهيئة كبار العُلَماء وأنتم ترأسون تلك الجهتين، ولا يجادل أحد أن تلك المذكرة حجة عَلى من قرأها، ونحسب أنه لا يسعكم الاعتذار بحجة أنكم لا تتعرفون إلا عَلى ما يطلعكم النّظام عليه، بل أنتم عَلى دراية تفصيلية بالأوضاع، ومتابعة إجبارية أجبركم عليها عدد كبير من الدعاة والمصلحين وطلبة العلم، ولذلك فلربما ترتكبون خطأً عظيماً ومنزلقاً خطيراً حين تزكون الدّولة هذه التزكية، وأنتم تعلمون حالياً وتعلمون كذلك من خلال اطلاعكم الشَّرعيّ خطورة مثل هذا العمل، فمثلكم ليس غريباً عَلى مؤلفات وأقوال علماء الدّعوة وخاصة الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب، فإذا كنتم تعلمون يقيناً أن النّظام يحكم بغير ما أنزل الله رغم تكرار التنبيه والنصيحة، فما هو موقفكم من قول محمّد بن عبد الوهاب عن أولئك الّذين يزكون من يحكم بغير ما أنزل الله قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إن هَؤُلَاءِ الطواغيت الّذين يعتقد النّاس فيهم وجوب طاعة من دون الله كلهم كفار مرتدون عن الإِسْلَام كيف لا وهم يحلون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله، ويسعون في الأرض فساداً بقولهم

وفعلهم وتأييدهم، ومن جادل عنهم، أو أنكر عَلى من كفرهم، أو زعم أن فعلهم هذا لو كانَ بَاطِلاً لا ينقلهم إلى الكفر، فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق، لأنه لا يصح دين الإِسْلَام إلا بالبَرَاءة من هَؤُلَاءِ وتكفيرهم)(١).

فإذا كانَ مجرد عدم التَّكفِير جريمة كبرى عند الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب، فكيف بمن يصفهم بأحسن أوصاف الإِسْلَام ويزكي دولتهم ونظامهم، ويحمل عَلى من أنكر عليهم.

وأنتم يا سماحة الشَّيْخ تعلمون يقيناً أن النّظام قد فرض الربا فرضاً عَلى النّاس وأقام له الصروح العاتية ودعمه بخزينة الدّولة وجعل اقتصاد الدّولة قائماً عليه، وتعلمون يقيناً أن النّظام يوالي الكفّار ويدعمهم وينصرهم ويستنصر بهم ويمكن لهم وينفذ مخططاتهم ويتآمر معهم ضدّ المُسلِمِين، وتعلمون يقيناً أن النّظام يشجع الفساد الخلقي ويساهم في انتشاره من خلال الإعلام والتّعليم ومن خلال دعم خلايا الفساد المحمية من قبل الأمراء ومن خلال تحجيم الدّعوة وتعطيلها، وتعلمون يقيناً ما يرتكبه النّظام من جرائم ضدّ الدعاة وما يشنه من حرب عليهم سجناً وتشريداً وحصاراً وإرهاباً، بل إنكم من أعلم النّاس بذلك لأنكم غالباً ما تكونون أول من يخبر عن حادث اعتقال أو مداهمة أو إيقاف أو مثله، وتعلمون يقيناً أشكال الظُّلم الواقعة عَلى الأفراد والجماعات والقبائل من قبل النّظام كنظام ومن قبل المتنفذين فيه كأفراد، لأن كثيراً من المظلومين غالباً ما يلوذون بكم ويكتبون لكم مستنجدين.

إن مشكلتكم يا سماحة الشَّيْخ ليست مجرد تزكية النّظام بل لقد اضطررتم للتناقض أكثر من مرّة بسبب مداراة النّظام ومن أمثلة هذا التناقض الصريح فتوى تحريم الاستعانة بغير المُسلِمِين الّتي وجهت لجمال عبد النّاصر، والّتي قلتم فيها أن الاستعانة لا تجوز حتَّى عند الضَّرورة، ومرت السنين وانقلبت الصُّورة فلم تكتفوا بتجويز الاستعانة للضرورة بل اعتبرتموها واجبة وأثم من لم يعملها.

وتكرر منكم تغيير الفتوى متابعة للحاكم في قضيتي أفغانستان واليمن، هذا فضلاً عن قائمة الفتاوى الصادرة منكم تبعاً لرغبة النّظام وأولها فتوى استدعاء القوّات ثمّ بيان هيئة كبار العُلَماء ضدّ خطاب المطالب وبيان الهيئة ضدّ مذكرة النصيحة وبيان الهيئة ضدّ لجنة الدّفاع، وبيان الهيئة في الأمر

---

(١) الرّسائل الشَّخصيَّة: ١٨٨.

بتوقيف الشَّيْخين سلمان وسفر من أجل "حماية المجتمع من أخطائها" والفتاوى الأخيرة الّتي جعلت الأمريكان من المعاهدين معصومي الدَّم واعتبار قتلهم من أعظم الفساد في الأرض، ترى هل قرأتم كلام شيخ الإِسْلَام بن تَيمِيّة فيمن يفتي بخلاف الكتاب والسنة موافقة لهوى السُّلطَان، قَالَ في الفتاوى (وَمَتَى تَرَكَ الْعَالِمُ مَا عَلِمَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِّ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَاتَّبَعَ حُكْمَ الْحَاكِمِ الْمُخَالِفِ لِحُكْمِ اللهِّ وَرَسُولِهِ كَانَ مُرْتَدًّا كَافِرًا يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)(١).

إن كتمان العلم ليس هو كتمان الكتاب والسنة فلا أحد يستطيع كتمان الكتاب والسنة، لكنه عدم إنزالها عَلى الوجه الصَّحِيح، في النّوازل الّتي يستوجب عَلى العالِم إنزال النّصوص عليها، هذه الجريمة العظيمة إذا اكتفي بالكتمان فقط، فكيف إذا خان الأمانة، وكذب عَلى الله حين يبلغ عنه غير ما أراد سبحانه في كتابه وسنة رسوله، فهَؤُلَاءِ هم المقصودون بقول الله تَعَالَى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [الأعراف].

إن مشكلتكم يا سماحة الشَّيْخ ليست مجرد العجز، فالعاجز بإمكانه أن يعترف بعجزه ويقول: «أنا عاجز» ويستقيل ويخرج منها كفافاً، لكن مشكلتكم هيَ الوقوف بثقل وجدية ونشاط مع البَاطِل وتأييده بالكلمة والموقف والفتوى. لقد آن الأوان ما دام في العمر بقية أن تسعوا لحسن الخاتمة وطيب الذكر بعد أن تقوموا بواجب الإصلاح والتبيين، ألا قد بلغنا اللّهم فاشهد). اهـ.

وأعتقد أن في هاتين الشهادتين ما يكفي للتعريف بالمؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة للسعودية عَلى لسان بعض أهلها من المخلصين والشرفاء والله حسيبهم، وقد تفاقم الأمر الآن وكثرت الأقلام والألسنة المتذمرة في أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة في لسعودية ولمن أراد مزيدا من هذا أن يتجه إلى مواقع الإنترنت الّتي وجد فيها كثير من هَؤُلَاءِ العُلَماء متنفسا للصدع بالحق والتعبير عن آرائهم.

****

(١) الفتاوى ج٣٥ ص٣٧٢-٣٧٣.

موقف علماء السُّلطَان في العالم الإِسْلَاميّ من الإحتلال الأمريكيّ للعراق:

عندما غزت أمريكا العراق في مارس ٢٠٠٣، فشلت عبر سنة من العمل الدبلوماسي قبلها في المؤسسات الدّولية والأمم المتحدة في الحصول عَلى شرعيّة واضحة لغزوها بالعراق، وقد أدى التهاب الشارع العَالَمِيّ عامة والعربي خاصّة بمشاعر الرفض والاستياء إلى خوف وذعر في أوساط الحكَّام العَرَب من تبعات احتلال العراق، وقد بدا ذلك جليا في وسائل الإعلام.

كما أدى تصريح الإدارة الأمريكيّة بنيتها استهداف الخارطة السّياسيّة والجغرافيّة للشرق الأوسط إلى إرباك الحكَّام العَرَب بسبب الخوف عَلى عروشهم، وعدم القدرة عَلى مُوَاجَهة أمريكا، بعد أن كبلوا أنفسهم بما يمنعهم من ذلك، وقد أعطت الحُكُومَات الضوء الأخضر لوسائل إعلامها ومنها منابر المساجد بإعلان مواقف الرفض للحرب في العراق، وقد كانَ هذا حال عموم العالم العربيّ والإِسْلَاميّ باستثناء دولة الكويت الّتي أعلنت التأييد رسميا وعمليا لأمريكا وحربها عَلى العراق، ومع ذلك فقد أرغمت أمريكا سبع دول عربيَّة عَلى فتح أراضيها ومياهها وأجوائها للعدوان وعلى تقديم الخدمات اللوجستية وهكذا قدمت كلّ من الكويت وقطر والبحرين وعمان والسّعُودِيّة ومصر والأردن خدماتها وكذلك باكستان وقدمت تركيا دعما جزئيا نتيجة الرفض والاستحياء والإجبار.

ويبدو أن تذمر الحكَّام العَرَب من الرعونة الأمريكيّة الّتي ضربت بعرض الحائط بكرامتهم ومصالحهم ولم تراعي قدرتهم عَلى العمالة النسبية ويحتمله الشارع العربيّ من ذلك، وقد انعكس هذا نوعا من غض البصر عن شيء من حركات التنفيس الشعبيَّة كالمظاهرات والمؤتمرات الّتي انتهى غالبها بقتل الشّرطة وقوَّات مكافحة الشغب لبعض المتظاهرين وتكسير عظام بعضهم، كما جعلت هذه الأجواء المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة والمساجد شبه الحُكُوميّة تعيش حالة من صَحوَة الضمير الّتي اختلط فيها الصِّدق والعاطفة لدى بعض العُلَماء مع رغبة الحكَّام بممارسة شيء من الضغط عَلى أمريكا، ففوجئنا بشيخ الأزهر (سيد طنطاوي) الّذي شغل جل وقته بمكافحة الإِرهَاب يفتي مع بداية الحَرب بالجِهَاد في العراق ويبيح العمليَّات الاستشهادية ضدّ القوَّات الغازية ويمهد الأجواء للتظاهر في الجامع الأزهر، وتبعه بمفاجأتنا (مفتي الدّولة النصيرية) في سوريا (أحمد كفتارو) يدعو شباب

المُسلِمِين للعمليَّات الاستشهادية وهكذا أخذ كثير من العُلَماء وقيادات الصّحوة الرَّسميَّة وشبه الرَّسميَّة راحتهم عَلى الفضائِيَّات وبدأوا يدعون للجِهَاد.

بل إن دفعات الشَّبَاب المُجَاهد تحركت إلى العراق تحت سمع وبصر بعض الأنظمة العربيَّة وعبرت إلى العراق من سوريا.

وسرعان ما سارت الحَرب بالشكل المعروف لتعود الأمور إلى نصابها ومجراها من مكافحة العُلَماء للإرهاب في وسائل الإعلام إلى جانب حُكُومَاتها وسيدتهم أمريكا.

ولكن العجيب الملفت للنظر أن صَحوَة الضمير المؤقتة هذه لم تصب المؤسسة الدّينيّة السّعُودِيّة بل عَلى العكس، كانت جهود العُلَماء السّعُودِيّين منصبة عَلى الحديث عن عدم مشروعية الجِهَاد في العراق ضدّ أمريكا أثناء معارك الغزو وبعدها، وعدم صحة رايته والعزف عَلى أوتار التهور الّذي أوصل النّاس إلى غوانتانامو، بل وصل العزف إلى العُلَماء المستقلين من رواد الصّحوة العظام، وعلى سبيل المثال ما فاجأنا به الشَّيْخ سلمان العودة (بفقه المشروع الخاص) في مقابلة له مع إحدى الفضائِيَّات العربيَّة أثناء الحَرب: فعندما سئل عن مشروعية الذهاب للجِهَاد في العراق وهل هو فريضة لأن العدوّ حلّ في العقر، تهرب من الإجابة وراح يحدثنا عن أمر عجيب مفاده: أنه لو نزل العدوّ لا يجب عَلى كلّ الأُمّة أن تذهب للدفاع بل لابد لكل أحد أن ينشغل بمشروعه الخاص الّذي قد يكون دعوة إلى الله، أو مشروع تخرج جامعي، أو مجلة يصدرها، أو عملا يعمله، أو ربما مشروع زواج، أو حتَّى قراءة كتاب، ووصل الأمر به أن يقول حتَّى ولو كانَ المشروع الخاص ؛ جلسة تأمل!!

ولا أدري تأمل في ماذا؟! أهو تأمل في الأعراض تنتهك أم في النفوس تزهق ؟! أم في الكفر يرتع حتَّى من حوله حيث يجلس ويصلي ويتأمل؟!

هذا من أحد العُلَماء المستقلين، ناهيك عن سيل الفتاوى من أئمة الحرمين الرسميين وفقهاء مكافحة الإِرهَاب عَلى شاشات الفضائِيَّات من علماء السُّلطَان في السّعُودِيّة.

وهكذا كانَ، والشواهد كما قلت تمتد لتشكيل كتابا أسودا مستقلا كبيرا، عن دور المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة في بلاد العَرَب والمُسلِمين، في دعم الحملات الصّليبيّة الثّالثة ومحاربة من قاومها، ولله الأمر من قبل ومن بعد!

واليوم تقف المؤسسة الرَّسميَّة السّعُودِيّة في طليعة المؤسسات الّتي تقف بالمرصاد للجِهَاد والمُجَاهدين ولاسيما في السّعُودِيّة وتطور الأمر لافتتاح المراكز الإعلاميَّة لجمع جهود المفكرين والعُلَماء في مكافحة الإرهَاب ظنا من الحكومة السّعُودِيّة وعملائها العُلَماء أن ذلك سيغير من المكر الّذي خططته أمريكا للنظام السّعُودِيّ وحكمت عليه بالتغيير وعلى خارطة الجَزِيرَة بالتقسيم وصدق رسول الله ﷺ: «مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا بِبَاطِلٍ لِيَدْحَضَ بِبَاطِلِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ»(١) وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾ [الأنعام].

****

وختاما أقول:

إن فهم معادلات القوى في صِرَاع الإسْلَام والمُسلِمين مع الحملات الصّليبيّة يشكل مادة أساسية في العَقِيْدَة الجهاديّة، وأساسا لازما للبحث عن سبل صحيحة للمقاومة يمكن أن تحمل بها النُّخبَة الجهاديّة الأمّة علىَ الوقوف معها في مُوَاجَهة هذه الحملات الغازية وأداء هذه الفريضة وصولا إلى النّصر بإذن الله.

وبعد استعراض الحملات الصّليبيّة ولاسيما الثّانية والثّالثة ننتقل للفصل التّالي وهو استعراض تاريخ الصّحوة الإِسْلَاميّة ومدارسها.

(١) الشيخ أورد حديث «من أعان ظالما عَلى ظلمه سلطه الله عليه»! وهو موضوع قاله الألباني. ولو أورد الشيخ الحديث: «**مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا بِبَاطِلٍ لِيَدْحَضَ بِبَاطِلِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ**» رواه الطبراني في الأوسط (٢٩٤٤) وأبو نعيم في الحلية، وأورده الألباني في الصحيحة (١٠٢٠).

هذه الصّحوة الّتي وقع عَلى عاتقها مُوَاجَهة الإستعمار منذُ انحلت المرجعية الدّينيّة الكلاسيكية للمسلمين وفقدت دورها في مواجهته بعد أن واجهتنا بحكام من أبناء جلدتنا وعلماء وإسلاميين في طليعة جُيُوشهم وأجهزة أمنهم، فإلى الفَصل الخامس بإذن الله.

****

الفصل الخامس

مختصر مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة

(١٩٣٠-٢٠٠٣)م

قَالَ الله تَعَالَى:

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾

[هود: ١١٦]

روى أبو داود عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قَالَ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[1].

وقَالَ رسول الله ﷺ: «بدأَ الإِسْلَامُ غريبًا وسَيَعُودُ غَريبًا كما بَدَأ فَطُوبَى لِلغُرَباء»[2].

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني.

(٢) مسلم (١٤٥).

مختصر مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة ١٩٣٠-٢٠٠٣م

سقطت الخِلافَة العُثْمَانِيّة عام ١٩٢٤ رسميا بعد أن بدأت مرحلة الذبول منذُ مطلع القرن التّاسع عشر وماتت فعليا مع مطلع القرن العِشرين، وكانت الدّول الصّليبيّة قد قصمتها من أطرافها ثمّ تقاسمت إرثها لما أعلن هذا السُّقوط.

كانت بوادر صَحوَة إسلاميّة قد بدأت تولد منذُ أواسط القرن الثَّامن عشر، وقد حاول بعض روادها ترميم الدّولة العُثْمَانِيّة وإصلاحها والتّعاون مع صلحائها والتوجّهات الحثيثة للسلطان عبد الحميد في الإصلاح ولكن لم يكن للعطار أن يصلح ما أفسد الدهر، فسقطت الدّولة وبدأت مرحلة الإستعمار وغابت الخِلافَة منذُ ذلك الحين أي قبل ٧٩ سنة، فحصل ردة فعل في العالم الإِسْلَاميّ عَلى هذا الزلزال، تمخضت عن ميلاد صَحوَة إسلاميّة مختلفة المشارب والأهداف تسعى كلها في النهاية إلى إعادة الخِلافَة واستعادة الحكم الإِسْلَاميّ والنهضة الإِسْلَاميّة.

وكان أبرز مدارس الصّحوة وبؤرها الناشئة ما يلي:

مدرسة الإخوان المُسلِمِين:

وقد أسَّسَها الشَّيْخ حسن البنا رحمه الله عام ١٩٢٨، ووضعت إعادة الخِلافَة شعارا وهدفا لها، وقد جعل حسن البنا برنامج حركته وأسلوبها مختصرا فيما صاغه بقوله وشعاره:

(الله غايتنا، الرَّسُول قدوتنا، القرآن دستورنا، الجِهَاد في سبيلنا، الموت في سبيل الله أسمى أمانينا.)

وقد انتشرت جماعة الإخوان المُسلِمِين في مصر حتَّى دخلت معظم مدنها وقراها وأصبحت أكثر الجماعات الّتي عاصرتها في مصر وما حولها، وخلال مدّة وجيزة انتشرت في بلاد الشّام، وانضوى فيها عدد من الجَمعِيّات الإِسْلَاميّة والحركات واستقطبت كثير من الكوادر والشخصيات ونمت حتَّى صار قواعدها بعشرات الآلاف، ومن ثمّ تمددت لتنتشر في مختلف بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ حيث

قامت جماعات إما بنفس الاسم وإما بأسماء محليَّة ولكنها تنطلق من نفس القواعد وتقوم عَلى نفس الأسس، ويمكن تلخيص منهج دعوة الإخوان المُسلِمِين لما قامت عَلى أنها حركة مزيج من بعض الأفكار السّلفيّة وبعض الأصول الصوفية والنزعة الجهاديّة والبنية الحَركيّة التَّنظِيمية مع توجهات سياسيّة واضحة بالإضافة لوجود ملامح للروح القوميّة والعاطفة الوطنيّة، وقد مارس الإخوان بحسب ظروف كلّ بلد النَّشَاط السّياسيّ وخاضوا الإنتخابات، وكان لهم مساهمات جهاديّة في فِلَسطِين، وضد الإنجليز في مصر، وصار لهم مع الوقت مَشَايخهم ومؤلفاتهم ومكتبتهم الواسعة، كما اعتمدوا منهجا متميزا تطور مع الوقت وتبدلت ملامحه ومارسوا التّربية والدّعوة بموجبه.

وتعتبر حركة الإخوان المُسلِمِين بحق كما يدعونها (الجماعة الأم) لمعظم الحركات الأصوليَّة السّياسيّة، وحتى كثير من الجهاديّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وقد ولدت حركة الإخوان المُسلِمِين حركات بأسماء أُخرى كما أن تجمعات شبابية حملة فكرها وأعطت لأنفسها أسماء محليَّة ولكنها كانت كلها جماعات خرجت من نفس العباءة.

فكان من تلك الجماعات الّتي نشأت مستقلة في بلادها عَلى هذه الطَّريقة، - الجبهة القوميّة السُّودَانية – حركة الإتجاه الإِسْلَاميّ في تونس والَّتي تحول اسمها إلى حركة النهضة – حركة حماس في الجَزَائِر الّتي أَسَّسَها محفوظ النحناح والَّتي تحولت إلى حركة مجتمع السلم – حركة النهضة الجَزَائِرية – حركة الإصلاح والتجديد في المغرب – حركة الطلائع الإِسْلَاميّة الّتي أَسَّسَها الشَّيْخ عصام العطار في ألمانيا وانتشرت بين المُهَاجِرين والطلاب في أوربّا....إلخ.

حركات قريبة فكرياً من منهج الإخوان:

في بعض بلدان العالم الإِسْلَاميّ مثل حزب السَّلامة في تركيا الّذي تحول اسمه إلى حزب الرفاه ثمّ حزب الفضيلة، ومثل الجماعة الإِسْلَاميّة في باكستان، ومثل ذلك بعض الجماعات في جنوب شرق آسيا الإِسْلَاميّ.

حزب التحرير الإسْلَامِيّ:

أسسه الشَّيْخ الفلسطيني (محمّد النبهان)، وقد نشأ في الأردن وفلسطين وانتشر حزب التحرير في الأربعينات رفع أيضا ولكنه تميز بأنه كانَ أكثر ميلا للتربية والتوجيه السّياسيّ وطرح نظريَّة إقامة الدّولة الإِسْلَاميّة بعد توفر النّصرة والشوكة للدعوة الّتي تهاجر إلى مكان حصول ذلك وجعل الجِهَاد متوقفا عَلى حصول ذلك ومال إلى العمل السري وتبنى مبدأ العمل الانقلابي في بعض البلدان.

المدارس الإصلاحية التربَويّة:

الّتي تبنت نشر الوعي الدّيني والتأسيس العلمي لإعادة بناء البنية التحتية في المجتمعات المُسلّحة كحركة جَمعيَّة العُلَماء المُسلِمِين في الجَزَائِر وقد فرجت هذه المدارس أرضا لرؤية السّياسيّة بمفهوم المُقاوَمة الحَضَاريَّة والمدنيّة الاستعمار وصولا إلى تأهيل النّاس الجِهَاد.

جماعات التبليغ والدّعوة:

وما شابهها في الطَّريقة والمنهج، وقد ولدت هذه الحركات في شبه القارة الهندية وكانت فكرتها تقوم عَلى إصلاح الفرد المسلم عَلى مستوى العِبَادات والسُّلُوك وتأسيس قاعدة من الأساسِيَّات الشَّرعيَّة والتفرغ لذلك بعيدا عن معتركات السّياسة ومصادماتها حتَّى تتمكن الحركة من الانتشار دون أن تعرقل السُّلطات ذلك وقد امتدت الحركة وصار لها ملايين الأتباع والمريدين وتقوم فكرتها عَلى أن يبذل المنتسب لها جزءا من وقته عَلى المستوى اليومي والأسبوعي والشهر والسنوي للخروج في سبيل الله في رحلات دعوية من مسجد إلى مسجد حيث يلتقون النّاس ويدعونهم إلى الصلاح والدّين والالتزام.

الحركات السّلفيّة ومدارس أهل الحديث:

وهي حركات وجدت أن كثيرا من البِدَع قد لحقت معتقدات المُسلِمِين وأميتت في مقابلها الكثير من السنن وأن كمية الشركيات والضلالات قد ألغت أصل الاعتقاد والصَّحِيح لدى أكثر المُسلِمِين حتَّى كادت تخرج عن أصوله وأن طريق الفلاح هو في الدّعوة أساسا إلى تجريد التّوحيد وتصحيحه كأساس لإصلاح الفرد والمجتمع يصل تلقائيا إلى تأهل المجتمع لقيام الحكم الإِسْلَاميّ، وقد كانت

معظم الحركات السّلفيّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ أشبه بطريقة علمية ترَبَويّة وقد لعب تبني الدّولة السّعُودِيّة الثّالثة الّتي تولاها عبد العزيز وحلفاؤه من بعده للدعوة الوهابية للمتاجرة بها في الجَزِيرَة في القصة الّتي جاء لفتة عنها في الفصول السَّابقة إلى أن الحلف الّذي قام بين المؤسسة الدّينيّة الحُكُوميّة والأهلية والحكومة ساهم في قيام حركة نشطة من التدريس في الجامعات وقيام الجَمعِيّات والمؤسسات الرَّسميَّة والأهلية بنشر الدّعوة وأفكار مؤسسها وأحفاده وعلماء الدّعوة من بعدها وإحياء تراث الشَّيْخ ابن تَيمِيّة وسواه من أئمة الدّعوة السّلفيّة كابن القيم والشاطبي وسواهم وأوى نشر تلك المُؤلّفات وما يبنى عليها إلى زيادة انتشار الدّعوة السّلفيّة ومدارس أهل الحديث في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وإن الله لينصر هذا الدّين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم.

ولقد ولدت حركات فيما بعد من خلال اندماج أفكار بعض الحركات ببعضها، فولدت الحركة المسماة (السّروريّة) نسبة إلى أحد دعاتها وهي نوع من فكر الإخوان الحَركيّ والتوجه السلفي، كما ولد التّيار المسمى (السّلفيّة الجهاديّة) وهي فرع من الفكر القطبي والدّعوة السّلفيّة مدارس معاصرة وليدة مدارس قديمة، كذلك بعض الجماعات الصوفية الحَركيّة الّتي مزجت بين التّربية والتصوف والتوجّهات السّياسيّة كما في شمال أفريقيا وغير ذلك.

وخلال هذه الفترة (١٩٣٠-٢٠٠٠) الّتي نغطيها بالتحليل الموجز، نشأت كذلك بعض الحركات الصوفية الجهاديّة كتلك الّتي نشأت في شبه القارة الهندية ووسط روسيا وكذلك شمال أفريقيا في هذه الفقرة.

وهكذا قام كثير من الدعاة والعُلَماء والخطباء والكتاب والمفكرون الإِسْلَاميّون بالتّأثير في مسارات الصّحوة بحسب نشاطاتهم وعطائهم، وانتشرت ظواهر التدين والعودة للالتزام من انتشار الحجاب واللحى ومظاهر الالتزام وازدهار حركة الطباعة والنشر والتجارة في الكتب الإِسْلَاميّة المختلفة وطباعة المجلات والجرائد الإِسْلَاميّة ونشطت كثير من المساجد بالدّعوة وحلقات العلم والذكر والإصلاح والمؤسسات والجَمعِيّات الأهلية في مختلف صنوف البر والتقوى ودخل مختلف أنواع الإِسْلَاميّين جماعات وأفراد معترك الحياة السّياسيّة والفكريّة والأدبية كما قامت العديد من

الصدامات العنيفة ببين الإِسْلَاميّين وبعض الحُكُومَات، وباختصار فرضت ظاهرة الصّحوة الإِسْلَاميّة نفسها عَلى المجتمعات الإِسْلَاميّة وصارت معلما بارزا من تاريخهم المعاصر.

- **الأطوار الرَّئيسة الّتي مرت بها الصّحوة الإِسْلَاميّة:**

يمكن أن نميز مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة منذُ انطلاقها وإلى اليَوْم أربعة أطوار رئيسيَّة من حيث بنيتها الحَركيّة والمنهجيّة وأدائها وسماتها العامّة في كلّ مرحلة:

أولا: المَرحَلَة الأولى (١٩٣٠-١٩٦٥) (مرحلة النشأة):

ويمكن أن تسميها مرحلة (**ما قبل التبلور**) وأهم ما يميز هذه المَرحَلَة أن السمات العامّة للصحوة كانت مختلطة من حيث التكوين المنهجي ولاسيما في تيارها العام مثل حركة الإخوان المُسلِمِين، وما شابهها فقد اختلطت فيها المؤثرات الصوفية الآتية من البنية الكلاسيكية للمرجعية الدّينيّة للأمة خلال المَرحَلَة العُثمَانِيّة، مع المؤثرات السّلفيّة الّتي هبت مع رياح التجديد والإصلاح الّتي كانَ أبرزها ميلاد وانتشار الدّعوة الوهابية في الجَزِيرَة العربيَّة، منذُ القرن الثَّامن عشر وما واكبها من دعاة لهذه المدرسة في مناطق أُخرى، ممتزجة بشيء من المشاعر القوميّة الّتي ظهرت أواخر الدّولة العُثمَانِيّة كرد فعل عَلى سياسة (التتريك) الّتي طبعت آخرها، مما حفز الشّعوب الاخرى لاسيما العَرَب وغيرهم عَلى العصبية القوميّة والالتفاف حولها كما اتسمت مدارس الصّحوة ومناحيها بالتهاب الشعور الوطني لأن المَرحَلَة كانت مرحلة مُوَاجَهة استعمار، كما طبعها أسلوب التربَويّة والإصلاح السُّلُوكي.

وكانت فترة غنية نسبة بالمُؤلّفات التأسيسية لتلك المدارس، كما مارس أكثر رموز وجماعات الصّحوة الجِهَاد بشكل أو بآخر ضدّ المُستَعمرين عبر الجِهَاد المُسلّح، أو عبر المُقاوَمة المدنيّة والعمل السّياسيّ.

ثانيا: المَرحَلَة الثّانية (١٩٦٥-١٩٩٠) وهي مرحلة (التبلور والتمايز) المنهجي والهيكلي لحركات الصّحوة:

وذلك خلال مرحلة الإستقلال تحت حكم الحُكُومَات الوطنيّة الّتي طبعتها العلمانيّة والتبعية للاستعمار، بعد ذهابه كما مر معنا في الفصول السَّابقة، حيث هبت رياح التغريب وانطلاق سعار الغزو الفكريّ الّذي نشر المذاهب العلمانيّة والتّيارات القوميّة والوطنيّة والمدارس السّياسيّة والفكريّة ذات المنشأ الغربيّ كالدِّيمقراطيَّة والاشتراكية والرأسمالية والشُّيُوعِيّة وغيرها، ونظرا لقيام حُكُومَات عَلى مفاهيم تناقض الدّين واصطدامها بشكل طبيعي مع مختلف مدارس الصّحوة الّتي لعبت الدَّور الأساسي في مُوَاجَهة الاستعمار، وتمكن تلك التّيارات العلمانيّة من قطف ثمرة جهود حركات تلك الصّحوة والشّعوب الّتي جاهدت الاستعمار تحت شعار الإِسْلَام، طرحت عَلى الصّحوة إشكالات منهجيّة نتيجة الوضع الجَدِيد ومسائل فقهيّة يجب أن تحدد منها موقفا سياسيّاً شرعيا وعمليا، فالحكام مسلمون ظاهرا، ويحكمون بغير ما أنزل الله واقعا، وهم وأعوانهم يقتلون الّذين يأمرون بالقسط من النّاس، ويوالون الكفّار ويعاونونهم عَلى المُسلِمِين! وهناك أجزاء ما تزال محتلة ولاسيما فِلَسطِين ومشكلتها المزمنة وموقف الحُكُومَات الخياني منها، ومسألة الصدام مع السُّلطات أم مهادنتها، مفارقتها أم موادعتها، أم مفاصلتها ومواجهتها؟ أم الدخول فيها من بوابة الممارسات (المشروعة) ! و(القانُونيّة) و(الدستورية) ! هذه الأحوال فرضت عَلى الصّحوة أن تتمايز صفوفها وتتبلور بناء عَلى موقفها من هذه المسائل وطريقة تعاملها مع السُّلطات المرتدّة الحاكمة الغاشمة، ومن المسائل الفكريّة والعقدية المطروحة، وانقسمت بذلك الصّحوة إلى أربع مدارس رئيسيَّة، حيث استمرت الصّحوة بالنمو والعطاء ولكن من خلال التمايز في بنيتها ومناهجها، هذه المدارس هيَ:

صَحوَة غير سياسيّة:

وهي المدارس والتّيارات والجماعات الّتي رأت السَّلامة لمسار الدّعوة ولأصحابها في اعتزال السّياسيّة والعمل من خلال الدّعوة والإصلاح كلّ بحسبه



ورغم اختلاف منظورات كلّ مدرسة من هذه عن غيرها وربما تناقضها كليا إلا أنها التقت إزاء المشاكل المطروحة عَلى الأُمّة عَلى نقطة اعتزال السّياسة والبعد عن معتركها ومن هذه المدارس الغير سياسيّة أكثر الحركات الصوفية ومساجدها وزعاماتها والّذين عادوا لتبني مبدأ التّربية السُّلُوكية والعِبَادة وإصلاح علاقة الفرد بربه حتَّى بلغ بأحد أقطابها الكبار في بلاد الشّام شيخ الطَّريقة القادرية في وقته في سوريا وما حولها أن يلقن أتباعه عند الانتساب للطريقة أن يصلوا ركعتين ابتدعهما لهم ينوي فيها المصلي قائلا (أصلي لله تَعَالَى ركعتين سنة ترك السّياسة، اللهُ أكبَر ويستفتح الصّلاة).

ومن هذه المدارس اللاسياسيّة(جماعة التبليغ والدّعوة) بفروعها ومساجدها ودعاتها وأتباعها الجوالين في سبيل الدّعوة، حيث يتولى الموجهون والمسؤولون ضبط مسألة عدم تسرب السّياسة ومسائلها إلى مساجدهم ومؤتمراتهم !!

واشترك في اعتزال السّياسة المدارس الّتي اصطلح عليها بـ (السّلفيّة العلمية) الّذين تفرغوا لإصلاح العقائد والجهد في نشر العلم الشَّرعيّ، ولاسيما في الحديث وعلومه والعقائد وفروعها وباقي أبواب العلوم الشَّرعيَّة بناء عَلى ذلك، ونشأت منها مدرسة الشَّيْخ الألباني تحت شعار(التصفية والتّربية).

ومن المدارس الّتي آلت للفكر والبحث والتّربية ما سمي بـ (القطبية) وهي (القطبية العلمية السّلفيّة) أيضا والَّتي أخذت بالمنهج الفكريّ للأستاذ محمّد قطب وكثير من الجوانب الفكريّة لأخيه الشّهِيد سيد قطب رحمه الله، طارحة منهجه السّياسيّ الحَركيّ جانبا، ومن هذه المدارس من اتسم بالصوفية التربَويّة الشبه حركيَّة، مثل جماعة العدل والإحسان في المغرب، ومن عَلى شاكلتها، وألفت النَّظر هنا إلى ما ذكرته في المقدِّمة بأني لست هنا بصدد تقديم دراسة نقدية من النواحي المنهجيّة والبنيوية وذكر الايجابيات والسلبيات، وإنما بصدد التصنيف العام.

وكما قلت فقد التقت هذه المدارس عَلى ما فيها من خلافات وتناقضات عَلى فكرة **خلاصتها:**

أن تغيير الأوضاع والنهضة بالأُمّة يرجع إلى إصلاح الفرد، فإذا صلح الفرد صلح المجتمع وصلح حاكموه فكما تكونوا يولى عليكم، وأما مشاكل الأُمّة المحليَّة والخارجيّة فليس لهم بها علاقة، وليس لها من دون الله كاشفة!

وأما الفوارق بين مختلف هذه المدارس في طريقة إصلاح الفرد، فهذا يرى ذلك سلوكيا والآخر يراه عقديا أو تربويا أو فكرياً، وهكذا ولم تستطع هذه التوجّهات أن تقدم تصوُّرا منطقيا لآلية تولد حلا للمشاكل القائمة عبر هذه التّربية ولا مدتها ولا مراحلها وقصارى ما عبر عنه الأستاذ الجليل محمّد قطب في أحد كتبه في مطلع التِّسعينيَّات والّذي كانَ بعنوان (حول تطبيق الشّريعة) يقول بعدما عرض طريقة التّربية للقاعدة الصلبة قَالَ مما أذكر نصه (وعندما تمتد القَاعِدَة الصلبة وتصبح بندقة تستعصي عَلى الكسر، ذات يوم، يأتيها فرج الله وتقوم دولتها وعندها يدخل النّاس في دين الله أفواجا.!!).

وأما الشَّيْخ الألباني [وما زلت بصدد التعريف والمثال وليس التقييم والتعليق] فقد كانت آخر فتاويه وهو يندد بالجِهَاد والمُجَاهدين في مُوَاجَهة الحُكُومَات بفتواة الشهيرة:

(الخروج عَلى الحكَّام في هذا الزّمان هو في حقيقته خروج عَلى الإِسْلَام) !!!!!

كما تدور طروحات الصوفية والإصلاحية أيضا في أفاق المغيبات عن التَّغيير وآليته، ويبدوا لي أن بطش الحُكُومَات وطريقة تعاملهم مع الصّحوة في كافّة البلدان أواخر الخمسينيات ومطلع عقد الستينيات ساهم إلى حد كبير في صياغة مدارس الصّحوة اللاسياسيّة رغم أنه لا يمكن نفي الإخلاص ولا الحرص عَلى سلامة الدّعوة وأبنائها من وراء هذا المنهج في كثير من الأحيان من كونها السبب وراء هذا المنهج، والله تَعَالَى أعلم.

صَحوَة سياسيّة:

وقد كانت هذه المدارس من الصّحوة في منطلقها عَلى النقيض تماما من سابقتها، فقد وصّف هَؤُلَاءِ الحال توصيفا أقرب للصحة، فقالوا أن مشاكل الأُمّة ذات الأسباب الداخليَّة أو الخارجيّة هيَ مشاكل سياسيّة ولا بُدَّ أن يبحث لها عن حلّ من خلال ممارسة السّياسة كما أن من الحيف والغلط

العقدي حتَّى، شطب السّياسة من الدّين تحت أي دعوى، وأن الحلّ ليس في اعتزال السّياسة من أجل تفادي الصدام مع السُّلطات وتلافي بطشها وإنما يكون ذلك من خلال اقتحام ميدان السّياسة من خلال القنوات المشروعة والقانُونيّة الّتي تتيحها السُّلطات كلا بحسبها وذلك عن طريق تشكيل الأحزاب الإِسْلَاميّة والجَمعِيّات السّياسيّة وشبه السّياسيّة والنَّشَاط الفكريّ والأدبي والسّياسيّ ودخول معترك الإنتخابات والدِّيمقراطيَّة إن وجد أو التسلل إلى أجهزة السُّلطات والمعارضات بحسب الإمكان وحسب أوضاع كلّ بلد، وقد حمل رايات هذه الصّحوة السّياسيّة أحزاب الإخوان المُسلِمِين ومن شابههم وما انبثق عنهم من حركات مشابهة سواء تحت نفس المسمى أو تحت المسميات المحليَّة، وشهدت هذه المَرحَلَة (١٩٦٥-١٩٩٠) وربما قبل ذلك بقليل في البلدان سريعة الاستقلال كما كانَ حال مصر وسوريا والباكستان وتركيا، فقامت تجارب كثيرة في مجال الديمقراطيات (الإِسْلَاميّة)! ثمّ تتابعت التَّجَارب إلى مطلع التِّسعينيَّات ومازالت ولكنها دخلت بعد قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد في طور جديد سنتحدث عنه لاحقا إن شاء الله ومن تلك التَّجَارب السّياسيّة هذه:

- تجربة الإخوان المُسلِمِين والإِسْلَاميّين في الإنتخابات البرلمانية في سوريا بعيد الإستقلال ١٩٤٦ إلى مطلع الخمسينيات إلى بدء عهد الانقلابات العسكريّة منتصف الخمسينيات ومطلع الستينيات.
- تجربة الإنتخابات والحياة البرلمانية أواخر أيّام الملكية في مصر قبيل إنقلاب عبد النّاصر ١٩٥٢.

ثمّ شهدت الحياة السّياسيّة في معظم العالم العربيّ والإِسْلَاميّ مرحلة الديكتاتوريات العسكريّة والحزبية خلال الستينيات والسَّبعينيَّات، حيث كانت هذه المَرحَلَة مرحلة تصادم بين الصّحوة والسُّلطات، قضى معظم الدعاة وحتَّى السّياسيّون منهم قسطا من حياتهم في السّجون ليخرجوا بأفكار ديمقراطية أكثر تطورا.

فشهد عهد أنور السادات في مصر انفتاحا بعد أن خلف عبد النّاصر مطلع السَّبعينيَّات وفتح أبواب السّجون للإسلاميين لمُوَاجَهة المد اليساري المتنامي فدخل الإخوان وبعض شخصيات الصّحوة الاخرى الحياة السّياسيّة الحزبية في مصر.

- ثمّ رخص الملك حسين في الأردن للإخوان وعدد من الجماعات الإِسْلَاميّة مجال العمل وتطور هذا أواخر الثَّمانينيَّات ليكون مشاركة في الحياة النيابية، بل ودخل بعضهم الحكومة والوزارات.
- وفي ملكيات الخليج والجَزِيرَة العربيَّة والمغرب حيث شكل الإِسْلَاميّون وبعض مدارس الصّحوة جزءا من حاشية السّلطة الملكية ولاسيما في السّعُودِيّة.
- ثمّ ابتدأت الكويت تجربتها البرلمانية كأول دولة في الخليج يدخل الإِسْلَاميّون فيها الحياة السّياسيّة كأحزاب.
- ثمّ خاض الإتجاه الإِسْلَاميّ في تونس أيضا تجربة مأساوية بزعامة الغنوشي.
- وتحالفت الجبهة الإِسْلَاميّة القوميّة السُّودَانية بزعامة الترابي مع جعفر النميري وصارت شطر السّلطة ثمّ قادت انقلابا وحكمت السُّودَان ثمّ عادت للمعارضة.
- وكذلك كانَ للإخوان المُسلِمِين ونظرائهم من تيار الصّحوة تجربتهم البرلمانية الحزبية في اليمن.
- ولكن أبرز التَّجَارب الدِّيمقراطيَّة العربيَّة، كانَ ما حصل في الجَزَائِر بعد الانفتاح الّذي أحدثه الرَّئيس الشاذلي وصعود نجم الجبهة الإِسْلَاميّة للإنقاذ وتجربتها الّتي تشكل درسا بالغ الدلالة.
- أما عَلى الصعيد الإِسْلَاميّ فأبرز التَّجَارب وأقربها للعالم العربيّ، كانت تجربة الجماعة الإِسْلَاميّة في باكستان، وقد دخلت التَّجربة الدِّيمقراطيَّة الحزبية منذُ وقت مبكر وما زالت إلى اليَوْم.
- وكذلك تجربة حزب السَّلامة في تركيا منذُ الستينيات والَّتي أوصلت زعيمها أربكان مرتين إلى سدة الحكم الأولى كنائب لرئيس الوزراء أواسط الستينات، والثّانية وهي الأهم سنة ١٩٩٦ حيث أحرزت الأغلبية البرلمانية وتولى أربكان رآسة الوزراء سنة١٩٩٥ وفي الحالتين أطاح العسكريّون بالتجربة.

وبالإجمال بقيت معظم مساهمات الإِسْلَاميّين في الحياة السّياسيّة في المعارضة وشكلت جزءا يسيرا من قوتها في البرلمانات التَّشريعية، ووصلت في حالات نادرة إلى السّلطة التنفيذية كما في (الأردن- الجَزَائِر- تركيا-) ولكن تمَّ في كلّ الحالات تقليم أظافرها وإبعادها عن مركز النفوذ والقرار.

- ومع بداية التِّسعينيَّات لحق كثير من المدارس الغير سياسيّة من **الصوفية والسّلفيّة والتبليغ والدّعوة وغيرهم** من سبقهم من الإخوان ونظرائهم في الممارسة البرلمانية، وتسللت الدِّيمقراطيَّة لمعظم مكوّنات الصّحوة الإِسْلَاميّة تقريبا كما سنرى وسنأتي عَلى شيء من التّعليق حول هذه التَّجربة في الفقرة التّالية إن شاء الله.

صَحوَة جهاديّة:

بعيد قيام حُكُومَات الإستقلال عَلى قاعدة الحكم بغير ما أنزل الله، والوَلَاء لمن ولاّهم من القوى الاستعماريّة الشرقية والغربيّة، اصطدمت مختلف شرائح الصّحوة بهم، ومارست معظم الحُكُومَات سياسة البطش والقتل والسّجن والتنكيل، وبدأت تتفاعل تلك الأحوال وتعزز نتائجها عَلى كافّة صعد الحياة السّياسيّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة وبدأت تتكون بذور الثَّورة عَلى ذلك الواقع وتتكون دواعي الجِهَاد في فكر الصّحوة الإِسْلَاميّة.

لقد توصل نفر من المفكرين والدعاة الأوائل مطلع الستينيات إلى أن مشاكل الأُمّة قائمة تطول: أولها حكم الكفر وولاء الأَعدَاء، وليس أقلها العدوان والظُّلم والإحتلال وسرقة الثّروات و..و.. وهذه مشاكل يحرس العدوّ بقائها عبر نوابه بقوة السّلاح والحديد والنار وسلاسل السّجون وسياط الجلادين وتوصلوا إلى أن مقتضى دين الله في مثل هذه الأحوال هو أن يكون الجِهَاد فرض عين لإقامة حكم الله في البلاد أولاً وكذلك دفاعا عن دين الدّين والأنفس والأموال والأعراض.... فبدأت تتكون بوادر الفكر الجهاديّ حيث طرح فكر الحاكِمِيَّة والوَلَاء والبَرَاء والتمايز والمفاصلة.

وكان رائد هذه الصّحوة بلا منازع الأستاذ المعلم سيد قطب رَحِمَهُ الله، وكان للأستاذ أبي الأعلى المودودي رَحِمَهُ الله في باكستان مساهمة فذة كذلك، وتتالت المساهمات وتكونت القَاعِدَة الأولى للفكر

الجهاديّ الحَركيّ الّذي ما لبث أن انتشر وبدأت تتكون نوياته في مصر ثمّ الشّام ثمّ شمال أفريقيا وغيرها، وتتابعت التَّجَارب كما سيأتي شيء من التفصيل في الفَصلين التاليين إن شاء الله.

صَحوَة شاذة منحرفة:

نتيجة صدامات مختلف مدارس الصّحوة السَّابقة مع طواغيت العَرَب والعجم من حُكَّام بلاد المُسلِمِين ولد في تلك الظّروف المأسوية تيار منحرف شاذ تمثل فيما عرف بتيار **التَّكفِير**، أو **التَّكفِير والهِجرَة** كما أسمته وسائل الإعلام، وقد ولد ابتداء في مصر ولكن وجدت له بذور في كلّ بيئة شابهت معطياتها الفترة الّتي ولد بها هناك.

فقد جاهر معظم الحكَّام بمختلف ألوان الكفر والردة من الحكم والتَّشريع بغير ما أنزل الله إلى ولاء الكافرين إلى غير ذلك من تبعات ذلك، واتخذ هَؤُلَاءِ الحكَّام لهم شرطة وأعوانا وأجهزة استخبارات وأمن وبطش، وأقامت الحُكُومَات السّجون وقاعات التعذيب بلا حسيب ولا رقيب، كما أقام كلّ حاكم إلى جانبه عكازا من الكهان والسحرة يشهد عليه بمراتب الإِسْلَام والإيمان والإحسان وعلى نظامه بالشَّرعيّة، ويسبغ عليه ما لولي الأمر الشَّرعيّ من الحقوق، فيما جنحت كثير من رموز الصّحوة السّياسيّة وغير السّياسيّة إلى المداهنة والتلعثم في قول الحقّ، بل وتجرأت عَلى دخول هياكل السّلطة وأجهزتها واتسمت الصّحوة بالعجز عن مُوَاجَهة ذلك الواقع وفي ذات الوقت انغمس معظم شعوب الأُمّة في حياة استهلاكية لاهية عابثة، وبطبيعة الحال، كانَ في شباب الصّحوة من يتمتع بالحماس المتقد والغيرة الشديدة عَلى دين الله بقدر ما توفر له من نصيب من الجهل في علوم الدّين وقواعده وضوابطه، ومثل ذلك من قلة الخبرة في فقه الواقع ومعطياته.

فنظر واحدهم إلى حاكم كافر، وسجان ينتهك الأعراض ويسفك الدِّماء ويسب الله ورسوله ودينه بلا حياء ولا وجل فرأى الشَّبَاب المعذب أن لا شَّكَّ في أن هَؤُلَاءِ كفرة، ولا شَّكَّ أنه استنتاج صحيح، ثمّ نظر الشَّبَاب إلى علماء منافقين يعلمون كلّ هذا ويشهدون عليه بالشَّرعيّة ويسوغونه، فقالوا لا شَّكَّ في كفر هَؤُلَاءِ الّذين كتموا ما أنزل الله واشتروا به ثمنا قليلا، ثمّ نظروا إلى قيادات صَحوَة عاجزة مداهنة منكفئة، فسألوهم عن هذا الكفر وأحكامه، وحكم أصحابه فشهد الدعاة وقادة

الصّحوة عَلى هذا الضلال بالفسوق والظُّلم، ولكنهم لم يتجرؤوا، أو لم يتوصلوا إلى الحكم عليه بالكفر، فحكموا عَلى هذه الأنظمة وأجهزتها بالإِسْلَام وبمجرد الظُّلم والفسق، فهنا حصلت الصدمة الفكريّة في رؤوس بعض الشَّبَاب فأعملوا القَاعِدَة المعروفة (من لم يكفر كافرا فقد كفر) عَلى كلّ المستويات، جاهلين أن هذه القَاعِدَة هيَ في كفر المجمع عَلى كفره بلا تأويل واستنتاج كاليَهُوْد والنّصَارى والمجوس، فأسقطوها عَلى من لم يكفر أولئك الحكّام وتتابعت السلسلة المنكودة، فكل من لم يكفر من كفروه فقد كفر.

ولقلة العلم وبسبب الحماس والتشنج وظروف السّجون، ولد فكر التَّكفِير، وبسبب الجهل ولنفس الأسباب السالفة اختلفوا عَلى حدود التَّكفِير فكفروا بعضهم بعضا، وانبثق من هنا مدارس وجماعات مختلفة في أصول التَّكفِير وتوسعهم فيه.

وعلى هامش هذه الأفكار نظر هَؤُلَاءِ إلى المجتمعات وما يتمرغ فيه أكثر النّاس من الرذائل والفساد، فولدت فكرة جاهلية هذه المجتمعات، ثمّ كفر بعضهم هذه المجتمعات لأنها تمالئ حكامها أو لم تعبأ بتعلم دينها، وتقع بجهالتها وعدم سعيها لفهم دينها في نواقض الإيمان، وطرحت فكرة الابتعاد عنها للعيش في مجمعات معزولة يقوم أصحابها عَلى تربية أنفسهم وأولادهم عَلى الدّين والفضيلة فولدت فكرة الهِجرَة، وامتزجت في كثير من الأحيان نتيجة العزلة والجهل والحيف الّذي وقع عليهم من السُّلطات وعلمائها، ثمّ من الصّحوة وقيادتها، ثمّ من النّاس والمجتمع، فتفاقمت الظَّاهِرة، واختلفت زوايا الانحراف فيها، واعتبر بعض هذه الجماعات أنفسهم (جماعة المُسلِمِين) وكفروا من ورائهم، وتردد البعض نتيجة بعض العلم عندهم أو بعض الخوف من إطلاق حكم التَّكفِير تورعا فبدؤوا في البحث في أعذار الجهل لتخفيف هذه الأحكام عن البعض، واختلفت الآراء في تفسير نصوص العُلَماء الأوائل بالعذر بالجهل وحدوده وشروطه فأطلقوا الأحكام حينا، وتوقفوا للتبين حينا فولدت ما يسمى جماعات (التوقف والتبيُّن)، وشهدت فترة السَّبعينيَّات والثَّمانينيَّات توفر أسباب النمو لهذه التّيارات الشاذة الّتي آذت الإِسْلَام والمُسلِمين والصّحوة، وآذت نفسها، ووفرت فرصة ذهبية للعدو لنسف شعبيَّة التّيار الجهاديّ والصّحوة الإِسْلَاميّة كلها، حيث نسبت الحكومة إلى

كلّ من يريدون تدميره تهمة الإنتماء إلى هذا التّيار الممقوت والمعزول من قبل عوام المُسلِمِين صالحهم وفاسدهم.

وهذه خُلاصة قصة التَّكفِير في أوساط الصّحوة حيث يمكن ايجاز معادلة توليده بما يلي،

حاكم كافر ظالم + جلاد سفاح مجرم + عالم منافق للسلطان + صَحوَة عاجزة + عامة يغلب عليهم الفساد + شباب متحمس جاهل مظلوم = ميلاد تيار التَّكفِير

وكدأب الشّيطان دائما، طلب بعض أقطاب هذا التّيار بعض العلم وعادوا يبحثون في كتب الأقدمين عما يدعم أصولهم وأفكارهم فصار لهذا التّيار أمراؤه وفقهاؤه المنحرفون ونشراته الضالة، وغلب عَلى أتباعه العنف في كلّ الأحوال، واستدرجت أجهزة الاستخبارات بعضهم حيث وجدوا للولوغ في دماء الأبرياء، ثمّ دماء بعضهم، ودماء من أرادت الاستخبارات استجرارهم إليه لتدميرهم وتدمير الجِهَاد والصّحوة ومستقبل الإِسْلَام حيث أرادت، كما سيأتي شيء من التفصيل في الفَصلين القادمين إن شاء الله.

وهكذا تبلورت مدارس الصّحوة الأربعة هذه، ومع التّواصل الّذي ازداد في هذه الفترة عبر كلّ وسائل الاتّصال انتشرت هذه المدارس في بلاد العَرَب بحسب أسبقية استقلالها وانتشار الصّحوة فيها كما انتشرت في بض بلاد المحيط العربيّ مثل تركيا وباكستان وأطراف أفريقيا، ونتيجة حركة الهِجرَة الكثيفة الّتي دفعت بملايين الشَّبَاب المسلم من الطلاب والعمال إلى المهجر في أوربّا وأمريكا وأستراليا وكندا وسواها، هاجر نتيجة القمع والمطاردات كثير من كوادر وقيادات ودعاة الصّحوة الإِسْلَاميّة من مختلف مدارسها إلى بلاد الغرب وسواها، وأقاموا المراكز الإِسْلَاميّة والمساجد، كما قامت كثير من الجماعات والمؤسسات الأهلية بالخروج إلى هناك بلا إكراه وإنما بقصد نشر الدّعوة والإِسْلَام فانتشرت مدارس الصّحوة الأربعة هذه في أوساط المهجر ونتيجة الحريَّة المتوفرة وتوفر إمكانيَّات الاتّصال والنشر، ساهمت مراكز الصّحوة في الغرب في إعادة تصدير ما تطور من فكرها وتجاربها، وصار لها صحفها ومجلاتها ووسائل اتصالاتها وصارت الصّحوة الإِسْلَاميّة في المهجر جزءا مهما ساهم في دفع

مسارها وأثراه وزاده عطاء عَلَى كافّة الأصعدة، كما صار الغرب وأوساط الجاليات مسرحا لتواجد كافّة مدارس الصّحوة المتواجدة في العالم الإِسْلَاميّ،

ثالثا: المَرحَلَة الثّالثة: (١٩٩٠-٢٠٠٠): مرحلة الأزَمَات:

كانَ العقد الأخير من القرن العِشرين بعد انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، عقدا مفصليا بالغ الأهمّيّة في تاريخ الصّحوة الإِسْلَاميّة بكافة مدارسها الأربعة وما ينضوي في كلّ مدرسة من مناحي، ومواجهتنا مع طواغيت بلاد العَرَب والمُسلِمين وكما أشرنا في الفَصل السابق فقد شهد مطلع هذا العقد انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد واختياره للإسلام والصّحوة الإِسْلَاميّة خاصّة خصما استراتيجيا وحضاريا وعقديا بل وعسكريّاً في مُوَاجَهة الحضارة الغربيّة بعد أن آل قيادها لأمريكا وأتباعها من دول أوربّا النّاتو،

ويمكن اختصار سياسة الغرب في مُوَاجَهة الصّحوة بنيابة الحكّام وأجهزتهم المختلفة خلال هذا العقد بالنقاط المختصرة التّالية ؛ حيث سنذكرها ثمّ نتبع ذلك بخلاصة مسار كلّ مدرسة من المدارس الأربعة سالفة الذكر وهي المدارس: اللاسياسيّة، والسّياسيّة، والجهاديّة، والتكفيرية، فقد اتسمت مُوَاجَهة الحكّام والغرب للصحوة بما يلي:

١. ضرب الإتجاه الجهاديّ من الصّحوة الإتجاه المعتدل منها بحسب موازينهم.

٢. توسيع قاعدة الأصوليّة (المعتدلة) بحسب مفهومهم بتوسيع باب المشاركة الدِّيمقراطيّة للإسلاميين لتدخل مؤسسات السّلطة من أجل تحقيق الهدف آنف الذكر في البند السابق.

٣. مساعدة تيار التّكفِير عَلَى البروز واستنساخ بذور تكفيرية برعاية الإستخبارات، واتباع سياسة إعلاميّة لخلط التّكفِير بالجِهَاد من أجل عزل الجهاديّين عن الأُمّة والإيقاع بينهما، وهذا ما طبق في الجَزَائِر(١٩٩٣-١٩٩٧) ونجح.

٤. إطلاق حملة (الإِسْلَاميّين عَلَى الطَّريقة الأمريكيّة) عبر وسائل الإعلام في هجمة للتغريب والانحلال، من أجل تفكيك الجُذُور الأصوليّة للإسلام الّتي تضمن توليد بذور المُقاوَمة.

٥. إنطلاق حملة مكافحة الإرهَاب الأمنيّة ضدّ التّيار الجهاديّ.

٦. إنطلاق حملة مكافحة الإِرهَاب الإعلاميَّة السّياسيّة ضدّ التّيار الجهاديّ باستخدام المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة كجبهة أولية تدعمها قطاعات الإِسْلَام المعتدل.

ولنقف مع أثر هذ السياسات في المُوَاجَهة عَلى مسار كلّ مدرسة من مدارس الصّحوة الأربعة خلال العقد الأخير من القرن العِشرين.

الصّحوة اللاسياسيّة: (١٩٩٠-٢٠٠٠):

لعلّ أبرز ما يميز ما حلّ بمدارس هذه الصّحوة من أمثال بعض مدارس الصوفية والسّلفيّة والدّعوة وأصحاب المذهب الإصلاحي خلال هذا العقد هو أمران اثنان:

أولهما: تسيس كثير من رموزها وجماعاتها مع الوقت ودخولها ميدان العمل الحزبي والبرلماني عبر أبواب الدِّيمقراطيَّة الّتي فتحتها الحُكُومَات عَلى مصراعيها لتحقيق الهدف المبيت بتمزيق الصّحوة وجعل مدارسها الثّلاثة تقف في حصار ومُوَاجَهة التّيار الجهاديّ فقد دخل كثير من الشخصيات من الصوفية والتبليغ والسّلفيّة مجال الدِّيمقراطيَّة والعمل الانتخابي إن بصورة مستقلين أو بصورة تجمعات وكتل برلمانية في مختلف الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة الّتي فتحت المجال.

ثانيهما: إحياء عَقِيْدَة الإرجاء ببعد وهوية سياسة معاصرة بين مختلف مدارس هذه الصّحوة عَلى تناقضاتها العقدية من أقصى الصوفية إلى أقصى السّلفيّة، بحيث أعيد التركيز عَلى إسلام الحاكم وإيمانه، والفَصل بين هويته هذه وطريقة حكمه وسياساته وممارساته العامّة والخاصة.

وكان الهدف فيما يبدو هو رفع الحرج الشَّرعيّ عن المشاركة في مؤسسات الحكومة التَّشريعية والتنفيذية والقضائية الّذي يسببه إطلاق حكم الكفر عليها.

وبهذا بدأت قاعدة هذه المدارس بصفتها اللاسياسيّة تضمر، وبدأت تتداخل عمليا في طروحاتها السّياسيّة وبالتالي الشَّرعيَّة مع المدرسة الأخرى الّتي سبقتها بهذه الممارسات بعدة عقود، وقد شكلت هذه الكتل منافسا حقيقيا ضمن صف الصّحوة الإِسْلَاميّة للمدرسة السّياسيّة للإخوان المُسلِمين وأشباههم في بعض البلدان، خُصُوصَاً عندما دخل بعضهم في تحالفات انتخابية مع تيارات علمانية!

وقد حصلت في حالات أُخرى تحالفات عديدة بين المدرستين الإِسْلَاميّتين لتشكيل كتل إسلاميّة كبيرة وجبهات عمل مُوَاجَهة للتيار السّياسيّ الحاكم أو العلماني المعارض.

الصّحوة السّياسيّة (١٩٩٠-٢٠٠٠):

شهدت فترة (١٩٧٠–١٩٩٠) ازدياد حدة المواجهات الصدامية بين مختلف مدارس الصّحوة والحُكُومَات العربيَّة والإِسْلَاميّة وأجهزتها الأمنيّة، سواء في صدام الجهاديّين مع الحُكُومَات عسكريّاً كما حصل في سوريا ولبنان ومصر وليبيا والجَزَائِر وسواها، أو في مصادمات السّياسيّين من الدعاة وبعض رموز العُلَماء والخطباء مع الحُكُومَات، وأسفرت هذه المواجهات عن امتداد شعبيَّة الصّحوة الإِسْلَاميّة عموما وانتشار الفكر الجهاديّ وقاعدته الشعبيَّة خاصّة، وكما قلت فقد رأت الحُكُومَات ومستشاروها الغربيّون ومن يديرون حاضر ومستقبل تلك الأنظمة، أن الأمور تتجه نحو الخطورة فكان المكر الّذي تفتقت عنه عقولهم بعد مرحلة ملئ السّجون والمقابر الجماعية بالإِسْلَاميّين هو الانفتاح السّياسيّ معهم، فأفسح الحكَّام المجال للإسلاميين لدخول لعبة الدِّيمقراطيَّة والمشاركة فيها، إما بصفة إسلاميين، أو تحت لافتات أحزاب علمانية مرخصة، أو بصفة مستقلين، وشهد هذا العقد (١٩٩٠–٢٠٠٠) تحولا مهما في ممارسات ومناهج الإخوان المُسلِمِين والمدارس المتفرعة عنها من أجل تبرير تلك الممارسات السّياسيّة، فألفت كتب وأبحاث كثيرة، وكتبت مقالات وألقيت خطب حماسية تشجع عَلى هذا الإتجاه والاستفادة من القنوات المشروعة والفرصة المتاحة إلى آخر تلك المبررات، وشارك الإخوان المُسلِمُون وفروعهم وبعض الكتل الإِسْلَاميّة الأخرى في الإنتخابات البلدية في معظم البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة، كما شاركوا في الإنتخابات البرلمانية كما حصل في الأردن ومصر ولبنان والكويت، ودخلوا بصفات متعددة مؤسسات شبه حكومية في السّعُودِيّة ودول الخليج، وانطلقت التَّجربة البرلمانية في تونس والمغرب وكذلك موريتانيا والجَزَائِر في آخر ذلك العقد المنصرم، وحصل مثل ذلك في معظم بلاد العالم الإِسْلَاميّ ولاسيما أشهر تلك التَّجَارب في باكستان وتركيا، وكان أهمّ تلك التَّجَارب من حيث حجمها ودلالتها السّياسيّة ما جرى في تونس والباكستان وأخيرا الجَزَائِر ثمّ تركيا، حيث اقتنعت السُّلطات في نهاية هذا العقد ونهاية القرن العِشرين بضرورة إقفال هذا

البَاب، والعودة للمُوَاجَهة مع كافّة مدارس الصّحوة عَلى الطَّريقة الإستئصالية كما سنرى إن شاء الله في الفقرة (رابعا) من مراحل الصّحوة، **ولكن الجدير بالذكر هنا أن نقول أن مناهج الإخوان المُسلِمِين وفروعهم من الحركات الإِسْلَاميّة قد شهدت انقلابا عَلى كثير من أساسِيَّات المنهج الّذي بنى عَلى أفكار مؤسسة الأوائل كحسن البنا وعبد القادر عودة وخاصة سيد قطب رحمهم الله تَعَالَى وازدادت زاوية الإنحراف المنهجي انفراجا بسبب التسكع عَلى أبواب السّلاطين وتسلم المناصب في مؤسساتهم العلمانيّة القائمة عَلى أصول الرِّدَّة والتَّشريع من دون الله والوَلَاء للكفرة وأعداء هذه الأُمّة.**

وسنأتي عَلى وقفة أثر تفصيلا مع مسألة الدِّيمقراطيَّة في الفَصل الثَّامن إن شاء الله.

الصّحوة الجهاديّة (١٩٩٠- ٢٠٠٠):

كانت الصّحوة الجهاديّة – كما سنرى في الفَصل القادم بشيء من التفصيل إن شاء الله – قد خاضت مواجهات حقيقية وواسعة مع بعض الحُكُومَات خلال السَّبعينيَّات والثَّمانينيَّات حيث تكبدت فيها ضحايا كثيرة، واتسعت فيها قاعدتها الشعبيَّة، ودخلت في مطاردات أمنيّة ذات طابع استخباراتي، وكانت البوابة الأفغانية الّتي فتحت للجِهَاد منذُ سنة (١٩٨٤) أمام الصّحوة الإِسْلَاميّة عموما والجهاديّة خُصُوصَاً، قد أغرت معظم قياداتها للذهاب إلى أفغانستان حيث خاضت تجربة فريدة خلال (١٩٨٤–١٩٩٢) وقد أسفرت العاصفة الأمنيّة الّتي نظمتها أمريكا ونفذتها باكستان وتابعتها الدّول العربيَّة والأوربية بعيد سقوط الإتحاد السوفيتي وانتهاء حاجة أمريكا للظهير الإِسْلَاميّ في مُوَاجَهة الرُّوس عن انتشار معظم كوادر الجهاديّين والمطلوبين أمنيّاً في بلادهم نتيجة مصادماتهم مع حُكُومَاتهم في مجالات اللجوء السّياسيّ الّتي فتحت في أوربّا الغربيّة وما شابهها مثل كندا واستراليا وغيرها، أو في بلدان عربيَّة أُخرى لا تطالهم فيها أيدي حُكُومَاتهم لعدم قيام علاقات تعاون أمني آنذاك بين تلك البلدان، ولكن الإدارات الأمريكيّة المتوالية بعد حرب الخليج الثّانية (عاصفة الصَّحرَاء) وضعت خُطّة متكاملة لمُوَاجَهة التّيار الجهاديّ اصطلح عليها بالمُوَاجَهة الدّولية لمكافحة الإِرهَاب والَّتي أوصلها بوش الابن لتكون حربا عالميّة حقيقية فيما بعد سِبتَمبر ٢٠٠١ كما سنرى إن شاء الله.

ويمكن اختصار برنامج مكافحة الإِرهَاب العَالَمِيّ خلال هذا العقد بالنقاط التّالية:

- **الخطوط العريضة للبَرَامج العَالَمِيّة لمكافحة الإرهَاب ١٩٩٠-٢٠٠٠:**

١. **تجفيف المنابع المالية.**
٢. **استهداف القيادات والكوادر الجهاديّة بالقتل والأسر.**
٣. **اتفاقيات التسليم وتبادل المجرمين الإِرهَابيين (الجهاديّين) بين الدّول المختلفة.**
٤. **إلغاء الملاذات والملاجئ الآمنة أمام الجهاديّين.**
٥. **نقل مجالات التّعاون الأمني من الإقليمي إلى الدّولي.**
٦. **التوسع في تشريعات مكافحة الإرهَاب.**
٧. **الحَرب الإعلاميَّة من أجل تشويه المُجَاهدين عزلهم.**

وهكذا أسفرت هذه الحملة العَالَمِيّة لمكافحة الإِرهَاب بقيادة أمريكا عن تحويل قيادات وكوادر وعناصر الحركات الجهاديّة إلى عناصر تعيش هاجس المطاردات والاغتيالات والخطف والأسر وإغلاق الملاذات، وتكفلت خطط تجفيف المنابع بقطع أرزاقهم وقوت أسرهم وأطفالهم الّتي جابت معهم مشارق الأرض ومغاربها مشتته تكتوي بنيران هذا الأخدود المعاصر للمؤمنين الغُرَباء الفرارين بدينهم.

وهناك ملاحظة مهمة وهي ظهور مدرسة جهاديّة جديدة في هذه الأثناء يمكن تسميتها:

- **ظاهرة الجِهَاد الفَرديِّ:**

فبسبب الأجواء الضاغطة عَلَى ضمير أصحاب الضمائر من شباب هذه الأُمّة، فقد بدر من بعضهم بين الحين والحين ممارسات جهاديّة هنا وهناك من قبل أفراد لا ينتمون لأي تنظيم، وهذه الظَّاهِرة قديمة، بدأت منذُ قدوم الحملات الصّليبيّة الثّانية مطلع القرن الثَّامن عشر، من قبيل ما أقدم عليه الشّهِيد (سليمان الحلبي) الّذي هاجر من حلب في شمال الشّام إلى القاهرة مرورا ببيت المَقْدِس حيث التقى بعض العُلَماء وتحصل عَلَى فتوى بقتل الجنرال (كليبر) قائد الحملة الفرنسية عَلَى مصر، والّذي استخلفه نابليون عندما عاد إلى فرنسا، فقتله سليمان رحمه الله وكانت الحادثة مطلع أسباب جلاء

الحملة الفرنسية عن مصر ثمّ أعدم رحمه الله وأعدم معه العالم الّذي أفتاه، وتكررت هذه الظَّاهِرة بحسب الظّروف.

ولكن خلال العقد (١٩٩٠–٢٠٠٠) وبعد انطلاق الحملات الصّليبيّة الثّالثة وقيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، بدأت هذه الممارسات تتكاثر وتشكل ظاهرة ومدرسة جهاديّة تستأهل الوقوف معها ودراستها وتنميتها كما سيأتي معنا إن شاء الله، فقد تعرض بعض العسكريّين والمدنيين ومختلف أشكال وجود الصّليبيّين لعمليَّات جهاديّة فرديَّة رائعة ومجدية شكلت إرباكا للعدو وبشرت بنمو بذور مقاومة لو قدر لها أن تنضج فإني أعتقد أنها تشكل أهمّ مرتكزات الْمُوَاجَهة القادمة بإذن الله.

الصّحوة الشاذة وتيار التَّكفِير (١٩٩٠-٢٠٠٠):

من المهم جدا لفهم ظاهرة التَّكفِير أن نفهم المعادلة المكونة له والَّتي اختصرناها بأنها:

حاكم كافر ظالم + جلاد سفاح مجرم + عالم منافق للسلطان + صَحوَة عاجزة + عامة يغلب عليهم الفساد + شاب متحمس جاهل = ميلاد تيار التَّكفِير.

وخلاصة ما حصل لهذه الظَّاهِرة منذُ ميلادها مطلع السَّبعينيَّات وإلى اليَوْم أنها كانت محدودة معزولة لم تلق شعبيَّة ولا انتشار، لا في أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة، ولا في أوساط عامة الْمُسلِمين، ففي حين لم يقف التّواصل والعلاقات بين مختلف أعضاء وجماعات الصّحوة في المناحي الثّلاثة السّياسيّة والغير سياسيّة والجهاديّة رغم اختلافها وخلافاتها، حيث قام التّواصل الفكريّ والعلاقات الشَّخصيَّة بل والتّعاون في مختلف مستويات ما اتفق عليه، أجمعت الصّحوة الإِسْلَاميّة بكاملها عَلى نبذ ظاهرة التَّكفِير وفكر أصحابه مما ساعد عَلى ضموره وانكماشه.

وللطبيعة بالغة السوء الّتي طبعت فكره وسلوك أفراده ؛من الجهل والتشنج والعنف واللامعقولية، بالإضافة للانحراف عن الأسس الشَّرعيَّة، لم يستطع هذا التّيار أن يكسب أرضية داخل الصّحوة ولا خارجها، إلا عَلى شكل جيوب منكمشة معزولة هنا وهناك تجتر أحقادها وجهالتها وتتولى تصفية بعضها البعض، ولكن يجدر لفت النَّظر تحت عنوان هذه الظَّاهِرة إلى ملاحظات مهمة:

- **الملاحظة الأولى**: هيَ أنه رغم أن جماعات تيار التَّكفِير قد كفرت جماهير المُسلِمِين وعلماءهم وقادة صحوتهم ودعاتهم لأَنّهم لم يكفروا الحكَّام وزبانيتهم، ولم يكفروا من لم يكفر الحكَّام ولم يكفروا من لم يكفر هَؤُلَاءِ.... وهكذا وهي سلسلتهم النكدة وأساس انطلاق فكرتهم، إلا أن الغريب في الأمر أنهم لم يتبنوا فكرة جِهَاد الحاكم الكافر الّذي فاصلوا النّاس عَلى كفره! ولم يعرف لجماعات التَّكفِير أنهم قاتلوا الحكَّام إلا في القليل من التَّجَارب، ناهيك عن أنهم لم يدعوا إلى جِهَاد الكفّار الأصليين من اليَهُوْد والنّصَارى الّذين حلوا في عقر دار المُسلِمِين، في حين أنهم تلوثت أيديهم بقتل الأبرياء من المُسلِمِين، وهذا ما لفت الأثر الشريف النَّظر إليه من أن من خصائص هذه الشراذم أنهم: «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ**»[1].
- **الملاحظة الثّانية**: هيَ أن الحُكُومَات الطَّاغوتية ومن وراءها من أعداء الإِسْلَام أدركوا أهمية هذا التّيار الشاذ في محاربة الجِهَاد ووقف صحوته، وذلك لمفارقة بسيطة وهي:

أن الجهاديّين يريدون تعبئة الأُمّة وتجنيدها لمحاربة الأَعدَاء الخارجيين من الكفّار مثل اليَهُوْد والصّليبيّيّن والوثنيين الهاجمين علينا، ولمُوَاجَهة الطواغيت من الحكَّام الّذين تولوا تحقيق أهدافهم ومحاربة أمتهم، في حين أن التكفيريين ينطلقون من مبدأ تكفير عموم الأُمّة! فكيف يجاهدون معهم بعد أن سلخوهم عن دينهم!

والأمر المهم الثّاني الّذي أدركه أولئك الخبثاء من الحكَّام وأعوانهم وأجهزة استخباراتهم ومراكز دراساتهم المتفرغة لحرب الإِسْلَام والمُسلِمين أن إلصاق تهمة التَّكفِير بالجهاديّين بدعوى أنهم خوارج يكفرون الحكَّام وأعوانهم وعلماءهم، ويكفرون عوام النّاس (وهو زعم بَاطِل) لأن الجهاديّين كما هو معروف لا يسحبون سلاسل التَّكفِير هكذا خبط عشواء، ولهم فقههم المنضبط المعتمد عَلى عقائد أهل السّنّة والجماعة المعروفة وكتاباتهم ومنابرهم الإعلاميَّة أكبر دليل عَلى ذلك، فإلصاق الحُكُومَات هذه التهمة بالجهاديّين هو من أهمّ السّبل لفصلها عن جماهيرها، ولذلك عملت عَلى هدم الجدار الواضح الفاصل بين هذين الاتجاهين المتناقضين في المنهج والأهداف وأعني (تيار الجِهَاد) و(ظاهرة التَّكفِير).

---

(١) صحيح البخاري: (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

- **الملاحظة الثّالثة والهامة جدا،** أن أجهزة الإستخبارات المعادية لهذه الأُمّة والعاملة ليل نهار عَلى ابتكار أسباب مُوَاجَهة صحوتها الجهاديّة، لما رأت فائدة أفعال التَّكفِير المشينة ولاسيما بعد جريمتهم الشنعاء في حق الجِهَاد والأُمّة في الجَزَائِر الّتي كانت حقل تجارب للاستخبارات كما سأبين في الفَصل السَّادس في نبذه عن تجربة الجَزَائِر إن شاء الله، رأت أن من أنجح الوسائل لمُوَاجَهة الجِهَاد والجهاديّين لفصلهم عن الأُمّة هم تهمتهم بالتكفير فيكرههم النّاس فينعزلون عنهم فيسهل القضاء عليهم، وهذا ما طبقوه في الجَزَائِر، ولما درست أجهزة الإستخبارات هذه الظَّاهِرة (التكفيرية) اكتشفت المعادلة الّتي أشرت إليها في ميلاد التَّكفِير الّذي يولد طبيعيا في الأجواء الّتي أشرت إليها، فعمدوا إلى توليد تيارات للتكفير بالاستنساخ الاصطناعي في الأوساط الّتي يتوقع أن الجِهَاد سيولد فيها بطبيعة الحال نتيجة الحضور الاستعماريّ أو النّظام الطَّاغوتي ومن الأمثلة عَلى ذلك ما جرى في السّعُودِيّة منذُ حرب عاصفة الصَّحرَاء الكويتية، وولادة بذور الجِهَاد والمُقاوَمة، فقد عمدت الإستخبارات السّعُودِيّة الّتي اتخذ وزير داخليتها **نايف بن عبد العزيز،** من وزير الداخليَّة المصري الأسبق سيئ السمعة (زكي بدر) المشهور بنظرياته الإستئصالية وبشاعة أساليبه، اتخذ منه ومن فريق عمل من الإستخبارات المصريَّة مستشارين لتأسيس جهازه القمعي في السّعُودِيّة منذُ ١٩٩١، وكان من نتائج ذلك ما بلغنا بعض القليل من أخبار ما جرى هناك لاستنساخ التَّكفِير وتهمة الجِهَاد المترقب في السّعُودِيّة به.

فقد حدّث عدد من الناجين من سجن (الرويس) الشهير في جده من السّعُودِيّين وغير السّعُودِيّين من الجهاديّين، أنه بعد حادثي انفجار الرِّيَاض والخبر سنة ١٩٩٤م وما تلا ذلك من نشاط بعض التَّنظِيمات الجهاديّة في السّعُودِيّة اعتقل آلاف الشَّبَاب للاستجواب ممن كانَ لهم سابقة جهاديّة أو كانوا مظنة ذلك، وقد تعرض الشَّبَاب لمختلف صنوف التعذيب البشعة الّتي استوردها الأمن السّعُودِيّ من مصر وتونس وسوريا والبلاد العريقة في علوم التعذيب، ولكن الّذي استفاد وه من تجربة الأمن الجَزَائِري هو فائدة تيار التَّكفِير في تدمير الجِهَاد! وكان ذلك من أهمّ التَّجَارب: فعمدوا عَلى استنساخه وتوليده من خلال إيجاد مكوّنات طرف المعادلة الأيمن:

قَالَ أحد الّذين شهدوا التَّجربة في سجن الرويس بجده في السّعُودِيّة: [كانَ يأتينا بعد جولات التعذيب الجسدي من الضرب والكهرباء، مشرف عَلى التعذيب النّفسيّ رجل شيعيّ من (النخاولة[١]) عرف نفسه باسم (أبو نايف)، في الستين من عمره أعرج، فيسمعنا من ألوان الكفر وشتم الدّين والرب ومقدّسات الإِسْلَام والهزء بشعائره وشتم الجِهَاد والمُجَاهدين، ما يهون معه ما عانينا من جلسات التعذيب مقارنة ببشاعة ما نسمع، ثمّ يقول لنا بعد ذلك: أنتم تريدون حكم الشّريعة ؟! وما هذا الّذي يحكم به ولي الأمر ؟ أليس شريعة ؟ ألا تعجبكم شريعة الـ (!!) [ويذكر فعل النكاح باللغة البذيئة الدارجة]، ويضحك ويضحك الجلادون، ويتابع: هذا الشَّيْخ ابن عثيمين وابن باز يقولون أنها شريعة، وأنها دولة التّوحيد، ويتابع عَلى هذا المنوال، وكثيرا ما أُخذ الأخوة المعتقلون من الجهاديّين فجمعوا عراة يسترون سوآتهم بأيديهم، ثمّ ينادون عليهم واحدا واحدا، فيربط المعتقل ويعلق ثمّ يأتي الجلاد فيعبث بأعضائه التناسلية بعصا في يده، ثمّ يأتيه بمجسم بلاستيكي لعضو ذكري تناسلي، ويبدأ يمرره عَلى دبر المعتقل! ويهدده باغتصابه واللواط به إذا لم يستجب لما يطلب منه، ثمّ يطالبه بعد ذلك بالتوقيع عَلى أوراق محضر يعترف فيه بأنه يكفُّر ولي الأمر، ويكفر العُلَماء، ويكفر المجتمع السّعُودِيّ!! وروى عن بعض الأخوة أن البعض قد فعل به فعلة اللواط واغتُصب من قبل جلادين سعوديين!!] موظفون يتلقون المرتبات من (دولة التّوحيد الّتي نفع الله بها وتحقق عَلى يديها من الخير ما لا يعلمه إلا الله!!) عَلى حد شهادة الزور الّتي طالما كررها مفتي الدِّيَار- أبوهم الوالد – وهيئة كبار العملاء، ويبدوا أن هذا من بعض ذلك الخير!! وقد أسلفنا بيان المعارضة السّعُودِيّة بصدد هذه الأمور الشنيعة الّتي ترددتُ كثيرا في إيرادها حياء وحفظا لمشاعر من يقرأ هذا الكتاب، ولكني وجدت أن (حق الحقّ أوجب من حق الخلق) كما قَالَ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ، ويجب أن يعلم النّاس جزءا مما يدور عَلى الأقل.

وأضاف الشهود من سجناء (الرويس) بأن المعتقلين الأجانب من الدّول العربيَّة الأخرى قد عذبوا عذابا شديدا كي يوقعوا عَلى اعترافات يقولون فيها أنهم نقلوا فكر التَّكفِير إلى السّعُودِيّة، وأنهم أدخلوا إلى المملكة أَسْلِحة وذخائر، كلّ ذلك تحت وطأة التهديد وأساليب التعذيب الّتي تشابه ما

(١) النخاولة: أسم يطلق علىٰ الشّيعة في السّعُودِيّة

عرف استخدامه في بلاد عريقة في ذلك مثل مصر وسوريا والأردن وتونس وغيرها، وقد ذكر لي بعضهم بأنه كانَ هناك وجبة تعذيب بالسياط تسمَّى (الموزة) لأن المعتقل يقشر جلده فيها!! ويربط للخلف يداه برجليه فيتقوس ظهره ويصير شكله كالموزة ويضرب عَلى بطنه و، وهناك قفص حديدي يسمى (سندريلا) يعلق به المعتقل وتشد أطرافه الأربعة إلى القضبان ثمّ يدور بسرعة ويكهرب بين فترة وأخرى ويخرج المعتقل مغشيا عليه فيصب عليه الماء ويطالب بالاعترافات، وهكذا، فتأمل المعادلة من جديد.

حاكم كافر ظالم + جلاد مجرم يردد الكفر ثمّ يذكرهم بحكم العُلَماء عَلى ولي الأمر بالتّوحيد (وهنا تتحرك آلية التَّكفِير في ذهن المعتقل المسكين) ثمّ يترك المعتقلون في زنزانات جماعية يدس فيها من ضباط الاستخبارات أو بعض من ابتلي بالتكفير ليهيج النقاش في هذه الأجواء فتستنسخ جينات التَّكفِير، ثمّ توقع الاعترافات مقابل الإفراج، فسبحان القائل: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾﴾ [الشعراء]

هذه الشهادات سمعناها سنة ١٩٩٥، ولم يكن قد بدأت في السّعُودِيّة أي مُوَاجَهة حقيقية، أما الآن وقد بدأت بوادرها فلدى الاستخبارات السّعُودِيّة أرشيفا ضخما من هذه الكنوز التكفيرية، ليستند إليها الجهلة من علماء السُّلطَان ويفتوا بأن المُجَاهدين للأمريكان وأذنابهم من آل سعود هم من التكفيريين الخوارج !.

والمتابع لوسائل الإعلام وتغطيتها للأحداث الّتي يديرها الجهاديّون اليَوْم، يرى التركيز عَلى تهمة الإخوة بأنهم خوارج، وعلى فكر الخوارج الأولين، من خلال إخراج مسرحي يتهمهم بأنهم قد شقوا عصى المُسلِمِين، وكفروا الحاكم والمحكوم، وخزنوا المتفجرات في مكّة والمدينة، ووضعوا القنابل داخل المصاحف المفخخة ! وقتلوا الأبرياء من المُسلِمِين والمستأمنين.... إلى آخره، وقد نجحت المصيدة إلى حد كبير، فقد خرج عدد من العُلَماء الموثوقين في السّعُودِيّة ليشاركوا في هذه المسرحيَّة الّتي أعدها وأخرجها الأمير نايف ومستشاروه من استخبارات الدّول العربيَّة.

وهذه الملاحظة من أهمّ ما يجب أن ينتبه إليه من التداخل بين التَّكفِير والاستخبارات، وسيأتي بعض التفصيل عندما نعرج عَلى ذكر نبذة عن كارثة الجِهَاد في الجَزَائِر في الفَصل القادم إن شاء الله.

رابعا: الصّحوة الإِسْلَاميّة في عالم ما بعد سِبتَمبر(٢٠٠١):

كانَ الغرب قد رفع شعارا عبر عنه الرَّئيس الفرنسي الراحل – إلى جهنم – (ميتران) بقوله: (سنضرب الإِسْلَام المتشدد بالإِسْلَام المعتدل)، وقد أدى هذا إلى افتتاح العهد الديمقراطي الزاهر لتصبح المدارس الإِسْلَاميّة السّياسيّة عمليا جزءا من (الملأ)– ملأ الفرعون –، إلى جانب (الحاكم والكاهن والأعوان)، فحققت الصّحوة بعض المكاسب ولكن الثَّمن كانَ أن تقف في وجه المد الجهاديّ.

ولكن وعلى مدى العقد المنصرم حصل أمر منطقي لم يكن في حساب الغرب ولا عملائه المرتدّين، الّذين لم يستطيعوا نتيجة الأحقاد أن يستوعبوا زخم الرّوح الدافقة في الإِسْلَام وطبيعته، وانظر إلى بعض آيات الله:

- **فالإِسْلَاميّون (المعتدلون) كما يسمونهم ليس لديهم في النهاية بضاعة إلا الإِسْلَام.**

فإذا ما اتيح لهم المجال (مساجد، مدارس، ندوات، محاضرات، مؤلفات، صحف، قاعات برلمان، تماس مع الجمهور) فليس لديهم من بضاعة إلا مشاريع الإِسْلَام والحديث عن: (تحكيم الشّريعة، الجِهَاد من أجل فِلَسطِين، قضايا العدل والظُّلم، مكافحة الفساد، الإصلاح الاجتماعي، الالتزام والأخلاق الإِسْلَاميّة.إلخ) وحتى مع وجود أغراض شخصية، ومصالح حزبية، فإن هذه الرّسائل سواءا أخلص أصحابها أم زاودوا بها من أجل التجارة بالشعارات، فإنها ساهمت إلى حد كبير في توسيع القَاعِدَة الشعبيَّة للإسلام والتصوُّرات الدّينيّة، وكان هذا كسبا أفقيا هائلا عَلى طريق أسلمة المجتمعات الّتي تدرك بفطرتها بعد أن دبت فيها الرّوح الدّينيّة الحاجة إلى مُوَاجَهة تلك الأوضاع والصدام معها عندما لا يمكن إصلاحها سلميا.

- **كما أن الجهاديّين أو (المتشددين) كما يسمونهم، يجدون في مثل هذه الاستراحات وأجواء الاسترخاء السّياسيّ والأمني، مجالا للتمدد سريا وإعادة تنظيم الصفوف واكتساب قواعد أوسع داخل الهامش العام للصحوة. وقل مثل ذلك عن الإِسْلَاميّين الدعويين غير السّياسيّين.**

فدبيب أسلمة المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة، وهو ما بسمية الغرب (العودة إلى الأصوليَّة) يقض مضاجعهم، وإن كانَ الشطر الكبير والسواد الأعظم من المجتمعات يسير نحو الفسوق والعصيان والانسلاخ من الدّين وفق برنامج العلمنة ومن يقوم عليها، إلا أنهم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، بكل آثاره ولا يريدون أن يكون للحق وجود ولا لمن يحمله حق في الحركة والحياة، وعلى مر عقد من الزَّمن اكتشف الغرب الصّليبيّ وحكماء صهيون أزلامهم من حكامنا خطأ الإنفتاح الديمقراطي فرفعوا شعارا جديدا هو: نريد (**ديمقراطية بلا إسلاميين في بلاد المُسلِمِين**) !!

ومع أن هذا كلام يناقض نفسه، لأن الدِّيمقراطيَّة تعني حكم الشعب بنفسه وتعني مبدأ سيادة الأُمّة، فالطبيعي والمنطقي احترام خيارها احتراما لأصل المبدأ، ولكن الغرب المنافق وأتباعه الأوقح نفاقا من الحكَّام والعلمانيين في بلادنا، كانوا مستعدين إلى لحس المبدأ ذاته فقالوا ما قالوا: (**ديمقراطية.. ولكن.. بلا إسلاميين!!**).

وسرعان ما تحول الشَّعَار إلى التطبيق العملي فأغلقت معظم الدّول الهامش الديمقراطي، واختارت دول أُخرى تنفيسه من الداخل، عن طريق تفصيل قوانين انتخابية أو تعديلات دستورية تترك للإسلاميين القشور، بحيث لا يستمر منهم في اللعبة إلا الانتهازيون من الإِسْلَاميّين أو المستعدون لتفصيل الإِسْلَام وإعادة خياطته عَلى ذوق الحاكم المحكوم بسيده عدو الإِسْلَام والمُسلِمين.

وهكذا قمعت الدِّيمقراطيَّة الإِسْلَاميّة في الجَزَائِر بكل قسوة (١٩٩١م) بالإنقلاب العسكريّ وكان ثمن ذلك حربا أهلية أتت حتَّى الآن عَلى نحو مئة وخمسين ألف نفس، كما حُمل الديمقراطيون الإِسْلَاميّون وزعيمهم أربكان عبر إنقلاب سياسي أبيض في تركيا من رآسة الحكومة وأغلبية البرلمان ليلقى بهم في السّجون أو ليوضعوا تحت الحجر عن مزاولة العمل السّياسيّ، وانقض مشرف في إنقلاب عسكريّ عَلى ديمقراطية الباكستان ليفصل لهم بعدها نظاما (**ديمقراطيا دكتاتوريا عسكريّاً مدنيا استخباراتنا بإشراف أمريكي !**)، وفصل الأردن واليمن والمغرب وسواها قوانين انتخابية ألقت بالإِسْلَاميّين أقلية في دهاليز البرلمان، أو ليعطوا في أحسن الأحوال وزارات الماء والكهرباء، أو وزارة المطاحن والثروة السمكية، في بلاد لا تطل عَلى البحار ! وهكذا...

واكتشف الغرب أنه أمام معادلة قدرية محكمة تحركها الرّوح النابضة لهذا الدّين الرباني، ومفاد تلك المعادلة:

أن أعداء الإسْلاَم إن ضربوا الإسْلاَميّين وواجهوا الصّحوة بالانقلابات والسّجون والبطش... أعطوا مبررات حمل السّلاح وتمدد الجهاديّون ونمو عموديا ونوعيا، وهم إن فتحوا مجال الإعتدال السّياسيّ كي يواجهوا الجهاديّين بالمعتدلين، تمدد الإسْلاَم أفقيا وقاعديا وانتشر !! فعادوا للبطش، فعاد الجِهَاد للنمو! فعادوا للانفتاح، فعاد الإسْلاَم للتمدد والتوسع !! في حلقة متكررة من مكر الله بهم.

وهكذا وجدوا أن الوعي والتطور وثورة الاتّصالات وعالم الفضائِيَّات والإنترنت قد فتحت عقول الشّعوب، وأن عروش ولاة الإستعمار ونوابهم من حكامنا مهددة، وأن إسرائيل محاصرة بالأصوليَّة، وأن منابع النّفط وأكداس سلاح جُيُوش الحُكُومَات معرضة لأن تسقط بيد ثورات شعبيَّة يقودها متشددون، فقرر الغرب الغزو والاحتلال المباشر لمركز الصِّرَاع (الشّرق الأوسط) الشّام ومصر والعراق وجَزِيرَة العَرَب، وبسط سيطرة أكبر عَلَى ما بقي عبر دعم الولاة المرتدّين لمزيد من البطش، كما زادت أمريكا من قدرات القواعد العسكريّة، ليصل الوجود الأمريكيّ فقط، في منطقة العمليَّات الوسطى (وسط آسيا والعالم العربيّ والقرن الإفريقي) إلى نحو ١,٥ مليون جندي أمريكي يتبع قيادة مركزية واحدة، وتتوزع قواها من كابل وطشقند ومرو... في وسط آسيا من أقصى مشرق بلاد المُسلِمِين، إلى بغداد وعمان وجَزِيرَة العَرَب، إلى مصر والصَّحرَاء الغربيّة والصّومال في الشّرق الأوسط، إلى طنجة وسواحل الأطلسي في أقصى غرب بلاد الإِسْلَام، وهو ما يسمونه اليَوْم (الشّرق الأوسط الكبير) ويضعون الخطط لاحتلاله حضاريا في كلّ المناحي، وكان فاتحة ذلك كما رأينا تدميرا لإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان، واحتلال العراق وإعلان الحَرب عَلَى الصّحوة بكامل أطيافها وصحح بوش مقولة ميتران عندما قسم الإِسْلَاميّين إلى معتدلين ومتشددين متشردين، ليصبح الشَّعَار بالأسلوب الأمريكيّ:

(**ليس هناك إسلام معتدل ! كلّ الإِسْلَاميّون متشددون ويجب القضاء عليهم**)، لتشمل الحَرب الأمريكيّة الكل، بدءا من الجهاديّين، ووصولا إلى المعتدلين مرورا بأصغر مؤسسة إنسانية خيرية تعمل في توزيع المصاحف أو رعاية الأيتام.

وكان هذا من فضل الله، إذ أسفرت هذه السّياسة ليس فقط عن حشر الصّحوة بكاملها وتأهيلها للمقاومة وحمل السّلاح، وإنما عن فتح البَاب لرجل الشارع العادي أن يحمل السّلاح تحت شعار الإِسْلَام.

وهذا ما حذر منه بعض دهاة الفراعنة أمريكا كما صاح رئيس مصر أمام البرلمان عند بداية غزو أمريكا للعراق بأن سياسة أمريكا ستخلق لنا بدل بن لادن واحد مئة بن لادن، ولكن بوش الأحمق المتعصب أسير مستشاريه من الصهاينة لم يستوعب مكر الله هذا به، فسار في سياسة الاستئصال ليتبعه حُكَّام بلاد المُسلِمِين، وكان من ذلك ما سمعته البارحة من ولي العهد السّعُودِيّ عبدالله، في خطاب هستيري موجه للشعب مساء ٨-٣-٢٠٠٣ **يقول:**

(كلّ متستر عَلى إرهابيّ فهو إرهابيّ مثله، وكل متعاطف مع إرهابيّ فهو إرهابيّ مثله، وعندما تواجه الدّولة الإِرهَابيين فلا مكان للحياد ولا الموقف الوسط).

وهو فحوى شعار بوش الحالي: (من ليس معنا في حربنا عَلى الإِرهَاب فهو ضدنا ولا مكان للحياد).

وفعلا تسير المعادلة مع فضل الله لتتحقق أهمّ الشُّرُوط السببية بالنّصر بدخول كامل الأُمّة قسرا أو طوعا في المَعْرَكة، وأما أسباب النّصر القدرية فذلك نصر الله ينزله متى شاء عَلى من شاء حيث شاء، ونسأل الله أن نشهده ونكون من وقود تحقيقه في سبيل الله.

وأما أثر هذه السّياسة الخرقاء عَلى مدارس الصّحوة الأربعة خلال السَنَوات القليلة بعد سِبتَمبر ٢٠٠١ فهي باختصار كما يلي:

أولاً: الصّحوة الإِسْلَاميّة غير السّياسيّة بعد سِبتَمبر ٢٠٠١:

في عمان عاصمة الأردن صرخ أحد أمراء (جماعة التبليغ والدّعوة) في المعتقل، في وجه المحقق مندهشا محتجا بقوله:

(نحن لم نمارس جِهَاد ولا سياسة ولا واجهناكم! نحن ندعوا إلى الله في مساجدنا ونصلح النّاس وننقذهم من الفساد وعالم الخمارات والجرائم...) ! فقال له المحقق الخبير ضابط الإستخبارات الّذي

وعى درسه: (هذه هيَ المشكلة: أنتم الأوتوبيس ! تحملون النّاس من الشارع إلى المَسجِد، فيأتي الإخوان فيحملونهم من المَسجِد إلى السّياسة ! فيأتي المتطرفون فيأخذون غايتهم من الشَّبَاب للجِهَاد والتطرف ! نريد قطع كلّ هذا الطّريق من أساسه نريد وقف الأوتوبيس!)

وهذا يشرح كلّ حقيقة المُوَاجَهة اليَوْم، إنها قصة حوار حقيقي واقعي في غاية التعبير والدلالة، وهكذا تواجه الحُكُومَات اليَوْم الصّحوة الدّينيّة اللاسياسيّة وتقمعها، فتغلق المساجد وتضيق عَلى المدارس وتحظر الخطب، بل تحيل السّعُودِيّة الآن أكثر من ١٨٠٠ خطيب وداعية لدورات تأهيل نفسي ! لإبعادهم عن التطرف وإفهامهم مقوّمات عالم الهيمنة الأمريكيّة ما بعد سِبتَمبر والعراق! وقد أعلنت مصر أنها فضلت من جهاز التدريس آلاف المعلمين المتهمين بالأصوليَّة! في إطار حرب الأفكار والمناهج، وأعلنت الكويت أنه لاخيار لديها عن مُوَاجَهة المتشددين، وأعلنت معظم الدّول الإِسْلَاميّة عن تعديل بَرَامج التدريس الدّيني والعام، وبلغ بوزيرة الثّقافة في باكستان

(زبيدة جلال) أن تطالب، وعلى شاشات التلفاز وأمام وسائل الإعلام بحذف سور:

(آل عمران والأنفال والتوبة)، لأنها تدعو للإرهاب !!

ثانياً: الصّحوة السّياسيّة في عالم ما بعد سِبتَمبر(٢٠٠١):

فكما أسلفت، تغلق اليَوْم عليهم منافذ الممارسة السّياسيّة الفاعلة، ويتعرضون للقمع، وإن كانَ من إضافة فهو ولادة دعاة وإسلاميين سياسيين منبطحين قابلين للانضغاط بلا حدود، وللتميع بلا ضوابط، لقد تجاوزا المنهاج، منهاجهم، بل تجاوزوا ما سبق من زوايا الإنحراف، سمعت منذُ أيّام أحد المرشحين من الإخوان المُسلِمين لانتخابات نقابة الصحافة في مصر، ردا عَلى سؤال الصحيفة له بقولها: أنت إسلامي فكيف تمثل ٤٠٠ صحفي فيهم من كلّ الطيف، فقال: (أنا لي توجهي! ولكن لما أمثل الصحفيين فأنا أمثل الإِسْلَاميّ والنّصراني والشُّيُوعِيّ ومن له دين ومن لا دين له !) فتأمل إن كانَ هذا الكلام يترك قدره عَلى التأمل !

ويجلس ممثل الحركة الإِسْلَاميّة في العراق في المجلس الحكم المحلي رآسة (بريمر) ليمرر ويبرر الإحتلال! ويكافح الإخوان المُسلِمُون والسروريون في السّعُودِيّة الجِهَاد والجهاديّين ويسلمون

عناصره للمخابرات، ويدعونهم للإستسلام للدولة عبر بيوتهم! وقل مثل ذلك عن الإِسْلَاميّين في البرلمان في المغرب.

لقد أصبح من تبقى في لعبة السّياسة من الإِسْلَاميّين الديمقراطيين جزءا أساسيا من كتائب النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد في مُوَاجَهة حملة رايات الجِهَاد والمُقاوَمة في الأُمّة.

ولابد من الإشارة إلى أن هامش العطاء الايجابي لهم يضيق يوما بعد يوم حيث يحاول الإِسْلَاميّون السّياسيّون مكافحة الإستعمار تحت قبة البرلمان! والحد من طغيان الفراعنة عبر المسيرات! ومازال فيهم من يظن إمكانية ذلك !

ثالثا: الصّحوة الجهاديّة بعد سِبتَمبر(٢٠٠١):

اتخذت أمريكا من الجهاديّين، جماعات وأفراد، وحتى من أنصارهم ومؤيديهم هدفا لحربها، بعد أن أدركت أنهم عمليا قلب الأُمّة الحي، وسلاحها المتبقي في الدّفاع عن نفسها، ولتفاصيل هذه المُوَاجَهة وقائع كثيرة مشهودة، أترك التفصيل فيها إلى الفَصل القادم إن شاء الله.

رابعا: الصّحوة الشاذة للتكفيريين بعد سِبتَمبر(٢٠٠١):

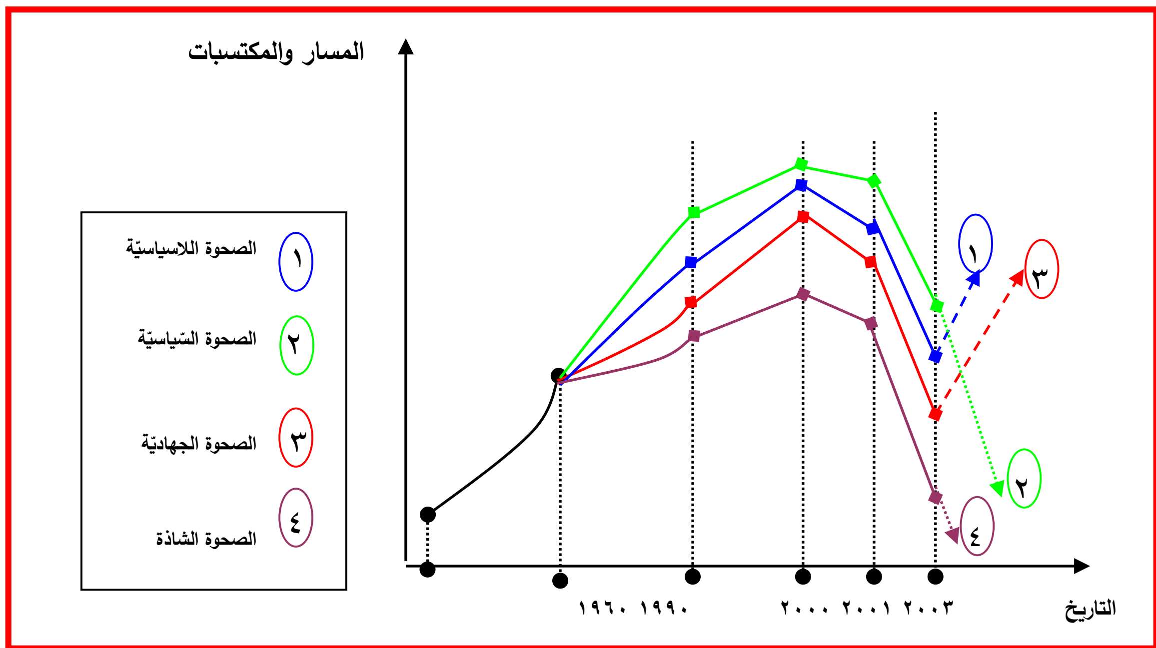
لقد زادت هذه الظَّاهِرة انكماشا، ولولا ما يحاول الإعلام العربيّ والإِسْلَاميّ في بعض المناطق كالسّعُودِيّة إظهارها والحديث عن حياتها لما سمع بها أحد، والحَمْدُ للهِ.

وبعد هذا الاستعراض الموجز لمسار الصّحوة الإِسْلَاميّة وخلاصة حصادها عبر أكثر من سبعين عاماً مضت عَلى ميلادها، بقي لنا أن نختم هذا الفَصل بخلاصة وأن نلفت النَّظر إلى ظاهرتين مهمتين من مظاهر الصّحوة الإِسْلَاميّة غير الجهاديّة لأنّنَا سنترك تغطية الملاحظات الجهاديّة للفصل السَّادس.

****

الخلاصة في مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة ومآلها خلال (١٩٣٠-٢٠٠٣):

يمكن التعبير بإيجاز شديد عن هذه الخلاصة بأن الصّحوة الإِسْلَاميّة بعموم مدارسها الأربعة قد وصلت إلى الإفلاس وفشلت في تحقيق أهدافها ودخلت قعر الأزمة وليس من أمل في استمرار الصّالح منها إلا بأن تعيد النَّظر في مناهجها وأهدافها وأساليب عملها وفقا لثوابت الشّريعة الإِسْلَاميّة بانضباط المسلم الملتزم، ووفقا لمعطيات فقه الواقع الجَدِيد في ظل الحملات الصّليبيّة الأمريكيّة المعاصرة في عالم ما بعد سِبتَمبر واحتلال العراق، ويمكن التعبير عن مسار الصّحوة خلال تلك العقود السبعة بالرسم البياني التّالي:



ويبين هذا الرسم البياني بوضوح:

١. أن الصّحوة ولدت بمعظم اتجاهاتها المتقاربة بعيد الخِلافَة ١٩٣٠ تقريبا.

٢. سارت مدارس الصّحوة ونمت متقاربة متداخلة في طبيعتها بشكل مختلط من حيث المنهج والأهداف والأساليب إلى نحو ١٩٦٠ تقريبا.

٣. تابعت كلّ مدرسة من مدارسها الأربعة العطاء والمسار إلى ١٩٩٠ بشكل متمايز.

٤. ما بين (١٩٩٠-٢٠٠٠)، تقارب مسار الصحوتين السّياسيّة والغير سياسيّة باقتراب الثّانية من الأولى.

٥. تراجع مسار الصّحوة الجهاديّة منذُ ١٩٩٠م لتصل إلى عام ٢٠٠٠ وقد أنهكت.

٦. مع اقتراب سنة ٢٠٠٠ بدأت جميع مدارس الصّحوة تنهار في عطائها ومسارها.

٧. مع عام ٢٠٠١ وابتدأ عالم ما بعد سِبتَمبر، برزت مظاهر الانهيار والتفكك في جميع مدارس الصّحوة، مع ما يشير إلى متابعة انهيار المدرستين السّياسيّة والشاذة، ومع بوادر نهضة للصحوة الجهاديّة بسبب ظروف الاستعمار المباشر، بالإضافة إلى ما يتوقع من ازدهار الصّحوة اللاسياسيّة نتيجة ظروف القهر والاستعمار والعجز العام، كما ويشير إلى وصول الجميع إلى قعر الأزمة.

وعلى اعتبار أَنّي أنتمي للتيار الجهاديّ واكتب له، وما تناولي لمدارس الصّحوة الاخرى إلا اختصارا وبقدر ما تداخلت فيه مع مسار الصّحوة الجهاديّة، فإن تفصيلات تصوُّراتي عن الإصلاح والمساهمة في صنع مسار المستقبل ستنصب عَلى الكتابة في آفاق التّيار الجهاديّ وبرنامج إصلاح مساره عبر ما تبقى من فصول الكتاب،

وأما إصلاح مسار الصّحوة السّياسيّة والغير سياسيّة فهو عمل أصحابها وكتابهم ومنظريهم، وإن كانَ لهم من نصيحة لله ورسوله وكتابه وأئمة المُسلِمِين وعامتهم، فهي أن يبتعد الإِسْلَاميّون عن أبواب السّلاطين ومؤسسات الرِّدَّة الثّلاثة التنفيذية والتَّشريعية والقضائية، لأن دخولها حرام لا تقره الشّريعة، ومعصية لله لا تبرره التمحكات السّياسيّة - كما سنرى بالأدِلَّة الشَّرعيَّة لاحقا إن شاء الله - وإن كنا نلتمس لهم العذر لما يقع من بعضهم من أفعال وأقوال تناقض مقتضيات الإيمان والتّوحيد عَلى أنهم متأولين للمصالح المرسلة، واستصحابا لحالة الاستضعاف.



وحقيقة فإن المتابع لحال أكثرهم يجد فيه مصداق ما جاء في الأثر عن رسول الله ﷺ: «**وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا**»(١)، وفي تجربتهم وما مر من نتائج الحصاد المر، اكبر برهان عَلى هذا الأثر.

وأما إصلاح الصّحوة الشاذة وما أفرزته من التَّكفِير، فإن كانَ من نصيحة لعلها تنفع أصحابها فهي أن يتوبوا إلى الله وينخرطوا في جِهَاد الكفّار الأصليين وعملائهم المرتدّين ويتركوا العدوان عَلى المُسلِمِين بمختلف طبقاتهم من العوام إلى العَالِمِّيْن للإسلام، وأسأل الله أن يصحلهم ويتولى أمر من أبى.

وأما النصيحة الخاصّة بأصحاب الصّحوة الغير سياسيّة فهي أن يركزوا عَلى دورهم الهام جدا اليَوْم في ظل هجمة الاستعمار الثَّقافيَّة والمنهجيّة، التركيز عَلى حفظ دين الأُمّة بالدّعوة والتّعليم والاهتمام بالحفاظ عَلى الدّين وهم أدرى منا وأكثر خبرة بسبل ذلك.

وأما النصيحة الإضافية الخاصّة بأصحاب الصّحوة السّياسيّة فهو أن يعملوا في مجالات المُقاوَمة المدنيّة والعمل السّياسيّ والإعلاميّ وفق ضابطي **مقاومة الاستعمار وعدم الدخول في هياكل السُّلطَان ومثلث السّلطة الخبيث المكون من (الحاكم والملأ والأعوان والكهان).**

لأَنّهم بهذا سيقفون من حيث شعروا أم لم يشعروا في مُوَاجَهة الأُمّة.

وأنبه إلى حقيقة هامة بقدر ما هيَ صريحة وربما قاسية، بأن عالم سِبتَمبر قد صرح أقطابه واستعلنوا بأن لا مكان للحياد في المُوَاجَهة.

فإما مع الحملات الصّليبيّة من استعمار ونواب استعمار وعملاء استعمار وبالتالي مصير بعدل الله إلى النار إن شاء الله وبئس القرار.

وإما في مواجهتهم وبالتالي جِهَاد ومقاومة مسلحة أو مدنيّة باليد فإن لم يكن فباللسان فإن لم يكن فبالقلب وذلك اضعف الإيمان وليس بعد ذلك من الإيمان حبة خردل وليطلب كلّ لنفسه من المعالي ما وسعه.

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩) وأحمد (٩٦٨٣، ٨٨٣٦) وضعفه الأرنؤوط، وحسنه الألباني الصحيحة (١٢٧٢).

وكما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [العنكبوت]

وكما قَالَ ﷺ: «فَمَنْ عَرَفَ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»(١).

ويوم القيامة يدرك مدرك، ويندم نادم، حيث لا ينفع الندم، أنهما طريقان ولا حياد، ففريق في الجنّة وفريق في السعير، ولا سواء.

ونسأل الله منازل الّذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصديقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقا.

وأما الوقفتين الهامتين مع مسار الصّحوة السّياسيّة والغيرسياسيّة فهما:

وقفة مع ظاهرة الإرجاء السّياسيّ في الصّحوة، ووقفة مع ظاهرة المارسات الدِّيمقراطيَّة عند الإِسْلَاميّين، وسنتناول الأولى هنا ونترك نقاش الثّانية لفقرة الفكر والمنهج في البَاب الأوّل من الفَصل الثَّامن في الجزء الثّاني إن شاء الله.

وقفه مع انتشار عَقِيْدَة الإرجاء السّياسيّ في الصّحوة الإِسْلَاميّة:

يعود ظهور مذهب المرجئة إلى ظهور علماء السُّلطَان عند ظهور الملك وذهاب الخِلافَة الرّاشدة حيث بدأ افتراق السُّلطَان والقرآن.

وخلاصة ذلك المعتقد المنحرف أن الإيمان هو التّصَدّيق بالقلب والإعلان باللسان بعد أن اخرج أصحاب هذا المذهب العمل من مسمّى الإيمان، وقالوا (الإيمان هو التّصَدّيق) (ولا يضر مع الإيمان معصية)، ومن (قَالَ لَاإِلٰهَ إِلَّا الله حكمنا بإسلامه بصرف النَّظر عما بلي به بعدها من أقوال أو أفعال)، وأبطلوا كلّ قواعد نواقض الأيمان المفصلة بأدلة القرآن والسنة وأقوال الفقهاء المعتبرين.

روى ابن عساكر من طريق النضر بن شميل قَالَ: دخلت عَلى المأمون فقال: كيف أصبحت يا نضر ؟ قلت بخير يا أمير المُؤمِنِين، فقال: ما الإرجاء ؟ فقلت: دين يوافق الملوك، يصيبون به من دنياهم، وينقصون من دينهم، قَالَ: صدقت.

---

(١) رواه مسلم : (١٨٥٤) من حديث أم سلمة رضي الله عنها .



وقد أخذ فُقَهَاء السّلاطين بهذا المذهب حتَّى أطلق العُلَماء المحققون عَلى مذهب المرجئة فهو دين يعجب الملوك، فهم مسلمون بحسب هذا المذهب، وأولياء أمور ولهم الطاعة وإن أخذوا مالك وجلدوا ظهرك، قالت الأُمّة رضينا، هم مسلمون وقد اخذوا المال وجلدوا الظهر، ولكن فُقَهَاء السّلاطين وسعوها عليهم قليلا؛ لتصبح وإن نهك عرضك ! وإن سفك دمك! وإن صاح بلسان الحال والمقال كما نادى سلفه: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١﴾ [الزخرف] وإن صرح بعدم صلاحية الشّريعة لهذا الزّمان! وإن والى أعداء الله ! وإن قاتل وسير الجُيُوش للقتال بين أيدي اليَهُوْد والنّصَارى لتسفك دماء المُسلِمِين!وإن وإن.

أليس ولي الأمر يصلي العيدين ؟ ويحتفل بالمولد النبوي؟ أليس يزني بدعوى نكاح المتعة الّتي قَالَ بها بعضهم ؟ أليس إذا جرد الأحرار والحرائر المسلمات من ثيابهم في المعتقلات وعذبهم له دليل من قول علي ﷺ لرسولة حاطب ﷺ: «**لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ**»![1] أليس لولي الأمر أن يقتل ثلث الرعية لتسلم له الثلثين! وقد ورد بكل ذلك أدِلّة بحسب المدلسين من العُلَماء الدجالين اليَوْم، فهذا الدّين لفرط يسره قد احتوى مسيلمة !

وهكذا خرج الإِمَام الجليل الراحل إمام العُلَماء ابن عثيمين بتطوير لمذهب المرجئة ليقول واعجَبْ ما شئت لما قَالَ عن قولٍ تكادُ الأرض تنشق منه وتخر الجبال هدا: قَالَ:

(وإذا فرضنا عَلى التقدير البعيد أن ولي الأمر كافر فهل يعني ذلك أن نوغر صدور النّاس عليه حتَّى يحصل التمرد والفوضى والقتال، لا شَّكَّ أنه من الخطأ)، ثمّ استدرك كي لا يظن ظان أنه قصد أولياء الأمور في بلده فهم ولله الحمد حاكموهن بالشّريعة، فبين أن قصده ؛ أنه لو كفر ولي أمر في بلاد أُخرى فلا يجوز الخروج....).

فرد بقوله هذا صريح القرآن، وصحيح السنة، ومعتقد إجماع الأُمّة ! لسواد عيون آل سعود وأشباههم! ثمّ تولى الألباني مدرسة أُخرى معاصرة في مذهب الإرجاء فقال (الخروج عَلى الحكَّام في هذا الزّمان هو خروج عَلى الإِسْلَام ذاته)! وشهد عليهم بالإِسْلَام، ثمّ قام الدَّجَّال الّذي يسمونه المفتي

(١) البخاري: (٤٢٧٤) ومسلم: (٢٤٩٤).

الأعظم في باكستان (رفيع عُثْمَانِيّ)، ليقول أن الّذين يقتلون وهم يدافعون عن أنفسهم ضدّ غارات الجيش الباكستاني عليهم، ليسوا شهداء !فرد حكم حديث رسول الله ﷺ بأن من قتل دون ماله أو عرضه أو نفسه أو مظلمته أو دينه فهو شهيد، وأن الأمريكان وأشكالهم مستأمنون ذميون لا يجوز العدوان عليهم، ولا في بلادهم، وسحب من دار الفتوى إباحة سابقة بالعمليَّات الاستشهادية، وقال نحن لا نكلف بالجِهَاد إلا إذا دعى إليه ولي الأمر (مشرف، كما كانَ الأمر أيّام ضياء الحقّ عندما دعى لجِهَاد الرُّوس !!! وقال أن من قاتل مع الأمريكان ضدّ المُسلِمِين يأثم ولا يكفر، وأن التَّشريع من دون الله ذنب ولا يخرج من الملة وهو كفر أصغر عَلى اشد الاحتمالات !!)..إلخ.

وقل مثل ذلك عن أئمة الدّعوة وعلوم الدّين من المرجئة المعاصرين في هذا الزّمان من رحل منهم وأمره إلى الله ومن ما زال حية تسعى، ويلفت النَّظر في مدرسة الإرجاء السّياسيّ المعاصر، أنها تحملت أن ترجئ وتعذر في تناول الملوك والسلاطين وأعمالهم ولكنها ما تحملت أن ترجئ في أعمال المُجَاهدين فحكمت عليهم أنهم كلاب أهل النار! ولا يروحون رائحة الجنّة! وأنهم يقتّلون ويصلبون وتقطع أطرافهم من خلاف وينفوا من الأرض في الدُّنيَا!

كيف يقتلون نصرانيا محتلا جاء بإذن ولي الأمر فصار ذميا مستأمنا ومعاهدا ؟ فجاء المجرمون من الّذين يدعون الجِهَاد فأراقوا دم هذا الصّليبيّ (الطّاهر) ! وخفروا ذمة (المرتدّ) الّذي أمّنه ؟!

والأعجب من أمر مدرسة الإرجاء السّياسيّ في الصّحوة الإِسْلَاميّة ملاحظة غريبة! وهي أن أقطابها من غلاة التصوف إلى غلاة من يدعون السّلفيّة، كفروا بعضهم عَلى فهم الأسماء والصفات ومذهب الأشعَريّة والماتوريدية والسّلفيّة وأصحاب الحديث، واختلفوا عَلى ذات الله تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته ! ولكنهم اتفقوا- وسبحان مؤلف القلوب - عَلى إسلام الحاكم وأسمائه وصفاته! كما حصل منهم في المغرب والباكستان وحيثما تواجدت المدرستان، فوسعهم في ملوك الأرض ما لم يسعهم في ملك السموات والأرض ومن فيهن!

ويبدوا أن الباحث لا يجد مبررا لهذا المذهب إلا أن يبرر لأصحاب الدخول في مكوّنات الملأ لما اختاروا السّياسيّة والعمل بالدِّيمقراطيَّة، فهم سيدخلون البرلمان (مؤسسة تشرع من دون الله)

وسيدخلون الحكومة (مؤسسة تحكم بغير ما انزل الله)، فكيف يجوز ذلك إن حكموا بكفر الحاكم وهم من طائفته وشركائه وملئه ؟! فما المخرج ؟! إما لا يدخلون ! وإما يحكمون بإسلامه! فاختاروا الأسهل والأمتع! وحكموا بإسلام مرتد يبارز الله الحَرب والعداء، وينازعه أخص خصوصيات الألوهية.

وإليك قصة عشتها بنفسي وهي ذات دلالة! وأوردها عَلى سبيل المثال فقط، وإلا فالشواهد هذه الأيّام أكثر من أن تحصر.

لما هاجرت من سوريا إبَّان انهيار الحركة الجهاديّة وكنت قد انتسبت للتنظيم الجهاديّ (الطليعة المقاتلة)، آل أمري لأن أكون عضوا في تنظيم الإخوان المُسلِمِين ثمّ عضوا في قيادة الجهاز العسكريّ للإخوان سنة ١٩٨٠، وكنا في بغداد ولم نكن بصفتنا كوادر عسكريّة نعلم عما تخطط قياداتنا السّياسيّة، ولكننا فوجئنا بهم يوقفون العمل العسكريّ ويحلون عمليا أجهزته ويعلنون بدء مرحلة الجِهَاد السّياسيّ ويعلنون في مارس ١٩٨٢ (بعد أن تسببوا في دمار حماة وتصفية المُجَاهدين في عموم سوريا) يعلنون قيام تحالف وطني يضم (الإخوان المُسلِمِين- الجبهة الإِسْلَاميّة- مجموعة من علماء الصوفية المستقلين – حزب البعث اليميني التَّابع للعراق برعاية صدام آنذاك – الأحزاب العلمانيّة الفرعية) من أجل مُوَاجَهة حزب البعث اليساري النصيري في سوريا، وكتبوا لذلك ميثاقا (إسلاميا علمانيا) عَلى قدر هوية من شكل التَّحالف، ثمّ وُسع (التَّحالف الوطني لتحرير سوريا) ليدخل فيه (رفعت الأسد) النصيري أخو حافظ أسد! رفعت ! الّذي كانَ يتولى المجازر والمقابر الجماعية للإخوان المُسلِمِين وغيرهم من المُسلِمِين! لأنه صار معارضا للنظام الّذي يقوده أخوه ! في صراعه عَلى السّلطة معه، وتبع هذا التوجه منهاج فكري جديد وفقه جديد كانَ عَلى جهاز التّربية في الإخوان أن يلقنه للمُجَاهدين، وكتب الشَّيْخ (منير الغضبان) من الإخوان المُسلِمِين في سوريا، (وقد رجع عما كتب في كتابات تالية – سامحه الله–) كتب كتاب (التَّحالف السّياسيّ في الإِسْلَام) وتولى مع الشَّيْخ سعيد حوى والشَّيْخ عبد الفتاح أبو غده، وعلماء الإخوان السوريين مهمة طرح فقه جديد يناسب المَرحَلَة حيث تشوه فيه الاستنباطات من معاهدات الرَّسُول ﷺ، حتَّى صارحني أحد كبار المربين في الإخوان حينها بقوله

(عندي أزمة ! كيف أدرس الشَّبَاب هذه الكتب الّتي توفق بيننا وبين العلمانيين وأشرح لهم ميثاق التَّحالف الوطني ثمّ أدرسم كتاب معالم في الطّريق لسيد قطب؟!)

ولمن أراد الاستزادة والتفاصيل عن هذه القضية أن يعود إلى كتابي (الثَّورة الجهاديّة في سوريا - آلام وآمال) المنشور سنة ١٩٩٠م.

وفي نفس الفترة روى لي أحد الموجهين في الإخوان المُسلِمِين الأردنيين في عمان سنة ١٩٨٩، أنه لما قرر الإخوان الأردنيون دخول البرلمان الأردني والوزارات أي السلطتين التَّشريعية والتنفيذية عند (جلالة) الملك حسين (المعظم) كما يردد راديو عمان !قَالَ لي أخونا: (إسمع هذه الأعجوبة:

لحقت بتنظيم الإخوان مطلع السَّبعينيَّات، فطُلب إلي أن اعتقد كفر الملك حسين لأنه يحكم بغير ما أنزل الله، وكان كتابنا الأساسي (معالم في الطّريق)، وكنت قد قرأت شيئا من كتب التفسير فقرأت قول بعض التَّابعين عن ذلك (كفر دون كفر) وظننت أن حسين مسلم وليس كافرا، وإن كانَ ظالما فاسقا، فتعرضت بعد ما بحت بعلومي عن إسلام الحاكم الظَّالم تعرضت لمحكمة إخوانية أمهلني فيها التَّنظِيم مدّة لأعتقد كفر الملك حسين أو أفصل من التَّنظِيم! وجُمدت عضويتي خلالها، فنظرت في الأمر وهداني الله لما هداهم إليه وأعلنت كفر الملك حسين وعدت عضوا في التَّنظِيم، وصرت موجها فيه بعد سنين أدرس الشَّبَاب أدِلّة كفر الملك حسين من معالم في الطّريق وغيره، وفي هذه السنة (١٩٨٩-١٩٩٠م) أي بعد ما يقرب من عشرين عاماً عَلى تلك الحادثة، دخل الإخوان الأردنيون البرلمان ودخل بعضهم الوزارة، وكتب الإخوان رسائل فقهيّة تشهد بإسلام حسين وجواز دخول البرلمان، وأجاز بعضهم تولي الوزارة ولم يجز البرلمان، عَلى مذهب سيدنا يوسف في العمل عند الفرعون وزير خزانة ! وذهب بعضهم للعكس وأجاز فريق ثالث الأمرين، ولكنهم اتفقوا مجددا عَلى إسلام حسين حتَّى يحلوا مشكلة دخول السّلطة).

يتابع صاحبي: (ولكنني كنت قد امتلأت قناعة عَلى مدى عشرين سنة في الإخوان المُسلِمِين بمسألة كفر الملك حسين ودرستُها ودرّستها، فكيف أُأسلمه الآن بمجرد بيان من التَّنظِيم؟! فثبتُ عَلى موقفي، وتعرضت لمحاكمة تنظيمية جديدة أُعطيت خلالها مهلة للاقتناع بإسلام الملك حسين وإلا

فصلت من التَّنظِيم!! وجُمدت خلال هذه المدة عن العضوية !) فقلت فماذا فعلت؟ فقال: (قررت فصل التَّنظِيم من عضويتي!! وقررت تجميدهم عن كونهم إخوان مُسلِمِين، هَؤُلَاءِ لا يمكن أن يكونوا لي إخواننا، وما أدري ماذا بقي لهم كمسلمين؟!)

وهكذا دخلت قواعد الإرجاء عَلى الصّحوة الإِسْلَاميّة ليتبعوا سنة أصحاب النسيئة يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرم الله !!

هذا هو التفسير الوحيد لظاهرة الإرجاء السّياسيّ، أهواء السّياسة وفن الممكن، وضريبة التسكع عَلى أبواب السّلاطين وتصديق حديث رسول الله ﷺ:

«مَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا»[1]، هيَ الحقيقة بكل بساطة لقد **افْتُتِنَ** المرجئة السّياسيّون في أبواب السّلاطين وبعدوا كثيرا عن أصول شريعة الله، ولغة العَرَب واضحة: (**افْتُتِنَ**) من (فتن) (يفتن) فهو (فتّان) و(مفتون).

وأما السبب الثّاني، أو التفسير الثّاني لظاهرة الإرجاء السّياسيّ فهو سياط الجلاد في السّجون وسياسة جلسات (الموزة) وكهرباء(السندريلا) آنفة الذكر، وتفضيل الإنتماء لتيار الإرجاء عن الدخول في تيار شدته ٢٢٠ فولت !!

وأما ثالث التفسيرات، فهو الشّيطان وتلبيساته، وهكذا، وبين تلبيس إبليس، وسياط جلاد خسيس، ومكاسب كرسي في البرلمان التعيس، ولد هذا الفقه الخبيث، وجلس فُقَهَاء السّلاطين والدعاة المنحرفون داخل مؤسسات السّلطة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وغني عن القول أن هناك إرجاء من نوع آخر هو إرجاء العُلَماء الْمُنَافِقين الّذين كتموا ما أنزل الله عن علم، وباعوا شريعة الله وبدلوها عن فهم، بسبب بريق ذهب السُّلطَان والطمع في قوله: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الشعراء]

وهذا إرجاء بين في طبيعته وأسبابه لا يحتاج إلى نقاش، فقد عرفنا عَلى أصحابه كتاب ربنا عندما قَالَ تَعَالَى:

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩) وأحمد (٩٦٨٣، ٨٨٣٦) وضعفه الأرنؤوط، وحسنه الألباني – الصحيحة (١٢٧٢).

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ [الجمعة: ٥] عندما زاد في بيان أحوالهم بقوله:

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف]

****

الفصل السادس

مسار التّيار الجهاديّ وتجاربه

«١٩٦٠-٢٠٠١»م

قَالَ الله تَعَالَى:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت]

وقال رسول الله ﷺ:

«بدأَ الإِسْلَامُ غريبًا وسَيَعُودُ غَريبًا كما بَدَأ فَطُوبَى لِلغُرَباء».

«لا تَزالُ طائفةٌ من أُمّتي يُقاتِلونَ عَلى الحقِّ ظاهرينَ عَلى مَن ناوأَهم حتَّى يُقاتلَ آخرَهُم المَسيح الدَّجّال»

وأخبر عن ثباتهم ﷺ فقال:

«لا تَزالُ أُمّةٌ مِنْ أُمّتي ظَاهِرين عَلى الحقِّ لا يَضرُّهم مَن خَالَفَهُم حتَّى يَأتِيَ أَمرُ الله وهُم ظَاهرُونَ عَلى النَّاسِ».

الفصل السادس

مسار التّيار الجهاديّ وتجاربه (١٩٦٠-٢٠٠١)م

أولا: تعريف التّيار الجهاديّ وتصنيفه:

ابتدءا أقول: إن الأصل المتفق عليه كتعريف عام، ينص عَلى أن الجِهَاد في سبيل الله هو: الجهد المبذول لتكون كلمة الله هيَ العليا، وهو يعني بَاطِلاقه القِتَال في سبيل الله وبذل النّفس والمال في سبيل نصرة دين الله والدّفاع عن المُسلِمِين، دينهم ودمهم وعرضهم ومالهم وأرضهم، وعليه فالقائم بهذا العمل ابتغاء وجه الله ولتكون كلمة الله هيَ العليا هو المُجَاهد في سبيل الله، وإذا اجتمع الرهط أو الجماعة من المُسلِمِين عَلى ذلك فهم (مُجَاهدون في سبيل الله).

ولكن هذا الفَصل يختص بنوع خاص من هَؤُلَاءِ (المُجَاهدين)، يحتاج أصحابه مصطلحا وتعريفا محددا يجمعهم وينسحب عَلى مدارسهم وتجمعاتهم المتعددة أو حتَّى عَلى علمائهم وكوادرهم وأفرادهم، وهو ما اصطلح عليه بمسمى (التّيار الجهاديّ)، وقد كنت في محاضرات وتسجيلات سابقة قد وسعت ما يشمله المصطلح عندما وصلت إلى هذا الفَصل، ولاسيما في مجموعة المحاضرات المعنونة باسم (الجِهَاد هو الحلّ لماذا وكيف) وكذلك في محاضرات أشرطة الفيديو وهي من آخر إنتاجي وكانت بعنوان هذا الكتاب، فقلت فيها: أن التّيار الجهاديّ

(هو مصطلح شامل لكل من حمل السّلاح فردا أو جماعة أو تنظيما يجاهد أعداء الإِسْلَام تحت شعار لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله محمّد رسول الله) وقلت في حينها أن هذا التعريف يترك جانبا مسألة المناهج والأساليب والأهداف المحدودة ويتجاوز تقيمها، وقلت أن التّيار الجهاديّ مرحلة وظاهرة انبثقت عن الصّحوة الإِسْلَاميّة خلال القرن المنصرم.

ولما عدت لما كتبته أو قلته في دروسي تحت هذا التعريف المتوسع، وجدت أن التّيار الجهاديّ الّذي تناولت مساره في تلك المحاضرات- وأتناوله هنا- لا ينسحب عَلى كلّ من يندرج تحت ذلك التعريف العريض (الّذي يشمل كلّ مُجَاهد في سبيل الله) والّذي يشكل مجموع جماعاتهم وأفرادهم

وهو، ما يمكن أن يسمى بـ (الظَّاهِرة الجهاديّة المُسلّحة)، ولذلك أعيد صياغة التعريف بشكل أدق هنا فأقول:

*** التّيار الجهاديّ:**

ويشمل عَلى التَّنظِيمات والجماعات والتَّجَمُّعات والعُلَماء والمفكرين والرموز والأفراد الّذين تبنوا فكرة الجِهَاد المُسلّح ضدّ الحُكُومَات القائمة في بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، باعتبارها تمثل أنظمة حكم مرتدة، بسبب حكمها بغير ما أنزل الله، وتشريعها من دون الله، وولائها لأعداء الأُمّة من قوى الكفر المختلفة، كما تبنوا منهاج الجِهَاد المُسلّح ضدّ القوى الاستعماريّة الهاجمة عَلى بلاد المُسلِمِين معتبرين تلك الأنظمة الّتي أسقطوا شرعيتها وخرجوا عليها حلفاء محاربين للإسلام والمُسلِمين.

ورغم أن جماعات وأفراد التّيار الجهاديّ يشتركون مع غيرهم من مكوّنات (الظَّاهِرة الجهاديّة) في مبدأ الجِهَاد المُسلّح ضدّ الأَعدَاء الخارجيين المعتدين عَلى أهل الإِسْلَام وبلادهم ومقدّساتهم مع الجماعات والأفراد الّذين تصدوا لجِهَاد هَؤُلَاءِ الأَعدَاء كما في فِلَسطِين والشِّيشَان والبوسنة وكشمير والفلبين وإرتريا وغيرها، إلا أنهم تميزوا بالفكر المنطلق من مبادئ الحاكِمِيَّة والمفاصلة مع أنظمة الجَاهِلِيَّة، وبمبادئ الوَلَاء والبَرَاء وموقف المُؤمِنِين من الطَّاغوت وأوليائه، إلى غير ذلك مما سنعرض له من تفاصيل منهجيّة.

ولذلك سأصطلح عَلى الفريق الثّاني من الممارسين للجِهَاد ضدّ الكفّار الأصليين من اليَهُوْد والنّصَارى والوثنين وغيرهم من أعداء المُسلِمِين باسم (الجماعات المُجَاهدة)، وهذه مصطلحات تصنيف وتقسيم دراسي، وليس تقسيم عقدي أو منهج تقييم.

فالأصل العقدي كما قدمت، هو أن المُجَاهد في سبيل الله؛ من قاتل لتكون كلمة الله هيَ العليا، كما قرر ذلك رسول الله ﷺ فيما صح واشتهر من أحاديث السنة: روى أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، **أَنَّ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ**

لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ أَعْلَى، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١).

وقد أذكر المصطلح باختصار في ثنايا البحث بقولي (الجهاديّين) إشارة إلى المنتمين للتيار الجهاديّ -وقد اشتهر هذا المصطلح- وبقولي (المُجَاهدين) إلى أفراد الصنف الآخر، ولا يغيب عن الذهن أيضا أن هذا التصنيف هو بحكم الغالب في المجموع، فقد يحتوي التّيار الجهاديّ من لا يحمل تفاصيل فكره ومنهجه وهذا قليل، وقد يحمل فكر التّيار الجهاديّ أفراد من جماعات مُجَاهدة للكفار الأصليين من المُستَعمرين والأعداء الخارجيين وهذا كثير، ولاسيما في الجماعات المُجَاهدة الّتي انبثقت عن أصول جماعات الإخوان المُسلِمِين أو جماعات التّيار السلفي، ولكن توجه تلك الجماعات كانَ للأعداء الخارجيين ولم تتبن منهجا معلنا في ذلك لأسباب حركيه وسياسيّة في الغالب، أو لأسباب منهجيه أحيانا.

إذن أعود بعد هذا التفصيل لاختصار التعريف فأقول:

(الجهاديّون) أو(التّيار الجهاديّ) هم الجماعات أو الأفراد الّذين حملوا فكرة الجِهَاد المُسلّح ضدّ الحُكُومَات القائمة في بلاد العالم الإِسْلَاميّ، أو ضدّ الأَعدَاء الخارجيين، وحملوا فكرا محددا يقوم عَلى مبادئ الحاكِمِيَّة وقواعد الوَلَاء والبَرَاء وأساسِيَّات الفكر الجهاديّ السّياسيّ الشَّرعيّ المعاصر كما هو مفصل ومعروف في أدبياتهم.

وإذا أردنا أن نقوم بعملية تصنيف للجماعات والأفراد الّذين مارسوا الجِهَاد المُسلّح خلال النصف الثّاني من القرن العِشرين وإلى اليَوْم والّذين يشكلون بمعظمهم ما أصطلح عليه باسم(الظَّاهِرة الجهاديّة المُسلّحة) تصنيفا عموميا لأخذ فكرة أكثر تحديدا عن فحوى التعريف السابق نجد أن بالإمكان إجراء نوعين من التصنيف:

الأوّل: وفق مجالات جِهَادها والعدو الّذي استهدفته.

والثّاني: وفق مناهجها في التَّفكير والاعتقاد والمنهج السّياسيّ الشَّرعيّ.

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٤).

ولكن قبل ذلك يجب أن نلفت النَّظر إلى التفريق الهام بين الجماعات المُجَاهدة أو الجهاديّة، وبين تلك التَّنظِيمات الّتي تحمل السّلاح تجاه مختلف أشكال أعداء الأُمّة، ولكن ليس جِهَادا في سبيل الله وليس لإعلاء كلمة الله، أو أداء لفريضة الجِهَاد بقصد الواجب الدّيني كعبادة، وإنما لدوافع مختلفة قد تكون (وطنيّة تحررية)، أو لدوافع (سياسيّة) ضدّ حُكُومَات دكتاتورية، من أجل تبديل النّظام اللاديني القائم، وإقامة نظام لا ديني آخر يقوم عَلى مبادئ القوميّة أو الوطنيّة أو الدِّيمقراطيَّة أو الاشتراكية أو الشُّيُوعِيّة، أو سوى ذلك من المذاهب السّياسيّة والفكريّة العلمانيّة المعاصرة.

فهذه الأخيرة منظمات نضالية أو كفاحية وليست مُجَاهدة ولا جهاديّة، وقد يكون حمل السّلاح لأسباب من الرجولة والحمية أو شجاعة أو رياء ومفاخرة، إلى أخره، ولا يعتبر عملها الّذي قد يكون محمودا من وجهة النَّظر الوطنيّة أو التحريرية أو النضالية، ولكنه ليس عبادة يثاب فاعلها عليها، ولا أجر له في الآخرة، وليس قتله شهادة في سبيل الله، وإنما هجرته وقتله إلى ما هاجر إليه بحسب نيته، بل قد يكون آثما أو مرتدا بحسب الأهداف الّتي قاتل من أجلها، فالجِهَاد؛ هو ما كانَ في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله، والشّهيد كما عرفه رسول الله ﷺ هو «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ أَعْلَى، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ».

وأما المُجَاهدون الّذين يشكلون أفراد الظَّاهِرة الجهاديّة، فهم الّذين يقومون بالقتال في سبيل الله تعبدا لله، وأداء لفريضة افترضها الله عَلى المُسلِمين في أحوال محددة، فيقومون بالجِهَاد كفعل ديني عبادي، وهذا أمر يجب أن يكون واضِحاً، وأما تصنيف أنوع المُجَاهدين اليَوْم فعلى الشّكل التّالي بناء عَلى ما أسلفت، مما يساعد عَلى تعريف التّيار الجهاديّ وتميزه عن غيره من مكوّنات (الظَّاهِرة الجهاديّة المُسلّحة المعاصرة) عموما.

ثانيا: تصنيف مكوّنات الظَّاهِرة الجهاديّة:

تصنيف مكوّنات الظَّاهِرة الجهاديّة بحسب مجالات جِهَادها والأعداء الّذين جاهدهم:

١. **التّيار الجهاديّ: أو(الجماعات أو التَّنظِيمات الجهاديّة): أو(الجهاديّين):**

وهي الجماعات الأفراد الّذين تبنوا فكرة جِهَاد الحُكُومَات الطَّاغوتية المرتدّة القائمة في بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، من أجل إسقاطها وإقامة حكم شريعة الله عَلى أنقاضها، أو دفعا لظلمها الواقع عَلى المُسلِمِين، بناء عَلى فكر جهاديّ سياسي شَرعِيّ محدد سيأتي بيانه إن شاء الله.

وقد يشارك أفراد هذه المنظمات والجماعات بشكل جماعي أو فردي، في أنواع أُخرى من الجِهَاد كدفع الصّائل وجِهَاد الأَعدَاء الخارجيين كما في أفغانستان والبوسنة والشِّيشَان وسواها، ولكن أساس نشأتها وأهدافها جعلها بشكل عام منظمات؛ (سرية الحركة) (قطرية الأهداف) (هرمية البناء التَّنظِيمي)، يرتبط أفرادها بقيادة وأمير عبر بيعة عَلى الجِهَاد والعمل لتحقيق تلك الأهداف.

٢. **الجماعات أو التَّنظِيمات المُجَاهدة:**

وهي المنظمات والجماعات الّتي تخصصت في جِهَاد الأَعدَاء الصّائلين عَلى بلاد المُسلِمِين وخاصة اليَهُوْد(كما في فِلَسطِين)، أو الصّليبيّيّن المحتلين كالأمريكان (كما في جَزِيرَة العَرَب والعراق وغيرها حاليا) أو الغربيّين عموما، أو الملحدين كما الرُّوس أو الصين، أو الوثنيين كما في الشِّيشَان والبوسنة والهند وكشمير وجنوب شرق آسيا، أو أي نوع من الأَعدَاء الخارجيين.

وكثيرا ما تأخذ هذه المنظمات شكل حركات تحرير وطنيّة، ولكن عَلى أساس إسلامي وجهاديّ كما أسلفنا، وبهدف تحرير تلك البلاد، ثمّ إخضاعها للحكم الإِسْلَاميّ، أو دفاعا عن الدّين والأرض والعرض والنّفس والمال، كعبادة وفريضة شرعيّة.

٣. **الجماعات والأفراد المُجَاهدين من أجل تغير المُنكر بالسّلاح أو لدفع المظالم:**

وغالب هذه الظَّاهِرة يقوم عَلى الجِهَاد الفَرديِّ والمبادرات الشَّخصيَّة، وغالبا ما لا يكون لها جماعات محددة أو أمير، وإنما أفراد أو شراذم صغيرة تقوم بأعمال جهاديّة مسلحة بنية الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر أداء لفريضة عبا دية وبناء عَلى تصوُّرات ودوافع دينية، لإزالة مُنكر هنا أوهناك، كتدمير مواقع الخمر أو الزنا أو المجون والفساد، أو اغتيالا لرأس من رؤوس الكفر أو الظُّلم أو العدوان عَلى المُسلِمِين، أو عَلى دينهم وشعائرهم ومقدّساتهم، أو لإزالة أي مظهر من المظاهر الّتي يعتبرونها مُنكرة دينيا يجب إزالتها باليد بعد أن استحال ذلك باللسان والقلب.

ولست هنا بصدد تقيم الصواب أو الخطأ أو الجدوى من هذه الأعمال، وهل حققت الهدف من إزالة المُنكر، أم أدت إلى مناكير أكبر، ولكني أذكر هذا الصنف هنا نوع من أنواع المُجَاهدين الّذين قاموا بذلك كعبادة وأداء لواجب ديني، وهذا أصل نيتهم.

- **تصنيف مكوّنات الظَّاهِرة الجهاديّة بحسب مناهجها في التَّفكير والسّياسة الشَّرعيَّة:**

وتنقسم بصورة رئيسيَّة إلى نوعين رئيسيين:

١. **جماعات منهجيّة:**

وهي الّتي لها منهج فكري سياسي شَرعِيّ محدد ومفصل، وموقف شَرعِيّ من عموم المسائل السّياسيّة الشَّرعيَّة أو العقدية والفكريّة عموما.

٢. **جماعات غير منهجيّة:**

وهي الجماعات الّتي اجتمع أفرادها عَلى أداء فريضة الجِهَاد لهدف من الأهداف المشروعة شرعا، كدفع الصّائل أو إزالة المُنكر أو دفع المظالم أو قتال حكومة أو سوى ذلك، وعلى حمل السّلاح من دون أن يكون لها منهج سياسي شَرعِيّ مفصل يحدد الموقف من المسائل السّياسيّة وغيرها.

وتنقسم الجماعات الجهاديّة المنهجيّة إلى ثلاث أقسام رئيسيَّة:

١. **الجماعات الجهاديّة الحَركيّة:**

ومعظمها انبثقت عن الصّحوة الإِسْلَاميّة مطلع الستينيات، وحملت مؤثرات فكر الإخوان المُسلِمِين بالإضافة للفكر الّذي قام عَلى أسس الوَلَاء والبَرَاء والحاكِمِيَّة، والّذي كانَ من أوائل وأعظم منظريه الشّهِيد سيد قطب في مصر، والأستاذ أبو الأعلى المودودي في باكستان.

٢. **الجماعات الجهاديّة السّلفيّة:**

وهي الجماعات الجهاديّة الّتي ضمت إلى الفكر السابق، الاعتماد عَلى عقائد السَّلَف وفق فتاوى الإِمَام ابن تَيمِيّة وأمثاله من أقطاب المدرسة السّلفيّة، واعتمدت فقه الدّعوة النجدية وأفكار الإِمَام محمّد بن عبد الوهاب رحمهم الله، وأفكار من سار عَلى هذا المنهج ممن جاء بعدهم.

٣. **الجماعات المُجَاهدة الإصلاحية والتربَويّة (الصوفية الجهاديّة – جماعات العُلَماء الجهاديّة...):**



وهي الجماعات الّتي قامت عَلى أسس تربَويّة ومنهجيّة علمية أو مذهبية أو طرقية وتكون لها كيان تنظيمي وارتبط أعضائها ببيعة إلى رئيسهم أو شيخهم أو قائدهم، ثمّ حملت السّلاح للجِهَاد ضدّ الأَعدَاء الخارجيين غالبا، أو في مسائل داخليَّة أحيانا.

كما تنقسم الجماعات الجهاديّة غير المنهجيّة إلى قسمين:

١. **جماعات مُجَاهدة منظّمة:**

وهي الجماعات الّتي يرتبط أفرادها ببيعة وأمير وقيادة، وتقوم لها هياكل إدارية تنظيمية، ويربط أفرادها القضية الجهاديّة الّتي اجتمعوا عليها، كدفع الصّائل أو إزالة أي مُنكر من المُنكرات، أو التّصَدّي لأي شكل من أشكال أعداء الإِسْلَام والمُسلِمين، ولكن من دون أن يكون لهم منهج فكري محدد للاعتقاد والتّربية.

٢. **كتل وأفراد وتجمعات مُجَاهدة غير منظّمة:**

وهي محاولات الأفراد أو الكتل الصغيرة والشراذم المُجَاهدة الّتي قام أعضاؤها هنا وهناك بأعمال جهاديّة مشروعة، ولكن دون أن يكون لواحدهم أو مجموعهم فكر محدد ولا منهج اعتقاد وتربية، أو رابط يربط بين أعضائهم.

وهذا الفَصل الّذي نحن بصدده يركز عَلى دراسة بعض ملامح وتجارب التّيار الجهاديّ المُسلّح بشكل محدد، وهو أبرز وأهم مكوّنات الظَّاهِرة الجهاديّة المُسلّحة، وأكثرها أثرا بل يشكل أساس الظَّاهِرة، والجانب الأهم فيها من حيث الحجم والأثر ومستقبل المُوَاجَهة بيننا وبين أعدائنا والله أعلم.

ثالثا: نشأة التّيار الجهاديّ المعاصر ومراحل تطوره فكرياً وحركيا (١٩٦٠-٢٠٠١):

يعتبر ميلاد جماعات وتنظيمات التّيار الجهاديّ نتاجا طبيعيا للتطورات السّياسيّة لمرحلة ما بعد الإستقلال (الشكلي) عن الإحتلال في بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، كما يعتبر تطورا مرحليا طبيعيا وإفرازا تلقائيا للصحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة، الّتي كانت قد انطلقت منذُ سقوط الخِلافَة تقريبا أي مطلع الثلاثينيات، أي قبل ميلاد التّيار الجهاديّ بنحو ثلاثة عقود عَلى الأقل، بحسب حداثة أو قدم ميلاد الصّحوة الإِسْلَاميّة وأحوال كلّ بلد وظروف احتلاله وأوضاعه السّياسيّة عموما.

فكما مر معنا في الفَصلين السابقين، فقد تولى الإستعمار الحديث للبلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة تحطيم مقوّمات المُقاوَمة والنهضة في الأُمّة بعد إسقاط الخِلافَة، وتمكن من تحطيم مقوّمات المرجعيات السّياسيّة والدّينيّة والاجتماعيَّة في غالب بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وأدت النقلة النوعية في أسلوب الإستعمار، من الإستعمار القديم أو (العسكريّ المباشر) لبلاد المُسلِمِين إلى أسلوب الإستعمار الحديث (الاقتصاديّ والسّياسيّ والثقافي)، وتنصيبه لحُكُومَات الرِّدَّة من أجيال العلمانيّة أومن التَّجَمُّعات الخَائِنة العميلة) نائبة عنه في تحقيق أهدافه.

و أدى ذالك إلى خروج الأُمّة من ميدان الصدام لخفاء دور المُستَعمر الخارجي وتولي الحُكُومَات (الوطنيّة) المحليَّة للحكم، وبحكم طبائع الأشياء كانَ لا بُدَّ لتلك الحُكُومَات من أن تصطدم مع مختلف مكوّنات الصّحوة الإِسْلَاميّة الّتي قامت أساسا من أجل العودة بالمُسلِمين بشكل أو بآخر- بحسب كلّ مدرسة واتجاهاتها ومناهجها- إلى الحياة بناء عَلى تعاليم دينهم والحكم بشريعتهم.

فقد قامت حُكُومَات الإستقلال كلها بلا استثناء في بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، عَلى أسس علمانية تفصل الدّين عن الدّولة، وحكمت جميعها بغير ما أنزل الله، وتولى المارقون من أبنائها مهمة التَّشريع من دون الله، كما تولوا مهمة العمالة والوَلَاء لأعداء الأُمّة وخدمة أهدافهم جهارا، هذا بالإضافة إلى ما تحلت به كلّ تلك الحُكُومَات بلا استثناء من مواصفات الظُّلم والقهر والاستبداد ومختلف أشكال الفساد الإداري والسُّلُوكي وغير ذلك.

وزرع الإستعمار الكيان الصّهيونيّ في قلب العالم الإِسْلَاميّ في فِلَسطِين، وقامت دولة إسرائيل عام ١٩٤٧ رسميا عَلى معظم أرض فِلَسطِين، ثمّ أتمت إسرائيل احتلالها بالإضافة إلى أجزاء من مصر وسوريا والأردن ولبنان سنة ١٩٦٧.

وشكلت قضية فِلَسطِين عبئا ضخما في وجدان العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، ورسخ الإستعمار الغربيّ احتلاله الاقتصاديّ للعالم العربيّ والإِسْلَاميّ واستنزف خيراته، ودعم وحفظ الحُكُومَات الديكتاتورية الّتي أنشأها فيه.

وهكذا وجدت قواعد الصّحوة الإِسْلَاميّة وقياداتها نفسها أمام هذا الواقع المؤلم الغريب الّذي عقب مرحلة الإستعمار، وتعددت المذاهب والآراء داخل أوساط الصّحوة ذاتها لمعالجة هذا الواقع مما أدى لتمايز مدارسها واتجاهاتها كما رأينا في الفَصل الخامس.

ففي حين رأى بعضهم بأن الحلّ يكمن في التّربية والإصلاح واعتزال السّياسة، رأى آخرون الحلّ والإصلاح في اقتحام ميادينها من البوابة المشروعة (قانونا)، من خلال ما تتيحه تلك الحُكُومَات، رأى الفريق الثّالث (والّذي نحن بصدده في هذا الفَصل) أن الخرق قد اتسع عَلى الراقع، وأنه لا بُدَّ من حمل السّلاح لعلاج هذه الأوضاع، لاسيما بعدما أثبتت تلك الحُكُومَات وأجهزتها القمعية، أنها جاهزة لتقليم أظافر الصّحوة دائما عبر تصفية قياداتها باغتيال زعمائها أو زجهم في السّجون لعشرات السنين، ومطاردة أتباعهم وتضييق كلّ سبل الدّعوة إلى الله حتَّى السّلميّة منها، وهنا، بدأت تتبلور الأفكار الأولى لميلاد التّيار الجهاديّ المعاصر، نهاية الخمسينيات ومطلع الستينيات من القرن المنصرم.

كانت حركة الإخوان المُسلِمِين (بصورة رئيسيَّة) المحضن الطبيعي الّذي يمكن أن تولد فيه مثل هذه الأفكار وتنتشر، فقد كونت دعوة حسن البنا رحمه الله مناخا مناسبا لهذه التطورات، ولا أدل عَلى ذلك من شعارها الّذي اختصر منهجها (الله غايتنا، الرَّسُول قدوتنا، القرآن دستورنا، الجِهَاد سبيلنا، الموت في سبيل الله أسمى أمانينا)، رغم أن فكرها وممارساتها قد حمل كثيرا من الاختلاط الفكريّ والمنهجي، من مؤثرات صوفية وسلفية ووطنيّة وديمقراطية وسوى ذلك، كما شكلت ممارساتها الجهاديّة المبدئية دليلا آخر عَلى صلاحية أن تكون محضنا لميلاد التّيار والفكر الجهاديّ في رحمها.

فقد شارك قيادات وشباب الإخوان المُسلِمُون في مصر وسوريا في حرب فِلَسطِين سنة ١٩٤٧-١٩٤٨، وشكل حسن البنا جهازه السري الخاص، وهو الجهاز العسكريّ للجماعة لأهداف جهاديّة، وقد قام أعضاء هذا الجهاز بعد اغتيال حسن البنا رَحِمَهُ اللهُ سنة ١٩٤٩ بقيادة وإدارة المُقاوَمة السرية في قناة السويس وما حولها مطلع الخمسينيات، وشارك الجهاز في دعم حركة عبد النّاصر والضُّبَّاط الأحرار بالإطاحة بالملك فاروق، ولكن هذا الهالك كانَ قد رتب مع أعداء هذه الأُمّة برنامجه الّذي تضمن تصفية الحركة الإِسْلَاميّة في مصر وطليعتها حركة الإخوان المُسلِمِين.

فقام بسجن قيادتهم والآلاف من قواعدهم سنة ١٩٥٤ ووسع حملته عليهم وأعدم بعضهم سنة ١٩٦٥ وكان من بينهم خيرة مفكريها وعناصرها القيادية، هذا في مصر، أما في سوريا وهي المحضن الهام الآخر لحركة الإخوان المُسلِمِين، فقد عصفت الانقلابات العسكريّة بحُكُومَات الإستقلال الوطنيّة الدِّيمقراطيَّة الّتي توالت منذُ ١٩٤٦، ومنذ ١٩٥٤ توالت الانقلابات الّتي رعتها المخابرات الأمريكيّة وتجاربها في سوريا، إلى أن تمَّ تجهيز الأجواء لحزب البعث العربيّ الاشتراكي ليقوم بانقلابه سنة ١٩٦٣، وكان عَلى أولى أولوياته تصفية الصّحوة الإِسْلَاميّة من الإخوان وغيرهم، ومحاربة الإِسْلَام بكل مكوّناته، وشكلت مصر وسوريا المحضن المبكر لميلاد وتبلور فكر الجِهَاد ونظريات عمله، وتكررت هذه الصُّورة في مختلف بلدان العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وعملت تلك التّحولات السّياسيّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة وحملات التغريب والعلمنة الّتي قامت بها الحُكُومَات المختلفة عَلى طرح مسائل هامة عَلى فكر الصّحوة الإِسْلَاميّة ومنهجها.

ففي الباكستان وخلال الخمسينيات شكلت كتابات الأستاذ العبقري الفذ أبو الأعلى المودودي رَحِمَهُ اللهُ مادة أساسية لتبلور فكر الجِهَاد، فقد انتقد رَحِمَهُ اللهُ الحالة البليدة الّتي تعيشها الأوساط الدّينيّة التقليدية في باكستان، وطرح عبر كتبه ومقالاته وجريدة حركته الّتي أسَّسَها باسم(الجماعة الإِسْلَاميّة في باكستان) كثيرا من أهمّ المسائل السّياسيّة الشَّرعيَّة، وعرض واقع المُسلِمِين المعاصر من خلالها، وكتب عن مقتضيات شهادة التّوحيد، وعن أسس الوَلَاء والبَرَاء، وعرف الجِهَاد وأغراضه وأهدافه،

وكتب حول ميلاد الدّولة الإِسْلَاميّة ومميزاتها وعن دستورها ومواصفاتها والطريق لإقامتها، وأشتمل أحد أهمّ كتبه وهو (المصطلحات الأربعة) عَلى كثير من أساسِيَّات الفكر الجهاديّ المعاصر.

ولكن رائد الفكر الجهاديّ في العصر الحديث بلا منازع والّذي يعود لأفكاره ميلاد منهج التَّفكير ونظريات الحركة في (التّيار الجهاديّ المعاصر) كانَ بلا شَّكَّ الأستاذ الشّهِيد المعلم (سيد قطب) رحمه الله، الّذي ابتدأ حياته أديبا شاعرا وباحثا ناقدا لا معا، وعاش نضوج الفكر خلال الحقبة الصاخبة الحرجة من تاريخ مصر المعاصر خلال الأربعينات والخمسينات والستينات، وهي زوال الملكية وثورة الضُّبَّاط الأحرار، واحتلال فِلَسطِين والعدوان عَلى مصر، واحتك عن قرب بالإخوان المُسلِمِين وتأثر بحركتهم، وكان لرحلته الدراسية إلى أمريكا أثر بالغ في اكتشافه لطبيعة الحملة الصّليبيّة المعاصرة عَلى العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، بالإضافة لما حباه الله من بصيرة نافذة، وقلم أخاذ وروح شفافة، وقد شكلت أجواء السّجن الّذي زجه فيه عبد النّاصر مع أكثر قيادات الإخوان المُسلِمِين منذُ مطلع الخمسينيات وإلى أواسط الستينيات، المحيط العام الّذي خط فيه كتاباته الرائعة الّتي تعد بحق الأساس الفكريّ والمنهجي للتيار الجهاديّ المعاصر في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، فقد ضمّ كتابه الفريد(في ظلال القرآن) وهو تفسير حركي لآيات القرآن الكريم في ضوء ما نقله المفسرون من الآثار، خُلاصة النَّظريَّات الحَركيّة للفكر الجهاديّ المعاصر، وخلاصة ما أراد سيد طرحه من مفاهيم، وكان كتابه (معالم في الطّريق) هو الأهم عَلى صغر حجمه، وحوى خُلاصة ذلك الفكر وطروحاته الجهاديّة الانقلابية الثّوريّة، وكونت مكتبته الواسعة من الكتب الاخرى من مثل كتاب (خصائص التصوُّر الإِسْلَاميّ) و(هذا الدّين) و(جاهلية القرن العِشرين) وغيره منهجا متكاملا لفكر جهاديّ حركي معاصر يناسب تلك المَرحَلَة.

كانَ فكر سيد رحمه الله نقلة نوعية في المسار الفكريّ للصحوة الإِسْلَاميّة عموما وللإخوان المُسلِمِين خُصُوصَاً، وكان عَلى الحركة (الأم) كما أسموها أن تحدد موقفها من هذه الطروحات.

ووقفت القيادة التقليدية للإخوان في مصر من سيد وأفكاره موقفا رافضا مناوئا، فقد كانت نظرياته في الحاكِمِيَّة والوَلَاء والبَرَاء، والمفاصلة مع الجَاهِلِيَّة والتمايز في الهويّة والمنهج، مفرقا هاما كانَ

عَلى الإخوان أن يقرروا السّير معه نحو التطور، أو الافتراق عنه في ردة فعل تحيد بهم حتَّى عن ثوابت أساسية كانَ عليها المنهج عندهم،

واختار الإخوان الطّريق الثّاني تجنبا للصدام مع السّلطة وبدت آثار السّجن والقمع والسياط جلية في ملامحهم الفكريّة الجَدِيدة، فقد كتب المرشد العام حسن الهضيبي رحمه الله كتابه الشهير (دعاة لا قضاة) ردا عَلى كتاب (معالم في الطّريق) وما حمله (في ظلال القرآن)، من أفكار المُوَاجَهة والصدام مع الجَاهِلِيَّة الّتي يجسدها النّظام السّياسيّ القائم، وما يفرض عَلى المجتمعات من تحول، وهنا افترقت حركة الإخوان المُسلِمِين والصّحوة السّياسيّة المعاصرة إلى مدرستين متمايزتين متناقضتين، فجسد كتاب (المعالم) وفكر سيد عموما، فكر الحاكِمِيَّة والتمايز والمفاصلة، وبالتالي الحكم بالكفر والردة عَلى أنظمة الحكم القائمة والدّعوة الصريحة لجِهَادها ورسم معالم طريق هذا الجِهَاد.

وشكل كتاب (دعاة لا قضاة) كما يدل عنوانه المعبر، منهج الإخوان الجَدِيد وبداية مسار التراجع الّذي ابتدؤوه من حينها، وكانت خُلاصة نظريته أن رواد الصّحوة الإِسْلَاميّة عبارة عن دعاة إلى الإِسْلَام والإصلاح، وليسوا قضاة عَلى الحكَّام والنّاس وما هم فيه من أحوال، حتَّى يحكموا بانتمائهم للإسلام أو خروجهم عنه، وشكل هذا الكتاب أحد أهمّ مرتكزات الإرجاء السّياسيّ المعاصر في الحركة الإِسْلَاميّة الناهضة، حيث شملت شهادته بالإِسْلَام السُّلطات المرتدّة الكافرة وأركانها في مصر وغيرها.

وكان هذين الكتابين وهذين الفكريّن بداية لتشكيل المدرستين الرَّئيسيتين في الصّحوة الإِسْلَاميّة، وهما المدرسة السّياسيّة، والمدرسة الجهاديّة، وأدى هذا الجو الفكريّ - كما بينا آنفا-إلى ولادة المدرسة الشاذة للتكفير في سجون مصر أيضا عَلى هامش تلك الصِّرَاعات الفكريّة وقد سبق بيانه.

ولست هنا بصدد استعراض المسار الفكريّ للصحوة السّياسيّة، وأعود للسير مع التّيار الجهاديّ وبداية ميلاد مناهجه وتنظيماته.

فرغم أهمية كتابات سيد وأولويتها في توليد الهويّة الفكريّة للتيار الجهاديّ، إلا أن كتابات هامة أُخرى قد برزت في تلك المَرحَلَة في مصر أيضا، يأتي في طليعتها كتابات الأستاذ القانُونيّ الشّهِيد عبد القادر عوده رحمه الله، الّذي أعدمه عبد النّاصر، وكذلك كتابات الشَّيْخ المحدث أحمد شاكر رحمه الله وغيرهم، وقد حاول سيد قطب رحمه الله وضع أفكاره موضع التنفيذ، وحاول تشكيل أول تنظيم جهاديّ سري يحمل تلك الأفكار، من لفيف من الشَّبَاب المُجَاهد الّذين كانَ معظمهم أعضاء في الإخوان المُسلِمِين، إلا أن تجربته الغضة تلك سرعان ما أجهضت وأعدم بتهمتها رحمه الله، ليتحقق له قول رائع ورؤيا صالحة بالغة الدلالة كانَ قد رآها في سجنه، فقد روى بعض معاصريه في السّجن أنه رأى في منامه قبيل إعدامه، دُرج طاولته الّتي يكتب عليها والّذي يحوي الأوراق الّتي خط عليها أفكاره، ينفتح وتأتي العصافير فتحمل الأوراق وتطير بها في كلّ اتجاه، فأولها، انتشار فكره في أنحاء الدُّنيَا، وأما القول الّذي تحقق لكتاباته أيضا فهو:

قَالَ الشّهِيد المعلم سيد قطب رحمه الله تَعَالَى:

(إنه ليست كلّ كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين فتحركها وتجمعها وتدفعها، إنها الكلمات الّتي تقطر دماء لأنها تقتات قلب إنسان حي، كلّ كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان، أما الكلمات الّتي ولدت في الأفواه، وقذفت بها الألسنة ولم تتصل بذلك النبع الإلهي الحي، فقد ولدت ميتة، ولم تدفع بالبشرية شبرا واحدا إلى الإمَام، إن أحدا لن يتبناها لأنها ولدت ميتة، والنّاس لا يتبنون الأموات).

وهكذا انتشر فكر سيد في كلّ الدُّنيَا، ولقد رأيت كتابه معالم في الطّريق في أفغانستان مترجما للغة البشتو والفارسية، بل لقد بلغني أن أحد المُجَاهدين القدماء أيّام جِهَاد الرُّوس دخل إحدى المدارس في (نورستان) وهي مناطق جبلية نائية جدا بالغة الوعورة وسط جبال الهندوكوش عَلى الحدود الشمالية لكشمير والصين قريباً من بدخشان ومم واخان، تقع عَلى ارتفاع أكثر من ٥٠٠٠ متر عن سطح البحر،

في منطقة لم يدخلها من مقوّمات الحضارة شيء، لا ماء ولا كهرباء ولا سواها، وقال أنه دخل إحدى المدارس فوجد فيها كتاب (معالم في الطّريق) لسيد قطب مترجما للغة النورستانية !!

فسبحان الله !! لقد حملتها عصافير الحقّ المهاجرة، وحطت بها هناك منذُ عشرات السنين بعد إعدامه ﵀، ولعله لا يوجد اليَوْم لغة حية من لغات المُسلِمِين، إلا وقد ترجم إليها كثير من كتب سيد ﵀، فضلا عن اللغات العَالَمِيّة، هذا العملاق الّذي أدرك الصّليبيّون اليَوْم وزعيمتهم أمريكا في حملتها لمكافحة الإِرهَاب أثر فكره، فجعلوا مكافحته والنيل منه وتشويهه أحد أهمّ مرتكزات حملتهم الفكريّة الإعلاميَّة الحالية وهجومهم عَلى مناهج التّربية والتّعليم عامة في بلادنا وعلى مناهج التّعليم الدّيني خاصّة.

وأما في سوريا، المحضن المهم الثّاني لمنشأ الصّحوة الإِسْلَاميّة و(التّيار الجهاديّ المعاصر) فقد ظهر في نفس الفترة(١٩٦٠-١٩٦٥) الشَّيْخ الشّهِيد مروان حديد ﵀، وكان قد ذهب للدراسة في مصر وحمل فكر الإخوان المُسلِمِين، وعاد منتسبا إليه، وكانت الدّعوة قوية في سوريا أواخر الخمسينيات، واقتنع الشَّيْخ مروان حديد ﵀ بأن بلاءا كحزب البعث الّذي بدأت تغلب عَلى قيادته العناصر النصيرية وتعد للاستيلاء عَلى الحكم، لا يمكن مواجهته إلا بالجِهَاد، فحمل أفكارا شبيهه بأفكار سيد وتأثر به، ولم يكن الشَّيْخ مروان كاتبا وإنما خطيبا بارعا وشاعرا حركيا مُجَاهدا، فأسس (تنظيم الطليعة المقاتلة لحزب الله) كما أسماه أولا، والّذي تحول فيما بعد لاسم (الطليعة المقاتلة للإخوان المُسلِمِين)، وقام بمحاولة جهاديّة قمعتها دبابات السّلطة البعثية سنة ١٩٦٥، ثمّ عاود الكرة سنة ١٩٧٠ ثمّ ما لبث أن اعتقل ثمّ أعدم سنة ١٩٧٥ ﵀.

وحمل تلامذته من بعده مهمة إشعال أطول ثورة جهاديّة معاصرة ضدّ حكومة في العام العربيّ (١٩٧٥-١٩٨٢)، وظهر في الإخوان المُسلِمِين في سوريا الشَّيْخ (سعيد حوى) ﵀ وتتالت كتبه الّتي حملت الفكر الجهاديّ وحققت فيه إضافات مهمة خلال السبعينات والثمانيات، وحملت معظمها اسم سلسلة (في البناء)، وكان منها كتب ؛ (الله) (الرَّسُول) (الإِسْلَام) (مدخل إلى دعوة الإخوان المُسلِمِين) وكان من أهمّ كتبه الّتي نظرت للفكر الجهاديّ؛ كتاب(خطوة للأمام عَلى طريق الجِهَاد المبارك)،

وكتاب (جند الله ثقافة وأخلاقا)، وكتاب (جند الله تنظيما وتخطيطا)، وهي قمة عطائه الفكريّ الجهاديّ، حيث عانى بعد ذلك تراجعا فكرياً نتيجة المسار الفاشل للعمل الجهاديّ في سوريا، انتهى به إلى لوثات ديمقراطية وصوفية ظهرت في آخر مؤلفاته رحمه الله وغفر له.

وأعتقد أن من هناك، من مصر والشّام كانت البداية، أما في معظم باقي بلاد العالم العربيّ، فقد كانت الظّروف السّياسيّة المحليَّة متشابهة والحالة الاستعماريّة كذلك أيضا وانشر هذا الفكر من مصر وسوريا إلى السُّودَان والعراق ولبنان والأردن بحكم الجوار،

وبحكم الاستقلال المبكر لسوريا ومصر، وبحكم تقدم نظام التّعليم فيهما عن باقي بلاد العالم العربيّ كله تقريبا، استقدمت كافّة دول الجزية العربيَّة المدرسين من مصر وسوريا لمراحل التّعليم الأولى (الابتدائية، والمتوسطة والثانوية) بل وللجامعية أيضا، ولاسيما في كليات الشّريعة والآداب والقانون والعلوم الإنسانية وسواها، وكذالك استقدمت أكثر دول شمال إفريقيا، ولاسيما الجَزَائِر خلال ثورة (التعريب) الّتي قام بها الرَّئيس الجَزَائِري (هواري بومدين) بعد الاستقلال لمُوَاجَهة سياسة الفرنسة الّتي فرضتها فرنسا عَلى مدى ١٣٠ سنة من الإستعمار، استقدمت تلك الدّول المدرسين أيضا من مصر وسوريا.

ونظرا إلى أن دعوة الإخوان المُسلِمِين كانت قد انتشرت بشكل واسع في أوساط المعلمين والقطاع التربوي في مصر وسوريا، كانَ كثير من أولئك المدرسين من دعاة الإخوان أو المتأثرين بدعوتهم، فكان هذا من أهمّ أسباب حمل الدّعوة الأم، وهي الركن الأساسي في الصّحوة السّياسيّة والجهاديّة من بعد إلى تلك البلاد، بالإضافة لانتشار ظاهرة الصّحوة الإِسْلَاميّة المحليَّة عموما في كلّ تلك البلاد وانتشار ظاهرة الكتاب الإِسْلَاميّ والاتجار به، وكثرة المطابع والصّحف، ونشاط

الحركة الثَّقافيَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ إبَّان مرحلة الإستقلال.

وهكذا هبت رياح الصّحوة الإِسْلَاميّة ومدارسها عَلى بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وتبادلت مدارسه وتنظيماته وجماعاته الأثر والتّأثير.

ولكن الفكر الحَركيّ للتيار الجهاديّ، ومحضنه الفكريّ الأوّل، وأعني فكر الإخوان المُسلِمِين، هب عَلى العالم العربيّ والإِسْلَاميّ من مصر وسوريا الشّام بشكل رئيسي.

وكان هذا الفكر الحَركيّ الّذي تكون داخل حركة الإخوان المُسلِمِين، ثمّ تطور واستقل وتميز في الفكر(القطبي)- نسبة إلى سيد ﷬- وكذلك ساهمت كتابات أخيه الأستاذ محمّد قطب من بعده، وما أضيف إلى هذه المدرسة من كتابات كتاب الإخوان المُسلِمِين في السبعينات من مختلف البلاد، أحد شطري مكوّنات فكر التّيار الجهاديّ المعاصر، الّذي انضم إلى تكوينه مركب مهم آخر قدم من الجَزِيرَة العربيَّة، من بلاد نجد والحجاز، الّتي دعيت زورا (السّعُودِيّة).!

فقد قامت الدّولة السّعُودِيّة الثّالثة- كما سبق الإشارة لذلك- بتخطيط ودعم من الإنكليز، وتوج الملك عبد العزيز آل سعود سلطانا عَلى بلاد نجد والحجاز وما الحقّ بها، وتكونت المملكة العربيَّة السّعُودِيّة سنة ١٩٣٥، وكانت البضاعة الرائجة الّتي استولى عليها عبد العزيز، لتكون مادة دعايته وخداعه للنَّاس هيَ، زعمه إحياء دعوة الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب ﷬، الّتي كانَ قد قضي عليها تقريبا، بإسقاط الدّولة السّعُودِيّة الثّانية خلال صراعها مع الخِلافَة العُثمَانِيّة، الّتي استعانت بحاكم مصر آنذاك محمّد علي باشا لهذه المهمة.

وورث أولاد عبد العزيز بعده عمليَّة التجارة بالدّعوة الوهابية، وكان الله بهم وبأعداء الإِسْلَام مكر لطيف، فقد تابع الأبناء بعد أبيهم التجارة بالدّعوة الوهابية، وأقاموا المؤسسات الكثيرة وبذلوا جهودا كبيرة وأموالا طائلة لهذا الغرض، وقد عمل في هذا المجال كثير من المخلصين للدعوة والدّين،

وهكذا تتلمذ جيل من رجال الصّحوة الإِسْلَاميّة خلال العقود الثّلاثة في الستينات والسبعينات والثمانينات، على كبار العُلَماء الّذين ورثوا الدّعوة الوهابية وحملوها.

وبوجود الأجواء المناسبة والأموال الطائلة بسبب طفرة النّفط في تلك الفترة، ازدهرت الدّعوة الوهابية بدعم من الحُكُومَات السّعُودِيّة المتعاقبة.

فأحييت دعوة الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب وكبار أئمة الدّعوة النجدية، أخرجت كتبهم القيمة، كما أحيي تراث الشَّيْخ ابن تَيمِيّة وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تَعَالَى، وكذلك كتب غيرهم من دعاة

العَقِيْدَة السّلفيّة ومدرسة أهل الحديث، وتولت الحكومة السّعُودِيّة طباعة وتوزيع ملايين النسخ منها عبر السنين.

وتولت المؤسسات الدّينيّة الحُكُوميّة والأهلية والجامعات السّعُودِيّة طباعتها ونشرها وتدريسها وبثها في كلّ بلاد العالم الإِسْلَاميّ، وقام عَلى هذا العمل علماء مخلصون كثيرون وعلماء أفاضل من أهل الجَزِيرَة وممن تتلمذ عَلى أيديهم.

كانَ مدار الدعة الوهابية والعَقِيْدَة السّلفيّة كما هو معلوم عَلى إحياء فقه الدليل ومنهاج أهل الحديث وعقائد أهل السّنّة والجماعة، والتركيز عَلى محاربة البِدَع والانحرافات الّتي اندست عبر كثير من الطرق الصوفية المنحرفة وما خلفته من الركود والاستسلام والتخلف الفكريّ، كما ركزت هذه الدّعوة عَلى مسألة الوَلَاء والبَرَاء، ومناصرة أهل الإيمان ومعادات الكفّار من اليَهُوْد والنّصَارى والمشركين وأوليائهم من المُنَافِقين، كما تركز هذه الدّعوة كما هو معروف عَلى تجريد التّوحيد وإفراد الله وتوحيده بربوبيته ألوهيته، وتنزيهه بأسمائه وصفاته، والتشديد عَلى تكفير من نازع الله في ربوبيته أو ألوهيته بتشريع أو شرك أو حكم مناف لحكمه.. الخ.

وكان من سياسة السّعُودِيّة، لأغراض الحكّام الدعائية الّتي التقت مع أغراض الدعاة المخلصين استقدام مئات ألاف الطلاب الأجانب من مختلف بلاد العالم الإِسْلَاميّ كوافدين للدراسة، وفتح باب المنح الدراسية لهم في الجامعات السّعُودِيّة المتخصصة في التّعليم الدّين، مثل جامعة الإِمَام محمّد بن سعود والجامعة الإِسْلَاميّة في المدينة المنورة وغيرها.

وفي تلك الأوساط تخرج مئات ألاف الطلاب من الشّبَاب المسلم حاملا تلك الأفكار عائدا إلى بلاده منذُ مطلع الستينات وإلى الآن حيث تحول الحكومة السّعُودِيّة تغير هذه النهج تجاوبا مع برنامج أمريكا في تغيير البنية الفكريّة والثّقافيَّة للمسلمين في إطار حرب الأفكار خلال حربها الشّاملة عَلى ما تسميه الإِرهَاب والتطرف والأصوليَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.

وكما ذكرت فقد كانَ قد ذهب إلى السّعُودِيّة من مصر وسوريا خلال تلك الفترة آلاف المدرسين، وكان كثير منهم من دعاة الإخوان المُسلِمِين، ومن رواد الصّحوة الإِسْلَاميّة عموما.

كما صارت السّعُودِيّة في عهد الملك فيصل خاصّة مهجرا طبيعيا للمطاردين والمنفيين من قيادات الإخوان من مصر في عهد عبد النّاصر، حيث كانَ فيصل في حرب معه، كما فر إليها كثير من دعاة ومَشَايخ الإخوان من سوريا بسبب اضطهاد البعثيين منذُ أواسط الستينيات، وعمل أكثر هَؤُلَاءِ مدرسين في الجامعات الإِسْلَاميّة في السّعُودِيّة.

وحصل هناك تمازج هام جدا خلال العقود الثّلاثة الهامة من عمر الصّحوة (١٩٦٠- ١٩٩٠)، بين الفكر الحَركيّ لمدرسة الإخوان المُسلِمِين وخاصة القطبية منها، وبين الفكر العقدي والتراث الفُقْهيّ للدعوة السّلفيّة، والمدرسة الوهابية، ثمّ انطلق هذه التمازج عائدا إلى مصر والشّام ثانية ثمّ إلى باقي العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.

وقد ولد هذا التمازج مدرستين هامتين جدا في الصّحوة الإِسْلَاميّة منذُ أواسط السَّبعينيَّات. وهما:

- **المدرسة السّروريّة:**

(نسبة إلى اسم أحد أوائل دعاتها)، ويقوم منهجها عَلى مزيج من الحَركيّة الإخوانية والفكر السلفي الوهابي، وهي مدرسة تنظيرية فكريّة سياسيّة دعوية، لم يكن لها عمليا تحرك يمكن أن يسجل له تجربة عمليَّة، ولسنا هنا بصدد الحديث عنها.

- **مدرسة (السّلفيّة الجهاديّة):**

والَّتي يتكون منهجها من مزيج من الفكر الحَركيّ الجهاديّ القطبي، مع تبني العَقِيْدَة السّلفيّة ومنهج الدّعوة الوهابية، وهي الهويّة الفكريّة المنهجيّة الرَّئيسيَّة الّتي طبعت التّيار الجهاديّ خلال (الثمانينات والتسعينات) وهو التّيار الّذي نحن بصدده في هذا الفَصل.

فباختصار أشير إلى أمر بالغ الأهمّيّة في فهم الهويّة الفكرة للتيار الجهاديّ المعاصر.

فقد شكل المنهج الإخواني ذي الطابع السّياسيّ التربوي، والحَركيّة القطبية ذات الطابع المفاصل المتمايز بناء عَلى مبادئ الحاكِمِيَّة، البعد السّياسيّ الشَّرعيّ والحَركيّ في منهج التَّفكير في التّيار الجهاديّ المعاصر.

كما شكل المنهج السلفي وكثير من مؤثرات الدّعوة الوهابية وإنتاجها الفُقْهيّ، الأرضية الفقهيّة والعقدية الّتي أجابت عَلى أكثر المسائل السّياسيّة الشَّرعيَّة العالقة الّتي طرحها وأثارها المنهج الجهاديّ الحَركيّ، ودعوته للمُوَاجَهة مع الأنظمة الجَاهِليَّة الحاكمة في العالم الإِسْلَاميّ.من قبيل إقامة البرهان الشَّرعيّ عَلى كفر الحكَّام الحاكمين بغير ما أنزل الله الموالين لأعداء المُسلِمِين، ثمّ تسلسل الأحكام الشَّرعيَّة تبعا لذلك، من أحكام الخروج عليهم وإسقاط شرعيتهم وقتال أعوانهم، إلى غير ذلك من عشرات المسائل الشَّرعيَّة المتفرعة عن ذلك.

ولما نهجت أكثر مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة المنهج الديمقراطي، وطرحت تصوُّرات شتّى للإجابة عَلى مسألة المشكلة والحلّ في واقع المُسلِمِين المعاصر، ودخلت مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة المختلفة في مساجلات فكريّة وفقهيّة كثيرة، شكل فقه الإِمَام ابن تَيمِيّة والمنهج السلفي وتراث المدرسة الوهابية المستند الأساسي للتيار الجهاديّ في خوض تلك المعتركات.

وهكذا يمكن أن نوجزالقول ونلخص البنية الفكريّة للتيار الجهاديّ المعاصر بالمعادلة التّالية:

أساسِيَّات من فكر الإخوان المُسلِمِين + المنهج الحَركيّ للشهيد سيد قطب + الفقه السّياسيّ الشَّرعيّ للإمام ابن تَيمِيّة والمدرسة السّلفيّة + التراث الفُقْهيّ العقدي للدعوة الوهابية ← المنهج السّياسيّ الشَّرعيّ الحَركيّ للتيار الجهاديّ.

ولقد كانَ الميدان الأساسي لنضوج هذه المكوّنات الفكريّة المنهجيّة خلال السَّبعينيَّات والثَّمانينيَّات في مصر والشّام والجَزِيرَة العربيَّة وخاصة في بلاد الحرمين، ومن هناك انتشر إلى باقي البلاد كما سأبين لاحقا، مع الإشارة إلى أنه كانَ لكل ساحة من تلك الساحات من بلاد العَرَب والمُسلِمين وطبيعة مكوّنات الصّحوة فيها ومرحلة نضوجها أثر في طيعة الفكر الجهاديّ الّذي ولد فيها وطبيعة التَّجربة تبعا لذلك.

فقد كانَ التّأثير مباشرا وسريعا في الأردن ولبنان واليمن، وكان بطيئا في بلاد مثل العراق نتيجة النّظام الأمني الصارم فيها، كما كانَ التّأثير محدودا في دول الخليج العربيّ والسّعُودِيّة بسبب طبيعة المجتمعات النفطية فيها، وبسبب قلة السّكّان وركود الحياة الفكريّة والثّقافيَّة فيها آنذاك، أما ليبيا وبلاد المغرب العربيّ فقد تأخر ذلك تبعا لتأخر ميلاد الصّحوة الإِسْلَاميّة فيها إلى مطلع السَّبعينيَّات، بحكم

ظروف استقلالها وطبيعة أنظمتها وعمق التّأثير الغربيّ للاستعمار الفرنسي فيها، على أنه سجلت محاولات جهاديّة مبكرة في المغرب (١٩٦٣)، وفي الجَزَائِر (١٩٧٣)، من غير أن يكون للمد الفكريّ للتيار الجهاديّ المشرقي المولد والّذي نحن بصدده أثر أو علاقة بذلك، وكذلك كانَ التّأثير محدودا في القرن الإفريقي والصّومال نتيجة ظروفها، حيث انتقلت معظم مؤثرات الصّحوة إليها متأخرة عن طريق الطلاب الّذين خرجوا للدراسة في الغرب أو في بعض الدّول العربيَّة المجاورة مثل السّعُودِيّة ومصر والسُّودَان وتأثروا بأفكار الصّحوة وعادوا بها إلى بلادهم لتمتزج مع معطيات الصّحوة المحليَّة وظروفها.

كذلك كانَ الحال تقريبا في بلاد أطراف العالم الإِسْلَاميّ مثل اندونيسيا والفلبين ودول شرق آسيا ووسط أفريقيا، وكذلك دول الجمهوريّات السُّوفيتيّة في وسط آسيا والقفقاس.

أما أكثر دول العالم الإِسْلَاميّ تأثرا وتأثيرا في الصّحوة الإِسْلَاميّة وعموم مدارسها في العالم العربيّ فكانت الباكستان وتركيا بحكم القرب والتداخل في أكثر من مجال.

أما التّيار الجهاديّ من حيث ميلاد الفكر وانتقال أصحابه إلى ميدان التطبيق والمُوَاجَهة مع الحُكُومَات فقد ارتبط قيامه في الأماكن المختلفة بعوامل عدّة مثل الظّروف السّياسيّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والاقتصاديَّة في كلّ بلد بالإضافة إلى مستوى ونوع الصّحوة الإِسْلَاميّة ووصول المؤثرات الفكريّة للتيار الجهاديّ لذلك المكان.

ثمّ جاءت تجربة الجِهَاد الأفغاني (١٩٨٤-١٩٩٢) لتتكون المدرسة الجهاديّة الّتي دعي أصحابها بـ (الأفغان العَرَب)، ليدخل التّيار الجهاديّ مرحلة العولمة كما سنرى في الفقرة التّالية إن شاء الله.

وقد قامت محاولات جهاديّة للعديد من جماعات ا للتيار الجهاديّ ضدّ بعض أنظمة الحكم القائمة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، بمستوى وحجوم مختلفة منذُ مطلع الستينات وإلى نهاية القرن العِشرين، يمكن ذكر أهمّها بحسب تسلسلها الزَّمني وبحسب ما يحضرني كما يلي:

أهمّ المحاولات والتَّجَارب المُسلّحة للتيار الجهاديّ (١٩٦٠-٢٠٠٠):

(١)- حركة الشبيبة المغربية في المغرب الأقصى (مراكش)، بقيادة الشَّيْخ عبد الكريم مطيع، ضدّ حكومة الملك الهالك الحسن الثّاني سنة (١٩٦٣).

(٢)- محاولة الشَّيْخ الشّهِيد سيد قطب ﷺ وتنظيم الجِهَاد ضدّ حكم عبد النّاصر في مصر سنة (١٩٦٥).

(٣)- حركة الشَّيْخ الشّهِيد مروان حديد ﷺ ضدّ حكم البعث في سوريا سنة (١٩٦٥).

(٤)- حركات الجِهَاد ضدّ الأنظمة الشُّيُوعِيّة في أفغانستان قبل الإحتلال السُّوفيتيّ (١٩٦٥-١٩٧٥).

(٥)- تجربة تنظيم الطليعة (EkiNGiLAR) في تركيا خلال الحَرب الأهلية ١٩٧٢.

(٦)- حركة الدّولة الإِسْلَاميّة بقيادة الشَّيْخ الشّهِيد مصطفى بويعلي ﷺ في الجَزَائِر(١٩٧٣-١٩٧٦).

(٧)- الثَّورة الإِسْلَاميّة الجهاديّة في سوريا بقيادة الطليعة المقاتلة من تلاميذ الشَّيْخ مروان حديد (١٩٧٥-١٩٨٢).

(٨)- حركة تنظيم الجِهَاد والجماعة الإِسْلَاميّة في مصر ضدّ أنور سادات ثمّ ضدّ خلفه حسني مبارك(١٩٨١-١٩٩٧).

(٩)- المحاولة الجهاديّة ضدّ حكم القذافي في ليبيا (١٩٨٦).

(١٠)- بعض المحاولات الجهاديّة المحدودة والمحاولة الانقلابية للجهاز العسكريّ لحركة الإتجاه الإِسْلَاميّ في تونس (١٩٨٦).

(١١)- التَّجَارب الجهاديّة للجماعات المتعددة في الجَزَائِر إبتداءا من سنة (١٩٩١).

(١٢)- المواجهات الجهاديّة ضدّ نظام الحكم الشُّيُوعِيّ في طاجيكستان منذُ (١٩٩٢).

(١٣)- المحاولات الجهاديّة المحدودة في بلاد الحرمين (السّعُودِيّة) منذ (١٩٩٤).

(١٤)- المواجهات الجهاديّة في ليبيا (١٩٩٤-١٩٩٦) وتجربة الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة.

(١٥)- الإنتفاضة المُسلّحة لـ (حركة نفاذ شريعة) شمال غرب الباكستان (١٩٩٦).

(١٦)- محاولات تكوين جماعات جهاديّة في المغرب الأقصى منذُ (١٩٩٦).

(١٧)- المحاولة الجهاديّة ضدّ نظام (كريموف) الشُّيُوعِيّ الأمريكيّ في أوزبكستان، وتشكل الحركة الإِسْلَاميّة في أوزبكستان (١٩٩٨).

(١٨)- التَّجربة الجهاديّة لجيش عدن أبين في اليمن منذُ (١٩٩٩).

(١٩)- المحاولة الجهاديّة في جبال النبطية في لبنان (٢٠٠٠).

كما قامت في نفس الفترة العديد من الحركات والمواجهات الجهاديّة ضدّ مختلف أشكال الإحتلال والعدوان الخارجي عَلى بلدان المُسلِمِين، مما صنفته تحت مسمّى الحركات والتَّنظِيمات المُجَاهدة تمييزا له- من حيث التصنيف الدراسي- عن التّيار الجهاديّ الّذي نحن بصدده، والّذي يكون معها ما أسميته الظَّاهِرة الجهاديّة المعاصرة خلال النصف الثّاني من القرن العِشرين، ومن أهمّ تلك التَّجَارب والحركات مايلي:

- **بعض تجارب المواجهات والحركات المُجَاهدة للاحتلال والعدوان الخارجي:**

(١)- حركات الجِهَاد والمُقاوَمة ضدّ الإحتلال الهندي في(كشمير) و(ولاية آسام الهندية).

(٢)- حركات الجِهَاد ضدّ الهندوس في بورما والأركان.

(٣)- حركات التحرير المُجَاهدة في الفلبين، مثل(جبهة تحرير مورو) و(جماعة أبو سياف).

(٤)- الجماعات الّتي جاهدت في إرتريا ضدّ الإحتلال الإثيوبي.

(٥)- الجماعات المُجَاهدة الإحتلال الإثيوبي في القرن الإفريقي (الأوغادين والعفر...).

(٦)- الحزب الإِسْلَاميّ في تركستان الشرقية الّذي يجاهد الإحتلال الصيني لتركستان.

(٧)- (جماعة التّوحيد) الّتي تشكلت من مُجَاهدي أهل السّنّة، خلال الحَرب الأهلية في لبنان في مُوَاجَهة التَّحالف المسيحي والقوى(الطائفية النصيرية) المدعومة من النّظام السّوري(١٩٧٥- ١٩٨٢).

(٨)- الجِهَاد ضدّ الإحتلال السُّوفيتيّ في أفغانستان (١٩٧٩- ١٩٩٢).

(٩)- حركة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة (حماس) لمُوَاجَهة الإحتلال الإسرائيلي في فِلَسطِين منذ(١٩٨٧).

(١٠)- حركة الجِهَاد الإِسْلَاميّ، لمُوَاجَهة الإحتلال الإسرائيلي في فِلَسطِين منذُ ١٩٨٩.

(١١)- مواجهات الجماعات الإِسْلَاميّة الكردية لنظام صدام حسين في العراق، ثمّ لعدوان الأحزاب الكردية العلمانيّة في كردستان العراق، منذُ (١٩٩٠م)

(١٢)- التَّجربة الجهاديّة في البوسنة ضدّ العدوان الصّربي (١٩٩٤-١٩٩٦).

(١٣)- التَّجربة الجهاديّة ضدّ الإحتلال الرُّوسي في الشِّيشَان والقفقاس منذُ (١٩٩٥).

(١٤)- المواجهات الجهاديّة ضدّ عدوان النّصَارى في إندونيسيا منذ(١٩٩٨).

رابعا: المحطة الرَّئيسيَّة الكبرى في تاريخ التّيار الجهاديّ:

(الجها الأفغاني ضدّ الرُّوس) وتجمع المُجَاهدين (الأفغان العرَب) (١٩٨٤-١٩٩٢)

احتلت جُيُوش الإتحاد السُّوفيتيّ الرُّوسي البائد أفغانستان علنيا سنة (١٩٧٩) بعد أن فعلت ذلك بطريق غير مباشرة عبر عدد من الانقلابات العسكريّة الشُّيُوعِيّة منذُ (١٩٦٥)، وأدى دخول الغُزَاة إلى إنحراط عموم الشعب الأفغاني بقبائله وعلمائه ومختلف طبقاته في الجِهَاد والمُقاوَمة.

كما أشرت سابقا في ثنايا البحث لم يتوقع أحد أن يصمد هذا الشعب الفقير المعدم المتخلف لهذا الغزو الجبار، وبدا وكان أمريكا قد سلمت بضم هذه الرقعة إلى المخزون الاستعماريّ للروس كما ضموا وسط آسيا والقفقاس وغيرها، ولكن المُقاوَمة الباسلة للشعب الأفغاني ما بين (١٩٧٩-١٩٨٢) لفتت نظر الإدارة الأمريكية ومنظريها الاستراتيجيين الكبار من أمثال الرَّئيس الأسبق (نيكسون) الّذي قام بنفسه بزيارة ميدانية آنذاك لمُعَسْكَرَات المُهَاجِرين الأفغان عَلى الحدود الباكستانية، فقرر الكونغرس تبني مسألة الجِهَاد الأفغاني كساحة ترد فيها أمريكا الصاع الفيتنامي للروس بأضعافه، بل ولتجعل منها آخر ساحات الحَرب الباردة الّتي سيحسم فيها ذلك الصِّرَاع بالضربة القاضية كما حصل خلال عشر سَنَوات.

أشرفت أمريكا عَلى صناعة حلف عالمي لمُوَاجَهة الرُّوس وحلف وارسو في أفغانستان فجرت وراءها حلف النّاتو ودوله كاملة، دول أوروبّا الغربيّة وكذلك حلفاءها الاقتصاديين الكبار مثل كندا

وأستراليا واليابان، لتكوين حلف سياسي إعلامي اقتصادي داعم لها في هذه الحَرب، ووضعت سياسة مالية تقضي بحصة من المساعدات المالية المقررة بملايين الدّولارات عَلى كلّ دولة من تلك الدّول، وساهم الجميع بذلك.

ولكن الجانب الأهم من الحلف الّذي كونته أمريكا لدعم الجِهَاد الأفغاني كانَ من دول العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، والَّتي كانَ في طليعتها وأهمّها دورا (السّعُودِيّة) و(باكستان) و(مصر) ودول (مجلس التّعاون الخليجي)، فقد ساهمت السّعُودِيّة ودول الخليج بالقسط الأكبر من الدّعم المالي لتلك الحَرب سواء بشكل رسمي حكومي أو من خلال التشجيع والسماح لسيل التبرعات الأهلية للجِهَاد في أفغانستان أن تصل إلى المُجَاهدين الأفغان كما لعبت السّعُودِيّة بمرجعيتها الدّينيّة بحكم سيطرتها عَلى الحرمين، وبمؤسساتها الدّينيّة العلمية دورا إعلاميا بارزا، وأشرف عَلى برنامجها وأداره رئيس استخباراتها آنذاك الأمير تركي بن عبد العزيز.

كما لعبت الباكستان الدَّور الرَّئيسي ميدانيّاً، فقد امتدت حدودها مع أفغانستان لأكثر من (٢٢٠٠) كيلومتر، وحوت عشرات المعابر الرَّئيسيَّة لوصول الإمدادات ومختلف أشكال الدّعم للجِهَاد الأفغاني ولعبت استخباراتها العسكريّة (ISI) والتيرئسها آنذاك الجنرال (حميد كُل)، دورا رئيسيا في ترتيب الأحزاب الجهاديّة والإشراف عَلى تشكيل وتوزيع المساعدات المالية والسّلاح بينها، وبتقديم الخدمات (اللوجستية) ومختلف أنواع الدّعم الميداني، الّذي كانَ يصل أحيانا لحد مشاركة الجيش الباكستاني عمليا في القِتَال والإسناد بالأَسْلِحة الثقيلة في المعارك الحدودية، وقد رأيت ذلك ميدانيّاً في معارك جلال أباد (١٩٨٩)، أما مصر فقد كانَ من أبرز مشاركتها، الإتفاق مع الأمريكان عَلى سداد جزء من ديونها لهم عَلى شكل صفقات سلاح أرسلتها إلى أفغانستان عن طريق باكستان، وكذلك شهدت هٰذا، فقد كانَ مألوفا لدينا فتح بعض صناديق الذخيرة والسّلاح وعليها شارة الجيش المصري، وذلك أن أنور السادات كانَ قد أتخذ قرارا باعتماد التسليح الأمريكيّ للجيش المصري وبدأ بتصفية الوجود الرُّوسي في مصر فيما عرف بسياسة الإنفتاح، فكان مفيدا له أن يتخفف من مخزون سلاح وذخائر لم يعد لازما له آنذاك أواخر السبعينات.

ولقد لعبت تلك الدّول بالإضافة لأكثر دول العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، بل والغربيّ وتابعيه، دورا إعلاميا بالغ الأهمّيّة في دعم الجِهَاد الأفغاني، والترويج له وحض كلّ من شاء وحتى بعض من لا يشاء عَلى المساهمة.

وأما الحليف الثّالث الّذي أدخلته أمريكا - أو بالأحرى - سمحت بدخوله عَلى خط تأييد الجِهَاد الأفغاني، فقد كانَ (الصّحوة الإِسْلَاميّة) بكامل طيفها وحركتها، فقد جاشت العَوَاطِف في صفوف الصّحوة قيادات وقواعد بشكل تلقائي، وبفعل التعاطف الدّين مع أخوة الدّين والعَقِيْدَة الّذين يتعرضون لحرب إبادة واحتلال غاشم، من قوة تمثل قمة الكفر والإلحاد من منظور الإِسْلَام والمُسلِمين، وهكذا انتقل الضوء الأخضر من أمريكا لأذيالها حكاما وحُكُومَات العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، لتشعله بدورها أمام الحركات الإِسْلَاميّة، لتشارك في هذا الحلف العريض غير المباشر الّذي التقت فيه الأغراض والمصالح، وكان للدول العربيَّة والإِسْلَاميّة مصالح في هذا الضوء الأخضر استجابة للسيد الأمريكيّ، وهي تلميع سمعتها بمساعدة المُسلِمِين، وفتح باب الهِجرَة للصحوة وكوادرها، ولاسيما السّياسيّة والجهاديّة فيها لتنفس عن رغباتها ومشاعرها الأصوليَّة بعيدا، هناك عَلى بعد آلاف الكيلومترات، ولعلها تلقى بغيتها في الشَّهَادة في سبيل الله، ويستريح الحكّام من ضوضائها في بلادهم.

وهكذا وباشتعال الضوء الأخضر أمام الصّحوة، اشتعلت خطب الجمعة والمحاضرات والمؤتمرات، والمهرجانات والمنشورات والمُؤلّفات والصّحف، وكل وسائل التعبير والدعاية في أوساط الصّحوة، تروج للجِهَاد الأفغاني وتنادي (يا خيل الله اركبي).

فركبت عشرات الألوف ممن كتب لهم السعادة بالمشاركة.

[وألفت النَّظر إلى أَنّي أكتب هذه الفقرة كشاهد عيان وكمشارك خلال تلك المَرحَلَة، حيث شهدتها منذ(١٩٨٧) وإلى (١٩٩٢)، ثمّ واكتبها متابعا عن كثب إلى (١٩٩٦)، حيث عدت للحضور ميدانيّاً في شوطها الثّاني المختلف كليا عن الشوط الأوّل خلال الفترة الممتدة من أواسط (١٩٩٦) وإلى نهايته في ديسمبر (٢٠٠١).].

وهكذا وجدت آنذاك مختلف شرائح وجماعات وتنظيمات الصّحوة الإِسْلَاميّة ومدارسها المختلفة فرصة للتأييد والاستفادة من تلك السوق الرائجة، الّتي كانَ لكل فيها هدفه وبغيته من تلك المشاركة وليس هنا محل استعراض أهداف كلّ فريق منهم وما استفاده وما حققه، وإنما ذكرته لأهمية هذه المحطة المباركة عَلى التّيار الجِهَاد المعاصر خلال تلك المَرحَلَة وما تلاها إلى اليَوْم بل وعلى المستقبل فيما أعتقد.

وهكذا قام حلف غير مباشر بين مختلف من جمعهم العداء للشيوعية والإتحاد السُّوفيتيّ، أو كانَ لهم غرض في مواجهته والقضاء عليه، بدا من أمريكا وحلفائها في المُعَسْكَر الغربيّ، وانتهاء بأعدائهم في التّيار الجهاديّ، ومرورا بحلفائهم حُكَّام بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ وكذلك مختلف أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة، عَلى اختلاف منظور مدارسها لأمريكا والغرب والحُكُومَات.

وهنا أحب أن أشير إلى إشكاليتين، وقل إن شئت كذبتين ضخمتين فرضهما الإعلام الغربيّ والأمريكيّ خاصّة، والإعلام التَّابع لهم في بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، حيث يجب توضيح حقيقتهما للنَّاس عامة وللإسلاميين والجهاديّين وجمهورهم خاصّة، وهما:

١. **دور أمريكا في انتصار الجِهَاد الأفغاني.**
٢. **شبهة عمالة المُجَاهدين العَرَب ومن شارك في الجِهَاد الأفغاني من الإِسْلَاميّين لأمريكا وارتباطهم بـ (CIA) خلال تلك القضية، كما يزعم اليَوْم الإعلام الغربيّ وأتباعه:**

وأعود للتذكير بأن قيمة شهادتي هذه، تأتي من ميدانية مشاركتي وقربي من مصادر المعلومات وممن أدار الأحداث، خلال تلك الفترة في أوساط الجهاديّين والإِسْلَاميّين من عرب وأفغان.

١. **دور أمريكا في انتصار الجِهَاد الأفغاني:**

لقد سعى الإعلام الأمريكيّ بمختلف وسائله الّتي يسطر عليها اليَهُوْد والصّليبيّون المتصهينون إلى التصوير بأن انتصار الجِهَاد الأفغاني كانَ مجرد نجاح للسياسة الأمريكيّة وبَرَامج (CIA) في أفغانستان، وقد تحقق لأمريكا انتشار هذه الدعاية الكاذبة إلى حد كبير، فقد عملوا عَلى ذلك عبر مختلف وسائل الدعاية، بدءا من أفلام (رامبو) وغزواته الميمونة إلى أفغانستان، حيث أسقط الطائرات،

ودمر الحصون، وحرر الرهائن من الأفغان والأمريكان (المُجَاهدين!) معهم، وركب الخيل، وقاد المدرعات وحلق في السّماء بالهليكوبتر الرُّوسية!! وجرح مرارا ولم يمت، وانصهر داخل مدرعة مدمرة ولم تذب عضلاته المفتولة !! واستطاع أن يمطر المشاهدين المعجبين بعضلاته الأمريكيّة بسيل من الحكم والدعايات السخيفة من شفته المتدلية نصف المشلولة، وأوصل في النهاية الرّسالة عن رحمة أمريكا بالمستضعفين ونصرتها للمظلومين، وحرصها عَلى مساعدة المُسلِمِين، ودورها الرَّئيسي في انتصار الأفغان الّذين تولى الفيلم الخيالي إظهار إعجابهم وحبهم لأمريكا ! وهكذا عادت عضلاته إلى قواعدها سالمة، إلى (هوليود) ليتابع حفلات والرقص المجون مع غانياتها الحسان، كرمز معبر فعلا عن أمريكا وعضلاتها المفتولة وعقلها الصغير وشفتها نصف المشلولة لتي تفتعل الحكمة!!

كما ركز الإعلام الأمريكيّ مستخفا بعقول من صدّقه، عَلى دور صواريخ (ستنغر) في انتصار الجِهَاد الأفغاني، وكيف أنه قلب موازين المَعْرَكة، عندما بدأت تتساقط الطائرات الرُّوسية به، مما أدى لتحول مجرى المعارك من هزيمة المُجَاهدين إلى انتصارهم!! وقد نشرت هذه الكذبة عبر مختلف وسائل الإعلام والدعاية، من الأفلام الوثائقية إلى الكتب إلى الصّحف، إلى مذكرات ضباط الإستخبارات، إلى غير ذلك.

علما أن الإِعداد المحدودة من صواريخ (ستنغر) الأمريكيّة، قد دخلت أفغانستان بعد عشر سَنَوات من دخول الرُّوس، وقبيل انسحابهم بقليل، ولم يستخدم في المعارك الحاسمة الأخيرة إلا نادرا، ولم يسقط به إلا عدد محدود من الطائرات، ولم يره إلا النادر من مئات آلاف المُجَاهدين، وقد سرقت الإستخبارات الباكستانية حصتها منه، كعادتها في سرقة حصتها من كلّ المساعدات المالية والعينية الّتي جاءت للمُجَاهدين الأفغان من السيارات ومواد الإغاثة المختلفة والعتاد والسّلاح والذخائر، الّتي كانت تمر إجباريا في باكستان في طريقها إليهم.

فما أدري حقيقة كيف استساغت العقول هذه الكذبة الكبرى، في دور هذا الـ (ستنغر) في انتصار الجِهَاد الأفغاني الّذي شارك فيه ملايين الأفغان وانتظم في صفوف أحزاب المُجَاهدين خلاله أكثر من مليون مُجَاهد مسلح، وقدم الشعب الأفغاني خلاله أكثر من مليونيين من الشّهداء، وخمسة ملايين

مهاجر، من شعب كانَ تعداد سكانه لا يجاوز ١٦ مليون نسمة، وما أدري ما دور (ستنغر) في تدمير أكثر من خمسين ألف آلية روسية عسكريّة، وقتل أكثر من / ٣٠/ ألف جندي روسي عَلى الأرض، وأكثر من / ١٥٠/ ألف من المليشيات الشُّيُوعِيّة الأفغانية، عدا مئات آلاف العمليَّات خلال جِهَاد استمر لأكثر من خمسة عشر سنة، وابتدأ قبل الغزو الرُّوسي بخمس سنين، واستمر بعدها ثلاث سنين، إلى أن سقطت كابل بيد المُجَاهدين، أي من (١٩٧٣-١٩٩٢)، ورغم سخافة هذا الكذبة (الاستنغرية) وتهافتها أمام أبسط المعلومات عن سير الجِهَاد الأفغاني، ولكنها وجدت طريقا إلى عقول ملايين السذج من رواد الشاشات الصغيرة والكبيرة، وهذا هو سحر الإعلام الأمريكيّ، وميدان انتصار هَؤُلَاءِ الجبناء المخادعين، الّذين استخفوا بعقول أكثر البشر فأطاعوهم وللأسف !!

٢. شبهة عمالة المُجَاهدين العَرَب لأمريكا وارتباطهم بـ (CIA) خلال الجِهَاد الأفغاني:

من العجيب اليَوْم، أن البَرَامج الإعلاميَّة العَالَمِيّة والعربيَّة من أفلام ومقابلات وتحليلات وصحف وكتب وسواها، تمر بهذه (الكذبة) بسرعة مرور الكرام، وتنتقل لمواضيع أُخرى عَلى أنها شيء مسلم به معروف بديهي !!

فيقدمون للنَّاس كذبة كبرى عَلى أنها حقيقة مفادها:

أن المخابرات الأمريكيّة (CIA) هيَ الّتي صنعت (الأفغان العَرَب) وزعماءهم من أمثال الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن، والشَّيْخ عبدالله عزام، من أجل تدمير الاتحاد السُّوفيتيّ، وان هذه الصنائع انقلبت عليها اليَوْم، ودمر بعضهم أبراجها في نيويورك وواشنطن، في حين عاد أكثرهم إلى بلادهم لضرب مصالحها وقتل رعاياها، ومحاربة أوليائها من حُكَّام بلاد العَرَب والمُسلِمين، وأن ظاهرة الجِهَاد المُسلّح في بلاد العَرَب هيَ إفراز للجِهَاد الأفغاني، وبالتالي صنيعة الإستخبارات الأمريكيّة، وقد خرجت عن الطوق، ويقولون أن أمريكا قد وقعت في حال المثل السائر عندهم: (من يصنع الأشباح تخرج له).

فما حقيقة هذه الفرية البالغة الخطورة عَلى سمعة الجِهَاد والجهاديّين في هذا العصر.

أوضح ذلك من خلال النقاط الموجزة التّالية بعون الله:



- **أما أن ظاهرة الجِهَاد المُسلّح في بلاد العَرَب والمُسلِمين هيَ إفراز لتجمع الأفغان العَرَب في الجِهَاد الأفغاني فالحقيقة هيَ العكس تماما.**

والحقيقة هيَ أن الجِهَاد العربيّ في أفغانستان هو نتيجة للجِهَاد العربيّ قبله، وهو أحد إنجازات التّيار الجهاديّ العربيّ في بلاد العَرَب وأحد إفرازاته ومراحل تطوره فكما مر سابقا.

فإن التّيار الجهاديّ المعاصر هو وليد الصّحوة الإِسْلَاميّة الّتي نشأت مطلع لثلاثينات، وقد أنفصل عنها مطلع الستينات، وقد قامت كثير من التَّجَارب الجهاديّة ما بين مطلع الستينات ومطلع الثمانينات، أي قبل من الجِهَاد الأفغاني بعشرين سنة، بل إن القيادات والكوادر والرموز وأركان الجِهَاد العربيّ في أفغانستان، هم من بقايا وكوادر ورموز وشيوخ التّيار الجهاديّ العربيّ، فالشَّيْخ عبدالله عزام من رموز وقدماء المُجَاهدين في فِلَسطِين، وقد نفاه النّظام الأردني من عمان لطروحاته الجهاديّة ومعارضته للنظام، والشَّيْخ أُسَامَة بن لادن تربي في الصّحوة الإِسْلَاميّة، ودعم أكثر من حركة للجِهَاد في بلاد العَرَب، وساهم في دعم الجِهَاد في سوريا مطلع الثمانينات، قبل أن يتوجه إلى أفغانستان، وكذلك فإن كثيرا من الكوادر الّذين يصعب حصرهم هنا، من المدربين والقادة الميدانين الأوائل الّذين حملوا مهمة إنشاء المُعَسْكَرَات وإقامة البنية الأساسيّة للجِهَاد العربيّ في أفغانستان، كانوا من كوادر تنظيمات الجِهَاد العربيَّة ولاسيما من مصر وفلسطين وسوريا ولبنان واليمن، وغيرها، وهم الّذين كانوا نواة التجمع العربيّ الّذين تولوا العمل في مجالات التّدريب والإعلام، والعمل العسكريّ، والعمل الإغاثي الميداني وسوى ذلك من الأعمال، إلى أن تقاطر المُجَاهدون من البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة وتزايد الجمع الّذي ابتدأ بكوكبة صغيرة سنة ١٩٨٤، فتصاعد منذُ (١٩٨٧) وإلى (١٩٩١) ليبلغ زهاء أربعين ألفا من المُجَاهدين العَرَب مع مطلع التسعينات،

- أما عن العلاقة المزعومة للجِهَاد العربيّ في أفغانستان بالأمريكان ومنظمتهم البائسة (CIA)، فإن كانَ لهؤلا ء الأوغاد من دور فهو في الإجازة والضوء الأخضر الّذي أعطوه لأزلامهم من حُكَّام بلاد العَرَب والمُسلِمين بأن يسمحوا للشباب المُجَاهدين بممارستهم حقهم الطبيعي وأوامر دينهم بأن يتوجهوا إلى أفغانستان، وأن تتركهم مخابرات تلك البلاد المجرمة في حال سبيلهم، ولا

تعترضهم وهم يذهبون إلى أداء الفريضة الشَّرعيَّة، وكذلك في الدَّور المحدود لأجهزة إعلام تلك البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة في الترويج للجِهَاد الأفغاني، وفي دور أمريكا بالإيعاز للسعودية في أن تفتي مؤسستها الدّينيّة المأجورة، بأن الجِهَاد فرض عين في أفغانستان- وهي حقيقة - وفي أن تترك المجال للدعاة الصّالحين من أئمة الدّعوة والإصلاح في السّعُودِيّة أن يجهروا بهذه الحقيقة الشَّرعيَّة، وأن تتيح للشعب في بلاد الحرمين أن يُؤَدِّي فريضة الجِهَاد بماله لنصرة أخوة العَقِيْدَة والدّين، وأن تشجع من أراد من الشَّبَاب الذهاب إلى هناك، حتَّى بلغ ذلك أن تخفض شركة الطيران السّعُودِيّة ثمن تذكرة الطائرة من السّعُودِيّة إلى باكستان بنسبة (٧٥٪) لمن يريد الذهاب للجِهَاد في أفغانستان ليصبح أقل من تكلفة رحلة داخليَّة، ولاشك أنه كانَ لآل سعود مصالحهم الدعائية وغير ذلك من هذه التسهيلات، كما ساهمت أمريكا بإيعازها لباكستان بأن تفتح سفاراتها لإعطاء إجازات الدخول (الفيزا) للشباب العربيّ والمسلم من كلّ مكان للذهاب عبر أراضيها إلى أفغانستان، وأن تسمح للعرب بحرية الحركة، الّتي بلغت حد فتح المُعَسْكَرَات عَلى الأراضي الباكستانية قرب أفغانستان للتدريب، وتقديم الخدمات اللوجستية للجِهَاد الأفغاني، ولاشك أنه كانَ لباكستان مصالحها الإقليمية والوطنيّة في هٰذا، ولا محل لاستقصاء هذه الجزئيات هنا، بل كانَ هناك أيضا مصالح شخصية لمليونيرات الحُرُوب من الضُّبَّاط في الجيش والإستخبارات والشّرطة الباكستانية من تحرك هذا الكم من البشر والأموال بين الخارج وأفغانستان عبر أراضيهم، فإذا كانت الإجازات الأمريكيّة لعملائهم الصغار، تعتبر مساهم في صناعة الجِهَاد العربيّ في أفغانستان فهو ذلك لا أكثر، وكان لعملائهم الصغار من الحكَّام في السّعُودِيّة والباكستان ومصر وغيرها مصالحهم في ذلك.

- **أما ما يزعم من تدريب الأمريكان للعرب، أو ترتيب بَرَامجهم، أو معاونتهم عَلى العمل العسكريّ، أو أي علاقة عمليَّة عَلى الأرض، فهذا محض كذب وافتراء.**

ولقد عملتُ شخصيا في مجالات التّدريب العسكريّ، وكمحاضر في المجالات الفكريّة والمنهجيّة، وكنت عَلى تماس مع قيادات الجِهَاد العربيّ في أفغانستان، وأستطيع من خلال ذلك أن أشهد

وأؤكد أن هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة، ولست هنا في مجال التّاريخ للجِهَاد العربيّ في أفغانستان، حتَّى أسرد وقائع التّدريب وآلية العمل، ولقد كانَ بالمختصر مجموع جهود فرديَّة مخلصة، ابتدأت بالكوادر الجهاديّة القديمة وبعض الكوادر العسكريّة المحترفة من المتقاعدين أو المبعدين عن الخدمة في جُيُوش عدد من الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة، والّذين كانَ لمساهماتهم دور مفيد جدا، ثمّ بدأت تتراكم وتتجمع خبرات الكوادر الناشئة في السَّاحَة.

والمطلع عَلى الوضع الفكريّ والنّفسي والمنهجي، وعلى المشاعر تجاه الأمريكان والغرب والكفار عموما، بل وحتى تجاه حكامنا بل وصغار أعوانهم، لدى القيادة الجهاديّة العربيَّة وقواعدها من الشَّبَاب في أفغانستان وسواها، يعلم أن هذه الدعوى غير واردة وغير ممكنة.

أما حقيقة أن مصالح وأهداف كافّة أطراف الحلف غير المباشر الّذي ذكرته، من أجل حرب الإتحاد السُّوفيتيّ، كلا عَلى حدة عمليا، ومجتمعين عَلى هدف واحد، فحقيقة واقعة وكثيرا ما تكررت في دنيا السّياسة وتقاطع المصالح عبر التّاريخ، وما تزال تتكرر هنا وهناك وهذا من طبائع الأشياء.

فقد أرادت أمريكا هزيمة الإتحاد السُّوفيتيّ والانتصار في الحَرب الباردة، بعد أن كال لها الإتحاد السُّوفيتيّ وحلف وارسو ضربات موجعة في أكثر من مجال، وكانت قضية أفغانستان فرصة ذهبية للأمريكان، وقد استغلوها بصورة صحيحة وحصلوا عَلى ما أسماه نيكسون في كتابه الشهير (نصر بلا حرب)، فحققوه بكل جدارة يحسدون عليها.

وأرادت أوربّا الغربيّة ودول حلف الأطلسي تحقيق مكاسب ووضع موطئ قدم لها هناك فشاركت في ذلك المولد لمصالحها الخاصّة كدول أوربية، وكلا لمصالحها منفردة، وحصل لكل دولة ما أرادت بشكل نسبي، واليوم تنتشر المؤسسات الأوروبية المختلفة تحت شعار الخدمات الإنسانية لتقتطع المكاسب المغرية من الملعب الأفغاني كلا بحسب حضورها السابق واللاحق.

وأرادت الباكستان تحقيق مصالح قومية وإقليمية يضيق المكان عن حصرها هنا بل إن ذكر ما حققته الباكستان يحتاج كتابا مستقلا، وقد قدمت لأمريكا في الملعب الأفغاني ما أرادت من خدمات ؛ لدعم الجِهَاد الأفغاني أولا، ثمّ لتمزيق مكتسباته ثانيا، ثمّ لتدمير أفغانستان في حرب أهلية ثالثا، ثمّ

لُمَوَاجَهة طالبان وإسقاط دولتهم رابعا، ثمّ لقتل المُجَاهدين العَرَب وتسليمهم لأعدائهم خامسا، ثمّ تشرع الآن لبيع قضية كشمير سادسا، ولتدمير البنية التحتية للإسلاميين داخل باكستان ذاتها سابعا، والحبل عَلى الجرار، وهكذا نفذت الحُكُومَات الباكستانية ما أرادت أمريكا دائما، ولعنة الله عَلى الظَّالمين والمُنَافِقين.

وقل مثل ذلك عن باقي الأدوار في أفغانستان للسعودية، ومصر، وسواها، وعن الهند، ودول وسط آسيا، وإيران، والصين من دول الجوار، الّتي لعبت لعبتها أيضا، وصولا إلى حركات الصّحوة الإِسْلَاميّة والجهاديّة وكل من دخل اللعبة الأفغانية فكسب أو خسر.

و يصح هذا عَلى مختلف التَّنظِيمات العربيَّة والإِسْلَاميّة الّتي حضرت أفغانستان.

باختصار لقد صارت قضية الجِهَاد الأفغاني منطقة تقاطع مصالح عالميّة وإقليمية ندر أن يتكرر مثلها، فاجتمع الجميع عَلى الإتحاد السُّوفيتيّ، وكان لكل نيته وأهدافه.

أما عن مصالح الحركات الإِسْلَاميّة غير الجهاديّة، فكانت شتّى، تتراوح بين النِّيَّة الحسنة في خدمة أخوة العَقِيْدَة والدّين، وبين المصالح الذاتية لكل حركة من الحركات، من المكاسب الدعوية والتَّنظِيمية والمادية، وصولا إلى المصالح الذاتية والشخصية لبعض الأفراد.

فماذا كانَ هدف الجهاديّين من الحضور إلى أفغانستان؟!

لقد كانَ هدفهم منحصرا بعد نية الجِهَاد وأداء الفريضة، والبحث عن الشَّهَادة في سبيل الله، من قبل غالب قياداتهم وأفرادهم، كانَ هدفهم أمرين استراتجيين أثنين. أذكرهما بحسب أهميتهما وبحسب ما لمست شخصيا بسبب تماسي المباشر، بل عضويتي في التّيار الجهاديّ، ومن ثمّ هذا الجمع الّذي أطلقوا عليه الاسم (الدراماتيكي) الجميل الّذي أحبه وأنتمي إليه وهو: (**الأفغان العَرَب**):

١. **أما الهدف الأوّل لمعظم الكيانات والتَّنظِيمات والكوادر الجهاديّة، فكان الإِعداد والتّدريب**، وترتيب الصفوف، وجمع الكوادر، وتجنيد العناصر، وإقامة العلاقات العامّة، واستقطاب أموال التبرعات، وتدريب أفراد التَّنظِيم، من أجل قضيتهم الذاتية في بلادهم، وهو الهدف الّذي سيطر عَلى تفكير معظم إن لم يكن كلّ التَّنظِيمات الجهاديّة العربيَّة، وسواها من

الأعجمية، وهو: (**إسقاط حُكُومَات الرِّدَّة القائمة في بلادها كلا بحسبه وإقامة حُكُومَات إسلاميّة تحكم بشرع الله**).

٢. **العمل عَلى تحرير أفغانستان**، وإقامة حُكُومَات إسلاميّة شرعيّة فيها، تكون منطلقا لإقامة شرع الله في الأرض، وملاذا آمنا، وقاعدة خلفية للجِهَاد ضدّ مختلف أعداء الله وفي كلّ قضايا المُسلِمِين، بدءا من فِلَسطِين وانتهاء في كلّ قضية للإسلام فيها نصيب وهوية..

ولقد تراوح الجميع في نيتهم بين هذين الهدفين بنسبة تقل أو تكثر، بحسب اختلافهم في توجهاتهم.

حتَّى بالنسبة لي شخصيا، فقد كانَ هدفي الّذي حملني إلى أفغانستان، والّذي فشلت في تحقيقه فيها خلال شوطها الأوّل (١٩٨٧-١٩٩٢)، فقد كانَ إعادة بناء تنظيم جهاديّ يعمل عَلى متابعة المشروع الجهاديّ الّذي قام في سوريا (١٩٧٥-١٩٨٢)، وانهار لأسباب ذكرتها مفصلة مع تاريخه، في كتابي الموسع (الثَّورة الإِسْلَاميّة الجهاديّة في سوريا- آلام وآمال) والّذي نشرت الطّبعة الأولى منه في بيشاور (١٩٩٠م)، بالإضافة لقناعتي بالهدف الثّاني ومساهمتي فيه وأسأل الله القبول، ثمّ أثرت فيَّ أفغانستان، وغيرها من التَّجَارب بعد ذلك إلى الإتجاه الأممي الجهاديّ العَالَمِيّ فيما بعد، وإلا فإني قدمت أفغانستان أولاًمثل غيري لذلك السبب الخاص ببلادي ومصيبتها الذاتية.

فهل حقق التجمع الجهاديّ العربيّ أهدافه هناك، وسط تضارب زحمة أولئك المجتمعين عَلى هزيمة الدب الرُّوسي العنيد؟؟

أعتقد أن قسطا كبيرا من تلك الأهداف قد تحقق، وليس هنا محل سرد التفاصيل الّتي لعلي أسجلها إن يسر الله لي الكتابة في تاريخ ودروس تجاربنا خلال الشوطين الجهاديّين للأفغان العَرَب في أفغانستان (١٩٨٤-١٩٩٢/ ١٩٩٦-٢٠٠١).

وأكتفي هنا بالقوال بأن المكسب الأكبر للتيار الجهاديّ من تلك التَّجربة، هو عولمة التّيار الجهاديّ فكرياً وحركيا، وتبادل الفكر والخبرات، والتعارف بين كوادره من البلاد المختلفة، ثمّ انتشار ذلك في مختلف أقطار الدُّنيَا، لقد كانَ هذا أكبر المكاسب.

بالإضافة لتحقيق أكبر نصر عسكريّ للمسلمين في تاريخهم الحديث، وإثبات قدرة الإِسْلَام والمُسلِمين عَلى هزيمة القوى العظمى، رغم تفاوت الإمكانيَّات، وزرع هذه القناعة في أمة أوشكت تقتنع بقدر الهزيمة.

والمكاسب كثيرة، بالإضافة للمكاسب الشَّخصيَّة الّتي حققها من تقبل الله منه بعد أن شرفه بالحضور والمشاركة ممن قضى نحبه وممن ينتظر.

وأما الخسارة الأساسيّة في نظري، فهي في أن الظّروف من جهة، والجمع غير المتجانس من جهة أُخرى، وكذلك عدم تحلي القيادات الّتي أدارت ذلك الجمع الجهاديّ بالقدرة عَلى توليد تجمع أو تيار جهاديّ عالمي منظم، يفرض حضوره ومساهمته في قضايا الأُمّة وساحة الصّحوة الإِسْلَاميّة، وقد توفرت بحسب ما أظن ظروف دولية، وكم من الشَّبَاب والكوادر والرموز والدعاة وقدماء المُجَاهدين من بلاد متعددة، ومن توفر الأموال وغير ذلك من المعطيات، ما كانَ يمكّن من ذلك، في فرصة نادرة الحدوث، ولكن قدر الله وما شاء فعل ولست هنا بصدد تناول أسباب ذلك.

وأما عَلى صعيد من ينسب الإعلام إليهم تهمة علاقتهم بـ (CIA) وأنها أنشأتهم من أجل تدمير الإتحاد السُّوفيتيّ، فكلام بَاطِل أيضا، وعلى سبيل المثال فمن أشهر من تناولهم هذه التهمة.

الشَّيْخ عبدالله عزام رحمه الله:

وقد عرفته وكثيرا ما ترددت إليه، وقد عملت فترة قصيرة معه، وكان جل عملي أيّامها مع الشَّيْخ أُسَامَة حفظه الله، فكان هدف الشَّيْخ عبدالله موجزا، وكثيرا ما تحدث عنه بنفسه وسجله في أشرطته ومحاضراته وهو:

١. إقامة الدّولة الإِسْلَاميّة في أفغانستان.

والانطلاق جغرافيا منها في عمليَّة تحرير إلى ما شاء الله من البلاد وإلى فِلَسطِين والقُدس بشكل أساسي، وكان يحدث عن فتح موسكو وبكين وبيت المَقْدِس من أفغانستان، وكانت هذه آماله ولسان حاله رحمه الله، كما قَالَ الشاعر:

على قـدر أهل عزم تأتي العزائمُ وتأتي عَلى قـدر الكرام المكارمُ

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العـظائمُ

ذو العـقل يـشقي فـي النعيـم بعـقله وأخو الجهالة بالشقاوة ينعـمُ

ولمن ينكر مثل هذه الآمال من الأقزام اليَوْم، ولاسيما ممن ينسبون أنفسهم للصحوة الإِسْلَاميّة، لم ينس المتبني– لله دره– قائل هذه الأبيات، أن يضيف:

ومـن البلية نصح من لا يرعوي عـن غـيه وخـطاب من لا يـفهـمُ

٢. (عسكرة شباب المُسلِمِين):

وكان هذا الهدف الثّاني للشيخ عبدالله، ﷀ وأكرم نزله وهو باختصار، **نشر التّدريب العملي تدريبا ومساهمة في القِتَال**، ونسأل الله أنه يجعل له مثل جميع أجور الأفغان العَرَب لا ينقص من أجورهم شيئا إن شاء الله، لأن الشَّيْخ كانَ هو المؤسس والمربي، والمظلوم الّذي لم تعرف الأُمّة حقه ولاحق تراثه إلى اليَوْم، ببركات المنتفعين من قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة، وجهود أعداء الإِسْلَام ممن يعرفون قيمة أمثاله ويعملون عَلى دفن آثاره ﷀ.

فقد كانَ يقول: (**أريد أن يأتي من كلّ بلد عربي ولو أربعين مُجَاهدا فيستشهد نصفهم ويعود نصفهم إلى بلاده ليحمل دعوة الجِهَاد**..) ولقد حصل له ﷀ أكثر مما أشتهى.

فقد حضر إلى أفغانستان أكثر من (٤٠) ألف شاب عربي ومسلم غير أفغاني، وتدرب عسكريّاً أكثر من نصفهم، وشارك في القِتَال أكثر من نصف الّذي تدربوا، ولم يتجاوز عدد الشّهداء ما يزيد عن نسبة زكاة المال ٢، ٥ ٪، فقد كانوا (خلال ثماني سَنَوات) زهاء ألف شهيد رحمهم الله تَعَالَى.

وكان لهذا الجمع دور تاريخي سآتي عَلى ذكر بعض جوانبه بعد الانتهاء من الردّ عَلى هذه الفرية العجيبة، وهي: **دعوى صناعة (CIA) وأمريكا للتجمع الجهاديّ العربيّ في أفغانستان ثمّ إنقلاب الجمع عليها.**

والناظر في أشرطة وكتب وخطب وتراث الشَّيْخ الشّهِيد عبدالله عزام- أبو محمّد- رحمه الله، يرى المساحة الهائلة الّتي زرعها في قلوب أتباعه وقرائه من الكراهية والحقد المقدّس عَلى أمريكا وأعوانها، وعلى المرتدّين وأزلامهم، كيف لا؛ وهو من ضحاياهم في فِلَسطِين والأردن ثمّ باكستان حيث قتلوه بأوامر أمريكية في عهد (بنزير بوتو) ووزير داخليتها (بابر)، **الّذين تبقى مهمة الاقتصاص منهم أمانة في أعناق أجيال المُجَاهدين**، قتل الله المجرمين وتقبله في الشّهداء،

وأما أنه أفتى في كتابه القيم (الدّفاع عن أراضي المُسلِمِين أهمّ فروض الأعيان) بجواز أخذ المساعدات من الأمريكان لجِهَاد الرُّوس المعتدين أو العكس، فهو صحيح، وهي حال الضَّرورة الّتي تلجئ إليها المُسلِمِين، إذا دهمهم صائل وأشفوا عَلى الهلكة، وهذا أمر معروف، يقدره الفقهاء بشروطه، وقد أفتى الشَّيْخ للأفغان أن يأخذوا المساعدات من أمريكا ومن المرتدّين من حُكَّام العَرَب ومن سواهم، **وأما الجمع الجهاديّ العربيّ فقد كانَ جمعا معطيا لا آخذا، فقد انهالت عليه التبرعات بمئات الملايين من الدّولارات من زكاة أموال المُسلِمِين وتبرعاتهم، فأخذ الجمع حاجته من مصاريف الجِهَاد والإِعداد وكفالات أسر المُجَاهدين والشّهداء العَرَب وأنفق أكثر المال عَلى الجِهَاد الأفغاني ذاته**، كما أوصل المُجَاهدون العَرَب بأمانه ما جاء وقفا عَلى الجِهَاد الأفغاني ذاته لأصحابه من المُجَاهدين والمُهَاجِرين من أيتام وأرامل ومحتاجين، هذا عن دور الشَّيْخ عبدالله عزام.

أما الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن حفظه الله:

فقد أخذ حظا أكبر من هذه التهمة وذهب الإعلام مذاهب شتّى في تهمته، فقد تناولته كتب وأبحاث كثيرة لكتاب صليبين عرب وأجانب بهذه الفرية وذهبوا بعيدا، إلى الحديث عن علاقة وثيقة لأسرة بن لادن، وعن تجارة بترولية بين الرَّئيس بوش الأب وأحد أخوة الشَّيْخ أُسَامَة، وعن عمل بن لادن مع المخابرات السّعُودِيّة في بيشاور في ترتيب الجِهَاد العربيّ في أفغانستان، والحقيقة أن المخابرات السّعُودِيّة كانت تشرف عَلى مساهمات السّعُودِيّين، وتداخلت عناصرها من خلال الإِسْلَاميّين السّعُودِيّين، نتيجة حجم المساعدات الواردة من السّعُودِيّة، وكان التّعاون مع الجهات الرَّسميَّة السّعُودِيّة قائما فعلا، وتتحدث التهم والخيالات الإعلاميَّة عن ربط المخابرات السّعُودِيّة لابن لادن

بالمخابرات الأمريكيّة، بل ذهب البعض إلى أبعد من ذلك، ليجعلوه عميلا موظفا رسميا في (**CIA**)! وأنه أنقلب عليهم بعد ذلك عندما غزوا السّعُودِيّة واستقروا فيها بعد ما سمي (حرب تحرير الكويت) وأنه فعل ذلك استجابة للشعور الدّيني والوطني! وذهب البعض أبعد من هٰذا، ليعتبروه مازال عاملا معهم، وأنه ضرب نيويورك لصالحهم! سواء شعر أم لم يشعر، وأن الإستخبارات الأمريكيّة أغفلت المعلومات المتوفرة لديها عن ذلك، ولم تمنع العمل كي تبرر أمريكا غزوها لبلاد العَرَب والمُسلِمين وتدمر أفغانستان وتحتل العراق!! واستشهدوا عَلى ذلك بأنهم لم يعثروا عليه حتَّى الآن عمدا!! إلى آخر ما يصل به الخيال والخرافات واللامعقولية المتعمدة وغير المتعمدة.

وحقيقة الأمر أبسط من ذلك ولا تحتاج كلّ هذه التعقيدات، ولئن قدر الله لي وتناولت في كتاب مستقل يتعلق بتلك الأحداث، وأرخت لتلك المَرحَلَة، لكتبت ما يشفي إن شاء الله من الحقائق الميدانية، عن أحداث عشتها بنفسي وعاصرت أصحابها وعملت معهم، أو بقربهم عبر مسار التّيار الجهاديّ وإلى الآن ولله الحمد.

وأما عَلى سبيل الإختصار فأقول:

كانَ الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن- فرج الله كربته وحفظه - قد بدأ مشواره إلى أفغانستان بعيد احتلال الرُّوس لها مقدما للتبرعات المالية، وقرر- فيما بلغني عن الثقات ممن عاصروا تلك المَرحَلَة - الاستقرار والتفرغ للجِهَاد ميدانيّاً إلى جانب الأفغان مطلع سنة (١٩٨٦)، بعد تأسيس الشَّيْخ عبدالله عزام لمكتب الخدمات سنة (١٩٨٤)، فعمل معه مدّة، ثمّ بدا له أن يستقل فأنشأ تنظيم القَاعِدَة مطلع سنة (١٩٨٨) بعد ازدياد وفود المُجَاهدين العَرَب ولاسيما من السّعُودِيّة واليمن - وهي ميدان صلاته ومعرفته- إلى أفغانستان.

وكانت حركته من السّعُودِيّة علنية مشروعة، لم تتصادم مع توجهات الحكومة بل اتفقت مع توجهاتها الأمريكيّة الأصل في دعم الجِهَاد الأفغاني، وبقي الحال كذلك إلى سنة (١٩٩٠م) حيث شكلت حرب الكويت إشكالا شرعيا وعقديا لعموم تشكيلات المُجَاهدين الأفغان العَرَب، ومن

ضمنهم عناصر القَاعِدَة الّتي تولى التّدريب والتوجيه والتّربية الفكريّة فيها عناصر من التّيار الجهاديّ من مصر وسوريا وغيرها وأثروا في هويتها الفكريّة.

وقد شكل الشَّيْخ أُسَامَة القَاعِدَة لأهداف جهاديّة في أفغانستان وفي خارجها، وذلك لدعم قضايا الجِهَاد وتنظيماتها في أماكن عديدة، وكان له مشروعه الجهاديّ الخاص في اليمن الجنوبي ضدّ الحكومة الشُّيُوعِيّة السَّابقة، وتحولت آمال مشروعه لتصبح عَلى مستوى اليمن الموحد فيما بعد، فكان مثله مثل عموم التَّنظِيمات الجهاديّة ذات المشروع الخاص، ومن هنا اتخذ من المشاركة في الجِهَاد الأفغاني ميدانا للإعداد والتّدريب لعناصر مشروعه، مثله مثل باقي الأفغان العَرَب، كما عمل كغيره للهدف العام، وهو العمل عَلى إقامة دولة إسلاميّة في أفغانستان بعد تحريرها.

وقد عملت بنفسي بصورة متقطعة في مجال التّدريب العسكريّ في مُعَسْكَرَات القَاعِدَة، خلال الفترة مابين مطلع (١٩٨٨) و(١٩٩١)، كما عملت محاضرا أيضا في المجالات المنهجيّة والسّياسيّة الشَّرعيَّة ودروس حرب العِصَابات فيها وفي غيرها من التَّنظِيمات، والمُعَسْكَرَات، واحتككت بمعظم الجهاز المؤسس والكادر العامل في إطار الجِهَاد العربيّ الأفغاني، ولم يكن للقاعدة في حينها أي توجهات أُخرى خارج أفغانستان ميدانيّاً، ولم يكن للشيخ أُسَامَة مشروعا مباشر إلا اليمن، بالإضافة للدعم المادي لقضايا وجماعات جهاديّة في أماكن كثيرة، **وهذا في حدود إطلاعي الّذي أعتقد أنه كانَ قريباً جدا من حقيقة الواقع لقربي من الشَّيْخ آنذاك** فقد كنت أحد أعضاء الصف الأوّل فيها حول الشَّيْخ.

وفي سنة (١٩٩١) غادرتُ أفغانستان عائدا إلى مقر إقامتي في أسبانيا وانقطعت علاقتي عمليا بهم إلى سنة (١٩٩٦) حيث تلاقينا في ضيافة طالبان.

كما غادر الشَّيْخ أُسَامَة ومعظم إدارته ومن تبقى معه من الكوادر إلى السُّودَان، ولم يكن قد تبدى عليهم أي توجه آخر في العمل.

كانت ساحة الجِهَاد العربيّ في أفغانستان أيّام جِهَاد السوفييت متداخلة جدا، وكان دور السّعُودِيّة ومؤسساتها الإغاثية وأجهزتها الاستخباراتية والعسكريّة كبيرا، وكان كثير من مسؤوليهم عَلى علاقة عمل مباشرة مع إدارت العمل العربيّ، الّذي كانَ الشَّيْخ عبدالله عزام والشَّيْخ أُسَامَة في رأس إدارته،

وكانا والآخرون من القيادات يرون ذلك مفيدا لدعم الجِهَاد الأفغاني، الّذي لا يخفي في ثناياه سرا يخشى عليه من وجود أشخاص يقدمون الدّعم له من الإستخبارات السّعُودِيّة أو الباكستانية، وأما من كانَ لهم مشاريع جهاديّة خاصّة فكانوا عَلى النقيض في قناعتهم، فلم يكونوا عَلى تماس بهَؤُلَاءِ ولا نظروا إليهم بعين الارتياح وكنت من هذا الفريق، رغم قربي من الدّائرة الأولى حول الشَّيْخ أُسَامَة في حينها وإلى (١٩٩١).

وأما أن هناك أمريكان قد دربوا المُجَاهدين العَرَب من جماعة القَاعِدَة أو غيرها أو قدموا لهم أي دعم فمجرد كذبة تافهة، إذ لم يكن هذا ليكون مقبولا ولا عَلى سبيل المزاح، فالوسط الجهاديّ العربيّ الّذي تسيطر عليه أفكار الوَلَاء والبَرَاء والمدرسة السّلفيّة الجهاديّة كانَ متوترا تجاه بعض الشخصيات الحُكُوميّة السّعُودِيّة الّتي تأتي لتقديم الدّعم وربما دخلت بعض المضافات أو المُعَسْكَرَات العامّة المفتوحة (مثل الملحق العسكريّ في السفارة السّعُودِيّة- أبو مازن-) فكيف بمثل هذه الأفكار عن أجانب أو أمريكان.

لكن الّذي لم أر وسائل الإعلام أو الكتب الّتي تتعرض للشيخ المُجَاهد أُسَامَة بن لادن حفظه الله قد تعرضت له عَلى أهميته في تفسير ما جرى في تلك المَرحَلَة وما بعدها، فهو:

توقيت التغير الفكر والمنهجي لدى الشَّيْخ أُسَامَة، والّذي انعكس موقفا وتوجها عليه وعلى القَاعِدَة ضدّ أمريكا فيما بعد.

فقد كانَ هناك عاملين أساسين قد سببا ذلك وهما بتسلسل الأهمّيّة:

١. أن الشَّيْخ أُسَامَة قد بنى القَاعِدَة عَلى جهود كوادر من تنظيم الجِهَاد المصري أساسا، مع بعض الّذين ساهموا في التّدريب من كوادر التّيار الجهاديّ في مناطق أُخرى، ولم يكن معظمهم أعضاء في القَاعِدَة، وإنما عَلى سبيل التّعاون وتبادل المنافع، فقام هَؤُلَاءِ الجهاديّون - وكنت من بينهم لفترة - ببث أفكارهم الجهاديّة حول الوَلَاء والبَرَاء والحاكِمِيَّة، وغيرها من الأمور السّياسيّة الشَّرعيَّة، وفقه الواقع في تلك المُعَسْكَرَات حيث وصلت الأساليب لحد تدريب السّعُودِيّين عَلى الرماية عَلى صور الملك فهد وكبار الأمراء السّعُودِيّين!

فأثروا مع الوقت عبر كتبهم ومحاضراتهم وأساليبهم ومناقشاتهم في قاعدة القَاعِدَة الشَّبَابية، ثمّ انتقل التّأثير ذاته للشيخ أُسَامَة مع الوقت، والّذي كانَ قد حضر إلى أفغانستان وهو مثل عموم الشَّبَاب السّعُودِيّ الّذي جاء للجِهَاد آنذاك يحمل منهج وبصمات فكر الصّحوة الإِسْلَاميّة في السّعُودِيّة، وهي مزيج فكر الإخوان المُسلِمِين والسّروريّة ودعاة المدرسة الوهابية الرسميين، - وأكتب هذا لعلمي بسبب قربي منه تلك الفترة ومناقشاته في ذلك مرات عديدة -.

وكان هو وعموم المُجَاهدين السّعُودِيّين يعتبرون أن الحكومة السّعُودِيّة شرعيّة، وأن الملك فهد وآل سعود مسلمون وأولياء أمور شرعيون، عَلى فسقهم ومظالمهم، ويكنون احتراما شديدا للعلماء الرسمين في هيئة كبار العُلَماء، ويلتزمون بفتاويهم.

ولم يكن بيننا كجهاديّين وبين أولئك الأخوة ومنهم الشَّيْخ أُسَامَة ذاته من حملة هذا الفكر قواسم مشتركة آنذاك إلا عموميات الإِسْلَام المتفق عليها، والعمل عَلى نصرة الجِهَاد الأفغاني، ولكن التناقض المنهجي والاختلاف في الفكر الجهاديّ وفهم الواقع ومنطلقات السّياسة الشَّرعيَّة كانَ جليا بيننا كجهاديّين وبينهم، والّذي حصل مع الوقت، أن الشَّيْخ أُسَامَة- حفظه الله - تدرج في القناعة وهضم الفكر الجهاديّ، وتقبله ثمّ تبناه ثمّ صار أحد رموزه، وأظن أن مما ساعد عَلى ذلك، إضافة للتأثير والاحتكاك بينه وبين الجهاديّين، كانَ العامل الثّاني وهو.

٢. موقف السّعُودِيّة ومؤسساتها الحاكمة وعلماء ها الرسميين من تداعيات حرب الكويت ووجود القوّات الأمريكيّة في السّعُودِيّة.

فإن ما تبع ذلك من تحولات، كشفت له حجم الكارثة، وعظم دور الكفر الحاكم في جَزِيرَة العَرَب، وعمق نفاق المؤسسات الدّينيّة الرَّسميَّة، وفهم بحكم ألمعيته وإدراكه للواقع، وذكائه الحاد، أبعاد أهداف الوجود الأمريكيّ في المنطقة، ووفرت له فترة الإقامة في السُّودَان (١٩٩٢-١٩٩٦) مدّة كافية للتفكير، إنتقل خلالها من المعارضة الإعلاميَّة اللينة لحكومة آل سعود مع الاعتراف بشريعتهم (أنظر بياناته باسم هيئة النصيحة والإصلاح ١- ١٠)، إلى الدّعوة للإصلاح بشدة وجدية في توجيه الخطاب الحاد والقاسي للسلطة الحاكمة ومؤسستها الدّينيّة الرَّسميَّة المنافقة، (انظر البيانات ١١-١٧)

(وقد أوردت مقتطفات من هذه البيانات في الفَصل الرَّابع – عند فقرة: المؤسسة الدّينيّة السّعُودِيّة ودورها في دعم الحملات الصّليبيّة الثّالثة) وانظر كتاب (شهادة قادة الجِهَاد والإصلاح في بلاد الحرمين) للمؤلف.

ثمّ بدأ الأمريكان بالضغط عَلى السُّودَان لطرد الشَّيْخ أُسَامَة، بعد ما باتت مصالحهم تتعرض لبعض الهجمات من بعض الشَّبَاب السّعُودِيّ المُجَاهد الّذي هضم الفكر الجهاديّ في أفغانستان وتحول إلى مجال التطبيق، **ولم يكن لأولئك الشَّبَاب أي علاقة عمل تذكر بالشَّيْخ أُسَامَة ولا القَاعِدَة، من مثل الّذين فجروا مجمع سكن الأمريكان في العليا في الرِّيَاض، أو قاموا بعض الأعمال المحدودة،** وكان الأمريكان والحكومة السّعُودِيّة يعرفون ذلك، فلما طردت السُّودَان الشَّيْخ أُسَامَة وعاد إلى أفغانستان في عهد طالبان ١٩٩٦، كانَ حوله مجموعة من الّذين يحملون فكر المُوَاجَهة الأممية مع أمريكا، وحلفائها وكان الشَّيْخ أُسَامَة قد توصل بتفكيره الشخصي وتأثره بمنهج التّيار الجهاديّ، وفهمه للواقع إلى أن الطّريق إلى الجِهَاد ضدّ الأنظمة المرتدّة ومنها النّظام القائم في السّعُودِيّة يمر حتما بمُوَاجَهة أمريكا، وتوصل بتوفيق الله له إلى المعادلة السّياسيّة الصَّحِيحة:

(١) العُلَماء يضفون الشّرعيَّة عَلى آل سعود.

(٢) وآل سعود يضفون الشّرعيَّة عَلى وجود أمريكا في الجَزِيرَة.

وهناك إحدى طريقتين للموا جهة مع آل سعود وهذه الأوضاع.

١ – إما مُوَاجَهة آل سعود وبالتالي ضرورة مُوَاجَهة العُلَماء لكشف نفاقهم، لإسقاط شرعيّة آل سعود وهي معركة خاسرة أمام النّاس، لحجم وثقل المؤسسة الدّينيّة وما زرعته من الشّرعيَّة والهيبة في عقول النّاس عبر أكثر من (٧٠) سنة.

٢ – وإما طريق أسلم، وهو ضرب الوجود الأمريكيّ، فيضطر آل سعود للدفاع عنه فتسقط شرعيتهم، في أعين المُسلِمِين في بلاد الحرمين، فتدافع المؤسسة الدّينيّة عنهم، فتسقط شرعيتها معهم، فتدور المَعْرَكة عَلى بينة أكثر وضوحا أمام النّاس.

وأختار الشَّيْخ أُسَامَة الخيار الثّاني، وأعتقد أنه كانَ مصيبا إلى حد كبير، يقدرهذا من يفهم الأوضاع في السّعُودِيّة ومكوّناتها الدّينيّة والاجتماعيَّة والسّياسيّة.

كما كانَ الشَّيْخ أُسَامَة قد اقتنع بعد درس سقوط الاتحاد السُّوفيتيّ، ورأى كيف سقطت كلّ الحُكُومَات الديكتاتورية في دول حلف وارسو بسقوطه، مثل ما حصل في ألمانيا الشرقية ورومانيا وبولندا وسواها، واقتنع أنه بسقوط أمريكا ستسقط كافّة مكوّنات النّظام العربيّ القائم، وسواها من القائمة في بلاد العالم الإِسْلَاميّ.

فاقتنع لهذه الأسباب بتركيز الجهد عَلى جِهَاد أمريكا، وبدأ يدعو من يحضره لفكرة الحَرب مع رأس الأفعى كما دعاها وليس مع ذيولها الكثيرة.

وقد حضرت إليه في أفغانستان بعيد وصوله إليها بنحو أربعة أو خمسة أشهر، لإجراء مقابلة تكمل فيلما وثائقيا عن المعارضة السّعُودِيّة أواخر عام ١٩٩٦ بثته الـ (**BBC**)، وكذلك بعد عدّة أشهر، في مايو ١٩٩٧، لإجراء مقابلة تلفزيونية بثتها الـ (**CNN**)، (حيث كنت قد أنشأت في لندن مركزا للإعلام والدراسات متخصص في صراعات العالم الإِسْلَاميّ).

وعلى هامِش ذلك العمل، جلست معه عدّة مرات، وكانت هذه قناعته باختصار.

ولما عدت للإقامة في أفغانستان نهَائِيّاً في عهد طالبان بعد ذلك بسنة ونيف، سنحت لي فرص عديدة عَلى مدى السَنَوات الأربعة الّتي أقمناها في ظل الإمارة، لزيارات أخوية قمت بها إليه، ولعدد من أصدقائي الآخرين العاملين معه، وكان ما ذكرت هو فحوى دعوته لكل من يزوره من العَرَب والعجم من قيادات الصّحوة وشبابها.

وأعتقد أن الفكرة الّتي اختارها، في جِهَاد الأمريكان كمفتاح لحل جميع المشاكل في الجَزِيرَة العربيَّة والمنطقة بأسرها، كانت صحيحة، **بصرف النَّظر عن رأيي في تفاصيل طريقته في عمله، وأداء تنظيمه من أجل تحقيق تلك الأهداف آنذاك.**

ثمّ بدأ الشَّيْخ أُسَامَة حفظه الله يتوغل في تلك القناعة، ويجمع المبررات لهذه المَعْرَكة ويختار لها التكتيكات اللازمة بحسب وجهات نظره.

فزعمُ من افترى عليه أنه عمل مع الأمريكان أثناء جِهَاد الرُّوس، ثمّ انقلب عليهم، هو زعم بَاطِل، مبني عَلى التجني والحقد أو الجهل، بسبب دعاوى وسائل الإعلام المعادية،

والقصة باختصار أنه قد جمعه وجميع المُسلِمِين آنذاك، قاسم مشترك مع الأمريكان في ضرب الرُّوس لعدوانهم عَلى أفغانستان، فلما انتهت المَعْرَكة، تنبه الجميع إلى أن العدوّ المقبل هو القوّة الوحيدة الّتي انفردت بإدارة العالم، وإنشاء النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وغزت بلاد الحرمين، وراحت تجهز الحملات الصّليبيّة عَلى الشّرق الأوسط.

فأكمل ابن لادن الواجب وأعلن الجِهَاد بدوره عَلى القوّة الّتي جاءت للعدوان بدورها، وكذلك فعل معظم من أراد الجِهَاد معه، أو مستقلين عنه كما كانَ حالي وحال أمثالي.

وحتى تكون الصُّورة واضحة ؛ **فمثلا لو ساعدنا الفرنسيون أو غيرهم من الأوربيين، أو الرُّوس، أو الصين، ساعدونا اليَوْم في جِهَادنا لأمريكا، كما أظن أنهم ربما سيفعلون يوما ما، لصار بيننا قاسم مشترك، ولو انتصرنا عَلى أمريكا، وقاموا بدورهم يغزون بلادنا كما أظن أنهم سيفعلون لو فعلوا ما قبلها، سننقل الجِهَاد ضدهم، ولو وجدناهم انتقلوا للموادعة والتّعاون عَلى المفيد ولحسن الجوار، سيجدون أن في ديننا سعة لأن نفعل مثل ذلك معهم، كما أظن أنهم لا يفعلون إلا في إطار التكتيكات المرحلية.**

ورغم أَنّي أحس أَنّي أسهبت وأطلت في دحض هاتين الشبهتين، ولكن ذلك لأني وجدت وسائل الإعلام تنشر هذه الافتراءات عامدة أم جاهلة بشكل بالغ الأذى للمُجَاهدين والمُسلِمِين، وأظن في عرضي هذا كشهادة حية، فائدة لمن يتوخى الحقيقة ليستفيد منها.

وكما أنهيت فقرة الشَّيْخ عبدالله عزام رحمه الله بأبيات جميلة للمتبني، فأرى أن أنهي أيضا بها يناسب مقام الشَّيْخ أُسَامَة في التوجه اليَوْم لحرب أمريكا بأبيات جميلة أُخرى لنفس سلطان الشعراء، فإني أرى في اختيار الشَّيْخ أُسَامَة للمعركة مع رأس الكفر والطّغيان أمريكا صورة لما قَالَ المتنبي، وهو قوله:

إذا غامرت في شرف مرومِ ... فلا تقنع بما دون النجومِ
فطعم الموت في أمر حقير ... كطعم الموت في أمر عظيمِ
يرى الجبناء أن العجز عقل ... وتلك خديعة الطبع اللئيمِ
وكم من عائبٍ قولا صحيحا ... وآفته من الفهم السقيمِ
وكل مزية في المرء ترجى ... وما مثل الشجاعة في الحكيمِ

فرحم الله الشَّيْخ عبدالله عزام في من قضى نحبه، وحفظ الله الشَّيْخ أُسَامَة، وجعلنا وإياه ممن ينتظر وما بدلوا تبديلا، وغفر لهما ولنا ولجميع المُسلِمِين.

وأعود بعد هذا الاستطراد المفيد إن شاء الله لموضوع الفقرة وهو:

- **أثر الجِهَاد الأفغاني (١٩٨٤-١٩٩٢) عَلى التّيار الجهاديّ المعاصر منهجيا وحركيا:**

- تحولت (بيشاور)، المدينة الحدودية الدافئة شتاء الملتهبة صيفا، الّتي كانَ السُّلطَان محمود الغزنوي رحمه الله، قد اتخذها عاصمته الشتوية، في غزواته المجيدة في فتوح الهند في القرن الرَّابع الهجريّ، تحولت إلى جامعة حقيقية لكافة مدارس وتيارات وتنظيمات وجماعات الصّحوة العربيَّة والإِسْلَاميّة تقريبا، وخلال سَنَوات ازدهار ذلك الجمع مابين (١٩٨٦) و(١٩٩٢)، أصبحت ميدانا لتلاقي كلّ الأفكار والمناهج والطروحات الّتي كنت تسود الصّحوة الإِسْلَاميّة من دعوية، وإصلاحية، وسياسيّة، وجهاديّة، وحتى من الكتل الشاذة فكرياً، وازدحمت فيها مئات المؤسسات الخيرية الإنسانية العربيَّة والإِسْلَاميّة والأجنبيّة الّتي قدمت لأغراض شتّى، تحت ستار تقديم الخدمات لأكثر من (٣) مليون لاجئ أفغاني تدفقوا إلى باكستان، الّتي ربما قطن أكثر من مليونيين منهم في بيشاور وما حولها، وقد زار بيشاور خلال تلك الفترة، مئات الشخصيات الإِسْلَاميّة، من علماء، وشيوخ، وكتاب، وشعراء، ورموز، وقادة حركات، لتقديم جهد ما، أو للإطلاع، أو للدعاية، أو للرياء والسمعة، أو للتكسب، أو لأي نية أُخرى صالحة أو طالحة.

- ومن بيشاور كانت تتدفق المساعدات المالية والعينة والعسكريّة وسوى ذلك عَلى الحدود الأفغانية لتجد طريقها الصّالح أو الطالح إلى حيث قصدت ألم تقصد.

والجِهَاد الأفغاني ودور العَرَب فيه مسألة جديرة بالتّاريخ والتحليل والاستفادة، وهو أمر يحتاج كتبا مستقلة، ولكني هنا بصدد أثر ذلك الجمع عَلى التّيار الجهاديّ العربيّ المعاصر.

كانَ آحاد ربما لا يصل عددهم إلى عشرة قد توجهوا إلى باكستان بغية دعم المُجَاهدين الأفغان بعيد الغزو الرُّوسي المعلن خلال عام (١٩٧٩-١٩٨٢)، ودخل ثلاثة أو أربعة منهم أفغانستان فعليا للمشاركة في الجِهَاد، كما وصلها بعض آحاد المحسنين من المُسلِمِين لتقديم بعض العون المادي للمُجَاهدين الأفغان خلال تلك الفترة.

* ولكن التّاريخ للجِهَاد العربيّ في أفغانستان يبدأ عمليا، منذُ (١٩٨٤) عندما تفرغ الشَّيْخ عبدالله عزام كليا للجِهَاد الأفغاني ميدانيّاً، بعد أن عمل مدّة مدرسا في كلية الشّريعة في الجامعة الإِسْلَاميّة في أسلام أباد وكان- فيما بلغني – عن بعض شهود تلك المَرحَلَة، قد رحل عن الأردن نتيجة مضايقات السُّلطات في عمان.

عمل الشَّيْخ عبدالله عزام عَلى عدّة محاور لنصرة الجِهَاد الأفغاني كانَ من أهمّها.

١. تأسيس (مكتب الخدمات) الّذي تولى تقديم ونقل المعونات والتبرعات للمُجَاهدين والمُهَاجِرين الأفغان

٢. تأسيس مجلة الجِهَاد الّتي كانت منبره الرَّئيسي للدعاية للجِهَاد الأفغاني.

٣. تأسيس مُعَسْكَر صدى قرب الحدود الأفغانية، داخل الأراضي الباكستانية في منطقة القبائل من أجل تدريب الشَّبَاب العربيّ الّذي بدأت طلائعه تصل بأعداد قليلة منذُ (١٩٨٤).

٤. القيام بأسفار ورحلات دعائية ألقى خلالها عشرات الخطب في دول عديدة من أجل الحشد للجِهَاد الأفغاني، وحث الشَّبَاب عَلى الرحيل إليه والاستفادة منه وأداء فريضة الجِهَاد، وكان باكورة كتبه (آيات الرَّحمٰن في جِهَاد الأفغان) الّذي لاقى شهرة واسعة، وجدلا واسعا كذلك، ثمّ كتاب (الدّفاع عن أراضي المُسلِمِين أهمّ فروض الأعيان)، وقد أفتى فيه بالفرض العين عَلى جميع المُسلِمِين من غير

ذوي الأعذار للذهاب للجِهَاد في أفغانستان، واستطاع الحصول عَلى أكثر من (٨٠) توقيعا من كبار العُلَماء والدعاة في العالم الإِسْلَاميّ وعلى رأسهم كبار العُلَماء في السّعُودِيّة وكبيرهم الشَّيْخ ابن باز، وكذلك من بعض مَشَايخ الأزهر، وبعض الكبار من علماء ودعاة الإخوان المُسلِمِين من أقطار عديدة، وكذلك من بعض علماء الباكستان وسواهم، وقد لعب هذا الكتاب وتلك الفتوى دورا مهما، بالإضافة لمجلة الجِهَاد الّتي سرعان ما تحسن مستواها، وصارت مجلة مصورة تنقل الصُّور الحية للجِهَاد والمعاناة في أفغانستان، فصار لها مكاتب توزيع في أوربّا وأمريكا وبعض بلدان العالم العربيّ، لعب كلّ ذلك دورا بارزا في عمليَّة التّحريض.

وقد سمعت في بعض أشرطة الشَّيْخ عبدالله عزام، أن عدد الشَّبَاب الذن ثبتوا معه في (مُعَسْكَر صدى)، سنة (٨٤) وصل إلى (١٢) مُجَاهدا وتضاعف فقط خلال (١٩٨٥) فوصل إلى (٢٥) مُجَاهدا ثمّ بلغ مع منتصف (١٩٨٦) أقل من (٢٠٠) مُجَاهد بقليل، من مختلف الجنسيات ربما كانَ معظمهم من السّعُودِيّة ومصر وفلسطين.

- وفي نهاية (١٩٨٥) أو مطلع (١٩٨٦) حضر الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن – فيما بلغني – ليشارك ميدانيّاً بنفسه في الجِهَاد بعد أن كانت زياراته السَّابقة لتقديم الدّعم المادي.

وبالتّعاون مع بعض الكوادر من تنظيم الجِهَاد المصري من أوائل من قدم لأفغانستان، افتتح الشَّيْخ أُسَامَة مركزا عسكريّاً متقدما عَلى أحد المعابر الهامة لإمداد المُجَاهدين في منطقة (جاجي) الجبلية الوعرة الّتي تنتشر فيها الغابات، وقدر الله أن يقوم الرُّوس بهجوم كبير لإغلاق ذلك المعبر في رمضان (١٩٨٦)، وشارك مجموع الشَّبَاب الّذين كانوا مع الشَّيْخ أُسَامَة والشَّيْخ عبدالله عزام في تلك المَعْرَكة الشرسة الّتي استغرقت زهاء شهر، وحقق المُجَاهدون الأفغان نصرا كاسحا عَلى القوّات الرُّوسية، بما فيها طلائع الكوماندوس الّتي أنزلت في المنطقة، ولعب أولئك الرهط القليل من المُجَاهدين العَرَب، دورا بارزا في تلك المَعْرَكة وأدت عمليَّة الدعاية الواسعة الّتي غطى بها الشَّيْخ عبدالله عزام عبر وسائله الإعلاميَّة، وكذلك الجولة الدعائية الهامة الّتي قام بها الشَّيْخ أُسَامَة في السّعُودِيّة، أدت إلى تقاطر المُجَاهدين العَرَب بأعداد كبير ليصل عددهم مطلع (١٩٨٧) إلى عدّة آلاف كانَ أكثرهم من السّعُودِيّة

واليمن، ومن هناك كانت البداية عمليا، حيث تزايد العدد ليصل ذروته أواخر(١٩٨٩-١٩٩٠م) ويتجاوز(٤٠) ألفا من المُجَاهدين العَرَب والمُسلِمين من كافّة بلاد العالم الإِسْلَاميّ.

* كانت الحَركيّة الجهاديّة في مصر، وشطراها الرَّئيسيان (الجماعة الإِسْلَاميّة) و(جماعة الجِهَاد)، قد دخلت في صِرَاع إثر مقتل السادات (١٩٨١) مع حكومة خلفه حسني مبارك، وأضطر العديد من أبرز قياداتها والكثير من عناصرها للخروج من مصر تحت ضغط الحملات الأمنيّة لدول الجوار، ومع ازدهار أخبار الجِهَاد الأفغاني، بدأ العديد منهم يتوجه إلى بيشاور، كما كانت الثَّورة الجهاديّة الّتي نشبت في سوريا ما بين (١٩٧٥-١٩٨٢)، قد دمرت عمليا، وانساح من تبقى من عناصرها في أقطار الأرض، ويمم عدد محدود جدا منهم وجهه أيضا شطر أفغانستان، واستقروا في بيشاور وكنت وبعض خاصّة أصدقائي من هَؤُلَاءِ ولله الفضل والمنة، كما كانَ لعض الكوادر الجهاديّة من الفلسطينيين، من تلاميذ وأصدقاء الشَّيْخ عبدالله عزام قد لحقوا به أيضا، وبدأ آحاد من الكوادر الجهاديّة والعسكريّة من هنا وهناك يتوجهون إلى تلك السَّاحَة الجذابة الّتي سلطت عليها كلّ الأضواء والدعاية، وفي (١٩٨٦) اثر محاولة جهاديّة انتهت بقمعها من قبل الحُكُومَات الليبية، خرج أيضا بعض كوادر الجهاديّين إلى هناك، وكانت الحَرب الأهلية في لبنان قد وضعت أوزارها، وتلقت الحركات الإِسْلَاميّة السنية ضربات أمنيّة في شمال لبنان عَلى يد الإستخبارات السوريّة، فهاجر بعضهم أيضا إلى تلك السَّاحَة، كما حضر بعض الإخوة من الإِسْلَاميّين من أكراد العراق، وكانت هذه باكورة تجمع كوادر من التّيار الجهاديّ العربيّ ليكون النواة الأولى للجهاديّين داخل وسط التجمع العربيّ المُجَاهد في أفغانستان، والّذي كانَ يتضخم بتسارع كبير.

* كانَ الحضور الفكريّ والمنهجي لتنظيم الجِهَاد المصري، بارزا ونوعيا في السَّاحَة العربيَّة وكذلك كانَ حضور الجماعة الإِسْلَاميّة بمصر، وبصرف النَّظر عن الفوارق المعروفة في منهج الجماعتين، إلا أنهما لعبتا - ولاسيما في القاسم المشترك من أفكارهما الجهاديّة- دورا مؤثرا، كما كانَ لحضور بعض طلاب العلم وبعض الدعاة السلفيين، وبعض (السروريين) من السّعُودِيّة وغيرها دورا في ترويج فكر الحاكِمِيَّة والوَلَاء والبَرَاء وعموميات الفكر الجهاديّ في الأوساط العربيَّة، وحتى الأعجمية الّتي أمت

الجِهَاد الأفغاني، كما أدى حضور بعض تراث التَّجربة الجهاديّة في سوريا في السَّاحَة- ومنها كتابي عن تاريخ تجربتنا ودروسها – ولله الحمد، دورا فكرياً ساهم في المُوَاجَهة الفكريّة للتيار الجهاديّ، الّتي بدأت تترك بصماتها عَلى الجمع العربيّ، ولما كانَ حضور مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة الأخرى قويا أيضا في السَّاحَة، عبر سيطرتها عَلى المؤسسات الطبية والتّعليميّة وعملها في المجالات الإغاثية الأخرى، ولاسيما من السلفيين التقليديين، والإخوان المُسلِمِين والمنظمات الشبيهة بهم، وكذلك التبليغ وغيرهم، بالإضافة للحضور الكبير للمؤسسات الإِسْلَاميّة السّعُودِيّة الحُكُوميّة وشبه الحُكُوميّة، وما حملته معها من بصمات.

المؤسسة الدّينيّة الرَّسميَّة، وقد أحضر كلّ هَؤُلَاءِ كتبهم ومنشوراتهم، ومجلاتهم ومحاضراتهم، وتراثهم الفكريّ والدعوي، ونظرا لأن نهاية السبعينات ومطلع الثمانينات كانت فترة تألق وتفاعل بيت مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة، فقد صارت بيشاور ومضافاتها ومُعَسْكَرَات التّدريب في باكستان وأفغانستان وتجمعاتها مراكز للتواصل والحوار والتماس الفكريّ والصدام في كثير من الأحيان بين مختلف تلك الطروحات، وهكذا وجد التّيار الجهاديّ، ومن يمثله في ساحة الجِهَاد العربيّ في بيشاور ومُعَسْكَرَات أفغانستان أنفسهم يصطدمون مع جبهتين رئيسيتين:

- جبهة الإخوان المُسلِمِين والفكر الديمقراطي السّياسيّ الّذي كانَ أصحابه يروجون له عبر أبحاث ودراسات ومحاضرات كانوا يدعون إليها وحتى في بعض المُعَسْكَرَات الّتي يستطيعون الحركة فيها.
- جبهة مدرسة الفقه السّعُودِيّ الرسمي، الّذي كانَ يدعو لنبذ فكر الحاكِمِيَّة، وإلى اعتبار الحكَّام أولياء أمور شرعيين، ويدعوا إلى احترام العُلَماء الرسميين ولاسيما في السّعُودِيّة ودول الجَزِيرَة وهو ما يسمى بالمدرسة (الجامية) ثمّ (المدخلية)،

وشيئا فشيئا، وباعتبار جهاديّة الأجواء من جهة، وما يحويه الفكر الجهاديّ من تألق واتساع، ولنصاعة الحقّ وشيوع منهج إتباع الدليل، بدأ الفكر الجهاديّ يسيطر عَلى ساحة التجمع العربيّ، وبدأ يكتسب أكثرية السَّاحَة، حيث اقتنع آلاف الشَّبَاب القادمين من معظم بلاد العالم الإِسْلَاميّ بالفكر الجهاديّ،

وبدأت تتبلور وتتكامل مدرسة جهاديّة جديدة في التّيار الجهاديّ، أطلق عَلى مجموع مكوّناتها فيما بعد ما عرف بـظاهرة (الأفغان العَرَب).

*كانَ تمازج الفقه والعَقِيْدَة السّلفيّة مع الفكر الحَركيّ الإخواني القطبي - الّذي أشرت إليه آنفا- قد بدأ يختمر في مصر خلال السَّبعينيَّات ومطلع الثَّمانينيَّات، ولعب كتاب (الفريضة الغائبة) الّذي كتبه الشّهيد (عبد السَّلام فرج)، من الجماعة الإِسْلَاميّة، والّذي شارك في اغتيال السادات، وأعدم بعد ذلك - رَحِمَهُ اللهُ وجزاه وإخوانه عن المُسلِمِين خيراً- لعب ذلك الكتيب دورا هاما في إعطاء رغم بساطة محتواه وأسلوبه وصغر حجمه، إلا أن المهم الجَدِيد الّذي أضافه للفكر الجهاديّ، كانَ طرح فتاوى ابن تَيمِيّة في حُكَّام التّتار الّذين حكموا بلاد الإِسْلَام ومنها الشّام لما غزوها وزعموا أنهم مُسلِمِين، رغم أنهم بدلوا الشرائع وحكموا بغير ما أنزل الله، كما طرح مسألة المقارنة بين حُكَّام المُسلِمِين وأعوانهم وجنودهم اليَوْم ؛ وبين أولئك التّتار وفتاوى العُلَماء في كفرهم ووجوب قتالهم مع من قاتل معهم عَلى من فيهم من الجاهلين والمكرهين، وإسقاط تلك الأحكام عَلى واقع الحُكُومَات العربيَّة وفي بلاد المُسلِمِين، وعلى جنود شرطتهم واستخباراتهم ورجال أمنهم، وقد صلت هذه المقارنات إشكالات كبيرة وإجابات عَلى أسئلة ملحه طرحها جِهَاد الحكومة وأعوانهم.

وكان لجماعة الجِهَاد مؤلفات أُخرى تحمل نفس أسس ذلك الفكر، وطبعت تلك الكتب ووزعت في بيشاور، وكان الصدام الفكريّ بين، الفكر الإِسْلَاميّ الديمقراطي الّذي تبناه الإخوان وأشباههم، وبين الفكر السلفي – قبل أن تنتقل إليه العدوى الدِّيمقراطيَّة – عَلى أشده أيضا في ساحة الصّحوة عامة، وانتقل كذلك إلى أهمّ ساحاتها آنذاك، في ذلك التجمع.

وأصدرت جماعة الجِهَاد المصريَّة عددا من الأبحاث الهامة، وتوجت ذلك بالكتاب القيم ؛ (العمدة في إعداد العدة) لشيخها عبد القادر بن عبد العزيز فك الله أسره، وربما كانَ هذا الكتاب من أهمّ كتب (الأفغان العَرَب)، وقد سد ثغرة تربَويّة كبيرة في المُعَسْكَرَات العربيَّة في حينها، وبقي واحدا من أهمّ كتب التّيار الجهاديّ، وفي سياق نشاط الجهاديّين في التأليف والنشر، طبعت في بيشاور سنة ١٩٩٠م كتابي (الثَّورة الإِسْلَاميّة الجهاديّة في سوريا–آلام وآمال)، الّذي فرغت من تأليفه سنة ١٩٨٧، والّذي

نقل لأوسط الأفغان العَرَب خُلاصة تاريخ ودروس أطول وأهم التَّجَارب الجهاديّة المعاصرة ضدّ حُكُومَات الرِّدَّة.

وافتتح الشَّيْخ أبو حذيفة المصري، أحد كوادر جماعة الجِهَاد – فرج الله كربته– مركز النور للإعلام في بيشاور، حيث تولى عدد من الخطباء والمحاضرين من الجهاديّين تنظيم سلسلة من الدُّروس والمحاضرات وخطب الجمعة.

وبدأت بعض التَّجَمُّعات الجهاديّة الناشئة تدخل عَلى خط العطاء، وعقدت الكثير من الدَّورات الفكريّة والمنهجيّة والتربَويّة، واستقطبت قدماء كوادر التّيار الجهاديّ للتدريس والمحاضرة، وعقدت الكثير من الدَّورات الفكريّة والمنهجيّة والتربَويّة واستقطبت قدماء كوادر التّيار الجهاديّ للتدريس والمحاضرة، ثمّ استقلت بكوادرها وبدأت تتبلور وتنتج.

وبدا جليا مع هذا المخاض الفكريّ، والتصادم والإحتكاك بين مختلف التّيارات الفكريّة المكونة لطيف الصّحوة الإِسْلَاميّة، أن الفكر الجهاديّ الحَركيّ ممزوجا بالمؤثرات السّلفيّة الجَدِيدة الّتي أسلفت الحديث عنها آنفا، قد بدأت تطغى عَلى السَّاحَة وتكتسح قواعد آلاف الشَّبَاب العربيّ من الّذين قدموا لساحة الجِهَاد الأفغاني رغم أن غالبيتهم لم ينضموا في عضوية عشرات التَّنظِيمات الجهاديّة القديمة والجَدِيدة، والَّتي صار لها في باكستان والمناطق الحدودية من أفغانستان مضافاتها ومعسكراتها، وتكونت لها هياكل وإدارات، وكوادر وأمراء حيث كانَ الكثيرون منهمكون عَلى هامش الجِهَاد الأفغاني، في مرحلة إعداد ونشاط دؤوب لحمل مشعل الجِهَاد والثَّورة للبلاد الّتي قدموا منها، وكان هذا من كرم الله الّذي لم يحسب حسابه أولئك الّذين خططوا لفتح أبواب التسهيلات لهذه الجموع من أجل خدمة أهدافهم الكبرى.

*** ولم تخل تلك المخاضات الفكريّة من ميلاد بعض الظواهر الشاذة، من بعض النتوءات التكفيرية والغالية، والَّتي نتجت عن التفاعلات الثّوريّة للفكر الجهاديّ وأجواء الحماس إلى جانب، تواجد المدارس السّياسيّة وطروحاتها الدِّيمقراطيَّة المفرطة في التميع خلال تلك السَّاحَة، في أجواء فرضت فيها ظروف النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد عَلى ساحة العالم العربيّ والإِسْلَاميّ مسائل كبرى مثل التواجد**

الأمريكيّ العَلنيّ بعد السري في الخليج، ووباء التطبيع مع اليَهُوْد ومعاهدات السَّلام، والغزو الفكريّ والثقافي والسّياسيّ والاجتماعي لملامح النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وما أوجدته هذه الطامات الكبرى من مواقع للدفاع عنها في أوسط علماء السّلاطين، وبعض قيادات الصّحوة ذاتها، وما سبب ذلك من ردود أفعال في أوساط البعض القليل من الشَّبَاب الّذين لم يكن ينقصهم الحماس ولا الجهل، ولكن بقي ذلك في أطر محدودة.

ولكن المهم أنه قد نضجت في ذلك الجو، تجربة القدماء من الجهاديّين، كما تشكلت نويات من التَّنظِيمات الجهاديّة الجَدِيدة، من بلاد لم يكن قد تبلور فيها مثل تلك التَّنظِيمات، مثل ليبيا والجَزَائِر وتونس والمغرب والأردن العراق ولبنان، وكذلك من بعض البلاد الإِسْلَاميّة مثل الفلبين وإندونيسيا وتركيا وغيرها.

وباختصار...

يمكن القول أن جيلا جهاديّا متميزا فكرياً ومنهجيا وحركيا قد ولد هناك، في أجواء الجِهَاد العربيّ في أفغانستان، أطلق عليهم الاسم المعبر الجميل : (الأفغان العَرَب)، ميزهم فوق ما تميزوا به من وضوح المنهج وصحة المعتقد، أنهم استمدوا همتهم للجِهَاد من إيمانهم بمعية الله، وقناعتهم بقدرتهم عَلى إسقاط القوى العظمى.

فما عادوا يهابونها ولا يهابون بطبيعة الحال ما دون ذلك من القوى الذنبية الحاكمة في بلادنا، وكان هذا من أجمل ثمرات ذلك الانتصار التّاريخي الكبير.

وحقيقة يصح أن يقول من كتب الله لهم شرف ذلك الحضور ما قاله الشاعر العربيّ عن يوم ذي قار، يوم العز العربيّ بعد طول المذلة أمام القوى العظمى في ذلك الزّمان:

لو أن كلّ معد كانَ شاركنا في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرفُ

فلنا أن نقول:

لو أن كلّ موحدْ كانَ شاركنا — في يوم أفغانَ ما أخطاهم الشرفُ

فقد أسقطنا مع إخواننا الأفغان الإتحاد السُّوفيتيّ زعيم المُعَسْكَر الشرقي.

وأعتقد أن يسقط أتباعنا ومن امتد العمر به منا، مع من يشاء الله من عباده أمريكا زعيمة المُعَسْكَر الصّليبيّ الغربيّ الجَدِيد.

إن شاء الله تَعَالَى.. وهو فضل الله يؤتيه من يشاء.

خامسا: التّيار الجهاديّ ومرحلة الملاذات والشتات (١٩٩١ - ١٩٩٦):

فيما كانَ المُجَاهدون الأفغان يدقون أبواب كابل، وبدأت تتساقط المدن الرَّئيسيَّة في أيديهم، توجه المخطط الأمريكيّ الغربيّ نحو أفغانستان في منحيين اثنين تجاه تلك السَّاحَة، الأوّل أفغاني والثّاني عربي.

ففي الإتجاه الأفغاني كانَ برنامج الأمريكان وأعوانهم، وعلى رأسهم حكومة باكستان، الحيلولة دون قيام حكومة للمُجَاهدين تعلن دولة إسلاميّة وتحكم بالشّريعة وتنهض بإعمار أفغانستان، وكان البرنامج المقرر افتعال مرحلة من الحَرب الأهلية تستهلك المخزون الإستراتيجي من السّلاح ومئات آلاف الكوادر المقاتلة من قيادات وأعضاء المنظمات الجهاديّة في أفغانستان، وهذا ما نفذوه خلال (١٩٩٢- ١٩٩٦).

وأما فيما يعيننا في هذا البحث، فقد كانَ جهدهم منصب عَلى تفكيك الجمع الجهاديّ العربيّ وتشتيته ومطاردة عناصره وكوادره، في بلادهم وفي أنحاء الأرض، وهكذا انتقل التّيار الجهاديّ إلى مرحلة جديدة استمرت من (١٩٩٢- ١٩٩٦)، يمكن أن نسميها بـ(مرحلة الشتات والملاذات الآمنة المؤقتة).

فقد عاد أولئك الآلاف من المُجَاهدين إلى بلادهم في الغالب، وبدل أن يرحب بهم كأبطال ومُجَاهدين عملوا تجاه الهدف المشترك لأولئك الحلفاء، بدءا بأمريكا وانتهاء بأذيالها من الحُكُومَات الّتي سهلت ودعمت جِهَادهم، وجد أولئك الشَّبَاب أنفسهم غُرَباء في أوطانهم الّتي تفتح لهم أبواب المعتقلات وجلسات التحقيق والسّجون لمدد غير محدوة وتوجه لهم التهم، ولم يسلم من ذلك إلا بعض البلدان ممن لم يقابل أولئك المُجَاهدين بهذه الطَّريقة الشنيعة، وقد ولد هذا ردود أفعال شتّى، ونقل بعض شرائح الجهاديّين إلى ممارسات معاكسة، كذلك فقد أدت عودة تلك الشرائح الجهاديّة إلى بلادها من أجواء العزة والكرامة والجِهَاد وحمل السّلاح، لتصطدم في بلادها بعد أن رقت إلى تلك المعاني السامية، بواقع أقل ما يمكن يوصف به أن هو البعد عن شريعة الله، والمتاهة في أجواء من الخنوع والخيانة والمذلة، فقامت محاولات عديدة من أجل تكوين تنظيمات سرية دخلت في مراحل من الإِعداد

للمُوَاجَهة مع حُكُومَات بلادها عَلى أمل إسقاطها وإقامة حُكُومَات شرعيّة إسلاميّة، ولكن كافّة تلك المحاولات اصطدمت بواقع غاية في الصعوبة وعدم التناسب مع ما تصبوا إليه من أهداف، ودخلت مع أجهزة الأمن في بلادها في عمليَّات مُوَاجَهة، أدت في نهاية المطاف إلى تدميرها وتشتيت عناصرها، وإلى تصعيد المُوَاجَهة الأمنيّة بين الحركات الجهاديّة والإِسْلَاميّة في تلك البلاد وبين حُكُومَاتها الضالة المارقة.

وكان من أهمّ تلك المحاولات الّتي تلت الجِهَاد الأفغاني ما حصل من قيام الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة وتأسيسها عَلى أيدي بعض الأفغان العَرَب من الجَزَائِر بالتّعاون مع تيارات جهاديّة محليَّة إثر الإطاحة بالإنجاز التّاريخي لجبهة الإنقاذ عبر الإنقلاب عسكريّ (١٩٩١)، وكذلك ما حصل في ليبيا من محاولة الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة بليبيا (١٩٩٤)، وهما أوسع المحاولات في تلك المَرحَلَة، بالإضافة لبعض المحاولات المحدودة كما حصل في اليمن ولبنان وسواها، كما سنأتي عَلى شيء من التفصيل لأهم المحاولات الجهاديّة في هذا العصر، في فقرة تالية ضمن هذا الفَصل إن شاء الله.

- هناك قسم آخر من الأفغان العَرَب وهم قدماء الجهاديّين الّذين غادروا بلادهم أصلا إثر مشاكل أمنيّة، وهم مطاردون من حُكُومَاتهم إما قبل أو أثناء الجِهَاد الأفغاني، ومعظم هَؤُلَاءِ من تنظيمات جهاديّة سابقة، كبعض أعضاء تنظيم الجِهَاد والجماعة الإِسْلَاميّة من مصر وبعض الجهاديّين من سوريا وليبيا وتونس، وبعض الإِعداد المحدودة من جنسيات أُخرى،

وهَؤُلَاءِ لم يتمكنوا من العودة إلى بلادهم كما فعل الآلاف من الأفغان العَرَب من بلاد مثل السّعُودِيّة ودول الخليج واليمن وموريتانيا والأردن وغيرها، وقد توزع هَؤُلَاءِ المطاردون أمنيّاً في ملاذات أمنيّة مختلفة عَلى بعض ما تبقى من الهوامش السّياسيّة والفجوات الأمنيّة قبل استحكام السّياسة العَالَمِيّة لمكافحة الإِرهَاب بعد قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وكان من أهمّ تلك الملاذات.

١. **أوربّا والدّول الغربيّة:** وذلك عبر فرص اللجوء السّياسيّ، وكان من أهمّ تلك البلاد، بَرِيطَانيَا الّتي أمها كتلة كبيرة تضم كوادر رئيسيَّة من الأفغان العَرَب والتّيار الجهاديّ، من مختلف الجنسيات ثمّ الدّول الإسكندنافية، ثمّ باقي دول أوربّا الغربيّة وبعض الشرقية وأستراليا وكندا.

٢. **<u>السُّودَان:</u>** الّتي كانت حكومة البشير وحليفه الترابي قد استولت عَلى الحكم موصلة الحركة الإِسْلَاميّة الرَّئيسيَّة فيها للسلطة، والَّتي كانَ من سياستها خلال مرحلة (١٩٩١-١٩٩٥)، فتح البَاب للتنظيمات الجهاديّة للانتقال إلى السُّودَان، حيث انتقل كم مهم من الجهاديّين إلى هناك وكان في طليعتهم قيادة تنظيمات الجِهَاد والجماعة الإِسْلَاميّة في مصر، والشَّيْخ أُسَامَة وقياديو تنظيم القَاعِدَة، بالإضافة للكتلة الرَّئيسيَّة من قيادة الجماعة المقاتلة بليبيا، وجهاديّين من جنسيات أُخرى،

٣. **<u>بلاد أُخرى لا تشكل خطورة أمنيّة</u>** عَلى رعايا بلدان عربيَّة أُخرى من الجهاديّين ولو كانوا مطاردين في بلادهم في حينها، قبل استحكام التنسيق الأمني العربيّ والإقليمي والدّولي فيما بعد، وأهم تلك البلاد، اليمن، الّتي أمها جمع متنوع من جنسيات شتي من الجهاديّين والأفغان العَرَب، ثمّ تركيا وكذلك سوريا الّتي آوى إليها قسم من الشَّبَاب المُجَاهد من دول شمال أفريقيا وليبيا، هذا بصورة رئيسيَّة، في حين انتشر آحاد من الجهاديّين بأسرهم وأطفالهم، في بقاع أُخرى حتَّى وصل بعض هَؤُلَاءِ المُهَاجِرين الغُرَباء الفراورن بدينهم من القابضين عَلى الجمر في هذا الزَّمن إلى أقصى أنحاء المعمورة، من الفلبين، إلى إندونيسيا، إلى تايلند، إلى أمريكا الجنوبية، حتَّى إلى بعض مجاهيل إفريقيا.

٤. **<u>البوسنة والشِّيشَان:</u>** فقد وافق إقفال بوابات الجِهَاد في أفغانستان، اشتعال الجِهَاد في البوسنة ما بين (١٩٩٣-١٩٩٥)، فيما كانَ المُسلِمُون يتعرضون لمذابح الصّرب والكروات، مما أوجد ساحة جهاديّة جديدة أمها آلاف الشَّبَاب المُجَاهد من البلاد العربيَّة وبعض الإِسْلَاميّة، وقد كانَ في طليعتهم بعض الجهاديّين، الّذين خرجوا من ساحة أفغانستان لكي يلتحقوا بساحة البوسنة، وكذلك توجه بعض الأفغان العَرَب وعلى رأسهم القائد الشّهِيد خطاب وبعض رفاقه من الأفغان العَرَب إلى الشِّيشَان ليؤسسوا بؤرة جهاديّة حملت مشعل الجِهَاد وأضافت لصفحات الجهاديّين في الربع الأخير من القرن العِشرين صفحات مشرقة إلى تلك الصفحات المجيدة الّتي شهدتها مناطق مختلفة قبل ذلك.

- كانت الأعوام (١٩٩٢-١٩٩٥) أعوام مريحة نسبيا لهَؤُلَاءِ الغُرَباء المشردين، وقد مكنت هذه السَنَوات الأربعة الجهاديّين المنتشرين في أقطار الدُّنيَا، من العمل عَلى نشر الفكر والدّعوة

الجهاديّة، ورغم أن مآخذ عديدة قد تذكر عَلى تجارب هذه المَرحَلَة سآتي عَلى ذكر بعضها في آخر هذا الفَصل إن شاء الله، إلا أن هذه السَنَوات كانت سَنَوات دعوة وانتشار.

ورغم أن حملات مكافحة الإِرهَاب قد أشعلها أمريكا عمليا منذُ (١٩٩٠م)، وتصاعدت مع الوقت لتبلغ ذروتها منذُ (ديسمبر-٢٠٠١)، إلا أن تلك الحملات لم تدخل مرحلة الشدة إلا منذُ أواخر (١٩٩٥) عمليا، حيث وضعت أمريكا ضمن برنامجها لمكافحة الإِرهَاب كما مر معنا في الفَصل الخامس، برنامجا تضمن إلغاء الملاذات الآمنة، بالإضافة للممارسات الأمنيّة الأخرى.

كانَ من أهمّ الشرائح الّتي عملت إيجابيا في نشر فكر الجِهَاد ودعوته، تلك الّتي تركزت في الغرب ولاسيما أوربّا، وفي طليعتها الدّول (الإسكندنافية)، وفي (بَرِيطَانيَا)، فقد عمل الجهاديّون مستغلين الظّروف المريحة نسبيا، والإمكانيَّات المادية وهامش الحريَّة- قبل إقفاله- والّذي كانَ يتوفر في تلك الدّول، عملوا عَلى إصدار النشرات والأبحاث وإعادة بث ما كانَ قد أنتج في مرحلة الجِهَاد الأفغاني أو عَلى مر التَّجَارب الجهاديّة، السَّابقة الندوات والمحاضرات وارتياد المساجد والإحتكاك بالجاليات الإِسْلَاميّة الّتي كانت تشهد صَحوَة إسلاميّة لا تقل وربما تزيد ازدهارا عن تلك الّتي تجري في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، حتَّى أن بعض الحُكُومَات العربيَّة ضجت واشتكت من الحريَّة الّتي يعيشها الإِسْلَاميّون والجهاديّون هناك، وعقدت عشرات المؤتمرات لمكافحة ظاهرة الأصوليَّة الإِسْلَاميّة في مختلف ميادينها ومن ذلك الهامش في الدّول الغربيّة، حتي تمكنوا من إقفال كلّ ذلك عمليا ما بين (١٩٩٥-٢٠٠٠).

وقد شهدت بنفسي تجربة فريدة للدعوة الجهاديّة خلال إقامتي في بَرِيطَانيَا (١٩٩٤-١٩٩٧) واستطعت من خلال تلك الأجواء – كمثال- أن أكتب في العديد من النشرات والمجلات الجهاديّة الّتي كانت تصدر في بَرِيطَانيَا مثل (الفجر) الصادرة عن الجماعة المقاتلة بليبيا، و(المُجَاهدون) الصادرة عن لجماعة الجِهَاد في مصر، و(الأنصار) المقربة أيّامها من الجماعة الإِسْلَاميّة والمُسلّحة في الجَزَائِر قبل انحراف الاخيرة هذه عن الجادة، وشهدت لندن الكثير من الندوات والدُّروس واللِّقَاءَات الّتي كانت تسجل وتنشر إلى مختلف دول العالم حيث تتفشى الصّحوة الجهاديّة،

إلى أن بدأت نذر العواصف الأمنيّة تهب عَلى تلك الملاذات تباعا، فبدأت موجات التضييق ثمّ الاعتقالات أو الطرد والإبعاد تطال كلّ تلك الملاذات آنفة الذكر بلا استثناء، وقد مر شيء من الإشارة لذلك في الفَصل الخامس، فطردت السُّودَان واليمن من لديها، واعتقلت تركيا وسوريا والأردن من طالته أيديها وسلمتهم لبلادهم، وبدأت الدّول الأوربية كلها بلا استثناء الموسم بالتضييق وانتهت بزج مئات الجهاديّين في سجونها، حيث ما يزال كثير منهم إلى اليَوْم رهن الاعتقال العرفي بلا محاكمات ولا قانون، شأنهم في ذلك شأن إخوانهم المعتقلين لدى الأنظمة البوليسية والديكتاتورية في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ ودول العالم الثّالث.

وهكذا دخل الجهاديّون في مرحلة جديدة من المحنة كانوا بحاجة فيها إلى ملاذ ومتنفس جديد، وكان ذلك المتنفس ما يسره الله تَعَالَى في أفغانستان مرّة ثانية.

سادسا : الشوط الثّاني للأفغان العَرَب في ظل طالبان في أفغانستان (١٩٩٦-٢٠٠١)

هذا العنوان هو عنوان لفصل من أهمّ فصول تاريخ الصّحوة الإِسْلَاميّة والجهاديّة المعاصرة عَلى الإطلاق، حيث يشكل أدق وأخطر مراحلها، وهو موضوع كتاب مستقل أعتزم كتابته إن شاء الله، وذلك فور انتهائي من هذا الكتاب الّذي نحن بصدده، حيث أشعر بالمسؤوليّة التارِيخِيَّة، والأمانة العظيمة لكوني أحد قلائل الشهود الأحياء المتبقين من الّذين يمكنهم كتابة هذه الشَّهَادة الحية عن تلك التَّجَارب العظيمة وأصحابها، ونقل تلك الدُّروس النفيسة لمن وراءنا من الأجيال القادمة، ولاسيما أولئك العازمين عَلى حمل راية الجِهَاد وأمانة الدّعوة إلى الله، في زمان استكبار البَاطِل وتشريد أهل الحقّ،

ولكني في هذه العجالة ؛ سأتعرض لأبرز آثار هذه المَرحَلَة عَلى التّيار الجهاديّ المعاصر الّذي نحن بصدد استعراض مراحله في هذا الفَصل، معرضا عن كثير من التفاصيل بالغة الأهمّيّة خشية الإطالة، وخشية إثارة الحساسِيَّات الّتي يلزم لإزالتها إسهاب وشرح لا يحتمله موضوع الكتاب.

وخلاصة ذلك في نقاط رئيسة موجزة عَلى الشّكل التّالي:

- انطلق طالبان من ولاية قندهار، جنوب شرق أفغانستان أواخر عام (١٩٩٣)، واستطاعت التقدم والسّيطرة عَلى وسط وجنوب وشرق أفغانستان بسرعة، ومن ثمّ دخول كابل عام

(١٩٩٦) وإعلان الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان، وإعلان زعيم طالبان الملا محمّد عمر- حفظه الله- أميرا للمؤمنين فيها، (وقد كتبت حول نشأة طالبان ومسارها خلال الفترة / ١٩٩٣- ١٩٩٨ / بحثا مستقلا بعنوان: - أفغانستان والطّالِبَان ومعركة الإِسْلَام اليَوْم - لمن أراد التفصيل العودة إليه).

- سرعان ما وجدت الفئات المطاردة المشردة من كوادر وأعضاء التّيار الجهاديّ في أفغانستان ملاذا آمنا، وربما إجباريا مع استعار حملات المطاردة أو ما سمي بـ (الحَرب الدّولية لمكافحة الإِرهَاب) بقيادة أمريكا الّتي انطلقت منذُ أوائل التسعينات واشتدت ما بعد (١٩٩٥).

فبدأ هَؤُلَاءِ يتسللون فرادى ومجموعات إلى أفغانستان، ليبتدئ العَرَب شوطهم الثّاني في أفغانستان مع النصف الثّاني سنة (١٩٩٦).

- مع الترحيب وحسن الجوار الّذي أبداه الطّالِبَان لتلك الطلائع القادمة، وفي مقدمتهم الشَّيْخ أُسَامَة ومجموعة من عناصر تنظيم القَاعِدَة، وبعض الرموز والجهاديّين من قدماء الأفغان العَرَب، بدأت السَّاحَة تستهوي عموم الجهاديّين وأصحاب الطموح باستئناف المسار إلى هناك.
- ومع إعلان تطبيق الشّريعة الإِسْلَاميّة وسيطرة الطّالِبَان عَلى نحو(٩٤٪) من الأرضي الأفغانية، بدأت دار الإِسْلَام الوليدة والوحيدة في الأرض، من منظور الجهاديّين وعموم الإِسْلَاميّين تستهوي كثيرا من غير المطاردين والمضطرين للبحث عن ملاذات، بغية الهِجرَة الشَّرعيَّة إلى دار الإِسْلَام الوليدة هذه.
- وخلال عام (٢٠٠٠) كانت المُعَسْكَرَات والمضافات العربيَّة قد انتشرت في مدن أفغانستان الرَّئيسيَّة ولاسيما العاصمة كابل، والعاصمة الروحية لطالبان (قندهار)، والمدن الشرقية مثل خوست وجلال أباد، وبدأ المُهَاجِرون الجدد والمحاربون القدماء من الأفغان العَرَب حملة إعلام واتصالات لاستقبال المزيد من المُهَاجِرين، ونشطت حركة القدوم رغم الحصار السّياسيّ والاقتصادي والحملة الإعلاميَّة والدّولية الّتي أحاطت بالإمارة الإِسْلَاميّة الوليدة

من كلّ جانب، وأعتقد أن عدد الّذين قدموا وغادروا أفغانستان خلال هذه المَرحَلَة (١٩٩٦-٢٠٠١)، بلغ عدّة آلاف من الرّجال، ولكن الّذين استقروا منهم في أفغانستان كانوا قريباً من (٣٥٠ أسرة) ونحوا (١٤٠٠) مُجَاهد ومهاجر عربي من مختلف الجنسيات، بالإضافة لعدة مئات من أرباب الأسر والمُجَاهدين والمُهَاجِرين من وسط آسيا، ولاسيما من أوزبكستان وطاجيكستان الّتي تتعرض فيها الحركات الإِسْلَاميّة إلى طغيان آخر حصون الشُّيُوعِيّة في العالم، وكذلك من تركستان الشرقية الّتي تحتلها الصين وتذيق المُسلِمِين فيها ألوان العذاب والهوان.

- وخلال هذه الأجواء، تواجدت التَّنظِيمات الجهاديّة العربيَّة الرَّئيسيَّة، وانتعشت لدى قياداتها القديمة الآمال باستئناف مسارها في الإِعداد والبناء، ومتابعة أهدافها القديمة في إحياء الجِهَاد في بلادها ضدّ طواغيت تلك البلاد، من أجل إقامة حُكُومَات إسلاميّة عَلى أنقاضها بحسب تصوُّراتهم.
- **ولست هنا إلا بصدد تسجيل خُلاصة تاريخ ذلك المسار، وليس التعرض لتقيم تلك الجموع والكتل وأهدافها وطرق عملها في هذا الحيز الموجز، وسأترك ذلك التفصيل العام إلى الكتاب الّذي أشرت إليه وأسأل الله العون والتوفيق لإنجازه بما يرضي الله تَعَالَى.**

كما قدمت جموع وكتل جديدة من جديد من بلاد عربيه متعددة، تسعى إلى تكوين نفسها، وولدت كتل وشبه تنظيمات جهاديّة جديدة حاول أصحابها شق طريقهم من خلال تلك الأجواء.

- ويمكن القول أن كافّة من تواجد خلال هذه الفترة يمكن اعتبارهم من الجهاديّين، رغم أن أكثريتهم لم تكن تنضوي داخل التَّنظِيمات الرَّئيسيَّة، ولم يؤم أفغانستان في هذه المَرحَلَة كما في الأولى، أنواع أُخرى من طيف الصّحوة الإِسْلَاميّة، فقد اختلفت الظّروف الدّولية تجاه هذه الظَّاهِرة وصارت عَلى النقيض، ففي حين كانَ الجمع الأوّل ينمو وسط مباركة ودعم وإجازة عالميّة ـ كما أشرت آنفا - كانَ هذا الجمع وأرضه ومن يحكمها ومن يهاجر إليها، محل حرب ومطاردة عالميّة.

- ورغم أن سوادهم الأعظم إن لم يكن كلهم، من الجهاديّين فكرا واتجاها، إلا أنه يمكن تصنيفهم ضمن التشكيلات الرَّئيسيَّة التّالية، بغض النَّظر هنا عن رصد الإِعداد والتعرض للتقييم، فقد ضمّ هذا الجمع الطيف التّالي – بحسب الحجم –:

١. **المتدربون**: وهم الّذين قدموا من أجل تلقي التّدريب ثمّ الرحيل، ولم يستقر هَؤُلَاءِ الا مدد التّدريب الّتي تتراوح ما بين الأشهر القليلة إلى السنة.

٢. **المُهَاجِرون**: وهم الّذين قدموا بأسرهم أو بأنفسهم بغية الهِجرَة والاستقرار في دار الإِسْلَام الوليدة، وإعمارها والجِهَاد معها، دون أن يكون لهم أهداف جهاديّة خارج أفغانستان ولا ضدّ حُكُومَات بلادهم، ولا ضدّ أعداء آخرين داخليين أو خارجين.

٣. **التَّنظِيمات الجهاديّة**: الّتي قدمت لتتابع أهدافها وبرنامجها القديم المتعلق بالجِهَاد في بلادها، ولمتابعة بناء تنظيماتها من جديد عَلى الطَّريقة التقليدية القديمة للتنظيمات (القطريّة- السرية – الهرمية) سواء من البلاد العربيَّة أو بعض الإِسْلَاميّة.

٤. **الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن وإدارة تنظيم القَاعِدَة**: ومن لحق بدعوتهم، والّذين كانَ هدفهم هو الدّعوة والعمل عَلى مُوَاجَهة الولايات المتحدة الأمريكيّة، من خلال هذا الحصن المنيع (أفغانستان)، والاحتماء بحكومتها الجَدِيدة (الطَّالِبَان) وأميرها المصابر (الملا محمّد عمر)، فرج الله كربته.

٥. **تنظيمات وجماعات أعاجم وسط آسيا**: الّذين تنوعت أهدافهم بين الهِجرَة ونصرة دار الإِسْلَام والجِهَاد معها، وبين الإِعداد للجِهَاد في بلادهم، وكان أهمّ وأكبر هذه الجماعات (المُجَاهدون من أوزبكستان) و(المُجَاهدون من تركستان الشرقية) الّتي احتلتها الصين، بالإضافة لبعض الجماعات الأخرى.

٦. **المُجَاهدون من باكستان**: وكانوا خليطا من تلاميذ العُلَماء والمدارس الدّينيّة في باكستان وهي امتداد لطالبان فكرا ومنهاجا، بالإضافة لأعضاء التَّنظِيمات الجهاديّة المختلفة العاملة عَلى جبهة كشمير، والَّتي رأت في أفغانستان خط إعداد خلفي جيد لمتابعة نشاطها،

بالإضافة للمُجَاهدين فرديا دون الجماعات والتَّنظِيمات، وقد شكل التواجد الباكستاني نتيجة القرب والتداخل في القضية مع القضية الأفغانية، حجما يوازي أو يزيد عَلى مجموع حجم الأنواع المذكورة آنفا.

- **شكلت هذه الفترة مرحلة متقدمة من نمو التّيار الجهاديّ وتطوره في بعد جديد.**

فقد أدت الحملات الإعلاميَّة الّتي شنها الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن ضدّ أمريكا وعدوانها عَلى المُسلِمِين وندا آته لتخليص الحرمين من الإحتلال الأمريكيّ والغربيّ، ثمّ إدخاله بعدا جديدا إلى دعوته، وهو تبني القضية الفلسطينية، وربط العدوان الأمريكيّ عَلى المُسلِمِين في العالم، بالعدوان الإسرائيلي الصّهيونيّ عَلى المُسلِمِين في فِلَسطِين، وإدخال قضية الحرم الثّالث في القُدس، ومسجدها الأقصى إلى قضية الحرمين، أدت هذه الحملات المركزة والمنظّمة، وردود الفعل الهائلة من قبل وسائل الإعلام الأمريكيّة عَلى هذه الحملة، ودخول تلك الموجهات إلى الفضائِيَّات الأمريكيّة والعَالَمِيّة والعربيَّة ولاسيما قناة (الجَزيرَة) القطريّة، الّتي لعبت دورا محوريا في إيصال هذه الصِّرَاع الإعلاميّ إلى مئات الملايين من المشاهدين المُسلِمِين في العالم، أدت إلى أن يأخذ التّيار الجهاديّ بعدا جديدا نحو عالميّة المَرحَلَة، رغم أن معظم التَّنظِيمات العربيَّة أو كلها لم تغير شيئا من أهدافها ولا بَرَامجها (القطريّة- السرية- الهرمية)، ولا تحولت باتجاه دعوة الشَّيْخ أُسَامَة حتَّى اللحظات الأخيرة من العام (٢٠٠١) حيث أقحمتها أمريكا قسرا في هذا الإتجاه.

- وافق هذه المَرحَلَة أحداث عالميّة بالغة الأهمّيّة والأثر عَلى العالم الإِسْلَاميّ، وكان في طليعة ذلك اشتعال الإنتفاضة الفلسطينية وانتقالها من مرحلة ثورة الحجارة الّتي انطلقت منذُ سَنَوات، إلى مرحلة العمل المُسلّح والعمليَّات الاستشهادية منذُ سنة (٢٠٠٠)، وتفاقمت الأوضاع في المنطقة العربيَّة كلها نتيجة هذا التصعيد بالإضافة إلى ازدياد آثار الحصار الأمريكيّ القاتل المدمر عَلى العراق، منذُ (١٩٩١)، وآثار ذلك أيضا، بالإضافة لإشعال حملات المطاردات الأمنيّة والحَرب العَالَمِيّة عَلى الإِرهَاب بقيادة أمريكا، حيث سارت في ركابها كافّة دول العالم، ولاسيما حُكُومَات الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة.



وسرعان ما صار الجمع العربيّ في أفغانستان وكذلك رمزه الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن، النجم الحاضر بلا انقطاع في وسائل الإعلام العربيَّة والعَالَمِيّة مصدر الهام وتثوير للصحوة الإِسْلَامِيّة وامتدادا أفقي كبيرا للتيار الجهاديّ وأنصاره في العالم.

- أخذت التَّنظِيمات والبؤر والتَّجَمُّعات الجهاديّة العربيَّة تكون نفسها في أفغانستان، **ولم يأت عام (٢٠٠٠) إلا وقد بلغ عدد الجماعات أو المُعَسْكَرَات أو التَّجَمُّعات والمشاريع الجهاديّة (أربعة عشر) تجمعا أو تنظيما أو معسكرا، معترفا به رسميا من قبل طالبان وتربطهم بوزارات الدّفاع والداخليَّة والإستخبارات بَرَامج ضبط وتنسيق وتعاون، سواء في تنسيق دعمهم وجِهَادهم إلى جانب طالبان، أو في بَرَامجهم الذاتية، عدا المجموعات الباكستانية الّتي كانَ لها أيضا ترتيبها الخاص وكانت متعددة.**
- وهذه التَّجَمُّعات الّتي كانت مستقلة عن بعضها تماما هيَ:

المجموعات غير العربيَّة:

١- **المُجَاهدون الأوزبك**: وكانت مجموعة كبيرة العدد نسبة للمجموعات الأخرى، وكان برنامجهم يهدف إلى نقل الجِهَاد إلى أوزبكستان، والإطاحة بنظام (كريموف) الشُّيُوعِيّ – الأمريكيّ ! وذلك لما يكون الوضع في أفغانستان قد استتب للطالبان، ومن خلال البرمجة التَّامَّة معهم، وكان برنامجها في ذلك الحين هو التَّجنيد والإِعداد والتّدريب، وكانت مجموعة مرتبطة بالطّالِبَان، وقد بايع أميرهم (محمّد طاهر جان) الملا محمّد عمر، بيعة إمام عام، وكذلك بايع نائبه القائد العسكريّ الشهير (جمعة باي) رَحِمَهُ الله، وكان لهم برنامجا طموحا جدا للتجنيد والدّعوة في أوساط الأفغان الأوزبك، وهم جالية تعد أكثر من خمسة ملايين نسمة، كثير منهم من المُهَاجِرين من أوزبكستان منذُ أيّام احتلال القياصرة، وما تلاه من مجازر ستالين ولينين، وكانت مجموعة منظّمة عالية الكفاءات والإمكانيَّات المادية، حيث تدعمها جاليات أوزبكية مهاجرة منتشرة في بلاد كثيرة.

٢- **المُجَاهدون من تركستان الشرقية المحتلة من قبل الصين:**

وكانت مجموعة محدودة، هاجر أكثرهم فرارا من الحكم الصيني خفية، وكان برنامجهم تربويا شاملا بعيد المدى نظرا للظروف الصعبة الّتي يعيشها المُسلِمُون في تركستان الشرقية بعد أن طبقت الحُكُومَات الصينية المتعاقبة سياسة الهِجرَة الصينية إلى بلادهم، ونجحت في تغيير خارطتها السّكّانية، لينخفض عدد المُسلِمِين التركستان من أغلبية ساحقة إلى نحو نصف السّكّان، حيث أسموها (سيانغ يانغ) يعني (الأرض الجَدِيدة)، ناهيك عن الإجراءات الشرسة منذُ الحكم الشُّيُوعِيّ لماو تسيتونغ، وكان من برنامج هذه المجموعة إرسال بعضهم لداخل بلادهم من أجل إخراج المزيد من المُهَاجِرين وإعدادهم، تمهيدا للعمل العسكريّ الّذي ينونه ضدّ الصين، وكان أميرهم الشَّيْخ الشّهِيد (أبو محمّد التركستاني) رجلا فذا ونشيطا من أروع نماذج المُجَاهدين الفارين بدينهم ولا نزكيه عَلى الله، وقد قتله الجيش الباكستاني في (وزيرستان) في نوفمبر ٢٠٠٣، قاتلهم الله، ورحمه رحمة واسعة، وقد بايعت المجموعة الملا محمّد عمر بيعة عامة أيضا، فطلب إليهم وقف برنامجهم العملي ضدّ الصين والاكتفاء بتربية من يلحق بهم، نظرا لحاجة الطّالِبَان لعلاقات جيدة مع الصين توازن الضغوط الأمريكيّة، فالتزموا ذلك،

٣- **المُجَاهدون الأتراك**: وكانوا مجموعة صغيرة من الأكراد والأتراك، وقد عملوا بشكل سري جدا، وكان برنامجهم التّدريب، ولا أدري إن كانَ لهم برنامج عملي في بلادهم في حينها.

المجموعات العربيَّة:

٤- **تنظيم (القَاعِدَة)** بزعامة الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن – حفظه الله تَعَالَى –، وبرنامجهم معروف، وقد بايع الشَّيْخ أُسَامَة أمير المُؤمِنِين بيعة إمامة كما أسلفنا.

٥- **الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة بليبيا**، وكان أميرهم (أبو عبدالله الصادق) فك الله أسره – وكان برنامجهم الرَّئيسي الإِعداد لجِهَاد نظام القذافي في ليبيا، والمشاركة في دعم القضايا الجهاديّة عامة، والمساهمة في دعم طالبان، وكان لهم مساهمة طيبة في ذلك.

٦- **الجماعة الإِسْلَاميّة المُجَاهدة في المغرب (مراكش)**، وكان برنامجهم الإِعداد وتدريب عناصرهم الّذين يفدون ويغادر أكثرهم، وكان هدفهم جِهَاد النّظام الحاكم في المغرب الأقصى، وكان أميرهم يدعى أبو عبدالله الشريف.

٧- **جماعة الجِهَاد المصريَّة**، وكانت قد تقلصت إلى حد كبير وكان هدفهم إعادة بناء الجماعة ولم شتاتها، وهدفهم معروف وكان جِهَاد النّظام الحاكم في مصر، وكان أميرهم الشَّيْخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله تَعَالَى.

٨- **الجماعة الإِسْلَاميّة المصريَّة**: وكانت مجموعة صغيرة جدا، انحصر وجودهم بصفة الهِجرَة، ولم يكن لهم نشاط مهم بعد تبني مبادرة وقف جِهَاد النّظام المصري الّتي عرفت باسم (مبادرة وقف العنف)، وكان أكثر رموزهم الهامة يقيم في إيران كما هو معروف، وانتقل بعضهم آخر أيّام طالبان إلى أفغانستان.

٩- **تجمع المُجَاهدين الجَزَائِريين**، وكان هدفهم لم شعث من استطاعوا من إخوانهم لإعادة ترتيب الجِهَاد في الجَزَائِر بعد النكبات الّتي مني بها.

١٠- **تجمع المُجَاهدين من تونس**، وكان هدفهم الإِعداد والتّدريب وجمع الشَّبَاب التونسي، بغية الجِهَاد في تونس، وكان لمعسكرهم مساهمات تدريبية، وكان فيهم كوادر سبق لها الجِهَاد في البوسنة.

١١- **تجمع المُجَاهدين من الأردن وفلسطين**، وكان برنامجهم الإِعداد والتّدريب، للجِهَاد في الأردن وفلسطين، وكان أميرهم الأخ (أبو مصعب الزرقاوي).

١٢- **مُعَسْكَر خلدن (مُعَسْكَر تدريبي عام)**، وهو من أقدم المُعَسْكَرَات العربيَّة، ويعود تأسيسه لأيّام مكتب الخدمات والشَّيْخ عبدالله عزام، وكان أميره الشَّيْخ المُجَاهد المعروف باسم (ابن الشَّيْخ – صالح الليبي –)، فرج الله أسره[١]، يعاونه الأخ أبو زبيدة، فرج الله عنه، وكانت أهداف المُعَسْكَر تدريبية محضة لدعم الجِهَاد في كلّ مكان، وكان له إنتاج طيب عبر السنين ربما تجاوز عدد من تدربوا فيه منذُ تأسيسه سنة ١٩٨٩العشرين ألفا.

١٣- **مُعَسْكَر الشَّيْخ أبو خباب المصري (مُعَسْكَر تدريبي عام)**. وكان معسكرا تدريبيا متخصصا في التّدريب عَلَى تصنيع المتفجرات والكيمياويات واستخدامها.

---

(١) بعد تسليمه للحكومة الليبية قتل على يد عسكر القذافي في السجن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ٢٠٠٩.

١٤- **مجموعة مُعَسْكَر الغُرَباء (وهي مجموعتنا) وكانت مرتبطة بالطّالِبَان وكان لها أيضا (مُعَسْكَر تدريبي عام، ومركز دراسات وأبحاث ومحاضرات...)**. وقد أسَّستُها سنة ٢٠٠٠، من أجل تأسيس مدرسة تدريبية **تقوم عَلى الإِعداد الفكريّ والمنهجي السّياسيّ الشَّرعيّ والتربوي العسكريّ الشّامل، وهو ما رأيت أن ساحة الأفغان العَرَب قد افتقرت إليه في شوطيها عَلى حد سواء**، وكان الهدف الآخر من تأسيسها إطلاق دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيَّة (الّتي فصلتها في هذا الكتاب)، بالإضافة إلى الارتباط العضوي بالإمارة الإِسْلَاميّة والمساهمة في بنائها والدّفاع عنها، والعمل في أفغانستان من خلال الترتيب مع أمير المُؤمِنِين مباشرة.

وقد شرحت أهداف المجموعة باختصار للملا محمّد عمر وبايعته في ١٥ محرم ٢٠٠١م، وارتبطت مجموعتنا من حينها بأمير المُؤمِنِين وعملت من خلال وزارة دفاع الإمارة الإِسْلَاميّة.

- **ثمّ تصاعدت الحَرب الأمريكيّة والغربيّة بمشاركة من الدّول الإِسْلَاميّة عَلى طالبان وأفغانستان، ولاسيما عَلى الشَّيْخ أُسَامَة والقَاعِدَة الّذين قاموا بتنفيذ هجومين عَلى سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السَّلام، ثمّ الهجوم الاستشهاديّ الآخر عَلى المدمّرة الأمريكيّة (كول) في ميناء عدن في اليمن، خلال هذه الفترة (١٩٩٧-٢٠٠٠)م بالإضافة للتصعيد الإعلاميّ الّذي أطلقه الشَّيْخ أُسَامَة من أفغانستان منذُ حضر إليها عن طريق سلسلة المقابلات الصحفيّة والتّلفزيونيّة الّتي كانَ يحرّض المُسلِمِين فيها عَلى حرب أمريكا وجِهَادها.**
- **وتصاعدت الضغوط الأمريكيّة، والعَالَمِيّة والتهديدات الجدية، والحصار الاقتصاديّ والإعلاميّ عَلى أفغانستان، وبدأت أمريكا تنذر بالحَرب عَلى الإِرهَابيين فيها وخاصة خصمها العنيد (الشَّيْخ أُسَامَة) ثمّ وقعت الواقعة الحاسمة في الحادي عشر من سِبتَمبر/ ٢٠٠١م.**
- فقد قامت مجموعة من أعضاء القَاعِدَة بالهجوم الاستشهاديّ التّاريخي الشّهير عَلى أبراج نيويورك والبنتاغون صبيحة الحادي عشر من سِبتَمبر من عام ٢٠٠١م.

ورغم عدم إعلان القَاعِدَة عن مسؤوليتها عن العمليَّات، إلا أن أصابع الاتهام والقرائن لدى الأمريكان كانت واضحة..

وقررت أمريكا غزو أفغانستان وإسقاط طالبان وتنصيب حكومة تابعة لها فيها، وإبادة من تستطيع إبادته من طالبان ومن التَّجَمُّعات الجهاديّة والعربيَّة المتواجدة تحت عباءة أمير المُؤمِنِين.

ولست هنا بصدد الانخراط في التّاريخ لأحداث بالغة الأهمّيّة شهدتها بنفسي، بل كنت جزأ منها في أفغانستان، وكما أسلفت فلدي العزم عَلى ذلك إن شاء الله وأعان، ولكني سأقتصر هنا عَلى ماله علاقة بهذا الفَصل وهو أثر ذلك الحدث عَلى مسار التّيار الجهاديّ.

ذلك الأثر الّذي أدى بحسب ما أعتقده إلى وضع نهاية مأساوية للتيار الجهاديّ وإنهاء مرحلته الّتي امتدت منذُ مطلع الستينات من القرن الماضي وإلى سِبتَمبر ٢٠٠١م.

حيث دخل التّيار الجهاديّ محنة الأخدود المعاصر الّذي ابتلع معظم كوادره خلال السَنَوات الثّلاثة التّالية (٢٠٠١-٢٠٠٤)م.

لتبدأ بعد ذلك وبعد احتلال العراق الّذي جرى بعد ذلك بسنتين، مرحلة تارِيخِيَّة جديدة من تاريخ التّيار الجهاديّ بل الصّحوة الإِسْلَاميّة والعالم العربيّ والإِسْلَاميّ بل العالم أجمع.

- **بعض مترتبات الحدث وتوابعه:**

لقد كانت خسائر العدوّ في هجوم سِبتَمبر كبيرة بكل المقاييس، وأرجو أن تكون قد وضعت بداية السُّقوط الحقيقي إن شاء الله لهذه الدّولة البربرية الهمجية المسماة (الولايات المتحدة الأمريكيّة)، الّتي جسدت قمة وحشية الحضارة الغربيّة المعاصرة، الّتي باشرتها دول أوروبّا الاستعماريّة وساهمت فيها روسيا ثمّ ورثت كلّ صفاتها الشيطانية أمريكا وأقامت عَلى أساسها نظام الاستكبار اليَهُوْدي الصّليبيّ المعاصر.

لقد كانت القَاعِدَة جزءا رئيسيا من كتلة المُجَاهدين الأفغان العَرَب في أفغانستان، والّذين كانوا بدورهم جزءا هاما من التّيار الجهاديّ العام، الّذي يتكون من مجموع التَّنظِيمات والجماعات والتَّجَمُّعات الّتي تنتشر في معظم بلدان المُسلِمِين بل وفي كثير من بلدان المهجر، كما يضم كثيرا من

الأفراد والكوادر الجهاديّة من العُلَماء والمفكرين والدعاة والكتاب الّذين حملوا جميعا الفكر الجهاديّ الّذي يتبنى منهجا محددا كما يتبنى العمل المُسلّح وسيلة لإقامة شريعة الله ودفع الظُّلم عن الإِسْلَام والمُسلِمين كحل لا بديل عنه لحل ما تراكم من مشاكل هذه الأُمّة.

ولقد دمجت الآلة الأمريكيّة كلّ ذلك التّيار ومكوّناته بل ومناصريه، بل وكل من أرادت أن تصفيه من كامل طيف الصّحوة الإِسْلَاميّة عَلى اختلاف مدارسها تحت مسمّى (القَاعِدَة) وجعلتهم جميعا هدفا لحربها تحت شعار مكافحة الإِرهَاب، وهذا موضوع يستأهل البحث وليس محله هذا الكتاب، لأن أمريكا حققت من وراء هذا التعميم غير الواقعي أهدافا في غاية الخبث والخطورة.

ولقد تبع انهيار البرجين في نيويورك، وتهدم جدار البنتاغون عَلى رؤوس جنرالات أمريكا، انهيارات كثيرة في الصف الإِسْلَاميّ، ولحق بأطراف عديدة خسائر فادحة، وكان ممن لحقهم كثير من الخسائر كافّة أطراف ومدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة، وكان أكثرهم تضررا التّيار الجهاديّ وتنظيماته وكياناته المختلفة كافّة، على صعيد الأفراد والقيادات والجماعات في كلّ مكان، بل لقد طالت التوابع وردود الأفعال من قبل العدوّ كلّ مسلم في كلّ مكان، وقد كانَ هذا سببا في أن كثيرا من أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة، بل وحتى بعض الجهاديّة لم تنظر لهذا العمل المجيد بعين الارتياح.

وقد انتقده كثير من المُسلِمين المخلصين قناعة منهم بأنه:

- قد جلب البلاء عَلى المُسلِمين ووضعهم في معركة غير متكافئة سيكونون فيها الخاسر الأكيد.
- وأنه برر الهجمة الأمريكيّة وأعطاها المسوغ لإعادة احتلال العالم الإِسْلَاميّ وإنزال أفدح الخسائر بالمُسلِمين.
- وأنه ألغى عمليا معظم البَرَامج الذاتية لكثير من مشاريع الجِهَاد القطريّة والإقليمية بالتبعية تلقائيا.
- بل إنه سبب إزالة الإمارة الإِسْلَاميّة الوليدة في أفغانستان ملغيا القَاعِدَة الوحيدة الّتي فاءت إليها معظم مشاريع الجِهَاد وجماعاته وقياداته... إلى أخره.

ولكثير من هذه الانتقادات دليل مما نلمسه ونعيشه، ومن هذا المنظور فربما أن لوجهات النَّظر هذه مايبررها.

ولكن من جهة أُخرى وحتَّى نأخذ الصُّورة بكل معطياتها، فإن المتابع للسياسات الأمريكيّة فيما يتعلق بالعالم الإِسْلَاميّ، بل بكافة العالم الثّالث وخاصة منطقة الشّرق الأوسط، وذلك من خلال ممارساتهم ومن خلال الكتابات المعلنة لكبار مفكريهم ومنظريهم وواضعي إستراتيجياتهم السّياسيّة، عبر الكتب المنشورة، والتقارير والدراسات الّتي تعدها كبريات مراكز الدراسات عندهم وينظر لها كبار المفكرون من أمثال كتابات كيسنجر ونيكسون وهينينغتون، يجد أنها قد أعربت وصرحت بأهداف السّياسة الأمريكيّة في القرن الواحد والعشرين، وعن الرغبة الجامحة بالإنفراد بالسّيطرة عَلى العالم، وهو برنامج وضع للتنفيذ بصرف النَّظر عن أحداث سِبتَمبر كانت أو لم تكن.

لقد صرح نيكسون في كتابه (نصر بلا حرب) بأن عَلى أمريكا أن تعمل عَلى أن يكون القرن ٢١ قرنا أمريكيا ويجب أن تعمل عَلى تفكيك الإتحاد السُّوفيتيّ، ومنع نهضة الصين وتفتيتها إلى قوميات متصارعة، وعرقلة قيام الوحدة الأوروبية، وكبح التقدم الصناعي لجنوب شرق آسيا والسّيطرة عليها والتخطيط للسيطرة عَلى المارد المسلم الّذي يتململ استعدادا للنهوض عَلى حد تعبيره، كما شكلت أمريكا قوَّات التدخل السريع (المارينز) من أجل احتلال منابع النّفط منذُ أيّام كارتر مطلع السبعينات، هذا بالإضافة للسياسة المبنية عَلى معتقدات المتطرفين الصّليبيّن الّذين بنوا تصوُّراتهم الإنجيلية التوراتية بحسب التفسيرات الصّهيونيّة كأساس لمذهب المسيحية الأمريكيّة المتعصبة، الّتي تعتمد فكرة دعم إسرائيل واليَهُوْد بانتظار المَعْرَكة الطاحنة في (هرمجدون) في شمال فِلَسطِين كمقدمة لنزول المسيح لتخليص النّصَارى، هذا بالإضافة لفلسفات شريرة وضعوها بناء عَلى نظَريَّات صِرَاع الحضارات وسيطرة العرق الأبيض، وهذه المعلومات أصبحت مما تتحدث به وسائل الإعلام العَالَمِيّة بصراحة، عن ظاهرة (المحافظين الجدد)، وهي الفئة النّصرانية المتصهينة الّتي ينتمي إليها بوش وأعوانه.

والدلائل كثيرة جدا عَلى أن أمريكا قد تحركت نحونا منذُ أن انهيار الإتحاد السُّوفيتيّ وافتتحت ذلك بحرب الخليج، ثمّ بسلسلة المؤتمرات الأمنيّة ضدّ ما أسموه الأصوليَّة الإِسْلَاميّة وذلك عقب الإجتماع الهام الّذي جمع (ريغان – تاتشر- غورباتشوف) والّذي وضعوا فيه علنا الإِسْلَام خصما حضاريا للحضارة الغربيّة بعد انتهاء الحَرب الباردة وقرروا ضمّ مكوّنات حلف وارسو لتدخل في حلف النّاتو الّذي سيقود الحَرب الصّليبيّة عَلى المُسلِمِين.

وهناك كثير من الوثائق الّتي تثبت ذلك لا ننقلها هنا خشية الإطالة. وهذه المعلومات مشتهرة بين المثقفين العَرَب والمُسلِمين وفي وسائل الإعلام.

وكلها مؤداها أن أمريكا وإسرائيل وأوروبّا الغربيّة كانت ماضية باتجاهنا من قبل ما حدث في سِبتَمبر وأن أمريكا كانت غير عاجزة عن إيجاد أي ذريعة فيما لو لم توجد القَاعِدَة ولم تحدث انفجارات ١١- سِبتَمبر، تماما كما اتخذت من العراق ذريعة لاحتلال الخليج في حرب الكويت، وكما اتخذوا اليَوْم ذرائع لإحتلال العراق والتمدد نحو الشّام والجَزِيرَة، فكل أدِلّة المنطق والواقع تثبت بأن أحداث سِبتَمبر ليست السبب في هذه الهجمة وإن كانت قد عجلت بمُوَاجَهة محتومة وجعلتها أكثر (دراماتيكية).

وحتى هجوم أمريكا عَلى أفغانستان فمن المسلم به في جميع وسائل الإعلام العَالَمِيّة وعلى لسان كثير من السّياسيّين أنه هجوم سببه المصالح الأمريكيّة في نفط وسط آسيا واحتياجها لنظام يحفظ نقله إلى الخليج من أفغانستان ويكمل إغلاق الحلقة الأمريكيّة حول الصين ويحاصر إيران من الشّرق ويزيل أي إمكانية لحكم المُسلِمِين بالشّريعة في أفغانستان حتَّى لا تكون سابقة تحتذى، فلم يكن الشَّيْخ أُسَامَة ولا الأفغان العَرَب ولا مُجَاهدو وسط آسيا المقيمين في حماية طالبان سبب الهجوم عَلى أفغانستان، بل كانَ السبب هو قيام طالبان بالحكم بالشّريعة وتمرد نظامهم عَلى شريعة أمريكا في السّياسة الدّولية، بالإضافة للإطماع الإمبراطورية الأمريكيّة في المنطقة، والله تَعَالَى أعلم.

- وبعيدا عن اختلاف وجهات النَّظر من الحدث وتداعياته، فقد فرض واقعا عَلى المُسلِمِين وأقطاب الصّحوة الإِسْلَاميّة والقيادات الجهاديّة أن يواجهوه الآن، وأن يعلموا أن أمريكا



قد قررت وفرضت عدوانها عَلى المُسلِمِين، وبهذا الزخم ورتبته مع اليَهُوْد وحلفائها الأوروبيين وروسيا منذُ انهيار الإتحاد السُّوفيتيّ وإزاحة سور برلين بين حلف وارسو وحلف النّاتو، ووزعت الأدوار، الّتي خصت قسطا كبيرا منها وأوكلته لحُكُومَات الرِّدَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، فهذه الحَرب القائمة الآن، فرضها العدوّ ونفذها، من قبل سِبتَمبر/ ٢٠٠١ ولم توجدها أحداثها، حرب فرضتها المصالح الاقتصاديَّة والجغرافيّة السّياسيّة، وهي نتيجة الجُذُور التارِيخِيَّة والتصوُّرات الدّينيّة لمعتقدات اليَهُوْد والأمريكان عن الصِّرَاع مع المُسلِمِين.

- وتفاصيل أحداث سِبتَمبر معروفة، وأشهر من أرددها هنا حيث لا مجال للإطالة، ولذلك سأقفز عن تفاصيلها، إلى تداعيات الحدث عَلى التّيار الجهاديّ في أفغانستان، حيث كانت قد تواجدت نخبته عَلى صعيد القيادات والرموز والكوادر وقيادات التَّنظِيمات والجماعات والكتل الجهاديّة الرَّئيسيَّة في العالم العربيّ ووسط آسيا والباكستان في ذلك الوقت.

تداعيات أحداث سِبتَمبر ٢٠٠١ عَلى التّيار الجهاديّ في أفغانستان:

- ابتدأ الأمريكان الحَرب بموجات من القصف الجوي المركز منذُ مطلع شهر ١٠ وإلى أواسط ١١، وزحفت طلائع تحالف الشمال لتقوم بالحَرب عَلى الأرض نيابة عن الأمريكان من ثلاث محاور.
- من الشمال نحو كابل، ومن الحدود الباكستانية من الجنوب الشرقي نحو قندهار، ومن الشمال الشرقي نحو جلال أباد، وسقطت مزار شريف، ثمّ كابل بيد تحالف الشمال في شهر ديسمبر ٢٠٠١.
- واستولت الشراذم وقطاع الطرق والحرامية والقبائل الّتي عملت في البرنامج الأمريكيّ عَلى المدن تباعا، وتهاوت مقاومة طالبان واستسلمت حامياتهم وقياداتهم بصورة مفاجئة للجميع.

- وخلال أقل من أسبوع بعد سقوط كابل، أعلن عن سقوط طالبان، وتسليم (كرزاي) مقاليد الأمور، ثمّ تابع عملاء أمريكا عَلى الأرض تنفيذ المهام، الّتي لعبت ملايين الدّولارات دورا هاما في أدائها عَلى الوجه الأكمل قذارة وبشاعة،
- ثمّ أطلقت أمريكا بزعامة (بوش) ما أسمته (الحَرب العَالَمِيّة عَلى الإِرهَاب) والَّتي لعبت فيها الباكستان الدَّور الرَّئيسي، حيث تولت تصفية واعتقال الّذين توجهوا نحو الملاذ الوحيد عَلى أراضيها، ثمّ تلتها مختلف الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة بالمشاركة، بالإضافة لما قام به حلفاء أمريكا الكبار، مما أدى إلى تدمير ما تبقى من التّيار الجِهَاد تدميرا كبيرا.

- وأما ما يهمنا من أمر الجمع العربيّ من الجهاديّين والمُهَاجِرين في أفغانستان، فخلاصة ما حصل؛ مجزرة تارِيخيَّة للتيار الجهاديّ هيَ الأسوأ في تاريخه كله، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

وكانت خُلاصة الخسائر والمصائب منذُ انطلاق أحداث الكارثة وإلى ساعة تحرير هذه السُّطُور في شهر سِبتَمبر من عام ٢٠٠٤ أي خلال ثلاث سَنَوات عجاف، ودون الدخول في التفاصيل كالتالي.

- استشهاد زهاء (٤٠٠) مُجَاهد عربي خلال معارك الدّفاع عن أفغانستان، حيث استبسلوا في الدّفاع عن مختلف خطوط القِتَال، أو سقطوا بفعل القصف المكثف أثناء عمليَّات انسحاب أرتال السيارات من المدن الرَّئيسيَّة باتجاه الحدود الباكستانية.

- أسرت باكستان بفعل خيانة بعض رجال القبائل الحدودية الباكستانيين، نحو (١٥٠) مُجَاهد خرجوا من معارك (توره بوره) بعيد الحَرب مباشرة خلال الشهر الأوّل من عام (٢٠٠٢)، وجرى تسليمهم للأمريكان الّذين نقلوهم إلى مُعَسْكَر الاعتقال سيء السمعة في غوانتانامو، في جَزِيرَة كوبا.

- استشهاد نحو (١٠٠) مُجَاهد تقريبا في اشتباكات متفرقة مع الجيش الباكستاني في مناطق الحدود أو عَلى طرق السفر، أو داخل بعض المدن في باكستان خلال السنتين التاليتين من مطلع (٢٠٠٢) وإلى سِبتَمبر (٢٠٠٤).

- أسرت القوَّات الباكستانية خلال تلك الفترة ما يزيد عَلى (٦٠٠) مُجَاهد عربي من الفارين بأنفسهم وأسرهم والمختفين عَلى أراضيها، وقامت بتسليمهم إلى أمريكا مباشرة ليزج أيضا بهم في معتقل غوانتانامو، أو معتقلاتها الوحشية في أفغانستان.

- إعتقلت إيران عَلى أراضيها أكثر من (٤٠٠) مُجَاهد عربي، سلمت معظمهم لبلادهم كما اعترفت بذلك حكومتها رسميا، وما يزال ما يقرب من مئة منهم أسرى في إيران، -بحسب ما ذكرت مصادر الحكومة الإيرانية - قيد السّجون والمساومات السّياسيّة مع أمريكا.

فإذا ما اعتبرنا أن العدد الإجمالي للمُجَاهدين العَرَب الّذين تواجدوا في أفغانستان وقت هذا الحدث زهاء (١٩٠٠) مُجَاهد بمن فيهم أرباب الأسر من المقيمين والمُهَاجِرين، تكون الخسائر قد جاوزت ما بيت شهيد وأسير(١٦٠٠) مُجَاهد من أصل الـ(١٩٠٠) أي نحو(٧٥٪) من القَاعِدَة البشرية للأفغان العَرَب الّذين تواجدوا في أفغانستان تلك الفترة، كما أدت حملات المطاردة والاعتقال الّتي شنتها أمريكا وأجهزة الأمن المتعاونة معها في أوربّا وبلدان العالم العربيّ والإِسْلَاميّ بل في كلّ العالم إلى اعتقال وأسر مئات الجهاديّين من أعضاء الجماعات أو المتعاطفين مع التّيار الجهاديّ أو من المظلومين القريبين منهم من الّذين أسروا دون أن يكون لهم ناقة ولا جمل في هذا الصِّرَاع.

- هذا بالإضافة إلى الخسائر الفادحة في صفوف الجهاديّين من وسط آسيا وخاصة من المُجَاهدين الأوزبك ومن معهم من بلاد وسط آسيا، الّذين استشهد معظم كادرهم العسكريّ وربما جاوز هذا الرقم زهاء ٥٠٠ شهيد عدى الأسرى، استشهد أكثرهم في أفغانستان، وبعضهم في معارك مع الجيش الباكستاني المدعوم بالقوَّات الأمريكيّة في منطقة وزيرستان.

كما وقعت خسائر فادحة في صفوف المُجَاهدين من تركستان الشرقية بنفس الطَّريقة، وكان آخر هذه الخسائر استشهاد أميرهم (حسن أبو محمّد التركستاني) مع بعض إخوانه رحمهم الله تَعَالَى، وأكرم نزلهم في المُهَاجِرين الغُرَباء الفرارين بدينهم، وقد قتله الجيش الباكستاني - قتلهم الله - في شهر ١١/ ٢٠٠٣، أثناء عمليَّات المطاردة في إقليم سرحد.

حتَّى صرح (رامسفيلد) وزير الدّفاع الأمريكيّ أواسط عام (٢٠٠٣) أن حملتهم الأمنيّة والعسكريّة عَلى الإِرهَاب قد مكنتهم من قتل وأسر ما يزيد عَلى (٣٠٠٠) إرهابيّ بحسب وصفه، وأعتقد أنه رقم قريب من الواقع، فقد وصلت الخسائر في أفغانستان وباكستان وإيران إلى أكثر من نصف هذه الرقم، فيما وصل عدد الأسرى من الجهاديّين والمتعاطفين معهم في بَرِيطَانيَا وحدها إلى نحو(٣٠٠) أسير، كما أشارت لذلك إحصائيات رسمية، ناهيك عن العشرات الّذين أعلن عن اعتقالهم في باقي الدّول الأوروبية، أما في الدّول العربيَّة فقد شنت اليمن حملة عَلى الجهاديّين والعائدين من أفغانستان وعلى المتعاطفين معهم، قتل فيها العشرات وأسر المئات، كما أعلنت السّعُودِيّة عن توقيف أكثر من (٢٢٠) أخ نسبت لهم تهمة القَاعِدَة رسميا، ناهيك عن أن عدد الأسرى والموقفين والّذين حقق معهم في السّعُودِيّة، هو رقم من فئة الآلاف، أسر منهم دون تهمة أو محاكة المئات وأودعوا السّجون، وذلك أن السّعُودِيّة واليمن كانتا من البلاد الّتي قدم إلى أفغانستان منها أكبر نسبة من الشَّبَاب العَرَب وكانتا من أكثر الدّول مطاردة لهم أيضا، كما طالت الحملات المئات هنا وهناك في كلّ مكان، ليكون آخرها ما جرى في المغرب، منذ شهر١١/ ٢٠٠٣، حيث اعتقل المئات أيضا، وصدرت عشرات أحكام الإعدام والسّجن المؤبد والمدد الطويلة في حقهم وطال البلاء مئات الأبرياء من حملة الفكر الجهاديّ والمتعاطفين معهم ممن لا علاقة لهم بأي أعمال، وتوسعت دوائر التهمة والبلاء لتشمل معظم الجهاديّين ومعظم المتعاطفين معهم في كافّة أنحاء العالم، من القرن الإفريقي إلى الفلبين، إلى إندونيسيا وجنوب شرق آسيا، إلى تركيا، إلى كلّ أقطار الدُّنيَا.

لقد كانت المصيبة كارثية وعظيمة بكل معنى العظمة والكارثة لثلاثة أسباب:

١. أن هذا الرقم الّذي طال ما بين (٣٠٠٠- ٤٠٠٠) عنصر من الجهاديّين وأنصارهم ومؤيديهم بحسب المعلن، والواقع أكبر من ذلك بكثير، يمثل في الحقيقة معظم الشريحة العاملة من الجهاديّين في هذا الزّمان، بل يضم كثيرا من الدّائرة الأساسيّة للمتعاطفين معهم في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ وفي الجاليات الإِسْلَاميّة في الغرب، فقد مثلت هذه الملحمة عمليَّة استئصال للقاعدة البشرية الأساسيّة للتيار الجهاديّ في هذا العصر.

٢. أن الضربة القاصمة الّتي حلت بالمُجَاهدين العَرَب ومن وسط آسيا في أفغانستان وباكستان، قد أطاحت بالنُّخبَة الأساسيّة من كوادر وقدماء التّيار الجهاديّ، وبخلاصة قياداتهم ورموزهم ممن تبقى من العاملين من جيل الأفغان العَرَب الأوائل وهم زهاء (١٥٠) كادر مُجَاهد هو زبدة من تبقى من الرموز والعاملين في التّيار الجهاديّ خلال ربع القرن الأخير من القرن العِشرين، وقد سحق القتل والأسر معظم هذه الزهرة، وربما لا أبالغ إن ذكرت للتاريخ معلومة يعرفها العدوّ، ولم يتفرغ أحد بعد من هول الصدمة لإحصائها، ولا أبالغ إن قلت أنه لم يعد بين هَؤُلَاءِ من الأحياء، وغير المأسورين، ربما إلا رقم يسير جداً جداً، أسأل الله أن يحفظهم ويعينهم عَلى إعادة البناء

٣. أن الكارثة قد تعدت إلى أن يلتهم الأخدود حتَّى بعض من تربى عَلى هَؤُلَاءِ من طليعة كوادر الجيل الجهاديّ الثّالث، من الشَّبَاب الّذين قدموا إلى ساحة الجِهَاد الجَدِيدة في أفغانستان خلال الشوط الثّاني للأفغان العَرَب (١٩٩٦-٢٠٠١)، ولله الحمد فقد نجى كم لا بأس به من هَؤُلَاءِ، وتفرقوا في أنحاء الأرض ولله الحمد.

وبعودة للتركيز في هذه الفقرة من هذا الفَصل بعد هذا الاستطراد المأساوي، أقول:

أن التّيار الجهاديّ الّذي ابتدأ مساره مطلع الستينات، وازدهر أواخر السبعينات ومطلع الثمانينات، وتألقت آماله في أفغانستان بقيام الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان، قد شهد أخدودا عظيما رسم نهاية حقبته السالفة بعد أحداث سِبتَمبر (٢٠٠١).

لتبدأ مرحلة جديدة لمسار التّيار الجهاديّ في مُوَاجَهة الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية المعاصرة، بإذن الله.

ومن أجل المساهمة في انطلاق تلك الآمال أكتب هذا الكتاب، حيث تستهل الفترة بمُوَاجَهة الحَرب (العَالَمِيّة عَلى الإِرهَاب) بقيادة أمريكا، وبغزواتها العسكريّة المباشرة في أفغانستان العراق والشرق الأوسط، حيث تبدوا في الأفق ملامح ساحات جديدة للصدام ومعطيات جديدة تترك

بصماتها عَلى مسار الجِهَاد الظافر بإذن الله، والّذي بشر باستمراره وبقائه، أشرف الخلق محمّد عليه الصّلاة والسَّلام.

سابعا : أهمّ التَّجَارب الجهاديّة المُسلّحة في النصف الثّاني من القرن العِشرين

للأسف الشديد! فإن القَاعِدَة الأساسيّة في دائرة العمل الإِسْلَاميّ عامة والجهاديّ خاصّة هيَ:

(قلة العاملين في قطاع الكتاب، وقلة الكتاب في قطاع العاملين).

ولذلك فقد اندثرت معظم التَّجَارب الجهاديّة الهامة للتيار الجهاديّ، بل ولعموم تجارب الظَّاهِرة الجهاديّة دون أن يكتب عنها أصحابها، وأقصد من قاموا بها أو شهدوها بأنفسهم، أو كانوا عَلى احتكاك حقيقي وعضوي بهم ومعهم، وفي حدود علمي فإن من بين عشرات التَّجَارب الطويلة الأمد أو المحدودة، لم يكتب أحد من أصحاب تلك التَّجَارب شيئا يذكر، أو لم يصل عَلى الأقل للانتشار، وقد فات عَلى الأُمّة وأجيالها القادمة بذلك، دروسا بالغة الأهمّيّة، وقصصا وتفاصيل أحداث بالغة الروعة والدلالة، من تلك الملاحم الّتي قام بها الجيل الأوّل والثّاني، من هذا التّيار الجهاديّ، منذُ انطلق وإلى نهايات القرن العِشرين ومطلع الحادي والعشرين.

في حين تطفل عَلى الكتابة نيابة عن أصحاب التَّجَارب، بعض الخصوم، أو بعض التجار من الصحفيين، أو بعض القاعدين من (دونكيشوتات) الصّحوة الإِسْلَاميّة من أصحاب الكروش الّتي تربت تحت برد المكيفات.

وقد حاولت أن أخرق هذه القَاعِدَة بصفتي أحد قلائل الميدانين الّذين عملوا في هذا التّيار عبر بعض تجاربه، واحتكوا بالكثيرين من رموز تجارب أُخرى، وسأورد ملخصا عن ذلك إن شاء الله تَعَالَى في هذا الفَصل.

- فقد كتبت كتاب (الثَّورة الإِسْلَاميّة الجهاديّة في سوريا -آلام وآمال-) وقد اشتمل عَلى خُلاصة تاريخ ذلك الجِهَاد والكثير من وثائقه ودروسه، ويقع الكتاب في نحو(٩٠٠) صفحة وطبع سنة ١٩٩٠م.

- وكذلك كتبت كتاب [شهادتي في الجِهَاد في الجَزَائِر(١٩٨٩-١٩٩٦)]، والّذي فقدت مسوداته النّهائيّة وهي نحو(٢٠٠) صفحة مع ما تركت من حاجاتي في كابل أثناء سقوطها في ديسمبر (٢٠٠١)، وأعدت كتابته خلال محنتنا هذه في باكستان وسأنشره مع هذا الكتاب إن شاء الله.

- كما كتبت كتابا موثقا عن محنة الُمجَاهدين الأفغان العَرَب وعموم الإِسْلَاميّين في الباكستان خلال هذه السَنَوات الثّلاثة بعد سِبتَمبر٢٠٠١، وسأنشره قريباً أيضا إن شاء الله.

- وقد وضعت الآن فهارس وبعض المسودات لكتاب مهم جدا ليغطي تاريخ ودروس أهمّ تجارب القرن الماضي فيما أعتقد وهي (تجربة التّيار الجهاديّ في كنف طالبان منذُ قيام الإمارة ١٩٩٦ وإلى سقوطها بعد أحداث سِبتَمبر٢٠٠١ ثمّ تداعيات ذلك..)، أسأل الله أن يعيني عَلى إنجازه بعد إنجاز هذا الكتاب الهام، ويقدرني عَلى شهادة ترضيه ويعيني عَلى تبعاته، ويكتب لي أجره.

ولذلك ولكي تتم الفائدة من هذا الفَصل، سأورد هنا خُلاصة بأهم التَّجَارب الجهاديّة الّتي وقعت خلال النصف الثّاني من القرن الماضي، بحسب ما بلغني من أصحابها مباشرة من خلال معايشتي للتيار الجهاديّ، ولعلّ في هذا حافزا للأحياء من أصحاب تلك التَّجَارب كي يكتبوا عن تجاربهم.

وسأذكرها بحسب تسلسل ابتدائها التّاريخي إن شاء الله، وأهم تلك التَّجَارب:

١- تجربة حركة الشبيبة المغربية (١٩٦٣):

والَّتي أَسَّسَها الشَّيْخ عبد الكريم مطيع حفظه الله، وقد حاول إنشاء تنظيم جهاديّ مسلح للثورة عَلى نظام الملك الحسن الثّاني في المغرب، وقد اعتقلت خلايا التَّنظِيم وسجن كثير من عناصرها، وهاجر من نجى بمن فيهم الشَّيْخ عبد الكريم إلى خارج المغرب واندثر نشاط الحركة.

وقد عثرت عَلى كتابات للشيخ عبد الكريم مطيع وفيها فكر جهاديّ ناضج ومتميز بشكل عام، كما عثرت عَلى كتاب يؤرخ لتلك المحاولة، ثمّ فقدته مع مكتبتي في لندن بعد هجرتي المستعجلة في سنة (١٩٩٧)، ولم يمكن في ذلك الكتاب مادة تارِيخِيَّة أو منهجيّة مهمة، كما التقيت بأحد الأعضاء القدماء

من ذلك التَّنظِيم أثناء إقامتي في لندن (١٩٩٤-١٩٩٧) وحدثني عن فصول تارِيخِيَّة هامة في تجربتهم، ولكنها لا تحضرني الآن.

٢- تجربة تنظيم الجِهَاد المصري(١٩٦٥-٢٠٠٠):

كانَ للشهيد سيد قطب رحمه الله تجربة محاولة بكي يضع دعوته وأفكاره موضع التنفيذ، وقد تأسس ذلك التَّنظِيم عَلَى نخبة من الشَّبَاب المُجَاهد في مصر ممن عاصروه، وكان أكثرهم من كوادر الإخوان المُسلِمِين في حينها، وقد نشرت وثيقة تارِيخِيَّة بعنوان (لماذا أعدموني) نسبت للشهيد الراحل (سيد قطب) يدل سياقها وشهادة بعض من عناصر عَلَى صحة نسبتها إليه، وبحسب تلك الوثيقة فقد ذكر سيد قطب رحمه الله ؛ أن نخبة من الشَّبَاب المُجَاهد كانَ قد شكل بعض الخلايا السرية بغية مُوَاجَهة نظام عبد النّاصر إثر الهجمة الوحشية الّتي قامت بها أجهزة الأمن والقضاء المصري في عهد الهالك عبد النّاصر عَلَى الإخوان المُسلِمِين سنة (١٩٦٥)، ومن قبلها سنة (١٩٥٤) حيث إعدام بعض كوادرهم وسجن عشرات الآلاف منهم في السّجون التارِيخِيَّة الرهيبة، وقد ذكر في تلك الوثيقة؛ أن أولئك الفتية قد قصدوه ليكون أميرا لذلك التَّنظِيم وأنه قد قبل أن يكون موجها وأبا روحيا لهم، وأنه وضع معهم بعض المخططات العسكريّة، وذكر أنه اعتقل مع أولئك الشَّبَاب إثر تلك المحاولة.

وقد حكم عَلَى (سيد قطب) رحمه الله بالإعدام وقتل مع نفر من أولئك الشَّبَاب، حيث وئدت تلك المحاولة في مهدها.

وقد سمعت من الدكتور (أيمن الظواهري) في بعض تسجيلاته، ولعلي سمعت في بعض الجلسات المباشرة أيضا، أن بعض تلاميذ سيد ومعاصريه من الشَّبَاب الّذين تأثروا بفكره، قد تابعوا النَّشَاط السري والدّعوة لأفكاره، لتتحول تلك النَّشَاطات فيما بعد إلى الخلايا الأولية لتنظيم الجِهَاد المصري الّذي إعتقلت بعض كوادره وقياداته إثر عمليَّة اغتيال أنور السادات (١٩٨١)، ومازالت قيد السّجن إلى يومنا هٰذا.

ويبدو أن محاولات جهاديّة عديدة قد حصلت في مصر بعد ذلك، وكان من أبرزها المحاولة الّتي دعيت بأحداث (الفنية العسكريّة)، وهي محاولة انقلابية محدودة وفاشلة، قادها الشّهِيد (صالح سريه) رحمه الله وحوكم فيها عدد من كوادر الجهاديّين وأعدموا.

ولكن تنظيم الجهاديّ عاد إلى النَّشَاط وتبلور بشكل جيد في عهد الإنفتاح زمن السادات في النصف الثّاني من السبعينات ثمّ تلا ذلك رحيل عدد من قياداته وكوادره وعلى رأسهم الدكتور (أيمن الظواهري) إلى أفغانستان سنة (١٩٨٦)، وقد عاصرت هذه التَّجربة عن قرب من خلال علاقتي الوطيدة مع أقطابها خلال تجربة الأفغان العَرَب بشوطيها في أفغانستان، ورغم أنّي أعتقد أن التَّجَارب الجهاديّة في مصر هيَ من أنضج التَّجَارب الجهاديّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ عَلى الصعيد الفكريّ والمنهجي وأكثرها عطاء ورسوخا، وكذلك فإنها من بين التَّجَارب الأهم عَلى الصعيد التَّنظِيمي والحَرَكيّ، إلا أنّي علمت من الدكتور أيمن أن أحدا لم يتفرغ لكتابة تاريخها الّذي تملك وثائقه أقبية التعذيب والتحقيقات في أجهزة مباحث وأمن الحكومة المصريَّة، وقد اطلعت عَلى مسودات كتاب في هذا الصدد أرسله إلي الدكتور أيمن للإطلاع عليه مطلع سنة (٢٠٠١) في كابل، وكان طيبا، ولكنه كانَ محدودا جدا قياسا لطول وحجم تلك التَّجَارب، وقد ناقشت الدكتور في ذلك وحرضته عَلى التوسع فيه لأنه خير شاهد حي ومطلع وميداني، يتوجب في حقه كتابة ذلك التّاريخ، وكأنه اعتذر لأن المشاغل الحَرَكيّة كانت تشغله عمليا عَلى مدار الليل والنَّهَار في أفغانستان تلك الأيّام، واسأل الله أن يمد في عمره وعمر من تبقى من إخواننا من ذلك الجيل عسى أن تكتب تلك التَّجَارب،

وقد حاول الدكتور (أيمن الظواهري) وعدد من كوادر تنظيم الجِهَاد بعد وصولهم إلى أفغانستان العمل عَلى تأسيس تجربة جهاديّة مهمة ضمن تجارب التّيار الجهاديّ المعاصر، وذلك من خلال تجربتي الأفغان العَرَب (١٩٩٦-١٩٩١) و(١٩٩٦-٢٠٠١)م، وأختصر أهمّ ما يحضرني من تلك التَّجربة من خلال المعايشة والقرب من روادها ونشأتها بالنقاط التّالية:

- وصل الدكتور أيمن مع كوكبة من كوادر تنظيم الجِهَاد من مصر إلى بيشاور سنة (١٩٨٦م) وما تلاها، وذلك بعد أن كانَ قد سجن لثلاث سَنَوات عَلى ذمة قضية تنظيم الجِهَاد ودوره

في قتل السادات، وكان لهم حضور ونشاط بارز وسط الأفغان العَرَب خلال مرحلة (١٩٨٦-١٩٩١م).

- حصل تعاون عَلى أكثر من صعيد بينهم وبين (الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن) الّذي كانَ يعتزم إنشاء تنظيمه الخاص الّذي عرف باسم القَاعِدَة آنذاك والّذي تأسس رسميّاً مطلع (١٩٨٨م) وقام عَلى جهد عدد من الكوادر والمدربين كانَ من أبرزهم كوادر تنظيم الجِهَاد، وكان من أبرز أولئك الشّهِيد (أبو عبيدة البنجشيري) رَحِمَهُ اللَّهُ الّذي توفي أثناء إدارته لعمل القَاعِدَة في كينيا إبَّان إقامتها في السُّودَان(١٩٩٢- ١٩٩٦م) في حادث غرق سفينة في بحيرة (فكتوريا)، وكذلك الشّهِيد (أبو حفص المصري- محمّد عاطف) الّذي استشهد في معارك سقوط الإمارة نوفمبر(٢٠٠١م) في قصف أمريكي لمقر إدارته في قندهار وكان المسؤول العسكريّ للقاعدة، وقد استفاد تنظيم الجِهَاد من هذا التّعاون الّذي وفر له إمدادًا ماديًا مهمّاً مكّنه من إنشاء معسكراته المستقلة في أفغانستان وإدارة الحركة ومتابعة نشاطه في مصر.
- كانَ خُلاصة البرنامج الاستراتيجي لتنظيم الجِهَاد المصري هو الاعتماد عَلى إحداث انقلاب عسكريّ يقوم به ضباط أعضاء في التَّنظِيم كانَ قد زرعهم في الجيش المصري منذُ أيّام أنور السادات، واستمرت خلاياه إلى أن قضي عليها مع حملات الاعتقالات الكثيفة الّتي تعرض لها التَّنظِيم فيما بعد، وكانت فكرتهم العامّة كما فهمتها مشافهةً من الدكتور أيمن في أكثر من جلسة خاصّة ؛ هيَ إحداث إنقلاب تدعمه خلايا عِصَابات كانَ يجري إعدادها خلال تلك الفترة.
- بعد مقتل السادات وبسبب تداخل العلاقات بين أعضاء تنظيم الجماعة الإِسْلَاميّة الّذين نفذوا العمليّة وأعضاء من تنظيم جماعة الجِهَاد الّذي كانَ لهم مشاركة فيها، اعتقل عدد من كوادر تنظيم الجِهَاد العسكريّين من أبرزهم الشّهِيد الرائد (عصام القمري) رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكن تلك الضربة الأمنيّة لم تأثر عَلى سير عملهم السري، في خلايا الجيش ولا خلايا العمل السري المدني.

- بعد سياسة التصفية الّتي اتبعتها وزارة الداخليَّة المصريَّة، ولاسيما في عهد وزيرها المجرم (زكي بدر)، ضدّ تنظيم الجماعة الإِسْلَاميّة شبه العَلنيّ الّذي كانَ قد اعتمد إستراتجية الدّعوة المفتوحة والثَّورة الشعبيَّة متأثرا بأسلوب الثَّورة الإيرانية، قرر تنظيم الجماعة الإِسْلَاميّة الردّ عَلى استفزازات الدّولة وسياسة (الضرب في سويداء القلب) كما عبر عنها (زكي بدر)، عن طريق اغتيالات رؤوس النّظام مقابل اغتيالات الدّولة لرؤوس الجماعة، وقرر تنظيم الجِهَاد الّذي تشترك قيادته مع قيادة الجماعة الإِسْلَاميّة بالتواجد في بيشاور(باكستان) والولايات الحدودية في أفغانستان في تلك الفترة من الجِهَاد الأفغاني، قرر المساهمة في المُوَاجَهة نصرة لهم متجاوزا البرنامج السري في الإِعداد والتخطيط لانقلاب عسكريّ، ظنا منهم أن من الممكن أن يسير هذا البرنامج التكتيكي إلى جانب ذلك البرنامج استراتيجي.
- أدى اعتقال أحد العناصر المدنيّة من تنظيم الجِهَاد السري إلى اعتقال أحد الضُّبَّاط من أعضاء التَّنظِيم العسكريّ، وجر هذا الاعتقال تدريجيا إلى معظم الكوادر العسكريّة للتنظيم، وبدأ الانهيار في تنظيم الداخل (في مصر)، وذلك فيما أذكر أواخر (١٩٨٩) أو أوائل (١٩٩٠م).
- تتابعت الكارثة وتلقي التَّنظِيم ضربتين أمنيتين بعد ذلك وأودت إحداهما بنحو(٩٠٠ معتقل) من التَّنظِيم السري المدني والتالية بنحو(٦٠٠ معتقل)، كانوا يشكلون معظم القَاعِدَة الشَّبَابية للتنظيم داخل مصر والَّتي كانَ قد تمَّ إعدادها عَلى أعلى المستويات خلال مرحلة الجِهَاد الأفغاني.
- غادرت قيادة تنظيم الجِهَاد إلى السُّودَان برفقة الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن ونخبة قيادته وكوادره، عَلى أثر نجاح الإِسْلَاميّين بالإنقلاب الّذي أوصل الترابي والبشير إلى السّلطة، وابتدأ تنظيم الجِهَاد العمل من جديد في ظروف مواتية جدا نتيجة وجودهم عَلى الحدود الجنوبية الطويلة لمصر مع السُّودَان، وكان ذلك بدعم وترتيب مع الحكومة الجَدِيدة في السُّودَان وأجهزة استخباراتها، وكذلك فعلت الجماعة الإِسْلَاميّة، وافتتح التَّنظِيم معسكرا وعددا من القواعد له في الخرطوم وبدأ بإعادة ترتيب أوراقة بدعم وتمويل من الشَّيْخ أُسَامَة كما عرف ذلك

واشتهر فيما بعد، وكان الهدف إسقاط نظام حسني مبارك وإقامة حكومة إسلاميّة في مصر، حكومة تقلب التوازن الإستراتيجي مع كلّ أنواع الأَعدَاء في منطقة الشّرق الأوسط،

- عصفت أعاصير السّياسة بهذا البرنامج، وقلبت القيادة السُّودَانية ظهر المجن للجهاديّين فيها، وابتدأت بالأخوة الليبيين ثمّ المصريين ثمّ الباقين بمن فيهم الشَّيْخ أُسَامَة الّذي وقف معهم منذُ انطلاقتهم موقفا بطوليا وجريئا، وساعدهم في إعادة تسليح الجيش، وبناء الاقتصاد، ولكنهم خانوا الوفاء ونكثوا العهود.
- أدت هذه الضربة إلى تدمير ما كانَ قد بني من جديد من برنامجهم في مصر، وأجبرت الحكومة السُّودَانية الشَّيْخ أُسَامَة عَلى وقف تمويل برنامج العمل في مصر، ثمّ ضغطت عَلى الجميع وانتهت بطردهم.
- لحق الدكتور أيمن ومن تبقى من كوادره، بالشَّيْخ أُسَامَة بأفغانستان في ظل طالبان بعد عدّة رحلات من التَّشريد في عدد من البلدان خلال (١٩٩٦-١٩٩٨)، وآثر عدد آخر ممن تبقى من الكوادر والخلايا الانتظار في دول الشتات المختلفة.
- عاود تنظيم الجِهَاد وتنظيم القَاعِدَة تجربة التّعاون والبناء في مجالات التّمويل والتّدريب، ولكن الشَّيْخ أُسَامَة كانَ قد توصل إلى قناعة راسخة بتوحيد الإتجاه في مجال مُوَاجَهة أمريكا، فيما بقي تنظيم الجِهَاد كغيره من التَّنظِيمات عَلى (تطلعاته القطريّة وأسلوب السري ومنهجه الفكريّ الجهاديّ).
- وقع الدكتور أيمن عَلى بيان الشَّيْخ أُسَامَة بإعلان (الجبهة العَالَمِيّة لتحرير المقدّسات)، أواخر سنة(١٩٩٧) فيما نأت الجماعة الإِسْلَاميّة بنفسها بعيدا عن ذلك، وسرعان ما بدأ تنظيم الجِهَاد يدفع ثمن ذلك التوقيع في مواجهات الحملات الأمنيّة الأمريكيّة العَالَمِيّة عَلى الإِرهَاب، وبدأت تتساقط كوادره وعناصره المتناثرة في مختلف دول العالم، واختطف العديد منهم من دول مختلفة وسلموا إلى مصر، من تايلاند، إلى ألبانيا، إلى أذربيجان، إلى الإمارات

العربيَّة وغيرها، فيما أعتقل بعض أعضائهم في دول أُخرى لم تسلمهم وأودعوا السّجون فيها كما في بَرِيطَانيَا.

- استمر الدكتور أيمن بعزيمته الفريدة، وصبره الدؤوب مع من تبقى من كوادر بمتابعة المحاولة ولم يستلم للأمر الواقع الّذي فرضه النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، والّذي جعل المحاولات الجهاديّة القطريّة السرية الهرمية خارج التّاريخ عمليا.
- افتتح التَّنظِيم معسكرا خاصا به، واستقطب من تبقى من كوادره وحاول الاستئناف، ولكن الظّروف والمعطيات عامة ولاسيما الأمنيّة منها، حيث عصفت الاعتقالات بالتَّنظِيم في الخارج، جعلت الشَّيْخ الدكتور أيمن الظواهري يقتنع بالاتجاه المتاح للجِهَاد والعمل في أفغانستان مع الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن في حربه مع أمريكا لأسباب واقعية لقناعات سياسيّة وميدانية بدأت تتشكل عنده، وقد تابعت هذا التّحول معه بنفسي وتحدثت معه عن ملابساته طويلا قبيل أحداث سِبتَمبر بقليل، وربما أعرض لشيء من تفاصيل ذلك في الكتاب الّذي سأفرده لتاريخ الأفغان العَرَب في مرحلة طالبان إن شاء الله وليس هنا مكان هذه التفاصيل.
- أعلن الدكتور أيمن بيعته للشيخ أُسَامَة بن لادن وضم تنظيم الجِهَاد لتنظيم القَاعِدَة أواسط سنة (٢٠٠١) رسميا، مما أدى لانشقاق الحفنة من الرّجال الّذين تبقوا معه من الكوادر في أفغانستان إلى فريقين، فريق وافقه عَلَى هذا التوجه، وفريق أصر عَلَى متابعة الجهد في بَرَامج العمل لإقامة حكومة إسلاميّة في مصر عَلَى أنقاض حكومة حسني مبارك عن طريق الجِهَاد بالأسلوب القديم، واعتبروا حلَّه للتنظيم غير مشروع وأن مهمة الأمير إدارة التَّنظِيم وليس حله وإلحاقه بتنظيم آخر، وقاد هذا الفريق الأخ أبو السمح (ثروت صلاح شحاتة)، وهو محامي من الكوادر القديمة في التَّنظِيم ومن قدماء الأفغان العَرَب أيضا.
- لم تمهل أحداث سِبتَمبر كلا الجناحين كي يمضي بعيدا في بَرَامجه وطموحاته، وسرعان ما اجتمع كلّ من تبقى من الأفغان العَرَب في معركة المصير والدّفاع عن النّفس وعن الإمارة الّتي كانَ القدر قد رسم ظروف سقوطها، واستشهد معظم من تبقى من الكوادر في تلك

المعارك وتحرك الدكتور أيمن الظواهري بعد أن بذل وسعه واستشهدت زوجته وابنه الوحيد محمّد وطفلته الرضيعة رحمهم الله، خلال هجمات القصف الوحشي الّتي قام بها الطيران الأمريكيّ، واستقر مع الشَّيْخ أُسَامَة في مخبئهم المتنقل – حفظهم الله – ليتابعوا مسار الجِهَاد والتّحريض كما هو مشهود، وسارت كوكبة أُخرى مع الأستاذ (ثروت شحاته) عَلى دروب الهِجرَة والتَّشريد مرّة أُخرى لتستقر في سجون إيران كما أعلنت ذلك وسائل الإعلام.

- وكانت هذه خُلاصة المسار الحَركيّ لتنظيم الجِهَاد الّذي تابعة الدكتور أيمن في خارج مصر، ولا أدري إن كانَ ثمة براعم له لعلّ الله يكتب له النمو واستئناف المسار والمد في مصر مع السائرين.
- أما عن الهويّة الفكريّة لتنظيم الجِهَاد المصري، فمن خلال العرض السابق، ربما يمكن القول بأن التَّنظِيم قد انتهى حركيا، ولد أواسط الستينات وانتهى في أخدود سِبتَمبر (٢٠٠١).

ولكن من الأهمّيّة بمكان، أن نذكر أن المدرسة الفكريّة لتنظيم الجِهَاد تبقى الأبرز والأهم والأرسخ في هذا القرن الأخير، فقد بدأت بمكتبة سيد قطب ﵀، والَّتي تضم أساسِيَّات الفكر الجهاديّ المعاصر، ثمّ كانَ لتنظيم الجِهَاد في مرحلة الجِهَاد الأفغاني أثناء نشاطه في بيشاور إنتاج أدبي ثر ومهم، كانَ من أهمه: كتاب (العمدة في إعداد العدة) للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز، وكتابه القيم الآخر (الجامع في طلب العلم الشريف)، والّذي أخرج التَّنظِيم نسخة معدلة منه باسم (الهادي إلى سبيل الرشاد)، وكذلك سلسلة من النشرات الهامة الّتي أصدرها تباعا في بيشاور خلال الفترة (١٩٨٨-١٩٩٢)، بالإضافة لعدد من التسجيلات الصوتية والمرئية للدكتور أيمن الظواهري – حفظه الله – ولا تأتي أهمية الدَّور الفكريّ والمنهجي لتنظيم الجِهَاد المصري من أهمية مكتبته فقط وإنما من كونها صارت أساسا فكرياً ومنهجيا لأغلبية التَّنظِيمات والتَّجَمُّعات ومعظم الأفراد في التّيار الجهاديّ منذُ مطلع التسعينات وإلى اليَوْم، وصار عليها مدار كافّة ما كتب فيما بعد من الإنتاج الفكريّ والإعلاميّ لمختلف شرائح التّيار الجهاديّ والأفغان العَرَب، وكذلك لما عرف باسم (السّلفيّة الجهاديّة) أو غيرها من المدارس الجهاديّة في العصر الحديث، فجزاهم الله كلّ خير وتقبل منهم بفضله وكرمه، كما كانَ

للكوادر العسكريّة الأولى لتنظيم الجِهَاد المصري في ساحة الجِهَاد الأفغاني ومجموعة الكوادر العسكريّة والمدربين الأفذاذ الّذي عملوا في ساحة الجِهَاد العربيّ في أفغانستان في شوطه الأوّل (١٩٨٦-١٩٩٢) والثّاني (١٩٩٦-٢٠٠١)، دور ترك بصماته الهامة ضمن مجموع الجهود العسكريّة والميدانية لكوادر الجِهَاد العربيّ في أفغانستان، سواء من خلال ما تركوه من تراث مكتوب في مجلات الإِعداد العسكريّ والحَركيّ، أو من خلال الجهود العمليّة في تدريب الجهاديّين من الجنسيات الأخرى والكثير من الكوادر الّتي تخرجت عَلى أيديهم وأيدي أقرانهم، ومن ثمّ تابعت العطاء من بعدهم، فجزاهم الله عن الإِسْلَام والمُسلِمين خير الجزاء وتقبل منهم أحسن ما عملوا إنه سميع مجيب.

وأما عَلى الصعيد الشخصي فقد عرفت تجربة جماعة الجِهَاد عن كثب، وربطتني بمعظم قياداتها ممن حضر أفغانستان علاقات أخوة وصداقات حميمة، بالإضافة لعلاقات العمل والتّعاون في ميادين عديدة، بدءا بالدكتور أيمن الظواهري وانتهاء بمعظمهم، وقد رأيت فيهم نماذج فذة للمُجَاهدين العقائديين الصابرين الفرارين بدينهم، فرحمهم الله وأجزل مثوبتهم، وعلى الصعيد الفكريّ فإني ممتن جدا للفضل الكبير الّذي نالني عَلى الصعيد الفكريّ باحتكاكي بهم وتعرفي عليهم، ولا أنسى أن أسجل شكري وتحيتي للشيخ الدكتور عبد القادر بن عبد العزيز (سيد إمام الشريف) مفتي جماعة الجِهَاد وعالمها وأميرها في مرحلة أفغانستان، فقد تركت كتبه ومعرفته ومحاوراتي معه في نفسي وفكري بالغ الأثر، فرج الله عنه، وكذلك الدكتور المُجَاهد والنموذج الفذ: الشَّيْخ أيمن الظواهري حفظه الله، فقد أثر بي كمفكر وكاتب وكقدوة رائعة حفظه الله، وغيرهما كثير، وأكثرهم قضى نحبه نسأل الله أن يجمعني بهم في الرفيق الأعلى.

٣- التَّجربة الجهاديّة في سوريا: (١٩٦٥-١٩٨٣):

- يعود تأسيس التَّجربة الجهاديّة في سوريا إلى الشَّيْخ مروان حديد رحمه الله، والّذي كانَ قد تربى في الإخوان المُسلِمين، وأثناء دراسته للهندسة الزراعية في مصر، تأثر بأفكار سيد قطب رحمه الله، وعاد إلى سوريا ممتلئا حماسا فيما كانَ حزب البعث العلماني القومي الاشتراكي قد استولى عَلى السّلطة، فنشط عبر المساجد في مدينة (حماة) بالخطابة والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، والدّعوة

لتحكيم الشّريعة واعتقل مرارا، وفي سنة (١٩٦٥) داهمت قوَّات الحكومة عليهم أحد المساجد واشتبك مع عدد من تلامذته في صدام مسلح مع السّلطة، فاستشهد عدد منهم، وأعتقل الشَّيْخ وآخرون وحكم عليهم بالإعدام، ثمّ اضطر رئيس الدّولة آنذاك الرَّئيس (أمين الحافظ) إلى الإفراج عنهم تحت ضغط العُلَماء في سوريا وعلى رأسهم الشَّيْخ محمّد الحامد رحمه الله،

- كانَ الشَّيْخ مروان قد تنبه إلى أن مُوَاجَهة كبرى مع النّظام البعثي لا بُدَّ آتية، وأنذر مبكرا من مشروع طائفي نصيري قادم، ولما لم يستطع إقناع الإخوان المُسلِمِين بالإِعداد للمُوَاجَهة، توجه بنفسه وتلاميذه للإعداد من خلال العمل المُسلّح مع منظّمة التحرير الفلسطينية من خلال الفصيل الإِسْلَاميّ فيها، وتمكن من إعداد النُّخبَة الجهاديّة الأولى لتنظيمه الجهاديّ
- سنة (١٩٧٠) قام حافظ الأسد والمجموعة النصيرية العلوية في الجيش وحزب البعث بانقلاب أبيض دعي بـ (الحركة التصحيحية)، وهكذا قفزت الطَّائِفَة النصيرية من غلاة الشّيعة الباطنية للمُوَاجَهة لتتولى السّلطة جهارا نهارا وتحكم المُسلِمِين في سوريا، تماما كما كانَ قد حذر منه الشَّيْخ مروان رحمه الله.
- وعاد الشَّيْخ مروان حديد رحمه الله للتحرك للمُوَاجَهة من جديد، وسعى مع قيادة شطري تنظيم الإخوان المُسلِمِين في سوريا الّذين كانوا قد انقسموا خلال تلك المدة، من أجل السعي في توحيدهم عَلى مشروع مُوَاجَهة النّظام، ولكن كلا الجناحين، التَّابع للتنظيم الدّولي برئاسة (الشَّيْخ عبد الفتاح أبو غدة) رحمه الله، ونائبه (عدنان سعيد الدّين)، وكذلك لجناح الآخر بزعامة (عصام العطار)، اتفقا – رغم إختلافهما الكبير –على رفض مشروع الإِعداد للمُوَاجَهة وآثرا الاستمرار في منهجهما الدعوي السلمي.
- ولما اقتنع الشَّيْخ مروان حديد رحمه الله، بعدم إمكانية إقناع الإخوان المُسلِمِين بالمُوَاجَهة، شكل تنظيمه الخاص الّذي أسماه (الطليعة المقاتلة لحزب الله)، وكون له ثلاث نويات رئيسيه في مدينته (حماة) مسقط رأسه، وميدان حركته الرَّئيسي، وفي (حلب) ثاني أهمّ مدن سوريا، وفي العاصمة (دمشق)، حيث إنتقل إليها مختفيا من أجل الإِعداد للمُوَاجَهة مع النصيرية.

- طرد الإخوان المُسلِمُون مروان من تنظيمهم مع مجموعة ممن تأثروا بأفكاره الثّوريّة الجهاديّة، وحاولوا كبح جماحه، ولكنه تابع تجنيد أنصار له معظمهم من شباب الإخوان وقال قولته الشهيرة: (**لئن أخرجني الإخوان من البَاب، لأدخلن عليهم من الشباك، ولأجرنهم للجِهَاد..**)، وهذا ما حصل فعلا.
- اعتقل الشَّيْخ مروان حديد سنة (١٩٧٠) بعد اشتباك مسلح مع المخابرات في مخبئه في دمشق، ومكث في السّجن إلى سنة (١٩٧٥) حيث فقد نصف وزنه تحت التعذيب، ثمّ أعدم بحقنة سامة في السّجن كما روي آنذاك، ودفن رحمه الله، وغيب قبره ولم يسمح لأهله أن يعلنوا له جنازة.
- آلت قيادة تنظيم الطليعة المقاتلة إلى تلامذته، وتسلم الإمارة من بعده الشّهِيد عبد الستار الزعيم رحمه الله، واتخذت الطليعة خُطّة سرية للمُوَاجَهة عبر الاغتيالات النوعية لرؤوس الدّولة من كبار النصيرية، ونفذوا ذلك خلال الأعوام (١٩٧٥-١٩٧٩)، ولم تستطع الدّولة أن تتعرف عَلى هويتهم إلا في آخر تلك المدة بالتّعاون مع المخابرات الأردنية.
- أعلنت الطليعة الجِهَاد عَلى النّظام في سوريا صيف (١٩٧٩) في شهر شعبان (١٣٩٩) وأعلنت عن نفسها باسمها الجَدِيد (الطليعة المقاتلة للإخوان المُسلِمِين)، وابتدأت حرب عِصَابات مدن عَلى مستوى القطر السّوري بكامله.
- أعلن الإخوان المُسلِمُون (الجناح الرَّئيسي المرتبط بالتَّنظِيم الدّولي) ابتداء براءتة من تلك المُوَاجَهة، وطالب بلجان تحقيق تثبت عدم علاقتهم بالأحداث، في حين تبنى عصام العطار المُوَاجَهة ونسبها إليه، ونشر أرقام حساباته البنكية لجمع التبرعات، للجِهَاد طبعا، من ألمانيا!!
- اضطرب نظام حافظ أسد تحت وقع الضربات العسكريّة للمُجَاهدين من الطليعة، وقرر مُوَاجَهة وتصفية كافّة فصائل الإخوان المُسلِمِين، ومن ثمّ طور المُوَاجَهة لتشمل كافّة طيف الصّحوة الإِسْلَاميّة، بل وكافة الشريحة المتدينة في البلد، واتخذت المُوَاجَهة شكل حرب بين أهل السّنّة وهم جمهور المُسلِمِين في سوريا وبين الأقلية (النصيرية) الّتي تدعى بالطّائفة (العلوية) كما سماهم الفرنسيون أيّام الإحتلال، ليلبسوا أمرهم عَلى النّاس.

- نتيجة انتصارات المُجَاهدين من جهة نتيجة، والطمع في قطف الثمرة حملة حافظ أسد عليهم من جهة أُخرى، أعلن الإخوان المُسلِمُون دخولهم الحَرب ضدّ النّظام أواخر (١٩٧٩) بعد عدّة أشهر من اندلاعها، وتبنوا المُوَاجَهة وراحوا يعملون عَلى الاستيلاء عَلى قيادتها والاستحواذ عليها من الطليعة، ولعبت سياستهم تلك الدَّور الرَّئيسي – وإن لم يكن الوحيد – في إجهاض الجِهَاد المُسلّح ضدّ النّظام في سوريا.
- نتيجة أسباب داخليَّة ونتيجة سياسة الإخوان، ونتيجة الضربات الأمنيّة للحكومة الّتي نجحت باستعادة زمام المبادرة، تقهقرت الطليعة المقاتلة، وصفي معظم كوادرها قتلا وسجنا، واضطر من تبقى منها للخروج إلى دول الجوار، حيث فتحت حكومتا العراق والأردن، المناوئتين للنظام السّوري آنذاك الأبواب للمعارضين السوريين من كلّ مكوّنات الطيف السّياسيّ.
- إستطاع الإخوان المُسلِمُون بقيادة عدنان سعيد الدّين الاستحواذ عَلى قيادة الثَّورة الجهاديّة في سوريا وجر من تبقى من الطليعة وكذلك تنظيم عصام العطار، بالإضافة إلى شريحة كبيرة من جماعات العُلَماء في سوريا عَلى الانضواء تحت قيادتهم منذ(١٩٨٠).
- **قاد الإخوان المُسلِمُون مسيرة الفشل السّياسيّ والعسكريّ الشّامل للثورة الجهاديّة في سوريا، إلى أن تمَّ إجهاضها في مواجهات حماة (١٩٨٢) الدامية، حيث قضي عَلى الأجهزة العسكريّة لكافة الفرقاء، وتكبد المُسلِمُون خسائر تجاوزت (٥٠,٠٠٠) قتيل في أشهر عمليَّات إبادة جماعية ارتكبتها حكومة عربيَّة في القرن العِشرين.**
- وهكذا انتهت التَّجربة الجهاديّة السوريّة الّتي تمثل أهمّ وأطوال تجربة مُوَاجَهة للتيار الجهاديّ المُسلّح ضدّ حُكُومَات الرِّدَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.
- وقد يسر الله للعبد الفقير كاتب هذا الكتاب أن يؤرخ لتلك المَرحَلَة الهامة، خلال فترة (١٩٧٥-١٩٨٥)، وذلك في الكتاب الّذي كانَ بعنوان (الثَّورة الإِسْلَاميّة الجهاديّة في سوريا آلام آمال) وقد كتبته خلال (١٩٨٥-١٩٨٧)، ونشر في بيشاور أواخر(١٩٩٠م)، ويحتوي تسجيلا وافيا لتلك التَّجربة.

- وقد يسر الله لي مواكبة تلك المَرحَلَة حيث كنت قد التحقت بتنظيم الطليعة المقاتلة مطلع سنة ١٩٨٠، ثمّ وبعد خروجي من سوريا آخر ذلك العام، التحقت بتنظيم الإخوان المُسلِمِين في سوريا والّذي استقر في الأردن وعملت في الجهاز العسكريّ للتنظيم، وكنت خلال أحداث انتفاضة حماة ١٩٨٢، واحدا من أعضاء القيادة العسكريّة لتنظيم الإخوان المُسلِمِين الّذي تشكل في بغداد، من كوادر الجهاز العسكريّ - الّذين كنت واحدا منهم - ومن القيادة السّياسيّة العليا للإخوان السوريين، مما مكنني من الإطلاع عَلى خفايا سير تلك الأحداث وأسباب هزيمتنا فيها، وهو ما سجلت تاريخه وخلاصة دروسه في كتابي آنف الذكر.

٤- حركة الدّولية الإِسْلَامِيّة في الجَزَائِر (١٩٧٣-١٩٧٦):

وهي حركة جِهَاد مسلحة أَسَّسَها وقادها في الجَزَائِر الشّهِيد (مصطفى بوعلي)، وقد كانَ ﵀ من المُجَاهدين الّذين شاركوا في ثورة التحرير الجَزَائِرية سنة (١٩٥٤)، فلما أفضت إلى الإستقلال عام (١٩٦٣) وجد أن العلمانيين والشُّيُوعِيّين والاشتراكيين قد غلبوا عليها وحصدوا ثمرة جِهَاد شعب الجَزَائِر الّذي استمر لأكثر من قرن من الزَّمن، فأسس تلك الحركة لاستئناف الثَّورة والجِهَاد من أجل تحكيم شريعة الله في الجَزَائِر.

وقد قام بحركته في عهد الرَّئيس (الشاذلي بن جديد) سنة (١٩٧٣)، وقد سمعت له بيانا مسجلا موجها لرئيس الدّولة يأمره فيها وينهاه، ويتوعده بالجِهَاد إن لم يحكم الشّريعة في الجَزَائِر، كما سمعت له بعض الأشرطة يتحدث فيها عن مبادئه الجهاديّة وينذر علماء السُّلطَان، ولم تطل بحركته المدة، إذ وقع في كمين للاستخبارات الجَزَائِرية أثناء موعد له مع بعض تجار السّلاح وقتل ﵀ سنة (١٩٧٦) واستشهد بعض أعوانه وقبض عَلى آخرين وحوكموا وسجنوا.

وقد حاول بعض تلامذته إحياء الحركة إثر انطلاق الجِهَاد ضدّ الحكومة بعد الانقلاب العسكريّ عَلى المسار الديمقراطي سنة (١٩٩١)، ودخلوا طرفا في محاولة الوحدة الجامعة للجماعة الإِسْلَامِيّة المُسلّحة سنة (١٩٩٣)، قبل انشطار ها واستيلاء التكفيريين عليها كما ستأتي الإشارة لذلك إن شاء الله.

٥- تجربة الجماعة الإِسْلَاميّة مصر (١٩٧٥-٢٠٠١):

و أوجز خُلاصة تجربتها بحسب ما حصلته من المعلومات عنها من خلال الإطلاع عَلى تراثها الأدبي واحتكاكي بالعديد من روادها ومؤسسيها عبر مراحل الجِهَاد في أفغانستان وخلال إقامتي في أوربّا.

فقد تأسست الجماعة ونشطت في عدد من الجامعات المصريَّة بدءا من عام (١٩٧٥)، إثر سياسة (السادات) بالانفتاح وإطلاق المجال للجماعات الإِسْلَاميّة، بغية الحد من نشاط التّيارات السّياسيّة اليسارية الّتي شهدت نموا في تلك الفترة، وقد نشأت الجماعة الإِسْلَاميّة عَلى منهج فرج بين الفكر الإخواني والمنطلقات السّلفيّة، وجعلت من تطبيق الشّريعة في مصر هدف مشروعها، وقد نحت الجماعة منحا شعبيا من خلال تبني قيادتها للدعوة العلنية والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، وتطبيق بعض الحسبة في بعض المجلات، وانتشرت خلايا ها عبر المساجد في مصر، وكان منشؤها أصلا في الصعيد، وإليه ينتمي معظم قياداتها، ولكنها امتدت إلى جامعات الوجه البحري في شمال مصر، وقد اتخذت قياداتها من الشَّيْخ الدكتور (عمر عبد الرَّحْمٰن) أميرا عاماً لها، لما عرف عنه- فرج الله كربه - من مواقف العزيمة منذُ هلاك (عبد النّاصر)، حيث أفتى بعدم جواز الصّلاة عليه عنه هلاكه، ثمّ عدد من المواقف الأخرى في عهد السادات.

- وإثر زيارة السادات الخيانية لإسرائيل وإعلانه لاتفاقيات (كامب ديفيد) وبرنامج الصُّلح والتطبع مع اليَهُوْد، نحت الجماعة الإِسْلَاميّة منحا فكرياً جهاديّا، وصدرت عن أحد أقطابها وهو(الشّهِيد عبد السَّلام فرج)، أحد أهمّ الأبحاث الجهاديّة في العصر الحديث، وهو رسالة (الفريضة الغائبة) وكانت أهميته نابعة من احتوائه عَلى أهمّ فتاوى الجِهَاد المعاصر ضدّ الحُكُومَات القائمة في البلاد العربيّ والإِسْلَاميّة ومنها مصر، والحكم عليها بالردة والإفتاء بجِهَادها وقتال جنودها ورجال أمنها وقياس أحوالها عَلى فتاوى ابن تَيمِيّة في قتال التّتار ومن كانَ من أعوانهم من المُسلِمِين المكرهين أو الجاهلين، وكانت هذه الرّسالة من أهمّ بواكير انطلاق مدرسة السّلفيّة الجهاديّة المعاصرة.

- ثمّ ما لبثت الجماعة الإِسْلَاميّة أن وفقت في تنفيذ العمليّة البطولية وأعدمت الرَّئيس الخَائِن (أنور السادات) في حادث المنصة الشهير، أثناء الاستعراض العسكريّ السنوي سنة (١٩٨١)، عندما خرج السادات عَلى قومه في زينته فخسف الله به وبمنصته وأرداه قتيلا، وقد قاد العمليّة شهيد الجماعة الإِسْلَاميّة وشهيد مصر والتّيار الجهاديّ المعاصر، (الشّهِيد البطل خالد الإِسْلَامبولي رَحِمَهُ اللهُ)، وكان ذلك ضمن برنامج انقلابي ضدّ الحكومة في مصر، لم يقدر أن ينجح منه إلا فقرة اغتيال السادات.
- وإثر تولي حسن مبارك زمام السّلطة خلفا لسلفه الهالك أنور السادات، دخلت الجماعة الإِسْلَاميّة في حرب استنزاف مع الحكومة المصريَّة الّتي وضعت مخططا لتصفيتها باعتقال كوادرها واغتيال رؤوسها، وافتتحت ذلك باغتيال أحد أبرز دعاتها وهو الشّهِيد (علاء محيي الدّين)، وتابعت سياستها هذه ولاسيما في عهد وزير الداخليَّة المجرم سيء السمعة (زكي بدر)، وهكذا قررت قيادة الجماعة الإِسْلَاميّة دخول حرب استنزاف وتصفيات واغتيال مع الحكومة الّتي بدأت حملات الاعتقال في صفوفها.
- وجدت قيادة الجماعة الإِسْلَاميّة في مصر في الجِهَاد الأفغاني ضدّ الرُّوس ساحة ممتازة، وفرصة ساحة لتدريب كوادرها والامتداد والتَّنظِيم، فكان لها حضورا بارزا في مدينة بيشاور في باكستان، وفي المُعَسْكَرَات والجبهات العربيَّة في أفغانستان، وكان من أبرز الحاضرين من قياداتها في أفغانستان الشَّيْخ (عمر عبد الرَّحمٰن) والشَّيْخ (رفاعي طه) والأخ طلعت (فؤاد قاسم) فرج الله عنهم جميعا، والأخ (محمّد الإِسْلَامبولي) – أخو الشّهِيد خالد قاتل فرعون مصر- والأخ مصطفى حمزة، وغيرهم، وقد قدمت الجماعة الإِسْلَاميّة بمصر كوكبة من خيرة أبنائها وكوادرها شهداء في معركة الإِسْلَام من خلال الجِهَاد العربيّ في أفغانستان.
- إثر العواصف الأمنيّة الّتي هبت عَلى أفغانستان وباكستان بإيعاز من أمريكا بعيد سقوط النّظام الشُّيُوعِيّ في كابل، شاركت المخابرات المصريَّة بشكل كبير في الحملة الأمنيّة عَلى الأفغان العَرَب بالتّعاون مع المخابرات الباكستانية، وخرج معظم قيادات وقواعد الجماعة الإِسْلَاميّة المصريَّة إلى

السُّودَان بناء عَلى دعوة وتسهيلات من حكومة الإنقاذ برئاسة عمر البشير وجماعة الدكتور حسن الترابي الّتي فتحت المجال وسعت لاستيعاب العَرَب في السُّودَان، وكان عَلى رأسهم الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن والجماعتين المصريين المُسلّحتين، جماعة الجِهَاد، والجماعة الإِسْلَاميّة، حيث وعدتهم بفتح المجال لهم للعمل من خلال حدودها الشمالية مع مصر، وفعلا بدأت الجماعة العمل الميداني من هناك، ثمّ حصل لها ما حصل لجماعة الجِهَاد والآخرين وطلب منهم الرحيل تحت تهديد السّلاح من قبل الأمن السُّودَاني لما قرر(الأزوال الأشاوس) تغيير سياستهم والركوع للسياسة الأمريكيّة وتابعتها المصريَّة، وتفرق قيادات الجماعة الإِسْلَاميّة في عدد من البلدان وتوجه أكثرهم لليمن، وتحت المطاردات وحملات إلغاء الملاذات الآمنة، توجه البارزون منهم إلى إيران، ويمم بعضهم شطر الملاذات الآمنة تحت ستائر اللجوء السّياسيّ في أوربّا، فكان من أبرز من توجه إلى إيران الشَّيْخ (رفاعي طه)، والشَّيْخ مصطفى حمزة، والشَّيْخ محمّد شوقي الإِسْلَامبولي وآخرين، في حين كانَ من أبرز من توجه إلى أوربّا، أبو طلال – طلعت فؤاد قاسم– الّذي استقر في الدانمرك، وأُسَامَة رشدي عضو مجلس شورى الجماعة، وذلك أواخر (١٩٩٥).

- وكانت الجماعة الإِسْلَاميّة بمصر عَلى علاقة طيبة مع التّيار الخميني في الحكومة الإيرانية بحكم عن موقفها الخاص المختلف عن موقف كافّة طيف التّيار الجهاديّ من الحكومة الإيرانية، فأثنت عَلى تجربتها الثّوريّة (الإِسْلَاميّة) وإطرائها في بعض أدبياتها، كما دأب بعض مسؤولوها ومنهم الدكتور عمر عبد الرَّحْمن فرج الله عنه، على حضور بعض المؤتمرات الّتي تنظمها حكومة إيران هنا وهناك، فوفر لهم هذا جسرا لملاذ آمن هناك في فترة العواصف العاتية تلك.
- ورغم أن معظم إن لم يكن كافّة البارزين من قيادات ورموز التّيار الجهاديّ وكوادره، وكثير من قواعده البشرية بدأت هِجرَة شبه جماعة إلى أفغانستان، عبر ما اصطلحت عليه باسم (الشوط الثّاني للأفغان العَرَب) خلال الفترة (١٩٩٦-٢٠٠١)، إلا أن القيادات البارزة للجماعة الإِسْلَاميّة الّتي استوطنت إيران آثرت البقاء هناك، والتميز بموقف واضح يختلف عن الإتجاه العام للتيار الجهاديّ من أفغانستان وكان من أبرز ملامح ذلك الموقف:

١. عدم تأييد طالبان صراحة، وعدم الانخراط في دعمهم ضدّ تحالف الشمال المكون من قدماء زعماء الجِهَاد الأفغاني، بل والحذر من الاستدراج نحو أفغانستان.

٢. نأت الجماعة الإِسْلَاميّة بنفسها بكل وضوح عبر وسائل إعلامها ولاسيما موقعها الناشط عَلى الإنترنت عن توجهات بن لادن في حربه المشرعة مع الأمريكان عَلى عكس ما فعلته جماعة الجِهَاد بقيادة الدكتور أيمن الظواهري، ولما نوهت القَاعِدَة بتعاون الجماعة معها، نفت الجماعة ذلك في بيان صرح مفندة ذلك الادعاء.

٣. تبنت الجماعة مبدأ وقف الدّعوة للمُوَاجَهة المُسلّحة مع الحُكُومَات، وأعلنت (مبادرة لوقف العنف في مصر ضدّ الحكومة المصريَّة من طرف واحد)، وهذا الموضوع يستأهل الوقوف معه لأنه نحى بالجماعة في اتجاه آخر خرج بها عن مسار التّيار الجهاديّ كله، وترك عليه آثارا تتعدى خصوصيات الجماعة.

الجماعة الإِسْلَاميّة بمصر ومبادرتها لوقف العنف من طرف واحد مع الحكومة المصريَّة:

- تميزت الجماعة الإِسْلَاميّة بمصر عن عموم التّيار الجهاديّ بفوارق فكريّة هامة انعكست فيما بعد عَلى مسارها، وكان من أهمّ تلك الفوارق:
- تبنيها فكرا يمكن اعتباره وسطا بين فكر (الصّحوة عامة) وفكر (التّيار الجهاديّ) من حيث مسائل الحاكِمِيَّة، فقد أعلنوا عن قناعتهم بردة الحاكم الأعلى في بلدان المُسلِمِين الّتي تحكم بغير ما أنزل الله، ومنها مصر واقتصروا في حكم الرِّدَّة عَلى شخصه ولم يجاوزه إلى نظامه، وبالتالي لم يستبيحوا القِتَال ضدّ أعوانه شَرعاً إلا دفاعا عن النّفس.
- تبنى الجماعة مبدأ الشورى الملزمة وطريقة القيادة الجماعية، واتخذوا من شخص الدكتور عمر عبد الرَّحمٰن أميرا اعتباريا ورمزا للجماعة.
- كما تجاوزوا إشكالية شرعيّة في شروط (الإمارة الشَّرعيَّة) مما فتح بابا للجدل الطويل العريض بينهم وبين جماعة الجِهَاد في مصر وشرائح أُخرى من التّيار الجهاديّ منذُ مطلع التسعينات في أفغانستان، وهي تبنيهم لمبدأ (صحة ولاية الأسير)، كما كانَ حال الشَّيْخ المُجَاهد الفاضل

الدكتور عمر عبد الرَّحمٰن في أمريكا- فرج الله عنه- كما اعتبروا قاداتهم التّاريخيين الأسرى في سجون مصر قيادات فاعلة تشارك في القرار الّذي تبنى مبدأ الشورى الملزمة، ولست هنا بصدد المناقشة الشَّرعيَّة للمبدأ وإنما التّاريخ بدد تسجيل، لذكر دور هذه المرتكزات الفكريّة والمنهجيّة في مسار الجماعة فيما بعد منذُ أواسط التسعينات.

باستثناء هذه الإشكالين أكاد لا أجد فوارق منهجيّة رئيسيَّة أُخرى (من النَّاحية النَّظريَّة) لمنهج الجماعة الإِسْلَاميّة بمصر عن باقي مدارس التّيار الجهاديّ، من حيث فكرهم السلفي الجهاديّ ورفضهم بل تكفيرهم (لمنهج الدِّيمقراطيَّة) في العمل الإِسْلَاميّ، مع عذر من مارسها من الإِسْلَاميّين بالتأويل أو سوى ذلك، إلى آخر مكوّنات الفكر الهادي المعاصر.

ولكن هذه الإشكاليات المنهجيّة أوقعت الجماعة الّتي كانت قد دخلت الصِّرَاع فعليا مع الحكومة المصريَّة في إشكاليات عمليَّة، لما وجد أعضاء جهازها العسكريّ أنفسهم أمام المتطلبات الفقهيّة لمعركة استنزاف هجومية دفاعية في ساحة الصدام مع النّظام المصري ورجال أمنه واستخباراته، هذا من جهة، ومن جهة مهمة أُخرى، وجدوا قياداتهم تتكون عمليا من ثلاث أجنحة رئيسيَّة هيَ:

١. القيادات الأسيرة في مصر والَّتي اصطلحوا عَلى تسميتها (بالقيادات التارِيخِيَّة).
٢. القيادات السّياسيّة المطاردة في الخارج في المهاجر والملاذات الآمنة.
٣. قيادات الجهاز العسكريّ للجماعة سواء داخل أو خارج مصر والَّتي تخوض مُوَاجَهة عسكريّة دامية مع نظام حسني مبارك، وسرعان ما أثرت هذه التناقضات المنهجيّة ذات الأبعاد العمليّة بسرعة مسار الجماعة في النصف الثّاني من التسعينات وإلى ما بعد أحداث سِبتَمبر كما سنرى، فقد زاد الطين بلة أن الجناح العسكريّ بقيادة الأخ أبو حازم - مصطفى حمزة - قد خطط لعملية كادت تودي بالرَّئيس حسن مبارك في (أديس أبابا) اغتيالا أثناء مؤتمر أفريقية، حيث فشلت العمليّة وقبض عَلى بعض أعضاء المجموعة وسجلوا اعترافاتهم قبل أن يعدموا رحمهم الله، وشكلت هذه العمليّة إحراجا هائلا للحكومة السُّودَانية الّتي دبرت الخطط ودعمت العمليّة لوجيستيا من أراضيها، وكذلك أمام قيادة الجماعة الإِسْلَاميّة، كما زادة الطين بلة.

اعتقال الدكتور عمر عبد الرَّحمٰن في الولايات المتحدة الأمريكيّة، حيث كانَ قد أتخذ قرارا خاطئا في التوجه للإقامة في أمريكا بهدف الدّعوة والنَّشَاط وتوفير الإعلام والدعم المادي للجماعة، ثمّ لفقت له هناك تهم بَاطِلة إثر الهجوم الأوّل عَلى برج مبنى التجارة العَالَمِيّ في نيويورك وحكم عليه بالسّجن مائتي سنة ! ولم تفلح كلّ محاولات التخفيف والدّفاع عنه، ومع الإعلان شبه الرسمي من قبل قيادات الجماعة الإِسْلَاميّة عَلى أن أميرهم العملي هو الشَّيْخ (أبو طلال طلعت فؤاد قاسم) الّذي استقر لاجئا سياسيّاً في (الدانمرك) وتبنى مبدأ المُوَاجَهة إلى جانب آخرين من جناح الصقور في الجماعة من الداعمين للجهاز العسكريّ بقيادة مصطفي حمزة من السّياسيّين من هذا التّيار وعلى رأسهم الشَّيْخ (رفاعي طه) والشَّيْخ (محمّد الإِسْلَامبولي) وكذلك بعض الّذين توجهوا لحمل راية العمل الميداني في الجِهَاد في البوسنة (١٩٩٤-١٩٩٥)، ولعبوا دورا مشرفا للجماعة الإِسْلَاميّة بمصر يعتبر من إنجازات التّيار الجهاديّ المعاصر.

دخل هذا الجناح المتمسك بالمُوَاجَهة مع جناح مناقض له بدأ يدعو للمهادنة ووضع المُوَاجَهة مع الحكومة المصريَّة، وتمثل في قيادات السّجون الأسيرة (التارِيخِيَّة) وبعض قياداتهم في أوربّا كانَ من أبرزهم الأخ (أُسَامَة رشدي)، حيث ظهر ذلك التناقض للعلن عندما رفض هذا الجناح الاعتراف بشرعيّة حادثة (الأقصر)، عندما هاجمت إحدى خلايا الجماعة الإِسْلَاميّة الناشطة في مصر مجموعة من السياح الأجانب وقتلت وجرحت منهم عشرات الأشخاص، حيث سارعت (القيادات التارِيخِيَّة الأسيرة) وبعض قيادات أوربّا وأبرزهم (أُسَامَة رشدي) إلى إدانة هذا العمل وفاعليه وتخطئته، بل ذهب (أُسَامَة رشدي) إلى الهجوم الصارخ عَلى العمل ومن يقف معه من القيادات السّياسيّة والعسكريّة للجماعة! ودخل في مُوَاجَهة أدبية حتَّى مع الكبار منهم من أساتذته من أمثال الشَّيْخ (رفاعي طه، فرج الله عنه).

وفيما أذكر فاجأت القيادات التارِيخِيَّة في السّجون المصريَّة العالم أجمع بمشروعها الّذي عرف (بمبادرة وقف العنف من طرف واحد) في مصر، ودعت الحكومة المصريَّة إلى أن تبادلها المبادرة بإجراءات تنهي المُوَاجَهة.

وافق طرح تلك المبادرة أوائل أيّام تواجدنا في أفغانستان مع بداية (الشوط الثّاني للأفغان العَرَب) فيها في عهد طالبان وربما كانَ ذلك أواخر ١٩٩٧.

وقد تابعت بنفسي مراحل وتطورات هذه المبادرة مع أبرز القيادات الحاضرة للجماعة الإِسْلَاميّة في أفغانستان، ومع بعض كبارها الّذين زارونا من قادمين إيران ومال بعضهم للإقامة في أفغانستان أواسط سنة (٢٠٠٠)، وكذلك مع أبرز الرموز الجهاديّة الحاضرة هناك، بما يمكنني من أن الحض مرا حلّ تلك المبادرة في نقاط رئيسيَّة:

١. طرح بعض القيادات الجماعة الإِسْلَاميّة المسجونين فيمصر منذُ أحداث اغتيال السادات، عن طريق محاميهم الشهير(الأستاذ منتصر الزيات) مذكرة مبادرة يعلنون فيها وقف العمل المُسلّح في مصر ومبادرة من جانب واحد، داعيين الحكومة إلى التجاوب الايجابي معها، وسارع إلى تأييدهم الجناح الميال لهذا الإتجاه من قيادات الجماعة في أوربّا وعلى رأسهم الأخ (أُسَامَة رشدي).

٢. أربكت القيادات السّياسيّة والعسكريّة للجماعة الإِسْلَاميّة بمصر في الخارج ولاسيما الشخصيات الرَّئيسيَّة الّتي تتواجد في إيران وبعضها في أفغانستان، وحصل لغط وإبهام حول موقف القيادة الميدانية العسكريّة المطاردة داخل مصر والمباشرة للعمل العسكريّ، وكذلك حول موقف الدكتور عمر عبد الرَّحْمٰن في سجنه في أمريكا، ولكن قيادات الجماعة في مختلف الأطراف ولاسيما المعارضة للمبادرة في الخارج اعتبروا وحدة الجماعة وعدم تمزق موقفها فوق كافّة الاعتبارات الأخرى بما فيها المنهجيّة والمبدئية، ولكن بدت ملامح الرفض للمبادرة لدى عدد من رموز الجماعة كانَ من أبرزهم الشَّيْخ رفاعي طه، والأخ محمّد الإِسْلَامبولي ومصطفى حمزة، إلا أن الجميع أبدوا وحدة الصف والتزام رأي الأغلبية كقرار موحد بعد إجراء المشاورات عَلى كافّة الأصعدة، ولكن البعض أعلن تجميد عضويته في مجلس شورى الجماعة لعدم قناعته بهذا الأمر كما فعل الشَّيْخ محمّد شوقي الإِسْلَامبولي.

٣. كافأت الحكومة المصريَّة تلك المبادرة بالرفض والتصميم عَلى متابعة المُوَاجَهة الأمنيّة، فاختطف القيادي البارد الشَّيْخ أبو طلال (طلعت فؤاد قاسم) من كرواتيا وهو في طريقة لزيارة قيادات

الجماعة العاملة في البوسنة، واغتيل بعض المطاردين المختفين داخل القاهرة في شقتهم في ملابسات غامضة، وأعلنت أجهزة الأمن والإعلام المصريَّة ووزارة الداخليَّة متابعة مطاردة الجماعة وعدم تجاوبها مع المبادرة وبقي هذا موقفها المعلن إلى أواخر سنة (٢٠٠٣) حيث تجاوبت جزئيا معها كما سيأتي.

٤. تبلور القرار الجماعي للجماعة الإِسْلَاميّة عَلى مستوى قيادات الداخل والخارج عَلى تبني المبادرة، ولم يزد عنت الحكومة قيادات الجماعة الّتي انتقلت إمارتها إلى الأخ أبو حازم (مصطفى حمزة) بحسب ما بدا، إلا إصرارا عَلى المبادرة ! وطورت القيادات التارِيخِيَّة(السجينة) ومن ذهب مذهبها من قيادات الخارج المؤيدة للمبادرة موقفها إلى مستوى منهجي خطير حيث بدؤوا بإصدار بحوث شرعيّة ودراسات فكريّة تأطر وتنظر لما أسموه (نبذ العنف)! وبدؤوا ينتقدون ويخطئون المبادئ الّتي قامت عليها أسس المُوَاجَهة الجهاديّة مع الحُكُومَات القائمة عَلى أسس الرِّدَّة، والَّتي كانوا قد ملؤوا ساحة العمل الإِسْلَاميّ بأدبيات جهاديّة قيمة لإثباتها، تلك الأدبيات الّتي شغلت حيزا أساسيا من فكر التّيار الجهاديّ مثل رسالة (الفريضة الغائبة) ودستور الجماعة ومنهاجها (ميثاق العمل الإِسْلَاميّ) و(الإعتصام) و(حتمية المُوَاجَهة)، ومئات المقالات الّتي ملأت نشراتهم الشهيرة مثل (المرابطون) وغيرها.

فصدرت عن الجماعة الإِسْلَاميّة كتب تحت شعار (المراجعات الفكريّة)، تدرجت في التراجعات الفكريّة والمنهجيّة لتدخل في حيز الانهيار العقدي في أساسِيَّات الأصول السّياسيّة الشَّرعيَّة للفكر الجهاديّ بل والإِسْلَاميّ الّذي قامت عليه الصّحوة، فبدؤوا بالحديث عن حصانة دماء وأموال الكفّار في ديارهم، إلى أمانهم في ديارنا وصولا إلى الدّعوة للتعاون مع الحكَّام في المَعْرَكة مع (إسرائيل) وفي معركة التنمية الاقتصاديَّة، ثمّ بدأ الغزل والحديث عن العودة إلى ميدان الدّعوة السّلميّة وربما المشاركة السّياسيّة المشروعة، إلى أن وصل الحد إلى التصريح باعتبار السادات الهالك الّذي تشرف أبطال الجماعة الإِسْلَاميّة نيابة عن الأُمّة الإِسْلَاميّة باغتياله واعتباره شهيداً قتل ظلما، بل أسماه أحدهم (شهيد الفتنة !!)، وقد اطلعت عَلى بعض ما كتب في

تلك الكتب من خلال المقتطفات الّتي روجت لها وسائل الإعلام، وذكر بعضها المحامي (منتصر) الزيات نفسه، عن طريق تلك المنابر الإعلاميَّة الحُكُوميّة.

وبصرف النَّظر عن التّعليق عَلى الأسباب والمسببات والأعذار الّتي يمكن التماسها للقيادة الأسيرة (فاقدة الشَّرعيَّة والأهلية أصلا في سجونها)، أو لتلك القيادة المطاردة المحاصرة في دائرة العجز عمليا بصرف النَّظر الآن عن كلّ ذلك يمكن القول بأن الجماعة الإِسْلَاميّة بمصر قد تحولت نهَائِيّاً عن هويتها الفكريّة ومنهجها كجماعة من جماعات التّيار الجهاديّ.

وسأترك نقاش هذا الأمر (مبدأ المبادرة) من وجهة نظري ونظر كلّ الجهاديّين، وأذكر انه كانَ بوسعنا في تلك الفترة أن نلتقي في ظلال طالبان ونتدارس الأمر، ونسمع الأعذار والمبررات من أصحابها، حيث رفض الجميع هذه المبادرة جملة وتفصيلا، مع الاحتفاظ بكامل الود والاحترام لإخواننا وسابقتهم وفضلهم.

٥. رفضت جماعة الجِهَاد المصريَّة كما أسلفت سابقا وكافة طيف التّيار الجهاديّ المبادرة صراحة وعبروا عن ذلك ضمن ما أتيح من وسائل الإعلام المحدودة إبَّان مرحلة الإقامة عند طالبان، والَّتي تميزت بالانعزال عن العالم عمليا بسبب الحصار عَلى طالبان وبسبب سياسة طالبان الإعلاميَّة المتخلفة.

٦. أحرجت قيادات الجماعة الإِسْلَاميّة في الخارج من تتابع الانهيارات الناشئة عن المبادرة، ولكن ما كانَ بوسع أحدهم إلا أن يعبر عن عدم موافقته الشَّخصيَّة وعن التزامه بوحدة الصف والتزام رأي قياداتهم التارِيخِيَّة ! الّتي تشكل الثقل الأساسي في مجلس الشورى، الّذي يقرر بالأغلبية في جماعة لا أمير لها عمليا ويتناثر عناصرها في أنحاء الأرض ويسيطر عَلى قرارها الأسرى في مصر والسّجناء نصف الأحرار في ملاذات اللجوء السّياسيّ في أوربّا.!

٧. وحصلت أحداث سِبتَمبر! ورحل من تبقى ونجى من أفغانستان من كوادر الجماعة إلى حيث تيسر لهم، وربما أن موقف الجماعة المعلن بعيدا عن طالبان وعن بن لادن جعلها من أقل

المتضررين بالعواصف العاتية الّتي دمرت القَاعِدَة والأفغان العَرَب ومعظم الكتلة المتبقية من التّيار الجهاديّ كما أسلفنا.

٨. ثمّ وفي أواسط (٢٠٠٣) فاجأت الحكومة المصريَّة العالم بتجاوبها الجزئي مع المبادرة بعد (٦ سنين) من إطلاقها، وبدأت بَاطِلاق دفعات من معتقلي الجماعة الإِسْلَاميّة، فأخرجت عن عدّة مئات بينهم (الشَّيْخ كرم زهدي) أحد قياداتها التارِيخِيَّة ثمّ أفرجت عن قياديين آخرين، وزاد من خرج من السّجن مبادرتهم بمزيد من الكتب والتأصيلات المنهجيّة لنقض الغزل السابق من بعد قوة أنكاثا، وسمعت من بعض وسائل الإعلام عن كتاب يقيمون فيه تجاربهم السَّابقة، بعنوان (نهر الذكريات)، لم يتسنى لي أن أراه ولكني اطلعت في الصحافة عَلى بعض المصائب الّتي يتلبسون بها، فقد انضمت هذه الفئة إلى برنامج رامسفيلد في حرب الأفكار عمليا، وصاروا جزءا من حملة أمريكا والمرتدّين لمكافحة الإِرهَاب ! ولم ينس إخوتنا التائبون من عبادة الله بجِهَاد أعدائه أن يسجلوا انتقاداتهم لأحداث سِبتَمبر وصانعيها، وصارت مبادرة الجماعة الإِسْلَاميّة محل ثناء من بَرَامج مكافحة الإِرهَاب الفكريّة الّتي تعج بها وسائل الإعلام العربيَّة هذه الأيّام ومحل استشهاد ومضرب مثل لعلماء السّعُودِيّة وسواها في مكافحة المظاهر الجهاديّة المتنامية في السّعُودِيّة وسواها بفعل واقع الحملات الصّليبيّة الأمريكيّة الأخيرة.

ويجري الحديث من وقت لآخر عن تمهيد قياداتها لطرح فكرة استئناف مسار الدّعوة العلنية سواء كمؤسسات اجتماعيَّة أو كأحزاب سياسة قد تحصل عَلى تراخيص حكومية في المستقبل.

٩. مطلع عام ٢٠٠٤ التقى الرَّئيس المصري بالرَّئيس الإيراني عَلى هامش أحد المؤتمرات الدّولية في أوربّا، واعتبر المراقبون ذلك مفتاح مرحلة جديدة بين البلدين، وصرح الرَّئيسان بعزمهما عَلى تطبيع العلاقات الّتي تدهورت منذُ أيّام الثَّورة الخمينية حيث كانَ الشّاه قد لجأ إلى مصر، ثمّ ما كانَ من استقبال إيران لقيادات الجماعة الإِسْلَاميّة وإطلاقها لاسم الشّهِيد خالد الإِسْلَامبولي عَلى أحد أكبر الشَّوارع الرَّئيسيَّة في طهران، وبعد عودة خاتمي إلى بلده استجابت الحكومة الإيرانية لطلب مصر المتكرر بإلغاء تسمية ذلك الشارع باسم الإِسْلَامبولي، ثمّ تناقلت وسائل

الإعلام خبر اعتزام إيران تسليم المعتقلين لديها من المصريين من الأفغان العَرَب وأعضاء القَاعِدَة إلى الحكومة المصريَّة، ومن ثمّ ذكر أن بعض المعارضين المصريين المقيمين في إيران قد سلموا لمصر فعليا، وأن آخرين قد فروا لأفغانستان، ولا أدري صحة الخبر ولا إن كانَ هذا قد طال من تبقى من قيادات الجماعة هناك ولم أستطع التحقق من ذلك.

كانَ هذا خُلاصة تجربة وأحوال تلك التَّجربة الغنية للجماعة الإِسْلَاميّة، إلى تاريخ كتاب هذه السُّطُور أواخر سنة ٢٠٠٤، من خلال إطلاعي عليها عمليا واحتكاكي وصداقاتي مع العديد من قياداتها، ولو أرادت أن أختصر رأي في تلك التَّجربة لأوجزته في أربع نقاط:

(١) الإنصاف(٢) العذر(٣) النصيحة(٤) الأمل.

أما للانصاف:

- فأقول أن الجماعة الإِسْلَاميّة بمصر الّتي عرفتها عن قرب، قد آلت إلى الزوال مع نهايات القرن العِشرين، مثلها مثل معظم تجمعات وتنظيمات التّيار الجهاديّ الّتي تنتمي لحقبة (١٩٦٠-٢٠٠١)، الّتي عملت في تلك الفترة، ثمّ تلاشت أو انحلت أو دمرت أو تفككت من النَّاحية العمليّة، ثمّ قضت تداعيات أحداث سِبتَمبر عَلى ما كانَ قد تبقى منها، فالجماعة الإِسْلَاميّة بمصر الّتي ولدت أواسط السبعينات قد انحلت عمليا وانتهت مع انصرام القرن العِشرين وبداية عالم ما بعد سِبتَمبر، بل لقد سبقت باقي التَّجَمُّعات بالانحلال مع إطلاقها للمبادرة والإمعان فيها بذلك الشّكل، هذا من النَّاحية العمليّة، فأما من النَّاحية الفكريّة فالناطقون اليَوْم باسمها يعلنون فكرا لا أقول أنه مختلف فقط، وإنما معاكس ومحارب للفكر الّذي سطروه في كتبهم الّتي أثرت تجربتهم في مصر، بل وأثر التّيار الجهاديّ كله.

وللأمانة والتّاريخ يجب القول صراحة، أنهم يدينون اليَوْم مسارهم، ويعتذرون عن أمجادهم ويعتبرونها خطأ، ويخطون لأنفسهم بذلك مسارا ومنهجا جديدا.

وأما من النَّاحية التَّنظِيمية، فالتَّنظِيم قد تلاشى وتشظى، فمعظم قياداته قد قتلوا رحمهم الله، أو أسروا وانقطعت أخبارهم فرج الله عنهم، وأما قواعدهم البشرية فقد انحلت وانتهت.

الشيء الوحيد المتبقي هو بعض الكوادر والقيادات التارِيخِيَّة الّتي تخرج من السّجون الصغيرة إلى السّجن الكبير المسيَّج بحدود مصر الّتي رسمتها سيكس بيكو، حيث يطرحون – نتمنى لهم السّداد والتوفيق- فكرا ومشاريع جديدة، لا يربطها بالجماعة الإِسْلَاميّة الّتي نعرفها إلا الاسم، هذا إن حافظوا عليه وما أظنهم بفاعلين، فإن من شروط الطَّاغوت بحسب تجربتنا (كصحوة إسلاميّة) عَلى من يريد الاستمرار أن ينفصل عن كلّ شيء حتَّى عن اسمه ويطلبون تغييره، كما حصل في تجربة تركيا وتونس والجَزَائِر وسواها، هذه هيَ النقطة الأولى من الإنصاف.

- أما النقطة الثّانية فهي تقديري واحترامي الكبير لتجربتهم، فقد عرفت الكثير من قيادات وكوادر هذا التَّنظِيم، والحق يقال، فإنهم من أفضل التَّنظِيمات الجهاديّة دينا وخلقا وسلوكا وإعدادا وتربية، فهم من التَّنظِيمات الّتي تعبت عَلى عناصرها بالتّربية، وأما منهجهم قبل المبادرة فهو- رغم اختلافي معهم في بعض الاختيارات السّياسيّة الشَّرعيَّة- من أفضل المناهج الّتي طرحت في التّيار الجهاديّ وأكثرها تأصيلا، ولم أسجل عليهم في سابق تجربتهم من مأخذ إلا تنكبهم في بعض الحالات لأصول منهجهم نتيجة بعض الحسابات التَّنظِيمية والمصالح الحبية الّتي ظنوها كغيرهم من التَّنظِيمات آنذاك، كما حصل من بعضهم إزاء مسألة الجِهَاد في الجَزَائِر وتأييدهم للديمقراطية، ومسألة عدم وقوفهم إلى جانب طالبان إلا في المَرحَلَة المتأخرة جدا، حيث عاجل سِبتَمبر ٢٠٠١الجميع.

وأما تجربتهم الدعوية والتَّنظِيمية والعسكريّة في مصر، وكذلك تراثهم وإنتاجهم الإعلاميّ، فكذلك كانت من أروع وأطول وأغنى تجارب التّيار الجهاديّ المعاصرة سواء في داخل مصر أو في خارجها، وكذلك دورهم ومساهماتهم القيمة النوعية في أفغانستان ضدّ الشُّيُوعِيّة، وفي البوسنة في دفع الصّائل عن المُسلِمِين.

وأما عَلى الصعيد الشخصي فقد ربطتني بالعديد من قياداتهم وقواعدهم علاقات أخوة وصداقة ومسار طريق جِهَاد وهِجرَة وجيرة مسكن، فكانوا مثالا للأخوة الأصدقاء والجيران الأوفياء، وفعلا

كما قَالَ الإِمَام ابن القيم وهو يرد بعض الآراء عَلى الإِمَام أبو إسماعيل الهروي في كتاب مدارج السالكين، أقول: (**لولا أن حق الحقّ أوجب من حق الخلق لكان في الإمساك فسحة ومتسع**).

وأسأل الله أن يتقبل منهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عما كانَ من كانَ من تقصير وصفف وزلل، هو من طبع عمل ابن آدم، إنه هو الغفور الرّحيم.

وأما العذر فيما أحدثوه من المبادرة دون موافقتهم عليها:

فأقول بأن التضحيات الّتي قدمتها هذه الجماعة عبر تاريخها هيَ تضحيات جسام بكل المقاييس، من الشّهداء والمعتقلين والمطاردين، ومن الّذين ذاقوا البلاء في سبيل الله، والله حسيبهم، ولقد أسر معظم قيادات وقواعد التَّنْظِيم، فقد أعتقل ما يزيد عَلى (٩٠٪) من قياداتهم البارزة في الصف الأوّل، منهم ولم ينج مهاجرا للخارج إلا القليل، وأعتقل من قواعدهم وأنصارهم عشرات الآلاف ولم ينج للخارج إلا رهط قليل أيضا، فتحول التَّنْظِيم عمليا إلى تنظيم مأسور بمعظم قياداته وقواعده، وقد صبر المعتقلون لعقدين كاملين من الزَّمن، منذُ قتل السادات (١٩٨١) إلى نهاية القرن العِشرين، لعلّ جهازهم العسكريّ في الداخل أو من نجى إلى الخارج يستطيعون تحقيق شيء، ولكن الظّروف العامّة الّتي أحاطت بمواجهات التّيار الجهاديّ مع أنظمة الرِّدَّة ومن وراءها من القوى الدّولية وعلى رأسها أمريكا وحلفاءها في النّاتو فيما عرف بالمُوَاجَهة العَالَمِيّة للإرهاب، لم تكن لتسمح لهم أو لغيرهم بالإنتاج النوعي أو بتحقيق شيء من الانتصار.

كما أن الشارع المصري، مثله مثل عموم الشارع العربيّ والإِسْلَاميّ قد خذلهم كما خذل التّيار الجهاديّ في أكثر الأمكنة، نتيجة عوامل كثيرة، مردها للفساد العام، ولعجز الصّحوة الإِسْلَاميّة وتيهها في دروب السّياسة وإعراض قادتها عن الجِهَاد، وللانحطاط المريع لعلماء المُسلِمِين في هذا الزّمان نحو دروب النِّفَاق أو جحور العجز.!

فلم يتجاوب الشارع المصري كغيره في هذا المُوَاجَهة بل جر عمليا إما للوقف في صف الدّولة أو للانخراط في اللامبالاة وقف المُجَاهدون وحيدين في السَّاحَة، ليقتل المئات ويأسر عشرات الآلاف



ويطارد من هاجر، ولتخرب البيوت وترمل النِّسَاء ويشرد الأطفال وتتفكك الأسر تحت طائلة الفقر والعوز والحاجة والتشتت.

وأعتقد أن ما تعرض له قيادات الجماعة وقواعدها من التعذيب البدني والنّفسي في سجون مصر ذات التّاريخ الأسود العريق في مُوَاجَهة الصّحوة أمنيّاً وفكرياً وإعلاميا، بالإضافة للدور الخبيث الّذي لعبه علماء السُّلطَان في مناظراتهم معهم بإشراف أجهزة أمن الدّولة، كانَ له بالغ الأثر في قرارهم الكارثي الّذي دعي بـ (مبادرة وقف العنف).

فهو في الحقيقة مبادرة وقرار من مجموعة سجناء أسرى، فاقدي الإِرادَة لا إعتبار لقراراتهم ولا لآرائهم وفتاويهم لا شَرعاً ولا عقلا.

فصاحب مثل هذه المبادرات قد يكون معذورا فيها يضل به أو يضل به النّاس، إن تحققت له شروط الإكراه، ونقدنا هو لمبدأ المبادرة وفحواها، وليس لجميع السّجناء من أصحابها، فالمبدأ مرفوض جملة وتفصيلا، والأخوة معذورون إجمالا والله أعلم، عَلى خلاف غير المأسورين منهم من الّذين تولوا كبر هذا الإنحراف من ملاذاتهم في أوربّا، وحتى ما أحدثوه بعد خروجهم من السّجن فإني أتناوله بنفس المنظور والطَّريقة ؛ رفض الإنحراف وعذر المنحرف المكره منهم إكراها حقيقيا، فهم مازالوا سجناء داخل السّجن الكبير (مصر) في داخل سور حدودها، والَّتي يحيط بها وبغيرها اليَوْم سجن أكبر في عالم ما بعد سِبتَمبر في كلّ أنحاء الأرض بإشراف أمريكا، ونسأل الله الثّبات عَلى الحقّ والعزيمة عَلى الرشد.

وأما الأمل:

ففي أن يخرج ممن تبقى من هذه الجماعة وأصلاب هَؤُلَاءِ الُمجَاهدين ومن أتباعهم من يكمل المسار؛ مسار الجِهَاد والُمقاوَمة فيها نستقبل من أيّام لحمل الرّاية، ومن يكمل المسيرة في أرض الكنانة أهمّ قلاع الُموَاجَهة في بلاد الُمسلِمِين مع هذه الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الزاحفة.

وأما النصيحة:

لإخوتنا هَؤُلَاءِ، ولكل من ينجرف ليسقط في مثل هذه المنزلقات والهاويات الّتي ينصبها الطغاة وأعوانهم وفقهاؤهم عَلى طريق السائرين إلى الله اليَوْم، فأوجز القول.

يقول الله تَعَالَى:

﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة]

ويقول عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران]

سبحان الله العظيم! كانَ هذا القرآن قد نزل لنا وفينا، ويقول ﷺ فيما روى البُخَارِيّ(١):

[عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِّ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَّ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهَّ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَّ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»].

صدق رسول الله، وكأن الحديث يتكلم عن بعض مُجاهدي هذا الزَّمن، نسأل الله العافية.

وأظن أن في كلام الله، وقول نبيه ﷺ، ما يكفي من العظة والنصيحة.

---

(١) صحيح البخاري (٣٦١٢).

فلقد كانَ مقبولا من إخواننا هَؤُلَاءِ، إذ شعروا أنهم قد أحيط بهم، وأنهم لا طاقة لهم بالمتابعة، أن يستسلموا ويرفعوا الرّاية البيضاء، ويعلنوا التوقف عن مواجهتهم للنظام المصري، وأن يطلبوا الهدنة أو الصُّلح بشروط تناسب حالهم، وكن ليس من حقهم ولا من حق أحد أن ينقض المنهج ذاته، وأن ينقض الغزل من بعد قوة أنكاثا، فهو ليس غزله ولا غزل أبيه وأمه! وإنما غزل المُسلِمِين، وغزل التّيار الجهاديّ العريق بأكمله، وتراث سلف من آلاف وآلاف الشّهداء والصابرين الّذين لاقوا ربّهم وهم عَلى ذلك في مصر وخارج مصر.

وكما روي عن إمام أهل السّنّة أحمد بن حنبل عندما سعى إليه بعض المشفقين عليه، ليجيب المعتصم في المحنة تقية لكف البلاء عن نفسه ويذكره بعياله، فقال: إن كانَ هذا عقلك يا أبا فلان فقد استرحت، وأشار إلى جمهرة من النّاس وطلاب العلم ينتظرون عَلى باب سجنه ليكتبوا ماذا يفتي، وقال له: أأنجو بنفسي وأضل هَؤُلَاءِ ؟! ولم يجوز ﵀ التقية لمن كانَ رأسا متبعا في الدّين، وكان يقول: لا تقية إلا بالسيف.

أما أن يتحول المستسلم تحت أي اجتهاد أو ذريعة كانت – نسال الله العافية – إلى وسيلة في أيدي الطواغيت وأجهزة إعلام الأَعدَاء في الداخل والخارج ليخذل الّذين مازالوا سائرين عَلى درب الجِهَاد والمُقاوَمة، بل ويسبهم وينقد منهجهم بتزوير الكتاب والسنة، فاللّهم لا، ولا كرامة هنا لأحد.

فأقل المطلوب من إخواننا هَؤُلَاءِ ومن ألجئ إلى مثل حالهم، إذ انسحبوا من القافلة، أن يمسكوا ألسنتهم ولتسعهم بيوتهم وليبكوا عَلى خطيئاتهم، وليسألوا الله للثابتين الثّبات، ولأنفسهم فرصة ثانية تعوض ما فات.

ونسأل الله أن يغفر لهم ويثبتهم عَلى الحقّ ويبعث منهم ومن أتباعهم وإخوانهم من يرفع راية الحقّ ويعود بالرّاية إلى عزتها ومكانتها.

أما عن تجربتي وصحبتي للأخوة من هذه الجماعة، خلال مرحلتي الجِهَاد في أفغانستان، وفي لندن مابين ذلك، فقد مكنتني من التعرف عَلى نماذج رائعة من المُجَاهدين في هذا الزّمان، وقد ربطني

بالعديد منهم من مختلف المستويات علاقات أخوة وصداقة، فكانوا نعم الإخوة الصادقين والجيران الأوفياء.

وكما أسلفت الملاحظ عَلى كوادر هذه الجماعة حسن التّربية والتكوين لأعضائها ومتانة الأخوة والرابطة فيما بينهم بالحق وحتى بالبَاطِل أحيانا ! وقد قدر لي أن أتعرف على العديد من شيوخ هذه الجماعة وكوادرها مثل الشَّيْخ المُجَاهد العالم القدوة عمر عبد الرَّحْمٰن فرج الله كربته وفك أسره، والشَّيْخ أبو ياسر (رفاعي طه) فك الله أسره، والشَّيْخ مصطفي حمزة، والشَّيْخ محمد شوقي الإِسْلَامبولي وغيرهم، حفظهم الله تَعَالَى وغيرهم، وكانت فرصة لمعرفة نماذج للمُجَاهدين القدوة العاملين، فرحم الله من لاقاه وجمعنا بهم في عليين، وحفظ من بقي ونفع بهم دينه وأهل طاعته.

٦- المحاولات الجهاديّة في تونس إعتبارا من النصف الثّاني من الثمانينات:

يعود ميلاد الصّحوة الإِسْلَاميّة بشكلها المعاصر في تونس إلى أواسط السبعينات، حيث أسس الشَّيْخ (راشد الغنوشي) وعدد من الإِسْلَاميّين الآخرين من رفاقه حركة عرفت باسم (الإتجاه الإِسْلَاميّ في تونس) وبدأت كغيرها من ظواهر الصّحوة الإِسْلَاميّة في تلك الفترة عَلى أسس قريبة جدا من فكر الأخوان المُسلِمِين، بالإضافة لمسحة تونسية خاصّة بحكم جُذُور الصّحوة الإِسْلَاميّة في تونس.

وقد اشتمل الإتجاه الإِسْلَاميّ في تونس عَلى محاور فكريّة متعددة كانَ بعضها دعوي وبعضها سياسي وبعضها تربوي، وبعضها جهاديّ مثله الشَّيْخ الدكتور(صالح كرر) حفظه الله وفرج كرباته وتقبل منه.

دخلت حركة الإتجاه الإِسْلَاميّ معتركات سياسيّة كثيرة مع نظام رئيسها السابق (الحبيب بورقيبة)، وسجن قادها وأوقفت صحفها وخطر نشاطها أكثر من مرّة، وأخذت في آخر أيّامها باتجاه الخيار الديمقراطي والصِّرَاع مع السّلطة عبر الإنتخابات، في حين كانَ لجهازها السري العسكريّ الخاص المتكون من عدد من الضُّبَّاط في مختلف صنوف الأَسْلِحة في الجيش التونسي برنامجا للإعداد لانقلاب عسكريّ يحمل الإِسْلَاميّين وإلى السّلطة بحسب ما كانوا يتصوُّرون، ويمثل هذا البرنامج

التَّجربة الأهم لمحاولة جهاديّة جادة في تونس للإطاحة بنظام الحكم القائم هناك، (وهذه التَّجربة وإن كانَ لا يمكن اعتبارها إحدى تجارب التّيار الجهاديّ بسبب الهويّة الفكريّة لجماعة الغنوشي، إلا أَنّي سأعرض لنبذة عن تلك المحاولة في هذه الفقرة عَلى إعتبار أن القائمين عليها من الأخوة الضُّبَّاط كانوا يحملون فكرا جهاديّا أقرب إلى فكر التّيار الجهاديّ من قربه إلى فكر الحركة العام ذي الطابع السّياسيّ المختلط، وهذا ما تبين لي بعد تعرفي عَلى بعضهم عن قرب).

- إلى جانب الإتجاه الإِسْلَاميّ كانَ هناك بعض الخلايا الصغيرة لم تجاوز الآحاد في حدود علمي من الشَّبَاب الّذي حمل الفكر الجهاديّ السلفي، وقد قاموا بعدد من العمليَّات البدائية البسيطة الغضة التَّجربة، مما أدى إلى استشهاد بعضهم واعتقال الآخرين وفرار بعض الآحاد إلى خارج تونس، وكان من بينهم الشَّيْخ (علي الأزرق) رحمه الله الّذي أفتاهم بالجِهَاد **ومشروعية استهداف الدّولة وهيا كلها، وقد فر الشَّيْخ إثر فشل تلك المحاولة إلى السّعُودِيّة – الّتي أعادت تسليمه إلى تونس أواسط الثمانينات حيث أعدم رحمه الله وقد جاوز السبعين من عمرة وهو يردد الشهادتين ويكبر في أحد سجون تونس- كما روى لي بعض من عاصر تلك المحاولة من الأخوة التونسيين.**

أما عن محاولة الإنقلاب لجماعة الإتجاه الإِسْلَاميّ أو ما عرف فيما بعد باسم (حزب النهضة) بزعامة الشَّيْخ راشد الغنوشي، فخلاصتها كما بلغتني مشافهة من بعض الّذين خططوا لها وأشرفوا عليها من أولئك الإخوة الضُّبَّاط كما يلي:

- بصرف النَّظر عن الخلط والخبط المنهجي الّذي طبع حركة الإتجاه الإِسْلَاميّ والطّبقة الأولى من قياداتها منذُ نشأتها، إلا أن بداياتها انطبعت بالفكر الثّوريّ الانقلابي والجرأة وسعة الأفق السّياسيّ، وهي صورة للتركيبة الفكريّة والنّفسية للشيخ (راشد الغنوشي).
- كانَ للحركة تصوُّرا مؤسساتيا طموحا، عني بتأسيس الكوادر والهياكل التَّنظِيمية لتنظيم يطمح إلى إسقاط نظام حكم وورِاثته عَلى كافّة الصعد، ولذلك كانَ للحركة برنامجها في

شتّى المجالات السّياسيّة والتربَويّة والاقتصاديَّة والإعلاميَّة.. الخ وكان من بين تلك الأجهزة الّتي أنشأتها، الجهاز العسكريّ للحركة.

- قام مخطط الجهاز العسكريّ أساسا عَلى زرع عدد من الضُّبَّاط المتطوعين في الجيش التونسي في أقسام الأَسْلِحة الثّلاثة البرية والجوية والبحرية، وعلى تجنيد من استطاعوا من الضُّبَّاط ذوي الميول الإِسْلَاميّة في الجيش، وبصرف النَّظر عن التفاصيل الفرعية فقد كانَ التَّنظِيم محكما وشديد التخفي في جيش علماني يحظر عَلى عناصره الالتزام بالدّين ويراقب حتَّى همسات المصلين وتسبيحات المُؤمِنِين، ويعتبرها شبهة تؤدي عَلى الأقل بصاحبها إلى الطرد من الجيش.
- التزم الضُّبَّاط الشَّبَاب من أعضاء هذا الجهاز بالغ السرية بناء عَلى فتاوى تحصل عليها من فُقَهَاء التَّنظِيم ومن استفتاهم بسلوك يخفي أي إشارة إلى التزامهم الدّيني، فكانوا يصلون سرا، بل إذا حضرتهم الصّلاة في أوقات الدُّروس والتّدريبات، صلوا إيماءا، وكانوا لا يصومون إلا إذا تمكنوا سرا، بل وصل الأمر في التخفي إلى اكتفائهم بلباس الحشمة لنسائهم مع الترخص في كشف غطاء الرأس للضرورة الّتي كانوا فيها !!

ثمّ مضى التَّنظِيم عَلى مدى نحو عشر سَنَوات وفق مخططه الّذي كانَ يقوم عَلى فكرة الإنقلاب العسكريّ أساسا للإطاحة بالسلطة.

- ووفق ما رواه لي أحد أصدقائي من الضُّبَّاط الّذين أشرفوا عَلى الإِعداد للانقلاب، فقد كانَ البرنامج محكما وطموحا (وتفاصيله المفصلة الآن عند الأَعدَاء بما يسمح بذكر بعضها للإفادة)، واستطاع أن يقيم صلات بدول مجاورة وينسق برنامجه عَلى مستوى عال، وكان وقت التنفيذ إن لم تفتني الذاكرة في عام (١٩٨٦)، بعد أن كانت حكومة بورقيبة قد أطاحت بفوز الإتجاه الإِسْلَاميّ، عبر تزوير الإنتخابات بعد فوزهم في مراحلها الأولى بصورة أدهشت المراقبين لما يعرف عن المجتمع التونسي من التحلل من الالتزام، وانتشار مذاهب العلمانيين وأتباع خطوات الفرنسة والتغريب فيه، ولكن بدا في تونس أيضا أن روح الأصالة

والتعاطف مع الدّين الإِسْلَاميّ والثقة في مشروعه السّياسيّ طبعت وما تزال تطبع جميع المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة بلا استثناء.

- وبحسب الرواة ذوي العلاقة، فقد أدى الضّعف والتردد لدى أستاذ جامعي من القسم المدني في التَّنظِيم والّذي كانَ عَلى صلة مع قيادة الضُّبَّاط الانقلابيين إلى كشف المحاولة قبيل تنفيذه بمقت وجيز، فسارع وزير الداخليَّة في حينها وهو الرَّئيس الحالي (زين العابدين بن علي)، إلى إنقلاب سريع أبيض بالتّعاون مع المخابرات الأمريكيّة وإدارة أجهزة الأمن وبعض أركان النّظام من السّياسيّين، ثمّ عزل بورقيبة بحجة هرمه وعجزه الصحي، وتم نقله إلى قصر معزول ليكمل بقية هذيانه وخرفه هناك حتَّى هلك، وكان قد اعتقل معظم الانقلابيين وفر من تمكن من الفرار.
- ولأن زين العابدين بن علي كانَ قد رتب انقلابه البديل عَلى عجل، كانَ يتخوف من عمق جُذُور المحاولة الانقلابية الإِسْلَاميّة، وأضطر إلى عقد صفقة مع راشد الغنوشي وقياداته السّياسيّة إتفق بموجبها عَلى الإفراج عن الضُّبَّاط الموقوفين، مقابل اعتراف الجماعة بالنّظام الجَدِيد وكفها عن السعي للإطاحة بالسلطة.
- وهكذا أفرج عن زهاء مائتي ضابط من الانقلابيين الإِسْلَاميّن الّذين خرج جلهم إلى المنافي الاختيارية في عدد من الدّول الأوربية باللجوء السّياسيّ، كما خرجت معظم قيادة التَّنظِيم المدني وعلى رأسهم الشَّيْخ راشد الغنوشي، إلى الدّول الغربيّة.
- اتجهت جماعة النهضة والشَّيْخ راشد ذاته بعد ذلك الفشل إلى أقصى التطرف المعاكس، في المنهج السّياسيّ وتبني الطروحات الدِّيمقراطيَّة، أو ما يسمونه نبذ العنف، واتخذ الشَّيْخ راشد من لندن منطلقا لتحركاته عبر أوروبّا، متبنيا فكرا ومسلكا يتوافق مع المقاييس الغربيّة للاعتدال الإِسْلَاميّ ليس محل تناوله هنا، واستهل ذلك بإصدار كتابه (الحريات السّياسيّة في الإِسْلَام)، الّذي انتهك فيه كثيرا من مسلمات الدّين الإِسْلَاميّ بدعوى منهج الإنفتاح والإعتدال الّذي ابتدعه وبلغ حد إنكار وإلغاء معلومات من الدّين بالضَّرورة !

- وهكذا تلاشت المحاولة الجادة الوحيدة المعاصرة لإقامة الحكم الإِسْلَاميّ في تونس.
- وقبض عَلى الشَّيْخ (صالح كرر) في فرنسا وألزم الإقامة الجبرية منذُ زهاء خمسة عشر سنة ومازال فيها، خشية أن يتابع تحركاته وتطلعاته الجهاديّة حيث أنه كانَ يمثل تيارا جهاديّا الجاد في جماعة الإتجاه الإِسْلَاميّ في تونس، فرج الله عنه.
- أما عَلى صعيد التّيار الجهاديّ وخلاياه في تونس، فقد أدى وصول بعض الشَّبَاب الجهاديّ التونسي إلى ساحة أفغانستان في آخر الثمانينات ومطلع التسعينات إلى محاولة بعضهم تشكيل نواة لتجمعات جهاديّة، فقامت محاولات فاشلة متكررة لضم تلك المجموعات الصغيرة في تنظيم موحد عَلى غرار ما فعل الليبيون والجَزَائِريون من الأفغان العَرَب، وقد فشلت كلّ تلك المحاولات لعدم وجود كوادر مؤهلة بين أولئك الشَّبَاب المخلين يمكن أن يقوموا بتلك المهمة.
- وعندما انفض جمع الأفغان العَرَب سنة ١٩٩٢، رحل بعض المُجَاهدين التونسيين إلى السُّودَان محاولين ذلك مرّة أُخرى دون جدوى، وارتحل آخرون منهم إلى ملاذات اللجوء السّياسيّ في أوروبّا، لتبقى صفة التشرذم، طابعا ملازما للجهاديّين من الأخوة التوانسة رغم ما توفر بينهم من العناصر المخلصة الطيبة.

أما الضُّبَّاط الإِسْلَاميّون في أوربّا فقد أرهقتهم متطلبات الحياة في ظل الحصار والمطاردة من النّظام التونسي، ومحاولات الاستيعاب الّتي مارسها عليهم (حزب النهضة في الخارج بزعامة الغنوشي)، الّتي وصلت إلى حد الحصار المادي والمعنوي، حتَّى اضطر بعضهم للرضوخ واللحاق بتنظيم الغنوشي لأسباب مادية ونفسية، وبقى البعض من المصابرين الغُرَباء منهم منطوون عَلى أنفسهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً مثل كثير من المستضعفين والمشردين من الجهاديّين والإِسْلَاميّين في أوروبّا أواخر القرن العِشرين.

- وعند ابتداء الشوط الثّاني للأفغان العَرَب في أفغانستان في عهد الطّالِبَان كانَ من بين المُجَاهدين العَرَب الّذين يمموا وجههم شطر الإمارة الإِسْلَاميّة، رهط من المُجَاهدين

التونسيين كانَ بعضهم قد نال شرف المشاركة في الجِهَاد في البوسنة ضدّ هجمات الصّرب وحرب الإبادة أواسط التسعينات، وابتدؤوا محاولة جديدة لإنشاء تجمع جهاديّ خاص بهم، وبدت بعض بوادر النجاح عَلى تلك المحاولة رغم التعثر والتشرذم، وفيروس التطرف والتكفير الّذي أصاب بعض الأخوة من المُجَاهدين التونسيين وأعاق تلك المحاولات الواعدة، واستطاع بعض الناضجين منهم أن يؤسسوا لأنفسهم معسكرا مستقلا، وإدارة لا بأس بمستواها متعاونين مع كوادر الجماعات الأخرى، وقدموا خدمات تدريبية جليلة للتجمع العربيّ في عهد طالبان.

- ولكن فيما كانَ الأخوة منشغلين في مسعاهم ذلك، كانَ للأقدار مشيئة أُخرى، فقد دوت انفجارات الحادي عشر من سِبتَمبر في نيويورك وواشنطن لتصل شظاياها إلى أفغانستان كما مر معنا، وجاءت الحملة الصّليبيّة الأمريكيّة في ديسمبر (٢٠٠١)، ليأخذ المُجَاهدون التوانسة مواقعهم عَلى خط متميز في قمم (طورة بورة) في جبال سليمان غربي جلال أباد إلى جانب إخوانهم حيث كانَ كافّة التواجد العربيّ في أفغانستان مستهدفا بالهجوم، وجاءت الأخبار عن صمودهم صمود الأبطال في مواقعهم إلى جانب إخوانهم في معركة الدّفاع عن النّفس وعن الإمارة الإِسْلَاميّة.
- ورغم أن الإخوة التوانسة كانَ هدفهم العودة بالجِهَاد إلى تونس، وإنشاء تنظيم جهاديّ يجمع شملهم، وانصب اهتمامهم عَلى إحياء اتصالاتهم بإخوانهم في المهجر وعلى تأمين متطلبات النهوض بذلك الجمع، ورغم أنهم لم يعيروا كبير إهتمام لمعركة الطّالِبَان والإمارة الإِسْلَاميّة، وكانوا من المترددين في التفاعل معها كإمامة شرعيّة في أفغانستان نتيجة بعض المآخذ لديهم ولاهتمامهم بمشروعهم، ورغم أنهم لم يقتنعوا بمحاولات (بن لادن) والقَاعِدَة وتوجهاتها العسكريّة أحادية الإتجاه، كما كانَ حال معظم التَّنظِيمات والتَّجَمُّعات العربيَّة في أفغانستان، إلا أن الهجمة الأمريكيّة قد فرضت نفسها عَلى الجميع.

- وهكذا، أدى مُجَاهدو تونس واجبهم، وثبتوا ثبات الأبطال وسقط منهم العشرات من الشّهداء والأسرى كغيرهم، ونظرا لعددهم القليل أصلا، وقلة من أعتقد أنه قد سلم منهم من أخدود سِبتَمبر، أعتقد أن تلك المحاولات التونسية قد تلاشت بانتظار أن يهيأ الله لتونس جيلا جديدا من المُجَاهدين، فرحمة الله واسعة، ورحم هذه الأُمّة مازال معطاء.
- وعلى الصعيد الشخصي فقد عرفت العديد من أولئك الأخوة، من الأفغان العَرَب من تونس، وكذلك تعرفت في أوربّا للعديد من الأخوة الضُّبَّاط الّذين ذكرت طرفا من تجربتهم، وكذلك كانَ لي العديد بهم روابط الصداقة، كما قامت بيني وبين من أم أفغانستان من التوانسة روابط التّعاون في ظلال طالبان.
- وما زلت أحمل من تلك الروابط حاني الذكريات، فرحم الله شهداءهم وفرج عن أسراهم، وذكر أحياءهم بخير وحفظهم، فقد كانوا مثالا للطيبة والإخلاص والفطرة الصافية والجد في العمل عَلى حداثة تجربتهم وقلة إمكانيَّاتهم.

٧- تجربة الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة بليبيا: (١٩٩٠-٢٠٠١)

بحسب معلوماتي فقد كانت هناك محاولة جهاديّة من النويات الأولى لخلايا التّيار الجهاديّ في ليبيا ضدّ نظام معمر القذافي خلال النصف الثّاني من الثمانينات، ولقد أدي اكتشاف تلك الخلايا ومطاردتها إلى خروج كوادرها الرَّئيسيَّة إلى أفغانستان، حيث كانَ التجمع الجهاديّ العربيّ خلال الجِهَاد الأفغاني قد بدأ يبلغ ذروته، وهناك وفي مُعَسْكَرَات التّدريب المنتشرة في أفغانستان وعلى الحدود الباكستانية، كانت تلك الكوكبة من الشَّبَاب الليبيين لا تألوا جهدا في تأهيل كوادرها الأولى في مختلف مجالات التّدريب وتعيد صلاتها بليبيا وبعض بلاد المهجر حيث استنفروا من استطاعوا من إخوانهم للمجيء للإعداد والتّدريب لمتابعة مسار الجِهَاد في ليبيا وقد عرف عن أولئك الشَّبَاب أنهم من أكثر المُجَاهدين العَرَب الّذين تواجدوا في تلك السَّاحَة استفادة من الوقت وصبرا عَلى دورات التأهيل العسكريّة والتربَويّة الطويلة المدى الّتي أخضعوا لها أنفسهم وإخوانهم، وخلال السَنَوات الثّلاثة الأخيرة (١٩٨٩-١٩٩٢)، استطاع أولئك الشَّبَاب أن يرتبوا أنفسهم ويؤسسوا التَّنظِيم الّذي عرف



باسم (الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة بليبيا)، ويضعوا برنامجا للإعداد واستئناف المسيرة الجهاديّة في بلدهم، عَلى الأفكار والأسس والطَّريقة الّتي كانت سائدة آنذاك في أواسط التّيار الجهاديّ والأفغان العَرَب واستطاعوا أن يستوعبوا معظم المُجَاهدين الليبيين الّذين تواجدوا في ساحة الأفغان العَرَب،

- ساهم المُجَاهدون الليبيون في فعاليات الجِهَاد العربيّ في أفغانستان إلى جانب إخوانهم من البلاد الأخرى بكفاءة، وسرعان ما برز منهم كوادر في مجالات التّدريب وفي الجبهات، ثمّ استقل شباب الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة لأنفسهم بمضافات ومُعَسْكَر خاص بهم شأنهم في ذلك شأن معظم الجماعات الجهاديّة العربيَّة القديمة أو الناشئة، ثمّ بايعوا عليهم أميرا للتنظيم وبدأت تتكون بنيتهم الإدارية كتنظيم جهاديّ بدأ يأخذ مكانه بين التَّنظِيمات الجهاديّة العربيَّة المرموقة.
- كانَ المنهج الفكريّ للجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة يقوم عَلى أسس الفكر الجهاديّ السائد، وقد تأثروا بمناهج الجماعة الإِسْلَاميّة وجماعة الجِهَاد المصريَّة، ويمكن اعتبارهم نموذجا من نماذج جماعات السّلفيّة الجهاديّة، وقد بدا هذا جليا عندما نشروا منهجهم الفكريّ في كتاب بعنوان (الخطوط العريضة للجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة بليبيا)، كما تجلى ذلك عبر نشرتهم الشهرية (الفجر) فيما بعد، وكذلك في عدد من الأبحاث الفكريّة السّياسيّة الشَّرعيَّة الّتي أصدروها.
- مع هبوب العاصفة الأمنيّة عَلى العَرَب في باكستان بموجب البرنامج الأمريكيّ، ومع عودة معظم المُجَاهدين العَرَب إلى بلادهم كانَ أعضاء الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة من الصنف الّذي لا يستطيع العودة إلى بلاده، شأنهم في ذلك شأن المطاردين من الجهاديّين من سوريا ومصر وتونس والعراق وبعض البلاد الأخرى، فانتقل معظم شباب الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة إلى السُّودَان بعد أن فتح نظام البشير وحليفه الترابي أبواب السُّودَان للإسلاميين والجهاديّين بعد تسلمهم السّلطة سنة (١٩٩٠م) كما مر آنفا، في حين يمم القليل منهم وجهة شطر ملاذات اللجوء السّياسيّ في بعض البلدان الأوربية والغربيّة.

- تعتبر مرحلة الإقامة في السُّودَان (١٩٩١-١٩٩٥) مرحلة تأسيس هامة بالنسبة للجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة بليبيا، فقد مكنتها من إعادة توثيق صلاتها بليبيا، كما وضعت الجماعة برنامجا طموحا لتأهيل الكوادر في المجالات المختلفة ولاسيما في مجال طلب العلم الشَّرعيّ، واتجه العديد منهم إلى طلب العلم في بلاد الحرمين، في حين يمم آخرون وجههم شطر موريتانيا، وفعلا، لم يأت الشوط الثّاني للأفغان العَرَب في أفغانستان (١٩٦-٢٠٠٠) إلا وقد كونت الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة بليبيا عددا من خيرة الكوادر العلمية الشَّرعيَّة الّتي تأهلت في التّيار الجهاديّ والأفغان العَرَب.
- كانَ عدد من كوادر الأفغان العَرَب الليبيين ممن لم يلتحقوا بالجماعة المقاتلة يعمل في مُعَسْكَرَات تنظيم القَاعِدَة، وقد غادروا إلى السُّودَان متابعين عملهم مع الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن في المجالات الزراعية والاقتصاديَّة الّتي ابتدأها في السُّودَان، ولكن نشاط المقاتلة وغيرها من الإِسْلَاميّين والجهاديّين داخل ليبيا ضدّ نظام القذافي، ولاسيما تحركهم في السُّودَان عَلى مقربة من ليبيا، أزعج نظام العقيد القذافي ودفعه إلى إبرام معاهدة لتبادل المجرمين! ووضع برنامج لمكافحة العناصر الإِسْلَاميّة مع نظام البشير (الإِسْلَاميّ)، وسرعان ما قلب نظام البشير ظهر المجن لكافة الأفغان العَرَب، ولكن بداية ذلك كانت بالليبيين، إذ طلبت الحكومة السُّودَانية من تنظيم (المقاتلة) الرحيل عن السُّودَان، كما طلبت من الشَّيْخ أُسَامَة إخراج من لديه من الليبيين من مجالات عمله نتيجة ضغوط ليبيا عليها واتفاقاتها الجَدِيدة معها، ولم يكن من ذلك بد، وأدى ذلك إلى بدء رحيل الليبيين عن السُّودَان، ليعيدوا انتشارهم في المنطقة من جديد، وأدى ترحيل من كانَ منهم مع تنظيم القَاعِدَة إلى انضمامهم إلى تنظيم (المقاتلة) مضيفا إليها كوادر هامة، حيث كانت المقاتلة حريصة عَلى أن تكون التَّنظِيم الجهاديّ الوحيد في ليبيا، وبذلت في ذلك مساع حثيثة داخل ليبيا وخارجها.

- كما قلت، فقد توزعت كوادر المقاتلة وعناصرها في العديد من دول المنطقة، فعاد البعض إلى باكستان وانتشر آخرون في اليمن والسّعُودِيّة وتركيا وسوريا والأردن والخليج وبعض دول شمال أفريقيا، فيما أتجه آخرون إلى ملاذات اللجوء السّياسيّ في بعض الدّول الغربيّة حيث ساعدتهم الأجواء وإمكانية المعلومات والاتّصالات عَلى الإفادة في مجال الدعاية والإعلام.
- مع إنطلاق شرارة الجِهَاد في الجَزَائِر منذُ (١٩٩٣) سارعت الجماعة المقاتلة كي تكون حاضرة في هذه السَّاحَة الهامة بذاتها ولجوارها لليبيا، وأوفدت بضع عشرات من مُجَاهديها ليتواجدوا هناك وليشاركوا إخوانهم في الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة في الجِهَاد ضدّ النّظام الجَزَائِري، ولكنها كانت تجربة بالغة المرارة، إذا أدت الاختراقات الاستخباراتية، وسيطرة العناصر الجاهلة والتكفيرية وتوجيه المخابرات لها، إلى المنحرفين سيطرة عَلى إدارة الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة في الجَزَائِر، ودفعها في متاهات الإنحراف والتشرذم، كما سنعرض في النبذة التّالية عند التعرض للتجربة الجَزَائِرية، إن شاء الله، ولكن ما يعنينا هنا هو أن (الإدارة المجرمة للجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة بقيادة أبو عبد الرَّحمٰن أمين) منذُ ١٩٩٥، أضافت إلى قائمة جرائمها، جريمة اغتيال معظم هَؤُلَاءِ المُجَاهدين الغُرَباء من الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة رحمهم الله، بدعوى حملهم لفكر المبتدعة، وأنهم ليسوا عَلى العَقِيْدَة السّلفيّة الصَّحِيحة !! ولم ينج من هَؤُلَاءِ إلا القليل جدا ممن استطاعوا الفرار إلى مناطق التَّنظِيمات الأخرى ليخرجوا شهودا عَلى ذلك الإنحراف الخطير الّذي حصل في الجَزَائِر!! ولله الأمر من قبل ومن بعد.
- في عام (١٩٩٤) بدأت الجماعة المقاتلة نشاطها العسكريّ في ليبيا، عبر ثلاثة محاور:

١. حرب عِصَابات مدن داخل ليبيا، ضدّ أركان الحكومة الليبية.

٢. تمركز بعض العناصر المطلوبة في مناطق الجبل الأخضر شرق ليبيا لتمارس حرب عِصَابات جبال وأرياف في محيطه.

٣. محاولة اغتيال العقيد معمر القذافي.

لكن المعطيات الاستراتيجيّة لبلد مثل ليبيا لم تكن لتساعد عَلى مثل هذه الحركة.

فعدد السّكّان قليل، وليبيا بلد صحراوي مترامي الأطراف، تتناثر فيه المدن الرَّئيسيَّة عَلى مسافات شاسعة، وتتركز في شريط ساحلي ضيق، بالإضافة للتوقيت غير المواتي الّذي انطلقت فيه شرارة تلك المحاولة، حيث كانَ التنسيق العربيّ والإقليمي والدّولي لمكافحة الجماعات الجهاديّة قد بدأ، مما جعل عمليَّة التنسيق بين إدارة العمل في الداخل والخارج غير ممكنة، وكذلك أصبحت حركة العناصر من وإلى ليبيا محفوفة بالمخاطر وشبه مستحيلة، وسرعان ما أوقع نظام الطَّاغوت في ليبيا خسائر كبيرة في صفوف المُجَاهدين، رغم العمليَّات النوعية والبطولية الّتي قام بها أفرادهم خلال تلك الفترة، ضدّ أجهزة الأمن وعناصر الجيش والمليشيات الحُكُوميّة.

وهكذا صفيت خلاياها في الجبل الأخضر، وقتل الأخ القائد الشّهِيد عبد الرَّحمٰن حطاب، وسقط عدد من الشّهداء في مدن متعددة واعتقل آخرون، واضطرت الجماعة المقاتلة للإعلان عن تغيير برنامجها العسكريّ، معلنة ذلك في بياناتها بما عبرت عنه ببرنامج (الهجوم الإستراتيجي والتراجع التكتيكي)، ليقتصر نشاطها عمليا بعد ذلك عَلى المحور الأخير فقط وهو المحاولات الّتي كررتها لاغتيال العقيد القذافي دون أن يوافق ذلك قدر أجل ذلك الطَّاغوت الخبيث، فباءت محولات عديدة بالفشل ونجى القذافي المرة تلو الأخرى بأعجوبة، واضطرت الجماعة لإنهاء نشاطها عمليا في ليبيا.

- منذ (١٩٩٥) كانت عواصف الحَرب العَالَمِيّة عَلى الإِرهَاب كما أسموها تتصاعد بسرعة لمطارد كافّة الجهاديّين في كلّ مكان، وقد أوقع التّعاون والتنسيق الأمني الإقليمي والعربي والدّولي، كثيرا من كوادر التّيار الجهاديّ ضحايا لتلك الحملات الأمنيّة الظَّالمة الّتي وضعت نصب أعينها إغلاق الملاذات الآمنة، وتجفيف المنابع المالية، ومطاردة العناصر الرَّئيسيَّة لاغتيالها أو أسرها أو تسليمها إلى بلدانها، وكان نصيب الجماعة المقاتلة من الابتلاء في تلك المَرحَلَة أيضا غير قليل، إذ طاردت السُّلطات في تركيا وسوريا والأردن واليمن والسُّودَان عددا من الخلايا التَّابعة لهذا التَّنظِيم، فقبض عَلى بعضهم وسلموا إلى ليبيا كما حصل في

السُّودَان والأردن وسوريا وتركيا، واعتقل آخرون في تلك البلاد أو رحلوا أو اختفوا في أشد حالات الضيق في أماكنهم أو أماكن أُخرى، كما تعرض اللاجئون إلى الدّول الغربيّة منهم كغيرهم من الإِسْلَاميّين عموما والجهاديّين خُصُوصَاً للحصار والتضييق.

- مع تمكن حركة طالبان من السّيطرة عَلى أفغانستان وإعلانها للإمارة الإِسْلَاميّة ربيع (١٩٩٦)، بدأت كوادر من الأفغان العَرَب شد الرحال إلى الملاذ الجَدِيد، ورغم وصول العديد من طلائع التَّنظِيمات والكوادر الجهاديّة والعربيَّة إلى أفغانستان ولاسيما من قدماء الأفغان العَرَب، إلا أن قيادة الجماعة المقاتلة بدت مترددة في اللحاق بهذا الملاذ الجَدِيد وحذرة من فكرة إعادة تجميع كامل بيض التّيار الجهاديّ في سلة واحدة في أفغانستان مرّة ثانية، ولقد كنت من بين أوائل من توجه إلى أفغانستان في تلك المَرحَلَة، ومن بيين من حثهم وحث الجميع عَلى المجيء وتجمع القوي والانطلاق من هناك من جديد، وقد إعتبر المترددين في ذلك مخطئين في ترددهم، ولكن ما حصل في سِبتَمبر وما تلا ذلك من تداعياتها عَلى التّيار الجهاديّ، تجعلني الآن أفكر في أن ترددهم وحذرهم ربما كانَ في حينها في محله، ولكن كانَ للأقدار مسارا ومشيئة أُخرى، فهم كانوا مهددين في ملاذاتهم وما كانَ أحد ليتصوُّر سِبتَمبر وتداعياته، فقد أدى نجاح طالبان في بسط سيطرتها عَلى معظم أفغانستان، والعز الجَدِيد الّذي لاقاه من حضر من الأفغان العَرَب في كنفهم من جهة، والمطاردات الأمنيّة الّتي عصفت بخلايا المقاتلة وغيرها من الجهاديّين في أكثر من مكان كما أسلفت، إلى أن يضطر المترددون إلى اللحاق بأفغانستان خوفا وطمعا، خوفا من لهيب العواصف الأمنيّة في مختلف بلاد العالم، وطمعا في الإفادة من معطيات السَّاحَة والملاذ الجَدِيد، وتتابع مجيء الكوادر البارزة من قيادة تنظيم الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة إلى الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان كغيرهم.
- ترددت المقاتلة بادئ ذي بدء في الزج بكوادرها في معارك طالبان الطويلة مع تحالف الشمال خشية الدخول في استنزاف لم يكن ضمن برنامجها من جهة، ولعدم تبلور قناعتها ربما بعد في تلك المَرحَلَة بالانخراط في معركة الطّالِبَان، وعدم تبينها لمسألة مشروعية أمير المُؤمِنِين كإمام

شَرعِيّ ممكن يحب الدخول في كنفه، ولكنهم وبعد تدارس الموقف مطلع (١٩٩٩) بدؤوا ينخرطون في الوقوف إلى جانب حكومة الطّالِبَان شيئا فشيئا، وما لبثوا أن لعبوا دورا مهما في مساندتهم في مختلف المجالات ولاسيما في المجال العسكريّ والإعلام.

- و خلال الشوط الثّاني للأفغان العَرَب في أفغانستان، كانت الجماعة المقاتلة من أفضل المجموعات العربيَّة تنظيما وأداء عَلى مستوى الأفغان العَرَب وتجمعاتهم وجماعاتهم الّتي بلغ المنظم منها نحو(١٤) تنظيما وتجمعا ومعسكرا مستقلا، وكان لهم معسكرا مستقلا وأكثر من مضافة ومركز نشاط.
- وخلال تلك الفترة بدا أن ظلال عالم العولمة الّذي بدأ يتسرب إلى تفكير الجهاديّين أيضا قد وجد طريقه إلى الجماعة المقاتلة في اتجاه العناصر غير الليبية والاهتمام بأكثر من قضية وساحة، رغم أن توجههم القطري الليبي ظل واضِحاً وملازما لكافة نشاطاتهم وبنيتهم الإدارية وإنتاجهم الإعلاميّ،
- لم تنجح محاولات الشَّيْخ أُسَامَة والقَاعِدَة في استمالة الجماعة الإِسْلَاميّة المقاتلة إلى توجهاته توحيد محور المُوَاجَهة تجاه أمريكا، كما لم يستطع استيعابهم في حلفه الّذي أطلق عليه مسمّى (الجبهة العَالَمِيّة لجِهَاد الصّليبيّين)، والّذي لم يستمل في آخر المطاف عبر السَنَوات الخمسة إلا تنظيم الجِهَاد المصري بقيادة الشَّيْخ الدكتور أيمن الظواهري، ويبدو أن الأسباب الرَّئيسيَّة لذلك تعود إلى قضايا منهجيّة وأخرى إدارية وأسباب متعلقة بطبيعة التوجه والهدف الإستراتيجي ومنحى الجهد العملي لكل جماعة، وهكذا بقى تنظيم المقاتلة مستقلا في بَرَامجه ونشاطه في ساحة الأفغان العَرَب إلى أيّامهم الأخيرة.
- وجاء الحادي عشر من سِبتَمبر، و(المقاتلة) كغيرها من التَّجَمُّعات الجهاديّة العربيَّة منهمكّة في نشاطها وحركتها الدؤوبة، بل ربما أنها كانت الأبرز نشاطا وأداء.

واضطرت الهجمة الأمريكيّة العاتية جوا والزاحفة برا بالتّعاون مع الخونة من الشماليين وشذاذ الأحزاب المختلفة وقطاع الطرق، اضطرت جميع الأفغان العَرَب للدخول في معركة الدّفاع عن النّفس والدّفاع عن الإمارة الإِسْلَاميّة، وعن أمير المُؤمِنِين وحكومته الّتي بدأت تتهاوى عَلى أكثر من جبهة.

- أخذ المُجَاهدون من الجماعة المقاتلة بليبيا مواقعهم في تلك المَعْرَكة، وأبلوا بلاء حسنا في معركة الدّفاع عن خطوط شمال كابل، وكان فصيل آخر منهم يرابط في جهة الجنوب في قندهار وهلمند، وسقط منهم العديد من الشّهداء، وكانت قياداتهم وكبار كوادرهم في طليعة المقاتلين، كما لعب بعض قياداتهم وكوادرهم دورا بارزا فيما بعد في المعارك المتتالية في أكثر من مكان، إلى أن اضطر من سلم من القصف ومن تلك المعارك إلى الانسحاب تجاه باكستان وتولى أحد قادتهم وهو الشَّيْخ أبو الليث قيادة مجموعات مقاومة للأمريكان عَلى الحدود الباكستاني مع أفغانستان منذُ ذلك الوقت إلى الآن حفظه الله، وثم كانَ نصيب المقاتلة من البلاء كغيرها من مُجَاهدين الأفغان العَرَب لا بأس به أيضا، فوقع العديد من عناصرها وكوادرها أسرى خيانات حكومة وجيش وقوى الأمن الباكستانية عليهم من الله ما يستحقون، ليقتل البعض ويسلم آخرون إلى الأسر لدى زعيمة الحملات الصّليبيّة أمريكا.
- كانت خسائر المقاتلة كغيرها من مكوّنات التّيار الجهاديّ العربيّ والأفغان العَرَب فادحة، قتلا وأسرا وتشريدا، ليعود من سلم من كوادرهم مع من سلم من كوادر التّيار الجهاديّ، غُرَباء العصر الحديث ممن نجى من أخدود سِبتَمبر للتشرد والتخفي في أقطار الأرض من جديد، فرحم الله الشّهداء، وفرج عن الأسرى وأنجى المستضعفين من عباده في الأرض في كلّ مكان وحققه لهم وعده الأكيد بالنّصر والفرج والتمكين.

وقد ربطتني بالأخوة في الجماعة المقاتلة روابط صداقة وأخوة وعلاقات تعاون وعمل في عدّة مناسبات ومجالات، كانَ أهمّها أثناء إقامتي في لندن، حيث كتبت عددا من المقالات الفكريّة الجهاديّة في مجلتهم الفجر، كما كانَ بيني وبينهم تعاون مثمر في الكشف عن انحراف الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة

في الجَزَائِر اعتبارا من أواخر (١٩٩٥)، وقد أدى ذلك التّعاون معهم ومع جماعة الجِهَاد المصريَّة إلى إعلان البَرَاءة من أعمالها من قبل معظم تكتلات التّيار الجهاديّ في حينها، كما سيأتي بيانه إن شاء الله، كما قام بيني وبينهم أيضا تعاون طيب أثناء (الشوط الثّاني للأفغان العَرَب) أيّام طالبان، ثمّ جمعنا السبيل في محاولة دفع البلاء النازل إثر أحداث سِبتَمبر، قبيل الخروج من أفغانستان، وفعلا أعتقد أن الجماعة المقاتلة قد شكلت ركنا أساسيا في التّيار الجهاديّ وكان لها وجود متميز عَلى صعيد الإنتاج والحضور، وأعتقد أن قياداتها وطلاب العلم فيها، وكذلك كوادرها وعناصرها كانوا من أكفأ رجال التّيار الجهاديّ عطاء وأكثرهم تربية وتأهيلا.

تقبل الله منهم، وأحسن مثوبتهم، وجمعنا وإياهم في مستقر رحمته مع النبيّين والصديقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقا.

٨- التَّجَارب الجهاديّة المعاصرة في الجَزَائِر اعتبارا من (١٩٩١):

- سبق أن بينت أن تجربة جهاديّة مبكرة كانَ قد قام بها الشَّيْخ الشّهِيد المُجَاهد (مصطفى بويعلي) رحمه في النصف الأوّل من السبعينات، فقد كانَ الشّهِيد بويعلي من المُجَاهدين الّذين حاربوا ضدّ الإستعمار الفرنسي في الجَزَائِر، وكان مثله مثل مئات آلاف المُجَاهدين في حينها يطمحون إلى التحرر من الإستعمار تحت شعار الجِهَاد، ليقام في الجَزَائِر حكم الإِسْلَام عَلى إثر ذلك، ولكن الفرنسيين الّذين أتقنوا لعبة الإستقلال كما أتقنوا لعبة الإستعمار، جعلوا الأمر يؤول من بعدهم للعلمانيين والاشتراكيين من أبناء الجَزَائِر الّذين تربوا عَلى أفكار أعداء الإِسْلَام ! وكان هذا سببا لتراكم الكفر والظُّلم الّذي دعى شهيدنا مصطفى بويعلي للثورة عليه.

ولكن تلك التَّجربة سرعان ما قمعت واستشهد قائدها وسجن من تبقى من عشرات المنتسبين إليها لعدة سنين.

- وفي نهاية الثمانينات وبعد أن تفاقمت المشاكل الاقتصاديَّة في الجَزَائِر نتيجة الفساد العارم الّذي استشرى في كافّة مفاصل النّظام وإدارته، انفجرت (مظاهرات الخبز) كما عرفت في حينها، وأوشك الحال عَلى الانفجار، فلجأ الرَّئيس الجَزَائِري آنذاك (الشاذلي بن جديد) إلى

علاج الأوضاع بطرح سياسة الإنفتاح وإعلان ترخيص تشكيل الأحزاب السّياسيّة والدّعوة إلى انتخابات ديمقراطية حرة سنة (١٩٨٩).

إستغل البادرة بعض الدعاة من الصّحوة الإِسْلَاميّة الّتي كانت مقموعة بشدة منذُ عهد الإستقلال (١٩٦٣) في عهد الرَّئيس (هواري بومدين)، وأعلن الشَّيْخ عباسي ومدني ونفر من الّذين استجابوا للدعوة، تشكيل (الجهة الإِسْلَاميّة للإنقاذ) لتشكل تجمعا عريضا يضم كافّة الساعين إلى المشروع السّياسيّ الإِسْلَاميّ، واستطاعت الجهة أن تشتمل عَلى معظم أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة، وانخرط في عضويتها المفتوحة الأبواب ملايين النّاس بصرف النَّظر عن أحوالهم ومشاربهم فقد التقوا عَلى دعم مشروع الإِسْلَام السّياسيّ.

- ومع انصرام الإنتخابات البلدية، تبين أن الجهة الإِسْلَاميّة للإنقاذ، قد سحقت أقوى الأحزاب السّياسيّة العلمانيّة في الجَزَائِر، وهو حزب السّلطة ! حزب جبهة التحرير الوطني وتولت بذلك معظم بلديات الجَزَائِر، واستفاد جبهة الإنقاذ بذلك للتحضير للفوز بالانتخابات التَّشريعية (البرلمانية) الّتي جرت سنة (١٩٩٠م) وتمخض الدَّور الأوّل فيها عن فوز الجبهة بأغلبية ساحقة كانت ستمكنها خلال الشوط الثّاني من الدَّورة الإكمالية من الأغلبية السَّاحقَة الّتي تأهلها لتشكيل الحكومة ولترشح لرئاسة الدّولة.
- وضربت نواقيس الخطر في مشارق الأرض ومغاربها، وأعلنت الدّول الصّليبيّة الكبرى عن استعدادها للتدخل لقطع الطّريق عَلى الإِسْلَاميّين من الوصول للسلطة، بل صرح (فرانسوا ميتران)، الرَّئيس الفرنسي في حينها، أن فرنسا عَلى استعداد للتدخل العسكريّ للحيلولة دون وصول الإِسْلَاميّين للسلطة، وكان الحلّ الوحيد أمامهم هو إحداث إنقلاب عسكريّ مدعوم من قبل الغرب ولاسيما فرنسا،
- وحصل الإنقلاب، واعتقلت قيادات الجبهة، وقمعت المظاهرات بالعنف، وفتح النظم العسكريّ الّذي استولى عَلى السّلطة وسحق الدِّيمقراطيَّة بدعم من الغرب المنافق السّجون الصحراوية لعشرات آلاف المعتقلين من الإِسْلَاميّين، وكان هذا سبب بداية الإنتفاضة

الجهاديّة المعاصرة في الجَزَائِر، والّتي تعتبر من أهمّ التَّجَارب الجهاديّة الجديرة بالدّراسة، وآخر تجارب الجهاديّين في المُوَاجَهة مع الأنظمة، وآخرها في القرن العِشرين، وقد كانَ لي منذُ ابتداء تلك التَّجربة عام(١٩٨٩) وإلى عام(١٩٩٦)، تماس مباشر وعلاقة ببعض مجريات تلك التَّجربة سأشير إلى أهمّ مجرياتها في نهاية هذه الفقرة إن شاء الله، وقد كانت تجربة شخصية مريرة وغنية بالفائدة، وقد سجلت ذلك كما ذكرت في كتاب فقدته مخطوطا جاهزا أثناء انسحابنا العاجل من كابل إبَّان الهجمة الأمريكيّة عَلى أفغانستان بعد أحداث سِبتَمبر، وأعدت كتابة ملخصه وسأنشره قريباً ′ن شاء الله، وأما هنا فأعرض لأهم مناحي تلك التَّجَارب الّتي عايشتها عن قرب من خلال نقاط موجزة رئيسيَّة.

تجربة الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة والجماعات الأخرى في الجَزَائِر (١٩٩١-٢٠٠٠):

- كانَ عدّة مئات من الشَّبَاب الجَزَائِري، ربما ناهز عددهم الألفين، قد نفر للجِهَاد في أفغانستان، وسرعان ما أثبتوا كما هو معروف عنهم أنهم من أشد المُجَاهدين بأسا وشجاعة، ومع بداية التسعينات أخذ المُجَاهدون من كلّ بلد يجمعون أنفسهم ويستقلون بكياناتهم من حيث الخدمات والمضافات ومُعَسْكَرَات التّدريب، رغم بقاء جبهات القِتَال مشتركة بين الجميع تحت إدارة التنسيق العربيَّة العامّة، وهكذا سعى الجَزَائِريون من الأفغان العَرَب لتنظيم أنفسهم.
- برز (القاري سعيد) كما كانَ يدعى، كواحد من أبرز قيادات الأخوة الجَزَائِريين وبدأ تنظيم ما عرف فيما بعد باسم (الأفغان الجَزَائِريين)، وقد ربطني بالرجل خلال تلك الفرة وما بعدها صداقة وتجاوزنا في السكن في بيشاور مكنتني من الإطلاع عَلى تلك التَّجربة، وقد حدثني رحمه الله عن طموحاته بتشكيل تنظيم جهاديّ للعمل في الجَزَائِر بعد الفراغ من الجِهَاد الأفغاني في عدّة مناسبات، ولم يكن المشروع مستعجلا، وإنما كانت أهدافه في إطار التّدريب التَّنظِيم والإِعداد.

وجاءت أحداث الإنتخابات، وما جرى للجبهة الإنقاذ، والانقلاب العسكريّ سنة (١٩٩٠م)، لتجعل بالأخوة الجَزَائِريين للعودة إلى بلادهم لمُوَاجَهة الحكومة الانقلابية الطَّاغوتية العسكريّة.

- وذهب القاري سعيد للاستطلاع في الجَزَائِر، ليعود بقرار ترحيل من معه إلى هناك عَلى مراحل، ثمّ عاد إلى الجَزَائِر بعد أن استناب بعض الأخوة في (بيشاور) ليتابع التّدريب المكثف وتنظيم عمليَّة الترحيل إلى الجَزَائِر.
- كانت ردة الفعل الطبيعة لأكثر من ٥، ٣ مليون ناخب اختاروا المشروع الإِسْلَاميّ في الإنتخابات وفازوا فيها، ثمّ انتزع منهم انتصارهم، ليساق عشرات الآلاف منهم إلى السّجون، كانَ طبيعيا أن يرحب أكثرهم بنداءات جِهَاد السُّلطات العسكريّة الّتي قطعت عليهم الطّريق إلى حصاد نتيجة فوزهم بدعم وتوجيه من الغرب ولاسيما فرنسا.
- كانت ساحة الصّحوة الإِسْلَاميّة في الجَزَائِر آنذاك تموج بكافة مكوّنات الصّحوة الإِسْلَاميّة العربيَّة الّتي من المهم معرفتها لفهم تلك التَّجربة المتشابكة، وكان من أهمّ تلك الكتل بحسب حجمها وتأثيرها ما يلي:

أولا: الجهة الإِسْلَاميّة للإنقاذ:

وتكونت من خليط من مدارس الصّحوة وقياداتها والتَّنظِيمات الإِسْلَاميّة الدعاة المستقلين، بالإضافة لقواعد عريضة من عوام المُسلِمِين الّذين آمنوا بعموميات مشروع الإِسْلَام السّياسيّ دونما منهج محدد اللّهم إلا الشَّعَار العام، وكان من أهمّ مكوّناتها الرَّئيسيَّة:

١. **جماعة الطلبة**: الّتي كانَ يرأسها الشَّيْخ محمّد السَّعيد – رحمه الله– ويعود تأسيسها إلى مجموعة من الطلبة الإِسْلَاميّين في جامعة الجَزَائِر من الّذين تتلمذوا، عَلى المفكر الإِسْلَاميّ الشهير مالك ابن نبي، وكانت تقوم في عموميات فكرها مزيج من أفكار الأخوان المُسلِمِين مع مورثات الصّحوة الإِسْلَاميّة في لجزائر من تراث جَمعيَّة العُلَماء المُسلِمِين، بالإضافة إلى أفكار مالك أبن نبي رحمه الله .



٢. **حركة الدّولة الإِسْلَاميّة:** وهم بقايا حركة الشّهِيد مصطفى بو يعلي رحمه الله، وقد تزعمهم ومثلهم في جبهة الإنقاذ الشَّيْخ سعيد مخلوفي - رحمه الله - وكانت مجموعة جهاديّة سلفية المعتقد.

٣. **شريحة عريضة من أتباع الدّعوة السّلفيّة:** وقد تزعمهم ومثلهم في الجبهة رجلها الثّاني وخطيبها المشهور الشَّيْخ (علي بلحاج حفظه الله).

٤. **عدد من رموز الدّعوة الإِسْلَاميّة من المستقلين.**

٥. **قاعدة عريضة من عوام المُسلِمِين** المتعاطفين مع المشروع الإِسْلَاميّ.

ثانيا: الأخوان المُسلِمُون - فرع التَّنظِيم الدّولي في الجَزَائِر:

وكان يرأسهم (محفوظ النحناح)، الّذي أطلق عَلى حزبه اسم (حركة مجتمع السلم)، وقد أبى النحناح الدخول تحت مظلة جبهة الإنقاذ، وبقي مناوئا لها طوال بقية حياته رغم محنتها، وشن عن المُجَاهدين هجوما ضاريا.

ثالثا: الأخوان المُسلِمُون المحليون- وهم حزب النهضة الإِسْلَاميّة:

الّذي رئسه (عبدالله جاب الله)، وكان فكرهم مزيجا من فكر الإخوان وفكر الصّحوة الإِسْلَاميّة الجَزَائِرية المحليَّة.

رابعا: السلفيون:

والّذين كانَ شريحة كبيرة منهم عَلى قواعد (الفكر الجامي المدخلي) الّذي يستمد انحرافاته من علماء السّعُودِيّة الرسميين، وكان كثير منهم يؤيدون السّلطة الجَزَائِرية.

خامسا: الشَّبَاب السلفيون المتشددون:

وقد شكل بعضهم - كما بلغني - حركة سميت باسم سلفية العاصمة (الجَزَائِر)، وكانوا يسمون أنفسهم (جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر)، وقد تفشت فيهم منذُ البداية أفكار تتراوح بين التزمت والتكفير والجهل في الدّين والدُّنيَا.

سادسا: جناح من حركة الدّولة الإِسْلَاميّة:

من الدّين كانوا مع الشَّيْخ مصطفى بويعلي ولم يرو الدخول في جبهة الإنقاذ لمنهجها الديمقراطي. وكانوا عَلى فكر جهاديّ سلفي.

سابعا: (الأفغان العَرَب الجَزَائِريون):

كما سموا فيما بعد، وهم الجهاديّون المتحركون بين الجَزَائِر وساحة أفغانستان،

كانت هذه أهمّ مكوّنات السَّاحَة الإِسْلَاميّة في الجَزَائِر آنذاك، بالإضافة لحركات هامشية قليلة التّأثير بما حولها كجماعات التبليغ والحركات الصوفية المختلفة.

- بعيد الإنقلاب العسكريّ بقليل لاذ عشرات من الشَّبَاب بالجبال، وبدؤوا يبحثون عن السّلاح ويعدون لمُوَاجَهة الحكومة العسكريّة، ثمّ مالبثوا وبسرعة كبيرة، أن بدؤوا الصدام المُسلّح مع الحكومة.
- أدت حركة الإعتصام الكبير في الجَزَائِر العاصمة، والّذي دعت له جبهة الإنقاذ، إلى مفاجئة الجميع باعتقال زعيمي الجبهة وشيخيها الكبيرين (عباسي مدني وعلى بلحاج) بشكل مفاجئ، دونما أي مقاومة ! فيما كانا يقودان اعتصاما جمع مئات آلاف المتظاهرين !! وسمعت فيما بعد وأنا أتحرى تلك القضية أن بعض أعضاء مجلس شورى جبهة الإنقاذ، قد خانوهما ولم ينفذ الأوامر بالمُوَاجَهة- والله أعلم - وكنت أحتفظ في ملفاتي المفقودة حاليا عن تلك المَرحَلَة ببعض التفاصيل والأسماء ولكنها ليست عندي الآن، وبقيت جبهة الإنقاذ بلا رأس، وعادت مكوّناتها الأساسيّة للعمل بصورة غير مركزية، وبرز الشُّيُوخ (عبد القادر شبوطي وعبد الرزاق رجام ومحمّد سعيد مخلوفي ومحمّد السَّعيد) - رحمهم الله جميعا - كرؤوس لكتل مقاومة مسلحة للحكومة في العاصمة والجبال من حولها، وعمت الفوضى السّياسيّة المُسلّحة البلاد، وبدت نذر حرب أهلية طاحنة ما لبثت أن اشتعلت بضراوة، وقتل المُجَاهدون الرَّئيس الجَدِيد (بوضياف) الّذي جاء به الإنقلابيون لتصل الصدامات المُسلّحة إلى ذروتها.

- نزل (قاري سعيد) كما ذكرت إلى الجَزَائِر لمدة شهر، وقد حدثني بنفسه بعد عودته عن جهود مضنية قامت لجمع الأفغان العَرَب، مع وبقايا فرع جماعة مصطفى بويعلي، ببعض الخلايا ذات الفكر السلفي الجهاديّ هناك في جماعة جهاديّة واحدة. ثمّ عاد قاري سعيد، وهاتف نائبه في بيشاور ليخبر بقيام ذلك الجمع وأنهم أسموه (الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة)، وكان ذلك في أواخر (١٩٩٠م) أو أوائل (١٩٩١).
- إنشق جزء كبير من مجلس شورى جبهة الإنقاذ، وشكل قيادة تفاوضت وتعاونت مع الحكومة العسكريّة، ورفض آخرون عَلى رأسهم (محمّد السَّعيد وعبد القادر شبوطي وعبد الرزاق رجام وسعيد مخلوفي) المهادنة وبدؤوا المُوَاجَهة باسم جبهة الإنقاذ، وسرعان ما أسفر اجتماعهم عن تشكيل ما عرف باسم (جيش الإنقاذ) الّذي برز عَلى رأسه (مدني مرزاق) أحد كوادر الجبهة من الّذين صعدوا الجبال واشتمل البيان التأسيسي لجيش الإنقاذ عَلى معظم مكوّنات الفكر الجهاديّ السلفي وركز عَلى مبدأ رفض العودة للديمقراطية.
- وسرعان ما قمعت الحكومة العسكريّة حركات العصيان المدني وحظرت الأحزاب السّياسيّة، وكان في طليعتها جبهة الإنقاذ – وحركة النهضة – وحركة الإخوان (نحناح) – والحركة من أجل الثّقافة والدِّيمقراطيَّة (وهي حزب أما زيغي يرأسه آيت أحمد) – وحزب جبهة التحرير الوطني الّذي مثله آخر رئيس وزراء مدني هو (عبد الحميد مهري)، وأحزاب علمانية واشتراكية وشيوعية صغيرة أُخرى، حيث إستمرت بالمعارضة ثمّ قمت وخرج كثير من رؤوسها إلى خارج الجَزَائِر، ووصل عدد المعتقلين من الإِسْلَاميّين إلى أكثر من (٥٠ ألف) معتقل ملئت بهم السّجون الصحراوية، وأدى ذلك إلى إرتفاع عدد المُسلّحين المقاومين في الجبال إلى ما قيل أنه بلغ عشرات الآلاف، وأصبحت عمليَّاتهم بالعشرات يوميا.
- سيطرت أخبار الجِهَاد في الجَزَائِر عَلى عناوين الأخبار ووسائل الإعلام خلال تلك الفترة وبرز اسم (الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة) كأهم وأبرز التَّجَمُّعات العاملة عسكريّاً في مُوَاجَهة الحكومة العسكريّة، وبرز اسم أميرها الأوّل (عبد الحقّ العيايدة)، الّذي ما لبث أن اعتقلته

السُّلطات المغربية أثناء سعيه لشراء السّلاح وسلمته للجزائر، وخلفه أخ آخر(لا يحضرني اسمه الآن بدقة ولعله جعفر الأفغاني) ثمّ قتل رَحِمَهُ اللهُ، ثمّ خلفه مع مطلع (١٩٩٣) أميرها أبو عبدالله أحمد الّذي تحققت في عهده إنجازات كبيرة.

- تصاعدت حدة العمليَّات العسكريّة، واعتقل (القاري سعيد) في إحدى الهجمات الكبرى عَلى قيادة القوَّات البحرية في الجَزَائِر العاصمة، ثمّ فر مع أكثر من (٧٠٠) سجين من سجن الجَزَائِر العاصمة بعد عدّة أشهر، ثمّ بذل وسعه في توحيد الفصائل المقاتلة من جميع الفرقاء، ثمّ قتل في ظروف غامضة رَحِمَهُ اللهُ أواخر(١٩٩٤)، وفي هذه الفترة كانَ عنف الدّولة كبيرا، وصل لحد اغتيال مئات السّجناء السّياسيّين في سجن (سركاجي)، أحد سجون العاصمة الجَزَائِرية في واقعة واحدة.
- مطلع (١٩٩٣) كانت كافّة الأصوات المؤيدة للجِهَاد في الجَزَائِر تنادي المُجَاهدين بتوحيد الصفوف، وفعلا أدت جهود كبيرة قام بها العديد من القيادات المُجَاهدة في (الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة) من القيادات المُجَاهدة لجيش الإنقاذ، ولكثير من الخلايا الجهاديّة المحليَّة، إلى حصول تلك الوحدة الّتي عمل لها الأمير الثّاني للجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة ولم يرها لأنه قتل قبلها بقليل رَحِمَهُ اللهُ، وتولى (أبو عبدالله أحمد) قيادات الجماعة من بعده، وحصلت تلك الوحدة في عهده، ونشر شريط فيديو في غاية التّأثير، وأبهج أوساط الجِهَاد مشهد بيعة شيوخ الجبهة من قيادات الجيش الإِسْلَاميّ للإنقاذ (محمّد السَّعيد وعبد الرزاق رجام وعبد القادر بشوطي وسعيد مخلوفي) لشاب في عمر أبناء بعضهم، أميرا للجِهَاد الموحد باسم الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة وهو أبو عبدالله أحمد، وأدت الوحدة إلى ازدهار الآمال بقرب الانتصار الشّامل.
- رفض أمير جيش الإنقاذ (مدني مرزاق) الوحدة وعارضها، ونال ممن أقدم عليها ورفض الاعتراف إلا بقرارات الشَّيْخين الأسيرين عباسي مدني وعلي بلحاج لما يخرجون من السّجن ! وأصر عَلى البقاء خارج الوحدة، ولكن عشرات الفصائل والجماعات الثانوية من مشرق

الجَزَائِر وغربه وولايات الوسط دخلت الوحدة وصارت الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة تمثل أكثر من (٩٥٪) من المُجَاهدين المُسلّحين الّذي صار عددهم عشرات الآلاف مع حلول (١٩٩٤).

- قتل أبو عبدالله أحمد هو الآخر في ظروف غامضة، وصدر بيان عن بعض أعضاء مجلس شورى الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة بتولي (أبو عبد الرَّحمٰن أمين) قيادات الجماعة وتوالي البيعات له من قبل قيادات الفصائل، ولم يكن بوسع المؤيدين للجِهَاد في الجَزَائِر في الخارج إلا أن يؤيدوهم ويدعوا لهم وكان ذلك أواخر(١٩٩٤) أو أوائل (١٩٩٥).
- ومع تولي أبو عبد الرَّحمٰن أمين قيادة الجماعة، بدأت بوادر تغير في منحى السياسات والبيانات والعمليَّات في الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة ومن ذلك.

- فقد كثرة البيانات الصادرة عن الجماعة، وتصعدت المُوَاجَهة مع الشرائح المدنيّة والاجتماعيَّة ذات العلاقة البعيدة مع هيكل الدّولة أو السّلطة، وتوعدها بالقتل، مثل أجهزة الإعلام، بدءا من الوزير ووصولا إلى باعة الجرائد في الشارع، ومثل قطاع التّعليم كذلك، وصولا للأساتذة والمدارس والطلاب، وكذلك وزارة النّفط وصولا للعمال الّذين يملؤون السيارات بالبترول !! وهكذا.
- التجرؤ عَلى إصدار الفتاوى باستحلال قتل النِّسَاء والأطفال من أسر العاملين في أجهزة الدّولة.
- تصعيد المُوَاجَهة مع المليشيات المدنيّة المرتبطة بالحكومة واتخاذها هدفا أساسيا.
- إرتفاع لهجة التَّكفِير في الخطاب العام، وغير ذلك من هذه التوجّهات الخرقاء،

- خلال سنة (١٩٩٥)، تداعت قيادات الجبهة الإِسْلَاميّة للإنقاذ اللاجئة في الخارج، وقيادات الأحزاب السّياسيّة الإِسْلَاميّة والعلمانيّة وحتى الشُّيُوعِيّة إلى مؤتمر برعاية الفاتيكان في روما لتشكيل تحالف سياسي، يعرض حلّ أزمة الجَزَائِر سياسيّاً، ولكن عناد الحكومة العسكريّة أجهض تلك المبادرة الغريبة المشبوهة بتركيبتها ومكان انعقادها.
- أواخر سنة (١٩٩٥)، تجرأ أبو عبد الرَّحمٰن أمين وقياداته المنحرفة المجرمة عَلى اغتيال الشَّيْخ محمّد السَّعيد والمُجَاهد عبد الوهاب العمارة وغيرهما من المُجَاهدين المنتمين لجماعة الطلبة

والّذين كانوا قد دخلوا بموجب الوحدة في الجماعة، وكانوا يطلقون عليهم اسم (جماعة الجزأرة) وهو اسم كانَ قد أطلقه عليهم محفوظ النحناح انتقادا لمنهجهم، فقتلوهم بدعوى تحضيرهم للانقلاب عَلى قيادته وبدعوى الحفاظ عَلى الهويّة السّلفيّة للجماعة بزعمهم، ومن هناك بدأت حقيقة الإنحرافات عن مسار الجماعة تتكشف.

- ثمّ أتبعت تلك القيادة تلك الجريمة بإصدار كتاب بعنوان (هداية ربّ العَالَمِيّن) بتوقيع أبو عبد الحمن أمين عَلى أنه منهج الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة، وقد حمل الكتاب من فنون الجهل وألوان التطرف والتكفير والانحراف ما جزم بالهويّة المنحرفة الجَدِيدة للجماعة في عهد أميرها هٰذا، ووضحت أبعاد الكارثة الّتي حلت بقيادة الجماعة المُسلّحة، ثمّ أتبع عبد الرَّحْمٰن أمين ذلك بتوجيه مقاتليه إلى المجازر الجماعية في المدنيين في القرى المجاورة لهم بدعوى أنهم انخرطوا في المليشيات الحُكُوميّة، فكفرهم واستباح قتلهم وسبي نسائهم، على أنهم مرتدين!!!
- إستغلت أجهزة الإستخبارات الجَزَائِرية هذه الأجواء الّتي تكشف فيما بعد أنها هيَ الّتي سعت إليها وأوجدتها، ودست العملاء في قيادة الجماعة الّتي ربما كانَ (أمين) واحدا منهم، وأتبعت ذلك كما كشف بعض الفارين من الجيش والقوّات الخاصّة ممن أجبروا عَلى فعل ذلك أو شهدوه قدرا كي لا تضيع قصة تلك المأساة.
- فأتبعت الحكومة ذلك بتنظيم سلسلة من المجازر المروعة في المدنيين ولم توفر عجوزا ولا امرأة ولا طفلا ولا حتَّى حيوانا في تلك المجازر الوحشية الّتي جرت خلال (١٩٩٦-١٩٩٧)، حيث شهدت الجَزَائِر أهوالا وبحورا من الدِّماء، وصلت إلى قتل المصلين في رمضان وهم ينصرفون من أبواب المساجد بدعوى أنهم كانوا قد شاركوا في الإنتخابات فارتدوا بذلك !!! وكانت أكبر المجازر تجري في المناطق المعروفة بنجاح جبهة الإنقاذ فيها في الإنتخابات السالفة، وكان هذا بمثابة تصفية حساب من قبل الحكومة مع من اختاروا المشروع الإِسْلَاميّ كما كشف هَؤُلَاءِ الشهود بالوثائق المؤكدة لذلك عبر وسائل الإعلام

المختلفة بعد ذلك بعده سَنَوات، وقد عرضت قناة الجَزِيرَة بعض المقابلات بالغة الأهمّيّة في هذا المجال، ونشر بعض أولئك العسكريّين شهاداتهم في كتب طبعت في فرنسا وأصبح الأمر الآن واضِحاً.

- ومع تكشف الحقيقة والتوجه الإجرامي والمنحرف للقيادة الجَدِيدة للجماعة الإِسْلَامِيّة المُسلّحة، انفض عنها المؤيدون في الداخل والخارج، وأصدرت الشخصيات والجماعات الجهاديّة البارزة الّتي أيدت الجماعة المُسلّحة خلال مسارها وصدرت بيانات عديدة بذلك من مختلف الجماعات والشخصيات الجهاديّة، وكنت من أوائل من وقف ذلك الموقف كما فصلت في شهادتي في كتاب منفصل، كما بدأت الكتائب والفصائل الجهاديّة في الداخل تنفض عنها في لتنغمس أكثر فأكثر في حمامات الدَّم المروعة المخزية، ثمّ اشتعل القِتَال بين الجماعة وبعض تلك الفصائل المنفصلة عنها.
- قتل المُجَاهدون من (جماعة جبل الأربعاء) كما كانوا يسمون، وهم من جماعة الشَّيْخ محمّد السَّعيد رحمه الله، قتلوا (أبا عبد الرَّحْمن أمين)، وأراحوا الدُّنيَا من شروره، ليتولى بعده سفاح أكثر إجراما منه قيادة الجماعة الإِسْلَامِيّة المُسلّحة، وهو المدعو (عنتر الزوابري)، الّذي تابع مسلسل الإجرام، ولكن بعد أن ضعفت الجماعة وقلت إمكانيَّاتها، واستمرت في منهجها بعد أن عزلت في مناطق محدودة إلى أن قتل هذا الأخير سنة (٢٠٠٣) فيما بعد في الجَزَائِر.
- مع تشرذم المُجَاهدين وتقسمهم، وبعد انفضاض النّاس عنهم وزهدهم بالمشروع الجهاديّ بل والإِسْلَاميّ، وصلت المخططات الإستخبارات الجَزَائِرية والخارجيّة إلى مبتغاها من سيناريو المجازر الّذي خططت له، فأطلقت برنامجا للإستسلام بدعوى العفو عن المُسلّحين الّذين يلقون سلاحهم، وكان جيش الإنقاذ بقيادة (مدني مرزاق) أول المستجيبين لما عرف بنداء (الوئام الوطني)، وتبرع عدد من علماء المُسلِمِين في الخارج من أمثال ابن باز وابن عثمين والألباني، ليدعموا نداء الدّولة للإستسلام، وخرج الألباني بآخر فتاويه قبل أن يتوفى سنة (٢٠٠٠)، ليعلن أن أحداث الجَزَائِر أكبر شاهد عَلى ما ذهب إليه من قول: (**أن الخروج عَلى**

الحكَّام في هذا الزّمان، هو في حقيقته خروج عَلى الإِسْلَام ذاته !!!)، واختلط الحابل بالنابل في ساحة الصّحوة الإِسْلَاميّة كلها بسبب التَّجربة الجهاديّة الجَزَائِرية، لتصبح شاهدا لكل من يريد أن يدلل عَلى رأيه في فشل خيار الجِهَاد وليصبح النموذج عبرة لمن يعتبر، بعد أن نجحت الإستخبارات الجَزَائِرية ومن ساعدها من المخابرات العربيَّة والخارجيّة، ومشاركة حثيثة من وسائل الإعلام العربيّ بهدم الحاجز بين مفاهيم الجِهَاد وبين أفكار التَّكفِير والإجرام والمجازر وحمامات الدَّم!

- خلال عام ١٩٩٨ وما بعدها تتابعت الأحداث في الجَزَائِر وكنت قد غادرت (لندن) إلى أفغانستان، حيث لا يمكن مواكبة الأخبار والأحداث كما يجب في ظل عزلة شبه تامة عن وسائل الإعلام، بالإضافة إلى ابتعادي عن ملف تلك القضية ومتاهاتها منذُ مطلع ١٩٩٦ بسبب الدوار العظيم الّذي تسببت لي به.

ولكن ومن خلال المعلومات الّتي بلغتني من بعض المُجَاهدين الجَزَائِريين الأفاضل ممن لاذوا بأفغانستان في مرحلة طالبان، ومن خلال متابعتي بحسب الممكن لوسائل الإعلام، وبعض المهتمين بهذه القضية، وما اطلعت عليه من بعض البيانات الّتي صدرت بعد ذلك ووصلتنا، فقد بدا أن الغالبيّة السَّاحقَة من المُسلّحين والمُجَاهدين قد نزلوا من الجبال بفعل ما سمي بمشروع الوئام الوطني، وبقيت مجموعات هنا وهناك في الجَزَائِر تريد متابعة المُوَاجَهة مع النّظام الّذي خرج يباهي بانتصار باهر علي الإِسْلَاميّين والجهاديّين.

ثمّ ظهرت إلى العلن جماعة أطلقت عَلى نفسها اسم (الجماعة السّلفيّة للدعوة والقتال) بزعامة أميرها (حسن حطاب)، بدا من خلال بياناتها أنها وعت بعض عبر ذلك الدرس القاسي، فركزت في بياناتها عَلى نفي أفكار التَّكفِير والغلو، وعلى تركيز المُوَاجَهة مع أجهزة السّلطة العسكريّة والأمنيّة وإبراز الأهداف العامّة من أجل إقامة الدّولة الشَّرعيَّة، إلا أن معظم الأوساط الجهاديّة بدت حذرة من ذلك، فقد كانت الصدمة بما حصل هائلة، وقد نقلت وسائل الإعلام ومازالت بعض أخبار عمليَّات تلك الجماعة ومن أبرزها بعض عمليَّات اختطاف للأجانب ومفاداتهم بمبالغ ضخمة.

كما أن المُجَاهدين الجَزَائِريين الّذين أموا أفغانستان، حاولوا بدورهم تجميع أنفسهم وترتيب أوراقهم لإعادة العمل في قضيتهم، وشكلوا شبه تجمع كانَ يصارع ظروفا صعبة من أجل إحياء مثل تلك القضية، وبدت بعض علامات التوفيق والتسديد عَلى بعض الناضجين منهم، ولكن أحداث سِبتَمبر عاجلتهم كما عاجلت الجميع بما هو معلوم، واتخذوا مواقعهم في معركة الدّفاع عن النّفس وعن الإمارة، ونالوا – تقبل الله – منهم حظا وافرا من البلاء وسجل كثير منهم أسماءهم في قائمة الشّهداء والأسرى من ضحايا أخدود سِبتَمبر مطلع القرن الحادي والعشرين،

[وقد سجلت شهادتي عن تجربة الجِهَاد في الجَزَائِر في كتاب مستقل لأهمية تلك التَّجربة وهو بعنوان (مختصر شهادتي عَلى الجِهَاد في الجَزَائِر ١٩٨٩-١٩٩٦) وأنصح الإخوة بالعودة إليه لأهمية دُروس تلك التَّجربة المريرة]

٩- التَّجَارب الجهاديّة في اليمن (١٩٩٠- ١٩٩٨):

أ. تجربة الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن حفظه الله (١٩٩٠- ٢٠٠١).

ب. تجربة الشّهِيد أبو الحسن المحضار الجهاديّة – جيش عدن أبين (منذ ١٩٩٨).

لطالما اعتقدت أن اليمن من أكثر مناطق العالم العربيّ جاهزية لأن تقوم فيها حركة جهاديّة تتوفر لها معظم عناصر النجاح السببية، ولاسيما بعد قيام الوحدة، وقد كتبت في ذلك بحثا خاصا من نحو (٤٠ صفحة)، وهو بعنوان (مسؤولية أهل اليمن عن مقدّسات المُسلِمِين وثرواتهم)، حيث أثبت فيه ذلك وحرضت عليه،

فمساحتها الشاسعة الّتي تقارب (٤٠٠ ألف كم مربع) وسواحلها الطويلة الّتي تزيد عَلى (٢٥٠٠ كم) وتحكمها بمضيق باب المندب، وانفتاحها عَلى السّعُودِيّة ودول الخليج من جهة وعلى القرن الإفريقي وما يوفره من الذخيرة والسّلاح في شرق إفريقيا، وكثافتها السّكّانية الّتي تشكل نحو (٧٠٪) من عدد سكان جَزِيرَة العَرَب، أي زهاء ٢٥مليون من أصل نحو ٤٠ مليون تقريبا، وطبيعتها الجغرافيّة المتنوعة والوعرة الّتي تنتشر فيها الجبال وتعتبر من أصلح المناطق لحُرُوب العِصَابات الجهاديّة، وكذلك طبيعة السّكّان المحافظة المتدينة وبنيتها القبلية السَّليمة من تحطيم الحضارة الحديثة

وسلبيات الطابع المدني الصناعي، وانتشار السّلاح وارتباطه بتقاليد الحياة الاجتماعيَّة، حيث تفيد الإحصائيات الرَّسميَّة بوجود أكثر من (٧٠مليون) قطعة سلاح بيد رجال القبائل والسّكّان، غير ما لدى الحكومة، أي بمعدل أكثر من (٣قطع) سلاح لكل مواطن بما فيهم النِّسَاء والعجائز والرضع! كما أن الصّحوة الإِسْلَاميّة فيها قديمة ومتجذرة وتعود إلى مطلع الخمسينات كما أنها متنوعة تشتمل عَلى معظم مدارس الصّحوة المعروفة من الإخوان إلى السّلفيّة إلى السّروريّة إلى التبليغ والدّعوة إلى الصوفية إلى آخر ذلك، هذا بالإضافة لطبيعة السّكّان الّذين ميزتهم الشكيمة والقدرات القتاليّة حيث استعصت اليمن عَلى مختلف أشكال الإستعمار زمنا طويلا ولم تتمكن الدّول الاستعماريّة من الاستقرار فيها، كما حصل للبرتغاليين ثمّ الإنكليز ثمّ العُثْمَانِيّين ثمّ الجيش المصري في عهد عبد النّاصر.

وفي تجربتنا الجهاديّة العريقة في أفغانستان (١٩٨٤-١٩٩٢) كانَ الشَّبَاب المُجَاهد اليمني يشكل ثاني أعلى إحصائية من بيين الشَّبَاب العَرَب الّذين قدموا للجِهَاد الأفغاني، وكذلك في شوطهم الثّاني (١٩٩٦-٢٠٠١)، وقد كانوا مثالا للإقدام والشجاعة وخصال الفروسية وأصالة العروبة، وكم أدهشني وما يزال يدهشني أن لا يقوم فيها حركة جهاديّة واسعة.

أما من النَّاحية الاقتصاديَّة فأكثر من (٧٠٪) من السّكّان يعيشون تحت خط الفقر وسقف القهر، فيما يرتع أكثر باقي سكان جَزِيرَة العَرَب إلى جوارهم في نعيم مما وهب الله تلك الجَزِيرَة من الثّروات الّتي هيَ ملك المُسلِمِين عامة وأهل الجَزِيرَة خاصّة، وهم سوادها الأعظم.

فكما ترى فإن الأسباب الشَّرعيَّة والاقتصاديَّة والسّكّانية والسّياسيّة والجغرافيّة، وكل ما يعين عادة عَلى تفجرا الثورات الناجحة متوفر فيها، وهنا يكمن العجب من أن لا تقوم فيها مثل تلك الحركة الجهاديّة، رغم تولي حكومة مهلهلة يقودها طاغوت جاهل منذُ سنين طويلة، بل ويحاول أن يولي ابنه من بعده ملكا عَلى الجمهوريّة الإشتراكية سابقا، الدِّيمقراطيَّة الأمريكيّة لاحقا !! ولست هنا في محل بحث ذلك وقد بحثته في بحث مستقل كما أسلفت، والسبب الأساسي في ذلك أن أكثر قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة هم من القاعدين عن الجِهَاد من ذوي المصالح، وأن أكثر مَشَايخ الدّعوة هم من النفعيين وعلماء السّلاطين الّذين ألفوا كراسي البرلمانات والاسترخاء في كنف الطَّاغوت، بالإضافة إلى

هيمنة سلطة زعماء العشائر والقبائل الّذين تعودوا منذُ عقود وربما قرون أن يبيع أكثرهم دينهم بدنياهم ودنيا غيرهم، وقد أثبت هذا بكل جلاء، تولي قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة وزعماء القبائل الّذين يشكلون الثقل الأساسي الّذي اجتمع فيما سمى (حزب الإصلاح) إفشال إنتفاضة الشارع الإِسْلَاميّ فيما عرف بأحداث الدستور سنة (١٩٩٣) ومكافحة كلّ ما تلا ذلك من محاولات جهاديّة.

مما جعل القيادات الشَّبَابية المُجَاهدة الناشئة عاجزة عن إفراز قيادات ميدانية قادرة عَلى سحب قواعد الصّحوة الإِسْلَاميّة والقطاع الكبير ذي الحجم المليوني في اليمن وراءها.

ومشكلة اليمن كما هيا مشكلة العالم العربيّ والإِسْلَاميّ باختصار في كلمتين، خور العُلَماء وعجزهم وجهل العوام وضياعهم واستحواذ حب الدُّنيَا وكراهية الموت عَلى الجميع، إلى أن يأذن الله بالفرج، ونعود للموضوع:

بعد عودة الشَّبَاب المُجَاهد اليمني من أفغانستان مطلع التسعينات، وعلى مدى العقد الأخير من القرن العِشرين، قامت محاولات جهاديّة عديدة في اليمن فشلت كلها لما أوجزت من الأسباب، وكان ابرز تلك المحاولات وأكثرها جدية، محاولة الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن منذُ (١٩٩٠م) لتكون أرضية جهاديّة في اليمن.

وحركة ما عرف بجيش عدن أبين الّتي تزعمها المُجَاهد الشّهِيد أبو الحسن المحضار رحمه الله أواسط سنة (١٩٩٨).

أ. نبذة مختصرة عن المحاولات الجهاديّة للشيخ أُسَامَة بن لادن في اليمن:

- ينحدر الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن حفظه الله من أصل يمني جنوبي من حضرموت، فهو أحد أبناء محمّد بن لادن الّذي هاجر من اليمن إلى السّعُودِيّة مع بداية حكم الملك عبد العزيز، واستوطنها مكونا أسرة قريبة من آل سعود، وتمتعت بنفوذ مالي وسياسي واسع فيها منذُ ذلك الوقت وإلى اليَوْم.
- وخلال الجِهَاد الأفغاني ضدّ الرُّوس حرص الشَّيْخ أُسَامَة عَلى تكوين مجموعة منظّمة حوله ركز فيها عَلى العناصر الجهاديّة من جَزِيرَة العَرَب ولاسيما من السّعُودِيّة واليمن، وفي

التسعينات كانت معطيات التّحرّك الجهاديّ ضدّ الحكم الشُّيُوعِيّ في اليمن الجنوبي قبل الوحدة جاهزة، فكثير من اليمنيين الشماليين من الإِسْلَاميّين والقبائل يؤيدون ذلك، كما أن ذلك يلقى دعما كبير من كبار التجار(الحضارمة) ذوي القدرات الاقتصاديَّة الكبيرة في السّعُودِيّة، ومن الصّحوة الإِسْلَاميّة عموما، والّتي تكن العداء للشيوعية عامة وفي جوارهم في اليمن خاصّة، ومع توافد عدد من المُجَاهدين اليمنيين من أصل جنوبي أثناء الجِهَاد العربيّ في أفغانستان.

- كانَ المشروع الجهاديّ الخاص والرَّئيسي للشيخ أُسَامَة، هو إحداث حركة جهاديّة في اليمن الجنوبي، وقد باشر ذلك في سنة (١٩٨٩-١٩٩٠) واستمر في محاولته إلى قيام الوحدة، ورغم أن عددا من الجهاديّين المقربين من الشَّيْخ أُسَامَة أيّامها- وكنت من بينهم- قد حرض الشَّيْخ أُسَامَة عَلى الشُّروع في ذلك الجِهَاد مباشرة، إلا أنه تردد بانتظار إقناع قيادات الصّحوة في اليمن ولاسيما الإخوان المُسلِمِين من أمثال الشَّيْخ اللامع في حينها عبد المجيد الزنداني بالانخراط فيها، وما كانَ لأولئك أن يفعلوا، وضاعت فرصة ذهبية فيما أعتقد.
- ومنذ قيام الوحدة كانَ مشروع الشَّيْخ أُسَامَة قد تحول إلى المحاولة عَلى مستوى اليمن الموحد، وشكلت مشكلة الصِّرَاع عَلى دستور اليمن الموحد، وتناقض الإِسْلَاميّين والعلمانيين فرصة لإعلان الجِهَاد عَلى علي عبدالله صالح وحكومة اليمن الموحد حديثة النشأة، وقد تحرك الشَّيْخ أُسَامَة لاستغلال تلك الفرصة، وقدم إليه عدد من مَشَايخ اليمن كانَ في طليعتهم الشَّيْخ المعروف (عمر سيف) والّذي وضع اسمه عَلى كتاب يثبت كفر الدستور، كانَ قد كتبه بعض المقربين من الشَّيْخ أُسَامَة، وأثبتوا فيه أيضا كفر الحكومة القائمة عليه وشرعيّة جِهَادها.
- وسعى الشَّيْخ أُسَامَة إلى مَشَايخ اليمن وكبار دعاتها من السّلفيّة وعلى رأسهم الشَّيْخ (مقبل بن هادي الوادعي) ، وإلى الإخوان وزعمائهم، وبذل أموالا طائلة في تأليفهم وتأليف بعض القبائل عَلى المشروع، ولكن جميع أولئك خذلوه، واستطاع علي عبدالله صالح أن يستميلهم، ويسند إليهم المناصب ويمنحهم العطاءات والنفوذ والتسهيلات.

فأما الشَّيْخ الزنداني، فقد أجهض مظاهرة المليون مسلح الّتي توجهت إلى بوابة القصر الجمهوريّ، وكان عَلى رأسهم مع زعماء الإخوان وغيرهم، فقد دخل القصر مع البعض مفاوضا للرئيس، وخرج إلى المتظاهرين المُسلّحين المطالبين بسقوط الدستور والحكومة وبتحكيم الشّريعة، ليقول لهم (من كانَ يؤمن بالله واليوم الآخر فليعد إلى بيته..) وانفرط الجمع ليصبحوا في اليَوْم التّالي وقد صار الشَّيْخ الهمام عبد المجيد الزنداني أحد نواب الرَّئيس واحد حُكَّام اليمن الخمسة الّذين شكلوا مجلس الرئاسة برئاسة علي عبدالله صالح!! وعضوية الاشتراكيين الملحدين بحسب مذهب الشَّيْخ القديم!! وتوزع كبارزملائه في الإصلاح ما بين وزير ونائب برلمان، تحت الدستور الطَّاغوتي المشرع من دون الله والّذي كتب في أعلاه دين الدّولة هو الإِسْلَام والشّريعة مصدر الدستور والقوانين)!!

وأما الشَّيْخ (مقبل بن هادي الوادعي) فكان موقفه أنكى وأشد ضراوة، فقد كتاب كتابا وصف فيه الشَّيْخ أُسَامَة عَلى أنه رأس الفتنة في اليمن، وكانت أشرطته بالغة العداء في الهجوم عليه، وفض النّاس عن مشروعه تباع عَلى الأرصفة إثر خطب الجمعة، حيث كانَ يقول أن بن لادن أرسل له أمولا بدعوى الجِهَاد ابتغاء الفتنه، فزوج بها الشَّبَاب واشترى كتبا للمساجد!!

كما روى شباب مُجَاهدون من اليمن أن الوادعي شيخ السّلفيّة!! لم يترك أحدا من رموز الصّحوة من شره في حينها، فهاجم قيادات الإخوان والسروريين والصوفيين والجهاديّين، في حين كانَ يثني عَلى (علي عبدالله صالح) ويصفه دائما بالأخ الرَّئيس، ويؤكد عَلى طاعته لولي أمر مسلم!! وقد سمعت من الشَّيْخ أُسَامَة أمام بعض ضيوفه ذات مرّة قوله، بأنه لو سامح كلّ من آذاه في حياته، فلن يسامح الوادعي، ومن يعرف سماحة نفس الشَّيْخ بن لادن حتَّى مع من آذاه، يدرك مدى تأذيه من ذلك الّذي أفضى إلى ربه !

وأما أكثر قيادات الشَّبَاب الجهاديّين الّذين جندهم الشَّيْخ أُسَامَة ودربهم في أفغانستان، فقد استمالهم علي عبدالله صالح بأن أعطاهم رتبا في الجيش اليمني وأدخل من أراد السلك العسكريّ، والوظائف المدنيّة، فركبوا السيارات وتولوا المناصب، وبلغ بأبرزهم أمثال

(الفضلي) و(النهدي) أن يعملا في سلك الإستخبارات والحرس الجمهوريّ كأقرب المقربين من علي عبدالله صالح !! وتلخص هذه الأمثلة الثّلاثة الإخوانية والسّلفيّة والجهاديّة في اليمن، نموذجا للمشكلة الأساسيّة في اليمن، الّتي كانَ هذا حال أبرز علمائها وقادة صحوتها ومُجَاهديها، الّذين افتقروا إلى التّربية المنهجيّة الجهاديّة خلال فترات إعدادهم الّتي اهتمت بالتكوين العسكريّ وافتقرت لأي فكر أو منهج يحصنهم من مثل تلك الإستدراجات.

- وقامت الوحدة، وشكلت الحكومة(ومجلسها الرئاسي الخماسي) والبرلمان من أنصار علي عبدالله صالح وحزبه (المؤتمر الشعبي)، ومن الإِسْلَاميّين وعلى رأسهم زعماء الإخوان وبعض رؤساء القبائل الّذين كونوا (التجمع اليمني للإصلاح) برئاسة حسين الأحمر والزنداني، ومن (الحزب الاشتراكي) من الجنوبيين، وقد حاول علي عبدالله صالح ونجح في ضرب الطّرفين ببعضهما وتقويه نفوذه ثمّ تقوى بالإِسْلَاميّين عَلى الاشتراكيين الجنوبيين، وقام بعض الجهاديّين في تلك الفترة باغتيال لبعض رؤوس الاشتراكيين، الّذين خططوا للانقلاب عَلى الوحدة، ولكن علي عبدالله صالح والإِسْلَاميّين، زحفوا عَلى عدن فيما عرف بحرب الوحدة، وقضوا عَلى محاولاتهم وفرضوا الوحدة بالقوة، وكان الشَّيْخ أُسَامَة قد أمر أنصاره وأتباعه في اليمن من الجهاديّين الّذين عادوا من أفغانستان بالدخول في المَعْرَكة إلى جانب جيش اليمن الشمالي كما فعل كافّة الإِسْلَاميّين في الشمال، عَلى إعتبار أن ذلك سيؤدي إلى كسب مرحلة بالإطاحة بالشُّيُوعِيّة، وفعلا لعب المُجَاهدون من الجهاديّين والإِسْلَاميّين دورا حاسما وسرعان ما انهارت مقاومة الجنوبيين في عجلة لم تسمح بالتدخل الدّولي ولم تستطع السّعُودِيّة ودول مجلس التّعاون الخليجي إنقاذ الشُّيُوعِيّين في اليمن !! رغم فتاوى ابن باز وهيئة كبار العُلَماء بوقف الفتنة والصُّلح بين المُسلِمين الشماليين برآسة (صالح) والمُسلِمين (الشُّيُوعِيّين) في الجنوب!!

وبحسب اعتقادي ورأى كثير من الجهاديّين اليمنيين الّذين التقيتهم، فقد كانَ بإمكان الإِسْلَاميّين أن يعودوا إلى الشمال ليفرضوا حكم الشّريعة أو يعزلوا صالح ويقيموا الدّولة الإِسْلَاميّة، ولكن الّذي حصل هو عودتهم إلى البرلمان وكراسي الوزارات في حكومة علي

عبدالله صالح ودستورها العلماني وحكمها المرتدّ، وبقى الجهاديّون معزولون، فقد تبع أكثرهم قيادات (الصّحوة !!) من السّلفيّة والإخوانية ! والسّروريّة !! في حين آثر كثير منهم الرتب العسكريّة والمناصب الحُكُوميّة والمنافع الشَّخصيَّة حيث نجح (الشاويش علي صالح....) باستمالتهم إلى الدُّنيَا.

- وكان الشَّيْخ أُسَامَة قد إنتقل إلى السُّودَان، وانهمكت القَاعِدَة في أعمالها الاستثمارية والاقتصاديَّة فيما اعتقدوا أنها دولة إسلاميّة تجب نصرتها بزعامة الرَّئيس البشير و(الإِمَام) حسن الترابي!! بحسب اعتقاد بعض أعضاء اللجنة الشَّرعيَّة للقاعدة آنذاك!! كما شارك بعض عناصرها في الجِهَاد في الصّومال إلى جانب الفصائل الإِسْلَاميّة وشاركوا بفاعلية في إقناع الأمريكان بالانسحاب من أوحال رماله الصحراوية.

كما كانَ لأتباع الشَّيْخ أُسَامَة وبعض الجهاديّين عمليَّات محدودة، عَلى بدايات أمريكية لإقامة قاعدة عسكريّة في عدن حيث أقنعت عدد من صواريخ الكاتيوشا الّتي أطلقوها عَلى أعمال الإنشاء الأولية للقاعدة، أقنعت الأمريكان بالعدول عن المشروع.

ولم تقم بعد ذلك للجهاديّين من أتباع الشَّيْخ أُسَامَة أي محاولة تذكر للتحرك الجهاديّ في اليمن منذ(١٩٩٤)، حيث تحول فيما بعد لجِهَاد أمريكا.

- ولما عاد الشَّيْخ إلى أفغانستان أواسط (١٩٩٦)، بدأ الشَّبَاب المُجَاهد من اليمن ينضمون إلى الشوط الثّاني للأفغان العَرَب في أفغانستان، بمن فيهم أنصار الشَّيْخ أُسَامَة صرح الشَّيْخ أُسَامَة لجريدة القُدس العربيّ سنة ١٩٩٧، بأن محطته القادمة جبال اليمن، وعاد مشروعه للانتعاش في اليمن ولكن من خلال إستراتجيته الجَدِيدة ؛ محاربة رأس الأفعى أمريكا، والإعراض عن الدخول في مواجهات مع أذيالها ومن بينهم الذيل الصغير القزم عبدالله صالح في المنطقة الهامة اليمن،

- وفي سنة(١٩٩٩) فيما أذكر، قامت خلية من القَاعِدَة بالهجوم الاستشهادي عَلى المدمرة الأمريكيّة (كول) الّتي كانت تتزود بالوفود في الموانى اليمنية، وصعد هذا المُوَاجَهة مع

الإستخبارات اليمنية الّتي دخلت في حرب مكافحة الإِرهَاب إلى جانب أمريكا، واعتقل الكثير من الجهاديّين ومن بينهم بعض أنصار بن لادن، واشتدت الحَرب ضراوة، واضطرت حكومة علي عبدالله صالح إلى الإفراج عن بعض أتباع بن لادن فيما قيل أنه جاء بعد رسالة تهديد منه إلى صالح وتذكيره بأن معركة القَاعِدَة ليست مع الحكومة اليمنية وبإمكانها أن تجعلها كذلك.

- وفي أواخر سنة (٢٠٠١) قبيل سِبتَمبر بقليل جمع بن لادن كبار أنصاره في قندهار ليبلغهم أن يحزموا حقائبهم، وأنه قد آن الأوان للرحيل إلى اليمن، وفيما كانت الإشاعات والدهشة والأمل تتداول في ساحة الأفغان العَرَب حول هذه النقلة، دوت انفجارات سِبتَمبر ٢٠٠١، ليتبع ذلك:

ضربٌ يزيلُ الهام عن مقيلهِ ۞ ويذهلُ الخليل عن خليلهِ

وتبع ذلك مطاردة الجهاديّين في اليمن بدعوى انتماء كلّ أمة محمّد ﷺ، وكافة أعداء أمريكا من المخلوقات إلى القَاعِدَة بحسب الإعلام الأمريكيّ وبَرَامج مكافحة الإِرهَاب.

ونال الجهاديّين في اليمن قسط كبير من هذه المطاردة، وسقط العديد من الإخوة من القَاعِدَة وغيرهم بين شهيد وأسير في معارك مكافحة الإِرهَاب في اليمن بقيادة أمريكا وتنفيذ عبيدها المرتدّين من عناصر الجيش والإستخبارات اليمنية، وتمكنت طائرة أمريكية من تدمير سيارة بصاروخ جو أرض وبموافقة ومعاونة من الإستخبارات اليمنية وجواسيسها العملاء، فقتلت الأخ الشّهِيد أبو علي الحارثي وخمسة من إخوانه في إحدى قرى اليمن رحمه الله، ثمّ تتابعت أخبار المطاردات الّتي كانَ تصل لحد المعارك الطاحنة بين حين وآخر وتحمل نبأ استشهاد أخ هنا واعتقال آخر هناك بزعم أنهم من القَاعِدَة.

ب. تجربة جيش عدن أبين بقيادة أبي الحسن المحضار رحمه الله منذ (١٩٩٨):

- كانَ الشّهِيد أبو الحسن المحضار زين العابدين- وهو من أشراف اليمن- يتحلى بنفس جهاديّ متقد، وبشهامة ومروءة عالية أبت عليه أن يتحمل تلك الأوضاع في اليمن خلال العقد الأخير من القرن الماضي، وقد سمعت بعض الروايات من أخوة يمنين أنه كانَ قد

التقى الشَّيْخ أُسَامَة من أجل إقناعه بإشعال شرارة الجِهَاد في اليمن ولكنه لم يتوصل معه إلى اتفاق حول كيفِيَّة وتوقيت ذلك.

ثمّ طاف أواسط التسعينات عَلى بعض البارزين من علماء الصّحوة في (السّعُودِيّة) لتحريضهم عَلى دعمه في مشروع للجِهَاد في اليمن ولكن أحدا لم يجبه إلى ذلك، بل ذهب كبار المشرفين عَلى تدريس العَقِيْدَة ورئاسة أقسامها في الجامعات السّعُودِيّة، والّذين ملؤوا صفحات الكتب وأشرطة الدُّروس العلمية بخصائص العَقِيْدَة الصافية ومنهج دعوة الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب، ذهبوا في محاضراتهم ومواقفهم إلى التصريح بأن أفضل سبل الدّعوة في اليمن هو الخيار الديمقراطي!! كما أيدوا المسار الديمقراطي في تركيا وشمال أفريقيا وسواها، وهذا من نكبات من عاش في هذه الأزمان رجبا ورأى عجبا.

- ولكن همة ذلك المُجَاهد الهمام أبت عليه السكون، وقد كانَ له صولات وجولات مع الحكومة اليمنية وأجهز أمنها، وكان من ذلك موقفه الشهير المشهود عندما إعتقلت أجهزة الأمن نساء المُجَاهدين من الأفغان العَرَب الّذين التجؤوا إلى اليمن وأبت إخراجهم إلا بترحيل رجالهم الفارين داخل اليمن عنها، وكان له دور في جمع العُلَماء والدعاة ورؤوس القبائل يستحثوا فيهم الحمية

الدّينيّة والنخوة القبلية ولم يهدأ له بال حتَّى كانَ السبب الأساسي في الإفراج عنهم وكشف كربتهم، وقد بذل في ذلك أموالا واستدان عَلى ذمته مبالغ كبيرة في سبيل حركته ودعوته ونشاطه.

وفي أواخر (١٩٩٧) بدأ بشكل مجموعة مسلحة وتنظيما مستقلا باسم (جيش عدن أبين)، تيمنا بالحديث الشريف الّذي روي عن رسول الله ﷺ أنه يقول فيه «**يَخْرُجُ مِنْ عَدَنِ أَبْيَنَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، يَنْصُرُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ، هُمْ خَيْرُ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ**»(١).

ولما تجمع معه عدد من الرّجال قيل أنهم بلغوا نحوا من مائتي رجل، حمل السّلاح ومضى برجاله إلى منطقة جبلية وعرة وأنشأ معسكرا له ولجماعته لبدء الحشد لجِهَاد الحكومة اليمنية، وقد وصلتنا أخباره

(١) رواه أحمد: (٣٠٧٩) وصححه الأرنؤوط، والألباني في الصحيحة (٢٧٨٢).

إلى أفغانستان ربيع (١٩٩٨) وكنا نترقب أن يكون ذلك بداية شرارة الجِهَاد الّذي طالما انتظرناه في ذلك اليمن الّذي كانَ سعيدا قبل أن يحكمه أمثال عبدالله صالح ويتولى الدّعوة فيه أمثال زعماء الصّحوة فيه هذه الأيّام.

ولكن كبار الدعاة ومَشَايخ ما يسمى بالصّحوة ركزوا جهودا كبيرة عَلى إقناعه بالعدول عن خروجه ذلك ووعدوه بالمناصب والأموال من الحكومة إن هو عاد عن خروجه، ولكنه أبى، فلعب الدعاة من مختلف مدارس الصّحوة دورا مهما في خذلانه وإنزال من استطاعوا من أنصاره وإقناعهم بعدم جدوى المحاولة، وبدأ الشَّبَاب ينفضون عنه، وكان أكبر الخذلان الّذي أثر في إنزال كم منهم، ما جاء من طرف بعض الجهاديّين وبعض قدماء الأفغان العَرَب من الإخوة اليمنيين بدعوى أنها حركة متعجلة وغير ناضجة، ولا برنامج لها، وبدل أن يضم الناصحون له من الإِسْلَاميّين والجهاديّين جهودهم إليه لترشيد حركته، كانَ موقفهم سلبيا، كما بلغني من عدد من الرواة، وأعتقد أن خروجه كانَ فرصة لهم ولقضية الجِهَاد في اليمن، ولكنها ضاعت.

وفي صيف (١٩٩٨) إعتقلت الحكومة اليمنية عددا من الجهاديّين من شباب اليمن بالإضافة لعدد من الجهاديّين من الإخوة العَرَب اللاجئين إليها فقام أبو الحسن المحضار باختطاف عدد من السياح الأجانب للضغط عَلى الحكومة للإفراج عنهم ولكن الحكومة عَلى عكس عادتها في التراضي مع رجال القبائل الّذين كثيرا ما اختطفوا سياحا بهدف الحصول عَلى مطالبهم، اتخذتها فرصة للقضاء عَلى تلك الحركة الوليدة، فحاصرت المنطقة وصعدت الموقف حتَّى وصل للاشتباك، وقد دفعت إليه في طليعة وحداتها من استطاعت من الدعاة والإخوة لإنزال من يستطيعون من الجبل وإقناعهم بالاستسلام وحسبنا الله ونعم والوكيل، ولما بدأت الهجوم عليهم لم يكن قد تبقى معه إلا بضعة عشرات من الرّجال، فقتل بعضهم وقتل بعض الرهائن، حيث وصلت بعض الأخبار إلينا في أفغانستان - والله أعلم بصحتها - أن من معه رفضوا إعدام الرهائن لما بدأت الحكومة الهجوم فلم يقتل إلا واحد أو اثنين منهم، وقبض عَلى أبي الحسن المحضار، وتولت بَرِيطَانيَا وبعض الدّول الغربيّة الضغط الشديد عَلى حكومة اليمن من أجل إعدام أبي الحسن المحضار، الّذي أعلن عن إعدامه في



صيف عام (٢٠٠٠) فيما بعد رَحِمَهُ تَعَالَى ورحم إخوانه وأسكنهم فسيح جناته، وعوض اليمن بهم رجالا صالحين يرفعون راية الجِهَاد فيها حتَّى يخرج منهم أولئك الّذين بشر بهم رسول الله ﷺ.

علاقتي بالإخوة اليمنيين وملاحظاتي عَلى تجربة الجِهَاد فيها:

كما قدمت فقد اقتنعت بجدوى الجِهَاد في اليمن منذُ عام (١٩٨٩) وكنت أيّامها قريباً من الشَّيْخ أُسَامَة الّذي أطلعني في حينها عَلى بعض مناحي مشروع جِهَاده في اليمن، وقد بذلت بعد حرب عاصفة الصَّحرَاء الّتي عرفت بحرب تحرير الكويت وسعيت في إقناع الشَّيْخ أُسَامَة بجدوى وضرورة التّحرّك إلى اليمن، فقد كانت الأجواء مناسبة جدا بعد حضور الأمريكان إلى الجَزِيرَة، ثمّ ما كانَ من أحداث الدستور، ولكنه تصوُّر أن ذلك ليس ممكنا بغير معاونة باقي رموز الصّحوة.

- وقد عرفت العديد من الإخوة اليمنيين منذُ أيّام الجِهَاد الأفغاني الأوّل، ولما عدت إلى أفغانستان في الشوط الثّاني، اهتممت بالتَّجَارب الّتي حصلت في اليمن، وسعيت في كتابة تاريخها مع أحد أبرز الشَّبَاب الجهاديّين من اليمن (وهو الشّهِيد مهند عتش)، ولكن الشَّهَادة كانت أسبق إليه رَحِمَهُ.
- وخلال ربيع (١٩٩٨) وبعد خروج أبي الحسن، حدثني أحد الإخوة من أصدقائه عن حركة المحضار والآمال فيها وضرورة معاونته بالنصح والتأييد والدعم، وأخبرني أن المحضار كانَ يستعين ببعض محاضراتي من تراث أيّام الجِهَاد في أفغانستان، وبكتابي (تجربة الجِهَاد في سوريا) بإلقاء بعض الدُّروس التربَويّة عَلى أتباعه، وأن مثل تلك النصيحة سيكون لها أثرا إيجابيا عليه، وفعلا حملت الرجل رسالة وشريطا مسجلا يتضمن خُلاصة أفكاري ونصائحي عن الجِهَاد في اليمن، وذهب الرجل وبلغ الرّسالة، وأخبرني هاتفيا بوصولها للمحضار، وبت أنتظر خبرا لعله يفتح لنا خطوة جهاديّة تقربنا من مركز الصِّرَاع في الشّرق الأوسط عَلى الخط المقدّس الممتد من اليمن إلى الحجاز والشّام، وكنت آمل باللحاق به ونصرته، ولكن وسائل الإعلام ما لبثت أن نقلت إلينا أخبار الكارثة الّتي ذكرت خُلاصة قصتها آنفا.

- ثمّ وصل إلى كابل بعض الإخوة من الّذين شهدوا مع أبي الحسن تلك المأساة وأخذت من العديد منهم خُلاصة ما جرى، ثمّ قرأت في بعض الصّحف السّعُودِيّة من أخبار تلك التَّجربة، أنهم صادروا من مُعَسْكَر أبي الحسن بعض الكتب والأشرطة الّتي تحمل فكرنا (الهدام) لطغيان لتلك الحُكُومَات ومن وراءها، ومن ذلك أشرطة للشيخ (خالد زين العابدين)، وهو الاسم المستعار الّذي اتخذته في نشر أشرطة محاضراتي في تجربة أفغانستان، حيث ربطوا بين ذلك الاسم وكنية الشّهِيد أبي الحسن المحضار زين العابدين وهو توافق غير مقصود، كما ذكروا أنهم عثروا هناك عَلى نسخ من كتابي (التَّجربة السّورية)، فترحمت عليه وسرني أن يكون ذلك، وسألت المولى جل وعلا أن يشركني في الأجر معهم وأن نلقاهم عَلى حوضه الشريف في طائفة الغُرَباء، الفرارين بدينهم إنه سميع قريب كريم.

وعبر تجربتنا في الشّرط الثّاني للأفغان العَرَب في أفغانستان أيّام طالبان، كانَ يرتاد المُعَسْكَر الّذي أنشأته قرب كابل للإعداد وبث فكر المُقاوَمة العَالَمِيّة ومنهاج التّيار الجهاديّ وتراثه بعض المُجَاهدين من اليمن، وحرصت عَلى أن أوليهم عناية خاصّة لما لتلك الزاوية من العالم الإِسْلَاميّ من مكانة عندي وأهمية في آمالي عن الجِهَاد المُقاوَمة، وقد كتبت بحثا بعنوان (**أهل اليمن ومسؤوليتهم عن مقدّسات المُسلِمِين وثرواتهم**)، وسجلت عددا من الأشرطة في موضوع الجِهَاد في اليمن، وقد علمت أنها وصلت السَّاحَة هناك وتداولها الجهاديّون والإِسْلَاميّون، وفي أحد الأيّام بلغنا خبر إعدام الشّهِيد أبي الحسن المحضار فتأثرت لذلك كثيرا، ولم يكن بالوسع عرفانا لجِهَاد ذلك الرجل المُجَاهد الشهم الشجاع، الّذي كانَ له في عنق الكثير من الجهاديّين في اليمن وغيرها حقا واجبا، ولم يكن في الوسع إلا أن ندعو لحفل تأبيني في معسكرنا بمناسبة إعدامه، حيث ذكرت مآثره وترحم عليه الجميع، فرحم الله رجلا تحاببنا معه عن بعد ولم نره، وأسكنه فسيح جناته، ونسأل الله أن يرسل في اليمن من يؤسس فيها ويعمل لبشرى خروج الأخيار الّذين بشر بهم الصادق المصدوق ﷺ.

١٠. محاولات بناء تجمعات جهاديّة في المغرب منذ(١٩٩٥) وتجربة (الجماعة الإِسْلَاميّة المُجَاهدة في المغرب):

- كما ذكرت آنفا فقد كانت التَّجربة الجهاديّة المُسلّحة في المغرب ضدّ الحسن الثّاني الّتي قامت بها منظّمة (الشبيبة المغربية)، بزعامة الشَّيْخ عبد الكريم مطيع، إحدى المحاولات المبكرة جدا في العالم العربيَّة، بل لقد سبقت بواكير ميلاد الإرهاصات الفكريّة للتيار الجهاديّ المعاصر، وكما ذكرت في بعض كتاباتي السَّابقة، فإن المغرب تأتي ضمن القليل من بلدان العالم العربيّ والإِسْلَاميّ مثل بلاد وسط آسيا واليمن والجَزَائِر وتركيا، حيث تتوفر فيها معطيات ثورة جهاديّة من حيث الأسباب والمعطيات،
- فالمغرب الأقصى بلد مترامي الأطراف، وعر المسالك، يتوفر عَلى عدد من الأرياف والسلاسل الجبلية الوعرة، وتمتد سواحله لأكثر من (٣٠٠٠) كم، ويتحكم بمضيق جبل طارق، ويرزح شعبه تحت حالة من أشد حالات الفقر والعوز وجور السُّلطَان، كما أن لهم تاريخا مجيدا في الجِهَاد والقتال والتّاريخ الزاهر في البأس والشجاعة، وهو شعب متدين بصرف النَّظر عن تسرب الفساد إلى بعض مدنه الكبرى عبر سياسة الحكومة في الإنفتاح ونشر الدعارة باسم السياحة، فمازال للإسلام حضوره وقداسته، وفيه صَحوَة إسلاميّة تعود إلى مطلع الستينيات وتتركب أيضا من معظم مكوّنات الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة ومدارسها، من السّلفيّة إلى الإخوان، إلى الصوفية الحَركيّة، إلى الجهاديّين، وقد شهد عدد لا بأس به من شباب المغرب الجِهَاد في أفغانستان، وعادوا إلى بلدهم دون كبير مشاكل، حيث كانت سياسة الداهية الهالك الحسن الثّاني، أن يستوعب الصّحوة ولا يستفزها، وقد أثبتت سياسته تلك نجاحات كبيرة في تفريغ الصّحوة من داخلها ودفعها أيضا في مجالات الدِّيمقراطيَّة المزيفة الناشئة في المغرب، وجعل كبار الدعاة هناك يتراوحون بين السّجون التأديبية والإقامات الجبرية وكراسي البرلمان، وبعيد انفجار الثَّورة الجهاديّة المعاصرة في الجَزَائِر، إثر إجهاض نجاحات الإنقاذ، كانَ المغرب المعبر الأساسي الّذي نزل منه معظم الأفغان العَرَب الجَزَائِريين إلى بلدهم.

وقد غض المغرب بداية الطّرف عن ذلك كرد فعل عَلى تأييد الحكومة الجَزَائِرية لجبهة البوليساريو الانفصالية الداعية إلى استقلال الصَّحرَاء الغربيّة عن المغرب، ولذلك فقد تكونت عدد من الخلايا شرق المغرب وفي منطقة الريف وقدمت الكثير من معونات العبور ونقل السّلاح من أوربّا وتقديم الخدمات اللوجيستية للمُجَاهدين غرب الجَزَائِر، وذلك قبل أن تستحوذ القيادة المجرمة في الجماعة المُسلّحة عَلى تلك القضية كما روينا.

- وهكذا وبفعل تجربة المُجَاهدين الأفغان العَرَب المغاربة من جهة ورياح التّأثير من الجَزَائِر من جهة أُخرى، بدأت بوادر تشكيل النويات الجهاديّة في المغرب، الّذي توقعت له مراكز الدراسات الاستراتيجيّة المتابعة لشؤون الإِسْلَام في شمال أفريقيا في أوربّا ولاسيما في فرنسا، توقعت أن تنطلق الثَّورة الإِسْلَاميّة في شمال أفريقيا من المغرب أولا، وقد قرأت بعض التقارير الصادرة في فرنسا عدد تعبر عن دهشتها لانطلاقها من الجَزَائِر قبل المغرب.
- وقد جرت بعض المحاولات الجهاديّة غير الناضجة من قبل البعض بضرب بعض السياح الغربيّين والقيام ببعض العمليَّات النادرة عَلى بعض أعضاء الجالية اليَهُوْدية في المغرب والَّتي تستولي عَلى مراكز النفوذ السّياسيّ والإقتصادي والإعلاميّ فيه، وتدفع به في خطوات محمومة نحو التطبيع مع إسرائيل.
- ومنذ منتصف التسعينات بدأت محاولات جادة لتشكل خلايا جهاديّة ونويات تنظيمات داخل المغرب وخارجها، فقد وصلت رياح التّيار الجهاديّ بقوة إلى المغرب عَلى هامش الجِهَاد في الجَزَائِر، كما أن خطوات التطبيع اليَهُوْدي والتغريب الصّليبيّ أخذت شكلا جديا ومكشوفا مع وصول الملك محمّد السَّادس ولي عهد أبيه إلى الحكم بعد هلاك والده.
- أواسط التسعينات، تمكن عدد من شباب التّيار الجهاديّ المغربي من تكوين نواة لتنظيم جهاديّ للعمل في المغرب، ويبدو أن بوادره الأولى قد تشكلت في أوساط المُهَاجِرين المغاربة في بعض الدّول الأوربية، وقد كانَ فيهم بعض الأفغان العَرَب المغاربة، وانتقلت لعدة دول أُخرى حيث تشكل الجالية المغربية المهاجرة في أوربّا شريحة ضخمة ربما ناهزت خمسة ملايين

مهاجر، يتخذ أكثرهم من فرنسا وبلجيكا وهولندا ودول وسط أوربّا مهجرا أساسيا، فيما تتواجد جاليات ليست بالقلية في باقي الدّول الأوربية، وقد أصدرت الجماعة منهجا وعدد من الأدبيات بصورة أقرب إلى السرية، ونشرتها في أوساط الجاليات المغربية في أوربّا، ووزعت عَلى نطاق محدود داخل المغرب، وقد اطلعت عَلى بعض تلك الأدبيات، وهي في مجملها تسير وفق نفس منهج التّيار الجهاديّ الّذي ساد تلك الفترة.

- ولما قامت الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان أيّام طالبان، ورحل كثير من الجهاديّين من ملاذات أوربّا إليها، قامت هذه المجموعة بافتتاح مُعَسْكَر وعدد من المضافات لها في أفغانستان، وبدأت مشوار الإِعداد العسكريّ والتربوي الشّامل، وكذلك إعداد وتدريب الكوادر من القادمين من أوربّا أو من المغرب ذاتها، وكانت حركة مبشرة، وقد شارك هَؤُلَاءِ المُجَاهدون المغاربة كغيرهم في دعم الإمارة الإِسْلَاميّة ومساندتها، ولما جاء سِبتَمبر ضمهم الجمع الّذي انخرط في معركة الدّفاع عن النّفس وعن الإمارة الإِسْلَاميّة، حيث أخذوا حظهم من البلاء، فاستشهد البعض وأسر آخرون وتفرق الباقون مع القليل الّذي نجا من ذلك الأخدود، وأسأل الله أن يرعاهم ويفقهم، فقد كانَ منهم نماذج رائعة.
- وفي أواخر (٢٠٠٣) تناقلت وسائل الإعلام أنباء انفجارات هائلة استهدفت بعض الأهداف الغربيّة في الدار البيضاء، وقد نفذها إستشهاديون، وقد ذكرت وكالات الأنباء نقلا عن المصادر الحُكُوميّة المغربية الرواية الوحيدة للحدث، ونسبته إلى ما أسمته (السّلفيّة الجهاديّة)، كما ورد أن المسؤول عنها بعض من وصفتهم بالتكفيريين، عَلى حد زعم تلك الوسائل ولم يمكنني معرفة المزيد عن ذلك.
- ولكن المهم الجدير بالذكر أن أجهزة الأمن المغربية قامت عَلى هامش تلك الأحداث الّتي لم يتوفر لي عنها روايات يمكن الوثوق بها، قامت باعتقال مئات الشَّبَاب فيما عرف باسم(تيار السّلفيّة الجهاديّة) وقد أصدرت المحاكم المغربية أحكاما كثيرة من أحكام الإعدام وفترات السّجن الطويلة، كما اعتقل في تلك الهجمة عدد من أبرز الدعاة السلفيين والجهاديّين في

المغرب ممن لا علاقة لهم بتلك الأحداث، فيما بدا أنه عمليَّات إجهاض مبكر لأي إمكانية مفترضة لتكوّن ظاهرة جهاديّة تتوفر لها كافّة المعطيات في ذلك البلد المنكوب بحكومة طاغوتية من أعتى حُكُومَات البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة بطشا وجبروتا وعمالة لأعداء الإِسْلَام من اليَهُوْد والصّليبيّن.

- وعلى الصعيد الشخصي فقد ربطتني بالكثيرين من الإخوة المغاربة علاقات أخوة صداقة، منذُ أيّام إقامتي في فرنسا ثمّ أسبانيا ثمّ بَرِيطَانيَا لكثرة تواجد المغاربة في تلك البلاد وفي أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة في الغرب، ولقد عرفت منهم الكثيرين من الكوادر الرائعة، إذ ميزهم الإخلاص والصفاء والحماس المتقد، وكانت آثار معاناة شعبهم من ذلك الفرعون الهالك الملك (الحسن الثّاني) ثمّ ابنه الماجن الملك الحالي (محمّد الخامس) وأسرتهم ونظامهم الجاثم عَلى صدور المُؤمِنِين في المغرب بادية الآثار عليهم وعلى رغبتهم في العمل والجِهَاد.
- وفي الشوط الثّاني للأفغان العَرَب في أفغانستان تعرفت إلى الكثيرين نهم، وخاصة من شباب الجماعة الناشئة (الجماعة المُجَاهدة في المغرب) وكانوا أنموذجا للشباب الصادق المتقد حماسا ورغبة في الإنتاج والعطاء، وكنت أؤمل لتجربتهم الواعدة آمالا عريضة، لةلا أن قدر الله كانَ أسبق إليهم في أفغانستان، إذ التهم أخدود سِبتَمبر الكثير من كوادرهم ليتشرد من أبى في الأرض لاحقين بقافلة الفرارين بدينهم تقبل الله منهم ومن إخوانهم جميعا.
- ولا أنسى أن أسجل بكل الاحترام والتقدير المساهمة الرائعة والأداء المتميز لبعض المُجَاهدين المغاربة في العمليّة البطولية الّتي أسفرت عن إخراج جيش دولة أسبانيا الّتي شكلت في حرب العراق – أيّام حكومة الحزب اليميني بزعامة أثنار – ثالث أضلاع مثلث الحلفاء إضافة لأمريكا وبريطانيا، ورغم أَنّي لم أستطع أن أعرف الجماعة الّتي انتمى إليها أولئك الأفذاذ، إلا أن أمة الإِسْلَام بكاملها مدينة لتلك الكوكبة من الإستشهاديين الّتي يعود إليها شرف بداية تصدع الحلف الأمريكيّ الصّليبيّ، والمتأمل في تلك العمليّة إلى نهاياتها البطولية، يكتشف مدى ما في ذلك الشعب المغربي المسلم الكريم، من طاقات خلاقة تثبت جدارتهم بأجدادهم

العظام الّذين حملوا مهمة الجِهَاد في مغرب أمة الإِسْلَام والمُسلِمين عَلى مر التّاريخ الإِسْلَاميّ المجيد.

١١. تجربة الأفغان العَرَب اللبنانيين في جبال النبطية بقيادة الشّهِيد أبو عائشة اللبناني رحمه الله (١٩٩٩):

كانَ المُجَاهدون اللبنانيون من الأفغان العَرَب من ضمن الجنسيات الّتي حضرت منها أعداد قليلة إلى أفغانستان، وقد تميزوا بالإضافة إلى مشاركتهم الميدانية بالدماثة والأخلاق، وكانوا من بين الجنسيات الّتي استطاع أصحابها العودة إلى بلادهم دونما كبير مشاكل، وقد تعرض البعض منهم إلى الاعتقال والتحقيق والسّجن إثر إقدام مجموعة صغيرة منهم عَلى اغتيال أحد قيادات الحركة الدّينيّة الشاذة في لبنان والَّتي تنسب لمؤسسها (حركة الأحباش)، وكان القتيل نائب في البرلمان اللبناني، وبحسب روايات الإخوة اللبنانيين فإن تلك الحركة كانت تقدم خدمات كبيرة للاستخبارات السوريّة في لبنان وتؤذي الشَّبَاب المسلم، كما تميزت بالعدوانية، وطاردت شباب أهل السّنّة والجهاديّين في مساجدهم وآذتهم، ثمّ ألقي القبض عَلى تلك المجموعة ونفذ فيها حكم الإعدام، بعد أن أبدى عناصرها بطولة وثباتا نادرا في تصريحاتهم في المحكمة وأمام الصحافة وأثناء عمليَّة الإعدام، حيث شيعة طائفة السنة أجسادهم الطّاهرة في موكب مهيب جسد مشهدا لوحدة صف حركاتها المتعددة في لبنان.

- ثمّ تابع بعض أفراد تلك المجموعة عمليَّات الدّعوة لأفكارها الجهاديّة السّلفيّة في مختلف المناطق اللبنانية ولاسيما في منطقة شمال لبنان قرب مدينة طرابلس وجبال النبطية، وكان هدفهم بحسب تصوُّراتهم الّتي رسمها أميرهم الأخ (أبو عائشة اللبناني) هيَ القيام بتأسيس حركة جهاديّة لشباب أهل السّنّة تعمل عَلى إقامة ثورة إسلاميّة تهدف إلى تحكيم الشّريعة في لبنان، وتسعى عَلى الأقل إلى إيجاد شوكة لأهل السّنّة في لبنان.
- كانَ الأخ أبو عائشة اللبناني رحمه الله أحد الأفغان العَرَب القدماء أيّام الجِهَاد الأفغاني، وكان مهاجرا في الولايات المتحدة وقدم منها إلى أفغانستان، وعاد بعد انتهاء الجِهَاد الأفغاني إلى

أمريكا ومنها إلى لبنان يحمل في صدره أفكارا وآمالا عن تأسيس حركة جهاديّة محليَّة لأهل السّنّة في لبنان.

- ونظرا لصداقة وعلاقة تعاون كانت لي به وبعض إخوانه أيّام الجِهَاد الأفغاني، فقد بقى لي شيء من التّواصل المتقطع ببعضهم في الفترات التّالية، مما مكنني من الإطلاع عَلى أهدافهم، وقد أرسلت له رسالة مع أحد أصدقائي الّذي التقى به، ونقل إليه قناعتي بأن فكرته تمشي بعكس الجغرافيّة والسّياسة والتّاريخ ومعطيات الواقع، وأن من الأفضل لهم أن يحاولوا العودة للاستفادة منس أجواء أفغانستان في أيّام طالبان لمتابعة التأسيس والإِعداد عَلى مهل، كما أوصلت له وجهة نظري بأن معطيات لبنان السّياسيّة والسّكّانية والإقليمية لا تسمح بأفكاره الّتي بدت لي غير موضوعية، ونصحته أن يحاول تطوير مشروعه الجهاديّ إلى فكرة إقليمية أوسع تأخذ بعين الاعتبار ما وصلت إليه الموجهة العَالَمِيّة بين المُسلِمِين والنّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، ولكنه رحمه الله بدا مصرا ومقتنعا ببرنامجه، وأرسل لي باختصار قوله: لقد جربتم في سوريا، وجرب إخواننا في مصر وليبيا والجَزَائِر، ودعونا نجرب في لبنان.
- وبعد مدّة قصيرة يبدو أن كثافة حركة أنصاره الّذين ازدادوا من أحاد إلى عشرات، رفع ثقتهم بأنفسهم ودفعهم للتحرك بشيء من العلنية، حيث روى بعض أهالي المنطقة بأنهم كانوا يعرفون بتواجدهم في الجبال، وأن بعضهم كانَ يتحرك بشكل شبه مكشوف، فما لبث الجيش اللبناني أن طوق المنطقة وحصلت معارك إستمرت لعدة أيّام، قيل أن بعض وحدات الجيش السّوري قد شارك فيها، وأسفرت عن استشهاد نحو خمسين من الإخوة، بينهم أبو عائشة رحمه الله وبعض البارزين من إخوانه من قدماء الأفغان العَرَب واعتقل بعض من كانَ له علاقة معهم من مختلف المناطق اللبنانية بحسب ما بلغني عن بعض الإخوة ووسائل الإعلام فرج الله عنهم، ورحم الله الشّهداء الأبرار

****

أبرز التَّجَارب الجهاديّة المعاصرة في وسط آسيا:

١٢- التَّجربة الجهاديّة في طاجيكستان (١٩٩٢-٢٠٠٠):

- مع انتصارات الجِهَاد ضدّ السوفيت في أفغانستان، انتعشت آمال المُسلِمِين في وسط آسيا للتخلص من نير الإحتلال الر وسي الّذي بغى عليهم ومنعهم حتَّى من دينهم، وقد لعبت الأقلية الفرسوانية أو الطاجيكية كما يسمونها في شمال أفغانستان خلال مواجهتها للسوفيت دورا في إيصال بذور الثَّورة وشعلة الجِهَاد إلى ما راء نهر جيحون كما سعت عدد من الأحزاب الجهاديّة الأفغانية وعلى رأسها حزب الجَمعيَّة الإِسْلَاميّة، والحزب الإِسْلَاميّ الّذي تزعمه حكمتيار إلى العمل عَلى ذلك بإرسال نسح من القرآن الكريم، والكتب الدّينيّة المترجمة، إلى الخلايا السرية من بذور الحركة الإِسْلَاميّة في طاجيكستان ليحرضوهم عَلى الجِهَاد.
- ومع انهيار الإتحاد السُّوفيتيّ، كانَ الحلم الكبير لدى المخلصين من المُجَاهدين الأفغان والأفغان العَرَب هو عبور نهر جيحون لك يواصلوا الجِهَاد ضدّ موسكو، وهذا ما فعله البعض إثر انسحاب الجيش الأحمر الّذي لعب بعض قادة الأحزاب الأفغانية ولاسيما رباني ومسعود دورا مخزيا في حفظ سلامته أثناء الانسحاب، بعد ما أذاق الأفغان ويلات القتل والدمار الكامل لبلادهم، ولكن عددا من المُجَاهدين العَرَب والأفغان والطاجيك، عبروا النهر ليكونوا طلائع تجربة جهاديّة زاخرة إستمرت منذُ مطلع التسعينات وإلى نهاية القرن العِشرين، ولا أمتلك عن تلك التَّجربة كبير تفاصيل إلا ما اطلعت عليه من بعض المهتمين بها.
- وخلاصة ذلك أن المُجَاهدين استطاعوا أن يحرروا مناطق شاسعة من طاجيكستان امتدت من حدودها مع أفغانستان إلى حدودها مع أوزبكستان، وتمكنوا أواخر التسعينات من تهديد العاصمة دوشنبيه ذاتها، حيث تهدّد النّظام الشُّيُوعِيّ المدعوم من روسيا فعليا بالسُّقوط، وبحسب شهادة أولئك المُجَاهدين من العاملين في تلك القضية، فقد تدخلت الإستخبارات الرُّوسية (KGB) في اللحظات الأخيرة وأقنعت القائد الأفغاني الشهير مسعود ورئيس

الرباني الغدر بالقواعد الخلفية لأولئك المُجَاهدين في شمال أفغانستان وأجبرتهم عَلى الانسحاب عن العاصمة حيث استرد النّظام أنفاسه، وجاءت الطعنة التّالية من الحركة الإِسْلَاميّة الطاجيكية ذاتها وزعيمها الأستاذ (نوري) الّذي التقى (يلتسن) في موسكو وصورته عدسات التلفزيون وهو يصافحه بحرارة، وجري الإتفاق بإشراف موسكو بين الحكومة الطاجيكية وحركة النهضة الإِسْلَاميّة بزعامة نوري عَلى تسوية يستلم بموجبها حزب النهضة بعض الوزارات ومقاعد البرلمان، وهكذا جمد حزب النهضة جناحه العسكريّ الّذي كانَ يشارك في حصار العاصمة، وأوجد هذا شرخا في صف الحركة الجهاديّة المكونة من الطاجيك والأوزبك بالإضافة لبعض المُجَاهدين من وسط آسيا، الّذي كانَ يتزعمهم المُجَاهد الكبير جمعة باي الأوزبكي، الّذي انسب إلى الجبال بمن معه وواصل القِتَال، إلى أن اضطر إلى توقع تسوية تضمن له الانسحاب إلى أفغانستان واللجوء إلى نظام طالبان بأسلحته ومن بقي من جنوده، وهذا ما تمَّ سنة (٢٠٠٠) حيث حضر إلى أفغانستان وانضم إلى مُجَاهدي الأوزبك وحركتهم الّتي أسسوها سنة (١٩٩٨) وأسموها (الحزب الإِسْلَاميّ لأوزبكستان)، بزعامة محمّد طاهر جان، ليسدل الستار عَلى حركة جهاديّة نوعية تبقى كتابة تفاصيلها أمانة في عنق من عايشوها عن قرب تلك الفترة.

١٣- التَّجربة الجهاديّة في أوزبكستان (١٩٩٨-٢٠٠١):

تعتبر أوزبكستان القلب النابض للإسلام في آسيا الوسطى، وقد استطاع المُسلِمُون فيها أن يحافظوا عَلى دينهم ودين آبائهم عن طريق نظام الحجرات السرية الّتي كانت تدرس الإِسْلَام خفية، حيث تخرج منه آلاف الحفاظ وطلاب العلم من أوزبكستان وما جاورها من دول الجمهوريّات السُّوفيتيّة، ويجاوز عدد سكان أوزبكستان (٢٥) مليون نسمة، وفيها أكبر الحاضرات الإِسْلَاميّة التارِيخِيَّة مثل بخارى وطشقند وسمرقند وترمذ،

- بقيت الصّحوة الإِسْلَاميّة فيها حركة سرية إلى أن انهار الإتحاد السُّوفيتيّ، وحصل ماسمى بعهد الانفتاح، ولبس الشُّيُوعِيّون فيها لباس الدِّيمقراطيَّة كما زعم رئيسها كريموف عضو

الحزب الشُّيُوعِيّ السابق الّذي صار رئيسا للبلاد ولحزب ديمقراطي فيها، مستبدلا الوَلَاء للأمريكان بالوَلَاء للروس.

- وقد قمع كريموف الصّحوة الإِسْلَاميّة الّتي شبت منذُ (١٩٩٠م) ودخل في صِرَاع معها، مما أدى لِهجرَة الآلاف إلى دول الجوار، وبعد سنة (١٩٩٥) يمم عدد من الشَّبَاب المهاجر المُجَاهد وجهه شطر الشِّيشَان حيث كانَ الأخ المُجَاهد الشّهِيد ابن الخطاب يعد لمشروع طويل الأمد لإزكاء شعلة الجِهَاد في القفقاس وسط آسيا والجمهوريّات السُّوفيتيّة، في حين نزلت مجموعة كبيرة منهم إلى أفغانستان في عهد طالبان، والتحق آخرون بالمُجَاهدين الطاجيك وقائدهم الأوزبكي جمعة باي رحمه الله، في حين استخفت مجموعات أُخرى داخل أوزبكستان تجهز لانتفاضة جهاديّة.
- تزعم المجموعة الّتي نزلت إلى جوار طالبان أحد الدعاة الشَّبَاب من جماعة التبليغ وكان متحمسا لمشروع جهاديّ واسع للانتفاضة عَلى نظام كريموف وكان قد لمع نجمه نتيجة تصديه للرئيس كريموف أثناء احتفال خطابي حاشد، ثمّ فر إلى أفغانستان، وبايع أمير المُؤمِنِين ملا محمّد عمر الّذي تبنى مشروعهم واعتبره ظهيرا هاما في الشمال أفغاني حيث تقطن جالية أوزبكية وتركمانية كبيرة يبلغ تعدادها نحو (٥) ملايين نسمة.
- وبالتّعاون مع بعض الأفغان العَرَب الّذين تحمسوا للمشروع الجهاديّ الأوزبكي، وبدعم سخي من طالبان، نمى مشروع الأوزبك بزعامة محمّد طاهر جان بسرعة، حيث تجمع تحت قيادته مئات المقاتلين الأشداء الشَّبَاب الّذين تخرجوا بداية عَلى يد بعض المدربين من الأفغان العَرَب ثمّ طوروا إمكانيَّاتهم وصاروا من أكثر المجموعات الداعمة لطالبان تدريبا وتسليحا.
- انضم جمعة باي بعد خروجه من طاجيكستان إلى محمّد طاهر جان وبايعه عَلى الجِهَاد في أوزبكستان وصار نائبه ومسؤوله العسكريّ وذراعه الأيمن، وعاد بعد ذلك لتنظيم تواجد المُجَاهدين الأوزبك عَلى حدود أوزبكستان ودخل طاجيكستان ثانية، ولكن محاولته كشفت، كاد يقتل مع جميع من معه عَلى يد جيش قيرغيزستان ولكنهم استطاعوا أن يخطفوا



مجموعة من الخبراء اليابانيين والأجانب وأدت المفاوضات إلى أن يتحصلوا عَلى فدية بنحو (٥) ملايين دولار ويعودوا أدراجهم إلى أفغانستان!! مما رفع أسهم الحركة عند طالبان.

- وفي أواخر (١٩٩٩) نزل عدد من المُجَاهدين الأوزبك من الشِّيشَان وبالتّعاون مع مجموعات سرية هناك قاموا بعدة عمليَّات تفجير استهدفت منشآت حكومية في أوزبكستان، وردت الحكومة عَلى ذلك بحملة من الاعتقالات فر عَلى أثرها مزيد من الجهاديّين والأسر المهاجرة إلى أفغانستان، وقبض عَلى عدد من الجهاديّين الأوزبك في عدد من دول وسط آسيا وتركيا، وسلموا إلى أوزبكستان وحكم عَلى بعضهم بالسّجن وعلى بعضهم بالإعدام، وتوافد من نجا منهم إلى أفغانستان، وتجمع أولئك الكوادر حول طاهر جان حيث شكلوا محكما ومنظما وحسن التجهيز، وأطلقوا عَلى حركتهم اسم (الحزب الإِسْلَاميّ لأوزبكستان).
- ونظرا لضخامة الجالية الأوزبكية المهاجرة منذُ أيّام الإحتلال السُّوفيتيّ في عدد من الدّول كتركيا ودول وسط آسيا وأوربّا وباكستان وبعض البلاد العربيَّة ولاسيما السّعُودِيّة، حيث استطاع العديد منهم أن يحترفوا التجارة ويتولوا المناصب بعد أن حصل أجدادهم عَلى الجنسية السّعُودِيّة منذُ أيّام الملك فيصل، وقد أدت تلك الجاليات دعما ماديا وبشريا وقدرة عَلى الاتّصالات والعلاقات العامّة لتك الجماعة الناشئة الّتي جهزت عدّة مئات من المقاتلين المدربين.
- أواسط سنة(٢٠٠١) قرار أمير المُؤمِنِين ملا محمّد عمر بناء عَلى مشروع دراسة كنت قد قدمته له من أجل تشكيل لواء من جميع المُجَاهدين العَرَب والمُسلِمين من غير الأفغان (من الباكستان والعرب ومُجَاهدي وسط آسيا)، ووقع اختياره عَلى (جمعه باي) المسؤول العسكريّ للأوزبك لرئاسة وإدارة ذلك المشروع الّذي أطلقوا عليه أسم اللواء (٢١) وربطوه بالقيادة العسكريّة لجيش الطّالِبَان (قول أوردو)، وبطبيعة الحال استعان جمعه باي بإدارته العسكريّة الأوزبكية لإدارة ذلك اللواء مع نخبة من القيادات من العَرَب والباكستان والتركستان.

- وقويت مكانة الأوزبك جدا لدى طالبان، ووضع محمّد طاهر جان مشروعا طموحا لتكوين جيل من الدعاة وطلاب العلم الأوزبك لتتحرك ضمن الجالية الأوزبكية والتركمانية الأفغانية الضخمة العدد في شمال غرب أفغانستان، وكان البَرَامج يهدف لإعداد مئات الدعاة خلال سنتين كي يتولوا الدّعوة ثمّ يشكلوا ميلشيات أوزبكية مُجَاهدة هدفها القِتَال إلى جانب طالبان ومن ثمّ الإِعداد للجِهَاد في بلاد ما وراء النهر، وهو حلم الأفغان الكبير منذُ رحيل الجيش الأحمر عن أفغانستان عبر نهر جيحون إلى داخل الإتحاد السُّوفيتيّ.
- وقد علق أمير المُؤمِنِين عَلى ذلك المشروع آمالا كبيرة ودعمه بكل ما أوتي من إمكانيَّات، وهكذا، ومع بداية موسم القِتَال صيف (٢٠٠١)، كلف أمير المُؤمِنِين اللواء (٢١) بقيادة (جمعة باي) بمهام قتالية في شمال أفغانستان في ولاية قندوز وتخار، وفيما كانَ اللواء المشترك الّذي زاد عدد مقاتليه عَلى ثلاثة آلاف من المُجَاهدين الباكستان والأوزبك والعرب والتركستان يستعد لأخذ مواقعه والتحرك لميدان المَعْرَكة، جاءت أحداث سِبتَمبر وابتدأ الهجوم الأمريكيّ عَلى أفغانستان، وقدر الله أن تسقط قذيفة طيران في منطقة قرب مزار شريف عَلى نقطة تجمع للمُجَاهدين من ذلك اللواء ليستشهد جمعة باي مع (١٢) من قادة اللواء من أبرز قياداته من العَرَب والأوزبك قبل سقوط مزار شريف.

وتتابعت الكوارث، فبعد سقوط مزار شريف وعملية الخيانة في قندز والغدر بمجموعة من المُجَاهدين العَرَب الأوزبك في قلعة مزار شريف في الحادثة المشهورة، قتل مئات من المُجَاهدين الأوزبك في الشمال وسقط آخرون في معارك الدّفاع عن الإمارة في خط كابل ثمّ في معركة شاهي كوت الشهيرة قرب مدينة (زرمت) في بكتيا حيث قتل مئات الأمريكان في العمليّة الّتي أطلق عليها اسم (أنا كوندا)، ثمّ تشرد الباقون إلى باكستان حيث قتل العديد منهم في الحملات المشتركة للجيش الباكستاني والقوّات الأمريكيّة وأسر آخرون، وتوزع آخرون في مرحلة جديدة من الشتات في مرحلة أخدود ما بعد سِبتَمبر الّذي ما زال يتقلب فيه من تبقى من التّيار الجهاديّ إلى أن يأذن الله بالفرج، وهكذا طويت صفحة جهاديّة من أكثر الصفحات إشراقا وأملا في إحياء الجِهَاد في بلاد ما وراء النهر

حيث بشر رسول الله ﷺ بخروج الرّايات السود من هناك لتحمل رايات المهدي ليملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن ملئت جورا وظلما كما تسير الأحداث باتجاه ذلك هذه الأيّام.

- ولقد واكبت شخصيا تجربة الأوزبك في عهد الطّالِبَان من بواكيرها، وربطني بهم صداقة وإخوة وعلاقات عمل، وقد شاركت في برنامج إعداد بعض الكوادر لمشروعهم الكبير وكنت أتردد عَلى مركزهم لإلقاء بعض المحاضرات، وحضر بيتي عدد من إدارتهم لحضور سلسلة من الدُّروس التأهيلية، وقد مكنني ذلك من الإطلاع عَلى جوانب مشروعهم الكبير المبشر كما مكنني من التعرف عَلى صنف من خيرة المُجَاهدين عبادة وصفاء وأحسنهم خلقا وأكثرهم إنضباطا وطاعة، وأشدهم بأسا وثباتا، فرحم الله شهداءهم وفك أسراهم وحفظ المشردين منهم ومنح المُجَاهدين في أوزبكستان فرصة لحمل رايات الجِهَاد الظافرة إنه عَلى ما يشاء قدير.

١٤. التَّجربة الجهاديّة مُجَاهدي الحزب الإِسْلَاميّ لتركستان الشرقية:

بعد قيام حركة طالبان بإعلان لإمارة الإِسْلَاميّة بقليل، حضر أفغانستان عدد من الشَّبَاب التركستاني المسلم الّذين كانوا قد فروا من الحكم الصيني الّذي يحتل بلاد تركستان الشرقية ويطارد الشَّبَاب الملتزم مستمرا في محاولات الصين هوية ذلك الشعب اليوغوري المسلم.

ومثلهم مثل غيرهم من التَّجَمُّعات المهاجرة والمُجَاهدة الّتي نزلت في جوار طالبان بدأوا يتجمعون حيث برز عَلى رأسهم أميرهم الأخ الشّهِيد أبو محمّد التركستاني (حسن معصوم) رحمه الله - الّذي كانَ قد خرج مطاردا من الصين بعد أن سجن هناك خمس أعوام.

وبعد أن بايع الشَّيْخ أبو محمّد التركستاني أمير المُؤمِنِين ملا محمّد عمر، لاقت هذه المجموعة دعما واحتراما منه، ولكنه أمرهم بالتؤدة في حركتهم، والاستخفاء قدر الإمكان لأن الصين كانت عَلى أبواب بداية علاقات توازن مع طالبان تدرس تنفيذ عدد من المشاريع فيها وذلك يحدث توازنا في الصِّرَاع عَلى المصالح في أفغانستان ووسط آسيا بين الصين والولايات المتحدة وقد أوشكت الصين عَلى إعادة فتح سفارتها في كابل في عهد طالبان ونمت تلك المجموعة بسرعة لكون عدد من المُهَاجِرين

التركستان الشرقيين المتناثرين في دول وسط آسيا الأخرى وتركيا والسّعُودِيّة وباكستان ليس بالقليل أيضا

وسرعان ما أعدت المجموعة بالتّعاون مع بعض المدربين من الأفغان العَرَب عدد من الكوادر والمدربين الّذين مالبثوا أن أنشأوا لأنفسهم معسكرا مستقلا وشاركوا في القِتَال بفعالية إلى جانب طالبان.

كانَ أميرهم أبو محمّد رَحِمَهُ الله شعله من النَّشَاط والإخلاص وحسن الخلق وقد انعكس هذا عَلى النمو السريع لتجمعهم كما كانَ الشَّبَاب التركستاني الشرقي من ألين المُجَاهدين عريكة وأكثرهم إخلاصا وفدائية وحيا لطلب مختلف أنواع العلوم الشَّرعيَّة والعسكريّة

نزل بعض المجهاديّن التركستان الّذين تخرجوا من مُعَسْكَرَات هذه الحركة الّتي حملت نفس اسم المجموعة الّتي قامت بآخر المحاولات وانقرض معظم أعضائها (الحزب الإِسْلَاميّ لتركستان الشرقية) نزلوا إلى الصين للقيام عمليَّات الحشد والدعاية الّذين لا يستطيعون الخروج نتيجة خطر السفر الّذي تفرضه الحكومة الصينية عَلى المُسلِمِين التركستان.

كانَ مشروع التركستانيين الشرقيين واعدا خاصّة في ظل النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، حيث كانَ الكونغرس الأمريكيّ قد تبنى مشروعا لتفكيك الصين سنة (١٩٩٥) وذلك باستخدام النزعات العرقية الدّينيّة فيها وعلى رأس ذلك التيبت واليوغور المُسلِمِين في شمال غرب الصين في تركستان الّتي احتلتها الصين وأطلقت عليها اسم (سيانغ يانغ) وتعني الأرض الجَدِيد، فكان مشروع الجِهَاد في الصين هو المشروع الوحيد الّذي كانَ له أمل بأن لا يجد مقاومة من هجمة مكافحة الإِرهَاب، كما أن مجموعات من اليوغور المُسلِمِين التّيارات القوميّة والليبرالية قد استوطن أمريكا وأوربّا وتركيا وبعض البلاد العربيَّة وراح بعضها يخطب ود هذه المجموعة المُسلّحة الناشئة في أفغانستان ولكن قرب المُجَاهدين التركستان من الأفغان العَرَب وبيعتهم لأمير المُؤمِنِين وشهودهم القِتَال إلى جانب طالبان ووقوع بعضهم في الأسر لدى قوَّات التَّحالف كاد يطبعهم بطابع المطاردين من أمريكا، وأنضم قسم من المُجَاهدين التركستان إلى اللواء (٢١) للمُجَاهدين غير الأفغان وأخذوا مواقعهم إلى جانب

المُجَاهدين من الجنسيات الأخرى في الجِهَاد إلى جانب طالبان وفيما كانَ مشروع المُجَاهدين التركستان أيضا يشق طريقه دوت انفجارات سِبتَمبر وأخذ المُجَاهدون التركستان مواقعهم إلى جانب إخوانهم من الأفغان وغير الأفغان.

وهكذا أخذ المُجَاهدون التركستانيون حظهم أيضا من الشّهداء والأسرى والمشردين تقبل الله منهم وخرجت بقاياهم لتتابع سيرها في قافلة الفرارين بدينهم من الغُرَباء عَلى الأرض الباكستانية.

ورغم أن فرصة المغادرة كانت متاحة أمام الشَّيْخ أميرهم أبي محمّد التركستاني إلا أنه بقى وفيا لأمير المُؤمِنِين وأفغانستان، وفيا لتركستان مصرا عَلى القرب منها، وبقى في منطقة القبائل في سرحد شمال غرب باكستان وقبل كتابة هذه السُّطُور بشهر وفي شهر نوفمبر، قام الجيش الباكستاني مدعوما بوحدات أمريكية بحملة تمشيط وتفتيش عن المُجَاهدين العَرَب والطّالِبَان ومن منعهم معهم واشتبكت إحدى المجموعات المجرمة مع مجموعة من المُجَاهدين كانَ منهم أبو محمّد وإخوانه، ليسقط شهيداً غريبا مع مجموعة من حراسه وأقرب إخوانه، رحمهم الله وتقبلهم وأسكنهم فسيح جناته.

وقد واكبت شخصيا بداية مشروع التركستان الشرقية منذُ بدايته، وكان أميرهم أبو محمّد جارا لي في (خوست) رحمه الله، وقد دعاني لإلقاء بعض الدُّروس في مركزهم مرارا، ولما عزمت عَلى بداية مشروع إنشاء مُعَسْكَر في كابل استقبلني في (قرغة) في معسكره التَّابع لمُعَسْكَر القائد الطّالِبَان سيف الرَّحمٰن منصور، حيث بدأت مشروع معسكريّ إلى جانبهم قبل أن يتطور معسكرنا (مُعَسْكَر الغُرَباء) وينشأ مستقلا إلى جانب معسكرهم.

وقد جمعني ومجموعة مُعَسْكَر الغُرَباء بالمُجَاهدين التركستان أكثر من رابطة، وحضرنا بعض المشاهد الميدانية إلى جانب طالبان معا، وأتذكرهم اليَوْم ويعجز قلمي حقيقة ′ن أدائهم حقهم لما تحلوا به من كريم الصفات، ويعتصر اليَوْم قلبي الألم والحزن عَلى تلك الوجوه المنيرة والقلوب الطّاهرة وأعجز أن فيهم حقهم من الوصف فقد كانوا أهلا لكل خير أحسبهم كذلك ولا أزكيهم عَلى الله، ولله در الشاعر الّذي قَالَ يخاطب تراب قبور الشّهداء:

ثوى فيك الأحبة يا حبيبُ وقد يؤذي الثواء وقد يطيبُ
شموس في الظهيرة أطفأتها يد سكرى وللمها الغروبُ
وجوه مازجت قلبي وغابت فيك فكيف عن قلبي تغيبُ
أأُوغل خلفها غسلت بنورٍ وقلبي بعد تغمره الذّنوبُ

فرحم الله من لاقاه شهيداً وتقبلهم في الصّالحين، وحفظ المشردين والباقين منهم ونصرهم وأعانهم عَلى حمل مشاعل النور والإِسْلَام، ليعود الأذان نديا حرا في ربوع (كاشغر) وكافة مدن التركستان، رحمهم الله من نسمات تحمل عطر رايات قتيبة بن مسلم الّذي حمل نور الإِسْلَام إلى بلادهم، وأنفاس آلاف الصّالحين من التّابعين ومن تبعهم بإحسان من الّذين حملوا مشعل الإِسْلَام إلى تلك الربوع.

اللّهم لا تحرمنا صحبتهم في الجنّة.. ولا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم وارحمنا إذا صرنا إليك مثلهم يارِبّ العَالَمِيّن.

****

١٥- تجربة الشَّيْخ أُسَامَة وتنظيم القَاعِدَة في مُوَاجَهة أمريكا منذُ (١٩٩٦):

كما لا يخفي فإن هذا العنوان يستأهل كتابا مستقلا، لكثرة جزئياته وأهمية التارِيخِيَّة وليس في هذا الفَصل العام حول التَّجَارب التّيار الجهاديّ خلال النصف الثّاني من القرن العِشرين محل ذلك، ولكني ولكي يتم الفَصل ويشمل أهمّ تلك التَّجَارب، لا بُدَّ وأن أعرض ولو موجزا إلى هذه التَّجربة الّتي اِخُتتِم بها ملف تلك التَّجَارب في القرن العِشرين وافتتح ملف الصِّرَاع في القرن الحادي والعشرين بشكل غير وجه التّاريخ والعالم وغير أبعاد المَعْرَكة ومعطياتها وأساليبها، وسأعرض لهذه التَّجربة من خلال فقرات رئيسيَّة مختصرة والله المُستَعان وهو يهدي السبيل: ولعلّ الله ييسر لي أن أسهب في التفاصيل إن قدر الله لي التّاريخ لتجربة الشوط الثّاني للأفغان العَرَب مع طالبان (١٩٩٦- ٢٠٠١)،

وقبل أن أبدأ ذلك أشير إلى أنّي تفكرت كثيرا في مسألة تصنيف تجربة القَاعِدَة ضمن تجارب التّيار الجهاديّ، أو تصنيفها أم ضمن تجارب الظَّاهِرة الجهاديّة ضدّ العدوان الخارجي، حتَّى كدت أميل إلى أنها صنف ثالث من أصناف الظَّاهِرة الجهاديّة لاختلافها من حيث التكوين والمنهج والأسلوب، وبعد طول التأمل، رأيت أن أدرجها ضمن تجارب التّيار الجهاديّ لاعتبارات عديدة من أهمّها:

- المنهج الّذي آل إلى تبنيه وإعلانه الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن ومعظم أتباعه في آخر المطاف، وهو منهج يمكن اعتباره مستندا إلى أصول ومبادئ منهج التّيار الجهاديّ.

- والأمر الآخر هو أن أكثر كوادر القَاعِدَة ومؤسسيها ومدربيها ورجالها الأساسيين هم من كوادر التّيار الجهاديّ الّذي التحقوا بالقَاعِدَة عضويا، أو أنها استندت إليهم في تكون عناصرها.

- والأمر الثّالث هو أن الشَّيْخ أُسَامَة جعل من مُوَاجَهة حكومة آل سعود أحد شطري اتجاهه وأهدافه بالإضافة لمُوَاجَهة أمريكا وهذا من توجهات تنظيمات التّيار الجهاديّ في مُوَاجَهة الطغاة من حُكَّام بلاد العالم العربيّ الإِسْلَاميّ، حيث اعتبرهم مرتدين عن ملة الإِسْلَام، مستندا في ذلك إلى أصول عَقِيْدَة الحاكِمِيَّة وعقائد السّلفيّة الجهاديّة.

- والأمر الرَّابع أن الشَّيْخ أُسَامَة قد استطاع جر التّيار الجهاديّ بكامله إلى السَّاحَة الّتي اختارها والفكرة الّتي يراها للمُوَاجَهة وهي التّحول من مواجه الأنظمة والحُكُومَات إلى مُوَاجَهة من يسندها ضمن النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد وهي أمريكا وكبار حلفائها.

- والأمر الأخير هو أن أمريكا قد فرضت علينا ولأهدافها الخاصّة عن علم وعمد، فرضت عَلى كافّة التّيار الجهاديّ وكثير من مكوّنات الظَّاهِرة الجهاديّة الحاليين مسمّى القَاعِدَة وعممته عليهم راضين أم كارهين وجعلته اسما شاملا لكافة مكوّنات التّيار الجهاديّ وجرتهم لحربها كذلك طوعا أو كرها.

بعد طول تفكر وتشاور واستخارة.

رأيت أن أحذف هذه الفقرة من الكتاب لثلاثة أسباب، وهي:

أولاً: أن تنظيم القَاعِدَة ما يزال يخوض حربا مفتوحة مع أعداء الإِسْلَام، بقيادة أمريكا، كما كلّ الأفغان العَرَب والتّيار الجهاديّ وكل مخلص في هذه الأُمّة.

وربما يظن البعض أن في تناول تجربتها وخصائصها الآن ما يفيد العدوّ، ورغم أَنّي لا أعتقد ذلك لأن الفقرة دراسية نقدية عامة للإفادة من الدُّروس والتَّجَارب الّتي مضت، ولا تحتوي أي معلومات تعتبر أسرارا، خاصّة أن كما كبيرا من أسرى القَاعِدَة هو في قبضة العدوّ أعاننا الله عَلى تفريج كرباتهم، وأظن في عرضها فائدة للمسلمين والمُجَاهدين، إلا أن هذا كانَ أحد الأسباب في حذف الفقرة، دفعا للخلاف حول هذه النقطة.

****

ثانياً: أن التَّجربة ما تزال مفتوحة، وتختلف بهذا عما سبق من التَّجَارب التَّنظِيمية الّتي تناولتها، والَّتي انتهت عمليا، وفي تأخير الكتابة عن تجربة ما تزال مستمرة فائدة دراستها فيما بعد أن الدّراسة ستكون أشمل وأعمق.

وأرجو أن نكون قد حققنا النّصر الموعود إلى حينها بإذن الله.

****

ثالثا: أن التَّجربة واسعة وتحتاج كي أوفيها حقها كتابا مفردا، ربما يسر الله لي إخراجه فيما بعد، خاصّة أَنّي أفضل إطلاع بعض كبار الإخوان والشُّيُوخ عليه، وأخذ توصياتهم بعين الاعتبار قبل نشره، الّذي أرجو أن يكون قريباً، وبعد تحقق النّصر الشّامل إن شاء الله.

****

وأعتذر للقراء التواقين للإطلاع عَلى تجربة فذة لأبطال أماجد، وأحباب عظم المصاب بفقدهم، سجل معظمهم أسماءهم في سجل الشّهداء الخالدّين، كما أرجو وأعتقد إن شاء الله.

ثامنا: خُلاصة الأساسِيَّات العقدية والفكريّة للتيار الجهاديّ (١٩٦٠-٢٠٠١):

شكل التّيار الجهاديّ مدرسة مستقلة قائمة بذاتها ضمن مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة، وقد حملت معظم تنظيماته ورجاله قواسم مشتركة من الفكر والعَقِيْدَة الجهاديّة والمنهج السّياسيّ

الشَّرعيّ، سأورد أهمّ ملامحها بشكل موجز بصرف النَّظر عن رأيي الشخصي في بعض التفاصيل والأفكار فهي فقرة للعرض وليست للنقاش، وبصرف النَّظر كذلك عن بعض الأفكار الثانوية الّتي حملها بعض الجهاديّين ولم تكن سمة مشتركة للتيار وتنظيماته ورجاله الأساسيين، ومن أهمّ الملامح الفكريّة عند الجهاديّين:

- **حكم الأنظمة:**

إعتبر الجهاديّون جميع الأنظمة القائمة في بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ أنظمة ردة لكونها تشرع من دون الله وتحكم بغير ما أنزل الله، وتوالي الكافرين من أعداء الإِسْلَام والمُسلِمين، واعتبروا جميع الحكَّام في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ بناءً عَلى ذلك كفاراً مرتدين خارجين عن ملة الإِسْلَام.

كما اعتبروا المؤسسات والسُّلطات الثلاث - إن وجدت - أو ما يقوم مقامها في الأنظمة الديكتاتورية، مؤسسات كافرة، وهذه السُّلطات هيَ: السّلطة التَّشريعية والسّلطة التنفيذية والسّلطة القضائية، واعتبروا كبار القائمين عليها كفاراً مرتدين.

وتقف حدود التَّكفِير العيني عند الجهاديّين عند هذا المستوى حيث يعتبرون ما سوى ذلك من الأعوان ونواب هَؤُلَاءِ ومساعديهم وموظفيهم أعوانا لا يحكم عليهم بالكفر العيني لعملهم بتلك المؤسسات ويجعلونهم من أهل الأعذار.

وهم في ذلك يلتقون مع فكر الصّحوة الإِسْلَاميّة عامة خلال مرحلة الستينات والسبعينات والثمانينات قبل أن تنحو التَّنظِيمات الإِسْلَاميّة المنحى الديمقراطي وتضطر للحكم بالإِسْلَام عَلى تلك المؤسسات، ومن الجدير بالذكر أن هذه الحقائق الّتي جهر به الجهاديّون وتحملوا في سبيل ذلك المآسي، كانت هيَ نفس المعتقدات الّتي يحملها معظم رجال الصّحوة الإِسْلَاميّة من الإخوان والسلفيين والسروريين ودعاة الصّحوة من علماء الجَزِيرَة وغيرهم.

- **حكم الأعوان:**

اعتبر الجهاديّون من قاتل دفاعاً عن تلك الأنظمة، وحارب الإِسْلَاميّين والجهاديّين كأفراد الجيش والشّرطة وقوى الأمن، طائفة ردة عامة تقاتل عَلى أساس راية الرِّدَّة العامّة لإمامهم وقائدهم

الّذي يأتمرون بأمره ويدافعون عنه، بحيث لا يحكم الجهاديّون بالكفر العيني لآحاد هَؤُلَاءِ إلا حال صدر ناقض عن نواقض الإيمان.

- **مسألة التَّكفِير:**

عَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة ويعتبرون كلّ من شهد أن لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله محمّد رَسُولُ اللّهمسلماً ما لم يأت بناقض صريح من نواقض الإِسْلَام، ويأخذون بشروط تكفير المتعين من تحقق الشُّرُوط وانتفاء الموانع، من الجهل والإكراه والتأويل وانتفاء القصد، وبهذا يفترقون عن جماعات التَّكفِير والشواذ من بعض من الحقّ بالجهاديّين.

- **علماء السُّلطَان:**

يعتبر الجهاديّون كلّ من وقف من علماء المُسلِمِين إلى جانب تلك الحُكُومَات مدافعاً عنها مسبغاً عليا صفة الإِسْلَام معتبراً من خرج عليهم من رجال وحركات الصّحوة ولاسيما الجهاديّين من الخوارج، يعتبرونه من المُنَافِقِين، وقد دخل الجهاديّون معهم في مساجلات طويلة، والجهاديّون قسمان في تحديد مستوى نفاق علماء السُّلطَان فمنهم وهم الجمهور يذهب إلى إثبات الإِسْلَام لهم واعتبار نفاقهم في حدود نفاق العمل، ويذهب البعض منهم إلى اعتبار بعض أولئك العُلَماء كفار مرتدين مثل حكامهم، لأَنّهم يعتبرون أولئك العُلَماء لا عذر لهم بالجهل ولا التَّأويل ولا بالإكراه لأَنّهم يسعون برضاهم إلى ذلك النِّفَاق، الّذي وصل إلى حد تأييد غزو بلاد المُسلِمِين، وإجازة الصُّلح مع اليَهُوْد وبيع أقدس المقدّسات المُسلِمِين، وإلى حد الإفتاء ويقتل من خرج بالسّلاح عَلى أولئك الحكَّام ومن ولاءهم من الغُزَاة الصّليبيّين.

- **مسألة الدِّيمقراطيَّة:**

يعتبر الجهاديّون الدِّيمقراطيَّة، فلسفة ونظاماً كفرياً يتناقض مع دين الإِسْلَام جملة وتفصيلاً، ويذهب بعضهم إلى اعتبارها ديناً عصرياً مثله مثل كلّ أديان الكفر القديمة والحديثة، ويعتبر جمهور الجهاديّين الديمقراطيين من الإِسْلَاميّين بدخولهم البرلمان والمشاركة في السّلطة التَّشريعية أو الوزرات والحُكُومَات وهي السُّلطات التنفيذية، يعتبرونهم متلبسين بعمل من أعمال الكفر، ولكنهم لا يحكمون



عليهم بالكفر العيني، ويعتبرونهم معذورين بالتأويل أو حتَّى بالجهل أحياناً بطبيعة كفر تلك المؤسسات، بسبب حالة استضعاف الصّحوة والمُسلِمين، ونيتهم في تحقيق ما يمكن من العدل والتّعاون عَلى البر والإحسان، ويذهب القليل من الجهاديّين إلى تكفير هَؤُلَاءِ البرلمانيين والوزراء من الإِسْلَاميّين بحكم واقع انتمائهم لتلك المؤسسات، ولا يعتبرون جهلهم وارداً وهم علماء أو دعاة ولا تأويلهم مستساغا بعد قيام الحجة وكثرة الحوار.

- **مسألة الشّيعة والفرق من غير أهل السّنّة:**

يعتبر الجهاديّون كافّة تلك الفرق من ضمن الأُمّة الإِسْلَاميّة أو ما يسمي بأهل القبلة، ويعتبرونها من الفرق الّتي جاء ذكرها في الحديث الشريف بافتراق الأُمّة عَلى ٧٣ فرقة واحدة ناجية هم أهل السّنّة والجماعة والباقون في النار، فيعتبرونهم من فرق الضلال والزيغ والهوى والانحراف، وكما هو الموقف العام عند أهل السّنّة يصنفونهم ثلاثة أقسام:

الشّيعة الغلاة: مثل الإسماعيلية والنصيرية وأشباهها ويعتبرونهم كفاراً.

الشّيعة الزيدية: مثل أكثرية شيعة اليمن، ويعتبرونهم قريبين من أهل السّنّة عَلى خلاف معهم.

الشّيعة الجعفرية (الإمامية): وهم من مثل غالب شيعة إيران، والأقليات في لبنان وباكستان وأفغانستان ومنطقة الشّرق الأوسط.

وغالب الجهاديّين عَلى اعتبارهم ضلالاً من أهل البِدَع، في حين ذهبت أقلية من الجهاديّين إلى عدم إعطاء هذه المسألة أهمية لأسباب سياسيّة، في حين ذهب بعض الجهاديّين إلى التصريح بكفر الشّيعة، إلا أن الجمهور من الجهاديّين عَلى اعتبارهم مُسلِمِين من أهل القبلة ضلالاً مبتدعة.

وقد تداخلت المسائل السّياسيّة بالعقدية في هذه المسألة لدى الصّحوة الإِسْلَاميّة السنية عموماً ومنها الجهاديّة وليس هنا محل بسط ذلك.

- **مسألة السّلفيّة والمذهبية:**

غلب عَلى الجهاديّين منذُ أواخر الثمانينات المذهب السلفي نتيجة ما أسلفت شرحه، وجمهورهم وسط في مسألة المذهبية يكنون الاحترام لأئمة المذاهب الأربعة وعلمائها، وهم وسط في التقليد فلا

يتعصبون لمذهب، ولا يلتزمون به، ولا ينتقصون من أقدار الأئمة ولا من القيمة العلمية لتراث المذاهب، وقد أثر التّيار السلفي المتطرف في ظهور بعض (غلاة جهلة الجهاديّين) من المتأخرين ممن ذهبوا مذهب محاربة التقليد والمذاهب لحد الشطط ولكنهم في الجهاديّين قلة.

- **مسألة الصوفية:**

تأثر جمهور الجهاديّين بمنهج ابن تَيمِيّة والمدرسة السّلفيّة في محاربة المدارس الصوفية المنحرفة، واعتبارها من مناهج البِدَع والضلال، وتشدد البعض في هذه المسألة، في حين اعتدلت الأقلية منهم في تناول مدرسة التصوف والمتصوفين.

- **الموقف من مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة غير الجهاديّة:**

جمهور القدماء من الجهاديّين عَلى احترام مدارس الصّحوة وقياداتها والالتزام بأدب الخلاف معهم رغم سعة الهوة في الفكر والتطبيق، وجمهور المتأخرين من الجهاديّين عَلى حالة عداء وخصومة وتناحر معهم، نتيجة حالات القهر والخذلان كما سبق لإشارة لذلك.

- **مسألة العلمانيّة:**

كافّة الجهاديّين عَلى تكفير المذاهب العلمانيّة واعتبارها من مذاهب الإلحاد كما هو حال معظم قيادات وعلماء وجماعات الصّحوة الإِسْلَاميّة، قبل الموجة الأمريكيّة الأخيرة وموضة الاعتدال المصطنع، ولكن جمهور الجهاديّين عَلى اعتبار أتباع الفكر العلماني من عامة المُسلِمِين معذورين بجهلهم في حين يكفرون قيادات التّيارات العلمانيّة في العالم العربيّ الإِسْلَاميّ ويعتبرونهم من أئمة الكفر الطاعنين في دين الله.

- **مسألة القوميّة العربيَّة:**

كافّة الجهاديّين عَلى اعتبار دعوى القوميّة والتعصب لها، من دعاوى الجَاهِليَّة، والجهاديّون أمميون، يدعون إلى وحدة المُسلِمِين ونظامهم الشّامل، وبالتالي يذهب الكثير منهم إلى رفض مناهج الأحزاب القوميّة، لاسيما وأن كلها أو جلها يضم فكرة العلمانيّة إلى القوميّة، ويعتبر الجهاديّون الدعوات القوميّة من أسباب تمزيق الأُمّة.

- **مسألة الوطنيّة:**

كما في مسألة القوميّة ينبذ الجهاديّون فكرة القطريّة والوطنيّة والعمل في إطار التعصب للوطن ولاسيما أنها مزجت بالقومية والعلمانيّة، ولذلك فهم يعادون دعاتها ويعتبرونها من مذاهب الكفر والضلال.

وفي النقطتين السابقين شيء من التناقض في واقع الجهاديّين إذ أن غالب تنظيماتهم عملت عَلى أساس قطري محلي وأتسمت في بعض الأحيان بالغلو في ذلك، رغم أن الفكر لديهم يقوم عَلى أممية الإِسْلَام ودعوة الجِهَاد.

- **القضية الفلسطينية:**

يؤمن كافّة الجهاديّين، بل وعموم الصّحوة الإِسْلَاميّة بأن فِلَسطِين جزء من العالم الإِسْلَاميّ من النهر إلى البحر ومن الشمال للجنوب، وأنها حق واجب في عنق أجيال الأُمّة، وأن الجِهَاد فرض لاسترجاعها، وبهذا فهم يرفضون كافّة مبادئ الصُّلح والتطبيع والسَّلام مع اليَهُوْد، ويعتبرون أن جمهور الإسرائيليين باستثناء عدّة آلاف من اليَهُوْد الأصليين وأحفادهم، غُرَباء غزاة يجب أن يرحلوا، ويعتبرون السّلطة الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات مثلها مثل باقي الحُكُومَات المرتدّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، ولنفس الأسباب بالإضافة للخيانة.

- **مسألة الأقليات الدّينيّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ:**

يعتبر الجهاديّون أن هذه الأقليات وغالبها من النّصَارى يجب أن تعامل في حال قيام الدّولة الإِسْلَاميّة عَلى أسس أحكام أهل الذمة وما جاء منها في كتب الفقه لدى أهل السّنّة، ولا يعتبرون منهج المواطنة أساساً للتعامل معهم ولا مع من في حكمهم.

- **مسالة المُوَاجَهة مع أمريكا والصِّرَاع مع الغرب:**

لم تكن جميع التَّنظِيمات الجهاديّة، منذ نشأتها في الستينيات وإلى تاريخ بدء حملتها العسكريّة عَلى أفغانستان في نوفمبر ٢٠٠١ قد طرحت أو تبنت مسألة المُوَاجَهة العسكريّة مع الولايات المتحدة الأمريكيّة، وكانت كلها بلا استثناء تقريبا منصرفة لأهدافها الخاصّة في مُوَاجَهة حُكُومَات بلادها.

ورغم أن معظم أدبيات الجهاديّين قد أولت مسألة المُوَاجَهة معها حيزا في كتاباتها، ولاسيما بعد حرب الخليج (عاصفة الصَّحرَاء وإطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وبدء الحملة الدّولية الأمريكيّة عَلى الإِرهَاب، وكذلك بسبب دعم أمريكا للأنظمة الّتي تقمع الإِسْلَامِيّين والجهاديّين، إلا أن ذلك لم يعدوا الأدبيات إلى حيز التوجه الحَركيّ.

ولقد حاول الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن كثيرا، خلال الشوط الثّاني للأفغان العَرَب، إقناع الجهاديّين بالتّحول في العمل تجاه أمريكا (رأس الأفعى) كما كانَ يصفها، ولكن دون جدوى، فقد سيطر عليهم منهجيا فكرة الصِّرَاع مع المرتدّين الّذين يمثلون العدوّ الأقرب والأخطر والّذي يقف حائلا دون أي جِهَاد مع الأَعدَاء الخارجيين، كما سيطرت عليهم فكرة الجِهَاد لإقامة الحكم الإِسْلَامِيّ كمفتاح لحل كلّ الأَزمَات.

ولكن أحداث سِبتَمبر وتداعياتها عَلى الأرض ووصم الأمريكان للتيار الجهاديّ برمته ووضعه تحت مسمّى القَاعِدَة، ومطاردة الجهاديّين من كلّ الأجناس في سياق ما أسمته الحَرب عَلى الإِرهَاب، وتدمير معظم البنية التحتية للتيار الجهاديّ، وما كانَ من احتلال العراق بعد ذلك، منذ٢٠٠١ وإلى اليَوْم، وتتالي تداعيات الإنتفاضة، وإعلان بوش للحملات الصّليبيّة...إلخ، جعل التوجه العملي الأوحد للجهاديّين هو مُوَاجَهة أمريكا وحلفاءها الغربيّين.

وهكذا نجحت أمريكا في حمل الجهاديّين عَلى الإتجاه الصَّحِيح خلال وقت وجيز لينحصر اتجاه جميع أجنحته وبقاياه وبراعمه الناشئة في هذا الإتجاه.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال]

تاسعا: التّيار الجهاديّ وقعر الأزمة في نهايات القرن العِشرين ١٩٩٥- ٢٠٠٠م

كانت الصّحوة الجهاديّة قد خاضت مواجهات حقيقية وواسعة مع بعض الحُكُومَات خلال السَّبعينيَّات والثَّمانينيَّات حيث تكبدت فيها ضحايا كثيرة واتسعت فيها قاعدتها الشعبيَّة ودخلت في مطاردات أمنيّة ذات طابع استخباراتي، وكانت البوابة الأفغانية الّتي فتحت للجِهَاد منذُ سنة (١٩٨٤) أمام الصّحوة الإِسْلَاميّة عموما والجهاديّة خُصُوصَاً قد أغرت معظم قياداتها للذهاب إلى أفغانستان حيث خاضت تجربة فريدة خلال (١٩٨٤-١٩٩٢) وقد أسفرت العاصفة الأمنيّة الّتي نظمتها أمريكا

ونفذتها باكستان وتابعتها الدّول العربيَّة والأوربية بعيد سقوط الإتحاد السوفييتي وانتهاء حاجة أمريكا للظهير الإِسْلَاميّ في مُوَاجَهة الرُّوس، فانتشر معظم كوادر الجهاديّين والمطلوبين أمنيّاً في بلادهم نتيجة مصادماتهم مع حُكُومَاتهم في مجالات اللجوء السّياسيّ الّتي فتحت في أوربّا الغربيّة وما شابهها مثل كندا واستراليا وغير، أو في بلدان عربيَّة أُخرى لا تطالهم فيها أيدي حُكُومَاتهم لعدم قيام علاقات تعاون أمني آنذاك بين تلك البلدان، ولكن الإدارات الأمريكيّة المتوالية بعد حرب الخليج الثّانية (عاصفة الصَّحرَاء) وضعت خُطّة متكاملة لُمَوَاجَهة التّيار الجهاديّ اصطلح عليها بالمُوَاجَهة الدّولية لمكافحة الإِرهَاب والَّتي أوصلها بوش الابن لتكون حربا عالميّة حقيقية فيما بعد سِبتَمبر كما سنرى إن شاء الله.

وهكذا تتابعت المؤتمرات الأمنيّة الإقليمية والدّولية خلال ذلك العقد بمعدل لا يقل عن مؤتمر أو أكثر كلّ ستة أشهر فقد تطرق مؤتمر مدريد للسلام بين العَرَب واليَهُوْد من أجل التطبيع ١٩٩١ لمسألة الإِرهَاب وتفرغ مؤتمر شرم الشَّيْخ ١٩٩٤ لذلك، وتتابعت من بعد ذلك عشرات المؤتمرات العَالَمِيّة إلى الآن وقد حضرت الولايات المتحدة الأمريكيّة كلّ هذه المؤتمرات بما فيها الخاصّة بدول المتوسط (!) وكذلك إسرائيل ومعظم الدّول العربيَّة، وتتابعت مؤتمرات وزراء الداخليَّة العَرَب في تونس ولعبت السّعُودِيّة ووزيرها نايف بن عبد العزيز المتحمس بشراسة لمكافحة الإِرهَاب دورا بارزا، ويمكن اختصار برنامج مكافحة الإِرهَاب العَالَمِيّ خلال هذا العقد بالنقاط التّالية:

- **الخطوط العريضة للبَرَامج العَالَمِيّة لمكافحة الإِرهَاب ١٩٩٠-٢٠٠٠م:**

١- تجفيف المنابع المالية:

وقد تضمنت هذه الخطة فرض رقابة صارمة عَلى الموارد المالية للحركات الجهاديّة والأصوليَّة الّتي تصفها أمريكا وأذيالها من حُكَّام المُسلِمِين بأنها (إرهابية)، واتخذت قرارات وإجراآت لمراجعة الأرصدة في البنوك ومراقبة الحوالات البنكية ومصارف الزّكاة وأعمال اللجان الخيرية والمؤسسات الإنسانية الإِسْلَاميّة واتخذت قرارات في مصادرة أموال ومراقبة حسابات وتجميد أرصدة، أدخلت معظم الحركات الجهاديّة في حالة من الضائقة الشديدة وقلصت مواردها لحد كبير.

٢- استهداف القيادات والكوادر الجهاديّة بالقتل والأسر:

فقد افتتحت أمريكا هذه السّياسة باغتيال الشَّيْخ عبدالله عزام رَحِمَهُ الله باستخدام استخبارات (بنزير/ بوتو) ووزير داخليتها (بابر)، وكان قد سبقه قبل قليل حادثة وفاة الشَّيْخ (تميم العدناني) في أمريكا في ظروف غامضة، ثمّ اغتيل واختطف عدد من قيادات الجِهَاد المصري والجماعة الإِسْلَاميّة من بعض الدّول، ثمّ اغتيل أنور شعبان أمير المُجَاهدين العَرَب في البوسنة واختطف أمير الجماعة الإِسْلَاميّة (طلعت فؤاد قاسم) من كرواتيا وكان لاجئا في الدانمرك ونقلته مروحية أمريكية إلى سفينة في المتوسط حيث اختطف إلى مصر ثمّ اعتقل الدكتور عمر عبد الرَّحْمٰن في أمريكا ولفقت له تهم مضحكة ليحكم بالسّجن أكثر من ٢٠٠ سنة وطالت الحملة كوادر جهاديّة في فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وسواها وطال السّجن حتَّى علماء ورموز تؤدي دعوتهم إلى إحياء الجِهَاد بصورة غير مباشرة في الدّول العربيَّة فاعتقل علي بالحاج في الجَزَائِر واعتقل الشَّيْخ (سفر الحوالي) والشَّيْخ (سلمان العودة) ونحو عشرة آخرين من كبار علماء الصّحوة في السّعُودِيّة واختُطف جهاديّون من دول متعددة من اذربيجان وتايلند والفلبين وبعض الدّول العربيَّة وباكستان وأُودعوا السّجون أو لفهم المصير الغامض، وبدا أن الأمر يسير نحو عاصفة أمنيّة حقيقية.

٣- اتفاقيات التسليم وتبادل الإِرهَابيين (الجهاديّين) بين الدّول المختلفة:

فعلى اعتبار أن الدّول العربيَّة ومعظم الإِسْلَاميّة لا تكن اعتبارا لحقوق إنسان ولا شرعيّة لقانون. فقد كانت خُطّة تسليم كلّ مطلوب أمني إلى بلاده أنجع السّبل في تفكيك الجماعات الجهاديّة واستهلاك كوادرها وعناصرها، وهكذا تبادلت الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة فيما بينها كثيرا من المعتقلين الجهاديّين الّذين سلموا إلى المصير المجهول في بلادهم، بل ارتكبت بعض الدّول الغربيّة الّتي تزعم احترام تلك القوانين والحقوق مثل هذه الأعمال وسلم إخوة أبرياء وأسرهم في بعض الأحيان إلى بلادهم.

٤- إلغاء الملاذات الآمنة:

كانَ أول من أعلن هذا الإجراء بهذه الصيغة الرَّئيس كلينتون سنة ١٩٩٥، حيث ابتدأت حملة مطاردات أمنيّة للجهاديّين في أوربّا ومختلف دول العالم، وكان معظم كوادر الأفغان العَرَب والتّيار الجهاديّ قد توزعوا في بعض البلاد الأوربية كلاجئين أو استقروا في السُّودَان أو اليمن أو إيران أو تركيا، واستقر بعض الجهاديّين من شمال أفريقيا في سوريا والأردن فيما بقي البعض في باكستان والقليل منهم في أفغانستان، فابتدأت حملة الضغط الأمريكيّة منذُ عهد كلينتون تحت هذا العنوان، فطرد الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن والجهاديّين المصريين والليبيين ومعظم الباقين من السُّودَان وسلمت الحكومة السُّودَانية (الإِسْلَاميّة)! بزعامة البشير والترابي أخوة ليبيين إلى بلدهم ليعدموا ! وطردت اليمن الجهاديّين تحت تهديد اعتقال نسائهم وتوسطت قيادات إسلاميّة وقبلية واتفقوا مع الحكومة اليمنية عَلى طرد الإخوة بنسائهم وأطفالهم، وقبضت سوريا والأردن وتركيا عَلى أخوة جهاديّين وسلمتهم لبلادهم وفر الباقون وتولى الأمريكان إخراج المُجَاهدين العَرَب من البوسنة ونزع سلاح من بقي منهم بعد أن أراقوا دماءهم في سبيل إخوة العَقِيْدَة والدّين، وتولت حكومة البوسنة بنفسها اغتيال قياداتهم! وهكذا ضاقت عَلى المُجَاهدين الأرض بما رحبت، منذُ عام (١٩٩٥) وخلال ما تلاها من أعوام.

٥- نقل مجالات التّعاون الأمني من الإقليمي إلى الدّولي:

فقد عقدت الاتفاقيات الأمنيّة الدّولية ذات التفاصيل العمليّة المعقدة ووضع بَرَامج لمتابعة الاتّصالات الروتينية وربط أجهزة الإستخبارات عَلى مستوى المعلومات والاتّصالات بخطط تعاون عالية الكفاءة.

٦-التوسع في تشريعات مكافحة الإرهَاب:

فقد قامت الدّول الغربيّة وأمريكا بتعديل الكثير من تشريعاتها وسن قوانين أسوأ من القوانين العرفية المعمول بها في العالم الثّالث لتصفية مجالات اللجوء السّياسيّ وحقوق الأجانب وتوسيع قوانين مكافحة الإِرهَاب حتَّى شملت في بَرِيطَانيَا وفرنسا والدّول الإسكندنافية حيث أعرق الديمقراطيات الغربيّة مجالات الكتابة والنقد وخطب الجمعة التّحريضية ضدّ الحكّام الديكتاتوريين لتعتبر جرائم!

في هوامش ونصوص قانُونيّة غير محددة قابلة للتفسيرات والتأويلات بحسب أهواء أجهزة الاستخبارات والقيادات الصّليبيّة الحاقدة.

٧- الحَرب الإعلاميَّة من أجل تشويه المُجَاهدين عزلهم:

منذ انطلقت الحملة الأمنيّة والعسكريّة لمكافحة ما أسموه (الإِرهَاب)، انطلقت معها جنبا إلى جنب حملة إعلاميَّة ودعائية لتشويه الجهاديّين ومبادئهم وممارساتهم بإظهارهم عَلى أنهم مجرد قتلة متعطشون للدماء، ومتشددون دينيون لا يحملون رسالة التسامح والحوار، إلى آخر التهم، وقد خرجت الحملة الإعلاميَّة بين الجهاديّين والتكفير لعزلهم عن جماهيرهم، وقد لعبت المؤسسات الدّينيّة الرَّسميَّة المتحالفة مع الحُكُومَات في بلاد العَرَب والمُسلِمين أخبث الأوار وزودت هذه الحملة العَالَمِيّة بأفتك أسلحتها، كما لعب الطفيليون من أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة (الدِّيمقراطيَّة) الّذين صاروا خلال ذلك العقد جزءا من الملأ وحاشية السّلاطين وبالتالي جزءا من مكوّنات النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد دورا بالغ السوء، كما سنأتي عَلى شيء من التفصيل في الفَصل الخاص بالصّحوة الجهاديّة إن شاء الله.

وهكذا أسفرت هذه الحملة العَالَمِيّة لمكافحة الإِرهَاب بقيادة أمريكا عن تحويل قيادات وكوادر وعناصر الحركات الجهاديّة إلى عناصر تعيش هاجس (الخوف والجوع)، فالمطاردات والاغتيالات والخطف والأسر وإغلاق الملاذات، أدخلت أفراد الصّحوة الجهاديّة في هواجس الخوف والمطاردة. وتكلفت خطط تجفيف المنابع بقطع أرزاقهم وقوت أسرهم وأطفالهم الّتي جابت معهم مشارق الأرض ومغاربها مشتته تكتوي بنيران هذا الأخدود المعاصر للمؤمنين.

ثمّ جعل الله لتلك الثلة من المُؤمِنِين فرجا إلى حين في قيام الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان فغدت مهجرا تجمع فيها خُلاصة التّيار الجهاديّ قيادة وقاعدة خلال الفترة ١٩٩٦-٢٠٠١، ولذلك تركز برنامج مكافحة الإِرهَاب عَلى ضربها وتدميرها وتدمير الأرضية الّتي آوتها ممثلة بحركة طالبان وأمير المُؤمِنِين (ملا محمّد عمر)، وهذا ما نفذوه في سِبتَمبر ٢٠٠١ لتبدأ المَرحَلَة التّالية من مسار الصّحوة في عالم ما بعد سِبتَمبر كما سنرى إن شاء الله.

وقد فاقمت هذه الأوضاع والأزَمَات الخارجيّة المحيطة التّيار الجهاديّ بالإضافة لأزَمَاته الداخليَّة عَلى مستوى التّيار عامة والخاصة بكل تجربة بحسبها في قطرها، وبدأت تلك الأزَمَات تتضح شياً فشيئاً للجميع بعد أن كانَ نذرها قد بدت للبعض منذُ مطلع التسعينات ومنذ انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، ويمكن إيجاز تلك الأزَمَات بما يلي:

١- الأزَمَات الأمنيّة:

فقد أدى انتقال مستوى مكافحة الجماعات الجهاديّة من المستوى القطري إلى الإقليمي إلى العربيّ إلى الدّولي، أدى إلى حصار تلك التَّنظِيمات وإنزال خسائر فادحة بها وإجهاض معظم أساليب عملها واتصالاتها وتمويلها، فقد كانت معظم قيادات التَّنظِيمات الجهاديّة العاملة في بلدها إذا ضاق بها الحال أمنيّاً في بلدها نتيجة عمليَّات الاعتقال والتعذيب وفشل التَّنظِيمات الهرمية في الصمود أمام وسائل أجهزة الأمن الوحشية في الاعتقال والتحقيق وإجهاض العِصَابات محلياً، كانت تخرج إلى دول الجوار مستفيدة من هوامش أجواء الخلاف بين أنظمة الحكم في تلك الدّول، وقد استطاعت كثر منها أن تحصل لنفسها وقياداتها عَلى هامش ملاذ آن بل قواعد حركة ودعم أحياناً، لقضيتها من قبل الدّول المجاورة، وقد ميز هذا مرحلة (١٩٧٥-١٩٩٥) فقد لجأت الطليعة المقاتلة في سوريا وكذلك تنظيم الإخوان المُسلِمِين خلال مواجهتهم لنظام حافظ أسد النصيري إلى العراق منذُ وقت مبكر ثمّ لأردن، ولاقت هناك دعماً كبيراً من حكومتي البلدين، وصل إلى حد التّدريب والتسليح والدعم المادي وتسهيل العبور عَلى الحدود، كما غضت تركيا الطّرف عنهم كذلك واتخذوا من أراضيها مجالا للحركة والاتّصالات، واستطاع البعض ولو بحدود أقل بكثير الحصول عَلى موطئ قدم لهم في لبنان وإن كانَ بشكل محدود نتيجة سيطرة سوريا عليها، بل وصل دعم الجِهَاد في سوريا إلى أن تدعمه مصر في آخر عهد أنور السادات وتقدم خدمات في مجال التّدريب كانت ستتطور لو لا مقتل السادات عَلى أيدي الجهاديّين سنة ١٩٨١.

كما حصلت بالمقابل تنظيمات عراقية معارضة معظمها من الشّيعة عَلى مثل ذلك في سوريا.



واستطاع الجهاديّون من مصر أن يتحركوا في معظم دول المنطقة بحرية وأن يتخذوها قاعدة اتصالات وتحصيل دعم بدءاً من دول الخليج ومروراً بسوريا والأردن واليمن وغيرها، ولم يجدوا أي مطاردة.

ومثل ذلك تحرك المطاردون من ليبيا في دول الجوار، وتلقى الجهاديّون في المغرب دعماً في ليبيا وتحركوا في المنطقة بحرية، وعبر الجهاديّون في الجَزَائِر من المغرب واتخذوها معبراً للسلاح والمقاتلين واستراحات الجرحى والمقاتلين، كما تحرك تنظيم الجِهَاد المصري من السُّودَان ١٩٩٠- ١٩٩٧واتخذ له مواطئ قدم في اليمن مع تنظيمات جهاديّة أُخرى، وتلقى بعض عناصره التّدريب في لبنان في مُعَسْكَرَات حزب الله، واستطاعت قيادات من الجماعة الإِسْلَاميّة أن تتخذ من إيران ملجأ وملاذاً، إلى آخر ما هنالك من الأمثلة.

ولم تقتصر تلك الهوامش عَلى الجهاديّين والإِسْلَاميّين، فقد استفادت معظم المعارضات السّياسيّة في تلك الحقيبة من هذه الهوامش، وكذلك التَّنظِيمات الفلسطينية القوميّة والوطنيّة والإِسْلَاميّة، ولكن بعد سقوط النّظام العَالَمِيّ القديم وسقوط الإتحاد السُّوفيتيّ وحلف وارسو، لم يعد هناك محاور صِرَاع وصار السيد الآمر لتلك الأنظمة واحداً وهو أمريكا، ولم يعد هناك هامش بين سيِّدَيْن شرقي وغربي، وتوجهت الأوامر من السيد الجَدِيد والقطب الأوحد لتلك لأنظمة بإغلاق تلك الملاذات، فبدأت تغلق شيئاً فشيئاً، وتولي كبر التنسيق الأمني العربيّ الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخليَّة السّعُودِيّة وأنشأ مؤتمر وزراء الداخليَّة العَرَب، وجعل مقره تونس، وصار لوزراء حرب الله ورسوله والمُؤمِنِين (وزراء الداخليَّة) لقاء كلّ ستة أشهر، وصار لمعاوينهم لقاءات دائمة وصار لرؤساء استخباراتهم خطوط هواتف حمراء مفتوحة، وارتفع مستوى التنسيق ليصل إلى مستوى ربط (أرشيفات) المعلومات عبر الكومبيوتر، وصارت مطاردة الجهاديّين عَلى المستوى الإقليمي بين بعض الدّول، ثمّ ما لبثت أن تحولت إلى المستوى العربيّ، فابتعدت القيادات الجهاديّة والكوادر المطاردة بمراكز عملها إلى المستوى العَالَمِيّ بعد انهيار الجِهَاد في أفغانستان، واتخذت تلك التَّنظِيمات المختلفة أسلوبا مطوراً للعمل عبر



الملاذات الآمنة البعيدة ولاسيما من مناطق اللجوء السّياسيّ في الغرب وبعض الدّول الأوروبية، حيث كانت قوانين الحريات الشَّخصيَّة تشكل سياج حماية للناشطين الإِسْلَاميّين والجهاديّين.

ولكن الضغوط الأمريكيّة ومطالبات الحُكُومَات العربيَّة والإِسْلَاميّة ودخول عموم الدّول الأوروبية وغيرها في ركاب الحملة الأمريكيّة الّتي تصرفت مثل ما يتصرف (مايسترو) فرقة موسيقية (سيمفونية) كبرى في كفاح الصّحوة الإِسْلَاميّة، وطليعتها الجهاديّة جعل تلك الهوامش تلغى واحدة تلو الأخرى وتدخل أجهزة أمن تلك الدّول في هجمة المطاردات أيضاً، مما جعل كثيراً من الرموز يسقطون أسرى ومعتقلين، وسلم بعضهم لبلادهم وغادر من نجى إلى أفغانستان مع نهايات ١٩٩٦.

ولم تنته الأزمة الأمنيّة لأن أفغانستان الّتي شكلت ملاذاً، صارت مشكلة جديدة أيضاً، ومنطقة حَجْرٍ عَلى الحركة والنَّشَاط يسبب سياسة طالبان من نشاطهم كي لا تزداد الضغوط عليهم وأصبحت مكاناً للإقامة الجبرية، حيث يُتخطّف النّاس من حولها عند كلّ محاولة للحركة، وقل من نجى من تلك المصائد من المطاردين، ولم تقتصر مسألة إلغاء الهوامش في عالم النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد عَلى الجهاديّين وتنظيماتهم، فقد تعدى ذلك إلى كافّة التَّنظِيمات الّتي تمارس حُرُوب عِصَابات سرية في مختلف أنحاء العالم، وهكذا سلم (عبدالله أوجلان) زعيم حزب العمال الكردستاني إلى حكومة أنقرة، وأُسدِل الستار عَلى حرب عِصَابات استمرت أكثر من عشرين سنة ضدّ تركيا، لأن النّظام العَالَمِيّ أغلق أمامهم ملاذات سوريا والعراق ولبنان، واضطر زعيمهم للترحيل ثمّ اعتقل بجهود دولية شاركت في حتَّى (اليونان)، عدو تركيا.

كما وجد (الجيش الجمهوريّ الإيرلندي) نفسه مضطراً لتسوية سياسيّة وإلى إلقاء السّلاح.

وتقهقرت عِصَابات (الباسك) ومنظّمة (إيتا)، بعد أن أغلقت فرنسا الملاذات الضيقة عنها، فطُورِد قادتها في أوروبّا وأمريكا اللاتينية وغيرها.

وهكذا بدأ ذو الخبرة من الجهاديّين يكتشفون أن عالم النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد الّذي بدأ يعد سقوط الإتحاد السُّوفيتيّ قد ألغى إمكانية الثورات القطريّة والعمل من خلال الهوامش، فقد صار العالم الجَدِيد أحادي القطب سيداً واحداً يفرض عَلى الدّول إغلاق الهوامش، وخاصة في وجه الأصوليين

من المتطرفين الإِسْلَاميّين أو الإِرهَابيين كما صار اسمهم في وسائل الإعلام، وأدرك الفاهمون منهم أن نظريَّة الحركة الّتي أقاموا عليها أعمالهم قد تحطمت مع معطيات هذا العالم، فضلاً عما كانت السَنَوات العشر هذه قد أثبتت فشل الثورات القطريّة الّتي أديرت من قبل قيادات غير ميدانية تديرها من المهجر، لعدم إمكانية إدارتها ميدانيّاً نتيجة عمليَّات البطش والاعتقال والتعذيب الّتي فعلتها الحُكُومَات بلا حسيب ولا رقيب.

٢- الأزَمَات المالية:

فقد أدت سياسة تجفيف المنابع الّتي فرضتها أمريكا ونفذتها كافّة دول العالم وعلى رأسها الأنظمة القائمة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ إلى وقف معظم طرق الإمداد المالي من التبرعات الّتي كانت شريان الحياة الوحيد لاستمرار عمل تلك التَّنظِيمات، ولاسيما عندما فرضت دول الخليج بناءاً عَلى أوامر أسيادها سياسات الرقابة عَلى طرق الزّكاة وأموال الصدقات والتبرعات، وأعمال الجَمعِيّات الخيرية، وفرضت عَلى البنوك وأنظمة تحويل الأموال رقابة صارمة كما عَلى فعلت مع البنوك العَالَمِيّة، وطبقت أمريكا والدّول الغربيّة سياسات صارمة لمنع وصول أي أموال إلى التَّنظِيمات الجهاديّة أو الجَمعِيّات المتهمة بدعم التطرف كما أسموه، وهكذا حصرت معظم قيادات الجهاديّين في أفغانستان، وتركوا وراءهم مئات أو آلاف الأُسَر من الّذين اعتُقِل مُعيلُوهُم ولم يتركوا لهم من يقوم بأمرهم.

كما وجدت الخلايا المتبقية في تلك البلاد نفسها في ضائقة مالية مقطوعة عن قياداتها المشردة ليس فقط تنظيمياً وإداريّا وإنّما ماليّاً كذلك، فشلت عن إمكانيّة الحركة والنماء.

٣: الأزَمَات التَّنظِيمية الداخليَّة:

نتيجة الأزَمَات الأمنيّة والمالية تحولت معظم القيادات الجهاديّة إلى قيادات مهاجرة مشردة مقطوعة عن ساحة عملها، وولّد هذا أزَمَات تنظيمية كثيرة، فقد سبب ذلك شلل في الإدارة وعدم ديناميكية في الحركة، وأدت هذه المشكلة مع المشكلة الأمنيّة في الداخل والخارج بالإضافة للمشكلة المالية جراء تجفيف المنابع، إلى توقف معظم التَّنظِيمات الجهاديّة عن النمو البشري في داخل ساحات عملها، فأصبح عددها محدوداً وصارت تنفق خسائرها البشرية في الداخل والخارج من مخزون محدود،

فسارت نحو الانقراض، كما أدت الظّروف الأمنيّة وحالات الاختفاء لمن تبقى بالداخل وفرار معظم الكوادر والقيادات القادرة عَلى التوجيه، إلى توقف بَرَامج التّربية والتكوين للعناصر المتبقية أو القليلة الملتحقة بتلك التَّنظِيمات، فلا تجنيد عملياً، ولا بَرَامج تربية ولا إعداد للمجندين، ولأن الأزَمَات والهزائم تولد عادة أحوال: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ۝٣٠﴾ [القلم: ٣٠]، ولأنه وكما قَالَ عمر رضي الله عنه: [**إن هذه الأيدي خلقت لتعمل وإنها إلا تجد لها في الخير عملا وجدت لها في الشر أعمالا**]، بدأت تتفشى ظاهرة الانشقاقات.

إذ حسب بعض اليافعين وبعض قيادات الدرجة الأولى أو الثّانية في التَّنظِيم، أن السبب في حالات الجمود والعجز هو من عجز القيادات القائمة في التَّنظِيم، ولم يدركوا أن مشكلة قوادهم هو حظهم العاثر في قيادة تنظيمات (قطرية سرية هرمية) في زمن النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، خارج سياق التّاريخ، وخارج جغرافية الأُمّة، فقد فرض النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد معطياته، وصارت الأزَمَات أكبر من أن تحل، لقد انهار نظام العمل نفسه، ولم يعد صالحاً، ولكن أولئك المنشقين ظنوا أن بإمكان عَطَّارِهم أن يصلح ما أفسد الدهر، فحصلت انشقاقات عديدة وظهر ما أسميته في بعض المحاضرات ظاهرة (التَّنظِيمات الأميبية)، من كثرة الانقسام والتشظي، حتَّى لحق ذلك تنظيمات وجماعات وليدة كانت تنقسم وتنشق عَلى نفسها من مراحلها الأولى !! وحصلت هذه الانشقاقات في الداخل في ساحات المُوَاجَهة الأصليّة للتّنظيمات وكذلك في ساحات الخارج، وهكذا لم يَعُد لأشهَرِ تلك التَّنظِيمات من إمكانيَّات، منذُ مطلع التّسعينيَّات وخاصَّةً منذُ ١٩٩٥م.

إلّا أن تصدر بعض النشرات المنخفضة المستوى في كلّ منحى، والمحدودة الانتشار في كلّ اتجاه، وتحولت إلى تنظيمات إعلاميَّة سيئة الأداء إعلامياً في غالب الأحيان، ولم يكن يسير عملياً في ساحة الجِهَاد، إلا أحداث الجَزَائِر المروعة الّتي ألحقت بفريضة الجِهَاد والتّيار الجهاديّ أذى لا يقدر حجمه، حيث صارت تلك التَّجربة حقل تجارب للاستخبارات الجَزَائِرية والعربيَّة والغربيّة، كما فصلت ذلك في كتابي (شهادتي عَلى الجِهَاد في الجَزَائِر ١٩٨٩-١٩٩٦).

٤. الأزَمَات الفكريّة:

يعود وضع الأسس الفكريّة للتيار الجهاديّ كما أسلفنا إلى منتصف الستينات حيث وضع أسَّسَها الشَّيْخ سيد قطب رحمه الله، ولم تضف مختلف الإضافات الّتي كتبت في إطار مكتبة الإخوان المُسلِمِين أي جديد عمليا، وكانت مجرد تكرار وتفاسير وإعادة صياغة، ولم تكن في معظمها ذات نفس جهاديّ، ويمكن تسجيل ما كتب من التفصيلات الفقهيّة السّلفيّة، عند ما طرح فقه الإِمَام ابن تيميَّة كأساس للفقه الجهاديّ عَلى يد تنظيم الجِهَاد والجماعة الإِسْلَاميّة في مصر، كحلقة فكريّة ثانية في أواخر السبعينات، وكانت الإضافة الثّالثة ما طرحته مكتبة الأفغان العَرَب أواخر الثمانينات، وكان عملياً تكراراً للفكر القطبي الحَركيّ، والفقه السلفي من تراث المدرسة الوهابية ولم تحتوِ تلك المكتبة رغم شموليّتها مفاهيمًا هامة يمكن أن تكون تطويراً يتناسب مع ما استجد من أحوال وما طرح من إشكاليات فكريّة وثقافية واجتماعيَّة وسياسيّة في العَالَمَيْن العَرَبي والإِسْلَاميّ بعد قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وبدأت ملامح أزمة فكريّة في التّيار الجهاديّ.

كانَ عَلى رأس تلك الأزَمَات الفكريّة ؛ أن أيا من التَّنظِيمات الجهاديّة لم تقدم في أدبياتها مشروعاً متكاملاً عَلى مختلف الصعد السّياسيّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة لبرنامجها لتغييري، وبدت للجماهير ولاسيما للقطاع المثقف من الأُمّة وكأنها تسبح في الماضي في معزل عن مشاكل الأُمّة المعاصرة، وكان فقه الواقع مغيباً في طروحاتها وأدبياتها إلى حد كبير، ولم يحظ الواقع العربيّ والإِسْلَاميّ وإشكالاته نتيجة الجمود الّذي طبع عموم المدرسة السّلفيّة المعاصرة - الجهاديّة السّلفيّة - كجزء منه، وكان ثاني أكبر الأزَمَات هو التداعيات غير المنضبطة لطريقة الفقه السلفي لدى طلاب العلم الشَّبَاب من الجهاديّين، فقد سيطر في الصنف الثّاني من التسعينات فقه التشدد والتزمت وبسبب جهل بعض المتسلقين عَلى التّيار الجهاديّ لغياب الكُتَّاب الأُصلاء فيه في تلك المَرحَلَة، وبسبب تفشى المنشورات التكفيرية عَلى هامش التّيار الجهاديّ والسلفي، واستغلال أجهزة الاستخبارات ذلك وتضخيمها لتلك النتوءات، حيث بدأ الهامش الواضح والجدار الفاصل بين الفكر الجهاديّ والفكر التكفيري يتضاءل أمام جمهور المُسلِمِين في تلك المَرحَلَة، (وهذه إشكالية سآتي عَلى تفصيلها في نهاية الفَصل السَّابع والأخير من الجزء الأوّل إن شاء الله).

ولم تتح الظّروف الأمنيّة الحرجة لكبار الجهاديّين ورموزهم أن يتحركوا في ظروف مريحة تمكنهم من الكتابة والردود عَلى تلك الظَّاهِرة الخطيرة، كما سبب التحاق الكثير من العناصر الجَدِيدة في بؤر تواجد الجهاديّين، ومعظمهم من شباب الواقع العربيّ المثقل بالإشكاليات والضغوطات النّفسية، مع عدم توفر ظروف مواتية للتربية الفكريّة إشكالية كبيرة، حيث سادت أجواء التطرف والجهل في أوساط الكثيرين من أتباع الجهاديّين خلال تلك الفترة، ولاسيما في مختلف الملاذات في أوروبّا وبعض البلدان كاليمن وباكستان وغيرها.

أما الإشكاليات الفكريّة الأخرى فكانت في عدم تمكن الجهاديّين من تحديد مفاهيم محددة وتفاصيل واضحة، لمصطلحات ومسائل هامة طرحت بسبب مشروع المُوَاجَهة الجهاديّة مع الأنظمة الجَاهِليَّة ومن ذلك:

المفهوم الشَّرعيّ للجماعة الجهاديّة في قطرها، وهل هيَ بمثابة جماعة المُسلِمِين ؟! ومسألة مشروعية تعدد الجماعات الجهاديّة في القطر الواحد ! وإن كانَ ذلك غير مشروع كما اعتقدت كثير من تلك الجماعات ! فما مشروعية تعددها إذاً في بلدان متجاورة أقيمت الحدود بينها من قبل الأَعدَاء أصلاً ؟! وقد تطرف البعض من الجهاديّين إلى الزعم بالحق في تصفية أي محاولة جديدة لإيجاد جماعة جهاديّة في بلد توجد فيه جماعة جهاديّة، حفاظاً عَلى وحدة صف الجِهَاد !!

كذلك مسألة البيعة في التَّنظِيمات ؛ وتفاصيل قيامها وحلها وتبعاتها من الحقوق والواجبات، فقد ذهب البعض إلى أنها مجرد عهد أو أقرب للقسم يتحلل معطيها من تبعاتها متى أراد ذلك، ويكفيه عَلى أبعد حد صوم ثلاثة أيّام كمن تعذر عليه وفاء النذر، في حين ذهب البعض إلى أن بيعة التَّنظِيم مثل بين الإِمَام الأعظم لا يمكن للعنصر أن يخرج منها إلا أن يرى كفراً بواحا عنده فيه من الله برهان!!

وكذلك مسألة الشورى والإمارة في التَّنظِيم: وحقوق الأمير وطريقة تعينه، ومدة ولايته، وطرق تغيره، وحقوقه وواجباته، وكذلك موضوع الشورى، وطريقة اتخاذ القرار في التَّنظِيم، وعلاقتها بصلاحيَّات الأمير، والهيكليات المؤسساتية في الجماعة الجهاديّة وطرق إدارتها لاسيما في ظروف المطاردات الأمنيّة.

كذلك إشكالية المناهج السّياسيّة الشّرعيّة والفكريّة الّتي يختارها التّنظيم: مع عدم وجود الكوادر القادرة عَلى وضعها في معظم الأقطار، واستيراد ذلك من أفكار تنظيمات مجاورة.

بالإضافة لإشكالية متفرعة عن المناهج، وهي إشكالية مناهج التّربية وآليات تطبيقها عَلى العناصر الجدد، وما توجده الحالة الأمنيّة والسرية من إشكاليات لتنفيذ أي بَرَامج تكوين وتربية.

إلى آخر ذلك، حيث لم تستطع التّنظيمات الجهاديّة نتيجة الظّروف الأمنيّة والمطاردات، وقلة الكوادر القادرة عَلى التنظير، وشبة انعدام وجود علماء أو حتّى طلاب علم شرعيين أكفاء، لم تستطع أن تحسم تلك الإشكالات والأزَمَات الفكريّة، وانعكست بالتالي هذه الأزَمَات الفكريّة في كثير من الأحيان عَلى شكل أزَمَات تنظيمية أضافت مزيداً من الاختناق لسلسلة أزَمَات الجهاديّين في العقد الأخير من القرن العِشرين.

٥: أزَمَات سياسيّة وإشكاليات في العلاقات العامّة:

وسط الصّحوة الإِسْلَاميّة وكذلك مع أوساط المعارضات السّياسيّة العلمانيّة، حيث وقفت معظم أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة من صِرَاع الجهاديّين مع السُّلطات المرتدّة القائمة، موقفاً يتراوح بين الحياد والوقوف موقف المتفرج، وبين السلبية والعداء للجهاديّين وتأييد مواقف الحكّام الطغاة، بدافع الحفاظ عَلى مصالحهم الحزبية أو الشّخصيَّة !!

ونتيجة العقليَّة الثّوريّة لمعظم الجهاديّين وطبيعة الانفعال وردود الأفعال عَلى الحصار اتسمت ردود أفعال الجهاديّين عَلى أوساط الصّحوة وقياداتها وكبار علماء المُسلِمِين في كثير من الأحوال بالتشنج والعنف، وقد كانَ لردود الأفعال هذه ما يبررها في معظم الأحوال، تجاه قادة صَحوَة وعلماء يصفقون للكفر الحاكم ويمتدحونه، ويبررون الإحتلال وغزوات الصّليبيّين بدعوى الضَّرورة والاستعانة، ويجوزون التطبيع مع اليَهُوْد، أو يقفون من ذلك موقف البلادة والتفرج واللامبالاة !!

ولكن واقع الحال وبصرف النَّظر عن تبريره أو عدم ذلك، فقد كانَ واقع الحال هو عزلة الجهاديّين في أوساط الصّحوة، ولم يستطع قيادات الجهاديّين إلا بعضهم وفي حالات نادرة الحفاظ عَلى علاقات سياسيّة وطبيعيّة مع أوساط الصّحوة، ودخلت الأدبيات الجهاديّة في ذلك العقد القاتم من

الأَزَمَات (١٩٩٠-٢٠٠٠)، دخلت في معارك إعلاميَّة ومهاترات مع مختلف أوساط الصّحوة وأحزابها ورجالاتها.

وقل مثل ذلك وأشد منه عن أزمة العلاقات بين الجهاديّين وبين أوساط المعارضات العلمانيّة الوطنيّة والقومية واليسارية في العالم العَرَبي والإِسْلَاميّ، فقد قامت علاقة الجهاديّين بأولئك عَلى أساس قاعدة التَّكفِير والعداء، كما هو حال معظم أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة مع الوسط العلماني ولاسيما في العالم العربيّ، ورغم أن معظم تلك القطاعات العلمانيّة وأحزابها ورجالها قد عانت وما زالت تعاني من قمع الحُكُومَات، وتقع مع الإِسْلَاميّين والجهاديّين في خندق الاضطهاد، وكان بالإمكان أن يكسب الجهاديّون منهم بعض الشخصيات المعتدلة تجاه الظَّاهِرة الدّينيّة، أو حتَّى جرهم لميدان الحياد، إلا أن التشنج من جهة، والتوجس من جهة، وعدم الثقة والعداء التّاريخي من جهة أُخرى، بالإضافة إلى عدم وجود الكوادر السّياسيّة المؤهلة في قيادات التّيار الجهاديّ لإقامة مثل ذلك الحوار، وقيام قاعدة التّواصل لدى الجهاديّين عَلى المفاصلة مطلقا دون اعتبار لهوامش فن الممكن، وإنما عَلى قاعدة (حمل السلّم بالعرض) في سوق ازدحمت فيه الجماعات والشخصيات والبَرَامج والمناهج.

كلّ هذا أسفر عن حشد أكبر كمية من الأَعدَاء في مُوَاجَهة الظَّاهِرة الجهاديّة، وقد فاقم هذا من الأَزَمَات والحصار، ليسفر مع كلّ ما سبق من الأَزَمَات عن الأزمة الشّاملة، وعنوان ونتيجة كلّ تلك الأَزَمَات هو الأزمة التّالية:

أزمة الفشل في تحقيق الهدف وثبوت عقم الوسيلة:

كانَ هدف جميع التَّنظِيمات الجهاديّة الّتي تحركت منذُ الستينات وإلى انصرام القرن العِشرين هو باختصارٍ: (إسقاط الحُكُومَات المرتدّة القائمة في بلادها، وإقامة النّظام الإِسْلَاميّ وتحكيم الشّريعة عَلى أنقاضه).

وأما وسيلتها في ذلك فكان العمل المُسلّح ضدّ تلك الحُكُومَات عبر تنظيمات ؛ (قطرية المجال – سرية الأسلوب – هرمية البناء).

وباختصار أوصلت التَّجَاربُ الجهاديّينَ عبر نصف قرن من المحاولات، ولاسيما بعد تفاقم أزَمَات العقد المنصرم إلى الفشل في تحقيق تلك الأهداف، وثبوت عقم تلك الوسيلة لأسباب كثيرة، أسباب أغلبها خارجي، نتيجة تكالب قوى الكفر العَالَمِيّة والردة المِلِّيَّة عليها، ونتيجة وقوف أكثر علماء الأُمّة إما في مواجهتها مثل ما فعلت جبهة علماء السُّلطَان، وإمَّا موقف المتفرِّج الّذي لا علاقة له في ذلك الصِّرَاع، وكذلك نتيجة إعراض عامة الشّعوب الإِسْلَاميّة عن القيام بواجبها في مُوَاجَهة كلّ أمواج الظُّلم والظُّلمات الّتي طغت عَلى واقع المُسلِمِين، بالإضافة للإشكالات والأزَمَات الداخليَّة الّتي ابتُلِيَت بها التَّجَارب الجهاديّة.

وهكذا فشلت كافّة التَّجَارب كما مر معنا في الاستعراض التّاريخي لأهم تلك المحاولات، فشلت جميعها في تحقيق ذلك الهدف، وكان آخرها فشلا التَّجربة الجَزَائِرية الّتي ختمت وبشكل مأساوي تلك التَّجَارب، كما أثبتت الوسيلة وهي (التَّنظِيمات القطريّة السرية الهرمية) عقمها، وعدم إمكانيتها في تحقيق ذلك الهدف، ولاسيما بعد ما قام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، الّذي أوصل أساليب تلك الوسائل للانهيار وجعلها من مخلفات الماضي، في عالم العولمة، الّذي عَولَمَ عمليَّة المُوَاجَهة وجعل تلك الأساليب والمحاولات والأهداف وتكتيكاتها من أرشيف التّاريخ.

- **المتنفس في رحاب طالبان والإمارة الإِسْلَاميّة(١٩٩٦-٢٠٠١) والفرصة الضائعة:**

اجتمع في أفغانستان في ظل طالبان منذُ مطلع ١٩٩٧ عدد لا بأس به من أبرز كوادر التّيار الجهاديّ من قيادات التَّنظِيمات والشخصيات التارِيخِيَّة وطلاب العلم وأصحاب الخبرة والرّأي والدراية فيه من مختلف الأقطار العربيَّة، وكان جو الأمن والبحبوحة والاسترخاء وكل معطيات الأجواء المناسبة فرصة تارِيخِيَّة وذهبية لكي يتفكر أولئك الرّجال في حلحلة تلك الأزَمَات والخروج بتصوُّرات تشكل بداية مرحلة جديدة من الانطلاق، فقد اعترف الجميع بوجود الأزَمَات وضرورة التطلع إلى حلها، وتعتبر المدة الّتي قضيناها آنذاك وهي زهاء خمس سَنَوات كانت كافية نسبيّاً لتحقيق عمليَّة إعادة البِناء.

ولكن المفاجأة كانت في أنّ (الفكرة القطريّة) و(الحزبية التَّنظِيمية) برزت لتسيطر عَلى المَرحَلَة الجَدِيدة أيضًا عبر مُعَسْكَرَاتٍ ومضافاتٍ وجماعاتٍ بنت تصوُّراتها عَلى أساس (قطري - سري - هرمي) مرّة ثانية، حيث جعلت معظم التَّنظِيمات هدفها هو نفس الهدف الّذي أثبتت الأيّام منذُ ١٩٩٠ وعلى الأبعد منذُ ١٩٩٥ وما جرى في الجَزَائِر وغيرها استحالة تحقيقه في ظل النّظام العالم العَالَمِيّ الجَدِيد.

ولست هنا بصدد التفصيل عن المَرحَلَة، ولكن أشير هنا إلى أن تلك العقليَّة (القطريّة - الحزبية التَّنظِيمية) أضاعت فرصة ذهبية عَلى التّيار الجهاديّ، ولم يستطع دعاة الفكرة الأممية في المُوَاجَهة، لا الشَّيْخ أُسَامَة والقَاعِدَة ولا غيره إقناع تلك الشرائح والكوادر باقتناص الفرصة وضم الجمع في حالة موحدة أو تنسيقية عَلى الأقل، ورغم أن الشَّيْخ أُسَامَة كانَ المرشح الأساسي لإقناع الآخرين بذلك إلا أنه فشل بذلك، وذلك لأسباب تعود عديدة كانَ من أهمّها تصوُّراتهم القطريّة والتَّنظِيمية من جهة، وافتقار القَاعِدَة للمنهجيّة الواضحة بحسب مقاييس الجهاديّين وكذلك عم وضوح البنية المؤسساتية فيها، فكان هذين العاملين أهمّ العوامل في ضياع تلك الفرصة، فقد كانَ من الممكن أن تقوم جهود لمراجعة المناهج والأساليب والأهداف والوسائل في ظل فهم الواقع الجَدِيد، مستغلين الظّروف المواتية، والالتفاف جميعا حول مشروعية أمير المُؤمِنِين (الملا محمّد عمر)، ورمزية الشَّيْخ أُسَامَة العَالَمِيّة، ولكن ذلك لم يحصل وفشلت جميع الجهود الساعية في ذلك والَّتي قام بها البعض من المستقلين الّذين كنت واحداً منهم - حيث دعوت كبار القوم ولأكثر من مرّة في عدّة مناسبات لإقناعهم بذلك دون جدوى، وكان أمر الله قدراً مقدورا.

وجاء سِبتَمبر ليضع حداً لتلك الفرصة الذهبية ويطوى في كنف الغيب سرٌّ ما إذا كانت ستتاح فرصةٌ جديدةٌ للجهاديّين يكون الجيل القادم منهم قادراً عَلى تحقيق ما عجز عنه أولئك السَّلَف المُجَاهد الّذي أدى دوراً رياديّاً في مُوَاجَهة أعداء الإِسْلَام وحلفائهم من المرتدّين، ولكن الأَزَمَات والمصائب كانت أكبر من إمكانيَّاتهم في تحقيق الأهداف، ولعلّ في القدر القادم ما يبشر بتحقيق ما فات من الفرص، ولكل أجل كتاب.

عاشراً: الأفكار الّتي طرحت لدى الجهاديّين للخروج من الأزمة منذُ ١٩٩٦-٢٠٠١:

مع انتصاف العقد الأخير من القرن العِشرين، كانَ التّيار الجهاديّ بمختلف تنظيماته ومكوّناته قد بلغ عمليا قعر الأزمة، وأيقن معظم قياداته وقدمائه أن المسارات الجهاديّة قد وصلت إلى طريق مسدود، وأن الأزَمَات المتنوعة قد وصلت قمتها، وأن السّير والاستمرار بذلك الأسلوب ومعطياته يبدو مستحيلاً.

فقد تتابع فشل المحاولات الجهاديّة، وانطفأت معظم شعلاتها الواحدة تلو الأخرى، وتفككت معظم التَّنظِيمات، وساح من بقى على قيد الحياة من قياداتها وكوادرها في مختلف الملاذات والمخابئ العلنية والسرية، مخلفين في بلادهم كميات كبيرة من الأسرى من العناصر المُجَاهدة، أو الأنصار والموالين الّذي ساعدوهم في حركاتهم بالإضافة إلى كمٍّ كبيرٍ من أسر الشّهداء، من النِّسَاء والأطفال في أحوال إنسانيّة بالغة المأساوية، كما تزايدت الأزَمَات الّتي أشرنا إليها سابقاً في كافّة المجالات الفكريّة والسّياسيّة والماليّة والتَّنظِيميّة، إلى آخر قائمة الأزَمَات الخانقة.

وكانت خاتمة الصّدمات والأزَمَات في الكارثة المروّعة الّتي آلت إليها تجربة الجِهَاد في الجَزَائِر بعد أن تمكّنت أجهزة الاستخبارات من تفعيل بذور التّطرّف والجهل في صفوف بعض المُجَاهدين الجَزَائِريّين، وذلك بزرع عملاء الاستخبارات، ليدفعوا بالقضيّة إلى متاهات التَّكفِير والإجرام والمجازر الدّمويّة، وشكّلت أخبارها المفزعة المحزنة صدمة هائلة للجهاديّين وأنصارهم وكل المُؤمِنِين بفكرة العمل المُسلّح.

وهكذا، بدأ كبار الجهاديّين ومن تبقى من تنظيماتهم يبحثون عن الحلول والمخارج، وقد شهدت مثل هذه المراجعات والمناقشات في الملاذ الآمن للجهاديّين في أفغانستان، بعدما هاجر معظم من تبقى من الجماعات والرموز الهامة في التّيار الجهاديّ إلى الإمارة الإِسْلَاميّة الّتي أنشأها طالبان.

ويمكن تقسيم المطروحات والأفكار ومحاولات الخروج من قعر الأزمة لدى الجهاديّين إلى ثلاثة مدارس تجلت كلّ واحدة منها في محاولات عمليَّة، ووجهة حركة جديدة، وكانت عَلى ثلاثة أقسام محركة سميتها كما يلي:

١- مدرسة الاستسلام وإلقاء السّلاح والمبدأ.

٢- مدرسة الثّبات عَلى المبدأ والاستمرار في الأسلوب.

٣- مدرسة الاتجاه الأممي نحو جِهَاد الصّائل الخارجي أمريكا وحلفاؤها.

ولنتناول كلّ واحدة من تلك المدارس بشيء من التفصيل:

١ - مدرسة الاستسلام للخروج من الأزمة:

وخلاصة فكرة أصحاب هذه المدرسة: أن أزَمَاتنا كجهاديّين جاءت نتيجة لحمل السّلاح، ولا تزول إلا بزوال ذلك السبب، فالحلّ هو في إلقاء السّلاح والبحث عن طرق عمل أُخرى.

والحقيقة أن بوادر هذه المدرسة الّتي صرح أصحابها بفحوى دعوتهم صراحة مع منتصف التسعينات تود إلى أواسط الثمانينات منذُ بدأت الحركات الجهاديّة تتراجع وتواجه الأزَمَات والهزائم، وكانت غالباً ما تطرح في كلّ قطر إثر كلّ هزيمة عمليَّة لمحاولة من محاولات الجهاديّين، فقد كانَ أول من طرحها قيادة الإخوان المُسلِمِين في سوريا إثر (فاجعة حماة) سنة ١٩٨٢، وأسموها في وقتها؛ دعوة (الصُّلح مع النّظام)، وقد وسط الإخوان السوريون العديد من الوسطاء لمتابعة طرق أبواب (حافظ أسد) الّتي بقيت موصدة أمام تلك الدعوات عملياً، وتابع ابنه بشار من بعده إغلاق البَاب.

وكان من تبقى من حطام تنظيم الطليعة المقاتلة في سوريا قد خطى خطوات فعلية نحو الاستسلام تحت مسمّى الصُّلح، ونزل العديد من عناصرها تحت عروض الدّولة باسم (قانون العفو) ولم يكن لتلك العمليّة أي تفاصيل سياسيّة، فقد كانت عمليَّات استسلام وتوبة فرديَّة تقريباً، نزل فيها بعض العناصر من الطليعة، ثمّ من الإخوان بشكل فردي، ووقعوا بيانات (توبة) كتب في أعلاها:

﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ۝١٧﴾ [القصص]

ولكن الإخوان المُسلِمِين في سوريا أرادوا الاستسلام بصيغة (نصف مشرفة)، فعرضوا عروضاً (للصلح) بشكل سياسي، بين جماعتهم كحزب معارضة سياسيّة والدّولة والنّظام، ولكن حكومة حافظ أسد، ووفق مشورة شيطانية من بعض علماء السُّلطَان فيها، وعلى رأسهم الشَّيْخ (سعيد رمضان البوطي) وغيره، اشترطوا عَلى الإخوان جملة من الشُّرُوط التعجيزية من ضمنها الاعتراف العَلنيّ بخطئهم في حمل السّلاح! وجرائمهم في مُوَاجَهة الدّولة ! وكتابة أبحاث سياسيّة شرعيّة يدللون فيها

بالآيات والأحاديث عَلى خطأ مسلكهم !! ثمّ النزول تحت قانون العفو بشكل فردي وليس بشكل يحفظ نصف الكرامة! ولم يكن الوضع ضاغطاً عليهم في ملاذاتهم في العراق والأردن والسّعُودِيّة والخليج والخارج كي يقبلوا، واستمرت عروضهم بالصُّلح وشروطهم بالتقلص إلى أن خرج المراقب العام للإخوان المُسلِمِين في سوريا (علي صدر الدّين البيانوني)على وسائل الإعلام وشاشات الفضائِيَّات يعرض الصُّلح ويعرض طلباته الّتي تقلصت إلى مطلب واحد وهو (حق المواطنة فقط في ظل الدِّيمقراطيَّة والتعددية السّياسيّة)!! والعودة إلى الوطن بلا شروط ولا بَرَامج، ومع ذلك ما زال النّظام يرفض ويقول أنه بصدد عرض عفو عام يطال الأبرياء، مع ضرورة إجراء محاكمات لمن يثبت تورطهم بجرائم في حق الدّولة والشعب والوطن، وأما أكثر الأفراد من المطاردين ومعظمهم ممن لم يقم بأي عمل وفعل في الثَّورة الّتي استشهد أو أسر معظم من شارك فيها فقد عاد أكثرهم بوساطة الاستسلام للسفارات السوريّة في أنحاء العالم، تحت قانون العفو وكتب كلّ واحد منهم تقريراً بتفاصيل حياته منذُ خرج من سوريا والجِهَاد إلى أن عاد، وجاءت الأخبار باعتقال بعضهم مرّة أُخرى، وباستجواب آخرين، ومنعهم من السفر وإلزامهم بمراجعة دوائر الأمن لتقديم ما يطلب إليهم من معلومات عنهم وعن أقربائهم وجيرانهم، وتحويل الضّعفاء منهم إلى مخبرين لأجهزة الأمن!!

وقد حصل شيء قريب من هذا تحت ما يسمى (مشروع التوبة) للملاحقين في تونس أواسط التسعينات، رغم أن معظمهم من المعارضات السّياسيّة الإِسْلَاميّة، وقد وضعت حكومة زين العابدين شروطاً مهينة قبلها البعض وتمرد عليها آخرون، ورفضها الشَّيْخ راشد الغنوشي وكتب في ذلك كتابات جيدة تؤكد عَلى استراتيجية الثّبات في مُوَاجَهة النّظام التونسي وأشباهه من الحُكُومَات الطَّاغوتية ولو سياسيّاً عَلى الأقل !

وفي الجَزَائِر عرض النّظام أواسط ١٩٩٦ بعد أن فكك المجموعات المُسلّحة واخترقها وحرف مسارها إلى التَّكفِير والإجرام والمجازر، وورط بعض فصائلها فيها، وقام هو بنفسه بعض المجازر وألصقها بهم، فقام بعرض العفو العام عبر ما سمي مبادرة (الوئام الوطني)، حيث تبرع العديد من

فُقَهَاء السّلاطين في السّعُودِيّة وغيرها لدعم المبادرة والإفتاء للمسلمين بالاستسلام والنزول من الجبال، حيث نزلت فصائل كثيرة وألقت السّلاح لمبادرات فرديَّة.

ولكن أكبر وأخطر تلك الممارسات والطروحات الاستسلامية من ضمن التّيار الجهاديّ كانت عبر ما عرف (بالمبادرة) الّتي قامت بها الجماعة الإِسْلَاميّة في مصر، وما عرف بمبادرة إلقاء السّلاح ونبذ العنف من طرف واحد، دون طلب مقابل من الدّولة إلا دعوتها للإفراج عن الإِسْلَاميّين وإنهاء الأزمة واستمرت المبادرة بين مد وجزر من سنة ١٩٩٦ وإلى أواسط ٢٠٠٣ حيث بدت بوادر تجاوب الحكومة المصريَّة معها، وقد سبق أثناء استعراض تجربة الجماعة الإِسْلَاميّة في مصر الإشارة لتلك المبادرة الّتي كانَ أخطر ما فيها قيام الرموز الكبار من القيادات التارِيخِيَّة للجماعة بالتأصيل للاستسلام وكتابة العديد من الكتب والأبحاث يدينون فيها منهج الجِهَاد المُسلّح واصفينه بالعنف، ومعلنين سلسلة من الانتهاكات الفقهيّة والفكريّة للفكر الجهاديّ والسّياسيّ الشَّرعيّ لأصول التّيار الجهاديّ يطول شرحها والتعليق عليها، ويعبر عما فيها من تردي أنها وصلت لاعتبار اغتيال أنور السادات خطأً تاريخياً ووصفه بأنه كانَ شهيد الفتنة، فصار الطَّاغوت المرتدّ شهيداً !! وصار جِهَاد أسياده اليَهُوْد فتنة، وسأحاول إن شاء الله العثور عَلى سلسلة تلك الكتب والأبحاث لدراستها والرد عليها وتفنيد ما فيها إن أعان الله ثمّ سنح الوقت وكان في العمر بقية، فسد هذه الذرائع من أهمّ مواطن الدّفاع عن التّيار الجهاديّ بصرف النَّظر عن احترامنا لتاريخِ الّذين أقدموا عليها وعذرهم في ضروراتهم، ولكنه ردٌّ فكريٌّ عَلى فكرٍ مطروح بصرف النَّظر عن قدر أصحابه، حيث أنهم عرضوا ما عرضوا وهم أسرى، خرجوا من السّجون من الأسر الأصغر للأسر الأكبر، ولا عبرة لآراء فاقد الإِرادَة، وأعانهم الله في محنتهم، وتقبل منهم ما أحسنوا وتجاوزوا عما قصروا به أو أكرهوا عليه.

ثمّ تتابعت طروحات هذه المدرسة واستعلن أصحابها بعد سِبتَمبر ٢٠٠١م والهجمة العَالَمِيّة لمكافحة الإِرهَاب بقيادة أمريكا، متخذين من مبادرة الجماعة الإِسْلَاميّة وكتاباتها نموذجاً يحتذى في نقض الغزل والإرتداد عَلى الأعقاب عن ثوابت الفكر الجهاديّ والأسس العقدية للسياسة الشَّرعيَّة، تحت ضغط الآلة الإعلاميَّة الرَّهيبة لأمريكا وأذنابها.

وقد حصل مثل هذه التراجعات عندما قبضت الحكومة السّعُودِيّة عَلى مجموعة من فُقَهَاء الجهاديّين وعلمائهم في السّعُودِيّة، وأكرهتهم أو أقنعتهم بالتراجع وبدعوة المُجَاهدين لها وللقوَّات الأمريكيّة عَلى أرض الحرمين بإلقاء السّلاح، حيث جندت وسائل الإعلام السّعُودِيّ عشرات العُلَماء وكبار الدعاة للترويج لهذه الطُّروحات وهذه المدرسة.

وهكذا تظهر هذه الطروحات دائماً كما أسلفت إثر الهزائم والانتكاسات حيث يبحث أصحابها عن الحلّ في إزالة سبب الأزمة بحسب تصوُّرهم، وهو (حمل السّلاح)، ومن الطّبيعي كما هو دأب الإنسان دائماً في ترقيع أفعاله وإيجاد المعاذير لعلله وتراجعاته، فإن أصحاب هذا المنهج لا يسمّونه باسمه الصريح، وهو(الاستسلام) أو (الهزيمة) وإنّما يبحثون له عن أسماء وصيغ ألطف ويطلقون سيل التّبريرات والفقه الّذي تتابع بعد ذلك لتبرير ذلك فيسمونه تارة (قانون العفو) وتارة (الصُّلح) وتارة (الوئام الوطني) وتارة (الهدنة) وتارة (المصالحة الوطنيّة) وتارة (مبادرة نبذ العنف)، وهكذا تعددت العناوين تحت دعاوى الحكمة والتعقّل والواقعيّة، تعددت الأسماء والاستسلام واحد.

وكانت المصيبة هيّنة لو أنّ أصحاب تلك الأحوال أعاذنا الله مما استعاذ منه رسول الله ﷺ؛ من الهمّ والحزن ومن العجز والكسل ومن الجبن والبخل ومن غلبة الدّين وقهر الرّجال[1]، كانت المصيبة هيّنة لو امتلك القوم الصّراحة والشّجاعة وخرجوا للنَّاس ليقولوا: (يا قومنا بذلنا وسعنا، وقدّمنا طاقتنا، وخَذلنا من خَذلنا ولم نستطيع إلا ما بلغ جهدنا، وها نحن ندعو للهدنة أو للسّلم أو حتَّى نعلن الاستسلام، فقد خسرنا الجولة وسيبعث الله لهذا الدّين من يقوم بأمره وينصره ولعلّ فيما تستقبل الأجيال من فرص خير مما عرض لنا)، فيحلّوا جماعتهم أو تنظيماتهم وينسحبوا من ساحة المُوَاجَهة.

ولكن المصيبة كانت أعظم عند ما أطلقت الأسماء الجذابة عَلى حقيقة الاستسلام ووجدت لها التبريرات، وبلغت الطّامة مداها عند ما بدأ كتّابهم وفقهاؤهم ينظّرون ويفتون من أجل الخذلان

(١) أخرج البخاري(٦٣٦٧) بسنده إلى أَنَس بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ».وفي رواية أبي داود (١٥٥٥) : «وأعوذ بك من غلبة الدين، وقهر الرجال» لكن الألباني ضعفها.

والاستسلام للأعداء، وينقضون غزلهم وغزل غيرهم مما رسخه المُجَاهدون في سبيل الله وأثبتوه بدمائهم عبر السّنين عبر مسار العذاب والعناء عَلى درب الشَّهَادة والثّبات، حيث تقطع هذه الجهود المهينة الطّريق عَلى شباب الأُمّة القادم كي لا يسير عَلى خطانا كي لا يحاول الكرة تلو الكرة عساه يحقّق ما لم نوفق إلى تحقيقه، وهذا بالضّبط ما قصد إليه العدوّ الماكر وأجهزة استخباراته ومراكز دراساته النّفسيّة والأمنيّة، يريدون أن يقتلوا بذور الثَّورة عَلى الظُّلم والاضطهاد، ومحاربة الكفر والاحتلال، وأن يَئِدُوا أفكاره في مهدها، إنّها محاولتهم لإطفاء نور الله بأمواههم جاهلين أو متجاهلين بأنّ الله متمّ نوره ولو كره الكافرون.

وكم كنت أقف حائراً عندما أقرأ في آثار السّيرة، أنّ أبا جهل بن هشام لعنه الله، لما أُثخن في بدرٍ، وعلا صدره الصحابيّ الجليل عبدالله بن مسعود ليحزّ رأسه، فسأله أبو جهل وهو في النّزع الأخير: لمن الدّائرة اليَوْم ؟ فقال عبدالله بن مسعود له: لله ورسوله وقد أخزاك الله، فقال ذلك الجبّار العنيد: بلغ محمّداً أَنّي ما ندمت عَلى عداوته ولا ساعتي هذه !! ثمّ هلك(١).

وكنت أعجب، كيف يأبى ذلك الكافر وقد هزمت رايته وأزهقت نفسه ورغم أنفه، وهو يرتحل إلى جهنّم، يأبى إلا أن يثبت كبرياءً وثباتاً، وعزة نفس وإخلاص لما كانَ عليه رغم أنَّه الضّلالُ.

و أتمنى لو أسعفتنا رجولتنا ونخوتنا وكرامتنا، واحترامنا لدماء شهداؤنا، وعذابات أسرانا ومشردينا، ودموع أراملنا وأيتامنا، بل لو تأججت في صدورنا الحمية لديننا ورايتنا، والحق الّذين جاهدنا لأجله لنقول لأعدائنا إذ خسرنا بعض الجولات، وانهزمنا في بعض المحطات والمعارك في هذه الحَرب الأزلية المفتوحة، أن نقول لأعدائنا:

بلغوا فراعنتكم وأسيادكم، من الطواغيت، وأسيادهم من اليَهُوْد والنّصَارى: أنّنا ما ندمنا عَلى عداوتهم ولا في أشد ساعات الاندحار والتضحيات، وأننا واثقون من أن نصر الله قادم، وسيحمل راياته الظافرة من سيسير عَلى دربنا، ويهتدي بخطانا كما اهتدينا بخطى القافلة السائرة من قبلنا،

---

(١) قصة مقتل ابن مسعود لأبي جهل صحيحة فقد وردت في البخاري (٣٩٦٤، ٣٩٦٣، ٣٩٦٢، ٣٩٦١) وصحيح مسلم (رقم ١٨٠٠) لكن دون لفظة :" بلغ محمداً أني ما ندمت ..."

الموصولة بتتابع السائرين والمُجَاهدين منذُ قادها سيد المرسلين ﷺ، ونحن عَلى الحقّ إن شاء الله سواءً كنا منتصرين أو مهزومين في هذه المُوَاجَهة العقيدية.

فكيف لا نجد مثل هذا الثّبات والإباء الّذي بذله كافر يستقبل النار!! كيف لا نجده ونحن سنستقبل الجنّة إن شاء الله ؟! ونحن نؤمن أن الله مولانا ولا مولى لهم.

آه لو فقه الخائرون بشارته ﷺ لخباب رضي الله عنه حين جاءه يسأله أن يدعو لهم بالنّصر، وقد أنهكه ما نزل به وبإخوانه رضي الله عنهم من العذاب، فحدثه عن تضحيات من سلف وبشره، وقال له ولكنكم تستعجلون(١).

٢- مدرسة الثّبات والاستمرار عَلى درب الجِهَاد والمُوَاجَهة:

وقد تبنى هذه الطَّريقة معظم الجهاديّين، من التَّنظِيمات والجماعات الجهاديّة وكوادر ورموز التّيار الجهاديّ وقياداته وقواعده رغم مسار الغباء والعذاب، وقد كانَ هذا موقف معظم تلك الكتل والرّجال الّذين فأوَوا إلى أفغانستان في عهد طالبان، حيث عادت الهمم الشّامخة والنفوس التّواقة للعمل والعطاء عبر مسار الإِعداد والحركة الدؤوبة، وقد رأى هَؤُلَاءِ في الثّبات فريضة شرعيّة لا يسع المسلم التخلي عنها، ورأوا في الاستسلام عاراً وفراراً لا يجوز لهم السعي إليه.

ولكني لاحظت من أولئك الثَّابِتين تقبل الله منهم أن ثباتهم كانَ ذا شقين:

١- ثبات إيجابي ٢- ثبات سلبي.

فأما الثّبات الإيجابي: فهو الثّبات عَلى المبادئ والقيم والرّاية والأمانة، من أجل كلّ الدواعي الشَّرعيَّة الداعية لذلك، ولأجل ما تفرض دواعي الكرامة والعزة والإباء والحمية للمقدّسات.

وأما الثّبات السَّلبي: فهو ما لاحظته من ثبات أولئك الأخوة عَلى طرق عملهم السالفة، وأطر عملهم التَّنظِيمية بكل مقوّماتها وطرقها، فقد استمرت التَّنظِيمات بالعمل وفق مفهوم (القطريّة والسرية والهرمية)، وعملت من أجل نفس الهدف السابق، وهو الإطاحة بالأنظمة المرتدّة لإقامة أئمة

(١) رواه البخاري برقم (٣٦١٢) وسبق ذكره.

تحكم شرع الله في بلادها، وفق معظم الأساليب التقليدية في الإِعداد المنهجي وغير ذلك من مجالات عمل التَّنظِيمات.

وبدا وكأن كلّ التغييرات الهائلة الّتي أحدثها انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد وأنظمة مكافحة الإِرهَاب وانهيار الهوامش الأمنيّة والملاذات بين الدّول وكل ما أسلفنا من الدُّروس والعبر لم تترك كبير الأثر عَلى أساليب عمل معظم الجهاديّين!! رغم أن كثيراً من تلك الأساليب والأفكار إما أنها لم تعد تناسب المَرحَلَة أو أنها أثبتت عدم جدواها.

٣- مدرسة الاتجاه الأمني نحو جِهَاد الصّائل الخارجي أمريكا وحلفاؤها:

وكان خُلاصة هذه طرح المدرسة كما بينت بشي من التفصيل، أن المعارك مع الأنظمة لا طائل من ورائها، وأن أمريكا وحلفاءها من قوى الصّليبيّة واليَهُوْد هم المستفيدون من معارك الاستنزاف تلك رغم الحقّ الّذي فيها، وأنّ الحلّ في جِهَاد رأس الأفعى أمريكا الّتي سيؤدي زوالها إلى انهيار كلّ هذه الأنظمة، وبداية لاستواء الأوضاع وسيرها نحو الصواب، حيث يسهل بعد ذلك العمل عَلى إقامة الحكم الإِسْلَاميّ بعد تنظيف المنطق العربيَّة والإِسْلَاميّة من جبروتها وجبروت أتباعها.

وقد مثل الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن وتنظيم القَاعِدَة أبرز من رأى التّحرّك في هذا الاتجاه من الجهاديّين منذُ ١٩٩٦م، وافتتح ذلك بإصدار بيان إعلان الجِهَاد ضدّ أمريكا كما حصل في تجربتهم الّتي لخصتها في الفَصل السابق، وأعتقد أن هذا الطرح بشكل عام بصرف النَّظر عن تفاصيل أداء من عمل له هو طرح صحيح وصائب ويتناسب جداً مع حجم المتغيرات الّتي شهدها العالم باستيلاء أمريكا عَلى قيادة النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد وانفرادها بحكم العالم كقطب أوحد وقوة عظمى متجبرة.

نظرة في محاولات الجهاديّين تجاوز أزمة التّيار الجِهَادى خلال نهايات القرن العِشرين:

من خلال تقييم الأفكار المطروحة ومقارنتها بخلاصة ما تكون عندي من أفكار، خلصت إلى النَّتِيجَة التّالية في المدارس الثّلاثة آنفة الذكر وهي عَلى الشّكل التّالي:



أولا: أن طروحات مدرسة (الاستسلام) وإلقاء السّلاح وتنكب طريق الجِهَاد، تمثل مدرسة ساقطة الأفكار شَرعاً عقيمة النَّتِيجَة واقعاً، بما تدل عليه نصوص الشّريعة، وما تفيدنا به تجارب الماضي في بلادنا وفي تجارب الأمم كلها.

فما لم نحصله بالجِهَاد والسيف لن نحصل عليه بالهزيمة والاستسلام، لا عَلى مستوى الأهداف ولا حتَّى عَلى مستوى النجاة الشَّخصيَّة.

ثانياً: أن مدرسة الثّبات عَلى طريقة الجهاديّين، وبحسب طريقتهم القديمة، لن تقود إلا إلى ما قادت إليه في الماضي من الفشل المتكرر، فقد فشلت آنفا رغم أن ظروف عملنا ومعطيات واقعنا قبل قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد كانت أفضل وأكثر ملائمة، ومع ذلك لم تكن تلك الطرق ومناهج التَّفكير ووسائل العمل من تحقيق الأهداف، فما بالك وقد تغير الواقع المحيط ونشبت ظروف عالميّة لا يمكن العمل من خلالها بتلك الطرق بحال، وقد أثبتت السَنَوات الخمس (١٩٩٦- ٢٠٠١) عقم تلك الطرق وعدم تمكن التَّنظِيمات الجهاديّة القديمة أو المحاولات الجَدِيدة من البعض من تحقيق أي نتيجة أو تقدم، ولم تسفر إلا عن مزيد من الإنشطارات والانقسامات والخسائر والضحايا من الشّهداء والمأسورين، من خلال المحاولات المحدودة الّتي قاموا بها، بالإضافة لتفاقم آثار حملات تجفيف المنابع والتشويه الإعلاميّ والمطاردات الأمنيّة في عزل تلك الشراذم وما تبقى منها عن بلادها ومجتمعاتها، وتحول من تبقى منهم إلى مجموعات صغيرة تعيش عَلى الذكريات وآمال الماضي، وأحلام بالمستقبل تزداد خيالية يوماً بعد يوم.

ثالثا: أن الدّعوة الّتي طرحها الشَّيْخ أُسَامَة وعملت عَلى أساسها القَاعِدَة باتخاذ المَعْرَكة مع أمريكا تمثل بوابة إلى تصحيح مسار الجِهَاد وحشد الأُمّة والتّحرّك من خلال ذلك إلى ما يلي من أولويات في حلحلة إشكاليات واقع المُسلِمِين، وهي أسلم الطرق وأقربها للواقعية، ومناسبة ما استجد من ظروف النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد.

وقد رأيت فيها أملاً وفرصة تجديد وانطلاقة قوية لتصحيح مسار الجِهَاد والتّيار الجهاديّ، إن وفقت إلى إحداث توجه جدي نحو التأصيل المنهجي اللازم لذلك، والتطوير في الإدارة والأسلوب بما

يتناسب مع المَرحَلَة، وأملت أن يوفقوا إلى الطرق المناسبة الصائبة في الوسيلة إلى تحقيق ذلك كما وفقوا إلى التحديد الصائب للهدف والطَّريقة، فقد كانَ هذا التجديد الكبير والتّحول في الهدف وطريقة العمل يحتاج إلى جهود كبيرة في تطوير منهج وأساسِيَّات التَّفكير كما يحتاج إلى تطوير كبير في أساليب وضع تلك الأفكار عَلى الأرض موضع التنفيذ، ولكن الأحداث كانت أعجل من أن يمكن تحقيق ذلك وهو أمر يحتاج لوقت أطول.

ومن خلال ذلك الواقع اقتنعت بضرورة إطلاق نظَرِيَّات عمل جديد ة لتسد جزءاً من الفراغ الكبير الّذي يقتضيه ذلك التّحول في المُوَاجَهة.

وبعد تفكير طويل واستفادة من مخزون تسلسل وتطور تلك الأفكار عندي عبر عشر سَنَوات كما بينت في المقدِّمة، طرحت في ساحة أفغانستان ما اعتبرته بداية مدرسة جديدة في محاولات إصلاح مسار التّيار الجهاديّ والعمل عَلى إخراجه من الأزمة وهو ما أسميته:

(**دعوة سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة**) الّتي تقوم نظرياتها عَلى أسس ثلاثة:

أولاً– **الثّبات**، ثانياً – **التصحيح**، ثالثاً – **التطوير**.

وعملت عَلى مناقشة تلك الأفكار مع من استطعت مدارسته من قدماء التّيار الجهاديّ وكوادره خلال فترة (١٩٩٨– ١٩٩٩) ثمّ اقتنت بضرورة إنشاء نواة تجمع جهاديّ جديد لبلورة أفكار هذه الدّعوة ووضعها موضع التنفيذ، وقد ابتدأت مع مطلع عام (٢٠٠٠).

ثمّ جاءت أحداث سِبتَمبر، وخلطت جميع الأوراق وبعثرت تداعياتها جميع الجهود وقلبت جميع الأوضاع ووضعت جميع الجهاديّين بل الإِسْلَاميّين بل جميع المُسلِمِين بل كلّ العالم، أمام مرحلة جديدة بمعطيات جديدة قسمت العالم كلّه إلى معسكريّن حددهما رئيس أمريكا وهي مرحلة (الحملات الصّليبيّة الجَدِيدة) بكل صراحة، فقد قَالَ باختصار: (**من ليس مع أمريكا في حربها فهو ضدها، ولا مكان للحياد**).

ثمّ قتل في تداعيات أحداث سِبتَمبر وأسر معظم من تبقى من كوادر جيل التّيار الجهاديّ الماضي فتلاشت الكيانات وتفككت، وتبعثر من بقى من الأحياء وتناثروا.

ثمّ غزت أمريكا العراق، ووضعت مخططات لاحتلال الشّرق الأوسط والسّيطرة عَلى العالم الإِسْلَاميّ وأوجدت أوضاعاً جديدة جعلت المدرسة الجهاديّة الوحيدة الممكنة عملياً هو جِهَاد صائل أمريكا وحلفائها كخيار وحيد وإجباري وأقنعتني بأن ما كنت قد توصلت إليه سنة ١٩٩١م، من ضرورة إحداث تحول في التّيار الجهاديّ نحو العولمة، وحصر الجِهَاد في مشروع مقاومة شاملة لأمريكا وأعوانها، وما تداعى لدي ولدى أمثالي ممن رأوا ذلك هو التصوُّر الصَّحِيح والّذي فرضه الواقع الجَدِيد كإمكانية وحيدة وإجباريَّة.

****

منطلقات دعوة المُقاوَمة وآلية استخراج نظرياتها

بعد أن غطى الجزء الأوّل الّذي نشرف عَلى أواخر فصوله هنا، كافّة المقدمات التارِيخِيَّة والسّياسيّة والفكريّة والمنهجيّة الّتي تبرر وتوضح منطق ما سَيَلِي من أفكارٍ سأفصلها في الجزء الثّاني من هذا الكتاب إن شاء الله، وهي خُلاصة نظَريَّات الْمُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيَّة ودعوتها وطريقتها بحسب ما أعتقد أنها الوسيلة الناجعة للمُوَاجَهة في تلك المَرحَلَة إن شاء الله، سأبين في الفقرة التّالية الأصول الّتي انبثقت عنها نظَريَّات عمل الْمُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيَّة كما أتصوُّرها إن شاء الله والله الموفق.

المنطلقات الثّلاثة لدعوة الْمُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيَّة ونظرياتها (الثّبات، والتصحيح، والتطوير):

تنبثق كافّة نظَريَّات دعوة الْمُقاوَمة من خلال أسس ثلاثة خلاصتها ما يلي:

أولاً: الثّبات:

الثّبات عَلى طريقة الجِهَاد كحل أوحد لمشاكل الْمُسلِمِين عربهم وعجمهم في بلادنا وفي كلّ مكان، وقد أسلفت في الفَصل الثّاني من هذا الكتاب المبررات الشَّرعيَّة والمَنطِقيَّة والواقعية الّتي تثبت أن الجِهَاد الْمُسلّح هو الحل، وأكرر هنا رداً عَلى من زعم من (الجهاديّين المتراجعين) وغيرهم من الإِسْلَاميّين أن وضع السّلاح والعودة إلى الطرق الّتي يسمونها زوراً (مشروعة) أو (قانُونيّة) ! هو تصوُّر مردود شرعاً، ساقط عقلاً ومنطقاً، فليس لنا بعد أن أثبتت كلّ الأدِلَّة الشَّرعيَّة المستندة للواقع أن الجِهَاد ودفع هذا الصّائل وقتال الحملات الغازية وأعوانها من المرتدّين والمُنَافِقين هو فرض عين عَلى كلّ مسلم، ليس أوجب بعد توحيد الله منه، وهو أشد فرضية من كافّة فرائض الإِسْلَام الأخرى بعد الإيمان ؛ لم يعد في وسع مسلم أن يتمحك الأعذار ويبحث عن الحلول الأخرى إذ يقول الله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦]

فأما وقد تعينت الفريضة فالثّبات عَلى أدائها هو فريضة شرعيّة ليست محل بحث وأخذ ورد بحسب أفكار العقول وأهواء النفوس.

وحتى عقلا ومنطقا، فكيف يسوغ رؤية الحلّ بإلقاء السّلاح وقد نشرت أمريكا أكثر من مليون ونصف جندي أمريكي في ما تسميه (منطقة العمليَّات الوسطى) الممتدة من الجمهوريّات الإِسْلَاميّة في وسط آسيا والقفقاس وأفغانستان شرقاً إلى سواحل المحيط الأطلسي في المغرب غرباً، عبر ما يقارب خمسة وعشرين بلداً تشتمل عَلى كلّ العالم العربيّ ومعظم الإِسْلَاميّ؟ وهاجمتنا بكل أَسْلِحة التكنولوجيا الحَربية، معلنة راية الحملة الصّليبيّة ومجاهرة بأهدافها صراحة، تلك الأهداف الّتي تشتمل عَلى احتلال الأرض ونهب الثّروات، وتقسيم الدّول وتبديل الأنظمة، وفرض تغير المناهج الثَّقافيَّة والفكريّة والدّينيّة والتارِيخِيَّة! يريدون دمار بلادنا، ونهب أموالنا، وسفك دمائنا، ومسخ مكوّنات شخصيتنا الدّينيّة والقومية والحَضَاريَّة! كيف يسوغ مع ذلك أن لا يكون الثّبات عَلى مبدأ الجِهَاد وحمل السّلاح هو مقتضى الدّين والعقل، هذه حقيقة تستوجب الإشارة والتأكيد ولا تستدعي الإثبات والبرهان، لأنها من المعلوم من الدّين بالضَّرورة ومن الثَّابِت بالعقل بإجماع كلّ العقلاء وأكثر المجانين.

كيف لا يكون الجِهَاد هو الحلّ والثّبات هو مقتضى الدّين ؟! وقد تسابقت الأنظمة المرتدّة العميلة إلى وضع كلّ إمكانيَّاتها العسكريّة والأمنيّة والسّياسيّة والاقتصاديَّة والإعلاميَّة وكل شيء في سبيل خدمة الغُزَاة، لهدف واحد فقط هو رضا الغازي عنها وإبقاء أولئك الفراعنة وأبنائهم الّذين يصطفون عَلى عروش ولاية العهد في الملكيات والجمهوريّات عَلى حدٍّ سواء ؟

كيف لا وقد اصطفت المعارضات السّياسيّة لتلك الأنظمة تريد إسقاطها، ليس لمقتضيات الدّين والشرف والإباء العربيّ والإِسْلَاميّ ! ولكن لكي تعرض عَلى المحتل الغازي خدمات جليلة أكبر من تلك الّتي تقدمها الأنظمة المرتدّة العميلة القائمة؟ ولو أردنا الاستطراد لإثبات مقوّمات الثّبات وما يفرضه شَرعاً وعقلاً لاحتاج المقام إلى مئات الصفحات، ولكن تكفي الإشارة وما مضى من أدِلّة شرعيّة وواقعية.

فالثّبات عَلى مبدأ الجِهَاد والقتال ورفع السّلاح في وجه العدوّ وأعوانه وعملائه من الكفّار والمرتدّين والمُنَافِقين، هو الأساس الأوّل لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة الّتي ندعو إليها.

ثانياً: التصحيح:

إن من أساسِيَّات معتقداتنا معشر أهل السّنّة والجماعة أن كلّ إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب القبر الشريف ﷺ، فكل أفعال البشر وأقوالهم بمن فيهم خيار الْمُسلِمِين بعد رسول الله ﷺ خاضعة لهذا الميزان، وهناك ثوابت في منهجنا الجهاديّ هيَ ثوابت من أصول ديننا ومعتقدنا، وهي غير قابلة للتبديل والتغير وليس لنا ولا لأحد أن يلعب بها، ثوابت تستند عَلى أصول عقائدنا كمسلمين، وأصول معتقدنا الجهاديّ كجهاديّين، مما استقر عليه منهاجنا، من أحكام توحيد الحاكِمِيَّة، وأسس عقائد الوَلَاء والبَرَاء، إلى آخر تفاصيل ذلك.

ولكن كلّ ما عدا ذلك من الأفكار والتصوُّرات والآراء الّتي طرحت في التّيار الجهاديّ والأحكام الاجتهادية والمفاهيم الّتي انبثقت عنها، وكل أساليب العمل الّتي جربت، من وسائل حركية وبَرَامج واستراتيجيات، فنجت حينا وفشلت حينا، كلّ ذلك التراث من المفاهيم والتَّجَارب، هو تراث يجب أن يخضع للتقييم والمراجعة الآن، بعد أن تراكمت لدينا معطيات الفشل، وحشرنا في قعر الأزمة بل الأزَمَات

فتكرار الأساليب وتبني المفاهيم الّتي تبين من خلال المراجعة أنها من أسباب النكبات والنكسات والفشل، إما لخطئها وإما لأنها قد صلحت في زمانها، ولم تعد تصلح لتبدل الزّمان والمكان والبشر، وطباعهم وقوانين حركتهم ومستوى تطور حياتهم؛ يجب أن تصحح أو تعدل أو تلغى، بحسب ما يقوم الدليل الشَّرعيّ أو العقلي المنطقي عَلى وجوب ذلك.

فالمسارات مثل الخطوط المستقيمة بين نقطتين، لا يمكن بتكرار السّير عليها إلا الوصول لنفس المحصلات والمحطات، والمقدمات المتكررة بحذافيرها، لا يمكن إلا أن تؤدي إلى نفس النتائج، وقد أمرنا الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى بالمحاسبة والمراجعة إثر كلّ نائبة فقال تَعَالَى:

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران]

فأعادنا إلى أنفسنا لنتفكر في أخطائنا ومسارنا، وهذا يصح عَلى كلّ سبيل ومسار، فردي أو جماعي.. ﴿مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾!

وفي السنة كما روي عنه ﷺ: «**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ**»[1].

الكيس الذكي الفطن العاقل من بدأ بإعادة أسباب الخلل والفشل والخطأ إلى نفسه: فـ (دان نفسه) وتفكر في العاقبة والمآل، فعجل لما بعد الموت بالخير الّذي يرضى الله عنه، والله لا يقبل من العبد إلا ما كانَ خالصاً لوجهه وكان صوابا، إخلاص وإتباع للكتاب والسنة، واحترام لسنن الله في هذه الأرض وإعداد للاستطاعة وهذا منهج الكيس العاقل.

وأما العاجز فمن أتبع نفسه هواها، ومن أعظم دواعي الهوى إتباع المألوف، وتقليد الكبراء، والسير عَلى ما اعتادت عليه النفوس، وعدم حملها عَلى تغير مألوفها ومحبوبها، وبعد هذا العجز يتمنى عَلى الله الأماني، أماني الانتصارات والنجاحات، ولا يجنى من الشوك العسل، فالعجز لا يعطى إلا الفشل.

وهكذا اعتمدنا مبدأ التصحيح كأساس ثانٍ بعد الثّبات، كمنطلق لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة القادمة بإذن الله، كي تقارع هذا العدوان والغزو القادم، وتقاوم وتسقط هذا الطّغيان والكفر الحاكم.

ومن خلال مبدأ التصحيح وكأول حلقة في سلسلة مساره، يأتي الفَصل القادم كمساهمة أولى وطرح للحوار والمناقشة وهو (الفَصل السَّابع):

[حصاد التّيار الجهاديّ في أربعين عاماً (١٩٦٣-٢٠٠٣) إنجازات يجب أن تستثمر، وأخطاء يجب أن تصحح، وأساليب يجب أن تطور].

ثالثاً: التطوير:

إن من معجزات ديننا الحنيف، ولأن نبيه خاتم الأنبياء ﷺ، ولأن شريعته خاتمة الشرائع، جاءت قواعد أحكامه عَلى نوعين:

- **ثابتة مفصلة:** لا مجال فيها للتغير والتبديل والتطوير.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٩) وابن ماجة (٤٢٦٠) وأحمد (١٧١٢٣) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

- **عامة مجملة:** جاءت بخطوط عريضة، وقواعد عامة يسع ضمن إطارها الاجتهاد والتطوير والتغير بحسب تبدل معطيات الزّمان والمكان والأشخاص والظروف.

فمثل أحكام العِبَادات وتفاصيلها ثابتة لا علاقة لها بتغير الزّمان ولا المكان ولا الأشخاص. ومثل أحكام المواريث لا تتبدل فالأب أب، والأم أم، وكذا الأخوة والأبناء ولا تتغير العلاقات يتغير الأزمنة، ولذا فصلت وثبتت أحكام الفرائض والمواريث، وكذا فصلت أحكام الطهارة، فالطّاهر طاهر، والنجس نجس، والحدث حدث، وحيض نساء آخر الزّمان كحيض نساء أوله، ولا تتبدل الأحكام، إلى آخر ذلك من الثّوَابِت، ولذلك جاءت أحكام هذه الأمور مفصلة جزئية كاملة تامة، ولكن كثيراً من أحكام العلاقات العامّة، وما يرتبط بحركة الإنسان ونشاطه مما تتغير ظروفه، قد ضبطت أحكامها بخطوط عريضة، ومن ذلك أحكام السّياسيّة الشَّرعيَّة.

فأحكام السّياسة الشَّرعيَّة:

أحكام مبنية عَلى شريعة وسياسة، والشّريعة ثابتة وحلالها حلال، وحرامها حرام، والسّياسة متحولة متبدلة، لأن مبناها عَلى حركة البشر، وبتبدل أحوالهم تتبدل الأحكام والمواقف منهم، وقضايا الحركة والإدارات، والتَّنظِيم والتدبير، وسياسة النّاس، وأساليب السلم والحَرب، كلها محل اجتهاد، وقد ملأ علماء الإِسْلَام عبر مئات السنين المكتبة الإِسْلَاميّة بنفيس الإنتاج والاجتهاد، وما يزال البَاب مفتوحاً للأكفاء.

فجِهَاد الأَعدَاء دين وفريضة ثابتة، ولكن كيفيته وأساليبه وأدواته ونظامه، كلها متغيرات تركت الشّريعة البَاب فيها مفتوحاً للإبداع والعطاء البشري وفق ما يفتح الله عَلى عباده، والعبث بثبات الثَّابِت لا يُؤَدِّي إلا إلى كوارث أقلها الفشل والهزيمة، وأسوأها البوار عند الله تَعَالَى جزاء عَلى اللعب بمحكمات دينه تبارك وتعالى.

وتثبيت المتحول بتعطيل سنن الله تَعَالَى في خلقه، والتضييق عَلى عباده، واختزال للآفاق الّتي وسعها الله سبحانه عَلى عباده.

فمثلاً عند ما قَالَ الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣ ﴾ [التوبة] تحرك رسول الله ﷺ بغاية الحَركيّة والسعة، فقاتل أعداءً قريبين وتجاوز عن بعضهم إلى بعيدين. وهكذا بدا أن الّذين يلونكم ليست تعني بالضَّرورة الأقرب مسافةً عَلى وجه الإلزام الشَّرعيّ، وإنما تشتمل قرب الزّمان وقرب الضرر والأذى، وهذا ما فهمه الفقهاء ولخصه الإِمَام الشّافعي بقوله:

[فَإِنْ اخْتَلَفَ حَالُ الْعَدُوِّ فَكَانَ بَعْضُهُمْ أَنْكَى مِنْ بَعْضٍ، أَوْ أَخْوَفَ مِنْ بَعْضٍ فَلْيَبْدَأْ الْإِمَامُ بِالْعَدُوِّ الْأَخْوَفِ، أَوْ الأنكى وَلَا بَأْسَ أَنْ يَفْعَلَ، وَإِنْ كَانَتْ دَارُهُ أَبْعَدَ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى حَتَّى مَا يَخَافُ مِمَّنْ بَدَأَ بِهِ مِمَّا لَا يَخَافُ مِنْ غَيْرِهِ مِثْلَهُ وَتَكُونُ هَذِهِ بِمَنْزِلَةِ ضَرُورَةٍ؛ لِأَنَّهُ يَجُوزُ فِي الضَّرُورَةِ مَا لَا يَجُوزُ فِي غَيْرِهَا، وَقَدْ «بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ أَنَّهُ يَجْمَعُ لَهُ فَأَغَارَ النَّبِيُّ ﷺ وَقُرْبُهُ عَدُوٌّ أَقْرَبُ مِنْهُ وَبَلَغَهُ أَنَّ خَالِدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ شُحٍّ يَجْمَعُ لَهُ فَأَرْسَلَ ابْنَ أُنَيْسٍ فَقَتَلَهُ وَقُرْبُهُ عَدُوٌّ أَقْرَبُ»[(١)].

فتجميدها عَلى مفهوم المسافة والتتالي المباشر تثبيت لمتحول لا يُؤَدِّي إلا إلى الضيق والعنت، وهذا ما ألزم به البعض أنفسهم وقالوا لا نقاتل أمريكا وأعوانها حتَّى نقاتل العدوّ الأقرب وهم الحكَّام، وجوبا ونصا، ولم يكن الأمر كذلك.

وقل أكثر من ذلك عَلى الأدوات والأساليب والأَسْلِحة والوسائل وطرق الْمُوَاجَهة...إلخ، فهي ليست ديناً ثابتاً، وإنما وسائل متحولة متطورة.

ومن هنا كانَ الأساس الثّالث لدعوة الْمُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة الّتي طرحناها هو التطوير، تطوير فكرة الجِهَاد وأساليبه ووسائله، وهذا المنطلق هو الّذي ولد نظَرِيَّات الْمُقاوَمة في مناحي الحركة كلها والَّتي تشتمل على:

ا- الفكرة.

ب- الوسيلة.

ج- الأسلوب.

---

(١) الأم (٤/ ١٧٧)

وبتفصيلها اشتملت عَلى نظَريَّات مطورة للعمل في المجالات الثمانية الّتي يقوم عليها العمل والحركة:

١ - المنهج والعَقِيْدَة القتاليّة.

٢ - السّياسة وآفاقها.

٣ - التّربية وأبوابها وأساليبها.

٤ - المُوَاجَهة العسكريّة وأساليبها.

٥ - التَّنظِيم والحركة وبناء الكيانات الجهاديّة.

٦- التّدريب والإِعداد وطرقها المناسبة.

٧ - تمويل الجِهَاد وطرق تحصيله.

٨ - الإعلام والتّحريض وأدواته وأساليبه.

وهي النَّظريَّات الّتي سنفصلها في الجزء الثّاني من هذا الكتاب إن شاء الله.

وقد ولدت تلك النَّظريَّات من خلال آلية توليد ما نعتقده صواباً من خلال دُروس وتجارب الماضي، وعبرة ما ثبت لدينا خطؤه، أو عدم صلاحية استمرار العمل به.

وعلى كلّ حال وطالما أنّنا أثبتنا مبدأ التصحيح والتطوير لما سبق من تجارب وأساليب عمل وحركة ومفاهيم ومناهج ومبادئ اجتهادية، فالمبدأ يبقى سارياً حتَّى عَلى ما نطرح من أفكار وأساليب عمل وإدارات، نفترض صلاحيتها للمرحلة الحالية والمقبلة في المدى التطور، وهي أفكار من باب (الرَّأي والحَرب والمكيدة) قابلة للتصحيح والتصويب أيضا.

وعلى السائرين عَلى درب المُقاوَمة والمُجَاهدة لأعداء الله أن يراجعوا أعمالهم في كلّ مرحلة ويحسب ظروف كلّ بلد أو مكان ويحسب زمان وتاريخ العمل ويحسب الأشخاص والأقوام العاملين ومن حولهم ويحسب تحول أحوال من حولهم من دوائر الأَعدَاء وأنصار الأَعدَاء والمُجَاهدين وأنصار الجِهَاد والعاملين المُجَاهدين وكل هذه متحولات تقتضي ديناميكية الحركة ورحابة الاجتهاد والتطوير.

وهكذا ونحن نتنسم هذه الرّوح وعبر دُروس تجاربنا السَّابقة، أرجو أن تتسع الصدور، وتتفتح الأفهام للحوار، وألفت النَّظر إلى أن هذه الطروحات تمثل دراسة نقدية من داخل الصف الجهاديّ،

فالحَمْدُ للهِ فإني ابن هذا المسار وأحد جنوده وأحد العاملين فيه وأرجوا أكون أحد شهداءه في سبيل الله إن شاء الله.

وقد حملت هذه المحاولة النقدية حنان المشفق وهو يتناول العلل، مع جدية الباحث الّذي يلتزم الإنصاف والموضوعية والعمليّة، وارجوا أن أكون قد وفقت لما قصدته من الخير، فما كانَ من ذلك فهو من الله تَعَالَى وما كانَ من قصور فهو من نفسي القاصرة والكمال لله.

وقد حرصت عَلى منهج التقييم العام وتجاوزت عن ضرب الأمثلة المحرجة المباشرة قدر الإمكان. كي يؤلف هذا الكتاب أكبر كمية ممكنة من القلوب ولا يحرج أحداً وخاصة أخوة الجِهَاد ورفاق السّلاح والمسار الطويل، فرحم الله من مضى، وثبت من بقى وأعاننا عَلى نكاية أعدائه وجمعنا وإياهم عَلى خير.

وأعتقد أن هذه الطروحات ستصادف صدوراً رحبة حانية تغفر الزلة، وتأخذ بالنصيحة وتتجاوز عما تعتقده إساءة غير متعمدة، وأرجوا ألا يحمل الكتاب من ذلك شيئاً.

كما أعتقد أنه سيصادف صدوراً ضيقة ستتعامل معها بالتشنج، إما لرفض مبدأ النقد، وإما لمواقف مسبقة من المُؤلّف، فسامحهم الله سلفاً ومن أحرى بالمغفرة والسماح من الإخوة المُجَاهدين في سبيل الله.

وأسأل الله تَعَالَى العون عَلى اقتحام هذه العقبات الصعبة في مثل هذه الأبحاث، وأسأله الهدى لما يرضيه، ويجعل منه زاداً للمُجَاهدين في سبيله ويكتب لنا مثل أجور من انتفع بشيء من هذه النصائح ومضى لجِهَاد أعداء الله، لا ينقص وأجورهم شيئاً.

****

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

الفصل السابع

حصاد التّيار الجهاديّ في أربعين عاماً

«١٩٦٣-٢٠٠٣» م

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ
فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ
ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ
أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ
فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟
وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ﴿١٩٥﴾﴾

[آل عمران]

رَوَى أبُو دَاود والتِّرْمِذِيّ من حَديث أبي ثعلبة الخُشَنِيّ ﵁ قَالَ:
سَألتُ الرَّسُولَ ﷺ عَن هَذِهِ الآيَة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾

[المائدة: ١٠٥]

فقالَ رَسُولُ الله ﷺ:

«بَلِ ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ المُنكرِ، حتَّى إذَا رَأيْتَ:

شُحًّا مُطَاعًا...

وَهَوى مُتَّبَعًا...

وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً...

وَإعْجَابَ كلّ ذِي رَأيٍ بِرَأيهِ...

فعليكَ بخاصّةِ نفسِكَ ودَع عَنْكَ أمرَ العوامّ، فإنَّ مِنْ وَرائِكم أيّام الصَّبرِ، الصَّبرُ فِيهنَّ مِثلُ قبضٍ علىَ الجمرِ، للعَاملِ فيهِنَّ أجرُ خمَسينَ، قلُتُ يارَسُولَ الله: أجرُ خَمسينَ منهُم، قَالَ: أجرُ خمسِين مِنكُم»[1].

---

(١) أبو داوود (٤٣٤١)، التِّرمِذِيّ (٣٠٥٨)، ابن ماجه (٤٠١٤)، وقال الألبانيّ: ضعيف لكنّ فقرة أيّام الصّبر«فإنَّ مِنْ وَرائِكم " أيّام الصَّبرِ" ...» صحيحة ثابتة (السلسة الضعيفة ١٠٢٥).

الفصل السابع

حصاد التّيار الجهاديّ في أربعين عاماً (١٩٦٣-٢٠٠٣)م

مبدأ المراجعة والتقييم ومعوقات حصوله:

لا شَّكَّ أن هذا المبدأ هو من منهج القرآن، وطروحات السنة، وأساسِيَّات الدّين. كما أنه مسلك ثابت للصالحين، وطريقة معتمدة لدى كلّ العقلاء من كلّ ملة ودين، فقد نبه القرآن الكريم المُؤمِنِين جماعات وأفراد، في أكثر من آية إلى اتباع هذا المنهج، ولاسيما بعد الأزمَات ودلالات الواقع عَلى وجود أخطاء واعوجاجات، أدت لنتائج من البلاء والنّوازل أو العقوبات، فردهم إلى مراجعة أنفسهم، قَالَ تَعَالَى يخاطب صحابة رسول الله ﷺ بأسلوب صريح.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران]

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ [آل عمران]

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾ [القيامة]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف]

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ٢٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ٢٧ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ٢٨﴾ [القلم]

﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٤٣﴾ [الأنعام]

والآيات كثيرة في هذا السياق، ومما في السنة الشريفة:

«الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ»[1]،

وقد قَالَ عمر رضي الله عنه: (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم).

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٩) وابن ماجة (٤٢٦٠) وأحمد (١٧١٢٣) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

وها نحن نرى اليَوْم هذا المبدأ معتمداً، لدى جميع الدّول والحُكُومَات، والأحزاب السّياسيّة، والشركات الاقتصاديَّة، وسوى ذلك من مختلف المؤسسات، فكل هذه المؤسسات إثر كلّ مرحلة أو خُطّة مرحلية، تقيم أعمالها، ونسب التقدم والتراجع، وتجري حسابات الربح والخسارة، وتدرس مستوى الأداء في المراحل الّتي انقضت، وغالباً ما يفعلون ذلك من أجل التطوير والتحسين بشكل دوري وطبيعي، حتَّى من غير مرورهم بأزَمَات أو خسارات، وأما في حال ذلك، فإن أجراس الخطر تدق للشروع في البحث في أسباب ذلك، فتبدل البَرَامج، وتغير الإدارات، وتحدد أماكن الخلل والتقصير والمسؤولون عن ذلك، فيستقيلون أو يقالون، أو حتَّى يحاكمون في حال ترتب عَلى تقصيرهم ما يضر بالآخرين، بل إن التطرف يصل ببعضهم إلى الانتحار تعبيرا عن الشعور بالمسؤوليّة، أو للهروب من تبعاتها أمام أوساط لا تغفر التقصير وتبعاته عَلى المجموع، ومن أهمّ ما يدعو العقلاء إلى عمليَّات المحاسبة وتقييم المراحل الماضية، تغير الظّروف المحيطة ببرنامج عمل ما، بشكل ينذر بعدم صلاحية البَرَامج والخطط الّتي وضعت لظروف سابقة تغيرت معطياتها، أو في حال حلول كوارث ومفاجئات تقتضي ما يسمى في علم الإدارة بخلايا الأزمة أو إدارات الأزمة، ويقصر المجال هنا عن ضرب الأمثلة الكثيرة، من تجارب المُسلِمِين وغيرهم، وهي شواهد يعرفها كلّ من يعيش عصره ويحتك به ويطلع عَلى ما يدور من حوله، خاصّة من المثقفين، بل حتَّى من عوام النّاس في عالم اليَوْم.

الصّحوة والجهاديّون ومبدأ المراجعة والتقييم:

إذا ما عدنا لواقع الصّحوة الإِسْلَاميّة عموماً بمختلف مدارسها، وإلى التّيار الجهاديّ خُصُوصَاً نجدهم أنهم من أبعد النّاس عن هذا المنهج، فقد بدأت مساري في الإخوان المُسلِمِين، وعشت في هذه الصّحوة وفي تيارها الجهاديّ خاصّة، واحتككت بالكثير من شرائحها، واطلعت عَلى كثير من دوائر الصّحوة، وخاصة بسبب كثرة أسفاري وعملي في مجال الفكر والكتابة والإعلام، ورأيت وللأسف كيف أن أكبر الكوارث والانتكاسات والأخطاء، وخصوصاً تلك الّتي أدت إلى فواجع عَلى صعد كثيرة، كانت تبرر ويغلق ملفها بأربع كلمات بكل برود: (**قدر الله وما شاء فعل**)، وهكذا تستخدم

هذه الجملة المقدّسة الدالة عَلى أحد أركان الإيمان، بأسوأ طريقة لإطلاق كلمة حق يراد بها البَاطِل وتبرير العجز والفشل والتخلف.

ولست هنا أيضاً وأنا بصدد التَّقديم لهذا الفَصل في مقام ضرب الأمثلة في مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة والتّيار الجهاديّ، وهي كثيرة ومريرة، وتستأهل دراسةً مستقلة هادفة، ولكن الّذي أريد أن أشير إليه وأؤكد عليه وهو ما فعلته في كثير من الكتابات والمحاضرات والمناقشات، ولاسيما منذُ انصرام الجِهَاد الأفغاني وانطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد سنة ١٩٩٠، وقد كانت خُلاصة ما اقتنعت به ؛ أنه إن كانَ قد أمكن تجاوز هذا المبدأ الشَّرعيّ والدّيني والمنطقي العقلي عبر مسار الصّحوة الّذي أخذ عقوداً من الزَّمن منذُ ١٩٣٠ وإلى انصرام القرن العِشرين، وعبر مسار الصّحوة الجهاديّة عبر نصف تلك العقود أيضاُ، وهي مدّة غير قليلة، فإن من غير المقبول أن نتجاوز ذلك، وقد قام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وغيَّر موازين السّياسة والواقع، وابتدأ في الدُّنيَا واقع جديد، ولكن وللأسف فإن القليل جداً من أوساط الصّحوة، والتّيار الجهاديّ فعل مثل تلك المراجعات اللازمة.

ثمّ جاءت فرصة الشوط الثّاني في أفغانستان كما أشرت لذلك، وكانت هناك بوادر لمثل تلك المراجعات لم يتم منها إلا المراحل الأولى، وهي الاعتراف بوجود أزَمَات وخلل والاعتراف بالحاجة للإصلاح والتغيرات، ولكن القدر كانَ أعجل من ذلك في سِبتَمبر ٢٠٠١، وما زال المبدأ قائماً بعد أن بدأت مرحلة جديدة من مراحل النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وهي المَرحَلَة الّتي دعيت (عالم ما بعد سِبتَمبر) حيث انطلق (القرن الأمريكيّ) كما أراد المتطرفون الأمريكان وأعوانهم من اليَهُوْد والصّليبيّين في أوروبّا والعالم.

الصّحوة والتّيار الجهاديّ والحاجة الماسة للتقييم والإصلاح:

فالحاجة جد ماسة اليَوْم، لأن يقوم المعنيون من شيوخ الصّحوة الإِسْلَاميّة وقياداتها، وخاصةً العاملين في جهازها العصبي من الكتاب والمفكرين والعُلَماء، بتلك المراجعات، وبدراسة الأوضاع المستجدة، وتحليل أسباب الأزَمَات والنّوازل الخارجيّة والداخليَّة، ووضع الحلول الناجعة لها بحسب ما يفتح الله عليهم.

وفي هذا السياق أضع هذا الفَصل من كتابي هذا مساهمة من قلب التّيار الجهاديّ، لتقييم هذا الواقع وأزَمَاته، بحثا عن الحل، راجياً من الله أن يتقبله برضاه ويهديني فيه للإخلاص والصواب والقبول، ويدخره لي ذخراً وأجراً ويتجاوز عن تقصيري وزللي.

فأظن أن الأمر أوضح من أن يدلل اليَوْم عَلى أن الدُّنيَا قد تغيرت وتبدل كلّ شئ بعد سِبتَمبر وانطلاق الحملات الأمريكيّة، وأظن أن معظم الحلول والأساليب الّتي طرحت في الصّحوة الإِسْلَاميّة والجهاديّة لم يعد واقعياً ولا صالحاً، رغم أن قطاعات كبيرة من أنصار الجمود والتخلف ما تزال تعمل به وللأسف حتَّى يقضي الله أمراً كانَ مفعولاً.

معوقات عَلى طريقة منهج التقييم والمراجعة والإصلاح والتطوير:

هذه مشكلة قديمة قدم وجود الإنسان عَلى هذه الأرض، فمنذ أن بدأ العوج وفسدت الأحوال وأرسل الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين ليصلحوا ما أفسد النّاس، فدعوهم إلى دعوة الحقّ والفلاح الواضحة الصريحة الّتي يشهد بها العقل وتنساق من إليها الفطرة بقولهم ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وجدوا القطاع الأكبر من بني البشر يقودهم الملأ والأعوان والكهان الّذين استخفهم طغاتهم يجيبونهم: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾ [الزخرف] والشواهد في دعوات الأنبياء كثيرة جداً عَلى هذا الخلل الكامن في طباع أكثر النفوس البشرية الأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي.

- **فالمعضلة الأولى**، والمعوق الأكبر هو إصرار النفوس عَلى البقاء عَلى ما ألفت، والتمسك بالواقع وتراث الماضي رفض التغير والتطوير، ولاسيما عند ما يتعلق بموروث معتقد أو منهج عمل وسلوك.

- **وأما المعوق الثّاني**، فهو تقديس الرّجال وتقليدهم في منهج الدّين والدُّنيَا، والتعصب لأفكارهم ومسارهم وأساليبهم، وتقديس الهياكل والمؤسسات، سواءً كانت قبيلة أو قوماً أو تنظيماً، على حساب الحقّ، وكم شهدت من هذه الشواهد في مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة، وحتى الجهاديّة وكم

تشكى منها المصلحون في الدّعوة، فقد احتج الأستاذ العلم الشّهيد سيد قطب عَلى هذه الظَّاهِرة واحتج عليه بقول يكتب بماء الذهب فقال: (**إن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج**).

وقد صاح شيخ الجِهَاد ومؤسسه في سوريا الشَّيْخ مروان حديد بقيادة الإخوان المُسلِمِين في سوريا، الّذين رفضوا جِهَاد البعثيين والنصيرية، فقال لهم: (**لقد جعلتم من مصلحة التَّنظِيم وثناً يعبد من دون الله**)، وكثيراً ما كررها الشَّيْخ عبدالله عزام ﵀ في وجه قيادة الإخوان المُسلِمِين الّذين وقفوا عائقاً في وجه توجه الشَّبَاب للجِهَاد في أفغانستان ...

- **وأما المعوق الثّالث**، فهو ممانعة المستفيدين من الأوضاع القائمة لمبدأ التغير والإصلاح والمراجعة، لأنه سيحملهم نتائج أعمالهم، ويغير أحوالاً، ستذهب عَلى الأقل بمكاسبهم ومراكزهم فيستغلون المعوقين السابقتين من حب البشر لتقديس الموروث ورموزه، وإلفة النفوس لواقع حالها، وما شبت وشابت عليه، ويحشدونهم للدفاع عن مراكزهم الّتي تكفل استمرار الفشل والكوارث، إلى أن تغرق السفينة بالكل، وتغمر الأحزان الجميع، إلا القبطان المتشبث بدفة القيادة يدير عجلتها في أعلى المقصورة، أملأ بأن تسلم قمرة القيادة، غير عابئ بمعظم السفينة الّتي غمرتها المياه بما حملت من خلق ومتاع.

تطبيق مبدأ التقييم والمراجعة عَلى واقع التّيار الجهاديّ منذُ ١٩٦٠ وإلى أحداث سِبتَمبر ٢٠٠١:

بكل موضوعية وجدية واختصار أقول ؛ لو أنّنا وضعنا تلك المعوقات جانباً، لا سيما وقد وصلنا إلى قعر الأزمة والكوارث كجهاديّين بعد سِبتَمبر، وبكامل التسليم بقضاء الله تَعَالَى والرضا بقدره خيره وشره، ثمّ التفتنا إلى تحليل واقعنا وأسباب ما جرى لنا ونحن نعتقد أنّنا نحمل خُلاصة دعوة الحقّ ورايته الصافية، وقد قدم المئات من قياداتنا، والآلاف من كوادرنا ومن قواعد هذا التّيار الجهاديّ المبارك، جهودهم بكل إخلاص وتضحية، فلما ذا كانت النَّتِيجَة هكذا ؟! وما هيَ حصتنا من قوله تَعَالَى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾ ؟! ﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥]

وإلى أي مدى من المنطقي والصَّحِيح ألا نحتمل مسؤولية هذه النتائج ؟! وهل بإمكاننا إلقاءها صادقين محقين عَلى عوامل خارجية؟! ونردد مستريحين: قدر الله وما شاء فعل !!

وإلى أن مدى نحن مسؤولون لمخالفتنا السنن ولعدم أخذنا بالأسباب الممكنة ؟!

ليس من هذا من أجل تحديد مسؤولين عن ذلك ومحاكمتهم ومحاسبتهم ومطالبتهم بالتنحي أو إنزال العقاب بهم أو مطالبتهم بالانتحار!! وإنما من أجل فعل إيجابي، يحفظ للسابقين منزلتهم، وللعاملين عملهم، متخذين من هدى ربنا سبيل رشد إذ يأمرنا بأن نكون من الصّالحين: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر]

أنّنا نجد في خُلاصة مسارنا عبر أربعين سنة ما يمكن تلخيص بكلمتين: (**لقد كسبنا معارك كثيرة ولكننا خسرنا الحَرب في كلّ الميادين**).

لقد كانت نتيجة عمل التّيار الجهاديّ وتنظيماته هيَ الفشل في تحقيق الأهداف، وانكسار المُوَاجَهة، وقائمة هائلة من الخسائر، وثبوت الفشل في تحقيق الأهداف، والعقم في الوسائل، وهذا يقودنا لسؤال كبير.

هل يجب علينا أن نعترف بالهزيمة؟ ونستسلم للواقع ؟! وأجيب عن ذلك بالتعرض لفلسفة العلاقة بين الفشل والهزيمة والفارق بينهما.

فإني أعتقد أن الفشل هو عدم تحقيق الهدف في إحقاق الحقّ، وأما الهزيمة فهي التخلي نتيجة الفشل عن السعي لإحقاق الحقّ، وبالتالي فإن الانتصار منزلتان، انتصار ظاهر وهو تحقيق الأهداف في إحقاق الحقّ، وانتصار باطن وجوهري، وهو الإصرار والاستمرار في السعي لتحقيق الحقّ، والدأب في السعي إلى ذلك، إلى أن يوافق من يختارهم الله من السائرين عَلى الدّرب قدر الله، ويجتمع لهم الإذن بحصول النّصر الظَّاهِر، بأن وفقهم إلى الإخلاص والصواب، خلوص السرائر له وحده سبحان، وصواب في المنهج، وتوفيق في اختيار وتطبيق الوسيلة.

فإذا ما اجتمع القدر بالنّصر إلى صواب المنهج وتوفيق الوسيلة، تحقيق النّصر الكامل التام الشّامل وهو حصول النّصر الظَّاهِر في الدُّنيَا والقبول للعمل في الآخرة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ [الروم] وقد جاء في الأثر: (إن الله لا يقبل من العبد إلا ما كانَ خالصاً لوجهه وكانَ صوابا)، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾ [الأحقاف]

وبهذا نجد الآن أن أهل الصّحوة الإِسْلَاميّة ومنهم الجهاديّون قد انقسموا فريقين.

فريق منتصر أثخنته الجراح ولم تنحن هامته ولم تنكسر همته، يناطح القرن الحادي والعشرين ليجعله قرن الإِسْلَام وسيكون إن شاء الله كذلك.

وفريق منبطح طأطأت هامته، فانكسرت همته، فانبطح تدوسه سلاسل دبابات أمريكا وأحذية جنودها، ويصم أذنيه هدير طائراتها وصواريخها، عن سماع صوت الحقّ تَعَالَى يصدح: اللهُ أكبَر.. حي عَلَى الفلاح ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ **بشرط مهم:** ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عمران] ولكنه خائر القوى مهدود العزيمة ! وهَؤُلَاءِ يستسلمون الآن، لقد سلموا بأنه القرن الأمريكيّ، والأمثلة صارخة الوضوح عَلَى استسلامهم.

ففي الصّحوة الإِسْلَاميّة عامة، كما في التّيار الجهاديّ، ظهر مستسلمون، وفي قطاع الأُمّة الكبير، أكثرهم مستسلمون.

ولذلك ولعلمي بمنهجيّة التّيار الجهاديّ وبنيته ومساره، بعد إيماني بموعود الله أقول باختصار..

نعم لقد فشلنا معشر الجهاديّين، ولكننا لم ننهزم، وإن كانَ في محصلة نتيجة مسارنا، إلى جانب قائمة الشّهداء والأسرى والمشردين والمعذبين، بند أسودً قد سجل فيه بعض المستسلمين المهزومين من الجهاديّين أسماءهم، كما حصل من بعض قيادات الجماعة الإِسْلَاميّة في مصر، وبعض التائبين من الجِهَاد في السّعُودِيّة ! ومن إخوان سوريا وغيرهم.

ولكن هذا لا يغير من محصلة النَّتِيجَة الّتي يدل عليها دبيب الحياة في جسد الأُمّة الّتي خصها الله بوعد جليل:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾ [غافر] فذلك قدر الله كتبه من قَالَ تبارك وتعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة] ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصافات] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ

وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور]

وكل ذلك لسبب عظيم جليل مقدّس، لخصه الشَّعَار الجليل:

(اللهُ أكبَر..اللهُ أكبَر.... لَاإِلٰهَ إِلَّا الله). ولأن اللهُ أكبَر، ولأنه لَاإِلٰهَ إِلَّا الله.. فليعل هبل.. فالله أعلى وأجل.

أسباب فشل التّيار الجهاديّ في تحقيق أهدافه خلال (١٩٦٠-٢٠٠٠):

أعتقد أن فشل التّيار الجهاديّ في تحقيق أهدافه يعود لثلاثة أسباب ؛ اثنان خارجيان عنه، سأذكرهما بإيجاز، وثالث متعلق به وهو ما سأفصل فيه في الفقرات التّالية وهذه الأسباب هيَ:

١ - شراسة هجمة الأَعدَاء عَلى الجهاديّين واختلال ميزان القوى بشكل صارخ:

فقد استباح أعداء الإِسْلَام في الداخل والخارج كلّ وسائل البطش والتنكيل بالجهاديّين وجماعاتهم وقياداتهم وعناصرهم، وتجاوزوا ذلك إلى البطش بأسرهم، والتنكيل بآبائهم وأمهاتهم وأقربائهم ونسائهم وأطفالهم، وقد قام بالقسط الأكبر من هذا الجهد والبلاء أنظمة الرِّدَّة الحاكمة في بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، ثمّ انضمت إليها قوى الكفر من الصّليبيّين واليَهُوْد وأنواع الملحدين بشكل صريح معلن، بعد أن دعمتها وقدمت لها الخدمات والأدوات والدعم العسكريّ والأمني والإعلاميّ والمادي، فقد حارب أولئك الحكَّام الكفرة المرتدّون وما زالوا، كلّ من وقف في وجههم مُجَاهداً بكل وسائل القتل والتعذيب والتصفية، بالقتل وبالسّجون، وبالتَّشريد والمطاردة، وبهتك الأعراض، وبأخذ الأقرباء رهائن للضغط عَلى المُجَاهدين، وبالتجويع والحصار... إلى آخر ما هو معروف.

ومنذ انطلاق المواجهات بدا ميزان القوى بين الجهاديّين وهَؤُلَاءِ الأَعدَاء مختلا، وما زال بالغ الاختلال عددا وعدةً ووسيلة، ولاسيما في ظل ما أشرنا إليه في الفَصل السابق من انبطاح معظم الصّحوة الإِسْلَاميّة وقياداتها عن خوض المُوَاجَهة، وفساد القطاع الأكبر من العُلَماء أو انقماعهم وخورهم في جحور الرخصة، وخوارهم في زرائب النِّفَاق والخذلان، إلا من رحم الله وقليل ما هم،

وكذلك في ظل إعراض الأُمّة وعموم الشّعوب المسلمة عن البذل والتَّضحِيَة في هذه المعارك المصيرية، وهكذا أدت الحملات العسكريّة والأمنيّة الطَّاغية مما أشرنا لطرف من وسائلها آنفا إلى اختلال ميزان القوى وعدم تمكن الجهاديّين من تحقيق أهدافهم وكان هذا أحد الأسباب الخارجيّة.

٢- الواقع المنكوس للأمة وحالة الخذلان الّتي أحاطت بالمحاولات الجهاديّة:

ويمكن تلخيص هذا الواقع المنكوس في ثلاثة مناحي ساهمت بمجموعها في خسارة الجهاديّين، طليعة هذه الأُمّة، لكافة المواجهات حتَّى الآن، وهذا الواقع المرير يتجلى في ثلاثة ظواهر قاتلة:

أ- فساد الشريحة العظمى من علماء المُسلِمِين:

توزع أكثر علماء المُسلِمِين في هذا الزّمان عَلى قسمين ؛ إما علماء سلطان وفقهاء ضلالة، وإما علماء منكفئون في جحور العجز متعذرين بالرخصة والضّعف وقلة الحيلة.

والشواهد عَلى ذلك أسود من أن يشار إليها، وأكثر من أن تحصى، وقد أشرنا لبعض أطراف هذه الظَّاهِرة آنفا، فماذا أسوأ من أن يتولى علماء هذه الأُمّة بأنفسهم مُوَاجَهة أبنائها من المُجَاهدين، ويشهدون عليهم بأنهم مجرمون إرهابيون خوارج، وبغاة مفسدون في الأرض، ويفتون بأنهم كلاب أهل النار في الآخرة، وأما في الدُّنيَا فحكمهم أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض! حيث يشهدون عَلى حكامهم الفراعنة الطغاة، المشرعون من دون الله، الحاكمون بغير ما أنزل الله، المظاهرون لأعداء الله بالسنان واللسان والجنان، بأنهم أولياء أمور شرعيون ! مسلمون مؤمنون ! تجب طاعتهم ! وأنهم أهدى من الّذين آمنوا وجاهدوا سبيلاً ؟!!

بل هل هناك أدهى وأنكى من أن يسبغ علماء المُسلِمِين الخونة، الشَّرعيَّة عَلى قوى الاحتلال الغازية ويعطونهم صفة المستأمنين والذميين، بل الموادعين والمناصرين، هَؤُلَاءِ الّذين جاؤوا بخيلهم ورجلهم يحتلون البلاد وينهبون العِبَاد ويحاربون الله ورسوله ويظهرون في الأرض الفساد، حتَّى قَالَ العلامة السّعُودِيّ المنافق (**عبد المحسن العبيكان**) فض الله فاه: **أن الأمريكان لا يضربون إلا من يعتدي عليهم في العراق ! وأن الكفّار لو عينوا عَلى المُسلِمِين حاكما، فهم ولي أمر شَرعِيّ !!**

والشواهد السوداء المُنكرة تحتاج إلى كتب كثيرة لا تستوعبها المجلدات، من أقوال وشهادات وفتاوى الضلال الّتي يستعلن بها علماء السوء، وفقهاء البنتاغون اليَوْم في كلّ بلاد وأقطار العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.

وأما شريحة القلة الصّالحة من علمائنا، فهم الساكتون عن الحقّ الشياطين الخرس، أصحاب أعذار الذلة وقلة الأعوان، والرخصة بأن لا يكلف المرء نفسه مالا يطيق.

وهكذا ترك العُلَماء واجبهم في الأمر والنهي والبيان، وتقلبوا بين منازل كتمان الحقّ وأو تبديله وتغيره والشراء بدين الله وعهد الله ثمناً قليلاً.

وهذا نكص العُلَماء عن قيادة الصّحوة، وقعدوا عن قيادة الجِهَاد، فتاهت الصّحوة الإِسْلَاميّة بسببهم، فراحوا يعيبون عليها تيهها ! وخرجت الأُمّة من المَعْرَكة تبعاً لذلك، وكان هذا السبب القاتل في تعطل صمام الصلاح والأمان في الأُمّة من أهمّ أسباب انفراد العدوّ بالجهاديّين وخسارتهم للمعركة،

ب- فساد معظم قيادات مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة:

أحجمت الغالبيّة السَّاحقَة من قيادات الصّحوة عن دخول المَعْرَكة، بل لقد دخلوا بدلا عن ذلك الميادين الّتي رسمها لهم العدوّ نفسه، ليصبح أكبر دعاة الصّحوة، دعاةً للدين الأمريكيّ باسم الدِّيمقراطيَّة والإعتدال، والسعي إلى تبديل المناهج لتنافي العنف والتطرف، وليصبح العديد أكبر رموز الصّحوة جزءاً من مؤسسات السُّلطات المرتدّة الحاكمة الكافرة وللأسف، وزراء ومشرعين في البرلمانات، وجلساء موائد السّلاطين في كلّ مناسبة.

وهكذا ومنذ أواخر الثمانينات ومطلع التسعينات ولاسيما بعد انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وخاصة منذُ انطلاق عالم ما بعد سِبتَمبر، صار معظم قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة من أهمّ مرتكزات ذلك العدوان في تحقيق الغزو الفكريّ، وفي نصرة أوليائه من الحكّام المرتدّين وأنظمتهم، وفي إنجاح خُطّة عزل الأُمّة عن تأييد المُجَاهدين لهَؤُلَاءِ الأَعدَاء.

ج- انغماس أكثرية الشّعوب الإِسْلَاميّة في الفساد وعدم نصرتهم للمُجَاهدين:

تتميز حياة عامة المُسلِمِين في هذا الزّمان بالبعد عن الله، وفي الانغماس في حياة العبث والفسوق والعصيان، وفي البعد عن طاعة الله، واستحقاق أكثرهم لسخط الله وعقابه، فكيف تنتظر نصرتهم للمُجَاهدين وقيامهم بفريضة جِهَاد أعداء الله ؟!

وقد أسهبت في الفَصل الأوّل في وصف أحوال وواقع المُسلِمِين اليَوْم بما يغني عن التكرار هنا.

والخلاصة أن واقع حياة أكثر المُسلِمِين هو واقع الفسوق والعصيان والجبن والخذلان، والوهن ؛ حب الدُّنيَا وكراهية الموت، بسبب ضلال أمرائهم، وفساد علمائهم، وعجز وتردي أحوال أكثر من يوصفون بقيادات صحوتهم، فأنى لهم أن يرتقوا إلى ذروة سنام الإِسْلَام ليجاهدوا في سبيل الله وينصرون الله ورسوله.

أنى للساهرين عَلى بَرَامج (الفيديو كليب) و(ستار أكاديمي)، أن يدفعوا أعداءهم ؟ أنى لجمهور يتربى عَلى بَرَامج القنوات الفضائية، مثل (روتانا) وأشباهها أن ينصروا دين الله، أنى لهَؤُلَاءِ الّذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أن يقفوا إلى جانب المُجَاهدين ويبذلوا التضحيات ؟!

إن وصف واقع المُسلِمِين المخزي يحتاج للمجلدات الكثيرة، وإن وصف طريق الإصلاح والنجاح يحتاج لبَرَامج جادة لا صلاح ما فسد من أحوال المُسلِمِين في كلّ مجال.

فأكثر المعتقدات فاسدة، وغالب الأفكار ضالة، وسلوك الأكثرية منحرف، والعادات والتقاليد مستوردة من الكفّار، وأكثر المكاسب من الحرام، وقد عم الزنا والفجور، والخلاعة والاختلاط والسفور، وتقنن أكل الربا، وفشا أكل أموال النّاس بالبَاطِل، وظهر الغش والخداع والرَّذِيلة والتبرج. وغدا التسابق في ميادين الميوعة والسفه مألوفا، وصار التيه في ميادين الرفاهية والعبث والبذخ طابع حياة الميسورين، والحسد والضغينة والنِّفَاق طابع أكثر المعوزين.

وصار المصلون في النّاس قلة، وأكثر الصائمين يفطرون في رمضان عَلى موائد المرح والسهر عَلى المعاصي والفوازير وبَرَامج الكفر بالله، وآخر مخترعاتهم فيما أسموه الخيام الرمضانية، حيث تفطر الجموع عَلى ألحان الاوركسترا، وهز بطون الراقصات، والمسابقات الفنية والجوائز، إلى قرب السحر،

حيث يأكلون ما لذ وطاب ثمّ ينقلبون نائمين جيفا، يفتتحون نهارهم بترك صلاة الفجر بعد ما ملؤوا ليلهم بالموبقات !! وصار لا يُؤَدِّي من النّاس الزّكاة إلا أقلهم، ولا يحج فهم رغم الاستطاعة إلا النادر منهم، وأكثرهم نزهة وفخرا وتجارة.

فأين القوم الّذين يسمون (مُسلِمِين)، من حقيقة شهادة أن لَاإِلٰهَ إِلَّا الله وأركان الإِسْلَام ؟! وأين هم من منازل الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وملائكته وكتبه ورسله ؟! وماذا بقي مما يدل عَلى إيمانهم بالله واليوم الآخر وقضاء الله خيره وشره؟!

ولا يظن ظان، أو يدلس مبطل، أنا نعتقد كفر أمثال هَؤُلَاءِ الفساق من المُسلِمِين، كلا ! ولكنه توصيف لأحوال أتت بهذه النتائج، فهم بشكل عام مُسلِمِين، والله أعلم بحال كلّ منهم، وليسوا إلا ضلالا فجارا مناكيد، أصلحهم الله أو أراح منهم.

وهذه حالة أكثرية المُسلِمِين مع الأسف، وهو ما أخبر بحصوله رسول الله ﷺ في آخر الزّمان، (انظر مسك الختام، في آخر الكتاب)، ومهما تكن هذه الحقيقة مؤلمة ومهما أنكرها وأنكر واقعتها علماء السوء والمَشَايخ العصريون من أصحاب القبة البيضاء وربطة العنق الأوروبية! واللحى المنتوفة، من دعاة الإِسْلَام الأمريكيّ، والجمهور المعجب بـ (ولاويل) العلامة الحليق المهرج عمرو خالد.

و إلا فما ذا تحتاج هذه الشّعوب الإِسْلَاميّة حتَّى تتحرك ؟!

هل تحتاج جوعاً أكثر مما هيَ فيه حتَّى تتحرك ؟ فهذا أول ما يحرك الإنسان أي إنسان للثورة، وهَؤُلَاءِ لا يخرجون يقاتلون عن جوعهم وجوع أبنائهم !! ولله در أبي ذر رضي الله عنه عندما قَالَ: عجبت لرجل يبات جائعا ولا يخرج بسيفه عَلى النّاس !

أم يحتاجون ذلاً أكثر مما هم فيه، وهم في حالة من الذّلّ تأباها حتَّى فطرة أكثر الحيوانات، فتجدها تركل وتنطح أو تهبش أو تعض ! إذا ما أوذيت تدافع عن نفسها، وهَؤُلَاءِ لا يتحركون من ذلهم !!

وهل يحتاجون انتهاك للأعراض أكثر مما حصل ويحصل؟! أم هل يحتاجون غزواً خارجياً واحتلالاً ؟! أم عسفاً وظلماً وقهراً ؟! وهل ينقص الأُمّة من كلّ هذا شيء حتَّى تتحرك؟!

والعجيب اليَوْم، أن المظاهرات ومسيرات الرفض لاحتلال بلاد المُسلِمِين من قبل شعوب الكافرين هيَ أكثر مما خرج في بلاد العَرَب والمُسلِمين الّذين غزا الكفرة ديارهم! فهم في أوربّا بالملايين، وفي بلادنا بالآلاف، أو المئات والعشرات غالبا !

بل تندهش لما تجد المصادمات بين عشرات آلاف المتظاهرين في اليابان وكوريا وغيرها مع شرطة بلادهم حتَّى لا يذهب جنودهم لاحتلالنا، في حين ينزل هَؤُلَاءِ الجنود في مطارات بلادنا المجاورة للعراق وفلسطين وغيرها من البلاد المختلفة وينعمون بكل الهدوء والدعة، بل بالترحيب أحياناً لا أقول من الحكَّام فحسب بل من بعض الشّعوب! بل وحتى بالتمتع بعاهراتنا المرخصات بنص القانون والدستور.

وحتى لا يستغرب مستغرب، فقد جاء في الأخبار خبر طريف، مفاده أن مجموعة من راقصات مصر المسجلات رسميا (كفنانات) وعددهن يربو عَلى ٥٠٠٠ راقصة، تظاهرن احتجاجا عَلى سماح الحكومة المصريَّة للراقصات المستوردات من روسيا ودول أوربّا الشرقية، بالعمل في (كباريهات) مصر، لرخص أجورهن، وأكثرهن بالطبع عاهرات كحال تلك المتظاهرات.!!

وقد رد وزير مصري عَلى احتجاج أحد الإِسْلَاميّين عَلى أخذ ضريبة الدخل، من العاهرات المسجلات رسميا، فقال الوزير باللهجة المصريَّة: (**ما هيه بتكسب ؟ والقانون عندنا بيقول: في كلّ كسب ضريبة!!**).

وتحتج منظمات حقوق الإنسان الكافرة العلمانيّة الأجنبيّة عَلى منع المسلمات من الحجاب في فرنسا، غيرة عَلى الحريَّة الشَّخصيَّة، ويقوم كبير علماء المُسلِمِين شيخ الأزهر في مصر، المنكوس طنطاوي ليفتي بأن منع الحجاب شأن فرنسي داخلي لدولة ذات سيادة ولا يجوز التدخل به!! وأن الحجاب واجب عَلى المسلمات في بلاد المُسلِمِين وليس في البلاد الأجنبيّة !! ثمّ يعتمد حسني مبارك هذه الفتوى في خطابه، ويطلب من المُسلِمِين في فرنسا الموضوعية والحوار! لا بارك الله فيه ولا في شيخه الحمار،

أنّنا اليَوْم من أمة وقف كبير هيئة كبار علمائها ابن باز يفتي بجواز بالتطبيع مع اليَهُوْد، حتَّى قام (بيريز) في الكنيست ينوه باعتداله ويثني عليه، وأعضاء الكنيست من الحاخامات والمجرمين يصفقون له!

وهاهي مآسي الإنتفاضة في فِلَسطِين لم تقدم لها الأُمّة إلا بضع تظاهرات ما لبثت أن قمعت، ولم تتكرر، ثمّ تكرر المشهد في احتلال العراق!! ومن قبل ذلك ذبحت البوسنة أمام سمع المُسلِمِين وبصرهم، واغتصبت أكثر من ٦٠٠٠٠ مسلمة، وضعت منهن من الزنا ٣٠٠٠٠ ابن سفاح، أخذتهم مؤسسات التنصير ! في حين كانَ الحوار دائرا عَلى صفحات جريدة (المُسلِمُون) السّعُودِيّة حول جواز أن تضرب المغتصبة بطنها حتَّى تسقط جنينها، وحرمة وحل ذلك !! والشِّيشَان، وكشمير، ووزيرستان..و !!

وهاهي الفضائِيَّات اليَوْم تضع الأحداث بحذافيرها في كلّ بيت من بيوت المُسلِمِين، فماذا تحتاج هذه الشّعوب حتَّى تتحرك ؟!

فهل يرجى من مثل هذه الشّعوب اليَوْم نصرة لدين الله حتَّى ينصرها الله تَعَالَى، وهو القائل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [محمد] ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨﴾ [النساء] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ ؟![محمد] والله إن عَلى أكثر القلوب اليَوْم أقفالها وسلاسلها ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾ [المطففين] ونعوذ بالله من أسباب سخطه.

ذات يوم سألت أحد قادة جماعة الجِهَاد في مصر، أيّام جمعنا الجِهَاد ضدّ الرُّوس في أفغانستان؛ لم فشل الجِهَاد في مصر؟ فقال: (يا أخي أنت تعرف أن من أهمّ مقوّمات حرب العِصَابات معطيات الأرض ومعطيات الشعب، والمشكلة عندنا في مصر، أن الأرض مسطحة والشعب المصري أيضاً شعب مسطح، فكيف تقوم حرب عِصَابات جهاديّة ؟!)، ومع العذر من صلحاء المُسلِمِين في مصر وأرجو أن لا يحزنوا لهذا الشاهد، لقد أثبتت كلّ الشّعوب في مصر كما في غيرها، أنهم شعوب مسطحة، قد سطح حكامُها علماءَها وصحوتَها بالسيف والسوط والذهب، وسطحت الصّحوة والعُلَماء شعوبَها، فلم يبرز فيها مقاوماً إلا قلة ممن أنعم الله عليهم.

وها هيَ بلدي العزيزة سوريا المنكوبة، بلاد الشّام، عقر دار الإِسْلَام، قد حول النصيرية عاصمتها دمشق إلى ماخور للزناة باسم السياحة، لتوفر الاستجمام لعرابيد الزناة القادمين من أطراف الأرض ولاسيما من دول الجوار، كي لا يتكبدوا عناء السفر إلى بانكوك، ويضربوا لها أكباد الـ(بوينغ)، ولا داعي لمزيد من الإحراج !

وقل مثل ذلك عن المغرب، وتركيا، وفنادق دبي، ومواخير جزر المالديف، وغيرها وصولا إلى جَزِيرَة بالي الأندونيسية !

وتبقى الحقيقة كما قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١ ﴾ [الرعد] إن الحقيقة المرة تثبت كلّ يوم، أنه لم يعد لأكثر المُسلِمِين من الإِسْلَام إلا اسمه ومن الدّين إلا رسمه، ولم يعد من المُسلِمِين، على ما كانَ عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، ممن وصفهم بالفرقة النَّاجِيَة إلا القلة، ولا ينتسب إلى طائفتهم المَنصُورَة المُجَاهدة الّتي تقاتل عَلى هذا الدّين إلا قليل الآخرين من الرّجال والنِّسَاء المتناثرين هنا وهناك يعبدون الله قابضين عَلى الجمر معزولين متهمين مطاردين، فأنى لمثل هذه الشّعوب أن تنصر الله ورسوله، وأن تجاهد مع المُجَاهدين ؟!

رغم أَنّي لا أنسى أن أنوه بكثرة المقهورين الرافضين لهذه الأحوال، المحصورين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، يطيعون الله في أنفسهم، ويجأرون إلى الله من جور الحكّام وحصار فتاوى العُلَماء الضالين لهم، ففرج الله كربتهم، ولكن ما وصفت هو حال الأكثرية السَّاحقَة.

فهناك حقيقة مؤلمة يجب الإشارة إليها ؛ وهي أن انتصار المُجَاهدين علىَ الأعدَاء، وانتصار الجهاديّين في مشاريعهم وتحقيقهم أهدافهم بالحكم بما أنزل الله، هو في حقيقته انتصار للأمة والشّعوب، ونعمة من الله عليها لما تستأهل ذلك أحوالها.

فهل أحوال هذه الشّعوب المسماة (إسلاميّة) اليَوْم، تستأهل فرج الله بنصر طليعتهم المُجَاهدة لتعمهم هذه النعمة ؟ اللّهم كلا!

وهل أحوال علمائهم وقادة صحوتهم، تستأهل مثل فرج الله هذا ونصره لهذه الأمّة؟ اللّهم كلا!

وهل واقع حكامهم المرتدّين الظَّالمين الكافرين الفاسقين يستأهل الفرج والعون ؟ اللّهم كلا!

وأعتقد أن هذا يفسر ما نحن فيه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت: ٤٦]

وهكذا انتصر معظم الجهاديّين حيث قام جِهَاد نصراً خاصاً بهم، لقد استشهدوا ولاقوا ربّهم شهداء ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٧٠﴾ [آل عمران]**، إن شاء الله تَعَالَى.**

لقد أعطى الله المقبولين المخلصين منهم النّصر الأعظم، وقربهم إليه، وخلصهم من هذا الواقع المنكود.

فالنّصر الظَّاهِر المشهود، بهزيمة الأعدَاء الكافرين، وانهيار الطغاة المرتدّين، واندحار الظُّلمة والفاسقين، وتحكيم شرع ربّ العَالمِيّن في الأمّة ؛ هو نعمة تتنزل من الله علىَ هذه الشّعوب لما تستأهلها وهذا ما تقتضيه السنن، وتدل عليه شواهد التّاريخ.

لقد عم الخطب والعطب، ونحن نسير إلى أن يعم الظُّلم والفساد الأرض ومن عليها حتَّى يقيض الله لها الّذي يملؤها قسطاً وعدلاً بعد أن سارت وتسير اليَوْم لتمتلئ ظلماً وجورا، وهكذا وقف المُجَاهدون في سبيل الله وحيدين في ساحة المُوَاجَهة وخسروا معاركهم وهزموا في مواجهاتهم، وهذا الوصف ليس عذراً الأحد كي يقول ؛ إذن ما الفائدة في الجِهَاد إذا كانت أحوال الأُمّة تستأهل الهزيمة؟

فهذه الفكرة نزغة شيطان ونفس ضعيفة، وهذا يوضحه أمران:

أولها: أن الجِهَاد فريضة متعينة اليَوْم، وهي عبادة شخصية، عَلى كلّ فرد مسلم أن يؤديها، طائعة نفسه أم كارهة، مثلها مثل الصّلاة والزّكاة والصّيام وكل عبادة، فهو مثاب عَلى أدائها، مآخذ عَلى تركها، آثم بالإعراض عنها، كافر بجحودها.

بل إن مُوَاجَهة صائل الكافرين والمرتدّين وأعوانهم اليَوْم آكد في فرضيته من كلّ الفرائض بعد توحيد الله كما سبق وأسلفنا البراهين في الفَصل الثّاني.

والأمر الثّاني: أن أداء المُجَاهدين لهذه الفريضة يحرك مكامن الصلاح في قطاع الصّحوة وقواعدها، ثمّ في قادتها وعلمائها، ثمّ يبدأ مسار الصلاح حتَّى يتعدى عبر طريق التضحيات الجسام،

ومسار العذاب، والثَّمن الّذي يجب أن تدفعه الأُمّة، فيسري الصلاح، وتبدأ الأُمّة خطاها الصَّحِيحة إلى أن تستأهل نصر الله.

وما أظن إلا أن يشاء ربي، أن تنصر الأُمّة ويتنزل بها الفرج، وتعلوا راية دينها وتحكم شريعة ربها، لمجرد تضحيات من سموا إلى علا المجد، وارتقوا إلى مستويات الشَّهَادة من الاستشهاديين والمقاومين هنا وهناك، من أولئك الّذين يقدمون أنفسهم قرابين لهذا الدّين حيث وفقهم الله.

إن هَؤُلَاءِ ينتصرون نصراً شخصياً ذاتياً عاجلاً، ويمهدون الطّريق لنصر الأُمّة، لما تتحرك الأُمّة! بفعل عمل متراكم سيأخذ زمناً طويلا، عَلى مسار مرير تعطره دماء الشّهداء، وترويه دموع الأيّامى والثاكلات، وتحدوه آهات المعذبين المضحين في سبيل دينهم وأمتهم.

لا أقول دماء آلاف، ولا مئات آلاف، وإنما دماء ملايين الشّهداء من هذه الأُمّة، حتَّى نستأهل الفرج والنّصر والظفر، ونستأهل موعود الله.

لقد قدم زهرة شباب جيلنا وسعهم، وقدمنا معهم وسعنا، والحَمْدُ لله ونسأله القبول.

أذكر الآن أنني عندما كنا في كابل أيّام طالبان، لطالما ردّدت عَلى مسامع زوجتي، وهي تودعني عَلى باب الدار باكية وقد أحضرتْ أطفالي الأربعة لأقبّلهم قبل أن أخرج إلى خط القِتَال الطاحن قرب كابل الّتي كنا نسكنها وندافع عنها، حيث يُسمع دوي القنابل، وأزيز رصاص المعارك من البيت الّذي يبعد ١٢ كيلومتر فقط عن ساحتها ! فأقول لها:

إنه ليعز علي بكاؤك، ويقطع قلبي هذه النَّظرة الحائرة في عيون الصغار، ولكني راض مرتاح الضمير لأني أعلم أن خروجي وخروج أمثالي، سيجعل دموعك ودموع مثيلاتك تختصر وتوفر علينا دموع ملايين الباكيات القادمات، وهذه الحسرة في عيون أبنائي ستوفر عَلى ملايين أطفال المُسلِمِين تجرع مرارة اليتم ولوعة التَّشريد إن شاء الله، أنّنا نحمل عن الأُمّة عبئ مصائبها لعلها تُختصر عليهم.

وكم مرّة انسللت من فراشي قبيل أذان الفجر لأتابع أعمالي في التّدريب والإِعداد والرِّبَاط، فتمسك زوجتي بِكمي قائلة: انتظر واصبر قليلا فالوقت مبكر جدا، فأقول لها: لو علمت أن أعداءنا ينامون ويُنظِروننا لانتظرت، ولكنهم دائبون في حربنا ولسنا أقل منهم، وقدوتنا ﷺ من قَالَ الله له:

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران]

فقاتل الله الرياء، وأعوذ بالله من الفخر، وما أذكر هذا من كثير من الذكريات العزيزة إلا لتحفيز المُسلِمِين بإعلامهم بأحوالنا، وتشويقهم إليها، ولأنها صور رائعة قرأنا عن مثيلاتها في أخبار من سلف فحفزتنا، ثمّ عشناها – والحَمْدُ لله – فأود أن أصفها لمن فاتته فلعلهم يتحفزون.

وإلا فأنا أقل من أعرف من المُجَاهدين حالا وسعيا وقد خاب من افترى، ولا أقول إلا ما كانَ يقوله السُّلطَان المُجَاهد نور الدّين زنكي (الشّامي – الحلبي)، لما كانَ يرى رحيل الشّهداء من حوله في جِهَاد الصّليبيّين، فيتحسر ويقول: (**لو كانَ لله بي حاجة لأخذني، وإنما الأعمال بالنيات**)، وكم أنا حقيق بهذا القول وقد مضى جلُّ من أعرف ومن أعددتهم للجِهَاد وبوأتهم مقاعد للقتال، أو صحبتهم فيه !

و لكني كاتب وعليَّ أمانة، ولو كانَ من أعرف من المُجَاهدين المخلصين كتابا وأدباء، وكتبوا عن أحوالهم، لأطاروا البَاب من كانَ له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد، فليس هذا محل فخر، وأي فخر ؟! وهل يمكن لرجل من هذه الأُمّة أن يرفع رأسا بفخر، وقد خرج صبايا المُسلِمِين ونساؤهم يفجرن أنفسهن باليَهُوْد في فِلَسطِين وبالرُّوس في الشِّيشَان؟!! ألا لا نامت أعين الجبناء، ولا تهنأ القاعدون عَلى فراش، ولا متع الله الخونة بطعام ولا شراب ولا ولد.

نعم.. لقد خرج ابراهيم ذات يوم من مخبئه ليلا يتجول في أحياء الكوفة متخفيا، وكان قد خرج وأخوه محمّد الملقب بالنّفس الزكية وهما إمامان جليلان من آل البيت – عليهم رضوان الله – خرجوا عَلى أبي جعفر المنصور يقاتلون عماله الظُّلمة في المدينة والكوفة، ثمّ تواريا اختفيا عن أنظار عماله وجواسيسه.

فرأى ابراهيم ذات ليلة وقد خرج يتجول امرأة تنبش في المزبلة، وتأخذ منها طائرا ميتا، فسألها عنه، فقالت أنها ستطعمه أيتاما عندها، فقال لها: قد علمتِ أنه ميتة حرام، فقالت له: قد حلَّت لنا.

فبكى رضي الله عنه وقال لها: **إن أمثالك سيخرجونني غدا لتضرب عنقي !**

وهذا ما كانَ، ولم يكف خروجه لحل المشكل ! فخرج وقتل شهيداً رحمه الله.

ومثل هذا بل أشنع منه هو الّذي أخرجنا لتضرب أعناقنا، ولنتلظى بحر دمع نسائنا، وحرمان أطفالنا. وليس عندنا لهم إلا قول الله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ ﴾ [الأعراف] عملا

بأمره سبحانه: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء] وليس عندي قول أسدُّ مما أسلفت، عندما يسألنا النّاس لمن نترك أهلنا ؟!

ولكن هل كفت جهودنا وجهود أمثالنا لحل المشكل ؟ بل المشاكل المتراكمة من الكفر والمظالم؟!

لا، لم تكف، لم تكف جهود أمثالنا، وليست بكافية والله أعلم.

إن جيلنا هذا ومن سيأتي بعدهم، سيدفعون فواتير هائلة من تبعات القعود والنكوص ومسار الفساد في كلّ منحى عبر مئات السنين الّتي مضت، وخاصة في هذا القرن الأخير، حتَّى وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليَوْم من حال أسود لا يرضي الله ولا يرضي رسوله ﷺ ولا المُؤمِنِين.

ومهما ظن الظانون من المصلحين المزعومين، والعُلَماء الواهمين القاعدين ؛ مهما ظنوا وزعموا، أن حملاتهم العَالمِيّة الكلامية لدحر العدوان ستحل المشكل، وأنه بغير الجِهَاد والتضحيات يمكن للأمة أن تنهض، فهم واهمون، لأنّهم تركوا مقتضى شواهد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ودروس التّاريخ، وراحوا يبحثون عن الحلول في متاهات الفكر والفلسفات الضالة !!

بل العجب أنهم يبحثون عن نصرة دين الله في ميادين سخطه والشرك به !! في أجهزة حكم السّلاطين ! وإدارات المحتلين الغُزَاة الكافرين ! وبحمل أفكارهم ودعوتهم، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

والله غالب علىَ أمره ولكن المُنَافِقين لا يعلمون.

وهكذا تضافرت الأسباب الخارجيّة الثّلاثة ؛ قوة بأس الأَعدَاء وهجمتهم، وفساد أحوال أكثر العُلَماء والدعاة ونخبتهم، ثمّ انتكاس أحوال غالبية الشّعوب المسلمة، لتكون سبباً رئيسياً في عدم حصول النّصر والفرج وعدم انتصار مشروع الجهاديّين، وعدم تحقيق أهدافهم.

لقد ُخذل ذلك الرهط المبارك، وأحيط به، وخسر المعارك والحُرُوب السالفة، وفي موعود الله أمل فيما نستقبل من أيّام إن شاء الله.

ولكن هل لنا بصفتنا جهاديّين أن نلقى أسباب الخسارة والهزائم والفشل المتكرر فقط عَلى تلك الأسباب الخارجيّة آنفة الذكر؟! كلا!! هناك أسباب داخليَّة خاصّة بالتّيار الجهاديّ ذاته، بسبب القصور والحال الّذي اعتراه، ساهمت بشكل رئيسي في النتائج الّتي حصلت، وهو ما سنتناوله في هذا الفَصل، إن شاء الله.

وقبل أن نخوض في وجوه الخلل وأسباب الفشل الداخليَّة في التّيار الجهاديّ يجدر بنا أن نذكر إيجابيات ذلك التّيار وإنجازاته عبر تلك السنين العامرة بالإنجازات والتضحيات.

الحصاد الإيجابي وإنجازات التّيار الجهاديّ في أربعين عاماً مضت:

على مدى أربعين سنة من تراكم الجهود والبذل والعطاء، لمختلف الجماعات والتَّنظِيمات والأفراد في مختلف أنحاء العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، أنجز الجهاديّون إنجازات عظيمة، وحققوا انتصارات كثيرة تسجل في سجلهم المشرف، وإن كانوا قد فشلوا في الوصول إلى الأهداف النّهائيّة الّتي وضعوها لأنفسهم كما أسلفنا، ويمكن تصنيف هذه الإنجازات في المناحي التّالية:

١ - الإنجازات الفكريّة والمنهجيّة:

فقد استطاع التّيار الجهاديّ عبر علمائه وقادته ومفكريه، وعبر مجموع الجهود الأدبية والإعلاميَّة المختلفة، أن يقدموا التّيار الجهاديّ كمدرسة رئيسيَّة ومتميزة في الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة، وتمكنوا من تحديد ملامح منهجها، عبر الكتب والمُؤلّفات والمحاضرات، وأن يخطوا بمداد أولئك العُلَماء والمفكرين والقادة معالم الطّريق للسائرين خلفهم عَلى ذلك الدّرب المنير، وقد أضفت دماء آلاف الشّهداء ممن قدموا أرواحهم في سبيل الله في مختلف الميادين عَلى تلك الأفكار وذلك المنهج حياة، وجعلوا لها نماذج وقدوة يستلهمها السائرون إلى مرضاة الله عَلى طريقتهم.

٢ - الإنجازات الدعوية والجمهور:

وبفضل الله أولاً، ثمّ بفضل تلك التَّجَارب، وما قدم الشّهداء والصابرون في سبيل الله عَلى ذلك الدّرب، وما لعبه التراث الفكريّ والجهود الإعلاميَّة والدعوية للجهاديّين عَلى مختلف الأصعدة،

وعلى مدى تلك العقود الأربعة الماضية، صار للجهاديّين جمهور متميز في الأُمّة عامة وفي الصّحوة خاصّة، وصارت عطاءاتهم مثلاً ونبراساً لكل المسارعين الآيبين إلى ربّهم من جموع هذه الأُمّة.

٣ - الإنجازات العسكريّة:

وهي الجانب البارز والملموس من إنجازات الجهاديّين، فقد استطاع المُجَاهدون في سبيل الله في هذا الزّمان سواءً من الجهاديّين من التّيار الجهاديّ، أومن مختلف مكوّنات الظَّاهِرة الجهاديّة من المُجَاهدين لأعداء الله الخارجين والمحليين، وعلى مختلف الأصعدة الجماعية والفرديَّة، استطاعوا أن يكتبوا بدمائهم وبعناء أسراهم والمشردين في سبيل الله منهم، أن يقدموا إنجازات لا يستهان بها في المجال العسكريّ.

فقد قدمت بعض التَّجَارب نموذجاً للثورات المستمرة الطويلة المدى، كتلك الّتي حصلت في سوريا والجَزَائِر وطاجيكستان، وقدموا نماذج لمواجهات نوعية واستطاعوا أن يطيحوا بالعديد من رؤوس الكفر ومرتكزات الأَعدَاء.

فقد تمكن المُجَاهدون من إعدام الكثير من أعداء الله من الطواغيت، كانَ فهم الرؤساء والوزراء وكبار أعوان الطواغيت وصغارهم، واستطاع جند الله المُجَاهدون أن يردوا صاع العدوان بما يكافئوه في بلدان عديدة.

كما استطاعوا الجهاديّون أن يلعبوا دوراً هاماً في مُوَاجَهة الهجمة الصّليبيّة المعاصرة عَلى المُسلِمِين في عدد من القضايا، كانَ من أهمّها الدَّور الّذي لعبوه في الجِهَاد في كلّ ساحات المواجهات المفتوحة مع الأَعدَاء الخارجين، من الفلبين إلى إندونيسيا إلى كشمير إلى إريتريا إلى الصّومال، إلى العراق حاليا. وكان من أبرزها وأهمّها ما قدمه الجهاديّون من مشاركتهم الظافرة في الجِهَاد في الشِّيشَان ضدّ الملاحدة الرُّوس، حيث ما تزال المَعْرَكة مستمرة، وكذلك بلاؤهم الحسن في البوسنة ضدّ الصّليبيّين الصّرب والكروات المدعومين من مختلف القوى الصّليبيّة العَالَمِيّة حيث تمكنوا من إجهاض مشروع الإبادة الّذي استهدف المُسلِمِين هناك.

ولكن نجاحهم الأكبر كانَ في المشاركة في الجِهَاد في ساحة أفغانستان حيث استطاعوا أن يطيحوا بنظام حكم شيوعي دموي عميل، ثمّ أن يطيحوا تبعاً لذلك بالدّولة العظمى الكبرى (الإتحاد السُّوفيتيّ) ويفككوا أوصالها ويطووا علمها، ويجعلوها أثراً بعد عين، حيث أسفرت تلك الجهود عن ولادة نواة لدار الإِسْلَام من جديد، بقيام الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان، وتنصيب أمير للمؤمنين، رغم كلّ محاولات المنع والإجهاض، حيث قدمت الإمارة وأميرها عَلى مدى ٦ سنين نموذجاً للحكم بالشّريعة رغم أنف النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، ونموذجاً للحصن الّذي يمتنع به المُؤمِنُون ويعيشون حياتهم وفق قواعد دينهم وأوامر ربّهم، ثمّ ما كانَ من النموذج الفذ الّذي أفتتح به المُجَاهدون القرن الحادي والعشرين قرن أمريكا المزعوم، بنقل المُوَاجَهة إلى عقر قلبها النابض.

ثمّ كانَ صمود المُجَاهدين الأبطال من الأفغان العَرَب في معارك أفغانستان وساحات المُوَاجَهة المفتوحة مع القوى العظمى وأتباعها عبر العالم فيما أسموه بالحَرب العَالَمِيّة عَلى الإِرهَاب.

وهاهم المُجَاهدون ثمّ ما تبع ذلك اليَوْم يتابعون في ساحات المُوَاجَهة مع الصّليبيّن وأعوانهم في أكثر من مجال، وهاهي ساحة الجِهَاد في العراق مستعرة وبوارق الأمل في أكثر من مكان قادمة، وإن غداً لناظرة قريب.

وسيستمر العطاء والإنجازات العسكريّة الجهاديّة حتَّى يتحقق موعود الله لهذه الأُمّة بالظفر والتمكين ورفع رايات هذا الدّين إن شاء الله تَعَالَى.

وقد حفل ذلك المسار الطويل من المواجهات عبر ما يزيد عَلى أربعين سنة، بآلاف المعارك والمواجهات، الّتي أثبت فيها أولئك الأبطال لأعداء الله من الداخل والخارج أنه ورغم مرحلة الانحطاط الّتي يعيشها عموم المُسلِمِين، إلا أن معجزة رسول الله ﷺ وإخباره بأنه ما تزال عِصَابة من أمته ظاهرين عَلى الحقّ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتَّى يأتي أمر الله وهم عَلى ذلك، هيَ معجزة مستمرة، وما تزال متحققة، ولها رجالها حتَّى في أسود مراحل تاريخ هذه الأُمّة، ولو عرف الجهاديّون كما ينبغي قدر تراثهم وقيمة تاريخهم وتجاربهم، وشمر القادرون فيهم عن ساعد الجد لكتابة ذلك التراث المجيد، لخلفوا لهذه الأُمّة تراثاً مجيداً زاخراً بتاريخ التَّجَارب، وعبر الدُّروس، وقصص

الأبطال الميامين، ونماذج الشّهداء الربانيين والمُجَاهدين الصابرين، ولكن وللأسف لقد طوت الأيّام تلك الصّحف، واندثرت عبر الأيّام كثير من القصص الرائعة والنماذج الفريدة، فرحم الله أصحابها وأجزل لهم المثوبة، وكما قَالَ عمر ﷺ عندما سأل عن شهداء الفتوح فقصوا عليه قصص من عرفوا، ثمّ قالوا وآخرين لم يعرفهم أحد، فقال ﷺ ما ضرهم أن لم يعرفهم النّاس إذ عرفهم الله تَعَالَى.

٤ – الإنجازات السّياسيّة:

رغم أن الهدف النّهائيّ الّذي رفعه الجهاديّون وهو إسقاط أنظمة الجَاهِليَّة وإقامة النّظام الإِسْلَاميّ عَلى أنقاضها لم يتحقق في كافّة الساحات الّتي عملوا بها كافّة، ولكن وعلى طريق ذلك الهدف وإلى جانب تلك المسارات، حقق الجهاديّون إنجازات سياسيّة كثيرة، من أهمّها:

- تهديد مشاريع أنظمة الحكم الجَاهِليَّة، وكشف بطلانها ونزع الشّرعيَّة عنها.
- فضح مشاريع التطبيع مع اليَهُوْد والغرب الّذي سعت فيه الأنظمة الّتي همت بذلك، ولاسيما مشاريع التغريب ونشر الإِسْلَام عَلى الطَّريقة الصّليبيّة.
- كذلك استطاع الجهاديّون مُوَاجَهة انحرافات الصّحوة منهجياً وعملياً وإعلامياً.
- واستطاعوا بفضل الله، الإثبات للغزاة المحتلين أن الأُمّة رغم انهيارها ليست لقمة سائغة.

و من الإنجازات السّياسيّة الّتي تتضافر نتائجها مع الوقت حتَّى توافق قدر الله تَعَالَى في قيام المؤهلين لتحقيق الإنجاز الأكبر في إقامة نواة دار الإِسْلَام الزائلة والدّفاع عنها وتوسيع رفقتها حتَّى تقوم الخِلافَة الرّاشدة الموعودة الّتي بشر بها رسول الله ﷺ وهي لا شَّكَّ ولا ريب قائمة وآتية وعبر الجِهَاد ولا شَّكَّ وليس عبر الحوار والمنتديات الإلكترونية ولا المعارك البرلمانية.

فإن الجد لا يولد من العبث، والحق لا يولد من الضلال، والفضيلة لا تتأتى عن طرق الرَّذِيلة، وصدق رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[1].

---

(١) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصححه شاكر، وأورده الألباني في صحيح الجامع-(٢٨٣١) ولأطراف الحديث شواهد في البخاري.

الأخطاء والثغرات والحصاد السلبي للتيار الجهاديّ عبر أربعين عاماً:

قد يسأل سائل؛ إذا كنتم تعتقدون بأن التّيار الجهاديّ قد تمكن من كلّ تلك الإنجازات الّتي وردت في الفقرة السالفة؟ فلم ذكر الأخطاء إذن، وأقول: أن ذلك بقصد العافية، وكما قَالَ المتنبي:

وَلمْ أرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبَاً ۞ كَنَقْصِ القَادِرِينَ عَلى التَّمَامِ

ولكي نقترب أكثر من تحقيق الهدف المنشود الّذي انطلق الجهاديّون من أجله، وهذا لا يكون إلا بالتصحيح والتطوير وتحسين المسار بعد توفيق الله.

وقد يعترض معترض بأن في سرد العيوب والنقائص كشف للأسرار والعورات مما قد يفيد العدوّ، وأقول بأن هذه الثغرات معروفة للعدو وللأسف أكثر مما هيَ معروفه لأبناء الصف ذاته، وهم المعنيين بالإصلاح فيه، فليس فيها كشف سر، لاسيما وأن أكثرها دُروس قد مضت ومضى أصحابها، والحَمْدُ لله الّذي لا يحمد عَلى مكروه سواه، ولم يترك علماء السّلاطين وأجهزة إعلام الطواغيت والأجهزة العَالَمِيّة نقيصة حقيقية أو مختلقة، إلا ونسبتها إلينا لتشويه سمعتنا.

ونحن نذكر هذه الأخطاء لتفاديها وإصلاحها، ونذكر الأساليب البالية المستهلكة من أجل تبديلها، كما نذكر تلك المفاهيم الخاطئة ومعظمها طارئ عَلى التّيار الجهاديّ كي يتم تصحيحها، وهي معرفةً واجبة حتَّى عَلى قواعد التّيار الجهاديّ فضلاً عن كوادرهم والكبار منهم، وهذا لا يكون همساً ولا سراً.

إن عمليه النقد الهادف يجب أن تمارس في جو من الحريَّة والصدق والمصداقية والمصارحة، بين قيادات واعية وقواعد تستأهل المشاركة في المعرفة، لأَنّهم رجال.. رجال في قمة الرجولة، امتلكوا القرار بالمُوَاجَهة في زمن نكصت فيه الهمم، فلا يجوز أن يزج بهم ويضحى بهم، وفق أساليب بالية جربت وثبت فشلها، أو مفاهيم خاطئة أدت إلى الفشل بل إلى الكوارث أحياناً.

إن العلاج من الأمراض يمر بثلاث مراحل أساسية، بعد التوكل عَلى الله وطلب العافية والشفاء منه.

أولها: الاعتراف بحالة المرض ونية العلاج.

وثانيها: مراجعة الطبيب الثقة الأمين المؤمن، وكشف العيوب والعلل والنقائص عليه، بلا وجل ولا استحياء منها، حتَّى ولو كانت فيما يستحيا منه من العورات.

وثالثها: تناول الدَّواء ولو كانَ مرا، بهمة وصدق وعزيمة عَلى بلوغ العافية.

إن هذه المراحل يجب أن يقوم المعنيون بأمر شفاء العمل الجهاديّ من علله بها، وكذلك عَلى مستوى الصّحوة كلها، مدرسة مدرسة، وجماعة جماعة، وعلى مستوى المسؤوليّة الكلية عن الصّحوة، وبدون هذه الموضوعية لا يتم – والله أعلم – شفاء، لأنها السنن الّتي لا تحابي أحداً.

فما الفائدة في أن يأخذ الأبوان ولدهما المريض للاستشفاء من مرض عضال يكاد يأتي عَلى بدنه، ثمّ لما يسأل الطبيب عن بأسه، يبدؤون بتعداد خصاله الحميدة ! ولما يسألهم عن علته، لا يذكرونها أو يذكرون بعضها ويخفون بعضها، حباً وحناناً ولدوافع كلها طيبة!

إن مثل هذا الولد مرشح للفناء إن لم تتداركه رحمة الله، لأن الحنان والحب الّذي مورس عليه هو من النوع القاتل، حنان جاهل ومتخلف.

وقد يكون لفت النَّظر إلى العيوب والنقائص من خارج الصف مزعجاً، بل قد يكون مرفوضاً إذا ولد شعوراً بنية غير صالحة، فلو قَالَ لك الطبيب أن ولدك قد ألم به (الجرب)، ستتألم وتتقبلها بصدر رحب وتسأله عن العلاج وتنفذه، ولو كانَ الطبيب صديق من الأسرة لكان أهون لأنك متأكد من العطف وحسن القصد، وهذا غير أن يقول لك جارك البعيد أن (ابنك جربان)! ستجد نفسك متحفزا لرفض الملاحظة، وربما أعدت إليه صفة الجرب، وإلى نصيحته ولم تتقبلها منه.

إن عمليه عرض النقائص والثغرات يجب أن تتم داخلياً وعلى مستوى كلّ تجمع ومدرسة والفقير إليه تَعَالَى ولله الحمد، واحد من أبناء هذا التّيار الجهاديّ، وهو من بقية من تبقى من جيل قد تحطم وقضى أكثره، وأسأل الله أن يكون ذلك لخير أراده الله لمزيد من العطاء ولأداء الأمانة وليس لأنا سقطنا من عينه تبارك وتعالى فلم يختارنا فيمن اختار.

ولطالما كنت وما زلت محامياً ومدافعاً وبكل حماس بل وشراسة أحياناً عن هذا التّيار ورجاله وأعماله، وذلك في مواجهات غارات الخصوم من أعداء هذه المدرسة المباركة (التّيار الجهاديّ)، وفيما

كتبت وحاضرت أكبر برهان عَلى ذلك ولله الحمد، ولكني هنا لست في ذاك المقام، أنّي هنا في مقام النصيحة الداخليَّة، والنقد البناء لمدرستنا وعملنا وطريقتنا، بنية استنباط طرق أقرب للصحة والصواب بحسب ما أعتقد، والله الموفق وهو يهدى السبيل.

وهو ما سأحاول استخراجه بحسب ما يوفق الله تَعَالَى في الجزء الثّاني من هذا الكتاب، إن شاء الله تَعَالَى.

لقد انتقدنا نحن- معشر الجهاديّين - مدارس العمل غير الإِسْلَاميّ الأخرى، ورفضنا ها، ووقفنا منها موقف الرفض والعداء، ثمّ انتقدنا كافّة مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة غير الجهاديّة، من دعوية وإصلاحية، وإخوانية، وسلفية، وغيرها، بدافع التناصح ومن خلال حقنا كأعضاء في عموم الصّحوة، لنثبت أن الجِهَاد هو الحل، أو من باب دفع الغارة المغرضة.

الآن جاء دورنا لنضع أنفسنا أمام المرآة، ونراجع أعمالنا ونتائجها، ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب، ولنزن أعمالنا قبل أن توزن علينا، قبل أن يحاسبنا الله تَعَالَى عَلى التقصير في المراجعة والعبرة من أنفسنا وغيرنا، وقبل أن تحاسبنا الأجيال والأُمّة، ولاسيما من يأتي بعدنا لأنَّنَا لم نبصرهم بأخطاء مرحلة مرت، ولم نعطهم دُروس تجارب دفعنا زكي الدِّماء ثمناً لها.

ويجب أن نزن أعمالنا بميزان الإخلاص والصواب، فأما الإخلاص - اللّهم عونك - فكل بحسب ضميره ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ١٥﴾ [القيامة]

وأما الصواب فهو ميزان كتاب وسنة، ثمّ منطق عقل ودروس تجارب، لعلّ الله وعسى أن يوفقنا لما يحب ويرضى ويتقبل منا، ثمّ يقربنا من النّصر عَلى أعدائه.

أنواع الأخطاء والثغرات الّتي طرأت خلال مسار وتجارب التّيار الجهاديّ بحسب تصوُّري والله تَعَالَى أعلم:

لو تخيلنا رجلاً يسير في درب نحو هدف معين ووجدناه يسير ويترنح، ويسقط تارة ويقوم أُخرى، ويحيد عن هدفه حيناً ويسير في دربه الصَّحِيح أحياناً، ويضعف تارة ويشتد أُخرى، ثمّ نجده

لا يصل إلى هدفه في النهاية، ستقودنا ملاحظته لمعرفة أسباب عجزه وسوء أدائه إلى أحد ثلاث أسباب عامة:

١- خطأ في طريقة التَّفكير وتصوُّره للمسار (خلل التَّفكير).

٢- خطاء وخلل في بنية جسمه وقصوره عن الأداء الصَّحِيح (**خلل البنية**).

٣- خطاء في أسلوب السّير ورسم الخطوات غير المتناسب مع الطّريق (**خلل الأسلوب**).

وهذا ما حصل غالباً لمعظم تجارب العمل الجهاديّ وتياره عبر نصف القرن المنصرم تقريباً، وأشير هنا إلى أَنّي بصدد التقييم العام، وليس التعرض لتجربة جماعة معينة أو تنظيم معين أو أشخاص معينين أو تجارب بلد معين، ولكني أحاول التقييم، معتبراً التّيار الجهاديّ، وحدة اعتبارية بصفته مدرسة وتجارب، وسأذكر أنواع الخلل والأخطاء الّتي حصلت في مسار التّيار ككل وغني عن الحاجة للشرح أن هذا لا يعني أن تنظيماً معيناً أو تجربة معينة قد تلبست بكل تلك النقائص أو بعضها، ولكن قد تكون بعض التَّجَارب قد حازت نقيصة أو ثلاث أو أكثر أو أقل مما سأذكر.

وقد يتصوُّر البعض من (الجهاديّين) أنه كانَ عَلى عافية تامة، ولم يتلبس بأي من تلك العلل ولكنه الحظ العاثر، أو كما يرددون كثيراً «قدَّر اللهُ ومَا شَاءَ فَعَل»، فليحمدوا الله إذاً عَلى العافية التَّامَّة الّتي كانوا عليها ولينعموا بحسن الظن بأنفسهم ويستريحوا.

فأنا هنا بصدد عرض أخطاء وإشكالات تلبس بها معظم مدارس التّيار الجهاديّ، ولو كنت بصدد ضرب الأمثلة لبدأت بنفسي والتَّجَارب الّتي خضتها حتَّى لا يحزن أحد، ولكني بصدد التعميم للفائدة.

فإذا ما عدنا إلى حيث كنا أكرر أن الأخطاء والخلل في مسار التّيار الجهاديّ كانت عَلى ثلاثة أنواع:

(١) - أخطاء في المنهج والتَّفكير.

(٢) - أخطاء في البنية والهياكل.

(٣)- أخطاء في أسلوب المسير وطريقة العمل.

ولنتناول بالتعداد والتفصيل وشيء من الشرح ما يتيسر من البيان لتلك الأخطاء الّتي تلبسنا بها معشر العاملين في التّيار الجهاديّ عبر مسير مبارك استمر زهاء أربعة عقود وأسأل الله أن يتقبل من كلّ منا ما أحسن ويتجاوز له عما أساء إن أهل التقوى وأهل المغفرة.

أولا- أخطاء المنهج والتَّفكير:

ولعلّ هذا أحد أهمّ المجالات الّتي قل فيها مجال الخلل بشكل عام، وذلك بفضل الله تَعَالَى عَلى المُجَاهدين وبركة قوله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت]

وقد سبق أن عرضت لأهم الأساسِيَّات الفكريّة المنهجيّة لدى التّيار الجهاديّ وجماعاته المختلفة.

ولكن بعض الجماعات والتَّنظِيمات والتَّجَارب الجهاديّة قد عرض لها شيء من الخطأ والخلل في الجانب الفكريّ المنهجي، بحسب ما أعتقد والله أعلم، ومن أهمّ تلك الأخطاء وجوانب الخلل المنهجيّة الّتي كانت من المعوقات الداخليَّة للعمل ما يلي:

١ - تسرب أفكار التشدد إلى مناهج بعض الجهاديّين:

فكما سبق وعرضت فإن التّيار الجهاديّ مر فكرياً بمرحلتين بشكل عام.

أ - المَرحَلَة الفكريّة الحَركيّة.

ب - مرحلة الفكر الجهاديّ السلفي.

وقد ذكرت كيف أن المَرحَلَة الثّانية قد أكملت الثغرات العقدية والفقهيّة الّتي كانت قائمة في الفكر الجهاديّ، وذكرت إيجابيات ذلك التكامل، ولكني هنا أشير إلى أن تلك الإيجابيات قد صاحبها في بعض الأحيان سلبية كبيرة من خلال سوء التطبيق لدى بعض الجماعات أو الأفراد في بعض التَّجَارب، مما أدى إلى جنوح بعض شرائح الجهاديّين إلى مستويات من التشدد والتطرف في الطرح العقدي والفقهي السّياسيّ الشَّرعيّ، وجعل بعض أدبيات مناهج الجهاديّين تحتوي عَلى تعميمات وقواعد عقدية، صارت مع توافرعوامل الجهل والحماس والضغوط النّفسية لدى بعض الجهاديّين متكأً لأفكار «تكفيرية» تجاوزت الضوابط الّتي قام عليها الفكر الجهاديّ، ولا أقول هنا أن الفكر

الجهاديّ قد مزج بالفكر التكفيري، لا، وإنما أقول أن تلك الطروحات من مثل بعض رجالات التّيار الجهاديّ السلفي، أو الّذين لحقوا به من بعض العُلَماء أو طلاب العلم المرموقين كانت إما شديدة ومتطرفة، وإما صيغت بشكل عموميات جعلت بعض المتأخرين من الجهاديّين يجنحون إلى التجاوز والتوسع في التَّكفِير.

كما جعلت بعض المنتمين إلى (التّيار التكفيري)، يعتمدون تلك النّصوص متكأً لهم، ويستشهدون بأقوال أصحابها في كتاباتهم، مما جعل الهامش في تلك المواضيع بين (الفكر الجهاديّ) و(الفكر التكفيري) رقيقاً، ومكن الخصوم من أجهزة الاستخبارات أو علماء السُّلطَان أو أجهزة إعلام الأنظمة من جعلها شواهد لوصم الجهاديّين بالتكفير، وهو كما بينت من أنجح الوسائل الّتي استخدمت لضرب الجهاديّين، فكيف تمّ ذلك ؟!

لقد تمَّ ذلك عندما جرى الخلط (بين **العَقِيْدَة السّلفيّة**) و**المنهج لسلفي** المعاصر وأساليبه، هذا المنهج الّذي اختاره غالبية التّيار الجهاديّ منذُ أواخر الثمانينات كما أسلفت في مرحلة الشوط الأوّل للأفغان العَرَب، وبين (**منهج التّيار السلفي المعاصر**) وفقهه وأسلوب علمائه ورواده المعاصرين، ولاسيما من علماء السّعُودِيّة ومن تربي عَلى مدرستهم، ثمّ ما تفرع عن هذه المدرسة الّتي تعود بأصولها في أغلب الأحيان إلى تراث الجيل الثّاني والثّالث من علماء الدّعوة الوهابية.

والحقيقة أن دراسة (المدرسة السّلفيّة التقليدية) وعقائدها وفقهها، ثمّ مقارنتها مع (السّلفيّة المعاصرة) وأصولها ومدارسها الفكريّة والعقدية، يجد فوارق هامة.

فقد تتابع تأثير السّلفيّة المعاصرة وفروعها في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، ثمّ تشعبت في العقدين الأخيرين إلى مدارس وطرق ومذاهب، تصل في تنوعها وتراثها الفُقْهيّ وآراء أصحابها إلى حد التضارب والتضاد في كثير من الأحيان، ضمن ما عرف (بالتّيار السلفي).

وهذه مسألة شائكة معقدة وهامة، ويجب دراستها وتمحيصها وهذا يحتاج كتاباً وبحثاً مستقلاً ليس هنا مكانه، وإنما أشير إلى مؤثرات ذلك التّيار السلفي المعاصر عَلى الفكر الجهاديّ ومسار التّيار الجهاديّ سلباً وإيجاباً.

فأما إيجاباً فقد مر في الفصول السَّابقة، وذلك أن التّيار الجهاديّ الحَركيّ مطلع الثمانينات قد وجد ضالته في حلّ إشكالاته الفقهيّة الحَركيّة كما قلت في الفقه السلفي والعَقِيْدَة السّلفيّة.

وأما سلباً وهو موضع الفقرة الحالية، فقد أدى إلى لحاق كوادر علمية من التّيار السلفي من غير الجهاديّين الحَركيّين بالتّيار الجهاديّ الحَركيّ الّذي نشا عَلى الفكر الإخواني والقطبي، كما أدى إلى نشوء طبقة من طلاب العلم في الجهاديّين تتلمذوا عليهم في مرحلة الجِهَاد الأفغاني في شوطها الأوّل، وما تبع ذلك من مرحلة الملاذات، وأخذوا بمنهجهم من دون أهلية في البحث والفتوى والتّصَدّي لعظائم المسائل.

ولأن أحد أكبر بلاءآت الأُمّة في هذا العصر هيَ إعراض العُلَماء الراسخين عن الجِهَاد وعن مواقف الحقّ، وعن التّصَدّي لنوازل الأُمّة السّياسيّة الشَّرعيَّة الكبرى من مسائل الحاكِمِيَّة والوَلَاء والبَرَاء وتطبيقها عَلى واقع هذه الحُكُومَات والمجتمعات وظروف الغزو والاحتلال، مما انعكس عَلى التّيار والظَّاهِرة الجهاديّة بأنه كانَ تيارا يخلو من علماء كبار راسخين في العلم أو حتَّى متوسطين إلا في النادر.

وهكذا تسرب إلى التّيار الجهاديّ ظاهرة قاتلة، ولدت أصلاً في التّيار السلفي المعاصر الّذي قام عَلى عَقِيْدَة صحيحة وفقه أصيل، بالإضافة لممارسات تطبيقية أدت إلى كوارث انتقلت إلى التّيار الجهاديّ، وزاد الطينة بلة أن الجهاديّين أصلاً هم في الغالب من الثوار والمتحمسين للدفاع عن دين الله، فأضيف إلى حماسهم وحماس بعض طلاب العلم فيهم، إلى تلك الأسس غير المنضبطة للطريقة السّلفيّة المعاصرة، ففتحت البَاب لأعاصير عاتية من الفوضى الفقهيّة في بعض الأحيان، أدت إلى بروز ذلك عَلى شكل فتاوى وآراء بالغة الشدة والتطرف سواء كانت خاطئة أو كانت صحيحة صيغت بشكل معمم، فأمكن أن يستخدمها جهال التّيار الجهاديّ أو التكفيريين ويجعلوها متكأً للتطرف والتشدد والتكفير بلا ضوابط، وساعد هذا عَلى هدم حاجز يعتبر وجوده مهم جداً بين الفكر الجهاديّ والفكر التكفيري.

وإن إعادة إبراز هذا الحاجز من أهمّ أولويات عمليَّات الترميم في التّيار الجهاديّ في المَرحَلَة المقبلة إن شاء الله.

٢- غلو بعض الجهاديّين المتأخرين في التعصب المذهبي لمفهومهم عن (السّلفيّة):

هذه المشكلة فرع من سابقتها، وقد اتسمت بعض الأوساط والأفراد من الجهاديّين أو من لحق بساحاتهم من المنتمين آنفاً للتيار السلفي بهذه المشكلة.

فالأصل الّذي قام عليه التّيار الجهاديّ هو حشد الأُمّة للجِهَاد في سبيل الله، ودفع مختلف أنواع الصّائلين عنها، ومع أن الواجب عَلى المُجَاهدين وقيادتهم وهم يسعون إلى أن يكونوا عَلى منهج الطَّائِفَة المَنصُورَة علماً وعملاً، وبالتالي أن تكون عقائدهم عَلى ما كانَ عليه النبيّ ﷺ وصحابته ومن تبعهم بإحسان، وهم سلفنا الصّالح الّذين يجب أن نقتدي بعقيدتهم ومنهجهم، وأن تكون أصولنا ونهجنا مستندة إلى أصولهم وأصول منهجهم.

إلا أن هناك لفتة في غاية الأهمّيّة، وقد أسقطها غالب الّذين يزعمون انتماءهم للسلفية في هذا الزّمان من سلفيين جهاديّين وغير جهاديّين من الّذين يحتكرون هذه الرّاية وهذا المسمى الشريف، هذه اللفتة هيَ أن واقع الأُمّة بمئات ملايينها هو ليس كواقع الصّحابة وما تلا ذلك من خير القرون، بل ولا يشبه واقع معظم التّاريخ الإِسْلَاميّ، فضلا عن بعده عن مقاييسنا معشر الجهاديّين والسلفيين.

لقد ألم بنا واقع في غاية التعقيد بعد سقوط الخِلافَة وما شهده الواقع العربيّ والإِسْلَاميّ من التغريب والأزَمَات الداخليَّة والخارجيّة.

والأصل أننا معنيون كجهاديّين باستيعاب الأُمّة، وجمهور سواد الأُمّة، وتوجههم لأداء فريضة الجِهَاد ضدّ مختلف أنواع الصّائلين من الأَعدَاء الخارجين وأذنابهم من الحُكُومَات الطَّاغوتية، ومعلوم أن الملتزمين بدينهم من هذه الأُمّة وغالبية علماءها وأوساط الصّحوة والمتدينين فيها عَلى مستوى الأُمّة ليسوا بأغلبيتهم عَلى المنهج السلفي، رغم أنه منهجي ورغم اعتقادي أنه الأصح عقديا.

فمعظم الملتزمين وعلماء الأُمّة (بسعتها كأمة إسلاميّة)، وغالبيتهم السَّاحقَة هم من أتباع الفقه المذهبي وليسوا من أتباع الفقه السلفي، كما أن كثيراً منهم هم عَلى غير المنهج السلفي في الاعتقاد

وغالبهم من الأشاعرة هذا في أوساط العُلَماء وطلبة العلم، وأما في أوساط العوام المتدينين فهم مقلدون لتلك للأوساط، وهذا حال أهل السّنّة منذُ أكثر من ألف سنة، ومن المعلوم أن التّيار السلفي المعاصر غير الجهاديّ، قد دخل في مساجلات وإشكالات عقدية وفقهيّة كثيرة مع هذه الأوساط، وصلت إلى حد الجدليات البيزنطية عبر العقود بل والقرون.

ولا شَّكَّ أن مشكلة نزول الصّائلين بنا وفرضية دفعهم تقتضي منا السّير مع عَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة في الجِهَاد مع أمراء المُسلِمِين وعامتهم برهم وفاجرهم، عالمهم وجاهلهم، وأن مصلحة تأليف القلوب وجميع الصفوف عَلى الجِهَاد مقدمة بلا شَّكَّ ولا جدال عَلى المصلحة من إثارة أكثر تلك الجدليات الفقهيّة والعقدية، خاصّة الآن ونحن في هد الحال، وهذا من صميم منهج السَّلَف الّذي يدعيه هَؤُلَاءِ، وشواهد ذلك كثيرة جدا.

إلا أن بعض الجهاديّين ورؤوس طلاب العلم منهم أو من اللاحقين بهم، جروا الوسط الجهاديّ للدخول في حالة من الشجار مع تلك لأوساط الإِسْلَاميّة والمتدينة، واشترطوا شروطا تعتبر قياسا لأحوالهم تعجيزية، وغدت عائقا حقيقيا في التعامل معهم ودعوتهم للجِهَاد، وقد لعب هذا دوراً كبيراً في إفقاد التّيار الجهاديّ شعبيته، وجعله نخبوياً، وأدخلت كثيراً من شرائحه وشخصياته في معارك جانبية طبقوا فيها قواعد الوَلَاء والبَرَاء عَلى كثير من المُسلِمِين، متبرئين منهم بدل أن يستوعبهم التّيار الجهاديّ في صف واحد، أو عَلى الأقل في حلف واحد ضدّ أنواع الصّائلين لدفعهم، أو عَلى الأقل جعلهم في دائرة الحياد.

ولكن كثيراً من الجهاديّين بسبب هذا المنحى المنهجي ضاقت صدورهم بذلك، وأفسد الكثير منهم علاقات ومصالح كانَ يمكن أن تدفع بالأُمّة قدماً بشكل أفضل نحو أداء فريضة الجِهَاد، وذلك بسبب عدم استصحاب الواقع وفقه الأولويات والمصالح والمفاسد في فقه حركتهم الّذي اتسم بكثير من الجمود مع النّصوص وتطبيقها في غير واقعها.

وأذكر أَنّي دخلت في كثير من المساجلات والمحاورات مع بعض الجهاديّين من بعض القيادات والقواعد مؤكداً لهم ضرورة الجمع بين كوننا من السّلفيّة الجهاديّة، وعلى منهج السَّلَف الصّالح، وبين



كوننا محتاجين أن نترفق بالمُسلِمين ونجاهد معهم، وندعوهم للجِهَاد معنا عَلى ما هم عليه من المذاهب الفقهيّة والعقدية الّتي هيَ فيها النهاية ضمن دائرة أهل السّنّة والجماعة، ولكن وللأسف، فإني كثيراً ما كنت اكتشف أنّنا في واد وإخوتنا هَؤُلَاءِ في واد آخر، بل سمعت في هذه المجالات تهما وتجريحاً وأفكارا عجباً..ولاقيت عنتا.

ومن يقرأ كتابات الشَّيْخ عبدالله عزام يقرأ الكثير عن معاناته من هذه المشكلة وأصحابها وهو يخلقون الأزَمَات مع الأفغان بسبب مشكلة المذهبية والعقائد حتَّى مع عوام النّاس.

ومن عجائب ما أذكره في هذا السياق، أن أحد هَؤُلَاءِ الجهاديّين السلفيين جداً! قَالَ لي يوماً في سياق الحوار: (**إن الجِهَاد يجب أن يكون سلفي الرّاية، وأن تكون قيادته سلفية التركيب، وأحكامه سلفية المنهج، وأن يكون كلّ شيء بالدليل، ولو قبلنا أن يجاهد معنا من ليس سلفيا فمن باب الحاجة، ولكن ليس لهم أن يكون لهم من القيادة شيء وإنما نقودهم مثل البقر لأداء فريضة الجِهَاد!!**)

ولم أستطع أن أفهم حقيقة كيف سنجاهد مع إخوة الدّين والعَقِيْدَة إذا كانت علاقتنا بهم علاقةً بقرية تقوم عَلى الجذب من هَؤُلَاءِ والركل والنطح من الآخرين!!

ولكن هذه الظَّاهِرة لم تكن ضمن دوائر ضيقة وللأسف، حتَّى أن بعض الجهاديّين رفض العمل معنا ذات يوم في مشروع جهاديّ لأنني كنت مسؤولا عنه قائلاً: كيف نجاهد مع رجل لا يرفع يديه في الركوع ويصلى عَلى البِدَعة! ولا أدري من قَالَ لهم أن من لا يرفع لدليل عنده هو مبتدع ! ناهيك عن أن كلّ ما في الأمر أَنّي كنت آخذ بفتوى من قَالَ من العُلَماء بمجاملة أهل المحلة في مذهبهم تأليفاً للقلوب كما قَالَ الإِمَام ابن عبد البر وغيره، وكنت لا أرفع في الركوع والرفع منه يدي عند ما نصلي مع الأفغان، ومعلوم أنهم من الأحناف وأكثرهم متعصب وجاهل، ونحن وإياهم في وئام كبير وجِهَاد دفع متعين، وكان كبار قادة المُجَاهدين العَرَب من أمثال الشّهِيد عبدالله عزام رحمه الله، والشَّيْخ أُسَامَة حفظه الله يطلبون ذلك ويحثون المُجَاهدين عليه وقد لاقوا في هذا المجال الكثير من العنت، وهذه أمثلة لإيضاح الفقرة وإلا فالأمثلة كثيرة.

فكم كانَ يتعرض من الأئمة الإعلام، من تلبس بشيء من التَّأويل أو سوى ذلك من أئمة أهل السّنّة الكبار كابن حجر والنووي وسواه في تلك الأوساط، وكم انتهكت حرمة المذاهب الأربعة وبعض أئمتها ولاسيما الإِمَام الجليل أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ وغيره بدعوى الانتصار للمنهج السلفي والعَقِيْدَة السّلفيّة، ورغم أَنّي في ذات اعتقادي عَلى منهج السَّلَف من دون تعصب وتضييق وكنت معروفا بهٰذا، إلا أن كثيراً من إخواننا هَؤُلَاءِ كانوا يضيقون ذرعاً حتَّى بذلك.

ومعلوم أن هذه المشاكل من مشاكل التّيار السلفي وليست من مشاكل التّيار الجهاديّ ولكنها تعدت إليه، حتَّى أن أحد كبار المُجَاهدين من الأفغان العَرَب وكان سلفيا جدا، وهو سروري سابق، نهرني لأني قلت بعد ذكر الإِمَام النووي (رحمه الله)، وقال: لا تقل رَحِمَهُ اللهُ، فقلت وماذا أقول ؟ فقال: قل غفر الله له، فإنه لم يكن عَلى السنة!

وذات مرّة، عاتبني إثر بعض محاضراتي بعض هَؤُلَاءِ المُجَاهدين وبعضهم قادة في جماعاتهم، لأني ذكرت في السياق الإِمَام حسن البنا، وكذلك الشَّيْخ سعيد حوى، والشَّيْخ عبد الفتاح أبو غدة بقولي رَحِمَهُ اللهُ، وهم يعرفون انتقاداتي لمنهج الإخوان، وقالوا لماذا تترحم عَلى أهل البِدَع ؟! فقلت إن مذهب أهل السّنّة الترحم عَلى من مات وظاهرة من المُسلِمِين، فرد عَلى أحد الإخوة الكبار حفظه الله قائلا: كانَ الإِمَام سفيان لا يرى الترحم عَلى من مات عَلى البِدَعة!! فقلت له رَحِمَهُ اللهُ وكان غيره من أئمة السَّلَف يرى ذلك، ويجب أن ينظر للبدعة ونوعها ومستواها وقرائن إحسان المخطئ ومقام ذكر الرحمة، ولكن لم يكن هناك أي فائدة من الحوار الّذي لو طال فستسجل عندهم مع المبتدعة، بل مع المحامين عن البِدَع ! ولله الأمر.

لقد كانَ من أبسط الأمور عَلى أحدهم أن ينهي الحوار بقوله: لقد أبلغتك مقتضى دعوة التّوحيد! وأنا أدين الله بكذا وكذا وأنكر كذا وكذا.

وكم انقطعت من علاقات، وقامت من خصومات بين هَؤُلَاءِ وبين كثير من المُجَاهدين فضلا عن المُسلِمِين بسبب هذا النهج، وكان هذا من أكبر العلل الّتي طرأت عَلى المنهج الجهاديّ بسبب التأثر بسلبيات التّيار السلفي.

وأكرر قولي الآنف الذكر، بأن الفوائد العظيمة الّتي جناها التّيار الجهاديّ فكرياً من المنهج السلفي أكثر من أن تحصى، ولكن لم يخل ذلك من آثار جانبية سلبية كانَ هذا بعضها، ولم أتخيل حقيقة كيف يمكن لهَؤُلَاءِ الّذين لم يستطيعوا التفاهم حتَّى مع الجهاديّين، والإِسْلَاميّين، كيف يمكن أن يقودوا مقاومة يجب أن تكون شعبيَّة، بكل ما ستحتويه كلمة شعبيَّة من التعدد واختلاف والمشارب.

٣- أحادية الطرح في المنهج الجهاديّ وعدم شموليته واقتصاره عَلى مسائل الوَلَاء والبَرَاء والحاكِمِيَّة وضيق أفق المكتبة والإنتاج الأدبي في التّيار الجهاديّ:

بالقياس إلى عموم مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة وبالنَّظر إلى مكتباتها الشّاملة، نجد أن مكتبة التّيار الجهاديّ، وهي مجموع ما كتب فيه من المناهج والكتب والأدبيات، وحتَّى ولو أدخلنا فيها النشرات الخاصّة بالجماعات والتَّنظِيمات المختلفة والبيانات الدَّورية أو سواها، نجد أن المكتبة الجهاديّة صغيرة الحجم كماً، وأحادية الطرح نوعاً، فالكتب معدودة، والنشرات محدودة، ولا يتناسب حجم هذا الإنتاج مع عظم العطاء والأداء، وضخامة التضحيات وكثرة التَّجَارب، وما كانَ يمكن أن يكتب فيها، تاريخاً ودروساً وتحليلاً وعبراً، وقصص مشاهد، وسير رجال وشهداء، ولكن وللأسف فالإنتاج ضئيل جداً وشبه معدوم لدى كثير من الحركات، وإذا نظرنا إلى نوع ما طرح فيه نوعاً سنجده مقتصرا عَلى مسائل الحاكِمِيَّة وأصول قواعد الوَلَاء والبَرَاء والعقائد، فالإبداع فيه قليل، وأكثره إعادة وتكرار، وأكثره يعتمد عَلى النقول والإعادة لفقه الإِمَام ابن تيميه وبعض أئمة المدرسة السّلفيّة وتراث المدرسة علماء الدّعوة الوهابية رحمهم الله تَعَالَى.

ومع أن النّوازل كثيرة، والمجالات السّياسيّة الشَّرعيَّة والسّياسيّة الواقعية واسعة، والحاجة إلى الكتابة فيها كبيرة، وكذلك في مجالات الفقه وأحكام الجِهَاد المعاصر، وكذلك في علوم تابعه كعلوم السّياسة والإدارة والتّربية، والثّقافة العامّة الّتي تلزم المُجَاهد، ومناقشة مسائل الأُمّة الحاضرة والمستقبلة، وحوار المستجدات والمواضيع الحوارية المطروحة في ساحة الواقع العربيّ والإِسْلَاميّ، ولكن التّيار الجهاديّ عموماً تميز بقلة كتابه، وانشغال المؤهلين من قياداته ورموزه والقادرين عَلى الكتابة بالعمل الميداني، وقد حالت المطاردات الأمنيّة، وظروف عدم الاستقرار، بينهم وبين العطاء في

هذا المجال، ولذلك اقتصرت مكتبة الجهاديّين إما عَلى الكتب العسكريّة ومناهج التّدريب والعمل وإما عَلى ما أشرت إليه من مسائل الحاكِمِيَّة وقضايا الوَلَاء والبَرَاء.

٤ – ضعف المادّة التربَويّة في مناهج التّيار الجهاديّ:

يعتبر مجال التّربية لقواعد التّيار الجهاديّ من أكبر المجالات الّتي اعتراها النّقص وانخفاض المستوى، خُصُوصَاً بعد التسعينات، ومنذ ابتدأت المطاردات الأمنيّة شغل القوم بهجوم لباس الخوف والجوع، ومستهم البأساء والضراء والنقص في الأموال والأنفس، وتقاذفتهم المهاجر والملاذات في أقطار الأرض الأربعة.

وعلى عكس الجيل الأوّل والثّاني من الجهاديّين الّذين تمكنوا قبل تلك المواجهات من تحقيق مستوى لا باس به من التّربية لكوادرهم الأولى ما بين الأعوام ١٩٦٥–١٩٨٥ تقريباً، لم يسعف الظّروف الجهاديّين بعد ذلك من تطبيق بَرَامج تربَويّة شاملة إلا في نطاق محدود، والملاحظ أيضاً أن اعتماد التّيار الجِهَاد في التّربية لم يكن عَلى مكتبة ومناهج معاصرة وضعوها وفق احتياجاتهم الحالية، وإنما عَلى كتب التراث، أو عَلى بعض كتب مدارس الصّحوة الأخرى، والَّتي لا تخلوا في كثير من الأحوال مما يتناقض مع المنظور الجهاديّ لكثير من المسائل،

وبعد ١٩٨٥ غلب عَلى الأوساط الجهاديّة من المُعَسْكَرَات والتَّجَمُّعات وأماكن النَّشَاط مناهج تربَويّة ذات بعدين كما أسلفت، إما عسكريّ في حدود المواد العسكريّة والدَّورات التّدريبية القتاليّة، وإما بعض المواد في مسائل الحاكِمِيَّة والوَلَاء والبَرَاء والعَقِيْدَة والمنهج السلفي.

وقد لاحظت خلال الشوط الثّاني للأفغان العَرَب في ظل طالبان، أن الجيل الثّالث من الجهاديّين بدأ يميزه الجهل والفاقة التربَويّة في أكثر شرائحه، وقد زهد بها كثير من الجهاديّين في هذه المَرحَلَة ١٩٩٦–٢٠٠١ رغم توفر الإمكانية والمُعَسْكَرَات والملاذ الآمن، بل والمرفه جداً في كنف طالبان قياسا بملاذات الشتات ومرحلة المطاردة، إلا أن معظم القوم نشطوا في المواد العسكريّة واقبلوا عليها، ولم يعطوا الجوانب التربَويّة الأخرى الأهمّيّة الّتي تستأهلها، ولذلك انعكس هذا عَلى تلك المَرحَلَة بكثير من المشاكل والأزَمَات الداخليَّة الّتي أعتقد أن مردها لانخفاض مستويات السُّلُوك والأخلاق العامّة،

وأدى تدفقه الكثير من الشَّبَاب من قطاع عوام المُسلِمِين العاديين، المعبئين بالعَوَاطِف والحماس والإخلاص مع انخفاض مستويات العلم الشَّرعيّ، والالتزام الدّيني، وأصول الأخلاق والمعاملات الإِسْلَاميّة وحتى مستوى العِبَادات، وتميزت كثير من الأوساط الجهاديّة بمستوى ضحل جداً من المواصفات في هذه المجالات، وانعكست الضغوط النّفسية، وآثار المطاردات الأمنيّة، ومشاكل الواقع العام للعرب والمُسلِمين عموماً، والمشاكل الداخليَّة في أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة، ومنابذة قياداتها للجهاديّين، وانغماس أكثرهم في ركاب علماء السّلاطين وأجهزة الطواغيت.

أدى كلّ ذلك إلى أن تكون كثير من أوساط الجهاديّين مع غياب منهج التّربية متميزة بالقسوة والجفوة وقلة الرحمة، وغياب النماذج الّتي طالما تحدثت عنها كتب الرّقائق وقصص السَّلَف والخلف من الصّالحين في مجالات العِبَادة والنسك وحسن الخلق، ولين الجانب مع المُسلِمِين وعذرهم ورحمتهم والأخذ بيدهم.

فقد كانت كثير من الأجواء مشحونة، وتميز العديد من الجهاديّين بسلوك أقرب إلى الحالة العِصَابية منه إلى السُّلُوك المفترض بالمُجَاهد المؤهل التربي علماً وخلقاً وعبادةً وسلوكاً.

وكان هذا انعكاسا لضعف منهج التّربية مادةً وتطبيقاً، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وهكذا كنت ألاحظ أن كثيراً من الجهاديّين قد اختصر الإِسْلَام وعقائده وشعائره في فريضة الجِهَاد، وظنها كلّ الدّين، واختصر الجِهَاد بأحكامه وآدابه وسلوكياته ومواصفاته الّتي تقتضيها منزلة ذروة سنام الإِسْلَام، اختصره بالقتال، واختصر القِتَال بما يقضيه من صبر ومصابرة وإعداد وأخلاقيات، بشهود المعارك ذاتها، وحتى أثناء شهود المعارك كنت تلاحظ قلة الصّبر والمصابرة، وتحمل الرِّبَاط الطويل، فقد اختصروا مفهوم القِتَال عَلى إطلاق النار.

وكنت وكثير من قدماء الأخوة، نلاحظ الأجواء في الأوساط الجهاديّة قد بدأت في أواخر القرن العِشرين ومطلع الحادي والعشرين تشير إلى قرب امتحان وبلاء سينزل ليعيد تلك النفوس الطيبة المخلصة إلى صفائها وحاجتها إلى ربها وإلى أخلاقيات دينها ومكوّناته التربَويّة، وهذا ما جاء مع أحداث سِبتَمبر وتداعياتها من بعد.

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة]

٥- غياب أثر فقه الواقع في المنهج السّياسيّ الشَّرعيّ لدى كثير من الجهاديّين:

وقد سبب هذا في نظري ضعف المواد التربَويّة والدراسات الّتي تعين عَلى ذلك أو انعدامها، وبالتالي اختلال الموازين في تحديد من معنا ومن علينا، والخلط بين دوائر الأَعدَاء والمحايدين والمناصرين، وحقوقهم وطرق التعامل معهم.

ففي خلال العقد الأخير من القرن العِشرين تعقدت معطيات الواقع بكل إبعاده السّياسيّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، بل وفي العالم أجمع، وشهدت عموم مجالات النَّشَاط البشري في كلّ تلك العوالم تعقيداً وتطويراً وتشعباً هائلاً.

وتعتبر المجتمعات في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ وللأسف مجتمعات متخلفة عموماً عن مواكبة مستويات المعرفة الحَضَاريَّة، إلى حدود مؤسفة.

وقد تميزت الصّحوة الإِسْلَاميّة عموماً، وهي ظاهرة منبثقة عن ذلك الواقع بالكثير من مؤثرات ذلك التخلف العام، وعدم إدراك العصر الّتي هيَ فيه، وفي الوقت الّذي تقدمت فيه الأحزاب والجماعات الإِسْلَاميّة من مدرسة الصّحوة السّياسيّة وكثير من قياداتها وكوادرها بحكم الوعي والممارسة السّياسيّة، تقدمت في مجالات المعرفة وإدراك الواقع، فإن باقي مدارس الصّحوة الأخرى الدعوية والإصلاحية وما اصطلح عليها بالسّلفيّة، وكذلك المدرسة الجهاديّة، تميزت بانخفاض مستوى المعرفة والوعي الحضاري وإدراك الواقع، فأما المدارس اللاسياسيّة فلانعزالها عن عيش الواقع، وأما التّيار الجهاديّ، فلأن غالبيته من قطاع الشَّبَاب الّذين لم يأخذوا بحكم صغر السن في الغالب وبحكم الظّروف الأمنيّة الصعبة، لم يأخذوا حظهم من المعرفة الحَضَاريَّة وإدراك الواقع إلا في حالات نادرة في بعض الجماعات والكوادر والشخصيات.

وعلى اعتبار أن المَعْرَكة اليَوْم أصبحت تدار ليس فقط في المجال العسكريّ والأمني حيث يمكن للجهاديّين والإِسْلَاميّين عموماً أن يبلوا بلاءً حسناً، وإنما في مجالات السّياسة والإعلام والاقتصاد، وحتى في عالم المُوَاجَهة العسكريّة والأمنيّة أصح للمستوى المعرفي والعلمي في المُوَاجَهة دور كبير،

ولذلك فإن انخفاض المستوى العام عند غالبية الجهاديّين في فقه الواقع بكل معطياته وأبعاده انعكس عَلى مناهجهم وأدبياتهم وإعلامهم وفحوى خطابهم وأسلوبه وطريقة إيصاله، ونتج عن هذا اختلال في موازين الأولويات وفهم معطيات الواقع، وخلط بين دوائر المهم والأهم وما تقتضيه النّصوص العامّة، وما يضطر إليه الواقع، وكذلك حصل خلط في تصنيف شرائح النّاس، من معنا ومن علينا، واضطراب في تحديد أولويات المَعْرَكة.

ونظراً لهزال البنية المؤسساتية في التّيار الجهاديّ عموماً، وضيق مجالات الشورى والإستفاده من الكوادر، وتفضيل كثير الأمراء للإمعات، انضم هذا الجهل لذلك الخلل ليخلف نتيجة مأسوية تجلت في ضعف مستوى إدارة المَعْرَكة، وفشل في تحديد سبل المُوَاجَهة، والمواءمة بين مجالات المنهج الفكريّ والعمل العسكريّ والسّياسيّ والإعلاميّ، وغاب أثر الواقع في إصدار الأحكام واتخاذ القرارات السّياسيّة والعسكريّة والمصيرية، ومعلوم أن صحة الفتوى يعتمد عَلى مرتكزين لازمين معا وهما: معرفة الشَّرع وفهم الواقع، وعلى افتراض وجود الفهم الشَّرعيّ الصَّحِيح في كثير من الحالات، فقد أدى غياب فهم الواقع إلى قرارات أقرب للعرج من وصفها باستقامة المسار.

٦- عدم تبني مفهوم جِهَاد الصّائل الخارجي والدخول في دوامة مُوَاجَهة الأنظمة:

وقد جر لهذا ابتداء استفزازات الأنظمة، ثمّ حمل عَلى تبنيه أصل منهجي نتيجة الفهم الحرفي لقوله تَعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ ﴾ [التوبة: ١٢٣] وحمله عَلى الأنظمة المرتدّية الحاكمة، مما أدى للدخول في صراعات حدد العدوّ طبيعتها ومسارها وصارت الخسائر فيها تنفق من مخزون الأُمّة دون طائل ولا نتيجة مرجوة.

فقد انطلق التّيار الجهاديّ أصلاً بسبب أزمة المُوَاجَهة مع الجَاهِلِيَّة الجاثمة عَلى صدور المُسلِمِين والمتمثلة بأنظمة الحكم المرتدّة، وتطور الأمر كما بنيا من الفكر الجهاديّ المجرد إلى التطبيق العملي.

وقامت التَّنظِيمات الجهاديّة واشتبكت في ساحات كثيرة مع أنظمة الحكم تلك، وقد أيد هذا الإتجاه حكم شَرعِيّ وواقع قائم، فأما الواقع القائم فهو أن البأس والنكال الواقع عَلى المُسلِمِين عامة والإِسْلَاميّين خاصّة والجهاديّين عَلى وجه الخصوص، هو من الأنظمة الحاكمة وأجهزتها الأمنيّة، وهو

يقتضي ويوجب المُوَاجَهة عقلاً ومنطقاً، وكذلك فإن الحكم الشَّرعيّ والأمر بالجِهَاد هو من مقتضى نصوص كثيرة، منها قوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] ومن خلال هذا الفقه وهذا الواقع عملت منظمات الجِهَاد، قرابة ثلاثين سنة ١٩٦٠-١٩٩٠.

ولكن ومع قيام العولمة في كلّ شيء مع انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وتطور مستوى الغزو الخارجي والترابط والحلف المتين بين قوى الكفر العَالَمِيّة والمحليَّة المرتدّة الحاكمة والدّولية، وقوى النِّفَاق المرتبطة بها، ومع تطور ميادين المُوَاجَهة، وتطور أساليب مطاردة الجهاديّين من المحليَّة إلى الإقليمية إلى العَالَمِيّة، كانَ عَلَى الجهاديّين أن يدركوا ذلك ويطوروا مناهجهم، وأسلوب عملهم ولا يبقوا يدورون في حلقات مفرغة، رسمتها القوى الدّولية اليَهُوْدية الصّليبيّة العَالَمِيّة وحلفاؤها، بحيث صارت حرب استنزاف لا طائل من ورائها، ولكن جمود المناهج والفهم، في معظم التّيار الجهاديّ، لم يسمح بتلك النقلة الّتي توجب إعطاء فقه مُوَاجَهة الصّائل حقه المتوجب، وبقي المستند أن الأمر هو بقتال الّذين يلونكم من الكفّار، وكأن هذا يعني أقرب رجل أمن، وأقرب حكومة مرتدة جاثمة في منطقة عمل الجهاديّين، وكان في هذا من ضيق الأفق ما فيه، سواءً في فهم تفسير النّص، أو في فهم السنة الحَركيّة الّتي تبينه، من مقتضى حُرُوب الرَّسُول ﷺ، وتوجهه لحرب الرُّوم وحوله من الكفّار من هو أقرب منهم، وكذلك الجهل بأقوال صريحة للعلماء في عدم إلزامية هذا الأمر بفهمه الحرفي، وانعكس هذا الجمود المنهجي عَلَى ممانعة أكثر الجهاديّين في الاتجاه نحو الجِهَاد الأممي وعولمة المُوَاجَهة عند ما طرحت من قطاع محدود من الجهاديّين أواخر القرن العِشرين.

٧- عدم القدرة عَلَى تحديد المضمون الشَّرعيّ والحَركيّ لعدد من المفاهيم الأساسيّة:

طرح المشروع الجهاديّ المعاصر عددا من المصطلحات والمسميات الأساسيّة الّتي أعتمد عليها في البناء التَّنظِيمي والسُّلُوك الحَركيّ للجماعات الجهاديّة، ولكن هذه أوجد إشكاليات لم يستطع الجهاديّون حلها وتبيينها، ومن ذلك:

**** الجماعة المُجَاهدة**: ما هيَ؟ وما هو تعريفها ؟ ما طبيعة علاقتها مع ما حولها من الجماعات ؟ وما مشروعية تعدد تلك الجماعات المُجَاهدة وغير المُجَاهدة ؟ وما نسبة صلاحياتها وفحواها إلى جماعة المُسلِمِين العامّة؟ وما مسوغات وشرعيّة وجودها؟

****الإمارة والشورى والقرارات**: ما حدود صلاحيات الأمير في علاقاته مع من حوله من القواعد والقيادات ومؤسسات الجماعة ؟ وبالتالي طريقة اتخاذ القرار في الجماعة ؟ والشورى وطبيعتها وإلزاميتها ؟ وهل هيَ إمارة خاصّة أم عامة ؟

****البيعة والسمع والطاعة**: ما هيَ طبيعة هذه البيعة ؟ وما فحوى عقدها ؟ وبالتالي الحقوق والواجبات المتبادلة بين الأمير والفرد أو بين الفرد والجماعة؟ وكيف تنحل ؟ وبناءً عَلى ماذا؟

وما ذا يترتب عَلى نقضها؟ ومتى يكون مشروعاً ومتى يحرم ؟ إلى آخر تلك المسائل، الّتي لم يتم تحديدها في التّيار الجهاديّ بدقة واختلفت من تنظيم لآخر، وفي حين اعتبر أكثير الجهاديّين في مناهجهم أن جماعتهم هيَ جماعة من جماعات المُسلِمِين، وأنها إمارة جِهَاد، وأن البيعة محدودة بتلك الواجبات، إلا أن واقع الحال جعل بعض تلك الجماعات يتصرف عملياً كأنها جماعة المُسلِمِين في قطرها، وصرح بعض أكابر التّيار الجهاديّ بأن جماعتهم هيَ الجماعة الشَّرعيَّة الوحيدة في البلد الفلاني، وبالتالي قاوموا بشتى السّبل ميلاد جماعات أُخرى، أو استمرار وجود سابقات عليها، بل ذهب البعض إلى السعي باستخلاص فتاوى تبيح للجماعة المُجَاهدة توحيد صف الجِهَاد بالقوة والعنف لتصفية وجود جماعات أُخرى! ووجد بعض الشواذ الّذين يفتون بذلك ضمن ما لحق بالتّيار الجهاديّ من بعض طلاب العلم ممن تصدروا للفتوى في التّيار الجهاديّ نتيجة غيبة العُلَماء عنه، كما اتخذت بعض الجماعات سجوناً وعقوبات ومحاكم تنظيمية دونما تحديد لتلك الحدود والصلاحيات، فقد ولدت إشكالات واقعية في التَّنظِيمات، وقد أضافت السرية والأوضاع الأمنيّة وضعاً شاذاً عقد من تلك المسائل.

فقد سألت البعض من طلاب العلم من أصلا التّيار الجهاديّ حفظه الله، عن مشروعية ترك الفرد لجماعة ما إذا لم يناسبه المسار أو رأى عقمه بعد أن دخل فيها، فقال لي لا يجوز إلا أن يرى كفراً بواحاً عنده فيه من الله برهان !! وبالتالي سحب عَلى أمير الجماعة حقوق الإِمَام الأعظم! فلما سألته

ماذا لو رأى عقماً بواحاً، أو فوضى بواحة، أو إفلاساً بواحاً، وتيقن أن ما توخاه من الالتحاق بالجماعة الفلانية لن يحقق أهدافه؟ هل يستمر طول عمره هكذا ! ولا يحل له أن يتحول الجماعة أُخرى أو يسعى في جماعة جديدة!؟ فحار الرجل في الجواب لما تفكر بأبعاد المشكلة.

فإذا كانت الجماعة تستطيع فصل عنصر فيها، وإخراجه من الجماعة، فلم لا يحق له فصل نفسه والانسحاب ؟ وكيف نحل في هذه الحالة مشكلة الأسرار الّتي عنده؟ إلى آخر ذلك من المسائل.

لقد كانَ هناك إشكاليات حقيقية في تقنين ذلك والإفتاء فيه ؟ وفي العمل عَلى أسس لم تتحدد.

وهي مشاكل ليست موجودة في جماعة المُسلِمِين العامّة بشكلها الطبيعي، فأمير المُؤمِنِين لا يستطيع فصل مسلم ما من جماعة المُسلِمِين حتَّى ولو لم يبايعه ما لم يخرج عليه، ولا يستطيع العنصر في الأُمّة أن ينسحب منها، ولا يترتب عليه بحكم بيعته وطاعته العامّة لأمير المُؤمِنِين من الحقوق والواجبات ما يترتب عَلى العنصر في جماعة ما جهاديّة أو سواها.

لقد فتحت إشكالية غياب الإمامة العظمى وزوال الهيكل السّياسيّ للأمة إشكاليات كثيرة، ولما قامت جماعات لحل تلك الإشكالية واضطرت للسرية بفعل بطش الأنظمة، انفتحت إشكالات أُخرى لا حلّ لها، وكان هذا بعض مظاهر ما فيه الأُمّة بسب غياب دار الإِسْلَام والإمامة والشّريعة وتوابع ذلك، وكانت هذه الإشكاليات بعض مظاهر خلل المناهج الّتي طرحت وعجزها، ليس في التّيار الجهاديّ وحسب، وإنما عَلى مستوى تنظيمات الصّحوة كلها.

(ثانياً) – أخطاء وخلل في البنية والهياكل التَّنظِيمية في التّيار الجهاديّ:

النوع الثّاني من الأخطاء والعلل الّتي ظهرت في أساليب عمل التّيار الجهاديّ هيَ الخلل والقصور في البني التَّنظِيمية وطبيعة الهياكل، وما أفرز من إشكاليات وعلى رأس ذلك، الإشكالية الكبرى الّتي بدت أبعادها في العقد الأخير من القرن العشري بعد انطلاق الحملة العَالَمِيّة عَلى مكافحة الإرهَاب، وأثبت الواقع استحالة استمرار العمل الجهاديّ مع وجود تلك المشكلة البنيوية وهي مشكلة أن كلّ التَّنظِيمات والجماعات الجهاديّة بنت بناءها عَلى أساس أنها تنظيمات **(سرية – هرمية – قطرية)**.

١ : المشاكل الّتي تأتت عن السرية:

كانَ اختيار طريقة العمل السري أمراً إلزامياً ومنطقياً لمُوَاجَهة قوى طاغية باغية ظالمة لم يرقب فراعنتها وأعوانهم في مؤمن إلا ولا ذمة، ولست هنا في معرض انتقاد مبدأ السرية في العمل الإِسْلَاميّ، فهو مبدأ شَرعِيّ له أدلته وسابقاته التارِيخِيَّة بدءاً من السيرة النّبويّة ومروراً بتجارب كثيرة عبر التّاريخ الإِسْلَاميّ، كما في لست معترضا عليه حركياً، لأنه كان أسلوباً إجبارياً مارسناه خلال حقبة اضطرارية كما لا يخفى، ولكني هنا بصدد ذكر الإشكاليات الكبرى الّتي تأتت عنه بحكم طبائع الأشياء وبحكم انتقال مستويات المُوَاجَهة الأمنيّة إلى مستوى توحشت فيه الأنظمة المرتدّة ومن ورائها من قوى الكفر العَالَمِيّة، بطريقة جعلت تلك الإشكاليات تجعل الاستمرار في ذلك الأسلوب ضرباً من الإصرار عَلى الفشل العبثي في نهاية المطاف، فقد أدت تلك الأساليب الوحشية إلى إغراق الجماعات المُجَاهدة في السرية، فقد ولد هذا لها إشكاليات في التّربية والإِعداد، وفي التَّجنيد التمدد، وفي ضعف الدعاية العامّة واتساع الجمهور، وفي محدودية مجالات الحركة بالإنتاج والعطاء.

فمعلوم من تاريخ دعوة الإِسْلَام منذُ ظهورها وعبر تاريخ المُسلِمِين، أن منهج التّربية قام أساساً عَلى علاقة المربي بالأتباع، والَّتي تقوم عَلى التماس المباشر، وهو الوسيلة الأساسيّة لنقل العلوم والمعارف، وشرح المنهج وتقديم القدوة والسمت والسُّلُوك، ونقل مختلف مجالات التّأثير، وهكذا كانَ الرَّسُول ﷺ للصحابة، والصّحابة للتابعين، وهَؤُلَاءِ لتابعيهم من العُلَماء وورثة الأنبياء، ثمّ لهَؤُلَاءِ بتلاميذهم وجمهورهم وصولاً للعامة.

ولكن أسلوب العمل السري لا يسمح بهٰذا، فكيف تتم التّربية؟! وإذا استحالت التّربية فكيف يستمر العمل بقواعد لم تتربي عَلى المنهج ولا عَلى بَرَامج الإِعداد؟! فالخلايا السرية تعتمد في التّربية عَلى لقاء المسؤول عن خلية ما بأتباعه وإعدادهم في مختلف مجالات ما يلزمهم من المعارف الشَّرعيَّة والفكريّة والمنهجيّة والسّياسيّة والإِعداد العسكريّ والأمني..الخ، وهذا اللقاء يكون دورياً وغالباً ما يكون أسبوعياً، ويقل مع توتر الأوضاع الأمنيّة إلى أن ينقطع أحياناً، وهكذا توفرت الطلائع الأولى للجِهَاد عَلى مستوى راق لأنها أعدت قبل مرحلة السرية، فقد أعدت في المساجد أو في الجماعات

الإِسْلَاميّة العلنية أو شبه العلنية، فكان أداءها الجهاديّ عالياً يتناسب مع مستويات التّربية الّتي تلقاها أولئك الكوادر، ولكن مع انقراض الطّبقة الأولى والتالية تمَّ التّالية من الكوادر نتيجة أن مسار الجِهَاد يستهلك كوادره بالاستشهاد والاعتقال والهِجرَة من السَّاحَة، تلتحق بالصف كوادر وخلايا غير مؤهلة، وغالباً ما كانت من عوام النّاس ومن جيل الشَّبَاب الّذي غالباً لم يسبق له أن تربي في حركة إسلاميّة، خاصّة وأن الحركات الإِسْلَاميّة من المدارس الأخرى غالباً ما تحصن أعضائها ضدّ اللحاق بالعمل الجِهَاد! لأن قياداتها لم تدخله!!

وقد تكررت هذه المأساة في كلّ التَّجَارب الجهاديّة، إذ سرعان ما استهلكت الكوادر واضطرت التَّنظِيمات إلى الاعتماد عَلى الكوادر الجَدِيدة غير المؤهلة تربوياً، وخاصة من بعض من يثبتون الشجاعة والكفاءة القتاليّة ميدانيّاً، وهكذا تفقد الجماعة مستواها ثمّ هويتها، لعدم استمرار مشروع التّربية، ويكفي في هذه الإشكالية ونتائجها الكارثية بلاءً لإثبات عقم الطَّريقة بكاملها، ولكن للأسف لم تكن هذه هيَ المشكلة الوحيدة!

كما تفرض الأجواء الأمنيّة والسرية الإجبارية أجواءً لا تسمح باتساع التَّجنيد، فمعظم الجماعات الجهاديّة بنت نفسها وكياناتها قبل الصدام واشتعال المَعْرَكة، فكونت هياكلها وجندت معظم أفرادها، ثمّ ابتدأ الصدام غالباً قبل اكتمال الإِعداد له، نتيجة اكتشاف أجهزة الاستخبارات لمراحل الإِعداد لأولى، أو نتيجة تفجير الأوضاع نتيجة تفاقم الأزَمَات، حيث يجد التَّنظِيم الجهاديّ نفسه مجبراً إما عَلى دخول المَعْرَكة والاستمرار في الإِعداد والبناء من خلالها، وإما عَلى أن تصفيه الحملات الأمنيّة دون مقابل، فيدخلون المَعْرَكة، ومع دخولها يبدأ استهلاك الكوادر والأعضاء، ويحتاج التَّنظِيم للتجنيد، ويحتاج التَّجنيد للدعاية والحشد والجمهور، كما يحتاج حتَّى يكون محكما لرصد العناصر المرشحة للتجنيد ودراسة أهليتها وظروفها، ولكن السرية والمشاكل الأمنيّة لا تسمح بهذا فيضعف التَّجنيد وتقل الإِعداد، ويتحول التَّنظِيم بعد تقطيع أوصاله إلى خلايا عِصَابات متفككة تستهلكها المَعْرَكة شيئاً فشيئاً، إذا لم ينجح التَّنظِيم في تطور حرب عِصَابات ينقلها من مرحلة إلى أُخرى حتَّى يتسع التَّجنيد، ولكن الّذي حصل في كلّ التَّجَارب السَّابقة بلا استثناء، أن إعداد الكوادر الجهاديّة

والأعضاء كانَ قليلاً، ولم يتمدد نتيجة أسباب كثيرة، أهمّها الإشكال الأمني وأسلوب السرية، وعلى سبيل المثال لم يتجاوز عدد المُجَاهدين في سوريا وهي أطول المحاولات (نحو عشر سنين) لم يزد في أحسن الأحوال عن ١٥٠٠ مُجَاهد عامل، هذا غير الأنصار، في بلد يبلغ تعداد سكانه في ذلك الوقت زهاء ١٢ مليون نسوة، وفي مصر لم يزد تنظيم الجِهَاد عن ٢٠٠٠ عنصر، والجماعة الإِسْلَاميّة ربما عن ضعف ذلك من الأعضاء العاملين غير جماهير المساجد، هذا من أمة كانت تعد أكثر من ٦٠ مليون نسمة، وفي ليبيا، لم يزد عدد المُجَاهدين عن رقم متواضع من تعداد سكاني هو في حد ذاته محدود لم يبلغ الـ ٤ مليون نسمة، وفي بعض البلدان كتونس، لم يجاوز العدد خانة العشرات وهكذا.

وإما عن ضعف الدعاية وانكماش الجمهور، وانعكاس ذلك عَلى ضعف الحشد نتيجة السرية أيضاً فهذا لا يحتاج لكثير شرح إذا لم توفر الأساليب السرية ما يلزم للحشد الّذي يقوم أساسا عَلى الاتّصال بالجماهير بالوسائل العلنية.

٢: المشاكل الّتي تأتت عن البنية الهرمية والإشكالية الأمنيّة:

بنيت جميع التَّنظِيمات الإِسْلَاميّة السّياسيّة والجهاديّة وما شابها بأسلوب هرمي، فغالباً ما تبدأ الدّعوة بأفراد قلائل، يحددون أسس منهجهم وأهدافهم، وبرنامج عملهم، ويبايعون واحداً منهم أميراً عليهم، فتكون الكوكبة الأولى قيادته ومجلس شوراه، وهكذا يبدأ رأس الهرم، تستمر عمليَّات التَّجنيد والحشد، ويكون كلّ واحد من هَؤُلَاءِ مسؤولا عن جهاز أو خلية أو مجموعة، ويتتابع النّظام، وهكذا يتشكل من المجموع ما يعرف بالهرم التَّنظِيمي.

إن هذا الأسلوب في البناء الحَركيّ يتمتع بصفة القوّة من حيث الإحكام والسّيطرة، لأن الأوامر تصدر والبَرَامج تقرر، وتنزل من الأعلى للأسفل، ثمّ تتابع بعض الطَّريقة، وترجع التقارير أو النصائح والمقترحات وغير ذلك بالعكس بمرونة وسرعة.

ولكن مثل هذا البناء يتميز بالضّعف الأمني، وبعدم صموده للمواجهات الأمنيّة الاستخباراتية خُصُوصَاً بعد ما أثبتت أجهزة الأمن والحُكُومَات الطَّاغوتية، ثمّ قوى الكفر المحاربة للظاهرة الجهاديّة استعدادها لكل أشكال البطش والتعذيب الجسدي والنّفسي، وحتى لاستخدام المخدرات والعقاقير

لاستخراج المعلومات! وهكذا لم يصمد معظم المعتقلون عن الاعتراف بأكثر ما لديهم من معلومات أو بكلها، أو بالإضافة عليها لإرضاء الذئاب الضارية من الجلاديين المتحفزين لانتزاع ذرات المعلومات من قعر ذاكرة المعتقل، بل من تحت أظافره لو احتاج الأمر وبسلخ جلده إن لم يكف ذلك.

وهكذا كانت في كلّ التَّجَارب، عدّة ساعات فقط كافية لانتزاع كمية من المعلومات سرعان ما تعمم عَلَى أجهزة الأمن لتتسع دائرة الاعتقال، وتعاد الكرة ثمّ تعاد، لتشتمل الحملة الأمنيّة الجسد الأعظم من التَّنظِيم السري خلال مدد قصيرة.

وهكذا صار الهرم التَّنظِيمي أشبه بكيس من البلاستيك المنفوخ، الّذي يحتوي سائلاً سيؤدي ثقبه من أي جهة لا فراغ محتواه طال الوقت أم قصر، ولقد حاولت التَّنظِيمات الجهاديّة الّتي خاضت مواجهات أن تطور من أساليب عملها بشيء مما يسمى بالبنية الخيطية أو العنقودية، حيث يستقل العناصر العاملون بعناقيد منفصلة من الخلايا ولكنها في مجموعها تضطر للتحول إلى مجموعة أهرامات تنظيمية تشكل عبر وسائل الاتّصالات معالم الهرم الرَّئيس مرّة ثانية.

ولم تنحل المشكلة داخل القطر الواحد، وأدى هذا لاسيما حيث لم توفر معظم البلدان طبيعة جغرافية وعرة تمكن من تحصن القيادات التَّنظِيمية فيها لإدارة أعمالهم، وحتى مع توفرها اضطروا للاتصال بالخلايا العاملة الّتي عملت أيضاً بنفس الأسلوب، ثمّ اضطرت التَّنظِيمات الجهاديّة مثلها مثل كلّ العِصَابات والجماعات السرية إلى أن يهاجر قياداتها إلى مناطق أمان في دول مجاورة، حيث وفرت لها بحكم الهامش القديم للنزاعات الإقليمية بين الدّول ملاذاً آمناً أدارت منه أعمالها، ولكن التّعاون الأمني كما سبق وبينا، وانتقاله من المجال الإقليمي إلى الدّولي، ضيق ثمّ الغى تلك الملاذات، ولم تحل المشكلة الهرمية مع عمليَّات البطش والتعذيب والخطف والتسليم، وأدت إلى تآكل التَّنظِيمات للأسباب المجتمعة مما وفر في النهاية كلّ عوامل الاضمحلال والتفكك.

٣: مشكلة القطريّة:

معظم إن لم يكن كلّ التَّنظِيمات الجهاديّة والجماعات المكونة للتيار الجهاديّ الّتي عملت خلال الصنف الثّاني من القرن الماضي قطرية في ميدان عملها وأهداف حركتها، وذلك نتيجة الظّروف

السّياسيّة والاجتماعيَّة والواقعية الّتي كانت سائدة قبل تفشي العولمة في كلّ مناحي النَّشَاط البشري ومنها الجماعات الجهاديّة ذاتها.

وقد كانت قليلة تلك البلدان الّتي تتوفر عَلى مساحة واسعة تساعدها وعورة جغرافية وتنوع بالإضافة لكبر عدد السّكّان واتساع الحدود والمنافذ بحيث تتوفر لها العوامل المختلفة لإيجاد معطيات حرب عِصَابات جهاديّة يمكن أن تنتقل مراحلها وصولا إلى النجاح، فقد فتت مخططات التجزئة الّتي قام بها الإستعمار الغربيّ خلال الحملات الصّليبيّة الثّانية العالم الإِسْلَاميّ والعربي إلى كيانات معظمها صغير عاجز يفتقر إلى معطيات جغرافية أو بشرية أو اقتصاديَّة.

ولكن التَّنظِيمات الجهاديّة رسمت عملها في حدود مُوَاجَهة الطَّاغوت الخاص بها ضمن السياح الّذي نصبه سيكس وبيكو مطلع القرن العِشرين، وهكذا وجدت معظم التَّنظِيمات الجهاديّة نفسها أمام معطيات لا تمكن في الحقيقة من نجاح ثورة ولا انطلاق حرب عِصَابات متكاملة في غالب البلدان، فماذا يعمل تنظيم جهاديّ عَلى مستوى البحرين أو قطر أو تونس أو الأردن أو سوريا أو ليبيا، ضمن المعطيات القطريّة ؟! وحتى تلك الدّول الكبيرة كمصر والسّعُودِيّة، لم توفر لها المعطيات القطريّة العوامل الكافية لنجاح مواجهات سرية منظمات هرمية في حدود القطر، وكانت النَّتِيجَة النّهائيّة نتيجة تضافر الأسباب متناسبة مع هذه المعطيات، وصفيت كلّ تلك المحاولات بلا استثناء عبر ٤٠ سنه ومن خلال عشرات التَّجَارب.

وبعد هذه الثلاثية الأساسيّة من مشاكل البنية والهياكل، كانَ هناك إشكالات بنيوية أُخرى من أهمّها.

٤ - مشكلة القيادات غير الميدانية:

كما ذكرنا، اضطرت القيادات الرَّئيسيَّة للتنظيمات، الأمير وكبار أعوانه لمغادرة البلاد والهِجرَة قسراً تحت ضغط الحملات الأمنيّة، واستقروا في الملاذات القريبة أو البعيدة عن مواقع قضيتهم، وتعاملوا معها عبر المراسلين أو الاتّصالات الخارجيّة، المراسلين، الهاتف، الفاكس! وأوجدت هذه الطَّريقة مقاتل للتنظيمات، ونقاط اختراق من قبل الإستخبارات لها.

كما أوجد هذا تلقائياً قيادات ميدانية عاملة عسكريّة، وتحولت القيادات الخارجيّة إلى قيادات سياسيّة وإعلاميَّة وسرعان ما خلق هذا الواقع مشاكل لا تعد ولا تحصى، ولقد شهدت بنفسي عدداً من التَّجَارب كانت هذه الإشكالية في طليعة ما ساهم في دمار القضايا الجهاديّة وكانت (الثَّورة الجهاديّة في سوريا) الّتي عايشتها من الداخل نموذجاً عَلى هذه المشكلة، فقد استقرت القيادة السّياسيّة للإخوان المُسلِمِين في بغداد وعمان وفي جوار سوريا، وراحت تضع الخطط والبَرَامج لواقع سياسي وعسكريّ وأمني داخل سوريا، وهي لا تعرف عن واقعه إلا النزر اليسير، وسرعان ما تبدلت الأوضاع وقلت معرفتهم بالمستجدات وصاروا يرسمون الخطط في الفراغ، ووجدت القيادات الميدانية نفسها مضطرة للحركة والتصرف، ولكنها كانت مقيدة برباطين غليظين ؛ البيعة والسمع والطاعة لقيادة الخارج، والحاجة الماسة لما ترسله من أموال مع الأوامر.

كما شهدت عدداً من القضايا الجهاديّة من خلال احتكاكي بأصحابها وقياداتها في عدد من الدّول العربيَّة، وقد وجدت لديهم نفس المشكلة، لقد كانَ عَلى تلك القيادات أن تتحول إلى رموز شعبيَّة تحرك الجماهير وقيادات سياسيّة إعلاميَّة، تاركة المجال للعمل العسكريّ والقرارات الميدانية للقيادات الميدانية، ولكنها تشبثت بتفاصيل القرارات، ولم تثق بقيادات ميدانية شابة، وكان لديها الحقّ في بعض الحالات، ولكن هذا لم يلغ مشاكل لم تجد حلاً، وكانت بسبب طبائع الأشياء لتنظيمات تعمل بتلك الأساليب في تلك الظّروف

٥- مشكلة التّمويل:

كانت التَّنظِيمات الجهاديّة محدودة العدد نخبوية غير جماهيرية في معظم أوكل الحالات، وبالتالي لا توفر لها قواعدها أو جماهيرها ما يكفي من الموارد المالية، فاضطرت إلى اللجوء لمصادر خارجية، وولد هذا إشكاليات كبيرة، ولم تستطيع تلك الموارد في النهاية من جهات ليست أصيلة في تلك القضايا أن تسد الاحتياجات الّتي تضخمت مع انطلاق العمل وتضخم فواتير المصاريف العسكريّة والأمنيّة، واحتياجات أسر الشّهداء والمطاردين والأسرى...إلخ.

فقد اعتمدت التَّنظِيمات الجهاديّة إما عَلى دعم جماعات وتنظيمات سياسيّة دخلت المُوَاجَهة مضطرة نتيجة توسيع الأنظمة لدائرة الحَرب نتيجة غبائها وطغيانها (كما حصل في سوريا)، وإما لاستغلال ثورة سيموت فيها الشَّبَاب ويستشهد المُجَاهدون، وستحتاج لقيادات جاهزة لاستلام الحكم بحسب الأحلام في انهيار تلك الأنظمة الّتي لم تنهار في نهاية المطاف!

وإما اعتمدت التَّنظِيمات الجهاديّة عَلى دعم بعض الجماعات الإِسْلَاميّة من أقطار أُخرى أو بعض شخصيات المحسنين المؤيدين للجِهَاد في غير بلادهم غالباً كما كانَ حال معظم المحسنين للجماعات الجهاديّة من المصدر الأساسي لمعظم تلك الحركات وهي دول مجلس التّعاون الخليجي ولاسيما السّعُودِيّة والكويت !

فإما وجدت نفسها مضطرة لتقبل المساعدات من بعض الحُكُومَات والأنظمة ذات الأغراض الخاصّة في ذلك الدّعم.

ولا أريد التفصيل في إشكاليات كثيرة سببها هذا الحال ودخول الجماعات الجهاديّة للعمل تحت شعار لله يا محسنين، ولكن المحصلة أن بَرَامج تجفيف المنابع، وعدم انتظام تلك المنابع حتَّى قبل قيام هذه البَرَامج، سار بالتَّنظِيمات الّتي اتسعت مصاريفها إلى الإفلاس عمليا، وكان هذا أحد الأسباب الرَّئيسيَّة للفشل.

٦- مشكلة الشورى وغياب المؤسساتية وتعذر قيامها مع المشكل الأمني:

كانت إشكالية الشورى وطريقة اتخاذ القرار من أكبر الإشكاليات الّتي رافقت العمل في معظم التَّنظِيمات الجهاديّة، وأدت في كثير من الأحيان إلى الانشقاقات والانقسامات في التَّنظِيمات وتفشي الظَّاهِرة الّتي أسميتها (التَّنظِيمات الأميبية) الّتي تنقسم وتنقسم وما تلبث أن تنقسم.

فقد اعتمدت أكثر التَّنظِيمات الجهاديّة مبدأ الشورى غير الملزمة، حيث تعني أن الأمير مفوض في اختيار ما يرى من قرارات بعد الإطلاع عَلى آراء قياداته ومعاونيه، واتخذ القليل منها مبدأ الشورى الملزمة حيث يلزم الأمير بالأخذ برأي أغلبية مجلس القيادة أو الشورى في مسألة ما، وهذه مسألة يطول شرحها وتبيان سلبيات وإيجابيات كلّ طريقة وليس هذا مكان التوسع والبسط، وقد تلاقت بعض

التَّنظِيمات الجهاديّة هذه الإشكاليات بجعل الشورى عَلى نوعين ؛ ملزمة في القرارات الاستراتيجيّة العامّة والهامة، وغير ملزمة في تكتيكات تنفيذ تلك الاستراتيجيات، ولكن كلّ هذه التقسيمات والجهد الإداري مع العواصف الأمنيّة وتشرد قيادات التَّنظِيمات الجهاديّة إما في مخابئ داخل بلادها، وإما في مختلف الملاذات في دول مجاورة علناً أو سراً، حيث آل الجميع للاختفاء وكثرة التنقل ولم يعد بالإمكان ممارسة أي نوع من أنواع الشورى، وصار الأمير العام والأمراء الفرعيون يصدرون ما تيسر من الأوامر اللازمة، متوكلين عَلى الله في ظروف بالغة المأسوية، وتحطمت المؤسسات والإدارات وتحولت إلى بعض المسؤولين عن أمور فرعية يتصرفون بحسب مقتضيات الضَّرورات الأمر الواقع، وتحول العمل لمجموعة من اليوميات بشكل إجباري عَلى كافّة الأصعدة.

٧- مشكلة ضعف الأمن الداخلي في التّيار الجهاديّ:

إن مبدأ العمل في تنظيمات سرية تأخذ شكل عِصَابات تعمل بأسلوب أمني، هو مبدأ ونموذج عمل وافد عَلى المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة الّتي عملت بسبب مكوّناتها التارِيخِيَّة والاجتماعيَّة بطرق تقوم كلها عَلى أسس معاكسة لمبدأ هذا الأسلوب الّذي اضطررنا إليه اضطراراً نتيجة القمع، فالمجمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة مجمعات مفتوحة، تعتمد التّربية فيها عَلى التماس مع الجمهور، ويعتمد الحشد فيها عَلى الخطابة والجهر بالدّعوة والتّأثير في النّاس، وتتناقل الأخبار في مجتمعاتنا بنظام الإشاعة، وجب إشاعة الأخبار موروث اجتماعي قديم، والمواجهات العلنية والمبارزات والمقابلات وعرض البطولات كذلك موروث تاريخي وحضاري، وهدر الوقت، وحرية الحركة، وحضارة البداوة والعفوية، ما تزال تطبع مجمعاتنا رغم التّحولات الصناعية والمدنيّة.

فأسلوب التخفي والعِصَابات والسرية، وطريقة عمل المافيات، والمواعيد الدقيقة والمقابلات القصيرة والأوامر الصارمة الموجزة، والتنفيذ الحرفي دون التوسع في الإجتهادات، وعقوبة المخطئ، بل وتصفية المفسد في نظام عمل العِصَابات، كلها أساليب لم تلق استجابة من قبل مجمعاتنا، ولم تستطع التَّنظِيمات أن تعد لأداء هذه الأساليب إلا كوادر محدودة جداً ضمن تنظيمها، وطبعت الصفات

الاجتماعيَّة العامّة والعلل الموروثة عمل تلك التَّنظِيمات وأدت إلى كوارث نتيجة عدم الانسجام مع هذا الأسلوب،

وكان عَلى رأس تلك الإشكالات انعدام الحس الأمني، وعدم إمكانية ترقية العناصر والقواعد العاملة في معظمها إلى ضرورات هذا الأسلوب، وقد لاحظت أن معظم المُجَاهدين الأبطال الّذين عرفت الكثيرين منهم، ورأيت أداءهم الرائع في المواجهات الميدانية المفتوحة والجبهات في أفغانستان، كانوا من أفشل العناصر أداءً عندما أوكل إليهم مهام سرية أو اضطروا للحركة الأمنيّة بعد خروجهم لعالم المطاردات.

فالإشاعة ورواية الأسرار، وكثرة الثرثرة، وعدم دقة الحركة، وعدم احترام أمن الاتّصالات المختلفة، من الحركة والهواتف والفاكسات، والإنترنيت من بعد، وسوى ذلك كانت أمراضاً عضالاً لم يمكن حلها ودمرت كثير من الخلايا عَلى مر مختلف التَّجَارب، حتَّى كدت أجزم بأن هذا الأسلوب لا يناسب قومنا، وأن علينا أن نجد لهم أسلوباً يفجر طاقاتهم بحسب إمكاناتهم وطباعهم ولا يحتاج أساليب لم أر كثيرين استطاعوا أن يعملوا بها ويأخذوا بأسبابها.

(ثالثا) – أخطاء في أسلوب العمل وإدارة المُوَاجَهة:

وسأعتمد في ذكر هذه الأخطاء عَلى التعداد للاختصار ولوضوحها وعدم حاجتها للشرح والتفصيل والله تَعَالَى أعلم فمن ذلك:

١- العجز عن إمكانية وضع استراتيجيات عمل نتيجة عدم توفر معطيات ذلك لأسباب إما خارجية وإما داخليَّة وتحول العمل لمجموعة من اليوميات والقرارات العشوائية أحياناً.

٢- فتح معارك جانبية مع شرائح من مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة أوقع قطاعات مختلفة من الشعب ومكوّناتها السّياسيّة أو الاجتماعيَّة دون ضرورة لذلك، معارك جانبية من قبيل الإشكالات المذهبية والعقدية والسّياسيّة وعدم التحكم في وحدة اتجاه المَعْرَكة تجاه العدوّ الأساسي المتمثل في الحُكُومَات الطَّاغوتية والصّائل الخارجي المتحالف معها.

٣- التورط في أسلوب مواجهات طويلة المدى مع أجهزة الحُكُومَات الأمنيّة تحول إلى حرب استنزاف القاتل والمقتول فيه، والمحق والمبطل، والعدل والظّالم، هو من مخزون الأُمّة، ولم تعجز الحُكُومَات عن الزج بأبناء الشعب من قوّات الأمن والجيش ومعظمهم إما من الجهلة أو المكرهين، في هذه المَعْرَكة اللامتناهية، فيما بقيت قوى ومصالح الصّائل الخارجي سليمة لا يهم فيها أن تستهلك تلك المعارك أبنائنا السنين الطوال، فضار اللعب في ملاعب حددها العدوّ الأكبر وبطرق رسمها هو وحقق فيها أهدافه، واستنزف الجهاديّون قواهم فيها دون جدوى.

٤- الفشل في أكثر الأحيان في تحديد مفاتيح للصراع وشعارات للمُوَاجَهة، يمكن حشد النّاس عليها ضدّ الحُكُومَات الّتي يواجهها الجهاديّون، واقتصر الموضوع عَلى تفاصيل الحاكِمِيَّة وشعاراتها، وكانت معركة خسارة نتيجة صعوبة محتوى الطرح، وتصدي علماء السُّلطَان له، ونجاحهم في إسقاط أساسه الأساسي وهو إثبات كفر الحاكم ووجوب الخروج عليهم، حيث اثبتوا للشعوب إسلامهم ووجوب طاعتهم، وأننا مجموعة خوارج، كلاب أهل النار، ومفسدون في الأرض، بغاة مجرمون، ولم يتمكن الجهاديّون في الغالب من رفع ستارات تبرز مفاتيح صِرَاع شعبيَّة سهلة الفهم تثير تأييد العامّة، فقد كانَ هناك مواضيع هامة جداً من الممكن تعبئة الشّعوب بها حول الجهاديّين، من قبيل مشاكل الجوع والظُّلم، وهدر الكرامات واحتلال المقدّسات، والنهب الاستعماريّ، والاحتلال السّياسيّ والاقتصادي، إلى آخر ذلك من الشعارات الّتي أحسن الوطنيون والقوميون واليساريون وحتى بعض مدارس الصّحوة السّياسيّة استغلالها وتحولوا لتيارات شعبيَّة، وكلها مسائل شرعيّة في أساسها ويمكن طرحها بأسلوب إسلامي وجهاديّ، ولكن الجهاديّين وخاصة بعد تداخل المعطيات الفكريّة للتيار المسمى (سلفي!) في منهجهم اختاروا الطرح الأحادي لمشاكل الحاكِمِيَّة والوَلَاء والبَرَاء، وهي مواضيع كما أسلفت تحتاج لفهم النُّخبَة ويصعب عَلى العوام هضمها.

٥- أسلوب خطاب أكثر الجهاديّين لم يكن شعبياً، فقد كانت وسائل الاتّصال محدودة ومتخلفة في الغالب نوعاً وكماً، فقد اعتمد الجهاديّون عَلى المنشورات والبيانات وبعض الكاسيتات في حالات

محدودة جداً، ولم يكن لكثير من الجماعات الجهاديّة رسالة إعلاميَّة أصلاً، بل إن كثيراً من شعوب بعض الدّول لم تكن تعرف عن الجهاديّين فيها شيئاً ولا لما ذا يقاتلون ويستشهدون وما هيَ أهدافهم،

كما تميز خطاب أكثرهم وخاصة بعد التمازج مع الفكر السلفي غير الجهاديّ، بالاستعلاء والقسوة وافتقاره للرقائق والمؤثرات العاطفية، وما يثير الرحمة والشفقة والتعاطف، واعتمدوا نبذ النّاس م ومفارقتهم في كلّ شيء مما عزل الجهاديّين وساعد الحملات الإعلاميَّة عَلى رسم صورة كاريكاتورية منفرة للشخصية الجهاديّة أكدتها ممارسات الكثيرين منهم عملياً.

رابعا - أخطاء وإشكالات ومعوقات وأنواع خلل أُخرى في أسلوب عمل التّيار الجهاديّ:

وهذه أيضاً سأذكرها كرؤوس أقلام بإيجاز أيضاً وبسبب تنوعها سأذكرها متفرقة عَلى غير ترتيب مقصود فمن ذلك:

١- افتقار التّيار الجهاديّ لعلماء يقودون مسيرته فسيدون ثغرة التّربية والفتوى والكتابة والتوجيه، ويكونون رموزاً شعبيَّة تحشد العامّة، مما ساعد عَلى ظهور ظاهرة المفتي الشاب مما اصطلحوا عليه بالإسم الفضفاض: (أخ عنده علم)! وهو مصطلح يصدق حتَّى عَلى أي جاهل أو عالم، فما من مسلم إلا وعنده علم.

٢- انخفاض مستوى العلم الشَّرعيّ عموماً في التّيار الجهاديّ وعلى كافّة المستويات، حتَّى ولدت تجمعات جهاديّة لتعمل في بعض البلدان في المراحل المتأخرة عَلى أيدي كوادر شبابية تتصف بمستويات بالغة التواضع في هذا المجال الأساسي بالنسبة لتيار جهاديّ أصولي إسلامي.

٣- انخفاض مستويات التّربية العبا دية والسُّلُوكية والأخلاقية في كثير من المتأخرين ممن لحقوا بالجِهَاد من الشَّبَاب، وبسبب انعدام وجود بَرَامج للتربية ظهرت ظواهر مؤسفة في بعض التَّجَمُّعات الجهاديّة، وكان يمكن أن يلاحظ الفارق الهائل من عاش جيل الجِهَاد الأوّل وكتب الله أن يرى تلك النوعيات من متأخري الجهاديّين.

٤- تفشى الجهل عامة في مختلف مستويات المعرفة فضلاً عن الجهل البشري وانخفاض مستويات التّربية السُّلُوكية، فقد طبع كثير من اللاحقين بالتَّجَمُّعات الجهاديّة، حالة من السطحية

والجهل بالواقع السّياسيّ والأمني والعلمي، ومعظم مناحي مستجدات الواقع، بل إن المستويات المتواضعة أو حتَّى السيئة الّتي ميزت العديد من عوام من لحق بالجِهَاد من الشَّبَاب، تجاوزت لتكون حالة بعض من تصدى للقيادة والإدارة في بعض التَّجَمُّعات الجهاديّة الناشئة أواخر القرن العِشرين،

٥- اقتصار مناهج التّربية والإعداد في الجبهات والميادين المفتوحة مثل أفغانستان في المرحلتين عَلى بَرَامج التّدريب العسكريّ شبه المحض، حيث غابت بَرَامج الإعداد العلمي الشَّرعيّ والتوجيه السّياسيّ والتأهيل الفكريّ والتّربية السُّلُوكية عن تلك المناهج، رغم توفر الظّروف من الملاذ والأمان والإمكانيَّات المادية، فقد اعتمد الغالبيّة (التّربية الإنكِشَارِيّة) وثقافة المدافع عَلى الطَّريقة العُثْمَانِيّة، وساهمت تلك الطَّريقة ومن أشرف عليها بزراعة الجهل وتخريج عينات لا تنتمي إلى التّيار الجهاديّ الّذي عرفناه قبل عقدين من الزَّمن، إلا بالعاطفة والحماس والإخلاص الّذي تذهب تلك العلل بمعظم نتائج فضائله هذه.

٦- بروز ظاهرة التنطع والتشدد في المراحل الأخيرة من التّيار الجهاديّ، بعد منتصف التسعينات، فقد أدت الظّروف العامّة، من المطاردات والقهر والكبت والظُّلم، وعلل الصّحوة الإِسْلَاميّة وبلاء علماء السُّلطَان، وطغيان الحُكُومَات، وغزوات الأَعدَاء الخارجين، وما يجري في الأُمّة من نكبات، مع إعراض أكثرها عن دينهم، أدى إلى ردود أفعال طبعت الكثيرين من قواعد الجهاديّين بالعِصَابية، وحب التشدد والتنطع، والتعبير عن التدين بالتشدد، وعن الالتزام بالعنف والتطرف في أبسط الأحكام والمسائل، وكنت أرى مع بعض قدماء الجهاديّين بعد أن كتب الله لنا أن نرى بعض هذه النماذج المتأخرة، أن الفجوة بين هذه النماذج ومجمعاتها الّتي انسلخت عنها أصبحت من الهوة بحيث لا يصلحون إلا لمحاربتها، ولا يمكن لهم أن يلتقوا مع مكوّنات السواد الأعظم من شعوب بلادنا عَلى شيء من القواسم المشتركة.

٧- تفشي روح الإمعة وانخفاض مستويات الإبداع، وظهور ظاهرة الإدارة النخبوية النشطة في كلّ تجمع وتحول الباقين لأتباع تفصلهم فجوة كبيرة من حيث الإمكانيَّات والتأهيل عن النُّخبَة المحدودة بالدّائرة الأولى في بعض التَّجَمُّعات الجهاديّة.



٨- تدني روح الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، وقلة ظاهرة النقد الذاتي الهادف، وتدني القدرة عَلى إصلاح الخلل داخل التَّجَمُّعات الجهاديّة إلا في دائرة محدودة جداً، وانعدام تحقق الشورى في الأوساط العامّة، وانحصارها بالنُّخبَة في معظم التَّجَمُّعات، عَلى عكس ما كانت عليه في السنة النّبويّة ومنهج السَّلَف الصّالح.

٩- تفشي ظاهرة (المُجَاهد عَلى كيفه) في المتأخرين من الجهاديّين، وهذا من آثار منهج (هم رجال ونحن رجال)، خاصّة في أفغانستان في شوطيها، لا مذهب، لا جماعة، لا أمير، لا منهج، لا ضوابط، حر مطلقاً، لا منتمي، متمرد لا يمكن ضبطه، ولا مرجع لديه.

١٠- تفشى ظاهرة جهاديّين لم يجاهدوا!! ومع ذلك تصدروا كرموز وموجهين ومفتين للجهاديّين! وظهور ذلك في أوساط اتباع وأنصار للتيار الجهاديّ متعصبين جداً لمنهجه ورموزه بالكلام، ولكن لا يجاهدون بالفعل، وخاصة في أوساط الصّحوة في بلاد الغرب، وأوساط أُخرى.

١١- تفشي ظاهرة من أرادوا الإِعداد ولم يريدوا الخروج ! عَلى عكس من لو أرادوا الخروج لأعدوا له، ولكن هَؤُلَاءِ أعدوا ولم يخرجوا، آلاف المتدربين بلا فائدة، لا يمكن معرفة مصيرهم بعد أن تلقوا ارفع التّدريب، وسبب ذلك أنهم تدربوا ولم يربيهم من دربهم ولم يزرع فيهم أي عَقِيْدَة قتالية.

١٢- العمل لحساب الآخرين في قضايا تقاطع المصالح الدّولية والإقليمية وعدم قدرة القيادات المرحلية عَلى صناعة مشروع ذاتي، كما حصل في تجربة أفغانستان الأولى، وتجربة البوسنة.

١٣- نسيان الأسرى: وهذه من كوارث التّيار الجهاديّ، فقد تراكم الأسرى بالآلاف في سجون الطواغيت، وفيهم العُلَماء والدعاة وكبار الإِسْلَاميّين وقادة المُجَاهدين وخيرة كوادرهم، ثمّ تراكم مئات الأسرى في سجون أمريكا والدّول الغربيّة كذلك، ولم يبد التّيار الجهاديّ أي حراك في اتجاه القيام بعمليَّات تهدف إلى سراحهم !! وكأنهم نسيا منسيا.

١٤- فقدان القدرة عَلى (الردع) ردع مختلف صنوف الأَعدَاء حتَّى آل أمرنا لأن نكون مرهوبين رغم أنهم يسموننا إرهابيين!

وهكذا..

طويت مرحلة تارِيخِيَّة هامة من مراحل أهمّ مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة وأكثرها أثرا في واقع المُسلِمِين، وهي مدرسة التّيار الجهاديّ، الّتي استغرقت تجاربها وعطاءاتها زهاء أربعة عقود من الزَّمن، وقد حاولت في هذين الفَصلين السَّادس والسَّابع، أن أسجل خُلاصة مسارها وخصائصها، ودروس تجاربها، وعرضت لخلاصة حصادها الإيجابي وإنجازاتها العظيمة، وكذلك عرضت للأسباب الداخليَّة والخارجيّة الّتي أدت لفشل تلك المحاولات في الوصول لأهدافها في النهاية بقدر الله.

وباختتام هذا الفَصل ينتهي الجزء الأوّل من هذا الكتاب الّذي تعرض لجُذُور ما نعيشه من أحاث، وخلاصة تاريخ ما مر بهذه الأُمّة من تجارب الصِّرَاع مع الرُّوم، بلاء هذه الأُمّة ومحنتها الأزلية.

وخلاصة مسار صحوتها الإِسْلَاميّة والجهاديّة وما حفلت به من تجارب وعبر، تجب معرفتها واستلهام دروسها ونحن نستفتح القرن الحادي والعشرين، ونلج عالم ما بعد سِبتَمبر، عالم الحملات الصّليبيّة الصّهيونيّة الكبرى عَلى عالمنا الإِسْلَاميّ الكبير.

هذا القرن الّذي يريدونه أمريكيا صهيونيا، حيث تداعت علينا الأمم تداعي الأكلة إلى قصعتها، تماما كما أخبرنا الصادق المصدوق.

هذا القرن الّذي علينا أن نفتتحه بَاطِلاق المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة لهذا الصّائل عَلى الدّين والمقدّسات والأنفس والأعراض والأموال، وكل مقوّمات وجودنا كأمة مسلمة.

هذه المُقاوَمة الّتي لا تنطلق عَلى هدى وبصيرة، بغير معرفة جُذُور هذا الصِّرَاع وتاريخه وتجاربه وهي ما كتبت الفصول الماضية لسد بعض ثغرته.

هذه المُقاوَمة الّتي يجب أن تنطلق عَلى أسس من الهدى والبصيرة والأسس المُتكامِلة، الّتي تبني عَلى ما مضى من عبر ودروس، وتنطلق وفق ما يناسب المَرحَلَة من منهج وأساليب، في ضوء ثوابت هذا الدّين والعَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة لهذه الأُمّة، وأسس منهج حركي منضبط يناسب ما استجد بنا من نوازل وظروف، وهو ما سأحاول أن أضع عَلى طريقه بعض المعالم في الجزء الثّاني من هذا الكتاب والله الموفق وهو الهدي إلى سواء السبيل.

الفهرس



تم بحمد الله

الجُزْءُ الأَوَّلُ

(الجُذُور والتَّارِيخُ والتَّجَارب)

ويليه

الجُزْءُ الثَّانِي

(الدّعوة - المنهج - الطَّريقة)

من كتاب

دَعْوَةُ المُقَاوَمَةِ الإِسْلَامِيَّةِ العَالَمِيَّةِ

دَعوةُ المُقاوَمةِ الإسلاميّةِ العالميّةِ



الجُزءُ الثّاني

(الدّعوة - المنهج - الطّريقة)

بقَلَم الفَقِيرِ إلى رَحْمَةِ الله

الشّيخ عُمر عبدُ الحكيم أبو مُصعب السّوري

بسم الله الرحمن الرحيم

النسخة الكاملة الفريدة المنقحة والمحققة

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

النسخة الإلكترونية الأولى

مكتبة الجيل الثالث

فهرس

الجُزْءُ الثَّانِي

الدّعوة – المنهج– الطَّريقة

الفهرس بالتفصيل

مسك الختام

جولة مع مختارات من أحاديث الملاحم والفتن
وأحداث آخر الزّمان وأشراط السَّاعة

(١) – فساد الأحوال في آخر الزّمان، وبلاء المُؤمِنين فيه
(٢) – العُلَماء في آخر الزّمان
(٣) – غربة الصّالحين في آخر الزّمان
(٤) – علامات السَّاعة
(٥) – المهدي وعلاماته، والرّايات السود والسفياني والقحطاني
(٦) – الملاحم مع الرُّوم
(٧) – خروج الدَّجَّال ونزول عيسى عليه السلام
(٨) – خروج يأجوج ومأجوج

****

وهذه وصيتي

****



«مقدمة الجزء الثاني»

الحَمْدُ لله أهل الحمد والثناء، الحَمْدُ لله المحمود في الأرض والسماء، الحَمْدُ لله الّذي صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، الحَمْدُ لله الّذي أمر رسول ﷺ أمراً يعم كلّ مؤمن من أمته ﷺ، فقال عزَّ من قائل:

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾﴾ [النساء]

والصّلاة والسَّلام عَلى حبيبه وخيرته من خلقه، نبينا وسيدنا وقائدنا وحبيبنا الضحوك القِتَال نبي المرحمة ونبي الملحمة، القائل صلوات الله وسلامه عليه: «**بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»[1]، صدق رسول الله ﷺ، وبعد:

فقبل أن ألج إلى هذا الجزء الهام الّذي لم يكن الجزء الأوّل عَلى طوله وبكل ما فيه، إلا مقدمات ومتكآت شرعيّة وتارِيخِيَّة وسياسيّة وفكريّة ومنهجيّة لما سيحتويه هذا الفَصل إن شاء الله.

و قبل ذلك أحب أن أقدم لأبواب هذا الفَصل بجملة من النقاط توطئ له وتساعد عَلى مزيد من فهمه إن شاء الله.

أولاً: الثَّابِت والمتحول في الفكر الجهاديّ ونظريات دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

ذكر المباركفوري في كتابه القيم (الرحيق المختوم) الّذي اختصر فيه سيرة رسول الله ﷺ خُلاصة ذلك الخبر فقال:

[وتحرك رسول الله ﷺ بجيشه ليسبق المشركين إلى ماء بدر، ويحول بينهم وبين الاستيلاء عليه، فنزل عشاءً أدنى ماء من مياه بدر، وهنا قام الحبابُ بن المنذر رضي الله عنه كخبيرٍ عسكريٍّ وقال: "يَا رَسُولَ الله! أرأيتَ هَذا المنزل، أمنزِلاً أَنزَلَكَهُ اللهُ ليسَ لَنَا أَنْ نَتقدَّمهُ ولا نَتَأخرَ عَنهُ؟ أَم هُوَ الرَّأيُ والحَرْبُ والمكيدَةُ؟

(١) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصححه شاكر والألباني (صحيح الجامع-٢٨٣١) ولأطراف الحديث شواهد في البخاري.

قَالَ: «**بل هُوَ الرَّأيُ والحَربُ والمكِيدَةُ**»، قَالَ: يا رسولَ الله! فإنَّ هذا لَيسَ بِمنزِلٍ، فانهضْ بالنّاسِ حتَّى نأتي أَدنى ماءِ القومِ – قُريش – فننزِلَهُ ونَغور – أي نخرِّب – ما وراءهُ من القلبِ، ثمَّ نبني عليهِ حَوضَاً فنملأه ماءً، ثمَّ نُقاتلُ القومَ فنشربُ ولا يشربونَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأيِ**»][(1)].

وقد حوى هذا الأثر العظيم حكماً عظيمة يعلمنا بها رسول الله ﷺ فوائد عظيمة ومن ذلك:

١ . أدب المسلم مع دين الله فما كانَ وحياً فلا نتقدم ولا نتأخر.

٢ . ضرورة الاجتهاد فيما كانَ من مسائل (الرَّأي والحَرب والمكيدة).

٣. أدب الجندي مع قائده في العرض.

٤ . أدب القائد مع أعوانه عندما تعرض عليه الاجتهادات والإبداعات.

٥ . وجوب عرض الآراء دون وجل مهما علت منزلة وعلم القائد، وأمامنا مثال عرض فيه الرَّأي عَلَى المعلم الأكبر رسول الله ﷺ.

٦ .الوضوح والجزم في عرض الرَّأي بعد أن تأكد أنه من مجالات الاجتهاد: (ليسَ هَذَا بِمَنزِل).

٧. أخذ القيادة بما تبين صوابه، وعدم التجاوز عَلَى حق ظهر، بصرف النَّظر عن صغر قيمة قائلة.

ونذكر منها إشارة تهمنا في هذه المقدِّمة إلى أنه وضع قاعدة ذهبية للثابت والمتحول الّتي يجب أن يقوم عليه الفكر الجهاديّ الحَركيّ، وفقه العمل والحركة في الصّحوة الإِسْلَاميّة كلها. بل أعتقد بأنه عَلَى أساس هذه القَاعِدَة مدار كافّة وجوه نشاط وحركة المسلم في حياته كلها.

وهذه الإشارة تقسم القواعد والقوانين محط التَّفكير والعمل إلى قسمين:

- **ثابت** من أساسِيَّات الدّين والمعتقد وقواعد المنهج الراسخة، وهذه فرضية التعامل معها عَلَى أساس: " منزلٌ أَنزَلَكَهُ اللهُ تَعَالَى، ليسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدّمَهُ ولَا نَتَأَخّرَ عَنهُ ".

- **متحول** بحسب الأحوال والوقائع، وهو ميدان تسابق العقول والأفهام والخبرات والتَّجَارب، ومجال الإبداع فيها، وهو: ما كانَ من قضايا (الرَّأي والحَرب والمكيدة).

---

(١) ضعف إسناده ابن حجر في الإصابة والألباني في تخريجه لفقه السيرة للغزالي.

الحكمة الثّانية الهامة من فقه هذا الأثر العظيم هيَ تعليم القائد والمقود وكلّ من جاء بعد رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، كيف يكون التعامل مع مسائل الثّابِت والمتحول من قضايا الاعتقاد والعمل والتطبيق فعلى كلّ إنسان أنْ يُعمل هذا العقل الّذي أنعم الله به عليه وجعله مناط التكليف في كلّ أمر يستقبله، وأن يسأل ويتبين إن لم يكن يعلم، يسأل أهل الذكر عما يعترضه من مسائل هل هو من ثوابت الاعتقاد والأحكام الشَّرعيَّة الثَّابِتة ؟ فيكون حاله معه التسليم والانقياد (فلا يتقدَّم ولا يتأخَّر)، أم أنه من مسائل الاجتهاد في الرَّأي والحَرب والمكيدة وما شابها من وجوه النَّشَاط الإنساني ؟ فإن تبين له أنها من هذه، فليقدم رأيه وخبرته واجتهاده بكل رجولة وأدب ومسؤولية، كما فعل ذلك الصحابي الجليل ﵁، وعلى كلّ قائد ابتلاه الله بحسم القرار، أن يفسح المجال ويستمع، ويشجع المقود عَلى تحمل مسؤولية التَّفكير والاقتراح والإبداع، كما فعل رسول الله ﷺ، وهو المستغني بالوحي دون من بعده عن كلّ ذلك، بل ويتعدى ذلك للنزول عَلى رأي المجتهد الخبير، إن أصاب، وأن يقول إزاء ذلك ما قاله ﷺ: «لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ»، بل وينقاد لذلك الرَّأي.

وهما مدرستان في القيادة ! مدرسة تقبل المقترحات في ميدان الرَّأي والحَرب والمكيدة، وتشجيع المبدعين عَلى الشورى ؛ «لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأْيِ»، ومدرسة الفرعون الّتي أخبر عنها تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر]، وكان كلّ مستنده في ذلك أنه: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف]، ما أوصله للزعم الفاجر عندما نفخه الشّيطان: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات]

وليس هنا مجال الاستفاضة بما تجيش به النّفس ويستطرد القلم في كنوز تلك النّصوص الإلهية العظيمة، والآثار النّبويّة الكريمة، وفيما مر من الإشارة كفاية لما نحن بصدده.

وما أقدمه فيما سيتلو من نظَريَّات أضعها كخطوة، ضمن خطوات أولى يجب أن تحصل اليَوْم، قبل فوات الأوان في التّيار الجهاديّ، وميدان الفكر العملي في الصّحوة الإِسْلَاميّة المجيدة، كي نفتح باب التصحيح والتطوير من خلال قرارنا الاستراتيجي العقدي بالثّبات، الثّبات عَلى درب الجِهَاد.

ما أقدمه هو في معظمه أفكار من نوع قضايا (الرَّأي والحَرب والمكيدة)، ولاسيما ما يختص منها بقطاع العمل التطبيقي للجِهَاد في عالم ما بعد سِبتَمبر كما أتصوُّرها.

وهناك جانب منها هو من قطاع الثَّابِت بمقتضى اعتقادنا بأساسِيَّات ديننا الحنيف ومعتقداتنا الدّينيّة وأحكامها الشَّرعيَّة الثَّابِتة، وهي ثوابت منهجيّة لدينا توارثناها في هذه الصّحوة الإِسْلَاميّة المباركة، وفي التّيار الجهاديّ المجيد، عبر عقود متتالية، عن الثقاة الأثبات من قادتنا وعلمائنا ومَشَايخنا المُجَاهدين العاملين، ومعظم هذه الثّوَابِت الّتي أنقلها، مبثوثة في هذا الكتاب في الأبواب الّتي عنت بالفكر والمنهج والعَقِيْدَة القتاليّة، والأساسِيَّات الثَّابِتة في السّياسة الشَّرعيَّة عند ما نتطرق للنظريَّة السّياسيّة للمقاومة، بالإضافة للمناحي التربَويّة الدّينيّة أيضاً.

ويستطيع القارئ تميز ذلك بسهولة، وسأشير إليها في مكانها لتميز ما هو معتقد دين ثابت، أو حكم شَرعِيّ موقفنا معه أن لا نتقدم عنه ولا نتأخر وإنما ؛ **سمعنا وأطعنا**.

كما أن هناك اختيارات فقهيّة أخذنا بها، وهذه خاضعة للقاعدة الذهبية الّتي لخصها الإِمَام الفقيه الجليل الإِمَام مالك رحمة الله في الأثر العظيم عند ما قَالَ: (**كلُّ إنسانٍ يُؤخذُ من كلامِه ويُردُّ إلَّا صاحبَ القبرِ الشريف ﷺ**) فهي نظَريَّاتٌ مطروحةٌ للحوارِ والنِّقاشِ والتَّجربة والتَّطبيق، من أجل إطلاق دعوة وطريقة عمل ومقاومة أرى ساحة العمل الإِسْلَاميّ والصّحوة المباركة بأمسِّ الحاجة لمثلها.

وقد أسميتها (**دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة**)، ووضعت لإطلاقها أُسُسَاً في مختلف مناحي ومقوّمات الحركة، عبر نظريّاتها الثّمانية الّتي تكوِّن الفَصل الثّامن، والّذي يشغل معظم مساحة الجزء الثّاني من هذا الكتاب، وهو لبّه والغاية منه.

أقدم هذه النَّظريَّات بعد أن وصلت بحسب ما اعتقد اليَوْم إلى مستوى كافٍ في نضجِها، وأقنعتني تداعيات عالم ما بعد سِبتَمبر، ووقائع سير الحملات الصّليبيّة اليَهُوْديةِ الأمريكيّةِ الغربيّةِ الجَدِيدة، وأهدافها الشّاملة لكل الصّعد والمجالات الحَضَاريَّة، أقنعتني وزادتني إيماناً بصواب معظم ما كنت قد ذهبت إليه في تطوير هذه النَّظريَّات عبر أربعة عشر عاماً، منذُ ١٩٩٠ وإلى اليَوْم.

وأرجوا من الله الهدى للحق، وأن يلهمني الإخلاص، ويهديني للصواب، ويمن علي بالقبول، فما كانَ من توفيق للصواب فهو من الله تَعَالَى، وما كانَ من زلل فهو من نفسي القاصرة، ومن الشّيطان، والقصور طابع عمل ابن آدم، واستغفر الله العظيم وأتوب إليه.

ثانياً: نظَريَّات دعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة، نظَريَّات عمليَّة:

في كتابي (**الثَّورة الإِسْلَاميّة الجهاديّة في سوريا**) الّذي كانَ باكورة إنتاجي سنة ١٩٨٧، ذكرت في الفَصل الثّالث من الجزء الأوّل بعض التعريف المهم لما اصطلحت عليه بـ (**النَّظريَّة العمليّة**)، وكنت أتمنى لو كانَ الكتاب بمتناولي، لأنقل منه تلك الفقرة هنا.

فقد كتبت فيه ما فحواه ؛ أن هناك فرقا جوهريا بين (النَّظريَّات النَّظريَّة)، و(النَّظريَّات العمليّة)، فالنَّظريات النَّظريَّة ؛ هيَ تصوُّرات فكريّة يضعها أصحابها من خلال بنات أفكارهم وسبحاتهم الفكريّة والفلسفية، ليثبت الواقع بعد ذلك خطأها من صوابها، وكثيراً ما تتسم تلك النَّظريَّات ببعدها عن الواقع، وبقائها متصفة بصفات الأبراج العاجية حيث يجلس أصحابها، ولاسيما عندما يتناولون في نظرياتهم، مجالات بعيدة عن مجالات تجاربهم العمليّة، وخبراتهم الواقعية.

أما النَّظريَّات العمليّة، فهي نظَريَّات عمل تولد في مجال الحركة والتطبيق من قبل أصحابها، الّذين يولدونها من خلال المسار العملي، ومن أجل تصحيحه والسير به نحو الأفضل وصولاً لتحقيق الأهداف، وفي مجال الجِهَاد والمَعْرَكة.

و يمكن تعريف النَّظريَّات العمليّة بأنها: نظَريَّات تولد في ميدان المَعْرَكة والمُوَاجَهة. يصوغها المفكرون المُجَاهدون المتحركون في أرض الواقع، والعُلَماء العاملون في ميدان المَعْرَكة، وتسطرها الأقلام المُجَاهدة الميدانية، ولا تنزل عليهم من فوق، من قيادات قاعدة، ولا من علماء قد يبّست مفاصلهم المكيِّفات، في جلسات الترف الفكريّ عَلى الطاولات الفارهة، بعد عشاء دسم قد حفل بالملذات.

لأنَّ المخلص من أولئك الكتَّاب - إن وجد فهم مخلصون - يمكنهم أن يكتبوا في فقه الجِهَاد وأحكامه، ليعيدوا تلصيق النّصوص القديمة، ويعيدوا كتابتها، ويمهروها بأسمائهم المسبوقة بألقاب الشَّيْخ والأستاذ والدّكتور والمفكّر، ثمّ يسّوقوها في طبقات أنيقة، عَلى ورق ثمين، ليقرأها جمهور لا يقل عنهم ترفاً، وقد يستفيد مما فيها من حكمة مؤمنون تحركوا بها وبغيرها من آفاق الحكمة في ميادين القِتَال.

إن نظَريَّات الجِهَاد العمليّة، يولدها أصحابها في ميدان الجِهَاد والمُوَاجَهة وساحات المَعْرَكة، تأتي وتولد بعد هضم تجارب الماضي، واستعراض الأثمان الباهظة لسلسلة تجارب الفشل سعياً إلى التصحيح والتطوير، من خلال استراتيجية الثّبات واختيارها كما أسلفت، فالعالمون في النّاس قليل، والعاملون

فيهم أقل، والعالمون العاملون منهم أنذر من الحجار الكريمة في هذه السلاسل المترامية الأطراف من ركام الحجارة والتراب، والمخلصون في هَؤُلَاءِ، ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، نسأل الله بجميل كرمه أن يجعلنا منهم.

إن النَّظريَّات العمليّة مهمة من حملوا عَلى عاتقهم أمانة السّيف والقلم، ووفقهم الله لفهم حكمة التَّجَارب والدُّروس.

وقلت في ذلك الكتاب قبل سبعة عشر عاماً إن لم تخني الذاكرة ما فحواه:

إن الانتصارات في تجارب المواجهات قليلة، إذا ما قيست بالتَّجَارب الفاشلة، ولكن دُروس الفشل أكثر إغناء من دُروس الانتصارات، وأفدح منها ثمناً، وهي بفوائدها تسير بالعامل نحو النّصر والنجاح.

إن دُروس الفشل مزدوجة الفائدة، لأنها تعلمنا العبرة من التَّجربة، وتوجد لنا المجرب، فإذا ما قدر للمجربين الثّبات، فإنّهم يتأهّلونَ بموجبِ تلكَ الدُّروسِ لإنتصاراتٍ كُبرى بإذنِ اللهِ.

وفي هذا السِّياق أقول.

إن نظَريَّات دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة الّتي أضمنها هذا الكتاب، هيَ وليدة أمرين اثنين بعد توفيق الله تَعَالَى.

أوَّلهما: التَّجربة الميدانيّة المباشرة عَلى مر نحو ربع قرن من مواكبه تجارب الصّحوة الإِسْلَاميّة تماساً وإطلاعا، ومن العمل الميداني وسط التّيار الجهاديّ منخرطاً في العديد، منها، ومحتكاً مع الكثير من روادها وقادتها وعناصرها.

و ثانيهما: توليدها من خلال دراسة فاحصة، ومراجعة متأنية لتجارب الصّحوة الإِسْلَاميّة الماضية عامة، والمحاولات الجهاديّة خاصّة، مطلعاً عَلى أدبياتها وتاريخها ومنشوراتها، وروايات أصحابها مباشرة، حيث لم تتوفر كتابة، ثمّ اعتماد مبدأ التصحيح والتطوير لتلك التَّجَارب، بعد تبني خيار الثّبات، كمرتكز شَرعِيّ ديني وعقدي، وأساس استراتيجي حركي.

وبهذا تأتي هذه النَّظريَّات في التّيار الجهاديّ والصّحوة الإِسْلَاميّة بصفتها نظَريَّات عمليَّة.

لقد أخذت هذه النَّظريَّات - بعون الله - آلاف الساعات، من المطالعة والتأمل والتَّفكير والمقارنة، ومتابعة دقيقة ويومية لمختلف وسائل الإعلام للوقوف عَلى مستجدات واقع المُسلِمِين ومخططات

أعدائهم، ومثل ذلك الجهد والوقت من الحوار والمدارسة والنقاش، مع مختلف المستويات في وسط التّيار الجهاديّ، وغيرهم من رجال الصّحوة، ولاسيما في قطاع المفكرين والدعاة والقادة المُجَاهدين أصحاب التَّجَارب.

وقد يسر الله بعد تلك الساعات الكثيرة من الدّراسة والمحاورة، ولادة كثير من الأفكار الإشراقات، الّتي ربما التقطت بعضها من أفواه بعض أفراد المُجَاهدين العاديين البسطاء من رواياتهم وآرائهم عن تجاربهم، أو من قيادات مجربة عاملة، من غير المهتمين بالتأليف أو القادرين عَلى الكتابة، فصغتها بأسلوبي ووضعتها في سياقها، وجمعتها كما يفعل الصائغ بحبات الجوهر الثمين.

وربما سبب لي حوار مع البعض، أن تنقدح في ذهني تداعيات فكرة ُطرحت لتتطور عندي وتتداعى تبعاتها الفكريّة لتأخذ مكانها في السياق، ويعود كثير من الفضل فيما يبدو إبداعياً ومبتكرا في هذه النَّظريَّات، لعشرات من حاورتهم من الرّجال والدعاة والمُجَاهدين العاملين، وبذلك أستطيع الادعاء بأنها نظَريَّات عمليَّة، وإثبات ذلك، ومن هنا اعتقد أن هذه النَّظريَّات تأخذ قيمتها، ولهذا أذكر هذه المراحل في توليدها، وأسال الله الإخلاص.

ثالثاً: آلية توليد النَّظريَّات من خلال منهج الثّبات والتصحيح والتطوير:

لقد تكلمت عَلى هذا المنهج في آخر الفَصل السَّادس ومطلع السَّابع من الجزء الأوّل، ما فيه الكفاية عن استراتيجية وخيار الثّبات، وعن أهمية التصحيح، واستناده لمبدأ عرض العلة بلا حرج ودراستها، وعن مبدأ استعراض أساليب العمل وتناولها بعيداً عن التقديس لأنها آلة ووسيلة، وتطويرها أو إلغاؤها، أو استحداث ما يناسب الوقت مما لم يسبق تجربته كأسلوب.

وقد أدى بي ذلك إلى استعراض حصاد تجارب التّيار الجهاديّ بكل انفتاح وحرية، وبفقه منهج نقد ذاتي يهدف إلى أهداف سامية، وهل هناك أسمى من الجد في البحث عن سبيل للجِهَاد نرجو أن يحقق النّصر وينهض بهذه الأُمّة من ضحضاح الهزيمة؟

وقد تناولت مناحي ذلك الحصاد في الفَصل السَّابع، بعد أن مر مختصر تاريخ التَّجَارب في الفَصل السَّادس، وهو من أطول فصول الكتاب، ولكني هنا أشير إلى آلية توليد النَّظريَّات بعد إجراء عمليَّة

استعراض علل وأخطاء تلك التَّجَارب والأساليب، الّتي لم يكن غالبها خطأً وإنما كانت أساليبا استهلكت وتجاوزها الزَّمن، بمعنى أنها لم تكن خطأً ولم تعد صواباً، ولقد كانَ من أهمّ الفقرات إفادة للبحث عن نظَريَّات الصواب المفترض، فقرة البحث في الأسباب الداخليَّة الذاتية لفشل مشاريع الجهاديّين، وأخطاء المنهج والبنية والمسار، وأخطاء طريقة الأداء الّتي عرضتها في الفَصل السَّابع.

وبعد ذلك قمت بعملية البحث عن الصواب أو عن المناسب المقابل لما اعتقدت أنه خطأ، أو أنه لم يعد مناسباً.

و كما كانَ مجموع الأخطاء يساوي فشلاً في المحصلة، أو يشكل أهمّ أسباب الفشل، شكلت مجموعة فرضيات الصواب (**نظَريَّات دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيَّة**)، بهذا الشّكل الّذي يوضحه هذا الجدول التمثيلي.

خطأ مفترض	صواب مفترض	النَّظريَّة الجَدِيدة
أخطاءٌ منهجيّة	تصوُّرات منهجيّة صحيحة	نظريَّة الفكر والمنهج في دعوة المُقاوَمة
أخطاءٌ تربَويّة	تصوُّرات منهجيّة صحيحة	نظريَّة التَّربية في دعوة المُقاوَمة
أخطاءٌ سياسيّة تطبيقيّه	تصوُّرات سياسيّة صحيحة	النظريَّة السّياسيَّة في دعوة المُقاوَمة
أخطاء في الأساليب العسكريّة أو أساليب استهلكت	تصوُّرات عسكريّة مناسبة	النَّظريَّة العسكريّة لدعوة المُقاوَمة

وهكذا، في باقي مجالات نظَريَّات الدّعوة، الّتي سعيت أن تكون شامة ومتكاملة، بدءاً من الأساسِيَّات العقدية والفكريّة والسّياسيّة، ومروراً بالمنهج التربوي المناسب، وانتهاءً بالأساليب

التطبيقية للعمل العسكريّ، وما يلزمه من الإِعداد والتّدريب والتَّنظِيم والتّمويل، من دون أن ننسى الأساليب المناسبة للدعوة والإعلام والتّحريض.

رابعاً: اعتماد منهج حشد الأُمّة من أجل المُقَاوَمة دون المساس بثوابت المنهج:

لا يمكن إثبات صحة نظريَّة ما، إلا بإثبات خطأ ما يناقضها في مجالها، وهو ما أسميته في بعض محاضراتي القديمة بـ (**مبدأ الهدم والبناء**)، وهو مبدأ معتمد في الدعوات كلها.

فأساس دعوة الإِسْلَام يقوم عَلى ذلك:

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فلا يمكن أن يبني الإيمان بالله، إلا عَلى هدم الإيمان بالطَّاغوت والكفر به، وينسحب هذا المبدأ عَلى ما هو أقل مستوى في التناقض، من مجالات الحقّ والبَاطِل، إلى مجالات الخطأ والصواب، وهي افتراضات اجتهادية في مجالات العمل والحركة خاصّة.

فلا يمكن إثبات أن الجِهَاد هو الحلّ للخروج من أزَمَاتنا، إلا بإثبات أن البرلمان ليس الحل، وقل مثل ذلك عن الأساليب المتعددة المطروحة في سوق الصّحوة الإِسْلَاميّة.

وعند ما يتعلق الأمر باستعراض التَّجَارب وتقييمها تشتد حساسية المسألة، فالتَّجَارب دعوات، والدعوات أفكار ومناهج، ونقدها يثير حساسية أصحابها، وأكثر من هذا حساسية، أن الدعوات أشخاص ورموز، وأعمال عاملين، وانتقادها يثير حساسية أكبر، بل يثير الشعور بالعدوان، ويستفز للرد.

وهنا لا بُدَّ من العودة إلى أصول الخلاف وأدب الخلاف وفق قواعد الإِسْلَام، فنظريات (**دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة**) تقف مع مختلف شرائح مكوّنات خط الحَرب المفترض حشده في هذه الأُمّة في مُوَاجَهة أعدائها أمام مستويين من التعارض: **مستوى إختلاف**، و**مستوى خلاف**.

ففي التعرض لما يمس ثوابتنا العقدية والمنهجيّة الفكريّة فنحن ومن يرى غير ذلك بمن فيهم بعض مكوّنات وحركات الصّحوة الإِسْلَاميّة ومناهجها ومدارسها وإعلامها في مجال خلاف، خلاف تضاد، فالفارق مثلا بيننا وبين الإِسْلَاميّين (البرلمانيين والديمقراطيين) هو مجال خلاف تضاد وليس اختلاف تنوع مقبول.

وأظن أن هذا المثال الصارخ الإشكالية يوضح نظائره من المشاكل المنهجيّة.

وأما ما يمس أساليب العمل، وآليات المُوَاجَهة، ضمن التّيار الجهاديّ ومدارس العمل الإِسْلَاميّ، فنحن في مجالات اختلاف تنوع ممكن، وربما مفيد، فهو اختلاف في وسائل العلاج.

وهنا ربما تكون الحساسية أقل، أو هذا ما يجب عَلى الأقل.

وقد حرصت رغم الطبيعة الثّوريّة لمثل هذه الأفكار المطروحة في هذا الكتاب، أن ألطّف من كافّة تبعات هذا الخلاف والاختلاف، لكوننا في حالة مُوَاجَهة صائل ليس أوجب بعد توحيد الله من دفعه، ويجب رص الصف وتأليف القلوب، رغم صعوبة المسألة، فالنفوس جبلت عَلى تقديس الأفكار والأشخاص، وهي اكبر المعضلات الّتي قامت في طريق الأنبياء فمن بعدهم، من أتباعهم وورثة دعواتهم.

ولكني جهدت وسأجهد في أن لا تؤثر جدية الطرح، وعمق انقلابيته وأبعاده التجديدية، عَلى ما أقصده من الحشد للمقاومة، فإني هنا بصدد إنشاء نظَريَّات دعوة، وليس إرساء قواعد تنظيم أو تجمع حركي ينافس الآخرين في ميدان العمل، ويصارعهم عَلى تجاذب مقوّمات العمل، البشرية والمادية، كما حصل ويحصل وللأسف في ميدان الصّحوة الإِسْلَاميّة والتّيار الجهاديّ.

بل لقد ذهبت في هذا الطرح لما هو أبعد من ذلك في رص الصفوف ومحاولة جمع الأُمّة، وذلك أن مجالات الخلاف والاختلاف، تصبح مجالات تناقض وعداء، عندما نخرج من دائرة الصّحوة الإِسْلَاميّة، إلى مختلف الشرائح والمكوّنات الفكريّة والثَّقافيَّة والسّياسيّة للأمة الإِسْلَاميّة، بمجموعها البشري، وتركيبها الثقافي والحضاري المعقد، من مثل التّيارات ذات الأفكار المستوردة مثل التّيارات القوميّة، والوطنيّة العلمانيّة، وغيرها الّتي تشتمل – للإنصاف – رغم تناقضنا مع أفكارها، وعدائنا لما تحتويه من الإنحراف والضلال، فإنها تشتمل عَلى قطاع عريض من الشرفاء الّذين يريدون بإخلاص الاشتراك في المُقاوَمة لذات أعدائنا، ويقصدون – من حيث لم يوفقوا للصواب – إلى خلاص هذه الأُمّة، ويرجون انتصارها ورفعتها، وقد شاركونا كإسلاميين الكثير من ضرائب العناء مع الأنظمة الطَّاغية ومن وراءها من القوى الاستعماريّة.

فحتى هذا القطاع، حرصت في نظَريَّات المُقاوَمة، دون أن أجاوز ما يسمح به المعتقد وثوابت الدّين المقدّسة، أن أتألف تلك القلوب ما أمكن، وأن أدخل من بوابات مجالات الإتفاق معها، معتمداً عَلى ما لديهم من النخوة والشرف والحمية، والعاطفة الإِسْلَاميّة عند من تتوفر عندهم، وصولاً إلى كسبهم إلى أن يكونوا عَلى يمين خط حرب المُقاوَمة لأمريكا وإسرائيل وحلفائها من المرتدّين والمُنَافِقِين، إن لم يكن حلفاً عَلى نصرة الحقّ، فحياداً تجاهنا عَلى الأقل.

وهذا من أهمّ واجبات من يتصدرون لعملية الحشد، حشد الأُمّة عَلى المُقاوَمة، وهذا ما سعيت إليه كواحد ممن يرجون الوقوف في هذا الصف.

وأرجوا أن تتسع الصدور جميعها، وهي تستعرض ما لم أستطع أن أتجاوزه من نقد بعض الأمور، أو ما لم يحالفني الأسلوب المناسب في تناولها، وخاصة من قبل إخوة العَقِيْدَة والسّلاح من الجهاديّين، أو أخوة طريق الصّحوة وخدمة الإِسْلَام من الإِسْلَاميّين، أو من يجمعنا بهم الهدف النبيّل والشرف والنخوة للسعي نحو تحقيقه.

خامسا: خصائص وملامح في نظَريَّات دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

(١) - تعتمد الدّعوة منهج التجديد في أساليب العمل الجهاديّ والفكر الحَركيّ للصحوة الإِسْلَاميّة.

ومرد ذلك إلى التغيرات الجذرية لظروفنا المحيطة، منذُ قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وانطلاق الحملات الصّليبيّة الصّهيونيّة واعتمادها عَلى تحالف أنظمة الرِّدَّة وقوى النِّفَاق في بلادنا معها. ولاسيما بعد ما عرف بعالم ما بعد الحادي عشر من سِبتَمبر، ثمّ تكشف بَرَامج الحملات الصّهيونيّة الصّليبيّة الأمريكيّة عَلى عالمنا الإِسْلَاميّ، ومشاريعها الحَضَاريَّة الشّاملة لعالمنا الّذي أسمته (الشّرق الأوسط الكبير)، وهجمت عليه عسكريّاً وسياسيّاً وثقافيّاً وعلى كلّ صعيد، فجذرية التجديد اقتضتها جذرية التّحولات الناشئة عن الحملات وتركيبة الصف المعادي.

(٢) - السمة الأساسيّة للدعوة - رغم شمولية المنهج- أنها دعوة مقاومة جهاديّة للعدو الخارجي أساساً.

فقد قامت معظم مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة، ولاسيما السّياسيّة منها، وخاصة الجهاديّة من أجل الإطاحة سياسيّاً أو جهاديّاً بأنظمة الحكم، القائمة عَلى غير شرع الله، ومن أجل إقامة الحكم الإِسْلَاميّ عَلى أنقاضها، وكان هذا هو هدف الصّحوة بكل مدارسها، وبسبب هذه الهدف تحددت خصائص المناهج، وأساليب الحركة، وكانت كما كانت.

ولكن الهدف الّذي تقوم من أجله دعوة المُقاوَمة مختلف الآن، وهو تحديدا دفع صائل العدوّ الخارجي، وإن كانَ نجاحنا في تحقيق هذا الهدف، سيؤدي تلقائياً لنفس الهدف الشّامل للصحوة الإِسْلَاميّة والجهاديّة، وهو إقامة دولة الإِسْلَام وتحكيم شريعة الله، ولكن الهدف الاستراتيجي المرحلي الّذي فرضه الواقع الآن، ليس إقامة تنظيم أو تنظيمات تطيح بحُكُومَات محليَّة، سواءً عبر تنظيمات سرية، أو أحزاب سياسيّة (قانُونيّة)، لأن الداهية الآن أكبر، والتّصَدّي لها أعجل وآكد.

فهدف دعوة المُقاوَمة هو:

مقاومة صائل الحملات الصّهيونيّة الصّليبيّة الغازية بقادة أمريكا وحلفائها اليَهُوْد والصّليبيّن من قوى الكفر الخارجيّة، ومن قوى الرِّدَّة والنِّفَاق المحليَّة المتعاون معها، وبتغير الهدف الإستراتيجي القديم، وهو مُوَاجَهة الحُكُومَات، تتغير معطيات المناهج المطلوبة والأساليب الحَركيّة المناسبة.

ويجب أن لا يفهم أحد من هٰذا، أنه ليس من أهداف دعوة المُقاوَمة (إقامة حكم شرع الله)، معاذ الله، وهل يكون مؤمناً من لا يكون هذا هدفه؟ ولكننا نعتبر هذا الهدف النّهائيّ نتيجة لنجاح المُقاوَمة في دحر هذه الحملات، وإسقاط القوّة العظمى أمريكا.

لقد بينا فيما مر في الجزء الأوّل، بما فيه الكفاية، ما أدت إليه الأساليب القديمة، الجهاديّة منها، أو السّياسيّة عَلى طريق الصِّرَاع مع الحُكُومَات القائمة، وترك القوى الخفية الّتي دعمتها، وما أدى إليه ذلك من الاحتراب الداخلي، والدَّوران في حلقات مفرغة، ومن حسن الحظ، ولكي تكون المَعْرَكة عَلى بينة، جاءتنا تلك القوى اليَوْم صراحة بخيلها ورجلها ولله الحمد، وإن دحرها سيؤدي تلقائياً إلى سقوط حلفائها المرتدّين والمُنَافِقين، ومن يصر عَلى الرِّدَّة منهم بتحالفه مع الأَعدَاء الغُزَاة، ولا ينعطف لينضم إلى جموع الأُمّة المُقاوَمة.

وبحكم طبائع الأشياء، ستكون القوى السّياسيّة والجهاديّة المنتصرة في المُقاوَمة إن شاء الله هيَ المرشحة تلقائياً لملء ذلك الفراغ، وهل ستملؤه بعد كلّ ذلك المسار الجهاديّ من التضحيات إلا بتحكيم شرع الله وإقامة دولة الإِسْلَام ؟ وهل ستجرؤ قوى محليَّة ظلامية جديدة، عَلَى الوقوف في وجه ذلك الهدف حينئذ، مع غياب القوى الدّولية العظمى - الّتي زرعت أحزاب الكفر وجموع العملاء في بلادنا - واستراحة البشرية من شرورها.

إن انتصار مشروع المُقاوَمة وسقوط أمريكا، بإذن الله، سيبدل موازين القوى، ويجعل الأرض غير الأرض، ولن يحكمنا عندها إلا شرع الله، ولهذا الهدف يجب أن نعمل الآن.

فالهدف الاستراتيجي للمقاومة هو صد الحملات، وجمع الأُمّة عَلَى ذلك، تحت شعار الجِهَاد ومنهج الإِسْلَام، في دعوة تربَويّة شاملة متكاملة، ستولد بإذن الله جيلا، بل أجيالا لا ترضى بغير الله ربا، وبغير الإِسْلَام دينا، وبغير القرآن كتاباً ودستورا، وبغير نبينا محمّد ﷺ نبياً ورسولاً وقائداً وإماماً.

(٣) - نظَريَّات دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة تحمل في كثير من جوانبها أبعاداً سياسيّة شرعيّة.

والسّياسة الشَّرعيَّة، كما هو ظاهر من تركيب هذا (المصطلح) هيَ وليدة:

(شريعة + سياسة)، والشّريعة أحكام ثابتة، وخطوط عريضة تحد مجالات السّياسة، لتسير وفق الهدى الرباني لسياسة واقع.

والواقع متحول يقوم عَلَى حركة بشر، وسلوك متحول يعتمد فن الممكن، وقلوب متقلبة ضمن أصابع الرَّحمٰن جل وعلا يقلبها كيف يشاء.

ولذلك يجب أن تتحرك دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ضمن هذه الآفاق، بضوابط السّياسيّة الشَّرعيَّة، بثبات ثابتها، وتحول متحولها، بانسيابية حركيَّة تناسب التجدد والتقلب الهائل في الظرف والمعطيات، فإن من خصائص النَّظريَّات العمليّة، القدرة عَلَى التجديد ومواكبة المتغيرات، من قبل العاملين ذاتهم، واتصال سلسلة السائرين عَلَى بصيرة من دينهم، بعد اختيار استراتيجية الثّبات والاستمرار بعون الله.

(٤) - إن دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، دعوة لتنظيم جهد المجموع من خلال إبراز دور الفرد.

فهي مستوحاة من قوله تَعَالَى:

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء].

فدعوة المُقاوَمة هيَ دعوة قامت كي يستطيع الفرد كفرد، والمجموعة الصغيرة مهما قلت إمكانيَّاتها، أن تؤدى فريضة الجِهَاد العيني لدفع الصّائل، بما يناسب حالها وقناعتها وقدرتها عَلى التجمع والتَّنظِيم، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلۡ﴾، ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ فتطلق الفرد للعمل، إذا لم يجد من لا يضم جهده إليه، فإن وجد من يعينه، وينضم إليه، فبها ونعمت.

وهو ليس قتال عَلى أي مبدأ كانَ ! وإنما ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وسبيل الله منضبط – باختصار- بشرع الله، وهو معتقد دين، وأحكام شريعة، ينتج سلوكاً ومنهجاً.

وهي إذ تكلف الفرد، كلّ فرد مهما قل شأنه وإمكانيَّاته، ما خلا أصحاب الأعذار الشَّرعيَّة – وليس أعذار القعدة والمُنَافِقين – تكلفه بالقتال، وتضيف تكليفاً آخر لكل بحسب قدرته عامة ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾، فتخص أهل الذكر، وأهل العلم، ورجال الفكر، وأصحاب الرَّأي، تضيف إليهم فريضة أُخرى وهي القيام بالتّحريض عَلى المُقاوَمة﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾، فعليه أن يحرض ويدعو للمقاومة، فضلا عن واجبه القتالي.

ومجال التّحريض هو للمؤمنين، وهم الّذين آمنوا، كلّ الداخلين تحت مسمّى لَاإِلٰهَ إِلَّا الله محمّد رسول الله، وهم دائرة التّحريض العامّة.

كلّ ذلك من أجل هدف تحققه هو بيد الله تَعَالَى توقيتاً وكيفاً، ونحن مكلفون بالسعي إليه، فكل ذلك الجهد والمُقاوَمة والقتال؛ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ يكف بأسهم وعدوانهم، ثمّ ليؤمن كلّ مُجَاهد تحقيقه عقدية من أساسِيَّات الإيمان، وهي قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ فهم سيهزمون ببأس الله وسيؤولون في الدُّنيَا والآخرة إلى نكاله.

والعاقبة للمتقين، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة] ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾ [الصافات]

وكما قَالَ عليه الصّلاة والسَّلام، وكفى بها شحنة معنوية دافعة: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ**»(١)، فلَاإِلَٰهَ إِلَّا الله محمّد رَسُولُ الله واللهُ أكبَر ولله الحمد، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وإلى النَّظريَّات الثمانية لدعوة الْمُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة نبدؤها، بأهمها ومرتكزها كما هو مستند كلّ دعوة وطريقة، نظريَّة الْمُوَاجَهة، (المنهج والعَقِيْدَة القتاليّة).

****

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧) وصححه الأرنؤوط.



الفَصْلُ الثَّامِنْ

نظَريَّـات

المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة



الفصل الثامن

الباب الأول

﴿ المنهج والعَقِيْدَة الجهاديّة ﴾

لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة

العَقِيْدَة القتاليّة:

هيَ مجموعة الأفكار والمعتقدات الّتي يحملها المقاتل في عقله وقلبه ونفسه، ويتحرك بدافعها للقتال من أجلها، فتورثه الثّبات عَلى تكاليف هذا القِتَال، الّذي يكلفه كلّ ما يملك وأعز ما يملك، نفسه وماله وولده وأهله وكل كيانه، كما تشتمل عَلى الأخلاقيات والسُّلُوكيات والقواعد والأحكام الّتي تلزمه أثناء مسيرته القتاليّة.

وهذه العَقِيْدَة القتاليّة هيَ الّتي حركت الجُيُوش، وأزكت الصِّرَاعات، وأقامت الدّول عبر التّاريخ، وبسببها نهض الرّجال، وثبت الأبطال في ميادين النزال، وببواعثها صبر المصابرون عَلى تكاليف المسار كي يبلغوا أهدافهم في كلّ زمان ومكان، وفي كلّ أمة وملة ونحلة، وبها سار كلّ إناء بالذي فيه ينضح منذُ قديم الزّمان.

وفي العصور الحديثة حرصت الدّول وقيادات الجُيُوش، والتَّنظِيمات العقائدية، والثورات والحركات والأحزاب الّتي حملت المبادئ، كما حرص القادة والزعماء عَلى تعبئة جنودهم بعَقِيْدَة قتالية تدفعهم إلى البذل والعطاء، وتقديم الجهد والصّبر في ميادين القِتَال، لتقنعهم بالحق أو بالبَاطِل بعدالة قضيتهم، وبسمو المبادئ الّتي يقاتلون من أجلها، سواءً كانت ديناً أو معتقداً، أو حباً للوطن وإخلاصاً للأمة.

ففي كلّ جيش من جُيُوش العالم اليَوْم دائرة هامة من دوائر قيادات الجيش والقوّات المُسلّحة تسمَّى (دائرة التّدريب والتوجيه المعنوي)، أو ما يوازي ذلك من المسميات، حيث يعمل بها

المتخصصون من العُلَماء والأدباء والمفكرين والأطباء النّفسانيين، ويقومون بإعداد البَرَامج والمناهج من المحاضرات والدُّروس، لزرع الأفكار والحفاظ عَلى مستوى قناعة الجند بعقيدتهم القتاليّة واحتفاظهم بقيمهم، وروحهم المعنوية.

وتأخذ هذه المواد حيزاً يجاوز في كثير من الأحيان نصف ساعات التّدريب العام وبَرَامج الإِعداد، وقد يصل في بعض الحركات الثّوريّة والتَّنظِيمات العقائدية، إلى أكثر من ٨٠٪ من الوقت المخصص للعمل والإِعداد لدى الأتباع والجنود.

وقد كانت الأديان والمعتقدات الدّينيّة وما زالت منذُ قديم الزّمان وإلى اليَوْم، الباعث الأساسي والأكثر تأثيراً في إيجاد هذه العَقِيْدَة القتاليّة والروح المعنوية لدي المقاتلين، وحتى في التَّجَمُّعات والدّول الّتي اعتمدت الإلحاد ومذاهب العلمانيّة – ومعظمها يتهاوى اليَوْم – يشهد العالم عودة نحو التدين والتعصب الدّيني، أو أنها حاولت أن تعوض بتلك المذاهب المادية العلمانيّة عن الأديان بعقائد من وضع البشر لها هيبة الدّين وقداسة المعتقد لدى أصحابها.

الفارق بين المقاتل المحارب، والمُجَاهد والجندي العقائدي:

أسهبت الدراسات الّتي عنت بالعَقِيْدَة القتاليّة وأهميتها في الجُيُوش الحديثة بإيضاح هذا الفارق، فالمقاتل أو المحارب لغير قضية، من غير معتقد، ولغير هدف مقدّس سام عنده، مثل اللصوص وقطاع الطرق، والجنود المرتزقة، يشتركون مع أي جندي ومقاتل عقائدي يقاتل لهدف شريف وعَقِيْدَة مقدّسة عنده، بكل خصائص المقاتل إلا العَقِيْدَة، فهم يشتركون في كلّ وجوه الإِعداد، وفي كلّ حركات القِتَال والأعمال العسكريّة.

فهم يتدربون ويتقنون استخدام السّلاح، وتكتيكات القِتَال، والفنون الملحقة اللازمة لذلك، وربما فاق رجال العِصَابات والمافيات والمجرمون واللصوص وقطاع الطرق، أقدر الجنود ورجال الأمن والإستخبارات في إتقان التقنيات القتاليّة والمعلوم الفنية اللازمة للقتال بكل أشكاله، وربما فأقوهم شجاعة وإقداماً ومراساً في القِتَال والإصرار، ولكن هناك فوارق جوهرية بين هَؤُلَاءِ وبين المقاتل

العقائدي، فوارق سرعان ما يبدو أثرها جلياً مع استمرار المُوَاجَهة وقسوة الظّروف، ولاسيما في حالات الهزيمة وتتالي التضحيات.

فالذي لا يقاتل لعَقِيْدَة ومبدأ، لا يصبر عَلى الهزائم، ولا يصبر عَلى استمرار وطول فترة المعاناة، وسرعان ما يكون عرضة لأن يبيع ذمته وضميره لعدوه، وربما يعمل لحساب عدوه إذا وفر له نفس غاياته الدنيوية، أو زاد عَلى من وفرها له، من قبيل أنواع متاع الحياة الدُّنيَا، من المال والنِّسَاء والجاه والسمعة والرياسة وغيرها، فينقلب ويخون، أو عَلى الأقل يستسلم وينسحب إلى حياته الخاصّة مؤثراً السَّلامة مكتفياً بما حصله وجناه، فرحاً بالنجاة إن لم يظفر بسواها.

لكن المقاتل العقائدي يثبت، ولا يخون ولا ينقلب، ولا يكون عميلا لعدوه، ولا يستسلم إلا مكرها قد أحيط به، ويحاول الفكاك من عدوه ومتابعة العطاء، ويصبر ويحتسب عناءه عند الله، ويكون له من راحة ضميره، أو تصوُّراته عن مآله وازعاً لذلك الصّبر والصمود، ولو فتر وسكن لفترة مضطرا، تبقى نفسه تواقة وضميره يعذبه ويدفعه لمعاودة الجِهَاد من أجل أهدافه وقيمه العليا، وشتان شتان بين المحارب وبين المقاتل العقائدي.

وقد أدرك المربون من كلّ ملة ونحلة أثر ذلك، فأولوا العَقِيْدَة القتاليّة مكانتها في مناهج الإِعداد والتّدريب، حيث تزخر المكتبات بالمواد التّعليميّة والمنهجيّة والدراسات المتخصصة في هذا المجال.

العَقِيْدَة الجهاديّة لدى المُسلِمِين وأثرها ومكانتها:

نحن المُسلِمُون نسمي قتال أعدائنا، (جِهَاداً في سبيل الله)، وبالتالي يكون المصطلح المناسب المرادف (للعَقِيْدَة القتاليّة) عند غيرنا هو مصطلح (العَقِيْدَة الجهاديّة)، ومكانة العَقِيْدَة الجهاديّة عندنا ظاهرة بينة، تطفح بها نصوص القرآن الكريم ونصوص السنة المطهرة، وتراث له أول وليس له آخر من أقوال العُلَماء، وحكم الحكماء، وأدب الأدباء شعراً ونثراً عَلى مدى القرون المتتالية من تاريخنا المجيد.

وتتميز عقيدتنا الجهاديّة عن غيرها من العقائد القتاليّة، أنها تحتوي فوق ما تحتويه كلّ تلك العقائد، من إثارة بواعث الحمية للوطن والأرض والعرض، ومكامن الرجولة والشرف والإباء، وآفاق الخلق الحميد والمزايا الرفيعة، فقد ربطت المُجَاهد في سبيل الله بما وعدته من التمكين والعز في الدُّنيَا له أولمن

يأتي من إخوانه وأهل ملته من بعده وعداً أكيداً لهم من الله، بالتمكين إن هم ثابروا عَلى درب الجِهَاد والصّبر، والمصابرة والمرابطة عَلى جلاد أعداء الله، ووعدته بما هو أسمى وأعز من ذلك وأحبه لنفسه، وهو ما وعده الله به من الجزاء في الآخرة من الثواب والجنة ورضوان الله لقاء جهده وصبره وفتنة بارقة السيوف فوق رأسه، فأوجبت له الجنّة لقاء قيامه في الصف مُجَاهداً لدقائق معدودة - فواق ناقة- (وهو المدة ما بين حلب الناقة وعودة الحليب إلى ضرعها)، فعن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «من قاتلَ في سبيلِ الله فُواقَ ناقةٍ فقد وجَبَتْ له الجنةُ، ومن سألَ اللهَ القتلَ من نفسِه صادقاً ثم ماتَ أو قُتِلَ فإن له أَجرَ شهيدٍ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ الله أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ، لونُها لونُ الزعفرانِ، وريحُها ريحُ المِسك، ومن خَرج به خُرَاج في سبيل الله فإن عليه طابَعَ الشهداءِ»(١).

وأما لو قتل في سبيل الله فقد وعدته بأجر الشّهِيد الصّابر، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر عَلى قلب بشر.

وقد حفلت نصوص القرآن والسنة بما يجعل القلوب تقفز من بين الضلوع شوقاً، وترقص الأحاسيس طرباً، وتطير الأرواح رغبةً إلى لقاء الله وموعوده من تفاصيل ذلك النعيم، وما أعد الله له من ذلك، وفوقه صحبة حبيبه المصطفى ﷺ، مع من أنعم الله عليهم من النبيّين والصديقين والشّهداء والصّالحين، ثمّ النعيم الأعظم، رضى ربّ العزة، ورؤيته، وأن يضحك له ويسقط عند الحساب.

وقد زودت العَقِيْدَة الجهاديّة لدى المُسلِمِين المُجَاهد، بتفاصيل مفصلة عن كلّ شيء، عن خلقه ونشأته ومساره في الدُّنيَا، وعن معاده في الآخرة، فلم تترك له سؤالاً بلا جواب في حنايا نفسه.

عقائد مفصلة، وشرائع مقننة، وقوانين متناسقة، وسبحات روحانية، فسبحان من لم يخلقنا عبثاً ولم يتركنا سدى.

فلو قدر لأي مخلوق أن يحتار في أمره، وأن تضيق عليه أقطار نفسه، فقد أنجى الله المؤمن والمُجَاهد من هذا العذاب في الدُّنيَا والآخرة، فإذا تاهت نفس الملحد حيرة وتلجلج يقول مقالة الشاعر العربيّ

(١) رواه أبو داود (٢٥٤١) والترمذي (١٦٥٧) والنسائي (٣١٤١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

النّصراني البائس الّذي غنى شعره مطرب بائس مثله وتمايل عَلَى ألحانه البائسون التائهون من الضائعين في هذه الأُمّة عند ما قَالَ.

جئتُ لا أعلم من أين لكني أتيت ۞ ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت

كيف جئت أين أمضي لست أدري

فإن المؤمن والمُجَاهد خاصّة يدري ويعلم، فسبحان الله الّذي علمنا قوله:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾ [الكهف]، فكتاب ربنا كما وصفه تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وأما في ميدان الجِهَاد والعَقِيْدَة الجهاديّة، فقد بين له الإِسْلَام لِمَ يجاهد؟ ومن يجاهد؟ وكيف يجاهد؟ ولأي غاية يجاهد؟ وكيف يكون سلوك المُجَاهد وآداب الجِهَاد، وبين له شرائع ذلك وأحكامه في الدِّماء والأموال والأعراض، وتفاصيل أحكام القتل والأسرى والغنائم، وزوده بما يعين عَلَى التقوى وما يحليه بالصّبر والثّبات، وما يزكي في نفسه مكامن الشجاعة والإقدام، وعلمه آداب الذلة عَلَى المُؤْمِنِين والعزة عَلَى الكافرين وأمره بجِهَاد الكفّار والمُنَافِقين وأن يجدوا منه غلظة، وعلمه أنه جندي لدين الرحمة ونبي الرحمة، إلى آخر ما امتلأت به الكتب، وحفلت به المكتبة الإِسْلَاميّة، لهذا الدّين العظيم.

ولو جئنا لنستقصي شيئاً من ذلك هنا لطال بنا المقام وخرج بنا عن المقصود، فسبحان منْ مَنّ علينا بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

وبسبب هذه العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة عامة، والعَقِيْدَة الجهاديّة خاصّة، كانَ لنا في التّاريخ نماذج فذة تحتذى، وأخرج لنا قافلة من النماذج والرّجال القدوة الّذين كانَ في طليعتهم من قَالَ فيه ربه سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب]

كما حفظ لنا التّاريخ قصصاً مجيدة عند ما حضرت تلك العَقِيْدَة القتاليّة في نفوس أصحابها المُؤمِنِين من انتصار الرهط القليل من المُؤمِنِين عَلَى جموع أعدائهم عند ما استعلت فيهم تلك العَقِيْدَة.

وقصصاً مريرة وأخباراً مؤلمة مما حلّ بهم، لما جاءت أجيال خبت في نفوسها جذوة تلك العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة والروح الجهاديّة، أو سيطر حب عرض الدُّنيَا عليهم خلال أوقات المُوَاجَهة، فكانت

صفحات مروعة من عكس ذلك عند ما هزمت جموعهم ودكت حصونهم وسقطت قلاعهم ونهبت قصورهم وقتل أشرافهم وسبيت نساءهم في مشاهد غزوات التّتار، والحملات الصّليبيّة، وسقوط الأندلس، وغيرها عَلى مر التّاريخ، وصولاً لمثل ذلك من تاريخنا المعاصر المليء بالآلام والمآسي، حيث تبزر فيه أيضاً بعض البقع المضيئة من نماذج صبر الصابرين وجِهَاد المُجَاهدين المستعلنين بعقيدتهم الجهاديّة السامية.

آفاق من العَقِيْدَة الجهاديّة عند المُسلِمِين:

- إن أول ما تعلمنا إياه العَقِيْدَة الجهاديّة لدينا معشر المُسلِمِين، هو حقيقة أن (لَاإِلٰهَ إِلَّا الله محمّد رسول الله)، وما يتفرع عن ذلك من عقائد هذا الدّين وأحكامه ومقتضياته، فنحن لا نعبد إلا الله ولا نطيع إلا ما أمر الله، بالكيفيَّة الّتي نزلت عَلى رسوله وحبيبه قائدنا وحبيبنا محمّد رَسُولُ الله ﷺ.
- ومما تأمرنا به عقيدتنا القتاليّة قوله تَعَالَى بأن نقاتل أعداءنا ومن انتهك حرمات ديننا أو المُؤمِنِين به، حتَّى يكون الدّين كله لله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾ [البقرة]، وتعلمنا وتملؤنا إيمانا أن الحكم لله وحده: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠]، وأن شريعة الله جاءت لتحكم وتسود، ولتضبط حياة المُسلِمِين: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [النساء]، وتعلمنا أن الإعراض عن ذلك يسبب لنا خزي الدُّنيَا وتداعي الأَعدَاء، وعذاب الآخرة وسخط الله.
- وتبين لنا عقيدتنا الجهاديّة، من هم أولياءنا المُؤمِنُون وتأمرنا بموالاتهم، ومن هم أعداؤنا الكافرون وتأمرنا بالبَرَاءة منهم وجِهَادهم بما استطعنا.
- وتعلمنا بأن من والى المؤمن فهو المؤمن، وأن من يوالي أعداءنا الكافرين فهو منهم، ومثلهم حكماً في الدُّنيَا والآخرة، وتأمرنا بقتالهم.

- وتبين لنا عقيدتنا الجهاديّة وجوب العمل عَلَى تحكيم شرع الله ونصب الإِمَام المسلم وإقامة دولة الإِسْلَام.
- وتأمرنا عقيدتنا بقتال من تولى أعداءنا وقاتل تحت رأيتهم، وتفصل لنا تفاصيل أحكام أصنافهم وأشكالهم من الموالين والجاهلين والمكرهين.
- وتزودنا عقيدتنا القتاليّة بما يعين عَلَى ذلك من الخصال والأخلاق، من الإيمان والصّبر، والكرم والشجاعة، والثّبات والرحمة، والعِبَادة والنسك، وبذل النّفس والمال والوالد والولد في سبيل الله.
- وتأدب المُجَاهد في سبيل لله بأخلاق الرحمة والعدل والإنصاف وكل آفاق الأخلاق والآداب الحميدة.
- وتعلمنا كذلك آداب معاملة العدوّ ذاته، وأحكام ذلك في ميدان المَعْرَكة، أو في حالة العهد والهدنة والصُّلح، فتعلمنا أحكام الذمة والاستئمان كما أمر الله، لا كما يروج اليَوْم كهان السّلاطين أولياء الكافرين.
- وتعلمنا العَقِيْدَة الجهاديّة طاعة أولياء أمور المُسلِمِين، كما تعلمنا أن لا طاعة لمن عصى الله، وأن الطاعة في المعروف، وتعلمنا أن نناصحهم ونوازرهم ونعينهم عَلَى البر والتقوى، لا عَلَى الإثم والعدوان، وأن نصبر عَلَى زللهم وخطئهم، وحتى ظلمهم ولو جلدوا الظهر وسلبوا المال، وأن نتجاوز عن كلّ ذلك ما لم يبلغ مبلغ أفسد الفساد وأفسق الفسق، وتعلمنا ذلك بنص قرآني محكم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء].

وتبين لنا من هم أولياء الأمر الّذين هم (منا)، ما أقاموا شرائع الإِسْلَام، وتبين لنا بنص محكم أيضا، أن حكامنا إن تولوا أعداءنا لم يعودوا منا، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة] قَالَ علماء الإِسْلَام: ﴿مِنۡهُمۡۗ﴾ ؛ [**أي كفار مثلهم**].

- وعندها تعلمنا عقيدتنا أن الفريضة هيَ الخروج عَلى أئمة الكفر، أولياء أعداء الله، ومنابذتهم بما رأينا من الكفر البواح الصراح الّذي لدينا معه من الله البراهين.
- وتعلمنا عقيدتنا الجهاديّة فرضية دفع الصّائل عن الدّين والعرض والنّفس والمال والأرض، وإن كانَ مسلماً فما بالك لو كانَ كافراً غازياً.
- وتعلمنا أن المسلم أخوا المسلم ووليه وناصره ومعينه، وله عليه حق النّصر والمعاونة، حتَّى ولو كانَ فاجراً فاسقاً مقصراً، وأن الكافر أخوا الكافر ووليه وأن من والاه ونصره عَلى المُسلِمِين وظاهره في العدوان فهو مثله ولو أدعى الإيمان والإِسْلَام وصام وصلى.
- وتعلمنا عقيدتنا الجهاديّة الرحمة والشفقة والتّعاون عَلى البر والتقوى، وحرمة التّعاون عَلى الإثم والعدوان، وأن نتم لكل ذي عهد عهده، وأنه لا تزر وازرة وزر أُخرى، أمر الله تَعَالَى، وتعلمنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨﴾ [المائدة]
- وتعلمنا قول حبيبنا المصطفى: «وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»(١).
- وتعلمنا كلّ ما يندرج تحت مكارم الأخلاق، وتنهى عن ضدّ ذلك، إلى آخر ما تعلمنا إياه تلك العقائد المُتكامِلة والأحكام الشَّرعيَّة المفصلة.
- وتعلمنا ما روي عنه في الأثر عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ الْجِهَادُ حُلْوًا أَخْضَرَ مَا قَطَرَ الْقَطْرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَقُولُ فِيهِ قُرَّاءٌ مِنْهُمْ: لَيْسَ هذا زَمَانَ جِهَادٍ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ فَنِعْمَ زَمَانُ الْجِهَادِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَاحِدٌ يَقُولُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، مَنْ عَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(٢).

و صدق رسول الله، فعليهم لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين !!

---

(١) رواه مسلم (١٨٤٨).

(٢) (السنن الواردة في الفتن – ٣٧١) و في إسناده عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف جداً.

أثر غياب العَقِيْدَة الجهاديّة عند المُسلِمِين:

إن مما تعلمنا إياه عقيدتنا القتاليّة وتنذرنا منه ما جاءت الأيّام بتصديقه وإثباته معجزة ضمن سلسلة معجزات نبوية لا متناهية.

فقد روى أبو داود عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**»، **فَقَالَ قَائِلٌ**: **وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ**؟ قَالَ: «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ**»، **فَقَالَ قَائِلٌ**: **يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ**؟ قَالَ: «**حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»(١).

وهو ما نعيش اليَوْم بصورة واضحة.

فقد بين هذا الحديث الشريف والأثر العظيم أثر غياب العَقِيْدَة الجهاديّة عَلى المُسلِمِين وأسباب ذلك مما حلّ في قلوبهم، بإيجاز معجز من قبل من لا ينطق الهوى وإنما كلامه وحي يوحى.

فإذا ما خبت جذوة العَقِيْدَة عند المُسلِمِين عَلى مر الأزمان كما حصل مرات عديدة، كانت نتيجتها دائماً واحدة، أن تتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الذئاب الضارية الجائعة إلى فريستها، فتقطع أوصالها، وتدوس مقدّساتها، وتزهق نفوسها، وتنتهك أعراضها، وتحتل أرضها وتنهب ثرواتها ومقدراتها، وكان السبب دائماً واحد.

فإذا ما ضعفت جذوة الإيمان في نفوسهم، ابتعدوا عن عيش حقيقة أحكام دينهم وشرائعه، وتنافسوا في الدُّنيَا وملاذاتها الّتي تجرهم إلى التنافس فيها، والتباغض والتحاسد والتقاتل عليها وعلى السيادة فيها، وتدفع كبراء مجرميهم إلى ولاية أعدائهم لأجلها وخيانة أمتهم في سبيلها.

فإذا ما وقع ذلك، ودب الفساد في صلحائهم، واحتراف العلم والدّين من يشترون به ثمنا قليلا، عندها يملأ قلوبهم الوهن، الّذي أخبر به ﷺ ؛ «**حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**».

عند ذلك تحصل النَّتِيجَة الطبيعة التلقائية، فينزع الله مهابتهم من قلوب أعدائهم، ويحل بهم الرعب منهم، وتكون النَّتِيجَة ما رأينا عَلى مر العصور والأجيال، مما حفظته كتب التّاريخ.

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط، وقال الألباني : صحيح - السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

واقرؤوا إن شئتم عن حال الأُمّة أيّام غزو التّتار، وكذلك أيّام الحملات الصّليبيّة، وما علمنا عن سقوط الأندلس.

ولماذا نذهب بعيداً وتاريخنا الحديث حافلٌ ماثلٌ بشواهد غياب العَقِيْدَة الجهاديّة عن قلوب معظم هذه الأُمّة. فهذا تاريخنا الحديث يحدّثنا:

فقد انطلقت الحملات الصّليبيّة الرُّوميّة الجَدِيدة، فأسقطت الخِلافَة سنة ١٩٢٤م، ثمّ قطّعت معاهدات سيكس بيكو الأُمّة وأراضيها وشعوبها إرباً إرباً، وجعلتهم دولاً وإمارات، وممالك متنازعة متفرقة، واحتلت مقدّساتهم ونهبت ثرواتهم، ووطنت اليَهُوْد في عقر دارهم، وكان ما روينا طرفاً موجزاً عنه في الفصول السَّابقة، ولمن لا يعرف التّاريخ، ويقصر علمه وفهمه عن دراسته، فهذا حاضرنا الماثل مع الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الجَدِيدة، بقيادة أمريكا وحلفائها في النّاتو من الدّول الغربيّة، ومخططاتها للشرق الأوسط الكبير، لتحتله من أقصاه إلى أقصاه، ولتجند حكامه ليقتلوا نخبة شباب شعوبهم، وتستعمل عساكر المُسلِمِين في ذبح الإِسْلَام والمُسلِمِين، ثمّ لتصنع بَرَامج حرب الأفكار، فتفرض علينا تغير مناهج التَّفكير والتّربية والتّعليم في مدارسنا وحتى خطب الجمعة ودروس الدّين في مساجدنا وتحدد لنا الآيات القرآنية الّتي يجب أن لا نطبعها ولا ندرسها ولا ننشرها.

فهذا بعض آثار نتائج غياب العَقِيْدَة الجهاديّة، وكل ذلك مما نشاهد من كفر الحكَّام، وفساد أكثر العُلَماء، وضلال غالبية العامّة، وتملك الجميع الوهن ؛ «**حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»!

بل أن الأمور تبشر بالأسوأ، وهو خروج أجيال تقدس عقائد المحتل الغازي الجَدِيد، وتدعوا لأفكاره ونظم حكمه وحياته وثقافته وأتباعه في كلّ شيء، وها هيَ الأرض تسير وكأنها تتهيأ لاستقبال الدَّجَّال، جموع هائمة عَلى وجوهها لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون مُنكراً.

لقد عرف العدوّ العلة وأخذ في زرعها ورعايتها، حرب الأفكار وتجفيف مولدات المُقاوَمة والقضاء عَلى عقائد الإِسْلَام، وأهم ذلك جوانب العَقِيْدَة القتاليّة لديها، وهذا هو الداء وبعكسه الدَّواء، لا بُدَّ من التمسك بالدّين، وإعادة زرع العَقِيْدَة الجهاديّة في شباب هذه الأُمّة.

العَقِيْدَة الجهاديّة في التّيار الجهاديّ الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة:

بعد سقوط الخِلافَة، وإبان أواخر أيّامها وصففها ولدت بواكير الصّحوة الإِسْلَاميّة، وكانت دعوات إصلاح شامل، وكان جانب العَقِيْدَة الجهاديّة حاضراً في معظمها ولا أول عَلى ذلك من الشَّعَار الشهير في أم الحركات الإِسْلَاميّة وقلبها ؛ دعوة الإخوان المُسلِمِين وما تولد عنها من حركات في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، فقد قَالَ الشَّعَار في حينها.

(الله غايتنا، الرَّسُول قدوتنا، القرآن دستورنا، الجِهَاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.)

ولا أجد في أدب أديب ولا بيان كاتب في هذه الأُمّة المعاصر أجمع لمقوّمات العَقِيْدَة الجهاديّة من هذا الشَّعَار الّذي يجمع حذافير الدّين وأساسِيَّاته وفرعياته.

وقد سارت الصّحوة عَلى ذلك الستار صدرها الأوّل، ولكن ما الّذي حصل بعد ذلك عَلى أرض الواقع، لقد دب الفساد في تلك العَقِيْدَة الجهاديّة، وآلت كثير من الحركات، ليكون البرلمان غايتها، والغربُ قدوتها، والدِّيمقراطيَّة دستورها والانتخابات سبيلها، والوصول للمشاركة مع الطواغيت في حُكُومَاتهم أسمى أمانيها، هذه هيَ الحقيقة الماثلة مهما تكن مؤلمة ومهما يشكل كشفها صفعة عَلى وجوه أصحابها.

بل سار الحال إلى الأسوأ، فإن أكثر علماء الإِسْلَام وقادتهم ورموز صحوتهم يسيرون اليَوْم لتكيف عقائد الإِسْلَام عَلى مزاج الغُزَاة الجدد تحت دعاوى الإعتدال واحترام الآخر.

إن من أول أولوياتهم اليَوْم التجاوب مع حرب الأفكار في قطع جُذُور العَقِيْدَة القتاليّة، لقد صارت العَقِيْدَة الجهاديّة إرهاباً، وفكراً إرهابياً يجب حربه، ويجب أن تنساه الأجيال القادمة، ولو قدر لهم أن ينجحوا لا قدر الله، ولن ينجحوا بإذن الله، لأَنّهم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون.

أقول لو قدر لهم أن ينجحوا فستولد أجيال لا يعرف أكثرها دين ربّهم ولا تاريخ أمتهم، بل ولا لغة آبائهم وأجدادهم، وستكون أجيالا بلا عَقِيْدَة جهاديّة تحفظ هذه الأُمّة من الزوال وتدافع عن بقائها ومقوّمات وجودها.

أقول بكل بساطة – ومهما تكن الحقيقة مؤلمة– لقد تماوتت العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة في مدارس

الصّحوة الإِسْلَاميّة شيئاً فشيئاً منذُ مطلع الستينات، ولم يحافظ عليها ويزكيها إلا ما اصطلح عليه باسم (التّيار الجهاديّ)، جماعات وأفراد هنا وهناك.

و لقد ذكرنا طرفاً من تاريخ ذلك في الفَصلين الخامس والسَّادس والسَّابع من الجزء الأوّل. وبينا كيف أن معظم مدارس الصّحوة ولاسيما المتسيسة منها، ومن أجل دفع ثمن دخولها مجال (المشروعية القانُونيّة) للممارسة السّياسيّة لدى الحُكُومَات، قامت بالتخلي عن عقيدتها الجهاديّة القتاليّة تدريجياً، بل ألتفت كثير من رموزها وقادتها، لمحاربة أولئك الّذين تمسكوا بتلك العَقِيْدَة من أبنائهم، وفصلوهم من تنظيماتهم، وضيقوا عليهم، فضلاً عن محاربة التّيار الجهاديّ دعوياً وفكرياً وإعلامياً، بل وأمنيّاً في بعض الأحيان حيث تولى بعض الدعاة إبلاغ الأمن عن نوايا الجهاديّين !!

لقد حمل التّيار الجهاديّ عبر تنظيماته وأدبيات مفكريه وكتابه وإعلامه تلك العَقِيْدَة بمقتضى الشَّعَار الأوّل للصحوة، قولاً وعملاً، وقامت الجماعات والتَّنظِيمات الجهاديّة المختلفة عَلى تلك الأسس وتفاوت عطائها ومدى وضوح وتجذر تفاصيل تلك العَقِيْدَة في مناهجها.

وبشكل إجمالي يمكن القول أن معظم التَّنظِيمات الجهاديّة تبنت العَقِيْدَة الجهاديّة وكان لها فكراً ومنهجاً جهاديّاً مكتوباً وتبعاً لذلك كانَ لها برنامجها التربوي الّذي رسخ تلك العَقِيْدَة الجهاديّة في عقول عناصرها، وقد مرت كافّة تلك التَّنظِيمات بمرحلتين من النَّاحية المنهجيّة والتربَويّة وتربية الأعضاء عَلى ذلك.

مرحلة ما قبل الصدام مع السُّلطات في بلادها، ومرحلة ما بعد الصدام، وبالإجمال استطاعت تلك التَّنظِيمات والجماعات أن تربي في مرحلة الإِعداد قبل الصدام كادراً طيباً كماً ونوعاً عَلى تلك العَقِيْدَة والمناهج وخرجت نماذج ناضجة نموذجية كمُجَاهدين عقائديين يحملون عَقِيْدَة جهاديّة راسخة واضحة، وهم الرعيل الأوّل والثّاني في كلّ حركة وتنظيم جهاديّ تقريباً، ولكن معظم تلك الجماعات بعد فتح الصدام المُسلّح عجزت للأسباب الّتي مر ذكرها عن تربية الطبقات التّالية من الأتباع، ورغم أن المناهج معروفة ومدونه إلا أن نوعية ومستوى التّربية انخفض فيما بعد.

ولما هاجرت تلك التَّنظِيمات. حاولت استئناف المسيرة واستطاعت أن تبني شيئاً من ذلك ولاسيما من خلال مرحلة الجِهَاد الأفغاني في شوطين الأوّل والثّاني.

وبالإجمال يشكل عناصر التَّنظِيمات الجهاديّة النموذج الأفضل للمُجَاهد العقائدي الّذي يحمل عَقِيْدَة جهاديّة في ظاهرة الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة.

وفي تجربة الجِهَاد الأفغاني بشوط الأوّل، كانَ تجمع الأفغان العَرَب تجمعاً غير متجانس، وكانت الشريحة الأكبر منه لا تنضوي تحت تنظيم ولا جماعة ولا أمير، وكانت مُعَسْكَرَات التّدريب العامّة المفتوحة تقتصر تقريباً عَلَى التّدريب العسكريّ، ولم تر من الدُّروس المنهجيّة القليلة البسيطة فيها ما يمكن وصفه بأنه منهج تربوي يرسخ عَقِيْدَة قتالية، باستثناء بعض الدُّروس القيمة والقليلة الّتي ألقاها الشَّيْخ عبدالله عزام رحمة الله في الطّبقة الأولى من تجمع المُجَاهدين العَرَب قبل أن تشغله المشاغل ثمّ تختطفه يد الردى ﵀ تَعَالَى رحمة واسعة. وقد ترك الشَّيْخ عبدالله ﵀ تراثاً هائلاً يحتوي الكثير من مناحي العَقِيْدَة الجهاديّة، وما زال تراثه مظلوما مهملاً يحتاج من يخرج ما فيه من درر.

ورغم تجمع أكثر من ٤٠ ألف مُجَاهد عربي ومسلم في الشوط الأوّل للأفغان العَرَب، مما شكل فرصة نادرة الحصول لتربية تلك المجموع أو طلائعها عَلَى عَقِيْدَة قتالية جهاديّة، لمواكبة ما يتربص بالأُمّة من أحداث وحملات صليبيّة وشيكة، إلا أن تلك الفرصة ضاعت.

وكان السبب الأوّل في اعتقادي عدم إدراك القيادة العليا للتجمع الجهاديّ العربيّ آنذاك لأهمية تلك العَقِيْدَة الجهاديّة. وأعتقد أن كثيرا منهم في تلك المَرحَلَة، لم يكونوا يملكون تلك العَقِيْدَة الجهاديّة أصلاً ولا يقيمون لها وزناً، بل كانوا يعملون بدافع عاطفة دينية وقناعات جهاديّة محدودة ومحددة، بل كانَ بعضهم يحمل أفكاراً متناقضة مع مقتضيات العَقِيْدَة الجهاديّة أصلاً تحمل بصمات ما تربوا عليه من مناهج غير جهاديّة، ولو لا فضل الله ووجود دعاة جهاديّين وبعض العُلَماء والمفكرين ووجود التَّنظِيمات الجهاديّة من الّذين يحملون تلك العَقِيْدَة الجهاديّة، لاجتمع الجمع وانصرم ولم يخلف وراءه إلا صدى طلقات المعارك ودورات التّدريب الّتي سرعان ما تلاشت، بعد أن قضى لأمريكا حاجتها ووطرها من ذلك الجمع دون أن يدري ودون أن يكون قد استفاد لصالح مسار الجِهَاد شيئاً لحسابنا الخاص لمسلمين ومُجَاهدين.

ولكن تلك الكوكبة الواعية الفاهمة بذرت بذور الفكر الجهاديّ واستطاعتها عبر مُعَسْكَرَات ومضافات التَّنظِيمات الجهاديّة، وعبر بعض الدُّروس والمحاضرات الّتي عقدها بعض المفكرين وطلاب العلم الواعين لعقيدتهم الجهاديّة وأهميتها فضلاً عن انتشار الأدبيات الّتي تحمل الفكر الجهاديّ.

ولكن النجاح في ميدان زرع العَقِيْدَة الجهاديّة عَلى مستوى عشرات الآلاف أولئك كانَ ضحلاً، وواجه مقاومة شرسة من قبل الأوساط السّعُودِيّة الّتي كانت مسيطرة عَلى معظم ذلك الجمع عبر مؤسسات كثيرة، وقد أثبت المردود الواهي لتلك المجموع وعدم مساهمتها فيما تلا من أحداث، ذلك الفشل الذريع لمشروع تربية أولئك المُجَاهدين، وإحصائية تقريبية تثبت ذلك بكل وضوح.

لقد تكون الجمع العربيّ من زهاء ٤٠ ألف مُجَاهد، ارتادوا بيشاور ومُعَسْكَرَات التّدريب وجبهات القِتَال ما بين (١٩٨٥-١٩٩٢)، ولا شَكَّ أن أكثر من ثلثيهم قد تلقى تدريباً عسكريّاً معقولًا، وأن أكثر ممن نصفهم دخل جبهات القِتَال، وأن ربعهم عَلى الأقل شارك في معارك حقيقية بشكل فاعل جعل منه مقاتلاً محترفاً عَلى نحو طيب.

وقد تراوحت النسب التقريبية لجنسيات تلك المجموع بحسب ما تقصيتها قدر ما استطعت.

السّعُودِيّة	نحو	٢٠٠٠٠ مُجَاهد
اليمن	نحو	٥٠٠٠ مُجَاهد
مصر	نحو	٤٠٠٠ مُجَاهد
الجَزَائِر	نحو	٢٠٠٠ مُجَاهد
المغرب (مراكش)	نحو	عدّة مئات المُجَاهدين
ليبيا	نحو	عدّة مئات المُجَاهدين
فِلَسطِين	نحو	عدّة مئات المُجَاهدين
إمارات الخليج العربيّ	نحو	عدّة مئات المُجَاهدين

أما تونس، العراق وسوريا ولبنان وموريتانيا والصّومال فقد جاء من كلّ منها، أرقام تتراوح بين المئات وعشرات المُجَاهدين، وكذلك باقي دول العالم.

هذا بالإضافة لعشرات آلاف المُجَاهدين الباكستانيين الّذين حضروا وشاركوا من خلال تجمعات ومُعَسْكَرَات مستقلة أو مع الأفغان مباشرة.

ولنبق في إطار المُجَاهدين العَرَب، فباستثناء عدّة مئات من المطاردين أصلاً في بلادهم، عادت معظم تلك الآلاف المُؤلّفة إلى بلادها، وقد انطلق النّظام العَالمِيّ الجَدِيد واحتل جَزِيرَة العَرَب، ودمر العراق وحاصرها، واشتعلت الإنتفاضة، وزحفت روسيا إلى الشِّيشَان، ووقعت مذابح الصّرب في البوسنة، واستمرت مآسي المُسلِمِين بشكل فظيع مع اقتراب القرن العِشرين من نهايته وحملت وسائل الإعلام إلى كلّ بيت، ما يفجر القهر والغيظ في ضمير أي مسلم.

فماذا كانَ دور تلك الآلاف من المُجَاهدين الّذين أعدوا وتدربوا وأتقنوا استخدام السّلاح خفيفة وثقيلة وتعلموا استخدام المتفجرات وكل صنف الأَسْلِحة ؟! ماذا كانَ أثرهم عَلى تلك المَعْرَكة المشتعلة في كلّ مكان عامة، وفي الشّرق الأوسط الجَزِيرَة والعراق والشّام خاصّة!

تقريباً لاشيء، فباستثناء بعض العمليّات الجهاديّة الفرديَّة الّتي قام بعظمها من لا علاقة لهم أصلاً بذلك الجمع، وباستثناء بعض الّذين التحقوا بجبهة البوسنة والشِّيشَان عَلى نفس الطَّريقة الأفغانية، لم تساهم تلك الحشود في المَعْرَكة.

لقد تراوحت في مسلكها بين بعض حالات الانقلاب عَلى الجِهَاد والصّحوة أصلاً كما حصل في اليمن من التحاق كوادر جهاديّة بأجهزة الإستخبارات والجيش اليمني.كانَ من بينهم مقربون ومعاونون للشيخ أُسَامَة بن لادن ذاته !! وبين حالات العودة التَّامَّة للدنيا الّتي خرجوا منها للجِهَاد ثمّ عادوا للانغماس فيها تماماً وكأنه لا كانَ جِهَاد ولا إعداد!!!

هذا فضلاً عن بعض حالات الشذوذ والانحراف الفكريّ والسُّقوط في متاهات الغلو والتكفير والإحباط نتيجة الحماس وعدم وجود عَقِيْدَة جهاديّة صحيحة !

فلم كانَ ذلك ؟!

السبب واضح جداً، كانَ ذلك لأن تلك الجموع لم تتلق أي توجيه وتدريب في مجال العَقِيْدَة القتاليّة الجهاديّة، ولم تتلق شيئا من المحاضرات الشَّرعيَّة العقدية، لا في مجال السّياسة وفقه الواقع، ولا في نطاق الفكر الحَركيّ والوعي السّياسيّ الشَّرعيّ.

تدريب عسكريّ، تدريب عسكريّ، رياضة، سلاح، جلسات نشيد، قتال، معارك، فقط، لقد قاومت بعض قيادات الجمع العربيّ المُجَاهد أي طرح للفكر الجهاديّ والتوعية السّياسيّة.

لقد كانَ لذلك أسبابه الّتي قد أعرض لها إن كتبت عن تاريخ تلك المَرحَلَة، وليس مكان هذا هنا.

ولكني أشير إلى نتائج غياب التّربية والتوعية في مجال الفكر والعَقِيْدَة الجهاديّة بشكل صحيح وكاف، وأضرب مثالاً صارخ الوضوح.

فقد كانَ التجمع الأكبر للمُجَاهدين العَرَب، هم مُجَاهدوا جَزِيرَة العَرَب الّذين قدموا من دول مجلس التّعاون الخليجي واليمن وعلى رأسها السّعُودِيّة، وكانوا زهاء ٢٥ ألف مُجَاهد وربما أكثر، وزاد عليهم عدّة آلاف ممن أموا البوسنة والشِّيشَان وغيرها من الجبهات المفتوحة.

لقد عادوا لبلادهم خلال النصف الثّاني من التسعينات ليعيشوا حالة الاحتلال شبه العَلنيّ من قبل أمريكا وانطلاقها وحلفائها من دول النّاتو من أراضيهم لقتل المُسلِمِين في العراق، ودعم وقتل اليَهُوْد في فِلَسطِين، فضلاً عما لاقوه من الاضطهاد والسّجن والتحقيقات عَلى يد أجهزة الاستخبارات في بلادهم ولاسيما السّعُودِيّة فماذا كانَ رد فعل عَلى كلّ ذلك؟ ببساطة لاشيء!!

أين العُلَماء؟ أين الخطباء؟ أين الدعاة الّذين ملؤوا الدُّنيَا حماساً للجِهَاد والاستشهاد؟ لم يكن لذلك أي أثر!!

فمنذ عام ١٩٩١ وإلى ٢٠٠١م وعلى مر عقد من الزّمن، لم تتعرض القوّات الأمريكيّة عَلى أرض جَزِيرَة العَرَب إلا إلى عمليتين يتيمتين في الرِّيَاض والخبر، وإذا قبلنا معظم الإشارات بأن عمليَّة الخبر كانت من فعل أتباع الاستخبارات الإيرانية ومن حزب الله الشيعيّ، لا يبقى إلا عمليَّة واحدة، وهي تفجير مقر سكن للأمريكان في الرِّيَاض في العليا قتل فيه أربعة أمريكان! هذا في عشر سنين !! وهذا يخجل أي أمة تحتل أرضها بمئات آلاف الجنود ثمّ يكون هذا حجم مقاومتها !! إنه أمر مخزٍ !

هذا في بلد تحيل فيه العدوّ عقر دار الإِسْلَام الّذي يحتوي كعبتهم ومسجد نبيهم ﷺ، بل وبيت ما لهم الّذي يضخ في خزانة أمريكا كلّ يوم أكثر من مليار دولار كلما أشرقت الشّمس وغربت!

وأثناء التحقيق ثبت أن المُجَاهدين الأربعة الّذين أُعدموا رحمهم الله في ذلك الحادث، هم من الّذين شذوا عن قاعدة التجمع، وتلقوا فكراً وعَقِيْدَة جهاديّة، عَلى بعض الجهاديّين من التَّنظِيمات الجهاديّة، وقضوا وقتا معهم في أفغانستان، وبدا أثر الفكر والعَقِيْدَة الجهاديّة واضِحاً عليهم من خلال اعترافاتهم وما نقل التلفزيون السّعُودِيّ من مقابلات معهم.

وفي آخر أيّام الشوط الثّاني للأفغان العَرَب، بدأت الصُّورة العامّة تتضح أكثر فأكثر للجميع، وبدأت صفاقة أمريكا وهجمتها، والوقوف الصريح لحكام العَرَب والمُسلِمين معها، ومع المشروع الصّهيونيّ تلعب دورا أساسيا في انتشار العَقِيْدَة الجهاديّة، وبدأت فضائح ونفاق علماء السّلاطين تدخل مرحلة مزرية لم يعد بإمكان محبيهم ترقيعها، وبدأت معالم الصُّورة تتضح، وبدأت أسس العَقِيْدَة الجهاديّة تطرح نفسها بتلقائية في أوساط الأُمّة عمومًا، وتهيأت الأجواء لفكر جهاديّ ثوري مبشر.

وجاءت أحداث سِبتَمبر وما تلاها، ثمّ احتلال العراق وما تبعه، وأحداث الإنتفاضة وما يجري فيها، لتجعل خيار الجِهَاد، وطرح الجهاديّين هو الطرح الأكثر جماهيرية ومنطقية في أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة بل أوسط مختلف شرائح الأُمّة بكافة تكويناتها، وهنا تبدو الحاجة ماسة جدا لإعادة طرح أسس العَقِيْدَة الجهاديّة وتفاصيلها بأسلوب جماهيري يناسب المَرحَلَة.

حالة العَقِيْدَة الجهاديّة في الأُمّة والصّحوة والتّيار الجِهَادى اليَوْم:

إن حالة العَقِيْدَة الجهاديّة لدى مختلف شرائح الأُمّة وطبقاتها تمر رغم العَوَاطِف الجياشة، في أزمة حقيقية لا يمكن النهوض بالأُمّة المُوَاجَهة والمُقاوَمة إلا بالبدء بإصلاحها.

وهذا ميدان وجهة من أهمّ ميادين وأخطر خطوط المُوَاجَهة في الحَرب الّتي تخوضها الأُمّة اليَوْم، ويشتد أوارها يوماً بعد يوم، وهذا ميدان هو مسؤولية العُلَماء والمفكرين والكتاب والأدباء والمثقفين ورجال السّياسة والإعلام في هذه الأُمّة، ولاسيما وعلى وجه الخصوص رجال الصّحوة الإِسْلَاميّة،

وبشكل أخص أولئك الّذين سيحملون أمانة الجِهَاد وتوجيه المُقاوَمة والتّيار الجهاديّ في مرحلتين: المَرحَلَة المقبلة الخطيرة الراهنة، والمَرحَلَة القادمة.

مفارقة خطيرة وحقيقة وهامة:

لقد أدرك العدوّ أن خط الحَرب هذا هو أهمّ وأخطر خطوط المُوَاجَهة، وأدرك أنهم يتفوقون علينا في كلّ خطوط الحَرب الأخرى، عسكريّاً وتكنولوجياً وعلمياً وحضارياً، وإعلامياً وسياسيّاً وأمنيّاً واقتصادياً، إن العدوّ الصّليبيّ اليَهُوْدي بقيادة أمريكا وحلفائها اليَوْم من الكفّار والمرتدّين والمُنَافِقِين، يتفوقون علينا بشكل ساحق غير قابل للمقارنة في كلّ تلك الميادين والمناحي، مما يوفر لهم أسباب النّصر المادية في كلّ خطوط هذه المواجهات، ولذلك غزونا في هذا الوقت، ولكنهم أدركوا أيضاً أنّنا نتفوق عليهم في خط المُوَاجَهة عَلى جبهة العَقِيْدَة الجهاديّة والقيم المعنوية، بشكل ساحق غير قابل للمقارنة أيضاً، ولذلك أعلن رامسفيلد الصّليبيّ المتصهين، وزير دفاع أمريكا، أن المُوَاجَهة مع (الإِرهَاب) كما يدعونها، دخلت في مرحلة حرب الأفكار، وأنها من أهمّ مراحل (استراتيجية الحَرب الإستباقية)، ولقد مرت حرب أمريكا المعلنة عَلى المُسلِمِين منذُ عهد كلينتون أواسط التسعينات بعدة مراحل، ثمّ حافظ بوش اللعين عَلى استراتيجيتها وأضاف عليها مناحٍ جديدة.

لقد قامت حرب أمريكا مع المُسلِمِين وحملتها الصّليبيّة تحت ستار ما يسمي مكافحة الإِرهَاب (يقصدون المُسلِمِين) عَلى الأسس الّتي فصلتها في الفَصل السَّادس وهي:

١ – تجفيف المنابع المالية والمادية للإرهاب.

٢– اغتيال الرؤوس والمُقاومين أو أسرهم وسجنهم.

٣ – تصفية العناصر عن طريق الخطف والتسليم لبلدانهم أو للمعتقلات الدّولية.

٤ – إلغاء الملاذات الآمنة للإرهاب بإجبار الدّول عَلى ترحيل المُجَاهدين أو تصفيتهم

٥– التشويه الإعلاميّ.

٦ – المطاردات الأمنيّة بالتّعاون مع حُكُومَات بلاد المُسلِمِين.

ثمّ أضاف بوش الابن إلى ذلك مصرحاً ومعلناً عدّة محاور وهي:

٧ - الزَّحف العسكريّ المباشر برايات صليبيّة يهودية صريحة عَلى بلاد المُسلِمِين. عبر ما أسماه (استراتيجية الحَرب الإستباقية).

٨ - عقد حلف دولي عسكريّ للمشاركة في هذا الزَّحف بقيادة أمريكا.

٩ - نقل المطاردات الأمنيّة للمجال الدّولي بإشراف أمريكي مباشر.

١٠ - تطبيق مبدأ الحَرب الاستباقية عَلى خلايا الصّحوة الإِسْلَاميّة والجهاديّة وهو ما أسموه (إجهاض المحاولات الإِرهَابية قبل نشوئها).

١١ - وأخيراً ما يهمنا في هذا الفَصل الّذي هو ما أعلنه رامسفيلد وأسماه: (حرب الأفكار). وتتولى الشمطاء كونديليسا رايس مستشارة الأمن القومي في الإدارة الأمريكيّة المشاركة في التنظير لهذه الحَرب الّتي يشارك فيها حتَّى شيخ الأزهر وأئمة الحرمين!

من تكتيكات (حرب الأفكار) الأمريكيّة:

لقد اشتملت هذه الحَرب عَلى زخم إعلامي وفكري هائل، فكان من ذلك افتتاح عدّة محطات إذاعية باللغة العربيَّة ولغات المُسلِمِين، موجهة وممولة من قبل الحكومة الأمريكيّة مباشرة.

ثمّ دخلت أمريكا مجال القنوات الفضائية باللغة العربيَّة وبطاقم إعلامي عربي محترف من المُنَافِقين والمرتدّين والعملاء. فافتتحت قناة (**الحرة**).

كما ألزمت أمريكا الحُكُومَات العربيَّة والإِسْلَاميّة بتغير مناهج التّربية والتّعليم، وفرض رقابة صارمة لحذف كلّ ما من شأنه أن يزكي روح المُقاوَمة في الأُمّة، كما صدرت أوامر أمريكية لحُكُومَاتنا، بالتزام لائحة توجيهات تشمل حصار المساجد والدُّروس والخطب والتّعليم الدّيني، وتتضمن تفاصيل من الإلغاء والتضييق والتشويه والتحريف.

ومصيبة المصائب أن أمريكا تستعمل كثيراً من قطاعات العُلَماء ورموز الصّحوة الإِسْلَاميّة بفعل ضغوط الحُكُومَات، وتستعمل هذا القطاع الإِسْلَاميّ المحترف في معركة الأفكار لتشويه الدّين وإتلاف مقوّمات المُقاوَمة والجِهَاد فيه عن طريق الفتاوى العميلة المشوهة تحت مسمّى مكافحة الإِرهَاب والتطرف، وعن طريقة بث أفكار الخنوع والذوبان في الفكر والحضارة الأمريكيّة، تحت مسميات كثيرة،

منها: الإعتدال، والوسطية، والتّعاون والحوار مع الآخر، وغير ذلك من دعاوي الدعاة عَلى أبواب جهنم الّذين يلبسون لباسنا ويتكلمون بألسنتنا من أبناء جلدتنا.

وفي وسط هذه الفتن الطامة الطَّاغية، يمكن تلخيص حالة العَقِيْدَة القتاليّة لدى الْمُسلِمِين من خلال رصدها لدى ثلاثة شرائح هيَ:

- العَقِيْدَة القتاليّة الجهاديّة لدى عامة الْمُسلِمِين.

- العَقِيْدَة الجهاديّة لدى مدارس وقطاعات الصّحوة الإِسْلَاميّة.

- العَقِيْدَة الجهاديّة لدى الجِهَاديين اليَوْم بعد أحداث سِبتَمبر والعراق وما استجد من ظروف. ونتناول ذلك باختصار، ثمّ أنتقل إلى لب البَاب الأوّل وهو:

نظريَّة العَقِيْدَة الجهاديّة والمنهج في دعوتنا: دعوة الْمُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

أولاً: أما عن العَقِيْدَة القتاليّة لدى قطاعات الشّعوب العربيَّة والإِسْلَاميّة اليَوْم:

فإنه لم يبق لدى معظم شرائح الأُمّة، بسبب تتالي العقود عَلى سياسات القمع والخوف والتجهيل، ومحاربة الإِسْلَام وتغيب شرائعه، والَّتي مارستها الحُكُومَات عبر وسائل الإعلام، ومناهج التّربية الّتي تعتمد الإفساد والعلمنة، والقضاء عَلى ما تبقى من مكوّنات الدّين والعَقِيْدَة لدى شعوبها في الغالبيّة السَّاحقَة لبلاد الْمُسلِمِين.

وبسبب ما ران عَلى قلوب الأكثرية من الوهن «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»، لم يبق من العَقِيْدَة الجهاديّة لدى مختلف طبقات الأُمّة، إلا العَوَاطِف وبعض آثار ما تبقى من عَقِيْدَة الجِهَاد لدى النذر اليسير من الأُمّة.

ولكن حملات أمريكا علينا منذُ عقد من الزَّمن وتتالي استفزازاتها وما فعلته في العراق ثمّ أفغانستان ثمّ العراق ثانية، وما تطرحه اليَوْم من بَرَامج الإحتلال والعدوان عَلى كافّة الصعد، مستهدفة الجميع حكاماً ومحكومين، دولاً وجماعات، أحزاباً حاكمة أو معارضات، ودعمها اللامتناهي لإسرائيل وما تثيره القضية الفلسطينية ومجرياتها منذُ الانتفاضه خاصّة.

جعل أساسِيَّات العَقِيْدَة الجهاديّة تعود للأمة، حيث يشهد رجل الشارع العادي صَحوَة فطرية طبيعيّة لا يمنعها من توليد الأعمال والأفعال، إلا سياسات القمع والخوف والأنظمة البوليسية في كلّ مكان.

ولكن المبشرات تبدو أكبر بفضل الله، ثمّ بفضل حمق أمريكا وحلفائها الصّليبيّين، ومن ورائها قوى بني صهيون، إن تلك المبشرات تلمس اليَوْم في كلّ مكان.

وعلى العكس مما تظنه أمريكا، فإن حملاتها لتغير المناهج وأصول التّربية والتّعليم ومحاربة التدين، قد جلبت ردة الفعل هائلة حتَّى في صفوف وأوساط العلمانيين، الّذين لا يجدون لهم اليَوْم مادة وهوية للمُوَاجَهة بدوافع النخوة والشرف، إلا الإِسْلَام ورايته وهويته، إنَّهُ مكر الله.

إن روح العَقِيْدَة الجهاديّة تتسرب إلى الأُمّة بشكل يبعث عَلى الأمل. بل عَلى الاعتقاد بقرب التّحرّك نحو الإنتصار، فإن الجماهير تتململ.

لقد سلبت أمريكا دنياهم الّتي ابتلوا بحبها، وحببت إليهم الموت كحالة أفضل من ظروف الحياة الّتي تعدهم إياها، وهكذا تحل لنا أمريكا عقدة «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»!

إن أمريكا تساعدنا اليَوْم عَلى بغض الدُّنيَا وحب الموت، ويجب أن نشكرهم:

فلا جزاهم الله خيراً، وسلطنا عليهم موتا زؤاما.

وعندما سيصل هذا الإحساس ليكون جماهيرياً.ستلقى الجماهير عن كاهلها الوهن، وستسير الأمور بشكل عكسي، وعندها تعود المهابة منا إلى صدور أعدائنا، ولا نعود غثاء كغثاء السيل لا قيمة لنا، وإنما جماهير مؤمنة تتحرك بالقوة الدافعة لَاإِلٰهَ إِلَّا الله محمّد رسول الله.

ثانياً: وأما عن حالة العَقِيْدَة القتاليّة الجهاديّة في أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة:

لقد خلعت مختلف أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة غير الجهاديّة عَلى اختلاف مدارسها وعلى مدى عقود متلاحق عَلى طريق التسيس، خلعت كلّ مقوّمات العَقِيْدَة الجهاديّة عملياً، ولكن ومنذ قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، ولاسيما بعد سِبتَمبر وإعلان الحملات الصّليبيّة بعد احتلال العراق عَلى الشّرق الأوسط

الكبير وهو عملياً العالم الإِسْلَاميّ، منذُ ذلك الوقت تشهد الصّحوة الإِسْلَاميّة غير الجهاديّة حالة فرز وانقسام حادة.

فالأقلية الصّالحة من أهل الخير من علماء وقادة ورموز صَحوَة، استفزهم الهجوم وأحيا فيهم مكان الدّفاع والغيرة، فمالوا للفكر المقاوم، وإن كانَ عَلى استحياء، ولكنها صَحوَة داخل الصّحوة تبشر بخير، ولكن الأكثرية وللأسف تتحول للعمل كبيادق منافقة من حيث تدري أولاً تدري، في خدمة برنامج رامسفيلد لحرب الأفكار.

ويكفي للدلالة عَلى ذلك ولمعرفة الأسماء والهيئات والأشخاص الّتي تشن الغارة عَلى الإِسْلَام من داخل صفه، أن نقتفي أثر وسائل الإعلام المختلفة من إنترنيت وفضائِيَّات وصحف ومجلات ومؤلفات، لتتابع سيل عمل كتيبة حرب الله ورسوله والطليعة المُقاوِمة في هذه الأُمّة، تحت دعاوى الحوار والاعتدال والوسطية ونبذ الإِرهَاب.

لقد وصل الهجوم والسموم لكل مناحي ومبادئ هذا الدّين، تحليلاً للحرام، وتحريماً للحلال وحربًا لله ورسوله وهكذا تُبْنَى مساجد الضِّرار بتخطيط رامسفيلد وكونديليسا.

إن مساجد الضرار النِّفَاق تبني محاريبها من جديد، وترفع مآذنها من جديد، إرصاداً لمن حارب الله ورسوله، لتحارب أصحاب مسجد قباء، الّذين أسسوا بنيانهم علىَ تقوى من الله ورضوان من أول يوم.

إن رحى المَعْرَكة الداخليَّة تدور اليَوْم، وستكون ضارية مع طلائع رامسفيلد المعممة من أصحاب اللحى المنمقة والبطون المكورة الّتي ملأها سحت الدّولارات رغباً، وروعتها سياط الحكّام ووعيدهم رهباً.

فأفرزت لنا أمثال شيطان العُلَماء (عبد المحسن العبيكان)، وإمام الحرم المنفوخ، الحبر السمين (عبد الرَّحمٰن السديس)، وشيخ الأزهر صاحب الطنطاويات، وأمثالهم في كلّ بلد إسلامي!

وأما عن حالة العَقِيْدَة الجهاديّة في التّيار الجهاديّ بعد سِبتَمبر:

فالحال يبشر بالخير الكثير، ولكن هناك إشكاليات تحتاج للكثير من الجهد والعمل.

أما بشائر الخير؛ فإن العدوان الأمريكيّ جعل كفة الطروحات الجهاديّة ترجح، وجعل الجماهير المؤيدة للمقاومة أوسع، وهذا يسهل عَلى دعوة الجِهَاد قيامها بالحشد.

وأما الإشكالات فعدة أمور:

أولها وأخطرها أن حرب أمريكا عَلى أفغانستان ثمّ عَلى التّيار الجهاديّ برمته قد كبدت التّيار الجهاديّ خسائر بشرية فادحة قتلاً أو أسراً، فإن معظم الكادر الأساسي منه قد قضى في سبيل الله، وقد سبقت الإشارة لذلك، ولم يبق من حملة رايته ودعوته، ومن كتابه ومنظريه خاصّة إلا النزر الأقل من القليل، حيث تقع عَلى كاهلها مهمة إحياء دعوة الجِهَاد، ونشر مبادئ العَقِيْدَة الجهاديّة، وإعادة نشر مناهجها.

كما أن التراث الجهاديّ المكتوب عَلى قلته بالإضافة للتراث الفكريّ للصحوة الإِسْلَاميّة الّذي يشكل مرجعاً فكرياً وفقهياً للفكر الجِهَاد من أمثال مؤلفات سيد قطب رحمه الله، وغيره كمؤلفات أخيه الأستاذ محمّد قطب وبعض مؤلفات آخرين مما كتب في الستينات والسبعينات، يتعرض اليَوْم للهجوم وللمصادرة من المكتبات ووسائل النشر، كما يتعرض للطعن والتشويه.

وكذلك فكر دعوة الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب وعلماء المدرسة النجدية، وما بني عليها من تراث المخلصين من دعاة بلاد الحرمين، كلّ ذلك يتعرض اليَوْم للمصادرة والتغييب، والطعن والتشويه.

بل إن الأمر يذهب بعيداً، فقد طال الهجوم اليَوْم تراث أمثال الإِمَام ابن تيميه وابن القيم ومدرستهم، وغير ذلك عَلى مستوى كلّ ما من شأنه أن يوفّر مادة للعَقِيْدَة الجهاديّة.

إنهم يطاردون حتَّى بعض النّصوص القرآنية في كتب المدارس الابتدائية، إنهم صرحوا في بعض دراساتهم بأنهم لن يسمحوا بتدريس سورة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢﴾ لأنها تقول في نهايتها ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾ وهذا يشجع الإرهَاب، كيف ؟! الجواب بسيط: فاليوم ليس هناك إلا دين واحد، دين بوش الّذي يريد أن يفرض نفسه عَلى العالم رباً واحداً أحداً لا يقبل معه شريكا، وخسئ الكلب.

وعلى النّاس القرار: إما معه أو عليه، هكذا قرر المجرم.

فالعَقِيْدَة الجهاديّة مهددة في التّيار الجهاديّ بغياب روادها من جهة وبتغيب أدبياتها وما يدعمها من المكتبة الإِسْلَاميّة من جهة أُخرى.

وهناك مشكلة ثالثة، وهي أن الفكر الجهاديّ، بني عَلى الحاكِمِيَّة ومبادئ المفاصلة مع كلّ أركان الجَاهِلِيَّة، من أجل إطلاق تنظيمات جهاديّة نخبوية تحارب أنظمة، وكان له فقهه وأدبياته، وهو تراث يجب الحفاظ عليه، ولكن مع الانتباه لأمر هام:

إن معركتنا اليَوْم مختلفة، فهي معركة دفع صائل الأَعدَاء الكفّار مع أوليائهم بطريقة أممية ومقاومة شعبيَّة إسلاميّة عالميّة، وهذا مجال لم يكتب له إلا القليل ويحتاج اليَوْم فكره ونظرياته وفقهه وأحكامه وأدبياته.

فمن يقوم بهذا وقد عضت السيوف رجال التّيار الجهاديّ ومضوا إلى ربّهم شهداء، وسحبت السلاسل إلى غوانتانامو الأمريكيّة والكثير من (الغوانتانامويات) في البلاد الأوروبية، بل والعربيَّة والإِسْلَاميّة المُجَاهدين بالآلاف وبعشرات الآلاف !

إن الثغرة شاغرة، ونسأل الله أن يقبض لها فرسانها، فمن هنا البداية، يجب طرح عَقِيْدَة جهاديّة تناسب مرحلة المُقاوَمة.

وبعد هذه المقدمات والتوضيحات ندخل في صلب الموضوع.

****

مقوّمات العَقِيْدَة الجهاديّة والفكر والمنهج في

دعوة المُقاوَمة الإسْلامَيّة العَالَمِيّة

ابتداءً نقول بأن العَقِيْدَة هيَ كلّ لا يتجزأ، وما هذا التقسيم الدراسي إلا لتسهيل الفهم، والتميز بين أقسام العَقِيْدَة، وتبيان ترابط تلك الأقسام.

(فالعَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة)، هيَ فرع من كلّ هو (العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة)، والّتي تشتمل بإيجاز عَلى كلّ أركان الإِسْلَام والإيمان، والتسليم بقواعد الشّريعة والدّين، والطاعة والانقياد لحكم الله ورسوله، وكل ما نشأ عن هذا الانقياد والتسليم، من الإيمان بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح، وما يتبع ذلك من التصرفات والأفكار والأحاسيس، فكل ذلك من العَقِيْدَة، وكذلك ما يترتب عليها من السعي في فعل المأمور، وترك المحظور برضى وتسليم.

ولما هممت أن أقدم للعَقِيْدَة الجهاديّة، بنبذة عن العَقِيْدَة بشمولها، رأيت أن اقتطف مما كتبه الشَّيْخ عبدالله عزام، فإن من منهجي في الكتابة أَنّي إذا تَوَصَّلت لمفهوم، أو كتبت شيئا، ثمّ رأيت لمن سلف إيجازاً حسناً، أن استغني عنه به).

فقد عرَّف شيخنا وأستاذنا الجليل أبو محمّد عبدالله عزام غفر الله له ورَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى رحمة واسعة، فقال في كتيبه الموجز القيم (العَقِيْدَة وأثرها في بناء الجيل):

[**العَقِيْدَة:** هيَ الضابط الأمين الّذي يحكم التصرفات، ويوجه السُّلُوك، ويتوقف عَلى مدى انضباطها وإحكامها كلّ ما يصدر عن النّفس من كلمات أو حركات، بل حتَّى الخلجات الّتي تساور القلب، والمشاعر الّتي تعمل في جنبات النّفس، والهواجس الّتي تمر في خيال، هذه كلها تتوقف عَلى هذا الجهاز الحساس.

وباختصار فالعَقِيْدَة هيَ دماغ التصرفات، فإذا تعطل جزء منها أحدث فساداً كبيراً في التصرفات، وانفراجاً هائلاً عن سوي الصراط....]

ثمّ قَالَ: [وعلى هذا فإن كلّ الإنحرافات الّتي نعانيها في سلوكنا، أفراداً وجماعات، راجعة بكليتها إلى الإنحراف في التصوُّر العقدي، فالنّاس في هذه الأيّام بحاجة إلى بناء العَقِيْدَة من جديد، وإلى تصحيح التصوُّر الإعتقادي، فلا بُدَّ من إفراد الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى بالألوهية، ولا بُدَّ من أن تستقر عظمة الله عَزَّ وَجَلَّ في الأعماق، وأن يعمر النفوس حبه، ولا مناص من أن تحيا القلوب وهي تستشعر هيبته وجلاله، ويقوم هذا الدّين على:

١ – حقيقة الألوهية.

٢ – حقيقة العبودية.

٣ – الصلة بين العبد وربه.

وهذه أمور ثلاثة لا بُدَّ من استقرارها في النفوس:

– معرفة الله وقدره.

– معرفة العبد وحده.

– والصلة بين الخالق والمخلوق.

وعلى هذا فإنه من العبث تتبع فروع الشَّرع، وطلبها من شخص لا ترسخ في قلبه حقيقة هذا الدّين، ولا تستقر في كيانه عظمة الله الّتي تهيمن عَلى كلّ سكنه ونأمة وحركة في هذا الكون، والحق أن النّاس غابت عنهم حقيقة هذا الدّين العظيم، ومثل كثير منهم – حتَّى الّذين يقيمون الشعائر التعبدية – كمثل الأعمى الّذي أمسك بذنب الفيل، ويحسب أنه أمسك بين يديه جسم الفيل...].

(ثمّ قَالَ): [**وقد أصبح اليَوْم لدينا شيئا مألوفا، أن نرى شخصاً يداوم عَلى العِبَادات وهو في نفس الوقت يزاول أعمالاً تخرجه من إطار هذا الدّين، كالاستهزاء بسنة ثابتة عن رسول الله ﷺ، أو بفرضية وردت في محكم التنزيل، وهولا يعلم أنه بالاستهزاء إنما يهزأ من أوامر الله ويسخر منها، وهذا الّذي اتفق أهل الذكر من هذه الأُمّة ؛ أنه يعني ردة المستهزئ، وخروجه من الإِسْلَام، ومن هذا القبيل سب الدّين، أو سب الله أو رسوله، فمن فعلها حكم عليه بالردة...**].

(ثمّ قَالَ): [**أعود لأقرر الحقيقة الكبرى، أن النّاس لا يعرفون حقيقة هذا الدّين ويخلطون بين مناهج متعددة في حياتهم، قسم ضئيل من منهاج حياتهم من دين الله، وأما معظم المنهاج الّذي يوجه حياتهم،**

فهو من صنع هواه أو هوى غيره من البشر ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان]

وعلى هذا فإني أرى أن التركيز عَلى مسائل فرعية من الشّريعة بالنسبة للنَّاس أمر غير منطقي، بل محاولة عابثة لاستنبات البذور في الهواء، ولا يمكن أبداً بتجميع أغصان نضرة مع بعضها في الهواء، أن يتكون منها شجرة ذات جُذُور ضاربة في أعماق الأرض.

لا بُدَّ من سلوك المنهاج الرباني الّذي رسمه الله لهذا الخلق، فلابد من زرع البذرة في التربة، ثمّ تعهدها حتَّى تستوي قائمة عَلى أصولها، ثمّ تمتد بفروعها وأفنانها، وهكذا بالنسبة لبقية هذا الدّين العظيم، لابد من اقتفاء السبيل الّذي رسمه الله لهذا الكائن حتَّى يحمل هذا الدّين، لا بُدَّ من بناء الأساس بغرس البذرة في أعماق الأرض، أي غرس العَقِيْدَة في أعماق القلب.

والعَقِيْدَة هيَ الأساس المكين الّذي ترتكز عليه فروع هذا الدّين كله، ومن العبث محاولة إشادة بناء ضخم بلا أساس، ومن هنا: فإن محاولة تتبع فروع الشّريعة بالتفصيل والتعليل، هو اشتغال بالمهم عن الأهم، ولا يمكن أن تؤتي المحاولة أكلها الّتي نرجوا، والثمار الّتي نأمل، ومن الأولى أن نتبع المنهاج الرباني في بناء هذا الدّين للنفس البشرية، وذلك بترسيخ العَقِيْدَة أولاً في الأعماق، ثمّ مطالبة النّفس بعدها بأوامر الشّريعة كلها، إذ أن المنهاج الرباني في تربية النّفس جزء من العَقِيْدَة ذاتها.

ولا ننسى أن الداعية إلى ربّ العَالَمِيّن، لابد أن يتمثل فيه المنهاج الإلهي كاملاً، ولا بُدَّ أن يكون مصحفاً يمشي عَلى الأرض، يتحرك فيتحرك بحركته القرآن، فالداعية يطالب بالشّريعة كاملة، ولكنه في الوقت نفسه، لا يطالب النّاس بفروع الشّريعة قبل أن يعلمهم هذا الدّين، ويشد أنظارهم إلى إطاره الكامل الشّامل، وبعد أن يرسموا في أذهانهم الصُّورة الكاملة، يدخل معهم داخل الإطار ليعلمهم تفاصيل هذا الدّين وتفريعاته، وهكذا قام الإِسْلَام أول مرّة في النفوس البشرية، وهكذا يقوم في كلّ مرّة يحاول فيها بناء هذه النفوس بالإِسْلَام، ولا مناص من اقتفاء هذا السبيل ولا مفر من انتهاجه، فكما أن هذه الأوامر والنواهي فريضة من عند الله، واتباعها فرض لازب في رقابنا، فكذلك اقتفاء المنهج الرباني في بناء النّفس فرض كذلك، وكل محاولة لإقامة هذا الدّين بغير هذا المنهج الرباني لابد أن تبوء بالفشل، وذلك لأن هذا الدّين لا يكون ولن يكون إلا كما أراد الله، ولن يبنى إلا بنفس المنهج الّذي رسمه ربّ

العَالَمِيّن، وكل منهج بشري نستعمله لإيصال حقيقة هذا الدّين إلى النّاس هو فاشل لا محالة، وهو عبث وملهاة ولعب.

لابد من إتباع المنهج الرباني القيم الّذي رسمه ربّ العَالَمِيّن، وسلكه سيّد البشرية محمّد ﷺ لإيصال دين الله إلى قلوب البشر ولابد من البدء بالعَقِيْدَة، من تعريف النّاس بإلههم الحقّ، وبحقيقة وجودهم عَلى هذه الأرض، والمهمة المنيطة بهم إبَّان مرورهم بهذه الدُّنيَا، من المسؤول عنهم؟ أي منهج يجب أن يحكمهم؟ صلة هذا الإنسان بالكون من حوله، مكانة هذا الكائن من الكون، وبعبارة أقصر إقرار جلال الله ورهبته وهمينته في أعماق قلب الإنسان وطريقة الوصول إلى رضاه.

ومن ثمّ وفي هذا الوقت، فإني لا أرى تتبع الجزئيات من هذا الدّين في سلوك النّاس، كالشرب باليمين، وترك التدخين، والشرب جالساً، إلى غير ذلك من هذه التفاصيل الّتي لا تحتملها ولا تطيق الدوام عليها إلا نفوس بنيت عَلى العَقِيْدَة، وجبلت بعظمة الإيمان، لا بُدَّ أن نبدأ مع النّفس البشرية من حيث هيَ، بحيث نلتقطها من هذا الحضيض الّذي هبطت إليه، ثمّ نسير معها صعدا نعطيها الإيمان جرعة جرعة، نواكبها في نموها ونقيل عثراتها، ونردها من هنا ونهذ بها من هناك، حتَّى تشب قائمة عَلى عمودها، صلبة لا تهزها الزلازل والأعاصير، وهنا فقط نطلب منها كلّ ما يريده الله منها، فتنفذ وهي راضيه مستسلمة مطمئنة أن الخير كله فيما نفذت، لأن الخير كله منحصر في منهج الله والشر كله الشر في الخروج عن منهاج الله.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه].

وأعود فأذكر أن النفوس الّتي تقدم الإِسْلَام للنَّاس، لا مناص لها من أن تكون شريعة تدب عَلى الأرض، وتأخذ بالعزائم، ولا بُدَّ لها من أن تكون المرآة الصافية الّتي تعكس حقيقة هذا الدّين أصوله وفروعه، إذ لابد لها من أن يكون لحمها ودمها هو هذا الدّين الّذي إليه تدعوا، والمنهاج الّذي تهتف بالنّاس أن ينهجوا، ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم]

(ثمّ يقول):



[فالعَقِيْدَة تمثل الأساس للبناء، والعمارة الضخمة لابد لها من أساس مكين وقاعدة صلبة حتَّى يستقر فوقها البناء، وهنا يبرز عامل آخر ينبثق عن هذه الحقيقة، وهي أنه لابد من بناء الأساس قبل الشُّروع برفع البناء، وإلا فسينهار البناء كله، لابد من البداية مع أي نفس ندعوها إلى هذا الدّين أو نريد تربيتها عَلى أساس الإِسْلَام من الإيمان أولا، وقبل كلّ شيء، خاصّة في هذا العصر الّذي بهت فيه مفهوم العَقِيْدَة في نفوس أبناء هذا الجيل المنتسب إلى الإِسْلَام، لابد من انتهاج نفس الطّريق الّذي انتهجه رسول الله ﷺ من تثبيت العَقِيْدَة في النّفس ثمّ مطالبتها بالفروع، لابد أن نعرف النّاس بربهم وعظمته وهيمنته عَلى الكون، فهو مالك الملك، وهو الّذي بيده ملكوت كلّ شيء، وهو القاهر فوق عباده، وهو الّذي إليه يرجع الأمر كله، وهو الخالق الرازق، لابد من هذه البداية، أما أن نبدأ فنطالبهم بتطبيق فروع الشّريعة وهم لم يعرفوا صاحب الخلق والأمر، فهذا عبث ومحاولة لاستنبات البذور في الهواء.].أهـ. انتهى النقل من كلامه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

والآن وبعد أن أسهبت في النقل لأقدم لموضوع العَقِيْدَة الجهاديّة بهذه الكلمات الّتي عبر بها شيخنا الشّهيد عما أردت التعبير عنه بأفضل بيان يحمل في طياته أنفاس وأسلوب الشّهيد المعلم سيد قطب - رَحِمَهُ اللهُ - الّذي تمتلئ كتاباته بهذه المعاني والاصطلاحات، وما أريد أن أعقب به هنا، لربط الفرع بالأصل، أي ربط (العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة) الّتي نحن بصددها في هذا البَاب، بالعَقِيْدَة الكلية، وهي (عَقِيْدَة الإِسْلَام) بشمولها وكمالها.

أقول أن هذا الربط بين الأصل والفروع، أدركه العدوّ في هذا الزّمان أكثر من إدراك أكثر أهل الملة الإِسْلَاميّة له، فقد علم وهو يشرع بالغزو والاحتلال أنه ستكون (مقاومة)، وهذا بدهي، وعلم أن أهمّ جهات المُقاوَمة وأشدها وأعصاها عَلى المُوَاجَهة، هيَ المُقاوَمة النابعة من (العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة) لدى المُسلِمِين عامة، والإِسْلَاميّين خاصّة، والجهاديّين عَلى وجه الخصوص.

ولأن هذا العدوّ المعاصر ذكي محترف للعدوان عَلى مر العقود والقرون، ولأنه يقيم أعماله عَلى الدراسات الاستراتيجيّة وآراء الأخصائيين ؛ فقد علم هذه المعادلة وفهمها بعمق عَلى بساطتها، فهما أعجم وللأسف عَلى أكثر المُسلِمِين، بل حتَّى عَلى أكثر قواد الصّحوة وعلماء هذا الزّمان من المُسلِمِين.

وهذه المعادلة الّتي فهمها العدوّ هيَ ببساطة:

(المُقاوَمة هيَ وليدة عَقِيْدَة جهاديّة، والعَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة هيَ فرع من شجرة العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة الشّاملة).

ولذلك يعمل العدوّ اليَوْم من أجل أن لا تنضح ثمرة المُقاوَمة، عَلى أن يجفف غصن العَقِيْدَة الجهاديّة وذلك بقطع جُذُور العَقِيْدَة الشّاملة، كمنهج اعتقاد وعمل وإحساس، كمنهج فكر وحركة لدى أهل ملة الإِسْلَام المعاصرين.

فأعلن بوش ووزير دفاعه ما أسموه (**حرب الأفكار**) و(**الحَرب الاستباقية الفكريّة**) بعد الحَرب الإستباقية العسكريّة، وجاءنا بمشاريع (**تغير المناهج**)، وتعديل أساليب التّربية والتّعليم، العام والدّيني، وضبط خطاب المساجد وطرق التّربية فيها، ثمّ أتبع ذلك بمشروع لخصه الإستراتيجيون الأمريكان في أكثر من ١٠٠٠ ورقة، وعنونوه باسم (مشروع الشّرق الأوسط الكبير، والّذي يضع قواعد التَّغيير الشّامل في العَالِمَيْن العربيّ والإِسْلَاميّ عَلى كلّ الصعد، السّياسيّة والاقتصاديَّة، والثَّقافيَّة والدّينيّة، والتارِيخِيَّة واللغوية، والاجتماعيَّة والفنية، ومكوّناتنا الحَضَاريَّة كأمة، شعوبا وحكاما ومحكومين.

ومن هنا يجب أن ندرك وهذا ما أشرت إليه بمقدمة هذا الجزء الثّاني من الكتاب وكذلك في مقدمة الجزء الأوّل عن(**محاور المُقاوَمة ومستويات المُقاوَمة**)، وأعيد هنا ما له علاقة بالفقرة وهو قولي:

لابد لكي تحصل المُقاوَمة الّتي نطمح إليها، من نموا لعَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة، ولا يمكن لهذه أن تنبت إلا في نفوس قد امتلأت إيماناً بالمناحي الشّاملة للعَقِيْدَة الإِسْلَاميّة، والّتي أساسها الانقياد التام لمعني لَاإِلٰهَ إِلَّا الله، بالمفهوم المحدد لمعنى محمّد رَسُولُ الله، فاستعدت كي تبني منهج حياتها، بكل التسليم والانقياد والرضى لمعني هذه الشَّهَادة، مدركة تماماً معني قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ [الأحزاب] وقوله تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [النساء]

إن عَلى علماء الأُمّة وقيادات الصّحوة، أن يعملوا عَلى ترسيخ أسس العَقِيْدَة الشّاملة الكاملة لدفع المُسلِمِين إلى التمسك بأصول دينهم، عَقِيْدَة وسلوكاً، وإبراز ملامح عقيدتهم الجهاديّة وإزكائها.

ومن أجل التكامل الّذي نشير إليه بين الأصل والفرع، سأشير إلى مختلف مناحي العَقِيْدَة أولا، ثمّ أركز عَلى الجانب الّذي نحن بصدده، وهو (العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة) وما يتعلق بها من مسائل عقدية وسياسيّة شرعيّة ومبادئ تربَويّة أُخرى، وسأتناول ذلك بعون الله عَلى الشّكل التّالي:

١- موجز في المناحي العامّة للعَقِيْدَة الإِسْلَاميّة لأهل السّنّة والجماعة.

٢- المناحي العامّة للعَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة لدعوة الْمُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

٣- بعض التفصيل في نقاط أساسية من العَقِيْدَة الجهاديّة لدعوة الْمُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

أولا: موجز في الأساسِيَّات والمناحي العامّة لعَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة[1]:

جاء في الحديث الشريف الصَّحِيح مما رواه مسلم رَحِمَهُ اللهُ عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قَالَ عندما جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يسأله:

«الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[2].

وقد جمع هذا الحديث خُلاصة أركان الإِسْلَام، وأساسِيَّات الإيمان، ومراتب الإحسان والمعرفة.

وقد فصل علماء الإِسْلَام قديماً وحديثاً، في أبواب علوم العقائد والتّوحيد ما يشفي ويكفي، واستقرت عَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة عَلى أساسِيَّات ننقل هنا منها ما أختصر به عقيدتي، وهي:

عَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة والفرقة النَّاجيَة بإذن الله:

(١) - فنحن نشهد أن لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله وحده لا شريك له وأن محمّداً عبده ورسوله.

---

(١) [اعتمدنا في صياغة هٰذا الموجز علىٰ كتاب العَقِيْدَة وأثرها في بناء الجيل للشيخ الشّهِيد عبدالله عزام، وكتاب شرح العَقِيْدَة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، وكتاب شرح العَقِيْدَة الواسطية للإمام ابن تيمية بشرح ابن عثيمين][المؤلف].

(٢) رواه مسلم (٨).

(٢) – ونؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر والبعث من بعد الموت فيه، ونؤمن بالقدر خيره وشره.

(٣) – نوحد الله بربوبيته ونؤمن أنه الخالق الرازق المبدئ المعيد مالك الملك لا ربّ للكون سواه.

(٤) – ونوحد الله بألوهيته ونؤمن أنه الإله المعبود حقاً لا معبود سواه جَلَّ جَلَالُهُ.

(٥) – ونوحد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، ونؤمن بما وصف به سبحانه ذاته في كتابه الكريم، وما جاء عَلى لسان رسوله الأمين ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، فهو سبحانه كما وصف نفسه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى]

(٦) – ونعتقد مذهب الصّحابة ومن جاء بعدهم من السَّلَف الصّالح بالإيمان بأسماء الله تَعَالَى وصفاته، وهم الّذين علموا تلك الأسماء والصفات، وفوضوا الكيفِيَّة والكنه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وآمنوا بالله عَلى مراد الله، واعتقدوا أنه سُبحَانَهُ وتَعَالَى موصوف بهذه الصفات حقاً لا مجازاً، عَلى النحو والكيف الّذي يليق بجلال الله تَعَالَى، الّذي ليس كمثله شيء، ونؤمن بذلك كما أوجز الإمَام مالك رَحِمَهُ اللهُ منهج أهل السّنّة والجماعة والفرقة النَّاجِيَة، عندما قَالَ لما سأله سائل عن معنى استواء الله تَعَالَى عَلى عرشه وكيفيته، فقال: "**الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ وَالْإِيمَان بِهِ وَاجِب، وَالسُّؤَال عَنهُ بدعه**"[1]، فنحن نؤمن بأن لله تَعَالَى كما أثبت لنفسه، يداً وبصراً وسمعاً يليق بجلاله، ليس كأيدينا وأبصارنا، ونؤمن أن الله تَعَالَى ينزل إلى لسماء الدُّنيَا نزولاً يليق بجلاله، دون معرفتنا لكيف ذلك، وأنه تبارك وتعالى يضحك كما يليق بجلاله، وأنه تبارك وتعالى منزه عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ونؤمن بالعرش والكرسي واستغناء الله عنه، وأنه تَعَالَى محيط بكل شيء وفوقه.

(٧) – ونؤمن بأنه تَعَالَى مستوى عَلى عرشه، بائن عن خلقه، فوق السّماء السَّابعة، مع تنزيهه سُبحَانَهُ وتَعَالَى عن أن يحده زمان أو مكان، ونؤمن أنه مع خلقه بسمعه وبصره وعلمه.

(٨) – ونؤمن بالملائكة، وأنهم خلق من خلق الله، موكلون بأعمالهم الّتي كلفهم الله سبحانه بها، ومنها حفظ البشر وحمايتهم وإحصاء أعمالهم، ونؤمن بما جاء في السنة الثَّابِتة من أعمالهم، تفصيلاً لما ورد في

---

(١) انظرا شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨) للإمام اللالكائي.

القرآن، فمنهم الموكل بالوحي، ومنهم الموكل بقبض أرواح البشر، ومنهم الموكل بالقطر، والموكل بالجبال، وهم يحضرون مجالس الذكر ويرفعون الأعمال، ومنهم الحفظة الموجودون مع الإنسان.

(٩) – ونؤمن بكتب الله الّتي جاء ذكرها في القرآن والسنة الثّابتة، فنؤمن بصحف إبراهيم، وبالتوراة المنزلة عَلى موسى، وبالزبور الّذي نزل عَلى داوود، وبالإنجيل الّذي نزل عَلى عيسى، وبالقرآن الّذي نزل بخاتمة الرسالات عَلى خاتم الأنبياء نبينا محمّد عليه وعلى أنبياء الله أجمعين الصّلاة والسَّلام، مع الإيمان بأمرين هامين:

أ- أن الكتب السَّابقة للقرآن نزلت من عند الله ثمّ نالها التحريف والتعديل عَلى أيدي البشر، من الأحبار والرهبان، إلا القرآن الّذي حفظه الله تَعَالَى خاتمة الكتب والشرائع، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر].

ب- أن القرآن جاء ناسخاً لما قبله ومهيمناً عليه، وأن شريعة الإِسْلَام جاءت بعَقِيْدَة التّوحيد، وهي عَقِيْدَة جميع الأنبياء، وبالشّريعة الخاتمة النّاسخة لما قبلها.

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٤٨ ﴾ [المائدة]

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥ ﴾ [آل عمران]

(١٠) – ونؤمن بأنبياء الله ورسله أجمعين، وأنه لا يصح إيمان من جحد رسالة أحدهم ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥ ﴾ [البقرة]، فنحن نؤمن بهم ونحهم ونصلي عليهم أجمعين.

(١١) – ونؤمن باليوم الآخر يوم القيامة، يوم يبعث الله الأولين والآخرين من بعد موتهم للحساب، فيؤول المُؤمِنُون إلى الجنّة، والكافرون إلى النار، ونؤمن بأن الله حرم الجنّة عَلى المشركين، وأن عصاة المُؤمِنِين إما يغفر الله لهم برحمته وعفوه، أو يعذبون بذنوبهم ما شاء الله، ثمّ يؤولون إلى الجنّة برحمة الله.

(١٢) – ونؤمن بقدر الله خير وشره، ونؤمن بأن الله قد قدر كلّ شيء، وكتب كلّ شئ، وأن نفساً لن تموت حتَّى تستكمل رزقها وأجلها المحتوم المقسوم، ونؤمن بأن الأُمّة لو اجتمعت، إنسها وجنها فإنهم

لا يضرون أو ينفعون أحداً إلا بما كتب الله، فقد رفعت الأقلام وجفت الصّحف، كما جاءت بذلك نصوص القرآن وصحيح السنة، وأن عَلى المؤمن الرضى بقدر الله خير وشره، وأنه من رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط، كما جاء عن رسول الله ﷺ.

ونؤمن بذلك بأن الله خلقنا وخلق أفعالنا، مع أن العبد مختار لأفعاله يحاسب عليها، ونؤمن أن الله قادر عَلى كلّ شيء قدير، فعال لما يريد، لا يكون شيء في هذا الكون إلا بأمره وقدره، فعقيدتنا - عَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة - وسط بين القدرية الّذين أسندوا الأفعال إلى العِبَاد ونفت القدر وجعلت المخلوق خالقا لأفعاله من خير وشر، وبين الجبرية الّذين نفوا الاختيار عن العبد وجعلوه مجبرا عَلى فعله خيره وشره قدرا.

(١٣) - ونعتقد عَقِيْدَة سلفنا الصّالح، بأن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح والأركان، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

(١٤) - ونعتقد في ذنوب الْمُؤمِنِين ومعاصيهم عَقِيْدَة وسطا، فلا نكفر أصحاب المعاصي والكبائر كما فعلت الخوارج، ولا نقول بأنه لايضر مع الإيمان معصية كما قالت المرجئة، ولا نجعل ذلك كما قالت المعتزلة في منزلة بين المنزلتين بين الإيمان والكفر، فنرجوا الرحمة والفضل من الله للمحسن، ونعتقد أن المسيء من الْمُؤمِنِين، مآله إما إلى عفو الله، وإما إلى عقابه، فإن شاء عذبه بذنبه، وإن شاء غفر له برحمة الله الغفور الرّحيم.

(١٥) - ونعتقد بفضل الصّحابة كلهم، ولا نغلوا في أحد منهم، ونتولاهم جميعا، ونستغفر لهم ونحبهم ونذكر محاسنهم ونكف عن مساوئهم وما شجر بينهم، ونقر بفضلهم وأنهم جميعا ثقاة عدول رضي الله عنهم، ونعتقد أن أفضل الصّحابة أبا بكر ثمّ عمر، ثمّ عثمان ثمّ علي، ثمّ باقي العشرة المبشرين بالجنة (سعد وسعيد وطلحة والزبير وأبا عبيدة وعبد الرَّحمٰن بن عوف)، ثمّ أهل بدر ثمّ بيعة الرضوان، ثمّ باقي الصّحابة رضي الله عنهم أجمعين، ونحب آل بيت رسول الله ﷺ ونتولاهم، ولا نغالي فيهم ونعرف فضلهم وقرابتهم، ونحب أمهات الْمُؤمِنِين أزواج رسول الله ﷺ ونتولاهن جميعهن رضي الله عنهن جميعا.

(١٦) - ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، أو يعمل عملاً لا يحتمل إلا الكفر، كمن أنكر معلوماً من الدّين بالضّرورة، أو استحل حراماً مجمعاً عَلى حرمته، أو حرم حلالاً مجمعاً عَلى حله،

أو فعل فعلاً لا يحتمل إلا الكفر، كسب الله تَعَالَى، أو رسوله ﷺ، أو لبس الصليب، أو إهانة القرآن، ونذهب مذهب أهل السّنّة والجماعة في كفر من تحققت فيه الشُّرُوط وانتفت عنه الموانع، كما جاء تفصيل ذلك عن الأثبات من سلف الأُمّة وعلمائها الصّالحين.

(١٧) - ونؤمن بكرامات الأولياء، وأن كلّ المُؤمِنِين أولياء الله، وأقربهم إليه وأكرمهم عنده أتقاهم له، وأتبعهم للكتاب والسنة، وأنه من حصلت له الكرامة نظرنا في اتباعه للكتاب والسنة، فإن كانَ عليها كانت كرامة، وإلا فهي استدراج له من الله تَعَالَى، كما يحصل لبعض السحّار والمشعوذين فتنة لهم ولمن فتن بهم.

(١٨) - ونؤمن أنه لا يعلم الغيب إلا الله تَعَالَى، الّذي أطلع أنبياءه صلوات الله وسلامه عليهم بوحيه عَلَى بعض غيبه، ومن أدعى علم الغيب من الإنس والجن فقد افترى عَلَى الله الكذب، ولا نأتي كاهناً ولا عرافاً ولا ساحراً، ولا نصدقهم.

(١٩) - ونؤمن أن أهل الكبائر والذّنوب من الموحدين لا يخلدون في النار ما لم يشركوا بالله، وهم في مشيئة الله وحكمة إن شاء غفر لهم برحمته وإن شاء عذبهم بعدله.

(٢٠) - ونعتقد صحة الصّلاة خلف كلّ بر وفاجر من أمراء المُسلِمِين وعامتهم، ونصلي عَلَى من مات منهم، ونأكل ذبيحتهم، فنؤمن أنه من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم ولا نشهد عَلَى مسلم بكفر ولا نفاق ولا شرك، ما لم يظهر منهم قرينة ذلك وندع سرائرهم إلى الله تَعَالَى، ونكره أصحاب البِدَع ونبر أمن بدعهم وضلالاتهم.

(٢١) - ونؤمن بفتنة القبر ونعيمه وعذابه، وببعث النّاس للحساب يوم القيامة، ونؤمن بما جاء في القرآن والسنة الثَّابِتة، من نصب الموازين ونشر الدواوين يوم القيامة، ونؤمن بالصراط الّذي ينصب عَلَى شفير جهنم، حيث يمر النّاس فوقه بسرعات عَلَى قدر إيمانهم وأعمالهم.

ونؤمن بحوض رسول الله ﷺ وبشفاعته، ونؤمن بأن الجنّة والنار حق، موجودتان ولا تفنيان، ونؤمن برؤية المُؤمِنِين لربهم يوم القيامة لا يضارون في رؤيته.

(٢٢) - ونؤمن بأن القرآن منزل من عند الله كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود أنزله عَلَى عبده ورسوله محمّد ﷺ، بواسطة أمين وحيد جبريل.

(٢٣) – ونؤمن بأن الاستغاثة بالعبيد والمخلوقات والأموات والقبور، واعتقاد النفع والضر منهم شرك، وأن التوسل بشيء من مخلوقات الله لا يجوز، ونرى أن بناء القبور عَلى غير هدي السنة وبناء القباب عليها ورفع الإعلام واتخاذ المزارات بدعة نهى الشَّرع عنها، تجب إزالة مظاهرها، بالأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر ما لم يؤد ذلك لمُنكر أكبر منه لدى القدرة عَلى ذلك.

(٢٤) – ونؤمن أن الجِهَاد ماض إلى يوم القيامة لا يمنعه جور جائر ولا عدل عادل، وهو مع عامة المُسلِمِين وأمرائهم برهم وفاجرهم، وأنه فرض كفاية عموماً إذا قام به البعض سقط عن الآخرين إلا في مواطن ثلاثة حيث يصبح فرض عين:

أ- إذا التقى صف العدوّ بصف المُؤمِنِين وجب الجِهَاد وحرم الانصراف.

ب- إذا استنفر الإِمَام الشَّرعيّ الحاكم بما أنزل الله الّذي يوالي المُؤمِنِين ويعادي الكافرين، وجب الاستجابة والنَّفِير للجِهَاد في سبيل الله معه.

ج- إذا دخل العدوّ الصّائل أرض المُسلِمِين، أو هددهم في دينهم أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم، وجب الجِهَاد وصار فرض عين كما هو هذه الأيّام.

(٢٥) – ونؤمن أن نصرة المُؤمِنِين واجبة في الدّين عَلى ما كانَ منهم من المعاصي والنقصان في الدّين لحق العَقِيْدَة وإخوة الإِسْلَام، فإن استنصروكم في الدّين فعليكم النّصر، ونؤمن أن المؤمن ولي المؤمن، وأن الكافرين والمُنَافِقِين بعضهم أولياء بعض، فأن من تولى الكفّار والمرتدّين والمُنَافِقِين فهو منهم كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وأن مظاهرة الكفّار عَلى المُسلِمِين كفر بدين الله، وأن من أقام بين المشركين بغير إكراه ولا ضرورة فقد أثم، وقد برئ منه رسول الله ﷺ.

(٢٦) – ونؤمن بأن توحيد الحاكِمِيَّة جزء أساسي، وركن ركين من توحيد الألوهية وواجبات العبودية، وأن من شّرع من دون الله بغير ما أنزل الله كفر وارتد وخرج عن ملة الإِسْلَام، وأن الحكّام الحاكمين بغير ما أنزل الله جميعهم، كما وصفهم تَعَالَى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ و﴿ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة] قد اجتمعت لهم كلّ هذه الصفات ومترتباتها، وهم مرتدون وإن زعموا أنهم مُسلِمِين بسبب تلبسهم بالتَّشريع من دون الله والحكم بغير ما أنزل الله.

(٢٧) – ونؤمن بأن دفع صائل الكفّار الّذين يغزون بلاد الإِسْلَام ويعتدون عَلى الُمسلِمِين، وكذلك المرتدّين الّذين يشرعون من دون الله ويحكمون الُمسلِمِين بغير ما أنزل الله. ودفعهم عن الُمسلِمِين اليَوْم، فرض عين عَلى كلّ مسلم، وأن عَلى كلّ مسلم جِهَادهم، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وذلك أضعف الإيمان، وأنه لا عذر لأحد في القعود عن الجِهَاد، إلا من عذر الله من أصحاب الأعذار الشَّرعيَّة كالأعمى والأعرج والمريض، والّذين لا يجدون ما ينفقون، والمستضعفين الّذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، إذا انصحوا الله ورسوله ما عَلى المحسنين من سبيل، وكل امرئ حسيب نفسه والله رقيب عليه.

(٢٨) – ونؤمن بكل ما جاء في كتاب الله وصح عن رسول الله جملة وتفصيلاً.

رضينا بالله تَعَالَى رباً وبالإِسْلَام ديناً وبالقرآن إماماً وبسيدنا محمّد ﷺ نبياً ورسولا، وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه.

وقبل أن أغادر هذه الفقرة الّتي لحضت فيها خُلاصة عَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة، وهي عقيدتي الّتي أدين الله تَعَالَى بها وله وحده المنة والفضل وأسأله الثّبات عَلى ما يرضيه.

أحب أن أنوه إلى مسألة حرجة طالما أرهقت الُمسلِمِين في تاريخ الإِسْلَام وهي إحدى الإشكالات الكبيرة الّتي لها بالغ الأثر عَلى مسألة وحدة الُمسلِمِين في وجه أعدائهم، كما لها بالغ الأثر عَلى مسألة (العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة)، ومبادئها الأساسيّة الّتي سنعرض لها لاحقاً إن شاء الله.

هذه المسألة الشائكة هيَ افتراق أهل السّنّة والجماعة عَلى مذهبين في بعض مسائل (العَقِيْدَة) وعلى رأيين في مسألة (المذاهب الفقهيّة) وتفصيل ذلك الموجز وخلاصة رأيي فيه أسأل الله الهدى والتوفيق والرشاد لما يرضيه سأورده في الفقرة التّالية إن شاء الله.

من آثار وجود العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة حية في قلب المسلم وتطبيقها في واقع الحياة:

هذا موضوع كبير، كتبت فيه الكتب الكثيرة، وحتَّى لا يخرج بنا البحث عن غرضه أشير إلى بعض ذلك عَلى سبيل الذكر والإشارة، لآثار أركان الإِسْلَام والإيمان في نفس وسلوك المسلم.

- فإن المؤمن إذا شهد حقاً وصدقاً أن **لَاإِلٰهَ إِلَّا الله وأن محمّداً رسول الله**، وامتلأ قلبه بها، وسرت أنوارها في عقله وكيانه، وانعكست عَلى معتقداته وأفكاره وأخلاقه وسلوكه، تحول إنساناً عجيباً في سموه ورقيه، وصار خيراً في ذاته مشعاً للخير عَلى من حوله.

فهو باعتقاده بأن **لَاإِلٰهَ إِلَّا الله**، لا خالق لهذا الكون ولا ربّ له إلا الله ولا معبود بحق إلا الله، انعكس فهمه لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا عليه، فعلم أن الله هو مالك الملك، وبيده تصريف كلّ شيء، وأنه لا شيء في هذا الكون ينفع ويضر إلا بإذنه، وأنه الخلاق الرزاق، المحي المميت، الحكم العدل، الغفور الرّحيم، العزيز الجبار المتكبر، وآمن أنه هو وحده الخافض الرافع، المعز المذل، القوي القهار القيوم، الّذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يغيب عنه مثقال حبة من خردل، في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس، وأنه له الأمر والخلق، وأنه مطلع مدبر لخلقه سميع بصير، إلى آخر أنوار أسماء الله الحسنى وصفاته العلا ؛ اطمأنت نفسه وسكنت روحه، ولم يعد يرجوا النفع ويخشى الضر إلا منه وحده، وغدا إنسان عزيزاً كريماً سوياً، لا تستهويه الشَّهَوَات ولا يستزله الشّيطان، فإذا ما انزلقت قدمه بشيء من ذلك لضعف بشري، علم أنه له رباً تواباً رحيماً غفوراً فتاب وأناب من قريب، وإذا أحسن في عمله، علم أن له رباً شكوراً حليماً كريماً فاستزاد وسعى.

وإذا امتلأت روحه بأنوار **محمّد رسول الله**، علم أنه رسول الله الأمين، أنزل عليه القرآن من ربه هدى للنَّاس ورحمة ونوراً، وأنه الصادق المصدوق، الّذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

فإذا حصل له ذلك ؛ امتلأت نفسه إيماناً بكتاب الله، وسعى يلتمس عَلى هداها خطاه، يحل حلاله ويحرم حرامه، ويهتدي بهداه، ويتخذ من سيد المرسلين محمّد رَسُولُ الله ﷺ قدوته وأسوته فيستنُّ بسنَّته ويقتفي أثره ويتصبَّر بصبره، وكفى بها أسوة ونموذجاً رفيعاً، لنبي أنقذ الله به البشريّة وأخرجها من الظُّلمات إلى النُّور بإذنه وهداها صراطاً مستقيماً.

وإن المؤمن إذا أقام إلى الصّلاة، وحلّق في سبحاتها، وأداها عَلى وجهها، فنهته عن فحشائه ومُنكره، وكانت له موعداً متكرراً عَلى مائدة الله خمس مرات في اليَوْم والليلة، عدا ما يتنفل به لله سبحانه، خمس مواعيد يقف فيها بين يدي الله ويستشعر عظمته، ويكرر في كلّ ركعة ؛ فيحمد الله ربّ العَالَمِيْن، ويعلم أنه الرَّحمٰن الرّحيم، مالك يوم الدّين، ويتوجه إليه بالعِبَادة ويسأله الهداية قائلاً: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة]، ويطلب من الله السّير عَلى أثر سلفه الصّالح وأن يجعله معهم ومنهم راغباً ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧]، سائلاً المولى أن يجنبه دروب أهل الشقاء من المغضوب عليهم والضالين، المغضوب عليهم من الّذين عرفوا الحقّ وهجروه كما كانَ حال اليَهُوْد، والضالين الّذين زاغت قلوبهم فلم يهتدوا للحق أصلاً كما هو حال النّصَارى، فإذا ما استرسل يتلوا آيات الله، وشعت أنوارها في قلبه، وركع وكبّر وهلّل وسبح وحمد، ثمّ جلس، فقرأ التحيات لله، وصلى وسلم عَلى نبيه، وعلى صحبه الكرام، وأحس بالانتماء إليهم، والسعي في آثارهم، والقرب منهم فحياهم، «السَّلامُ عَلينَا وعَلى عِبَادِ الله الصَّالحِينَ»، ثمّ وتشهد بشهادة التّوحيد موقنًا مؤمنًا ثمّ وصلى عَلى حبيبه سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه الطّيبين الطّاهرين، فكانت له الصّلاة بذلك موعداً متجدداً بين يدي الله، يذكره أن يجد في سلوكه الحسن، وخلقه الطّيب، فيستحيي مما اقترف من المعاصي والآثام، ويفرح بما غسلت الصّلاة أدرانه.

- وكما الصّلاة، فللزكاة آثارها في تزكية النّفس، وطهارة الرّوح، وقهر الشّحّ والبخل، والإحساس بالتّكافل والتّضامن مع عباد الله المحتاجين، والمسؤوليّة تجاه رابطة الأخوة في الله معهم.
- وللصّيام آياته وآثاره النّفسية والبدنية، وانعكاساته عَلى قوة الإِرادَة وطهارة النّفس والرّوح، وصفاء الذّهن والإحساس بأحاسيس الآخرين من الجياع في هذه الدُّنيَا.
- وللحج وآياته ومعانيه آثارها في تكوين المؤمن، يستشعر بها أخوة الإيمان مع هَؤُلَاءِ الّذين جاؤوا من كلّ فج عميق، من كلّ جنس ولون، وطرحوا عنهم زينة الدُّنيَا، ولزموا الزي الواحد البسيط الّذي يحمل كلّ معاني المساواة والدعة والسَّلام، ووقفوا بين يدي الرَّحْمٰن، في مجمع يذكرهم بيوم الحشر الأكبر، فيكون هذا دافعاً للغرم عَلى بداية طريق الخير من جديد.
- و إن القلب إذا امتلأ بأنوار أركان الإيمان، وعاشت الرّوح والنّفس فيوضها ورحماتها، ملأ الإيمان بالله وأسمائه وصفاته النّفس، وا نعكس عليها بطيب الأخلاق، وحدا بها إلى سلوك الخوف والرجاء لله وحده، وانخلع بذلك الإنسان عن كلّ ما سواه، وأوجد له هذا شخصية متوازنة كريمة جادة رحيمة.

- وإن الإيمان بكتب الله ورسالاته وأنبيائه أجمعين صلوات الله وسلامه عليهم، ومعرفة المسلم لأطراف من سيرتهم، وعذابهم وعنائهم في سبيل الله، وصبرهم عَلى إبلاغ دعوة الله، يجعل المؤمن يحس بالانتماء لهذه الأُمّة الواحدة، وهذه القافلة المجيدة السائرة قدماً منذُ وجود البشر عَلى هذه البسيطة، من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم وموسى وعيسى، إلى خاتم الأنبياء محمّد عليهم جميعا الصّلاة والسَّلام، وما كانَ بينهم من دعوات ونبوات وأمم مُجاهدة صابرة عَلى مر التّاريخ.
- وأما الإيمان باليوم الأخر، فهو نعمة من أكبر نعم الله عَلى المؤمن، تشعر الإنسان بتمام العدل الإلهي، وأن ما تعلق من أمور ومظالم لم يستوفى فيها الحساب والعقاب في الدُّنيَا، سيتم الفَصل والعدل فيها يوم يضع الله فيه الموازين القسط ليوم القيامة، فيملؤه هذا خشية من الله أن يظلم أو يتجاوز أو يخطئ في حق ربه أو في حق نفسه أو في حق الآخرين، كما يملؤه طمعاً في رحمة الله وجزيل عطائه وعدله، فيملؤه هذا رغبة في الاستزادة من الخير، ورجاء الأجر والثواب، فيهم بالعمل عبادة ونسكاً وصلاة وصياماً وزكاة وحجاً، وجِهَاداً وأمراً بالمعروف، ونهياً عن المُنكر، وفعلاً للخير واجتناباً لشر، إن الإيمان باليوم الآخر طمأنينة وسعادة ورحمة تورث السكينة والرضا، وتدفع عَلى البذل والتَّضحِيَة والعطاء.
- وأما الإيمان بالقضاء والقدر، وأن ما شاء الله كانَ، وما لم يشأ لم يكن، وأن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأن الله عَلى كلّ شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً.

فالإيمان بالقدر، من عظيم نعم الله عَلى نفس المؤمن، لأنه يورث الرضا والسكينة والتسليم، ويورث القوّة والشجاعة، والكرم والثّبات، وعدم خشية النّاس، وعدم الرغبة إليهم وإلى ما في أيديهم، عندها تنبعث في نفسه أنوار سنة رسول الله ﷺ، والّتي جاء في بعضها:

«يَا غُلَامُ احْفَظِ اللهَّ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللهَّ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَّ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأقلام وجفَّت الصُّحُف»(١).

أي والله، رفعت الأقلام وجفت الصّحف، ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل الْمُؤمِنُون.

فأي قوة تورثها هذه الأنوار في النّفس البشرية الضعيفة، وأي رجاء وأي أمل بالله، وأي انقطاع عن السعي لذلك لدي غيره من الضّعفاء المخلوقين.

إن هذه الأركان من عبادات الإِسْلَام وحقائق الإيمان متى شعت أنوارها في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، تورث كلّ خير وتصرف عن كلّ شر.

والكلام في هذا يطول، لأن المجال رحب واسع طيب، ونذكر طرفا من ذلك عَلى سبيل الإيجاز:

فإن مما تورثه وبقدْر إيمان المرء بها وقدرته عَلى السعي فيها، تورث الطهارة والنظافة طهارة الرّوح، ونظافة الجوارح ظاهرا وباطنا، وتورث الاستعداد للتضحية في سبيل الله، وفي سبيل دفع الضر عن الْمُؤمِنِين، وتورث السعادة في الحياة.

تورث بر الوالدّين، وصلة الأرحام وحب الأسرة، والعطف عَلى الضّعفاء، والوفاء للزوج والزوجة، ورحمة الأولاد، والسعي في خيرهم وتربيتهم عَلى مكارم الأخلاق.

تورث الوفاء والإخلاص للأصحاب، وحب الوطن وحب الأُمّة، وبغض الأَعدَاء والظُّلمة والمجرمين والمفسدين.

إنها تورث السُّلُوك السوي والخلق الرفيع، وتورث الصّبر واليقين، وتورث الرضا والتسليم، وتورث الشجاعة والكرم، وتورث التأسي بالقدوة الحسنة، والسعي لأن يكون المؤمن قدوة لمن حوله ومن بعده، وتورث الإحساس بمعية الله والانتماء لقافلة الخير المختارة وصفوة البشر الّذي رضي الله عنهم ورضوا عنه،

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩، ٢٧٦٣، ٢٨٠٣) وصححه الألباني و الأرنؤوط.

وتورث القوّة والاستعلاء عَلى البَاطِلِ، وتورث السكينة والخشية واللين، والإحسان وحسن الخلق، والحلم والأناة والرفق والرحمة.

كما تورث الذلة عَلى الْمُؤمِنِين، والعطف عليهم، وتسم المسلم برقة القلب ودمعة الخشية والرحمة والتوبة، وتورثه الشدة عَلى الكفر وأهله والغلظة عَلى الكفّار والْمُنَافِقِين، مع طلب الهداية والرحمة لهم والعدل في معاملتهم، والقسط مع الخلق في الرضا والغضب.

وتورث الصِّدق والعفاف عما في أيدي النّاس، وتورث حب الله وحب خلقه وعياله، والسعي في برهم ونفعهم، وتورث عَقِيْدَة الوَلَاء للمؤمنين، والبَرَاءة من الكافرين.

وتورث حب لقاء الله، وتورث التواضع لخلقه.

و تورث كلّ مكارم الأخلاق وتبعد المرء عن كلّ أضداد ذلك من مساوي الخلاق والأفعال والسُّلُوكيات والعادات، والبحث رحب واسع وتكفينا منه الإشارة.

- ثمّ إن الإيمان بصدق موعود الله ونصرة وتمكينه ومؤازرته لعبادة الْمُؤمِنِين، ذلك الوعد الحقّ الّذي جاءت به الكثير من نصوص القرآن وثابت السنة، يعطي اليقين، اليقين بالنّصر والظفر في الدُّنيَا والآخرة، وبالتمكين لهذا الدّين وبزوغ شمسه لتملأ العالم، وتصل ما بلغ الليل والنَّهَار، وبنصر أصحابه وأوليائه يوم القيامة وفوزهم برضوان الله، وهذا اليقين يولد الصّبر والعزم عَلى المسار، لأن الصّبر ابن اليقين.

- ويأتي الإيمان بحسن أجر العاملين، وبعظم أجر الْمُجَاهدين المخلصين، ومصير الشّهداء الصابرين المقبلين غير المدبرين، لتجعل من هذا المؤمن الموقن الثَّابِت جبلاً لا تهزه الرّياح، ولا تحركه العواصف وذلك بتثبيت من الله، فهو يعلم أنه إن لاقي ربه شهيداً فإنه حي يرزق في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأنه يسعى إلى رفقة الرفيق الأعلى مع النبيّين والصديقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقاً، فتهون عليه المشاق، ولا تهمة الصعاب، ويمضي واثقاً نحو إحدى الحسنيين إما نصر وإما شهادة.

العَقِيْدَة والنماذج:

إن هذه العَقِيْدَة لم تكن في تاريخ الإِسْلَام مجرد نصوص جميلة، ومثاليات مسطورة في القرآن الكريم والسنة المطهرة وكتب العُلَمَاء وحسب، لقد تحققت نماذجها عَلى الأرض منذُ اللحظة الأولى وتحركت حية عَلى الأرض، فكان سيد ولد آدم عليه السلام، قدوة في كلّ شيء، ونموذجاً في كلّ شيء، وكفى به أسوة وقدوة، ومنذ ذلك اليَوْم، ومع الرعيل الأوّل، بدأت تتوالى النماذج.

فكانت خديجة ﵂، ثمّ أمهات المُؤمِنِين رضي الله عنهن، وكان الصّحابة تلاميذ المدرسة المحمّدية عَلى صاحبها الصّلاة والسَّلام، فكان نموذج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﵃، وكانت نماذج أهل بدر والرضوان، وكان المُهَاجِرون والأنصار، ومن مدرسته ﷺ مدرسة هذه العَقِيْدَة، تخرج الأبطال الفاتحون خالد وأبو عبيدة وعمرو شرحبيل وأُسَامَة بن زيد، ومن تلك المدرسة تخرج علماء الصّحابة معاذ وابن عباس وعبدالله بن مسعود وأبي بن كعب، ﵃ وعن صحابة رسول الله أجمعين،

لقد كانت عَقِيْدَة ومدرسة، خرجت نماذج ونجباء ﵃ من طليعة خير القرون، ثمّ كانَ التَّابعون، فكان فهم القادة الفاتحون والعُلَمَاء الأفذاذ والدعاة القدوة الّذين نشروا هذا الدّين وساروا عَلى درب أسلافهم، ثمّ جاء تابعوهم بإحسان، ووصل معهم الإِسْلَام إلى تخوم الصين والسند والهند وخراسان وما وراء النهر شرقاً، وإلى القفقاس وأسوار القُسطَنْطينيَّة شمالاً وإلى شمال أفريقيا والأندلس وسواحل المحيط الأطلسي غرباً، فكان القادة والعُلَمَاء والنماذج الفذة، وكانت نساء المُؤمِنِين الصابرات المحتسبات اللواتي سرن عَلى خطى أمهات المُؤمِنِين والصحابيات الكريمات الرائدات، وتتابعت النماذج عبر التّاريخ في كلّ زمان ومكان.

فحيثما التزمت النفوس هذه العَقِيْدَة، فنشأت عَلى أنوارها وسارت عَلى هدي سلفها ؛ رأيت النماذج بازغة ساطعة، وحفل بها التّاريخ الإِسْلَاميّ، فكان الخُلَفَاء والسلاطين والملوك والأمراء الصّالحون من عرب وعجم، فكان عمر بن عبد العزيز، وهارون الرَّشِيد، ونور الدّين زنكي التركماني، وصلاح الدّين الأيوبي الكردي، ومحمود بن سبكتكين الغزنوي الخراساني، وألب أرسلان السلجوقي، ومحمّد الفاتح التركي، وطارق بن زياد البربري، ويوسف بن تاشفين المغربي، وسواهم كثير.

وكان من العُلَماء أبو حنيفة ومالك والشّافعي وأحمد بن حنبل، وسفيان الثّوريّ والأوزاعي والشعبي، وسعيد بن جبير وابن المسيب وأبو حازم، وطاووس، ومحمّد بن أسلم الطوسي، وابن المبارك، والجويني، وأبو حامد الغزالي، وسواهم وغيرهم كثير رحمهم الله.

وكان الزهاد العِبَاد الفقهاء الأعلام، فكان الحسن البصري، وابن أدهم والجنيد وبشر الحافي، وحاتم، والسقطي، والبسطامي، والهروي، وغيرهم وسواهم كثير.

وكان من النِّسَاء الصّالحات العابدات ما ازدانت بسيرهم الكتب أيضا.

وقدمت هذه المدرسة نماذج للتجار الأمناء الّذين كانوا دعاة لهذا الدّين، فأوصلوه إلى قلب أفريقيا ومجاهلها وجزر البحار البعيدة، فوصل الإِسْلَام معهم إلى الفيليبين وإندونيسيا، وجنوب شرق آسيا وسواحل أفريقيا الشرقية كلها، وهكذا لو رحنا نستقصي قصصهم ونماذجهم وعبرهم لما كفتنا المجلدات.

والحَمْدُ للهِ فقد حفظت المكتبة الإِسْلَاميّة تراثاً ذاخراً، من نماذج العلم والعمل والجِهَاد والخلق والسُّلُوك والصلاح والاستقامة ما لم تأتي به أمة من الأمم قبلهم ولا بعدهم، وما كانَ ذلك إلا أثراً لتلك العَقِيْدَة الشّاملة الكاملة الربانية عندما صبغت في حياة النّاس.

من آثار غياب العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة عن البشر أو ضعفها في قلوب المُسلِمِين:

أما آثار عدم وجود مثل هذه العَقِيْدَة عند بني البشر، فلك أن تقرأ سير الأمم والحضارات غير المسلمة وما فعلته من الظُّلم والاستعباد والقهر والعسف للأمم والشّعوب ممن كانوا تحت حكم الأكاسرة والأباطرة والفراعين وأشباههم.

ولك أن تقرأ في كتب مؤرخي تلك الأمم في تاريخها وحاضرها إلى اليَوْم، عن تفسخ مجمعاتهم واعتلالها برذائل الزنا والفجور والخمور والربا والقلق والضياع، ولأن جهل تاريخهم جاهل، فلن يخطئ البصر بأحوالهم اليَوْم عاقل، ويكفي التجول في إحصائيات الجرائم والأمراض الاجتماعيَّة، ونسب الطلاق والانتحار، والقلق والمظالم والحُرُوب، والكوارث الّتي أحلتها تلك الحضارات الكافرة بشعوبها وبشعوب العالم أجمع قديماً وحديثاً.

بل وحتَّى العَرَب أنفسهم هذه الأُمّة الّتي صارت بالإِسْلَام بتلك العَقِيْدَة خير أمة أخرجت للنَّاس، ماذا كانَ حالها قبل الإِسْلَام ؟ وإلى ماذا صار يوم هجرته بعد أن رفعها إلى قمم المجد؟!

هل كانَ العَرَب إلا شراذم متناحرة يأكل قويهم ضعيفهم، يعاقرون الخمور، ويمارسون الرذائل والزنا، ويسجدون للأحجار والمنحوتات، ويئدون البنات، ويقطعون السبيل والأرحام.

لا شأن لهم، ولا وزن لهم بين الأمم، مثل غيرهم من الأمم الكافرة في الضياع بيد أنه لم يكن لهم ما كانَ لتلك الأمم من الحضارة والمجد والسلطان والقوة، ثمّ ولمن أخطأ فهم التّاريخ وأحاطت به الجهالة به، لينظر في واقع الأُمّة العربيَّة والإِسْلَاميّة وبعدها عن دين الله، وما أورثها إياه بعد أن عزت به وسادت وعلت قمم المجد وآفاق العز والحضارة شرقاً وغرباً.

ألسنا اليَوْم أهون الأمم وأكثرها تخلفاً ؟ أليس حكامنا مثالاً للظلمة الكفرة الفجرة الخونة ؟ أليس أكثر علمائنا الّذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، نماذج للأحبار والرهبان الّذين يأكلون أموال النّاس بالبَاطِل ويكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى ؟ أليس كبراء النّاس وأغنياءهم نماذج للفساد والرَّذِيلة والإنحلال إلا نادر النادر ممن عصم الله ؟ ألم تنخر في هذه الأُمّة أمراض الفجور والعلل الاجتماعيَّة، لما سارت وراء الغرب، واعتلت بأسباب علله فاعتلت مثلما اعتلوا وأكثر.

ذاك الّذي أسلفنا قبلا كانَ نموذج حياة العَقِيْدَة، وهذا الحاضر الّذي نعيشه نموذج لغيابها، وتكفي الإشارة عن النماذج والتفاصيل والإطالة.

وقبل أن انتقل إلى الفقرة التّالية وهي لب البَاب (العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة لدعوة المُقاوَمة)، أشير إلى ملاحظة طالما كررتها في بعض دروسي ومحاضراتي ومحاوراتي في أوساط المُجَاهدين، ملاحظة طالما أتعبني أن تستولي عَلى واقع التّيار الجهاديّ وما آلت إليه، وهي الّتي دعتني أن أقدم للعَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة بالأسس الشّاملة العامّة لعَقِيْدَة الإِسْلَام، وهذه الملاحظة هيَ:

لقد لاحظت من طول احتكاكي بالمُجَاهدين وصحبتي وعضويتي في التّيار الجهاديّ، أنه غلب عَلى المتأخرين منهم، ولاسيما في تجارب الحشد الركامي، كما حصل في ساحات الجِهَاد المفتوحة كأفغانستان وغيرها، حيث لم تعر قياداتها وللأسف أهمية للتربية العقدية الشّاملة ولا الجهاديّة كما أشرت.

لقد سيطر عَلى أكثر المُجَاهدين الشَّبَاب شعور بأن القِتَال هو الجِهَاد، وأن الجِهَاد هو الإِسْلَام !! وأورثهم الإحساس بأنهم يمارسون شعيرة ذروة سنام الإِسْلَام، بأنهم في غنى عن باقي ذلك الجسد الكامل المتكامل، لقد ضعفت لدى الكثيرين من المُجَاهدين أسس العَقِيْدَة بتمامها وشمولها الّتي أشرت إشارة عامة لمناجيها في هذه الفقرة.

وكثيراً ما ضربت المثال لإخواني وأعيده هنا.

لقد أسيء فهم قول رسول الله ﷺ بأن «ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ الْجِهَادُ»(١) من قبل كثير من المُجَاهدين، ويجب أن نعود لتمام الحديث الّذي وردت فيه هذه الجملة الشريفة منه ﷺ:

[عن معاذ رضي الله عنه قَالَ: فقلت يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ» ثُمَّ تَلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] حَتَّى بَلَغَ ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة] ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ » قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»](٢) رواه التِّرْمِذِيّ وقال حديث حسن صحيح، والحديث أوضح من أن يفسر.

فأصل الأمر الإِسْلَام، كلّ الإِسْلَام، بأركان الإِسْلَام وأركان الإيمان، وعموده (الصّلاة)، بتمام إقامتها وآفاقها، فـ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥](٣)، ثمّ الصدقة، ثمّ النوافل وقيام الليل، ثمّ ذروة سنامه الجِهَاد في سبيل الله، قمة الجمل فوق جسده وعموده وما يحمله، ثمّ جماع ذلك: (حفظ اللسان)، وهذا رمز لحسن الخلق، لأن (اللسان) باب إلى الخير أو إلى الشر.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٠٥١) وصححه الأرنؤوط، وهو طرفٌ من لاحقه أيضاً.

(٢) رواه الترمذي (٢٦١٦) والنسائي (٢٢٢٤، ٢٢٢٥) وابن ماجة (٣٩٧٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) [في الأصل : الشيخ وضع حديثَ «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء....» وهو منكرٌ فاستبدلته بالآية]

قلت وأعيد الذكرى هنا: **ذروة سنام**، فشبه الجسد بالجمل، فهل يستطيع الراحل عَلى الراحلة السفر عَلى مجرد سنام حتَّى ولو ارتقى ذروته ؟! ؟! وكيف يرتحل عَلى قطعة شحم، إذا لم يكن السنام مستوياً عَلى جسد متكامل، قائمٌ عَلى أعمدة راسخة ؟!

الأمر بين، وهنا أصل إلى الخلاصة:

لا جِهَاد كما أمر الله تَعَالَى بلا عَقِيْدَة جهاديّة قتالية، ولا عَقِيْدَة جهاديّة قتالية صحيحة سليمة، ما لم تبنَ عَلى أسس العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة الشّاملة الكاملة، بطريقة تربَويّة شاملة كاملة صحيحة.

وهذا ما غاب عن كثير من المكوّنات التَّنظِيمية للتيار الجهاديّ، ولاسيما في أشواطه الأخيرة.

والآن وقد مضى معظم الرعيل الأوّل من الجهاديّين فإننا بأمس الحاجة إلى إعادة البناء الجهاديّ في المَرحَلَة المقبلة عَلى أسس سليمة، وهو بناء العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة بشمولها وكمالها في النفوس وجعلها راسخة قوية، وبناء العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة كفرع منها عليها، وإلا فإنها والله الكوارث ما لم تتداركنا رحمة الله.

إن غياب العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة عن الأُمّة سيجعلها قاعدة، خائرة، غثاءً، قصعةً تتناهبها الذئاب الضواري والكلاب العوادي من هنا وهناك، بعد أن تداعت الأمم إلى قصعتها، لأن سوادها الأعظم، حكاماً ومحكومين، علماء وجهلاء، صاروا غثاء كغثاء السيل، قد ضربهم الوهن؛ «**حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ**»، ولن تحيا هذه الأُمّة وتقاوم، إلا بعَقِيْدَة جهاديّة قتالية يحملها العُلَماء والدعاة والمَشَايخ، والكتاب والأدباء، والمفكرون والمثقفون المُسلِمُون، ويزرعونها في هذه الأُمّة التواقة للنهوض، ليقود هَؤُلَاءِ النُّخبَة مسيرة الشَّبَاب عَلى علم وبصيرة، وبقدوة حسنة.

وإن وجود مقاومة وممارسات جهاديّة، أو بالأحرى ثقافة قتالية عسكريّة، وعَوَاطِف وردود أفعال نتيجة الكرامة والشرف والنخوة والحماس لدي شباب الأُمّة.

إن وجود ثقافة ومبادئ قتالية جهاديّة، لم تبن عَلى أسس صحيحة من شمول العَقِيْدَة والدّين وتمامه، في ظل ظروف القهر والاحتلال ؛ لينذر بكارثة أشد من كوارث القعود عن الجِهَاد أحيانا.

إن وجود السّلاح في أيدي مقاتلين يضربون العدوّ، ويرتكبون في مسارهم أفظع المصائب، نتيجة الجهل بالعَقِيْدَة وغياب التّربية المُتكامِلة، من الممكن أن يعود بالضرر عَلى الأُمّة والجِهَاد والمُقاوَمة وكل ما نصبو إليه.

وقد تسير الأمور إلى الهرج والفتن، واختلاط الحابل والنابل، وقد يسبب حصول الخيانات والتراجعات، والضرب غير الواعي عَلى غير بيان، وقد أمر الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤].

إن الظّروف صعبة، والعدو يقظ والصف الإِسْلَاميّ منخور، وعملاء العدوّ في كلّ قطاع، من حُكَّام وعلماء ومثقفين وأصحاب الأغراض كثر، أكثر من أن يشار إليهم،

وإذا دبت الفوضى فستقوم الثارات، وتقع ردود الأفعال، ويتعصب النّاس ويجرون وراء كلّ ناعق، ولن تستقيم مع ذلك مقاومة ولا جِهَاد.

فلا قتال بلا عَقِيْدَة جهاديّة صحيحة، بنيت عَلى أسس متينة من عَقِيْدَة إسلاميّة شاملة، تثبت اليقين وتضبط الأحكام، وتحفظ الأخلاق، أخلاق القِتَال وأحكام وآداب وشرائعه مع العدوّ والصديق، إنه دين كامل، فإما جِهَاد عَلى أسس دين، وإما قتال هرج وملاحم فتن أعاذنا الله منها.

وهنا تأتي مسؤولية العُلَماء، وقادة الصّحوة الإِسْلَاميّة، بالنزول لساحة قيادة الجِهَاد والمُقاوَمة، وكل امرئ حسيب نفسه.

اللّهم قد بلغنا فاشهد، اللّهم أعنا عَلى البلاغ والدّعوة عَلى بصيرة، والعمل عَلى بصيرة، والجِهَاد عَلى بصيرة، والشَّهَادة في سبيلك عَلى بصيرة.

ورغم حرصي عَلى عدم استطالة أبحاث الكتاب، آثرت أن أقدم للعَقِيْدَة الجهاديّة بأسس العَقِيْدَة الشّاملة، فهو الأساس الّذي تبني عليه، وبدونها لا تكون، وأرجو أن تكفي اللبيب الإشارة والاختصار، وأن يقيض الله لحملة الأقلام من العُلَماء العاملين والدعاة الصادقين أن يكفوا الأُمّة مؤونة البيان وبناء العَقِيْدَة وأسس الدّين، لنتفرغ لقتال أعداء الله، وليروا منا ومن المُجَاهدين في سبيل الله بإذن الله ما كانوا يحذرون، والله الموفق.

ثانياً: المناحي العامّة للعَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

سأتناول بعون الله تَعَالَى هذه المناحي في هذه الفقرة عَلى سبيل العناوين والإشارة دون التطرق للأدلة الشَّرعيَّة عَلى تلك المبادئ السّياسيّة الشَّرعيَّة أو الفكريّة المنهجيّة أو الجهاديّة الحَركيّة، وسأختار من بينها بعض الأساسِيَّات الأساسيّة، الّتي يبني عليها ما تبقى، وأفصل في أدلتها الشَّرعيَّة وآفاقها في الفقرة التّالية إن شاء الله تَعَالَى.

وابتداءً أقول بأن كثيرا من المناحي المنهجيّة مما يحوي هذا الكتاب بكل فصوله ورسائله، وما سأحاول أن الحقّ به من رسائل دعوة المُقاوَمة، إن شاء الله وأعان عليه، هو من العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة، سواءً كانَ عقائد دينية، أو أحكاماً شرعيّة، أو قواعد سياسيّة شرعيّة، أو أفكار منهجيّة، أو معلومات تارِيخِيَّة، أو أفكار حركيَّة، أو مواقف سياسيّة، فكل ذلك منهج تفكير متكامل، ودعوة مترابطة الأركان، وكل ذلك من العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة، الّتي تكون ثقافة متكاملة، ومعلومات متعاضدة، تورث إيماناً وفكراً ومعتقداً، وخلقاً وسلوكاً، يوجد المُجَاهد المقاتل العقائدي، الّذي أرجو وجوده للقيام بأداء مهمة المُقاوَمة وجِهَاد أعداء الله

فمن العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة، الّتي إن وسع المُجَاهد العادي أن يعلمها بعمومها فقط، فإن عَلى كوادر المُقاوَمة وقيادات الجِهَاد أن تعرفها عَلى وجه التفصيل والفهم، منها ما يلي:

(١)- **يجب أن يدرك المُجَاهد العقائدي الّذي سيتصدى لفعل المُقاوَمة جِهَاداً في سبيل الله، واقع المُسلِمِين وما وصلوا إليه،** في كلّ واقعهم الدّيني والسّياسيّ والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وكل مناحي واقع المُسلِمِين الحاضر، وما يعيشونه تحت ظروف هذا العدوان والغزو الصّليبيّ اليَهُوْدي الداهم، وهذا ما تولاه الفَصل الأوّل في هذا الكتاب.

(٢)- **يجب أن يعلم المُجَاهد أحكام شريعة الله في هذا الواقع،** وعلى رأس ذلك وخلاصته أمران اثنان:

أ- أن الجِهَاد المُسلّح والمُقاوَمة المُسلّحة هيَ الحلّ الأوحد لهذه الإشكالات.

ب – أن هذا الحلّ هو فرض عين عليه تجب عليه ممارسته ما لم يكن من ذوي الأعذار الشَّرعيَّة كالأعمى والأعرج والمريض والعاجز والمحصور الّذي حيل بين وبين هذه الفريضة،

وهذا ما تولاه الفَصل الثّاني في هذا الكتاب بالإجمال ويأتي تمام ذلك وتفصيله إن شاء الله في الفقرة التّالية من هذا البَاب بعون الله،

(٣)- يجب أن يدرك المُجَاهد جُذُور هذا الصِّرَاع الّذي نحن فيه، ومسار تاريخه منذُ فجر التّاريخ وإلى اليَوْم عَلى سبيل الإجمال، وذلك من أجل لفهم تاريخ هذا الصِّرَاع، وحقيقته، وأطرافه إلى أن آل صراعاً بينا نحن المُسلِمِين مع أمريكا وحلفاءها من الرُّوم المعاصرين، كما كانَ صراعاً بين أجدادنا العظماء، وأجدادهم من بني الأصفر قدماء الرُّوم وقرونهم المتتالية، ومراحل ذلك، وكذلك شكل النّظام الدّولي الحالي وأطرافه، وجُذُوره والمراحل التارِيخِيَّة الّتي أدت إلى وصوله لهذه الصُّورة، وهذا ما تولاه الفَصل الثّالث من هذا الكتاب.

(٤)- يجب أن يفهم المُجَاهد العقائدي عَلى وجه التفصيل تاريخ هذا الصِّرَاع مراحله مع الرُّوم وحملاتهم الرَّئيسيَّة علينا ومعادلات تلك الحملات والأطراف الّتي اشتبكت فيها، بعد أن اطلع عَلى وجه الإجمال المسار التّاريخي لصراع الحقّ والبَاطِل ولاسيما منذُ انطلاق الإِسْلَام، فيجب أن يعرف كيف كانَ أداء المُسلِمِين في مراحل النّصر والهزيمة في الصِّرَاع مع الرُّوم، من حيث الأسباب، ما أسباب انتصارنا لما انتصرنا وما أسباب هزيمتنا لما انهزمنا، ليصل عبر الفهم الدقيق لسنن الله في ذلك المسار إلى فهم المعادلة النّهائيّة اليَوْم وأطرافها، ويستنتج كيفِيَّة مُوَاجَهة كلّ طرف منهم ووسائل ذلك، وهذا ما تولى الفَصل الرَّابع تفصيله،

وهذا الفَصل من أهمّ مرتكزات العَقِيْدَة الجهاديّة وأَسَّسَها الأساسيّة، وهو معرفة من نحن ومن أعداؤنا، ومن معنا ومن علينا في هذه المُوَاجَهة، وإلا اختلطت الموازين عَلى المُجَاهد فلم يميز عدوا من صديق، ولم يعرف وسيلة جِهَاد كلّ عدو، ومن نجاهد بالسنان من الكفّار والمرتدّين أعوانهم، ومن نجاهد بالبيان من المُنَافِقين والمنحرفين والضلال وأشياعهم، وكيف يكون ذلك.

(٥)- بعد ذلك يجب عَلى المُجَاهد العقائدي أن يعرف جُذُوره التارِيخِيَّة كمُجَاهد يقاوم أعداء الله مطلع القرن الحادي والعشرين، ويقاوم طلائع الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الثّالثة الّتي دفعت إلينا بها الحضارة الغربيّة النكدة، ويعلم أن له سلفاً أوصلوا إليه راية هذا الجِهَاد والمُقَاوَمة وأن الحلقة الأخيرة، وليست النّهائيّة في سلسلة من حلقات هذه الصّحوة الجهاديّة، الّتي هيَ وليدة صَحوَة إسلاميّة شاملة يناهز

عمرها قرناً من الزَّمن تقريباً، بصرف النَّظر عن صواب وخطأ السائرين العاملين المخلصين الّذين بذلوا وسعهم واجتهدوا فأخطؤوا وأصابوا، فيعرف لكل أولئك فضلهم عليه، فيتعامل معهم بقول تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر] هذا من جهة، ومن جهة أُخرى ليفهم تاريخ تجاربهم وفشلهم نجاحهم وخطئهم وصوابهم، وهذا ما تناوله الفَصل الخامس عن مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة منذُ ثلاثة أرباع قرن من الزَّمن، فذلك من أهمّ وجوه ثقافة المقاوم المُجَاهد العقائدي ولاسيما القيادات والكوادر الّتي أرجو أن يولد فيها نخبة من المفكرين والكتاب الّذين يأطرون وينظرون لهذه المُقاوَمة الّتي أظنها ستأخذ معنا صدر هذا القرن الحادي والعشرين عَلى الأقل والله أعلم.

(٦)- **يجب أن يطلع المُجَاهد العقائدي عَلى تاريخ التَّجَارب الجهاديّة المعاصرة** ولو موجزاً، بعد الإطلاع العام عَلى تاريخ الصّحوة ومدارسها، فيعرف أسباب نجاح تلك التَّجَارب الجهاديّة وفشلها، كي يقتنع بأسلوب المُقاوَمة الّذي توصلنا إليه، ويكون لدي القدرة عَلى التطوير واختيار الأسلوب الّذي يناسب مرحلته، ولكي لا يكرر دُروس الفشل وأسباب الفشل، ولكي يعرف أنه سائر عَلى طريق سقط فيه عشرات آلاف الشّهداء، وعاني فيه عشرات آلاف الأسرى والمعذبين والمشردين، وليعرف قدر من أوصل إليه الرّاية، وفكرهم وتراثهم ومناهج عملهم وليسير عَلى بصيرة وخبرة، قد تولي الفَصل السَّادس والسَّابع من هذا الكتاب هذا الأمر وبه ختم الجزء الأوّل.

(٧)- **يجب أن يتسلح المُجَاهد العقائدي بعَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة الخاصّة ومنهج عمله الحَركيّ**، بعد أن أدرك ما سبق عَلى سبيل المعارف الحَركيّة والتارِيخِيَّة السّياسيّة الشَّرعيَّة العامّة، وكما أسلفت يجب أن يبنى ذلك عَلى أساس متين من العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة بشمولها، القائمة عَلى أساس أركان الإِسْلَام والإيمان، ويجب أن يتولى غرس ذلك منهج تربوي متكامل أشرت إلى وجه مناحيه في أول هذا البَاب وسيتتولى البَاب الثّالث.

(٨) - **يجب أن يفهم المُجَاهد العقائدي أن صراعه هٰذا: (دينى الحقيقة، سياسي الطابع، عسكريّ الوسيلة، أمني الأسلوب)**

وبالتالي فعليه أن يتسلح بعقيدته في هذه المُوَاجَهة وهذا سبقت الإشارة إليه، وعليه أن يفهم ويدرك الرابط بين ثوابت أصوليَّة المبادئ، وواقعية الحركة السّياسيّة ومعطياتها.

وهذه مهمة القيادات الجهاديّة، الّتي يجب أن تدرك نظريتها السّياسيّة، وتفهمها ما أمكن لمقاتليها، وعلى المقاتلين أن يسلموا لقياداتهم في إدارة هذه اللعبة السّياسيّة المتشابكة لهذه المُوَاجَهة، وهي أصعب ميادينها وأكثرها تعتقداً، فإن الغالبيّة العظمى للانتصارات في هذا العصر تحسم سياسيّاً، وما الوسائل العسكريّة اليَوْم إلا لتدعيم بَرَامج السّياسيّات وتدعيم المواقف، فعلى قيادات المُقاوَمة أن تدرك واقع الأُمّة الضعيف اليَوْم، وتضع له سياسات من خلال فقه الواقع والضَّرورات وموازين المصالح والمفاسد، وهذا ما سيتولى البَاب الثّاني وضع بعض الخطوط عريضة فيه، ورسم معالم نظريتنا السّياسيّة، بعون الله وهديه إن شاء الله.

(٩)- ثمّ يجب أن يعرف المُجَاهد دور التّربية، وآفاقها المُتكامِلة، وأساليبها المناسبة، لأشير بأن دعوة المُقاوَمة دعوة للأداء الفَرديِّ والجهد الفَرديِّ، وسيلعب المُجَاهد العقائدي الدَّور الأساسي في بذل الجهد في تربية نفسه ومن معه، عَلى هذه المناهج والمعارف والعلوم الشَّرعيَّة والسّياسيّة والعسكريّة والأمنيّة الحَركيّة.

إن الموجه يستطيع أن يوجه المُجَاهد إلى النسك والعِبَادة والقرآن والذكر وقيام الليل ويضع له المنهج التربوي، ولكن علىَ المُجَاهد الإشراف علىَ تزكية نفسه وبذل الجهد، إذ يستطيع المرشد أن يرشده للمراجع والكتب وييسر له تناول الأبحاث، ولكن عليه أن يطلع ويتعلم بنفسه.

كما يستطيع المدرب أن يعده ويدربه، ولكن عليه أن يطور إمكانيَّات القتاليّة بنفسه.

ويستطيع الكتاب أن يرشده للجِهَاد ويحبب إليه الشَّهَادة ويذكره بما أعداء الله له، ولكن عليه أن يتقدم ويعمل متوكلا علىَ الله.

إن دعوة المُقاوَمة دعوة تعلم الفرد المُجَاهد المسؤوليّة الأولى عن نفسه وعمن معه وعن الأُمّة بكاملها.

وستتولى باقي الفصول مساعدته عَلى ذلك والله الموفق.

وهنا أنتقل إلى تحديد المحاور الأساسيّة في العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، وألخصها في نقاط موجزة:

العَقِيْدَة الجهاديّة

و

﴿ دستور دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ﴾

يرتكز دستور دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، وينطلق من أساسِيَّات العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة، وأحكام السّياسة الشَّرعيَّة، المنطلقة من خلال فهم الواقع السّياسيّ الحاضر للأمة، ومن خلال قاعدة درء المفاسد واستجلاب المصالح، وفقه الضَّرورات، واعتبار الأولويات، وأخذ المترتبات بعين الاعتبار، بناء عَلى فهم دقيق لواقع المُسلِمِين وواقع العالم من حولهم.

وسنورد هنا مختصراً عن أسس العَقِيْدَة الجهاديّة القتاليّة لدعوة المُقاوَمة حيث ستشتمل الفقرة التّالية عَلى التفصيل والأدِلَّة الشَّرعيَّة لأهم هذه لأسس إن شاء الله.

- **المادّة ١:**

دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ليست حزباً، ولا تنظيماً، ولا جماعة محدودة محددة، فهي دعوة مفتوحة، هدفها هو دفع صائل القوى الاستعماريّة الصّليبيّة الصّهيونيّة الهاجمة عَلى الإِسْلَام والمُسلِمِين، ويمكن لأي تنظيم أو جماعة أو فرد اقتنع بمنهجها وأهدافها وطريقتها، الدخول فيها، بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر.

- **المادّة ٢:**

عَقِيْدَة دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، هيَ عَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة بكافة مدارسهم ومذاهبهم الفقهيّة، وهي دعوة للتعاون مع كلّ المُسلِمِين الّذين يشهدون أن لَاإِلٰهَ إِلَّا الله وأن محمّداً رسول الله، ويعتبرون أن القرآن كتابهم والكعبة قبلتهم، وأمة الإِسْلَام أمتهم.

فهي تجاهد مع أهل السّنّة، وتتعاون مع أهل القبلة، وتستعين بكل مخلص في نصرته للمسلمين في دفع هذا العدوّ الصّائل عليهم، من خلال ضوابط السّياسة الشّرعيَّة.

- **المادّة ٣:**

تعتقد دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة بمشروعية الجِهَاد مع كلّ بر وفاجر من أمراء المُسلِمِين وعامتهم، من أجل دفع صائل الكفّار عَلَى المُسلِمِين وهذا من أسس العَقِيْدَة عند أهل السّنّة الجماعة.

- **المادّة ٤:**

تعتقد دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة أن الحملات الصّليبيّة الصّهيونيّة الهاجمة عَلَى المُسلِمِين تتكون من تحالف يضم المكوّنات التّالية:

(١) – اليَهُوْد وقوى الصّهيونيّة العَالَمِيّة وزعمتها إسرائيل.

(٢) – قوى الصّليبيّة الدّولية، وزعيمتها أمريكا، ثمّ روسيا ودول حلف النّاتو ومن تحالف معهم من الدّول الصّليبيّة.

(٣) – قوى الرِّدَّة، وعلى رأسها الحكَّام والأنظمة القائمة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.

(٤) – المُنَافِقين: وعلى رأسهم المؤسسات الدّينيّة الرّسميَّة وعلماء السُّلطَان، ومن تبعهم من فُقَهَاء النِّفَاق، وأجهزة الإعلام والأوساط الثَّقافيَّة الداعمة للأعداء في حملتهم عَلَى المُسلِمِين.

وأن مختصر ومعادلة الصِّرَاع اليَوْم هو:

اليَهُوْد والصّهيونيّة وزعيمتها إسرائيل + الصّليبيّة العَالَمِيّة بقيادة أمريكا وبريطانيا ودول النّاتو وروسيا + الأنظمة المرتدّة وقوى العلمانيّة المحاربة للإسلام + المنافقون من علماء السُّلطَان وأصحاب الفكر المحارب للإسلام × قوى المُقاوَمة المُسلّحة المُجَاهدة.

- **المادّة ٥:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة جِهَاد هذا الحلف الدّولي من اليَهُوْد والصّليبيّن والمرتدّين والمُنَافِقين، **فرض عين عَلَى كلّ مسلم** يشهد أن لَاإِلَهَ إِلَّا الله وأن محمّد رَسُولُ الله، يثاب بأدائه ويأثم بتركه.

- **المادّة ٦:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة الجِهَاد المُسلّح والقتال (**جِهَاد السنان**) الوسيلة الأساسيّة لمُوَاجَهة الأطراف الثّلاثة الأولى من الحلف (اليَهُوْد والصّليبيّون والمرتدّون) ومن قاتل معهم، وتعتبر أن (**جِهَاد البيان**) والحجة والكلمة هو وسيلة مُوَاجَهة قوى النِّفَاق من علماء الاستعمار وفقهاء السّلاطين ووسائل إعلامهم.

- **المادّة ٧:**

تتخذ دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة من قول الله تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [النساء: ٨٤] شعارا لها، وتعتبر أن مقاتلة الغُزَاة وحلفائهم والدّعوة إلى ذلك فريضة في عنق كلّ مسلم، وتعتبر مبدأ ثابتا في حركتها وهو أن:

دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة هيَ معركة الأُمّة المسلمة وليست صِرَاع النُّخبَة المُجَاهدة فقط.

- **المادّة ٨:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة كافّة أشكال تواجد أمريكا وحلفائها المحاربين لنا، في كافّة بلاد المُسلِمِين اليَوْم أهداف مشروعة للجِهَاد، سواءً كانت تواجدا عسكريّاً أو دبلوماسيا أو اقتصادياً أو أمنيّاً أو ثقافيّاً أو مدنياً أو بأي شكل كانَ، وتطالبهم بالمغادرة وتنذر من بقي القتل والتصفية.

- **المادّة ٩:**

تعتبر دعوتنا كافّة حُكّام بلاد المُسلِمِين، الّذين يوالون أعداء المُسلِمِين من الأمريكان وحلفائهم من اليَهُوْد والصّليبيّن، ويحكمون بلاد المُسلِمِين بغير ما أنزل الله، ويشرعون لهم أحكاماً من دون الله، تعتبرهم كفارا مرتدين قد سقطت ولايتهم الشَّرعيَّة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾ و﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧﴾ولم يعد لهم حظ من قوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ فقد أمرنا الله تَعَالَى بطاعة أولي الأمر ﴿مِنكُمۡ﴾ وهَؤُلَاءِ ما عادوا ﴿مِنَّا﴾، بل صاروا (**من أعدائنا**) وقد بين تَعَالَى ذلك فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ قَالَ كافّة أهل التفسير وأثبات العُلَمَاء، قالوا: ﴿مِنۡهُمۡ﴾ أي: [**كفار مثلهم**].

وكما في الحديث الصَّحِيح المتفق عليه، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قَالَ:

دَعَانَا رَسُولُ الله ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ» قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ»(١).وهل أشد بواحاً في الكفر من مُوالاة الأَعدَاء، ومظاهرتهم عَلى الْمُسلِمِين، وتمكينهم من ثغور الْمُسلِمِين، وإمدادهم بالعدد المدد لقتال الإخوة قي الدّين ؟!

وهل أظهر في الخروج من ملة الإِسْلَام من حكم الْمُسلِمِين بشرائع الكفّار، وتبديل أديان الأُمّة ومناهجها وكل مقوّماتها طاعةً لهم، وقول الله تَعَالَى وسنة رسول الله ﷺ واضح في حكم خلعهم، والخروج عليهم، بل وقتلهم كما أمر ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(٢)، وهو ماسنسعى إليه بعون الله.

- **المادّة ١٠:**

تسقط دعوة الْمُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، مشروعية أي عهد أو أمان أو معاهدة أو ذمة قدمها حُكَّام بلاد الْمُسلِمِين للكفار، وذلك بسبب ردتهم عن ملة الإِسْلَام وسقوط ولايتهم، ولأنهم أولياء لهم ومناصرون لهم عَلى الْمُسلِمِين، فلا شرعيّة لهم ولا لعهودهم وأمانهم ومعاهداتهم، إلى أن يقوم أئمة شرعيون، يؤمنونهم وفق مواثيق ومعاهدات شرعيّة وعلاقات متبادلة في إطار شريعتنا الإِسْلَاميّة.

- **المادّة ١١:**

كلّ من ظاهر أعداء الْمُسلِمِين الغُزَاة من الأمريكان وحلفائهم عَلى الْمُسلِمِين، فقاتل معهم وأعانهم عَلى الْمُسلِمِين بقتال أو دلالة أو مساعدة أو مشورة أو رأي ينصرهم به عَلى الْمُسلِمِين فهو مرتد كافر خارج من ملة الإِسْلَام، يجب قتاله أو يعود عن ذلك ويتوب إلى الله منه.

وما دام في فعله فله كلّ أحكام المرتدّين من انفساخ عقد زواجه، وانقطاع الميراث بينه وبين ذويه من الْمُسلِمِين، وعدم الصّلاة عليه، وعدم دفن في مقابر الْمُسلِمِين، وكل ما فصله فُقَهَاء من أحكام المرتدّ،

---

(١) متفق عليه، البخاري (٧٠٥٥، ٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

(٢) البخاري: (٣٠١٧، ٦٩٢٢) وأصحاب السنن.

وحكم قتال هَؤُلَاءِ بين الوجوب والجواز، وأما ممارسة ذلك فخاضع لقواعد المصالح والمفاسد، وليعلم كلّ مسلم أنه يرتد بهذا الفعل سواء قاتله المُجَاهدون أم تركوه،

- **المادّة ١٢:**

كلّ من ظاهر الحكَّام المرتدّين وقاتل المُسلِمِين والمُجَاهدين معهم، من جنودهم وشرطتهم ورجال أمنهم وأعوانهم الّذين يدافعون عنهم ويأتمرون بأمرهم في قتل المُجَاهدين ومطاردتهم، لا نحكم بكفر كلّ أحد منهم عيناً، ويقاتلون عَلى أنهم طائفة ردة عامة بصرف النَّظر عن جاهلهم ومكرههم ومتأولهم، لاسيما وقد أدرك القاصي والداني والعالم والجاهل، وقوف أولئك الحكَّام في خندق أمريكا وحلفائها ومحاربتهم لشباب المُسلِمِين المُجَاهد تحت رايتها وأمرها.

- **المادّة ١٣:**

دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالِمَيّة، **دعوة جِهَاد للغزاة المُستَعمرين وأعوانهم، وليست دعوة تكفير للمسلمين**، فكل من شهد (أن لَاإِلٰهَ إِلَّا الله محمّد رسول الله) فقد عصم دمه وماله إلا بحقها وحسابه عَلى الله، وليس من مهام دعوة المُقاوَمة التّصَدّي لأعيان المُسلِمِين من الضُلال والمنحرفين وتكفيرهم وتبديعهم وتفسيقهم، فهذه مهمة من تأهل لذلك وانصرف لها من الدعاة والعُلَماء، وليست من أعمال المُقاوَمة المتجهة لحرب الصّائل.

- **المادّة ١٤:**

تتبنى دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالِمَيّة استراتيجية قتال جنود الإحتلال وكافة أشكال تواجد الدّول المحاربة للمسلمين ومصالحهم في بلاد المُسلِمِين هجوماً ودفاعاً وبكل أشكال المُقاوَمة المُسلّحة.

في حين تتبنى استراتيجية قتال رجال أمن حُكُومَات بلاد المُسلِمِين وجنودها وأعوانها دفاعاً عن النّفس فقط، رغم حِلّةِ قتالهم هجوما، وبكل وسيلة مشروعة دفعاً وطلباً، وذلك من أجل مصالح لا تخفى وتهدف إلى توحيد صف الأُمّة في وجه الغُزَاة الكفّار، والرفق مع جميع أبنائها، حتَّى يتبين لهم الحقّ، ولكي يفيؤوا إلى صف أمتهم ويقاوموا عدوها، ومن أجل سد باب الفتن والاحتراب الداخلي دون طائل، ولقطع الطّريق عَلى من يقيم الحواجز بين المُجَاهدين وعامة الأُمّة من دعاة الضلالة وأجهزة إعلام الطواغيت.

ولذلك تدعو دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة قوى الجِهَاد والمُقاوَمة إلى تحاشي قصد رجال الجيش والشّرطة وقوى الأمن في بلادنا بالقتل، والاقتصار في ذلك عَلى عمليَّة الدّفاع عن النّفس، وتدعوهم لعدم قتل أسراهم وجرحاهم، والإحسان إليهم ودعوتهم بالحسنى للانضمام إلى صفوف الأُمّة في قتال أعدائها، كما تدعوا رجال الأمن والجيش والشّرطة إلى عدم طاعة قياداتهم في العدوان عَلى المُسلِمِين ومناصرة أعداء المُسلِمِين من الكفّار وتدعوهم إلى قتال أعدائهم الكفّار ورؤسائهم من كبار المرتدّين وليس إلى المُسلِمِين الأبرياء.

وهذا اجتهاد خاص بدعوتنا بناءً عَلى قواعد استجلاب المصالح ودفع المفاسد، واستفادة من تجاربنا الماضية، وهذا من المبادئ الحَركيّة الأساسيّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة بعد مبدأ جِهَاد المحتلين الغُزَاة بالسّلاح ومقاومتهم بكل وسيلة مشروعة ممكنة بكافة أشكالهم،

(أما أولئك الجنود العاملون مع قوّات الإحتلال الكافرة، مثل الجيش والشّرطة في العراق وما شابهها، كالمحاربين للمسلمين في جيش الهند في كشمير، فهَؤُلَاءِ مرتدون يقاتلون قتال المحتلين.)

- **المادّة ١٥:**

تتبنى دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة مبدأ دفع الصّائل عَلى الدّين والنّفس والعرض والمال، ولو كانَ مسلماً لقوله ﷺ في الحديث الصَّحِيح: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[1]، وروي عنه ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[2]، وبهذا فهي تدعو المُجَاهدين والمقاومين إلى عدم تسليم أنفسهم إلى من قصدهم من عساكر الطواغيت وعملاء الإستعمار بالقتال والأذى، بل تدعوهم إلى قتالهم وقتلهم دفاعاً عن النّفس، والتزام سياسة الدّفاع هذه دو ن التّحول إلى جِهَادهم هجوماً كما أشرنا إلى ذلك آنفاً.

- **المادّة ١٦:**

---

(١) رواه أحمد (١٦٥٢) وصححه الأرنؤوط، وروى أبو داود نحوه (٤٧٧٢) وصحَّحه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه النسائي (٤٠٩٣، ٤٠٩٦) وقال الألباني: صحيح- صحيح الجامع الصغير (٦٤٤٧).

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة كلّ حكومة يقيمها الاستعمار وقوى الاحتلال [من قبيل ما حصل في العراق (مثل مجلس الحكم) أو (الحكومة المعينة)]، تعتبرها حكومة احتلال بَاطِلة يجب جِهَادها وإسقاطها، وأقل ما يجب نحوها، اعتقاد عدم مشروعيتها، وعدم التّعاون معها، ولا تقبل أي اعتذارات في ذلك من قبيل ما يزعم من مصلحة البلاد والعِبَاد وتسيير أمور النّاس، وتعتبرها أعذارا بَاطِلة شرعاً، ومرفوضة عقلاً، فلا يأتي الإستعمار إلا بالشر ولا يرضى إلا عمن تبعوا ملته كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١٢٠]

- **المادّة ١٧:**

لما كانت دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة تعتقد كفر الحكَّام الحاكمين بغير ما أنزل الله، الموالين لأعداء المُسلِمِين وردتهم، مثل جميع الحكَّام القائمين في بلاد المُسلِمِين اليَوْم، فإنها تعتبر الانتساب إلى مؤسسات حكومتهم وسلطاتها الثّلاثة:

- التنفيذية : الحكومة والوزارات.
- التَّشريعية: البرلمان أو مجلس الشعب أو مجلس الشورى.
- القضائية : المحاكم الحاكمة بغير ما أنزل الله.

عملا محرما، وفعلا من أفعال الكفر، يأثم صاحبه عَلى الأقل أو يكفر، وذلك بحسب مسؤوليته وجرمه، ونصيبه من العذر والتأويل، وسيأتي بيان ذلك في الشرح، في الفقرة التّالية إن شاء الله، وتدعوا كافّة المُسلِمِين عامة، والعُلَماء والإِسْلَاميّين خاصّة، إلى اجتناب الطَّاغوت من أجهزة المُستَعمرين والمرتدّين، وتدعوهم أن لا يفتنوا المُسلِمِين بوجودهم في تلك الأجهزة الطَّاغوتية.

- **المادّة ١٨:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة مبادئ الدِّيمقراطيَّة كفراً بالله تَعَالَى، ومعتقداً مناقضاً لمقتضيات شهادة أن لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله، وتعتبر الدّعوة إليها وممارستها عملاً من أعمال الكفر، يأثم صاحبه، إثما قد يصل إلى خروجه من ملة الإِسْلَام، وذلك بحسب طبيعة اعتقاده بها، ونوع ممارسته لها، ونصيبه من أعذار الجهل أو التأول.

وهي تدعوا كافّة الإِسْلَاميّين إلى عدم السعي إلى المشاركة فيها والدّعوة إليها، سواءً بالتّعاون مع سلطات الإحتلال، أو سلطات الحكّام المرتدّين، كما تدعوا المُسلِمِين إلى عدم المشاركة فيها، ومقاطعتها وعدم التصويت من خلالها لمصلح أو لمفسد، وتدعوا الإِسْلَاميّين ودعاة الإصلاح إلى النَّشَاط من خلال المؤسسات الأهلية غير الحُكُوميّة، ومنظمات المجتمع المدني، في مختلف وجوه النَّشَاط السّياسيّ والاجتماعي والثقافي وغيره، مما يهدفون إليه من الإصلاح، ومن غير الوقوع بالدناسة بدخول أجهزة الكفر، والغرض من ذلك اجتناب الطَّاغوت، وعزل شريحة الفساد والعمالة، اجتماعياً وسياسيّاً وعلى كلّ صعيد.

- **المادّة ١٩:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة جهود كلّ المخلصين في الصّحوة الإِسْلَاميّة ؛ الدعوية والإصلاحية والعلمية والدّينيّة، وغيرها، من الممارسات المشروعة شرعا، والَّتي تقوم بها كافّة مدارس الصّحوة من الدّعوة والتبليغ، والسّلفيّة، والإخوان المُسلِمِين، وحزب التحرير، وغير ذلك من مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة، وكذلك جهود العُلَماء والدعاة والمصلحين المستقلين، عَلى امتداد ومساحة طيف الصّحوة، جهوداً مشكورة لحفظ دين المُسلِمِين، وإصلاح أحوالهم، وتدعوهم جميعاً إلى التّعاون عَلى البر والتقوى ودعم المُقاوَمة، وتعتبر جهودهم في الدّعوة لدين الله دعماً وتقوية لجُذُور المُقاوَمة في الأُمّة، وحفظاً لمكوّناتها، وتدعوا الجميع إلى تجاوز نقاط الخلاف في هذه المَرحَلَة الّتي يتعرض فيها وجود المُسلِمِين كله إلى الخطر عَلى كافّة الصعد الحَضَاريَّة.

وتعيد التذكير بقناعتها، بأن مُجَاهدة القوى الصّليبيّة واليَهُوْدية ومن والاها وأعانها وقاتل معها بالجِهَاد المُسلّح، فريضة شرعيّة متعينة عَلى كلّ مسلم قادر من غير ذوي الأعذار الشَّرعيَّة، لا يسقط عنه فرض العين هذا ما يقوم به من أعمال البر والخير، مثلما لا تغني الزّكاة عن الصّلاة.

- **المادّة ٢٠:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة كلّ مسلم يقول (لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله محمّد رَسُولُ اللهِ) عَلى اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، ضمن دائرة الإِسْلَام العامّة الّتي دعاها الفقهاء (أهل القبلة)، وتعتبر الخلافات العقدية والمذهبية والطائفية مردها لأهل العلم للفصل فيها، وأن مجالات ذلك هيَ الحوار بالحق، والبيان

بالحكمة والموعظة الحسنة، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وتنهى عن الفتن والاقتتال بين المُسلِمِين، وتدعوا كلّ المُسلِمِين من أهل القبلة ؛ مذاهب وجماعات وأفراد، إلى التّعاون عَلَى دفع الصّائل وجِهَاد العدوّ الكافر الّذي يدهم بلاد المُسلِمِين، وتدعوا الجميع إلى نبذ دواعي الاحتراب الداخلي، الّذي لا يستفيد منه في مثل هذه الأحوال إلا العدوّ الكافر الغازي لبلاد المُسلِمِين.

- **المادّة ٢١:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة كافّة مبادئ المذاهب العلمانيّة من شيوعية واشتراكية وديمقراطية وقومية، وغير ذلك من أوجه الإنتماء الفكريّ والعقدي لغير ملة الإِسْلَام وهوية الإِسْلَام؛ تعتبرها دعوات كفر وضلالة، كلاً بحسبها وفق موازين الشّريعة، ولكنها تعتبر أن أكثر أتباع هذه المذاهب من أبناء هذه الأُمّة هم من المُسلِمِين الجهلة بدينهم المغرر بهم فكرياً، تبعاً لظروف التغريب الفكريّ والغزو الحضاري، الّذي تعرضت له الأُمّة، وكثير منهم يكن العاطفة لهذا الدّين، ويشعر بالاحترام لمكوّناته، كما يكن عداءً لقوى الاستعمار، وإِرادَة عالية لمقاومة الغزو الخارجي، وتدعو دعوتنا كافّة مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة، وشرائح المُقاوَمة الإِسْلَاميّة المختلفة، إلى حسن الحوار والدّعوة في أوساط هذه الشرائح، كما تدعو كافّة القوى القوميّة والوطنيّة وكل الشرفاء في هذه الأُمّة إلى دراسة دينهم وفهمه عَلَى حقيقته، التّعاون عَلَى جِهَاد القوى الغازية الكافرة ومن يتعاون معها، والالتفاف جميعاً تحت شعار الإِسْلَام للدفاع عن المُسلِمِين ودينهم وحضارتهم.

- **المادّة ٢٢:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة كلّ مسلم قَالَ (**لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله محمّد رسول**)، معصوم الدَّم والمال إلا بحقها وحسابه عَلَى الله، وتعتبر دم المسلم من أقدس المقدّسات، وحفظه من أعظم الفرائض والأوامر الّتي شددت فيها الشّريعة الإِسْلَاميّة.

وتعتبر أن ما جاء في خطبة الوداع من قوله ﷺ: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، فَلَا تَرْجِعُنَّ**

بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»(١)، دستوراً إلهياً ونصاً نبوياً قطعياً، يدعوا كلّ مسلم عامة، وكل مُجَاهد خاصّة إلى حفظ دم وعرض ومال كلّ مسلم.

وتدعوا كلّ مُجَاهد في سبيل الله يبذل جهده ونفسه وماله في سبيل الله ويجاهد الكفّار الغُزَاة من قوى الصّليبيّة والصّهيونيّة بحلفائها، إلى قول الله تَعَالَى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤]، وتدعوهم أن يتحاشوا أذى كلّ مسلم، وليتقوا الله ويتأملوا قوله ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ**»(٢).

- **المادّة ٢٣:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة الطوائف الدّينيّة من غير المُسلِمِين من المواطنين في بلادنا كالمسيحيين وغيرهم، مواطنين كفلت الشّريعة الإِسْلَاميّة احترام حقوق مواطنتهم وسكنهم بين المُسلِمِين في إطار قواعد شرعيّة معروفة مفصلة، يُتعامل بها معهم عندما يحكم شرع الله، وينصب الإِمَام المسلم.

أما الآن فلا تعتبرهم دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة هدفاً للجِهَاد، ما لم يتعاونوا مع الغُزَاة، وإنما الجِهَاد للقوى الغازية من القوى الصّليبيّة الصّهيونيّة ومن يتحالف معها.

حتَّى ولو ادعى الإِسْلَام، وتدعو دعوة المُقاوَمة تلك الطوائف من المواطنين الأصليين إلى التعبير عن رفضهم للاستعمار والقوى الغازية، ودعوة أبناءها لعدم التّعاون معهم، كما تدعوا المُجَاهدين إلى عدم فتح معارك جانبية في مثل هذه المسائل الّتي تحول دون التركيز عَلَى المنحي العام للمقاومة ودفع الصّائل.

---

(١) رواه البخاري (٦٧، ١٠٥، ١٧٤١..) ومسلم (١٦٧٩).

(٢) مسلم : (١٨٤٨).

- **المادّة ٢٤:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ساحة الجِهَاد الأساسيّة ضدّ أمريكا وحلفائها من الصّليبيّين والصهاينة هيَ بلاد المُسلِمِين، الّتي يحتلها هَؤُلَاءِ المُستَعمرون الغُزَاة بشكل مباشر أو غير مباشر، وفيها تتمركز قوَّاتهم وقواعدهم العسكريّة، أو منها تعبر برّاً وبحراً وجوّاً، وفيها تتم عمليَّات النهب والاستعمار الاقتصاديّ، وفيها تنتشر مختلف المؤسسات الاستعماريّة المختلفة من أمنيّة وسياسيّة وثقافية، وغير ذلك، وهي الأهداف الاستعماريّة الّتي يجب أن يستهدفها المُجَاهدون في طول العالم الإِسْلَاميّ وعرضه.

- **المادّة ٢٥:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة أن حربها أساسا هيَ مع حُكُومَات البلاد الّتي دخلت في حلف العدوان الصّليبيّ اليَهُوْدي الّذي تقوده أمريكا، وتعتبر كلّ دولة تشاركهم في المجهود الحَربي وتعينهم عَلى المُسلِمِين هدفاً للمقاومة، وفي مقدمتها حلف النّاتو الّذين يرتبطون بالتزامات دفاعية معها، وكذلك ضدّ كلّ دولة تعتدي عَلى المُسلِمِين في أي بلد أو مكان، وأما البلاد الكافرة الّتي لم تتورط في العدوان عَلى الإِسْلَام والمُسلِمين، فهي ليست مجال حرب وقصد من قوى المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

- **المادّة ٢٦:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة حربها مع حُكُومَات الدّول المحاربة أساسا وليس مع شعوبها، وهي إذ تعتبر بلاد المُسلِمِين ساحة الجِهَاد والدّفاع الأساسيّة، تدعوا المُجَاهدين إلى ممارسة الجِهَاد ضدّ الحُكُومَات والدّول الاستعماريّة الغازية وحلفاءها في بلادها بضوابط سياسيّة شرعيّة تقتضيها أصول الشّريعة، وأحكام الجِهَاد، وبناءً عَلى نتائج مترتبات الأعمال من المصالح والمفاسد عَلى الإِسْلَام المُسلِمِين، ومن تلك الضوابط:

(١)- عدم ممارسة القِتَال والاستهداف العام في بلاد الدّول المحاربة إلا في حدود الردع والمعاملة بالمثل، وليس (هدفاً أساسياً وساحة قتال رئيسيَّة) فساحة الجِهَاد الأساسيّة هيَ الدَّفع في بلاد المُسلِمِين.

(٢)- تحاشى قتل نساء وأطفال الكفّار، وكذلك من جاءت نصوص الشّريعة بتحاشي قصدهم بالقتل، مثل الرهبان، ودور العِبَادة، وتحاشى قتل غير المحاربين من المدنيين إذا انفردوا ما أمكن.

والتركيز في حال عمليَّات الردع والمعاملة بالمثل في بلادهم عَلى الأهداف العسكريّة والسّياسيّة والاقتصاديَّة، مع مراعاة تحاشى من تقدم الإشارة إلى تحاشيهم ما أمكن.

- **المادّة ٢٧:**

تدعو دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة إلى تركيز جهد المُجَاهدين والتَّنظِيمات الجهاديّة وقوى المُقاوَمة لمُوَاجَهة الصّائل العدوان الخارجي، وعدم فتح مواجهات مع أنظمة الرِّدَّة والعمالة القائمة في بلاد المُسلِمِين في ثورات شاملة وفق التصوُّرات القديمة للتيار الجهاديّ، رغم قناعتنا بردتهم، والاقتصار عَلى استهداف كبار المرتدّين من أئمة الكفر لتعاونهم مع قوى الإحتلال والغزو الخارجي، والغرض من ذلك جمع الجهود عَلى دحر العدوّ الصّائل، الّذي ستنهار بعد النّصر عليه بإذن الله كافّة القوى العميلة التَّابعة له في بلادنا إن شاء الله.

- **المادّة ٢٨:**

تدعو دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة المُجَاهدين والمقاومين إلى عدم الانشغال في التّصَدّي بالقتال لمظاهر الفساد والفسوق والعصيان والبِدَع ومظاهر الإنحراف الدّينيّة... إلخ، في أوساط المُسلِمِين بأعمال جهاديّة، فهذه مظاهر لداء حكم الطَّاغوت الّذي تفرضه وتثبته قوى الكفر الغازية الخارجيّة الصّائلة، والانتباه لأمور ثلاثة هامة:

(١)- حرمة دم المسلم ولو كانَ فاسقاً عاصياً مهما تلبس به من ذلك ما لم يكفر.

(٢) - أن تنفيذ الحدود والأحكام الشَّرعيَّة عَلى مرتكبيها من أفراد المُسلِمِين هو للإمام الشَّرعيّ الممكن، وهو ليس موجود الآن، وإنما هدف المُقاوَمة بعد دفع الصّائل هو إقامته.

(٣) - أن الهدف الآن والفريضة الشَّرعيَّة الأولى، هو دفع الصّائل الكافر عن ديار المُسلِمِين.

- **المادّة ٢٩:**

تعتمد الحملات الصّليبيّة الغازية في بلادنا بالإضافة إلى القوى العسكريّة الداعمة لها المقاتلة معها عَلى دعامتين هامتين:

(١)- دعاة للاحتلال يرحبون بها ويدعون لأفكارها وحضارتها، ويندِدون بالإِسْلَام ودعاته.

(٢)– دعاة للانحلال والرَّذِيلة والفسق والمجون، ونشر الاختلاط والزنا والفواحش بدعوى الحريَّة الشَّخصيَّة، والعيش عَلى النموذج الأمريكيّ.

وأكثر هَؤُلَاءِ هم من قطاع المثقفين والكتاب والمفكرين والفنانين والصحفيين والشعراء والأدباء، ورجال الإعلام.

وتدعو دعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة المُجَاهدين، إلى تصفية كبار رؤوس هَؤُلَاءِ الدعاة الاستعماريّين ورؤوسهم، وكذلك كبار دعاة الرَّذِيلة والإنحلال الّذين يعملون عَلى أن تشيع الفاحشة في اللذين آمنوا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ [التوبة: ١٢]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [النور: ١٩]

وقال عزَّ من قائل: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٠ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١﴾ [الأحزاب]

فهذا الطابور الخبيث المنافق المجاهر بالكفر هم من أهمّ ركائز الإستعمار في بلادنا، ومن أهمّ العاملين عَلى قطع جُذُور المُقاوَمة والانتماء لهذه الأُمّة، ونعيد التوضيح: المطلوب اغتيال (**كبار أئمة الكفر والفساد**)، وتصفية مؤسساتهم، وليس خدمهم والعاملون المرتزقة بالفجور معهم ولا أعيان فساق المُسلِمِين.

- **المادّة ٣٠:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة الوجود الإسرائيلي الصّهيونيّ، في كلّ شبر وذرة تراب من أرض فِلَسطِين، وما جاورها من أراضي المُسلِمِين بَاطِلاً وغير شَرعِيّ، ومثل ذلك كلّ احتلال لأراضي المُسلِمِين أينما كانَ، وتعتبر دولة إسرائيل دولة غير شرعيّة، وكيان مُستَعمر دخيل يجب إزالته وتطهير وجه الأرض من وجوده.

ولا تعترف بأي معاهدة سلام، أو اتفاقية تفرط بأي حق من الحقوق الشَّرعيَّة للشعب الفلسطيني المسلم، وتعتبر المسألة الفلسطينية، قضية إسلاميّة وليست عربيَّة ولا فلسطينية فقط.

ولا تعترف بمشروعية السّلطة الوطنيّة الفلسطينية، وتعتبرها سلطة مارقة حكمها حكم كافّة الأنظمة العربيَّة والإِسْلَاميّة في الرِّدَّة، وتعتبر معظم أركانها الكبار مجموعة خونة وتجار دماء، وعملاء لليهود وعبيد لشهواتهم ومصالحهم.

وتعتبر أن الجِهَاد المُسلّح هو الحلّ الوحيد لتحرير فِلَسطِين، وتشد عَلى أيدي المُجَاهدين المُسلِمِين من المنظمات المُجَاهدة، وتدعوا كافّة المناضلين والمقاومين في المنظمات الفلسطينية المُسلّحة من القوميين والوطنيين واليساريين إلى الجِهَاد تحت شعار الإِسْلَام ونبذ مبادئ الكفر والضلالة الّتي أدت دائما وما زالت تؤدي إلى هزيمة الأُمّة، وإلى عدم قبول الشَّهَادة عند الله، قَالَ ﷺ «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»[1] «وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»[2]، وتدعوا شباب فِلَسطِين أن لا يفرطوا بدمائهم بالعمل تحت تلك الرّايات الجَاهِليَّة، وإنما مع من رفع شعار الإِسْلَام والجِهَاد، لأن من مات ميتة جاهلية فهو في النار، ولا يبارك الله في عمله، وتدعوا المُسلِمِين في كلّ مكان إلى جِهَاد الصهاينة وأعوانهم وأشياعهم في فِلَسطِين وفي كلّ مكان.

- **المادّة ٣١:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة دعوة التطبيع مع اليَهُوْد والكيان السرطاني (إسرائيل)، دعوات بَاطِلة، وتعتبر من يدعوا إليها خائناً كافراً مرتداً عميلاً للاستعمار، وخاصة إذا كانَ من علماء المُسلِمِين المزعومين، أو حكامهم العملاء.

وتدعو المُجَاهدين في كلّ مكان إلى جِهَاد كافّة أشكال التطبيع، ومؤسساته، ورجاله ودعاته واستهداف كلّ منشآته السّياسيّة والثّقافيَّة والاقتصاديَّة... وغيرها، وتدميرها واغتيال القائمين عليها، والانتباه لعدم أذى المُسلِمِين خطأً أثناء ذلك.

- **المادّة ٣٢:**

---

(١) رواه البخاري (٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨) ومسلم (١٩٠٤) وأصحاب السنن.

(٢) رواه مسلم (١٨٤٨).

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة كافّة مؤسسات التنصير والتبشير الصّليبيّ في بلاد المُسلِمِين من أخطر مرتكزات الاستعمار وأخطر مكامن الفتنة للمسلمين، وتعتبرها أهدافاً مشروعة وتدعو المُجَاهدين إلى استهدافها وتدمير منشآتها، وتعتبر كلّ أمان وترخيص لهذه المؤسسات في بلاد المُسلِمِين ترخيصا بَاطِلا، وأمانا غير شَرعِيّ.

وتدعو المُجَاهدين والمقاومين إلى عدم الخلط بين هذه المؤسسات، وبين الكنائس ودور عبادة النّصَارى والمسيحيين من المواطنين المقيمين بين المُسلِمِين، وكذلك التميز بين مؤسسات التنصير والتبشير الأجانب، وبين رجال الدّين والرهبان المحليين المشرفين عَلى إدارة شؤون طوائفهم الدّينيّة، ولا يعملون في فتنة المُسلِمِين عن دينهم، ومعاونة الغُزَاة المُستَعمرين.

- **المادّة ٣٣:**

دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة دعوة أممية لا تعتبر هوية ولا انتساباً إلا إلى (لَا إِلٰهَ إِلَّا الله محمّد رَسُولُ الله)، بصرف النَّظر عن الجنس والقوم، أو اللون والوطن، أو اللغة، أو أي فارق.

وتعتبر ساحة عمل كلّ مُجَاهد ومقاوم حيث هو، وحيث يقيم ويتحرك، وحيث يكون أداؤه أجدى وأنفع وأنكى لأعداء الله.

- **المادّة ٣٤:**

يجري الآن إطلاق عمليَّة تطبيع مع الصّليبيّين والمُستَعمرين الأمريكان في بلاد المُسلِمِين، وهو تطبيع أشد خطراً بكثير من مسألة التطبيع مع إسرائيل والصّهيونيّة، حيث تتشعب مكوّنات هذه الظَّاهِرة اليَوْم في كافّة مجالات الحياة والنَّشَاطات السّياسيّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والعلمية والرِّيَاضية، وغير ذلك، مشاريع معلنة كثيرة وأخرى بأغطية شتّى ومن ذلك:

- **في المجال السّياسيّ:** العمل عَلى إنشاء مراكز ومؤسسات بإشرافهم مباشرة، في بلادنا وفي أمريكا، من أجل تخريج النخب السّياسيّة والفكريّة الّتي تحمل مشروعهم، لتقوم عَلى تلك المشاريع في غضون السَنَوات العشر القادمة للوصول لمراكز القرار والقيادة.

- **في مجال الاقتصاديّ:** مشاريع مشتركة (أمريكية - محليَّة) يقوم عليها رجال أعمال أمريكان ومؤسسات عملاقة ويشاركهم فيها رجال أعمال محليون وتجار وسماسرة.

- **في المجال العلمي:** إنشاء جامعات ومعاهد ومراكز بحث علمي (من قبيل ما أنشؤوه قبل فترة في (وادي عربة)، بالتّعاون مع الحكومة الأردنية والمؤسسات العلمية فيها وهو مشروع بين أمريكا وإسرائيل والأردن.
- **في المجال الثقافي:** إنشاء الكثير من المراكز الثَّقافيَّة والفنية والرِّيَاضية وغيرها من وجوه النَّشَاط الثقافي بإشراف أمريكي ومشاركة محليَّة.
- **في المجال الاجتماعي:** نشر الكثير من المؤسسات تحت غطاء ومساعدات اجتماعيَّة ومراكز توعية تحت مزاعم الحريات، والأقليات، وحرية المرأة، ورعاية الطفولة، ونشر الدِّيمقراطيَّة، والمؤسسات الصحية...الخ.

وهذا الغزو الخطير الهائل أشد خطراً في تدمير الأُمّة وتفكيك مكوّناتها، من حملات (شوارزكوف، وفرانكس، وجون أبي زيد..)، وأساطيلهم العسكريّة.

وعلى المُجَاهدين والمقاومين استهداف هذه الأهداف كلها ونسفها وتصفية إداراتها الأجنبيّة، وكبار العاملين عليها محلياً، والانتباه جداً إلى تحاشي سفك دماء المُسلِمِين من روادها، وحتى العاملين فيها لأن أكثريتهم من المُسلِمِين الجهال بأهدافها ومقاصدها.

ويجب أن يرافق المجهود الحَربي في مُوَاجَهة مراكز التطبيع الصّهيونيّ والصّليبيّ، مجهود في التوعية يقوم به العُلَماء والدعاة بشكل مرادف لعمل خلايا المُقاوَمة في تدمير هذه الأهداف.

- **المادّة ٣٥:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة أن الأحكام الشَّرعيَّة للديار، هيَ كما بينها الفقهاء، عَلى ثلاثة أقسام:

أ- ديار الإِسْلَام: وهي البلاد الّتي تحكمها الشّريعة الإِسْلَاميّة.

ب- ديار الكفر: وهي البلاد الّتي تحكمها شرائع الكفر ولا تحكم بما أنزل الله.

ج- الحالة الخاصّة: وهي ديار الإِسْلَام الّتي غلب عليها حكم الكفّار، بعد أن كانت دار إسلام، ومازال أهلها مسلمون.

وعليه فإن الدِّيَار تنقسم في واقع العالم اليَوْم إلى أربعة أقسام بناءً ذلك:

١- ديار إسلام أهلها مُسلِمِين:

وهي البلاد الّتي تحكمها شريعة الله وأكثر أهلها مسلمون، وهذا الصنف غير موجود اليَوْم وسيقوم قريباً بإذن الله.

٢- ديار إسلام أهلها كافرون:

وهي البلاد الّتي تحكمها شريعة الله وأكثر أهلها غير مُسلِمِين، وهي كالبلاد الّتي فتحها المُسلِمُون الأوائل ولم يدخل أهلها في الإِسْلَام.

٣- ديار كفر أهلها مسلمون:

مثل حال جميع بلاد المُسلِمِين الّتي تحكمها الأنظمة المرتدّة اليَوْم بقوانين الكفر، والمسلمون أكثرية شعوبها.

٤- ديار كفر أهلها كافرون:

مثل عموم بلاد الدُّنيَا غير بلاد العالم الإِسْلَاميّ اليَوْم.

ويترتب عَلى هذا اليَوْم أحكام شرعيّة كثيرة تجب معرفتها، نظراً لغياب الكيان السّياسيّ للمسلمين وعدم وجود الإِمَام المسلم، ومن أهمّ تلك الأحكام:

- أ - **للمسلم في أي من تلك الدِّيَار، في كلّ مكان ؛ حصانة الدَّم والمال والعرض** بشهادته أن (**لاإله إلا الله محمّد رسول الله**)، لا تخفز ذمته ولا يعتدي عليه.
- ب - **يجب العمل عَلى نصب الإِمَام المسلم في ديار المُسلِمِين** وطاعته في المعروف حيث وجد.
- ج - **ليس للحكام بغير ما أنزل الله في ديار المُسلِمِين اليَوْم أي شرعيّة وأي طاعة** وأي ذمة أوأمان، ويحرم التّعاون معهم وجباية الأموال إليهم طوعاً، ويجب التقرب إلى الله بعصيانهم، والعمل عَلى خلعهم، واستبدالهم بالإمام المسلم حيث أمكن ذلك، وتوفرت القدرة علية.
- **المادّة ٣٦:**

تعتبر دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة إقامة المسلم في بلاد الكفّار، وبين ظهراني المشركين محرمة إلا لضرورة، وقد جاءت نصوص السنة الصَّحِيحة الصريحة المفصلة بالنهي عن ذلك.

ففي الحديث الحسن الّذي رواه أبو داوود عن سمرة مرفوعا: «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ»(١)، وفي الحديث الحسن الّذي رواه النسائي: «لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ يُشْرِكُ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا، أَوْ يُفَارِقُ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ»(٢).

وعن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «بَرِئَتِ الذِّمَّةُ مِمَّنْ أَقَامَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي دِيَارِهِمْ»(٣).

وقد ترتب عَلى إقامة الْمُسلِمِين هناك مفاسد عظيمة عليهم في دينهم ودين ذراريهم، واليوم تشتعل الحَرب الصّليبيّة، وتجاهد سَرايا المقاومين الْمُجَاهدين في سبيل الله جُيُوش الصّليبيّين في بلادنا، وتصل عمليَّاتها إلى بلادهم، وقد ترتب عَلى هذا ردود فعل من تلك المجمعات أدت إلى ظلم الْمُسلِمِين وتعرضهم للفتنة في دينهم ومظاهره وحجاب نسائهم، وقد صار بعض الْمُسلِمِين يميلون إلى ترك أساسِيَّات من دينهم خوفاً من الكفّار، ويظهرون موالاتهم لهم، والبَرَاءة من الْمُجَاهدين في سبيل الله، وبناء عَلى ذلك:

تدعو دعوة الْمُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة الْمُسلِمِين المقيمين في بلاد الغرب وديار الكفر والكافرين إلى أمرين اثنين:

أولاً: الهِجرَة من بلاد الكفر والشرك إلى بلاد الْمُسلِمِين، ولو أدى ذلك إلى خسارة في الأمور الدنيوية، والتعرض لظلم حُكُومَات الرِّدَّة، فإن مصلحة حفظ الدّين ودين الأبناء، مقدمة عَلى حفظ الدُّنيَا ورفاه العيش، لمن لم يكن مضطرا أمنيّاً لذلك.

ثانياً: تذكر دعوة الْمُقاوَمة كلّ مسلم مقيم في ديار الغرب **وحتى من أهلها الأصليين**، بأن فريضة **جِهَاد** حُكُومَات تلك الدّول الكافرة الغازية الداخلة في حلف الأمريكان واليَهُوْد، هو **فرض عين عليه**، مثله مثل كلّ مسلم في كلّ مكان، وأداؤه أسهل عليه من الْمُجَاهدين غير المقيمين الّذين يقصدون تلك البلاد لردع حُكُومَاتها عن العدوان عن الْمُسلِمِين، فعليهم مقاومة تلك الحُكُومَات وجِهَادها وضرب

(١) رواه أبو داود (٢٧٨٧) وضعف إسناده الأرنؤوط، وصححه الألباني.

(٢) رواه النسائي (٢٤٣٦) وابن ماجة (٢٥٣٦) وأحمد (٢٠٠١١، ٢٠٠٣٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٢٦٢) والبيهقي في الكبرى (١٧٧٥٠) وحسنه الألباني: صحيح الجامع (٢٨١٨).

مصالحها واستهداف حكامها وقواها السّياسيّة والاقتصاديَّة، بضوابط أحكام الشّريعة والتميز بين من يستحق الاستهداف ومن لايستحقه.

ونكرر لهم النذير، إن كلّ مسلم مسؤول أمام ربه عن دينه ودين عياله، وحفظ أنفسهم وأعراضهم فالسَّلامة السَّلامة، والنجاة النجاة، فلا توردوا أنفسكم موارد الهلاك.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥﴾ [الزمر].

انتهى.

****

ثالثاً: تفاصيل وأدلة شرعيّة في بعض النقاط الأساسيّة للعَقِيْدَة الجهاديّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

- أولاً: بلاد الإِسْلَام اليَوْم في حالة احتلال مباشر أو غير مباشر من قبل الأَعدَاء، وجِهَادهم فرض عين عَلى المُسلِمِين بالإجماع.
- ثانيا: حُكُومَات بلاد المُسلِمِين اليَوْم مرتدة كافرة لتبديلها الشرائع وحكمها بغير ما أنزل الله، وولائها للكفار وخيانتها لله ورسوله والمُؤمِنِين.
- ثالثا: الخروج عَلى الحاكم إن ارتد عن الإِسْلَام أو كانَ كافرا فرض عَلى المُسلِمِين بالإجماع.
- رابعا: أحكام الشّريعة الإِسْلَاميّة تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون مع الكفّار وأعانهم عَلى المُسلِمِين وتوجب قتاله.
- خامسا: أحكام الشّريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصّائل عَلى دين المُسلِمِين أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم، حتَّى ولو كانَ مسلما.
- سادسا: أحكام الشّريعة تقرر حرمة دماء وأموال وأعراض المُسلِمِين، وتقرر أن جميع أشكال تواجد المعتدين الكفّار (دماءهم وأموالهم) في كلّ مكان حلال هدر للمسلمين.
- سابعا: وجوب نصرة المُسلِمِين في الدّين إن اعتدى الكفّار عليهم بصرف النَّظر عما تلبسوا به من المعاصي والنقائص، والجِهَاد المشروع قائم مع كلّ بر وفاجر من أئمة المُسلِمِين وعامتهم.
- ثامنا: مسألة الدِّيمقراطيَّة وتجارب حركات الصّحوة الإِسْلَاميّة فيها.
- تاسعا: مسألة الخلاف العقدي والمذهبي ضمن أهل السّنّة.
- عاشرا: مسالة (التَّكفِير)، أحكام التَّكفِير العامّة، وقضية تكفير المعين.

ولنتناول هذه الأحكام بشيء من التفصيل في أدلتها:

أولا: بلاد الإِسْلَام في حالة احتلال وعدوان وغزو من قبل الأعدَاء، وجِهَاد الغُزَاة اليَوْم فرض عين علىَ المُسلِمِين بالإجماع:

كما أثبتنا في الفَصل الأوّل تحت عنوان (واقع المُسلِمِين اليَوْم) فإنه قد صار من المسلم به اليَوْم لدى كلّ عاقل مبصر، أن بلادنا كلها من أقصاها إلى أقصاها محتلة إما مباشرة من قبل الأَعدَاء، وإما بالنيابة

من قبل نوابهم المرتدّين، مع تواجد عسكريّ كثيف للصليبيين بانتشار قواعدهم في جميع أرجائها، مع احتلال اقتصادي كامل عبر سيطرة الاحتكارات الاقتصاديَّة، وبانتشار شبكات استخباراتهم ومراكزهم الأمنيّة.

وهاهي أمريكا اليَوْم تعيد احتلال العالم الإِسْلَاميّ من جديد جهارا نهارا، فقد احتلت أفغانستان مباشرة، وبسطت سيطرتها عَلى باكستان ووسط آسيا، وهاهي قد احتلت العراق، ووزعت مئات آلاف الجنود في جَزِيرَة العَرَب وتركيا وجنوب الشّام فضلا عن ما تنشره في مصر والقرن الإفريقي وشمال أفريقيا وما حول هذه المناطق من بحار، وهاهو بوش يعلن أنه يقود عَلى بلاد المُسلِمِين حملة صليبيّة ومعه حلفائه في حلف النّاتو من البلاد الأوروبية بالإضافة للحليف الرَّئيسي (إسرائيل) الّتي تحتل فِلَسطِين، وتستعد لهدم المَسجِد الأقصى وطرد من تبقى فيها من المُسلِمِين.

فما حكم الشّريعة في مثل هذه الأحوال؟ وماذا تفرض أحكام الدّين عَلى كلّ مسلم تجاهها؟

الجِهَاد عبادة وفريضة، فرضها الله عَلى المُسلِمِين، وهي ثابتة بتواتر الآيات في كتاب الله والأحاديث في سنة رسول الله ﷺ بما يغني عن إيراد الشواهد هنا، فهي أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر.

جاء في كتاب (الدّفاع عن أراضي المُسلِمِين أهمّ فروض الأعيان) للشيخ المُجَاهد الشّهيد عبدالله عزام شيخ المُجَاهدين العَرَب في أفغانستان أيّام جِهَاد الرُّوس رحمه الله ما نقتطف منه ما يلي:

(وجِهَاد الكفّار نوعان:

١- جِهَاد الطلب (طلب الكفّار في بلادهم) بحيث يكون الكفّار، لا يحتشدون لقتال المُسلِمِين، فالقتال فرض كفاية، وأقل فرض الكفاية سد الثُّغُور بالمُؤمِنِين لإرهاب أعداء الله...الخ.) ثمّ قَالَ رحمه الله وهو مكان الشاهد:

٢- جِهَاد الدَّفع (دفع الكفّار من بلادنا) وهذا يكون فرض عين، بل أهمّ فروض الأعيان، ويتعين في حالات:

أولاً: إذا دخل الكفّار بلدة من بلاد المُسلِمِين.

ثانياً: إذا التقى الصفان وتقابل الزَّحفان.

ثالثاً: إذ استنفر الإِمَام أفرادا أو قوما وجب عليهم النَّفِير.

رابعاً: إذا أسر الكفّار مجموعة من المُسلِمِين).

ثمّ تحدث الشَّيْخ عبدالله ﷺ عن الحالة الأولى وهي نزول الكفّار في أرض من أراضي المُسلِمِين فقال:

(ففي هذه الحالة اتفق السَّلَف والخلف وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدثون والمفسرون في جميع العصور الإِسْلَاميّة إطلاقا، أن الجِهَاد في هذه الحالة يصبح فرض عين عَلى أهل هذه البلدة الّتي هاجمها الكفّار، وعلى من قرب منهم، بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه، فإن لم يكف أهل تلك البلدة أو قصروا، أو تكاسلوا، أو قعدوا، يتوسع فرض العين عَلى شكل دوائر، الأقرب فالأقرب، فإن لم يكفوا أو قصروا، فعلى من يليهم ثمّ من يليهم، حتَّى يعم فرض العين الأرض كلها).

ثمّ أوجز الشَّيْخ ﷺ مختصر الأدِلَّة عَلى ذلك عند مذاهب أهل السّنّة وعلمائهم فقال:

أولاً: فُقَهَاء الحنفية:

قَالَ ابن عابدين في حاشيته: [**وَفَرْضُ عَيْنٍ إنْ هَجَم العدوُّ عَلَى ثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ، فَيَصِيرُ فَرْضَ عَيْنٍ عَلَى مَنْ قَرُبَ مِنْهُمْ، فَأَمَّا مَنْ وَرَاءَهُمْ بِبُعْدٍ مِنْ الْعَدُوِّ فَهُوَ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَسَعُهُمْ تَرْكُهُ إذَا لَمْ يُحْتَجْ إلَيْهِمْ فَإِنْ أُحْتِيجَ إلَيْهِمْ بِأَنْ عَجزَ مَنْ كَانَ يَقْرُبُ مِنْ الْعَدُوِّ عَنْ الْمُقَاوَمَةِ مَعَ الْعَدُوِّ أَوْ لَمْ يَعْجِزُوا عَنْهَا، لَكِنَّهُمْ تَكَاسَلُوا وَلَمْ يُجَاهِدُوا فَإِنَّهُ يُفْتَرَضُ عَلَى مَنْ يَلِيهِمْ فَرْضَ عَيْنٍ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، لَا يَسَعُهُمْ تَرْكُهُ ثُمَّ وَثُمَّ إلَى أَنْ يُفْتَرَضَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ شَرْقًا وَغَرْبًا عَلَى هَذَا التَّدْرِيجِ**][1] إهـ.

وبمثل هذا أفتى الكاساني في بدائع الصنائع[2]، وكذلك ابن نجيم في البحر الرائق[3]، وكذلك ابن الهمام في فتح القدير[4] من أئمة الأحناف.

ثانياً: عند المالكية:

---

(١) حاشية بن عابدين (٤/ ١٢٤).

(٢) بدائع الصنائع (٧/ ٩٧).

(٣) البحر الرائق (٥/ ٧٨).

(٤) فتح القدير (٥/ ٤٤٢).

جاء في حاشية الدسوقي، الجزء الثّاني ص ١٧٤ : [ويتعين الجِهَاد بِفَجْءِ الْعَدُوِّ: أي تَوَجَّهَ الدَّفْعُ بفجئ (أي مفاجأة) عَلَى كلّ واحد وإن امرأة أو عبداً أو صبياً، وَيَخْرُجُونَ وَلَوْ مَنَعَهُمْ الْوَلِيُّ وَالزَّوْجُ وَالسَّيِّدُ وَرَبُّ الدَّيْنِ].

ثالثاً: عند الشّافعية:

جاء في نهاية المحتاج للرملي، في الجزء الثَّامن الصفحة ٥٩ : [فَإِنْ دَخَلُوا بَلْدَةً لَنَا أَوْ صَارَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَنَا دُونَ مَسَافَةِ الْقَصْرِ، فَيَلْزَمُ أَهْلَهَا الدَّفْعُ، حَتَّى عَلَى مَنْ لَا جِهَادَ عَلَيْهِ مِنْ فَقِيرٍ وَوَلَدٍ وَمَدِينٍ وَعَبْدٍ وَامْرَأَةٍ].

رابعاً: عند الحنابلة:

جاء في المغني لابن قدامة[1]: [وَيَتَعَيَّنُ الْجِهَادُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ:

١. إذَا الْتَقَى الزَّحْفَانِ، وَتَقَابَلَ الصَّفَّانِ.
٢. إذَا نَزَلَ الْكُفَّارُ بِبَلَدٍ، تَعَيَّنَ عَلَى أَهْلِهِ قِتَالُهُمْ وَدَفْعُهُمْ.
٣. إذَا اسْتَنْفَرَ الْإِمَامُ قَوْمًا لَزِمَهُمْ النَّفِيرُ مَعَهُ].

يقول شيخ الإِسْلَام ابن تَيمِيّة: (وَأَمَّا قِتَالُ الدَّفْعِ فَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ دَفْعِ الصَّائِلِ عَنْ الْحُرْمَةِ وَالدِّينِ فَوَاجِبٌ إجْمَاعًا فَالْعَدُوُّ الصَّائِلُ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لَا شَيْءَ أَوْجَبَ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ دَفْعِهِ فَلَا يُشْتَرَطُ لَهُ شَرْطٌ بَلْ يُدْفَعُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ أَصْحَابُنَا وَغَيْرُهُمْ)[2].

ويقول ابن تَيمِيّة : (وَإِذَا دَخَلَ الْعَدُوُّ بِلَادَ الْإِسْلَامِ فَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَجِبُ دَفْعُهُ عَلَى الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ إذْ بِلَادُ الْإِسْلَامِ كُلُّهَا بِمَنْزِلَةِ الْبَلْدَةِ الْوَاحِدَةِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ النَّفِيرُ إلَيْهِ بِلَا إذْنِ وَالِدٍ وَلَا غَرِيمٍ، وَنُصُوصُ أَحْمَدَ صَرِيحَةٌ بِهَذَا)[3].

ثمّ أضاف الشَّيْخ عبدالله عزام إثر هذه الأدِلَّة قوله: [وهذا يعرف بالنَّفِير العام ثمّ قَالَ وأدلة النَّفِير العام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة].

---

(١) المغني لابن قدامة (٩/ ١٩٧).

(٢) الفتاوى الكبرى (٥/ ٥٣٨).

(٣) المرجع السابق.

وقد جاءت الآية قبلها ترتب العذاب والاستبدال جزاءً لترك النَّفِير، ولا عذاب إلا عَلى ترك واجب أو فعل حرام، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة].

قَالَ ابن كثير ﵀: [أمر الله تَعَالَى بالنَّفِير العام مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الرُّوم الكفرة من أهل الكتاب وقد بوَّب البُخَارِيّ ﵀: "باب وجوب النَّفِير وما يجب من الجِهَاد والنِّيَّة" وأورد هذه الآية، وكان النَّفِير العام بسبب أنَّه ترامى إلى أسماع المُسلِمِين أنَّ الرُّوم يعدُون عَلى تخوم الجَزِيرَة لغزوِ المدينة، فكيف إذا دخل الكفّار بلاد المُسلِمِين، أفلا يكون النَّفِير أولى؟ قَالَ أبو طلحة ﵁ في معنى قوله تَعَالَى: ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، كهولاً وشبابًا ما سمع اللهُ عذر أحد][1] وقال الحسن البصريّ: "في العسر واليسر".

ويقول ابن تَيمِيّة في الجزء ٢٨ ص ٣٥٨: [**فَأَمَّا إذَا أَرَادَ الْعَدُوُّ الْهُجُومَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ يَصِيرُ دَفْعُهُ وَاجِبًا عَلَى الْمَقْصُودِينَ كُلِّهِمْ وَعَلَى غَيْرِ الْمَقْصُودِينَ؛ لِإِعَانَتِهِمْ كَمَا** قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ﴾ [الأنفال: ٧٢] **وَكَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِنَصْرِ الْمُسْلِمِ وَسَوَاءٌ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ الْمُرْتَزِقَةِ لِلْقِتَالِ أَوْ لَمْ يَكُنْ، وَهَذَا يَجِبُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ مَعَ الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ وَالْمَشْيِ وَالرُّكُوبِ كَمَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَمَّا قَصَدَهُمْ الْعَدُوُّ عَامَ الْخَنْدَقِ لَمْ يَأْذَنْ الله فِي تَرْكِهِ لِأَحَدٍ**] وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: خَرَجَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ إِلَى الْغَزْوِ وَقَدْ ذَهَبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ عَلِيلٌ، فَقَالَ: (اسْتَنْفَرَ الله الْخَفِيفَ وَالثَّقِيلَ، فَإِنْ لَمْ يُمْكِنِّي الْحَرْبُ كَثَّرْتُ السَّوَادَ وَحَفِظْتُ الْمَتَاعَ)[2].

ثمّ يتابع الشَّيْخ عبدالله عزام ﵀ أدِلّة النَّفِير العام فيقول:

١. **ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة]، قَالَ ابن العربيّ:" كافّة" يعنى محيطين بهم من كلّ جانب وحالة.[3]

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني: (٢/ ١٤٤).

(٢) القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: (٨ / ١٥٠).

(٣) رواه القرطبي في الجامع: (٨ / ١٣٦).

٢. ويقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] الْفِتْنَةُ هي الشِّرْكُ، كما قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالسُّدِّيُّ[١]، وعند هجوم الكفّار، واستيلائهم عَلى الدِّيَار فالأُمّة مهدّدة في دينها، وعرضة للشكّ في عقيدتها، فيجب القِتَال لحماية الدّين والنّفس والعرض والمال.

قَالَ ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»[٢] فيجب النَّفِير إذا استنفرت الأُمّة، وفي حالة هجوم الكفّار فالأُمّة مستنفرة لحماية دينها، ومدار الواجب عَلى حاجة المُسلِمِين واستنفار الإِمَام، كما قَالَ ابن حجر في شرح هذا الحديث، جاء في فتح الباري (الجزء٦- ص٣٩)، قَالَ القرطبيّ: (**كلّ مَن عَلِمَ بضعف المُسلِمِينَ عن عدوّهم وعلمَ أنَّه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضاً الخروج إليهم**)، قَالَ الإِمَام الجصاص في أحكام القرآن[٣]: (**وَلَا نَعْلَمُ خِلَافًا أَنَّ رَجُلًا لَوْ شَهَرَ سَيْفَهُ عَلَى رَجُلٍ لِيَقْتُلَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ أَنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَتْلَهُ**)، وفي هذه الحالة – الصِّيال – إذا قتل الصّائل فهو في النَّار ولو كانَ مسلمًا، وإذا قتل العادل فهو شهيدٌ، هذا حكم الصّائل، فكيف إذا صال الكفّار عَلى أرض المُسلِمِين، حيث يتعرَّض الدّين والعرض والنّفس والمال للذَّهاب والزَّوال؟! ألا يجب في هذه الحالة عَلى المُسلِمين دفع الصّائل الكافر والدّولة الكافرة.

٣. **قتال الفئة الباغية: يقول الله عَزَّ وَجَلَّ** ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات]، فإذا فرض الله علينا قتال الفئة الباغية المسلمة حفاظاً عَلى وحدةِ كلمةِ المُسلِمِينَ وحمايةِ دينها وأعراضها وأموالها، فكيف يكونُ الحكمُ في قتالِ الدّول الكافرة الباغية؟ أليس هذا أولى وأجدر.

٤. **حدُّ الحرابة: قَالَ تَعَالَى:** ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ

---

(١) ذكره القرطبي في الجامع: (٢/ ٢٥٤).

(٢) رواه البُخَارِيّ (١٨٣٤) ومسلم (١٣٥٣) وأصحاب السنن.

(٣) أحكام القرآن للجصاص: (٤/ ٤٦).



﴿فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٣٣﴾ [المائدة]، هذا حكم المحاربين من المُسلِمِين الّذين يخيفون عامَّة المُسلِمِينَ ويُفسدون في الأرضِ ويعبثون بأموالِ النّاس وأعراضهم، فكيف بالدّول الكافرة الّتي تُفسِدُ عَلى النّاسِ دينَهم ومالَهم وعرضَهم، أليسَ قتالها أوجب عَلى المُسلِمِين وأحرى؟!

هذه بعض الأدِلَّة والمبرِّرات للنَّفير العام، إذا دخل الكفّار أرض المُسلِمِين، أن دفع العدوّ الكافر هو أوجب الواجبات بعد الإيمان]، انتهى النقل عن كتاب الدّفاع عن أراضي المُسلِمِين، باختصارٍ طفيف.

وأقول: فإذا تأملنا أحوال المُسلِمِين اليَوْم، لوجدنا أن الجِهَاد قد تعين عليهم من الوجوه الأربعة، في كلّ الأرض، وأوضح وجوه فرضيته هو البَاب الأوّل (وهو نزول الأَعدَاء في أكثر بلاد المُسلِمِين).

فما من بلد من بلاد المُسلِمِين اليَوْم، إلا وهو محتل من قبل أنواع الكفّار، من اليَهُوْد كبلاد فِلَسطِين وأجزاء من بلاد الشّام، أو من قبل الصّليبيّن، كبلاد البوسنة والبلقان، والشِّيشَان والقفقاس، والجمهوريّات الإِسْلَاميّة في وسط آسيا والفلبين...وغيرها، أو من قبل الوثنيين مثل كشمير الّتي يحتلها الهندوس وتركستان الشرقية وأجزاء من جنوب شرق آسيا الّتي تحتلها الصين، وغير ذلك.

وكل هذه البلاد قد عجز أهلها ومن جاورهم، ثمّ من جاورهم، ثمّ جميع من تلاهم وجاورهم، عجزوا أو تكاسلوا أو فرطوا، فعمت الفريضة العينية بالجِهَاد كلّ أهل الإِسْلَام،

وأما باقي البلاد الإِسْلَاميّة والعربيَّة، بما فيها عقر دار الإِسْلَام وكعبتهم، ومسجد نبيهم ﷺ، فمحتلة بصورة غير مباشرة من قبل الصّليبيّن واليَهُوْد، بنيابة الحكَّام المرتدّين، وأعوانهم المُنَافِقِين الّذين وضعوا جُيُوشهم في خدمة الكفّار، بزعامة أمريكا وسيدتها إسرائيل وحلفائهم الصّليبيّن، الّذين ملؤوا البلاد بالقواعد العسكريّة البرية والبحرية والجوية، واحتلوا البلاد بهذه الطَّريقة الحديثة، بتجميع قوَّاتهم فيها في قواعد مركزة، بدل نشرها، واكتفوا بنشر المرتدّين لجُيُوشهم من المُنَافِقِين والجهال والمكرهين والضائعين، الّذين يقومون بدور المحتل بالنيابة، حيث يخرج الصّليبيّون قوَّاتهم من مراكزها وقت الحاجة، ويكفى أن نعلم أن لأمريكا وحلفائهم الصّليبيّن فوق أرض جَزِيرَة العَرَب أكثر من مائتي ألف جندي، وسلاحا وعتادا مخزّنا يكفي لمليون جندي، يمكن نقلهم خلال أسابيع وقت الحاجة، وبهذه الطَّريقة الخبيثة، بتجميع القوَّات في قواعد مركزية، والاعتماد عَلى قوّات المرتدّين في الخدمات التفصيلية،

يتفادى المحتلون الجدد استفزاز المُسلِمِين للجِهَاد، ويسمحون للحكام المرتدّين بادعاء الإستقلال، ولعلماء السّلاطين بصرف النّاس عن الجِهَاد ودعوتهم لطاعة أولياء الأمور المرتدّين!

فالمآل واحد، فالبلاد محتلة، والثّروات منهوبة، والكافرون يسومون المُؤمِنِين ألوان الذّلّ والهوان عَلى أيدي أعوان المرتدّين، وشريعة الله معطلة، وكلمة الكفّار هيَ العليا، والصّالحون نزلاء السّجون وأقبية التعذيب، والناظر في أحوال بلاد الحرمين والشّام ومصر وشمال أفريقيا وتركيا والباكستان وأفريقيا وأسبابها يرى ذلك بأوضح صوره.

وأما إذا جئنا للبند الثّاني من فريضة الجِهَاد العيني، وهي (التقاء صف المُؤمِنِين بصف الكافرين)، لوجدناها متحققة في كلّ بلاد المُسلِمِين بأشرس صورها، ولكن بصورة خبيثة أيضا، فقد نشر الكافرون الصّليبيّون، والكفار المرتدّون، قوّاتهم ورصوا صفوفهم وأكدوا حضورهم في كلّ شبر من بلاد المُسلِمِين، عبر مئات الآلاف من الجيش والشّرطة والإستخبارات ورجال الأمن والجواسيس والمخبرين، ناهيك عمن ذكرنا من آلاف الجنود الصّليبيّين المجمعين في مراكزهم وقواعدهم العسكريّة في كلّ بلد، بحيث أنه ما من مسلم يقف موقف الدّفاع عن دينه والالتزام به والدّفاع عن قضايا أمته، إلا وتخطفته أيدي تلك العساكر وترصدته عيون أولئك الجواسيس!! فهل التقى صف الكافرين بصف المُؤمِنِين أم ليس بعد؟ أم يحتاج مَشَايخنا حتَّى يبصروا ذلك ويفتون به، أن يتجمع كلّ أولئك العساكر والمخابرات والجواسيس في صف واحد أمام المساجد وأمام أبوب بيوتهم؟!

وأما إذا جئنا إلى البند الثّالث وهو (استنفار الإِمَام) فلله المشتكى وله الحمد عَلى كلّ حال، فليس للمسلمين عَلى وجه الأرض اليَوْم إمام شَرعِيّ واحد، وما فيهم اليَوْم إلا محارب لله ورسوله ساع في الأرض الفساد، فكلهم معتمد عَلى ألوان الكفّار من اليَهُوْد الصّليبيّين والوثنيين، ومن اشترى ذمتهم من المُنَافِقِين، فليس هناك إمام شَرعِيّ يستنفر للجِهَاد، بل هناك أئمة الكفر والردة يستنفرون الأراذل عَلى المُؤمِنِين!! فهل سقط الجِهَاد لغياب الإِمَام الشَّرعيّ؟! فمن يدفع الصّائل اذن؟

والحقيقة أن حجة الله قد قامت عَلى عباده المُسلِمِين في أكثر بلاد الدُّنيَا، فما من بلد من بلاد المُسلِمِين إلا وقام فيه دعاة للهدى، من علماء عاملين، أو دعاة صادقين أو أمراء جِهَاد مخلصين، دعوا النّاس للجِهَاد والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، واستنفروهم، وحتى لو خلا بلد من البلاد عن مثل هَؤُلَاءِ



الأئمة، وأمراء الجِهَاد الصّالحين، عَلَى فرض ذلك، فأمة الإِسْلَام واحدة، ولا إعتبار من وجهة نظر الإِسْلَام للحدود الّتي رسمها الصّليبيّون بين بلادنا، وما اخترعوه من جنسيات وتابعيات وأعلام وجوازات سفر، فأمة الإِسْلَام واحدة وتبقى واحدة، ولم تخل عن أمراء جِهَاد دعوا المُسلِمِين واستنفروهم، وعلى المُسلِمِين إجابتهم والنَّفِير معهم لدفع الصّائل، ومن أمثال هَؤُلَاءِ وقت غزو الرُّوس لأفغانستان الشَّيْخ عبدالله عزام رحمه الله، ومن وقف معه في الدّعوة للنفير العام بالجِهَاد من علماء باكستان وأفغانستان وغيرهم، ومنهم كافّة شيوخ وأمراء الجماعات والدعوات الجهاديّة في مختلف البلاد الإِسْلَاميّة، ومن هَؤُلَاءِ اليَوْم الشَّيْخ أُسَامَة بن لادن حفظه الله، الّذي يستنفر المُسلِمِين لجِهَاد الأمريكان واليَهُوْد اليَوْم، ومثله العديد من العُلَماء ودعاة الجِهَاد ضدهم من بلاد العَرَب والعجم في العراق والشِّيشَان وفلسطين والفلبين وإندونيسيا وغيرها، وعلى المُسلِمِين إجابتهم للنفير.

وأما إذا جئنا للوجه الرَّابع من فريضة الجِهَاد العينية وهو (إذا أسر العدوّ بعض المُسلِمِين)، فماذا نقول؟ وماذا نعيد؟ وأين نعد؟ وماذا نزيد؟

- فأسرى الشَّبَاب المسلم المخطوف من مختلف بلاد الدُّنيَا إلى سجن غوانتانامو الأمريكيّ المخزي قد جاوز اليَوْم ٧٠٠ أسير من مختلف الجنسيات بحسب المصادر الأمريكيّة ذاتها، ومثل هذا العدد في السّجون الأمريكيّة في أفغانستان وباكستان.
- وأكثر من هذا العدد مجموع أسرى الشَّبَاب المسلم في سجون أوروبّا الغربيّة(بَرِيطَانيَا- فرنسا- أسبانيا- ألمانيا- بلجيكا-إيطاليا-...).
- (وأما في روسيا فبالآلاف، وقل مثلها في كشمير والفلبين وإرتريا وبلاد إفريقيا، وبلاد وسط آسيا وبلاد التركستان..).
- وأما سجون طغاة بلاد العَرَب والمُسلِمِين من أمثال حُكَّام السّعُودِيّة ومصر وبلاد الشّام وشمال أفريقيا وتركيا والباكستان، فالأرقام المنشورة عبر منظمات حقوق الإنسان، وتقارير منظّمة العفو الدّولية تذهب إلى عشرات الآلاف في البلد الواحد أحيانا!! فلا شَّكَّ أن الأرقام عن أسرى الشَّبَاب المسلم في تلك البلاد يجاوز مئات الآلاف!! وهذه حقيقة موثقة وليست مبالغات موهومة.

- وأما عن فِلَسطِين فالأخبار العَالَمِيّة تطالعنا في كلّ يوم عن قتل المئات وأسر الآلاف، فقد أسر اليَهُوْد في يوم واحد من أيّام الإنتفاضة أكثر من ألف أسير!

وقد طال الأسر في عموم تلك البلاد النِّسَاء والفتيات وحتى الأطفال.

وأما عن حوادث القتل والتعذيب والاغتصاب وهتك أعراض الرّجال والنِّسَاء، فلا تكاد تخلوا بلد منها!! فهل وجب الجِهَاد أم لم يجب بعد؟! وعلماء المُسلِمِين قد أفتوا بأنه إذا سبيت امرأة مسلمة في المشرق وجب عَلى أهل المغرب تخليصها، وأن عَلى المُسلِمِين إنقاذ أسراهم ولو استنفذوا في ذلك جميع أموالهم.

ولعلّ بعض المُنَافِقين أو بعض الجهال، ينفي حالة الإحتلال عن بعض بلاد المُسلِمِين، ويحرم مقاتلة الغُزَاة بدعوى أنهم قدموا بموجب اتفاقات مع حُكَّام بلاد المُسلِمِين، فينبغي أن نثبت لِهَؤُلَاءِ أن هذا لا يجوز لحاكم مسلم لو كانَ مسلما، وأن نبين لهم أن هَؤُلَاءِ الحكَّام قد فقدوا شرعيتهم بكفرهم وردتهم وخروجهم من ملتنا.

وهو ما ستبينه الفقرة التّالية:

ثانياً: حُكُومَات بلاد المُسلِمِين اليَوْم مرتدة كافرة لتبديلها الشرائع وحكمها بغير ما أنزل الله، وولائها للكفار وخيانتها لله ورسوله والمُؤْمِنِين:

- عندما يشهد كلّ مسلم بلسانه، معتقدا بقلبه قائلا «أشهد أن لَاإِلٰهَ إِلَّا الله وأن محمّدا رسول الله»، فهو يعترف باختصار: بأنه يعتقد أن لا إله يعبد بحق إلا الله، وأنه يعبد هذا الإله الأوحد بمقتضى ما أنزل الله عَلى نبيه محمّد رَسُولُ الله ﷺ.

ولهذه الشَّهَادة الخطيرة مقتضيات يعتبر جحودها قولا أو عملا من مقتضيات الكفر بالله، والخروج من ملة الإِسْلَام والعياذ بالله، وقد غُيبت كثير من هذه المقتضيات عن النّاس حتَّى جهلها الكثيرون، فالحقيقة أن كثيرا من النّاس يعلمون أن لهم رباً ويعتقدون به في قرارة قلوبهم، حتَّى ولو أنكروه أحيانا بلسانهم، ولكن الأقل منهم يعبد هذا الإله، وفي هذه الفقرة نتناول شيئا من محتوى هذه الشَّهَادة بإيجاز، ولمن شاء التفصيل أن يعود للكتب الّتي فصلت في عقائد التّوحيد:

لقد أخبرنا سبحانه أن أكثر المُؤمِنِين به إلها مشركون به ربا، وأن أكثر الكافرين به إلها لا ينكرون ربوبيته، وقد دلنا سبحانه عَلى أن الإيمان به ربا، لا ينفع صاحبه إن لم يعبدوا إلها لا ينكرون ربوبيته، وقد دلنا

سبحانه عَلى أن الإيمان به ربا، لا ينفع صاحبه إن لم يعبدوا إلها ولا يشرك به شيئا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف].

لقد آمن معظم البشر بأن لهم ولهذا الكون ربا قد خلق ورزق وهو يدبر وينعم، وباستثناء حفنة من الملحدين، الشاكّين بإلحادهم ولاسيما في وقت الضيق، فإن معظم بني آدم عَلى مر العصور آمنوا بهذا الرب، ولكن اختلفت مذاهب شركهم وكفرهم به إلها يعبد، فالنّصَارى والمجوس والهندوس واليَهُوْد وسواهم آمنوا بالله ربا، ثمّ كفروا به عبادة، وأشركوا وعبدوا غيره من دونه أو معه، وقد أثبت القرآن للكفار هذا الإيمان به ربا والشرك به إلها فخاطبهم قائلًا: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس]، أي: أفلا تتقون ربكم سبحانه، فتعبدونه ولا تشركوا به كما تفعلون؟! وتكرر هذا السّؤال والإنكار في قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون]، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾؟ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؟ ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾؟ أي كيف تؤمنون ثمّ تشركون؟!

لقد تسرب العديد من أنواع الشرك بالله إلى معتقدات الكثير من المُسلِمِين مع تتالي الأزمان حتَّى وصلنا إلى هذه الأزمنة التعيسة المتأخرة.

ومن ذلك ما حصل من الكثيرين من عبادة غيره من دونه، ومعصيته وإنكار أحكامه مع طاعة غيره وطاعة أحكامهم، وترك ولايته وولاية أوليائه، ثمّ ولاية أعدائه من دون أوليائه.

فكل مسلم يعتقد ويعترف ويدعى الإيمان بأن الله هو الخالق، وأنه هو الرزاق، وأنه هو المحيي، وأنه هو المميت، وأنه الضار النافع، وأنه الخافض الرافع، وأنه الحكم العدل، إلى آخر أسماء الله وصفاته، ولكن كثيرا من المُسلِمِين في واقعهم يتوجهون في جلب النفع ودفع الضر وطلب الرزق، والخوف والرجاء، والتحاكم والتَّشريع، والتحليل والتحريم، عَلى غير ما أمر الله به، إلى البشر من أمثالهم، وخاصة من الحكَّام والكبراء، والأحبار والرهبان والعُلَماء والمَشَايخ، ومن يعتقدون فيهم من الرّجال!

وهذه هيَ حقيقة العِبَادة وحقيقة الطاعة، الّتي تنقض زعمهم الإيمان بالرب الخالق كما يدعون، الرب الّذي لا يتم الإيمان به إلا بملازمة عبادته إلها، وطاعته وحده لا شريك له في أحكامه، تماما كما يجب الإيمان به ربا خالقا رازقا.

إن من أعظم وجوه عبادة الله وطاعته، التزام أحكامه وأوامره ونواهيه وشرائعه وهذا بديهي، فهل ثمة تكذيب أكبر من أن يدعي رجل الإيمان بالله، ثمّ ينكر تشريعاته ويتنقصها ! ويدَّعي عدم صلاحيتها للعصر! وأنها سبب تخلف المُسلِمِين!! ويقدم غيرها من شرائع البشر عليها عمليا! ويحكم النّاس بها ويقهرهم عَلى قوانينها بالقوة!

إن هذه الطاعة لا يتقبلها أحدهم من زوجته، ولا ولده، ولا خادمه ـ ولله المثل الأعلى ـ فهل يقبل ربّ البيت من زوجته ادعاء حبه وهي تطيع غيره وتنفذ أوامر غيره في بيته؟! وهل يقبل من ولده ادعاء طاعته ثمّ يطيع جاره ويعصيه ؟ وهل يقبل من خادمه وعامله الّذي يأكل من رزقه، أن يدعي سيادته، ثمّ يتحرك وفق توجيهات غيره! فهم لا يقبلون ذلك عَلى أنفسهم ولله المثل الأعلى، ولهذا جاءهم الخطاب أفلا تتقون ؟! أفلا تذكرون ؟! فهذا ادعاء بَاطِل وعمل مُنكر.

إن كون الحاكِمِيَّة لله وحده، وأن التَّشريع منه وحده، وأن الطاعة له وحده، وأن الحلال ما أحله الله، وأن الحرام ما حرمه، وأن ما أمر به نافذ، وأن ما نهى عنه يُترك، هيَ أمور من صميم توحيد الألوهية وعبادة الله وحده، وقد أثبت القرآن هٰذا، وأثبت الكفر لمُنكره، كما أثبتته السنة واستقر عليه إجماع هذه الأُمّة، وسادة علمائها وفقهائها عبر الأزمان والعصور، ولا يكون الدّين كله لله في الحقيقة إلا هكذا، والآيات متواترة عَلى هذه المعاني متعاضدة، ومن ذلك قوله تَعَالَى:

- ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف]
- ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام]
- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾[النساء]
- ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد]
- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية]
- ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الشورى: ٢١]

• ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة].

قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره: [﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ أَيْ: فَاحْكُمْ يَا مُحَمَّدُ بَيْنَ النَّاسِ: عَرَبهم وَعَجَمِهِمْ، أُميهم وَكِتَابِيِّهِمْ، ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إِلَيْكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ] ثمّ قَالَ: [﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾: أَيْ: آرَاءَهُمُ الَّتِي اصْطَلَحُوا عَلَيْهَا، وَتَرَكُوا بِسَبَبِهَا مَا أَنْزَلَ الله عَلَى رَسُولِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ أَيْ: لَا تَنْصَرِفْ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي أَمَرَكَ الله بِهِ إِلَى أَهْوَاءِ هؤلاء من الجهلة الأشقياء]، ثمّ قَالَ: وانتبه إلى هذا الأثر العظيم الهام ـ

قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: [وقوله تَعَالَى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ يُنْكِرُ تَعَالَى عَلَى مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ الله الْمُحْكَم الْمُشْتَمِلِ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ، النَّاهِي عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَعَدْلٍ إِلَى مَا سِوَاهُ مِنَ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ وَالِاصْطِلَاحَاتِ، الَّتِي وَضَعَهَا الرِّجَالُ بِلَا مُسْتَنَدٍ مِنْ شَرِيعَةِ الله، كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْكُمُونَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَاتِ وَالْجَهَالَاتِ، مِمَّا يَضَعُونَهَا بِآرَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، وَكَمَا يَحْكُمُ بِهِ التَّتَارُ مِنَ السِّيَاسَاتِ الْمَلَكِيَّةِ الْمَأْخُوذَةِ عَنْ مَلِكِهِمْ (جِنْكِزْخَانَ)، الَّذِي وَضَعَ لَهُمُ (الْيَسَاق) وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كِتَابٍ مَجْمُوعٍ مِنْ أَحْكَامٍ قَدِ اقْتَبَسَهَا عَنْ شَرَائِعَ شَتَّى، مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَفِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْكَامِ أَخَذَهَا مِنْ مُجَرَّدِ نَظَرِهِ وَهَوَاهُ، فَصَارَتْ فِي بَنِيهِ شَرْعًا مُتَّبَعًا، يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِكِتَابِ الله وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قِتَالُهُ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى حُكْمِ الله وَرَسُولِهِ ﷺ فَلَا يُحَكِّمُ سِوَاهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾ أَيْ: يَبْتَغُونَ وَيُرِيدُونَ، وَعَنْ حُكْمِ الله يَعْدِلُونَ ؟ وقوله تَعَالَى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ أَيْ: وَمَنْ أَعْدَلُ مِنَ الله فِي حُكْمِهِ لِمَنْ عَقل عَنِ الله شَرْعَهُ، وَآمَنَ بِهِ وَأَيْقَنَ وَعَلِمَ أَنَّهُ تَعَالَى أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَأَرْحَمُ بِخَلْقِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا، فَإِنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْعَادِلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ] اهـ.[1]

---

(١) تفسير ابن كثير(٣/ ١٢٨-١٣١).

ومما قاله ابن كثير عن (الياسق) في تاريخه (البداية والنهاية)، قَالَ: [**ثُمَّ ذَكَرَ الْجُوَيْنِيُّ نتفا من الياسا مِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ مَنْ زَنَا قُتِلَ، مُحْصَنًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُحْصَنٍ، وَكَذَلِكَ مَنْ لَاطَ قُتِلَ، وَمَنْ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ قُتِلَ، وَمَنْ سَحَرَ قُتِلَ، وَمَنْ تَجَسَّسَ قُتِلَ، وَمَنْ دَخَلَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فَأَعَانَ أَحَدَهُمَا قُتِلَ، وَمَنْ بَالَ فِي الْمَاءِ الْوَاقِفِ قُتِلَ، وَمَنِ انْغَمَسَ فِيهِ قُتِلَ.... وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ مُخَالَفَةٌ لِشَرَائِعِ الله الْمُنَزَّلَةِ عَلَى عِبَادِهِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَمَنْ تَرَكَ الشَّرْعَ الْمُحْكَمَ الْمُنَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الله خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَتَحَاكَمَ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ الْمَنْسُوخَةِ كَفَرَ، فَكَيْفَ بِمَنْ تحاكم إلى الياسا وَقَدَّمَهَا عَلَيْهِ؟ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَفَرَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ] اهـ**[1].

قلت:

و**(الياسا)**: هو دستور ومجموعة قوانين، وضعها جنكيز خان، (الملك التتري) لما اجتاح المشرق، ورأى تعدد الأديان والفلسفات، فوضع بمشاورة المشرعين عنده هذا الدستور، مما استحسنوه بعقولهم ومن وحي تجاربهم، وخلطوها بأحكام من الإِسْلَام والنّصرانية وأديانهم الوثنية.

وهو نفس الفعل الّذي يقوم به اليَوْم حُكَّام المُسلِمِين بمساعدة مشرعيهم وبرلماناتهم، حيث بنوها أساسا عَلى القوانين الفرنسية والإنجليزية، ذات الأصل الرُّوماني، وخلطوا فيها شيئا من الشّريعة الإِسْلَاميّة، وما أملته عليهم أهواؤهم ! ثمّ كتبوا في أعلاها كما في بعض البلاد الإِسْلَاميّة: (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ المصدر الأساسي للتشريع والتقنيين!!) وفي بعض البلاد بخلوا حتَّى بهذه العبارة الشركية الكاذبة.

فإذا كانَ ابن كثير قد نقل إجماع المُسلِمِين عَلى كفر من حكم بالياسا أو سواه من جهالات البشر، فكيف بمن حكم بهذه الشرائع الوضعِيَّة في المُسلِمِين وأجبرهم عليها بقوة وقهر السّلاح!!

ويكفي لكل من أراد أن يطلع عَلى حجم الكفر والفسق والظُّلم، وتبديل الشرائع، واتخاذ آيات الله هزوا، أن يطلع عَلى نسخة من دستور بلاده، والقوانين المعمول بها في المحاكم، والمراسيم التَّشريعية الّتي تصدر عن حكومة بلاده كلّ يوم، وهذه هيَ الحالة في باكستان وكافة بلاد المُسلِمِين، تماما كما أخبر ﷺ فيما روى عنه الإِمَام أحمد: «**لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ**

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ١١٨).

بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ»[١]، فلا شَّكَّ أن من حكّم هذه القوانين كافر يجب قتاله بإجماع المُسلِمِين.

وفي قوله تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء]

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[هَذَا إِنْكَارٌ مِنَ الله، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى مَنْ يَدَّعِي الْإِيمَانَ بِمَا أَنْزَلَ الله عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ الْأَقْدَمِينَ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُرِيدُ التَّحَاكُمَ فِي فَصْلِ الْخُصُومَاتِ إِلَى غَيْرِ كِتَابِ الله وَسُنَّةِ رَسُولِهِ] ثمّ قَالَ: [وَالْآيَةُ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَإِنَّهَا ذَامَّةٌ لِمَنْ عَدَلَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَحَاكَمُوا إِلَى مَا سِوَاهُمَا مِنَ الْبَاطِلِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِالطَّاغُوتِ هَاهُنَا، وَلِهَذَا قَالَ :يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ إلى آخرها][٢] أي كما قَالَ في نفس سورة النِّسَاء بعد بضع آيات في قوله تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء] أي: [إِذَا حَكَّمُوكَ يُطِيعُونَكَ فِي بَوَاطِنِهِمْ فَلَا يَجِدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا حَكَمْتَ بِهِ، وَيَنْقَادُونَ لَهُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فَيُسَلِّمُونَ لِذَلِكَ تَسْلِيمًا كُلِّيًّا مِنْ غَيْرِ مُمَانَعَةٍ وَلَا مُدَافِعَةٍ وَلَا مُنَازِعَةٍ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»[٣]]اهـ[٤].

وفي قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) رواه أحمد (٢٢١٦٠) عن أبي أمامة رضي الله عنه يرفعُه، وصححه الألباني في صَحِيح الْجَامِع: (٥٠٧٥)، وقال الأرنؤوط : إسناده جيد.

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٤٦)

(٣) الحديث ضعّفَ إسنادَه الألبانيّ. وأورده النَّوويّ في الأربعين النّوويّة وقال: حديث صحيح رويناه في كتاب الحجَّة بإسنادٍ صحيح.

(٤) تفسير ابن كثير : (٢/ ٣٤٩)

قَالَ ابن كثير ﵀: [فَهَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا حَكَمَ الله وَرَسُولُهُ بِشَيْءٍ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مُخَالَفَتُهُ، وَلَا اخْتِيَارَ لأحد هنا، ولا رأي ولا قول وَلِهَذَا شَدَّدَ فِي خِلَافِ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ [النور]] اهـ(١).

قَالَ الإِمَام أبو بكر الجصاص ﵀ في تفسير قوله تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ...۝٦٥﴾ [النساء: ٦٥] **الآية السَّابقة: [وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مَنْ رَدَّ شَيْئًا مِنْ أَوَامِرِ الله تَعَالَى أَوْ أَوَامِرِ رَسُولِهِ ﷺ فَهُوَ خَارِجٌ مِنْ الْإِسْلَامِ سَوَاءٌ رَدَّهُ مِنْ جِهَةِ الشَّكِّ فِيهِ أَوْ مِنْ جِهَةِ تَرْكِ الْقَبُولِ وَالِامْتِنَاعِ مِنْ التَّسْلِيمِ وَذَلِكَ يُوجِبُ صِحَّةَ مَا ذَهَبَ إلَيْهِ الصَّحَابَةُ فِي حُكْمِهِمْ بِارْتِدَادِ مَنْ امْتَنَعَ مِنْ أَدَاءِ الزَّكَاةِ]**(٢).

وقال الإِمام ابن تَيميّة ﵀ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾ [النور: ٥١] **قَالَ: [فبيَّنَ سبحانَهُ أنَّ منْ تَوَلَّى عن طاعةِ الرَّسُولِ وأعرضَ عن حكمِهِ فهوَ منَ المُنَافِقِينَ وليسَ بمؤمنٍ، وأنَّ المؤمنَ هوَ الّذي يقولُ سَمِعنَا وأَطَعنَا، فإذا كَانَ النِّفَاقُ يثبتُ ويزول الإيمانُ بمجرّدِ الإعراضِ عن حكمِ الرَّسُولِ وإرادَةِ التّحاكمِ إلى غيرِه مع أنَّ هَذا تركٌ محضٌ، وقد يكونُ سَبَبُهُ قوّة الشّهوةِ فكيفَ بالتنقُّصِ ونحوه]اهـ.**(٣)

- كذلك نقل شيخُ الإِسْلَام اتفاقَ الفُقَهاء فقال: **[وَالْإِنْسَانُ مَتَى حَلَّلَ الْحَرَامَ الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ، أَوْ حَرَّمَ الْحَلَالَ الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ، أَوْ بَدَّلَ الشَّرْعَ الْمُجْمَعَ عَلَيْهِ، كَانَ كَافِرًا مُرْتَدًّا بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ]**(٤).
- وقال ﵀ في الفتاوى: **[وَمَنْ حَكَمَ بِحُكْمٍ مِمَّا يُخَالِفُ شَرْعَ الله وَرَسُولِهِ وَحُكْمَ الله وَرَسُولِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ ذَلِكَ: فَهُوَ مِنْ جِنْسِ التَّتَارِ الَّذِينَ يُقَدِّمُونَ حُكْمَ "الياسق" عَلَى حُكْمِ الله وَرَسُولِهِ]**(٥).

---

(١) تفسير ابن كثير(٦/ ٤٢٣).

(٢) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ١٨١).

(٣) الصارم المسلول: (ص ٣٨)

(٤) الفتاوى: (ج٣ / ٢٦٧).

(٥) الفتاوى: (٣٥/ ٤٠٨).

- ويقول أيضا في منهاج السنة: [فَمَنِ اسْتَحَلَّ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا يَرَاهُ هُوَ عَدْلًا مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعٍ لِمَا أَنْزَلَ الله فَهُوَ كَافِرٌ](١).
- وفي الفتاوى الكبرى: [وَمَعْلُومٌ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَبِاتِّفَاقِ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ مَنْ سَوَّغَ اتِّبَاعَ غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ أَوْ اتِّبَاعَ شَرِيعَةٍ غَيْرِ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَهُوَ كَافِرٌ](٢).
- ويقول الإمَام ابن القيم رحمه الله: عند قوله تَعَالَى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء]. قَالَ: [وهذا دليلٌ قاطعٌ عَلى أنَّه يَجِبُ ردُّ مواردِ النِّزَاعِ في كلِّ ما تَنَازَع فيهِ النّاسُ، منَ الدّينِ كلِّه، إلى اللهِ ورسولِهِ ﷺ، لا إلى أحدٍ غيرَ اللهِ ورسُولِهِ ﷺ، فمَن أحَالَ الرَّدَّ إلى غيرهِمَا، فقد ضَادَّ أمرَ الله، ومن دعَا عندَ النِّزَاع إلى حكمِ غيرِ اللهِ ورسُولِه، فقد دَعَا بدَعوَى الجَاهِليَّةِ، فلا يَدخل العبدُ في الإيمانِ حتَّى يَردّ كلَّ ما تنازعَ فيهِ المُتَنَازِعُونَ إلى اللهِ ورسُولِه، ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ وهذا ممَّا ذكر آنفاً، أنَّه شَرطٌ ينفي المَشرُوط بانتفائه، فدلَّ عَلى أنَّ من حكّم غيرَ اللهِ ورسولِهِ في مواردِ النِّزاعِ كانَ خارجَاً عن مُقتَضَى الإيمانِ بالله واليوم الآخِر، وحَسبُك بهذِهِ الآيةِ العاصِمَةِ القَاصِمَةِ بيانًا وشفاءً فإنَّها قاصمَةٌ لظُهورِ المُخَالفينَ لهَا، عاصمةٌ للمُستمسِكِينَ بِها، المُتَمَثّلين ما أَمَرت بِهِ](٣)
- وفي نفس هذه الآية قَالَ ابن كثير رحمه الله: [فَدَلَّ عَلَى أَنَّ منْ لَمْ يَتحَاكَم فِي محلِّ النِّزَاعِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا يَرْجِعْ إِلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ فَلَيْسَ مُؤْمِنًا بِالله وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ]اهـ(٤).
- ويقول ابن القيم رحمه الله: [ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ مَنْ تَحَاكَمَ أَوْ حَاكَمَ إِلَى غَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فَقَدْ حَكَّمَ الطَّاغُوتَ وَتَحَاكَمَ إِلَيْهِ، وَالطَّاغُوتُ: كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ؛

(١) منهاج السنة: (٥/ ١٣٠).

(٢) الفتاوى: (٢٨/ ٥٢٤).

(٣) الرّسالة التبوكية: (١/ ٤٢).

(٤) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٤٦).

فَطَاغُوتُ كُلِّ قَوْمٍ مِنْ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ غَيْرَ الله وَرَسُولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ الله، أَوْ يَتْبَعُونَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنْ الله](١).

- وقال رحمه الله في مدارج السالكين: [وَإِنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ، وَأَنَّهُ مُخَيَّرٌ فِيهِ، مَعَ تَيَقُّنِهِ أَنَّهُ حُكْمُ الله، فَهَذَا كُفْرٌ أَكْبَرُ](٢).

- يقول القاضي أبو يعلي في أصول الدّين ص ٢٧١: [ومن اعتقدَ تحليلَ ما حرَّمَ اللهُ بالنصِّ الصَّريحِ، أو من رسُولِه أو أجمعَ المُسلِمُون عَلى تحريمِهِ، فهوَ كافرٌ، كمن أباحَ شُربَ الخَمرِ ومَنَعَ الصَّلاةَ والصِّيَامَ والزَّكَاةَ، وكذلكَ من اعتقَدَ تحريمَ شيءٍ حلَّله اللهُ أباحَهُ بالنَّصِّ الصَّريحِ أو أَبَاحَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، والوجهُ فيهِ أنَّ في ذلكَ تكذيبٌ لله تَعَالَى ولرسولِهِ في خَبَرِهِ، وتكذيبٌ للمُسلمينَ في خَبَرِهم، ومن فعلَ ذلكَ كَفَرَ بإجماعِ المُسلِمِينَ](٣).

- قَالَ الإِمَام القرطبي رحمه الله في تفسيره عند قوله تَعَالَى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ [التوبة]، قَالَ: [اسْتَدَلَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى وُجُوبِ قَتْلِ كُلِّ مَنْ طَعَنَ فِي الدِّينِ، إِذْ هُوَ كَافِرٌ، وَالطَّعْنُ أَنْ يَنْسُبَ إِلَيْهِ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ، أَوْ يَعْتَرِضُ بِالِاسْتِخْفَافِ عَلَى مَا هُوَ مِنَ الدِّينِ، لِمَا ثَبَتَ مِنَ الدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ عَلَى صِحَّةِ أُصُولِهِ وَاسْتِقَامَةِ فُرُوعِهِ](٤).

فانظروا اليَوْم في خطابات وتصريحات هَؤُلَاءِ الرؤساء وأعوانهم، وما فيها من طعن بالدّين واستخفاف بشعائره.

- وقال رحمه الله: "إِنْ حَكَمَ بِمَا عِنْدَهُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ الله، فَهُوَ تَبْدِيلٌ لَهُ يُوجِبُ الْكُفْرَ"(٥)

(١) إعلام الموقعين: (٢/ ٩٢).

(٢) مدارج السالكين: (١/ ٣٤٦).

(٣) أصول الدّين: (ص ٢٧١).

(٤) تفسير القرطبي: (ج٨ / ٨٢).

(٥) تفسير القرطبي: (ج٦ / ١٩١).

- وقال: **"إِنَّ مَنْ طَلَبَ غَيْرَ حُكْمِ الله مِنْ حَيْثُ لم يرضى به فهو كافر"**(١).

ونكتفي بهذه الآثار، والشواهد كثيرة جدا، من أقوال الأئمة والعُلَماء ونصوص الكتاب والسنة، والشواهد كثيرة جدا، من أقوال الأئمة والعُلَماء ونصوص الكتاب والسنة.

فهذه الآيات البينات والآثار الواضحات، تدل بكل نصاعة عَلى أن القضية تَمُسُّ طبقتين من النّاس هما:

١ ـ الحاكم. ٢ ـ المحكوم.

فأما المحكوم:

فواجبه الانقياد لشرع الله، واختيار الحكم به، و الرضا بنتيجته سواء له أم عليه، وأن لا يجد في نفسه أي غضاضة، وأن يسلم تسليما مطلقا لحكم الله، وأن إيمان المسلم ينقص ويجرح (مع بقاء حكم الإِسْلَام في الظَّاهِر عليه) بقدر ما يجد في هذا الحكم من كراهة أو غضاضة، وأن هذا النّقص في الإيمان قد يكبر بقدر عدم تسليمه لشرع الله ونوع رفضه له، حتَّى إذا ما بلغ في المحكوم أن يرفض حكم الله لعدم الإيمان به، أو انتقاصا له، أو عدم قناعته بصلاحيته، وتقديم وتفضيل أحكام البشر عليه، فهذا ينقض الإيمان بالكلية، ويفضي إلى الكفر بصاحبه والعياذ بالله.

وأما الحاكم:

الّذي تولى رقاب النّاس، وأشركه الله في حكمه، فإنه شخص يفترض فيه العلم وعدم الجهل، إما بذاته وإما بوجود الأمر والنهي والإرشاد من أهل العلم والدّين. كما يفترض فيه القدرة لأنه صاحب السُّلطَان، فهو ليس مكرهاكما قد يكون حال آحاد الرعية، وهذا الحاكم للمسلمين يستمد مشروعيته أصلا من كونه الأمين عَلى تطبيق شرع الله في المُسلِمِين والآيات والسنة والآثار متواترة عَلى أن المستبدل لشرع الله بأحكام البشر والراغب عنها، مستعيضا بها غيرها، فإنه كافر يجب قتاله حتَّى يرجع إلى شرع الله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير، كما مر معنا في قول ابن كثير رَحِمَهُ الله، وقد جمع الله لفاعل ذلك في القران كلّ صفات الكفر به فقال تَعَالَى في سورة المائدة:

---

(١) تفسير القرطبي: (٦/ ١٨٨).

- ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة].
- ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة].
- ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة].

وقد نالت هذه الحقيقة العقدية الهامة وهي (كفر الحاكم بغير ما أنزل الله المبدل لشرع الله)، من التلبيس والجحود والتلاعب بآيات الله، وإخراجها عن مضمونها، إرضاء لرغبات السّلاطين والملوك الناكبين عن شرع الله، ما لم تنله غيرها من الآيات والأحكام، وذلك منذُ بدأ يطرأ النقض والنقص عَلى شعيرة الحكم بما أنزل الله، تماما كما أخبر ﷺ، فبدأ الملوك والسلاطين الحاكمون بشرع الله يتهربون من تطبيق بعض الأحكام، عَلى أنفسهم وعلى المقربين منهم لأهواء نفسية، أو محاباة شخصية، وبدأ هذا النّقص يكبر ويكبر إلى أن وصل بسقوط الخِلافَة الإِسْلَاميّة إلى استبدال كلي لشرع الله، ووصل العدوان عَلى سلطان الله العظيم، إلى استلاب حق التَّشريع وإعطائه للبشر، فصار حُكَّام المُسلِمِين يشرعون من دون الله أصالة، ويبدلون الشَّرع ويحرفونه تقنينا وتشريعا، ويأخذون ما يشاؤون ويدعون ما يشاؤون،

وهذه قفزة جديدة إلى الكفر، من ذلك الجور والضلال الّذي ارتكبه الملوك الأوائل، مع حكمهم بالشّريعة عموما، وهذا الموضوع طويل، وقد تناوله العُلَماء المعاصرون والكتاب المُسلِمُون وفصلوا فيه وردوا عن الحقيقة الشَّرعيَّة مماحكات الجهال، وتلبيسات المبطلين من بعض علماء السّلاطين وأجهزة النِّفَاق والمؤسسات الدّينيّة الرَّسميَّة، الّذين أرادوا أن يرقعوا كفر حكامهم المعاصرين وأن يلبسوهم زورا وبهتانا سربال الإِسْلَام.

ولا يسمح الإيجاز الّذي يحكم هذا الكتاب، بمزيد من الشواهد والتفاصيل، إلا أَنّي ألفت نظر القارئ المسلم، إلى نقاط مهمة لفهم حقيقة كفر حُكَّام بلاد المُسلِمِين اليَوْم:

أولا: قد يسأل سائل، فيقول: إذا كانَ الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا، فلماذا أطلق القرآن الكريم لفظة ﴿الْفَاسِقُونَ﴾ و﴿الظَّالِمُونَ﴾ عليه ولم يقتصر عَلى قوله ﴿الْكَافِرُونَ﴾ عند قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ....﴾؟ وجواب هذا من وجهين والله تبارك وتعالى أعلم:

١ـ أن الحكم بغير ما أنزل الله، قد يكون فسقا، وقد يكون ظلما، غير مخرجين من ملة الإِسْلَام إلى الكفر وقد قَالَ هذا بعض السَّلَف في حكامهم الأوائل من أمثال بعض خُلَفَاء بني أمية وبني العبّاس، وذلك

إذا كانت واقعة الحكم بغير ما أنزل الله، هيَ في حالات محدودة، أسبابها الهوى أو المحاباة مع التسليم بحكم الله ومعرفته، واعتقاد أفضليته ووجوبه، واعتقاد ذلك الفاعل بأنه مذنب مقصر، من دون أن يصرح أحد منهم بالحكم بغير ما أنزل الله، أو باستبداله عَلى سبيل التَّشريع، فهذا الّذي يحصل اليَوْم ليس له سابقة في تاريخ المُسلِمِين كله، إلا في هذه الأزمنة الّتي نصت فيها دساتير الحكَّام وقوانينهم عَلى أن أحكام السرقة والزنا والقتل سواها من أحكام الدِّماء والأموال والأعراض، وقوانين الإدارة في السلم والحَرب والقضاء والسياسات... إلخ. ليست المنصوص عليه في الشّريعة الإِسْلَاميّة، وإنما أحكام وضعوها هم واقتبسوها من قوانين الكفّار، فهذا الحال هو تبديل لشرع الله، وتشريع من دون الله، وليس فقط حكم بغير ما أنزل الله في واقعة محدودة، فقد كانَ ذاك عند السَّلَف فسق وظلم وأما هذا التبديل والتَّشريع فهو عندهم كفر بالإجماع، كما نقل ابن كثير وغيره ممن ذكرنا، كفر ينقل صاحبه عن الملة ويوجب قتاله بلا خلاف، عند السَّلَف والخلف وأئمة الفقه والتفسير وأهل الحديث، وهو حالة حُكَّام بلادنا اليَوْم، لأن دساتيرهم وقوانينهم مصرحة بلا مواربة بتبديل شرع الله واستبعاده، ومن المعلوم اليَوْم أن معظم الحدود الشَّرعيَّة قد استبدلت بأحكام من السّجن والغرامات المالية في القانون الوضعي في بلاد المُسلِمِين، هذا غير ما أحل من المحرمات، كالزنا والربا والخمر، بإجازات وتراخيص حكومية بالإضافة إلى بناء السّياسة الداخليَّة والخارجيّة عَلى أحكام تضاد ما أنزل الله، وبناء السّلطة القضائية عَلى دساتير مستمدة من فلسفات أوروبّا الرُّومانية، وبناء السّلطة التَّشريعية عَلى أساس حق التَّشريع من دون الله، وهذا هو حال دساتير الدّول الإِسْلَاميّة.

وهذا ليس له سابقة في التّاريخ القديم إلا ما فعله جنكيز خان وأحفاده المغول لما حكموا بلاد المُسلِمِين، وزعموا الإِسْلَام، وصلوا وأذنوا، ولكنهم حكموا بالياسا فكفرهم علماء المُسلِمِين وقاتلوهم.

*وقد تكلم في هذه المسألة جمع من علماء المُسلِمِين المعاصرين الّذين عاشوا واقع كفر حكامنا في هذا العصر، وبينوا أن ما يصدر عنهم من تشريع وتبديل لشرع الله وحكم بغير ما أنزل الله هو كفر أكبر. وننقل ههنا طائفة من أقوالهم:

*يقول الشَّيْخ محمّد رضا ﵀ عند تفسير قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦١]، [وَالْآيَةُ نَاطِقَةٌ بِأَنَّ مَنْ صَدَّ وَأَعْرَضَ عَنْ حُكْمِ

اللهِ وَرَسُولِهِ عَمْدًا وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ دَعْوَتِهِ إِلَيْهِ وَتَذْكِيرِهِ بِهِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مُنَافِقًا لَا يُعْتَدُّ بِمَا يَزْعُمُهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَمَا يَدَّعِيهِ مِنَ الْإِسْلَامِ](١).

وقد تكلم في هذه المسألة جمع من علماء المُسلِمين المعاصرين الّذين عاشوا واقع كفر حكامنا في هذا العصر، وبينوا أن ما يصدر عنهم من تشريع وتبديل لشرع الله وحكم بغير ما أنزل الله هو كفر أكبر.

وننقل ههنا طائفة من أقوالهم:

* قَالَ الشَّيْخ محمود الآلُّوسي في تفسيره: [**لا شَّكَّ في كفرِ من يستحسن القانون ويفضله عَلى الشَّرع، ويقول هو أوفقُ بالحكمةِ، وأصلحُ للأمَّة، ويتميَّزُ غيظاً ويتعصَّب غَضبَاً إذا قيلَ لهُ في أمرِ الشَّرعِ فيه كذا، كما شهدنا ذلكَ في بعضِ من خذَلَهُم اللهُ فأصمَّهُم وأعمَى أبصَارَهُم.... فلا يَنبَغِي التَّوقُّف في تكفيرِ من يستحسنُ ما هوَ بينَ المخالفةِ للشَّرعِ منها، ويقدِّمهُ عَلى الأحكامِ الشَّرعيِّةِ مُنتَقِصًا للحقِّ**](٢).

* وقال الشَّيْخ محمّد أمين الشنقيطي رحمه الله: [**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله، مُعَارَضَةً لِلرُّسُلِ وَإِبْطَالًا لِأَحْكَامِ الله، فَظُلْمُهُ وَفِسْقُهُ وَكُفْرُهُ كُلُّهَا كُفْرٌ مُخْرِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ**](٣).

* وقال في تعليقه عَلى حديث عدي بن حاتم وقول النبيّ ﷺ: «**أَلَمْ يُحِلُّوا لَكُمْ مَا حَرَّمَ الله، وَيُحَرِّمُوا عَلَيْكُمْ مَا أَحَلَّ الله فَتَتَّبِعُوهُمْ؟**» **قال: بَلَى، قال: «ذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ»**(٤)، قَالَ رحمه الله: [**وهذا التفسيرُ النبويُّ المقتضِي أن كُلَّ مَنْ يَتَّبِعُ مُشَرِّعًا فيما أَحَلَّ وَحَرَّمَ مُخَالِفًا لتشريعِ الله أنه عابدٌ له، متخذُه رَبًّا، مُشْرِكٌ به، كافرٌ بالله هو تفسيرٌ صحيحٌ لا شَكَّ في صحتِه، اعْلَمُوا أيها الإخوانُ أن الإشراكَ بِالله في حُكْمِهِ والإشراكَ به في عبادتِه كلاهما بمعنًى واحدٍ، لا فَرْقَ بينهما ألبتةَ، فالذي يَتْبَعُ نظامًا غيرَ نظامِ الله، وتشريعًا غيرَ ما شَرَّعَهُ الله، وقانونًا مُخَالِفًا لشرعِ الله من وَضْعِ البشرِ، مُعْرِضًا عن نورِ السماءِ الذي أَنْزَلَهُ الله على لسانِ رسولِه، مَنْ**

---

(١) تفسير المنار: (٥/ ١٨٥).

(٢) روح المعاني: (١٤/ ٢١٥).

(٣) أضواء البيان: (١/ ٤٠٨) وتمام كلامه: (.. وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مُعْتَقِدًا أَنَّهُ مُرْتَكِبٌ حَرَامًا فَاعِلٌ قَبِيحًا فَكُفْرُهُ وَظُلْمُهُ وَفِسْقُهُ غَيْرُ مُخْرِجٍ عَنِ الْمِلَّةِ).

(٤) رواه التِّرمِذيّ (٣٠٩٥) والطبراني في المعجم الكبير (٢١٨)، والبيهقي في سننه. وحسنه الألباني في غاية المرام (٦).

كان يفعلُ هذا هو وَمَنْ يعبدُ الصنمَ ويسجدُ للوثنِ لاَ فرقَ بينَهما البتةَ بوجهٍ من الوجوهِ، فَهُمَا واحدٌ، فَكِلاَهُمَا مشركٌ بِاللهِ، هذا أَشْرَكَ به في عبادتِه، وهذا أَشْرَكَ به في حُكْمِهِ](١).

* ويقول في نفس التَّفسير: [وَبِهَذِهِ النُّصُوصِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَا يَظْهَرُ غَايَةَ الظُّهُورِ: أَنَّ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْقَوَانِينَ الْوَضْعِيَّةَ الَّتِي شَرَعَهَا الشَّيْطَانُ عَلَى أَلْسِنَةِ أَوْلِيَائِهِ مُخَالَفَةً لِمَا شَرَعَهُ الله جَلَّ وَعَلَا عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ ﷺ، أَنَّهُ لَا يَشُكُّ فِي كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ إِلَّا مَنْ طَمَسَ الله بَصِيرَتَهُ، وَأَعْمَاهُ عَنْ نُورِ الْوَحْيِ مِثْلَهُمْ](٢).

ويقول رَحِمَهُ اللهُ: [وَأَمَّا النِّظَامُ الوضْعِيُّ الْمُخَالِفُ لِتَشْرِيعِ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَتَحْكِيمُهُ كُفْرٌ بِخَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، كَدَعْوَى أَنَّ تَفْضِيلَ الذَّكَرِ عَلَى الْأُنْثَى فِي الْمِيرَاثِ لَيْسَ بِإِنْصَافٍ، وَأَنَّهُمَا يَلْزَمُ اسْتِوَاؤُهُمَا فِي الْمِيرَاثِ، وَكَدَعْوَى أَنَّ تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ ظُلْمٌ، وَأَنَّ الطَّلَاقَ ظُلْمٌ لِلْمَرْأَةِ، وَأَنَّ الرَّجْمَ وَالْقَطْعَ وَنَحْوَهُمَا أَعْمَالٌ وَحْشِيَّةٌ لَا يَسُوغُ فِعْلُهَا بِالْإِنْسَانِ وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَتَحْكِيمُ هَذَا النَّوْعِ مِنَ النِّظَامِ فِي أَنْفُسِ الْمُجْتَمَعِ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَعُقُولِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ كُفْرٌ بِخَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ](٣).

* قَالَ الشَّيْخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ؛ وهو إمامٌ محدِّثٌ مُعاصرٌ تُوفِّي سنة ١٩٥٨م، وكان قد عملَ في مجالِ القَضَاءِ الشَّرعيّ في مصرَ ثمّ اعتزَلَه، قَالَ في تَعليقِه وتحقيقه لمسند الإمَامِ أحمدَ عندَ الحَدِيث رقم(٧٧٤٧): [ومن حكمَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ عامدًا عارِفًا بذلك فهو كافرٌ، ومن رضيَ عن ذلكَ وأقرَّهُ فهو كافرٌ، سواءٌ أحكمَ بما يُسمَّى "شريعةَ أهلِ الكِتَاب"، أم حكَمَ بما يُسَمَّى "تشريعًا وضعيًا"! فكلّه كفرٌ وخروجٌ](٤).

وممَّا جاءَ عنهُ رَحِمَهُ اللهُ: [أفيجوزُ معَ هذا في شرعِ الله أن يُحكَمَ المُسلِمُونَ في بلادهم بتشريعٍ مُقتبسٍ عن تشريعاتِ أوربّا الوَثنيَّة المُلحدةِ، بل بتشريعٍ تدخُلُه الأراءُ والأهواءُ البَاطِلةُ، يغيِّرونَه ويبلونَه كما يَشاؤُون، ولا يُبالي واضعُهُ أَوَافَقَ شرعَ الإِسْلَامِ أم خالفَهُ، إنّ المُسلِمِينَ لم يُبتَلَوا بهذا قطّ إلّا في عهدِ التّتَار -إلى أنْ قَالَ- ما أظنُّ رجلاً يعرفُ دينَه ويؤمنُ به جملةً وتفصيلاً، ما أظنُّه يستطيعُ إلّا أن يجزمَ غير متردِّدٍ ولا مُتَأوِّلٍ، بأنَّ ولايةَ القَضَاءِ في هذهِ الحَالَةِ بَاطِلة بطلاناً أصليّاً لا يلحَقه التَّصحيح ولا الإجازة، إنَّ الأمر في

---

(١) العذب النمير في مجالس الشنقيطي في التفسير: (٥/ ٤٤١)، أضواء البيان (٣/ ٢٥٩).

(٢) المرجع السابق.

(٣) أضواء البيان : (٣/ ٢٦٠).

(٤) مسند أحمد، ت : أحمد شاكر: (٧/ ٤٦٤) شرح حديث رقم (٧٧٤٧).

هذه القَوانِين الوَضعِيَّة واضح وضوحَ الشّمسِ هيَ كفرٌ بواحٌ لا خَفَاءَ فيهِ ولا مُدَاراة ولا عُذر لأحدٍ ينتسب لأهلِ الإِسْلَامِ كائنًا من كانَ في العملِ بهَا أو إقرارها][1].

٢. إن لفظة (الفسق) و(الظُّلم) في لغة القرآن الكريم، يعبر بها في كثير من المواضع عن الكفر الصريح، المناقض للإيمان، وشواهد هذا في القرآن كثيرة، ومن ذلك:

* إطلاق لفظ الفسق عَلى صريح الكفر، مثل قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠] ومعلوم أن إبليس كفر بفسقه هذا واستحق اللعنة والطرد فسمى كفره (فسقاً)، ومثله قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنعام]، وواضح أن الّذي كذب بآيات الله قد كفر، فقال عنهم ﴿يَفْسُقُونَ﴾، وفي سورة البقرة ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [البقرة]، وهذا لا يحتاج الى شرح.

* إطلاق لفظ الظُّلم عَلى الشرك والكفر: قَالَ تَعَالَى في سورة لقمان: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان]، وهذا واضح، فسمى الشرك ظلما، وقوله تَعَالَى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل]، والجحود كفر فسماه ظلما.

* كما جمع الله صفات الظُّلم والفسق مع الكفر والنِّفَاق في أكثر من موضع منها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾﴾ [النساء] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾[البقرة]، ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة].

* وفي سورة التوبة بعد حكمه بالكفر عَلى المُنَافِقين المستهزئين بالدّين قَالَ ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة]، وشواهد القرآن كثيرة، وما زعموه من أن كفر الحكَّام

---

(١) عمدة التفاسير: (ج٤ص١٧١).

الحالين هو مجرد فسق أو ظلم مردود، والصواب أنهم: كافرون، ظالمون فاسقون في آن واحد. والله تَعَالَى أعلم.

ثانياً: ومن الأدِلَّة الناصعة في القرآن والسنة، عَلى كفر من أعطى نفسه حق التَّشريع من التحليل والتحريم، وتبديل الشرائع والعدوان عَلى حاكِمِيَّة الله، وجعل نفسه بذلك ربا يعبد، ما أخبر به سبحانه عن كفر اليَهُوْد والنّصَارى، في قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. فقد روى الإِمَام أحمد والتِّرْمِذِيّ وابن جرير عن طريق عدي ابن حاتم ﵁، كما نقل ذلك ابن كثير في تفسيره، أن عديا لما جاء رسول الله ﷺ، ليسلم وكان نصرانيا، وجده يقرأ هذه الآية، فقال لرسول الله ﷺ: إنهم لم يعبدوهم، فقال ﷺ: «**بَلَى، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ**»(١) ومعلوم أن تفسير القرآن بالسُّنَّة الثَّابِتة هو من أصح التفاسير، ودلالة الآية والحديث واضحة تماما، تدل عَلى أن من شرع فحلل وحرم، فقد جعل نفسه ربا، وعلى أن من أطاعه فقد عبده، وهذه هيَ عبادة قوم فرعون لفرعون، فهو لما قَالَ لهم: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨] ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ [النازعات]، لم يطلب منهم أن يعتقدوا أنَّه هوَ الّذي خلقهم ورزَقهم وخلق الكون ودبَّره، فقد كانَ للمصريّين في عهده آلهة يعبدونها بهذه الصّفة، وإنّما عبدوه إلهًا مشرّعًا بالطّاعة، وهو نفس الدَّور الّذي يقوم به حُكَّام المُسلِمين اليَوْم ومشرِّعُوهُم، وبرلماناتها الكافِرة الظَّالِمَة الفَاسِقَة، وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٤﴾ [الزخرف].

---

(١) رواه التِّرمِذِيّ (٣٠٩٥) وقال: حديث غريب، وحسنه الألباني.

فكيف لا يحكم بكفرهم؟! وهم في مراسيمهم وبرلماناتهم يحلون الخمور، تصنيعا وبيعا وترخيصا، ويقبضون عليها الرسوم والمكوس، وكذلك دور الزنا وبنوك الربا، ويساوون في حق التصويت علىَ التَّشريع، بين المؤمن والكافر، وبين البر والفاجر، وبين الرجل والمرأة، وبين العالم والجاهل، ويعقدون الأحلاف المحرمة، ويبرمون المعاهدات البَاطِلة، ويمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ويسعون في خرابها، ويحرمون في مقابل ذلك مما أحلوا، الأمر بالمعروف، والنهي عن المُنكر، والجِهَاد، والاحتساب، وأنواعا من البيع الحلال، ناهيك عن القوانين الّتي تبيح المكوس الظَّالمة، وتقنن لقتل وسجن وتشريد النّاس ظلما وعدوانا، الى آخر ما شرعوا وقننوا وأحلوا وحرموا، قاتلهم الله أنا يؤفكون.

ثالثا: ويجدر بنا لفت النَّظر إلى أمرٍ هامٍّ، وهو أنَّ بقاءَ رسومٍ من أثارِ الشّريعةِ، ونتفًا من أحكامها طيَّ سجلَّاتِ القوانين الوضعِيَّة، كبعض أحكام الأحوالِ الشَّخصيَّة، والزَّواج والطَّلاق والميراث، في بعض البلاد الإِسْلَاميّة، لا يجعل الحكم يوصف بأنَّه حكم الشّريعة، كما أن التَّزوير والضَّحك عَلى عقول البُسطاء بِعَنوَنَةِ الدّستُور بالكلمة الفارغة الخادعة، وهي قولهم (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ مَصدر التَّشريع والتَّقنين) أو (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ المصدر الأساسي للتَّشريع) كما في بعض البلاد، أو حتَّى بالمبالغة بالدَّجل بالقول (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ المصدر الوحيد للتَّشريع والتَّقنين)، ثمّ التَّشريع والتَّقنين من دون الله تحت هذا العنوان، كما في بعض البلاد كالسّعُودِيّة والسُّودَان واليمن، فهذا لا يجعل الحكم شرعيًا، ولله المُشتكى كم يستخفُون بعقولِ شعوبهم، باستخدام بعض العُلَماء من عملاء السُّلطَان، فمن يقبل أن يشتري قارورة خمرٍ، كُتب عليها (حليب) عَلى أنَّها حليبٌ، أو زيتٌ!!! وهل يطهر الخمر بالكتابة علية؟! هذا من جهة، ومن جهة أُخرى، فإنَّ من المعلومِ في ديننا أنَّ النَّجاسة تلغى الطَّهارة، والله أغنى الأغنياء عن الشِّرك، كما أخبر عن نفسِهِ ﷻ، وقال في الحديث القُدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» رواه مسلم[1]، والله لا يقبل إلَّا أن يكون الدّين كله لله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٢ – ٣]

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

والعبرة ليست في كبر وعظم هذا الشرك بالتَّشريع، أو بحجم ما خلط بالحكم بغير ما أنزل الله، وإنما باستحلال هذا الفعل والإقدام عليه، والعدوان عَلى حاكِمِيَّة الله الّذي قَالَ: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يوسف: ٤٠]، والفتنة الّتي نحن فيها هيَ أنَّ الدّين في بلادنا لم يعد كلّه لله، قَالَ ابن كثير رحمه الله في قوله تَعالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال:٣٩]، [عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "يعني لَا يَكُونَ شِرْكٌ"، عَنْ عُرْوَة بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنْ عُلَمَائِنَا: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ حَتَّى لَا يُفْتَنَ مُسْلِمٌ عَنْ دِينِهِ، وعن مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَيَكُونَ التَّوْحِيدُ خَالِصًا لله، لَيْسَ فِيهِ شِرْكٌ، وَيَخْلَعَ مَا دُونَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ"][1].

قَالَ الإِمَام الشاطبي رحمه الله: [كُلَّ بِدْعَةٍ وإِن قَلَّت تشريعٌ زَائِدٌ أَو نَاقِصٌ، أَو تَغْيِيرٌ للأَصل الصَّحِيحِ، وكلُّ ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ عَلَى الِانْفِرَادِ، وَقَدْ يَكُونُ مُلْحَقاً بِمَا هُوَ مَشْرُوعٌ، فَيَكُونُ قَادِحًا فِي الْمَشْرُوعِ، وَلَوْ فَعَلَ أَحد مِثْلَ هذا في نفس الشريعة عامداً لكفر، إِذِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ فِيهَا أَوِ التَّغْيِيرُ، قَلَّ أَوْ كَثُرَ كُفْرٌ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ مَا قَلَّ مِنْهُ وَمَا كَثُرَ][2].

وقال الإِمَام ابن تَيمِيّة رحمه الله: [فَإِذَا كَانَ بَعْضُ الدِّينِ لله وَبَعْضُهُ لِغَيْرِ الله وَجَبَ قِتَالُهُمْ حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله، ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩] وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الطَّائِفِ لَمَّا دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَالْتَزَمُوا الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ؛ لَكِنْ امْتَنَعُوا مِنْ تَرْكِ الرِّبَا، فَبَيَّنَ الله أَنَّهُمْ مُحَارِبُونَ لَهُ وَلِرَسُولِهِ إذَا لَمْ يَنْتَهُوا عَنْ الرِّبَا، وَالرِّبَا هُوَ آخِرُ مَا حَرَّمَهُ الله وَهُوَ مَالٌ يُؤْخَذُ بِرِضَا صَاحِبِهِ، فَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ مُحَارِبِينَ لله وَرَسُولِهِ يَجِبُ جِهَادُهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ يَتْرُكُ كَثِيرًا مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ أَوْ أَكْثَرَهَا كَالتَّتَارِ؟! وَقَدْ اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ الطَّائِفَةَ الْمُمْتَنِعَةَ إذَا امْتَنَعَتْ عَنْ بَعْضِ وَاجِبَاتِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ فَإِنَّهُ يَجِبُ قِتَالُهَا إذَا تَكَلَّمُوا بِالشَّهَادَتَيْنِ وَامْتَنَعُوا عَنْ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ أَوْ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ أَوْ حَجِّ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أَوْ عَنْ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ عَنْ تَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ أَوْ الْخَمْرِ أَوْ نِكَاحِ ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ أَوْ عَنْ اسْتِحْلَالِ النُّفُوسِ

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٥٦).

(٢) الاعتصام: (٢/ ٣٩٦).

وَالْأَمْوَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوْ الرِّبَا أَوْ الْمَيْسِرِ أَوْ عَنْ الْجِهَادِ لِلْكُفَّارِ أَوْ عَنْ ضَرْبِهِمْ الْجِزْيَةَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُمْ يُقَاتَلُونَ عَلَيْهَا حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ"](1).

فالخلاصة:

أنه اذا ما اختلط دين الله بدين غيره، وتشريعه بتشريع غيره، وحكمه بحكم غيره، كانت الفتنة عن دين الله، ووجب القِتَال حتَّى لا تكون فتنة، وهذا هو الحاصل اليَوْم وما جناه حكامنا علينا من فساد في الداخل، وعدوان من الخارج وضنك في الحياة العامّة، وذل عَلى يد الأَعدَاء.

ولقد سمى ربنا سُبحَانَهُ وتَعَالَى أمثال هَؤُلَاءِ الحكَّام (الكافرون، الفاسقون، الظَّالمون)، فجاء من علماء السّلاطين من يسمى هَؤُلَاءِ الحكَّام : مُسلِمِين صالحين، وأولياء أمور شرعيين، وكأن عندهم قرآنا خاصا بهم كتبوا فيه: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المُسلِمُون المُؤمِنُون الصّالحون !!!

فبصراحة ووضوح، وبحق الشَّهَادة لله الّذي أمرنا بقوله: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فإنه يجب علينا أن نقول:

إن من الخطأ، إنزال بعض العُلَماء مقولة بعض السَّلَف عن سلاطين المُسلِمِين الأوائل الّذين كانوا يحكمون بما أنزل الله، ويجاهدون في سبيل الله، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المُنكروكان فيهم جور وظلم، كبعض ملوك بني أمية وبني العبّاس، فقالوا عن بعض حالات حكمهم بغير ما أنزل الله، أنها (كفر دون كفر) أو (كفر أصغر)، إن من أعظم الغلط إنزال هذا القول عَلى حُكَّام المُسلِمِين اليَوْم، الّذين وصفنا فيما سبق حالهم وحال قوانينهم، وسلطاتهم التَّشريعية!!

سبحان الله!! كيف وقد أوجدوا مختصين بالقانون الوضعي، درسوا في بلاد الصليب الكافرة في الغرب، وأسموا واحدهم(مشرّع) هكذا باللفظ الصريح.

ناهيك عن ما يفعله هَؤُلَاءِ الملوك والرؤساء والأمراء من سن القوانين وتشريع المراسيم، بما في ذلك حلّ أجهزة التَّشريع ذاتها (البرلمان) اذا خطر لهم ذلك!

فالحاكم تارة يعبد المشرع ويطلب من النّاس عبادته، وتارة يسجنه، وإذا أراد أن يقتله قتله!!!

كما كانَ عباد الأصنام يصنع واحدهم إلها من تمر ثمّ يأكله! أو إلها من خشب ثمّ يحرقه ليطبخ عليه!

ناهيك عن وجوه الكفر الأخرى الّتي تلبسوا بها من ولاء الكافرين، وقتل المُؤمِنِين، وأوجه نواقض الإيمان من الأقوال والأفعال.

والآن تطرح علينا مسألة هامة اشتط فيها قوم وأفرطوا حتَّى كفروا المُسلِمِين، وفرَّط آخرون حتَّى أسلموا الكافرين وشهدوا عَلى المرتدّين بالإِسْلَام، هذه المسألة هيَ:

(١) الفتاوى: (٢٨/ ص ٥٤٥).

من هم المرتدّون الكفّار في حكومة الحاكم الكافر أو المرتدّ؟

يقول الله تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وكما هو معلوم من لغة العَرَب، فإن لفظة ﴿مَنْ﴾ اسمٌ موصولٌ، بمعنى (**الّذي**)، وهي من صيغ العموم والشمول، فقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم﴾ تعني الّذي لم يحكم، وتشمل كلّ من لم يحكم.

فإذا كانَ النّظام قائما عَلى حكم فرد مطلقا، بدون مؤسسات حاكمة معه، كما كانَ حكم الفرعون، وكما هو حكم الحكَّام المستبدين، فالكافر هو الحاكم وحده ولفظة (من) أي (الّذي) تخصه وحده، وأما أعوانه المنفذون فهم (**طائفة كفر أو ردة**) بشكل عام، يأثمون بقدر مشاركتهم الّتي قد تصل للكفر وقد تكون إثما.

وأما إذا كانَ الحكم عبر مؤسسات، تباشر الحكم بشكل جماعي، كما هو حال معظم حُكُومَات العالم اليَوْم، فالمؤسسات المباشرة للحكم وكبار القائمين عليها كفار.

وفي الحالة المعروفة اليَوْم، فالحُكُومَات الدستورية، تقوم عَلى سلطات ثلاثة:

١ .**السّلطة التنفيذية**: **وهم الرَّئيس ونوابه، والوزراء ونوابهم**.

٢ . **السّلطة التَّشريعية**: **وهم نواب البرلمان، أو من يعادلهم من المختصين بتشريع المراسيم وسن القوانين**.

٣. **السّلطة القضائية**: **وهم الادعاء العام أو النيابة العامّة، وأنواع القضاة، والمحاكم المختلفة: العامّة، الاستئناف، التمييز المحكمة العليا...الخ**.

وأما إذا كانت الحكومة، دكتاتورية(عسكريّة، أو أسرية، أو حزبية....) فالحكومة تقوم عَلى مؤسسة واحدة مؤلفة من الحاكم الديكتاتور وأعوانه المباشرين للحكم والسلطة والتَّشريع والقضاء.

وفي كلتا الحالتين، فالقَاعِدَة هيَ ذاتها: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة]

وعليه:

ففي الحُكُومَات الدستورية، وبحكم عموم اللفظ (من)، فالكفار المرتدّون هم:
1- السّلطة التنفيذية: الرَّئيس(أو الملك) ونوابه، والوزراء ونوابهم.
2- السّلطة التَّشريعية: نواب البرلمان، وأعضاء مجلس الشورى، (من الّذين يشرعون مواد الدساتير، أو نصوص القوانين، علىَ غير ما أنزل الله، أو يقرونها، أو يصادقون عليها، أو يقبلونها.)
3- السّلطة القضائية: القضاة الّذين يحكمون بغير ما أنزل الله.
وفي الحالة الدكتاتورية، وبحسب نفس القَاعِدَة، فالكفار المرتدّون هم:
1- الحاكم الدكتاتور ونوابه.
2- كبار أعوانه المباشرين وأعضاء حكومته أو إدارته أو وزرائه المباشرين للسلطة، من حكم وتشريع وقضاء.

وقد نشأت بسبب الانقلابات العسكريّة عَلَى حُكُومَات دستورية، أنظمة حكم جديدة، يمكن تسميتها: (دكتاتوريات دستورية!!) (وهذا اسم نطلقه ليس عَلَى سبيل الفكاهة)، فهي دكتاتورية عَلَى وجه الحقيقة، ودستورية من حيث الادعاء والضحك عَلَى عقول الشّعوب (وهذه هيَ الحالة في بلدان العالم العربيّ والإِسْلَاميّ).

وفي هذه الحالة تبقى القَاعِدَة هيَ ذاتها:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]، **فالكفار المرتدّون هم: الحاكم الدكتاتور، وأعوانه المباشرون للسلطة والحكم بالكفر وللتشريع وللقضاء بغير ما أنزل الله.**

ومن الأدِلَّة النَّاصعَة في القرآن والسُّنَّة، عَلَى كفرِ من أَعطى نفسَه حقَّ التَّشريعِ من التَّحليل والتَّحريم، وتبديلِ الشَّرَائعِ والعدوانِ عَلَى حاكِمِيَّة الله، وجعلَ نفسَه بذلكَ ربًّا يعبد، ما أخبر به سبحانه عن كفر اليَهُوْدِ والنّصَارَى، في قولِه: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة]، فقد روى الإِمَام أحمد والتِّرْمِذِيّ وابن جرير عن طريق عدي ابن حاتمﷺ، كما نقل ذلك ابن كثير في تفسيره، أن عديًّا لما جاء رسول الله ﷺ، ليسلم وكان نصرانيًّا، وجده يقرأ هذه الآية، فقال لرسولِ الله

ﷺ: "إنَّهم لم يعبدوهم"، فقال ﷺ: «بَلَى، إِنَّهُمْ حَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ، وَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ»(١).

ومعلوم أن تفسير القرآن بالسُّنَّة الثَّابِتة هو من أصحّ التَّفاسير، ودلالة الآية والحديث واضحة تمامًا، تدلُّ عَلى أنَّ من شرَّع فحلَّلَ وحرَّم، فقد جعل نفسه ربًا، وعلى أنَّ من أطاعه فقد عبده، وهذه هيَ عبادة قوم فرعون لفرعون، فهو لما قَالَ لهم ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات] لم يطلب منهم أن يعتقدوا أنَّه هوَ الّذي خلقهم ورزَقهم وخلق الكون ودبَّره، فقد كانَ للمصريّين في عهده آلهة يعبدونها بهذه الصّفة، وإنّما عبدوه إلهًا مشرّعًا بالطّاعة، وهو نفس الدَّور الّذي يقوم به حُكَّام المُسلِمين اليَوْم ومشرِّعُوهُم، وبرلماناتِها الكافِرة الظَّالِمَة الفَاسِقَة، وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف].

كيف لا وهم في مراسيمهم وبرلماناتهم يحلون الخمور، تصنيعا وبيعا وترخيصا، ويقبضون عليها الرسوم والمكوس، وكذلك دور الزنا وبنوك الربا، ويساوون في حق التصويت عَلى التَّشريع، بين المؤمن والكافر، وبين البر والفاجر، وبين الرجل والمرأة، وبين العالم والجاهل... ويعقدون الأحلاف المحرمة، ويبرمون المعاهدات البَاطِلة، ويمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ويسعون في خرابها، ويحرمون في مقابل ذلك مما أحلوا، الأمر بالمعروف، والنهي عن المُنكر، والجِهَاد، والجزية، والاحتساب، وأنواعا من البيع الحلال، ناهيك عن القوانين الّتي تبيح المكوس الظَّالمة، وتقنن لقتل وسجن وتشريد النّاس ظلما وعدوانا، إلى آخر ما شرعوا وقننوا وأحلوا وحرموا، قاتلهم الله أنا يؤفكون.

كيف لا وهم في مراسيمهم وبرلماناتهم يُحلُّون الخُمور، تصنيعاً وبيعاً وترخيصاً، ويقبضون عليها الرُّسوم والمكوس، وكذلك دور الزِّنا وبنوك الرِّبا، ويساوون في حقِّ التَّصويت عَلى التَّشريع، بينَ المؤمنِ والكافرِ، وبين البَرّ والفَاجِر، وبينَ الرَّجل والمرأة، وبين العالم والجاهل، ويعقدون الأحلاف المحرَّمة، ويُبرِمُون المُعاهدات البَاطِلة، ويمنعُون مساجد الله أن يُذكرَ فيها اسمُه، ويسعونَ في خرَابها، ويُحرّمُون في مقابل ذلكَ ممَّا أحلُّوا، الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المُنكر، والجِهَاد، والجِزية، والاحتساب، وأنواعًا من

(١) رواه التِّرمِذِيّ (٣٠٩٥) وقال: حديث غريب، وحسنه الألباني.

البيع الحَلال، ناهيك عن القوانين الّتي تُبيح المكوس الظَّالمة، وتقنِّن لقتلِ وسجنِ وتشريدِ النّاسِ ظلمًا وعدوانًا، إلى آخر ما شرَّعوا وقنَّنوا وأحلُّوا وحرَّمُوا، قاتلهمُ اللهُ أنَّا يُؤفكُونَ.

ويجدر بنا لفت النَّظر إلى أمرٍ هامٍّ، وهو أنَّ بقاءَ رسومٍ من أثارِ الشّريعةِ، ونتفًا من أحكامها طيَّ سجلَّاتِ القوانين الوضعِيَّة، كبعض أحكام الأحوالِ الشَّخصيَّة، والزَّواج والطَّلاق والميراث، في بعض البلاد الإِسْلَاميّة، لا يجعل الحكم يوصف بأنَّه حكم الشّريعة، كما أن التَّزوير والضَّحك عَلى عقول البُسطاء بِعَنوَنَةِ الدّستُور بالكلمة الفارغة الخادعة، وهي قولهم (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ مَصدر التَّشريع والتَّقنين) أو (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ المصدر الأساسي للتَّشريع) كما في بعض البلاد، أو حتَّى بالمبالغة بالدَّجل بالقول (الشّريعة الإِسْلَاميّة هيَ المصدر الوحيد للتَّشريع والتَّقنين)، ثمّ التَّشريع والتَّقنين من دون الله تحت هذا العنوان، كما في بعض البلاد كالسّعُودِيّة والسُّودَان واليمن، فهذا لا يجعل الحكم شرعيًا، ولله المُشتكى كم يستخفُون بعقولِ شعوبهم، باستخدام بعض العُلَماء من عملاء السُّلطَان، فمن يقبل أن يشتري قارورة خمرٍ، كُتب عليها (حليب) عَلى أنّها حليبٌ، أو زيتٌ!!! وهل يطهر الخمر بالكتابة علية؟! هذا من جهة، ومن جهة أُخرى، فإنَّ من المعلومِ في ديننا أنَّ النَّجاسة تلغى الطَّهارة، والله أغنى الأغنياء عن الشِّرك، كما أخبر عن نفسِهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وقال في الحديث القُدسي: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» رواه مسلم[1]، والله لا يقبل إلَّا أن يكون الدّين كله لله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٢ – ٣]

والعبرة ليست في كبر وعظم هذا الشرك بالتَّشريع، أو بحجم ما خلط بالحكم بغير ما أنزل الله، وإنما باستحلال هذا الفعل والإقدام عليه، والعدوان عَلى حاكِمِيَّة الله الّذي قَالَ: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يوسف: ٤٠]، والفتنة الّتي نحن فيها هيَ أنَّ الدّين في بلادنا لم يعد كلّه لله، قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في قوله تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال:٣٩]، [عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "يعني لَا يَكُونَ شِرْكٌ"، عَنْ عُرْوَة بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنْ عُلَمَائِنَا: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ حَتَّى لَا يُفْتَنَ

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

مُسْلِمٌ عَنْ دِينِهِ، وعن مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَيَكُونَ التَّوْحِيدُ خَالِصًا للهِ، لَيْسَ فِيهِ شِرْكٌ، وَيَخْلَعَ مَا دُونَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ"](١).

قَالَ الإِمَام الشاطبي رحمه الله: [**كُلَّ بِدْعَةٍ وإِن قَلَّت تشريعٌ زَائِدٌ أَو نَاقِصٌ، أَو تَغْيِيرٌ للأَصل الصَّحِيحِ، وكلُّ ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ عَلَى الِانْفِرَادِ، وَقَدْ يَكُونُ مُلْحقاً بِمَا هُوَ مَشْرُوعٌ، فَيَكُونُ قَادِحًا فِي الْمَشْرُوعِ، وَلَوْ فَعَلَ أَحد مِثْلَ هذا في نفس الشريعة عامداً لكفر، إِذِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ فِيهَا أَوِ التَّغْيِيرُ، قَلَّ أَوْ كَثُرَ كُفْرٌ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ مَا قَلَّ مِنْهُ وَمَا كَثُرَ**](٢).

وقال الإِمَام ابن تَيمِيّة رحمه الله: [فَإِذَا كَانَ بَعْضُ الدِّينِ للهِ وَبَعْضُهُ لِغَيْرِ الله وَجَبَ قِتَالُهُمْ حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ، ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩] وَهَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الطَّائِفِ لَمَّا دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَالْتَزَمُوا الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ؛ لَكِنْ امْتَنَعُوا مِنْ تَرْكِ الرِّبَا، فَبَيَّنَ الله أَنَّهُمْ مُحَارِبُونَ لَهُ وَلِرَسُولِهِ إِذَا لَمْ يَنْتَهُوا عَنْ الرِّبَا، وَالرِّبَا هُوَ آخِرُ مَا حَرَّمَهُ الله وَهُوَ مَالٌ يُؤْخَذُ بِرِضَا صَاحِبِهِ، فَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ مُحَارِبِينَ للهِ وَرَسُولِهِ يَجِبُ جِهَادُهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ يَتْرُكُ كَثِيرًا مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ أَوْ أَكْثَرَهَا كَالتَّتَارِ؟! وَقَدْ اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنْ الطَّائِفَةَ الْمُمْتَنِعَةَ إذَا امْتَنَعَتْ عَنْ بَعْضِ وَاجِبَاتِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ فَإِنَّهُ يَجِبُ قِتَالُهَا إذَا تَكَلَّمُوا بِالشَّهَادَتَيْنِ وَامْتَنَعُوا عَنْ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ أَوْ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ أَوْ حَجِّ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ أَوْ عَنْ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ عَنْ تَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ أَوْ الْخَمْرِ أَوْ نِكَاحِ ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ أَوْ عَنْ اسْتِحْلَالِ النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوْ الرِّبَا أَوْ الْمَيْسِرِ أَوْ عَنْ الْجِهَادِ لِلْكُفَّارِ أَوْ عَنْ ضَرْبِهِمْ الْجِزْيَةَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُمْ يُقَاتَلُونَ عَلَيْهَا حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ](٣).

فالخلاصة:

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٥٦).

(٢) الاعتصام: (٢/ ٣٩٦).

(٣) الفتاوى: (٢٨/ ص ٥٤٥).

أنه اذا ما اختلط دين الله بدين غيره، وتشريعه بتشريع غيره، وحكمه بحكم غيره، كانت الفتنة عن دين الله، ووجب القِتَال حتَّى لا تكون فتنة، وهذا هو الحاصل اليَوْم وما جناه حكامنا علينا من فساد في الداخل، وعدوان من الخارج وضنك في الحياة العامّة، وذل عَلى يد الأَعدَاء.

ولقد سمى ربنا سُبحَانَهُ وتَعَالَى أمثال هَؤُلَاءِ الحكَّام (الكافرون، الفاسقون، الظَّالمون)، فجاء من عملاء السّلاطين من يسمى هَؤُلَاءِ الحكَّام مسلمون صالحون، وأولياء أمور شرعيون، وكأن عندهم قرآنا خاصا بهم كتبوا فيه: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المُسلِمُون المُؤمِنُون الصّالحون!!!

سبحان الله!! كيف وقد أوجدوا مختصين بالقانون الوضعي، درسوا في بلاد الصليب الكافرة في الغرب، وأسموا واحدهم(مشرع) هكذا باللفظ الصريح، ناهيك عن ما يفعله هَؤُلَاءِ الملوك والرؤساء والأمراء من سن القوانين وتشريع المراسيم، بما في ذلك حلّ أجهزة التَّشريع ذاتها (البرلمان) اذا خطر لهم ذلك! فالحاكم تارة يعبد المشرع ويطلب من النّاس عبادته، وتارة يسجنه، وإذا أراد أن يقتله قتله!!! كما كانَ عباد الأصنام يصنع واحدهم إلها من تمر ثمّ يأكله! أو إلها من خشب ثمّ يحرقه ليطبخ عليه! ناهيك عن وجوه الكفر الأخرى الّتي تلبسوا بها من ولاء الكافرين، وقتل المُؤمِنِين، وأوجه نواقض الإيمان من الأقوال والأفعال.

هذا عن كفر حُكَّام بلاد الإِسْلَام في هذا الزّمان من باب التَّشريع من دون الله والحكم بغير ما أنزل الله.

ولكن هَؤُلَاءِ المحاربين لله ورسوله لم يكتفوا بكفرهم من هذا الوجه، فأضافوا إليه كفرا أشد وضوحا، وأسهل إثباتا، وهو ولاؤهم لأعداء المُسلِمِين ومعاونتهم للكفار ومظاهرتهم علىَ شعوبهم وأهل ملتهم، فلنتأمل في بعض التفصيل الموجز في الحكم الشَّرعيّ في جريمتهم الأخرى هذه.

عَقِيْدَة الوَلَاء والبَرَاء، وحكم مُوالاة الكافرين وأنواعها، وحكم قتال المُسلِمين إلى جانب الكفرة والمرتدّين:

بصرف النَّظر عن أجناس البشر وألوانهم، واختلاف لغاتهم وشعوبهم، وغناهم وفقرهم، أو أي اعتبار آخر، فقد اعتبرت الشّريعة لهم نسبتان فقط هما:

(مؤمن) و(كافر)، وقررت بالنصوص الواضحات من الكتاب والسنة، أن أهل الإيمان إخوة، ويشكلون أمة واحدة، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

كما قررت أن الكفّار عَلَى اختلاف مذاهب كفرهم، وأجناسهم، وشعوبهم، ولغاتهم (ملة واحدة)، وبهذا الوضوح تقرر أن أهل التكليف إنسهم وجنهم في هذه الأرض أمتان (أهل الإيمان) و(أهل الكفر).

وقد أمر الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى بكل وضوح المُؤمِنين بموالاة بعضهم بعضا، والبَرَاءة من الكافرين، وعلى هذا بنيت (عَقِيْدَة الوَلَاء والبَرَاء)، وليست هذه القضية، قضية فرعية من قضايا الإيمان، بل هيَ قضية أساسية، مرتبطة بأساس التّوحيد، إذ يبنى عليها الإيمان أو الكفر، ونسبة الإنسان لإحدى هاتين الأمتين.

وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة].

وأخبر بقوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [الأنفال: ٧٣]، ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ﴾ [التوبة: ٦٧].

وقال تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية]، فهما نسبتان وجنسيتان، وآصرتان ورابطتان فقط، (مسلم يُوالي مسلماً) و(كافر ومنافق يوالون بعضهم بعضاً).

وقد أمر الله باعتقاد هذه العَقِيْدَة، وأخبر أنّنا إن لم نفعلها ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال]، والناظر في آيات القرآن الكريم، يجد أنها غطت مسألة الأمر بولاية المُؤمِنين وما يترتب عليها،

والنهي عن ولاية الكافرين والأمر بالبَرَاءة منهم وما يترتب عليها، بكل التركيز والوضوح، ويمكن أن نورد طرفا من ذلك بالإيجاز من خلال استخلاص الأحكام والتقريرات القرآنية كما يلي:

١. المؤمن ولي المؤمن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ﴾ [التوبة: ٧١]

٢. الكافر وليُّ الكافر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [الأنفال: ٧٣]، ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

٣. النَّهي عن ولاية الكافرين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ [النساء: ١٤٤]

٤. ولاية المؤمن للمؤمن هيَ ولاية لله ورسوله وهي نصر وغلبة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: ٥٥]، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

٥. ولاية المُسلِم للكَافِرين هيَ ولاية للشَّيطَان، ودُخول في حِزبه:

وهي خسارة وسخط من الله تَعالَى يوجب الخلود في النَّار، قَالَ تَعالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المجادلة]، إلى قوله تَعالَى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة].

كما قَالَ تَعالَى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة: ٨٠ – ٨١].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء: ١١٩].

٦. ولاية المسلم للكافرين واهية وسيتبرأ الشّيطان من ولايتهم بعد أن ورطهم في الكفر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٥﴾ [العنكبوت].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾ [الحشر].

٧. ولاية المسلم للكافرين تجعله منهم وتحبط عمله وتُفضي بِهِ إلى الرِّدَّة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة] ثمّ قَالَ بعدها: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة].

وبعد أن قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ١٤٤﴾ [النساء]، قَالَ بعدها: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء].

٨. النَّهي عن اتّخاذِ الأقرباءِ والقومِ والعَشِيرة أولياءَ إن كانُوا كَافِرين:

وأن ودهم مع كفرهم بسبب القرابة مناقض للإيمان، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [التوبة].

وقال تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة]

٩. النهي عن اتخاذ الكفرة بطانة وأعوانا وقد بدت البغضاء من أفواههم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨﴾ [آل عمران].

١٠. النَّهي عَن وِلايَة مَن قَاتَلَنَا وأَخرَجَنَا من دِيَارِنَا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الممتحنة].

١١. النَّهي عن ولاية من اتخذ ديننا هزوًا ولعباً:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [المائدة]

١٢. التَّشديد في النَّهي عن ولاية اليَهُوْد والنّصَارى خاصّة من بين الكافرين:

إن الناظر في أسباب نزول معظم آيات النهي عن ولاية الكافرين، يجد أنها نزلت في النهي عن ولاية اليَهُوْد والنّصَارى، ومع ذلك فقد سمتهم آيات القرآن صراحة من بين الكافرين المنهي عن ولايتهم جميعا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٥١].

و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٥٧].

١٣. الأمر بِالأخذِ بِمِلَّةِ إبرَاهِيم بِالبَرَاء ة الكَامِلَةِ مِنْ الكَافِرين وبُغضِهم ومُعَادَاتِهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [الممتحنة]

١٤. حدَّدَت الآياتُ القُرآنيَّة أعذَارَ مَنْ يَتَولَّى الكُفَّارَ مِنَ المُسلِمِينَ ويَقَعُونَ فِي النِّفَاقِ أنَّهَا إمَّا مِن أَجلِ طَلَبِ العِزَّةِ أو لِلخَوفِ مِنَ الأَذَى والدَّوَائِر:

وقد رد القرآن عَلى هذه الأعذار وأبطلها، وحكم عَلى أصحابها بالنِّفَاق والردة والانتساب للكفار، وذلك بسبب مرض قلوبهم وأن عاقبتهم الندم في الدُّنيَا والآخرة وأن مصيرهم إلى النار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء]، و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المائدة]

****

ومن أخطر مظاهر مُوالاة الكافرين:

١ – التشبه بهم في الملبس والسُّلُوك والعادات والأسماء عَلى سبيل الإعجاب والاستحسان والتبعية، وقد روي عنه ﷺ: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١).

٢–السكن مع المشركين في ديارهم ومساكنهم من غير ضرورة، قَالَ ﷺ: «لَا تُسَاكِنُوا الْمُشْرِكِينَ، وَلَا تُجَامِعُوهُمْ، فَمَنْ سَاكَنَهُمْ أَوْ جَامَعَهُمْ فَهُوَ مِثْلُهُمْ»(٢).

٣– الاحتفال بأعيادهم ومناسباتهم، وتهنئتهم بها، وتبادل الهدايا معهم: وقد شدد علماء الإِسْلَام في قضايا الوَلَاء والمحبة للكافرين.

وهذه الأمور السالفة الذكر من التشبة بالكافرين ومساكنتهم بغير ضرورة شرعيّة معتبرة، والإحتفال بأعياد المجوس واليَهُوْد، والنّصَارى، قد أصبحت متفشية في المُسلِمِين حتَّى وكأنها من عاداتهم ودينهم، وكأنه لا يترتب عليها الإثم والغضب من الله تَعَالَى: فأكثر المُسلِمِين اليَوْم يظنها من مظاهر التمدن والحضارة، وأنها من مزايا علية القوم وأكابرهم، فاللباس الأجنبيّ والصرعات الغربيّة في الأزياء، وموديلات قص الشعر، وعادات الطعام والشراب، وهيآت الفرش، والقيام والقعود، والموسيقي والرقص، والسُّلُوك الأوروبي والأمريكيّ، قد صارت محل سباق وتنافس بين مختلف طبقات المُسلِمِين إلا من رحم الله.

وأما السكن والإقامة في بلاد الكافرين، فالناظر في أعداد المُهَاجِرين لبلاد الكفّار، والمقيمين معهم، والمتزوجين منهم، والقاضين حياتهم ومماتهم وحياة ذريتهم في بلاد الكافرين، يدهش من كثرتهم، بل لقد أصبح النّاس في بلادنا ينظرون اليهم عَلى أنهم من أصحاب الحظ والفوز اليَوْم، فالنّاس يتسابقون ولاسيما الشَّبَاب، ويصطفون عَلى أبواب سفارات الكفّار ولاسيما أوروبّا وأمريكا وأستراليا، ليحظى واحدهم بـ(فيزا) عمل أو هِجرَة، والناظر في حياة عشرات الملايين من المُسلِمِين في الغرب، يرى العجب

---

(١) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصححه شاكر والألباني (صحيح الجامع–٢٨٣١) ولأطراف الحديث شواهد في البخاري.

(٢) رواه الترمذي: (١٠٦٤) والحاكم (٦٩٠٥) وصححه الذهبي، وأورده الألباني في (الصحيحة–٦٣٦).

العجاب، ولاسيما في أولادهم وأحفادهم، مما يتفطر القلب له، فقد فشا فيهم الزواج بالكافرات بل لقد فشا زواج بناتهم برجال الكافرين، ووجدوا من علماء المُسلِمِين من يفتى لهم بهذا السفاح!

كما يربى الأولاد تربية الكافرين في مدارسهم، ولا يعرفون لغات آبائهم المُسلِمِين، بل صار بعضهم يدخل جُيُوش الكفّار وأحزابهم! والناظر في أحوال ٤٠ مليون مسلم في أوروبّا، ونحو نصفهم في أمريكا وأستراليا، يجد أن الغالبيّة منهم لم يذهبوا إلى هناك لضرورة سياسيّة أو أمنيّة أو إكراه، وإنما لكسب العيش وتحسين مستوى الحياة، فلما إنقضت حاجتهم، استطابوا العيش، ورضوا بالحياة الدُّنيَا، واطمأنوا بها، وما اهتموا لإنسلاخهم أو ذراريهم من دينهم، ولا لانخراط أكثرهم في عداد الكافرين وأما احتفال المُسلِمِين في بلادنا بأعياد الكفّار، ولاسيما النّصرانية والغربيّة، فقد صارت عادة رائجة عند أكثر المُسلِمِين في بلادنا، فالاحتفال بعيد الميلاد النّصراني، وعيد رأس السنة المسيحية، والأعياد الّتي اخترعوها، مثل عيد ميلاد الشخص، وعيد الأم، وعيد الأب، وعيد الشجرة، وعيد الزواج، وعيد العشاق، وعيد العمال، فقد أصبح الاحتفال بها من قبل المُسلِمِين وحُكُومَاتهم ووسائل إعلامهم أمرا عاديا، وبلغ ببعض المُسلِمِين أن ينصبوا في بيوتهم شجرة عيد الميلاد المزينة، ويقدموا لأولادهم الهدايا ليلتها، ويحتفلون بها مثل أعيادنا الفطر والأضحى وأكثر.

وكل ما سبق محرم في الشّريعة، يأثم فاعله وهو من مظاهر الفسوق والعصيان، وقد جاءنا نتيجة للهزيمة النّفسية الروحية والعقدية والسّياسيّة والعسكريّة والاقتصاديَّة أمام الغرب الكافر.

٤- الجلوس مع الكفرة والمرتدّين والمُنَافِقين وهم يستهزئون بآيات الله وشعائر دينيه وعباده المُؤمِنِين: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء].

طاعة الكفّار فيما نهى الله عنه ولو بشيء قليل: قَالَ تَعَالَى في سورة محمّد ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [محمد]، فطاعة الّذين كرهوا شريعة الله، في أمرهم ولو بشيء قليل طريق للردة.

٥-اتخاذ الكفرة بطانة ومستشارين، وناصحين ومعاونين، ووضع المُسلِمِين تحت أمرهم ونهيهم، فهذا شكل من أشكال ولايتهم الّتي نهى الله عنها.

٦-النصيحة للكفار ودلالتهم عَلى ما يقويهم ونصرتهم بالرّاي عَلى المُسلِمِين.

٧-التحاكم إلى قوانينهم وشرائعهم، هو من أكبر أشكال ولايتهم، قَالَ الإِمَام ابن تَيمِيّة ﷺ في مجموع الفتاوى ج٢٨/ ١٩٩: [**وَمِنْ جِنْسِ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ الَّتِي ذَمَّ الله بِهَا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُنَافِقِينَ: الْإِيمَانُ بِبَعْضِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الْكُفْرِ أَوْ التَّحَاكُمُ إلَيْهِمْ دُونَ كِتَابِ الله، كَمَا قَالَ تَعَالَى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [النساء]].

إلا أن أخطر ذلك وأوضحه ردة هو:

٨- القِتَال معهم وتحت رايتهم وفي خدمة مصالحهم، وهذه أعظم أشكال الولاية، حيث يضحي المرء بروحه في سبيل الكفّار، وهو كفر مخرج من ملة الإِسْلَام، وانتماء إليهم بنص القرآن: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] وقد برئ الله منه: ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦] وقال تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر].

ومن الآثار الّتي وردت في تفسير بعض النّصوص القرآنية السّابقة:

قَالَ ابن حزم ﷺ ينقل الإجماع: [**وَصَحَّ أَنَّ قَوْلَ الله** ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ **إنَّمَا هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ بِأَنَّهُ كَافِرٌ مِنْ جُمْلَةِ الْكُفَّارِ فَقَطْ، وَهَذَا حَقٌّ لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ**][1].

قَالَ الطبري ﷺ في تفسيره: [**وَمَنْ يَتَوَلَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى دُونَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ، يَقُولُ: فَإِنَّ مَنْ تَوَلَّاهُمْ وَنَصَرَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ دِينِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ، فَإِنَّهُ لَا يَتَوَلَّى مُتَوَلٍّ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ بِهِ وَبِدِينِهِ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ رَاضٍ، وَإِذَا رَضِيَهُ وَرَضِيَ دِينَهُ فَقَدْ عَادَى مَا خَالَفَهُ وَسَخِطَهُ، وَصَارَ حُكْمُهُ حُكْمَهُ**][2].

---

(١) المحلى لابن حزم: (١٢/ ٣٣)

(٢) تفسير الطبري: (١٠/ ٤٠٠).

وقال ابن جرير في تفسير[لَا تَتَّخِذُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكُفَّارَ ظَهْرًا وَأَنْصَارًا، تُوَالُونَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَتُظَاهِرُونَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَدُلُّونَهُمْ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ؛ يَعْنِي بِذَلِكَ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللهِ، وَبَرِئَ اللهُ مِنْهُ بِارْتِدَادِهِ عَنْ دِينِهِ][1].

وقال ابن القيِّم في كتابه أحكام أهل الذِّمة: [أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ حَكَمَ، وَلَا أَحْسَنَ مِنْ حُكْمِهِ، أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّى الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فَهُوَ مِنْهُمْ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ فَإِذَا كَانَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنْهُمْ بِنَصِّ الْقُرْآنِ كَانَ لَهُمْ حُكْمُهُمْ][2].

قَالَ ابن كثير في تفسير سورة المائدة الآية (٥٠-٥٣): [أي نَهَى تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَالَاةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، قَاتَلَهُمُ اللهُ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، ثُمَّ تَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ مَنْ يَتَعَاطَى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ قال ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: "... أَنَّ عُمَرَ أَمَرَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ مَا أَخَذَ وَمَا أَعْطَى فِي أَدِيمٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ لَهُ كَاتِبٌ نَصْرَانِيٌّ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ ذَلِكَ، فَعَجِبَ عُمَرُ وَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَحَفِيظٌ، هَلْ أَنْتَ قَارِئٌ لَنَا كِتَابًا فِي الْمَسْجِدِ جَاءَ مِنَ الشَّامِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَجُنُبٌ هُوَ؟ قَالَ: لَا بَلْ نَصْرَانِيٌّ، قَالَ: فَانْتَهَرَنِي وَضَرَبَ فَخِذِي، ثُمَّ قَالَ: أَخْرِجُوهُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١] حدثنا محمّد بن الحسن، ... قَالَ عبدالله بن عتبة: (لِيَتَّقِ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ)، قَالَ: فَظَنَنَّاهُ يُرِيدُ هَذِهِ الْآيَةَ][3].

قَالَ ابن كثير: [وَقَوْلُهُ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أَيْ: شَكٌّ، وَرَيْبٌ، وَنِفَاقٌ ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ أَيْ: يُبَادِرُونَ إِلَى مُوَالَاتِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ فِي الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أَيْ: يَتَأَوَّلُونَ فِي مَوَدَّتِهِمْ وَمُوَالَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ أَنْ يَقَعَ أَمْرٌ مِنْ ظَفَرِ الْكُفَّارِ بِالْمُسْلِمِينَ، فَتَكُونُ لَهُمْ أَيَادٍ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَيَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ، عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ قَالَ السُّدِّي: يَعْنِي فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَالَ غَيْرُهُ: يَعْنِي الْقَضَاءَ والفصلِ ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ قَالَ السُّدِّي: يعني ضرب الجزية على الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ﴿فَيُصْبِحُواْ﴾ يَعْنِي: الَّذِينَ وَالَوُا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنَ الْمُنَافِقِينَ ﴿عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ مِنَ الْمُوَالَاةِ ﴿نَٰدِمِينَ ۝٥٢﴾ [المائدة] أَيْ: عَلَى مَا

---

(١) تفسير الطبري: (٣/ ٣١٣).

(٢) أحكام أهل الذمة : (١/ ١٩٥).

(٣) تفسير ابن كثير: (٣/ ١٣٢).

كَانَ مِنْهُمْ، مِمَّا لَمْ يُجْد عَنْهُمْ شَيْئًا، وَلَا دَفَعَ عَنْهُمْ مَحْذُورًا، بَلْ كَانَ عَيْنَ الْمُفْسِدَةِ، فَإِنَّهُمْ فُضِحُوا، وَأَظْهَرَ الله أَمْرَهُمْ فِي الدُّنْيَا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا مَسْتُورِينَ لَا يُدْرَى كَيْفَ حَالُهُمْ، فَلَمَّا انْعَقَدَتِ الْأَسْبَابُ الْفَاضِحَةُ لَهُمْ، تَبَيَّنَ أَمْرُهُمْ لِعِبَادِ الله الْمُؤْمِنِينَ](١)

(سبحان الله كأنها تحكى هذه الآية وتفسيرها حالة حُكَّام بلاد المُسلِمِين الّذين يعاونونها كمشرف وحكومته الباكستانية في موالاتهم لأمريكا لأَنّهم يظنُّون أنها ستنتصر عَلى المُسلِمِين فيكون لهم عندهم مكانة، واعتذارهم عن ذلك بخوف الدّائرة والمصيبة منها، والرغبة في طلب العز منها، وما سيندمون عليه من افتضاح أمرهم وخسارتهم وعقوبتهم عَلى أيدي المُؤمِنِين لما يأتي نصر الله).

وفي قوله تَعالَى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨] قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى: [نَهَى الله، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُوَالُوا الْكَافِرِينَ، وَأَنْ يَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ يُسِرُّون إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ تَوَعَّدَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ أَيْ: مَنْ يَرْتَكِبُ نَهْيَ الله فِي هَذَا فَقَدْ بَرِئَ الله مِنه، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ أَيْ: يُحَذِّرُكُمْ نِقْمَتَهُ، أَيْ مُخَالَفَتَهُ وَسَطْوَتَهُ فِي عَذَابِهِ لِمَنْ وَالَى أَعْدَاءَهُ وَعَادَى أَوْلِيَاءَهُ.](٢).

وفي قوله تَعالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران] قَالَ ابن كثير: [يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَاهِيًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اتِّخَاذِ الْمُنَافِقِينَ بِطَانَةً، أَيْ: يُطْلعونهم عَلَى سَرَائِرِهِمْ وَمَا يُضْمِرُونَهُ لِأَعْدَائِهِمْ، وَالْمُنَافِقُونَ بِجُهْدِهِمْ وَطَاقَتِهِمْ لَا يَأْلُونَ الْمُؤْمِنِينَ خَبَالا أَيْ: يَسْعَوْنَ فِي مُخَالَفَتِهِمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، وَبِمَا يَسْتَطِيعُونَهُ مِنَ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ، وَيَوَدُّونَ مَا يُعْنِتُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحْرِجُهُمْ ويَشُقّ عَلَيْهِمْ](٣).

وكما ذكرنا فالآيات والأحاديث والآثار وأقوال العُلَماء متضافرة بهذه المعاني.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣١).

(٣) تفسير ابن كثير: (٢/ ١٠٦).

وهذه الحقائق هيَ من أولويات الإِسْلَام وأساسِيَّات العَقِيْدَة، الّتي يلخصها بكل إيجاز ووضوح، خطاب القرآن الصَّريح لكلِّ مسلم:

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ **وهذا واضح، فمن يتولَّى الكفّار فهو كافرٌ مرتدّ مثلهم قد برئ الله منه.**

وقد عد الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب مظاهرة الكفّار عَلى المُسلِمِين في نواقض الإِسْلَام العشرة الّتي ذكرها وهي:

١- الشرك بالله، الذبح لغير الله وللقبر.

٢- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم.

٣- من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم، كفر.

٤- من اعتقد أن غير هدي النبيّ ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت عَلى حكمه فهو كافر.

٥- من أبغض شيئا مما جاء به الرَّسُول ﷺ – ولو عمل به – فهو كافر.

٦- من استهزأ بشيء من دين الرَّسُول أو ثوابه أو عاقبه كفر، والدليل: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: ٦٥].

٧- السحر، فمن فعله أو رضي به كفر، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٨- مظاهرة المشركين ومعاونتهم عَلى المُسلِمِين: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، **وهي محل الشاهد.**

٩- من اعتقد أن بعض النّاس يسعه الخروج عن شريعة محمّد ﷺ، كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

١٠- من أعرض عن دين الله، لا يتعلمه ولا يعمل به ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف:٣]

قَالَ سليمان بن عبدالله بن الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب: [اعلم رحمك الله: أنَّ الإنسان إِذا أَظهر للمشركين الموافقة على دينهم: خوفاً منهم ومداراةً لهم، ومداهنةً لدفع شرِّهم، فإنَّه كافرٌ مثلهم وإنْ كان يكره دينَهم ويبغضهم، ويحبُّ الإسلام والمسلمين، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كانَ في دار منعة واستدعى بهم، ودخل في طاعتهم، وأظهر الموافقة عَلى دينهم البَاطِل، وأعانهم عليه بالنّصرة، ووالاهم، وقطع الموالاة بينه وبين المُسلِمِين، فإن هذا لا شَّكَّ مسلم أنه كافر من أشد النّاس عداوة لله ورسوله ﷺ ولا يستثنى من ذلك إلا المكره، وقد أجمع العُلَماء عَلى أن من تكلم بالكفر هازلاً فإنَّه يكفر، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً]، وساق الشَّيْخ عشرين دليلاً عَلى قوله منها: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة] الحديث «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ»(١)، قَالَ الشَّيْخ سليمان بن عبدالله بن محمّد بن عبد الوهاب: [إن الّذي يدعي الإِسْلَام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنّصرة والمنزل معهم يعده المشركين منهم فهو كافر مثلهم، إن ادعى الإِسْلَام، كالنّاس الّذين أقاموا في مكّة وادعوا الإِسْلَام بعد الهِجرَة، وخرجوا في بدر فظن بعض الصّحابة إنهم مسلمون وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] من ظهرت منه علامات النِّفَاق الدالة عليه كارتداده عند التحزيب عَلى المُؤمِنِين وخذلانهم عند اجتماع العدوّ، يجوز إطلاق اسم منافق عليه](٢).

إذن، وللشهادة لله نقول:

---

(١) رواه أو داود (٢٧٨٧) وصححه الألباني، وقال الأرنؤوط :" إسناده مسلسل بالضعفاء، ويغني عنه ما صح عن جرير بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «أنا بريء من كل مسلم يُقيم بين أظهر المشركين» قالوا: يا رسول الله، لم؟ قال: «لا تراءى ناراهما»".

(٢) الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك : (٢٩).

إن من أعظم التلبيس والظُّلم والافتراء عَلى الله الكذب، ومن أعظم تبديل آيات الله واتخاذها هزوا، ومن بيع الدّين بالدنيا والشراء بآيات الله ثمنا قليلا، أن يحاول المدلسون أن يصوروا هذا الوَلَاء الكامل الحاصل من حُكَّام المُسلِمِين، وهذا الحلف المتين القائم بينهم وبين اليَهُوْد والنّصَارى، من أمريكان وأوروبيين وسواهم من الكفّار عَلى أنه قضية ضرورات ومصالح مشروعة، أو حالات إكراه، بعد أن تبدى النِّفَاق منهم، وتنوعت أشكال ولائهم للكفار، بل بلغت أعلاها، من القِتَال معهم والدّفاع عنهم، وبنصرتهم عَلى المُسلِمِين مهما كلف ذلك من خراب ديار المُسلِمِين، وزهق أنفسهم وسفك دمائهم وبيع أراضيهم ونهب ثرواتهم، مما لا يمكن تسميته إلا أنه خيانة وعمالة لهم وولاء للكافرين وبراء من المُؤمِنِين.

والحقيقة الّتي لاغباش فيها، هيَ أن الرِّدَّة المتأتية عن هذا الوَلَاء للكفار، الّتي تلبس بها أكثر حُكَّام المُسلِمِين اليَوْم، وجروا إليها أنظمتهم وحُكُومَاتهم، وجروا إليها، جودهم ورجال أمنهم والعاملين في حُكُومَاتهم، هيَ من أوضح وجوه كفرهم ونفاقهم.

وهي بالإضافة لما تلبسوا به من الكفر الصريح لتبديلهم شرائع الإِسْلَام واستبدالها بشرائع الكفر والطَّاغوت، من فلسفات وشرائع أعداء هذا الدّين، الّذين والوهم، تكون شاهدين يدمغان هَؤُلَاءِ الحكَّام بالردة والكفر والخروج من ملة الإِسْلَام.

ولا يدفع هذا الحكم عنهم تدليس المدلسين الّذين نصبوا من أنفسهم خصماء عن هَؤُلَاءِ الخونة رغم قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾

فقد قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ١٠٩﴾ [النساء]

فسبحان الله! ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد]؟ وما أظنها إلا الاثنتين معاً.

قلوب مقفلة ولاتتدبر القرآن، بسبب ما ران عَلى تلك القلوب من السحت وأكل أموال السّلاطين، مصداقاً لقوله ﷺ: «مَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا»[١] أبعدهم الله.

ثالثا: الخروج علىَ الحاكم إن ارتد عن الإسْلاَم أو كانَ كافرا واجب علىَ المُسلِمِين بالإجماع:

ماذا يترتب شَرعاً عَلى كفر الحاكم للمسلمين أو ردته عن الإِسْلَام؟:

كما ذكرنا آنفا، فان كافّة مصائب المُسلِمِين وما نزل بهم من كوارث داخليَّة مردها في الحقيقة إلى غياب شرع الله عنهم، وحكمهم بغير ما أنزل الله، وكفر حكامهم، وولائهم للكفار، فالأصل في الشّريعة أن «الإِمَام جُنَّة»[٢] يقاتل من ورائه ويدفع به العدوان، ويقوم به العدل والقسط، وتقضى به الحقوق، فتتوازن الأُمّة داخليا، وتدفع عدوها خارجيا، وبقدر فساد الحاكم تفسد أحوال الرعية، والعُلَماء هم ضابط الحكَّام، وبقدر فسادهم يفسد الحكَّام، فكما جاء في الأثر:«صِنفَانِ مِنَ النّاسِ إذا صَلحَا صَلَحَ النّاس وإذا فَسَدَا فَسَد النّاس، العُلَماءُ والأمراءُ»[٣]، والحقيقة أن بحث مسألة إسلام حكامنا أو كفرهم وردتهم، بعدما آلت الأحوال إلى ما نراه اليَوْم، هيَ مسألة في غاية العظمة والخطورة، لأنها بوابة البحث عن مخرج لمشاكل المُسلِمِين اليَوْم، فهي مسألة ديننا ودنيانا، وبالاختصار، فإن الحكم الشَّرعيّ بإسلام الحاكم، أو كفر الحاكم، يترتب عليه من اللوازم والنتائج، أحد فقهين متناقضين تماماً.

وقبل الخوض في مترتبات إسلام الحاكم أو كفره، نذكر بأمر هام جدا، وهو مفصل الهدى والضلال في هذه المسألة، هذا الأمر هو: أن إسلام الحاكم أو كفره مرتبط تماما بقضية حكمه بالشّريعة الّتي يحكم بها، بمعنى:

---

(١) رواه أبو داود (٢٨٥٩) وأحمد (٩٦٨٣، ٨٨٣٦) وضعفه الأرنؤوط، وحسنه الألباني – الصحيحة (١٢٧٢).

(٢) طرفٌ من حديثٍ رواهُ البخاري (٢٩٥٧) ومسلم (١٨٤١) وغيرهما عن أبي هريرة يرفعه ومنه : «إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى الله عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ».

(٣) أثرٌ مروي عن عبدالله بن المبارك وبعض السَّلف، ولم تصح نسبته لابن عباس فقد رواه أبو نعيم في الحلية عنه ﷺ وقال الألباني: موضوع عن ابن عباس – ضعيف الجامع (٣٤٩٥).

- **إذا كانَ الحكم لله، والشّريعة قائمة، فالحاكم مسلم، ما لم ينقض إسلامه.**
- **وإذا كانَ الحاكم مسلما، فمن لوازم ذلك أن يحكم بما أنزل الله.**

فليس هناك حكم بما أنزل الله إن كانَ الحاكم كافراً، ولا يكون الحاكم مسلماً إذا حكم بغير ما أنزل الله، فهما مترادفتان: حاكم مسلم = حكم بما أنزل الله.

وعكسها بعكسها: حكم بغير ما أنزل الله = حاكم كافر.

وهذا أوضحناه في الفقرة السالفة، عندما تكلمنا عن الحاكِمِيَّة والوَلَاء.

من لوازم ونتائج كون الحاكم مسلما يحكم بشريعة الله ويوالي المُؤمِنِين ويعادي الكافرين:

وجوب السّمع والطاعة له في كلّ ما يأمر به، ما لم يكن معصية، في المنشط والمكره، والصّبر عَلَى الأثرة، وأن لا ينازعه أمره قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩].

وجوب احترام المُسلِمِين لعهوده، وعقوده ومعاهداته واتفاقاته وأمانه وذمته، مادامت في حدود الشّريعة.

وجوب النَّفِير معه إن استنفر المُسلِمِين للجِهَاد في سبيل الله، ضدّ الكفّار او المرتدّين، أو البغاة أو المفسدين في الأرض.

وجوب نصيحته، والتّعاون معه عَلَى البر والتقوى والمعروف قدر الاستطاعة، وعدم الافتئات عليه ما لم يفرط بالأمر بالمعروف والنهى عن المُنكر.

وجوب الصّبر عليه، وطاعته، وإن أخذ مالك، وجلد ظهرك، وإن تلبس بالفسق في نفسه، والجور في حكمه، ما لم يتلبس بكفر فيه من الله برهان، والأحاديث الدالة عَلَى هذه الأمور كثيرة.

هذا كله مادام الحاكم مسلما لم يتلبس بناقض من نواقض الإيمان، أو كفر فيه من الله برهان كما في الحديث الصَّحِيح المتفق عليه، عن عبادة بن الصامت ﷺ قَالَ: **دَعَانَا رَسُولُ الله ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ» قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ»**. وهذه رواية مسلم[١].

(١) رواه البخاري (٧٠٥٥، ٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

وجوب جِهَاد الحاكم الكافر أو المرتدّ:

نقل الإمَام النووي في شرحه لصحيح مسلم عند شرح هذا الحديث عن القاضي عياض الإجماع عَلى الخروج عَلى الحاكم إن كفر، فقال: [**قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَةَ لَا تَنْعَقِدُ لِكَافِرٍ وَعَلَى أَنَّهُ لَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ الْكُفْرُ انْعَزَلَ قَالَ وَكَذَا لَوْ تَرَكَ إِقَامَةَ الصَّلَوَاتِ وَالدُّعَاءَ إِلَيْهَا... قَالَ الْقَاضِي فَلَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ كُفْرٌ وَتَغْيِيرٌ لِلشَّرْعِ أَوْ بِدْعَةٌ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ الْوِلَايَةِ وَسَقَطَتْ طَاعَتُهُ وَوَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْقِيَامُ عَلَيْهِ وَخَلْعُهُ وَنَصْبُ إِمَامٍ عَادِلٍ إِنْ أَمْكَنَهُمْ ذَلِكَ فَإِنْ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ إِلَّا لِطَائِفَةٍ وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْقِيَامُ بِخَلْعِ الْكَافِرِ وَلَا يَجِبُ فِي الْمُبْتَدِعِ إِلَّا إِذَا ظَنُّوا الْقُدْرَةَ عَلَيْهِ فَإِنْ تَحَقَّقُوا الْعَجْزَ لَمْ يَجِبِ الْقِيَامُ وَلْيُهَاجِرِ الْمُسْلِمُ عَنْ أَرْضِهِ إِلَى غَيْرِهَا وَيَفِرَّ بِدِينِهِ**][1]

قَالَ الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البُخَارِيّ: [**أَنَّهُ- أي الإمام- يَنْعَزِلُ بِالْكُفْرِ إِجْمَاعًا فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ الْقِيَامُ فِي ذَلِكَ فَمَنْ قَوِيَ عَلَى ذَلِكَ فَلَهُ الثَّوَابُ وَمَنْ دَاهَنَ فَعَلَيْهِ الْإِثْمُ وَمَنْ عَجَزَ وَجَبَتْ عَلَيْهِ الْهِجْرَةُ من تِلْكَ الأَرْض**][2].

قَالَ أبو يعلى: [**إن حَدَثَ مِنهُ مَا يَقدَحُ في دِينِهِ نَظَرتَ فَإِن كَفَرَ بَعدَ إِيمَانِهِ فَقَد خَرَجَ عَن الإِمَامَة وَهَذَا لَا إِشكَالَ فِيهِ لِأَنَّه خَرَجَ عَنْ المِلَّةِ وَوَجَبَ قَتلُه**][3].

قَالَ الأستاذ عبد القادر عودة رَحِمَهُ اللهُ في كتابه (الإِسْلَام بين جهل أبنائه وعجز علمائه): [**وأن إباحة المجمع عَلى تحريمه كالزنا والسكر واستباحة إبطال الحدود وتعطيل أحكام الشّريعة وشرع ما لم يأذن به الله إنما هو كفر وردة وأن الخروج عَلى الحاكم المسلم إذا ارتد واجب عَلى المُسلِمين وأقل درجات الخروج عَلى أولي الأمر هو عصيان أوامرهم ونواهيهم المخالفة للشريعة**].

وقد استنبط العُلَماء والمفسرون من قوله تَعَالَى لسيدنا إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّـٰلِمِينَ ١٢٤﴾ [البقرة: ١٢٤] أن الإمامة لا تنعقد لكافر بل ولا لفاسق أو ظالم ابتداء، وكذلك استنبطوا من قوله تَعَالَى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: (ج١٢- ص٢٢٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر: (ج١٣ص١٢٣).

(٣) المعتمد في أصول الدين: (ص: ٢٤٣).

[النساء]، أي لا يجعل الله للكافرين عَلى الْمُؤمِنِين سلطة وقهرا وتحكما، ومن أعظم السّلطة ولاية الحاكم، فهي الإمامة العظمى، وأعظم سبيل للطاعة والقهر بل لقد منع العُلَماء بيع الرقيق المسلم لكافر، وكذلك منعوا المناصب والولايات الّتي يكون فيها المسلم تحت الكافر، ومن هذا الوجه حرم زواج المسلمة بالكافر، لأن ولاية البيت للزوج، وستكون المسلمة في أمر كافر، في حين أباح العكس، فالخلاصة كما نقل النووي الإجماع عَلى بطلان ولاية الحاكم الكافر أو من ارتد وطرأ عليه الكفر ووجوب الخروج عليه وخلعه.

جاء في كتاب الإمامة العظمى عند أهل السّنّة (تأليف عبدالله الدميجي) في الفَصل الثّالث تحت عنوان (عزل الإِمَام والخروج عَلى الأئمة) ص ٤٦٥ ما ننقل منه باختصار مايلي:

[من المتفق عليه بين العُلَماء أن الإِمَام ما دام قائما بواجباته الملقاة عَلى عاتقه في تدبير شؤون رعيته، عادلا بينهم فلا يجوز عزله ولا الخروج عليه، بل ذلك مما حذر منه الإِسْلَام وتوعد الغادر بعذاب أليم، لكن هناك أموراً عظيمة لها تأثير عَلى حياة الْمُسلِمِين الدّينيّة والدنيوية منها ما يُؤَدِّي إلى ضرورة عزل الإِمَام المرتكب لها، وهذه الأمور منها ما هو متفق عليه بين العُلَماء ومنها ما هو مختلف فيه، والآن نستعرض هذه الأسباب لنرى آراء العُلَماء فيها:

الأوّل: الكفر والردة بعد الإِسْلَام:

أول الأمور وأعظم الأسباب الموجبة لعزل الوالي هو الرِّدَّة والكفر بعد الإيمان، فإذا ما ارتكب الإِمَام جرماً عظيماً يُؤَدِّي إلى الكفر والإرتداد عن الدّين فإنه ينعزل بذلك ولا يكون له ولاية عَلى مسلم بحال.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١﴾ [النساء] وأي سبيل أعظم من سبيل الإمامة؟ وفي الحديث الّذي رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه قَالَ: **بَايَعَنَا – أي رَسُولَ الله ﷺ– «عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»** قَالَ: **«إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ»**[1]، قَالَ الخطابي: (معنى بواحاً: يريد ظاهراً بادياً) **«عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ»**

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٧٠٥٥، ٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

قَالَ الحافظ بن حجر في شرح البُخَارِيّ[١]: (أَيْ نَصُّ آيَةٍ أَوْ خَبَرٌ صَحِيحٌ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ)، وقال النووي في شرحه لمسلم: (وَالْمُرَادُ بِالْكُفْرِ هُنَا الْمَعَاصِي وَمَعْنَى عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ أَيْ تَعْلَمُونَهُ مِنْ دِينِ الله تَعَالَى وَمَعْنَى الْحَدِيثِ لَا تُنَازِعُوا وُلَاةَ الْأُمُورِ فِي وِلَايَتِهِمْ وَلَا تَعْتَرِضُوا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنْ تَرَوْا مِنْهُمْ مُنْكَرًا مُحَقَّقًا تَعْلَمُونَهُ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ)[٢]، ومن مفهوم هذا الحديث أنه لا يشترط أن يعلن هذا الحاكم الرِّدَّة عن الإِسْلَام أو الكفر، بل يكفى إظهاره لبعض المظاهر الموجبة للكفر، قَالَ الشَّيْخ أنور شاه كشميري في كتاب (إكفار الملحدين) ص٢٢ في نسخة (المجلس العلمي في كراتشي): "ودل – أي هذا الحديث– أيضاً عَلى أن أهل القبلة يجوز تكفيرهم وإن لم يخرجوا عن القبلة، وأنه قد يلزم الكفر بلا التزام وبدون أن يريد تبديل الملة، وإلا لم يحتج الرائي إلى برهان".

فظاهر الحديث أن من طرأ عليه الكفر فإنه يجب عزله وهذا أهون ما يجب عَلى الأُمّة نحوه، إذ الواجب أن يقاتل ويباح دمه بسبب ردته لقوله ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[٣]، – ثمّ نقل الدّميجيّ كلام القاضي عياض وكلام ابن حجر والقاضي أبو يعلى الّذي أسلفناه– ثمّ قَالَ:[قَالَ السّفاقسي: "أجمَعُوا عَلى أنَ الخَلِيفَة إذا دَعَى إلى كُفر أو بِدعة يُقَامُ عَلَيهِ"[٤].

الثّاني: ترك الصّلاة والدّعوة إليها....

الثّالث: ترك الحكم بما أنزل الله:

والّذي يدل عَلى أن هذا السبب موجب لعزل الإِمَام بجميع صوره المكفرة والمفسقة هو ورودها مطلقة في الأحاديث النّبويّة الصَّحِيحة الآتية:

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»[٥].

---

(١) فتح الباري لابن حجر: (ج١٣/ ص٨).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي: (١٢/ ٢٢٩).

(٣) رواه البخاري: (٣٠١٧، ٦٩٢٢) وأصحاب السنن.

(٤) إرشاد الساري بشرح صحيح البُخَارِيّ: (ج ١٠ ص ٢١٧).

(٥) رواه البُخَارِيّ (٦٩٣، ٦٩٦).

عن أم الحُصين الأحمسيَّة قالت: "حَجَجْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ "، إلى أَنْ قَالَت ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ - حَسِبْتُهَا قَالَتْ - أَسْوَدُ، يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ الله تَعَالَى، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»(١) وفي رواية التِّرْمِذِيّ والنسائي سمعته يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ مَا أَقَامَ فِيكُمْ كِتَابَ الله»(٢).

فهذه الأحاديث واضحة الدلالة عَلى أنه يشترط للسمع والطاعة أن يقود الإِمَام رعيته بكتاب الله، أما إذا لم يحكم فيهم شرع الله فهذا لا سمع له ولا طاعة وهذا يقتضي عزله، وهذا في صور الحكم بغير ما أنزل الله المفسقة، أما المكفرة فهي توجب عزله ولو بالمقاتلة كما سبق بيانه في السبب الأوّل، والله أعلم].أهـ.

- وقد وقفت عَلى كلام في غاية الأهمّيّة كشاهد معاصر في موضوعنا هٰذا، فقد جاء في كتاب (تكملة فتح الملهِم - في شرح صحيح مسلم) لشيخ الإِسْلَام في باكستان (الشَّيْخ محمّد تقي العُثْمَانِيّ): عند شرح هذا الحديث الشريف:

عن جنادة بن أبي أمية، قَالَ: دخلنا عَلى عبادة بن الصامت وهو مريض فقلنا: حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به سمعته من رسول الله ﷺ، فقال:" دَعَانَا رَسُولُ الله ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ» قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ»"(٣).

---

(١) رواه مسلم (١٢٩٨، ١٨٣٨). ش: "عبد مجدّع" أي مقطع الأعضاء والتشديد للتكثير وإلا فالجدع قطع الأنف والأذن والشفة.

(٢) رواه الترمذي (١٧٠٦) والنسائي (٤١٩٢) وأحمد (١٦٦٤٦، ١٦٦٤٩) وصححه الألباني والأرنؤوط على شرط مسلم.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٧٠٥٥، ٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

قَالَ الشَّيْخ تقي عُثمَانِيّ: [قوله: « **وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ**» أي لا ننازع الأمير في إمارته، وزَادَ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقِ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ عَنْ جُنَادَةَ: « **وَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ لَكَ**»(١) **أي فِي الْأَمْرِ** حَقًّا، فَلَا تَعْمَلْ بِذَلِكَ الظَّنّ، بَلِ اِسْمَعْ وَأَطِعْ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَيْك بِغَيْرِ خُرُوجٍ عَنْ الطَّاعَة وزَادَ فِي رِوَايَةِ حَيَّانَ أَبي النَّضر عَن جُنَادَة عِنْد ابن حِبَّانَ وَأَحْمَدَ: « **وَإِنْ أَكَلُوا مَالَكَ، وَضَرَبُوا ظَهْرَكَ**»(٢) كما في فتح الباري (١٣/ ٨).

قوله: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحً**» بفتح الباء الواو، يُرِيدُ ظَاهِرًا بَادِيًا مِنْ قَوْلِهِمْ بَاحَ بِالشَّيْءِ يَبُوحُ بِهِ بَوْحًا وَبَوَاحًا: إِذَا أَذَاعَهُ وَأَظْهَرَهُ، ووقع في بعض الروايات: «**براحا**» بالراء بدل الواو، وهو قريب من هذا المعنى، وَأَصْلُ الْبَرَاحِ الْأَرْضُ الْقَفْرَاءُ الَّتِي لَا أَنِيسَ فِيهَا وَلَا بِنَاءَ وَقِيلَ الْبَرَاحُ الْبَيَانُ يُقَال بَرِحَ الْخَفَاءُ إِذَا ظَهَرَ، وَوَقَعَ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ في الحديث: «**كُفْرًا صُرَاحًا**» بصادٍ مضمومة ثمّ راء، هذا ملخص ما في فتح الباري (١٣/ ٨).

مسألة الخروج عَلى أئمة الجور:

وبهذا الحديث استدل جمهور العُلَماء عَلى أنه لا يجوز الخروج عَلى السُّلطَان الجائر أو الفاسق إلا أن يظهر منه كفر صريح، قَالَ الحافظ في الفتح (١٣/ ٧): " **قَالَ ابن بَطَّالٍ: فِي الْحَدِيثِ حُجَّةٌ فِي تَرْكِ الْخُرُوجِ عَلَى السُّلْطَانِ وَلَوْ جَارَ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْفُقَهَاءُ عَلَى وُجُوبِ طَاعَةِ السُّلْطَانِ الْمُتَغَلِّبِ وَالْجِهَادِ مَعَهُ وَأَنَّ طَاعَتَهُ خَيْرٌ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ حَقْنِ الدِّمَاءِ، وَتَسْكِينِ الدَّهْمَاءِ، وَحُجَّتُهُمْ هَذَا الْخَبَرُ وَغَيْرُهُ مِمَّا يُسَاعِدُهُ وَلَمْ يَسْتَثْنُوا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا وَقَعَ مِنَ السُّلْطَانِ الْكُفْرُ الصَّرِيحُ، فَلَا تَجُوزُ طَاعَتُهُ فِي ذَلِكَ بَلْ تَجِبُ مُجَاهَدَتُهُ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهَا**".

وربما يفهم منه بعض النّاس أن الإمَام الجائر لا يجوز الخروج عليه في حال من الأحوال مادام متسمِّيا باسم الإسْلَام، وليس الأمر عَلى هذا الإطلاق، ولاسيَّما عَلى مذهب الإمَام أبي حنيفة رحمه الله تعَالَى. يقول الإمَام أبو بكر الجصاص رحمه الله في أحكام القرآن (١/ ٨٦) تحت قوله تَعَالَى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ [البقرة] وَكَانَ مَذْهَبُهُ (**يعني أبا حنيفة**) مَشْهُورًا فِي قِتَالِ الظَّلَمَةِ وَأَئِمَّةِ الْجَوْرِ، ولذلك قَالَ

---

(١) رواه أحمد (٢٢٧٣٥) وقال الأرنؤوط: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه أحمد (٢٢٧٣٦) وابن حبان (٤٥٦٦، ٤٥٦٢) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني: الصحيحة (٣٤١٨).

الْأَوْزَاعِيُّ: احْتَمَلْنَا أَبَا حَنِيفَةَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى جَاءَنَا بِالسَّيْفِ يَعْنِي قِتَالَ الظَّلَمَةِ فَلَمْ نَحْتَمِلْهُ، وَقَضِيَّتُهُ فِي أَمْرِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ مَشْهُورَةٌ وَفِي حَمْلِهِ الْمَالِ إِلَيْهِ وَفُتْيَاهُ النَّاسَ سِرًّا فِي وُجُوبِ نُصْرَتِهِ وَالْقِتَالِ مَعَهُ وَكَذَلِكَ أَمْرُهُ مَعَ مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ ابْنَيْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنٍ".

أما الّذي أشار إليه الجصاص من قضية زيد بن علي، فما ذكره أصحاب التواريخ أن زيد بن علي لما خرج عَلى بني أمية أيده الإمَام أبو حنيفة بماله، وقد أخرج الموفق بسنده: (كانَ زيد بن علي أرسل إلى أبي حنيفة يدعوه إلى نفسه، فقال أبو حنيفة لرسوله: لو عرفت أن النّاس لا يخذلونه ويقومون معه قيام صدق، لكنت أتبعه وأجاهد معه من خالفه، لأنه إمام حق، ولكني أخاف أن يخذلوه كما خذلوا أباه، لكني أعينه بمالي فيتقوى به عَلى من خالفه، وقال لرسوله: (ابسط عذري عنده، وبعث إليه بعشرة آلاف درهم)، ثمّ قَالَ الموفق: (وفي غير هذه الرواية اعتذر بمرض يعتريه في الأيّام حتَّى تخلف عنه، وفي رواية أُخرى: **سئل عن الجِهَاد معه، فقال: خروجه يضاهي خروج رسول الله ﷺ يوم بدر،** فقيل له: فلم تخلفت عنه؟ قَالَ: لأجل ودائع كانت عندي للنَّاس عرضتها عَلى ابن أبي ليلى، فما قبلها، فخفت أن أقتل مجهلا للودائع، وكان يبكي كلما ذكر مقتله) راجع مناقب الإمَام الأعظم للموفق المكي(١/ ٢٦٠ و٢٦١).

وأما قصته مع محمّد النّفس الزكية وأخيه إبراهيم بن عبدالله، فإنهما خرجا عَلى المنصور، وذكر المكي في المناقب (٢/ ٨٤) أن أبا حنيفة كانَ يحض النّاس عَلى إبراهيم ويأمرهم بإتباعه، **وذكر قبل ذلك أنه كانَ يفضل الغزوة معه عَلى خمسين حجّة**، وذكر الكردي في مناقبه (٢/ ٢٢) أن الإمَام أبا حنيفة منع الحسن بن قحطبة أحد قواد المنصور من الخروج إلى إبراهيم بن عبدالله، **ويقال: إن المنصور سمَّ أبا حنيفة من أجل هٰذا، حتَّى توفى** رحمه الله.

وكذلك قصة سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه مع يزيد بن معاوية معروفة، وخرجت جماعة من المتقين عَلى الحجاج بن يوسف.

فالذي يظهر لهذا العبد الضعيف عفا الله عنه بعد مراجعة النّصوص الشَّرعيَّة وكلام الفقهاء والمحدثين في هذا البَاب – والله أعلم – أن فسق الإمَام عَلى قسمين:

الأوّل ما كانَ مقتصرا عَلى نفسه، فهذا لا يبيح الخروج عليه، وعليه يحمل قول من قَالَ: إن الإمَام الفاسق أو الجائر لا يجوز الخروج عليه.

والثّاني: ما كانَ متعديا وذلك بترويج مظاهر الكفر، وإقامة شعائره، وتحكيم قوانينه، واستخفاف أحكام الدّين، والامتناع من تحكيم شرع الله مع القدرة عَلَى ذلك لاستقباحه، وتفضيل شرع غيرالله عليه، فهذا ما يلحق بالكفر البواح، ويجوز حينئذ الخروج بشروطه.

وأحسن ما رأيت في هذا الموضوع كلام نفيس لشيخ مَشَايخنا حكيم الأُمّة **أشرف علي التهانوي** رَحِمَهُ اللهُ رسالته "جزل الكلام في عزل الإِمَام" وإنها مطبوعة في المجلد الخامس من إمداد الفتاوى (ص١١٩ إلى ١٣١).

وإن خُلاصة ما ذكره رَحِمَهُ اللهُ في تلك الرّسالة أن الأمور المخلة بالإمامة عَلى سبعة أقسام:

القسم الأوّل: أن يعزل الإِمَام نفسه بلا سبب، وهذا فيه خلاف، كما في شرح المقاصد (٢/ ٢٨٢).

والقسم الثّاني: أن يطرأ عليه ما يمنعه من أداء وظائف الإمامة، كالجنون، أو العمى، أو الصمم أو البكم، أي صيرورته أسيرا لا يرجى خلاصه، وهذا ما ينحل به عقد الإمامة، فينعزل الإِمَام في هذه الصُّور جميعا.

والقسم الثّالث: **أن يطرأ عليه الكفر، سواء كانَ كفر تكذيب وجحود، أو كفر عناد ومخالفة، أو كفر استخفاف أو استقباح لأمور الدّين، وفي هذه الصُّورة ينعزل الإِمَام، وينحل عقد الإمامة، فإن أصر عَلى بقائه إماما، وجب عَلى المُسلِمِين عزله بشرط القدرة ولكن يشترط في ذلك أن يكون الكفر متفقا عليه**، بدليل قوله ﷺ (في حديث البَاب): «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»[1] وكما يشترط قطعية الكفر، يشترط أيضا أن يكون صدوره منه قطعيًا كرؤية العين، ولا يكتفى في ذلك بالرِّوايات الظَّنِّيَّة، بدليل قوله ﷺ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا» المراد به رؤية العين بدليل تعديته إلى مفعول واحد، ثمّ قد تختلف الآراء في كون الصادر من السُّلطَان كفرا، أو في دلالته عَلى الكفر، أو في ثبوته بالقرائن الحالية والمقالية، أو في قطعية الكفر الصادر منه، فكل من عمل عند وقوع مثل هذا الخلاف برأيه الّذي يراه فيما بينه وبين الله يعتبر مجتهدا معذورا، فلا يجوز تفويق سهام الملامة إليه، عَلى أن وجوب الخروج في هذه الصُّورة مشروط بشرط القدرة، وبأن

(١) متفق عليه سبق تخريجه.

لاتحدث به مضرة أكبر من مضرة بقاء مثل هذا الإِمَام، يقول الشريف الجرجاني في شرح المواقف (٨/ ٣٥٣): **(إِنَّ لِلْأُمَّةِ خَلْعَ الْإِمَامِ وَعَزْلَهُ بِسَبَبٍ يُوجِبُهُ، مِثْلُ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ مَا يُوجِبُ اخْتِلَالَ أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَانْتِكَاسَ أُمُورِ الدِّينِ كَمَا كَانَ لَهُمْ نَصْبُهُ وَإِقَامَتُهُ لِانْتِظَامِهَا وَإِعْلَائِهَا، وَإِنْ أَدَّى خَلْعُهُ إِلَى فِتْنَةٍ اُحْتُمِلَ أَدْنَى الْمَضَرَّتَيْنِ)**[1]، فيمكن أيضا أن يقع الخلاف في تعيين أدنى المضرَّتين، فكل يعمل بما يراه فيما بينه وبين الله، فلا يجوز لواحد أن يلوم الآخر، وعلى مثل هذه الأمور الاجتهاديَّة يحمل اختلاف الصّحابة والتَّابعين ومن بعدهم في الخروج عَلى بعض الأئمة في زمنهم.

القسم رابع: أن يرتكب السُّلطَان فسقا مقتصرا عَلى نفسه، كالزنا، وشرب الخمر وما إلى ذلك، وحكمه أنه لا ينعزل به بنفسه، ولكنه يستحق العزل، فعلى الأُمّة أن تعزله إلا أن تترتب عَلى العزل فتنة، قَالَ في الدرّ المختار، باب الإمامة (**يكره تقليد الفاسق ويعزل به إلا لفتنة**) وقال ابن عابدين تحته: **"قَوْلُهُ: وَيُعْزَلُ بِهِ، أَيْ بِالْفِسْقِ لَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ؛ وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْعَزْلَ كَمَا عَمِلْت آنِفًا، وَلِذَا لَمْ يَقُلْ يَنْعَزِلُ... وَقَالَ ابن الهمام فِي الْمُسَايَرَةِ: وَإِذَا قُلِّدَ عَدْلًا ثُمَّ جَارَ وَفَسَقَ لَا يَنْعَزِلُ؛ وَلَكِنْ يُسْتَحَبُّ الْعَزْلُ إنْ لَمْ يَسْتَلْزِمْ فِتْنَةً"**[2] وحاصله أنه لا يجوز الخروج عليه في هذه الصُّورة بما فيه سفك الدِّماء وإثارة الفتنة...

والقسم الخامس: أن يرتكب فسقا يتعدى أثره إلى أموال غيره، بأن يظلم النّاس في أموالهم، **ولكن يتأول في ذلك بما فيه شبهة الجواز،** مثل أن يحمل النّاس الجبايات متأولاً فيها بمصالح العامّة، وحكمه أنه لا ينعزل به، وتجب إطاعته، ولا يجوز به الخروج عليه، كما سيأتي في عبارة ابن عابدين.

والقسم السَّادس: **أن يظلم النّاس أموالهم، وليس له في ذلك تأويل، ولا شبهة جواز، وحكمه أنه يجوز للمظلوم أن يدفع عنه الظُّلم، ولو بقتال ويجوز الصّبر أيضا بل يؤجر عليه، وأن هذا القِتَال ليس للخروج عليه، بل للدفاع عن المال، فلو أمسك الإِمَام عن الظُّلم وجب الإمساك عن القِتَال،** قَالَ

(١) الدر المختار بحاشية ابن عابدين: (٤/ ٢٦٤)

(٢) الدر المختار بحاشية ابن عادين: (١/ ٥٤٩).

ابن عابدين ناقلا عن فتح القدير: (وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ أَطَاقَ الدَّفْعَ أَنْ يُقَاتِلَ مَعَ الْإِمَامِ إلَّا إنْ أَبْدَوْا مَا يُجَوِّزُ لَهُمْ الْقِتَالَ كَأَنْ ظَلَمَهُمْ أَوْ ظَلَمَ غَيْرَهُمْ ظُلْمًا لَا شُبْهَةَ فِيهِ بَلْ يَجِبُ أَنْ يُعِينُوهُمْ حَتَّى يُنْصِفَهُمْ وَيَرْجِعَ عَنْ جَوْرِهِ، بِخِلَافِ مَا إذَا كَانَ الْحَالُ مُشْتَبَهًا أَنَّهُ ظُلْمٌ مِثْلُ تَحْمِيلِ بَعْضِ الْجِبَايَاتِ الَّتِي لِلْإِمَامِ أَخْذُهَا وَإِلْحَاقُ الضَّرَرِ بِهَا لِدَفْعِ ضَرَرٍ أَعَمَّ مِنْهُ)(١)، وهذا حكم المظلوم الّذي يقاتل دفعا للظلم عن نفسه، أما غيره فهل يجوز له أن ينصر هذا المظلوم ضدّ الإِمَام ؟ اختلفت فيه عبارات القوم، فذكر في فتح القدير أنه يجب عَلى غير الظلوم أن يعين هذا المظلوم والمقاتل حتَّى ينصفه الإِمَام ويرجع عن جوره، وذكر في جامع الفصولين والمبتغي والسراج أنه لا ينبغي للنَّاس معاونة السُّلطَان ولا معاونتهم، ووفق ابن عابدين بين القولين بأن وجوب إعانتهم إذا أمكن امتناعه عن بغيه، وإلا فلا، راجع رد المحتار، باب البغاة (٣/ ٣٤١)(٢)، وأما كون الصّبر أولى في هذه الحالة، فما سيأتي عند المصنف من حديث حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ ﵄ أخبر فيه عن أئمة الجور، وفيه:" قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ الله، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»"(٣) فالمراد من قوله ﷺ: «فَاسْمَعْ وَأَطِعْ» نهيُهُ عن الخروج، وأما القِتَال لدفع الظُّلم فجوازه مبني عَلى الأحاديث الّتي تبيح عن القِتَال عن النّفس وعن المال، وبما أن هذا القِتَال يشابه الخروج صورة، فتركه أولى استبراءً للدِّين.

والقسم السَّابع: أن يرتكب فسقاً متعدِّياً إلى دين النّاس، فيكرههم عَلى المعاصي، وحكمه حكم الإكراه المبسوط في محله، ويدخل هذا الإكراه في بعض الأحوال في الكفر حقيقة أو حكما، وذلك بأن يصر عَلى تطبيق القوانين المصادمة للشريعة الإِسْلَاميّة، إما تفضيلا لها عَلى شرع الله، وذلك كفر صريح، أو توانيا، وتكاسلا عن تطبيق شريعة الله ؛ بما يغلب منه الظن أن العمل المستمر عَلى خلاف الشّريعة يحدث استخفاف لها في القلوب، فإن مثل هذا التواني والتكاسل، وإن لم يكن كفرا صريحا بحيث يكفر به مرتكبه، ولكنه في حكم الكفر، بدليل ما ذكره الفقهاء من أنه لو ترك أهل بلدة

(١) الدر المختار بحاشية ابن عادين: (٤/ ٢٦٥) وفي فتح القدير لابن الهمام : (٦/ ١٠٢).

(٢) في طبعة التحقيق هو (٤/ ٢٦٠).

(٣) رواه مسلم (١٨٤٧).

الأذان حلّ قتالهم، لأنه من أعلام الدّين، وفي تركه استخفاف ظاهر به، راجع باب الأذان من الدر المختار ورد المحتار(١/ ٣٨٤)، وحينئذ يلحق هذا القسم السَّابع بالقسم الثّالث، وهو الكفر البواح، فيجوز الخروج عَلى التفصيل الّذي سبق في حكمه.

ثمّ إن وجوب الخروج في القسم الثّالث والسَّابع مشروط بالقدرة والمنعة، وجواز الخروج فيهما مشروط بأن يرجى عقد الإمامة لرجل صالح تواجد فيه شروط الإمامة، وأما إذا صار الأمر من جائر إلى جائر، أو استلزم، مثل استيلاء الكفّار عَلى المُسلِمِين، فلا يجوز الخروج في هاتين الصُّورتين أيضا.

وما روى من خروج سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما عَلى يزيد بن معاوية، وتأييد الإِمَام أبي حنيفة زيد بن علي، ومحمّد النّفس الزكية وإبراهيم بن عبدالله في خروجهم عَلى أئمة زمنهم محمول عَلى القسم الثّالث أو السَّادس أو السَّابع، وقد ذكرنا أن الآراء يمكن أن تختلف في تعيين ما يبيح الخروج، والله سُبحَانَهُ وتَعَالَى أعلم] أهـ.[1]

فكما أسلفنا فإننا أمام حالة كفر حكامنا بواحا من بابين عظيمين من أبواب الرِّدَّة وهما:

التَّشريع من دون الله واستبدال شرع الله بشرائع البشر والحكم بها بغير ما أنزل الله.

ولاية الكفّار من اليَهُوْد والنّصَارى وغيرهم وقتال المُسلِمِين معهم وفى سبيل مصالحهم.

هذا غير ما تلبسوا به من أشكال مكفرات الأقوال والأفعال وما أتوا به من أسباب الخروج من ملة المُسلِمِين، مما يوجب الخروج عليهم ومقاتلتهم وقتلهم إجماعا كما تقدم من الأدِلَّة.

****

من لوازم ومترتبات كفر الحاكم أصلاً أو ردّةً:

١- سقوط ولايته وبطلان إمامته.

٢- وجوب الخروج عليه بالسّلاح وخلعه.

٣- وجوب قتله لردته، قَالَ ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِيْنَه فَاقْتُلُوهُ»، رواه أحمد[2].

(١) تكملة فتح الملهم (ج٣/ ص ٣٢٦-٣٣١).

(٢) رواه البخاري (٦٩٢٢) وأصحاب السنن.

٤- وجوب أو جواز مقاتلة طائفته إن منعوه بالسّلاح.

٥- وجوب عدم السّمع والطاعة وجباية الأموال له.

٦- وجوب عدم معاونته، ولا العمل لديه ولا مشاركته جريمة الحكم بغير ما أنزل الله

٧- بأى منصب أو أي شكل.

٨- بطلان جميع عهوده ومواثيقه، ومعاهداته وأمانه، لأنه لا يمثل المُسلِمِين،

٩- وجوب العمل فوراً، عَلَى نصب إمام مسلم بدلا عنه وطاعته بما تقدم من الحقوق والواجبات.

فمسألة ارتداد الحاكم وما يترتب عَلَى ذلك من ضياع الحقوق وفساد أنظمة الحكم في الدِّماء والأموال والإعراض وما يترتب عَلَى ذلك من طغيان الكافرين واستعلاء الظَّالمين وسيادة المفسدين والفاسقين، وتسلط الأَعدَاء الخارجين من الكفّار والملحدين وتعاون المُنَافِقِين معهم، وما يترتب عَلَى ذلك من ضياع البلاد والعِبَاد، ليست مسألة فرعية ثانوية ليس للشريعة فيها أحكام وواجبات وأوامر ونواهي؟ كيف والله تَعَالَى يقول: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل].

فهي مسألة رئيسيَّة وإن أهملها أكثر النّاس اليَوْم عامتهم وخاصتهم.

كما يجب لفت النَّظر إلى حالة خطيرة متفشية بين كثير من أهل العلم وأتباعهم، وهي أنهم لو اهتدوا وفق الأدِلَّة الشَّرعيَّة إلى كفر الحاكم اليَوْم، وهو حال أصبح العميان يبصرونه بحواسهم وجوعهم وأحوالهم، فإن هَؤُلَاءِ لا ينتقلون إلى الإقرار بالمترتبات السالفة عَلَى كفر الحاكم، فتراهم يقرون بكفر الحاكم، ولكنهم يعملون عنده، ويتسلمون المناصب، ويدخلون مؤسساته الكافرة، التَّشريعية والقضائية والتنفيذية، بل قد يقاتلون في صفه وتحت رايته ولو ذبح المُسلِمِين وقتل الّذين يأمرون بالقسط من النّاس!

وهذا من البلاء الّذي عم وطم في أكثر بلاد المُسلِمِين، ولأسباب مردها في النهاية لدى عامة المُسلِمِين وخاصتهم إلى الجهل أو العجز، فهم لا يخرجون عَلَى هَؤُلَاءِ الحكَّام الكفرة المناصرين لأعداء الله ولا يقاتلونهم، فهم إما جهلة بوجوب هذا القِتَال، وإما أنهم يقرون بالوجوب ويدعون العجز.

وفى التحقيق في أسباب ذلك وما يدعونه من العجز تجد أن الحقيقة عكس ذلك، وأن السبب الّذي يظهر بكل جلاء هو ما أوجزه ﷺ في كلمتين، لقد أصاب الأُمّة: (الوهن) الّذي أخبر عنه ﷺ ففي الحديث الّذي رواه أبو داوود في سننه: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١)، لقد أحب النّاس الدُّنيَا عامتهم وخاصتهم إلا من رحم الله، وكرهوا الموت فتداعت عليهم الأمم، وأعقبهم ذلك عيشا ضنكا عَلَى أيدي حكامهم، عيش الموت أرحم منه كما قَالَ تَعَالَىَ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

مسألة أحكام الدِّيار: هل هيَ دار إسلام؟ أم أنها دار كفر؟

تجدر الإشارة إلى أمر خطير يترتب عَلَى كفر الحاكم وغياب الحم بشريعة الله، وهو أمر أجمع عليه أهل الإِسْلَام واتفقت عليه المذاهب الأربعة لأهل السّنّة، وهو أن البلاد الّتي يحكمها كافر بغير شرع الله تزول عنها صفة دار الإِسْلَام، وإن كانَ عموم أهلها مُسلِمِين، والناظر في تصنيف فُقَهَاء الإِسْلَام رحمهم الله يخرج بنتيجة واضحة موجزة، وهي أن حكم الدِّيار، هل هيَ ديار إسلام أم ديار كفر، هو تبع للأحكام الّتي تعلوها.

فإن علتها أحكام الإِسْلَام كانت ديار إسلام وإن علتها أحكام الكفر كانت ديار كفر.

بصرف النَّظر عن دين أهلها، ومما قاله فُقَهَاء الإِسْلَام في ذلك:

- قَالَ الكاساني الحنفي، في بدائع الصنائع ج ٩/ ص٤٣٧٥ قال:

(إنَّ كلَّ دَارٍ مُضَافة إمَّا إلى الإِسْلَامِ وإمَّا إلى الكُفرِ، وإنَّمَا تُضَافُ الدَّارُ إلَى الْإِسْلَامِ إذا طُبِّقَت فِيهَا أَحكَامُهُ، وتُضَافُ إلى الكُفرِ إذَا طُبِّقَتْ فِيهَا أَحكَامُهُ)(٢).

- وقال القاضي أبو يعلى الحنبلي:

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

(٢) في نسخة التحقيق: بدائع الصنائع (٧/ ١٣٠).

(كلّ دار كانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإِسْلَام فهي دار الكفرة)[١].

وقال الإِمَام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، في كتابه أحكام أهل الذمة [٢]:

(قَالَ الْجُمْهُورُ: دَارُ الْإِسْلَامِ هِيَ الَّتِي نَزَلَهَا الْمُسْلِمُونَ، وَجَرَتْ عَلَيْهَا أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ، وَمَا لَمْ تَجْرِ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ لَمْ يَكُنْ دَارَ إِسْلَامٍ).

فالدِّيَار من وجهة نظر الإِسْلَام نوعان، وكل نوع قسمان.

١- ديار إسلام أكثر أهلها مسلمون تحكم بشرع الله.

٢- ديار إسلام أكثر أهلها كافرون تحكم بشرع الله.

٣- ديار كفر أكثر أهلها مسلمون لا تحكم بشرع الله.

٤- ديار كفر أكثر أهلها كافرون لا تحكم بشرع الله.

- فالنوع الأوّل: كبلاد الإِسْلَام أيّام كانت تحت الحكم الشَّرعيّ، ومثل ما حصل في أفغانستان تحت حكم الشّريعة أيّام حكومة طالبان.
- والنوع الثّاني: كالبلاد الّتي افتتحها المُسلِمُون، وحكموها بالإِسْلَام، وبقي أهلها عَلى دينهم الكافر يدفعون الجزية، ويحكم بهم بشرع الله، وهذا ليس له مثال اليَوْم.
- النوع الثّالث: هو كسائر بلاد المُسلِمِين اليَوْم، أكثر أهلها مسلمون وحكامهم كفرة مرتدون يحكمون بشرع الطواغيت ويوالون أعداء الله.
- النوع الرَّابع: كعموم بلاد الكفّار الأصليين اليَوْم، بلاد أهلها كفار ويحكمون أنفسهم بشرائع الكفر المختلفة، مثل أوروبّا وأمريكا والهند والصين وغيرها.

فمسألة ارتداد الحاكم وما يترتب عَلى ذلك من ضياع الحقوق وفساد أنظمة الحكم في الدِّماء والأموال والإعراض وما يترتب عَلى ذلك من طغيان الكافرين واستعلاء الظَّالمين وسيادة المفسدين والفاسقين، وتسلط الأَعدَاء الخارجين من الكفّار والملحدين وتعاون المُنَافِقين معهم، وما يترتب عَلى ذلك من ضياع

(١) المعتمد في أصول الدّين (ص٢٧٦).

(٢) أحكام أهل الذمة (٢/ ٧٢٨).

البلاد والعِبَاد، ليست مسألة فرعية ثانوية ليس للشريعة فيها أحكام وواجبات وأوامر ونواهي؟ كيف والله تَعَالَى يقول: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل].

فهي مسألة رئيسيَّة وإن أهملها أكثر النّاس اليَوْم عامتهم وخاصتهم، كما يجب لفت النَّظر إلى حالة خطيرة متفشية بين كثير من أهل العلم وأتباعهم، وهي أنهم لو اهتدوا وفق الأدِلَّة الشَّرعيَّة إلى كفر الحاكم اليَوْم، وهو حال أصبح العميان يبصرونه بحواسهم وجوعهم وأحوالهم، فإن هَؤُلَاءِ لا ينتقلون إلى الإقرار بالمترتبات السالفة عَلَى كفر الحاكم، فتراهم يقرون بكفر الحاكم، ولكنهم يعملون عنده، ويتسلمون المناصب، ويدخلون مؤسساته الكافرة، التَّشريعية والقضائية والتنفيذية، بل قد يقاتلون في صفه وتحت رايته ولو ذبح المُسلِمِين وقتل الّذين يأمرون بالقسط من النّاس!

وهذا من البلاء الّذي عم وطم في أكثر بلاد المُسلِمِين، ولأسباب مردها في النهاية لدى عامة المُسلِمِين وخاصتهم إلى الجهل أو العجز، فهم لا يخرجون عَلَى هَؤُلَاءِ الحكَّام الكفرة المناصرين لأعداء الله ولا يقاتلونهم، فهم إما جهلة بوجوب هذا القِتَال، وإما أنهم يقرون بالوجوب ويدعون العجز.

وفى التحقيق في أسباب ذلك وما يدعونه من العجز تجد أن الحقيقة عكس ذلك، وأن السبب الّذي يظهر بكل جلاء هو ما أوجزه ﷺ في كلمتين، لقد أصاب الأُمّة: (الوهن) الّذي أخبر عنه ﷺ ففي الحديث الّذي رواه أبو داوود في سننه:

«يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ الله مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ الله فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١).

لقد أحب النّاس الدُّنيَا عامتهم وخاصتهم إلا من رحم الله، وكرهوا الموت فتداعت عليهم الأمم، وأعقبهم ذلك عيشا ضنكا عَلَى أيدي حكامهم، عيش الموت أرحم منه كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [طه: ١٢٤].

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني - السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

رابعا: أحكام الشّريعة تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون من المُسلِمِين مع الكفّار وأعانهم علىَ المُسلِمِين، وتوجب قتاله:

لكل جمع ورابطة تقوم بين فئة من النّاس مقوّمات تربط بينهم من أهمّها، فكرة يعتقدونها وصفة اجتمعوا عليها ومصلحة توحد بينهم، وقيادة أو رأس اجتمعوا عليه يأتمرون بأمره، ويصدرون عن مشورته، وراية يقاتلون تحتها، وهدف مشترك يسعون لتحقيقه، فإذا ما توفرت مثل هذه المواصفات لجمع من النّاس أطلق عليهم اسم جماعة، أو اصطلح عليهم شَرعاً باسم (طائفة)، فإن كانَ لهم منعة وشوكة وقوة يدافعون بها سموا (طائفة ممتنعة ذات شوكة)، فإن اجتمعت هذه الطَّائِفَة عَلى الإِسْلَام والإيمان سميت (طائفة إيمان وإسلام)، وإن التقوا عَلى ناقض من نواقض الإِسْلَام، سموا (طائفة ردة) كما كانَ حال المرتدّين أيّام أبي بكر ﵁، وإن كانوا كفاراً أصلا سموا (طائفة كفر)، وإن خرجوا عَلى إمام شَرعِيّ مع تمسكهم بالإِسْلَام، وبغوا عليه سموا (طائفة باغية)، وإن خرجوا للسلب والنهب والقتل سموا (طائفة فساد) وهكذا.

ومن البديهي أن هذه الطَّائِفَة تسمَّى بصفة الغالب عليها، مع وجود من لا تنطبق عليه صفاتها معهم، كانَ يكون أحدهم جاهلا بهم، أو مكرها عَلى الوجود معهم، أو جمعته إليهم مصلحة ذاتية أو عصبية قرابة أو غير ذلك، فلا شَّكَّ أنه يوجد منافقون في طائفة الإِسْلَام ليسوا منهم، وقد حصل هذا في غالب تاريخ المُسلِمِين ولم يسلم منه حتَّى جيش رسول الله ﷺ، وكذلك قد يوجد في صف المُسلِمِين، المنتفعون والمتنسبون للإسلام لأجل الدُّنيَا، وكذلك قد يوجد في طائفة الكفر مسلم أكره عَلى الوجود معهم، أو جاهل بحالهم تلبس أمره عليهم، وينطبق هذا الاستثناء في وجود من ليس من الطَّائِفَة فيها عَلى طوائف البغاة والمفسدين والمرتدّين والكافرين، ووجود هَؤُلَاءِ الشواذ عن الطَّائِفَة لا يكون له حكم الغالب، أو حكم الرّاية أو الرابطة الّتي اجتمعت عليها، ولا يتغير اسمها ولا حكمها الشَّرعيّ بسبب هَؤُلَاءِ الشواذ، وفي حكم الشّريعة، فلكل طائفة من هذه الطوائف حكمها الشَّرعيّ، فالواجب تجاه طوائف أهل الإيمان الوَلَاء والنّصرة، وتجاه طوائف الرِّدَّة والكفر البَرَاءة والمعاداة، وتجاه أهل الشر والفساد الدَّفع والقتال ضدهم إن صالوا عَلى دين أو عرض أو مال أو نفس لأهل الإِسْلَام، وهكذا.

فإذا ما اتضح لنا مفهوم الطَّائِفَة، وحكمها الغالب عَلى من فيها من الشواذ عنها، انتقلنا إلى الحديث عن مشكلة أعوان الكافرين والمرتدّين من المنتسبين للإسلام، والّذين يقاتلون المُسلِمِين مع طوائف الكفر أو الرِّدَّة أو سوى ذلك، خاصّة أولئك العاملين في مجال السّلطة والدّفاع عنها، يقاتلون المُسلِمِين بأوامر الحكَّام المرتدّين، مثل العاملين في أجهزتهم العسكريّة والأمنيّة كالجيش والدرك والشّرطة وأجهزة الأمن وما يتبعها من القوّات المُسلّحة وشبه المُسلّحة وما يخدمها من أجهزة تابعة.

فما الحكم الشَّرعيّ الواجب اعتقاده في هَؤُلَاءِ المنتسبين أصلا لملة الإِسْلَام؟ ويدينون بدينهم ويتسمون بأسمائهم وقد يُؤَدِّي بعضهم بعض شعائر الإِسْلَام، ثمّ يأتي المُسلِمِين فيقاتلهم ويطاردهم ويحاربهم، تنفيذا لأوامر أسياده من الحكَّام المرتدّين، ولا يمنعه إسلامه أن يقاتل حتَّى إلى جانب الكفّار الأصليين بأوامر أولئك الحكَّام الّذين أعلنوا موالاتهم ونصرتهم للكفار، والدّفاع عن مصالحهم وقبول أوامرهم؟

فنقول والله المُستَعان وهو يهدي السبيل:

إن هذا الجندي أو رجل الأمن أو الشّرطة، المدافع عن الطَّاغوت، العامل عنده، المحارب للمسلمين معه ومع أوليائه الكفّار، له إحدى حالات:

أولاً: أن يكون هذا التَّابع موافقا لسيده الحاكم الكافر، فيما ذهب إليه من عداء الإِسْلَام وموالاة الكافرين والعدوان عَلى شريعة الله، عارفا بأحوال رئيسه متفقا معه مقتنعا بما هو عليه من حرب الإِسْلَام والمُسلِمين.

ثانياً: أن يكون هذا التَّابع يعمل ويقاتل مع سيده وهو غير موافق لسيده في محاربة الإِسْلَام والمُسلِمين، وهذا له إحدى ثلاث حالات:

أن يكون جاهلا بالأمر كله لا يدرك ما يقوم به ولا يفهم أنه حرب للدين وللمسلمين، جاهلا بردة سيده وكفره ونفاقه للكافرين، فهو **(جاهل)**.

أن يكون مكرها عَلى تنفيذ أوامر سيده، بتهديده بالعقاب أو السّجن أو القتل، إن هو لم ينفذ الأوامر، تهديدا فعليا لا يستطيع الفكاك أو الهرب منه، فهو **(مكره)**.

أن يكون عارفا بأحوال سيده، وليس جاهلا ولا مجبرا مكرها، وإنما اتخذ موقعه معهم لمصلحة دنيوية من الكسب والوظيفة، أو لعصبية قرابة عائلية أو حزبية أو مذهبية، أو أي سبب دنيوي فهو (مرتزق أو متعصب).

أما من النَّاحية العمليّة: فإن هَؤُلَاءِ الأصناف الأربعة:

١- العارف القاصد.

٢- المكره.

٣- الجاهل.

٤- المرتزق بالبَاطِل.

لا يختلفون عمليا فيما يقومون به من محاربة الله ورسوله والمُؤمِنِين وقتل وسجن ومطاردة وأذى الّذين يأمرون بالقسط من النّاس، فهم يَقتُلُون ويقتَلون بأوامر أسيادهم وأمرائهم ورؤسائهم، ويحاربون شعوبهم أو غيرها.

وخلاصة الحكم الشَّرعيّ في هَؤُلَاءِ نوجزه في نقاط مختصرة لا تخرج عن إيجاز هذا الكتاب، وينقسم الحكم الشَّرعيّ إلى مسألتين وهما:

الأوّل: هل ما زال هَؤُلَاءِ عَلَى حكم الإِسْلَام؟ أم أنهم كفروا وخرجوا من ملة الإِسْلَام؟

والثّاني: هل يجوز قتالهم وقتلهم أم لا يجوز؟

فأما المسألة الأولى: وهو المقتنع بما عليه أسياده من محاربة الإِسْلَام والمُسلِمين وولائهم للكافرين، فهو مثلهم في الحكم الشَّرعيّ، منافق مرتد كافر، أصالة وقناعة بالكفر وليس تبعا لأسياده، ولنفس الأدِلَّة السالفة الذكر في حقهم، أما النوع الثّاني: وهم الّذين لا يوافقون أسيادهم، ولكن يقاتلون معهم، وهم الجاهل، والمكره والمقاتل للدنيا ومكاسبها وروابطها، فهَؤُلَاءِ يرتكبون بفعلهم هٰذا، عملا من أعمال الكفر، وهو قتال المُسلِمين مع الكافرين، فهم بهذا ينتمون إلى طائفة الرِّدَّة، إن قاتلوا بقيادة مرتد، وإلى طائفة الكفر، إن قاتلوا تحت راية كافر أصلي، وهذا ثابت لقوله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النساء] وهذه الآيات تثبت أن

المؤمن يقاتل في سبيل الله، والقتال في سبيل الله علامة انتماء لطائفة الإيمان، وأن الكافر يقاتل في سبيل الطَّاغوت وأن القِتَال في سبيل الطَّاغوت علامة انتماء لطائفة الطَّاغوت، وأن فاعل هذا ولي للشيطان أمر الله بقتاله وبشر بالنّصر عليه، والآية صريحة واضحة.

وفي آية أُخرى أخبر سبحانه عن فرعون وطائفته، وما هم عليه من الكفر وحرب المُؤمِنِين، فقال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ⑧﴾ [القصص] فجمع لفرعون ووزيره ومعاونه ونائبه هامان وجنوده نفس الصفة: ﴿خَاطِئِينَ﴾ ومعلوم أن خطيئة فرعون هيَ الكفر بالله وحرب المُؤمِنِين، فهو- أي فرعون- جعل نفسه ربا يشرع ويعبد واستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين، فشملتم الصفة:

وأما الحكم التفصيلي لَهؤُلَاءِ الجنود الّذين يقاتلون اليَوْم: (الجاهل، المكره، المقاتل للدنيا عن علم) فهو ما يلي والله تَعَالَى أعلم:

الجاهل جهلا حقيقيا يمنعه من إدراك ما هو عليه من الحال، وما عليه حال رؤسائه [هذا عَلى افتراض وجود مثل هذا الجهل]، وكذلك المكره إكراها حقيقيا فعليا، مهددا بالقتل والأذى، لا يستطيع فرارا من عمله، ولا هِجرَة من مكان إجباره، فهَؤُلَاءِ قد نص علماء أهل السّنّة والجماعة، عَلى أن جهلهم وإكراههم (إن كانَ حقيقيا) يعتبر لهم عذرا شرعيا وفيبقى لهم حكم الإِسْلَام عَلى ظاهره مع بقاء حكمهم العام، (أنهم من طائفة الكفر) لأَنّهم معهم، ولا يعنى هذا كفرا عينيا لكل واحد من طائفة الكفر.

وأما المقاتل للدنيا للكسب والوظيفة أو الارتزاق، أو لعصبية للقوم أو الوطن أو الحزب أو القبيلة أوأي رابطة عصبية، وهو يعرف أنه يقاتل المُسلِمِين، مع حاكم كافر ظالم يوالي الكفّار ويعاونهم، فهذا الجندي ليس جاهلا بالأمر ولا مكرها بالتهديد، بل هو مختار يستطيع ترك عمله، أو الفرار منه، أو عدم الدخول فيه أصلا لو أراد، وقد دخله للأسباب الدنيوية، فهذا منافق اشترى الدُّنيَا بالآخرة، وقاتل المُسلِمِين من أجل الدُّنيَا، فهو كافر يقاتل تحت راية الكافرين، لا عذر له من جهل أو إكراه، وأما قصد الدُّنيَا والمكاسب فليس من الأعذار الشَّرعيَّة في فعل الكفر، فهذه الأعذار معروفة عند أهل السّنّة والجماعة

وهي (الجهل، والإكراه، والتأويل، وعدم القصد للفعل)، وهذه سيأتي شرحها إن شاء الله، ففي أمثال هَؤُلَاءِ الّذين اشتروا الدُّنيَا بالآخرة يقول تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [البقرة]، وقد روى الإمَام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»(١).

هذا من حيث حكمهم الشَّرعيّ النَّظري، هل يحكم لهم بالكفر أم بالإِسْلَام.

وأما المسألة الثّانية: وهي حكم قتال هَؤُلَاءِ المنتسبين للإسلام المقاتلين للمسلمين مع الكافرين، فهو إيجازا كما يلي والله تَعَالَى أعلم:

كلّ من قاتل المُسلِمين مع الكافرين فقتاله واجب عَلَى المُسلِمين، ولا يجب عَلَى المسلم، ولم يكلفه الله ما لا يستطيع، من تمييز الجاهل من القاصد، ولا المكره من العامد.

بل قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقد استدل العُلَماء بحديث عائشة الّذي جاء فيه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر عن جيش يغزو الكعبة، حتَّى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم، فقالت عائشة: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم عبيدهم وأسواقهم ومن ليس منهم، فأخبرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه يخسف بأولهم وآخرهم ويحشرون يوم القيامة عَلَى نياتهم(٢)، وفي رواية أم سلمة كما جاء في صحيح مسلم(٣) قَالَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ،

(١) رواه مسلم: (١٨٤٨).

(٢) رواه البخاري (٢١١٨) ومسلم (٢٨٨٤).

(٣) رواه مسلم: (٢٨٨٢).

فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهًا؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ»، فاستدل العُلَماء بهذا الحديث عَلى قتل الجاهل والمكره وغير القاصد، ممن قصد المُسلِمين بالحَرب مع الكافرين، ويبعثه الله عَلى نيته معذورا إن كانَ له عذر.

فقال العُلَماء: إذا كانَ الله –وهو القادر لو شاء عَلى تمييز المكره والجاهل – لم يميزه من الخسف، فكيف لعبيد الله أن يميزوه من الكافرين وهو يقاتل معهم؟!

فهذا الخسف به أو قتله معهم، هو من العقوبة القدرية عَلى وجود المسلم في سواد الكافرين أو الظُّلمة، فيأخذه العقاب معهم، ولا يظلمه الله فيبعث عَلى نيته، إن كانت صالحة نفعته في الآخرة.

وعلى كلّ حال، فالهاجم عَلى المُسلِمين يريد بهم الأذى، هو في أحسن أحواله (مسلم صائل) وقد تكلم العُلَماء في حكمه الّذي سنشير إليه في آخر هذه الفقرة.

فالخلاصة:

نحن لنا الظَّاهِر والله يتولى السرائر، فظاهره مقاتل مع الكافرين، فيجب قتاله أو يجوز، وسريرته إلى الله، إن كانت صالحة نفعته يوم القيامة، فقد روى البُخَارِيّ رحمه الله في كتاب الشهادات من صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قَالَ: «**إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ، وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا، أَمِنَّاهُ، وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ الله يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ**»(١).

فالحكم العام له أنه من (طائفة الكفر) إن كانَ مع الكفّار، وأنه من (طائفة الرِّدَّة) إن كانَ مع المرتدّين، وأنه من (طائفة البغاة) إن كانَ معهم وهكذا، وسيأتي التفصيل عن أعذار المكرهين والجاهلين في الفقرة التّالية إن شاء الله.

ولمزيد من الوضوح نقول والله المُستَعان:

---

(١) رواه البخاري (٢٦٤١).

إن هَؤُلَاءِ الّذين يزعمون أنهم مُسلِمِين، ويتسمون بأسمائهم ويلبسون لباسهم، وربما صلوا أو صاموا، من الّذين يعملون في جُيُوش حُكَّام المُسلِمِين أو شرطتهم أو استخباراتهم، ثمّ ينفذون أي أمر صدر إليهم من رؤسائهم، حلالا كانَ أم حراما، ويطيعونهم عن قناعة أو جهل أو إكراه، وقد رباهم أسيادهم عَلى ذلك وأخذوا عليهم العهود والمواثيق، فإنهم كما هو معلوم، يدافعون عن حُكَّام كفرة ظلمة فسقة، ويقاتلون إلى جانب جُيُوش الكافرين، كما هو حاصل اليَوْم من جُيُوش تركيا وباكستان وبعض البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة، ويعملون إلى جانب أجهزة أمن واستخبارات اليَهُوْد والنّصَارى من الأمريكان والأوروبيين وغيرهم من الكفّار، ويحرسون قواعدهم العسكريّة، ومراكزهم الدبلوماسية، والتجاريَّة، بل ومراكز تنصير المُسلِمِين، ومراكز نشر الدعارة والفساد والمجون، ولا يبالون في سبيل تنفيذ أوامر أسيادهم، هل قتلوا مسلما، أو روعوا مؤمنا، أو شردوا امرأة مسلمة، أو يتموا طفلا، أو انتهكوا حرمات بيوت وأعراض المستضعفين.

بل تراهم مستعدين لأن يحارب بعضهم بعضا، وأن يضرب بعضهم رقاب بعض، في الانقلابات الداخليَّة، أو في الحُرُوب الأهلية الناشبة بين حكامهم الطواغيت في البلدان المتجاورة! حيث كثيرا ما تتحارب دول إسلاميّة أو عربيَّة مع بعضها، فترى هَؤُلَاءِ الجنود (المُسلِمِين!) يخلصون في سفك دماء بعضهم، وفى أسر وإفناء بعضهم! وهم يدّعون الإِسْلَام! وعموم قتالهم هو عَلى سلطان ملوكهم، أو عَلى الصِّرَاع عَلى الأراضي واختلاف السياسات، لتكون العزة لفلان أو فلان، وليس لاستعلاء حق، أو اندحار بَاطِل، لأَنّهم تربوا عَلى طاعة الملوك والرؤساء والوَلَاء للوطن أو القوم أو الحزب.

فالحقيقة الشَّرعيَّة الناصعة – والله تَعَالَى أعلم – أن هَؤُلَاءِ المقاتلين إجمالا لهم حكم راياتهم وطائفتهم، كما أسلفنا، فمن قاتلنا تحت راية حاكم مرتد، نقاتلهم بصفتهم طائفة ردة، ومن قاتلنا تحت راية الأمريكان والكفار نقاتلهم بصفتهم طائفة كفر.

وعلى هذا فلا يجوز أن يصلى عَلى قتلاهم، ولا يدفنون مع المُسلِمِين، مع التنبيه المهم جداً عَلى أنّنا لا نحكم بالكفر العيني عَلى كلّ فرد منهم، كما تقدم إلا إذا علمت منه بينة بأنه ليس جاهلا ولا مكرها وإنما عامد قاصد، ومن علم منه أنه موافق لأسياده المرتدّين، موال لأسيادهم الكفّار من أمريكان

وغيرهم فهذا نحكم بكفره وردته حيا وميتا، ويأخذ أحكام ذلك، فزواجه من مسلمة بَاطِل، ولا يرث مسلما ولا يورثه، إلى آخر أحكام المرتدّين.

يقول الشَّيْخ أحمد شاكر محدث الدِّيَار المصريَّة، المتوفى سنة ١٩٥٨م، في فتواه الشهيرة بقتال الإنجليز والفرنسيين ومن شابههم ممن اعتدى عَلى بلاد المُسلِمِين، وحكم من أعانهم من المُسلِمِين والَّتي نشرها في مجلة الهدي النبوي:

[أما التّعاون مع الإنجليز، بأي نوع من أنواع التّعاون، قل أو كثر، فهو الرِّدَّة الجامحة، والكفر الصراح، لا يقبل فيه اعتذار، ولا ينفع معه تأول، ولا ينجي من حكمه عصبية حمقاء، ولا سياسة خرقاء، ولا مجاملة هيَ النِّفَاق، سواء أكان ذلك من أفراد، أو حُكُومَات أو زعماء، كلهم في الكفر والردة سواء، إلا من جهل أو أخطأ ثمّ استدرك أمره وتاب، وأخذ سبيل المُؤمِنِين، فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم، إن أخلصوا من قلوبهم لله لا للسياسة ولا للنَّاس... ألا فليعلم كلّ مسلم، في أي بقعة من بقاع الأرض إذا تعاون مع أعداء الإِسْلَام، مستعبدي المُسلِمِين، من الإنجليز والفرنسيين وأحلافهم وأشباههم، بأي نوع من أنواع التّعاون، أو سالمهم فلم يحاربهم بما استطاع، فضلا عن أن ينصرهم بالقول أو العمل عَلى إخوانهم في الدّين إن فعل شيئا من ذلك ثمّ صلى فصلاته بَاطِلة، أو تطهر بوضوء أو غسل أو تيمم فطهوره بَاطِل، أو صام فرضا أو نفلا فصومه بَاطِل، أو حج فحجه بَاطِل، أو أدى الزّكاة المفروضة، أو أخرج صدقة تطوعا، فزكاته بَاطِلة مردودة عليه، أو تعبد لربه بأي عبادة فعبادته بَاطِلة مردودة عليه، ليس له في شيء من ذلك أجر، بل عليه الإثم والوزر، ألا فليعلم كلّ مسلم أنه إذا ركب هذا المركب الدنيء فقد حبط عمله، من كلّ عبادة تعبد بها لربه قبل أن يرتكس، في حمأة هذه الرِّدَّة رضي لنفسه، ومعاذ الله أن يرضى بها مسلم حقيق بهذا الوصف العظيم، ذلك بأن الإيمان شرط في صحة كلّ عبادة، وفى قبولها كما هو بديهي، معلوم من الدّين بالضّرورة، لا يخالف فيه أحد من المُسلِمِين، وذلك بأن الله سبحانه يقول: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة]... ألا فليعلم كلّ مسلم وكلّ مسلمة، أن هَؤُلَاءِ الّذين يخرجون عَلى دينهم ويناصرون أعداءهم، من تزوج منهم فزواجه بَاطِل بطلانا أصليا، لا يلحقه تصحيح، ولا يترتب عليه أي أثر من آثار النكاح، من ثبوت نسب وميراث وغير ذلك، وأن من كانَ

منهم متزوجا بطل زواجه كذلك، وأن من تاب منهم ورجع إلى ربه وإلى دينه، وحارب عدوه ونصر أمته، لم تكن المرأة الّتي تزوج بها حال الرِّدَّة، ولم تكن المرأة الّتي ارتد وهي في عقد نكاحه زوجا له، ولا هيَ في عصمته، وأنه يجب عليه بعد التوبة أن يستأنف زواجه بها، فيعقد عليها عقدا صحيحا شرعيا كما هو بديهي واضح، ألا فليحتط النِّسَاء المسلمات اللاتي ابتلاهن الله بأزواج ارتكسوا في حمأة هذه الرِّدَّة أن قد بطل نكاحهن، وصرن محرمات عَلى هَؤُلَاءِ الرّجال، ليسوا لهن بأزواج حتَّى يتوبوا توبة صحيحة عمليَّة، ثمّ يتزوجوهن زواجا صحيحا، ألا فليعلم النِّسَاء المسلمات أن من رضيت منهن بالزواج من رجل هذا حاله وهي تعلم حاله، أو رضيت بالبقاء مع زوج تعرف فيه الرِّدَّة فإن حكمها وحكمه في الرِّدَّة سواء، ومعاذ الله أن ترضى النِّسَاء المسلمات لأنفسهن ولأعراضهن، ولأنساب أولادهن شيئا من هٰذا، ألا إن الأمر جد... فلينظر كلّ امرئ لنفسه، وليكن سياجا لدينه من عبث العابثين وخيانة الخَائِنين]

انتهى الشاهد من كلام الإِمَام المحدث رَحِمَهُ الله، نقلاً عن كتابه (كلمة الحقّ – أحمد شاكر)[1].

فهذه الأحكام الشَّرعيَّة، ذات الصلة بالعَقِيْدَة وأصول الدّين، من قواعد الحاكِمِيَّة لله، والوَلَاء والبَرَاء في ذات الله، ليست مسائل فرعية، وإن الأمانة كما كررنا متعلقة في أعناق علماء كلّ بلد أن يبينوها للنَّاس ولا يكتمونها، رغبة في ما عند السّلاطين أو رهبة مما لديهم، ذلك أنها مسألة إيمان وكفر قد تطال مئات الآلاف من البشر الّذين يقاتلون في سبيل الطَّاغوت ويحسبون أنهم مُسلِمِين.

ويجب الإجابة عَلى أسئلة هامة وبصدق وصراحة ورجولة خاصّة من قبل كلّ عالم وقائد وداعية مسلم:

هل نريد أن ننهض بأمتنا؟ هل نريد أن نتحرر من مُستَعمرينا؟ هل نريد أن نرقى باقتصادنا ونستثمر ثرواتنا ونسترد حقوقنا؟ هل نريد أن ندافع عن أنفسنا ضدّ مختلف أنواع الكافرين؟

وقبل ذلك هل نريد أن نحكم بشريعة الله؟ ونتخلص من شرائع النّصَارى وقوانين الكفّار الّتي تحكمنا؟

(١) (كلمة حق: ص ٧٧ وما بعدها)

فإذا كانَ جواب أحدهم عَلى هذه الأسئلة بالنفي! فهو ليس معني بما يهم المُسلِمِين من مسائل هذا الكتاب، بل لا يكون مدرجا عَلى قائمة المُسلِمِين.

وأما إذا كانَ الجواب كما هو مفترض من كلّ مسلم بنعم، فإن المسائل السَّابقة وعلى رأسها مسألة كفر وردة الحكَّام الموالين للكفار، ومسألة قتالهم مع أوليائهم، وبالتالي قتال جنودهم تأتى عَلى رأس تلك المسائل وفى مقدمتها، ولا شَّكَّ شَرعاً وعقلا ومنطقا في ذلك.

وإن من نافلة القول، ومن المعلوم من العقل والبصر بالضَّرورة، أن نعلم أن الأمريكان اليَوْم لا يحاربوننا مباشرة، ولا يواجهوننا عَلى الأرض بجنودهم إلا قليلا! وهم يدفعون بالآلاف من المنتسبين للإسلام من هَؤُلَاءِ الضلال والجهال والمكرهين والمرتزقة والمُنَافِقِين، يقاتلون من بين أيديهم ومن خلفهم، عن أيمانهم وعن شمائلهم، بأمر من أسيادهم المرتدّين، كما حصل معنا في أفغانستان، ويحصل اليَوْم معنا أيضا في باكستان، وكما حصل في حرب الكويت، حيث دخلت الجُيُوش العربيَّة والإِسْلَاميّة تفتح الطّريق للأمريكان، وكما تفعل أمريكا اليَوْم في العراق بالجيش والعملاء العراقيين، وبخدمات جُيُوش دول الخليج العربيّ، والأردن وباكستان وسواها.

وأما عَلى صعيد مطاردة الأمريكان، للعلماء والشَّبَاب المسلم، فيعرف كلّ عالم، وداعية إلى الله، وكل شاب مُجَاهد، أن الّذي يضرب عليه البَاب ليلا ويجره بثياب النوم إلى السّجن، ويكشف سوأة بيته وأهله، ليس أمريكيا وإنما من بني جلدته! فهل الجلاد الّذي يستقبله بالضرب والركل والشتم في السّجن؟ وهل القاضي الّذي يحكم عليه بغير ما أنزل الله، بالإعدام أو السّجن؟ وهل الّذين ينفذون هذه الأحكام؟؟ هل كلّ من سبق من هَؤُلَاءِ هم من اليَهُوْد والأمريكان؟؟ أم من الّذين يزعمون أنهم مُسلِمِين؟! إنهم من المرتدّين والضلال من بني قومنا، فهل سنقاتلهم، أم سنسلم إليهم ديننا وأعراضنا، ونبيح لهم أموالنا ودمائنا؟ وبالتالي يضرب اليَهُوْد والأمريكان والصّليبيّون جُذُورهم في بلادنا ويفعلون بنا ما يشاؤون.

يجب أن نقاتلهم دفاعًا عن دين الله والمستضعفين، وأمر الله واضح:

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة]

﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النساء]

ونلفت النَّظر إلى أنّنا هنا بصدد معرفة الحكم الشَّرعيّ لقتال هَؤُلَاءِ، ولسنا بصدد قضايا الرَّأي والحَرب والمكيدة، من قتالهم هجومًا أم دفاعًا، وتقديم ذلك أو تأخيره عن قتال الأمريكان والكفّار فذلك متروكٌ لقادة الجِهَادِ وأمراءِ الحَربِ من المُسلِمِين، بحسبِ مقتضياتِ الضَّرورة والمَصلحة.

أعذار الجهل والإكراه والتأويل وعدم قصد الفعل، للمسلم الواقع في عمل من أعمال الكفر، عند أهل السّنّة والجماعة، هل هيَ عذر لمن يعاون العدوّ من جنود المُسلِمِين ! وأعيانهم!؟

لقد فصل علماء أهل السّنّة والجماعة في مسألة غاية في الأهمّيّة، وهي أن المسلم قد يقع في عمل من أعمال الكفر الناقضة للإيمان، ويكون له عذر مقبول شرعا، يحفظه من الحكم عليه بالكفر والخروج من ملة المُسلِمِين، وكما قلت فلسنا في هذا الكتاب بصدد نقل المطولات الفقهيّة، ولكني أوجز إجمالا بأن العُلَماء قد جعلوا هذه الأعذار الشَّرعيَّة أربعة أقسام، وهي:

١. **الجهل**: وهو جهل فاعل الكفر بأن فعله كفر يخرجه من الملة الإِسْلَاميّة، وهو عذر شَرعاً ما لم يكن الجهل في أمر معلوم من الدّين بالضَّرورة.
٢. **الإكراه**: وهو أن يقدم المسلم عَلَى فعل من أفعال الكفر، وهو يعلم بأنه كفر، ولكن يفعله مجبرا تحت قوة التهديد.
٣. **التَّأويل**: أن يقدم عَلَى عمل كفري، متأولاً جواز ذلك شَرعاً لدليل شَرعِيّ عنده، يظن أن الشّريعة تحتمله، فالتأويل هو ظن غير الدليل دليلا.
٤. **عدم قصد الفعل المكفر**: وهو أن يقع منه العمل المكفر من دون قصد ولا معرفة، كمن يطأ المصحف الشريف وهو لا يعرفه ويظن أنه شيء آخر، فهو لم يقصد وطء المصحف.

وللعلماء تفصيلات مهمة، بإمكان المهتم بها العودة إليها في كتب الفقه والعقائد.

ولكن من المهم أن نذكر:

- أن عذر الجهل يزول بالعلم والبيان، فمن كانَ جاهلا فعلم وبين له فلم يقبل الحقّ، لم يعد جهله عذرا.
- أن عذر الإكراه (إن كانَ إكراهه حقيقيا)، يزول بزوال الإكراه، أو بقدرة المكره عَلى الفكاك أو الهروب من الإكراه.
- أن عذر التَّأويل يزول بقيام الحجة الشَّرعيَّة عَلى المتأول بفساد دليله، فإن قامت الحجة عليه لم يعد التَّأويل عذرا له.
- أن عذر عدم القصد يزول بالبيان، فإن عاد الفاعل لفعله المكفر، بعد البيان صار عامدا.

وبالخلاصة:

فإن من ارتكب فعل الكفر ولم يكن عنده عذر شَرعِيّ، أو زال عذره، حكم بكفره، ومن المهم جدا أن نعلم أن الحكم بالكفر عَلى معين يكون من قبل كفؤ لديه الأهلية الشَّرعيَّة عَلى القضاء وتبين الأحكام، وتفهم الأعذار وزوالها، وأن يكون له قدرة عَلى إقامة الحجة والبينة عَلى المعين المحكوم عليه.

وما يهمنا هنا تحت هذا العنوان هو بحث دعوى العذر بالجهل أو الإكراه من قبل هَؤُلَاءِ الجنود المنتسبين للإسلام وهم يقاتلون المُسلِمِين مع الكفّار والمرتدّين وتحت قيادتهم ورايتهم، ولا حاجة لبحث عذر التَّأويل ولا عدم القصد لأنه لا يخصهم في هذه الحالة.

وننبه عَلى أن بحث عذرهم هو من أجل معرفة الحكم بكفرهم أو عذرهم، وليس من أجل عدم قتالهم، فقتالهم واجب كما بينا الدليل الشَّرعيّ بمجرد قصدهم لقتال المُسلِمِين مع الكافرين حتَّى ولو كانوا مُسلِمِين.

١- <u>بحث عذر الجندي المقاتل للمسلمين مع الكافرين بالجهل:</u>

أما العذر بالجهل، فهو كما قلنا أن يُقدِم المسلمُ عَلى فعلِ الكفر، جاهلًا بأنَّه فعل محرّمٌ يترتَّب عليه الكفر، أي في حالة مثالنا أن يقدم هذا الجندي المسلم عَلى قتال المُسلِمِين، معتقدا أن رئيسه ولي أمر مسلم، وأنه يقاتل ناسًا غير مُسلِمِين، أو مُسلِمِين مستحقين للقتال (بغاة، مفسدين)، بحيث يكون جهله هذا حقيقيًّا، وكأن يجهل أنه يقاتل مع الكفّار، أو يظن أنَّهم كفَّار جاؤوا لمساعدة رئيسه المسلم ضدّ من يجوز قتالهم شرعًا.

فإن توفَّر مثل هذا الجهل المفترض لهذا الجندي، فقاتل المُسلِمِين مع الكافرين وهو لا يدري حال رئيسه ومن معه ولا حال المُسلِمِين المظلومين الّذين يقاتلهم، فهذا قد يعذر بجهله عند الله، لا نحكم بكفره عينا، لو ثبت لدينا له مثل هذا الجهل.

فهل يتوفَّر مثل هذا الجهل اليَوْمَ، لهَؤُلَاءِ الجنود والضُّبَّاط والشّرطة والإستخبارات المقاتلين للمسلمين والمُجَاهدين، بأوامر هَؤُلَاءِ المرتدّين إلى جانب وبقيادة جُيُوش اليَهُوْد والنّصَارى؟! هل يعقل هذا مع انتشار وسائل الإعلام المختلفة، من الإذاعات والتلفزيونات والدُّشوش والصّحف والمجلات؟! بالإضافة إلى قيام المُسلِمِين بالمظاهرات في الشَّوارع، والخطباء في المساجد، وحديث النّاس في كلّ مكان عن هذه القضايا! حتَّى يمكن القول اليَوْم بأنَّ طبيعة المَعْرَكة بين المُسلِمِين والكافرين، وفساد الحكَّام وكفرهم وفجورهم، وسفور نسائِهم وفضائح أبنائهم وأقربائهم، وحكمهم بغير شريعة الإِسْلَام وولائهم للكفَّار، ومحاربتهم للمساجد والعُلَماء والشَّبَاب المُسلِمِين المُجَاهدين...الخ، قد صارت معلومةً لكلِّ أحد، في كلّ بلاد المُسلِمِين ومنها باكستان، فإن كانَ في هَؤُلَاءِ الجنود من بلغت بِهِ البَلاهَةُ أن يجهل هذه الأمور!! فهو معذور بجهله والله تَعَالَى أعلم، نقاتله وجوبًا أو جوازًا، وقد ينفعه عذره عند الله، ويُبعثُ عَلى نيَّته.

هل يعذر الجنديّ المقاتل للمسلمين مع الكافرين بالإكراه ؟:

سنتوقف مع هذا العذر، بشيءٍ من التَّفصيل- رغم رغبتنا بالإيجاز- لأنَّه الأهمُّ، ولأنَّه العذر الشائع، فمعظم هَؤُلَاءِ الجنود والضُّبَّاط العاملين في الجيش والشُّرطة وقوى الأمن، يعترفون بإدراكهم للواقع، ولكن يعتذرون أو يعتذر من يدفع عنهم صفة الرِّدَّة والكفر، بأنّهم مُكرَهُون ومُجبَرون عَلى قتال المُسلِمِين بأوامر أسيادهم المرتدّين أو الظَّالمين، إلى جانب وبقيادة الكافرين، كما حصل في بعض الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة، حيث ساقت أمريكا عبيدَها الحكَّام لقتال المُسلِمِين، فساقوا عبيدَهم الجنود لذلك.

فهل يمكن قبول عذر هَؤُلَاءِ بالإكراه ؟! فلنَرَ ذلك:

الإكراه شرعًا:

هو الإجبار، والمُكرَه هو المَجبُور عَلى فعل أو قول شيءٍ لايُريده، ولا يفعله في حال زوال الإكراه عنه، يقول الإمَام ابن حجر في كتابه الجليل، فتح الباري في شرح صحيح البُخَارِيّ، في باب الإكراه: [الإكراه: **هُوَ إِلْزَامُ الْغَيْرِ بِمَا لَا يُرِيدُهُ وَشُرُوطُ الْإِكْرَاهِ أَرْبَعَةٌ:**

الأوّل: أَنْ يَكُونَ فَاعِلُهُ قَادِرًا عَلَى إِيقَاعِ مَا يُهَدِّدُ بِهِ وَالْمَأْمُورُ عَاجِزًا عَنِ الدَّفْعِ وَلَوْ بِالْفِرَارِ.

الثَّاني: أَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ إِذَا امْتَنَعَ أَوْقَعَ بِهِ ذَلِك.

الثَّالث: أَن يكون ماهدده بِهِ فَوْرِيًّا، فَلَوْ قَالَ: إِنْ لَمْ تَفْعَلْ كَذَا ضَرَبْتُكَ غَدًا لَا يُعَدُّ مُكْرَهًا وَيُسْتَثْنَى مَا إِذَا ذَكَرَ زَمَنًا قَرِيبًا جِدًّا أَوْ جرت الْعَادة بِأَنَّهُ لايخلف.

الرَّابع: أَنْ لَا يَظْهَرَ مِنَ الْمَأْمُورِ مَا يَدُلُّ عَلَى اخْتِيَارِهِ كَمَنْ أُكْرِهَ عَلَى الزِّنَا فَأَوْلَجَ وَأَمْكَنَهُ أَنْ يَنْزِعَ وَيَقُولُ أَنْزَلْتُ فَيَتَمَادَى حَتَّى يُنْزِلَ]أهـ(١).

فالمستخلص من كلامه رحمه الله، أن المُكرَه هو: من أُجبِرَ عَلى فعلٍ مالا يريد، بحيث:

أولاً: أنَّه لا يريد هذا الفعل باختياره وإنّما بالإجبار الحقيقيّ.

ثانياً: أنَّه لا يستطيع عدم الاستجابة، عاجزاً عن دفع الإكراه.

ثالثاً: أنَّه لا يستطيع التّخلّص ممَّن أكرهه بفرار أو بهجرَة أو نحوها.

رابعاً: أنَّه يتيقن وقوع التَّهديد قريباً وبالتَّأكيد.

خامساً: أن لا يتمادى بالفعلِ إن زالَ عنه الإكراهُ، لمصلحةٍ أو شهوةٍ.

فهل تنطبقُ هذه الشُّروط عَلى هذا الّذي يزعم أنَّه مسلمٌ، ثمّ يقصد قتال المُسلِمين، فيسفك دماءهم، ويهتك أعراضهم، وينهب أموالهم، بأوامر المرتدّين وصحبة الأمريكان والكافرين؟! يجب أن يُسأل هذا الجنديُّ أو الشّرطيُّ أو رجل الأمن، بضع أسئلة، ليعلم هل هو مُكره أم غير مُكرَه، أسئلة تحدّد إجاباتُها، تبرئتَه إن كانَ معذورًا في فعلته المكفِّرة هذه أو الحكم عليه بعدم العذر.

هل دخل هذا الجنديّ الجيش أو الشّرطة أو الاستخبارات، باختياره أم مجبرًا؟ وهذا يختلف من دولة إلى أُخرى فهناك دول تجنِّدُ الشَّبَاب إجبارياً في هذه القوَّات، وهناك دول يكون دخول هذه القوَّات

---

(١) فتح الباري لابن حجر: (١٢/ ٣١١).

اختياراً، بل يحتاج إلى الواسطة والرَّشوة! لما فيها من المكاسب وفرص الرَّشوة والنَّهب والغصب لأموال النّاس.

هل يستطيع هذا الجنديّ الاستقالة والانسحاب من عمله هٰذا، بعد أن رأى ما يُكرَه عليه، أم لا يستطيع؟

هل يستطيع الفرار من عمله إذا لم تمكّنه الاستقالة، بالاختفاء في بلده، أو الهِجرَة عنها إن لزم الأمر أم لا يستطيع ؟

هل هو مهدّد فعلاً، إن لم يُنفِّذ الأوامر، ومتيقِّن بوقوع العقاب به أم لا ؟

هل يتمادى بالقتل والنَّهب وهتك الأعراض! تحقيقاً لرغباته ومصالحه أم للإكراه.

أمور أُخرى يجب بيانها في قضية الإكراه:

أولاً: عندما قام مدعي الإكراه بهذا العمل مختارا متطوعا- أي دخل الجيش والشّرطة باختياره- وليس عبر التَّجنيد الإجباري-هل كانَ يعلم أن عمله يقتضي إكراهه عَلى فعل ما حرم الله أم لا؟ فإذا كانَ يعلم أنه سيكره عَلى تنفيذ الأوامر! حلالها وحرامها بحكم نظام الجيش والشّرطة والأمن، ثمّ أكره من بعد، لم يكن إكراهه عذرا له، لأنها قدم مختارا عَلى ما يعلم أنه سيكره فيه عَلى الكفر أو الظُّلم أو ما حرم الله، وذلك من اشتهار حال هذه المؤسسات وأعمالها! وقد ضرب العُلَماء مثلا لهذه الحالة، بمن دخل أرض قوم يكرهون من ساكنهم عَلى الكفر، وهو يعلم قبل أن يدخل بذلك، ثمّ دخل فأكرهوه، لم يكن الإكراه عذرا له، فهل يعلم من يتطوع في هذه القوَّات مختارا، أنه سيقدم عَلى هذه الأعمال أم لا يعلم؟ فإذا كانَ يعلم ما سيكلف به، قبل أن يكره، لم يكن عذره بالإكراه مقبولا، ولو أكره فعلا عَلى عمل يكرهه.

ثانياً: المكره نوعان:

١. **من يكره عَلى قول أو عمل كفري لا يؤذي به غيره من المُسلِمِين:**

وإنما يقدم عَلى ما ينتقض الدّين بفعله أو قوله، وهو كاره كما أكره سيدنا عمار بن ياسر تحت التعذيب عَلى النيل من رسول الله ﷺ مجبراً، بعد أن قتلوا أباه وأمه وغطوه في البئر حتَّى كاد يهلك من التعذيب،

فقال كلمة الكفر، فعذره رسول الله ﷺ وأجازه، وجعلها رخصه للمسلمين، فقال: «إِنْ عَادُوا فَعُدْ»(١)، وبين أن العزيمة والصّبر أولى في حالة الإكراه وأكثر أجرا، وأن الإكراه عذر لمن فعله وقلبه مطمئن بالإيمان، في حين لم يقبل العُلَماء العذر ممن هدد بالعذاب، ولم يتيقن وقوعه، وهكذا لم يقبل الإِمَام أحمد بن حنبل عذر العُلَماء الّذين أجابوا الحاكم للقول بخلق القرآن لما هددهم واعتذروا بقول الله تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وبحديث عمّار رضي الله عنه، قَالَ الإِمَام أحمد: "إنَّ عَمَّاراً ضَرَبُوه وأنتم قِيلَ لكُم سَنضرِبُكُم" ولما احتجّ يحيى بن معين، وهو إمام جليل من المحدثين، كانَ قد ضعف للتهديد، واستجاب واعتذر بهذا العذر، رفض الإِمَام أحمد حجته وقال: "يقول لي أُكرِهَ ولم يضرب سوطاً واحداً"، ولم يكلمه بقية حياته، ولم يرد عَلَيْه السَّلام لَمَّا سلَّم عليه ابن معين، والإمام أحمد عَلى فراش الموت!! رحمه الله وأكثرَ في أمّتنا من أمثاله! وقد رُويَ: عنهُ قوله :"لا إِكرَاهَ إلّا بالسَّيفِ" وعن غيره من العُلَماء أن الإكراه هو بالتهديد بالقتل، أو ببتر عضو، وذهب بعضهم بأنه مطلق العذاب الّذي لا يطيقه، ولا يستطيع الفرار منه.

وقد يقول البعض ويعتذر عن فعل حكومة الباكستان أو الكويت والسّعُودِيّة والأردن، مثلا بمعاونة الأمريكان، بأن الله قد أباح التقية من الكافر، ويقولون: نحن نقاتل معهم اتقاء لشرهم علينا وعلى بلادنا، فهذا زعم مردود، فإن الله تَعَالَىٰ قَالَ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران].

---

(١) رواه البيهقي في السنن الصغرى (٢٥٣١) و مستدرك الحاكم (٣٣٦٢) وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي. وقد ذكره الحافظ في «الفتح» وقال: هو مرسل ورجاله ثقات، وذكره من عدة طرق مرسلة، وقال: وهذه المراسيل يقوى بعضها ببعض. وقال الألباني : في إسناده نظر. ونستطيع القول أنه: حسن لغيره.

قَالَ ابن كثير في تفسيرها: [أي إلَّا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرِّهم فله أن يتَّقيهم بظاهره لا بباطنه ونيَّته، كما قَالَ البُخَارِيّ عن أبى الدَّرداء إنَّه قَالَ: «**إنَّا لنكشِّر في وجوهِ أقوامٍ وقُلوبُنَا تَلعَنُهُم**»[(١)]، وقالَ الثّوريُّ: " قَالَ ابن عبَّاس: ليس التَّقيَّة بالعمل، إنَّما التَّقيَّة باللِّسَان"[(٢)]] اهـ[(٣)].

٢. **هو المكره عَلَى فعل يؤذي به غيره من المُسلِمِين:**

كمن يأمر بقتل مسلم أو هتك عرضه أو نهب ماله، أو أذيته، وقد نص العُلَماء عَلَى أن المسلم لا يعذر أن يوقع بغيره الأذى إن هدد هو به، فلا يجوز له إن هدد بأخذ ماله إن لم ينهب غيره من المُسلِمِين، أن يدفع عن ماله بنهب مال مسلم آخر، ثمّ يقول أنا مكره.

وأخطر من ذلك، لا يجوز له أن يقتل مسلما، إن هدد بالقتل إذا لم يقتله، فقال العُلَماء: ليس حفظ نفسه مقدم عَلَى إزهاق نفس مسلم، بل يجب عليه ألا يقتل مسلما ولو قتلوه، فيقتل صابرا محتسبا، وبهذه النِّيَّة يكون شهيداً إن شاء الله.

فهل يفعل هَؤُلَاءِ الجند (المكرهون بزعمهم) هٰذا؟! هل لو رفض هذا الجندي قتل المُسلِمِين، يقتل؟ أم يسجن؟ أم يقطع مرتبه ومعاشه؟ أم يطرد من وظيفته في الجيش أو الشّرطة فقط؟

فيقدم عَلَى قتل المُسلِمِين، وقد جعل الله زوال الكعبة أهون عنده من قتل امرئ مسلم! كما أخبر ﷺ[(٤)] وقد قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء]، هذا إن قتله في شجار عَلَى الدُّنيَا، أو نزغة شيطان، فكيف بمن قتله لأنه مؤمن مهاجر مُجَاهد في سبيل الله، إرضاء لأمريكا ؟!

---

(١) صحيح البخاري (كتاب الأدب : باب المداراة مع الناس) معلقاً (٨/ ٣١).

(٢) ورد في (تفسير ابن أبي حاتم: ٢/ ١٨٩) و (تفسير ابن جرير: ٦/ ٣١٥) بإسنادين منقطعين، ووصله الحاكم بلفظ آخر صححه ووافقه الذهبي، وعزاه السيوطي إلى: عبد بن حميد، وابن المنذر والبيهقي، انظر: (الدر المنثور: ٢/ ١٧٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠).

(٤) روى التِّرمِذِيّ (١٣٩٥) من حديث عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم» وصححه الألباني.

فهَؤُلَاءِ الجنود الّذين يظنُّون أنفسهم مكرهين، يقتلون المُسلِمِين، حتَّى لا يطرد واحدهم من وظيفته، أوينالوه بعض العذاب، فهذا ليس حاله حال المكره، وإنما كمن قَالَ الله تَعَالَى عنهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧﴾ [النحل]، فهناك فرق بين من أكره فنطق بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، وبين من شرح بالكفر صدرا، فقال كلمة الكفر، وفعل فعل الكفر، حفاظا عَلَى حظه من الدُّنيَا، وقد بين القرآن الكريم هذا صراحة: إذ قَالَ الله تَعَالَى في سورة النحل: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠﴾ [النحل]

فهل هَؤُلَاءِ الجنود في الجيش والشّرطة والأمن والإستخبارات، والسجانين والجلادين الّذين يعذبون النّاس حتَّى الموت، مكرهون؟! نعوذ بالله من قول الزور وشهادة الزور!! هل هَؤُلَاءِ المجرمون مكرهون؟! أنظر في حالهم وسلوكهم واحكم عليه بمقياس الإِسْلَام، أنظر في صلاتهم، وصيامهم، وأدائهم لشعائر الإِسْلَام؟ ثمّ أنظر في كسبهم السحت من الرشاوى وما يظلمون النّاس، ويقبضون المكوس عَلَى الطرقات، وفى الأسواق وعلى أبواب البيوت! ثمّ انظر في تسابقهم عَلَى الوظيفة في هذه المؤسسات الظَّالمة النجسة من الشّرطة والإستخبارات والقيام عَلَى السّجون والمعتقلات!!

نعم، قد يكون هناك من لا يتلبس بذلك ممن التحق بالجيش للدفاع عن البلاد وقتال أعداءها ولم يكن بعلمه ولم يدر بخلده أن يزجّ به أسياده في قتال المُسلِمِين إلى جانب الكافرين، ولكن هل يعذر هذا بالقتال تحت قيادة وراية الكافرين، والأمريكان والإنجليز، لسفك دم المُؤمِنِين، ثمّ يقول: أنا مجبورٌ مُكرهٌ!

فهل تطوع بالجيش وهو يعلم حال قيادته ورئاسته وما هم عليه من الرِّدَّة، بتبديل الشَّرَائع والعمالة للكفار والفساد والرشوة والبغي والظُّلم، أو لا؟

وهل دخل الجيش دفاعا عن الوطن والأرض والقوم؟ هذه كلها ليست من سبيل الله في شيء ما لم تكن لتكون كلمة الله هيَ العليا بل هيَ نوايا عصبية جاهلية!

فإن كانَ قد دخل بنية الجِهَاد في سبيل الله، لأنه قد دلس عليه بعض العُلَماء المدلسين، بأن هذه الحكومة ورؤساءها مسلمون وأولياء أمور شرعيون، وأن مفاسدهم لا تخرجهم عن الإِسْلَام! وانطلت عليه هذه الخديعة الضالة، ثمّ وجد نفسه أمام الحال الجَدِيد، فهذا قد يعذر بجهله لوجوده في مثل هذا الجيش، وقتاله تحت رايته بقصد الدّفاع عن المُسلِمِين، ولكن هل يعذر بجهله، وبالإكراه في قتل المُسلِمِين إرضاء للكافرين، وتحت رايتهم وقيادتهم؟! اللّهم لا.

هذا واجبه الاستقالة من هذا الجيش، أو عَلى الأقل رفض الأوامر من هذا النوع، والفرار من القِتَال ولو سجن أو عذب أو طرد من وظيفة، وهذا العقاب في حقه نعمة من الله يخرجه من الضلالة ومن غضب الله عليه – فإن خُيِّر وأُجبر عَلى قتل مسلم أو يقتل، فواجبه أن يختار القتل صابرا محتسبا عَلى أن يقتل مسلما، وليس له أن يقتل مسلما ثمّ يقول أنا مكره، هذا ليس بعذر إكراه شَرعِيّ، فليس من الإكراه أن يقدم عَلى قتل المُسلِمِين وهتك حرماتهم ثمّ يقول: إذا لم أفعل طردت من عملي، أو قطع راتبي أو وضعت عَلى عقوبات مالية! إن واجب هذا الجندي إن وجد نفسه مكرها عَلى قتال المُسلِمِين من قبل أسياده المرتدّين، أو أسيادهم الأمريكان والإنجليز والكافرين أن يستدير بسلاحه لقتال من يكرهه عَلى فعل الكفر، ويجاهده بسلاحه ويقتل شهيداً صابراً مُجَاهداً وليس أن يتلطخ بدم المُسلِمِين وأعراضهم ويظن نفسه مكرها، فإن لم يمكنه الخلاص إلا بالفرار من الجيش وعجز عن قتالهم لضعفه أو لقلة من معه، وجب عليه الفرار والهِجرَة عن بلده، وأرض الله واسعة وعندها يكون مهاجراً في سبيل الله صابراً فاراً من الفتنة بدينه، والهِجرَة والفرار من حكومة كهذه القائمة في باكستان، فرض عَلى من وجد نفسه أمام الفتنة في دينه والاضطرار لفعل الكفر بالقتال تحت قيادة وراية الأمريكان إن عجز عن قتال هذه الحكومة وقد أخبر القرآن الكريم، وبينت السيرة النّبويّة الشريفة، ونصوص السنة(١) عن قوم مُسلِمِين بقوا في مكّة

(١) منها حديث في سبب نزول الآية في صحيح البخاري (٤٥٩٦).« عن ابن عباس ﷺ، أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله، يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ، فَيَقْتُلُهُ – أَوْ يُضْرَبُ فَيُقْتَلُ» – فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية.

بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يهاجروا لأن لهم في مكّة مصالح، من أهل ومساكن وتجارة، فلما كانت غزوة بدر بين المُسلِمِين ومشركي مكّة، أكرهوا عَلى الخروج مع كفار مكّة إجبار أو حياء من قومهم، فقتل بعضهم في المَعْرَكة فتأسف المُسلِمُون عَلى قتلهم وقالوا قتلنا إخواننا! فأنزل الله تَعَالَى فيهم قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾[النساء]

وقد بينت هذه الآيات بصراحة كما شرحها المفسرون أحكاماً هامة منها:

- وجوب الهِجرَة من ديار الكفر والفرار من فتنها، خاصّة لمن يتعرض للفتنة إلى حيث لا يفتن في دينه.
- أن من أكره وخرج للقتال مع الكافرين، لم يتقبل عذره لأنه كانَ عليه أن يهاجر بدل البقاء حتَّى يكره للخروج لقتال المُسلِمِين مع الكافرين، وأن من قتل منهم كانَ مصيره إلى جهنم ولم يقبل عذره.
- أن الله عذر المستضعفين الّذين لم يهاجروا لأنه لا حيلة لهم، ولا يهتدون إلى طريق للهِجرَة، ولا سبيل لديهم إليها، فهَؤُلَاءِ معذورون بعدم الهِجرَة، (وليس العذر للقتال مع الكفّار) ووعدتهم الآية بالعفو والمغفرة عن تقصيرهم بعدم الهِجرَة.
- ثمّ بشر القرآن المهاجر في سبيل الله بكفالة الله له بسعة الرزق في الدُّنيَا، وأنه إن مان فإن الله ضامن لأجره في الآخرة.

فأين هذه الأحوال، من هَؤُلَاءِ المنتسبين لهذه الجُيُوش الظَّالمة.

هل هم مكرهون مهددون بالقتل إن لم يقتلوا المُسلِمِين؟ لا، وحتى لو كانَ ذلك، فليس هذا بعذر وعليهم حينها الهِجرَة والفرار ممن أكرههم.

ولكن الحقيقة المرة، هيَ أن أكثرهم يقدم عَلى فعل الكفر هذا بقتال المُسلِمِين مع الكافرين حرصا عَلى ما توفره له الوظيفة في الجيش أو الشّرطة أو الاستخبارات، من البيوت الفارهة، والسيَّارات

الفخمة، والمرتَّبات العالية المنهوبة من ثروات المُسلِمِين، والمكوس الموضوعة عَلى ضعفائهم، ثمّ يعتذرون بأنهم في الجيش والشّرطة للدّفاع عن الوطن، وأنّهم مُكرهون عَلى قتال المُسلِمِين بحكم الوظيفة.

فهذا ليس بإكراهٍ لا شَرعاً ولا عقلاً، أيقبلُ عذرُ واحدِهم بالإكراهِ عَلى قتل مسلمٍ؟ ولا يقبل عذر المسلم المهاجرُ المُجَاهدُ في سبيل الله بقتل هَؤُلَاءِ دفاعًا عن نفسه؟ وهم الّذين قصدوه بالعدوان وجاءوه بصحبة الجنود الأمريكان ودهموا بيته عليه وعلى زوجته وأولاده.

فكما أسلفنا هذا ليس بإكراه وإنّما هو حال وصفه سُبحَانَهُ وتَعَالَى بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧﴾ [النحل].

وأمّا حالُ المُكرَهِ المعذورِ شَرعاً من الّذين يُقاتلون المُسلِمِين فهو كما يلي:

- أنه أكره عَلى التَّجنيد إجباريّاً في جيشٍ يُقاتل المُسلِمِين وليس باختيارهِ.
- أنَّه عَجَزَ فِعلاً عن الفرارِ أو الهِجرَةِ.
- يجب عليه أن يتورع في القِتَال ولا يمد سلاحَهُ لأذى المُسلِمِينَ بل يُعطِّلُ سلاحَهُ ولو قُتِل بيد الكفّار أو المُسلِمِينَ، وهو بهذه النِّيَّة شهيدٌ إن شاء الله، فإن كانَ في جُيُوش الطّواغيت وشرطتهم ممن قاتلوا المُسلِمِين، أو فيمن فعل فعلتهم، جنديٌّ تنطبقُ عليه مواصفات هذا المُكرَه فهو معذورٌ، وإلّا فلا عذرَ له.

خامسا: أحكام الشّريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصّائل علىَ دين المُسلِمِين أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم ولو كانَ مسلما.

قد يصر مكابرٌ، رغم الأدِلَّة الواضحة، بأنَّ هَؤُلَاءِ الجنود المقاتلين للمسلمين مع الكافرين والمرتدّين، هم مسلمون، يصلُّون ويصومون، ويشهدون أن لا إِلٰهَ إِلَّا الله، وأنَّ محمّداً رسول الله، ولا يَكفُرون بقتالهم للمسلمين، فلمثل هذا حتَّى نكون عمليين وحسمًا لجدلٍ فارغٍ لا يقوم بالأدِلَّة وإنَّما بالعَوَاطِف والأهواء نقول: هب ذلك، فإنَّ للمسلم الّذي يحمل السّلاح عَلى المُسلِمِين، بغيًا، أو فسادًا في الأرض، أحكامًا بيَّنها العُلَماءُ تحت عنوان **(دفع الصّائل المسلم)**، فقد بيَّن العُلَماءُ أنَّ كلّ دين نزل من

عند الله، جاء للحفاظ عَلى الضَّرورات الخمسة (الدّين – النّفس – العِرض – العَقل – المال) ولذا فيجب المحافظة عَلى هذه الضَّرورات بأيِّ وسيلةٍ مشروعةٍ، ومن هنا شرع الإِسْلَام دفع الصّائل.

والصِّيال شرعاً: كما عرفه العُلَماء هو الوثوب عَلى الشَّيء المعصوم بغير حقٍّ، والمَعصُوم هو النّفس أو العرض أو المال.

والصّائل كما عرفه العُلَماء: هو كلّ معتدٍ عَلى ما كانَ معصوماً شَرعاً سواء كانَ مسلمًا عُصِم بحقِّ الإِسْلَام أو عصمته ذمَّة المُسلِمِين، فالقتال لدفع هذا المُعتدي مشروعٌ شَرعاً بالدفع عن الحُرمات بل يصير واجبًا في كثيرٍ من الحالات، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩].

أما الصّائل عَلى الدّين:

فواجب بقوله ﷺ «**مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**» قَالَ ابن تَيمِيّة رَحِمَهُ الله: [**وَأَمَّا قِتَالُ الدَّفْعِ فَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ دَفْعِ الصَّائِلِ عَنْ الْحُرْمَةِ وَالدِّينِ فَوَاجِبٌ إجْمَاعًا فَالْعَدُوُّ الصَّائِلُ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لَا شَيْءَ أَوْجَبَ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ دَفْعِهِ فَلَا يُشْتَرَطُ لَهُ شَرْطٌ بَلْ يُدْفَعُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ**].[1]

وأما الصّائل عَلى العرض:

فيجب دفعه باتفاق الفقهاء ولو أدى إلى قتله وإن كانَ مسلما، قَالَ النووي: "وأما المدافعة عن الحريم فواجبة بلا خلاف"، وقال الشَّيْخ عبدالله عزام رَحِمَهُ الله: [قد يسأل سائل: أو يجوز لنا أن نقتل شرطياً يصلي ويصوم، من أجل أنه يريد أن يأخذني إلى قسم البوليس؟ فقال: (وأما رأي الفقهاء بالإجماع أنه لا يجوز لأحد أن يستسلم لإنسان يريد أن ينتهك عرضه... إتفق الفقهاء جميعاً عَلى أن دفع الصّائل عن العرض واجب بالإجماع، فإذا أنت تركت الشّرطة يقتحمون بيتك في وهن من الليل، وزوجتك عارية في ثياب النوم يكشفون عنها غطائها ليبحثوا أنك نائم عندها فعرضك منتهك وأنت آثم عند ربّ العَالَمِيّن فهنا الظُّلم، والصّلاة والصّيام من مثل هذا الشّرطي لا تمنع عنه قضية القتل][2].

وأما الصّائل عَلى النّفس:

---

(١) الفتاوى الكبرى: (ج٥/ ص٥٣٨).

(٢) الجِهَاد فقه وإجتهاد: شريط الشهداء ودفع الصائل/ قاعدة دفع الصائل، (ج٣ / ص١٣٩).

فيجب دفعه عند جمهور العُلَماء، وقد ذهب البعض للجواز دون الوجوب، ولو كانَ مسلما وفي الحديث الصَّحِيح: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[(١)]، وروي عنه ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[(٢)].

قَالَ الإِمَام الجصاص بعد هذا الحديث في أحكام القرآن: [**لَا نَعْلَمُ خِلَافًا أَنَّ رَجُلًا لَوْ شَهَرَ سَيْفَهُ عَلَى رَجُلٍ لِيَقْتُلَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ أَنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَتْلَهُ**][(٣)].

قَالَ الشَّيْخ الشّهِيد عبدالله عزام رحمه الله: [وفي هذه الحالة– الصيال – إذا قتل الصّائل فهو في النار ولو كانَ مسلما وإذا قتل العادل فهو شهيد].

وأما الصّائل عَلى المال:

فقد ذهب جمهور علماء المُسلِمين إلى جوازه واعتبره البعض واجبًا، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ»[(٤)].

ويقول الإِمَام ابن تيميه رحمه الله في مجموع الفتاوى[(٥)]: [**السُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ مُتَّفِقَيْنِ عَلَى أَنَّ الصَّائِلَ الْمُسْلِمَ إذَا لَمْ يَنْدَفِعْ صَوْلُهُ إلَّا بِالْقَتْلِ قُتِلَ وَإِنْ كَانَ الْمَالُ الَّذِي يَأْخُذُهُ قِيرَاطًا مِنْ دِينَارٍ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»**[(٦)]].

---

(١) رواه أحمد (١٦٥٢) وصححه الأرنؤوط، ورواه أبو داود (٤٧٧٢) وصحَّحه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه النسائي (٤٠٩٣، ٤٠٩٦) وقال الألباني: صحيح- صحيح الجامع الصغير (٦٤٤٧).

(٣) أحكام القرآن للجصاص: (٤/ ٤٦).

(٤) رواه مسلم (١٤٠).

(٥) مجموع الفتاوى: (ج٢٨ ص٥٤٠).

(٦) متفق عليه، البخاري (٢٤٨٠) ومسلم (١٤١).

قال الشّافعي رحمه الله: [**وَإِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ مَنْزِلَ الرَّجُلِ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا بِسِلَاحٍ فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ فَلَمْ يَخْرُجْ فَلَهُ أَنْ يَضْرِبَهُ وَإِنْ أَتَى الضَّرْبُ عَلَى نَفْسِهِ**][1]، أي: إذا قَتَلَ المَدفوع.

هذا مختصر أحكام دفع الصّائل المسلم عَلى أحاد المُسلِمِين، فكيف به لو جاء يريد الدّين أو النّفس أو العرض أو المال أو كلّ ذلك، تحت راية وقيادة الأمريكان والمرتدّين؟!

(١) الأم للشافعي: كتاب جراح العمد، فصل التعدي ودخول المنزل (ج٦ ص٣٥).

سادسا: أحكام الشّريعة تقرر حرمة دماء وأموال وأعراض المُسلِمِين، وتقرر أن جميع أشكال تواجد المعتدين الكفّار (دماءهم وأموالهم) في كلّ مكان حلال هدر للمسلمين.

خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فكان مما قاله: « أَيُّ شَهْرٍ هَذَا »، قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ ذُو الحِجَّةِ»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا»، قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ البَلْدَةَ». قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا». قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ». قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: « فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ - وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلاَ فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ » ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ» مَرَّتَيْنِ. [1] متفق عليه.

وقد لخص هذا الحديث الشريف المتفق عَلى صحته لدى عموم المُسلِمِين قاعدة حرمة المسلم، دمه، وماله، وعرضه، حرمة كلية لا يحلها إلا ما جاء في الحديث الصَّحيح، المجمع عَلى صحته لدى عموم المُسلِمِين أيضا، وهو قوله ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»[2] متفق عليه.

وقد عظم الإِسْلَام حرمات المُسلِمِين، ونهى عن العدوان عليهم، ونهى عن ظلمهم وأنه سيقتص من الظَّالم في كلّ كبيرة وصغيرة.

- وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ الله بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[3].

---

(١) رواه البخاري (٦٧، ١٠٥، ١٧٤١..) ومسلم (١٦٧٩).

(٢) رواه البخاري (٦٨٧٨) ومسلم (١٦٧٦).

(٣) رواه البخاري (٣١١٨) [ش (يتخوضون) من الخوض وهو المشي في الماء وتحريكه والمراد هنا التخليط في المال وتحصيله من غير وجهه كيفما أمكن].

- وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قالَ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ»(١) متفق عليه.
- وقال ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَخُونُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ، عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ»(٢).
- وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣) رواه مسلم.
- وقال ﷺ: «اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حِجَابٌ»(٤)متفق عليه.
- وعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ» رواه مسلم(٥). والأراك هو: السواك.

وقد شدد الإِسْلَام في حرمة المُسلِمِين ودمائهم وأموالهم وأعراضهم، الّتي لا تحل إلا بالردة الّتي تزيل عن صاحبها الإيمان وعند ذلك فلا حرمة له، وهو مهدور الدَّم مباح المال، وهذا هو الحكم الأصلي لدم الكافر وماله، فقد نص العُلَماء عَلى أن الأصل في دم الكافر وماله الحل، كما أن الأصل في دم المسلم وماله الحرمة... وكما أن هذه الحرمة تزول عن دم المؤمن وماله بالكفر فإن العُلَماء نصوا عَلى أن دم الكافر وعرضه حلال، لا يحرم إلا بإحدى حالتين يصبح فيهما معصوم الدَّم والمال، وهما:

١. **إما الدخول في الإِسْلَام**، وعند ذلك يكون له ما للمسلمين وعليه ما عليهم. إذ أنه صار منهم فيحرم ماله ودمه وعرضه، كما نصت عَلى ذلك آيات القرآن وسنة النبيّ ﷺ،
٢. **وإما بالأمان الّذي يعطى له من قبل الحاكم الشَّرعيّ**، حيث يكون (من أهل الذمة) وتوضع عليه الجزية المنصوص عليها شرعا، إذا كانَ من المقيمين بين أظهر المُسلِمِين، كأهل الكتاب ومن في حكمهم

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٢، ٦٩٥١) ومسلم (٢٥٨٠).

(٢) رواه الترمذي (١٩٢٧) وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٢٥٧٨).

(٤) رواه البخاري (٢٤٤٨) ومسلم (١٩).

(٥) رواه مسلم (١٣٧).

ممن يعيشون في ديار الإِسْلَام، وإما بالأمان المؤقت الّذي يعطى للكفار الّذين يعبرون أراضي المُسلِمِين دون أن يقيموا بها، بقصد التجارة أو الإقامة المؤقتة، وعند ذلك يؤدون ضريبة عَلى ما يحملون من تجارة، ويكون لهم أمان مؤقت تعصم فيه دماءهم وأموالهم.

وما عدا حالتي الذمة والأمان فإن الكافر يكون دمه وماله حلال للمسلمين، ومن البديهي القول بأن حق إعطاء الذمة والأمان، لا يكون للحاكم الكافر المبدل للشريعة، الحاكم بغير ما أنزل الله، الموالي لأعداء الله، بل هيَ من حقوق الحاكم الشَّرعيّ إمام المُسلِمِين، إذ أن الحاكم الكافر لا أمان له بنفسه، فهو مهدور الدَّم والمال، يجب قتاله وقتله، والخروج عليه، ومحاربة طائفته في حال القدرة، أو الهِجرَة عن دياره في حال العجز عن ذلك، أو التربص به والإِعداد لخلعه وقتاله، فكيف يؤمن غيره، وهو غير مؤمن في دين الإِسْلَام والمُسلِمين، وهذه هيَ حالة حُكَّام بلاد المُسلِمِين اليَوْم، فقد فقدوا حقوق الحاكم المسلم لردتهم، ومنها حق إعطاء الذمة والأمان فلا أمان بذلك للكفار الّذين يدخلون بلادنا اليَوْم بأي شكل من الأشكال.

فهم محاربون ينتمون لأمم محاربة تتراوح أهداف وجودهم في بلادنا بين الحَرب ومقاصد الحَرب، والإفساد والضلال ونشر الرذائل، وأما الادعاء بأمانهم من قبل حُكُومَاتنا فدعوة ساقطة، لسقوط شرعيّة حُكُومَاتنا، الغير شرعيّة أصلا، وخصوصا من كانَ تواجدهم لأهداف عسكريّة أو أمنيّة أو سياسيّة أو تنصيرية، أو أي وجه من وجوه الإفساد في بلاد المُسلِمِين.

فالخلاصة باختصار في أحكام دماء وأموال المُسلِمِين والكافرين في بلادنا اليَوْم:

١. أن جميع من في بلادنا الإِسْلَاميّة اليَوْم من المُسلِمِين ممن شهدوا أن لَاإِلٰهَ إِلَّا الله وأن محمّدا رسول الله ﷺ، ولم ينقضوها بمحاربة الإِسْلَام والمُسلِمين، والمظاهرة عليهم ولم ينقضوه صراحة بناقض معتبر للإسلام، هم معصوموا الدَّم والمال والعرض، بقولهم لَاإِلٰهَ إِلَّا الله وحسابهم عَلى الله تَعَالَى، وإن تلبسوا بها تلبسوا به من المعاصي فحسابهم عَلى الله، عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ،

قَالَ رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله»[١].

٢- أن جميع أشكال تواجد الكفّار في بلادنا، حلال الدَّم والمال، لا تعصمهم الأمانات المزورة، والذمة البَاطِلة الّتي أعطاهم إياها أولياؤهم من حكامنا المرتدّين الّذين هم حلال الدَّم والمال أصلا، كما بينا آنفا.

٣- أن الكفّار في بلادهم (ديار الحَرب)، حلال المال والدم كما هو معروف، وليس هناك أي إعتبار لما يسمى بالاتفاقات الدّولية، لأنها لم تبرم أصلا مع أولياء أمور شرعيين للمسلمين، فضلا عما فيها من البنود البَاطِلة، الّتي تعطل الجِهَاد في سبيل الله، وتعطي الحقوق للكفار المعتدين، بدعوى مكافحة الإرهَاب، بل وتجعل دفاع المسلم عن دينه ونفسه وعرضه وماله، جريمة وإرهابا، وتجعل عدوان الكفّار علينا عدلا ونظاما دوليا.

عصمة دم المسلم، وحرمته عند الله:

شدد الإِسْلَام في عصمة دم المسلم، وهدد وتوعد قاتله عمدا باللعنة، وهي الطرد من رحمة الله، وبالخلود في النار والعذاب الأليم، فقد روى البُخَارِيّ رَحِمَهُ اللهُ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»[٢]، أي ما يزال لديه الأمل بالمغفرة ما لم يقتل مسلما عامدا متعمدا، وروى البُخَارِيُّ أيضاً عنه أنّ النّبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا»[٣]. ويكفي في حرمة دم المسلم وسوء مصير قاتله عمداً ما قاله الله تَعَالَى مما يهزّ القلوب، ويردع كلّ من كانَ في قلبه لدين الله حرمة، عن الإقدام عَلى هذا الجرم الشّنيع، وهو قوله تَعَالَى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء]، ومما قاله

---

(١) رواه البخاري (١٣٩٩، ٢٩٤٦، ٦٩٢٤) ومسلم (٢٠).

(٢) رواه البخاري: (٦٨٦٢).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٦٨٧٤، ٧٠٧٠) ومسلم (٩٨).

الإِمَام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسيرها: [وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الّذي هو مقرون بالشرك بالله تَعَالَىٰ، في غير ما آية في كتاب الله حيث يقول تَعَالَىٰ في سورة الفرقان: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾ [الفرقان: ٦٨]، والآيات والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جدا، فمن ذلك ما ثبت في الصَّحِيحين عن ابن مسعود، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»[١] وفي الحديث الآخر الّذي رواه أبو داود عن عبادة بن الصامت قَالَ، قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقًا صَالِحًا مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ»[٢]، وفي حديث آخر: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»[٣] وفي الحديث الآخر «لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ الله فِي النَّارِ»[٤] وفي الحديث الآخر «مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ، لَقِيَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ»[٥]، وقد كانَ ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرى أن لا توبَة لِقَاتِلِ المؤمن عمداً، قَالَ البُخَارِيّ: حَدَّثَنَا آدَمُ...قَالَ (ابن عبَّاس): نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣] «هِيَ آخِرُ مَا نَزَلَ، وَمَا نَسَخَهَا شَيْءٌ»[٦]، وعن سعيد بن جبير قَالَ: سألت ابن عباس عن قوله ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ قَالَ: «الرَّجُلُ إِذَا عَرَفَ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ، ثُمَّ قَتَلَ مؤمناً متعمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ وَلَا تَوْبَةَ لَهُ» فَذَكَرْتُهُ لِمُجَاهِدٍ فَقَالَ: «إِلَّا مَنْ نَدِمَ»[٧]، كُنَّا عِنْد ابْن عَبَّاس بَعْدَمَا كفَّ بَصَره، فَأَتَاهُ رجل فناداه: يَا

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٦٥٣٣) ومسلم (١٦٧٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٢٧٠) وقال الألباني: صحيح – الصحيحة (٥١١). (الْمُعْنِق): خَفِيف الظَّهْر، سَرِيع السَّيْر، يَسِير سَيْر الْعَنَق، وَالْعَنَق: ضَرْبٌ مِنْ السَّيْر وَسِيع. (بَلَّح) قَالَ فِي النِّهَايَة: يُقَال: بَلَّحَ الرَّجُل، إِذَا اِنْقَطَعَ مِنْ الْإِعْيَاء، فَلَمْ يَقْدِر أَنْ يَتَحَرَّك، وَقَدْ أَبْلَحَهُ السَّيْر فَانْقَطَعَ بِهِ، يُرِيد وُقُوعه فِي الْهَلَاكِ بِإِصَابَةِ الدَّم الْحَرَام.

(٣) رواه النسائي (٣٩٨٧) والترمذي (١٣٩٥) وصححه الألباني.

(٤) رواه الترمذي (١٣٩٨) وقال: حسن غريب، وصححه الألباني في الروض النضير (٩٢٥).

(٥) رواه ابن ماجة (٢٦٢٠) وقال الألباني والأرنؤوط: ضعيف جدا.

(٦) رواه البخاري (٤٥٩٠) ومسلم (٣٠٢٣).

(٧) رواه أبو داود (٤٢٧٣) وصححه الألباني، ورواه البخاري دون «وَلَا تَوْبَةَ لَهُ» برقم(٣٨٥٥).

عبد الله بن عَبَّاس، مَا ترى فِي رجل قتل مُؤمنا مُتَعَمدا؟ فَقَالَ: جَزَاؤُهُ جَهَنَّم خَالِدا فِيهَا، وَغَضب الله عَلَيْهِ، ولعنه وأعدَّ لَهُ عذَابا عَظِيما. قَالَ: أَفَرَأَيْت إِن تَابَ وَعمل صَالحا ثمَّ اهْتَدَى؟ قَالَ ابْن عَبَّاس: ثكلته أمه وأنَّى لَهُ التَّوْبَة وَالْهدى؟ وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لقد سَمِعت نَبِيكُم ﷺ، يَقُول: «ثكلته أمه قَاتل مُؤمن مُتَعَمدا جَاءَ يَوْم الْقِيَامَة أَخذه بِيَمِينِهِ، أَو بِشِمَالِهِ تشخب أوداجه دَمًا قبل عرش الرَّحْمَن يلْزمه قَاتله بِيَدِهِ الْأُخْرَى، يَقُول: سل هَذَا فيمَ قتلني؟»"وأيم الَّذِي نفس عبد الله بِيَدِهِ لقد أنزلت هَذِه الْآيَة فَمَا نسختها من آيَة حَتَّى قبض نَبِيكُم"[١]، وعن عبدِالله بن مسعود عن النّبيّ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ مُتَعَلِّقًا بِقَاتِلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آخِذًا رَأْسَهُ بِيَدِهِ الْأُخْرَى فَيَقُولُ يَا رَبُّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ قَالَ، فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ، فَيَقُولُ: فَإِنَّهَا لِي، قَالَ وَيَجِيءُ آخَرُ مُتَعَلِّقًا بِقَاتِلِهِ فَيَقُولُ: رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي، قَالَ فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ، قَالَ: فَإِنَّهَا لَيْسَتْ لَهُ بُؤْ بِإِثْمِهِ، قَالَ: فَيَهْوِي فِي النار سبعين خريفا»[٢].... حديث آخر قَالَ الإِمَام أحمد: حدثنا.... سمعت معاوية ﷺ يقول: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «كُلُّ ذَنْبٍ عسى الله أن يَغفِرَهُ إِلّا الرّجلُ يَمُوت كَافِرًا، أَوِ الرَّجُلُ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا»[٣]][٤]اهـ.

هذا كله في المسلم يقتل مسلما متعمدا في شجار أو نزاع عَلى شيء من الدُّنيَا أو في غضبة ونزغة شيطان وجاهلية، وأما ذلك الّذي يقتل المسلم لأنه يقول ربي الله، ويقتل المُجَاهدين في سبيل الله بأمر رؤسائه المرتدّين، أو يقتلهم تحت قيادة الأمريكان أو الكافرين، فذلك شأنه شأن آخر، لأنه تولى الكافرين وقاتل في سبيلهم، فماذا يقول جنود جُيُوش البلاد الإِسْلَاميّة وشرطتها ورجال أمنها، من هَؤُلَاءِ القتلة، الّذين يقتلون المُؤمِنِين، إذا تعلق المقتولون ظلما من المُؤمِنِين بهم يوم القيامة، وأوداجهم تشخب دما، وجأروا إلى الله قائلين لهم: «ربّي سَلْ هَذَا فِيمَا قَتَلَنِي؟» هل سيقولون: قتلناهم لتكون العزة لجورج بوش؟! أم يقولون قتلناهم لتكون العزة لأمريكا، أم لأي طاغوت من طواغيت المُسلِمِين؟

---

(١) بهذه السياقة ورد في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري (١٨/ ١٨٣) وأطراف الحديث في الصحيحين.

(٢) أصله في سنن النسائي (٣٩٩٧) بلفظ قريب وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد (١٦٩٠٧) والنسائي (٣٩٨٤) وصححه الألباني.

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٩).

ألا ثكلتهم أمهم، وقبحهم الله، لو كانوا يدركون، أو يعقلون، في أي واد من وديان الكفر والردة يهيمون، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ ﴾ [آل عمران]

قَالَ ابن كثير في تفسيرها: [قَالَ ابن أبى حاتم:...عن أبي عبيدة بن الجرّاح ﷺ قَالَ: قلت: يا رسول الله، أي النّاس أشدّ عذابا يوم القيامة؟ قَالَ: «رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ» ثمّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٢١].](١)

وكما بينا بأن الأصل في المسلم عصمة الدَّم والمال لا يحل منه ذلك إلا بخروجه من الملة، وأن الكافر حلال الدَّم والمال لا يعصم ذلك منه إلا الدخول في ملة الإِسْلَام أو الأمان الّذي يعطى إليه من قبل حاكم شَرعِيّ مسلم، هذا من دون أن يكون الكافر محاربا للمسلمين، فكيف به وهو محارب لهم معتد عليهم؟!

وكما هو معروف اليَوْم، فإن الأمريكان والإنجليز وحلفائهم الأوروبيين، من دول النّاتو، ومن معهم مثل روسيا، فرنسا، أسبانيا، البرتغال، بلجيكا، ألمانيا، إيطاليا، كندا، أستراليا، هم في حالة حرب معلنة من قبل أمريكا وأسيادها اليَهُوْد، عَلَى المُسلِمِين، وهم يقتلون شباب الإِسْلَام، ويطاردونهم في كلّ مكان ويرتكبون المجازر في حقهم، دون تفريق بين مدني ولا عسكريّ ولا شيخ ولا طفل ولا امرأة، كما يحصل اليَوْم في فِلَسطِين والعراق وأفغانستان، وحيثما شاءت أمريكا، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى فإن أشكال عدوانهم قد تعددت أساليبها وأدواتها، فجُيُوشهم تأتي بشكل سافر برّاً وبحراً وجوّاً، ومخابراتهم مثل(CIA)(FBI) الأمريكيّة، وما يعادلها من مخابرات الدّول الغربيّة، تأتي علنا تارة، وتارة تأتي تحت غطاء المؤسسات التجاريَّة، وتارة تحت غطاء المشاريع السياحية أو الثَّقافيَّة، أما مؤسساتهم التنصيرية فمستعلنة حينا، ومتسترة أحيانا، وأما مؤسساتهم المالية الاقتصاديَّة فهي مؤسسات نهب لاقتصاد المُسلِمِين، وأما من جاء منهم للسياحة والنزهة، فهم أقل أشكال العدوان، نماذج للسفور

---

(١) الحديث أخرجه البزار (١٢٨٥) وقال بعده: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنْ رَسُولِ الله ﷺ بِهَذَا اللَّفْظِ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَلَا نَعْلَمُ لَهُ طَرِيقًا، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ غَيْرَ هَذَا الطَّرِيقِ، وَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا سَمَّى أَبَا الْحَسَنِ الَّذِي رَوَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ حِمْيَرٍ.

والرَّذِيلة، لا يحترمون أعراف الْمُسلِمِين ولا دينهم ولا تقاليدهم ويسعون للفساد ودمار الأخلاق حيثما حلوا، فكل أشكال التواجد الغربيّ هو وجود محارب للإسلام والمُسلِمين، ولذلك فكافة أشكال وجودهم نساء ورجال في بلادنا حلال الدَّم والمال للمسلمين وهو هدر، وقد أفتى علماء الْمُسلِمِين بمثل هذا في حق الْمُستَعمرين الإنجليز والفرنسيين أيّام الإستعمار القديم لبلادنا، كذلك أيّام الإحتلال الرُّوسي لأفغانستان ومن ذلك ما قاله الإِمَام المحدث الشَّيْخ أحمد شاكر أيّام احتلال الإنجليز لمصر والسُّودَان وباكستان والهند، قَالَ:

[فإن الواجب أن يعرف الْمُسلِمُون القواعد الصَّحِيحة في شريعة الله في أحكام القِتَال وما يتعلق به معرفة واضحة، إن الإنجليز أعلنوها عَلَى الْمُسلِمِين في مصر حربا سافرة غادرة حرب عدوان واستعلاء، وأعلنوها عَلَى الْمُسلِمِين في السُّودَان حرب مقنعة مغلفة بغلاف المصلحة للسودان وأهله، مزوقة بحلية الحكم الذاتي، وقد رأينا ما يصنع الإنجليز في منطقة قناة السويس وما يقاربها من البلاد، من قتل المدنيين الآمنين والغدر بالنِّسَاء والأطفال...فأعلنوا بذلك عداءهم صريحا واضِحاً، لا لبس فيه ولا مجاملة ولا مداورة.

فصارت بذلك دماؤهم وأموالهم حلالا للمسلمين، يجب عَلَى كلّ مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أن يحاربهم وأن يقتلهم حيثما وجدوا – مدنيين كانوا أو عسكريّين – فكلهم عدو، وكلهم محارب ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩١] وقد نَهَانَا رسول الله ﷺ عن قتل النِّسَاء في الحَرب وهو نهي معلل بعلة واضحة: أنهن غير مقاتلات، أما الآن ونسائهم مجندات يحاربن مع الرّجال جنبا إلى جنب، وغير المجندات منهن مسترجلات، يطلقن النار عَلَى الْمُسلِمِين دون زاجر أو رادع فإن قتلهن حلال للدفاع عن النّفس والدّين والبلد إلا أن تكون امرأة ضعيفة لا تستطيع شيئا، وقد قلنا: (يجب عَلَى كلّ مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أن يحاربهم وأن يقتلهم حيثما وجدا مدنيين أو عسكريّين) ونحن نقصد إلى كلّ حرف من معنى هذه الجملة فأينما كانَ المسلم ومن أي جنس كانَ من الأجناس والأمم، وجب عليه ما يجب علينا في مصر والسُّودَان، حتَّى الْمُسلِمِين من الإنجليز في بلادهم إن كانوا مُسلِمِين حقا يجب عليهم ما يجب عَلَى الْمُسلِمِين من غيرهم ما استطاعوا فإن لم يستطيعوا، وجبت عليهم الهِجرَة من بلاد الأَعدَاء أو من البلاد الّتي لا يستطيعون فيها حرب العدوّ بما أمرهم الله، فإن الإِسْلَام جنسية واحدة، وهو يلغى

الفوارق الجنسية والقومية بين متبعين، فليسمع هذا وليضعه نصب عينيه كلّ مسلم في مصر والسُّودَان والهند والباكستان، وكل بلد يحكمه الإنجليز الأَعدَاء أو يدخل في نطاق نفوذهم من سائر أقطار الأرض، وأما التّعاون مع الإنجليز في أي نوع من أنواع التّعاون قل أو كثر، فهو الرِّدَّة الجامعة والكفر الصراح لا يقبل فيه اعتذار، ولا ينفع معه تأول، سواءا أكان ذلك من أفراد أو حُكُومَات أو زعماء كلهم في الكفر والردة سواء.

وأظن كلّ قارئ لا يشكّ الآن، أنّه من البديهيّ أنّ شأن الفرنسيين في هذا المعنى شأن الإنجليز، بالنّسبة لكلّ مسلمٍ عَلى وَجهِ الأرضِ، فإنّ عداء الفرنسيين للمسلمين وعصبيتهم الجامحة في العمل عَلى محو الإِسْلَام أضعاف الإنجليز فهم والإنجليز في الحكم سواء: دمائهم وأموالهم حلال في كلّ مكان، وإن التّعاون معهم حكمه حكم التّعاون مع الإنجليز...] -انتهى نقل كلام العلامة أحمد شاكر باختصار طفيف-.

ولا شَّكَّ أن علة الحكم ومناط القياس بين الأمريكان والرُّوس واليَهُوْد وكل أعداء المُسلِمِين اليَوْم مع ما كانَ عليه عداء الفرنسيين والإنجليز هو واحد، بل إن هَؤُلَاءِ بالإضافة للإنجليز والفرنسيين صاروا حلفاء علينا فلا شَّكَّ أن دمائهم وأموالهم نساء ورجالا، حلال هدر في كلّ مكان وخاصة في بلادنا.

سابعا: وجوب نصرة المُسلِمِين في الدّين إن اعتدى الكفّار عليهم بصرف النَّظر عما تلبسوا به من المعاصي والنقائص، والجِهَاد المشروع قائم مع كلّ بر وفاجر من أئمة المُسلِمِين وعامتهم:

- **ففي القرآن الكريم:**

شواهد عديدة عَلى وجوب نصرة المسلم نذكر منها قوله تَعَالَى في سورة الأنفال الآية الثّانية والسبعين والثّالثة والسبعين بعد أعوذ بالله من الشّيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢﴾ [الأنفال]

قَالَ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في معرض تفسيرها [١]: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ الآية، [يقول تعالى وإن استنصركم هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ، الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا فِي قِتَالٍ دِينِيٍّ عَلَى عَدُوٍّ لَهُمْ فَانْصُرُوهُمْ، فَإِنَّهُ وَاجِبٌ عليكم نَصْرُهُمْ، لِأَنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ، وَهَذَا مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -إلى أن قَالَ في آخر نفس الآية- ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۝٧٣﴾ [الأنفال] إِنْ لَمْ تُجَانِبُوا الْمُشْرِكِينَ وَتُوَالُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَإِلَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ فِي النَّاسِ، وَهُوَ الْتِبَاسُ الْأَمْرِ، وَاخْتِلَاطُ الْمُؤْمِنِ بِالْكَافِرِ، فَيَقَعُ بَيْنَ النَّاسِ فَسَادٌ مُنْتَشِرٌ طَوِيلٌ عَرِيضٌ]-انتهى كلام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ-.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره الجامع لأحكام القرآن، الجزء الثَّامن ص ٥٧ قوله تَعَالَى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [**يُرِيدُ إِنْ دَعَوْا هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا مِنْ أَرْضِ الْحَرْبِ عَوْنَكُمْ بِنَفِيرٍ أَوْ مَالٍ لِاسْتِنْقَاذِهِمْ فَأَعِينُوهُمْ، فَذَلِكَ فَرْضٌ عَلَيْكُمْ فَلَا تخذلوهم، إلا أن يستنصروكم عَلَى قَوْمٍ كُفَّارٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَلَا تنصروهم عَلَيْهِمْ، وَلَا تَنْقُضُوا الْعَهْدَ حَتَّى تَتِمَّ مُدَّتُهُ، قال ابْنُ الْعَرَبِيِّ: إِلَّا أَنْ يَكُونُوا (أُسَرَاءَ) مُسْتَضْعَفِينَ فَإِنَّ الْوَلَايَةَ مَعَهُمْ قَائِمَةٌ وَالنُّصْرَةَ لَهُمْ وَاجِبَةٌ، حَتَّى لَا تَبْقَى مِنَّا عَيْنٌ تَطْرِفُ حَتَّى تخرج إلى استنقاذهم إِنْ كَانَ عَدَدُنَا يَحْتَمِلُ ذَلِكَ، أَوْ نَبْذُلُ جَمِيعَ أَمْوَالِنَا فِي اسْتِخْرَاجِهِمْ حَتَّى لَا يَبْقَى لِأَحَدٍ دِرْهَمٌ، كَذَلِكَ قَالَ مَالِكٌ وَجَمِيعُ الْعُلَمَاءِ، فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، عَلَى مَا حَلَّ بِالْخَلْقِ فِي تَرْكِهِمْ إِخْوَانَهُمْ فِي أَسْرِ الْعَدُوِّ وَبِأَيْدِيهِمْ خَزَائِنُ الْأَمْوَالِ، وَفُضُولُ الْأَحْوَالِ وَالْقُدْرَةُ وَالْعَدَدُ وَالْقُوَّةُ وَالْجَلَدُ**].

وقال الشَّيْخ سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ في الظلال الجزء الثّالث ص ١٥٥٨: [فهَؤُلَاءِ الأفراد (يقصد المُسلِمِين الّذين لم يهاجروا معكم إلى دار الإِسْلَام) ليسوا أعضاء في المجتمع المسلم ومن ثمّ لا تكون بينهم وبينه ولاية ولكن هناك رابطة العَقِيْدَة، وهذه لا ترتب وحدها عَلى المجتمع المسلم تبعات تجاه هَؤُلَاءِ الأفراد اللّهم إلا أن يعتدي عَلى دينهم فيفتتنوا مثلاً عن عقيدتهم فإذا استنصروا المُسلِمِين - في دار الإِسْلَام - في مثل هذا كانَ عَلى المُسلِمِين أن ينصروهم في هذه وحدها.] أ.هـ.

فأقول والله الموفق: جاء الأمر في نصرة هَؤُلَاءِ المُسلِمِين في الدّين وهم لم يهاجروا ويلتحقوا بالمُسلِمِين مع قيام دولتهم وربما في بعضهم ضعف وعذر وربما فيهم من نزل فيه وعيد شديد بأن مأواهم النار لعدم

---

(١) تفسير ابن كثير: (٤/ ٩٨).

هجرتهم مع قدرتهم عليها في قوله تَعَالَى في سورة النِّسَاء: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء]

فهَؤُلَاءِ رغم معصيتهم الّتي تدخل من لا عذر له في النار لم يسقط حقهم كونهم من أهل لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله، وإن استنصروكم في الدّين فيجب أن ينصرهم المُسلِمُون، فهم لهم هذا الحقّ كونهم من أهل لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله، بل إن الله جعل عدم نصرة المسلم تؤدي إلى فتنة في الأرض وفساد كبير، وهذا ما نشهده في أيّامنا هذا لقعود المُسلِمِين عن نصرة دينهم ونصرة بعضهم بعضاً وعن نصرة المستضعفين فيهم بدعاوى شتّى منها أن دينهم فيه خلل، علماً أن كلّ آيات وأحاديث حقوق المسلم لم تخصص مسلماً كما الإيمان، ولم تفرق بينه وبين أي مسلم كما أنه لم يخرج من ملة الإِسْلَام هذا في القرآن.

- وفي السنة:

عن أبي موسى الأشعري ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» **وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ**.[1] رواه البُخَارِيّ في كتاب الأدب فصل تعاون المُؤمِنِين ورواه مسلم في كتاب البر باب تراحم المُؤمِنِين وتعاطفهم.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: « **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»[2]. وهو حديث متفق عليه جاء في أبواب الحديث السابق، ذكر الإمَام النووي رحمه الله معلقاً عَلى هذا الحديث في كتاب نزهة المتقين شرح رياض الصّالحين: المراد بالتَّراحم: أن يرحم المُؤمِنُون بعضهم بعضاً وأن يمدّوا يدَ العَونِ والمسَاعَدَة لبعضِهم عندَ الشَّدَائِدِ والنّوَازِلِ " ج(١) ص(٢٤٦).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3] متفق عليه.

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٤٨١، ٢٤٤٦) ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦).

(٣) رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠).

وقد ذكر القسطلاني في إرشاد السّاري شرح صحيح البُخَارِيّ في الجزء الرَّابع الصفحة ٢٥٥ معلقاً عَلى هذا الحديث فقَالَ: " (لا يَظلمُهُ) خبرٌ بِمَعنَى النَّهي لأنَّ ظُلمَ المسلِم للمسلِم حَرَام ولا يُسلِمه أي لا يتركه معَ مَن يؤذيه بل يحميه وزاد الطبراني ولا يسلمه في مصيبة نَزَلت به".

وقد شرحَ هذا الحديث الإِمَام النَّووي في شرحه لصحيح مسلم فقال " وأما (لا يخذله) فقال العُلَمَاءُ: الخذلُ ترك الإعانة والنّصر، ومعناهُ إذا استعان به في دفع ظالمٍ ونحوه لزمه إعانته إن أمكنه ولم يكن له عذر شَرعِيٌّ (١).

نقول وهذا في دفع المظلمة عن المسلم ولو جاءت من مسلم صال عليه ظلماً فكيف إذا جاءت من كافر صائل أو من مرتد أو مسلم ضال استنصر الكفّار عَلى أخيه المسلم.

وغني عن القول أن أحاديث الرَّسُول عليه الصّلاة والسَّلام في وجوب نصرة المسلم وعدم خذلانه والدّفاع عنه لم تخصص مسلمي خير القرون فقط، أو خيار المُسلِمِين من كلّ زمان بل جاء الأمر في الكتاب والسنة بنصرة المسلم مع علم الله وإخبار رسوله ﷺ بأن الدّين يرق في آخر الزّمان وقال عليه الصّلاة والسَّلام: «لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ»(٢)، بل مازال دأب الصّحابة والتَّابعين والسلف من بعدهم يشتكون من قلة الدّين في النّاس وتغير الأحوال إلى الأسوأ، ومع ذلك كانَ دأبهم النصح للمسلمين، ودفع الأذى عنهم ولاسيما دفع غائلة الصّائل عَلى الدّين والأرض والعرض والحرمات ولو كانت قضية النّصرة لا تكون إلا لمن هم عَلى دين وحال خير القرون وهي مائة سنة عَلى الأكثر، لما قام جِهَاد ونصرة ودفع عن المُسلِمِين عَلى مر التّاريخ الإِسْلَاميّ، وهو أكثر من ثلاثة عشر قرناً تلت ذلك، فها هيَ كتب التّاريخ ما زالت تروي فساد حال المُسلِمِين، من انتشار البِدَع، والبعد عن السنة وفشو المعاصي والخمور والقيان والمظالم إلى غير ذلك ومع ذلك وجدنا كما سنبين كبار السَّلَف والعُلَماء يدعون وينهضون للغزو مع كلّ بر وفاجر ويدفعون الصّائل عن الإِسْلَام والمُسلِمين ويفرحون لفرحهم، ويغتمون لكرباتهم، وهي عَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة خلافاً لمنهج الخوارج وغيرهم في أهل البِدَع المارقين.

---

(١) إرشاد السّاري شرح مسلم عَلى حاشية شرح البُخَارِيّ (جزء ٩ ص ٤٥٧).

(٢) رواه البخاري (٧٠٦٨).

وإذا كانت كلمة لَاإِلٰهَ إِلَّا الله تنجي أقواماً عند الله يأتون في آخر الزّمان وهم لا يدركون من معناها شيئاً كما في صحيح التِّرْمِذِيّ فيما رُوى عن رسول الله ﷺ فكيف لا تكون لهم علينا حقوق ونحن إخوانهم بسبب هذه الكلمة بصرف النَّظر عما تلبسوا به من النّقص الّذي لا يخرجهم من ملة أهل لَاإِلٰهَ إِلَّا الله، ولك أن تتصوُّر حال من لا يدرك من معنى لَاإِلٰهَ إِلَّا الله شيئاً وقد رأينا أمثال هَؤُلَاءِ في أطراف العالم الإِسْلَاميّ من بعض سكان بلاد التركستان ووسط آسيا والقفقاس والبوسنة وغيرها، فإذا كانَ هذا حق المسلم العادي، فكيف يكون حق من يجاهد ويدفع العدوّ من أهل الإِسْلَام من بقايا الظَّاهِرين عَلى الحقّ في هذا الزّمان، والله سُبحَانَهُ وتَعَالَى يقول: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ۝٨٤﴾[النساء] ورسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» وكلنا سمع بكلام ابن تَيمِيّة رَحِمَهُ اللهُ وفتواه الشهيرة في دفع الصّائل وهي قوله: [**وَأَمَّا قِتَالُ الدَّفْعِ فَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ دَفْعِ الصَّائِلِ عَنْ الْحُرْمَةِ وَالدِّينِ فَوَاجِبٌ إجْمَاعًا فَالْعَدُوُّ الصَّائِلُ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لَا شَيْءَ أَوْجَبَ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ دَفْعِهِ فَلَا يُشْتَرَطُ لَهُ شَرْطٌ بَلْ يُدْفَعُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ** وقد نصَّ عَلى ذلكَ العُلَماءُ أصحابنا وغيرُهم][1].

وهذا الصّائل الّذي قصد بلاد المُسلِمين اليَوْم كما حصل في العراق مؤخرا وقبلها وكثيرا من بقاع بلاد المُسلِمين قد قصد الدّين والأنفس والأموال والأعراض ورسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»[2]، وقد روى عنه عليه الصّلاة والسَّلام قوله: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»[3].

وقد صنف علماء المذاهب الأربعة وأئمة التفسير وشراح السنة أبواباً في دفع الصّائل حتَّى لو كانَ مسلماً واستشهدوا بهذه النّصوص ولهم كلام نفيس لا ننقله هنا بغية الاختصار وكله في الصّائل ولو كانَ

---

(١) الفتاوى الكبرى: (ج٥/ ص٥٣٨).

(٢) رواه أحمد (١٦٥٢) وصححه الأرنؤوط، وروى أبو داود نحوه (٤٧٧٢) وصحَّحه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه النسائي (٤٠٩٣، ٤٠٩٦) وصححه الألباني: صحيح الجامع الصغير (٦٤٤٧).

مسلماً فما بالك بهذا المزيج النجس من الصّائل اليَوْم من يهود وروس وأمريكان وروافض وأحلافهم المرتدّين والفسقة.

وربما هناك من يقول نعم هذا في الدّفاع عن المُسلِمِين الصّالحين ولكن هَؤُلَاءِ اليَوْم فيهم وفيهم مما ذكرنا من السلبيات، نعود للقول لهذا الأخ سبق البرهان والإتفاق عَلى أنهم مازالوا عندي وعندك مُسلِمِين، من أهل لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله في كثير منهم بدع وغير ذلك وما ينقص من عدالتهم، وكثير منهم صالح فانظر معي إذن إلى مذهب أهل السّنّة في القِتَال مع المُسلِمِين ولو تلبسوا في هذه الأحوال في جِهَاد الطلب فضلاً عن جِهَاد الدَّفع ودفع الصّائل الّذي لا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان كما قَالَ ابن تَيمِيّة ملخصاً إجماع العُلَماء.

وعند عودتنا للمراجع من كتب التفسير وشروح الحديث والمجموعات الفقهيّة للمذاهب الأربعة أو للمراجع المعتمدة كفتاوى ابن تَيمِيّة والإمام ابن حزم الأندلسي وغيرها، نجد في مختلف أبواب الجِهَاد أو الجِهَاد والسير كما ترد أحياناً بل وفي متون العَقِيْدَة عند أهل السّنّة، فصولاً تدور حول الجِهَاد مع كلّ بر وفاجر وأحياناً بعنوان الجِهَاد مع كلّ أمير، وأحياناً الجِهَاد مع الأمراء، كلام يدور حول إجماع أهل السّنّة خلافاً للخوارج والرَّافِضَة وغيرهم من فرق الضلال وقد جمعت مما تيسر لي من المراجع هذه نصوصاً وشواهد عديدة، ثمّ يسر الله أنّي نظرت في الكتاب النفيس " كتاب العمدة في إعداد العدة " لشيخنا الدكتور عبد القادر بن عبد العزيز، ذكره الله بخير ونفع به وفك أسره، فوجدته قد لخص ما ورد في معظم هذه المراجع بطريقة موجزة جميلة فاستغنيت بهذا الإيجاز النافع عن إطالة نقل الشواهد، لأن فيها الزبدة وكفاية فسأورد ما جاء فيها ثمّ أذكر بعدها بعض ما عثرت عليه مما لم يرد بها في الموضوع، وإليك أخي الحبيب ما جاء في العمدة جزى الله صاحبه خير الجزاء عن الإِسْلَام والمُسلِمين وأهل الإِعداد والهِجرَة والجِهَاد جاء في الصفحة (٩-١٠):

(ونأخذ من هذا كثيراً من العبر منها أن ساحة الجِهَاد قد تجمع المنافق والفاجر وفاسد النِّيَّة وأقواماً لا خلاق لهم، وكل هَؤُلَاءِ كانوا عَلى عهد النبيّ ﷺ، ومن العبر أيضاً أن وجود هَؤُلَاءِ بساحة الجِهَاد ليس بمبرر للقعود عن الجِهَاد بحجة أن بالصف مجروحين، فقد قام الجِهَاد عَلى عهد النبيّ ﷺ مع وجود هَؤُلَاءِ،

وسيأتي مزيد بيان لهذا وفتوى ابن تَيمِيّة فيه)، ثمّ قَالَ: (وإذا كانَ هذا قد حدث في حياة النبيّ ﷺ ومن معه، فما بالك بالحال الآن ؟ وقد قَالَ ﷺ: «**لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**»(١).

ثمّ فصّل تفصيلاً نفيساً في الصّفحات (٥٨-٦٣) والَّتي عقد فيها فصلاً بعنوان " مسألة الغزو مع الأمير الفاجر وأنصح الإخوان أن يراجعوها كاملة ويراجعوا إن أمكن لهم الشواهد الّتي أتى بها جزاه الله خيراً في مصادرها فبعضها فيه تفصيل وسأنقل موجزاً ما يلزم هنا لإثبات موضوع الجِهَاد مع المُسلِمِين وأمراءهم، ولو كانوا غير عدول متلبسين بالبِدَع والفجور والفسوق والغلول وغير ذلك من نواقض العدالة طالما أنها لم تخرجهم من ملة الإِسْلَام، كما كانَ حال معظم المُسلِمِين وأمرائهم في أكثر من ٩٠٪ من تاريخنا الإِسْلَاميّ عَلى مر أربعة عشر قرناً.

جاء في هذا الفَصل من العمدة: (الفاجر: هو غير العدل، والعدالة هيَ: استواء أحواله في دينه وقيل من لم يظهر منه ريبة، ويعتبر لها شيئان:

الصلاح في الدّين وهو أداء الفرائض برواتبها واجتناب المحرم لا يأتي كبيرة ولا يدمن عَلى صغيرة.

استعمال المروءة: بفعل ما يجمله ويزينه، وترك ما يدنسه ويشينه) [منار السبيل صفحة ٤٨٧-٤٨٨].

ثمّ قَالَ أسفل صفحة ٥٨: ثالثاً: فإن كانَ الأمير فاجراً، ولم يوجد غيره، أو لم يتيسر العمل مع غيره إما بسبب عدم العلم بوجود الأصلح أو المشقة الشديدة في الالتحاق بالأصلح وبالتالي فإن ترك العمل مع الفاجر يفوت المصلحة الشَّرعيَّة في التّدريب أو الجِهَاد فالكلام هنا من وجهين: وينبني عَلى سؤال وهو هل فجوره في نفسه أو فيما يتعلق بمصالح الإِسْلَام والمُسلِمين ؟

الوجه الأوّل: وهو إذا كانَ فجوره في نفسه، كمن يشر الخمر أو المخدرات أو يغل من الغنيمة أو به فسق أو بدعة (لاحظ جيداً – به فسق أو بدعة –) فهذا يغزى معه، طالما كانَ فجوره هذا لا يخل بقتاله للعدو ولا يضيع قضية الجِهَاد، مع الاستمرار في نصحه ووعظه وتعليمه بما يناسب حال مثله (لاحظ: بما يناسب حال مثله) لعلّ الله يصلح حاله وهذا الّذي ذكرته أصل مقرر في اعتقاد أهل السّنّة والجماعة

(١) رواه البخاري (٧٠٦٨).

ومذكور في فقه الجِهَاد وهذا الوجه الأوّل هو المقصود بالغزو مع البر والفاجر، ودليل ما ذكرنا من الغزو مع الفاجر في نفسه ما يلي:

ما ذكره ابن قدامة الحنبلي قَالَ (مسألة: قَالَ ويغزى مع كلّ بر وفاجر، يعني مع كلّ إمام قَالَ أبو عبدالله (يعني الإِمَام أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ الله) وسئل عن الرجل يقول: أنا لا أغزو ويأخذه ولد العبّاس، إنما يوفر الفيء عليهم؟ فقال سبحان الله هَؤُلَاءِ قوم سوء، هَؤُلَاءِ القعدة مثبطون جهال، فيقال أرأيتم لو أن النّاس كلهم قعدوا كما قعدتم من كانَ يغزو؟ أليس كانَ قد ذهب الإِسْلَام؟ ماذا كانت تصنع الرُّوم، وقد روى أبو داود بإسناده عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا»[1] وَبِإِسْنَادِهِ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ؛ الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، لَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي الله إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ»[2] ولأن ترك الجِهَاد مع الفاجر يفضي إلى قطع الجِهَاد وظهور الكفّار عَلَى المُسلِمِين، واستئصالهم وظهور كلمة الكفر وفيه فساد عظيم، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، هذا عن المغني والشرح الكبير [الجزء ١٠ ص ٣٧١] انتهى. وقد وجدته عندي في [صفحة ٣٦٥].

ثمّ **أضاف صاحب العمدة** (فك الله أسره، ولعن الخونة المجرمين): قلت: بل قد ذكر ابن تَيمِيّة عن أحمد كلاماً أشد من هذا في المفاضلة بين الأمير الفاجر القوي والصّالح الضعيف، فقال ابن تَيمِيّة: (اجتماع القوّة والأمانة في النّاس قليل، ولهذا كانَ عمر بن الخطاب رَضِيَ الله عَنْهُ يقول: **"اللّهم أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة"**، فالواجب في كلّ ولاية الأصلح بحسبها، فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة، قدم أنفعهما لتلك كانَ فيه فجور عَلَى الرجل الضعيف العاجز وإن كانَ أميناً، كما سئل الإِمَام أحمد عن الرجلين يكونا أميرين في الغزو وأحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف مع أيهما يُغزى؟ فقال الفاجر القوي، فقوته للمسلمين وفجوره عَلَى نفسه وأما الصّالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه عَلَى

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٣٣) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه أبو داود (٢٥٣٢) وضعفه الألباني وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

المُسلِمِين يغزى مع القوي الفاجر، وقد قَالَ النبيّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»[١] وروي بأقوام لا خلاق لهم وإن لم يكن فاجراً كانَ أولى بإمارة الحَرب ممن هو أصلح منه في الدّين إذا لم يسد مسده) هذا في [مجموع الفتاوى الجزء ٢٨ ص ٢٥٤]، ثمّ أضاف صاحب العمدة:

وابن تَيمِيّة في فتواه بقتال التّتار. ذكر الغزو مع الأمير الفاجر فقال: [فَإِنْ اتَّفَقَ مَنْ يُقَاتِلُهُمْ عَلَى الْوَجْهِ الْكَامِلِ فَهُوَ الْغَايَةُ فِي رِضْوَانِ الله وَإِعْزَازِ كَلِمَتِهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ فِيهِ فُجُورٌ وَفَسَادُ نِيَّةٍ بِأَنْ يَكُونَ يُقَاتِلُ عَلَى الرِّيَاسَةِ أَوْ يَتَعَدَّى عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ وَكَانَتْ مَفْسَدَةُ تَرْكِ قِتَالِهِمْ أَعْظَمُ عَلَى الدِّينِ مِنْ مَفْسَدَةِ قِتَالِهِمْ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ: كَانَ الْوَاجِبُ أَيْضًا قِتَالُهُمْ دَفْعًا لِأَعْظَمِ الْمُفْسِدَتَيْنِ بِالْتِزَامِ أَدْنَاهُمَا؛ فَإِنَّ هَذَا مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَامِ الَّتِي يَنْبَغِي مُرَاعَاتُهَا، وَلِهَذَا كَانَ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْغَزْوُ مَعَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ «فَإِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ وَبِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ»[٢]، كما أخبر بذلك النبيّ ﷺ لِأَنَّهُ إذَا لَمْ يَتَّفِقْ الْغَزْوُ إلَّا مَعَ الْأُمَرَاءِ الْفُجَّارِ أَوْ مَعَ عَسْكَرٍ كَثِيرِ الْفُجُورِ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَحَدِ أمرين:

- إمَّا تَرْكُ الْغَزْوِ مَعَهُمْ فَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ اسْتِيلَاءُ الْآخَرِينَ الَّذِينَ هُمْ أَعْظَمُ ضَرَرًا فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا.
- وَإِمَّا الْغَزْوُ مَعَ الْأَمِيرِ الْفَاجِرِ فَيَحْصُلُ بِذَلِكَ دَفْعُ الْأَفْجَرِينَ وَإِقَامَةُ أَكْثَرِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ؛ وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ إقَامَةُ جَمِيعِهَا، فَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ وَكُلِّ مَا أَشْبَهَهَا؛ بَلْ كَثِيرٌ مِنْ الْغَزْوِ الْحَاصِلِ بَعْدَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ لَمْ يَقَعْ إلَّا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، وَثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ وَالمَغْنَمُ»[٣]، فَهَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد فِي سُنَنِهِ[٤] من قوله ﷺ: «الغزو مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي الله إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ» وما استفاض عنه ﷺ أنه قَالَ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمّتِي ظَاهِرِينَ عَلى الحقّ لا يَضُرّهُم مَن خَالَفَهُم إلى يَومِ القِيَامَةِ»[٥] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ النُّصُوصِ الَّتِي اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ عَلَى الْعَمَلِ

---

(١) رواه البخاري (٣٠٦٢) ومسلم (١١١).

(٢) رواه البخاري (٣٠٦٢) ومسلم (١١١).

(٣) رواه البخاري (٢٨٥٢، ٣١١٩) ومسلم (١٨٧٣).

(٤) رواه أبو داود (٢٥٣٢)، بلفظ «الجهاد ماض..» ضعفه الألباني وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٥) رواه البخاري (٧٣١١...) ومسلم (١٩٢٠) وأصحاب السنن بألفاظ متعددة ومعنى واحد.

بِهَا فِي جِهَادِ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْجِهَادَ مَعَ الْأُمَرَاءِ أَبْرَارِهِمْ وَفُجَّارِهِمْ؛ بِخِلَافِ الرَّافِضَةِ وَالْخَوَارِجِ الْخَارِجِينَ عَنْ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

هَذَا مَعَ إخْبَارِهِ ﷺ بِأَنَّهُ: «سَيَلِي أُمَرَاءُ ظَلَمَةٌ خَوَنَةٌ فَجَرَةٌ، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْت مِنْهُ وَلَا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ»[(١)].

فَإِذَا أَحَاطَ الْمَرْءُ عِلْمًا بِمَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ الْجِهَادِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ الْأُمَرَاءُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَبِمَا نَهَى عَنْهُ مِنْ إعَانَةِ الظَّلَمَةِ عَلَى ظُلْمِهِمْ: عَلِمَ أَنَّ الطَّرِيقَةَ الْوُسْطَى الَّتِي هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ الْمَحْضِ جِهَادُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْجِهَادَ كَهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمَسْئُولِ عَنْهُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ وَطَائِفَةٍ هِيَ أَوْلَى بِالْإِسْلَامِ مِنْهُمْ إذَا لَمْ يُمْكِنْ جِهَادُهُمْ إلَّا كَذَلِكَ وَاجْتِنَابُ إعَانَةِ الطَّائِفَةِ الَّتِي يَغْزُو مَعَهَا عَلَى شَيْءٍ مِنْ مَعَاصِي الله؛ بَلْ يُطِيعُهُمْ فِي طَاعَةِ الله وَلَا يُطِيعُهُمْ فِي مَعْصِيَةِ الله إذْ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ

وَهَذِهِ طَرِيقَةُ خِيَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ، وَهِيَ مُتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ طَرِيقِ الحرورية وَأَمْثَالِهِمْ مِمَّنْ يسلك مَسْلَكَ الْوَرَعِ الْفَاسِدِ النَّاشِئِ عَنْ قِلَّةِ الْعِلْمِ وَبَيْنَ طَرِيقَةِ الْمُرْجِئَةِ وَأَمْثَالِهِمْ مِمَّنْ يَسْلُكُ مَسْلَكَ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ مُطْلَقًا وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا أَبْرَارًا، وَنَسْأَلُ اللهَّ أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مِنْ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَاللهَّ أَعْلَمُ، وَصَلَّى الله وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ][(٢)].

وراجع كلام ابن تَيميّة رحمه الله في آخر صفحة ٢١٢ من الجزء ٢٨ في مجموع الفتاوى.

ثمّ قَالَ صاحب العمدة: وقال شارح العَقِيْدَة الطحاوية قوله: (والحج والجِهَاد ماضيان مع أولي الأمر من المُسلِمِين برهم وفاجرهم إلى قيام السَّاعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما)، الشرح: يشير الشَّيْخ رحمه الله إلى الردّ عَلى الروافض حيث قالوا: لا جِهَاد في سبيل الله حتَّى يخرج الرضى من آل محمّد ﷺ، وينادي منادٍ من السّماء: اتبعوه ! وبطلان هذا القول أظهر من أن يستدل عليه، ثمّ يتابع صاحب العمدة فيقول:

(١) أصل الحديث عند أحمد (١٨١٢٦) والترمذي (٢٢٥٩) بإسناد صحيح، صححه الأرنؤوط والألباني.

(٢) مجموع الفتاوى ج ٢٨ ص ٥٠٦.

وقد أفرد الإِمَام البُخَارِيّ رَحِمَهُ اللهُ لهذه المسألة باباً مستقلاً، ولما كانت الأحاديث الّتي نصت عَلى الغزو مع البر والفاجر لا تخلو من مقال فضلاً عن أن تكون عَلى شروط في الصحة، فقد استنبط رَحِمَهُ اللهُ هذا الحكم جرياً عَلى عادته في دقة الاستنباط – من حديث الخيل معقود في نواصيها الخير، فقال رَحِمَهُ اللهُ في [كتاب الجِهَاد من صحيحه/ باب الجِهَاد ماض حتَّى مع البر والفاجر].

ثمّ نقل صاحب العمدة شرح ابن حجر في الشرح إلى أن قَالَ: (لقول النبيّ ﷺ الخيل معقود.. إلخ) (سَبَقَهُ إِلَى الِاسْتِدْلَالِ بِهَذَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ لِأَنَّهُ ﷺ ذَكَرَ بَقَاءَ الْخَيْرِ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَفَسَّرَهُ بِالْأَجْرِ وَالْمَغْنَمِ الْمُغْنَمُ الْمُقْتَرِنُ بِالْأَجْرِ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الْخَيْلِ بِالْجِهَادِ وَلَمْ يُقَيِّدْ ذَلِكَ بِمَا إِذَا كَانَ الْإِمَامُ عَادِلًا فَدَلَّ عَلَى أَنْ لَا فَرْقَ فِي حُصُولِ هَذَا الْفَضْلِ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْغَزْوُ مَعَ الْإِمَامِ الْعَادِلِ أَوِ الْجَائِرِ وَفِي الْحَدِيثِ التَّرْغِيبُ فِي الْغَزْوِ عَلَى الْخَيْلِ وَفِيهِ أَيْضًا بُشْرَى بِبَقَاءِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ مِنْ لَازِمِ بَقَاءِ الْجِهَادِ بَقَاءَ الْمُجَاهِدِينَ وَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَهُوَ مِثْلُ الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ...الْحَدِيثَ»)[1].

ثمّ قَالَ صاحب العمدة: [قلت: والأمير الفاجر كما يجب الجِهَاد معه تجب كذلك الصّلاة خلفه وفي هذا قَالَ شارح العَقِيْدَة الطحاوية: "اعلم رحمك الله وإيانا، أنه يجوز للرجل أن يصلى خلف من لم يعلم منه بدعة ولا فسقاً، ولا أن يمتحنه فيقول: ماذا تعتقد؟ بل يصلي خلف المستور الحال، ولو صلى خلف مبتدع يدعو إلى بدعته أو فاسق ظاهر الفسق وهو الإِمَام الراتب الّذي لا يمكنه الصّلاة إلا خلفه كإمام الجمعة والعيدين، والإمام في صلاة الحجّ بعرفة ونحو ذلك، فإن المأموم يصلي خلفه عند عامة السَّلَف والخلف، ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإِمَام الفاجر فهو مبتدع عند أكثر العُلَماء، والصَّحِيح أنه يصليها ولا يعيدها، فإن الصّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفجار ولا يعيدون (...) إلى أن قَالَ: وفي الصَّحِيح أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما حصر صلى بالنّاس شخص فسأل سائل عثمان، إنك إمام عامة وهذا الّذي صلى بالنّاس إمام فتنة؟ فقال يا بن أخي إن الصّلاة من أحسن ما يعمل النّاس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم إلى قوله:

---

(١) [فتح الباري: ج٦ص٥٦].

"وأما إذا كانَ ترك الصّلاة خلفه يفوت المأموم الجمعة والجماعة فهذا لا يترك الصّلاة خلفه إلا مبتدع مخالف للصحابة ﷺ (...) إلى أن قَالَ فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير ولا دفع أخف الضررين بحصول أعظمهما، فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، فتفويت الجمع والجماعات أعظم فسادا من الإقتداء فيها بالإمام الفاجر، لاسيّما إذا كانَ التخلف عنها لا يدفع فجوراً، **فلا ينبغي تعطيل المصلحة الشَّرعيَّة بدون دفع لتلك المفسدة.**][١]

ثمّ ختم صاحب العمدة جزاه الله خيراً ملخصا فقال: (قلت: مما سبق تدرك أن هذه المسألة مبنية عَلى عدد من النّصوص والقواعد الشَّرعيَّة منها:

١. **قاعدة (الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف) ومعلوم بداهة أنه إذا لم يتيسر إلا هكذا فالعدو الكافر وهو الضرر الأشد يدفع بالأمير المسلم الفاجر وهو الضرر الأخف، وتصاغ هذه القَاعِدَة أحيانا بلفظ (يختار أهون الشرين)**[٢].

٢. **حديث: «إنَّما الأعمَالُ بِالنِّيَّاتِ وإِنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» متفق عليه[٣]، فإذا كانت نيتك صالحة وهي أنك تجاهد لتكون كلمة الله هيَ العليا، فلا يضرك أن تكون نية الأمير فاسدة، فلكل نيته وأجره بحسبها، كانَ يكون الأمير يقاتل لنصرة عصبة أو من أجل الرياسة، أو من أجل المال ونحو ذلك.**

٣. **وقوله تَعَالَى:** ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

فتعاون الأمير الفاجر في الطاعة، ولا تطيعه ولا تعاونه في المعصية وفعله المعاصي، كما سبق ليس بمبرر لتركك معاونته عَلى الطاعة بالجِهَاد معه، { قلت: وهذا كله في الوجه الأوّل وهو إذا لم يكن الجِهَاد مع الأمير الفاجر أما إن كانَ فجوره يتعدى إلى الأضرار بالإِسْلَام والمُسلِمِين فهو الوجه الثّاني}، ثمّ تابع صاحب العمدة جزاه الله خيراً مبينا بأنه لا يجوز الجِهَاد مع من كانَ فجوره بسبب ضرراً للمسلمين أو خيانة للإسلام، انتهى.

---

(١) شرح الطحاوية طبعة المكتب الإِسْلَاميّ صفحة ٤٢٢-٤٢٣.

(٢) انظر [مجموع الفتاوى ج ٢٨ ص ٢١٢].

(٣) رواه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).

أقول وقد وجدت مثل ذلك في كتاب السّير الكبير للإمام محمّد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة رحمهما الله تَعَالَى، وكتابه هذا من أوسع المجموعات الفقهيّة في أحكام الجِهَاد جاء في الجزء الأوّل في باب الجِهَاد مع الأمراء، ما يؤيد ما سبق ذكره من الأدِلَّة وقد خلص إلى إثبات نفس مسألة القِتَال مع الأمراء بررة أو فجرة والجِهَاد مع كلّ بر وفاجر ولاسيما في جِهَاد أهل الضلالة وأهل الشرك وقد جاء هذا في الفقرات (١٥٩-١٦٠ -١٦١) في الصفحة (١٥٦-١٦٠) من الجزء الأوّل، ولا أنقلها هنا لأن البحث استطال بنا خشية ملل البعض، ونذكر في ختام أدِلّة هذه المسألة أن مسألة الجِهَاد مع كلّ أمير وجماعة من المُسلِمِين برا كانَ أو فاجر هيَ في جِهَاد الطلب، وجِهَاد الدَّفع سواء كانَ الجِهَاد في ذلك فرض كفاية أو فرض عين ولكن نذكر أنه في جِهَاد دفع الصّائل أخص وآكد، فقد أجمع فُقَهَاء الأُمّة والمذاهب الأربعة وعموم أئمة الإِسْلَام وأهل التفسير والحديث عَلى أن الجِهَاد يتعين ويصير فرض عين عَلى كلّ مسلم في مواضع أهمّها وآكدها إذا نزل العدوّ بلداً من بلدان المُسلِمِين فقد توجب دفعه وفرض الجِهَاد عينا عَلى الحر والعبد والرجل والمرأة بلا إذن سيد ولا والد ولا صاحب دين ولا زوج وإذا عجز أهل ذلك البلد أو كسلوا أو تهاونوا وجبت الفريضة عَلى من جاورهم ثمّ من جاورهم حتَّى تعم إن لم تحصل كفاية عموم أهل الإِسْلَام الأقرب فالأقرب، فالجِهَاد عند ذلك مع المُسلِمِين وأمرائهم عدول وغير عدول، لدفع ذلك الصّائل آكد من جِهَاد الطلب الّذي جاءت فيه أقوال العُلَماء السَّابقة، والله اعلم.

ونذكر ختاما بعد أدِلّة هذه المسألة الأولى من النّصوص الشَّرعيَّة للعلماء دليلا تاريخيا يعتبر بها تواتر من مواقف علماء المُسلِمِين ومُجَاهديهم عَلى مر العصور دليلا شرعيا هو الأخر بل دليلا واقعيا وشرعيا من انصع الأدِلَّة لمن كانَ له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد، فكما قَالَ الإِمَام ابن تَيمِيّة رحمه الله فعلا وقد عاش في القرن السَّابع فإن كثيرا من الغزو بعد الخُلَفَاء الرّاشدين لم يقع إلا عَلى هذا الوجه ولو شئنا استخراج القصص والشواهد من كتب التّاريخ كالبداية والنهاية وابن الأثير وتاريخ الطبري وتاريخ ابن خلدون، سواء من كتب التّاريخ أو ما تناثر من قصص مواقف العُلَماء في مغازي المُسلِمِين ونوازلهم في كتب التراجم والسّير، لوجدنا مئات الأدِلَّة الناصعة، وسأذكر بعضها عَلى سبيل الذكر وأنصح الإخوة أن يعودوا لتلك الكتب لمطالعتها فالتّاريخ هو حياة هذه الأُمّة وكتاب سيرة سلفها.

فمنذ ذهبت الخِلافَة الرّاشدة وجاء ملك بني أمية بدأت البِدَع ومظاهر الفساد ودخول الدُّنيَا وما تدخله معها من الفساد والمعاصي والفجور والتنافس والأثرة كما بشر رسول الله ﷺ حتَّى وجدت بعض التَّابعين يقول للنَّاس وهم في القرن الأوّل، لو قام فيكم أصحاب محمّد ﷺ لأنكروا منكم كلّ شيء إلا القبلة، وكانوا يقولون لهم إنكم لتاتون أشياء تعدونها من الصغائر كنا نعدها في زمن النبيّ عليه الصّلاة والسَّلام من النِّفَاق، وكثيرا ما تجد عَلى السنة السَّلَف وفي كتبهم مع تتالي القرون الثّاني والثّالث إلى ما بعده حتَّى قرأت الشاطبي كلاما يذكر تعريض أحد التَّابعين بذهاب الدّين وفشو البِدَع فقال قَالَ الإِمَام أحمد، فكيف لو كانَ في زماننا ؟! قَالَ الشاطبي فكيف لو كانَ أحمد في زماننا؟! رحمهم الله، وانظر في كتاب الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ الاعتصام يتحدث عن البِدَع وفشوها، وشكوى السَّلَف منها وظهور الفسوق والعصيان والانحرافات لاسيما في الأمراء والأسر الحاكمة ومع ذلك انظر في سيرتهم رحمهم الله في الغزو والجِهَاد، وسأذكر اختصارا بعضاً مما يحضرني من الذاكرة.

فهاهم السَّلَف غزوا مع الحجاج وما أدراك ما لحجاج وأمثاله من أمراء الجند والحَرب في بني أمية. وفي القرن الأوّل ارتد بربر شمال إفريقيا مرات ولم يجد أهل السّنّة أحدا يدفعون إليه رايتهم ذات مرّة إلا قائداً معروفاً من الخوارجِ وتساءل بعض النّاس فكان شعار علماء شمال أفريقيا من أهل السّنّة إذ ذاك (نقاتل مع أهل القبلة من ليس من أهل القبلة)، وما ذلك إلا لدفع تلك الضّرورة ثمّ جاء بنو العبّاس وقامت فتنة خلق القرآن، فلم يكن المأمون ومن تلاه المعتصم ثمّ الواثق فالمتوكل حتَّى انتهت الفتنة ومن معهم من الحكومة والحاشية من بني العبّاس آنذاك مجرد مبتدعة ! لقد كانت بدعتهم هيَ قضية خلق القرآن ولم يكونوا يدعون إليها فحسب بل كانوا يمتحنون العُلَماء عليها ويعذبونهم ويقتلونهم، فهل ترك السَّلَف وعلى رأسهم إمام أهل السّنّة الصّلاة وراءهم والقتال معهم ؟! كلا! بل ورد نصه يقول: أن من يقول بذلك قعدة مثبطون جهلة لو فعل كلّ واحد هذا ماذا يفعل الرُّوم؟! ولأوشك أن يذهب أهل الإِسْلَام.

بل العجب إن أشد مراحل محنة ابن حنبل كانت في عهد المعتصم، فقد ضُرب أحمد رَحِمَهُ اللهُ بين يديه وعذبه بنفسه، ولفوه بالحصير وداسوه حتَّى لما رأى الإِمَام السياف قَالَ قلت جاء الفرج !

فلما خرج المعتصم لفتح عمورية في القصة المشهورة لاستغاثة المرأة بقولها وامعتصماه ووقف تلك الوقفة الظافرة الّتي أرخها الشاعر أبو تمام في القصيدة المشهورة الّتي مطلعها:

السّيفُ أصدقُ أَنباءً مِنَ الكُتُبِ ۞ في حَدّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدّ وَاللَّعِبِ.

نقل عن الإِمَام أحمد التّحريض عَلى القِتَال معهم في جِهَاد الطلب (انظروا ليس جِهَاد دفع) فهم الّذين قصدوا الرُّوم في عمورية من بلاد الأناضول، نقل عن الإِمَام أحمد أنه قَالَ: اللّهم أحللته من إثم ضربي لما فتح الله عليه وعلى من معه من المُسلِمِين فتأمل.

ثمّ قفزة أُخرى بعد العبّاسيين إلى السلاجقة وماذا كانَ السلاجقة هم من الترك ومن أجداد هَؤُلَاءِ الأفغان والأوزبك وأهل آسيا الوسطى، جهال بدين الله انتشر فيهم بعض آثار الأديان القديمة والتصوف وكان طابعهم الجهل، ففتح لهم العُلَمَاء المدارس مثل ما كانَ زمان الإِمَام أبي حامد الغزالي والإمام الجويني رحمهما الله تَعَالَى، فعلموهم ونصحوهم واحتسبوا عليهم بشدة، وصلّوا خلفهم وغزوا معهم، وانظر في غزوات السلاجقة وملوكهم الصّالحين مثل ألب أرسلان وموقعته الشهيرة الّتي تُبكي من قراءة تاريخها (موقعة ملاذ كرد)، وكان السلاجقة من أجهل الأسر الّتي حكمت بلاد الإِسْلَام وأكثرهم بدعا وتصوفا وجهلا، ومع ذلك حفظ الله بهم حوزة أهل الإِسْلَام.

ثمّ قفزة أُخرى إلى أيّام التّتار وقد وقف فيمن وقف في مرحلتها إمامين جليلين من أعظم أئمة الإِسْلَام أولهما ابن تَيمِيّة، حرض النّاس عَلى قتالهم وقاتل بنفسه، ومع من؟ مع المماليك وأمراء المماليك من جيش مصر والشّام، وما المماليك؟ انظر تاريخهم وانظر انتشار الجهل، والبِدَع والتصوف وحجهم للقبور وتعظيمهم لقبر البدوي في مصر، وسوى ذلك من انتشار القتل والظُّلم وسفك الدِّماء وظلم أموال النّاس والفسوق والقيان والطنابير والخمور في زمانهم، حتَّى لقد أنكر بعض النّاس حالهم وسألوا الإِمَام ابن تَيمِيّة عن حكم القِتَال مع أمراء مصر والشّام وفيهم ما فيهم، فقال لا ينكر القِتَال مع هَؤُلَاءِ إلا جاهل، فكيف يصنع أهل الإِسْلَام إذا ترك الجِهَاد معهم؟ بل ذهب في فتاويه إلى اعتبار جند الشّام وجند مصر هم الطَّائِفَة المَنصُورَة ! الّتي يحفظ بها الله دينه في ذلك الزّمان، ومع ذلك كانَ كثير الاحتساب عَلى أمراء المماليك وعلمائهم، وقصص أمره بالمعروف ونهيه عن المُنكر وسجنه في ذلك مشهورة، بل هو مات في سجونهم رَحِمَهُ اللهُ.

وفي دول الطوائف لما قامت دولة الأتابكة في الشّام وجنوب تركيا ومن ملوكهم وأمراءهم المُجَاهدين عماد الدّين زنكي وابنه نور الدّين الشهير بالملك الصّالح فماذا كانَ حالهم من التصوف وانتشار البِدَع في ذلك الزّمان ؟ والمفاسد مذكورة موجود في كتب التّاريخ، وقد أثنى العُلَماء كلهم عليهم ثناءً عطراً، وجاهدوا معهم، ثمّ جاء من بعدهم الأيوبيون، وقام الملك الصّالح صلاح الدّين رَحِمَهُ اللهُ بجِهَاد الصّليبيّين وكان كما معظم ملوك عهده شافعياً أشعرياً، ولم ينكر سلفيوا ذلك الزّمان الجِهَاد معه ولم ينالوا منه كما ينال منه اليَوْم ويتنقصه المتسبون زوراً لمذهب السَّلَف الصّالح، ولما مات رَحِمَهُ اللهُ اقتسم أبناؤه الملك وقاتلوا بعضهم واستنصر بعضهم بالنّصَارى حتَّى جاء أخوه الملك العادل وعزلهم وأخذ الملك، ثمّ جاء بعده ابنه الصّالح اسماعيل فملك الشّام، وعمه نجم الدّين أيوب فملك مصر، وتصارعا عَلى الملك وحالف ملك الشّام إسماعيل النّصَارى وأعطاهم حصون المُسلِمِين وقصته مع سلطان العُلَماء العز بن عبد السَّلام مشهورة وليس هنا مكان ذكرها خشية الإطالة، وخرج من عنده بعد أن أفتى بما يفيد خلعه وعدم شرعيته لذلك السبب، ونزل الشَّيْخ العز بن عبد السَّلام عَلى نجم الدّين في مصر، فهل كانَ نجم الدّين عَلى حال خير القرون ؟ كلا، كانَ له فضيلة قتال الصّليبيّين عَلى ابن أخيه الخَائِن ملك الشّام، فوقف العز بن عبد السَّلام معه وعظمت منزلة الشَّيْخ عنده ولكن نجم الدّين كانَ جباراً طاغوتاً انتشرت في عهده المظالم والخمور والفسوق، وكان للشيخ معه مواقف عظيمة من الاحتساب، أما جِهَاد العدوّ معهم فكان كما كانَ حال علماء أهل السّنّة دائماً، ثمّ ذهب الأيوبيون وقامت دولة المماليك، فاحتسب عليهم العز بن عبد السَّلام حتَّى بلغ به أن يبيعهم في القصة المشهورة من أجل تحريرهم من الرق، ولكن لما حضر قتال التّتار ماذا كانَ منه رَحِمَهُ اللهُ ؟ لقد حرض الجيش وندب النّاس للقتال معهم وكانت موقعة عين جالوت، وقصته في تحريض جيش مصر عَلى مُوَاجَهة التّتار الّتي آلت إلى موقعة عين جالوت الظافرة مشهورة تحت راية قطز وبيبرس من المماليك، وحال المماليك معروف، حتَّى يكفينا أنه لم تكد عين جالوت تنجلي عن نصر المُسلِمِين حتَّى قَتَلَ بيبرس أميرَه قطز ليظفر بملك المماليك ويأخذ اسم نصر المَعْرَكة، ثمّ غزا بيبرس هذا - قاتِلَ أميره - غزا التّتار والصّليبيّين، وقصص العُلَماء في الاحتساب عليه كما قصة الإِمَام النووي مع بيبرس مشهورة ليس محل ذكرها الآن.

وذهب المماليك وجاء العُثمَانِيّون، وما العُثمَانِيّون ؟ لقد طبعهم الجهل والظُّلم والبطش، ولقد حفظ الله بهم الإِسْلَام، وفتح عَلى أيديهم عاصمة الرُّوم قُسطَنْطينيَّة كما بشر رسول الله ﷺ فرفعوا فيها الأذان فصارت عقر دار الإِسْلَام وعاصمة الخِلافَة إلى أيّام آبائنا إلى أن زالت خلافتنا منذُ سبعين سنة فقط! فهل ترك أئمة الإِسْلَام الجِهَاد معهم لأَنّهم أحناف صوفية؟! هل تركوا جِهَاد الأَعدَاء معهم طلباً ودفعاً؟!

يكفي العُثمَانِيّين أن من أحد مفاخرهم أنهم كانوا لا يسمحون لسفن النّصَارى أن تعبر مضيق باب المندب من اليمن إلى خليج السويس لأَنّهم سيمرون قرب بحر جدة وهو من الحرم، فكان البحر الأحمر كله عندهم حرم لا يدخله النّصَارى! وكانت سفن العُثمَانِيّين تتسلم بضائع التجار النّصَارى عند اليمن وتنقلها لهم إلى خليج السويس وتسلمهم إياها في المتوسط، ومن آخر ملوكهم السُّلطَان عبد المجيد في القرن السَّابع عشر، كانَ يسمي البحر المتوسط البحيرة العُثمَانِيّة، فسأله صحافي إنجليزي إذا كانَ المتوسط وشاطئه الشمالي كله لأهل الصليب بحيرة عُثمَانِيّة؟ فما البحر الأسود الّذي يحيط به ملك الإِسْلَام وجُيُوش الخِلافَة العُثمَانِيّة فعلاً ؟ فقال السُّلطَان العُثمَانِيّ: البحر الأسود هو مسبح قصري! هكذا كانَ عَلى أيديهم مجد الإِسْلَام، وقد جاهد المُسلِمُون معهم وقصصهم مشهورة.

وبقي الأمر كله كذلك حتَّى زالت دولة الخِلافَة، وجاءت جُيُوش الرُّوم في الموجة الصّليبيّة الثّانية في القرن التّاسع عشر والعشرين، وعلى رأسهم إنكلترا وفرنسا ودول أوربّا وروسيا في وسط آسيا، فمن جاهدهم عَلى مر نصف قرن ومن أخرجهم من مشرق العالم الإِسْلَاميّ؟ لقد جاهد علماء الهند والباكستان من الديوبندية والصوفية والأحناف، جاهدوا الإنجليز ١٣٠ سنة وأخرجوهم، وكذلك فعل الأحناف الصوفية في أفغانستان، وأوقعوا في الحشد الإنجليزي مذبحة ذات مرّة أتت عَلى حملة من عشرة آلاف رجل وقيل ثلاثين ألف رجل، لم ينجو منهم إلا رجل واحداً ! تركوه حتَّى يقص القصة لملكة بَرِيطَانيَا، أما الأحناف الصوفية في وادي فرغانة (في وسط آسيا من بلاد أوزبكستان) فقد أذاقوا الرُّوس الويل، فقد جاهد كذلك الإِمَام شامل الشّافعي الأشعري الصوفي الرُّوس ستين سنة في القفقاس، وقصته شهيرة تروى رَحِمَهُ اللهُ.

وأما في بلاد الشّام فقد قام المَشَايخ الصوفية الأشاعرة وعلماء المذهب الحنفي والشّافعي فجاهدوا الفرنسيين ثمّ الإنجليز، وأما في ليبيا فقد قامت ثورات عَلى يد المَشَايخ المالكية الصوفية الأشعَريّة ومن أشهرهم عمر المختار رحمه الله، وكذلك شيوخ الطَّريقة السنوسية قبله وبعده، وفي السُّودَان قامت الصوفية بالثَّورة المهدية الّتي أخرجت الإنجليز، وفي الجَزَائِر قامت ثورات كثيرة عَلى يد الصوفية المالكية الأشعَريّة أشهرها، ثورة أبو عمامة وثورة عبد القادر الجَزَائِري، وفي تونس مثل ذلك، فقد قام علماء الزَّيتونة وهم مالكية أشعرية قاموا عَلى الفرنسيين، وفي المغرب قام عبد الكريم الخطابي وهو مالكي صوفي أشعري بثورة انتهت بإقامة جمهوريّة إسلاميّة استمرت حتَّى عام ١٩٦٣م وللأسف فربما لا يعرفون الأكثرون هذا ؟! وقد انتصر في معاركه الشهيرة عَلى جُيُوش خمس دول أوربية مجتمعة، وأسر في واحدة منها وتسمى معركة أنوال الشهيرة أكثر من عشرة آلاف أسير فيهم مائة جنرال ومارشال من جُيُوش الأوربيين حتَّى تدخلت أمريكا وقالوا عاد الإِسْلَام ليفتح أوربّا، وهذا الرجل قد ظلم تاريخه وقد قرأت من العجائب مرّة قولاً لماوتسي تونغ (الّذي يعتبر من أشهر منظري حرب العِصَابات) يقول في كتابه (ستة مقالات عسكريّة) عن الخطابي: أنه من أعظم أساتذته العسكريّين في حرب العِصَابات !! وهو لم يره ولكنه درس تجاربه، في حين لا يسمع بالخطابي معظم أبنائنا اليَوْم، ولكنهم يعرفون غوار الطوشة ونجوم أكاديمي ستار، وقصة حياة مارادونا، ومغامرات مادونا وفكاهات فيفي عبده !

وفي إفريقيا السوداء قصص عظيمة لم تصلنا لجهلنا بتاريخنا، وقد دخل الإِسْلَام أفريقيا من ليبيا والجَزَائِر والمغرب والسُّودَان عن طريق الصوفية الّذين قارعوا الاستعمار زماناً، وهذا هو الحال في دول شرق آسيا وماليزيا، ومن الفلبين حتَّى إندونيسيا، ثمّ كانَ من آخر جِهَاد المُسلِمِين ما كانَ في أفغانستان عَلى أيدي الأحناف الصوفية الّذين لم يعجبوا كثيرا من إخواننا وعلماء العَقِيْدَة السمحاء ! في الجَزِيرَة وغيرها؛ حيث أعجبهم التطبيع مع اليَهُوْد واحتلال الأمريكان للحرم وحكم المرتدّين!

حتَّى قَالَ لهم الشاعر يصف المأساة:

وفِينَا مَنْ يَقُولُ لَهم ... عَقِيدَتُكُم بِهَا خَلَلُ
مَعَاذَ الله هَذَا الإفكُ ... مِمَّا لَيسَ يُحتَمَلُ
فَيَا أَحبَابَنَا الأَفغَان ... مَن ضَحّوا وَمَنْ بَذَلُوا

لأَنتُم في الحَيَاةِ شَذَا وَنَحنُ الثُّومُ والبَصَلُ
وَنَحنُ عَنِ الجِهَاد الحقّ ذَاكَ العَاذِلُ النَّكِلُ

وفي النصف الثّاني من القرن العِشرين رأى الاستعمار أنه لا جدوى من محاربة أهل هذه الملة، فجلا عن بلادنا، وخلف وراءه طوائف المرتدّين من الملوك والأمراء والرؤساء والأحزاب العلمانيّة، فسيطر علينا منذُ الستينات إلى التسعينات، حتَّى جاءتنا في سنة ١٩٩٠م الحملة الصّليبيّة الثّالثة بزعامة أمريكا، حيث قَالَ أحد كبارهم: (جئنا لنصلح خطأ الرب أن جعل النّفط في بلاد لا تحتاجه ولا تقدره وكان عليه- أي الرب سبحانه- أن يجعله في البلدان الصناعية) تَعَالَى الله عما قَالَ هذا الخنزير علواً كبيراً.

فانصرف علماؤنا ليملأوا الفضائِيَّات عن حقوق النّصَارى وغير المُسلِمِين في بلاد الإِسْلَام وقوانين السماحة مع أمثال هذا الخنزير! وهاهم شباب الإِسْلَام يحملون السّلاح وهاهم مقدمتهم المُجَاهدون الأفغان العَرَب ومن بقى منهم ممن ينتظر وما بدلوا تبديلاً، وها هيَ الجماعات المُجَاهدة العربيَّة وغير العربيَّة تقوم بحمل العبء في أكثر من مكان، ولعلّ من أخطرها بعض المفاهيم العوجاء الّتي تسللت إلينا، ومن أهمّها هذه المصيبة الّتي نحن بصددها، استنكار البعض كيف نجاهد مع أصحاب بدع ومذاهب وعقائد مجروحة، وأصحاب تصوف وما أدري ماذا ؟!

فهل يكفي إخواننا الصّالحين هَؤُلَاءِ غفر الله لنا ولهم ما أوردنا من أدِلّة عَقِيْدَة أهل السّنّة ؟ وهل يكفيهم ما أوجزنا من تاريخ الإِسْلَام والمُسلِمين مع كلّ بر وفاجر من أمراء المُسلِمِين وعامتهم طلباً ودفعاً ؟ وقواعد دفع الصّائل بالممكن لا يشترط له شرط إجماعاً وهو أوجب الواجبات بعد الإيمان بالله، أرجو أن يكون فيما سردت كفاية ونفعاً لطالب حق، وأرجو أن يكون لنا فيه الأجر يوم لا ينفع مال ولا بنون.

ولو راجع إخواننا هَؤُلَاءِ ما كتب الشَّيْخ الشّهِيد إمام المُجَاهدين الأفغان العَرَب عبدالله عزام رحمه الله في هذه الأمور من التراث النفيس الّذي لم يقدر حق قدره إلى اليَوْم، لما احتاجوا لهذا التكرار مني، ولكنها الذكرى الّتي تنفع إن شاء الله إخواننا المُؤمِنِين وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

ثامنا: مسألة الدِّيمقراطيَّة وتجارب حركات الصّحوة الإسْلَاميّة فيها:

كما قلت فيما سبق فإن الصّحوة قد آلت منذُ العقد الأخير في القرن العِشرين لأن تكون في معظمها من حيث العاملين بها وجمهور مؤيديها سياسيّة، فكما قلت فقد أدى الفتح المدروس لممارسة الإِسْلَاميّين للديمقراطية من قبل الحُكُومَات وأسيادها في الغرب إلى تسييس القطاع الأكبر من مدارس الصّحوة الغير سياسيّة، ومع الوقت اندثرت المدرسة الشاذة لظاهرة التَّكفِير أو كادت ولم تجد لها جُذُورا في الأُمّة ولا في الصّحوة، كما حوصرت ظاهرة الجِهَاد المُسلّح وتشرذم التّيار الجهاديّ وأدخلت جماعاته وأفراده في أخدود معاصر، ولم يعد من مجال للتنفيس عن مظاهر الصّحوة الجامحة كرد فعل من قبل الشّعوب المسلمة عَلى ما يجري من وقائع إلا في مجال الصّحوة السّلميّة عبر ما يتاح من بوابات الدِّيمقراطيَّة رغم أن الحُكُومَات والغرب قد رسموا لها شكلا خاصا عندما رفعوا شعار (ديمقراطية بلا إسلاميين في بلاد العَرَب والمُسلِمين).

ونظرا لاتساع ظاهرة الممارسات (الدِّيمقراطيَّة) للإسلاميين يجب أن نلفت النَّظر هنا في هذا الفَصل التقيمي الموجز للصحوة إلى هذه المسألة، أولاً من منظور حكمها الشَّرعيّ بالشكل الّذي مورست به وآلت إليه، وثانياً من منظور ما حققته من نتائج وما دفعت فيه من ثمن وما آلت إليه من موقع حدده لها النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد بكل دقة وسيطرة.

والحقيقة أن هذا موضوع من الأهمّيّة والعظمة بمكان بحيث يجب أن تكتب فيه الكتب الكثيرة وتخصص له الأبحاث المستفيضة، بل وأن تعقد له المنتديات الواسعة عَلى أعلى المستويات ليدعى إليها كبار الثقاة من العُلَماء والمفكرين الإِسْلَاميّين وقيادات الصّحوة وأصحاب التَّجربة والسَّابقة في هذا الميدان، ليعاد تقييم تجارب عبر نحو ثمانية عقود من المحاولات الدِّيمقراطيَّة للإسلاميين، لتقييم في ضوء أحكام الشّريعة وفق نصوص الكتاب والسنة والإجتهادات النزيهة بعيدا عن التعصب للأحزاب والنَّظر للمصالح الشَّخصيَّة أو الفئوية وبعيدا عن تأثيرات الحُكُومَات وقوى الإستعمار، ولا شَّكَّ أن موضوعا بهذه الضخامة ليس محل التفاصيل به هنا وليس لي أن أخراج عن سياق الكتاب والغرض منه، ناهيك عن الحاجة من أجل ذلك إلى كمٍ ضخم من الوثائق والإحصائيات والمعلومات الدقيقة عن تلك التَّجَارب ولا يتيسر لي هذا الآن.

وفي حدود ما تسمح به هذه اللفتة أوجز في نقاط رئيسيَّة مستعينا بالله:

إبتداءا عندما نقول (ديمقراطية)، فإننا نستخدم مصطلحا أجنبيا يدل عَلى مفهوم محدد عند أصحابه ومن وصفوه، ونحن ملزمون بهذا المفهوم، ولا يحق لنا من حيث المنطق والأمانة أن نزعم – كما يفعل بعض الإِسْلَاميّين– أن نزعم معنى آخر كقولهم نحن نقصد الشورى، أو نوعا من الدِّيمقراطيَّة وفق الضوابط الشَّرعيَّة الإِسْلَاميّة ! لأَنَّنَا لو نظرنا لحقيقة (الشورى) وفق مفاهيم السّياسيّة الشَّرعيَّة وحدودها وأهلها وطريقة ممارساتها لوجدناها نظاما آخر لا علاقة له بالدِّيمقراطيَّة بل يتناقض معه في كلّ المجالات وأما تخصيص معنى إسلامي لها فيخرج عن حدود المنطق لأنه يخرج المصطلح عن مدلوله المعروف علميا كمصطلح قانُونيّ دستوري سياسي له فحواه.

فمن البديهي أن المصطلحات لها مداليل محددة ولا يجوز أن تضاف إلى معنى لا يتحمله المصطلح الأصلي، فعندما نقول (حليب) يفهم السامع الدلالة عَلى مادة معينة ويحتمل أن نخصص منه مالا يخرج عن جنسه كقولنا (حليب دسم) أو (حليب خالص) أو (حليب ممزوج بالماء)، ولكن لا نستطيع أن نقول (حليب أحمر) أو(حليب غازي) أو(حليب مسكر) ويزيد هذا الضبط عندما يكون للمعنى بعد شَرعِيّ محدد.

فعندما نقول (خمر) نستطيع أن نقول (خمر مركز) أو (خفيف) ولكن لا نستطيع أن نقول (خمر طاهر) أو (خمر إسلامي)! لأن الله تَعَالَى قَالَ: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ ﴾ [المائدة: ٩٠] وكذلك ربا فلا يوجد (ربا إسلامي) و(لا ربا مشروع) و(لا ربا حلال)، ويمكن أن يوجد (ربا مركب) أو (ربا بسيط) أو(ربا نسيئة)، لأن الله تَعَالَى يقول:﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]

فهل يسع شَرعاً ومنطقا القبول بما يشاع من مصطلح (الدِّيمقراطيَّة الإِسْلَاميّة!) أو (إسلاميون ديمقراطيون.)؟! لعلّ النقاط القادمة تساعدنا عَلى فهم الجواب من خلال البحث في مجالات محددة.

ما هيَ الدِّيمقراطيَّة عند من اخترعها؟ وكيف تمارسها الحضارة الغربيّة المعاصرة؟ ما هيَ الدِّيمقراطيَّة عندنا؟ وكيف تمارسها الحُكُومَات في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ؟ ما هيَ أشكال ممارسة الإِسْلَاميّين من مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة ومفاهيمهم الدِّيمقراطيَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ؟ وما وقائع هذه الممارسات وشروطها ونتائجها؟

ما هيَ وجوه التوافق والتناقض بين الدِّيمقراطيَّة وبين النّظام الإِسْلَاميّ القائم عَلى مبدأ الحاكِمِيَّة لله والشورى بين الحاكم والمحكوم؟

ما هو الحكم الشَّرعيّ لممارسة الإِسْلَاميّين للديمقراطية بشكلها المطروح وما مدى جواز ذلك؟ هذا ما سنحاول أن نعرض له بإيجاز في النقاط التّالية إن شاء الله.

أولا: نشأة الدِّيمقراطيَّة المعاصرة ومفهومها وكيف تمارسها الحضارة الغربيّة:

كما هو معروف فإن الجُذُور القديمة للنظام الديمقراطي تعود إلى مئات السنيين قبل الميلاد عندما نشأت في حضارة اليونان ثمّ ورثها الرُّومان عنهم، أما الدِّيمقراطيَّة الغربيّة في العصور الحديثة فتعود إلى تجاربها الّتي امتزجت بالطبقية إلى بَرِيطَانيَا حيث طبق نموذج فيها يقوم عَلى سيادة النبلاء منذُ القرن الخامس عشر، أما مبادئ الدِّيمقراطيَّة المعاصرة المعمول بها الآن في الغرب فتعود بلورة أفكارها عمليا إلى الثَّورة الفرنسية وما تلاها من تحولات سياسيّة واجتماعيَّة أي منذُ مطلع القرن الثَّامن عشر، حيث بدأ فُقَهَاء التَّشريع والقانون في الغرب يطرحون مبادئ ومفاهيم مثل (سيادة الأُمّة) و(سيادة الشعب) و(الشعب مصدر السُّلطات) و(الاقتراع الشعبي العام) و(النّظام النيابي) و(الحريات العامّة) و(المساواة) و(حقوق الإنسان)، و (الشَّرعيَّة الدستورية)، وكانت بداية المسألة منذُ أواخر القرون الوسطى حيث استعر الصِّرَاع بين البابا (السّلطة الدّينيّة) والملك (السّلطة الزَّمنية) أي بين البابا في الفاتيكان ومختلف ملوك أوربّا الّذين ضاقوا ذرعا بعدوان الكنيسة عَلى سلطاتهم المطلقه ليس من أجل تخفيف ذلك لصالح العدل بالرعية وإنما من أجل استلاب حق الطّغيان ليقوم به رجال الدّين الّذين امتلكوا الإقطاعيات الهائلة وحازوا الكنوز العظيمة ووضعوا ضرائب مكوس وقرابين عَلى الأحياء والأموات وامتلكوا نواحي البلاد والعِبَاد وباعوهم حتَّى صكوك الغفران وأقطعوهم أراضي جنّات الآخرة بأثمان باهظة! وقد أدى هذا الصِّرَاع إلى طرح مفهوم السيادة ولمن تكون أواخر العصور الوسطى، وكتب فُقَهَاء القانون الموالون للملوك النّصوص الدستورية الأولى لمفهوم (السيادة) الّتي جعلوها للذات الملكية وأضفوا عليها من الصفات والحقوق ما عرف بالحق الإلهي المقدّس للملوك حيث واجهوا بهذه المفاهيم الّتي ظهرت أول ما ظهرت في فرنسا للدفاع عن سيادة الملك ضدّ المنازعات الخارجيّة والداخليَّة الّتي تعرض لها الملوك من البابوية في الخارج ومن نبلاء الإقطاع في الداخل.

فعرف فُقَهَاء القانون الفرنسيون والأوربيون السيادة بأنها:

(الحقّ في إصدار الأوامر إلى كلّ الأفراد المقيمين عَلى أراضي الدّولة) وقد عرفها (بودان) بأنها: (سلطة عليا عَلى المواطنين والرعايا لا يحدها القانون) وقالوا: (السيادة إِرادَة عليا تتميز بخصائص لا توجد في غيرها من الإرادات)، و(وجماع هذه الخصائص هيَ أنها الإِرادَة الّتي تحدد نفسها بنفسها، فصاحب السيادة لا يمكن أ ن تلزمه أي إِرادَة أجنبية عنه للتصرف عَلى نحو معين، فهي سلطة مطلقة).

وقد أجمل فُقَهَاء التَّشريع والقانون خصائص هذه السيادة في ستة خصائص:

[١. الإطلاق ٢. السمو ٣. الوحدانية والتفرد ٤. الأصالة ٥. عدم القابلية للتملك ٦. العصمة من الخطأ].

وخلاصة هذه المفاهيم كما يلي:

١. **الإطلاق**: فصاحب السيادة سيادته مطلقة، لا يفرض عليه قانون بل القانون هو التعبير عن إرادته وليس لأي إِرادَة خارجية عنه أن تلزمه بالتصرف عَلى نحو معين لأنه لا توجد إِرادَة تساويه أو تساميه، إرادته آمرة دائما وليس لأحد قبله حقوق وعلاقته بغيره علاقة السيد بالرعية أو المتبوع بالتَّابع، وعلى الرعية أو التَّابع تنفيذ ما يصدر عنه من أوامر ليس بسبب مضمونها أو فحواها ولكن لأنها صادرة عن إِرادَة هيَ بطبيعتها أعلى من إرادتهم!

٢. **السمو**: فهي مجالها إِرادَة تعلو جميع الإرادات وسلطة تعلو كافّة السُّلطات لا توجد فيها تنظمه من علاقات سلطة أعلى منها ولا سلطة مساوية لها.

٣. **الوحدانية والتفرد**: فلا يوجد في الإقليم الواحد إلا سيادة واحدة إذ لو وجدت في إقليم واحد سيادتان لفسدت أحوالها وهذا بدهي، (ومن هنا ترسخ مفهوم الدّولة القوميّة في أوربّا).

٤. **الأصالة**: أي أنها قائمة بذاتها لم تتلق هذا العلو من إِرادَة سابقة عليها أو إِرادَة أعلى منها ولكنها نابعة منها أصالة.

٥. **عدم القابلية للتملك**: فإذا اغتصبها من ليس أهلا لها وفرض عَلى النّاس سلطانه مدّة من الزَّمن طالت أو قصرت فإنه لا يستطيع أن يدعي شرعيّة سلطته أو سيادته مهما طال الأمر، فغصب السيادة لا يثبت بالحيازة ولا يبرره التقادم.

٦. **العصمة من الخطأ**: تعتبر هذه النَّظريَّة إِرادَة صاحب السيادة معادلة للقانون ومطابقة لقواعد الحقّ والعدل، فينسبون إلى القانون المنبثق عن السيادة العصمة من الخطأ والفوقية حتَّى عَلى المنطق والضمير كما قَالَ (باذلي): (**حينما يتكلم القانون يجب أن يصمت الضمير**).

على هذا استقر مفهوم السيادة لدى فُقَهَاء القانون الغربيّون الّذين اعتمدوا أساسا الفلسفة الفرنسية ومشرعيها.

فكما قامت الثَّورة الفرنسية وانتشرت مبادئها وكتابات فلاسفتها الأوائل تحولت هذه السيادة بكامل مواصفاتها من الملك إلى الأُمّة، فصارت السيادة للأمة وصارت الأُمّة مصدر السُّلطات، وصارت هيَ السّلطة العليا الّتي تفردت وحدها بالحق في إنشاء الخطاب الملزم المتعلق بالحكم عَلى الأشياء أو الأفعال، أو هيَ السّلطة العليا المطلقة الّتي تملك وحدها الحقّ في إنشاء الخطاب المتعلق بأفعال المواطنين عَلى سبيل التكليف أو الوضع، التكليف بالفعل أو الترك أو التخيير بينهما، فهي الّتي تملك جعل الفعل واجبا أو محرما أو مباحا وتملك جعل الشيء سببا أو شرطا أو مانعا، ثمّ انبعثت كلمة ديمقراطية وتعني (حكم الشعب) عن مفهوم سيادة الأُمّة لتعبر عن فحواها، فالسيادة هيَ التعبير القانُونيّ والدِّيمقراطيَّة هيَ التعبير السّياسيّ: وعلى هذا فسيادة الأُمّة هيَ التعبير القانُونيّ عن الدِّيمقراطيَّة، وزال المفهوم الّذي كانَ سائدا قبل الثَّورة الفرنسية بأن ذات الملك تعبر عن الأُمّة والدّولة حتَّى عبر عن ذلك لويس الرَّابع عشر عندما قَالَ (أنا الدّولة) أو (أنا فرنسا) فصارت السيادة ملكا للأمة وأخذت فكرة سيادة الأُمّة طريقها للقانون العام الفرنسي ومنه تفرعت لتدخل معظم دساتير العالم.

فجاء في المادّة الثّالثة من إعلان حقوق الإنسان الصادرة في ٢٦/ أغسطس/ ١٨٧٩م النّص عَلى أن السيادة للأمة وأن القانون هو تعبير عن إِرادَة الأُمّة.

وبعد الثَّورة الفرنسية صار لهذه النَّظريَّة جانبان، سلبي وإيجابي.

أما السلبي: فهو أن الملك لم يعد صاحب الحقّ بالسيادة، فصارت إِرادَة الأُمّة مطلقة ولا تعتمد عَلى إرادات أُخرى، وأما الإيجابي: فهو ممارسة الأُمّة هذه السيادة من خلال ثلاث سلطات هيَ: الإنتخابات – التَّشريع – التنفيذ.

١. **الانتخاب**: وهو أولى السُّلطات، لأن إِرادَة الأُمّة وسيادتها تستقر كما تقرر لغة الأدب السّياسيّة بطريقة الاقتراع العام لاختيار السّلطة التَّشريعية.

٢. **التَّشريع**: وهو آكد مظاهر السيادة وأبرز علاماتها، فسلطة التَّشريع هيَ مطلقة لا تحدها حدود ولا تقيدها قيود ولا تلتزم بالتصرف عَلى نحو معين إلا إذا أرادت الجهة صاحبة الحقّ بالتَّشريع باسم الأُمّة ذلك أصالة عن نفسها.

٣. **التنفيذ**: وهذه سلطة تتعلق بالحكم والإِرادَة.

ولما استقرت النَّظريَّة عَلى هذا الشّكل وجد لها انتقادات عديد من فُقَهَاء القانون والمدافعون عن الحقوق المدنيّة وأهم ذلك بأنها:

١. تضيق دائرة الحريَّة. ٢. تضيق دائرة الاقتراع العام.

فطورت نظريَّة سيادة (الأُمّة) ليعبر عنها (سيادة الشعب) من علاج تلك الانتقادات، فأدى ذلك إلى الأخذ بمبدأ (الاقتراع العام) وهنا حول فُقَهَاء القانون الغربيّ (الانتخاب) من وظيفة للمواطن إلى (حق له) وثم توسيع قاعدة المشاركة الشعبيَّة، وأتاحت الفرصة للمشاركة المباشرة للحرية السّياسيّة عن طريق الاستفتاء.

فخلاصة تلك المراحل إذن هيَ عَلى الشّكل التّالي:

الصِّرَاع بين الملوك والكنيسة علىَ السّلطة ← ولد نظريَّة السيادة للملوك والحق الإلهي المقدّس لهم بها ← أدى الصِّرَاع بين الملوك والشّعوب الأوربية نتيجة الاضطهاد إلى رفض السلطتين معا الإلهية (البابا) والزَّمنية (الملك) ← وأدى هذا إلى إعطاء السيادة للأمة.

ثمّ تبلور ذلك بفكرة سيادة الشعب الّذي صار مصدر السُّلطات من تشريع وتنفيذ وتحاكم، وهنا ولد الفعل الشنيع للملوك والباباوات فعل أشنع منه وهو ولادة العلمانيّة الّتي قامت عَلى رفض الدّين والاعتقاد وجحود الإيمان بالله وبناء الحياة وقوانينها بعيدا عن كلّ ذلك، وهو جوهر العلمانيّة بالمفهوم الغربيّ الّتي نقلت كما نقلت كلّ المتاهات السَّابقة إلى المُسلِمِين فيما بعد.

وهكذا إذن **ولد النّظام السّياسيّ الديمقراطي الّذي قام عَلى أركان أساسية هيَ**:

١. المساواة بين أفراد المجتمع من حيث الحقوق السّياسيّة كالترشيح والانتخاب بصرف النَّظر عن الدّين والمعتقد أو العرق واللون أو اللغة أو العلم أو الجهل أو الجنس من ذكر أو أنثى أو أي فارق.

٢. الحريَّة الشَّخصيَّة المطلقة من حيث الاعتقاد والتعبير والنَّشَاط في حدود الدستور والقانون الّذي كفل هذه الحريات.

٣. ممارسة الأُمّة لسيادة الشعب من خلال الانتخاب والاحتكام للأغلبية في إقرار التَّشريعات والقوانين وتشكيل السُّلطات الثّلاثة.

٤. مبدأ تداول السّلطة بين الكتل السّياسيّة والأحزاب من خلال الاقتراع وسيادة الأغلبية أيضا.

وصارت الصُّورة السّياسيّة لسيادة الشعب هيَ ممارسة الدّولة للحكم من خلال السُّلطات الثّلاثة وهي:

- **السّلطة التَّشريعية**: وهي الجهة المنتخبة من قبل الأُمّة والمخولة بوضع الدستور وإصدار التَّشريعات وسن القوانين في ضوئها، ويمارسها نواب منتخبون من قبل الشعب يمثلون البرلمان أو ما يعادله من الأسماء المصطلح عليها (كمجلس النواب) أو (مجلس الأُمّة) أو (مجلس الشعب)، وهذه السّلطة هيَ الّتي تملك تعديل الدستور أو إضافات تشريعات إليه، وسن القوانين أو المصادقة عَلى ما يرفع منها من قبل الحكومة لتكون نافذة.
- **السّلطة التنفيذية**: وهي الحكومة الّتي يرأسها رئيس الدّولة أو رئيس الوزراء المكلف وتشرف وزاراتها عَلى تسيير شؤون الدّولة الإدارية والتنفيذية.
- **السّلطة القضائية**: وهي الجهة المخولة بمهمة فض الخصومات والمنازعات القائمة بين مختلف طبقات الشعب أو بين جهات السُّلطات ذاتها بموجب القوانين والتَّشريعات الّتي صدرت باسم الشعب وباسم سيادة الأُمّة من خلال نواب الأُمّة أو غالبية نواب الأُمّة أو عن طريق الاستفتاء العام.

وهكذا تعارف الغرب عَلى هذه الأنظمة الّتي تعود جميع نظمها لهذه الأصول مع خلافات في تطبيق الدِّيمقراطيَّة من مدرسة لأخرى بحسب البلاد وتوجهاتها وهكذا ارتضى أولئك القوم لأنفسهم هذه المبادئ.

فما ارتأته الأُمّة من خلال نوابها ومشرعيها حلالًا وسويًا صار كذلك بعد التصويت عليه من خلال الأغلبية، ولو صعدت أغلبية أُخرى مع الوقت فرأت ما كانَ حلالًا سويًا لا يصح وأنه عوج وخطأ، صار بموجب الأغلبية ضلالاً وعوجًا يعاقب عليه القانون، وتتولى السّلطة القضائية ومن بعدها التنفيذية إنفاذ هذه الإرادات.

كيف يمارس الغرب فعليًا عمليَّة سيادة الأُمّة وحكم الشعب أو ما يسمونه (الدِّيمقراطيَّة)، من النَّاحية العمليّة:

كانَ ما سبق هو خُلاصة نظريَّة سيادة الأُمّة وفحوى الدِّيمقراطيَّة من ناحية أصولها النَّظريَّة، ولكن التطبيق العملي في الواقع للديمقراطية يختلف عن هذه الصُّورة، في كلّ مكان طبقت فيه كما يتفاوت من بلد لآخر في الغرب ذاته، أما ديمقراطيات العالم الثّالث فمهازل من نوع آخر.

يقوم النّظام الديمقراطي في العالم الغربيّ اليَوْم عمومًا عَلى نظام الأحزاب السّياسيّة، حيث توجد في كلّ بلد تيارات سياسيّة تنتمي في مجموعها إلى الفلسفات الّتي سادت أوروبّا خلال القرن الماضي من الليبرالية والاشتراكية والرأسمالية والشُّيُوعِيّة وغير ذلك، ومع أن الدستور يسمح بتشكيل الأحزاب ويجعل من حق الترشيح حقا شخصيا لكل أحد إلا أن الواقع جعل في كلّ دولة من تلك الدّول عددا محدودا من الأحزاب لا يتجاوز عددها أصابع الكف تتولى عمليَّة المنافسة عَلى السّلطة وتتداولها فيما بينها، وغالبا ما يؤول الصِّرَاع إلى الحزبين الرَّئيسيين بحيث لو حاز أحدهما الأغلبية المطلقة بحسب ما حدده (مثلا ثلثي الأعضاء) أو(النصف + ١) تمكن نوابه في البرلمان من تشكيل الحكومة (السّلطة التنفيذية) منفردين وتحول الحزب الّذي خسر السباق الانتخابي إلى المعارضة الّتي تتشكل منه أو من باقي الأحزاب الصغيرة أو الأعضاء المستقلين في البرلمان معه، وفي أغالب الأحيان ونتيجة تقارب البَرَامج والأطروحات البرلمانية وحب النّاس للتنوع، غالبا ما يحظى أحد الحزبين بأغلبية بسيطة تظطره للتحالف مع أحزاب صغيرة لتوفير الأغلبية البرلمانية مما يضطره لإعطائها بعض المكاسب في السّلطة التنفيذية أو الإدارات المحليَّة، وهكذا تعاد هذه اللعبة الّتي تقوم بها النخب السّياسيّة في المجتمعات الغربيّة بصورة دورية كلّ أربعة أو خمس سَنَوات، وتتكرر بصورة متشابهة من دولة لأخرى ففي بَرِيطَانيَا يتسابق (المحافظون والعمال) وفي فرنسا (الديغوليون الّذين يمثلون يمين الوسط) و(الاشتراكيون)

و(أحزاب اليسار الشُّيُوعِيّ)، و(الجبهة الوطنيّة الّذين يمثلون اليمين المتطرف) وفي أمريكا (الجمهوريّون والديمقراطيون) وفي أسبانيا (الاشتراكيون) و(الرأسماليون- حزب الشعب اليميني) وهكذا في باقي الدّول كألمانيا وكندا واستراليا، فتبدأ الإنتخابات الأولية عَلى مستوى البلديات لانتخاب مرشحي الأحزاب، ثمّ تبدأ الإنتخابات البرلمانية، ثمّ يشكل الحزب الفائز لوحده أو عن طريق الائتلاف السّلطة التنفيذية، في حين تتكون السّلطة القضائية من مؤسسة مستقلة يعين كبارها من قبل البرلمان أو رئيس السّلطة التنفيذية، وفي بعض البلدان كأمريكا يقترع النّاس لاختيار الرَّئيس في معزل عن البرلمان (الكونغرس)، ولهم نظام آخر لا يهم بسطه هنا، ولا يؤثر عَلى هذا السياق سواء كانَ النّظام جمهوريّا دستوريا رأسيا كما في فرنسا أو ألمانيا أو كانَ ملكيا دستوريا كما في أسبانيا وبريطانيا وبلجيكا وغيرها، لأن الملك يملك ولا يحكم وهو رمز أمة أكثر منه رجل سلطة حيث يتولى رئيس الوزراء رئاسة السّلطة التنفيذية، ولكن المهم الّذي نلفت النَّظر إليه:

● أن عمليَّة الدِّيمقراطيَّة في الغرب عمليَّة نسبية أيضا ومسرحيَّة إلى حد كبير، فالسياسات الحقيقيَّة ترسمها اللوبيات الضاغطة في البرلمان والأحزاب وغالبا ما يسيطر اليَهُوْد أو أعضاء المنظمات اليَهُوْدية مثل (الماسون) أو أعضاء المنظمات المسيحية المتطرفة كمنظّمة (ثلاثي الأضلاع) وغيرها من أجهزة الضغط من كبار رجال السّياسة والإعلام ورجال المال وكبار الرأسماليين ومافيات الجريمة في بعض الأحيان الّذين يحولون الحملات الانتخابية عَلى السياسات العامّة في حين تبقى عمليَّة الإنتخابات عمليَّة ضرورية إلى حد كبير، وتلعب الرشاوى والأموال الّتي تمول الحملات الانتخابية دورا عظيما في شراء الذمم والضمائر والتحكم في سير الانتخابات وإبراز المرشحين فالنّظام في عمومه رأسمالي يعتمد اقتصاد السوق أو الاقتصاد الحر والمجتمع في عمومه يتبنى الهويّة النّصرانية عَلى قاعدة شعبيَّة عريضة من الإلحاد، ولم يبق لهم من النّصرانية إلا التعصب الدّيني والخمر والخنزير وشيء من الطقوس والعادات وقد تهمش دور الكنيسة حتَّى صارت أشبه بمؤسسة اجتماعيَّة أو نادي ثقافي لا أكثر خاصّة بالنسبة للشباب، ومن فترة لأخرى تكشف الصحافة عن فضائح الابتزاز والرشاوى لتكشف مدى زيف هذا النّظام الّذي وصفه أحد كبار ساسته رئيس وزراء

بَرِيطَانيَا المشهور(ونستون تشرشل) عندما قَالَ: (الدِّيمقراطيَّة أفضل الطرق السيئة للحكم)! ولا شَّكَّ أنه بالمقارنة مع الأنظمة الديكتاتورية والفاشية فإنه يحق له أن يقول ما قَالَ، ولكن فكرة (سيادة الشعب) وسيادة الأُمّة فكرة نظريَّة لأبعد الحدود، والحقيقة هيَ سيادة النخب السّياسيّة الرأسمالية المتحكمة بمصائر شعوب حازت قدرا عظيما من حرية العبث والإباحية وتمتعت بحياة استهلاكية مرفهة قياسا بغيرها، وتركت خطامها لأولئك اللاعبين بمصيرها يضحكون عليها باسم الدِّيمقراطيَّة.

- أمر هام أيضا طغى في الفترة الأخيرة عَلى السطح وهو تحكم الدّول الأكبر بسياسات الدّول الأصغر ودعمها للوبيات الداخليَّة والأحزاب المؤيدة لسياساتها لتنجح في الإنتخابات والإمساك بزمام السّلطة فأمريكا، زعيمة (النّاتو) تتحكم إلى حد كبير في سياسات الدّول الغربيّة وأوربّا واستراليا وكندا وقد ازداد هذا الضغط والتّأثير جدا في عالم ما بعد سِبتَمبر واحتلال العراق، وتلعب بَرِيطَانيَا قدرا كبيرا من التّأثير داخل العائلة الأوربية لصالح السّياسة الأمريكيّة، كما تمارس الدّول الأوربية الكبرى وعلى رأسها فرنسا وألمانيا ضغوطا وتأثيرا عَلى سياسات دول الاتحاد الأوربي وعلى تلك الراغبة باللحاق به، وتتقاطع سياسات دول أوربّا الغربيّة من أعضاء النّاتو مع أمريكا في مجالات وتختلف في أُخرى لتلقي بظلالها عَلى الدّول الأوربية الصغيرة وشعوبها لتترك بصماتها الواضحة في تشويه واقع الديمقراطيات، والأمثلة عَلى ذلك كثيرة يخرج بنا إيرادها عن الإيجاز المفترض للفترة فعندما تود تلك اللوبيات الداخليَّة أو الخارجيّة خلق مناخ معين للإنتخابات تنفق الأموال وتركز أجهزة الإعلام حملاتها في الأيّام والساعات الأخيرة عَلى قطاع الجمهور الانتخابي الأكبر في المجتمعات الغربيّة وهم (اللامنتمون) ذلك القطاع الّذي تظهر أكثر عيناته الحيرة أين تضع أصواتها حتَّى الدقائق الأخيرة، وتكشف وسائل الإعلام والمقابلات التلفزيونية في الشَّوارع مع النّاس في كثير من الأحيان عن الأمية السّياسيّة العظيمة في تلك المجتمعات الّتي تخدع الجاهل بها، ولقد اطلعت خلال هجرتي وإقامتي في أوربّا الغربيّة لأكثر من أربعة عشر سنة عشت فيها ثلاث سَنَوات في فرنسا وثلاث في بَرِيطَانيَا والباقي أكثره في أسبانيا عَلى نماذج كثيرة وأمثلة حية تبت زيف الدعاوى الدِّيمقراطيَّة في عقر دارها، وكما أسلفت يضيق المجال عَلى إيراد الأمثلة والشواهد هنا.

أما ما يجري في ديمقراطيات العالم الثّالث في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية حديثة العهد بالاستقلال وبالدكتاتوريات فمهازل شبيهة إلى حد كبير بالنماذج الدِّيمقراطيَّة الحاصل بعضها في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، مع فارق يجعلها تأتي قبلها في سلم المهزلة حيث لم يشترط الغرب عَلى بعض الشرائح السّياسيّة عدم الوصول إلى السّلطة كما في حالة (الإِسْلَاميّين) في بلادنا، وإنما ينحصر تأثيره الّذي يصل لحد التدخل السافر وممارسة الابتزاز والرشاوى في إيصال صنائع استعماريّة له تكفل استمرار نزيف ما يمكن استنزافه من خيرات العالم الثّالث لصالح الدّول الاستعماريّة تحت مسمّى الاستقلال والحريَّة والدِّيمقراطيَّة والاقتصاد الحر.

أما أسفل نماذج الدِّيمقراطيَّة في تلك الّتي تمَّ استنساخ أجنة مشوهة منها في مراكز دراسات الإستخبارات الغربيّة وصنائعها الاستعماريّة في بلادنا لتطبق عَلى شعوبنا المغلوبة عَلى أمرها كخيار يضحك عَلى عقولها المرهقة بقمع الأنظمة الديكتاتورية والملكيات المستبدة والجمهوريّات الوراثية آخر ابتكارات الأنظمة العربيَّة المهترئة.

وقبل أن نعرج عَلى استعراض سريع في التَّجَارب الدِّيمقراطيَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ يجدر بنا أن نتوقف مع فقرة مهمة حول مفهوم السيادة والحاكِمِيَّة في الشّريعة الإِسْلَاميّة وتناقضها التام مع مفهوم الدِّيمقراطيَّة والعلمانيّة كي يظهر لنا البون الشاسع بين ديننا الحنيف وبين الفكر الديمقراطي بجملته. بالإضافة لظهور مناقضة النموذج العربيّ والإِسْلَاميّ للديمقراطية لأصول الدِّيمقراطيَّة ذاتها.

مبدأ السيادة والحاكِمِيَّة في الدّين الإِسْلَاميّ:

في الحقيقة لا عجب من أن تكافح الشّعوب الأوربية وأن يعمل فلاسفتها وفقهاء القانون فيها عقولهم يمينا وشمالا كي يستنبطوا تشريعات تقربهم من الحقّ والعدل بعد طول معاناتهم من الملكية والبابوية والكنيسة ومن طغاة السياسات المعاصرين... إلى أن توصلوا إلى ما يعتقدون أنه أفضل الطرق السيئة للحكم كما قَالَ (تشرشل)، ولكن العجب في أن يقوم في الأُمّة المحمّدية الّتي أنعم الله عليها بخاتم الأنبياء عليه الصّلاة والسَّلام وبآخر الشرائع وأرقاها ووصفها بالكمال والتمام بقوله تَعَالَى:

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣] أن يقوم من أبنائها من يبدل نعمة الله كفرا ويحل قومه دار البوار ويذهب لينكش في زبالات ما تفتقت عنه أذهان البشر ليبحث عن

دساتير وقوانيين ليحكم بها المُسلِمِين الّذين جعلهم الله ﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ وحدد لهم السيادة ولمن تكون والحاكِمِيَّة ولمن تكون والربوبية والألوهية ولمن تكون وحق التَّشريع ولمن يكون، بل وتفاصيل كلّ شيء.

أما السيادة المطلقة في دين الإِسْلَام فباختصار وبكل بساطة لله سُبحَانَهُ وتَعَالَى: روى البُخَارِيّ في الأدب المفرد وكذلك أحمد وأبو داوود وغيرهم وصححه غير واحد عن مطرف بن عبدالله بن الشخير قَالَ: **انطلقت في وفد بني عامر إلى النبيّ ﷺ فقالوا: أَنْتَ سَيّدنَا، قَالَ: «السَّيِّدُ الله»، قَالُوا: وَأَفضَلُنا فَضلاً وَأعظَمنا قَولاً، قَالَ: «فَقُولُوا بِقَولِكُم وَلا يَستَجِرنكم الشّيطَان»**[1].

قَالَ الحليمي في تفسير (السيد) من أسماء الله الحسنى قَالَ[السيد: هو المحتاج اليه بالإطلاق، فإن سيد النّاس إنما هو رأسهم الّذي يرجعون إليه وبأمره يعملون وعن رأيه يصدرون، ومن قوله يستهدون، فإذا كانت الملائكة والأنس والجن خلقا للباري جل ثناؤه، لم يكن بهم غنية عنه في بدء أمرهم إذ لو لم يوجدهم لم يوجدوا، ولا في الإبقاء بعد الإيجاد ولا في العوارض المعارضة أثناء البقاء، كانَ حقا له ثناؤه أن يكون سيدا وكان حقا عليهم أن يدعوه بهذا الاسم].

والمفسرون عندما يصلون إلى تفسير اسمه تبارك وتعالى، يفسرون (السيد) ويقولون: (هو السيد الّذي يصمد إليه بالنّوازل والحوائج، وهذا ما رجحه القرطبي اعتمادا عَلَى اللغويين، وقد ورد في معاني السيد : (هو الّذي انتهى سؤدده في أنواع الشرف والسؤدد) وقيل: (هو المستغني عن كلّ أحد والمحتاج إليه كلّ أحد)، وقيل: (هو الّذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد) وقيل: (هو الكامل الّذي لاعيب فيه).

قَالَ القاري في شرح هذا الحديث في عون المعبود: «السَّيد الله» أي: (الّذي يملك نواصي الخلق، أي الّذي يتولاهم سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وهذا لا يتنافى مع سيادتهم المجازية) فهو لا ينافي سيادة رسول الله ﷺ سيد ولد آدم، ولكن مع معرفته بذلك ﷺ حدد من هو السيد بَاطِلاق فقال: « إِنَّما السَّيّد الله»، وهذا موضوع من أخص مواضيع العَقِيْدَة عند المُسلِمِين، [انتهى بتصرف. عن محاضرة: إنما السيد الله. من المنشورات الصوتية لجماعة الجِهَاد في مصر ١٩٨٩م].

---

(١) رواه أحمد (١٦٣١٦) وأبو داود (٤٨٠٦) وصححه الأرنؤوط والألباني.

فإذا عدنا لصفات السيادة الّتي وضعها فُقَهَاء القانون الغربيّ كما نجدها في حقيقتها لا تنصرف إلا لله الواحد الأحد السيد الفرد الصمد وفق موازين العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة، وصرفها لغيره هو الشرك المحض بالله لا أكثر ولا أقل سواء صرفت للشعب أو للأمة أو لأكثرية البرلمان أو للملوك أو لأي مخلوق من البشر أو سواه من المخلوقين.

ولذلك أقول: هل يحق لمسلم أن يعتقد ما دوّن في صدور دساتير معظم البلاد العربيّة والإِسْلَاميّة من قولهم (الشعب مصدر السيادة) و(الأُمّة مصدر السُّلطات التَّشريعية والتنفيذية والقضائية).؟

إن مقتضى دين الله أن من اعتقد أن للشعب أو للأمة أو لنوابهم في برلماناتهم أو لملوكهم ورؤسائهم شيء من السيادة، بحيث يشرعون عَلى خلاف ما جاء به هدي محمّد ﷺ مما شرعه الله تَعَالَى في كتابه وسنة نبيه، فهو كافر مشرك بالله قد خلع ربقة الإِسْلَام من عنقه ولحق بعبدة الأوثان وعبد الطَّاغوت.

سواء كانَ ذلك باسم الدستور أو باسم الدِّيمقراطيَّة أو بأي دعوى من الدعوات، هذا هو خُلاصة مفهوم السيادة في الإِسْلَام.

فهي لله، ومن جعلها بمفهومها المطلق لغيره فهو كافر، هكذا بكل صراحة وحسم فالموضوع يمس صلب العَقِيْدَة والتّوحيد، ولا يسع الإبهام والتمتمة فيه.

وأضيف: وأما الحاكِمِيَّة في شريعة الله فهي لله وحده، وقد أوردنا في الفَصل ما يغني عن الإعادة هنا وخلاصة ذلك ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠]، ومن اعتقد أن للشعب أو للأمة أو نوابهم أو برلماناتهم أو لملوكهم أو رؤسائهم أو قضاتهم أن يحكم في الدِّماء والأموال والأعراض والمنازعات وفق ما شرع شياطين البشر وأهواء العقول عَلى غير ما أنزل الله تفضيلا لهذا الحكم عما شرع الله أو زهادة بشرع الله أو اعتقادا بعدم صلاحيته للعصر أو منافاته لحقوق الإنسان والحضارة أو اعتقد أنه مخير بالحكم بشرع الله أو بغيره من تشريعات البشر، فهو كافر فاسق ظالم، وقد سبقت الأدِلَّة عَلى ذلك حيث اشرنا، فإذا ما وضح هذا نعود لموضوعنا.

الدِّيمقراطيَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ:

وصلت طلائع الغزو الفكريّ الغربيّ للعالم الإِسْلَاميّ مع طلائع الحملة الفرنسية بقيادة نابليون إلى مصر مطلع القرن التّاسع عشر وانتشرت المطابع وبدأت بذور التأثر بالمذاهب الفكريّة الغربيّة تنتشر

في أوساط بعض المثقفين في العالم العربيّ، كما ساهمت دول الاستعمار الاخرى ولاسيما بَريطَانيَا في نشر تلك الأفكار حيث ذهبت لاستعمار المُسلِمِين ووسط صدمة الانبهار بالحضارة الغربيّة في أوساط العَرَب والمُسلِمين حتَّى لدى بعض المتنسبين لرجال الدّين في ذلك العصر، لاقت هذه الأفكار شيئا من الرواج، كما تصدى لها بعض علماء الدّين والمصلحين في ذلك الوقت، ولكن مع انهيار الخِلافَة العُثمَانِيّة وتقاسم الدّول الأوربية ولاسيما بَرِيطَانيَا وفرنسا لإرثها المكون من بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ كما مر معنا حكمت الدّول الاستعماريّة بلاد المُسلِمِين بدساتيرها وتشريعاتها، ومع انصرام فترة الاحتلال، كانَ الغرب قد ربى أجيالا من المُستَعمرين فكرياً ونفسيا ممن درسوا في بلاده أو فيما أقام من الجامعات وما زرعه من الأفكار في بلادنا، فتولت حُكُومَات الاستقلال من بعده استبعاد الحكم بالشّريعة الإِسْلَاميّة لتبني دساتيرها عَلى أسس التَّشريعات الأوربية والقانون الفرنسي أو البريطاني، ووجدت مفاهيم السيادة والدِّيمقراطيَّة وما انبثق عنها من مفاهيم سيادة الأُمّة وسلطة الشعب والسُّلطات الثّلاثة.. الخ طريقها إلى دساتير بلاد المُسلِمِين وقوانينهم، وأقصيت الشّريعة الإِسْلَاميّة ليحل محلها شرائع الرُّومان المعاصرين وما زال الحال عَلى ذلك كما مر في الفَصل الأوّل بشيء من التفصيل حيث لم يبق في بلاد المُسلِمِين من آثار الشّريعة إلا نتفا من بعض قوانين الأحوال الشَّخصيَّة كالزواج والطلاق والمواريث مع تشويه وإلغاء ما زال يعتريها مع الزَّمن إلى يومنا هٰذا، وقد أخذت دول قليلة أُخرى كالسّعُودِيّة والسُّودَان واليمن مثلا بنصيب أكبر من الشّريعة الإِسْلَاميّة إلا أن كثيرا من التَّشريع الوضعي وجد طريقها لكثير من القوانين واللوائح والتَّنظِيمات بحيث يمكن القول بكل بساطة ووضوح أنه لم يعد اليَوْم عَلى وجه هذه البسيطة دولة واحدة تحكم بشرع الله كما أمر الله عَلى الإطلاق،

وهذه هيَ الحقيقة مهما بدت قاسية لبعض من يجهلها أو يريد للنَّاس أن يجهلوها وهذا ثابت يسهل إقامة الدليل عليه من خلال مراجعة بسيطة للموسوعة الدستورية العربيَّة مثلا الّتي تضم نسخة عدد دساتير البلاد العربيَّة أو مراجعة أي من دساتير الدّول الإِسْلَاميّة الاخرى، هذا من حيث التَّشريع والتقنين وقواعد الحكم نظريا.

أما من حيث التطبيق فكما في الغرب يخالف واقع الحال ما دونه في الدساتير والقوانين ولكن بما يتناسب مع حجم التخلف وسيطرة الدكتاتوريات البشرية، ففي سائر البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة نصت

الدساتير عَلى خلاف الأصل من فصل السُّلطات التَّشريعية والتنفيذية والقضائية، حيث أعطت تلك التَّشريعات الملوك والرؤساء والأمراء الحاكمين وهم رأس السّلطة التنفيذية نصيبا من السّلطة التَّشريعية إن بشكل صريح كما في الأنظمة الملكية والأميرية من مثل ما جاء في دستور المغرب (للملك حق إصدار القوانين) أو الأردن (تناط السّلطة التَّشريعية بمجلس الأُمّة والملك)، أو البحرين: (لا يصدر قانون إلا إذا أقره المجلس الوطني ووافق عليه الأمير)، أو بشكل مبطن كما في الجمهوريّات الديكتاتورية كمصر وسوريا وتونس والجَزَائِر وليبيا وما شابه حيث نصت الدساتير عَلى أن الرَّئيس هو رأس السّلطة التنفيذية ويشارك أو يشرف عَلى السّلطة التَّشريعية كما جاء في المادّة ٧٤ من الدستور المصري عَلى سبيل المثال (لرئيس الجمهوريّة اذا قام خطر يهدد الوحدة الوطنيّة أو سلامة الوطن أو يعوق مؤسسات الدّولة عن أداء دورها الدستوري أن يتخذ الاجراآت السريعة لمُوَاجَهة هذا الخطر ويوجه بيانا للشعب ويجري استفتاء عَلى ما اتخذه من إجراآت خلال ٦٠ يوما من اتخاذه.)

كما أن الدساتير نصت في معظم البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة عَلى حق الرَّئيس أو الملك في حلّ البرلمان وتعليق الحياة الدستورية والنيابية، وإعادة فتحها بالشكل والوقت الّذي يحلو له، هذا ناهيك عن الانقلابات العسكريّة الّتي تعلق الدساتير وتخضع كثيرا من بلاد العَرَب والمُسلِمين لقوانين الطوارئ والأحكام العرفية كما في سوريا حيث لا زال يعمل بقانون الطوارئ والأحكام العرفية منذُ أكثر من أربعين عاماً وكذلك في مصر ما زال إلى الآن ومنذ ٢٥ سنة !!

أما حق الرؤساء والملوك في التَّشريع فيما بين دورات البرلمان أو حق الاقتراح أو التعديل أو رد التَّشريعات الّتي شرعتها السّلطة التَّشريعية وإحالتها إلى البرلمان ليصوت عليها من جديد.

ومهازل حُكَّام العَرَب والمُسلِمين أكثر من أن يأتي عليها حصر ولو أفردت لها المجلدات فمما يحضرني من الأمثلة السريعة، تعديل الدستور السّوري لتخفيض العمر الأدنى للرئيس من (٤٠) سنة كما هو في الدستور – منذُ أنشأوه – إلى عمر بشار الأسد عندما أراد أبوه أن يستخلفه وهو (٣٦) سنة حيث استغرق تصويت البرلمان السّوري عَلى هذا التعديل نصف ساعة حيث أقروه بالإجماع وكانت (أولبرايت) في دمشق تنتظر النَّتِيجَة وترتب الأمور حيث صرحت بعد هلاك حافظ الأسد وتثبيت السّلطة لبشار وقمع معارضيه حتَّى من الطامعين بالعرش من النصيرية فقالت للصحفيين وهي تغادر:

(إن أمريكا راضية عن انتقال السّلطة في سوريا)، وكذلك تعديل الدستور الأردني حول مواصفات ولي العهد لتناسب الملك عبدالله الحالي عندما استخلفه أبوه وهو عَلى فراش الموت وأقصى أخاه الأمير الحسن ولي العهد التّاريخي للأردن بأمر من أمريكا أيضا.

أما إذا جئنا لنستقصي المؤسسات الأمنيّة وهي الحاكم الفعلي في البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة وهياكلها وسلطاتها الثّلاثة:

(السّلطة التعذيبية، والسلطة الإعدامية، وسلطة المقابر الجماعية) والمؤسسات التَّابعة لها كأجهزة مكافحة الشعب وقمع المظاهرات، ومؤسسات الاعتقال، ناهيك عن سيطرتها عَلى الوزارات المستقلة عنها كوزارة تحريف شرع الله والشؤون الدّينيّة ووزارة الإعلام والطبل والزمر للرؤساء والملوك، فلذلك قصص مشوقة أُخرى في التطبيق العملي للتصوُّر الدستوري والعلماني لمفهوم سيادة الشعب المقهور وسيادة الأُمّة المقموعة وديمقراطية (الكرباج)! وأظن أن أخبار الأحوال انتشارها، حتَّى عبر وسائل الإعلام اليَوْم يغني عن الأمثلة المضحكة المبكية الّتي تفطر الأكباد في تلك البلاد.

بقي أن نشير إلى أن أغلب المعارضات السّياسيّة في الأنظمة الحاكمة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ هيَ ديمقراطية في منهجها وعلمانية في معتقداتها ونزيهة في تصوُّراتها وفق مفاهيم الغرب، ولكن إلى أن يحصل لها استلام السّلطة لتعود إلى الأصل وهو تكرار النموذج لتتولى السُّلطات البائدة أو المعارضات الجَدِيدة دور المطالبة بالنزاهة المقبلة، وأما التطبيق العملي للديمقراطية ونظام الانتخابات في البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة أصحاب ٩٩,٩٩٪ في كافّة الاستفتاءات عَلى الدساتير والتَّشريعات ومشاريع الوحدة ومشاريع الولاية الثّانية والثّالثة ومشاريع استخلاف الأبناء وولايات العهد في الجمهوريّات الملكية كما في سوريا وبوادر ذلك في مصر واليمن وليبيا، فمظاهر لا تحتاج لنقاش، وقد شهدت بنفسي بعض الانتخابات البلدية والبرلمانية في سوريا والأردن وباكستان ورأيت بعيني كيف يشحن الرّجال في السيارات من القرى والأحياء الفقيرة في المدن يحمل كلّ واحد منهم بطاقته الشَّخصيَّة وبطاقة بعض نسائه اللواتي يحق لهن الانتخاب، ويشحنون إلى المراكز الانتخابية عبر وسطاء وسماسرة يدفعون نيابة عن المرشحين والأحزاب الّتي نظمت هذه المظاهر الدِّيمقراطيَّة! ثمن الصوت ما يعادل (١٠ سنت) أي (٠,١) دولار أمريكي، وكأسا من الشاي! وقد يتكرم بعض المراكز فينحر الخراف وتقدم مناسف

الرز واللحم في مواسم انتخابية لو رآها فُقَهَاء القانون في الثَّورة الفرنسية لطالبوا بعودة الحقّ الإلهي المقدّس للملوك، ولعاودوا البحث عن شراء صكوك الغفران الكنسية لتكفير خطاياهم في التنظير للديمقراطية.

هذا ناهيك عن الإشتباكات المُسلّحة والاغتيالات وحوادث العنف الّتي ترافق الرّوح الدِّيمقراطيَّة في عالمنا العربيّ والإِسْلَاميّ فضلا عن الطعونات وفضائح التزوير والغش، لأمة حصل لها ما حصل للغراب الّذي أراد أن يقلد مشية البلبل فلم ينجح فلما أراد أن يعود لمشيته نسيها، فصار يعرج وينط لا هو غراب ولا يشبه البلابل فصار مضحكة للطيور، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾.

وبعد هذه النبذة عن الدِّيمقراطيَّة عند أهلها وعندنا ولسنا من أهلها – والحق يقال – نأتي إلى موضوعنا وهو:

مفهوم الدِّيمقراطيَّة عند (الإِسْلَاميّين الديمقراطيين) وتجارب الصّحوة في ممارسة الدِّيمقراطيَّة ومسارها خلال الربع قرن الأخير:

من المفيد بحث هذه الظَّاهِرة من زاويتين:

1. **من حيث الفكر والمنهج والمعتقد في الدِّيمقراطيَّة.**
2. **من حيث التطبيق والتَّجَارب.**

أولاً: الفكر والمنهج والمعتقد الديمقراطي عند الإِسْلَاميّين الديمقراطيين:

من خلال اهتمامي بهذه الظَّاهِرة ودخولي معترك التّصَدّي لها عبر الكتابة والمحاضرة منذُ مطلع التِّسعينيَّات وإلى اليَوْم، حيث الزَّمني ذلك بمتابعة تجاربها وكتابات أصحابها من الإِسْلَاميّين أستطيع التمييز بين عدّة أنواع من الديمقراطيين الإِسْلَاميّين وبصرف النَّظر عن أسماء الجماعات والأشخاص وهو أسلوب اعتمدته ما أمكن في هذا الكتاب عَلَى غير عادتي من أجل الغاية الأساسيّة لهذا البحث وهي حشد الصفوف من أجل مشروع المُقاوَمة وجدت أن أنواع الديمقراطيين الإِسْلَاميّين عَلَى الشّكل التّالي:

إسلاميون ديمقراطيون يعتقدون – بحسب تصريحاتهم وكتاباتهم– أن الدِّيمقراطيَّة لا تناقض الإِسْلَام، وذهب أحد أقطاب هذه المدرسة للقول (الدِّيمقراطيَّة بضاعتنا ردت إلينا)، وذهب آخر للقول

(الدِّيمقراطيَّة هيَ الشورى الملزمة)، واقترح ثالث (النحناح - الجَزَائِري) الّذي أفضى إلى ما قدم من قريب أن يدعو الإِسْلَاميّون منهجهم بـ (الشورقراطية) ! وقد عبر (الغنوشي)أحد منظري هذه المدرسة في كلمة له أثناء جلسة عشاء جمعتني به شخصيا في (مدريد) بقوله (نحن ارتضينا بالدِّيمقراطيَّة والصناديق حكما بيننا كإسلاميين وبين خصومنا من الأحزاب العلمانيّة في تونس، فإذا الشعب اخذتارنا حكمنا بالإِسْلَام، وسمحنا للكفر بأن تكون له أحزابه وصحفه لأن الإِسْلَام لا يخشى عليه من الحريَّة، وإذا الشعب اختار الأحزاب العلمانيّة، رضينا بحكم الكفر لأن الله تَعَالَى قَالَ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[البقرة: ٢٥٦] وسهرتنا تلك مسجلة عَلَى كاسيت! وكتابه (الحريات السّياسيّة في الإِسْلَام) أشد صراحة من هٰذا، وله مقالات كثيرة في هذا المضمار.

وقد انتشر هذا المذهب في أكثر بلدان العالم الإِسْلَاميّ ولاسيما في السُّودَان وشمال أفريقيا وفي أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة في المهجر في أوربّا وأمريكا والعالم الغربيّ عبر المراكز الإِسْلَاميّة والصحافة الإِسْلَاميّة المهاجرة.

١. إسلاميون ديمقراطيون يطرحون تصوُّرا إسلاميا للديمقراطية ويقولون نأخذ منها ونمارس ما لا يتعارض مع أصول السّياسة الشَّرعيَّة وينهجون منهجا توفيقيا ترقيعيا لإنتاج نظَريَّات (ديمقراطية - إسلاميّة) في آن واحد، وأنه يمكن الخروج بما أسموه (فقه برلماني) يشكل نظريَّة لديمقراطية إسلاميّة بضوابط معينة، تجعلهم بحسب تصوُّرهم في حلّ مما تحمله النَّظريَّة السّياسيّة والدستورية للديمقراطية الغربيّة من إلحاد وشرك وكفر أكبر، ولا يرون بأسا من الانتماء للسلطة التَّشريعية عبر الدِّيمقراطيَّة كمعارضة بحيث لا يوافقون إلا عَلَى ما تجيزه الشّريعة (كما هو رأي بعض البرلمانيين الإِسْلَاميّين في الأردن)، وهناك ن هَؤُلَاءِ من لا يرى بأسا من تسلم الوزارات في السّلطة التنفيذية عَلَى ما يزعمون من دليل في مذهب يوسف عليه السلام ووزارته لدى الفرعون!! (كما في الأردن والكويت والباكستان وتركيا وكثير من البلاد غيرها)!

٢. النوع الثّالث يصرحون بأن الدِّيمقراطيَّة بمفهومها الأساسي تناقض الإِسْلَام وأنه ليس هناك إشكالية شرعيّة في ممارسة المعارضة في (البرلمان)، ولا يجيزون لأنفسهم أن ينتقلوا بالشوط لآخره بدخول السّلطة التنفيذية، لأن ذلك سيدخلهم في دائرة الحكم بغير ما انزل الله بحسب

القوانين المعول بها في عموم بلاد المُسلِمِين ! ويعتقدون أن الشّريعة الإِسْلَاميّة تسمح بمزاولة الدِّيمقراطيَّة في حدود المعارضة ونيابة البرلمان ! بحيث يوافقون عَلى ما وافق الشّريعة ولا يجيزون ما لا يوافقها وأنهم لا ينتقلون إلى ممارسة السّلطة إلا إذا كانوا أغلبية وتمكنوا من الحكم بالشّريعة، وأنهم في البرلمان لإقامة الحجة وإيصال صوت الحقّ، وتحقيق بعض المصالح الشَّرعيَّة للمسلمين، وهذا النوع قلة اليَوْم في الصّحوة.

٣. الفريق الرَّابع يصرح صراحة بأن الدِّيمقراطيَّة كفر بالله وأن مبادئها تقوم عَلى الشرك به والإلحاد في ألوهيته سبحانه، وأنهم يمارسونها في حدود حالات الاستضعاف الّتي تمر بها الصّحوة، وأنهم لا يدخلون البرلمان إلا كأكثرية حيث سيتولون أول أعمالهم تشكيل حكومة تحكم بالشّريعة، وإلغاء العمل بالدِّيمقراطيَّة بمفهومها الغربيّ، ولعلّ أوضح وأصرح هذا النموذج جبهة الإنقاذ في الجَزَائِر لاسيما من خلال تصريحات شيخها علي بلحاج فرج الله عنه وأحسن خُلاصة، وهذا النوع من الدِّيمقراطيَّة أقل الأنواع انحرافا وأندرها وجودا.

٤. هناك نوع أخير لا يطمح بالوصول للسلطة ولا أمل له فيها بحكم ظروف بلاده ويعتبر المشاركة النيابية نوع من إيصال صوت الحقّ للنَّاس عبر هذا المنبر، ويعتبر السُّلطات خارجة عن الشّريعة وأن الدِّيمقراطيَّة مفهوم غير إسلامي، وأنه معهم في البرلمان هناك لتحقيق ما يمكن من المصالح للمسلمين وأن ليس بالإمكان أكثر مما كانَ في مثل حالة الاستضعاف هذه.

والجدير بالذكر أن مواقف (الإِسْلَاميّين الديمقراطيين) تتنوع تجاه مفهوم السيادة والحاكِمِيَّة والمبادئ والمصطلحات الدستورية والمواقف من كفر الحاكم وإسلامه وكذلك الحكم عَلى النّظام ومؤسساته وهناك الكثير من الضبابية والتلون والباطنية والمواقف الإعلاميَّة والكلام في الجلسات الخاصّة، والتذبذب في المواقف من المسألة بين حوار وآخر وتصريح وآخر بحسب الأجواء والظروف أو الشجاعة الشَّخصيَّة.. الخ ولكن هناك واقعا يجدر ذكره وهو أن جميع الإِسْلَاميّين الديمقراطيين بلا استثناء وهم يدخلون في هذا المجال يقرون إما اعتقادا أو موافقة للحال بجملة من الأشياء ويلزمهم بذلك النّظام الدستوري النيابي وقوانين الانتخابات ومن ذلك:

١. الاعتراف بشرعيّة النّظام وشرعيّة الحاكم سواء كانَ رئيسا أو ملكا أو أميرا.

٢. الاعتراف بالدستور المعمول به في البلاد والقسم بالشرف والمعتقد عَلى صيانته واحترامه والعمل به.

٣. الاعتراف بالمبادئ الأساسيّة للدولة والنّظام القائم وأسس تكوينه بحسب حالته.

٤. الاعتراف بمبدأ المساواة في الحقوق السّياسيّة من حيث حق الترشيح والانتخاب والتصويت داخل المجلس بصرف النَّظر عن الدّين أو الجنس أو المعتقد أو أي اعتبار آخر.

٥. الاعتراف بمبدأ تداول السّلطة وحق الجميع في المنافسة والتمثيل النيابي.

٦. الاعتراف بمبدأ الالتزام بقرارات الأغلبية ونفاذها دستوريا وقانُونيّا بصرف النَّظر عن الموقف الخاص أثناء التصويت منها واعتبارها نافذة في الأُمّة بمجرد صدورها بالأغلبية.

٧. الاعتراف والتوقيع عَلى قانون الإنتخابات المعمول به بحسب كلّ حالة والَّتي تفصل فيها السُّلطات دائما القوانين بحيث تكون النتائج كما تشتهي.

٨. الاحتكام للدستور والمحاكم الرَّسميَّة والقوانين المعمول بها حال المنازعات في أي إشكال بين السُّلطات التَّشريعية والتنفيذية والقضائية أو داخل مكوّنات أي من تلك السُّلطات، مع العلم المسبق بحق الرَّئيس أو الملك بحل البرلمان وتعليق الحياة الدستورية من اجلها كما في معظم الحالات، وهناك شروط أُخرى يلزم بها المشاركون في العمليّة الانتخابية في بعض الحالات الخاصّة ببعض البلدان كمنع تشكيل الأحزاب عَلى أساس ديني مثلا كما في معظم البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة كالحالة في مصر، وكالاعتراف بعلمانية الدّولة أساسا وبنية كما في تركيا مثلا وكالاعتراف بواقع الاحتلال المباشر كما في حالات مثل فِلَسطِين والعراق اليَوْم.

ثانيا: الحصاد العملي لتجارب الإِسْلَاميّين الديمقراطيين عبر مسار الصّحوة:

ليس للتجارب البرلمانية الدِّيمقراطيَّة للإسلاميين ما قبل الربع قرن الأخير أهمية كبيرة، فهي محدودة في بعض البلدان فقط حيث مارس الإِسْلَاميّون بعيد الإستقلال نشاطا ديمقراطيا في حُكُومَات الإستقلال الوليدة ولمدة وجيزة ولم تكن الأمور قد تبلورت بعد، ولم تكن الدساتير قد وضعت

بتفصيلاتها، ولم تكن تجارب الحُكُومَات الوليدة قد نضجت بعد لحصار الإِسْلَاميّين وتكبيلهم بقوانين انتخابات معقدة لشل حركتهم.

ولعلّ أهمّ ما في هذا الملف هو مشاركة الإخوان المُسلِمِين وبعض العُلَماء والإِسْلَاميّين في الإنتخابات والمجالس النيابية في كلّ من مصر وسوريا والباكستان أو آخر الأربعينيات، وخلال الخمسينيات من القرن الماضي، إذ ما لبثت الانقلابات العسكريّة في هذه البلاد أن عصفت بالتجربة وطوت صفحة الدِّيمقراطيَّة الّتي لم تعد إلا عندما قرر الغرب حصار المد الجهاديّ أو ما سماه (الإِسْلَام المتطرف) بالمد الإِسْلَاميّ الديمقراطي أو ما سماه (بالإِسْلَام المعتدل) منذُ أواسط الثَّمانينيَّات وخلال التِّسعينيَّات.

حيث قامت تجارب تستأهل العبرة منها ومن دراستها للحكم عَلى العمليّة واقعيا بعد معرفة حكمها الشَّرعيّ، لنخرج بعبرة مفادها بأن الحكم من منظوره الشَّرعيّ ومنظور الواقع التجريبي لممارسة الإِسْلَاميّين للديمقراطية يفيدان نفس النَّتِيجَة، وهي تأكيد لقاعدة أن مقتضى صريح العقل لا يتعارض مع مقتضى صريح النقل، وسبحان العليم القدير الّذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

ولعلّ من التَّجَارب المهمة خلال هذه الفترة في العالم العربيّ تجربة الإخوان المُسلِمِين في مصر، والَّتي افتتحت المسار تقريبا منذُ أواخر عهد السادات أواخر السَّبعينيَّات ومطلع الثَّمانينيَّات، ثمّ تجربة الحركة الإِسْلَاميّة القوميّة في السُّودَان بالتَّحالف مع نميري أواسط الثَّمانينيَّات، ثمّ تجربة الإخوان المُسلِمِين في الأردن أواخر الثَّمانينيَّات، وكذلك تجربة الإتجاه الإِسْلَاميّ في تونس الّذي تحول إلى حزب النهضة في نفس الفترة، ثمّ تجربة الجبهة الإِسْلَاميّة للإنقاذ أواخر الثَّمانينيَّات ومطلع التِّسعينيَّات، وتجربة بعض الدّول الخليجية ولاسيما الكويت مطلع التِّسعينيَّات، وتجربة الإخوان المُسلِمِين في اليمن مطلع التِّسعينيَّات، بالإضافة للتجارب الهامة للجماعة الإِسْلَاميّة والإِسْلَاميّين وجماعات العُلَماء في باكستان منذُ الاستقلال (١٩٤٧) وإلى اليَوْم، وكذلك التَّجربة الهامة لحزب السَّلامة بزعامة أربكان في تركيا منذُ مطلع الستينات وإلى اليَوْم، ولا أملك في ظروفي الحالية الوثائق والأرقام والتواريخ والوقائع الخاصّة بكل تجربة من تلك التَّجَارب وقد كنت قد جمعت منها شيئا كثيرا، ولا مجال للتفصيل في هذا البحث بطبيعة الحال، واكتفي بذكر عموميات ما عرفته عن تلك التَّجَارب الّتي تفيد جميعها مؤدى واحد من

النتائج كما سنذكره إن شاء الله، ونبتدأ بالتَّجَارب الأقل أهمية لنختم بأهمها وأوضحها دلالة وهيا، التجربتان الجَزَائِرية والتركية، كأفضل نموذجين عَلى الدِّيمقراطيَّة وتطبيق الإِسْلَاميّين لها في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ فهما تمثلان سقف ما وصل إليه وحلم به الإِسْلَاميّون عبر هذا المسار.

- **من تجربة الإخوان المُسلِمِين في مصر منذُ عهد السادات:**

دخل الإخوان المُسلِمُون البرلمان عَلى عهد السادات، وكان أقصى ما حصلوا عليه ٨ مقاعد ضمن ٥٢ مقعد للمعارضة فيما كانت بقية مقاعد البرلمان البالغة أكثر من ٤٦٠ مقعدا الحزب السادات الحاكم، ولم يتجاوزا حجم الأقلية المسحوقة ضمن أقلية معارضه غير فاعلة، وفي عهد مبارك حظر دخولهم بصفة مستقلة عَلى أنهم حزب ديني فدخلوا من خلال التَّحالف مع الأحزاب العلمانيّة وحمل هويتها مرّة مع حزب الوفد ومرة مع حزب العمل، وخرج فريق من شباب الإخوان فشكل حزب (الوسط) عَلى أنه حزب غير ديني وأدخل فيه بعض النّصَارى والنِّسَاء !! وتابعت الدّولة العنت ووضع الخطوط الحمراء وتنقل الإخوان بين البرلمان والمعتقلات وما زالوا كذلك إلى يومنا هٰذا، وتابعوا التنازلات والرُّضُوخ حتَّى رشحوا امرأة من الإخوان عَلى قوائم تحالفاتهم في الإسكندرية مؤخرا، وزداوا في تصريحاتهم انحرافا ولم يفد ذلك شيئا، ورغم أن الإخوان التزموا بكل الاعترافات المطلوبة من النّظام إلى الدستور إلى قوانين الانتخابات الّتي فرضتها الحكومة، ولكن دون أي فائدة أو جدوى، وما يزال مسلك الإخوان كما عبر عنه أحد قياداتهم رحمه الله في كتابه الّذي جعل عنوانه (من السّجن إلى الدّعوة) ولو عاش لأضافا إليه ومن الدّعوة للسجن، وطبعه في مؤسسة (وهكذا دواليك) لتكتمل الحلقة المفرغة.

- **من تجربة الإخوان المُسلِمِين في الأردن:**

الإخوان المُسلِمُون حزب رسمي مرخص له مكاتبه المعلنة في عمان وكافة المدن الأردنية ويعمل بصورة مشروعة رسمية، وقد قرر الإخوان دخول الإنتخابات وخوض التَّجربة منذُ أواخر الثَّمانينيَّات، وكانت سياسة الملك حسين هيَ إفساح المجال لهم كلما أحاطت به الملمات إلى أن مات ! فكان عام ١٩٩٠ ذروة أزمة بالنسبة له بسبب حرب عاصفة الصَّحرَاء وموقفه المؤيد للعراق فافسخ لهم المجال، وأعلن الملك عن أنه شكل لجنة من ٦٥ (مشرع وقانُونيّ !) هكذا باللفظ ! لكتابة (الميثاق الوطني الأردني) وأن الأردن تجاوز مرحلة الضغوط الّتي حال بها العدوّ الصّهيونيّ بين الأردن وبين مزاولة الدِّيمقراطيَّة ! !

وخاض الإخوان الإنتخابات البرلمانية وحازوا كتلة برلمانية كبيرة وأصبح رئيس البرلمان عضو الإخوان المُسلِمِين (عبد اللطيف عربيات) وافتتح أولى جلساته بقوله (مولاي الملك حسين المعظم، لقد أثبت أنك هاشميا أصيلا كما كنت دائما يعربيا أصيلا)، وشكل الملك حكومة من الإخوان المُسلِمِين فيها خمس وزراء، أذكر أنه كانَ من بينهم الأستاذ شاعر الدّعوة الكبير يوسف العظم وزيرا للشؤون الاجتماعيَّة، وتسلم الدكتور ماجد نجل الأستاذ عبد الرَّحمٰن خليفة المراقب العام للإخوان المُسلِمِين وزارة العدل ! (أي وزارة الحكم بالقانون الفرنسي والإنجليزي بغير ما أنزل الله!)، وانجلت أزمة الملك فأغلق المجال وعاد الإخوان لحجمهم المعهود، ودخلوا في تحالفات إسلاميّة عريضة وشكلوا مع إسلاميين آخرين(جبهة العمل الإِسْلَاميّ) ومنذ ذلك الحين مازالت الجبهة تدخل المحاولات البرلمانية وكان آخرها الإنتخابات الّتي حصلت أواسط ٢٠٠٣ حيث شرعت الدّولة للإنتخابات طريقة الصوت الواحد للدائرة الإنتخابية فخرجت الأغلبية من المؤيدين للملك ولم تحصل الجبهة إلا عَلى ١٥ مقعد، وطعنت في مشروعية الإنتخابات ولكن بقيت في المجلس المطعون بهِ !

وخلال هذه التَّجَارب كتب عدد من دكاترة الشّريعة وعلماء الأردن عددا من الكتب والبحوث الّتي تؤطر وتنظر للفقه البرلماني المعاصر ! فذهب البعض لجواز دخول البرلمان (الهيئة التَّشريعية) وحرمة دخول التنفيذية لأنها حكم بغير ما أنزل الله، وذهب البعض لحل دخول الوزارة لأنها وظيفة وحرمة البرلمان لأنه تشريع من دون الله ! وذهب فريق ثالث لحل الوجهين، وأفتى فريق رابع بحرمة الأمرين، ولكنه عَلى رأي الجماعة ! وعلى شباب الصّحوة أن يصبروا فمن يتصبر يصبره الله! والدّين يسر !

- **تجربة الإخوان المُسلِمِين وحزب التجمع اليمني للإصلاح:**

ما أذكره أنهم خاضوا أول انتخابات قامت بعد الوحدة سنة ١٩٩٣م بعد مصادمات كبيرة ومظاهرات من أجل وضع كلمة (**الشّريعة هيَ المصدر الأساسي للتشريع**) في مقدمة الدستور العلماني والقانون الوضعي ! وبعد أن خرج أكثر من مليون مسلح في تظاهرات تحتج عَلى الدستور وساروا إلى القصر الرئاسي، خرج لفيف من قيادات الإخوان والعُلَماء وعلى رأسهم الشَّيْخ الزنداني وأعادوا النّاس إلى بيوتهم درءا (**للفتنة**)! وكانت سياسة علي عبدالله صالح تقريب الإِسْلَاميّين من أجل كسر شوكة الاشتراكيين الشُّيُوعِيّين القادمين من الجنوب مع الوحدة، ففتح البَاب للإسلاميين وصار التجمع

اليمني للإصلاح ثاني حزب في البلاد من حيث القوّة، وكان قد وضع نظام! لحكم اليمن الموحد عبر مجلس رئاسي من ٥ أعضاء، يرأسهم علي عبدالله صالح وبعضوية رئيس اليمن الجنوبي (علي سالم البيض) وعضوية (الشَّيْخ عبد المجيد الزنداني) !

وأدت سيطرة الإصلاح لحصار الجنوبيين في البرلمان، فبدؤوا يعدون للانفصال بدعم من دول مجلس التّعاون الخليجي والسّعُودِيّة مما أدى للحرب الّتي أدت إلى خروج الاشتراكيين وسيطرة اليمن الشمالي عَلى الجنوبي حيث قام الإخوان والإِسْلَاميّون عموما بالدَّور الأساسي للمجهود الحَربي، فلما تمكن الرَّئيس صالح بعد الحَرب عادت وقضى الرَّئيس منهم وطرا، عادت السّياسة إلى تقليص دور الإِسْلَاميّين فعادوا كتلة برلمانية محدودة، وفي دورة ١٩٩٦م: فاز حزب المؤتمر الّذي يرأسه علي عبدالله صالح بأغلبية ساحقة أكثر من ٧٠٪ وتقلص حجم الإصلاح كثيرا، وفي الدَّورة الأخيرة ٢٠٠٣ تكرر السيناريو.

- **أما في تونس:**

فقد أدى نجاح حزب النهضة بأكثر من ٨٦٪ من مقاعد الانتخابات التمهيدية أواخر الثَّمانينيَّات، إلى حلّ الحزب ومطاردة شيخه الغنوشي وعودة علي زين العابدين للنظام الديكتاتوري بدعم أمريكي وتحول الإِسْلَاميّون إلى مجموعة مطاردين في المهجر، وها هو زين العابدين قوم في إجراء انتخابات رئاسية خلال شهر أوكتوبر ٢٠٠٤، فاز فيها بطريقة ديمقراطية خالصة بنسبة ٩٥، ٩٦ ٪، فقد غرم به الشعب إثر ولايتين مضتا وها هو يعشقه حتَّى الموت !

- **وفي الكويت:**

دخل الإخوان والسلفيون وبعض المستقلين من الإِسْلَاميّين انتخابات مجلس الأُمّة ودخلوا في صراعات مسائل الفساد وبعض الأمور الداخليَّة، حيث لا يصل نفوذ المجلس إلى الأمور السيادية من السياسات الداخليَّة والخارجيّة الّتي تنحصر بالإِرادَة الأميرية التَّابعة للأمريكان و، وأذكر أن الحياة البرلمانية علِّقت في الكويت أكثر من مرّة وحل البرلمان، وفي آخر دورة انتخابية في أغسطس ٢٠٠٣ حصل الإِسْلَاميّون من مختلف الفصائل كالإخوان والسّلفيّة عَلى أكثريه في البرلمان، والتجربة قيد الامتحان في عالم ما بعد سِبتَمبر واحتلال العراق، لتثبت ما أثبتته دائما.

- **أما في باكستان:**

فقد دأبت الجماعة الإِسْلَاميّة عَلى لعب دور إكمالي في الصِّرَاع بين الحزبين العلمانيين الكبيرين في باكستان، حزب الشعب الّذي كانت ترأسه العلمانيّة الشُّيُوعِيّة الفاجرة (بنزير بوتو)، وحزب الرابطة الإِسْلَاميّة الّذي أسسه (نواز شريف) بعد مقتل ضياء الحقّ الّذي كانَ قد عطل الحياة الدستورية، وقد تبادل الحزبان السّلطة عدّة مرات كانَ آخرها حكم نواز شريف للباكستان حيث برمجت أمريكا انقلاب (برويز مشرف) عام ٢٠٠٠ لتعطيل الحياة البرلمانية ثانية ثمّ أعاد مشرف شكلا من أشكال الحياة البرلمانية وتجمع الإِسْلَاميّون من الصوفية والجماعة الإِسْلَاميّة وبعض علماء الديوبند وبعض الشّيعة وغيرهم في (مجلس العمل المتحدMMA)، وحازوا المراكز الثّالث في الحجم حيث فاز أحد أجنة حزب الرابطة بالأغلبية وفاز بعده حزب بوتو وجاء مجلس العمل في المرتبة الثّالثة إلا أنه حاز المركز الأوّل في ولاية سرحد حيث تتكون باكستان من أربع ولايات ترتبط فدراليا بإسلام أباد وتتمتع حُكُومَات الولايات باستقلالية داخليَّة، وما يزال المد والجزر بين مجلس العمل من جهة ومشرف من جهة أُخرى وحيث خصفت له الحكومة السّياسيّة، وسرعان ما دخلت في فلك مشرف والسّياسة الأمريكيّة واقتصر دور الإِسْلَاميّين عَلى الإصلاح الجزئي في بعض القوانين الإِسْلَاميّة البسيطة في دائرة سرحد، وعلى الاحتجاج والتظاهر والصياح في المسيرات الغاضبة عَلى سياسات مشرف الّتي جعلت من باكستان مُستَعمرة أمريكية بالكامل، (راجع كتاب باكستان مشرف - المشكلة والحلّ والفريضة المتعينة - للمؤلف).

إلا أن أبلغ العبر كانت في المثال التركي والجَزَائِري الّذي كانَ يجب أن يشكل نهاية للآمال الدِّيمقراطيَّة لدى الإِسْلَاميّين ونقطة لإعادة تفكير قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة في جدوى الطّريق البرلماني كسبيل لإعادة حكم الشَّرعيَّة بما أنزل الله ولوضع حلول لمشاركة الأُمّة وقد عايشت هاتين التجربتين عن قرب وعن كثب ولاسيما في الجَزَائِرية، وإليك الخلاصة:

- **التَّجربة الدِّيمقراطيَّة للإسلاميين في تركيا:**

تمكن حزب السَّلامة الإِسْلَاميّ التركي بزعامة البرفسور نجم الدّين أربكان من الفوز عبر الانتخابات والوصول إلى منصب نائب رئيس حكومة سنة ١٩٦٩ فيما اذكر، وقد أدى تمدد الإِسْلَاميّين

إلى انقلاب عسكريّ أطاح بالتجربة الدِّيمقراطيَّة في تركيا وعاد بالبلاد إلى حكم العسكر، وبعد مد وجزر عاد السّياسيّون لتسلم زمام الأمور في السّلطة مع الاعتراف بهيمنة العسكر عَلى السياسات العامّة، ولكن حظر حزب السَّلامة الّذي غير اسمه وعاد إلى معاودة المحاولة تحت اسم (حزب الرفاه)، وعلى مدى عقد من الجهود تمكن (حزب الرفاه) من إحراز الأكثرية النسبية في انتخابات ١٩٩٦ البرلمانية حيث حاز لوحده عَلى نسبة ٢١٪ من مجموع الأصوات حيث لم يحرز اكبر الأحزاب العلمانيّة بعده أكثر من ١٨٪، وقامت الدُّنيَا وما قعدت واعتبرت هذه النَّتِيجَة في الغرب ناقوس خطر، وشكل أربكان وزارة ائتلافية برآسة لم تعمر إلا سنة واحدة، ورغم أنه استجاب لكل الضغوط وحصلت في عهده تنازلات رهيبة مثل التوقيع عَلى التّعاون العسكريّ مع إسرائيل وسوى ذلك، إلا أن ذلك لم يغير من النَّتِيجَة فقد تمكن العلمانيون من عمل انقلاب سياسي دبر لأربكان والرفاه خلالها تهما ملفقة حكم بموجبها عليه بإبعاده عن السّلطة وحل (حزب الرفاه) ومنع أكبر قياداته من بينهم أربكان من مزاولة العمل السّياسيّ، وعاود الإِسْلَاميّون الكرة وشكل فلول (حزب الرفاه) حزبا جديدا باسم (حزب الفضيلة) الّذي خاض الإنتخابات مرّة ثالثة وتحول إلى أقلية ثمّ تعرض للحظر والمضايقات للمرة الثّالثة، ليشكل (رجب طيب أردوغان) أحد أعوان أربكان (حزب العدالة للتنمية) عَلى أسس (علمانية إسلاميّة) وليخوض الإنتخابات مرّة ثالثة ويفوز عام ٢٠٠٢ بأغلبية كبرى ٣٦٪ من مقاعد البرلمان حيث تمكن من تشكيل حكومة ما تزال تعلن صباح مساء عن علمانيتها وتدخل في مد وجزر مع السياسات الأمريكيّة الّتي رسخت أقدامها في المنطقة حيث تحاول الحكومة التركية **(العلمانسلامية)** التوفيق بين جُذُور هويتها ومطالب الشارع الإِسْلَاميّ وبين الضغوط الأمريكيّة من الخارج وتهديدات العسكر وضغوط العلمانيين من الداخل

- **التَّجربة الدِّيمقراطيَّة للإسلاميين في الجَزَائِر:**

في سنة ١٩٨٩ أعلن الرَّئيس الجَزَائِري الشاذلي ين جديد بعد (مظاهرات الخبز) الشهيرة سياسة للإصلاح جعل من أولياتها إطلاق حرية الأحزاب وإلغاء سياسة الحزب الواحد، وسارع الإِسْلَاميّون من مختلف التّيارات إلى تشكيل ما عرف باسم (الجبهة الإِسْلَاميّة للإنقاذ) الّتي ضمت كامل الطيف الإِسْلَاميّ تقريبا في حين بقي تجمعان من الإخوان المُسلِمِين يعملان بصفة مستقلة هما (جماعة الإخوان)

وجماعة (النهضة الإِسْلَاميّة) المحليَّة في حين كانَ الحزب الحاكم (جبهة التحرير الوطنيّة) هو القوّة الرَّئيسيَّة في البلاد إلى ذلك الوقت منذُ الإستقلال، وخلال الإنتخابات البلدية اكتسحت جبهة الإنقاذ المجالس البلدية بنسبة أكثر من ٨٥٪ واستطاعت عبر تماسها بالجماهير وقاعدتها الشعبيَّة الّتي تجاوزت ٣,٥ مليون ناخب أن تدخل الإنتخابات البرلمانية بقوة أواخر سنة ١٩٩٠ وتكتسح الأغلبية السَّاحقَة في الدَّور الأوّل، مما أكد فوزها الساحق بالدَّور الثّاني الّذي سيتم مطلع ١٩٩١ وبالتالي تأهلها لأن تشكل الحكومة بشكل مستقل وأعلن زعيما الجبهة (عباسي مدني وعلي بلحاج) عزمها عَلى إقامة حكومة إسلاميّة تحكم الشّريعة، استنفر الغرب عموما وفرنسا خُصُوصَاً وهدد الرَّئيس الفرنسي ميتران بالتدخل العسكريّ إن لزم الأمر للحيلولة دون وصول الإِسْلَاميّين للسلطة، وعلى عجل رتب الغرب انقلابا عسكريّاً مطلع ١٩٩١ قضى عَلى الجبهة الإِسْلَاميّة وسجن زعماءها واقتاد عشرات الآلاف من أنصارها للمعتقلات الصحراوية، مما فجر حركة جِهَاد واسعة الانتشار ودخول أطراف كثيرة عَلى خط الصِّرَاع وتحول المواجهات إلى أعمال عنف وحرب أهلية دامية راح ضحيتها إلى اليَوْم أكثر من ١٥٠ ألف إنسان.

واليوم يعلن زعماء الغرب في تصريحات مختلفة مبدأ واحدا، (نريد تطبيق الدِّيمقراطيَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ ولكن بلا إسلاميين ولا أصوليين) وتحول هذا الطرح بعد سِبتَمبر إلى قولهم: (كلّ إسلامي هو أصولي متطرف وليس هناك معتدلون) وازدادت شروط العنت حتَّى أخرجت ما يسمى بديمقراطية وحياة دستورية نيابية عن فحواها من حيث الواقع وما زال بعض الإِسْلَاميّين يراها المجال الوحيد لتقديم ما يمكن تقديمه.

(راجع كتاب: ندوة روما في ظلال صليب الفاتيكان – وكتاب: شهادتي عَلى الجِهَاد في الجَزَائِر ١٩٨٩- ١٩٩٦ – للمؤلف).

خُلاصة ما يستفاد من التَّجَارب العمليّة للإسلاميين في الدِّيمقراطيَّة:

١. أن الشّعوب الإِسْلَاميّة تعيش صَحوَة إسلاميّة حقيقية رغم مظاهر الفساد والإنحلال وألوان الفسوق الّتي تفرضها أو تسهلها السُّلطات لمحو معالم الدّين من حياة المُسلِمِين، وقد أثبتت التَّجَارب أن أي بلد عربي أو إسلامي يخوض فيه الإِسْلَاميّون انتخابات ديمقراطية حقيقية فإنهم سيفوزون بالأغلبية.

٢. أثبت الغرب ونوابه من الحكَّام في بلاد العَرَب والمُسلِمين أنهم مصممون عَلى وضع العراقيل والخطوط الحمراء عَلى طريق مشاركة الإِسْلَاميّين ومنع وصولهم لتحقيق كتل فاعلة في السُّلطات الثّلاثة، كما ثبت أنهم مستعدون فيما لو لم تؤد هذه الموانع إلى تحجم دور الإِسْلَاميّين وتهميش وجودهم إلى اللجوء إلى الانقلابات السّياسيّة أو العسكريّة أو المؤامرات للحيلولة دون ذلك، وهكذا حالوا بين الإِسْلَاميّين والسّلطة في الجَزَائِر قبيل وصولهم بقليل وأطاحوا بهم بعد وصولهم بقليل في تركيا ونجحوا في تضييع جهودهم في باقي التَّجَارب.

٣. أثبت معظم (الإِسْلَاميّون الديمقراطيون) أنهم مستعدون لتقديم التنازلات تلو الأخرى بلا حدود ولا ضوابط، لا من الشَّرع ولا من المنطق، ولا من الكرامة السّياسيّة المعقولة، إزاء عنت السّلطة وتلاعباتها، مقابل ممارسة ما يمكن ممارسته من هذا (العبث الديمقراطي المهين).

٤. أثبت كثير من الديمقراطيين الإِسْلَاميّين استعدادهم لأن يكونوا جزءا من السّلطة عبر انتمائهم لأجهزتها التَّشريعية وجزءا من جهاز الحكم عبر تسلمهم الوزارات بصرف النَّظر عن مناقضته ذلك لصريح الدّين ولوازم ذلك مما لا يسوغه دليل ولا يقوم عليه برهان.

٥. أثبت كثير من (الإِسْلَاميّين الديمقراطيين) اشتراكهم إلى جانب حُكُومَاتهم الّتي صاروا جزءا منها ومن سلطاتها الثّلاثة أو بعضها أنهم مستعدون تحت شعار (مصلحة الدّعوة) إلى محاربة التّيار المُجَاهد والنُّخبَة المُقاوَمة للحكام وأعوانهم المُستَعمرين في الأُمّة، وذهب بعضهم إلى أمثلة مخزية نعرض عن ذكرها هنا للحفاظ عَلى المنهج الّذي اخترناه للكتاب.

٦. حقيقة الأمر أنه وكما كنت قد تَوَصَّلت إلى ذلك وأعلنته في محاضرة لي بعنوان (المعادلة السّياسيّة للنظام العَالَمِيّ الجَدِيد) ألقيتها في بيشاور في مركز النور في جمع من المُجَاهدين العَرَب صيف ١٩٩٠، فقد أثبت الإِسْلَاميّون الديمقراطيون أنهم مستعدون لأن يكونوا جزءا من قوى النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد وأن يسيروا في ركاب مخططاته من حيث شعروا وأرادوا أو جهلوا ولم يدركوا ما يفعلون بسبب انخراطهم في هذا الفخ الديمقراطي الخطير.

وفي الختام هنا يجدر بنا أن نعرض لبعض اللفتات السّياسيّة الشّرعيَّة في موضوع ممارسة الدِّيمقراطيَّة من قبل الإِسْلَاميّين والَّتي تشكل خُلاصة وجهة نظرنا في هذا الموضوع:

ممارسة الإِسْلَاميّين للديمقراطية في ميزان السّياسة الشَّرعيَّة الإِسْلَاميّة.

باختصار ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن (الدِّيمقراطيَّة) بصفتها فلسفة ومعتقدات فكريّة وبصفها نظام حكم له تفاصيله وقوانينه، تتناقض تناقضا كاملا مع عَقِيْدَة الإِسْلَام، وتصادم بشكل واضح جوهر عَقِيْدَة توحيد الألوهية كما سبق بيانه، حيث أن عَقِيْدَة الإِسْلَام تجعل حق التَّشريع والتحليل والتحريم والإباحة والمنع لله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وتجعل له وحده حق الحكم النافذ الملزم الّذي تستوجب طاعته الثواب ومخالفته العقاب في الدُّنيَا والآخرة، في حين أن الدِّيمقراطيَّة تنص صراحة عَلى جعل هذا الحقّ للبشر، وتجعل أحكامهم نافذة واجبة التطبيق بمقتضى إِرادَة الأغلبية الّتي تعبر عن إِرادَة الشعب وممارسة الأُمّة لحق السيادة المطلقة كما بينا آنفا، سواء وافق هذا شرع الله أم خالفه، فمبادئ الدِّيمقراطيَّة من هذه الوجهة هيَ إما كفر بالله أو شرك به، وهذه النقطة هيَ أساس حرمتها ومصادمتها لدين الإِسْلَام وهي الّتي تفرعت عنها من بعد كلّ مناحي تناقضاتها مع عَقِيْدَة التّوحيد،

وأما عن وجوه تناقض الدِّيمقراطيَّة مع دين الإِسْلَام، فمن ذلك:

أولا: تعطي الدِّيمقراطيَّة لكل مواطن حرية الاعتقاد والتَّفكير، فله أن يعتقد بما شاء ويكفر بما شاء، وأن يبدل معتقده وقناعاته بحسب هواه وآرائه الشَّخصيَّة.

وهذا مناقض تماما لمفهوم الحريَّة في شريعة الله، فالإنسان في دين الإِسْلَام، ليس حرا في أن يكفر بالله ويشرك به، فالمسلم حكمه إن ارتد عن الإِسْلَام في شريعة الله القتل كما روي عنه ﷺ في الحديث الصَّحِيح «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[1]، ولم يقبل رسول الله ﷺ وخلفاؤه الرّاشدون من بعده من العَرَب إلا الإِسْلَام أو السّيف، وأمر الله تَعَالَى رسوله والمُؤمِنُون أن يقاتلوا الّذين أوتوا الكتاب حتَّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وأن يخيروهم بين ثلاث (الإِسْلَام أو الجزية أو الحَرب)، فقال تَعَالَى:

---

(١) البخاري: (٣٠١٧، ٦٩٢٢) وأصحاب السنن.

﴿قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَـٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة]

وقال: ﴿قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَـٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦﴾ [الفتح].

وليس هنا محل الاستطراد والشواهد كثيرة في نصوص القران والسنة والسيرة وتاريخ صدر الإِسْلَام.

ثانيا: تعطي الدِّيمقراطيَّة للإنسان حق التعبير عما شاء بما شاء كيفما شاء ومتى شاء! عبر كافّة وسائل التعبير من كتابة وخطابة وإشارة وصحافة وغير ذلك،

في حين تقنن الشّريعة الإِسْلَاميّة وبدقة وتفصيل كبير حق التعبير، هذا فليس للإنسان أن يستعلن بالكفر وليس له مسلما أو ذميا أن يستعلن بالاعتداء عَلَى الدّين وشعائره ومقدّساته، والتفاصيل كثيرة جدا جدا، ففي دولة الإِسْلَام؛ من استهزأ بشعائر الإِسْلَام من المُسلِمِين ارتد فيستتاب أو يقتل، ومن شتم رسول الله ﷺ قتل بلا استتابة ومن فعل ذلك وكان ذميا نقضت ذمته وقتل، ولا يبيح الإِسْلَام كما يزعم بعض زنادقة الدعاة من (الإِسْلَاميّين) كما يسمونهم! تحت دعاوى الحريات السّياسيّة في الإِسْلَام أن تكون للكفر صحفه ودعاته في دولة الإِسْلَام

وليس للإباحيين أن يكون لهم صحف عري ودعارة، وليس لمحطات التلفاز والصّحف أن تستعلين بالغناء والطرب والمجون والاختلاط وعروض الأزياء و..و..و...

فحرية التعبير مصانة في حدود الشّريعة وما أحل الله وما حرم، كما كلّ صغيرة وكبيرة في دولة الإِسْلَام، ووجه التناقض بين ما تتيحه الدِّيمقراطيَّة وما يسمح به الإِسْلَام لا يمكن استقصاؤه في هذه اللمحات الموجزة ولكنه أوضح من بيانه هنا.

ثالثا: تستند الدِّيمقراطيَّة في أساس مبادئها إلى مبدأ (المساواة المطلقة) بين البشر بصرف النَّظر عن العرق أو الجنس أو اللون أو الدّين أو العلم أو غيرها من الفوارق.

ولكن المساواة في مفهوم الإِسْلَام هيَ عَلى أساس التفاضل في الدّين، ثمّ في التقوى والعلم وما خص الله به الرّجال عَلى النِّسَاء من حقوق وواجبات، وغير ذلك.

فالدِّيمقراطيَّة تسوي في حقوق الترشيح للمناصب أو التصويت عليها أو عَلى أي تشريع بين النّاس، بين الكافر والمسلم، والمؤمن والملحد والبر والفاجر والخلوق والفاسق والعالم والجاهل والرجل والمرأة والعدل وساقط العدالة... إلخ ولكن للإسلام منظورا آخر، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ [القلم] وقال تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر] وقال تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦] وقال عزَّ من قائل:

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، وروي عنه ﷺ قوله: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[1]، «**مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ وَلَّوا أَمْرَهُم امْرَأَة**»[2].

ونصوص الشّريعة لا تبيح الإمامة – أي شكل من الإمامة عَلى المُسلِمِين – لكافر أو مرتد، بل ولا لظالم مبتدع من المُسلِمِين إبتداءا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٢٤﴾ [البقرة]، كما تنقض إمامته لو طرأ عليه الكفر والردة إجماعا، وبالفسق والظُّلم بحسبه عَلى خلاف بين العُلَماء.

كما تكفل الشّريعة للذمي الكافر حقوقه الدّينيّة والشخصية، وألا يُعتدى عَلى دمه وماله وعرضه وذمته، ما لم ينقضها بعدوان.

ولكن الشّريعة لا تجيز استعمال الكافر في أي من أمور الدّولة، ولا تبيح أن يكون في مكان يكون له فيه يد عَلى مسلم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۝١٤١﴾ [النساء]. بل إن الشّريعة تجرد المسلم الفاسق المجاهر بالمعصية من عدالته، وتنزع منه حتَّى حق الشَّهادة.

وإدارة الدّولة في الإِسْلَام لأهل الحلّ والعقد من أولي الأمر من العُلَماء والأمراء المُسلِمِين المُؤمِنِين ولا حق فيها لكافر ولا مجاهر بفجور من المُسلِمِين، وقد روي عنه ﷺ قوله: «**لِيَلِنِي مِنْكُمْ، أُولُو الْأَحْلَامِ**

(١) رواه البخاري: (٣٠١٧، ٦٩٢٢) وأصحاب السنن.

(٢) رواه البخاري: (٤٤٢٥، ٧٠٩٩).

وَالنُّهَى»[(١)]، فالمسؤوليات ليست حتَّى لعوام المُسلِمِين فضلا عن الفاسقين غير العدول منهم بله الكافرين.

ولما رأى عمر ﵁ اجتماع النّاس من القبائل والأعراب عَلى باب سقيفة بني ساعدة، فيما كانَ سادات المُهَاجِرين والأنصار من الصّحابة مجتمعين لبحث خلافته ﷺ، خرج إليهم ﵁ وسألهم فيم اجتماعهم وعما جاء بهم، فأجابوه بأنهم جاؤوا ليشاركوا في الأمر، أمر الولاية بعده ﷺ، فقال لهم: (**ليعد صاحب المصنع إلى صناعته وصاحب العمل إلى عمله، إنما الأمر للمهاجرين والأنصار من أهل المدينة والنّاس بعد ذلك لهم تبع**).

هذا بعض وجوه تناقض الإِسْلَام والدِّيمقراطيَّة في المساواة.

رابعا: تعطي الدِّيمقراطيَّة لنواب الأُمّة في البرلمان حقا زائدا من الحصانة في التعبير والإدلاء بآرائهم وتعفيهم من المتابعة والمقاضاة تبعا لما يصرحون به من آراء.

وعلى هذا نصت معظم دساتير الدّول الدِّيمقراطيَّة، وحتى الهمجية الديكتاتورية الّتي تزعم الدِّيمقراطيَّة في بلاد المُسلِمِين.

ومن هنا يحق لكل ملحد وعلماني وصليبي ومارق، ما دام عضوا في البرلمان أن يتفوه بما يريد، ويدعوا للتشريع لما يريد، ويجحد ما يريد، ويدعو لقداسة ما يريد، وللتحليل والتحريم برأيه، وفي هذا ما لا يخفى من جحود الشّريعة والاستهزاء بها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، والدّعوة لتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، فضلا عن الهزء بشعائر الدّين ومقدّساته وما إلى ذلك.

فكيف بالمسلم عضو البرلمان أن يجلس في هذه المجالس والله تَعَالَى يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء]، لَا إِلَٰهَ إِلَّا الله، وسبحان من أحاط علما بالأولين والآخرين وما كانَ وما سيكون.

---

(١) رواه مسلم (٤٣٢).

خامسا: تنص مبادئ الدِّيمقراطيَّة والفقه الدستوري المنبثق منها عَلى أن التَّشريع يأخذ مشروعيته من وجود أغلبية مؤيدة وأقلية معارضة، وينصون عَلى أن لا دستورية لقانون بغير حق معارضة.

ومن هنا يأخذ التَّشريع قيمته الدِّيمقراطيَّة، إذ لو امتنع حق المعارضة لصار تشريعا ديكتاتوريا ومفروضا لا يستحق أن يأخذ صفته الدستورية لأن الأُمّة (صاحبة السيادة والجلالة) وفق هذه الفلسفة لم يستوف أفرادها حقهم في المعارضة، وعلى هذا فالتَّشريع انبثق عن تأييد ومعارضة، أي بمعنى أنه قد شارك في التَّشريع من أيد بتأييده، وشارك فيه من عارض بمعارضته، فلما غلبت أكثرية المؤيدين أقلية المعارضين أخذ التَّشريع طريقه للإقرار ومشروعيته من خلال وجود أقلية معارضة.

فالمعارض شريك المؤيد في صناعة التَّشريع، وهذا ما قاله رئيس البرلمان المصري الهالك (رفعت المحجوب) لمندوب عن الاخوان المُسلِمِين في البرلمان المصري عندما صاح الأخير معارضا أحد التَّشريعات بأنه وحزبه لا علاقة لهم بذاك التَّشريع المخالف لشريعة الله، فصفعه رئيس المجلس بهذه القَاعِدَة، وأفهمه أنه شريك بمعارضته في التَّشريع - ورحم الله من عرف اللغة الّتي يجب محاورة المحجوب بها فأطاح برأسه وحجب عنه الحياة، إذ تجرأ أن يحجب حكم الله تَعَالَى، فقتله المُجَاهدون في مصر- فلينظر الإِسْلَاميّون إلى دورهم في إقرار ما خالف شرع الله رغم معارضتهم له.

سادسا: وهذه النقطة من أعظم مظاهر حرمة المشاركة في المؤسسات الدِّيمقراطيَّة وعلى رأسها البرلمان، إذ تنص الدِّيمقراطيَّة عَلى التزام جميع الأعضاء في المؤسسات الدِّيمقراطيَّة وعلى رأسها البرلمان عَلى مبدأ حرية تأييد أو معارضة أي تشريع أو قانون أو قرار مطروح للتصويت، ولكن ! وضع ما شئت من الخطوط الحمراء تحت هذه الـ (لكن):

يقر الجميع سلفا بمبدأ دستورية أو مشروعية أي قرار وأخذه قداسة التَّشريع حال التصويت عليه بالأغلبية. وإلزام الأُمّة به بصفته حلالا صوابا واجب الإنقاذ عَلى جميع أفراد الأُمّة.. بدءا من رأس الدّولة (نظريا). وانتهاء بأصغر فرد في الأُمّة (فعليا) مرورا بأعضاء البرلمان أنفسهم بمن فيهم من أيده أوعارضه.

فلو طرح مشروع لتقنين الربا أو أي محرم من المحرمات الصريحة.. أو السياسات المحرمة أو الخيانية مثلا. وهذا مثال قد تكرر كثيرا في جميع برلمانات البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة.. فقد وقف

(الإِسْلَاميّون الديمقراطيون) بالطبع موقف المعارضة.. وفازت كلّ تلك التَّشريعات المحرمة شَرعاً بالأغلبية نظرا بسبب لأغلبية العلمانيّة كما هو واقع الحال دائما حتَّى الآن. وهنا يأخذ التَّشريع صفته الدستورية من الأغلبية المؤيدة والأقلية المعارضة كما أسلفنا. وقد سلم (الإِسْلَاميّون)! كما كانوا قد أقروا سلفا بحكم قوانين اللعبة الدِّيمقراطيَّة، بإلزام الأُمّة بهذا التَّشريع. وبالرضا به وبالالتزام به والعمل عَلى إنفاذ في الأُمّة والحكم به بغير ما أنزل الله..

فمن أين استباح من يسمون أنفسهم (إسلاميون) هٰذا! ولكي يزداد الأمر وضوحا نأتي بمثال (شنيع) حتَّى يحصل الفهم بالصدمة!

فلو اجتمع نفر من الرّجال. ليصوتوا - ديمقراطيا - عَلى أن يزني كلّ واحد بزوجة الآخر وأن يجعلوا ذلك تشريعا يبيح أو يلزم الأُمّة بذلك!! وكان فيهم (أخيار) و(فجار). واتفقوا عَلى حرية التصويت والاختيار والتعبير. ولكن عَلى أن يلتزم الجميع بفعل ذلك إن خرجت نتيجة التصويت بالأكثرية وبمنعه إن غلب المعارضون..

فما حكم أن ينتسب شريف لمثل هذه الجلسة. مع علمه المسبق بأن أكثرية الحاضرين من (الدواويث)؟! وهل يكفيه أن يقول: أنا أرى أن مصلحة الدّعوة والمساهمة في إخراج تشريعات لعمارة المساجد والأمر بالمعروف من هذا المجلس، تقتضي أن أشهد التصويت عَلى هذا القرار !

فهل يمكن أن يسمى من يقبل مثل هذا ويلتزم بإعارة (زوجته) وتقنين هذه الموبقة وإلزام المُسلِمِين بها كي تشيع الفاحشة في الّذين آمنوا وفقا لرأي الأغلبية، مع الاحتفاظ (بشرف) حق الرفض أثناء التصويت، فهل يسمى من يقبل هٰذا، إلا ديوثا.. بل شيخ الدواويث المعمم !

وأرجو من القارئ ألا يستغرب المثال ! فهل فظاعة واقعة اغتصاب حق التَّشريع من الله سبحانه، أو عشرات وقل مئات التَّشريعات وآلاف القوانين والقرارات الّتي تصدر عبر البرلمان من تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله وإقرار السياسات الخبيثة والقرارات الخيانية الداخليَّة والخارجيّة؟! أقل فظاعة عند واحدهم من فظاعة تقديم عرضه! عَلى مائدة التصويت لأغلبية الدواويث ؟! أما لدين الله وعرض الأُمّة حرمة تستأهل الغيرة.

فقد أقسم الجميع بشرفهم ومعتقداتهم، وربما عَلَى القرآن عندما ترشحوا وعندما فازوا بعضوية الإنتماء إلى البرلمان أو الحكومة عَلَى احترام الدستور. وقوانين الأغلبية هذه وإنفاذها.

وأظن أن الأمر واضح. بل بالغ الوضوح. ولكنها كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

وبالله أقسم غير حانث – إن شاء الله – أن الغالبيّة العظمى من علماء وفقهاء الديمقراطيين الإِسْلَاميّين هَؤُلَاءِ.. يعلمون هذا الحقّ الّذي أسلفت. وهم الّذين علمونا إياه لما التحقنا بصحوتهم الإِسْلَاميّة قبل عقدين ونصف من الزَّمن، ولكنهم يخالفونه اليَوْم للهوى. كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل]

سابعا: وهذه خاتمتها.. وختامها (زفت) !

تنص الدِّيمقراطيَّة البرلمانية. ومبادئ سيادة الأُمّة وحكم الشعب والمؤسسة الدستورية ذات (السُّلطات) الثلاث. التَّشريعية والتنفيذية والقضائية.

تنص عَلَى الاحتكام للدستور. وللسلطة القضائية ومؤسساتها، من المحاكم المتنوعة وعلى رأسها المحكمة الدستورية العليا. حال الاختلاف بين أعضاء السّلطة الواحدة أو السُّلطات المتعددة.

من أجل فض المنازعات والخصومات والطعون المقدِّمة من النواب بين بعضهم أو بين البرلمان والوزارات أو بين أي مستوى وآخر عَلَى مستوى المواطنين والمؤسسات..

ومن الواضح والمعروف أن الدساتير كلها وضعِيَّة والقوانين علمانية لا دينية. وسيكون التحاكم بين الإِسْلَاميّين والسُّلطات حال الإختلاف إلى الدستور إلى تلك القوانين الّتي فصلت عَلَى أيدي الأَعدَاء والخصوم عبر محاكم السُّلطات ذاتها ووفق قوانينها!! ولا أصلح لو صف هذا الحال من قول المتنبي المشهور جدا..

يا أعدل النّاس إلا في معاملتي فيـــــــــــك الخصام وأنت الخصم والحكمُ

فلا يكفي أنهم قد تحاكموا إلى الطَّاغوت ! وبغير ما أنزل الله ! ليكتمل البلاء بأنها محاكمة للخصم وإليه ! وإلى قضائه ودستوره ومحاكمه.. ثمّ انتظار إحقاق العدالة والوصول كما يحلمون إلى تحكيم الشّريعة. من خلال هذه النجاسات المتراكمة ! الّتي تزكم أنف من كانَ له أدنى فطرة سليمة.

ومن هنا يتبدى للباحث المنصف عدم مشروعية ولا منطقية مصطلح: (ديمقراطية إسلاميّة) أو (إسلاميين ديمقراطيين).

فالدِّيمقراطيَّة عَقِيْدَة متكاملة مستقلة. قد صار لها عبر العصور القديمة والحديثة تفاصيلها الدستورية والقانُونيّة في كلّ مناحي الحياة السّياسيّة والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والدّينيّة وغير ذلك وهي بلا شَّكَّ (دين معاصر ونظام حياة) يتضمن تفاصيلا وأركانا أوضح بكثير وأشمل من (دين النّصرانية) فضلا عن سائر الأديان الوثنية وغيرها..

ويعد معتقدوها في العالم اليَوْم أكثر من تعداد أي دين آخر.. فقولهم:

(ديمقراطية إسلاميّة) هو من حيث المنطق كالقول (نصرانية إسلاميّة) أو (يهودية إسلاميّة) أو (بوذية إسلاميّة) كمصطلح.

وأما إطلاق مصطلح (إسلاميين ديمقراطيين) فكلام لا معنى له، يناقض أوله آخره وآخره أوله. وهو لا يختلف من حيث منطق الدلالة والتناقض عَلى قولنا (إسلاميين مسيحيين) أو سوى ذلك من الخلط غير الممكن لا منطقا ولا شرعا..

بل إن كلمة (إسلاميين ديمقراطيين) تعني إذا فهمنا المدلول بحسب دلالة ومحتوى كلّ كلمة تعني (مُسلِمِين مشركين) لأن مدعي هذه الصفة ينتمي إلى الإِسْلَام بشهادة لَاإِلَهَ إِلَّا الله محمّد رَسُولُ الله... ثمّ يشر ك وينتمي من حيث دلالة الشطر الثّاني من المصطلح إلى من يشرك البشر مع الله في حق التَّشريع والتحليل والتحريم بحسب ما مر معنا من تفاصيل.

لأن مقتضى الدِّيمقراطيَّة بحسب فحواها هو انتزاع حق السيادة والتَّشريع من الله – سُبحَانَهُ وتَعَالَى عن جحود الجاحدين – وإعطائه للبشر أو إشراكهم معه في هذا الحقّ الإلهي..

فإن معتقدي هذه العَقِيْدَة (الدِّيمقراطيَّة) صاروا عبدة لطواغيت البشر وعبدوا النّاس لهم طوعا أو كرها.

وهناك ملاحظة هامة جدا وهي:

إن بعض أقوال الإِسْلَاميّين الديمقراطيين وأعمالهم هيَ من أقوال الكفر وأعمال الكفر يقينا. وأما إسقاط حكم الكفر العيني عَلى آحاد مرتكبي ذلك، فله ضوابط معتبرة لدى أهل السّنّة والجماعة. من قبيل إقامة الحجة وانتفاء الجهل، وتحقق الشُّرُوط وانتفاء الموانع...

وهذا يكون من قبل من له أهلية القضاء. وليس من قبل عوام النّاس ولو كانوا من المُجَاهدين أو الدعاة الإِسْلَاميّين، فضلا عن الجاهلين والمتخوضين بغير علم.

وهذا الحكم الشَّرعيّ العام لا يعني كفر كلّ ديمقراطي إسلامي كفرا عينيا.

هذه هيَ الحقيقة شَرعاً ومنطقا بحكم مدلول دين الإِسْلَام ومعتقد الدِّيمقراطيَّة عَلى حقيقتها. مهما تبدوا هذه الحقيقة والصراحة مفجعة. ومهما تصادمت مع أهواء البشر والنّاس وما تعود تقديسه اليَوْم.

فلعل كلمة (ديمقراطية) من أكثر الكلمات تدأولاًاليَوْم في وسائل الإعلام من بين مصطلحات السّياسة وعلى كافّة موائد الحوارات ومن أكثر الكلمات والمبادئ قداسة واحتراما..

وهناك تمحكات كثيرة. وشبه متعددة وردود يثيرها هَؤُلَاءِ الّذين يسمون أنفسهم (إسلاميون معتدلون) أو(ديمقراطيون).. ولا أريد الاستفاضة باستقصائها والرد عليها هنا..

ولكن أهمّها اثنتان واحدة يتخذون منها حجة للإنتماء للبرلمان أي (السّلطة التَّشريعية) الّتي تنازع ربّ العزة جَلَّ جَلَالُهُ في حق التَّشريع. والأخرى يجعلون فيها دليلا للإنتماء إلى (السّلطة التنفيذية) وتسلم الوزارات والمناصب الرَّسميَّة. فينتمون بها إلى الكيان الحاكم بغير ما أنزل الله.

أما الأولى:

فهي أنهم يجعلون من قوله تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقوله تَعَالَى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] وسنة رسول الله ﷺ بفعل **الشورى**. دليلًا عَلى جواز أن يضم البرلمان من هبَّ ودبَّ من المُسلِمِين والعلمانيين والملحدين والمُؤمِنِين والرّجال والنِّسَاء والجهَّال والعُلَمَاء والعدول والسَّاقطين.. ليكونوا محل شورى لوليّ الأمر..بل محل تشريع بالأغلبيَّة!! ورد هذه الشّبهة السّخيفة أوضح من أن يتجشّم بيانه.

ولله درّ العلّامة المحدّث أحمد شاكر عندما شرح في كتابه عمدة التفاسير بعض ما يتعلق بقوله تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، وقوله تَعَالَى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.

قَالَ ما أستفيد منه كشاهد هنا وأشرحه موضحا بما يلي:

قَالَ بأن: [الضالين والجهال، في هذا الزّمان قد اتخذوا من هاتين الآيتين هزوا ليثبتوا ما يذهبون إليه من ضلالهم، فاعتبروها دليلا عَلَى مشاركة كلّ برّ وفاجر. وكافر وزنديق في عمليَّة الشّورى وحقّ السّلطة بدعوى الدِّيمقراطيَّة]. وأوضح رَحِمَهُ اللهُ بأن الآيتين صريحتين بقوله تَعَالَى: (وأمرهم)، (بينهم)، والضمير: (هم) عائد عَلَى المُسلِمِين المُؤمِنِين، الآمرين بالمعروف الناهين عن المُنكر، وهي مبينة بقوله ﷺ: «لِيَلِنِي مِنْكُمْ، أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى»(١) أي أصحاب الدّين والخلق والعقل والرّأي السّديد الرّاجح من وجوه القوم. وهي لا تشمل بحال ؛ العصاة والفساق من المُسلِمِين ناهيك عن الكفّار والملحدين والزنادقة من علمانيين وشيوعيين، (ولا حتَّى النِّسَاء حتَّى المؤمنات المأمورات بما خصّهنّ الله به من القدر والرّفعة والعفاف واعتزال مجامع الرّجال). ناهيك عن ملحدات النِّسَاء من المسترجلات المتزندقات.

فأما الذّمّيون من الكفّار فهم رعيّة منصرفون إلى شؤونهم تحت رقابة الدّولة محل العدل معهم لذمتهم، ومحل الذّلة والصّغار لكفرهم.

وأما ملاحدة المُسلِمِين فمكانهم – كما قَالَ الشَّيْخ رَحِمَهُ اللهُ – محلهم تحت السّوط أو السّيف. أي لتأديبهم بالسوط كي تشفى أدمغتهم من نزغات شياطين الإنس والجن. أو لقتلهم وإراحة البشرية من شرورهم ودنسهم. وليس محلهم المشاورة في مصالح المُسلِمِين..

فهذا الّذي بينه الشَّيْخ وشرحته بالمزيد ليفهم من عضل فهمه..هو من بديهيات دين الإِسْلَام وشريعة الرَّحْمٰن..وقد صار في هذا الزّمان (البوشي الرامسفيلدي الكونديليسي – العبيكاني السديسي..) التعيس، صار من غرائب القول..

هذا ناهيك عن أن المشورة هيَ في مواضع الفكر والاجتهاد وليس فيما أثبتته نصوص الشّريعة والأحكام. فهذه محلها الانقياد لها والقول ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ وأما هذا الإلحاد الّذي يدور في ردهات البرلمانات في بلاد المُسلِمِين. فليس من الشّورى وإنما هو من الكفر بالله والإشراك به، وهي جلسات أقل مما يتوجب عَلَى المسلم أن يبتعد عنها ويكفر أهلها ويعاديهم.. ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

---

(١) رواه مسلم (٤٣٢).

وأما الثّانية:

فهو زعمهم حلّ تسلم الوزارات والمناصب في حُكُومَات الفراعنة والطواغيت بدليل أن سيدنا ونبينا (يوسف) ﷺ طلب هذه الوزارة وتسلمها من الفرعون عندما قَالَ له: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ۝٥٥﴾ [يوسف]. وللأسف فقد كانَ شيخنا سعيد حوى – غفر الله له – من أوائل من أطلق هذه الفرية في كتابه (دُروس في العمل الإِسْلَامِيّ)، مطلع الثمانينات. ثمّ تتابع خرز المسبحة لما انفرطت!

وهذا زعم بَاطِل من وجوه كثيرة. وأوضح أدِلّة البطلان لو سلمت النفوس من الأهواء. ومن احتراف استغلال نصوص القران في غير مواضعها.. يتبين من وجوه عديدة ومن ذلك:

أولا: نسأل هَؤُلَاءِ (الإِسْلَاميّين الوزراء) في حُكُومَات البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة اليَوْم. **هل تسلمون بأن حكامكم هَؤُلَاءِ فراعنة. كفّار؟ مرتدون؟** لأنّ دليلكم وزعمكم هو (على جواز استلام الوزارة في حكومة الحاكم الكافر الفرعون ؟)... فإن قالوا لا. وحكامنا مسلمون فلا داعي للاستشهاد بهذه الحجة. لأن تسلم الوزارة عند ولي الأمر المسلم جائز من حيث المبدأ. وإن كانَ البعد عن الفجار والظُّلمة منهم هو المأمور به شرعا.

وإن قالوا نعم: فنطالبهم بإعلان ذلك. وإعلان وجوه كفر حكامهم وردتهم ثمّ براءتهم منها. ثمّ بيان وجهة نظرهم في المصلحة في عملهم عندهم وأدلة جواز ذلك بعد ذلك.

وليعلنوا كما أعلن نبينا يوسف ﷺ أن حكامنا فراعنة كفار.. فقد قَالَ يوسف: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٠﴾ [يوسف].

فأين قول يوسف ﷺ وإعلانه أس التّوحيد وأساسه، من نعيق الديمقراطيين الإِسْلَاميّين بمديح الفراعنة والطبطبة عليهم، ووصفهم بالملك صاحب الجلالة والعظمة !وأمير البلاد المعظم، وسيادة الرَّئيس..والسادة الوزراء أصحاب المعالي! وتدليس أحوالهم وأحوال دساتيرهم الكافرة والاحتكام إليها. !

ثانيًا: فإن قالوا: نعم، وأقروا بكفر حكامهم وأنهم فراعنة مرتدّون، ننتقل لإسقاط حجّتهم هذه من وجوه عديدة..

١- إنه لو جاز لسيّدنا يوسف أن يفعل هذا فهو من أحكام شريعة من قبلنا. الّتي لا تعتبر شريعة لنا إذا نسختها شريعتنا.. وشريعتنا ناسخة لهذا.. فالله تَعَالَى يقول: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٤٤﴾ [المائدة]، بصفة العموم (من) أي كلّ من.. ولقوله تَعَالَى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾ [المائدة]، وقد بيّن علماؤنا المفسرون أنّ فاعل ذلك كافر مشرك من جملة الكفّار بصريح اللفظ الّذي حكم بأنّه منهم.

٢- عَلَى فرض جواز ذلك بشروطه ووجوه قياسه الصَّحِيحة. فليُنظر إلى تفاصيل استلام سيدنا يوسف عليه السلام لتلك الوزارة المزعومة عند الفرعون في كتب الآثار وأقوال السَّلَف من المفسّرين في ذلك:

** نقل بعض السَّلَف أن فرعون مصر الّذي كانَ في زمن يوسف عليه السلام قد آمن بدعوة نبي الله يوسف للتوحيد لما كلمه. نقل ذلك عن مُجَاهد في تفسير الطبري ج٨/ ١١ (**قَالَ مُجَاهد: أسلم الملك الّذي كانَ معه يوسف**). كما نقله ابن كثير عن مُجَاهد أيضا (انظر ابن كثير تفسير الآية ٥٦ من سورة يوسف)

** أن الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى ذكر صراحة أن الملك قَالَ ليوسف: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ۝٥٤﴾ [يوسف].

ووصف الله حاله بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٦﴾ [يوسف]. وأشار القرآن إلى أن يوسف استطاع تطبيق شرع الله في مصر عندما حكم بأخذ أخيه، فقال تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]

أي بحسب شريعة الملك ونظامه. ولكن يوسف طبق شريعة دينه ودين آبائه يعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم السّلام وهي دين التّوحيد.

فأين إذا وجه القياس بين فراعنة حُكَّام بلاد المُسلِمِين الّذين يستوزر عندهم هَؤُلَاءِ الدعاة الأدعياء وعلماء السّلاطين، وبين ملك مصر الّذي:

- إما أنه أسلم كما دلالة ظاهر النّصوص وروايات بعض السَّلَف.
- وإما أنّه مكّن ليوسف وأسلمه مقاليد الحكم. حتَّى صار مكينًا أمينًا يتبوَّأ من الأرض حيث يشاء..

فهل هذا حال الدعاة الّذين يتنقلون بين البرلمان والسّجون! فيتركهم الطَّاغوت تارة، وينزعهم أُخرى! ويسجنهم تارة ويتيح لهم الترشيح أُخرى! يتبوؤون من السّجون حيث يشاء الطَّاغوت وقت ما شاء. وليس كحال يوسف عليه السلام يتبوأ من الأرض حيث يشاء..

فهل تولى أحد من الدعاة وزارة أو حكمًا ممكنًا تمكين يوسف في الأرض حتَّى يجعل فعله عليه السلام شاهدا لهم ؟!

هذه أهمّ استدلالات هَؤُلَاءِ الزّائغين من دعاتنا وعلمائنا وللأسف وقد بان سقوطها.

وأما غير ذلك من الاحتجاجات والمزاعم فمن ذلك: احتجاجهم بولاية النّجاشي للحبشة من غير قدرة عَلى أن يحكم بشرع الله.

ومنها ادعائهم أنّهم عندما يقسمون بالله عَلى احترام الدّساتير والقوانين الكفريّة إنّما يبيتون (سرّاً)! نية استثناء البَاطِل والقسم عَلى الحقّ فقط!

ومنها أنهم لم يدخلوا بنية التَّشريع وإنما بنيّة الإصلاح!

وغير ذلك فكلها متكآت متهافتة لا تثبت أمام دليل شَرعِيّ ولا تفسير منطقي ولا تحتملها مداليل اللغة العربيَّة ولا لغة الهنولولو !

ويضيق المجال عن سرد الردود عَلى تلك الخزعبلات، وليس محله هنا. وأعتقد أن مما أوردنا في هذا البحث الموجز من بيان حقيقة الدِّيمقراطيَّة وجوهر مبادئها. وعن حقيقة تطبيقها لدى أهلها وتناقضهم مع مبادئها ذاتها ثمّ حقيقة وصور تطبيقاتها المضحكة في العالم الثّالث ومنه الإِسْلَاميّ والعربي في بلادنا.. وفي بيان حقيقة مفهوم السيادة في الدِّيمقراطيّة والعلمانيّة وتناقضه مع مبادئ الحاكِمِيَّة في الشّريعة الإِسْلَاميّة.. وفي نقلنا لبعض صور نتائج تجارب الإِسْلَاميّين مع الدِّيمقراطيَّة. وفيما ختمنا به من بيان تصادم حقيقة الدِّيمقراطيَّة مع جوهر دين الإِسْلَام. ووجوه حرمة ممارستها.. في هذا كفاية لإيضاح الأمر. وألفت النَّظر إلى نقطتين هامتين وأكرر:

أولاً: لا يعني اعتقادي وقولي بأن مدلول مصطلح (إسلاميين ديمقراطيين) يعني قولنا (مُسلِمِين مشركين) من حيث دلالة كلّ كلمة في المصطلح علىَ فحواها. لا يعني ذلك أنّي أعتقد بكفر كلّ من يدعون لأنفسهم هذا المسلك والمنهج من الإسْلَاميّين الّذين يمارسون الدِّيمقراطيَّة.. فأما المصطلح فهذه دلالته بحسب فحواه وليس لرأينا أن يزيد أو

ينقض بدلالات المعاني.. وأما (اعتقاد الدِّيمقراطيَّة) فأمر آخر. وأما (ممارستها) فأمر ثالث. وأما الحكم العيني علىَ أصحابها فأمر رابع. وأنا علىَ اعتقاد من أدركت من سلفنا ومَشَايخنا وقادتنا في الصّحوة الإسْلَاميّة الأصوليَّة. وفي التّيار الجهاديّ المبارك. بأن الاعتقاد بفحوى مبادئ الدِّيمقراطيَّة وتتقبله وتقديمه علىَ النّظام الإسْلَاميّ، أو اعتقاد عدم مصادمته له، وأن الدِّيمقراطيَّة هيَ الشورى، ولا تناقض معها والاعتقاد. والتصريح بإعطاء حق السيادة للأمة والتَّشريع للشعب والحكم للأغلبية مهما ارتأت... إلى آخر ما مر معنا تفاصيله. فهو كافر مشرك مرتد. وإن زعم أنه مسلم وأدى بعض الشعائر. فقد نقض اعتقادُه وإيمانُه بالدِّيمقراطيَّة أبسطَ حقائق ومقتضيات شهادته ألَاَإِلهَ إِّلاَ الله محمّد رَسُولُ اللهِ ﷺ..ثمّ ينظر بعد ذلك بانتفاء الموانع للأعيان.

وأما من يمارس الدِّيمقراطيَّة فهم أشكال وأنواع. وبالتالي تختلف أحكامهم..

ولكن بالعموم أنا علىَ مذهب من يعتقد بأن من يعتقد كفر الدِّيمقراطيَّة، ومناقضة فحوى فلسفتها وتشريعاتها لمعتقد الإسْلَام ودين التّوحيد. ولكن من يمارسها من باب تأول حال الاستضعاف، وأنها السبيل الوحيد المتاح لتحقيق مصالح يرجوها للدعوة والإسْلَام والمُسلِمين. وأنها السبيل الممكن للوصول إلى تحكيم الشّريعة في مثل هذه الظّروف، ثمّ إبطال ما يتناقض معها. أو أنها السبيل الممكن للجهر بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر وإيصال صوت الحقّ للأمة.. إلى آخر ذلك فالمخلصون من هَؤُلَاءِ معذورون بالتأويل في ممارسة الدِّيمقراطيَّة ودخول مؤسساتها. وإن كنت أعتقد أنهم مخطئون وآثمون. والله تَعَالَى أعلم.

ولو ذهبت لأسرد أسماء من هم عَلى هذا الرَّأي من العُلَماء لطال بنا المقام.. وهم أعيان ومَشَايخ وقادة الصّحوة الإِسْلَاميّة وعلمائها في هذا العصر.. ومنهم ذكرا لا حصرا: (جمهور المفسّرين المعاصرين من أمثال الشَّيْخ أمين الشنقيطي والشَّيْخ أحمد شاكر والقاسمي والآلوسي...

ومن العُلَماء: كافّة علماء الدّعوة في بلاد نجد والحجاز بدءا من الشَّيْخ محمّد بن عبد الوهاب، وانتهاء بالمتأخرين – حتَّى علماء السُّلطَان منهم – فهم في هذه المسألة سواء.

وكذلك علماء ودعاة الصّحوة المعاصرون في بلاد الحرمين من أمثال الشَّيْخ الطريري والشَّيْخ سفر الحوالي الّذي بين ذلك في كتابه الشهير – العلمانيّة – وكذلك الشَّيْخ سلمان – رزقه الله – العودة. في كتبه وأشرطته. والشَّيْخ محمّد سعيد القحطاني. وأقرانهم مثل ناصر العمر والدويش والتويجري.... وغيرهم.

كذلك كافّة علماء الإخوان المُسلِمِين قبل مرحلة الانحراف: مثل الشّهيد عبد القادر عودة من مصر، والشَّيْخ سعيد حوى والشَّيْخ عبد الفتاح أبو غدة والشَّيْخ عبدالله علوان رَحِمَهُ الله. من سوريا،

والدكتور محمّد عادل أبو فارس والدكتور أحمد نوفل والشَّيْخ محمّد نعيم ياسين من الأردن، والأستاذ محمّد أحمد الرّاشد وغيره من العراق، والأستاذ فتحي يكن من لبنان.. والشَّيْخ الزنداني وعلماء الإخوان في اليمن. والشَّيْخ علي بالحاج من الجَزَائِر..وكافة علماء ودعاة السّلفيّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ..

ومن علماء ودعاة التّيار الجهاديّ الشّهِيد سيد قطب. والشّهِيد عبدالله عزام. وكذلك علماء ودعاة الجماعة الإِسْلَاميّة في مصر- قبل نقض الغزل أنكاثا - وعلى رأسهم الدكتور عمر عبد الرَّحْمن والشَّيْخ رفاعي طه، وكذلك جماعة الجِهَاد في مصر وشيخهم الجليل عبد القادر بن عبد العزيز. [الّذي أسرته اليمن وغدرت به وسلمته إلى مصر في مارس(٢٠٠٤)]. والدكتور الشَّيْخ المُجَاهد أيمن الظواهري. ومن سوريا الشّهِيد مروان حديد وتلامذته وغيرهم من العُلَماء والدعاة. ومن الأردن الشَّيْخ أبو محمّد المقدّسي..

وكتب ومنشورات التّيار الجهاديّ بكافة تنظيماته وجماعاته طافحة بهذا المعتقد...).

هذا ما حضرني من الذاكرة والقائمة تطول. فيمن يعتقد كفر الدِّيمقراطيَّة وكفر معتقديها اعتقادا.

فإن التلبس بذلك فعل من أفعال الكفر ينظر في حال فاعله وحظه من أحد الأعذار الأربعة المعتبرة شَرعاً عند أهل السّنّة والجماعة وهي: **الجهل، والإكراه، والتأويل، وانتفاء القصد.**

ولعلّ هَؤُلَاءِ حظ بأن يكون لهم بـ (التّأويل) أو بـ (الجهل) عذر فيما تلبسوا به يخرجهم من مغبة الوقوع بالكفر.

وأعتقد أنهم بهذا المسلك ليسوا في موقع المجتهد المأجور بأجرين إن أصاب وأجر إن أخطأ.. وإنما هم عصاة آثمون لإتباعهم سبيل البَاطِل من أجل إحقاق الحقّ - إن صلحت نيتهم- وابتغاء نصرة دين الله بما حرم الله. فقد تعبدنا الله بالوسائل المشروعة كما تعبدنا بالأهداف الشَّرعيَّة. هذا بالعموم.. ولهذا تفاصيل كثيرة ليس محلها هنا.

فإن صحت نية من يدعي خدمة دين الله بطريقة الدِّيمقراطيَّة. وسلم من الأهواء والمصالح الشَّخصيَّة في أن تكون سببا لدخوله هذا المنزلق. ولم يقع في مزالق نواقض الإيمان من الأقوال والأفعال. ولم يتحول إلى أن يكون ضمن دائرة السّلطة الحاكمة بغير ماأنزل الله باستلامه وزارة أو منصبا يكون فيها جزءا من الجهاز الحاكم بغير ما أنزل الله.. هذا إن سعى إلى أن يعارض كلّ تقنين أو تشريع يخالف شرع

الله صراحة. فعند ذلك يكون له والله أعلم عذر بالتأويل يدفع عنه حكم الكفر. ولكنه ولا شَّكَّ عندي أنه ضمن دائرة الإثم والمعصية لمخالفته ما شرعه الله من سبيل الهدى ودين الحقّ.والله تَعَالَى أعلم.

فباختصار ذلك بكلمات قليلة أقول:

بأن من يمارس الدِّيمقراطيَّة من الإِسْلَاميّين ليس مجتهدا مأجورا، وإنما هو مخطئ بين الكفر والوزر أو العذر. والله أعلم.

ويؤكد ذلك ما ترتب عبر تجاربهم خلال أكثر من نصف قرن من الفشل والتقهقر وترسيخ أقدام حكم الكفر والكافرين والمرتدّين والظَّالمين وتمرير سياسات الطغاة وأسيادهم المُستَعمرين. دون تحقيق أي فائدة أو نتيجة معتبرة بل عَلى العكس كانَ وجودهم ضمن دائرة (الملأ) في مؤسسات الفرعون شهادة زور حية متحركة عَلى صلاح الفرعون وملئه بالشَّرعيّة أمام العامّة. عامة المُسلِمين الّذين يكنون للإسلام والمُسلمين والعُلَماء والدعاة ورجال الصّحوة التقدير ويعتقدون فيهم القدوة والصلاح.

[وألفت النَّظر أَنّي في كلّ ما أسلفت متبع لمذهب من يرى ذلك من العُلَماء والدعاة ولست صاحب الفتوى في ذلك وقد فصلته ونقلته وحسب]..

أما غير الإِسْلَاميّين، من الديمقراطيين العلمانيين، فما علمناه ممن أدركناهم من جميع مَشَايخنا وأساتذتنا في الصّحوة الإِسْلَاميّة ثمّ الجهاديّة، الإخوانية ثمّ السّلفيّة.. أنهم كفار ملاحدة مرتدون. وليتأكد العلمانيون المذكورون هَؤُلَاءِ - إن لا يصدقوني - من أساتذتنا الّذين يجامعونهم [(١)] تحت قبة البرلمان، ليسألوهم عن رأيهم فيهم خلال جلسات الاستراحة، عَلى هامش اجتماعات التَّشريع من دون الله. فربما يصدقونهم، وربما يُغَنُّوهم (موَّالْ): (لِسَّهْ فاكرْ ؟ كانَ زمان !)..

فلأساتذتنا هَؤُلَاءِ فقه جديد يصلح له هذا الشاهد الطريف.

الأمر الثّاني: أن هذا الكلام الصريح المباشر يأتي ممن يقوله كأمثالي اليَوْم مستغربا ومُنكرا من قبل عموم النّاس، بل حتَّى في أوساط ما يسمى صَحوَة إسلاميّة معتدلة اليَوْم. نظرا للمكانة الّتي حققتها

---

(١) جامع بمعنىٰ اجتمع وجالس أو ساكن أو لزم وصاحب، جاء في الحديث «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ» رواه أبو داوود.انظر شرح الحديث في عون المعبود. ففيه العبرة لهَؤُلَاءِ.

الدِّيمقراطيَّة عند جماهير المُسلِمِين نتيجة جهود وسائل الإعلام والساسة من أعدائنا الخارجيين وأعوانهم المُنَافِقين فينا. ولاسيما بعد ما صار زعم الاعتدال في أوساط الصّحوة أسهل السّبل للفرار من تهمة الأصوليَّة والتشدد وبالتالي الإِرهَاب أو ربما حمل وشم الانتماء للقاعدة أو غيرها من الجهاديّين (الإِرهَابيين) بحسب وصفهم وبحسب التصنيف الأمريكيّ..

ولكني أريد أن أذكر بأني أدركت عموم علماء الصّحوة وقادتها وزعماءها وعموم دعاة الإِسْلَام يوم انتسبت وأقراني من جيل الشَّبَاب لهذه الصّحوة الإِسْلَاميّة عامة والجهاديّة خاصّة أواخر السَّبعينيَّات ومطلع الثَّمانينيَّات من القرن الماضي وإلى نهايات التِّسعينيَّات الماضية.. وهم عَلى هذا المعتقد... وقرأنا ودرسنا عليهم ذلك في كلّ أدبيات الصّحوة الإِسْلَاميّة الّتي خطها أسلافنا رحمهم الله منذُ الثلاثينيات وإلى سَنَوات قريبة جدا إلى نهاية القرن العِشرين. وما تزال تملأ المكتبات ! وكان مقتضى كلّ ذلك ومعتقد الجميع في الصّحوة الإِسْلَاميّة والجهاديّة في الدِّيمقراطيَّة هو ما ذكرت. ولمن شاء أن يراجع كتابات وأدبيات إعلام دعوة الإخوان المُسلِمِين وفروعها، والحركات المنبثقة عنها. وكذلك كافّة علماء ودعاة الدّعوة السّلفيّة وأهل الحديث والسّروريّة وحزب والتحرير.. وسواهم من مدارس الصّحوة. وكذلك فتاوى المعتبرين من أعلام علماء الإِسْلَام وخاصة في عقر دار الإِسْلَام بلاد (الحرمين) نجد وبلاد الحجاز وبلاد الشّام ومصر والعراق بل وعموم بلاد العَرَب والمُسلِمين.. فستجدها جميعا مطبقة عَلى هذا المعتقد.. بل أذكر تماما بأن عَقِيْدَة الحاكِمِيَّة لله وأصولها الّتي درَسْناها شبابا، ودرَّسْناها كهولا في الصّحوة الإِسْلَاميّة وفي التّيار الجهاديّ عَلى حد سواء.. كانت طافحة بهذه المعاني.. بل أَنّي أذكر أن كلمة **(الدِّيمقراطيَّة)** كانت لا ترد في أدبيات الصّحوة الإِسْلَاميّة وكتب أهل العلم ودعاة الإِسْلَام إلا دالة عَلى الكفر بالله والشرك به، والإلحاد بربوبيته. بدرجة لا تقل بشاعة عن كلمة (شيوعية) أو(إلحاد) أو(وجودية) أو(علمانية) أو (زندقة)..

كما أذكر أنه لما أقدمت قيادة الإخوان المُسلِمِين في سوريا (أيّام إدارتها للمُوَاجَهة مع النّظام النصيري في سوريا) عَلى خطوتها التعيسة في إعلان التَّحالف الوطني مع الأحزاب العلمانيّة وكتبت ميثاقا وطنيا بذلك.. تحاشى الجميع إيراد كلمة (ديمقراطية) من أجل دفع الحرج عن الإخوان المُسلِمِين

أمام قواعدهم وأمام المُسلِمِين رغم الإتفاق والنص عَلى فحواها فرارا من تحمل تبعات الوصمة بكفر مدلولها..

وشيئا فشيئا ومنذ أواسط الثّمانينيّات... بدأت هذه المصطلحات الدِّيمقراطيّة ومفاهيمها تتسلل عَلى استحياء. لتبرر بعض ممارسات الإِسْلَاميّين الّذين خطوا خطواتهم الأولى في هذا السبيل الضال، كحل إجباري فرضته حالة الاستضعاف والقمع من قبل السُّلطات. ولم ينصرم القرن العشرون سنة ٢٠٠٠ إلا وقد كسر القوم حاجز الاستحياء. وبدؤوا يروجون (لديمقراطية إسلاميّة). ووجد مصطلح (ديمقراطيين إسلاميين) طريقه للعلن.. وكان السلفيون وأصحاب مدرسة أهل الحديث قد أنكروا هذا الإنحراف عَلى الإخوان المُسلِمِين وفروعهم في حينها. ثمّ ما لبثوا أن حسدوهم عَلى ما نالوا من مجالات الممارسات السّياسيّة والدعوية فلحقوا بهم وأسلموا طريقتهم.. ثمّ ما لبث الإِسْلَاميّون الغير سياسيين من الصوفية والتبليغ وسواهم أن دخلوا هذا (المولد) لتتسيس الصّحوة الإِسْلَاميّة بكاملها تقريبا. وليرقص أكثر علمائنا ودعاتنا ومَشَايخنا رغم اختلافاتهم الّتي أنهكت الأُمّة.. ليرقصوا معا في (حفلة زار) جماعية..فسبحان من ألف القلوب عَلى البرلمان حيث لم تكد تتآلف عَلى شيء !!

ولم يبق خارج هذا المهرجان الديمقراطي إلا (الجهاديّون) وبعض المستقلين من العُلَماء الّذين وقاهم الله ذلك الشر..

ثمّ جاءت أحداث سِبتَمبر.. وسقطت إمارة الإِسْلَام في أفغانستان وابتدأت المَعْرَكة العَالَمِيّة عَلى الإِرهَاب كما أسموها بقيادة أمريكا وإسرائيل وأوربّا النّاتو وحلفاءهم المرتدّين كما مر معنا.. لتشتعل معارك الإعلام عبر الفضائِيَّات ووسائل الاتّصال والإنترنت والصّحف والكتب وسواها.. مع الإِسْلَام والمُسلِمين ليطال الهجوم اليَوْم جُذُور المعتقد.. وجُذُور دعوة الإِسْلَام. وسقط الدعاة والإِسْلَاميّون في فخ الإِرهَاب الفكريّ المعادي يصيح بهم (أنتم إرهابيون).. فكان رد الفعل المعاكس تحت طائلة القهر والتصفية، قوله: لا، (نحن معتدلون)!! ثمّ لم يجدوا ستارا للحركة والغطاء ودعوى الاعتدال، إلا زعم الدِّيمقراطيَّة.. راغبين ساعين أو كارهين مرغمين..

ولكن ما كانَ لكل هذا أن يغير من حقيقة الأمر شيئا.

فباختصار وصراحة..

إن عَلى علماء الإِسْلَام ودعاة الصّحوة أن يحددوا لنا..

هل كنا عَلى ضلالة في معتقدنا بالحاكِمِيَّة طيلة سبعين عاماً ؟! والّذي أقتضى اعتقاد كفر الدِّيمقراطيَّة وحرمة الانتماء لمؤسساتها.. وهل قضى من مات من سلفنا أو استشهد من أبطالنا جِهَادا وكانوا عَلى ذلك عَلى ضلالة وانحراف؟!

أم أن من انبت عن أصوليته وانسلخ عن جُذُوره وانقلب عَلى مبادئه كي يرضي اليَهُوْد والنّصَارى ومن والاهم، هو عَلى ضلالة اليَوْم؟

فإذا كانت الأولى فليبرروا لنا لم ضللونا ؟! لم كذبوا علينا أربعين سنة أو أكثر ؟! وإذا كانت الثّانية، فليقولوا لنا، لماذا يضللون النّاس اليَوْم ؟ وليجيبونا..

ما الّذي حصل حتَّى نرتد عَلى أعقابنا ؟ ما هيَ الأدِلَّة الشَّرعيَّة عَلى ضلال ما اعتقدناه بأدلته الشَّرعيَّة آنذاك، ودرسناه ودرَّسناه؟!

إن هناك كلاما خطيرا يدور اليَوْم عبر شاشات الفضائِيَّات وشبكات الاتّصال الدّولية وكافة وسائل الإعلام.. علماء كبار.. دعاة إسلام..قادة صَحوَة.. بل قيادات جهاديّة منكفئة مستسلمة..تدعوا لمراجعة المناهج والمعتقد..

هناك اليَوْم حرب عَلى مناهجنا ومعتقداتنا لا تقل ضرواة عن الحَرب الأمنيّة العسكريّة عَلى الإِسْلَام والمُسلِمين تحت دعوى مكافحة الإِرهَاب. وحرب الأفكار. ومراجعة المناهج وأدوات التّربية..

فإذا كانَ من انكفأ وانقلب عَلى عقبه يجد لموقفه مبررا ويفلسف للهزيمة والردة عَلى المبادئ، ويجد له موقعا في قافلة المصفقين للإسلام الأمريكيّ الّذي جاءنا بتصحيح المناهج ! وبدورات تأهيل الأئمة والخطباء في مساجدنا ! وبحملات المراجعات الفكريّة الّتي تطال كلّ رموزنا وثوابتنا ! فلا بُدَّ أن يكون هناك مواقع للمُوَاجَهة تُثَبِت الثّوَابِت، وتحمل راية المعتقد.

وبقوة الله وفضله سيجدوننا هناك. عَلى هذه القمة السامقة الراسخة بإذن الله..

ومن هناك من أعالي قمم الثّبات، حيث اجتمع برد اليقين بحرارة الإيمان، واتكأ المُجَاهدون عَلى سيوفهم المشرعة.. نؤكد عَلى ما أسلفت.

أنّنا ثابتون عَلى ما اعتقدناه من ديننا. وعلى ما وعينا عَلى الدُّنيَا وأدركنا عليه سلفنا الصّالح من العُلَماء والدعاة. وإننا عَلى ما غادَرَنا عليه شهداؤنا الأبرار إلى ربّهم فرحين بما آتاهم الله إن شاء الله. وعلى ما كانَ عليه الصّالحون من علمائنا وقادتنا في الرازحون اليَوْم في السّجون والمعتقلات..

أنّنا ثابتون عَلى ما تنطوي عليه اليَوْم صدور المُؤمِنِين المستضعفين من أهل الحقّ.. أنّنا عَلى مقتضى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وما يقتضيان من توحيد الحاكِمِيَّة..

وبناء عَلى ذلك نجهر بالقول:

- الدِّيمقراطيَّة كفر وشرك بالله.. ومعتقدوها كفرة ملحدون أو مرتدون زنادقة.. كيف لا يكفرون وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، فكيف بمن يقولون أنه – سبحانه – عاشر عشرة.. أو شريك مئات البرلمانيين !!
- وأما المتأولون من الوالغين فيها من الإِسْلَاميّين فهم أنواع وأشكال.. وحكم كلّ صنف منهم بحسب مستوى قناعته وطبيعة نيته، وممارساته قولا وعملا، وظروفه المحليَّة.

وهذا ما بلغنا عمن بلغونا الأمانة.. وهذا ما نبلغه لمن حولنا ولمن يصلهم هذا البلاغ.

اللّهم فاشهد. اللّهم فاشهد. اللّهم فاشهد.

وأظن أن الأمر واضح وضوح الشّمس. ولا أجمل في وصف حال الديمقراطيين من الإِسْلَاميّين ووعظهم، من آيات في غاية الرونق والروعة. تشمل إشارات غاية في الدلالة لمثل هذا الأمر الّذي نحن بصدده. وهي الآيات التّالية من سورة النِّسَاء. ومن سورة محمّد عليه أزكى الصّلاة وأتم التسليم.. وبها نختم هذه النبذة إن شاء الله وهي قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلَاةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن

دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء]

وقال تعَالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾
وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ
﴿٢١﴾ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ
﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ﴿٢٦﴾
فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٢٨﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٣٢﴾ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٥﴾﴾
[محمد]

فهل قعد الإِسْلَاميّون الديمقراطيون في مجالس يسمعون فيها آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ؟

اللّهم نشهد بقولنا: نعم !

وهل يقتضي التحاكم لرأي الأكثرية في البرلمان، طاعة الّذين كرهوا ما نزل الله في بعض الأمر ؟

اللّهم نشهد: نعم ! بل في كلّ الأمر، أو أكثر الأمر !

والآيات تحكي كلّ حِكَمِ المسألة، ولا يتسع المقام للاستطراد، رغم أن روعتها تغري بذلك.

ولعلي أعود إليها في بحث مفرد لهذا الموضوع إن يسر الله وأعان.

تاسعا: مسألة الخلاف العقدي والمذهبي ضمن أهل السّنّة

- **مسألة عَقِيْدَة السَّلَف وعَقِيْدَة الخلف:**

عندما انتشر الإِسْلَام وانساحت جُيُوش المُسلِمِين في الأرض وفتحت بلاد الحضارات السَّابقة مثل بلاد اليونان والرُّومان والفرس والترك والصين والهند والسند.. احتك المُسلِمُون بحضارات وديانات وفلسفات أولئك الأقوام وقد كانَ أكثر ذلك في العصر الأموي وصدر العصر العبّاسي.. وأدى ذلك إلى نشاط حركة ترجمة تراث تلك الحضارات والإطلاع عليها. وبقدر ما كانَ هضم فنون تلك الأمم وعلومها الطبيعيّة والعلمية مفيداً. حيث مزجت أمة الإِسْلَام تلك العلوم والآداب، وحفظت إنتاج تلك الحضارات، وصاغته بأسلوب إسلامي، ونقلته للبشرية حضارة وعلوماً بعد أن طورته وأضافت عليه. فبقدر ما كانَ ذلك حضارة فذة ومجداً زاخراً، كانَ لجانب آخر من التعامل مع تلك الفلسفات والمعتقدات، أثر سلبي بالغ الخطورة عَلى الحضارة الإِسْلَاميّة ودين المُسلِمِين ومعتقداتهم. فقد أدى الاختلاط بتلك الفلسفات والمعتقدات لدى بعض العُلَماء، ولاسيما ممن كانَ من أصول تلك الحضارات البائدة، إلى حصول شيء من الخلط والمزج بين العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة الصافية، وبين فلسفات العقول وترهات الأفهام، الّتي خاضت بوسيلة العقل القاصرة المحدودة، في عالم الغيب الفسيح اللامحدود. فنشأ عن ذلك عند المُسلِمِين، مذاهب عقدية امتزج فيها الدّين بالفلسفة، والحق بالبَاطِل، ونشأ عن ذلك عقائد منحرفة مزقت الأُمّة، وكدرت صفاء عقيدتها، وشوشت عَلى أجيالها اللاحقة معتقداتهم الصافية، إلا عند من رحم الله وحفظ.

وكان أشد ذلك في القرن الثّالث الهجريّ. عندما شغف الخَلِيفَة العبّاسي المأمون بالعلوم والحضارة والكتب والترجمة وأنشأ (بيت الحكمة) ومكتبتها الضخمة. وأرسل يجمع كتب اليونان وفلسفاتهم. وحضارة الرُّومان وآدابهم. ونشط بعض العُلَماء في ترجمتها والإطلاع عليها. وولع قسم من النّاس بالفلسفة، ولاسيما فلسفات اليونان وتفسيراتهم الدّينيّة وضلالاتهم الوثنية العقدية. وأقبلوا عليها. ونشأ من ذلك علم سمي بـ (علم الكلام)، وهو علم ولد نتيجة إعادة كتابة وصياغة علوم المنطق والفلسفة اليونانية من قبل بعض علماء المُسلِمِين. وخاض النّاس في أصوليات العَقِيْدَة وجوهر التّوحيد بأسلوب الفلاسفة وأساليب العقول القاصرة. فنشأت بسبب ذلك مسائل عقدية كلامية عويصة، لا كانت من

منهج السَّلَف ولا الصّحابة، ولا من طريقة رسول الله ﷺ. فضلّ بذلك أقوام. ونشأت فرق عقدية زادت الشرذمة الّتي كانت قد حصلت لأسباب سياسيّة لدى المُسلِمِين، والَّتي كانت قد سببت ميلاد فرق الخوارج وفرق الشّيعة قبل ذلك.

فنشأت مذاهب جديدة اعتمدت الفلسفة وعلم الكلام كالقدرية الّذين نفوا القدر. والجبرية الّذين نفوا الاختيار عن البشر. والمعتزلة الّذين ألّهوا العقل وجعلوه حجة عَلى صحيح النقل ونصوص الشَّرع... إلى آخر ذلك مما زخرت به الحياة العلمية والدّينيّة والأدبية خلال القرون الثّالث والرَّابع والخامس الهجريّ. وما تلا ذلك بعدها من عصور الانحطاط وتمزق الكيان السّياسيّ للأمة. وكرد فعل عَلى تلك الفلسفات، عمد بعض علماء المُسلِمِين المخلصين من أجل الردّ عَلى الفرق والمذاهب الضالة ومن سموا (علماء الكلام)، إلى اقتحام ميدان الفلسفة للرد عَلى شبهات أولئك بأسلوبهم. فدخل علم الفلسفة والمنطق ضمن العلوم الإِسْلَاميّة منذُ ذلك الوقت.. وتناول أولئك العُلَماء الأفذاذ المخلصون الردّ عَلى الشُّبُهات في تلك المواضيع الحساسة الّتي أثارها المنحرفون، بأساليب الفلاسفة. وتناول ذلك أخص خصوصيات العَقِيْدَة والتّوحيد في دين الإِسْلَام، وهو توحيد الله بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. فأخطأوا من حيث أرادوا الصواب. وأساؤوا من حيث أرادوا الإحسان. غفر الله لهم وتقبل سوي سعيهم وتجاوز عن زلاتهم. فقد أدى ذلك إلى أن فقدت كثير كتب العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة الصافية الربانية، المنبثقة عن الوحي الخالص الّذي لم تمزجه فلسفات العقول وضعف الأفهام. فقدت ذلك الصفاء ونشأت مدارس عقدية في أوساط أهل السّنّة والجماعة اعتمدت التَّأويل والفلسفة في تناول التّوحيد وخصائص الربوبية، وكما لا بُدَّ لكل انحراف أن يسير بانفراج واتساع مع الوقت. تطورت تلك المذاهب العقدية الغريبة الدخيلة الوليدة. لتسيطر في معظم مراحل التّاريخ الإِسْلَاميّ، على كثير من أساليب العُلَماء في مجالات التّوحيد والعَقِيْدَة.

وفي الوقت الّذي أفادت فيه علوم المنطق والمحاكمات العقليَّة في تطوير أبواب الفقه وتراث الاستنباط الفُقْهيّ لدي مذاهب أهل السّنّة، كانَ ضررها في علوم التّوحيد كبيرا. وكان أوضح ذلك وأهمه في مجال ما عرف بالتأويل – تأويل أسماء الله وصفاته – وتفسيرها والتعبير عنها بالمعاني والكنايات.إما لتبسيط فهمها للعامة وإما بنية دفع شبه الفلاسفة عن أسماء الله وصفاته من التجسيم

والتكييف والتشبيه والتحريف. ورغم النِّيَّة السَّليمة لدي أولئك العُلَماء، إلا أنه ما من شك من أن ضرر ذلك كانَ أكثر من نفعه. وكان خطؤه وخطره أكثر من صوابه.

وقد سمي هذا المذاهب العقدي وتلك الطَّريقة الفلسفية في التّوحيد بمذهب (الأشاعرة) نسبة إلى أحد أعلام ذلك المذهب (الإِمَام أبي الحسن الأشعري) ﵀، الّذي أوغل في المذهب ثمّ تراجع عنه وتاب منه كما ثبت عنه ي﵀. كما كانَ دأب أكثر أعلام ذلك المذهب من أمثال الأئمة: الجويني والرازي والشهرستاني وأبو حامد الغزالي رحمهم الله تَعَالَى وغيرهم. ولكن أعمالهم وكتاباتهم بقيت نسأل الله أن يتقبل عدولهم عن خطئها ويغفر لهم ما زلوا فيه.

ومنذ القرن الثّالث والرَّابع الهجريّ صار مذهب (الأشاعرة) هو مذهب علماء أهل السّنّة الأفذاذ ومذهب ملوك المُسلِمِين الصّالحين. وكان ضده يعني فرق الخوارج والشّيعة. وقد أرسى هذا المذهب أكثر حُكَّام وملوك المُسلِمِين منذُ أيّام الدّولة العبّاسيّة ثمّ ما تلاها من دول الطوائف وإلى قيام الدّولة العُثْمَانِيّة. ثمّ تابع عَلى ذلك المنهج ملوك وسلاطين الدّولة العُثْمَانِيّة، وبقي هذا المنهج هو السائد في بلاد المُسلِمِين عَلى اختلاف مذاهبهم الفقهيّة الّتي سادتها المذاهب الأربعة. مع بقاء قلة من علماء الإِسْلَام الّذين حفظوا نقاء مذهب أهل السّنّة والجماعة، فحفظت العَقِيْدَة بذلك بصفائها ورونقها بلا خلط ولا مزج. وعرف مذهبهم عَلى مر التّاريخ بمذهب (السَّلَف). وأحيانا بمذهب (أهل الحديث). فيما عرف مذهب الفريق الآخر من أهل السّنّة والجماعة بمذهب (الأشاعرة)، الّذي أخذ ببعض أصوله وطريقته، علماء كبار من الفقهاء والمفسّرين وأساطين علوم الدّين لدى أهل السّنّة. كما عرف في مذهب السَّلَف أيضا أعلام كبار عَلى مر التّاريخ كابن تيميه والشاطبي وابن القيم وابن بطة وأحمد وسفيان وغيرهم رحمهم الله تَعَالَى. ولكنهم كانوا أقلية في جمهور علماء أهل السّنّة عَلى مر التّاريخ.

وقد حفل التّاريخ الإِسْلَاميّ بمعارك عقدية طاحنة، ومناظرات كثيرة ساخنة. وأخذ ورد بين هذين الفريقين ضمن أهل السّنّة والجماعة. فكتبت الردود والردود عليها، وكثر القيل والقال وكثرة السّؤال.

ودخلت الأوساط السّياسيّة وأروقة الحكَّام إلى المساجلات، فمنتصر لهٰذا، ومستقوٍ بذاك. وكانت باب فتن وإحن في تاريخ المُسلِمِين يطول ذكرها.

ومثل كلّ أجواء الفتن الّتي تولد التعصب والتحزب. جرّت هذه المشاكل أحياناً بالإضافة إلى مشاكل التعصب المذهبي، إلى الشرور والقتال والفتن، الّتي كثيراً ما تدخل الملوك لوقفها بمنع الحديث بتلك الأمور ليزيدوا الطين بلة.

وقد أورث هذا الإشكال هاتين المدرستين (الأشعَريّة) وما تفرع عنها. و(السّلفيّة) أو (أهل الحديث) وما تفرع عنها. إلى أن شطبت كلّ منهما الأخرى من طائفة (أهل السّنّة والجماعة). واعتبر كلّ فريق نفسه (أهل السّنّة والجماعة) وأن عقيدته هيَ عَقِيْدَة (الفرقة النَّاجِيَة). وأن الفئة الأخرى هيَ من (الفرق الاثنين وسبعين) الّتي في النار. للحديث الصَّحِيح الّذي يخبر به رسول الله ﷺ بأن الأُمّة تفترق عَلى (٧٣ فرقة واحدة ناجية والباقي في النار)[1].

ورغم اتفاق أهل الحديث وشراحه عَلى أن هذا لا يعني الخلود في النار لكل هذه الفرق وكل المنتسبين إليها من أهل القبلة وأمة الإِسْلَام. إلا أن هذين الفريقين حصر كلّ منهما الانتماء إلى (أهل السّنّة والجماعة)، وملكية هذا اللقب بهم وشطبه عن الفريق الآخر.

. وقد هدأت هذه الإشكالات كغيرها في العصور المتأخرة لانشغال الأُمّة بالاستعمار وبلائه، ثمّ بحُكُومَات (الاستقلال الاستعماريّ)، وما سببته من هجمة المذاهب العلمانيّة الفكريّة والسّياسيّة المعاصرة، من ضعف التدين في الأُمّة بشكل عام خلال عقود أواسط القرن العِشرين. وهكذا نامت هذه المشكلة فترة وجيزة، لتستيقظ مرّة أُخرى مع نشوء مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة. وعادت مع نشوء مدارس (التّيار السلفي) المعاصر وحملته عَلى المذهبية والأشعَريّة. وبقاء معظم أوساط مدارس الصّحوة الأخرى بعقائد الأشعَريّة، ولاسيما المدارس الإصلاحية، وجماعات التبليغ والدّعوة، والمتصوفة وسواهم، وكذلك أكثر العُلَماء الرسميين وأئمة المساجد وكذلك أكثر علماء المذاهب الأربعة.

ومع اختيار معظم الجهاديّين للعَقِيْدَة السّلفيّة وفقه الدليل واختيارات المنهج السلفي، وصلت المشكلة إلينا أخيراً. مما جعلها أحد الفقرات الهامة الّتي اهتممت بالكتابة فيها وأنا أعرض لملامح عقيدتنا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجة (٣٩٩١)، وابن حبان (٦٢٤٧)، وأحمد (٨٣٩٦)، والحاكم وصححه، وقال الترمذي: حسن صحيح، وبه قال الألباني.

في دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة. لكونها إحدى الإشكالات العويصة عَلى طريق الجِهَاد والمُقاوَمة ودفع الصّائل. لأنها بصورتها النّهائيّة تشكل باب فرقة وتحزب وتعصب فقهي ثمّ فكري ثمّ حركي، وأسباب احتراب داخلي، داخل صفوف المُسلِمِين وأوساط المُقاوَمة في وقت تجتاحنا فيه خيول مغول العصر الأمريكان والصهاينة بسلاسل دباباتهم وهدير طائراتهم. وترصد أقمارهم الصناعية همساتنا العقدية وحركاتنا اليومية. وتنصب قذائفهم وحممهم عَلى رؤوسنا من السّماء والأرض والبحر. ولولا ذلك لما تعرضت لهذه القصة.

وقد كانَ أول اهتمامي بهذه المشكلة، أيّام الجِهَاد العربيّ في أفغانستان. حيث حضر في السَّاحَة العديد من العُلَماء الجهاديّين السلفيين. ومن أندادهم من المدرسة الأخرى (الأشعَريّة). وكان علماء الأفغان والباكستان وشبه القارة الهندية ووسط آسيا وعموم المُسلِمِين المقلدين لهم في هذه المنطقة من الأشاعرة أيضا.وقد كانَ هذا سبب هوة كبيرة بين المُجَاهدين العَرَب وكل هَؤُلَاءِ. هوة سببت مشكلة حقيقية في تلك السَّاحَة. وقد التقطت الإستخبارات تلك الفرصة وصارت الـ(بي بي سي) تروج لمشكلة الوهابية في أفغانستان، وعبثا حاول الشَّيْخ عبدالله وأمثاله إقناع الإخوة بتأجيل مثل هذا الأمر... وليس هنا محل تفصيل ذلك.

ثمّ بعد ذلك، وعند انخراطي في تأييد الجِهَاد في الجَزَائِر (١٩٩٤-١٩٩٧) الّذي قادته الجماعة الإِسْلَاميّة المُسلّحة قبل انحراف قيادتها كما بينت في الجزء الأوّل. انهمك بعض طلاب العلم السلفيين في تأييد الجماعة المُسلّحة (السّلفيّة المنهج)، واتخذوا من منابر إعلامنا المؤيد لقضية الجِهَاد في الجَزَائِر خطوط حرب ومعارك للسلفيين مع الأشاعرة والمذهبيين! وكان ذلك مأساة أُخرى رأيت آثارها بنفسي.

ثمّ تكررت المشكلة خلال الشوط الثّاني للأفغان العَرَب أيّام طالبان، وشكلت حجرة عثرة كبرى بين الجهاديّين السلفيين من العَرَب والإمارة الشَّرعيَّة في أفغانستان وأميرها وقيادتها من الطّالِبَان وعلمائهم وكلهم أشاعرة أحناف مذهبيون، لا يقلون تعصبا لما ذهبوا إليه من كثير من إخواننا المتعصبين بدورهم لمذهب السّلفيّة. وكانت تجربة ثالثة عشتها بنفسي لأرى أهمية هذه المعضلة الّتي تأتي في غير وقتها، لشدة ما نعيشه من هجمة الأَعدَاء.

وقد أردت دراسة هذه المشكلة هنا في هذا البَاب الخاص بمسألة العَقِيْدَة عامة، والعَقِيْدَة الجهاديّة للمقاومة خاصّة. من أجل المساهمة في محاولة وقف ضررها عَلى صفنا الجهاديّ. ولأنها مشكلة عَقِيْدَة ودين، فدرستها بإنصاف وحياد لأبحث لنفسي عن الاعتقاد الصَّحِيح الّذي أبتغي به معتقدا يرضي ربي أولاً، ثمّ لأقدم ما أخلص إليه نصيحة إلى إخواني المُجَاهدين ومن بلغ من المُسلِمِين.

وقد خلصت إلى رأيي سأختصره هنا في بضع نقاط بعد أن استخرت الله عليه سائلاً إياه الهداية. ولكني أعترف بأني تخوفت كثيراً من إعلان رأيي هذا السببين:

أولهما: أن الأمر حساس ويمس أخص خصوصيات الدّين، وكان تاريخيا ميدان صدامات وإشكالات.

والثّاني: أن الوسط الجهاديّ الّذي أنتمي إليه سلفي المذهب في معظمه، وفيه من هو شرس متعصب في تناوله لكل من يخالف رأيه في هذه المسألة كما في معظم ما سواها..

ولكن شجعني عَلى ذلك أمران أيضاً:

أولهما: ضرورة توحيد صف أهل السّنّة والجماعة في الجِهَاد والمُقاوَمة. وضرورة أن تضع هذه المشكلة أوزارها بين المُجَاهدين والمقاومين عَلى الأقل.

و ثانيهما: أنّي وجدت وتعجبت من أن أحد أكابر العُلَماء المُجَاهدين قد توصل من قبل إلى ما تَوَصَّلت إليه بجهدي الضعيف منفردا، وكتب ذلك بصراحة ووضوح. ولا شَّكَّ أن له أقراناً من علماء هذا الزّمان ممن لم أطلع عَلى آرائهم، ذلك الرجل هو الشَّيْخ عبدالله عزام رحمه الله وتقبله في الشّهداء.

وقبل أن أخلص إلى ذكر خُلاصة رأيي في نقاط موجزة، أنقل ما كتبه رحمه الله اعترافاً بفضله وسبقه. وأسال الله أنه يلهمني الصواب ويتقبل مني حسن قصدي، بالرحمة والمغفرة، إنه سميع قريب كريم مجيب.

و خُلاصة رأي الشَّيْخ عبدالله عزام رحمه الله في هذه المسألة يمكن إيجازه في نقطتين:

(١) – **أن الحقّ والصواب هو مذهب السَّلَف**. في إجراء آيات الآيات والصفات وأحاديثها عَلى ظاهرها مع نفي الكيفِيَّة والتشبيه والتفويض. ووصف الرب تبارك وتعالى بما وصف به نفسه دون تأويل أو

وصف أو تفسير. بل الفتوى بما في الكتاب والسنة والسكوت عما وراء ذلك. وهذا هو مذهب الصّحابة والسلف وقد أوضح الشَّيْخ عبدالله أنه عقيدته.

(٢) - أن أصحاب المذهب الثّاني الّذي دعي مذهب (الخلف)، أو (الأشعَريّة)، والّذي ذهب إلى تأويل الأسماء والصفات. هم من أهل السّنّة، ولا يُنفوا عن الانتماء لأهل السّنّة، **وأن مذهبهم فيما ذهبوا إليه من التَّأويل خطأ**. وقد خالفوا فيه (منهج أهل السّنّة) في هذه الأمور المحددة.

فهم من أهل السّنّة. ويُخطّؤون في هذه النقاط المحددة.

وقد فصل ذلك وعددا من المسائل العقدية الأخرى، في كتابه القيم (العَقِيْدَة وأثرها في بناء الجيل) في عدّة أمكنة. وخلاصة ذلك كما جاء في المجلد الأوّل الموسوعة الجامعة لتراثه والمسماة (موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن الشَّيْخ عبدالله عزام) كما يلي:

- في الصفحات (١١-١٢-١٣). أوضح تحت عنوان (شقاء البشرية اليَوْم بسبب تحريف العَقِيْدَة) الفارق بين التصوُّر العقدي والفلسفة وبين أثر تخوض العُلَماء في هذا الأمر وعودة أكابرهم عنه.

- في الصفحتين (٢١-٢٢) وتحت عنوان صفات الله عَزَّ وَجَلَّ. أوضح أقسام المذاهب العقدية. وبيّن رأي المشبهة والمجسمة ورفضه. كما بين رأي المعطلة والجهمية ورفضه ونقده. ثمّ بين مذهب السَّلَف واختار صوابه وصحته. ثمّ بين مذهب الخلف والأشاعرة. وبين خطأهم في التَّأويل والتفسير للأسماء والصفات، وبين أنه خطاء.

- وقرر في ص(٢٣) أنه الأشاعرة وأصحاب مذهب الخلف هم من أهل السّنّة (إلا في هذه الأمور). ولم يخرجهم بذلك عن أهل السّنّة. واعتذر لهم. وبين أسباب خطئهم، ثمّ استغفر لهم وترحم عليهم وبين تراجع كثير أكابرهم عنه رحمهم الله.

(وبحث الشَّيْخ موجز قيم أنصح بالإطلاع عليه)..

وهذا باختصار خُلاصة ما خرجت به من خلال دراستي لعدد من كتب العقائد، والإطلاع عَلَى بعض حجج هذين الفريقين.

وأختصر خُلاصة ما اهتديت إليه في مسألة العَقِيْدَة ومسألة المذهبية في النقاط التّالية:

ففي موضوع العَقِيْدَة:

(١) – أن مذهب السَّلَف في الاعتقاد الّذي أوضحناه آنفاً هو المذهب الصَّحِيح وبه أدين لله سُبحَانَهُ وتَعَالَى. وهم أهل السّنّة والجماعة والفرقة النَّاجِيَة إن شاء الله.

(٢) – أن مذهب (الأشاعرة) أو (مذهب الخلف)، قد جانب الصواب باتخاذه من التَّأويل والتفسير منهجا للأسماء والصفات. وبعدم إمرارها كما أمرها سلف الأُمّة.

ولكنهم لا يخرجون بذلك عن كونهم من أهل السّنّة والجماعة. وإنما يخطؤون فيما أخطؤوا به وحسب. تماما كما أخطأ كثير من علماء من ينتسبون إلى (مذهب السَّلَف) من علماء اليَوْم، ومالوا إلى مذهب المرجئة، ولاسيما في مسائل الحاكِمِيَّة. ولم يدّع أحد خروجهم من أهل السّنّة، كما يفعل بعضهم اليَوْم، ويدخلون النّاس ويخرجونهم من أهل السّنّة.

(٣) – أن من خرج عن معتقدات (أهل السّنّة والجماعة) من الفرق الكثيرة..كفرق الشّيعة والمرجئة والخوارج... وغيرهم من أهل لَاإِلٰهَ إِلَّا الله. هم (أمة الإِسْلَام)، و(أهل القبلة)، لا يكفرون بالعموم. ولا تُنفي عنهم صفة الإِسْلَام، ولا صفة أهل القبلة إلا وفق موازين وضوابط محددة عند أهل السّنّة الّتي بينها علماؤهم من تحقق شروط الكفر وانتفاء موانعه. وهو عمل جهابذة العُلَماء الّذين بلغوا مرتبة القضاء في العقائد والأديان. وليس عمل آحاد المُسلِمِين بله جهالهم وعوامهم. كما أنه ليس عمل من تفرغ للجِهَاد ودفع الصّائل، اللّهم إلا أن يكون من أهل العلم الّذين توفرت فيهم شروط الفتوى والقضاء.

(٤) – أن الطَّائِفَة المَنصُورَة هم أهل الاعتقاد والصَّحِيح، والعلم المنضبط، والجِهَاد والقتال لأعداء الإِسْلَام والمُسلِمين. وهم صفوة الفرقة النَّاجِيَة أهل الاعتقاد الصَّحِيح، الّتي هيَ صفوة أهل السّنّة والجماعة، الّتي هيَ صفوة أهل الإِسْلَام الّذين هم عامة أهل القبلة.

وعلى هذا فهي الدّائرة المركزية الخاصّة. من تلك الدوائر المتسعة الشّاملة، وصولاً لجمع أهل القبلة. وهم كلّ من أعتقد أن لَاإِلٰهَ إِلَّا الله محمّداً رسول الله واستقبل قبلتنا.

هذا في مسألة العقائد..

أما في مسألة المذهبية ضمن أهل السّنّة والجماعة:

فخلاصة ما خلصت إليه كما يلي:

انقسم معظم النّاس اليَوْم حتَّى في أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة إلى ثلاثة فرقاء:

الفريق الأوّل:

وهم المتعصبون لفكرة المذهبية: ويرى هَؤُلَاءِ، أن عدم التزام المذهب مثلبة في الدّين ! ويتدرج التعصب لدى بعض هَؤُلَاءِ إلى حدود الغلو. حيث لا يحلون لرجل أن يعدل عن رأي من فروع آراء مذهبه إلى رأي آخر في أي مسألة من المسائل! بل وصل الغلو حدوداً عجيبة أحياناً، تظن معها أن القوم يتعاملون كما لو كانت المذاهب الأربعة (ضمن أهل السّنّة والجماعة) أدياناً أربعة بحد ذاتها. فوصل الحد لعدم الصّلاة في جماعة واحدة، ومنع التزاوج بين رجل وامرأة من مذهبين، ناهيك عن حالات الخصومة والشجار والتقاتل! وقد سجلت كتب التّاريخ أن هذا البلاء ما زال منذُ قديم الزّمان. وقد بدأت حدة هذا التعصب تخف، مع بقاءها في بعض بقاع بلاد المُسلِمِين. نسأل الله العافية وقد سمعت عن شيء من هذا في بلادنا. ولكني رأيت من ذلك في أفغانستان وباكستان عجباً عجابا..

الفريق الثّاني:

وهم المتعصبون ضدّ المذهبية: من بعض الّذين ينتسبون للتيار السلفي المعاصر، أو من يسمون أنفسهم أحياناً (أهل الحديث). وهَؤُلَاءِ يرون عدم المذهبية مطلقاً ويتدرج عندهم التعصب أيضاً ليصل إلى حدود عجيبة من نقد المذاهب. بل وحتى كبار أئمة المذاهب ونكران فضلهم. والتعدي عَلى حرمات بعضهم، وغيبتهم وانتقاصهم. في حين ينظرون إلى مَشَايخهم المعاصرين بعين التعظيم، ويرون فضل بعض المتأخرين من أئمتهم من بعض علماء (السّلفيّة) المعاصرين. أو أهل الحديث، أعظم من فضل أئمة المذاهب والعُلَماء عبر تاريخ الإِسْلَام ! في حين قد لا يصل في حقيقة الأمر علم أفضل هَؤُلَاءِ وتقواهم وسلوكهم، إلى عشر معشار فضل أقل أولئك الأئمة الأعلام من الأقدمين رحمهم الله تَعَالَى.

وعلى سبيل المثال فقد سمعت عن أحدهم يقول: (إن الإِمَام الشّافعي ليبكي في قبره عَلى ما فاته من دُروس ابن باز وابن عثيمين) !! فلك أن تتأمل !!

وقد وصلت العلة في هذه المدرسة أن اتخذوا من بعض الشعارات، مثل قولهم بـ (فقه الدليل) و(العودة للكتاب والسنة) و(هم رجال ونحن رجال).. إلى حد من الغلو والعوج أصبح يشكل خطراً

عَلى الدّين ذاته. ويجعل المرء يتحير ويترحم عَلى المتعصبين للمذاهب، الّذين غالوا في عصبيتهم ولكن كانَ لهم سلف وإمام يعتد به عَلى الأقل، وبالتالي ميزان يلزمه الحجة. رغم عدم إقرارنا لغلوهم أيضا.

الفريق الثّالث:

وهم المعتدلون من الفريقين الأولين. أعني المعتدلين من المذهبيين والسلفيين. وهم يكنون الاحترام لأئمة المذاهب الأربعة وأقرانهم من الأئمة المجتهدين. وأكثر هَؤُلَاءِ من العُلَماء وطلاب العلم وغالبتهم يأخذون بمذهب من المذاهب، مع أخذهم برأي مذهب آخر إن تبين لهم فيه رجحان الدليل. فهم لا يتعصبون لمذهب من جهة. ولا يفتحون البَاب لكل من هب ودب ليعتدي عَلى الشّريعة بدعوى العمل بدليل الكتاب والسنة. ويعتقدون أن الأصل في العوام التقليد، وفي طلاب العلم الإتباع، وفي الراسخين في العلم الاجتهاد والترجيح.

وأعتقد أن هذا هو المنهج الوسط. وأضيف إلى ذلك عدداً من النقاط للإيضاح، ولبيان وجهة نظري في المسألة والله المُستَعان وهو يهدى السبيل:

أولا: إن تراث المذاهب الأربعة الّتي تلقتها الأُمّة القرون تلو القرون بالرضا والقبول، تراث هائل وإرث حضاري علمي شَرعِيّ متكامل يحق لأمة الإِسْلَام أن تتيه به عَلى غيرها من الأمم فخراً وعزاً. وهذا لا ينكره وينكر فضل الأئمة الأربعة وكبار تلاميذهم وأئمة مذاهبهم ومقامهم وسعة علومهم، إلا مغرض يريد قطع الأُمّة عن جُذُورها. أو جاهل يهرف بما لا يعرف يردد أقاويل المغرضين.

ومجرد بعض الإطلاع عَلى مستوى تحصيل أولئك الأئمة من علوم الشّريعة الأساسيّة، وفقههم وثاقب نظرهم، وتقواهم في تحري الفتوى. والاجتهاد في تحصيل الحقّ وما كانوا عليه من الخُلق والديانة والصيانة. والبعد عن الدُّنيَا، وعن أبواب الحكّام. يعرف شيئاً من فضل الله عليهم وامتنانه عَلى الأُمّة بهم. ومن يطلع عَلى الشُّرُوط الصارمة الّتي كانت موضوعة للفتوى في ذلك الزّمان، مثل بعض ما ورد في كتاب (إعلام الموقعين عن ربّ العَالَمِيّن) لابن القيم. الّذي أورد فيه شروط كبار أئمة المذاهب للفتوى، من حفظ كتاب الله برواياته وإتقان علومه من التفسير، وأسباب النزول، والعلم بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وغير ذلك من علوم. وكذلك أن يعلم من علوم الحديث مثل ذلك، فيحفظ مئات آلاف الأحاديث بأسانيدها. ويعلم رواياتها وعللها وفقهها وشروحها ورواتها.. وكذلك

أن يلم بالسيرة والمغازي وبتاريخ الأئمة والخُلَفَاء والعُلَماء. وأن يحيط بآراء الفقهاء ومواطن الخلاف بين المذاهب دراسة ومقارنة، وأن يعلم لغة العَرَب ويحفظ من تراثها شعراً ونثراً.. وأن يكون مطلعا ومدركا لعلوم عصره، وإشكاليات أهل زمانه ومن سبقهم. ثمّ أن يكون مشهودا بالورع والتقوى، والحلم والعلم، والخلق والمروءة، والريادة والسيادة، والزهد في الدُّنيَا وطلب الآخرة بعلمه وعمله..

وأن لا يكون من المتهمين بالتردد عَلى أبواب السّلاطين ومحاباتهم، إلى آخر تلك الصفات. فمن يطلع عَلى مثل ذلك يعلم أن الأُمّة لم تقدم أولئك الأئمة لمنزلة الإتباع، ولم توقر تلامذتهم وحملة مذهبهم من بعدهم من فراغ وعن عبث.. ويدرك إن أي محاولة للمقارنة بين منزلة أولئك وبعض الأئمة من المتأخرين، مجرد مقارنة سخيفة لا تستند لعلمية ولا واقعية، مع الاحتفاظ بالاحترام والتقدير لعلم كلّ صاحب علم، وجهد كلّ صاحب جهد.

ثانيا: هناك من الأئمة الكبار المجتهدين الأعلام، مثل سفيان الثّوريّ، والأوزاعي، وابن مبارك، والشعبي، وسعيد بن جبير، وسواهم رحمهم الله. ممن عاشوا في ذلك الزّمان خلال القرن الثّاني والثّالث. من كانَ لهم تلك المنزلة كمجتهدين أصحاب مذاهب فقهيّة ومدارس في الاجتهاد. ولكن مذاهبهم لم تحفظ كتابة، ولم تتطور لمرحلة المدرسة، كما حصل للمذاهب الأربعة. فما وصل إلينا من أقوالهم واجتهاداتهم وأدلتهم عَلى ما ذهبوا إليه، فإن له نفس المنزلة العلمية لدى من لديه الأهلية من أهل العلم للبحث والاستنباط.

ثالثا: جاء من بعد أولئك الأئمة الأعلام خلال العصور العلمية الذهبية، وإلى القرن الثَّامن الهجريّ، جاء علماء أفذاذ بلغوا مراتب الاجتهاد. ولكن غالبيتهم السَّاحقَة اجتهدت عَلى أصول مذهب (من المذاهب الأربعة)، رغم أنه كانَ لهم بعض اختياراتهم الفقهيّة الّتي خالفوا بها المذاهب الأخرى أو حتَّى مذهبهم الخاص. وكل تلك الآراء والفتاوى أيضا تراث علمي، لا يقل منزلة عن غيره. ويعلم أهل العلم في كلّ زمان ومكان مكانة هذا التراث. وهم أدرى بالإفادة منه والرجوع إليه والصدور عنه.

رابعا: إن التزام عامة المُسلِمِين بالمذاهب الأربعة عبر العصور، كانَ له – إلى جانب ما يسوق البعض من سلبيات حصر الاجتهاد وإغلاق بابه – كانَ له إيجابية عظيمة يعرف قيمتها من يطلع عَلى حالة (الفلتان الفُقْهيّ)، الّتي حصلت خلال القرن الأخير نتيجة المطالبة غير المنضبطة، (يفتح باب

الاجتهاد) و(نبذ الالتزام بالمذاهب الأربعة) والعودة بالفقه والفتوى (بزعم مدرسة الدليل) إلى (اعتماد الكتاب والسنة مباشرة) والتشدق بشعار (هم رجال ونحن رجال) والقول بأن (المستجدات تقتضي فتح باب الاجتهاد عَلَى مصراعيه).

فقد مثل التزام الأُمّة بالمذاهب الأربعة عموماً. وبسيادة أحد هذه المذاهب في كلّ مملكة من الممالك، أو بقعه من البقاع عَلَى مستوى الأقاليم، أحد عوامل تماسك الأُمّة وتوحدها في آرائها الدّينيّة. وانعكاس ذلك عَلَى التجانس والوحدة في باقي أمورها، عَلَى صعيد الحكم والقضاء وفتاوى الدّين والدُّنيَا. حيث تقاسمت المذاهب الأربعة السّيطرة عَلَى رقعة العالم الإِسْلَاميّ.

فمشرق المُسلِمِين من وسط الصين إلى تركستان ووسط آسيا إلى شبه القارة الهندية وباكستان وأفغانستان. بالإضافة إلى أكثرية المُسلِمِين في الإتحاد السُّوفيتيّ. وكذلك تركيا والعراق والشّام وأغلبية أهل السّنّة في إيران يسودهم مذهب الإِمَام أبي حنيفة النعمان رَحِمَهُ اللَّهُ. وفي القفقاس غرب البحر الأسود وفي جنوب الشّام والأردن وفلسطين ولبنان وإلى مصر وأطراف اليمن وجَزِيرَة العَرَب، يسود مذهب الإِمَام الجليل محمّد بن إدريس الشّافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. كما ينتشر المذهب الشّافعي في جنوب وشرق آسيا وجزر إندونيسيا.

ويسود مذهب الإِمَام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، والّذي عرف بمذهب (أهل المدينة)، وينتشر في شمال أفريقيا من ليبيا إلى تونس والجَزَائِر فالمغرب فموريتانيا. ومنها نزل إلى أواسط أفريقيا وكذلك ينتشر في عموم بلاد السُّودَان.

في حين انتشر مذهب الإِمَام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في بلاد نجد والحجاز وعموم بلاد الحرمين. وتبعه أكثر أصحاب مذهب أهل الحديث حيث وجدوا.

وقد عاش أتباع المذاهب الثّلاثة مع المذهب السائد في كلّ منطقة بكل يسر وانسجام إجمالا. وكان لهم أئمتهم وعلماؤهم ومساجدهم ومراجعهم. وقد دُرِّست المذاهب الأربعة في مختلف المدارس الكبرى والحواضر العلمية عبر التّاريخ في مختلف عواصم الإِسْلَام. وسارت الأمور بطبيعيّة وإيجابية، رغم ما تخلل من إشكالات التعصب، ونزغات الشّيطان بالبشر بين حين وآخر، ودخول السّياسة عَلَى دنيا العلم

والعُلَماء. ونزوع بعض العُلَماء إلى أبواب السّلاطين ليستقوا بهم عَلى التعصب للمذاهب والأشخاص والآراء. ولكن الأمور بقيت منضبطة وانعكست خيراً عَلى دين المُسلِمِين ودنياهم..

خامسا: إن الدعاوى المعاصرة (لنبذ المذهبية) ولاسيما في القرن الأخير. بعد سقوط الخِلافَة وزوال مرجعية الأُمّة السّياسيّة بهذه الطَّريقة الّتي تبناها كثير من أوساط أهل الحديث وما يسمي بـ (التّيار السلفي) بهذه الطَّريقة الّتي حصلت وتحصل اليَوْم، قد جلب من الأضرار أضعاف ما جلب من المنافع. ومن ذلك:

- إن فرار هَؤُلَاءِ المزعوم من تفريق الأُمّة عَلى مذاهب أربعة، والسعي إلى توحيدها عَلى مذهب (الحقّ والدليل)، ومصدرين هما (الكتاب والسنة). جاء رغم الحقّ النَّظري الّذي يستند إليه، بنتيجة عكسية مرعبة، والواقع أكبر شاهد...
- فقد تصدر للفتوى بحسب هذه المدرسة علماء كثيرون. وحتى لو تجاوزنا عن المقارنة غير الممكنة بين مستواهم العلمي ومستوى الأئمة الأوائل. بل حتَّى مع المتأخرين من فطاحل أئمة المذاهب، وقبلنا أهلية هَؤُلَاءِ. لوجدنا أن الخرق قد أتسع عَلى الراقع. فهم اقتحموا مجال الاستنباط والاجتهاد من نفس الأدِلَّة الّتي عالجها أئمة المذاهب. وخرجوا إما بترجيحات بين تلك الآراء أو بآراء جديدة وفتاوى مختلفة. ولأن تعدد الفتاوى ناتج عن تعدد الأفهام والعقول واختلافها.. برز اليَوْم كثيرون هنا وهناك، كأئمة لمدرسة فقه الدليل، فلان أوعلان، وابن فلان، وأبو علان.. من هَؤُلَاءِ المشاهير اليَوْم في كلّ قطر ومملكة.. وهكذا تعدد الأئمة أكثر. وصار لكل إمام جديد تلاميذ وأتباع ومتعصبون. ووجدنا أنفسنا أمام متعصبين جدد لعشرات الأئمة، بدل أن كنا أمام الانقسام عَلى مذاهب أربعة.
- هذا ناهيك عن أن عمليَّة الترجيح بين المذاهب ذاتها افتقرت إلى العلمية. فمن المعلوم أن الحكم يجب أن يكون بمستوى من يحكم بينهم علمياً، أو أن يرجح عليهم علماً وفهماً حتَّى يحكم بالعلم والحق لرجحان هذا أو ذاك. ولكن الجميع مسلم بأن هذا غير متوفر للغالبية السَّاحقَة لعلماء هذا الزّمان. الّذي يقلون عن أولئك علماً وتقيً وفهماً وديناً. فأين الفوائد الّتي ارتجيت من حلّ إشكال التمذهب عَلى أربعة بالتمذهب عَلى العشرات والمئات.

- إن فتح باب العودة لدليل الكتاب والسنة لم تقف مصيبته عند ولادة عشرات الأئمة المعاصرين ومدارسهم وأتباعهم المتعصبين لهم فالمصيبة هنا هينة. إذ أنهم في الغالب علماء أو عَلى قدر كبير من العلم والمعرفة وضوابط الفتوى. ولكن منهج التّيار السلفي المعاصر فتح للجميع أن يمارس هذه المهمة. والمعروف السائد في معظم أوساط التّيار السلفي. أقول (معظم) وليس (كلّ)، هو تجرأ الكبير والصغير من طلاب العلم عَلى ذلك وعلى التصحيح والتضعيف والجرح والتعديل، مما ولد ظاهرة (الجرءاء عَلى النار)، وعلى الفتوى بلا عقل ولا دين..ولا خلق أحياناً. أنّنا بهذا إمام حالة (فلتان فقهي) كما سميتها وتشرذم علمي واجتماعي وديني. ولا أظن أن صاحب دين أو عقل يقر هذا المآل. أنّنا اليَوْم أمام مئات وقل آلاف وقل عشرات آلاف طلاب العلم المزعومين. ولاسيما في مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة وخاصة العربيَّة (حيث ما زال غلب الأعاجم يقرون بالاحترام لعلمائهم ومذاهبهم إلا في أوساط ظاهرة -أهل الحديث- وما أسمي بالسّلفيّة المعاصرة عندهم. فقد نقل العَرَب إليهم داءهم هذا باجتراء الكبير والصغير عَلى الفتوى. والعجيب أنّنا في القرن العِشرين والحادي والعشرين نقول أننا في زمان العلمية والواقعية واحترام الاختصاص. وإرجاع المسائل لأصحابها والعلوم لأربابها. ولكن هذا المذهب الجَدِيد متعدد المدارس والمراجع بشكل غير منضبط والّذي سمى أصحابه أنفسهم في كثير من الحالات (سلفية). ومعاذ الله أن تصح نسبته لسلف هذه الأُمّة وعلومهم وأخلاقهم وتدينهم وتقواهم وورعهم . إن هذا المذهب الفُقْهيّ المعاصر أقر وتعارف رواده من طلاب علم وجهلاء عَلى أن يتجرأ كائناً من كانَ عَلى فتح بطون كتب الشّريعة ليستخرج الأحكام. ووالله لدي قصص وشواهد تصل لحد الكارثة من خلال مواكبتي لهذه الصّحوة الإِسْلَاميّة عَلى مر ربع قرن ولاسيما بعض أتباعنا الأحداث من أتباع السّلفيّة الجهاديّة. الّذين آذوا مدرستنا ونفعوا العدوّ بجهلهم، ولكني أعرض عن ذكرها لتفاهة قصصها وخشية الإطالة. وإن الجاهل ليصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر.

ولكني أؤكد عَلى نقطة بالغة الخطورة والأهمّيّة وهي أن هذا البلاء المبين بَاطِلاق يد الحابل والنابل في دنيا الدّين والفتوى بزعم عدم التمذهب وفقه الدليل، والعودة للكتاب والسنة، وشعار (هم رجال ونحن رجال)، وغير ذلك مما يردده أغرار هذا التّيار ومن غرر بهم، قد كانَ له أثراً سيئاً عَلى مختلف وجوه

التدين ومرافق حياة الأُمّة، ولكنه لما وصل إلى أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة، والتّيار الجهاديّ الّذي أخذ (بالسّلفيّة الجهاديّة). وأكمل مناهجه عَلى يد قادة أفذاذ وعلماء مرموقين فيها في البداية. وصل اليَوْم بالظَّاهِرة لدى بعضهم إلى حد ينذر بالكارثة.

فلئن اجترأ المفتون الأغرار من الصغار هَؤُلَاءِ عَلى أمور الدّين العادية من عبادات ومعاملات ومواريث وسواها، فقصارى الضرر العائد عَلى النّاس هو بعض الأخطاء في العِبَادة أو ضياع لبعض الحقوق في المعاملات. ولكن ميدان الفتوى في الجِهَاد هو أخطر الأمور الخطيرة. إنه الحكم في خمسة أمور:

(١) - أديان النّاس وعقائدهم، وانتماءهم للإسلام أو الكفر، أو الرِّدَّة أو النِّفَاق، أو البِدَعة والفسوق..الخ

(٢) - الحكم في الدِّماء، واستباحة قتل من تجوز أو توجب الشّريعة قتله.

(٣) - الحكم في الأموال، وما يحل أخذه وما لا يحل.

(٤) - الحكم في الأعراض، وما يحل منها وما يحرم.

(٥) -الحكم في قضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر وطرق إزالته، قولا وفعلا.

ولك أن تتخيل الكارثة إذن. لما وسد الأمر لغير أهله. وتنتظر السَّاعة الّتي ظهرت معظم أشرا طها الصغرى والوسطى. ومنها ما نحن بصدده، وما نشهده ونعانيه.

ولا أشك قيد أنملة في أن الجرم الأكبر في هٰذا، هو بسبب إعراض العُلَماء عن الجِهَاد. وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر. وترك ساحته للمخلصين من الشَّبَاب، الّذين يبرز فيهم من هو أهل ومن ليس أهلاً، للخوض فيما كانَ يجب أن يكون عمل ومسؤولية عقلاء الأُمّة وعلمائها وقادة صحوتها..

هذا ناهيك عن الدَّور القبيح الّذي يقوم به علماء السُّلطَان والفاسدون من قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة الّذين احترفوا الإرتزاق نفاقا للحكام، بل وللاستعمار الأمريكيّ الجَدِيد اليَوْم، مما له أكبر الأثر في الصد عن سبيل الله، وتجرئة الأحداث عَلى سد ثغرة عمل العُلَماء بلا أهلية، والله المُستَعان عَلى هذه النّوازل.

فبماذا تجيب شاباً تمنعه من الفتوى والجهد في طلب العلم والدليل لأنه غير أهل، إذا قَالَ لك من يفتيني إذاً ؟! سؤال صحيح مخز لأولئك ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾ فالصّالحون من العُلَمَاء اليَوْم هم الساكتون المعتزلون. وأما شرارهم فابحث عنهم في أبواب السّلاطين. وموائد حوارات مكافحة الإِرهَاب والجِهَاد عَلى فضائِيَّات ومقاهي ندوات الإنترنيت ! وإلى الله المشتكى..

أنّنا نسير إلى عالم الهرج والفتن الّتي تضاهي بسوادها، سواد الليل ظلمة. ويتبع بعضها بعضاً كقطع الليل المظلم.. وهذه إحدى مظاهرها.

والشَّهَادة لله، فلقد شهدت بصحبة للتيار الجهاديّ في هذا المجال أعاجيب، بلغت في بعض التَّجَارب كتجربة الجِهَاد في الجَزَائِر أن تكون أهوالاً. مما شهدت بعضه بنفسي في لندن، أو سمعت به ممن شهده مما حصل في الجَزَائِر.فإلى الله المشتكى.

وها هو عالم ما بعد سِبتَمبر واحتلال العراق يفتتح بما يشيب له الولدان ويحتار معه الحكيم العاقل.

سادسا: نعم لقد استجدت آلاف المسائل المعاصرة في هذه العصور، مما لم يكن في زمان من قبلنا. وهي تحتاج إلى اجتهاد المجتهدين. ولكن من قَالَ أنه يلزم من ذلك نسف تراث المذاهب. وكيف سيجتهدون إذا لم يبنوا عَلى أصول مدارسها الشّامخة. ثمّ العجب العجاب من هذا التّيار السلفي المعاصر المزعوم، أنه لم يتصد لهذه الثغرة الشاغرة من الاجتهاد في فقه المستجدات والنّوازل. وإنما يعود للاجتهاد في مسائل العِبَادات وبعض المعاملات الّتي رصفت فيها رفوف المكتبة الإِسْلَاميّة بآلاف المجلدات والبحوث. وانظر في تراث وفتاوى أئمة السّلفيّة المعاصرين، وأين هيَ من أهمّ النّوازل مسائل السّياسة والحكم والأنظمة القائمة، وفتاوى دفع الصّائل. ومسائل الإقتصاد السّياسيّ المعاصر، والمسائل العلمية الجَدِيدة...الخ. هنالك لا تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا.

وأذكر ذات مرّة أن أحد طلاب العلم المُجَاهدين ﵀ وهو من بلاد الحرمين وأظنه استشهد في (مذبحة قلعة جانغي) في مزار شريف في معارك سقوط إمارة أفغانستان، انفجر مرّة أمامي. وقال لي: لقد جربت طلب العلم في المدينة وسواها مرات، وحصلت في ذلك علماً. ولكني رأيت أن أكثر علمائنا قد دخل في دروسه الحمَّام وما خرج منها..)، يقصد الإعادة والتكرار في فقه الطهارة وأحكامها والإعادة والزيادة فيها وحولها). ولِمن يستنكر، أن يحصي الدُّروس العلمية هناك، ويتابع بَرَامج الفتاوى والدُّروس

الشَّرعيَّة عَلى الفضائِيَّات، في بلاد الحرمين، وفي سواها من البلدان وينظر فيها كتباً وأشرطة وفي مواضيعها..

نعم أنّنا بحاجة للاجتهاد المعاصر، وبحاجة لفتح باب الاجتهاد. ولكن ممن قِبل منْ ؟ وفي ماذا ؟ وكيف؟ فليجيبنا أرباب العلم والساحة والشعائر الدّينيّة في هذا الزّمان عن ذلك !

والخلاصة الّتي خرجت فيها من هذه المسألة ألخصها في نقاط صغيرة موجزة.

فالنّاس كما ذكر ذلك أهل العلم، في مسألة اتباع المذاهب أو الاجتهاد ثلاثة أصناف:

مجتهد: استكمل شروط الاجتهاد وأهلية العلم والفهم. فلهذا إنه يجتهد ويستنبط ويفتي بالدليل.. وما أراهم في زماننا هذا رغم من يزعم غير ذلك إلا أندر من النادر.

متبع: لمجتهد قادر عَلى تميز الأدِلَّة. ولهذا أن يسعى بفهمه أنه يتبع ما تبين له فيه دليل منسوب لإمام ذي قدر معروف.

عامي جاهل بقواعد الدّين: هو عَلى رأي مفتية مجتهداً إن كانَ مجتهداً أو متبعاً ينقل له فتوى واجتهاد مجتهد.

فالخير للأمة – بحسب ما أعتقد – في أن تعود لمنهج السَّلَف في المعتقد. وأن تلتزم فقه المذاهب الأربعة، وفقه علماء هذه الأُمّة السابقين الّذين شهدت لهم الأُمّة بالرسوخ في العلم والتقى والصلاح. وعملياً.. أنصح الشَّبَاب وطلاب العلم بعد نصيحتهم باعتقاد مذهب أهل السّنّة والجماعة في الاعتقاد. وهو اعتقاد الفرق النَّاجِيَة ومذهب الصّحابة والتَّابعين والأئمة الأربعة وسواهم من أعلام هذه الأُمّة.

كما أنصحهم بأن يتفقهوا عَلى مذهب من المذاهب يختارونه. وأنصحهم ولا سيما شباب الصّحوة والجِهَاد بأن يتفقهوا عَلى أحد المذاهب السائدة في مكان إقامتهم ودعوتهم وعملهم وجِهَادهم. حتَّى لا يحول شذوذهم عما ألف النّاس من الفقه والأحكام بينهم وبين النّاس. فإن اختاروا مذهباً غير المذهب السائد في مكان عيشهم. فلا أقل من الدّراسة والتفقه للمذهب السائد أيضاً ليعاملوا النّاس بما ألفوه.

ويأخذوا بأيديهم بالحسنى والرحمة والموعظة الحسنة.

فإذا ما قيض التوفيق والنجاح لبعضهم وفتح عليه بالعلم. فليبدأ بالتخصص كطالب علم. فيترقى في دراسة المذاهب الأربعة. ثمّ يسير صعداً لعلّ الله ينعم عَلى هذه الأُمّة بالمجتهدين الأثبات في زمان الفتن هٰذا. وهذا القصد ؛ طلب العلم. يحتاج السنين الطوال والدأب والظروف المناسبة.

وأعيد اختصار خُلاصة رأيي كنصيحة لمن أخذ بها في كلمتين:

أنا مع دعوة الأُمّة لعَقِيْدَة السَّلَف، وإعذارواحترام من أخذ بمنهج الخلف، والتأدب بأدب الخلاف معهم واعتبارهم من أهل السّنّة. وأن أخطاءهم مردودة ولا تخرجهم من أهل السّنّة.
وانا مع أتباع أحد المذاهب الأربعة. فأنا مع المذهبية المعتدلة الّتي لا تتعصب للمذهب. وتتبع ما تبين لأهل العلم فيه الدليل الثَّابِت ولو من مذهب آخر من مذاهب أئمة أهل السّنّة بغية الحقّ، ولاسيما للضرورة والمصلحة الظَّاهِرة. لا بغية الترخص والتساهل. والله الموفق.

عاشرا: مسالة (التَّكفِير)، أحكام التَّكفِير العامّة، وقضية تكفير المعين:

الحقيقة أَنّي تفكرت مليا قبل أن أضمن هذه المسألة ضمن مسائل المنهج، وذلك لأنها مسألة شائكة ولا يمكن تغطيتها بإحكام إلا بالتفصيل والإفاضة، وهو مالا يحتمله الكتاب. ولكن لخطورة ما تفشى في أوساط بعض الجهاديّين من إشكالات وشطط في بعض الأحيان في هذه المسألة، حيث توسع البعض في التَّكفِير. ولخطورة الظَّاهِرة المعاكسة الّتي تفشت في أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة وأوساط علماء المُسلِمِين وهو الإرجاء المفرط ولاسيما الإرجاء السّياسيّ، فرارا من التَّكفِير، لهاتين المصيبتين رأيت أن أعرض للمسألة. لأنها مسألة من صميم مسائل العَقِيْدَة القتالية، ومن مسائل دائرة الصِّرَاع عندما يتعلق الأمر بقطعان كبيرة من البشر تدعي الإِسْلَام ثمّ تحمل علينا السّلاح وتقاتلنا مع الجُيُوش الكافرة، وتدعي الإِسْلَام ثمّ تحارب بكل وسيلة من يريد أن تحيا الأُمّة وفق مقتضاه..

ولقد وجدت فيما فصله شارح العَقِيْدَة الطحاوية – رَحِمَهُ اللهُ – إيجازا كافيا واضِحاً يشتمل عَلى القواعد الأساسيّة في هذه المسألة الخطيرة. وكتابه رَحِمَهُ اللهُ منتشر مشهور وهو من الكتب الّتي كتب الله لها القبول في جمهور الأُمّة عبر القرون ولاسيما في أيّامنا هذه وفي مختلف أوساط الصّحوة.

قَالَ الإِمَام ابن أبي العز الحنفي في شرح العَقِيْدَة الطحاوية: [**قوله ونسمى أهل قبلتنا مُسلِمِين مؤمنين ماداموا بما جاء به النبيّ ﷺ معترفين وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين**].

(شرح) قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ له ما لنا وعليه ما علينا**»[١] ويشير الشَّيْخ رَحِمَهُ اللهُ بهذا الكلام الى أن الإِسْلَام والإيمان واحد. وأن المسلم لا يخرج من الإِسْلَام بارتكاب الذنب ما لم يستحله. والمراد بقوله أهل قبلتنا من يدعي الإِسْلَام ويستقبل الكعبة، **وإن كانَ من أهل الأهواء أو من أهل المعاصي ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرَّسُول ﷺ**.

وسيأتي الكلام عَلى هذين المعنيين عند قول الشَّيْخ ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله. وعند قوله والإِسْلَام والإيمان واحد وأهله في أصله سواء.

قوله: [ولا نخوض في الله ولا نماري في دين الله].

(ش) يشير الشَّيْخ رَحِمَهُ اللهُ الى الكف عن كلام المتكلمين البَاطِل وذم علمهم فإنهم يتكلمون في الإله بغير علم وغير سلطان أتاهم. إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربّهم الهدى. وعن أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ أنه قَالَ: (لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء بل يصفه بما وصف به نفسه).

قوله: [ولا نجادل في القرآن ونشهد أنه كلام ربّ العَالَمِيّن نزل به الرّوح الأمين عَلى سيد المرسلين محمّد وهو كلام الله تَعَالَى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المُسلِمِين].

(ش) فقوله ولا نجادل في القرآن: يحتمل أنه أراد أنا لا نقول فيه كما قَالَ أهل الزيغ واختلفوا وجادلوا بالبَاطِل ليدحضوا به الحقّ بل نقول إنه كلام ربّ العَالَمِيّن نزل به الرّوح الأمين...إلى آخر كلامه.

والله تَعَالَى قد أمرنا أن لا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هيَ أحسن إلا الّذين ظلموا منهم فكيف بمناظرة أهل القبلة فإن أهل القبلة من حيث الجملة خير من أهل الكتاب فلا يجوز أن يناظر من لم يظلم منهم إلا بالتي هيَ أحسن وليس إذا أخطأ يقال إنه كافر بل أن تقام عليه الحجة الّتي حكم الرَّسُول بكفر من تركها والله تَعَالَى قد عفا لهذه الأُمّة عن الخطأ والنسيان ولهذا ذم السَّلَف أهل الأهواء وذكروا أن آخر أمرهم السّيف.

---

(١) أصله عند البخاري (٣٩١) بلفظ: «.. فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ»

وسيأتي لهذا المعنى زيادة بيان إن شاء الله تَعَالَى عند قول الشَّيْخ ونرى الجماعة حقا وصوابا والفرقة زيغا وعذابا..

قوله: [ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله]

(شرح:) أراد بأهل القبلة الّذين تقدم ذكرهم في قوله ونسمي أهل قبلتنا مُسلِمِين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبيّ معترفين وله بكل ما قَالَ وأخبر مصدقين. يشير الشَّيْخ رَحِمَهُ اللهُ بهذا الكلام الى الردّ عَلى الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب.

واعلم رحمك الله وإيانا أن باب التَّكفِير وعدم التَّكفِير باب عظمت الفتنة والمحنة فيه وكثر فيه الافتراق وتشتتت فيه الأهواء والآراء وتعارضت فيه دلائلهم. فالنّاس فيه في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة المخالفة للحق الّذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر أو المخالفة لذلك في اعتقادهم عَلى طرفين ووسط من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العمليّة. فطائفة تقول لا نكفر من أهل القبلة أحدا فتنفي التَّكفِير نفيا عاماً. مع العلم بأن في أهل القبلة المُنَافِقين الّذين فيهم من هو أكفر من اليَهُوْد والنّصَارى بالكتاب والسنة والإجماع. وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم وهم يتظاهرون بالشهادتين. وأيضا فلا خلاف بين المُسلِمِين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظَّاهِرة المتواترة والمحرمات الظَّاهِرة المتواترة ونحو ذلك فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافرا مرتدا. والنِّفَاق والردة مظنتها البِدَع والفجور كما ذكره الخلاّل في كتاب السنة بسنده إلى محمّد بن سيرين أنه قَالَ: (إن أسرع النّاس ردة أهل الأهواء) وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨]. ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر أحدا بذنب بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب، كما تفعله الخوارج. وفرق بين النفي العام ونفي العموم. والواجب إنما هو نفي العموم. مناقضة لقول الخوارج الّذين يكفرون بكل ذنب. ولهذا والله أعلم قيده الشَّيْخ رَحِمَهُ اللهُ بقوله: (ما لم يستحله) وفي قوله ما لم يستحله إشارةإلى أن مراده من هذا النفي العام لكل ذنب من الذّنوب العمليّة لا العلمية، وفيه إشكال فإن الشارع لم يكتف من المكلف في العمليَّات بمجرد العمل دون العلم

ولا في العلميات بمجرد العلم دون العمل. وليس العمل مقصورا عَلى عمل الجوارح بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح وأعمال الجوارح تبع إلا أن يضمن قوله يستحله بمعنى يعتقده أو نحو ذلك.

وقوله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله إلى آخر كلامه... رد عَلى المرجئة ؛ فإنهم يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة. فهَؤُلَاءِ في طرف والخوارج في طرف. فإنهم يقولون نكفر المسلم بكل ذنب أو بكل ذنب كبير. وكذلك المعتزلة الّذين يقولون يحبط إيمانه كله بالكبيرة فلا يبقى معه شيء من الإيمان. لكن الخوارج يقولون يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر. والمعتزلة يقولون يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر، وهذه المنزلة بين المنزلتين. وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار. وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال لكن في الاعتقادات البِدَعية وإن كانَ صاحبها متأولا. فيقولون يكفر كلّ من قَالَ هذا القول لا يفرقون بين المجتهد المخطئ وغيره، أو يقولون يكفر كلّ مبتدع وهَؤُلَاءِ يدخل عليهم في هذا الإثبات العام أمور عظيمة. فإن النّصوص المتواترة قد دلت عَلى أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان. ونصوص الوعد الّتي يحتج بها هَؤُلَاءِ تعارض نصوص الوعيد الّتي يحتج بها أولئك.

والكلام في الوعيد مبسوط في موضعه وسيأتي بعضه عند الكلام عَلى قول الشَّيْخ وأهل الكبائر في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون. والمقصود هنا أن البِدَع هيَ من هذا الجنس فإن الرجل يكون مؤمنا باطنا وظاهرا لكن تأول تأويلا أخطأ فيه، إما مجتهدا وإما مفرطا مذنبا. فلا يقال إن إيمانه حبط لمجرد ذلك، إلا أن يدل عَلى ذلك دليل شَرعِيّ. بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة.

ولا نقول لا يكفر، بل العدل هو الوسط وهو أن الأقوال البَاطِلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرَّسُول أو إثبات ما نفاه أو الأمر بما نهى عنه أو النهي عما أمر به يقال فيها الحقّ ويثبت لها الوعيد الّذي دلت عليه النّصوص ويبين أنها كفر. ويقال من قالها فهو كافر. ونحو ذلك كما يذكر من الوعيد في الظُّلم في النّفس والأموال. وكما قد قَالَ كثير من أهل السّنّة المشاهير بتكفير من قَالَ بخلق القرآن، وأن الله لا يُرى في الآخرة، ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها... وعن أبي يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قَالَ ناظرت أبا حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ مدّة حتَّى اتفق رأيي ورأيه أن من قَالَ بخلق القرآن فهو كافر.

وأما الشخص المعين إذا قيل هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشَّهَادة. فإنه من أعظم البغي أن يشهد عَلى معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار فإن هذا حكم الكافر بعد الموت.

ولهذا ذكر أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب النهي عن البغي وذكر فيه عن أبي هريرة ﵁ قَالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كانَ رَجُلان في بني إسرائيلَ مُتواخيَين، فكان أحدُهما يُذنبُ والآخرُ مجتهدٌ في العبادة، فكان لا يزالُ المجتهدُ يرى الآخرَ على الذنب، فيقول: أقصِرْ، فوَجَدَه يوماً على ذنبٍ، فقال له: أَقصِرْ، فقال: خلِّني وربِّي، أَبُعِثتَ عليَّ رقيباً؟ فقال: واللهِ لا يَغفِرُ اللهُ لكَ -أو لا يُدْخِلُكَ اللهُ الجنةَ- فقَبَضَ أرواحَهُما، فاجتمعَا عند ربِّ العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكُنتَ بي عالماً؟ أو كنتَ على ما في يدي قادِراً؟ وقال للمُذنِب: اذهَبْ فادخُلِ الجنةَ برحمتي، وقال للآخر: اذهبُوا به إلى النار" قال أبو هريرة: والذي نفسِي بيدِه لتكلَّمَ بكلمةٍ أوبَقَت دُنياه وآخِرَتَه»[1] وهو حديث حسن.

ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدا مخطئا مغفورا له. ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النّصوص. ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله، كما غفر للذي قَالَ إذا مت فاسحقوني ثمّ اذروني ثمّ غفر الله له لخشيته وكان يظن أن الله لا يقدر عَلى جمعه وإعادته أو شك في ذلك. لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدُّنيَا لمنع بدعته وأن نستتيبه فإن تاب وإلا قتلناه.

ثمّ إذا كانَ القول في نفسه كفرا قيل إنه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقا زنديقا.

فلا يتصوَّر أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين الإِسْلَام إلا من يكون منافقا زنديقا. وكتاب الله يبين ذلك فإن الله صنف الخلق فيه ثلاثة أصناف صنف كفار من المشركين ومن أهل الكتاب، وهم الّذين لا يقرون بالشهادتين. وصنف المُؤمِنُون باطنا وظاهرا. وصنف أقروا به ظاهرا لا باطنا. وهذه الأقسام

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٠١) وأحمد (٨٢٩٢، ٨٧٤٩) وصححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

الثّلاثة مذكورة في أول سورة البقرة وكل من ثبت أنه كافر في نفس الأمر وكان مقرا بالشهادتين فإنه لا يكون إلا زنديقا والزنديق هو المنافق.

وهنا يظهر غلط الطّرفين. فإنه من كفر كلّ من قَالَ القول المبتدع في الباطن، يلزمه أن يكفر أقواما ليسوا في الباطن منافقين، بل هم في الباطن يحبون الله ورسوله ويؤمنون بالله ورسوله. وإن كانوا مذنبين كما ثبت في صحيح البُخَارِيّ عن أسلم مولى عمر ﷺ عن عمر: **أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الله، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ الله ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللهمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:** «**لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَالله مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَّ وَرَسُولَهُ**»[١].

وهذا أمر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدّين وفيهم بعض مقالات الجهمية أو المرجئة أو القدرية أو الشّيعة أو الخوارج ولكن الأئمة في العلم والدّين لا يكونون قائمين بجملة تلك البِدَعة بل بفرع منها. ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السَّلَف المشاهير. **فمن عيوب أهل البِدَع تكفير بعضهم بعضا ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون.**

ولكن بقي هنا إشكال يرد عَلى كلام الشَّيْخ رحمه الله وهو أن الشارع قد سمى بعض الذّنوب كفرا. قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]. وقال رسول الله ﷺ: «**سبَابُ المسْلمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»[٢] متفقٌ عليه. من حديث ابن مسعود ﷺ. وقال: «**لا ترجِعُوا بَعدِي كُفارًا يَضرِبُ بَعضُكُم رِقَابَ بَعْضٍ**»[٣]. و«**إذا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِر فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُما**»[٤] متفق عليهما من حديث ابن عمرو ﷺ. وقال: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا**

---

(١) رواه البخاري (٦٧٨٠).

(٢) رواه البخاري (٦٠٤٤، ٧٠٧٦) ومسلم (٦٤).

(٣) رواه البخاري (٤٤٠٥، ٦٨٦٩، ٧٠٨٠) ومسلم (٦٥).

(٤) رواه البخاري (٦١٠٣) ومسلم (٦٠).

خَاصَمَ فَجَرَ»[١] متفق عليه من حديث عبدالله بن عمر ﵄. وقال: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ»[٢]. وقال: «بينَ المسْلِمِ وبَيْنَ الكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ»[٣] رواه مسلم عن جابر ﵁. وقال: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ.... أو أَتَى امْرَأَته من دُبُرِهَا فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»[٤]. وقال: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ»[٥] رواه الحاكم بهذا اللفظ. وقال: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»[٦]. ونظائر ذلك كثيرة.

والجواب أن أهل السّنّة متفقون كلهم عَلى أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرا ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج إذ لو كفر كفرا ينقل عن الملة لكان مرتدا يقتل عَلى كلّ حال ولا يقبل عفو ولي القصاص ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضَّرورة من دين الإِسْلَام.

ومتفقون عَلى أنه لا يخرج من الإيمان والإِسْلَام ولا يدخل في الكفر ولا يستحق الخلود مع الكافرين، كما قالت المعتزلة، فإن قولهم بَاطِل أيضا. إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المُؤمِنين قَالَ تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨] فلم يخرج القاتل من الّذين آمنوا وجعله أخا لولي القصاص. والمراد أخوة الدّين بلا ريب. وقال تَعالَى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ

---

(١) رواه البخاري (٣٤، ٢٤٥٩، ٣١٧٨) ومسلم (٥٨).

(٢) رواه البخاري (٦٨١٠) و مسلم (٥٧).

(٣) رواه مسلم (٨٢) وأصحاب السنن.

(٤) رواه مجتمعا أو طرفا منه : أبوداود (٢١٦٢، ٣٩٠٤) وابن ماجه (٦٣٩، ١٩٢٣) وأحمد (٧٦٨٤، ٨٥٣٢، ٩٢٩٠، ٩٧٣٣ ....) وصححه الألباني : (مشكاة المصابيح ٤٥٩٩)

(٥) رواه أبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) وأحمد (٤٩٠٤، ٥٣٤٦ ....) وصححه الألباني.

(٦) رواه مسلم (٦٧).

أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ [الحجرات]. ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل عَلى أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل بل يقام عليه الحد فدل عَلى أنه ليس بمرتد، وقد ثبت في الصَّحِيح عن النبيّ أنه قَالَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ» [1] فثبت أن الظَّالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه. وكذلك ثبت في الصَّحِيح عن النبيّ أنه قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» [2] رواه مسلم. وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤] فدل ذلك عَلى أنه في حال الإساءة يعمل حسنات تمحو سيئاته وهذا مبسوط في موضعه. والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة فإنهم وافقوهم عَلى أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، لكن قالت الخوارج نسميه كافرا وقالت المعتزلة نسميه فاسقا فالخلاف بينهم لفظي فقط.

وأهل السّنّة أيضا متفقون عَلى أنه يستحق الوعيد المرتب عَلى ذلك الذنب كما وردت به النّصوص، لا كما يقوله المرجئة من انه لا يضر مع الإيمان ذنب ولا ينفع مع الكفر طاعة. وإذا اجتمعت نصوص الوعد الّتي استدلت بها المرجئة ونصوص الوعيد الّتي استدلت بها الخوارج والمعتزلة تبين لك فساد القولين. ولا فائدة في كلام هَؤُلَاءِ سوى أنك تستفيد من كلام كلّ طائفة فساد مذهب الطَّائِفَة الأخرى.

ثمّ بعد هذا الاتفاق تبين أن أهل السّنّة اختلفوا خلافا لفظيا لا يترتب عليه فساد، وهو أنه هل يكون الكفر عَلى مراتب كفرا دون كفر كما اختلفوا هل يكون الإيمان عَلى مراتب إيمانا دون إيمان، وهذا الاختلاف نشا من اختلافهم في مسمّى الإيمان هل هو قول وعمل يزيد وينقص أم لا بعد اتفاقهم عَلى أن من سماه الله تَعَالَى ورسوله كافرا نسميه كافرا إذ من الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٩).

(٢) رواه مسلم (٢٥٨١).

الله كافرا، ويسمي رسوله من تقدم ذكره كافرا ولا نطلق عليهما اسم الكفر، ولكن من قَالَ إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص قَالَ: هو كفر عملي لا اعتقادي. والكفر عنده عَلَى مراتب كفر دون كفر، كالإيمان عنده. ومن قَالَ إن الإيمان هو التّصَدّيق ولا يدخل العمل في مسمّى الإيمان، والكفر هو الجحود ولا يزيدان ولا ينقصان. قَالَ هو كفر مجازي غير حقيقي. إذ الكفر الحقيقي هو الّذي ينقل عن الملة وكذلك يقول في تسمية بعض الأعمال بالإيمان كقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾[البقرة: ١٤٣] أي صلاتكم الى بيت المَقْدِس أنها سميت إيمانا مجازا لتوقف صحتها عن الإيمان أو لدلالتها عَلَى الإيمان إذ هيَ دالة عَلَى كون مؤديها مؤمنا. ولهذا يحكم بإسلام الكافر إذا صلى صلاتنا. فليس بين فُقَهَاء الأُمّة نزاع في أصحاب الذّنوب إذا كانوا مقرين باطنا وظاهرا بما جاء به الرَّسُول وما تواتر عنهم أنهم من أهل الوعيد. ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار كالخوارج والمعتزلة. ولكن أردأ ما في ذلك التعصب عَلَى من يضادهم وإلزامه لمن يخالف قوله بما لا يلزمه والتشنيع عليه.

وإذا كنا مأمورين بالعدل في مجادلة الكافرين وأن يجادلوا بالتي هيَ أحسن فكيف لا يعدل بعضنا عَلَى بعض في مثل هذا الخلاف. قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ ﴾ [المائدة: ٨]

وهنا أمر يجب أن يتفطن له وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة ويكون كفرا إما مجازيا وإما كفرا أصغر عَلَى القولين المذكورين وذلك بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر. وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة. فهذا عاص ويسمى كافرا كفرا مجازيا او كفرا أصغر وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطىء له أجر عَلَى اجتهاده وخطؤه مغفور.

وأراد الشَّيْخ ﵀ بقوله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله مخالفة المرجئة وشبهتهم كانت قد وقعت لبعض الأولين فاتفق الصّحابة عَلَى قتلهم إن لم يتوبوا من ذلك فإن قدامة بن عبدالله شرب الخمر بعد تحريمها هو وطائفة وتأولوا قوله تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [المائدة: ٩٣] فلما ذكروا ذلك لعمر بن الخطاب ﷺ، اتفق هو وعلي بن أبي طالب

وسائر الصّحابة عَلى أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا، وإن أصروا عَلى استحلالها قتلوا. وقال عمر لقدامة أخطأت إستك الحفرة أما إنك لو اتقيت وآمنت وعملت الصّالحات لم تشرب الخمر وذلك أن هذه الآية نزلت بسبب أن الله سبحانه لما حرم الخمر وكان تحريمها بعد وقعة أحد قَالَ بعض الصّحابة فكيف بأصحابنا الّذين ماتوا وهم يشربون الخمر، فأنزل الله هذه الآية يبين فيها أن من طعم الشيء في الحال الّتي لم يحرم فيها فلا جناح عليه إذا كانَ من المُؤمِنِين المتقين المصلحين كما كانَ من أمر استقبال بيت المَقْدِس ثمّ إن أولئك الّذين فعلوا ذلك يذمون عَلى أنهم أخطوا وآيسوا من التوبة فكتب عمر الى قدامة يقول له:[﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾[غافر] ما أدري أي ذنبيك أعظم استحلالك المحرم أولاً أم يأسك من رحمة الله ثانيا. وهذا الّذي اتفق عليه الصّحابة هو متفق عليه بين أئمة الإِسْلَام] أهـ.

انتهى كلامه ﵀. وفيه من البيان ما يغني عن الشرح والتوضيح.

وأختم الفقرة بما قاله حجة الإِسْلَام الإِمَام أبو حامد الغزالي ﵀ في كتابه (التفرقة بين الإيمان والزندقة) قَالَ: (**الّذي ينبغي ؛ الاحتراز عن التّكفِير ما وجد إلى ذلك سبيلاً، فإن استباحة دماء المصلين المقرين بالتّوحيد خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم لمسلم واحد**). والله تَعَالَى أعلم.

أنقل هذا ليستزيد المُجَاهدون وطلاب العلم منهم في هذا الأمر حيطة لدينهم وألسنتهم، في الحكم عَلى أديان النّاس ولاسيما عوام المُسلِمِين. لا لتكون حجة للمرجئة وغلاة أذنابهم في زماننا، قاتلهم الله. ففي رسائل كتابي هذا ما يكفي للدلالة عَلى حضي عَلى جِهَاد الكفّار الغُزَاة وأذنابهم من المرتدّين وجنودهم وأعوانهم بالسيف والسنان وعلى تكفير من شرع وحكم بغير ما أنزل الله، وكذلك تكفير من أعان الكافرين وظاهرهم عَلى المُسلِمِين من الحكّام المرتدّين أو من فعل ذلك من جنودهم وعساكرهم. ومثلهم أيضا أئمة الكفر من العلمانيين الطاعنين في دين الله. وكذلك حضي عَلى عدم الغفلة عن جِهَاد علمائهم ووسائل إعلامهم وبَرَامج حرب الأفكار الّتي اخترعوها بالحجة والبيان.

وأنصح المُجَاهدين ختاما بأن يتركوا الخوض في هذه المسائل للعلماء وطلاب العلم القادرين عَلى الخوض في خضمها الصعب، وينصرفوا إلى قتال أعداء الله تطبيقا لما استيقنوه من هذه الفريضة المتعينة عَلى كلّ مسلم اليَوْم.

وفي ختام هذا البَاب أؤكد عَلى أن العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة، وما يتفرع عنها من العَقِيْدَة الجهاديّة.. أساس كلّ حركة وسلوك لدى المؤمن المُجَاهد. وبقدروضوحها في قلب المؤمن وعقله يكون مستوى سلوكه في هذه الحياة ومواقفه مما يعترضه فيها.

إن آثاروضوح هذه العَقِيْدَة ووجودها ورسوخها لا تخفى. ولها بالغ الأثر في إيجاد المؤمن الصّالح الخلوق. والمُجَاهد العقائدي الثَّابِت بفضل الله. كما أن آثارزوالها وتشوهها لا تخفى. ولها بالغ الأثرفي تدرج النّاس في دركات الفسوق والضلال والضّعف والهوان كما نعيشه ونلمسه اليَوْم بكل وضوح. ومن هنا البداية. ورحم الله من قَالَ: لن يصلح آخر الأُمّة إلا بما صلح به أولها.



الفصل الثامن

الباب الثاني

(أسس النَّظريَّة السّياسيّة لدعوة المُقاوَمة الإسْلاميّة العَالَمِيّة)

إذا أردنا أن نقيم نظريتنا السّياسيّة بناءا عَلى دراسة أوجه القصور أو الفشل، في الطروحات السّياسيّة للتجارب الجهاديّة السَّابقة، سنجد للأسف أن معظم التَّجَارب الجهاديّة لم يكن لديها نظَريَّات سياسيّة مفصلة، ولا موجزة في بعض التَّجَارب وللأسف، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الفارق بين الهدف السّياسيّ الرَّئيسي للتنظيمات الجهاديّة (وهو إسقاط الأنظمة القائمة وإقامة نظام إسلامي) وبين الهدف من دعوة المُقاوَمة وهو (دفع صائل المحتل الغازي ومن يعاونه)، ولذلك ندخل في تحديد معالم نظريتنا السّياسيّة مباشرة، دون التعرض لأوجه قصور التَّجَارب السَّابقة، والله الموفق.

أولاً: مدخل ومبادئ عامة

قبل الدخول في الحديث عن النَّظريَّة السّياسيّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، من المفيد أن نعرض لجملة من التعريفات والمفاهيم السّياسيّة، مما يساعد عَلى فهم نظريتنا والأسس الّتي بنيت عليها.

(١) - مكانة السّياسيّة الشَّرعيَّة:

السّياسة علم وفن وجد منذُ وجد البشر، وقد تطورت منذُ قديم الزّمان، إلى أن وصلنا إلى هذه العصور الحديثة الّتي أصبح مدار حركة البشر ومصالحهم عليها وعلى تعلقاتها، والسّياسة لدي غير المُسلِمين تختلف عنها كما هيَ عندنا، ومن أوجز التعبير الّتي وجدتها تعلق عَلى حقيقتها عندهم، ما قاله (مونتغمري) القائد العسكريّ الإنكليزي الشهير في الحَرب العَالَمِيّة الثّانية، عندما قَالَ:

(**الحَرب عمل قذر.. وأما السّياسة فيا الله !**).. ويكفي أنهم أقاموها عَلى قولهم..

(**ليس في السّياسة علاقات دائمة.. ليس في السّياسة مبادئ دائمة.. في السّياسة مصالح دائمة..**).

وقد أصبح مدار السّياسة اليَوْم، مع سيطرة قوى الكفر والظُّلم والطّغيان في العالم الكافر، وكذلك في عالمنا المسمى مجازاً (إسلامي) عَلى حد سواء، عَلى الأسس (**الميكافيلية**)، الّتي تهدم أمام المصالح والأغراض والأهواء كلّ دين وخلق ومبدأ، حيث لا يعتبر نكث العهود، وتغير المواقف ونقض المبادئ، وهتك أساسِيَّات الأخلاق عيباً، لأنه صار عرفاً متعارفاً عليه.

ولكن السّياسة لدينا نحن المُسلِمِين شيء آخر، مثلها مثل كافّة أوجه نشاط الإنسان عَلى هذه البسيطة، فهي محكومة بأحكام شرعيّة، وداخلة في قوله تَعَالَى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] ومن هنا اصطلح عَلى أصولها وعلومها وما يتعلق بها عند المُسلِمِين ؛ مصطلح (**السّياسة الشَّرعيَّة**).

وقد احتل هذا العلم بين علوم الشّريعة مكانة مرموقة، وألفت فيه الكتب منذُ صدر الإِسْلَام، وقد تناول قواعده العُلَماء بأقوال تجدها مبثوثة ً في مختلف كتبهم مفرقةً بين علوم أُخرى كما هو دأب الأقدمين، ثمّ بدأ يتناول منفصلا مع استقرار الخِلافَة الإِسْلَاميّة وتطورها، وتحولها إلى الحجم الإمبراطوري في العصر الأموي ثمّ العبّاسي وما بعده، وتعامل السّلاطين والعُلَماء مع مختلف المسائل، الّتي طرأت بتعدد الشّعوب الإِسْلَاميّة، وحدوث المسائل والحاجة للتقنين، وسياسة (الدّين والدُّنيَا) كما أسموها لدي المُسلِمِين، وكذلك الحاجة للتعامل مع الخلافات والإشكالات السّياسيّة.. الخ، ذلك، بدأت علوم السّياسة الشَّرعيَّة تتطور، فبدأ العُلَماء يصنفون في علم السّياسة الشَّرعيَّة كتبا مستقلة ومبوبه، بحيث غطت كافّة مجالات علاقات الحاكم بالمحكوم، وما ينجم عن ذلك من أوجه اتفاق وخلاف، وكذلك علاقات المُسلِمِين بغير المُسلِمِين، من المقيمين بينهم، وعلاقاتهم مع الكفّار في حالات الحَرب والسلم، والعهد والأمان وسوى ذلك.

فتركوا لنا تراثاً هائلاً ومراجع في غاية الروعة والموسوعية تشكل مرجعاً في غاية الاتساع، ومنطلقاً يتكئ عليه المجتهدون اليَوْم لأخذ الأحكام الّتي تتكرر معطياتها وأسبابها، وللإتكاء عليها في الاجتهاد والاستنباط والقياس فيما جدت فيه أوجه المسائل.

أحكام السّياسة الشَّرعيَّة هيَ: أحكام شريعة + فقه واقع ومعطيات سياسة

(٢) - العلاقة بين الشّريعة والسّياسة هيَ علاقة الثَّابِت بالمتحول:

والفتوى والحكم في مسائل السّياسة الشَّرعيَّة، مثلها مثل كلّ منطلقات كلّ فتوى، مركبة من معرفة أحكام الشّريعة الثَّابِتة وأصولها وقواعدها، ثمّ معرفة تفاصيل الواقعة المطلوب الحكم فيها، ثمّ تطبيق تلك الأحكام بعد العلم عَلى تلك الواقعة بعد الفهم، فيصل المفتي إلى الاجتهاد الصَّحِيح أو الّذي يكون عَلى الأقل فيه بين أجر المخطئ وأجري المصيب.

و الأحكام الشَّرعيَّة نوعان ؛ نوع ثابت لا تبديل فيه لثبات الأسباب ومناطات الأحكام، مثل مسائل أحكام العِبَادات والمواريث، وكثير من أحكام المعاملات والبيوع... إلخ، فلا تتبدل فيها الأحكام قديماً ولا حديثاً، ونوع يتعلق بتطور أوجه نشاط البشر وحدوث المسائل، مثل كثير من أحكام المعاملات والتجارات والمسائل المالية المستحدثة عَلى سبيل المثال.

وتأتي السّياسة في طليعة الأمور الّتي ضبطت فيها الشّريعة الأحكام، ضمن خطوط عريضة، وعلقت فيها كثير من الأمور عَلى مترتبات نتائج المصالح والمفاسد، وتقديرات أهل الرَّأي والتجربة والخبرة، بحيث يكون العمل حلالاً مشروعاً بشروط أسباب معينة يقدرها أهل المعرفة فيها، وقد يكون حراماً إذا أنتفت تلك الشُّرُوط، بناءً عَلى نفس القواعد الشَّرعيَّة، وكذلك فهي من الأبواب الّتي يتسع فيها القياس، واستصحاب الظّروف والأحوال، والاستحسان والعرف، كما يتسع فيها باب المصالح المرسلة، وأحكام الضَّرورات... ولذلك فإنها تحتاج من المتصدرين لها إلى أن يجمعوا ثلاثة أمور مجتمعة:

أولها علم بالشّريعة، وثانيها فقه في الواقع، وثالثها تقوى عالية تنزههم عن الهوى، ولنضرب أمثلة مما يألف النّاس أحدهما من الأحكام الثَّابِتة وثانيهما من المتحولة..

فأحكام الطهارة والعِبَادات كلها ثابتة فكل حدث ينقض الطهارة يحصل مع الإنسان اليَوْم كما يحصل مع كلّ إنسان منذُ خلق الله، فثبتت الأحكام، وأحكام العِبَادات كلها توقيفية وتفصيلية.

ولنضرب مثلاً عن المتحول، بقاعدة الخروج عَلى الحاكم الكافر الّذي بدا منه الكفر البواح والنص صريح صحيح في الكتاب والسنة، ولكن الفقهاء قالوا في الفتوى الشهرة المنقولة عن القاضي عياض، إذا كفر الحاكم وارتد بخروج المُسلِمِين عليه وخلعه إن ظنوا القدرة عَلى ذلك!

فمن الّذي يقدر ظن القدرة ! وهل تستوي فيها أفهام النّاس ؟ وكم من العوامل تتشابك في ذلك وتبدل تقديراتهم ؟ وكم يحتاج هذا للفهم والضبط والتقوى والسَّلامة من الهوى، وقل مثل ذلك عن مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، الّذي هو فريضة، وقد شرطها العُلَماء لذلك بأن ينتج عنها معروف ولا ينتج عن الأمر مُنكر أكبر، فتصير حراماً.. فمن الّذي يقدر النتائج حتَّى يحل شكلا من أشكال الأمر والنهي أو يحرمه ؟! وهكذا الاستعانة بغير المسلم في دفع الصّائل عَلى المُسلِمِين، حيث اتفق العُلَماء كلهم حتَّى من حرم الإستعانة بغير المسلم في الجِهَاد مثل الظَّاهِرية وغيرهم، اتفقوا عَلى أنه إذا أشف أهل الإِسْلَام عَلى الهلكة ؛ جاز بالاتفاق، وفي غير هذه الحالة، جاز عند البعض واختلف آخرون، فما مناطات الحكم في تلك الأحكام ؟ إنها تقديرات العدول الأتقياء، أصحاب الخبرة والتجربة من أولي الأحلام والنهى ورؤوس النّاس وعلماؤهم الأتقياء!

فالشّريعة وأحكامها ثابتة، تطبيق عَلى واقع حركة البشر ونواياهم وقلوبهم وسلوكهم، وكلها متحولة، فتكون النَّتِيجَة أن أحكام السّياسة الشَّرعيَّة مرنة متحولة، ضمن إطار ثبات عموم أساسِيَّات أصول الشّريعة، ولذلك كانَ القول فيها من أدق وأصعب الأمور، وربما كانَ هذا أصعب أبواب الفقه والفتوى وأخطرها عَلى الإطلاق.

(٣) – أعمال المُقاوَمة ومجالاتها: فريضة شرعيّة وأحكام شرعيّة وحقيقة سياسيّة:

عرف المعاصرون من علماء الاجتماع والسّياسة (الحَرب) ؛ بأنها: هيَ السّياسة بأساليب عنيفة، وهذا صحيح، فكل الحُرُوب والصِّرَاعات، هيَ الوجه العنيف للعلاقات السّياسيّة، عندما تنقطع سبل التفاهم بالوسائل الدبلوماسية والسّياسيّة.

وقالوا بأن الحُرُوب هيَ وسائل السّياسة، وهذا صحيح أيضاً، وإذا نظرنا إلى نظير ذلك لدينا معشر المُسلِمِين ومن منظور أحكام شريعتنا لوجدنا ذلك صحيحاً، فالجِهَاد فريضة شرعيّة، وأحكام دينية ولكن قواعده وأصوله وما ينجم عنه، سواءً كانَ جِهَاد طلب أم جِهَاد دفع، هو مجال للعلاقات السّياسيّة بالعدو والصديق، وتنجم عنه أوجه نشاط وعلاقات كلها ذات طبيعة سياسيّة.

فإذا ما جئنا لموضوعنا، وهو **المُقاوَمة.. مقاومة قوى الإستعمار** الصّائل علينا، الهاجم علينا بمخططات شاملة لكل أوجه النَّشَاط البشري والمكوّنات الحَضَاريَّة، لوجدنا أن المُقاوَمة (عمل سياسي)، بكل ما لهذا التعريف الموجز جداً من معني وأبعاد، ولا يمكن لأعمال المُقاوَمة بمفهومها الشّامل أن تحقق هدفاً، وأن يكون لها نتيجة بدون برنامج استثمار سياسي، للتضحيات الجهاديّة والأعمال العسكريّة، الّتي يجب أن تبرمج كلها بحيث تكون وسيلة لهدف.

فالوسيلة العسكريّة هيَ من أجل دحر الغُزَاة، وإخراجهم من بلادنا، وصرف كيدهم عنا، وإسقاط أنظمة حلفائهم، وإقامة أنظمتنا الشَّرعيَّة المستقلة.. فهي وسيلة لأهداف كلها سياسيّة!

ولأنها محكومة بثوابت شريعتنا، فإنا نعرف المُقاوَمة بأنها:

(**أعمال الجِهَاد المُسلّح لتحقق أهداف سياسيّة شرعيّة، لدفع صائل العدوّ ولإعلاء كلمة الله ورفع رايته وتحكيم شرعه**)، وبذلك تكون المُقاوَمة جِهَاداً في سبيل الله، والقتل تحت رايتها شهادة في سبيل الله، مقبولة لدي الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى برحمته وفضله.

(٤)- أعمال المُقاوَمة نوع من حُرُوب العِصَابات، وهي عمل سياسي:

أسلوب حُرُوب العِصَابات، فن استراتيجي مكون من تكتيكات عسكريّة أصبحت معروفة ومدروسة، وصارت علماً له أصوله، حيث يوظف الضعيف أعماله ضمن إمكانيَّاته القليلة، من أجل إجِهَاد الخصم عبر الحَرب الطويلة المدى لإدخال في أوضاع سياسيّة تضعه أمام خيار الانسحاب أو الانهيار من داخله.

ولم تكن حُرُوب العِصَابات أبداً في تاريخها كله، حُرُوب تدمير شامل لقوى الخصم وجُيُوشه من أجل كسب الحَرب، بل لم تعد معظم الحُرُوب في العصور الحديثة، تنهي الصِّرَاع بالدمار المادي للخصم إلا في حالات نادرة جداً، وإنما صارت الحُرُوب وسيلة لإدخال العدوّ في أوضاع سياسيّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة تضعه في حال الهزيمة والاندحار.

ولست هنا في مجال الاستطراد في شرح هذا الفن، وأحيل القارئ إلى عدد من المحاضرات الّتي سجلتها في هذا البَاب، وهي منشورة، وأوسعها مجموعة محاضرات بعنوان (**شرح كتاب حرب**

المستضعفين) وهي مسجلة في / ٣١ / شريطاً، والخلاصة محل الشاهد من هذا هنا ؛ هيَ أن حرب العِصَابات تقوم عَلى الإستثمار المتقن بوسائل السّياسة والإعلام، للجهود العسكريّة الّتي تقوم بها العِصَابات أو المقاومون الضّعفاء، تجاه قوّات ضخمة تفوقهم عددا وقدرة وإمكانيّات، بحيث يُؤَدِّي التنسيق في أعمال المُقاوَمة، بين المجهود العسكريّ، والإعلاميّ، والتكتيكات السّياسيّة، عبر حرب إنهاك طويلة المدى، تؤدي إلى إدخال العدوّ في حال الانهيار نتيجة الضغوط عليه من الرَّأي العام الداخلي أو الرَّأي العام الخارجي، بحيث يستحيل معه استمراره في المُوَاجَهة والحفاظ عَلى مقوّمات وجوده وعلاقاته الداخليَّة والخارجيّة.

والخلاصة أن النّصر العسكريّ في أعمال المُقاوَمة ذو طابع سياسي، ولا يمكن أن يحقق بدون وسيلة عسكريّة فاعلة، ومقاومة تحقق ضربات وخسائر حقيقية عَلى الأرض، وبحث هذا يطول وتكفي هذه الإشارة هنا كفقرة في مقدمة.

(٥)- المُقاوَمة ونظريَّة التَّجنيد، والتحييد ووالتفكيك:

تتكون ساحة الصِّرَاع بين كلّ طرفين متخاصمين وكذلك بين المُقاوَمة وأعدائها من الطيف المتدرج التّالي:

١- أعضاء المُقاوَمة.

٢- أنصار المُقاوَمة ومؤيديها.

٣- الحياديون بين المُقاوَمة ومُعَسْكَر الخصم.

٤- أنصار أعداء المُقاوَمة ومؤيديهم.

٥- الأَعدَاء المحاربون للمقاومة.

وتنصب جهود الدّعوة والعمل السّياسيّ لكل مقاومة، ولكل طرف في أي صِرَاع كانَ، عبر الوسائل الإعلاميَّة والسّياسيّة، وحتى العسكريّة أحياناً عَلى جعل مسار التّحول يكون عَلى شكل سهم تتنقل فيه هذه المكوّنات من النهاية نحو البداية..

أي تحويل ما أمكن من المكوّنات والعناصر والكتل من الصف الخامس وهو مُعَسْكَر العدوّ المباشِر للمُوَاجَهة، إلى الصف الرَّابع ليكون مناصراً للعدو فقط، دون مباشرة القِتَال والعون، وتحويل هذه الطّبَقة من الصف الرَّابع إلى الثّالث ليكون محايداً في هذا الصِّرَاع الدّائر، وتحويل هذا إلى الصف الثّاني في ليكون مناصراً للمقاومة، دون مشاركة لها في الدَّفع والعمل، وتحويل هَؤُلَاءِ ما أمكن ليكونوا أعضاءً في المُقَاوَمة.. بهذه الآلية:

٥- مُعَسْكَر العدوّ ← ٤ - مناصر للعدو ← ٣ - محايد في الصِّرَاع ←

٢- مناصر للمقاومة ← ١ - مشارك في مقاومة.

وعندما تؤدي مجموعة الأعمال العسكريّة أو السّياسيّة أو الإعلاميَّة أو سوى ذلك من الممارسات، إلى عكس هذا المسار، ويلاحظ قادة المُقاوَمة، أو أي فريق يخوض صراعاً من أي شكل، حتَّى ولو كانَ شركة تجاريَّة تخوض منافسة في السوق، إذا لاحظ أن المعادلة تسير بشكل معكوس بحيث.. يتخلى الأعضاء، ويقل المناصرون ويصبحوا محايدين، وينتقل المحايدون إلى نصرة العدوّ وتأييده، وينضم بعض المناصرين للعدو عن بعد إلى مُعَسْكَر العدوّ!!

فليعلم هذا الفريق أن الله قد ابتلاهم بقيادة تسوقهم إلى قدر الفشل والهزيمة. وأن برنامج عملهم وأسلوب حركتهم مبني عَلى أسس خاطئة.

هذه هيَ القَاعِدَة العامّة الّتي قل لها شذوذاً في مسائل الحشد في عالم السّياسة والصِّرَاعات، فيجب أن تيسير العمليّة السّياسيّة بحيث توفر التَّجنيد من صفوف الأنصار، والتحييد في صفوف أنصاره، والتفكيك بين صفوف العدوّ، وهكذا تتسع دائرة المُقاوَمة وأعضاؤها ودائرة أنصارها، وتتقلص دائرة الحياد القريب من العدوّ، وتنقل ما أمكن إلى دائرة الحياد الإيجابي لصالح المُقاوَمة، وتتفكك دائرة أنصار العدوّ وتسير للحياد وينسحب من صفوف العدوّ أكبر قدر من الكتل والأفراد.

(٦) – نظريَّة الحشد، ومفتاح الصِّرَاع، والمناخ الجهاديّ:

في الكتب الّتي عنت بالحديث عن مقوّمات الثورات وأصول المُقاوَمة وحُرُوب العِصَابات تجد هذه المصطلحات..

- نظريَّة الحشد:

ويقصدون بها مجموعة الأعمال السّياسيّة والدعائية الّتي توفر للمقاومين اتساع دائرة الأنصار والمؤيدين الّتي توفر لهم تجنيد العناصر الجدد، كما توفر لهم الخدمات اللوجيستية، وإمكانية الاختفاء والتزود باللوازم المادية والمعلومات...

- **مفتاح الصِّرَاع:**

وهو مجموعة الشعارات والأهداف والقضايا الّتي تطرحها المُقاوَمة لإقناع النّاس بقضيتها وعدالتها وتأهلهم ليكونوا ضمن حشد الأنصار أو الأعضاء، ونحن نطلق عليه مصطلح:

(مفتاح الجِهَاد والمُقاوَمة) ليتناسب مع منهجنا وطرحنا الشَّرعيّ الإِسْلَاميّ.

- **المناخ الثّوريّ:**

ويقصدون به الجو العام ووصول الرَّأي العام إلى القناعة، بأن الإشكال مع العدوّ سواء كانَ مُستَعمراً، أو حكومة طاغوتية ظالمة، قد وصل لحد الإنسداد، بحيث لم يعد من حلّ ممكن للإشكال إلا العمل المُسلّح، حيث تهون عَلى النّاس عند ذلك التضحيات، نظراً لما هم فيه من سوء الحال وما يعانونه عملياً، سواءً كانَ ذلك بسبب انتهاك المقدّسات الدّينيّة، أو الأعراف والتقاليد الاجتماعيَّة، أو قتل الأنفس، أو تهديد الأعراض، أو نهب الأموال، أو هدر الكرامة الوطنيّة، أو الاحتلال الأجنبيّ، أو الظُّلم أو الفقر والفاقة إلى آخر ذلك..

ونحن نسمي هذا **(المناخ الجهاديّ)** ليناسب فكرنا وطرحنا.

وهو الجو العام الّذي يصل فيه المُسلِمُون إلى القناعة بالتَّضحِيَة والسير في طريق الجِهَاد المُسلّح في سبيل الله.

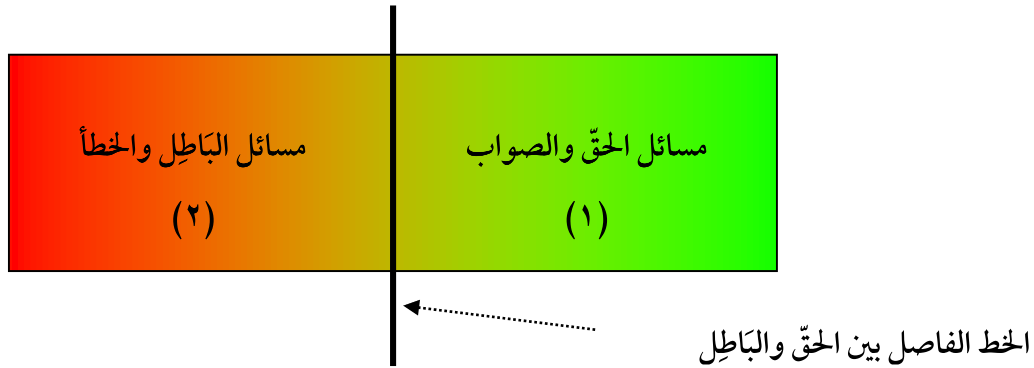
(٧) – حدود دائرة الصِّرَاع ونظريَّة الخط الفاصل بين مسائل الحقّ والبَاطِل:

المُسلِمُون أصحاب ديانة ربانية، وحضارة شاملة، ونظام حياة متكامل، وهذا معروف، وبسبب أنهم حملة الحقّ ودعاته وممثلوه، فإن قوى البَاطِل والضلال، وأصحاب الهوى وأهل الفساد كانوا عَلى طول الأزمان أعداءً لهذا الدّين وأهله، أو مخالفون لهم في النهج والمبادئ، عَلى مراتب من الخلاف متدرجة، وهذا من طبائع الأشياء، ومن سنن الخليقة ؛ فما مادام أن هناك حق، فهناك بَاطِل، وهناك

صِرَاع بين حملة هذا وذاك، وما دام أن هناك صوابٌ فهناك خطأ، وهناك تناقض بينهما وتباين بين أصحابهما.

ولو ذهبنا نعدد مبادئ الإِسْلَام الحقّ، وما يتفرع عنها من قواعد الهدى ووجوه الصواب وسواء الصراط لعجزنا عن الحصر، فهو معتقد متكامل وشريعة مفصلة، فليس من أمر من أمور العيش عَلى هذه البسيطة، ووجه من وجوه نشاط الإنسان، إلا وللشريعة فيها حكم، من مأمورٍ أو محظور أو مباح، وللدين فيها رأي بأنها حق أم بَاطِل، أو خطأ أو صواب.

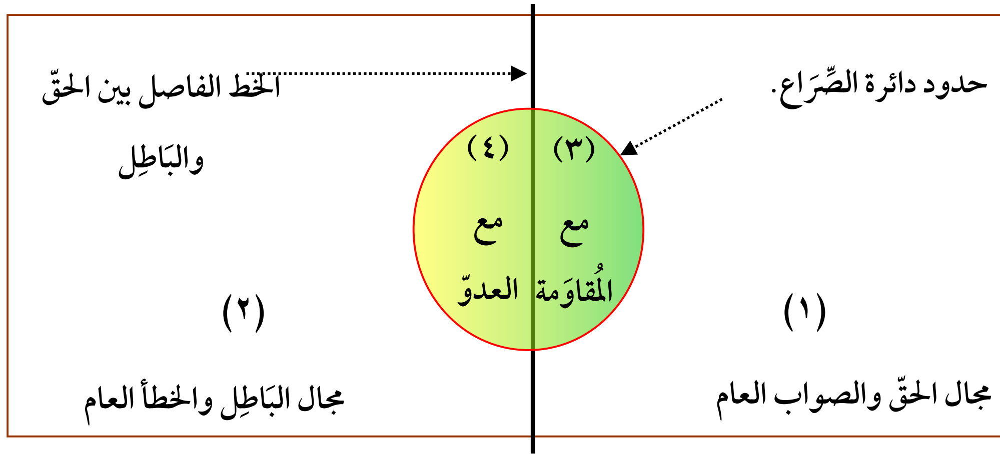
وفي مقابل كلّ حق وصواب تشتمل عليه أصول هذا الدّين، هناك بَاطِل أو خطأ مناقض مضاد له، ولو جئنا نمثل هذا برسم هندسي يوضع المقصود، ومثلنا مجالات الحقّ والصواب، والبَاطِل والخطأ، والفاصل بينهما، لوجدناه مجالين يفصل بينهما خط فاصل عَلى الشّكل التّالي:



وهذا ينطبق عَلى كلّ مسألة من مجالات اختلاف المُسلِمِين وأهل الحقّ، مع خصومهم وأهل البَاطِل، وهكذا لو ذهبت تضرب الأمثلة ومثلت لكل قضية نقطة في الشّكل لوجدت مسائل الاعتقاد لأهل السّنّة والجماعة، وكذلك كلّ تصرفاتهم وسلوكياتهم تمثلها نقاط في المجال (١)، ولوجدت عقائد أهل الكفر، وكذلك أهل الهوى والضلال من المُسلِمِين، وكل سلوكياتهم تمثلها نقاط في المجال (٢)، حيث يجب أن نفترض أن الخط الفاصل بين الحقّ والبَاطِل، لا يسمح بوجود مسألة فوقه، لأنه يمكن لأي مسألة أو رأي أو قول أن يكون حقاً وبَاطِلاً في آن واحد، ولا أن يكون خطأ وصواباً في نفس الوقت، فهذا لا يحتمله العقل ولا المنطق وهذا بدهي.

فإذا جئنا لصراعنا اليَوْم، بين الغُزَاة الكفّار ومن والاهم، وبين المُجَاهدين المقاومين ومن والاهم، بأي فعل أو قول أو موقف اليَوْم، لوجدنا أن لمسائل الصِّرَاع بيننا وبين أعدائنا دائرة محددة ضمن المجال المطلق المفتوح لمسائل الحقّ والبَاطِل، فحدود دائرة صراعنا كدعوة مقاومة إسلاميّة عالميّة ومن أعاننا، ضدّ الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الّتي تقودها أمريكا وحلفاؤها ومن وقف معها، هيَ أنهم صائل علينا يريدون تدمير حضارتنا وإزالة كياننا ووجودنا ويمثلون طرفاً متكاملاً.. ونحن نريد أن ندفع هذا الصّائل ونحفظ ديننا وأنفسنا وأعراضنا ومقدراتنا.

ولكي لا تتشعب بنا مسائل الصِّرَاع والخلاف في كلّ مسائل الحقّ والبَاطِل والخطأ والصواب، نمثل لحدود مسائل صراعنا كمقاومة، ضدّ أعدائنا، نمثلها بدائرة محدودة ضمن مجال الحقّ والبَاطِل، دائرة لها حدود تحد مسائلها كلها العقدية والفكريّة والسّياسيّة والإعلاميَّة... الخ، ونسميها حدود دائرة الصِّرَاع، فيصبح الشّكل الممثل لعموم مسائل الحقّ والبَاطِل، ولمسائل مسألة الصِّرَاع عَلى الشّكل التّالي:



المجال المطلق الحقّ والبَاطِل والخطأ والصواب.

وجدنا أن الخط الفاصل بين الحقّ والبَاطِل يقسم مسائل دائرة الصِّرَاع إلى، نصطلح عليهما: (٣) و(٤).. ومن هنا نستطيع أن نصنف كلّ فكرة أو معتقد، أو قول أو رأي أو فعل أو أدب أو قصيدة أو فتوى أو سلوك... الخ، لتجد لها موقعاً في هذا الشّكل ومجالاته الأربعة وستكون عَلى أحد أربعة تصانيف:

- مسائل الحقّ والصواب فيما لا يدخل ضمن دائرة الصِّرَاع وحدودها ومجالها: (١)

- مسائل البَاطِل والخطأ فيما لا يدخل ضمن دائرة الصِّرَاع وحدودها ومجالها : (٢)

- مسائل الحقّ والصواب فيما يتعلق بقضايا صِرَاع المُقاوَمة مع أعدائها ومجالها: (٣)

- مسائل الحقّ والصواب فيما يتعلق بقضايا صِرَاع المُقاوَمة مع أعدائها ومجالها: (٤)

ونحن نوضح هذا الشّكل لنقول:

أنه ولكي تحقق المُقاوَمة أهدافها ومن باب ترتيب الأولويات وتقديم المهم عَلى الأهم، واستجلاب المصالح ودفع المفاسد، واختيار أعظم المصلحتين بأدناهما، ودفع أعظم المفسدتين بأدناهما إن كانَ الخيار اضطرارياً.

فعلينا ومن باب الاختصاص التفرغ اليَوْم للانشغال في مواجهاتنا، بما يتعلق بقضايا (دعوة المُقاوَمة)، سواءً كانت مواجهات عسكريّة جهاديّة أو سياسيّة أو إعلاميَّة أو فكريّة أو أدبية أو كلّ ما يشغلنا ويأخذ منا أي شكل من أشكال الجهد، أو يعرضنا لأي شكل من أشكال التكاليف، علينا أن ننشغل بالمسائل المحدودة ضمن إطار حدود دائرة الصِّرَاع، وكل ميسر لما خلق له.

ولباقي أبواب الخير والحق والسعي فيه أهلها، ومن أهتم بها وانصرف إليها من المُسلِمِين، أعانهم الله عَلى ما صرفوا أنفسهم إليه وتقبل منهم.

فكل فكرة أو رأي أو سلوك أو قول أو فعل يساعد عَلى إطلاق المُقاوَمة، أو تنميه جُذُورها بشكل مباشر فهو مقصد من مقاصد المُقاوَمة لها في رأي وقول وعون، وكل نقيض لذلك مما يعطل المُقاوَمة ويجفف جُذُورها ويعين أعداءها، فلدعوة المُقاوَمة فيه موقف تتصدى له بما يناسبه بالأسلوب العسكريّ أو السّياسيّ أو الإعلاميّ أو أي وسيلة مشروعة، وكما يجب أن لا نتشعب ونضيع جهودنا فيما لا طائل من ورائه من الأقوال والأعمال، والدخول في صراعات الحقّ والبَاطِل والخطأ والصواب الّتي لا تنهي، يجب أن نهتم بكل مسألة داخلة ضمن حدود دائرة الصِّرَاع.

فأشكال البِدَع الكثيرة المتفشية اليَوْم في المُسلِمِين، والانحرافات، والقبوريات، والضلالات، ومظاهر الفسوق، والمعاصي...إلخ، لا تنهي وكلها من مظاهر غياب الإِمَام الشَّرعيّ، وعدم الحكم بالشّريعة، ظهرت بزوالها، وتزول بظهورها.

فهذه المسائل تقع في المجال (٢).. ولها من يتصدى لها من الدعاة والعُلَماء في المجال (١) وكل أشكال والانحراف السُّلُوكي والخلقي والرشاوى والفساد...الخ، هيَ كذلك مظاهر من ضنك العيش لإعراض أكثر النّاس حاكمهم ومحكومهم عن ذكر الله، وهي مظاهر لغياب شرع الله، وتزول بتحقيقه.. وهي مسائل من المجال (٢)، أيضا، ولها من تصدى لها من المجال (١).

وأما لو قام مفتي يفتي بأن جُيُوش الأمريكان ومؤسساتهم هم مستأمنون معاهدون، لا يجوز العدوان عليهم!! فهي مسألة لها موقع في المجال (٤)، ويجب أن نتصدى لها بما يناسبها من جِهَاد الحجة والبيان بجهد من المجال (٣)، ولو قامت مؤسسته للتطبيع مع الحملات الفكريّة الأمريكيّة تضل النّاس وتنسف أصول دينهم، كهذه الّتي أقاموها في وادي عربة، عَلى الحدود الأردنية الإسرائيلية، وغيرها كثير.. فهو فعل واقع ضمن دائرة الصِّرَاع في المجال (٤)، ويجب أن نتعامل معه بجِهَاده ونسفه وإزالته، واغتيال القائمين عليه من الكفّار أو من المُنَافِقِين من مواطنينا، وذلك بفعل من أفعال القِتَال والمُقاوَمة من مجالنا (٣).. وهكذا..

وبذلك نلخص هذا الشرح الّذي أوضحنا بالشكل ليسهل فهمه:

بأن دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة تتصدى للمسائل المتعلقة بحدود دائرة الصِّرَاع مع العدوّ الصّائل وحلفائه سواءً كانت من مسائل جِهَاد البيان أو جِهَاد السنان، وتعرض عن الانشغال بما وراء ذلك، لا زهداً في الحقّ والصواب، فكل حق مقدّس بذاته، وإنما من باب الاختصاص وتقديم الأولويات وجمع جهود الأُمّة الّتي لا تكاد تكفي مجمعته عَلى دفع هذا البلاء العظيم النازل بنا عقاباً من الله لأقوام، وامتحاناً لآخرين، ونسأل الله الفوز والسَّلامة.

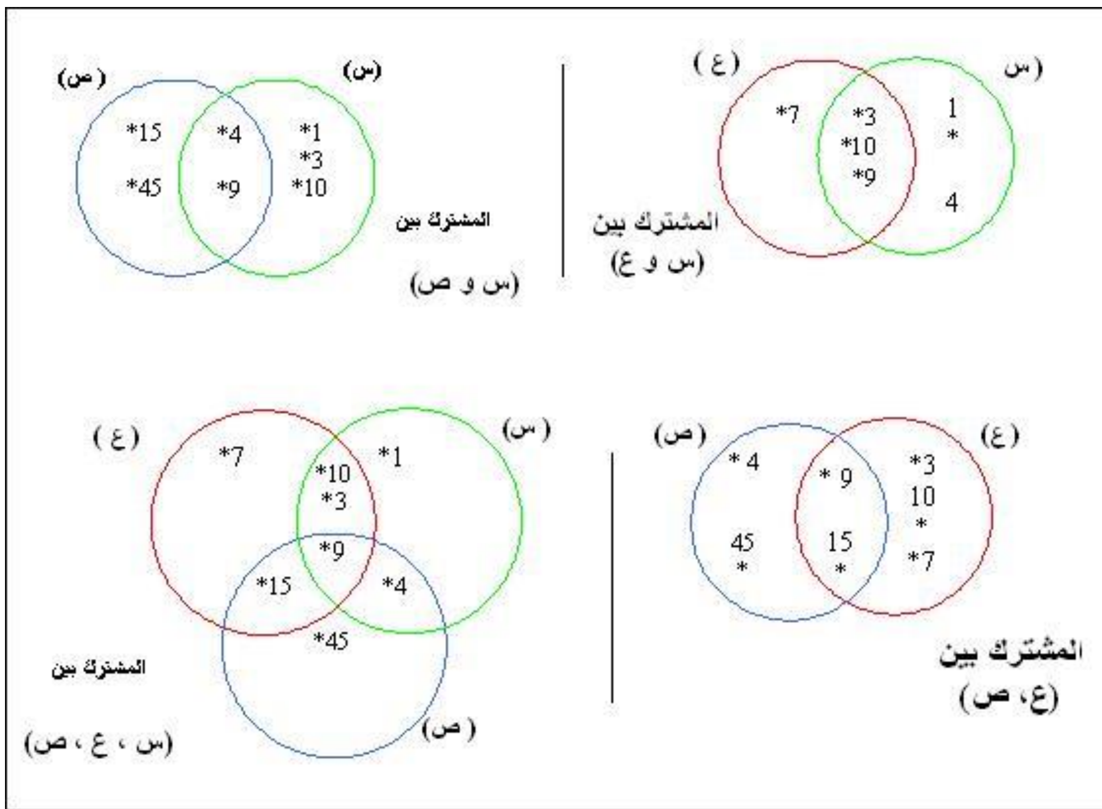
(٨) – مفهوم القواسم المشتركة في مسائل الصِرَاعات السّياسيّة بين الأطراف المختلفة:

من مبادئ الرِّيَاضيات الحديثة البسيطة الّتي تدرس اليَوْم لطلاب المَرحَلَة الابتدائية ما يصطلحون عليه باسم (أشكال ven)، نسبة للعالم الرِّيَاضي الّذي ابتكر التعبير عن المجموعات وعناصرها، والمعادلات الرِّيَاضية والقواسم المشتركة بين مختلف المجموعات بالرسوم، وهي فكرة بسيطة تساعد

جداً في فهم مسألة القواسم المشتركة في عالم السّياسة بين المجموعة المنفصلة، والمختلفة والمتناقضة وحتى المتخاصمة، والمثال البسيط التّالي يوضح مبدأ ذلك:

لو كانَ لدينا مجموعة أعداد: {س = (١٠، ٩، ٤، ٣، ١) }، ومجموعة أُخرى:

{ع = (١٠، ٩، ١٥، ٧، ٣) }، وثالثة: { ص = (٤٥، ١٥، ٩، ٤) }، سنجد بالملاحظة أن الأرقام المشتركة بين (س) و(ع)، هيَ (١٠، ٩، ٣). والمشتركة بين (س) و(ص) هيَ (٩، ٤)، والمشتركة بين (ع) و(ص) هيَ (١٥، ٩) والمشتركة بين الثّلاثة (س) و(ع) و(ص) هيَ: (٩) فقط، وهذا يعبر عنه بالرسم المبسط:



وهذا التصوير الرِّيَاضي البسيط يعطي فكرة عن مفهوم القواسم المشتركة بين المجموعات المستقلة في عالم السّياسة أيضا..

حيث نطلق عَلى القسم الحاوي للعناصر المشتركة بين مجموعتين أو أكثر مصطلح: **(القاسم المشترك)**، فإذا انتقلنا إلى عالم المجموعات في مفهوم السّياسة والأفكار والمبادئ والمصالح والمعتقدات...

الخ نجد أن مفهوم (القاسم المشترك) هو ذاته، فمثلاً.. (القاسم المشترك) بين كلّ مسلم من أهل القبلة هو مبادئ الإِسْلَام العامّة ومعتقداته الأساسيّة المتفق عليه مثل (الإيمان بالله رباً الإيمان بمحمّد نبياً، وبالقرآن كتاباً، الصّلاة للقبلة...) وتوابع ذلك من المتفق عليه لدى ما يسمى (أهل القبلة).. وهي مجال كبير من المعتقدات والمبادئ..

وكذلك قضايا الإِسْلَام ومقدّساته وتاريخه وما إلى ذلك.. وكلها قواسم مشتركة بين المُسلِمِين وهو مجال متسع رحب لا يحصر..

ومُوَاجَهة أمريكا ودفع صائلها عَلى المُسلِمِين هو (قاسم مشترك)، بين كلّ أهل القبلة..

وخسارة أمريكا وهزيمتها، والعمل عَلى ذلك، هو (قاسم مشترك) بينهم وبين كلّ أعداء أمريكا ومن يهمهم هزيمتها حتَّى من الكافرين..

وهكذا وبشيء من الفهم وسعة الأفق والتصوُّر نجد أن (القواسم المشتركة) بين المجموعات المستقلة المختلفة هيَ في مصطلح السّياسة، مجموعة الخصائص أو المكوّنات أو الأهداف أو المصالح المشتركة.. أو أي عامل أو مكون يثبت المنطق أنه (مشترك)..

حيث تقوم كلّ الصِّرَاعات في عالم السّياسة عَلى نظام التَّحالفات، والمصالح المشتركة بين أصحاب (القواسم المشتركة)، ضدّ الخصم المشترك.

ويؤدي حسن فهم مصطلح (القواسم المشتركة)، إلى تفهم القواعد المُجَاهدة وأنصار المُقاوَمة للقرارات السّياسيّة الّتي تتخذها قيادات الجِهَاد بالدخول في تحالفات مباشرة أو غير مباشرة، مع قوى أُخرى قد تكون مباينة في المنهج أو المعتقد لجماعات المُقاوَمة، تلك القوى الّتي جمعها مع المُقاوَمة قاسم مشترك في عداء ومُوَاجَهة أعداء المُقاوَمة المشروعة، حيث تتحرك تلك القيادات للتعاون مع أصحاب تلك القواسم المشتركة في ضوء ضوابط قواعد السّياسة الشَّرعيَّة، وما تتيحه أحكام الضَّرورة عَلى بصيرة من الحسابات الأمنيّة والسّياسيّة والعسكريّة.

(٩)- مفهوم العلاقة، ومفهوم التأثر والتّأثير في العلاقات، وشبكة العلاقات السّياسيّة:

- **مفهوم العلاقة:**

نطلق كلمة (علاقة) عَلى كلّ طريقة ارتباط بين عنصرين أو مجموعتين أو كيانين..

الرابطة بين الأخوة تسمي: (علاقة أخوة)

و الرابطة بين الأب وأبنائه: (أبوة وبنوة)

و الرابطة بين الزوج وزوجته: (علاقة زوجية)

وبين المتخاصمين: (علاقة خصومة)

وبين المتحابين: (علاقة حب)

وبين وبين المتحاربين: (علاقة حرب)

وبين أصحاب المصالح: (علاقة مصالح مشتركة)

وبين من لا علاقة بينهم البتة: (علاقة معدومة.. أو علاقة " عدم علاقة ")

وهكذا.. (علاقة جوار).. (علاقة عدم اعتداء).. (علاقة دبلوماسية) (علاقة تحالف) (علاقة تعاون).. إلى آخر المصطلحات الكثيرة الّتي تتداول اليَوْم خاصّة مما يهمنا في موضوع العلاقات السّياسيّة.

- **مفهوم التّأثير والتأثر المباشر وغير المباشر بين العناصر والجماعات:**

- كلّ علاقة تقوم بين طرفين، ينتج عنها تأثر وتأثير مباشر من كلّ واحد منهما بالآخر بنسبة تزيد أوتنقص بحسب مقوّمات وخصائص كلّ منهما.

- وكل علاقة تقوم بين طرفين، تأثر بشكل غير مباشر بين هذين العنصرين وكل عناصر أُخرى جانبية تربطها بهذين العنصرين علاقات مباشرة، وهذا يتضح بالمثال..

في عالم التجارة مثلاً، إذا كانَ في السوق أربع شركات.. (١)، (٢)، (٣)، (٤).. وكانت هناك علاقة مباشرة بين الشركتين (١) و(٢)، وبين الشركتين (٣) و(٤)..

فبطبيعة الحال هناك علاقة غير مباشرة بين الجميع وهي علاقة الوجود في السوق.. فلو قامت علاقة مباشرة بين الشركة (٢) والشركة (٤).. ستأثر الشركتان عَلى بعضهما بعلاقة تأثير وتأثر مباشر بحكم هذه العلاقة، ولكن هذا سيؤدي إلى نشوء علاقة تأثر وتأثير غير مباشر بين (١) و(٤) من الدرجة الأولى وعلاقة بين (١) و(٣) كذلك بسبب علاقة (٣) و(٤).. وسيكون بينهما علاقة تأثر من الدرجة الثّانية.

ومن هنا نستطيع القول أن جميع العناصر المشتركة بالتواجد في مجال واحد تقوم فيما بينها علاقات تأثير وتأثر من مراتب متدرجة.. وفق شبكة علاقات متشابكة..

فإذا ما دخلنا في عالم العلاقات السّياسيّة فإننا سنجد هذا أمراً بالغ الوضوح وبالغ التعقيد.. **ولا بُدَّ أن يفهم المنخرط في معركة العمل السّياسيّ، وخاصة المعارك السّياسيّة ذات الطابع العنيف، من قبيل ما نحن بصدده (مقاومة × محتلين وحلفائهم)، أن يفهم طبيعة شبكة العلاقات المحليَّة، والإقليمية، والدّولية، وطبيعة علاقات التأثر والتّأثير المباشر وغير المباشر، من كلّ المراتب بين كلّ تلك العناصر..**

فينشأ عندنا ما يسمى شبكة علاقات..فإذا ضربنا مثالا من صميم مسألة صِرَاع الْمُقاوَمة اليَوْم في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ ضدّ أمريكا وحلفائها، فإننا نجد المعطيات لو بسطناها إلى حد كبير عَلى الشّكل التّالي..

١- **محور أمريكا:**

- أمريكا: تربطها علاقة عضوية ومصيرية بإسرائيل.

- أمريكا: تربطها علاقة قوية جداً ببريطانيا..

- أمريكا: تربطها علاقة أقل درجة ببعض الدّول الغربيّة يأتي في طليعتها أستراليا، وإيطاليا، كندا، اليابان

- كما تربطها علاقة حلف (تابع ومتبوع) بمكوّنات أُخرى من دول أوروبّا الشرقية وبعض دول آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية..

-وتربطها علاقة حلف صليبي بروسيا.. وبكافة مكوّنات دول العالم الصّليبيّ.

وهذه العلاقات ليست عشوائية فهي قائمة عَلى معتقدات وأفكار، وعلى معاهدات واتفاقيات، وعلى أحلاف ومصالح، وعلى ضغوطات...

في المقابل: نجد أن هناك كتلة أُخرى في الجانب المحارب لنا أيضاً ولكن ذو طبيعة مختلفة وهو المحور الأوروبي المستقل.

٢- محور أوربّا:

فرنسا، ألمانيا، روسيا، أسبانيا، بلجيكا... ومعها مجموعة من الدّول الأوروبية ومن يدور في فلكها، من بعض ما تبقى لها في مجالات التّأثير في بعض دول أفريقيا وآسيا..

٣- علاقات ضمن المحورين:

ترتبط كافّة مكوّنات هذين المحورين بأحلاف من المهم معرفتها وأهمّها:

١- حلف النّاتو.. الّذي يربط معظم المكوّنات الرَّئيسيَّة لهذين المحورين، وينكون من (٢٦) دولة.

٢-الاتحاد الأوروبي: ويربط أهمّ مكوّنات المحور الثّاني.. ويتكون من (٢٥) دولة حتَّى الآن يزيد مجموع سكانها عَلى ٤٥٠ مليون نسمة، حيث تنتظر دول أُخرى الدخول فيه، ويتوقع أن يصل إلى نحو ٤٠ دولة.

ومما يزيد الأمر تعقيداً..

أن في عالم السّياسة غالباً ما ترتبط العناصر بعلاقات متناقضة متشابكة بالغة التعقيد فمثلا ؛ اليابان وأمريكا وأوروبّا يبدون حلفاء عَلى ما أشد ما يكون الحلف قوةً في المجالات الدّولية، والعسكريّة ولاسيما إذا ما تعلق الأمر بالصِّرَاع مع المُسلِمِين.. ولكنها في مجالات كثيرة ولاسيما في السباق عَلى المصالح الاقتصاديَّة تمثل ثلاث محاور شبه متحاربة اقتصادياً هيَ محور أمريكا، ومحور أوروبّا، ومحور اليابان ودول شرق آسيا..ولو تخيلنا شبكة تصوُّر تلك العلاقات المباشر وغير المباشرة من كلّ الدرجات..فإن من البديهي أن نتخيل، وكما في كلّ الشبكات أن اهتزاز الوضع في أي عقدة من عقد الشبكة (دولة ما) لأسباب داخليَّة أو خارجية، وكذلك أي اهتزاز أو تصدع لرباط علاقة بين عقدتين (دولتين)، سيؤدى إلى اهتزاز العناصر جميعها بحسب قربها وبعدها عن موقع الاهتزاز، وأحياناً يُؤَدِّي الاهتزاز إلى تغير مكوّنات بعض العقد، أو تقطع أواصر بعض العلاقات والروابط، وإذا ما كانَ الإهتزاز

شديداً أو انفجارياً فإنه قد يُؤَدِّي إلى خرق الشبكة في بعض أجزائها أو تقطع أوصالها ليعاد نسجها ورسمها من جديد..

وهذا ما يحصل إبَّان الأحداث الكبرى من قبيل ما حصل بانهيار الإتحاد السُّوفيتيّ، الّذي تبعه انهيار جدار برلين وإعادة رسم خريطة أوروبّا وقيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد..

ومثل ما يحصل اليَوْم بانطلاق أمريكا نحو الحلم الإمبراطوري، وتوجهها للحملات الصّليبيّة، وما يُؤَدِّي إليه هذا من الانقلابات في العلاقات بين الشّرق والغرب، وبين مكوّنات الشّرق فيما بينها، وكذلك بين مكوّنات الغرب وبين الجميع، وهكذا....

وإذا ما أردنا التّأثير عَلَى توازنات مثل هذه الشبكات أو إعادة ترتيبها لصالحنا، أو الخروج من اهتزازاتها بأقل الخسائر، فإن هذا يتوقف عَلَى عاملين اثنين هامين ومتلازمين:

- **أولاً:** فهمنا الدقيق التفصيلي لطبيعة اللعبة وأطرافها وروابطها وعلاقاتها وجميع مكوّناتها، بمعنى فهم تركيبة الطّرفين المتصارعين، طرفنا وطرف العدوّ وما بينهما من أطراف الحياد.. والقدرة عَلَى توظيف تلك المعرفة لصالحنا..

- **ثانياً:** القدرة الذاتية مادياً ومعنويا عَلَى إحداث التّأثير.. وهذا بحسب المعطيات والإمكانيَّات في عالم الأسباب، وسبحان مسبب الأسباب ومالك الملك، فكثيرا ما يتوفر الفهم ولكن لا تتوفر الأسباب المادية لتحويله إلى حركة وعمل مؤثر.. وهذا من القهر تحت حكم الظرف.

(١٠) - الاستراتيجيّة والتكتيك وهوامش المناورة السّياسيّة:

هذه المصطلحات الثّلاثة من المصطلحات كثيرة التردد في مجالات العمل السّياسيّ والعسكريّ وحتى في مجالات النَّشَاط الأخرى، وما يعنينا منها هنا البعد السّياسيّ للمقاومة، وقد عرفت هذه المصطلحات تعريفات كثيرة، ولكني أبين ما يهمنا من فحواها باختصار:

- **فالاستراتيجيّة:**

هيَ الخطوط الرَّئيسيَّة لبرنامج مخطط ما، والَّتي توضع لتحقيق الأهداف من ذلك البرنامج، أو ما يدعى (**الأهداف الاستراتيجيّة**) وتتميز الاستراتيجيّة بأنها تقوم عَلى جملة من المعطيات والقدرات الحقيقيَّة عَلى تنفيذه.

ومن صفاتها الأساسيّة الثّبات النسبي، فهي عَلى عكس التكتيكات، ولكونها كما هو مفروض قامت عَلى ثبات المعطيات العامّة، يجب أن تتميز بالثّبات، إلا إذا عصفت مفاجآت ما بظروفها المحيطة ومعطياتها، وعند ذلك يجب تغير الاستراتيجيّة كلياً وغالباً ما يكون ثمن هذا التَّغيير فادحاً، مادياً ومعنوياً وحركياً وعلى كلّ صعيد، ويحتاج إلى قيادات أزمة تسيطر عَلى تحديد تبعات انهيار الاستراتيجيّة ووضع بديل لها، ومن البديهي أن نعرف أن من أبسط أثمان تغير الاستراتيجيّة، أن كلّ الجهود والنفقات والإستعدادات والأدوات الّتي رصدت لها، وحتى الأشخاص أحياناً غالباً ما لا يصلح لتنفيذ الاستراتيجيّة التّالية اللّهم إلا بقدر ما يستفاد من حطام بناء تهدم في إعادة بناء جديد.. وبحسب طبيعة التهدم تصلح الأجزاء واللبنات ثانية لاستخدامها أو لا تصلح..

- <u>الهدف الاستراتيجي:</u>

هو الهدف الرَّئيسي الأساسي الّذي وضعت الاستراتيجيّة وما اقتضته من تكتيكات من أجل تحقيقه، وفي حالتنا فإن:

> **هدفنا الاستراتيجي هو:**
> **إجبار القوَّات الغازية لبلادنا بقيادة أمريكا وحلفائها علىَ الانسحاب من بلادنا، وإنهاء قدرتها علىَ التّأثير فيها، كي تتهيأ الأسباب للإطاحة بالأنظمة العميلة القائمة في بلادنا، من أجل إقامة النّظام الإسْلاَميّ الشَّرعيّ الّذي يحكم بما أنزل الله في بلادنا العربيَّة والإسْلاَميّة علىَ أنقاض تلك الأنظمة المرتدّة.**

- <u>التكتيكات:</u>

هيَ مجموعة البَرَامج والخطط المرحلية والعمليَّات والمناورات والممارسات الجزئية.. الّتي تهدف إلى تنفيذ المخطط العام (الاستراتيجيّة) وصولا لتحقيق الهدف الإستراتيجي، وعادة ما تضع الإدارة العليا

الّتي وضعت الاستراتيجيّة المخططات العامّة لمجموعة التكتيكات الّتي من المفترض أن تؤدي إلى تحقيقها.

وغالباً ما تترك المخططات الجزئية لتلك التكتيكات للقيادات الفرعية، إلا في حالات القيادات المركزية الّتي تميل إلى التدخل في الجزئيات وغالباً ما يكون لهذا نتائج سيئة.

ومن الطبيعي أن تلغى بَرَامج التكتيكات أو تعدل أو تبدل من قبل القائمين عليها وذلك بحسب نغير الظّروف المحيط بتنفيذها وهذا ليس له تأثير إن كانَ عرضياً عَلى تنفيذ المخطط العام (الاستراتيجيّة)، أما إذا كانت السمة العامّة هيَ تغير التكتيكات فهذا يدل عَلى قصور في موضوعية واضعيها وعدم إحاطتهم بإمكاناتهم أو بالظروف المحيطة بتنفيذ المخطط.

- **المناورات:**

هيَ مجموعة التكتيكات المرنة الّتي تعتمد المراوغة وخداع العدوّ، من أجل كسب الوقت أو المواقع أو المواقف، وتعتمد هذه المناورات عَلى ذكاء القيادات والعناصر الّتي تقوم بها، كما تعتمد إلى حد كبير عَلى الظّروف العامّة المحيطة.

- **هوامش المناورة:**

هيَ الظّروف المحيطة الّتي تمكن من تكتيكات المناورة والمراوغة وكسب المواقع والمواقف والوقت آنفة الذكر، وغالباً ما تولد بشكل مفاجئ، ولفترات محدودة، ولذلك فإنه يجب اقتناصها وإعطاء دفعة للمخطط الإستراتيجي من خلال ذكاء تكتيكات المناورة وسرعة المبادرة إليها.

- **المبادرة:**

المبادرة هيَ القدرة عَلى إحداث الفعل تجاه المحيط العام أو تجاه العدوّ، سواء كانت المبادرة فكريّة أو سياسيّة أو عسكريّة أو إعلاميَّة.... وبقدر ما تتميز المبادرة بخصائص الواقعية والحيوية والتجديد والشمول، بقدر ما تكون ذات أثر في تغير الأوضاع من حولها وإعطاء دفعة قوية للبرنامج.

- **أما امتلاك زمام المبادرة:**

فهو القدرة عَلى امتلاك إطلاق الأفعال وإدارة الاستراتيجيّة، وإرباك استراتيجية العدوّ وإجباره عَلى الدخول في ردود الأفعال، تبعاً لأفعال الّذي امتلك زمام المبادرة سواءً كانت سياسيّة أو عسكريّة أو سوى ذلك.

(١١)- نظريَّة البناء والهدم في التّحرّك الاستراتيجي:

هذا المبدأ هو أساس في كلّ صِرَاع، وعلى كلّ صعيد يحتدم فيه خصمان، فبدأً من العَقِيْدَة، لا يمكن الإيمان بالله مع الاعتراف بالطَّاغوت، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

وعلى صعيد البناء الفكريّ لا يمكن الدّعوة لإثبات فكرة ما، إلا بإثبات بطلان نقيضها، وعلى الصعيد العسكريّ، فإن خير وسائل الدّفاع الهجوم، وهكذا عَلى صعيد كلّ تنافس وصدامي.

وإذا ماجئنا للمقاومة وخصومها، وجدنا أن هناك صداما حضاريا عَلى كافّة الأصعدة، وفي كلّ المجالات ؛ العقدية والسّياسيّة والفكريّة والثَّقافيَّة والاقتصاديَّة.

وفي الشّكل العنيف للصدام، (المجال العسكريّ)، نجد أن مبدأ هدم قوى ومرتكزات ودعاوى عملاء الخصوم هو أولوية في استراتيجية هجوم الْمُقاوَمة، وعملية يجب أن تجري سواءً بسواء ومنذ البداية مع انطلاق الْمُقاوَمة، إلى جانب عمليَّة بناء المكوّنات الذاتية للمقاومة، عَلى كلّ تلك الصعد.

إن الميزان الإستراتيجي بيننا وبين الخصوم غير متوازن نهَائِيّاً من النَّاحية المادية، وهو وراجح لصالحهم، في حين أنه راجح من النَّاحية المعنوية لصالحنا، سواءً علىَ صعيد جماهير العرَب والمُسلِمين أو الرَّأي العام العَالمَيّ كله.

فيجب أن تعتمد النَّظريَّة العقدية الْمُقاوَمة عَلى البناء والهدم، بناء القناعة بمعتقداتنا العامّة وعقيدتنا الجهاديّة لدى أنصارنا، وإثبات بطلان ما يناقضها لدى الخصوم، وذلك بالحوار والحجة والبينة، فإسقاط حجج ودعاوى فُقَهَاء السُّلطَان، وعلماء الإستعمار هو محور استراتيجي.

وعلى الصعيد الفكريّ والثقافي والاجتماعي.. يجب أيضاً بث فكر الْمُقاوَمة وثقافة الْمُقاوَمة.. ومحاربة فكر القعود والرُّضُوخ والاستسلام بالحوار والحجة والبينة أيضاً..

وعلى الصعيد السّياسيّ والإعلاميّ.. يجب أن نعتمد إثبات نظَريَّات الْمُقاوَمة والدّعوة لها ولرموزها بالحجة والبينة.. ودحض دعاوى ركائز الاستعمار وعملائه وهدم صورتهم، وسمعة رموزهم المتعاونين معه، وإبطال دعاويهم السّياسيّة وبراهينهم بالحجة والبينة أيضاً.

وفي المجال العسكريّ، يجب أن تسير عمليَّات التَّجنيد والإِعداد والتَّنظِيم والتّمويل والمؤسسات الأهلية والمدنيّة الداعمة لجُذُور الْمُقاوَمة، وفي نفس الوقت يجب أن تقوم الأذرع العسكريّة ومُجَاهدو الْمُقاوَمة بتدمير كلّ مرتكزات العدوّ في أرضنا بالتصفية الجسدية لعناصر هو، وبالتدمير الكامل لمؤسساتهم بالوسائل العسكريّة كما تحتفظ لنفسها بحق الردع وضرب العدوّ في عقر داره كفرع لأعمال الْمُقاوَمة وذراع تثبت القدرة عَلى المعاملة بالمثل، كما سيأتي.

(١٢) - المحاكمات الثّلاثة للقرار السّياسيّ الشَّرعيّ الحَركيّ:

هناك ثلاث محاكمات أساسية يجب عَلى المسلم أن يخضع لها كلّ قراراته وحركاته وأوجه نشاط حياته وما يعزم عليه من أفعال، وهي:

أ- المحاكمة الشَّرعيَّة (حرام أم حلال).

ب- المحاكمة السّياسيّة للمصلحة والمفسدة (مفيد أم مضر).

ج - المحاكمة الواقعية والإمكانية (ممكن أم غير ممكن).

فمثلا لو أراد تاجر مسلم الإقدام عَلى صفقة، فإنه يجب أن يدرس الصفقة من ثلاث أوجه ويخضعها لثلاث محاكمات ودراسات:

- هل هذه الصفقة من المباح الحلال أم من البيوع والصفقات المحرمة كالربا وبيع العينة وبيوع الغرر والغش وسواها من المحرم.
- هل هذه الصفقة.. مفيدة له تجارياً ومادياً أم أنها مضرة..
- هل هذه الصفقة ممكنة أم لا من النَّاحية المادية والواقعية.

وينسحب هذا المثال حتَّى لو أراد مسلم أن يتزوج فإنه سينظر في اختيار زواجه ؛ أولاًهل زواجه هذا حلال، من مسلمة أو كتابية ممن أباح الله الزواج بهن، أم حرام ممن حرم الله زواجهن، وثانيا، هل

هو مفيد أو مضر في أبعاده ومترتباته كلها، وأخيراً هل هو زواج ممكن التنفيذ، أم أن عقبات من جهته أو جهة اختياره تجعله غير ممكن.

وهذه المحاكمات تأخذ أهميتها القصوى في عالم السّياسة، وخاصة عندما يتعلق القرار بأمور مصيرية كقرارات المُقاوَمة وما يتفرع عنها من قرارات سياسيّة شرعيّة أو عسكريّة أو إعلاميَّة..الخ..

وهذا المجال هو من أدق المجالات الّتي يجب أن تدركها القيادات المُجَاهدة المحركة لموضوع المُقاوَمة، فإن القرارات الخاطئة ولاسيما في المجال العسكريّ، مثل سوء اختيار الأهداف وإدخال المُقاوَمة في معارك فرعية، أو مواجهات تفقدها هوية خطها، أو تجعلها تخسر جماهيرها، وقل مثل ذلك في القرارات السّياسيّة، أو النَّشَاطات الإعلاميَّة.. فيجب أن يخضع كلّ قرار من هذا القبيل، لكل من ينشط في مجال المُقاوَمة إلى هذه المحاكمات..

ويجب أن يسأل نفسه:

أولاً: هل ما يريد فعله حرام أم حلال، فإن جهل ذلك فعليه بقوله تَعَالَى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧﴾ [الأنبياء] فيرجع إلى ثقة في علمه بالشَّرع وبالواقع ممن هو ثقة في دينه فيسأله، فالمسألة مسؤولية دماء وأعراض وأموال...

ثانياً: عليه أن ينظر ويتفكر في أبعاد عمله وما سيترتب عليه، هل هو مفيد لقضية المُقاوَمة أم مضر لها، وهذا الأمر أصعب من سابقة لتعلقه بتشابكات المصالح والمفاسد، إذا لا يكفي أن يكون ظاهر الحكم حلالاً مباحاً حتَّى يكون بالفعل كذلك، لأنه لو ثبت عن طريق الحسابات السّياسيّة والواقعية وآراء أهل التَّجربة وأهل الرَّأي والحَرب والمكيدة، بأن مآل هذا العمل ومترتباته ينتج عنه مفسدة وضرر، فسيصبح الإقدام حراماً تبعاً للقاعدة العامّة (**لا ضرر ولا ضرار، كلّ مضر حرام**)، فإن علم ذلك وإلا عاد إلى من يثق به من أهل الذكر في مسائل السّياسة والواقع من الموثوقين في دينهم، من أهل الرَّأي والحَرب والمكيدة، فإن ثبت له حله ونفعه، نظر في الثّالثة.

ثالثا: ينظر في إمكانيَّاته في تنفيذ هذا العمل.. وهذا أمر أفضل من يُقدره هم العازمون عَلى القيام به. ولاسيما إن استشاروا أهل الخبرة في ذلك، ضمن شروط المستشار ؛ ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ

ﵟٱلۡأَمِينُ ٢٦ﵞ وكما هو واضح شَرعاً وعقلاً بأنه لا يمكن الإقدام إلا عمل وقرار يأخذ ثلاث إجازات من المحاكمات الثّلاثة، الشَّرعيَّة والسّياسيّة المصلحية والواقعية الحَركيّة، فيكون: **حلالا – مفيدا – ممكنا**.

(١٣) – أحكام الجِهاد والسّياسة الشَّرعيَّة واستنادها للواقع، ومرحلية التكتيكات وصولاً للهدف الاستراتيجي:

قَالَ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه زاد المعاد[(١)]: (فَصْلٌ فِي تَرْتِيبِ سِيَاقِ هَدْيِهِ مَعَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ مِنْ حِينِ بُعِثَ إِلَى حِينِ لَقِيَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ):

[أَوَّلُ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنْ يَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّهِ الَّذِي خَلَقَ، وَذَلِكَ أَوَّلَ نُبُوَّتِهِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقْرَأَ فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يَأْمُرْهُ إِذْ ذَاكَ بِتَبْلِيغٍ، ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﵟيَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ﵞ [المدثر] فَنَبَّأَهُ بِقَوْلِهِ ﵟٱقۡرَأۡﵞ وَأَرْسَلَهُ بِـ: ﵟيَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُﵞ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُنْذِرَ عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ، ثُمَّ أَنْذَرَ قَوْمَهُ، ثُمَّ أَنْذَرَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ، ثُمَّ أَنْذَرَ الْعَرَبَ قَاطِبَةً، ثُمَّ أَنْذَرَ الْعَالَمِينَ فَأَقَامَ بِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً بَعْدَ نُبُوَّتِهِ يُنْذِرُ بِالدَّعْوَةِ بِغَيْرِ قِتَالٍ وَلَا جِزْيَةٍ، وَيُؤْمَرُ بِالْكَفِّ وَالصَّبْرِ وَالصَّفْحِ.

ثُمَّ أُذِنَ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ، وَأُذِنَ لَهُ فِي الْقِتَالِ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُقَاتِلَ مَنْ قَاتَلَهُ، وَيَكُفَّ عَمَّنِ اعْتَزَلَهُ وَلَمْ يُقَاتِلْهُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهَِّ، ثُمَّ كَانَ الْكُفَّارُ مَعَهُ بَعْدَ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: أَهْلَ صُلْحٍ وَهُدْنَةٍ، وَأَهْلَ حَرْبٍ، وَأَهْلَ ذِمَّةٍ، فَأُمِرَ بِأَنْ يُتِمَّ لِأَهْلِ الْعَهْدِ وَالصُّلْحِ عَهْدَهُمْ وَأَنْ يُوَفِّيَ لَهُمْ بِهِ مَا اسْتَقَامُوا عَلَى الْعَهْدِ، فَإِنْ خَافَ مِنْهُمْ خِيَانَةً نَبَذَ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ وَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ بِنَقْضِ الْعَهْدِ، وَأُمِرَ أَنْ يُقَاتِلَ مَنْ نَقَضَ عَهْدَهُ، وَلَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ (بَرَاءَةٌ) نَزَلَتْ بِبَيَانِ حُكْمِ هَذِهِ الْأَقْسَامِ كُلِّهَا، فَأَمَرَهُ فِيهَا أَنْ يُقَاتِلَ عَدُوَّهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ أَوْ يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَأَمَرَهُ فِيهَا بِجِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ.

فَجَاهَدَ الْكُفَّارَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، وَالْمُنَافِقِينَ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ.

وَأَمَرَهُ فِيهَا بِالْبَرَاءَةِ مِنْ عُهُودِ الْكُفَّارِ، وَنَبْذِ عُهُودِهِمْ إِلَيْهِمْ، وَجَعَلَ أَهْلَ الْعَهْدِ فِي ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: قِسْمًا أَمَرَهُ بِقِتَالِهِمْ، وَهُمُ الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَهُ وَلَمْ يَسْتَقِيمُوا لَهُ، فَحَارَبَهُمْ وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ، وَقِسْمًا لَهُمْ عَهْدٌ مُؤَقَّتٌ لَمْ

---

(١) زاد المعاد لابن القيم: (٣/ ١٤٤).

يَنْقُضُوهُ وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْهِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُتِمَّ لَهُمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ، وَقِسْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَهْدٌ وَلَمْ يُحَارِبُوهُ، أَوْ كَانَ لَهُمْ عَهْدٌ مُطْلَقٌ، فَأُمِرَ أَنْ يُؤَجِّلَهُمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، فَإِذَا انْسَلَخَتْ قَاتَلَهُمْ وَهِيَ الْأَشْهُرُ الْأَرْبَعَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢] وَهِيَ الْحُرُمُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، فَالْحُرُمُ هَاهُنَا: هِيَ أَشْهُرُ التَّسْيِيرِ، أَوَّلُهَا يَوْمُ الْأَذَانِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَهُوَ يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ التَّأْذِينُ بِذَلِكَ، وَآخِرُهَا الْعَاشِرُ مِنْ رَبِيعٍ الْآخِرِ، وَلَيْسَتْ هِيَ الْأَرْبَعَةَ الْمَذْكُورَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦] فَإِنَّ تِلْكَ وَاحِدٌ فَرْدٌ، وَثَلَاثَةٌ سَرْدٌ: رَجَبٌ، وَذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَلَمْ يُسَيِّرِ الْمُشْرِكِينَ فِي هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ، فَإِنَّ هَذَا لَا يُمْكِنُ لِأَنَّهَا غَيْرُ مُتَوَالِيَةٍ، وَهُوَ إِنَّمَا أَجَّلَهُمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ أَمَرَهُ بَعْدَ انْسِلَاخِهَا أَنْ يُقَاتِلَهُمْ فَقَتَلَ النَّاقِضَ لِعَهْدِهِ، وَأَجَّلَ مَنْ لَا عَهْدَ لَهُ، أَوْ لَهُ عَهْدٌ مُطْلَقٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُتِمَّ لِلْمُوفِي بِعَهْدِهِ عَهْدَهُ إِلَى مُدَّتِهِ، فَأَسْلَمَ هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ، وَلَمْ يُقِيمُوا عَلَى كُفْرِهِمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ، وَضَرَبَ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ الْجِزْيَةَ.

فَاسْتَقَرَّ أَمْرُ الْكُفَّارِ مَعَهُ بَعْدَ نُزُولِ (بَرَاءَةٌ) عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: مُحَارِبِينَ لَهُ، وَأَهْلِ عَهْدٍ، وَأَهْلِ ذِمَّةٍ، ثُمَّ آلَتْ حَالُ أَهْلِ الْعَهْدِ وَالصُّلْحِ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَصَارُوا مَعَهُ قِسْمَيْنِ: مُحَارِبِينَ، وَأَهْلَ ذِمَّةٍ، وَالْمُحَارِبُونَ لَهُ خَائِفُونَ مِنْهُ، فَصَارَ أَهْلُ الْأَرْضِ مَعَهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ: مُسْلِمٌ مُؤْمِنٌ بِهِ، وَمُسَالِمٌ لَهُ آمِنٌ، وَخَائِفٌ مُحَارِبٌ.

وَأَمَّا سِيرَتُهُ فِي الْمُنَافِقِينَ، فَإِنَّهُ أُمِرَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ وَيَكِلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ، وَأَنْ يُجَاهِدَهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْحُجَّةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُعْرِضَ عَنْهُمْ، وَيُغْلِظَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَبْلُغَ بِالْقَوْلِ الْبَلِيغِ إِلَى نُفُوسِهِمْ، وَنَهَاهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَقُومَ عَلَى قُبُورِهِمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ إِنِ اسْتَغْفَرَ لَهُمْ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ، فَهَذِهِ سِيرَتُهُ فِي أَعْدَائِهِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ.]. أهـ.

وجمهور العُلَماء أن هذه الأحكام كلها ليست منسوخة بآخر ما وصلت إليه، وهو الحال الّذي يجب عَلى المُسلِمِين السعي إليه، فأما إذا اعترضهم في ظرف من الظّروف حال من تلك الأحوال الّتي مر بها ﷺ في سيرته، فلهم أن يقيسوا عليها ويهتدوا بهديه ﷺ، فكما أسلفنا فإن مدار أحكام السّياسة الشّرعيّة هو عَلى معرفة الحكم الشّرعيّ وفهم الواقع وتطبيق هذا عَلى هذا من قبل أهل العلم والإختصاص الموثوقين في دينهم وسلوكهم.

والآن بعد هذه المقدمات والتعاريف والمفاهيم السّياسيّة الأساسيّة اللازمة، ندخل إلى صلب الموضوع، لبحث واقع الحملات الأمريكيّة والواقع العربيّ والإِسْلَاميّ والدّولي إزاءها، لننتقل بعد بيان ذلك إلي وضع الملامح العامّة للنظريَّة السّياسيّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالِمَيّة المنشودة.

ثانياً : خُلاصة واقع الحملات الأمريكيّة والواقع العربيّ والإِسْلَاميّ والدّولي إزاءها :

إن الأساس في وضع أركان الاستراتيجيّة العامّة للمقاومة ونظريتها السّياسيّة، هو معرفة ملامح الاستراتيجيّة المعادية، وتركيبة أطرافها ومعرفة معطياتها، ثمّ معرفة تركيبة أنصارنا ومن معنا في الصف المقاوم، ولقد تعرضنا من خلال الفصول السَّابقة (في الجزء الأوّل) لكثير من جزئيات واقع الأُمّة الإِسْلَاميّة، وفي هذه الفقرة نعرض لثلاث نقاط مهمة يشكل فهمها أساس منطلقات وضع أركان النَّظريَّة السّياسيّة لدعوة المُقاوَمة.

(١) - طبيعة الحملات الأمريكيّة ومحاورها وأهدافها ووسائلها:

المستخلص من سيل الكتب والدراسات والتصريحات والوثائق الّتي تملأ وسائل الإعلام المختلفة اليَوْم ؛ أن الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الجَدِيدة تأخذ بعداً حضارياً متكاملاً يهدف إلى إزالة مكوّنات الأُمّة الحَضَاريَّة الإِسْلَاميّة عَلى كافّة الأصعدة.

- **ففي الجانب العقدي:**

تهدف **(الحملات الصّهيونيّة- الأمريكيّة)**، إلى تبديل ملامح الدّين الإِسْلَاميّ ومعتقداته الأساسيّة، وتحريفها وإبعاد المُسلِمِين عنها، بحيث تقدم لهم نموذجاً عن إسلام أمريكي عصري علماني، لا يعدو كونه أقرب إلى الشكليات والعادات وبعض الشعائر، مع تبديل المعتقدات الأساسيّة، وإلغاء القضايا الرَّئيسيَّة المتعلق بالهويّة الدّينيّة، والوَلَاء والبَرَاء، والكيان السّياسيّ، والشخصية المسلمة، والحياة الإِسْلَاميّة عَلى كلّ صعيد...الخ.

وأهم وسائلها في ذلك الإعتماد علي طليعة من علماء السُّلطَان، وبعض الفاسدين من رموز الصّحوة الإِسْلَاميّة، لتجنيد فصائل من (علماء الإستعمار) و(دعاة البنتاغون)، ووضع برنامج طموح بالتّعاون مع الحُكُومَات في العالم الإِسْلَاميّ لتخريج دفعات من العُلَماء والدعاة (المهجنين فكرياً)

و(المستنسخين أمريكيا)، عن طريق ما يسمي دورات إعادة التأهيل الشَّرعيّ لخطباء المساجد والأئمة والوعاظ والمَشَايخ.

وكذلك عن طريق إنشاء مؤسسات إسلاميّة تحت مسميات شتّى تدعو لذوبان الشَّخصيَّة الإِسْلَاميّة وتحريف الدّين تحت شعارات (الحوار) و(الوسطيّة) و(خطاب الآخر) و(إعادة صياغة الخطاب الدّيني)... عَلى أساس أنها من مؤسسات المجتمع المدني غير الحُكُوميّة، وقد بلغت الوقاحة والسفه بالأمريكيّين أواسط سنة (٢٠٠٤) أن يصلوا في طموحاتهم المريضة في تغيير الدّين الإِسْلَاميّ، إلى جمع عدد من العُلَماء والمختصين من أو بعض المرتدّين من أجل اختصار القرآن !! فأخرجوا قرآنا جديدا مختصرا بعد أن حذفوا من القرآن كلّ آيات الجِهَاد والوَلَاء والبَرَاء، وما يدعو إلى كراهية الكفّار ومفارقتهم وجِهَادهم !! بدعوى أن ذلك أساس الإِرهَاب في الدّين الإِسْلَاميّ، وأسموا القرآن الجَدِيد المختصر (فرقان الحقّ)!!!! وكأنما قرآننا الكامل المحفوظ بحفظ الله رغم أنوفهم هو فرقان بَاطِل ! حاشاه، وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا، ولك أن تتصوُّر إذن إلى أي مدى يذهب البعد العقائدي لهذه المَعْرَكة.

- **وفي الجانب الفكريّ والثقافي:**

تهدف الحملات إلى علمنة العقل العربيّ والإِسْلَاميّ وتفكيكه، وإعادة صياغته عَلى الطَّريقة الأمريكيّة، بحيث يخلق أجيالاً من الممسوخين الّذين لا هوية دينة ولا فكريّة لهم، ولا يربطهم بجُذُورهم التارِيخِيَّة والثَّقافيَّة أي رابط، ويقودهم مجموعة من العملاء، الّذين لا ينتمون إلى أمة الإِسْلَام إلا بالأسماء والأشكال، ولكنهم صهاينة متأمركون في الفكر والثّقافة والمعتقدات، ولهذا الهدف والبرنامج تفاصيل كثيرة وبَرَامج أصبحت مشهورة، تحت شعار حرب الأفكار والمناهج الّتي تشنها أمريكا عَلى المُسلِمِين وحضارتهم وشعوبهم لفصلهم عن تلك المكوّنات الحَضَاريَّة.

- **وفي البعد السّياسيّ:**

تهدف الحملات إلى تفكيك الكيانات السّياسيّة القائمة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وإعادة صياغاتها عن طريق اللعب بالخرائط السّياسيّة، والنظم الحاكمة القائمة، والتركيبة السّكّانية طائفياً وعرقياً، كما تهدف إلى فرض نموج من (الدِّيمقراطيَّة الاستعماريّة) المبتكرة، الّتي تمزح بين مبادئ ذات

(أصول ديمقراطية) و(أوضاع استعماريّة) (وأساليب قمعية تعسفية لحُكُومَات ديكتاتورية) !! وذلك بفرض جملة من السياسات، لإبعاد كلّ أشكال المعارضات الدّينيّة والقومية والوطنيّة والسّياسيّة من طريقها، وجعلها غير فاعلة، بحيث تزيل أمريكا بعض الأنظمة الّتي أقامتها أو دعمت وجودها سابقا.. وتطيح ببعضها وتبقى بعضها، وتعيد تشكيل وإنشاء أنظمة أُخرى مكانها، بما يمكنها من تنفيذ برنامجها في منطقتنا عبر مشروعها الّذي أسمته:

(الشّرق الأوسط الكبير) الممتد من تخوم الصين إلى سواحل الأطلسي، ومن ضفاف البحر الأسود وقزوين وإلى بحر العَرَب وصحراء أفريقيا الكبرى.. أي بالمختصر.. العالم العربيّ ومعظم الإِسْلَاميّ.

- **وفي البعد الاقتصاديّ:**

تهدف أمريكا إلى السّيطرة التَّامَّة عَلى اقتصاديات وموارد تلك المنطقة ولاسيما الطاقة، وخاصة البترول والغاز، مما يسمح لها بالتحكم باقتصاديات حلفائها وإجبارهم عَلى العمل ضمن برنامجها، كما تهدف إلى ربط اقتصاد المنطقة بعجلة اقتصادها واقتصاد إسرائيل، من خلال ما تسميه اتفاقيات الشراكة، وإقامة المناطق الحرة، والمشاريع الاقتصاديَّة المشتركة... والحيل الاقتصاديَّة الاستعماريّة الاحتكارية الأخرى.

- **وفي البعد الاجتماعي:**

تهدف الحملات إلى تفكيك المكوّنات الاجتماعيَّة للعرب والمُسلِمين، وإعادة صياغتها عَلى صعيد الأعراف والتقاليد والسُّلُوكيات... من خلال بَرَامج الإعلام، وهجوم الفضائِيَّات وشبكات الانترنيت، وما تبثه من خلالها وتلعب بفعله بعقول النّاس لتمسخهم وتعيد استنساخهم بحسب النموذج الغربيّ الأمريكيّ، عبر نشر ثقافة الدعارة والسفور والاختلاط والغناء وفنون الرَّذِيلة.. تحت مسميات الحريَّة والترفيه ومساواة الجنسين وتحرير المرأة...إلخ، وقد أطلق الأمريكيّون عَلى مخططهم هذا اسم بَرَامج **إعادة صياغة المجتمعات !!**

- **وفي البعد التربوي والتّعليمي:**

تشن أمريكا عَلى العالم العربيّ والإِسْلَاميّ اليَوْم، حملة ضارية في المجال التربوي والتّعليمي والفكريّ والثقافي، حملة أشد شراسة من حملتها العسكريّة وأكبر ميزانية وأعقد في مخططاتها وشبكاتها وخفاء أساليبها.

فقد أدرك الصّليبيّون واليَهُوْد كما قدمت في مقدمة الكتاب تحت عنوان – محاور المُقاوَمة – أدركوا أن جُذُور المُقاوَمة تأتي من دين الأُمّة وموروثها العقدي والفكريّ والثقافي والأخلاقي، وأن وسيلة تغذية هذا الموروث والحفاظ عليه تأتي من خلال مادة التّربية والتّعليم وأساليبها.. فركزت أمريكا وحلفاؤها الهجوم في هذا المنحى، مستخدمة نفس استراتيجية (البناء والهدم) الّتي أسلفنا ذكرها، فهي تعمل عَلى هدم موروثنا الفكريّ التربوي، معلى ببناء فكرها ونظرياتها وأساليب حضارتها وحياتها في أمّتنا.

أو هكذا تحاول أن تعمل، وقد عملت لهذا عن طريق فرض مشاريع تغير مناهج التّعليم عَلى وزارات التّربية والتّعليم في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، بكافة مراحلها من الابتدائية إلى العليا وركزت خاصّة عَلى تخريب مناهج في مواد التّاريخ، والتّربية الوطنيّة، والتّربية الإِسْلَاميّة، واللغة العربيَّة، والعلوم السّياسيّة والاجتماعيَّة، ومواد الأخلاق...إلخ، كما سعت إلى منع التّعليم الدّيني المتخصص والتضييق عليه، وفرض سيطرة الحُكُومَات عَلى المساجد والدُّروس والخطب.. الخ.

- **وفي البعد العسكريّ للحملات:**

تعمل الحملات الأمريكيّة عَلى فرض سيطرتها العسكريّة عَلى المنطقة الّتي أسمتها الشّرق الأوسط الكبير عبر الاستراتيجيّة التّالي:

١- حضورها العسكريّ المباشر عن طريق الاحتلال لبعض المناطق كما أفغانستان والعراق، ومناطق أُخرى تخطط لغزوها مثل سوريا وإيران والسُّودَان ومصر وأجزاء من جَزِيرَة العَرَب...

٢- التّعاون في جَزِيرَة العَرَب حاليا، وكذلك في تركيا ومصر وشمال أفريقيا ودول وسط آسيا..حيث يوجد في ما تسميه منطقة العمليَّات الوسطى، والَّتي تضم العالم العربيّ ومعظم الإِسْلَاميّ، أكثر من مليون وتضف المليون جندي أمريكي عدا قوَّات الحلفاء من النّاتو وغيره.

٣ - حضورها العسكريّ المباشر عن طريق القواعد البرية والبحرية والأساطيل الّتي تحيط بمجموعها بكافة هذه المنطقة وتشكل مع قواعدها الثَّابِتة في قلب العالم العربيّ والإِسْلَاميّ احتلالها وسيطرتها في المنطقة.

٤- رفع إمكانيَّات الجيش الإسرائيلي ليكون قوة استراتيجية ضاربة متفوقة شبه وحيدة في المنطقة.

٥- تفكيك الجُيُوش العربيَّة والإِسْلَاميّة المحيطة بإسرائيل، عن طريق تدميرها كما في العراق أو تفكيكها كما جري لجُيُوش مصر والأردن وسوريا وغيرها الّتي تحولت لمهام الأمن لقمع شعوبها.

٦- إدخال الجُيُوش القائمة القوية المتبقية في المنطقة في خدماتها اللوجستية كما يفعل الجيش الباكستاني في ساعة كتابة هذه السُّطُور ليلة ٢١-٣- ٢٠٠٤ في مجازره الّتي يضرب بها المُجَاهدين العَرَب والأوزبك والتركستان والشِّيشَان ومن آواهم في منطلق قبائل وزيرستان.. وكما تقدم باقي الجُيُوش التركية وغيرها في المنطقة خدماتها طوعاً أو كرهاً.

- **وفي البعد الأمني:**

يمكن تلخيص الاستراتيجيّة الأمنيّة لأمريكا في آخر ما وصلت إليه بالنقاط التّالية:

١ - نشر الوحدات الأمنيّة من مختلف أجهزة الإستخبارات والأمن الأمريكيّة مثل (CIA) و(FBI) وغيرها مما أستحدثته اليَوْم، بشكل مباشر عبر المكاتب المعلنة الرَّسميَّة في العواصم العربيَّة والإِسْلَاميّة، وعن طريق المكاتب السرية، تحت أغطية مختلفة، وعن طريق الأقسام الأمنيّة في سفاراتها في المنطقة.

٢ - وضع كامل أجهزة استخبارات الأنظمة العربيَّة والإِسْلَاميّة في المنطقة في خدمتها المباشرة. وتوكيلها بالأعمال القذرة من الاعتقال والتعذيب والقمع والتصفية.

٣ - وضع القوَّات الأمنيّة لعشرات الدّول الحليفة المباشرة وغير المباشرة في العالم بأسره في خدمة برنامجها الأمني، وإجبار تلك الدّول عَلى تنفيذ برنامجها ولوائحها الأمنيّة، واعتقال من تشاء وتسليم من تشاء، حتَّى رغم أنف الحُكُومَات وأجهزتها القضائية حتَّى بعد تبرئة ساحتهم، كما حصل في اعتقال الجَزَائِريين الستة من المُجَاهدين العَرَب في البوسنة بعد تبرئة المحكمة البوسنية

لهم! وخطفهم وأخذهم إلى غوانتانامو رغم أنف حكومة البوسنة، ورغم الرَّأي العام العَالَمِيّ الأبله المأسور لوسائل الإعلام الصّهيونيّة الدّولية !

٤ – عقد الاتفاقيات والأحلاف والمؤتمرات الأمنيّة الدَّورية والطارئة في كلّ أنحاء الأرض.

٥ – إلغاء الملاذات الآمنة للإسلاميين المطاردين من فبل بلادهم أو من قبلها، وإجبار الدّول عَلى تسليمهم، أو طردهم لتطاردهم بدورها وتختطفهم.

٦ – تجفيف المنابع المالية للجماعات الجهاديّة وكل مؤسسة إسلاميّة تعتبرها إرهابية أو داعمة للإرهاب. وذلك في محاولة لإدخال المُجَاهدين وأسرهم في حلة الجوع والخوف والفاقة، وشل قدرتهم عَلى العمل والحركة.

٧ – تدمير القواعد العسكريّة المتمركزة، والخطوط الظَّاهِرة لبؤر المُقاوَمة، عن طريق القصف الجوي والصاروخي، أو تكليف قوَّات عميلة للجُيُوش أو الميليشيات المحليَّة بالزَّحف عليها وتصفيتها.

٨ – تصفية رؤوس المُقاوَمة ورموز الجهاديّين اغتيالاً وخطفاً.

٩ – اعتقال العناصر الجهاديّة من كلّ مكان، وتسليمها لأمريكا أو لبلادها أو سجنها محلياً.

١٠ – ممارسة سياسة(الضربات الاستباقية) وإجهاض الخلايا المفترضة للإرهاب كما يدعون، بحيث تدمر أمريكا وتصفي أي مؤسسة أو شخصية تظنها أو تتهمها بأنها معادية.

١١ – إعتماد الردع والإِرهَاب المعاكس.. باستخدام التكنولوجيا المهيمنة وإمكانيَّات الدّولة العظمى.

١٢ – تجنيد العملاء في أوساط الإِسْلَاميّين وزرعهم في ساحات المُقاوَمة المفترضة.

١٣ – إطلاق (حرب الأفكار) كما أسماها رامسفيلد، والهدف منها تدمير الخلفيات الفكريّة والدّينيّة والثَّقافيَّة الّتي تغذي الاستعداد للمقاومة، وزرع مفاهيم الاستسلام للعدو في الأُمّة بدلا عنها، (هذا في الإتجاه الهجومي وأما في الاتجاه الدّفاعي فيمكن إضافة البنود التّالية:)

١٤ – التوسع في إصدار التَّشريعات القانُونيّة لمكافحة الإِرهَاب داخل أمريكا وفي بلاد الحلفاء، بصرف النَّظر عن الحقوق المدنيّة وحقوق الإنسان.

١٥ – استحداث أجهزة أمنيّة داخليَّة جديدة وإعطائها وزارة جديدة في أمريكا.

١٦ – الإحتياطات الدّفاعية الداخليَّة، والإجراآت الأمنيّة الّتي تبلغ حد الهوس عندهم. وإجراء المناورات الأمنيّة عَلى هجومات مفترضة، حتَّى بأَسْلِحة الدمار الشّامل.

١٧ – الضغط عَلى الجاليات العربيَّة والإِسْلَاميّة، وحصارها أمنيّاً واختراقها وتوظيفها.

١٨ – توظيف المنظمات الدّولية والمتفرعة عن الأمم المتحدة في برنامجها لمكافحة الإِرهَاب، مثل إلزام الدّول الأعضاء كافّة برفع التقارير عن إنجازاتها في مكافحة الإِرهَاب، وتقديم كشوف عن مجريات النّظام البنكي وحوالات الأمول في بلادها، مع التهديد بالعقوبات للدول المتهاونة.

١٩ – وأخيرا ما اقترحته الزنجية الشمطاء والحية الرقطاء (كونديليسا رايس) من فكرة تشكيل ميليشيات محليَّة من القوى الصديقة في كلّ مناطق العالم لتكون ذراع أمريكا المحليَّة في مكافحة الإِرهَاب، وذلك لسد العجز الظَّاهِر في القوّة البشرية الأمريكيّة وعجزها عن سد احتياجات الحلم الإمبراطوري.

هذه باختصار ما يمكن تسميته: [**استراتيجية إرهاب الدّولة العظمى، القطب العَالَمِيّ الأوحد: أمريكا**] حتَّى الآن، أخزاهم الجبار المنتقم.

وبها نختم المحاور العامّة لهذه الحملات الّتي تتحرك بنظريَّة صِرَاع الحضارات، حيث أعلنوا أنهم وضعوا هدف إزالة الحضارة الإِسْلَاميّة طريقا للبقاء وتوحيد الصفوف.

(٢) – واقع الأُمّة العربيَّة والإِسْلَاميّة في مُوَاجَهة الحملات:

و سنتناول ذلك من خلال تناول واقع الشرائح المختلفة:

أ – واقع الأنظمة الحاكمة في بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ إبَّان هذه الحملات:

١ – تحس هذه الأنظمة ولاسيما في منطقة الشّرق الأوسط وما حولها أنها مهددة بالإزالة من قبل أمريكا، إن هيَ لم تستجب للمطالب الأمريكيّة بمزيد من العمالة والانبطاح، ولاسيما في مجال مكافحة الحركات الإِسْلَاميّة وجُذُور المُقاوَمة، وفق المطالب الأمريكيّة، الّتي تريد من الجميع أن يتصرف عَلى طريقة النموذج الليبي الّذي قدمه القذافي: (**تسليم كلّ شيء وفتح الأبواب لكل المطالب والتنازلات**).

٢- تحس هذه الأنظمة أنها مهددة بالإزالة والثَّورة عليها من قبل شعوبها إن هيَ استمرت في مزيد من العمالة والانبطاح والتجاوب مع المطالب الأمريكيّة اللامتناهية.

٣- تقف الأنظمة مذعورة أمام هذين الخيارين بالإزالة من الخارج أو من الداخل، وتقف عاجزة عن ممارسة الانفتاح عَلى شعوبها والتّعاون معها، نتيجة إرث هائل من القمع والفساد والنهب والجرائم تعودت عليه وعلى ما اعتادته من السطوة والمنافع.

٤- يبدو حتَّى الآن أن خيار الأنظمة هو الاستجابة للضغوط الأمريكيّة، ومُوَاجَهة شعوبها لتسير إلى مصير المُوَاجَهة المحتومة معها، من أجل إرضاء أمريكا حتَّى لا تستبدلها.

ب - واقع علماء المُسلِمِين وقيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة:

ينقسم علماء المُسلِمِين اليَوْم إلى فريقين:

فريق علماء السُّلطَان المُنَافِقين.

فريق الصّالحين العاجزين.

وينقسم كلّ فريق إلى قسمين:

فأما علماء السُّلطَان المُنَافِقين فهم:

١ - فريق مع الاستعمار ومع حكامهم في ولائهم للاستعمار.

٢ - وفريق منافق لحكامهم مناهض للاستعمار.

وأما الصّالحون العاجزون ففريقان أيضا:

٣ - فريق يحاول مسك العصا من وسطها بين الحكَّام وبين بذور النهضة الجهاديّة وملامح المُقاوَمة القادمة، ولكنهم كلما مارسوا شيئاً من الحيادية وطالبوا بشيء من الإصلاح لاحت لهم عصا السُّلطَان، وتكاليف الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر وغضب السُّلطَان.. فانقمعوا، ومالوا للمجاملة والمداهنة والتمتمة والإعجام.. فخسروا ما كسبوه من ود الشارع المسلم ومحبته وثقته، **وهكذا ما زالوا يراوحون مذبذبين بين ذلك لا إلى هَؤُلَاءِ ولا إلى هَؤُلَاءِ..كالشاة العائرة بين الغنمين.**

٤ - والقسم الثّاني من الصّالحين معتزل خائف.. لا تطاوعه نفسه وتقواه عَلى مجاراة السُّلطَان، ولا يسعفه إيمانه وثباته وشجاعته في قول الحقّ ونصرة أهل الحقّ.

وهذا الفريق من (الساكتين عَلى الحقّ) هم خيرة علماء الإِسْلَام اليَوْم! ! عجزة.. مترحضون حيث تاه النّاس وهاجوا وماجوا في الحيرة والتيه وسط في هذه المتلاطمات الّتي تجعل الحليم حيراناً، فكيف بعوام المُسلِمِين. ؟!

ولا يبدو في الأفق وإلى الآن ملامح وجود أحد من مدرسة ابن تيميه وأحمد بن حنبل ومالك والشّافعي وأبو حنيفة وسفيان والأوزاعي.. الّذين طالما أطرب هَؤُلَاءِ العُلَماء الحضور من عوام المُسلِمِين بعطر قصصهم وثباتهم.. وإلى الله المشتكى..

ج- واقع قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة:

يخيم العجز والخنوع عَلى أوساط معظم قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة، ولا يجدون متنفساً إلا في صب جام غضبهم وانتقاداتهم عَلى أمريكا وممارساتها، خاصّة أن سخط الأنظمة من ضغوط أمريكا فتح لبعض هَؤُلَاءِ النافذة ليسبوا الاستعمار، متجاوزين من يمثله ويقوم بمهامه في بلادنا من الحكّام، أما عَلى صعيد البرنامج، فكلهم يدعون اليَوْم للديمقراطية، والإصلاحات السّياسيّة، وخيار الشعب! لعلهم يجدون في ذلك مجالاً ومتنفساً، ولا يبدو في كبار قيادات الصّحوة ورجال الصف الأوّل فيها اليَوْم بوادر من يترشح لقيادة المُقاوَمة والدّعوة إليها.

ولكن كثيراً منهم يلعب دوراً مهماً بالإضافة لبعض الصّالحين من المسترين من علماء المُسلِمِين، في دعوة الأُمّة إلى التمسك بثوابتها، ومواجهات حملات التغريب والاستعمار الفكريّ والحضاري، وهو جهد مهم جداً في توليد أرضية المُقاوَمة.

د – واقع الأحزاب والمعارضات السّياسيّة والقومية والوطنيّة والعلمانيّة:

نتيجة أن الهجمة العَالَمِيّة عَلى الإِسْلَام اليَوْم، وتهمة العاملين تحت شعاره بالإِرهَاب، وجدت الأحزاب والشخصيات السّياسيّة والفكريّة من التّيار العلماني في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، هامش حرية بعيداً عن إمكانية وضعها تحت طائلة (تهمة الإِرهَاب)، وبالتالي الدخول في دائرة التصفية قتلاً وخطفاً وسجناً، وساعد هذا التّيار عَلى الإنطلاق بحرية للدعاية لأفكارهم عوامل أُخرى. من أهمّها أن دعوتهم للديمقراطية، والتداول عَلى السّلطة وحقوق المعارضة، تجد تأييداً من أمريكا وتواؤماً مع مشاريع هما

للإصلاح السّياسيّ، فصاروا يجاهرون بذلك ولا يخافون، ويأخذون راحتهم بالتنديد بالفساد المستشري في الأنظمة وممارساتها وهنا انقسموا إلى قسمين:

١- قسم يمثل المعارضة الشريفة: وهَؤُلَاءِ يندِدون بفساد الأنظمة، وأهداف الحملة الأمريكيّة، ويقفون في صف الأُمّة، ويدعون للمقاومة بأسلوب قوي متماسك، من خلال طرح وطني وقومي يلتقي في طروحاته مع أهداف المُقاوَمة والجِهَاد وإن اختلف المنطلق العقائدي.

٢- وقسم يمثل المعارضة العميلة الخَائِنة: وقد جد هَؤُلَاءِ في الهجمة عَلى الإِسْلَام ودعوة أمريكا للإصلاح السّياسيّ، وفرضه عَلى الأنظمة طوعاً أو كرهاً، فرصة كي ينقضّوا عَلى تلك الأنظمة ويشبعوها فضحةً وكشفاً لبوارها، ويطرحون أنفسهم كخيار ثالث، إلى جانب الأنظمة، والقوى المتحاربة معها من الأصوليَّة الإِسْلَاميّة بكل أطرافها.

وهذا الخيار الخبيث هو المرشح للتحرك عَلى الأرض اليَوْم، أمام جحافل الغُزَاة الأمريكان، ليسقطوا تلك الأنظمة، ويحلوا محلها كخيار أشد كفراً وضلالاً وتبعية وخيانة، ومحاربة للإسلام والمُسلِمين.

وتعج وسائل الإعلام والفضائِيَّات ومنتديات الانترنيت اليَوْم بهَؤُلَاءِ الّذين يتخذون من نموذج (كرازي) و(المعارضة العِرَاقيَّة)، الّذين وصلوا مع الدبابات الأمريكيّة لسدة الحكم، نموذج الأمل بالوصول لأحلامهم البغيضة.

هـ- واقع رجل الشارع من عوام المُسلِمِين:

يمكن تلخيص حالة رجل الشارع العربيّ تحت عناوين الإحباط والغضب والقهر والرفض للأنظمة، والرفض لما تفرضه بَرَامج الحملات الغازية.

وينقسم عوام الشّعوب العربيَّة والإِسْلَاميّة إلى معسكرّين..

١- أقلية ترحب بالتغير القادم ولو عَلى الدبابات الأمريكيّة، فقد ملوا القهر والفقر والظُّلم والتهميش وضنك العيش..

٢- وأكثرية رافضة للأنظمة، رافضة لبرنامج الحملات الأمريكيّة.. تنادي بالمُقاوَمة وتستعد لها.

والمطلع عَلى حالة الغليان في الشارع العربيّ والإِسْلَاميّ، يستبشر بالخير كلّ الخير، بميلاد حركات مقاومة تمتد من تخوم الصين شرقاً، إلى ضفاف الأطلسي غرباً، ويصل أوارها إلى كلّ أقطار المعمورة..

و- واقع التّيار الجهاديّ وبذور قوى المُقاوَمة:

كما ذكرنا آنفاً فقد تعرض التّيار الجهاديّ بكامل أطيافه ورجاله وتنظيماته، بل وكثير من أنصاره إلى الدخول في أخدود عالم ما بعد سِبتَمبر كما أسلفنا بالتفصيل، ولذلك لم ينج من رجاله وكوادره من القتل والخطف والسّجن إلا من سلم الله، وقد اقتنع معظم من بقي من هذا القليل، بوضع كلّ الأهداف والخيارات السَّابقة جانباً، والأخذ بخيار المُقاوَمة والمُوَاجَهة مع أمريكا وحلفائها.

ولعلّ الله يأخذ بأيدينا وأيدي من بقي لإرساء قواعد مقاومة عالميّة، تكون القَاعِدَة الصلبة الّتي تنشأ عليها قوى المُقاوَمة وفصائلها وسَراياها وخلاياها في الأُمّة.

وأما بذور المُقاوَمة الفطرية في الشارع العربيّ والإِسْلَاميّ، فتشير الدلائل إلى أنها قيد التشكيل، فالمناخ الثّوريّ الجهاديّ ترتفع حرارته بوتيرة متسارعة، وتصنيف الأحداث اليومية إليه وقود من أسباب الغضب والحقد المقدّس، وتلعب وسائل الإعلام وثورة الفضائِيَّات، وشبكات المعلومات، دوراً هاماً ورائعاً في التّواصل بالمعلومات والأخبار وتبادل الأفكار، والسَّاحَة مبشرة بكل ماتعنيه كلمة (مبشرة) من معاني..

ولكن الخوف من انفجار الأمور بلا تحكم، مع كلّ تلك المتناقضات آنفة الذكر حقيقي، ونسأل الله أن لا يدخل النّاس في حال من الهرج والفتن والملاحم والفوضى الشّاملة.

ومن هنا تأتي أهمية أن تتصدى الصّحوة الإِسْلَاميّة والجهاديّة، لترشيد المُقاوَمة ودفعها بالاتجاه الصَّحِيح.

وأخيراً في وصف واقع المُسلِمين لابد من الإشارة إلى ظاهرة هامة وخطيرة جداً وتحتاج علاجاً سريعاً من العقول القادرة عَلى توجيه المُقاوَمة وترشيدها، من العُلَماء والمفكرين والكتاب ورجال الدّعوة الإعلام..

هذه الظَّاهِرة هيَ: (مقاومة نخبة الأُمّة لطلائع المُقاوَمة فيها !!!)

فإنه عَلى العكس من منطق ظروف حالات الإستعمار وقوى الُمقاوَمة، في كلّ الأمم كافرها ومؤمنها عبر التّاريخ.

وعلى العكس مما جرى في كلّ تاريخنا العربيّ والإِسْلَاميّ، خلال الحملات الصّليبيّة الاستعماريّة الأولى والثّانية من وقوف الأُمّة ونخبتها ضدّ الأَعدَاء الغُزَاة وحلفائهم، تشير الأحوال إلى ظاهرة غريبة تحف الُمقاوَمة والمقاومين بالخطر.

ففي أسوأ الحالات في تلك الظّروف السَّابقة ؛ أفرزت المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة قوى للمقاومة، وانقسمت الأُمّة بين أقلية مُجَاهدة مقاومة عاملة، وأكثرية قاعدة عن الجِهَاد والُمقاوَمة، ولكنها كانت مؤيدة لها، داعمة لها بما استطاعت من خدمات مادية أو معنوية، أو حتَّى عاطفية، ولم يشذ من شرائح الأُمّة إلا النادر ممن ضمّ صوته لمساعدة قوى الإستعمار، وكان في طليعة القوى الداعمة للمقاومة في تلك الأزمان علماؤها ومفكروها ورجال الرَّأي والأدب والقلم فيها.

لقد حصل هذا في تاريخ الُمسلِمِين، وفي تاريخ كلّ الشّعوب الّتي احتُلت وقاومت..

ولكن الّذي يجري الآن.. أن كثيرا من الشرائح النخبوية المنظّمة في المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة.. طبقة الحكَّام، طبقة العُلَماء، طبقة الصّحوة، طبقة المعارضات السّياسيّة، طبقة المثقفين والمفكرين.. يبدون وكأنهم:

(مضادات حيوية معاكسة للمقاومة، مؤيدة لجرثومة الإستعمار الجَدِيد) !!

ففوق أنها شرائح غير مقاومة للاستعمار، الّذي يقصد كلّ هذه الطبقات من أفسد الحكَّام إلى أتعس المحكومين بالقهر والسلب والدمار.. وإنما مضادات حيوية ضدّ خلايا الُمقاوَمة الحية الُمجَاهدة لأمريكا وعملائها في المنطقة.

والحَمْدُ لله أن الغالبيّة السَّاحقَة لرجل الشارع العادي من عوام الُمسلِمِين نتيجة البوصلة الفطرية السَّليمة عندهم تذهب إلى تأييد الجِهَاد والُمجَاهدين وقوى الُمقاوَمة، وكذلك بعض الأقليات من تلك النخب.

وفي رأيي تعود هذه الظَّاهِرة الشاذة الّتي يجب علاجها إلى ثلاثة أسباب..

(١) – نجاح الاستعمار في حملته الإعلاميَّة الفكريّة في مكافحة (الإِرهَاب الإِسْلَاميّ) كما أسماه، وهو اللقب الّذي نجحوا بأن يلصقوه بالجهاديّين، ما خلا حالات خاصّة من الْمُقاوَمة كما في حالة فِلَسطِين، والعراق جزئياً.

(٢) – ارتباط مصالح الشرائح آنفة الذكر في التّصَدّي للمقاومة الجهاديّة، لأغراض سياسيّة أو شخصية أو فكريّة أو مادية..

(٣) – وهو الأهم في رأيي: فشل الجهاديّين منذُ سِبتَمبر، لأسباب يطول شرحها، في إنجاح حملة إعلاميَّة وفكريّة تستطيع إثبات ذاتها كمقاومة مشروعة وفق معايير تلك الأوساط.

ففي الوقت الّذي ينظر فيه اليَوْم في عموم مكوّنات الشّعوب العربيَّة والإِسْلَاميّة حكاماً، محكومين عَلى اختلاف أجناسهم إلى الجِهَاد في فِلَسطِين عَلى أنه مقاومة مشروعة، وكذلك جزئياً إلى بعض شرائح الْمُقاوَمة في العراق، تسود الصفة السلبية كلّ أعمال الجهاديّين الّتي تتصدى للأمريكان وحلفائهم في أفغانستان وفي مختلف دول العالم، كالعمليَّات الّتي تحصل في السّعُودِيّة والأردن وأوربّا.... حيث طُبع الجهاديّون بكل الصفات السلبية، من الجهل والدموية والإِرهَاب وغير ذلك.. وحشروا في زاوية ضيقة سيئة، تحتاج حلاً سريعاً يعيد وضع الحقّ في نصابه.

وهذه من أهمّ تحديات الْمُقاوَمة الجهاديّة للحملات الصّليبيّة الصّهيونيّة بقيادة أمريكا وحلفائها وعملائها.

(٣)– خُلاصة تركيبة القوى في مُعَسْكَر المُقاوَمة ومُعَسْكَر الاحتلال ومُعَسْكَر الحياد بينهما:

بعد أن عرفنا برنامج العدوّ وأهدافه واستراتيجيته في تحقيق تلك الأهداف، وهو أمر أساسي في وضع برنامج الْمُقاوَمة واستراتيجيتها، بقي أن نعرف حتَّى نستكمل معطيات وضع استراتيجيتنا، تركيبة القوى لكل من مُعَسْكَر الْمُقاوَمة وقواها الذاتية كي نوسعها، وكذلك معرفة ذلك عن العدوّ وحلفائه كي نعمل عَلى تفكيكهم، ثمّ معرفة تركيبة القوى المحايدة بيننا وبينهم للعمل عَلى كسبها أو إبقائها عَلى الأقل في دائرة الحياد.

- **خارطة تركيبة الحملات المعادية لأمريكا وحلفائها وعملائها:**

تتكون الحملات من قوَّات طاغية، تعمل متعاونة في كافّة المجالات العسكريّة والأمنيّة والسّياسيّة والاقتصاديَّة والإعلاميَّة... الخ.. وتتكون هذه الحملات بقيادة أمريكا من القوَّات التّالية بحسب أهميتها:

١ - الولايات المتحدة الأمريكيّة:

الّتي تقودها قوى سياسيّة ولو بيات إعلاميَّة ومالية استطاع اليَهُوْد عبر قرنين من الزَّمن من غزوها والسّيطرة عَلى توجهيها، وتستحوذ الولايات المتحدة عَلى جملة من المعطيات ومظاهر القوّة العسكريّة والاقتصاديَّة والتكنولوجية ليس هنا مكان استقصائها وأصبحت أشهر من أن يشار عليها ويكفي أن نعلم أن مراكز الدراسات الاستراتيجيّة اليَوْم تصنف القوّة العسكريّة لأمريكا بأنها أكبر من القوّة العسكريّة لأكبر تسع قوى عسكريّة تليها في التصنيف مجتمعة !

٢ - إسرائيل:

وتأتي في الدرجة الثّانية في الأهمّيّة في هذه الحملات ليس فقط لأهمية قدراتها العسكريّة، الّتي رعت أمريكا وأوربّا تطورها إلى مستويات عالية، وإنما لأن حاخاماتها من حكماء صهيون هم الّذين يوجهون تفكير هَؤُلَاءِ الحلفاء جميعا، ولأن كبار رجال المال الّذين يملكون كبريات مؤسسات المال والبنوك العَالَمِيّة هم من اليَهُوْد الصهاينة، الّذين يتحكمون في مؤسسات الإعلام العَالَمِيّة من صحافة وسينما وفضائِيَّات ودور نشر... ويديرون بذلك ألاعيب السّياسة في الدّول الكبرى فضلا عن غيرها، ولأن إسرائيل تنزرع في قلب عالمنا العربيّ والإِسْلَاميّ.

٣ - بَرِيطَانيَا:

وهي الحليف الطبيعي لأمريكا دينياً (لأن غالبتهم مثلهم عَلى المذهب البروتستانتي ذي التّأثيرات الصّهيونيّة)، وكذلك تربطهم مع أمريكا روابط أُخرى مثل اللغة والتّاريخ، كما يستحوذ عَلى إدارة كلا الحزبين اللذين يتبادلان الحكم في بَرِيطَانيَا (المحافظون والعمال) لو بيات سياسيّة وإعلاميَّة واقتصاديَّة غالبها يهودي أو تابع للنفوذ اليَهُوْدي، شأنهم شان الحزبين (الجمهوريّ والديمقراطي) في أمريكا، وتأتي أهمية هذا الحليف من خلال الخبرة التارِيخِيَّة الاستعماريّة الهائلة، ولاسيما في بلادنا العربيَّة والإِسْلَاميّة.

٤ – دول حلف شمال الأطلسي (NATO):

وهو الحلف العسكريّ الّذي يربط أمريكا ودول أوروبّا الغربيّة منذُ انتصارها في الحَرب العَالَمِيّة الثّانية، وقد جرى توسيعه عَلى مراحل أهمّها مرحلة ما بعد انهيار الاتحاد السُّوفيتيّ حيث دخلت معظم دول أوروبّا الشرقية الّتي كانت تكون حلف (وارسو) المنحل في (حلف النّاتو) ليصل عدد هذه الدّول اليَوْم إلى نحو ٢٦ دولة، ولكن أبرز تلك الدّول الحليفة وأهمّها من النَّاحية العسكريّة والاستراتيجيّة عامة.. دول أوروبّا الغربيّة مثل: فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، أسبانيا، بلجيكا، البرتغال..بالإضافة إلى استراليا وكندا.

٥ – حلفاء أمريكا من الدّول خارج حلف النّاتو:

بسبب أن أمريكا قد أصبحت القطب الأوحد في العالم عبر طفرة شاذة لا سابق لها في التّاريخ، وبسبب أنها أصبحت تمسك بمفاتيح القوّة العسكريّة والسّياسيّة للتأثير عَلى الأنظمة الحاكمة والدّول، كما تمسك بمفاتيح الإقتصاد العَالَمِيّ ومنابع الطاقة في العالم، كما تمسك بوسائل الإعلام والتوجيه الرَّئيسيَّة في العالم عن طريق سيطرة اللوبيات الصّهيونيّة اليَهُوْدية العَالَمِيّة.

فإن أكثر دول العالم أصبحت داخلة في قائمة حلفاء أمريكا الدائمين أو المرحليين، طوعا أو كرها.

ومن أهمّ الدّول الداخلين في هذه القائمة من حلفاء أمريكا من خارج النّاتو:

أ – اليابان:

ورغم أنها حليف منافس في مجال الإقتصاد، حيث تدور بينهما حرب اقتصاديَّة طاحنة وإن كانت باردة، إلا أن أمريكا بعد هزيمة اليابان في الحَرب العَالَمِيّة الثّانية ١٩٤٥، استطاعت تفكيك الأرضية الدّينيّة والثَّقافيَّة لليابان وتبديل هويتها الحَضَاريَّة وإلحاقها بالعالم الغربيّ.

ومنذ حرب الخليج الأولى (عاصفة الصَّحرَاء) ١٩٩٩، وانطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، استطاعت أمريكا جرَّ اليابان لتكون حليفاً عسكريّاً يتورط شيئاً فشيئاً في ميادين الصِّرَاع الأمريكيّة، وبعد سِبتَمبر وغزوا العراق جرت أمريكا اليابان لتكون شريكاً عسكريّاً ميدانيّاً حقيقياً لها في غزواتها وحملات الصّليبيّة، حيث تستدرجها هذه الأيّام إلى أفغانستان.

ب – روسيا:

ما تزال روسيا منافساً تاريخياً لأمريكا ولكن أحوالها الاقتصاديَّة والسّياسيّة جعلتها ألعوبة بيد حلف النّاتو وزعيمته أمريكا، ورغم محاولتها إثبات وجودها ولاسيما في إطارها المحيط في وسط آسيا، ودول البلطيق وشرق أوربّا، إلا أن أمريكا استطاعت جر معظم تلك الدّول أيضاً لحلفها.

فلم يبق لروسيا إلا اللعب عَلى هامش التنافس بين محور الدّول الأوروبية الرَّئيسيَّة (ألمانيا، فرنسا، وأسبانيا مؤخراً)، ومحور (أمريكا وبريطانيا وإيطاليا) وأذيالها من دول أوروبّا الضعيفة، بالإضافة لليابان، ولكن ولأن جميع هذه الدّول بما فيها روسيا، تقف في مُوَاجَهة الإِسْلَام وحضارته، فقد جمعها حلف صليبي يغلب عليه التماسك في محاربتنا رغم تناقضاته وصراعاته الداخليَّة ز ومن هنا تقف روسيا في حلف أمريكا رغم تلك التناقضات والصِّرَاعات الداخليَّة داخل حلفهم كغيرها.

ج – الهند:

تسير الهند لتكون دولة عظمى، فطاقتها البشرية تبلغ المليار نسمة ! وهم يكونون نحو ١/ ٦ سكان الأرض ! واقتصادها ينمو بشكل منافس، وأسواقها الهائلة تشكل ميداناً مهماً جداً للاقتصاد الرأسمالي العَالَمِيّ، وتطورها العسكريّ ؛ التكنولوجي التقليدي والنووي صار في مصاف القوى الاستراتيجيّة، وصراعها التّاريخي بهويتها الهندوسية المتعصبة مع المُسلِمِين يرشحها لتكون ركناً أساسياً في محور الشر (الصّليبيّ – اليَهُوْدي) الغازي للمسلمين، وتشير الدراسات الاستراتيجيّة إلى أن الهند ستبلغ أن تكون في حلول عام (٢٠٥٠ ميلادية)، لتكون الدّولة الثالثة في القوّة عسكريّاً واقتصادياً بعد الصين الّتي ستحتل المركز الأوّل، حيث ستتحرك الولايات المتحدة إلى لمركز الثّاني!!!

وقد أصبح الحديث عن دخولها عضواً دائماً يمتلك حق الفيتو في مجلس الأمن الدّولي يقترب من الوضوح والصراحة، وقد طالبت به دول أوربية منها فرنسا !

ولذلك لم تهمل أمريكا وإسرائيل محاولات جر هذا الحليف الجبار النائم إلى معسكرها، وقد كشفت مسارات الصِّرَاع (الهندي – الباكستاني) عن انحياز أمريكي علني في صِرَاع الهند ضدّ باكستان، وعن الحلف السّياسيّ العسكريّ الّذي يتقدم باضطراد بينهما وأصبحت أخبار المناورات العسكريّة المشتركة بين أمريكا والهند متكررة ومتواترة، كما صرح المسؤولون الأمريكان باعتبار الهند سندهم الأساسي في استقرار جنوب وشرق آسيا في مكافحة الإِرهَاب..

د – حلفاء أمريكا في دول العالم الثّالث:

تعتمد أمريكا عَلى حلفاء هامين في العالم الثّالث، كبعض دول آسيا مثل كوريا الجنوبية وتايوان. ومعظم دول جنوب شرق آسيا، وأكثر دول أفريقيا وأمريكا اللاتينية.. ودول شرق أوروبّا الّتي لم تلتحق بعد بالناتو.. وقد جرت أمريكا أكثر هَؤُلَاءِ الحلفاء إلى المُعَسْكَر الأمريكيّ بسبب أنظمتهم الفاسدة الّتي لاتختلف أحوالها عن حال الأنظمة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، ولبعض هَؤُلَاءِ الحلفاء أهميته إستراتيجية لأمريكا بدأت تتشكل بدخولهم ميدانياً في صف الحملة العَالَمِيّة لمكافحة الإِرهَاب كما أسموها، بالإضافة إلى أهمية سياسيّة كبيرة لإضفاء شكل الحلف الدّولي عَلى مغامرات أمريكا العسكريّة كما تشارك كوريا وبولندا وبعض دول أمريكا اللاتينية اليَوْم في العراق..

هـ – حلفاء أمريكا وعملائها داخل الصف العربيّ والإِسْلَاميّ:

وهَؤُلَاءِ أخطر الحلفاء لأنّهم في صفنا الداخلي، ويتكون هذا المُعَسْكَر من المرتدّين والمُنَافِقين، ويحتوي عَلى الطيف الخبيث التّالي ؛ نذكرهم بحسب تدرج أهمية دورهم لصالح العدوّ:

١ – الأنظمة المرتدّة الحاكمة في الدّول العربيّة والإِسْلَاميّة:

فنتيجة للفساد التّاريخي لهذه الأنظمة، وواقعها المرير، وكونها حصرت همها في البقاء في السّلطة بأي ثمن، فقد أصبحت ألعوبة بأيدي الإدارة الأمريكيّة، وليس هنا مجال الاستفاضة في شرح مناحي فساد هذه الأنظمة وعمالتها للأعداء، فذلك يطول وهو مشتهر عَلى كلّ حال، وباختصار نقول لقد رهنت هذه الأنظمة إرادتها وتصرفاتها بِإرادَة أعداء الإِسْلَام، ولاسيما أمريكا، ففتحت لهم أراضيها برّاً وبحراً وجوّاً، يقيمون فيها القواعد، وينطلقون منها لحرب المُسلِمِين وإبادتهم، وأمدتهم بالنفط والطاقة لإدارة آلتهم الحَربية، وضخت ثروات المُسلِمِين في خزائنهم وبنوكهم، وجعلت أجهزتها الأمنيّة واستخباراتها وسجونها روعا قذرة لخدمة مخططات أمريكا في حرب الإِسْلَام والمُسلِمين وطليعتهم المُجَاهدة المُقاوَمة، ووقفت معها باختصار بكل أجهزتها السّياسيّة والعسكريّة وسواها، ضدّ شعوبها ورغما عنهم، ولم تسمح لتلك الشّعوب، بممارسة أي نصرة لقضاياهم، ولإخوانهم المُسلِمِين، وحرمتهم حتي من أبسط أشكال الاعتراض والتعبير عن رأيهم في كلّ هذا الظُّلم والظُّلمات.

٢– المنافقون من علماء السُّلطَان وفقهاء الاستعمار والفاسدون من قيادات الصّحوة الإِسْلَاميّة:

يمثل هذا الفريق باختصار السياج الشَّرعيّ الّذي يسبغ الشَّرعيَّة عَلى كلّ ما يلاقيه المُسلِمُون من ظلم وعنت، بدءا من أم البلايا، وهي حكمهم بشرائع أعدائهم بغير ما أنزل الله، وانتهاء بإسباغ الشَّرعيَّة عَلى احتلال بلاد المُسلِمِين واعتبار عساكر الأَعدَاء مأمنين لا يجوز شَرعاً الاعتداء عليهم، ومرورا بدعم مشاريع التطبيع مع اليَهُوْد، وأخيرا وليس آخرا التّحرّك بكل جد وحماس في بَرَامج أمريكا لحرب الأفكار، لمكافحة المُسلِمِين والمُجَاهدين والمقاومين شرعيا باسم الدّين، وفكريا باسم الإِسْلَام، لسحب الشَّرعيَّة عن الجِهَاد والمُقاوَمة، بعد أن أسبغوها عَلى الإحتلال وأحلافه من الحكَّام المرتدّين، وقد سبق في فصول الكتاب عن هذا ما يغني عن التكرار هنا، وأخطر ذلك وأشده إجراما بَرَامجهم البعيدة المدى للتأصيل لتحريف الدّين، وإعادة تقديمه وفق المواصفات الأمريكيّة لمكافحة الإِرهَاب، الّتي تعتبر أصل ذلك يبدأ من نصوص القرآن والسنة وتراث الأُمّة الّتي أجمعت عليه عبر القرون من الحاكِمِيَّة والوَلَاء والبَرَاء وأسس التّوحيد.

٣- الأقليات العرقية والدّينيّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ:

استطاعت أمريكا، مستفيدة من تراكمات المشاكل والظُّلم الّذي وقع عَلى كثير من الأقليات، مثلها مثل باقي شرائح الأُمّة من جهة، ومن تراكمات الأحقاد التارِيخِيَّة بغير حق لدى بعض الأقليات في الكثير من الحالات الأخرى، استطاعت أن تشكل رأس الحَربة العسكريّة والسّياسيّة الّتي تتحرك عَلى الأرض بشكل متناسق مع قوَّات أمريكا وحلفائها، كما حصل من الأقليات الفرسوانية والتركستانية والشّيعة الهزارة أثناء غزوها لأفغانستان، وكما حصل باستخدامها الأكراد وسواهم من الأقليات أثناء غزوها للعراق.. وكما تجهزهم ليتحركوا اليَوْم في سوريا وتركيا وإيران، وكما يحصل من القوى المسيحية الصّليبيّة السّياسيّة والعسكريّة في لبنان.. وكما تحاول فرنسا وأمريكا تحريك النعرات القوميّة البربرية في شمال أفريقيا... وهكذا دواليك، كما تحاول أن تلعب عَلى وتر القنبلة الموقوتة بين السنة والشّيعة في منطقة الشّرق الأوسط ولاسيما في الخليج والشّام، حيث وفر الجهل حينا والأحقاد التارِيخِيَّة حينا آخر فرصة لها لتدمير وحدة الأُمّة من داخلها وهو أهمّ عوامل نصرها في هذه المُوَاجَهة، بعد أن وفر القوميون العَرَب، والشّعوبيون المتعصبون من الأقليات من العلمانيين مادة هذا السم القاتل لتمزيق شمل الأُمّة عبر عقود متعاقبة.

٤ - المُهَاجِرون المستغربون من أصحاب الجنسيات المزدوجة والوَلَاء الأمريكيّ:

وهذه الشريحة من التكنوقراط وحملة الشهادات العلمية والدراسات العالية.. من أهمّ وأخطر الشرائح، فقد نشأت هذه الطّبقة من المُهَاجِرين وأبناء المُهَاجِرين من الجاليات الإِسْلَاميّة في أوروبّا وأمريكا بسبب الظّروف السّياسيّة والاقتصاديَّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.. وقد تلقفت أجهزة الاستخبارات الغربيّة عشرات الآلاف من هَؤُلَاءِ وأبنائهم واختارت فهم من سيكونون رجال السّياسة والقيادة في شتّى المناحي في بلادهم.. ومن أوضح النماذج عَلى هَؤُلَاءِ أمثال رجل الأعمال والنفط الأفغاني البشتوني الأمريكيّ الجنسية (حامد كرزاي) رئيس أفغانستان المهاجر إلى أمريكا و(... وزاده) سفير أمريكا الأفغاني - الفرسواني الأصل، الأمريكيّ الجنسية أيضا، وهو مهندس (مؤتمر بون) الّذي رسم مخطط احتلال أفغانستان سياسيّاً، ومثل كبار المعارضين العراقيين من أمثال اللص الدّولي المحترف (أحمد الجلبي)، ورفاقه الآخرين مثل (العلاوي) و(بحر العلوم) وغيرهم من الّذين قضوا شطر عمرهم في أمريكا والغرب، ومنهم اليَوْم المعارضين الليبيين وكبار رموزهم في أمريكا، وكذلك المعارضة السوريّة والإيرانية.. الّتي تصنع عَلى عجل اليَوْم في أمريكا..والنماذج كثيرة بعد أن وفرت أنظمة الظُّلم والإستبداد جاليات من المُسلِمِين بعشرات الملايين في بلاد الغرب منذُ قامت هذه الأنظمة، والبرنامج أصبح واضِحاً مكروراً معروفاً ورجاله وأدواته كذلك.

٥- العملاء المتأمركون من التّيار العلماني داخل العالم العربيّ والإِسْلَاميّ:

أفرز الهجوم السّياسيّ الأمريكيّ عَلى العالم العربيّ والإِسْلَاميّ تحت زعم الإصلاح والدِّيمقراطيَّة نوعا من المعارضات السّياسيّة الّتي تبنت مشاريع الدِّيمقراطيَّة والإصلاح السّياسيّ الأمريكيّ، من العلمانيين المستغربين، أو المتأمركين بالأحرى الّذين يرحبون صراحة ودون أي مواربة باستنساخ النموذج الأمريكيّ لنظم الحياة بأي طريقة ولو كانت عَلى الدبابة الأمريكيّة بحسب النموذج العراقي، وقد استأسد هَؤُلَاءِ المعارضون حتَّى عَلى الأنظمة السّياسيّة المنغلقة كما في مصر ودول الخليج وغيرها بعد أن لمسوا الحماية الأمريكيّة وخور الأنظمة الّتي تعد أيّامها المتبقية ! وهذا الصنف مع سابقه هم الّذين تعدهم أمريكا لحكمنا في مرحلة ما بعد زوال الأنظمة الحالية.

٦ - طبقة المتنفعين من الإستعمار ماديا من كبار رجال المال والأعمال في بلادنا:

تنشأ مع هذا الهجوم الأمريكيّ الشّامل اليَوْم، والّذي يتضمن مشاريع مؤامرة اقتصاديَّة كبرى، طبقة من التجار وأصحاب رؤوس الأموال في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، من الّذين يدخلون شركاء في المشروع الاستعماريّ الأمريكيّ عبر مخططات الشراكة.. والمناطق الحرة.. والمشاريع الاقتصاديَّة الأمريكيّة والغربيّة الكبرى، وغالب هَؤُلَاءِ من رجال السّلطة والسّياسة، ورؤساء المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة، من رؤساء القبائل أو الإقطاعيين، أو الرأسماليين الّذين تتناسب وتتداخل مصالحهم مع أهداف ومصالح المشروع الأمريكيّ في أسموه الشّرق الأوسط الكبير.

٧ - الطّبقة المنحلة الفاسدة من فساق عوام المُسلِمِين:

وأكثر هَؤُلَاءِ من الشرائح الشعبيَّة في عامة الأُمّة العربيَّة والإِسْلَاميّة، من الممسوخين فكرياً والمهزومين حضارياً، الّذين ربطوا عقولهم بمنابع البث الفكريّ والثقافي لأجهزة الإعلام الأمريكيّة والغربيّة، وتربوا عَلَى بَرَامج (الفيديو كليب) و(ستار أكادمي) وفضائية (روتانا) وأمثالها... حيث تهتم القوى الاستعماريّة برسم مخططات تغريب كبرى لتوسيع هذه الشريحة عن طريق افتتاح الجامعات والمراكز العلمية والثَّقافيَّة والبعثات إلى أمريكا لمدد طويلة لتأهيل كادر عميل كاهل علمياً وفكرياً وثقافيّاً، ليكون منهم جمهور المصفقين في حفلة الزار الأمريكيّة الّتي تدق طبولها في طول بلادنا وعرضها اليَوْم.

تركيبة قوى المقاومة وأنصارها وحلفاؤها في المجال العربي والإسلامي والدولي:

تتكون طلائع المُقاوَمة الناشئة والمُوَاجَهة لهذه الحملاَت الصّليبيّة من القوى والشرائح التّالية الّتي أرتبها بحسب أهميتها كما يلي:

(١)- بقايا تنظيمات التّيار الجهاديّ من الأفغان العَرَب، والقَاعِدَة، والجهاديّين عموماً من بقايا الجماعات والأفراد المنتشرين المشردين اليم في مختلف أنحاء العالم.

(٢) - التَّنظِيمات المُجَاهدة (من غير التّيار الجهاديّ) في مختلف أنحاء العالم الإِسْلَاميّ كالمُجَاهدين في فِلَسطِين وكشمير والفليبين وبورما وجنوب شرق آسيا ووالقرن الأفريقي والشِّيشَان والبوسنة والبلقان ووسط آسيا... وغيرها.

(٣)- أنصار الظَّاهِرة الجهاديّة من الشَّبَاب المتحمس، الحامل للفكر الجهاديّ في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.

(٤) – قواعد جماعات الصّحوة الإِسْلَاميّة عامةً من مختلف الشرائح حيث تتصاعد عندها مشاعر الغيرة والحماس والثّوريّة والتوجه الجهاديّ والعاطفة، رغم توجه أكثر قياداتها نحو العمل السّياسيّ والدعوي والقعود عن الجِهَاد والمُقاوَمة، وهذه شريحة تعد بالملايين ولله الحمد.

(٥) – العُلَماء المستقلون الصّالحون وهم كثر ولكنهم ما زالوا في دائرة العجز والترخص والعقود، ولكنهم متعاطفون مع المُقاوَمة، وأعتقد أنهم سيبرزون عندما تقوى شوكتها.

(٦) – القيادات الصّالحة الشريفة في الصّحوة الإِسْلَاميّة، ولاسيما في قيادات الصف الثّاني وقيادات الوسط فيها، فأكثرهم بدأ يدرك أن الجِهَاد هو الحلّ بعد عقم المسارات السّياسيّة وازدياد وقاحة الهجمة الاستعماريّة، وخاصة في التّيار السلفي والجماعات الحاملة لفكر الإخوان المُسلِمِين.

(٧) – رجل الشارع المسلم العادي في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.. وهذه شريحة ضخمة، فالمتحمسون للجِهَاد والمُقاوَمة، والمستعدون لتقدم شيء من المجهود المقاوم في المجال المباشر (العسكريّ) أو (المُقاوَمة المدنيّة) أو الدّعم بالمال أو بالكلمة أو أي مساهمة، ولو حتَّى بالدّعاء في ظهر الغيب وهو **من أمضى السّلاح في هذه المَعْرَكة**.. هم شريحة بمئات الملايين في أمة مقهورة يناهز تعدادها اليَوْم المليار ونصف المليار من المُسلِمِين.

(٨) – الشرفاء وأصحاب الضمائر من التّيار القومي والوطني واليساري وبعض المعارضات العلمانيّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.

أما عن الانصار والحلفاء المفترض للمقاومة الإسلامية العالمية في المجال الخارجي فهم كافة أعداء المشروع الإمبريالي الامريكي وبرامجها الإمبراطوري التوسعي وحملاتها الصليبية الإمبريالية.

وأعداء الإمبريالية الأمريكيّة اليَوْم في العالم كثر، حتَّى في العالم الغربيّ، بل وحتى داخل الشعب الأمريكيّ، وهم في العالم شريحة واسعة جداً، وقد استعلن بعضهم بموقفة واستخفى آخرون نتيجة الخوف والضغوط، ولكن اشتداد ساعد المُقاوَمة الإِسْلَاميّة وإثخانها في قوّات أمريكا، وإزالة شيء من

هيبتها سيجعل هذه الشريحة الخائفة من قمع أمريكا تعلن موقفها، وسيجعل الحلف الأمريكيّ عرضة للتحلل والتفكك.

وأما أنصار المُقاوَمة وحلفاءها المفترضين في الخارج في هذه الأوساط فهم بحسب أهميتهم:

أ - الأحزاب اليسارية في الدّول الغربيّة والَّتي عرفت بتاريخها في مناوئة السياسات الأمريكيّة.

ب - الأحزاب الوطنيّة وقوى التحرر العَالَمِيّة في العالم الثّالث والَّتي عرفت بتاريخها في مناهضة الإستعمار وخاصة التسلط والإمبريالية الأمريكيّة.

ج - أحزاب الخضر والأحزاب السّياسيّة القوميّة والوطنيّة المناوئة للسياسة الأمريكيّة في الغرب.

د - منظمات حقوق الإنسان والمؤسسات غير الحُكُوميّة المناهضة للسياسات الأمريكيّة في العالم الغربيّ.

هـ - التَّنظِيمات العسكريّة السرية اليسارية وغيرها، المعروفة بمعاداتها لأمريكا أو لحلفائها، مثل الألوية الحمراء والجيش الأحمر الياباني ومنظّمة ايتا في باسك أسبانيا والمنظمات الرَّافِضَة لإلقاء السّلاح من الجيش الجمهوريّ الإرلندي...و أشباه ذلك.

و - المؤسسات والمنظمات الأهلية داخل الولايات المتحدة الأمريكيّة ذاتها من الكتل والهيئات والشخصيات المعارضين للسياسة التوسعية الأمريكيّة.

وهذه أوساط يجب التّحرّك نحوها سياسيّاً وإعلاميا وغير ذلك.. للاستفادة من القاسم المشترك بيننا وبينها ضدّ السياسات الإمبريالية الأمريكيّة كلا بحسبها.

وأعتقد أن مثل هذه النقلة ممن تتوفر لهم إمكانيَّات ذلك يمكن أن تفتح أمامنا مجالات تربك العدوّ وتقلب حساباته الأمنيّة والاستراتيجيّة رأسا عَلى عقب.

واقع مِعسكر الحياد في الصِراع بين الحملات الامريكية وقوى المِقاومة الإسلامية العالمية:

حتَّىَ الآن ما يزال مُعَسْكَر الحياد في الصِّرَاع بين أمريكا وحلفَائها من جهة وبين قوى المُقاوَمة الإِسْلَاميّة لها من جهة أُخرى، ما يزال محدوداً وصغيرا وذلك لثلاثة أسباب:

أولها: الإِرهَاب الأمريكيّ السّياسيّ والإعلاميّ والاقتصادي والعسكريّ والأمني.. لكافة الأطراف الّتي تعلن مناوأتها للمشروع الأمريكيّ تحت طائلة وصمهم يدعم الإِرهَاب.

ثانيهما: حشر المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة بكافة أطيافها وألوانها في دائرة السمة (بالإِرهَاب) بل وبوضعهم تحت مصطلح (القَاعِدَة) وأنصار القَاعِدَة. وبالتالي إحراج من سيؤيدها وإشعاره بأنه يسير إلى حتفه.

ثالثاً: فشل أطياف المُقاوَمة المختلفة حتَّى الآن في برنامجها الإعلاميّ والسّياسيّ، وفشلها في إبراز نفسها أمام الرَّأي العام المحلي والعَالَمِيّ كقوى مقاومة مشروعة، وتركيزها عَلى البعد التّحريضي عَلى العمل، دون أبعاد سياسيّة إعلاميَّة تراعي مسارات تشكل الرَّأي العام.

ولكن مع ذلك فهناك طيف من الدّول والقوى الإقليمية والعَالَمِيّة ما تزال في دائرة الحياد، يجب أن تكون محل جهد من قوى المُقاوَمة وكوادرها ولاسيما في المجال السّياسيّ والإعلاميّ لتحويلها ما أمكن إلى المُعَسْكَر المناصر لقوى المُقاوَمة.. ومن هذه القوى..

١- في المجال الخارجي..

هناك الصين الّتي تسعى أمريكا لتفتيتها، وقد وضع الكونغرس برنامجا علنيا لذلك منذُ ١٩٩٥، وهي مرشحة للتحول إلى المُعَسْكَر المعاون للمقاومة للأمريكان، في حال أثبتت قوى المُقاوَمة نفسها وقدمت أنفسها كمقاومة (مشروعة) في المفهوم الدّولي ونجحت في الخروج من تهمة (الإِرهَاب)، وهناك العديد من الدّول الآسيوية والأفريقية كذلك.. وهناك شرائح هامة جداً من شعوب الدّول الغربيّة الّتي تكره أمريكا وبَرَامجها، ولم تتفهم بَرَامج المُقاوَمة في بلادنا وأهدافها، وقد ثبت ضخامة هذا المُعَسْكَر من خلال المسيرات الضخمة الّتي جالت شوارع البلدان والعواصم الغربيّة، وهذه شرائح ليست مؤيدة بطبيعة الحال للمقاومة.

٢- وأما داخل المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة ذاتها:

فما تزال **شرائح القوى المحايدة كبيرة فهي تبغض الأمريكان ولا تؤيد المُقاوَمة**، ولا تفهم رسالتها ولديها عنها تصوُّرات مشوهة.. كالأقليات الدّينيّة والعرقية، وكثير من عوام النّاس.

وبعد هذا الشرح الموجز لخارطة القوى والحلفاء لكل من المعسكريّن المتصارعين ؛ مُعَسْكَر الأَعدَاء الغُزَاة ومُعَسْكَر قوى المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة لهم، يمكن أن ننتقل للفقرة التّالية الهامة وهي:

ثالثاً: أركان الاستراتيجيّة السّياسيّة العامّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

في بداية الحديث عن الخطوط العريضة لاستراتيجية المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة في مُوَاجَهة أمريكا وحلفائها يجدر بنا لفت النَّظر إلى نقاط هامة جداً:

- أن الاستراتيجيّة كما أسلفنا من صفاتها اللازمة الثّبات النسبي، وثباتها متعلق بالثّبات العام للمعطيات المحيطة والظروف العامّة، ولكن نظراً للاختلال الصارخ في موازين القوى المادية بين قوى المُقاوَمة وقوى الحملات الأمريكيّة وحلفائها، فإن استراتيجية المُقاوَمة لا يمكن أن تكون تفصيلية، **لأن الضّعفاء لا يستطيعون وضع الإستراتيجيات**، وذلك لعدم إمكانيتهم في فرض الظّروف، أو عَلى الأقل المحافظة عَلى ثباتها، ولذلك قد تتغير الإستراتيجيات نتيجة الانقلاب في الظّروف العامّة، **ومن الأجدى أن تكون استراتيجية المُقاوَمة مجموعة خطوط استراتيجية عريضة تعطيها مرونة الحركة وتبديل التكتيكات بحسب الوقائع الناشئة.**
- **إن المُقاوَمة عمل صدامي، ومشروع مُوَاجَهة، ويجب القول بوضوح وفهم حقيقة هامة جداً.. بأنه بغير مُوَاجَهة مسلحة قوية وحاضرة عَلى الأرض، وبغير مقاومة تأخذ صفة الظَّاهِرة العامّة، وليس مجموعة من أعمال الإنتفاضات، فلن تكون هناك قيمة لأي نظريَّة سياسيّة وإعلاميَّة للمقاومة، فإن المُقاوَمة تستمد وجودها وحياتها من قوتها لمسلحة الفاعلة عَلى الأرض، وتستمد مشاريعها السّياسيّة والإعلاميَّة قيمتها وحضورها، من طلقات بنادق المُجَاهدين، ودوي انفجارات عمليَّاتهم.**

كما أنه بغير عمل سياسي وإعلامي، فإن كلّ الجهود العسكريّة تذهب هدراً، ولا يمكن توظيفها لتحقيق الهدف، لأنه كما أسلفنا فإن الانتصار في المُقاوَمة هو عمليَّة إنهاك سياسي وليس تحطيم للخصم في ظل مثل هذه المعطيات، اللّهم إلا إذا وفقنا الله أو وفق غيرنا بضرب أمريكا في عقر دارها بأَسْلِحة الدمار الشّامل، أو دمرتها النيازك والزلازل والأعاصير الربانية وارتاحت البشرية من شرورها.

- الاستراتيجيّة السّياسيّة هيَ جزء من الاستراتيجيّة العامّة، ويجب أن تكون متناغمة مع الاستراتيجيّة العسكريّة والإعلاميَّة والأبعاد الأخرى للاستراتيجية العامّة، وتوضع كلها في خدمة الأهداف الاستراتيجيّة العامّة.

الأهداف الاستراتيجيّة الأربعة لدعوة المُقاوَمة الإسْلاَميّة العَالمِيّة وهي:

(1) – دحر الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية بقيادة أمريكا وحلفائها من اليَهُوْد والصّليبيّيّن ومطاردة فلو لها في العالم الإسْلاَميّ.

(2) – تصفية قوى العمالة والنِّفَاق الّتي تعمل علىَ تحقيق أهداف الحملات الغازية.

(3) – إسقاط أنظمة الرِّدَّة والخيانة القائمة في بلادنا بسبب دعم تلك الحملات الغازية.

(4)– إقامة حكم الشّريعة علىَ أنقاض تلك القوى المرتدّة.

المحاور العامّة للإستراتيجية السّياسيّة لدعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة:

أولاً: توسيع مفهوم المُقاوَمة ومحاورها لتشتمل المُوَاجَهة مع كافّة مناحي ومحاور هجمة الحملات الأمريكيّة الصّهيونيّة، وهي محاور شاملة كما بينا، وعدم قصرها عَلى مجال المُقاوَمة العسكريّة رغم أنها جوهر دعوة المُقاوَمة وأساسها، وهذه المحاور هيَ:

١ – المُقاوَمة العسكريّة:

باستهداف كافّة أشكال تواجد الأَعدَاء ومن يظاهرهم، ومشاريعهم ومؤسساتهم العسكريّة والأمنيّة والسّياسيّة والاقتصاديَّة والثَّقافيَّة وغير ذلك بحسب ما بيناه من الضوابط المنهجيّة الشَّرعيَّة، وكما سنفصله في شرح النَّظريَّة العسكريّة، إن شاء الله.

٢– المُقاوَمة السّياسيّة:

وذلك بمقاومة المشاريع والأهداف السّياسيّة للعدو، ومرتكزاته في بلادنا، بالوسائل السّياسيّة السّلميّة، حيث يمكن أن يستفاد من هوامش ما تعتبره القوانين المحليَّة والعَالَمِيّة مشروعا، ولاسيما في مجالات المؤسسات الأهلية، ومنظمات المجتمع المدني، والإنتباه إلى عدم الإنتماء والعضوية لمؤسسات للمؤسسات الحاكمة الّتي يقيمها الأَعدَاء، أو المؤسسات الحاكمة بغير ما أنزل الله الموالية للأعداء.

٣– المُقاوَمة الإعلاميَّة:

وهي فرع من المُقاوَمة السّياسيّة. وذلك باستخدام الوسائل العصرية بكافة أشكالها ولاسيما الفضائِيَّات وشبكات الإنترنيت، للتحريض عَلى المُقاوَمة بأشكالها، ولمكاتبة المؤسسات والمنظمات والشخصيات، في بلادنا، وفي كلّ مكان، حتَّى بلاد العدوّ ذاتها، خاصّة الأوساط المتوقع تأثيرها بأي شكل لصالح قضيتنا تسعيرا للمقاومة وتوحيدا لصفوفها، ومن أجل تفتيت صف العدوّ وإضعافه ودحض حججه ومسوغاته.

٤- المُقاوَمة المدنيّة:

وذلك بمُوَاجَهة الأَعدَاء ومن يظاهرهم من قبيل التظاهرات والاعتصام والإضرابات، ومختلف أشكال الإحتجاج الشعبي، كإطلاق الشعارات والكتابة عَلى الجدران، ونشر المواد المحرضة عَلى الثَّورة عَلى المحتلين وأعوانهم، عبر المنشورات والبيانات الصوتية والمصورة وبكل وسيلة.. وما يمكن للنَّاس أن يفعلوه، وهذه مسؤولية المنظمات الشعبيَّة كالنقابات واتحادات العمال والطلاب، ورؤوس النّاس وفي مقدمتهم العُلَماء وزعماء النّاس ورموزهم في كلّ مجال.

٥- المُقاوَمة السلبية:

وهذه وما يليها أضعف الإيمان في جِهَاد هَؤُلَاءِ الأَعدَاء والمُنَافِقين لهم في بلادنا، ومن ذلك المقاطعة في كافّة المعاملات، فلا يبيعهم ولا يشتري بضائعهم ولا يستقبلهم، ولا يبدي لهم الحفاوة، ولا ينتمي إلى مؤسساتهم، ولا يدفع لهم المكوس والضرائب إلا مكرها، وأن يظهر لهم كلّ أشكال البَرَاء بحسب استطاعته، أن يقاطع وسائل إعلامهم ولا يستمع إليهم، وأن يدعو الله عليهم ويلعنهم بقلبه، وبلسانه إن استطاع لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

٦- المُقاوَمة بتعميق جُذُور المُقاوَمة:

وذلك بالحفاظ عَلى الهويّة الدّينيّة والقومية والفكريّة والحَضَاريَّة للعرب والمُسلِمين، ومُوَاجَهة الحملات في مناحيها العامّة كافّة الثَّقافيَّة والتربَويّة، وهذا النوع من المُقاوَمة عَلى سهولته، وعدم تجشم صاحبه أي تكليف عملي، مهم جدا لاستمرار جذوة الحياة في الأُمّة، فقد لا يكون هذا الجيل قادرا عَلى الدَّفع كما ينبغي لضعفه وظروفه، ولكن الحفاظ عَلى هوية الأُمّة الدّينيّة والثَّقافيَّة والاجتماعيَّة والأخلاقية، وكافة المواصفات الحَضَاريَّة، كفيل بحفظ روح المُقاوَمة وجُذُورها إلى أجيال تكون أقدر

عَلى العطاء، ويكون هذا بالحفاظ عَلى روح التدين، ونشر علوم الإِسْلَام بصفائها بعيدا عن التزوير الّذي تقوم به وسائل أمريكا في بلادنا، وهنا يبرز دور المساجد، وحلق التدريس العلنية والسرية إن اضطر الحال، وبنشر الكتب والمنشورات التربَويّة سرا وعلنا أيضا، وللتربية المنزلية وما تقوم به الأمهات وربات البيوت من تنشئة الصغار عَلى الدّين وغرس الهويّة الإِسْلَاميّة في عقولهم منذُ الصغر أكبر الفائدة والأثر.

ثانياً: الضبط العقدي والمنهجي والفكريّ لمنطلقات المُقاوَمة ومستنداتها الشَّرعيَّة بحيث تنسجم وأساسِيَّات الدّين الإِسْلَاميّ، ومفاهيم الجِهَاد السامية وقواعده وأحكامه السّياسيّة الشَّرعيَّة الراسخةً، وآدابه الشَّرعيَّة المعروفة.

وحفظها من أن تتحول إلى الفوضى والهرج وأجواء الفتن، والتركيز عَلى حفظ دماء وأموال المُسلِمين برهم وفاجرهم والسعي في إصلاحهم، والتركيز عَلى ضرب العدوّ وأنصاره المظاهرين له.

ثالثاً: إخراج المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة من دائرة تهمة (الإِرهَاب الأعمى) غير الهادف الّتي رسمتها أجهزة الإعلام، وإبراز هوية المُقاوَمة الحقة كحركة جهاديّة تمارس حق الدّفاع عن النّفس وحق تكفله الأديان والشرائع السماوية كما تكفله الأعراف والقوانين الإنسانية.

ومحاولة كسب الرَّأي العام في مختلف شرائح المجتمعات والشّعوب عَلى الصعيد العربيّ والإِسْلَاميّ والعَالَمِيّ.

رابعاً: تطوير أساليب المُوَاجَهة العسكريّة والأمنيّة بحيث تتلائم مع حالة اختلال التوازن الصارخ مع الهجمة الأمريكيّة الطَّاغية وحلفائها، وعدم إدخال قوى المُقاوَمة في مواجهات مكشوفة غير متكافئة.

خامساً: مد الجسور مع مختلف شرائح ومكوّنات المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة الرَّافِضَة للطغيان، وإزالة حالة العزلة الاجتماعيَّة والسّياسيّة والفكريّة بين المقاومين والجهاديّين وبين تلك الشرائح ماأمكن، وعلى رأسها مكوّنات الصّحوة الإِسْلَاميّة وقياداتها وعلمائها وقواعدها، ثمّ كافّة التَّجَمُّعات والأحزاب والشخصيات والقوى الشريفة المعبرة عن ضمير الأُمّة الحي في مُوَاجَهة الغزو والعدوان من كلّ الأطياف.

سادساً: اعتماد سياسة تفكيك الحلف الأمريكيّ الصّليبيّ اليَهُوْدي المعادي ليقتصر عَلى أقل ما يمكن من الحلفاء مع أمريكا وإسرائيل وقوى الصّهيونيّة اليَهُوْدية والصّليبيّة المتصهينين.

سابعاً: إبراز البعد الحضاري لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة كحركة حَضَاريَّة متكاملة تهدف لإقامة الدّولة الإِسْلَاميّة وحمل مشعل الحضارة والخلاص لبني البشر، وإقامة العلاقات مع الشّعوب الأخرى عَلى أساس العدل والإحسان.

ثامناً: اعتماد استراتيجية حصر الصِّرَاع في دائرة القوى المعادية وحلفائها، واعتماد مبدأ التحييد الممكن للقوى المختلفة والتجنيد الممكن من القوى المناصرة لوضعها في دائرة الأداء والعمل المقاوم.

تاسعاً: تكوين حلف للمقاومة يعتمد ثلاثة دوائر، عَلى مبادئ أساسية وهي:

(١)- الجِهَاد مع أهل السّنّة والجماعة.

(٢)- التّعاون مع أهل القبلة من المُسلِمِين.

(٣)- الاستعانة بكافة القوى المخلصة في نصرتنا من أعداء أمريكا وحلفائها من غير المُسلِمِين.

ضمن ضوابط قواعد السّياسة الشَّرعيَّة ومعطيات المصلحة والحركة في ضوء الواقع السّياسيّ.

عاشراً: اعتماد سياسة حرب الإنهاك الطويلة المدى في المُوَاجَهة الشّاملة مع أمريكا حلفائها، باستخدام أسلوب حُرُوب العِصَابات السرية، ولاسيما أسلوب الإِرهَاب والردع بحُرُوب عِصَابات المدن، واستهداف التواجد الإستراتيجي للعدو في بلادنا.

أحد عشر: اعتماد استراتيجية البناء والهدم في المُوَاجَهة مع الحملات، البناء لقوى المُقاوَمة وكافة مرتكزاتها وجُذُورها وكوادرها وأحلافها، والهدم في المقابل لقوى الحملات الأمريكيّة وحلفائها والإهتمام بتصفية وإجهاض مرتكزات هذه الحملات وخياراتها في كافّة المناحي السّياسيّة والاقتصاديَّة والثَّقافيَّة وسوى ذلك في بلاد المُسلِمِين.

اثنا عشر: الاستفادة من مُعَسْكَر المناصرين لقضيتنا داخل المجتمعات الغربيّة وغيرها من الدّول المكونة للحلف الصّليبيّ الصّهيونيّ بقيادة أمريكا.

ثلاثة عشر: العمل عَلى تناسق التكتيكات بين الأعمال الجهاديّة العسكريّة والسّياسيّة والإعلاميَّة والدعوية التربَويّة في الأُمّة لتحقيق استراتيجية المُقاوَمة العامّة.

وإجبار العدوّ عَلى القناعة بأن ما يجنيه من الحملات والاحتلال والعدوان أقل بكثير من تكاليف حملاته عَلى الصعيد البشري والاقتصادي.

أربعة عشر: إعتماد استراتيجية السعي والعمل وترك متاهات الجمود والجدل فقد أوضحت الأحداث كلّ شيء، وتبين صف العدوّ وأهدافه، وصف المُقاوَمة ومشروعيتها. ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾

وقد يطرح تساؤل هام حول استراتيجية المُقاوَمة لمرحلة ما بعد هزيمة الحملات، وإسقاط حلفائها، وما هو برنامجها السّياسيّ والاقتصادي والثقافي والاجتماعي... إلى آخره.

وهنا نوجز الإيضاح بما يلي:

(١)- أن مرحلة المُقاوَمة طويلة المدى ستفرز رجالها وكوادرها وعلماءها ودعاتها ورموزها.. وعليهم ستقع مهمة الإجابة عَلى هذا السّؤال من خلال إرث المسار وثوابته..

(٢)- أن الواقع الجَدِيد إذّاك – بعد هزيمة العدوّ – سيفرز بالإضافة لرجاله الجدد، ظروفه الجَدِيدة، الّتي سيعرف أولئك العاملون التّعاون معها، من خلال ثوابتنا وتجاربهم، ومن السابق لأوانه أن نتعرض لتلك المراحل وظروف الانتصار القادمة إن شاء الله، بمعطيات حالة الاندحار والهزيمة الحالية.

(٣)- تبقى الأهداف الاستراتيجيّة آنفة الذكر بتسلسلها وهي هزيمة العدوّ ثمّ تصفية عملاؤه وإسقاط الأنظمة الّتي مكنت لحملاته وتعاملت ثمّ إقامة أحام الشّريعة الإِسْلَاميّة في بلاد المُسلِمِين بحسب تلك الظّروف، هيَ البرنامج العام.

(٤)- أن في كليات الشّريعة وتفاصيلها الإجابات الشافية عَلى كافّة مسائل التَّشريع والتقنين والحكم والإدارة بما يشفي ويكفي ويغني عن تفصيله هنا، ولكل حادث حديث، وعندما سيرفع عنت الطواغيت عن علماء الأُمّة ورجال الفكر وأولي الأحلام والنهى فيها، سيعرف أولئك الرّجال كيف يديرون أمورهم بمقتضى شرع الله وما يوافق ظروفهم.

والمهم الآن هو وضع الاستراتيجيّة للمرحلة الممتدة من بدء الحملة وإلى هزيمتها موضع التنفيذ، وهذه مهمتنا الآن، والله المُستَعان.

رابعا: مواقف سياسيّة لدعوة المُقاوَمة الإسْلاميّة العَالَمِيّة من قضايا رئيسيَّة:

إن من تمام بيان المعالم الأساسيّة للإستراتيجية السّياسيّة لدعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالِمَيّة، أن نبين بالإيجاز الكافي موقفنا هنا من وجهة النَّظر السّياسيّة، من قضايا رئيسيَّة هامة سواء لأتباع الدّعوة أو لكل لمن يهمه الأمر:

(١)- قضية الصِّرَاع مع الأنظمة القائمة في العالم العربيّ والإسْلَاميّ:

إن سياسة دعوة المُقاوَمة هيَ الانصراف لمُوَاجَهة العدوّ الغازي المتمثل في أمريكا ومن أعانها وحالفها من القوى الداخليَّة والخارجيّة، وعليه:

فليس من أهداف المُقاوَمة مُوَاجَهة الأنظمة القائمة – رغم استحقاقها لذلك – وذلك جمعا لجهود الأُمّة عَلى الهدف الإستراتيجي للمقاومة، وهو إسقاط المشروع الأمريكيّ الصّهيونيّ، ويبقى استهداف بعض قطاعات تلك الأنظمة بقدر دخولها في الحلف الأمريكيّ دون تحويل ذلك لثورات محليَّة وفق الشّكل الّذي كانَ الجهاديّون يعملون به.

وأما المُوَاجَهة الدّفاعية مع أجهزة تلك الأنظمة فهو حق مشروع وعمل واجب وبقدر الضَّرورة.

(٢)- الموقف من علماء المُسلِمِين من قيادات وحركات الصّحوة الإسْلَاميّة:

ونختصر ذلك في:

أ – دعم العُلَماء والقادة المُجَاهدين الصادعين بالحق المدافعين عن قضايا الأُمّة.

ب- تالف المترددين والخائفين وشد أزرهم بالحكمة والموعظة الحسنة والتجاوز عن زلاتهم ما لم تصبح نهجا لمالأة عدوان الحكَّام والمحتلين.

ج- مجابهة علماء السُّلطَان المُنَافِقين، وفقهاء الإستعمار الخَائِنين، بشدة ولكن بالحجة والبينة، **وعدم نقل ذلك للمُوَاجَهة بالقوة والسّلاح تحت أي ظرف وأي استفزاز.**

(٣)- الشرفاء في التّيار العلماني من المقاومين للحملات الأمريكيّة:

وخلاصة الموقف في ظل أحوال دفع الصّائل، هيَ البحث عن نقاط اللقاء معهم عَلى مُوَاجَهة العدوّ. وإعادة تعريف تلك الأوساط عبر الحوار والمكاتبات واللِّقَاءَات بالإِسْلَام ومعطياته وآفاقه كخيار سياسي وحضاري لمستقبل هذه الأُمّة، مع الانتباه للثوابت العقدية والهوامش السّياسيّة.

(٤)- الجنود وعناصر الأمن في حُكُومَات العالم العربيّ والإسْلَاميّ:

سبق الإشارة لذلك في أساسِيَّات المنهج، فالمُوَاجَهة معهم دفاعية فقط، وفي حدود الضَّرورة، وعدم الإنجرار للاستفزاز، وسياسة كسبهم لصف أمتهم في معركة المصير القائمة.

(٥)- الموقف من المسألة الفلسطينية:

وقد سبقت الإشارة لذلك في المنهج العام، وخلاصة ذلك:

١- فِلَسطِين قضية المُسلِمِين، وليست قضية العَرَب ولا قضية الفلسطينيين وحدهم، ولا يملك أحد رخصة التصرف بها عَلى موائد النخاسة الدّولية.

٢- فِلَسطِين أرض عربيَّة إسلاميّة من النهر إلى البحر، لا نعترف فيها لليهود باي سلطة ولا شرعيّة ولا حق في السكن إلا لليهود الأصليين منها الّذين لم يكن عددهم إبَّان الإحتلال والغزو الصّهيونيّ إلا زهاء ١٥٠٠٠ نسمة وما خلفوا من ذريتهم من القردة والخنازير، فهَؤُلَاءِ الملعونين مواطنون أصليون فيها، كفل الإِسْلَام ما شرع من حقوقهم، وعلى المحتلين المُهَاجِرين أن يعودوا من حيث أتوا عَلى البواخر والطائرات الّتي قدمت بهم من وراء البحار، أو ينتظروا مذبحة الشجر والحجر القريبة القادمة إن شاء الله.

٣- نحن لا نعترف بالسلطة الفلسطينية إلا كواحدة من كيانات الرِّدَّة العربيَّة الجاثمة عَلى صدور المُسلِمِين، ولا نعترف بكل اتفاقياتهم ومهازل سلامهم الزائف من أوسلو إلى خارطة الطّريق بالخزي والعار بأصحابها وصولا إلى جهنم إن شاء الله.

٤- نشد عَلى أيدي المُجَاهدين المخلصين في فِلَسطِين ونعاهدهم عَلى النّصرة ووحدة المَعْرَكة والمصير.

(٦)- مسألة استهداف المدنيين في بلاد الدّول المشاركة في العدوان عَلى المُسلِمِين:

كما أسلفنا فهذا ليس إلا مجالا للمعاملة بالمثل، ولردع العدوان، وفي أضيق المجالات الاضطرارية، مع مراعاة المصالح السّياسيّة واختلاف مواقف الدّول، فالأصل في الجِهَاد هو قوله تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة]، وقوله تَعَالَى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤].

(٧)- الحُكُومَات والشّعوب الأوربية:

كما أوضحنا، فإننا نعتقد أن معركة أمريكا مع المُسلِمِين هيَ في نتائجها ومترتباتها ضدّ المصالح الاستراتيجيّة الأوربية جملة وتفصيلا.

وقد بدأت كثير من الأوساط في أوربّا تتململ من المَعْرَكة الّتي تزج بها أمريكا فيها، ونعتقد أن الوقت الّذي تبقى حتَّى تنفصل أوربّا عن أمريكا وتتحلل من تبعات حلف النّاتو وغيره من الاتفاقيات الّتي تربطها بأوربّا لم يعد طويلا.

وأن من مصلحة قوى المُقاوَمة إعطاء فرصة للدول الرَّئيسيَّة في أوربّا كي تنسحب من حلف أمريكا بصورة دبلوماسية.

مع عدم إهمال الحسابات الدقيقة بين المجهود السّياسيّ والإعلاميّ الّذي يمكن أن تبذله قوى المُقاوَمة الإِسْلَاميّة، وبين حزم سياسة الردع العسكريّ الّذي يجب أن تمارسه لحمل الأوربيين - ولاسيما المصرين منهم عَلى العدوان- عَلى سياسة تبعدهم عن المحور الأمريكيّ، وتكون في صالحهم وصالحنا، وهذه تحتاج أن يكون القرار فيها لقيادات المُقاوَمة الواعية.

وبصورة عامة نحن مع العمل عَلى توحيد اتجاه الجهد ضدّ المحور الأمريكيّ - الصّهيونيّ ومن أصر عَلى ركوبه معهم، وكانت مشاركته فاعلة.

مع التنبيه عَلى توضيح أن المَعْرَكة مع الحُكُومَات المعتدية وليس مع الشّعوب الأوربية الّتي وقف كثير منها مواقف مبدئية جيدة من رفض العدوان.

(٨)- الإدارة الأمريكيّة والشعب الأمريكيّ:

للأسف فإن الإحصائيات الرَّسميَّة، واستطلاعات الرَّأي مازالت تثبت، أن العلاقة في استراتيجية العدوان ونزعة التسلط والسّيطرة عَلى مقدرات الشّعوب الضعيفة، بين الشعب الأمريكيّ، والحكومة الأمريكيّة، هيَ عَلى عكس الحالة القائمة بين الشّعوب الأوربية وموقفها من التوجّهات العدوانية لبعض حُكُومَاتها، وهذا حتَّى في بَرِيطَانيَا حيث لا يمالئ أكثر الشعب فيها حكومته عَلى العدوان.

فرغم تكشف زيف دواعي غزو العراق وافتضاح كذبات أَسْلِحة الدمار الشّامل وغيرها من المسوغات، ورغم فضائح أبي غريب، ورغم جرائم إسرائيل الّتي تقزز منها الشارع الشعبي في أوربّا والعالم، ورغم أخبار جرائم الجيش الأمريكيّ في أفغانستان.. ما زال الشعب الأمريكيّ بغالبيته، أسير أجهزة الإعلام اليَهُوْدية المسيطرة عليه، وما زال يقف بأكثريته مع إسرائيل ومع عدوان إدارات أمريكا المتعاقبة عَلى المُسلِمِين وعلى المستضعفين في العالم، بل وعلى كلّ البشرية،

وأكبر دليل عَلى ذلك هو إعادة الشعب الأمريكيّ اختيارهم للخنزير جورج بوش، وبنسبة كبيرة، وقبول المعارضين لذلك بكل بلادة، وتداعي الجميع للوقوف صفا واحدا لأَنّهم في حالة حرب مع المُسلِمِين.

ولذلك فإننا نعتقد أن الحَرب مع الإدارة الأمريكيّة، هيَ وبكل المبررات الشَّرعيَّة والسّياسيّة، وحتى وفق المنطق الغربيّ والأمريكيّ ذاته، هيَ:

حرب ومُوَاجَهة مع أمريكا حكومة وشعبا.

ويبدو أنه يجب أن يذوق هذا الشعب الشرذمة المجرم بأكثريته السَّاحقَة كما أثبت في تاريخه كثير الجرائم رغم قصره، يجب أن يذوق وبال ما تذيقه حُكُومَاتهم الصّهيونيّة المتتابعة للنَّاس والبشرية في كلّ مكان، بدءا من إباداتهم الجماعية لسكان أمريكا الأصليين، ومرورا بمجازرهم النووية في الحَرب العَالَمِيّة الثّانية، وتعريجا عَلى جرائمهم المخزية في كلّ حُرُوبهم في فيتنام وكوريا والعراق والصّومال وأفغانستان.. وسواها.

ويوم يقتنع الشعب الأمريكيّ – وما أظنه مقتنعا إلا عنوة – بفداحة خسائره البشرية والاقتصاديَّة من جراء عدوان حُكُومَاته المتابعة عَلى اختلافها عَلى الْمُسلِمِين وعلى البشرية كلها... عند ذلك سيكفون شرهم، وبالتالي لا يدفعون ضريبة ممالأة حكامهم عَلى قتل النّاس ونهب الشّعوب.

وعلى القوى المحبة للسلام في الشعب الأمريكيّ – كما تدعي – أن تتولى ولو بوسائل الْمُوَاجَهة الْمُسلّحة، مسؤولية ردع حُكُومَاتهم الصّهيونيّة عن العدوان عَلى البشرية جمعاء، وإلا فإن من حق الشّعوب المعتدى عليها من قبل أمريكا، أن ترد العدوان الأمريكيّ عليها بمثله وبكل الوسائل بما في ذلك أَسْلِحة الدمار الشّامل، وسياسة كسر ظهر العدوّ بالإبادة الجماعية وقتل المدنيين، وهو أسلوبهم المتكرر وعين العدل أن يعاملوا به، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤].

(٩)– الموقف من الأقليات الدّينيّة في بلاد المُسلِمِين:

أشرنا لهذه المسألة سابقا، ولاسيما بخصوص النّصَارى، فإن حقوقهم الشَّرعيَّة معروفة في إطار الإِسْلَام، لما يكون أمر الحكم للمسلمين بحسب ما أنزل الله، وأما الآن حيث مازلنا في مرحلة دفع العدوان، فموقفنا منهم عدم التعرض لهم، إلا لمن وقف في صف العدوان والاحتلال فيواجه لهذا السبب مثله مثل غيره حتَّى من الْمُسلِمِين، ومن مصلحة الْمُقاوَمة وأهدافها كسب تلك الأقليات أو تحييدها عَلى الأقل.

(١٠)– الموقف من منظمات حقوق الإنسان:

في مثل الْمَعْرَكة الشرسة الدّائرة الآن لا يبدو أن ثمة كبير أهمية لمواقف تلك المنظمات في رد حق أو ردع عدوان، ولكن الأحداث أثبتت أثر تلك المؤسسات ومواقفها الإعلاميَّة غالبا في تشكيل الرَّأي العام العَالَمِيّ، وأثر ذلك الرَّأي العام في دعم قضايا الحقّ والعدل وإن كانَ عَلى المدى الطويل، ولذلك ننصح العاملين في مجال الْمُقاوَمة السّياسيّة والإعلاميَّة بعدم إغفال أثر الجهود مع تلك المنظمات، في الضغط عَلى قوَّات الإحتلال وتشكيل الرَّأي العام لصالح قضايانا.

(١١) – الأمم المتحدة والقوانين الدّولية والمنظمات الدّولية:

الأمم المتحدة باختصار منظّمة شكلها حلفاء منتصرون في الحَرب العَالَمِيّة الثّانية، لضمان تقاسم السّيطرة عَلى العالم، وتقنين توزيع تلك السّيطرة فيما بينهم بحسب قوتهم وأوزانهم العسكريّة والسّياسيّة.

وقد تركت بعض الهوامش الدعائية لبعض مؤسسات تلك المنظّمة، لتتحرك فيها الشّعوب الضعيفة والحُكُومَات التّابعة بما تتوهم أنه هامش من التّأثير السّياسيّ، وقد تفرع عن الأمم المتحدة منظمات دولية كثيرة تقاسمت مهمة إخضاع الشّعوب الضعيفة والسّيطرة عليها، في مجالات التّعليم والصحة والزراعة والتنمية البشرية والاقتصاديَّة..لتتركها عالة تدور في فلك الدّول الاستعماريّة، ولما اختل ميزان القوى الدّولي بانهيار الإتحاد السُّوفيتيّ، وانفردت أمريكا بإدارة العالم ورثت أمريكا السّيطرة شبه الكاملة عَلى هذه المنظّمة الّتي ستنهار قريباً وتذهب كمؤسسة من مخلفات النّظام العَالَمِيّ القديم.

وقد شهدت هذه المنظّمة عَلى نفسها بأنها كانت وراء تقنين ضياع حقوق العَرَب والمُسلِمين في كلّ مسائلهم الّتي عرضت عليها وهذا يحتاج لمجلد كامل لسرد تفاصيله، فقد اعترفت المنظّمة بإسرائيل، وبكل مؤامراتها بعد قيامها، ولم تفلح قراراتها لصالح العَرَب والمُسلِمين إلا لذر رماد قرارات الشجب في العيون، وأما وقد ورثت أمريكا المنظّمة.

فقد تحول هٰذا (الكوفي العنان) لموظف حقير تابع للبيت الأبيض، حيث شرَّع مجلس الأمن غزو العراق وقنن احتلاله، ومهد لتدويل ذلك الإحتلال..كما فعل في أفغانستان والبوسنة سابقا...

والخلاصة فإن عَلى قوى المُقاوَمة أن تتعامل مع هذه المؤسسات الدّولية، وكلا بحسب ضررها وعدوانها عَلى أساس أنها الستار المزيف للعدوان الصّهيونيّ الأمريكيّ وسيطرة حكومته الخفية عَلى العالم، وعدم الانخداع بمهزلة مُوَاجَهة الأمم المتحدة للمطامع الأمريكيّة، فقصارى دور الدّول المناوئة لأمريكا فيها هو حرصهم عَلى زيادة حصة الذئاب والضباع والجرذان، مما يتركه الأسد الأمريكيّ مما افترس من قصعتنا ونهب من ثرواتنا.

هذا ناهيك عن الدَّور ألتجسسي والإستخباراتي الّذي لعبه موظفو تلك المؤسسات في كلّ مكان حلوا فيه في بلادنا، وعلينا أن نتعامل معها كإحدى مؤسسات العدوان والاحتلال الصهيو- أمريكي، فننسف كلّ وجودهم في بلادنا بلا هوادة، والله المُستَعان عليهم جميعا.



الفصل الثامن

الباب الثالث

﴿نظريَّة التّربية المُتكامِلة في دعوة المُقاوَمة الإِسْلاميّة العَالَمِيّة﴾

مدارس الصّحوة ومناحي التّربية:

كما ذكرت آنفاً عن منهجنا في توليد نظَريّات العمل من خلال استعراض تجاربنا وتجارب غيرنا في مسار الصّحوة الإِسْلَاميّة والجهادية، وتوليد تصوُّرات الصواب أو ما نفترضه صواباً ونسعى إليه من خلال تقيم دُروس الخطأ والقصور..

و باستعراض مناحي التّربية المُتكامِلة للمسلم المُجَاهد، نجد أنها نشتمل عَلى خمسة مناحي وهي:

(١)- التّربية السُّلُوكية والخُلقية والعِبَادات والرّقائق.

(٢)- العلم الشَّرعيّ في مجالات العقائد ومختلف علوم الدّين وخاصة فقه الجِهَاد.

(٣)- الفهم السّياسيّ أو فقه الواقع وما يدور من أحداث.

(٤)- الإِعداد العسكريّ الجهاديّ لتجهيز المُجَاهد بما يلزمه من علوم القِتَال.

(٥)- وأخيراً التطبيق العملي لممارسة الجِهَاد في دفع صائل الإِعداد عن المُسلِمِين.

فلو جئنا لنستعرض حظ مختلف مدارس العمل الإِسْلَاميّ في الصّحوة، ومنها المدرسة الجهاديّة، فماذا نجد من أحوالها في مجال التّربية؟

ونشير بأننا نحكم هنا عَلى حالة العموم، ولا حكم للشواذ، إذ قد تجد أحد أفراد مدرسة ما من مدارس الصّحوة قد تحلي بصفات إيجابية موجودة في مدرسة أُخرى.

أولاً: المدارس الإصلاحية والسُّلُوكية التربَويّة:

من قبيل جماعات التبليغ والدّعوة والجماعات الصوفية وما شابهها، سنجد أنها في قد أخذت في الميدان الأوّل بحظ وفير في مجال العِبَادات والأخلاق والسُّلُوك والرّقائق ومختلف وجوه الآداب.. ونجد أن حظهم (في الغالب طبعاً) من العلم الشَّرعيّ في أبواب العقائد والفقه ومختلف علوم الدّين محدوداً في

كبارهم، وشبه معدوم في قواعدهم، وسنجد أنه حظهم من الفهم السّياسيّ، وفقه الواقع كذلك شبه معدوم، إلا في الحالات النادرة، أما في مجال الإِعداد للجِهَاد وفي ممارسته، سنجد أنهم لا حظ لهم في الغالب من ذلك.

ثانياً: المدارس السّلفيّة والتربَويّة العلمية الشَّرعيَّة:

من قبيل مختلف المدارس المكونة للتيار السلفي وطلاب العلم الشَّرعيّ، ونجد أنه حظهم في الميدان الأوّل وهو ميدان (الأخلاق والعِبَادات والرّقائق) قليل، وكثيراً ما تغلب عَلى أوساطهم الجفوة والقسوة وآثار ندرة التّربية الروحية، وأما في المجال الثّاني فقد أخذوا بحظ وافر من علوم العَقِيْدَة وتنقيح الآثار ودراسة السنن ومختلف علوم الدّين والفقه، فتجد كبارهم عَلى قدر كبير، وكذلك تتوفر قواعدهم عَلى حظ لا بأس به إجمالاً، وكسابقيهم نجد أن حظهم في مجالات الفهم السّياسيّ وفقه الواقع قليل، وأما في مجال الإِعداد والجِهَاد، فما هم في العير ولا في النَّفِير كمن سبقت الإشارة إليهم.. وليس لهم في الغالب من ذلك حظ إلا في الحالات الفرديَّة.

ثالثاً: مدارس العمل السّياسيّ والتَّنظِيمات الدعوية والسّياسيّة والحزبية:

مثل جماعات الإخوان وحزب التحرير وما شابههم من الجماعات السّياسيّة، وسنجد أن حظهم في مجال العِبَادات والرّقائق والتّربية الروحية والأخلاقية، قليل في العموم، وهو كذلك في مجال العلم الشَّرعيّ، وأما في مجالات فقه الواقع وعلوم السّياسة والإدارة والثّقافة العامّة، نجد أن حظهم وفير، فكبارهم عَلى مستوى رفيع في ذلك، وقواعدهم عَلى مستوى مقبول وجيد، وأما في مجالات الإِعداد وممارسة الجِهَاد، فكذلك لا حظ لهم في ذلك كحالة عامة، اللّهم إلا في حالات خاصّة فرديَّة.

رابعاً: مدارس تيار الجِهَاد والجهاديّين:

نجد أنهم كسابقيهم، فقد ركزوا عَلى منحى وأهملوا باقي المناحي، فقد شغلوا أنفسهم وجل وقتهم في الإِعداد العسكريّ والتّدريب، ومارس كثير منهم الجِهَاد والقتال عملياً..

أما في مجالات الإِعداد والتّربية السُّلُوكية والعِبَادية ومجالات الأخلاق والرّقائق، ستجد أن حظ غالبهم من ذلك متوسط أو قليل، ولاسيما المتأخرون منهم، وإذا ما جئت إلى مجالات العلم الشَّرعيّ وطلبه ستجد أنه متوسط، وأما إذا جئت إلى مجالات فهم الواقع والسّياسة، ستجد أن حظ الغالبيّة

العظمى من ذلك ضحل قليل، اللّهم إلا الجيل الأوّل من الجهاديّين الّذين تربوا في جماعات إسلاميّة وفي حلق العلم بشكل جيدا.

وهكذا نلاحظ، أن كافّة مدارس الصّحوة والعمل الإِسْلَاميّ، قد مارست في مناهجها حالة من الإِعداد والتّربية المجتزأة بالتركيز عَلى بعدٍ واحد أو بعدين وإهمال باقي المناحي، وإذا أردنا أن بنين هذه الأحوال في جدول بياني نجده عَلى الشّكل التّالي:

مدارس الصّحوة مجالات التّربية	المدارس السُّلُوكية التربَويّة، صوفية، تبليغ	السّلفيّة وطلاب العلم الشَّرعيّ	المدارس السّياسيّة والحزبية	المدارس الجهاديّة
الأخلاق والآداب والعِبَادات	جيد	متوسط أو ضعيف	متوسط أو ضعيف	ضعيف أو متوسط
العلوم الشَّرعيَّة	ضعيف	جيد	ضعيف أو متوسط	ضعيف أو متوسط
الفهم السّياسيّ وفقه الواقع	ضعيف جداً	متوسط أو ضعيف	جيد	ضعيف أو متوسط
الإِعداد لعسكريّ	معدوم	معدوم	معدوم	جيد
ممارسة الجِهَاد	معدوم	معدوم	معدوم	متوسط

وهكذا نلاحظ أنّنا في المدرسة الجهاديّة وإن كنا أحسن حالاً في الإجمال، ولكن مدرستنا تميزت بالعموم بنفس صفة التجزئة والشطب في التّربية والإِعداد، وذلك بالتركيز عَلى ربع المناحي وإهمال ثلاثة أرباعها التربَويّة.

ومن خلال انغماسي في التّيار الجهاديّ، ومعايشتي له ميدانيّاً عبر زمن طويل، لاحظت أن المتأخرين من الجهاديّين، وعلى عكس الرعيل الأوّل الّذين أخذوا بخط متميز من التربَويّة، ولاسيما الّذين انحدروا من جماعات ومدارس الصّحوة الأخرى، وأخذوا بخط من طريقتها التربَويّة، وجدت المتأخرين قد رضوا بحظهم من الإِعداد العسكريّ وممارسة الجِهَاد، معتبرين ذلك يجعلهم في ذروة سنام

الإِسْلَام، اعتماداً عَلَى الفهم المجتزأ والخاطئ للحديث المروي عنه ﷺ بأن «ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ الْجِهَادُ»[1]، مجتزئين ذلك من الحديث العام الشّامل لكافة أساسِيَّات الإِسْلَام وجماع مناحي الخير، والحديث بتمامه هو:

[عن معاذ رضي الله عنه قَالَ: فقلت يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ» ثُمَّ تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] حَتَّى بَلَغَ ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة] ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ » قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»][2].

وإذا ما عدنا إلى طريقته ﷺ في تربية الرعيل الأوّل من الصّحابة رضوان الله عليهم، ثمّ طريقتهم في تربية التَّابعين، ثمّ تربية هَؤُلَاءِ لمن تبعهم بإحسان... وهكذا إلى ما كانَ من أمر السَّلَف والعُلَماء والصّالحين، نجد أنها كلها قامت عَلَى الطَّريقة الّتي أسَّسَها رسول الله ﷺ بشموليتها لذلك كله.. فهو ﷺ كانَ بذاته مثالا.. فكان خلقه القرآن كما روت عائشة، ومن كانَ خلقه القرآن، جمع وجوه الفضائل والعلوم والأدب ومكارم الأخلاق.. وأما سيرته ﷺ، فمسار من العَقِيْدَة الراسخة الموصولة بالله سُبحَانَهُ وتَعَالَى، وهو منبع علوم الشّريعة وبحرها الزاخر، وأما عن أخلاقه ﷺ، فيكفي بها وصف الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى له بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم] وأما إعداده وجِهَاده، فأشهر من أن يشار إليه.

وأما طريقته ﷺ في الإِعداد والتّربية فقد كانت مدرسة متكاملة يومية يعيش معها الصّحابة ذلك التكامل..أخلاق وعبادة، علم وعمل، فهم وإعداد، جِهَاد وسبيل شهادة.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٠٥١) وصححه الأرنؤوط، وهو طرفٌ من لاحقه أيضاً.

(٢) رواه الترمذي (٢٦١٦) وقال حديث حسن صحيح، ورواه النسائي (٢٢٢٤، ٢٢٢٥) وابن ماجة (٣٩٧٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

فقد كانَ رسول الله ﷺ برسوخ عقيدته وفقهه وخلقه وجِهَاده هو الأسوة الحسنة الماثلة أمامهم. وكانت طريقته المُتكامِلة تعتمد ترسيخ العقائد الّتي أخذ الرعيل الأوّل في مكّة حظهم الأوفر منها، فزرع العَقِيْدَة ورعى شجرتها حتَّى رسخت جُذُورها في نفوسهم، ثمّ نمت في أرواحهم، وأينعت في سلوكهم.

وأما تعاهده لهم ﷺ في حضهم عَلَى العِبَادة والنسك والتبتل وضرب المثل الأعلى لهم في ذلك فقد طفحت به نصوص السنة وأخبار السيرة.

وكذلك كانَ الأمر في رعايتهم وتربيتهم عَلَى مكارم الأخلاق، من الصِّدق والأمانة، والكرم والشجاعة، وإكرام الضيف والتحابب، والرحمة والذلة عَلَى المُؤمِنِين، والتعاضد والإيثار إلى منتهى قمة الأخلاق الحميدة.

وأما عيشهم لواقعهم وفهمهم له، والتعامل معه، فشواهده كثيرة في سيرتهم سواء في داخل مجتمعهم، ومع محيط القوى المحليَّة والمحيطة بهم.

وأما عن إعدادهم العسكريّ.. فقد حضهم ﷺ عَلَى التّدريب والرماية وإعداد القوّة، وركوب الخيل، وشهد ميادينهم وسباقهم وتنافسهم في ذلك.

وأما ممارسة الجِهَاد فكان نهجه ﷺ القدوة الحسنة، فقد خرج بنفسه ﷺ في غزوات كثيرة، وبعث السَرايا والجُيُوش بقيادة أحبهم إليه ليكونوا في مواطن القدوة والخطر، وكان بذاته الشريفة ﷺ قدوة حتَّى قَالَ علي رضي الله عنه، بأن أشجعهم كانَ أقربهم إلى العدوّ، ولم يكن يؤجل الرجل إذا أسلم، ويؤخره عن الجِهَاد حتَّى يعد ويتربى عَلَى الإِسْلَام، كما يزعم القعدة من الدعاة اليَوْم ! بل كانَ شعاره عليه الصّلاة والسَّلام: كما قَالَ لمن أراد اللحاق به في القِتَال ولم يكن مسلما: «أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ»[١].

فكان خُلاصة طريقته ﷺ في التّربية أنها متكاملة المناحي قامت على:

(١) العَقِيْدَة والعلم. (٢) الخلق والنسك. (٣) فهم الواقع وعيشه.

(٤) الإِعداد والقوة. (٥) ممارسة الجِهَاد كفريضة حال وقوعها.

---

(١) رواه البخاري: (٢٨٠٨) من حديث البراء رضي الله عنه.

ومن هنا نجد أن السَّلَف ﭭ ركزوا عَلى هذه المناحي المُتكامِلة في سلوكهم وإعداد تلاميذهم وإرشادهم للأمة وما قدموه من قدوة حسنة..

ولا أريد أن أطيل في النقول والشواهد عَلى ما أسلفت من كتب السيرة النّبويّة عَلى صاحبها أزكى الصّلاة والسَّلام، وسير الصّحابة ﭭ، والقصص الرائعة لهم ولمن تبعهم بإحسان، وقد ألفت فيها روائع الكتب.

ومن خلال ما تقدم نستكشف المناحي الأساسيّة لنظريّتنا الّتي يجب أن تقوم عليها؛

أصول التّربية في دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، وهي:

١ - العَقِيْدَة والعلم الشَّرعيّ.

٢- الأدب والعِبَادة والأخلاق والرّقائق.

٣- الفهم السّياسيّ وفقه الواقع.

٤ - الإِعداد العسكريّ.

٥- مباشرة الجِهَاد والمُقاوَمة دفع الصّائل.

وهي الأركان الخمسة الّتي تقوم عليها طريقتنا التربَويّة. وعليه، فيجب عَلى العُلَماء والدّعاء وحملة الأقلام في هذه الفنون ومجالاتها في هذه الأُمّة، أن يجهدوا في إثراء المكتبة الإِسْلَاميّة المعاصرة بمنهج ومختصرات عمليَّة تساعد عَلى تربية الجيل القادم من المقاومين والمُجَاهدين عَلى هذه الأسس.

وعلى قيادات المُقاوَمة وكوادرها البناءة أن تعتمد مثل هذه المناهج، في إعداد نفسها ومن معها. وسنبين فيما يلي مختصرات وبَرَامج عامة مما يساعد المُجَاهدين والمقاومين وخاصة المنتسبين إلى دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة عَلى إعداد أنفسهم وكوادرهم، وإعداد الأُمّة وفق هذه الآفاق المُتكامِلة الّتي يجب أن تسير متوازنة وفي آن واحد.

(١) **المجال الأوّل في التّربية:**

العَقِيْدَة والعلم الشَّرعيّ

منزلة العلم وفضله:

جاء في رياض الصّالحين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

* وعن معاوية ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه[١].

*وعن ابن مسعود ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ الله مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ الله حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا، وَيُعَلِّمُهَا» متفق عليه[٢].

*وعن أبي موسى﵁ قَالَ قَالَ النبيّ ﷺ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ الله بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى، وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ الله بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ الله بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» متفق عليه[٣].

* وعن أبي هريرة﵁ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ الله لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٣١١٦، ٧١، ٣٦٤١) ومسلم (١٠٣٧).

(٢) رواه البخاري (١٤٠٩، ٧١٤١، ٧٣١٦) ومسلم (٨١٦).

(٣) رواه البخاري (٧٩) ومسلم (٢٢٨٢).

(٤) رواه مسلم (٢٧٠٠).

* وعنه أيضا ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»(١).

*وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(٢).

* عن أبي الدرداء ﷺ قَالَ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(٣).

* وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»(٤).

* وعنه قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يَعْنِي رِيحَهَا(٥).

* وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﷺ قَالَ سمعت رسول الله ﷺ يقول «إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» متفق عليه(٦).

---

(١) رواه مسلم (٢٦٤٧).

(٢) رواه مسلم (١٦٣١).

(٣) رواه الترمذي (٢٦٨٢) وأبو داود (٣٦٤١) وغيرهم، وحسنه الأرنؤوط وصححه الألباني.

(٤) رواه أبو داود (٣٦٥٨) والترمذي (٢٦٤٩) وقال: حديث حسن، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٥) رواه أبو داود (٣٦٦٤) وابن ماجة (٢٥٢) وأحمد (٨٤٥٧)، وحسنه الأرنؤوط وصححه الألباني.

(٦) رواه البخاري (٧٣٠٧) ومسلم (٢٦٧٣).

أولا: العَقِيْدَة:

سبق في البَاب الأوّل من هذا الجزء الثّاني عند الحديث عن العَقِيْدَة والمنهج، بيان الأركان الأساسيّة لمعتقد أهل السّنّة والجماعة، وقد أوردناه بإيجاز في خطوط عريضة، ومن الواجب عَلى خلايا المُقاوَمة وسَراياها أن يكون لقياداتها برنامج إعداد تربوي يشتمل في أول ما يشتمل عَلى تدريس كتاب مختصر فيه تفاصيل الأدِلَّة عَلى أسس المعتقد عند أهل السّنّة والجماعة، وأنصح بأحد كتابين لاقيا القبول والانتشار في كثير من حركات الصّحوة وهما كتاب: (شرح العَقِيْدَة الطحاوية) (لأبي العز الحنفي)، أو أحد شروح: كتاب (العَقِيْدَة الواسطية) (لابن تَيمِيّة)، رحمهما الله تَعَالَى، هذا كمستوى أولي لأنها كتب جامعة وجيزة وسهلة وميسرة.

أما في مجال العَقِيْدَة الجهاديّة والفكر الجهاديّ فقد ضمنت البَاب الأوّل آنف الذكر موجزاً لأساسِيَّات العَقِيْدَة الجهاديّة، وفيه فقرة بأدلة أركانها الأساسيّة كمادة مفيدة في التكوين والتّربية لخلايا المُقاوَمة، وأنصح عموماً لترسيخ العَقِيْدَة الجهاديّة، بمؤلفات الشّهِيد سيد قطب ﵀، ومؤلفات الشَّيْخ عبد القادر بن عبد العزيز، كما أنصح جدا بمؤلفات الشَّيْخ عبدالله عزام وهو مدرسة كاملة في الفكر والتّربية، كما أنصح بمكتبة الجماعات والتَّنظِيمات الجهاديّة، ومن ذلك مؤلفات الشَّيْخ عمر عبد الرَّحْمٰن، والشَّيْخ أيمن الظواهري، ومؤلفات الشَّيْخ أبو المنذر الساعدي الليبي، وإنتاج جماعاتهم الجهاديّة في مصر وليبيا، ومن المكتبات الفكريّة الجهاديّة النافعة مؤلفات الشَّيْخ أبو محمّد المقدّسي، والشَّيْخ محمّد الفزازي المغربي، ومكتبة الأستاذ محمّد قطب ﵀، ومؤلفات الأستاذ أبو الأعلى المودودي ﵀ وبعض المختارات من مؤلفات الشَّيْخ سعيد حوى ﵀ وغفر له، ولاسيما كتابه (جند الله ثقافة وأخلاقاً)، وكتابه (خطوات للإمام عَلى طريق الجِهَاد المبارك)، مع الانتباه من زلاته في آخر مؤلفاته ﵀ وغفر له، هذا ما يحضرني الآن من الذاكرة، وكان من المفترض أن أشير إلى بعض الملاحظات حول بعض ما ورد في بعض كتب هَؤُلَاءِ الأكارم مما أعتقد وجوب لفت النَّظر إليه ولكن لا أجد الآن الوقت لذلك ولعلي أستدرك ذلك لاحقا.

كما أنصح بسماع المحاضرات والتسجيلات لرموز الصّحوة في بلاد الحرمين والّتي أنتجت ما بين عام (١٤٠٠- ١٩٨٠) وعام (١٤١٥-١٩٩٥)م، ففيها مادة عقدية وعلمية شرعيّة وفكريّة حركيَّة جهاديّة ممتازة، ولاسيما أشرطة الشَّيْخ عبد الرّحيم الطحان، والشَّيْخ مختار الشنقيطي، والشَّيْخ سفر الحوالي (رزقه الله حسن توبة مما هو فيه ونفع به)، والشَّيْخ سلمان العودة رزقه الله حسن عودة إلى ما عهدناه من الجد، والشَّيْخ ناصر العمر، والشَّيْخ عبد الوهاب الطريري قوى الله عزائمهم، وغيرهم من معاصرهم في تلك الفترة، مع الانتباه من إنتاج وفتاوى بعض هَؤُلَاءِ في مرحلة القمع بعد السّجن، واشتعال حملات مكافحة الإِرهَاب، حيث سجلت عَلى بعضهم انتكاسات منهجيّة ومواقف خطيرة غفر الله لنا ولهم، ولكن هذا لا يقلل من قيمة هذه المادّة المنهجيّة في إنتاجهم ذاك، وتبقى مهمة الانتقاء واختيار المادّة المناسبة لشباب وخلايا الْمُقاوَمة، مهمة الموجهين القادرين عَلى انتفاء المواد المفيدة، كما ألفت النَّظر إلى أن في إنتاج بعض العُلَماء الرسميين، في مجال العقائد والعلوم الشَّرعيَّة إنتاج مفيد في غاية الجودة، إذا استثنينا منه بعض الآراء الشاذة المعروفة عنهم في ممالأة سلاطينهم، ولكن منهجي في التعامل مع علماء السُّلطَان ومنافقهم من أمثال هَؤُلَاءِ، الإعراض عن إنتاجهم، إن وجد ما يعوض عنه لدى غيرهم ممن سلمهم الله من ذلك النِّفَاق، وإلا فيستفاد من علومهم المجردة، ولا بأس مع التنبيه عَلى مواقع الزلل، والغرض من البعد عنهم هو تحذير الأُمّة منهم حتَّى لا يكون لهم مكانة تفضي بالعامة إلى الأخذ بزلاتهم العظمى في فتاوى أيدت ضلال السّلاطين، وسوغت احتلال الْمُستَعمرين وهي أمور عظام اشتهرت.

وكما أسلفت فقد ضمنت في هذا الكتاب (العَقِيْدَة الجهاديّة) أفكاراً مركزة مهمة في ترسيخ أساسِيَّات العَقِيْدَة اللازمة لُمجَاهد الْمُقاوَمة لمن يألف البحث والقراءة.

ثانياً: العلم الشَّرعيّ:

أما في باب العلم الشَّرعيّ اللازم لُمجَاهد الْمُقاوَمة، فاللازم للمسلم الْمُجَاهد معرفته من أبواب العلم الشَّرعيّ ثلاثة أمور يتعين عليه معرفتها:

١- الأحكام الشَّرعيَّة للعبادات:

مثل فقه الطهارة وفقه الصّلاة والصّوم، والزّكاة إن كانَ لديه مال، والحج إن قدر عليه، فيجب أن تعد كلّ خلية مقاومة لأفرادها موجزاً ميسراً في فقه العِبَادات عَلى المذهب السائد في منطقتهم أو عَلى الاختيارات الّتي يختارونها لأنفسهم، وهذه أمور ميسرة لا داعي لإيرادها هنا.

٢- الفقه المختص بنشاطات حياته:

إذا أنه يجب أن يعرف الأحكام الشَّرعيَّة في أفعاله، فإن كانَ متزوجاً عَلى سبيل المثال، فعليه معرفة فقه أحكام النِّسَاء وتعليمها أهله، وإن كانَ تاجراً فعليه معرفة فقه البيوع وأحكام التجارة والبيع والشراء وحركة المال في نوع تجارته، وزكاة ماله، وهكذا، وهذا أمر يجب أن يبحث المسلم أن يتعلمه ليحيى عَلى بينة من دين ربه، ولا حاجة لإيراد شيء عن هذا هنا أيضاً.

وأنصح في البابين السابقتين (فقه العِبَادات) و(الفقه العام) مما يلزم المرء أن يأخذ فيه المسلم كما أسلفت، بأحكام المذهب السائد المألوف في بلدته إن كانَ من عوام المُسلِمِين وغير يكن قادرٍ عَلى البحث والإستزادة.

وهذه نصيحة، وإلا فليتزم مذهباً أو موجزات تعتمد فقه الدليل وترجيحاته بحسب من اقتنع باتباعهم.

٣- فقه الجِهَاد وأحكامه:

يقول الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤]، فيجب عَلى مُجَاهد المُقاوَمة والعازم عَلى السّير في هذا الدّرب في سبيل الله، أن يعرف فرض الجِهَاد وحكمه المتعين عَلى كلّ مسلم في هذا الزّمان حتَّى يستمر فيه عن قناعة وعَقِيْدَة، وأن يعرف مكانة هذه الفريضة في دين الله، وما ذا يترتب عَلى العمل بها من الأجر عند الله، وما أعده سبحانه في منازل الشّهداء بفضله وكرمه، وعليه أن يعرف ماذا يترتب عَلى ذنب تركه لهذه الفريضة من الإثم والعقاب عند الله تَعَالَى، وما يترتب عليه من العذاب في الحياة الدُّنيَا عَلى أمري الأَعدَاء، عليه وعلى أمته، من الذّلّ والهوان واستباحة البلاد والأعراض والأموال والكرامة وإزهاق الأرواح.

ثمّ إذا عزم عَلى الجِهَاد، توجب عليه أن يعرف أحكامه، فالأمر متعلق بالدِّماء والأموال والحقوق... ما يحل وما يحرم، ولا يجوز له أن يخبط فيه خبط عشواء، من غير معرفة أحكامه وحله وحرامه.

ومن باب الأولى يجب عليه أن يعرف مقاصده وأهدافه وآدابه.

وهذه مباحث يطول أمرها، ويتوجب عَلى المُجَاهد أن يعرف منها بقدر مسؤوليته وقدرته، وعلى كلّ تنظيم أو مجموعة أو سرية جهاديّة أن يكون لهم مرجعهم الموثوق به فيما أشكل عليهم من مسائل.

وقد نقلت في البَاب الأوّل الّذي احتوى أساسِيَّات الفكر والمنهج لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، مسائل شرعيّة تشكل مادة أساسية في منهاج التّربية الشّرعيَّة وفقه الجِهَاد والحركة، وقد احتوت عَلى المواضيع التّالية:

- **أولاً**: حُكُومَات بلاد المُسلِمِين اليَوْم مرتدة كافرة لتبديلها الشرائع وحكمها بغير ما أنزل الله. وولائها للكفار وخيانتها لله ورسوله والمُؤمِنِين.
- **ثانياً**: الخروج عَلى الحاكم إن ارتد عن الإِسْلَام أو كانَ كافرا فرض عَلى المُسلِمِين بالإجماع.
- **ثالثاً**: بلاد الإِسْلَام في حالة احتلال من قبل الأَعدَاء وجِهَادهم فرض عين عَلى المُسلِمِين بالإجماع.
- **رابعاً**: أحكام الشّريعة تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون مع الكفّار وأعانهم عَلى المُسلِمِين وتوجب قتاله.
- **خامساً**: أحكام الشّريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصّائل عَلى دين المُسلِمِين أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم، حتَّى لو كانَ مسلما.
- **سادساً**: أحكام الشّريعة تقرر حرمة دماء وأموال وأعراض المُسلِمِين، كما تقرر أن جميع أشكال تواجد الكافرين الغُزَاة في بلادنا خاصّة وكل مكان حلال الدَّم والمال هدر.
- **سابعاً**: وجوب نصرة المُسلِمِين في الدّين إن اعتدى الكفّار عليهم بصرف النَّظر عما تلبسوا به من المعاصي والنقائص، والجِهَاد المشروع قائم مع كلّ بر وفاجر من أئمة المُسلِمِين وعامتهم.
- **ثامناً**: مسالة الدِّيمقراطيَّة وممارسة الإِسْلَاميّين لها في ميزان الشّريعة والواقع.

- **تاسعاً**: مسألة الخلاف العقدي والمذهبي ضمن أهل السّنّة.
- **عاشراً**: مسالة (التَّكفِير)، أحكام التَّكفِير العامّة، وقضية تكفير المعين.

وهي أهمّ المبادئ الأساسيّة الّتي يبنى عليها فكر الجِهَاد والمُقاوَمة برمته.

وأنقل هنا باختصار، بعض أهمّ الأحكام الشَّرعيَّة عن بعض المسائل الهامة الّتي تعترض سبيل المُجَاهد في مثل ظروفنا هذه الأيّام:

وقد نقلت معظمه عن كتاب: (موسوعة الذخائر العظام من مؤلفات **الشَّيْخ عبدالله عزام**) رحمه الله ووضعته بين قوسين [ ] وعلقت عليه واستشهدت لفقراته بحسب ما تيسر بإيجاز، وجعلت ذلك بين قوسين { }.

أحكام شرعيّة ومسائل هامة لمُجَاهد المُقاوَمة:

- **جِهَاد العدوّ الأبعد:**

[قَالَ الشّافعي في الأم (٤/ ١٧٧): فَإِنْ اخْتَلَفَ حَالُ الْعَدُوِّ فَكَانَ بَعْضُهُمْ أَنْكَى مِنْ بَعْضٍ، أَوْ أَخْوَفَ مِنْ بَعْضٍ فَلْيَبْدَأْ الْإِمَامُ بِالْعَدُوِّ الْأَخْوَفِ، أَوْ الأنكى وَلَا بَأْسَ أَنْ يَفْعَلَ، وَإِنْ كَانَتْ دَارُهُ أَبْعَدَ إنْ شَاءَ الله تَعَالَى حَتَّى مَا يَخَافُ مِمَّنْ بَدَأَ بِهِ مِمَّا لَا يَخَافُ مِنْ غَيْرِهِ مِثْلَهُ وَتَكُونُ هَذِهِ بِمَنْزِلَةِ ضَرُورَةٍ؛ لِأَنَّهُ يَجُوزُ فِي الضَّرُورَةِ مَا لَا يَجُوزُ فِي غَيْرِهَا، وَقَدْ «بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ أَنَّهُ يَجْمَعُ لَهُ فَأَغَارَ النَّبِيُّ ﷺ وَقُرْبُهُ عَدُوٌّ أَقْرَبُ مِنْهُ وَبَلَغَهُ أَنَّ خَالِدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ شُحٍّ يَجْمَعُ لَهُ فَأَرْسَلَ ابْنَ أُنَيْسٍ فَقَتَلَهُ وَقُرْبُهُ عَدُوٌّ أَقْرَبُ»]. أهـ.(١)

- **استئذان الوالدّين والزوج والدائن:**

[يتوقف حكم الاستئذان عَلى حالة العدوّ:

١- فإن كانَ في بلاده ولا يحشد عَلى الثُّغُور وليس هنالك أثر عَلى بلاد المُسلِمِين، فالثغور مشحونة بالجند ففي هذه الحالة الجِهَاد فرض كفاية ولا بُدَّ من الإذن لأن طاعة الوالدّين والزوج فرض عين، والجِهَاد فرض كفاية، وفرض العين مقدم عَلى فرض كفاية

٢- وإن هجم العدوّ عَلى ثغر من ثغور المُسلِمِين، أو دخلوا بلدة إسلاميّة، فهنا كما ذكرنا يصبح الجِهَاد فرض عين عَلى أهل تلك البلدة وعلى من حولها وفي هذه الحالة يسقط الإذن، فلا إذن لأحد عَلى أحد، حتَّى يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها والمدين دون إذن دائنه.

وتبقى حالة سقوط استئذان الوالدّين والزوج مستمرة حتَّى إخراج العدوّ من أرض المُسلِمِين، أو يجتمع عدد فيهم الكفاية لإخراج العدوّ ولو أجتمع كلّ المُسلِمِين في الأرض.

ويقدم الجِهَاد وهو فرض عين عَلى طاعة الوالد وهي فرض عين لأن الجِهَاد حماية للدين وطاعة الوالدّين حماية النّفس، إذ أن الجِهَاد (مظنة حزنهما وتعبهما) والحفاظ عَلى الدّين مقدم عَلى الحفاظ عَلى النّفس، إذ

---

(١) (الذخائر - ج١/ ١٢٨).

الجِهَاد نفسه إتلاف لنفس المُجَاهد إذ استشهد من أجل حفظ الدّين وحماية الدّين يقين، وتلف نفس الوالدّين ظن، واليقين مقدم عَلى الظن.

مثال فرض العين والكفاية:

مثل قوم عَلى شاطئ البحر يتنزهون، وفيهم مجموعة تتقن السباحة ورأوا طفلا يكاد يغرق وهو يصيح أنقذوني، فلم يتحرك إليه أحد من السباحين، وأراد سباح أن يتحرك لإنقاذه فنهاه أبوه عن إنقاذه، فهل يقول فقيه من فُقَهَاء العصور كلها أنه يجب عليه طاعة والده وترك الطفل يغرق؟

وهذا مثال أفغانستان { ومن في مثل حالها من البلد المحتلة كالعراق وفلسطين وكشمير و..و.. اليَوْم} إنها تستغيث، فأطفالها يذبحون، وتنتهك الأعراض فيها، ويقتل الأبرياء، وتتناثر الأشلاء، ويريد بعض الشَّبَاب الصادق أن يتحرك لإنقاذهم ولمساعدتهم فيتعالى عليهم النكير تذهب دون إذن والديك؟

فإنقاذ الطفل الغريق فرض عَلى كلّ السباحين الّذين يرونه، فقبل أن يتحرك أحد يتوجه خطاب وجوب الإنقاذ إلى الجميع، فإن تحرك واحد للإنقاذ سقط الإثم عن الآخرين، وإن لم يتحرك أحد فالإثم يلزم جميع السباحين، وقبل أن يتحرك أحد لا إذن للوالدّين، ولو نهى ولده عن إنقاذ الغريق فلا طاعة له، لأن فرض الكفاية خطابه إبتداءا كفرض العين، وإنما يختلفان في النهاية، فإن قام به البعض سقط الإثم عن الآخرين، وإن لم يقم به أحد أثم الجميع.

يقول ابن تَيمِيّة: **(فَأَمَّا إذَا هَجَمَ الْعَدُوُّ فَلَا يَبْقَى لِلْخِلَافِ وَجْهٌ فَإِنَّ دَفْعَ ضَرَرِهِمْ عَنْ الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالْحُرْمَةِ وَاجِبٌ إجْمَاعًا)**[1]. ودليل استئذان الوالدّين في فرض الكفاية وعدم استئذانها في فرض العين والجمع بين الحديثين التاليين:

أولاً: حديث البُخَارِيّ عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»**[2].

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية: (٥/ ٥٣٧)

(٢) رواه البخاري : (٣٠٠٤) ومسلم (٢٥٤٩) وأصحاب السنن.

ثانياً: روى أبن حبان عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: **أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ الله فَسَأَلَهُ عَنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الصَّلَاةُ»، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ الصَّلَاةُ»، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ الصَّلَاةُ»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله»، قَالَ: فَإِنَّ لِي وَالِدَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «آمُرُكَ بِوَالِدَيْكَ خَيْرًا»، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ نَبِيًّا، لَأُجَاهِدَنَّ وَلَأَتْرُكَنَّهُمَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَأَنْتَ أَعْلَمُ»**(١). قَالَ الحافظ: وهو محمولٌ عَلى جِهَادِ فرضِ العَينِ توفيقاً بينَ الحَديثينِ.

- **استئذان الشَّيْخ والمربي:**

لم ينص أحد من الفقهاء سلفا وخلفا أن للشيخ أو المربي حق الإذن عَلى تلميذه في العِبَادات، سواء كانت فروض كفاية أم فروض عينية، ومن قَالَ بغير هذا فليأتنا بنص شَرعِيّ أو بسلطان مبين، فلكل إنسان مسلم أن يذهب إلى الجِهَاد دون استئذان شيخه أو معلمه، لأن إذن ربّ العَالَمِيْن هو المقدم، وقد أذن بل فرض الجِهَاد.

قَالَ ابن هبيرة(٢): (إِنَّهُ مِنْ مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ أَنْ يُقِيمَ أَوْثَانًا فِي الْمَعْنَى تُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله مِثْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَيْسَ بِمَذْهَبِنَا تَقْلِيدًا لِمُعَظَّمٍ عِنْدَهُ قَدْ قَدَّمَهُ عَلَى الْحَقِّ).

ولو كانَ هذا التلميذ يريد دراسة الهندسة أو الطب أو التّاريخ في الدّول الغربيّة أو أمريكا حيث الفتن كقطع الليل المظلم، وحيث الخضم المتلاطم من المغريات وبحور تسعير الشَّهَوَات وتأجج النزوات، أقول: لو ذهب هذا التلميذ لما أنكر عليه الشَّيْخ ولا غيره، ولكن إذ نفر للرباط أو خرج للجِهَاد تجد الألسنة عليه من كلّ جانب، حيث يقال كيف يخرج دون استئذان؟ وقد فات شيخه أن يسمع لكلام النبوة الشريف: **«حَرَسُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ الله تَعَالَى أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُقَامُ لَيْلُهَا وَيُصَامُ نَهَارُهَا»**(٣) وفي صحيح مسلم: **«رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ،**

---

(١) رواه ابن حبان (١٧٢٢)، وضعفه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

(٢) هو صَدْرُ الْوُزَرَاءِ عَوْنُ الدِّينِ أَبُو الْمُظَفَّرِ بْنُ هُبَيْرَةَ، انظر (أصول الفقه لابن مفلح ٤/ ١٥٦٣).

(٣) رواه أحمد (٤٦٣، ٤٣٣) وضعفه الألباني والأرنؤوط وشاكر.

«وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ»[١]، «لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ الله أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[٢]، فعلى الشَّيْخ وتلاميذه أن يبادروا بالأعمال ويستبقوا الخيرات، ولا تفوتنهم نصيحة رسول الله ﷺ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ »[٣]، وعليهم أن يسمعوا الحديث الصَّحِيح: «قِيَامُ سَاعَةٍ فِي صَفٍّ لِلقِتَالِ فِي سَبِيلِ الله خَيرٌ مِنْ قِيَامِ سِتِّينَ سَنَةٍ»[٤].

قَالَ الشّافعي: (أجمع المُسلِمُون عَلَى أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد)[٥].

- **الاستئذان في جِهَاد العين:**

وتبين لنا أنه لا يستأذن أحد في أداء فريضة الجِهَاد إذا تعينت (أصبحت فرض عين) كما أنه لا يستأذن الوالد أو السيد في أداء فريضة الصبح قبل طلوع الشّمس، كذلك لا يستأذن أحد في أداء فريضة الجِهَاد، فإذا نام الأب وابنه في مكان واحد، وأراد الابن أن يصلي الفجر وأبوه نائم ! فهل يقول أحد بوجوب استئذان الابن لأبيه في صلاة الفرض؟ ولنفرض الأب قد نهى ابنه عن القيام للصلاة لأي سبب في نفس الأب ؛ لئلا يزعج النائمين – الّذين لا يصلون الفجر – أو لأن أباه لا يريد الصّلاة، فهل يطيع الابن أباه؟ الجواب واضح: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»[٦]متفق عليه، «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ

---

(١) رواه مسلم (١٩١٣).

(٢) رواه البخاري (٢٧٩٢) ومسلم (١٨٨٠).

(٣) رواه الحاكم (٧٨٤٦) وصححه الذهبي، وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٠٧٧).

(٤) أصله عند أحمد (٩٧٦٢) وحسنه الأرنؤوط، ورواه الحاكم (٢٣٨٣) وصححه الذهبي، وصححه الألباني: صحيح الجامع (٤٤٢٩).

(٥) انظر مقدمة صفة صلاة النبي ﷺ للألباني: ص٣٠.

(٦) رواه البخاري (٤٣٤٠، ٧٢٥٧) ومسلم (١٨٤٠).

الخَالِقِ»[١] رواه أحمد، «**لَا طَاعَةَ لِمَنْ لَمْ يُطِعِ اللهَ**»[٢]رواه أحمد، وترك الجِهَاد معصية، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فأما إذا أصبح الجِهَاد فرض عين بعد الإستنفار، فإن استئذان النبيّ ﷺ يصبح علامة نفاق، فقد جاء في محكم التنزيل: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة].

وأما الخُلَفَاء الرّاشدون – أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم – فلا نعلم أن الصّحابة والتَّابعين كانوا يستأذنونهم، وما كانَ كلّ واحد يريد الغزو أو الجِهَاد يأتي إلى أبي بكر ليستأذنه، فالمهم أن تعقد الرّاية وتخرج السرية، وأمراء المُؤمِنِين من بعد الخُلَفَاء لا نعلم أن الّذي كانَ ينوي الرِّبَاط أو الجِهَاد يرسل إليهم يستأذنهم، ولا نعلم أن واحد من المُسلِمِين في التّاريخ الإِسْلَاميّ كله قد عوقب من قبل أمير المُؤمِنِين بسبب الجِهَاد والغزو بدون إذنه، إنما يستأذن أمير الحَرب وقائد المَعْرَكة في الغزو والهجوم من أجل التَّنظِيم والتنسيق وحتى لا يفسد المرء الّذي يهجم عَلى العدوّ خُطّة المُسلِمِين، وخصص بعض الفقهاء الأوزاعي الاستئذان من الإِمَام في حالة الجنود الّذين يأخذون رواتبهم من ديون الجند، قَالَ الرملي في نهاية المحتاج (٨/ ٦٠): (يكره الغزو بِغَيْرِ إذْنِ الْإِمَامِ أَوْ نَائِبِهِ ولا كراهة في حالات:

١- إذا فَوَّتَ الِاسْتِئْذَانَ الْمَقْصُودَ.

٢- أو عَطَّلَ الْإِمَامُ الْغَزْوَ.

٣- **أَوْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ عَدَمُ الْإِذْنِ لَهُ كَمَا بَحَثَ ذَلِكَ الْبُلْقِينِيُّ**).

نعود فنقول: هذا كله إذا كانَ الجِهَاد فرض كفاية، أما إذا أصبح الجِهَاد متعيّناً (فرض عين) فلا إذن ولا استئذان، قَالَ ابن رشد: "**طَاعَةُ الْإِمَامِ لَازِمَةٌ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ عَدْلٍ مَا لَمْ يَأْمُرْ بِمَعْصِيَةٍ وَمِنْ الْمَعْصِيَةِ النَّهْيُ عَنْ الْجِهَادِ الْمُتَعَيِّنِ**".

---

(١) رواه أحمد (١٠٩٥) بلفظ :«...في معصية الله عز وجل» وقال الأرنؤوط : صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه أحمد (١٣٢٢٥) وقال الأرنؤوط : يحتمل التحسين، وصححه الألباني : صحيح الجامع (٧٥٢١).

ونزيد المسألة وضوحا فنقول: إن الإذن والاستئذان في فرض الكفاية، أي بعد أن يكون عدد المُجَاهدين كافيا للقيام بالفرض، أما قبل أن تحصل الكفاية فالخطاب موجه إلى الجميع، ويجب عَلى الكل، ويسقط بفعل البعض ولا فرق بين فرض كفاية والعين قبل أن تتم الكفاية. وقبل الكفاية: لا إذن ولا استئذان إنما يكون بعد العلم بكفاية المُسلِمين في أرض المَعْرَكة للقيام بالفرض].أهـ.(١)

- **الجِهَاد في غياب الأمير الواحد:**

[هل نجاهد وليس لنا أمير واحد؟

نعم نجاهد وليس لنا أمير، ولم يقل أحد أن عدم إتحاد المُسلِمين عَلى أمير يسقط فرضية الجِهَاد، بل لقد رأينا المُسلِمين أيّام الحُرُوب الصّليبيّة والتّتار يقاتلون مع أن أمراءهم مختلفون، وفي كلّ بلد أميرا أو عدّة أمراء، ففي حلب أمير، وفي دمشق أمير، وفي مصر أكثر من أمير، وبعضهم يستنجد بالصّليبيّن عَلى إخوانهم الأمراء كما حصل من الأمير شاور الّذي استعان بالصّليبيّين عَلى أمير آخر في مصر (ضرغام).

ولم يقل أحد من العُلَماء أن هذا الحال وهذا الغثاء يسقط فرضيّة الجِهَاد للدّفاع عن أرض المُسلِمين، بل يضاعف واجبهم، وكذلك الحال في الأندلس الّتي كما يقول الشَّاعرُ:

وتفرَّقُوا شِيَعَاً فكلُّ مَحِلَّةٍ ۞ فِيها أَميرُ المُؤمِنِينَ ومِنبَرُ

ولم يقل أحدٌ من العُلَماء أنَّه لا جِهَاد في هذا الحال بل كانَ أعيانُ العُلَماء في مقدَّمة الصُّفُوف في الأندلس.

وقد تخلو المَعْرَكةُ من قائدٍ شَرعِيٍّ معه الولاية من الأمير العام كما حدث يوم مؤتة، فقام خالد بن الوليد واسلتم الرّايةَ وأنقذَ اللهُ بِهِ الجيشَ المسلمَ وأقرّه ﷺ وأثنَى عليهِ.

وقد يكون الإِمَام أو أمير المُؤمِنِين غير موجود، وهذا لا يسقط فرضية القِتَال والدّفاع عن أرض المُسلِمِين، ولا ننتظر حتَّى تقوم الولاية الكبرى وتستأنف الخِلافَة، لأن الولاية العامّة والخِلافَة لا تأتي نظرياً بالثّقافة والدّراسة، بل الجِهَاد أسلم طريقة لكي تصبح الولاية الخاصّة – أي إمارة القِتَال – ولاية عامة وخلافة، والمُجَاهدون يختارون أميراً للجِهَاد من بينهم يصلح أمرهم، ويلمّ شعثهم ويرد قويهم عن

(١) (الذخائر – ج١ / ص١٢٩).

ضعيفهم ففي الحديث الصَّحِيح عن عقبة بن عامر وكان من رهطه قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ سَرِيَّةً، فَسَلَّحْتُ رَجُلًا سَيْفًا. قَالَ: فَلَمَّا رَجَعَ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مَا لَامَنَا رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: « أَعَجَزْتُمْ إِذْ بَعَثْتُ رَجُلًا، فَلَمْ يَمْضِ لِأَمْرِي أَنْ تَجْعَلُوا مَكَانَهُ مَنْ يَمْضِي لِأَمْرِي؟ »(١)، فالرَّسُول ﷺ حرضهم عَلى تغيير أمير السرية الّذي عقد له الرّاية بيده الشريفة، فكيف إذا لم يكن أميراً أصلاً؟ إن الحاجة أشد إلى تأمير للحرب].أهـ(٢)

- **قتال الواحد إذا قعد النّاس:**

[**هل يقاتلُ الإنسانُ وحده إذا قعدَ النّاس؟** نعم يُقاتل لأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يخاطب نبيّه ﷺ قائلاً: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾﴾ [النساء] فالآية تأمر الرَّسُول ﷺ، بأمرين واجبين – لأنَّ الأمرَ للوجوبِ –:

١- القِتَال ولو وحده.

٢- تحريض المُؤمِنين.

ويذكر ربّ العزة الحكمة من القِتَال وهو كف بأس الكفّار، لأن الكفّار لا يخشون وجودنا إلا بالقتال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وبترك القِتَال يسود الشّرك وهو الفتنة وينتصر الكفر، وقد فهم الصّحابة ﷺ الآية عَلى ظاهرها، فعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: «قُلْتُ لِلْبَرَاءِ: الرَّجُلُ يَحْمِلُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، أَهُوَ مِمَّنْ أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ؟ قَالَ: لَا، لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ رَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [النساء: ٨٤]، إِنَّمَا ذَاكَ فِي النَّفَقَةِ»(٣).

---

(١) رواه أحمد (١٧٠٠٧) وأبو داود (٢٦٢٧) والحاكم (٢٥٣٩) وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي والأرنؤوط وحسنه الألباني.

(٢) (الذخائر – ج١ / ص١٣٣).

(٣) رواه أحمد (١٨٤٧٧) وصحح الأرنؤوط إسناده مع اختلاف في متنه.

قَالَ ابن العربيّ في أحكام القرآن [١]: (**وَقَدْ تَكُونُ حَالَةٌ يَجِبُ فِيهَا نَفِيرُ الْكُلِّ إِذَا تَعَيَّنَ الْجِهَادُ عَلَى الْأَعْيَانِ بِغَلَبَةِ الْعَدُوِّ عَلَى قُطْرٍ مِنْ الْأَقْطَارِ، أَوْ بِحُلُولِهِ بِالْعُقْرِ؛ فَيَجِبُ عَلَى كَافَّةِ الْخَلْقِ الْجِهَادُ وَالْخُرُوجُ إلَيْهِ؛ فَإِنْ قَصَّرُوا عَصَوْا**) فإذا كانَ النَّفِير عاماً لغلبة العدوّ أو استيلائه عَلى الأسارى كانَ النَّفِير عاماً، ووجب خفافاً وثقالاً وركباناً ورجالاً عبيداً وأحراراً. من كانَ له أب من غير إذنه ومن لا أب له، حتَّى يظهر دين الله ووتحمى البيضة وتحفظ الحوزة ويخزي العدوّ ويستنقد الأسرى ولا خلاف في هٰذا.

فكيف يصنع الواحد إذا قعد الجميع؟ يعمد إلى أسير واحد فيفديه ويغزو بنفسه إن قدر وإلا جهز غازيا.

بل إن قتال المرء وحده يُرضي الله ويُعجبه، ففي الحديث الحسن الّذي رَوَاه أحمد وأبو داوود قَالَ ﷺ: «**عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهِ فانهَزَمَ أَصحَابُهُ فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ فَرَجَعَ حَتَّى أُهرِقَ دَمُهُ، فَيَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَرَهْبَةً مِمَّا عِنْدِي، حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ**»[٢]].أهـ.[٣]

- الجِهَاد والقتال مع الفساق والفجار:

[هل نقاتل مع مُسلِمِين ليسوا عَلى مستوى مقبول من التّربية الإِسْلَاميّة ؟

هذا السّؤال يثور من قبل بعض النّاس وقسم منهم مخلصون، ويتساءلون: كيف نقاتل مع قوم (كالأفغان) فيهم الصادق وفيهم الكاذب، وينتشر بينهم شرب الدخان والنسوار (كالدخان)، وقد يبيع بعضهم سلاحه؟ وهم أناس متعصبون لمذهبهم الحنفي، وبعضهم يعلق الرقى (التمائم)، وقبل أن أبين الحكم الشَّرعيّ أقول: أروني شعبا في الأرض يخلو من هذه الأمور؟ فهل نترك الكفّار في كلّ الأراضي المُسلِمِين لأن هذه الأمور موجودة؟

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٥١٧).

(٢) رواه أحمد (٣٩٤٩) وأبو داود (٢٥٣٦) وحسنه الألباني وصححه الأرنؤوط.

(٣) (الذخائر – ج١ / ص١٣٤)

الجواب يجب القِتَال، لأن القتال مبني عَلى دفع أعظم الضررين، فهنالك القواعد الفقهيّة: في مجلة الأحكام العدلية المادّة رقم (٢٦): (يُتَحَمَّلُ الضَّرَرُ الخَاصّ لِدَفْعِ العَام)، وفي المادّة رقم (٢٧): (الضَّرَرُ الأشدّ يُزالُ بالضرَرِ الأَخفّ)، وفي المادّة رقم (٢٨): (إذا تَعارَّضَت مَفسَدَتَانِ رُوعيَ أَعظمها ضَرَراً بارتكابِ أَخفّها)، وفي المادّة (٢٩): (يُختَار أهونُ الشَّرّين).

فلا بُدَّ من اختيار أهون الشرين، أيهما أعظم شرا استيلاء الرُّوس عَلى أفغانستان وتحويلها إلى بلاد كفر يمنع فيها القرآن والإسْلَام أم الجِهَاد مع قوم فيهم ذنوب وأخطاء؟

يقول ابن تَيمِيّة في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٠٦): (لِهَذَا كَانَ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الْغَزْوُ مَعَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ؛ فَإِنَّ اللهَّ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ وَبِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَنَّهُ إذَا لَمْ يَتَّفِقْ الْغَزْوُ إلَّا مَعَ الْأُمَرَاءِ الْفُجَّارِ أَوْ مَعَ عَسْكَرٍ كَثِيرِ الْفُجُورِ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إمَّا تَرْكُ الْغَزْوِ مَعَهُمْ فَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ اسْتِيلَاءُ الْآخَرِينَ الَّذِينَ هُمْ أَعْظَمُ ضَرَرًا فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَإِمَّا الْغَزْوُ مَعَ الْأَمِيرِ الْفَاجِرِ فَيَحْصُلُ بِذَلِكَ دَفْعُ الْأَفْجَرِينَ وَإِقَامَةُ أَكْثَرِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ؛ وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ إقَامَةُ جَمِيعِهَا، فَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ وَكُلِّ مَا أَشْبَهَهَا؛ بَلْ كَثِيرٌ مِنْ الْغَزْوِ الْحَاصِلِ بَعْدَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ لَمْ يَقَعْ إلَّا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، وَثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: **«الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ»**[1]. فما داموا المُسلِمين يجب القِتَال معهم).

والرّاية في أفغانستان إسلاميّة والهدف المعلن هو إقامة دين الله في الأرض، ولو قاتل المُسلِمُون في فِلَسطِين لما ضاعت فِلَسطِين رغم المفاسد الّتي كانت في البداية، وقبل أن يفسد الأمر نهَائِيّاً ويأتي جورج حبش، ونايف حواتمه، والأب كبوشي وأمثالهم.

يجب القِتَال مع أي قوم مُسلِمِين ما داموا مُسلِمِين مهما كانَ فسقهم وفجورهم، إذا كانَ القِتَال ضدّ الكفّار أو أهل الكتاب أو الملحدين.

يقول الشوكاني في نيل الأوطار[2]: (**وَتَجُوزُ الِاسْتِعَانَةُ بِالْفُسَّاقِ عَلَى الْكُفَّارِ إجْمَاعًا**).

---

(١) رواه البخاري (٢٨٥٠، ٣١١٩) ومسلم (١٨٧٣).

(٢) نيل الأوطار: (٧/ ٢٦٤).

هل يجوز الغزو مع الفجرة والفساق؟

الفتوى: نعم يغزى مع كلّ بر وفاجر يعني كلّ إمام، قَالَ أبو عبدالله (الإمَام أحمد) وسئل عن الرجل يقول: أَنَا لَا أَغْزُو وَيَأْخُذُهُ وَلَدُ الْعَبَّاسِ، إِنَّمَا يُوَفَّرُ الْفَيْءُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: سُبْحَانَ الله، هَؤُلَاءِ قَوْمُ سُوءٍ، هَؤُلَاءِ الْقَعَدَةُ، مُثَبِّطُونَ جُهَّالٌ، فَيُقَالُ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ قَعَدُوا كَمَا قَعَدْتُمْ، مَنْ كَانَ يَغْزُو؟ أَلَيْسَ كَانَ قَدْ ذَهَبَ الْإِسْلَامُ؟ مَا كَانَتْ تَصْنَعُ الرُّومُ؟ وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُد، بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ؛ بَرًّا كَانَ، أَوْ فَاجِرًا»(١) وَبِإِسْنَادِهِ عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ؛ الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ: لَا إلَهَ إلَّا الله، لَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنْ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي الله إلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ»(٢) وَلِأَنَّ تَرْكَ الْجِهَادِ مَعَ الْفَاجِرِ يُفْضِي إلَى قَطْعِ الْجِهَادِ، وَظُهُورِ الْكُفَّارِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَاسْتِئْصَالِهِمْ، وَظُهُورِ كَلِمَةِ الْكُفْرِ، وَفِيهِ فَسَادٌ عَظِيمٌ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

قَالَ أَحْمَدُ: لَا يُعْجِبُنِي أَنْ يَخْرُجَ مَعَ الْإِمَامِ أَوْ الْقَائِدِ إذَا عُرِفَ بِالْهَزِيمَةِ وَتَضْيِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا يَغْزُو مَعَ مَنْ لَهُ شَفَقَةٌ وَحَيْطَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ كَانَ الْقَائِدُ يُعْرَفُ بِشُرْبِ الْخَمْرِ وَالْغُلُولِ، يُغْزَى مَعَهُ، إنَّمَا ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، وَيُرْوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «إنَّ اللهَّ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»(٣).

وَلَا يَسْتَصْحِبُ الْأَمِيرُ مَعَهُ مُخَذِّلًا، وَهُوَ الَّذِي يُثَبِّطُ النَّاسَ عَنْ الْغَزْوِ، وَيُزَهِّدُهُمْ فِي الْخُرُوجِ إلَيْهِ وَالْقِتَالِ وَالْجِهَادِ، مِثْلُ أَنْ يَقُولَ: الْحَرُّ أَوْ الْبَرْدُ شَدِيدٌ، وَالْمَشَقَّةُ شَدِيدَةٌ، وَلَا تُؤْمَنُ هَزِيمَةُ هَذَا الْجَيْشِ، وَأَشْبَاهَ هَذَا، وَلَا مُرْجِفًا، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ: هَلَكَتْ سَرِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ، وَمَالَهُمْ مَدَدٌ، وَلَا طَاقَةَ لَهُمْ بِالْكُفَّارِ، وَالْكُفَّارُ لَهُمْ قُوَّةٌ، وَمَدَدٌ، وَصَبْرٌ، وَلَا يَثْبُتُ لَهُمْ أَحَدٌ، وَنَحْوَ هَذَا، وَلَا مَنْ يُعِينُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالتَّجَسُّسِ لِلْكُفَّارِ، وَإِطْلَاعِهِمْ عَلَى عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَمُكَاتَبَتِهِمْ بِأَخْبَارِهِمْ، وَدَلَالَتِهِمْ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ، أَوْ إيوَاءِ جَوَاسِيسِهِمْ، وَلَا مَنْ يُوقِعُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَسْعَى بِالْفَسَادِ؛ لِقَوْلِ اللهَّ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٣٣) وضعفه الألباني، وقال الأرنؤوط: إسناده رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاع.

(٢) رواه أبو داود (٢٥٣٢) وضعفه الألباني وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٣) رواه البخاري (٣٠٦٢) ومسلم (١١١).

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ۝٤٦ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٧﴾ [التوبة]

وَلِأَنَّ هَؤُلَاءِ مَضَرَّةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَيَلْزَمُهُ مَنْعُهُمْ، وَإِنْ خَرَجَ مَعَهُ أَحَدُ هَؤُلَاءِ، لَمْ يُسْهِمْ لَهُ وَلَمْ يَرْضَخْ وَإِنْ أَظْهَرَ عَوْنَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَظْهَرَهُ نِفَاقًا، وَقَدْ ظَهَرَ دَلِيلُهُ، فَيَكُونُ مُجَرَّدَ ضَرَرٍ، فَلَا يَسْتَحِقُّ مِمَّا غَنِمُوا شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ الْأَمِيرُ أَحَدَ هَؤُلَاءِ، لَمْ يُسْتَحَبَّ الْخُرُوجُ مَعَهُ؛ لِأَنَّهُ إذَا مُنِعَ خُرُوجُهُ تَبَعًا، فَمَتْبُوعًا أَوْلَى، وَلِأَنَّهُ لَا تُؤْمَنُ الْمَضَرَّةُ عَلَى مَنْ صَحِبَهُ.[1]] .أهـ[2].

- قتل المدنيين من الكفّار وإفساد أموالهم:

[قتل النِّسَاء والولدان والشُّيُوخ.

قد بينا من قبل أن الإِسْلَام لا يقتل إلا المقاتلة، أو الّذين يمدون المشركين وأعداء الإِسْلَام بمال أو برأي، لأن الآية: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝١٩٠﴾ [البقرة] ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩٣﴾ [البقرة]

والمقاتلة: مفاعلة في المشاركة من الجانبين، فمن قتل أو أشترك بوسيلة ما في القِتَال فإنه يقتل ويقاتل، وإلا فلا حاجة إلى قتلة ولذا فلا حاجة لقتل النِّسَاء لضعفهن إلا إذا قاتلن، ولا لقتل الأطفال، ولا الرهبان عن قصد إلا إذا اختلطوا بالمشركين، ولن نستطع أن نضرب المشركين المقاتلين منفردين، فهنا نضرب المشركين ولا نقصد الضّعفة.

إن التنكيل بالذرية والضّعفة يورث الأحقاد بمداد الدموع والدِّماء لتتناقله الأجيال جيلا بعد جيل وهذا الّذي لا يريده الإِسْلَام.

إن الإِسْلَام يريد أن يحبب النّاس به ويريد أن يحبب الله رسوله ودينه إلى النّاس، ولكن الإِسْلَام في نفس الوقت لا يربت عَلى شهوات النّاس، ولا يغير منهاجه إرضاء لأهوائهم ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [المؤمنون: ٧١]، وقد أختلف آراء العُلَماء في هذه القضية عَلى مذاهب:

---

(١) الفتوى : من المغني لابن قدامة (٩/ ٢٠١).

(٢) الذخائر العظام: (ج١ / ص١٣٥- ١٠١٧).

المذهب الأوّل: لا يجوز قتل النِّسَاء والولدان بأي حال: (وهو مذهب مالك والأوزاعي)، حتَّى ولو تترس الكفّار بأطفالهم ونسائهم لا يجوز رميهم، ولو تحصنوا في حصن ومعهم ذريتهم لا يجوز رميهم بالمنجنيق وغيره.

المذهب الثّاني: لا يقصد الضّعفة بالقتال إلا إذا قاتلوا أو اختلطوا بالمقاتلين بحيث لا نستطيع مقاتلتهم بدون قتلهم، وهذا رأي الشّافعي والحنفية.

وقال الماوردي في الأحكام السلطانية (٧٧): (**وَلَا يَجُوزُ قَتْلُ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ فِي حَرْبٍ وَلَا فِي غَيْرِهَا مَا لَمْ يُقَاتِلُوا؛ لِنَهْيِ رَسُولِ الله ﷺ عَنْ قَتْلِهِمْ**).

قَالَ السَّرخسيّ في المبسُوط (١٠/ ٣٢): (**ثُمَّ لَا يَمْتَنِعُ تَحْرِيقُ حُصُونِهِمْ بِكَوْنِ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ فِيهَا، فَكَذَلِكَ لَا يَمْتَنِعُ ذَلِكَ بِكَوْنِ الْأَسِيرِ -المسلم- فِيهَا وَلَكِنَّهُمْ يَقْصِدُونَ الْمُشْرِكِينَ**).

ويجوز قتل الشَّيْخ الكبير إن كانَ ذا رأي، كما أقر رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعري عَلى قتل (دريد بن الصمة) وقد جاوز المائة والحديث في الصَّحِيحين[1].

ولا يقتل الأعمى ولا المقعد ولا المعتوه من الأسارى لأنه إنما يقتل من يقاتل (والمقاتلة من الجانبين) ولا بأس بإرسال الماء إلى مدينة أهل الحَرب وحرقهم بالنار ورميهم بالمنجنيق وإن كانَ فيهم أطفال أو ناس من المُسلِمين، ويحل رميهم وإن تترسوا بأطفال المُسلِمين وقد بين رسول الله ﷺ العلة في الحديث الّذي رواه أحمد وأبو داوود[2]، وإن كانَ فيه مقال لأن رسول الله ﷺ مر عَلى امرأة مقتولة فقال: «**مَا كَانَتْ هَذِهِ تُقَاتِلُ**» إذاً العلة في القتل والمقاتلة، فمن كانَ من أهل القِتَال قتل وقوتل.

ودار خلاف الأئمة حول الأحاديث المتعارضة ظاهراً:

فمالكٌ أخذ بعموم النّص، نصّ ابن عُمر رضي الله عنهما قَالَ: **وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ الله ﷺ، «فَنَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ»**[3].

---

(١) حديث قتل دريد بن الصمة جاء في البخاري (٤٣٢٣) ومسلم (٢٤٩٨) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد (٥٩٥٩)، وأبو داود (٢٦٦٩) وغيرهما، وصححه شاكر والألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه البخاري (٣٠١٤) ومسلم (١٧٤٤).

أما الشّافعية: فيستدل لديهم بأن هذا النّص عام وله مخصص من حديث الصعب بن جثامة أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنْ أَهْلِ الدَّارِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُبَيَّتُونَ فَيُصَابُ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، قَالَ: «**هُمْ مِنْهُمْ**»(١)، وزاد أبو داوود، وقال الزهري: ثمّ نهى رسول الله ﷺ عن قتل النِّسَاء والولدان، إن هذا وإن كانَ يستدل به من تمسك بالنّهي عن قتل النِّسَاء والولدان مهما كانَ الأمر ويرى قول الزهري ناسخاً إلا أنّه يشهد للشّافعيّة والحنفيّة الحديث الّذي رواه التِّرْمِذِيّ مرسلاً: «**نصب رسول الله ﷺ المَنْجَنِيقَ عَلَى أَهْلِ الطَّائِفِ**»(٢).والحديث الّذي رواه سلمة بن الأكوع: «**بَيَّتْنَا هَوَازِنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَكَانَ أَمَّرَهُ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ**»(٣).

والبيات: هو الإغارة في الليل وغزو الطائف وهوازن كانَ في أواخر حياة رسول الله ﷺ.

أما منع الجيش المسلم من قتال المشركين إذا اختلطوا بأطفالهم عَلى أية حال فهذا يعني وقف الجِهَاد ضدهم وفي هذا خطر عَلى المسمين وإضرار بمصالح المجتمع المسلم، خاصّة في هذه الأيّام الّتي أصبح القِتَال فيها بقذائف بعيد المدى من المدفعية الطائرات والدبابات وهذا يعني منع استعمال هذه جميعها وإيقافه.

فإذا كانَ الفقهاء باتفاق قد أباحوا قتل المُسلِمِين حالة تترس الكفّار بهم، فكيف لا يبيحون حرب الكفّار إذا كانَ معهم أطفالهم ونسائهم؟!

هل حرمة دماء نساء المشركين وأطفالهم أشد حرمة من دماء المُسلِمِين؟

ثمّ إن المنع من قتل النِّسَاء اليَوْم إن كانت المرأة لا تشترك في الحَرب ولا تدخل في الجُيُوش ولا تعتنق مبادئ كالشُّيُوعِيّة وغيرها تقاتل دونها وتموت في سبيلها... أما الآن فقد تغير الوضع، وأصبحت المرأة لا تفترق – في هذه النَّاحية – كثيرا عن الرجل، يقول ابن تَيمِيّة في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣٧):

---

(١) رواه البخاري (٣٠١٢، ٣٠١٣) ومسلم (١٧٤٥).

(٢) رواه أبو داود في المراسيل (٣٣٥-٣٣٦)، ورواه الترمذي مرسلا (٢٧٦٢) وقال الألباني: موضوع – الضعيفة (٢٨٨).

(٣) رواه أحمد (١٦٤٩٧، ١٦٤٩٨) وقال الأرنؤوط: صحيح على شرط مسلم. وروى أبو داود بنحوه (٢٦٣٨) وحسنه الألباني.

(إِنَّ الْأَئِمَّةَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْكُفَّارَ لَوْ تَتَرَّسُوا بِمُسْلِمِينَ وَخِيفَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ إذَا لَمْ يُقَاتِلُوا؛ فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ نَرْمِيَهُمْ وَنَقْصِدَ الْكُفَّارَ، وَلَوْ لَمْ نَخَفْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ جَازَ رَمْيُ أُولَئِكَ الْمُسْلِمِينَ أَيْضًا فِي أَحَدِ قَوْلَيْ الْعُلَمَاءِ).

قَالَ ابن العربيّ في أحكام القرآن (١/ ١٤٨): (لَا تَقْتُلُوا النِّسَاءَ إلَّا أَنْ يُقَاتِلْنَ؛ لِنَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ قَتْلِهِنَّ..... وَهَذَا مَا لَمْ يُقَاتِلْنَ، فَإِنْ قَاتَلْنَ قُتِلْنَ).

وقد فرق الشّافعية بين قتل الأطفال والنِّساء وبين قتل الرهبان والشُّيُوخ والعمي، فقد حرموا قصد قتل النِّسَاء والولدان إلا للضرورة فقال الرملي (٨/ ٦٤): وتحريم قتل صبي ومجنون وامرأة – ولو لم يكن لها كتاب – وخنثى مشكل ومن به رمق، ما لم يقاتلوا أو يسبوا الله أو أحد رسله ﷺ.

أما بالنسبة للراهب والشَّيْخ: فقال الرملي (٨/ ٦٤): ويحل قتل راهب وأجير وشيخ وأعمى ومن لا قتال منهم ولا رأي في الأظهر لعموم قوله تَعَالَى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥] والثّاني لا يحل قتلهم.

قتل الراهب:

أما الراهب فمدار القتل وعدمه عَلَى الخلطة مع النّاس، فإن خالط النّاس قتل.. وإن كانَ معتزلا لعبادته يترك. وقد جاء في الحديث ابن عباس رضي الله عنهما: كانَ رسول الله ﷺ إذا بعث جُيُوشه قَالَ: «**اخْرُجُوا بِسْمِ الله تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله مَنْ كَفَرَ بِالله، لَا تَغْدِرُوا، وَلا تَغُلُّوا، وَلا تُمَثِّلُوا، وَلا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ، وَلا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ**»(١).

جاء في المبسوط للسرخسي (١٠/ ١٣٧)، قَالَ أبو يوسف ومحمّد ورواية السّير الكبير عن أبي حنيفة: **لَا يُقْتَلُونَ.**

قَالَ أبو يوسف: (سألت أبا حنيفة عَنْ أَصْحَابِ الصَّوَامِعِ، وَالرُّهْبَانِ فَرَأَى قَتْلَهُمْ حَسَنًا، وقال: هَؤُلَاءِ مِنْ أَئِمَّةِ الْكُفْرِ)، والجميع بين روايتي أبي حنيفة... الخلطة مع النّاس، فمن اختلط يقتل، ومن لا يختلط لا يقتل.

قتل شيوخ المشركين والمرضى والعمي والزَّمنى:

اختلف في قتل المشركين عَلَى رأيين:

---

(١) رواه أحمد (٢٧٢٨) وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف والحديث حسن لغيره بالشواهد.

١-فمنهم من ألحقَ الشُّيُوخ بالأطفال والنِّسَاء كالحنفية ومالك، واستدلوا بالحديث الّذي رواه أبو داوود عن أنس مرفوعا: «لَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا، وَلَا طِفْلًا ولا صَغِيرًا » والحديث [١]فيه خالد بن الفزر وليس بذاك.

وقد قَالَ الفقهاء أن مناط (علة) عدم قتلهم هيَ نفسها الموجودة في الأطفال، إذا ليس لهم نفع للمشركين ولا ضرر عَلى الْمُسلِمِين فقال ابن نجيم في البحر (٥/ ٨٤): (ولا تقتلِ **امْرَأَةٌ وَغَيْرُ مُكَلَّفٍ وَشَيْخٌ فَانٍ وَأَعْمَى وَمُقْعَدٌ إلَّا أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ ذَا رَأْيٍ فِي الْحَرْبِ أَوْ مَلِكًا**).

٢-ومنهم كالشّافعية – عَلى الأصح – من أباح قتلهم، ويستدل بحديث في الصَّحِيحين (**بأن أبا عامر الأشعري قتل دريد بن الصمة وقد نيف عَلى المائة عام..**)[٢].

ويستدل لهم كذلك بحديث عند أحمد والتِّرْمِذِيّ وصححه عن سمرة: «**اقْتُلُوا شُيُوخَ الْمُشْرِكِينَ وَاسْتَبْقُوا شَرْخَهُمْ**»[٣].

وقد علل أحمد بن حنبل أمره ﷺ بقتل الشُّيُوخ أن لا يكاد يسلم، أما الصغير فهو الأقرب إلى الإِسْلَام.

ويضاف إلى هذا أن الشُّيُوخ غالبا لهم رأي ومكيدة في الحَرب فدريد بن الصمة قد نصح مالك بن عوف أن لا يأخذ الذرية والنِّسَاء فرفض...

ومما استدل به هَؤُلَاءِ الفريق عموم قوله: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] ولأنه كافر لا نفع في حياته فيقتل كالشاب.

وخلاصة الأمر والّذي نرجحه والله أعلم:

إن من كانَ به فائدة للمشركين أو غيره فإنه يقتل – شيخًا كانَ أو راهبًا أو مقعدًا –.

وأما الشَّيْخ الهرم – الخرف – والراهب والمعتزل والمريض الّذي يعاني من آلامه، وهم الّذين ليس لهم نفع للكفر، ولا ضرر عَلى الْمُسلِمِين فالأولى تركهم للنصوص الواردة (وإن كانَ فيها ضعف لأن القياس يدعمها بجانب عدم النفع والضرر).

(١) رواه أبو داود (٢٦١٤) وضعفه الألباني، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف والحديث حسن لغيره بالشواهد.

(٢) رواه البخاري (٢٨٨٤، ٦٣٨٣) ومسلم (٢٤٩٨).

(٣) رواه أبو داود (٢٦٧٠) والترمذي (١٥٨٣) وأحمد (٢٠١٤٥، ٢٠٢٣٠) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

وقد أوصى أبو بكر يزيد بن أبي سفيان قائلاً له: (**لاَ تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً، وَلاَ صَبِيّاً، وَلاَ كَبِيراً هَرِماً**).

أخرجه مالك في الموطأ[1].. انظر الموطأ بشرح الزرقائي (٣/ ٢٩٠) ولكن الحديث مرسل.

وفي المبسوط للسرخسي (١٠/ ١٣٧): قَالَ أبو يوسف: سألت أبا حنيفة عن قتل النِّسَاء والصبيان والشَّيْخ الكبير الّذي لا يطيق القِتَال والّذين بهم زمانة فنهى عن ذلك وكرهه.

- **قطع الأشجار وقتل الحيوانات:**

اتفق جمهور الفقهاء الأربعة أن كلّ ما فيه مصلحة للمسلمين أو مضرة للكافرين أثناء المَعْرَكة أو الإِعداد لها يجوز فعله سواء كانَ هذا الفعل قتل إنسان أو حيوان أو قطع شجر أو تدمير بناء، لأن المقصود بالمَعْرَكة ابتداء وانتهاء إزالة الفتنة ونشر الدّعوة وإعلاء دين الله. فإذا أباح الإِسْلَام قتل البشر الّذين يقفون أمام الدّعوة فمن باب أولى أن يجوز إتلاف أموالهم إن كانَ فيه إضرار بهم أو إجبار لهم عَلى الخضوع لهذا الدّين.

أما الآية: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝٢٠٥﴾ [البقرة] فقد نزلت في الأخنس بن شريف عندما جاء إلى رسول الله ﷺ وأعلن إسلامه ثمّ عندما خرج أحرق الزرع وعقر المواشي فاستعمال هذه الآية مع الجيش المسلم – اضطر لقطع الأشجار – ليس له أدنى مناسبة بالموضوع.

نعود فنقول: كلّ ما كانَ في مصلحة الجِهَاد من نفع للمسلمين أو إضرار للكافرين فهذا يفعل لأن مصلحة الجِهَاد مقدمة عَلى كلّ شيء.

- **قتل النِّسَاء الشُّيُوعِيّات في أفغانستان:**

أما النِّسَاء الشُّيُوعِيّات في أفغانستان فيجب قتلهن سواء اشتركن في الحَرب أو في رأي أم لم يشتركن وسواء إن انفردن أو اختلطن، وسواء كانت واحدة أو مجموعة. لأنهن ذوات عقائد يكافحن ضدّ الإِسْلَام ويؤذين الإِسْلَام والمُسلِمِين وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قَالَ عن امرأتين كانتا لبني عبد المطلب

---

(١) ورد في موطأ مالك (١٢٩٢) وقال الألباني في الإرواء عن إسناده معضل.

وكن يئذين الرَّسُول الله ﷺ وأهله والإِسْلَام بالكلام فقال فيهما وفي مجموعة من الرّجال: «**اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُعَلَّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ**»(١).

- **استعمال المدفعية والطائرات والهاون والصواريخ للقصف:**

قد أشرنا أن القِتَال في الإِسْلَام لإزالة العقبات أمام دعوته ولتحطيم الأنظمة السّياسيّة الّتي تحول دون وصول الإِسْلَام إلى الشّعوب، فإذا استطعنا أن نوصلها دون قتل أو قتال فهذا الّذي يتمناه المسلم؛ أن يهدي الله عَلى يديه واحدا «**وَهُوَ خَيرٌ لَهُ مِنْ حُمْرِ النَّعَم**»(٢). فإن لم نستطع، فبدفع الحواجز بكل الطرق الممكنة بلا إزهاق لأرواح الضّعفة ولا إتلاف للأموال.

فإن لم نستطع الوصول إلى الطواغيت المتألهة في الأرض إلا بقتل الذرية وقطع الأشجار وتدمير المنشآت، فلا بأس، لأن هذه اضطررنا إليها ولم تكن مقصودا لنا ولا هدفا.

وقد مر معنا حديث الصعب بن جثامة أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنْ أَهْلِ الدَّارِ مِنَ **الْمُشْرِكِينَ يُبَيَّتُونَ فَيُصَابُ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ**، قَالَ: «**هُمْ مِنْهُمْ**»(٣) .

قَالَ الزهري: (**ثمّ نهى رسول الله ﷺ عن قتل النِّسَاء والصبيان**) فإن الزهري يعتبر قتل النِّسَاء والأولاد إذا لم يكن مقصودا يحرم، وكذلك لأنه منسوخ، وقد تعرضنا للرد عليه بالحديث المرسل الّذي أخرجه التِّرْمِذِيّ أن الرَّسُول الله ﷺ: «**نَصَبَ الْمَنْجَنِيقَ عَلَى أَهْلِ الطَّائِفِ**»(٤) ورجاله ثقات انظر سبل السَّلام (٤/ ١٣٥٢). وبالحديث الآخر عن سلمة بن الأكوع «**بَيَّتْنَا هَوَازِنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَكَانَ**

---

(١) رواه النسائي (٤٠٦٧) وأبو داود (٢٦٨٣، ٤٣٥٩) وصححه الألباني.

(٢) لفظ نبوي، رواه البخاري (٣٠٠٩) ومسلم (٢٤٠٦).

(٣) رواه البخاري (٣٠١٢، ٣٠١٣) ومسلم (١٧٤٥).

(٤) رواه أبو داود في المراسيل (٣٣٥-٣٣٦)، ورواه الترمذي مرسلا (٢٧٦٢) وقال الألباني : موضوع - الضعيفة (٢٨٨).

أَمَّرَهُ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ»[١] رواه أبو داوود وسكت عليه المنذري. وغزو الطائف وهوازن كانَ في أواخر أيّام الرَّسُول ﷺ.

قَالَ التِّرْمِذِيّ: قد رخص قوم من أهل العلم في الغارة بالليل، وأن يبيتوا، وكرهه بعضهم وقال أحمد وإسحاق: لا بأس أن يبيتوا العدوّ ليلا.

قَالَ الصنعاني: عند حديث نصب المنجنيق: (في الحديث دليل عَلى أنه يجوز قتل الكفّار إذا تحصنوا بالمنجنيق) ويقاس عليه غيره من المدافع المعدة فيما جاء في الغزو لصديق حسن]. أهـ.[٢]

- **حكم العمليَّات الاستشهادية:**

[ولذا فالجِهَاد نفسه تغرير بالنّفس، ألا ترى أن الغلام قتل نفسه من أجل نشر الدّين؟

يقول ابن تَيمِيّة في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٥٠): (**إنَّ الْغُلَامَ أُمِرَ بِقَتْلِ نَفْسِهِ لِأَجْلِ مَصْلَحَةِ ظُهُورِ الدِّينِ، وَلِهَذَا جَوَّزَ الْأَئِمَّةُ الْأَرْبعَةُ أَنْ يَنْغَمِسَ الْمُسْلِمُ فِي صَفِّ الْكُفَّارِ وَإِنْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَهُ؛ إذَا كَانَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ**).

جاء في أحكام الجصاص[٣]: قَالَ محمّد بن الحسن في السّير الكبير: (أَنَّ رَجُلًا لَوْ حَمَلَ عَلَى أَلْفِ رَجُلٍ وَهُوَ وَحْدَهُ لَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ بَأْسٌ إذَا كَانَ يَطْمَعُ فِي نَجَاةٍ أَوْ نِكَايَةٍ وَإِنْ كَانَ لَا يَطْمَعُ فِي نَجَاةٍ وَلَا نِكَايَةٍ، وَلَكِنَّهُ مِمَّا يُرْهِبُ الْعَدُوَّ، فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا أَفْضَلُ النِّكَايَةِ وَفِيهِ مَنْفَعَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ).

قَالَ الجصاص: فَأَمَّا إذَا كَانَ فِي تَلَفِ نَفْسِهِ مَنْفَعَةٌ عَائِدَةٌ عَلَى الدِّينِ فَهَذَا مَقَامٌ شَرِيفٌ مَدَحَ الله بِهِ أَصْحَابَ النبيّ ﷺ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [التوبة: ١١١]].[٤]

---

(١) رواه أحمد (١٦٤٩٧،١٦٤٩٨) وقال الأرنؤوط: صحيح على شرط مسلم. وروى أبو داود بنحوه (٢٦٣٨) وحسنه الألباني.

(٢) (الذخائر: ج١/ ص٢٨٨ – ٢٩٤)

(٣) أحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٢٧).

(٤) (الذخائر: ج١ – ص٢٩٢).

[**الانتحار حرام. لأن النّفس ليست ملكا لصاحبها بل لله عَزَّ وَجَلَّ، فلا يجوز له أن يتصرف بنفسه إلا حسب مرضاة الله والمنتحر يستحق النار**، فقد روى الشَّيْخان عن ثابت بن قيس عن النبيّ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِما سِوى الإِسْلَام كاذباً فهو كَما قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيٍء عُذِّبَ بِهِ يَومَ القِيَامة وَمَنْ رَمَى مُؤمناً بكفرٍ فَهُوَ كَقتلِهِ وَلَعْنُ المؤمنِ كقتلِهِ»[١].

وليس من قبيل الانتحار: تضحية الإنسان بنفسه خدمة للإسلام، ورفعا لمعنويات المُسلِمِين، أو إنكاء فأعداء الله عَزَّ وَجَلَّ. فقد ورد في الحديث الصَّحِيح الّذي رواه مسلم[٢] في تفسير سور البروج قصة الغلام الّذي عجز الملك عن قتله فدله الغلام عَلى طريقة قتل، وقال به خذ سهما بعد أن تجمع النّاس وتصلبني وقل: «باسمِ ربِّ الغُلام أقتلُ هَذَا الغُلَام» فقتله فقال النّاس: آمنا برب الغلام، فهذا وأمثاله ممن نظن أن الله تَعَالَى قَالَ فيهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وقد نص عَلى هذا شيْخ الإِسْلَام ومحمّد بن الحسن والجصاص والسرخسي: بأن المسلم يجوز له أن يهجم عَلى ألف من الكفّار وإن تيقن فوات نفسه وقتلها إذا كانَ في ذلك مصلحة المُسلِمِين، أو نكاية بالكافرين، أو كانَ بالمُسلِمِين ضعف وتخاذل، فأراد أن يقوي هممهم ويشحذ عزائمهم، ومن هذا القبيل قصة البَرَاء بن مالك عندما طلب من الصّحابة أن يضعوه عَلى لوح، ويرفعوه عَلى رؤوس الرماح، ويلقوه في حديقة الموت عَلى جند مسليمة الكذاب يوم اليمامة، ولقد سئلت عن نساء ألقين بأنفسهن في نهر (كونر) – في أفغانستان، كن قد خشين عَلى أعراضهن من الرُّوس الّذين صاروا يعتدون عَلى الأعراض فقلت هذه شهادة إن شاء الله، لأن العُلَمَاء أجمعوا عَلى أنه لا يجوز للمرأة أن تستسلم للأسر إذا خشيت عَلى عرضها، وكذلك الغلام الأمرد].أهـ.[٣]

سؤال هام:

ما حكم الرجل يضع الحزام النّاسف عَلى بدنه ثمّ يلقي نفسه بين مجموعة كفار أو دبابات فتنفجر به وبهم جميعا؟ وما حكم الرجل الواحد يحمل وحده عَلى حلبة العدوّ؟

---

(١) رواه البخاري (٦١٠٥) ومسلم (١١٠) بلفظ قريب عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

(٢) صحيح مسلم (٣٠٠٥).

(٣) (الذخائر ج١/ ٣٢٣).

الفتوى:

لقد أجاز الفقهاء التَّضحِيَة بالنّفس من أجل نصرة الإسْلَام ولا يعد هذا انتحارا.

هنالك فرق بين الإنتحار والتَّضحِيَة بالنّفس: فالإنتحار: قتل النّفس هربا من هموم الحياة وآلامها، أما التَّضحِيَة: فهي بذل النّفس من أجل حماية دين الله ونصرة شريعته من دون هم ولا غم.

جاء في أحكام الجصاص (١/ ٢٦٢): «عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ: غَزَوْنَا بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَعَلَى الْجَمَاعَةِ عَبْدُ الرَّحمن بن الوَلِيد، وَالرُّوم مُلصِقُوا ظُهُورِهِمْ بِحَائِطِ الْمَدِينَةِ فَحَمَلَ رَجُلٌ عَلَى الْعَدُوِّ فَقَالَ النَّاسُ: مَهْ مَهْ لَا إلَهَ إلَّا الله يُلْقِي بِيَدَيْهِ إلَى التَّهْلُكَةِ! فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: إنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا نَصَرَ الله نَبِيَّهُ وَأَظْهَرَ دِينَهُ الْإِسْلَامَ، قُلْنَا: هَلُمَّ نُقِيمُ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحُهَا، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة] فَالْإِلْقَاءُ بِالْأَيْدِي إلَى التَّهْلُكَةِ أَنْ نُقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا فَنُصْلِحَهَا وَنَدَعَ الْجِهَادَ»(١).

أَمَّا الرَّجُلِ الْوَاحِدِ يَحْمِلُ عَلَى حَلْبَةِ الْعَدُوِّ، فَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ ذَكَرَ فِي السِّيَرِ الْكَبِيرِ:

- أَنَّ رَجُلًا لَوْ حَمَلَ عَلَى أَلْفِ رَجُلٍ وَهُوَ وَحْدَهُ لَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ بَأْسٌ إذَا كَانَ يَطْمَعُ فِي نَجَاةٍ أَوْ نِكَايَةٍ،
- فَإِنْ كَانَ لَا يَطْمَعُ فِي نَجَاةٍ وَلَا نِكَايَةٍ فَإِنِّي أَكْرَهُ لَهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلتَّلَفِ مِنْ غَيْرِ مَنْفَعَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا إذَا كَانَ يَطْمَعُ فِي نَجَاةٍ أَوْ مَنْفَعَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ،
- فَإِنْ كَانَ لَا يَطْمَعُ فِي نَجَاةٍ وَلَا نِكَايَةٍ وَلَكِنَّهُ يُجَرِّئُ الْمُسْلِمِينَ بِذَلِكَ حَتَّى يَفْعَلُوا مِثْلَ مَا فَعَلَ فَيُقْتَلُونَ وَيُنْكُونَ فِي الْعَدُوِّ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ إنْ شَاءَ الله لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَى طَمَعٍ مِنْ النِّكَايَةِ فِي الْعَدُوِّ وَلَا يَطْمَعُ فِي النَّجَاةِ لَمْ أَرَ بَأْسًا أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهِمْ.
- فَكَذَلِكَ إذَا طَمِعَ أَنْ يُنْكَى غَيْرُهُ فِيهِمْ بِحَمْلَتِهِ عَلَيْهِمْ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَأْجُورًا
- وَإِنْ كَانَ لَا يَطْمَعُ فِي نَجَاةٍ وَلَا نِكَايَةٍ، وَلَكِنَّهُ مِمَّا يُرْهِبُ الْعَدُوَّ، فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا أَفْضَلُ النِّكَايَةِ وَفِيهِ مَنْفَعَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ.

---

(١) رواه أبو داود (٢٥١٢) والتِّرْمِذِيّ (٢٩٧٢) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

قَالَ الجصاص: فَأَمَّا إذَا كَانَ فِي تَلَفِ نَفْسِهِ مَنْفَعَةٌ عَائِدَةٌ عَلَى الدِّينِ فَهَذَا مَقَامٌ شَرِيفٌ مَدَحَ الله بِهِ أَصْحَابَ النبيّ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة: ١١١] ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٠٧]

فِي نَظَائِرِ ذَلِكَ مِنْ الْآيِ الَّتِي مَدَحَ الله فِيهَا مَنْ بَذَلَ نَفْسَهُ لله.

وفي الحديث الشريف: «شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ شُحٌّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ»[١] وَذَمُّ الْجُبْنِ يُوجِبُ مَدْحَ الْإِقْدَامِ وَالشَّجَاعَةِ فِيمَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَى الدِّينِ وَإِنْ أَيْقَنَ فِيهِ بِالتَّلَفِ)[٢].

قَالَ ابن تَيمِيّة في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٤٠).

(إنَّ الْغُلَامَ أُمِرَ بِقَتْلِ نَفْسِهِ لِأَجْلِ مَصْلَحَةِ ظُهُورِ الدِّينِ، وَلِهَذَا جَوَّزَ الْأَئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ أَنْ يَنْغَمِسَ الْمُسْلِمُ فِي صَفِّ الْكُفَّارِ وَإِنْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَهُ؛ إذَا كَانَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ). قد بسطنا القول في هذه المسألة في موضع آخر].أهـ.[٣]

{ أقول وبالله التوفيق: أَنّي سألت الشَّيْخ عبد القادر بن عبد العزيز(الدكتور فضل) – فرج الله عنه – عن حكم العمليَّات الاستشهادية، فقال لي: (أنه كانَ لا يرى جوازها لعدم عثوره عَلى دليل نصي صريح يخرجها عن حكم الإنتحار. وأنه تفكر فيها طويلا، حتَّى وجد دليل جوازها في قوله تَعَالَى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، **وجِهَاد الأَعدَاء ونكايتهم من أحق الحقّ**، وقد رأيت دليله هذا من أصرح ما استُدل به عَلى العمليَّات الاستشهادية بأسلوبها المعاصر، إذ أن أكثر كلام الأقدمين، منصرف لانغماس الرجل في صف العدوّ بما يغلب عَلى ظنه هلكته، ولكن قتلا بيد العدوّ، أما النّص الّذي استدل به شيخنا فهو عام. } والله أعلم.

- حكم أسرى الأعدَاء:

يختلف حكم الأسير باختلاف الجنس والعمر والدّين، والأسرى عادة عَلى ثلاثة أصناف:

---

(١) رواه أحمد (٨٢٦٣) وأبو داود (٢٥١١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) أحكام القرآن للجصاص (١/ ٣٢٧).

(٣) (الذخائر ج١/ ١٠١٦).

أولا: النِّسَاء والأطفال: هَؤُلَاءِ لا يجوز قتلهم أثناء الحَرب إذا كانوا منفردين وكذلك بعد الأسر لا يجوز قتلهم، ويصبحون رقيقا بمجرد الأسر.

ثانيا: الرّجال من المجوس وأهل الكتاب: وهَؤُلَاءِ اختلفت آراء الفقهاء فيهم، وإليك التفصيل – إن شاء الله –:

قَالَ بعض العُلَماء – كالحسن ومُجَاهد –: لا يجوز قتل الأسير وحكى محمّد بن حسن التميمي إجماع الصّحابة.

أما الفقهاء الأربعة: فقد اتفقوا أن الإِمَام مخير في الأسرى بين القتل والاسترقاق، أما المن بدون مال فمنعه الحنفية وأجازه الشّافعية والحنبلية.

أما الإِمَام مالك فقد اختلفت عنه الرواية في المن بدون مال بالجواز وعدمه.

أما الفداء بالمال: فقد أجازه المالكية والشّافعية والحنبلية، وأما الحنفية فقد منعوه.

جاء في المبسوط للسرخسي: (سألته عن الأسير يقتل أو يفادي قَالَ: يقتل أو يجعل فيئا).

وقال الشّافعي: يفدى بالمال العظيم.

وقال محمّد: يفدى إن كانَ المُسلِمُون بحاجة إلى مال.

واستشهد أبو حنيفة بقول أبي بكر: لا تفادوه ووإن أعطيتم به مدين من ذهب.

ولأن تخلية المشرك ليعود حربا عَلَى المُسلِمِين معصية، وارتكاب المعصية لمنفعة المال لا يجوز وهو ترك واجب... وقتل المشرك فرض، ولو أعطونا مالا لترك الصّلاة لا يجوز لنا مع الحاجة إلى المال.

ولا يجوز تقوية المشركين بالسّلاح، فكذلك لا تجوز تقويتهم بالرّجال، والّذي يدل عَلَى جواز المن والفداء قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]

فنص عَلَى جواز المن بدون مال والفداء بالمال.

أما الحنفية: فيرون أن هذه الآية منسوخة بقوله تَعَالَى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]

لأنها نزلت بعدها، لأن سورة التوبة نزلت بعد سورة محمّد ﷺ، ولكن لا دليل عَلَى النسخ، وفعل رسول الله ﷺ يدل عَلَى أنه منّ، وفادى وبادل الأسرى، وقتل واسترقّ.

أما بالنسبة للمنِّ ففي صحيح مسلم(١) عن أنس: أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلاً مِنْ أَهلِ مَكَّة هَبَطُوا عَلَى النبيِّ ﷺ. وأَصحَابه مِنْ جَبَلِ التَّنعِيمِ عِنْدَ صَلاَةِ الفَجْرِ لِيَقْتُلُوهُمْ، فَأَخَذَهُم ﷺ سِلْماً فَأَعْتَقهُم، فَأَنزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [الفتح: ٢٤]، وعن جبير بن مطعم أن النبيّ ﷺ قَالَ: في أسارى بدر: «لَوْ كَانَ المُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ»(٢).

وفي الصَّحِيحين(٣) أن رسول الله ﷺ، مَنَّ عَلى ثُمامَة بن أَثَال مِن بَني حَنفيةَ وَهُوَ سيّد أَهلِ اليَمامة.

أما الدليل عَلى جواز الفدية ؛ فحديث ابن عباس رضي الله عنهما :

«أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ جَعَلَ فِدَاءَ أَهلِ الجَاهِلِيَّة يَومَ بَدْرٍ أَرْبَعَمائَةٍ»(٤) رواه أبو داوود وسكت عليه هو والمنذري والحافظ في التلخيص ورجاله ثقات.

وأما الدليل عَلى مبادلة الأسرى:

فقد جاء في صحيح مسلم(٥) أن رسول الله ﷺ فادى بالرجل الّذي من بني عقيل – صاحب العضباء – برجلين من المُسلِمِين، (العضباء اسم ناقة الأعرابي الّتي أصبحت لرسول الله ﷺ).

ولقد ورد عن أبي حنيفة روايتان أظهرهما عدم الجواز، وأما الصاحبان فقد أجازا مبادلة الأسرى، المبسوط (١٠/ ١٢٩).

ولقد قتل رسول الله ﷺ رِجَالَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَهُمْ بَيْنَ السِّتِّمِائَةِ وَالسَّبْعِمِائَةِ، وَقَتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ – وهذا دليل عَلى جواز قتل الأسرى.

الرَّأي الراجح في الأسرى:

لا شَّكَّ أن الرَّأي الراجح في الأسرى هو رأي الجمهور: وهو أن الإِمَام مخير في الأسرى بما فيه مصلحة المُسلِمِين بين القتل والاسترقاق والمن والفداء بمسلم أو مال.

---

(١) رواه مسلم (١٨٠٨).

(٢) رواه البخاري (٣١٣٩، ٤٠٢٤).

(٣) في صحيح البخاري (٤٦٢، ٤٦٩، ٢٤٢٢، ٢٤٢٣) وصحيح مسلم (١٧٦٤).

(٤) رواه أبو داود (٢٦٩١) وقال الألباني : صحيح دون «الأربعمائة».

(٥) رواه مسلم (١٦٤١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه .

وهذا الرَّأي الّذي تدعمه الأدِلَّة، فالإمام يختار الأصلح للمسلمين بالنسبة للأسرى.

جاء في الشرح الكبير مع المغني (١٠/ ٤٠٧): (فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ قُوَّةٌ وَنِكَايَةٌ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَبَقَاؤُهُ ضَرَرٌ عَلَيْهِمْ، فَقَتْلُهُ أَصْلَحُ، وَمِنْهُمْ الضَّعِيفُ الَّذِي لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ، فَفِدَاؤُهُ أَصْلَحُ، وَمِنْهُمْ حَسَنُ الرَّأْيِ فِي الْمُسْلِمِينَ، يُرْجَى إسْلَامُهُ بِالْمَنِّ عَلَيْهِ، أَوْ مَعُونَتُهُ لِلْمُسْلِمِينَ بِتَخْلِيصِ أَسْرَاهُمْ، وَالدَّفْعِ عَنْهُمْ، فَالْمَنُّ عَلَيْهِ أَصْلَحُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْتَفَعُ بِخِدْمَتِهِ، وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، فَاسْتِرْقَاقُهُ أَصْلَحُ، كَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، وَالْإِمَامُ أَعْلَمُ بِالْمَصْلَحَةِ ففوض ذلك إليه، إذا أثبت ذلك فَإِنَّ هَذَا تَخْيِيرُ مَصْلَحَةٍ وَاجْتِهَادٍ، لَا تَخْيِيرُ شَهْوَةٍ، فمَتى رَأَى المصلَحة في خصلَة لمْ يجزْ اختيارُ غيرها، لأَنَّه يَتَصرف لهم عَلى سبيلِ النَّظرِ لهمْ، فَلَمْ يجزْ لَهُ تركُ ما فيه الحظّ كولي اليَتيم، ومَتَى حَصَلَ عندَه تردُّدٌ في هذه الخصال فالقتلُ أَوْلَى.

قَالَ مُجَاهِدٌ فِي أَمِيرَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا يَقْتُلُ الْأَسْرَى: وَهُوَ أَفْضَلُ. وَكَذَلِكَ قَالَ مَالِكٌ.

وَقَالَ إسْحَاقُ: الْإِثْخَانُ أَحَبُّ إلَيَّ، إلَّا أَنْ يَكُونَ مَعْرُوفًا يَطْمَعُ بِهِ فِي الْكَثِيرِ.)[١].

حكم الأسير الشُّيُوعِيّ الأفغاني:

كثير من الشُّيُوعِيّن إذا أسرهم الُمجَاهدون وشعروا أنهم سيقتلون ينطقون بالشهادتين، ومع ذلك فإن الُمجَاهدين يقتلونهم واعترض بعض النّاس عَلى هذا الفعل ظانين أن كلمة الشَّهَادة تعصم دمه، وقد استشهد هَؤُلَاءِ النّاس بحديث أُسَامَة: «**كيفَ قَتَلْتَهُ بعدَ أَنْ قَالَ لَاإِلٰهَ إِلَّا الله**»؟[٢].

والحق أن الحال في أفغانستان يختلف، إذ أن الُمجَاهدين من عادتهم إذا أسروا أسرى جاؤوا بهم إلى مجلس القضاء في الحزب، فيحققون معهم وهم يعرفون بعضهم البعض، فعندما يتأكدون أنه شيوعي ويتعرف عليه أهل قريته، فإنهم يقتلونه سواء نطق بالشهادتين أو صلى أو أقام شعائر الإِسْلَام.

نعم إن الحكم الشَّرعيّ في الكافر الأسير إذ أسلم لا يجوز قتله ويصبح معصوم الدَّم ويصير رقيقا في الحال، له حكم الأطفال فلا يجوز قتله ويصبح عبدا، وهذا عندما تكون كلمة لَاإِلٰهَ إِلَّا الله هيَ الفارق بين الكفر والإِسْلَام.

---

(١) انظر المغني لابن قدامة (٩/ ٢٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٦٩، ٦٨٧٢) ومسلم (٩٦).

أما الحال في أفغانستان فهو مختلف تماما، إذ أن (بابراك كارمل) و(نجيب) زعيم الحزب الشُّيُوعِيّ الأفغاني الّذي يمحو الإِسْلَام من أفغانستان يقول أنا مسلم ويصلّي وتظهر صورته بالتلفاز.

ومثل هَؤُلَاءِ يقتلون ولا يقبل ادعاؤهم، وإليك الأدِلَّة عَلى صحّة هذا الحكم:

١- أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ يوم الفتح في مجموعة: «**اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُعَلَّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ**»[١]، منهم المقيسُ بن صُبَابَة وابن خَطَلٍ والجارِيَتَيْن اللتين كانتا تغنيان بهجائه، مع أن نساء أهل الحَرب لا يقتلن كما لا تُقتلُ الذّرّيّة.

٢- روى الإِمَام مسلم[٢]: (**عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءَ لِبَنِي عُقَيْلٍ، فَأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، وَأَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ، رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ، وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ، فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» فَقَالَ: بِمَ أَخَذْتَنِي، وَبِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ؟ فَقَالَ: «إِعْظَامًا لِذَلِكَ أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ»، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، قَالَ: «لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ»**).

قَالَ الشوكاني عن هذا الحديث: أن للإمام أن يمتنع من قبول إسلام من عرف منه أنه لم يرغب في الإِسْلَام وإنما دعته إلى ذلك الضَّرورة، ولاسيما إذا كانَ في عدم القبول مصلحة للمسلمين.

٣- الشُّيُوعِيّ الأفغاني إما زنديق أو مرتد وحكم الزنديق أنه يقتل دون استتابة، هذا رأي جمهور الفقهاء وبه قَالَ مالك وأحمد والليث وغيرهم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: لا تقبل توبة من كرر ردته كالزنديق لقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ۝٩٠﴾ [آل عمران] وفي الدّراية (المذهب الحنفي) روايتان في الزنديق: (لاتقبل) كقول مالك وأحمد، وفي رواية تقبل كقول الشّافعي.

٤- أما المرتدّ الّذي تغلظت ردت هو نصب نفسه لحرب الإِسْلَام والمُسلِمين فيجوز قتله دون استتابة.

---

(١) رواه النسائي (٤٠٦٧) وأبو داود (٢٦٨٣، ٤٣٥٩) وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (١٦٤١).

قَالَ ابن رشد في بداية المجتهد (٢/ ٣٤٤): (وَأَمَّا إِذَا حَارَبَ الْمُرْتَدُّ، ثُمَّ ظُهِرَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ بِالْحِرَابَةِ، وَلَا يُسْتَتَابُ، كَانَتْ حِرَابَتُهُ بِدَارِ الْإِسْلَامِ أَوْ بَعْدَ أَنْ لَحِقَ بِدَارِ الْحَرْبِ، إِلَّا أَنْ يُسْلِمَ. والإِسْلَام يسقط عنهُ حدَّ الحِرَابَة، ولكنَّ حُكْمُهُ فِيمَا جَنَى حُكْمُ الْمُرْتَدِّ إِذَا جَنَى فِي رِدَّتِهِ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ أَسْلَمَ)[1]... أي يقتل قصاصاً إذا قتل.

يقول ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٤٦٤)[2]: (يجوز قتل المرتدّ إذا تغلظت ردته من غير استتابة، فَإِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ ارْتَدَّ وَلَحِقَ بِمَكَّةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ أَتَى بِهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِيُبَايِعَهُ فَأَمْسَكَ عَنْهُ طَوِيلًا، ثُمَّ بَايَعَهُ وَقَالَ: «إِنَّمَا أَمْسَكْتُ عَنْهُ لِيَقُومَ إِلَيْهِ بَعْضُكُمْ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: هَلَّا أَوْمَأْتَ إِلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ»[3]).

٥- كلّ من جاهر بسب الله، أم بسب رسول الله ﷺ، أو بسب دين الإِسْلَام فإنه يقتل دون استتابة سواء كانَ مسلما أو ذميا، ولذلك لما قتل الأعمى أم ولده لأجل سب رسول الله ﷺ، أهدر دمها.

ولمن أراد الاستزادة في هذا الموضوع فعليه أن يراجع كتاب (الصارم المسلول عَلى شاتم الرَّسُول) لشيخ الإِسْلَام ابن تَيمِيّة، وهذا الحكم إجماع الخُلَفَاء الرّاشدين ﭫ، ومقتضى النّصوص وعلى هذا أكثر من أربعين حديثاً.

وهذا الشُّيُوعِيّ معروف لدى أهل بلده بسب الإِسْلَام ومعاداة الرَّسُول ﷺ، وقد بقي يحارب الإِسْلَام إلى آخر لحظة.

٦- ولنفرض أنهم كانوا مُسلِمِين أصلا وسيقوا إلى المَعْركة قصرا وقتلوا المُسلِمِين، فإنهم يقتلون قصاصا، قَالَ عمر: «**لو اشتركَ أهلُ صَنعاءَ في قتلِ رجلٍ لقتلتُهُم بهِ جميعاً**»[4].

ملاحظات حول الأسرى:

---

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٤/ ٢٤٢).

(٢) في نسخة التحقيق: زاد المعاد (٣/ ٤٠٧).

(٣) رواه أبو داود (٤٣٥٩) والنسائي (٤٠٦٧) وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري (٦٨٩٦) باب: إذا أصاب قوم من رجل، هل يعاقِبُ أو يَقتصُّ منهُم كلّهم؟.

١- من أسر أسيرا فلا يجوز له التصرف به، وإنما أمره إلى الأمير، والأمير في الجِهَاد الأفغاني هو أمير التَّنظِيم أو الحزب، ولا يجوز لمن أسر أسيرا أن يقتله إلا إذا امتنع من السّير معه، أو كانَ جريحا لا يستطيع السّير.

٢- جرحى الحَرب من الكفّار يجوز قتلهم وإنهاؤهم.

٣- ....

٤- المرأة الشُّيُوعِيّة تقتل لأنها مرتدة، ففي الصَّحِيح: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[1]، وكذلك تقتل لأنها تشارك في الحَرب وفي الرَّأي وفي تهييج الكفّار ضدّ المُسلِمِين.

٥- لا يجوز تشويه الأسير، ولا قطع أذنيه ولا قلع عينيه، لأن رسول الله ﷺ نهى عن المثلة، ولا يجوز قطع رأسه ولا قدميه].أهـ[2]

- **حكم العين (الجاسوس):**

[يختلف حكم الجاسوس باختلاف دينه وحاله، فهناك الجاسوس الكافر وغير الذمّي والمعاهد وغير المسلم...

والجاسوس: هو الّذي يطلع عَلى أسرار النّاس وعيوبهم وينقلها.

والمقصود بالجاسوس هنا: هو الّذي ينقل أسرار المُسلِمِين إلى أعدائهم.

أما الجاسوس الكافر فيقتل عند جمهور الفقهاء.

والدليل في هذا الحديث الّذي في الصَّحِيحين عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قَالَ: أتى النبيّ ﷺ عين من المشركين وهو في سفر، فجلس عند أصحابه يتحدث ثمّ انفتل، فقال النبيّ ﷺ:

---

(١) روه البخاري: (٣٠١٧، ٦٩٢٢) وأصحاب السنن.

(٢) الذخائر العظام (ج١/ ٢٩٩-٣٠٣).

«اطلبُوهُ، واقْتُلُوهُ، فَقَتَلَهُ ابنُ الأكوع فَنَفَّلَهُ سَلَبَهُ»(١)، وفي رواية مسلم(٢)قَالَ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ الرَّجلَ؟ قَالُوا: ابنُ الأكوَع، قَالَ: لَهُ سَلَبُهُ أَجمَع».

قَالَ النووي: (فيه قتل الجاسوس الحَربي الكافر وهو اتفاق.. وأما المعاهد الذمي، فقال مالك والأوزاعي: ينتقض عهده بذلك، وعند الشّافعي خلاف في ذلك.. أما لو شرط عليه ذلك في عهده في ينقض إتفاقا.

أما الذمي: فإن تجسس عَلى المُسلِمِين فقد اختلف الفقهاء في إعتبار تجسسه نقضا لعهده، فيقتل أو يكون فيئا للمسلمين أم لا.

فقال الحنفية: لا يكون هذا نقضا إلا أن ينعى عليه في عقد الذمة أو عهد الأمان).

جاء في شرح سير الكبير (٥/ ٢٠٤٠): (قَالَ محمّد ابن الحسن: كَذَلِكَ لَوْ فَعَلَ هَذَا ذِمِّيٌّ فَإِنَّهُ يَوْجَعُ عُقُوبَةً وَيُسْتَوْدَعُ السَّجْنَ، وَلَا يَكُونُ هَذَا نَقْضًا مِنْهُ لِلْعَهْدِ، كَذَلِكَ لَوْ فَعَلَهُ مُسْتَأْمَنٌ فِينَا إلَّا أَنَّهُ يُوجَعُ عُقُوبَةً فِي جَمِيعِ ذَلِكَ).

فإن كانَ حيث طلب الأمان قَالَ له المُسلِمُون: قد أمناك إن لم تكن عينا فتجاهل المسألة، فلا بأس بقتله، وإن رأى الإِمَام سلبه حتَّى يعتبر به غيره فلا بأس بذلك، وإن رأى أن يجعل فيئا فلا بأس به أيضا كغيره من الأسرى... إلا أن الأولى أن يقتله هنا ليعتبر غيره، فإن كانَ مكان الرجل امرأة فلا بأس بقتلها أيضا إلا أنه يكره.

الشَّيْخ العاقل الّذي لا قتال عنده في منزلة المرأة أيضا فلا يجعل فيئا ولا يقتل.

أما الجاسوس الّذي ظاهره الإِسْلَام:

فقد إختلفت أراء الفقهاء فيه.

قَالَ الحنفية والشّافعية والحنبلية: لا يقتل بل يعزر، وقال مالك وابن القاسم وأشهب من المالكية: يجتهد في ذلك الإِمَام، وقال ابن الماجشون من المالكية: إن كانت تلك عادته قتل لأنه جاسوس، وقد قَالَ مالك

---

(١) رواه البخاري (٣٠٥١).

(٢) صحيح مسلم (١٧٥٤).

يقتل الجاسوس، وهو صحيح لإحرازه بالْمُسلِمين وسعيه بالفساد في الأرض، (تفسير القرطبي (١٨/ ٥٢)، وقال الأوزاعي: عاقبه الإِمَام عقوبة منكلة وغربه إلى الآفاق، (شرح السنة للبغوي (١٠/ ٧١)، جاء في السّير الكبير: (قَالَ محمّد بن الحسن: إذا وجد الْمُسلِمُون رجلا ممن يدعي الإِسْلَام عينا للمشركين عَلَى الْمُسلِمِين يكتب إليهم بعوراتهم، فأقر بذلك طوعا فإنه لا يقتل ولكن الإِمَام يوجعه عقوبة، والأصل في هذا البَاب حديث حاطب بن أبي بلتعة البدري الّذي كتب إلى كفار مكّة يخبرهم بأن الرَّسُول ﷺ يريد غزوهم، فقال رسول الله ﷺ: «**ما هذا يا حاطب؟**» فقال: لا تعجل علي، أنّي امرؤ ملصق في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان معك من الْمُهَاجِرين من لهم قرابات يحمون بها أقرباءهم، ولم يكن لي بمكّة قرابة، فأحببت إن فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يدا، والله ما فعلته شكا في ديني ولا رضي بالكفر بعد الإِسْلَام، فقال رسول الله ﷺ: «**إنه قد صدق**» فقال عمر: يا رسول الله دعني أجز عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «**إنه قد شهد بدرا، وما يدريك يا عمر لعلّ الله اطلع عَلَى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة: ١]

جاء في شرح السنة للبغوي (١٠/ ٧٤) قَالَ الإِمَام في حديث حاطب دليل عَلَى حكم التأول استباحة المحظور خلاف حكم المعتمد لاستحلاله من غير تأويل، وأن من تعاطى شيئا من المحظور ثمّ ادعى له تأويلا محتملا لا يقتل منه، وأن من تجسس للكفار يتجافى عنه، وقد استدل الجمهور بآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ وقد سمى الله حاطب بن أبي بلتعة مؤمنا...والمؤمن لا يجوز قتله ولا سفك دمه.

وقد مال الإِمَام ابن القيم إلى رأي الإِمَام مالك، ونحن نرى رأي الإِمَام مالك رحمه الله، وقال الإِمَام ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ١١٤): ثبت عنه أنه قتل جاسوسا، واستأذن عمر في قتل حاطب فقال: (وما يدريك يا عمر لعلّ الله اطلع عَلَى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)، فاستدل به أيضا من يرى قتله كالإمام مالك، وبعض أصحاب أحمد وغيرهم – رحمهم الله – قالوا لأنه علل بعلة مانعة منه

قتله، لم يعلل بأخص من أهل بدر، لأن الحكم إذا علل بالأعم كانَ الأخص عديم التّأثير، وهذا أقوى والله أعلم)].أهـ.[1]

{ **أقول والله أعلم بالصواب:**

يفضل للمُجَاهدين اليَوْم الأخذ برأي الإِمَام مالك، والإمام ابن القيم، وقتل الجواسيس الّذين ظاهرهم الإِسْلَام، بعد أن أصبحت معظم المواجهات مع أعدائنا تحسم بالتجسس والاختراقات الأمنيّة، وقد أصاب المُجَاهدين والتَّنظِيمات السرية من هذا بلاء كبير، ويكفي أن نعلم أن في مناطق الفلسطينيين آلاف الجواسيس العاملين لصالح اليَهُوْد من عشرات السنين، بل إن اليَهُوْد يعطون من أفنى عمره في ذلك راتبا تقاعديا، ويبنون لهم قرى خاصّة يبلغ تعداد سكان بعضها آلاف الأسر !! ويكفي أن نعلم أن الجِهَاد في سوريا، وفي الجَزَائِر وغيرها قد قضي عليه بسبب برناج تجسسي استخباراتي، فأميل إلى رأي الشَّيْخ عبدالله عزام الّذي اختار مذهب الإِمَام مالك وترجيح ابن القيم في أن ذلك للإمام، وأنصح بقتل الجواسيس الّذين يدعون الإِسْلَام، إلا في حالات نادرة يرى فيها أمراء الجِهَاد قرائن خاصّة تقترب من مثال حاطب في رجل ذي بلاء في الإِسْلَام والجِهَاد زلت به قدمه زلة محدودة لم يترتب عليها هلاك مسلم، إن رأى أن يعفو عنه كحالة استثنائية تقدر بقدرها، وإلا فالأصل اليَوْم إعدام الجواسيس، لعنهم الله وأخزاهم }.

- حرمة بيع العدوّ ما يقويه علىَ المُسلِمِين:

[أما بالنسبة للمعاملات التجاريَّة بين المُسلِمِين والكفار أثناء الحَرب، فعندما وضع الفقهاء قواعدهم التجاريَّة، إنما بنوها عَلى تصوُّرهم فيما يكون فيه خير للمسلمين وتضييق عَلى الكافرين.

١- فالإمام مالك مثلا يجيز الاستيراد من بلاد الكفّار، ويرى السماح للتجار الحَربيين بالدخول إلى بلاد الإِسْلَام يحملون معهم تجاراتهم، ولأن في هذا تقوية للمسلمين، بينما يمنع الإِمَام مالك التّصدّير إلى بلاد الكفّار لأن في هذا تقوية لهم.

---

(١) (الذخائر / ج١-٣٠٤).

بينما الشراء من مصنوعات الكفّار في الواقع الدّولي الآن، إنما يعتبر تقوية للكفار بإدخال العملة الصعبة إلى الدّول المصدرة. ويعتبر البحث عن الأسواق التجاريَّة الّتي تصرف فيها المنتجات للدول الكبرى أحد الأسباب الرَّئيسيَّة الّتي شنت من أجلها الحَرب الحديثة وقام من أجلها الإستعمار.

وعلى كلّ حال فالقَاعِدَة في الميدان التجاري عند الفقهاء: (**يمنع تصدير أو استيراد أي شيء فيه تقوية للكفار**)، (**يسمح بتصدير أو استيراد كلّ شيء فيه تقوية للمسلمين**).

فتصدير السّلاح مثلا حرام إلى بلاد الكفّار، وكذلك البترول الّذي تدار به مصانع السّلاح، وكل آلات الحَرب، حتَّى منع الفقهاء تصدير الديباج والحرير لأنه تصنع منه آليات الحَرب، ويمنع تصدير الحديد الّذي يصنع منه السّلاح، فقد جاء في الفتاوى الهندية: (ولا يباع كلّ ما هو أصل في الحَرب)، وفي العصر الحديث يمنع بيع النحاس والكوبالت والراديوم واليورانيوم (إذ منهما تصنع القنابل الذرية). وقد قَالَ الإِمَام مالك في المدونة: (أما كلّ ما هو قوة عَلى أهل الإِسْلَام مما يتقوون به في حُرُوبهم من كراع وسلاح أو – خرثي- أو متاع أو شيء مما يعلم أنه قوة في الحَرب من نحاس أو غيره فإنهم لا يباعون ذلك)].أهـ.[1]

- تترس الكفّار في الحَرب بغير المقاتلين منهم أو بالمُسلِمين:

أولا: تترس الكفّاربنسائهم وأطفالهم:

الترس: هو التوقي والاحتماء بالترس، والترس صفحة الفولاذ تحمل للوقاية من السّيف فالترس: ما يتوقى به في الحَرب.

والترس يعني: اتخاذ المُسلِمين كترس (واقي) للكفار (ما يسمونه اليَوْم: دروعا بشرية)، فقد يلجأ الكفّار أحيانا في المَعْرَكة لوضع أسير مسلم أو مجموعة من أطفال المُسلِمين معهم في داخل الحصن أو القلعة حتَّى يمنعوا المُجَاهدين من إطلاق النار عليهم، وذلك لأَنَّهم يعلمون أن المُجَاهدين يخشون من

(١) (الذخائر ج١/ ١٦٤).

قتل إخوانهم الأسرى في نفس الحصن مع الكافرين، ولأن دماء المُسلِمِين محرمة «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ**»[١] حديث صحيح.

وقد يلجأ الكفّار أحيانا إلى وضع أطفالهم معهم (أطفال الكفّار) في الحصن أو المُعَسْكَرَات ليكونوا ذريعة لمنع المُسلِمِين في إطلاق القذائف عليهم، لأن الكفّار يعلمون «**أنَّ الرَّسُول ﷺ نَهى عَنْ قَتلِ النِّسَاءِ والصِّبْيَان**» متفق عليه[٢].

وهذه مشكلة كبيرة تواجه المُجَاهدين في الحَرب الحديثة لأن رحى الحَرب يدور معظمه عَلى القذائف الثقيلة كالهاون والصواريخ والرشاشات الثقيلة وقد يتورع بعض المُجَاهدين لقلة علمه أن يطلق القذائف عَلى حصن فيه أطفال المشركين أو أسير مسلم، وتزداد القضية تعقيدا عندما نعلم أنه ما من مركز للشيوعيين إلا فيه جنود من الشعب الأفغاني قد أخذوا كرها (التَّجنيد الإجباري)، ويراهم الإخوة في المركز الشُّيُوعِيّ يصلون ويسمعون أذانهم وهَؤُلَاءِ أحيانا يكون عددهم كثير، وليس لهم حول ولا قوة لأَنَّهم أخذوا قسرا ووضعوا لحراسة المركز الشُّيُوعِيّة مع أن هَؤُلَاءِ المجندين إجباريا يكرهون الشُّيُوعِيّة فما الحكم في مثل هذه الحالات؟!

حالات اختلاط الشُّيُوعِيّين بأطفالهم:

أولاً: حرم الإِسْلَام قتل الأولاد إذا انفردوا أو أمكن تمييزهم وذلك للحديث «**نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَان**»[١] أما النِّسَاء فلا يقتلن إلا إذا قاتلن أو ارتددن بعد الإِسْلَام كالشُّيُوعِيّات في أفغانستان وهذا رأي الأئمة الثّلاثة وخالف الحنفية في قتل المرتدّة وقالوا تسجن ولا تقتل.

ثانياً: إذا أختلط أولاد (أطفال) المشركين مع المقاتلين منهم: هنا اختلف العُلَماء في إطلاق القذائف عَلى الحصن الّذي هم فيه عَلى أقوال:

١- قَالَ مالك الأوزاعي: لا يجوز قتل النِّسَاء والصبيان بحال حتَّى لو تترس أهل الحَرب بالنِّسَاء أو تحصنوا بحصن أو سفينة وجعلوا معهم النِّسَاء والصبيان لم يجز رميهم ولا تحريقهم.[٣]

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤)

(٢) رواه البخاري (٣٠١٤، ٣٠١٥) ومسلم (١٧٤٤).

(٣) أوجز المسالك (٨/ ٢٢٣).

٢- قَالَ جمهور الشّافعية والحنفية والحنبلية يجوز رميهم ولكن لا نقصد قتل الصبيان فإن قتل الصبيان والنِّسَاء فلا بأس به ولا حرج وقد استدل الجمهور بحديث الصعب بن جثامة: **مَرَّ النَّبيّ ﷺ بِالأَبْوَاء أَوْ بِوَدَّان فَسُئِلَ عَنْ أَهْلِ الدَّارِ يُبَيَّتُونَ مِنَ المشْرِكِين فَيُصِيبُونَ مِن نِسَائِهِم وذَرَارِيّهِم؟، فَقَالَ: «هُمْ مِنهُم»**[١].

ومعنى البيات الهجوم ليلا بحيث لا يميز بين الصَّبيّ والرّجل، ومعنى «هُم منهُم»: أي حكمهم كحكمهم، قَالَ النووي في شرح مسلم ١٢/ ٤٩: (والمراد إذا لم يتعمد من غير ضرورة، وأما الحديث السابق في النهي عن قتل النِّسَاء والصبيان فالمراد به إذا تميزوا، وهذا الحديث ذكرناه في جواز بياتهم وقتل النِّسَاء والصبيان والبيات هو مذهبنا ومذهب أبي حنيفة والجمهور) وعلى مثل هذا نصّ النّوويّ في المنهاج[٢]..

ومما احتج به المالكية قولهم حديث الصعب بن جثامة منسوخ بدليل قول الزهري بعد أن روى الحديث ثمّ نهى الرَّسُول ﷺ عن قتل النِّسَاء والصبيان، وكذلك يحتجوا المالكية بالحديث الّذي رواه مالك في الموطأ[٣] عن عبد الرَّحمٰن بن كعب أنه قَالَ: **«نَهَى رَسُولُ الله ﷺ الّذينَ قَتَلُوا ابنَ أَبي الحقَيْقِ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ، قَالَ فَكَانَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَقُولُ بَرَّحَتْ بِنَا امرَأةُ ابنِ أَبِي الحقَيْقِ فَأَرْفَعُ عَلَيْهَا السَّيْفَ ثُمّ أَذْكُرُ نَهْيَ رَسُولِ الله ﷺ فَأَكُفُّ ولَوْلَا ذَلكَ اسْتَرَحْنَا منها»** (أوجز المسالك ٨/ ٢٢٠).

فلو كانَ هنالك أية رخصة في قتل النِّسَاء لقتلها وكما قَالَ الصحابي (ولولا ذلك لاسترحنا) مع أنها اشتركت في الدّفاع ولو بالصياح فكانت حياة الصّحابة في خطر بسبب صياحها لأَنَّهم في داخل حصن لابن أبي الحقيق اليَهُوْدي.

والأرجح هو رأي الجمهور لأن الجمهور جمعوا بين الحديثين: النهي عن قتل النِّسَاء والصبيان، وحديث الصعب بن جثامة «هُمْ مِنهُم» فقالوا حديث صعب بن جثامة إذا لم يتميزوا، وحديث النهي عند التمييز، ولو أخذنا برأي الإِمَام مالك لانسد باب الجِهَاد في هذه الأيّام لأن معظم القِتَال بالرمي من

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٢٣٧٠، ٣٠١٢، ٣٠١٣) ومسلم (١٧٤٥).

(٢) انظر: (زاد المحتاج بشرح المنهاج ٤/ ٣٠٣)

(٣) موطأ مالك (١٢٩٠).

بعيد بالقذائف والرشاشات وغيرها، ويشهد لرأي الجمهور كذلك حديث مكحول «أن رسول الله ﷺ نصب المنجنيق عَلى أهلِ الطائف»(١)، رواه أبو داوود [في المراسيل]، والرَّسُول ﷺ وقد قذف الحجارة بالمنجنيق يعلم أن الحجارة قد تصيب الأطفال والنِّسَاء وحصار الطائف كانَ في أواخر حياة الرَّسُول ﷺ، أواخر سنة ٨ هجرية.

وبناء عَلى ما تقدم: **يجوز رمي الكفّار مع أطفالهم ونسائهم إذا لم يتميزوا، ولا يجوز قتل الأطفال والنِّسَاء إذا إنفروا، فإذا اشتركت النِّسَاء في القِتَال ولو رأيا ثمّ انفردن يقتلن.**

ثانياً: تترس الكفّار بالمُسلمين:

هنالك بعض المراكز الشُّيُوعِيّة فيها جنود مكرهون يصلون ويؤذنون في كلّ وقت، وقد رأى الإخوة في جاجي في القواعد الشُّيُوعِيّة القريبة عليهم، أناسا يصلون ويؤذنون وتحرجوا من قتالهم، فسألوني عن الحكم الشَّرعيّ في هذا فأقول وبالله التوفيق: لو امتنعنا عن الهجوم عَلى هذه المراكز لانسد باب الجِهَاد ولانتشر الكفر وعمت الفتنة واستراحت الشُّيُوعِيّة ورسخت أقدامها في أفغانستان، ولذا: يجب قتال هذه المراكز ولو قتل هَؤُلَاءِ المُسلِمُون المكرهون للأسباب التّالية:

١ – دفع الضرر العام بارتكاب الضرر الخاص وهذه قاعدة شرعيّة منفق عليها، فقتل هَؤُلَاءِ الجنود المُسلِمِين ضرر خاص وضياع البلاد ضرر عام يدفع بالضرر الخاص.

٢ – إن رسول الله ﷺ قَالَ: «يَغزُو هَذَا البَيت (الكَعبة) جَيشٌ مِنَ النَّاسِ، بَينا هُمْ بِبَيْدَاء مِنَ الأَرضِ إذْ خُسِفَ بِهِم، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله إنَّ فِيهِم المكرَه؟ فَقالَ: يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِم» رواه الشَّيْخان(٢).

---

(١) رواه أبو داود في المراسيل (٣٣٥-٣٣٦)، ورواه الترمذي مرسلا (٢٧٦٢) وقال الألباني : موضوع – الضعيفة (٢٨٨).

(٢) رواه البخاري: (٢١١٨)، ومسلم : (٢٨٨٢، ٢٨٨٤).

يقول ابن تَيمِيّة(١): (فَالله تَعَالَى أَهْلَكَ الجيشَ الّذي أَرَادَ أَنْ يَنْتَهِكَ حُرمَاتِه – المكرَه فِيهِم وَغَير المكرَه – مَعَ قُدرَتِه عَلى التَّميِيز بَيْنَهُمْ مَعَ أَنَّه يَبْعَثُهُمْ عَلى نِيَّاتِهِم، فَكَيفَ يَجِبُ عَلى الْمُؤمِنِينَ الْمُجَاهدينَ أَنْ يُمَيِّزُوا بَيْنَ المكرَه وَغَيره وَهُم لَا يَعلَمُونَ ذَلِكَ؟).

٣- إن ظاهر هَؤُلَاءِ ضدّ الْمُسلِمِين: فهم يقومون بحماية قواعد الشُّيُوعِيّين الّذين يفسدون البلاد ويهلكون العِبَاد وهذه القواعد لقطع الطرق عَلى الْمُجَاهدين المارين فقد يجرح بعضهم وقد يقتل بعضهم، فوقوفهم في صفِّ المشركين مع وجودِ السّلاح معهم يُبيحُ دَمهم، يقول محمّد بن حسن(٢): (وَكَذَلكَ يُبَاحُ قِتَال المسْلم في صَفِّ المشْرِكِين إنْ كَانَ عَلَيْهِ السِّلَاحُ، وَهُوَ فِي صَفِّ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُقَاتِلْ أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّ مَنْ كَانَ مُسْتَعِدًّا لِلْقِتَالِ فِي صَفِّ الْمُشْرِكِينَ فَهُوَ مُبَاحُ الدَّمِ وَإِنْ كَانَ يُسْتَحَبُّ التَّبَيُّنُ فِي أَمْرِهِ عِنْدَ التَّمَكُّنِ مِنْ ذَلِكَ).

والظَّاهِر حجة للمُجَاهدين بجواز قتال الْمُسلِمِين الّذين في صف الكفّار فقد روي: **أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَمَّا أَسَرَهُ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ بَدْرٍ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي كُنْت مُكْرَهًا، فَقَالَ: «أَمَّا ظَاهِرُك فَكَانَ عَلَيْنَا وَأَمَّا سَرِيرَتُك فَإِلَى الله»**(٣).

ويعقب ابن تَيمِيّة(٤) عَلى هذا الحديث بقوله: لو كانَ فيهم قوم صالحون من خيار النّاس ولم يمكن قتالهم إلا بقتل هَؤُلَاءِ لقتلوا أيضا.

وعندما تحرج الْمُسلِمُون من قتال التّتار لأنّ بعضهم يُصلون ويصومون، قَالَ ابن تَيمِيّة: (**إِذَا رَأَيْتُمُونِي بَينَهُم وَالمصحَف عَلى رَأسِي فَاقْتُلُونِي**).

---

(١) في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣٧).

(٢) في السّير الكبير فقرة (٢٧٩٩/ ١٤٤٦).

(٣) لَمْ أَجِد الْحَدِيثَ بِهَذَا اللَّفْظِ، وَلَكِنْ أَوْرَدَ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ (٣٣١٠) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما جاءَ فِيهِ أَنَّ أَبَا الْيُسْرِ بْنَ عَمْرٍو أَسَرَ الْعَبَّاسَ. .. وَفِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا عَبَّاسُ افْدِ نَفْسَكَ وَابْنَ أَخِيكَ»، وَقَالَ (الْعَبَّاسُ): إِنِّي كُنْتُ مُسْلِمًا قَبْلَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا اسْتَكْرَهُونِي، قَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِشَأْنِكَ، إِنْ يَكُ مَا تَدَّعِي حَقًّا فَاللهُ يَجْزِيكَ بِذَلِكَ، وَأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا، . . . الْحَدِيثَ»، قَالَ أَحْمَد شَاكِر رحمه الله: إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، وقال الأرنؤوط : حديث حسن وهذا إسناد ضعيف.

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٣٧).

٤ – إن عيش هَؤُلَاءِ الجنود المُسلِمِين بين الكافرين الّذين يحاربون الله ورسوله ويقطعون الطّريق عَلى المُجَاهدين بل يقتلون المُجَاهدين فلا أقل من أن ينطبق عليهم جزاء قاطع الطّريق: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة]

فهَؤُلَاءِ المُسلِمُون يعيشون مع الطَّائِفَة الممتنعة الّتي تقتل المُسلِمِين وتقطع طريقهم فحكمهم هو نفس حكم المشركين عند عدم القدرة عَلى التمييز.

ولقد قَالَ عَلي رضي الله عنه حين قاتل أهل البصرة بجيشه "لا تبدؤوهم بالقتال حتَّى يبدؤوكم" ومقصوده من هذا الاستدلال (أن ظهور القِتَال من بعضهم كظهوره من جماعتهم في حكم إباحة قتالهم)[١]، مع أن أهل البصرة كلهم مسلمون.

٥ – أجمع الفقهاء عَلى أن جيش الكفّار إذا تترسوا بمن عندهم من أسرى المُسلِمِين وخيف عَلى المُسلِمِين الضرر إذا لم يقاتلوا فإنهم يقاتلون وإن أفضى ذلك إلى قتل المُسلِمِين الّذين تترسوا بهم.

ووجود هذه المركز ضرر متحقق متعين لا شبهة فيه ولا مرية، فوجودها من أجل قطع دابر الجِهَاد وإبقاء الكفّار في البلاد.

أ– جاء في حاشية الدسوقي المالكي (٢/ ١٧٨): (وإنْ تَتَرَّسُوا بمسلمٍ قوتِلُوا وَلم يَقصُدوا التّرس بالرَّمي إنْ خِفْنَا عَلى أَنفسنَا لأنَّ دمَ المسلمِ يُبَاحُ بالخوفِ عَلى النّفسِ وإنْ لمْ يخف عَلى أكثرِ المُسلِمِينَ فإنْ خِيفَ سَقَطَ حُرمَةُ التّرسِ وجَازَ رَميُه).

ب– يقول النووي في المنهاج: (ويجوزُ حصارُ الكفّارِ في البلادِ والقلاعِ وإرسالِ الماءِ عليهِم ورَميهم بنارٍ ومنجنيق وتبييتهم في غفلة فإن كانَ منهُم مسلمٌ أسيرٌ أوْ تاجرٌ ولَوْ التَحمُوا حَرباً فَتَتَّرسُوا بِنِسَاءٍ وصِبيان جازَ رَميُهُم وإنْ دَفعُوا بِهِم عَنْ نَفْسِهِم وَلَمْ تَدْعُ ضَرُورَةٌ إلى رَميهِم فَالأَظهَرُ تَركهم، وإنْ تَتَّرسُوا بالمُسلِمين فَإن لم تَدْعُ ضَرُورةٌ إلى رَميهِم تَرَكنَاهُم وإلَّا جازَ رَميهم عَلى الأَصحّ)[٢].

---

(١) شرح السّير الكبير لمحمّد بن الحسن الحنفي (٢٧٩٨/ ١٤٤٦)

(٢) زاد المحتاج: (٤/ ٣٠٢).

ج- جاء في شرح السّير الكبير[١]:ولو حرقوا سفينة من سفائن المشركين أو أغرقوها وفيها ناس من المُسلِمِين فليس عَلى المُسلِمِين دية ولا كفارة لأَنّهم باشروا فعلا هو حلال لهم شَرعاً مع العلم بحقيقة الأمر.

أما إذا نخشى اضرر عَلى المُجَاهدين في حالة التترس بأسرى المُسلِمِين فهل يجوز رميهم هنا اختلف الفقهاء الأربعة، فقد أباحه الحنفية ومنعه الثّلاثة، جاء في فتح القدير[٢] لابن الهمام الحنفي: **(لَوْ تَتَرَّسُوا بِأُسَارَى الْمُسْلِمِينَ وَصِبْيَانِهِمْ سَوَاءٌ عَلِمَ أَنَّهُمْ إنْ كَفُّوا عَنْ رَمْيِهِمْ انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا ذَلِكَ إلَّا أَنَّهُ لَا يُقْصَدُ بِرَمْيِهِمْ إلَّا الْكُفَّارُ، فَإِنْ أُصِيبَ أَحَدٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَلَا دِيَةَ وَلَا كَفَّارَةَ)**.

وعند الأئمة الثّلاثة لا يجوز رميهم في صورة التترس إلا إذا كانَ في الكف عن رميهم في هذه الحالة انهزام المُسلِمِين، وهو قول الحسن بن زياد.

وفتوى الفقهاء الثّلاثة مبنية عَلى حالة أن الجِهَاد فرض كفاية حيث يفتح المُسلِمُون بلادا جديدة، أما في مثل حالة أفغانستان حيث اغتصبت بلاد المُسلِمِين ويتعرض دينهم للزوال ويضعون هَؤُلَاءِ الجنود المُسلِمِين لحماية الكفّار ولاستمرار الاغتصاب وانتهاك الأعراض فلا أظن أن أحدا من الفقهاء يفتي بعدم جواز قتالهم.

يجب أن نتحرز في نياتنا عن قتل المُسلِمِين:

يجب أن ننوي قتال المشركين وعدم قتل المُسلِمِين، وإن كنا لا نستطيع التمييز بينهم في قتالنا، أما في النِّيَّة فهي مما وسعنا وأمكننا.

ولا دية ولا كفارة عَلى من يقتل من المُسلِمِين في صف المشركين:

يقول المرغيناني في الهداية: (وَإِنَّ تَتَرَّسُوا بِصِبْيَانِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ بِالْأُسَارَى لَمْ يَكُفُّوا عَنْ رَمْيِهِمْ) لِمَا بَيَّنَّاهُ (وَيَقْصِدُونَ بِالرَّمْيِ الْكُفَّارَ) لِأَنَّهُ إنْ تَعَذَّرَ التَّمْيِيزُ فِعْلًا فَلَقَدْ أُمْكِنَ قَصْدًا، وَالطَّاعَةُ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ، وَمَا أَصَابُوهُ مِنْهُمْ لَا دِيَةَ عَلَيْهِمْ وَلَا كَفَّارَةَ لِأَنَّ الْجِهَادَ فَرْضٌ وَالْغَرَامَاتُ لَا تُقْرَنُ بِالْفُرُوضِ)[٣].

---

(١) السير الكبير: (فقرة ٢٨٠٠ ج٤/ ١٤٤٦).

(٢) فتح القدير للكمال ابن الهمام: (٥/ ٤٤٧).

(٣) فتح القدير لابن الهمام: (٥/ ١٩٨).

وقال الحسن بن زياد: قتل المسلم فيه الدية والكفارة، وعند الشّافعية في الكفارة قول واحد وفي الدية قولان.

٦- ومما يستدل به عَلى جواز القِتَال في حالة وجود المُسلِمِين معهم ما رواه البُخَارِيّ(١) عن عكرمة قَالَ: **أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله، يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ، فَيَقْتُلُهُ - أَوْ يُضْرَبُ فَيُقْتَلُ-» فَأَنْزَلَ الله:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء]

فهذا حكم المستضعفين من المُؤمِنِين في مكّة الّذين لم يهاجروا حفاظا عَلى أموالهم وقتلوا في بدر، فما حكم المستضعفين من الأفغان الّذين يكثرون سواد الأفغان الشُّيُوعِيّين المرتدّين؟ إن حكمهم أشد وعقابهم أنكى والله أعلم.

٧- إن قتال هَؤُلَاءِ المشركين الّذين معهم مسلمون هو دفع للصائل، ودفع الصّائل المسلم واجب – فرض عند جمهور الفقهاء – وجائز عند بعضهم، ولم يقل أحد من من المُسلِمِين بكراهية أو حرمة دفع الصّائل ولو كانَ من خيار المُسلِمِين.

٨- إن مصلحة حفظ الدّين مقدمة عَلى مصلحة حفظ النّفس، وقتل هَؤُلَاءِ المُسلِمِين في صف المشركين فيه مصلحة حفظ الدّين وإن كانَ فيه ذهاب مصلحة حفظ النّفس.

ويقول ابن تيمِيّة(٢): (**والسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ مُتَّفِقَيْنِ عَلَى أَنَّ الصَّائِلَ الْمُسْلِمَ إذَا لَمْ يَنْدَفِعْ صَوْلُهُ إلَّا بِالْقَتْلِ قُتِلَ وَإِنْ كَانَ الْمَالُ الَّذِي يَأْخُذُهُ قِيرَاطًا مِنْ دِينَارٍ كما قَالَ رسول الله ﷺ في الحديث الصَّحِيح: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ حَرَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» فكيفَ بِقتالِ هَؤُلَاءِ المشْركيَن الّذينَ مَعَهُم مُسلِمُون يَصُولونَ عَلى الدّينِ والعرضِ والنّفسِ والمالِ، فَهوَ لَا شَّكَّ وَلَا رَيبَ أَولَى وَأَوجَب**)، فلو كانَ جميع ما في القَاعِدَة مسلمون وجب قتالهم إذا لم ينسحبوا بأنفسهم، لأَنّهم صائلون عَلى أرض المُسلِمِين ودينهم،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤٥٩٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٤٠)

خُلاصة الأمر:

المُسلِمُون الّذين يختلطون بالجيش الكافر إذا استطعنا تمييزهم وعلمنا أنهم مكرهون فلا يجوز قتالهم. أما إذا فتحنا قلعة ووجدنا فيها جنودا مُسلِمِين بعد أن نقدر عليهم، فإن كانوا قد قتلوا مسلما فإنهم يقتلون قصاصا.

(أَمَّا إِذَا اخْتَلَطُوا بِالمشْرِكِين وَلَمَ نَسْتَطِعْ تَمييزَهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ الْمُكْرَهَ وَلَا نَقْدِرُ عَلَى التَّمْيِيزِ، فَإِذَا قَتَلْنَاهُمْ بِأَمْرِ الله كُنَّا فِي ذَلِكَ مَأْجُورِينَ وَمَعْذُورِينَ وَكَانُوا هُمْ عَلَى نِيَّاتِهِمْ فَمَنْ كَانَ مُكْرَهًا لَا يَسْتَطِيعُ الِامْتِنَاعَ فَإِنَّهُ يُحْشَرُ عَلَى نِيَّتِهِ)[(١)]. [(٢)]

{ وهنا أقول: بأني أريد أن ألفت النَّظر لمسألة هامة جدا متعلقة بهذه المسألة وهي:

لفتة هامة في مسألة تترس الكفّار بالمُسلِمين:

أقول والله المُستَعان:

كما نرى فإن كلّ كلام العُلَماء السابق في مسألة التترس بالمُسلِمين منصرف إلى إحدى حالتين:

الأولى: أن يأخذ الكفّار بعض المُسلِمِين من الأسرى، أو المحتجزين ويضعونهم معهم كي لا يضربهم المُجَاهدون المُسلِمُون تورعا عن قتل إخوانهم، وقد رأينا أن الخلاصة في ذلك هيَ ترجيح إباحة ضربهم وإن أدى ذلك لقتل المُسلِمِين المحتجزين إذا خيف عَلى المُسلِمِين أن ينهزموا إذا لم يفعلوا ذلك، أو كانَ الضرر المترتب عَلى عدم ضربهم أكبر من ضرر قتل بعض المُسلِمِين الأسرى والمحتجزين، ومع ذلك فقد تشدد بعض الفقهاء في المسألة ومنع قتل المُسلِمِين، لما لمسألة حفظ دم المسلم من القداسة والمكانة.

الثّانية: مسألة المكرهين عَلى الخروج للقتال في صف الكفّار (كالمجندين إجباريا من المُسلِمِين في جيش الكفّار) وقد مر الحكم بإباحة قتلهم إن لم يمكن تمييزهم، وأن الله لا يظلمهم – حاشاه تبارك وتعالى – وأنهم يبعثون عَلى نياتهم.

---

(١) الفتاوى (٢٨/ ٥٤٧)

(٢) الذخائر: (١٠٢٢ – ١٠٢٦).

ولكن هناك أحوال جديدة طرأت هذه الأيّام، طرحت مسألة في غاية الدقة والصعوبة والحساسية. وهي أن قوّات المحتلين الغُزَاة قد دخلت بلادنا بما لا طاقة للمُجَاهدين في مقابلتهم بشكل مكشوف في صفين متقابلين متمايزين – كما هو الحال في العراق وأفغانستان وفلسطين وكشمير والشِّيشَان وسواها، وتعددت أشكال تواجدهم العسكريّة والأمنيّة والمدنيّة المختلفة الصُّور بين الأهالي من المُسلِمِين داخل المدن والتَّجَمُّعات السّكّانية، وأصبح أسلوب حرب العِصَابات والكر والفر هو الأساس في مواجهتهم، وشاع أسلوب استخدام المتفجرات من قبل المُجَاهدين سواء بالتفجير عن بعد أو بالعمليَّات الاستشهادية أو غيرها من أساليب استخدام المتفجرات، كذلك الأمر في تواجد المرتدّين من الطواغيت الموالين لأعداء الله الغُزَاة المحاربين لله ورسوله المُسلِمِين، واختلاطهم واختلاط عساكرهم وقوّات أمنهم وحراسهم وحراس حلفائهم الكفّار بالمُسلِمين، وانتشارهم بين التَّجَمُّعات السكنية وحركتهم في أسواق المُسلِمِين ومناطق تواجدهم، بحيث صار يُؤَدِّي استهداف أعداء الله أولئك بأساليب التفجير المختلفة، إلى وقوع الكثير من الضحايا من المُسلِمِين الأبرياء قتلا وجرحا، وتدمير بيوتهم وممتلكاتهم وأموالهم.

وقد شاع في بعض بيانات المُجَاهدين قياس هذه الأحوال عَلى حكم الترس، وجواز قتل المُسلِمِين الّذين تترس بهم الأَعدَاء في الحَرب، وأظن أن لا علاقة واضحة مباشرة لمسألة الترس بكثير من هذه الحالات، كما أعتقد أن استسهال المسألة بهذا الشّكل وإطلاقها عَلى عواهنها بغير تدقيق ولا تفصيل ولا ضوابط ولا شروط، لا يخلو من الخلل الّذي قد يجعل بعض المُجَاهدين يتحملون وزر سفك دماء بريئة مسلمة، وتدمير أموال واستباحة حرمات معصومة للمسلمين لا تحل – والله أعلم – بهذه الصُّورة المطلقة، الّتي لا يبررها اعتماد مسالة حكم تترس الكافر بالمسلم في الحَرب، وألفت النَّظر إلى عدد من النقاط عَلى سبيل التنبيه:

(١) – أنا لا أقول بوقف قتال الكفّار الغُزَاة أو أوليائهم ومعاونيهم من الطواغيت المحاربين لله ورسوله والمُؤمِنِين، إذا اختلطوا بالمُسلِمين كليا، لأن هذا يُؤَدِّي إلى تمكنهم في بلادنا وبالتالي إفساد دين المُسلِمِين ودنياهم وهو ما يريده أعداء الله، ومعاذ الله أن أدعو إلى ذلك.

(٢) – يجب عَلى المُجَاهدين أن يجهدوا أنفسهم في دراسة تبعات كلّ عمليَّة شَرعاً وسياسة كما يجهدون أنفسهم في دراستها عسكريّاً وأمنيّاً، ومن أهمّ ذلك ما نحن بصدده، وهو مسألة من سيُقتل من

المُسلِمِين بتفجيرات المُجَاهدين، ووجوب توخي تحاشيهم بكل وسيلة، وحساب مردود العمليّة وأهميتها، ونسبة ما يصاب من المُسلِمِين خطأ بغير قصد، إلى النكاية المتوقعة الحاصلة في الكفّار، وأثرها فيهم، فقد وجدنا في بعض العمليَّات، قنابل توضع في سوق مزدحم للمسلمين، تقصد قتل بضعة أفراد من دورية عسكريّة للكفار، أو سيارة مفخخة عَلى باب قنصلية أمريكية، من خارج السور الّذي يسيج حديقة، وراءها مكاتب أكثر من فيها ليسوا أمريكان، حيث لا يحتمل في مثل هذه العمليّة عاقل أن يصاب أمريكي واحد ! فيقتل أو يجرح العدد القليل من الأَعدَاء المستهدفين، وقد لا يصابون، في حين يصاب العشرات من المُسلِمِين بمن فيهم من الأطفال والنِّسَاء والأبرياء قتلا وجرحا ودمارا للأموال !! وهي نتيجة معروفة لكل عاقل، بحساب بسيط ودراسة للمكان واحتمالات من سيتواجد فيه من المُسلِمِين، وأعتقد أن هذا لا يجوز.

فهناك فرق كبير يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار بين استخدام المتفجرات في بلاد الكفّار وعواصمهم مثل تل أبيب وواشنطن ولندن، واستخدامها في عواصم بلاد المُسلِمِين وديارهم.

وقد مرت معنا فقرة بطولها بعنوان حرمة دم المسلم وعصمته وماله وعرضه، في الصفحات السَّابقة، ومنها قوله ﷺ في الحديث الّذي رواه مسلم في صحيحه: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»(١).

فضرب الفاجر والكافر لا يبرر عدم تحاشي المؤمن وصاحب الذمة والعهد الصَّحِيح شرعا، وكذلك ما روي عنه ﷺ في الحديث الّذي أخرجه البيهقي(٢) من حديث البَرَاء بن عازب: «لزوال الدُّنيا وما فيها أهون عند الله من قتلِ مؤمنٍ»، «ولو أن أهل سماواته وأرضه اشتركوا في دم مؤمن لأدخلهم الله

---

(١) رواه مسلم : (١٨٤٨).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٩٥٨) ولفظه «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ سَفْكِ دَمِ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ» وأخرجه ابن ماجة (٢٦١٩) وحسنه لغيره الأرنؤوط.

تَعَالَى النار»[١]، وقوله يخاطب الكعبة المشرفة ينظر إليها: «إن لك عند الله لشأنا ولزوالك أهون عند الله من قتل امرئ مسلم»، أو كما قَالَ ﷺ.

فهل مظنة زوال بعض العلوج من الكفّار أو أعوانهم الّذين لا قيمة لهم ولا يغيرون شيئا في مسار المَعْرَكة طويلة المدى الّتي نخوضها، يبرر زوال عشرات النفوس المؤمنة عَلى وجه التأكيد أو الظن الراجح؟! أعتقد أن هذا القصد والنِّيَّة، لا تبرر مثل هذا العمل في كلّ تلك الحالات.

وقد مر معنا الكثير من النّصوص القرآنية والنبوية الشريفة في التغليظ في حرمة النّفس المسلمة، ما فيه الكفاية لكي يتأملها المُجَاهدون في سبيل الله ويدققوا في أعمالهم.

(٣)- قد يظن بعض المُجَاهدين أن مجرد نيته بأنه يقصد قتل الكفّار، ولا يقصد من سيقتل من المُسلِمِين كافية في استحلال كلّ تلك الأعمال، وأعتقد أن صلاح النِّيَّة والقصد وحده غير كاف، لأن الله لا يقبل من العبد إلا ما كانَ خالصا لوجهه وكان صوابا، والصواب هو متابعة الكتاب والسنة كما شرحه العُلَماء، ومن ذلك ولا شَّكَّ تحاشي سفك دماء المُؤمِنِين والمعصومين شَرعاً في القِتَال ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

(٤) – إذا كانَ الهدف الّذي يقصده المُجَاهدون يحدث من النكاية المؤكدة في الأَعدَاء (بحسب غلبة الظن) ما يساهم في هزيمة العدوّ ونصر المُسلِمِين كانَ يكون رأسا مهما من رؤوس الأَعدَاء، أو يوقع خسارة فادحة مؤثرة في صفوف الكفّار، وبذل المُجَاهدون كلّ وسعهم في إبعاد المُسلِمِين عن مكان الحدث، وتحاشيهم، واختيار الأوقات الّتي يندر فيها تواجدهم...إلى آخر ما استطاعوه من الإحتياطات، ثمّ حصل قدر بغير قصد سبب إصابة بعض المُسلِمِين بغير قصد مع التحاشي، فإني أرجو أن يغفر الله لهم ذلك لبذلهم الوسع ولصحة نيتهم وقصدهم.

(٥) – سمعت من بعض المُجَاهدين أثناء نقاش هذه المسألة النازلة، ما يوحي باستهانتهم بما يقع من خسائر في صفوف عوام المُسلِمِين، كقولهم، إن أكثر هَؤُلَاءِ المصابين من المُسلِمِين من الفساق، أو

---

(١) رواه الترمذي (١٣٩٨) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة، وصححه الألباني ولفظه: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ اللهُ فِي النَّارِ».

القاعدين الّذين لا يجاهدون، أو أنهم من المبتدعة الّذين فسدت كثير من عقائدهم، إلى آخر ما قد يصح أو لا يصح من الأوصاف. ولكن هذا الكلام بَاطِل، فكون أن الأصل فيهم الإِسْلَام يعصمهم، ويوجب تحاشيهم، وما قَالَ أحد ممن يعتد به من أهل الإِسْلَام باستباحة دماء أمثال هَؤُلَاءِ، فلا يحل دم مسلم إلا بما هو معلوم من الأحكام، ولكني رأيت في بعض الحالات، أن الحالة النّفسية الّتي قد يصل إليها بعض المُجَاهدين من ضغوط أعداء الله من جهة، وإعراض العامّة عن نصرة دين الله من جهة أُخرى، وما قد يتلبسون به من الأحوال الفاسدة، سبب لدى البعض في الاستهانة بمسألة التحاشي الحقيقي، وهذا خطير ولا يجوز.

(٦) – أخيرا أنصح كلّ تنظيم أو سرية من المُجَاهدين، أن يكون لهم مرجعا شرعيا يعرضون عليه ما التبس من أمور في هذه الطامات النازلة، رغم علمي بندرة من يمكن الوثوق بعلمه أو استعداده لنصرة المُجَاهدين بعلمه إن توفر في هذا الزّمان، وإلى الله نشتكي مما اشتكى منه عمر ﷺ، من جرأة الفاجر وعجز الثقة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم }.

- حكم السكن في ديار المشركين:

قَالَ الشَّيْخ عبدالله عزام رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

[يحرم السكن في بلاد المشركين إلا للضرورة القصوى، ففي الحديث الحسن الّذي رواه أبو داوود عن سمرة مرفوعا «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ»[١] وفي الحديث الحسن الّذي رواه النسائي: «لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا، أَوْ يُفَارِقُ الْمُشْرِكِينَ»[٢]

ومدار الحكم عَلَى علة حفظ الدّين والعرض والمال، وحيثما وجد مكان أحوط لسلامة دينه وعرضه فيجب عليه أن يختاره سكنا.

يقول صاحب المعيار (في الفقه المالكي) عن السكن في ديار الكفر: (فهو تحريم مقطوع به من الدّين، كتحريم الدَّم ولحم الخنزير وقتل النّفس بغير الحقّ وأمثاله من الكليات الخمسة الّتي اتفق أهل الملل

---

(١) رواه أبو داود (٢٧٨٧) وضعفه إسناده الأرنؤوط، وصحح الحديثَ الألباني.

(٢) رواه النسائي (٢٤٣٦) وابن ماجة (٢٥٣٦) وأحمد (٢٠٠١١، ٢٠٠٣٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

والأديان عَلى تحريمها)، (وقال القرطبي: **وعلى هذا فلا يجوز لمسلم دخول دار الكفر لتجارة أو غيرها إلا لضرورة في الدّين، كالداخل لفداء المسلم، وقد أبطل الإِمَام مالك شهادة من دخل دار الحَرب للتجارة)**، والتكليف بحسب الإمكان والضَّرورة تقدر بقدرها، والحَمْدُ لله ربّ العَالِمِيّن].أهـ.(١)

{ وأقول والله المُستَعان:

إن تحريم السكن في ديار الكفّار والمشركين هو حكم عام متفق عليه بين علماء الإِسْلَام وجميع مذاهبهم لما يحتوي عليه من الفتنة في الدّين، وتشرب عادات المشركين، والإلفة معهم الّتي تؤدي مع الوقت للود الّذي حرمه الله معهم، واختلاط الذرية الناشئة بينهم بأطفالهم وتعلم عوائدهم الخبيثة الفاسدة الكثيرة، ناهيك عن البعد عن عادات الإِسْلَام وأعراف المُؤمِنِين وعدم وجود المساجد وما يذكَّر بالله ومن يأمر بالمعروف وينهى عن المُنكر، ناهيك عن محاولة الكفّار أذية المُسلِمِين والعدوان عليهم وفتنتهم في دينهم...وقد قدر الله لي اضطرارا أن أعيش في البلاد الأوربية ردحا طويلا من الزَّمن:

خلال الأعوام (١٩٨٣-١٩٩٧)، بسبب الأحوال الأمنيّة الّتي ألزمت أمثالي بالهِجرَة والفرار من أنظمة حكم الطواغيت، فسكنت في تلك البلاد ودرست فيها وعملت في مختلف ميادين الحياة من التجارة، إلى العمل الصحفي..وغير ذلك، وقدر لي أن أقيم زهاء ثلاث سنين في فرنسا، ونحو ثمان سنين في أسبانيا، وما يزيد عَلى ثلاث سنين في بَرِيطَانيَا، وزرت بلاد أوربية عديدة مثل ألمانيا والدّول الإسكندنافية وإيطاليا وبلجيكا وهولندا وغيرها، وعملت في أوساط الصّحوة الإِسْلَاميّة المتعددة فيها، **وخلصت عمليا من خلال ما رأيت إلى أن نهي رسول الله ﷺ للمسلمين عن أن يقيموا في بلاد الكفّار والمشركين، هو في الحقيقة من معجزات النبوة، لما رأيت من الأحداث والمشاهد وأحال المُسلِمِين برهم وفاجرهم، مؤمنهم وفاسقهم وكافرهم..وحتى من ينسبون أنفسهم إلى العمل في الصّحوة الإِسْلَاميّة، وحتى من لحق بأوربّا من الجهاديّين !**

فقد أثرت به تلك البلاد فيهم وفي ذراريهم جميعا ودون أي استثناء، وإنما الإختلاف في درجات التّأثير والفساد من الفسوق المتدرج، وصول إلى الرِّدَّة الجامحة والعياذ بالله.

---

(١) الذخائر (ج١/ ١٠٢٢).

ولا يتسع المقام هنا لتسجيل خُلاصة ما رأيت وسمعت به من أحوال تدمي القلب وتقطع الفؤاد حزنا عَلى أحوال المُسلِمِين ودينهم وعاداتهم وما حلّ بهم هناك، ولعلي إن سنحت لي الفرصة، أن أسجل ذلك في رسالة خاصّة، فالأكثرية السَّاحقَة من الّذين يسمون (مُسلِمِين) في بلاد الكفر، والبالغ عددهم عشرات الملايين في أوربّا وحدها (قيل أكثر من ٤٥ مليون (مسلم!)، ومثل ذلك في أمريكا وكندا وأستراليا وغيرها من بلاد الدُّنيَا شرقا وغربا، لا يقيمون الصّلاة ولا يؤتون الزّكاة، ولا يؤدون أكثر شعائر الإِسْلَام، لم يبق لهم من دين آبائهم إلا نتفا من العادات والتقاليد تذوب مع الوقت في أبنائهم وأحفادهم، فنساؤهم وبناتهم سافرات يخالطون الرّجال من المُسلِمِين والكافرين ويدرسون في مدارسهم ويعملون بينهم، وشبابهم فساق أكثرهم يشرب الخمر وكثير منهم يأكل الخنزير، وقد فشا فيهم الزنا والفجور، وحتى في كثير من نسائهم، وأدت كثرة الزواج بالكافرات (وأكثرهن ملحدات يجوز نكاحهن أصلا لأنهن لسن من أهل الكتاب لا دين لهن كأكثر شباب الغرب اليَوْم وهم يجاهرون ويفخرون بذلك)، وأدت هذه الزيجات إلى ولادة ذرية لا تعرف لغة آبائها العَرَب أو المُسلِمِين، وتعيش عَلى طريقة الأمهات ! بل لقد فشا مؤخرا زواج بنات المُسلِمِين بالكافرين، زواجا مدنيا وقد وجد من بعض الضالين من علماء السوء المستغربين من أحل بعض صور من ذلك الزواج المحرم، هذا ناهيك عما تعارفت عليه تلك الأوساط الغربيّة من طرق متعددة للزواج غير الشَّرعيّ من صور السفاح المختلفة وأشكال الزنا والتحلل، حتَّى أن كثيرا من بنات المُسلِمِين يعاشرن الرّجال والأصدقاء بمعرفة الآباء لا يستطيعون مجرد الإنكار عليهن، حتَّى لا يغادرن البيت! فضلا عن بنات (المُسلِمِين !) اللواتي احترفن الدعارة الرخيصة كما في دول وسط أوربّا! أما عما دون ذلك من العادات الأوربية، والأعياد والمناسبات، وطريقة العيش من طعام وشراب ولباس، فلا يمكن ن تجد فرقا بين الكفّار وهَؤُلَاءِ الّذين إذا سألتهم عن دينهم، أجابوك بحماس أنهم (مُسلِمِين !!)، وهذه حال الأكثرية السَّاحقَة، وقد حاولت أن أتخيل عدد المصلين في بعض البلاد الّتي عشت فيها، من خلال مجموع من يصلي الجمعة (وأكثرهم لا يصلي الأوقات الخمسة)، فوجدت أنها نسبة صغيرة من مجموع تعداد الجاليات الإِسْلَاميّة، وربما لا أخطئ لو قلت أن نسبة من يصلي الجمعة لا تزيد عَلى ١٪ أو ٢٪ من المجموع عَلى أحسن تقدير !

أما عن أوساط الملتزمين ورواد المساجد والمراكز الإِسْلَاميّة، فيمكن معرفة أفكارهم وأحوالهم من خلال متابعة بعض بَرَامج الفضائِيَّات الّتي تعنى بأخبارهم مثل (قناة **إقرأ**) وغيرها، وخلاصة ما وجدته، أن القوم قد أوجدوا لأنفسهم دينا أوربيا أمريكيا بدعوى الضَّرورات والرخص والاعتدال، وتأليف القلوب، والترفق بالمُسلِمين لدعوتهم، وأستطيع الشَّهَادة – عن علم – بكل بساطة أن ما تبقى في دينهم الإِسْلَاميّ الغربيّ الجَدِيد من دين محمّد ﷺ هو كم متواضع من الأصول العقدية وبعض العِبَادات والعادات..وأكثر نشاط تلك المراكز والمساجد محصور في توفير اللحم (الحلال)، وترتيب صلاة الجمعة، وعقود الزواج الشَّرعيّ، وأمور الموتى والجنائز، وعقد المحاضرات، وبعض الحفلات والمواسم الّتي وجدت لها طرقا إسلاميّة غربية تتناسب ودعاوى الإعتدال والوسطية وعدم التشدد ! لهذه الأقلية المتمسكة بدينها في تلك الجاليات الّتي ارتد – عمليا وواقعيا – أكثر أبنائها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وقد فشا في أوساط من يسمونهم (مفكرين إسلاميين !!)، وبعض من ينسبون إلى العُلَماء في الغرب، أفكار شوهاء مارقة، للتقارب بين الأديان، والتسامح الدّيني، وحوار الحضارات، والحوار الإِسْلَاميّ المسيحي، وما يسمونه حوار الآخر !! ونفي تهمة الإِرهَاب عن الدّين، فقد فشت أفكار وفتاوى (إسلاميّة) في غاية الزندقة والانحراف تحتاج بحثا مفردا لاستقصائها والرد عليها، وكمثال واحد عن هذه الغرائب ما سمعته من بعض من يسمونهم مفكرين مُسلِمِين، من أصحاب اللحى المنتوفة، أو المحلوجة، والقبة البيضاء والـ (كرافيتة) وهي ربطة العنة أو (رسنُ الحضارة !) كما أسماها أحد شيوخنا، فقد قالوا: أن خروج الشّمس من مغربها قبل قيام السَّاعة، معناه إسلام الأوربيين والأمريكان من أهل الغرب، وهو ظهور شمس الإِسْلَام في مغربها ! حيث سيحمل الأمريكان والغرب دعوة الإِسْلَام ويأتوننا لبلادنا فاتحين بالإِسْلَام (الّذي أشرق في الغرب) ! لأَنّهم يمتلكون القوّة العسكريّة، وسيمتلكون راية الإِسْلَام ! وذلك مثلما حصل من التّتار الّذين جاؤونا فاتحين ثمّ أسلموا، وعاد (تيمورلنك) وأحفاده من التّتار المُسلِمِين ففتحوا بلادنا وغيرها بالإِسْلَام !

ولك أن تتخيل كم في هذا التكلُّف المجوج من الشطط والتفاهة، والإعراض عن صريح تفاصيل الأحاديث النّبويّة وشروحها، وشواهدها الحسية المفصلة في الأحاديث الصَّحِيحة، ناهيك عن ما تدل

عليه هذه الآراء من الجهل بالتّاريخ وبأحوال كفر أولئك التّتار – الّذين يستشهدون بهم – بعد زعمهم الإِسْلَام وإفسادهم في الأرض وجِهَاد أجدادنا المُسلِمِين لهم.

ولكن هذا هو حال العقول إذا انتكست، وخرَّت وخسف بها من رؤوس أصحابها، لتهذر بهذه التخريفات، أما التمحكات السّياسيّة اليَوْم فحدث عنها ولا حرج، من الدّعوة للاندماج في المجتمعات الغربيّة، ودخول أحزابها السّياسيّة، وتشكيل اللوبيات الضاغطة عَلى الحُكُومَات، والانسجام مع العادات الاجتماعيَّة السائدة..وغير ذلك من الطامات الشَّرعيَّة.

وباستثناء قلة قليلة جدا من الإِسْلَاميّين والجِهَاد يين الفارين بدينهم من بلادهم واضطرارهم للاحتماء باللجوء السّياسيّ في بعض دول الغرب، وهم قلة نادرة تعيش الغُربة المكعبة – صبرهم الله – غربة الدّين والأوطان، وغربة بين الكفّار، وغربة بين أولئك المُسلِمِين ممن ذكرنا حالهم، حيث تنظر أكثر تلك الأوساط الإِسْلَاميّة بمن فيهم الأئمة والمراكز الإِسْلَاميّة لهَؤُلَاءِ الشَّبَاب نظرة الشبهة، والتوجف والمخالفة في السُّلُوك والمعتقد، حتَّى أن بعضهم يطردهم من المساجد ويمنعهم من دخولها خشية انتشار عدوى صلاحهم إلى فساد الفاسدين والقاعدين، فباستثناء هَؤُلَاءِ القلة النادرة فأحوال الحاليات هيَ ما ذكرت لمحة عنه.

ولدي قصص وشواهد كثيرة من الغرائب والعجائب والحكايات المؤلمة الّتي رأيتها بنفسي، فضلا عما سمعته من الثقاة عن أحوال المُسلِمِين وطرق عيشهم، ودين أئمة مساجدهم ومدراء مراكزهم (الإِسْلَاميّة!)، ولا يتسع لها المقام هنا وأترك ذكرها لرسالة متعلقة بهذا الموضوع الهام إن يسر الله ذلك.

ولكن ومنذ انطلقت الحملات الصّليبيّة المعاصرة، منذُ ١٩٩٠، وانطلق معها ما سمي الحَرب العَالَمِيّة عَلى الإرهَاب، أخذت أحوال المُسلِمِين في الغرب تأخذ بعدا آخر، بلغ اليَوْم أوجه بعد أحداث سِبتَمبر ٢٠٠١، وبعد احتلال العراق، وإعلان أمريكا وحلفاءها مشاريعهم في الشّرق الأوسط الكبير! وانطلاق حملاتهم الصّليبيّة صراحة.

فقد بدأت موجة من الممارسات والحملات العنصرية ضدّ المُسلِمِين تتفشى في أوساط الشّعوب الغربيّة في أوربّا وأمريكا وغيرها..وتجلى ذلك في العدوان عَلى المساجد، والمراكز الإِسْلَاميّة بالحرق والنسف بالقنابل، وبالعدوان عَلى المُسلِمِين و، أطفالهم ونسائهم لاسيما المميزات بالحجاب، ولم يقتصر

الأمر عَلى هجوم المتعصبين والعنصريين وهم كثر جدا وفي تزايد، من جراء حالة الحَرب وما يقوم به المُجَاهدون من حربهم، ولكن العدوان عَلى المُسلِمِين يصل الآن ليكون سياسة للحُكُومَات الغربيّة ذاتها، فقد سنت جميع الدّول الغربيّة تشريعات جديدة تضيق عَلى المُسلِمِين بدعوى مكافحة التطرف والإِرهَاب، فصدر قانون لمنع الحجاب في فرنسا، ويدرس مثل ذلك في بلاد أُخرى، وصدرت قوانين لمراقبة الخطب المسجدية، وطرد الخطباء الّذين لا يلتزمون التّعليمات الحُكُوميّة المتعسفة، ووضع أكثر المصلين ولاسيما الشَّبَاب تحت المراقبة وفي دائرة التهمة، واستدعي الكثيرون للتحقيقات، وجندت الإستخبارات آلاف الجواسيس بين رواد المساجد، هذا في أوربّا، أما في أمريكا فالإجراءات التعسفية شديدة وعدوانية، اختلط فيها الحقد بإجراءات الأمن، وهذه الأخبار متكررة يوميا في وسائل الإعلام اليَوْم بما يغني عن الإطالة.

ولكن الجدير بالذكر، التنبيه عَلى أن هذه الأحوال والضغوطات، بدأت تدفع اليَوْم كثيرا من المُسلِمِين المقيمين في الغرب، إلى ارتكاب الأفعال المحرمة، والتصريح بالأقوال الّتي تهدّد دينهم وعقيدتهم من أجل دفع التهمة – تهمة الإِرهَاب والتطرف – عن أنفسهم، والتدليل عَلى بعدهم عن دينهم، مثل ترك الحجاب أو ارتياد المساجد، أو التصريح بدينهم أو معتقدهم، وقد وصل الأمر بالبعض للمجاهرة بالمعاصي والمُنكرات لنفس الغرض، والأفدح من كلّ هذا ما يقوم به أئمة المُسلِمِين، ومدراء المراكز، ورؤساء الجاليات الإِسْلَامِيّة، من تراجعات خطيرة جراء تلك الضغوط، حتَّى بلغ الأمر بإظهار الوَلَاء الصريح للكفار، والبَرَاءة الصريحة من المُؤمِنِين ولاسيما المُجَاهدين في سبيل الله، بل سبهم وشتمهم في وسائل الإعلام صراحة، ناهيك عن إطلاق الفتاوى الضالة، والآراء المناقضة لمقتضيات الدّين وأساسِيَّات العَقِيْدَة، ومن يتابع وسائل الإعلام يقف عَلى ما يندى له الجبين من تلك التصريحات والممارسات.

ولو نظرت في أسباب ذلك لرأيت بكل وضوح، أن خُلاصة الأسباب هو تمسك أولئك (المُسلِمِين!) بإقامتهم في ديار الكافرين من أجل الدُّنيَا الّتي يصيبونها ويدفعون دينهم ودين ذراريهم الّتي يكفر أكثرها مع الوقت ثمنا لهذا الهدف، تلك الإقامة المحرمة أصلا من قبل أن تحصل لهم هذه الضغوط وهذا العدوان من الكفّار من أصحاب تلك البلاد، فما بالك بعد هذه الحملات الظَّالمة.

ولكن الحقيقة أن أكثر أولئك القوم قد رضوا بالحياة الدُّنيَا هناك واطمأنوا بها.

ولابد لنا قبل أن نختم هذه الفقرة أن نذكر أولئك الْمُسلِمِين ونلفت نظرهم لأمرين في غاية الأهمّيّة:

أولاً: أن يعلم كلّ من في قلبه حرص عَلَى دينه وعلى طاعة الله وطاعة رسوله بالحكم الشَّرعيّ في حالهم، وهو حرمة إقامة كلّ من لا تلجئه الضَّرورة لتلك الإقامة في ديار الكفر والكافرين، ووجوب عودته إلى بلاده (بلاد الْمُسلِمِين) رغم ما فيها من الظُّلم، والفقر وغير ذلك من المصاعب، إن لم يكن عليه خطر من حُكَّام بلده، فإن كانَ ذلك فعليه البحث عن مهجر في بلاد الْمُسلِمِين، إذ تجب الهِجرَة عن دار الكفر إلى دار الإِسْلَام إن وجدت، فإن لم توجد فإلى ديار الْمُسلِمِين حيث يأمن عَلَى دينه وعرضه ونفسه وماله، ويجب أن يتحرى الأصلح فالأصلح والأقل فسادا فالأقل، وأما الدُّنيَا والمال والرزق فقد تكفل بها الله تَعَالَى، وليس العمل والتجارة والبحث عن رغد العيش عذر للبقاء في ديار الكافرين، لاسيما وقد آلت الأحوال إلى ما آلت إليه.

ولا يحل البقاء في الغرب وغيرها من بلاد الكفر إلا قهرا لمن غلب عَلَى أمره لا يجد حيلة غيرها، أو لمصلحة شرعيّة من قبيل جِهَاد الكفّار في بلادهم دفعا لهم عن بلاد الْمُسلِمِين، وهو فرض عين عَلَى كلّ مسلم كما بينا آنفا في البَاب الأوّل من هذا الفَصل، كما يجوز لمن كانَ من العُلَماء أو الدعاة إلى الله ممن يحتاجه الْمُسلِمُون هناك البقاء، شريطة أن لا يضر بنفسه وأسرته في دينهم، وأن يتمكن من الدّعوة إلى الله بحرية، وأن لا يتلبس بالنِّفَاق الّذي فشا في تلك الأوساط رغبا ورهبا من الكفّار وأذنابهم، والله هو الرقيب عَلَى القلوب والنوايا.

ثانياً: أن نلفت نظر الْمُسلِمِين في ديار الغرب وغيرها من البلاد المحاربة للمسلمين المحالفة لأمريكا في غزوها لبلادنا، بأن الحَرب قد قامت وستطول، وهاهي تزداد ضراوة، وقد بدأت بوادر طلائع الْمُجَاهدين والمقاومين تتصدى لأمريكا وحلفائها، في بلادنا وفي بلادهم عَلَى حد سواء، وستؤدي هذه الحالة الّتي ستتفاقم طبيعيا، إلى انتقام الكفّار منهم، وازدياد الضغوط عليهم، ولا أظن عاقلا يطالب الْمُجَاهدين في سبيل الله بترك جِهَاد أعداء الله الّذين يحتلون بلادنا ويذبحون أطفالنا ونساءنا ورجالنا، وينهبون ثرواتنا ويذيقوننا كلّ ألوان العذاب، من أحل الحفاظ عَلَى مصالح قطعان من الْمُسلِمِين الّذين اختاروا العيش بين أرجل الكفّار والمشركين وتحت أقدامهم من أجل دنياهم وحياتهم بين ذلك العفن

فارتد كثير منهم، وأكثر من تبقى فاسقون ! فلا تترك الفريضة من أجل هَؤُلَاءِ وأكثريتهم السَّاحقَة هم من العصاة لربهم، الناكصين عن أوامر نبيهم الصريحة الواضحة ووعيده ﷺ لهم ببراءته منهم، إن هم أقاموا في ديار الكافرين.

وعلى أولئك الّذين تصدروا الريادة الدّينيّة لتلك الجاليات أن يبينوا هذه الأحكام وتفصيلاتها للمسلمين من حولهم، وعلى علماء الإِسْلَام أن يصرحوا لهم بحكم إقامتهم تلك وما يترتب عليها، ولاسيما وقد انعقدت الحُرُوب الصّليبيّة واستعرت بكل جلاء. }

- **منع المثلة والتشويه والتعامل مع جيف المشركين:**

[إن الإِسْلَام دين يترفع عن الدنايا، وعن الأعمال الخسيسة، وعن الأحقاد الصغيرة والَّتي تبرز في الانتقام من جثث الموتى، حتَّى أن سدنة الجَاهِلِيَّة كانوا يترفعون عن هذا الفعل، وإذا حصل من صغارهم فإنهم يتبرؤون منه.

(والمثلة هيَ تشويه الجثة من قبيل قطع أطراف القتيل أو سمل عينه أو قطع أذنه أو أنفه أو أي عضو من أعضائه..).

وقد اختلف الفقهاء حول المثلة عَلى رأيين:

١ - الرَّأي الأوّل: رأي الحنفية والحنبلية لا يجيزون المثلة إبتداءا، ولكنهم يجيزونه إذا كانَ من قبيل الجزاء والمعاملة بالمثل.

٢- الرَّأي الثّاني: رأي الشّافعية والمالكية: بكراهة المثلة، سواء كانت مبتدأة أو معاملة بالمثل....].أهـ.(١)

قَالَ الشَّيْخ عبدالله عزام رَحِمَهُ اللهُ:

[ومن آداب الجِهَاد دفن جيف أجساد القتلى من المشركين، وإذا أرادوا أخذها ودفع ثمنها فالأولى عدم أخذ الثَّمن، فقد ألقى رسول الله ﷺ جثث زعماء قريش يوم بدر في القليب، وحفر لبني قريظة

---

(١) الذخائر (ج١/ ١٦٧) بتصرف.

الخنادق عند قتلهم، وقد ذكر ابن إسحاق في المغازي أن المشركين سألوا النبيّ ﷺ أن يبيعهم جسد نوفل بن عبدالله بن المغيرة، وكان اقتحم الخندق فقال النبيّ ﷺ: «لا حَاجَةَ لنَا بِثَمَنِهِ وَلا جَسَدِهِ»(١).

ونحن نرجح مذهب الشّافعية والمالكية، بمنع المثلة لأنه يتماشى مع القواعد العامّة للإسلام، ويتفق مع الرّوح الّتي تسري في تعاليم هذا الدّين...]. أهـ. (٢)

- **البيعة في الحَرب:**

قَالَ الشَّيْخ عبدالله رَحِمَهُ اللهُ:

[١- **عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «رجعنا من العام المقبل فما اجتمع من اثنان عَلى الشجرة الّتي بايعنا تحتها، كانت رحمة من الله، فقيل له: عَلى أي شيء بايعهم؟ عَلى الموت؟ قَالَ: لا، بايعهم عَلى الصّبر»**(٣).

البيعة في الحَرب سنة نقلت عن المصطفى ﷺ لتثبيت القلوب وتذكيرها بعهد قطعته عَلى أنفسها قبل المَعْرَكة.

الشجرة الّتي بايعنا تحتها: الشجرة الّتي تمت تحتها بيعة الرضوان عام (٦هـ)، وفي العام المقبل سنة (٧هـ) لم يعرف اثنان منا مكان الشجرة، وهذه رحمة من الله حتَّى لا تصبح الشجرة شيئا مقدّسا، ثمّ تنتشر البِدَع والخرافات من خلال وجودها وحتى لا يأتي النّاس للتبرك بها، وحديث جابر في مسلم(٤):

«بايعنا عَلى أن لا نفر ولم نبايعه عَلى الموت».

والشجرة هيَ سمرة من أشجار الصَّحرَاء، وقد خفيت عَلى الصّحابة في العام الّذي تلا الحديبية خوفا من الفتنة.

---

(١) رواه الترمذي (١٧١٥) وأحمد (٢٢٣٠) وابن أبي الشيبة (٣٣٢٥٦) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٢) الذخائر (ج١/ ١٦٩).

(٣) رواه البخاري (٢٩٥٨).

(٤) رواه مسلم (١٨٥٦).

١- عن عبدالله بن زيد ﷺ قَالَ: (لما كانَ زمن الحرة أتاه آت فقال له: إن ابن حنظلة يبايع النّاس عَلى الموت، فقال لا أبايع عَلى هذا أحد بعد رسول الله ﷺ)[١].

الحرة: معركة وقعت بالمدينة سنة (٦٣هـ)، وسميت الحرة لأن خيول (يزيد) اقتحمت الحرة (وهي أول مرّة تقتحم فيها الخيول حجر الحرة) لأن الحرة منطقة حجارة سوداء تحيط بالمدينة من شرقها بحرة (واقم) ومن غربها بحرة (الوابرة) ولذا يقال ما بين حرتيها أو لابتيها، ويعنون بها هاتين الحرتين، وعندما استباح جيش (يزيد) المدينة قام الصحابي عبدالله بن حنظلة يبايع النّاس عَلى الموت لمقاتلة يزيد بعد خلع بيعته.

٢- عن سلمة بن الأكوع ﷺ قَالَ: (بايعت النبيّ ﷺ ثمّ عدلت إلى ظل شجرة، فلما خف النّاس قَالَ: يا ابن الأكوع ألا تبايع؟ قَالَ: قلت: قد بايعت يا رسول الله، قَالَ: وأيضا، فبايعته الثّانية، فقيل له: عَلى أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟ قَالَ: عَلى الموت)[٢].

لقد كانَ ﷺ يختار بعض أصحابه الّذين يعدهم للمهمات في المستقبل ثمّ يأخذ عليهم عهودا خاصّة يتميزون بها عن بقية الصّحابة، كما أخذ عَلى ثوبان وأبي بكر وفئة من الصّحابة (أن لا يسألوا النّاس شيئا)[٣] فكان أحدهم يسقط سوطه من يده فلا يطلب من أحد مناولته إياه.

والبيعة دائما عَلى البر والتقوى، لأن عهد عَلى التّعاون عَلى البر التقوى ولا يجوز البيعة عَلى الإثم والعدوان، كمن يتعاهدون عهدا خاصا ثمّ يطلب من المبايع بعد فترة أن يعمل أعمالا لا يرضاها الله، ولا تقرها الشّريعة كمقاطعة فلان، والتجسس عَلى فلان وتتبع عورات الآخرين.

يجوز للمسلم أن يعطي عدّة بيعات لعدة أشخاص، فيعطي الشَّيْخ بيعة أن يجاهد معه، والآخرين بيعة أن يتلقى العلم عَلى يديه ويتربى عَلى يديه، ولا معارضة بين هذه البيعات، ولا يجوز لأحد أن يفرض طاعته في كلّ شيء عَلى من عاهد عَلى شيء ولا يجوز لأحد أن يحتج ببيعته ليمنع المبايع من عمل بر نص

(١) رواه البخاري (٢٩٥٩).

(٢) رواه البخاري (٢٩٦٠، ٧٢٠٨) واللفظ له، ومسلم (١٨٠٧) من حديث طويل.

(٣) رواه أبو داود (١٦٤٣) والنسائي (٢٥٩٠) وأحمد (٢٢٣٦٦، ٢٢٣٨٥) وابن ماجه (١٨٣٧) وصححه الألباني.

عليه الكتاب والسنة كالجِهَاد في سبيل الله مثلا، لأن البيعة عندئذ تنقلب إلى بيعة عَلى الإثم «وإنما الطاعة بالمعروف»[١] «ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[٢]].أهـ.[٣]

- **أحكام الشّهِيد:**

في فقرة " الشّهِيد وأحكامه " من موسوعة الخائر..للشيخ عبدالله عزام رحمه الله تفاصيل مفيدة نقل منها هنا باختصار ما يلي:

[**سبب تسميته شهيداً:**

قَالَ الأزهري: (لأن الله تَعَالَى ورسوله ﷺ شهدا له بالجنة).

وقيل: الشّهِيد: الحي، فسموا كذلك لأَنّهم أحياء عند ربّهم، وقيل لأن ملائكة الرحمة يشهدونه فيقبضون روحه، وقيل: لأنه شهد له بالإيمان وخاتمة الخير بظاهر حاله، وقيل لأن روحه تشهد دار السَّلام { حال وفاته } وروح غيره لا تشهدها إلا يوم القيامة.

تعريف الشّهِيد:

– عند الشّافعية: (الشّهِيد الّذي لا يغسل ولا يصلى عليه: هو الّذي مات بسبب قتال الكفّار حال قيام القِتَال سواء قتله كافر أو أصابه سلاح مسلم خطأ، أو عاد إليه سلاح نفسه، أو سقط عن فرسه، أو رمحته دابته فمات، أو وطئته دواب الْمُسلِمِين، أو غيرهم، أو أصابه سهم لا يعرف هل رمى به مسلم أو كافر، أو وجد قتيلا عند انكشاف الحَرب ولم يعرف سبب موته، وسواء كانَ عليه أثر دم أم لا، وسواء مات في الحال، أم بقي زمنا ثمّ مات بذلك السبب بعد انقضاء الحَرب، وسواء أكل وشرب ووصى، أم لم يفعل شيئا من ذلك، وهذا كله متفق عليه عندنا..نص عليه الشّافعي).

– عند الحنفية: (الشّهِيد هو كلّ مكلف مسلم طاهر قتل ظلما بجارحة ولم يجب بنفس القتل مال ولم يرتث).

---

(١) رواه البخاري (٧١٤٥، ٧٢٥٧) ومسلم (١٨٤٠).

(٢) رواه البخاري (٧٢٥٧، ٤٣٤٠) ومسلم (١٨٤٠) واللفظ لأحمد (١٠٩٥).

(٣) الذخائر (ج١-٢٦٣).

شروط الشَّهَادة:

١- أن يكون القِتَال في سبيل الله: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله»[١]متفق عليه. وهذا نص ضابط فكل من كانَ قصده نصرة الإِسْلَام ثمّ قتل فهو شهيد وإلا فلا.

٢-الصّبر: «إن قُتلتَ صابرًا محتسبًا مُقبِلاً غيرَ مدبر، كفَّر الله خطاياكَ إِلَّا الدّين»[٢]، والصابر هو المقبل عَلَى العدوّ لصبورته وقلبه، ولا يضره مع ذلك أن يجد ألما في قلبه وكراهية للموت وفراق الأهل. والصّبر عَلَى العِبَادة فعلها بشروطها.

٣- الإقبال وليس الإدبار.

٤- عدم الغلول: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ حاملا غله عَلى ظهره، والغلول هو السرقة من الغنائم قبل القسمة، وفي البُخَارِيّ[٣]: **عن عبدالله بن عمرو** ﵄: **(كانَ عَلَى ثقل النبيّ ﷺ رجل يقال له كركرة فمات، فقال النبيّ ﷺ: «هو في النّار» فذهبوا ينظرون فوجدوا عباءة قد غلها).**

أثر الدّين في الشَّهَادة وتكفير الخطايا:

الدّين لا يؤثر في الشَّهَادة، ولكن تكفير الخطايا كلها قد يؤثر فيه الدّين، **(قَالَ النووي: (إلا الدّين).. فيه تنبيه عَلَى جميع حقوق الآدميين، وإنما تكفر حقوق الله تَعَالَى.**

وكذلك قَالَ ابن عبد البر: وقد ذكر القرطبي شرطا في الدّين المانع من مغفرة الذّنوب وهو: (إذا امتنع عن أداء الحقوق مع تمكنه...) أما إذا لم يستطع قضاء الدّين مع محاولته فالمرجو من كرم الله تَعَالَى- إذا صدق قصده وصحت نيته – أن يرضي الله تَعَالَى خصومه عنه بما شاء حتَّى يدخل الجنّة.

هكذا حقوق الآدميين، أما حقوق الله تَعَالَى فالظَّاهِر أنها تغفر كلها بالشَّهَادة، وفي النوادر أن التشديدات الّتي وردت في الدّين كلها منسوخة إلا من أدان في سرف أو فساد، ونحو ذلك عن ابن شهاب، وهذا رأي المالكية.

---

(١) رواه البخاري: (٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨) ومسلم (١٩٠٤) وأصحاب السنن.

(٢) صحيح مسلم (١٨٨٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣٠٧٤).

غسل الشّهِيد:

اتفق الأئمة الأربعة عَلى أن الشّهِيد لايغسل، وهذا قول عامة أهل العلم، ولم يخالف في هذا الحكم إلا الحسن وسعيد بن المسيب وابن سريج الشّافعي، فقالوا بغسل الشّهِيد، واحتجوا بأنه: ما مات ميت إلا جنبا والجنب يجب غسله.

واحتج الجمهور بحديث جابر(١): (**أن رسول الله ﷺ أمر بشهداء أحد بدفنهم في دمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم**)، ولأحمد(٢) أن النبيّ ﷺ قَالَ في قتلى أحد: «**لاتغسلوهم فإن كلّ جرح أو كلّ دم يفوح مسكا يوم القيامة، ولم يصل عليهم**».

ورأي الجمهور أرجح للأدلة الصَّحِيحة الّتي تكاد تصل إلى حد التواتر.

الصّلاة عَلى الشّهِيد:

اختلف العُلَماء في الصّلاة عَلى الشّهِيد عَلى رأيين:

الأوّل: - وهو رأي الجمهور- إنه لا يصلى عليه، وهو قول مالك والشّافعي وجمهور الحنابلة.

الثّاني: وهو رأي الحنفية والثّوريّ ورواية عن أحمد أنه يصلى عليه، وهو رأي الحسن البصري وسعيد بن المسيب.

هل يقال لفلان شهيد:

عندما نقول أن فلان شهيد: أي نعامله معاملة الشّهداء في الدُّنيَا من حيث ترك الغسل والصّلاة عليه، ولكننا لا نشهد لأحد بجنة ولا بنار لأن القلوب بيد الله وله غيب السموات والأرض وإليه يرجع المر كله.

وهو الّذي درج عليه المُؤلّفون من أهل السّير والمغازي والمعارك الإِسْلَاميّة فيقولون شهداء أحد وحنين واليرموك والقادسية...

أقسام الشّهِيد:

١- شهيد الدُّنيَا والآخرة: وهو المسلم الّذي قتل في المَعْرَكة مع الكفّار، وهو يقاتل لتكون كلمة الله هيَ العليا.

---

(١) رواه البخاري (١٣٤٥، ١٣٤٧، ١٣٥٣، ٤٠٧٩)

(٢) رواه أحمد (١٤١٨٩) وصححه الأرنؤوط.

٢- شهيد الدُّنيَا: المسلم الّذي يقاتل في المَعْرَكة ضدّ الكفّار ولكنه يقاتل حمية ورياء، (وهذا يعامل بأحكام الشّهِيد من قبل النّاس).

٣- شهيد الآخرة: الّذي يأخذ أجر الشَّهَادة ولا يعامل معاملة الشّهِيد، فيغسل ويكفن ويصلى عليه..مثل الميت في طريق الهِجرَة والجِهَاد، والمبطون، والغريق..

من أنواع الشّهداء:

(الغريق، الحريق، الغريب، المهدوم عليه، المبطون، المطعون، النّفساء، الميت ليلة الجمعة، صاحب ذات الجنب، من مات بطلب العلم، المراة الحامل والسل، الصرع والحمى، من مات دون ماله أو دمه، افتراس السبع، **حبس السُّلطَان، بالضرب، من مات متواريا (مختفيا من السُّلطَان)**، أو لدغته هامة، المؤذن المحتسب والتاجر الصدوق والمائد في البحر، من ماتت صابرة عَلى الغيرة، من صلى الضحى وصام ثلاثة أيّام كلّ شهر ولم يترك الوتر سفرا ولا حضرا، المتمسك بسنته ﷺ، من قَالَ في مرضه أربعين مرّة ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من مات مرابطا، من قرأ كلّ ليلة سورة (يس)، من صرع عن دابة فمات، من طلب الشَّهَادة صادقا، من مات يوم الجمعة، من جاب طعاما إلى مصر من الأمصار، من اغتسل بالثلوج فمات)

جاء في أوجز المسالك إلى موطأ الإِمَام مالك..(٤/ ٢٦٧): (ذكر الحافظ في ٢٧ منها أنها طريقها جيدة)..(فكل من كثرت أسباب شهادته زيد له في سعادته).

المرتث:

وهو من حمل رثيثا (جريحا) من المَعْرَكة وبه رمق، وقد اتفق الفقهاء أن المرتث لا يعامل معاملة الشّهِيد كما فعل رسول الله بسعد بن معاذ، وقد غسله وصلى عليه، وكما فعل الصّحابة بعمر رضي الله عنه.

ويكاد الفقهاء يتفقون أن المرتث: من حمل من أرض المَعْرَكة جريحا وفعل فعل الأحياء كالأكل، وكتابة الوصية، أو مضى عليه وقت صلاة وهو يعقل، وقدر عَلى أدائها، أما إذا فعل هذا والمَعْرَكة مستمرة وهو في أرض المَعْرَكة فإنه ليس مرتثا.

وأما منفوذ المقاتل (بأن كانَ جرحه عميقا قاتلا ولا يرجى برؤه) فإنه يعامل كالشّهِيد ولو أكل وأوصى. وكذلك الّذي ينقل مغمورا (مغمى عليه)، فيعامل معاملة الشّهِيد ولو بقي أيّاما، فإذا شروط المرتث:

١- أن ينقل من أرض المَعْرَكة جريحا.

٢- أن يفعل فعل الأحياء كالأكل والبيع أو كتابة الوصية.

٣- أن لا يكون جرحه قاتلا.

٤- أن لا يكون مغمورا (مغمى عليه).

٥- وما لم تجتمع هذه الشُّرُوط الأربعة فإنه يعامل معاملة الشّهِيد.] أهـ.(١)

{ أقول بعد هذه المختارات الفقهيّة الجهاديّة:

أنه وبشكل عام يجب أن يكون للمُجَاهد أرضيته المعرفية الشَّرعيَّة عامة، وأنصح من أجل ذلك أن يطالع بعض الكتب – وبإشراف موجه لمن تيسر له ذلك – لتحصيل ثقافة إسلاميّة شرعيّة أولية فيما يلي:

- كتاب في العَقِيْدَة، وأنصح بكتاب العَقِيْدَة الطحاوية للإمام ابن أبي العز الحنفي.
- كتاب في تفسير القرآن، مثل تفسير ابن كثير، وأنصح أن يضم إليه كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب رحمه الله.
- كتاب مختصر في الحديث الشريف مثل كتاب رياض الصّالحين.
- كتاب مختصر في السيرة النّبويّة وأنصح بكتاب (الرحيق المختوم).
- كتاب مختصر في أصول الفقه.
- كتاب مختصر في مصطلح الحديث.
- كتاب في فقه العِبَادات، وأنصح أن يكون عَلى أحد المذاهب الأربعة، ولا سيما المعروفة في مكان عيشه وإقامته.

---

(١) (الذخائر/ ج١- ٣١٤).

- كتاب في الرّقائق والسُّلُوك. وأنصح بكتاب صفة الصفوة وكتاب الترغيب والترهيب
- كتاب الأذكار للنووي.
- كتاب في السّياسة الشَّرعيَّة مثل كتاب الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء.
- وأنصح باقتناء وقراءة كتاب زاد المعاد للإمام ابن القيم فهو كتاب جامع في هدي الرَّسُول ﷺ.



(٢) المجال الثّاني في التّربية:

الأدب والعِبَادات والأخلاق والرّقائق

الآداب العامّة:

قَالَ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

[قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: أَدِّبُوهُمْ وَعَلِّمُوهُمْ، وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ مُؤْذِنَةٌ بِالِاجْتِمَاعِ، فَالْأَدَبُ: اجْتِمَاعُ خِصَالِ الْخَيْرِ فِي الْعَبْدِ، وَمِنْهُ الْمَأْدُبَةُ؛ وَهِيَ الطَّعَامُ الَّذِي يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ النَّاسُ.

وَعِلْمُ الْأَدَبِ: هُوَ عِلْمُ إِصْلَاحِ اللِّسَانِ وَالْخِطَابِ، وَإِصَابَةِ مَوَاقِعِهِ، وَتَحْسِينِ أَلْفَاظِهِ، وَصِيَانَتِهِ عَنِ الْخَطَأِ وَالْخَلَلِ؛ وَهُوَ شُعْبَةٌ مِنَ الْأَدَبِ الْعَامِّ، وَالله أَعْلَمُ.

وَالْأَدَبُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: أَدَبٌ مَعَ الله سُبْحَانَهُ، وَأَدَبٌ مَعَ رَسُولِهِ ﷺ وَشَرْعِهِ، وَأَدَبٌ مَعَ خَلْقِهِ.

أولاً: فَالْأَدَبُ مَعَ الله ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: صِيَانَةُ مُعَامَلَتِهِ أَنْ يَشُوبَهَا بِنَقِيصَةٍ، الثَّانِي: صِيَانَةُ قَلْبِهِ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى غَيْرِهِ، الثَّالِثُ: صِيَانَةُ إِرَادَتِهِ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِمَا يَمْقُتُكَ عَلَيْهِ.

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ: (الْعَبْدُ يَصِلُ بِطَاعَةِ الله إِلَى الْجَنَّةِ، وَيَصِلُ بِأَدَبِهِ فِي طَاعَتِهِ إِلَى الله)، وَقَالَ: (رَأَيْتُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ فِي الصَّلَاةِ إِلَى أَنْفِهِ فَقَبَضَ عَلَى يَدِهِ)، وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: الْأَدَبُ الْوُقُوفُ مَعَ الْمُسْتَحْسَنَاتِ، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا مَعْنَاهُ؟ فَقَالَ: أَنْ تُعَامِلَهُ سُبْحَانَهُ بِالْأَدَبِ سِرًّا وَعَلَنًا، ثُمَّ أَنْشَدَ:

إِذَا نَطَقَتْ جَاءَتْ بِكُلِّ مَلَاحَةٍ ۞ وَإِنْ سَكَتَتْ جَاءَتْ بِكُلِّ مَلِيحِ

وَقَالَ ابْنُ مُبَارَكٍ: (نَحْنُ إِلَى قَلِيلٍ مِنَ الْأَدَبِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ).

وَسُئِلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ أَنْفَعِ الْأَدَبِ؟ فَقَالَ: التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ، وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا، وَالْمَعْرِفَةُ بِمَا لِلهِ عَلَيْكَ.

وَقَالَ سَهْلٌ: (الْقَوْمُ اسْتَعَانُوا بِالله عَلَى مُرَادِ الله. وَصَبَرُوا للهَّ عَلَى آدَابِ الله)، وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: طَلَبْنَا الْأَدَبَ حِينَ فَاتَنَا الْمُؤَدِّبُونَ وَقَالَ أَبُو حَفْصٍ - لَّمَا قَالَ لَهُ الْجُنَيْدُ: لَقَدْ أَدَّبْتَ أَصْحَابَكَ أَدَبَ السَّلَاطِينِ - فَقَالَ: حُسْنُ الْأَدَبِ فِي الظَّاهِرِ عُنْوَانُ حُسْنِ الْأَدَبِ فِي الْبَاطِنِ، فَالْأَدَبُ مَعَ الله حُسْنُ الصُّحْبَةِ مَعَهُ، وَبِإِيقَاعِ الْحَرَكَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ عَلَى مُقْتَضَى التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ وَالْحَيَاءِ، كَحَالِ مَجَالِسِ الْمُلُوكِ وَمُصَاحِبِهِمْ.

وَقَالَ أَبُو نَصْرٍ السَّرَّاجُ: (النَّاسُ فِي الْأَدَبِ عَلَى ثَلَاثِ طَبَقَاتٍ؛ أَمَّا أَهْلُ الدُّنْيَا: فَأَكْبَرُ آدَابِهِمْ: فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَحِفْظِ الْعُلُومِ، وَأَسْمَارِ الْمُلُوكِ، وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ، وَأَمَّا أَهْلُ الدِّينِ: فَأَكْبَرُ آدَابِهِمْ: فِي طَهَارَةِ الْقُلُوبِ، وَمُرَاعَاةِ الْأَسْرَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، وَحِفْظِ الْوَقْتِ، وَقِلَّةِ الِالْتِفَاتِ إِلَى الْخَوَاطِرِ، وَحُسْنِ الْأَدَبِ، فِي مَوَاقِفِ الطَّلَبِ، وَأَوْقَاتِ الْحُضُورِ، وَمَقَامَاتِ الْقُرْبِ)، قَالَ سَهْلٌ: مَنْ قَهَرَ نَفْسَهُ بِالْأَدَبِ فَهُوَ يَعْبُدُ اللهَّ بِالْإِخْلَاصِ، وَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ الْمُبَارَكِ: قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ الْقَوْلَ فِي الْأَدَبِ وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّهُ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ وَرُعُونَاتِهَا، وَتَجَنُّبُ تِلْكَ الرُّعُونَاتِ.

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ: (إِذَا صَحَّتِ الْمَحَبَّةُ تَأَكَّدَتْ عَلَى الْمُحِبِّ مُلَازَمَةُ الْأَدَبِ)

وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ كَمَالُ هَذَا الْخُلُقِ إِلَّا لِلرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ.

وَمِنْ هَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ الرَّجُلَ: أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَتَهُ، وَإِنْ كَانَ خَالِيًا لَا يَرَاهُ أَحَدٌ، أَدَبًا مَعَ الله، عَلَى حَسَبِ الْقُرْبِ مِنْهُ، وَتَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ، وَشِدَّةِ الْحَيَاءِ مِنْهُ، وَمَعْرِفَةِ وَقَارِهِ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْزَمِ الْأَدَبَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَمَا أَسَاءَ أَحَدٌ الْأَدَبَ فِي الظَّاهِرِ إِلَّا عُوقِبَ ظَاهِرًا، وَمَا أَسَاءَ أَحَدٌ الْأَدَبَ بَاطِنًا إِلَّا عُوقِبَ بَاطِنًا.

وَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ الْمُبَارَكِ ﵀: مَنْ تَهَاوَنَ بِالْأَدَبِ عُوقِبَ بِحِرْمَانِ السُّنَنِ، وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالسُّنَنِ، عُوقِبَ بِحِرْمَانِ الْفَرَائِضِ، وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالْفَرَائِضِ عُوقِبَ بِحِرْمَانِ الْمَعْرِفَةِ، وَحَقِيقَةُ الْأَدَبِ اسْتِعْمَالُ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ، وَلِهَذَا كَانَ الْأَدَبُ: اسْتِخْرَاجَ مَا فِي الطَّبِيعَةِ مِنَ الْكَمَالِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ.

فَإِنَّ اللهَّ سُبْحَانَهُ هَيَّأَ الْإِنْسَانَ لِقَبُولِ الْكَمَالِ بِمَا أَعْطَاهُ مِنَ الْأَهْلِيَّةِ وَالِاسْتِعْدَادِ، الَّتِي جَعَلَهَا فِيهِ كَامِنَةً كَالنَّارِ فِي الزِّنَادِ، فَأَلْهَمَهُ وَمَكَّنَهُ، وَعَرَّفَهُ وَأَرْشَدَهُ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ إِلَيْهِ كَتَبَهُ لِاسْتِخْرَاجِ تِلْكَ الْقُوَّةِ الَّتِي أَهَّلَهُ بِهَا لِكَمَالِهِ إِلَى الْفِعْلِ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن



زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝﴾ [الشمس]، فَعَبَّرَ عَنْ خُلُقِ النَّفْسِ بِالتَّسْوِيَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الِاعْتِدَالِ وَالتَّمَامِ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ قَبُولِهَا لِلْفُجُورِ وَالتَّقْوَى، وَأَنَّ ذَلِكَ نَالَهَا مِنْهُ امْتِحَانًا وَاخْتِبَارًا، ثُمَّ خَصَّ بِالْفَلَاحِ مَنْ زَكَّاهَا فَنَمَّاهَا وَعَلَّاهَا، وَرَفَعَهَا بِآدَابِهِ الَّتِي أَدَّبَ بِهَا رُسُلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ، وَهِيَ التَّقْوَى، ثُمَّ حَكَمَ بِالشَّقَاءِ عَلَى مَنْ دَسَّاهَا فَأَخْفَاهَا وَحَقَّرَهَا، وَصَغَّرَهَا وَقَمَعَهَا بِالْفُجُورِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الْأَدَبَ مَعَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هُوَ الْقِيَامُ بِدِينِهِ، وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وَلَا يَسْتَقِيمُ لِأَحَدٍ قَطُّ الْأَدَبُ مَعَ اللهِ إِلَّا بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: مَعْرِفَتُهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَعْرِفَتُهُ بِدِينِهِ وَشَرْعِهِ، وَمَا يُحِبُّ وَمَا يَكْرَهُ، وَنَفْسٌ مُسْتَعِدَّةٌ قَابِلَةٌ لَيِّنَةٌ، مُتَهَيِّئَةٌ لِقَبُولِ الْحَقِّ عِلْمًا وَعَمَلًا وَحَالًا، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

ثانيا: وَأَمَّا الْأَدَبُ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ فَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ بِهِ:

فَرَأْسُ الْأَدَبِ مَعَهُ: كَمَالُ التَّسْلِيمِ لَهُ، وَالِانْقِيَادُ لِأَمْرِهِ، وَتَلَقِّي خَبَرِهِ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ، دُونَ أَنْ يُحَمِّلَهُ مُعَارَضَةَ خَيَالٍ بَاطِلٍ، يُسَمِّيهِ مَعْقُولًا، أَوْ يُحَمِّلَهُ شُبْهَةً أَوْ شَكًّا، أَوْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ آرَاءَ الرِّجَالِ، وَزُبَالَاتِ أَذْهَانِهِمْ، فَيُوَحِّدُهُ بِالتَّحْكِيمِ وَالتَّسْلِيمِ، وَالِانْقِيَادِ وَالْإِذْعَانِ، كَمَا وَحَّدَ الْمُرْسِلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ، وَالْإِنَابَةِ وَالتَّوَكُّلِ، فَهُمَا تَوْحِيدَانِ، لَا نَجَاةَ لِلْعَبْدِ مِنْ عَذَابِ اللهِ إِلَّا بِهِمَا: تَوْحِيدُ الْمُرْسِلِ، وَتَوْحِيدُ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ فَلَا يُحَاكِمُ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا يَرْضَى بِحُكْمِ غَيْرِهِ، وَلَا يَقِفُ تَنْفِيذُ أَمْرِهِ، وَتَصْدِيقُ خَبَرِهِ، عَلَى عَرْضِهِ عَلَى قَوْلِ شَيْخِهِ وَإِمَامِهِ، وَذَوِي مَذْهَبِهِ وَطَائِفَتِهِ، وَمَنْ يُعَظِّمُهُ.

وَمِنَ الْأَدَبِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ: أَنْ لَا يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ، وَلَا إِذْنٍ وَلَا تَصَرُّفٍ، حَتَّى يَأْمُرَ هُوَ، وَيَنْهَى وَيَأْذَنَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، وَهَذَا بَاقٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَمْ يُنْسَخْ، فَالتَّقَدُّمُ بَيْنَ يَدَيْ سُنَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، كَالتَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي حَيَّاتِهِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا عِنْدَ ذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ.

قَالَ مُجَاهِدٌ ﷺ: لَا تَفْتَاتُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: تَقُولُ الْعَرَبُ: لَا تُقَدِّمْ بَيْنَ يَدَيِ الْإِمَامِ وَبَيْنَ يَدَيِ الْأَبِ، أَيْ لَا تُعَجِّلُوا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ دُونَهُ، وَقَالَ غَيْرُهُ: لَا تَأْمُرُوا حَتَّى يَأْمُرَ، وَلَا تَنْهُوا حَتَّى يَنْهَى.

وَمِنَ الْأَدَبِ مَعَهُ: أَنْ لَا تُرْفَعَ الْأَصْوَاتُ فَوْقَ صَوْتِهِ، فَإِنَّهُ سَبَبٌ لِحُبُوطِ الْأَعْمَالِ فَمَا الظَّنُّ بِرَفْعِ الْآرَاءِ، وَنَتَائِجِ الْأَفْكَارِ عَلَى سُنَّتِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ؟ أَتُرَى ذَلِكَ مُوجِبًا لِقَبُولِ الْأَعْمَالِ، وَرَفْعُ الصَّوْتِ فَوْقَ صَوْتِهِ مُوجِبٌ لِحُبُوطِهَا؟

وَمِنَ الْأَدَبِ مَعَهُ: أَنْ لَا يُسْتَشْكَلَ قَوْلُهُ: بَلْ تُسْتَشْكَلُ الْآرَاءُ لِقَوْلِهِ: وَلَا يُعَارَضُ نَصُّهُ بِقِيَاسٍ بَلْ تُهْدَرُ الْأَقْيِسَةُ وَتُلْقَى لِنُصُوصِهِ، وَلَا يُحَرَّفُ كَلَامُهُ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِخَيَالٍ يُسَمِّيهِ أَصْحَابُهُ مَعْقُولًا، نَعَمْ هُوَ مَجْهُولٌ، وَعَنِ الصَّوَابِ مَعْزُولٌ، وَلَا يُوقَفُ قَبُولُ مَا جَاءَ بِهِ ﷺ عَلَى مُوَافَقَةِ أَحَدٍ، فَكُلُّ هَذَا مِنْ قِلَّةِ الْأَدَبِ مَعَهُ ﷺ، وَهُوَ عَيْنُ الْجُرْأَةِ.

ثالثا: الْأَدَبُ مَعَ الْخَلْقِ:

وَأَمَّا الْأَدَبُ مَعَ الْخَلْقِ: فَهُوَ مُعَامَلَتُهُمْ - عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ - بِمَا يَلِيقُ بِهِمْ، فَلِكُلِّ مَرْتَبَةٍ أَدَبٌ، وَالْمَرَاتِبُ فِيهَا أَدَبٌ خَاصٌّ، فَمَعَ الْوَالِدَيْنِ: أَدَبٌ خَاصٌّ وَلِلْأَبِ مِنْهُمَا: أَدَبٌ هُوَ أَخَصُّ بِهِ، وَمَعَ الْعَالِمِ: أَدَبٌ آخَرُ، وَمَعَ السُّلْطَانِ: أَدَبٌ يَلِيقُ بِهِ، وَلَهُ مَعَ الْأَقْرَانِ أَدَبٌ يَلِيقُ بِهِمْ، وَمَعَ الْأَجَانِبِ: أَدَبٌ غَيْرُ أَدَبِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ وَذَوِي أُنْسِهِ، وَمَعَ الضَّيْفِ: أَدَبٌ غَيْرُ أَدَبِهِ مَعَ أَهْلِ بَيْتِهِ.

وَلِكُلِّ حَالٍ أَدَبٌ: فَلِلْأَكْلِ آدَابٌ، وَلِلشُّرْبِ آدَابٌ، وَلِلرُّكُوبِ وَالدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ وَالسَّفَرِ وَالْإِقَامَةِ وَالنَّوْمِ آدَابٌ، وَلِلْبَوْلِ آدَابٌ، وَلِلْكَلَامِ آدَابٌ، وَلِلسُّكُوتِ وَالِاسْتِمَاعِ آدَابٌ.

وَأَدَبُ الْمَرْءِ: عُنْوَانُ سَعَادَتِهِ وَفَلَاحِهِ، وَقِلَّةُ أَدَبِهِ: عُنْوَانُ شَقَاوَتِهِ وَبَوَارِهِ.

فَمَا اسْتُجْلِبَ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمِثْلِ الْأَدَبِ، وَلَا اسْتُجْلِبَ حِرْمَانُهُمَا بِمِثْلِ قِلَّةِ الْأَدَبِ، فَانْظُرْ إِلَى الْأَدَبِ مَعَ الْوَالِدَيْنِ: كَيْفَ نَجَّى صَاحِبَهُ مِنْ حَبْسِ الْغَارِ حِينَ أَطْبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ؟ وَالْإِخْلَالُ بِهِ مَعَ الْأُمِّ - تَأْوِيلًا وَإِقْبَالًا عَلَى الصَّلَاةِ - كَيْفَ امْتُحِنَ صَاحِبُهُ بِهَدْمِ صَوْمَعَتِهِ وَضَرْبِ النَّاسِ لَهُ، وَرَمْيِهِ بِالْفَاحِشَةِ؟

وَتَأَمَّلْ أَحْوَالَ كُلِّ شَقِيٍّ وَمُغْتَرٍّ وَمُدْبِرٍ: كَيْفَ تَجِدُ قِلَّةَ الْأَدَبِ هِيَ الَّتِي سَاقَتْهُ إِلَى الْحِرْمَانِ؟

وَانْظُرْ قِلَّةَ أَدَبِ عَوْفٍ مَعَ خَالِدٍ: كَيْفَ حَرَمَهُ السَّلْبَ بَعْدَ أَنْ بَرَدَ بِيَدَيْهِ؟

وَانْظُرْ أَدَبَ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ: أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: مَا كَانَ يَنْبَغِي لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَيْفَ أَوْرَثَهُ مَقَامَهُ وَالْإِمَامَةَ بِالْأُمَّةِ بَعْدَهُ؟ فَكَانَ ذَلِكَ التَّأَخُّرُ إِلَى

خَلْفِهِ – وَقَدْ أَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنِ اثْبُتْ مَكَانَكَ – جَمْزًا، وَسَعْيًا إِلَى قُدَّامَ؟ بِكُلِّ خُطْوَةٍ إِلَى وَرَاءَ مَرَاحِلُ إِلَى قُدَّامَ، تَنْقَطِعُ فِيهَا أَعْنَاقُ الْمَطِيِّ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

[ومن الأمور الهامة في تربية المُجَاهدين وشباب الإِسْلَام عموما، ما أورده ابن القيم عند قوله]:

قَالَ صَاحِبُ " الْمَنَازِلِ ":

الْأَدَبُ: (حِفْظُ الْحَدِّ، بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالْجَفَاءِ، بِمَعْرِفَةِ ضَرَرِ الْعُدْوَانِ).

هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْحُدُودِ، فَإِنَّ الِانْحِرَافَ إِلَى أَحَدِ طَرَفَيِ الْغُلُوِّ وَالْجَفَاءِ: هُوَ قِلَّةُ الْأَدَبِ، وَالْأَدَبُ: الْوُقُوفُ فِي الْوَسَطِ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، فَلَا يُقَصِّرُ بِحُدُودِ الشَّرْعِ عَنْ تَمَامِهَا، وَلَا يَتَجَاوَزُ بِهَا مَا جُعِلَتْ حُدُودًا لَهُ، فَكِلَاهُمَا عُدْوَانٌ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ، وَالْعُدْوَانُ: هُوَ سُوءُ الْأَدَبِ، وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: دِينُ اللهِ بَيْنَ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ.

فَإِضَاعَةُ الْأَدَبِ بِالْجَفَاءِ: كَمَنْ لَمْ يُكْمِلْ أَعْضَاءَ الْوُضُوءِ، وَلَمْ يُوفِّ الصَّلَاةَ آدَابَهَا الَّتِي سَنَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَفَعَلَهَا، وَهِيَ قَرِيبٌ مِنْ مِائَةِ أَدَبٍ: مَا بَيْنَ وَاجِبٍ وَمُسْتَحَبٍّ، وَإِضَاعَتُهُ بِالْغُلُوِّ: كَالْوَسْوَسَةِ فِي عَقْدِ النِّيَّةِ، وَرَفْعِ الصَّوْتِ بِهَا، وَالْجَهْرِ بِالْأَذْكَارِ وَالدَّعَوَاتِ الَّتِي شُرِعَتْ سِرًّا، وَتَطْوِيلِ مَا السُّنَّةُ تَخْفِيفُهُ وَحَذْفُهُ، كَالتَّشَهُّدِ الْأَوَّلِ وَالسَّلَامِ الَّذِي حَذْفُهُ سُنَّةٌ، وَزِيَادَةِ التَّطْوِيلِ عَلَى مَا فَعَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا عَلَى مَا يَظُنُّهُ سُرَّاقُ الصَّلَاةِ وَالنَّقَّارُونَ لَهَا وَيَشْتَهُونَهُ، وَمِثَالُ هَذَا التَّوَسُّطُ فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: أَنْ لَا يَغْلُوَ فِيهِمْ، كَمَا غَلَتِ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ، وَلَا يَجْفُوَ عَنْهُمْ، كَمَا جَفَتِ الْيَهُودُ، فَالنَّصَارَى عَبَدُوهُمْ، وَالْيَهُودُ قَتَلُوهُمْ وَكَذَّبُوهُمْ، وَالْأُمَّةُ الْوَسَطُ: آمَنُوا بِهِمْ، وَعَزَّرُوهُمْ وَنَصَرُوهُمْ، وَاتَّبَعُوا مَا جَاءُوا بِهِ، وَمِثَالُ ذَلِكَ فِي حُقُوقِ الْخَلْقِ: أَنْ لَا يُفَرِّطَ فِي الْقِيَامِ بِحُقُوقِهِمْ، وَلَا يَسْتَغْرِقَ فِيهَا، بِحَيْثُ يَشْتَغِلُ بِهَا عَنْ حُقُوقِ اللهِ، أَوْ عَنْ تَكْمِيلِهَا، أَوْ عَنْ مَصْلَحَةِ دِينِهِ وَقَلْبِهِ، وَأَنْ لَا يَجْفُوَ عَنْهَا حَتَّى يُعَطِّلَهَا بِالْكُلِّيَّةِ، فَإِنَّ الطَّرَفَيْنِ مِنَ الْعُدْوَانِ الضَّارِّ، وَعَلَى هَذَا الْحَدِّ، فَحَقِيقَةُ الْأَدَبِ: هِيَ الْعَدْلُ، وَاللهُ أَعْلَمُ] أهـ، [١]

---

(١) (مدارج السالكين: «٢/ ٣٦٨»- منزلة الأدب – باختصار).

أداب الإلفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخَلْق:

قَالَ الإِمَام الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ:

[الحَمْدُ لله الّذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتنانا، وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدُّنيَا أصدقاء وأخدانا، وفي الآخرة رفقاء وخلانا والصّلاة والسَّلام عَلَى محمّد المصطفى وعلى آله وأصحابه الّذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا وعدلا وإحسانا أما بعد:

فإن التحاب في الله تَعَالَى والأخوة في دينه من أفضل القربات وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تَعَالَى وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدرات ونزغات الشّيطان فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلاثة أبواب البَاب الأوّل في فضيلة الألفة والأخوة في الله تَعَالَى وشروطها ودرجاتها وفوائدها البَاب الثّاني في حقوق الصحبة وآدابها وحقيقتها ولوازمها، البَاب الثّالث في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفِيَّة المعاشرة مع من قد بلى بهذه الأسباب.

البَاب الأوّل: في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها :

اعْلَمْ أَنَّ الْأُلْفَةَ ثَمَرَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ وَالتَّفَرُّقَ ثَمَرَةُ سُوءِ الْخُلُقِ فَحُسْنُ الْخُلُقِ يُوجِبُ التَّحَابَّ وَالتَّآلُفَ وَالتَّوَافُقَ وَسُوءُ الْخُلُقِ يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كانَ المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا تخفى في الدِّينِ فَضِيلَتُهُ وَهُوَ الَّذِي مَدَحَ الله سُبْحَانَهُ بِهِ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ قَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]، وقال النبيّ ﷺ: «**أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ تَقْوَى الله وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»[1]، وقال أُسَامَة بن شريك قلنا يا رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان فقال: «**خُلُقٌ حَسَنٌ**»[2]، وقال ﷺ: «**بُعِثْتُ**

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٤) وابن ماجة (٤٢٤٦) وأحمد (٧٩٠٧، ٩٠٩٦) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه ابن ماجة (٣٤٣٦) وأحمد (١٨٤٥٤) وصححه الألباني والأرنؤوط.

لِأُتَمِّمَ محَاسِنَ الأَخْلاقِ»[١]، وقال ﷺ: «أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي المِيزَانِ خُلُقٌ حَسَنٌ»[٢]، وقال ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيرَةَ عَلَيْكَ بِحُسنِ الخُلُق»»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَة رضي الله عنه: وَمَا حُسْنُ الخلُقِ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «تَصِلُ مَنْ قَطَعَك وتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَك وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَك»[٣]، ولا يخفي أن ثمرة الخلق الحسن الألفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة وكيف وقد ورد في الثناء عَلى نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة هيَ التقوى والدّين وحب الله من الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع قَالَ الله تَعَالَى مُظهراً عظيمَ مِنّتِه عَلى الخلق بنعمةِ الألفة: ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الأنفال: ٦٣] وقال: ﴿فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣] أي بالألفة ثمّ ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران]، وقال ﷺ: «إِنَّ أقربَكُم مِنِّي مجلِسَاً أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ»[٤]، وقال ﷺ في الثناء عَلى الأخوة في الدّين: «مَنْ أَرَادَ الله بِهِ خَيْرًا رَزَقَهُ خَلِيلًا صَالِحًا إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ»[٥]، وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ: إِنّي أحبك في الله، فقال: له أبشر ثمّ أبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تنصب لطائفة من النَّاس كراسي حول الْعَرْش يَوْم الْقِيَامَة وُجُوههم كَالْقَمَرِ لَيْلَة الْبَدْر، يفزع النَّاس وهم لَا يفزعون وَيخَاف النَّاس وهم لَا يخَافُونَ وهم أَوْلِيَاء الله الَّذين لَا

(١) رواه أحمد (٨٩٥٢) والحاكم (٤٢٢١) وصححه، بلفظ: «لأتمِّم صالح الأخلاق» والبيهقي(٢٠٧٨٢) واللفظ له، وصححه الألباني (الصحيحة ٤٥).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٩٩) والترمذي (٢٠٠٢، ٢٠٠٣) وأحمد (٢٧٤٩٦، ..) وصححه الألباني.

(٣) قال العراقي: (رواه البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن أبي هريرة ولم يسمع منه). ولم أقف عليه عند البيهقي بهذا السند، وقد ورد طرف الحديث «قال: تَصِلُ مَنْ قَطَعَك و..و » من طرق أخرى عند البيهقي وغيره وكلها ضعيفة.

(٤) رواه الطبراني في مكارم الأخلاق (٦) من حديث جابر بسند ضعيف. وروى بمعناه في الأوسط (٤٤٢٢) بسند حسنه الألباني بلفظ: « أكمل المؤمنين إيمانا.....».

(٥) غريب بهذا اللفظ، والمعروف أن ذلك في الأمير، رواه أبو داود (٢٩٣٢) وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها بسند صححه الألباني: «إذا أرادَ اللهُ بالأميرِ خيراً جَعَلَ لَهُ وَزيرَ صِدقٍ إنْ نَسِيَ ذكّرَهُ وإنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ.. الحديث»

خوف عَلَيْهِم وَلَا هم يَحْزَنُونَ، فَقيل: من هَؤُلَاءِ يَا رَسُول الله؟ فَقَالَ: هُم المتَحَابُّون فِي الله تَعَالَى»(١)، وقال ﷺ: «إِنَّ الله يَقُول: حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِنْ أَجْلِي، وحقَّتْ محبَّتي للَّذينَ يَتبَاذَلُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحقَّتْ محبَّتي للَّذينَ يَتنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِي»(٢)، وقال ﷺ: «إِنَّ الله تَعَالَى يقولُ يومَ القِيامَةِ: أينَ المتحابُّونَ بِجلالي اليَوْمَ أُظلُّهُم في ظِلّي يومَ لَا ظلَّ إلَّا ظلّي»(٣)، وقال ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظلّهم الله فِي ظلّه يَوْمَ لَا ظلّ إِلَّا ظلّه إِمَام عَادِل، وشابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله، وَرَجُل قلبُه مُتَعَلق بِالْمَسْجِدِ إِذا خرجَ مِنْهُ حَتَّى يَعود إِلَيْهِ، وَرَجُلان تحابَّا فِي الله اجْتمعَا عَلَى ذَلِك وتفرَّقا عَلَيْهِ، وَرجلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيناهُ، وَرجلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَات حَسَبٍ وجمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ تَعَالَى، وَرجلٌ تصدَّق بِصَدقَة فَأَخفَاهَا حَتَّى لَا تَعلَمَ شِمَالُه مَا تنفِقُ يَمِينُه»(٤).

وقال عيسى عليه السلام: «**تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس قَالَ جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله**».

وقَالَ علي رضي الله عنه: (عليكم بالإخوان فإنهم عدّة في الدُّنيَا والآخرة إلا تسمع إلى قول أهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم)، وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: (والله لو صمت النَّهَار لا أفطره وقمت الليل لا أنامه وأنفقت مالي غلقا غلقا في سبيل الله أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما نفعني ذلك شيئا)، وقال الحسن عَلى ضده: (يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من أحب فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليَهُوْد والنّصَارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم)، وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع، وقال الفضيل في بعض كلامه: (هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرَّحمٰن في داره مع النبيّين والصديقين والشّهداء

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ إلا عند الغزالي، وأصله عند أحمد (٢٢٠٣٠) وصححه الأرنؤوط .

(٢) أخرجه أَحْمد (١٩٤٣٨) من حَدِيث عَمْرو بن عبسة، وقال الأرنؤوط : حديث صحيح وهذا إسناد ضعيف.

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٦).

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (١٤٢٣، ٦٤٧٩، ٦٨٠٦) ومسلم (١٠٣١).

والصّالحين بأي عمل عملته بأي شهوة تركتها بأي غيظ كظمته بأي رحم قاطع وصلتها بأي زلة لأخيك غفرتها بأي قريب باعدته في الله بأي بعيد قاربته في الله).

وقال رجل لمحمّد بن واسع: إنّي لأحبك في الله فقال: (أحبك الّذي أحببتني له ثمّ حول وجهه وقال اللّهم إنّي أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض).

وقال الفضيل: (نظر الرجل إلى وجه أخيه عَلى المودة والرحمة عبادة).] أهـ.[1]

من آداب الجِهَاد

جاء في كتاب (الذخائر العظام من مؤلفات الشَّيْخ عبدالله عزام) في مسألة آداب القِتَال وأحكامه، ما نقتطف منه مايلي:

[لقد شرع القِتَال في الإِسْلَام لنشر الدّعوة الإِسْلَاميّة، وإنقاذ البشرية من الكفر، ونقلهم من ظلمة الدُّنيَا إلى نور الآخرة، ولذا فإن القِتَال في هذا الدّين الحنيف لإزالة العقبات السّياسيّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة أمام الدّعوة الإِسْلَاميّة، بل تستطيع أن تقول أن وظيفة الجِهَاد (القِتَال): هو تحطيم الحواجز الّتي تقف دون نشر هذا الدّين في ربوع العَالَمِيّن، فإن قبل النّاس هذا الدّين فلا حاجة لإشهار سيف، ولا إراقة دماء، ولا إتلاف منشآت وأموال، لأن هذا الدّين جاء للإصلاح والإعمار لا للإتلاف والدمار.

والقتل والقتال ضرورة مفروضة عَلى المُسلِمِين لأَنّهم يحملون راية التّوحيد، وهم مأمورون بنشرها فوق كلّ رابية وسهل، والضروة تقدر بقدرها.

فإذا لم نستطع الدّعوة إلا بقتال الأنظمة السّياسيّة والسُّلطات القائمة قاتلناهم لأَنّهم يحولون بيننا وبين تبليغ النّاس، فإذا وقف أمامنا القوّة السّياسيّة وأصحاب والأموال وتجمعات القبائل اضطررنا لمواجهتهم بالسّلاح حتَّى يستسلموا لهذا الدّين ويفتحوا الطّريق بيننا وبين الشّعوب الّتي أمرنا بإنقاذها.

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩﴾ [الأنفال].

---

(١) عن كتاب إحياء علوم الدين باختصار: (٢/ ١٥٨-١٥٩).

فالقتال لإزالة الفتنة، وتحطيم الطغمة الّذين يعبدون النّاس لأنفسهم من دون الله، فإن استسلمت هذه الطغمة وألقت السلم فلا حاجة لإشهار السّلاح ولا ضرورة لقتل النّاس.

ولذا فإن الإِسْلَام يحرص أولاًعلى إنقاذ النّاس – حتَّى الطواغيت – من النار: من نار الجَاهِليَّة في الدُّنيَا ومن جحيم الآخرة، ولذا قَالَ النبيّ ﷺ لعلي حينما سلم له الرّاية يوم خيبر: «فَوَاللهِ لَئِن يَهتدي بِكَ رجلٌ وَاحدٌ خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمرِ النَّعَم»(١).

ومن هنا فالقتال في الإِسْلَام ضرورة لإنقاذ الشّعوب المستضعفة والقطعان المستعبدة للآلهة البشرية، فلا بُدَّ من إنزال هذ الآلهة البشرية إلى مقام العبودية وإنقاذ العبيد وتحريرهم، فإن أبت هذه الأرباب الآدمية أن تزول من عليائها فلا بُدَّ من تحطيم كبريائها وإعادتها إلى حجمها الطبيعي إلى حدها الّذي تخطته ظلما وعدوانا عَلَى بحور الدِّماء وجماجم الأبرياء وأشلاء الشّهداء.

ومن هنا فإن الإِسْلَام يعلم مبادئ كبرى، ويخط خطوطا واضحة تعتبر قواعد عامة في الجِهَاد، وأهمّها: أن القِتَال لنشر الدّعوة الإِسْلَاميّة فمن لم يقف في طريقها فلا يجوز قتاله ولذا:

- لا بُدَّ من عرض الدّعوة عَلَى النّاس قبل قتالهم،
- ولا يجوز قتالهم قبل تبليغهم الدّعوة.
- لا يجوز قتل الّذين لا يقاتلون ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ وقاتل (فاعل): صيغة مشاركة، أي: يجب أن يكون الّذي يقاتله المُسلِمُون مقاتلا،
- ولا يجوز قتال الّذين ليس لهم شوكة ولا بأس ولا تخشى منهم الفتنة كالأطفال، والنِّسَاء، والمقعدين والذميين، والرهبان، والمنعزلين عن النّاس.
- ولا يجوز إتلاف الموال ولا قطع الشجر ولا حرق البيوت إلا بقدر الضَّرورة لإزالة الحواجز أمام الدّعوة.
- لا يجوز بعد القِتَال تمثيل (المثلة) ولا تشويه للموتى.
- لا يجوز بعد الاستسلام والذمة والعهد قتال ولا غدر ما وفوا بذمتهم وعهدهم

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٣٠٠٩) ومسلم (٢٤٠٦).

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [التوبة] «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يومَ القِيَامَةِ»[1] حديث صحيح].أهـ.[2]

خطوط رئيسيَّة في آداب الجِهَاد:

رسم أبو بكر ﷺ معالم واضحة، وخطوطا واضحة في سياسة التعامل مع الكفّار أثناء الجِهَاد، فقد أوصى يزيد بن أبي سفيان لما شيّعه ماشياً ووجهه إلى الشّام فقال: (إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ لِأَبْلُوَكَ وَأُجَرِّبَكَ وَأُخَرِّجَكَ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ رَدَدْتُكَ إِلَى عَمَلِكَ وَزِدْتُكَ، وَإِنْ أَسَأْتَ عَزَلْتُكَ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى الله فَإِنَّهُ يَرَى مِنْ بَاطِنِكَ مِثْلَ الَّذِي مِنْ ظَاهِرِكَ، وَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالله أَشَدُّهُمْ تَوَلِّيًا لَهُ، وَأَقْرَبُ النَّاسِ مِنَ الله أَشَدُّهُمْ تَقَرُّبًا إِلَيْهِ بِعَمَلِهِ، وَقَدْ وَلَّيْتُكَ عَمَلَ خَالِدٍ، فَإِيَّاكَ وَعُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ اللهَ يُبْغِضُهَا وَيُبْغِضُ أَهْلَهَا، وَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى جُنْدِكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمْ، وَابْدَأْهُمْ بِالْخَيْرِ وَعِدْهُمْ إِيَّاهُ، وَإِذَا وَعَظْتَهُمْ فَأَوْجِزْ؛ فَإِنَّ كَثِيرَ الْكَلَامِ يُنْسِي بَعْضُهُ بَعْضًا، وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ يَصْلُحْ لَكَ النَّاسُ، وَصَلِّ الصَّلَوَاتِ لِأَوْقَاتِهَا بِإِتْمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَالتَّخَشُّعِ فِيهَا، وَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رُسُلُ عَدُوِّكَ فَأَكْرِمْهُمْ، وَأَقْلِلْ لُبْثَهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ عَسْكَرِكَ وَهُمْ جَاهِلُونَ بِهِ، وَلَا تُرِيَنَّهُمْ فَيَرَوْا خَلَلَكَ وَيَعْلَمُوا عِلْمَكَ، وَأَنْزِلْهُمْ فِي ثَرْوَةِ عَسْكَرِكَ، وَامْنَعْ مَنْ قِبَلَكَ مِنْ مُحَادَثَتِهِمْ، وَكُنْ أَنْتَ الْمُتَوَلِّيَ لِكَلَامِهِمْ، وَلَا تَجْعَلْ سِرَّكَ لِعَلَانِيَتِكَ فَيَخْلِطُ أَمْرُكُ، وَإِذَا اسْتَشَرْتَ فَاصْدُقِ الْحَدِيثَ تُصْدَقِ الْمَشُورَةَ، وَلَا تَخْزُنْ عَنِ الْمُشِيرِ خَبَرَكَ فَتُؤْتَى مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ، وَاسْمِرْ بِاللَّيْلِ فِي أَصْحَابِكَ تَأْتِكَ الْأَخْبَارُ وَتَنْكَشِفْ عِنْدَكَ الْأَسْتَارُ، وَأَكْثِرْ حَرَسَكَ وَبَدِّدْهُمْ فِي عَسْكَرِكَ، وَأَكْثِرْ مُفَاجَأَتَهُمْ فِي مَحَارِسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِكَ، فَمَنْ وَجَدْتَهُ غَفَلَ عَنْ مَحْرَسِهِ فَأَحْسِنْ أَدَبَهُ وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِفْرَاطٍ، وَأَعْقِبْ بَيْنَهُمْ بِاللَّيْلِ، وَاجْعَلِ النَّوْبَةَ الْأُولَى أَطْوَلَ مِنَ الْأَخِيرَةِ؛ فَإِنَّهَا أَيْسَرُهُمَا لِقُرْبِهَا مِنَ النَّهَارِ، وَلَا تَخَفْ مِنْ عُقُوبَةِ الْمُسْتَحِقِّ، وَلَا تَلِجَّنَّ فِيهَا، وَلَا تُسْرِعْ إِلَيْهَا، وَلَا تَخْذُلْهَا مَدْفَعًا، وَلَا تَغْفُلْ عَنْ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فَتُفْسِدَهُ، وَلَا تَجَسَّسْ عَلَيْهِمْ فَتَفْضَحَهُمْ، وَلَا تَكْشِفِ النَّاسَ عَنْ أَسْرَارِهِمْ، وَاكْتَفِ بِعَلَانِيَتِهِمْ، وَلَا تُجَالِسِ الْعَبَّاثِينَ،

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٣١٨٦، ٣١٨٧) ومسلم (١٧٣٦، ١٧٣٧).

(٢) (الذخائر ج١/ ٢٨٥).

وَجَالِسْ أَهْلَ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ، وَاصْدُقِ اللِّقَاءَ، وَلَا تَجْبُنْ فَيَجْبُنَ النَّاسُ، وَاجْتَنِبِ الْغُلُولَ فَإِنَّهُ يُقَرِّبُ الْفَقْرَ وَيَدْفَعُ النَّصْرَ، وَسَتَجِدُونَ أَقْوَامًا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ فَدَعْهُمْ وَمَا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ)(١)]. أهـ.(٢)

****

(١) الكامل في التاريخ (٢/ ٢٥٠) في ذكر فتوح الشام.

(٢) (الذخائر ج١/ ١٧٥).

العِبَادات والنوافل:

الصّلاة:

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «سَلُونِي»، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «لَا تُشْرِكُ بِالله شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَخْشَى اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا رَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تَلِدُ رَبَّهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الْأَرْضِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبَهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾ [لقمان] قَالَ: ثُمَّ قَامَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «رُدُّوهُ عَلَيَّ»، فَالْتُمِسَ، فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَذَا جِبْرِيلُ، أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا»(١).

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمسٍ شَهَادَةُ أن لَاإِلَهَ إِلَّا الله وأنَّ مُحَمّداً رَسُولُ الله، وإقامُ الصّلاةِ، وإيتاءُ الزَّكاةِ، والحجّ، وصَوْم رَمَضَانَ»(٢).

*عن أبي مالكٍ الأشعري قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لله تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلَآَنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٥٠، ١٣٩٧، ٤٧٧٧، ٧١٢١) ومسلم (٩، ١٠، ١٤) واللفظ له.

(٢) رواه البُخَارِيّ (٤٥١٣) ومسلم (١٦).

(٣) رواه ومسلم (٢٢٣) والتِّرْمِذِيّ (٣٥١٧).

* أبا عمرو الشيباني يقول: حدثنا صاحب هذه الدار وأشار إلى دار عبدالله قَالَ: سَأَلْتُ النَّبيَّ ﷺ: أيّ العمل أحبّ إلى الله؟ قَالَ: «الصّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا» قَالَ: ثُمَّ أَي؟ قَالَ: «ثُمّ بِرّ الوَالِدَّيْن» قَالَ: ثُمَّ أَي؟ قَالَ: «الجِهَادُ في سَبِيْلِ الله»، قَالَ: حَدَّثني بِهِنَّ وَلَوْ اسْتَزدتهُ لَزَادَنِي[1].

* عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ» قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو الله بِهِ الخَطَايَا»[2].

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قَالَ: «الصّلَوَاتُ الخمْسُ والجُمْعَةُ إلى الجمعةِ كفَّارةٌ لما بَيْنَهُنَّ مَا لمْ تُغْشَ الكبَائرُ»[3].

* [عن معاذ رضي الله عنه قَالَ: فقلت يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ» ثُمَّ تَلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] حَتَّى بَلَغَ ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة] ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»][4].

* عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «صَلاةُ الجَمِيعِ تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلاَتِهِ فِي سُوقِهِ، خَمْسًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ، وَأَتَى المَسْجِدَ، لاَ يُرِيدُ إِلَّا الصَّلاَةَ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً

(١) متفق عليه، رواه البُخَارِيّ (٢٧٨٢، ٥٩٧٠، ٧٥٣٤) ومسلم (٨٥).

(٢) متفق عليه، رواه البُخَارِيّ (٥٢٨) ومسلم (٦٦٧)

(٣) رواه مسلم (٢٣٣) وأصحاب السنن.

(٤) رواه الترمذي (٢٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي (٢٢٢٤، ٢٢٢٥) وابن ماجة (٣٩٧٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

إِلَّا رَفَعَهُ الله بِهَا دَرَجَةً، وَحطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً، حَتَّى يَدْخُلَ المَسْجِدَ، وَإِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ، كَانَ فِي صَلاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ، وَتُصَلِّي - يَعْنِي عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ - مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ: اللهمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ»(١).

* عن أبي هريرة ﵁، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ، فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى، دَعَاهُ، فَقَالَ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَجِبْ»(٢).

* عن أبي هريرة ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ» (٣).

عقوبة تارك الصّلاة:

* عن أبي المليح قَالَ كنا مع بريدة في غزوة في يوم ذي غيم فقال بكروا بصلاة العصر فإن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»(٤).

* عن أبي هريرة ﵁، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ - وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: يَا وَيْلِي - أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ»، حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، مِثْلَهُ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ»(٥).

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٤٧٧، ٤٤٥، ٦٤٧..) ومسلم (٦٠٢، ٦٦٦)

(٢) رواه مسلم (٦٥٣) والنسائي (٨٥٠).

(٣) متفق عليه، رواه البُخَارِيّ (٦١٥، ٦٤٤، ٦٥٧، ٧٢٠...) ومسلم (٤٣٧، ٦٥١).

(٤) رواه البخاري (٥٥٣، ٥٩٤).

(٥) رواه مسلم (٨١).

* عن أبي سفيان قَالَ سمعت جابرا يقولا سمعت النبيّ ﷺ يقول: «إِنَّ بَينَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّركِ والكُفرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ»(١).

الزّكاة:

* عن أبي أيوب رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، قَالَ: مَا لَهُ مَا لَهُ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَبٌ مَا لَهُ، تَعْبُدُ اللهَّ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ»(٢).

* عن سليم بن عامر، قَالَ: سمعت أبا أمامة يقول: سَمِعْتَ رَسُولَ الله ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ فَقَالَ: «اتَّقُوا اللهَّ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»(٣) قَالَ أبو عيسى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ الله نُودِيَ فِي الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ الله، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ الله، مَا عَلَى أَحَدٍ يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» -يعني أبا بكر-(٤).

* عن خالد بن أسلم قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عَبدِالله بنِ عُمَر رضي الله عنهما فَقَالَ أَعرَابيٌّ: أَخبرني عَنْ قَوْلِ الله ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، قَالَ ابنُ عُمَر رضي الله عنهما: «من كَنَزَها فَلَم يُؤَدِّ زَكَاتَها فَوَيْلٌ لَهُ إِنَّمَا كَانَ هذا قبل أَنْ تَنزِلَ الزّكاة فَلَمّا أُنزلَت جَعَلَهَا اللهُ طُهراً لِلأَموالِ»(٥).

---

(١) رواه مسلم (٨٢) وأصحاب السنن.

(٢) رواه البُخَارِيّ (١٣٩٦) ومسلم (١٣).

(٣) رواه التِّرْمِذِيّ (٦١٦) وأحمد (٢٢١٦١، ٢٢٢٥٨، ٢٢٢٦٠) وصححه الألباني.

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (١٨٩٧، ٢٨٤١، ٣٢١٦) ومسلم (١٠٢٧).

(٥) رواه البُخَارِيّ (٤٦٦١) .

إثمُ مانعِ الزّكاة:

قَالَ الإِمَام البُخَارِيّ: بَاب إِثْمِ مَانِعِ الزّكاة وَقَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

* عن أبي هريرة ﷺ، يقول: قَالَ النبيّ ﷺ: «تَأْتِي الإِبِلُ عَلَى صَاحِبِهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، إِذَا هُوَ لَمْ يُعْطِ فِيهَا حَقَّهَا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَأْتِي الغَنَمُ عَلَى صَاحِبِهَا عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ إِذَا لَمْ يُعْطِ فِيهَا حَقَّهَا، تَطَؤُهُ بِأَظْلاَفِهَا، وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا»، وَقَالَ: «وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُحْلَبَ عَلَى المَاءِ» قَالَ: «وَلاَ يَأْتِي أَحَدُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ بِشَاةٍ يَحْمِلُهَا عَلَى رَقَبَتِهِ لَهَا يُعَارٌ، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ بَلَّغْتُ، وَلاَ يَأْتِي بِبَعِيرٍ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ لَهُ رُغَاءٌ فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ الله شَيْئًا، قَدْ بَلَّغْتُ»[(١)] .

صوم رمضان:

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ، قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ» قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا، فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا»[(٢)].

* عن أبي هريرة ﷺ يقول: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»[(٣)].

* عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ حَسَنَةٍ عَمِلَهَا ابْنُ آدَمَ إِلَّا كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (١٤٠٢، ٢٣٧٨، ..) ومسلم (٩٨٧، ١٨٣١).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (١٣٩٧) ومسلم (٩، ١٠، ١٤).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٣٢٧٧، ١٨٩٨، ١٨٩٩) ومسلم (١٠٧٩)

مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ جُنَّةٌ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»(١).

* عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا واحتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبه»(٢).

فريضة الحجّ:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧]

* عن ابن عمر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمسٍ شَهَادَةُ أن لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله وأنَّ محَمّداً رَسُولُ الله، وإقامُ الصّلاةِ، وإيتاءُ الزَّكَاةِ، والحجّ، وصَوْم رَمَضَانَ»(٣).

* وعنه قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ ولمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتهُ أُمُّهُ»(٤).

وعنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ» (٥).

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلاَ نُجَاهِدُ؟ قَالَ: «لاَ، لَكِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ»(٦).

* وعنها أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ»(٧).

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (١٨٩٤، ١٩٠٤، ..) ومسلم (١١٥١) واللفظ للنسائي (٢٢١٥).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (١٩٠١، ٢٠١٤) ومسلم (٧٦٠) وأصحاب السنن.

(٣) رواه البُخَارِيّ (٤٥١٣) ومسلم (١٦).

(٤) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١٨١٩، ١٨٢٠) ومُسلم (١٣٥٠).

(٥) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١٧٧٣) ومُسلم (١٣٤٩).

(٦) رواه البُخَارِيّ (١٥٢٠).

(٧) رواه مسلم (١٣٤٨).

* عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيّ ﷺ قال: «عُمْرَةٌ في رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً - أَوْ حَجَّةً مَعِي»(١)

* عائشة رضي الله عنها قالت: قُلْتُ: يا رَسُولَ الله، هَلْ عَلَى النِّسَاءِ مِنْ جِهَادٍ؟ قَالَ: «[نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ] جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ: الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ»(٢).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ أيُّ الأعمَالِ أَفْضَل؟ قَالَ: «إِيْمانٌ بِالله وَرَسُولِهِ»، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «جِهادٌ في سَبِيلِ الله»، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ»(٣).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ثمّ وَفْدُ الله ثَلَاثَةٌ: الْغَازِي، وَالْحَاجُّ، وَالْمُعْتَمِرُ»(٤).

* عن شقيق عن عبدالله رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ دُونَ الْجَنَّةِ»(٥).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ثُمَّ اللّهمَّ اغْفِرْ لِلحُجَّاجِ وَلمنْ استَغْفَرَ لَهُ الحَاجّ»(٦).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ثمّ مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»(٧).

---

(١) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١٨٦٣، ١٧٨٢) ومُسلم (١٢٥٦).

(٢) رواه البخاري (١٥٢٠، ١٨٦١، ٢٧٨٤..) واللفظ لأحمد (٢٥٣٢٢).

(٣) متفق عليه، رواه البُخَارِيّ (٢٦) ومسلم (٨٣).

(٤) رواه النسائي (٢٦٢٥) وصححه الألباني.

(٥) رواه الترمذي (٨١٠) وصححه، والنسائي (٢٦٣١) وأحمد (٣٦٦٩)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٦) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٢٥١٦)، والحاكم في المستدرك (١٦١٢)، والبيهقي في الشعب (٣٨١٧)، وضعفه الألباني.

(٧) متفق عليه، رواه البخاري (١٨١٩، ١٨٢٠) ومسلم (١٣٥٠).

النوافل وفضائل الأعمال

فضل الوضوء:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ [المائدة: ٦]

- عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ»[(١)].
- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ الله قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[(٢)].
- عمر بن الخطاب ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» رواه مسلم[(٣)] وزاد التِّرْمِذِيّ[(٤)]: «اللهمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ».

فضل قراءة القرآن:

- عن أبي أمامة ﷺ قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقْرَؤوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ»[(٥)].
- عن عثمان بن عفان ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[(٦)].

---

(١) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١٣٦) ومُسلم (٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩).

(٢) رواه مسلم (٢٥١).

(٣) رواه مسلم (٢٣٤) .

(٤) في سنن الترمذي (٥٥) وصححه الألباني.

(٥) رواه مسلم (٨٠٤).

(٦) رواه البُخَارِيّ (٥٠٢٧، ٥٠٢٨).

• وعن عائشة ﵂ قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ»(١).

• عن عمر بن الخطاب ﵁، أن النبيّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»(٢).

• عن ابن مسعود ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»(٣).

• عن ابن عباس ﵄ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ»(٤).

• عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﵄ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا»(٥).

• عن أبي هريرة ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»(٦).

فضل صلاة النافلة:

**** سنن الصّلاة المكتوبة:**

• عن عائشة ﵂ : «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَدَعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ»(٧).

---

(١) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٤٩٣٧) ومُسلم (٧٩٨).

(٢) رواه مسلم (٨١٧).

(٣) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٩١٠) وقال حديث حسن صحيح

(٤) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٩١٣) وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، ورواه الحاكم (٢٠٣٧) وصححه ولم يوافقه الذهبي، ورواه أحمد (١٩٤٧) وضعفه الأرنؤوط والألباني.

(٥) رواه أبو داود (١٤٦٤) والتِّرْمِذِيّ (٢٩١٤) وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني، وحسنه الأرنؤوط.

(٦) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٧) رواه البُخَارِيّ (١١٨٢).

• وعنها عن النبيّ ﷺ قَالَ: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(١).

• وعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّارِ»(٢).

• عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قَالَ: «رَحِمَ الله امْرَءًا صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا»(٣).

• وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ العَصْرِ رَكْعَتَيْنِ»(٤).

**** استحباب جعل النوافل في البيت سواء الراتبة وغيرها:**

• عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قَالَ: «صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلاَةِ صَلاَةُ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا المَكْتُوبَةَ»(٥).

• وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : «إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ فَإِنَّ اللهَّ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا»(٦) .

• وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قَالَ: «اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا»(٧).

• عن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ»(٨).

**** فضل صلاة الضحى:**

(١) رواه مسلم (٧٢٥).

(٢) رواه أبو داود (١٢٦٩) والتِّرْمِذِيّ (٤٢٨) . صححه الألباني، وحسنه الأرنؤوط.

(٣) رواه أبو داود (١٢٧١)، والتِّرْمِذِيّ (٤٣٠) وقال: حديث حسن. وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه أبو داود (١٢٧٢) وحسنه الألباني بلفظ أربع ركعات وبه قال الأرنؤوط.

(٥) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٧٣١) ومُسلم (٧٨١).

(٦) رواه مسلم (٧٧٨).

(٧) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٩٩٨) ومُسلم (٧٤٩، ٧٥١).

(٨) رواه مسلم (٧٥٥).

• عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: «بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ»(١).

• عن أبي ذر ﷺ عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»(٢).

• وعن عائشة ﷺ قالت: «كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي الضُّحَى أَرْبَعًا، وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللهُ»(٣)

**** صلاة تحية المَسجِد بركعتين وكراهية الجلوس قبل أن يصلي ركعتين في أي وقت دخل:**

• عن أبي قتادة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ، فَلاَ يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ»(٤)

•وعن جابرٍ ﷺ قَالَ أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو في المَسجِد فقال: «صَلِّ رَكعَتَينِ»(٥).

****استحباب ركعتين بعد الوضوء:**

• عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ لِبِلاَلٍ: «[عِنْدَ صَلاَةِ الفَجْرِ] يا بِلاَلُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ» قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ(٦).

**** فضل قيام الليل:**

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء]. وقال تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]. وقال تَعَالَى: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧﴾ [الذاريات]

(١) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١١٧٨، ١٩٨١) ومُسلم (٧٢١).

(٢) رواه مسلم (١٠٠٦).

(٣) رواه مسلم (٧١٩).

(٤) رواه التسعة، وهوفي البُخَارِيّ برقم (٤٤٤، ١١٦٣) ومُسلم (٧١٤).

(٥) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٢٠٩٧، ٢٣٩٤، ٤٤٣، ٢٦٠٤ ...) ومُسلم (٧١٥).

(٦) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١١٤٩) ومُسلم (٢٤٥٨). وهذا لفظ البُخَارِيّ.

• عن عائشة ﵂ : أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فقالتْ عائشةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلاَ [أحبُّ أن] أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا»(١).

• عن علي ﵁: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ لَيْلًا، فَقَالَ: «أَلَا تُصَلِّيَانِ؟»»(٢).

• عن سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب عن أبيه ﵄ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللهِ، بَعْدَ ذَلِكَ، لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا (٣).

• عن ابن مسعود ﵁ قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ، أَوْ قَالَ: فِي أُذُنِهِ»(٤)

• عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ»(٥).

• وعن عبدالله بن سلام ﵁ أن النبيّ ﷺ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ»(٦).

• عن أبي هريرة ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ»(٧).

• عن ابن عمر ﵄ أن النبيّ ﷺ قَالَ: «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خِفْتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ»(٨).

---

(١) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٤٨٣٧) واللفظ له، ومُسلم (٢٨٢٠).

(٢) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١١٢٧، ٤٧٢٤، ٧٣٤٧، ٧٤٦٥) ومُسلم (٧٧٥).

(٣) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١١٢٢) ومُسلم (٢٤٧٩).

(٤) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٣٢٧٠) ومُسلم (٧٧٤).

(٥) متفق عليه رواه البخاري (١١٤٢) ومسلم (٧٧٦).

(٦) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٤٨٥) وأحمد (٢٣٧٨٤) وابن ماجه (٣٢٥١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٧) رواه مسلم (١١٦٣).

(٨) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١١٣٧، ٤٧٣، ..) ومُسلم (٧٤٩).

• عن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، كَانَتْ تِلْكَ صَلاَتَهُ يَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أَحَدُكُمْ خَمْسِينَ آيَةً، قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، وَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الفَجْرِ، ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ حَتَّى يَأْتِيَهُ المُنَادِي لِلصَّلاَةِ»(١).

• عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قَالَ: «أَحَبُّ الصَّلاَةِ إِلَى الله صَلاَةُ دَاوُدَ [عَلَيْهِ السَّلاَمُ]، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى الله صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا»(٢).

• وعن جابر رضي الله عنه قَالَ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»(٣).

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَلْيَفْتَتِحْ صَلَاتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ»(٤)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي، افْتَتَحَ صَلَاتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ»(٥).

• وعنها رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ: «كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ، أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً»(٦).

• عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قَالَ: قالَ رسول الله ﷺ «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ»(٧).

---

(١) رواه البُخَارِيّ (١١٢٣).

(٢) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٢٤٢٠، ١١٣١) ومُسلم (١١٥٩).

(٣) رواه مسلم (٧٥٧).

(٤) رواه مسلم (٧٦٨).

(٥) رواه مسلم (٧٦٧).

(٦) رواه مسلم (٧٤٦).

(٧) رواه مسلم (٧٤٧).

• عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «رَحِمَ الله رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ الله امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَإِنْ أَبَى، نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الماءَ»(١).

• عن أبي سعيد ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا، أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ»(٢).

• عن عائشة ﷺ أن النبيّ ﷺ قَالَ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ، فَيَسُبُّ نَفْسَهُ»(٣).

**** باب استحباب قيام رمضان وهو التراويح:**

• عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحْتِسَاباً، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٤).

**** فضل قيام ليلة القدر وبيان أرجى لياليها:**

• عن أبي هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٥).

• عن عائشة ﷺ قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُجَاوِرُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ وَيَقُولُ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»(٦).

• كَانَ رَسُولُ الله ﷺ، «إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَرَ»(٧).

---

(١) رواه أبو داود (١٣٠٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه أبو داود (١٣٠٩) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٧٨٦) ومُسلم (٢١٢).

(٤) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٢٠٠٩) ومُسلم (٧٥٩).

(٥) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (١٩٠١، ٢٠١٤) ومُسلم (٧٦٠).

(٦) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٢٠٢٠) ومسلم (١١٦٩).

(٧) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٢٠٢٤) ومسلم (١١٧٤).

فضل ذكر الله تَعَالَى:

- عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ للهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ » قَالَ: «فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: «فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ» قَالَ: «فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: «فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ مَا رَأَوْكَ؟» قَالَ: «فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: « يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا» قَالَ: «يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟» قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ» قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا» قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ» قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا» قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً» قَالَ: «فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ» قَالَ: «يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(١).

- **جاء في كتاب الترغيب والترهيب للإمام المنذري:**

(كتاب الذكر والدّعاء الترغيب في الإكثار من ذكر الله سرا وجهرا والمداومة عليه وما جاء فيمن لم يكثر ذكر الله تَعَالَى):

- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «يَقُولُ الله: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»(٢).

---

(١) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩).

(٢) متفقٌ عليه، رواهُ البُخَارِيّ (٧٤٠٥، ٧٥٠٥) ومُسلم (٢٦٧٥).

• وعن معاذ بن أنس ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: قَالَ الله جلَّ ذكره: «لَا يَذْكُرُنِي عَبْدٌ فِي نَفْسِهِ إِلَّا ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ مِنْ مَلَائِكَتِي، وَلَا يَذْكُرُنِي فِي مَلَأٍ إِلَّا ذَكَرْتُهُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»(١).

• وعن ابن عباس ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِذَا ذَكَرْتَنِي خَالِيًا ذَكَرْتُكَ خَالِيًا، وَإِذَا ذَكَرْتَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلإٍ خَيْرٌ مِنَ الَّذِين تَذْكُرُنِي فِيهِمْ»(٢).

• وعن أبي هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»(٣).

• وعن عبدالله بن بسر ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله»(٤).

• وعن مَالِكَ بْنَ يُخَامِرَ حَدَّثَهُمْ، أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَالَ لَهُمْ: إِنَّ آخِرَ كَلَامٍ فَارَقْتُ عَلَيْهِ رَسُولَ الله ﷺ أَنْ قُلْتُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى الله؟ قَالَ: «أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ الله»(٥).

• وعن أبي المخارق ﷺ قَالَ: قَالَ النبيّ ﷺ: «مَررتُ ليلَة أُسرِيَ بي برجل مُغَيَّبٍ في نورِ العرشِ، قلتُ: مَنْ هذا؛ أَمَلَكٌ؟ قيلَ: لا، قلتُ: نبيٌّ؟، قيلَ: لا، قلتُ: مَنْ هو؟ قال: هذا رجلٌ كان في الدنيا لسانُه رطبٌ مِنْ ذِكْرِ الله، وقلبه مُعَلَّقٌ بالمَساجِد، ولم يَسْتَسِبَّ لوالديهِ»(٦).

• وعن سالم بن أبي الجعد ﷺ قَالَ: «قيل لأبي الدرداء ﷺ إن رجلاً أَعتق مئة نَسَمَةٍ؟ قال: إنَّ مئةَ نَسَمةٍ مِنْ مالِ رجلٍ لكثيرٌ، وأَفْضَلُ مِنْ ذلكَ إِيمَانٌ مَلْزُومٌ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنْ لَا يَزَالَ لِسَانُ أَحَدِكُمْ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله»(٧).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٣٩١) بإسناد حسنه الألباني.

(٢) رواه البزار (٥١٣٨) بإسناد صححه الألباني.

(٣) رواه ابن ماجه (٣٧٩٢) وابن حبان (٨١٥) وأحمد (١٠٩٧٥) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٣٧٥) وابن ماجه (٣٧٩٣) وابن حبان (٨١٤) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٥) رواه ابن حبان (٨١٨) والطبراني في الكبير (٢٠٨) واللفظ له، وصححه الألباني.

(٦) رواه ابن أبي الدُّنيَا في كتاب الأولياء (٩٥) هكذا مرسلاً، وضعفه الألباني .

(٧) رواه البيهقي في الشعب (٦١٨)، وأحمد في الزهد (٧٣٠)، وضعفه الألباني.

• وعن عبدالله بن بسر ﵁: **أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله»**(١).

• وعن أبي الدرداء ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: **«أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ»؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «ذِكْرُ الله تَعَالَى» قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: «مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ الله مِنْ ذِكْرِ الله»**(٢).

• وعن عبدالله بن عمرو ﵄ عن النبيّ ﷺ **أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:** «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ صِقَالَةً، وَإِنَّ صِقَالَةَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ الله مِنْ ذِكْرِ الله» قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ، إِلَّا أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ»(٣).

• **وَرُوِيَ عَن أبي سعيد الْخُدْرِيّ ﵁ أَن رَسُول الله ﷺ سُئِلَ: أَي الْعباد أفضل دَرَجَة عِنْد الله يَوْم الْقِيَامَة؟ قَالَ: «الذَّاكِرُون الله كثيرًا»، قَالَ: قلت يَا رَسُول الله وَمن الْغَازِي فِي سَبِيل الله؟ قَالَ: «لَو ضَرَبَ بِسَيْفِهِ فِي الْكفَّار وَالْمُشْرِكين حَتَّى يَنْكَسِرَ وَيَخْتَضِبَ دَمًا لَكَانَ الذَّاكِرُونَ الله كَثِيرًا أفضل مِنْهُ دَرَجَة»**(٤).

• وعن أنس ﵁ عن رسول الله ﷺ قَالَ: **«مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ، عَزَّ وَجَلَّ لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ، إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ»**(٥).

• ورُوِيَ عَن أَنَس ﵁ أيضًا عن النبيّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ للهِ سَيَّارَةً مِنَ الْمَلائِكَةِ يَطْلُبُونَ حَلَقَ الذِّكْرِ فَإِذَا أَتَوْا عَلَيْهِمْ حَفُّوا بِهِمْ ثُمَّ بَعَثُوا رائِدَهم إِلى السَّماءِ إِلى رَبِّ العِزَّةِ تَبارَكَ وتَعالى، فيقولون: ربَّنا أتينا عَلى عِبادٍ مِنْ**

---

(١) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٣٧٥) وابن ماجه (٣٧٩٣) وابن حبان في صحيحه (٨١٤)، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه الترمذي (٣٣٧٧) وأحمد (٢١٧٠٢) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه البيهقي في الدعوات الكبير (١٩) وفي الشعب، وقال عنه الألباني: موضوع (الضعيفة – ٤٩٨٧)

(٤) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٣٧٦) وأحمد (١١٧٢٠) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٥) رواه أحمد (١٢٤٥٣) وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

عِبادك، يُعَظِّمونَ آلاءَك، ويَتْلونَ كِتابَك، ويُصَلُّونَ على نبيِّكَ محمدٍ ﷺ ويَسْأَلونَك لآخِرَتِهِمْ ودنياهُم. فيقولُ الله تبارك وتعالى: غَشُّوهم رَحْمتي فَهُم الجُلَساءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(١).

- وعن أبي الدَّرداء رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَيَبْعَثَنَّ الله أقْواماً يومَ القِيامَةِ في وُجوهِهِمُ النورُ، على مَنابِرِ اللُّؤْلُؤِ، يَغْبطُهُم الناسُ، لَيْسوا بأَنْبِياءَ ولا شُهَداءَ»، قال: فَجثَى أعْرابيٌّ على رُكْبَتَيْهِ، فقالَ: يا رسولَ الله! جَلِّهِمْ لنا نَعْرِفْهُمْ؟ قال: «هُم المَتحابُّونَ في الله مِنْ قَبائلَ شَتَّى، وبِلادٍ شَتَّى يَجْتَمِعونَ، على ذِكْرِ الله يَذْكُرونَهُ»(٢).

---

(١) رواه البزار (٦٤٩٤) وقال الألباني: منكر.

ويُفيدنا في هذا الصَّدد حديثٌ متفقٌ عليهِ عندَ البُخاريّ (٦٤٠٨)، وعند مسلم (٢٦٨٩)، ولفظه في البخاريّ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ للهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ» قَالَ: «فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: «فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ» قَالَ: «فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: «فَيَقُولُونَ: لاَ وَالله مَا رَأَوْكَ؟» قَالَ: «فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا» قَالَ: «يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟» قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ» قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَالله يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ» قَالَ: «يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لاَ وَالله يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا» قَالَ: «يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟» قَالَ: «يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً» قَالَ: «فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ» قَالَ: «يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

(٢) رواه الطبراني بإسناد حسن، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٧٧٠)، وأشار الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب) إليه بالصحة وعلق عليه بقوله: [ولم يتيسر لي الوقوف على إسناد الحديثين لننظر فيهما، فإن مسند الصحابيين المذكورين من «المعجم الكبير» للطبراني لم يطبع بعد، فأخشى أن يكون في التحسين المذكور شيء من التساهل المعهود، فإن الحديث قد جاء عن جمع من الصحابة وليس فيه الاجتماع على الذكر، فأخشى أن يكون ذكره فيه منكراً، أو على الأقل شاذاً].

• وعن أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنهما أنَّهما شهدا عَلى رَسُول الله ﷺ أنَّه قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»(١).

• وعن أَنس بن مَالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَارْتَعُوا» قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ»(٢).

التَّرهيب مِن أن يجلس الإنسان مجلسًا لا يُذكر الله فيه ولا يُصَلى عَلى نبيِّه محمّد ﷺ:

• عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»(٣).

*** قَالَ ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم مدارج السالكين:**

[وَهِيَ مَنْزِلَةُ الْقَوْمِ الْكُبْرَى الَّتِي مِنْهَا يَتَزَوَّدُونَ وَفِيهَا يَتَّجِرُونَ، وَإِلَيْهَا دَائِمًا يَتَرَدَّدُونَ.

وَالذِّكْرُ مَنْشُورُ الْوِلَايَةِ الَّذِي مَنْ أُعْطِيَهُ اتَّصَلَ وَمَنْ مُنِعَهُ عُزِلَ، وَهُوَ قُوتُ قُلُوبِ الْقَوْمِ الَّذِي مَتَى فَارَقَهَا صَارَتِ الْأَجْسَادُ لَهَا قُبُورًا، وَعِمَارَةُ دِيَارِهِمُ الَّتِي إِذَا تَعَطَّلَتْ عَنْهُ صَارَتْ بُورًا، وَهُوَ سِلَاحُهُمُ الَّذِي يُقَاتِلُونَ بِهِ قُطَّاعَ الطَّرِيقِ، وَمَاؤُهُمُ الَّذِي يُطْفِئُونَ بِهِ الْتِهَابَ الطَّرِيقِ وَدَوَاءُ أَسْقَامِهِمُ الَّذِي مَتَى فَارَقَهُمُ انْتَكَسَتْ مِنْهُمُ الْقُلُوبُ، وَالسَّبَبُ الْوَاصِلُ وَالْعَلَاقَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَلَّامِ الْغُيُوبِ.

إِذَا مَرِضْنَا تَدَاوِينَا بِذِكْرِكُمُ ۞ فَنَتْرُكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَنَنْتَكِسُ

بِهِ يَسْتَدْفِعُونَ الْآفَاتِ وَيَسْتَكْشِفُونَ الْكُرُبَاتِ وَتَهُونُ عَلَيْهِمْ بِهِ الْمُصِيبَاتُ، إِذَا أَظَلَّهُمُ الْبَلَاءُ فَإِلَيْهِ مَلْجَؤُهُمْ، وَإِذَا نَزَلَتْ بِهِمُ النَّوَازِلُ فَإِلَيْهِ مَفْزَعُهُمْ. فَهُوَ رِيَاضُ جَنَّتِهِمُ الَّتِي فِيهَا يَتَقَلَّبُونَ وَرُءُوسُ أَمْوَالِ سَعَادَتِهِمُ الَّتِي بِهَا يَتَّجِرُونَ. يَدَعُ الْقَلْبَ الْحَزِينَ ضَاحِكًا مَسْرُورًا، وَيُوصِّلُ الذَّاكِرَ إِلَى الْمَذْكُورِ، بَلْ يَدَعُ الذَّاكِرَ مَذْكُورًا.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٠).

(٢) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٥١٠) وأحمد (١٢٥٢٣)، حسنه الألباني وضعفه الأرنؤوط.

(٣) رواه أحمد (٩٨٤٣) وأبو داود (٤٨٥٦) والتِّرْمِذِيّ (٣٣٨٠) واللفظ له وقال: حديث حسن، وصححه الألباني والأرنؤوط.

وَفِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنَ الْجَوَارِحِ عُبُودِيَّةٌ مُؤَقَّتَةٌ، وَالذِّكْرُ عُبُودِيَّةُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَهِيَ غَيْرُ مُؤَقَّتَةٍ، بَلْ هُمْ مَأْمُورُونَ بِذِكْرِ مَعْبُودِهِمْ وَمَحْبُوبِهِمْ فِي كُلِّ حَالٍ: قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ. فَكَمَا أَنَّ الْجَنَّةَ قِيعَانٌ وَهُوَ غِرَاسُهَا، فَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ بُورٌ وَخَرَابٌ وَهُوَ عِمَارَتُهَا وَأَسَاسُهَا.

وَهُوَ جَلَاءُ الْقُلُوبِ وَصِقَالُهَا وَدَوَاؤُهَا إِذَا غَشِيَهَا اعْتِلَالُهَا، وَكُلَّمَا ازْدَادَ الذَّاكِرُ فِي ذِكْرِهِ اسْتِغْرَاقًا: ازْدَادَ الْمَذْكُورُ مَحَبَّةً إِلَى لِقَائِهِ وَاشْتِيَاقًا، وَإِذَا وَاطَأَ فِي ذِكْرِهِ قَلْبُهُ لِلِسَانِهِ: نَسِيَ فِي جَنْبِ ذِكْرِهِ كُلَّ شَيْءٍ وَحَفِظَ اللهُ عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ وَكَانَ لَهُ عِوَضًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

بِهِ يَزُولُ الْوَقْرُ عَنِ الْأَسْمَاعِ وَالْبَكَمُ عَنِ الْأَلْسُنِ وَتَنْقَشِعُ الظُّلْمَةُ عَنِ الْأَبْصَارِ. زَيَّنَ اللهُ بِهِ أَلْسِنَةَ الذَّاكِرِينَ كَمَا زَيَّنَ بِالنُّورِ أَبْصَارَ النَّاظِرِينَ، فَاللِّسَانُ الْغَافِلُ: كَالْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ وَالْأُذُنِ الصَّمَّاءِ وَالْيَدِ الشَّلَّاءِ.

وَهُوَ بَابُ اللهِ الْأَعْظَمُ الْمَفْتُوحُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغْلِقْهُ الْعَبْدُ بِغَفْلَتِهِ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (تَفَقَّدُوا الْحَلَاوَةَ فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: فِي الصَّلَاةِ وَفِي الذِّكْرِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّ الْبَابَ مُغْلَقٌ).

وَبِالذِّكْرِ: يَصْرَعُ الْعَبْدُ الشَّيْطَانَ كَمَا يَصْرَعُ الشَّيْطَانُ أَهْلَ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: (إِذَا تَمَكَّنَ الذِّكْرُ مِنَ الْقَلْبِ فَإِنْ دَنَا مِنْهُ الشَّيْطَانُ صَرَعَهُ كَمَا يَصْرَعُ الْإِنْسَانُ إِذَا دَنَا مِنْهُ الشَّيْطَانُ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُونَ: مَا لِهَذَا؟ فَيُقَالُ: قَدْ مَسَّهُ الْإِنْسِيُّ).

وَهُوَ رُوحُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَإِذَا خَلَا الْعَمَلُ عَنِ الذِّكْرِ كَانَ كَالْجَسَدِ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

فصل: وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى عَشَرَةِ أَوْجُهٍ.

الْأَوَّلُ: الْأَمْرُ بِهِ مُطْلَقًا وَمُقَيَّدًا.

الثَّانِي: النَّهْيُ عَنْ ضِدِّهِ مِنَ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ.

الثَّالِثُ: تَعْلِيقُ الْفَلَاحِ بِاسْتِدَامَتِهِ وَكَثْرَتِهِ.

الرَّابِعُ: الثَّنَاءُ عَلَى أَهْلِهِ وَالْإِخْبَارُ بِمَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ.

الْخَامِسُ: الْإِخْبَارُ عَنْ خُسْرَانِ مَنْ لَهَا عَنْهُ بِغَيْرِهِ.

السَّادِسُ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ ذِكْرَهُ لَهُمْ جَزَاءً لِذِكْرِهِمْ لَهُ.

السَّابِعُ: الْإِخْبَارُ أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

الثَّامِنُ: أَنَّهُ جَعَلَهُ خَاتِمَةَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ كَمَا كَانَ مِفْتَاحَهَا.

التَّاسِعُ: الْإِخْبَارُ عَنْ أَهْلِهِ بِأَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ الِانْتِفَاعِ بِآيَاتِهِ وَأَنَّهُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ دُونَ غَيْرِهِمْ.

الْعَاشِرُ: أَنَّهُ جَعَلَهُ قَرِينَ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَرُوحَهَا، فَمَتَى عُدِمَتْهُ كَانَتْ كَالْجَسَدِ بِلَا رُوحٍ.

فَصْلٌ فِي تَفْصِيلِ ذَلِكَ:

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب] وقوله تعالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف]

وَفِيهِ قَوْلَانِ، أَحَدُهُمَا: فِي سِرِّكَ وَقَلْبِكَ، وَالثَّانِي: بِلِسَانِكَ بِحَيْثُ تُسْمِعُ نَفْسَكَ.

وَأَمَّا النَّهْيُ عَنْ ضِدِّهِ، فَكَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر] وَأَمَّا تَعْلِيقُ الْفَلَاحِ بِالْإِكْثَارِ مِنْهُ، فَكَقَوْلِهِ: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال] وَأَمَّا الثَّنَاءُ عَلَى أَهْلِهِ وَحُسْنُ جَزَائِهِمْ، فَكَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب] وَأَمَّا خُسْرَانُ مَنْ لَهَا عَنْهُ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون]

وَأَمَّا جَعْلُ ذِكْرِهِ لَهُمْ جَزَاءً لِذِكْرِهِمْ لَهُ فَكَقَوْلِهِ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة]

وَأَمَّا الْإِخْبَارُ عَنْهُ بِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت]

وَفِيهَا أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ ذِكْرَ الله أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ أَفْضَلُ الطَّاعَاتِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالطَّاعَاتِ كُلِّهَا: إِقَامَةُ ذِكْرِهِ فَهُوَ سِرُّ الطَّاعَاتِ وَرُوحُهَا.

الثَّانِي: أَنَّ الْمَعْنَى: أَنَّكُمْ إِذَا ذَكَرْتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ فَكَانَ ذِكْرُهُ لَكُمْ أَكْبَرَ مِنْ ذِكْرِكُمْ لَهُ. فَعَلَى هَذَا: الْمَصْدَرُ مُضَافٌ إِلَى الْفَاعِلِ، وَعَلَى الْأَوَّلِ: مُضَافٌ إِلَى الْمَذْكُورِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الْمَعْنَى: وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَبْقَى مَعَهُ فَاحِشَةٌ وَمُنْكَرٌ، بَلْ إِذَا تَمَّ الذِّكْرُ: مَحَقَ كُلَّ خَطِيئَةٍ وَمَعْصِيَةٍ. هَذَا مَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: مَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّ فِي الصَّلَاةِ فَائِدَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا: نَهْيُهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَالثَّانِيَةُ: اشْتِمَالُهَا عَلَى ذِكْرِ الله وَتَضَمُّنِهَا لَهُ وَلَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ ذِكْرِ الله أَعْظَمُ مِنْ نَهْيِهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.

وَأَمَّا خَتْمُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بِهِ: فَكَمَا خُتِمَ بِهِ عَمَلُ الصِّيَامِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥] وخَتَمَ بِهِ الحجَّ في قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠] وخَتَمَ بِهِ الصّلاة كقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣] وَختَمَ بِهِ الجمعة كقوله ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة]، وَلِهَذَا كَانَ خَاتِمَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَإِذَا كَانَ آخِرَ كَلَامِ الْعَبْدِ أَدْخَلَهُ الله الْجَنَّةَ.

وَأَمَّا اخْتِصَاصُ الذَّاكِرِينَ بِالِانْتِفَاعِ بِآيَاتِهِ وَهُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ وَالْعُقُولِ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران]

وَأَمَّا مُصَاحَبَتُهُ لِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ وَاقْتِرَانُهُ بِهَا وَأَنَّهُ رُوحُهَا: فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ قَرَنَهُ بِالصَّلَاةِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه]

وَقَرَنَهُ بِالصِّيَامِ وَبِالْحَجِّ وَمَنَاسِكِهِ، بَلْ هُوَ رُوحُ الْحَجِّ وَلُبُّهُ وَمَقْصُودُهُ. كَمَا قَالَ النَّبِيُّ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمْيُ الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ الله**»[(١)].

وَقَرَنَهُ بِالْجِهَادِ وَأَمَرَ بِذِكْرِهِ عِنْدَ مُلَاقَاةِ الْأَقْرَانِ وَمُكَافَحَةِ الْأَعْدَاءِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال]

---

(١) رواه أبو داود (١٨٨٨) والترمذي (٩٠٢) وأحمد (٢٤٤٦٨) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

وَفِي أَثَرٍ إِلَهِيٍّ يَقُولُ الله تَعَالَى: (إِنَّ عَبْدِي - كُلَّ عَبْدِيَ - الَّذِي يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُلَاقٍ قِرْنَهُ)(١).

سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ الله رُوحَهُ - يَسْتَشْهِدُ بِهِ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: المُحِبُّونَ يَفْتَخِرُونَ بِذِكْرِ مَنْ يُحِبُّونَهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ، كَمَا قَالَ عَنْتَرَةُ:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ شَوَاجِرٌ ... تَحْوِي وَبِيضُ الهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي

وقال الآخر:

ذَكَرْتُكِ وَالْخَطِّيُّ يَخْطُرُ بَيْنَنَا ... وَقَدْ نَهَلَتْ مِنَّا الْمُثَقَّفَةُ السُّمْرُ

وَهَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ وَهُوَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ الْمَحَبَّةِ، فَإِنَّ ذِكْرَ الْمُحِبِّ مَحْبُوبَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ الَّتِي لَا يَهُمُّ الْمَرْءَ فِيهَا غَيْرُ نَفْسِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ نَفْسِهِ أَوْ أَعَزُّ مِنْهَا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ الْمَحَبَّةِ، وَالله أَعْلَمُ.

- وَالذَّاكِرُونَ: هُمْ أَهْلُ السَّبْقِ كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ(٢) مِنْ حَدِيثِ الْعَلَاءِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ الله يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ فَقَالَ: سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ. قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ**» وَالْمُفَرِّدُونَ إِمَّا الْمُوَحِّدُونَ وَإِمَّا الْآحَادُ الْفُرَادَى.
- وَفِي الْمُسْنَدِ مَرْفُوعًا(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: ذِكْرُ الله عَزَّ وَجَلَّ**».
- وَرَوَى شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَغَرَّ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنهما أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ الله قَالَ: «**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ**» وَهُوَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ(٤).

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٨٠) وضعفه الألباني.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٦٧٦).

(٣) رواه أحمد (٢١٧٠٢) والترمذي (٣٣٧٧) وابن ماجة (٣٧٩٠) وغيرهم، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه مسلم (٢٧٠٠).

- وَيَكْفِي فِي شَرَفِ الذِّكْرِ: أَنَّ اللهَ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ بِأَهْلِهِ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[١] عَنْ مُعَاوِيَةَ ﵁: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ: خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: قَالَ اللهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ؟ قَالُوا: اللهِ مَا أَجْلَسْنَا إِلَّا ذَلِكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنْ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي: أَنَّ اللهَ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ» .
- «وَسَأَلَ أَعْرَابِيٌّ رَسُولَ اللهِ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «أَنْ تُفَارِقَ الدُّنْيَا وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ»، وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَمُرْنِي بِأَمْرٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، فَقَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ»[٢].
- وَفِي الْمُسْنَدِ[٣] وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ ارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ: «مَجَالِسُ الذِّكْرِ»، وَقَالَ: «اغْدُوا وَرُوحُوا وَاذْكُرُوا، مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللهِ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللهِ عِنْدَهُ؛ فَإِنَّ اللهَ يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ».
- وَرَوَى النَّبِيُّ عَنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: «أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ وَأَنَّهَا قِيعَانٌ وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ وَغَيْرُهُمَا[٤].
- وَفِي الصَّحِيحَيْنِ[٥] مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ: مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» وَلَفْظُ مُسْلِمٍ: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ: مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ» فَجَعَلَ بَيْتَ الذَّاكِرِ بِمَنْزِلَةِ بَيْتِ الْحَيِّ وَبَيْتَ الْغَافِلِ بِمَنْزِلَةِ بَيْتِ الْمَيِّتِ وَهُوَ الْقَبْرُ، وَفِي اللَّفْظِ

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠١).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٧٥) وابن ماجة (٣٧٩٣) وأحمد (١٧٦٩٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥٢٥) والطبراني في الأوسط (٢٥٠١) والحاكم في المستدرك (١٨٢٠) وضعفه الألباني.

(٤) رواه الترمذي (٣٤٦٢) وحسنه الألباني، وهو عند أحمد (٢٣٥٥٢) بغير هذا اللفظ.

(٥) رواه البخاري (٦٤٠٧)، ومسلم (٧٧٩).

الْأَوَّلِ: جَعَلَ الذَّاكِرَ بِمَنْزِلَةِ الْحَيِّ وَالْغَافِلَ بِمَنْزِلَةِ الْمَيِّتِ، فَتَضَمَّنَ اللَّفْظَانِ: أَنَّ الْقَلْبَ الذَّاكِرَ كَالْحَيِّ فِي بُيُوتِ الْأَحْيَاءِ، وَالْغَافِلَ كَالْمَيِّتِ فِي بُيُوتِ الْأَمْوَاتِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ أَبْدَانَ الْغَافِلِينَ قُبُورٌ لِقُلُوبِهِمْ وَقُلُوبَهُمْ فِيهَا كَالْأَمْوَاتِ فِي الْقُبُورِ، كَمَا قِيلَ:

فَنِسْيَانُ ذِكْرِ اللهِ مَوْتُ قُلُوبِهِمْ ... وَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورُ

وَأَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِهِمْ ... وَلَيْسَ لَهُمْ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورُ

وَفِي أَثَرٍ إِلَهِيٍّ: (**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: إِذَا كَانَ الْغَالِبُ عَلَى عَبْدِي ذِكْرِي: أَحَبَّنِي وَأَحْبَبْتُهُ**).

وَفِي آخَرَ: (**فَبِي فَافْرَحُوا وَبِذِكْرِي فَتَنَعَّمُوا**).

وَفِي آخَرَ: (**ابْنَ آدَمَ مَا أَنْصَفْتَنِي! أَذْكُرُكَ وَتَنْسَانِي وَأَدْعُوكَ وَتَهْرُبُ إِلَى غَيْرِي، وَأُذْهِبُ عَنْكَ الْبَلَايَا وَأَنْتَ مُعْتَكِفٌ عَلَى الْخَطَايَا، يَا ابْنَ آدَمَ مَا تَقُولُ غَدًا إِذَا جِئْتَنِي؟**).

وَفِي آخَرَ: (**ابْنَ آدَمَ اذْكُرْنِي حِينَ تَغْضَبُ: أَذْكُرْكَ حِينَ أَغْضَبُ، وَارْضَ بِنُصْرَتِي لَكَ فَإِنَّ نُصْرَتِي لَكَ خَيْرٌ مِنْ نُصْرَتِكَ لِنَفْسِكَ**).

وَفِي الصَّحِيحِ[1] فِي الْأَثَرِ الَّذِي يَرْوِيهِ رَسُولُ اللهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «**مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**».

وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي الذِّكْرِ نَحْوَ مِائَةِ فَائِدَةٍ فِي كِتَابِنَا (الْوَابِلُ الصَّيِّبُ وَرَافِعُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ) وَذَكَرَنَا هُنَاكَ أَسْرَارَ الذِّكْرِ وَعِظَمَ نَفْعِهِ وَطِيبَ ثَمَرَتِهِ وَذَكَرْنَا فِيهِ: أَنَّ الذِّكْرَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: ذِكْرُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَمَعَانِيهَا، وَالثَّنَاءِ عَلَى اللهِ بِهَا، وَتَوْحِيدِ اللهِ بِهَا، وَذِكْرُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَذِكْرُ الْآلَاءِ وَالنَّعْمَاءِ وَالْإِحْسَانِ وَالْأَيَادِي، وَأَنَّهُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ أَيْضًا: ذِكْرٌ يَتَوَاطَأُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ، وَهُوَ أَعْلَاهَا، وَذِكْرٌ بِالْقَلْبِ وَحْدَهُ وَهُوَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ، وَذِكْرٌ بِاللِّسَانِ الْمُجَرَّدِ، وَهُوَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ.] أهـ[2].

---

(١) رواه أحمد (٨٦٥٠، ٩٢٥٤) وابن حبان (٣٢٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم: (٢/ ٣٩٥) وما بعدها.

فضل الأذكار بعد الصلوات المكتوبة:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(١).
- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللهمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»(٢).
- وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: جَاءَ الفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ العُلاَ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: «أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ»، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنَحْمَدُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُولُ: «سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ»(٣).
- عن عبدالله بن عمرو، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «خَلَّتَانِ لَا يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ» قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، يُسَبِّحُ أَحَدُكُمْ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُ عَشْرًا، فَهِيَ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ فِي اللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ فِي الْمِيزَانِ»، وَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَعْقِدُهُنَّ بِيَدِهِ، «وَإِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ أَوْ مَضْجَعِهِ سَبَّحَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَهِيَ مِائَةٌ عَلَى اللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، «فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ

---

(١) رواه مسلم (٥٩٧).

(٢) رواه أبو داوود (١٥٢٢) والنسائي (١٣٠٣) وأحمد (٢٢١١٩، ٢٢١٢٦) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه البخاري (٨٤٣).

فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَلْفَيْنِ وَخَمْسَ مِائَةِ سَيِّئَةٍ؟» قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَكَيْفَ لَا نُحْصِيهَا؟ فَقَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، وَيَأْتِيهِ عِنْدَ مَنَامِهِ فَيُنِيمُهُ»(١).

فضل أذكار الصباح والمساء:

لقد هممت أن أجمع طائف من هذه الأذكار من بعض المصادر المشتهرة من أجل هذه الفقرة، ثمّ وجدت فيما جمعه شيخنا الشّهِيد عبدالله عزام رحمه الله، كفاية موجزة تناسب هذا المختصر، وإليكموه:

قَالَ الشَّيْخ عبدالله عزام رحمه الله عن طائفة الأحاديث الّتي جمعها:

[كلّ هذه الأحاديث صحيحة وهي ضرورية لحماية الإنسان من كلّ الشرور، ولحفظه من الشّيطان وجميع الأضرار، بالإضافة إلى الثواب العظيم الّذي ينتظر قائلها.

و ما من علاج أشفى لأمراض القلب من الذكر، والذكر كالماء للسمك، وكالماء للزرع، والذكر يصفى القلب، ويشفى الصدر من القلق والضنك، ويقوي البدن والروح، ويزيل الهم والغم، ويطرد الشّيطان، وينزل الملائكة والرحمة والسكينة.

وكلما ذكر الإنسان فإن الملائكة تبني له منازل في الجنّة، فإذا توقف الذكر توقف البناء، وكذلك الذكر غراس الجنّة، فإذا توقف الذكر توقف الغراس.

والذكر يزيل صدأ القلوب، ويصفي الرّوح، ويورث المحبة لله ثمّ للخلق، ويبني التوكل ويورث الطمأنينة والرضا بالقدر.

والذكر بأنواعه كالصيدلية الّتي تضم أنواع الدَّواء للأمراض المختلفة، فمنها ما يشفي من الهم، وآخر من الغم، وثالث من الأرق، ورابع من الخوف، وخامس من الشّيطان... وهكذا، ولقد وصف الطبيب الحكيم صلى الله عليه وسلم بمقدار الجرعة (حبة أو ثلاثة أو سبعة... الخ).

ووقت أذكار الصباح من طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس، وأذكار المساء من بعد العصر.

---

(١) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٤١٠) والنسائي (١٣٤٨) وأبو داود (٥٠٦٥) ابن ماجة (٩٢٦) وأحمد (٦٤٩٨) وصححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

١- بعد صلاة الفجر مباشرة وهو عَلى جلسة الصّلاة[(١)] يقول عشرة مرات: «لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

عن أبي أيوب ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ [إِذَا أَصْبَحَ]: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ -عَشْرَ مَرَّاتٍ- كُتِبَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمُحِيَ بِهِنَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ بِهِنَّ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكُنَّ لَهُ عَدْلَ عَتَاقَةِ أَرْبَعِ رِقَابٍ، وَكُنَّ لَهُ حَرَسًا [مِنَ الشَّيْطَانِ] حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَالَهُنَّ إِذَا صَلَّى الْمَغْرِبَ دُبُرَ صَلَاتِهِ فَمِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ»[(٢)].

٢- آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة]

عن أبي كعب ﵁: أنه كَانَ لَهُ جُرْنٌ مِنْ تَمْرٍ، فَكَانَ يَنْقُصُ، فَحَرَسَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِدَابَّةٍ شِبْهِ الْغُلَامِ [الْمُحْتَلِمِ]، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقَالَ: مَا أَنْتَ، جِنِّيٌّ أَمْ إِنْسِيٌّ؟ قَالَ: لَا بَلْ جِنِّيٌّ، قَالَ: فَنَاوِلْنِي يَدَكَ، فَنَاوَلَهُ يَدَهُ، فَإِذَا يَدُهُ يَدُ كَلْبٍ، وَشَعْرُهُ شَعْرُ كَلْبٍ، قَالَ: هَكَذَا خَلْقُ الْجِنِّ، قَالَ: قَدْ عَلِمَتِ الْجِنُّ أَنَّ مَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَشَدُّ مِنِّي، قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّكَ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، فَجِئْنَا نُصِيبُ مِنْ طَعَامِكَ، قَالَ: فَمَا يُنْجِينَا مِنْكُمْ؟ قَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

---

(١) رواه أحمد (١٧٩٩٠) وحسنه الأرنؤوط. وفيه: « مَنْ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ وَيَثْنِيَ رِجْلَهُ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، وَالصُّبْحِ:.....».

(٢) رواه ابن حبان (٢٠٢٣) وأحمد (٢٣٥١٨) صححه الأرنؤوط، وقال الألباني : حسن صحيح، انظر (الصحيحة ١١٣ و٢٥٦٣) ولمعنى الحديث مثيل في البخاري (٣٢٩٣) ولكن يقولها مئة مرة : «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ».

ﭐلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ مَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ أُجِيرَ مِنَّا حَتَّى يُمْسِيَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «صَدَقَ الْخَبِيثُ»(١).

٣- **آخر آيتين من سورة البقرة:** ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ [البقرة]

قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»(٢).

٤- **(قل هو الله أحد، قل أعوذ برب الفلق، قل أعوذ برب النّاس)**... كلّ واحدة (ثلاث مرات).

قَالَ عبدالله بن خبيب: **خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نطْلِبَ رَسُولُ الله ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا فَأَدْرَكْنَاهُ فقَالَ: «أَصَلَّيْتُم؟» فَلَم أَقُل شَيئًا فقَالَ: «قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»**(٣).

٥- **سبحان الله ثلاثا وثلاثين، والحمد الله ثلاثا وثلاثين، اللهُ أكبَرَ أربعا وثلاثين.**

قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**»(٤).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٥٤١) والحاكم في المستدرك (٢٠٦٤) وصححه، وابن حبان (٧٨٤) وصححه الألباني .

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٥٠٠٩، ٥٠٤٠، ٥٠٥١) ومسلم (٨٠٧، ٨٠٨).

(٣) رواه أبو داود (٥٠٨٢) والترمذي (٣٥٧٥) والنسائي (٥٤٢٨) وأحمد (٢٢٦٦٤) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه مسلم (٥٩٧).

٦- الحديث: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للهِ، وَالْحَمْدُ للهِ لا شَرِيكَ لَهُ، لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»(١).

٧- الحديث: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا [مُسْلِمًا]، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»(٢).

٨- الحديث: «اللهمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ».

عن عبدالله بن غنام البياضي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللهمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ، لاَ شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ»(٣).

٩- الحديث: «يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ».

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حدثهم أَنَّ: عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ قَالَ: «يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ»، فَعَضَّلَتْ بِالْمَلَكَيْنِ، فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا، فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَا: يَا رَبَّنَا، إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لَا نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ:

---

(١) أورده بهذا اللفظ البزار (٨٦٨٥) وقال الهيثمي إسناده جيد، ولفظ مسلم (٢٧٢٣): «كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ للهِ، وَالْحَمْدُ للهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» قَالَ: أُرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ» وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للهِ».

(٢) رواه أحمد (١٥٣٦٠) والنسائي في الكبرى (١٠١٠٣، ٩٧٤٤) والدارمي (٢٨٣٠) وصححه الأرنؤوط على شرط الشيخين.

(٣) رواه أبو داود (٥٠٧٣) ابن حبان (٨٦١) والنسائي في الكبرى (٩٧٥٠) والبيهقي في الشعب (٤٠٥٩) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ قَالَا: يَا رَبِّ إِنَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا: «اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي، حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا»(١).

١٠- الحديث: «رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا».

عن ثوبان وغيره أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِيْنَ يُمْسِي وَحِينَ يُصبِحُ رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ»(٢).

١١- الحديث: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» (ثلاث مرات).

عَنْ جُوَيْرِيَةَ أم الْمُؤمِنِين رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»(٣).

١٢- الحديث: عن إبَّان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ، وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، -ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ»، وَكَانَ أَبَانُ، قَدْ أَصَابَهُ طَرَفُ فَالِجٍ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ أَبَانُ: (مَا تَنْظُرُ؟ أَمَا إِنَّ الحَدِيثَ كَمَا حَدَّثْتُكَ، وَلَكِنِّي لَمْ أَقُلْهُ يَوْمَئِذٍ لِيُمْضِيَ اللهُ عَلَيَّ قَدَرَهُ)(٤).

١٣- الحديث: «اللهمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ».

---

(١) رواه ابن ماجة (٣٨٠١) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه الترمذي (٣٣٨٩) وابن ماجة (٣٨٧٠) وأحمد (٢٣١١٢) وزاد (ثلاث مرات) وضعفه الألباني، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٣) رواه مسلم (٢٧٢٦).

(٤) رواه أبو داود (٥٠٨٨) والترمذي (٣٣٨٨) وابن ماجة (٣٨٦٩) وأحمد (٤٧٤) وصححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ، فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»، فَقَالَ لَهُ، مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «قولوا: اللهمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ»[١].

١٤- الحديث: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»[٢] (ثلاث مرات).

«مَنْ قالَ حِينَ يُمْسِي -ثَلَاثَ مَرَّاتٍ-: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ لَدْغَةُ حَيَّةٍ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ »[٣].

١٥- الحديث: « اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ».

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ: أَبُو أُمَامَةَ، فَقَالَ: «يَا أبا أُمَامَةَ، مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟»، قَالَ: هُمُومٌ لَزِمَتْنِي، وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ، قَالَ: «قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ»، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ الله عَزَّ وَجَلَّ هَمِّي، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي[٤].

١٦- الحديث: «اللهمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي اللهمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي اللهمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، و أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[٥].

---

(١) رواه أحمد (١٩٦٢٢) والطبراني في الأوسط (٣٤٧٩) وصححه الألباني

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٨)، لكن لم يرد قولها ثلاثا عند مسلم .

(٣) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٠٦٤) وصححه الألباني.

(٤) رواه أبو داوود (١٥٥٥) وضعفه الأرنؤوط والألباني.

(٥) رواه أبو داوود (٥٠٩٠) وفي الحديث «تعيدها ثلاث » ضعفه الألباني في (ضعيف الجامع ١٢١٠) وقال في (صحيح سنن أبي داود): حسن الإسناد، وقال في (صحيح الأدب المفرد ٥٤٢): حسن. وقال الأرنؤوط : إسناده حسن في المتابعات والشواهد.

١٧- الحديث: عن شداد بن أوس مرفوعا: سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: «اللهمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»(١).

١٨- الحديث:

عن أبي هريرة ﷺ أن أبا بكر الصّديق قَالَ: يَا رَسُولَ الله عَلِّمْنِي شَيْئًا أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: «قُلْ: اللهُمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ.- وفي رواية - (وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ)، قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»(٢).

١٩- الحديث:

قَالَ عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: لم يكن النبيّ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللهمَّ أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللهمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللهمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»(٣).

٢٠- الحديث: «أَسْتَغْفِرُ اللهَّ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ».

عن أبي مسعود مرفوعا: من قَالَ: «أَسْتَغْفِرُ اللهَّ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَت لَهُ ذُنُوبُهُ، وإن كان فَرَّ من الزَّحْفِ»(٤).

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٦٣٠٦).

(٢) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٣٩٢، ٣٥٢٩) وأبو داود (٥٠٦٧) وأحمد (٥١، ٧٩٦١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه أبو داود (٥٠٧٤) وابن ماجة (٣٨٧١) وأحمد (٤٧٨٥) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه الترمذي (٣٥٧٧) وأبو داود (١٥١٧) وصححه الألباني والأرنؤوط.

٢١- الحديث: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ».

عن أنس بن مالك ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ لفاطمة: «ما يمنعك أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»(١).

٢٢- الصّلاة عَلى النَّبيّ عشر مرَّاتٍ.

«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ [عَشْراً]، وَحِينَ يُمْسِي عَشْراً أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

٢٣- سبحانَ الله وبِحَمدِه مائة مرّة.

رواه مسلم(٣) عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ».

٢٤- كفارة المجلس: «سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»

عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»(٤).

٢٥- الحديث: «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»(٥).] أهـ.(٦)

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (١٠٣٣٠) والحاكم (٢٠٠٠) وصحّحه، وحسّنه الألباني (الصحيحة ٢٤٥٧).

(٢) ذكره الهيثمى وقال: رواه الطبرانى بإسنادين وإسناد أحدهما جيد ورجاله وثقوا، مجمع الزوائد (١٧٠٢٢) وضعفه الألباني، انظر (الضعيفة ٥٧٨٨).

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٢).

(٤) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٤٣٣) وأحمد (١٠٤١٥) وصححه الألباني، والأرنؤوط وقال: على شرط مسلم.

(٥) رواه أبو يعلى (١١١٨) وابن أبي الشيبة في المصنف (٣٠٩٧) وذكر الترمذي (٢٩٩) بصيغة تمريض، وضعفه الألباني.

(٦) الذخائر العظام لعبدالله عزام: (ج١/ ١١٤).

فضل أذكار النَّوم:

١- عن أبي هريرة ﵁ عن النبيّ ﷺ قَالَ: إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ فِرَاشَهُ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ ثَوْبِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَقُلْ: «بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»(١).

٢- وعن عائشة ﵂ قالت: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»(٢).

٣- وعن أبي سعيدٍ الخدريّ ﵁ عَن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: أَسْتَغْفِرُ الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا»(٣).

٤- وعن أبي هريرةَ ﵁ أنَّ النبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، سُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله وَالله أَكْبَرُ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(٤).

٥- وعن البَرَاء بن عازبٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللهمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللهمَّ آمَنْتُ

(١) رواه البخاري (٧٣٩٣) ومسلم (٢٧١٤).

(٢) رواه البُخَارِيّ (٥٠١٧، ٦٣١٩).

(٣) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٣٩٧) وأحمد (١١٠٧٤) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه ابن حبان (٥٥٢٨) وصححه الألباني.

بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ»(١).

* - دعاء الفزع في النوم:

٦- عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ﷺ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ»(٢).

*- دعاء الأرق وتعذر النوم:

٧- وعن خالد بن الوليد ﷺ أنه أصابه الأرق، فقال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ نِمْتَ؟ قُلِ: اللهمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ جَمِيعًا؛ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَطْغَى، عَزَّ جَارُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ». فقالهن فنام(٣).

٨- وعن زيد بن ثابت ﷺ قَالَ: شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ أَرَقًا أَصَابَنِي فقال: «قُلِ: اللهمَّ غَارَتِ النُّجُومُ، وَهَدَأَتِ الْعُيُونُ، وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومٌ، لا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، أَهْدِئْ لَيْلِي، وَأَنِمْ عَيْنِي» فَقُلْتُهَا، فأذهب الله عزَّ وجلّ عني ما مَا كُنْتُ أَجِدُه(٤).] أهـ.(٥)

فضل الدّعاء:

جاء في كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري: **الترغيب في كثرة الدّعاء وما جاء في فضله:**

---

(١) رواه البخاري (٢٤٧، ٦٣١١) ومسلم (٢٧١٠).

(٢) رواه أبو داوود (٣٨٩٣) والتِّرْمِذِيّ (٣٥٢٨) والنسائي في الكبرى (١٠٥٣٣) وأحمد (٦٦٩٦) وحسنه الألباني وصححه لغيره الأرنؤوط.

(٣) رواه الطبراني في الصغير (٩٨٤) والترمذي (٣٥٢٣) وقال: هَذَا حَدِيثٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِالقَوِيِّ. وضعفه الألباني.

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٤٨١٧) وقال الألباني: ضعيف جداً.

(٥) الذخائر: (ج ١/ ١١٦).

* عن أبي ذر ﵁ عن النبيّ ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» **قَالَ سَعِيدٌ: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ**، رواه مسلم[١] واللفظ له.

ورواه التِّرْمِذِيّ وابن ماجه ولفظ ابن ماجه[٢]: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَقُولُ: يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ، إِلَّا مَنْ عَافَيْتُ، فَسَلُونِي الْمَغْفِرَةَ فَأَغْفِرَ لَكُمْ، وَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى الْمَغْفِرَةِ، فَاسْتَغْفَرَنِي بِقُدْرَتِي غَفَرْتُ لَهُ، وَكُلُّكُمْ ضَالٌّ، إِلَّا مَنْ هَدَيْتُ، فَسَلُونِي الْهُدَى أَهْدِكُمْ، وَكُلُّكُمْ فَقِيرٌ، إِلَّا مَنْ أَغْنَيْتُ، فَسَلُونِي أَرْزُقْكُمْ، وَلَوْ أَنَّ حَيَّكُمْ، وَمَيِّتَكُمْ، وَأَوَّلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ، وَيَابِسَكُمُ اجْتَمَعُوا، فَكَانُوا عَلَى قَلْبِ أَتْقَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي، لَمْ يَزِدْ فِي مُلْكِي جَنَاحُ بَعُوضَةٍ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا فَكَانُوا عَلَى قَلْبِ أَشْقَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي، لَمْ يَنْقُصْ مِنْ مُلْكِي جَنَاحُ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ أَنَّ حَيَّكُمْ، وَمَيِّتَكُمْ، وَأَوَّلَكُمْ، وَآخِرَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ، وَيَابِسَكُمُ اجْتَمَعُوا، فَسَأَلَ كُلُّ سَائِلٍ مِنْهُمْ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَّتُهُ، مَا نَقَصَ مِنْ مُلْكِي، إِلَّا كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِشَفَةِ الْبَحْرِ، فَغَمَسَ فِيهَا إِبْرَةً، ثُمَّ نَزَعَهَا، ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ، عَطَائِي كَلَامٌ، إِذَا أَرَدْتُ شَيْئًا، فَإِنَّمَا أَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ ».

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٧).

(٢) رواه الترمذي برقم (٢٤٩٥) وابن ماجة برقم(٤٢٥٧) وقال الألباني : ضعيف بهذا السياق.

* وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي»(١)

* وعن النعمان بن بشير ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]»(٢).

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ الله لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ»(٣).

* وعن أنس بن مالك ﷺ قَالَ سمعت رسول الله ﷺ يقول قَالَ الله تَعَالَى: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ، وَلَا أُبَالِي»(٤).

* وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَّ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ الله إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «الله أَكْثَرُ»(٥).

* وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِله عَزَّ وَجَلَّ فِي مَسْأَلَةٍ، إِلَّا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ، إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَهَا لَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ»(٦).

* وعن جابر بن عبدالله ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «يَدْعُو الله بِالْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقِفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ: عَبْدِي إِنِّي أَمَرْتُكَ أَنْ تَدْعُونِي وَوَعَدْتُكَ أَنْ أَسْتَجِيبَ لَكَ، فَهَلْ كُنْتَ تَدْعُونِي؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَمَا إِنَّكَ لَمْ تَدْعُنِي بِدَعْوَةٍ إِلَّا اسْتَجَبْتُ لَكَ، فَهَلْ لَيْسَ دَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا لِغَمٍّ نَزَلَ بِك

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) رواه أبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٢٩٦٩، ٣٣٧٢) وابن ماجة (٣٨٢٨) والنسائي في الكبرى (١١٤٠٠) وأحمد (١٨٤٣٦) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٣٨٢) وحسنه الألباني.

(٤) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٥٣٤) وصححه الألباني.

(٥) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٥٧٣) وقال: حسن صحيح، وبه قال الألباني.

(٦) رواه أحمد (٩٧٨٥) وقال الأرنؤوط : حسن لغيره.

أَنْ أُفَرِّجَ عَنْكَ فَفَرَّجْتُ عَنْكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي عَجَّلْتُهَا لَكَ فِي الدُّنْيَا، وَدَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا لِغَمٍّ نَزَلَ بِكَ أَنْ أُفَرِّجَ عَنْكَ، فَلَمْ تَرَ فَرَجًا؟ قَالَ: نَعَمْ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ إِنِّي ادَّخَرْتُ لَكَ بِهَا فِي الْجَنَّةِ كَذَا وَكَذَا». قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَلَا يَدَعُ الله دَعْوَةً دَعَا بِهَا عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ إِلَّا بَيَّنَ لَهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عُجِّلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ادُّخِرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ: فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ عُجِّلَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِ».[(١)]

* وعن أنس ﷺ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا تَعْجِزُوا فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَهْلِكَ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ»[(٢)].

* وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الدُّعَاءُ سِلاحُ الْمُؤْمِنِ وَعِمَادُ الدِّينِ وَنُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ»[(٣)].

* وعن ابن عمر ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ فُتِحَ لَهُ مِنْكُمْ بَابُ الدُّعَاءِ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَمَا سُئِلَ الله شَيْئًا يَعْنِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ العَافِيَةَ» وقال: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ الله بِالدُّعَاءِ»[(٤)].

* وعن سلمان ﷺ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»[(٥)].

* وعن أنس ﷺ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله رَحِيمٌ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبدِهِ أنْ يَرفَعَ إِليهِ يَدَيْه، ثمَّ لا يضعُ فِيهِمَا خَيْرَاً»[(٦)].

(١) رواه الحاكم (١٨١٩)، وضعفه الألباني (ضعيف الترغيب والترهيب ١٠٠٩).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٨٧١) والحاكم (١٨١٨) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه الحاكم (١٨١٢) وأبو يعلى (٤٣٩) وقال عنه الألباني: موضوع (الضعيفة ١٤٩).

(٤) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٥٤٨) والحاكم (١٨٣٣) وضعفه الألباني.

(٥) رواه أبو داود (١٤٨٨) والتِّرْمِذِيّ (٣٥٥٦) وابن ماجة (٣٨٦٥) وصححه الألباني، وقواه الأرنؤوط.

(٦) رواه الحاكم (١٨٣٢) وصححه الألباني (صحيح الجامع ١٧٦٨).

* وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالله، فَيُوشِكُ الله لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ»(١).

* وعن ثوبان ﷺ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»(٢).

* وعن عائشة ﷺ قالت قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٣).

* وعن ابن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «سَلُوا اللهَ مَنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفرجِ»(٤).

* ورُوِيَ عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»(٥).

* عن جابر بن عبدالله ﷺ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يُنْجِيكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَيُدِرُّ لَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ؟ تَدْعُونَ اللهَ فِي لَيْلِكُمْ وَنَهَارِكُمْ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ سِلاحُ الْمُؤْمِنِ»(٦).

التَّرغيب في كلمات يستفتح بها الدّعاء وبعض ما جاء في اسم الله الأعظم:

---

(١) رواه أبو داود (١٦٤٥) والتِّرْمِذِيّ (٢٣٢٦) والحاكم (١٤٨٢) وأحمد (٣٨٦٩) وصححه الألباني.

(٢) رواه ابن حبان (٨٧٢) والحاكم (١٧١٤) وأحمد (٢٢٤١٣، ٢٢٤٣٨) وابن ماجة (٩٠) وحسنه لغيره الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٢٤٩٨) والحاكم (١٨١٣) وحسنه الألباني.

(٤) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٥٦٦) وضعفه الألباني (ضعيف الجامع ٣٢٧٨).

(٥) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٣٧١) وضعفه الألباني.

(٦) رواه أبو يعلى (١٨١٢) وقال عنه الألباني: موضوع (الضعيفة ١٨٠).

* عن عبدالله بن بريدة عن أبيه ﵄: أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**» فَقَالَ: «**لقد سَأَلت الله بِالِاسْمِ الْأَعْظَم الَّذِي إِذا سُئِلَ بِهِ أعْطى وَإِذا دعِي بِهِ أجَاب**»(١).

* وعن معاذ بن جبل ﵁ قَالَ: «سمع النبيّ ﷺ رَجُلًا وَهُوَ يَقُولُ: **يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**، فَقَالَ: «**قَدْ اسْتُجِيبَ لَكَ فَسَلْ**»(٢).

* وعن أبي أمامة ﵁ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لله مَلَكًا مُوَكَّلًا بِمَنْ يَقُولُ: يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، فَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا قَالَ الْمَلَكُ: إِنَّ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ فَاسْأَلْ**»(٣).

---

(١) رواه أبو داود (١٤٩٣) والتِّرْمِذِيّ (٣٤٧٥) وابن ماجة (٣٨٥٧) وأحمد (٢٢٩٥٢، ٢٢٩٦٥) وغيرهم، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٥٢٧) وقال: حديث حسن، وأحمد (٢٢٠١٧) وحسنه الأرنؤوط وضعفه الألباني.

(٣) رواه الحاكم (١٩٩٦) وضعفه الألباني.

الأخلاق والتّربية السُّلوكي

❖ بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق:

قَالَ الإِمَام النووي رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم: ٤] وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «كانَ رَسُولُ الله ﷺ أَحْسنَ النَّاسِ خُلقاً»[1]. وعنه قَالَ: «مَا مَسِسْتُ دِيباجاً ولاَ حَرِيراً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسُولِ الله ﷺ، وَلاَ شَمَمْتُ رائحَةً قَطُّ أَطْيَبَ مِن رَسُولِ اللهَّ ﷺ، وَلَقَدْ خَدَمْتُ رَسُولَ الله ﷺ عشْرَ سِنينَ، فَما قالَ لِي قَطُّ: أُفٍّ، وَلا قالَ لِشَيْءٍ فَعلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ؟ وَلاَ لشيءٍ لَمْ أفعَلْهُ: أَلاَ فَعلْتَ كَذا؟»[2] .

* وعن الصَّعبِ بنِ جَثَّامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَهْدَيْتُ رسُولَ الله ﷺ حِماراً وَحْشِياً، فَرَدَّهُ عليَّ، فَلَمَّا رأَى مَا في وَجْهي قالَ: «إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلاَّ أَنَّا حُرُمٌ»[3].

* وعن النَّوَّاسِ بنِ سمعانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سأَلتُ رسُولَ الله ﷺ عنِ البِرِّ والإِثم فقالَ: «البِرُّ حُسنُ الخُلُقِ، والإِثمُ: مَا حاكَ فِي نَفْسِك، وكَرِهْتَ أَنْ يطَّلعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»[4].

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ يَكُنْ رسولُ اللهَّ ﷺ فَاحِشاً وَلاَ مُتَفَحِّشاً. وكانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِن خِيارِكُم أَحْسَنَكُم أَخْلاقاً»[5] متفقٌ عَلَيْهِ. وعن أَبي الدرداءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَن النبيَّ ﷺ قالَ: «مَا مِنْ شَيءٍ أَثْقَلُ فِي ميزانِ الْمُؤمِنِ يَومَ القِيامة مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وإِنَّ اللهَّ يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيّ»[6] . «البِذيُّ»: هُوَ الَّذِي يَتكَلَّم بالفُحْشِ ورِديء الكلامِ.

---

(١) متفقٌ عَلَيْهِ رواه البخاري (٦٢٠٣) ومسلم (٢١٥٠، ٦٥٩).

(٢) متفقٌ عَلَيْهِ رواه البخاري (٣٥٦١) ومسلم (٢٣٢١، ٨٢).

(٣) متفقٌ عَلَيْهِ، رواه البخاري (١٨٢٥) ومسلم (١١٩٣، ٥٠).

(٤) رواهُ مسلم (٢٥٥٣، ١٥).

(٥) رواه البخاري (٣٥٥٩) ومسلم (٢٣٢١، ٦٨).

(٦) رواه أبو داود (٤٧٩٩) الترمذي (٢٠٠٢) وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني والأرنؤوط.

* وعن أبي هُريرة رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكثرِ مَا يُدْخلُ النَّاس الجَنَّةَ؟ قَالَ: «تَقْوى الله وَحُسنُ الخُلُق»، وَسُئِلَ عَنْ أَكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ»(١).

* وعنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَكْمَلُ المُؤمِنِينَ إِيمَاناً أَحسَنُهُم خُلُقاً، وخيارُكُم خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»(٢).

* وعن عائشةَ رضي الله عنها، قالت سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «إِنَّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسنِ خُلُقِه درَجة الصائمِ القَائمِ»(٣).

* وعن أَبي أُمَامَة الباهِليِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنا زَعِيمٌ ببَيتٍ في ربَضِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِراءَ، وَإِنْ كَانَ مُحِقّاً، وَببيتٍ في وَسَطِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ، وإِن كَانَ مازِحاً، وَببيتٍ في أعلَى الجَنَّةِ لِمَن حَسُنَ خُلُقُهُ»(٤).

* وعن جابر رضي الله عنه أَن رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: «إِن مِنْ أَحَبِّكُم إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجلساً يَومَ القِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُم أَخلاقاً، وإِنَّ أَبْغَضَكُم إِلَيَّ وَأَبْعدَكُم مِنِّي يومَ الْقِيامةِ، الثَّرْثَارُونَ والمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ» قالوا: يَا رسول اللهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «المُتَكَبِّرُونَ».(٥)

«الثَّرثَارُ»: هُوَ كَثِيرُ الكَلامِ تَكلُّفاً. «وَالمُتَشَدِّقُ»: المُتطاوِلُ عَلى النَّاسِ بِكَلامِهِ، وَيتَكَلَّمُ بِملءِ فِيهِ تَفَاصُحاً وَتَعْظِيماً لكلامِهِ، «وَالمُتَفَيْهِقُ»: أَصلُهُ مِنَ الفَهْقِ، وهُو الامْتِلاءُ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلأُ فَمَهُ بِالكَلامِ، وَيَتَوَسَّعُ فِيهِ، وَيُغْرِب بِهِ تَكَبُّراً وَارتِفَاعاً، وإِظْهَاراً للفَضِيلَةِ عَلى غيرِهِ.

وروى الترمذي عن عبد اللهِ بن المباركِ رحمه الله في تَفْسِير حُسْنِ الخُلُقِ قَالَ: هُوَ طَلاقَةُ الوجه، وبذلُ المَعرُوف، وكَفُّ الأَذَى.

---

(١) رواه ابن ماجة (٤٢٤٦) الترمذي (٢٠٠٤) وقال: حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٨٢) وروايته اقتصرت على الجزء الأول من الحديث. والترمذي (١١٦٢) وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه أبو داود (٤٧٩٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه أبو داود (٤٨٠٠) بإسناد صححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

(٥) رواه الترمذي (٢٠١٨) وقال: حديث حسن. وصححه الألباني.

❖ وجاء في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري:

* [عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ، وَشَرَفَ الْمَنَازِلِ، وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعِبَادَةِ، وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ بِسُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرَجَةٍ فِي جَهَنَّمَ»(١).

* وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قَالَ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ المسلم الْمُسَدَّدَ لَيُدْرِكُ درجة الصُّوَّامِ الْقَوَّامِ بآيات الله بِحُسْنِ خُلُقِهِ، وَكَرَمِ ضَرِيبَتِهِ»(٢). الضريبة: الطبيعة.

* وعن صفوان بن سليم قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَيْسَرِ الْعِبَادَةِ وَأَهْوَنِهَا عَلَى الْبَدَنِ: الصَّمْتُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»(٣).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «كَرَمُ المؤمن دِينُهُ، وَمُروءته عَقْلُهُ، وَحَسَبُهُ خُلُقُهُ»(٤).

* وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قَالَ له: «يَا أَبَا ذَر لَا عقلَ كالتَّدبير وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ وَلَا حَسَبَ كَحُسنِ الْخلقِ»(٥).

* وَتقدم فِي الْإِخْلَاص حَدِيث أبي ذَر عَن النَّبِي ﷺ: «قد أَفْلَحَ مَنْ أَخْلَصَ قلبَه للإيمانِ، وجَعَل قلْبَهُ سليماً، ولسانَهُ صادِقاً، ونَفْسَهُ مُطْمَئِنَّةً، وخليقَتَهُ مُسْتَقيمَةً»(٦)] أهـ.

❖ و قَالَ الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله(٧):

[قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مُثْنِيًا عَلَيْهِ وَمُظْهِرًا نِعْمَتَهُ لَدَيْهِ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] وقالت عائشة رضي الله عنها: «كانَ رَسُولُ الله ﷺ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ»(٨).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٧٥٤) وضعفه الألباني (ضعيف الترغيب والترهيب ١٥٩١).

(٢) رواه أحمد (٦٦٤٨، ٧٠٥٢) والطبراني في الأوسط (٣١٢٦) والكبير (١٤٢) وصححه لغيره الأرنؤوط، والألباني.

(٣) رواه ابن أبي الدُّنيَا في الصمت مرسلا (٢٧) وقال الألباني: مرسل وضعيف.

(٤) رواه ابن حبان (٤٨٣) والحاكم (٤٢٥) والبيهقي في الآداب (١٦٤) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٥) رواه ابن حبان (٣٦١) وغيره. وقال الألباني والأرنؤوط: ضعيف جداً.

(٦) رواه أحمد (٢١٣١٠) والبيهقي في الشعب (٣٠٨) وحسنه الألباني وضعفه الأرنؤوط.

(٧) وقعت في الأصل (وقال ابن القيم) والصواب أنه قول الغزالي في إحياء علوم الدين (٣/ ٥٠).

(٨) رواه مسلم (٧٤٦).

وسأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق، فتلا قوله تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف]، ثمّ قَالَ ﷺ: «هو أن تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ وَتَعْفُوَ عمن ظلمك»(١).

* وقال ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ»(٢).

* وقال ﷺ : «أَثْقَلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تقوى الله حُسْنُ الْخُلُقِ»(٣).

* وسئل عليه السلام أي الأعمال أفضل؟ قَالَ: «خُلُقٌ حَسَنٌ»، وقال ﷺ: «مَا حَسَّنَ اللهُ خَلْقَ عَبْدٍ وَخُلُقَهُ فَيُطْعِمَهُ النَّارُ »(٤).

* وقال الفضيل: قيل لِرَسُولِ الله ﷺ إِنَّ فُلَانَةَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ وَهِيَ سَيِّئَةُ الْخُلُقِ تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَالَ: «لَا خَيْرَ فِيهَا هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»(٥).

* و«قِيلَ يَا رَسُولَ الله أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ إِيمَانًا قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(٦).

* قَالَ ابن لقمان الحكيم لأبيه: (يا أبت أي الخصال من الإنسان خير، قَالَ: الدّين، قَالَ: فإذا كانت اثنتين، قَالَ: الدّين والمال، قَالَ: فإذا كانت ثلاثا، قَالَ: الدّين والمال والحياء، قَالَ: فإذا كانت أربعا، قَالَ: الدّين والمال والحياء وحسن الخلق، قَالَ: فإذا كانت خمسا، قَالَ: الدّين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء، قَالَ: فإذا كانت ستا، قَالَ: يا بني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقي تقى والله ولي ومن الشّيطان بري).

* وقال الحسن: (مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ).

* وقال يحيى بن معاذ: (في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق)، وقال وهب ابن منبه: (الْخُلُقِ كَمَثَلِ الْفَخَّارَةِ الْمُكْسُورَةِ لَا تُرَقَّعُ وَلَا تُعَادُ طِينًا).

---

(١) رواه ابن مردويه، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٢٥).

(٢) أخرجه أحمد (٨٩٥٢) والحاكم (٤٢٢١) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) أصله عند أبو داود (٤٧٩٩) والتِّرْمِذِيّ (٢٠٠٢) انظر (السلسلة الصحيحة ٨٧٦) للألباني.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٦٧٨٠) والبيهقي في الشعب (٧٦٧٨)

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٩) وأحمد (٩٦٧٥) والحاكم (٧٣٠٤) وصححه الألباني.

(٦) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢) والترمذي (١١٦٢) وغيرهما بلفظ : «أكمل المؤمنين..» وصححه الألباني والأرنؤوط.

* وقال الفضيل: (أن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيئ الخلق).

* وقال الجنيد: (أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه: الحلم، والتواضع، والسخاء، وحسن الخلق وهو كمال الإيمان).

* (وسئل ابن عباس ما الكرم فقال: هو ما بين الله في كتابه العزيز إن أكرمكم عند الله أتقاكم قيل فما الحسب قَالَ أحسنكم خلقا أفضلكم حسبا وقال لكل بنيان أساس وأساس الإِسْلَام حسن الخلق).

* وقال عطاء: (ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن، ولم ينل أحد كماله إلا المصطفى ﷺ فأقرب الخلق إلى الله عَزَّ وَجَلَّ السالكون آثاره بحسن الخلق).

- **بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق:**

اعلم أن النّاس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وإنما تعرضوا لثمرته ثمّ لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كلّ واحد من ثمراته ما خطر له وما كانَ حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته عَلَى التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن: (حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى) وقال الواسطي: (هو أَنْ لَا يُخَاصِمَ وَلَا يُخَاصَمَ) مِنْ شِدَّةِ معرفته بالله تَعَالَى، وقال شاه الكرماني (هو كف الأذى واحتمال المؤن) وقال بعضهم (هو أن يكون من النّاس قريباً وفيما بينهم غريبا) وقال الواسطي مرّة (هو إرضاء الخلق في السراء والضراء) وقال أبو عثمان (هو الرضا عن الله تَعَالَى) وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال (أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه) وقال مرّة أن (لا يتهم الحقّ في الرزق ويثق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين النّاس) وقال علي رضي الله عنه: (حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة عَلَى العيال) وقال الحسين بن منصور:(هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق) وقال أبو سعيد الخراز (هو أن لا يكون لك هم غير الله تَعَالَى).

فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثمّ ليس هو محيطا بجميع الثمرات أيضا وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الأقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق أي حسن الباطن والظَّاهِر فيراد بالخلق الصُّورة الظَّاهِرة ويراد بالخلق

الصُّورة الباطنة وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة فالنّفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه إذ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢﴾ [ص] فنبه عَلَى أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى ربّ العَالَمِيّن والمراد بالروح والنّفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هَيْئَةٍ فِي النَّفْسِ رَاسِخَةٌ عَنْهَا تُصْدِرُ الْأَفْعَالَ بِسُهُولَةٍ وَيُسْرٍ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى فِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ.

فالخلق إذا عبارة عن هيئة النّفس وصورتها الباطنة وكما أن حسن الصُّورة الظَّاهِرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا بُدَّ من حسن الجميع ليتم حسن الظَّاهِر فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بُدَّ من الحسن في جميعها حتَّى يتم حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة، وقوة العدل.

أما قوة العلم فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصِّدق والكذب في الأقوال وبين الحقّ والبَاطِل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الأفعال فإذا صلحت هذه القوّة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي الّتي قَالَ الله فيها ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وأما قوة الغضب فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها عَلَى حد ما تقتضيه الحكمة، وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة أعني إشارة العقل والشَّرع، وأما قوة العدل فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشَّرع، فالعقل مثاله مثال الناصح المشير وقوة العدل هيَ القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضي لإشارة العقل والغضب هو الّذي تنفد فيه الإشارة ومثاله مثال كلب الصيد فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتَّى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان شهوة النّفس والشهوة مثالها مثال الفرس الّذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصّة كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض وحسن القوّة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه

بالعفة فإن مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمَّى تهورا وإن مالت إلى الضّعف والنقصان تسمَّى جبنا وخورا وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمَّى شرها وإن مالت إلى النقصان تسمَّى جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطّرفان رذيلتان مذمومتان والعدل إذا فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضدّ واحد ومقابل وهو الجور وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الّذي يختص باسم الحكمة **فإذن أمهات الْأَخْلَاقِ وَأُصُولُهَا أَرْبَعَةٌ:**

❖ الْحِكْمَةُ وَالشَّجَاعَةُ وَالْعِفَّةُ وَالْعَدْلُ.

وَنَعْنِي بِالْحِكْمَةِ حَالَةً لِلنَّفْسِ بِهَا يُدْرَكُ الصَّوَابُ من الخطأ في جميع الأفعال الِاخْتِيَارِيَّةِ

وَنَعْنِي بِالْعَدْلِ حَالَةً لِلنَّفْسِ وَقُوَّةً بِهَا تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما فِي الِاسْتِرْسَالِ وَالِانْقِبَاضِ عَلَى حَسَبِ مُقْتَضَاهَا وَنَعْنِي بِالشَّجَاعَةِ كَوْنَ قُوَّةِ الْغَضَبِ مُنْقَادَةً لِلْعَقْلِ فِي إِقْدَامِهَا وَإِحْجَامِهَا وَنَعْنِي بِالْعِفَّةِ تَأَدُّبَ قُوَّةِ الشَّهْوَةِ بِتَأْدِيبِ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ، فَمِنِ اعْتِدَالِ هَذِهِ الْأُصُولِ الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرَّأي وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس ومن إفراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون وأعني بالغمارة قلة التَّجربة في الأمور مع سلامة التخيل فقد يكون الإنسان غمرا في شيء دون شيء والفرق بين الحمق الجنون أن الأحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطّريق فاسد فلا تكون له روية صحيحة في سلوك الطّريق الموصل إلى الغرض وأما المجنون فإنه يختار ما لا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وإيثاره فاسدا وأما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النّفس والاحتمال والحلم والثّبات وكظم الغيظ والوقار

والتودد وأمثالها وهي أخلاق محمودة وأما إفراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب وأما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النّفس والانقباض عن تناول الحقّ الواجب وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصّبر والمسامحة

والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للأغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك.

فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة:

وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله ﷺ، والنّاس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب

منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تَعَالَى بقدر قربه من رسول الله ﷺ وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به في جميع الأفعال ومن انفك عن هذه الأخلاق كلها واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعِبَاد فإنه قد قرب من الشّيطان اللعين المبعد فينبغي أن يبعد كما أن الأوّل قريب من الملك المقرب فينبغي أن يقتدي به ويتقرب إليه فإن رسول الله ﷺ لم يبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق كما قَالَ، وَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ إِلَى هَذِهِ الْأَخْلَاقِ فِي أَوْصَافِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات]

فالإيمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثَمَرَةُ الْعَقْلِ وَمُنْتَهَى الْحِكْمَةِ وَالْمُجَاهَدَةُ بِالْمَالِ هُوَ السَّخَاءُ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَى ضَبْطِ قُوَّةِ الشَّهْوَةِ، وَالْمُجَاهَدَةُ بِالنَّفْسِ هِيَ الشَّجَاعَةُ الَّتِي تَرْجِعُ إِلَى اسْتِعْمَالِ قُوَّةِ الْغَضَبِ عَلَى شَرْطِ الْعَقْلِ وَحَدِّ الِاعْتِدَالِ فَقَدْ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى الصَّحَابَةَ فَقَالَ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾[الفتح: ٢٩] إِشَارَةً إِلَى أَنَّ لِلشِّدَّةِ مَوْضِعًا وَلِلرَّحْمَةِ مَوْضِعًا فَلَيْسَ الْكَمَالُ فِي الشِّدَّةِ بِكُلِّ حَالٍ وَلَا فِي الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخُلق وحُسنه وقُبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه، بَيَانُ قَبُولِ الْأَخْلَاقِ لِلتَّغْيِيرِ بِطَرِيقِ الرِّيَاضَةِ.

اعْلَمْ أن بعض من غلبت البطالة عليه اسْتَثْقَلَ الْمُجَاهَدَةَ وَالرِّيَاضَةَ وَالِاشْتِغَالَ بِتَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَتَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ فَلَمْ تَسْمَحْ نَفْسُهُ بِأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِقُصُورِهِ وَنَقْصِهِ وَخُبْثِ دُخْلَتِهِ فَزَعَمَ أَنَّ الْأَخْلَاقَ لَا يُتَصَوَّرُ تَغْيِيرُهَا فَإِنَّ الطِّبَاعَ لَا تَتَغَيَّرُ واستدل فيه بأمرين أحدهما أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظَّاهِر فالخلقة الظَّاهِرة لا يقدر عَلَى تغييرها فالقصير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلا ولا

الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيرًا ولا القبيح يقدر عَلَى تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثّاني أنهم قالوا حسن الخلق يقمع الشهوة والغضب وقد جربنا ذلك بطول المُجَاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع فإنه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت الأخلاق لاتقبل التَّغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات]. أهـ.[(١)]

ولنتناول طرفا من مكارم الأخلاق وخصال الخير الّتي تنفع وتلزم كلّ مسلم، وهي للمُجَاهد ألزم، وفي حقه آكد:

❖ الإخلاص:

ونقتطف من كلام ابن القيم رحمه الله في كتابه (مدارج السالكين)، مع بعض الإختصار:

قَالَ الله تَعَالَى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر] وقال له: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام] وقال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك: ٢]

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: هُوَ أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ، قَالُوا: يَا أَبَا عَلِيٍّ، مَا أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا، وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا، لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا: لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ: أَنْ يَكُونَ للهِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ عَلَى السُّنَّةِ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠﴾ [الكهف].

وقال تَعَالَى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ [النساء: ١٢٥] فَإِسْلَامُ الْوَجْهِ: إِخْلَاصُ الْقَصْدِ وَالْعَمَلِ للهِ، وَالْإِحْسَانُ فِيهِ: مُتَابَعَةُ رَسُولِهِ ﷺ وَسُنَّتِهِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان] وَهِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى غَيْرِ السُّنَّةِ، أَوْ أُرِيدَ بِهَا غَيْرُ وَجْهِ الله، قَالَ

---

(١) (إحياء علوم الدين – ج/ ٣. باختصار).

النَّبِيُّ ﷺ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ، فَتَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ تَعَالَى إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ خَيْرًا، وَدَرَجَةً وَرِفْعَةً»[1].....

وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ رِيَاءً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً: أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»[2]، وَأَخْبَرَ عَنْ أَوَّلِ ثَلَاثَةٍ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ: قَارِئُ الْقُرْآنِ، وَالْمُجَاهِدُ، وَالْمُتَصَدِّقُ بِمَالِهِ، الَّذِينَ فَعَلُوا ذَلِكَ لِيُقَالَ: فُلَانٌ قَارِئٌ، فُلَانٌ شُجَاعٌ، فُلَانٌ مُتَصَدِّقٌ، وَلَمْ تَكُنْ أَعْمَالُهُمْ خَالِصَةً للهِ.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ[3] الْإِلَهِيِّ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ بِهِ، وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ».

وَفِي أَثَرٍ آخَرَ: يَقُولُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «اذْهَبْ فَخُذْ أَجْرَكَ مِمَّنْ عَمِلْتَ لَهُ، لَا أَجْرَ لَكَ عِنْدَنَا».

وَفِي الصَّحِيحِ[4] عَنْهُ ﷺ «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ».

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[الحج: ٣٧] وَفِي أَثَرٍ مَرْوِيٍّ إِلَهِيٍّ: «الْإِخْلَاصُ سِرٌّ مِنْ سِرِّي، اسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ مِنْ عِبَادِي».

وَقَدْ تَنَوَّعَتْ عِبَارَتُهُمْ فِي الْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ، وَالْقَصْدُ وَاحِدٌ.

فَقِيلَ: هُوَ إِفْرَادُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ بِالْقَصْدِ فِي الطَّاعَةِ.

وَقِيلَ: تَصْفِيَةُ الْفِعْلِ عَنْ مُلَاحَظَةِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَقِيلَ: التَّوَقِّي مِنْ مُلَاحَظَةِ الْخَلْقِ حَتَّى عَنْ نَفْسِكَ، وَالصِّدْقُ التَّنَقِّي مِنْ مُطَالَعَةِ النَّفْسِ، فَالْمُخْلِصُ لَا رِيَاءَ لَهُ، وَالصَّادِقُ لَا إِعْجَابَ لَهُ، وَلَا يَتِمُّ الْإِخْلَاصُ إِلَّا بِالصِّدْقِ، وَلَا الصِّدْقُ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ، وَلَا يَتِمَّانِ إِلَّا بِالصَّبْرِ.

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٦٣٧٣، ٤٤٠٩) ومسلم (١٦٢٨).

(٢) رواه البخاري: (٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨) ومسلم (١٩٠٤) وأصحاب السنن.

(٣) رواه مسلم (٢٩٨٥) واللفظ لابن ماجة (٤٢٠٢).

(٤) رواه مسلم (٢٥٦٤) وجاء عنده: «لا ينظر إلى أجسادكم..» بدل «أجسامكم».

وَقِيلَ: مَنْ شَهِدَ فِي إِخْلَاصِهِ الْإِخْلَاصَ، احْتَاجَ إِخْلَاصُهُ إِلَى إِخْلَاصٍ، فَنُقْصَانُ كُلِّ مُخْلِصٍ فِي إِخْلَاصِهِ: بِقَدْرِ رُؤْيَةِ إِخْلَاصِهِ، فَإِذَا سَقَطَ عَنْ نَفْسِهِ رُؤْيَةُ الْإِخْلَاصِ، صَارَ مُخْلِصًا مُخْلَصًا.

وَقِيلَ: الْإِخْلَاصُ اسْتِوَاءُ أَعْمَالِ الْعَبْدِ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَالرِّيَاءُ: أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُهُ خَيْرًا مِنْ بَاطِنِهِ، وَالصِّدْقُ فِي الْإِخْلَاصِ: أَنْ يَكُونَ بَاطِنُهُ أَعْمَرَ مِنْ ظَاهِرِهِ، وَقِيلَ: الْإِخْلَاصُ نِسْيَانُ رُؤْيَةِ الْخَلْقِ بِدَوَامِ النَّظَرِ إِلَى الْخَالِقِ، وَمَنْ تَزَيَّنَ لِلنَّاسِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ الله.

وَمِنْ كَلَامِ الْفُضَيْلِ: تَرْكُ الْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ: رِيَاءٌ، وَالْعَمَلُ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ: شِرْكٌ، وَالْإِخْلَاصُ: أَنْ يُعَافِيَكَ اللهُ مِنْهُمَا.

قَالَ الْجُنَيْدُ: الْإِخْلَاصُ سِرٌّ بَيْنَ الله وَبَيْنَ الْعَبْدِ، لَا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ فَيَكْتُبُهُ، وَلَا شَيْطَانٌ فَيُفْسِدُهُ، وَلَا هَوًى فَيُمِيلُهُ.

وَقِيلَ لِسَهْلٍ: أَيُّ شَيْءٍ أَشَدُّ عَلَى النَّفْسِ؟ فَقَالَ: الْإِخْلَاصُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا فِيهِ نَصِيبٌ.

تعريف الإخلاص:

قَالَ صَاحِبُ «الْمَنَازِلِ»: الْإِخْلَاصُ: (تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ). أَيْ لَا يُمَازِجُ عَمَلَهُ مَا يَشُوبُهُ مِنْ شَوَائِبِ إِرَادَاتُ النَّفْسِ إِمَّا طَلَبُ التَّزَيُّنِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَإِمَّا طَلَبُ مَدْحِهِمْ، وَالْهَرَبُ مِنْ ذَمِّهِمْ، أَوْ طَلَبُ تَعْظِيمِهِمْ، أَوْ طَلَبُ أَمْوَالِهِمْ أَوْ خِدْمَتِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ وَقَضَائِهِمْ حَوَائِجَهُ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعِلَلِ وَالشَّوَائِبِ، الَّتِي عَقْدُ مُتَفَرِّقَاتِهَا هُوَ إِرَادَةُ مَا سِوَى الله بِعَمَلِهِ، كَائِنًا مَا كَانَ.

قَالَ: **درجات الإخلاص: وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:**

الدَّرَجَةُ الْأُولَى:

إِخْرَاجُ رُؤْيَةِ الْعَمَلِ عَنِ الْعَمَلِ، وَالْخَلَاصُ مِنْ طَلَبِ الْعِوَضِ عَلَى الْعَمَلِ، وَالنُّزُولُ عَنِ الرِّضَا بِالْعَمَلِ.

يَعْرِضُ لِلْعَامِلِ فِي عَمَلِهِ ثَلَاثُ آفَاتٍ: رُؤْيَتُهُ وَمُلَاحَظَتُهُ، وَطَلَبُ الْعِوَضِ عَلَيْهِ، وَرِضَاهُ بِهِ وَسُكُونُهُ إِلَيْهِ.

فَفِي هَذِهِ الدَّرَجَةِ يَتَخَلَّصُ مِنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ، فَالَّذِي يُخَلِّصُهُ مِنْ رُؤْيَةِ عَمَلِهِ مُشَاهَدَتُهُ لِمِنَّةِ الله عَلَيْهِ وَفَضْلِهِ وَتَوْفِيقِهِ لَهُ، وَأَنَّهُ بِالله لَا بِنَفْسِهِ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا أَوْجَبَ عَمَلَهُ مَشِيئَةُ الله لَا مَشِيئَتُهُ هُوَ....

فَكُلُّ خَيْرٍ فِي الْعَبْدِ فَهُوَ مُجَرَّدُ فَضْلِ الله وَمِنَّتِهِ، وَإِحْسَانِهِ وَنِعْمَتِهِ. وَهُوَ الْمَحْمُودُ عَلَيْهِ، فَرُؤْيَةُ الْعَبْدِ لِأَعْمَالِهِ فِي الْحَقِيقَةِ، كَرُؤْيَتِهِ لِصِفَاتِهِ الْخِلْقِيَّةِ: مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، وَإِدْرَاكِهِ وَقُوَّتِهِ، بَلْ مِنْ صِحَّتِهِ، وَسَلَامَةِ أَعْضَائِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَالْكُلُّ مُجَرَّدُ عَطَاءِ الله وَنِعْمَتِهِ وَفَضْلِهِ.

فَالَّذِي يُخَلِّصُ الْعَبْدَ مِنْ هَذِهِ الْآفَةِ: مَعْرِفَةُ رَبِّهِ، وَمَعْرِفَةُ نَفْسِهِ.

وَالَّذِي يُخَلِّصُهُ مِنْ طَلَبِ الْعِوَضِ عَلَى الْعَمَلِ: عِلْمُهُ بِأَنَّهُ عَبْدٌ مَحْضٌ، وَالْعَبْدُ لَا يَسْتَحِقُّ عَلَى خِدْمَتِهِ لِسَيِّدِهِ عِوَضًا وَلَا أُجْرَةً؛ إِذْ هُوَ يَخْدِمُهُ بِمُقْتَضَى عُبُودِيَّتِهِ، فَمَا يَنَالُهُ مِنْ سَيِّدِهِ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ تَفَضُّلٌ مِنْهُ، وَإِحْسَانٌ إِلَيْهِ، وَإِنْعَامٌ عَلَيْهِ، لَا مُعَارَضَةٌ؛ إِذِ الْأُجْرَةُ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّهَا الْحُرُّ، أَوْ عَبْدُ الْغَيْرِ، فَأَمَّا عَبْدُ نَفْسِهِ فَلَا.

وَالَّذِي يُخَلِّصُهُ مِنْ رِضَاهُ بِعَمَلِهِ وَسُكُونِهِ إِلَيْهِ أَمْرَانِ:

أَحَدُهُمَا: مُطَالَعَةُ عُيُوبِهِ وَآفَاتِهِ، وَتَقْصِيرِهِ فِيهِ، وَمَا فِيهِ مِنْ حَظِّ النَّفْسِ، وَنَصِيبِ الشَّيْطَانِ، فَقَلَّ عَمَلٌ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَصِيبٌ، وَإِنْ قَلَّ، وَلِلنَّفْسِ فِيهِ حَظٌّ.

سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْتِفَاتِ الرَّجُلِ فِي صَلَاتِهِ؟ فَقَالَ: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ»[1].

فَإِذَا كَانَ هَذَا الْتِفَاتَ طَرْفِهِ أَوْ لَحْظِهِ؛ فَكَيْفَ الْتِفَاتُ قَلْبِهِ إِلَى مَا سِوَى الله؟ هَذَا أَعْظَمُ نَصِيبِ الشَّيْطَانِ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: لَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ لِلشَّيْطَانِ حَظًّا مِنْ صَلَاتِهِ، يَرَى أَنَّ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ لَا يَنْصَرِفَ إِلَّا عَنْ يَمِينِهِ، فَجَعَلَ هَذَا الْقَدْرَ الْيَسِيرَ النَّزْرِ حَظًّا وَنَصِيبًا لِلشَّيْطَانِ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ، فَمَا الظَّنُّ بِمَا فَوْقَهُ؟ وَأَمَّا حَظُّ النَّفْسِ مِنَ الْعَمَلِ فَلَا يَعْرِفُهُ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَائِرِ الصَّادِقُونَ.

الثَّانِي: عِلْمُهُ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ مِنْ حُقُوقِ الْعُبُودِيَّةِ، وَآدَابِهَا الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَشُرُوطِهَا، وَأَنَّ الْعَبْدَ أَضْعَفُ وَأَعْجَزُ وَأَقَلُّ مِنْ أَنْ يُوَفِّيَهَا حَقًّا، وَأَنْ يَرْضَى بِهَا لِرَبِّهِ، فَالْعَارِفُ لَا يَرْضَى بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ لِرَبِّهِ، وَلَا يَرْضَى نَفْسَهُ لله طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَيَسْتَحْيِي مِنْ مُقَابَلَةِ الله بِعَمَلِهِ.

---

(١) رواه البخاري (٧٥١).

فَسُوءُ ظَنِّهِ بِنَفْسِهِ وَعَمَلِهِ وَبُغْضُهُ لَهَا، وَكَرَاهَتُهُ لِأَنْفَاسِهِ وَصُعُودِهَا إِلَى الله يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرِّضَا بِعَمَلِهِ، وَالرِّضَا عَنْ نَفْسِهِ.

وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفُ يُصَلِّي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةَ أَرْبَعَمِائَةِ رَكْعَةٍ، ثُمَّ يَقْبِضُ عَلَى لِحْيَتِهِ وَيَهُزُّهَا، وَيَقُولُ لِنَفْسِهِ: يَا مَأْوَى كُلِّ سُوءٍ، وَهَلْ رَضِيتُكَ لله طَرْفَةَ عَيْنٍ؟

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: آفَةُ الْعَبْدِ رِضَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ بِاسْتِحْسَانِ شَيْءٍ مِنْهَا فَقَدْ أَهْلَكَهَا، وَمَنْ لَمْ يَتَّهِمْ نَفْسَهُ عَلَى دَوَامِ الْأَوْقَاتِ فَهُوَ مَغْرُورٌ.

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ:

(الْخَجَلُ مِنَ الْعَمَلِ مَعَ بَذْلِ الْمَجْهُودِ، وَتَوْفِيرِ الْجُهْدِ بِالِاحْتِمَاءِ مِنَ الشُّهُودِ، وَرُؤْيَةِ الْعَمَلِ فِي نُورِ التَّوْفِيقِ مِنْ عَيْنِ الْجُودِ).

هَذِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ: (خَجَلُهُ) مِنْ عَمَلِهِ، وَهُوَ شِدَّةُ حَيَائِهِ مِنَ الله؛ إِذْ لَمْ يَرَ ذَلِكَ الْعَمَلَ صَالِحًا لَهُ، مَعَ بَذْلِ مَجْهُودِهِ فِيهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦٠﴾ [المؤمنون] قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هُوَ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيُصَلِّي، وَيَتَصَدَّقُ، وَيَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ»[١].

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنِّي لَأُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فَأَقُومُ عَنْهُمَا بِمَنْزِلَةِ السَّارِقِ أَوِ الزَّانِي، الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ، حَيَاءً مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ فَالْمُؤْمِنُ: جَمَعَ إِحْسَانًا فِي مَخَافَةٍ وَسُوءَ ظَنٍّ بِنَفْسِهِ، وَالْمَغْرُورُ: حَسَنُ الظَّنِّ بِنَفْسِهِ مَعَ إِسَاءَتِهِ.

الثَّانِي: تَوْفِيرُ الْجُهْدِ بِاحْتِمَائِهِ مِنَ الشُّهُودِ، أَيْ يَأْتِي بِجُهْدِ الطَّاقَةِ فِي تَصْحِيحِ الْعَمَلِ، مُحْتَمِيًا عَنْ شُهُودِهِ مِنْكَ وَبِكَ.

الثَّالِثُ: أَنْ تَحْتَمِيَ بِنُورِ التَّوْفِيقِ الَّذِي يُنَوِّرُ اللهُ بِهِ بَصِيرَةَ الْعَبْدِ، فَتَرَى فِي ضَوْءِ ذَلِكَ النُّورِ أَنَّ عَمَلَكَ مِنْ عَيْنِ جُودِهِ لَا بِكَ، وَلَا مِنْكَ.

فَقَدِ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الدَّرَجَةُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: عَمَلٌ، وَاجْتِهَادٌ فِيهِ، وَخَجَلٌ، وَحَيَاءٌ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَصِيَانَةٌ عَنْ شُهُودِهِ مِنْكَ، وَرُؤْيَتُهُ مِنْ عَيْنِ جُودِ الله سُبْحَانَهُ وَمِنَّهُ.

---

(١) رواه الترمذي (٣١٧٥) وابن ماجة (٤١٩٨) وأحمد (٢٥٧٠٥) والحاكم (٣٤٨٦) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني، وقال الأرنؤوط : إسناده ضعيف لانقطاعه.

قَالَ: الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ:

إِخْلَاصُ الْعَمَلِ بِالْخَلَاصِ مِنَ الْعَمَلِ، تَدَعُهُ يَسِيرُ سَيْرَ الْعِلْمِ، وَتَسِيرُ أَنْتَ مُشَاهِدًا لِلْحُكْمِ، حُرًّا مِنْ رِقِّ الرَّسْمِ.

قَدْ فَسَّرَ الشَّيْخُ مُرَادَهُ بِإِخْلَاصِ الْعَمَلِ مِنَ الْعَمَلِ بِقَوْلِهِ: تَدَعُهُ يَسِيرُ سَيْرَ الْعِلْمِ وَتَسِيرُ أَنْتَ مُشَاهِدًا لِلْحُكْمِ.

وَمَعْنَى كَلَامِهِ: أَنَّكَ تَجْعَلُ عَمَلَكَ تَابِعًا لِعِلْمٍ، مُوَافِقًا لَهُ، مُؤْتَمًّا بِهِ، تَسِيرُ بِسَيْرِهِ وَتَقِفُ بِوُقُوفِهِ، وَتَتَحَرَّكُ بِحَرَكَتِهِ، نَازِلًا مَنَازِلَهُ، مُرْتَوِيًا مِنْ مَوَارِدِهِ، نَاظِرًا إِلَى الْحُكْمِ الدِّينِيِّ الْأَمْرِيِّ، مُتَقَيِّدًا بِهِ، فِعْلًا وَتَرْكًا، وَطَلَبًا وَهَرَبًا، نَاظِرًا إِلَى تَرَتُّبِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَيْهِ سَبَبًا وَكَسْبًا، وَمَعَ ذَلِكَ فَتَسِيرُ أَنْتَ بِقَلْبِكَ، مُشَاهِدًا لِلْحُكْمِ الْكَوْنِيِّ الْقَضَائِيِّ، الَّذِي تَنْطَوِي فِيهِ الْأَسْبَابُ وَالْمُسَبَّبَاتُ، وَالْحَرَكَاتُ وَالسَّكَنَاتُ، وَلَا يَبْقَى هُنَاكَ غَيْرُ مَحْضِ الْمَشِيئَةِ، وَتَفَرُّدِ الرَّبِّ وَحْدَهُ بِالْأَفْعَالِ، وَمَصْدَرِهَا عَنْ إِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، فَيَكُونُ قَائِمًا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِعْلًا وَتَرْكًا، سَائِرًا بِسَيْرِهِ، وَبِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، إِيمَانًا وَشُهُودًا وَحَقِيقَةً، فَهُوَ نَاظِرٌ إِلَى الْحَقِيقَةِ، قَائِمٌ بِالشَّرِيعَةِ.

وَهَذَانِ الْأَمْرَانِ هُمَا عُبُودِيَّةُ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير] وقال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان].

فَتَرْكُ الْعَمَلِ يَسِيرُ سَيْرَ الْعِلْمِ: مَشْهَدُ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ وَسَيْرُ صَاحِبِهِ مُشَاهِدًا لِلْحُكْمِ: مَشْهَدُ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.][1]

قَالَ الشَّيْخ عبدالله عزام:

النِّيَّة وأسباب النّصر:

١- «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ»[2].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٩٧).

(٢) رواه النسائي (٣١٧٨) وصححه الألباني.

قَالَ ابن العربيّ: (من حكمة الله العظمى أنه أمر بالعدة للعدو وأخذه بالقوة وأخبر أن النّصر بعد ذلك يكون بالضّعفاء، ليعلم الخلق فيما أمروا به من الاستعداد وقدر العِبَادة من النَّظر في العِبَادة، وليرجوا إلى الحقيقة، وأن النّصر من عند الله يلقيه عَلَى يد الأضعف، فالاستعداد للعبادة والعلم بجهة النّصر في الضعيف للتوحيد وأن الأمر كله لله عادة وحقيقة يديرها كيف أخبر).

٢- عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ».

وبداية الحديث في البُخَارِيّ[١] عن مصعب بن سعد قَالَ: رأى – أي سعد ﷺ – أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ».

قَالَ المهلب: إنما أراد ﷺ بهذا القول لسعد التواضع ونفي الكبر والزهو عن قلوب المُؤمِنِين، وأخبر ﷺ أن بدعائهم ينصرون ويرزقون، لأن عبادتهم ودعاءهم أشد إخلاصا وأكثر خشوعا لخلو قلوبهم من التعلق بزخرف الدُّنيَا وزينتها وصفاء ضمائرهم عما يقطعهم عن الله تَعَالَى، فجعلوا همهم واحدا، فزكت أعمالهم وأجيب دعاؤهم.

٣- عن أبي أمامة ﷺ: «لَقَدْ فَتَحَ الفُتُوحَ قَوْمٌ، مَا كَانَتْ حِلْيَةُ سُيُوفِهِمُ الذَّهَبَ وَلاَ الفِضَّةَ، إِنَّمَا كَانَتْ حِلْيَتُهُمْ العَلاَبِيَّ وَالآنُكَ وَالحَدِيدَ»[٢].

٤- قَالَ النبيّ ﷺ وهو في قبة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ اليَوْمِ» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ الله، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾ [القمر] وفي رواية: «وذلك: يَوْمَ بَدْرٍ»[٣].

قَالَ ابن إسحاق حدثني عبدالله بن أبي بكر أنه حدث: **أن سعد بن معاذ قَالَ: يا نبي الله، ألا نبتني لَكَ عَرِيشًا تَكُونُ فِيهِ، ونُعد عِنْدَكَ رَكَائِبَكَ، ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنَا فَإِنْ أَعَزَّنَا اللهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوِّنَا، كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى، جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِبِكَ، فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ، يَا نَبِيَّ**

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٢٨٩٦).

(٢) رواه البُخَارِيّ (٢٩٠٩).

(٣) رواه البُخَارِيّ (٢٩١٥).

الله، مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ لَكَ حُبًّا مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ اللهُ بِهِمْ، يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ، ثُمَّ بُنِيَ لِرَسُولِ الله ﷺ العريشَ فَكَانَ فِيهِ[١].

٥- حدثنا أبو موسى الأشعري أن رجلا أعرابيا أتى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله**»[٢].

يقع القِتَال بسبب خمسة أشياء:

طلب المغنم، وإظهار الشجاعة، والرياء، والحمية، والغضب، وكل منها يتناول المدح والذم.

والمراد بكلمة الله: دعوة الله إلى الإِسْلَام، ويحتمل أن يكون المراد أنه لايكون في سبيل الله إلا من كانَ سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله فقط، بمعنى أنه لو أضاف إلى ذلك سببا من الأسباب المذكورة أخل بذلك، ويحتمل أن لا يخل إذا حصل ذلك ضمنا لا أصلا ومقصودا، وبذلك صرح الطبري فقال: إن كانَ أصل الباعث هو الأوّل لا يضره ما عرض له بعد ذلك، وبذلك قَالَ الجمهور، ويدل عَلى صحة رأي الجمهور ما رواه أبو داوود[٣] بإسناد حسن عن عبدالله بن حوالة قَالَ: **بعثنا رسول الله ﷺ لِنَغْنَمَ فَرَجَعْنَا وَلَمْ نَغْنَمْ شيئا، فقال:** «**اللَّهُمَّ لَا تَكِلْهُمْ إِلَيَّ فَأَضْعُفَ عَنْهُمْ، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَعْجِزُوا عنها، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى النَّاسِ فَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ**».

واشتمل طلب إعلاء كلمة الله عَلى طلب رضاه، وطلب ثوابه، وطلب دحض أعدائه، وكلها متلازمة.

١- عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ ناقل أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ،**

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (١/ ٦٢٠)

(٢) رواه البخاري: (٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨) ومسلم (١٩٠٤) واللفظ له.

(٣) رواه أبو داود (٢٥٣٥) وأحمد (٢٢٤٨٧) والحاكم (٨٣٠٩) وصححه الذهبي والألباني، وضعف إسناده الأرنؤوط بتتمته إلا أنه صححه بهذه السياقة، انظر سنن أبي داود بتحقيق الأرنؤوط حديث رقم (٢٤٨٣).

ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»(١).

٢- عن أنس بن مالك قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا، أُعْطِيَهَا، وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ» وفي رواية: «بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»(٢).

٣- «مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»(٣).

ومعنى الحديثين: أنه إذا سأل الشَّهَادة بصدق أعطي من ثواب الشّهداء وإن كانَ عَلى فراشه، وفيه استحباب سؤال الشَّهَادة واستحباب نية الخير.

٤- عن جابر قَالَ: كنا مع النبيّ ﷺ في غزاة فقال: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ»، وفي رواية: «إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ»(٤).

وفي الحديث: فضيلة النِّيَّة الخير، وأن من نوى الغزو وغيره من الطاعات فعرض له عذر منعه حصل له ثواب نيته، وأنه كلما أكثر من التأسف عَلى فوات ذلك وتمنى كونه من الغُزَاة ونحوهم كثر ثوابه والله أعلم، وفي الحديث دلاله أن المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه عن العمل.

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٥).

(٢) رواه مسلم (١٩٠٨).

(٣) رواه مسلم (١٩٠٩).

(٤) رواه مسلم (١٩١١).

٥- عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ» فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»[1].

٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله، وَهُوَ يَبْتَغِي عرضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا؟، قَالَ: «لَا أَجْرَ لَهُ»، فَأَعْظَمَ ذَلِكَ النَّاسُ، وَقَالُوا لِلرَّجُلِ: عُدْ لِرَسُولِ الله ﷺ فَلَعَلَّكَ لَمْ تُفَهِمْهُ، قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ الله، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله، وَهُوَ يَبْتَغِي عرضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا؟، قَالَ: «لَا أَجْرَ لَهُ»، فقَالُوا لِلرَّجُلِ: عُدْ لِرَسُولِ الله، فَقَالَ الثَّالِثَةَ: «لَا أَجْرَ لَهُ»[2].

قَالَ بن عابدين في حاشيته (٤/ ١٢٠): (وأما إذا كانَ معظم مقصوده الجِهَاد ويرغب معه في الغنيمة فهو داخل قوله تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] يعني التجارة في طريق الحجّ، فكما أنه لا يحرم ثواب الحجّ فكذا الجِهَاد).....

١١- «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغزوٍ مَاتَ عَلَى شُعبَةٍ مِنْ النِّفَاقِ»[3]، أي أشبه المُنَافِقين المتخلفين عن الجِهَاد في هذا الوصف، فإن ترك الجِهَاد أحد شعب النِّفَاق.] أهـ.[4]

❖ **الإحسان:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «سَلُونِي»، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «لَا تُشْرِكُ بِالله شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ،

---

(١) رواه النسائي (٣١٤٠) وقال الألباني : حسن صحيح.

(٢) رواه أبو داود (٢٥١٦) أحمد (٨٧٩٣) وابن حبان (٤٦٣٧) والحاكم (٢٤٣٦، ٣٤٠٤) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني وقال الأرنؤوط : رجاله ثقات رجال الصحيح غير مكرز.

(٣) رواه مسلم (١٩١٠).

(٤) الذخائر: (ج١/ ٢٧٦).

وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَخْشَى اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: صَدَقْتَ....»(١).

وعن أبي يعلى شداد بن أوس ﷺ عن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»(٢).

قَالَ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: [منزلة الإحسان:

وَهِيَ لُبُّ الْإِيمَانِ، وَرُوحُهُ وَكَمَالُهُ، وَهَذِهِ الْمَنْزِلَةُ تَجْمَعُ جَمِيعَ الْمَنَازِلِ، فَجَمِيعُهَا مُنْطَوِيَةٌ فِيهَا، وَكُلُّ مَا قِيلَ مِنْ أَوَّلِ الْكِتَابِ إِلَى هَاهُنَا فَهُوَ مِنَ الْإِحْسَانِ.

قَالَ صَاحِبُ «الْمَنَازِلِ» رَحِمَهُ اللهُ وَقَدِ اسْتَشْهَدَ عَلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: ٦٠] فَالْإِحْسَانُ: جَامِعٌ لِجَمِيعِ أَبْوَابِ الْحَقَائِقِ، وَهُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ.

أَمَّا الْآيَةُ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْمُفَسِّرُونَ: هَلْ جَزَاءُ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَعَمِلَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَّا الْجَنَّةُ؟ .

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَرَأَ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: ٦٠] ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «يَقُولُ: هَلْ جَزَاءُ مَنْ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ إِلَّا الْجَنَّةُ؟»(٣).

وَأَمَّا الْحَدِيثُ: فَإِشَارَةٌ إِلَى كَمَالِ الْحُضُورِ مَعَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمُرَاقَبَتِهِ الْجَامِعَةِ لِخَشْيَتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالْإِخْلَاصِ لَهُ، وَلِجَمِيعِ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ.

(دَرَجَاتُ الْإِحْسَانِ): قَالَ: وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ.

الدَّرَجَةُ الْأُولَى:

الْإِحْسَانُ فِي الْقَصْدِ بِتَهْذِيبِهِ عِلْمًا، وَإِبْرَامِهِ عَزْمًا، وَتَصْفِيَتِهِ حَالًا؛ يَعْنِي: إِحْسَانُ الْقَصْدِ يَكُونُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

---

(١) رواه البخاري (٥٠، ١٣٩٧، ٤٧٧٧، ٧١٢١) ومسلم (٩، ١٠، ١٤) واللفظ له.

(٢) رواه مسلم (١٩٥٥).

(٣) انظر شعب الإيمان للبيهقي (٤٢٥) والحديث ضعيف .



أَحَدُهَا: تَهْذِيبُهُ عِلْمًا، بِأَنْ يَجْعَلَهُ تَابِعًا لِلْعِلْمِ عَلَى مُقْتَضَاهُ مُهَذَّبًا بِهِ، مُنَقًّى مِنْ شَوَائِبِ الْحُظُوظِ، فَلَا يَقْصِدُ إِلَّا مَا يَجُوزُ فِي الْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ هُوَ اتِّبَاعُ الْأَمْرِ وَالشَّرْعِ.

وَالثَّانِي: إِبْرَامُهُ عَزْمًا، وَالْإِبْرَامُ: الْإِحْكَامُ وَالْقُوَّةُ، أَيْ يُقَارِنُهُ عَزْمٌ يُمْضِيهِ، وَلَا يَصْحَبُهُ فُتُورٌ وَتَوَانٍ يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ.

الثَّالِثُ: تَصْفِيَتُهُ حَالًا؛ أَيْ يَكُونُ حَالُ صَاحِبِهِ صَافِيًا مِنَ الْأَكْدَارِ وَالشَّوَائِبِ، الَّتِي تَدُلُّ عَلَى كَدَرِ قَصْدِهِ. فَإِنَّ الْحَالَ مَظْهَرُ الْقَصْدِ وَثَمَرَتُهُ، وَهُوَ أَيْضًا مَادَّتُهُ وَبَاعِثُهُ، فَكُلٌّ مِنْهُمَا يَنْفَعِلُ عَنِ الْآخَرِ، فَصَفَاؤُهُ وَتَخْلِيصُهُ مِنْ تَمَامِ صَفَاءِ الْآخَرِ وَتَخْلِيصِهِ.

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ:

الْإِحْسَانُ فِي الْأَحْوَالِ، وَهُوَ أَنْ تُرَاعِيَهَا غَيْرَةً، وَتَسْتُرَهَا تَظَرُّفًا، وَتُصَحِّحَهَا تَحْقِيقًا.

يُرِيدُ بِمُرَاعَاتِهَا: حِفْظَهَا وَصَوْنَهَا، غَيْرَةً عَلَيْهَا أَنْ تَحُولَ، فَإِنَّهَا تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَإِنْ لَمْ يَرْعَ حُقُوقَهَا حَالَتْ، وَمُرَاعَاتُهَا: بِدَوَامِ الْوَفَاءِ، وَتَجَنُّبِ الْجَفَاءِ.

وَيُرَاعِيهَا أَيْضًا بِإِكْرَامِ نُزُلِهَا، فَإِنَّهَا ضَيْفٌ، وَالضَّيْفُ إِنْ لَمْ تُكْرِمْ نُزُلَهُ ارْتَحَلَ.

وَيُرَاعِيهَا أَيْضًا بِضَبْطِهَا مَلَكَةً، وَشَدِّ يَدِهِ عَلَيْهَا، وَأَنْ لَا يَسْمَحَ بِهَا لِقَاطِعِ طَرِيقٍ وَلَا نَاهِبٍ.

وَيُرَاعِيهَا أَيْضًا: بِالِانْقِيَادِ إِلَى حُكْمِهَا، وَالْإِذْعَانِ لِسُلْطَانِهَا إِذَا وَافَقَ الْأَمْرَ.

وَيُرَاعِيهَا أَيْضًا: بِسَتْرِهَا تَظَرُّفًا، وَهُوَ أَنْ يَسْتُرَهَا عَنِ النَّاسِ مَا أَمْكَنَهُ، لِئَلَّا يَعْلَمُوا بِهَا، وَلَا يُظْهِرَهَا إِلَّا لِحُجَّةٍ، أَوْ حَاجَةٍ، أَوْ مَصْلَحَةٍ رَاجِحَةٍ، فَإِنَّ فِي إِظْهَارِهَا بِدُونِ ذَلِكَ آفَاتٍ عَدِيدَةً، مَعَ تَعْرِيضِهَا لِلُّصُوصِ وَالسُّرَّاقِ وَالْمُغِيرِينَ (...).

الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ:

(الْإِحْسَانُ فِي الْوَقْتِ وَهُوَ أَنْ لَا تُزَايِلَ الْمُشَاهَدَةَ أَبَدًا، وَلَا تَخْلِطَ بِهِمَّتِكَ أَحَدًا، وَتَجْعَلَ هِجْرَتَكَ إِلَى الْحَقِّ سَرْمَدًا).

أَيْ لَا تُفَارِقُ حَالَ الشُّهُودِ، وَهَذَا إِنَّمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَهْلُ التَّمَكُّنِ الَّذِينَ ظَفِرُوا بِنُفُوسِهِمْ وَقَطَعُوا الْمَسَافَاتِ الَّتِي بَيْنَ النَّفْسِ وَبَيْنَ الْقَلْبِ، وَالْمَسَافَاتِ الَّتِي بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ اللهِ، بِمُجَاهِدَةِ الْقُطَّاعِ الَّتِي عَلَى تِلْكَ الْمَسَافَاتِ.

قَوْلُهُ: وَلَا تَخْلِطَ بِهِمَّتِكَ أَحَدًا؛ يَعْنِي: أَنْ تُعَلِّقَ هِمَّتَكَ بِالْحَقِّ وَحْدَهُ، وَلَا تُعَلِّقَ هِمَّتَكَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ شِرْكٌ فِي طَرِيقِ الصَّادِقِينَ.

قَوْلُهُ: وَأَنْ تَجْعَلَ هِجْرَتَكَ إِلَى الْحَقِّ سَرْمَدًا؛ يَعْنِي: أَنَّ كُلَّ مُتَوَجِّهٍ إِلَى اللهِ بِالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْ هَذِهِ الْهِجْرَةِ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَصْحَبَهَا سَرْمَدًا، حَتَّى يَلْحَقَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ، ثُمَّ تَنْقَضِي ... وَيَحْمَدُ غِبَّ السَّيْرِ مَنْ هُوَ سَائِرٌ

وَللهِ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ هِجْرَتَانِ ... وَهُمَا فَرْضٌ لَازِمٌ لَهُ عَلَى الْأَنْفَاسِ

هِجْرَةٌ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ، وَالْإِنَابَةِ وَالْحُبِّ، وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالْعُبُودِيَّةِ وَهِجْرَةٌ إِلَى رَسُولِهِ ﷺ: بِالتَّحْكِيمِ لَهُ وَالتَّسْلِيمِ وَالتَّفْوِيضِ، وَالِانْقِيَادِ لِحُكْمِهِ، وَتَلَقِّي أَحْكَامِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ مِنْ مِشْكَاتِهِ، فَيَكُونُ تَعَبُّدُهُ بِهِ أَعْظَمَ مِنْ تَعَبُّدِ الرَّكْبِ بِالدَّلِيلِ الْمَاهِرِ فِي ظُلَمِ اللَّيْلِ، وَمَتَاهَاتِ الطَّرِيقِ.

فَمَا لَمْ يَكُنْ لِقَلْبِهِ هَاتَانِ الْهِجْرَتَانِ فَلْيَحْثُ عَلَى رَأْسِهِ الرَّمَادَ، وَلْيُرَاجِعِ الْإِيمَانَ مِنْ أَصْلِهِ، فَيَرْجِعَ وَرَاءَهُ لِيَقْتَبِسَ نُورًا، قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَيُقَالَ لَهُ ذَلِكَ عَلَى الصِّرَاطِ مِنْ وَرَاءِ السُّورِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.] أهـ.(١)

❖ الاستقامة:

قَالَ ابن القيم رحمه الله:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ [فصلت: ٣٠] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤﴾ [الأحقاف] وقال لرسوله: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾ [هود] فَبَيَّنَ أَنَّ الِاسْتِقَامَةَ ضِدُّ الطُّغْيَانِ، وَهُوَ مُجَاوَزَةُ الْحُدُودِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وقال تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦﴾ [فصلت]، وقال تَعَالَى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ [الجن] سُئِلَ

(١) (مدارج السالكين. ج ٢/ ٤٣١. باختصار).

صِدِّيقُ الْأُمَّةِ وَأَعْظَمُهَا اسْتِقَامَةً - أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﵁ - عَنِ الِاسْتِقَامَةِ؟ فَقَالَ: (أَنْ لَا تُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئًا).

يُرِيدُ الِاسْتِقَامَةَ عَلَى مَحْضِ التَّوْحِيدِ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﵁: الِاسْتِقَامَةُ: أَنْ تَسْتَقِيمَ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَلَا تَرُوغُ رَوَغَانَ الثَّعَالِبِ.

وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ﵁: اسْتَقَامُوا: أَخْلَصُوا الْعَمَلَ لله.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﵁، وَابْنُ عَبَّاسٍ ﵄: اسْتَقَامُوا: أَدَّوُا الْفَرَائِضَ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: اسْتَقَامُوا عَلَى أَمْرِ الله فَعَمِلُوا بِطَاعَتِهِ، وَاجْتَنَبُوا مَعْصِيَتَهُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: اسْتَقَامُوا عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حَتَّى لَحِقُوا بِالله.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَقُولُ: اسْتَقَامُوا عَلَى مَحَبَّتِهِ وَعُبُودِيَّتِهِ، فَلَمْ يَلْتَفِتُوا عَنْهُ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[(١)] عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ الله ﵁ قَالَ: قُلْتُ: «**يَا رَسُولَ الله قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ، قَالَ: قُلْ آمَنْتُ بِالله، ثُمَّ اسْتَقِمْ**» .

وَفِيهِ عَنْ ثَوْبَانَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**»[(٢)].

وَالْمَطْلُوبُ مِنَ الْعَبْدِ الِاسْتِقَامَةُ، وَهِيَ السَّدَادُ، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا فَالْمُقَارَبَةُ، فَإِنْ نَزَلَ عَنْهَا: فَالتَّفْرِيطُ وَالْإِضَاعَةُ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[(٣)] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ**»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ**» .

فَجَمَعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَقَامَاتِ الدِّينِ كُلَّهَا، فَأَمَرَ بِالِاسْتِقَامَةِ، وَهِيَ السَّدَادُ وَالْإِصَابَةُ فِي النِّيَّاتِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ.

---

(١) رواه مسلم (٣٨).

(٢) رواه أحمد (٢٢٣٧٨) وابن ماجة (٢٧٧) وصححه الأرنؤوط والألباني.

(٣) رواه البخاري (٦٤٦٣) ومسلم (٢٨١٦).

وَأَخْبَرَ فِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ: أَنَّهُمْ لَا يُطِيقُونَهَا، فَنَقَلَهُمْ إِلَى الْمُقَارَبَةِ، وَهِيَ أَنْ يَقْرَبُوا مِنَ الِاسْتِقَامَةِ بِحَسَبِ طَاقَتِهِمْ، كَالَّذِي يَرْمِي إِلَى الْغَرَضِ، فَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ يُقَارِبْهُ، وَمَعَ هَذَا فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الِاسْتِقَامَةَ وَالْمُقَارَبَةَ لَا تُنْجِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا يَرْكَنُ أَحَدٌ إِلَى عَمَلِهِ، وَلَا يُعْجَبُ بِهِ، وَلَا يَرَى أَنَّ نَجَاتَهُ بِهِ، بَلْ إِنَّمَا نَجَاتُهُ بِرَحْمَةِ اللهِ وَعَفْوِهِ وَفَضْلِهِ.

فَالِاسْتِقَامَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ، آخِذَةٌ بِمَجَامِعِ الدِّينِ، وَهِيَ الْقِيَامُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ عَلَى حَقِيقَةِ الصِّدْقِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ.

وَالِاسْتِقَامَةُ تَتَعَلَّقُ بِالْأَقْوَالِ، وَالْأَفْعَالِ، وَالْأَحْوَالِ، وَالنِّيَّاتِ، فَالِاسْتِقَامَةُ فِيهَا: وُقُوعُهَا للهِ، وَبِاللهِ، وَعَلَى أَمْرِ اللهِ.

قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: كُنْ صَاحِبَ الِاسْتِقَامَةِ، لَا طَالِبَ الْكَرَامَةِ، فَإِنَّ نَفْسَكَ مُتَحَرِّكَةٌ فِي طَلَبِ الْكَرَامَةِ، وَرَبَّكَ يُطَالِبُكَ بِالِاسْتِقَامَةِ.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ تَعَالَى رَوْحَهُ - يَقُولُ: أَعْظَمُ الْكَرَامَةِ لُزُومُ الِاسْتِقَامَةِ.

❖ الصّدق:

قَالَ ابن القيم رحمه الله تَعَالَى[1]:

[وَهِيَ مَنْزِلَةُ الْقَوْمِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي مِنْهُ تَنْشَأُ جَمِيعُ مَنَازِلِ السَّالِكِينَ، وَالطَّرِيقُ الْأَقْوَمُ الَّذِي مَنْ لَمْ يَسِرْ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنَ الْمُنْقَطِعِينَ الْهَالِكِينَ، وَبِهِ تَمَيَّزَ أَهْلُ النِّفَاقِ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَسُكَّانُ الْجِنَانِ مِنْ أَهْلِ النِّيرَانِ، وَهُوَ سَيْفُ اللهِ فِي أَرْضِهِ الَّذِي مَا وُضِعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا قَطَعَهُ، وَلَا وَاجَهَ بَاطِلًا إِلَّا أَرْدَاهُ وَصَرَعَهُ، مَنْ صَالَ بِهِ لَمْ تُرَدَّ صَوْلَتُهُ، وَمَنْ نَطَقَ بِهِ عَلَتْ عَلَى الْخُصُومِ كَلِمَتُهُ، فَهُوَ رُوحُ الْأَعْمَالِ، وَمَحَكُّ الْأَحْوَالِ، وَالْحَامِلُ عَلَى اقْتِحَامِ الْأَهْوَالِ، وَالْبَابُ الَّذِي دَخَلَ مِنْهُ الْوَاصِلُونَ إِلَى حَضْرَةِ ذِي الْجَلَالِ، وَهُوَ أَسَاسُ بِنَاءِ الدِّينِ، وَعَمُودُ فُسْطَاطِ الْيَقِينِ، وَدَرَجَتُهُ تَالِيَةٌ لِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ الَّتِي هِيَ أَرْفَعُ دَرَجَاتِ الْعَالَمِينَ، وَمِنْ مَسَاكِنِهِمْ فِي الْجَنَّاتِ تُجْرَى الْعُيُونُ وَالْأَنْهَارُ إِلَى مَسَاكِنِ الصِّدِّيقِينَ، كَمَا كَانَ مِنْ قُلُوبِهِمْ إِلَى قُلُوبِهِمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ مَدَدٌ مُتَّصِلٌ وَمَعِينٌ.

---

(١) مدارج السالكين: منزلة الصدق (٢/ ٢٥٧).

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ، وَخَصَّ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِالنَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، فَقَالَ تَعَالَى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة]. وقال تَعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فَهُمُ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء] وَلَا يَزَالُ اللهُ يَمُدُّهُمْ بِأَنْعُمِهِ وَأَلْطَافِهِ وَمَزِيدِهِ إِحْسَانًا مِنْهُ وَتَوْفِيقًا، وَلَهُمْ مَرْتَبَةُ الْمَعِيَّةِ مَعَ الله، فَإِنَّ اللهَ مَعَ الصَّادِقِينَ، وَلَهُمْ مَنْزِلَةُ الْقُرْبِ مِنْهُ، إِذْ دَرَجَتُهُمْ مِنْهُ ثَانِي دَرَجَةِ النَّبِيِّينَ.

وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ مَنْ صَدَقَهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، فَقَالَ ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ [محمد] وَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ الْبِرِّ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ: مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالصَّبْرِ، بِأَنَّهُمْ أَهْلُ الصِّدْقِ فَقَالَ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة] وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ الصِّدْقَ بِالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَأَنَّ الصِّدْقَ هُوَ مَقَامُ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ.

وَقَسَّمَ اللهُ سُبْحَانَهُ النَّاسَ إِلَى صَادِقٍ وَمُنَافِقٍ، فَقَالَ ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [الأحزاب: ٢٤] وَالْإِيمَانُ أَسَاسُهُ الصِّدْقُ، وَالنِّفَاقُ أَسَاسُهُ الْكَذِبُ، فَلَا يَجْتَمِعُ كَذِبٌ وَإِيمَانٌ إِلَّا وَأَحَدُهُمَا مُحَارِبٌ لِلْآخَرِ.

وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ: أَنَّهُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يَنْفَعُ الْعَبْدَ وَيُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِهِ إِلَّا صِدْقُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة] وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر] فَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ: هُوَ مَنْ شَأْنِهِ الصِّدْقُ فِي قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ وَحَالِهِ، فَالصِّدْقُ: **فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ**.

فَالصِّدْقُ فِي الْأَقْوَالِ: اسْتِوَاءُ اللِّسَانِ عَلَى الْأَقْوَالِ، كَاسْتِوَاءِ السُّنْبُلَةِ عَلَى سَاقِهَا، **وَالصِّدْقُ فِي الْأَعْمَالِ**: اسْتِوَاءُ الْأَفْعَالِ عَلَى الْأَمْرِ وَالْمُتَابَعَةِ، كَاسْتِوَاءِ الرَّأْسِ عَلَى الْجَسَدِ، **وَالصِّدْقُ فِي الْأَحْوَالِ**: اسْتِوَاءُ أَعْمَالِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ عَلَى الْإِخْلَاصِ، وَاسْتِفْرَاغُ الْوُسْعِ، وَبَذْلُ الطَّاقَةِ، فَبِذَلِكَ يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الَّذِينَ جَاءُوا بِالصِّدْقِ، وَبِحَسَبِ كَمَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ فِيهِ وَقِيَامِهَا بِهِ: تَكُونُ صِدِّيقِيَّتُهُ، وَلِذَلِكَ كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه

وَأَرْضَاهُ: ذُرْوَةُ سَنَامِ الصِّدِّيقِيَّةِ، سُمِّيَ الصِّدِّيقَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَالصِّدِّيقُ أَبْلَغُ مِنَ الصَّدُوقِ وَالصَّدُوقُ أَبْلَغُ مِنَ الصَّادِقِ.

فَأَعْلَى مَرَاتِبِ الصِّدْقِ: مَرْتَبَةُ الصِّدِّيقِيَّةِ، وَهِيَ كَمَالُ الِانْقِيَادِ لِلرَّسُولِ ﷺ، مَعَ كَمَالِ الْإِخْلَاصِ لِلْمُرْسِلِ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ: أَنْ يَسْأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ مُدْخَلَهُ وَمُخْرَجَهُ عَلَى الصِّدْقِ، فَقَالَ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء] وَأَخْبَرَ عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، أَنَّهُ سَأَلَهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ، فَقَالَ: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء] وَبَشَّرَ عِبَادَهُ بِأَنَّ لَهُمْ عِنْدَهُ قَدَمَ صِدْقٍ، وَمَقْعَدَ صِدْقٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢] وقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر] **فَهَذِهِ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ:** مُدْخَلُ الصِّدْقِ، وَمُخْرَجُ الصِّدْقِ، وَلِسَانُ الصِّدْقِ، وَقَدَمُ الصِّدْقِ، وَمَقْعَدُ الصِّدْقِ.

وَحَقِيقَةُ الصِّدْقِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ: هُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ، الْمُتَّصِلُ بِاللهِ، الْمُوَصِّلُ إِلَى اللهِ، وَهُوَ مَا كَانَ بِهِ وَلَهُ، مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَجَزَاءُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَمِنْ عَلَامَاتِ الصِّدْقِ: طُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ، **وَمِنْ عَلَامَاتِ الْكَذِبِ:** حُصُولُ الرِّيبَةِ، كَمَا فِي التِّرْمِذِيِّ[(١)] - مَرْفُوعًا - مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبُ رِيبَةٌ**»، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ[(٢)] مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**» فَجَعَلَ الصِّدْقَ مِفْتَاحَ الصِّدِّيقِيَّةِ وَمَبْدَأَهَا، وَهِيَ غَايَتُهُ، فَلَا يَنَالُ دَرَجَتَهَا كَاذِبٌ أَلْبَتَّةَ، لَا فِي قَوْلِهِ:، وَلَا فِي عَمَلِهِ، وَلَا فِي حَالِهِ، وَلَا سِيَّمَا كَاذِبٌ عَلَى اللهِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَنَفْيِ مَا أَثْبَتَهُ، أَوْ إِثْبَاتِ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَيْسَ فِي هَؤُلَاءِ صِدِّيقٌ أَبَدًا، وَكَذَلِكَ الْكَذِبُ عَلَيْهِ فِي دِينِهِ وَشَرْعِهِ، بِتَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ، وَتَحْرِيمِ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ، وَإِسْقَاطِ مَا أَوْجَبَهُ، وَإِيجَابِ مَا لَمْ يُوجِبْهُ، وَكَرَاهَةِ مَا أَحَبَّهُ، وَاسْتِحْبَابِ مَا لَمْ يُحِبَّهُ، كُلُّ ذَلِكَ مُنَافٍ لِلصِّدِّيقِيَّةِ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٢٠) وأحمد (١٧٢٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧).

وَكَذَلِكَ الْكَذِبُ مَعَهُ فِي الْأَعْمَالِ: بِالتَّحَلِّي بِحِلْيَةِ الصَّادِقِينَ الْمُخْلِصِينَ، وَالزَّاهِدِينَ الْمُتَوَكِّلِينَ، وَلَيْسَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ.

فَلِذَلِكَ كَانَتِ الصِّدِّيقِيَّةُ: كَمَالَ الْإِخْلَاصِ وَالِانْقِيَادِ، وَالْمُتَابَعَةَ لِلْخَبَرِ وَالْأَمْرِ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، حَتَّى إِنَّ صِدْقَ الْمُتَبَايِعَيْنِ يُحِلُّ الْبَرَكَةَ فِي بَيْعِهِمَا، وَكَذِبُهُمَا يَمْحَقُ بَرَكَةَ بَيْعِهِمَا، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ[1] عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا: مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**».

كَلِمَاتٌ فِي حَقِيقَةِ الصِّدْقِ:

قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ: الصِّدْقُ: الْوَفَاءُ للهِ بِالْعَمَلِ.

وَقِيلَ: مُوَافَقَةُ السِّرِّ النُّطْقَ، وَقِيلَ: اسْتِوَاءُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، يَعْنِي أَنَّ الْكَاذِبَ عَلَانِيَتُهُ خَيْرٌ مِنْ سَرِيرَتِهِ، كَالْمُنَافِقِ الَّذِي ظَاهِرُهُ خَيْرٌ مِنْ بَاطِنِهِ، وَقِيلَ: الصِّدْقُ: الْقَوْلُ بِالْحَقِّ فِي مَوَاطِنِ الهلَكَةِ.

وَقِيلَ: كَلِمَةُ الْحَقِّ عِنْدَ مَنْ تَخَافُهُ وَتَرْجُوهُ، (..)وَقَالَ الْجُنَيْدُ: (حَقِيقَةُ الصِّدْقِ: أَنَّ تَصْدُقَ فِي مَوْطِنٍ لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ إِلَّا الْكَذِبُ).

وَقِيلَ: ثَلَاثٌ لَا تُخْطِئُ الصَّادِقَ: الْحَلَاوَةُ، وَالْمَلَاحَةُ، وَالْهَيْبَةُ.

وَفِي أَثَرٍ إِلَهِيٍّ: مَنْ صَدَقَنِي فِي سَرِيرَتِهِ صَدَقْتُهُ فِي عَلَانِيَتِهِ عِنْدَ خَلْقِي.

وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ: (لَأَنْ أَبِيتَ لَيْلَةً أُعَامِلُ اللهَ بِالصِّدْقِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَضْرِبَ بِسَيْفِي فِي سَبِيلِ اللهِ).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ لَمْ يُؤَدِّ الْفَرْضَ الدَّائِمَ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ الْفَرْضُ الْمُؤَقَّتُ، قِيلَ: وَمَا الْفَرْضُ الدَّائِمُ؟ قَالَ: الصِّدْقُ.

وَقِيلَ: مَنْ طَلَبَ اللهَ بِالصِّدْقِ أَعْطَاهُ مِرْآةً يُبْصِرُ فِيهَا الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ، وَقِيلَ: عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ حَيْثُ تَخَافُ أَنَّهُ يَضُرُّكَ، فَإِنَّهُ يَنْفَعُكَ، وَدَعِ الْكَذِبَ حَيْثُ تَرَى أَنَّهُ يَنْفَعُكَ، فَإِنَّهُ يَضُرُّكَ، وَقِيلَ: (مَا أَمْلَقَ تَاجِرٌ صَدُوقٌ).

---

(١) رواه البخاري (٢١١٠) ومسلم (١٥٣٢).

فَمِنْ هَاهُنَا كَانَ الصَّادِقُ مُضْطَرًّا - أَشَدَّ الضَّرُورَةِ - إِلَى مُتَابَعَةِ الْأَمْرِ، وَالتَّسْلِيمِ لِلرَّسُولِ ﷺ، فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، وَالِاقْتِدَاءِ بِهِ، وَالتَّعَبُّدِ بِطَاعَتِهِ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ، مَعَ إِخْلَاصِ الْقَصْدِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُرْضِيهِ مِنْ عَبْدِهِ إِلَّا ذَلِكَ، وَمَا عَدَا هَذَا فَقُوتُ النَّفْسِ، وَمُجَرَّدُ حَظِّهَا، وَاتِّبَاعُ أَهْوَائِهَا، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مِنَ الْمُجَاهَدَاتِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ وَالْخَلَوَاتِ مَا كَانَ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْ عَبْدِهِ عَمَلًا، أَوْ يَرْضَى بِهِ، حَتَّى يَكُونَ عَلَى مُتَابَعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، خَالِصًا لِوَجْهِهِ سُبْحَانَهُ]أهـ.

❖ التوكل:

جاء في رياض الصّالحين: قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب] وقال تعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران] وقال تعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] والآيات في الأمر بالتوكل كثيرة معلومة.

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «عُرِضَت عليَّ الأمَمُ، فَرَأَيْت النَّبِيَّ وَمعَه الرُّهيْطُ والنَّبِيَّ ومَعهُ الرَّجُل وَالرَّجُلانِ، وَالنَّبِيَّ وليْسَ مَعهُ أحدٌ إِذْ رُفِعَ لِي سوادٌ عظيمٌ فظننتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فَإِذا سَوادٌ عَظِيمٌ فقيلَ لي انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ فَإِذَا سَوَادٌ عَظيمٌ فقيلَ لِي: هَذه أُمَّتُكَ، ومعَهُمْ سبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الْجنَّة بِغَيْرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ»، ثُمَّ نَهَض فَدَخَلَ منْزِلَهُ، فَخَاض النَّاسُ في أُولَئِكَ الَّذينَ يدْخُلُون الْجنَّةَ بغَيْرِ حسابٍ وَلا عذابٍ، فَقَالَ بعْضهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذينَ صَحِبُوا رسولَ اللهَّ ﷺ، وقَال بعْضهُم: فَلعَلَّهُمْ الَّذينَ وُلِدُوا في الإِسْلامِ، فَلَمْ يُشْرِكُوا باللهَّ شَيئاً - وذَكَروا أَشْياء - فَخرجَ عَلَيْهِمْ رسولُ اللهَّ ﷺ فقَالَ: «مَا الَّذي تَخُوضونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ فقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لا يرقُونَ، وَلا يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطيَّرُون، وَعَلَى ربِّهِمْ يتوكَّلُونَ» فقَامَ عُكَّاشةُ بنُ مُحْصِن فَقَالَ: ادْعُ اللهَّ أنْ يجْعَلَني مِنهُم، فَقَالَ: «أَنْت مِنهُم» ثُمَّ قَام رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللهَّ أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُم فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»(١)

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٥٧٠٥) ومسلم (٢٢٠).

* عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا قَالَ: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ [آل عمران](١).

* عن عمر رضي الله عنه قَالَ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»(٢).

وننقل مما قَالَ ابن القيم في مدارج السالكين(باختصار):

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣﴾ [المائدة]، وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١﴾ [إبراهيم]، وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] وقال عن أوليائه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤﴾ [الممتحنة] وقال عن أصحاب نبيه ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾[الأنفال]، والقرآن مملوء من ذلك.

التوكل نصف الدّين والنصف الثّاني الإنابة فإن الدّين استعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هيَ العِبَادة، ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها ولا تزال معمورة بالنازلين لسعة متعلق التوكل وكثرة حوائج العَالَمِيّن، وعموم التوكل ووقوعه من الْمُؤمِنِين والكفار والأبرار والفجار والطير والوحش والبهائم فأهل السموات والأرض المكلفون وغيرهم في مقام التوكل وإن تباين متعلق توكلهم، فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في حصول ما عليه في الإيمان ونصرة دينه وإعلاء كلمته وجِهَاد أعدائه وفي محابه وتنفيذ أوامره، ودون هَؤُلَاءِ من يتوكل عليه في استقامته في نفسه وحفظ حاله مع الله فارغا عن النّاس. ودون هَؤُلَاءِ من يتوكل عليه في معلوم يناله منه من رزق أو عافية أو نصر عَلَى عدو أو زوجة أو ولد ونحو ذلك، ودون هَؤُلَاءِ من يتوكل عليه في حصول الإثم والفواحش فإن أصحاب هذه المطالب لا

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٤٥٦٣، ٤٥٦٤).

(٢) أخرجه: ابن ماجه (٤١٦٤)، والترمذي (٢٣٤٤)، وقال: «حديث حسن صحيح».

ينالونها غالبا إلا باستعانتهم بالله وتوكلهم عليه، بل قد يكون توكلهم أقوى من توكل كثير من أصحاب الطاعات ولهذا يلقون أنفسهم في المتالف والمهالك معتمدين عَلى الله أن يسلمهم ويظفرهم بمطالبهم.

فأفضل التوكل التوكل في الواجب أعني واجب الحقّ وواجب الخلق وواجب النّفس، وأوسعه وأنفعه التوكل في التّأثير في الخارج في مصلحة دينية أو في دفع مفسدة دينية وهو توكل الأنبياء في إقامة دين الله ودفع فساد المفسدين في الأرض وهذا توكل ورثتهم.

ثمّ النّاس بعد في التوكل عَلى حسب هممهم ومقاصدهم فمن متوكل عَلى الله في حصول الملك ومن متوكل في حصول رغيف.

*** معنى التوكل ودرجاته وما قيل فيه:**

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: (التَّوَكُّلُ عَمَلُ الْقَلْبِ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ، لَيْسَ بِقَوْلِ اللِّسَانِ، وَلَا عَمَلِ الْجَوَارِحِ، وَلَا هُوَ مِنْ بَابِ الْعُلُومِ وَالْإِدْرَاكَاتِ).

وَمِنْهُمْ مَنْ يُفَسِّرُهُ بِالرِّضَا، فَيَقُولُ: هُوَ الرِّضَا بِالْمَقْدُورِ.

قَالَ بِشْرٌ الْحَافِي: (يَقُولُ أَحَدُهُمْ: تَوَكَّلْتُ عَلَى الله، يَكْذِبُ عَلَى الله، لَوْ تَوَكَّلَ عَلَى الله، رَضِيَ بِمَا يَفْعَلُ الله).

وَقَالَ أَبُو تُرَابٍ النَّخْشَبِيُّ: (هُوَ طَرْحُ الْبَدَنِ فِي الْعُبُودِيَّةِ، وَتَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَالطُّمَأْنِينَةُ إِلَى الْكِفَايَةِ، فَإِنْ أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِنْ مُنِعَ صَبَرَ).

فَجَعَلَهُ مُرَكَّبًا مِنْ خَمْسَةِ أُمُورٍ: الْقِيَامِ بِحَرَكَاتِ الْعُبُودِيَّةِ، وَتَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِتَدْبِيرِ الرَّبِّ، وَسُكُونِهِ إِلَى قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ، وَطُمَأْنِينَتِهِ وَكِفَايَتِهِ لَهُ، وَشُكْرِهِ إِذَا أَعْطَى، وَصَبْرِهِ إِذَا مَنَعَ.

وَأَجْمَعَ الْقَوْمُ عَلَى أَنَّ التَّوَكُّلَ لَا يُنَافِي الْقِيَامَ بِالْأَسْبَابِ، فَلَا يَصِحُّ التَّوَكُّلُ إِلَّا مَعَ الْقِيَامِ بِهَا، وَإِلَّا فَهُوَ بَطَالَةٌ وَتَوَكُّلٌ فَاسِدٌ.

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ الله: مَنْ طَعَنَ فِي الْحَرَكَةِ فَقَدْ طَعَنَ فِي السُّنَّةِ، وَمَنْ طَعَنَ فِي التَّوَكُّلِ فَقَدْ طَعَنَ فِي الْإِيمَانِ.

فَالتَّوَكُّلُ حَالُ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْكَسْبُ سُنَّتُهُ، فَمَنْ عَمِلَ عَلَى حَالِهِ فَلَا يَتْرُكَنَّ سُنَّتَهُ وَقِيلَ: التَّوَكُّلُ قَطْعُ عَلَائِقِ الْقَلْبِ بِغَيْرِ الله.

وَسُئِلَ سَهْلٌ عَنِ التَّوَكُّلِ؟ فَقَالَ: قَلْبٌ عَاشَ مَعَ اللهِ بِلَا عَلَاقَةٍ.

وَكَانَ شَيْخُنَا - ﷺ - يَقُولُ: الْمَقْدُورُ يَكْتَنِفُهُ أَمْرَانِ: التَّوَكُّلُ قَبْلَهُ، وَالرِّضَا بَعْدَهُ، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ قَبْلَ الْفِعْلِ، وَرَضِيَ بِالْمَقْضِيِّ لَهُ بَعْدَ الْفِعْلِ فَقَدْ قَامَ بِالْعُبُودِيَّةِ، أَوْ مَعْنَى هَذَا.

قُلْتُ: وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي دُعَاءِ الِاسْتِخَارَةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ»، فَهَذَا تَوَكُّلٌ وَتَفْوِيضٌ، ثُمَّ قَالَ: «فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَتَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ»، فَهَذَا تَبَرُّؤٌ إِلَى اللهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَتَوَسُّلٌ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِهِ الَّتِي هِيَ أَحَبُّ مَا تَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِهَا الْمُتَوَسِّلُونَ، ثُمَّ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَقْضِيَ لَهُ ذَلِكَ الْأَمْرَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَصْلَحَتُهُ، عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، وَأَنْ يَصْرِفَهُ عَنْهُ إِنْ كَانَ فِيهِ مَضَرَّتُهُ، عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، فَهَذَا هُوَ حَاجَتُهُ الَّتِي سَأَلَهَا، فَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ إِلَّا الرِّضَا بِمَا يَقْضِيهِ لَهُ، فَقَالَ: «وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ»[(١)].

❖ الأمانة:

جاء في رياض الصّالحين:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وقال تعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾ [الأحزاب].

* عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» متفق عليه، وفي رواية: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ»[(٢)].

* وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قَالَ: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ حَدَّثَنَا: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ» ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ فقَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ - ثُمَّ أَخَذَ حَصًى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ - فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي

---

(١) حديث الاستخارة رواه البخاري (٦٣٨٢).

(٢) رواه البخاري (٣٣، ٢٦٨٢) ومسلم (٥٩).

الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا» متفق عليه[١].

❖ الحياء:

نَنقل من مدارج السالكين[٢] باختصار:

[قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ [العلق]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء] وقال تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ [غافر]

* وَفِي الصَّحِيحِ[٣] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ ﵄: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ بِرَجُلٍ - وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ - فَقَالَ: «دَعْهُ! فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ» .

* وَفِيهِمَا عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﵁: قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «الحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»[٤] .

* وَفِيهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً - فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[٥].

* وَفِيهِمَا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ»[٦] .

---

(١) رواه البخاري (٦٤٩٧، ٧٠٨٦) ومسلم (١٤٣).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٩).

(٣) رواه البخاري (٢٤، ٦١١٨) ومسلم (٣٦).

(٤) رواه البخاري (٦١١٧) ومسلم (٣٧).

(٥) رواه البخاري (٩) ومسلم (٣٥).

(٦) رواه البخاري (٦١٠٢، ٣٥٦٢) ومسلم (٢٣٢٠).

* وَفِي الصَّحِيحِ[(١)] عَنْهُ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».

* وَفِي التِّرْمِذِيِّ[(٢)] مَرْفُوعًا «اسْتَحْيُوا مِنَ الله حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالُوا: إِنَّا نَسْتَحِي يَا رَسُولَ الله، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكُمْ، وَلَكِنَّ مَنِ اسْتَحْيَا مِنَ الله حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَلْيَحْفَظِ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ الله حَقَّ الْحَيَاءِ».

تعريف الحياء:

وَالْحَيَاءُ مِنَ الْحَيَاةِ، وَمِنْهُ الْحَيَا لِلْمَطَرِ، لَكِنَّهُ مَقْصُورٌ، وَعَلَى حَسَبِ حَيَاةِ الْقَلْبِ يَكُونُ فِيهِ قُوَّةُ خُلُقِ الْحَيَاءِ، وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ مِنْ مَوْتِ الْقَلْبِ وَالرُّوحِ، فَكُلَّمَا كَانَ الْقَلْبُ أحيى كانَ الحياء أتم، أَحْيَى كَانَ الْحَيَاءُ أَتَمَّ،

قَالَ الْجُنَيْدُ رحمه الله: (الْحَيَاءُ رُؤْيَةُ الْآلَاءِ، وَرُؤْيَةُ التَّقْصِيرِ، فَيَتَوَلَّدُ بَيْنَهُمَا حَالَةٌ تُسَمَّى الْحَيَاءُ، وَحَقِيقَتُهُ خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى تَرْكِ الْقَبَائِحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّفْرِيطِ فِي حَقِّ صَاحِبِ الْحَقِّ).

وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ: أَحيُوا الْحَيَاءَ بِمُجَالَسَةِ مَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ، وَعِمَارَةُ الْقَلْبِ: بِالْهَيْبَةِ وَالْحَيَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَا مِنَ الْقَلْبِ لَمْ يَبْقَ فِيهِ خَيْرٌ.

وَفِي أَثَرٍ إِلَهِيٍّ، «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا اسْتَحْيَيْتَ مِنِّي أَنْسَيْتُ النَّاسَ عُيُوبَكَ، وَأَنْسَيْتُ بِقَاعَ الْأَرْضِ ذُنُوبَكَ، وَمَحَوْتُ مِنْ أُمِّ الْكِتَابِ زَلَّاتِكَ، وَإِلَّا نَاقَشْتُكَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَفِي أَثَرٍ آخَرَ: «أَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: عِظْ نَفْسَكَ، فَإِنِ اتَّعَظَتْ، وَإِلَّا فَاسْتَحِي مِنِّي أَنْ تَعِظَ النَّاسَ» .

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: خَمْسٌ مِنْ عَلَامَاتِ الشِّقْوَةِ: الْقَسْوَةُ فِي الْقَلْبِ، وَجُمُودُ الْعَيْنِ، وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ، وَالرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا، وَطُولُ الْأَمَلِ، وَفِي أَثَرٍ إِلَهِيٍّ: «مَا أَنْصَفَنِي عَبْدِي، يَدْعُونِي فَأَسْتَحْيِي أَنْ أَرُدَّهُ، وَيَعْصِينِي وَلَا يَسْتَحْيِي مِنِّي».

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٨٣، ٣٤٨٤).

(٢) رواه أحمد (٣٦٧١) والترمذي (٢٤٥٨) وحسنه الألباني.

وَقَدْ قَسَّمَ الْحَيَاءَ عَلَى عَشَرَةِ أَوْجُهٍ: حَيَاءُ جِنَايَةٍ، وَحَيَاءُ تَقْصِيرٍ، وَحَيَاءُ إِجْلَالٍ، وَحَيَاءُ كَرَمٍ، وَحَيَاءُ حِشْمَةٍ، وَحَيَاءُ اسْتِصْغَارٍ لِلنَّفْسِ وَاحْتِقَارٍ لَهَا، وَحَيَاءُ مَحَبَّةٍ، وَحَيَاءُ عُبُودِيَّةٍ، وَحَيَاءُ شَرَفٍ وَعِزَّةٍ، وَحَيَاءُ الْمُسْتَحْيِي مِنْ نَفْسِهِ..].

❖ حفظ اللسان:

قَالَ النووي رَحِمَهُ اللهُ:

اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَميعِ الكَلامِ إِلاَّ كَلامًا ظَهَرَتْ فِيهِ المَصْلَحَةُ، ومَتَى اسْتَوَى الكَلاَمُ وَتَرْكُهُ فِي المَصْلَحَةِ، فالسُّنَّةُ الإمْسَاكُ عَنْهُ، لأَنَّهُ قَدْ يَنْجَرُّ الكَلاَمُ المُبَاحُ إِلَى حَرامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، وذَلِكَ كَثِيرٌ في العَادَةِ، والسَّلاَمَةُ لا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**» متفق عَلَيْهِ[1]، وهذا صَريحٌ في أَنَّهُ يَنْبَغي أَنْ لا يَتَكَلَّمَ إِلاَّ إِذَا كَانَ الكلامُ خَيرًا، وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَتْ مَصْلَحَتُهُ، ومَتَى شَكَّ في ظُهُورِ المَصْلَحَةِ، فَلاَ يَتَكَلَّم.
- وعن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: **يَا رسولَ الله أَيُّ المُسْلِمِينَ أفْضَلُ**؟ قَالَ: «**مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**» متفق عَلَيْهِ[2].
- وعن سهل بن سعد قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**»[3].
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبيّ ﷺ يقول: «**إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ**» متفق عَلَيْهِ[4]، وعنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «**إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ**

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٥) ومسلم (٤٧).

(٢) رواه البخاري (١١) ومسلم (٤٢، ٦٦).

(٣) رواه البخاري (٦٤٧٤) .

(٤) رواه البخاري (٦٤٧٧) ومسلم (٢٩٨٨، ٥٠).

رِضْوَانِ الله تعَالَى مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلَمَةِ مِنْ سَخَطِ الله تعَالَى لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»(١).

- وعن أبي عبد الرَّحمٰن بِلالِ بن الحارِثِ المُزَنِيِّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله تَعَالَى مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يوم يَلْقَاهُ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغتْ يَكْتُبُ الله لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»(٢).
- وعن سفيان بن عبدالله ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله حدِّثني بأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ: «قلْ: رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ» قُلْتُ: يَا رسولَ الله، مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا»(٣).
- وعن ابن عمر ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا تُكْثِرُوا الكَلاَمَ بغَيْرِ ذِكْرِ الله؛ فَإنَّ كَثْرَةَ الكَلاَمِ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله تَعَالَى قَسْوَةٌ لِلقَلْبِ! وإنَّ أبْعَدَ النَّاسِ مِنَ الله القَلْبُ القَاسِي»(٤).
- وعن عقبة بن عامر ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ»(٥).
- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإنَّ الأعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسانَ، تَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإنَّما نَحنُ بِكَ؛ فَإنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وإنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا»(٦). معنى: «تكَفُرُ اللِّسَانَ»: أيْ تَذِلُّ وَتَخْضَعُ لَهُ.
- [عن معاذ ﷺ قَالَ: فقلت يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَّ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٨).

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (٢٨١٨) برواية الليثي، والترمذي (٢٣١٩)

(٣) رواه ابن ماجه (٣٩٧٢)، والترمذي (٢٤١٠) وقال حديث حسن صحيح.

(٤) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٤١١) وضعفه الألباني.

(٥) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٤٠٦) وقال: حديث حسن، وصححه الألباني.

(٦) رواه الترمذي (٢٤٠٧) وحسنه الألباني.

تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ» ثُمَّ تَلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] حَتَّى بَلَغَ ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة] ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ » قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»][1].

❖ اليقين:

قَالَ ابن القيم في مدارج السالكين[2]:

[منزلة اليقين: وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ مَنْزِلَةُ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ، وَبِهِ تَفَاضَلَ الْعَارِفُونَ، وَفِيهِ تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ، وَإِلَيْهِ شَمَّرَ الْعَامِلُونَ، وَعَمَلُ الْقَوْمِ إِنَّمَا كَانَ عَلَيْهِ، وَإِشَارَاتُهُمْ كُلُّهَا إِلَيْهِ، وَإِذَا تَزَوَّجَ الصَّبْرُ بِالْيَقِينِ: وُلِدَ بَيْنَهُمَا حُصُولُ الْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى، وَبِقَوْلِهِ: يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ [السجدة]

وَخَصَّ سُبْحَانَهُ أَهْلَ الْيَقِينِ بِالِانْتِفَاعِ بِالْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ، فَقَالَ، وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠﴾ [الذاريات]. وَخَصَّ أَهْلَ الْيَقِينِ بِالْهُدَى وَالْفَلَاحِ مِنْ بَيْنِ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة]. وأخبر عن أهل النار بأنهم لم يكونوا من أهل اليقين فقال تعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ۝٣٢﴾ [الجاثية] فَالْيَقِينُ رُوحُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ الَّتِي هِيَ أَرْوَاحُ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ، وَهُوَ حَقِيقَةُ الصِّدِّيقِيَّةِ، وَهُوَ قُطْبُ هَذَا الشَّأْنِ الَّذِي عَلَيْهِ مَدَارُهُ.

وَرَوَى خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ عَنِ السُّفْيَانَيْنِ عَنِ التَّيْمِيِّ عَنْ خَيْثَمَةَ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تُرْضِيَنَّ أَحَدًا بِسَخَطِ الله، وَلَا تَحْمَدَنَّ أَحَدًا عَلَى فَضْلِ الله، وَلَا تَذُمَّنَّ أَحَدًا عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ، فَإِنَّ

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦) والنسائي (٢٢٢٤، ٢٢٢٥) وابن ماجة (٣٩٧٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) منزلة اليقين – مدارج السالكين (٢/ ٣٧٦).

رِزْقَ اللهِ لَا يَسُوقُهُ إِلَيْكَ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ عَنْكَ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ، وَإِنَّ اللهَ بِعَدْلِهِ وَقِسْطِهِ جَعَلَ الرَّوحَ وَالْفَرَحَ فِي الرِّضَا وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ»(١) .

وَالْيَقِينُ قَرِينُ التَّوَكُّلِ، وَلِهَذَا فُسِّرَ التَّوَكُّلُ بِقُوَّةِ الْيَقِينِ، وَالصَّوَابُ: أَنَّ التَّوَكُّلَ ثَمَرَتُهُ وَنَتِيجَتُهُ، وَلِهَذَا حَسُنَ اقْتِرَانُ الْهُدَى بِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل] فَالْحَقُّ: هُوَ الْيَقِينُ، وَقَالَتْ رُسُلُ اللهِ: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: ١٢]. وَمَتَّى وَصَلَ الْيَقِينُ إِلَى الْقَلْبِ امْتَلَأَ نُورًا وَإِشْرَاقًا، وَانْتَفَى عَنْهُ كُلُّ رَيْبٍ وَشَكٍّ وَسَخَطٍ، وَهَمٍّ وَغَمٍّ، فَامْتَلَأَ مَحَبَّةً للهِ، وَخَوْفًا مِنْهُ وَرِضًا بِهِ، وَشُكْرًا لَهُ، وَتَوَكُّلًا عَلَيْهِ، وَإِنَابَةً إِلَيْهِ، فَهُوَ مَادَّةُ جَمِيعِ الْمَقَامَاتِ وَالْحَامِلُ لَهَا.

وَاخْتُلِفَ فِيهِ: هَلْ هُوَ كَسْبِيٌّ، أَوْ مَوْهِبِيٌّ؟

فَقِيلَ: هُوَ الْعِلْمُ الْمُسْتَوْدَعُ فِي الْقُلُوبِ، يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ غَيْرُ كَسْبِيٍّ، وَقَالَ سَهْلٌ: الْيَقِينُ مِنْ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْإِيمَانَ كَسْبِيٌّ، وَالتَّحْقِيقُ: أَنَّهُ كَسْبِيٌّ بِاعْتِبَارِ أَسْبَابِهِ، مَوْهِبِيٌّ بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ وَذَاتِهِ.

قَالَ سَهْلٌ: ابْتِدَاؤُهُ الْمُكَاشَفَةُ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِينًا، ثُمَّ الْمُعَايَنَةُ وَالْمُشَاهَدَةُ.

وَقَالَ ابْنُ خَفِيفٍ: هُوَ تَحَقُّقُ الْأَسْرَارِ بِأَحْكَامِ الْمُغَيَّبَاتِ.

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرٍ: الْعِلْمُ تُعَارِضُهُ الشُّكُوكُ، وَالْيَقِينُ لَا شَكَّ فِيهِ.

وَعِنْدَ الْقَوْمِ: الْيَقِينُ لَا يُسَاكِنُ قَلْبًا فِيهِ سُكُونٌ إِلَى غَيْرِ اللهِ.

وَقَالَ ذُو النُّونِ: الْيَقِينُ يَدْعُو إِلَى قِصَرِ الْأَمَلِ، وَقِصَرُ الْأَمَلِ يَدْعُو إِلَى الزُّهْدِ، وَالزُّهْدُ يُورِثُ الْحِكْمَةَ، وَهِيَ تُورِثُ النَّظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٠٥١٤) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢١) والبيهقي في الشعب (٢٠٤-٢٠٥) وقال الألباني: موضوع، انظر (ضعيف الترغيب والترهيب ١٠٦٤).

قَالَ: وَثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الْيَقِينِ: قِلَّةُ مُخَالَطَةِ النَّاسِ فِي الْعِشْرَةِ، وَتَرْكُ الْمَدْحِ لَهُمْ فِي الْعَطِيَّةِ، وَالتَّنَزُّهُ عَنْ ذَمِّهِمْ عِنْدَ الْمَنْعِ، وَثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِهِ أَيْضًا: النَّظَرُ إِلَى اللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ فِي كُلِّ حَالٍ.

وَقَالَ الْجُنَيْدُ: الْيَقِينُ هُوَ اسْتِقْرَارُ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَنْقَلِبُ وَلَا يُحَوَّلُ، وَلَا يَتَغَيَّرُ فِي الْقَلْبِ، وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: عَلَى قَدْرِ قُرْبِهِمْ مِنَ التَّقْوَى أَدْرَكُوا مِنَ الْيَقِينِ.

وَأَصْلُ التَّقْوَى مُبَايَنَةُ النَّهْيِ، وَهُوَ مُبَايَنَةُ النَّفْسِ، فَعَلَى قَدْرِ مُفَارَقَتِهِمُ النَّفْسَ: وَصَلُوا إِلَى الْيَقِينِ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: الْيَقِينُ مَلَاكُ الْقَلْبِ، وَبِهِ كَمَالُ الْإِيمَانِ، وَبِالْيَقِينِ عُرِفَ اللهُ، بِالْعَقْلِ عُقِلَ عَنِ اللهِ.

وَقَالَ النَّهْرَجُورِيُّ: إِذَا اسْتَكْمَلَ الْعَبْدُ حَقَائِقَ الْيَقِينِ صَارَ الْبَلَاءُ عِنْدَهُ نِعْمَةً وَالرَّخَاءُ عِنْدَهُ مُصِيبَةً].

❖ الصّبر:

قَالَ ابن القيم رحمه الله:

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رحمه الله تَعَالَى: الصَّبْرُ فِي الْقُرْآنِ فِي نَحْوِ تِسْعِينَ مَوْضِعًا.

وَهُوَ وَاجِبٌ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، وَهُوَ نِصْفُ الْإِيمَانِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ نِصْفَانِ: نِصْفٌ صَبْرٌ، وَنِصْفٌ شُكْرٌ.

وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي الْقُرْآنِ عَلَى سِتَّةَ عَشَرَ نَوْعًا.

الْأَوَّلُ: الْأَمْرُ بِهِ. نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣] وقوله: ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]

الثَّانِي: النَّهْيُ عَنْ ضِدِّهِ كَقَوْلِهِ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فَإِنَّ الْوَهْنَ مِنْ عَدَمِ الصَّبْرِ.

الثَّالِثُ: الثَّنَاءُ عَلَى أَهْلِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٧] وقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البقرة] وَهُوَ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ.

الرَّابِعُ: إِيجَابُهُ سُبْحَانَهُ مَحَبَّتَهُ لَهُمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ [آل عمران]

الْخَامِسُ: إِيجَابُ مَعِيَّتِهِ لَهُمْ، وَهِيَ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ، تَتَضَمَّنُ حِفْظَهُمْ وَنَصْرَهُمْ، وَتَأْيِيدَهُمْ، لَيْسَتْ مَعِيَّةً عَامَّةً، وَهِيَ مَعِيَّةُ الْعِلْمِ وَالْإِحَاطَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال] وقوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩]

السَّادِسُ: إِخْبَارُهُ بِأَنَّ الصَّبْرَ خَيْرٌ لِأَصْحَابِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل]. وقوله: ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النساء: ٢٥]

السَّابِعُ: إِيجَابُ الْجَزَاءِ لَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل].

الثَّامِنُ: إِيجَابُهُ سُبْحَانَهُ الْجَزَاءَ لَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر]

التَّاسِعُ: إِطْلَاقُ الْبُشْرَى لِأَهْلِ الصَّبْرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة].

الْعَاشِرُ: ضَمَانُ النَّصْرِ وَالْمَدَدِ لَهُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران] ومنه قول النبيّ ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ»[1].

الْحَادِي عَشَرَ: الْإِخْبَارُ مِنْهُ تَعَالَى بِأَنَّ أَهْلَ الصَّبْرِ هُمْ أَهْلُ الْعَزَائِمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى].

الثَّانِي عَشَرَ: الْإِخْبَارُ أَنَّهُ مَا يَلْقَى الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَجَزَاءَهَا وَالْحُظُوظَ الْعَظِيمَةَ إِلَّا أَهْلُ الصَّبْرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص] وقوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت].

الثَّالِثَ عَشَرَ: الْإِخْبَارُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِالْآيَاتِ وَالْعِبَرِ أَهْلُ الصَّبْرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى لِمُوسَى: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾ [إبراهيم] وَقَوْلِهِ فِي أَهْلِ سَبَإٍ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ [سبأ] وَقَوْلِهِ: فِي سُورَةِ

---

(١) رواه أحمد (٢٨٠٣) والحاكم (٦٣٠٤) وصححه الألباني في صَحِيحِ الْجَامِعِ: (٦٨٠٦) والصَّحِيحَة: (٢٣٨٢).

الشُّورَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الشورى].

الرَّابِعَ عَشَرَ: الْإِخْبَارُ بِأَنَّ الْفَوْزَ الْمَطْلُوبَ الْمَحْبُوبَ، وَالنَّجَاةَ مِنَ الْمَكْرُوهِ الْمَرْهُوبِ، وَدُخُولَ الْجَنَّةِ، إِنَّمَا نَالُوهُ بِالصَّبْرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد]

الْخَامِسَ عَشَرَ: أَنَّهُ يُورِثُ صَاحِبَهُ دَرَجَةَ الْإِمَامَةِ، سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ – قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ – يَقُولُ: بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة]

السَّادِسَ عَشَرَ: اقْتِرَانُهُ بِمَقَامَاتِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، كَمَا قَرَنَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالْيَقِينِ وَبِالْإِيمَانِ، وَالتَّقْوَى وَالتَّوَكُّلِ، وَبِالشُّكْرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالرَّحْمَةِ.

وَلِهَذَا كَانَ الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ، كَمَا أَنَّهُ لَا جَسَدَ لِمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: خَيْرُ عَيْشٍ أَدْرَكْنَاهُ بِالصَّبْرِ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ(١) أَنَّهُ ضِيَاءٌ، وَقَالَ: «**مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ**».

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ(٢): «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**».

وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ السَّوْدَاءِ الَّتِي كَانَتْ تُصْرَعُ فَسَأَلَتْهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهَا: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**»، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، **فَدَعَا لَهَا** (٣).

وَأَمَرَ الْأَنْصَارَ رضي الله عنهم بِأَنْ يَصْبِرُوا عَلَى الْأَثَرَةِ الَّتِي يَلْقَوْنَهَا بَعْدَهُ، حَتَّى يَلْقَوْهُ عَلَى الْحَوْضِ.

وَأَمَرَ عِنْدَ مُلَاقَاةِ الْعَدُوِّ بِالصَّبْرِ، وَأَمَرَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى.

وَأَمَرَ ﷺ الْمُصَابَ بِأَنْفَعِ الْأُمُورِ لَهُ، وَهُوَ الصَّبْرُ وَالِاحْتِسَابُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُخَفِّفُ مُصِيبَتَهُ، وَيُوَفِّرُ أَجْرَهُ، وَالْجَزَعُ وَالتَّسَخُّطُ وَالتَّشَكِّي يَزِيدُ فِي الْمُصِيبَةِ، وَيُذْهِبُ الْأَجْرَ.

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٩، ٦٤٧٠) ومسلم (١٠٥٣).

(٢) رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٣) رواه البخاري (٥٦٥٢) ومسلم (٢٥٧٦).

وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ الصَّبْرَ خَيْرٌ كُلُّهُ، فَقَالَ: «مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا لَهُ وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»(١).

تعريف الصّبر:

وَالصَّبْرُ فِي اللُّغَةِ: الْحَبْسُ وَالْكَفُّ، وَمِنْهُ: قُتِلَ فُلَانٌ صَبْرًا، إِذَا أُمْسِكَ وَحُبِسَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨] أَي: احْبِسْ نَفْسَكَ مَعَهُمْ.

فَالصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الْجَزَعِ وَالتَّسَخُّطِ، وَحَبْسُ اللِّسَانِ عَنِ الشَّكْوَى، وَحَبْسُ الْجَوَارِحِ عَنِ التَّشْوِيشِ.

وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

صَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَصَبْرٌ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَصَبْرٌ عَلَى امْتِحَانِ اللهِ، فَالْأَوَّلَانِ: صَبْرٌ عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِالْكَسْبِ، وَالثَّالِثُ: صَبْرٌ عَلَى مَا لَا كَسْبَ لِلْعَبْدِ فِيهِ.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَقُولُ: كَانَ صَبْرُ يُوسُفَ عَنْ مُطَاوَعَةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ عَلَى شَأْنِهَا: أَكْمَلُ مِنْ صَبْرِهِ عَلَى إِلْقَاءِ إِخْوَتِهِ لَهُ فِي الْجُبِّ، وَبَيْعِهِ وَتَفْرِيقِهِمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ، فَإِنَّ هَذِهِ أُمُورٌ جَرَتْ عَلَيْهِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، لَا كَسْبَ لَهُ فِيهَا، لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهَا حِيلَةٌ غَيْرَ الصَّبْرِ، وَأَمَّا صَبْرُهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ: فَصَبْرُ اخْتِيَارٍ وَرِضًا وَمُحَارَبَةٍ لِلنَّفْسِ، وَلَا سِيَّمَا مَعَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَقْوَى مَعَهَا دَوَاعِي الْمُوَافَقَةِ، فَإِنَّهُ كَانَ شَابًّا، وَدَاعِيَةُ الشَّبَابِ إِلَيْهَا قَوِيَّةٌ، وَعَزَبًا لَيْسَ لَهُ مَا يُعَوِّضُهُ وَيَرُدُّ شَهْوَتَهُ، وَغَرِيبًا، وَالْغَرِيبُ لَا يَسْتَحِي فِي بَلَدِ غُرْبَتِهِ مِمَّا يَسْتَحِي مِنْهُ مَنْ بَيْنَ أَصْحَابِهِ وَمَعَارِفِهِ وَأَهْلِهِ، وَمَمْلُوكًا، وَالْمَمْلُوكُ أَيْضًا لَيْسَ وَازِعُهُ كَوَازِعِ الْحُرِّ، وَالْمَرْأَةُ جَمِيلَةٌ، وَذَاتُ مَنْصِبٍ، وَهِيَ سَيِّدَتُهُ، وَقَدْ غَابَ الرَّقِيبُ، وَهِيَ الدَّاعِيَةُ لَهُ إِلَى نَفْسِهَا، وَالْحَرِيصَةُ عَلَى ذَلِكَ أَشَدَّ الْحِرْصِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَوَعَّدَتْهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ بِالسِّجْنِ وَالصَّغَارِ، وَمَعَ هَذِهِ الدَّوَاعِي كُلِّهَا صَبَرَ اخْتِيَارًا، وَإِيثَارًا لِمَا عِنْدَ اللهِ، وَأَيْنَ هَذَا مِنْ صَبْرِهِ فِي الْجُبِّ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ كَسْبِهِ؟

وَكَانَ يَقُولُ: الصَّبْرُ عَلَى أَدَاءِ الطَّاعَاتِ: أَكْمَلُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى اجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ وَأَفْضَلُ؛ فَإِنَّ مَصْلَحَةَ فِعْلِ الطَّاعَةِ أَحَبُّ إِلَى الشَّارِعِ مِنْ مَصْلَحَةِ تَرْكِ الْمَعْصِيَةِ، وَمُفْسَدَةُ عَدَمِ الطَّاعَةِ: أَبْغَضُ إِلَيْهِ وَأَكْرَهُ مِنْ مَفْسَدَةِ وُجُودِ الْمَعْصِيَةِ،

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٩) ومسلم (١٠٥٣).

وَلَهُ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي ذَلِكَ مُصَنَّفٌ قَرَّرَهُ فِيهِ بِنَحْوٍ مِنْ عِشْرِينَ وَجْهًا، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهَا.

وَالْمَقْصُودُ: الْكَلَامُ عَلَى الصَّبْرِ وَحَقِيقَتِهِ وَدَرَجَاتِهِ وَمَرْتَبَتِهِ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ.

أنواع الصّبر:

وَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ: صَبْرٌ بِاللهِ، وَصَبْرٌ للهِ، وَصَبْرٌ مَعَ اللهِ.

فَالْأَوَّلُ: صَبْرُ الِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَرُؤْيَتُهُ أَنَّهُ هُوَ الْمُصَبِّرُ، وَأَنَّ صَبْرَ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ لَا بِنَفْسِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧] يَعْنِي إِنْ لَمْ يُصَبِّرْكَ هُوَ لَمْ تَصْبِرْ.

وَالثَّانِي: الصَّبْرُ للهِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْبَاعِثُ لَهُ عَلَى الصَّبْرِ مَحَبَّةَ اللهِ، وَإِرَادَةَ وَجْهِهِ، وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ، لَا لِإِظْهَارِ قُوَّةِ النَّفْسِ، وَالِاسْتِحْمَادِ إِلَى الْخَلْقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْرَاضِ.

وَالثَّالِثُ: الصَّبْرُ مَعَ اللهِ، وَهُوَ دَوَرَانُ الْعَبْدِ مَعَ مُرَادِ اللهِ الدِّينِيِّ مِنْهُ، وَمَعَ أَحْكَامِهِ الدِّينِيَّةِ، صَابِرًا نَفْسَهُ مَعَهَا، سَائِرًا بِسَيْرِهَا، مُقِيمًا بِإِقَامَتِهَا، يَتَوَجَّهُ مَعَهَا أَيْنَ تَوَجَّهَتْ رَكَائِبُهَا، وَيَنْزِلُ مَعَهَا أَيْنَ اسْتَقَلَّتْ مَضَارِبُهَا.

فَهَذَا مَعْنَى كَوْنِهِ صَابِرًا مَعَ اللهِ؛ أَيْ قَدْ جَعَلَ نَفْسَهُ وَقْفًا عَلَى أَوَامِرِهِ وَمَحَابِّهِ، وَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ وَأَصْعَبِهَا، وَهُوَ صَبْرُ الصِّدِّيقِينَ.

قَالَ الْجُنَيْدُ: الْمَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ سَهْلٌ هَيِّنٌ عَلَى الْمُؤْمِنِ، وَهِجْرَانُ الْخَلْقِ فِي جَنْبِ اللهِ شَدِيدٌ، وَالْمَسِيرُ مِنَ النَّفْسِ إِلَى اللهِ صَعْبٌ شَدِيدٌ، وَالصَّبْرُ مَعَ اللهِ أَشَدُّ.

وَسُئِلَ عَنِ الصَّبْرِ؟ فَقَالَ: تَجَرُّعُ الْمَرَارَةِ مِنْ غَيْرِ تَعَبُّسٍ.

قَالَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ: الصَّبْرُ: التَّبَاعُدُ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ، وَالسُّكُونُ عِنْدَ تَجَرُّعِ غُصَصِ الْبَلِيَّةِ، وَإِظْهَارُ الْغِنَى مَعَ حُلُولِ الْفَقْرِ بِسَاحَاتِ الْمَعِيشَةِ.

وَقِيلَ: الصَّبْرُ: الْوُقُوفُ مَعَ الْبَلَاءِ بِحُسْنِ الْأَدَبِ.

وَقِيلَ: هُوَ الْفَنَاءُ فِي الْبَلْوَى، بِلَا ظُهُورٍ وَلَا شَكْوَى.

وَقِيلَ: تَعْوِيدُ النَّفْسِ الْهُجُومَ عَلَى الْمَكَارِهِ.

وَقِيلَ: الْمُقَامُ مَعَ الْبَلَاءِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ، كَالْمُقَامِ مَعَ الْعَافِيَةِ.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ: هُوَ الثَّبَاتُ مَعَ اللهِ، وَتَلَقِّي بَلَائِهِ بِالرَّحْبِ وَالدَّعَةِ.

وَقَالَ الْخَوَّاصُ: هُوَ الثَّبَاتُ عَلَى أَحْكَامِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَقِيلَ: الصَّبْرُ هُوَ الِاسْتِعَانَةُ بِالله.

وَقِيلَ:

الصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ، مُرٌّ مَذَاقَتُهُ، ... لَكِنَّ عَوَاقِبَهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

وَقِيلَ: الصَّبْرُ أَنْ تَرْضَى بِتَلَفِ نَفْسِكَ فِي رِضَا مَنْ تُحِبُّهُ، كَمَا قِيلَ:

سَأَصْبِرُ كَيْ تَرْضَى وَأَتْلَفَ حَسْرَةً ... وَحَسْبِي أَنْ تَرْضَى وَيُتْلِفَنِي صَبْرِي

وَقِيلَ: مَرَاتِبُ الصَّابِرِينَ خَمْسَةٌ: صَابِرٌ، وَمُصْطَبِرٌ، وَمُتَصَبِّرٌ، وَصَبُورٌ، وَصَبَّارٌ، فَالصَّابِرُ: أَعَمُّهَا، وَالْمُصْطَبِرُ: الْمُكْتَسِبُ الصَّبْرَ الْمَلِيءُ بِهِ، وَالْمُتَصَبِّرُ: الْمُتَكَلِّفُ حَامِلٌ نَفْسَهُ عَلَيْهِ، وَالصَّبُورُ: الْعَظِيمُ الصَّبْرِ الَّذِي صَبْرُهُ أَشَدُّ مِنْ صَبْرِ غَيْرِهِ، وَالصَّبَّارُ: الْكَثِيرُ الصَّبْرِ، فَهَذَا فِي الْقَدْرِ وَالْكَمِّ، وَالَّذِي قَبْلَهُ فِي الْوَصْفِ وَالْكَيْفِ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ: (الصَّبْرُ مَطِيَّةٌ لَا تَكْبُو)، وقيل في قوله تَعَالَى: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] إِنَّهُ انْتِقَالٌ مِنَ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى، فَالصَّبْرُ دُونَ الْمُصَابَرَةِ، وَالْمُصَابَرَةُ دُونَ الْمُرَابَطَةِ وَالْمُرَابَطَةُ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الرَّبْطِ وَهُوَ الشَّدُّ، وَسُمِّي الْمُرَابِطُ مُرَابِطًا لِأَنَّ الْمُرَابِطِينَ يَرْبِطُونَ خُيُولَهُمْ يَنْتَظِرُونَ الْفَزَعَ، ثُمَّ قِيلَ لِكُلِّ مُنْتَظِرٍ قَدْ رَبَطَ نَفْسَهُ لِطَاعَةٍ يَنْتَظِرُهَا: مُرَابِطٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتُ، إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»[(١)]، **وقال**: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ الله خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فيها**»[(٢)]، وَقِيلَ: اصْبِرُوا بِنُفُوسِكُمْ عَلَى طَاعَةِ الله، وَصَابِرُوا بِقُلُوبِكُمْ عَلَى الْبَلْوَى فِي الله، وَرَابِطُوا بِأَسْرَارِكُمْ عَلَى الشَّوْقِ إِلَى الله، وَقِيلَ: اصْبِرُوا فِي الله، وَصَابِرُوا بِالله، وَرَابِطُوا مَعَ الله.

وَقِيلَ: اصْبِرُوا عَلَى النَّعْمَاءِ، وَصَابِرُوا عَلَى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَرَابِطُوا فِي دَارِ الْأَعْدَاءِ، وَاتَّقَوْا إِلَهَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ فِي دَارِ الْبَقَاءِ.

---

(١) رواه مسلم (٢٥١)، وهذا اللفظ عند النسائي (١٤٣).

(٢) رواه البخاري (٢٨٩٢).

وَفِي كِتَابِ الْأَدَبِ لِلْبُخَارِيِّ(١): سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ؟ فَقَالَ: «الصَّبْرُ، وَالسَّمَاحَةُ»، وَهَذَا مِنْ أَجْمَعِ الْكَلَامِ وَأَعْظَمِهِ بُرْهَانًا، وَأَوْعَبِهِ لِمَقَامَاتِ الْإِيمَانِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا.

فَإِنَّ النَّفْسَ يُرَادُ مِنْهَا شَيْئَانِ: بَذْلُ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَإِعْطَاؤُهُ، فَالْحَامِلُ عَلَيْهِ السَّمَاحَةُ، وَتَرْكُ مَا نُهِيَتْ عَنْهُ، وَالْبُعْدُ مِنْهُ، فَالْحَامِلُ عَلَيْهِ: الصَّبْرُ.

وَقَدْ أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ، وَالصَّفْحِ الْجَمِيلِ، وَالْهَجْرِ الْجَمِيلِ، فَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - يَقُولُ: الصَّبْرُ الْجَمِيلُ هُوَ الَّذِي لَا شَكْوَى فِيهِ وَلَا مَعَهُ، وَالصَّفْحُ الْجَمِيلُ هُوَ الَّذِي لَا عِتَابَ مَعَهُ، وَالْهَجْرُ الْجَمِيلُ هُوَ الَّذِي لَا أَذَى مَعَهُ.

وَفِي أَثَرٍ إِسْرَائِيلِيٍّ: أَوْحَى اللهُ إِلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ: أَنْزَلْتُ بِعَبْدِي بَلَائِي، فَدَعَانِي، فَمَاطَلْتُهُ بِالْإِجَابَةِ، فَشَكَانِي، فَقُلْتُ: عَبْدِي، كَيْفَ أَرْحَمُكَ مِنْ شَيْءٍ بِهِ أَرْحَمُكَ؟ .

وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤] قَالَ: (أَخَذُوا بِرَأْسِ الْأَمْرِ فَجَعَلَهُمْ رُؤَسَاءَ).

وَالشَّكْوَى إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ لَا تُنَافِي الصَّبْرَ، فَإِنَّ يَعْقُوبَ عليه السلام وَعَدَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ، وَالنَّبِيُّ إِذَا وَعَدَ لَا يُخْلِفُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] وَكَذَلِكَ أَيُّوبُ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ وَجَدَهُ صَابِرًا مَعَ قَوْلِهِ: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء] وإنما ينافي الصّبر شكوى وَإِنَّمَا يُنَافِي الصَّبْرَ شَكْوَى الله، لَا الشَّكْوَى إِلَى الله، كَمَا رَأَى بَعْضُهُمْ رَجُلًا يَشْكُو إِلَى آخَرَ فَاقَةً وَضَرُورَةً، فَقَالَ: يَا هَذَا، تَشْكُو مَنْ يَرْحَمُكَ إِلَى مَنْ لَا يَرْحَمُكَ؟ ثُمَّ أَنْشَدَ:

وَإِذَا عَرَتْكَ بَلِيَّةٌ فَاصْبِرْ لَهَا ... صَبْرَ الْكَرِيمِ فَإِنَّهُ بِكَ أَعْلَمُ
وَإِذَا شَكَوْتَ إِلَى ابْنِ آدَمَ إِنَّمَا ... تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ.

❖ الكرم:

قَالَ الإِمَامِ النووي في كتابه (رياض الصّالحين):

باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تَعَالَى:

---

(١) رواه أحمد (١٩٤٣٥) وصححه الألباني (الصحيحة ٥٥٤)

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩] وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة]. وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة].

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «لا حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا ويُعَلِّمُهَا» متفق عليه[١]، ومعناه: يَنْبَغي أَنْ لاَ يُغبَطَ أحَدٌ إلاَّ عَلَى إحْدَى هَاتَيْنِ الخَصْلَتَيْنِ.

* وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ «أيُّكُم مَالُ وَارِثِهِ أَحبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قالوا: يَا رسول الله، مَا مِنَّا أحَدٌ إلاَّ مَالُهُ أحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: «فإنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أخَّرَ»[٢].

* وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»، متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

* وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: «مَا سُئِلَ رسولَ الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ، فقالَ: لاَ»، متفقٌ عَلَيْهِ[٤].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبحُ العِبَادُ فِيهِ إلاَّ مَلَكَانِ يَنْزلانِ، فَيَقُولُ أحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»، متفقٌ عَلَيْهِ[٥].

* وعنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «قَالَ الله تَعَالَى: أنفِق يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ». متفقٌ عَلَيْهِ[٦].

* وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أيُّ الإسلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ». متفقٌ عَلَيْهِ[٧].

---

(١) رواه البخاري (٧٣) ومسلم (٨١٦).

(٢) رواه البخاري (٦٤٤٢).

(٣) رواه البخاري (١٤١٧) ومسلم (١٠١٦).

(٤) رواه البخاري (٦٠٣٤) ومسلم (٢٣١١).

(٥) رواه البخاري (١٤٤٢) ومسلم (١٠١٠).

(٦) رواه البخاري (٤٦٨٤) ومسلم (٩٩٣).

(٧) رواه البخاري (١٢) ومسلم (٣٩).

* وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً: أَعْلاهَا مَنِيحةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بخَصْلَةٍ مِنْهَا؛ رَجَاءَ ثَوَابهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إلاَّ أَدْخَلَهُ الله تَعَالَى بِهَا الجَنَّةَ»(١).

* عن أبي أمامة صدي بن عجلان ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ أن تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَن تُمْسِكَه شَرٌّ لَكَ، وَلاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَاليَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»(٢).

* وعن أنس ﷺ قَالَ: «ما سئل رسول الله ﷺ عَلَى الإسْلاَمِ شَيْئًا إلاَّ أعْطَاهُ، وَلَقَدْ جَاءهُ رَجُلٌ، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، أَسْلِمُوا فإنَّ مُحَمَّدًا يُعطِي عَطَاءَ مَن لاَ يَخْشَى الفَقْرَ، وَإنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إلاَّ الدُّنْيَا، فَمَا يَلْبَثُ إلاَّ يَسِيرًا حَتَّى يَكُونَ الإسْلاَمُ أَحَبَّ إلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»(٣).

* وعن عمر ﷺ قَالَ: قسم رسول الله ﷺ قَسْمًا، فَقُلْتُ: يَا رسولَ الله، لَغَيْرُ هؤلاَءِ كَانُوا أحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ؟ فَقَالَ: «إنَّهُمْ خَيرُونِي أنْ يَسألُوني بالفُحْشِ، أَوْ يُبَخِّلُونِي، وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ»(٤).

* وعن جبير بن مطعم ﷺ أنه قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْن، فَعَلِقَهُ الأعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَة، فَخَطِفَت رِدَاءهُ، فَوَقَفَ النَّبيُّ ﷺ فقال: «أعْطُونِي رِدَائي، فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا، لَقَسَمْتُهُ بينَكُمْ، ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلاَ كَذّابًا وَلاَ جَبَانًا».(٥) «مَقْفَلَهُ» أيْ: حَال رُجُوعِه. وَ «السَّمُرَةُ»: شَجَرَةٌ. وَ «العِضَاهُ»: شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ.

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَال، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أحَدٌ لله إلاَّ رَفَعَهُ اللهُ – عزَّ وجلَّ»(٦).

(١) رواه البخاري (٢٦٣١).

(٢) رواه مسلم (١٠٣٦) والترمذي (٢٣٤٣).

(٣) رواه مسلم (٢٣١٢).

(٤) رواه مسلم (١٠٥٦).

(٥) رواه البخاري (٢٨٢١).

(٦) رواه مسلم (٢٥٨٨)

* وعن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماريّ ﷺ أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثَلاَثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقرٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ»، قَالَ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهذا بأفضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلتُ بِعَمَلِ فُلانٍ، فَهُوَ بنيَّتِهِ، فأجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ الله مَالًا، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخبطُ فِي مَالِهِ بغَيرِ عِلْمٍ، لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهذَا بأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلاَ عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ»[١].

* وعن عائشة ﷺ أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قالت: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُها، قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا»[٢]. ومعناه: تَصَدَّقُوا بِهَا إِلاَّ كَتِفَها، فَقَالَ: بَقِيَتْ لَنَا في الآخِرَةِ إِلاَّ كَتِفَهَا.

* وعن أسماء بنت أبي بكر الصّديق ﷺ قالت قَالَ لِي رسول الله ﷺ: «لاَ تُوكِي فَيُوكى عَلَيْكِ»، وفي رواية: «أنفقي أَوِ انْفَحِي، أَوْ انْضَحِي، وَلاَ تُحصي فَيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ، وَلاَ تُوعي فَيُوعي اللهُ عَلَيْكِ». متفقٌ عَلَيْهِ[٣]. وَ «انْفَحِي» بالحاء المهملة، وَهُوَ بمعنى «أنفقي» وكذلك «انْضحي».

* وعن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَثَلُ البَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ إِلاَّ سَبَغَتْ - أَوْ وَفَرَتْ - عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ، وَتَعْفُو أثرَهُ، وأمَّا البَخِيلُ، فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوسِّعُهَا فَلاَ تَتَّسِعُ». متفقٌ عَلَيْهِ[٤]. وَ «الجُنَّةُ»: الدِّرْعُ؛ وَمَعنَاهُ أنَّ الْمُنْفِقَ كُلَّمَا أَنْفَقَ سَبَغَتْ، وَطَالَتْ حَتَّى تَجُرَّ وَرَاءهُ، وَتُخْفِيَ رِجْلَيْهِ وَأثَرَ مَشْيِهِ وَخطُوَاتِهِ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٥) وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٧٠) وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري (١٤٣٣) ومسلم (١٠٢٩).

(٤) رواه البخاري (١٤٤٣) ومسلم (١٠٢١).

* وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بعَدلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إلاَّ الطَّيِّبَ، فَإنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

«الفَلُوُّ» بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، ويقال أيضًا: بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو: وَهُوَ الْمُهْرُ.

* وعنه عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا في سَحَابَةٍ، اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فإذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فإذَا رَجُلٌ قَائمٌ في حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بِمسَحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ الله، ما اسمُكَ؟ قال: فُلانٌ للاسم الذي سَمِعَ في السَّحابَةِ، فقال له: يا عبدَ الله، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا في السَّحابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ لاسمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا، فَقَالَ: أمَا إذ قلتَ هَذَا، فَإنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»(٢).

«الحَرَّةُ» الأَرْضُ المُلَبَّسَةُ حِجَارَةً سَوْدَاءَ، وَ «الشَّرْجَةُ» بفتح الشين المعجمة وإسكان الراءِ وبالجيم: هي مَسِيلُ الماءِ.

❖ القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة وذم السّؤال من غير ضرورة:

قَالَ النووي في رياض الصّالحين:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] وقال تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات].

---

(١) رواه البخاري (١٤١٠) ومسلم (١٠١٤).

(٢) رواه مسلم (٢٩٨٤).

* عن أبي هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ قالَ: «لَيْسَ الغِنَى عَن كَثْرَةِ العَرَض، وَلكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ» متفق عليه[١].

* وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»[٢].

* وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قالَ: سألتُ رسول الله ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيم، إنَّ هَذَا المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بإشرافِ نَفسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَاليَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى» قَالَ حكيم: فقلتُ: يَا رسول الله، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَرْزَأُ أحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَدْعُو حَكيمًا لِيُعْطِيَه العَطَاء، فَيَأبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ إنَّ عُمَرَ رضي الله عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَه فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ، فقالَ: يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، أُشْهِدُكُمْ عَلَى حَكيمٍ أنّي أعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ الَّذِي قَسَمَهُ اللهُ لَهُ في هَذَا الفَيءِ فَيَأبَى أَنْ يَأخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النبي ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ. متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

«يَرْزَأُ» بِراءٍ ثُمَّ زايٍ ثُمَّ همزة؛ أيْ: لَمْ يَأْخُذْ مِنْ أحَدٍ شَيْئًا، وَأصْلُ الرُّزءِ: النُّقْصَان، أيْ: لَمْ يَنقُص أحَدًا شَيْئًا بالأخذِ مِنْهُ، وَ «إشْرَافُ النَّفْسِ»: تَطَلُّعُهَا وَطَمَعُهَا بالشَّيْء. وَ «سَخَاوَةُ النَّفْسِ»: هِيَ عَدَمُ الإشْرَاف إِلَى الشَيء، وَالطَّمَع فِيهِ، وَالمُبَالاَةِ بِهِ وَالشَّرَهِ.

* وعن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رسول الله ﷺ في غَزاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنقِبَت أقدَامُنَا وَنَقِبَت قَدَمِي، وسَقَطت أظْفَارِي، فَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أرْجُلِنا الخِرَق، فَسُمِّيَت غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ عَلَى أرْجُلِنَا مِنَ الخِرَقِ، قَالَ أَبُو بُردَة: فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا الحَدِيثِ، ثُمَّ كَرِه ذَلِكَ، وقال: مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكُرَهُ! قَالَ: كأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[٤].

---

(١) رواه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

(٢) رواه مسلم (١٠٥٤).

(٣) رواه البخاري (١٤٧٢) ومسلم (١٠٣٥).

(٤) رواه البخاري (٤١٢٨)، ومسلم (١٨١٦).

* وعن عمرو بن تغلب ﵁: أن رسول الله ﷺ أُتِي بِمالٍ أَوْ سَبْيٍ فقَسَّمَهُ، فَأعْطَى رِجَالًا، وَتَرَكَ رِجَالًا، فَبَلَغَهُ أنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ أثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أمَّا بَعْدُ، فَواللهِ إنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَأدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أدَعُ أحَبُّ إلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلكِنِّي إنَّمَا أُعْطِي أقْوَامًا لِمَا أرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِم مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، مِنْهُمْ عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ» قَالَ عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ: فَوَاللهِ مَا أُحِبُّ أنَّ لِي بِكَلِمَةِ رسول الله ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ(١).

* وعن حكيم بن حزام ﵁ أن النبيّ ﷺ قَالَ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنىً، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ الله، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله». متفقٌ عَلَيْهِ(٢).

* وعن سفيان صخر بن حرب ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لاَ تُلْحِفُوا فِي المَسْألَةِ، فَوَاللهِ لاَ يَسْأَلُنِي أحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْألَتُهُ مِنِّي شَيْئًا وَأنَا لَهُ كَارهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أعْطَيْتُهُ»(٣).

* وعن أبي عبد الرَّحمٰن عوف بن مالك الأشجعي ﵁ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رسول الله ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فقَالَ: «ألاَ تُبَايِعُونَ رسولَ الله ﷺ» وَكُنَّا حَديثِي عَهْدٍ ببَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رسولَ الله، ثمَّ قَالَ: «ألا تُبَايِعُونَ رسولَ الله» فَبَسَطْنا أيْدينا، وقلنا: قدْ بايعناكَ فَعَلامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ وَتُطِيعُوا الله» وأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيفَةً «وَلاَ تَسْألُوا النَّاسَ شَيْئًا» فَلَقَدْ رَأيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوطُ أحَدِهِمْ فَمَا يَسألُ أحَدًا يُنَاوِلُهُ إيّاهُ(٤).

* وعن ابن عمر ﵄ أن النبيّ ﷺ قَالَ: «لاَ تَزَالُ المَسْألَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعَالَى وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ»(٥) متفق عليه. «المُزْعَةُ» بضم الميم وإسكان الزايِ وبالعينِ المهملة: القِطْعَةُ.

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٩٢٣).

(٢) رواه البخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٤).

(٣) رواه مسلم (١٠٣٨).

(٤) رواه مسلم (٥٢٨).

(٥) رواه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠).

* وعنه أن رسول الله ﷺ قَالَ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ عَنِ المَسْأَلَةِ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَاليَدُ العُلْيَا هِيَ المُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ». متفقٌ عَلَيْهِ[1].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّرًا فإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا؛ فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ»[2].

* وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ «إنَّ المَسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إلاَّ أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَانًا أَوْ في أمْرٍ لاَ بُدَّ مِنْهُ»[3]. «الكد»: الخَدْشُ وَنَحْوُهُ.

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا باللهِ، فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ»[4].

* وعن ثوبان رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟» فقلتُ: أنَا، فَكَانَ لاَ يَسْأَلُ أحَدًا شَيْئًا[5].

* وعن أَبي بِشْرٍ قَبيصَةَ بنِ المُخَارِقِ رضي الله عنه قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رسولَ الله ﷺ أسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: «أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا» ثُمَّ قَالَ: «يَا قَبيصةُ، إنَّ المَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إلاَّ لأَحَدِ ثلاثَةٍ: رَجُلٌ تحمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوامًا مِنْ عَيش - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، حَتَّى يَقُولَ ثَلاثَةٌ مِنْ ذَوِي الحِجَى مِنْ قَوْمِه: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلانًا فَاقَةٌ. فَحلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يصيب قوامًا من عيش، أَوْ قَالَ: سدادًا من عيشٍ، فما سِوَاهُنَّ مِنَ المسألَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتٌ، يَأكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا»[6].

---

(١) رواه البخاري (١٤٢٩)، ومسلم (١٠٣٣)

(٢) رواه مسلم (١٠٤١).

(٣) رواه أبو داود (١٦٣٩)، والترمذي (٦٨١) وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني.

(٤) رواه أبو داود (١٦٤٥)، والترمذي (٢٣٢٦) وقال: «حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني.

(٥) رواه أبو داود (١٦٤٣) وصححه الألباني.

(٦) رواه مسلم (١٠٤٤).

«الحَمَالَةُ» بفتح الحاءِ: أَنْ يَقَعَ قِتَالٌ وَنَحْوُهُ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ، فَيُصْلِحُ إِنْسَانٌ بَيْنَهُمْ عَلَى مَالٍ يَتَحَمَّلُهُ وَيَلْتَزِمُهُ عَلَى نَفْسِهِ. وَ «الجَائحةُ» الآفَةُ تُصيبُ مَالَ الإنْسَانِ. وَ «القَوَامُ» بكسر القاف وفتحهَا: هُوَ مَا يَقُومُ بِهِ أَمْرُ الإنسَان مِنْ مَال ونحوِهِ. وَ «السِّدَادُ» بكسر السين: مَا يَسُدُّ حَاجَةَ المُعْوِزِ وَيَكْفِيهِ، وَ «الفَاقَةُ»: الفَقْرُ. وَ «الحِجَى»: العَقْلُ.

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لَيْسَ المسكينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلكِنَّ المِسكينَ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنىً يُغْنِيهِ، وَلاَ يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ» (١).

* وعن أبي عبدالله الزبير بن العوام ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أُحبُلَهُ ثُمَّ يَأْتِيَ الجَبَلَ، فَيَأْتِيَ بحُزْمَةٍ مِنْ حَطَب عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»(٢).

* وعن المقدام بن معد يكرب ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِه، وَإِنَّ نَبيَّ الله دَاوُدَ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»(٣).

❖ الإيثار:

قوله تعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]

عن أبي هريرة قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ فَقَالَ: إنِّي مَجْهُودٌ، فَأرسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقالت: وَالَّذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا عِنْدِي إلاَّ مَاءٌ، ثُمَّ أرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثلَ ذَلِكَ: لا وَالَّذِي بَعَثَك بالحَقِّ مَا عِنْدِي إلاَّ مَاءٌ، فَقَالَ النبي ﷺ: «مَنْ يُضيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا يَا رسولَ الله، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: أكرِمِي ضَيْفَ رسول الله ﷺ، وفي روايةٍ قَالَ لامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فقَالَتْ: لاَ، إلاَّ قُوتَ صِبيَانِي، قَالَ: فَعَلِّليهم بِشَيْءٍ وَإِذَا أَرَادُوا العَشَاءَ فَنَوِّميهم، وَإِذَا

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (١٤٧٩، ٤٥٣٩) ومسلم (١٠٣٩).

(٢) رواه البُخَارِيّ (١٤٧١).

(٣) رواه البخاري (٢٠٧٢).

دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ وَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «لَقَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ». متفقٌ عَلَيْهِ(١).

❋ وقال ابن عمر: (أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال إن أخي فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا فبعثه إليهم فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتَّى تداولها سبعة أبيات حتَّى رجعت إلى أولئك، فنزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾.

- وقال ابن عباس قَالَ النبيّ ﷺ للأنصار يوم بني النضير: (إن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم نقسم لكم من الغنيمة شيئا فقالت الأنصار بل نقسم لإخواننا في ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالغنيمة، فنزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية، والأول أصح.

- الْإِيثَارُ: هُوَ تَقْدِيمُ الْغَيْرِ عَلَى النَّفْسِ وَحُظُوظِهَا الدنياوية، وَرَغْبَةٌ فِي الْحُظُوظِ الدِّينِيَّةِ، وَذَلِكَ يَنْشَأُ عَنْ قُوَّةِ الْيَقِينِ، وَتَوْكِيدِ الْمَحَبَّةِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَشَقَّةِ، يُقَالُ: آثَرْتُهُ بِكَذَا، أَيْ خَصَصْتُهُ بِهِ وَفَضَّلْتُهُ، وَمَفْعُولُ الْإِيثَارِ مَحْذُوفٌ، أَيْ يُؤْثِرُونَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ، لَا عَنْ غِنًى بَلْ مَعَ احْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهَا، حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ.

- وَفِي مُوَطَّأِ مَالِكٍ: أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ مِسْكِينًا سَأَلَهَا وَهِيَ صَائِمَةٌ وَلَيْسَ فِي بَيْتِهَا إِلَّا رَغِيفٌ فَقَالَتْ لِمَوْلَاةٍ لَهَا: أَعْطِيهِ إِيَّاهُ، فَقَالَتْ: لَيْسَ لَكِ مَا تُفْطِرِينَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَتْ: أَعْطِيهِ إِيَّاهُ، قَالَتْ: فَفَعَلَتْ، قَالَتْ: فَلَمَّا أَمْسَيْنَا أَهْدَى لَنَا أَهْلُ بَيْتٍ أَوْ إِنْسَانٌ مَا كَانَ يُهْدَى لَنَا: شَاةً وَكَفَنَهَا فَدَعَتْنِي عَائِشَةُ فَقَالَتْ: كُلِي مِنْ هَذَا، فَهَذَا خَيْرٌ مِنْ قُرْصِكِ. قَالَ عُلَمَاؤُنَا: هَذَا مِنَ الْمَالِ الرَّابِحِ، وَالْفِعْلُ الزَّاكِي عِنْدَ اللهِ تَعَالَى يُعَجِّلُ مِنْهُ مَا يشاء ولا ينقص ذلك مما يدخر عَنْهُ. وَمَنْ تَرَكَ شَيْئًا للهِ لَمْ يَجِدْ فَقْدَهُ. وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي فِعْلِهَا هَذَا مِنَ الَّذِينَ أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْخَصَاصَةِ، وَأَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ وُقِيَ شُحَّ نَفْسِهِ وَأَفْلَحَ فَلَاحًا لَا خَسَارَةَ بَعْدَهُ.

---

(١) رواه البخاري (٣٧٩٨)، ومسلم (٢٠٥٤).

- وروى النسائي عن نافع أن ابن عمر اشتكى واشتهى عنبا فاشترى له عنقود بدرهم فجاء مسكين فسأل فقال أعطوه إياه ثمّ خالف إنسان فاشتراه بدرهم ثمّ جاء به إليه فأراد السائل أن يرجع فمنع ولو علم ابن عمر أنه ذلك العنقود ما ذاقه لأنما خرج لله لا يعود فيه.
- وذكر ابن المبارك قَالَ أخبرنا محمّد بن مطرف قَالَ حدثنا أبو حازم عن عبد الرَّحمٰن بن سعيد بن يربوع عن مالك الدار أن عمر بن الخطاب ﷺ أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة ثمّ قَالَ للغلام اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثمّ تلكأ ساعة في البيت حتَّى تنظر ماذا يصنع بها فذهب بها الغلام إليه فقال يقول لك أمير المُؤمِنِين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال وصله الله ورحمه ثمّ قَالَ تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان وبهذه الخمسة إلى فلان حتَّى أنفذها فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل وقال اذهب بها إلى معاذ بن جبل وتلكأ في البيت ساعة حتَّى تنظر ماذا يصنع فذهب بها إليه فقال يقول لك أمير المُؤمِنِين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال ﷺ ووصله وقال يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا فاطلعت امرأة معاذ فقالت ونحن والله مساكين فأعطنا ولم يبق في الخرقة إلا ديناران قد جاء بهما إليها فرجع الغلام إلى عمر بذلك، فقال إنهم إخوة بعضهم من بعض.
- ونحوه عن عائشة ﵂ في إعطاء معاوية إياها وكان عشرة آلاف وكان المنكدر دخل عليها فإن قيل وردت أخبار صحيحة في النهي عن نظير بجميع ما يملكه المرء قيل له إنما كره ذلك في حق من لا يوثق منه الصّبر عَلَى الفقر وخاف أن يتعرض للمسألة إذا فقد ما ينفقه فأما الأنصار الّذين أثنى الله عليهم بالإيثار عَلَى أنفسهم فلم يكونوا بهذه الصفة بل كانوا كما قَالَ الله تَعَالَى والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس وكان الإيثار فيهم أفضل من الإمساك والإمساك لمن لا يصبر ويتعرض للمسألة أولى من الإيثار.
- وروى أن رجلا جاء إلى النبيّ ﷺ بمثل البيضة من الذهب فقال هذه صدقة فرماه بها وقال يأتي أحدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثمّ يباع يتكفف النّاس والله أعلم.
- التاسعة والإيثار بالنّفس فوق الإيثار بالمال وإن عاد إلى النّفس ومن الأمثال السائرة: (والجود بالنّفس أقصى غاية الجود).

- وأفضل الجود بالنّفس الجود عَلى حماية رسول الله ﷺ ففي الصَّحِيح **أن أبا طلحة ترس عَلى النبيّ ﷺ يوم أحد وكان النبيّ ﷺ يتطلع ليرى القوم فيقول له أبو طلحة لا تشرف يا رسول الله لا يصيبونك نحري دون نحرك. ووقى بيده رسول الله ﷺ فشلت.**
- وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من الماء وأنا أقول إن كانَ به رمق سقيته فإذا أنا به فقلت له أسقيك فأشار برأسه أن نعم فإذا أنا برجل يقول آه آه فأشار إلي ابن عمي أن انطلق إليه فإذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك فأشار أن نعم فسمع آخر يقول آه آه فأشار هشام أن أنطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات.
- وقال أبو يزيد البسطامي ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت إن وجدنا أكلنا وإن فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ عندنا، فقلت وما حد الزهد عندكم قَالَ إن فقدنا شكرنا وإن وجدنا آثرنا.
- وحكى عن أبي الحسن الأنطاكي أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الري ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان وأطفئوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فإذا الطعام بحاله لم يأكل منه أحد شيئا إيثارا لصاحبه عَلى نفسه.
- قوله تَعَالَى ولو كانَ بهم خصاصة الخصاصة الحاجة الّتي تختل بها الحال وأصلها من الاختصاص وهو انفراد بالأمر فالخصاصة الإنفراد بالحاجة أي ولو كانَ بهم فاقة وحاجة.

قوله تَعَالَى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾ [الحشر] والبخل سواء يقال رجل شحيح بين الشح والشح والشحاحة، وجعل بعض أهل اللغة الشح أشد من البخل وفي الصحاح الشح البخل مع حرص (..). وروى الأسود عن ابن مسعود أن رجلا أتاه فقال له أَنّي أخاف أن أكون قد هلكت قَالَ وما ذاك قَالَ سمعت الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾ وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئا فقال ابن مسعود ليس ذلك بالشح الّذي ذكره الله تَعَالَى في القرآن إنما الشح الّذي ذكره الله تَعَالَى في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلما، ولكن ذلك البخل وبئس الشيء

البخل ففرق ﷺ بين الشح والبخل، وقال طاووس البخل أن يبخل الإنسان بما في يده والشح أن يشح بما في أيدي النّاس يحب أن يكون له ما في أيديهم بالحلّ والحرام.

- وقال أنس قاَل النبيّ ﷺ بريء من الشح من أدى الزّكاة وقرى الضيف وأعطى في النائبة، وعنه أن النبيّ ﷺ كانَ يدعو: **(اللّهم أنّي أعوذ بك من شح نفسي وإسرافها ووساوسها)**، وقال أبو الهياج الأسدي رأيت رجلا في الطواف يدعو اللّهم قني شح نفسي لا يزيد عَلى ذلك شيئا فقلت له فقال إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل فإذا الرجل عبد الرَّحمٰن بن عوف، قلت يدل عَلى هذا قوله ﷺ: **(اتقوا الظُّلم فإن الظُّلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كانَ قبلكم حملهم عَلى أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)** وقد بيناه في آخر آل عمران، وقال كسرى لأصحابه أي شيء أضر بابن آدم قالوا الفقر فقال كسرى الشح أضر من الفقر لأن الفقير إذا وجد شبع والشحيح إذا وجد لم يشبع أبدا.

قاَل ابن القيم ﵀ في مدارج السالكين:

[قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٩﴾ [الحشر] فَالْإِيثَارُ ضِدُّ الشُّحِّ، فَإِنَّ الْمُؤْثِرَ عَلَى نَفْسِهِ تَارِكٌ لِمَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، وَالشَّحِيحُ: حَرِيصٌ عَلَى مَا لَيْسَ بِيَدِهِ، فَإِذَا حَصَلَ بِيَدِهِ شَيْءٌ شَحَّ عَلَيْهِ، وَبَخِلَ بِإِخْرَاجِهِ، فَالْبُخْلُ ثَمَرَةُ الشُّحِّ، وَالشُّحُّ يَأْمُرُ بِالْبُخْلِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا» .

فَالْبَخِيلُ: مَنْ أَجَابَ دَاعِيَ الشُّحِّ. وَالْمُؤْثِرُ: مَنْ أَجَابَ دَاعِيَ الْجُودِ.

كَذَلِكَ السَّخَاءُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ هُوَ السَّخَاءُ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ سَخَاءِ الْبَذْلِ.

قَالَ عَبْدُ الله بْنُ الْمُبَارَكِ: سَخَاءُ النَّفْسِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ أَفْضَلُ مِنْ سَخَاءِ النَّفْسِ بِالْبَذْلِ.

وَهَذَا الْمَنْزِلُ: هُوَ مَنْزِلُ الْجُودِ وَالسَّخَاءِ وَالْإِحْسَانِ.

وَسُمِّيَ بِمَنْزِلِ الْإِيثَارِ لِأَنَّهُ أَعْلَى مَرَاتِبِهِ، فَإِنَّ الْمَرَاتِبَ ثَلَاثَةٌ.

إِحْدَاهَا: أَنْ لَا يَنْقُصَهُ الْبَذْلُ، وَلَا يَصْعُبَ عَلَيْهِ، فَهُوَ مَنْزِلَةُ السَّخَاءِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يُعْطِيَ الْأَكْثَرَ، وَيُبْقِيَ لَهُ شَيْئًا، أَوْ يُبْقِي مِثْلَ مَا أَعْطَى، فَهُوَ الْجُودُ.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُؤْثِرَ غَيْرَهُ بِالشَّيْءِ مَعَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ مَرْتَبَةُ الْإِيثَارِ وَعَكْسُهَا الْأَثَرَةُ وَهُوَ اسْتِئْثَارُهُ عَنْ أَخِيهِ بِمَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ. وَهِيَ الْمَرْتَبَةُ الَّتِي قَالَ فِيهَا رَسُولُ الله ﷺ لِلْأَنْصَارِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: «**إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ**» وَالْأَنْصَارُ: هُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِالْإِيثَارِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، فَوَصَفَهُمْ بِأَعْلَى مَرَاتِبِ السَّخَاءِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِيهِمْ مَعْرُوفًا.

وَكَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ﷺ مِنَ الْأَجْوَادِ الْمَعْرُوفِينَ، حَتَّى إِنَّهُ مَرِضَ مَرَّةً، فَاسْتَبْطَأَ إِخْوَانَهُ فِي الْعِيَادَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُمْ؟ فَقَالُوا: إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَحْيُونَ مِمَّا لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الدَّيْنِ، فَقَالَ: أَخْزَى اللهُ مَالًا يَمْنَعُ الْإِخْوَانَ مِنَ الزِّيَارَةِ، ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيًا يُنَادِي: مَنْ كَانَ لِقَيْسٍ عَلَيْهِ مَالٌ فَهُوَ مِنْهُ فِي حِلٍّ، فَمَا أَمْسَى حَتَّى كُسِرَتْ عَتَبَةُ بَابِهِ، لِكَثْرَةِ مَنْ عَادَهُ.

وَقَالُوا لَهُ يَوْمًا: هَلْ رَأَيْتَ أَسْخَى مِنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، نَزَلْنَا بِالْبَادِيَةِ عَلَى امْرَأَةٍ، فَحَضَرَ زَوْجُهَا، فَقَالَتْ: إِنَّهُ نَزَلَ بِكَ ضَيْفَانِ، فَجَاءَ بِنَاقَةٍ فَنَحَرَهَا، وَقَالَ: شَأْنُكُمْ؟ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَاءَ بِأُخْرَى فَنَحَرَهَا، فَقُلْنَا: مَا أَكَلْنَا مِنَ الَّتِي نَحَرْتَ الْبَارِحَةَ إِلَّا الْيَسِيرَ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أُطْعِمُ ضَيْفَانِي الْبَائِتَ، فَبَقِينَا عِنْدَهُ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، وَالسَّمَاءُ تُمْطِرُ، وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَرَدْنَا الرَّحِيلَ وَضَعْنَا مِائَةَ دِينَارٍ فِي بَيْتِهِ، وَقُلْنَا لِلْمَرْأَةِ: اعْتَذِرِي لَنَا إِلَيْهِ، وَمَضَيْنَا، فَلَمَّا طَلَعَ النَّهَارُ إِذَا نَحْنُ بِرَجُلٍ يَصِيحُ خَلْفَنَا: قِفُوا، أَيُّهَا الرَّكْبُ اللِّئَامُ، أَعْطَيْتُمُونِي ثَمَنَ قِرَايَ؟ ثُمَّ إِنَّهُ لَحِقَنَا، وَقَالَ: لَتَأْخُذُنَّهُ أَوْ لَأُطَاعِنَنَّكُمْ بِرُمْحِي، فَأَخَذْنَاهُ وَانْصَرَفَ.].

❖ الرفق والحِلم:

قَالَ النووي ﷺ:

[باب الحلم والأناة والرفق: قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران] وقال تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف] وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت] وقال تَعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى].

• وعن ابن عباس ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ لأَشَجِّ عَبْدِ القَيْسِ: «إِنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ»[١].

• وعن عائشة ﵂ قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّه»[٢].

• وعنها أن النبيّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطي عَلَى الرِّفق، مَا لاَ يُعْطِي عَلَى العُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»[٣].

• وعنها أن النبيّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ في شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ»[٤].

• وعن أبي هريرة ﵁ قَالَ: بَال أعْرَابيٌّ في المسجدِ، فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[٥].

• وعن أنس ﵁ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا»[٦].

• وعن جرير بن عبدالله ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِفْقَ، يُحْرَمِ الخَيْرَ كلَّهُ»[٧].

• وعن أبي هريرة ﵁: أَنَّ رَجُلًا قَالَ للنبيِّ ﷺ أَوْصِني، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ»[٨].

• وعن أبي يعلى شداد بن أوس ﵁ عن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ الله كَتَبَ الإحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُم فَأَحْسِنُوا القِتْلَة، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَليُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَه، وَلْيُرِح ذَبِيحَتَهُ»[٩].

---

(١) رواه مسلم (١٧).

(٢) متفقٌ عَلَيْهِ. رواه البخاري (٦٢٥٦) ومسلم (٢١٦٥).

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٣).

(٤) رواه مسلم (٢٥٩٤).

(٥) رواه البخاري (٢٢٠).

(٦) رواه البخاري (٦١٢٥) ومسلم (١٧٣٤).

(٧) رواه مسلم (٢٥٩٢).

(٨) رواه البُخَارِيّ (٦١١٦).

(٩) رواه مسلم (١٩٥٥).

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت: مَا خُيِّرَ رسول الله ﷺ بَيْنَ أمْرَيْنِ قَطُّ إلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إثمًا، فَإنْ كَانَ إثمًا، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. وَمَا انْتَقَمَ رسول الله ﷺ لِنَفْسِهِ في شَيْءٍ قَطُّ، إلاَّ أن تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله، فَيَنْتَقِمَ لله تَعَالَى(١).

• وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ألاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّار؟ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّار؟ تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، سَهْلٍ» (٢).

كما جاء في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري رحمه الله:

الترغيب في الرفق والأناة والحلم:

* وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قَالَ: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ لَيُعْطي على الرفْقِ ما لا يُعْطِي على الخَرْقِ، وإذا أحَبَّ الله عَبْداً أعطاهُ الرفْقَ، ما مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يُحْرَمون الرفْقَ؛ إلا حُرِموا الخَيْرَ»(٣).

* وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أُعْطِيَ حظَّه مِنَ الرفْقِ فقد أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْر، ومَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرفْقِ فَقد حُرِمَ حظَّه مِنَ الخَيْرِ»(٤).

* وعن أبي أمامة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ يحبُّ الرفْقَ ويرضاهُ، ويُعينُ عليه ما لا يُعينُ على العُنْفِ»(٥)

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «التَّأَنِّي مِنَ الله، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مَعَاذِيرَ مِنَ الله، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَى الله مِنَ الحَمْدِ»(٦).

---

(١) متفقٌ عَلَيْه رواه البخاري (٦١٢٦، ٦٧٨٦، ٦٨٥٣) ومسلم (٢٣٢٧).

(٢) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٤٨٨) وقال حديث حسن، وصححه الألباني.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٢٧٤) وحسنه لغيره الألباني.

(٤) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٠١٣) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٥) رواه الطبراني في الكبير (٧٤٧٧) وصححه لغيره الألباني.

(٦) رواه أبو يعلى (٤٢٥٦) وحسنه الألباني.

* وعن أنس ﷺ قَالَ: كنتُ أَمْشِي معَ رَسولِ الله ﷺ وعليه بُرْدٌ نَجْرانِيٌّ غَليظُ الحاشِيَةِ، فأدْرَكَهُ أعْرابِيٌّ، فجذَبَهُ بِردائه جَذْبةً شديدةً، فنَظَرْتُ إلى صفْحَة عُنُقِ رسولِ الله ﷺ وقد أثّر بها حاشِيَةُ الرِداءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِه، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّد مُرْ لي مِنْ مالِ الله الذي عِنْدَك، فالْتَفَتَ إليْه فضَحِكَ، ثُمَّ أَمَر له بعَطَاءٍ(١).

* وعن ابن مسعود ﷺ قَالَ: كَأَنِّي أنظر إِلَى رَسُول الله ﷺ يَحْكِي نَبيًا من الْأَنْبِيَاء ضَربَه قومُهُ فَأدمَوهُ وَهُوَ يَمسَح الدَّمَ عَن وَجههِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِر لقومي فَإِنَّهُم لَا يعلَمُونَ»(٢).

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «ليسَ الشديدُ بالصُّرعَةِ، إنَّما الشديدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عندَ الغَضَبِ»(٣).

❖ طلاقة الوجه وطيب الكلام:

جاء في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري:

* عن أبي ذر ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لاَ تَحْقِرنَّ مِنَ المَعرُوفِ شَيئًا وَلَوْ أَنْ تلقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ»(٤).

* وعن الحسن ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «مِنَ الصَّدَقَة أَن تُسَلِّمَ على النَّاس وَأَنت طليقَ الْوَجْه»(٥).

* وعن جابر بن عبدالله ﷺ قَالَ قَالَ رسول الله ﷺ: «كلُّ معروفٍ صدقَةٌ، وإنَّ مِنَ المعْروفِ أنْ تَلْقى أخاكَ بوَجهٍ طَلْقٍ، وأنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ في إناءِ أخيكَ»(٦).

* وعن أبي ذر ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ لَكَ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلالَةِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٣١٤٩) ومسلم (١٠٥٧).

(٢) رواه البُخَارِيّ (٣٤٧٧) ومسلم (١٧٩٢).

(٣) رواه البُخَارِيّ (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩).

(٤) رواه مسلم (٢٦٢٦).

(٥) رواه ابن أبي الدُّنيَا والحديث مرسل.

(٦) رواه أحمد (١٤٧٠٩) والتِّرْمِذِيّ (١٩٧٠). وصححه الألباني.

وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»، وزاد ابن حبان: «وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ»(١).

* وعن أبي جُرَيّ الهجيمي ﷺ قَالَ: أتيت رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسول الله! إنا قومٌ مِنْ أهلِ الباديَةِ، فعلِّمْنا شيئاً ينْفَعُنا الله بِه؟ فقال: «لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْروفِ شَيْئاً، ولوْ أنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ في إناءِ الْمُسْتَقي، ولوْ أَنْ تُكَلِّمَ أخاكَ ووَجْهُك إليه مُنْبَسِطٌ، وإيَّاك وإسْبالَ الإزارِ؛ فإنَّه مِنَ المَخيلَةِ، ولا يُحِبُّها الله، إنِ امْرُؤٌ شَتَمك بما يَعْلَمُ فيك، فلا تَشْتُمْهُ بما تَعْلَمُ فيه؛ فإنَّ أجْرَهُ لك، وَوبالَهُ على مَنْ قَالَهُ»(٢).

* وعن أبي هريرة ﷺ أن النبيّ ﷺ قَالَ: «والكَلمةُ الطيِّبَةُ صَدقَةٌ»(٣).

* وعن عدي بن حاتم ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «اتَّقوا النارَ ولَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فبِكَلِمَةٍ طيِّبَةٍ»(٤).

❖ الرحمة:

قَالَ الإِمَام النووي ﷺ:

باب تعظيم حرمات المُسلِمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠] وقال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢﴾ [الحج] وقال تَعَالَى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾ [الحجر] وقال تَعَالَى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]

---

(١) رواه التِّرْمِذِيّ (١٩٥٦) وحسنه، وابن حبان (٥٢٩) في صحيحه، وحسنه الألباني.

(٢) رواه أبو داود (٤٠٨٤) وابن حبان (٥٢٢)، وصححه الألباني.

(٣) رواه البُخَارِيّ (٢٩٨٩) ومسلم (١٠٠٩).

(٤) رواه البُخَارِيّ (٦٥٦٣) ومسلم (١٠١٦).

* وعن أبي موسى قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» وشبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ(١).

* وعنه ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ مَرَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنا، أَوْ أَسْوَاقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ، أَوْ لِيَقْبِضْ عَلَى نِصَالِهَا بِكَفِّه؛ أَنْ يُصِيبَ أَحدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْء**»(٢).

* وعن النّعمان بن بشير ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى**»(٣).

* وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَبَّلَ النَّبيُّ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ﷺ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِس، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إن لِي عَشرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أحدًا، فَنظَرَ إِلَيْهِ رَسُول الله ﷺ فَقَالَ: «**مَنْ لا يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ!**»(٤).

* وعن عائشة ﷺ قَالَتْ: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ عَلَى رسول الله ﷺ فقالوا: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ**» قالوا: لَكِنَّا والله مَا نُقَبِّلُ! فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**أَوَ أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ مِنْ قُلُوبِكُم الرَّحْمَةَ!**»(٥).

* وعن جرير بن عبدالله ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ لاَ يَرحَم النَّاسَ لاَ يَرْحَمْهُ الله**»(٦).

* وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**إِنِّي لأَقُومُ إِلَى الصَّلاة، وَأُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَع بُكَاءَ الصَّبيِّ فَأَتَجَوَّزَ فِي صَلاتِي كَرَاهية أَنْ أشُقَّ عَلَى أُمِّه**»(٧)

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٧٠٧٥)، ومسلم (٢٦١٥).

(٣) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم ٧/ ٧٧ (٢٣١٨).

(٥) متفق عليه، رواه البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم ٧/ ٧٧ (٢٣١٧).

(٦) متفق عليه، رواه البخاري (٧٣٧٦)، ومسلم (٢٣١٩).

(٧) رواه البُخَارِيّ (٧٠٧).

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١) متفق عليه.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الْمُسْلِمُ أخُو الْمُسْلِمُ، لاَ يَخُونُهُ، وَلاَ يَكْذِبُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِم حَرَامٌ عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، التَّقْوى هاهُنَا، بِحَسْب امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمِ»(٢).

* وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا تَحَاسدُوا وَلاَ تناجشُوا وَلاَ تَباغَضُوا وَلاَ تَدابرُوا وَلاَ يبعْ بعْضُكُمْ عَلَى بيْعِ بعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ اللهَّ إِخْواناً، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظلِمُه وَلا يَحْقِرُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ، التَّقْوَى هَاهُنا ويُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مرَّاتٍ بِحسْبِ امْرِيءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرِ أَخاهُ الْمُسْلِمَ، كُلَّ الْمُسْلمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حرامٌ دمُهُ ومالُهُ وعِرْضُهُ»(٣)، «النَّجْشُ»: أَنْ يزيدَ في ثَمَنِ سلْعَة.

❖ القوّة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(٤).

❖ العفو والإعراض عن الجاهلين:

قَالَ الإِمَام النووي :

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف] وقال تعَالَى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾ [الحجر] وقال تعَالَى: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [النور: ٢٢] وقال تعَالَى:

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٨٢) وابن ماجه (٣٩٣٣) والترمذي (١٩٢٧) وقال: «حديث حسن غريب»، وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٤) رواه مسلم (٢٦٦٤).

﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران] وقال تعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى]، والآيات في البَاب كثيرة معلومة.

- عن عائشة قالت: (مَا ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِمًا، إلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبيلِ الله، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إلاَّ أن يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ الله تَعَالَى، فَيَنْتَقِمُ لله تَعَالَى)[1].
- وعن أنس ﷺ قَالَ: (كُنْتُ أمشي مَعَ رسول الله ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فأدْرَكَهُ أعْرَابِيٌّ فَجبذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَديدةً، فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبيِّ ﷺ وَقَدْ أثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُر لِي مِنْ مَالِ الله الَّذِي عِنْدَكَ، فَالتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بعَطَاءٍ)[2].
- وعن ابن مسعود ﷺ قَالَ: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يَحْكِي نَبيًّا مِنَ الأنبياءِ، صَلَوَاتُ الله وَسَلامُه عَلَيهِمْ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، ويقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»[3].
- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»[4].

باب احتمال الأذى:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران]، وقال تَعالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى]

- وعن أبي هريرة ﷺ: أن رجلًا قَالَ: يَا رَسُول الله، إنّ لِي قَرابةً أصِلُهُمْ وَيَقْطَعُوني، وَأُحْسِنُ إلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إلَيَّ، وَأحْلَمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأنَّمَا تُسِفُّهُمْ المَلَّ، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ الله ظَهيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»[5].

---

(١) رواه مسلم (٢٣٢٨).

(٢) متفقٌ عَلَيْهِ، رواه البخاري (٥٨٠٩)، ومسلم (١٠٥٧).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢).

(٤) متفق عليه رواه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

(٥) رواه مسلم (٢٥٥٨).

❖ التواضع:

قَالَ ابن القيم في مدارج السالكين:

[قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] أَيْ سَكِينَةً وَوَقَارًا مُتَوَاضِعِينَ، غَيْرَ أَشِرِينَ، وَلَا مَرِحِينَ وَلَا مُتَكَبِّرِينَ، قَالَ الْحَسَنُ: عُلَمَاءُ حُلَمَاءُ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ: أَصْحَابُ وَقَارٍ وَعِفَّةٍ لَا يَسْفَهُونَ، وَإِنْ سُفِهَ عَلَيْهِمْ حَلُمُوا.

وَالْهَوْنُ بِالْفَتْحِ فِي اللُّغَةِ: الرِّفْقُ وَاللِّينُ، وَالْهُونُ بِالضَّمِّ: الْهَوَانُ، فَالْمَفْتُوحُ مِنْهُ: صِفَةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ. وَالْمَضْمُومُ: صِفَةُ أَهْلِ الْكُفْرَانِ، وَجَزَاؤُهُمْ مِنَ الله النِّيرَانُ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. لَمَّا كَانَ الذُّلُّ مِنْهُمْ ذُلَّ رَحْمَةٍ وَعَطْفٍ وَشَفَقَةٍ وَإِخْبَاتٍ عَدَّاهُ بِأَدَاةِ عَلَى تَضْمِينًا لِمَعَانِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِهِ ذُلَّ الْهَوَانِ الَّذِي صَاحِبُهُ ذَلِيلٌ، وَإِنَّمَا هُوَ ذُلُّ اللِّينِ وَالِانْقِيَادِ الَّذِي صَاحِبُهُ ذَلُولٌ، فَالْمُؤْمِنُ ذَلُولٌ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ «**الْمُؤْمِنِ كَالْجَمَلِ الذَّلُولِ، وَالْمُنَافِقُ وَالْفَاسِقُ ذَلِيلٌ**»(١) وَأَرْبَعَةٌ يَعْشَقُهُمُ الذُّلُّ أَشَدَّ الْعِشْقِ: الْكَذَّابُ، وَالنَّمَّامُ، وَالْبَخِيلُ، وَالْجَبَّارُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ هُوَ مِنْ عِزَّةِ الْقُوَّةِ وَالْمَنَعَةِ وَالْغَلَبَةِ، قَالَ عَطَاءٌ ﷺ: لِلْمُؤْمِنِينَ كَالْوَالِدِ لِوَلَدِهِ، وَعَلَى الْكَافِرِينَ كَالسَّبُعِ عَلَى فَرِيسَتِهِ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩] وَهَذَا عَكْسُ حَالِ مَنْ قِيلَ فِيهِمْ:

كِبْرًا عَلَيْنَا، وَجُبْنًا عَنْ عَدُوِّكُمُ ... لَبِئْسَتِ الْخُلَّتَانِ: الْكِبْرُ، وَالْجُبْنُ

- وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ(٢) مِنْ حَدِيثِ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «**إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**» .

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٥).

- وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[١] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» .
- وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مَرْفُوعًا «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ»[٢] .
- وَفِي حَدِيثِ احْتِجَاجِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ «أَنَّ النَّارَ قَالَتْ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ؟ وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقْطُهُمْ»[٣].
- وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[٤] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما قَالَا: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْعِزَّةُ إِزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي عَذَّبْتُهُ».
- وَفِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ[٥] مَرْفُوعًا عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه: «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي دِيوَانِ الْجَبَّارِينَ، فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ».
- «وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمُرُّ عَلَى الصِّبْيَانِ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ»[٦] .
- «وَكَانَتِ الْأَمَةُ تَأْخُذُ بِيَدِهِ ﷺ، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ»[٧].
- «وَكَانَ ﷺ إِذَا أَكَلَ لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ»[٨].

---

(١) رواه مسلم (٩١).

(٢) رواه البخاري (٤٩١٨، ٦٠٧١) ومسلم (٢٨٥٣).

(٣) رواه البخاري (٤٨٥٠، ٧٤٤٩) ومسلم (٢٨٤٦).

(٤)رواه مسلم (٢٦٢٠).

(٥) رواه الترمذي (٢٠٠٠) وضعفه الألباني.

(٦) أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).

(٧) رواه البخاري (٦٠٧٢).

(٨) رواه مسلم (٢٠٣٤).

• «وَكَانَ ﷺ يَكُونُ فِي بَيْتِهِ فِي خِدْمَةِ أَهْلِهِ»(١)، «وَلَمْ يَكُنْ يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ قَطُّ» وَكَانَ ﷺ «يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ، وَيَحْلِبُ الشَّاةَ لِأَهْلِهِ، وَيَعْلِفُ الْبَعِيرَ وَيَأْكُلُ مَعَ الْخَادِمِ، وَيُجَالِسُ الْمَسَاكِينَ، وَيَمْشِي مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْيَتِيمِ فِي حَاجَتِهِمَا، وَيَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ دَعَاهُ، وَلَوْ إِلَى أَيْسَرِ شَيْءٍ».
• «وَكَانَ ﷺ هَيِّنَ الْمُؤْنَةِ، لَيِّنَ الْخُلُقِ، كَرِيمَ الطَّبْعِ، جَمِيلَ الْمُعَاشَرَةِ، طَلْقَ الْوَجْهِ بَسَّامًا، مُتَوَاضِعًا مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ، جَوَادًا مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ، رَقِيقَ الْقَلْبِ رَحِيمًا بِكُلِّ مُسْلِمٍ خَافِضَ الْجَنَاحِ لِلْمُؤْمِنِينَ، لَيِّنَ الْجَانِبِ لَهُمْ».
• وَقَالَ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ -أَوْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ- تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ»(٢)
• وَقَالَ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ - أَوْ كُرَاعٍ - لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ - أَوْ كُرَاعٌ - لَقَبِلْتُ»(٣).
• وَكَانَ ﷺ «يَعُودُ الْمَرِيضَ، وَيَشْهَدُ الْجِنَازَةَ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ، وَكَانَ يَوْمَ قُرَيْظَةَ عَلَى حِمَارٍ مَخْطُومٍ بِحَبْلٍ مِنْ لِيفٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ مِنْ لِيفٍ»(٤).

سُئِلَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ عَنِ التَّوَاضُعِ؟ فَقَالَ: يَخْضَعُ لِلْحَقِّ، وَيَنْقَادُ لَهُ، وَيَقْبَلُهُ مِمَّنْ قَالَهُ.

وَقِيلَ: التَّوَاضُعُ أَنْ لَا تَرَى لِنَفْسِكَ قِيمَةً، فَمَنْ رَأَى لِنَفْسِهِ قِيمَةً فَلَيْسَ لَهُ فِي التَّوَاضُعِ نَصِيبٌ.

وَهَذَا مَذْهَبُ الْفُضَيْلِ وَغَيْرِهِ.

وَقَالَ الْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ: هُوَ خَفْضُ الْجَنَاحِ، وَلِينُ الْجَانِبِ.

وَقَالَ أَبُو يَزِيدَ الْبَسْطَامِيُّ: هُوَ أَنْ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ مَقَامًا وَلَا حَالًا، وَلَا يَرَى فِي الْخَلْقِ شَرًّا مِنْهُ.

وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: هُوَ قَبُولُ الْحَقِّ مِمَّنْ كَانَ، وَالْعِزُّ فِي التَّوَاضُعِ، فَمَنْ طَلَبَهُ فِي الْكِبْرِ فَهُوَ كَتَطَلُّبِ الْمَاءِ مِنَ النَّارِ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَيْبَانَ: الشَّرَفُ فِي التَّوَاضُعِ، وَالْعِزُّ فِي التَّقْوَى، وَالْحُرِّيَّةُ فِي الْقَنَاعَةِ.

وَيُذْكَرُ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّهُ قَالَ: أَعَزُّ الْخَلْقِ خَمْسَةُ أَنْفُسٍ: عَالِمٌ زَاهِدٌ وَفَقِيهٌ صُوفِيٌّ، وَغَنِيٌّ مُتَوَاضِعٌ، وَفَقِيرٌ شَاكِرٌ، وَشَرِيفٌ سُنِّيٌّ، وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى عَاتِقِهِ

---

(١) رواه البخاري (٦٧٦).

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٨٨). وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ. وصححه الألباني.

(٣) رَوَاهُ البخاري (٢٥٦٨).

(٤) أخرجه الترمذي (١٠١٧)، وفي الشمائل (٣٣٣) واللفظ له، وابن ماجه (٤١٧٨) وضعفه الألباني.

قِرْبَةُ مَاءٍ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يَنْبَغِي لَكَ هَذَا، فَقَالَ: لَمَّا أَتَانِيَ الْوُفُودُ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، دَخَلَتْ نَفْسِي نَخْوَةٌ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَهَا.

وَوَلِيَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ إِمَارَةً مَرَّةً، فَكَانَ يَحْمِلُ حِزْمَةَ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، وَيَقُولُ: طَرِّقُوا لِلْأَمِيرِ.

وَرَكِبَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مَرَّةً، فَدَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ لِيَأْخُذَ بِرِكَابِهِ، فَقَالَ: مَهْ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ! فَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِكُبَرَائِنَا، فَقَالَ: أَرِنِي يَدَكَ، فَأَخْرَجَهَا إِلَيْهِ فَقَبَّلَهَا، فَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا نَفْعَلُ بِأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَقَسَّمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ﷺ حُلَلًا، فَبَعَثَ إِلَى مُعَاذٍ حُلَّةً مُثَمَّنَةً، فَبَاعَهَا، وَاشْتَرَى بِثَمَنِهَا سِتَّةَ أَعْبُدٍ وَأَعْتَقَهُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ حُلَّةً دُونَهَا، فَعَاتَبَهُ مُعَاذٌ، فَقَالَ عُمَرُ: لِأَنَّكَ بِعْتَ الْأُولَى، فَقَالَ مُعَاذٌ: وَمَا عَلَيْكَ؟ ادْفَعْ لِي نَصِيبِي، وَقَدْ حَلَفْتُ لَأَضْرِبَنَّ بِهَا رَأْسَكَ فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: رَأْسِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَقَدْ يَرْفُقُ الشَّابُّ بِالشَّيْخِ، وَمَرَّ الْحَسَنُ عَلَى صِبْيَانٍ مَعَهُمْ كِسَرُ خُبْزٍ، فَاسْتَضَافُوهُ. فَنَزَلَ فَأَكَلَ مَعَهُمْ، ثُمَّ حَمَلَهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَأَطْعَمَهُمْ وَكَسَاهُمْ، وَقَالَ: الْيَدُ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ شَيْئًا غَيْرَ مَا أَطْعَمُونِي، وَنَحْنُ نَجِدُ أَكْثَرَ مِنْهُ.

وَيُذْكَرُ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ ﷺ عَيَّرَ بِلَالًا ﷺ بِسَوَادِهِ، ثُمَّ نَدِمَ، فَأَلْقَى بِنَفْسِهِ، فَحَلَفَ: لَا رَفَعْتُ رَأْسِي حَتَّى يَطَأَ بِلَالٌ خَدِّي بِقَدَمِهِ، فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ حَتَّى فَعَلَ بِلَالٌ.

وَقَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ، قَوَّمْتُ ثِيَابَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ﷺ - وَهُوَ يَخْطُبُ - بِاثْنَيْ عَشَرَ دِرْهَمًا، وَكَانَتْ قِبَاءً وَعِمَامَةً وَقُمُصًا وَسَرَاوِيلَ وَرِدَاءً وَخُفَّيْنِ وَقَلَنْسُوَةً.

وَرَأَى مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ ابْنًا لَهُ يَمْشِي مِشْيَةً مُنْكَرَةً، فَقَالَ: تَدْرِي بِكَمْ شَرَيْتُ أُمَّكَ؟ بِثَلَاثِمِائَةِ دِرْهَمٍ، وَأَبُوكَ - لَا كَثَّرَ اللهُ فِي الْمُسْلِمِينَ مِثْلَهُ - أَنَا، وَأَنْتَ تَمْشِي هَذِهِ الْمِشْيَةَ؟.

وَقَالَ حَمْدُونُ الْقَصَّارُ: التَّوَاضُعُ أَنْ لَا تَرَى لِأَحَدٍ إِلَى نَفْسِكَ حَاجَةً، لَا فِي الدِّينِ وَلَا فِي الدُّنْيَا.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ: مَا سُرِرْتُ فِي إِسْلَامِي إِلَّا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: كُنْتُ فِي سَفِينَةٍ، وَفِيهَا رَجُلٌ مِضْحَاكٌ، كَانَ يَقُولُ: كُنَّا فِي بِلَادِ التُّرْكِ فَأَخَذَ الْعِلْجُ هَكَذَا - وَكَانَ يَأْخُذُ بِشَعَرِ رَأْسِي وَيَهُزُّنِي - لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي تِلْكَ السَّفِينَةِ أَحَدٌ أَحْقَرُ مِنِّي، وَالْأُخْرَى: كُنْتُ عَلِيلًا فِي مَسْجِدٍ، فَدَخَلَ الْمُؤَذِّنُ، وَقَالَ: اخْرُجْ،

فَلَمْ أُطِقْ، فَأَخَذَ بِرِجْلِي وَجَرَّنِي إِلَى خَارِجٍ، وَالْأُخْرَى: كُنْتُ بِالشَّامِ وَعَلَيَّ فَرْوٌ، فَنَظَرْتُ فِيهِ فَلَمْ أُمَيِّزْ بَيْنَ شَعَرِهِ وَبَيْنَ الْقَمْلِ لِكَثْرَتِهِ، فَسَرَّنِي ذَلِكَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: كُنْتُ يَوْمًا جَالِسًا، فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَبَالَ عَلَيَّ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: رَأَيْتُ فِي الطَّوَافِ رَجُلًا بَيْنَ يَدَيْهِ شَاكِرِيَّةٌ يَمْنَعُونَ النَّاسَ لِأَجْلِهِ عَنِ الطَّوَافِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ عَلَى جِسْرِ بَغْدَادَ يَسْأَلُ شَيْئًا، فَتَعَجَّبْتُ مِنْهُ، فَقَالَ لِي: إِنِّي تَكَبَّرْتُ فِي مَوْضِعٍ يَتَوَاضَعُ النَّاسُ فِيهِ، فَابْتَلَانِي اللهُ بِالذُّلِّ فِي مَوْضِعٍ يَتَرَفَّعُ النَّاسُ فِيهِ.

وَبَلَغَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ﷺ: أَنَّ ابْنًا لَهُ اشْتَرَى خَاتَمًا بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: بَلَغَنِي أَنَّكَ اشْتَرَيْتَ فَصًّا بِأَلْفِ دِرْهَمٍ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَبِعِ الْخَاتَمَ، وَأَشْبِعْ بِهِ أَلْفَ بَطْنٍ، وَاتَّخِذْ خَاتَمًا بِدِرْهَمَيْنِ، وَاجْعَلْ فَصَّهُ حَدِيدًا صِينِيًّا، وَاكْتُبْ عَلَيْهِ: رَحِمَ اللهُ امْرَءًا عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

أَوَّلُ ذَنْبٍ عَصَى اللهَ بِهِ أَبَوَا الثَّقَلَيْنِ: الْكِبْرُ وَالْحِرْصُ، فَكَانَ الْكِبْرُ ذَنْبَ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ، فَآلَ أَمْرُهُ إِلَى مَا آلَ إِلَيْهِ، وَذَنْبُ آدَمَ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ السَّلَامُ: كَانَ مِنَ الْحِرْصِ وَالشَّهْوَةِ، فَكَانَ عَاقِبَتُهُ التَّوْبَةَ وَالْهِدَايَةَ، وَذَنْبُ إِبْلِيسَ حَمَلَهُ عَلَى الِاحْتِجَاجِ بِالْقَدَرِ وَالْإِصْرَارِ، وَذَنْبُ آدَمَ أَوْجَبَ لَهُ إِضَافَتَهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَالِاعْتِرَافَ بِهِ وَالِاسْتِغْفَارَ.

فَأَهْلُ الْكِبْرِ وَالْإِصْرَارِ، وَالِاحْتِجَاجِ بِالْأَقْدَارِ: مَعَ شَيْخِهِمْ وَقَائِدِهِمْ إِلَى النَّارِ إِبْلِيسَ، وَأَهْلُ الشَّهْوَةِ: الْمُسْتَغْفِرُونَ التَّائِبُونَ الْمُعْتَرِفُونَ بِالذُّنُوبِ، الَّذِينَ لَا يَحْتَجُّونَ عَلَيْهَا بِالْقَدَرِ: مَعَ أَبِيهِمْ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ - رَحِمَهُ اللهُ - يَقُولُ: التَّكَبُّرُ شَرٌّ مِنَ الشِّرْكِ فَإِنَّ الْمُتَكَبِّرَ يَتَكَبَّرُ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَالْمُشْرِكَ يَعْبُدُ اللهَ وَغَيْرَهُ.

قُلْتُ: وَلِذَلِكَ جَعَلَ اللهُ النَّارَ دَارَ الْمُتَكَبِّرِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الزُّمَرِ وَفِي سُورَةِ غَافِرٍ ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ [الزمر: ٧٢][غافر٧٦] وفي سورة النحل: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٢٩﴾ وفي الزمر: ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ٦٠﴾ وَأَخْبَرَ أَنَّ أَهْلَ الْكِبْرِ وَالتَّجَبُّرِ هُمُ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ [غافر] وَقَالَ ﷺ «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»، وَقَالَ ﷺ «**الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ**

النَّاسِ»[١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الْكِبْرَ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الشِّرْكِ، وَكَمَا أَنَّ مَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ، فَكَذَلِكَ مَنْ تَكَبَّرَ عَنِ الانْقِيَادِ لِلْحَقِّ أَذَلَّهُ اللهُ وَوَضَعَهُ، وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَنِ الانْقِيَادِ لِلْحَقِّ - وَلَوْ جَاءَهُ عَلَى يَدِ صَغِيرٍ، أَوْ مَنْ يُبْغِضُهُ أَوْ يُعَادِيهِ - فَإِنَّمَا تَكَبُّرُهُ عَلَى الله فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ، وَكَلَامُهُ حَقٌّ، وَدِينُهُ حَقٌّ، وَالْحَقُّ صِفَتُهُ، وَمِنْهُ وَلَهُ، فَإِذَا رَدَّهُ الْعَبْدُ وَتَكَبَّرَ عَنْ قَبُولِهِ: فَإِنَّمَا رَدَّ عَلَى الله، وَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

تعريف التواضع:

التَّوَاضُعُ: أَنْ يَتَوَاضَعَ الْعَبْدُ لِصَوْلَةِ الْحَقِّ.

يَعْنِي: أَنْ يَتَلَقَّى سُلْطَانَ الْحَقِّ بِالْخُضُوعِ لَهُ، وَالذُّلِّ، وَالانْقِيَادِ، وَالدُّخُولِ تَحْتَ رِقِّهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ الْحَقُّ مُتَصَرِّفًا فِيهِ تَصَرُّفَ الْمَالِكِ فِي مَمْلُوكِهِ، فَبِهَذَا يَحْصُلُ لِلْعَبْدِ خُلُقُ التَّوَاضُعِ، وَلِهَذَا فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الْكِبْرَ بِضِدِّهِ، فَقَالَ «**الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْط النَّاسِ**»، فَبَطَرُ الْحَقِّ: رَدُّهُ وَجَحْدُهُ، وَالدَّفْعُ فِي صَدْرِهِ، كَدَفْعِ الصَّائِلِ، وَغَمْصُ النَّاسِ: احْتِقَارُهُمْ وَازْدِرَاؤُهُمْ، وَمَتَى احْتَقَرَهُمْ وَازْدَرَاهُمْ: دَفَعَ حُقُوقَهُمْ، وَجَحَدَهَا، وَاسْتَهَانَ بِهَا.

وَلَمَّا كَانَ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالٌ وَصَوْلَةٌ: كَانَتِ النُّفُوسُ الْمُتَكَبِّرَةُ لَا تَقَرُّ لَهُ بِالصَّوْلَةِ عَلَى تِلْكَ الصَّوْلَةِ الَّتِي فِيهَا، وَلَا سِيَّمَا النُّفُوسَ الْمُبْطِلَةَ، فَتَصُولُ عَلَى صَوْلَةِ الْحَقِّ بِكِبْرِهَا وَبَاطِلِهَا، فَكَانَ حَقِيقَةُ التَّوَاضُعِ: خُضُوعَ الْعَبْدِ لِصَوْلَةِ الْحَقِّ، وَانْقِيَادُهُ لَهَا، فَلَا يُقَابِلُهَا بِصَوْلَتِهِ عَلَيْهَا.

❖ السّمع والطاعة لولاة الأمور الشّرعيين في غير معصية:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

*وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قَالَ: «**عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ والطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وكَرِهَ، إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ**»[٢].

---

(١) رواه مسلم (٩١).

(٢) متفقٌ عَلَيْهِ. رواه البخاري (٢٩٥٥) ومسلم (١٨٣٩).

* وعنه قَالَ: كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رسولَ الله ﷺ عَلَى السَّمعِ والطَّاعَةِ، يَقُولُ لَنَا: «فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ»(١).

* وعنه قَالَ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(٢).

* وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «اسْمَعُوا وأطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كأنَّ رأْسَهُ زَبِيبةٌ»(٣).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ»(٤).

* وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قَالَ: كنا مع رسول الله ﷺ في سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إذْ نَادَى مُنَادِي رسولِ الله ﷺ: الصَّلاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رسولِ الله ﷺ فَقَالَ: «إنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبيٌّ قَبْلِي إلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُم شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإنَّ أُمَّتَكُمْ هذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتنَةٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الفتنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هذه مُهلكتي، ثُمَّ تنكشفُ، وتجيء الفتنةُ فيقولُ المؤمنُ: هذِهِ هذِهِ، فَمَنْ أحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، ويُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ منيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إنِ اسْتَطَاعَ، فإنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ»(٥).

(١) متفقٌ عَلَيْهِ. رواه البخاري (٧٢٠٢) ومسلم (١٨٦٧).

(٢) رواه مسلم (١٨٥١).

(٣) رواه البُخَارِيّ(٧١٤٢).

(٤) رواه مسلم(١٨٣٦).

(٥) رواه مسلم (١٨٤٤).

* وعن أبي هنيدة وائل بن حجر ﵁ قَالَ: سَأَلَ سَلَمَةُ بن يَزِيدَ الجُعفِيُّ رسولَ الله ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، أرأيتَ إنْ قامَت عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسألُونا حَقَّهُم، وَيمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عنه، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «**اسْمَعْوا وَأَطِيعُوا، فإنَّمَا عَلَيهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حملْتُمْ**»[1].

* وعن عبدالله بن مسعود ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**إنَّهَا سَتكُونُ بَعْدِي أثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا!**» قالوا: يَا رسول الله، كَيْفَ تَأمُرُ مَنْ أدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ**»[2].

* وعن أبي هريرة ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ أطَاعَنِي فَقَدْ أطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أطَاعَنِي، وَمَنْ يَعصِ الأميرَ فَقَدْ عَصَانِي**»[3].

* وعن ابن عباس ﵄ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَره مِنْ أمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[4].

****

التحذير من مساوئ الأخلاق

وقال أنس بن مالك: (إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنّة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد).

ونتناول طائفة من مساوئ الأخلاق للتحذير منها ونذكر بعض ما جاء فيها من آثار:

---

(١) رواه مسلم (١٨٤٦).

(٢) متفقٌ عَلَيْهِ. رواه البخاري (٣٦٠٣) ومسلم (١٨٤٣).

(٣) متفقٌ عَلَيْهِ. رواه البخاري (٢٩٥٧) ومسلم (١٨٣٥).

(٤) متفقٌ عَلَيْهِ. رواه البخاري (٧٠٥٣) ومسلم (١٨٤٩).

❖ الرِّياء والسّمعة وحبّ الظّهور:

جاء في رياض الصّالحين:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] وقال تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤] وقال تَعَالَى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝١٤٢﴾ [النساء]

*وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «قَالَ الله تَعَالَى: أَنَا أغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١).

* وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أَولَ النَّاسِ يُقْضَى يومَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ، فعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ! فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ القُرآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ! وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ؛ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إلاَّ أنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، ولكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: جَوَادٌ! فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ»(٢).

*وعن ابن عمر ﷺ: أن نَاسًا قَالُوا لَهُ: إنَّا نَدْخُلُ عَلَى سَلاَطِيننا فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلاَفِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ؟ قَالَ ابنُ عُمَرَ ﷺ: كُنَّا نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا عَلَى عَهْدِ رسول الله ﷺ(٣).

* قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرائِي يُرائِي اللهُ بِهِ»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) رواه مسلم (١٩٠٥).

(٣) رواه البخاري (٧١٧٨) من دون: «على عهد رسول الله ﷺ».

(٤) متفق عَلَيْهِ، البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٧).

«سَمَّعَ» بتشديد الميم، ومعناه: أظهر عمله للناس رِياءً، «سَمَّعَ اللهُ بِهِ» أيْ: فَضَحَهُ يَومَ القِيَامَةِ، ومعنى: «مَنْ رَاءى» أيْ: مَنْ أظْهَرَ لِلنَّاسِ العَمَلَ الصَّالِحَ لِيَعْظُمَ عِنْدَهُمْ، «رَاءى اللهُ بِهِ» أيْ: أظْهَرَ سَرِيرَتَهُ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ عز وجل لاَ يَتَعَلَّمُهُ إلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١). يَعْنِي: رِيحَهَا.

- باب ما يتوهم أنه رياء وليس برياء:

عن أبي ذر رضي الله عنه، قَالَ: قيل لرسول الله ﷺ أرَأيْتَ الرَّجُلَ الَّذِي يَعْمَلُ العَمَلَ مِنَ الخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»(٢).

❖ العجب والغرور:

قَالَ الإِمَام النووي رحمه الله:

[باب تحريم الكبر والإعجاب:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾ [القصص] وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧]. وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨﴾ [لقمان] ومعنى (تُصَعِّر خَدَّكَ لِلنَّاسِ): أيْ تُمِيلُهُ وتُعرِضُ بِهِ عَنِ النَّاسِ تَكَبُّرًا عَلَيْهِمْ. وَ «المَرَحُ»: التَّبَخْتُرُ. وقال تَعَالَى: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُولِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦﴾ [القصص] إلى قوله تَعَالَى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢) صححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

(٢) رواه مسلم (٢٦٤٢).

* عن عبدالله بن مسعود ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّة مِنْ كِبْرٍ!» فَقَالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، ونَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: «إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»(١) «بَطَرُ الحَقِّ»: دَفْعُهُ وَرَدُّهُ عَلَى قَائِلِهِ، وَ «غَمْطُ النَّاسِ»: احْتِقَارُهُمْ.

* وعن سلمة بن الأكوع ﷺ: أن رجلًا أكل عندَ رسول الله ﷺ بشمالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بيَمِينِكَ» قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ! قَالَ: «لاَ اسْتَطَعْتَ» مَا مَنَعَهُ إلاَّ الكِبْرُ، قَالَ: فما رفعها إِلَى فِيهِ(٢).

* وعن حارثة بن وهب ﷺ قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أُخْبِرُكُمْ بأَهْلِ النَّار: كلُّ عُتُلٍ جوّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ»(٣).

* وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «احْتَجّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَت النَّارُ: فيَّ الجَبَّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ، وقالتِ الجَنَّةُ: فيَّ ضُعفاءُ الناس ومساكينُهُم، فقضى اللهُ بَينهُما: إنكِ الجَنَّةُ رَحْمَتِي أرْحَمُ بِك مَنْ أشَاءُ، وَإنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أشَاءُ، وَلِكِلَيْكُما عَلَيَّ مِلْؤُهَا» (٤).

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لاَ يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إزَارَهُ بَطَرًا»(٥).

* وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَة، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلاَ يَنْظُرُ إلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»(٦). «العَائِلُ»: الفَقِيرُ.

*وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ «قَالَ الله عز وجل: العِزُّ إزَاري، والكبرياءُ رِدائي، فَمَنْ يُنَازِعُنِي في وَاحِدٍ منهما فَقَد عَذَّبْتُهُ»(٧).

---

(١) رواه مسلم (٩١).

(٢) رواه مسلم (٢٠٢١).

(٣) متفقٌ عَلَيْهِ، رواه البخاري (٤٩١٨، ٦٠٧١) ومسلم (٢٨٥٣).

(٤) رواه مسلم (٢٨٤٧).

(٥) متفق عليه، رواه: البخاري (٥٧٨٨)، ومسلم (٢٠٨٧).

(٦) رواه مسلم (١٠٧).

(٧) رواه مسلم (٢٦٢٠).

* وعنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمشِي في حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ رَأسَهُ، يَخْتَالُ فِي مَشْيَتِهِ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ في الأَرضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»(١)، «مُرَجِّلٌ رَأسَهُ»: أيْ مُمَشِّطُهُ، «يتجَلْجَلُ» بالجيمين: أيْ يَغُوصُ وَيَنْزِلُ.

* وعن سلمة بن الأكوع ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لاَ يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ في الجَبَّارِين، فَيُصيبَهُ مَا أصَابَهُمْ»(٢)، «يَذْهَبُ بِنَفسِهِ» أيْ: يَرْتَفِعُ وَيَتكَبَّرُ].

❖ البخل:

قَالَ النووي ﷺ:

باب النهي عن البخل والشح:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ [الليل] وقال تَعَالَى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر]

وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»(٣).

❖ الظُّلم:

جاء في رياض الصّالحين للإمام النووي ﷺ تَعَالَى:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ۝١٨﴾ [غافر]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ۝٧١﴾ [الحج] وأما الأحاديث فمنها:

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يومَ القِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ للشَّاةِ الجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ»(٤).

---

(١) متفقٌ عَلَيْهِ، رواه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٠) وقال: «حديث حسن غريب»، وضعفه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٢٥٧٨).

(٤) رواه مسلم (٢٥٨٢).

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَنْ حَجَّةِ الوَدَاعِ، والنَّبيُّ ﷺ بَيْنَ أظْهُرِنَا، وَلا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الوَدَاعِ حَتَّى حَمِدَ اللهَ رَسُول الله ﷺ وَأَثْنَى عَلَيهِ، ثُمَّ ذَكَرَ المَسْيحَ الدَّجَّال، فَأطْنَبَ في ذِكْرِهِ، وَقَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبيٍّ إلاَّ أنْذَرَهُ أُمَّتَهُ، أنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإنَّهُ إنْ يَخْرُجْ فِيكُمْ فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأنِهِ فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُم، إنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأعْوَرَ، وإنَّهُ أعْوَرُ عَيْنِ اليُمْنَى، كَأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، ألاَ إنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءكُمْ وَأمْوَالَكُمْ كحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، في بلدكم هذا، في شَهْرِكُمْ هَذَا، ألا هَلْ بَلَّغْتُ؟» قالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثلاثًا «وَيْلَكُمْ – أَوْ وَيْحَكُمْ –، انْظُروا: لا تَرْجعُوا بَعْدِي كُفّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[١].

- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ ظَلَمَ قيدَ شِبْرٍ مِنَ الأرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سبْعِ أرَضينَ»[٢].

- وعن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾ [هود][٣].

- وعن معاذ رضي الله عنه قَالَ: بعثني رسول الله ﷺ، فقال: «إنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أهلِ الكِتَابِ فَادْعُهُمْ إلَى شَهَادَةِ أنْ لا إلَهَ إلاَّ الله، وَأنِّي رسولُ الله، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ قدِ افْتَرضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَواتٍ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيلَةٍ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإيَّاكَ وَكَرَائِمَ أمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»[٤].

- وعن أبي حميد عبد الرَّحمٰن بن سعد الساعدي رضي الله عنه قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبيُّ ﷺ رَجُلًا مِنَ الأزْدِ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقةِ، فَلَمَّا قَدِمَ، قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ إِلَيَّ، فَقَامَ رسولُ الله ﷺ عَلَى المِنْبَرِ فَحَمِدَ الله وَأثْنَى عَلَيهِ، ثُمَّ قَالَ: «أمَّا بَعدُ، فَإنِّي أسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ منْكُمْ عَلَى العَمَلِ مِمَّا وَلاَّنِي اللهُ، فَيَأتِي فَيقُولُ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ إلَيَّ، أفَلاَ جَلَسَ في بيتِ أبيهِ أَوْ أُمِّهِ حَتَّى تَأتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إنْ كَانَ صَادِقًا، والله لاَ يَأْخُذُ أحَدٌ

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٤٤٠٣، ٤٤٠٢)، ومسلم (٦٦).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢).

(٣) متفق عليه، البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (١٤٩٦) ومسلم (٢٩).

مِنْكُمْ شَيئًا بِغَيرِ حَقِّهِ إلاَّ لَقِيَ اللهَ تَعَالَى، يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلا أَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُ بَعيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ»، ثُمَّ رفع يديهِ حَتَّى رُؤِيَ بَيَاض إبْطَيْهِ، فقَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ». ثلاثًا[(١)].

- وعن أبي هريرة ﵁ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ، مِنْ عِرضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ؛ إنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيهِ»[(٢)].
- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﵄ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «المُسْلِمُ منْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ»[(٣)].
- وعنه ﵁ قَالَ: كَانَ عَلَى ثَقَلِ النَّبيِّ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كِرْكِرَةُ، فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «هُوَ فِي النَّارِ»، فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْه، فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا[(٤)].
- وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي ﵁ عن رسول الله ﷺ: أَنَّهُ قَامَ فيهم، فَذَكَرَ لَهُمْ أنَّ الجِهَادَ في سبيلِ الله، وَالإِيمَانَ بالله أَفْضَلُ الأعْمَالِ، فقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أرَأيْتَ إنْ قُتِلْتُ في سبيلِ الله، تُكَفَّرُ عَنّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُول الله ﷺ: «نَعَمْ، إنْ قُتِلْتَ في سبيلِ الله، وَأنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيرُ مُدْبرٍ»، ثُمَّ قَالَ رَسُول الله ﷺ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: أرَأيْتَ إنْ قُتِلْتُ في سبيلِ الله، أتُكَفَّرُ عَنّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُول الله ﷺ: «نَعمْ، وَأنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيرُ مُدْبِرٍ، إلاَّ الدَّيْنَ؛ فإنَّ جِبريلَ عليه السلام قَالَ لِي ذلِكَ»[(٥)].
- وعن أبي هريرة ﵁: أن رسول الله ﷺ قَالَ: «أتدرونَ مَنِ المُفْلِسُ؟» قالوا: المفْلسُ فِينَا مَنْ لا دِرهَمَ لَهُ ولا مَتَاع، فَقَالَ: «إنَّ المُفْلسَ مِنْ أُمَّتي مَنْ يأتي يومَ القيامَةِ بِصَلاَةٍ وصِيامٍ وَزَكاةٍ، ويأتي وقَدْ شَتَمَ هَذَا، وقَذَفَ

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، رواه البخاري (٢٥٩٧)، ومسلم (١٨٣٢).

(٢) رواه البُخَارِيّ (٢٤٤٩).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (١١) ومسلم (٤٠).

(٤) رواه البخاري (٣٠٧٤).

(٥) رواه مسلم (١٨٨٥).

هَذَا، وَأَكَلَ مالَ هَذَا، وسَفكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وهَذَا مِنْ حَسناتهِ، فإِنْ فَنِيَتْ حَسَناتُه قَبْلَ أَنْ يُقضى مَا عَلَيهِ، أُخِذَ منْ خَطَاياهُم فطُرِحَتْ عَلَيهِ، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ»[١].

- وعن أمِّ سَلَمَة رضي الله عنها أنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّما أنا بَشَرٌ، وإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فأَقْضِيَ لَهُ بِنَحْوِ مَا أَسْمعُ، فَمَنْ قَضَيتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ فَإِنَّما أقطَعُ لَهُ قِطعةً مِنَ النَّارِ»[٢].
- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ في فُسْحَةٍ مِنْ دِينهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»[٣].
- وعن خولة بنت عامر الأنصارية وهي امرأة حمزة رضي الله عنه قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ في مَالِ الله بغَيرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يوم القِيامَةِ»[٤].

❖ حب السُّلطَان والإمارة:

عن كعب بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَها مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينهِ»[٥]

النهي عن سؤال الإمارة:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾ [القصص].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨١).

(٢) متفق عليه، البخاري (٧١٦٩)، ومسلم (١٧١٣).

(٣) رواه البخاري (٦٨٦٢).

(٤) رواه البُخَارِيّ (٣١١٨).

(٥) رواه أحمد (١٥٧٨٤) والترمذي (٢٣٧٦) وقال: «حديث حسن صحيح». وصححه الألباني.

- وعن أبي سعيد عبد الرَّحْمن بن سمرة ﷺ قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمن بن سَمُرَةَ، لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينكَ»(١).
- وعن أبي ذر ﷺ قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»(٢).
- وعنه قَالَ: قلت يا رسول الله ألا تَسْتَعْمِلُني؟ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»(٣).
- وعن أبي هُرَيرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتكونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ»(٤).

قَالَ الإِمَام ابن تَيمِيّة رحمه الله في كتاب (السّياسة الشَّرعيَّة ١ / ١٥)(٥):

[البَاب الأوّل الولايات: أما **أَدَاءُ الْأَمَانَاتِ فَفِيهِ نَوْعَانِ:أَحَدُهُمَا الْوِلَايَاتُ وَهُوَ كَانَ سَبَبَ نُزُولِ الْآيَةِ** [إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها]، وفيه أربعة فصول:

- **الفَصل الأوّل إستعمال الأصلح**: فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا فَتَحَ مَكَّةَ وَتَسَلَّمَ مَفَاتِيحَ الْكَعْبَةِ مِنْ بَنِي شَيْبَةَ طَلَبَهَا مِنْهُ الْعَبَّاسُ، لِيَجْمَعَ لَهُ بَيْنَ سِقَايَةِ الْحَاجِّ وَسِدَانَةِ الْبَيْتِ فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَةَ فَدَفَعَ مَفَاتِيحَ الْكَعْبَةِ إلَى بَنِي شَيْبَةَ، فَيَجِبُ عَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ أَنْ يُوَلِّيَ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ أَصْلَحَ مَنْ يَجِدُهُ لِذَلِكَ الْعَمَلِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَوَلَّى رَجُلًا وَهُوَ يَجِدُ مَنْ هُوَ أَصْلَحُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللهَ

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٧١٤٦)، ومسلم (١٦٥٢).

(٢) رواه مسلم (١٨٢٦).

(٣) رواه مسلم (١٨٢٥).

(٤) رواه البُخَارِيّ (٧١٤٨).

(٥) انظر مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٤٦)



وَرَسُولَهُ»(١)، وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ وَلَّى رَجُلًا عَلَى عِصَابَةٍ وَهُوَ يَجِدُ فِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى للهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَخَانَ الْمُؤْمِنِينَ»(٢)]...[وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: (مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَوَلَّى رَجُلًا لِمَوَدَّةٍ أَوْ قَرَابَةٍ بَيْنَهُمَا فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُسْلِمِينَ) وَهَذَا وَاجِبٌ عَلَيْهِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ الْبَحْثُ عَنْ الْمُسْتَحِقِّينَ لِلْوِلَايَاتِ مِنْ نُوَّابِهِ عَلَى الْأَمْصَارِ؛ مِنْ الْأُمَرَاءِ الَّذِينَ هُمْ نُوَّابُ ذِي السُّلْطَانِ وَالْقُضَاةِ وَنَحْوِهِمْ وَمِنْ أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ وَمُقَدِّمِي الْعَسَاكِرِ الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ وَوُلَاةِ الْأَمْوَالِ: مِنْ الْوُزَرَاءِ وَالْكُتَّابِ وَالشَّادِينَ وَالسُّعَاةِ عَلَى الْخَرَاجِ وَالصَّدَقَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَمْوَالِ الَّتِي لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ أَنْ يَسْتَنِيبَ وَيَسْتَعْمِلَ أَصْلَحَ مَنْ يَجِدُهُ؛ وَيَنْتَهِي ذَلِكَ إلَى أَئِمَّةِ الصَّلَاةِ وَالْمُؤَذِّنِينَ وَالْمُقْرِئِينَ وَالْمُعَلِّمِينَ وَأُمَرَاءِ الْحَاجِّ وَالْبَرَدِ وَالْعُيُونِ الَّذِينَ هُمْ الْقُصَّادُ وَخُزَّانِ الْأَمْوَالِ وَحُرَّاسِ الْحُصُونِ وَالْحَدَّادِينَ الَّذِينَ هُمْ الْبَوَّابُونَ عَلَى الْحُصُونِ وَالْمَدَائِنِ وَنُقَبَاءِ الْعَسَاكِرِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ وَعُرَفَاءِ الْقَبَائِلِ وَالْأَسْوَاقِ وَرُؤَسَاءِ الْقُرَى الَّذِينَ هُمْ (الدَّهَاقِينُ)، فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَسْتَعْمِلَ فِيمَا تَحْتَ يَدِهِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ أَصْلَحَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَا يُقَدِّمُ الرَّجُلَ لِكَوْنِهِ طَلَبَ الْوِلَايَةَ أَوْ سَبَقَ فِي الطَّلَبِ؛ بَلْ يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِلْمَنْعِ؛ فَإِنَّ فِي الصَّحِيحِ(٣) عَنْ النَّبِيِّ ﷺ :أَنَّ قَوْمًا دَخَلُوا عَلَيْهِ فَسَأَلُوهُ وِلَايَةً؛ فَقَالَ: «إنَّا لَا نُوَلِّي أَمْرَنَا هَذَا مَنْ طَلَبَهُ»، وَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ لَا تَسْأَلْ الْإِمَارَةَ فَإِنَّك إنْ أُعْطِيتهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْت عَلَيْهَا؛ وَإِنْ أُعْطِيتهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْت إلَيْهَا» أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ(٤)، وَقَالَ ﷺ : «مَنْ طَلَبَ الْقَضَاءَ وَاسْتَعَانَ عَلَيْهِ وُكِلَ إلَيْهِ وَمَنْ لَمْ يَطْلُبْ الْقَضَاءَ وَلَمْ يَسْتَعِنْ

---

(١) رواه الطبراني (١١٢٣٨) والبيهقي (٢٠٨٦١) ولفظ الطبراني: «ومن تولى من أمر المسلمين شيئا فاستعمل عليهم رجلا وهو يعلم أن فيهم من هو أولى بذلك وأعلم منه بكتاب الله وسنة رسوله فقد خان الله ورسوله». قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني وفيه أبو محمد الجزري حمزة لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه الحاكم (٧٠٢٣) بلفظ: «مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عِصَابَةٍ وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى للهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللهَ وخانَ رَسُولَهُ وخانَ الْمُؤْمِنِينَ» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وضعفه الذهبي والألباني (ضعيف الجامع ٥٤٠٩).

(٣) رواه البخاري (٧١٤٩)، ومسلم (١٧٣٣).

(٤) رواه البخاري (٦٧٢٧).

عَلَيْهِ؛ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ» رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ(١)، فَإِنْ عَدَلَ عَنْ الْأَحَقِّ الْأَصْلَحِ إِلَى غَيْرِهِ لِأَجْلِ قَرَابَةٍ بَيْنَهُمَا أَوْ وَلَاءِ عَتَاقَةٍ أَوْ صَدَاقَةٍ أَوْ مُرَافَقَةٍ فِي بَلَدٍ أَوْ مَذْهَبٍ أَوْ طَرِيقَةٍ أَوْ جِنْسٍ: كَالْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ وَالتُّرْكِيَّةِ وَالرُّومِيَّةِ؛ أَوْ لِرِشْوَةٍ يَأْخُذُهَا مِنْهُ مِنْ مَالٍ أَوْ مَنْفَعَةٍ؛ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَسْبَابِ أَوْ لِضَغَنٍ فِي قَلْبِهِ عَلَى الْأَحَقِّ أَوْ عَدَاوَةٍ بَيْنَهُمَا؛ فَقَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ وَدَخَلَ فِيمَا نُهِيَ عَنْهُ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال] ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال] فَإِنَّ الرَّجُلَ لِحُبِّهِ لِوَلَدِهِ أَوْ لِعَتِيقِهِ قَدْ يُؤْثِرُهُ فِي بَعْضِ الْوِلَايَاتِ أَوْ يُعْطِيهِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ؛ فَيَكُونُ قَدْ خَانَ أَمَانَتَهُ؛ وَكَذَلِكَ قَدْ يُؤْثِرُهُ زِيَادَةً فِي مَالِهِ أَوْ حفظِهِ؛ بِأَخْذِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ أَوْ مُحَابَاةِ مَنْ يُدَاهِنُهُ فِي بَعْضِ الْوِلَايَاتِ، فَيَكُونُ قَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَخَانَ أَمَانَتَهُ، ثُمَّ إنَّ الْمُؤَدِّيَ لِلْأَمَانَةِ مَعَ مُخَالَفَةِ هَوَاهُ يُثَبِّتُهُ اللهُ فَيَحْفَظُهُ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بَعْدَهُ وَالْمُطِيعُ لِهَوَاهُ يُعَاقِبُهُ اللهُ بِنَقِيضِ قَصْدِهِ فَيُذِلُّ أَهْلَهُ وَيُذْهِبُ مَالَهُ، وَفِي ذَلِكَ الْحِكَايَةُ الْمَشْهُورَةُ؛ أَنَّ بَعْضَ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ سَأَلَ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ أَنْ يُحَدِّثَهُ عَمَّا أَدْرَكَ فَقَالَ: أَدْرَكْت عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ؛ قِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْفَرْت أَفْوَاهَ بَنِيك مِنْ هَذَا الْمَالِ وَتَرَكْتهمْ فُقَرَاءَ لَا شَيْءَ لَهُمْ - وَكَانَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ - فَقَالَ: أَدْخِلُوهُمْ عَلَيَّ؛ فَأَدْخَلُوهُمْ؛ وَهُمْ بِضْعَةَ عَشَرَ ذَكَرًا لَيْسَ فِيهِمْ بَالِغٌ فَلَمَّا رَآهُمْ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: يَا بَنِيَّ وَاللهِ مَا مَنَعْتُكُمْ حَقًّا هُوَ لَكُمْ وَلَمْ أَكُنْ بِالَّذِي آخُذُ أَمْوَالَ النَّاسِ فَأَدْفَعَهَا إلَيْكُمْ؛ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إمَّا صَالِحٌ فَاَللهُ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ؛ وَإِمَّا غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا أُخَلِّفُ لَهُ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ قُومُوا عَنِّي، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْت بَعْضَ بَنِيهِ حَمَلَ عَلَى مِائَةِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ يَعْنِي أَعْطَاهَا لِمَنْ يَغْزُو عَلَيْهَا، قُلْت: هَذَا وَقَدْ كَانَ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَقْصَى الْمَشْرِقِ بِلَادِ التُّرْكِ إلَى أَقْصَى الْمَغْرِبِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهَا وَمِنْ جَزَائِرِ قُبْرُصَ وَثُغُورِ الشَّامِ وَالْعَوَاصِمِ كطرسوس وَنَحْوِهَا إلَى أَقْصَى الْيَمَنِ، وَإِنَّمَا أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٌ مِنْ أَوْلَادِهِ مِنْ تَرِكَتِهِ شَيْئًا يَسِيرًا يُقَالُ: أَقَلُّ مِنْ عِشْرِينَ دِرْهَمًا - قَالَ وَحَضَرْت بَعْضَ الْخُلَفَاءِ وَقَدْ اقْتَسَمَ تَرِكَتَهُ بَنُوهُ فَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سِتَّمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ؛ وَلَقَدْ رَأَيْت بَعْضَهُمْ يَتَكَفَّفُ النَّاسَ - أَيْ يَسْأَلُهُمْ بِكَفِّهِ - وَفِي هَذَا الْبَابِ مِنْ الْحِكَايَاتِ وَالْوَقَائِعِ الْمُشَاهَدَةِ فِي الزَّمَانِ وَالْمَسْمُوعَةِ عَمَّا قَبْلَهُ؛ مَا فِيهِ عِبْرَةٌ لِكُلِّ ذِي لُبٍّ، وَقَدْ دَلَّتْ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى أَنَّ

(١) رواه الترمذي (١٣٢٤، ١٣٢٣) وأبو داود (٣٥٧٨) وابن ماجه (٢٣٠٩) وأحمد (١٣٣٠٢) وضعفه الألباني.

الْوِلَايَةِ أَمَانَةٌ يَجِبُ أَدَاؤُهَا فِي مَوَاضِعَ: مِثْلَ مَا تَقَدَّمَ، وَمِثْلَ قَوْلِهِ لِأَبِي ذَرٍّ ﷺ فِي الْإِمَارَةِ: «**إِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا**»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ[2] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ**»، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: **وَمَا إِضَاعَتُهَا**؟ قَالَ: «**إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ**»، وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَعْنَى هَذَا؛ فَإِنَّ وَصِيَّ الْيَتِيمِ وَنَاظِرَ الْوَقْفِ وَوَكِيلَ الرَّجُلِ فِي مَالِهِ؛ عَلَيْهِ أَنْ يَتَصَرَّفَ لَهُ بِالْأَصْلَحِ فَالْأَصْلَحِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام]، وَلَمْ يَقُلْ إلَّا بِالَّتِي هِيَ حَسَنَةٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْوَالِيَ رَاعٍ عَلَى النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ رَاعِي الْغَنَمِ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ؛ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْوَلَدُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ وَالْعَبْدُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»، أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ[3] وَقَالَ ﷺ: «**مَا مِنْ رَاعٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهَا إلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ**»[4] رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَدَخَلَ أَبُو مُسْلِمٍ الخولاني عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا الْأَجِيرُ؛ فَقَالُوا: قُلْ السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا الْأَمِيرُ، فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا الْأَجِيرُ، فَقَالُوا: قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا الْأَمِيرُ، فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا الْأَجِيرُ، فَقَالُوا قُلْ السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا الْأَمِيرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْك أَيُّهَا الْأَجِيرُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: دَعُوا أَبَا مُسْلِمٍ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ، فَقَالَ: إنَّمَا أَنْتَ أَجِيرٌ اسْتَأْجَرَك رَبُّ هَذِهِ الْغَنَمِ لِرِعَايَتِهَا؛ فَإِنْ أَنْتَ هَنَأْت جَرْبَاهَا وَدَاوَيْت مَرْضَاهَا وَحَبَسْت أُولَاهَا عَلَى أُخْرَاهَا: وَفَاك سَيِّدُهَا أَجْرَك وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَهْنَأْ جَرْبَاهَا وَلَمْ تداوِ مَرْضَاهَا؛ وَلَمْ تَحْبِسْ أُولَاهَا عَلَى أُخْرَاهَا عَاقَبَك سَيِّدُهَا، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي الِاعْتِبَارِ؛ فَإِنَّ الْخَلْقَ عِبَادُ اللهِ وَالْوُلَاةُ نُوَّابُ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ وَهُمْ وُكَلَاءُ الْعِبَادِ عَلَى نُفُوسِهِمْ؛ بِمَنْزِلَةِ أَحَدِ الشَّرِيكَيْنِ مَعَ الْآخَرِ؛ فَفِيهِمْ مَعْنَى الْوِلَايَةِ وَالْوِكَالَةِ؛ ثُمَّ الْوَلِيُّ وَالْوَكِيلُ متى اسْتَنَابَ فِي أُمُورِهِ رَجُلًا وَتَرَكَ مَنْ هُوَ أَصْلَحُ لِلتِّجَارَةِ أَوْ الْعَقَارِ مِنْهُ وَبَاعَ

(١) رواه مسلم (١٨٢٥).

(٢) رواه البخاري (٥٩).

(٣) رواه البخاري (٢٤١٩) ومسلم (١٨٢٩).

(٤) رواه البخاري (٧١٥١)، ومسلم (١٤٢).

السِّلْعَةَ بِثَمَنٍ وَهُوَ يَجِدُ مَنْ يَشْتَرِيهَا بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ الثَّمَنِ؛ فَقَدْ خَانَ صَاحِبَهُ لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ بَيْنَ مَنْ حَابَاهُ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ أَوْ قَرَابَةٌ فَإِنَّ صَاحِبَهُ يُبْغِضُهُ وَيَذُمُّهُ وَيَرَى أَنَّهُ قَدْ خَانَهُ وَدَاهَنَ قَرِيبَهُ أَوْ صَدِيقَهُ]أهـ.

❖ الكذب:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال تعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق]

- وعن ابن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ الصِّدقَ يَهْدِي إِلَى البرِّ، وإِنَّ البر يَهدِي إِلَى الجَنَّةِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا»[1].
- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ: أن النبيّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[2] متفق عليه.
- وعن ابن عباس ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ، صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ، وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»[3].

بيان ما يجوز من الكذب:

اعلَمْ أنَّ الكَذِبَ، وإنْ كَانَ أَصْلُهُ مُحَرَّمًا، فَيَجُوزُ فِي بَعْضِ الأَحْوَالِ بِشُروطٍ قَدْ أَوْضَحْتُهَا في كتاب: «الأَذْكَارِ»، ومُخْتَصَرُ ذَلِكَ: أَنَّ الكلامَ وَسيلَةٌ إِلَى المَقَاصِدِ، فَكُلُّ مَقْصُودٍ مَحْمُودٍ يُمْكِنُ تَحْصِيلُهُ بِغَيْرِ الكَذِبِ يَحْرُمُ الكَذِبُ فِيهِ، وإنْ لَمْ يُمْكِنْ تَحْصِيلُهُ إلاَّ بالكَذِبِ، جازَ الكَذِبُ، ثُمَّ إنْ كَانَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ المَقْصُودِ مُبَاحًا كَانَ الكَذِبُ مُبَاحًا، وإنْ كَانَ وَاجِبًا، كَانَ الكَذِبُ وَاجِبًا، فإذا اخْتَفَى مُسْلِمٌ مِنْ ظَالِمٍ يُرِيدُ قَتْلَهُ، أَوْ أَخذَ مَالِهِ وأخفى مالَه وَسُئِلَ إنْسَانٌ عَنْهُ، وَجَبَ الكَذِبُ بإخْفَائِه، وكذا لو كانَ عِندَهُ وديعَةٌ، وأراد ظالمٌ

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) رواه البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨).

(٣) رواه البُخَارِيّ (٧٠٤٢) ومسلم (٢١١٠).

أخذها، وجبَ الكذبُ بإخفائها، وَالأحْوَطُ في هَذَا كُلِّهِ أن يُورِّيَ، ومعْنَى التَّوْرِيَةِ: أَنْ يَقْصِدَ بِعِبَارَتِهِ مَقْصُودًا صَحيحًا لَيْسَ هُوَ كَاذِبًا بالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، وإنْ كَانَ كَاذِبًا في ظَاهِرِ اللَّفْظِ، وبالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَفْهَمُهُ المُخَاطَبُ، وَلَوْ تَرَكَ التَّوْرِيَةَ وَأطْلَقَ عِبَارَةَ الكَذِبِ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ في هَذَا الحَالِ، وَاسْتَدَل العُلَمَاءُ بِجَوازِ الكَذِبِ في هَذَا الحَالِ بِحَديثِ أُمِّ كُلْثُومٍ ﵂ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا»[1] متفق عليه، زاد مسلم في رواية: قالت أُمُّ كُلْثُومٍ: (وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ إلاَّ في ثَلاَثٍ، تَعْنِي: الحَرْبَ، والإصْلاَحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَديثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحديثَ المَرْأَةِ زَوْجَهَا.)

❖ الغيبة:

قَالَ الإمَام النووي ﵀:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَاتَّقُوا اللَّهَۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ۝١٢﴾ [الحجرات: ١٢] وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال تَعَالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٨]

اعْلَمْ أنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَميعِ الكَلامِ إلاَّ كَلاَمًا ظَهَرَتْ فِيهِ المَصْلَحَةُ، ومَتَى اسْتَوَى الكَلاَمُ وَتَرْكُهُ فِي المَصْلَحَةِ، فالسُّنَّةُ الإمْسَاكُ عَنْهُ، لأَنَّهُ قَدْ يَنْجَرُّ الكَلاَمُ المُبَاحُ إِلَى حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، وذَلِكَ كَثِيرٌ فِي العَادَةِ، والسَّلاَمَةُ لا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ.

- وعن أبي موسى ﵁ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله أَيُّ المُسْلمِينَ أفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[2] متفق عليه.
- وعن أبي هريرة ﵁ أنه سمع النبيّ ﷺ يقول: «إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ»[3] متفق عليه.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٢) ومسلم (٢٦٠٥).

(٢) رواه البخاري (١١)، ومسلم (٤٢).

(٣) رواه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

- عن معاذ رضي الله عنه قَالَ: فقلت يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ» ثُمَّ قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ المَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ» ثُمَّ تَلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] حَتَّى بَلَغَ ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة] ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: «تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!»(١).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قالوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: أَفَرَأَيْت إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فقد اغْتَبْتَهُ، وإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ»(٢).
- وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ بِمِنًى فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ: «إِنَّ دِماءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وأَعْرَاضَكُمْ، حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، ألا هَلْ بَلَّغْتُ»(٣) متفق عليه.
- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قُلت للنبي ﷺ (حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كذَا وكَذَا)، قَالَ بعضُ الرواةِ: تَعْنِي قَصِيرَةً، فقالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ!» قالت: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسانًا وإِنَّ لِي كَذَا وَكَذَا»(٤)، ومعنى: «مَزَجَتْهُ» خَالَطَتْهُ مُخَالَطَةً يَتَغَيَّرُ بِهَا طَعْمُهُ أَوْ رِيحُهُ لِشِدَّةِ نَتْنِها وَقُبْحِهَا، وهذا الحَديثُ مِنْ أبلَغِ الزَّواجِرِ عَنِ الغِيبَةِ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ٤﴾ [النجم]

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦) والنسائي (٢٢٢٤، ٢٢٢٥) وابن ماجة (٣٩٧٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٩).

(٣) رواه البخاري (١٠٥)، ومسلم (١٦٧٩).

(٤) رواه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢) وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني.

- وعن أنس ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَومٍ لَهُمْ أظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ: مَنْ هؤُلاءِ يَا جِبرِيلُ؟ قَالَ: هؤُلاءِ الَّذِينَ يَأكُلُونَ لُحومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ في أعْرَاضِهِمْ!»(١).
- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ»(٢).

باب تحريم سماع الغيبة وأمر من سمع غيبة محرمة بردها والإنكار على قائلها:

فإن عجز أو لم يقبل منه فارق المجلس إن أمكنه قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥] وقال تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون] وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء] وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٦٨﴾ [الأنعام]

- وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أخيهِ، رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَومَ القِيَامَةِ»(٣)

بيان ما يباح من الغيبة:

اعْلَمْ أنَّ الغِيبَةَ تُبَاحُ لِغَرَضٍ صَحيحٍ شَرْعِيٍّ لا يُمْكِنُ الوُصُولُ إلَيْهِ إلاَّ بِهَا، وَهُوَ سِتَّةُ أسْبَابٍ:

- **الأَوَّلُ**: التَّظَلُّمُ، فَيَجُوزُ لِلمَظْلُومِ أنْ يَتَظَلَّمَ إِلَى السُّلْطَانِ والقَاضِي وغَيرِهِما مِمَّنْ لَهُ وِلاَيَةٌ، أَوْ قُدْرَةٌ عَلَى إنْصَافِهِ مِنْ ظَالِمِهِ، فيقول: ظَلَمَنِي فُلاَنٌ بكذا.

- **الثَّاني**: الاسْتِعانَةُ عَلَى تَغْيِيرِ المُنْكَرِ، وَرَدِّ العَاصِي إِلَى الصَّوابِ، فيقولُ لِمَنْ يَرْجُو قُدْرَتَهُ عَلَى إزالَةِ الْمُنْكَرِ: فُلانٌ يَعْمَلُ كَذا، فازْجُرْهُ عَنْهُ ونحو ذَلِكَ ويكونُ مَقْصُودُهُ التَّوَصُّلُ إِلَى إزالَةِ الْمُنْكَرِ، فَإنْ لَمْ يَقْصِدْ ذَلِكَ كَانَ حَرَامًا.

- **الثَّالِثُ**: الاسْتِفْتَاءُ، فيقُولُ لِلمُفْتِي: ظَلَمَنِي أَبي أَوْ أخي، أَوْ زوجي، أَوْ فُلانٌ بكَذَا فَهَلْ لَهُ ذَلِكَ؟ وَمَا طَريقي في الخلاصِ مِنْهُ، وتَحْصيلِ حَقِّي، وَدَفْعِ الظُّلْمِ؟ وَنَحْو ذَلِكَ، فهذا جَائِزٌ لِلْحَاجَةِ، ولكِنَّ الأحْوطَ

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٧٨) و (٤٨٧٩) وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٣) رواه أحمد (٢٧٥٣٦، ٢٧٥٤٣) والتِّرْمِذِيّ (١٩٣١) وقال: «حديث حسن» وصححه الألباني.

والأفضَلَ أَنْ يقول: مَا تقولُ فِي رَجُلٍ أَوْ شَخْصٍ، أَوْ زَوْجٍ، كَانَ مِنْ أمْرِهِ كذا؟ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ بِهِ الغَرَضُ مِنْ غَيرِ تَعْيينٍ، وَمَعَ ذَلِكَ، فالتَّعْيينُ جَائِزٌ كَمَا سَنَذْكُرُهُ في حَدِيثِ هِنْدٍ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى..

- **الرَّابعُ**: تَحْذِيرُ المُسْلِمينَ مِنَ الشَّرِّ وَنَصِيحَتُهُمْ، وذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ:

مِنْهَا جَرْحُ المَجْرُوحينَ مِنَ الرُّواةِ والشُّهُودِ وذلك جَائِزٌ بإجْمَاعِ المُسْلِمينَ، بَلْ وَاجِبٌ للْحَاجَةِ.

ومنها: المُشَاوَرَةُ في مُصاهَرَةِ إنْسانٍ أو مُشاركتِهِ، أَوْ إيداعِهِ، أَوْ مُعامَلَتِهِ، أَوْ غيرِ ذَلِكَ، أَوْ مُجَاوَرَتِهِ، ويجبُ عَلَى المُشَاوَرِ أَنْ لا يُخْفِيَ حَالَهُ، بَلْ يَذْكُرُ المَسَاوِئَ الَّتي فِيهِ بِنِيَّةِ النَّصيحَةِ.

ومنها: إذَا رأى مُتَفَقِّهًا يَتَرَدَّدُ إِلَى مُبْتَدِعٍ، أَوْ فَاسِقٍ يَأْخُذُ عَنْهُ العِلْمَ، وخَافَ أَنْ يَتَضَرَّرَ المُتَفَقِّهُ بِذَلِكَ، فَعَلَيْهِ نَصِيحَتُهُ بِبَيَانِ حَالِهِ، بِشَرْطِ أَنْ يَقْصِدَ النَّصِيحَةَ، وَهَذا مِمَّا يُغلَطُ فِيهِ، وَقَدْ يَحمِلُ المُتَكَلِّمَ بِذلِكَ الحَسَدُ، وَيُلَبِّسُ الشَّيطانُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، ويُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ نَصِيحَةٌ فَلْيُتَفَطَّنْ لِذلِكَ.

وَمِنها: أَنْ يكونَ لَهُ وِلايَةٌ لا يقومُ بِهَا عَلَى وَجْهِها: إمَّا بِأَنْ لا يكونَ صَالِحًا لَهَا، وإما بِأَنْ يكونَ فَاسِقًا، أَوْ مُغَفَّلًا، وَنَحوَ ذَلِكَ فَيَجِبُ ذِكْرُ ذَلِكَ لِمَنْ لَهُ عَلَيْهِ ولايةٌ عامَّةٌ لِيُزِيلَهُ، وَيُوَلِّيَ مَنْ يُصْلِحُ، أَوْ يَعْلَمَ ذَلِكَ مِنْهُ لِيُعَامِلَهُ بِمُقْتَضَى حالِهِ، وَلاَ يَغْتَرَّ بِهِ، وأنْ يَسْعَى فِي أَنْ يَحُثَّهُ عَلَى الاسْتِقَامَةِ أَوْ يَسْتَبْدِلَ بِهِ.

-**الخامِسُ**: أَنْ يَكُونَ مُجَاهِرًا بِفِسْقِهِ أَوْ بِدْعَتِهِ كالمُجَاهِرِ بِشُرْبِ الخَمْرِ، ومُصَادَرَةِ النَّاسِ، وأَخْذِ المَكْسِ، وجِبَايَةِ الأَمْوَالِ ظُلْمًا، وَتَوَلِّي الأمُورِ الباطِلَةِ، فَيَجُوزُ ذِكْرُهُ بِمَا يُجَاهِرُ بِهِ، وَيَحْرُمُ ذِكْرُهُ بِغَيْرِهِ مِنَ العُيُوبِ، إلاَّ أَنْ يكونَ لِجَوازِهِ سَبَبٌ آخَرُ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ.

-**السَّادِسُ**: التعرِيفُ، فإذا كَانَ الإنْسانُ مَعْرُوفًا بِلَقَبٍ، كالأعْمَشِ، والأعرَجِ، والأَصَمِّ، والأعْمى، والأحْوَلِ، وغَيْرِهِمْ جاز تَعْرِيفُهُمْ بذلِكَ، وَيَحْرُمُ إطْلاقُهُ عَلَى جِهَةِ التَّنْقِيصِ، ولو أمكَنَ تَعْريفُهُ بِغَيرِ ذَلِكَ كَانَ أوْلَى، فهذه ستَّةُ أسبابٍ ذَكَرَهَا العُلَمَاءُ وأكثَرُها مُجْمَعٌ عَلَيْهِ.

❖ النميمة وهي نقل الكلام بين النّاس عَلى جهة الإفساد:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١﴾ [القلم] وقال تَعَالَى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ۝١٨﴾ [ق] وعن حذيفة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ» متفق عليه(١).

---

(١) رواه البخاري (٦٠٥٦) ومسلم (١٠٥) واللفظ له.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ مرَّ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ! بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ: أَمَّا أَحَدُهُمَا، فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ»(١) متفق عليه، قَالَ العلماءُ معنى: «وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبيرٍ» أيْ: كَبيرٍ فِي زَعْمِهِمَا. وقِيلَ: كَبيرٌ تَرْكُهُ عَلَيْهِمَا.

❖ ذو الوجهين:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝١٠٨﴾ [النساء]

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعادِنَ: خِيَارُهُم فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا، وتَجِدُونَ خِيَارَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأنِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لَهُ، وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَينِ، الَّذِي يَأتِي هؤُلاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ»(٢).

- وعن محمد بن زيدٍ: أنَّ ناسًا قالوا لِجَدِّهِ عبدِ الله بن عمر رضي الله عنهما: إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سَلاَطِينِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلاَفِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: (كُنَّا نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا عَلَى عَهْدِ رسُولِ الله ﷺ)(٣).

❖ إشاعة الفاحشة وإفساد ذات بين المُسلِمين:

- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ»، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «صَلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ»، قَالَ أبو عيسى: هذا حديث صحيح ويروى عن النبيّ ﷺ أنه قَالَ: «هِيَ الحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٣٤٩٣)، ومسلم (٢٥٢٦).

(٣) رواه البُخَارِيّ (٧١٧٨).

(٤) رواه الترمذي (٢٥٠٩) وأبو داود (٤٩١٩) وأحمد (٢٧٥٠٨) و صححه الألباني وقال الأرنؤوط : صحيح على شرطهما.

- حَدَّثنا زَيْدُ بْنُ يَحْيَى الدِّمَشْقِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعِيدٍ، حَدَّثنا مَكْحُولٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى نَدَعُ الِائْتِمَارَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: «إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذَا كَانَتِ الْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ، وَالْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، وَالْعِلْمُ فِي رُذَالِكُمْ»(١).

❖ شهادة الزور:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾ [الحج] وقال تَعالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال تَعالَى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق] وقال تَعالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر] وقال تَعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢].

وعن أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رسولَ الله، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بالله، وعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ» وكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: «أَلا وَقَولُ الزُّورِ»، فما زال يُكَرِّرُهَا حَتَّى قلنا: لَيْتَهُ سَكَتَ.(٢)

❖ الفحش والبذاءة:

عن ابنِ مَسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَيْس الْمُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ، وَلا اللَّعَّانِ، وَلا الْفَاحِشِ، وَلا الْبَذِيءِ»(٣).

❖ لعن إنسان بعينه أو دابة:

* عن أَبِي زيدٍ ثابت بن الضَّحَّاك الأنصاريِّ ﷺ وَهُوَ من أهلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلاَمِ كاذِبًا مُتَعَمِّدًا، فَهُوَ كَما قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيءٍ، عُذِّبَ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ، وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فيما لا يَمْلِكُهُ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ»(٤).

---

(١) رواه أحمد (١٢٩٤٣) وقال الأرنؤوط: إسناده قوي، وروى نحوه ابن ماجة (٤٠١٥) وضعفه إسناده الألباني.

(٢) رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

(٣) رواه أحمد (٣٨٣٩، ٣٩٤٨) التِّرْمِذِيّ (١٩٧٧) وقال: «حديث حسن» وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري (٦٠٤٧)، ومسلم (١١٠).

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لاَ يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا»(١).

* وعن أبي الدرداء ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لاَ يَكُونُ اللَّعَانُونَ شُفَعَاءَ، وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٢).

* وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لاَ تَلاَعَنُوا بِلَعْنَةِ الله، وَلاَ بِغَضَبِهِ، وَلاَ بِالنَّارِ»(٣).

* وعن أبي الدرداء ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا، صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّماءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوابُ السَّماءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ، فَتُغْلَقُ أَبوابُهَا دُونَها، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمينًا وَشِمالًا، فَإِذا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فإِنْ كَانَ أَهْلًا لِذلِكَ، وإلاَّ رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا»(٤).

* وعن عمران بن الحصين ﷺ قَالَ: بينما رسول الله ﷺ في بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رسُولُ الله ﷺ فقال: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ»، قَالَ عِمْرانُ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الآنَ تَمْشِي في النَّاسِ مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ(٥).

❖ سب المسلم بغير حق:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [الأحزاب]

---

(١) رواه مسلم (٢٥٩٧).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٨). قال النووي في شرح صحيح مسلم: «معناه: لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار. (ولا شهداء) فيه ثلاثة أقوال: أصحها وأشهرها: لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات. والثاني: لا يكونون شهداء في الدنيا، أي: لا تقبل شهادتهم لفسقهم. والثالث: لا يرزقون الشهادة وهي القتل في سبيل الله. قال: وإنّما قال ﷺ: لعانًا ولعانون بصيغة التكثير؛ لأنَّ هذا الذم في الحديث هو لمن كثر منه اللعن لا لمرة ونحوها؛ ولأنه يخرج منه أيضًا اللعن المباح وهو الذي ورد به الشرع وهو لعنة الله على الظالمين، ولعن الله اليهود والنصارى ولعن الله الواصلة والواشمة ... »

(٣) رواه أبو داود (٤٩٠٦)، والترمذي (١٩٧٦).وقال: «حديث حسن صحيح»، وحسنه الألباني.

(٤) رواه أبو داود (٤٩٠٥) وحسنه الألباني.

(٥) رواه مسلم (٢٥٩٥).

* عن ابن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»(١) .

* وعن أبي ذر ﷺ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالفِسْقِ أَوِ الكُفْرِ، إلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كذَلِكَ»(٢).

* وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «الْمُتَسَابَّانِ مَا قَالاَ فَعَلَى البَادِي منهُمَا حَتَّى يَعْتَدِيَ المَظْلُومُ»(٣).

* وعنه قَالَ: أُتِي النبيّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شرِبَ قَالَ: «اضربوهُ» قَالَ أَبُو هريرةَ: فَمِنَّا الضارِبُ بيَدِهِ، والضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، والضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أَخْزَاكَ اللهُ! قَالَ: «لا تَقُولُوا هَذَا، لا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ»(٤).

❖ الإيذاء:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب]

- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ»(٥).
- وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، ويُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»(٦).

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤).

(٢) رواه البُخَارِيّ (٦٠٤٥).

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٧).

(٤) رواه البُخَارِيّ (٦٧٧٧).

(٥) متفق عليه، رواه البخاري (١١) ومسلم (٤٠).

(٦) رواه مسلم (١٨٤٤).

❖ الحسد وهو تمني زوال النعمة عن صاحبها سواء كانت نعمة دين أو دنيا:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ﴾ [النساء: ٥٤]

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبيّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالحَسَدَ؛ فَإِنَّ الحَسَدَ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ» أَوْ قَالَ: «العُشْبَ»[1].

❖ التجسس والتسمع لكلام من يكره استماعه:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢]. وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨]

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، ولا تحسَّسوا وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَنَافَسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمْ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هاهُنَا التَّقْوَى هاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ «بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَعِرْضُهُ، وَمَالُهُ، إنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أجْسَادِكُمْ، وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وأعْمَالِكُمْ»، وَفِي رواية: «لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا وَكُونُوا عِبَادَ الله إخْوانًا»، وفي رواية: «لاَ تَقَاطَعُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إخْوانًا» وَفِي رِواية: «وَلاَ تَهَاجَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ»، رواه مسلم بكلّ هذِهِ الروايات، وروى البخاريُّ أكْثَرَهَا[2].

- وعن معاوية ﷺ قَالَ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمينَ أفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ»[3].

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٠٣)، وضعفه الألباني، وقال البخاري عن الحديث: «لا يصح».

(٢) رواه البخاري (٢١٤٠، ٢١٥٠، ٢١٦٠، ٢٧٢٣، ....) ومسلم (١٤١٣، ١٥١٥، ٢٥٦٣، ...٢٥٦٤)

(٣) رواه أبو داود (٤٨٨٨) وصححه الألباني.

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «أَنَّهُ أُتِيَ بِرَجُلٍ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا فُلاَنٌ تَقْطُرُ لِحْيَتُهُ خَمْرًا، فَقَالَ: إِنَّا قَدْ نُهِينَا عَنِ التَّجَسُّسِ، ولكِنْ إِنْ يَظْهَرْ لَنَا شَيْءٌ، نَأْخُذ بِهِ»(١).

❖ سوء الظن بالمُسلِمين من غير ضرورة:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات: ١٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ»(٢).

❖ احتقار المُسلِمين:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات]

وقال تَعَالَى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾ [الهمزة]

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»(٣).
- وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ!» فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»(٤). ومعنى «بَطَرُ الحَقِّ» دَفْعُه، «وغَمْطُهُمْ»: احْتِقَارُهُمْ.
- وعن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لاَ يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ، فَقَالَ اللهُ عز وجل: مَنْ ذا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أغْفِرَ لِفُلانٍ! فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَاحْبَطْتُ عَمَلَكَ»(٥).

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٩٠) وصححه الألباني.

(٢) صحيح، سبق تخريجه.

(٣) صحيح، سبق تخريجه.

(٤) رواه مسلم (٩١).

(٥) رواه مسلم (٢٦٢١).

❖ إظهار الشماتة بالمسلم:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [النور: ١٩]

وعن واثلة بن الأسقع ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لاَ تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ فَيَرْحَمُهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ»(١).

❖ الغش والخداع:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨]

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»، وفي رواية لَهُ: أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أصابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: «مَا هذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ: أصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رسول الله، قَالَ: «أفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوقَ الطَّعَامِ حَتَّى يرَاهُ النَّاسُ! مَنْ غشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»(٢).
- وعن ابن عمر ﷺ أن النبيّ ﷺ: «نَهى عن النَّجْشِ»(٣).
- وعنه قَالَ: ذَكَرَ رَجُلٌ لِرَسُولِ الله ﷺ: أَنَّهُ يُخْدَعُ في البُيُوعِ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ بَايَعْتَ، فَقُلْ: لاَ خِلاَبَةَ»(٤)متفق عليه، «الخِلاَبَةُ» بخاءٍ معجمةٍ مكسورةٍ وباءٍ موحدة، وهي: الخديعة.

❖ الغدر:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١] وقال تَعَالَى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾ [الإسراء].

---

(١) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٥٠٦)، وقال: «حديث حسن غريب».

(٢) رواه مسلم (١٠١، ١٠٢).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٢١٤٢)، ومسلم (١٥١٦).

(٤) رواه البخاري (٢١١٧)، ومسلم (١٥٣٣).

- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَها: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(١) متفق عليه.
- وعن ابن مسعود وابن عمر وأنس رضي الله عنهم قالوا: قَالَ النبيّ ﷺ: «لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ: هذِهِ غَدْرَةُ فلانٍ»(٢) متفق عليه.
- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يومَ القِيَامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدَرِ غَدْرِهِ، أَلاَ وَلاَ غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ»(٣).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «قَالَ الله تَعَالَى: ثَلاَثَةٌ أنا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أجيرًا، فَاسْتَوْفَى مِنْهُ، وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ»(٤).

❖ المن بالعطية:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤] وقال تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾ [البقرة: ٢٦٢]

* عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله ﷺ ثلاثَ مِرارٍ: قَالَ أَبُو ذرٍ: خَابُوا وخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رسول الله؟ قَالَ: «المُسْبِلُ، والمَنَّانُ، وَالمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكَاذِبِ»(٥).

---

(١) رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

(٢) رواه البخاري (٣١٨٦، ٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٦، ١٧٣٧).

(٣) رواه مسلم (١٧٣٨).

(٤) رواه البُخَارِيّ (٢٢٢٧).

(٥) رواه مسلم (١٠٦).

❖ الافتخار والبغي:

قَالَ الله تعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النجم] وقال تعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢﴾ [الشورى].

- عن عياض بن حمار ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أحَدٍ، وَلاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أحَدٍ»(١) قَالَ أهلُ اللغةِ: البغيُ: التَّعَدِّي والاستطالَةُ.
- وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا قَالَ الرجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ»(٢)، والرواية المشهورة: «أهْلَكُهُمْ» بِرَفعِ الكاف وروي بنصبها: وذلكَ النهيُ لِمَنْ قَالَ ذَلِكَ عُجْبًا بِنَفْسِهِ، وتَصَاغُرًا للنَّاسِ، وارْتِفاعًا عَلَيْهِمْ، فَهَذَا هُوَ الحَرامُ، وَأمَّا مَنْ قَالَهُ لِمَا يَرَى في النَّاسِ مِنْ نَقْصٍ في أمرِ دِينِهم، وقَالَهُ تَحَزُّنًا عَلَيْهِمْ، وعَلَى الدِّينِ، فَلاَ بَأسَ بِهِ، هكَذَا فَسَّرَهُ العُلَماءُ وفَصَّلُوهُ.

❖ هجران المُسلِمين فوق ثلاثة أيّام إلا لبدعة تظاهر بفسق أو نحو ذلك:

قَالَ الله تعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال تعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢]

- عن أنس ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا تَقَاطَعُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَث»(٣).
- وعن أبي أيوب ﵁ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ: يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وخَيْرُهُما الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٢٣).

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩).

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠).

- وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ في كلِّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيَغْفِرُ اللهُ لِكُلِّ امْرِئٍ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا، إِلاَّ امْرَءًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيقُولُ: اتْرُكُوا هذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحا»(١).
- وعن جابر ﷺ، قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ في التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»(٢). «التَّحْرِيشُ»: الإفْسَادُ وتَغييرُ قُلُوبِهمْ وتَقَاطُعُهُم.
- وعن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلاَثٍ فَمَاتَ، دَخَلَ النَّارَ»(٣).
- وعن أَبي خِراشٍ حَدْرَدِ بنِ أَبي حَدْرَدٍ الأسلميِّ، ويقالُ: السُّلمِيّ الصحابي ﷺ: أَنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقولُ: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ»(٤).
- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لاَ يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوقَ ثَلاَثٍ، فإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلاَثٌ، فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ فَقَدِ اشْتَرَكَا في الأجْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالإِثْمِ، وَخَرَجَ الْمُسَلِّمُ مِنَ الهِجْرَةِ»(٥)، قَالَ أَبُو داود: (إِذَا كَانَتْ الهِجْرَةُ لله تَعَالَى فَليس مِنْ هَذَا في شَيْءٍ).

****

(١) رواه مسلم (٢٥٦٥).

(٢) رواه مسلم (٢٨١٢).

(٣) رواه أبو داود (٤٩١٤) بإسناد عَلى شرط البُخَارِيّ، ورواه مسلم (٢٥٦٢) دون قوله: "فمن هجر فوق ثلاث فمات، دخل النار".

(٤) رواه أَبُو داود (٤٩١٥) وصححه الألباني.

(٥) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤١٤)، وأبو داود (٤٩١٢) وضعفه الألباني.

❖ ذكر الموت وقصر الأمل:

جاء في رياض الصّالحين:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران] وقال تَعالَى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسُۢ بِأَيِّ أَرْضٖ تَمُوتُۚ﴾ [لقمان: ٣٤] وقال تَعالَى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ٦١﴾ [النحل] وقال تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾ [المنافقون] وقال تَعالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ١٠٠ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ١١٠ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ١١١ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٖ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١١٤ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثٗا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ١١٥﴾ [المؤمنون] وقال تَعالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٞ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [الحديد] والآيات في البَاب كثيرة معلومة.

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَو عَابِرُ سَبيلٍ**» **وَكَانَ ابن عُمَرَ** رضي الله عنهما، **يقول: (إِذَا أَمْسَيتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)**[١].

(١) البخاري (٦٤١٦).

- وعنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إلا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ» متفقٌ عَلَيْهِ[١]، هَذَا لفظ البخاري، وفي روايةٍ لمسلمٍ: «يَبِيتُ ثَلاثَ لَيَالٍ» قَالَ ابن عمر: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ قَالَ ذَلِكَ إلا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي.
- وعن ابن مسعود ﷺ قَالَ: خَطَّ النَّبيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا في الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي في الوَسَط، فَقَالَ: «هَذَا الإنْسَانُ، وَهذَا أجَلُهُ مُحِيطًا بِهِ – أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ – وَهذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، نَهَشَهُ هَذَا، وَإنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، نَهَشَهُ هَذَا»[٢].
- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالأعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إلاَّ فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنَىً مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجّالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أدْهَى وَأَمَرُّ؟!»[٣].
- وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادمِ اللَّذَّاتِ» يَعْنِي: المَوْتَ.[٤]

❖ ذكر القيامة والحشر والجنّة والنار:

-جاءَ في كِتَابِ التّرغيبِ والتّرهيبِ، للإمام المنذري ﷺ تَعَالَى:

- عن أبي سعيد ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ» فَكَأَن ذَلِك ثقل على أَصْحَابه؟ فَقَالُوا: فَكيف نَفْعل يَا رَسُول الله أَو نقُول؟ قَالَ: «قُولُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى الله تَوَكَّلْنَا وَرُبمَا قَالَ تَوَكَّلْنَا على الله»[٥].

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣٨)، ومسلم (١٦٢٧).

(٢) رواه البُخَارِيّ (٦٤١٧).

(٣) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٣٠٦) وقال حديث حسن. وضعفه الألباني.

(٤) رواه ابن ماجه (٤٢٥٨)، والترمذي (٢٣٠٧) وقال الألباني: حديث حسن صحيح.

(٥) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٤٣١) ابن حبان (٨٢٣) وأحمد (١١٠٣٩) وصححه الألباني والأرنؤوط.

- وعن عقبة بن عامر ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تطلع عَلَيْكُم قبل السَّاعَة سَحَابَة سَوْدَاء من قبل الْمغرب مثل الترس فَلَا تزَال ترْتَفع فِي السَّمَاء وتنتشر حَتَّى تملأ السَّمَاء ثمَّ يُنَادي مُنَاد يَا أَيهَا النَّاس أَتَى أَمر الله فَلَا تستعجلوه قَالَ رَسُول الله ﷺ فوالذي نَفسِي بِيَدِهِ إِن الرجلَيْن ينشران الثَّوْب فَلَا يطويانه وَإِن الرجل ليمدر حَوْضه فَلَا يسْقِي مِنْهُ شَيْئا أبدا وَالرجل يحلب نَاقَته فَلَا يشربه أبدا»(١).
- وعن عائشة ﷺ قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُحْشَرُ الناسُ حُفاةً عُراةً غُرْلاً»، قالَتْ عائشةُ: فقلتُ: الرجالُ والنساءُ جَميعاً ينظُر بعضُهم إلى بَعْضٍ؟ قال: «الأمْرُ أشَدُّ مِنْ أنْ يَهُمَّهُمْ ذلك»، وفي رواية: «مِنْ أنْ يَنْظُرَ بعْضُهم إلى بَعْضٍ»(٢).
- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ المتكَبِّرونَ يوم القِيامَةِ أمْثالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرجالِ، يَغْشاهُم الذُّلُّ مِنْ كلِّ مَكانٍ، يُساقونَ إلى سِجْنٍ في جَهنَّم يُقالُ له: (بُولَسُ)، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أهْلِ النار: طينَةِ الخَبالِ»(٣).
- وَعَن الْمِقْدَاد ﷺ، قَالَ: سَمِعت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «تدنى الشَّمْس يَوْم الْقِيَامَة من الْخلق حَتَّى تكون مِنْهُم كمقدارِ مِيل»، قَالَ سليم بن عَامر: وَالله مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بالميل مَسَافَة الأَرْض أَو الْميل الَّتِي تكحل بِهِ الْعين، قَالَ: «فَتكون النَّاس على قدرِ أَعْمَالهم فِي الْعرق فَمنهمْ من يكون إِلَى كعبيه وَمِنْهُم من يكون إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُم منْ يَكُون إِلَى حقْوَيْهِ وَمِنْهُم مَن يُلجمه الْعرق إلجامًا وَأَشَارَ رَسُول الله ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ»(٤).
- وعن أبي سعيد ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «يَوْمًا كَانَ مِقْدَاره خمسين ألفَ سَنَة» فَقِيل: مَا أطول هَذَا الْيَوْم، قَالَ النَّبِي ﷺ: «وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ إِنَّه ليخفّف على الْمُؤمن حَتَّى يكون أخفّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَة»(٥).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٨٩٩) والحاكم (٨٦٢٢) وضعفه الألباني.

(٢) رواه البُخَارِيّ (٦٥٢٧) ومسلم (٢٨٥٩).

(٣) رواه النسائي في الكبرى (١١٨٢٧) والتِّرْمِذِيّ (٢٤٩٢) وقال حديث حسن، وحسنه الألباني.

(٤) رواه مسلم (٢٨٦٤).

(٥) رواه أحمد (١١٧١٧) وأبو يعلى (١٣٩٠) وابن حبان (٧٣٣٤) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

- وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «تَجْتَمِعونَ يومَ القيامَةِ فيُقالُ: أيْنَ فُقراءُ هذه الأُمَّةِ ومسَاكينها؟ فيقُومون، فيقالُ لَهم: ماذا عمِلْتُم؟ فيقولون: ربَّنا ابْتَلَيْتَنا فصَبرْنا، ووَلَّيْتَ الأمْوال والسُّلْطانَ غَيْرَنا، فيقولُ الله جلَّ وعَلا: صدقْتُم، قال: فيدْخلُون الجَنَّةَ قبلَ الناسِ، وتَبقَى شِدَّة الحِسَابِ، على ذَوي الأمْوال والسلْطانِ. قالوا: فأيْنَ المؤْمِنونَ يومَئذٍ؟ قال: تُوضَعُ لَهم كراسِيُّ مِنْ نورٍ، ويظَلَلُ عليهم الغَمائم، يكونُ ذلك اليومُ أقصرَ على المؤْمِنين مِنْ ساعَةٍ مِنْ نَهارٍ»(١).
- عن أبي بردة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «لَا تَزُول قدما عبد يَوْم الْقِيَامَة حَتَّى يسْأَل عَن أَربع عَن عمره فِيمَا أفناه وَعَن علمه مَا عمل بِهِ وَعَن مَاله من أَيْن اكْتَسبهُ وَفِيمَا أنفقهُ وَعَن جِسْمه فِيمَا أبلاه»(٢).
- وعن عائشة رضي الله عنها أن النبيّ ﷺ قَالَ: «من نُوقِشَ الْحساب عذب»، فَقلت: أَلَيْسَ يَقُول الله ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الانشقاق] فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِك الْعرض وَلَيْسَ أحد يُحَاسب يَوْم الْقِيَامَة إِلَّا هلك»(٣).
- عن عائشة رضي الله عنها زوج النبيّ ﷺ أنها كانت تقول: قَالَ رسول الله ﷺ: «سدِّدوا وقارِبوا وأبْشِروا، فإنَّه لَنْ يُدخِلَ أحداً الجنةَ عَملُه» قَالُوا: وَلَا أَنْت يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «وَلَا أَنا إِلَّا أَن يتغمدني الله برحمته»(٤).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَيَخْتَصِمَنَّ كُلُّ شَيْءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى الشَّاتَانِ فِيمَا انْتَطَحَتَا»(٥).
- وعن عبدالله بن أنيس رضي الله عنه أنه سمع النبيّ ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا» قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: «لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ،

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٤٤٤٥) وابن حبان في صحيحه (٧٤١٩) وحسنه الألباني.

(٢) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٤١٧) وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني.

(٣) رواه البُخَارِيّ (١٠٣) ومسلم (٢٨٧٦).

(٤) رواه البُخَارِيّ (٦٤٦٣، ٥٦٧٣) ومسلم (٢٨١٦).

(٥) رواه أحمد (٩٠٧٢) وضعفه إسناده الأرنؤوط، وقال الألباني : صحيح لغيره.

حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ» قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: «بِالحسنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ»(١).

- وعن أبي أمامة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يَجِيءُ الظَّالِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ بَيْنَ الظُّلْمَاءِ وَالْوُعْرَةِ، لَقِيَهُ الْمَظْلُومُ، وَعَرَّفَهُ، وَعَرَّفَ مَا ظَلَمَهُ بِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الَّذِينَ ظُلِمُوا بِالَّذِينَ ظَلَمُوا حَتَّى يَنْتَزِعُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا حَسَنَاتِهِمْ رُدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مِثْلُ مَا ظَلَمُوا حَتَّى يُورَدُوا فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»(٢).

- وتقدم في الغيبة حديثٌ عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(٣).

- وعن أنس بن مالك ﷺ قَالَ: «بَينا رَسُول الله ﷺ جَالس إِذْ رَأَيْنَاهُ ضحك حَتَّى بَدَت ثناياه فَقَالَ لَهُ عمر مَا أضْحكك يَا رَسُول الله بِأبي أَنْت وَأمي قَالَ رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي جَثَيَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعِزَّةِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رب خُذ لي مظلمتي من أخي فَقَالَ الله كَيفَ تصنع بأخيك وَلم يبْق من حَسَنَاته شَيْء قَالَ يَا رب فليحمل من أوزاري وفاضت عينا رَسُول الله ﷺ بالبكاء ثمَّ قَالَ إِن ذَلِك ليَوْم عَظِيم يحْتَاج النَّاس أَن يحمل عَنْهُم من أوزارهم...»(٤).

- وعنه ﷺ عن النبيّ ﷺ في قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] قَالَ: «يُدْعَى أَحَدُهُمْ، فَيُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَيُمَدُّ لَهُ فِي جِسْمِهِ سِتُّونَ ذِرَاعًا وَيُبَيَّضُ وَجْهُهُ، وَيُجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ يَتَلَأْلَأُ»، قَالَ: «فَيَنْطَلِقُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَيَرَوْنَهُ مِنْ بَعِيدٍ، فَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي هَذَا حَتَّى يَأْتِيَهُمْ، فَيَقُولُ: أَبْشِرُوا، فَإِنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِثْلَ هَذَا، وَأَمَّا الْكَافِرُ، فَيُعْطَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ مُسْوَدًّا وَجْهُهُ، وَيُزَادُ فِي جِسْمِهِ سِتُّونَ ذِرَاعًا

---

(١) رواه أحمد (١٦٠٤٢) بإسناد حسنه الأرنؤوط والألباني.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٥٩٧٦) وضعفه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٢٥٨١) وغيره.

(٤) رواه الحاكم (٨٧١٨) وضعفه الألباني.

عَلَى صُورَةِ آدَمَ، وَيَلْبَسُ تَاجًا مِنْ نَارٍ، فَيَرَاهُ أَصْحَابُهُ، فَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ أَخْزِهِ، فَيَقُولُ: أَبْعَدَكُمُ اللهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مِثْلَ هَذَا»(١).

- وعن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ وَعَدَنِي أَنْ يُدخِلَ الجنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِين أَلفاً بِغَيرِ حِسَابٍ» فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْأَخْنَسِ السُّلَمِيُّ: وَاللهِ مَا أُولَئِكَ فِي أُمَّتِكَ إِلَّا كَالذُّبَابِ الْأَصْهَبِ فِي الذِّبَّانِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «قد وعَدَني سَبْعِين ألفاً، مع كلِّ ألْفٍ سَبْعونَ ألفاً، وزادَني ثلاث حَثَياتٍ»، قَالَ: فَمَا سِعَةُ حَوْضِكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «كَمَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى عُمَانَ وَأَوْسَعَ وَأَوْسَعَ» يشيرُ بيدِه، قال: «فيه مَثْعبَانِ مِنْ ذهبٍ وفِضَّةٍ» قال: فما ماءُ حوضِك يا نبيَّ الله؟ قال: «أشدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وأحْلى [مذاقةً] مِنَ العَسلِ، وأطيبُ رائحةً مِنَ المِسْكِ، مَن شَربَ منه شَربَةً لَمْ يظْمَأْ بعدَهَا أَبَدَاً، ولَمْ يَسودَّ وجْهُه أبداً»(٢).
- وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «حَوْضِي كما بين (عَدْنَ) و (عَمَّانَ) فيهِ أكاويبُ عَدَدُ نُجُومِ السَّماءِ، مَنْ شربَ مِنْهُ لمْ يَظْمَأْ بعدَهُ أبدًا، وإنَّ مِمَّنْ يَرِدُ عليهِ من أُمَّتي : الشَّعِثَةُ رُءوسُهُمُ، الدَّنِسَةُ ثِيابُهُمْ، لا يَنْكِحُونَ الْمُنعماتِ، ولا يَحْضُرُونَ السُّدَدَ – يعني أبوابَ السُّلْطَانِ»(٣).
- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللهِ، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، قُلْتُ أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللهِ، قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى، فَلاَ أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ»(٤).
- وعن أنس ﷺ قَالَ حدثني رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَقَائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي تَعْبُرُ عَلَى الصِّرَاطِ، إِذْ جَاءَنِي عِيسَى فَقَالَ: هَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَدْ جَاءَتْكَ يَا مُحَمَّدُ يَسْأَلُونَ – أَوْ قَالَ: يَجْتَمِعُونَ إِلَيْكَ – وَيَدْعُونَ اللهَ، أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ جَمْعِ الْأُمَمِ، إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ اللهُ، لِغَمِّ مَا هُمْ فِيهِ فَالْخَلْقُ مُلْجَمُونَ فِي الْعَرَقِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَهُوَ عَلَيْهِ كَالزَّكْمَةِ،

---

(١) رواه التِّرْمِذِيّ (٣١٣٦) وابن حبان في صحيحه (٧٣٤٩) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه أحمد (٢٢١٥٦) وابن حبان (٦٤٥٧) وصححه الأرنؤوط والألباني.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٧٥٤٦) وصححه الألباني لغيره.

(٤) رواه البُخَارِيّ (٦٥٨٧).

وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَتَغَشَّاهُ الْمَوْتُ»، قَالَ: «قَالَ عِيسَى: انْتَظِرْ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ، قَالَ: فَذَهَبَ نَبِيُّ الله ﷺ حَتَّى قَامَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَلَقِيَ مَا لَمْ يَلْقَ مَلَكٌ مُصْطَفًى، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى جِبْرِيلَ: أَنِ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، قَالَ: فَشُفِّعْتُ فِي أُمَّتِي، أَنْ أُخْرِجَ مِنْ كُلِّ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا وَاحِدًا، قَالَ: فَمَا زِلْتُ أَتَرَدَّدُ عَلَى رَبِّي، فَلَا أَقُومُ مَقَامًا إِلَّا شُفِّعْتُ، حَتَّى أَعْطَانِي اللهُ مِنْ ذَلِكَ، أَنْ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مِنْ خَلْقِ الله، مَنْ شَهِدَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَوْمًا وَاحِدًا مُخْلِصًا، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ»[١].

- ورُوِيَ عَن كليب بن حزن رضي الله عنه، قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اطْلُبُوا الْجَنَّةَ جَهْدَكُمْ، وَاهْرَبُوا مِنَ النَّارِ جَهْدَكُمْ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَنَامُ طَالِبُهَا، وَإِنَّ النَّارَ لَا يَنَامُ هَارِبُهَا وإِنَّ الآخرةَ اليومَ مَحْفوفَةٌ بالمكارِهِ، وإِنَّ الدنيا مَحْفوفَةٌ باللَّذاتِ والشَّهَواتِ، فلا تُلْهِيَنَّكُمْ عنِ الآخِرَةِ»[٢].
- وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: رَأَيْتُ الجنَّةَ وَالنَّارَ»[٣].
- وَرُوِيَ عَن عَبدالله بن الزُّبَير رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ مرَّ بِقَومٍ وَهُمْ يَضحَكُون، فقال: «تَضْحَكونَ وذِكْرُ الجنَّة والنارِ بينَ أظْهُرِكُم؟!» قَالَ: فما رُؤِيَ أحَدٌ منهُمْ ضاحِكاً حتى ماتَ، قال: ونَزَلتْ فيهمْ ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر][٤].
- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ أنه خطب فقال: «لا تَنْسَوُا العَظِيمَتينِ: الجَنَّةَ والنارَ» ثمَّ بَكى حتى جَرى أَوْ بَلَّ دموعُهُ جانبي لحيته، ثم قال: «وَالذي نَفْسُ محمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوْ تَعلَمونَ مَا أعلَمُ مِنْ أمْرِ الآخرَةِ؛ لمشَيْتُم إلى الصَّعيدِ، ولحَثَيْتُم عَلَى رُؤوسِكُمُ التّرابَ»[٥].

---

(١) رواه أحمد (١٢٨٢٤) صححه الألباني وقال الأرنؤوط: رجاله رجال الصحيح، وفي متن هذا الحديث غرابة.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٤٤٩) وضعفه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٤٢٦).

(٤) رواه البزار (٢٢١٦) وضعفه الألباني.

(٥) رواه أبو يعلى في المطالب العالية (٣٣١٨) وابن أبي الدنيا في صفة النار (٢) وضعفه الألباني.

- وعن ابن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»(١).
- عن أبي هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ بَنُو آدَمَ جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» قَالُوا : وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا»(٢).
- وعن علي ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جُبِّ الْحُزْنِ، أَوْ وَادِي الْحُزْنِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا جُبُّ الْحُزْنِ، أَوْ وَادِي الْحُزْنِ؟ قَالَ: «وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً، أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهَا، أَعَدَّهُ اللهُ لِلْقُرَّاءِ الْمُرَائِينَ»(٣).
- وروي عن أبي هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جُبِّ الْحُزْنِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا جُبُّ الْحُزْنِ؟ قَالَ: «وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، يُتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَمِائَةِ مَرَّةٍ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ يَدْخُلُهُ؟ قَالَ «أُعِدَّ لِلْقُرَّاءِ الْمُرَائِينَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الْقُرَّاءِ إِلَى اللهِ الَّذِينَ يَزُورُونَ الْأُمَرَاءَ الجورَة»(٤).
- عن عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي النَّارِ حَيَّاتٍ كَأَمْثَالِ أَعْنَاقِ الْبُخْتِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، وَإِنَّ فِي النَّارِ عَقَارِبَ كَأَمْثَالِ الْبِغَالِ الْمُوكَفَةِ، تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ، فَيَجِدُ حَمْوَتَهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً»(٥).

---

(١) رواه مسلم (٢٨٤٢).

(٢) رواه البُخَارِيّ (٣٢٦٥) ومسلم (٢٨٤٣).

(٣) رواه البيهقي في البعث والنشور (٤٨١) بإسناد ضعفه الألباني.

(٤) رواه ابن ماجه (٢٥٦) واللفظ له والتِّرْمِذِيّ (٢٣٨٣) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٥) رواه أحمد (١٧٧١٢) والحاكم (٨٧٥٤) و ابن حبان (٧٤٧١) وضعفه الأرنؤوط في تحقيق المسند واستدرك ذلك على تحسينه في تحقيق صحيح ابن حبان، وحسنه الألباني.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «إِنَّ الحمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ فَيَنْفُذُ الحمِيمُ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْلِتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَمْرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ وَهُوَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ»[١]، إلا أن البيهقي قال: «فَيَخلصُ، فينفذُ الجمْجُمةَ حتّى يَخلصَ إلى جوفِهِ».

الْحِمِيم هُوَ الْمَذْكُور فِي الْقُرْآن فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ١٥﴾ [محمد]، وَرُوِيَ عَن ابْن عَبَّاس وَغَيره أَن الْحَمِيم الْحَار الَّذِي يحرق، وَقَالَ الضَّحَّاك الْحَمِيم يغلي مُنْذُ خلق الله السَّمَوَات وَالْأَرْض إِلَى يَوْم يسقونه وَيصب على رؤوسهم، وَقيل هُوَ مَا يجْتَمع من دموع أَعينهم فِي حِيَاض النَّار فيسقونه وَقيل غير ذَلِك، وفي قوله تَعَالَى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ [إبراهيم]، قَالَ يقرب إِلَى فِيهِ فيكرهه فَإِذا أدنى مِنْهُ شوى وَجهه وَوَقعت فَرْوَة رَأسه فَإِذا شربه قطع أمعاءه حَتَّى يخرج من دبره قَالَ الله عزَّ وَجلّ ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ١٥﴾ ويقول: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ٢٩﴾ [الكهف]

- وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهَرَاقُ فِي الدُّنْيَا لَأَنْتَنَ أَهْلَ الدُّنْيَا»[٢].
- وعن أنس رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»[٣].

وعن سويد بن غفلة رضي الله عنه قَالَ: (إذا أرادَ الله أنْ يُنْسِيَ أهْلَ النارِ؛ جَعَل لِلرَّجُلِ منهم صُنْدوقاً على قدْرهِ مِنْ نارٍ، لا يَنْبُضُ منه عِرْقٌ إلا فيه مِسْمَارٌ مِنْ نارٍ، ثُمَّ تُضْرَمُ فيه النارُ، ثُمَّ يُقْفَلُ بِقِفْلٍ مِنْ نارٍ، ثُمَّ يُجْعَلُ ذلك الصُّنْدوقُ في صُندوقٍ مِنْ نارٍ، ثُمَّ يُضْرَم بينهما نارٌ، ثم يُقْفَلُ بِقفْلٍ مِنْ نارٍ، ثُمَّ يُجْعلُ ذلك الصُّندوقِ في صُندوقٍ مِنْ نارٍ، ثُمَّ يُضْرَمُ بينهما نارٌ، ثُمَّ يُقْفَلُ ثُمَّ يُلْقَى أوْ يُطْرَحُ في النارِ فذلك قوله: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ

---

(١) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٥٨٢) وقال: حسن غريب صحيح، وحسنه الألباني انظر (الصحيحة ٣٤٧٠).

(٢) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٥٨٤) وأحمد (١١٧٨٦، ١١٢٣٠) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه مسلم (٢٨٠٧).

ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر]، وذلك قوله: ﴿لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء] قَالَ: فما يُرَى أنَّ في النارِ أحداً غَيْرُهُ(١).

ذكر الجنّة:

- وعن أبي هريرة ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفِلُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ الأَنْجُوجُ، عُودُ الطِّيبِ وَأَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»، وفي رواية: «...لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبٍ وَاحِدٍ يُسَبِّحُونَ اللهَّ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»(٢).
- وعن المغيرة بن شعبة ﵁ عن النبيّ ﷺ: «أن موسى ﵇ سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»(٣).

عن علي ﵁: [أنه سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم].. قَالَ قلت يا رسول الله ما الوفد إلا ركب قَالَ النبيّ ﷺ: «والذي نَفْسي بيَدِه؛ إنَّهُمْ إذا خَرَجُوا مِنْ قبُورِهم اسْتُقْبِلوا بنوقٍ بيضٍ، لها أجْنِحَةٌ عليها رِحالُ الذّهَبِ، شُرُكُ نِعالِهِم نورٌ يتَلأْلأُ، كلُّ خُطْوَةٍ منها مثْلُ مدِّ البَصَرِ، ويَنْتَهون إلى بابِ الجنَّةِ، فإذا حَلْقَةٌ من ياقوتَةٍ حمْراءُ على صفائِح الذهَب، وإذا شَجَرَةٌ على بابِ

---

(١) رواه ابن أبي الشيبة في المصنف (٣٥٤١٤) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٧٦) وقال الألباني: ضعيف ومقطوع.

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٥، ٣٣٢٧) ومسلم (٢١٦، ٢٨٣٤).

(٣) رواه مسلم (١٨٩).

الجنَّة يَنْبُع مِنْ أَصْلِها عينانِ، فإذا شَرِبوا مِنْ أَحَدِهما جَرَتْ في وُجوهِهِمْ بِنَضْرَةِ النعيم، وإذا تَوَضَّؤُوا مِنَ الأُخْرى لَمْ تَشْعَثْ أَشْعارُهم أبَداً، فيَضْرِبونَ الحَلْقَة بالصفيحَةِ، فلو سمعتَ طنين الحلْقَةِ يا عليّ! فيبْلُغ كلَّ حوْراءَ أنَّ زَوْجَها قد أقْبَلَ، فتَسْتَخِفُّها العَجَلة، فتَبْعَثُ قَيِّمَها فيَفْتَحُ لهُ البَابَ، فلَوْلا أنَّ الله عزَّ وجلَّ عَرَّفَهُ نَفْسَه؛ لخَرَّ له ساجِداً مِمّا يَرى مِنَ النورِ والبَهاءِ، فيقول: أنا قَيِّمُك الذي وُكِّلْتُ بِأمْرِك، فيَتْبَعُه فيَقْفوا أَثَرَهُ فيأتي زوْجَتَه، فتَسْتَخِفُّها العَجَلَةُ، فتَخْرُجُ مِنَ الخَيْمَة فَتُعانِقُه، وتقول: أَنْت حِبِّي وأنا حِبُّك، وأنا الراضِيَةُ فلا أَسْخَطُ أبداً، وأنا الناعِمَةُ فلا أَبْؤُسُ أبداً، وأنا الخالِدَةُ فلَا أَظْعَنُ أبَداً، فيَدْخُلُ بَيْتاً مِّنْ أساسِه إلى سَقْفِه مئةُ ألفِ ذِراع، مَبْنِيٌّ على جَنْدَلِ اللُّؤْلُؤِ والياقُوتِ، طرائقُ حُمْرٌ، وطرائقُ خُضْرٌ، وطرائقُ صفرٌ، ما منها طريقَةٌ تشاكِلُ صاحِبَتها، فيأتي الأريكَةَ فإذا علَيْها سريرٌ، على السريرِ سبعونَ فِراشاً، على كلِّ فِراشٍ سبعون زَوْجَةً، على كلِّ زَوْجَةٍ سبْعون حُلَّةً، يُرى مُخُّ ساقِها مِنْ باطِنِ الحُلَلِ، يُفْضي جِماعُهُنَّ في مقدارِ لَيْلَةٍ، تجري مِنْ تَحْتِهِمْ أنهارٌ مطَّرِدَةٌ، أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ، صاف ليسَ فيه كدَرٌ، وأنهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصفًّى لَمْ يَخْرُج مِنْ بُطونِ النَّحْلِ، وأنهارٌ مِنْ خَمْرٍ لذَّةٍ للِشارِبينَ لمْ تَعْصِرْه الرجالُ بأقْدامِها، وأنهارٌ من لَبَنٍ لمْ يتغيَّر طَعْمهُ لَمْ يَخْرُج مِنْ بُطونِ الماشيَة، فإذا اشْتَهُوا الطعامَ جاءَتْهم طَيْرٌ بِيضٌ فَتَرْفَعُ أجْنِحَتَها، فيأكلونَ مِنْ جُنوبِها مِنْ أيِّ الألْوانِ شَاؤوا ثُمَّ تطيرُ فتَذْهَبُ، وفيها ثمارٌ متدلِّيَةٌ إذا اشْتَهوها انْبَعَث الغُصْنُ إليْهِمْ فَيَأكُلونَ مِنْ أيِّ الثمارِ شَاؤوا، إن شاءَ قائماً، وإنْ شاءَ متَّكِئاً، وذلك قوله: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٥٤﴾ [الرحمن]، وبين أيديهم خَدَمٌ كاللُّؤْلُؤِ»[1]، ولفظ ابن أبي الدُّنيا: «يُساقُ الّذين اتقَوا ربَّهم إلى الجنّةِ زُمَراً، حَتَّى إذا انتهَوا إلى بَابٍ مِنْ أَبْوابِها وَجَدُوا عِنْدَه شَجَرةً يخرجُ من تَحتِ ساقِها عَيْنان تجريَان، فَعَمَدُوا إلى أحداهما كأنما أُمِروا بها، فَشَرِبُوا مِنها، فأَذْهَبَتْ مَا في بُطُونِهِم مِن أذىً أَو قَذىً أَو بَأسٍ، ثمَّ عَمَدُوا إلى الأُخرى فتطهَّرُوا مِنها، فَجَرَتْ عليهم بنضرةِ النعيمِ، فلن تتغيّرَ أبشارُهم تغيُّراً بعدَها أبداً، ولن تَشْعَثَ أشعارُهم؛ كأنّما دُهنوا بِالدّهانِ، ثمَّ انتهوا إلى خَزَنَةِ الجنةِ فقالوا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣﴾ [الزمر] قال: ثم يلقاهم -أو تلقاهم- الوِلْدان يطيفون بهم كما يطيفُ وِلْدانُ أهلِ الدنيا بالحميم يَقْدُمُ من غيْبةٍ، فيقولون: أبشرْ بما أعدّ اللهُ لك من الكرامةِ، قال: ثم ينطلقُ غلامٌ من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من

---

(١) رواه ابن أبي الدُّنيَا في كتاب صفة الجنّة (٧) والبيهقي في البعث والنشور (٢٤٦) وضعفه الألباني.

الحورِ العِينِ فيقول: قد جاء فلان -باسمه الذي يدعى به في الدنيا-، فتقول: أنتَ رأيتَه؟ فيقول: أنا رأيتُه، وهو ذا بأثري، فيستخفّ إحداهن الفرحُ حتى تقومَ على أُسْكُفَّة بابها، فإذا انتهى إلى منزِلهِ نظرَ إلى أيّ شيءٍ أساسُ بنيانِهِ؟ فإذا جَنْدَلُ اللؤلؤ، فوقه صَرحٌ أخضرُ وأصفرُ وأحمرُ، ومن كلّ لونٍ، ثم رفع رأسَهُ فنظرَ إلى سقفِه، فإذا مثلُ البرقِ لولا أنّ اللهَ قدّرَ له لألَمّ أن يُذْهِبَ ببصرِه، ثم طأطأَ رأسَه فنظرَ إلى أزواجِهِ، وَأكوابٌ موضوعةٌ، ونمارقُ مصفوفةٌ، وزرابيٌّ مبثوثةٌ، فَنَظرُوا إلى تِلك النّعمةِ ثمّ اتّكَأوا ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف] الآية، ثم ينادي منادٍ: تَحْيُون فَلا تَمُوتُون أَبداً، وتُقِيمُون فلا تَظْعَنون أبَدَاً، وَتَصِحُّون -أَراه قال:- فَلا تمرضُون أَبَدَاً».

- عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ «بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»(١).
- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»(٢).
- وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ الله، حَدِّثْنَا عَنِ الْجَنَّةِ، مَا بِنَاؤُهَا؟ قَالَ: «لَبِنَةُ ذَهَبٍ وَلَبِنَةُ فِضَّةٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»(٣).
- وعن كريب أنه سمع أُسَامَة بن زيد ﷺ يقول: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَلَا مُشَمِّرٌ لِلْجَنَّةِ؟ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا، هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلَأْلَأُ، وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهَرٌ مُطَّرِدٌ، وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ فِي مَقَامٍ أَبَدًا، فِي حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ، فِي دَارٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بَهِيَّةٍ» قَالُوا: نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا، يَا رَسُولَ الله قَالَ: «قُولُوا إِنْ شَاءَ اللهُ»، فقال القوم: إن شاء الله(٤).

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٣٢٥٦) ومسلم (٢٨٣١).

(٢) صحيح البخاري (٢٧٩٠).

(٣) رواه أحمد (٨٠٤٣) والترمذي (٢٥٢٦) وابن حبان (٧٣٨٧) وصححه الألباني والأنؤوط.

(٤) رواه ابن ماجه (٤٣٣٢) وابن حبان في صحيحه (٧٣٨١) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِم الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»(١).
- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: «لِكُلِّ مُسْلِمٍ خَيْرَةٌ وَلِكُلِّ خَيْرَةٍ خَيْمَةٌ وَلِكُلِّ خَيْمَةٍ أربعة أبواب يدخل عَلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ مِنْ كُلِّ بَابٍ تُحْفَةٌ وَهَدِيَّةٌ وَكَرَامَةٌ لَمْ تكن من قبل ذلك لا مرحات وَلَا ذَفِرَاتٌ وَلَا سَخِرَاتٌ وَلَا طَمَّاحَاتٌ حُورٌ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرحمن] قَالَ: (الخَيْمَةُ مِنْ دُرَّةٍ مجَوَّفَةٍ، طولُها فرسَخٌ، وعَرْضُها فرسَخٌ، ولها أَلْفُ بابٍ مِنْ ذَهبٍ، حولَها سُرادَقٌ، في دَوْرِهِ خمسونَ فَرْسَخاً، يدخلُ عليهِ مِنْ كلِّ بابٍ منها مَلَكٌ بِهدِيَّة مِنْ عندِ الله عزَّ وجلَّ) رواه ابن أبي الدُّنيَا (٣) موقوفا وفي رواية له وللبيهقي: (الخَيْمَة درة مجوفة فَرسَخ فِي فَرسَخ لَهَا أَرْبَعَة آلَاف مصراع من ذهب) وإسناد هذه أصحّ.

- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَاليَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ»(٤).
- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ، لاَ يَقْطَعُهَا، وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١﴾ [الواقعة]»(٥).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يَقُول الله أَعدَدْت لعبادي الصَّالحِين مَا لَا عين رَأَتْ وَلَا أذن سَمِعت وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَر اقرؤوا إِن شِئْتُم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ وموْضعُ سَوْطٍ مِنَ الجَنَّةِ خيرٌ مِنَ الدّنيَا ومَا فِيها، وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتم: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]»(٦).

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٤٨٧٩) ومسلم (٢٨٣٨) واللفظ له.

(٢) رواه ابن أبي الدُّنيَا في صفة الجنة (٣١٧) وهو موقوفٌ ضعفه الألباني.

(٣) صفة الجنة لابن أبي الدنيا (٣٢٩) والبيهقي في البعث والنشور (٣٠٤) وهو موقوف ضعفه الألباني.

(٤) رواه ابن ماجه (٤٣٣٤) والتِّرْمِذِيّ (٣٣٦١) وقال حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٥) رواه البُخَارِيّ (٤٨٨١).

(٦) رواه التِّرْمِذِيّ (٣٢٩٢) وغيره، وصححه الألباني.

* وعن جرير بن عبدالله ﷺ قَالَ: (نزلنَا الصفاح فإذا رجلٌ نائم تحتَ شجَرةٍ قد كادَتِ الشمسُ تبْلُغه، قال: فقلتُ لِلْغُلامِ: انْطلِقْ بهذا النَّطْع فأظلَّه، قال: فانْطَلَقَ فأَظلَّهُ، فلمّا استَيْقظَ فإذا هو سَلْمانُ ﷺ، فأتيْتُه أسلِّمُ عَلَيْهِ فَقَالَ يا جَرير! تواضَعْ لله، فإنَّه مَنْ تواضَع لله في الدنيا رفَعهُ الله يومَ القِيامَةِ، يا جرير هل تدري ما الظلُماتُ يومَ القِيامَةِ؟ قلتُ: لا أدري، قال:ظلْمُ الناسِ بينَهُم، ثم أخَذ عوْيداً لا أكادُ أراهُ بين أصْبَعيْه فقال: فَقَالَ يا جريرُ! لو طلَبْتَ في الجنَّةِ مثلَ هذا لَمْ تجدْهُ، قلتُ: يا أبا عبدِ الله! فأينَ النخلُ والشجرُ؟ قال: أصولُها اللُّؤْلُؤ والذهَبُ، وأعلاهُ التمر)[1].

* وعن البَرَاءِ بن عازب ﷺ في قوله: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ١٤﴾ [الإنسان] قَالَ: (**إنَّ أهلَ الجنَّةِ يَأكُلُونَ مِن ثِمارِ الجنَّةِ قيامًا وقُعودًا ومُضطَجِعين**)[2].

- ورُوِيَ عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجُنَّةِ شَجَرَةً مِنْ ذَهَبٍ، وَفُرُوعُهَا مِنْ زَبَرْجَدٍ وَلُؤْلُؤٍ، فَتَهُبُّ لَهَا رِيحٌ فَتُصَفِّقُ، فَمَا سَمِعَ السَّامِعُونَ بِصَوْتِ شَيْءٍ قَطُّ أَلَذَّ مِنْهُ**»[3].
- وعن ابن عباس ﷺ قَالَ: (نَخلُ الجنَّة جذُوعُها مِنْ زمُرُّدٍ خضْرٍ، وكَرَبُها ذهَبٌ أحمرُ، وسعْفُها كِسْوةٌ لأهْلِ الجنَّةِ، منها مُقَطَّعَاتُهم وحُلَلُهم، وثمرُها أمثالُ القِلالِ والدّلاء أشدُّ بيَاضاً مِنَ اللَّبنِ، وأحْلى مِنَ العَسلِ، وألْيَنُ مِنَ الزبْدِ، ليس فيها عَجَمَ)[4].
- وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ الله أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمِهِ مِنَ الْجُنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجُنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الْأَرْضِ، لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»[5].

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٧٧٩٧) وصححه الألبانيُّ.

(٢) رواه موقوفا البيهقي في البعث والنشور (٢٨٥)، وصححه لغيره الألباني.

(٣) رواه أبو نعيم في صفة الجنّة (٤٣٣)، وضعفه الألباني.

(٤) رواه ابن أبي الدُّنيَا في صفة الجنة (٤٨)، والحاكم (٣٧٧٦)، وقال: صحيح عَلى شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني.

(٥) متفق عليه، رواه البخاري (٢٧٩٦، ٦٥٦٨) ومسلم (١٨٨٠).

- ورُوِيَ عَنْ أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ حدثني رسول الله ﷺ قَالَ: «حَدَّثَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَدْخُلُ الرَّجُلُ عَلَى الْحَوْرَاءِ فَتَسْتَقْبِلُهُ بِالْمُعَانَقَةِ، وَالْمُصَافَحَةِ»، قَالَ ثَابِتٌ: قَالَ أَنَسٌ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَبِأَيِّ بَنَانٍ تُعَاطِيهِ، لَوْ أَنَّ بَعْضَ بَنَانِهَا بَدَا لَغَلَبَ ضَوْؤُهُ ضوء الشَّمْسِ وَالْقَمَرَ، وَلَوْ أَنَّ طَاقَةً مِنْ شَعرِهَا بَدَتْ لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا، فَبَيْنَا هُوَ مُتَّكِئٌ مَعَهَا عَلَى أَرِيكَتِهِ إِذْ أَشْرَفَ عَلَيْهِ نُورٌ مِنْ فَوْقِهِ، فَيَظُنُّ أَنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى خَلْقِهِ، فَإِذَا حَوْرَاءُ تُنَادِيهِ: يَا وَلِيَّ الله، أَمَا لَنَا فِيكَ مِنْ دَوْلَةٍ؟ فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتِ يَا هَذِهِ؟، فَتَقُولُ: أَنَا مِنَ اللَّوَاتِي قَالَ اللهُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾ [ق]. فَيَتَحَوَّلُ إِلَيْهَا، فَإِذَا عِنْدَهَا مِنَ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ مَا لَيْسَ مَعَ الْأُولَى، فَبَيْنَا هُوَ مُتَّكِئٌ مَعَهَا عَلَى أَرِيكَتِهِ إِذْ أَشْرَفَ عَلَيْهِ نُورٌ مِنْ فَوْقِهِ، وَإِذَا حَوْرَاءُ أُخْرَى، تُنَادِيهِ: يَا وَلِيَّ الله، أَمَا لَنَا فِيكَ مِنْ دَوْلَةٍ؟، فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتِ يَا هَذِهِ؟ فَتَقُولُ: أَنَا مِنَ اللَّوَاتِي قَالَ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة] فَلَا يَزَالُ يَتَحَوَّلُ مِنْ زَوْجَةٍ إِلَى زَوْجَةٍ»(١).

- وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَحُورٌ عِينٞ ٢٢﴾ [الواقعة] قَالَ: «حُورٌ: بِيضٌ، عِينٌ: ضِخَامٌ، شَفْرُ الْحَوْرَاءِ بِمَنْزِلَةِ جَنَاحِ النَّسْرِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٥٨﴾ [الرحمن] قَالَ: «صَفَاؤُهُنَّ كَصَفَاءِ الدُّرِّ الَّذِي فِي الْأَصْدَافِ الَّذِي لَا تَمَسُّهُ الْأَيْدِي»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ الله: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ٧٠﴾ [الرحمن] قَالَ: «خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ، حِسَانُ الْوُجُوهِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ٤٩﴾ [الصافات] قَالَ: «رِقَّتُهُنَّ كَرِقَّةِ الْجِلْدِ الَّذِي فِي دَاخِلِ الْبَيْضَةِ مِمَّا يَلِي الْقِشْرَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ: ﴿عُرُبًا أَتۡرَابٗا ٣٧﴾ [الواقعة]، قَالَ: «هُنَّ اللَّاتِي قُبِضْنَ فِي دَارِ الدُّنْيَا عَجَائِزَ، رُمْصًا، شُمْطًا، خَلَقَهُنَّ اللهُّ بَعْدَ الْكِبَرِ فَجَعَلَهُنَّ عَذَارَى»، قَالَ: «عُرُبًا: مُعَشَّقَاتٍ، مُحَبَّبَاتٍ، أَتْرَابًا: عَلَى مِيلَادٍ وَاحِدٍ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَنِسَاءُ الدُّنْيَا أَفْضَلُ أَمِ الْحُورُ الْعِينُ؟ قَالَ: «نِسَاءُ الدُّنْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ كَفَضْلِ الظِّهَارَةِ عَلَى الْبِطَانَةِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، وَبِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: «بِصَلَاتِهِنَّ، وَصِيَامِهِنَّ للهَّ عَزَّ وَجَلَّ أَلْبَسَ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ وُجُوهَهُنَّ النُّورَ، وَأَجْسَادَهُنَّ الْحَرِيرَ، بِيضُ الْأَلْوَانِ، خُضْرُ الثِّيَابِ، صُفْرُ الْحُلِيِّ،

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٨٨٧٧) وقال الألباني: منكر.



مَجَامِرُهُنَّ الدُّرُّ، وَأَمْشَاطُهُنَّ الذَّهَبُ، يَقُلْنَ: أَلَا نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ أَبَدًا، أَلَا وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْأَسُ أَبَدًا، أَلَا وَنَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا نَظْعَنُ أَبَدًا، أَلَا وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ أَبَدًا، طُوبَى لِمَنْ كُنَّا لَهُ وَكَانَ لَنَا»، قُلْتُ: الْمَرْأَةُ مِنَّا تَتَزَوَّجُ الزَّوْجَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ وَالْأَرْبَعَةَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ تَمُوتُ فَتَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَيَدْخُلُونَ مَعَهَا، مَنْ يَكُونُ زَوْجَهَا مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ، [إِنَّهَا] تُخَيَّرُ فَتَخْتَارُ أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا» قَالَ: «فَتَقُولُ: أَيْ رَبِّ، إِنَّ هَذَا كَانَ أَحْسَنَهُمْ مَعِي خُلُقًا فِي دَارِ الدُّنْيَا فَزَوِّجْنِيهِ، يَا أُمَّ سَلَمَةَ ذَهَبَ حُسْنُ الْخُلُقِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»(١).

- وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ نَهْرًا طُولَ الْجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ الْعَذَارَى قِيَامٌ مُتَقَابِلَاتٌ، وَيُغَنِّينَ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ يَسْمَعُهَا الْخَلَائِقُ، حَتَّى مَا يَرَوْنَ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ لَذَّةً مِثْلَهَا:، قُلْنَا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَمَا ذَلِكَ الْغِنَاءُ؟ قَالَ: (إِنْ شَاءَ اللهُ التَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّقْدِيسُ وَثَنَاءٌ عَلَى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ)(٢).
- عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا»(٣).
- وعن سعيد بن المسيب، أنّه لقيَ أبَا هُريرة، فقال أبو هريرة: أَسأَل اللهَ أنْ يجمع بيني وبينك في سوقِ الجنّةِ قَالَ سَعيد: أَوَ فِيهَا سُوق؟ قَالَ: نعم أخبرني رسول الله ﷺ، قَالَ: «أَنَّ أَهْلَ الْجُنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا، نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ، فَيُؤْذَنُ لَهُمْ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، فَيَزُورُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُبْرِزُ لَهُمْ عَرْشَهُ، وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ يَاقُوتٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ، وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ، وَمَا فِيهِمْ دَنِيءٌ، عَلَى كُثْبَانِ الْمِسْكِ وَالْكَافُورِ، مَا يُرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسِيِّ بِأَفْضَلَ مِنْهُمْ مَجْلِسًا»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٨٧٠) والأوسط (٣١٤١) وهذا لفظه، وقال الألباني: منكر.

(٢) رواه البيهقي في البعث والنشور (٣٨٣) موقوفا، وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٢٨٣٣).

نَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، هَلْ تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قُلْنَا: لَا، قَالَ: «كَذَلِكَ لَا تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَدٌ إِلَّا حَاضَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحَاضَرَةً، حَتَّى إِنَّهُ يَقُولُ لِلرَّجُلِ مِنْكُمْ: أَلَا تَذْكُرُ يَا فُلَانُ يَوْمَ عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ يُذَكِّرُهُ بَعْضَ غَدَرَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَفَلَمْ تَغْفِرْ لِي؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَبِسَعَةِ مَغْفِرَتِي بَلَغْتَ مَنْزِلَتَكَ هَذِهِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، غَشِيَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طِيبًا لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ شَيْئًا قَطُّ، ثُمَّ يَقُولُ: قُومُوا إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ، فَخُذُوا مَا اشْتَهَيْتُمْ، قَالَ: فَنَأْتِي سُوقًا قَدْ حُفَّتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ، فِيهِ مَا لَمْ تَنْظُرِ الْعُيُونُ إِلَى مِثْلِهِ، وَلَمْ تَسْمَعِ الْآذَانُ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ»، قَالَ: «فَيُحْمَلُ لَنَا مَا اشْتَهَيْنَا، لَيْسَ يُبَاعُ فِيهِ شَيْءٌ وَلَا يُشْتَرَى، وَفِي ذَلِكَ السُّوقِ يَلْقَى أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَيُقْبِلُ الرَّجُلُ ذُو الْمَنْزِلَةِ الْمُرْتَفِعَةِ، فَيَلْقَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَمَا فِيهِمْ دَنِيءٌ فَيَرُوعُهُ مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللِّبَاسِ، فَمَا يَنْقَضِي آخِرُ حَدِيثِهِ حَتَّى يَتَمَثَّلَ لَهُ عَلَيْهِ أَحْسَنُ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا»، قَالَ: «ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى مَنَازِلِنَا، فَتَلْقَانَا أَزْوَاجُنَا، فَيَقُلْنَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، لَقَدْ جِئْتَ وَإِنَّ بِكَ مِنَ الْجَمَالِ وَالطِّيبِ أَفْضَلَ مِمَّا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ، فَنَقُولُ: إِنَّا جَالَسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَّارَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَحِقُّنَا أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا»(١).

- ورُوِيَ عن علي ﵁ قَالَ: سَمِعتُ رَسول الله ﷺ، يقول: «إنَّ في الجنَّة لشَجَرةً تَخْرُج مِنْ أعْلاها حُلَلٌ، ومِنْ أسْفَلِها خَيْلٌ مِنْ ذَهَبٍ، مُسْرَجَةٌ مُلْجَمَةٌ مِنْ دُرٍّ وياقوتٍ، لا تَروثُ ولا تَبولُ، لها أجْنِحَةٌ، خطْوُها مَدى البَصَرِ، فيرْكَبُها أهْلُ الجنَّة فتطيرُ بِهِمْ حيث شَاؤوا، فيَقُولُ الّذينَ أَسْفَلَ منهُم درَجَةً: يا ربِّ! بمَ بلَغَ عِبادُك هذه الكَرَامَة كُلَّها؟ قال: فيُقَالُ لهم:كَانُوا يُصلُّونَ بالليل وَكُنتُم تنامُونَ، وكَانُوا يَصُومُونَ وكُنتُم تَأْكُلونَ، وكَانوا يُنْفِقونَ وكُنْتُمْ تَبْخَلونَ، وكَانُوا يُقاتِلونَ وكُنْتُم تَجْبنُونَ»(٢).

- وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ﵄ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «إذا دخل أهل الجنّة الجنّة يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا،

---

(١) رواه التِّرْمِذِيّ (٢٥٤٩) وابن ماجه (٤٣٣٦) وضعفه الألباني.

(٢) رواه ابن أبي الدُّنيَا في صفة الجنة (٢٣٨) وقال الألباني: موضوع في ضعيف الترغيب والترهيب رقم (٣٥٥) وقال: ضعيف في (٢٢٣٩).

وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾ [الأعراف]»(١).

- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٩﴾ [مريم] وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا»(٢).

❖ المراقبة والمحاسبة:

قَالَ ابن القيم رحمه الله (٣):

[قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] وقال تَعَالَى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ۝٥٢﴾ [الأحزاب] وقال تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [الحديد] وقال تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ [العلق] وقال تَعَالَى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] وقال تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ [غافر] إلى غير ذلك من الآيات.

* وَفِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِحْسَانِ؟ فَقَالَ لَهُ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(٤).

المراقبة دَوَامُ عِلْمِ الْعَبْدِ، وَتَيَقُّنِهِ بِاطِّلَاعِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، فَاسْتَدَامَتُهُ لِهَذَا الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ هِيَ الْمُرَاقَبَةُ وَهِيَ ثَمَرَةُ عِلْمِهِ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ رَقِيبٌ عَلَيْهِ، نَاظِرٌ إِلَيْهِ، سَامِعٌ لِقَوْلِهِ، وَهُوَ

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٧).

(٢) رواه البُخَارِيّ (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩).

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٦٥).

(٤) رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٨).

مُطَّلِعٌ عَلَى عَمَلِهِ كُلَّ وَقْتٍ وَكُلَّ لَحْظَةٍ، وَكُلَّ نَفَسٍ وَكُلَّ طَرْفَةِ عَيْنٍ، وَالْغَافِلُ عَنْ هَذَا بِمَعْزِلٍ عَنْ حَالِ أَهْلِ الْبِدَايَاتِ، فَكَيْفَ بِحَالِ الْمُرِيدِينَ؟ فَكَيْفَ بِحَالِ الْعَارِفِينَ؟ .

قَالَ الْجَرِيرِيُّ: مَنْ لَمْ يُحَكِّمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله تَعَالَى التَّقْوَى وَالْمُرَاقَبَةَ: لَمْ يَصِلْ إِلَى الْكَشْفِ وَالْمُشَاهَدَةِ

وَقِيلَ: مَنْ رَاقَبَ اللهَ فِي خَوَاطِرِهِ، عَصَمَهُ فِي حَرَكَاتِ جَوَارِحِهِ.

وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ: مَتَى يَهُشُّ الرَّاعِي غَنَمَهُ بِعَصَاهُ عَنْ مَرَاتِعِ الْهَلَكَةِ؟ فَقَالَ: إِذَا عَلِمَ أَنَّ عَلَيْهِ رَقِيبًا.

وَقَالَ الْجُنَيْدُ: مَنْ تَحَقَّقَ فِي الْمُرَاقَبَةِ خَافَ عَلَى فَوَاتِ لَحْظَةٍ مِنْ رَبِّهِ لَا غَيْرَ.

وَقَالَ ذُو النُّونِ: عَلَامَةُ الْمُرَاقَبَةِ إِيثَارُ مَا أَنْزَلَ الله، وَتَعْظِيمُ مَا عَظَّمَ الله، وَتَصْغِيرُ مَا صَغَّرَ الله.

وَقِيلَ: الرَّجَاءُ يُحَرِّكُ إِلَى الطَّاعَةِ، وَالْخَوْفُ يُبْعِدُ عَنِ الْمَعَاصِي، وَالْمُرَاقَبَةُ تُؤَدِّيكَ إِلَى طَرِيقِ الْحَقَائِقِ.

وَقِيلَ: الْمُرَاقَبَةُ مُرَاعَاةُ الْقَلْبِ لِمُلَاحَظَةِ الْحَقِّ مَعَ كُلِّ خَطْرَةٍ وَخُطْوَةٍ.

وَقَالَ الْجَرِيرِيُّ: أَمْرُنَا هَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى فَصْلَيْنِ: أَنْ تُلْزِمَ نَفْسَكَ الْمُرَاقَبَةَ لله، وَأَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ عَلَى ظَاهِرِكَ قَائِمًا.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْخَوَّاصُ: الْمُرَاقَبَةُ خُلُوصُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ لله عَزَّ وَجَلَّ.

وَقِيلَ: أَفْضَلُ مَا يُلْزِمُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ: الْمُحَاسَبَةُ وَالْمُرَاقَبَةُ، وَسِيَاسَةُ عَمَلِهِ بِالْعِلْمِ.

وَقَالَ أَبُو حَفْصٍ لِأَبِي عُثْمَانَ النَّيْسَابُورِيِّ: إِذَا جَلَسْتَ لِلنَّاسِ فَكُنْ وَاعِظًا لِقَلْبِكَ وَنَفْسِكَ، وَلَا يَغُرَّنَّكَ اجْتِمَاعُهُمْ عَلَيْكَ، فَإِنَّهُمْ يُرَاقِبُونَ ظَاهِرَكَ، وَالله يُرَاقِبُ بَاطِنَكَ.

وَأَرْبَابُ الطَّرِيقِ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ مُرَاقَبَةَ الله تَعَالَى فِي الْخَوَاطِرِ: سَبَبٌ لِحِفْظِهَا فِي حَرَكَاتِ الظَّوَاهِرِ. فَمَنْ رَاقَبَ اللهَ فِي سِرِّهِ، حَفِظَهُ الله فِي حَرَكَاتِهِ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ.

وَالْمُرَاقَبَةُ هِيَ التَّعَبُّدُ بِاسْمِهِ الرَّقِيبِ، الْحَفِيظِ، الْعَلِيمِ، السَّمِيعِ، الْبَصِيرِ، فَمَنْ عَقَلَ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ، وَتَعَبَّدَ بِمُقْتَضَاهَا: حَصَلَتْ لَهُ الْمُرَاقَبَةُ، وَالله أَعْلَمُ.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ – قَدَّسَ الله رَوْحَهُ – يَقُولُ: إِذَا لَمْ تَجِدْ لِلْعَمَلِ حَلَاوَةً فِي قَلْبِكَ وَانْشِرَاحًا، فَاتَّهِمْهُ، فَإِنَّ الرَّبَّ تَعَالَى شَكُورٌ، يَعْنِي أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُثِيبَ الْعَامِلَ عَلَى عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ حَلَاوَةٍ يَجِدُهَا فِي قَلْبِهِ، وَقُوَّةِ انْشِرَاحٍ وَقُرَّةِ عَيْنٍ، فَحَيْثُ لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ فَعَمَلُهُ مَدْخُولٌ)، والقصد: أن السرور بالله وقربه وقرة العين به تبعث عَلى الازدياد من طاعته وتحث عَلى الجد في السّير]ا.هـ.

قَالَ الإمَام الغزالي في كتاب المراقبة والمحاسبة من كتابه إحياء علوم الدّين (ما ننقل منه باختصار):

[قَالَ الله تَعَالَى ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء] وقال تَعَالَى: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ [الكهف] وقال تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٦﴾ [المجادلة] وقال تَعَالَى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة] وقال تَعَالَى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦١﴾ [آل عمران] وقال تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٠] وقال تَعَالَى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٣٥]

فعرف أرباب البصائر من جملة العِبَاد أن الله تَعَالَى لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النّفس في الأنفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السّؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته إلى الخزى والمقت سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله وقد أمرهم بالصّبر والمرابطة فقال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فرابطوا أنفسهم أولاً بالمشارطة ثمّ بالمراقبة ثمّ بالمحاسبة ثمّ بالمعاقبة ثمّ بالمُجَاهدة ثمّ بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولا بُدَّ من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة ولكن كلّ حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات وبالله التوفيق:

المقام الأوّل من المرابطة: المشارطة:

اعلم أن مطالب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما أن التاجر يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتَّى يتجر ثمّ يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وإنما مطالبة وربحه تزكية النّفس لأن بذلك فلاحها قَالَ الله تَعَالَى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾

[الشمس] وإنما فلاحها بالأعمال الصّالحة والعقل يستعين بالنّفس في هذه التجارة إذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الّذي يتجر في ماله وكما أن الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أولاًويراقبه ثانياً ويحاسبه ثالثا ويعاقبه أو يعاتبه رابعا فكذلك العقل يحتاج إلى مشارطة النّفس أولاًفيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها الشُّرُوط ويرشدها إلى طريق الفلاح ويجزم عليها الأمر بسلوك تلك الطرق ثمّ لا يغفل عن مراقبتها لحظة فإنه لو أهملها لم ير منها إلا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخَائِن إذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثمّ بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فإن هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الأنبياء والشّهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النّفس أهمّ كثيرا من تدقيقه في أرباح الدُّنيَا مع أنها محتقرة بالإضافة إلى نعيم العقبى ثمّ كيفما كانت فمصيرها إلى التصرم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لأن الشر الّذي لا يدوم إذا انقطع بقى الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الّذي لا يدوم يبقى الأسف عَلى انقطاعه دائما وقد انقضى (..) فحتم عَلى كلّ ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها فإن كلّ نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد فانقباض هذه الأنفاس ضائعة أو مصروفة إلى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغى أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطه النّفس كما أن التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة إلا العمر ومهما فني فقد فني رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليَوْم الجَدِيد قد أمهلني الله فيه وأنسأ في أجلى وأنعم عَلى به ولو توفاني لكنت أتمنى أن يرجعني إلى الدُّنيَا يوما واحدا حتَّى أعمل فيه صالحا فاحسبي أنك قد توفيت ثمّ قد رددت فإياك ثمّ إياك أن تضيعي هذا اليَوْم فإن كلّ نفس من الأنفاس جوهرة لا قيمة لها (..) فيقول لنفسه اجتهدي اليَوْم في أن تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك الّتي هيَ أسباب ملكك ولا تميلي إلى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وإن دخلت الجنّة فألم الغبن وحسرته لا يطاق وإن كانَ دون ألم النار وقد قَالَ بعضهم هب أن المسيء قد عفي عنه

أليس قد فاته ثواب المحسنين أشار به إلى الغبن والحسرة وقال الله تَعَالَى: ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ ﴾ [التغابن: ٩] فهذه وصيته لنفسه في أوقاته ثمّ ليستأنف لها وصية في أعضائه السبعة وهي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسليمها إليها فإنها رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة وبها تتم أعمال هذه التجارة وإن لجهنم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وإنما تتعين تلك الأبواب لمن عصى الله تَعَالَى بهذه الأعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها أما العين فيحفظها عن النَّظر إلى وجه من ليس له بمحرم أو إلى عورة مسلم أو النَّظر إلى مسلم بعين الاحتقار بل عن كلّ فضول مستغنى عنه فإن الله تَعَالَى يسأل عبده عن فضول النَّظر كما يسأله عن فضول الكلام ثمّ إذا صرفها عن هذا لم تقنع به حتَّى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهو ما خلقت له من النَّظر إلى عجائب صنع الله بعين الاعتبار والنَّظر إلى أعمال الخير للإقتداء والنَّظر في كتاب الله وسنة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغى أن يفصل الأمر عليها عضوًا عضوًا لاسيّما اللسان والبطن أما اللسان فلأنّه منطلق بالطّبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنّميمة وتزكية النّفس ومذمة الخلق والأطعمة واللعن والدّعاء عَلَى الأَعدَاء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في كتاب آفات اللسان فهو بصدد ذلك كله مع أنه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتّعليم وإرشاد عباد الله إلى طريق الله وإصلاح ذات البين وسائر خيراته فليشترط عَلَى نفسه أن لا يحرك اللسان طول النَّهَار إلا في الذكر فنطق المؤمن ذكر ونظره وعبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد. وأما البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الأكل من الحلال واجتناب الشُّبُهات ويمنعه من الشَّهَوَات ويقتصر عَلَى قدر الضَّرورة ويشرط عَلَى نفسه أنها إن خالفت شيئا من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالته بشهواتها هكذا يشرط عليها في جميع الأعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الأعضاء وطاعاتها ثمّ يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات الّتي تتكرر عليه في اليَوْم والليلة ثمّ النَّوافل الّتي يقدر عليها ويقدر عَلَى الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفيّتها وكيفِيَّة الاستعداد لها بأسبابها وهذه شروط يفتقر إليها في كلّ يوم ولكن إذا تعود الإنسان شرط ذلك عَلَى نفسه أيّاما وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها وإن أطاعت في بعضها بقيت الحاجة إلى تجديد المشارطة فيما بقى ولكن لا يخلو كلّ يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه في ذلك حق ويكثر هذا

عَلى من يشتغل بشيء من أعمال الدُّنيَا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضى حق الله فيها فعليه أن يشترط عَلى نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الإهمال ويعظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرد فإن النّفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها، وذكر فإن الذكرى تنفع المُؤمِنِين، فهذا وما يجرى مجراه هو أول مقام المرابطة مع النّفس وهي محاسبة قبل العمل.

والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قَالَ الله تَعَالَى واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه وهذا للمستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فإنه يسمى محاسبة فالنَّظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤] وقال تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] وقال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦] ذكر ذلك تحذيرا وتنبيها للاحتراز منه في المستقبل، وروى عبادة بن الصامت أنه ﷺ قَالَ لرجل سأله أن يوصيه ويعظه: «إذا أردتَ أمرًا فَتَدَبَّرْ عَاقِبَتَهُ، وَإِنْ كَانَ رُشْدًا فَأَمْضِهِ، وَإِنْ كَانَ غَيًّا فَانْتَهِ عَنْهُ»[(١)].. وقال بعض الحكماء: (إذا أردت أن يكون العقل غالبا للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتَّى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة)، وقال لقمان: (إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة)، وروى شداد بن أوس عنه ﷺ أنه قَالَ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمُوْتِ وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى الله الأَمَاني»[(٢)]، «دان نفسه» أي: حاسبها، ويوم الدّين يوم الحساب، وقوله: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣﴾ [الصافات] أي لمحاسبون، وَقَالَ عمر رضي الله عنه: (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا وتهَيّئوا للعرضِ الأَكبر)، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: (حَاسِب نفسَكَ في الرَّخاء قَبل حِسَابِ الشّدّة)، وقال لكعب: كيف تجدها في كتاب الله؟ قَالَ: ويل لديان الأرض من ديان السّماء فعلاه بالدرة، وقال: إلا من حاسب نفسه، فقال كعب: ياأمير المُؤمِنِين إنها إلى جنبها في التوراة ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه.

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق (٤١) وقال الألباني: موضوع.

(٢) رواه أحمد (١٧١٢٣) والترمذي (٢٤٥٩) بلفظ: «والعاجز من أتبع..» وضعفه الألباني والأرنؤوط.

وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للمستقبل إذ قَالَ: من دان نفسه يعمل لما بعد الموت، ومعناه: وزن الأمور أولاً وقدّرها ونظر فيها وتدبرها ثمّ أقدم عليها فباشرها.

المرابطة الثّانية: المراقبة: إذا أوصى الإنسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى إلا المراقبة لها عند الخوض في الأعمال وملاحظاتها بالعين الكالئة فإنها إن تركت طغت وفسدت ولنذكر فضيلة المراقبة ثمّ درجاتها، أما الفضيلة فقد سأل جبريل عليه السلام عَنِ الْإِحْسَانِ فَقَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنَّكَ تراه» وقال عليه السلام: «اعبد اللهَّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(١)، وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسِۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، وقال تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾ [العلق] وقال الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء] وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ٣٢ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ٣٣﴾ [المعارج]، وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تَعَالَى فسأله عن تفسيره فقال: كن أبدا كأنك ترى الله عَزَّ وَجَلَّ، وقال عبد الواحد بن زيد: إذا كانَ سيدي رقيبا عَلَى فلا أبالى بغيره، وقال أبو عثمان المغربي: أفضل ما يلزم الإنسان نفسه في هذه الطَّريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم، وقال ابن عطاء: أفضل الطاعات مراقبة الحقّ عَلَى دوام الأوقات، وقال الجريري: أمرنا هذا مبنى عَلَى أصلين أن تلزم نفسك المراقبة لله عَزَّ وَجَلَّ ويكون العلم عَلَى ظاهرك قائما، وقال أبو عثمان: قَالَ لي أبو حفص إذا جلست للنَّاس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب عَلَى باطنك.(..). وقال رجل للجنيد بم أستعين عَلَى غض البصر فقال بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه. وقال الجنيد: إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف عَلَى فوت حظه من ربه عَزَّ وَجَلَّ.(..) وقال محمّد بن علي التِّرْمِذِيّ: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك وأجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمة عنك وأجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه وأجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه. وقال سهل لم يتزين القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهدة حيث كانَ، وسئل بعضهم عن قوله تَعَالَى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة]، فقال معناه ذلك لمن راقب ربه عَزَّ وَجَلَّ وحاسب نفسه وتزود لمعاده، وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنّة فقال: بخمس ؛ استقامة ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة الله تَعَالَى

---

(١) رواه البخاري (٥٠، ١٣٩٧، ٤٧٧٧، ٧١٢١) ومسلم (٩، ١٠، ١٤) واللفظ له.

في السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له، ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب. (..) وقال حميد الطويل لسليمان بن علي: عظني، فقال: لئن كنت إذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت عَلى أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت، وقال سفيان الثّوريّ: عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة. وقال فرقد السنجي: إن المنافق ينظر فإذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وإنما يراقب النّاس ولا يراقب الله تَعَالَى. وقال عبدالله بن دينار: (خرجت مع عمر ابن الخطاب ﷺ إلى مكّة فعرسنا في بعض الطّريق فانحدر عليه راع من الجبل، فقال له: يا راعى بعني شاة من هذه الغنم، فقال: إنّي مملوك، فقال: قل لسيدك أكلها الذئب، قَالَ: فأين الله؟! قَالَ: فبكى عمر ﷺ ثمّ غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه، وقال: أعتقتك في الدُّنيَا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك في الآخرة).

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها: أعلم أن حقيقة المراقبة هيَ ملاحظة الرقيب، وانصراف الهم إليه. فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال أنه يراقب فلانا ويراعى جانبه، ويعنى بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب، أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه، وأما المعرفة الّتي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع عَلى الضمائر، عالم بالسرائر رقيب عَلى أعمال العِبَاد قائم عَلى كلّ نفس بما كسبت، وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك، فهذه المعرفة إذا صارت يقينا أعنى أنها خلت عن الشك ثمّ استولت بعد ذلك عَلى القلب قهرته، فرب علم لا شَّكَّ فيه لا يغلب عَلى القلب كالعلم بالموت فإذا استولت عَلى القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه، والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون، وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليمين فمراقبتهم عَلى درجتين:

الدرجة الأولى: مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والإجلال وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلا وهذه مراقبة لا نطول النَّظر في تفصيل أعمالها فإنها مقصورة عَلى القلب، أما الجوارح فإنها تتعطل عن التلفت إلى المباحات فضلا عن المحظورات، وإذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج إلى تدبير

وتثبيت في حفظها عَلى سنن السّداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فإذا صار مستغرقا بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية عَلى السّداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الّذي صار همه هما واحدا فكفاه الله سائر الهموم (..).

الدرجة الثّانية: مراقبة الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين إطلاع الله عَلى ظاهرهم وباطنهم وعلى قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم عَلى حد الاعتدال متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال إنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كلّ ما يفتضحون به في القيامة فإنهم يرون الله في الدُّنيَا مطلعا عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة (..) ومن كانَ في هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل، أما قبل العمل فلينظر أن ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره أهو لله خاصّة أو هو في هوى النّفس ومتابعة الشّيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتَّى ينكشف له ذلك بنور الحقّ فإن كانَ لله تَعَالَى أمضاه وإن كانَ لغير الله استحيا من الله وانكف عنه ثمّ لام نفسه عَلى رغبته فيه وهمه به وميله إليه، وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وأنها عدوة نفسها إن لم يتداركها الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الأمور إلى حد البيان واجب محتوم لا محيص لأحد عنه. (..) وقال الحسن: كانَ أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وتثبت فإن كانَ لله أمضاه. وقال الحسن: رحم الله تَعَالَى عبدا وقف عند همه فإن كانَ لله مضى وإن كانَ لغيره تأخر. (..) وقال محمّد بن علي: إن المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كحاطب ليل فهذا هو النَّظر الأوّل في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا إلا العلم المتين والمعرفة الحقيقة بأسرار الأعمال وأغوار النّفس ومكايد الشّيطان فمتى لم يعرف نفسه وربه وعدوة إبليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله ويرضاه في نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل الأكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تَعَالَى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ولا تظنن أن الجاهل بما يقدر عَلى التعلم فيه يعذر، هيهات ! بل طلب العلم فريضة عَلى كلّ مسلم، ولهذا كانت ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم، لأنه يعلم آفات النفوس ومكايد الشّيطان ومواضع الغرور فيتقى ذلك والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه، فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ بالله

من الجهل والغفلة فهو رأس كلّ شقاوة وأساس كلّ خسران. فحكم الله تَعَالَى عَلَى كلّ عبد أن يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتَّى ينكشف له بنور العلم أنه لله تَعَالَى فيمضيه أو هو لهوى النّفس فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به فإن الخطوة الأولى في البَاطِل إذا لم تدفع أورثت الرغبة، والرغبة تورث الهم، والهم يورث جزم القصد، والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت، فينبغي أن تحسم مادة الشر من منبعه الأوّل وهو الخاطر، فإن جميع ما وراءه يتبعه، ومهما أشكل عَلَى العبد ذلك وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر في ذلك بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشّيطان بواسطة الهوى.

فإن عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور علماء الدّين وليفر من العُلَماء المضلين المقبلين عَلَى الدُّنيَا فراره من الشّيطان بل أشد، فقد أوحى الله تَعَالَى إلى داود عليه السلام**: (لا تسأل عني عالما أسكره حب الدُّنيَا فيقطعك عن محبتي أولئك قطاع الطّريق عَلَى عبادي)**، فالقلوب المظلمة بحب الدُّنيَا وشدة الشرة والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تَعَالَى فإن مستضاء أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضئ بها من استدبرها وأقبل عَلَى عدوها وعشق بغيضها ومقيتها وهي شهوات الدُّنيَا، فلتكن همة المريد أولًا في إحكام العلم أو في طلب عالم معرض عن الدُّنيَا أو ضعيف الرغبة فيها إن لم يجد من هو عديم الرغبة، (..) فمن لم يتوقف عند الاشتباه كانَ متبعا لهواه معجبا برأيه وكان ممن وصفه رسول الله ﷺ إذ قَالَ: «فإِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ»[1] وكل من خاض في شبهه بغير تحقيق فقد خالف قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقوله عليه السلام: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»[2]، وأراد به ظنا بغير دليل كما يستفتى بعض العوام قلبه فيما أشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الأمر وعظمة كانَ دعاء الصّديق رضي الله عنه: (اللّهم أرني الحقّ حقًا وارزقني إتباعه وأرني البَاطِلَ بَاطِلًا وارزقني اجتنابَه ولا تجعله متشابهًا عَليّ فأتبع الهوَى).

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٥٨) وابن حبان (٣٨٥) وضعف هذا الطرف من الحديث الألبانيُّ والأرنؤوطُ.

(٢) رواه البخاري (٥١٤٣، ٦٠٦٤) ومسلم (٢٥٦٣).

وقال عيسى عليه السلام: الأمور ثلاثة أمر استبان رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى عالمه. (..) فأعظم نعمة الله عَلى عباده هو العلم وكشف الحقّ والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قَالَ تَعَالَى امتنانا عَلى عبده: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء] وأراد به العلم، وقال تَعَالَى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [الليل: ١٢]، وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٩]، وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]

وقال عَلي كرم الله وجهه: (الهوى شريك العمى، ومن التوفيق التوقف عند الحيرة، ونعم طارد الهم اليقين، وعاقبة الكذب الندم وفي الصِّدق السَّلامة، ربّ بعيد أقرب من قريب، وغريب من لم يكن له حبيب، والصديق من صدق غيبه، ولا يعدمك من حبيب سوء ظن، نعم الخلق التكرم، والحياء سبب إلى كلّ جميل، وأوثق العرا التقوى، وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تَعَالَى، إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك، والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك، فان لم تأته أتاك وإن كنت جازعا عَلى ما أصيب مما في يديك فلا تجزع عَلى ما لم يصل إليك، واستدل عَلى ما لم يكن بما كانَ فإنما الأمور أشباه، والمرء يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا، وليكن سرورك بما قدمت، وأسفك عَلى ما خلفت، وشغلك لأخرتك، وهمك فيما بعد الموت).

وغرضنا من نقل هذه الكلمات قوله ومن التوفيق التوقف عند الحيرة فإذن النَّظر الأوّل للمراقب نظره في الهم والحركة أهي لله أم للهوى، وقد قَالَ ﷺ: «**ثلاثٌ من كنَّ فيهِ استكملَ إيمانَه: لا يخافُ في اللهِ لومةَ لائمٍ، ولَا يُرائِي بِشيءٍ مِن عَمَلِه، وإذا عرضَ لَهُ أمرانِ أحدهُما للدنيا والآخرُ للآخرةِ آثرَ الآخرةَ عَلى الدُّنيَا**»[1]... وأكثر ما ينكشف له في حركاته أن يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه، لقوله ﷺ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»[2].

---

(١) **انظر كنز العمال** (٤٣٢٤٧)، وأورده الألباني في (ضعيف الجامع ٢٥٨٥) وقال: ضعيف رواه ابن عساكر من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه الترمذي (٢٣١٧) وابن ماجة (٣٩٧٦) وغيرهم، وصححه الألباني.

النَّظر الثّاني للمرقبة عند الشُّروع في العمل، وذلك بتفقد كيفِيَّة العمل ليقضى حق الله فيه، ويحسن النِّيَّة في إتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه عَلى أكمل ما يمكنه. وهذا ملازم له في جميع أحواله فإنه لا يخلو في جميع أحواله عن حركة وسكون، فإذا راقب الله تَعَالَى في جميع ذلك قدر عَلى عبادة الله تَعَالَى فيها بالنِّيَّة وحسن الفعل ومراعاة الأدب، فإن كانَ قاعدا مثلا فينبغي أن يقعد مستقبل القبلة لقوله ﷺ: «**خيرُ المجالسِ مَا اسْتَقبَلَ بِهِ القِبلة**»(١).. ولا يجلس متربعا إذ لا يجالس الملوك كذلك، وملك الملوك مطلع عليه.

قَالَ إبراهيم بن أدهم ﷺ: (**جلست مرّة متربعا فسمعت هاتفا يقول هكذا تجالس الملوك فلم أجلس بعد ذلك متربعا**).

وإن كانَ ينام فينام عَلى اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب الّتي ذكرناها في موضعها، فكل ذلك داخل في المراقبة، بل لو كانَ في قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة، فإذن لا يخلو العبد أما أن يكون في طاعة أو في معصية أو في مباح، فمراقبته في الطاعة بالإخلاص والإكمال، ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات، وإن كانَ في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر، وإن كانَ في مباح فمراقبته بمراعاة الأدب ثمّ بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها، ولا يخلو العبد في جملة أحواله عن بلية لا بُدَّ له من الصّبر عليها ونعمة لا بُدَّ له من الشكر عليها، وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كلّ حال من فرض لله تَعَالَى عليه، إما فعل يلزمه مباشرته أو محظور يلزمه تركه أو ندب حث عليه ليسارع به إلى مغفرة الله تَعَالَى ويسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له عَلى طاعته، ولكل واحد من ذلك حدود لابد من مراعاتها بدوام المراقبة ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١] فينبغي أن يتفقد العبد نفسه في جميع أوقاته في هذه الأقسام الثّلاثة فإذا كانَ فارغا من الفرائض وقدر عَلى الفضائل فينبغي أن يلتمس أفضل الأعمال ليشتغل بها فإن من فاته مزيد ربح وهو قادر عَلى دركه فهو مغبون، والأرباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه

---

(١) جميع أسانيده ضعيفه وخير أسانيده ما أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٣٧٥) من حديث أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء سيداً، وإن سيد المجالس قبالة القبلة» وصححه الألباني (الصحيحة ٢٦٤٥).

لآخرته كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧] وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة، فإن الساعات ثلاث ساعة مضت لا تعب فيها عَلَى العبد كيفما انقضت في مشقة أو رفاهية وساعة مستقبلة لم تأت بعد لا يدري العبد أيعيش إليها أم لا ولا يدرى ما يقضى الله فيها وساعة راهنة ينبغي أن يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فإن لم تأته السَّاعة الثّانية لم يتحسر عَلَى فوات هذه السَّاعة وإن أتته السَّاعة الثّانية استوفى حقه منها كما استوفى من الأولى ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم عَلَى المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كأنه في آخر أنفاسه فلعله آخر أنفاسه وهو لا يدرى وإذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغي أن يكون عَلَى وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو عَلَى تلك الحالة وتكون جميع أحواله مقصورة عَلَى ما رواه أبو ذر ﷺ من قوله ﷺ: «**لا يكونُ المؤمنُ ظَاعِنًا إِلَّا فِي ثَلَاثٍ؛ تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ أَوْ مَرَمَّة لِمَعَاشٍ أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ**»[1] (..) وما روي عنه أيضا في معناه: «**وعَلى العَاقِلِ أن تكُونَ لَهُ أَربعة سَاعَاتٍ سَاعَةٍ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٍ يُحَاسَبُ فِيهَا نَفْسَهُ وَسَاعَة يتفكَّرُ فِيهَا فِي صُنعِ الله تَعَالَى وَسَاعَة يَخْلُو فِيهَا للمَطعَمِ وَالْمَشْرَبِ**»[2]، فإن في هذه السَّاعة عونا له عَلَى بقية الساعات ثمّ هذه الساعات الّتي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغى أن يخلو عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر فإن الطعام الّذي يتناوله مثلا فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كانَ ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح والنّاس فيه أقسام قسم ينظرون إليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعته وكيفِيَّة ارتباط قوام الحيوانات به وكيفِيَّة تقدير الله لأسبابه وخلق الشَّهَوَات الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوى الألباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار إليه وبودهم لو استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها إلى صفات الخالق فتكون مشاهدة ذلك سببا لتذكر أبواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين إذ المحب إذا رأي صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسى الصنعة

---

(١) رواه ابن حبان (٣٦١) بلفظ « على العاقل أن لايكون .....» وهو طرف من حديث طويل وضعفه جدا الألباني والأرنؤوط .

(٢) هو طرف من الحديث السابق.

واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله تَعَالَى فله في النَّظر منه إلى الصانع مجال رحب إن فتحت له أبواب الملكوت وذلك عزيز جدا.

وقسم رابع ينظرون إليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون عَلى ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملته ويذمون منه مالا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يعلمون أن الفاعل للطبيخ والطباخ ولقدرته ولعلمه هو الله تَعَالَى وأن من ذم شيئا من خلق الله بغير إذن فقد ذم الله، ولذلك قَالَ النبيّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ الله هُوَ الدَّهْر»[1].

المرابطة الثّالثة: محاسبة النّفس بعد العمل ولنذكر فضيلة المحاسبة ثمّ حقيقتها أما الفضيلة فقد قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ [الحشر: ١٨] وهذه إشارة إلى المحاسبة عَلى ما مضى من الأعمال (..) وقال تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور] والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه، وقد قَالَ ﷺ: «إنّي لَأَسْتَغْفِر الله تَعَالَى وَأَتُوبُ إليهِ في اليَوْمِ مِائة مَرّة»[2]، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف] وعن عمر ﷺ انه كانَ يضرب قدميه بالدره إذا جنه الليل ويقول لنفسه: ماذا عملت اليَوْم، وعن ميمون ابن مهران انه قَالَ: لا يكون العبد من المتقين حتَّى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه، والشريكان يتحاسبان بعد العمل، وروي عن عائشة رضى الله تَعَالَى عنها أن أبا بكر رضوان الله عليه، قَالَ لها عند الموت: (ما أحد من النّاس أحب إلي من عمر، ثمّ قَالَ لها: كيف قلت فأعادت عليه ما قَالَ فقال لا أحد أعز عَلي من عمر)[3] فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها، وحديث أبى طلحة حين شغله الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تَعَالَى ندما ورجاء للعوض مما فاته... وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فقيل له: يا أبا يوسف قد كانَ في بنيك وغلمانك ما يكفونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسي هل تنكره، وقال الحسن: المؤمن قوام عَلى نفسه يحاسبها لله، وإنما خف الحساب عَلى قوم حاسبوا أنفسهم في الدُّنيَا، وإنما شق الحساب يوم القيامة عَلى قوم أخذوا

---

(١) رواه البخاري (٦١٨١) ومسلم (٢٢٤٦) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٧) بلفظ: «أكثر من سبعين...»، ولفظ مائة عند ابن ماجة (٣٨١٥) وصححه الألباني.

(٣) روى البخاري في الأدب المفرد (٨٤) بمعناه، وحسنه الألباني.

هذا الأمر من غير محاسبه، ثمّ فسر المحاسبة فقال: إن المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول والله إنك لتعجبني وإنك من حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك، وهذا حساب قبل العمل، ثمّ قَالَ ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا إن شاء الله. وقال أنس بن مالك: (سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يوما وقد خرج وخرجت معه حتَّى دخل حائطا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في الحائط عمر ابن الخطاب أمير المُؤمِنِين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك)[1]، وقال الحسن في قوله تَعَالَى: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾[القيامة] قَالَ لا يلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي ؟ ماذا أردت بأكلتي ؟ ماذا أردت بشربتي ؟ والفاجر يمضى قدما لا يعاتب نفسه. وقال مالك بن دينار رحمه الله تَعَالَى: رحم الله عبدا قَالَ لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثمّ ذمها ثمّ خطمها ثمّ ألزمها كتاب الله تَعَالَى فكان له قائدا. وقال ميمون بن مهران: التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح. وقال إبراهيم التيمي: مثلت نفسي في الجنّة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثمّ مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدين فقالت أريد أن أرد إلى الدُّنيَا فأعمل صالحا قلت فأنت في الأمنيّة فاعملي. وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر في مكياله رحم الله امرأ نظر في ميزانه فما زال يقول حتَّى أبكاني. وحكى صاحب للأحنف ابن قيس قَالَ: كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل الدّعاء وكان يجئ إلى المصباح فيضع أصبعه فيه حتَّى يحس بالنار ثمّ يقول لنفسه يا حنيف ما حملك عَلى ما صنعت يوم كذا ما حملك عَلى ما صنعت يوم كذا.

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل: إعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النَّهَار يشارط فيه نفسه عَلى سبيل التوصية بالحق فينبغي أن يكون له في آخر النَّهَار ساعة يطالب فيها النّفس ويحاسبها عَلى جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدُّنيَا مع الشركاء في آخر كلّ سنة أو شهر أو يوم حرصا منهم

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٩٢) وإسناده صحيح.

عَلى الدُّنيَا وخوفا من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى إلا أيّاما قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد ما هذه المساهلة إلا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك. ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان فإن كانَ من فضل حاصل استوفاه وشكره وإن كانَ من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل، وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النَّهَار ومعامله نفسه الأمارة بالسوء فيحاسبها عَلى الفرائض أولاًفإن أداها عَلى وجهها شكر الله تَعَالَى عليه ورغبها في مثلها وإن فوتها من أصلها طالبها بالقضاء وإن أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وإن ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفى منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه يفتش في حساب الدُّنيَا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتَّى لا يغبن في شيء منها فينبغي أن يتقى غبينة النّفس ومكرها فإنها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها أولاًبتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتَّى عن سكوته أنه لم سكت وعن سكونه لم سكن فإذا عرف مجموع الواجب عَلى النّفس وصح عنده قدر أدى الواجب فيه كانَ ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي عَلى نفسه فليثبته عليها وليكتبه عَلى صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الّذي عَلى شريكه عَلى قلبه وفي جريدة حسابه (..).

وعن وهب بن منبه: أن رجلا تعبد زمانا ثمّ بدت له إلى الله تَعَالَى حاجة فقام سبعين سبتا يأكل في كلّ سبت إحدى عشرة تمرة ثمّ سأل حاجته فلم يعطها فرجع إلى نفسه وقال منك أتيت لو كانَ فيك خير لأعطيت حاجتك فنزل إليه ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك الّتي مضت وقد قضى الله حاجتك. وقال عبدالله بن قيس: كنا في غزاة لنا فحضر العدوّ فصيح في النّاس فقاموا إلى المصاف في يوم شديد الريح وإذا رجل أمامي وهو يخاطب نفسه ويقول أي نفسي ألم أشهد مشهد كذا فقلت لي أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت والله لأعرضنك اليَوْم عَلى الله أخذك أو تركك فقلت لأرمقنه اليَوْم فرمقته فحمل النّاس عَلى عدوهم

فكان في أوائلهم ثمّ أن العدوّ حمل عَلى النّاس فانكشفوا فكان في موضعه حتَّى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذاك دأبه حتَّى رأيته صريعا فعددت به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة (..) وعن مجمع أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره عَلى امرأة فجعل عَلى نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السّماء ما دام في الدُّنيَا وكان الأحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع أصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك عَلى أن صنعت يوم كذا كذا وأنكر وهيب بن الورد شيئا عَلى نفسه فنتف شعرات عَلى صدره حتَّى عظم ألمه ثمّ جعل يقول لنفسه ويحك إنما أريد بك الخير ورأى محمّد بن بشر داود الطائي وهو يأكل عند إفطاره خبزا بغير ملح فقال له لو أكلته بملح فقال أن نفسي لتدعوني الى الملح منذُ سنة ولا ذاق دواد ملحا ما دام في الدُّنيَا فكذا كانت عقوبة أولى الحزم لأنفسهم والعجب انك تعاقب عبدك وأمتك واهلك وولدك عَلى ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في أمر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار وبغوا عليك ثمّ تهمل نفسك وهى أعظم عدو لك واشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلك فان غايتهم أن يشوشوا عليك معيشة الدُّنيَا ولو عقلت لعلمت إن العيش عيش الآخرة وان فيه النعيم المقيم الّذي لا آخر له ونفسك هى الّتي تنغص عليك عيش الآخرة فهى بالمعاقبة أولى من غيرها.

المرابطة الخامسة: المُجَاهدة:

وهو انه إذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغى أن يعاقبها بالعقوبات الّتي مضت وان رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل أو ورد من الأوراد فينبغى أن يؤدبها بتثقيل الأوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات منه وتداركا لما فرط فهكذا كانَ يعمل عمال الله تَعَالَى فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بأن تصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة وأخر ليلة صلاة المغرب حتَّى طلع كوكبان فأعتق رقبتين وفات ابن أبى ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل عَلى نفسه صوم سنة أو الحجّ ما شيا أو التصدق بجميع ماله كلّ ذلك مرابطه للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها فإن قلت إن كانت نفسي لا تطاوعني عَلى المُجَاهدة والمواظبة عَلى الأوراد فما سبيل معالجتها فأقول سبيلك في ذلك أن تسمعها ما ورد في الأخبار من فضل المجتهدين (..) ومن أنفع أسباب العلاج أن تطلب صحبة عبد

من عباد الله مجتهد في العِبَادة فتلاحظ أقواله وتقتدي به. وكان بعضهم يقول كنت إذا اعترتنى فترة في العِبَادة نظرت إلى أحوال محمّد بن واسع والى اجتهاده فعملت عَلى ذلك أسبوعا. إلا أن هذا العلاج قد تعذر، إذ قد فقد في هذا الزّمان من يجتهد في العِبَادة اجتهاد الأولين فينبغى أن يعدل من المشاهدة الى السماع فلا شيء انفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقى ثوابهم ونعيمهم ابد الآباد لا ينقطع فما أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه أيّاما قلائل بشهوات مكدرة ثمّ يأتيه الموت ويحال بينه وبين كلّ ما يشتهيه أبد الآباد نعوذ بالله تَعَالَى من ذلك. ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضائلهم ما حرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم(..) قَالَ الحسن أجهدتهم العِبَادة قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] قَالَ الحسن يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله. وقال رسول الله ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ»[(١)].. ويروى أن الله تَعَالَى يقول لملائكته: **(ما بال عبادي مجتهدين فيقولون إلهنا خوفتهم شيئا فخافوه وشوقتهم إلى شيء فاشتاقوا إليه فيقول الله تبارك وتعالى فكيف لو رآني عبادي لكانوا أشد اجتهادا)**[(٢)] وقال الحسن: (أدركت أقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدُّنيَا أقبل ولا يتأسفون عَلى شيء منها أدبر ولهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب الّذي تطئونه بأرجلكم أن كانَ احدهم ليعيش عمره كله ما طوى له ثوب ولا أمر أهله بصنعة طعام قط، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئا قط، وأدركتهم عاملين بكتاب ربّهم وسنة نبيهم إذا جنهم الليل فقيام عَلى أطرافهم يفترشون وجوههم تجرى دموعهم عَلى خدودهم يناجون ربّهم في فكاك رقابهم. إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله تَعَالَى أن يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك وَوَالله مَا سَلِمُوا مِنَ الذّنوبِ ولا نَجَوا إلَّا بالمغفرة). ويحكى أن قوما دخلوا عَلى عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه وإذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال عمر له: يا فتى ما الّذي بلغ بك ما أرى؟ فقال: يا أمير المُؤمِنِين أسقام وأمراض فقال سألتك

---

(١) رواه أحمد (١٧٦٨٠) والترمذي (٣٢٢٩) بلفظ « أي الناس خير؟ قال: من طال...» وصححه الألباني، وأما لفظ طوبى فهو عند ابن الجعد (٣٤٣١) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١١١) وصححه الألباني، انظر (الصحيحة ١٨٣٦).

(٢) لم أقف له على إسناد.

بالله إلا صدقتني، فقال: يا أمير المُؤمِنِين ذقت حلاوة الدُّنيَا فوجدتها مرّة، وصغر عندي زهرتها وحلاوتها، واستوى عند ذهبها وحجرها، وكأني أنظر إلى عرش ربى والنّاس يساقون إلى الجنّة والنار، فأظمأت لذلك نهاري أسهرت ليلى، وقليل حقير كلّ ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه. وقال أبو نعيم كانَ داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية. ودخل رجل عليه يوما فقال إن في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن أخي إن لي في البيت منذُ عشرين سنة ما نظرت الى السقف. وكانوا يكرهون فضول النَّظر كما يكرهون فضول الكلام. وقال محمّد بن عبد العزيز: جلسنا إلى أحمد بن رزين من غدوة إلى العصر فما التفت يمنه ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال إن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق العينين لينظر بهما العبد الى عظمة الله تَعَالَى فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة. وقالت امرأة مسروق ما كانَ يوجد مسروق إلا وساقاه منتفختان من طول الصّلاة. وقالت والله إن كنت لأجلس خلفه فأبكى رحمة له. وقال أبو الدرداء: (لو لا ثلاث ما أحببت العيش يوما واحدا الظمأ لله بالهواجر والسجود لله في جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب الثمر). وكان الأسود بن يزيد يجتهد في العِبَادة ويصوم في الحر حتَّى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها أريد. وكان يصوم حتَّى يخضر جسده ويصلى حتَّى يسقط فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا له: إن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يأمرك بكل هٰذا: فقال إنما أنا عبد مملوك لا أدع من الاستكانة شيئا إلا جئت به. وكان بعض المجتهدين يصلى كلّ يوم ألف ركعة حتَّى أقعد من رجليه فكان يصلى جالسا ألف ركعة فإذا صلى العصر احتبى ثمّ قَالَ عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلا منك عجبت للخليقة كيف أنست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك. وكان ثابت البنانى قد حببت إليه الصّلاة فكان يقول اللّهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلى لك في قبره فائذن لي أن أصلى في قبري. وقال الجنيد ما رأيت أعبد من السري أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعا إلا في علة الموت. (..) وعن أبى محمّد المغازلى قَالَ جاور أبو محمّد الجر يرى بمكّة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند إلى عمود ولا الى حائط ولم يمد رجليه فعبر عليه أبو بكر الكتاني فسلم عليه وقال له يا أبا محمّد بم قدرت عَلى اعتكافك هذا فقال علم صدق باطني فأعانني عَلى ظاهري فاطرق الكتاني ومشى مفكرا. (..) وقيل لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال أَنّي

إذن لفارغ. وكان أويس القرني يقول هذه ليلة الركوع فيحيى الليل كله في ركعة، وإذا كانت الليلة الآتية قَالَ هذه ليلة السجود فيحيى الليل كله في سجدة. وقيل لما تاب عتبة الغلام كانَ لا يتهنأ بالطعام والشراب فقالت له أمه لو رفقت بنفسك قَالَ الرفق أطلب دعينى أتعب قليلا وأتنعم طويلا. وحج مسروق فما نام قط إلا ساجدا. وكان سفيان الثّوريّ يقول: عند الصباح يحمد القوم السرى وعند المات يحمد القوم التقى. وقال عبدالله بن داود: كانَ أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه أي كانَ لا ينام طول الليل. وكان كهمس بن الحسن يصلى كلّ يوم ألف ركعة ثمّ يقول لنفسه قومي يا مأوى كلّ شر فلما ضعف اقتصر عَلَى خمسمائة ثمّ كانَ يبكى ويقول ذهب نصف عملي. (..) ويروى عن رجل من أصحاب عَلي بن أبى طالب رضي الله تَعَالَى عنه أنه قَالَ: صليت خلف عَلي رضي الله تَعَالَى عنه الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتَّى طلعت الشّمس ثمّ قلب يده وقال: (والله لقد رأيت أصحاب محمّد ﷺ وما أرى اليَوْم شيئا يشبههم، كانوا يصبحون شعثا غبرا صفرا قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم، وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتَّى تبل ثيابهم، وكأن القوم باتوا غافلين - يعنى من كانَ حوله -)[١] وكان أبو مسلم الخولانى قد علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومى فوالله لأزحفن بك زحفا حتَّى يكون الكلل منك لا منى فإذا دخلت الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول أنت أولى بالضرب من دابتى وكان يقول أيظن أصحاب محمّد ﷺ أن يستأثروا به دوننا كلا والله لنزاحمهم عليه زحاما حتَّى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالا. وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد متزايدا وكان إذا جاء الشتاء اضطجع عَلَى السطح ليضر به البرد وإذا كانَ في الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر فلا ينام وانه مات وهو ساجد وانه كانَ يقول اللّهم أنّي أحب لقاءك فأحب لقائي. وقال القاسم بن محمّد: غدوت يوما وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة رضي الله عنها أسلم عليها، فغدوت يوما إليها فإذا هى تصلي صلاة الضحى وهى تقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ [الطور] وتبكى وتدعو وتردد الآية، فقمت حتَّى مللت وهي كما

(١) ورد في حلية الأولياء (١/ ٧٦) (١٠/ ٣٨٨) وقال الألباني عن إسناده: ضعيف مظلم.

هي فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت أفرغ من حاجتي ثمّ أرجع ففرغت من حاجتي ثمّ رجعت وهي كما هي تردد الآية وتبكي وتدعو. وقال محمّد بن إسحاق: لما ورد علينا عبد الرَّحْمٰن ابن الأسود حاجًا اعتلت إحدى قدميه فقام يصلى عَلى قدم واحدة حتَّى صلى الصبح بوضوء العشاء. وقال بعضهم ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل. وقال عَلي بن أبى طالب كرم الله وجهه: (سيما الصّالحين صفرة الألوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصّوم عليهم غبرة الخاشعين) وقيل للحسن: ما بال المتهجدين أحسن النّاس وجوها؟ فقال: لأَنَّهم خلوا بالرَّحْمٰن فألبسهم نورًا من نوره، وكان عامر بن عبد القيس يقول: إلهي خلقتني ولم تؤامرنى وتميتني ولا تعلمني وخلقت معى عدوا وجعلته يجرى منى مجرى الدَّم وجعلته يراني ولا أراه ثمّ قلت لي استمسك إلهي كيف أستمسك إن لم تمسكني إلهي في الدُّنيَا الهموم والأحزان وفي الآخرة العقاب والحساب فأين الراحة والفرح. (..) وعن القاسم بن راشد الشيباني، قَالَ: كانَ زمعة نازلا عندنا بالمحصب وكان له أهل وبنات وكان يقوم فيصلى ليلا طويلا فإذا كانَ السحر نادى بأعلى صوته أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون أفلا تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع من ههنا قارئ ومن ههنا متوضئ فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى. وقال بعض الحكماء: (إن لله عبادا أنعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة، وتوابيت للعظمة، وخزائن للقدرة، فهم بين الخلق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت، وتلوذ بمحجوب الغيوم ثمّ ترجع ومعها طوائف من لطائف الفوائد وما لا يمكن واصفا أن يصفه، فهم في باطن أمورهم كالديباج حسنا، وهم في الظَّاهِر مناديل مبذولون لمن أرادهم تواضعا). وهذه طريقة لا يبلغ إليها بالتكلف وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء. (..) فعليك إن كنت من المرابطين المراقبين لنفسك أن تطالع أحوال الرّجال والنِّسَاء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك وإياك أن تنظر إلى أهل عصرك فإنك إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عَلى سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما ذكرناه كفاية للمعتبر.

المرابطة السَّادسة في توبيخ النّفس ومعاتبتها:

اعلم أن أعدى عدوك نفسك الّتي بين جنبيك وقد خلقت أمارة بالسوء ميالة إلى الشر فرارة من الخير وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فإن أهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هى النّفس اللوامة الّتي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النّفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية، فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها، ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل أولاً بوعظ نفسك، أوحى الله تَعَالَى إلى عيسى عليه السلام: (يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ النّاس وإلا فاستحي مني)، وقال تَعَالَى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات] وسبيلك أن تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها وأنها أبدا تتعزز بفطنتها وهدايتها ويشتد أنفها واستنكافها إذا نسبت إلى الحمق..... فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وإنما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا ويوشك أن لا يكون الله تَعَالَى عنه راضيا والسَّلام، والحَمْدُ لله وحده، وصلاته عَلى سيدنا محمّد وآله وصحبه وسلامه).

❖ الخوف من الله تَعَالَى:

قَالَ النووي رحمه الله في رياض الصّالحين:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝٤٠﴾ [البقرة] وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ [البروج]. وقال تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ۝١٠٤ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ۝١٠٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦﴾ [هود] وقال تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقال تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ [عبس] وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج] وقال تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [الرحمن] وقال تَعَالَى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ

يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور] والآيات في البَاب كثيرة جدا معلومات والغرض الإشارة إلى بعضها وقد حصل.

وأما الأحاديث فكثيرة جدا فنذكر منها طرفا وبالله التوفيق:

- عن ابن مسعود ﷺ قَالَ حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أربَعِينَ يومًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. فَوَالَّذِي لاَ إلهَ غَيْرُهُ إنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وبيْنَهَا إلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلاَّ ذراعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ فَيعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»(١).
- وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يومَئذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»(٢).
- وعن النعمان بن بشير ﷺ، قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ يُوضعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ. مَا يَرَى أنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَأنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا»(٣).

وننقل (باختصار) بعض ما جاء في البَاب مما قاله ابن القيم ﷺ في كتابه مدارج السالكين:

منزلة الخوف:

[وَهِيَ مِنْ أَجَلِّ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ وَأَنْفَعِهَا لِلْقَلْبِ، وَهِيَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، قَالَ اللهُّ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران] وقال تَعَالَى: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل] وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٣] وَمَدَحَ أَهْلَهُ فِي كِتَابِهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي

(١) متفق عليه. رواه البخاري (٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣)

(٢) رواه مسلم (٢٨٤٢).

(٣) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.البخاري (٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣) .

ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون] وفي المسند والتِّرْمِذِيّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَوْلُ الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾. أَهْوَ الَّذِي يَزْنِي، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَيَسْرِقُ؟ قَالَ: «لَا يَا ابْنَةَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ، وَيَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ»[1] قَالَ الْحَسَنُ: (عَمِلُوا وَاللهِ بِالطَّاعَاتِ، وَاجْتَهَدُوا فِيهَا، وَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ جَمَعَ إِحْسَانًا وَخَشْيَةً، وَالْمُنَافِقَ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا). وَ «الْوَجَلُ» وَ «الْخَوْفُ» وَ «الْخَشْيَةُ» وَ «الرَّهْبَةُ» أَلْفَاظٌ مُتَقَارِبَةٌ غَيْرُ مُتَرَادِفَةٍ، قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْجُنَيْدُ: (الْخَوْفُ تَوَقُّعُ الْعُقُوبَةِ عَلَى مَجَارِي الْأَنْفَاسِ)، وَقِيلَ: الْخَوْفُ اضْطِرَابُ الْقَلْبِ وَحَرَكَتُهُ مِنْ تَذَكُّرِ الْمَخُوفِ، وَقِيلَ: الْخَوْفُ قُوَّةُ الْعِلْمِ بِمَجَارِي الْأَحْكَامِ، وَهَذَا سَبَبُ الْخَوْفِ، لَا أَنَّهُ نَفْسُهُ، وَقِيلَ: الْخَوْفُ هَرَبُ الْقَلْبِ مِنْ حُلُولِ الْمَكْرُوهِ عِنْدَ اسْتِشْعَارِهِ.

وَ «الْخَشْيَةُ» أَخَصُّ مِنَ الْخَوْفِ، فَإِنَّ الْخَشْيَةَ لِلْعُلَمَاءِ بِالله، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] فَهِيَ خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِمَعْرِفَةٍ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي أَتْقَاكُمْ للهِ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً»[2]، فَالْخَوْفُ حَرَكَةٌ، وَالْخَشْيَةُ انْجِمَاعٌ، وَانْقِبَاضٌ وَسُكُونٌ، فَإِنَّ الَّذِي يَرَى الْعَدُوَّ وَالسَّيْلَ وَنَحْوَ ذَلِكَ لَهُ حَالَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: حَرَكَةٌ لِلْهَرَبِ مِنْهُ، وَهِيَ حَالَةُ الْخَوْفِ.

وَالثَّانِيَةُ: سُكُونُهُ وَقَرَارُهُ فِي مَكَانٍ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ فِيهِ، وَهِيَ الْخَشْيَةُ، وَمِنْهُ: انْخَشَى الشَّيْءُ، وَالْمُضَاعَفُ وَالْمُعْتَلُّ أَخَوَانِ، كَتَقَضِّي الْبَازِيِّ وَتَقَضَّضَ.

وَأَمَّا الرَّهْبَةُ فَهِيَ الْإِمْعَانُ فِي الْهَرَبِ مِنَ الْمَكْرُوهِ، وَهِيَ ضِدُّ الرَّغْبَةِ الَّتِي هِيَ سَفَرُ الْقَلْبِ فِي طَلَبِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ.

وَبَيْنَ الرَّهَبِ وَالْهَرَبِ تَنَاسُبٌ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، يَجْمَعُهُمَا الِاشْتِقَاقُ الْأَوْسَطُ الَّذِي هُوَ عَقْدُ تَقَالِيبِ الْكَلِمَةِ عَلَى مَعْنًى جَامِعٍ.

وَأَمَّا الْوَجَلُ فَرَجَفَانُ الْقَلْبِ، وَانْصِدَاعُهُ لِذِكْرِ مَنْ يُخَافُ سُلْطَانُهُ وَعُقُوبَتُهُ، أَوْ لِرُؤْيَتِهِ.

---

(١) رواه أحمد (٢٥٧٠٥) والترمذي (٣١٧٥) وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (١١٠٨) ولفظه: «أَمَا وَاللهِ، إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ للهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ».

وَأَمَّا الْهَيْبَةُ فَخَوْفٌ مُقَارِنٌ لِلتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ مَعَ الْمَحَبَّةِ وَالْمَعْرِفَةِ. وَالْإِجْلَالُ: تَعْظِيمٌ مَقْرُونٌ بِالْحُبِّ.

فَالْخَوْفُ لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْخَشْيَةُ لِلْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ، وَالْهَيْبَةُ لِلْمُحِبِّينَ، وَالْإِجْلَالُ لِلْمُقَرَّبِينَ، وَعَلَى قَدْرِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ يَكُونُ الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُكُمْ بِاللهِ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً» وَفِي رِوَايَةٍ «خَوْفًا» وَقَالَ «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى»(١).

فَصَاحِبُ الْخَوْفِ يَلْتَجِئُ إِلَى الْهَرَبِ، وَالْإِمْسَاكِ، وَصَاحِبُ الْخَشْيَةِ يَلْتَجِئُ إِلَى الِاعْتِصَامِ بِالْعِلْمِ، وَمَثَلُهُمَا مَثَلُ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالطِّبِّ، وَمَثَلُ الطَّبِيبِ الْحَاذِقِ، فَالْأَوَّلُ يَلْتَجِئُ إِلَى الْحِمْيَةِ وَالْهَرَبِ، وَالطَّبِيبُ يَلْتَجِئُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ بِالْأَدْوِيَةِ وَالْأَدْوَاءِ.

قَالَ أَبُو حَفْصٍ: الْخَوْفُ سَوْطُ اللهِ، يُقَوِّمُ بِهِ الشَّارِدِينَ عَنْ بَابِهِ، وَقَالَ: الْخَوْفُ سِرَاجٌ فِي الْقَلْبِ، بِهِ يُبْصَرُ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَكُلُّ أَحَدٍ إِذَا خِفْتَهُ هَرَبْتَ مِنْهُ إِلَّا اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّكَ إِذْ خِفْتَهُ هَرَبْتَ إِلَيْهِ. فَالْخَائِفُ هَارِبٌ مِنْ رَبِّهِ إِلَى رَبِّهِ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: مَا فَارَقَ الْخَوْفُ قَلْبًا إِلَّا خَرِبَ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُفْيَانَ: إِذَا سَكَنَ الْخَوْفُ الْقُلُوبَ أَحْرَقَ مَوَاضِعَ الشَّهَوَاتِ مِنْهَا، وَطَرَدَ الدُّنْيَا عَنْهَا، وَقَالَ ذُو النُّونِ: النَّاسُ عَلَى الطَّرِيقِ مَا لَمْ يَزُلْ عَنْهُمُ الْخَوْفُ، فَإِذَا زَالَ عَنْهُمُ الْخَوْفُ ضَلُّوا الطَّرِيقَ، وَقَالَ حَاتِمٌ الْأَصَمُّ: لَا تَغْتَرَّ بِمَكَانٍ صَالِحٍ، فَلَا مَكَانَ أَصْلَحُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَقِيَ فِيهَا آدَمُ مَا لَقِيَ، وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْعِبَادَةِ، فَإِنَّ إِبْلِيسَ بَعْدَ طُولِ الْعِبَادَةِ لَقِيَ مَا لَقِيَ، وَلَا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْعِلْمِ، فَإِنَّ بَلْعَامَ بْنَ بَاعُورَا لَقِيَ مَا لَقِيَ وَكَانَ يَعْرِفُ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ، وَلَا تَغْتَرَّ بِلِقَاءِ الصَّالِحِينَ وَرُؤْيَتِهِمْ، فَلَا شَخْصَ أَصْلَحُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِلِقَائِهِ أَعْدَاؤُهُ وَالْمُنَافِقُونَ.

وَالْخَوْفُ لَيْسَ مَقْصُودًا لِذَاتِهِ، بَلْ هُوَ مَقْصُودٌ لِغَيْرِهِ قَصْدَ الْوَسَائِلِ، وَلِهَذَا يَزُولُ بِزَوَالِ الْمَخُوفِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣١٢) ابن ماجة (٤١٩٠) أحمد (٢١٥١٦) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

وَالْخَوْفُ يَتَعَلَّقُ بِالْأَفْعَالِ، وَالْمَحَبَّةُ تَتَعَلَّقُ بِالذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، وَلِهَذَا تَتَضَاعَفُ مَحَبَّةُ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ إِذَا دَخَلُوا دَارَ النَّعِيمِ، وَلَا يَلْحَقُهُمْ فِيهَا خَوْفٌ، وَلِهَذَا كَانَتْ مَنْزِلَةُ الْمَحَبَّةِ وَمَقَامُهَا أَعْلَى وَأَرْفَعَ مِنْ مَنْزِلَةِ الْخَوْفِ وَمَقَامِهِ.

وَالْخَوْفُ الْمَحْمُودُ الصَّادِقُ: مَا حَالَ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَبَيْنَ مَحَارِمِ الله عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ خِيفَ مِنْهُ الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ.

قَالَ أَبُو عُثْمَانَ: صِدْقُ الْخَوْفِ هُوَ الْوَرَعُ عَنِ الْآثَامِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ يَقُولُ: الْخَوْفُ الْمَحْمُودُ مَا حَجَزَكَ عَنْ مَحَارِمِ الله، وَقَالَ صَاحِبُ الْمَنَازِلِ: الْخَوْفُ هُوَ الِانْخِلَاعُ مِنْ طُمَأْنِينَةِ الْأَمْنِ بِمُطَالَعَةِ الْخَبَرِ، يَعْنِي الْخُرُوجَ عَنْ سُكُونِ الْأَمْنِ بِاسْتِحْضَارِ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ][1].

❖ الرجاء:

قَالَ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧] فَابْتِغَاءُ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ: طَلَبُ الْقُرْبِ مِنْهُ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ. فَذَكَرَ مَقَامَاتِ الْإِيمَانِ الثَّلَاثَةَ الَّتِي عَلَيْهَا بِنَاؤُهُ: الْحُبَّ، وَالْخَوْفَ، وَالرَّجَاءَ. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥] وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف] وقال تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة]

* وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[2] عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ - قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ -: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ**»، وَفِي الصَّحِيحِ[3] عَنْهُ ﷺ «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**».

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١١).

(٢) صحيح مسلم (٢٨٧٧)

(٣) رواه أحمد (١٦٠١٦) وابن حبان (٦٣٣) والحاكم (٧٦٠٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

الرَّجَاءُ ؛ حَادٍ يَحْدُو الْقُلُوبَ إِلَى بِلَادِ الْمَحْبُوبِ. وَهُوَ اللهُ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ. وَيَطِيبُ لَهَا السَّيْرُ.

وَقِيلَ: هُوَ الِاسْتِبْشَارُ بِجُودِ وَفَضْلِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وَالِارْتِيَاحُ لِمُطَالَعَةِ كَرَمِهِ سُبْحَانَهُ. وَلِهَذَا أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ الرَّجَاءَ لَا يَصِحُّ إِلَّا مَعَ الْعَمَلِ.

قَالَ شَاهُ الْكِرْمَانِيُّ: عَلَامَةُ صِحَّةِ الرَّجَاءِ حُسْنُ الطَّاعَةِ.

وَالرَّجَاءُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: نَوْعَانِ مَحْمُودَانِ، وَنَوْعٌ غُرُورٌ مَذْمُومٌ.

فَالْأَوَّلَانِ رَجَاءُ رَجُلٍ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ. فَهُوَ رَاجٍ لِثَوَابِهِ. وَرَجُلٌ أَذْنَبَ ذُنُوبًا ثُمَّ تَابَ مِنْهَا. فَهُوَ رَاجٍ لِمَغْفِرَةِ اللهِ تَعَالَى وَعَفْوِهِ وَإِحْسَانِهِ وَجُودِهِ وَحِلْمِهِ وَكَرَمِهِ.

وَالثَّالِثُ: رَجُلٌ مُتَمَادٍ فِي التَّفْرِيطِ وَالْخَطَايَا. يَرْجُو رَحْمَةَ اللهِ بِلَا عَمَلٍ. فَهَذَا هُوَ الْغُرُورُ وَالتَّمَنِّي وَالرَّجَاءُ الْكَاذِبُ.

وَلِلسَّالِكِ نَظَرَانِ: نَظَرٌ إِلَى نَفْسِهِ وَعُيُوبِهِ وَآفَاتِ عَمَلِهِ، يَفْتَحُ عَلَيْهِ بَابَ الْخَوْفِ إِلَى سِعَةِ فَضْلِ رَبِّهِ وَكَرْمِهِ وَبَرِّهِ. وَنَظَرٌ يَفْتَحُ عَلَيْهِ بَابَ الرَّجَاءِ.

وَلِهَذَا قِيلَ فِي حَدِّ الرَّجَاءِ: هُوَ النَّظَرُ إِلَى سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الرُّوذْبَارِيُّ: الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ كَجَنَاحَيِ الطَّائِرِ إِذَا اسْتَوَيَا اسْتَوَى الطَّيْرُ وَتَمَّ طَيَرَانُهُ. وَإِذَا نَقَصَ أَحَدُهُمَا وَقَعَ فِيهِ النَّقْصُ. وَإِذَا ذَهَبَا صَارَ الطَّائِرُ فِي حَدِّ الْمَوْتِ. وَسُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ عَاصِمٍ: مَا عَلَامَةُ الرَّجَاءِ فِي الْعَبْدِ؟ فَقَالَ: أَنْ يَكُونَ إِذَا أَحَاطَ بِهِ الْإِحْسَانُ أُلْهِمَ الشُّكْرَ، رَاجِيًا لِتَمَامِ النِّعْمَةِ مِنَ اللهِ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَتَمَامِ عَفْوِهِ عَنْهُ فِي الْآخِرَةِ.

وَاخْتَلَفُوا، أَيُّ الرَّجَائَيْنِ أَكْمَلُ: رَجَاءُ الْمُحْسِنِ ثَوَابَ إِحْسَانِهِ. أَوْ رَجَاءُ الْمُسِيءِ التَّائِبِ مَغْفِرَةَ رَبِّهِ وَعَفْوِهِ؟ .

فَطَائِفَةٌ رَجَّحَتْ رَجَاءَ الْمُحْسِنِ. لِقُوَّةِ أَسْبَابِ الرَّجَاءِ مَعَهُ. وَطَائِفَةٌ رَجَّحَتْ رَجَاءَ الْمُذْنِبِ؛ لِأَنَّ رَجَاءَهُ مُجَرَّدٌ عَنْ عِلَّةِ رُؤْيَةِ الْعَمَلِ، مَقْرُونٌ بِذِلَّةِ رُؤْيَةِ الذَّنْبِ.

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: يَكَادُ رَجَائِي لَكَ مَعَ الذُّنُوبِ يَغْلِبُ رَجَائِي لَكَ مَعَ الْأَعْمَالِ؛ لِأَنِّي أَجِدُنِي أَعْتَمِدُ فِي الْأَعْمَالِ عَلَى الْإِخْلَاصِ، وَكَيْفَ أُصَفِّيهَا وَأُحْرِزُهَا؟ وَأَنَا بِالْآفَاتِ مَعْرُوفٌ. وَأَجِدُنِي فِي الذُّنُوبِ أَعْتَمِدُ عَلَى عَفْوِكَ، وَكَيْفَ لَا تَغْفِرُهَا وَأَنْتَ بِالْجُودِ مَوْصُوفٌ؟ .

وَقَالَ أَيْضًا: إِلَهِي، أَحْلَى الْعَطَايَا فِي قَلْبِي رَجَاؤُكَ. وَأَعْذَبُ الْكَلَامِ عَلَى لِسَانِي ثَنَاؤُكَ. وَأَحَبُّ السَّاعَاتِ إِلَيَّ سَاعَةٌ يَكُونُ فِيهَا لِقَاؤُكَ.

❖ التوبة:

قَالَ النووي في رياض الصّالحين:

قَالَ العلماءُ: التَّوْبَةُ وَاجبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْب، فإنْ كَانتِ المَعْصِيَةُ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ الله تَعَالَى لا تَتعلَّقُ بحقّ آدَمِيٍّ فَلَهَا ثَلاثَةُ شُرُوط:

أَحَدُها: أَنْ يُقلِعَ عَنِ المَعصِيَةِ.

والثَّانِي: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا.

والثَّالثُ: أنْ يَعْزِمَ أَنْ لا يعُودَ إِلَيْهَا أَبداً. فَإِنْ فُقِدَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوبَتُهُ..

وإنْ كَانَتِ المَعْصِيةُ تَتَعَلقُ بآدَمِيٍّ فَشُرُوطُهَا أَرْبَعَةٌ: هذِهِ الثَّلاثَةُ، وأنْ يَبْرَأَ مِنْ حَقّ صَاحِبِها، فَإِنْ كَانَتْ مالاً أَوْ نَحوَهُ رَدَّهُ إِلَيْه، وإنْ كَانَت حَدَّ قَذْفٍ ونَحْوَهُ مَكَّنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ، وإنْ كَانْت غِيبَةً استَحَلَّهُ مِنْهَا. ويجِبُ أنْ يَتُوبَ مِنْ جميعِ الذُّنُوبِ، فَإِنْ تَابَ مِنْ بَعْضِها صَحَّتْ تَوْبَتُهُ عِنْدَ أهْلِ الحَقِّ مِنْ ذلِكَ الذَّنْبِ وبَقِيَ عَلَيهِ البَاقي.

وَقَدْ تَظَاهَرَتْ دَلائِلُ الكتَابِ والسُّنَّةِ، وإجْمَاعِ الأُمَّةِ عَلَى وُجوبِ التَّوبةِ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١]، وقال تَعَالَى: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٥٢] وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

- وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والله إنِّي لأَسْتَغْفِرُ الله وأَتُوبُ إِلَيْه في اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»(١).

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٦٣٠٧).

- وعن الأغر بن يسار المزني ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلى اللهِ واسْتَغْفِرُوهُ، فإنِّي أَتُوبُ في اليَومِ مئةَ مَرَّةٍ»(١).
- وعن أبي حمزة أنس بن مالك الأنصاري ﵁ خادم رسول الله ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «للهُ أفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وقد أضلَّهُ في أرضٍ فَلاةٍ»(٢) متفق عليه، وفي رواية لمسلم: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يتوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بأرضٍ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فأَيسَ مِنْهَا، فَأَتى شَجَرَةً فاضطَجَعَ في ظِلِّهَا وقد أيسَ مِنْ رَاحلَتهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِها قائِمَةً عِندَهُ، فَأَخَذَ بِخِطامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبدِي وأنا رَبُّكَ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ».
- وعن أبي مُوسى عبدالله بن قَيس الأَشعَريّ ﵁ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «إنَّ الله تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بالليلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها»(٣).
- وعن أبي هُرَيرَة ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها تَابَ اللهُ عَلَيهِ»(٤).
- وعن أبي عبد الرَّحمٰن عبدالله بن عمر بن الخطاب ﵄ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ يَقْبَلُ تَوبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»(٥).

جاء في مدارج السالكين ما ننقل منه باختصار:

[وَنَذْكُرُ نُبَذًا تَتَعَلَّقُ بِأَحْكَامِ التَّوْبَةِ، تَشْتَدُّ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا، وَلَا يَلِيقُ بِالْعَبْدِ جَهْلُهَا.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٢).

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧).

(٣) رواه مسلم (٢٧٥٩).

(٤) رواه مسلم (٢٧٠٣).

(٥) رواه ابن ماجه (٤٢٥٣)، والترمذي (٣٥٣٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

مِنْهَا: أَنَّ الْمُبَادَرَةَ إِلَى التَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ فَرْضٌ عَلَى الْفَوْرِ، وَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهَا، فَمَتَى أَخَّرَهَا عَصَى بِالتَّأْخِيرِ، فَإِذَا تَابَ مِنَ الذَّنْبِ بَقِيَ عَلَيْهِ تَوْبَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ تَوْبَتُهُ مِنْ تَأْخِيرِ التَّوْبَةِ، وَقَلَّ أَنْ تَخْطُرَ هَذِهِ بِبَالِ التَّائِبِ، بَلْ عِنْدَهُ أَنَّهُ إِذَا تَابَ مِنَ الذَّنْبِ لَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ شَيْءٌ آخَرُ، وَقَدْ بَقِيَ عَلَيْهِ التَّوْبَةُ مِنْ تَأْخِيرِ التَّوْبَةِ، وَلَا يُنْجِي مِنْ هَذَا إِلَّا تَوْبَةٌ عَامَّةٌ، مِمَّا يَعْلَمُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُ، فَإِنَّ مَا لَا يَعْلَمُهُ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يَعْلَمُهُ، وَلَا يَنْفَعُهُ فِي عَدَمِ الْمُؤَاخَذَةِ بِهَا جَهْلُهُ إِذَا كَانَ مُتَمَكِّنًا مِنَ الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ عَاصٍ بِتَرْكِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، فَالْمَعْصِيَةُ فِي حَقِّهِ أَشَدُّ، وَفِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الشِّرْكُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَكَيْفَ الْخَلَاصُ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»[1].

فَهَذَا طَلَبُ الِاسْتِغْفَارِ مِمَّا يَعْلَمُهُ اللهُ أَنَّهُ ذَنْبٌ، وَلَا يَعْلَمُهُ الْعَبْدُ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَأِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[2].

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ، خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ، سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ، أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ»[3]، فَهَذَا التَّعْمِيمُ وَهَذَا الشُّمُولُ لِتَأْتِيَ التَّوْبَةُ عَلَى مَا عَلِمَهُ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَمَا لَمْ يَعْلَمْهُ.

وَهَذَا يَتَبَيَّنُ بِذِكْرِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَحَقِيقَتِهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨]، فَجَعَلَ وِقَايَةَ شَرِّ السَّيِّئَاتِ - وَهُوَ تَكْفِيرُهَا - بِزَوَالِ مَا يَكْرَهُ الْعَبْدُ، وَدُخُولِ الْجَنَّاتِ - وَهُوَ حُصُولُ مَا يُحِبُّ الْعَبْدُ - مَنُوطًا بِحُصُولِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَالنَّصُوحُ عَلَى وَزْنِ فَعُولٍ الْمَعْدُولِ بِهِ عَنْ فَاعِلٍ قَصْدًا لِلْمُبَالَغَةِ، كَالشَّكُورِ وَالصَّبُورِ، وَأَصْلُ مَادَّةِ (ن ص ح) لِخَلَاصِ الشَّيْءِ مِنَ الْغِشِّ وَالشَّوَائِبِ الْغَرِيبَةِ، وَهُوَ مُلَاقٍ فِي الِاشْتِقَاقِ

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧١٦) وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٦٣٩٨) ومسلم (٢٧١٩) إلا أنه عندهم بلفظ «... وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

(٣) روى مسلم في صحيحه بمعناه برقم (٤٨٣).

الْأَكْبَرِ لِنَصَحَ إِذَا خَلَصَ، فَالنُّصْحُ فِي التَّوْبَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالْمَشُورَةِ تَخْلِيصُهَا مِنْ كُلِّ غِشٍّ وَنَقْصٍ وَفَسَادٍ، وَإِيقَاعُهَا عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ، وَالنُّصْحُ ضِدُّ الْغِشِّ.

وَقَدِ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ السَّلَفِ عَنْهَا، وَمَرْجِعُهَا إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ﷺ: (التَّوْبَةُ النَّصُوحُ أَنْ يَتُوبَ مِنَ الذَّنْبِ ثُمَّ لَا يَعُودَ إِلَيْهِ، كَمَا لَا يَعُودُ اللَّبَنُ إِلَى الضَّرْعِ) وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: (هِيَ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ نَادِمًا عَلَى مَا مَضَى، مُجْمِعًا عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ فِيهِ)، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: أَنْ يَسْتَغْفِرَ بِاللِّسَانِ، وَيَنْدَمَ بِالْقَلْبِ، وَيُمْسِكَ بِالْبَدَنِ] أهـ.

❖ الورع:

قَالَ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

[قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ۝٥١﴾ [المؤمنون] وقال تَعَالَى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾ [المدثر] قَالَ قَتَادَةُ وَمُجَاهِدٌ: نَفْسَكَ فَطَهِّرْ مِنَ الذَّنْبِ. فَكَنَّى عَنِ النَّفْسِ بِالثَّوْبِ. وَهَذَا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ، النَّخَعِيِّ وَالضَّحَّاكِ، وَالشَّعْبِيِّ، وَالزُّهْرِيِّ، وَالْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا تَلْبَسْهَا عَلَى مَعْصِيَةٍ وَلَا غَدْرٍ. ثُمَّ قَالَ: أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ غَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ الثَّقَفِيِّ:

وَإِنِّي - بِحَمْدِ الله - لَا ثَوْبَ غَادِرٍ لَبِسْتُ وَلَا مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ

وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي وَصْفِ الرَّجُلِ بِالصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ: طَاهِرُ الثِّيَابِ. وَتَقُولُ لِلْغَادِرِ وَالْفَاجِرِ: دَنِسُ الثِّيَابِ. وَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: لَا تَلْبَسْهَا عَلَى الْغَدْرِ، وَالظُّلْمِ وَالْإِثْمِ. وَلَكِنِ الْبِسْهَا وَأَنْتَ بَرٌّ طَاهِرٌ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: عَمَلَكَ فَأَصْلِحْ (..) وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْوَرَعَ يُطَهِّرُ دَنَسَ الْقَلْبِ وَنَجَاسَتَهُ. كَمَا يُطَهِّرُ الْمَاءُ دَنَسَ الثَّوْبِ وَنَجَاسَتَهُ وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ الْوَرَعَ كُلَّهُ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ. فَقَالَ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»(١) فَهَذَا يَعُمُّ التَّرْكَ لِمَا لَا يَعْنِي مِنَ الْكَلَامِ، وَالنَّظَرِ، وَالِاسْتِمَاعِ، وَالْبَطْشِ وَالْمَشْيِ، وَالْفِكْرِ، وَسَائِرِ الْحَرَكَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ. فَهَذِهِ الْكَلِمَةُ كَافِيَةٌ شَافِيَةٌ فِي الْوَرَعِ.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣١٧) وابن ماجة (٣٩٧٦) وغيرهم، وصححه الألباني.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ: الْوَرَعُ تَرْكُ كُلِّ شُبْهَةٍ، وَتَرْكُ مَالَا يَعْنِيكَ هُوَ تَرْكُ الْفَضَلَاتِ. وَفِي التِّرْمِذِيِّ[١] مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ» .

قَالَ الشِّبْلِيُّ: الْوَرَعُ أَنْ يُتَوَرَّعَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَى الله. وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلَفٍ: الْوَرَعُ فِي الْمَنْطِقِ أَشَدُّ مِنْهُ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَالزُّهْدُ فِي الرِّيَاسَةِ أَشَدُّ مِنْهُ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، لِأَنَّهُمَا يُبْذَلَانِ فِي طَلَبِ الرِّيَاسَةِ.

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: الْوَرَعُ أَوَّلُ الزُّهْدِ، كَمَا أَنَّ الْقَنَاعَةَ أَوَّلُ الرِّضَا.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: الْوَرَعُ الْوُقُوفُ عَلَى حَدِّ الْعِلْمِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ. وَقَالَ: الْوَرَعُ عَلَى وَجْهَيْنِ. وَرَعٌ فِي الظَّاهِرِ، وَوَرَعٌ فِي الْبَاطِنِ، فَوَرَعُ الظَّاهِرِ أَنْ لَا يَتَحَرَّكَ إِلَّا للهِ، وَوَرَعُ الْبَاطِنِ هُوَ أَنْ لَا تُدْخِلَ قَلْبَكَ سِوَاهُ. وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي الدَّقِيقِ مِنَ الْوَرَعِ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْجَلِيلِ مِنَ الْعَطَاءِ.

وَقِيلَ: الْوَرَعُ الْخُرُوجُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَتَرَكُ السَّيِّئَاتِ.

وَقِيلَ: مَنْ دَقَّ فِي الدُّنْيَا وَرَعُهُ - أَوْ نَظَرُهُ - جَلَّ فِي الْقِيَامَةِ خَطَرُهُ.

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ: الْوَرَعُ الْخُرُوجُ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ، وَمُحَاسَبَةُ النَّفْسِ فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ. وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: مَا رَأَيْتُ أَسْهَلَ مِنَ الْوَرَعِ، مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ فَاتْرُكْهُ.

وَقَالَ سَهْلٌ: الْحَلَالُ هُوَ الَّذِي لَا يُعْصَى اللهُ فِيهِ، وَالصَّافِي مِنْهُ الَّذِي لَا يُنْسَى اللهُ فِيهِ، وَسَأَلَ الْحَسَنُ غُلَامًا. فَقَالَ لَهُ: مَا مِلَاكُ الدِّينِ؟ قَالَ: الْوَرَعُ. قَالَ: فَمَا آفَتُهُ؟ قَالَ: الطَّمَعُ. فَعَجِبَ الْحَسَنُ مِنْهُ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْوَرَعِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ مِثْقَالٍ مِنَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: جُلَسَاءُ الله غَدًا أَهْلُ الْوَرَعِ وَالزُّهْدِ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ.

وَقَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: كُنَّا نَدَعُ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْحَلَالِ مَخَافَةَ أَنْ نَقَعَ فِي بَابٍ مِنَ الْحَرَامِ..

الْخَوْفُ يُثْمِرُ الْوَرَعَ وَالِاسْتِعَانَةَ وَقِصَرَ الْأَمَلِ. وَقُوَّةُ الْإِيمَانِ بِاللِّقَاءِ تُثْمِرُ الزُّهْدَ. وَالْمَعْرِفَةُ تُثْمِرُ الْمَحَبَّةَ وَالْخَوْفَ وَالرَّجَاءَ. وَالْقَنَاعَةُ تُثْمِرُ الرِّضَاءَ. وَالذِّكْرُ يُثْمِرُ حَيَاةَ الْقَلْبِ. وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ يُثْمِرُ التَّوَكُّلَ. وَدَوَامُ تَأَمُّلِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ يُثْمِرُ الْمَعْرِفَةَ. وَالْوَرَعُ يُثْمِرُ الزُّهْدَ أَيْضًا. وَالتَّوْبَةُ تُثْمِرُ الْمَحَبَّةَ أَيْضًا، وَدَوَامُ الذِّكْرِ

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٥) وابن ماجة (٤٢١٧) واللفظ له، وصححه الألباني، وحسنه الأرنؤوط.

يُثْمِرُهَا. وَالرِّضَا يُثْمِرُ الشُّكْرَ. وَالْعَزِيمَةُ وَالصَّبْرُ يُثْمِرَانِ جَمِيعَ الْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ. وَالْإِخْلَاصُ وَالصِّدْقُ كُلٌّ مِنْهُمَا يُثْمِرُ الْآخَرَ وَيَقْتَضِيهِ. وَالْمَعْرِفَةُ تُثْمِرُ الْخُلُقَ. وَالْفِكْرُ يُثْمِرُ الْعَزِيمَةَ. وَالْمُرَاقَبَةُ تُثْمِرُ عِمَارَةَ الْوَقْتِ، وَحِفْظَ الْأَيَّامِ وَالْحَيَاءَ، وَالْخَشْيَةَ وَالْإِنَابَةَ. وَإِمَاتَةُ النَّفْسِ وَإِذْلَالُهَا وَكَسْرُهَا يُوجِبُ حَيَاةَ الْقَلْبِ وَعِزَّهُ وَجَبْرَهُ. وَمَعْرِفَةُ النَّفْسِ وَمَقْتُهَا يُوجِبُ الْحَيَاءَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاسْتِكْثَارَ مَا مِنْهُ، وَاسْتِقْلَالَ مَا مِنْكَ مِنَ الطَّاعَاتِ. وَمَحْوَ أَثَرِ الدَّعْوَى مِنَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَصِحَّةُ الْبَصِيرَةِ تُثْمِرُ الْيَقِينَ. وَحَسَنُ التَّأَمُّلِ لِمَا تَرَى وَتَسْمَعُ مِنَ الْآيَاتِ الْمَشْهُودَةِ وَالْمَتْلُوَّةِ يُثْمِرُ صِحَّةَ الْبَصِيرَةِ.

وَمِلَاكُ ذَلِكَ كُلِّهِ: أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ تَنْقُلَ قَلْبَكَ مِنْ وَطَنِ الدُّنْيَا فَتُسْكِنَهُ فِي وَطَنِ الْآخِرَةِ، ثُمَّ تُقْبِلَ بِهِ كُلِّهِ عَلَى مَعَانِي الْقُرْآنِ وَاسْتِجْلَائِهَا وَتَدَبُّرِهَا، وَفَهْمِ مَا يُرَادُ مِنْهُ وَمَا نَزَلَ لِأَجْلِهِ، وَأَخْذِ نَصِيبِكَ وَحَظِّكَ مِنْ كُلِّ آيَةٍ مِنْ آيَاتِهِ، وَتُنْزِلَهَا عَلَى دَاءِ قَلْبِكَ.

فَهَذِهِ طَرِيقٌ مُخْتَصَرَةٌ قَرِيبَةٌ سَهْلَةٌ. مُوَصِّلَةٌ إِلَى الرَّفِيقِ الْأَعْلَى. آمِنَةٌ لَا يَلْحَقُ سَالِكَهَا خَوْفٌ وَلَا عَطَبٌ، وَلَا جَوْعٌ وَلَا عَطَشٌ، وَلَا فِيهَا آفَةٌ مِنْ آفَاتِ سَائِرِ الطَّرِيقِ الْبَتَّةَ. وَعَلَيْهَا مِنَ اللهِ حَارِسٌ وَحَافِظٌ يَكْلَأُ السَّالِكِينَ فِيهَا وَيَحْمِيهِمْ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ. وَلَا يَعْرِفُ قَدْرَ هَذِهِ الطَّرِيقِ إِلَّا مَنْ عَرَفَ طُرُقَ النَّاسِ وَغَوَائِلَهَا وَآفَاتِهَا وَقُطَّاعَهَا. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ]أهـ[1].

❖ الخشوع:

قال ابن القيم في مدارج السالكين [2]:

[قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦] قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: (مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ)، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (إِنَّ اللهَ اسْتَبْطَأَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، فَعَاتَبَهُمْ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ نُزُولِ الْقُرْآنِ) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون] وَالْخُشُوعُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ الِانْخِفَاضُ، وَالذُّلُّ، وَالسُّكُونُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨] أَيْ سَكَنَتْ، وَذَلَّتْ، وَخَضَعَتْ، وَمِنْهُ وَصْفُ

---

(١) مدارج السالكين / منزلة الزهد (٢/ ٢٢).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥١٧).

الْأَرْضِ بِالْخُشُوعِ، وَهُوَ يُبْسُهَا، وَانْخِفَاضُهَا، وَعَدَمُ ارْتِفَاعِهَا بِالرِّيِّ وَالنَّبَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩]

وَالْخُشُوعُ: قِيَامُ الْقَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ بِالْخُضُوعِ وَالذُّلِّ، وَالْجَمْعِيَّةِ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: الْخُشُوعُ الِانْقِيَادُ لِلْحَقِّ، وَهَذَا مِنْ مُوجِبَاتِ الْخُشُوعِ، فَمِنْ عَلَامَاتِهِ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا خُولِفَ وَرُدَّ عَلَيْهِ بِالْحَقِّ اسْتَقْبَلَ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ وَالِانْقِيَادِ.

وَقِيلَ: الْخُشُوعُ خُمُودُ نِيرَانِ الشَّهْوَةِ، وَسُكُونُ دُخَانِ الصُّدُورِ، وَإِشْرَاقُ نُورِ التَّعْظِيمِ فِي الْقَلْبِ، وَقَالَ الْجُنَيْدُ: الْخُشُوعُ تَذَلُّلُ الْقُلُوبِ لِعَلَّامِ الْغُيُوبِ.

وَأَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ الْخُشُوعَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ، وَثَمَرَتُهُ عَلَى الْجَوَارِحِ، وَهِيَ تُظْهِرُهُ، وَرَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَعْبَثُ بِلِحْيَتِهِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ»[1]، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «التَّقْوَى هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»[2] وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: حُسْنُ أَدَبِ الظَّاهِرِ عُنْوَانُ أَدَبِ الْبَاطِنِ، وَرَأَى بَعْضُهُمْ رَجُلًا خَاشِعَ الْمَنْكِبَيْنِ وَالْبَدَنِ، فَقَالَ: يَا فُلَانُ، الْخُشُوعُ هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ، لَا هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى مَنْكِبَيْهِ.

وَكَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَهُوَ حُذَيْفَةُ، يَقُولُ: (إِيَّاكُمْ وَخُشُوعَ النِّفَاقِ، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ؟ قَالَ: أَنْ تَرَى الْجَسَدَ خَاشِعًا وَالْقَلْبُ لَيْسَ بِخَاشِعٍ)[3]، وَرَأَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَجُلًا طَأْطَأَ رَقَبَتَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: (يَا صَاحِبَ الرَّقَبَةِ، ارْفَعْ رَقَبَتَكَ، لَيْسَ الْخُشُوعُ فِي الرِّقَابِ، إِنَّمَا الْخُشُوعُ فِي الْقُلُوبِ)، وَرَأَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا شَبَابًا يَمْشُونَ وَيَتَمَاوَتُونَ فِي مِشْيَتِهِمْ، فَقَالَتْ لِأَصْحَابِهَا: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالُوا: نُسَّاكٌ، فَقَالَتْ: (كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا مَشَى أَسْرَعَ، وَإِذَا قَالَ أَسْمَعَ، وَإِذَا ضَرَبَ أَوْجَعَ، وَإِذَا أَطْعَمَ أَشْبَعَ، وَكَانَ هُوَ النَّاسِكَ حَقًّا)، وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: كَانَ يُكْرَهُ أَنْ يُرِيَ الرَّجُلُ مِنَ الْخُشُوعِ أَكْثَرَ مِمَّا فِي قَلْبِهِ، وَقَالَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْخُشُوعُ،

---

(١) انظر حلية الأولياء (١٠/ ٢٣٠) ومصنف ابن أبي الشيبة (٦٧٨٧) وقال الألباني في إرواء الغليل (٣٧٣): موضوع.

(٢) مسلم (٢٥٦٤).

(٣) روى البيهقي في شعب الإيمان (٦٥٦٨) بمعناه من قول أبي بكر ﷺ.

وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الصَّلاَةُ، وَرُبَّ مُصَلٍّ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَيُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ الْجَمَاعَةِ فَلَا تَرَى فِيهِمْ خَاشِعًا)، وَقَالَ سَهْلٌ: مَنْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَمْ يَقْرَبْ مِنْهُ الشَّيْطَانُ] أهـ.

❖ **الزهد:**

قَالَ الإِمَام ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٨):

فصل ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين:

قَالَ الله تَعَالَى ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] وقال تَعَالَى ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠﴾ [الحديد]

وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنَ التَّزْهِيدِ فِي الدُّنْيَا، وَالْإِخْبَارِ بِخِسَّتِهَا، وَقِلَّتِهَا وَانْقِطَاعِهَا، وَسُرْعَةِ فَنَائِهَا. وَالتَّرْغِيبِ فِي الْآخِرَةِ، وَالْإِخْبَارِ بِشَرَفِهَا وَدَوَامِهَا. فَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا أَقَامَ فِي قَلْبِهِ شَاهِدًا يُعَايِنُ بِهِ حَقِيقَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَيُؤْثِرُ مِنْهُمَا مَا هُوَ أَوْلَى بِالْإِيثَارِ.

وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ مِنَ الْكَلَامِ فِي الزُّهْدِ وَكُلٌّ أَشَارَ إِلَى ذَوْقِهِ. وَنَطَقَ عَنْ حَالِهِ وَشَاهِدِهِ. فَإِنَّ غَالِبَ عِبَارَاتِ الْقَوْمِ عَنْ أَذْوَاقِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ. وَالْكَلَامُ بِلِسَانِ الْعِلْمِ أَوْسَعُ مِنَ الْكَلَامِ بِلِسَانِ الذَّوْقِ، وَأَقْرَبُ إِلَى الْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ.

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - يَقُولُ: (الزُّهْدُ تَرْكُ مَا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ. وَالْوَرَعُ تَرْكُ مَا تَخَافُ ضَرَرُهُ فِي الْآخِرَةِ)، وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ وَأَجْمَعِهَا.

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: (الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قِصَرُ الْأَمَلِ. لَيْسَ بِأَكْلِ الْغَلِيظِ، وَلَا لُبْسِ الْعَبَاءِ).

وَقَالَ الْجُنَيْدُ: (سَمِعْتُ سَرِيًّا يَقُولُ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ سَلَبَ الدُّنْيَا عَنْ أَوْلِيَائِهِ وَحَمَاهَا عَنْ أَصْفِيَائِهِ، وَأَخْرَجَهَا مِنْ قُلُوبِ أَهْلِ وِدَادِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرْضَهَا لَهُمْ)، وَقَالَ: الزُّهْدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝٢٣﴾ [الحديد] فَالزَّاهِدُ لَا يَفْرَحُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَوْجُودٍ. وَلَا يَأْسَفُ مِنْهَا عَلَى مَفْقُودٍ)، وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: (الزُّهْدُ يُورِثُ السَّخَاءَ بِالْمُلْكِ، وَالْحُبُّ

يُورِثُ السَّخَاءَ بِالرُّوحِ)، وَقَالَ ابْنُ الْجَلَاءِ: (الزُّهْدُ هُوَ النَّظَرُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الزَّوَالِ، فَتَصْغُرُ فِي عَيْنَيْكَ، فَيَسْهُلُ عَلَيْكَ الْإِعْرَاضُ عَنْهَا.

وَقَالَ ابْنُ خَفِيفٍ: الزُّهْدُ وُجُودُ الرَّاحَةِ فِي الْخُرُوجِ مِنَ الْمُلْكِ، وَقَالَ أَيْضًا: الزُّهْدُ سُلُوُّ الْقَلْبِ عَنِ الْأَسْبَابِ، وَنَفْضُ الْأَيْدِي مِنَ الْأَمْلَاكِ، وَقِيلَ: هُوَ عُزُوفُ الْقَلْبِ عَنِ الدُّنْيَا بِلَا تَكَلُّفٍ.

وَقَالَ الْجُنَيْدُ: الزُّهْدُ خُلُوُّ الْقَلْبِ عَمَّا خَلَتْ مِنْهُ الْيَدُ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا قِصَرُ الْأَمَلِ، وَعَنْهُ رِوَايَةٌ أُخْرَى أَنَّهُ عَدَمُ فَرَحِهِ بِإِقْبَالِهَا. وَلَا حُزْنِهِ عَلَى إِدْبَارِهَا. فَإِنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَكُونُ مَعَهُ أَلْفُ دِينَارٍ. هَلْ يَكُونُ زَاهِدًا؟ فَقَالَ: نَعَمْ. عَلَى شَرِيطَةِ أَنْ لَا يَفْرَحَ إِذَا زَادَتْ، وَلَا يَحْزَنَ إِذَا نَقَصَتْ.

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هُوَ الثِّقَةُ بِاللهِ مَعَ حُبِّ الْفَقْرِ. وَهَذَا قَوْلُ شَقِيقٍ وَيُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ.

وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ: الزُّهْدُ: الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا وَالدِّرْهَمِ.

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: تَرْكُ مَا يُشْغِلُ عَنِ اللهِ. وَهُوَ قَوْلُ الشِّبْلِيِّ.

وَسَأَلَ رُوَيْمٌ الْجُنَيْدَ عَنِ الزُّهْدِ؟ فَقَالَ: اسْتِصْغَارُ الدُّنْيَا، وَمَحْوُ آثَارِهَا مِنَ الْقَلْبِ، وَقَالَ مَرَّةً: هُوَ خُلُوُّ الْيَدِ عَنِ الْمُلْكِ، وَالْقَلْبِ عَنِ التَّتَبُّعِ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: لَا يَبْلُغُ أَحَدٌ حَقِيقَةَ الزُّهْدِ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: عَمَلٌ بِلَا عَلَاقَةٍ، وَقَوْلٌ بِلَا طَمَعٍ، وَعِزٌّ بِلَا رِيَاسَةٍ، وَقَالَ أَيْضًا: الزَّاهِدُ يُسْعِطُكَ الْخَلَّ وَالْخَرْدَلَ، وَالْعَارِفُ يُشِمُّكَ الْمِسْكَ وَالْعَنْبَرَ.

وَقِيلَ: حَقِيقَتُهُ هُوَ الزُّهْدُ فِي النَّفْسِ. وَهَذَا قَوْلُ ذِي النُّونِ الْمِصْرِيِّ، وَقِيلَ: الزُّهْدُ الْإِيثَارُ عِنْدَ الِاسْتِغْنَاءِ، وَالْفُتُوَّةُ: الْإِيثَارُ عِنْدَ الْحَاجَةِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وَقَالَ رَجُلٌ لِيَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ: مَتَى أَدْخُلُ حَانُوتَ التَّوَكُّلِ، وَأَلْبَسُ رِدَاءَ الزَّاهِدِينَ، وَأَقْعُدُ مَعَهُمْ؟ فَقَالَ: إِذَا صِرْتَ مِنْ رِيَاضَتِكَ لِنَفْسِكَ إِلَى حَدٍّ لَوْ قَطَعَ اللهُ الرِّزْقَ عَنْكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَمْ تَضْعُفْ نَفْسُكَ. فَأَمَّا مَا لَمْ تَبْلُغْ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ فَجُلُوسُكَ عَلَى بِسَاطِ الزَّاهِدِينَ جَهْلٌ، ثُمَّ لَا آمَنُ عَلَيْكَ أَنْ تَفْتَضِحَ.

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: الزُّهْدُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ. الْأَوَّلُ تَرْكُ الْحَرَامِ. وَهُوَ زُهْدُ الْعَوَامِّ. وَالثَّانِي تَرْكُ الْفُضُولِ مِنَ الْحَلَالِ. وَهُوَ زُهْدُ الْخَوَاصِّ. وَالثَّالِثُ تَرْكُ مَا يَشْغَلُ عَنِ اللهِ. وَهُوَ زُهْدُ الْعَارِفِينَ.

وَهَذَا الْكَلَامُ مِنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِ الْمَشَايِخِ، مَعَ زِيَادَةِ تَفْصِيلِهِ وَتَبْيِينِ دَرَجَاتِهِ. وَهُوَ مِنْ أَجْمَعِ الْكَلَامِ. وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ رِضَى الله عَنْهُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى. وَقَدْ شَهِدَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ بِإِمَامَتِهِ فِي ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ أَحَدُهَا الزُّهْدُ).

وَالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْعَارِفُونَ أَنَّ الزُّهْدَ سَفَرُ الْقَلْبِ مِنْ وَطَنِ الدُّنْيَا، وَأَخْذُهُ فِي مَنَازِلِ الْآخِرَةِ. وَعَلَى هَذَا صَنَّفَ الْمُتَقَدِّمُونَ كُتُبَ الزُّهْدِ. كَالزُّهْدِ لِعَبْدِ الله بْنِ الْمُبَارَكِ، وَلِلْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَلِوَكِيعٍ، وَلِهَنَّادِ بْنِ السَّرِيِّ، وَلِغَيْرِهِمْ.

وَمُتَعَلِّقُهُ سِتَّةُ أَشْيَاءَ. لَا يَسْتَحِقُّ الْعَبْدُ اسْمَ الزُّهْدِ حَتَّى يَزْهَدَ فِيهَا وَهِيَ: الْمَالُ، وَالصُّوَرُ، وَالرِّيَاسَةُ، وَالنَّاسُ، وَالنَّفْسُ، وَكُلُّ مَا دُونُ الله.

وَلَيْسَ الْمُرَادُ رَفْضَهَا مِنَ الْمُلْكِ. فَقَدْ كَانَ سُلَيْمَانُ وَدَاوُدُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ أَزْهَدِ أَهْلِ زَمَانِهِمَا. وَلَهُمَا مِنَ الْمَالِ وَالْمُلْكِ وَالنِّسَاءِ مَا لَهُمَا. وَكَانَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ أَزْهَدِ الْبَشَرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ. وَلَهُ تِسْعُ نِسْوَةٍ. وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَالزُّبَيْرُ وَعُثْمَانُ - رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمْ - مِنَ الزُّهَّادِ. مَعَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ. وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ مِنَ الزُّهَّادِ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَكْثَرِ الْأُمَّةِ مَحَبَّةً لِلنِّسَاءِ وَنِكَاحًا لَهُنَّ، وَأَغْنَاهُمْ. وَكَانَ عَبْدُ الله بْنُ الْمُبَارَكِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الزُّهَّادِ، مَعَ مَالٍ كَثِيرٍ. وَكَذَلِكَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الزُّهَّادِ. وَكَانَ لَهُ رَأْسُ مَالٍ يَقُولُ: لَوْلَا هُوَ لَتَمَنْدَلَ بِنَا هَؤُلَاءِ.

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي الزُّهْدِ، كَلَامُ الْحَسَنِ أَوْ غَيْرِهِ: «لَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ، وَلَا إِضَاعَةِ الْمَالِ. وَلَكِنْ أَنْ تَكُونَ بِمَا فِي يَدِ الله أَوْثَقُ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِكَ، وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ - إِذَا أُصِبْتَ بِهَا - أَرْغَبُ مِنْكَ فِيهَا لَوْ لَمْ تُصِبْكَ» . فَهَذَا مِنْ أَجْمَعِ كَلَامٍ فِي الزُّهْدِ وَأَحْسَنِهِ. وَقَدْ رُوِيَ مَرْفُوعًا.

وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الزُّهْدِ هَلْ هُوَ مُمْكِنٌ فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ أَمْ لَا؟

فَقَالَ أَبُو حَفْصٍ: الزُّهْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْحَلَالِ. وَلَا حَلَالَ فِي الدُّنْيَا، فَلَا زُهْدَ. وَخَالَفَهُ النَّاسُ فِي هَذَا. وَقَالُوا: بَلِ الْحَلَالُ مَوْجُودٌ فِيهَا. وَفِيهَا الْحَرَامُ كَثِيرًا. وَعَلَى تَقْدِيرِ: أَنْ لَا يَكُونَ فِيهَا الْحَلَالُ، فَهَذَا أَدْعَى إِلَى الزُّهْدِ فِيهَا، وَتَنَاوُلِ مَا يَتَنَاوَلُهُ الْمُضْطَرُّ مِنْهَا، كَتَنَاوُلِهِ لِلْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ.

وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ: (لَوْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا بَلَغَ فِي الزُّهْدِ مَنْزِلَةَ أَبِي ذَرٍّ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَسَلْمَانَ وَالْمِقْدَادِ وَأَشْبَاهِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مَا قُلْتُ لَهُ زَاهِدٌ؛ لِأَنَّ الزُّهْدَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْحَلَالِ الْمَحْضِ. وَالْحَلَالُ الْمَحْضُ لَا يُوجَدُ فِي زَمَانِنَا هَذَا. وَأَمَّا الْحَرَامُ فَإِنِ ارْتَكَبْتَهُ عَذَّبَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ).

(درجات الزهد): الدَّرَجَةُ الْأُولَى: الزُّهْدُ فِي الشُّبْهَةِ بَعْدَ تَرْكِ الْحَرَامِ بِالْحَذَرِ مِنَ الْمَعْتَبَةِ، وَالْأَنَفَةِ مِنَ الْمَنْقَصَةِ، وَكَرَاهَةِ مُشَارَكَةِ الْفُسَّاقِ.

أَمَّا الزُّهْدُ فِي الشُّبْهَةِ فَهُوَ تَرْكُ مَا يُشْتَبَهُ عَلَى الْعَبْدِ هَلْ هُوَ حَلَالٌ، أَوْ حَرَامٌ؟ كَمَا فِي حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَ ذَلِكَ أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبَهَاتِ اتَّقَى الْحَرَامَ. وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبَهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى. يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى. أَلَا وَإِنَّ حِمَى الله مَحَارِمُهُ. أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ. وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ. أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[1] فَالشُّبُهَاتُ بَرْزَخٌ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ (...)

وَقَوْلُهُ: بَعْدَ تَرْكِ الْحَرَامِ؛ أَيْ تَرْكِ الشُّبْهَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ تَرْكِ الْحَرَامِ.

وَقَوْلُهُ: بِالْحَذَرِ مِنَ الْمَعْتَبَةِ، يَعْنِي أَنْ يَكُونَ سَبَبَ تَرْكِهِ لِلشُّبْهَةِ الْحَذَرُ مِنْ تَوَجُّهِ عَتَبِ الله عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: وَالْأَنَفَةِ مِنَ الْمَنْقَصَةِ؛ أَيْ يَأْنَفُ لِنَفْسِهِ مِنْ نَقْصِهِ عِنْدَ رَبِّهِ، وَسُقُوطِهِ مِنْ عَيْنَيْهِ. لَا أَنَفَتُهُ مِنْ نَقْصِهِ عِنْدَ النَّاسِ، وَسُقُوطِهِ مِنْ أَعِينُهُمْ. وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَيْسَ مَذْمُومًا، بَلْ هُوَ مَحْمُودٌ أَيْضًا. وَلَكِنَّ الْمَذْمُومَ أَنْ تَكُونَ أَنَفَتُهُ كُلُّهَا مِنَ النَّاسِ، وَلَا يَأْنَفُ مِنَ الله.

وَقَوْلُهُ: وَكَرَاهَةِ مُشَارَكَةِ الْفُسَّاقِ؛ يَعْنِي أَنَّ الْفُسَّاقَ يَزْدَحِمُونَ عَلَى مَوَاضِعِ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا. وَلِتِلْكَ الْمَوَاقِفِ بِهِمْ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ. فَالزَّاهِدُ يَأْنَفُ مِنْ مُشَارَكَتِهِمْ فِي تِلْكَ الْمَوَاقِفِ. وَيَرْفَعُ نَفْسَهُ عَنْهَا، لِخِسَّةِ شُرَكَائِهِ فِيهَا، كَمَا قِيلَ لِبَعْضِهِمْ: مَا الَّذِي زَهَّدَكَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: قِلَّةُ وَفَائِهَا، وَكَثْرَةُ جَفَائِهَا، وَخِسَّةُ شُرَكَائِهَا.

---

(١) متفق عليه رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩).

إِذَا لَمْ أَتْرُكِ الْمَـــاءَ اتِّقَــاءً ... تَرَكْتُ لِكَثْرَةِ الشُّرَكَاءِ فِيهِ
إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ عَلَى طَعَامٍ ... رَفَعَتْ يَدَيْ وَنَفْسِي تَشْتَهِيهِ
وَتَجْتَنِبُ الْأُسُــودُ وُرُودَ مَاءٍ ... إِذَا كَانَ الْكِلَابُ يَلِغْنَ فِيهِ

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ:

الزُّهْدُ فِي الْفُضُولِ. وَهُوَ مَا زَادَ عَلَى الْمُسْكَةِ وَالْبَلَاغِ مِنَ الْقُوتِ، بِاغْتِنَامِ التَّفَرُّغِ إِلَى عِمَارَةِ الْوَقْتِ. وَحَسْمِ الْجَأْشِ، وَالتَّحَلِّي بِحِلْيَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ

الْفُضُولُ مَا يَفْضُلُ عَنْ قَدَرِ الْحَاجَةِ. وَالْمُسْكَةُ مَا يَمْسِكُ النَّفْسَ مِنَ الْقُوتِ وَالشَّرَابِ، وَاللِّبَاسِ وَالْمَسْكَنِ، وَالْمَنْكَحِ إِذَا احْتَاجَ إِلَيْهِ. وَالْبَلَاغُ هُوَ الْبُلْغَةُ مِنْ ذَلِكَ، الَّذِي يَتَبَلَّغُ بِهِ الْمُسَافِرُ فِي مَنَازِلِ السَّفَرِ. فَيَزْهَدُ فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ، اغْتِنَامًا لِتَفَرُّغِهِ لِعِمَارَةِ وَقْتِهِ.

وَلَمَّا كَانَ الزُّهْدُ لِأَهْلِ الدَّرَجَةِ الْأُولَى خَوْفًا مِنَ الْمَعْتَبَةِ، وَحَذَرًا مِنَ الْمَنْقَصَةِ كَانَ الزُّهْدُ لِأَهْلِ هَذِهِ الدَّرَجَةِ أَعْلَى وَأَرْفَعَ. وَهُوَ اغْتِنَامُ الْفَرَاغِ لِعِمَارَةِ أَوْقَاتِهِمْ مَعَ اللهِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا اشْتَغَلَ بِفُضُولِ الدُّنْيَا، فَاتَهُ نَصِيبُهُ مِنَ انْتِهَازِ فُرْصَةِ الْوَقْتِ. فَالْوَقْتُ سَيْفٌ إِنْ لَمْ تَقْطَعْهُ وَإِلَّا قَطَعَكَ.

وَعِمَارَةُ الْوَقْتِ الِاشْتِغَالُ فِي جَمِيعِ آنَائِهِ بِمَا يُقَرِّبُ إِلَى اللهِ، أَوْ يُعِينُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ مَأْكَلٍ أَوْ مُشْرَبٍ، أَوْ مَنْكَحٍ، أَوْ مَنَامٍ أو..)

وَأَمَّا حَسْمُ الْجَأْشِ فَهُوَ قَطْعُ اضْطِرَابِ الْقَلْبِ، الْمُتَعَلِّقِ بِأَسْبَابِ الدُّنْيَا، رَغْبَةً وَرَهْبَةً، وِحُبًّا وَبُغْضًا، وَسَعْيًا. فَلَا يَصِحُّ الزُّهْدُ لِلْعَبْدِ حَتَّى يَقْطَعَ هَذَا الِاضْطِرَابَ مِنْ قَلْبِهِ. بِأَنْ لَا يَلْتَفِتَ إِلَيْهَا، وَلَا يَتَعَلَّقَ بِهَا فِي حَالَتَيْ مُبَاشَرَتِهِ لَهَا وَتَرْكِهِ. فَإِنَّ الزُّهْدَ زُهْدُ الْقَلْبِ، لَا زُهْدُ التَّرْكِ مِنَ الْيَدِ وَسَائِرِ الْأَعْضَاءِ. فَهُوَ تَخَلِّي الْقَلْبِ عَنْهَا. لَا خُلُوُّ الْيَدِ مِنْهَا.

وَأَمَّا التَّحَلِّي بِحِلْيَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا حَقًّا. إِذْ هُمْ مُشَمِّرُونَ إِلَى عَلَمٍ قَدْ رُفِعَ لَهُمْ غَيْرُهَا. فَهُمْ زَاهِدُونَ، وَإِنْ كَانُوا لَهَا مُبَاشِرِينَ.

الدرجة الثّالثة: الزُّهْدُ فِي الزُّهْدِ. وَهُوَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: اسْتِحْقَارُ مَا زَهِدْتَ فِيهِ. وَاسْتِوَاءُ الْحَالَاتِ فِيهِ عِنْدَكَ. وَالذَّهَابُ عَنْ شُهُودِ الِاكْتِسَابِ، نَاظِرًا إِلَى وَادِي الْحَقَائِقِ.

وَقَدْ فَسَّرَ الشَّيْخُ مُرَادَهُ بِالزُّهْدِ فِي الزُّهْدِ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ.

أَحَدُهَا: احْتِقَارُهُ مَا زَهِدَ فِيهِ. فَإِنَّ مَنِ امْتَلَأَ قَلْبُهُ بِمَحَبَّةِ الله وَتَعْظِيمِهِ لَا يَرَى أَنَّ مَا تَرَكَهُ لِأَجْلِهِ مِنَ الدُّنْيَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُجْعَلَ قُرْبَانًا؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا لَا تُسَاوِي عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ. فَالْعَارِفُ لَا يَرَى زُهْدَهُ فِيهَا كَبِيرَ أَمْرٍ يُعْتَدُّ بِهِ وَيُحْتَفَلُ لَهُ، فَيَسْتَحِي مَنْ صَحَّ لَهُ الزُّهْدُ أَنْ يَجْعَلَ لِمَا تَرَكَهُ لله قَدْرًا يُلَاحَظُ زُهْدَهُ فِيهِ، بَلْ يَفْنَى عَنْ زُهْدِهِ فِيهِ كَمَا فَنِيَ عَنْهُ. وَيَسْتَحِي مِنْ ذِكْرِهِ بِلِسَانِهِ، وَشُهُودِهِ بِقَلْبِهِ.

وَأَمَّا اسْتِوَاءُ الْحَالَاتِ فِيهِ عِنْدَهُ فَهُوَ أَنْ يَرَى تَرْكَ مَا زَهِدَ فِيهِ وَأَخْذَهُ مُتَسَاوِيَيْنِ عِنْدَهُ. إِذْ لَيْسَ لَهُ عِنْدَهُ قَدْرٌ. وَهَذَا مِنْ دَقَائِقِ فِقْهِ الزُّهْدِ. فَيَكُونُ زَاهِدًا فِي حَالِ أَخْذِهِ، كَمَا هُوَ زَاهِدٌ فِي حَالِ تَرْكِهِ، إِذْ هِمَّتُهُ أَعْلَى مِنْ مُلَاحَظَتِهِ أَخْذًا وَتَرْكًا، لِصِغَرِهِ فِي عَيْنِهِ.

وَأَمَّا الذَّهَابُ عَنْ شُهُودِ الِاكْتِسَابِ فَمَعْنَاهُ أَنَّ مَنِ اسْتَصْغَرَ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَاسْتَوَتِ الْحَالَاتُ فِي أَخْذِهَا وَتَرْكِهَا عِنْدَهُ لَمْ يَرَ أَنَّهُ اكْتَسَبَ بِتَرْكِهَا عِنْدَ الله دَرَجَةً الْبَتَّهَ؛ لِأَنَّهَا أَصْغَرُ فِي عَيْنِهِ مِنْ أَنْ يَرَى أَنَّهُ اكْتَسَبَ بِتَرْكِهَا الدَّرَجَاتِ.

وَفِيهِ مَعْنًى آخَرُ: وَهُوَ أَنْ يُشَاهِدَ تَفَرُّدَ الله عَزَّ وَجَلَّ بِالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ. فَلَا يَرَى أَنَّهُ تَرَكَ شَيْئًا وَلَا أَخَذَ شَيْئًا. بَلِ اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الْمُعْطِي الْمَانِعُ. فَمَا أَخَذَهُ فَهُوَ مَجْرًى لِعَطَاءِ الله إِيَّاهُ، كَمَجْرَى الْمَاءِ فِي النَّهْرِ. وَمَا تَرَكَهُ لله، فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي مَنَعَهُ مِنْهُ. فَيَذْهَبُ بِمُشَاهَدَةِ الْفَعَّالِ وَحْدَهُ عَنْ شُهُودِ كَسْبِهِ وَتَرْكِهِ. فَإِذَا نَظَرَ إِلَى الْأَشْيَاءِ بِعَيْنِ الْجَمْعِ، وَسَلَكَ فِي وَادِي الْحَقِيقَةِ، غَابَ عَنْ شُهُودِ اكْتِسَابِهِ. وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: نَاظِرًا إِلَى وَادِي الْحَقَائِقِ. وَهَذَا أَلْيَقُ الْمَعْنَيَيْنِ بِكَلَامِهِ. فَهَذَا زُهْدُ الْخَاصَّةِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

إذا زهدتني في الهوى خشية الردى ... جلت لي عن وجه يزهد في الزهد

فضل الزهد في الدُّنيَا والحث عَلى التقلل منها وفضل الفقر:

جاء في رياض الصّالحين:

- عن أنس ﷺ أن النبيّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إلا عَيْشَ الآخِرَةِ»(١) متفق عليه.

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٣)، ومسلم (١٨٠٥).

- وعنه عن رسول الله ﷺ قالَ «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ: فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيبْقَى عَمَلُهُ»(١) متفق عليه.

- وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيَقُولُ: لاَ وَاللهِ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»(٢).

- عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ»(٣) متفق عليه، وهذا لفظ مسلم، وفي رواية البُخَارِيّ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ».

- وعنه عن النبيّ ﷺ قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»(٤).

- وعنه ﷺ قَالَ: (لَقَدْ رَأَيْتُ سَبعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، مَا منهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ: إِمَّا إزارٌ، وَإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا فِي أعنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ)(٥).

- وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الكَافِرِ»(٦).

---

(١) رواه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).

(٢) رواه مسلم (٢٨٠٧).

(٣) رواه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣).

(٤) رواه البُخَارِيّ (٦٤٣٥).

(٥) رواه البُخَارِيّ (٤٤٢).

(٦) رواه مسلم (٢٩٥٦).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: أخذ رسول الله ﷺ **بِمَنْكِبِيَّ**، فقال: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَو عَابِرُ سَبيلٍ**»، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: (**إِذَا أَمْسَيت فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**)(١).

قالوا في شَرْحِ هَذَا الحديث معناه: لاَ تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا وَلاَ تَتَّخِذْهَا وَطَنًا، وَلاَ تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُولِ البَقَاءِ فِيهَا، وَلاَ بِالاعْتِنَاءِ بِهَا، وَلاَ تَتَعَلَّقْ مِنْهَا إِلاَّ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْغَرِيبُ فِي غَيْرِ وَطَنِهِ، وَلاَ تَشْتَغِلْ فِيهَا بِمَا لاَ يَشْتَغِلُ بِهِ الغَرِيبُ الَّذِي يُرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى أَهْلِهِ، وَبِالله التَّوْفِيقُ.

- عن أبي العبّاس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قَالَ: **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ فقال: يَا رسولَ الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ**، فقال: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبّك اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبّك النَّاسُ**»(٢).

- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قَالَ: ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ: (**لَقَدْ رَأَيْتُ رسول الله ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ**)(٣)، «الدَّقَلُ» بفتح الدَّال المهملة والقاف: رديءُ التَّمرِ.

- وعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قَالَ: (هَاجَرْنَا مَعَ رسول الله ﷺ نَلْتَمِسُ وَجْهَ الله تَعَالَى، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى الله، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَأْكُل منْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ: مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ رضي الله عنه قُتِلَ يَوْمَ أُحُد، وَتَرَكَ نَمِرَةً، فَكُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ، بَدَتْ رِجلاَهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رِجْلَيْهِ، بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رسول الله ﷺ **أَنْ نُغَطِّي رَأْسَهُ، وَنَجْعَل عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الإِذْخِرِ**، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا)(٤).

- عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**»(٥).

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦).

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٠٢) وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٢٩٧٨).

(٤) رواه البخاري (٣٨٩٧)، ومسلم (٩٤٠).

(٥) رواه ابن ماجه (٤١١٠)، والترمذي (٢٣٢٠)، وصححه الألباني.

- وعن أبي هريرة ﵁ قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَلاَ إِنَّ الدُّنيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلاَّ ذِكْرَ الله تَعَالَى، وَمَا وَالاهُ، وَعالِمًا وَمُتَعَلِّمًا»(١).
- عن عبدالله بن الشِّخِير ﵁ أنه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١﴾ قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مالي، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!»(٢)
- عن عبدالله بن مغفل ﵁ قَالَ: قَالَ رجل للنبي ﷺ: يَا رسولَ الله، وَالله إِنِّي لأُحِبُّكَ، فَقَالَ: «انْظُرْ مَاذَا تَقُولُ؟» قَالَ: وَالله إِنِّي لأُحِبُّكَ، ثَلاَثَ مَرَّات، فَقَالَ: «إِنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافًا، فإِنَّ الفَقْرَ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إِلَى مُنْتَهَاهُ»(٣).
- عن عبدالله بن مسعود ﵁ قَالَ: نام رسول الله ﷺ عَلَى حَصيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ في جَنْبِهِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا في الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»(٤).
- عن أبي هريرة ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يدْخُلُ الفُقَرَاءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمائَةِ عَامٍ»(٥).
- وعن ابن عباس وعمران بن الحصين ﵃ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»(٦) متفق عليه.
- وعن أُسَامَة بن زيد ﵄ عن النبيّ ﷺ قَالَ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِم إِلَى النَّارِ»(٧).

---

(١) ابن ماجه (٤١١٢)، والترمذي (٢٣٢٢) وقال: «حديث حسن غريب»، وحسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٨).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٥٠) وقال: «حديث حسن غريب»، وضعفه الألباني.

(٤) رواه ابن ماجه (٤١٠٩)، والترمذي (٢٣٧٧) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٥) رواه ابن ماجه (٤١٢٢)، والترمذي (٢٣٥٣)، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح» وبه قال الألباني.

(٦) رواه البخاري (٣٢٤١)، ومسلم (٢٧٣٧).

(٧) رواه البخاري (٥١٩٦)، ومسلم (٢٧٣٦).

فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار عَلى القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النّفس وترك الشَّهوَات:

قَالَ الله تعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم] وقال تعَالَى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص] وقال تعَالَى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر] وقال تعَالَى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء] والآيات في البَاب كثيرة معلومة.

- عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: **وَاللهِ يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إلى الهِلالِ ثمَّ الهِلالِ. ثُمَّ الهلالِ ثلاثةُ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ. وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رسولِ اللهِ ﷺ نارٌ**، قُلْتُ: يَا خَالَةُ فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قالتْ: **الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالمَاءُ**، إلاَّ أَنَّهُ قَدْ كَانَ لرسول اللهِ ﷺ جِيرانٌ مِنَ الأَنْصَارِ. وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلى رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَلبانها فَيَسْقِينا[1]. متفقٌ عَلَيْهِ.
- وعن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذات يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذا هُوَ بِأَبي بكرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما، فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُما مِنْ بُيُوتِكُما هذِهِ السَّاعَةَ؟**» قَالا: **الجُوعُ يَا رَسولَ الله**، قالَ: «**وَأَنا، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأَخْرَجَني الَّذِي أَخْرَجَكُما. قُوما**» فقَاما مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلاً مِنَ الأَنْصارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ في بيتهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ المَرأَةُ قالَتْ: مَرْحَباً وَأَهْلاً، فقال لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْنَ فُلانٌ**» قالَتْ: **ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا الماءَ، إِذْ جاءَ الأَنْصَاريُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ**، ثُمَّ قالَ: **الحَمْدُ للهِ، مَا أَحَدٌ اليَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيافاً مِنِّي فانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وتَمْرٌ ورُطَبٌ**، فَقَالَ: **كُلُوا، وَأَخَذَ المُدْيَةَ**، فَقَالَ لَهُ رسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِيَّاكَ وَالحَلُوبَ**» **فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذلكَ العِذْقِ وشَرِبُوا. فلَمَّا أَنْ شَبعُوا وَرَوُوا**، قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ لأَبي بكرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما: «**وَالَّذِي نَفْسي**

---

(١) متفق عليه رواه البخاري (٢٥٦٧) ومسلم (٢٩٧٢).

بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هذَا النَّعيمِ يَوْمَ القِيامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هذا النَّعِيمُ»[1].

- وعن خالدِ بنِ عُمَرَ العَدَويِّ قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بنُ غَزْوانَ، وكانَ أَمِيراً عَلى البَصْرَةِ، فَحمِدَ اللهَ وأَثْنى عليْهِ، ثُمَّ قَالَ: (أَمَا بعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بصُرْمٍ، ووَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبابةِ الإناءِ يتصابُّها صاحِبُها، وإِنكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْها إِلَى دارٍ لاَ زَوالَ لَها، فانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُم فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِير جَهَنَّمَ فيَهْوى فِيهَا سَبْعِينَ عَاماً لاَ يُدْركُ لَها قَعْراً، والله لَتُمْلأَنَّ.. أَفَعَجِبْتُمْ؟ ولَقَدْ ذُكِرَ لَنا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْراعَيْنِ مِنْ مَصاريعِ الجَنَّةِ مَسيرةَ أَرْبَعِينَ عَاماً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيها يَوْمٌ وهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحام، وَلَقَدْ رأَيْتُني سابعَ سبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مالَنا طَعامٌ إلاَّ وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْداقُنا، فالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فشَقَقْتُها بيْني وَبَيْنَ سَعْدِ بنِ مالكٍ فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِها، وَاتَّزَر سَعْدٌ بنِصفِها، فَمَا أَصْبَحَ اليَوْم مِنَّا أَحَدٌ إلاَّ أَصْبَحَ أَمِيراً عَلى مِصْرٍ مِنْ الأَمْصَارِ. وإِني أَعُوذُ باللهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسي عَظِيماً، وعِنْدَ اللهِ صَغِيراً)[2].
- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَها بالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَها باللهِ، فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ»[3].

❖ أمراض القلوب وشفائها

قَالَ شيخ الإِسْلَام ابن تَيمِيّة في كتاب أمراض القلوب[4]:

[قَالَ الله تَعَالَى عن المُنَافِقين في سورة البقرة: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠] وقال تَعَالَى في سورة الحجّ: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٣] وقال في سورة الأحزاب: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا

(١) رواه مسلم (٢٠٣٨).

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٧).

(٣) رواه أبو داود (١٦٤٥)، والترمذي (٢٣٢٦) وقال: «حديث حسن صحيح غريب».وصححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

(٤) الفتاوى (١٠/١٠٨).

﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠﴾ وقال في سورة المدثر: ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [المدثر: ٣١] وقال تعَالَى في سورة يونس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ وقال في الإسراء: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢﴾ وقال في التوبة: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ۝١٤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾.

وَ (مَرَضُ الْبَدَنِ) خِلَافُ صِحَّتِهِ وَصَلَاحِهِ وَهُوَ فَسَادٌ يَكُونُ فِيهِ يَفْسُدُ بِهِ إدْرَاكُهُ وَحَرَكَتُهُ الطَّبِيعِيَّةُ فَإِدْرَاكُهُ إمَّا أَنْ يَذْهَبَ كَالْعَمَى وَالصَّمَمِ. وَإِمَّا أَنْ يُدْرِكَ الْأَشْيَاءَ عَلَى خِلَافِ مَا هِيَ عَلَيْهِ كَمَا يُدْرِكُ الْحُلْوَ مُرًّا وَكَمَا يُخَيَّلُ إلَيْهِ أَشْيَاءَ لَا حَقِيقَةَ لَهَا فِي الْخَارِجِ. وَأَمَّا فَسَادُ حَرَكَتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ فَمِثْلُ أَنْ تَضْعُفَ قُوَّتُهُ عَنْ الْهَضْمِ أَوْ مِثْلُ أَنْ يُبْغِضَ الْأَغْذِيَةَ الَّتِي يَحْتَاجُ إلَيْهَا وَيُحِبَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَضُرُّهُ وَيَحْصُلُ لَهُ مِنْ الْآلَامِ بِحَسَبِ ذَلِكَ؛ وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ الْمَرَضِ لَمْ يَمُتْ وَلَمْ يَهْلَكْ؛ بَلْ فِيهِ نَوْعُ قُوَّةٍ عَلَى إدْرَاكِ الْحَرَكَةِ الْإِرَادِيَّةِ فِي الْجُمْلَةِ فَيَتَوَلَّدُ مِنْ ذَلِكَ أَلَمٌ يَحْصُلُ فِي الْبَدَنِ إمَّا بِسَبَبِ فَسَادِ الْكَمِّيَّةِ أَوْ الْكَيْفِيَّةِ: فَالْأَوَّلُ أَمَّا نَقْصُ الْمَادَّةِ فَيَحْتَاجُ إلَى غِذَاءٍ وَأَمَّا بِسَبَبِ زِيَادَاتِهَا فَيَحْتَاجُ إلَى اسْتِفْرَاغٍ.

وَالثَّانِي كَقُوَّةٍ فِي الْحَرَارَةِ وَالْبُرُودَةِ خَارِجٍ عَنْ الِاعْتِدَالِ فَيُدَاوَى وَكَذَلِكَ (مَرَضُ الْقَلْبِ) هُوَ نَوْعُ فَسَادٍ يَحْصُلُ لَهُ يَفْسُدُ بِهِ تَصَوُّرُهُ وَإِرَادَتُهُ فَتَصَوُّرُهُ بِالشُّبُهَاتِ الَّتِي تَعْرِضُ لَهُ حَتَّى لَا يَرَى الْحَقَّ أَوْ يَرَاهُ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَإِرَادَتُهُ بِحَيْثُ يُبْغِضُ الْحَقَّ النَّافِعَ وَيُحِبُّ الْبَاطِلَ الضَّارَّ؛ فَلِهَذَا يُفَسَّرُ الْمَرَضُ تَارَةً بِالشَّكِّ وَالرَّيْبِ. كَمَا فَسَّرَ مُجَاهِدٌ وقتادة قَوْلَهُ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أَيْ: شَكٌّ. وَتَارَةً يُفَسَّرُ بِشَهْوَةِ الزِّنَا كَمَا فُسِّرَ بِهِ قَوْلُهُ: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب] (...)وَالْمَرَضُ دُونَ الْمَوْتِ فَالْقَلْبُ يَمُوتُ بِالْجَهْلِ الْمُطْلَقِ وَيَمْرَضُ بِنَوْعٍ مِنْ الْجَهْلِ فَلَهُ مَوْتٌ وَمَرَضٌ وَحَيَاةٌ وَشِفَاءٌ وَحَيَاتُهُ وَمَوْتُهُ وَمَرَضُهُ وَشِفَاؤُهُ أَعْظَمُ مِنْ حَيَاةِ الْبَدَنِ وَمَوْتِهِ وَمَرَضِهِ وَشِفَائِهِ فَلِهَذَا مَرَضُ الْقَلْبِ إذَا وَرَدَ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ أَوْ شَهْوَةٌ قَوَّتْ مَرَضَهُ وَإِنْ حَصَلَتْ لَهُ حِكْمَةٌ وَمَوْعِظَةٌ كَانَتْ مِنْ أَسْبَابِ صَلَاحِهِ وَشِفَائِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [الحج: ٥٣] لِأَنَّ ذَلِكَ أَوْرَثَ شُبْهَةً عِنْدَهُمْ وَالْقَاسِيَةُ قُلُوبُهُمْ لِيُبْسِهَا فَأُولَئِكَ قُلُوبُهُمْ ضَعِيفَةٌ بِالْمَرَضِ فَصَارَ مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لَهُمْ وَهَؤُلَاءِ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ قَاسِيَةً عَنْ الْإِيمَانِ فَصَارَ فِتْنَةً لَهُمْ.

وَقَالَ: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الأحزاب: ٦٠]، كَمَا قَالَ: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [المدثر: ٣١] لَمْ تَمُتْ قُلُوبُهُمْ كَمَوْتِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَلَيْسَتْ صَحِيحَةً صَالِحَةً كَصَالِحِ

قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ فِيهَا مَرَضُ شُبْهَةٍ وَشَهَوَاتٍ وَكَذَلِكَ ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب] وَهُوَ مَرَضُ الشَّهْوَةِ فَإِنَّ الْقَلْبَ الصَّحِيحَ لَوْ تَعَرَّضَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ لَمْ يَلْتَفِتْ إلَيْهَا بِخِلَافِ الْقَلْبِ الْمَرِيضِ بِالشَّهْوَةِ فَإِنَّهُ لِضَعْفِهِ يَمِيلُ إلَى مَا يَعْرِضُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْمَرَضِ وَضَعْفِهِ فَإِذَا خَضَعْنَ بِالْقَوْلِ طَمِعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ. وَالْقُرْآنُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَمَنْ فِي قَلْبِهِ أَمْرَاضُ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ فَفِيهِ مِنْ الْبَيِّنَاتِ مَا يُزِيلُ الْحَقَّ مِنْ الْبَاطِلِ فَيُزِيلُ أَمْرَاضَ الشُّبْهَةِ الْمُفْسِدَةِ لِلْعِلْمِ وَالتَّصَوُّرِ وَالْإِدْرَاكِ بِحَيْثُ يَرَى الْأَشْيَاءَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَفِيهِ مِنْ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ وَالْقَصَصِ الَّتِي فِيهَا عِبْرَةٌ مَا يُوجِبُ صَلَاحَ الْقَلْبِ فَيَرْغَبُ الْقَلْبُ فِيمَا يَنْفَعُهُ وَيَرْغَبُ عَمَّا يَضُرُّهُ فَيَبْقَى الْقَلْبُ مُحِبًّا لِلرَّشَادِ مُبْغِضًا لِلْغَيِّ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُرِيدًا لِلْغَيِّ مُبْغِضًا لِلرَّشَادِ. فَالْقُرْآنُ مُزِيلٌ لِلْأَمْرَاضِ الْمُوجِبَةِ لِلْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةِ حَتَّى يَصْلُحَ الْقَلْبُ فَتَصْلُحُ إرَادَتُهُ وَيَعُودُ إلَى فِطْرَتِهِ الَّتِي فُطِرَ عَلَيْهَا كَمَا يَعُودُ الْبَدَنُ إلَى الْحَالِ الطَّبِيعِيِّ وَيَغْتَذِي الْقَلْبُ مِنْ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ بِمَا يُزَكِّيهِ وَيُؤَيِّدُهُ كَمَا يَغْتَذِي الْبَدَنُ بِمَا يُنَمِّيهِ وَيُقَوِّمُهُ فَإِنَّ زَكَاةَ الْقَلْبِ مِثْلُ نَمَاءِ الْبَدَنِ. وَ(الزَّكَاةُ) فِي اللُّغَةِ: النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ فِي الصَّلَاحِ. يُقَالُ: زَكَا الشَّيْءُ إذَا نَمَا فِي الصَّلَاحِ فَالْقَلْبُ يَحْتَاجُ أَنْ يَتَرَبَّى فَيَنْمُو وَيَزِيدُ حَتَّى يَكْمُلَ وَيَصْلُحَ كَمَا يَحْتَاجُ الْبَدَنُ أَنْ يُرَبَّى بِالْأَغْذِيَةِ الْمُصْلِحَةِ لَهُ وَلَا بُدَّ مَعَ ذَلِكَ مِنْ مَنْعِ مَا يَضُرُّهُ فَلَا يَنْمُو الْبَدَنُ إلَّا بِإِعْطَاءِ مَا يَنْفَعُهُ وَمَنْعِ مَا يَضُرُّهُ كَذَلِكَ الْقَلْبُ لَا يَزْكُو فَيَنْمُو وَيَتِمُّ صَلَاحُهُ إلَّا بِحُصُولِ مَا يَنْفَعُهُ وَدَفْعِ مَا يَضُرُّهُ وَكَذَلِكَ الزَّرْعُ لَا يَزْكُو إلَّا بِهَذَا. وَ (الصَّدَقَةُ) لَمَّا كَانَتْ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ صَارَ الْقَلْبُ يَزْكُو بِهَا وَزَكَاتُهُ مَعْنًى زَائِدٌ عَلَى طَهَارَتِهِ مِنْ الذَّنْبِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] وَكَذَلِكَ تَرْكُ الْفَوَاحِشِ يَزْكُو بِهَا الْقَلْبُ. وَكَذَلِكَ تَرْكُ الْمَعَاصِي فَإِنَّهَا بِمَنْزِلَةِ الْأَخْلَاطِ الرَّدِيئَةِ فِي الْبَدَنِ وَمِثْلُ الدَّغَلِ فِي الزَّرْعِ فَإِذَا اسْتَفْرَغَ الْبَدَنُ مِنْ الْأَخْلَاطِ الرَّدِيئَةِ كَاسْتِخْرَاجِ الدَّمِ الزَّائِدِ تَخَلَّصَتْ الْقُوَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ وَاسْتَرَاحَتْ فَيَنْمُو الْبَدَنُ وَكَذَلِكَ الْقَلْبُ إذَا تَابَ مِنْ الذُّنُوبِ كَانَ اسْتِفْرَاغًا مِنْ تَخْلِيطَاتِهِ حَيْثُ خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا فَإِذَا تَابَ مِنْ الذُّنُوبِ تَخَلَّصَتْ قُوَّةُ الْقَلْبِ وَإِرَادَاتُهُ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَاسْتَرَاحَ الْقَلْبُ مِنْ تِلْكَ الْحَوَادِثِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِ. فَزَكَاةُ الْقَلْبِ بِحَيْثُ يَنْمُو وَيَكْمُلُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ [النور: ٢١] وقال تَعَالَى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ [النور: ٢٨] وقال: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ

مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور] وقال تَعالَى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى] وقال تَعالَى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس].

فَالتَّزْكِيَةُ وَإِنْ كَانَ أَصْلُهَا النَّمَاءُ وَالْبَرَكَةُ وَزِيَادَةُ الْخَيْرِ فَإِنَّمَا تَحْصُلُ بِإِزَالَةِ الشَّرِّ؛ فَلِهَذَا صَارَ التَّزَكِّي يَجْمَعُ هَذَا وَهَذَا. وَقَالَ: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت] وَهِيَ التَّوْحِيدُ وَالْإِيمَانُ الَّذِي بِهِ يَزْكُو الْقَلْبُ فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ نَفْيَ إلَهِيَّةِ مَا سِوَى الْحَقِّ مِنْ الْقَلْبِ وَإِثْبَاتَ إلَهِيَّةِ الْحَقِّ فِي الْقَلْبِ وَهُوَ حَقِيقَةُ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ. وَهَذَا أَصْلُ مَا تَزْكُو بِهِ الْقُلُوبُ....

قَالَ تَعَالَى ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [الأنعام: ٣٩] وذكر سبحانه آية النور وآية الظُّلمة فقال ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾ [النور: ٣٥]. فهذا مثل نور الإيمان في قلوب المُؤمنِين ثمّ قَالَ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور] فَالْأول مثل الاعتقادات الْفَاسِدَة والأعمال التابعة لَهَا يحسبها صَاحبهَا شَيْئا يَنْفَعهُ فَإِذا جاءها لم يجدهَا شَيْئا يَنْفَعهُ فوفاه الله حسابه على تِلْكَ الْأَعْمَال وَالثَّانِي مثل للْجَهْل الْبَسِيط وَعدم الايمان وَالْعلم فَإِن صَاحبهَا فِي ظلمات بَعْضهَا فَوق بعض لَا يبصر شَيْئا فَإِن الْبَصَر إِنَّمَا هُوَ بنور الْإِيمَان وَالْعلم قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف]. وقال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] وهُوَ بُرهَان الإِيمان الّذي حَصَلَ في قَلبه فَصَرف اللهُ به مَا كَانَ هُم بِهِ وكَتَب لَهُ حَسنة كَامِلة ولم يَكتب عَليه خَطيئة إذ فعلَ خيراً وَلم يَفعل سَيئة....

وَالَّذِينَ هَدَاهُمْ اللهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ حَتَّى صَارُوا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ الْمُتَّقِينَ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ذَلِكَ دُعَاؤُهُمْ اللهَ بِهَذَا الدُّعَاءِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ مَعَ عِلْمِهِمْ بِحَاجَتِهِمْ وَفَاقَتِهِمْ إلَى اللهِ دَائِمًا فِي أَنْ يَهْدِيَهُمْ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. فَبِدَوَامِ هَذَا الدُّعَاءِ وَالِافْتِقَارِ صَارُوا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ الْمُتَّقِينَ. قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التستري لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ طَرِيقٌ أَقْرَبَ إلَيْهِ مِنْ الِافْتِقَارِ وَمَا حَصَلَ فِيهِ الْهُدَى فِي الْمَاضِي فَهُوَ مُحْتَاجٌ إلَى حُصُولِ الْهُدَى فِيهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَهَذَا حَقِيقَةُ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: ثَبِّتْنَا وَاهْدِنَا لُزُومَ الصِّرَاطِ. وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: زِدْنَا هُدًى

يَتَنَاوَلُ مَا تَقَدَّمَ؛ لَكِنْ هَذَا كُلُّهُ هُدًى مِنْهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ إلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ فَإِنَّ الْعَمَلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِالْعِلْمِ لَمْ يَحْصُلْ بَعْدُ وَلَا يَكُونُ مُهْتَدِيًا حَتَّى يَعْمَلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِالْعِلْمِ وَقَدْ لَا يَحْصُلُ الْعِلْمُ الْمُسْتَقْبَلِ بَلْ يَزُولُ عَنْ الْقَلْبِ وَإِنْ حَصَلَ فَقَدْ لَا يَحْصُلُ الْعَمَلُ فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مُضْطَرُّونَ إلَى هَذَا الدُّعَاءِ؛ وَلِهَذَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ صَلَاةٍ فَلَيْسُوا إلَى شَيْءٍ مِنْ الدُّعَاءِ أَحْوَجَ مِنْهُمْ إلَيْهِ وَإِذَا حَصَلَ الْهُدَى إلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ حَصَلَ النَّصْرُ وَالرِّزْقُ وَسَائِرُ مَا تَطْلُبُ النُّفُوسُ مِنْ السَّعَادَةِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ]أ هـ.

***تكلم الإِمَام أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدّين عن مسألة القلوب وأمراضها وعلاجها ما ننقل منه – باختصار–:**

(**مكانة القلب**): (فشرف الإنسان وفضيلته الّتي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه الّتي هيَ فِي الدُّنيَا جماله وكماله وفخره وفِي الآخرة عدته وذخره وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو المتقرب إلى الله وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو المكاشف بما عند الله ولديه وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة، فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقا بغير الله، وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو الّذي يسعد بالقرب من الله فيفلح إذا زكاه وهو الّذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تَعَالَى وإنّما الّذي ينتشر عَلَى الجوارح من العِبَادات أنواره وهو العاصي المتمرّد عَلى الله تَعَالَى، وإنما السّاري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظَّاهِر ومساوئه إذ كلّ إناء ينضح بما فيه وهو الّذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه، وهو الّذي إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه، ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وقد حيل بينهم وبين أنفسهم، فإن ﴿ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ وحيلولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفِيَّة تقلبه بين أصبعينِ مع أصابعِ الرَّحْمٰن وأنه كيف يهوي مرّة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين، وكيف يرتفع أُخرى إلى أعلى عليين، ويرتقي إلى عالم الملائكة المقربين، ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه

وفيه فهو ممن قَالَ الله تَعَالَى فيه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر] فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدّين وأساس طريق السالكين).

(القلب الأبيض والقلب الأسود)

«فإذا طَابَ المِلِكُ طَابَتْ جُنُودُهُ»، فقالت: هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول[1]، وقال علي ﵁ في تمثيل القلوب: (إن لله تَعَالَى في أرضه آنية وهي القلوب فأحبها إليه تَعَالَى أرقها وأصفاها وأصلبها ثمّ فسره، فقال: أصلبها في الدّين وأصفاها في اليقين وأرقها عَلَى الإخوان، وهو إشارة إلى قوله تَعَالَى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وقوله تَعَالَى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥] قَالَ أبي بن كعب ﵁: معناه مثل نور المؤمن وقلبه، وقوله تَعَالَى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ [النور: ٤٠] مثل قلب المنافق، وقال زيد بن أسلم في قوله تَعَالَى: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج] وهو قلب المؤمن، وقال سهل: (مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي) فهذه أمثلة القلب [...]

ولو عكس الأمر وقهر الجميع (جميع الصفات والغرائز في الإنسان) تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والإحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور عَلَى ما هيَ عليه والاستيلاء عَلَى الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم عَلَى الخلق لكمال العلم وجلاله، ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب، ولانتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثلَ العفة والقناعة والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النّفس والصّبر والحلم والاحتمال والعفو والثّبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها، فالقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الأمور المؤثرة فيه وهذه الآثار عَلَى التّواصل واصلة إلى القلب أما الآثار المحمودة الّتي ذكرناها فإنها تزيد مرآة القلب جلاء وإشراقا ونورا وضياء حتَّى يتلألأ فيه جلية الحقّ وينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب في الدّين (..) وهذا القلب هو الّذي يستقر فيه الذكر

---

(١) ورد في نوادر الأصول في أحاديث الرسول (٢/ ١٩٢)، والزهد لأبي داود (٤٦٩) بهذا اللفظ، و جاء عند البيهقي في الشعب (١٠٨) لفظ « إذا صلح الملك صلحت جنوده» من حديث أبي هريرة، وضعفه الألباني.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد] وأما الآثار المذمومة فإنها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرّة بعد أُخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تَعَالَى، وهو الطبع وهو الرين، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين] وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأعراف] فربط عدم السماع بالطبع بالذّنوب كما ربط السماع بالتقوى، فقال تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْ﴾ [المائدة: ١٠٨]﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ومهما تراكمت الذّنوب طبع عَلَى القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحقّ وصلاح الدّين ويستهين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدُّنيَا ويصير مقصور الهم عليها فإذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك ﴿يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الممتحنة] وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذّنوب كما نطق به القرآن والسنة، قَالَ ميمون بن مهران: إذا أذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع وتاب صقل وإن عاد زيد فيها حتَّى يعلو قلبه فهو الران، وقد قَالَ النبيّ ﷺ: «قلب المؤمن أَجْرَدُ فيهِ سراجٌ يُزهِرُ وقلبُ الكافرِ أسودٌ منكوسٌ»(١) فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشَّهَوَات مصقلة للقلب ومعاصيه مسودات له فمن أقبل عَلَى المعاصي اسود قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة الّتي يتنفس فيها ثمّ تمسح ويتنفس ثمّ تتمسح فإنها لا تخلو عن كدورة، وقد قَالَ ﷺ: «الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلَبٌ أَجْرَدُ فيهِ سراجٌ يُزهِرُ فذلكَ قلبُ المؤمنِ وَقَلَبٌ أسودٌ مَنْكُوسٌ فذلكَ قلبُ الكافرِ وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلَافِهِ فذلكَ قلبُ المنافقِ وقلبٌ مُصفحٌ فيهِ إيمانٌ ونفاقٌ»(٢) فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطّيب ومثل النِّفَاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف] فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل

---

(١) هو بعض من الحديث الّذي يليه.

(٢) أخرجه أحمد (١١١٢٩) والطبراني في الصغير (١٠٧٥) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الّذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تَعَالَى.

(بيان تفصيل مداخل الشّيطان إلى القلب وأثر ذلك)

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر عَلَى حفظ الحصن من العدوّ إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر عَلَى حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه فحماية القلب عن وسواس الشّيطان واجبة وهو فرض عين عَلَى كلّ عبد مكلف وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشّيطان إلا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشّيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب الّتي لا تضيق عن كثرة جنود الشّيطان فمن أبوابه العظيمة الغضب والشهوة فإن الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشّيطان ومهما غضب الإنسان لعب الشّيطان به كما يلعب الصبي بالكرة، فقد روي أن موسى عليه السلام لقيه إبليس فقال له: يا موسى أنت الّذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما، وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي أن يتوب علي! فقال موسى: نعم فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عَزَّ وَجَلَّ وأراد النزول، قَالَ له ربه: أد الأمانة، فقال موسى: يا ربّ عبدك إبليس يريد أن تتوب عليه، فأوحى الله تَعَالَى إلى موسى: يا موسى قد قضيت حاجتك مره أن يسجد لقبر آدم حتَّى يتاب عليه، فلقي موسى إبليس فقال له: قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتَّى يتاب عليك، فغضب واستكبر وقال: لم أسجد له حيا أسجد له ميتا!؟ ثمّ قَالَ له: يا موسى إن لك علي حقا بما شفعت لي إلى ربّك فاذكرني عند ثلاث؛ لا أهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فإن روحي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدَّم، اذكرني إذا غضبت فإنه إذا غضب الإنسان نفخت فيه أنفه فما يدري ما يصنع واذكرني حين تلقي الزَّحف فإني آتى ابن آدم حين يلقى الزَّحف فأذكره زوجته وولده وأهله حتَّى يولى، وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها فلا أزال حتَّى أفتنك بها وأفتنها بك فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرص فإن الفرار من الزَّحف حرص عَلَى الدُّنيَا وامتناعه من السجود لآدم ميتا هو الحسد وهو أعظم مداخله.

وقد ذكر أن بعض الأولياء قَالَ لإبليس: أرني كيف تغلب ابن آدم فقال: آخذه عند الغضب وعند الهوى فقد حكى أن إبليس ظهر لراهب فقال له الراهب أي أخلاق بني آدم أعون لك؟ قَالَ: الحدة فإن العبد إذا كانَ حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة، وقيل إن الشّيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت حتَّى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتَّى أكون في رأسه ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرص فمهما كانَ العبد حريصا عَلى كلّ شيء أعماه حرصه وأصمه، إذ قَالَ ﷺ: «حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي ويُصِمُّ»(١) ونور البصيرة هو الّذي يعرف مداخل الشّيطان فإذا غطاء الحسد والحرص لم يبصر فحينئذ يجد الشّيطان فرصة فيحسن عند الحريص كلّ ما يوصله إلى شهوته وإن كانَ مُنكرا وفاحشا فقد روي أن نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كلّ زوجين اثنين كما أمره الله تَعَالَى فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك؟، فقال: دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك؟ فقال له نوح: أخرج منها يا عدو الله فإنك لعين، فقال له إبليس: خمس أهلك بهن النّاس وسأحدثك منهم بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله تَعَالَى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنين، فقال له نوح: ما الاثنتان؟ فقال: هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما أهلك النّاس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما، وأما الحرص فإنه أبيح لآدم الجنّة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرص ومن أبوابه العظيمة الشبع من الطعام وإن كانَ حلالا صافيا فإن الشبع يقوي الشَّهَوَات والشهوات أَسْلِحة الشّيطان، فقد روي أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السَّلام فرأى عليه معاليق من كلّ شيء، فقال له: يا إبليس ما هذه المعاليق، قَالَ: هذه الشَّهَوَات الّتي أصبت بها ابن آدم، فقال فهل فيها من شيء؟ قَالَ: ربما شبعت فثقلناك عن الصّلاة وعن الذكر، قَالَ: فهل غير ذلك؟ قَالَ: لا، قَالَ: لله علي أن لا أملأ بطني من الطعام أبدا، فقال له إبليس: ولله علي أن لا أنصح مسلما أبدا.

ويقال في كثرة الأكل ست خصال مذمومة :

---

(١) رواه أبو داود من (٥١٣٠) وأحمد (٢١٦٩٤) ضعفه الألباني وقال الأرنؤوط :الحديث صحيح موقوف وهذا إسناد ضعيف.

أولها: أن يذهب خوف الله من قلبه، الثّاني: أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شباع، والثّالث: أنه يثقل عن الطاعة والرَّابع: أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة، والخامس: أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب النّاس، والسَّادس: أن يهيج فيه الأمراض ومن أبوابه حب التزين من الأثاث والثياب والدار فإن الشّيطان إذا رأى ذلك غالبا عَلى قلب الإنسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره وإذا أوقعه في ذلك فقد استغنى أن يعود إليه ثانية فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشّيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه ومن أبوابه العظيمة الطمع في النّاس لأنه إذا غلب الطمع عَلى القلب لم يزل الشّيطان يحبب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبيس حتَّى المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه ويدخل كلّ مدخل للوصول إلى ذلك وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس تمثل لعبدالله بن حنظلة فقال: له يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا أعلمك به، فقال: لا حاجة لي به، قَالَ: انظر فإن كانَ خيراً أخذت وإن كانَ شرا رددت، يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة، وانظر كيف تكون.. إذا غضبت فإني أملكك إذا غضبت.. ومن أبوابه العظيمة العجلة وترك التثبت في الأمور وقال ﷺ: «الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ والتَّأَنِّي مِنَ اللهِ تَعَالَى»[1] وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ﴾ [الأنبياء: ٣٧] وقال تَعَالَى: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ۝١١﴾ [الإسراء] وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤] وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتمهل والعجلة تمنع من ذلك وعند الاستعجال يروج الشّيطان شره عَلى الإنسان من حيث لا يدري فقد روي أنه لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا أصبحت الأصنام قد نكست رءوسها فقال هذا حادث مكانكم فطار حتَّى أتى خافقي الأرض فلم يجد شيئا ثمّ وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا الملائكة حافين به فرجع إليهم فقال إن نبيا قد ولد البارحة ما

---

(١) أخرجه التِّرْمِذِيّ (٢٠١٢) من حديث سهل بن سعد بلفظ الأناة وقال: (حسن)، وضعفه الألباني.

حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فأيسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة ومن أبوابه العظيمة الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار فإن كلّ ما يزيد عَلى قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشّيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا عَلى طريق انبعث من قلبه شهوات تحتاج كلّ شهوة منها إلى مائة دينار أُخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أُخرى وقد كانَ قبل وجود المئة مستغنيا فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنيا وقد صار محتاجا إلى تسعمائة ليشتري دارا يعمرها وليشتري جارية وليشتري أثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواه، قَالَ ثابت البناني: (لما بُعث رسول الله ﷺ قَالَ إِبْلِيسُ لِشَيَاطِينِهِ: لَقَدْ حَدَثَ أَمْرٌ فَانْظُرُوا مَا هُوَ، فَانْطَلَقُوا حتَّى أعيوا ثُمَّ جَاءُوهُ، وقالوا: ما ندري، قَالَ: أَنَا آتِيْكُمْ بِالْخَبَرِ فذهبِ ثمّ جَاء، وَقَالَ: قَد بَعَثَ اللهُ محمّدا ﷺ، قَالَ: فَجَعَلَ يُرْسِلُ شَيَاطِينَهُ إِلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فيَنصرفُون خَائبين، وَيقولونَ: مَا صَحِبْنَا قَوْمًا قَطُّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ، نُصِيبُ مِنْهُمْ ثُمَّ يَقُومُونَ إِلَى صَلَاتِهِمْ فَيُمْحَى ذَلِكَ، فقَالَ لهم إِبْلِيسُ: رُوَيْدًا بهم عَسَى الله أَنْ يَفتحَ لهمُ الدُّنيَا فنصيب مِنهم حَاجَتَنَا)[1]، وروي أن عيسى عليه الصّلاة والسَّلام توسد يومًا حجرًا فمر به إبليس، فقال: يا عيسى رغبت في الدُّنيَا فأخذه عيسى ﷺ فرمى به من تحت رأسه وقال: (هذا لك مع الدُّنيَا)، وعلى الحقيقة من يملك حجرا يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدُّنيَا ما يمكن أن يكون عدّة للشيطان عليه فإن القائم بالليل مثلا للصلاة مهما كانَ بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده فلا يزال يدعوه إلى النوم وإلى أن يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ببال ولا تتحرك رغبته إلى النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الميثرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تَعَالَى ومن أبوابه العظيمة البخل وخوف الفقر فإن ذلك هو الّذي يمنع الإنفاق والتصدق ويدعو إلى الادخار والكنز والعذاب الأليم وهو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن العزيز قَالَ خيثمة بن عبد الرَّحمٰن إن

(١) رواه ابن أبي الدُّنيَا في مكايد الشّيطان مرسلا، وفي الزهد (٢٢٩) ولطرفه الأول شاهد صححه الألباني عند الترمذي (٣٣٢٤).

الشّيطان يقول ما غلبني ابن غلبة فلن يغلبني عَلَى ثلاث أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه وإنفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ في البَاطِلِ ومنع من الحقّ وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومن آفات البخل الحرص عَلَى ملازمة الأسواق لجمع المال والأسواق هيَ معشش الشياطين (...) ومن أبوابه العظيمة التوصل التعصب للمذاهب والأهواء والحقد عَلَى الخصوم والنَّظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار وذلك مما يهلك العِبَاد والفساق جميعا فإن الطعن في النّاس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعية فإذا خيل إليه الشّيطان أن ذلك هو الحقّ وكان موافقا لطبعه غلبت حلاوته عَلَى قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسعى في الدّين وهو ساع في اتباع الشياطين فترى الواحد منهم يتعصب لأبي بكر الصّديق ﷺ وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لأنواع الفساد ولو رآه أبو بكر لكان أول عدو له إذ موالي أبي بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه وكان من سيرته ﷺ أن يضع حصاة في فمه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فأنى لهذا الفضولي أن يدعى ولاءه وحبه ولا يسير بسيرته وترى فضوليا آخر يتعصب لعلي ﷺ وكان من زهد علي وسيرته أنه لبس في خلافته ثوبا اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرسغ ونرى الفاسق لابسا الثياب الحرير ومتجملا بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب علي ﷺ ويدعيه وهو أول خصمائه يوم القيامة وليت شعري من أخذ ولدا عزيزا لإنسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده ومعلوم أن الدّين والشَّرع كانا أحب إلا أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر الصّحابة ﷺ من الأهل والولد بل من أنفسهم والمقتحمون لمعاصي الشَّرع هم الّذين يمزقون الشَّرع ويقطعونه بمقاريض الشَّهَوَات ويتوددون به إلى عدو الله إبليس وعدو أوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصّحابة وعند أولياء الله تَعَالَى لا بل لو كشف الغطاء وعرف هَؤُلَاءِ ما تحبه الصّحابة في أمة رسول الله ﷺ لاستحيوا أن يجروا عَلَى اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم ثمّ إن الشّيطان يخيل إليهم أن من مات محبا لأبي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل إلى الآخر أنه إذا مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله ﷺ يقول لفاطمة ﷺ

وهي بضعة منه[١]: «اعمَلي فإنّي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا»[٢]، وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الإِمَام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له كانَ مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لأجل العمل لا لأجل الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة الّتي هيَ مذهبي ومسلكي الّذي سلكته وذهبت فيه إلى الله تَعَالَى ثمّ ادعيت مذهبي كاذبًا وهذا مدخل عظيم من مداخل الشّيطان قد أهلك به أكثر العالم وقد سلمت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدّين بصيرتهم وقويت في الدُّنيَا رغبتهم واشتد عَلى الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم عَلى مكايد الشّيطان فيه بل نابوا عن الشّيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر النّاس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا وأهلكوا فالله تَعَالَى يتوب علينا وعليهم، وقال الحسن: (بلغنا أن إبليس، قَالَ: سولت لأمة محمّد ﷺ المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله تَعَالَى منها وهي الأهواء) وقد صدق الملعون فإنهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب الّتي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشّيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين النّاس في المذاهب والخصومات: قَالَ عبدالله بن مسعود: (جلس قوم يذكرون الله تَعَالَى، فأتاهم الشّيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فأتى رفقة أُخرى يتحدثون بحديث الدُّنيَا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس إياهم يريد فقام الّذين يذكرونَ الله فاشتغلوا بهم يَفصلونَ بينهم فتفرّقوا عن مجلسِهم وذلك مُراد الشّيطان منهم) ومن أبوابه حمل العوام الّذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه عَلى التفكر في ذات الله تَعَالَى وصفاته وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم حتَّى يشككهم في أصل الدّين أو يخيل إليهم في الله تَعَالَى خيالات يتعالى الله عنها يصير أحدهم بها كافرا أو مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشد النّاس حماقة أقواهم اعتقادا في عقل نفسه

---

(١) حديث فاطمة «بضعة مني» متفق عليه، رواه البخاري (٣٧١٤، ٣٧٢٩، ٥٢٣٠) ومسلم (٢٤٤٩).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٤٧٧١) ومسلم (٢٠٦).

وأثبت النّاس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه وأكثرهم سؤالا من العُلَماء قالت عائشة ﵂، قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَكَ؟ فَيَقُولُ: اللهُ، فَيَقُولُ: فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَقْرَأْ: آمَنْتُ بِاللهِ وَرُسُلِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُذْهِبُ عَنْهُ»(١)، والنبيّ ﷺ لم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس فإن هذا وسواس يجده عوام النّاس دون العُلَماء وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء فالعامي لو يزني ويسرق كانَ خيراً له من أن يتكلم في العلم فإنه من تكلم في الله وفي دينه من غير إتقان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشّيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب لا تحصر وإنما أردنا بها أوردناه المثال ومن أبوابه سوء الظن بالمُسلِمين قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] فمن يحكم بشر عَلى غيره بالظن بعثه الشّيطان عَلى أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيراً منه وكل ذلك من المهلكات ولأجل ذلك منع الشَّرع من التعرض للتهم، روي عن علي بن حسين: أَنَّ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ بن أخطب أَخْبَرَتْهُ: أنّ النّبيّ ﷺ كانَ معتكفًا في المَسجِد، قالَت: فَأَتَيْتُهُ فَتَحَدَّثْتُ عِنْدَهُ فلمَّا أَمْسَيْتُ انصَرَفْتُ، فَقَامَ يَمْشِي مَعي فمرَّ بِهِ رجُلانِ منَ الأَنْصَارِ فسَلَّمَا ثُمّ انصرفَا، فَنَادَاهُمَا وَقَالَ: «إِنّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» فقالا: يَا رَسُولَ الله مَا نَظنّ بكَ إلّا خيراً، فقال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ من الجَسَدِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَدخلَ عَلَيْكُمَا»(٢)متفق عليه، فانظر كيف أشفق ﷺ عَلى دينهما فحرسهما وكيف أشفق عَلى أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتَّى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدّين في أحواله فيقول مثلي لا يظن به إلا الخير إعجابا منه بنفسه فإن أورع النّاس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر النّاس كلهم إليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ولذلك قَالَ الشاعر:

وعين الرضا عن كلّ عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

(١) رواه البخاري (٣٢٧٦) ومسلم (١٣٤) واللفظ عند أحمد (٢٦٢٠٣).

(٢) أصله عند البخاري (٣٢٨١، ٣١٠١، ٢٠٣٥) ومسلم (٢١٧٥).

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فإن الأشرار لا يظنُّون بالنّاس كلهم إلا الشر فمهما رأيت إنسانا يسيء الظن بالنّاس طالبا للعيوب فاعلم أنه خبيث الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه وإنما رأى غيره من حيث هو. فإن المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافّة الخلق فهذه بعض مداخل الشّيطان إلى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه عَلى غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشّيطان ومدخل من مداخله فإن قلت فما العلاج في دفع الشّيطان وهل يكفي في ذلك ذكر الله تَعَالَى وقول الإنسان لا حول ولا قوة إلا بالله فاعلم أن علاج القلب في ذلك سد هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كلّ صفة إلى كتاب منفرد عَلى ما سيأتي شرحه. نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كانَ للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تَعَالَى، لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة وإلا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له عَلى القلب فلا يدفع سلطان الشّيطان ولذلك قَالَ الله تَعَالَى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف] خصص بذلك المتقى فمثل الشّيطان كمثل كلب جائع يقرب منك فإن لم يكن بين يديك خبز أو لحم فإنه ينزجر بأن تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه فإن كانَ بين يديك لحم وهو جائع فإنه يهجم عَلى اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشّيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فأما الشهوة إذا غلبت عَلى القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشّيطان في سويداء القلب وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فإنه يطرقها الشّيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فإذا عاد إلى الذكر خنس الشّيطان ودليل ذلك قوله تَعَالَى: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨﴾ [النحل] وسائر الأخبار والآيات الواردة في الذكر، قَالَ أبو هريرة: (**التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر دهين سمين كاس وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك مهزول قَالَ أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأظل جائعا وإذا شرب سمى الله فأظل عطشانا وإذا لبس سمى الله فأظل عريانا وإذا أدهن سمى الله فأظل شعثا فقال لكني مع رجل لا يفعل**

شيئا من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه)[١] وكان محمّد بن واسع يقول كلّ يوم بعد صلاة الصبح: (اللّهم إنك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللّهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك عَلى كلّ شيء قدير)، قَالَ: فتمثل له إبليس يوما في طريق المَسجِد، فقال له: يا ابن واسع هل تعرفني؟ قَالَ ومن أنت؟ قَالَ: أنا إبليس، فقال: وما تريد؟ قَالَ: أريد أن لا تعلم أحدا هذه الرقية (..).

فمهما طمعت في أن يندفع الشّيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر ﷺ كانَ محالا وكنت كمن يطمع أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الأطعمة ويطمع أن ينفعه كما نفع الّذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة والذكر الدَّواء والتقوى احتماء وهي تخلي القلب عن الشَّهَوَات فإذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشّيطان كما تندفع العلة بنزول الدَّواء في المعدة الخالية عن الأطعمة قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] وقال تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ [الحج] ومن ساعد الشّيطان بعمله فهو مواليه وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بأن «**الذّكر يطرد الشّيطان**»[٢] ولم تفهم أن أكثر عمومات الشَّرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدّين، فأنظر إلى نفسك فليس الخبر كالعيان وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصّلاة فراقب قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشّيطان إلى الأسواق وحساب العَالِمِّين وجواب المعاندين، وكيف يمر بك في أودية الدُّنيَا ومهالكها حتَّى إنك لا تذكر ما قد نسيته من فضول الدُّنيَا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشّيطان عَلى قلبك إلا إذا صليت فالصّلاة محك القلوب فبها يظهر

---

(١) ذكره الغزالي في الإحياء ولم أقف له على إسناد، ولم يعلق عليه العراقي في المغني، ثم إن التسمية عند الأكل والشرب واللبس ودخول البيت حض عليها الشرع، فالتسمية عند الطعام مستحبة عند جمهور أهل العلم، وبعضهم يقول بوجوبها، فقد روى أبو داود وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره». صححه الألباني.

(٢) لعله قصد حديث الترمذي (٢٩٨٨) : عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ عن رَسُولُ الله قال: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً... فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ الله فَلْيَحْمَدِ اللهَّ وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» وضعفه الألباني.

محاسنها ومساويها فالصّلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدُّنيَا، فلا جرم لا ينطرد عنك الشّيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما أن الدَّواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فإن أردت الخلاص من الشّيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثمّ أردفه بدواء الذكر يفر الشّيطان منك كما فر من عمر ﷺ. ولذلك قَالَ وهب بن منبه: (اتق الله ولا تسب الشّيطان في العلانية وأنت صديقه في السر) أي أنت مطيع له وقال بعضهم: (يا عجبا لمن يعصى المحسن بعد معرفته بإحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه) وكما أن الله تَعَالَى قَالَ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وأنت تدعوه ولا يستجيب لك، فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشّيطان منك لفقد شروط الذكر والدّعاء. قيل لإبراهيم بن أدهم ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]؟ قَالَ: لأن قلوبكم ميتة، قيل: وما الّذي أماتها؟ قَالَ: ثمان خصال؛ عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده، وقلتم نحب رسول الله ﷺ ولم تعملوا بسنته، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] فواطأتموه عَلى المعاصي، وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها، وقلتم نحب الجنّة ولم تعملوا لها، وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب النّاس أمامكم، فأسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم؟).

(بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثّبات):

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات الّتي ذكرناها وتنصب إليه الآثار والأحوال من الأبواب الّتي وصفناها فكأنه هدف يصاب عَلى الدوام من كلّ جانب فإذا أصابه شيء يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير صفته فإن نزل به الشّيطان فدعاه إلى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه وإن جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره وإن جذبه ملك إلى خير جذبه آخر إلى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قط مهملا وإليه الإشارة بقوله تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٠] ولاطلاع رسول الله ﷺ عَلى عجيب صنع الله تَعَالَى في عجائب القلب وتقلبه كانَ يحلف به فيقول: «لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ»(١). وكان كثيرا ما يقول: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ،

(١) أخرجه البُخَارِيّ (٧٣٩١، ٦٦١٧).

ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» قالوا: أو تخاف يا رسول الله! قَالَ: «وَمَا يُؤَمّنني والقلب بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابعِ الرَّحْمٰنِ يقلبهُ كَيفَ يَشَاء»[١]، أخرجه التِّرْمِذِيّ والحاكم، ولمسلم[٢] من حديث عبدالله ابن عمرو: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ». وللنسائي وابن ماجه والحاكم[٣] من حديث النواس بن سمعان: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابعِ الرَّحْمَنِ، إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ».

وهذه التقلبات وعجائب صنع الله تَعَالَى في تقلبها من حيث لا تهدي إليه المعرفة لا يعرفها إلا المراقبون والمراعون لأحوالهم مع الله تَعَالَى، والقلوب في الثّبات عَلَى الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة:

قلب عمر بالتقوى وزكا بالرِّيَاضة وطهر عن خبائث الأخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل إلى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع عَلَى أسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بأنه لا بُدَّ من فعله فيستحثه عليه ويدعوه إلى العمل به وينظر الملك إلى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بأنوار المعرفة فيراه صالحا لأن يكون له مستقرا ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه إلى خيرات أُخرى حتَّى ينجر الخير إلى الخير وكذلك عَلَى الدوام ولا يتناهى إمداده بالترغيب بالخير وتيسير الأمر عليه وإليه الإشارة بقوله تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل]. وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مكشاة الربوبية حتَّى لا يخفى فيه الشرك الخفي الّذي هو أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظُّلماء فلا يخفى عَلَى هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكايد الشّيطان بل يقف الشّيطان ويوحي زخرف القول غرورا فلا يلتفت إليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير عَلَى القرب معمورا بالمنجيات الّتي سنذكرها من الشكر والصّبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الّذي أقبل الله عَزَّ وَجَلَّ بوجهه

---

(١) رواه الترمذي (٢١٤٠) والحاكم (٣١٤١) وأحمد (٢٦١٣٣) وغيرهم وصححه الأرنؤوط و الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٤).

(٣) رواه أحمد (١٧٦٣٠) والنسائي في الكبرى (٧٦٩١) والحاكم (٧٩٠٧) وابن ماجة (١٩٩) وغيرهم وصححه الألباني والأرنؤوط.

عليه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تَعَالَى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد] وبقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر]

القلب الثّاني القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالأخلاق المذمومة والخبائث المفتوح فيه أبواب الشياطين المسدود عنه أبواب الملائكة ومبدأ الشر فيه أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر عَلَى استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولي النّفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشّيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والأماني ويوحي بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين لخوف الآخرة إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب يملأ جوانبه حتَّى تنطفئ أنواره فيصير العقل كالعين الّتي ملأ الدخان أجفانها فلا يقدر عَلَى أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتَّى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ وأسمعه ما هو الحقّ فيه عمى عن الفهم وصم عن السّمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشّيطان وتحركت الجوارح عَلَى وفق الهوى فظهرت المعصية إلى عالم الشَّهَادة من عالم الغيب بقضاء من الله تَعَالَى وقدره وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تَعَالَى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان] وبقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾ [يس] وبقوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة]، ورب قلب هذا حاله بالإضافة إلى بعض الشَّهَوَات كالذي يتورع عن بعض الأشياء ولكنه إذا رأى وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه أو كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور أسبابه أو كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه أو كالذي لا يملك نفسه عند القدرة عَلَى أخذ درهم أو دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروءة والتقوى فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى إلى القلب حتَّى يظلم وتنطفئ منه أنواره فينطفئ نور الحياء والمروءة والإيمان ويسعى في تحصيل مراد الشّيطان.



القلب الثّالث: قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير فتنبعث النّفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل إلى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها عَلى الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النّفس إلى نصح العقل فيحمل الشّيطان حملة عَلى العقل فيقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى أحدا من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه أفتترك لهم ملاذ الدُّنيَا يتمتعون بها وتحجر عَلى نفسك حتَّى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك أهل الزّمان أفتريد أن يزيد منصبك عَلى فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا أما ترى العالم الفلاني ليس يحترز من مثل ذلك ولو كانَ ذلك شرا لامتنع منه فتميل النّفس إلى الشّيطان وتنقلب إليه فيحمل الملك حملة عَلى الشّيطان ويقول هل لك إلا من أتبع لذة الحال ونسي العاقبة أفتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنّة ونعيمها أبد الآباد أم تستثقل ألم الصّبر عن شهوتك ولا تستثقل ألم النار أتغتر بغفلة النّاس عن أنفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم الشّيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك أرأيت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف النّاس كلهم في الشّمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد النّاس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف النّاس خوفا من حر الشّمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار فعند ذلك تمتثل النّفس إلى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين إلى أن يغلب عَلى القلب ما هو أولى به فإن كانت الصفات الّتي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية الّتي ذكرناها غلب الشّيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشّيطان معرضا عن حزب الله تَعَالَى وأوليائه ومساعدا لحزب الشّيطان وأعدائه وجرى عَلى جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تَعَالَى وإن كانَ الأغلب عَلى القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب إلى إغواء الشّيطان وتحريضه إياه عَلى العاجلة وتهوينه أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تَعَالَى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء عَلى جوارحه فقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرَّحْمٰن أي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب أعني التقليب والانتقال من حزب إلى حزب أما الثّبات عَلى الدوام مع حزب الملائكة أو مع حزب الشّيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب إلى عالم الشَّهَادة بواسطة خزانة القلب فإنه من خزائن الملكوت وهي أيضا إذا ظهرت

كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصي وسلط عليه أقران السوء وألقى في قلبه حكم الشّيطان فإنه بأنواع الحكم يغر الحمقى بقوله: إن الله رحيم فلا تبال وإن النّاس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وإن العمر طويل فاصبر حتَّى تتوب غدًا، ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠﴾ [النساء] يعدهم التوبة ويمنيهم المغفرة فيهلكهم بإذن الله تَعَالَى بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحقّ وكل ذلك بقضاء من الله وقدر ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنّة وخلق لها أهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها أهلا فاستعمله بالمعاصي وعرف الخلق علامة أهل الجنّة وأهل النار فقال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ١٣ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ١٤﴾ [الانفطار] ثمّ قَالَ تَعَالَى فيما روى عنه نبيه ﷺ: (هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أُبَالِي)[1]، فتعالى الله الملك الحقّ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء]

(رياضة النّفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب):

فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو عَلى التحقيق شطر الدّين وثمرة مُجَاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والأخلاق السيئة هيَ السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار ربّ العَالَمِيّن المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تَعَالَى الموقدة، الّتي تطلع عَلى الأفئدة، كما أن الأخلاق الجميلة هيَ الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرَّحْمن والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد وأين منه المرض الّذي لا يفوت إلا حياة الجسد ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى وهذا النوع من الطب واجب تعلمه عَلى كلّ

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٦٦٠) وابن حبان (٣٣٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب عن أسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد إلى تأنق في معرفة علمها وأسبابها ثمّ إلى تشمير في علاجها وإصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تَعَالَى ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩﴾ [الشمس] وإهمالها هو المراد بقوله: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾ [الشمس])

بيان السبب الّذي به ينال حسن الخلق عَلَى الجملة

قد عرفت أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضا وهذا الاعتدال يحصل عَلَى وجهين أحدهما بجود إلهي وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشَّرع فيصير عالما بغير تعليم ومؤدبا بغير تأديب كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السَّلام وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولا يبعد أن يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثّاني اكتساب هذه الأخلاق بالْمُجَاهدة والرِّيَاضة وأعني به حمل النّفس عَلَى الأعمال الّتي يقتضيها الخلق المطلوب فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفا مُجَاهدا نفسه فيه حتَّى يصير ذلك طبعا له ويتيسر عليه فيصير به جوادا وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب عَلَى أفعال المتواضعين مدّة مديدة وهو فيها مُجَاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبعا فيتيسر عليه وجميع الأخلاق المحمودة شَرعاً تحصل بهذا الطّريق وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخي هو الّذي يستلذ بذل المال الّذي يبذله دون الّذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الّذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الأخلاق الدّينيّة في النّفس ما لم تتعود النّفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليه مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها كما قَالَ ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»(١)، ومهما كانت العِبَادات وترك المحظورات مع كراهة

---

(١) رواه النسائي (٣٩٤٠) وأحمد (١٤٠٣٧) وحسنه الأرنؤوط وصححه الألباني.

واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليها بالمُجَاهدة خير ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قَالَ الله تَعَالَى ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة] وقال ﷺ: «اعبُدِ الله في الرّضَا فَإنْ لم تَستطع فَفِي الصّبرِ عَلى ما تكره خير كثير»[١]، ثمّ لا يكن في نيل السعادة الموعودة عَلى حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان بل ينبغي أن يكون ذلك عَلى الدوام وفي جملة العمر وكلما كانَ العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ولذلك لما سئل ﷺ عن السعادة فقال: «طولُ العُمر في طَاعَةِ الله تَعَالَى»[٢]، وللترمذي[٣] من حديث أبي بكرة وصححه: أي النّاس خير؟، قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ» ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت فإن الدُّنيَا مزرعة الآخرة وكلما كانت العِبَادات أكثر بطول العمر كانَ الثواب أجزل والنّفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العِبَادات تأثيرها في القلب وإنما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة عَلى العِبَادات وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النّفس حب الدُّنيَا ويرسخ فيها حب الله تَعَالَى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ فلا يستعمل جميع ماله إلا عَلى الوجه الّذي يوصله إليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها إلا عَلى الوجه الّذي يوصله إلى الله تَعَالَى وذلك بأن يكون موزونا بميزان الشَّرع والعقل ثمّ يكون بعد ذلك فرحا به مستلذا له ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصّلاة إلى حد تصير هيَ قرة العين ومصير العِبَادات لذيذة فإن العادة تقتضي في النّفس عجائب أغرب من ذلك فإنا قد نرى الملوك والمنعمين في أحزان دائمة ونرى المقامر قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح النّاس بغير قمار مع أن القمار ربما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلسا ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول إلفه له وصرف نفسه إليه مدّة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النَّهَار في حر الشّمس قائما عَلى رجليه وهو لا يحس بألمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السّماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصّبر عَلى السياط وعلى أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته بالصّبر عَلى ذلك حتَّى يرى ذلك فخرا لنفسه ويقطع الواحد

(١) قال عنه الحافظ أخرجه الطبراني، وضعفه الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة (٥١٠٧) .

(٢) رواه القضاعي في مسند الشهاب (٣١٢) وضعفه الألباني (ضعيف الجامع ٣٣٤٤).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٢٩) وصححه الألباني.

منهم إربا إربا عَلى أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصر عَلى الإنكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة أخس وأقبح من حال المخنث في تشبهه بالإناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النِّسَاء فترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتَّى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجري بين الملوك والعُلَماء فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة عَلى نمط واحد عَلى الدوام مدّة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين والمعارف فإذا كانت النّفس بالعادة تستلذ البَاطِل وتميل إليه وإلى المقابح فكيف لا تستلذ الحقّ لو ردت إليه مدّة والتزمت المواظبة عليه بل ميل النّفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل إلى أكل الطين فقد يغلب عَلى بعض النّاس ذلك بالعادة فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تَعَالَى ومعرفته وعبادته فهو كالميل إلى الطعام والشراب فإنه مقتضى طبع القلب فإنه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض عَلى طبعه وإنما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عَزَّ وَجَلَّ ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حلّ به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببان لحياتها فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تَعَالَى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله إلا إذا كانَ أحب ذلك الشيء لكونه معينا له عَلى حب الله تَعَالَى وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك عَلى المرض

فإذن قد عرفت بهذا قطعا أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرِّيَاضة وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعني النّفس والبدن فإن كلّ صفة تظهر في القلب يفيض أثرها عَلى الجوارح حتَّى لا تتحرك إلا عَلى وفقها لا محالة وكل فعل يجري عَلى الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب والأمر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وهو أن من أراد أن يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتَّى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدّة طويلة يحاكي الخط الحسن فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثمّ لا يزال يواظب عليه حتَّى يصير صفة راسخة في نفسه فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعا كما كانَ يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الّذي جعل خطه حسنا ولكن الأوّل بتكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب ثمّ انخفض من القلب إلى الجارحة فصار

يكتب الخط الحسن بالطبع وكذلك من أراد أن يصير فقيه النّفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتَّى تنعطف منه عَلى قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النّفس وكذلك من أراد أن يصير سخيا عفيف النّفس حليما متواضعا فيلزمه أن يتعاطى أفعال هَؤُلَاءِ تكلفا حتَّى يصير ذلك طبعا له فلا علاج له إلا ذلك، وكما أن طالب فقه النّفس لا ييأس من نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النّفس وتكميلها وتحليتها بالأعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم، وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد، ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها ثمّ تتداعى قليلا قليلا حتَّى تأنس النّفس بالكسل وتهجر التحصيل رأسا فيفوتها فضيلة الفقه وكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتَّى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الإيمان عند الخاتمة وكما أن تكرار ليلة لا يحس تأثيره في فقه النّفس بل يظهر فقه النّفس شيئا فشيئا عَلى التدريج مثل نمو البدن وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النّفس وتطهيرها في الحال ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة فإن الجملة الكثيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد منها تأثير فما من طاعة إلا ولها أثر وإن خفي فله ثواب لا محالة فإن الثواب بإزاء الأثر وكذلك المعصية، وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا عَلى التوالي يسوف نفسه يوما فيوما إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين صغائر المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة عَلى التوالي إلى أن يختطفه الموت بغتة أو تتراكم ظلمة الذّنوب عَلى قلبه وتتعذر عليه التوبة إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيدا بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعني بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [يس]، ولذلك قَالَ رضي الله تَعَالَى عنه: (إن الإيمان ليبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الإيمان ازداد ذلك البياض فإذا استكمل العبد الإيمان ابيض القلب كله وإن النِّفَاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النِّفَاق ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النِّفَاق أسود القلب كله) فإذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة وتارة بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثّلاثة حتَّى صار ذا فضيلة طبعا واعتيادا وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن

كانَ رذلا بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتَّى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عَزَّ وَجَلَّ، وبين الرتبتين من اختلفت فيه من هذه الجهات، ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صورته وحالته ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة] ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٣٣﴾ [النحل].

(بيان تفصيل الطّريق إلى تهذيب الأخلاق):

قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النّفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال النّفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه وكما أن الغالب عَلَى أصل المزاج الاعتدال وإنما تعتري المعدة المضرة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال فكذلك كلّ مولود يولد معتدلا صحيح الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أي بالاعتياد والتّعليم تكتسب الرذائل وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالنشو والتّربية بالغذاء فكذلك النّفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتّربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم وكما أن البدن إن كانَ صحيحا فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وإن كانَ مريضا فشأنه جلب الصحة إليه فكذلك النّفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفائها وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة المرض لا تعالج إلا بضدها فإن كانت من حرارة فبالبرودة وإن كانت من برودة فبالحرارة فكذلك الرَّذِيلة الّتي هيَ مرض القلب علاجها بضدها، فيعالج مرض الجهل بالتعلم، ومرض البخل بالتسخي، ومرض الكبر بالتواضع، ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا، وكما أنه لا بُدَّ من الاحتمال لمرارة الدَّواء وشدة الصّبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة فكذلك لا بُدَّ من احتمال مرارة المُجَاهدة والصّبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تَعَالَى مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد وكما أن كلّ مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة إلا إذا كانَ عَلَى حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضّعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة

ولا بُدَّ له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فإنه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقائض الّتي تعالج بها الأخلاق لا بُدَّ لها من معيار وكما أن معيار الدَّواء مأخوذ من معيار العلة حتَّى إن الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أهي ضعيفة أم قوية فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزّمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثمّ يعالج بحسبها فكذلك الشَّيْخ المتبوع الّذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليهم بالرِّيَاضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشَّيْخ لو أشار عَلَى المريدين بنمط واحد من الرِّيَاضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرِّيَاضة ويبني عَلَى ذلك رياضته فإن كانَ المريد مبتدئا جاهلا بحدود الشَّرع فيعلمه أولاً الطهارة والصّلاة وظواهر العِبَادات وإن كانَ مشغولا بمال حرام أو مقارفا لمعصية فيأمره أولاً بتركها فإذا تزين ظاهره بالعِبَادات وطهر عن المعاصي الظَّاهِرة جوارحه نظر بقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه فإن رأى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته أخذه منه وصرفه إلى الخيرات وفرغ قلبه منه حتَّى لا يلتفت إليه وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النّفس غالبة عليه فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للكدية والسّؤال فإن عزة النّفس والرياسة لا تنكسر إلا بالذل ولا ذل أعظم من ذل السّؤال فيكلفه المواظبة عَلَى ذلك مدّة حتَّى ينكسر كبره وعز نفسه فإن الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك الرعونة وإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلا إلى ذلك فرحا به ملتفتا إليه استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتَّى تتشوش عليه رعونته في النظافة فإن الّذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات النظيفة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس الّتي تزين نفسها طول النَّهار فلا فرق بين أن يعبد الإنسان نفسه أو يعبد صنما فمهما عبد غير الله تَعَالَى فقد حجب عن الله، ومن راعى في ثوبه شيئا سوى كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه، ومن لطائف الرِّيَاضة إذا كانَ المريد لا يخسو بترك الرعونة رأسا أو بترك صفة أُخرى ولم يسمح بضدها دفعه فينبغي أن ينقله من الخلق المذموم إلى خلق مذموم آخر أخف منه كالذي يغسل الدَّم بالبول ثمّ يغسل البول بالماء إذا كانَ الماء لا يزيل الدَّم

كما يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه ثمّ ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب ثمّ ينقل من ذلك بالترغيب في الرياسة وطلب الجاه ثمّ ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل إلى جاه أخف منه وكذلك سائر الصفات وكذلك إذا رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصّوم وتقليل الطعام ثمّ يكلفه أن يهيأ الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتَّى يقوى بذلك نفسه فيتعود الصّبر وينكسر شرهه وكذلك إذا رآه شابا متشوقا إلى النكاح وهو عاجز عن الطول فيأمره بالصّوم وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة عَلى الماء دون الخبز وليلة عَلى الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والأدم رأسا حتَّى تذل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبدأ الإِرادَة أنفع من الجوع وإن رأى الغضب غالبا عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصبحه ممن فيه سوء خلق ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتَّى يمرن نفسه عَلى الاحتمال معه كما حكي عن بعضهم أنه كانَ يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه عَلى ملأ من النّاس ويكلف نفسه الصّبر ويكظم غيظه حتَّى صار الحلم عادة له بحيث كانَ يضرب به المثل وبعضهم كانَ يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الأمواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العِبَادة بالقيام طول الليل عَلى نصبة واحدة وبعض الشُّيُوخ في ابتداء إرادته كانَ يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام عَلى رأسه طول الليل ليسمح بالقيام عَلى الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورمى به في البحر إذ خاف من تفرقته عَلى النّاس رعونة الجود والرياء بالبذل فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب وليس غرضنا ذكر دواء كلّ مرض فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب وإنما غرضنا الآن التنبيه عَلى أن الطّريق الكلي فيه سلوك مسلك المضاد لكل ما تهواه النّفس وتميل إليه وقد جمع الله ذلك كله في كتابه العزيز في كملة واحدة فقال تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات] والأصل المهم في لُمجَاهدة الوفاء بالعزم فإذا عزم عَلى ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تَعَالَى واختبارا فينبغي أن يصبر ويستمر فإنه إن عود نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت وإذا اتفق منه نقض عزم فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النّفس في كتاب المحاسبة والمراقبة وإذا لم يخوف النّفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرِّيَاضة بالكلية.



برنامج تربوي مقترح ووصايا للمُجَاهد

في ميدان العِبَادة والنسك والسُّلوك والأخلاق

(١) – العمل عَلى تجديد الإيمان وتصحيح النِّيَّة والإخلاص لله تَعَالَى في كلّ حين.

(٢) – الحرص عَلى حسن إقامة الصّلاة بالتزام الصلوات في أول أوقاتها. والحرص عَلى أدائها في جماعة – إن أمكن – وإتمام ركوعها وسجودها والتزام سننها القبلية والبعدية. واستحضار الخشوع فيها وإتمامها عَلى أكمل وجه وبذل الجهد في تحسين أدائها باستمرار.

(٣) – التزام الأذكار والتسبيحات المعروفة دبر كلّ صلاة وعدم الإنصراف من مجلس الصّلاة إلا بعد أدائها. ودعاء الله وسؤاله من خير الدُّنيَا والآخرة بعد أداء التسبيحات.

(٤) – الحرص عَلى إيتاء الزّكاة – لمن كلن له مال تجب الزّكاة فيه – وتحري إحصاء الحقّ فيها وأدائها عن طيب نفس، وتحري الصّالحين المحتاجين المستحقين لها، وخاصة من ذوي الأرحام والقرابة، ومن الأسر الّتي أصيبت في سبيل الله من المُجَاهدين والمُهَاجِرين في سبيل الله، ولا سيما أسر الشّهداء والمعتقلين الأسرى لدى الأَعدَاء.

(٥) – تحري صوم رمضان إيمانا واحتسابا عَلى خير وجه، والتشوق إليه، والإكثار من الطاعات فيه ولا سيما، قيامه (صلاة التراويح)، وقراءة القرآن وكثرة الصدقات لمن وجد.

(٦) – أداء فريضة الحجّ فور الاستطاعة الشَّرعيَّة. ومحاولة أدائها في سن الشَّبَاب.

(٧) – إلتزام أداء أذكار الصباح (مابين صلاة الفجر وطلوع الشّمس) وأذكار المساء: (مابين صلاة العصر إلى المغرب). وتضمينها وردا من الإستغفار ١٠٠ مر ة يوميا. والتزام أذكار النوم. وتحري أن يكون آخر الكلام قبل النوم ترديد الشهادتين. (٨) – إلتزام سنة صلاة الضحى (من ارتفاع الشّمس إلى قبيل الزوال)، ركعتان أو أربعا أو ثمانية ركعات.

(٩) – إلتزام ورد يومي من القرآن بقراءة جزء يوميا، وختمه في كلّ شهر قمري مرّة عَلى الأقل. والتزام قراءة سورة الكهف كلّ يوم جمعة، مابين الفجر إلى قبيل المغرب.

(١٠) – إلتزام قيام الليل يوميا، بورد يقدره الأخ بحسب قدرته، يصليها في الثلث الأخير من الليل إن قدر، وإلا فليصل ما قدر عليه قبل النوم ثمّ يوتر. والسنة النّبويّة فيه أحد عشر ركعة. والإكثار من الإستغفار وقت السحر.

(١١) – إلتزام ورد من صيام النافلة، وأقله ثلاثة أيّام من كلّ شهر، وهي الأيّام البيض (١٣-١٤-١٥) من كلّ شهر قمري. وأوسطه صيام الاثنين والخميس، وأفضل الصّيام صيام داوود عليه السلام، صيام يوم وإفطار يوم.

(١٢) – إلتزام قدر من الصدقة المالية أسبوعيا أو شهريا بحسب القدرة.

(١٣) – إلتزام جلسة للتفكر والمحاسبة في آخر النَّهَار قبل النوم، ومراجعة حصاد الإحسان والإساءة اليومية. وتعاهدها بالإستغفار، وتشديد محاسبة النّفس في مصادر الكسب وتحري أن يكون حلالا خالصا، ورد الحقوق لأهلها، وتصدق بما رقى إليه الشك من الكسب المحرم. واستحلال من أصابه الأخ بأي شكل من أشكال الأذية. وتعود مراقبة الله في السر والعلن.

(١٤) – تحري رضا الوالدّين وبرهما أحياءا بحسن الصلة والمعاملة، وأمواتا بالحج عنهما إن لم يحجا، وبالصدقة لهما، وبصلة أصدقائهما بعد رحيلهما، وبكثرة الإستغفار وطلب الرحمة لهما.

(١٥) – تحري صلة الأرحام وزيارتهم وبرهم والإحسان إليهم، وتعاهدهم بالصلة والهدية. وبالصدقات إن كانوا في حاجة.

(١٦) – تحري حسن الخلق في معاشرة النّاس، والإحسان إليهم والصّبر عَلى إساءتهم والأستغفار لهم والدّعاء للمسلمين بظهر الغيب.

(١٧) – تحري سنة رسول الله ﷺ في كلّ الحركات والسكنات، وتحري أقواله وأفعاله، وما سنه وشرعه. في المأكل والمشرب والملبس والنوم واليقظة ومعاشرة الأهل و، وحسن صحبة الجيران وصلة الأرحام، وتحري أخلاقه الشريفة ﷺ في كلّ شأن، والإستعانة بالكتب الّتي تتبعت ذلك مثل (كتاب زاد المعاد للإمام ابن القيم رحمه الله).

****

(٣)- المجال الثّالث:

الفهم السّياسيّ وفقه الواقع

إن عمليَّة التّربية السّياسيّة ورفع مستوى فقه الواقع لدي الفرد عمليَّة معقدة وتأخذ وقتاً طويلاً. ولكنها إن كانت في حكم المندوبة للمُجَاهد العادي، فهي مفروضة عَلى قيادات وكوادر الْمُقاوَمة، لأنها مستند قرارات الحركة السّياسيّة الشَّرعيَّة وحسابات تبعاتها. كما أن حدا أدنى منها يجب أن يتوفر للأفراد حتَّى يستطيعوا تقدير الأسباب الّتي جعلت قياداتهم تتخذ قرارا معينا، بناء عَلى حسابات المصالح والمفاسد والمترتبات.

وتتفاوت عمليَّة التأهيل عَلى كلّ حال باختلاف مستوى الفهم وحدة الذكاء والاستعياب لدى الفرد، وبمستوى الكمية المعرفية للمعلومات الّتي يستطيع الشخص تحصيلها. وتحتاج فوق المعلومات العامّة إلى عمليه متابعة مستمرة لمجريات الأمور، واختلاط بالحياة والنّاس، ومتابعة الأخبار والأحداث، وارتفاع مستوى الثّقافة العامّة في مختلف مناحي العلوم والمعارف.

ومن المعلومات اللازمة لُمجَاهد الْمُقاوَمة حتَّى يستوعب ما يجري من حوله، ويستطيع أن يقدر المصالح والمفاسد المترتبة عَلى أعماله، وفق محاكمات منطقية جملة من المعارف الأساسيّة من أهمّها مايلي:

١- معلومات تارِيخِيَّة:

فيعرف فكرة عامة عن تاريخ الحضارة والوجود البشري، وصولاً لمرحلة انطلاق دعوة، الإِسْلَام ثمّ فكرة عن تاريخ الْمُسلِمِين، وتتابع دولة وحُكُومَاته بدءاً من البعثة النّبويّة ومروراً بالخُلَفَاء الرّاشدين، ثمّ المَرحَلَة الأموية فالعبّاسية فدول الطوائف، ثمّ المَرحَلَة العُثمَانِيّة، وصولا إلى سقوط الخِلافَة نهَائِيَّاً سنة ١٩٢٤م، فمرحلة خضوع بلادنا للاستعمار الأوروبية منذُ ذلك الوقت وإلى يومنا هٰذا. وخاصة فترة الأزَمَات الكبرى في تاريخ الْمُسلِمِين. وقد لخصنا في الفَصل الثّالث من الجزء الأوّل خُلاصة مفيدة في ذلك إن شاء الله.

كما يجب أن يعرف نبذة عن تاريخ عدونا ودوله المختلفة وتطورها، وصولاً إلى دول الرُّوم المعاصرين أمريكا وأوروبّا النّاتو. وقد مر في الفَصل الثّالث أيضا لمحة من ذلك.

ومن خلال ذلك يجب أن يعرف نبذة عن الأحداث الهامة، والشخصيات التارِيخِيَّة، وتاريخ الصِّرَاع بين الإِسْلَام والمُسلِمين من جهة، والرُّوم وحضاراتهم من جهة ثانية.

وقد أوردت ملخصا لذلك لأهميته في فهم ما يجري اليَوْم، عبر الفَصلين الثّالث والرَّابع.

٢- معلومات لجغرافية:

التّاريخ والصِّرَاعات تجري عَلى الأرض، وضمن جغرافية الممالك والبلاد المختلفة. فيجب عَلى الكادر الجهاديّ المثقف أن تكون لديه أرضية أساسية ومعرفة بالجغرافيّة في هذا العالم. وكيفِيَّة تقسيماته السّياسيّة وكياناته، حتَّى يستطيع فهم الأخبار والأحداث، ويربطها بمواقعها وتاريخ تلك المواقع.

٣- معلومات في الاقتصاد:

معظم هذه الصِّرَاعات الدّائرة اليَوْم ذات أبعاد اقتصاديَّة رئيسيَّة أو أساسية، فهي صراعات عَلى المصالح في بعد أساسي من أبعادها. فيجب أن يحيط المُجَاهد بقسط من المعرفة الاقتصاديَّة، كفكرة عن الموارد، وأنواع الإقتصاد في الدّول المختلفة ونظمه، ومستويات دخل الأفراد والشّعوب، وأوجه نشاطهم الاقتصاديّ ودورة المال والإقتصاد وعلامته بالسّياسة والحُرُوب.. الخ.. فهي معلومات أساسية لفهم الصِّرَاع، وفهم نقاط القوّة والضّعف في صفنا وصف العدوّ، والمقاتل الّتي يمكن أن تأتيه منها.

٤- معلومات في الجغرافيّا البشرية:

الجغرافيّا البشرية هيَ مجموعة المعلومات المتعلقة بالسّكّان ؛ خصائصهم، أعراقهم، أديانهم، مذاهبهم، عاداتهم حضاراتهم... لأن البشر هم العنصر الفاعل المتحرك في هذه الصِّرَاعات والخلاف في تكوينهم الدّيني والعرقي والحضاري بعد أساسي من أوجه الصِّرَاع..

٥- معلومات في السّياسة والجغرافيّا السّياسيّة:

والمقصود معلومات عامة في علم السّياسة ونشأته، والمذاهب السّياسيّة القديمة والمعاصرة، ومذاهبها القائمة حالياً، وجُذُورها من القوميّة والدِّيمقراطيَّة والإشتراكية والشُّيُوعِيّة واللبرالية... الى آخر ذلك.. وكذلك فكرة عن الصِّرَاعات السّياسيّة العَالَمِيّة ومحاورها بين الدّول العظمى، والأحلاف القائمة بينها، وأوجه التنافس بين هذه الأحلاف، وداخل الحلف الواحد ومكوّناته من الدّول.. ثمّ

الجغرافيّا السّياسيّة للدول الكبرى، ولا سيما المعادية لنا ومكوّناتها وتناقضاتها الداخليَّة. لأن كلّ ذلك يفيد في وضوء تصوُّرات المُوَاجَهة..

فالجغرافيّة السّياسيّة هيَ خريطة القوى في مكان ما أو تجمع ما، سواء كانت دولا أو أحزابا أو كيانات وشخصيات، والعلاقات بينها بمختلف أشكال تلك العلاقات. ومن المعلومات السّياسيّة الهامة، معرفة أوجه الصِّرَاع ومحاوره، وتاريخه وحاضره، بيننا وبين العدوّ. والمؤامرات عَلى العالم الإِسْلَاميّ وشكلها وتاريخها.

ومن الضَّروري وخاصة للكوادر الموجهة للمجموعات والخلايا في السَرايا المُقاوَمة، أن تجمع بقسط لا بأس به بين فهم لغة السّياسة ومصطلحاتها، ومداليل تلك المصطلحات المتجددة والمتوسعة بشكل يومي.

٦- معلومات وثقافة عامة:

وهذا باب واسع كبير، فالثّقافة العامّة كما تدل عليه الكلمتين المكونتين للمصطلح: هيَ مجموعة المعارف والمعلومات العامّة في كلّ منحى وفن.

وكلما اتسعت المعرفة، زادت القدرة عَلى الفهم. وبالتالي اتسع التَّفكير، ونتج عنه القدرة عَلى رسم الخطط وتوقع مسار الأحداث..

فإن مستويات الفهم السّياسيّ العام تمر بأربعة مراحل:

أولها معرفة الخبر، وثانيها فهم الخبر، وثالثها تحليل أبعاد الخبر، ورابعها توقع مجالات تأثير هذا الخبر عَلى المستقبل وبالتالي استقراء مستقبل الأحداث...

فهذه الأمور تتدرج بدءاً من مستوى الفهم العادي، وصولاً إلى العبقرية الّتي عرفوها تعاريف كثيرة من أدقها أنها (القدرة عَلى التحليل والتركيب) فعندما تكون لديك معلومات. عليها العقل ويعيد تركيبها في مفاهيم ومدارك.. فاللغة ثمانية وعشرين حرفاً.. يختلف مستوى استعمال النّاس لها، من أبله يتمتم بألفاظ لا معنى لها، إلى شاعر يخرج منها بياناً كأنه السحر، إلى فيلسوف يصيغها حكماً ومعرفة.

وكل هذا يعتمد كما أسلفت عَلى الموهبة والملكة والفهم والذكاء والإدراك من جهة ومن جهة ثانية عَلى المعارف المكتسبة، الّتي بدونها لا يستفيد الإنسان من مواهبه ومداركه الّتي تتهاوت بفعل الجهل والركود

الفكريّ.وكذلك فإن المعارف والمدارك المكتسبة ترفع مستوى الجاهل ليكون عالماً مدركاً ولكنها لا تسمو به إلى مستوى العبقرية والإبداع، إلا بالملكة والموهبة والفهم والذكاء والحكمة. وهذه عطية من الله تَعَالَى.. فقد روي عنه ﷺ: «إنَّمَا العِلمُ بِالتَّعَلُّم» (فالتعلم ممكن). «وإنَّما الحلمُ بالتَّحلُّم»[1] (وهذا كذلك). ومن يتصبر يصبره الله. فهي معارف وسلوك مكتسب.. ولكن الله تَعَالَى قَالَ ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩] فهي هبة، ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ۝٢٠﴾[ص] و ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤]. ونسأله من واسع فضله كرمه ورحمته وجوده. فهو مالك الملك سبحانه.

وإذا كانت المعارف والمعلومات هامة للمُجَاهد في كلّ وجه وفن، فإنها تزداد أهمية بقربها من ساحة الصِّرَاع الّذي يعمل فيه، والقوى الّتي تشتبك في هذا الصِّرَاع.

فلا بُدَّ من معرفة واسعة بأنفسنا وبعددنا وعدتنا، وبساحة الصِّرَاع وشبكة القوى والمؤثرات فيها.

فالحكم الشَّرعيّ لا يصح إلا بفقه الواقع وإنزال العلم الشَّرعيّ والنص والفتوى عليه. وبقدر جهله تخرج الفتوى السّياسيّة الشَّرعيَّة عن سياقها.

والقرار العسكريّ لا يصح إلا بالمعرفة بالواقع، وإلا لربما اتخذ المقاتل قراراً كانَ فيه حتفه. وقل مثل ذلك عن كلّ شيء من مجالات الحركة.

وكل حديثنا هذا في عالم الأسباب الواجب الأخذ به شرعاً. وإلا فالأصل هو توفيق الله وفتحه ونصره. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت] وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس: ٩] فالذي نتحدث عنه هو العلم، وأما توفيق الله فهو النور والروح والمدد. ونسأل الله من فضله العظيم.

وقد ذكرت في الجزء الأوّل من هذا الكتاب، وفي أبعاد النَّظريَّة السّياسيّة في الجزء الثّاني، وفي طيات مختلف الفصول.. نبذة عن كثير من هذه المعلومات والمعارف الّتي تساعد عَلى فهم الصِّرَاع وأطرافه ومعطياته. ولكن ذلك لا يكفي إلا عَلى أرضية من المعارف العامّة الّتي ذكرت. ومن أجل ذلك..

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٢٦٦٣) والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٢٥٤)، وصححه الألباني: (الصحيحة٣٤٢).

أنصح الموجهين وكل مُجَاهد قادر عَلى الإطلاع والقراءة بأن يرفعوا من مستواهم بقراءة كتب ميسره في المحاور التّالية لأمثلة عَلى بعض أبواب المعارف، وإلا فالمجال كبير، ورحب واسع جداً جداً.. ولا يحضرني أسماء كتب بعينها، وهي في ازدياد كلّ يوم. وقد فتحت شبكات المعلومات أبوابا هائلة. فمن المفيدة. أن يحيط المُجَاهد ولا سيما الكوادر والقيادات بشيء من المعارف التّالية:

- <u>في علوم التّاريخ:</u>

- تاريخ الحضارات القديمة.
- تاريخ الرُّوم القدماء.
- تاريخ أوربّا المعاصرة منذُ سقوط القُسطَنْطينيَّة وقيام المالك الأوروبية.
- تاريخ أوربّا في مرحلة الحَربين العَالَمِيّتين.
- تاريخ أمريكا ونشأتها وعلاقتها بأوروبّا والعالم منذُ الحَرب العَالَمِيّة الثّانية.
- تاريخ العَرَب قبل الإِسْلَام.
- تاريخ الإِسْلَام بمراحله المختلفة بدءاً من عصر النبوة عَلى نبينا أفضل الصّلاة والسَّلام ووصولاً لسقوط الخِلافَة العُثمَانِيّة ١٩٢٤.
- تاريخ العَرَب والمُسلِمين الحديث منذُ ١٩٢٤م وإلى الآن. ولاسيما تاريخ البلاد الّتي يعيش فيها، ويريد الجِهَاد فيها.

- <u>في الجغرافيّا:</u>

- كتاب في الجغرافيّا الطبيعيّة للعالم، وكذلك جغرافيا الموارد والاقتصاد، وتوزيع الثّروات فيه.
- كتاب في الجغرافيّا الطبيعيّة للعالم الإِسْلَاميّ، وكذلك توزع الثّروات والموارد.
- كتاب في الجغرافيّا البشرية للعالم الإِسْلَاميّ والعربي. الأعراق، القوميات، الأديان والمذاهب، أوجه الثقافات والنَّشَاط السّكّاني.

- <u>في علم السّياسة والإقتصاد:</u>

- كتاب موجز عام في علم السّياسة.
- كتاب ميسر في المذاهب السّياسيّة المعاصرة ونشأتها ومبادئها.

- كتاب ميسر في علم الاقتصاد ومدارسه المعاصرة.
- الدراسات الإحصائية الاقتصاديَّة المختلفة.
- كتاب حول الصِّرَاع الاقتصاديّ عَلى العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.
- كتاب حول محاور القوى الاقتصاديَّة المعاصرة والصِّرَاع فيما بينها (لاسيما الصِّرَاع الاقتصاديّ بين أمريكا وأوربّا واليابان وشرق أسيا والصين.
- الأطماع الاستعماريّة الحديثة والصِّرَاع عَلى النفوذ في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.
- معرفة بالخريطة السّياسيّة للمكان الّذي يعيش فيه المُجَاهد ومكوّناته ومعطياته.
- تاريخ الصِّرَاع العربيّ والإسرائيلي ومراحله، ومشاريع التطبيع الحديثة ومؤامراتها.
- الصِّرَاع الدّولي وتاريخه عَلى النّفط والطاقة والموارد في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.
- مدارس الصّحوة الإِسْلَاميّة المعاصرة ومذاهبها ورجالها.
- تاريخ الصّحوة في البلد الّذي ينتمي إليه ويعمل فيه المُجَاهد.
- ومن الكتب المهمة جدا، كتب مذكرات الزعماء وصناع القرار والسّياسة في العالم وفي بلادنا من شتّى المشارب والمذاهب.
- أمر مهم آخر كتاب ميسر في الإعلام ومدارسه ووسائله المعاصرة.
- كتاب موجز في علم الإدارة.
- كتاب في كيفِيَّة إدارة الوقت والإستفادة من الوقت.

- **معلومات وثقافة عامة:**

- إتقان اللغة الإنكليزية. الّتي صارت اليَوْم وللأسف وسيلة الاتّصال العَالَمِيّ، وأداة النفاذ إلى كثير من العلوم والمعارف.
- إتقان استعمال الكومبيوتر. والإستفادة من شبكة الإنترنت.
- معرفة عامة بعلوم الطبيعة، وعلوم الصحة والإسعافات الأولية، وعلم الكهرباء، وما تيسر له من كلّ علم وفن وثقافة.

والفت النَّظر إلى أن متابعة الأخبار العَالَمِيّة والمحليَّة. والبَرَامج الثَّقافيَّة التلفزيونية العامّة، أمر في غاية الأهمّيّة والأثر في تكوين المعارف والثّقافة السّياسيّة والعامة. مع الانتباه إلى المؤثرات السلبية لوسائل الإعلام ولا سيما الفضائِيَّات والإنترنت من تشر الأفكار الضالة والمنحرفة الّتي يشيعها العدوّ لتغير الهويّة الدّينيّة والفكريّة للمسلمين. وكذلك مجالات الفساد والأغلال والمحرمات الّتي تشيعها هذه الوسائل الّتي اختلط خيرها بشرها بطريقة لا ينقذ فيها ولا بعين عليها إلا الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى وهو الهادي.

وكذلك فإن مطالعة الصّحف والمجلات السّياسيّة والفكريّة والأدبية أمر مهم في متابعة الأحداث وعيشها وفقه الواقع.

وأختم بلفت النَّظر إلى مؤلفات **الشَّيْخ عبدالله عزام** الّتي حوت جانبا كبيرا في فقه الواقع وأحوال المُسلِمِين المعاصرة. وهي متناثرة في كتبه ومؤلفاته الّتي جمعت في (**موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن الشَّيْخ عبدالله عزام**). وأخص بالذكر منها لموضوع هذه الفقرة (الفهم السّياسيّ) كتبه: (**المنارة المفقودة**) الّذي تحدث فيه عن سقوط الخِلافَة العُثْمَانِيّة. وكتاب (**أضواء عَلى القوميّة العربيَّة**)، وكتاب (**السرطان الأحمر**) الّذي تحدث فيه عن الشُّيُوعِيّة وانتشارها في أوساط العَرَب والمُسلِمين إبَّان الستينيات والسَّبعينيَّات.وكتاب (**الإِسْلَام ومستقبل البشرية**)، وكتاب (**مبشرات النّصر**). وكتاب (**خط التّحول التّاريخي**) وهو كتاب هام جدا وصغير الحجم موجز، ولكنه عظيم الفائدة غني المحتوى.. وأعتقد أن عَلى كلّ موجه للشباب المُجَاهد أن يعتمده في منهج التوعية السّياسيّة المعاصرة في أحوال المُسلِمِين.

وقد نقلت من هذه الكتب المذكورة مقاطع مهمة نثرتها في مواضعها المناسبة في هذا الكتاب. رحم الله الشَّيْخ الشّهِيد وأجزل مثوبته وغفر له وجمعنا وإياه في الصّالحين.

****

(٤)- المجال الرّابع:

التّربية العسكريّة والإِعداد الجهاديّ

سأترك التفصيل في هذا البَاب هنا، عَلى اعتبار أنّنا سنفرد لها باباً خاصاً في هذا الفَصل وهو (**نظريَّة التّدريب والإِعداد في دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة**). إن شاء الله.



(٥)- المجال الخامس:

التّربية العمليّة بأداء فريضة الجِهَاد

روى البُخَارِيّ(١) عن أبي إسحاق قَالَ: سمعت البَرَاء ﷺ يقول:

أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أُقَاتِلُ أَوْ أُسلِمُ؟ قَالَ: «أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ»، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ، فَقُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا».

و عن أبي هريرة ﷺ : «أَنْ عَمْرَو بْنَ أُقَيْشٍ، كَانَ لَهُ رِبًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُسْلِمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمُ أُحُدٍ، فَقَالَ: أَيْنَ بَنُو عَمِّي؟ قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: فَأَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ وَرَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ، قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو، قَالَ: إِنِّي قَدْ آمَنْتُ، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ، فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ جَرِيحًا، فَجَاءَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لِأُخْتِهِ: سَلِيهِ حَمِيَّةً لِقَوْمِكَ، أَوْ غَضَبًا لَهُمْ أَمْ غَضَبًا للهِ؟ فَقَالَ: بَلْ غَضَبًا للهِ وَلِرَسُولِهِ، فَمَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَا صَلَّى للهِ صَلَاةً»(٢).

منذ نزل الإذن بالقتال بقوله تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ [الحج] ومازال نهجه ﷺ في نفسه الشريفة، وفي توجيه أصحابه هو الجِهَاد في سبيل الله والنَّشَاط فيه دفعا وطلبا. بصرف النَّظر عن مستوى العلم الشَّرعيّ والفهم العام والإِعداد المأمور به شرعاً، وعن مستوى القدم وحظ واحدهم من التّربية، فالجِهَاد فريضة، وإذا دخل وقتها أداها المسلم بصرف النَّظر عن مستواه في الدّين والعلم وسوى ذلك. فتطور المسلم في زيادة إيهانه وفقهه وعلمه وأخلاقه وسلوكه وإدراكه لواقعة وإمكانيَّاته الإِعدادية الجهاديّة، أمور تسير معه منذُ نشأته وإلى وفاته. ولكن لم يقل أحد في سلف ولا خلف أن تدني تلك المستويات في وجه من وجوه الدّين تسقط الفريضة الشَّرعيَّة في القِتَال. الّذي لا يسقطه إلا الأعذار الشَّرعيَّة.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٠٨) ومسلم (١٩٠٠).

(٢) رواه أبو داود (٢٥٣٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١] ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة]

أما الأعذار الثمانية الأخرى، وما يتفرع عنها، والّتي سميت أعذار المُنَافِقين. وهي أعذار القاعدين في كلّ زمان ومكان، فقد حصرتها الآية الكريمة بإعجاز مذهل.. لم يترك عذراً منتحلاً إلا ويدخل تحتها أو يتفرع عنها..

قَالَ تَعالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة]

ولكن القاعدين وشيوخهم وقياداتهم الجبانة الخائرة في هذا الزَّمن، اخترعوا أعذاراً واهية جديدة عجيبة..

فهم يقولون سنجاهد، ولكننا في مرحلة التّربية السُّلُوكية وتصحيح الدّين. وقال آخرون سنجاهد، ولكن لما تصح العقائد وتصفوا الرّاية.. وقال فريق ثالث سنجاهد ولكن لما تكتمل أجهزة التَّنظِيم وأركان الجماعة، ولا نتعجل الثمرة.. حتَّى تنقضي المَرحَلَة المكية!!

ثمّ جاء القرن الحادي والعشرين.. وجاءت أمريكا بخيلها ورجلها وأعلنت الحَرب العَالَمِيّة عَلى الإِسْلَام والمُسلِمين تحت ذريعة الإِرهَاب..

فاستعلن القوم أخيرا فقالوا.. نحن لا نجاهد، فهذا إرهاب، ونحن دعاة وسطية، وقد كانَ الجِهَاد لكسر الحواجز عن الدّعوة. والآن الدّعوة متاحة بالأساليب السّلميّة والدِّيمقراطيَّة وعبر شبكات الإنترنت ومحاضرات الفضائِيَّات وندواتها..

وقالوا.. سنجاهد ولكن في البرلمان وبالطرق (الشَّرعيَّة!)، (شرعيتهم الجَدِيدة طبعا!)، ونحن في دولة قانون، ويجب علينا نبذ العنف، وصرحوا بما كتموا في نفوسهم أخيرا، وصدق الله العظيم: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ [محمد]

فأما طريقتنا في التّربية، فهي عَلى النقيض من ذلك. فركنها الخامس والأساسي في التّربية، هو أنّنا ندعو إلى أداء فريضة جِهَاد الدَّفع العينية في الحال وبالمتيسر، وكل حسب وسعه، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. فكل مسلم عليه الجِهَاد بنفسه لدفع الصّائل بالقتال. فوراً وحالاً فرضاً لازماً، يأثم بتركه. فقد حلّ العدوّ في العقر.. في كلّ عقر من بلاد المُسلِمِين ! وقد سبق بيان الحكم الشَّرعيّ وأدله ذلك.

ونعو إلى السّير في عمليَّة التّربية في المناحي المُتكامِلة قدر المستطاع، وبحسب كلّ ظرف واستطاعة كلّ فرد، سعياً لزيادة الإيمان، وترسيخ العَقِيْدَة، وفهم أحكام الدّين، وتزكية النّفس، والرقي بالأخلاق والسُّلُوك، ورفع سوية الفهم السّياسيّ والواقعي. ولكن عَلى طريقة «أَسلِم ثُمّ قَاتِل».. فما دام المسلم مسلماً فعليه جِهَاد قتال الدَّفع فريضة مثلها مثل الصّلاة والصّيام لا تختلف عنها إلا بأنها أشد فرضية كما بينا.

عن أبي هريرة ﵁ : «**أَنْ عَمْرَو بْنَ أُقَيْشٍ، كَانَ لَهُ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُسْلِمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمُ أُحُدٍ، فَقَالَ: أَيْنَ بَنُو عَمِّي؟ قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: فَأَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ وَرَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ، قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو، قَالَ: إِنِّي قَدْ آمَنْتُ، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ، فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ جَرِيحًا، فَجَاءَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لِأُخْتِهِ: سَلِيهِ حَمِيَّةً لِقَوْمِكَ، أَوْ غَضَبًا لَهُمْ أَمْ غَضَبًا للهِ؟ فَقَالَ: بَلْ غَضَبًا للهِ وَلِرَسُولِهِ، فَمَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَا صَلَّى للهِ صَلَاةً**»(١).

وهناك إشارة لطيفة لا يدركها القاعدون ولن يفهموها قراءةً هنا، ونحن نشير إليها لعلها تثير فضولهم، وتشد أصحاب العزيمة لطريقة (فمن ذاق عرف)..

وهي (التّربية بممارسة القِتَال).. التّربية تحت بريق السيوف وأزيز الرصاص، ودوي المدافع، وهدير الطائرات، ولا أقصد التّربية العسكريّة والتّدريب العملي هنا.. لا، وإنما التّربية في كلّ وجه..

تصحيح العَقِيْدَة في ميدان المَعْرَكة، نعم هناك حيث يدرك المؤمن أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، وتشرق أنوارها في قلبه، فتصح عقيدته، ويدرك ويفهم بطريقة إلهية عجيبة، أن الله هو الخالق وهو الرزاق، وهو وحده المحي المميت، وهو القوي القادر، وهو الجبار وهو المنتقم.. ويدرك أن الله معه

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٣٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

يسمعه ويبصره وينصره ويدبر أمره. هناك حيث تزرع العَقِيْدَة وجوهرها في أعماق نفسه وروحه، بشهود ساعة في الصف بإخلاص، ويدرك معنى قوله ﷺ: «**من قاتلَ في سبيلِ الله فُواقَ ناقةٍ فقد وجَبَتْ له الجنةُ**»[(١)]! وهل تجب الجنّة لفاسد عَقِيْدَة!؟

وفي مقام الصف الأوّل، وساعة القِتَال، تزكوا نفسه، ويتعلم مكارم الأخلاق، لأنه باع نفسه لله وانخلع من الدُّنيَا، فيَحسُن خلقه، ويذهب همه وغمه، وتراه سهلاً ليناً عابداً خاشعاً. هناك إذ تراآى له الموت، ورآه في الحنايا والزوايا، وتوقع مع كلّ صغير قذيفة تنقض بالموت والنار المنتشر مع الشظايا أن فيها أجله، فيتذكر خطاياه وقد لاح الموت، فيقول: استغفر الله العظيم.. مرّة واحدة، فتسري معاني الإستغفار في كلّ خلايا بدنه، ولعلها خير من تريدها مئات المرات بسبحة أنيقة، ذات أحجار كريمة، على سجادة فاخرة أعجمية، فوق الموكيت الأوربي الفاره، في صالون أنيق خافت الأضواء، بعد عشاء دسم. وقد هجع الأولاد ونامت أم العيال.. وخلا هذا العابد المرفه إلى زاويته يتهجد..أقول لعلّ ذلك الإستغفار أبعد أثرا في النّفس وأسرع وصولا.. لعلها، والإخلاص والقبول منة الله تَعَالَى..

وكذا كلّ خلق، وكل فهم وكل بصيرة، هناك في الثُّغُور حيث يفتح الله عَلَى المخلصين، وصدق احمد بن حنبل وأقرانه من السَّلَف الّذين كانوا يقولون ؛ إذا أعجمت عليكم المسألة فأحيلوها إلى أهل الثُّغُور فقد تكفل الله لهم بالهداية لقوله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت] فالقتال ومباشرته.. ليس مجرد عبادة فقط، وهو كذلك وهذا أساسه، طاعة وعبادة يؤجر بأدائها ويأثم بتركها.. ولكنه وسيلة تربية في طريقتنا وهو أقصر السّبل، فهو (كورس مركز) لتصحيح العَقِيْدَة، وتهذيب السُّلُوك، وفهم الواقع، والإِعداد العسكريّ المختصر المباشر.. ومن ذاق عرف.. وياهم من مساكين أولئك الّذين لا يعرفون هذا ولا يفهمونه، مساكين.. كلا بل ران عَلَى قلوبهم ما كانوا يكسبون.. فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وتلك وليمته تبارك وتعالى يولج أناسا ويصرف آخرين، ويتقبل أناساً ويكرمهم، ويرد لآخرين، ويختار من يتخذ من الشّهداء ويؤجل آخرين.. ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٨﴾ [القصص]

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٤١) والترمذي (١٦٥٧) والنسائي (٣١٤١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

وإنا وإن كنا نعتقد وندعو إلى ممارسة الجِهَاد جنبا إلى جنب مع العمل في باقي مناحي التّربية. ولا سيما إذا تعينت الفريضة في جِهَاد الدَّفع كما هو حالها اليَوْم. إلا أن الجِهَاد كلّ متكامل يحتاج العبد كي يستقيم فيه ويصبر ويثبت إلى أن يقوم بالجِهَاد بكل مناحيه ومراتبه وأنواعه..

يقول الإمام ابن القيم في الزاد[١]:

مراتب الجِهَاد:

لَمَّا كَانَ الْجِهَادُ ذِرْوَةَ سَنَامِ الْإِسْلَامِ وَقُبَّتَهُ، وَمَنَازِلُ أَهْلِهِ أَعْلَى الْمَنَازِلِ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا لَهُمُ الرِّفْعَةُ فِي الدُّنْيَا، فَهُمُ الْأَعْلَوْنَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَانَ رَسُولُ الله ﷺ فِي الذِّرْوَةِ الْعُلْيَا مِنْهُ، وَاسْتَوْلَى عَلَى أَنْوَاعِهِ كُلِّهَا فَجَاهَدَ فِي الله حَقَّ جِهَادِهِ بِالْقَلْبِ وَالْجِنَانِ وَالدَّعْوَةِ وَالْبَيَانِ وَالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، وَكَانَتْ سَاعَاتُهُ مَوْقُوفَةً عَلَى الْجِهَادِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ. وَلِهَذَا كَانَ أَرْفَعَ الْعَالَمِينَ ذِكْرًا، وَأَعْظَمَهُمْ عِنْدَ الله قَدْرًا.

وَأَمَرَهُ الله تَعَالَى بِالْجِهَادِ مِنْ حِينِ بَعْثِهِ، وَقَالَ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ [الفرقان]، فَهَذِهِ سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ أَمَرَ فِيهَا بِجِهَادِ الْكُفَّارِ بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ وَتَبْلِيغِ الْقُرْآنِ، وَكَذَلِكَ جِهَادُ الْمُنَافِقِينَ إِنَّمَا هُوَ بِتَبْلِيغِ الْحُجَّةِ، وَإِلَّا فَهُمْ تَحْتَ قَهْرِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، قَالَ تَعَالَى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٧٣﴾ [التوبة] فَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ أَصْعَبُ مِنْ جِهَادِ الْكُفَّارِ، وَهُوَ جِهَادُ خَوَاصِّ الْأُمَّةِ وَوَرَثَةِ الرُّسُلِ، وَالْقَائِمُونَ بِهِ أَفْرَادٌ فِي الْعَالَمِ، وَالْمُشَارِكُونَ فِيهِ وَالْمُعَاوِنُونَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانُوا هُمُ الْأَقَلِّينَ عَدَدًا فَهُمُ الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ الله قَدْرًا.

وَلَمَّا كَانَ مِنْ أَفْضَلِ الْجِهَادِ قَوْلُ الْحَقِّ مَعَ شِدَّةِ الْمُعَارِضِ، مِثْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهِ عِنْدَ مَنْ تَخَافُ سَطْوَتَهُ وَأَذَاهُ، كَانَ لِلرُّسُلِ - صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ - مِنْ ذَلِكَ الْحَظُّ الْأَوْفَرُ، وَكَانَ لِنَبِيِّنَا - صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - مِنْ ذَلِكَ أَكْمَلُ الْجِهَادِ وَأَتَمُّهُ.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٣/ ١٠).

وَلَمَّا كَانَ جِهَادُ أَعْدَاءِ الله فِي الْخَارِجِ فَرْعًا عَلَى جِهَادِ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ الله، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ الله، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى الله عَنْهُ»(١) كَانَ جِهَادُ النَّفْسِ مُقَدَّمًا عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ فِي الْخَارِجِ، وَأَصْلًا لَهُ، فَإِنَّهُ مَا لَمْ يُجَاهِدْ نَفْسَهُ أَوَّلًا لِتَفْعَلَ مَا أُمِرَتْ بِهِ وَتَتْرُكَ مَا نُهِيَتْ عَنْهُ وَيُحَارِبُهَا فِي الله لَمْ يُمْكِنْهُ جِهَادُ عَدُوِّهِ فِي الْخَارِجِ، فَكَيْفَ يُمْكِنُهُ جِهَادُ عَدُوِّهِ وَالِانْتِصَافُ مِنْهُ وَعَدُوُّهُ الَّذِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ قَاهِرٌ لَهُ مُتَسَلِّطٌ عَلَيْهِ لَمْ يُجَاهِدْهُ وَلَمْ يُحَارِبْهُ فِي الله، بَلْ لَا يُمْكِنُهُ الْخُرُوجُ إِلَى عَدُوِّهِ حَتَّى يُجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَى الْخُرُوجِ.

فَهَذَانِ عَدُوَّانِ قَدِ امْتُحِنَ الْعَبْدُ بِجِهَادِهِمَا، وَبَيْنَهُمَا عَدُوٌّ ثَالِثٌ لَا يُمْكِنُهُ جِهَادُهُمَا إِلَّا بِجِهَادِهِ، وَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَهُمَا يُثَبِّطُ الْعَبْدَ عَنْ جِهَادِهِمَا، وَيُخَذِّلُهُ وَيُرْجِفُ بِهِ، وَلَا يَزَالُ يُخَيِّلُ لَهُ مَا فِي جِهَادِهِمَا مِنَ الْمَشَاقِّ وَتَرْكِ الْحُظُوظِ وَفَوْتِ اللَّذَّاتِ وَالْمُشْتَهَيَاتِ، وَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُجَاهِدَ ذَيْنِكَ الْعَدُوَّيْنِ إِلَّا بِجِهَادِهِ، فَكَانَ جِهَادُهُ هُوَ الْأَصْلَ لِجِهَادِهِمَا، وَهُوَ الشَّيْطَانُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] وَالْأَمْرُ بِاتِّخَاذِهِ عَدُوًّا تَنْبِيهٌ عَلَى اسْتِفْرَاغِ الْوُسْعِ فِي مُحَارَبَتِهِ، وَمُجَاهَدَتِهِ، كَأَنَّهُ عَدُوٌّ لَا يَفْتُرُ وَلَا يُقَصِّرُ عَنْ مُحَارَبَةِ الْعَبْدِ عَلَى عَدَدِ الْأَنْفَاسِ.

فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَعْدَاءٍ، أُمِرَ الْعَبْدُ بِمُحَارَبَتِهَا وَجِهَادِهَا، وَقَدْ بُلِيَ بِمُحَارَبَتِهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَسُلِّطَتْ عَلَيْهِ امْتِحَانًا مِنَ الله لَهُ وَابْتِلَاءً، فَأَعْطَى الله الْعَبْدَ مَدَدًا وَعُدَّةً وَأَعْوَانًا وَسِلَاحًا لِهَذَا الْجِهَادِ، وَأَعْطَى أَعْدَاءَهُ مَدَدًا وَعُدَّةً وَأَعْوَانًا وَسِلَاحًا، وَبَلَا أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ بِالْآخَرِ، وَجَعَلَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً لِيَبْلُوَ أَخْبَارَهُمْ، وَيَمْتَحِنَ مَنْ يَتَوَلَّاهُ وَيَتَوَلَّى رُسُلَهُ مِمَّنْ يَتَوَلَّى الشَّيْطَانَ وَحِزْبَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠] وقال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤] وقال تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد] فَأَعْطَى عِبَادَهُ الْأَسْمَاعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْعُقُولَ وَالْقُوَى، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ، وَأَمَدَّهُمْ بِمَلَائِكَتِهِ وَقَالَ لَهُمْ: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الأنفال: ١٢]، وَأَمَرَهُمْ مِنْ أَمْرِهِ بِمَا هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْعَوْنِ لَهُمْ عَلَى حَرْبِ

---

(١) رواه أحمد (٢٣٩٥٨) وصححه الأرنؤوط، ولفظه: «..و المهاجر من هجر الذنوب والخطايا»، واللفظ الوارد هو من حديث البخاري (١٠) «المسلم من سلم المسلمون ...والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ إِنِ امْتَثَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ لَمْ يَزَالُوا مَنْصُورِينَ عَلَى عَدُوِّهِ وَعَدُوِّهِمْ، وَأَنَّهُ إِنْ سَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ فَلِتَرْكِهِمْ بَعْضَ مَا أُمِرُوا بِهِ وَلِمَعْصِيَتِهِمْ لَهُ، ثُمَّ لَمْ يُؤَيِّسْهُمْ وَلَمْ يُقَنِّطْهُمْ، بَلْ أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلُوا أَمْرَهُمْ، وَيُدَاوُوا جِرَاحَهُمْ، وَيَعُودُوا إِلَى مُنَاهَضَةِ عَدُوِّهِمْ، فَيَنْصُرَهُمْ عَلَيْهِ، وَيُظَفِّرَهُمْ بِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ مَعَ الْمُتَّقِينَ مِنْهُمْ، وَمَعَ الْمُحْسِنِينَ وَمَعَ الصَّابِرِينَ وَمَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُ يُدَافِعُ عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مَا لَا يُدَافِعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، بَلْ بِدِفَاعِهِ عَنْهُمُ انْتَصَرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَلَوْلَا دِفَاعُهُ عَنْهُمْ لَتَخَطَّفَهُمْ عَدُوُّهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ.

وَهَذِهِ الْمُدَافَعَةُ عَنْهُمْ بِحَسَبِ إِيمَانِهِمْ وَعَلَى قَدْرِهِ، فَإِنْ قَوِيَ الْإِيمَانُ قَوِيَتِ الْمُدَافَعَةُ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.

وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُجَاهِدُوا فِيهِ حَقَّ جِهَادِهِ، كَمَا أَمَرَهُمْ أَنْ يَتَّقُوهُ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَكَمَا أَنَّ حَقَّ تُقَاتِهِ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُذْكَرَ فَلَا يُنْسَى، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرُ، فَحَقُّ جِهَادِهِ أَنْ يُجَاهِدَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ لِيُسْلِمَ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ وَجَوَارِحَهُ لِلَّهِ، فَيَكُونُ كُلُّهُ لِلَّهِ وَبِ اللهِ لَا لِنَفْسِهِ وَلَا بِنَفْسِهِ، وَيُجَاهِدُ شَيْطَانَهُ بِتَكْذِيبِ وَعْدِهِ، وَمَعْصِيَةِ أَمْرِهِ، وَارْتِكَابِ نَهْيِهِ، فَإِنَّهُ يَعِدُ الْأَمَانِيَّ وَيُمَنِّي الْغُرُورَ، وَيَعِدُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَيَنْهَى عَنِ التُّقَى وَالْهُدَى وَالْعِفَّةِ وَالصَّبْرِ، وَأَخْلَاقِ الْإِيمَانِ كُلِّهَا، فَجَاهِدْهُ بِتَكْذِيبِ وَعْدِهِ، وَمَعْصِيَةِ أَمْرِهِ، فَيَنْشَأُ لَهُ مِنْ هَذَيْنِ الْجِهَادَيْنِ قُوَّةٌ وَسُلْطَانٌ، وَعُدَّةٌ يُجَاهِدُ بِهَا أَعْدَاءَ اللهِ فِي الْخَارِجِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ وَمَالِهِ؛ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا.

وَاخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ السَّلَفِ فِي حَقِّ الْجِهَادِ:

فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ اسْتِفْرَاغُ الطَّاقَةِ فِيهِ، وَأَلَّا يَخَافَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ. وَقَالَ مقاتل: اعْمَلُوا لِلَّهِ حَقَّ عَمَلِهِ، وَاعْبُدُوهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ. وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هُوَ مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَالْهَوَى.

إِذَا عُرِفَ هَذَا فَالْجِهَادُ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ:

- **جِهَادُ النَّفْسِ.**
- **وَجِهَادُ الشَّيْطَانِ.**
- **وَجِهَادُ الْكُفَّارِ.**
- **وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ.**

- **وأما جِهاد النّفس:**

فَجِهَادُ النَّفْسِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ أَيْضًا:

إِحْدَاهَا: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلُّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ الَّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إِلَّا بِهِ، وَمَتَى فَاتَهَا عِلْمُهُ شَقِيَتْ فِي الدَّارَيْنِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إِنْ لَمْ يَضُرَّهَا لَمْ يَنْفَعْهَا.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ، وَإِلَّا كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ، وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ وَأَذَى الْخَلْقِ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ كُلَّهُ للهِ. فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ، فَإِنَّ السَّلَفَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الْعَالِمَ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى رَبَّانِيًّا حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيُعَلِّمَهُ، فَمَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ فَذَاكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.

- **وأما جِهاد الشّيطان:**

وَأَمَّا جِهَادُ الشَّيْطَانِ فَمَرْتَبَتَانِ، **إِحْدَاهُمَا**: جِهَادُهُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي إِلَى الْعَبْدِ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ الْقَادِحَةِ فِي الْإِيمَانِ.

الثَّانِيَةُ: جِهَادُهُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي إِلَيْهِ مِنَ الْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالشَّهَوَاتِ، فَالْجِهَادُ الْأَوَّلُ يَكُونُ بَعْدَهُ الْيَقِينُ، وَالثَّانِي: يَكُونُ بَعْدَهُ الصَّبْرُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة] فَأَخْبَرَ أَنَّ إِمَامَةَ الدِّينِ إِنَّمَا تُنَالُ بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ، فَالصَّبْرُ يَدْفَعُ الشَّهَوَاتِ وَالْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةَ، وَالْيَقِينُ يَدْفَعُ الشُّكُوكَ وَالشُّبُهَاتِ].

- **وأما جِهاد الكفّار[1]:**

الْعُقُوبَاتُ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الشَّرِيعَةُ لِمَنْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: عُقُوبَةُ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ مِنْ الْوَاحِدِ وَالْعَدَدِ كَمَا تَقَدَّمَ. وَالثَّانِي: عِقَابُ الطَّائِفَةِ الْمُمْتَنِعَةِ كَالَّتِي لَا يُقْدَرُ عَلَيْهَا إِلَّا بِقِتَالٍ. فَأَصْلُ هَذَا هُوَ جِهَادُ الْكُفَّارِ أَعْدَاءِ اللهِ وَرَسُولِهِ فَكُلُّ مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى دِينِ اللهِ الَّذِي بَعَثَهُ بِهِ فَلَمْ يَسْتَجِبْ

---

(١) هذه الفقرة «في تبيين جهاد الكفار» هي معترضة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢٨/ ٣٤٩).

لَهُ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ قِتَالُهُ ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ وَلِأَنَّ اللهَ لَمَّا بَعَثَ نَبِيَّهُ وَأَمَرَهُ بِدَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى دِينِهِ: لَمْ يَأْذَنْ لَهُ فِي قَتْلِ أَحَدٍ عَلَى ذَلِكَ وَلَا قِتَالِهِ حَتَّى هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَذِنَ لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج] ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٢١٦﴾ [البقرة] وَأَكَّدَ الْإِيجَابَ وَعَظَّمَ أَمْرَ الْجِهَادِ فِي عَامَّةِ السُّوَرِ الْمَدَنِيَّةِ وَذَمَّ التَّارِكِينَ لَهُ وَوَصَفَهُمْ بِالنِّفَاقِ وَمَرَضِ الْقُلُوبِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٤﴾ [التوبة] وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥﴾ [الحجرات] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۝٢٠ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۝٢١ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢﴾ [محمد] وهذا كثير فِي الْقُرْآنِ. وَكَذَلِكَ تَعْظِيمُهُ وَتَعْظِيمُ أَهْلِهِ فِي (سُورَةِ الصَّفِّ) الَّتِي يَقُولُ فِيهَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٣﴾ [الصف] وكقوله تَعَالَى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٢﴾ [التوبة] وقوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤﴾ [المائدة] وقال تَعَالَى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة] فَذَكَرَ مَا يَتَوَلَّدُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَمَا يُبَاشِرُونَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ.

وَالْأَمْرُ بِالْجِهَادِ وَذِكْرُ فَضَائِلِهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَرَ، وَلِهَذَا كَانَ أَفْضَلَ مَا تَطَوَّعَ بِهِ الْإِنْسَانُ وَكَانَ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ أَفْضَلَ مِنْ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَمِنْ الصَّلَاةِ التَّطَوُّعِ وَالصَّوْمِ التَّطَوُّعِ. كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»(١).

وَقَالَ: «إنَّ فِي الْجَنَّةِ لَمِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ وَالدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

وَقَالَ: «مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٣).

وَقَالَ ﷺ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ. وَإِنْ مَاتَ أُجْرِيَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٤).

وَفِي السُّنَنِ(٥): «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنْ الْمَنَازِلِ».

وَقَالَ ﷺ: «عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرِسُ فِي سَبِيلِ اللهِ» قَالَ التِّرْمِذِيُّ(٦): حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَد(٧): «حَرْسُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُقَامُ لَيْلُهَا وَيُصَامُ نَهَارُهَا».

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦) وأحمد (٢٢٠١٦) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) صحيح البخاري (٢٧٩٠).

(٣) صحيح البخاري (٩٠٧).

(٤) صحيح مسلم (١٩١٣).

(٥) رواه أحمد (٤٧٠، ٤٤٢، ٤٧٧) والترمذي (١٦٦٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٦) سنن الترمذي (١٦٣٩) وصححه الألباني.

(٧) رواه أحمد (٤٦٣، ٤٣٣) والحاكم (٢٤٢٦) وحسن إحدى روايتيه الأرنؤوط، وضعفه الألباني وشاكر.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ(١): أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: «لَا تَسْتَطِيعُ». قَالَ: أَخْبِرْنِي بِهِ؟ قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَصُومَ لَا تُفْطِرُ وَتَقُومَ لَا تَفْتُرُ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَذَلِكَ الَّذِي يَعْدِلُ الْجِهَادَ».

وَفِي السُّنَنِ(٢) أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ سِيَاحَةٌ وَسِيَاحَةُ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله».

وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ لَمْ يَرِدْ فِي ثَوَابِ الْأَعْمَالِ وَفَضْلِهَا مِثْلُ مَا وَرَدَ فِيهِ. وَهُوَ ظَاهِرٌ عِنْدَ الِاعْتِبَارِ فَإِنَّ نَفْعَ الْجِهَادِ عَامٌّ لِفَاعِلِهِ وَلِغَيْرِهِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَمُشْتَمِلٌ عَلَى جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ فَإِنَّهُ مُشْتَمِلٌ مِنْ مَحَبَّةِ الله تَعَالَى وَالْإِخْلَاصِ لَهُ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَتَسْلِيمِ النَّفْسِ وَالْمَالِ لَهُ وَالصَّبْرِ وَالزُّهْدِ وَذِكْرِ الله وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْأَعْمَالِ: عَلَى مَا لَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ عَمَلٌ آخَرُ. وَالْقَائِمُ بِهِ مِنْ الشَّخْصِ وَالْأُمَّةِ بَيْنَ إحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ دَائِمًا. إمَّا النَّصْرُ وَالظَّفَرُ وَإِمَّا الشَّهَادَةُ وَالْجَنَّةُ. فَإِنَّ الْخَلْقَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ مَحْيَا وَمَمَاتٍ فَفِيهِ اسْتِعْمَالُ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ فِي غَايَةِ سَعَادَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَفِي تَرْكِهِ ذَهَابُ السَّعَادَتَيْنِ أَوْ نَقْصُهُمَا؛ فَإِنَّ مِنْ النَّاسِ مَنْ يَرْغَبُ فِي الْأَعْمَالِ الشَّدِيدَةِ فِي الدِّينِ أَوْ الدُّنْيَا مَعَ قِلَّةِ مَنْفَعَتِهَا فَالْجِهَادُ أَنْفَعُ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ عَمَلٍ شَدِيدٍ وَقَدْ يَرْغَبُ فِي تَرْفِيهِ نَفْسِهِ حَتَّى يُصَادِفَهُ الْمَوْتُ فَمَوْتُ الشَّهِيدِ أَيْسَرُ مِنْ كُلِّ مِيتَةٍ وَهِيَ أَفْضَلُ الْمِيتَاتِ. وَإِذَا كَانَ أَصْلُ الْقِتَالِ الْمَشْرُوعِ هُوَ الْجِهَادُ وَمَقْصُودُهُ هُوَ أَنْ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهَّ وَأَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ الْعُلْيَا فَمَنْ امْتَنَعَ مِنْ هَذَا قُوتِلَ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْمُمَانَعَةِ وَالْمُقَاتِلَةِ كَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَالرَّاهِبِ وَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ وَالْأَعْمَى وَالزَّمِنِ وَنَحْوِهِمْ فَلَا يُقْتَلُ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ إلَّا أَنْ يُقَاتِلَ بِقَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَرَى إبَاحَةَ قَتْلِ الْجَمِيعِ لِمُجَرَّدِ الْكُفْرِ؛ إلَّا النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ؛ لِكَوْنِهِمْ مَالًا لِلْمُسْلِمِينَ.

وَأَبْلَغُ الْجِهَادِ الْوَاجِبِ لِلْكُفَّارِ وَالْمُمْتَنِعِينَ عَنْ بَعْضِ الشَّرَائِعِ كَمَا نِعِي الزَّكَاةَ وَالْخَوَارِجَ وَنَحْوَهُمْ: يَجِبُ ابْتِدَاءً وَدَفْعًا. فَإِذَا كَانَ ابْتِدَاءً فَهُوَ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ إذَا قَامَ بِهِ الْبَعْضُ سَقَطَ الْفَرْضُ عَنْ الْبَاقِينَ كَانَ الْفَضْلُ لِمَنْ قَامَ بِهِ كَمَا قَالَ اللهَّ تَعَالَى: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ﴾ [النساء: ٩٥]

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٢٧٨٥) واللفظ له، ومسلم (١٨٧٨).

(٢) رواه بهذا اللفظ الطبراني في الكبير (٧٧٠٨)وضعفه الألباني، ورواه أبو داود (٢٤٨٦) دون «إن لكل أمة سياحة» وحسنه الألباني.

فَأَمَّا إِذَا أَرَادَ الْعَدُوُّ الْهُجُومَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ يَصِيرُ دَفْعُهُ وَاجِبًا عَلَى الْمَقْصُودِينَ كُلِّهِمْ وَعَلَى غَيْرِ الْمَقْصُودِينَ؛ لِإِعَانَتِهِمْ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [الأنفال: ٧٢] وَكَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِنَصْرِ الْمُسْلِمِ وَسَوَاءٌ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ الْمُرْتَزِقَةِ لِلْقِتَالِ أَوْ لَمْ يَكُنْ. وَهَذَا يَجِبُ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ مَعَ الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ وَالْمَشْيِ وَالرُّكُوبِ كَمَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَمَّا قَصَدَهُمْ الْعَدُوُّ عَامَ الْخَنْدَقِ لَمْ يَأْذَنْ اللهُ فِي تَرْكِهِ لِأَحَدٍ كَمَا أَذِنَ فِي تَرْكِ الْجِهَادِ ابْتِدَاءً لِطَلَبِ الْعَدُوِّ الَّذِي قَسَمَهُمْ فِيهِ إلَى قَاعِدٍ وَخَارِجٍ. بَلْ ذَمَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَ النَّبِيَّ ﷺ: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣﴾ [الأحزاب] فَهَذَا دَفْعٌ عَنْ الدِّينِ وَالْحُرْمَةِ وَالْأَنْفُسِ وَهُوَ قِتَالُ اضْطِرَارٌ وَذَلِكَ قِتَالُ اخْتِيَارٌ لِلزِّيَادَةِ فِي الدِّينِ وَإِعْلَائِهِ وَلِإِرْهَابِ الْعَدُوِّ](١).

- **وأما جِهَاد الْمُنَافِقِين:**

جِهَاد الْمُنَافِقِين إنما هو بتبليغ الحجة وإلا فهم تحت قهر أهل الإِسْلَام قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٧٣﴾ [التوبة] فَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ أَصْعَبُ مِنْ جِهَادِ الْكُفَّارِ، وَهُوَ جِهَادُ خَوَاصِّ الْأُمَّةِ وَوَرَثَةِ الرُّسُلِ، وَالْقَائِمُونَ بِهِ أَفْرَادٌ فِي الْعَالَمِ، وَالْمُشَارِكُونَ فِيهِ وَالْمُعَاوِنُونَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانُوا هُمُ الْأَقَلِّينَ عَدَدًا فَهُمُ الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ الله قَدْرًا وَلَمَّا كَانَ مِنْ أَفْضَلِ الْجِهَادِ قَوْلُ الْحَقِّ مَعَ شِدَّةِ الْمُعَارِضِ، مِثْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهِ عِنْدَ مَنْ تَخَافُ سَطْوَتَهُ وَأَذَاهُ، كَانَ لِلرُّسُلِ - صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ - مِنْ ذَلِكَ الْحَظُّ الْأَوْفَرُ، وَكَانَ لِنَبِيِّنَا - صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - مِنْ ذَلِكَ أَكْمَلُ الْجِهَادِ وَأَتَمُّهُ.

وَأَمَّا جِهَادُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ فَأَرْبَعُ مَرَاتِبَ: بِالْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَالْمَالِ، وَالنَّفْسِ، وَجِهَادُ الْكُفَّارِ أَخَصُّ بِالْيَدِ، وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ أَخَصُّ بِاللِّسَانِ.

وَأَمَّا سِيرَتُهُ فِي الْمُنَافِقِينَ، فَإِنَّهُ أُمِرَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ وَيَكِلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى الله، وَأَنْ يُجَاهِدَهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْحُجَّةِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُعْرِضَ عَنْهُمْ، وَيُغْلِظَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَبْلُغَ بِالْقَوْلِ الْبَلِيغِ إِلَى نُفُوسِهِمْ، وَنَهَاهُ أَنْ

---

(١) انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

يُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَقُومَ عَلَى قُبُورِهِمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ إِنِ اسْتَغْفَرَ لَهُمْ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ، فَهَذِهِ سِيرَتُهُ فِي أَعْدَائِهِ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ][1].

ونختم هذا البَاب (موضوع التّربية ومجالاتها) بكلمات في التّربية لرجل عاش تجربة التّربية الجهاديّة بنفسه متعلما ومعلما ومربيا ومُجَاهدا.. إلى أن لاقى ربه شهيداً عَلى ذلك الدّرب، رَحِمَهُ اللهُ وتقبله في الصّالحين. فنقتطف من تراثه العظيم بعض المختصرات.. للشيخ المُجَاهد الشّهيد أبو محمّد عبدالله عزام رحمه الله:

خصائص القَاعِدَة الصلبة المُجَاهدة:

لا بُدَّ للوصول إلى المجتمع المسلم من طلائع تتحمل تكاليف الطّريق، وعلى هذه الطلائع أن تدرك أن الّذي يتصدرون لإنقاذ البشرية ليسوا أناسا عاديين، بل من النماذج الّتي تسترخص كلّ شيء في سبيل دعوتها، ولا بُدَّ أن تتوفر عندهم صفات عَلى رأسها:

١ – أن يكونوا ربّانيين:

﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران] والرباني هو العالم العامل، فقد قَالَ سعيد بن جبير: ربانيين: أي حكماء وأتقياء، وقد قَالَ محمّد بن الحنفية يوم مات ابن عباس: (الْيَوْمَ مَاتَ رَبَّانِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ)[2] ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ [آل عمران] والرّبي كما قَالَ الحسن البصري: (العُلَماء الصّبر، والربي هو الرباني لأنه عرف ربوبيته الله وعبده وصبر من أحله).

يجب أن يكون ربانيا من حيث حركته ودعوته وسمته وصبره وعلمه وعمله، أي لا يغيب عنه لحظه أن الله عَلى كلّ شيء قدير، وأنه مصدر العزة، وأنه كافيه وحاميه يكلؤه ويرعاه ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٦ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ ٣٧ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ

(١) انتهى كلام شيخ ابن القيم من زاد المعاد بتصرف.

(٢) انظر مستدرك الحاكم (٦٢٨٤) وفضائل الصحابة لابن حنبل (١٨٤٢)

ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر] ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام:]

يجب أن يضع الداعية نصب عينيه أن الله عَلى كلّ شيء قدير، ثمّ بعد ذلك يعلن عَلى الملأ الجَاهِلِيَّة: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف]

لا بُدَّ أن يستمد الإنسان عونه وعزته وإلهامه من الله. لا بُدَّ لمن يتصدى لإنقاذ النّاس أن يكون أقوى منهم بالله، لا بُدَّ لمن يتصدر لتطهير النّاس أن يكون أطهر منهم، ولا بُدَّ لمن يتقدم لرفع النّاس أن يكون أعلى منهم.

٢ - التجرد للدعوة عن المنافع الدنيوية وثمارها العاجلة القريبة:

إذ جاء الأنبياء جميعا يقولون: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الشعراء]

تكررت هذه الآية كثيرا عَلى لسان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم في سورة الشعراء.

ولذا فعندما عرض الرَّسُول ﷺ عَلى بني عَامِرِ بْنِ صَعْصعة، قَالَ له بَيْحَرَةُ ابْن فِرَاسٍ أحد رجالها: (**أرأيتَ إِنْ نَحْنُ بَايَعْنَاكَ عَلَى أَمْرِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ، أَيَكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ؟**) قَالَ رسول الله ﷺ: «**الْأَمْرُ إِلَى اللهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**» **فَأَبَوْا عَلَيْهِ**(١).

ولم يكن يعلم رسول الله ﷺ أنه سينتصر، وأن هذا الدّين سيظهره الله في حياته وعلى يديه، بل كانَ ربه يخاطبه قائلا: ﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزخرف] ولكن رسول الله ﷺ يعتقد أن هذا الدّين سينتصر، وكان لا يعد ولا يبايع أحدا من المُسلِمِين إلا عَلى الجنّة، فقد قَالَ هذا للمضطهدين المعذبين: «**صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ**»(٢).

---

(١) انظر سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٤)

(٢) رواه الحاكم (٥٦٤٦) والطبراني في الأوسط (١٥٠٨) وقال الشيخ الألباني في التعليق على (فقه السيرة: ص ١٠٧): حديث حسن صحيح.

وقال ﷺ يوم بيعة العقبة الثّانية للأنصار: «أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ» قالوا: فما لنا يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قَالَ: «الجنّة»(١). فالبيعة والصفقة مع الله عَلى الجنّة، والبيعة في الدُّنيَا عَلى العمل للجنة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة]

٣- بناء القَاعِدَة الصلبة:

يجب الاهتمام بتربية النماذج، لا بإكثار الإِعداد، لأن النّاس إنما يتغير بفعل النماذج والأفذاذ.

علينا أن نعتني بالكيف لا بالكم، والفئة الصابرة والصادقة وإن كانت قليلة فإنها تنتصر بإذن الله ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾ [البقرة] هذه القَاعِدَة الصلبة هيَ الّتي أعادت الجَزِيرَة العربيَّة كلها أيّام الرِّدَّة إلى الإِسْلَام، لأن من نماذجها أبا بكر الّذي صاح عندما بلغوه ردة القبائل: وَالله لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا – جديا – كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم فيه أو أهلك دونه، ثمّ قَالَ: (أينقص الدّين وأنا حي؟) وفي رواية لو منعوني عقالا – حبل الّذي يربط به البعير –(٢).

وأصر أبو بكر عَلى إنفاذ جيش أُسَامَة، وأجاب الّذين راودوه عَلى تأخيره قائلا: (وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَوْ جَرَتِ الْكِلَابَ بِأَرْجُلِ أَزْوَاجِ رَسُولِ الله ﷺ مَا رَدَدْتُ جَيْشًا وَجَّهَهُ رَسُولُ الله)، وفي رواية (لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أُسَامَة)(٣) وفي هذه اللحظة الحاسمة بعد وفاة رسول الله ﷺ ساق الله رجلا حازما – أبا بكر – لينقذ بموقفه أمة بكاملها من الإندثار والبوار.

لا بُدَّ من تربية النماذج الصلبة الّتي تستعصي عَلى الإغراء ولا تقبل البيع والشراء من قبل الأَعدَاء والأصدقاء. ولا بُدَّ من تربية الأفذاذ الّذين لا يقبلون الذوبان في حوامض المجتمع الجاهلي، ولا يتميعون

---

(١) طرف من حديث طويل رواه أحمد من (١٥٧٩٨) وقال الأرنؤوط : حديث قوي.

(٢) انظر صحيح البخاري (١٤٠٠)

(٣) انظر الاعتقاد للبيهقي (١/ ٣٤٥) وكنز العمال (١٤٠٦٦).

في ظروفه المختلة، العناصر الصلبة الّتي تحمل المجتمع والدّعوة فوق كاهلها. نريد الأفرع الصلبة الّتي لا تتلوى مع رياح المجتمع، ولا تتثنى مع أهوائه.

لقد كانَ اجتياز الجيش الإِسْلَاميّ لنهر دجلة عند فتح العراق وفارس إبَّان فيضانه من القضايا الّتي أذهلت المؤرخين وحيرهم تفسيرها: اجتياز الجيش لدجلة دون ان يفقد فردا واحدا من عدده. ولكن القضية الأروع أن هذا الجيش خاض بحور أكبر مدنيتين – الرُّوم والفرس – دون أن يفقد من خلقه ولا من دينه شي.

لقد تربع سلمان الفارسي عَلى مقام كسرى بعد أن أذله الله وذل عرشه، وكان كسرى يبكي ويقول: لم يبق عندي سوى ألف طباخ فكيف أستطيع أن أعيش بهذا العدد فقط؟ بينما سلمان – أمير فارس المسلم – ينفق كلّ يوم درهما واحدا.

٤- بناء الدعاة لأنفسهم بالعلم الحقيقي والعِبَادة الخالصة:

لا بُدَّ من أن يربط الداعية نفسه أو يربطه شيخه بالقرآن الكريم تلاوة وتجويدا وتفسيرا ومعرفة أحكامه، وأن يبني المسلم نفسه بين أروقة المساجد حيث السكنية والرحمة والملائكة والإعتكاف.

وأن يحسن اختيار الصحبة الطيبة الّتي تدله عَلى الله، وعليك يا أخي أن تحسن الاتّصال بمن يدلك عَلى الله حاله، ويذكرك بالآخرة مقاله. ولا تنس قيام الليل فله أثر عميق في بناء النّفسية المسلمة وصفاء الرّوح، وقد كانَ قيام الليل دأب الصّالحين، وكذلك صيام النافلة وخاصة يومي الإثمين والخميس.

ولابد من الذكر باستمرار لإحياء القلب. وحفظه من الشّيطان ووسواسه، ولتحصين النّفس من الهوى والشهوة الجارفة والميل.

وكذلك توطين النّفس عَلى الشكر في الرخاء، والصّبر عَلى البلاء، والاستغفار من الذّنوب والأخطاء، وتربية النّفس عَلى الصّبر عَلى متاعب الطّريق وتضحيات العَقِيْدَة ولأواء الجادة.

ولا بُدَّ من استغلال الوقت في المطالعة فيما يفيد، أو العِبَادة والعمل، ولا يجوز أن نقتل حياتنا بالجلسات الفارغة والسهرات الخاوية من الفائدة.

ويجب أن ترعى بناء التصوُّر الصَّحِيح لأنفسنا من خلال كتاب الله وسيرة رسول الله ﷺ وحياة السَّلَف الصّالح]أهـ.[١]

أثر الذّنوب عَلى المسلم:

من وجد الله وجد كلّ شيء، ومن فقد الله فقد كلّ شيء، من عرف الله ذاق سعادة الدارين، ومن نسى الله أنساه نفسه. ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر]

الحقيقة التاسعة: قانون الذّنوب والمصائب – مصائب النّاس – قسمان:

مصائب الأنبياء – وهم معصومون من الذّنوب – لرفع الدرجات.

ومصائب غير الأنبياء – غير المعصومين – لتكفير السيئات ثمّ رفع الدرجات.

القانون يقول: الذّنوب تؤدي إلى مصائب.

مصائب + صبر = مغفرة الذّنوب.

وهذا القانون مسطر في كتاب ربّ العَالَمِيّن: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى] وهذا القانون لخصه سيدنا علي ﷺ بقوله: (وما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع بلاء إلا بتوبة).

وقال الحسن: بلغنا أنه ليس أحد خدش عود ولا نكبه قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، قَالَ القرطبي قَالَ الحسن: لما نزلت هذه الآية قَالَ النبيّ ﷺ وذكر الحديث.

وفي الصَّحِيحين[٢] عن أبي سعيد وأبي هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**».

قَالَ ابن خيرة: – من أصحاب علي ﷺ – (جزء المعصية: والوهن في العِبَادة، والضيق في المعيشة، والتعسر في اللذة، قيل في اللذة؟ قَالَ لا يصادف لذة حلالا إلا جاءه من ينغصه إياها).

يقول مالك بن دينار: (إذا رأيت قساوة في قلبك ووهنا في بدنك، وحرمانا في رزقك، فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك).

---

(١) (الذخائر: ج١/ ٧٧٣).

(٢) رواه البخاري (٥٦٤١) ومسلم (٢٥٧٣).

وهذا القانون يعم كلّ جوانب الحياة من أمراض بدنية ونفسية، ومن ضيق في الرزق وظنك في العيش، وشدة في الحياة، وانحباس في المطر، وحل في الأرض، وقحط في الزرع، كلّ هذا بسبب الذّنوب.

جاء في الحديث الصَّحِيح الّذي رواه ابن ماجة والحاكم[١] عن ابن عمر مرفوعا:

«كنت عاشر عشرة رهط من الْمُهَاجِرين عند رسول الله ﷺ فاقبل علينا رسول الله ﷺ يوجهه فقال: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِنِ ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَنَزَلَ فِيكُمْ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ:

لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا.

وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمُؤُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ.

وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا.

وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ.

وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»[٢].

قَالَ الضحاك: ما تعلم رجل القرآن ونسيه إلا بذنب.

وقال مرّة الهمداني: رأيت عَلى ظهر كف شريح قرحة، فقلت: يا أبا أمية، ما هذا قَالَ: هذا بما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير.

وقال ابن عون: (إن محمّد بن سيرين لما ركبه الدّين اغتم لذلك، فقال أنّي لا أعرف هذا الغم، هذا بذنب أصبته منذُ أربعين سنة).

وقال عكرمة ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفره له إلا بها، أو لينال درجة لم يكن يوصله إليها إلا بها).

---

(١) رواه ابن ماجة (٤٠١٩) والحاكم (٨٦٢٣) وصححه، وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٢) تم ضبط لفظ الحديث عن ما هو في الأصل.

وكلا عكرمة هذا هو خُلاصة قانون المصائب: أنها إما بذنب فجاءت البلية لتكفره، أو لأن الله يحب المرء فيريد رفع درجته عنده فيصيبه البلاء ولكن لا ينزل كذلك بالصّالحين الّذين يريد الله أن يرفع درجاتهم إلا بسبب ذنوبهم وهفواتهم.

وقد فهم الصّحابة ﷺ هذا القانون، فتراهم يفسرون الأحداث من خلاله، قَالَ الحسن دخلنا عَلى عمران بن الحصين فقال رجل: لا بُدَّ أن أسألك عما أرى بك من الوجع، فقال عمران: يا أخي لا تفعل، فوالله إنّي لأحب الوجع، ومن أحبه كانَ أحب النّاس إلى الله، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾ [الشورى] فهذا فبما كسبت يدي، وعفو ربي عما بقى أكثر.

وقال أحمد بن أبي الحواري لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم، فقال: لأنّهم علموا أن الله تَعَالَى إنما ابتلاهم بذنوبهم.

وهذا القانون (الذّنوب سبب المصائب) ورد في كثير من الآيات والأحاديث، وعلى لسان الصحب الكرام والسف الصّالح كما أوردنا آنفا قبسات من مشكاتهم، ففي الكتاب العزيز: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٤١﴾ [الروم].

وأنت تلمح من خلال النظم الكريم رحمة الله الواسعة بأن الفساد كانَ عقوبة لبعض ذنوب النّاس، ولكن لو حاسب الله المخلوقات عَلى جميع ذنوبهم ما ترك عَلى ظهرها من دابة ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٦١﴾ [النحل].

وذكر الإِمَام أحمد عن عمر بن الخطاب: (توشك القرى أن تخرب وهي عامرة؟ قَالَ إذا علا فجارها عَلى أبرارها، وساد القبيلة من فقوها).

وذكر الإِمَام أحمد عن صفية قالت: (زلزلت المدينة عَلى عهد عمر فقال: يا أيها النّاس ما هٰذا: ما أسرع ما أحدثتم، لئن عادت لا تجدوني فيها، ففسر عمر سبب الزلزلة بالمعاصي الّتي أحدثت في المدينة.

وقد يقول قائل: إن سبب الزلزلة أمر جيولجي أرضي من تقلص في قشرة الأرض أو غير ذلك، ونحن نؤمن معه هذا السبب الظَّاهِري، ولكن ما السبب الحقيقي الّذي كانت نتيجة أن يأمر الله بالزلزلة، إنه الذّنوب والذّنوب فقط.

وروى الإمَام أحمد بإسناده عن عمر قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَتَبَايَعُوا بِالْعِينَةِ، وَاتَّبَعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله، أنزل الله بهم بلاء، فلا يرفعه حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ**»(١).

قَالَ ابن القيم: وإن الذّنوب لتعم مصائبها الحيوانات والحشرات والجعلان في جحورها، يقول الله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة] قَالَ ﷺ: «**اللاعنون: دَوَابُّ الْأَرْضِ**»(٢).

قَالَ مُجَاهد وعكرمة: هيَ الحشرات والبهائم يصيبها الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم.

قَالَ ابن مسعود: كاد الجعل أن يعذب في حجره بذنب أبن آدم.

قَالَ أبو هريرة: والّذي نفسي بيده إن الحبارى لتموت... في وكرها لظلم الظَّالم.

قَالَ عكرمة: دواب الأرض وهوامها حتَّى الخنافس والعقارب يقولون: منعنا القطر بذنوب بني آدم.

لقد كانَ إهلاك الأمم السَّابقة، ودمار عمرانها، وبوار إنتاجها، وسحق أبنائها بسبب الانحراف عن منهج الله وتنكرها له ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ [يونس: ١٣] ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ٨﴾ [سبأ]

فالّذين انطمست بصائرهم، وجحدوا فطرتهم، وأنكروا آخرتهم، في عذابهم واصب، وشقاء دائب، وتيه مستمر وجحيم مستقر في هذه الدُّنيَا وفي الآخرة، وإلا فأخبرني بربك ما الّذي أغرق الأرض بأحيائها أو أشجارها وأناسيها زمن نوح عليه الصّلاة والسَّلام إلا الإعراض عن منهج الله ؟!

وما الّذي أهلك عادا إرم ذات العماد، فأحلها كأعجاز نخل منقعر سوى البعد عن دين الله؟ وما الّذي أرسل أصيحة عَلَى ثمود فأصبحت كهشيم المحتظر سوى التنكب لطريق الله؟ أيكفيك هٰذا؟ أم

---

(١) رواه أحمد (٤٨٢٥) والطبراني في الكبير (١٣٥٨٣)، والبيهقي في الشعب (٤٢٢٤) ضعفه الأرنؤوط وصححه الألباني (صحيح الجامع (٦٧٥).

(٢) رواه ابن ماجة (٤٠٢١) وضعف إسناده الألباني والأرنؤوط.

لا بُدَّ أن تمر بخرائب مدين، وخرائب أصحاب الأيكة لتدرك أن مغبة الإعراض عن دين الله عاقبته وخيمة، ونهايته خطيرة. وسنرى بالتفصيل من خلال الصفحات القادمة كيف تسبب الذّنوب ضيقا في الرزق، وهزيمة في المَعْرَكة ونسيانًا للعلم.

ففي الرزق: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ**» ولفظ ابن ماجة عن ثوبان قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ**» ورواه في الزوائد، إسناده حسن(١).

وقد جاء في الحديث الّذي رواه الحاكم(٢) وقال صحيح الإسناد عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ: «**خَرَجَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَسْتَسْقِي، فَإِذَا هُوَ بِنَمْلَةٍ رَافِعَةٍ بَعْضَ قَوَائِمِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: ارْجِعُوا فَقَدِ اسْتُجِيبَ لَكُمْ مِنْ أَجْلِ شَأْنِ النَّمْلَةِ**» وجاء في بعض رواياته «**اللّهم نحن خلق من خلقك فلا تؤاخذنا بني آدم**».

وأما هزيمة المَعْرَكة فقول الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٥٥﴾ [آل عمران]

فهزيمة المَعْرَكة كانت نتيجة لبعض الذّنوب وأما العلم فعن ابن مسعود مرفوعا: «**إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به الشيء من الرزق وإنه ليذنب الذنب فينسى به البَاب من العلم كانَ قد علمه، وإنه ليذنب الذنب فيمنع قيام الليل**»(٣).

وكل هذا سنراه تفصيلا ونحن نطرق أبواب السعادة البشرية باباً باباً، وندرك أثر طاعة الله في السعادة، ونتيجة الذّنوب حدوث المصائب والمحن والشقاء والبوار، والحق أن هذه القَاعِدَة هيَ جماع الأمر كله في هذا الدّين بل خُلاصة دين الله هيَ هذه القَاعِدَة ولذا لا يستطيع الإنسان أن يوفيه حقا ولو من كبار العُلَماء وأساطينهم، فيكف بعبد صغير جاهل مثلي؟

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٨٦) وابن ماجة (٤٠٢٢) والحاكم (١٨١٤) وصححه، وهو طرف من حديث حسنه الألباني والأرنؤوط دون هذه العبارة «إن الرجل ليحرم ...» .

(٢) رواه الحاكم (١٢١٥) وصححه، وضعفه الألباني.

(٣) لم أقف له على سنده.

وإذا ضربنا أمثلة فإنما هيَ علي سبيل توضيح القَاعِدَة لا عَلى سبيل الحصر، فإن الأمثلة كثيرة من الشواهد القرآنية والأحاديث النّبويّة، ودعنا ترى بعض الأمثلة الشاهدة لهذه القَاعِدَة الكبرى.] أهـ.(١)

كتب الشَّيْخ عبدالله عزام ﷺ في رسالة لأحد أصدقائه:

[ودعك عن الظّروف الداخليَّة والخارجيّة الّتي يمر بها إخواننا، وانشغالهم بأمور، هنالك أشياء كثيرة أعظم منها وأرفع ذكرا وأعز شأنا، وأما حرقة الإخوة فأرجوا الله أن تكون معبرة بين المُؤمِنِين، وأن تحفظ الحرمات وتحمي الأعراض وتصان الكرامات.

لا يهمني شخصي، ولا يهمني ما ألاقى من متاعب في ذات الله وابتغاء مرضاته لإعادة الفريضة الغائبة إلى دنيا المُسلِمِين، وأن لا تمسخ التأويلات لنصوص القِتَال، ولا تؤول إلى كلمات مبرمجة وجمل مرتبة مصفوفة، بكتبها فارغ بال وهو مجلس عَلى أريكة تحت أثير المكيف. نريد أن يعود الجِهَاد إلى حياة المُسلِمِين، نريد أن نتنفس كيف شئنا، نريد لقلوبنا أن لا تحصى نبضاتها، ولأفواهنا أن تتكلم كيف شاءت ومتى شاءت لا أن تعيش مكممي الأفواه مقيدي الأيدي، موثقي الأرجل، لقد أضحى العمل للإسلام خطبة حارة، أو كتابا مجلدا أنيقا، أو جليسا خلف مكتب للتفكير كيف يكون الإِسْلَام وفالنّاس ينظرون إلى الإِسْلَام من خلال بروجهم العاجية، يتحركون في فراغ، ويعملون في فراغ، ولا ينتجون إلا الفراغ... لا بُدَّ من مجموعة المُسلِمِين تتصدر عمليَّة نقل الإِسْلَام من الأوراق إلى الأرض، فنرجو الله أن نكون منهم، لا بُدَّ من طليعة تضحي بكل ما تمتلك وتعيش، من أجل قضية القِتَال (وليس الجِهَاد بالقلم واللسان)، لا بُدَّ من نخبة تتحمل تكاليف إحياء الجِهَاد في واقع النّاس بعد أن أصبح نسيا منسيا. فوقفنا هنا في أثمن فرصة مرت علينا في حياتنا نحاول تجميع المُسلِمِين عَلى هذا المعنى العظيم، وقفنا نحاول أن نفي بالعقد المعقود بيننا وبين ربّ العَالَمِين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة]. **أهـ.**(٢)

(١) الذخائر: (ج١/ ٧٧٩-٧٨٥).

(٢) الذخائر (ج١/ ٧٩٣).

وفي نهاية باب نظريَّة التّربية المُتكامِلة هذا أعود إلى القول..

إن الجِهَاد اليَوْم فريضة متعينة عَلى كلّ مسلم، نعم وبهذا نقول وإليه ندعوا. ولكن مهمتنا كدعاة للجِهَاد والمُقاوَمة لا تنتهي هنا، بل من هنا تبدأ. ويجب أن نربي من لبى داعي الجِهَاد، ونوفر لهم سبل التّربية المُتكامِلة.

ولقد رأيت من خلال ما من الله به علي من مواكبة التَّجَارب الجهاديّة، وصحبة الكثيرين من المُجَاهدين في أكثر من قضية وساحة.. رأيت البون واسعا، والفرق شاسعا، بين مُجَاهد قد أخذ حظا من التّربية وآخر قد فاته هذا الخير. ورأيت الفارق هائلا بين مُجَاهد قد فقه عقيدته القتاليّة، فعلم من هو وماذا يريد، وآخر قد جاءت به العاطفة والحماس. ورأيت الإختلاف بينا بين مُجَاهد قد أخذ حظا من التّربية السُّلُوكية والأخلاق، وأنعم الله عليه بحظ من العِبَادة والنسك وبين آخرين حرموا من ذلك. وقل مثل ذلك عن الفارق بين مُجَاهد يفهم ما يجري من حوله من أحداث، وآخر لا يعرف كيف الدُّنيَا تدور. كما ظهر في القِتَال والميدان الفارق الواسع بين مُجَاهد قد أعد وصبر عَلى الإِعداد والرِّبَاط في دورات التّدريب، وآخرين قفزوا عَلى ذلك إلى الميدان شوقا إلى القِتَال فلما حضروا المَعْرَكة كانوا أقل فعلا وأثرا..

لقد تبدت تلك الفوارق ولا سيما السُّلُوكية والأخلاقية عندما عصفت بنا الخطوب والمحن ودخلنا مرحلة الفاقة والمطاردات... وظهرت معادن الرّجال عَلى حقيقتها، فظهر الصِّدق والثّبات، والشجاعة والكرم، والإيثار والتفاني والتَّضحِيَة، وأخلاق الأخوة، ومزايا الصادقين المخلصين المؤهلين.. ممن أنعم الله عليهم.

وظهرت أضداد ذلك من تفاهات النفوس واستزلال الشّيطان، حتَّى بين بعض المُجَاهدين، بل وبعض قدمائهم. ونسأل الله العافية والستر في الدُّنيَا والآخرة.

والحقيقة فإن كلّ نقص في مجال التّربية يجبر بعون الآخرين من الصحب المُجَاهدين، إلا ضعف العَقِيْدَة ونقص النسك، وسوء الخلق ونقص المروءة.

فإن ضعف العَقِيْدَة يورث الخور، وربما الرِّدَّة عَلى الأعقاب. وكذلك فإن نقص النسك والعِبَادة يورث القسوة والجفوة، وإن رداءة الأخلاق وسوء التّربية لا تنجبر وتنعكس عَلى صاحبها عنتا، وعلى من ابتلي بصحبته بلاء.

فالنسك وكثرة النوافل والعِبَادة تورث معية الله وحبه، وتنعكس عَلى صاحبها طراوة ونورا. وأما حسن الخلق فقد ذهب بخير الدُّنيَا والآخرة، ويكفي هذا صاحبه إلى أن يبلغه أعلى منازل الجنّة برحمة الله، ونسأل الله من فضله العظيم.

ولا يقولن أحد أن البرنامج الّذي أشرت إليه في أنواع التّربية كبير ويتطلب وقتا طويلا. لأن هذا يسير مع الإنسان في حياته بشكل طبيعي إن كانَ في حياته الطبيعيّة ويأتي مع تعود المطالعة والتزام المساجد ودروس العلم. وأما في حالات التفرغ للجِهَاد والرِّبَاط في المُعَسْكَرَات والجبهات فما يمكن فعله هائل لو توفرت قيادات تولي مسألة التّربية ما تستحقه من الاهتمام. لأن العناصر يأتون بنفسية مستعدة للتلقي وبتفرغ في سبيل الله عَلى مدار الوقت.

ولقد مر بنا خلال الرِّبَاط عَلى ذمة الجِهَاد في تجربة الجِهَاد في سوريا سنين، تفرغ فيها مئات المُجَاهدين كليا، ولم يتلقوا إلا تربية محدودة وضاع الوقت أكثره هدرا، ولم يستفد إلا من حرص عَلى تأهيل نفسه ووقته. وفي تجربة الجِهَاد الأفغاني بمرحلتيه، ضاعت أكثر الأوقات هدرا عَلى أكثر النّاس، وقد استفاد البعض من خلال جهد بعض التَّنظِيمات، أو من خلال الجهد الشخصي وحصلوا نتائج طيبة.

فعلى من يريد الجِهَاد أن يعنى بهذا الأمر في نفسه ومن معه، فالوقت نعمة من نعم الله عَلى العبد سيسأله عنها، وسن الشَّبَاب خاصّة نعمة من نعم الله سيسأله عنها. وكذا كلّ نعمة.

****

الفصل الثامن

الباب الرابع

النَّظريَّة العسكريّة لدعوة المُقاوَمة الإسْلاميّة العالَمِيّة

هذا البَاب هو قلب الكتاب بجزئية ولأجله وضع كلّ الكتاب ورتبت له كلّ المقدمات والفصول.. فهو جوهر فكرتنا وخلاصتها.

وهو الفكرة الأولى لدعوة المُقاوَمة الّتي كتبتها في البيان الأوّل أواخر ١٩٩٠م. ونشرتها مطلع ١٩٩١م. ومن أجل جوهرها عدت لأفغانستان في عهد طالبان وقمت بمحاولة مستميتة لأحولها لمشروع حي يتحرك عَلى الأرض.. ولكن قدر الله وأدركنا ما أدركنا من أحداث ليصرفنا إلى ما نحن فيه والأمل بالله كبير..

وكما هيَ طريقتنا، فإن توليد نظريتنا العسكريّة جاء من خلال دراسة لتجاربنا الذاتية في التّيار الجهاديّ، ومعاناة ومعايشة ميدانية لها ولمراحلها المختلفة. وفق نهج النَّظريَّة العمليّة الّتي عرّفتها.

فمثل هذه النَّظريَّات لا يصوغها بتوفيق الله سبحانه تَعَالَى إلا العاملون، فهي تكتب للميدان، وتتجمع جزئيات أفكارها في الميدان، وفي ساعات التأمل أثناء استراحات المحاربين المُجَاهدين..نسأل الله أن يجعلنا منهم.

وألفت النَّظر إلى أمر مهم وهو:

أن أكثر ما سأذكره هنا هو اجتهاد حركي وعسكريّ خاص، مبني عَلى التَّجَارب الذاتية والدّراسة والمقارنة، والمحاورة مع أصحاب التَّجَارب من قادة المُجَاهدين وكوادرهم.. وأكثر هذه المواضيع ليس من مسائل العقائد وأحكام الحلال والحرام، وإنما آراء بنيت عَلى دُروس التَّجَارب من قضايا الرَّأي والحَرب والمكيدة.

وقد وضَعت البذرة الأولى وجوهر الفكرة صيف ١٩٩١، فيما كانت نذر عاصفة الصَّحرَاء ورياحها العاتية تهب علينا في أفغانستان. ثمّ طورتُها من بعد مع زلازل ومحن آخر التَّجَارب الجهاديّة في الجَزَائِر. ثمّ بلورتُها في مُعَسْكَرَات الرِّبَاط وخطوط القِتَال في الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان وحاولت تنفيذها بالتّعاون مع الإمارة الإِسْلَاميّة، ثمّ جاء سِبتَمبر، لأتفرغ كليا لصياغتها بشكلها النّهائيّ بعد أن ألزمتنا المطاردات الظَّالمة حالة قريبة من اسجن والإقامة الجبرية، كانَ من حسناتها التفرغ لمتابعة الأحداث والتَّفكير والمراجعة والكتابة. وقد مضى علينا منذُ سقوط أفغانستان وإلى الآن زهاء ثلاث سَنَوات حصلت فيها تحولات تارِيخِيَّة قلبت فيها الأحداث وجه الحضارة ومسار التّاريخ، وانطلقت الحملات الأمريكيّة بأساليبها العسكريّة الجَدِيدة وهجمتها الشّاملة في كلّ منحى، لتؤكد لي صحة هذه الأفكار- والله أعلم -، ولتزيدني قناعة بها وتساعدني عَلى تطويرها وتكييفها، بما يتناسب مع الواقع الجَدِيد. فلقد اختلت موازين القوى المادية بيننا وبين أعدائنا، ثمّ رجحت لصالحهم، ثمّ انهارت.

فليس بيننا وبينهم مادياً وعسكريّاً موازين ولا مقارنات، ولا أجد مفراً وبداً إذا قررنا المُوَاجَهة، واعتبرناها فرضاً دينياً – كما هيَ حقيقتها – من اعتبار الأسلوب الأوحد الممكن، بحسب وجهة نظريَّة للمُوَاجَهة الشّاملة إلا مثل هذه الأفكار الّتي سأفصلها في هذا البَاب بإذن الله وأسأله الفتح والتيسر والهام الحقّ والخير والهدى والإخلاص أولاًوآخراً وأن يتوج كرمه بالقبول إنه سميع مجيب..

استعراض أساليب الجِهَاد وطرقه في مسار التّيار الجهاديّ (١٩٦٣- ٢٠٠١):

كما أسهبت في الفَصل السَّادس والسَّابع في الجزء الأوّل. فقد انطلق الجِهَاد مطلع الستينات من القرن الماضي، واستمرت التَّجَارب إلى أن جاء سِبتَمبر٢٠٠١، وابتدأ عالم الجَدِيد..

والناظر في تلك التَّجَارب يستطيع تصنيف التَّجَارب الجهاديّة من حيث أسلوب المُوَاجَهة إلى ثلاثة مدارس جهاديّة، ينضوي تحتها كلّ جِهَاد قام خلال تلك الفترة.

وقد كانت وكانت نتائج أدائها كما يلي:

مدرسة التَّنظِيمات الحَركيّة (القطريّة -السرية-الهرمية)	مدرسة الجبهات المفتوحة والمواجهات المكشوفة.	مدرسة الجِهَاد الفَرديِّ وإرهاب الخلايا الصغيرة.
وهي من قبيل التَّجَارب والتَّنظِيمات الجهاديّة الّتي تحدثت عنها آنفاً. فقد كانت تتبنى الفكر الجهاديّ والعمل الحَركيّ، في المجال القطري وفق النّظام السري، والبناء الشبكي الهرمي وكان الهدف الأساسي هو إسقاط الحُكُومَات والأنظمة القائمة. وإقامة النّظام الإِسْلَاميّ عبر الجِهَاد المُسلّح. **وكانت خُلاصة النَّتِيجَة:** ١- **فشل عسكريّ** وهزيمة ميدانية. ٢- **فشل أمني** وتفكيك التَّنظِيمات. ٣- **فشل دعوي** وعدم القدرة عَلى حشد الأُمّة. ٤- **فشل تربوي** نتيجة السرية. ٥- **فشل سياسي** بعدم تحقق الهدف.	وهو من قبيل التَّجَارب الّتي حصلت في ساحات المُوَاجَهة المفتوحة وأشهرها التَّجَارب الأخيرة في أفغانستان، البوسنة، الشِّيشَان. وقد اعتمدت هذه المواجهات أسلوب المُوَاجَهة من خلال قواعد ثابتة. وحرب العِصَابات شبه النّظامية **وكانت خُلاصة النَّتِيجَة:** ١- **نجاح عسكريّ** ساحق. ٢- **نجاح أمني** أعاق دور الإستخبارات. ٣- **نجاح دعوي** أدى لحشد الأُمّة وراء تلك القضايا. ٤- **نجاح تربوي** نسبي في المُعَسْكَرَات والجبهات. ٥- **فشل سياسي إلا في أفغانستان** حيث أقيمت الدّولة الإِسْلَاميّة.	وهي من قبيل العمليَّات الفرديَّة الّتي قام بها أفراد أو مجموعات صغيرة. وهي من قبيل عمليَّات منها: - سيد نصير المصري وقتله للصهيوني الكبير كاهانا. - رمزي يوسف البلوشي ومحاولة تدمير برج نيويورك الأولى. - الدقامسة الأردني الّذي قتل الصّهيونيّات عَلى الحدود. - سليمان خاطر المصري الّذي قتل حرس الحدود الإسرائيلي. - العمليَّات الفرديَّة أيّام حرب الخليج..وقائمة تطول.. **والخلاصة:** ١- **نجاح عسكريّ** هز كيان العدوّ. ٢- **نجاح أمني** لأنها أعمال لا تؤدي لإجهاض توليد مزيد من الخلايا. ٣- **نجاح دعوي** حشد الأُمّة. ٤- **فشل تربوي** لعدم وجود برنامج. ٤- **فشل سياسي** لعدم وجود برنامج يحولها إلى ظاهرة.
المحصلة: **فشل كامل عَلى كلّ الأصعدة.**	**المحصلة:** **نجاح بشكل عام، ونجاح كامل في أفغانستان.**	**المحصلة:** **نجاح في إرباك العدوّ، وتحريك الأُمّة.**

فإذا جئنا لنقاش هذه المدارس الثّلاثة بحثاً عن أفضل طريقة للمُوَاجَهة اليَوْم نجد ذلك كما يلي:

أولاً: مدرسة التَّنظِيمات الجهاديّة (القطريّة - السرية - الهرمية):

كما أوجزت في الجدول السابق لقد آلت هذه المدرسة إلى الفشل التام في كافّة المناحي. ولا أقول هذا الكلام عن هذه الطَّريقة كناقد من خارجها. بل لقد كنت (ولله الفضل وأسأله الإخلاص والقبول). من أقطابها ودعاتها ومنظريها الحَركيّين.

ولكني أنظر إلى الأساليب عَلى أنها وسائل، وليست أوثاناً. فما ثبت جدواه عملنا به وما تجاوزه الزَّمن تجاوزناه وإلا تجاوزنا الزَّمن معه.

صحيح أَنّي ذكرت في التّاريخ أن أحداث سِبتَمبر قد قضت عَلى ما تبقى من تنظيمات التّيار الجهاديّ - ولاسيما العربيَّة - ودمرت تداعيات تلك الأحداث ما تبقى من تلك التَّنظِيمات جماعياً وصفت أكثر أفرادها قتلاً وأسراً. ولكن ليس هذا سبب انتهاء هذه المدرسة. لقد انتهت هذه المدرسة عملياً قبل ذلك بعشر سنين منذُ انطلق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد عام ١٩٩٠.

وعلى مدى العقد الأخير من القرن المنصرم استطاعت بَرَامج مكافحة الإِرهَاب أن تفكك تلك التَّنظِيمات أمنيّاً، وتهزمها عسكريّاً، وتعزلها عن جماهيرها وتشوه سمعتها، وتجفف منابعها المالية، وتشرد عناصرها وتدخلهم في دوامة الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس.. لقد كانَ هذا واقعاً أعرفه كما عرفه أمثالي من قدماء الجهاديّين.

وشيئاً فشيئاً تلاشت تلك التَّنظِيمات، وانحلت وأصبح شراذم الباقيين منها مشردين في الشّرق والغرب، مطاردين بأسرهم وأطفالهم، وأفراد تنظيماتهم. فرارون بدينهم وأفكارهم، مستخفون هنا وهناك، لا يكادون ينتجون شيئاً.

لقد قضى نظام الفرعون الهالك الحسن الثّاني عَلى المحاولة الجهاديّة المبكرة الّتي قام بها تنظيم الشبيبة المغربية ضده في المغرب الأقصى مطلع الستينيات، في مهدها.

وهذا ما فعله نظام الشاذلي بن جديد في الجَزَائِر أواسط السَّبعينيَّات مع تنظيم حركة الدّولة الإِسْلَاميّة، ودون كبير عناء.

و استطاع النّظام الأمني للحكم البعثي الطَّاغوتي النصيري في سوريا أن يقضي عَلى تنظيم (الطليعة المقاتلة للإخوان المُسلِمِين)، بعد ثورة مسلحة دامت زهاء عقد من الزَّمن، قبل أن يقوم النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد بعشر سَنَوات، وقبل سِبتَمبر بعشرين سنة.. وقضى عليه قضاءً تاماً.

واستطاع النّظام الفرعوني المجرم في مصر بزعامة حسني – لا بارك الله به وبأمثاله. أن يقضي عَلى تنظيمات الجِهَاد كلها في مصر الواحد تلو الآخر. وكان آخرها تنظيم (الجِهَاد)، وتنظيم (الجماعة الإِسْلَاميّة)، اللذان قضي عليهما أواسط التسعينات وفككت الإستخبارات المصريَّة خلاياهما وأسرت الحكومة معظم مكوّناتها البشرية وذلك قبل أحداث سِبتَمبر بسنين.

وقل مثل ذلك عما حصل في ليبيا، فقد قضى نظام القذافي عَلى المحاولتين الرَّئيسيتين أواسط الثمانينات وأواسط التسعينات.

وتكرر هذا عندما اصطدمت التَّنظِيمات الجهاديّة في كلّ قطر عربي وإسلامي، حتَّى مع أضعف الأنظمة الأمنيّة والإستخباراتية في البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة ! أذكر هذا هنا بإيجاز وقد مر سرد تفصيل ذلك في الفَصلين (٦-٧) من الجزء الأوّل من الكتاب. إلى أن كانت التصفية الكبرى والنجاح الساحق للنظام الأمني العربيّ في الجَزَائِر مؤخرا (١٩٩١- ١٩٩٧)، رغم ما توفر لتلك التَّجربة من أسباب النجاح. ثمّ تلاشت آخر النبضات الجهاديّة للتنظيمات في اليمن، وفي لبنان أواخر القرن الماضي.

لقد استطاع النّظام الأمني المحلي في بلادنا أن يقضي عَلى تلك المحاولات، بفعل نظام التنسيق العربيّ والإقليمي، وتمت لهم النتائج عندما وصل ذلك التنسيق للمستوى الدّولي، وهكذا كما أسلفت بالتفصيل، كانَ موجز نتيجة طريقتنا تلك:

(٢) – هزمت تنظيماتنا عسكريّاً في كلّ المواجهات. نعم لقد سجلنا انتصارات في ي كثير من المعارك ولكننا خسرنا الحَرب، وفي كلّ التَّجَارب والمواجهات. ولست بصدد النقاش مع من يريد المكابرة. فالواقع أكبر شاهد.

(٣) – هزمت تنظيماتنا أمنيّاً، وكشفت خلاياها وتفككت وأجهضت محاولات بنائها، وتحول النّظام الأمني إلى مستوى الضربات الإجهاضية للمحاولات قبل إنشائها، أو في مهدها.

(٤) - سجلنا في تجاربنا تلك فشلا ذريعا عَلى المستوى الدعوي. فلم تستطع التَّنظِيمات الجهاديّة أن تتمدد في الجماهير، ولا أن تكون شعبيَّة، رغم الحقّ الّذي حملته. ولم تتجاوز أعداد عناصرها المئات وربما العشرات في بلاد مليونية.

(٥) - كما فشلت التَّنظِيمات الجهاديّة عَلى صعيد تربية عناصرها وإعدادهم وتأهيلهم للمُوَاجَهة فكرياً وعقديا ومنهجيا وأمنيّاً وسياسيّاً وعسكريّاً.. إلا في حالات محدودة. خاصّة بعد بدء المواجهات. لأنه لم تستطع أي من تلك التَّنظِيمات أن تستكمل بَرَامج الإِعداد والبناء تحت شعار (البناء من خلال المَعْرَكة). حيث حالت السرية والظروف الأمنيّة دون ذلك. وهكذا استُهلِكت الكوادر والعناصر المكوَّنة عبر التّربية الطويلة، ليغلب عَلى القواعد التّالية انخفاض المستوى التربوي. وقد حصل هذا في عموم التَّجَارب.

(٦) - وفي النهاية ونتيجة الفشل الشّامل في التفاصيل تجلى الفشل الشّامل في العجز عن تحقيق أهداف المشروع العام.

والآن لنلفت النَّظر من خلال هذا الإيجاز إلى مآل هذه الأساليب في ظل واقعنا الحالي بعد انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وخاصة بعد سِبتَمبر وحملات مكافحة الإِرهَاب:

- إذا كانَ فشلنا في أسلوب (التَّنظِيمات السرية القطريّة الهرمية) في مُوَاجَهة الأنظمة الأمنيّة المحليَّة عبر العقود الماضية تاما، فكيف بنا في مُوَاجَهة الآلية الأمنيّة للنظام العَالَمِيّ الجَدِيد، وانطلاق الحَرب العَالَمِيّة لمكافحة الإِرهَاب بكل وسائلها الأمنيّة والعسكريّة والفكريّة والسّياسيّة والاقتصاديَّة... ؟! لم يعد الأمر ممكنا، بل إن الإصرار عَلى هذا الأسلوب، مع هذه المعطيات المعاصرة، هو - في رأيي - ضرب من الانتحار والإصرار عَلى الفشل، يصل لحد جريمة التغرير بالبسطاء من شباب المُسلِمِين المتحمس للجِهَاد. وتحمل لمسؤولية إيرادهم المهالك في دروب ثبت فشلها، ودفعنا زكي الدَّم ثمنا لهذا الاكتشاف.
- لم تكن العلة في أسلوب التَّنظِيمات ولا في التَّنظِيمات بشكل عام، وإنما هيَ تحولات الزَّمن ومعطيات الواقع الجَدِيد بعد (١٩٩٠م)، الّذي جعل تلك الأساليب بائدة. وقد ضربت لهذا مثلا يوضح المقصود في بعض المحاضرات في أفغانستان، وأعيده هنا..

فلو كانَ لديك ماكينة كهرباء جيدة وقوية وممتازة، ولكنها تعمل بنظام الكهرباء القديم / ١١٠ فولت / فقط. ثمّ كما حصل في بلادنا تمَّ تحويل مصادر الطاقة الكهربائية كلها إلى / ٢٢٠ فولت / ، فماذا يحصل لو أصررت عَلى العمل بها ؟! سوف تحترق الماكينة، وتضرب نظام الكهرباء عندك، وربما كهربتك معها !! وبدهي أن العلة ليست في الماكينة، فهي سليمة وصالحة للعمل في وقتها، ولكن الظّروف المحيطة الجَدِيدة جعلتها خارج الزَّمن، وصار مكانها الطبيعي في المتحف ! في زاوية الخزانة كأثر من الماضي. ولن يغير من الواقع شيئا حبك لها وذكرياتك الجميلة معها، وأنها من إرث والديك.

لم تعد الماكينة صالحة للعمل، لقد تغير الوقت وخرجت من الخدمة. وهذا ما فعله النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد بماكيناتنا التَّنظِيمية (القطريّة – السرية – الهرمية). رغم روعتها. ولذلك حصلت ظواهر هامة نذكر ملاحظاتها هنا:

- لقد استغرقت المَعْرَكة بين الحُكُومَات والتَّنظِيمات الجهاديّة خلال الستينات والسبعينات والثمانينات. سنينا طويلة حتَّى تمكنت الحُكُومَات من القضاء عَلى التَّنظِيمات الجهاديّة، وكان ذلك بعد معارك طاحنة وخسائر كبيرة للحُكُومَات. فقد استغرق الجِهَاد في سوريا زهاء عشرة سنين من المُوَاجَهة (١٩٧٣–١٩٨٣). وفي مصر مثل ذلك أو أكثر، ولكن أنظر في الجَزَائِر رغم توافر المعطيات الهائلة والظروف الرائعة للحركة الجهاديّة. لقد دمرت المحاولة خلال أربع سنين (١٩٩٢– ١٩٩٥) ! ولكن المواجهات والمحاولات الّتي حصلت أواخر التسعينات ومطلع القرن الحادي والعشرين. لم يستغرق القضاء عليها إلا أيّاما معدودة فقط ! ففي لبنان، دمر تنظيم أبو عائشة رَحِمَهُ اللَّهُ الّذي أستغرق بناؤه عدّة سَنَوات في خمسة أيّام ! وقضي علي حركة أبو الحسن المحضار رَحِمَهُ اللَّهُ في اليمن في ثلاثة أيّام وهكذا... ! وهذا يثبت أن هذه الماكينة القديمة لم تعد صالحة إلا للاحتراق وإحراق أصحابها إن أصروا عَلى العمل والاستمرار بها كما هيَ. وهناك ملاحظات أُخرى.
- لقد أُغلقت الهوامش الإقليمية والدّولية أمام عمل التَّنظِيمات السرية الإقليمية والدّولية حتَّى غير الإِسْلَاميّة نتيجة قيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد بعد ١٩٩٠، ولاسيما بعد سِبتَمبر ٢٠٠١. فقد كانَ هناك عدّة أقطاب في النّظام السّياسيّ العَالَمِيّ ما قبل الجَدِيد. فهناك المعسكريّن الشرقي

والغربيّ، وداخل المُعَسْكَر الغربيّ كانَ هناك محاور ومصالح دول وتنازعات. وقد مكن هذا الثائرين عَلى بعض الأنظمة من أذيال محور دولي معين، اللجوء إلى أراضي إحدى الدّول من محور آخر، واستئناف العمل. حيث تلقت التَّنظِيمات الدّعم، وأحست بالأمن، وكونت الملاذات الآمنة ونمت وتمولت. وهكذا فر الثائرون عَلى عبد النّاصر في مصر وهي من محور الشّرق إلى السّعُودِيّة لدى الملك فيصل، وهو من محور الغرب. وعمل الخارجون عَلى صدام من سوريا، كما عمل الإخوان المُسلِمُون والطليعة المقاتلة ضدّ النّظام السّوري في العراق والأردن. وساح الجهاديّون والإِسْلَاميّون والمعارضون السّياسيّون من كلّ قطر، في كثير من دول العالم وحصلوا اللجوء السّياسيّ وعملوا سرا عبر الحدود.. إلخ.

ولكن ما إن سقط روسيا، وقام نظام القطب الأوحد (أمريكا)، أصبحت معظم الدّول وخاصة الصغيرة منها أذيالا لقطب واحد فرض سياسة واحدة، فألغيت الهوامش بين الأذيال والمحاور، وهكذا خسرت الدّول والأحزاب والقوى الصغيرة، تلك الهوامش، وصارت مضطرة للسير في سياق أوامر سياسة النّظام الطَّاغي عَلى الأرض. وكلما كانت الدّولة أو التَّنظِيم أو الجهة ضعيفة. زادت خسارته مع هذا النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد. وكان من أكبر الخاسرين في هذا الإنقلاب، التَّنظِيمات السرية المُقاوَمة، والأحزاب المعارضة. حيث اضطرت إلى التوقف أو الانحلال أو الاستسلام أو التوبة والتسوية مع حُكُومَاتها.

وإلا فإن الخيار الآخر هو التصفية. وكان من أفظع الأمثلة ما حصل مع (حزب العمال الكردستاني) وزعيمه (عبدالله أوجلان). وهو من أقوى الأحزاب المعارضة العسكريّة في العالم، ولديه عشرات آلاف المقاتلين، المنتشرين في مُعَسْكَرَات وجبهات في تركيا وسوريا وشمال العراق ولبنان.. وله مؤيدين في شمال غرب إيران. ويمده مئات آلاف الأكراد في أوروبّا ولاسيما ألمانيا بنسب معينة من مداخيلهم الشهرية، وهي موارد بمئات الملايين من الدّولارات، ولديه حتَّى عدّة محطات بث فضائيّة... إلخ. فهو إمبراطورية تنظيمية بالنسبة للتنظيمات الجهاديّة الإِسْلَاميّة !

فلما قام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، ودخلت سوريا في المحور الأمريكيّ خوفا وطمعا، عصفت بمعسكراته في سوريا ولبنان غصبا عنها. ثمّ هُجِّر رئيسه إلى عدّة بلدان، ثمّ أختطف بتعاون من (CIA) و(الموساد) و(المخابرات التركية)، بل ساعدت حتَّى (اليونان)، الخصم التّاريخي لتركيا في تسليمه لتركيا. وحل

الحزب. ودمرت معسكراته. وأخرجت أمريكا من بقي منها في العراق، وأخيرا أعلن من بقي منهم تخليه عن الخيار المُسلّح، وتشكيل حزب سياسي معارض بمقاييس الدِّيمقراطيَّة والنّظام العَالَمِيّ الجَدِيد !! فيما صار أمل زعيمه المسجون أن لا يعدم فقط !

والمثال الآخر: الجيش الجمهوريّ الأيرلندي (IRA)، وهو منظّمة عسكريّة يمتد تاريخها وجُذُورها لأكثر من ١٠٠ سنة. وهو من المنظمات الهائلة، وله امتدادات في الجاليات الأيرلندية في أمريكا، ويتلقى منها مددا بالمليارات، وكان له في الولايات المتحدة مُعَسْكَرَات تدريب راقية، وكان له علاقات تدريب ودعم مع دول غربية مثل الجَزَائِر وليبيا، ومع عدد من المنظمات اليسارية العربيَّة..إلخ. فلما قام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، ودخلت بَرِيطَانيَا في رأس محور الحلف الأمريكيّ، أجبر الجيش الجمهوريّ الأيرلندي عَلى الخيار السلمي، وتم نزع سلاحه وتفكيكه وانتهت القصة !

هذه بعض الأمثلة الصارخة أمامنا وهناك غيرها، فإن لم نتعظ بها فلا نلومن إلا أنفسنا عندما يقضى عَلى ٨٠٪ من قوَّاتنا في تداعيات سِبتَمبر خلال سنتين فقط ! كي ندرك أن مرحلة (العقليَّة الطورابورية) يجب أن تنتهي.

لقد تحول الزَّمن، وعلينا أن نصمم طريقة للمُوَاجَهة بحسب مقاييس الوقت الحاضر.

وأعود فأكرر.. ليست العلة الرَّئيسيَّة في تركيبة التَّنظِيمات، وعللها الداخليَّة وإن كانت سبباً أساسياً ولكن العلة الرَّئيسيَّة سببها تحول الزّمان ومعطيات الواقع تحولاً جذرياً انقلابياً غير وجه التّاريخ والحاضر وبالتالي المستقبل.

ثانياً: مدرسة الجبهات المفتوحة في عالم ما قبل سِبتَمبر:

القصد من الجبهات المفتوحة هيَ الّتي تكون فيها قوَّات المُجَاهدين متواجدة بشكل مكشوف وثابت وتقاتل قوَّات الأَعدَاء في خطوط قتال مفتوحة، أو تشن حرب عِصَابات انطلاقاً من تلك المناطق الثَّابِتة. وأوضح مثال عليها في تجاربنا: (الجِهَاد الأفغاني الأوّل) – (البوسنة) – (الشِّيشَان) – ثمّ (الجِهَاد الأفغاني الثّاني في مرحلة طالبان). وكما قلت فقد أثبتت هذه الطَّريقة عَلى عكس سابقتها جملة من الأمور هيَ:

(١)- النجاح العسكريّ الساحق:

وذلك رغم الفارق الهائل في العدوّ والعدة والسّلاح والتكنولوجيا وكل الموازين المادية. ففي التَّجربة الأولى تمكن المُجَاهدون الأفغان عَلى عوزهم، ومن معهم من المُجَاهدين العَرَب والمُسلِمين – كما مر شرحه – عَلى هزيمة دولة عظمى وطي أعلامها إلى الأبد إن شاء الله.

وفي البوسنة تمكن حفنة من المُجَاهدين العَرَب والأتراك والمُسلِمين، من قلب ميزان القوى في حرب الإبادة الصّربية. وقاموا بأعاجيب. ويكفي أن نذكر أن ٦٠ ألف جندي من القوَّات الأمريكيّة رابطوا في البحر عَلى شواطئ البوسنة وصربيا، واشترطوا لدخولهم البوسنة بعد اتفاق (دايتون)، أن يخرج ٦٠٠ مُجَاهد مسلم منها! فكان كلّ رجل منهم يبث الرعب في مئة من جنود الإمبراطورية العظمى ومن في حلفها!

وأما في الشِّيشَان فحدث ولا حرج عن المعجزات العسكريّة الّتي أذهلت العالم، من صمود حفنة من الرّجال في وجه الآلة العسكريّة السُّوفيتيّة! من شعب لا يبلغ مليون نسمة، في بلد لا يبلغ ٥٠ ألف كيلومتر مربع !

وهكذا أثبت المُجَاهدون المُؤمِنُون، أنهم في ميادين المواجهات المكشوفة مقاتلون لا مثيل لهم، ولم تقف الموازين المختلة بينهم وبين أعدائهم حائلاً دونهم ودون الانتصارات.

(٢) – النجاح الأمني البني:

عَلى اعتبار أن المواجهات قامت بشكل مكشوف، فلم يكن هناك من دور يذكر لاستخبارات الأنظمة في أن يكون لها دور في إجهاض تلك الجبهات. بل كانت المشاركة الميدانية القتاليّة حاجزاً يكتشف عنده كثير من المندسين والإستخبارات فيتوبون أو يهربون، واقتصر عملهم عَلى رصد حركة التَّنظِيمات الّتي لجأت لتلك الجبهات، وليس في إجهاض الجبهات ذاتها.

(٣)- النجاح الدعوي:

وهو الأمر الثّالث البالغ الأهمّيّة. فقد نجحت تلك القضايا في حشد الأُمّة بمئات ملاينها وراء ها. وعلى العكس من التَّجَارب التَّنظِيمية، حيث لم تستطع أعرق التَّنظِيمات الجهاديّة، أن تحشد معها الشعب في قطرها المحدود حيث تواجه الأنظمة. ناهيك عن أن أغلب شعوب الأُمّة الإِسْلَاميّة، لم تسمع

بها أصلاً، فضلاً عن أن تؤيدها ! فإنه في حالة الجبهات المفتوحة وقفت الأُمّة بمئات ملايين الشّعوب تؤيد وتدعم، ويلتحق خُلاصة أبنائها بالجبهات، ويضرع شيوخها وعجائزها إلى الله يسألونه النّصر للمُجَاهدين. وتبرع أغنياء المُسلِمِين وفقراؤهم بأموالهم ودعموا الجِهَاد..

لقد كانَ الحشد الّذي توفر لِجِهَاد الجبهات عارماً.. والدّعوة لتلك القضايا ناجحة بطريقة مذهلة.

(٤)- النجاح التربوي:

تقوم النَّظريَّة الإِسْلَاميّة في التّربية عَلى التلقي المباشر للعلم، وعلى القدوة والأسوة الحسنة بالمعاملة. وهكذا كانت من الرَّسُول ﷺ للصحابة ﷺ، ومنهم للتابعين، ومن هَؤُلَاءِ لتابعي التَّابعين، ثمّ لكبار علماء السَّلَف وصلحاء الأُمّة، ثمّ لتلاميذهم ومريدهم، وهكذا عَلى مر التّاريخ..

وعلى عكس عدم إمكانية ذلك في ظروف التّربية السرية، حيث لا يمكن أن يتوفر الوقت ولا الظرف، لإعطاء جرعات حقيقية من التّربية. وكذلك لا توفر السرية معرفة القدوة والقائد والشَّيْخ.. وإمكانية التأثر به والتأسي به، فإن جِهَاد الجبهات وفر ذلك.. ولكن وللأسف كانَ هناك قصور كبير من القيادات الّتي أشرفت عَلى تلك المَرحَلَة، وذلك عَلى صعيد الاهتمام بمسألة التّربية بمناحيها المختلفة. حيث اهتمت الجموع بالتّربية العسكريّة والقتال. ولكن هذا القصور لا ينفي أمران: الأوّل أن التّربية كانت ممكنة. والثّاني أنها حصلت بشكل جزئي من البعض وكان أثرها رائعاً كما في تجربة أفغانستان والبوسنة، وأكبر بكثير من ذلك الّذي حصل مع التَّجربة السرية الجهاديّة.

(٥) – النجاح السّياسيّ:

النجاح السّياسيّ هو تحقق الأهداف والشعارات.. وقد كانَ الهدف من كلّ الجِهَاد هو دحر العدوّ وإقامة الحكم الإِسْلَاميّ. وفي التَّجربة الأفغانية الأولى حصل النجاح تاماً.. وأسفر الجِهَاد بعد مروره بالفتن والمحن عن قيام الإمارة الإِسْلَاميّة. وتحقق الحلم. وإن كانَ قد أطفئ بعد حين، وسيعود قريباً إن شاء الله. وأما في البوسنة فقد كانَ الهدف إنقاذ المُسلِمِين من الإبادة، وقد تحقق هٰذا. ولكن قيام دولة إسلاميّة في قلب أوروبّا، وفي ظل النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد لم يكن أمراً ممكناً. وأعتقد أن ما تحقق نظراً للظروف يشكل نجاحاً إلى حد كبير. وأما في الشِّيشَان فلم يتحقق المشروع السّياسيّ رغم النجاحات

العسكريّة. لأن المعطيات الاستراتيجيّة للشيشان كبلد مساحةً ومعطيات وتعداد سكان يجعل ذلك أمراً شبه مستحيل.. وما تحقق من الاستمرار يعتبر كسباً تاريخيا

وبالإجمال فإن النجاح السّياسيّ أمر مرتبط بعوامل أبعد من الّتي ندرسها في هذا البند وهو الأداء العسكريّ..

وهكذا نستطيع أن نوجز بأن تجربة الجبهات تعتبر ناجحة كأسلوب مُوَاجَهة إذا ما قورنت بالفشل التام عَلى كافّة الأصعدة لأسلوب التَّنظِيمات السرية القطريّة الهرمية.. رغم ما تحلى به أصحابها من الإخلاص والتَّضحِيَة وما تحقق من المكاسب والانتصارات الّتي ضاعت في النهاية نتيجة ما أسلفنا وكان أمر الله قدراً مقدورا.

ولكن نظريَّة صمود الجبهات تعرضت للسقوط في عالم ما بعد سِبتَمبر ٢٠٠١. واستعمال أمريكا لتفوقها التكنولوجي الخرافي، واستخدامها لإستراتيجية الحسم الجوي الصاروخي. والسّيطرة الفضائية والإلكترونية المطلقة. كما سنناقش هذا لاحقا إن شاء الله.

ثالثاً: مدرسة الجِهَاد الفَرديّ والخلايا الصغيرة:

وهذه المدرسة الجهاديّة قديمة جداً.. ولعلّ أول تجاربها سرية الصحابي الجليل أبي بصير وقصته المشهورة، عندما شكل أول مجموعة حرب عِصَابات في الإِسْلَام، ثمّ لحق به الصحابي الجليل أبو جندل. ومن الشواهد عَلى هذه الطَّريقة ما حصل في آخر حياة رسول الله ﷺ. عندما إرتد الأسود العنسي في اليمن. واستولى عَلى الحكم فيها وقهر المُسلِمِين. وتصدى للأمر رجل مبارك كما وصفه رسول الله ﷺ من آل بيت مباركين. وقام بعمل فردي من تلقاء نفسه.. فاغتال الأسود العنسي وقلب الموازين، ورسخ الإِسْلَام في اليمن. وبشر جبريل رسول الله ﷺ بهذا النّصر الحاسم الّذي قام به حفنة من الرّجال المبادرين.

وعلى مر التّاريخ الإِسْلَاميّ تكررت المبادرات الفرديَّة. وفي زمن الحُرُوب الصّليبيّة، وفساد الأمراء وانحلال الأُمّة، تصدت جموع المُجَاهدين المقاومين للأزمة قبل أن تنهض الدّولة الزنكية ومن ثمّ الأيوبية. وقام كثير من السَرايا والمجموعات المنعزلة بفريضة الجِهَاد. وفي تاريخ العَرَب المعاصر قصة

مشهورة عندما تمكن فيها مُجَاهد بمفرده من قلب موازين القوى، والتّأثير عَلَى مسار حملة استعماريّة كبرى، وذلك عندما نفر المُجَاهد سليمان الحلبي ﵀، من حلب- مدينتي العريقة- في شمال غرب الشّام إلى بيت المَقْدِس حيث استفتى أحد علمائها بقتل (كليبر) قائد الحملة الفرنسية الّذي استخلفه (نابليون بونابرت عَلَى مصر). ووصل إليه وقتله. وكان هذا أحد أسباب رحيل الحملة الفرنسية عن مصر. ولم يكن ثمن ذلك إلا فوز سليمان الحلبي وشيخه الّذي أفتاه بالشَّهَادة في سبيل الله، حيث أعدما رحمها الله تَعَالَى..

ومنذ حرب الخليج الثّانية (عاصفة الصَّحرَاء) ١٩٩٠، وقيام النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد إنتعشت هذه المدرسة. وحصلت منذُ ذلك الوقت عشرات العمليَّات الفرديَّة هنا وهناك في مختلف بقاع العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، ومازالت إلى اليَوْم.. فقد قتل سيد نصير في الولايات المتحدة المتعصب الصّهيونيّ الحاخام (مائير كاهانا) الّذي كانَ من أشد اليَهُوْد عَلَى المُسلِمِين في فِلَسطِين. وكان لديه برنامجا لطرد الفلسطينيين بالكامل من فِلَسطِين. وأدى قتله لحل جماعته وانطفائها. وفي ١٩٩٣ حاول (رمزي يوسف) أحد الأفغان العَرَب، (وهو باكستاني بلوشي) مع مجموعة من المُجَاهدين نسف برج مبني التجارة العَالَمِيّ في نيويورك. وفي الأردن أقدم مجند أردني من حرس الحدود عَلَى إطلاق النار عَلَى عدد من الطالبات اليَهُوْديات كن يقمن بحركات استهزاء بصلاة المُسلِمِين وقتل عدداً منهن. وفي مصر قام الجندي البطل (سلمان خاطر) بَاطِلاق النار بقرار فردي منه، عَلَى عدد من اليَهُوْد عَلَى الحدود المصريَّة الإسرائيلية. وعلى حدود الأردن مع إسرائيل حصلت عشرات عمليَّات العبور من قبل شباب مُجَاهدين، كانَ بعضهم لا يحمل إلا سكين مطبخ! للهجوم عَلَى دوريات اليَهُوْد عَلَى ضفاف نهر الأردن الغربيّة. وفي بيروت اعتلى مُجَاهد سطح عمارة وأطلق عدداً من الصواريخ الـ R.P.G عَلَى السفارة الرُّوسية أثناء إحدى حملات الرُّوس عَلَى الشِّيشَان. وفي أيّام حرب الخليج طعن عجوز مغربي عشرة من السياح الفرنسيين في المغرب. وعُثر عَلَى جثة إيطالي في الإمارات. وطعن شاب عدداً من الأجانب في عمان الأردن وأطلق عليهم النار. وفي فِلَسطِين تتم كثير من العمليَّات الفرديَّة من قبل المواطنين الثائرين ضدّ المستوطنين أو جنود الاحتلال. وفي باكستان قتل مُجَاهدون عددا من الأمريكان واليَهُوْد. وفي مصر تقدم مواطن برسالة إلى حسني مبارك ثمّ طعنه بسكين فقتله الحراس. وفي الأردن قامت مجموعة رائعة مكونة من أربعة أفراد

بتشكيل خلية لاغتيال الماسونيين في عمان، وتمكنت من إعدام العديد منهم، ثمّ قبض عليهم بعد اشتباك واستشهد بعضهم. وهكذا...

والملاحظ عَلى هذه الطَّريقة العفوية الّتي بدأت تنتشر مع اشتداد هجوم الحملات الأمريكيّة عَلى بلاد المُسلِمِين، واستعار المشروع الصّهيونيّ في فِلَسطِين، وانتشار الأخبار عبر الفضائِيَّات وشبكات الاتّصال. الملاحظ عليها ما يلي:

١- النجاح العسكريّ:

وهذا تستخلصه من حجم الرهبة والرعب الّذي بثته في العدوّ، وأثرها عَلى مصالحه، حتَّى أن بضع عمليَّات سنة ١٩٩٤م دعت أكثر من ٣٤ رئيس دولة عَلى رأسهم (بيل كلينتون) إلى مؤتمر (شرم الشَّيْخ) لمكافحة الإِرهَاب.

٢- النجاح الأمني:

وذلك أن هذه العمليَّات العفوية من قبل أفراد وخلايا هنا وهناك، على مدى اتساع العالم. من غير رابطة بينهم، أدخلت أجهزة الإستخبارات المحليَّة والعَالَمِيّة في حالة إرباك. إذ أن اعتقال ما سقط من تلك الخلايا لا يؤثر في مجال أعمال آخرين لا رابطة بينهم. وقد استفدت من هذه الملاحظة إلى حد كبير في تصميم فكرة عمل خلايا دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة المنشودة.

٣- النجاح الدعوي:

لقد حققت هذه المسألة نجاحاً دعوياً كبيرا. إذ كانَ لها بالغ الأثر في إذكاء روح الجِهَاد والمُقاوَمة في الأُمّة. وحولت أفراداً مغمورين مثل (الدقامسة، وسلمان خاطر، وسيد نصير، ورمزي يوسف...) ليكونوا رموز أمة، تهتف باسمهم الجماهير، وتشفي صدورها، ويتأسى بهم جيل الشَّبَاب من المتحمسين للمقاومة.

٤- أما من النَّاحية السّياسيّة:

فالملاحظ عَلى هذه الأحداث أنها بقيت في حجم ردود الأفعال والانفعالات العاطفية هنا وهناك، ولم تبلغ عددياً أن تكون ظاهرة. رغم عتو الهجمة وتطاول الأزمان. ولهذا أسباب سنعرض لها عند صياغة نظَريَّات العمل والحركة إن شاء الله.

٥- أما تربويا:

فإن غياب المنهج المشترك لهَؤُلَاءِ المقاومين، لم يجعل لهذه الظَّاهِرة بعداً تربوياً. وهذا خلل يمكن تلا فيه كما سنرى إن شاء الله.

وهكذا تلاحظ أيضاً أن هذه الطَّريقة قد سجلت نجاحاً نسبياً أيضاً. ولاسيما في أثرها في العدوّ واستعصائها عَلى الإجهاض الأمني.

و نستخلص من الدّراسة الفاحصة لهذه المدارس الجهاديّة الثّلاثه، في المَرحَلَة الماضية أسس في غاية الأهمّيّة:

(١)- انتهاء إمكانية العمل بأسلوب الطَّريقة السالفة، عبر التَّنظِيمات (القطريّة- السرية- الهرمية). ولاسيما أنه بعد أحداث سِبتَمبر وانطلاق الحملات الأمريكيّة، دمرت الغالبيّة السَّاحقَة من التَّنظِيمات الّتي كانت موجودة، وجعلت الظّروف إمكانية قيام تنظيمات أُخرى بهذه الطَّريقة مستحيلة وعقيمة.

(٢)- علينا أن نركز البحث في أسلوب الجبهات المفتوحة، وأسلوب العمل الجهاديّ الفَرديِّ بأسلوب المُقاوَمة الشّاملة لتطويرها. من أجل استخلاص النَّظَريَّة العسكريّة والحَركيّة المناسبة للمرحلة المقبلة، وذلك من خلال الأساليب الّتي ثبت جدواها.

وهما؛ العمل في الجبهات المفتوحة، والمُقاوَمة السرية عبر الجِهَاد الفَرديِّ والخلايا الصغيرة.

ولكن قبل أن نناقش هذين الأسلوبين؛ يجدر بنا أن نلفت النَّظر إلى أمر مهم. وهو ضرورة غرس فكرة عولمة الجِهَاد عَلى كلّ الأصعدة، فقد فرض العدوّ ذلك. لكي تساعدنا الظّروف عَلى التّحرّك فعلياً وفق معتقداتنا الأممية أصلاً. وهذا من بديهيات العَقِيْدَة.

ولكن طريقتنا الجَدِيدة للعمل الجهاديّ في دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، هيَ طريقة ودعوة عالميّة. وكذلك نظريتنا العسكريّة الّتي نحن بصددها، فإنها تعتمد عَلى التّحرّك في الأفق العَالَمِيّ. وهو أساس في الحركة العسكريّة، فضلاً عن كونه استراتيجية سياسيّة وعَقِيْدَة دينية.

فكرة الانتماء لمجموع الأمة وضرورتها للجِهَاد:

وذلك عَلى مستوى الاعتقاد الدّيني، والإحساس النّفسيّ، والانتماء الجغرافيّ وعلى كلّ صعيد.

فإننا لو جئنا لأي مسلم الآن، وسألناه من أين أنت؟ فإنه سيذكر بلده؛ من مصر.. من سوريا.. من تونس.. من السّعُودِيّة.. الخ..

فلن يذكر ابتداءً مدينته ليقول لك أنه من دمشق أو بيروت أو القاهرة أو طشقند.. لأنه منصرف في الإنتماء إلى حدود (سيكس بيكو) الّتي رسمها الإستعمار في عقله.

والّذي يجب أن نرسخه الآن في عقول المُجَاهدين العازمين عَلى المُقاوَمة؛ هو حقيقة الإحساس والإنتماء وفق قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ۝٩٢﴾ [الأنبياء]

والحَمْدُ لله فإن هجوم العدوّ العسكريّ الآن قد وضعنا في حدود خريطة واحدة اسماها (منطقة العمليَّات الوسطى) وتشمل عملياً أكثر دول وبلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ، وكذلك في المجال السّياسيّ والهجوم الفكريّ والاقتصادي والحضاري..فقد وضعنا (بوش) في خريطة واحدة تشمل نفس المنطقة وأسماها سياسيّاً (الشّرق الأوسط الكبير)..

وهكذا عَوْلَمَ العدوّ قضيتنا، بهجمته علينا ولله الحمد. وهذا يساعد من لم يسعفه المعتقد والفهم عَلى هذا الاتجاه في التَّفكير الأممي الّذي هو من أساسِيَّات ديننا.

ويجب الانتباه إلى أن لهذا الانتماء الأممي بعدا عسكريّاً مهما يساعد في فهم النَّظريَّة العسكريّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

فهي تقوم استراتيجياً في البعد الأممي لكافة الوطن الإِسْلَاميّ الكبير، ولا يمكن نجاحها لو حذفنا منها هذا البعد الأممي العَالَمِيّ.

فلو جئنا لِجِهَاد الجبهات وقرنا مُوَاجَهة أمريكا في جبهات مفتوحة، سنجد أنه حتَّى ينجح الجِهَاد في جبهة ما، فإن ذلك يستلزم شروطاً استراتيجية. وليست هذه الشُّرُوط متوفرة إلا في مناطق محدودة في العالم الإِسْلَاميّ. في حين تحتاج تلك الجبهات نفير المُجَاهدين من أي قطر إسلامي، ويسد المدد من مختلف الاختصاصات أي بلد ثغرة هامة في تلك الجبهات عندما تقوم.

وكذلك في الجِهَاد السري الفَرديّ، فإن العمل في الأفق الأممي والعَالَمِيّ، يفتح آفاق ذلك العمل بصرف النَّظر عن الحدود والقطر. فالعدو يحتل العراق ويواجهنا هناك، وكذا في فِلَسطِين الآن.. فهل لزاماً عَلى مُجَاهد في تونس، أو المغرب، أو إندونيسيا، أن يحضر إلى العراق ليهب لنصرة إخوانه.. قد

يستطيع ذلك قلة، وسيصعب جدا مع الوقت لتعاون أنظمة الرِّدَّة في محيط ساحات المُوَاجَهة مع أمريكا ضدّ المُجَاهدين. ولكن أي مسلم يريد الجِهَاد والمُقاوَمة، يستطيع أن يشارك في هذه المَعْرَكة ضدّ أمريكا في بلاده أو أي مكان، وبفعالية أكثر أثرا بمئات المرات ربما مما يستطيعه لو وصل ساحة المُوَاجَهة المفتوحة.

فلا بُدَّ من الإحساس بالانتماء للأمة وعالمها، في البعد الجغرافيّ والسّياسيّ والعسكريّ وكل مجال.

ولكن الغريب، أن الناظر في هذه الخطوط المستقيمة والمنحنية والمعوجة بصورة عجيبة وهي ترسم خرائط بلادنا، يرى وكأنها لما خطتها أقلام ومساطر الكفّار من وزارات المُستَعمرات، حفرت في العقول والقلوب لدى الغالبيّة من أبناء هذه الأُمّة، والعجيب أنها مأساة لم يمض عليها إلا عشرات السنين فقط، وذلك منذُ سقط الكيان السّياسيّ الجامع للأمة سنة ١٩٢٤، بسقوط آخر الخُلَفَاء الرمزيين لهذه الأُمّة.

فعلينا أن نفتح أدمغة شباب الأُمّة وقلوبهم ليحسوا بالانتماء للأمة كلها. وهذا أساس في الدّين والعَقِيْدَة، وهو كذلك في السّياسة والتصوُّر العسكريّ الاستراتيجي.

والآن لننقل إلى نظريتنا العسكريّة.

النَّظريَّة العسكريّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة

تقوم النَّظريَّة العسكريّة لدعوة المُقاوَمة علىَ اعتماد الجِهَاد في منحيين:

1- جِهَاد الإرهَاب الفَرديِّ والعمل السري للسَرايا الصغيرة المفككة عن بعضها كليا.

2- المشاركة في جِهَاد الجبهات المفتوحة حيث توفرت شروطها .

ونلفت النَّظر إلى أن:

جِهَاد الإِرهَاب الفَرديِّ أو الخلوي عَلى طريقة حُرُوب العِصَابات المدنيّة أوالريفية، هو الأساس في إنهاك العدوّ وإيصاله إلى حالة الانهيار والانسحاب، بإذن الله.

وأما جِهَاد الجبهات المفتوحة فهو الأساس في السّيطرة عَلى الأرض لتحريرها وإقامة شرع الله عليها، بعون الله.

فجِهَاد الإِرهَاب الفَرديِّ وحُرُوب العِصَابات الّتي تقوم بها الخلايا الصغيرة، يمهد للنوع الآخر (جِهَاد الجبهات المفتوحة)، ويساعده ويرفده. ولكن بدون المُوَاجَهة الميدانية والسّيطرة عَلى الأرض لا تقوم لنا دولة، وهو الهدف الاستراتيجي لمشروع المُقاوَمة.

هذا خُلاصة ما كنت قد بلورته من النَّظريَّة العسكريّة في آخر أشكالها وسجلته في المحاضرات الّتي سجلتها صيف سنة ٢٠٠٠.

ولكن ما حصل بعد ذلك من المواجهات الجبهوية بينا وبين القوَّات الأمريكيّة في معارك سقوط الإمارة في عموم أفغانستان في / ديسمبر ٢٠٠١ / ، ولاسيما في معارك شمال أفغانستان و(قلعة جانغي) في مزار شريف، ومعارك (تورة بورة)، ومعارك قندهار... إلخ. وكذلك بعض المعارك الأخرى بعد ذلك، مثل معركة (شاهي كوت) الّتي أسماها الأمريكان (عمليَّة أناكوندا) الّتي تكبدوا فيها مئات القتلى، وغيرها من المواجهات.. والثَّمن الإستراتيجي الفادح الّذي دفعناه في هذه المواجهات رغم ما تكبدته قوَّات أمريكا وحلفاؤها..

ثمّ ومن خلال متابعتي المستمرة ودراستي لسير طريقة المُوَاجَهة العسكريّة والأداء الأمريكيّ إبَّان غزو العراق في مارس وأبريل ٢٠٠٣. ثمّ كذلك لبعض المعارك الّتي قامت بها بعض الجُيُوش العميلة بإدارة القيادة الأمريكيّة العسكريّة والأمنيّة في المنطقة كما حصل في مداهمات الجيش اليمني لمواقع ومُعَسْكَرَات جبلية للمُجَاهدين في (جبال حطاط) وغيرها هناك...

وكما حصل أثناء محاصرة الجيش الباكستاني واقتحاماته مراراً عَلى مناطق بعض المُجَاهدين العَرَب ومن دافع معهم في مناطق القبائل في ولاية سرحد شمال غرب باكستان..

ومثل ذلك ما حصل من تدمير الأمريكان لمواقع بعض المُجَاهدين في كردستان العراق في (خورمال)، باستخدام استراتيجية القصف الجوي والصاروخي الأمريكيّ المركز، ثمّ زحف قوَّات العملاء مدعومة بالقواة الخاصّة الأمريكيّة عَلى مواقع المُجَاهدين.

وما جرى مؤخرا في معارك الفلوجة الصامدة نور الله وجوه أبنائها المُجَاهدين ووجوه المُجَاهدين في كلّ مكان..

كلّ هذا أثبت أن عمليّة المُوَاجَهة مع الحملات قوّات الأمريكيّة وقوّات حلفاءها بشكل مكشوف وفق أسلوب الجبهات المفتوحة، وانطلاقا من مراكز الدّفاع الثَّابِت، ما يزال في غير وقته الآن – وسيأتي إن شاء الله – وذلك حاليا بسبب التفوق التكنولوجي الخرافي للقوّات المعادية ولاسيما في المجال الجوي، وفي السّيطرة الفضائية والقدرات الجبارة عَلى التصوير وتوجيه القصف الجوي والصاروخي. والقدرات الهائلة غير القابلة للمقارنة للقوّات المعادية في الإنزالات المحمولة جواً، والَّتي تصل لحد القدرة عَلى إنزال فرق من الآليات والمدفعية وقوّات الكوماندوس بحجوم إستراتيجية في أي مكان يريدونه وبسرعات قياسية.

وإذا استصحبنا مع هذه الدُّروس الحالية الهامة. دُروس تجارب جهاديّة مأسوية متعددة لنا بطريقة حرب عِصَابات (الدّفاع الثَّابِت)، كما حصل معنا في الجِهَاد في سوريا في (معارك حماة – فبراير١٩٨٢)، وفي معارك طرابلس ضدّ قوّات الحكومة السوريّة، وفي الدّفاع عن (تل الزعتر) في بيروت – لبنان ضدّ القوّات السوريّة واللبنانية العميلة برا والإسرائيلية بحرا وجوا !!! وفي اليمن في تجربة المحضار في اليمن ١٩٩٨، وفي النبطية في لبنان ثانية سنة ٢٠٠٠...إلخ، نجد أن كلها تؤكد ما درسناه ودرَّسناه في (أصول قواعد حرب العِصَابات)، وما تنص عليه من أن (الدّفاع الثَّابِت) في غير وقته، هو من أكبر مقاتل العِصَابات، كما أسهبت في ذلك كتابات كبار منظري هذا الفن العسكريّ من أمثال (ماوتسي تونغ) و(جيفارا) و(جياب) وكاسترو... وغيرهم.

والخلاصة الّتي خلصت إليها الآن هيَ:

أن المحور الأساسي للأعمال العسكريّة للمقاومة ضدّ أمريكا وحلفائها الآن، يجب أن تبقى في إطار (حُرُوب العِصَابات الخفيفة)، و(الإِرهَاب المدني)، والأسلوب السري، وخاصة عَلى صعيد العمليَّات الفرديَّة وسَرايا المُقاوَمة الصغيرة المتفككة عن بعضها بشكل تام وكلي.

ولكن مع ذلك أقول: إن أي اختلال في الموازين لصالح قوى المُقاوَمة والجِهَاد، يلغي تأثيرات السّيطرة الأمريكيّة في أماكن تستكمل شروط الجبهات المفتوحة كما سأوردها، يعيد مسألة المُوَاجَهة المكشوفة لتحرير الأرض والتمركز عليها وإقامة نويات الكيان السّياسيّ والشَّرعي للقوى الإِسْلَاميّة هدفاً يجب اقتناص فرصه حيث سنحت.

والآن لنستعرض تفاصيل النَّظريَّة العسكريّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة في مجال الجبهات، وفي مجال حرب عِصَابات الإِرهَاب الفَرديِّ. وأبتدئ بالجبهات، لقصر تفاصيلها وعدم احتياجنا كثيرا لها الآن. وأترك الإسهاب للأسلوب الأساسي في الأوضاع الراهنة، والّذي أظنه يمتد لوقت غير قصير ما لم تتداركنا رحمة الله بما يقلب موازين القوى.

أولاً: جِهَاد الجبهات المفتوحة:

في الوقت الّذي يمكن فيه أداء الجِهَاد الفَرديِّ في أي مكان من العالم العربيّ والإِسْلَاميّ بل وفي العالم كله، لأن ذلك ليس متعلقاً بشروط موضوعية له حيث يجري. فإن جِهَاد الجبهات المفتوحة يحتاج لمعطيات استراتيجية لازمة لتوفير ظروف النجاح بعد توفيق الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى.

المعطيات اللازمة لنجاح جِهَاد الجبهات المفتوحة:

***- المعطيات الجغرافيّة:**

وهو معطيات الأرض حيث يشترط أن تكون:

١- واسعة المساحة.

٢- متنوعة وطويلة الحدود.

٣- أن يصعب حصارها.

٤- أن تحتوي عَلى وعورة نسبية من الجبال أو الغابات أو سواها مما يساعد عَلى التمركز ومُوَاجَهة القوَّات الزاحفة عَلى الأرض، وأفضل ذلك الجبال المشجرة.

٥- كما أن من شروط الأرض أن تكون مواردها الغذائية والمائية كافية في حال الحصار.

***- المعطيات السّكّانية:**

وهو وجود عدد كبير من السّكّان لا يمكن ضبط حركته، ولاسيما إذا كانَ منتشراً في أرياف معمورة ومدن عالية التركيز السّكّاني، ومن ذلك أن يكون شعب تلك المنطقة قد عرف بشكيمته العسكريّة، وقدرته عَلى المُوَاجَهة والصّبر عليها، وأن تتوفر له مصادر السّلاح في تلك المنطقة.

***- المعطيات السّياسيّة:**

وهو وجود قضية يتوفر لها إمكانية إيمان السّكّان المحليين بها، بشكل يكفي لحملهم عَلى الجِهَاد في سبيلها. وكذلك أن تكون تلك القضية قابلة لحشد الأُمّة الإِسْلَاميّة وراءها، لنصرة ذلك الشعب في الدّين والجِهَاد معه بالنّفس والمال.. وغير ذلك من الدّعم. وأفضل تلك القضايا الّتي تبعث عَلى المُقاوَمة، هيَ الغزو الخارجي وتوافر الأسباب الدّينيّة السّياسيّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة للثّورة والجِهَاد، وهو ما يدعى في كتب حُرُوب العِصَابات بالمناخ الثّوريّ ونصطلح عليه في أدبيَّاتنا بـ (المَناخ الجهاديّ).

ووفق هذه الشُّرُوط يمكن أن نستفيد من دراسة هذه المعطيات في النَّماذج الرَّئيسيَّة الثّلاثة الّتي حصلت في الفترة الماضية من جِهَاد الجبهات:

في أفغانستان، والشِّيشَان، والبُوسنة، وهذا يتَّضح بالجدول البسيط التّالي:

البلد/ المعطيات	الجُغرافيّة	السّكّانية	السّياسيّة	النَّتِيجَة
أفغانستان	-٦٥٠ ألف كم٢ - وعورة - وموارد عالية الحدود واسعة غير قابلة للإقفال ومعطيات أُخرى.	- ٢٤ مليون نسمة، معظمهم من الشَّبَاب. - شعب مقاتل صبور. - توفّر عالي للسّلاح	- قضيّة احتلال وغزو خارجيّ. - باعث دينيّ. - باعث قبليّ.	**نجحت كلّيّاً**
الشِّيشَان	- صغر في المساحة: ٤٧٠٠٠ كم٢ - وعورة متوفرة حدود مفتوحة نسبيّاً - موارد متوفرة	- عدد محدود من السّكّان زهاء ٨٥٠ ألف نسمة - شعب محارب ذو شكيمة - ووفرة في السّلاح.	- قضيّة احتلال وغزو خارجيّ. - باعث دينيّ. - باعث قوميّ.	**-نجاح عسكريّ -نجاح دعويّ -فشل سياسيّ إلى الآن.**
البُوسنة	صغر في المساحة- حدود مقفلة جداً ومحصورة - وعورة وموارد متوفرة.	عدد السّكّان محدود: المُسلِمِين نحو ٤ مليون. شعب غير محارب ليس ذو شكيمة وسلاح محدود المصادر.	قضية عدوان وإبادة صليبيّة غربيّة. - باعث دينيّ. - صِرَاع من أجل البَقاء.	**فشلت عموماً إلّا في تأييد الأُمّة لها.**

فإذا ما استعرضنا بلدان العالم الإِسْلَاميّ وأقاليمه، بحسب التّقسيمات السّياسيّة، من منظور هذه المعطيات الاستراتيجيّة، سنجد أنَّ الأقاليم والبلدان الّتي تتوفَّر فيها هذه المعطيات، ولاسيَّما الجغرافيّة، والسّكّانيّة ضعيفة في غالب تلك الكيانات المصطنعة بطرقة قي غاية الخبث.

وأما القضيّة فإنّها ما لم يتوفر الشُّعور بالانتماء للأمَّة كلّها، ستكون ضعيفة. وأما المناخ الثّوريّ بسبب الباعث الدّيني أو الاجتماعيّ أو الاقتصاديّ للثّورة ضدّ ظلم الحكَّام وعمالتهم، فقد أطفأه علماء السّلاطين والدّعاة القاعدون في كلّ الأنحاء حيث زرعوا في عقول الأُمّة أنَّ من لم يحكم بما أنزلَ اللهُ؛ فأولئك هم المُؤمِنُون ! وأنَّ من تولى الأَعدَاء منهم فإنَّه منَّا ووليُّ أمرنا وتاج رأسنا !!

ولذلك يجب البحث عن مفاتيح الثَّورة والمُقاوَمة والجِهَاد، تحت شعار مُوَاجَهة الغزو الأمريكيّ الصّهيونيّ اليَوْم لكامل الأُمّة، حيث لا يمكن لعلماء السّلاطين وأجهزة الإعلام أن تنجح إلا في السُّقوطِ مع حكَّامها وسيّدَتِهِم أمريكا عندما تتصدَّى لهذه الدّعوة، وهو ما يحصل اليَوْم.

وأما عن صلاحيَّة مناطق العالم الإِسْلَاميّ للمواجهات في جهات مفتوحة فأفضلها بحسب توفّر المعطيات إذا تناولناها كأقاليم وليس كيانات سياسيّة:

وهذه المناطق هيَ:

١ - أفغانستان:

وقد سبقت الإشارة لمعطياتها.

٢ - بلاد وسط آسيا وما وراء النَّهر:

وهي رقعة كبيرة تناهز مساحتها ٥ مليون كم٢. وفيها ما يناهز ال٥٠ مليون مسلم تتوافر فيها كامل المعطيات المطلوبة للجبهات المفتوحة ولاسيَّما مع بقاء الإحتلال السُّوفيتيّ في بعضها وتسرّب الإحتلال الأمريكيّ شبه العَلنيّ لما تبقّى منها بطريقة الإستعمار الحديث عَلى الطَّريقة الأمريكيّة، وقد سبق أن كتبت بحثاً بعنوان (المُسلِمُون في وسط آسيا) تناولت فيه هذا الأمر بالتَّفصيل.

٣- اليمن وجَزِيرَة العَرَب:

وهي رقعة هائلة المساحة تجاوز بمجموعها الـ (٢، ٥) مليون كم٢، وعدد سكّانها الإجماليّ نحو ٤٥ مليون نسمة، وقلعتها الأساسيّة الصّالحة للمُوَاجَهة المفتوحة هيَ **اليمن**، وفيها من المعطيات الاستراتيجيّة الدّينيّة والاقتصاديَّة والموقع ما لا يخفي، وقد سبق أن كتبت بحثاً أيضاً حول الجِهَاد في جَزِيرَة العَرَب ورُكنُه الأساسيّ في اليمن بما يُغني عن الإطالة هنا.[1]

٤- المغرب الأقصى وشمال إفريقيا:

وهي رقعة شاسعة المساحة أيضاً مفتوحة الحدود البريّة، طويلة الشَّواطئ البحريَّة، وافرة الجبال والحصون الطّبيعيّة، متوفرة عَلى السّلاح والموارد اللّازمة، تستعصي عَلى الحصار لتعدّد حدودها

(١) راجع رسالة (مسؤولية أهل اليمن عن ثروات المُسلِمِين ومقدّساتهم) – للمؤلف.

وتنوعها، كما أنّ سكّانها من العَرَب والبربر قد عُرفوا تاريخيّاً بالبأسِ والشَّجاعة والقدرات القتاليّة وتتوفر للمنطقة موارد تسليحيّة كبيرة من وسط وغرب إفريقيا، كما أنّ تماسها البحريّ مع أوربّا يوفّر لها معطيات كبيرة، ناهيك عن أنّ أحوال شمال أفريقيا ولاسيّما المغرب، تتوفّر عَلى معظم معطيات المناخ الجهاديّ الثّوريّ وحالة الإحتلال الاقتصاديّ والسّيطرة الغربيّة واليَهُوْديّة، توفر مفاتيح ذهبيّة لانطلاق شرارة الجِهَاد أيضاً.

٤- بلاد الشّام والعراق:

تكوّن إقليماً مُتكاملاً ومُتواصلاً تزيد مساحته عَلى ٧٠٠ ألف كم٢ مجتمِعاً، وتتوفّر له بمجموعه كامل معطيات الجبهات المفتوحة، ولاسيّما في المناطق الجبليّة في شمال وغرب العراق، وشمال وغرب سوريا، وفي معظم لبنان، وكذلك في هضاب شرق نهر الأردن وشماله، وعدد السّكّان في المنطقة كلياً يزيد أيضاً عَلى ٦٠ مليون نسمة.

ويشكّل الإحتلال الأمريكيّ الماثل الآن، والّذي أعلن عن عزمِه عَلى الاستقرار ولأمدٍ بعيدٍ، كما يمهّد لمدّ عدوانه إلى سوريا ليُسيطر عَلى كامل الشّام بعد أن احتلّ اليَهُوْد سوريا وسيطر النّصَارى عَلى لبنان واستحوذت أمريكا عَلى كبير الأمور وصغيرها في الأردن.

وفي المنطقة وفرة كبيرة من السّلاح والعتاد، كما أنّ هناك تنوّع في الحدود والسّواحل والممرّات.

وتشكّل إسرائيل باعث قضية إسلاميّة عالميّة، كما يضيف الإحتلال الأمريكيّ بعداً ثوريّاً ممتازاً كمفتاح للجِهَاد.

وهناك مناطقٌ أُخرى شبيهة تتوفّر لها الكثير من المعطيات الّتي تصلح للمواجهات المفتوحة أيضاً مثل تركيا وهي من أصلح البلاد لقيام حرب عِصَابات جهاديّة، حيث تتوفّر كلّ العوامل، وكذلك وأكثر منه في باكستان (١). وبعض مناطق القرن الإفريقي وسواها، ولكن الغالبيّة العظمى للدّول والكيانات الإِسْلَاميّة الّتي يربو عددها عَلى ٥٥ دولة لا يصلح بحال للمواجهات المفتوحة، لتخلّف كلّ الشُّرُوط المناسبة أو بعضها.

(١) راجع كتاب (باكستان مشرف - المشكلة والحلّ والفريضة المتعينة) - للمؤلف.

وهنا يجب التَّنبه إلى موضوع القضيّة السّياسيّة الّتي ستكون مسألة الصِّرَاع والحشد من أجل المُوَاجَهة.

فيجب أن تكون كما وضّحت الآن مسألة دفع الإحتلال الأمريكيّ في المنطقة، ومسألة الصِّرَاع مع اليَهُوْد، ومسألة إخراج المُشركين من جَزِيرَة العَرَب، ومسألة النّفط والثّروات، ومسألة الهَيمَنة الأمريكيّة، والمظالم والبلايا المترتّبة عَلى الإحتلال وحلفائه في المنطقة.

كيفِيَّة المشاركة في المُقاوَمة في جِهَاد الجبهات المفتوحة:

معظم البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة بتقسيماتها وكياناتها السّياسيّة الحالية، لا تتوفر لها معطيات الجبهات المفتوحة، وهي في معظمها ساحات مناسبة لِجِهَاد الإِرهَاب الفَرديِّ والسَّرايا الصّغيرة وحُرُوب العِصَابات السّريّة نتيجة كثافة تواجد أشكال تواجد مصالح أمريكا وحلفائها ومشاريع الهيمنة الغربيّة والصّهيونيّة.

وأما من أراد من المُجَاهدين المساهمة في المُوَاجَهة المفتوحة، فعليه بالتّوجّه إلى حيث تفتح الجبهات لّما تفتح، والعمل تحت قيادة قياداتها الميدانيّة، طالما توفّر الحدّ الأدنى للرّاية الشَّرعيَّة والجِهَاد الشَّرعيّ تحت شعار الإِسْلَام العام، بما يتوافق مع أصول المُقاوَمة وأيديولوجيّتها وعقيدتها الجهاديّة.

فإذا ما أسفر الجِهَاد في جبهة من تلك الجبهات عن انتصار المُسلِمِين، فإن ذلك سيكون نواة لإمارة إسلاميّة من المفترض أن تحكم بشرعِ الله، وتكون نواةً ومهجراً لمن حولها من المُهَاجِرين للجِهَاد في سبيل الله، وستبقى القيادة والإمارة فيها لأهل ذلك البلد بالإجمال، فهناك موروثات اجتماعيَّة وواقعيّة لا ينفع تجاوزها، وتناسي آثارها إلى أن يقوم المجتمع المسلم القائم عَلى أمميّة الإِسْلَام وجنسيّة الإِسْلَام وهذا يحتاج لوقت طويل والله أعلم.

هذا عن جِهَاد الجبهات المفتوحة بصورة عامّة واختصار ولكنّي أعود للقول والتّنبيه:

إنّ من المهمّ جداً لمن يتصدّون لحمل راية الجِهَاد أن يفهموا واقعهم وواقع المُسلِمِين ومعطيات العصر الأمريكيّ الحاليّ حتَّى يزيل الله دولتهم ويشتّت شملهم.

هناك طغيان وجبروت أمريكي في كلّ مجال ؛ اقتصاديّ وعسكريّ وبشريّ وسياسيّ لا يجوز تجاهله ولا ينفع تجاهله، ولدينا منذُ أحداث سِبتَمبر نماذج بالغة الدّلالة، كلّها تشير إلى أنّه يجب التّريث كثيراً

قبل التَّفكير في المُوَاجَهة عبر جبهات مفتوحة مع هذه القوّة الطَّاغية وأنّ الوقت الآن وطالما بقيت المعطيات عَلى حالها هو في العمل بالمُقاوَمة السّريّة وفق أصول حرب عِصَابات مدنيّة أو ريفيّة تناسب هذه الأحوال من خلال اعتماد جِهَاد الإِرهَاب الفَرديِّ وعمل السَّرايا الصّغيرة وهو ما سنشرحه فيما تبقى من المساحة في هذا البَاب إن شاء الله، وهو الفقرات التّالية.

ثانياً: جِهَاد الإرهَاب الفَرديّ وسَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

مفهوم الإِرهَاب:

أعتقد أن من أهمّ مجالات نجاحات الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية الأمريكيّة الجَدِيدة، نجاحهم في مجالات الإعلام، وممّا نجحوا فيه في ذلك، فرضهم للمصطلحات وتعريفاتها عَلى النّاس، وإلزام البشريّة بفحوى تلك المصطلحات ما يوافق رؤيتهم ومن المصطلحات الّتي فرضوها اليَوْم بصورة شوهاء لتعبّر عن أبشع الأعمال والصّفات والممارسات.

ومن ذلك اليَوْم مصطلح (الإِرهَاب) و(الإِرهَابيين) و(مكافحة الإِرهَاب)...

حتَّى أصبح الطّبيعي في الإعلام العربيّ والإِسْلَاميّ وحتى إعلام الصّحوة نفي هذه الصّفة وكأنّها تهمة ورذيلة وكارثة، تؤدّي بمن يتّهم بها إلى الاتّصاف بكل خصائص الرّذائل ومترتّباتها في الدُّنيَا والآخرة.

وبكل بساطة وشجاعة نقول:

بأننا نرفض أن نفهم هذا المصطلح وفق التوصيف الأمريكيّ. (فالإِرهَاب) كلمة مجردة ومثل كثير من الكلمات المجردة، فقد تحمل معنى صالحاً أو طالحاً بحسب نسبتها، وما يضاف إليها وما تنضوي عليه، فالكلمة مجردة لا صفة لها من سلب ولا إيجاب.

أرهب: أي أرعب والمصدر، **الرَهَبْ**: أي الخوف الزائد، والقائم بالفعل (**إرهابيّ**): والّذي يقع عليه الفعل مُرهب أو مرهوب، وبهذا يكون لدينا هناك نوعان من الإِرهَاب.

١- إرهاب مذموم:

وهو إرهاب البَاطِل وقوى البَاطِل، ويمكن تعريفه بأنه كلّ فعل أو قول أو تصرف يُؤَدِّي إلى إلحاق الأذى والخوف بالأبرياء بغير وجه حق.

ومن هذا القبيل إرهاب اللصوص، وقطاع الطرق، وإرهاب الغُزَاة والمعتدين، وإرهاب الظُّلمة والمتسلطين عَلى النّاس بغير حق، من الفراعنة وأعوانهم... فهو إرهاب مذموم وفاعله (إرهابيّ مجرم) يستأهل العقاب عَلى إرهاب وجرمه بقدر أذاه وفعله الذميم.

٢ - إرهاب محمود:

وهو الإِرهَاب المعاكس لذلك الإِرهَاب المذموم. هو إرهاب المحق المظلوم الّذي يدفع الظُّلم عن المظلومين. وذلك بإرهاب ظالمة ودفعه.

ومن هذا القبيل إرهاب رجال الأمن العدول للصوص وقطاع الطرق. وإرهاب المقاومين للمحتلين. وإرهاب المدافعين عن أنفسهم لأعوان الطَّاغوت. فهذا إرهاب محمود.

إرهاب الأَعدَاء فريضة دينية، واغتيال رؤوسهم سنة نبوية:

أذكر أَنّي أُلحقت بدورة تدريبية لإعداد كوادر الجهاز العسكريّ لتنظيم الإخوان المُسلِمِين أيّام الجِهَاد والثَّورة عَلى نظام حافظ الأسد وكان لي من العمر ٢٢ عاماً. وكان ذلك في مُعَسْكَر الرَّشِيد التَّابع للجيش العراقي ببغداد سنة ١٩٨٠. ولما دخل علينا المدرب - وكان- ﵀ - رجلا فاضلا، وشيخا مسناً من الرعيل الأوّل، من الّذين بايعوا الشَّيْخ حسن البنا ﵀ لما كانَ عمره ١٧ عاماً، وجاهد في فِلَسطِين سنة ١٩٤٨، وجرح في القُدس، وعمل في الجهاز الخاص، وشارك في المُقاوَمة السرية ضدّ الإنكليز في قناة السويس مطلع الخمسينات، وصحب سيد قطب ﵀، وهاجر عن مصر بقية حياته، وكان مدربا في مُعَسْكَرَات الشُّيُوخ في شرقي الأردن مع منظّمة التحرير سنة ١٩٦٩ وانتدب لمساعدة أكثر من حركة جهاديّة ساندها الإخوان عندما كانوا إخوانا عَلى منهج البنا وقطب، قبل طاعون الدِّيمقراطيَّة والبرلمانات...

فكان يدربنا المواد العسكريّة ويجري معنا في الطابور الرِّيَاضي - رغم سَنَواته الّتي ناهزت الستين - ويلقي فينا المحاضرات. وأذكر أنه أول ما دخل عَلى الفريق المكون من ٣٠ شابا هم نخبة الجهاز العسكريّ للإخوان السورين في حينها، كانَ أول ما قاله لنا بلهجته المصريَّة:

(**إنتو إخوان مُسلِمِين ؟**) فقلنا: نعم، فقال: (**متأكّدين يَبْني**) ؟ قلنا متأكّدين، فقال مشيرا إلى عنقه: (يِبَقى حَتِدِّبْحُوا كُلُّكُو..موافئين ؟)..فقلنا جميعا والسرور والبهجة تغمرنا: موافقين يابيه..

فاستدار إلى السبورة وكتب عليها عنوان أولى المحاضرات:

(**الإرهَاب فريضة والاغتيال سنة**) !

وخط تحتها خطا واستدار لتبدأ الدُّروس..ونبدأ المشوار.. فوعينا الدُّروس وطال المسار وبقيت البشارة.. والأمل في كرم الله كبير لمن قضى نحبه من ذلك الفريق ولمن ينتظر.

وهذا الّذي لخصه الشَّيْخ ﵀ جزء من عقائد هذا الدّين. وقد افتتحت بها فيما بعد دروسي. لقد أمر الله بإرهاب أعدائه في صريح كتابه، وجاءت به سنة رسوله المصطفى ﷺ القولية والفعلية والتقريرية. وقد فصل الكتاب والسنة أحكام هذا الإِرهَاب المحمود لأعداء الله بصريح العبارة. ففي القرآن قوله تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٦٠﴾ [الأنفال]

والآية صريحة النّص قطعية الدلالة؛ ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ أي تدربوا عَلى القِتَال. ﴿لَهُم﴾ أي لأعدائكم ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ وهو الرمي والركوب والسّلاح. قَالَ ﷺ «**أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**» يُكرِّرُها ثلاثَ مَرَّات[1].

فلماذا الإِعداد والتدرب عَلى القِتَال وحشد السّلاح وربط الخيل ؟ لقد بينت الآية ذاتها ذلك: ﴿تُرْهِبُونَ﴾ أي لكي ترهبون ﴿بِهِۦ﴾ أي بما أعددتم للقتال ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ وهم المقصودين بالفعل الإِرهَابي. ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ أي ممن يعينهم ويساعدهم أو يتربص بكم للعدوان. فلما يرى هَؤُلَاءِ إرهابكم للمعتدي ومقاومتكم ودفاعكم عن أنفسكم (يُرهَب) ويخاف ويُردَع عن الإقدام، من

---

(١) رواه مسلم (١٩١٧).

دون أن تكونوا قد علمتم بعزمه عَلَى العدوان. ولكن الله علم ذلك وردعه بإعدادكم وإرهابكم لأعداء الله المعتدين. والله تَعَالَى أعلم.

وهكذا وباختصار:

لقد أمرت الآية الكريمة بالإعداد بغية الإرهَاب للمعتدين وأعداء الله من الكفّار وأعوانهم.

وقد فهم الفار الآية أكثر من كثير من علماء المُسلِمِين في هذا الزّمان، فطالبت أمريكا كلّ الدّول الإِسْلَاميّة بحذفها، وكل (سورة الأنفال) و(التوبة) و(آل عمران).. من مناهج التّعليم !!

ومن يرهب الآخرين فهو (**إرهابيّ**) بلا لف ولا دوران، وبهذا فهناك:

- **إرهابيّ ظالم معتد..**
- **إرهابيّ عادل مدافع عن نفسه أو عن المظلومين الآخرين.**

وبذلك لا نجد في كلمة **إرهابيّ** أي مدلول سيئ في حالة نعت بها المقاومون والمُجَاهدون.. فهم في الحقيقة إرهابيون لأعدائهم وأعداء الله وعباده الضّعفاء، فأين الإشكال وأين المذمة ؟!

.. **نعم نحن إرهابيون لأعداء الله**. وقد أرهبناهم وجعلناهم يرتجفون في جحورهم رغم مئات الآلاف من العاملين في أجهزتهم الأمنيّة. ولله الحمد، وذلك بعد أن أرهبوا البلاد والعِبَاد وأدخلوا الخوف عَلَى الأجنة في بطون أمهاتهم..

ومن هنا فالإِرهَاب مأمور به في كتاب الله، فيكون في مثل حال دفع المُجَاهد لعدوه وإرهابه في جِهَاد الدَّفع ؛ فريضة من أهمّ الفرائض بل ليس أوجب بعد توحيد الله منها كما نص عَلَى ذلك الفقهاء والعُلَماء، قبل أن يطالنا إرهاب وسائل إعلام العدوّ وإرهابهم الفكريّ أن نتبرأ من ذواتنا وكتاب ربنا وفرائض ديننا..

ولقد علم أعداء الله أن الأمر بإرهابهم متكرر في كثير من المواضع في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فصرح (رامسفيلد) وغيره بذلك. وطالبوا الدّول الإِسْلَاميّة بحذف آيات كثيرة من مناهج التدريس في بلاد العَرَب والمُسلِمين حتَّى وصل الأمر إلى قوله تَعَالَى ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ .... لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ فقالوا هذه آيات تبعث عَلَى الكراهية وتفرق بين أهل الأديان ويجب حذفها !! وما أدري أين يذهب المنافقون المغفلون بقوله تَعَالَى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً

حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٤﴾ [محمد]

وقوله ﷺ: « بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[(١)]، وقوله ﷺ: «يا معشر قريش؛ أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئتكُم بالذَّبْحِ... !»[(٢)].

ولقد استجاب الحكّام ووزارات التّربية لهم وعدلت المناهج مرارا والشواهد كثيرة جدا وآخرها خروج وزيرة الثّقافة الباكستانية جهارا أمام الصحافة لتقول أن سورتي الأنفال والتوبة يجب حذفها من المناهج لأنها تدعو للإرهاب !!

ثمّ وصل الأمر أخيرا بأمريكا أن تجمع عددا من العُلَماء المقيمين في الغرب والمستشرقين، ليلخصوا القرآن، ويحذفوا منه ما يدعوا للكراهية والقتال بزعمهم !! وخرجوا بمصحف جديد مختصر، أسموه (فرقان الحقّ) !! وقد تحدث عن هذا عدد من وسائل الإعلام. وقد سمعت بعض ذلك في برنامج عن حصاد الصحافة في قناة (إقرأ) السّعُودِيّة - الخليجية ! وهكذا، وصدق الله العظيم إذ أنذرنا بقوله:

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢١٧﴾ [البقرة] والأمر واضح بين.

ومن أوائل أعمال الإرهَاب لأعداء الله ولرؤوسهم وأئمة الكفر منهم قتال أئمة الكفر. كما قَالَ تَعالَى:
﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ۝١٢﴾ [التوبة].

---

(١) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصححه شاكر والألباني (صحيح الجامع-٢٨٣١) ولأطراف الحديث شواهد في البخاري.

(٢) رواه أحمد (٧٠٣٦) وابن حبان (٦٥٦٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

فمن أوائل الأعمال الجهاديّة هو تصفية رؤوسهم قتلاً واغتيالاً. وقد ثبت عنه ﷺ في عدّة أحداث منفصلة إرساله لسَرايا من المُجَاهدين كفرق وسَرايا خاصّة (كوماندوس) من خيار الصّحابة.. لينفذوا اغتيال رأس من رؤوس الكفر في زمانه ﷺ وهذه الأحداث ثابتة. بل منها إرساله لاغتيال امرأة شاعرة تؤذي الله ورسوله والمُسلِمين بشعرها، فأرسل من اغتالها وأخرس لسانها.

وما فعله رسول الله ﷺ سنة نبوية نعتز بها ونستن بها ونقتدي بها ونكفر من استنكرها.

وفي آخر حياته ﷺ اغتال (فيروز الديلمي) في اليمن، رأس الرِّدَّة فيها (الأسود العنسي) الّذي استولى عَلى الملك في اليمن وأراد حمل النّاس عَلى الرِّدَّة فقتله فيروز اغتيالًا، وأخبر جبريل رسول الله بالواقعة وهو في مرض الموت وبشّره بها. وأخبر بها رسول الله ﷺ صحابته وروي أنه قَالَ لهم: «قُتِلَ الأسوَد العَنسِيّ، قَتَلَه رَجُلٌ مبَارك مِن آلِ بيتٍ مُبَارَكين»[1].

فاغتيال رؤوس الكفر من مدنيين وعسكريّين ورجال سياسة ودعاية وإعلام، من الطاعنين في دين الله، ومن المناصرين لأعداء الله الغُزَاة للمسلمين. هو سنة مؤكدة عن رسول الله ﷺ وهي من أهمّ فنون الإِرهَاب وأعماله وأساليبه الناجعة الرادعة.

بل هيَ أساليب يطبقها أعداء الله، وقد حصلت الـ (CIA) عَلى ترخيص من الحكومة الأمريكيّة باغتيال رؤساء دول إن اقتضت ذلك مصلحة أمريكا القوميّة، ونفذوه مرات ومرات. وفي (CIA) شعبة خاصّة بذلك ! فما أدري لماذا يحرمون هذا علينا ؟ ثمّ يتابعهم عَلى البَاطِل أوباشنا والمنافقون من علمائنا قاتلهم الله ؟!

وبعد هذه المقدِّمة اللازمة لإزالة اللبس عن لفظة: (إرهاب) ومشتقاتها لأنَّنا سنستعملها كشكل وهدف من أهداف الجِهَاد، ننتقل للفقرة التّالية.

ملاحظات حول أعمال الإرهَاب والجِهَاد الفَرديِّ السالفة:

نلاحظ أن تلك العمليَّات بقيت محدودة، وحصلت من البعض كتعبير عن رد فعل عاطفي هنا وهناك. إثر بعض أعمال العدوان عَلى المُسلِمِين. وهي تزداد في أماكن العدوان ذاتها وذلك لن العقول والنفوس مازالت مجبولة عَلى الشعور القطري. فلو غزا الاستعمار بلداً وجدت الكثير من ردود الأفعال

---

(١) كنز العمال: (٣٧٤٧٣).

فيه. ولكن ذات قوى الاستعمار العسكريّة والمدنيّة ومن مختلف الأشكال موجودة في أقطار مجاورة لا يتهدد مصالحها أحد.

كما نلاحظ أنها غير مبرمجة من قبل أصحابها لكي تكون ظاهرة من أجل تقديم القدوة وجر شباب الأُمّة للتأسي بها والبناء عليها، وإنما مجرد ردود أفعال انفعالية.

فلم تتحول لظاهرة لأنها عفوية. ولم يتصد أحد لبرمجتها وطرحها كأسلوب عمل إستراتيجي. وهو ما سنتبناه كاستراتيجية أساسية في أساس نظريتنا العسكريّة في دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

الظّروف والضَّرورات الّتي تحتم استخدام المُقاوَمة لأسلوب عمل الجِهَاد الفَرديِّ:

إن مما يفرض أسلوب العمل هذا كخيار إستراتيجي ظروف عدم التوازن في القوي بين المُقاوَمة وتحالف العدوان الكبير من الكفّار والمرتدّين والمُنَافِقين، ومن ذلك:

(١) - فشل أسلوب عمل التَّنظِيمات السرية الهرمية في ظل الهجمة الأمنيّة الدّولية والتنسيق الإقليمي والدّولي الّذي أشرنا إليه آنفاً وضرورة قيام أسلوب عمل لا يمكن تلك الأجهزة الأمنيّة من التوصل إلى إجهاض خلايا المُقاوَمة باعتقال أفرادها عن طريق التعذيب والاعترافات.

(٢) - عجز التَّنظِيمات السرية عن استيعاب كلّ شباب الأُمّة الّذين يريدون أداء فريضة الجِهَاد والمُقاوَمة بالمساهمة بفعل ما من دون الاضطرار للالتزام بتبعات الانتساب لتنظيم مركزي.

(٣) - اتساع تواجد العدوّ وتنوع أهدافه وتواجده في بقاع كثيرة يصعب أن تقوم فيها جبهات قتال كما يصعب أن تنشأ فيها تنظيمات مركزية.

(٤) - سقوط فكرة الجبهات والمُوَاجَهة الثَّابِتة مع العدوّ نتيجة استخدام العدوّ لاستراتيجية الحسم الجوي بالقصف الصاروخي المدمر والرمايات الجوية الموجهة بالأقمار الصناعية الّتي تسيطر عَلى الأرض بل وترى ما تحت الأرض بفضل التكنولوجيا العالية، وهو أمر يجب الاعتراف به والتخطيط للمُوَاجَهة عَلى أساسه.

الأسس العامّة لنظريَّة العمل الجهاديّ الفَرديِّ في دعوة المُقاوَمة من النَّاحية العمليّة:

(١) - نشر ثقافة المُقاوَمة وتحويلها لظاهرة استراتيجية منظّمة وليس مجرد مجموعة ردود أفعال.

(٢) – نشر فكر المُقاوَمة ومنهجه وأسسه الشَّرعيَّة والسّياسيّة ونظريات عمله بحيث تكون في متناول من يريدها من شباب الأُمّة العازم عَلى الجِهَاد والمُقاوَمة.

(٣) – إرشاد المقاومين إلى ساحات العمل المناسبة لجِهَاد الإرهَاب الفَرديِّ.

(٤) – إرشاد المقاومين إلى أهمّ الأهداف الّتي عليهم استهدافها في عمليَّات المُقاوَمة وجِهَاد السَرايا الصغيرة.

(٧) – نشر العلوم والمعارف الشَّرعيَّة والسّياسيّة والعسكريّة وسواها مما يلزم المُجَاهدين للقيام بأعمال المُقاوَمة من دون أن يكون ذلك بطريقة مباشرة تؤدي لتسلسل اعتقال الشبكات كما حصل في التَّنظِيمات المركزية.

(٨) – إرشاد الشَّبَاب إلى طريقة العمل المُسلّح وبناء خلايا سَرايا المُقاوَمة بطريقة (نظام العمل) وليس (التَّنظِيم للعمل) كما سنين لاحقاً هنا وفي البَاب الخاص بنظريات (أمن الحركة والتَّنظِيم والتّدريب والإِعداد)..

(٩) – تنسيق طريقة تتلاقى فيها الجهود لتجميع نتيجتها بآلية تحقق إرباك العدوّ وإنهاكه ورفع معنويات الأُمّة لتنخرط في ظاهرة المُقاوَمة.

ساحات العمل الأساسيّة المستهدفة بجِهَاد الإرهَاب الفَرديِّ:

نظراً لاتساع الأُمّة والساحات الّتي تتواجد فيها أهداف العدوّ الغازي ومصالحه.. ونظراً لتعذر الرحيل إلى ساحات المُوَاجَهة عَلى كلّ الشَّبَاب الراغب بالمساهمة في المُقاوَمة. بل تعذر قيام مثل هذه الجبهات في المدى المنظور فإن طريقتنا تعتمد إرشاد المسلم الّذي يريد المساهمة والمُقاوَمة إلى العمل حيث هو، أو حيث يستطيع التواجد بشكل طبيعي ويمارس حياته العامّة بشكل طبيعي ويمارس الجِهَاد والمُقاوَمة سرياً بنفسه أو مع خلية صغيرة من الموثوقين لديه يشكلون سرية مستقلة للمقاومة والجِهَاد الفَرديِّ.

وأما أولوية الساحات الّتي يجب أن نضرب بها العدوّ فإن ترتيب أولوياتها يكون:

١ – حيث تؤلم العدوّ أكثر وتكبده أفدح الخسائر.

٢ – حيث توقظ المُسلِمين أكثر وتحيي فيهم روح الجِهَاد والمُقاوَمة.

وبهذا يكون تسلسل الساحات بحسب أهميتها كما يلي:

١ - بلدان الجَزِيرَة العربيَّة والشّام ومصر والعراق:

فهذه الرقعة تحتوي المقدّسات، والنفط، وإسرائيل، ودول الطوق المحيط بها. والوجود الأمريكيّ عسكريّاً واقتصادياً، وهيَ المقر الأساسي والنّهائيّ للطائفة المَنصُورَة إلى قيام السَّاعة.

٢ - بلدان شمال إفريقيا من ليبيا إلى موريتانيا:

وفيها مصالح الغرب ولاسيما الدّول الأوروبية الحليفة الأساسيّة لأمريكا في النّاتو.

٣- تركيا والباكستان وبلدان وسط آسيا:

وفيها ثاني أكبر مخزون للنفط في العالم، وفيها مصالح أمريكا الاستراتيجيّة وقواعدها العسكريّة واستثماراتها الاقتصاديَّة الأساسيّة، وفيها حركات إسلاميّة ضخمة وتارِيخِيَّة، تعتبر عمقا استراتيجيا لحركات الجِهَاد والمُقاوَمة العربيَّة.

٤ - باقي بلدان العالم الإِسْلَاميّ:

وتحتوي عَلى مصالح وتواجد الأمريكان ودولهم الحليفة. وبمجموعها تحتوى عَلى الظهير الأساسي للمقاومة، وهم شباب الأُمّة المتعاطف مع قضاياها والراغب بالمشاركة في الجِهَاد والمُقاوَمة وهو ظهير بمئات الملايين من المُسلِمِين.

٥ - المصالح الأمريكيّة والحليفة في بلدان العالم الثّالث:

ولاسيما الداخلة في الهجمة الصّليبيّة وذلك لإمكانيَّاتها الأمنيّة الضعيفة قياساً بالإجراءات الأمنيّة الّتي تطبقها الدّول الغربيّة في بلدانها. والجِهَاد في هذه البلدان يقع أساساً عَلى عاتق المُجَاهدين المقيمين أساساً في تلك البلاد ويعيشون فيها حياة طبيعة تساعدهم عَلى الحركة والتخفي ومعرفة الأهداف وسهولة التعامل معها.

٦ - في دول أوروبّا الحليفة لأمريكا الداخلة معها في الحَرب:

وذلك لتواجد جاليات إسلاميّة ضخمة وقديمة فيها يزيد تعدادها في أوربّا عَلى ٤٥ مليون نسمة. وهي جاليات بالملايين في أستراليا وكندا وأمريكا الجنوبية.

وخاصة أوربّا لقربها من العالم العربيّ والإِسْلَاميّ وتداخل مصالحها معها وكثرة الحركة والتنقل فيما بينها وبينه. والمسلمون في تلك البلاد مثلهم مثل المُسلِمِين في كلّ مكان عليهم فريضة الجِهَاد والدفع والمُقاوَمة سواءً بسواء مع المُسلِمِين في بلادهم.

ولمن العمل في أوربّا وتلك الدّول يجب أن يخضع لضوابط المصالح والمفاسد السّياسيّة بحسب مواقف تلك الحُكُومَات، مع اتخاذ استراتيجية كسب الشّعوب وعدم إيذائها، وهذا سنفصله في النَّظريَّة السّياسيّة للمقاومة إن شاء الله.

٧- في قلب أمريكا ذاتها. وذلك باستهدافها بالعمليَّات الاستراتيجيّة المؤثرة كما سيأتي بيان ذلك في الفقرات التّالية إن شاء الله. فهي رأس الأفعى كما أسماها الشَّيْخ أُسَامَة بحق، وهي أصل البلاء ورأس الحلف الّذي سينفرط بهزيمتها، وننتقل لمرحلة تارِيخِيَّة جديدة إن شاء الله.

أهمّ الأهداف المعادية الّتي يستهدفها جِهَاد الإِرهَاب الفَرديِّ:

الهدف من عمليَّات المُقاوَمة وجِهَاد الإِرهَاب الفَرديِّ هو إنزال أكبر كمية ممكنة من الخسائر البشرية والمادية في مصالح أمريكا والدّول الحليفة لها. وإشعارهم بأن المُقاوَمة قد تحولت إلى ظاهرة انتفاضه ضدهم بسبب عدوانهم تمتد من وسط آسيا وجنوبها وجزر الفلبين وإندونيسيا شرقا وإلى سواحل الأطلسي غربا، ومن القفقاس وبلاد القرم والبلقان وشمال أفريقيا شمالا، وإلى الهند ووسط أفريقيا جنوبا، عَلى امتداد العالم الإِسْلَاميّ بالإضافة لأماكن الانتشار البشري للمسلمين.

وساحة البلاد الإِسْلَاميّة هيَ السَّاحَة الأساسيّة للمقاومة كما بيننا في النَّظريَّة السّياسيّة وكما سنوضح في فقرة (استراتيجية المُقاوَمة) في نهاية هذا الفَصل الهام.

والأصل في العمل هو ممارسة المُجَاهد عضو المُقاوَمة بالجِهَاد الفَرديِّ في أرضه حيث يعيش ويقيم، ومن دون أن يكلفه الجِهَاد مشقة السفر والهِجرَة والتحرك إلى حيث يمكنه الجِهَاد المباشر. فالعدو اليَوْم واحد وهو منتشر في كلّ مكان والحَمْدُ لله.

وإذا أردنا أن نذكر أهمّ الأهداف بحسب أهميتها فنقول بأنها:

١. في بلادنا (العالم العربيّ والإِسْلَاميّ)

٢. وفي بلادهم (أمريكا والدّول الحليفة).

٣. وفي (بلاد العالم الأخرى).

أولا: الأهداف في السَّاحَة الأساسيّة (بلاد العالم العربيّ والإسْلَاميّ):

(١) - مراكز التبشير والتنصير والبعثات الثَّقافيَّة والمؤسسات المشرفة عَلى الغزو الحضاري والفكريّ الأمريكيّ الغربيّ لبلاد المُسلِمِين. من دون المساس بدور العِبَادة ومرافق النّصَارى الأصليين المقيمين في بلادنا.

(٢) - كافّة أشكال التواجد الاقتصاديّ الأمريكيّ والغربيّ الحليف له: (شركات، مناجم، خبراء، مهندسين، تجار، مندوبين شركات أجانب (من غير المُسلِمِين).. مساكن أسر هَؤُلَاءِ اللصوص المُستَعمرين...إلخ.

(٣) - كافّة أشكال التواجد الدبلوماسي لأمريكا وحلفائها من سفارات وقنصليات وبعثات دبلوماسية...إلخ.

(٤) - كافّة أشكال التواجد العسكريّ لأمريكا وحلفائها.. (قواعد عسكريّة- أساطيل بحرية- موانئ - مطارات - محطات تحرك - قطعات عسكريّة...إلخ).

(٥) - كافّة أشكال التواجد الأمني لأجهزة الاستخبارات الأمريكيّة والغربيّة الحليفة مثل مكاتب **(CIA)** و**(FBI)** وسواها المعلنة أو المسترة بأغطية وهمية.

(٦) - كافّة أشكال وفود التطبيع الصّهيونيّ أو الأمريكيّ الغازية لبلادنا اليَوْم عبر المؤسسات المدنيّة والأهلية والحُكُوميّة من ثقافية ورياضية وفنية... وسوى ذلك.

(٧) - كافّة أشكال التواجد السياحي من شركات السياحة ووفود السياح الأجانب ومكاتبهم وشركات طيرانهم وغير ذلك. فهَؤُلَاءِ هم سفراء الرَّذِيلة والفساد والدعارة والانحلال. فضلاً عن أنهم الصُّورة المهينة للاحتلال الّذي استولي عَلى بلادنا وحولها إلى حديقة خلفية للاستراحة والاستجمام لفجاره والمترفين من شعوبه..

(٨) - الأركان الأساسيّة لأنظمة الرِّدَّة المتعاونة مع الحملات الغازية.

(٩) - الأركان الأساسيّة لقوى العمالة ومختلف أشكال التطبيع مع الحملات الغازية في شتّى المجالات.

و باختصار.. استهداف كافّة أشكال التواجد البشري والمادي للأمريكان وحلفائهم في بلادنا وهي السَّاحَة الأساسيّة للمقاومة.

تفاصيل هامة:

- **البعد الاقتصاديّ للاحتلال الأمريكيّ:**

إن البعد الاقتصاديّ للاحتلال الأمريكيّ القادم إلى بلادنا هو من أهمّ أبعاد هذا الاحتلال والغزو الصّليبيّ واليَهُوْدي، بعد البعد الدّيني والحضاري الّذي تحركه دوافعهم الصّهيونيّة والصّليبيّة. وإيمانهم بأساطيرهم وخرافات كتبهم الدّينيّة المنحولة.

و بلاد المُسلِمِين تحتوي عَلى بحيرات النّفط الأساسيّة في العالم. حيث تمتلك السّعُودِيّة ودول مجلس التّعاون الخليجي أكبر احتياطي معروف في العالم، ويمتلك العراق أكبر احتياطي غير مستكشفي العالم يقدر بـ (٣٠٠مليار برميل عَلى الأقل). وتمتلك منطقة وسط آسيا ومحيط قزوين ثاني أكبر احتياطي معروف في العالم، وفي سوريا احتياطيات هائلة يتحاشى الإستعمار الحديث عنها، وفي السُّودَان والقرن الإفريقي بحيرة جوفية نفطية هائلة، وفي شمال إفريقيا وخاصة في الجَزَائِر مثل ذلك، ويشكل غاز الجَزَائِر الّذي يعبر إلى أوربّا عبر المغرب ومن تحت مضيق جبل طارق نحو (٦٥٪) من استهلاك أوربّا للطاقة**!!**

ويمتلك العالم العربيّ والإِسْلَاميّ ثروات معدنية مختلفة هائلة أيضاً فضلاً عن الثّروات الزراعية والحيوانية ومصادر المياه العذبة...إلخ فالهدف الأوّل للاستعمار **هو نهب تلك الثّروات**، وكما صرح معاون بوش الأب إبَّان حرب الكويت ١٩٩٠: (بأنهم جاؤوا لتصحيح خطأ الرب بخلق النّفط في بلادنا) تَعَالَى الله علوا كبيرا عما يقول أحفاد القردة والخنازير.

و الهدف الثّاني للاستعمار الأمريكيّ والغربيّ هو تحويل بلاد العالم الإِسْلَاميّ الّتي يشكل مجموع سكانها (١/٥) سكان الكرة الأرضية تحويلهم إلى **سوق لتصريف المنتجات** الغربيّة الصناعية والتكنولوجية الّتي تعاني من ركود كبير ومنافسة من مصادر شرق آسيا والصين. وهكذا يمكن اختصار الأهداف الاقتصاديَّة للاستعمار والغزو الأمريكيّ والغربيّ بنقطتين:

١ – نهب الثّروات   ٢– تصريف المنتجات.

وهذين الهدفين يجب أن يكونا هدفاً للمقاومة وللإرهاب المشروع. بجب أن نقطع عليهم طريق أخذ الثّروات. ونمنعهم من بيع المنتجات. ليس فقط عبر جِهَاد العجزة والمقعدين من الدعاة للمقاطعة السّلميّة، ومن الحملات الكلامية العَالَمِيَّة لدفع العدوان ! - وهي مقاومات هامة إذا اقترنت بالدفع الجهاديّ- ولكن بالمُقَاوَمة العسكريّة وجِهَاد الإِرهَاب الفَرديِّ وعمل السَرايا المُقَاوَمة الصغيرة.

إن فُقَهَاء الإِسْلَام مجمعون عَلى حرمة بيع العدوّ ما يقويه عَلى المُسلِمِين، فكيف بوقود الدبابات والطائرات وقت الحملات الصّليبيّة ؟!

وعليه فإن من أهمّ الأهداف المعادية تفصيلاً:

أولاً: النّفط ومصادر الطاقة من المنبع إلى المصب:

وهي من أهمّ أهداف المُقَاوَمة (حقول النّفط – أنابيب النّفط – موانئ التّصَدّير – خطوط الملاحة البحرية والناقلات – موانئ الاستيراد في بلادهم – مستودعات التخزين في بلادهم)..

قد يقول قائل بأن هذا النّفط هو مورد عيش المُسلِمِين في تلك البلدان المصدرة للنفط.. وهذا غير صحيح، إنها مصدر نهب العدوّ لهذا الشريان المتدفق عليهم بالطاقة والصناعة والمال..إنه شريان الحياة لأعدائنا القتلة الغُزَاة الصّليبيّين، ودم آلتهم العسكريّة الّتي تصب علينا الموت والذل صباح مساء منذُ مطلع القرن العِشرين، وإلى اليَوْم.. ولا يعود في الواقع منه عَلى بلادنا إلا نسبة يسيرة يصب معظمها في جيوب حفنة من الأمراء المرتدّين الحاكمين، وذريتهم وأزلامهم من الفساق والزناة والمعربدين الّذين يتحكمون بها. ولا يفيض منها عَلى باقي شعوبهم إلا الفتات. هذا فضلاً عن أن نصيب فقراء هذه الأُمّة من شعوب المُسلِمِين الأخرى، هو الحرمان رغم حق الجميع شَرعاً في نعمة الله هذه..

إن (٥٠ ٪) من عائدات النّفط تذهب للشركات الأجنبيّة بحكم العقود الاستعماريّة، وتتحول الـ (٥٠٪) الباقية أرقاماً إلكترونية بلهاء في بنوك اليَهُوْدية العَالَمِيَّة ! ليس لأصحابها اللصوص من فجار الأمراء الحقّ والحريَّة في سحب شيء منها إلا بموافقة اللصوص الكبار أسيادهم من اليَهُوْد والصّليبيّن.

لقد تحول النّفط لعنة بعد أن كانَ نعمة. وهكذا بدل حُكَّام المُسلِمِين نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار !!

نعم إن تعطل تصدير النّفط سيفقد تلك الحُكُومَات الخائفة ميزانياتها. وبالتالي سينعكس هذا عَلى قطاعات التنمية الاقتصاديَّة المحدودة الّتي تتم في تلك البلاد.. ولكن ما هو وزن هذه المضرة الجزئية عَلى تلك الشرائح المحدودة قياساً بمضرة وصول هذا النّفط إلى العدوّ الصّهيونيّ والصّليبيّ ؟! الأمر واضح.. !!

باختصار إنه شريان حياة أعدائنا وينبع من بلادنا ويجب علينا قطعه..

وعندما تؤول ثرواتنا إلينا ونملكها نتعامل معهم تعاملاً تجارياً صحيحاً عَلى أساس قواعد العدل وحسن الجوار.

ثانياً: مناجم الثّروات المعدنية:

ذهب، نحاس، حديد، ألومونيوم، كوبالت، فوسفات، إلخ. وقائمة ثرواتنا تطول. وهذه أيضاً يجب قطع الطّريق عن وصولها إليهم ومنعهم من استثمارها. وكذلك يكون ذلك بمنع تصديرها. بإغلاق المناجم وقطع طرق التّصَدّير ووسائلها.

ثالثا: المضائق البحرية والمعابر المائية الرَّئيسيَّة:

في الكرة الأرضية خمسة (٥) مضائق بحرية هامة أربعة منها في بلاد العَرَب والمُسلِمين والخامس في أمريكا وهو مضيق باناما. وهذه المضائق هيَ:

١- مضيق هرمز بوابة النّفط في الخليج العربيّ - الفارسي.

٢- قناة السويس في مصر.

٣- باب المندب بين اليمن والقرن الأفريقي.

٤- مضيق جبل طارق في المغرب الأقصى.

وهذه المعابر المائية يمر فيها معظم اقتصاد العالم الغربيّ تجارةً ونفطاً كما تمر فيها الأساطيل العسكريّة وحاملات الطائرات وصواريخ الموت الذاهبة إلى أطفالنا ونسائنا.. ويجب إغلاق هذه المعابر حتَّى ترحل الحملات الغازية. وذلك باستهداف سفن الأمريكان وسفن الدّول الحليفة معها من جهة. وذلك بإغلاقها بالألغام، وإغراق السفن فيها، أو بتهديد الحركة فيها بالعمليَّات الاستشهادية وأعمال القرصنة وبقوة السّلاح ما أمكن.

يجب أن يعرف العدوّ وشعوب بلاد العدوّ أنهم أشعلوا حرباً عالميّة شريرة بسبب نزوات حكامهم والصّليبيّين والمتصهينين. وأن عليهم أن يرحلوا عن بلادنا وينهوا تدخلهم بها ودعمهم لحكامهم الخونة. وأنهم إن لم يعقلوا ويتصرفوا بعدل وإنسانية، فإنهم يجب أن يأخذوا خطهم من الموت الّذي يذيقونه لأهلنا وأطفالنا، وأن ينالوا حظهم من الفقر والإنهيار الاقتصاديّ ونكد العيش الّذي يسببوه لنا. ويجب أن نقنعهم بقوة السّلاح ونتائج الْمُقاوَمة وما يترتب عليهم من خسائر.. أنه من الخير لهم أن يتركوننا وشأننا، لنسقط حكامنا المجرمين، ومن ثمّ نقيم حُكُومَاتنا الشَّرعيَّة ونتعامل معهم وفق قواعد حسن الحوار والمعاملة الشَّرعيَّة المنصفة.

ويجب أن نفهم شعوبنا عبر البيان والإعلام والتّحريض، أن عليهم أن يتحملوا ضريبة الحَرب إلى جانب الْمُجَاهدين.. وأننا في حالة حرب فرضها العدوّ، ويجب أن نتحمل خسائرها الاقتصاديَّة المؤقتة. حتَّى لا نخسر كياننا وثرواتنا وديننا وكل مكوّنات وجودنا.

ضرب الأهداف الاستراتيجيّة لحلفاء الحملات الصّليبيّة اليَهُوْدية في البلاد العربيَّة والإسْلَاميّة:

كما بينا في البَاب الثّاني (النَّظريَّة السّياسيّة للمقاومة) فإن الحملات الأمريكيّة تعتمد بصورة رئيسيَّة في زحفها عَلى بلادنا عَلى ظهير ضخم من قوى الرِّدَّة والنِّفَاق. وعلى طابور خامس طويل عريض من المتأمركين الّذين يرحبون بهذا الغزو ويربطون مصالحهم ووجودهم به.

وهذا الفريق الضخم من تحالف المرتدّين والْمُنَافِقين أشكال وأنواع بعضها متوافق وبعضها متنافس وبعضها متحارب.. وسنختار أهمّ وأبرز مفاصل هذه الجبهة من ركائز الإستعمار بحسب أولوياتها. ونبين أهمية وكيفِيَّة استهدافها بما يتناسب مع الاستراتيجيّة العامّة للمقاومة. وهي إعطاء المحور الأساسي في الْمُقاوَمة لْمُوَاجَهة القوَّات الغازية. أمريكا وحلفائها. والاقتصار في الجبهات الفرعية في بلادنا عَلى المحاور الهامة والرَّئيسيَّة متوافقين مع نظريَّة البناء والهدم.

فكما يجب علينا أن نبني قوى الْمُقاوَمة وننشر سَراياها، يجب أن نهدم ونحطم ونصفي مرتكزات قوى الخصم الهامة بين أظهرنا، بما لا يشغلنا عن المحور الأساسي للهجوم الإستراتيجي قي مقاومة الاحتلال وهم الأَعدَاء الخارجيون.

وأهم هذه الأهداف العسكريّة للمقاومة من قوى الرِّدَّة والنِّفَاق في بلادنا:

(١) - **الحُكُومَات العربيَّة والإِسْلَاميّة:**

وذلك باستهداف ملوكها ورؤسائها وأمرائها وكبار وزرائهم ومسؤوليهم الكبار فقط. ولاسيما الّذين يرتكز عليهم مشروع الغزو الأمريكيّ. أو من ترتكز عليهم الحملات الأمنيّة من كبار المسؤولين ورجال الطّبقة الأولى.

دون تحويل ذلك إلى ثورة محليَّة وحركة جِهَاد هدفها جِهَاد الحكومة واستهداف منشأتها ورموزها كباراً وصغاراً عَلى غرار ما حصل في الثورات الجهاديّة السالفة في مصر وسوريا والجَزَائِر وغيرها وآلت للفشل كما بينا سابقا.

فالمطلوب فقط تصفية كبار رؤوس المرتدّين المتحالفين مع الحملات الأمريكيّة الغازية وقصدهم هجوماً.

(٢) - **قوَّات الأمن والقوى العسكريّة والسّياسيّة المتعاونة مع الاحتلال مباشرة:**

كحالة الشّرطة العِرَاقيَّة، والشّرطة الكشميرية.. والجيش الّذي يعمل بإمرتهم، حال وجود هذه الصُّورة. واستهدافهم هجوماً. وذلك قبل أن تتمدد هذه الأجهزة ويستغني الاحتلال بوجودها عن استخدام قوَّاته.[**وهذا في حال الاحتلال المباشر الصريح فقط**].

(٣) - **قوَّات الأمن وجيش وعساكر الأنظمة والَّتي تستهدف المُجَاهدين والإِسْلَاميّين:**

وهذه نشتبك معها دفاعاً فقط ولا نستهدفها هجوماً بل يجب أن تستهدف بخطاب إسلامي ووطني وعاطفي لين لجرها إلى خندق المُقاوَمة. ولإرشاد أفرادها وضباطها إلى الدَّور الّذي يمكن أن يؤدونه دفاعاً عن دينهم وبلادهم وأمتهم.

ولكن في حال تصديهم للمُجَاهدين وقصدهم بالقتل والاعتقال والأذى فيجب الاستبسال في دفعتهم وعدم الاستسلام لهم. وقتالهم قتال طائفة الرِّدَّة والكفر. من دون اعتقاد كفر أعيانهم (وقد أتى شرح هذا في نظريَّة المنهج).

ويجب نشر ثقافة عدم الاستسلام في شباب المُقاوَمة ورفض الأسر والدّفاع حتَّى الشَّهَادة ما أمكن.

(٤) - **دعاة الإستعمار ورموزه:**

ظهرت طبقة جديدة في المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة من العلمانيين والمعارضين الديمقراطيين الّذين يدعون صراحة إلى الترحيب بالمشروع الأمريكيّ عَلى كافّة الصعيد العسكريّة والسّياسيّة والفكريّة والثَّقافيَّة من أمثال النموذج الشهير الدكتور (سعد الدّين إبراهيم). وهذه (الموديلات المرتدّة المنافقة) تعمل اليَوْم صراحة، مستغلة الغطاء الأمريكيّ تحت ذرائع مؤسسات المجتمع المدني والدعوى الدِّيمقراطيَّة، حتَّى أنه أصبح لها حصانه ضدّ أجهزة قمع الطواغيت. وتمددت وصار لها ومؤسسات وبَرَامج عمل وموارد هائلة من الأمريكان علناً. فهذه النماذج هيَ من أهمّ الأهداف العسكريّة لسَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة. فيجب أن يقصد رؤوسها بالاغتيال والتصفية، ومؤسساتها بالنسف والحرق والتدمير، لتلحق بمساجد الضرار الّتي أمر الله تَعَالَى ورسوله بتحريقها وإزالتها.

(٥) – مشاريع التطبيع الصّهيونيّ والأمريكيّ:

يعتمد الهجوم الإستراتيجي الأمريكيّ اليَوْم عَلى بث مشاريع ذات طابع فكري أو ثقافي أو منهجي أو أكاديمي جامعي في البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة. والهدف منها نشر الثّقافة الاستعماريّة من جهة وتخريج أجيال من المتأمركين محلياً، أو ابتعاثهم إلى أمريكا وبعض الدّول الحليفة ليحوزوا الشهادات ويأخذوا الخبرات ويتأهلوا ليكونوا حُكَّام ورجال المَرحَلَة الأمريكيّة القادمة في (الشّرق الأوسط الكبير)..

وتقوم وسائل الإعلام الأمريكيّة بالدعاية لهذه الشراذم المصنوعة أمريكياً، والترويج للحاق بها في أوساط الأقليات العرقية أو الدّينيّة، أو أوساط النُّخبَة المالية والسّياسيّة والاجتماعيَّة، في المجتمعات العربيَّة والإِسْلَاميّة. وهذه المشاريع من قبيل (مشروع وادي عربة) عَلى الحدود الإسرائيلية الأردنية وهذه المؤسسات والمنشآت هيَ من أولى أهداف المُقاوَمة بالنسف والتدمير والتحريف. وأولئك المتخرجين منها والمتعاملين معها وكبار الداعمين لها. من أهمّ الأهداف المقصودة بالتصفية والاغتيال. فهم مرتدون منافقون من كبار أئمة الكفر الطاعنين في دين الله، الخَائِنين للمسلمين.

(٦) – كبار الطاعنين في دين الله والمحاربين للمُجَاهدين من رجال الإعلام والفكر الاستعماريّ:

وهذا طابور بدأ يتوسع كثيرا هذه الأيّام، ويتكون من أدباء أو شعراء أو مفكرين أو كتاب أو صحفيين، وهَؤُلَاءِ الّذين يشنون اليَوْم الغارة عَلى عقائد الإِسْلَام وعلى المدافعين عنه بكل صراحة جهارا نهارا بلا خوف ولا حياء، وقد استطالوا عَلى دين الله وعلى عبادة المُجَاهدين. وراحوا تحت ستار وغطاء

(الحملة الدّولية عَلى الإِرهَاب) كما يدعونها يكشفون عن أحقادهم الدفينة عَلى دين الله وأوليائه. وقد انجرت الصّحوة الإِسْلَاميّة ورجالها ومؤسساتها، إلى دوامة الاشتباك معهم عبر الحوارات والقنوات الفضائية وهذا جيد.

ولكن السباق يسير تحت عنوان احترام الآخر والاعتراف بالرّاي الآخر وهذا بَاطِل. فهَؤُلَاءِ ليسوا مجرد جهال أو مخالفين حتَّى يحاوروا بالحسنى. فأكثر هَؤُلَاءِ مُسلِمِين أصلاً مرتدين واقعاً، أو أنهم من غير المُسلِمِين أصلاً كالنّصَارى والأقليات الكافرة في مجتمعات المُسلِمِين. فهم ليسوا عَلى ذمة، ولو كانوا عليها لانتقضت بشنهم الحملات الدعائية عَلى الإِسْلَام وأهله.

فهَؤُلَاءِ أسماهم القرآن صراحة (أئمة الكفر)، وأمر بقتالهم واغتيالهم، فيجب قتلهم استجابة لأمره تَعَالَى في صريح كتابه العزيز: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ [التوبة]

(٧) – دعاة الانحلال والفسوق والرَّذِيلة ومؤسسات إشاعة الفاحشة في الّذين آمنوا:

تعتمد الغزوات الأمريكيّة الصّليبيّة اليَهُوْدية اليَوْم. عَلى تحطيم الأسس الدّينيّة والأخلاقية والثَّقافيَّة والفكريّة للمسلمين. ومن أساليب ذلك نشر ثقافة الانحلال والرَّذِيلة والزنا والفجور، والسفور والعري والاختلاط.. ومختلف أشكال الفساد الاجتماعي. وقد افتتحت لذلك كثير من وسائل الإعلام والدعاية وشغلت فيها كثيراً من رجال الفكر والفن والأدب وسوى ذلك. ومن أعظم وسائلها اليَوْم المحطات التلفزيونية الفضائية الّتي تمول من قبل مليونيرات الدعارة والفساد من بعض رجال المال الخليجيين والسّعُودِيّين وسواهم من شاكلة أمير الدعارة (الوليد بن طلال بن عبد العزيز) وشبكة فضائيَّاته..

روتانا وغيرها.. والآن..

تحاول بعض وسائل الإعلام الشريفة، وبعض رجال الصّحوة الإِسْلَاميّة التّصَدّي لهذا السيل العفن والوباء الجارف من ثقافة الإفساد والانحلال والرَّذِيلة عبر الحوارات والتوجيهات المعاكسة. ويحاولون نشر ثقافة الفضيلة والحفاظ عَلى الهويّة الدّينيّة والأخلاقية للأمة. وهذا طيب ولكنه غير كاف.

فعندما تنتشر الجراثيم والأوبئة والجراد.. لا تكافح بالحوار !

وإنما بالمبيدات الحشرية، وأدوية إبادة الجراثيم. وهذا بدهي لكل عاقل.

فالواجب شَرعاً وعقلاً ومنطقاً أن تكون هذه المؤسسات وكبار رجالها ودعاتها والقائمين عليها هدفاً للنسف والتدمير والاغتيال لرؤوسها.

من أمثال سيء الذكر هذا ؛ الأمير (الوليد بن طلال) وأشباهه ومن أمثال (فضائيّة روتانا).. وبَرَامج (فيديو كلوب)، و(ستار أكاديمي)، وغيرها من مظاهر الطاعون الزاحف عبر الفضائِيَّات اللبنانية وغيرها من دعاة الرَّذِيلة والفساد..

وقد اتسع الخرق عَلى الراقع فلا يستلزم ذلك فتح حرب مع كلّ صغير وكبير من هَؤُلَاءِ ولكن مع الرؤوس، الرؤوس الفنية والأدبية وقبل ذلك المالية الّتي تمول بوابات الشّيطان عَلى دين الأُمّة وأخلاقها قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ ﴾ [النور]

تنبيه هام جداً جدا... جدا:

هناك بعض المنتسبين لقطاع علماء المُسلِمِين أو دعاة وقيادات الصّحوة الإِسْلَامِيّة من الّذين شذوا إما طمعاً في المكاسب الدنيوية والمناصب لدى حُكُومَاتهم. أو خوفاً من بطشهم والتلبس بتهمة الإِرهَاب والعنف. فراحوا يدندنون تحت دوى (الإِسْلَام المعتدل) و(احترام الآخر) و(الوسطيّة).. بتقديم إسلام مشوه معدل عَلى المقاس الأمريكيّ. وقد تجاوز بعضهم إلى حد التهجم عَلى فريضة الجِهَاد ومبدأ المُقاوَمة. وصاروا يحاربون المُجَاهدين في سبيل الله، ويشنون هجمة لا هوادة فيها عَلى المقاومين ورؤوسهم ومُجَاهديهم من جند الله. ويصدرون الفتاوى بالحكم عليهم بأنهم مفسدون في الأرض. ويفتون الحكَّام والسُّلطات الاستعماريّة بأنهم خوارج ومفسدون، ويحلون لهم قتلهم وسجنهم وتعذيبهم، بل بلغ الأمر أنهم يتألون عَلى الله بأن هذه النُّخبَة من المُجَاهدين ليسوا شهداء ولا يدخلون الجنّة !! بل صاروا يدعون عوام المُسلِمِين إلى التّعاون مع أمن الحكّام المرتدّين والسُّلطات الاستعماريّة في كشف أسرار المُجَاهدين والتبليغ عنهم تحت دعاوى التّعاون ضدّ الإِرهَاب أو الحفاظ عَلى مصالح المُسلِمِين..

وهنا أنبه إلى أمر هام جداً..

فعلى الرغم من أن كثيراً من هَؤُلَاءِ قد صاروا بذلك في حكم المرتدّين والمُنَافِقين المُجَاهدين للمؤمنين بولائهم للطاغوت وللكفار الغُزَاة.. وحلت دماء الكثيرين منهم شَرعاً للردة والخيانة وحرب الله ورسوله والمُؤمِنِين..

إلا أن:

إلا أن من الأسس الاستراتيجيّة لدعوة المُقاوَمة الإسْلاَميّة العَالمِيّة أن يكون سلاح المُوَاجَهة مع هذه الفئة المارقة من دعاة الشّيطان وعلماء السُّلطَان، الدعاة علىَ أبواب جهنم من أجابهم إليه قذفوه فيها ؛
هو بالحجة والبيان والأدِلَّة الشَّرعيَّة والسّياسيّة والواقعية العقليَّة. وليس بالسّلاح والسيف.
وإن كانَ كثير منهم يستأهلونه. وذلك درءاً لمفاسد عظيمة. مما لا يخفي من وضع السّيف بين المُسلِمِين وتعصب أتباعهم لهم ومحاربتهم للمُجَاهدين وانقلابهم علىَ المُقاوَمة إلى مُعَسْكَر الأعدَاء.. إلى آخر ما هنالك من المفاسد العظيمة..
فالمُوَاجَهة مع هَؤُلَاءِ.. كما نؤكد ونعيد بالحجة والبينة من أهلها، من أهل العلم والقلم والأدب. وليس بالسّلاح..

السّلاح يوجه لصدور الغُزَاة وكبار المتعاونين معهم من كبار المرتدّين والخونة كما بينا هجوماً. وضد من قصد المُجَاهدين من جنود الطواغيت بالقتال دفاعاً. وهذا أساس استراتيجي في غاية الأهمّيّة من أسس النَّظَريَّة السّياسيّة والعسكريّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

ثانيا: ضرب الغُزَاة في بلادهم في قلب أمريكا وفي أراضي الدّول الحليفة لها عسكريّاً:

بالنسبة لضرب أمريكا أو أي من حلفائها في أراضيها واستهداف دولة أو ترك أُخرى. أو استهدافها ثمّ التوقف عن استهدافها. أو الإعراض عنها ثمّ استهدافها ثانية.. فهذا ليس محل بحثه هنا وإنما في البَاب الأوّل والثّاني الّذي اختص بالبعد الشَّرعيّ والعقدي وكذلك بالبعد السّياسيّ لأساسِيَّات دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة. ولكننا هنا نبحث الأمر من زاويته العسكريّة في حال كانَ من المصلحة

السّياسيّة استهداف دولة ما، فإذا ما كانَ استهداف دولة ما مشروعاً شَرعاً وللمقاومة فيه مصلحة سياسيّة فإن أهمّ الأهداف الّتي يجب استهدافها هيَ التّالية:

أهمّ الأهداف في أمريكا والدّولة الغربيّة الحليفة لها عسكريّاً:

(١) – الشخصيات السّياسيّة الرَّئيسيَّة الّتي تقود الحملة عَلى المُسلِمِين من رؤساء الدّول ووزرائها وقادتها العسكريّين والأمنيين.

(٢) – الأهداف الاقتصاديَّة الاستراتيجيّة الكبرى مثل: مقرات البورصة – مجمعات الطاقة والنفط – المطارات – الموانئ – شبكات السلك الحديدة والجسور وعقد الطرق السريعة – الأنفاق عَلى الطرق – شبكات مترو الأنفاق – الأهداف السياحية....إلخ من مصادر الاقتصاد والموارد.

(٣) – القواعد العسكريّة وثكنات تجمعات الجُيُوش. ولاسيما القواعد العسكريّة الأمريكيّة في أوروبّا.

(٤) – الشخصيات والمراكز الإعلاميَّة الّتي تشن الحَرب عَلى المُسلِمِين وتزكي الهجوم عليهم من المؤسسات الإعلاميَّة الصّهيونيّة الصّليبيّة المتصهينة.

(٥) – مراكز المعلومات والكومبيوترات المركزية الّتي يتحكم في ربط مؤسسات الدّولة المختلفة لأن هذا يشل الحركة كلياً في تلك الدّول.

(٦) – تجمعات اليَهُوْد وشخصياتهم ومؤسساتهم في أوروبّا. مع تجنب دور العِبَادة والكنس.

(٧) – المكاتب الرَّسميَّة للمؤسسات الحُكُوميّة للدول المحاربة عَلى مستوى الدّولة. وعلى مستوى الاتحادات والأحلاف السّياسيّة والعسكريّة حال مشاركتها في العدوان. كمكاتب حلف النّاتو. والاتحاد الأوروبي، وهذه تحتاج لقرارات تدرس سياسيّاً بشكل دقيق.

(٨) – مباني الأمن والإستخبارات المركزية في العواصم الأمريكيّة والدّول الغربيّة الحليفة.

(٩) – ضرب المدنيين عامة في حالات الردع والمعاملة بالمثل (مع تجنب النِّسَاء والأطفال إذا انفردوا عن الرّجال في أماكن مخصصة لهم كالمدارس وسواها..).

وذلك مثلا.. رداً عَلى عمل وحشي قامت به أمريكا وقوّاتها الحليفة. فالهدف الّذي يردع الدّول ويسقط الحُكُومَات هو المجازر البشرية الجماعية. وذلك باستهداف التَّجَمُّعات البشرية لإحداث أكبر

كمية ممكنة من الخسائر البشرية. وهذا سهل جداً لكثرة الأهداف كالملاعب الرِّيَاضية الحاشدة والحفلات السنوية الجماعية والمعارض الدّولية الكبرى. والأسواق المزدحمة وناطحات السحاب والعمارات المزدحمة...الخ.

وهنا يجب التنبيه إلى الملاحظات المتعلقة باستهداف المدنيين الّتي أوردناها في البَاب الثّاني والنَّظريَّة السّياسيّة وكذلك الضوابط الشَّرعيَّة الواردة في البَاب الثّالث في فقرة الأحكام الشَّرعيَّة الجهاديّة.. وهناك في هذه الحالة أهداف كثيرة جداً وسهلة يمكن أن يستهدفها المقاومون العاديون من المُسلِمِين المقيمين في أمريكا والدّول الغربيّة الحليفة لها للمشاركة في الجِهَاد والمُقاوَمة وتقديم يد العون للمُجَاهدين، وذلك عن طريق أعمال المُقاوَمة الشعبيَّة، مثل تخريب الأهداف الاقتصاديَّة وحرق الغابات في أوقات الحر في الصيف... من أعمال المُقاوَمة المدنيّة، وهنا يجب أن نلفت النَّظر إلى الفارق في المُوَاجَهة مع أمريكا ومع أوربّا كما أسلفنا أثناء تناول النَّظريَّة السّياسيّة، فالمُوَاجَهة مع أمريكا أساسية، ومع أوربّا فرعية لإخراجها من الحلف بالضغط عليها.

ثالثا: الأهداف الأمريكيّة والحليفة في دول العالم الإِسْلَاميّ وباقي دول العالم الثّالث وغيره:

(١) – الأهداف الاقتصاديَّة الأمريكيّة والغربيّة في مختلف دول العالم لسهولتها وكثرتها.

(٢) – الأهداف الدبلوماسية كالسفارات والقنصليات والبعثات..

(٣) – المصالح الاقتصاديَّة لأمريكا والدّول الحليفة في تلك الدّول.

(٤) – البعثات والوفود الأمريكيّة والغربيّة (في الدّول الحليفة)، الرِّيَاضية والتجاريَّة والسياحية..

(٥) – القواعد العسكريّة والبعثات العسكريّة – برية – بحرية – جوية..

وهذا مجال رحب من المساهمات، ولكن عليهما من ينتبهوا للضوابط الشَّرعيَّة والمصالح السّياسيّة والإشكالات الأمنيّة، وسيأتي لهذا تفاصيل لاحقا إن شاء الله.

وهناك ملاحظ أخيرة في موضوع استهداف الأهداف في قلب البلاد المعادية أمريكا والدّول الغربيّة الحليفة، وهي الابتعاد عن استهداف أماكن العبادة لكل دين وملة سواءً كانت نصرانية أو يهودية أو سوى ذلك، وتجنب إصابة المدنيين من رعايا تلك الدّول ممن لا علاقة لهم بالصِّرَاع ولو كانوا غير مُسلِمِين، للحفاظ عَلى سمعة المُقاوَمة أمام مختلف أوساط الرَّأي العام.

استراتيجية الردع بالإِرهَاب:

تقوم نظريَّة الإِرهَاب عَلى أساس ردع العدوّ بالخوف. كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٦٠﴾ [الأنفال] وكما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝٥٧﴾ [الأنفال]

فالمُقاوَمة في حالة حرب مع الحملات الغازية أساساً، ويجب أن تتعامل معها بأسلوب الإِرهَاب والمُوَاجَهة كما بينا، ولكن هناك أطرافاً أساسية أو فرعية تدخل عَلى خط هذه المُوَاجَهة بين حين وحين إما خوفاً من أمريكا وحلفائها أو طمعاً بما تعدها به.. ويجب أن لا تغفل المُقاوَمة أهمية ردع هَؤُلَاءِ، وأن تثبت أن ذراعها طويلة وتستطيع الوصول لكل من تسول له نفسه العدوان عَلى المُسلِمِين والمُجَاهدين المقاومين أو نصرة أعدائهم الغُزَاة.

وفي الغالب فإن أغلب أعدائنا المناصرين للغزو الأمريكيّ، ولاسيما في قطاع المرتدّين والعملاء والمُنَافِقين والمفسدين وأدعياء الثّقافة والتطور.. مجموعة من الفئران الجبانة، بدءا من كبار ملوكهم ورؤسائهم وأمرائهم وإلى أصغر كتابهم ورجال إعلامهم وأزلامهم بكافة أطيافهم.. وهَؤُلَاءِ يرتدع أكثرهم يأخذ العبرة من ضرب بعضهم والتنكيل بهم، حيث ينسحب أكثرهم من المُوَاجَهة.

فالأصل أن كلّ دولة ولو لم تكن في حلف أمريكا.. قبض عَلى مُجَاهد أو مقاوم أو داعية أو عالم وتسلمه لأمريكا أو لحكومته لتعرضه للقتل أو السّجن أو العذاب.. أن تتلقى عمليَّة الردع فوراً من أي مسلم أو سرية مقاومة يستطيع أداء هذه الفريضة، فهذا واجب نصرة المُسلِمِين وردع من امتد إليهم بأذى ولاسيما من أَسَرَهم وسلمهم لأعدائهم..

والأصل أن أي عمليَّة قتل للمدنيين أو أي أذى للآمنين المُسلِمِين، أو أي فعل تقوم به قوَّات دولة محاربة.. أن يقابله عمل رادع بالمثل كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤] والأصل أن كلّ دولة تدخل حلف الأمريكان بأي تأييد عسكريّ أو سياسي أو أمني، أن تتلقى الضربة الرادعة فوراً.. لفك مفاصل هذا الحلف المجرم، وهكذا..

ولكن الّذي يجري حتَّى الآن هو العكس..

فالمسلمون والمُجَاهدون والمقاومون المتهمون بالإِرهَاب.. هم من أكثر المرهوبين في الحقيقة..ومنذ عشرات السنين، فهم مرهوبين من حكامهم، ومن أجهزة أمنهم، ومن أمريكا ومطارداتها، ومن الجواسيس.. ومن كلّ أعوان هذه السلسلة النكدة.

وكل هَؤُلَاءِ الإِرهَابيين الحقيقيين بدءا من أمريكا وسلسلة حلفائها ومنافقيها استطاعوا أن يقلبوا الصُّورة إعلامياً وسياسيّاً ويظهروننا بمظهر الإِرهَاب المرفوض أمام الرَّأي العام، وهذا هو مجال نجاحهم الحقيقي..

وليس لهذا حلّ إلا ما يجب من تكثيف جهود الدّعوة والإعلام والدعاية، والعمل السّياسيّ القائم عَلى المعرفة والفهم وإدراك ما يجري في عالم اليَوْم، بالإضافة إلى الردع العسكريّ الحقيقي..

لقد أثبت (الإِرهَاب المُسلّح) عبر التّاريخ نجاعته كأفضل الوسائل السّياسيّة في إقناع الخصم بالخضوع لإِرادَة فاعلة..

وإني أخط هذه السُّطُور بعيد أيّام قلائل من عمليَّة رادعة قامت بها سرية مُجَاهدة من المُجَاهدين في أسبانيا بتاريخ ١١ /٣/ ٢٠٠٤، حيث قامت بسلسلة تفجيرات أسقطت زهاء ٢٠٠ قتيل و١٧٠٠ جريح بحسب إحصائيات الإسبان، وكان من نتائجها الرَّئيسيَّة ما يلي:

١- تغير الرَّأي العام في أسبانيا الّذي دلت الإحصائيات قبيل ثلاثة أيّام من الانتخابات البرلمانية والرئاسية عَلى أنه يسير لصالح الحزب اليمني ورئيسه (أثنار) المتحالف مع (بوش) والّذي أرسل نحو /٢٠٠٠/ جندي أسباني إلى العراق، تغييره عَلى الفور لصالح الحزب الاشتراكي المعارض لهذا الحلف الّذي كانَ رئيسه (ثباتيرو) تعهد بسحب قوَّات أسبانيا إن وصل حزبه للحكم، مما أدى لفوز الأخير في الإنتخابات وهكذا أسقطت العمليّة الحكومة وأخرجت حليفا رئيسيا من جانب أمريكا بعملية واحدة كلفت مجموعة صغيرة من الشّهداء والأسرى، جزاهم الله خيراً وتقبل منهم.

٢- إعلان رئيس الحكومة الجَدِيد عن سحب القوَّات الأسبانية من العراق الّتي سحبت عَلى عجل بعيد ذلك بقليل ثمّ انسحاب جنود (هندوراس) تبعا لهم، وهكذا أدت عمليَّة رادعة واحدة لانسحاب جيش ودولة بكاملها من الحَرب.

٣- اهتزاز الحلف الأوروبي الأمريكيّ بكامله وبدء التصريحات من قبل العديد من الدّول بتفكيرها في الانسحاب.. وهذه أول عمليَّة ردع حقيقية منذُ بدأت هذه الحملات الظَّالمة عَلى المُسلِمِين منذُ أكثر من ١٤ سنة.

وأنا أتناول هذه العمليّة كمثال للبحث عَلى الأثر السّياسيّ للردع العسكريّ، وإلا فإن هناك بعض الملاحظات والحسابات السّياسيّة الهامة حول مثل هذه العمليَّات، والَّتي يجب أن تخضع قبل اتخاذ القرار فيها لحسابات سياسيّة شرعيّة دقيقة..تأخذ بعين الإعتبار المصالح والمفاسد والتوازنات السّياسيّة ومصلحة المُسلِمِين فيها.

وللأسف.. فمنذ انطلقت هذه الحملات الظَّالمة في ١٩٩٠ وإلى اليَوْم:

- قتل في حرب العراق الأولى أكثر من ٣٠٠ ألف شخص ومات في الحصار أكثر من مليون ونصف طفل عَلى مدى ١٣ سنة...

- وفي الحَرب الأخيرة للإسقاط صدام قتل زهاء ١٠ آلاف مدني، وفي السّجن اليَوْم عشرات الآلاف، وقد فضح الله أعمال أمريكا في تلكم السّجون.

- وقتل في فِلَسطِين الآلاف، وما يزال السّيف الإسرائيلي يعمل...

- وقتل في البوسنة أكثر من ٢٠٠ ألف مسلم، وسجلت أكثر من ٦٠، ٠٠٠ حالة اغتصاب لنساء المُسلِمِين هناك، مما أسفر عن آلاف مواليد الزنا من الاغتصاب ألقت بهم أمهاتهم ليتحلوا لأقبية الكنائس وينصروا !!

- وقتل في الشِّيشَان أكثر من ٣٠٠ ألف مسلم وانتهكت الأعراض، وهدمت البيوت وسجن آلاف النّاس وشرد مئات الآلاف.

- وقتل في أفغانستان عشرات الآلاف عن الحَرب الأهلية الّتي أشعلتها أمريكا وأدارتها باكستان.. ثمّ قتل أكثر من عشرة آلاف في الهجمة الأخيرة ٢٠٠١في ديسمبر، وملأت أمريكا غوانتانامو بمئات الأسرى من الأبرياء !

- وقتل الآلاف في إندونيسيا، ودفن النّصَارى بعضهم أحياء وأحرقوهم وصوروهم وهم يأكلون لحومهم.

- وغير ذلك كثير في القرن الأفريقي ووسط أفريقيا والفلبين وتايلند وكشمير..

- ووصل عدد سجناء المُسلِمِين من الجهاديّين والإسْلَاميّين في كلّ الدّول العربيَّة والإسْلَاميّة لعشرات الآلاف بلا حسيب ولا رقيب.. وسجن علماء واختطف دعاة.. وقتل رموز.. وأحرقت مساجد ومراكز إسلاميّة في أوربّا وأمريكا.. واغتيل مسلمون مهاجرون من الجاليات الإسْلَاميّة ظلماً وعدواناً.. الخ.

فأين ردع هَؤُلَاءِ الإرهَابيين المُسلِمِين المزعومين ؟! حقيقة إن الإرهَاب الحقيقي بمفهومه الصَّحِيح ليستحي من نسبتنا إليه.. ! فنحن في قعر قائمة المرهوبين من كلّ أشكال الكفرة والمرتدّين والظَّالمين.

ثمّ جاءت أحداث سِبتَمبر، ليدفع الغرب المتصهين والأمريكان، فاتورة صغيرة مما عليهم من حساب عسير، فقامت الدُّنيَا وما قعدت إلى الآن !!

سيتفلسف علينا المتفلسفون بالحديث عن دماء المعصومين والمستأمنين والمدنيين والمُسلِمين الخَائِنين من المُنَافِقين العملاء.. إلى آخر دعاوى فُقَهَاء السوء..

ولكن المُقاوَمة الجهاديّة في الحقيقة.. لا تستهدف إلا المستحقين للردع بالإرهَاب والمقصودين بالتصفية، المستحقون للعقاب وفق قوانين السّماء وحتى تشريعات الأرض، بل إنها تعرض عن كثير من المستأهلين لذلك الردع درءاً للمفاسد واستجلاباً للمصالح..

وقد مر في فقرة الأحكام الشَّرعيَّة في البَاب الثّالث الكثير من التفاصيل في أحكام الدِّماء المستهدفة.. فليعاد إليها في مكانها.

وأضيف:

إن هذه الهجمة الدّولية العاتية لا يمكن أن يقوم بردعها بعض التَّنظِيمات الجهاديّة ولا عشرات أو مئات المُجَاهدين هنا وهناك.. لا بُدَّ من أن تتحول المُقاوَمة إلى ظاهرة استراتيجية..إلى نموذج من الانتفاضة الفلسطينية ضدّ قوى الاحتلال والمستوطنين والمتعاونين معهم.. ولكن عَلى شكل موسع يعم كلّ أرجاء العالم الإِسْلَاميّ أساساً، وتصل ذراعه الرادعة إلى عقر ديار الغُزَاة الأمريكان وحلفائهم من الكفّار من كلّ جنس وفي كلّ مكان... يجب أن تتحرك الأُمّة.. بكامل شرائحها للمقاومة والردع وسنين في الفقرة التّالية، آلية عمل المُقاوَمة من النَّاحية العسكريّة والحَركيّة، لتحقيق مثل هذا الردع بإذن الله.

آلية عمل سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ونظرياتها العسكريّة ونظام عملها:

تمت عمليَّة استنباطنا لآلية العمل العسكريّ في دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالمِيّة من خلال دراسة الطرق الثّلاثة السَّابقة، والبحث الدقيق والطويل في الأساليب القديمة الّتي مارسناها في تجارب الجِهَاد السالفة، وما آلت إليه، ومن خلال دراسة واقع موازين القوى الأمنيّة والعسكريّة بيننا كجهاديّين ومقاومين بشكل عام، وبين حجم القوَّات الأمريكيّة والحليفة من الخارج والداخل، وخاصة منذُ الهجمة الأخيرة عَلى أفغانستان والعراق والمطاردات الأخرى في غيرهما.

وكان التَّفكير منصبا لدي ومنذ عدّة سَنَوات عَلى إيجاد طريقة يتوفر فيها الحد الأدنى من الشُّرُوط التّالية:

(١) – فتح إمكانية المشاركة أمام آلاف وقل مئات آلاف أو ملايين المُسلِمِين من المتعاطفين مع الجِهَاد وقضايا أمتهم حيث لا يمكن أن تستوعبهم إمكانيَّات التَّنظِيمات الجهاديّة المحدودة من جهة ولا يريد أكثرهم الارتباط بهذا الالتزام وتداعياته الأمنيّة والشخصية.. وكذلك لا يستطيعون أو لا يرغبون إحراق أنفسهم أمنيّاً باللحاق بالجبهات المفتوحة والمحدودة القدرة عَلى الاستيعاب أيضاً.

(٢) – إيجاد طريقة للعمل السري نستطيع فيها تجاوز مشكلة العلة الأمنيّة في القضاء عَلى كافّة التَّنظِيم جراء اعتقال بعض أفراده بفعل التعذيب للأسرى والمطاردات الأمنيّة الّتي انتقلت من المستوى القطري للإقليمي للدولي، وأجهضت بذلك نهَائِيّاً فكرة حرب العِصَابات المدنيّة السرية من أساسها.

(٣) – إيجاد طريقة تحول المبادرات الفرديَّة الرائعة الّتي تمت عبر العقد المنصرم، من نبضات عاطفية وردود أفعال مبعثرة، إلى ظاهرة يتم توجيهها واستثمارها، ودفع مشروع الجِهَاد بذلك ليكون معركة أمة وليس صِرَاع نخبة.

(٤) – إضفاء صفة حالة الوحدة العامّة عَلى الأعمال الفرديَّة لتيار جهاديّ مقاوم يناسب المَرحَلَة بحيث تلتف حوله جماهير الأُمّة، ويجمع ما بين شكل من أشكال المركزية عَلى صعيد الإنتماء والشعارات والرموز والأفكار، وبين عدم الارتباط المركزي بحيث لا يمكن إجهاضه أمنيّاً.

كنت أبحث باختصار عن طريقة ليس للعدو سبيل إلى إجهاضها حتَّى لو فهمها وفهم أساليبها، وقبض عَلى ثلثي العاملين فيها، طريقة قابلة لتجديد نفسها والاستمرار كظاهرة بعد أن تواجدت كلّ ظروفها

وأسبابها من قبل العدوّ ذاته، وهكذا ولدت الفكرة لدي عمليا من خلال التأمل في فحوى الآية الكريمة
﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء]، وما أقدم عليه بعض المُجَاهدين الفدائيين من العمليَّات الفرديَّة.

حيث نشرتها سرا في بيان كانَ بعنوان: **(بيان من أجل قيام المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة)** أواخر سنة ١٩٩٠م أوائل ١٩٩١م وثم تطوير الفكرة كما ذكرت في المقدِّمة عَلى مراحل إلى أن وصلت شكلها النّهائيّ أواخر سنة ٢٠٠٠م في كابل ونضجت الآن مع دراسة تداعيات أساليب المواجهات بيننا وبين أمريكا وحلفائها في عالم ما بعد سِبتَمبر وغزو العراق، لتكون عَلى الشّكل الّذي أعرضه هنا.

خصائص طريقة عمل سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

١- نظام لا تنظيم:

فهو نظام عمل لا تنظيم مركزي للعمل، حيث تقوم الفكرة عَلى أن يتم ربط كافّة أطياف المقاومين أفراد وخلايا وسَرايا وجماعات محدودة بثلاثة روابط مركزية فقط وهي:

الروابط المركزية لسَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

١- الاسم المشترك والعهد الشخصي مع الله تَعَالَى عَلى الانتماء إليه.
٢- المنهج السّياسيّ الشّرعيّ والعَقِيْدَة المشتركة والعهد مع الله عَلى الالتزام به.
٣- الهدف المشترك وهو مقاومة الغُزَاة وحلفائهم والعهد مع الله عَلى الجِهَاد في سبيله لدحرهم، ثمّ العمل عَلى تحكيم شرعه.

وذلك بالطَّريقة التّالية:

(١) – نشر فكر دعوة المُقاوَمة ومنهاجها وبَرَامج عملها وطريقة أدائها ونظريات عملها في المناحي الثمانية الّتي ذكرناها (العَقِيْدَة القتاليّة – النَّظريَّة السّياسيّة – طريقة التّربية المُتكامِلة للمقاومين – النَّظريَّة العسكريّة – نظريَّة الإعلام والتّحريض ثمّ نظريَّة الحركة الّتي تشتمل عَلى أساليب التّدريب والتّمويل والتَّنظِيم وأمن الحركة) بحيث تمَّ تعبئة شباب الأُمّة ورجالها العازمين عَلى المُقاوَمة في أي محور من محاورها العامّة ولاسيما المحور العسكريّ.

(٢) – توجيه الشَّبَاب إلى ضرب الأهداف المعادية في بلادنا خاصّة – وهي ساحة الْمُقاوَمة الأساسيّة – وفي بلادهم كساحة ردع ومعاملة بالمثل، بما يتناسب مع الضوابط الشَّرعيَّة للمنهج، وحسابات المصالح السّياسيّة، وذلك لتحقيق المردود السّياسيّ والهدف من الْمُقاوَمة.

(٣) – إرشاد الشَّبَاب إلى أن تعد كلّ مجموعة نفسها بنفسها، على ما يلزم من العمل العسكريّ وتقوم بالعمليَّات المتناسبة مع ما حققته من إمكانيَّات التّدريب والإعداد المختلفة، بدءاً من أساليب الْمُقاوَمة الشعبة وانتهاءً بالعمليَّات الاستراتيجيّة المعقدة، ومروراً بكل أشكال ومستويات عمليَّات العِصَابات سواءً كانت في المدن أو الأرياف أو سوى ذلك من أنواع حُرُوب العِصَابات السرية.

(٤) – ليس هناك أي رابط تنظيمي من أي شكل لكافة المنتمين لسَرايا الْمُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة إلا الارتباط بـ (**منهج الاعتقاد، ونظام العمل، والاسم المشترك، والهدف المشترك.**).

(٥) – تعتبر كلّ سرية مكونة من فرد أو أكثر وحدة مستقلة يرأسها أميرها ويدبر شؤونها، وتتجه للعمل العسكريّ مباشرة ولا تتجه لأي شكل من أشكال التَّنظِيم والدّعوة والتّحريض وسوى ذلك من أعمال الجماعات السرية، بل تكون نفسها وتختار هدفها وتهاجمه، وتبلغ أي وسيلة إعلام (بطريقة أمنيّة سننشير إليها في نظريَّة الإعلام)، بأنها سرية (كذا) باسمها الخاص الّذي اختارته، وتؤكد عَلى أنها (من سَرايا الْمُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة) مما يشير لمنهج أصحاب العمل ويربط عمليتهم بإنتاج المجموع المكون لسَرايا الْمُقاوَمة، وسنأتي عَلى مزيد من التفاصيل التَّنظِيمية والعمليّة في نظريَّة العمل والحركة إن شاء الله.

(٦) – فالفكرة هيَ عمليَّة جمع لجهد المقاومين من أصحاب الجِهَاد الفَرديِّ وبقايا التّيار الجهاديّ وأنصاره والمتعاطفون الجدد والناقمون عَلى الغزو الأمريكيّ والراغبون بالتحرك العملي من مختلف شرائح هذه الأُمّة بكل مستوياتها، وضبطها بالأسلوب المشترك والمنهج المشترك لتحقيق النَّتِيجَة، وتحويل الجِهَاد الفَرديِّ إلى ظاهرة يضم جهد المجموع تحت مسمّى واحد ولهدف واحد وعلى شعار واحد منضبط بمنهج سياسي شَرعِيّ تربوي واحد.

فوائد هذه الطَّريقة وميزاتها:

(١) – تفتح الطَّريقة المجال للفرد المجرد إن كانَ يرغب في العمل بمفرده مطلقاً ولا يطمئن لمشاركة أحد، أو للسرية الصغيرة جداً من آحاد الرّجال والأصدقاء الّذين يثقون ببعضهم، لتكوين سرية من

شخصين أو أكثر يتعاهدون فيما بينهم ويعاهدون الله عَلى الانضمام. (لسَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة) من أقرانهم في كلّ مكان ومن كلّ لون وجنس من المُسلِمِين، وهكذا توفر لهم هذه الطَّريقة تجانسهم واحتياطهم الأمني وإمكانيَّاتهم وتفتح لهم مجال العمل المشترك الواسع دون ارتباط، وترشدهم للعمل حيث هم وحيث يستطيعون دون تكلف أعباء الرحيل إلى ساحات المُوَاجَهة أو الانضواء في تنظيم جامع يلزمهم بما لا يطيقون بحسب قناعاتهم، وهَؤُلَاءِ شريحة ضخمة جداً في الشَّبَاب المسلم.

(٢) - تسمح الطَّريقة بالانقطاع التام بين تلك الخلايا بحيث لو كشف كلّ من عمل يقوم وينفذ، فلا يؤثر هذا عَلى من يعمل أو ينوي العمل لأنه لا رابطة بينهم من أي شكل، فهو شكل من أشكال (تنظيم الفكرة) وليس (فكرة التَّنظِيم) و (نظام عمل) وليس (عمل تنظيم)..

وهذه هيَ الطَّريقة الوحيدة للاستمرار في ظل الهجمة الأمنيّة العاتية الّتي نشهدها اليَوْم ويواجهها كلّ من يريد الجِهَاد.

(٣) - يوحي تجمع الجهود تحت مسمّى واحد للأمة بوجود التَّنظِيم والجهة الموجهة والمركز الّذي يربط المجموع بحكم المسمى الواحد، والعَقِيْدَة القتاليّة المشتركة، وطريقة التّربية التفصيلية.

فيرفع هذا الهمم، ويحفر المترددين عَلى الانضمام لقافلة تسير في نظام عمل سري محكم.. كما يوحي المسمى المشترك والهدف والفكر للعدو بوجود تنظيم واحد وراء تلك الأعمال، تنظيم:

يوجه بالفكرة، ويدرب بالإرشاد، ويوحد بالهدف والاسم المشترك العام، ويدير من الخفاء وعن بعد.

ولكنه لما يأتي العدوّ ليقبض عليه، أو عَلى بعض أجزائه يكتشف أنه لم يقبض عَلى شيء يذكر قياساً لباقي الجسد، وهو أمة تجاهد، وليس مجموعة مُجَاهدين من أمة قاعدة.

(٤) - تراكم المتوالية الحسابية لعمليَّات المُجَاهدين: وهذه هامة جداً..

سنطلق الفكرة وننشرها كاملة بكل مستلزماتها بإذن الله تَعَالَى وتيسيره بكل وسيلة، مباشرة أو بالمراسلة، أو عبر شبكات الاتّصال والإنترنيت، ووسائل النشر المختلفة مقرورة ومسموعة ومصورة.. وسنحاول وصولها مترجمة للغات الحية من أمم المُسلِمِين وللغات العَالَمِيّة الرَّئيسيَّة مع الوقت..

فلو فرضنا وهو ما نرجوه من الله أن يؤمن بهذه الفكرة بعض الآحاد ممن يساهم في عمل واحد في كلّ سنة مرّة واحدة عَلى الأقل، وهذا سهل إذا فتحنا أمامه مختلف أشكال الأهداف والأفكار الإِرهَابية

العسكريّة وأساليب المُقاوَمة الشعبيَّة وصولا إلى العمليَّات المعقدة للخلايا الّتي لاقت خطاً من التّدريب..

فلنفرض أن في طول الأُمّة وعرضها بمئات ملايينها المقهورة الثائرة، اقتنع في السنة الأولى من نشر الدّعوة اثني عشر مجموعة مكونة من فرد أو رهط من الأصدقاء.. وعملت كلّ مجموعة من هَؤُلَاءِ وبصورة لا مركزية مرّة في السنة فستكون الحصيلة / ١٢/ عمليَّة في السنة أي عمليَّة شهرياً ابتدأ.. ولو وصل العدد لاثنين وخمسين مُجَاهد أو خلية تعمل كلّ واحد منهم مرّة في السنة، لكانت الحصيلة عمليَّة أسبوعيا.. وهذا ليس بطاقة أي تنظيم سري أو عِصَابة مسلحة..

فلوما نسبت العمليَّات لمسمى واحد جامع (سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة) وتحت فكر وشعار وهدف واحد، لكانت النَّتِيجَة المفترضة بإذن الله تحريض المئات والآلاف، وعندها تتدرج العمليَّات والمساهمات الفرديَّة لتصبح ظاهرة فعلاً كما هو شعار دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

الجِهَاد والمُقاوَمة: معركة أمة، وليس صِرَاع نخبة.

وبالتضافر مع ما سنوجه له من محاور المُقاوَمة الأخرى من المُقاوَمة المدنيّة والإعلاميَّة والفكريّة والسّياسيّة.. نصل إلى المنشود بإذن الله تَعَالَى، وهو انتفاضة أمة شاملة عَلى امتداد العالم الإِسْلَاميّ وحيث توجد الجاليات الإِسْلَاميّة من مختلف الجنسيات.. عَلى شاكلة (الانتفاضة الفلسطينية) ولكن ضدّ أمريكا بصورة رئيسيَّة ثمّ حلفائها الخارجين والمحليين في كلّ مكان، ضمن الضوابط الآنفة الذكر شرعياً وسياسيّاً.. وعندها ستولد بإذن الله خلايا تعمل ليس مجرد مرّة في السنة وإنما أكثر من ذلك..

وباكتشاف المتوالية الحسابية نجد أن بالإمكان الوصول لعشرات العمليَّات أو أكثر يومياً إن شاء الله، وهكذا نضع مهمة الجِهَاد في طريقها الصَّحِيح كفريضة الصّلاة والزّكاة.. وهذا يحتاج ضمّ جهود العُلَماء والدعاة والأدباء والخطباء والمفكرين والكتاب لتصب جميعها بالتّحريض كلّ بحسب حجمه وما يسمح له وضعه وأسلوبه.. لتهييج المشاعر لتظهر في النهاية آثار ذلك عَلى شكل سرية من سَرايا المُقاوَمة المنشودة بإذن الله.

(٥) – تسمح فكرة (سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالِيّة)، بل تتضمن فكرة تسمية كلّ سرية باسمها الخاص الّذي تختاره لنفسها سواءً كانت من مُجَاهد واحد أو اثنين أو خمسة أو أكثر.. وهذا يشعر السرية بإنتاجها وارتباط اسمها بإنتاجها وهذا إحساس ورغبة فطرية لدى الإنسان، كما تفتح باب التسابق بين السَرايا وفرق الكوماندوس المقاوم كلّ بحسب حجمها.. فيولد تسابق ومسارعة في درب الشَّهَادة وطاعة الله ونكاية أعدائه، وهكذا يمكن التشبيه بين فكرة انتشار المُقاوَمة ورابطتها بين أعضائها وسَراياها الّتي لا رابط بينها حركياً بفكرة (الطرق الصوفية) في انتشارها دون اتصال بقيادة ولا حتَّى معرفة بالمرشد وشيخ الطَّريقة، **مع الفارق الأساسي وهو أن:**

طريقة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالمِيّة:

طريقة متكاملة تعتمد عَقِيْدَة أهل السّنّة والجماعة وفقه مذاهبهم المعتمدة وأئمتهم الأعلام، وتقوم علىَ فهم متكامل، فهي: طريقة عقدية جهاديّة سياسيّة سلوكية تربَويّة شاملة.

وكما تنتشر بعض الطرق ليعد أتباعها بالملايين من كلّ أقطار الدُّنيَا دونما رابط إلا اسم الطَّريقة ومنهاجها وبرنامجها التربوي ورموزها التارِيخِيَّة.. نأمل أن تنتشر طريقة المُقاوَمة العَالَمِيّة هذه حيث ستوفر قائمة الشّهداء في المُقاوَمة.. أقطاب ورموز هذه الطَّريقة الجهاديّة الشّاملة.

(٦) – تقوم فكرة سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة عَلَى تجانس السرية ضمن خيار أعضائها في المذاهب ضمن مدارس أهل السّنّة والتصوُّر والفهم العام سياسيّاً وأمنيّاً وعسكريّاً وتربوياً.. بما يناسب حالهم ومكان عملهم دون أن يتضارب هذا مع حالة التنوع عَلَى مستوى السَرايا ككل ودعوة المُقاوَمة بكل محاورها العسكريّة والمدنيّة والدعوية والسّياسيّة والإعلاميَّة.. إلى آخر مجالات ومحاور المُقاوَمة.

(٧) – سهولة الانتماء ومباشرة العمل دونما تعقيدات في مراحل التَّنظِيم والتكوين والتّربية كما هو معهود في الجماعات والتَّنظِيمات التقليدية، فكما شرحنا في نظريَّة التّربية، فإن شعار أداء الفريضة وتوقيتها هو قوله ﷺ «أَسْلِمْ ثمَّ قَاتِل»[1]:

---

(١) رواه البخاري (٢٨٠٨).

تعتبر طريقة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

قتال أعداء الله الغُزَاة ومن والاهم وقاتل المُسلِمِين معهم فرض عين كالصّلاة والزّكاة وتعتبر توقيت أداء الفريضة في أحوالنا هذه فوريا، يقع التكليف فيه بمجرد الإِسْلَام.

كما قَالَ ﷺ: « أَسْلِمْ ثُمَّ قَاتِلْ »

وهكذا:.. فكل من كانَ مسلماً حتَّى ولو دخل الإِسْلَام منذُ ساعة بعد أن دخل الإحتلال وحل الجِهَاد وصار فريضة عينية، تعينت عليه الفريضة، أما مراحل التّربية في مراحل العَقِيْدَة الجهاديّة والفهم السّياسيّ واستيعاب الأحكام الشَّرعيَّة.. فتتم مع الوقت ولكن عَلى أن يجدَّ أمير كلّ سرية أو مجموعة بتأهيل نفسه ومن معه من خلال برنامج دعوة المُقاوَمة المفصل والميسر بطريقة سهله ميسره..

وهكذا فما عَلى من يريد الجِهَاد والإنتماء لهذه الدّعوة إلا أن يعقد العزم عَلى ذلك، ويعاهد الله عَلى التزام منهجها واسمها وشعاراتها ويسلك سبيل العمل المباشر ضمن استطاعته، ولاسيما أولئك الّذين سبق لهم تلقي تدريب عسكريّ إما في جماعة جهاديّة أو مؤسسة عسكريّة رسمية أو غير رسمية..

فالقضية في أساسها كما سنشرح في نظريَّة التّدريب عَلى أساس الحقيقة الّتي تقول أن أساس عمل المُجَاهد ولاسيما في حُرُوب العِصَابات عَلى مبدأ (إِرادَة القِتَال) وتوفيره ورفع مستواه.

أنواع سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ومستوى عمليَّاتها العسكريّة:

تختلف المستويات بين سرية وأخرى من حيث الإِعداد العسكريّ والمادي واللوجيستي، مما يجعل أهليتهم في تنفيذ العمليَّات الّتي أشرنا لبعض نماذج أهدافها مختلفة أيضا، في الداخل والخارج.

وهنا نميز بين عدّة أنواع من السَرايا بحسب قدراتها الفنية والعسكريّة والتكنولوجية والأمنيّة والمالية.. وذلك بحسب التسلسل التّالي:

أولاً: سَرايا المُقاوَمة الشعبيَّة:

وتتكون هذه السَرايا من الأفراد والمجموعات الصغيرة المحدودة الإمكانيَّات من حيث التّمويل أو من حيث مستوى التّدريب وهم غالبية المُسلِمِين السَّاحقَة.

وهَؤُلَاءِ يستطيعون القيام بأعمال بسيطة محدودة المستوى من النَّاحية العسكريّة **ولكن أهمية مشاركتهم تأتي في الدرجة الأولى من كثرتها حال تحول المُقاوَمة إلى ظاهرة، لأنها لن تدع للمُستَعمر قراراً**

يقر في بلادنا، وستسبب إزعاجاً هائلاً إذا تفشت ظاهرة المُقاوَمة في الجاليات المُسلّحة المقيمة في الدّول المشاركة في الحَرب عَلى المُسلِمِين ولاسيما الدّول الغربيّة.

ثانياً: السَرايا العسكريّة العامّة:

وتتكون هذه السَرايا المُسلّحة محدودة الإمكانيَّات، من الأفراد الّذين سبق لهم التّدريب عَلى استخدام الأَسْلِحة الخفيفة الفرديَّة والمتفجرات بمستوى متوسط، وجل هَؤُلَاءِ من بقايا خلايا التّيار الجهاديّ وتنظيماته أو المُجَاهدين الّذي سبق لهم مشاركة ما في ساحات الجِهَاد كأفغانستان أو الشِّيشَان أو البوسنة وكشمير أو الفلبين أو غيرها، أو سبق لهم التّدريب في أن سبيل آخر، أو عبر خدماتهم في الأجهزة الأمنيّة أو العسكريّة لبلادهم.. وقد تكون العوائق المادية والأمنيّة حائلاً دون تمكن هذه السَرايا من عمليَّات نوعية كبيرة مدوية، **ولكن مساهماتها العسكريّة هيَ الأساس في حرب العِصَابات الّتي تشنها سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة لكثرة هذا النوع من الكوادر الجهاديّة في العالم العربيّ والإِسْلَاميّ**، وحتى بين الجاليات المسلمة في البلاد المحاربة، فهو عدد من فئة عشرات الآلاف من الجهاديّين وأنصار المُقاوَمة، ناهيك عن مئات آلاف وقل الملايين من الرّجال الّذين انتسبوا لجهاز حكومي أمني أو عسكريّ في حياتهم كدورات عامة أو كمحترفين وتركوا ذلك أو ما زالوا في الخدمة، ويحركهم مشاعر دينية ووطنيّة وقومية أو مشاعر الضمير الحي بشكل قوي.

ثالثا: سَرايا المُقاوَمة النوعية:

وهي السَرايا عالية الإمكانيَّات الأمنيّة والحَركيّة والعسكريّة والمادية وتتشكل من العناصر أو المجموعات الّتي كانت قد تلقت تدريباً عالياً في المجال الأمني عَلى العمل السري والإِرهَاب المدني وإدارة الخلايا في حُرُوب العِصَابات وتقنيات الاتّصالات وأمنياتها وكذلك تدريباً عسكريّاً عالياً في مجال استخدام الأَسْلِحة والمتفجرات ولاسيما تكتيكات قتال حُرُوب العِصَابات في مختلف الظّروف وخاصة تصنيع المتفجرات واستخدامها وإتقان استعمال طرق التفجير المختلفة ولاسيما الإلكترونية.

وكذلك توفر لها عامل مهم للعمل وهو الإمكانيَّات المالية العالية الّتي تمكن هذه الخلايا من العمل عَلى مستوى عالي في داخل ساحة المُقاوَمة الرَّئيسيَّة الأولى أو في السَّاحَة الخارجيّة داخل الدّول المعادية أمريكا في أمريكا في الدرجة الأولى ثمّ الدّول الحليفة لها.

رابعاً: سَرايا العمليَّات الاستراتيجيّة:

وهذه السَرايا سَرايا خاصّة يمكن أن يقوم بتشكيلها من تتوفر لهم الشُّرُوط التّالية:

١ – فهم استراتيجي لطبيعة الصِّرَاع وما وصل إليه من النَّاحية السّياسيّة والعسكريّة والاستراتيجيّة عامةً وقدرة عَلى الدّراسة الشَّرعيَّة للعمليَّات الكبرى وآثارها السّياسيّة، من أجل قيادة وإدارة هذا النوع من السَرايا.

٢– إمكانيَّات مالية عالية جداً لتأهيل مثل هذه السَرايا وتمويل عمليَّاتها.

٣– إمكانيَّات أمنيّة وحركية عالية جداً للعناصر المتحركة للعمل والتنفيذ.

٤– إمكانيَّات عسكريّة عالية جداً للعناصر المتحركة للعمل والتنفيذ.

٥– معرفة وإمكانيَّات عمليَّاتية في امتلاك واستخدام أَسْلِحة الدمار الشّامل وقت الحاجة للمعاملة بالمثل أو للحسم الاستراتيجي للصراع مع أمريكا.

ويمكن أن يقوم بتشكيل هذه السَرايا نخبة من الممولين المُسلِمِين المُؤمِنِين بنهج المُقاوَمة، بالتّعاون مع كبار قدماء الجهاديّين وبالتّعاون مع بعض الشرفاء الّذين سبق لهم العمل في أجهزة الأمن السابقين في حُكُومَات بلاد المُسلِمِين وكذلك قدماء العسكريّين والعُلَماء الإستراتيجيين في المجالات العسكريّة، وبعض السّياسيّين المخلصين من المتقاعدين أو حتَّى من الّذين مازالوا عاملين في بعض أجهزة الحُكُومَات العربيَّة أو الإِسْلَاميّة، ممن يمكن الوثوق بولائهم لدينهم وأمتهم وبلادهم، وبسريتهم وإيمانهم ببرنامج المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

وهَؤُلَاءِ يكفي أن ينجز من أعمالهم واحدة كلّ سنة أو سنتين عَلى أن تكون من الحجم الحاسم، والله الموفق ولله جنود السموات والأرض.. وما يعلم جنود ربّك إلا هو.

الثّقافة الإرهَابية والملكة الإرهَابية والصفات المكتسبة لمقاتل حرب العِصَابات:

الثّقافة الإرهَابية:

هيَ مجموعة المعارف والمعلومات والثّقافة العامّة الّتي يتملكها المقاتل بأسلوب (الإِرهَاب) ولاسيما في حرب عِصَابات المدن.. ومن ذلك بعناوين مختصره..

- الانخراط في الحياة العامّة بشكل عملي ومعرفة بأوجه نشاط النّاس.

- معرفة ومطالعات في كتب الإستخبارات والجاسوسية والحُرُوب الخفية.

- معرفة ومطالعات في أساليب الإستخبارات في التحقيق والاستجواب والتحري، وجمع المعلومات والمطاردات الأمنيّة والتجسس والتصنت وأدواتها وأجهزتها الحديثة.

- معرفة ومطالعات في علم الأدِلَّة الجنائية وأساليب الأمن في متابعة الوقائع الأمنيّة والحوادث الجنائية وما شابهها.

- معرفة ومطالعات في تاريخ العمليَّات الخاصّة وتفاصيل أحداثها، سواءً العسكريّة الّتي قامت بها النخب العسكريّة من كوما ندوس العِصَابات والجماعات المُسلّحة العَالَمِيّة وكذلك في أسباب نجاح وفشل تلك العمليَّات ولاسيما الكبرى منها..

- معرفة بأساليب عمل ما يسمى (بفرق مكافحة الإِرهَاب) وأسلحتها وتدريباتها وطرق عملها، ودراسة في بعض عمليَّاتها الناجحة والفاشلة في مختلف دول العالم ولاسيما خلال السَنَوات العشر الأخيرة.

- معرفة ومطالعات في كتب (حرب العِصَابات) بمختلف أشكالها.. حُرُوب العِصَابات المدن والجبال والغابات أو الأرياف، وحرب العِصَابات في الصَّحرَاء وحُرُوب الإنفاق وغير ذلك.. وغير ذلك من أنواع تلك الحُرُوب وفنون وأَسْلِحة كلّ نوع من تلك الحُرُوب وأساليبها وتاريخ تجاربها ومدارسها الشهيرة في التّاريخ الحديث ولاسيما في الثورات الكبرى في الحقبة الاستعماريّة في فترة ما بين الحَربين، ثمّ فترة الصِّرَاع ضدّ الإمبريالية الأمريكيّة بعد الحَرب العَالَمِيّة الثّانية ولاسيما في أمريكا الجنوبية وأفريقيا وبعض الدّول الأخرى في آسيا.

- علوم ومعارف عامة تساعد في عمل حرب العِصَابات عموماً ولاسيما حرب عِصَابات المدن أو أعمال الإِرهَاب المدني ومن ذلك:

* علم الكومبيوتر؛ فهو اليَوْم من أهمّ العلوم الّتي تساعد في كافّة مجالات العلوم والثقافات الأخرى اليَوْم وكذلك.

* معرفة عامة بعلم الكهرباء والإلكترونيات والأجهزة الإلكترونية، ومن المفيد معرفة عامة بعلم الميكانيكا والآلات ولاسيما المركبات والأَسْلِحة والتعامل معها وإصلاحها وتعديلها بحسب ما يلزم..

* شيء من المعلومات والمطالعات العامّة حول التّاريخ والسّياسة والاقتصاد... وبجغرافيا ومناخ واقتصاد وطرق وبنية البلد الّذي يعمل فيه والعادات والتقاليد وعموم أوجه النَّشَاط الحياتي البشري في منطقة عمل مقاتل عمل العِصَابات أو المُجَاهد بأسلوب حرب العِصَابات، إلى آخر ذلك..

إن مجموعة هذه العلوم والمعارف تكوِّن عند المُجَاهد في مجال حرب عِصَابات المدن أو ما يسمى (الإِرهَاب)، هذه المعارف تكون ثقافة لدى الإِرهَابي وتنمي لديه الملكة، ملكة الإِرهَاب في اختيار الأهداف وطبيعة العمليَّات وإمكانية تنفيذها ولوازمها وآثار ذلك وتبعاته من النواحي الأخرى السّياسيّة والأمنيّة.. الخ ذلك، وأقترح فعلاً عَلَى المشرفين عَلَى إعداد الخلايا والسَرايا الإِرهَابية أن يضيفوا إلى بَرَامج الإِعداد لديهم مادة باسم (ثقافة إرهابية) تشمل ذلك وتضم مكتبة ينصح بها المتدرب للمطالعة والتثقف.

الملكة الإِرهَابية:

أذكر أن ألقيت محاضرة في دورة لتأهيل الكوادر في تنظيم القَاعِدَة من بعض الشَّبَاب المختارين من المُجَاهدين العَرَب أيّام الجِهَاد الأفغاني سنة ١٩٨٩، وكانت بعنوان:

(الإِرهَاب ملكة)..

وفعلاً وبعد طول تماس مع التّيار الجهاديّ ومجالات التّدريب والعمل والاحتكاك بمئات المُجَاهدين من مختلف الجنسيات والأنواع والمستويات.. فضلاً عن مطالعات كثيرة يسرها الله تَعَالَى في هذه المجالات.. رأيت أن الاستعداد للعمل في مجال الإِرهَاب يقوم عَلَى ثلاث أسس:

-(١) ملكة. -(٢) ثقافة عامة واسعة. -(٣) صفات مكتسبة وإعداد.

وفي حين يمكن أن يرفع مستوى الثّقافة لدي المُجَاهد، وكذلك يمكن رفع مستوى الإِعداد ومستوى الصفات المكتسبة، وهذا يؤثر في صقل الملكة.. ولكن تبقى الملكة أساس في إيجاد الإِرهَابي المتقن لعمله وأدائه.

ومن هذا الوجه فإن ملكة الإِرهَاب مثلها مثل ملكة الشعر والموسيقي والرسم ومختلف أوجه الفنون والأدب الهوايات.. والملكات والعقليَّة والعمليّة الأخرى عموماً.. هيَ موهبة، فهناك أشخاص مؤهلين بالفطرة والإمكانيَّات الذاتية ليكونوا إرهابيين ناجحين يتقنون اختيار العمليَّات والتخطيط لها وتنفيذها ويدركون حساباتها السّياسيّة وضوابطها الشَّرعيَّة والأخلاقية.. الخ.

وعلى المدربين والمشرفين عَلى إنشاء السَرايا في المُقاوَمة أن يكتشفوا تلك المواهب ويصقلوها بالثّقافة والتّدريب لتأخذ مكانها في قيادة أعمال الإِرهَابيين في هذا النوع من الجِهَاد المبارك..

الصفات المكتسبة لمقاتل العِصَابات:

وهي مجموعة العلوم والإمكانيَّات والمدارك والمعارف والقدرات البدنية والفنية الّتي يتم تدريب مقاتل العِصَابات عليها، في مختلف المجالات العسكريّة المباشرة كاستعمال الأَسْلِحة المختلفة، وما يتبع ذلك أو العلوم التَّابعة الأخرى.. وأترك الخوض في بعض تفاصيل هذه إلى باب الإِعداد والتّدريب بما يسيره الله تَعَالَى وهو المُستَعان.

وأخيراً في ختام النَّظريَّة العسكريّة بعد استعراض مجالي عمل المُقاوَمة في الجبهات المفتوحة والإِرهَاب الفَرديِّ، يجدر أن أعرج عَلى العلاقة بين هذين النوعين من الجِهَاد، قبل أن أختم هذا البَاب..

العلاقة بين جِهَاد الجبهات المفتوحة وجِهَاد الإِرهَاب الفَرديِّ:

سيأتي شيء من التفصيل لهذه الفقرة في باب نظريَّة التَّنظِيم ولكن يمكن إيجاز بعض الأفكار في هذه الفقرة بما يلي:

(١) – بضوابط أمنيّة صارمة يجب الأخذ بها يمكن أن تستفيد السَرايا العاملة في مجال جِهَاد الإِرهَاب الفَرديِّ في رفع إمكانيَّات عناصرها العسكريّة والتّدريبية عامة في الجبهات المفتوحة.

(٢) – يمكن أن تستفيد بعض العناصر العاملة في مجال تجنيد وبناء السَرايا من الجبهات المفتوحة في تجنيد بعض العناصر القادمة للجِهَاد وانتقائها وإرسالها للعمل في بلدانها أو حيث تستطيع في مجال إرهاب

الجِهَاد الفَرديِّ أو الخلوي مع مراعاة ملاحظة هامة جداً وهي أن لا يأخذ ذلك شكل التَّنظِيم والارتباط المركزي.

(٣) يمكن أن تشكل الجبهات المفتوحة مفراً وملاذاً آمناً للمطاردين والمطلوبين من الّذين عملوا في مجال جِهَاد الإِرهَاب الفَرديِّ، حيث كشفوا ولم يعودوا يستطيعون المتابعة بشكل مكشوف ولا يستطيعون الاختفاء.

(٤) – يجب التنبيه عَلى أن سَرايا المُقاوَمة من العاملين في مجال العمل السري يجب أن يبقوا عَلى أسلوبهم السري حال انتقالهم للعمل في الجبهات، ولا يتحولوا للعمل والدّعوة العلنية وهذا مقتل ومنزلق خطير نتيجة الأجواء الآمنة والعاطفية.

(٥) – يجب أن يعمل أفراد سَرايا السرية المُقاوَمة إن توجهوا للجبهات المفتوحة تحت قيادة أمراء تلك الجبهات وخاصة المحليين أو الإدارات العامّة الّتي تنشأ حال تكرار مثل ذلك، فيجب أن يعملوا تحت إدارتها بإخلاص وتفان طالما تواجدوا في تلك الأجواء، وأن يسعوا إلى التواجد في خطوط القِتَال الأولى ومُعَسْكَرَات الإِعداد لأداء الفريضة بإخلاص وللتماس بالمُجَاهدين ونشر الدّعوة ومنهجها بشكل سري ماأمكن.

(٦) – أما ما تستفيده الجبهات من سَرايا الجِهَاد الفَرديِّ والخلوي فهو أن عمل هذه السَرايا هو ذراع طويلة لجِهَاد تلك القضايا تستطيع من خلال عملها توفير الردع اللازم للقوى المعتدية، وفي تصفية قيادات الخصوم، والعمل خلف خطوط العدوّ، وتنفيذ العمليَّات الخاصّة بالتّعاون مع أمراء تلك الساحات والقضايا بشكل سري ومبرمج.

والآن وفي الختام نناشد من يبلغه النداء..

أيها الشَّبَاب المُجَاهد.. يا رجال هذه الأمّة من الشرفاء.. أيها الأوفياء العازمون عَلى الجِهَاد.. إن الأُمّة اليَوْم قد تماوت في معظم رجالها العزيمة، وضربها الوهن من «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»، ولاسيما منذُ سقطت خلافة المُسلِمين وكيانهم السّياسيّ واستعمرهم أعداؤهم.

ويجب أن نحيي الأُمّة ونأخذ بيدها من هذا الموات..

لقد كانَ بعض الشَّبَاب المُجَاهد إبَّان زحف الأمريكان الأوّل عَلى العراق سنة ١٩٩١. يعبر نهر الأردن بسكين أو مسدس أو ما تيسر له، يبحث عن جندي صهيوني ليصرعه ويساهم في جِهَاد هذه الأُمّة.. وكان بعض المُجَاهدين يذهب إلى آخر الدُّنيَا لتنفيذ عمل خلف خطوط العدوّ رداً عَلى عدوانه عَلى هذه الأمّة..أو ليلتحق بساحة جِهَاد لا يصلها إلا بشق الأنفس.

وها قد سهل الأمر.. لقد جاءتنا أمريكا بمئات آلاف الجنود والخبراء ونشرتهم بين أظهرنا.. فضلاً عن مئات آلاف المدنيين من العاملين في المجالات الاستعماريّة الأخرى من سياسيّة واقتصاديَّة وثقافية وسوى ذلك.. ولا يكلف الأمر الّذي ندعوا إليه انتسابا لتنظيم ولا يستدعي سفرا ولا هِجرَة، ولا تغييرا لنظام الحياة.

فكل ما يحتاجه الأمر:

- قرار شخصي حازم عَلى أداء الفريضة المتعينة، وعزم أكيد عَلى المساهمة في الجِهَاد والمُقاوَمة..
- عهد بينك وبين الله تَعَالَى، ثمّ بينك وبين من ستعمل معه عَلى الانتساب لدعوة المُقاوَمة.
- شكل سريتك.. وتكون بذلك عضواً في هذه الدّعوة، وسرية ضمن سَرايا المُقاوَمة العَالَمِيّة.
- إسع في فهم المنهج، وتطبيق برنامجه التربوي وسر به بتؤدة قدر استطاعتك.
- أعدَّ نفسك ومن معك قدر استطاعتك.
- بادر للعمل فالجِهَاد فريضة عينية واختر هدفا معاديا يناسب إمكانيَّاتك المادية والعسكريّة.
- تريث وفكر.. صمم واستخر الله.. ثمّ أقدم..

وحيا هلا عَلى طريق الحسنين، إما نصر وإما شهادة، إنها دعوة عمل وشهادة.. ليست طريقة جدل ولا منهجا للقيل والقال وكثرة السّؤال، فقد شبعت الأُمّة من ذلك وآلت إلى ما نحن فيه..

والله المُستَعان وآن أوان النَّفِير..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة]

الفصل الثامن

الباب الخامس

«نظريَّة التَّنظِيم ونظام العمل في سَرايا المُقاومة الإسْلاميّة العَالَمِيّة»

تقوم نظريَّة العمل والبناء التَّنظِيمي عَلى أساس القَاعِدَة والشعار الأساسي في طريقة العمل وهو: (نظام عمل وليس تنظيم للعمل) " **نظام لا تنظيم** " أي أن سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة تبني طريقة عملها كما مر شيء من شرح ذلك في النَّظريَّة العسكريّة عَلى أساس نظام للعمل وجمع جهود نتائجه وليس عَلى أساس التَّنظِيم المركزي، ولنبين ذلك بمزيد من الشرح:

أسس ومقوّمات بناء التَّنظِيمات التقليدية:

كنت قد لخصت في محاضرة ألقيتها في بيشاور سنة ١٩٩٠ المقوّمات والأسس الّتي تقوم عليها التَّنظِيمات التقليدية وهي خمسة:

١ – **المنهج**: وهو الفكر والعَقِيْدَة الحَركيّة الّتي يلتقي عليها أعضاء التَّنظِيم.

٢ – **القيادة**: وتشمل الأمير – ودائرة الشورى والإدارة – وطريقة اتخاذ القرار.

٣ – **المخطط**: وهو برنامج استراتيجية العمل لتحقيق الأهداف.

٤ – **التّمويل**: وهو الوسائط المادية الكفيلة بسد احتياجات تنفيذ ذلك المخطط.

٥ – **البيعة**: وهو نظام الارتباط بين الأمير والمأمور في تلك السلسلة الحَركيّة.

أسس ومقوّمات بناء دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة وسَراياها المُجَاهدة:

كما بينت في النَّظريَّة العسكريّة، وعبر ما سبق فإن أسس البناء في دعوتنا تقوم على:

- **الإيمان بفكر الدّعوة وعقيدتها الأساسيّة والجهاديّة ونظريتها السّياسيّة الشَّرعيَّة.**
- **العمل لتحقيق الهدف المشترك وهو دفع الصّائل من الغُزَاة المحتلين وقتال من عاونهم.**

- **تطبيق منهج التّربية المُتكامِلة من قبل الأعضاء.**
- **طريقة العمل والحركة وتشتمل التفاصيل المحددة في النَّظريَّات (العسكريّة – التَّنظِيمية – الإِعداد – والتّدريب – التّمويل – التّحريض).**
- **حمل الإسم المشترك العام للسَرايا إلى جانب الاسم الخاص للسرية.**
- **العهد مع الله تَعَالَى عَلى التزام المنهج والعمل عَلى تحقيق الهدف.**

فإذا ما أردنا عقد مقارنة بين مقوّمات التَّنظِيمات التقليدية ومقوّمات نظام عمل سَرايا دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة لوجدناه اختصاراً بحسب الجدول التّالي:

أسس العمل	مقوّمات التَّنظِيمات التقليدية	نظام عمل سَرايا المُقاوَمة
الهدف	إسقاط الحكومة وإقامة الحكومة الشَّرعيَّة في القطر المحدد.	المُقاوَمة من أجل دفع صائل الغُزَاة وأعوانهم.
المنهج	فكر ومنهج التَّنظِيم الجهاديّ.	منهج دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة
القيادة	الأمير المركزي والقيادة	الإرشاد العام للسَرايا العَالَمِيّة. والأمير الخاص للسرية.
المخطط	برنامج عمل التَّنظِيم	مقاومة الإحتلال وضربه في كلّ مكان.
التّمويل	مصادر تمويل التَّنظِيم وبرنامج إنفاقه ومصادره التبرعات.	التّمويل الخاص بالسرية ومصدره الغنائم والتبرعات.
البيعة والعهد	بيعة مركزية للأمير	عهد مع الله عَلى الجِهَاد والمُقاوَمة وعهد عَلى طاعة أمير السرية.

فدعوة المُقاوَمة تقوم عَلى الخلايا اللامركزية، وسَراياها المُجَاهدة تقوم عَلى العمل الفَرديِّ وعمل الخلايا الصغيرة المنفصلة تماماً واللامركزية تماماً، بحيث لا يربطها كما أسلفنا إلا **الهدف المشترك والاسم المشترك ومنهج الاعتقاد وطريقة التّربية.**

● **<u>بناء الخلايا والسَرايا: (نظام البناء والعمل):</u>**

عندما وضعتُ نظَريَّات المُقاوَمة بشكلها النّهائيّ سنة ٢٠٠٠ في كابل في ظلال الإمارة الإِسْلَاميّة في أفغانستان أيّام طالبان وبدأت محاولة بناء نواتها لأولى عَلى الأرض في أفغانستان، كانت صيغة البناء

التَّنظِيمي بحسب ما شرحتها في سلسلة دُروس (الجِهَاد هو الحل) ودُروس الفيديو (سَرايا المُقاوَمة) عَلى الشّكل الّذي سأبين في هذه الفقرة حيث سأذكر بعد هذا البيان، التعديل الّذي ألزمتنا إياه تداعيات أحداث سِبتَمبر والحملات الأمريكيّة وجعلتني أعدل الفكرة بما يناسب الواقع الحالي.

** الدوائر التَّنظِيمية الثّلاثة لسَرايا المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة:

*** أولاً : الدّائرة الأولى: وهي (السّرية المركزيّة):**

والَّتي مهمتها الأساسيّة الإرشاد والتوجيه والدّعوة، وذلك من خلال نشر أدبيات الدّعوة ومناهجها السّياسيّة الشَّرعيَّة والتربَويّة والحَركيّة وإيصالها إلى مختلف شرائح الأُمّة، وإصدار البيانات الإعلاميَّة والمنهجيّة باسم الدّعوة وسَراياها بحيث تشتمل عَلى فكرها وطرق أدائها ووجهة نظرها، بالإضافة إلى بناء السرية المركزية العاملة عسكريّاً عَلى أرض الجبهة الّتي كانت مفتوحة في أفغانستان، والعمل من خلال التّواصل مع من أمكن التّواصل معه في بناء علاقات تعاون وتنسيق مع سَرايا غير مركزية تحمل دعوة المُقاوَمة وتعمل بشكل منفصل تماماً عَلى الصعيد الحَركيّ.

*** ثانياً: دائرة التّنسيق أو (السَّرايا اللامركزيّة):**

وتتكون من العناصر الّتي أمكن التّواصل معها وإخضاعها لدورات التأهيل الفكريّ والمنهجي والتربوي المتكامل فكرياً وسلوكياً وعسكريّاً وحركياً من خلال التماس معها، حيث يكون برنامج تلك العناصر الارتحال عن الجبهة، والانتشار في الأرض كلّ بحسب ظرفه وحياته، والعمل بشكل حر ومنفصل تماماً عن السرية المركزية من النَّاحية الحَركيّة بحيث لا يربطها إلا الاسم والهدف والمنهج العقدي والتربوي وطريقة العمل وتنقطع الصلة بها تماماً، وميزة هذه السَرايا عن التّالية أن قياداتها قد أمكن تربيتها بشكل مباشر عَلى فكر الدّعوة مما يمكنها من نقل أساليب التّربية ومنهج الاعتقاد والتَّفكير والعمل بشكل سليم، كما أمكن إعدادها عسكريّاً بشكل متقن يمكنها من نشر العلوم العسكريّة اللازمة.

*** ثالثاً: الدّائرة الثّالثة (دائرة الدّعوة) أو السَّرايا العامّة لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:**

وهذه السَرايا هيَ الأساس في دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة الّتي رفعت شعار:

(المُقاوَمة معركة أمة وليس صِرَاع نخبة)

حيث تكون الدّعوة وإيصال الفكرة بكل الأساليب المختصرة والمفصلة لتمكين الشَّبَاب العازم عَلى الجِهَاد من الدخول في الدّعوة وتشكيل سَراياهم الخاصّة المستقلة كليا للمشاركة في المُقاوَمة دون أي ارتباط حركي بالمركز.

حيث يقتصر الرابط كما أسلفنا عَلى الهدف المشترك والاسم المشترك ومنهج العَقِيْدَة الجهاديّة المشترك ومنهج التّربية المُتكامِلة، وحيث تُوفِر لهم المناهج المنشورة، كافّة المواد اللازمة لاستكمال إعدادهم الذاتي حيث هم لمباشرة العمل عَلى بصيرة ومن خلال منهج منضبط واضح.

بحيث لا يلزم العنصر الملتحق بسَرايا الدّعوة العامّة، إلا أن يؤمن بالفكرة ويجزم النِّيَّة ويلتحق بالدّعوة ويربي نفسه ومن معه عَلى منهجها مع الوقت مبتدءاً العمل وفق الأساليب والطرق المبينة في منهج الدّعوة المنشور وأدبياتها..

وقد ركزت في الكتابات والتسجيلات الّتي شرحت بها الطَّريقة عَلى أن أساس الدّعوة ومجالها الاستراتيجي هو الدّائرة الثّالثة سَرايا الدّعوة.. (سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة) وقد وضعنا تفاصيل تشرح للمريدين لهذه الطَّريقة سبل إنشائهم للسَرايا وطريقة عملهم الّتي سأبينها فيما يلي، **ولكني أشير قبل ذلك..**

إلى أن تداعيات أحداث سِبتَمبر وإسقاط إمارة أفغانستان، وانهيار نظَريَّات المُوَاجَهة المتمركزة نهَائِيَّاً مع الهجوم العسكريّ الأمريكيّ الطَّاغي مادياً وتكنولوجياً وبشرياً عَلى كلّ صعيد، وثبوت ذلك في المواجهات المحدودة الّتي تمت بين قوّات المُجَاهدين المتمركزة المكشوفة وقوّات هذه الحملات الأمريكيّة في أفغانستان ثمّ في باكستان وفي العراق وبعض البؤر الأخرى كاليمن وسواها، أكد لي تماماً الأهمّيّة الاستراتيجيّة للعمل السري الفَرديِّ والتركيز عَلى الدّائرة الأساسيّة في دعوة المُقاوَمة وهي دائرة الدّعوة العامّة..

إذ أنّي أعتقد أنه ربما سيطول الوقت.. والله أعلم.. قبل أن يمكن لنا.. إن بقينا إلى ذلك أو لغيرنا من المُجَاهدين **أن يستطيعوا التمركز ثانية والعمل وجهاً لوجه من خلال الدّفاع الثَّابِت والمُوَاجَهة الجبهوية.**

وعلينا ضمن معطيات الوضع الحالي أن نعمل من خلال دائرتين: هما الأولى والثّالثة.

**** الدّائرة الأولى:** وهي **مركز الإرشاد:**

الّتي تشرف عَلى الإرشاد والتوجيه ونشر المنهج وبَرَامج التّربية وتصدر البيانات والأبحاث اللازمة لمتابعة ذلك، وتعمل بشكل سري يناسب الأحوال.

****الدّائرة الثّالثة (سَرايا دعوة المُقاوَمة):**

وهي السَرايا الّتي نأمل من الله، ونتوقع أن تتشكل بشكل تلقائي من قبل الراغبين بالعمل وفق هذا المنهج والطَّريقة والَّتي سيتشكل بإذن الله من خلال بلاغ الدّعوة لأوساط المُسلِمِين الّذين تدفعهم كلّ الظّروف من حولهم للانخراط في المُقاوَمة، وذلك من خلال العمل الدعوي السري عَلى إقناع تلك الشرائح بضرورة الضبط المنهجي للمقاومة، وضرورة العمل من خلال منطلقات هذه الدّعوة جمعاً للجهود ومحاولة للوصول إلى الهدف الاستراتيجي وهي دحر العدوان وهزيمة الحملات النازية وقيادتها الأمريكيّة الصّهيونيّة.

ولو قدر الله لي الحياة إلى أن يحصل التوازن الّذي نرجو بها يعيد لنا إمكانية التمركز والدّفاع الثَّابِت.. فسأعمل عَلى استئناف ما بدأت به من تكوين الدوائر الثّلاثة وبشكل عملى فقد كانت تلك البداية واعدة ومشجعة ولست بصدد استعراض تلك التَّجربة الّتي انهارت كغيرها من المحاولات الجهاديّة في ثنايا تداعيات سِبتَمبر وسقوط إمارة أفغانستان الإِسْلَاميّة.

وآمل إن حصل ذلك التوازن وتمكن المُجَاهدون من التمركز بعد أن أكون قد لقيت ربي وأساله الرحمة والمغفرة وشهادة في سبيله ترضيه، أن يقيض الله لبعض كوادر المُجَاهدين الأكفاء أن يعملوا عَلى ما حلمت به وعملت له من تشكيل:

(مكتب إرشاد سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة)، والسرية المركزية المحترفة لهذه الدّعوة الّتي لخصت فيها خُلاصة تجربتي وأفكاري الحَركيّة والجهاديّة عبر ربع قرن من الزَّمن تجربة وعملا وأسال الله الإخلاص.

وأرجو أن تكون الفكرة قد نضجت واحتوت مساهمة جدية بين المساهمات المخلصة الجادة لدفع صائل الغُزَاة وأعوانهم عن هذه الأُمّة المؤمنة المستضعفة الّتي آن – بإذن الله – أوان نهوضها.

أما الآن فسأعود إلى مزيد من الشرح الّذي يساعد الّذين يقتنعون بهذه الدّعوة الجهاديّة للمقاومة عَلى تشكيل سَراياهم السرية المستقلة بشكل كامل..

أنواع سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة من حيث مهام عملها:

(١) – العناصر والسَرايا بانية السَرايا العاملة:

وهذه العناصر والسَرايا تتخصص في نشر فكرة دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، وإقناع الكوادر من الجهاديّين والشَّبَاب العازم عَلى المُقاوَمة بفكرة الدّعوة والمسارعة إلى تشكيل سريتهم المستقلة وإعدادهم فكرياً وعسكريّاً وأمنيّاً وتزويدهم بالأبحاث المختلفة الشَّرعيَّة والسّياسيّة والعسكريّة الأمنيّة وتأهيلهم لكي يدربوا عناصرهم وأنفسهم ليكونوا سَرايا فاعلة، كما أن من المهام المحتملة لمثل هذه السَرايا البانية أن تزود نويات السَرايا بالأموال الّتي تساعدهم عَلى الانطلاق من حيث أمكنها توفيرها.

ومن الصفات اللازمة للعناصر والسَرايا الّتي ستتصدى المهمة بناء السَرايا ما يلي:

١- أن تكون غير مكشوفة قادرة عَلى الحركة في أوساطها الّتي تعيش فيها بأمن وحرية.

٢- أن يكونوا متفهمين لمنهج دعوة المُقاوَمة ولديهم الأهلية الفكريّة لشرحها والدّعوة لها، وعلى قدر لا بأس به من الفهم الشَّرعيّ والسّياسيّ والحَركيّ.

٣- مستوى عالي من الفهم والأهلية الأمنيّة في الحركة لتأهيل الآخرين للحركة السرية.

٤- مستوى مناسب في القدرة عَلى التّدريب السري عَلى الأَسْلِحة الخفيفة والمتفجرات وأَسْلِحة العِصَابات الخفيفة الأخرى.

٥- قدرة عَلى الاتّصال ببعض مصادر تمويل المُقاوَمة لتزويد السَرايا العاملة الّتي شكلوها بالدفعة الأولى للانطلاق للعمل.

(٢) – السَرايا العاملة:

وتتكون من عنصر فأكثر، ويفضل أن لا يجاوز عدد السرية الخمسة إلى عشرة عَلى أقصى تقدير، بحيث تتشكل تلقائياً لإطلاعها عَلى الفكرة وأدبياتها وإيمانها بالانتماء للدعوة والتوجه للعمل مباشرة. أو بتشكلها بمساعدة عنصر من بناة السَرايا من الخلايا آنفة الذكر، ومهمة هذه السَرايا الانصراف للعمل

الجهاديّ والانخراط في القِتَال فورا، وتربية أنفسهم عَلى منهج الدّعوة ذاتياً، **وعدم الانجرار إلى التوسع والتّحول إلى بناء سَرايا أُخرى، ومقاومة الشعور الفطري بها لرغبة في التوسع خشية التّحول إلى هرميات تنظيمية صغيرة، وهذا خطير جدا وسيؤدي إلى القبض عليهم بسرعة – لا قدر الله –.**

(٣) – سَرايا التّحريض السرية:

وهذه السَرايا تتشكل من خلايا صغيرة جداً من (١-٣) عناصر، من أصحاب الكفاءة الشَّرعيَّة والسّياسيّة والفكريّة والخبرة الإعلاميَّة، والوعي الحَركيّ، والخبرة باستخدام الإنترنيت وشبكات الاتّصال الإلكتروني، ومهمة هذه السَرايا نشر دعوة المُقاوَمة وإعادة بث أدبياتها وأبحاثها ودراساتها ومناهجها المختلفة بوسائل النشر السري ولاسيما (الانترنت) والعمل عَلى ترجمة أبحاث المُقاوَمة وبياناتها إلى لغات المُسلِمِين واللغات العَالَمِيّة، مع الانتباه إلى أمنيات توزيع المواد بحيث تبتكر هذه السَرايا لنفسها طرقاً للعمل بحسب إمكانيَّات كلّ بلد ومكان تعمل فيه.

وسيأتي بعض البيان لطرق عمل هذه السَرايا في باب نظريَّة الإعلام والتّحريض.

إيضاحات عَلى طريقة بناء وعمل السَرايا السرية:

أولاً: طريقة بناء السَرايا المتعددة من قبل العناصر البانية للسَرايا العاملة:

مر معنا آنفاً طريقة البناء التَّنظِيمي الهرمي وخطورتها حيث يُؤَدِّي اعتقال أي من عناصر الهرم إلى اعتقال من معه ومن تحته ومن فوقه في الهرم التَّنظِيمي، وهكذا تتسع دوائر الاعتقال حتَّى يأتي الدمار عَلى الهرم التَّنظِيمي بكامله، فلو كانَ لدينا هرماً تنظيماً.

واعتقل عنصر ما سيؤدي اعتقاله إلى اعترافه عَلى من في مستواه، وعلى من فوقه وهو، وكذلك عَلى من في مثل مسؤولية.. وهكذا تتكرر المأساة باعتقال من تحته وفوقه وقد أدت أساليب الاعتقال والتعذيب الوحشية والغير أخلاقية إلى إجهاض أقوى التَّنظِيمات السرية في كلّ مكان خلال التَّجَارب السالفة.

وكما شرحنا آنفاً فقد اعتمدت بعض التَّنظِيمات الطَّريقة العنقودية بترك رؤوس العناقيد في بلد آخر غير الّذي تعمل فيه بحيث تقيم القيادة في مكان آمن وتتصل بالعناصر القيادية الميدانية أو تلتقي معها

حيث تقيم هيَ الأخرى في مكان آمن وتدير هذه العناصر عناقيد تنظيمية هرمية تعمل داخل ساحة البلد المعني بالعمل بحيث لو قضى عَلى الهرم المرتبط بالعنصر الرَّئيسي، لا يُؤَدِّي لاعتقاله وتنقطع سلسلة الانهيار عنده. وقد نجحت هذه الطَّريقة في إعطاء بعض التَّنظِيمات العربيَّة والإِسْلَاميّة وحتى العَالَمِيّة هامشاً للمناورة، ولكن التّعاون الدّولي الآن في مكافحة الإِرهَاب قضى عليها إذ يؤدى طلب العنصر المطلوب من قبل حكومته إلى اعتقاله من قبل حكومة أُخرى واعترافه عَلى من في بلدان أُخرى فيتم اعتقالهم خلال ساعات أو أيّام عَلى الأكثر، بعد أن رفع شعار القضاء عَلى الملاذات الآمنة، ولما لجأت قيادات التَّنظِيمات إلى بعض الملاذات خارج نطاق سيطرة النّظام الدّولي كأفغانستان والشِّيشَان.. كانَ من بَرَامج العدوّ الإطاحة بها وإخضاعها لسيطرة النّظام الدّولي.. وهكذا أجهض الأسلوب العنقودي بالإدارة من ملاذات آمنة، وانتهى بذلك زمن التَّنظِيمات نهَائِيّاً، ولا يمكنه أن يعود إلا بدمار النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد والله تَعَالَى أعلم، وهو الهدف الّذي نسعى إلى إيجاد طريقة لتحقيقه بعون الله.

**** وأما الطَّريقة الّتي نقترحها عَلى بناة السَرايا فهي التّالية:**

يقوم العنصر النشط من بناة السَرايا، والّذي يجب أن يكون من أهمّ مميزاته أهليته السَّابقة أمنيّاً وشرعيا وثقافيّاً.. كثرة المعارف والقدرة عَلى التّأثير في دائر ة واسعة من الآخرين.

يقوم باختيار بعض معارفه من الّذين يظن بهم الأهلية لقيادة سَرايا، ويفاتح كلاً منهم عَلى حدة وانفصال تام في الموضوع، بالتّدرّج وبعد أن يستوثق من كلّ واحد منهم عَلى حدة ويقوم بإعداده بصفة منفصلة أو مع معاون أو اثنين له عَلى الأكثر.. ويعدهم خلال فترة إعداد بالاستعانة بمناهج الدّعوة المطبوعة والمسموعة وخاصة هذا الكتاب، وسلسلة محاضراتي الّتي بعنوان (الجِهَاد هو الحل، لماذا وكيف)، ومحاضراتي المسجلة بالفيديو بعنوان (سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة)، أهمّها أبحاث هذا الكتاب لتوسعه وتدقيق معلوماتها، كما أن لدي عدد من المحاضرات المسجلة حول (أصول حرب العِصَابات) وهي مفيدة كثقافة عسكريّة للحُرُوب السرية وعمل العِصَابات، وهي ثلاث مجموعات (محاضرات مختصرة في شريطين)، و(دُروس في ستة أشرطة)، وأوسعها محاضرات كورس من (٣٢) شريط كاسيت، وهي (شرح كتاب حرب المستضعفين) وهو من أهمّ الكتب الّتي شرحت حُرُوب

العِصَابات وبينت أسباب نجاحها وفشلها والكتاب الّذي شرحته يقع في نحو ١٧٠ صفحة وهو مترجم لمؤلف أمريكي متخصص بمكافحة حُرُوب العِصَابات.

كما يفيد في الإِعداد الانتفاع بما تيسر من الأبحاث لأمنيّة والعسكريّة المتوفرة في السَّاحَة الآن وعلى شبكة الإنترنيت وبلغات متعددة، ولدى نية إن يسر الله لإعداد بعض الملخصات المختصرة من ذلك، مع بعض الأبحاث الفكريّة المتممة لما يحتويه هذا الكتاب الجامع لأهم ما يلزم من الإِعداد الفكريّ والسّياسيّ الشَّرعيّ والحَرَكيّ.

كما يجب عَلى من يبني السَرايا أن يخضعهم لبرنامج الإِعداد الفكريّ والأمني والعسكريّ لمدة أقدر أنها لا تحتاج أكثر من شهر أو شهرين إذا اتبع معهم أسلوب الكورس المكثف، هذا عن الإِعداد الفكريّ وهو الأهم، وسيأتي لاحقا بيان طرق الإِعداد العسكريّ السري إن شاء الله.

وهكذا لنفرض أن العنصر (باني السَرايا) أعد أربع أو خمس سَرايا منفصلة تماماً لا نعرف بعضها ولا تعرف عن بعضها شيئاً.

|| A | | B | | C | | D | | E | | F

الآن يوكل لكل واحد منهم مهمة بناء سريته من عنصرين أو ثلاثة أو لوحده إن شاء ويحدد لهم تاريخاً لا يبدؤون العمل قبله، لكي يبتعد هو من ساحتهم لأنها المقتل الوحيد لهذه المجموعات.

وقبيل حلول هذا التّاريخ يجب أن يكون العنصر المؤسس من بناة السَرايا قد غادر إلى جهة مجهولة لهم بحيث لا يمكن لهذه العناصر أن تدل عليه.

إما إلى جبهة من الجبهات المفتوحة في مناطق عدم السّيطرة، وإما إلى بلد آخر بأوراق شخصية لا يعرف أحد معلوماتها، وإما إلى الاختفاء التام في ساحة جديدة.

وإما بأن يكون عَلى برنامج العنصر المؤسس أن يقوم بعملية استشهادية بعد بنائه لعدد من السَرايا، لأنه يمثل نقطة المقتل الوحيدة أمنيّاً للسَرايا الّتي بناها، فإنه لو اعتقلت أي سرية لا سبيل لها للاعتراف إلا عليه لأنها لا تعرف الأخرى.

ومن الضَّروري جداً أن يتنبه العنصر المؤسس إلى أن لا يكون في حديثه أو حركته ولو من باب الإشارة والتشجيع ما يشير لبعض العناصر بأنه قد جند آخرين يمكن لبعضهم أن يخمن من هم هَؤُلَاءِ الآخرون فيعترفون عَلى بعضهم بالظن.

ويمكن أن تتشكل السرية تلقائياً من غير أن يبنيها مؤسس خارج عنها، وتعمل في المُقاوَمة مباشرة ولا تعمل عَلى دعوة غيرها، وذلك بأن يقتنع رجل بالإنخراط في دعوة المُقاوَمة، فيشكل سريته الصغيرة، أو يعمل بنفسه فقط أو مع صديق معاون يقنعه، فيعدون أنفسهم عَلى هذه الأبحاث، ويسمون سريتهم، ويعملون مباشرة، ولا يسعون إلى تنظيم غيرهم، ولا يعملون في مجال الدّعوة والتّحريض وينصرفون للعمل المباشر، وهذه أعل الإحتياطات الأمنيّة.

ويدرك من له أقل خبرة وإطلاع عَلى التّدريب وأصول العمل السري، بأن سرية صغيرة من عنصرين أو ثلاثة، مأهلة أمنيّاً وعسكريّاً، ولديها (ثقافة إرهابية) عالية، أن تقوم بأعمال هائلة، وتتنقل بأعمالها في دائرة بلدها في عدّة مدن، مما يخيل لمن لا يعرفها أن في البلد عشرات المجموعات العاملة، ولي العديد من القصص والشواهد الحية والأمثلة الرائعة عَلى ذلك مما يضيق المجال عن سرده.

ثانياً: الحذرمن خلط العمل العسكريّ للسرية بالإعلاميّ والدّعوة للطريقة:

ويجب أن يحذر المُجَاهدون الّذين يقومون ببناء سريتهم كلّ الحذر من خلط الأعمال الدعوية بالعسكريّة فإنهم بذلك يجنون عَلى أنفسهم وعلى غيرهم.

فالأصل أن يشكل الّذي بلغته الفكرة واقتنع بها سريته من نفسه لوحده ويعمل في حدود إمكانيَّاته إن كانَ لا ثقة له بآخرين، أو مع اثنين أو ثلاثة عَلى الأكثر ممن يثق بهم، حيث

يشكلون سرية واحدة ويعملون بصمت واحتساب في المجال العسكريّ ويختارون هدفاً من الأهداف المعادية الّتي مر ذكرها والإشارة إلى بعضها ويقومون بعمل ولو في كلّ عدّة أشهر مرّة واحدة، ويبلغون بطريقة أمنيّة مناسبة وموجزة عن عملهم.

وليكن في علمكم: إن الدّعوة لتنظيم الآخرين، وأعمال الدعاية والإعلام.. وجمع التبرعات..

هيَ أساليب مناقضة للسرية ومباشرة العمل، ولا تجتمعان أبدا، وقد أدى الجمع بين هذه المتناقضات في تاريخنا الجهاديّ الحَركيّ إلى كوارث حقيقية، هذه من أهمّ خلاصات التَّجَارب المؤلمة الماضية.

إن مبدأ (علنية الدّعوة، وسرية التَّنظِيم) هو من أفشل المبادئ الحَركيّة ولقد أدت ممارسته إلى كوارث دموية، فمن يعمل بالدّعوة والتّحريض، فليترك العمل السري القتالي، والعكس بالعكس، واعلموا أنه في حين يلزم الأمّة عشرات آلاف المقاتلين الفدائيين اليَوْم، فإنه يكفيها بعض المحرضين بالدّعوة الكلامية.

إن ممارسة القِتَال ونكاية أعداء الله، وبذل النّفس في سبيل الله، هيَ أبلغ الرّسائل التّحريضية الّتي تحتاجها أمة قاعدة عن الجِهَاد كي تقوم من رقادها.

إن ممارسة التّحريض، لا تسقط عن المسلم فرض القِتَال المتعين اليَوْم، الّذي يعتبر الناكص عنه كتارك الصّلاة والزّكاة والصّيام والحج، بل أشر منهم، لما يترتب علىَ الأمّة بذلك من ضرر تسلط أعدائها، وذهاب دينها ودنياها.. فلا تغالطوا أنفسكم.. واتقوا الّذي يعلم السر وأخفى، ويحصل ما في الصدور إذا بعثر ما في القبور، فإن ربنا بعباده خبير بصير.

ثالثا: دعوة المُقاوَمة دعوة عمل جاد:

يجب أن يتنبه المُجَاهدون إلى أنه يكفي للتحريض بعض السَرايا، والحاجة ماسة للسَرايا العاملة، والأصل في الفريضة الهامة هيَ القِتَال ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ [النساء: ٨٤]، أما التّحريض فهو للكفاية والقادرين عليه والمؤهلين له.

فلا يترك العامل سبيلاً للشيطان يقعده عن العمل بإقناعه بأنه يحرض غيره أو يجند غيره، وهذا من تدليس إبليس، ومهمة تجنيد الغير مسؤولية كبيرة لأنها تقتضي منه كما ذكرنا الاختفاء تماماً السَّاحَة الّتي جند بها غيره من العاملين، ولذلك فالأصل أن يجند الإنسان نفسه ويعمل مع من ارتبط به مباشرة.

رابعا: شاركوا في المتوالية الحسابية للمقاومة:

أعيد الإشارة إلى ما ذكرته في باب النَّظريَّة العسكريّة، بأن أهمية فكرة سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة تأتي من انتشارها وتجميع الجهود، فكما أسلفت فإنه لو أن اثني عشر سرية تشكلت في طول عالمنا الإِسْلَاميّ وعرضه، وعملت كلّ سرية مرّة في السنة لكان لدينا عمليَّة شهرياً، ولو عملت مرتين لكان عمليَّة كلّ ١٥ يوم، وهذا لا يستطيعه أقوى التَّنظِيمات، فما بالك لو اقنع معنا خلال سنة من إطلاق الفكرة ١٠٠ شخص نجح بالعمل منهم ٥٠ شخصا، وعمل كلّ واحد عمليتين أو ثلاثة في السنة سيكون المردود أن يذكر جهد سَرايا المُقاوَمة يومياً عدّة مرات مع من الوقت، وهذا ينكأ العدوّ ويحفز المُسلِمِين عَلى العمل، وهو المرجو من الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى أن يبارك في هذه الفكرة ويهيئ لها رجالها ويبارك في جهودنا جميعاً ويرينا هزيمة الأَعدَاء ويختم لنا بالشَّهَادة في سبيله.

****

الفصل الثامن

الباب السادس

«نظريَّة التّدريب في دعوة المُقاوَمة الإسْلاميّة العَالَمِيّة»

استعراض طرق التّدريب القديمة الّتي اعتمدها الجهاديّون في تجاربه السالفة:

على نفس طريقتنا آنفة الذّكر في استنباط النَّظريَّة المناسبة والطّرق النّاجحة بإذن الله، فإنّنا نستخلص نظريَّة تدريب سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة من خلال دراسة طرقه التّدريب الّتي اعتمدت في تجاربنا الجهاديّة السَّابقة وهي طرق قد تسنّى لي بفضل الله أن أعمل في معظمها عَلى مرّ السّنين الماضية متدرّباً ثمّ مدرّبًا، ثمّ مشرفًا عَلى التّدريب في برنامجنا الخاصّ في أيّام طالبان، وبنظرةٍ شاملةٍ نجدُ أنَّ التَّجَاربَ الجهاديّة قد استخدمت إحدى الطّرق التّالية:

١ – التّدريب السّرّي في البيوت.

٢ – التّدريب في المُعَسْكَرَات السِّرِّية الصّغيرة في مناطق العمل ذاتها.

٣ – التّدريب العَلنيّ برعاية دول الملاذات الآمنة.

٤ – التّدريب العَلنيّ في مُعَسْكَرَات الجبهات المَفتوحة.

٥ – التّدريب في مناطق الفوضى وعدم السَّيطرة.

ولنُلقِ الضَّوء بإيجازٍ عَلى سلبيَّات وإيجابيَّات كلّ طريقة من هذه الطّرق وأمثلة عن كلّ منها لاختيار الأسلوب الأمثل للتّدريب اليَوْم في ظروفِ عالمِ ما بعدَ سِبتَمبر وأجواء مكافحةِ الإِرهَابِ العَالَمِيّةِ.

** التّدريب السري في البيوت:

استعملت التَّنظِيمات الجهاديّة السرية هذه الطَّريقة في كافّة التَّجَارب الجهاديّة، بل يمكن القول أن هذه الطَّريقة هيَ الأساس في إعداد كافّة التَّنظِيمات والعِصَابات السرية في العالم، ورغم أنها لا تسمح إلا بالتّدريب عَلى الأَسْلِحة الشَّخصيَّة والخفيفة وبعض دُروس استخدام المتفجرات وأَسْلِحة المَرحَلَة الأولى

من حُرُوب العِصَابات، إلا أنها أثبتت فعاليتها جداً، حيث أن الأساس كما سنين في عمل العِصَابات هو الدافع المعنوي وإِرادَة القِتَال وليس زيادة المعرفة بأَسْلِحة لن يستخدمها المُجَاهد عمليا.

وفي هذه الطَّريقة يتعلم المتدربون فك وتركيب السّلاح واستعماله وكيفِيَّة الرمي عليه نظرياً، حيث يقومون بشيء من التطبيقات العمليّة والرمي المحدود في المناطق الخالية أو الكهوف أو حتَّى الأقبية المعزولة عن خروج الصوت داخل البيوت ذاتها، وكثيراً ما تكون الطلقات الأولى الّتي يرميها المتدربون هيَ في عمليَّة اشتباك حقيقي.

وقد استعمل المُجَاهدون في التَّجربة السوريّة الجهاديّة (١٩٧٥-١٩٨٢) هذه الطَّريقة وكانت ناجحة ومفيدة، وفعلاً تمكن بعض المُجَاهدون من قتل بعض المرتدّين وأعوانهم بَاطِلاق النار لأول مرّة، وطوروا إمكانيَّاتهم من خلال العمل الحي، وكانت تجربة فريدة، وقد حصل مثل ذلك في تجارب جهاديّة في بلدان أُخرى.

**** التّدريب في المُعَسْكَرَات السرية الصغيرة:**

وقد استعملت التَّنظِيمات الجهاديّة هذه الطَّريقة حيث أمكن أن تتوفر بعض المناطق الخالية في الجبال والغابات أو الأرياف الزراعية البعيدة حيث تكون الطَّريقة هيَ إخضاع مجموعات صغيرة محدودة العدد ولا تتجاوز السرية الصغيرة ٥ – ١٢ شخص، بحيث يتمكنون من إنشاء مُعَسْكَر متنقل في مناطق نائية معزولة ويجرون دورات مكثفة يمكن أن يطبق فيها بعض التكتيكات العسكريّة المتقدمة عن حُرُوب عِصَابات المدن والأرياف من الكمائن والإنجازات والتمارين الأخرى، مع تطبيق شيء من الرمايات المحدودة التفجيرات في مناطق قريبة من مقالع الأحجار ومصائد الأسماك بالمتفجرات وحيث يؤلف سماع صوت التفجير.. أو حتَّى داخل لكهوف بكميات صغيرة محدودة، وهي طريقة فعالة جداً وكافية لتخريج المُجَاهدين القادرين عَلى دخول معارك المَرحَلَة الأولى من حُرُوب العِصَابات ولاسيما المدنيّة.

**** التّدريب العَلنيّ برعاية دول الملاذات الآمنة:**

وقد كانت هذه الطَّريقة معتمدة جداً في عالم ما قبل انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد، فقد تمكنت كثير من التَّنظِيمات الجهاديّة الاستفادة من هوامش التناقضات السّياسيّة ومحاور الصِّرَاع الإقليمية والدّولية

كما أسلفت في الفَصل السَّادس وأقامت مُعَسْكَرَات معلنة في دول معارضة لأنظمة الحكم الّتي خرجت عليها.. ومن تلك التَّجَارب تجربتنا الجهاديّة في سوريا فقد تمكن المُجَاهدون من الطليعة المقاتلة ومن الإخوان المُسلِمِين في سوريا من إقامة مُعَسْكَرَات متطورة في العراق قدم لهم فيها النّظام العراقي مساعدات عسكريّة ومنيفة ومادية كبيرة، وتخرج خلال الفترة ما بين (١٩٨٠- ١٩٨٣) دفعات كثيرة من المُجَاهدين الّذين أجروا الدَّورات العامّة والإختصاصية الّتي وصلت بمختلف صنوف الأَسْلِحة الأرضية حتَّى المتوسطة والثقيلة مادون الطائرات، كما حصل مثل ذلك بشكل محدود في الأردن بمعاونة نظام الملك حسين وإشراف أجهزة استخباراته، وقد بدأ مثل ذلك مع مصر حيث أجرى فريق متخصص من المُجَاهدين من سوريا تدريبات عالية المستوى عَلى عمليَّات عِصَابات المدن والعمليَّات الخاصّة بإشراف جهاز المخابرات العامّة في مصر إبَّان خلاف السادات الشهير مع سوريا وبعض الدّول العربيَّة أواسط ١٩٨١م وقد شهدت بنفسي هذه التَّجَارب في العراق ومصر وكانت مفيدة جداً وحصلنا فيها خبرات عالية.

وقد عمل بهذه الطَّريقة عملياً كافّة التَّنظِيمات الإِسْلَاميّة وغير الإِسْلَاميّة في البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة خلال الفترة الممتدة من مطلع الستينات وإلى أواسط التسعينات حيث انتهت كما أسلفت بقيام نظام التعامل الأمني بين الدّول العربيَّة والإِسْلَاميّة بإشراف أمريكا ومن تلك التَّجَارب..

عمل التَّنظِيمات الجهاديّة في سوريا مع عدد من دول الجوار وعمل التَّنظِيمات المعارضة لصدام ولاسيما من الشّيعة في سوريا وإيران ولبنان، وعمل معظم إن لم يكن كافّة التَّنظِيمات الفلسطينية في سوريا وإيران ولبنان والأردن والسُّودَان وغيرها.. وعمل تنظيمات لبنانية إسلاميّة وغيرها كذلك.. وتدرب بعض التَّنظِيمات المصريَّة في لبنان عند حزب الله والفلسطينيين وفي إيران وكذلك بعض المجموعات من شمال إفريقيا الغربيّة في الجَزَائِر وليبيا وبعض دول وسط إفريقيا والعكس.. بل بقدر موضوع الهوامش هذا إلى دخول منظمات عسكريّة عالميّة مثل (E.T.A) والجيش الجمهوريّ الأيرلندي (I.R.A) للتدريب وتلقي المدد من دول عربيَّة وشرق أوسطية، واستفاد حزب العمال الكردستاني التركي من سوريا ولبنان وشمال العراق، ونمت منظّمة مُجَاهدو خلق الإيرانيين وغيرهم في العراق.. وهكذا، والأمثلة كثيرة جداً.

وهذه الطَّريقة مهمة جداً ومفيدة حيث تكررت ظروفها، إذا تجنبت التَّنظِيمات السلبيات السّياسيّة والأمنيّة لمثل ذلك الانفتاح فإن فوائدها العسكريّة كبيرة.

**التّدريب العَلنيّ في مُعَسْكَرَات الجبهات المفتوحة:

والتَّجَارب الشهيرة الأخيرة أشهر من أن تذكر تفاصيلها مثل ما حصل في أفغانستان أيّام الجِهَاد الأفغاني (١٩٨٦- ١٩٩٢)، وفي شوط الثّاني للأفغان العَرَب أيّام طالبان (١٩٩٦- ٢٠٠١) حيث تدرب خلال هذين الشوطين عشرات آلاف المُجَاهدين العَرَب والمُسلِمين، واستفاد من ذلك الهامش الرائع عشرات التَّنظِيمات الجهاديّة والعديد من التَّنظِيمات الإِسْلَامِيّة حتَّى غير الجهاديّة، وكذلك حصل مثل ذلك بحجم أقل في الشِّيشَان، والبوسنة، كما حصل مثل ذلك في العديد من مُعَسْكَرَات الثورات والجبهات المفتوحة في الفيليبين والقرن الأفريقي وكشمير.. وسوى ذلك.

وقد كانَ التّدريب في تلك المُعَسْكَرَات هو أفضل مجالات التّدريب عَلَى الإطلاق إذ تتكامل فيه وسائل التّدريب العسكريّة والتربَويّة بكامل مناحيها بشكل حر تماماً بدون التعرض الضغوط والتوجيهات الّتي تحصيل في مُعَسْكَرَات دول الملاذات الآمنة الّتي غالباً ما تفرض حُكُومَاتها بعض القيود السّياسيّة والفكريّة.

**التّدريب شبه العَلنيّ في مناطق الفوضى وعدم السّيطرة:

قبيل انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد كانت مناطق الفوضى وعدم السّيطرة في العالم كثيرة ولاسيما في نطاق العالم العربيّ والإِسْلَامِيّ، وخصوصاً في مناطق القبائل شبه المستقلة والمناطق النائية البعيدة عن سيطرة الحُكُومَات الضعيفة في بعض الدّول.. كمناطق القبائل في اليمن والصّومال والقرن الأفريقي وقبائل المناطق الحدودية في باكستان والحزام الطويل في دول الصَّحرَاء الكبرى في أفريقيا والممتدة من السُّودَان وإلى سواحل المحيط الأطلسي وقد أمكن وربما لا يزال ممكناً أن تستفيد العديد من المجموعات الجهاديّة المحليَّة وغير المحليَّة من هذه المناطق وتنشئ المُعَسْكَرَات شبه العلنية حيث توفرت الأجواء والسّلاح والذخيرة بتكاليف قليلة، ولكن أمريكا بعد سِبتَمبر وضعت عَلَى أول أولوياتها السّيطرة عَلَى هذه الفجوات غير المسيطر عليها، ولكن مع ذلك ما تزال كثير من الفجوات صالحة للإفادة.. ولاسيما للمجموعات المحليَّة أو القريبة من تلك البلاد.

وإذا أردنا أن نسجل الملاحظات عَلى عمليَّات التّدريب والإِعداد الّتي قام بها الجهاديّون خلال المَرحَلَة الماضية عبر هذه الآفاق الخمسة نوجزها باختصار بما يلي:

١ - التّدريب الداخلي: في البيوت والمُعَسْكَرَات الداخليّة المحدودة:

في تجارب تدريب البيوت كانَ مستوى الإِعداد العسكريّ منخفض نسبياً، ولكن المردود الأمني كانَ عالياً إذ يتم ذلك في ظروف من السرية والاحتياط الكبير به، وكذلك كانَ التّدريب المعنوي والفكريّ عالياً وانعكس عَلى مستوى العَقِيْدَة الجهاديّة ومستوى الفهم الفكريّ والسّياسيّ وأصول نظريَّة حُرُوب العِصَابات الجهاديّة، ولاسيما في مثل التَّجَارب الجهاديّة في سوريا ومصر وليبيا والجَزَائِر والمغرب وغيرها.. وأذكر لما كنت عضواً في جهاز التّدريب أثناء إقامتنا شبة السرية في الأردن إبَّان الثَّورة الجهاديّة عَلى النّظام السّوري (١٩٨٠- ١٩٨٢).. كنا ندرِّس سراً في البيوت المنتشرة للمُجَاهدين في عمان وغيرها من المدن الأردنية أكثر من خمسة عشر مادة عسكريّة وتربَويّة نظرياً.. ونجري فيها امتحانات للخلايا المختلفة، وبعدها تقوم بإرسال الّذين تجاوزوها للمُعَسْكَرَات في بغداد في العراق حيث تجري لهم دورات مكثفة ومختصرة لأَنّهم انتهوا من التّدريب النَّظري، ويُستبقى من سيتخصص منهم في العمل العسكريّ للدورات التخصصية عَلى مختلف صنوف الأَسْلِحة بما فيها الدبابات.. وقد رأينا أن المواد الّتي يمكن أن تدرس في البيوت ليست قليلة وهامة جداً، وخاصة العقائدية فيها والفكريّة، وفي حال تمكن الخلايا من عمل مُعَسْكَرَات محدودة ومتنقلة فإن الدّائرة العمليّة تكتمل وتحتل أفضل صور الإِعداد حتَّى وإن لم تصل إلى مستويات عسكريّة عالية، نظراً لعدم وجود سلبيات أمنيّة وسياسيّة كما في حالة الرحيل إلى مُعَسْكَرَات التّدريب في الخارج.

٢- في تجارب المُعَسْكَرَات الخارجيّة في مُعَسْكَرَات الملاذات الآمنة في الدّول الأخرى:

سجلت إيجابية واضحة وهي المستويات العسكريّة العالية الّتي أمكن أن يحققها بعض الكوادر من خلال ما وفرته إمكانات الدّول وجُيُوشها وأجهزتها الأمنيّة من الإِعداد ومواده المتعددة والراقية ولكن كانَ هناك سلبيات خطيرة كشفتها التَّجَارب مع الوقت ومن ذلك:

- كشف الكثير من أسرار التَّنظِيمات وخباياها الشَّخصيَّة والمعلوماتية للدول المضيفة للمُعَسْكَرَات، وقد شكلت هذه المعلومات أوراق للضغط والمساومة وصبغت في النهاية عَلى طاولة

التّعاون الأمني الإستخباراتي بين الدّول الّتي تبدل مواقفها بشكل ميكافيلي ومتواصل، وأثبتت التَّجَارب أن هذا كانَ مقتلاً استراتيجياً.

- مكنت هذه الطَّريقة الدّول المضيفة من اختراق التَّنظِيمات حتَّى الجهاديّة والإِسْلَاميّة مع الوقت، وكسبت لصالح العمل تحت إدارتها واستخباراتها بعض أعضاء هذه التَّنظِيمات ولا سيما عندما طال مكوث تلك التَّنظِيمات في الدّول المضيفة وصار لها هياكل سياسيّة وإعلاميَّة وعسكريّة كما في التَّجربة الجِهَاد السوريّة، أثناء توجد قياداتها في العراق والأردن وكذلك غيرها.. ومع الوقت استطاعت تلك الدّول التدخل في شؤون الجماعات وفرض إرادتها لتصبح أوراق سياسيّة إقليمية في يدها اضطراراً حيث اتبعت تلك الدّول سياسة الإغراق والاستيعاب المالي كما سنشير لذلك في باب التّمويل.

- شكلت عمليَّة الرحيل إلى مُعَسْكَرَات الملاذات الآمنة المجاورة غالباً مقتلاً أمنيّاً بسبب تحرك العناصر المُجَاهدة وسفرها إلى هناك وكانت مصائد أمنيّة لأجهزة الاستخبارات اليقظة في مثل تلك الحالات حيث استطاعت في كثير من الحالات زرع عملاء لها في تلك المُعَسْكَرَات والأوساط المفتوحة الّتي غالباً ما تنساق للحركة العلنية وتترك ما هيَ عليه من الاستنفار الأمني وخاصة مع تطاول الوقت وتحول رحيل العناصر من هدف التّدريب والعودة إلى حجم المعارضات الّتي تهاجر للاستقرار وتفرغ ساحة الجِهَاد ذاتها.

٣ - مُعَسْكَرَات الجبهات المفتوحة:

والصُّورة النموذجية لهذه الحالة هيَ مُعَسْكَرَات أفغانستان في الشوطين العربيين الأوّل أيّام الرُّوس والثّاني أيّام طالبان، وكذلك مُعَسْكَرَات البوسنة إلى حد ما، في حين لم تشكل الشِّيشَان ساحة تدريب واستقطاب للتنظيمات والعناصر الراغبين في ذلك وإنما كانت ساحة قتال وجِهَاد وعمل مباشر كون كوادر ميدانية راقية المستوى.

وقد كانت إيجابيات هذه التَّجَارب (كبيرة جدا) من حيث النقطة الّتي نحن بصددها وهي موضوع التّدريب والإِعداد وخاصة في المستويات العسكريّة الّتي وفرتها، وأما سلبياته فبالإمكان إيجاز أهمّها بما يلي:

* ضياع فرصة التّربية المنهجيّة نتيجة كثرة التّنظِيمات والساحات والتجاذبات والتنافس الّذي لم يكن منضبطاً شَرعاً ولا عقلا في كثير من الأحوال وهذا قد سبقت الإشارة إليه.

* مشكلة التكاليف الباهظة لقدوم المتدربين من أقاصي العالم إلى ساحة التّدريب، (تكاليف السفر والإقامة..).

* مشكلة الاحتراق الأمن حيث يشكل الحصول عَلى الفيزا من سفارات الدّول المجاورة ولاسيما باكستان والعبور والحركة العلنية، والانتشار السهل للجواسيس والعملاء لكافة أشكال أجهزة الاستخبارات، مع حركة علنية بشكل كامل للمتواجدين، والإشكالات الأمنيّة الّتي ترتبت عَلى عودتهم وانتشارهم وتعامل العالم بأسره معهم تجاوباً مع حملات مكافحة الإِرهَاب بصفتهم إرهابيين مفترضين، وتكبد شرائح كثيرة منهم خسائر وأضرار قادحة دون أن تقوم بأي مردود جهاديّ يبرر ذلك العناء.

٤ – مُعَسْكَرَات مناطق الفوضى:

.. فلم يرج استخدامها كثيراً في المَرحَلَة الماضية بشكل رئيس وإيجابيات وسلبياتها قريبة من طريقة المُعَسْكَرَات السرية الصغيرة مع فارق التكاليف المادية العالية للذهاب إليها..

هذه باختصار واستعراض سريع أهمّ سلبيات وإيجابيات أساليب التّدريب في عالم ما قبل سِبتَمبر والحملات الأمريكيّة الحالية عَلى العالم الإِسْلَاميّ.

أما اليَوْم فيبدو تلقائياً من خلال مسار الحملات إلغاء معظم تلك الأساليب بإلغاء الهوامش الّتي أتاحتها..

فلم يعد ممكناً ولا عملياً في الظّروف الحالية إقامة الجبهات المفتوحة، ولا عاد ممكنا الدّول أن تفتح الملاذات والمُعَسْكَرَات للإسلاميين والجهاديّين.. وتوشك مناطق الفوضى أن تكون تحت السّيطرة الأمريكيّة وتغلق كما في مناطق وقبائل اليمن ومناطق قبائل سرحد شمال غرب أفغانستان.. والحزام الصحراوي وسط أفريقيا وغيرها..

وهكذا يبدو واضِحاً أن الطَّريقة الوحيدة الّتي بقيت ممكنة لنا الآن، في عالم الهجمة الأمريكيّة والتنسيق الدّولي لمكافحة الإِرهَاب هيَ أساليب التّدريب السري في البيوت والمُعَسْكَرَات المنتقلة.

والفرص الخاضعة لأساليب السرية بل شديدة السرية في هذه الظّروف بالغة الشدة والقسوة، وهو ما سنحاول أن نضع له بعض الآفاق والشرح لمساعدة سَرايا الْمُقاوَمة وغيرها من الْمُجَاهدين في كلّ مكان عَلَى تدريب نفسها وإعداد قوّاتها لإرهاب أعداء الله من الأمريكان والصهاينة وحلفائهم.

ولكن قبل الانتقال لصلب الموضوع وهو لب الفقرة أساليب تدريب سَرايا الْمُقاوَمة، أعرض لجملة من المفاهيم والنقاط الّتي تساعد عَلَى استخلاص وفهم الفقرة الأساسيّة وهي طرق التّدريب اللازمة لنا الآن.

مفهوم الإعداد وسببه وهدفه:

الإعداد: هو الإلمام بمجموعة من المعارف والعلوم والإمكانيَّات المعرفية والبدنية من أجل أداء مهمة الجِهَاد وهو القِتَال في سبيل الله وقد لحضت مفاهيمه ووسائله وأهدافه الآيتان الكريمتان التاليتان، وفصلت في ذلك كثير من نصوص السنة القولية والفعلية الّتي يستأهل أن يفرد لها كتاب مفرد، ولكنا هنا بصدد الإيجاز، وهاتين الآيتين هما قوله تَعَالَى ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾ [الأنفال] وفي الآية ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٤٦﴾ [التوبة] ولنذكر بعض الفوائد الّتي تشير إليها هذه الآيات:

فأما آية الأنفال فإنها:

١- تقرر أن الإعداد عَلَى قدر الاستطاعة وليس فوق الاستطاعة وهو التكليف الشَّرعيّ فكل مسلم يعد طاقته وسلاحه بحسب قدرته.

٢- القوّة ورباط الخيل: وهذا كلام جامع يشير إلى كلّ أسباب السّلاح وآلات الحَرب ووسائل الحركة والنقل وقد بينها رسول الله ﷺ في حديثه فقال: «**أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**» يُكرِّرُها ثلاثَ مَرَّات[1].

وقد أوصى القرآن كلّ الْمُسلِمِين بحيازة السّلاح وعدم الغفلة عنه فقال: ﴿وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٠٢﴾[النساء]

---

(١) رواه مسلم (١٩١٧).

٣ - بينت الآية أن الفرض من الإِعداد ليس مجرد حيازة المعرفة والرِّيَاضة وغير ذلك مما شاع مؤخراً من الإِعداد كسياحة بغير قصد الجِهَاد، وإنما الإِعداد لهدف محدد.. ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ ﴿تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ الآية وهذا سبقت الإشارة له.

٤ - ثمّ أشارت الآية إشارة لطيفة بعد الأمر بالإِعداد وحيازة السّلاح وآلة الحَرب إلى الإنفاق لعلم الله بتكاليف ذلك وقصور ذات يد غالب المريدين للجِهَاد عنه.. فأمرت الآية وختمت بالأمر بالإنفاق ووعدت بجزيل الأجر والعطاء من الله عليه..

وأما آية التوبة:

ففيها إشارات عظيمة وفقه عظيم لعلاقة الإِعداد بالإيمان وعلاقته بالجِهَاد العملي ومن لطائف ذلك:

أن الآية تكلمت عن المُنَافِقين وزعمهم إرادَة الجِهَاد بعد أن تحدثت الآيات السَّابقة عن علاقة المُؤمِنين وأنهم يجاهدون بأموالهم وأنفسهم ولا يستأذنون للفرار كما يفعل المنافقون الّذين ارتابت قلوبهم واستأذنوا فراراً (ولذلك سميت سورة التوبة بالفاضحة للمنافقين)، وهنا تأت الآية الّتي نحن بصددها لتقرر أن من علامات نفاق المُنَافِقين إعراضهم عن الإِعداد للقتال والجِهَاد وتقول عنهم ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ﴾ أي لو صدقت عزيمتهم عَلى القِتَال والخروج إليه ﴿لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ﴾ [التوبة: ٤٦]، أي لأعدوا للقتال ما يلزمهم وفق وسعهم وقدر استطاعتهم، وقررت أن الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى قد كره انبعاثهم للجِهَاد وثبطهم عنه لعلمه بحالهم، فأقعدهم رأفة بالمُجَاهدين، لأن خروج هَؤُلَاءِ خبال وأذى.

ولنعد لموضوعنا وهو علاقة الجِهَاد بالإِعداد فالآية تشير إلى أن مراحل ذلك هو في قوله تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٤٦﴾ [التوبة] وما نفهمه من إشارات الآية أن مراحل ذلك هيَ ثلاث مراحل:

(إرادَة).. فـ (إعداد).. فـ (انبعاث)..

وهذا الترتيب الحَركيّ والمنطقي يختصر آلية العمل في فعل الجِهَاد والمُقاوَمة.

١ – الإِرادَة: إِرادَة القِتَال مقدمة للإعداد ثمّ الجِهَاد:

أجمعت كلّ المدارس العسكريّة عَلى أن **إِرادَة القِتَال** و**الرّوح المعنوية للمقاتل** هيَ الأساس في الانتصار وحسن الأداء، والإِرادَة أساس في كلّ عمل وكل وجه من أوجه النَّشَاط الإنساني كله.

فمن يبتغي الطعام أو الشراب أو الزواج أو التجارة أو السفر أو أي أمر، يجب أن يبتدئ ذلك عنده بالإِرادَة الصادقة، وعلامة صدق تلك الإِرادَة هيَ التّحرّك للإعداد اللازم لذلك العزم...

وفي حالتنا وهو الجِهَاد.. فإن الإِعداد هو ثمرة الإِرادَة الصادقة، وبعد أن تصدق الإِرادَة والعزم يتحرك المرء للإعداد بحسب الاستطاعة ولإرهاب عدو الله وعدو المُسلِمِين.. وبعد الإِعداد يحصل الانبعاث للقتال.. هذا إن صدق العزم وأعد المستطاع وتحرك الفرد منبعثاً ما لم يثبطه الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى لخباله وهوانه نسأل الله العافية والثّبات– وما لم يسلط عليه شيطان ونزعات نفسه من جبن وخور وقعود باعثه باختصار كما قَالَ ﷺ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ».

إن هذه الإِرادَة القتاليّة الّتي توجد الحافز للإعداد والنَّشَاط له إذا كانت هامة جداً وأساساً للجندي النّظامي، فهي أساس حركة مقاتل حُرُوب العِصَابات عامة والمُقَاوَمة الجهاديّة خاصّة، بل هيَ سلاحه الأساسي الّذي يحركه بها استطاع حتَّى بالأَسْلِحة المدنيّة إن لم يجد سواها.

ظاهرة غريبة في دنيا الإِعداد المعاصر للجِهَاد:

لطالما أشرت لهذه الظَّاهِرة الغريبة، وأحببت أن نصححها ونصلح عوجها لأثرها السلبي الخطير عَلى الأُمّة.. فالمعروف في دنيا القاعدين والمُنَافِقين والفارين من الجِهَاد أنهم لا يعدون كما ذكرت الآية.. لو أرادوا الجِهَاد والانبعاث لأعدوا، ولكنهم ما أرادوا فلم يعدوا وبالتالي لم يجاهدوا..

ولكن لفت نظري خاصّة في تجربتنا الجهاديّة العظيمة في أفغانستان بشوطيها الأوّل والثّاني قدوم عشرات الآلاف من الشَّبَاب للإعداد في المُعَسْكَرَات وليس بغية الجِهَاد !! وإنما يصرحون صراحة بأنهم جاؤوا من أجل فريضة الإِعداد!! وقد عاد هَؤُلَاءِ العشرات الآلاف إلى بلادهم متخمين بالدَّورات العسكريّة الّتي أجروها وتعلموا خلالها استخدام مختلف أنواع الأَسْلِحة وتكتيكات القِتَال.. ومنذ ذلك الوقت عصفت بالأُمّة أحداث عظام مثل نزول القوّات الأمريكيّة والحليفة في جَزِيرَة العَرَب.. ثمّ احتلال أفغانستان ثمّ احتلال العراق وبين ذلك وقبله نزيف الدَّم في فِلَسطِين.. فضلاً عن استمرار

الحكَّام المرتدّين بسلسلة مآسيهم وخياناتهم وظلم عملائهم.. ولم يبدوا من الغالبة السَّاحقَة لأولئك الّذين أعدوا ولم ينبعثوا حراك بل غطسوا في سكون عجيب..

وهنا يظهر لنا حالة جديدة في سلسلة تناقضات الأُمّة المعاصرة ومظاهر سقوطها وانهيارها وهو **ظاهرة من أعدوا ولكنهم لم يريدوا الانبعاث، لقد أرادوا الإِعداد وهم ينوون عدم الجِهَاد، لقد أرادوا القعود مع سبق الإصرار والترصد !**

ولست هنا بصدد أسباب ذلك وقد مر طرف كثير من أسبابها، ولكن أذكرها هنا لعلاقتها بالإِعداد وهو الإِعداد الفارغ دون فائدة الّذي لا يشكل إلا حجة عَلى صاحبه بالعقود عن خبرة، والعجز عن قوة.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أَسْلِحة المُقاوَمة والعِصَابات الجهاديّة:

أشرت في تسجيلات ومحاضرات سابقة إلى أسس حُرُوب العِصَابات ومراحلها وأسلحتها وأساليبها العسكريّة والسّياسيّة ونحن هنا بصدد موضوع التّدريب عَلى موضوع أَسْلِحة المُقاوَمة للتركيز عليها واعتماد أساليب من التّدريب بقدر الحاجة وبحسب مقتضيات الظّروف الحالية فكما تنقسم حُرُوب العِصَابات نظرياً بحسب التَّجَارب العَالَمِيّة المختلفة وبحسب كتَّاب هذا الفن إلى ثلاث مراحل، تختلف أَسْلِحة كلّ مرحلة من تلك المراحل وهذه المراحل بشكل رئيس هيَ:

المَرحَلَة الأولى: وتدعي مرحلة الإنهاك.

وهي مرحلة العِصَابات الصغيرة وحُرُوب الإِرهَاب المحدود حيث تعتمد العِصَابات الصغيرة العدد والحجم أسلوب الاغتيالات والإغارات والكمائن الصغيرة وأعمال المتفجرات المنتقاة لإرباك العدوّ سواءً كانَ سلطة استعماريّة أو حكومة استبدادية وذلك لإيصاله إلى حالة الإنهاك الأمني والإرباك السّياسيّ والإجِهَاد الاقتصاديّ.

المَرحَلَة الثّانية: وتدعي مرحلة التوازن.

وتنتقل فيها العِصَابات إلى مرحلة الهجمات الاستراتيجيّة الكبيرة وتجبر القوّات النّظامية عَلى دخول معارك حاسمة قد تؤدي إلى تفكيك بعض قطعاتها والتحاق جزء من كوادرها وضباطها وعناصرها بقوّات العِصَابات، ولكن دون الوصول إلى حال المواجهات المكشوفة إذ تبقى الإغارة

والكمين هيَ الأساس في عمليَّات العِصَابات وإن يشكل أوسع، وقد تقوم العِصَابات في هذه المَرحَلَة بعمليَّات سيطرة مؤقتة عَلى بعض المناطق لتحقيق أهداف هامة عسكريّة أو إعلاميَّة وسياسيّة ولكنها لا تتمركز.

المَرحَلَة الثّالثة: وتسمى مرحلة الحسم أو التحرير.

وفي هذه المَرحَلَة تدخل العِصَابات عمليَّات شبه نظامية وأخرى نظامية وتسيطر عَلى بعض المناطق وتنطلق فيها في عمليَّة تحرير لباقي رقعة البلد، وذلك بعد أن تكون قطعات من الجيش النّظامي قد التحقت بالثوار أو رجال العِصَابات وصار لديها القدرة التكتيكية والتسليحية عَلى دخول معارك المُوَاجَهة حيث تبقى للعِصَابات الصغيرة أهمية في العمل خلف الخطوط العدوّ في إرباك قوَّاته بتكتيكات العِصَابات..

هذه النبذة المختصرة جداً عن مراحل عمل العِصَابات عموماً، تعطينا فكرة عن أَسْلِحة كلّ مرحلة.. وقد تحدثت كتب حُرُوب العِصَابات عن ذلك، وباختصار فإن:

**** أَسْلِحة المَرحَلَة الأولى:**

وهي الأَسْلِحة البدائية والأَسْلِحة الفرديَّة مثل المسدسات والرشاشات الخفيفة والمتوسطة كحد أبعد، والقاذفات الخفيفة المضادة للآليات مثل R.P.G وما يعادلها، والقنابل اليدوية وسلاح المتفجرات الشعبيَّة والعسكريّة.

**** أَسْلِحة المَرحَلَة الثّانية:**

و تدخل فيها الرشاشات المتوسطة والثقيلة الّتي تحتاج لأكثر من شخص أو التّحرّك عَلى آليات وبعض المدافع المتوسطة ولاسيما الهاون وكذلك سلاح الألغام المتنوعة، وبعض الصواريخ أرض أرض قصيرة المدى سهلة الحركة بالإضافة لسلاح المتفجرات الّذي يتطور استعماله في هذه المَرحَلَة لمرحلة الفرق الهندسية المختصة في الاستخدام الهندسي للمتفجرات والألغام.

**** المَرحَلَة الثّالثة:**

ويدخل فيها باقي أَسْلِحة الجيش بكافة صنوفها الأخرى بعد أن تدخل في عمليَّة الثَّورة ومُوَاجَهة القطعات النّظامية العسكريّة المتفككة لصالح العِصَابات.

ومن هنا ومن خلال هذه المقدِّمة، نجد أنفسنا في ظل الوضع الحالي وبما يتناسب مع نظريَّة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة في أهدافها السّياسيّة والعسكريّة أمام المَرحَلَة الأولى الآن وحاجتنا الآن وإلى أمد ليس بقصير هو لأَسْلِحة المُقاوَمة والعِصَابات الجهاديّة في مرحلتها الأولى وخاصة فيما يتعلق بسَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة الشعبيَّة والبسيطة والَّتي تعتمد حرب الإنهاك ضدّ القوَّات الأمريكيّة وحلفائها الخارجين وعملائها المحليين كما بينت ذلك في البَاب الثّاني (السّياسيّ) والثّالث (العسكريّ) أما في المناطق الّتي نضطر فيها للمُوَاجَهة بعمليَّات شبه مكشوفة كما يحصل الآن في العراق وأفغانستان وأطراف قبائل سرحد فهذا يدعونا إلى تطوير أَسْلِحة المَرحَلَة الثّانية.

ولكن في ظل استراتيجية العدوّ الحالية الطَّاغية جوياً وبرياً وبحرياً وفي ظل استراتيجيتنا تبعا لذلك واضطرارنا لخوض ما يسمي بحُرُوب العِصَابات أو حُرُوب المستضعفين فإن حاجتنا للتدريب تتلخص في عنوانين:

(١) - اعتماد أسلوب تدريب البيوت السرية والمُعَسْكَرَات الصغيرة السرية المتنقلة.

(٢) - اقتصار التّدريب عَلى أَسْلِحة المَرحَلَة الأولى أساساً وأَسْلِحة المَرحَلَة الثّانية في بعض الساحات المناسبة لذلك كأفغانستان والعراق وما شابهها.

وتفصيل ذلك هو الفقرة التّالية:

تدريب سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة: الأسلوب والأَسْلِحة:

تقوم نظريتنا في التّدريب عَلى الأسس التّالية:

١ - التركيز عَلى الإِعداد العقدي والفكريّ وتنمية إِرادَة القِتَال والروح المعنوية.

٢- التركيز عَلى فهم نظريَّة حرب العِصَابات الجهاديّة أو ما يدعى بحرب المستضعفين.

٣- نشر مناهج التّدريب الفكريّة والنَّظريَّة والعسكريّة في الأُمّة بشتى الوسائل.

٤- اعتماد أسلوب تدريب البيوت السرية والمُعَسْكَرَات والمحدودة المتنقلة.

٥- تطوير الكفاءة القتاليّة من خلال العمل الجهاديّ والانخراط في المَعْرَكة.

ولنلق بشيء من التفصيل الضوء عَلى مناحي هذه الاستراتيجيّة في الإِعداد والتّدريب.

أما موضوع الإِعداد العقدي وترسيخ مبادئ العَقِيْدَة الإِسْلَاميّة عامة والعَقِيْدَة الجهاديّة خاصّة كأساس في عمليَّة المُقاوَمة لإيجاد المقاوم المُجَاهد العقائدي ورفع مستوى حرارة المناخ العام في الأُمّة إلى مستوى الجِهَاد والثَّورة عَلى الظَّالمين وأعوانهم، فقد مر ذكره بإسهاب في فقرات كثيرة في هذه السلسلة.

فقط أشير هنا إلى أن ذلك يجب أن يكون بأسلوب منهجي ويجب أن يكون ذلك من خلال جهد تقوم به كلّ سرية مهما صغرت أو كبرت بإشراف أميرها، بإعداد عناصرها وكوادرها إعداداً منهجياً بتوفير الأبحاث والكتب والمطالعات الإلزامية لهم بحسب مستوى فهمهم وقدراتهم عَلى الاستيعاب.

وقد وفرت في سلسلة رسائل المُقاوَمة هذه كماً لا بأس به من الأسس المنهجيّة، وأنصح بمعظم كتابات شهيدنا الإِمَام عبدالله عزام رحمه الله فقد ترك تراثاً عظيماً لم يعرف قدره إلى الآن، بالإضافة للاستعانة بكتب المكتبة الإِسْلَاميّة التراثية والمعاصرة مما يعين عَلى رفع إِرادَة القِتَال والتّحريض عليه وعلى بصيرة وعلم كما أسلفت في رسالة نظريَّة التّربية المُتكامِلة.

كما يجب التركيز عَلى فهم نظريَّة حرب العِصَابات عامة وأصول حُرُوب العِصَابات الجهاديّة خاصّة وذلك من خلال مذكرات منهجيّة (سأحاول توفير خلاصات عنها) ملحقة بهذه السلسة أن شاء الله وكذلك من خلال المكتب والمراجع العسكريّة الّتي تحدثت عن ذلك، وقد سبق أن سجلت خلال مرحلة الجِهَاد الأفغاني بشوطين سلسلة من المحاضرات في هذا الفن هيَ خُلاصة كتب ومطالعات كثيرة وفق الله لها وسجلت خلاصتها في تلك المحاضرات وأذكرها هنا لأهميتها وهي

- (دُروس في حرب العِصَابات) شريطين كاسيت في ثلاث ساعات.
- (إدارة وتنظيم حرب العِصَابات) ٦ أشرطة كاسيت في نحو ٩ ساعات.
- ثمّ البحث والكورس المطول والهام جداً وهو: (شرح كتاب حرب المستضعفين) وهو من أهمّ كتب حُرُوب العِصَابات المترجمة وقد شرحته في ٣٦ شريط كاسيت ربما في نحوه ٢٥ ساعة..

وسأحاول إن وفقني الله تَعَالَى وكان في العمر بقية أن أفرغ تلك التسجيلات وأحولها إلى كتاب بعنوان أصول حرب العِصَابات الجهاديّة في ضوء ظروف الحملات الأمريكيّة المعاصرة، فإن لم يقدر لي ذلك فأرجو أن يوفق الله من يستطيع ذلك إلى تفريغ الأشرطة كما هيَ وصياغتها بلغة الكتابة مع التدقيق

الشديد في المحافظة عَلَى محتواها دونما إضافات أو تعليقات.. وأسأل الله أن ينفع بها ويكتب لي أجرها، وهذا الفن الهام جداً من العلوم العسكريّة قل من كتب فيه في المكتبة العربيَّة عموماً ولا أعرف في المكتبة الإِسْلَاميّة والجهاديّة كتابات مهمة فيه أو لم أطلع بالأحرى عَلَى مثل ذلك رغم بحثي عنه.. وأرجو أن أكون قد سددت بتلك المحاضرات والكتب المنبثقة عنها إن تمَّ ذلك بعون الله ثغرة مهمة.

أما عن هذه الفقرة فهي من أهمّ مرتكزات التّدريب في دعوتنا الجهاديّة للمقاومة، وهي نشر ثقافة الإِعداد والتّدريب وبَرَامجها ومناهجها بكل مناحيها عبر كافّة وسائل النشر ولاسيما الإنترنت وتوزيع الأقراص الإلكترونية والإرسال المباشر والتسجيلات وبكل وسيلة.

أساليب تدريب سَرايا المُقاوَمة في ظل الحملات الأمريكيّة:

أظن أنه وإلى وقت لا أعتقد أنه سيكون قصيراً.. لن يمكن والله أعلم إنشاء المُعَسْكَرَات المفتوحة عَلَى غرار ما عملناً في العقد الأخير، فالظروف الأمنيّة قد تغيرت جداً، ناهيك أن المُعَسْكَرَات والجبهات مهما اتسعت لن تستطيع استيعاب الأُمّة المليارية وشبابها المُجَاهد الّذي سيكون قريباً بالملايين إن شاء الله، لن يمكن استيعابهم في مُعَسْكَرَات ويجب أن تحافظ سَرايا المُقاوَمة عَلَى سريتها وسرية حركتها بكاملها، ومن ذلك التّدريب والإِعداد ولذلك فعلى عكس ما كانت عليه نظريَّة التّدريب في الأوساط الجهاديّة خلال العقدية الأخيرين والَّتي قامت عَلَى دعوة الأُمّة للمُعَسْكَرَات، تقوم نظريَّة التّدريب في دعوتنا للمقاومة عَلَى نقل المُعَسْكَرَات إلى داخل الأُمّة.

يجب نقل التّدريب إلى كلّ بيت وكل حي وكل قرية في بلاد المُسلِمِين.. وذلك بنشر المناهج وتفاصيلها ولاسيما العسكريّة.. ودروس استخدام الأسْلِحة وتكتيكات القِتَال في عمليَّة عسكرة شاملة لشباب الأُمّة الإِسْلَاميّة ورجالها، وحتى نسائها وأطفالها.

فالقضية جد منطقية ؛ لا يمكن حشد الأُمّة في مُعَسْكَرَات ولكن بالإمكان زرع المُعَسْكَرَات في أنحاء الأُمّة في كلّ بيوتها وأحيائها.

هذا إذا أردنا أن نحقق شعارنا في المُوَاجَهة وهو: **(المُقاوَمة معركة الأُمّة وليست صراعات النُّخبَة)**

يجب استعمال أسلوب تدريب البيوت والمُعَسْكَرَات المحدودة المتنقلة كما أسلفت، فأَسْلِحة المُقاوَمة الشعبيَّة وأَسْلِحة حرب العِصَابات الجهاديّة المدنيّة في مرحلة الإنهاك والإرباك بالإِرهَاب أَسْلِحة بسيطة.. مسدس ر شاش.. قنبلة يدوية.. قاذف صواريخ.. متفجرات.. هيَ أَسْلِحة بسيطة والتّدريب عليها جد بسيط ويجب عَلى من سبق له معرفة بهذه الأَسْلِحة وتلقي شيئاً من التّدريب أن يدرب من حوله وستساعد البَرَامج المنشورة المبسطة عَلى ذلك جداً.

* ولكن يجب أن يكون هناك حذر شديد في موضوع المتفجرات وقصر التّدريب عليها في البيوت نظرياً والخروج لخارج المناطق السكينة للتعامل مع مكوّناتها ولو البسيطة تفادياً للخسائر الناجمة عن الحوادث ولما يترتب عَلى ذلك من الكشف الأمني.

* وأما عمليَّة الرماية والتطبيق فتكون عن طريق إيجاد المواقع اللازمة والظروف المناسبة في الكهوف.. والجبال الخالية.. الغابات الواسعة.. الصحاري.. الخ، مع الإحتياطات الأمنيّة الشديدة ووضع نقاط إنذار أثناء العمل عَلى مسافات كبيرة.

* لقد أصح اعتماد هذا الأسلوب ملحاً جداً في عالم ما بعد سِبتَمبر، وقد تنبهت لهذا الأمر في الحقيقة قبل ذلك بفترة، وحاولت أن أشيع هذه الملاحظة في أوساط المُجَاهدين العَرَب في أفغانستان أيّام طالبان بعد استهداف صواريخ الكروز لمُعَسْكَرَات القَاعِدَة في أفغانستان صيف ١٩٩٨م، والدقة الّتي لاحظتها في الاستهداف، والكثافة في الرماية حيث نزل عَلى الأهداف ٧٥ صاروخ كروز خلال دقائق محدودة استطاعت فيها أمريكا أن تضع صاروخاً في كلّ غرفة من غرف لمُعَسْكَرَات.. وقد حادثت العديد من إخواننا آنذاك بأن زمن المُعَسْكَرَات الثَّابِتة بهذه الحادثة قد ولى، وأن علينا اعتماد أسلوب تدريب البيوت و(مُعَسْكَرَات المُجَاهدين الرُحَل) كما أسميتها.. بيوت من الشعر وسيارتين وعدة عناصر ومخيم في الفيافي والقفار يطبق البرنامج ويمشي.. ويأتي غيره لمكان آخر وهكذا.. ولكن الأوساط العربيَّة كانت تعتمد أسلوب الدعاية والحشد ودعوة الأُمّة للمُعَسْكَرَات ولم تتنبه في عمومها إلى عصر الأقمار الصناعية والتصويب بعيد المدى.. وكان أمر الله قدراً مقدورا.. أما الآن فأرى أن انتشار المعرفة بمجربات الحَرب وأسلحتها يجعل الجميع يقتنع بالبحث عن وسائل بديله وما أرها إلا الحَرب السرية في كلّ شيء تدريساً وتدريباً وتنفيذاً.. طالما أن التكنولوجيا الحديثة الأمريكيّة تهمين عَلى الفضاء والأجواء.. وسأعطي في

نهاية هذه الرّسالة (فكرة عن بَرَامج مثل هذا التّدريب في دورات البيوت السرية والمُعَسْكَرَات المُجَاهدين الرُحَل).

* أما تطوير الكفاءة القتاليّة من خلال العمل المباشر والانخراط في المَعْرَكة فقد رأينا نجاعته عملياً من خلال ما تمَّ من التَّجَارب الجهاديّة في بعض البلاد العربيَّة والإِسْلَاميّة ومنها التَّجربة السوريّة، وكذلك في تجربة أفغانستان في مرحلتها.

فقد كانت السَرايا الأولى من المُجَاهدين في الطليعة المقاتلة للإخوان المُسلِمِين في سوريا تعتمد الأسلوب التّالي في التّدريب المنزلي والتطبيق في ميدان المَعْرَكة المُوَاجَهة كما يلي:

- أنقسم التَّنظِيم إلى عناصر كامنة غير مكشوفة وغير مطلوبة للنظام وإلى قسم آخر من المطلوبين الّذين يختفون في قواعد مدنيّة في مخابئ في البيوت.

- كانَ القسم الكامن غير المكشوف يعمل في مهام الاستطلاع وجمع المعلومات والأموال والتجنيد وبعض عمليَّات الإسناد وللعمليَّات.

- أما العناصر المكشوفة فكانت تقوم بالمهام العسكريّة الأساسيّة الّتي كانَ معظمها عمليَّات اغتيال أو كمائن محدودة لدوريات الأمن أو مهاجمة لبعض مراكز الحكومة الإستخبارات.

- كانَ التّدريب يجري في البيوت عَلى فك وتركيب الأَسْلِحة البسيطة الّتي كانت عبارة عن المسدسات في الغالب وبعض الرشاشات الخفيفة وخاصة الكلاشينكوف بالإضافة لبعض القنابل اليدوية، وكانت تتم بعض عمليَّات الرماية المحدودة أحياناً في البساتين والمناطق المعزولة، وأشرف عَلى التّدريب من كانَ لهم خبرات سابقة تلقوها في التّدريب مع المنظمات الفلسطينية ولاسيما مُعَسْكَرَات الإِسْلَاميّة سنة ١٩٦٩م، أو من كانَ قد خدم في بعض أجهزة الحكومة العسكريّة.

- كانَ العنصر غير المدرب يخرج في عمليَّة أولى بصفة مراقب فقط يشاهد تنفيذها مع النّاس، وفي المَرحَلَة الثّانية يخرج مسلح كعنصر إسناد لا يتدخل إلا للضرورة، وفي المَرحَلَة الثّالثة يخرج منفذ ويسنده عناصر مدربه قديمة، وبعدها ينخرط في التّدريب والمشاركة الميدانية معاً.

- وهكذا تطورت الخبرات من خلال المَعْرَكة، ثمّ بعد ذلك بدأ إرسال بعض العناصر ليتلقوا التّدريب في العراق اعتباراً من سنة ١٩٨١م وعادوا لتدخل بعض الأَسْلِحة المتوسطة كالرشاشات وقذائف الصواريخ المضادة للدروع والهاون الخفيف وال متفجرات.

- كانت بعض المُعَسْكَرَات التّدريبية تجري حتَّى قبل انطلاق الجِهَاد بقليل أثنائه من خلال المخيمات والكشفية وبغطاء رحلات الشَّبَاب حيث تمَّ التّدريب عَلَى اللياقة البدنية والتكتيكات العسكريّة بدون سلاح، ويبقى استخدام السّلاح لبعض الحالات المحدودة.. وقد خرَّجت هذه الطَّريقة كوادر ممتازة أدت أداءً حسناً وكان العامل الأساسي في ذلك هو إرادَة القِتَال العالية جداً، والإعداد المعنوي، وقد سمعت عن شبيه بهذه التَّجَارب في التّدريب في البيوت والرمايات في مُعَسْكَرَات محليَّة في المناطق المعزولة من قبل ما حصل في مصر وليبيا والجَزَائِر والمغرب وسواها..

* أما في تجربة أفغانستان فقد كانَ الأساس هو إخضاع العناصر لدوارات تدريبية جيدة قبل انتقالها لخطوط الجبهات، ولكني شهدت العديد من الحالات ودورات التّدريب من خلال المَعْرَكة واختلاط التّدريب بالجِهَاد الفعلي وكانت تجارب ممتازة، فقد شهدتُ ذات مرّة دورة عَلَى استعمال مدافع الهاون تمت في الجبهة مباشرة، أثناء الجِهَاد ضدّ الرُّوس والشُّيُوعِيّين، فقد شرح لنا المدرب (أبو همام المصري رحمه الله) دروساً نظريَّة عَلَى المدفع لمدة يومين، ثمّ تمَّ التطبيق الفعلي بالرمي الحي عَلَى أهداف معادية، حيث ردت علينا تلك الأهداف بالقصف المماثل.. وعلى مدى ثلاثة أو أربع أيّام عاش المتدربون أجواءً حيةً ممتازة للتدريب والقتال في آن واحد.

فالتّدريب الميداني الفعلي من خلال المَعْرَكة ممكن وفعال وله نكهة خاصّة وفاعلية مختلفة، إذا توفر بعض العناصر المدربة الّتي تشرف عَلَى التّدريب.. وأعود للقول بأني رأيت عملياً ومن خلال عملي كمدرب في أثناء تواجدنا في العراق والأردن إبَّان الجِهَاد ضدّ النّظام الطَّاغي في سوريا، وكذلك في تجربة أفغانستان الأولى والثّانية وفي بعض تجارب العمل المحدودة الأخرى..

أن الأساس في تخريج المقاتل هو إرادَة القِتَال والتّدريب المعنوي وأما التّدريب العسكريّ فهو أساسي وضروري ولكن يمكن إجراؤه حتَّى بأبسط الوسائل والظروف وإرغام الفعالية من خلال الإنخراط في العمل.. ويكفي قوله تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾

[العنكبوت]. فالجِهَاد أساسه هو إمداد الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى وتوفيقه وعونه في التّدريب والعمل سواء.. والأصل الإِرادَة، ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ﴾ [التوبة: ٤٦]

فكرة مختصرة عن برنامج التّدريب من خلال البيوت والمُعَسْكَرَات السرية المتنقلة:

إن يسر الله فسنحاول أن نلحق برسائل المُقاوَمة ملحقاً عسكريّاً ببَرَامج دورات تفصيلية في بعض العلوم العسكريّة اللازمة لحرب العِصَابات ولاسيما المدنيّة والسرية الّتي هيَ أساس عمل سَرايا المُقاوَمة في المَرحَلَة الحالية، بحيث يغطي البرنامج التّدريب عَلى الأَسْلِحة الخفيفة وإتقانه الرماية عليها وعلم المتفجرات وملحقاته من بعض العلوم في الكهرباء والإلكترونيات، وبعض تكتيكات حُرُوب عِصَابات المدن إن شاء الله.

ولكني هنا أشير لبرنامج خفيف تستطيع أبسط الخلايا العازمة عَلى المُقاوَمة تطبيقه في أشد الظّروف الأمنيّة والسرية، ويشمل هذا البرنامج الخطوط العريضة كما يلي من برنامج التّدريب:

- إخضاع العنصر نفسه ومن معه لبرنامج رياضة بدنية مركز من خلال الانتساب لنادي رياضي في إحدى الرِّيَاضيات العنيفة (مصارعة، كاراتيه، جيدو.. ملاكمة.. الخ.. أو لبرنامج رياضي شخصي يومي يتضمن الجري لمسافات وأوقات طويلة وحركات بدنية رياضية توفر اللياقة العالية.
- دُروس في فك وتركيب المسدسات والرشاشات المتوفرة من خلال توفير مذكرات تبين ميزاتها وخصائصها وطريقة التعامل معها والرمي عليها.
- البدء بالرمي عَلى أَسْلِحة الصيد الّتي تستعمل الهواء المضغوط لصيد العصافير والطيور وهذه البنادق والمسدسات الّتي تستعمل المقذوفات الرصاصية الصغيرة متوفرة في كلّ مكان.
- الدّراسة النَّظريَّة لاستعمال القنابل اليدوية من خلال دراسة المذكرات والتدرب عَلى رمايتها برمي ما يشبهها من الأحجار حجما وزنا.

- الدّراسة النَّظريَّة لاستخدام المتفجرات وخصائصها وطرق تخزينها والتعامل معها، وتدريب العناصر عَلى مجسمات شبيهيه بالمواد الأساسي مجسمات خشبية وحبال ونماذج بلاستيكية، دون استعمال المواد الأساسي واستخدام التمديدات الكهربائية لشرح طرق التوصيل و(اللمبات) والمصابيح الصغيرة بدل الصواعق، وقد جربنا هذه الطَّريقة عملياً وكانت ناجحة تماماً وكان كورس المتفجرات النَّظري يتكون من نحو ٤٠ ساعة من الدُّروس عَلى نماذج خشبية وبلاستيكية حيث يتقن استعمال المتفجرات ولا يبقي إلا التطبيق في مكان مناسب عَلى عبوات صغيرة جداً.
- إتقان استعمال أجهزة الاتّصال اللاسلكية ودراسة مذكرة عن أمنيات استخدامها وعدم استعمالها في البيوت الخاصّة وإنما في الخلاء ولمدد بث تدريبية لا تتجاوز نصف دقيقة حتَّى لا يتم رصدها والتحدث بأحاديث شبيه باتصالات الأجهزة الحُكُوميّة.
- دراسات نظريَّة تشمل المواد العسكريّة والتكتيكية التّالية من خلال المذكرات الّتي تتوفر اليَوْم عَلى الإنترنت وسواها وأهم هذه المذكرات هيَ:

– مذكرات في الأَسْلِحة الخفيفة والمتوسطة.

– مذكرة في علم هندسة المتفجرات.

– مذكرة في علم الطوبوغرافيا العسكريّة.

– مذكرة في علم الاتّصالات اللاسلكية والشيفرة.

– مذكرة في الأمن والحركة والعمل السري والاختفاء والهروب من المطاردات الأمنيّة ورصد الأهداف.

– مذكرة في علم الكهرباء والإلكترونيات والعلوم الملحقة المساعدة لعلم هندسة المتفجرات.

– مذكرة في علم تركيب وتصنيع المتفجرات (**على أن يشرف عَلى التطبيق متخصص بالكيمياء ويجري التطبيق في أماكن بعيدة عن السّكّان وبكميات محدودة جداً**).

– مذكرات في تكتيكات القِتَال مثل: – تكتيكات حُرُوب المدن – حُرُوب الجبال – حُرُوب الغابات – حُرُوب العِصَابات – تكتيكات الجُيُوش النّظامية وطرق مواجهتها ... الخ..

- مذكرات في السُّلُوك التَّنظِيمي والأمني وضبط المواعيد وتسليم واستلام الرّسائل سراً.. الخ..

إن هذه الثّقافة العسكريّة هامة جداً ويمكن توفيرها عَلى أقراص كومبيوتر ونقلها والإستفادة منها وتخريج العناصر عَلى برنامج مكثف وإجراء تطبيقات فعلية كثيرة ومفيدة في البيوت أو في المُعَسْكَرَات الرِّيَاضية والكشفية وسواها حيث تبقى الحاجة فقط إلى تطبق الرماية والتفجير، وهذا يبحث له عن مكان مناسب وتم في ساعات محددة سواءً في المُعَسْكَرَات المتنقلة السرية أو من خلال ما تيسير.. ومن المهم جداً ضبط أمن الحركة في إجراء هذه التّدريبات، والله الموفق.



الفَصْلُ الثّامِنُ

البَابُ السّابِعُ

﴿ نظريَّة التّمويل لسَرايا المُقاوَمة الإسْلاميّة العَالَمِيّة ﴾

المال عماد الجِهَاد وأساسه، وقد أفهمنا الواقع المرير ذلك وجعلنا ندرك لم اقترن معظم ذكر الجِهَاد بالنّفس بذكر الجِهَاد بالمال وقدم عليه في الذكر في كثير النّصوص القرآنية..

وكدأبنا في استخلاص نظَرِيَّات عمل سَرايا المُقاوَمة من خلال تجارب الماضي.. نبدأ البحث في مآسي هذه المشكلة الّتي أرهقت المُجَاهدين المعاصرين وأوردتهم البلايا عبر عقود طويلة من المعاناة، انتهت بكوارث الخطط العَالَمِيّة المعادية في مكافحة المُجَاهدين وبَرَامجها في تجفيف المنابع.. لنحاول البحث عن حلول لتمويل سَرايا المُقاوَمة المقبلة والله الهادي إلى سبيل الرشاد..

طرق التّمويل في التَّجَارب الجهاديّة للتنظيمات السرية في المراحل الماضية:

اعتمدت التَّنظِيمات الجهاديّة في التَّجَارب الماضية في تمويلها عَلى المصادر التّالية:

- البداية بمساهمة الأعضاء والمناصرين المقربين عند انطلاق العمل.
- الاعتماد عَلى تبرعات المحسنين المحليين في المراحل الأولى.
- الاعتماد عَلى تبرعات المحسنين الخارجين بعد انطلاق العمل وتحول المُوَاجَهة للعلن.
- الاعتماد عَلى دعم بعض الأنظمة المجاورة المستفيدة من جِهَاد تلك التَّنظِيمات لحُكُومَات مناوئة لها في السياسات الإقليمية، حيث استفادت بعض التَّنظِيمات من تلك الهوامش مادياً وفي غير ذلك.
- الاعتماد عَلى الغنائم بشكل جزئي لم يتطور في أي تجربة جهاديّة للتنظيمات والجماعات الجهاديّة ليكون مورداً أساسياً.

هذا بشكل عام، فقد اختلفت نسبة الاعتماد عَلى هذه الموارد من تجربة الأخرى، ولكن السمت العام لمعظم التَّجَارب بقي تبرعات المحسنين أساساً.. وكان خُلاصة نظريَّة التّمويل وشعارها في تجارب التَّنظِيمات.. هو: (لله يا محسنين.. أعينونا عَلى الجِهَاد..).

طرق التّمويل في تجارب الجِهَاد في الجبهات المفتوحة:

وذك في مثل تجارب أفغانستان بشوطيها والجِهَاد في البوسنة والشِّيشَان وغيرها كالفيليبين وإريتريا وسواها.. ونلاحظ بوضوح أن مصادر تمويل الجِهَاد في حالة الجبهات أيضاً كانَ:

تبرعات المحسنين من المُسلِمِين لتلك القضايا الّتي حشدت الأُمّة أو معظمها في تأييدها..

تأييد بعض الحُكُومَات والجبهات الدّولية المستفيدة من اتجاه الجِهَاد في تلك الجبهات.

الغنائم من سلاح وعتاد العدوّ بشكل ليس أساسي لمصدر تمويل.

إلا أن خُلاصة قضية التّمويل وشعارها كانَ أيضاً في تجارب التّيار الجهاديّ لما شارك في تلك القضايا كانَ كذلك باختصار (لله يا محسنين.. أعينونا عَلى الجِهَاد..)..

ملاحظات سريعة عَلى قضية التّمويل في التَّجَارب الماضية:

يمكن اختصار الملاحظات والدُّروس والعبر في تجاربنا الماضية بالنقاط التّالية:

أولاً: أن مشكلة التّمويل ظلت في كافّة التَّجَارب الجهاديّة مشكلة المشاكل ومعضلة المعضلات، وكانت في كثير من الأحيان سبباً من الأسباب الرَّئيسيَّة في انهيار الجِهَاد أو استيعابه من جهات غير مخلصة وحرفه عن مساره نتيجة سياسة الاختراق وهو ما يسمى (سياسة الإغراق المالي) حيث تبدأ تلك الجبهات بالتّمويل المتدرج عَلى الشّكل التّالي:

أ- تمويل دون قيد أو شرط.

ب- تمويل مع نصائح وتوجيهات غير ملزمة.

ج- تمويل مع اقتراحات ملحقة وتذمر لعدم الأخذ بها.

د- التّمويل بشروط الالتزام بإرادَة الجهات الممولة بعد تأكدها من أن مصاريف الجِهَاد والمسؤولين عليه قد وصلت لحال يستحيل فيه عَلى قيادته أن تستمر بدون أموال الممولين الّذين يبدؤون بإملاءاتهم عند تحققهم من بلوغ الجِهَاد تلك المَرحَلَة.

ثانياً: ثبت أنه حتَّى أفضل الممولين إخلاصاً قل أن يمولوا بدون التدخل والتحكم ومحاولة الإملاءات عَلى قيادات الجِهَاد تنظيمية كانت أم جبهوية إلا في حالات نادرة جداً.

ثالثا: ثبت أن توسع التَّنظِيمات السرية ودخولها مرحلة المُوَاجَهة وتوسع قائمة المصاريف العسكريّة والتَّنظِيمية وتبعاتها من أسر الشّهداء والمعتقلين، بالإضافة إلى مصاريف الحركة.. الخ، تجعل المصاريف هائلة بشكل تعجز أكبر التَّنظِيمات عن حلّ هذا المشكل.

رابعا: ثبت أن الجبهات المفتوحة قد مرت بحالتين من حيث موضوع تمويلها:

١- جبهات كانَ سياق أدائها موافقاً لاتجاه السياسات الدّولية الرَّئيسيَّة الكبرى وخاصة اتجاه السياسات الغربيّة لأمريكا وحلفائها أو لأمريكا عَلى الأقل.. وقد انعكس ذلك شلالات من الدّعم المادي عَلى تلك الجبهات كما كانَ حال الجِهَاد الأفغاني الأوّل كنموذج للتوافق الدّولي عَلى الدّعم أو عَلى الأقل الإجازة بوصول أموال المحسنين بكميات هائلة إليه، وكما كانَ حال الجِهَاد في البوسنة في مراحله الأولى عند ما كانَ في صالح أمريكا الضغط عَلى أوروبّا وعرقلة مشاريعها النازعة للاستقلال عن القرار الأمريكيّ، وكذلك المراحل الأولى من الجِهَاد في الشِّيشَان والّذي وافق السياسات الأمريكيّة في حصار روسيا والضغط عليها.

٢- جبهات كانَ سياقها معاكساً للإرادَة الدّولية ولاسيما الأمريكيّة كما صار حال الجِهَاد في أفغانستان أيّام طالبان وفي البوسنة بعد (دايتون) وفي الشِّيشَان بعد رضوخ روسيا للسياسات الغربيّة وتواطؤ الغرب والعالم النّصراني بكامله بما فيه روسيا عَلى المُوَاجَهة العَالَمِيّة مع الإِسْلَام خاصّة منذُ أواسط التسعينات من القرن الماضي، وقد انعكس هذا حصاراً وسداً لمنافذ المال عَلى تلك الجبهات والعاملين فيها من قياداتها المحليَّة أو المتطوعين من المُجَاهدين المُسلِمِين للعمل فيها.

وكذلك كانت مشكلة التّمويل الخارجي بالتبرعات وبالاً عَلى الجبهات في الحالتين ففي حال الفتح وتدفق الأموال كانَ هذا العامل سبباً للسيطرة عَلى قيادات العمل وأطرافه وإملاءات الممولين من المحسنين والدّول وسيطرتها في النهاية عَلى مجريات تلك القضايا بشكل شبه كامل في الغالب كما كانت سبباً من الأسباب الرَّئيسيَّة لإجهاض العمل في حالات الإغلاق.

وإذا أردنا أن نذكر بعض الانعكاسات السلبية لمأساة التّمويل عَلى التّيار الجهاديّ وتجاربه جماعات وأفراد خلال تلك التَّجَارب نجد من ذلك:

(١) - عَلى عكس ما كانَ في تاريخ الإِسْلَام منذُ عصر الصّحابة فما بعده وإلى آخر أيّام الخِلافَة الإِسْلَاميّة، حيث كانَ المُجَاهدون من الطبقات الغنية في الأُمّة، بل بلغ بعضهم أن يكونوا من أغنى الأغنياء مما حصلوه من حصتهم في الغنائم وما حازوه من السلب والجوائز والحوافز كما كانَ سيدنا الزبير بن العوام رضي الله عنه أحد أغنياء الصّحابة ولم يكن له مورداً إلا ما حصله من الغنائم وقصته مشهورة. وكذلك الكثيرون من الصّحابة فمن بعدهم حتَّى كانَ قيادات الجند وكبار المحاربين والمُجَاهدين من الأغنياء والإقطاعيين عندما كانت الغنائم تقسم بالسوية والخُلَفَاء والملوك تعدل في الرعية.

ولكن ظاهرة الجِهَاد المعاصر جعلت المُجَاهدين المعاصرين من أفقر طبقات الأُمّة، وأشدهم إفلاسا وحاجةً وفاقة، وربطت وضع المُجَاهد بالتسول والحاجة والتبعية لمن يموله ويساعده عَلى أداء هذه الفريضة، رغم أنهم كانوا طليعة الأُمّة وزبدتها وأرقي شرائحها ديناً وتضحية وفداءً!!

(٢) - رهنت مصادر التّمويل إرادَة قيادات التَّنظِيمات أو حتَّى قيادات الجبهات ومسؤوليها لإرادَة الممولين، وقد أدى هذا الكشف كثير من الأسرار عنوةً ودخول الممولين ومن رافقتهم من الاستخبارات في المُعَسْكَرَات والجبهات وجلسات خاصّة القيادات، بل بلغ الأمر في تجارب مثل الجِهَاد الأفغاني الأوّل أن تفرض المخابرات السّعُودِيّة عَلى إدارة العَرَب مع وجود كبار رموزهم منع الحديث في (الحاكِمِيَّة) وإلقاء دروسها ونشر فكرها في المُعَسْكَرَات الرَّئيسيَّة العَرَب!! وفي البوسنة فرضت المخابرات السّعُودِيّة عَلى مُعَسْكَرَات العَرَب منع تدريس (حُرُوب العِصَابات) ودروس المتفجرات، خشية أن يعود بها المُجَاهدون لبلادهم.. هذا من قبل الممولين المحسنين القادمين بجلباب الإِسْلَاميّة ولحى الإخوة.

ناهيك عما حصل من بلاء الدّول الداعمة، كما حصل للجِهَاد في سوريا من سيطرة الحكومة العِرَاقيَّة وفرضها للراية العلمانيّة عَلى الجِهَاد في النهاية وإلزام الإخوان المُسلِمِين بالتَّحالف مع أحزاب المرتدّين بل مع جزء من النّظام النصيري المعادي!! وليس هنا محل ذكر مزيد من الشواهد ولكنه بحث مؤلم مرير كثير الشواهد..

(٣) - بلغ الأمر من المرارة أن تفرض حتَّى بعض التَّنظِيمات الجهاديّة الكبيرة المتمولة إرادتها عَلى التَّنظِيمات الصغيرة وتلزمها سياساتها ورغباتها ووجهات نظرها، بل وتفرض عليها النَّشَاط والتوقف بفعل المساعدات (الأخوية!) الّتي قدمتها لها (في سبيل الله) ! حيث كانت الجهات الممولة ترى مصلحة الإِسْلَام والمُسلِمين في ما تراه من سياسات وأساليب عمل..

فلما أدرك العدوّ ما لمسألة تمويل الجِهَاد من أهمية وأثر، اتخذ من شعار تجفيف المنابع خُطّة متكاملة للحصار والتجويع وشل المُجَاهدين عن الحركة، حيث أجبرت أمريكا كلّ الدّول عَلى رفع تقارير عن جهودها في مراقبة حركة الأموال، وتجميد حسابات من تتهمهم بالإِرهَاب، ووصل الأمر إلى حد سلب أموال مؤسسات خيرية وإلغائها، ونال البلاء المُجَاهدين وكل قريب منهم باي شكل من الأشكال ولو لمجرد تهمة أمريكا وعملائها لهم بذلك.

وهكذا وباختصار أقول..

لقد حفلت تجاربنا الماضية بمآسي كثيرة مما يجعل من أهمّ الأمور الّتي يجب أن نبحث فيها عن تصوُّر لتمويل سَرايا الجِهَاد المُقاوَمة للمقاومة في المَرحَلَة المقبلة هيَ موضوع مصادر تمويل الجِهَاد..

وقبل أن ننتقل لوضع تصوُّرنا في ذلك نذكر بعض الأفكار الّتي تضيء لنا تصوُّرات البحث عن الحلول.. والله المُستَعان..

- لو نظرنا في نظريَّة التّمويل في الإِسْلَام بكافة مراحله منذُ أُذن بالجِهَاد ثمّ فرض وعلى مختلف مراحل الدّولة الإِسْلَاميّة منذُ دولة المدينة في عهده ﷺ وإلى دولة الخُلَفَاء الرّاشدين فمن بعدهم من دول الإِسْلَام ومراحله ولاسيما في العهد والذهبية الزاهرة، لوجدنا أنها تقوم أساساً عَلى موارد الجِهَاد من الغنيمة والفيء من الجِهَاد المباشر.. أو عَلى ما ينتج من الموارد عن الجِهَاد مثل الجزية والخراج والعشور.. الخ، حيث لا تشكل الزّكاة والصدقات إلا مورداً فرعياً لسد حاجات بعض فقراء المُسلِمِين محليا، أما المصاريف الأساسيّة للجِهَاد وحتى للدولة الإِسْلَاميّة فقد كانت من موارد الجِهَاد وأنفاله وما أدخله في أملاك المُسلِمِين.
- لو نظرنا في غزوات رسول الله ﷺ وسَراياه لوجدنا قسماً كبيراً منها قد رصد لتحصيل الموارد.. ويكفي أن درة تلك الغزوات وطليعتها (بدر) بدر الكبرى الموقعة الّتي أسماها تبارك وتعالى

(يوم الفرقان) كانت أساساً لترصد عن قريش ليستعيد المُؤمِنُون عوضاً عما كانَ قد سلبه الكفّار منهم.. فقد كانَ البعد الاقتصاديّ بعداً هاماً جداً من أبعاد الجِهَاد، وهي ميزة من الميزات الّتي خص بها رسول الله ﷺ في خمس أعطيت له لم تعط لنبي من قبله منها أن أحلت له الغنائم وصارت حلالاً وسنة لأتباعه من بعده..

فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: «**بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»(١).

فرزقه ورزق أمته من بعد في ظل رمحه ﷺ وظل رماحهم من بعده، رغم أنف المهزومين من أصحاب فلسفات الضلال عَلى دروب الوسطيّة المزعومة، وإذا أدهشهم ذلك فلينظروا لأمريكا الّتي جعلت اقتصادها وسياستها تحت ظل رمحها بعد أن صار المُسلِمُون غثاءا كغثاء السيل !

وفي الحديث الآخر **عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ الْكِنْدِيِّ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَذَالَ النَّاسُ الْخَيْلَ وَوَضَعُوا السِّلَاحَ وَقَالُوا: لَا جِهَادَ قَدْ وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَجْهِهِ فَقَالَ:** «**كَذَبُوا الْآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، وَلَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، وَيُزِيغُ اللهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ، وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصححه شاكر والألباني (صحيح الجامع-٢٨٣١) ولأطراف الحديث شواهد في البخاري.

(٢) رواه النسائي في سننه (٣٥٦١) وصححه الألباني (الصحيحة -١٩٣٥)، وروى نحوه أحمد (١٦٩٦٥) وحسنه الأرنؤوط.

وفي الحديث الآخر.. عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «**إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَتَبَايَعُوا بِالْعِينَةِ، وَتَبِعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ ذُلًّا لَا يَرْفَعُهُ عَنْهُمْ حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ**»[١].

والشواهد كثيرة في الحقّ عَلَى الغزو والغنائم..

وقد انطلق صحابة رسول الله ﷺ بهذه المعاني، فلما فتحوا البلاد ورأوا الأراضي وخصوبتها في الشّام والعراق في عهد عمر.. هموا في الزراعة.. وزرعوا سهول فِلَسطِين.. فلما علم عمر بخبرهم أرسل من حرق لهم المحصول وأرسل لهم يعلمهم أنهم بعثوا جنوداً ومُجَاهدين ولم يبعثوا زراعاً..

وهكذا فاض المال وتدفق عَلَى المُجَاهدين والأُمّة من بعدهم خيراً ومددا وكان أساس ذلك الجِهَاد وما دره من أموال غنائم وفيء مباشر.. وأموال جزية وخراج أراضي.. الخ.. وهكذا كانت دورة الموارد والمصارف عبارة عن حلقات يصب بها الخير من موارد الجِهَاد من مصادر شيء..

ليملأ بيت المال وليصدر عنه بعد ذلك نحو المصارف من جديد، لتكتمل الدَّورة المالية للاقتصاد الإِسْلَاميّ، أما لو نظرنا في دورة الموارد والمصارف في قضايا الجِهَاد اليَوْم وتنظيماته وجماعه لوجدناها ببساطة عَلَى عكس نظريَّة التّمويل التارِيخِيَّة.

فخزانة تمويل التَّنظِيمات المرهقة بالمصارف يجب أن تغطي مصاريف القِتَال، والتّدريب، وأسر الشّهداء والمعتقلين، وحركة المُجَاهدين، والإعلام، إلخ وهذا محال، ولذلك وقع الخلل وصرنا للحال الّذي أشرت لبعض مآسيه، ولذلك فإن:

طريقة التّمويل في سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

(١) – مساهمات الأعضاء المُجَاهدين حال القدرة لتأسيس السرية.

(٢) – المساعدات غير المشروطة من قبل المُجَاهدين بأموالهم من الموثوقين المعروفين لإدارة السرية المُجَاهدة.

---

(١) رواه أحمد (٤٨٢٥) والطبراني في الكبير (١٣٥٨٣)، والبيهقي في الشعب (٤٢٢٤) ضعفه الأرنؤوط وصححه الألباني (صحيح الجامع (٦٧٥).

(٣) – الغنائم والفيء من أموال الكفّار والمرتدّين بحيث يأخذ المُجَاهدون نصيبهم ويضعون ما عليهم من نسبة بيت المال في بيت مال السرية بحسب ما يتفق عليه بالشكل الّذي نفصله فيما يلي.

أولاً: الأموال الّتي يحل غنيمتها اليَوْم للمُجَاهدين في سبيل الله:

ذكرنا بعض التفصيل في فقرة أحكام شرعيّة جهاديّة في البَاب الثّالث الّذي تكلم عن التّربية المُتكامِلة للمُجَاهد ولذلك نشير هنا إلى ذلك إشارة دون تفصيل ونقول:

ترتكز هذه الأحكام عَلى الحقيقة الشَّرعيَّة القائمة في بلاد المُسلِمِين والَّتي تمت الإشارة إليها في الفَصل الثّاني (الحكم الشَّرعيّ في واقع المُسلِمِين) وهي أن الحُكُومَات القائمة في بلاد العَرَب والمُسلِمين اليَوْم حُكُومَات غير شرعيّة وساقطة، لردة الحكَّام بسبب ولائهم للكافرين وبسبب حكمهم بغير ما أنزل الله وتشريعهم من الله ولأسباب فرعية أُخرى مما يزيد هذه الحقيقة تأكيداً، وعليه فإنه يتقرر:

أ – حلّ أموال الحُكُومَات المرتدّة وأملاكها العامّة، وأملاك كبار مجرميها الحاكمين.

ب – حلّ أموال كافّة الكفّار الأجانب في بلاد المُسلِمِين لسقوط أمانهم بسقوط شرعيّة الحُكُومَات القائمة الّتي ليس لها حق إعطاء الأمان والذمة وإبرام العهود والمعاهدات مع الكفّار.

ج – حلّ أموال كافّة غير المُسلِمِين المقيمين في بلاد المُسلِمِين لنفس السبب السابق.

ج – حلّ أموال المرتدّين من المجاهرين بتعاونهم مع قوَّات الاحتلال ونصرتهم عَلى المُسلِمِين.

د – حلّ أموال الكفّار في البلاد المحاربة للمسلمين لقيام حالة الحَرب بيننا وبينهم، وعدم وجود معاهدات بينهم وبين كيانات وإمارات إسلاميّة شرعيّة تلزم رعاياها من المُسلِمِين بعهود بينها وبين أولئك الكافرين.

هذا بشكل عام، ويعاد لمزيد من التفصيلات الشَّرعيَّة في الفَصل الخاص بذلك مما سبق، ولتفصيلات المصالح السّياسيّة في تجنب ضرب بعض الأهداف لمصالح سياسيّة، وأذكر بالتنبيهات الهامة التّالية:

١ – الحرمة القطعية لأموال المُسلِمِين ودمائهم حيث كانوا في بلاد المُسلِمِين أو في بلاد الكافرين مهما تلبسوا به من الفسوق والمعاصي والنقائص، حتَّى ولو طرأ الشك عَلى أصل إيمانهم فالشك لا يذهب

اليقين، واليقين هنا هو شهادتهم أن لَاإِلَٰهَ إِلَّا الله وأن محمّد رَسُولُ الله، فيجب الحذر من الوقوع في دماء المُسلِمِين وأموالهم وأعراضهم فهي حرام ومقدّسة.

٢- من كانَ بينه وبين أحد من الكفّار عقد أو عهد يقتضي الأمان فلا يحل له أن ينقض عهده أو يخفر ذمته وأمانه سواءً كانَ في بلاد المُسلِمِين أو بلاد الكافرين قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة:١]، وقال: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء].

٣- أمان أمراء الجِهَاد وأمراء المُسلِمِين إذ وجدوا في دائرة سلطانهم يجب احترامه وكذلك يجب عَلَى أتباعهم الوفاء بما أعطا أمراؤهم من الذمة والأمان للكفار.

٤- **أُذكر هنا بالحكم الشَّرعيّ لتلك الأموال والدِّماء للكافرين والمرتدّين من حيث حلها بشروطها، وأما تطبيق هذه الأحكام وممارسة أعمال الغنيمة منهم، فيجب أن يخضع بعد ذلك لدراسة المصالح والمفاسد السّياسيّة بالهجوم عَلَى هدف بعينه في مكان بعينه في وقت بعينه فإن تحقق ترتب مفسدة ظاهرة عَلَى ذلك للإسلام والمُسلِمين حرم ذلك ليس لأصل الحرمة وإنما للفساد المترتب عَلَى ذلك**، وعلى من يجهل تقدير هذه الأمور أن لا يتخوض بغير علم بل يسأل من يثق به من أهل الذكر وهم العارفون بأمور الأحكام الشَّرعيَّة والسّياسة الشَّرعيَّة من الثقاة في دينهم وفهمهم جِهَادهم.

- **مصادر غنائم وفيء سَرايا المُقاوَمة وطريقة قسمها بين المُجَاهدين:**

ونعود لسياق البحث لنقول بأن مصدر التّمويل الأساسي لسَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة يجب أن يكون بعد انطلاق العمل بمال المُجَاهدين الخاص، أو ما يصلهم من تبرعات غير مشروطة من محسنين أوفياء، هو من الغنيمة والفيء من أموال:

١- أموال الكفّار المحاربين في بلادهم أو في بلادنا.

٢- أموال الحُكُومَات المرتدّة المتعاونة مع الإحتلال مع الانتباه لحفظ دماء المُسلِمِين العاملين في تلك المصالح المختلفة.

٢- أعيان من ثبتت ردتهم بولائهم للكفار ومظاهرتهم عَلَى المُسلِمِين فأموالهم حلال كدمائهم لردتهم.

توزيع أموال الغنائم والفيء في سَرايا المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة:

سألت شيخنا عبد القادر عن ذلك أيّام الجِهَاد الأفغاني وكيف تقسم الغنيمة بين سرية من المُجَاهدين غنموها فقال التّالي:

أ- القَاعِدَة الأساسيّة: في قسمة الغنائم هو ما قرره القرآن ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١]: وهو ٢٠٪ من المال المغنوم يوضع في بيت مال المُسلِمِين. و(٨٠٪) من المال المغنوم يقسم عَلى المجموعة المُجَاهدة الّتي غنمته.

ب- الاتفاق بين أعضاء السرية المُجَاهدة هذه قبل الغنيمة عَلى طريقة قسمها وما اتفقوا عليه أنفذوه بالعدل عَلى أن لا يقل القسم المصروف في مصالح الجِهَاد والمُسلِمين عن الخمس وهو ٢٠٪ وإن رأوا زيادة ذلك بالرضا قبل العمل زادوه بالاتفاق لحاجة تنظيمهم أو سريتهم لمصاريف الجِهَاد..

ج - إذا كانت السرية تعمل بقوة تنظيم أو مجموعة سَرايا أُخرى توفر الخدمات العامّة من الذخيرة والسّلاح والاستطلاع والدعاية واللوازم الأخرى، يسهم لكافة أعضاء التَّنظِيم بنصيب يتفق عليه بحسب التراضي بين قيادة ذلك التَّنظِيم وقواعده.

وعليه فإن الطَّريقة المقررة لدينا في قسمة ما تحصله السَرايا المُقاوَمة من غنائم من العدوّ هو عَلى الشّكل التّالي:

١- تقوم السرية بتخصيص بيت مال خاص بها تضع فيه مساهمات أعضائها أو ما تحصله من دعم غير مشروط لأعمالها الجهاديّة من معارفها المقربين الموثوقين كما تضع فيه نسبة الخمس عَلى الأقل من أي غنيمة تغنمها أي ٢٠٪ من الغنيمة أو قيمتها المالية.

٢- يتفق أعضاء السرية عَلى الأسس المالية فيما بينهم إذا أرادوا رفع حصة بيت مالهم للمساهمة في زيادة قدرتهم التسليحية مثلاً أو الإنفاق في وجوه الجِهَاد أو معاونة سَرايا أُخرى أو معاونة أسر بعض من يعرفون من الّذين فقدوا عائلهم في الجِهَاد في سبيل الله أو ما رأوا من مصارف المُسلِمِين.

٣- يتفق أعضاء السرية عَلى الأسس الّتي يقسمون بها حصة لباقي أعضاء السرية الّذين لم يشاركوا في عمليه من عمليَّات الغنائم مباشرة.. باعتبارهم داعمين للسرية وبهذا يتكاملون فيما بينهم فمثلاً:

يمكن أن يتفقوا عَلى ثلاثة أسهم لكل رجل من المنفذين وسهم لكل عضو من السرية لم يحضر التنفيذ بعد إخراج الخمس أو ما اتفقوا عليه فيما بينهم وما اتفقوا عليه لزمهم إنقاذه بالعدل والإحسان، والله الموفق.



الفصل الثامن

الباب الثامن

﴿نظريَّة الإعلام والتّحريض في دعوة المُقاوَمة الإِسْلاميّة العَالَمِيّة﴾

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾ [الأنفال] وقال تعَالَى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء].

وقد أخذ التّحريض عَلى الجِهَاد والقتال والتحبيب فيه وذكر فضله والوعيد من تركه مساحة كبيرة من آيات القرآن الكريم منذُ نزلت آية الإذن بالقتال في السنة الثّانية للهِجرَة وقال الله تَعَالَى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [الحج]

وكما حفلت آيات القرآن الكريم بالتّحريض عَلى القِتَال وحض المُسلِمين عليه فكذلك جاءت الكثير من النّصوص النّبويّة والسنة الفعلية والتقريرية منه ﷺ تحض عَلى الجِهَاد وتفصل في فضله وأجره، وما أعد الله للمُجَاهدين والشّهداء، وتستنفر المُؤمِنِين للقتال، وتثير فيهم الحمية لدينه والبغض لأعدائه، والرغبة في الثواب عنده، وتعدهم النّصر والظفر والتمكين.

ويكفي أن رسول الله ﷺ قد خرج بنفسه للجِهَاد مرات كثيرة، وأرسل أحب النّاس إليه عَلى رايات الغزوات ولقيادة السَرايا، وجهز الغُزَاة ورعى شؤونهم، وقضى حياته يعد ويجاهدوا ويقاتل ويحرض المُؤمِنِين كما أمره ربه تبارك وتعالى، فجاهد في الله حق جِهَاده حتَّى أتاه اليقين صلوات الله وسلامه عليه، وبقى كذلك حتَّى لحظاته الأخيرة.. فكان هم الغزو والجِهَاد همه وهو عَلى فراش الموت،

وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة الزكية الطّاهرة، يحض عَلى إنفاذ جيش أُسَامَة لقتال الرُّوم، ويوصيهم «أخرجوا المشركين من جَزِيرَة العَرَب»..

والتّحريض صنو الجِهَاد والباعث عليه، ومهمة الخُلَفَاء والأمراء والعُلَماء والدعاة إلى الله والآمرين بالمعروف من كلّ شرائح وطبقات الأُمّة، هذا إذا كانَ طلباً للعدو في ديارهم وإعلاءً لكلمة الله ونشراً لدينه وراياته وتحكيماً لشريعته في الأرض، وإما إذا صار الجِهَاد دفعاً عن الدّين والنّفس والعرض والأرض والمقدّسات كما هو شأنه اليَوْم، وكما كانَ في أزمنة النّوازل الكبرى.. فهو من أهمّ الفرائض عَلى كلّ مسلم عامة، وعلى أهل العلم والدعاة إلى الله، بل حتَّى الّذين عذرهم الله عن القِتَال لعجزهم عنه لمرضهم وعللهم المانعة لهم من الجِهَاد، اشترط عليهم قبول عذرهم بأن يحركوا ألسنتهم بالدّعوة إلى الله والتّحريض عَلى نصرة دينه فقال تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة]

وكما قلت فإن كتاب الله تَعَالَى وسنة نبيه وسيرة المصطفى ﷺ وسيرة خلفائه الرّاشدين من بعده وصالح الملوك والسلاطين والأمراء من بعدهم عَلى مر تاريخ الإِسْلَام، حافلة بالقصص والنماذج والسير والعبر، وتشكل كنوزاً من الآثار في فنون التّحريض وأساليبه ودروسه وعبره وتجاربه، وهي من أهمّ التراث العظيم الّذي يجب أن نعود إليه وتغترف منه ونقوم بفريضة التّحريض اليَوْم في أمة ران عليها الكسل وغلب عَلى خاصتها وعامتها القعود، ودب في غالبتها العظمى الوهن من «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمُوْتِ»، حتَّى عدت عليها الأمم وتداعت تماماً كما أخبر رسول الله ﷺ تداعي الأكلة إلى قصعتها تتناهبها تناهب الذئاب الضواري وتنهشها نهش الكلاب العوادي، بعد أن فرَّ حراسها، وسكت عن الحقّ والدّعوة للجِهَاد والدفع علماؤها، وتاه عامتها في بحور العجز والضياع..

ونعود في استخلاص نظَريَّات عملنا وحركتنا من خلال تقييم دروسنا وتجاربنا الماضية، عبر مسار الدّعوة والتّيار الجهاديّ في صحوتنا المعاصرة. إذ يمكن دراسة تجارب التّحريض تلك من خلال مجالاتها ومقوّماتها الإعلاميَّة الأربعة بحيث ندرسها عَلى مستوى:

١- **جهة الخطاب**: وهي الجهة الّتي اتجه إليها خطاب المحرض من المُسلِمِين.

٢- **فحوى الخطاب**: وهي الرّسالة الإعلاميَّة التّحريضية والدّعوة الّتي وجهها الداعي للجِهَاد.

٣- **أسلوب الخطاب**: وهو لهجة وبناؤه وطريقة تقديمه لدعوته.

٤- **طريقة إيصال الخطاب**: وهي الوسائل الّتي اتبعها الداعي للجِهَاد لإيصال رسالته للنَّاس لدعوتهم للجِهَاد.

فإذا ما جئنا لنعقد مقارنه كي نستخلص طريقتنا ونظريَّة عملنا في الإعلام والتّحريض من خلال التَّجَارب السالفة ومعطيات الواقع وتغيراته سلباً وإيجاباً نجد ذلك كما يلي:

أولاً: طريقة التّحريض في التَّجَارب التارِيخِيَّة القديمة:

- **جهة الخطاب**: كانَ الدعاة إلى الجِهَاد عبر تاريخنا كله يوجهون الخطاب بالجِهَاد إلى عموم الأُمّة بكافة شرائحها وطبقاتها، حكامها ومحكوميها، فقرائها وأغنيائها، أقويائها وضعفائها، من كلّ جنس ولون وعنصر من عناصر هذه الأُمّة المحمّدية.

- **فحوى الخطاب**: كانَ عموم فحوى الخطاب هو تحريض الأُمّة عَلى جِهَاد الطلب أيّام كانَ حال الأُمّة ما كانَ من العز والسؤدد، بتذكيرهم بالأجر والثواب عند الله لهداية النّاس وإخراجهم من الظُّلمات لإلى النور، وما يترتب عَلى الظفر من الغزو من اتساعه دولة الإِسْلَام وما يفيض عَلى الأُمّة من خيرات الجِهَاد وغنائمه وفتوحه.

وإذا كانَ دفعاً كما في أيّام النّوازل وغارات العدوّ، كانَ الخطاب ينصب عَلى إثارة بواعث الغيرة والحميه للدين والعرض والأرض، والدفع عن أنفس المُسلِمِين وأموالهم، والتذكير بالوعيد المترتب عَلى ترك الجِهَاد من العقاب عند الله، ومن الذلة والصغار وتحكم الأَعدَاء وقتل الأنفس وانتهاك الأعراض وسبي الذرية وخراب الدِّيَار.

- **أسلوب الخطاب**: كانَ أسلوب الدّعوة إلى الجِهَاد يعتمد عَلى إثارة مكامن الغيرة لدين الله ويستنفر مكامن الطمع في جند الله وعفو ورضوانه ومكامن النخوة والرجولة في نفوس الأُمّة وكان يعتمد عَلى كلّ آفاق الوعد والوعيد وكان وسيلته الشعر والنثر والخطابة.

- **طريقة إيصال الخطاب**: كانت المساجد أساساً هيَ المحرك الأساسي للأمة حيث كانت محل دُروس العُلَماء وخطابات الخطباء.. ومنها تصدر الأخبار والمناشير والفرمانات عن السّلاطين والخُلَفاء والأمراء، وكذلك منها تخرج الفتاوى بالجِهَاد بحسبها كفاية أو عنياً بحسب الأحوال.

وكان للأدباء والشعراء والخطباء دور كبير ومكانة مرموقة في مجتمعات المُسلِمِين، وكانوا ولاسيما في النّوازل الكبرى يهيجون الأُمّة عَلى الدَّفع والبذل والعطاء حيث كانت تنتشر تلك الخطب والأشعار والفتاوى لتسير بها الركبان وتبلغ المشارق والمغارب.

ثانياً: التّحريض والإعلام في تجارب التّيار الجهاديّ وتنظيماته السرية المعاصرة:

وتناول ذلك أيضاً من خلال أركان الإعلام والتّحريض الأربعة:

- **جهة الخطاب**: إذا ما نظرنا إلى غالبية نشرات وأدبيات التّيار الجهاديّ ومحتواها ولهجتها والأوساط الّتي استهدفتها، سنجد أن الخطاب في معظمه كانَ موجهاً إلى النُّخبَة من شباب الصّحوة الإِسْلَاميّة بالدرجة الأولى وربما بشكل شبه حصري.

- **فحوى الخطاب**: ركز الخطاب الجهاديّ عَلى موضوع الحاكِمِيَّة بالدرجة الأولى، وأخذت فكرة كفر الحاكم ومفاصلته وطائفته، وقضية الخروج والثَّورة عليه، والأدِلَّة الفقهيّة عَلى ذلك القسم الأعظم من فحوى الخطاب ورسالة الجهاديّين الإعلاميَّة.

ومنذ الجِهَاد الأفغاني الأوّل أواخر الثمانينات، وعلى مر العقد الأخير في التسعينات أضيف إلى موضوع الحاكِمِيَّة الموضوع العقدي وفق الأسس السّلفيّة وطروحاتها العقدية، الّتي طبعتها اللهجة النخبوية والصيغة العلمية المعقدة، وهكذا يمكن القول بأن الفحوى.. فحوى رسالة الإعلام والتّحريض لدى الجهاديّين كانَ أحادي الطرح (**عقائد – حاكِمِيَّة**) وذا طابع معقد ونخبوي، ولم يكن ذا بعد شعبي يمكن القول بأنه موجه لجماهير جماهير المُسلِمِين عامة، وقد غاب عن بشكل شبه كامل أبعاد مفاتيح الطرح الأخرى كالجانب الاقتصاديّ والاجتماعي والسّياسيّ، وأبعاد معاناة المُسلِمِين اليومية، لقد كانَ خطاباً أحادياً منغلقاً عَلى نفسه.

- **أسلوب الخطاب:** تميز خطاب الجهاديّين الإعلاميّ التّحريضي إجمالاً النخبوية والفوقية، بل وبكثير من الشدة والجفاف وغلبة الوعيد وغياب آفاق العاطفة والرّقائق واستمالة الجماهير من مفاتيحها النّفسية، وكان الأسلوب صورة للفحوى أحادية الطابع والطرح نخبوياً في أسلوبه كما فحواه بالإجمال.

- **طريقة إيصال الخطاب:** اعتمد التّيار الجهاديّ في إيصال خطابه عَلى أسلوب المنشور والنشرة السرية.. وفي أحيان قليلة جداً الكاسيت الصوتي وقد تميز المجهود في إيصال المنشور بأنه قليل جداً قياساً إلى حجم الأداء العسكريّ وطول المدة الّتي عمل بها..

ففي مرحلة العمل السري وقبل المُوَاجَهة لم يكن هناك مجهود لإيصال أي خطاب للجماهير بما يتناسب مع حالة السرية! ومع اشتعال المُوَاجَهة أدت الأوضاع الأمنيّة إلى صعوبة وصول ذلك الخطاب! وبعد خروج التَّنظِيمات إلى المهجر.. صار الخطاب بعيداً، ولم يصل إلى الوطن الأم المعني بالثَّورة! بل صارت نشرات الجهاديّين عبارة عن نشرات مهاجرة تمثل خطاباً ذاتياً يكتبها ثلة من الإعلاميّين ويوزعونها في أوساط الجهاديّين أنفسهم ليعيدوا قراءة ذات أفكارهم الّتي آمنوا بها ولم يستطيعوا إيصالها عملياً للنَّاس!!

وبالإجمال يمكن القول أن البعد الإعلاميّ والتّحريضي لجماعات التّيار الجهاديّ كانَ أحد أبرز أوجه الفشل في الأداء.. ولم يسجل أي نجاح، اللّهم إلا بعد انفراط عقد الجمع العربيّ في الجِهَاد الأفغاني وانتشار الجهاديّين في المهاجر والملاذات.. حيث حصل نوع من انتشار الفكر والأدبيات الجهاديّة في أوساط الصّحوة ذاتها واتسعت آفاق المد الجهاديّ داخل الصّحوة ولكن الخطاب بقي بعيداً عن مختلف شرائح الأُمّة كماً وكيفاً ونوعاً..

ثالثاً: التّحريض والإعلام في التَّجَارب الجهاديّة في الجبهات المفتوحة:

ولنأخذ مثالاً عَلى ذلك أهمّ التَّجَارب وهي الجِهَاد الأفغاني ضدّ الرُّوس والجِهَاد مع المُسلِمِين في البوسنة ضدّ حملات إبادة الصّرب الصّليبيّة، ثمّ تجربة الجِهَاد في الشِّيشَان ثمّ أخيراً الجِهَاد العربيّ إلى جانب طالبان.. وهي أبرز القضايا الّتي أخذت بعداً أمميا عَلى مستوى أمة الإِسْلَام في قضايا مواجهات جهاديّة فنجد أن المناحي الأربعة للإعلام والتّحريض في تلك القضايا كانت كما يلي:

- **جهة الخطاب**: توجه الخطاب الإعلاميّ في كلّ تلك القضايا الجهاديّة إلى عموم الأُمّة بكل شرائحها كما هو الأصل.

- **فحوى الخطاب**: ركز الخطاب عَلى مسألة بسيطة مفهومة (شعبياً) وحقيقة دينية راسخة من عقائد عموم المُسلِمِين وهي دفع الصّائل الغازي الأجنبيّ العادي عَلى المُسلِمِين وأن الجِهَاد معهم ونصرتهم بالنّفس والمال فرض عين عَلى المُسلِمِين.

- **أسلوب الخطاب**: كانَ الأسلوب عاطفياً سلساً.. تحريضاً جمع الوعد إلى الوعيد.. ورجح اتجاه الوعد بالثواب والأجر عَلى الجِهَاد وعلى ما أعد الله للمُجَاهدين والمرابطين والشّهداء..

- **طريقة إيصال الخطاب**: اعتمد الخطاب في بدايته أواخر الثمانينات عَلى المجلات والنشرات والكاسيت والفيديو.

وقد أسس الشَّيْخ عبدالله عزام ﵀ مدرسة إعلاميَّة رائعة في ذلك تستأهل الدّراسة والتأمل والاستفادة منها والتطوير والبناء عليها..

ثمّ أضافت المدرسة الإعلاميَّة للجِهَاد في البوسنة بعداً مهماً باستخدام الفيديو والكاسيت، وسدت ثغرة هائلة، ثمّ دخل الجِهَاد العربيّ في الشِّيشَان عَلى الخط ليطور تكتيكات الإنترنت فأوصل التَّجربة إلى آخر مداها ونجاحها، وعملوا عَلى نشر الفيديو أيضاً وسجلوا حضوراً عظيماً.. وبالاختصار..

لقد كانَ النجاح الإعلاميّ في جِهَاد الجبهات عظيماً ولا أدل ذلك ولا أبلغ من الوقفة الهائلة الّتي وقفت فيها الأُمّة مع تلك القضايا وانعكست في جودها بحر أموالها بمئات الملايين من الفقراء والأغنياء والرّجال والنِّسَاء.. وبطيران فلذات أكبادها بالآلاف بل بعشرات الآلاف إلى ساحات الشرف والنّصر والشَّهَادة.

ومن خلال دراسة هذه التَّجَارب والدُّروس نخرج بالخلاصة والعبر الّتي تساعدنا بإذن الله وتوفيقه عَلى وضع أسس نظريَّة الإعلام والتّحريض لسَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، ودعوتها الجامعة المُتكامِلة بإذن الله، وأهم هذه الدُّروس والعبر المستفادة من تجاربنا السالفة في هذا المجال الحيوي الهام:

(١) - يقول الله سُبحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤]، أي كلّ المُؤمِنِين، ولفظا (**المُؤمِنِين**) و(**المُسلِمِين**) كما هو معلوم إذا انفردا دل اللفظ عَلَى أهل ملة الإِسْلَام أهل لَاإِلَهَ إِلَّا الله، وإذا اجتمعتا عم لفظ (المُسلِمِين) أهل الإِسْلَام، وخص لفظ المُؤمِنِين الصفوة المؤمنة منهم كما قَالَ تَعَالَى:

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]

وموضع الشاهد هنا، أن الأمر لرسول الله ﷺ بتحريض الأُمّة في الآية الّتي كانت أساس دعوتنا ومستندها ومنطلق نظرياتها وشعارها وهي قوله تَعَالَى:

﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤]

هيَ أمر لكل فرد وتكليف شخصي بالقتال، سواء قاتل النّاس أم قعدوا.. وأمر للمُجَاهد عامة ولأهل العلم والدّعوة وأصحاب الخطابة والقلم والكلمة، أن يحرضوا المُؤمِنِين، أي كلّ المُسلِمِين، فالدرس الأوّل هو الإتجاه للأمة، كلّ الأُمّة، بدعوة المُقاوَمة، وليس فقط لخاصتها من أهل الصّحوة أو أهل التدين، فالجِهَاد فريضة عَلَى الجميع وعلينا أن نحرض الجميع ونقاتل معهم برهم وفاجرهم، قويهم وضعيفهم، ولاسيما وأن دعوة المُقاوَمة هيَ دعوة دفع صائل عامة براية الإِسْلَام العامّة.

(٢) - أن أنجح شعارات الحشد والجمع عَلَى الجِهَاد كانت شعارات الجِهَاد ضدّ الصّائل الخارجي، وهو حالنا اليَوْم، وهو هدف دعوة المُقاوَمة، فعلى رسالتنا التّحريضية ودعوتنا أن تتخذ من ذلك أساس الدّعوة، دفع الصّائل والفريضة العينية في ذلك.

(٣) - أن أمة الإِسْلَام اليَوْم تتعرض لهجوم الصّائل عليها في كافّة مناحي وجودها، فهو يستهدفها في دينها بالإزالة والطمس والتبديل، وفي أنفسها بالقتل وبالإبادة، وفي أعراض بالأذى وانتهاك الكرامة، وفي أموالها وثرواتها بالنهب.. الخ، ولذلك فإن مفتاح الجِهَاد وبرنامج التّحريض وشعاراته يجب أن يكون شاملاً لكل ذلك، ويجب أن يأخذ مفتاح الطرح والجِهَاد ثلاث أبعاد عامة ويشتمل برنامج الإعلام عَلَى تفاصيلها:

أبعاد الرّسالة الإعلاميَّة لدعوة المُقاوَمة إسلاميّة العَالمِيّة:

أولا: البعد الدّيني: الدّفاع عن (العقائد - المقدّسات - أركان الدّين وأسسه).

ثانياً: البعد الاقتصاديّ: الدّفاع عن (الثّروات - الأرض - مقوّمات الوجود).

ثالثا: البعد السّياسيّ: الدّفاع عن (الكيان الحضاري مقوّمات الوجود).

رابعا: البعد العاطفي: الدّفاع عن الكرامة والأعراض والقيم والمثل والأعراف والتقاليد العالية الموروثة، كالغيرة والرجولة، وحماية العرض والشرف...

(٤) – استعمال الأسلوب الشعبي العاطفي السهل، كانَ أساس دعوة عوام الأُمّة وليس المطولات الفقهيّة والمسائل العقدية وتفاصيلها.. فإثارة الغيرة عَلى الدّين والمقدّسات.. والنخوة عَلى العرض والدم والمال.. ومكامن الرجولة في المُسلِمِين والثأر للدين والأعراض والأنفس والأموال.. إثارة العَوَاطِف في مآثر الجِهَاد وقصص البطولات ومآثر الأبطال والشّهداء قديماً وحديثاً.. إثارة الشجون والأشواق للجنة ومنازل الشّهداء وما أعده الله لهم – اللّهم اجعلنا منهم برحمتك يا ربّ وكرمك وفضلك – والتخويف من القعود وعواقبه في الدُّنيَا والآخرة..

(٥) – اعتماد الطرق المتنوعة في أسلوب إيصال الخطاب لأن يكون شعبيا.. وفي هذا الزّمان فإن المحوران الرَّئيسيان في التماس مع الجمهور هما.. الإنترنت والفضائِيَّات.. ثمّ ما يمكن نشره من الأفلام والتسجيلات والمُؤلّفات عبر أقراص الكومبيوتر، هذه الأساليب الشعبيَّة الّتي تطال النُّخبَة وعامة النّاس، قامت بها فعلاً حجة الله عَلى من يريد البلاغ من خلقه، ففي الوقت الّذي كانَ تكاليف طباعة كتاب ونشره عَلى نطاق واسع تفوق إمكانيَّات أكثر التَّنظِيمات، ناهيك عن صعوبة نشر الفكر الجهاديّ بل استحالته.. دخلت الفضائِيَّات والإنترنت والكومبيوتر كلّ البيوت.. أغنياء وفقراء عَلى حد سواء.. وصار الأمر لا يحتاج بعد توفيق الله أكثر من العزيمة والصدق والنِّيَّة والإخلاص في الصدع بالحق والقيام بواجهة وشيء من الحَركيّة وسعة الأفق.

(٦) – عدم إغفال دور المساجد ومؤتمراتها الأسبوعية.. خطب الجمعة، هذا المفتاح العظيم الّذي أعطاه الله لورثة الأنبياء.. فأضاعه أكثر علماء ودعاة هذه الأُمّة رهباً ورغباً للسلاطين.

المساجد، بُعد إعلامي تحريضي غائب يجب إعادته..

(٧) – الابتكار والتنوع في الأساليب والمضامين والتجديد والحضور في الأُمّة وخطابها بمستجدات القضايا ومتابعة الرّسالة الإعلاميَّة معها..وعليه فإن:

خُلاصة نظريَّة الإعلام والتّحريض لدعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

أولاً: جهة الخطاب: خطاب المُقاوَمة متجه للأمة، كلّ الأُمّة بكل شرائحها، عالمها وجاهلها، عربها وعجمها، عاملها وقاعدها، ذكرها وأنثاها، فقيرها وغنيها.. الكل مقصود بدعوة المُقاوَمة كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء: ٨٤] كلّ المُؤمِنِين أي كلّ المُسلِمِين.

ثانياً: فحوى الخطاب: هو دفع الصّائل وأنه فرض عين عَلى كلّ مسلم ومسلمة وتفاصيل الفحوى بحسب كلّ شريحة، فهناك الخطاب العام الموجه للعموم، وهناك الخطابات الخاصّة لكل فئة بما يناسبها.

ثالثا: أسلوب الخطاب: خطاب النّاس عَلى قدر عقولهم، عَلى قدر أفهامهم وعلمهم وثقافتهم ولغتهم ونوعها.. فالخطاب العام الموجة لعموم الأُمّة.. أسلوبه التأليف والرحمة وجمع المفرق ونفي أسباب الفتن والتفرق، من أجل الاجتماع عَلى دفع الصّائل، وأسلوب ذلك الخطاب الجاد والعاطفي والقائم عَلى بالكتاب والسنة، وأما الخطاب الخاص فأسلوبه ما يناسب حال أهله من الثّقافة والجنس والحال الخاص بهم.

رابعا: وسائل إيصال الخطاب: كما أسلفنا استخدام الوسائل الشعبيَّة والعصرية في آن واحد وعلى رأسها: الفضائيَّات وشبكات الاتّصال والكومبيوتر، وإيصال رسالتنا بالوسائل المقروءة والمسموعة، والمصورة لإيصال رسالة المُقاوَمة إلى كافّة طبقات وشرائح الأُمّة.

****ونأتي لشيء من الشرح والتفصيل لإيضاح ما أوجزنا في أسس نظريتنا في الإعلام والتّحريض:**

- **جهة الخطاب العامّة والجهات الخاصّة وفحوى خطابها وأسلوبه ووسيلته:**

جهة الخطاب العامّة هيَ الأُمّة والشرائح العريضة منها بصرف النَّظر عن أي عامل يخصصها.. وخطابها يكون بصفة الإِسْلَام فقط، بصرف النَّظر عن الجنس، أو المستوى العلمي الشَّرعيّ، أو الوعي الثقافي.. خطابها خطاباً عاماً.

أما جهات الخطاب الخاصّة، فهو بسبب تميز شريحة بعامل رئيس يجمعها، بحيث يكون خطابها آخذين بعين الاعتبار هذه الخاصية الجامعة لها.. ويمكن أن يكون هذا من قبيل ما يلي كأمثلة لا للحصر..

* **الجنس والقوم:** وعند ذلك يؤخذ بعين الإعتبار فهم حالهم وتاريخهم وواقعهم وخطابهم بلغتهم وتذكيرهم بمآثرهم، والعزف عَلى وتر تفاعلاتهم العاطفية مع الإِسْلَام وقضية دفع الصّائل من خلال خصوصيتهم.

* **مستوى العلم الشَّرعيّ:** فخطاب العُلَماء غير خطاب الجهلاء، وخطاب الدعاة غير خطاب قواعد الدّعوة.. فهنا يبرز دور الدليل الشَّرعيّ وتفاصيله، وحتى داخل هذه الشريحة، هناك مستويات وأنواع فخطاب العُلَماء يختلف عن خطاب الدعاة الحَركيّين.

* **المستوى الثقافي:** خطاب المثقف غير خطاب العامي والجاهل والأمي، ولكل مفتاحه ومداخله، فالمثقفون، يخاطبون بالمنطق والإحصائيات والأرقام والدلائل السّياسيّة والواقعية، وهم أيضاً أنواع وشرائح ومستويات يخاطب كلّ بحسبها، والعامة تخاطب بالعاطفة وبواعث الحمية.

* **الانتماء الفكريّ والسّياسيّ:** حيث يختلف خطاب المسلم الملتزم أو ابن الصّحوة، عن خطاب صاحب الهويّة الفكريّة السّياسيّة الأخرى من العلمانيين أو الوطنيين أو القوميين، ولكل مداخله الّتي يجب البحث عن القواسم المشتركة بين المخاطب وبين دعوة المُقاوَمة بجمع الشرفاء عَلى راية المُقاوَمة وفروعها، وتألف الآخرين من دون الإخلال بثوابت الدّين والهويّة، والحكمة أساس ذلك ومن يؤتها فقد أوتي خيراً كثيراً.

وهكذا.. فخطاب أهل السّنّة يختلف عن خطاب الفرق العقدية من أهل القبلة، وحتى داخل أهل السّنّة يأخذ بين الاعتبار المدرسة العقدية والمذهب الفُقْهيّ لكل فريق وقوم، وهكذا تتعدد التصنيفات.. فخطاب الرّجال غير خطاب النِّسَاء.. وخطاب الشَّبَاب غير خطاب الكهول والمسنين، وخطاب العمال يختلف عن خطاب التجار والزراع.. وهكذا إذا دخلنا مجالات الخطاب الخاص يجب أن نأخذ بعين الإعتبار فهم المخاطب وثقافته ومستواه وقناعته وخصائصه وواقعه ومشاكله كلّ ذلك بحثاً عن مكان الإقناع لديه لجره إلى الخط العامل، وتأليف الكل عَلى دعوة المُقاوَمة وفرضيتها العينين مستند به إلى الأصل الجامع في عقيدتنا عَقِيْدَة أهل السّنّة بأن قتال الدَّفع لا يشترط له شرط ولا راية وأنه مع كلّ بر وفاجر من أئمة المُسلِمِين وعامتهم.

وهكذا فإن تحديد جهة الخطاب بدقة يحدد باقي معطيات الإعلام والتّحريض، فتحديد جهة الخطاب يحدد فحوى الخطاب، وأسلوبه ووسيلته، وهي النقطة المفصلية في إصابة الخيارات أو خطئها في باقي مقوّمات عمليَّة التّحريض والإعلام.

سَرايا التّحريض والإعلام والدّعوة لدعوة المُقاوَمة الإسْلَاميّة العَالَمِيّة:

مهمة الإعلام والتّحريض في الأُمّة عامة وخاصة، فأما العامّة فهي الدّعوة العامّة لمحاربة محاور الحملات الغازية بكل مناحيها العسكريّة والثَّقافيَّة والفكريّة والتربَويّة والاقتصاديَّة والسّياسيّة والاجتماعيَّة وكل مجال.. لأن الحملات اليَوْم شاملة كاملة، لها برنامج في كلّ مقوم من مقوّمات حضارتنا وحضارتهم، فهم يستهدفون كلّ شيء يريدون هدمه وإحلال نقيضه من مقوّمات حضارتهم وعليه فإن مهمة المُوَاجَهة الحَضَاريَّة تقع عَلى عاتق كامل مكوّنات الأُمّة.

علماءها في مساجدهم وكتبهم ودروسهم، ومثقفها في محاضراتهم وأدبياتهم ونشاطهم الثقافي، ورجالها في ميادين عملهم ووجوه حركتهم، ونسائها في بيوتهم وتربية أطفالهم..

وهكذا.. يبرز الدَّور للجميع في التّحريض والإعلام العام لإحياء جُذُور المُقاوَمة وخلق أجواء المُقاوَمة ومناخ الثَّورة عَلى الغازي وأعوانه والتّحريض عَلى دفعهم.. فهذا مجال عام يجب أن نحرض أوساطه عَلى أن يكون لكل منها دوره..

فهناك دور للعلماء وللشعراء والكتاب والأدباء، وهناك دور للمثقفين وللسياسيين وللاقتصاديين وللأكاديميين، وهناك دور للطلاب والعمال ولكل شريحة.. هذا عن مجال التّحريض العام للحفاظ عَلى هوية الأُمّة ومكوّناتها وأسس نهضتها وحضارتها وكينونتها بكل مقوّماتها الدّينيّة والقومية والوطنيّة وغير ذلك..

أما مجال التّحريض الخاص، فهو التّحريض عَلى المُقاوَمة المُسلّحة، وهو من مهام أعضاء دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ومؤيديها، وخلاصته التّحريض عَلى الانخراط في مهمة القِتَال وتكون السَرايا الضاربة المنفصلة، سَرايا المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة، السَرايا الجهاديّة المُسلّحة.. وهذه مهمة يجب أن تقوم بها خلايا تنذر نفسها لهذه المهمة.

إن مهمة القِتَال هيَ مهمة كلّ مسلم وفرض عين عَلى كلّ مسلم وعلى كلّ مسلم، أن يحدد وسعه ويبذل جهده بقدره لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وعليه أن يرفع من مستوى ذلك الوسع بإعداد نفسه والتّعاون مع من يثق من إخوانه المُسلِمِين.

وأما مهمة التّحريض فهي مهمة كلّ بحسبه، وهي فرض عَلى كلّ امرئ حتَّى من عذر الله عن الجِهَاد من أصحاب الأعذار الّذين عذرهم الله تَعَالَى عن القِتَال فقال تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التوبة: ٩١]. فقد عذرهم بشرط: ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وسمى ذلك منهم إحساناً فقال تَعَالَى: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾

ولكن مهمة التّحريض المتخصصة تقع عَلى عاتق المؤهلين لذلك.. ومهمتهم أن يشكلوا خلايا للدعوة للجِهَاد والتّحريض عليه، ويسهلوا سبل ذلك للنَّاس بإمدادهم بالمعلومات والتوجيه والبَرَامج، وهذه الخلايا هيَ ما ندعوه **سَرايا التّحريض** عَلى أن يدرك القائمون عَلى هذه السَرايا أن القيام بمهمة التّحريض لا يسقط عنهم فريضة القِتَال، إلا أن يكونوا حالات خاصّة من أهل العلم المتفرغين للدعوة والجِهَاد بالعلم والفكر والنيَّة كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة]

ومن المهام الرَّئيسيَّة لسَرايا التّحريض في دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة ما يلي:

(١) – نشر كتب ورسائل دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة بكل وسيلة ونشر ممكنة، لإيصالها لأوسع دائرة ممكنة من شرائح الأُمّة المسلمة ومكوّناتها.

(٢) – نشر كلّ ما من شأنه مساعدة الأُمّة عَلى الجِهَاد من مناهج التّدريب والإِعداد العسكريّ والدَّورات العسكريّة وطرق المُقاوَمة الشعبيَّة.. وسنحاول أن نيسر من ذلك ملاحق لسلسلة كتب ورسائل دعوة المُقاوَمة بإذن الله.

(٣) – ترجمة هذه الرّسائل والكتب والمناهج إلى اللغات الإِسْلَاميّة الحية الرَّئيسيَّة كاللغة التركية والأردية والإندونيسية والماليزية..غيرها من لغات المُسلِمِين الكثيرة، وهذه مهمة من يتقن اللغة العربيَّة من أبناء تلك الجنسيات والقوميات ونقل هذه المُؤلّفات والرسائل إلى اللغات الحية الرَّئيسيَّة المتداولة

من قبل المُسلِمِين مثل اللغة الإنكليزية والفرنسية والأسبانية والرُّوسية والألمانية، وهذه مهمة من يتقن هذه اللغات واللغة العربيَّة بشكل مجيد يمكنه من الترجمة الأمنيّة، ولاسيما التدقيق عَلى ترجمات النّصوص الدّينيّة والفتاوى، فهو مستوى يتطلب العلم باللغتين، بالإضافة لمستوى عال من فهم النّصوص الشَّرعيَّة ولغة الخطاب الدّيني.

(٤) – نشر كلّ فكر من شأنه إذ كاد روح المُقاوَمة ومن ذلك:

– فتاوى العُلَماء الأقدمين والمعاصرين في جِهَاد الأَعدَاء ومن أعانهم بكل وسيلة.

– فتاوى العُلَماء وكتابات المفكرين الإِسْلَاميّين الّذين ينادون بمفاصلة الكافرين ومقاطعتهم ومقاطعة من تعاون معهم في كلّ مجال.

– الشعر والأدبيات والأناشيد والكتابات الفكريّة وكل نشاط أدبي أو فكري أو ثقافي أو فني ينشر روح المُقاوَمة.

ويجب الانتباه لأمرين مهمين جداً جداً.. وهما:

١ – وهو عدم إصدار أي بيان أو كتاب أو فتوى أو مؤلف بالإسم المحدد (دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة) حتَّى لا يلحق بها جهلاً أو عمداً ما يتناقض مع منهجها الّذي حددناه ونشرناه تحت اسم سلسلة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة.

وإنما نشر ما يرونه داعما للمقاومة باسم أصحابه أو باسم عام حقيقي أو حركي بحسب ما يختار أصحابه له، وهذا أمر مهم جداً.

أما السَرايا الّتي تنفذ العمليَّات فلا تزيد في بيانها عَلى تبني العمليّة باسم سَرايا المُقاوَمة واسم السرية الخاص، بدون أي رسالة إعلاميَّة فكريّة أو سياسيّة أو شرعيّة.

٢ – الالتزام في نشر تلك الأدبيات والنَّشَاطات والفتاوى وإن كانَ باسم أصحابها بمبادئ دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة وأسَّسَها العقدية المبنية في دستور المُقاوَمة ونظريتها المنهجيّة.

والمشروحة في أسس نظريتها السّياسيّة واستراتيجيتها العامّة المبينة في نظريتها السّياسيّة وأسَّسَها الأخرى المبينة في باقي أدبياتنا الخاصّة، كلّ هذا تمشياً مع الوضع السري الّذي يفرضه علينا الواقع الأمني والحَركيّ للحملات الطَّاغية الآن.

وعندما تنجلي هذه الأزمة سنعمل عَلى ذلك من خلال هيئة شرعيّة إعلاميَّة سياسيّة معلنة بمكوّناتها وأسماء كتابها وإدارتها إن شاء الله تَعَالَى.

وأما ونحن في مرحلة الجِهَاد السري والمُقاوَمة السرية قتالاً وتحريضاً فيجب الالتزام بهذه الضوابط حتَّى لا تنحرف الدّعوة بقصد المفسدين العامدين المدسوسين، أو بجهل المندفعين الّذين يقع بعضهم بجهله بأعظم من فجور الفاجر كما جاء في الأثر: (**إن الجاهل ليصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر**).

وأؤكد هنا عَلى براءة من ينتسب لهذه الدّعوة وبراءتي شخصيا من كلّ ما يتنافى مع أسس الدّعوة ومبادئها والَّتي بيناها بوضوح، وبينا أدلتها من الكتاب والسنة ومقتضى المصالح والمفاسد بناءا عَلى دُروس تجارب الجِهَاد السَّابقة ومسار الصّحوة الإِسْلَاميّة وعناءاتها.

أساليب وأفكار إعلاميَّة تحريضية لإحياء دعوة المُقاوَمة الإِسْلَاميّة العَالَمِيّة:

أولاً: من حيث مادة الخطاب:

الاهتمام والتركيز عَلى جمع المواد في الأبواب التّالية:

١ - النّصوص القرآنية الّتي تحرض عَلى القِتَال والجِهَاد وتذكر أجر فاعله وجزاء القاعد عنه، ونصوص السنة النّبويّة في مثل ذلك.

٢ - فتاوى العُلَماء الأقدمين والمعاصرين في فرضية الجِهَاد ولاسيما جِهَاد الدَّفع، وفقه الجِهَاد وأحكامه وآدابه وما يتعلق به.

٣ - جمع القصص من سيرة الرَّسُول ﷺ ومن سير المغازي وقصص التّاريخ الإِسْلَاميّ كله مما يحرض عَلى القِتَال ويذكر بأمجاد المُسلِمِين ومآسيهم ونوازلهم الكبرى.

٤ - التركيز عَلى تاريخ الحملات الصّليبيّة الأولى وأحداثها ووقائعها وأدبياتها ومجرياتها فأكثر أحداث اليَوْم وأطرافه هيَ مما يعيد فيه التّاريخ نفسه.

٥ - التركيز عَلى الحملات الصّليبيّة الاستعماريّة المعاصرة منذُ مطلع القرن السَّادس عشر ولاسيما حملات الدّول الاستعماريّة الكبرى منذُ القرن الثَّامن عشر وأحداث ذلك وتاريخه وقصص جِهَاد أجدادنا للروم المعاصرين في كلّ بلاد العالم العربيّ والإِسْلَاميّ.

٦ - جمع قصص المآسي والعدوان والمجازر والدمار الّذي أحدثه الاستعمار الحديث في بلادنا بالوقائع والإحصائيات والشواهد ولاسيما من مصادرهم وكتبهم الّتي اعترفت بذلك.

٧ - ذكر تاريخ المؤامرات المعاصرة عَلى العالم الإِسْلَاميّ من قبل المُستَعمرين وحركات الإستشراق وعلاقة الاستشراق والغزو الفكريّ بالإستعمار ومساره.

٨ - ذكر دور حملات التغريب الفكريّ والمذاهب العلمانيّة المعاصرة وأحزابها ومفكريها ودعاتها ورجالها من أبناء عالمنا العربيّ والإِسْلَاميّ ودورهم الفكريّ والسّياسيّ في خدمة الاستعمار وتدمير الأُمّة.

٩ - ذكر وقائع الهجمة الصّهيونيّة اليَهُوْدية عَلى العالم الإِسْلَاميّ منذُ وعد بلفور والهجرات الصّهيونيّة لفلسطين ومراحل قيام إسرائيل ومراحل الصِّرَاع العربيّ الإسرائيلي وتاريخه ثمّ تاريخ مؤامرات ما يسمى (بالسَّلام مع اليَهُوْد) والتطبيع معهم وبَرَامجه العسكريّة والسّياسيّة والاقتصاديَّة والثَّقافيَّة والاجتماعيَّة وأثره المدمر عَلى العالم الإِسْلَاميّ.

١٠ - ذكر وقائع الهجمة الأمريكيّة المعاصرة عَلى العالم الإِسْلَاميّ منذُ انطلاق النّظام العَالَمِيّ الجَدِيد وأساليبها وميادينها، والتعريف بأمريكا وفسادها في الأرض في كلّ مجالات الحضارة والحياة والعلوم ومجازرها وهجمتها في البشرية منذُ انطلقت إلى العالم إبَّان الحَرب العَالَمِيّة الثّانية وإلى اليَوْم وكشف مساوئها الحَضَاريَّة بكل أبعادها للمسلمين، وذكر دور حلفائها الأوروبيين والغربيّين المعاصرين ولاسيما الرَّئيسين من مكوّنات حلف النّاتو، وواقع خداعهم ومكرهم ومشاركتهم في الغزو الحالي.

١١ - الاهتمام بذكر تاريخ الصّحوة الإِسْلَاميّة ومآثرها بكافة مدارسها في الحفاظ عَلى دين الأُمّة ومكوّناتها، وصراعات الصّحوة وتجاربها ومشاهدها وشهدائها ورجالها وتاريخها في كلّ بلد من قبل أصحاب ذلك البلد ومن شهد تلك التَّجَارب ولاسيما الجهاديّة منها ونشر وعي الأُمّة بتاريخها المعاصر.

١٢- الاهتمام بنشر أدب المُقاوَمة المعاصر شعراً ونشراً ونشيداً وفناً وكل ما من شأنه إزكاء روح الحماسة والإقدام والجِهَاد.

١٣ - التنبه عَلى محاور الغزو الفكريّ والثقافي الأمريكيّ المعاصر ووسائله في الإفساد الفكريّ والاجتماعي ووسائله عبر الإنترنت والفضائِيَّات ودور الطابور الخامس من المستغربين والمتأمركين

صراحةً ومن العادين عَلى الإِسْلَام وفكرة وتراثه باسم الإعتدال والوسطية ودعاة الإِسْلَام الأمريكيّ المعاصر.

١٤ - نشر الثّقافة الأمنيّة وكتبها ونشر ملخصات لذلك وتوعية المُسلِمِين بأساليب الأَعدَاء الأمنيّة في اختراق مجتمعاتنا ومحاربة المُقاوَمة.

١٥ - نشر الثّقافة العسكريّة وكتبها وملخصات بكتبها وبالمدارس العسكريّة المعاصرة وبحُرُوب العِصَابات وأساليبها وطرق المُقاوَمة الشعبيَّة وأسلحتها، وتبادل الخبرات والتَّجَارب المعاصرة في مُوَاجَهة هذه الحملات الأمريكيّة الطَّاغية.

١٦- نشر أبعاد الحملات الأمريكيّة في كلّ مجال، في مجال المهينة العسكريّة ومجال المؤامرات السّياسيّة ومجال النهب الاقتصاديّ ومجالات التدمير الحضاري الثقافي والاجتماعي وطرق مكافحة كلّ ذلك..

١٧- نشر فظائع الحملات الأمريكيّة وأفعالها وأفعال حلفائها وفظائعهم لاستثارة الهمم والنخوة والحمية في الأُمّة.

١٨ - تعميم فتاوى العُلَماء والمواد المفيدة الصغيرة الحجم من خلال إرسالها عبر البريد الإلكتروني لمختلف شرائح الأُمّة..

١٩ - إرسال رسائل النصح والتذكير للمنحرفين والمتعاونين مع الحملات الأمريكيّة في كلّ مجال من مجالاتها الحَضَاريَّة عامة.

٢٠ - إرسال رسائل التهديد والوعيد للمؤسسات والشخصيات المتعاملة مع الحملات الأمريكيّة الغربيّة الصّهيونيّة في كلّ مجال.

٢١- إرسال رسائل التّحريض الموجزة المدعمة بالصُّور والشواهد لمختلف المؤسسات والأوساط والشخصيات في مختلف شرائح الأُمّة.

هذه مجرد أمثلة لفتح الآفاق والبركة في إبداع العاملين بتوفيق الله.

ثانياً: أفكار في وسائل إيصال الخطاب: أذكر بالأساليب الأساسيّة:

١ - استغلال إمكانيَّات شبكات الإنترنت والبريد الإلكتروني وشبكات الاتّصال الدّولية في إيصال كلّ تلك المعلومات وتبادلها وبلاغها لأصحابها ودخول المنتديات الحوارية مع الانتباه الأمني لاستعمال تلك

الشبكات، وهذا باب خطير يجب التنبه له بعدم بث مواد خطير ومن مواقع ثابتة أو فتح مواقع مراقبة من أرقام شخصية...

٢ استغلال السباق الإعلاميّ في الفضائِيَّات العربيَّة والإِسْلَاميّة والإعلاميَّة في إيصال المواد الإعلاميَّة من بيانات وفتاوى ومعلومات وكل ما يمكن أن تستجيب الفضائِيَّات لنشره وكذلك عبر الندوات والمقابلات والحواريات والاتّصال المباشر مع مراعاة الرزانة والأدب والعلمية وهوامش الحريَّة في تلك الفضائِيَّات..

٣ - استغلال إمكانيَّات الكومبيوتر في نشر كلّ المواد عبر الكتب والنشرات والمحاضرات والصُّور وأفلام الفيديو الّتي يمكن تحميل كميات كبيرة منها في الأقراص الإلكترونية المضغوطة، وإرسالها بالبريد أو التبادل الشخصي، أو عبر الانترنيت.

٤ - الاستفادة من المساجد والدُّروس والخطب والاجتماعات العامّة بكل صعيد يمكن في خطاب المُسلِمِين.

٥ - نشر المنشورات والأبحاث مطبوعة وتداولها بين المُسلِمِين ولاسيما الشرائح الشعبيَّة الّتي لا تستعمل وسائل الاتّصال المعاصرة وكذلك نشر الكاسيت وأفلام الفيديو في تلك الأوساط.

شواهد مختارة للتّحريض وشَحذ الهِمَم:

فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر:

قَالَ الإِمَام الجصاص في أحكام القرآن[١]، ما ننقل منه باختصار:

[قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران] قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَدْ حَوَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَعْنَيَيْنِ. أَحَدُهُمَا: وُجُوبُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَالْآخَرُ: أَنَّهُ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ لَيْسَ بِفَرْضٍ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ فِي نَفْسِهِ إذَا قَامَ بِهِ غَيْرُهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ وَحَقِيقَتُهُ تَقْتَضِي الْبَعْضَ دُونَ الْبَعْضِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ فَرْضُ الْكِفَايَةِ إذَا قَامَ بِهِ بَعْضُهُمْ سَقَطَ عَنْ الْبَاقِينَ.

وَقَدْ ذَكَرَ الله تَعَالَى الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ مِنْ كِتَابِهِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقال فيما حكى عن لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان] وقال تَعَالَى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات] وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة]

فَهَذِهِ الْآيُ وَنَظَائِرُهَا مُقْتَضِيَةٌ لِإِيجَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَهِيَ عَلَى مَنَازِلَ: أَوَّلُهَا تَغْيِيرُهُ بِالْيَدِ إذَا أَمْكَنَ، فَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ وَكَانَ فِي نَفْيِهِ خَائِفًا عَلَى نَفْسِهِ إذَا أَنْكَرَهُ بِيَدِهِ فَعَلَيْهِ إنْكَارُهُ بِلِسَانِهِ، فَإِنْ تَعَذَّرَ ذَلِكَ لِمَا وَصَفْنَا فَعَلَيْهِ إنْكَارُهُ بِقَلْبِهِ.

عن أبي سعيد الخدري قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَاسْتَطَاعَ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِيَدِهِ، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[٢].

---

(١) أحكام القرآن للجصاص: (٢/ ٣١٥) وما بعدها.

(٢) رواه مسلم (٤٩) وهذا اللفظ عند ابن ماجه (٤٠١٣).

عن عبدالله بن جرير البجلي عن أبيه، أن النبيّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ، لَمْ يُغَيِّرُوهُ إِلَّا عَمَّهُمُ الله بِعِقَابٍ»(١).

عن عبدالله بن مسعود قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ اللهَّ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ الله قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ [المائدة] إلى قوله: ﴿فَٰسِقُونَ ٨١﴾ [المائدة] ثُمَّ قَالَ: كَلَّا وَالله لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا»، قَالَ أبو داود وزاد فيه: «أَوْ لَيَضْرِبَنَّ الله بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ»(٢)، فأخبر النبيّ ﷺ أَنَّ مِنْ شَرْطِ النَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ أَنْ يُنْكِرَهُ ثُمَّ لَا يُجَالِسَ الْمُقِيمَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَلَا يُؤَاكِلَهُ، وَلَا يُشَارِبَهُ، وَكَانَ مَا ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ ذَلِكَ بَيَانًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المائدة: ٨٠] فَكَانُوا بِمُؤَاكَلَتِهِمْ إِيَّاهُمْ وَمُجَالَسَتِهِمْ لَهُمْ تَارِكِينَ لِلنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة] مَعَ مَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ إِنْكَارِهِ بِلِسَانِهِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ ينفه مع مجالسته ومؤاكلته ومشاربته إياه، قَدْ رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللهَّ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ وَتَضَعُونَهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإنا سمعنا النبيّ ﷺ يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله بِعِقَابٍ»(٣)، وحدثنا محمّد بن بكر (...) حدثني أبو أمية الشعباني قَالَ: **سألت أبا ثعلبة الخشني فقلت: { يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ فقال: أَمَا وَالله لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْت شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ - يَعْنِي - بِنَفْسِكَ، وَدَعْ**

---

(١) رواه أحمد (١٩٢٣٠) وأبو داود (٤٣٣٩) وابن ماجة (٤٠٠٩) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه أبو داود (٤٣٣٦، ٤٣٣٧) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه أبو داود (٤٣٣٨) والترمذي (٢١٦٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

عَنْكَ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ»، وَزَادَنِي غَيْرُهُ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ»(١).

وَفِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ لَهُمَا حَالَانِ: حَالٌ يُمْكِنُ فِيهَا تَغْيِيرُ الْمُنْكَرِ وَإِزَالَتُهُ فَفَرْضٌ عَلَى مَنْ أَمْكَنَهُ إزَالَةُ ذَلِكَ بِيَدِهِ أَنْ يُزِيلَهُ؛ وَإِزَالَتُهُ بِالْيَدِ تَكُونُ عَلَى وُجُوهٍ: مِنْهَا أَنْ لَا يُمْكِنَهُ إزَالَتُهُ إلَّا بِالسَّيْفِ وَأَنْ يَأْتِيَ عَلَى نَفْسِ فَاعِلِ الْمُنْكَرِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، كَمَنْ رَأَى رَجُلًا قَصَدَهُ أَوْ قَصَدَ غَيْرَهُ بِقَتْلِهِ أَوْ بِأَخْذِ مَالٍ أَوْ قَصَدَ الزِّنَا بِامْرَأَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَنْتَهِي إنْ أَنْكَرَهُ بِالْقَوْلِ أَوْ قَاتَلَهُ بِمَا دُونَ السِّلَاحِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَهُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُم مُنكَرًا فَليغَيّرْهُ بِيَدِهِ»(٢)، فَإِذَا لَمْ يُمْكِنْهُ تَغْيِيرُهُ بِيَدِهِ إلَّا بِقَتْلِ الْمُقِيمِ عَلَى هَذَا الْمُنْكَرِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَهُ فَرْضًا عَلَيْهِ، وَإِنْ غَلَبَ فِي ظَنِّهِ أَنَّهُ إنْ أَنْكَرَهُ بِيَدِهِ وَدَفَعَهُ عَنْهُ بِغَيْرِ سِلَاحٍ انْتَهَى عَنْهُ لَمْ يَجُزْ لَهُ الْإِقْدَامُ عَلَى قَتْلِهِ، وَإِنْ غَلَبَ فِي ظَنِّهِ أَنَّهُ إنْ أَنْكَرَهُ بِالدَّفْعِ بِيَدِهِ أَوْ بِالْقَوْلِ امْتَنَعَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ دَفْعُهُ عَنْهُ وَلَمْ يُمْكِنْهُ إزَالَةُ هَذَا الْمُنْكَرِ إلَّا بِأَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِ بِالْقَتْلِ مِنْ غَيْرِ إنْذَارٍ منه له فعليه أن يقتله.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ رُسْتُمَ عَنْ مُحَمَّدٍ فِي رَجُلٍ غَصَبَ مَتَاعَ رَجُلٍ: (وَسِعَكَ قَتْلُهُ حَتَّى تَسْتَنْقِذَ الْمَتَاعَ وَتَرُدَّهُ إلَى صَاحِبِهِ) وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ فِي السَّارِقِ إذَا أَخَذَ الْمَتَاعَ: (وَسِعَكَ أَنْ تَتْبَعَهُ حَتَّى تَقْتُلَهُ إنْ لَمْ يَرُدَّ الْمَتَاعَ)، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ فِي اللِّصِّ الَّذِي يَنْقُبُ الْبُيُوتَ: (يَسَعُكَ قَتْلُهُ) وَقَالَ فِي رَجُلٍ يُرِيدُ قَلْعَ سِنِّك، قَالَ (فَلَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ إذَا كُنْت فِي مَوْضِعٍ لَا يُعِينُك النَّاسُ عَلَيْهِ) وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْله تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩]، فَأَمَرَ بِقِتَالِهِمْ، وَلَمْ يَرْفَعْهُ عَنْهُمْ إلَّا بَعْدَ الْفَيْءِ إلَى أَمْرِ الله تَعَالَى وَتَرْكِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ الْبَغْيِ وَالْمُنْكَرِ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنكُم مُنكرًا فَليغَيّرْهُ بِيَدِهِ»(٢) يُوجِبُ ذَلِكَ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ قَدْ أَمَرَ بِتَغْيِيرِهِ بِيَدِهِ عَلَى أَيِّ وَجْهٍ أَمْكَنَ ذَلِكَ، فَإِذَا لَمْ يُمْكِنْهُ تَغْيِيرُهُ إلَّا بِالْقَتْلِ فَعَلَيْهِ قَتْلُهُ حَتَّى يُزِيلَهُ.

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٤١) والترمذي (٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤)، وحسنه الأرنؤوط، وقال الألباني: ضعيف لكن فقرة أيام الصبر ثابتة.

(٢) رواه مسلم (٤٩).

وَكَذَلِكَ قُلْنَا فِي أَصْحَابِ الضَّرَائِبِ وَالْمُكُوسِ الَّتِي يَأْخُذُونَهَا مِنْ أَمْتِعَةِ النَّاسِ: إِنَّ دِمَاءَهُمْ مُبَاحَةٌ وَوَاجِبٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَتْلُهُمْ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقْتُلَ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ إِنْذَارٍ مِنْهُ لَهُ، وَلَا التَّقَدُّمِ إِلَيْهِمْ بِالْقَوْلِ؛ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ مِنْ حَالِهِمْ أَنَّهُمْ غَيْرُ قَابِلِينَ إِذَا كَانُوا مُقْدِمِينَ عَلَى ذَلِكَ مَعَ الْعِلْمِ بِحَظْرِهِ، وَمَتَى أَنْذَرَهُمْ مَنْ يُرِيدُ الْإِنْكَارَ عَلَيْهِمْ امْتَنَعُوا منه حَتَّى لَا يُمْكِنَ تَغْيِيرُ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْمُنْكَرِ، فَجَائِزٌ قَتْلُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُقِيمًا عَلَى ذَلِكَ، وَجَائِزٌ مَعَ ذَلِكَ تَرْكُهُمْ لِمَنْ خَافَ إِنْ أَقْدَمَ عَلَيْهِمْ بِالْقَتْلِ أَنْ يُقْتَلَ؛ إِلَّا أَنَّ عَلَيْهِ اجْتِنَابَهُمْ وَالْغِلْظَةَ عَلَيْهِمْ بِمَا أَمْكَنَ وَهِجْرَانَهُمْ.

وحديث أبي ثعلبة الخشني أيضًا الّذي قدمناه يدل عَلى ذلك؛ لأنه قال ﷺ: «**ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ حَتَّى إذَا رَأَيْت شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْك نَفْسَك وَدَعْ عَنْك الْعَوَامَّ**» يَعْنِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ: إذَا لَمْ يَقْبَلُوا ذَلِكَ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَآرَاءَهُمْ فَأَنْت فِي سَعَةٍ مِنْ تَرْكِهِمْ وَعَلَيْك نَفْسَك وَدَعْ أَمْرَ الْعَوَامّ وَأَبَاحَ تَرْكَ النَّكِيرِ بِالْقَوْلِ فِيمَنْ هَذِهِ حَالُهُ، وَرُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ لَهُ: قَدْ أَعْيَانِي أَنْ أَعْلَمَ مَا فُعِلَ بِمَنْ أَمْسَكَ عَنْ الْوَعْظِ مِنْ أَصْحَابِ السَّبْتِ فَقُلْت لَهُ: أَنَا أُعَرِّفُك ذَلِكَ اقْرَأْ الْآيَةَ الثَّانِيَةَ قَوْله تَعَالَى: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ [الأعراف: ١٦٥] قَالَ: فَقَالَ لِي: أَصَبْت وَكَسَانِي حُلَّةً، فَاسْتَدَلَّ ابْنُ عَبَّاسٍ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ مَنْ عَمِلَ السُّوءَ وَمَنْ لَمْ يَنْهَ عَنْهُ فَجَعَلَ الْمُمْسِكِينَ عَنْ إنْكَارِ الْمُنْكَرِ بِمَنْزِلَةِ فَاعِلِيهِ فِي الْعَذَابِ.

وَحَدَّثَنَا مَكْرَمُ بْنُ أَحْمَدَ الْقَاضِي قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَطِيَّةَ الْكُوفِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحِمَّانِيُّ قَالَ: سَمِعْت ابْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا حَنِيفَةَ قَتْلُ إبْرَاهِيمَ الصَّائِغَ بَكَى حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَمُوتُ فَخَلَوْت بِهِ فَقَالَ: كَانَ وَاللهِ رَجُلًا عَاقِلًا وَلَقَدْ كُنْت أَخَافُ عَلَيْهِ هَذَا الْأَمْرَ؛ قُلْت: وَكَيْفَ كَانَ سَبَبُهُ؟ قَالَ: كَانَ يَقْدُمُ وَيَسْأَلُنِي وَكَانَ شَدِيدَ الْبَذْلِ لِنَفْسِهِ فِي طَاعَةِ اللهِ وَكَانَ شَدِيدَ الْوَرَعِ كُنْت رُبَّمَا قَدَّمْت إلَيْهِ الشَّيْءَ فَيَسْأَلُنِي عَنْهُ وَلَا يَرْضَاهُ وَلَا يَذُوقُهُ وَرُبَّمَا رَضِيَهُ فَأَكَلَهُ فَسَأَلَنِي عَنْ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ إلَى أَنْ اتَّفَقْنَا عَلَى أَنَّهُ فَرِيضَةٌ مِنْ اللهِ تَعَالَى فَقَالَ لِي: مُدَّ يَدَك حَتَّى أُبَايِعَك فَأَظْلَمَتْ الدُّنْيَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ؛ فَقُلْت: وَلِمَ؟ قَالَ: دَعَانِي إلَى حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ اللهِ فَامْتَنَعْت عَلَيْهِ وَقُلْت لَهُ إنْ قَامَ بِهِ رَجُلٌ وَحْدَهُ قُتِلَ وَلَمْ يَصْلُحْ لِلنَّاسِ أَمْرٌ وَلَكِنْ إنْ وَجَدَ عَلَيْهِ أَعْوَانًا صَالِحِينَ وَرَجُلًا يَرْأَسُ عَلَيْهِمْ مَأْمُونًا عَلَى دِينِ اللهِ لَا يَحُولُ، قَالَ: وَكَانَ يَقْتَضِي ذَلِكَ كُلَّمَا قَدِمَ عَلَى تَقَاضِي الْغَرِيمِ الْمُلِحِّ كُلَّمَا قَدِمَ عَلَيَّ تَقَاضَانِي فَأَقُولُ لَهُ: هَذَا أَمْرٌ لَا يَصْلُحُ بِوَاحِدٍ مَا أَطَاقَتْهُ

الْأَنْبِيَاءُ حَتَّى عَقَدَتْ عَلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ وَهَذِهِ فَرِيضَةٌ لَيْسَتْ كَسَائِرِ الْفَرَائِضِ؛ لِأَنَّ سَائِرَ الْفَرَائِضِ يَقُومُ بِهَا الرَّجُلُ وَحْدَهُ وَهَذَا مَتَى أُمِرَ بِهِ الرَّجُلُ وَحْدَهُ أَشَاطَ بِدَمِهِ وَعَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْقَتْلِ فَأَخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يُعِينَ عَلَى قَتْلِ نَفْسِهِ، وَإِذَا قُتِلَ الرَّجُلُ لَمْ يَجْتَرِئْ غَيْرُهُ أَنْ يُعَرِّضَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ يَنْتَظِرُ فَقَدْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] ثُمَّ خَرَجَ إلَى مَرْوَ حَيْثُ كَانَ أَبُو مُسْلِمٍ، فَكَلَّمَهُ بِكَلَامٍ غَلِيظٍ فَأَخَذَهُ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ فُقَهَاءُ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَعِبَادُهُمْ حَتَّى أَطْلَقُوهُ، ثُمَّ عَاوَدَهُ فَزَجَرَهُ، ثُمَّ عَاوَدَهُ ثُمَّ قَالَ: مَا أَجِدُ شَيْئًا أَقُومُ بِهِ للهِ تَعَالَى أَفْضَلَ مِنْ جِهَادِك وَلَأُجَاهِدَنَّك بِلِسَانِي لَيْسَ لِي قُوَّةٌ بِيَدِي، وَلَكِنْ يَرَانِي الله، وَأَنَا أُبْغِضُك فِيهِ فَقَتَلَهُ].

وأضاف الجصاص رحمه الله:

[وَلَمْ يَدْفَعْ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ وَفُقَهَائِهَا سَلَفِهِمْ وَخَلَفِهِمْ وُجُوبَ ذَلِكَ إلَّا قَوْمٌ مِنْ الْحَشْوِ وَجُهَّالِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ أَنْكَرُوا قِتَالَ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ بِالسِّلَاحِ وَسَمُّوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ فِتْنَةً إذَا احْتِيجَ فِيهِ إلَى حَمْلِ السِّلَاحِ وَقِتَالِ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ مَعَ مَا قَدْ سَمِعُوا فِيهِ مِنْ قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩] وَمَا يَقْتَضِيهِ اللَّفْظُ مِنْ وُجُوبِ قِتَالِهَا بِالسَّيْفِ وَغَيْرِهِ وَزَعَمُوا مَعَ ذَلِكَ أَنَّ السُّلْطَانَ لَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ الظُّلْمُ وَالْجَوْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله وَإِنَّمَا يُنْكَرُ عَلَى غَيْرِ السُّلْطَانِ بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْيَدِ بِغَيْرِ سِلَاحٍ فَصَارُوا شَرًّا عَلَى الْأُمَّةِ مِنْ أَعْدَائِهَا الْمُخَالِفِينَ لَهَا لِأَنَّهُمْ أقعدوا الناس عَنْ قِتَالِ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ وَعَنْ الْإِنْكَارِ عَلَى السُّلْطَانِ الظُّلْمَ وَالْجَوْرَ حَتَّى أَدَّى ذَلِكَ إلَى تَغَلُّبِ الْفُجَّارِ بَلْ الْمَجُوسِ وَأَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ حَتَّى ذَهَبَتْ الثُّغُورُ وَشَاعَ الظُّلْمُ وَخَرِبَتْ الْبِلَادُ وَذَهَبَ الدين والدنيا وظهرت الزندقة والغلو ومذهب الثَّنَوِيَّةِ وَالْخُرَّمِيَّةِ وَالْمَزْدَكِيَّةِ وَالَّذِي جَلَبَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَلَيْهِمْ تَرْكُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ وَالْإِنْكَارِ عَلَى السُّلْطَانِ الْجَائِرِ وَاَللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ»[1]، وحدثنا محمّد بن عمر قَالَ (...): سمعت أبا حنيفة يقول: أنا حدثت إبراهيم الصائغ عن

(١) رواه التِّرْمِذِيّ (٢١٧٤) وصححه الألباني.

عكرمة عن ابن عبّاس: قَالَ النبيّ ﷺ: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ»(١).

قَالَ الحسن قَالَ النبيّ ﷺ: «من أَمر بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَن الْمُنكر فَهُوَ خَليفَة الله فِي أرضه وَخَلِيفَة رَسُوله وَخَلِيفَة كِتَابه»(٢)، وعَنْ دُرَّةَ بِنْتِ أَبِي لَهَبٍ قالت: جاء رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وهو عَلى المنبر فقال: من خير النّاس يا رسول الله؟ قَالَ: «آمَرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وأتقاهُم لله وأوصَلِهم لِرَحِمه»(٣).

عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا يحلّ لمؤمنٍ أنْ يُذِلَّ نَفسَهُ» قالوا: يا رسول الله وما إذلاله نفسه؟، قَالَ: «يَتَعَرَّضُ مِنَ البَلَاءِ لما لا يَقُومُ لَهُ» قلت وخرجه ابن ماجه(٤) عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن بن جندب عن حذيفة عن النبيّ ﷺ وكلاهما قد تكلم فيه، وروي عن بعض الصّحابة أنّه قَالَ: «**إنّ الرجل إذا رأى مُنكرا لا يستطيع النكير عليه فليقل -ثلاث مرات-: اللّهم إن هذا مُنكر فإذا قَالَ ذلك فقد فعل ما عليه**» وزعم ابن العربيّ: أن من رجا زواله وخاف عَلى نفسه من تغييره الضرب أو القتل جاز له عند أكثر العُلَماء الاقتحام عند هذا الغرر وإن لم يرج زواله فأي فائدة عنده قَالَ والّذي عندي أن النِّيَّة إذا خلصت فليقتحم كيف ما كانَ ولا يبالي قلت هذا خلاف ما ذكره أبو عمر من الإجماع وهذه الآية تدل عَلى جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر مع خوف القتل، وقال تَعَالَى: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان] وهذا إشارة إلى الإذاية.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤٨٨٤) وصححه الألباني في الصحيحة (٣٧٤).

(٢) جاء في الفتن لابن حماد (٢٤٥) وفي كنز العمال (٥٥٦٤)، وقد رَوَاهُ ابْن عدي فِي كِتَابه الْكَامِل من حَدِيث كَادِح بن رَحْمَة الْقرنِي عَن عبد الله بن لَهِيعَة عَن ابْن أبي حبيب عَن مُسلم بن جَابر الصَّدَفِي عَن عبَادَة ابْن الصَّامِت، وَفِيه حَدِيث مُرْسل رَوَاهُ عَلّي بن معبد فِي كتاب الطَّاعَة وَالْمَعْصِيَة ثَنَا بَقِيَّة ابْن الْوَلِيد الْحِمصِي عَن حسان بن سُلَيْمَان عَن أبي نَضرة عَن الْحسن، فَذكره وَبِهَذَا السَّنَد رَوَاهُ الثَّعْلَبِيّ فِي تَفْسِيره.

(٣) رواه أحمد (٢٧٤٣٤) بلفظ قريب وضعف إسناده الأرنؤوط.

(٤) رواه الترمذي (٢٢٥٤) وابن ماجه (٤٠١٦) وأحمد (٢٣٤٤٤) وهو عندهم بلفظ: «لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ» قَالُوا: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ». صححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

روى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ الله مَتَى نَتْرُكُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: «إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله وَمَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا؟ قَالَ: «الْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، وَالْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ، وَالْعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ» قَالَ زَيْدٌ: (تَفْسِيرُ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَالْعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ»، إِذَا كَانَ الْعِلْمُ فِي الْفُسَّاقِ) [١].] أهـ.[٢]

وقال الإمام ابن تيمية في الفتاوى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

[وقال تعالَى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]

ولهذا قال أبو هريرة: (**كُنْتُمْ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ تَأْتُونَ بِهِمْ فِي الْأَقْيَادِ وَالسَّلَاسِلِ حَتَّى تُدْخِلُوهُمْ الْجَنَّةَ**) فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ خَيْرُ الْأُمَمِ لِلنَّاسِ: فَهُمْ أَنْفَعُهُمْ لَهُمْ وَأَعْظَمُهُمْ إحْسَانًا إلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَمَّلُوا أَمْرَ النَّاسِ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِهِمْ عَنْ الْمُنْكَرِ مِنْ جِهَةِ الصِّفَةِ وَالْقَدْرِ حَيْثُ أَمَرُوا بِكُلِّ مَعْرُوفٍ وَنَهَوْا عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ لِكُلِّ أَحَدٍ وَأَقَامُوا ذَلِكَ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ الله بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَهَذَا كَمَالُ النَّفْعِ لِلْخَلْقِ.

وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ لَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ بِعَيْنِهِ بَلْ هُوَ عَلَى الْكِفَايَةِ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَلَمَّا كَانَ الْجِهَادُ مِنْ تَمَامِ ذَلِكَ كَانَ الْجِهَادُ أَيْضًا كَذَلِكَ فَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ مَنْ يَقُومُ بِوَاجِبِهِ أَثِمَ كُلُّ قَادِرٍ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ؛ إذْ هُوَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ إنْسَانٍ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[٣].

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَإِتْمَامَهُ بِالْجِهَادِ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْمَعْرُوفِ الَّذِي أُمِرْنَا بِهِ؛ وَلِهَذَا قِيلَ: لِيَكُنْ أَمْرُك بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُك عَنْ الْمُنْكَرِ غَيْرَ مُنْكَرٍ، وَإِذَا كَانَ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْوَاجِبَاتِ والمستحبات فَالْوَاجِبَاتُ والمستحبات لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ الْمَصْلَحَةُ فِيهَا رَاجِحَةً عَلَى الْمَفْسَدَةِ؛ إذْ بِهَذَا بُعِثَتْ الرُّسُلُ وَنَزَلَتْ الْكُتُبُ وَاَللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ؛ بَلْ كُلُّ مَا أَمَرَ الله بِهِ فَهُوَ صَلَاحٌ، و وَقَدْ أَثْنَى الله عَلَى الصَّلَاحِ وَالْمُصْلِحِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَمَّ الْمُفْسِدِينَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فَحَيْثُ كَانَتْ مَفْسَدَةُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ أَعْظَمَ مِنْ مَصْلَحَتِهِ لَمْ تَكُنْ مِمَّا أَمَرَ الله بِهِ وَإِنْ كَانَ قَدْ تُرِكَ وَاجِبٌ وَفُعِلَ مُحَرَّمٌ؛ إذْ

---

(١) رواه ابن ماجة (٤٠١٥) وأحمد (١٢٩٤٣)، وضعفه الألباني وقواه الأرنؤوط.

(٢) (أحكام القرآن للجصاص: ٢/ باختصار).

(٣) رواه مسلم (٤٩).

الْمُؤْمِنُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَّ فِي عِبَادِهِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ هُدَاهُمْ وَهَذَا مَعْنَى قوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٥] وَالِاهْتِدَاءُ إنَّمَا يَتِمُّ بِأَدَاءِ الْوَاجِبِ فَإِذَا قَامَ الْمُسْلِمُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ كَمَا قَامَ بِغَيْرِهِ مِنْ الْوَاجِبَاتِ لَمْ يَضُرَّهُ ضَلَالُ الضُّلَّالِ، وَذَلِكَ يَكُونُ تَارَةً بِالْقَلْبِ؛ وَتَارَةً بِاللِّسَانِ؛ وَتَارَةً بِالْيَدِ، فَأَمَّا الْقَلْبُ فَيَجِبُ بِكُلِّ حَالٍ؛ إذْ لَا ضَرَرَ فِي فِعْلِهِ وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْهُ فَلَيْسَ هُوَ بِمُؤْمِنِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ: «وَذَلِكَ أَدْنَى - أَوْ - أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» وقال: «لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»، وَقِيلَ لِابْنِ مَسْعُودٍ: مَنْ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ؟ فَقَالَ: (**الَّذِي لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا**).

وَإِذَا كَانَ هَذَا حَدُّ كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ: فَالْآمِرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنْ الْمُنْكَرِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَكَذَا فِي حَقِّ نَفْسِهِ وَلَا يَكُونُ عَمَلُهُ صَالِحًا إنْ لَمْ يَكُنْ بِعِلْمِ وَفِقْهٍ وَكَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَنْ عَبَدَ اللهَّ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ، وَكَمَا فِي حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه: (**الْعِلْمُ إمَامُ الْعَمَلِ وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ**) وَهَذَا ظَاهِرٌ فَإِنَّ الْقَصْدَ وَالْعَمَلَ إنْ لَمْ يَكُنْ بِعِلْمِ كَانَ جَهْلًا وَضَلَالًا وَاتِّبَاعًا لِلْهَوَى كَمَا تَقَدَّمَ وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَلَا بُدَّ مِنْ الْعِلْمِ بِالْمَعْرُوفِ وَالْمُنْكَرِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا، وَلَا بُدَّ مِنْ الْعِلْمِ بِحَالِ الْمَأْمُورِ وَالْمَنْهِيِّ، وَمِنْ الصَّلَاحِ أَنْ يَأْتِيَ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَهُوَ أَقْرَبُ الطُّرُقِ إلَى حُصُولِ الْمَقْصُودِ.

وَلَا بُدَّ فِي ذَلِكَ مِنْ الرِّفْقِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ: «مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إلَّا زَانَهُ؛ وَلَا كَانَ الْعُنْفُ فِي شَيْءٍ إلَّا شَانَهُ»[1]، **وَقَالَ**: «إنَّ اللهَّ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»[2] «وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ»[3] وَلَا بُدَّ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا صَبُورًا عَلَى الْأَذَى؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ أَذًى؛ فَإِنْ لَمْ يَحْلَمْ وَيَصْبِرْ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ، كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان] وَلِهَذَا أَمَرَ الله الرُّسُلَ - وَهُمْ أَئِمَّةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ - بِالصَّبْرِ كَقَوْلِهِ

---

(١) أصله عند ابن حبان (٥٥١) بلفظ: «ولا كان الفحش..» وأحمد (١٣٥٣١) وغيرهما، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواية البخاري (٦٩٢٧)

(٣) رواية مسلم (٢٥٩٣).

لِخَاتَمِ الرُّسُلِ؛ بَلْ ذَلِكَ مَقْرُونٌ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا أُرْسِلَ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ بَعْدَ أَنْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ اقْرَأْ الَّتِي بِهَا نُبِّئَ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر] فَافْتَتَحَ آيَاتِ الْإِرْسَالِ إلَى الْخَلْقِ بِالْأَمْرِ بِالنِّذَارَةِ وَخَتَمَهَا بِالْأَمْرِ بِالصَّبْرِ وَنَفْسُ الْإِنْذَارِ أَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ، فَعُلِمَ أَنَّهُ يَجِبُ بَعْدَ ذَلِكَ الصَّبْرُ وَقَالَ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] وقال تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾ [المزمل] ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]، ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١١٥﴾ [هود].

فَلَا بُدَّ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ: الْعِلْمُ؛ وَالرِّفْقُ؛ وَالصَّبْرُ.

الْعِلْمُ قَبْلَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيُ؛ وَالرِّفْقُ مَعَهُ وَالصَّبْرُ بَعْدَهُ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْ الثَّلَاثَةِ مُسْتَصْحِبًا فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ؛ وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ وَرَوَوْهُ مَرْفُوعًا ؛ ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى فِي الْمُعْتَمَدِ: " لَا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنْ الْمُنْكَرِ إلَّا مَنْ كَانَ فَقِيهًا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ؛ فَقِيهًا فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ؛ رَفِيقًا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ؛ رَفِيقًا فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ؛ حَلِيمًا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ حَلِيمًا فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ "، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ بِهَذِهِ الْخِصَالِ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ مِمَّا يُوجِبُ صُعُوبَةً عَلَى كَثِيرٍ مِنْ النُّفُوسِ؛ فَيَظُنُّ أَنَّهُ بِذَلِكَ يَسْقُطُ عَنْهُ فَيَدَعُهُ؛ وَذَلِكَ مِمَّا يَضُرُّهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَضُرُّهُ الْأَمْرُ بِدُونِ هَذِهِ الْخِصَالِ أو أَقَلَّ: فَإِنَّ تَرْكَ الْأَمْرِ الْوَاجِبِ مَعْصِيَةٌ: فَالْمُنْتَقِلُ مِنْ مَعْصِيَةٍ إلَى مَعْصِيَةٍ أَكْبَرَ مِنْهَا كَالْمُسْتَجِيرِ مِنْ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ وَالْمُنْتَقِلُ مِنْ مَعْصِيَةٍ إلَى مَعْصِيَةٍ كَالْمُنْتَقِلِ مِنْ دِينٍ بَاطِلٍ إلَى دِينٍ بَاطِلٍ؛ وَقَدْ يَكُونُ الثَّانِي شَرًّا مِنْ الْأَوَّلِ: وَقَدْ يَكُونُ دُونَهُ؛ وَقَدْ يَكُونَانِ سَوَاءً؛ فَهَكَذَا تَجِدُ الْمُقَصِّرَ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْمُعْتَدِيَ فِيهِ قَدْ يَكُونُ ذَنْبُ هَذَا أَعْظَمُ: وَقَدْ يَكُونُ ذَنْبُ هَذَا أَعْظَمُ؛ وَقَدْ يَكُونَانِ سَوَاءً وَمِنْ الْمَعْلُومِ بِمَا أَرَانَا الله مِنْ آيَاتِهِ فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِنَا وَبِمَا شَهِدَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: أَنَّ الْمَعَاصِيَ سَبَبُ الْمَصَائِبِ؛ فَسَيِّئَاتُ الْمَصَائِبِ وَالْجَزَاءُ مِنْ سَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ وَأَنَّ الطَّاعَةَ سَبَبُ النِّعْمَةِ فَإِحْسَانُ الْعَمَلِ سَبَبٌ لِإِحْسَانِ الله قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى] وقال تَعَالَى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، وقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقال: ﴿أَوْ

يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الشورى]، وقال: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾ [الشورى]، وقال تعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال]][1].

من تراث الشَّيْخ الشّهِيد عبدالله عزام في مجال التّحريض:

و نقتطف من كلمات رجل وهب حياته لأداء فريضة الجِهَاد وتحريض المُسلِمِين عليها، بالقدوة الحسنة بنفسه، وبلسانه وخطاباته، وبما خطه بقلمه، تاركا تراثا ثرا من الدّعوة لأداء هذه الفريضة، قَالَ شيخنا الشّهِيد عبدالله عزام ﵀:

(١)- الجِهَاد بالمال:

[لا شَّكَّ أن الجِهَاد بالنّفس أعلى مرتبة من الجِهَاد بالمال، ولذلك لم يعف الأغنياء في زمن الرَّسُول ﷺ من المشاركة بأنفسهم، من أمثال عثمان وعبد الرَّحْمٰن بن عوف ﵄، لأن صقل النفوس وتربية الأرواح إنما تتم عَلى مستوى رفيع في خضم المَعْرَكة، ولذا فقد أوصى ﷺ أحد أصحابه قائلا: «...وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ»[2]، ولذلك فعندما سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَيُفتَنُ المرءُ في قبرِهِ؟ قَالَ: كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيوفِ عَلى رَأسِهِ فِتْنَة»[3].

ولذا فقد حذر رسول الله ﷺ من الانشغال بالدنيا عن الجِهَاد: فقد أشار ذاتَ مرّةٍ إلى سِكَّةِ محرَاثٍ وقَالَ: «لاَ يَدْخُلُ هَذَا بَيْتَ قَوْمٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ الله الذُّلَّ»[4].

---

(١) مجموع الفتاوى : (٢٨/ ١٣٨).

(٢) رواه أحمد (١١٧٧٤)، ضعفه الأرنؤوط، وحسنه الألباني بمجموع طرقه.

(٣) لعل الشيخ قصد الحديث الذي رواه النسائي (٢٠٥٣) وصححه الألباني، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً».

(٤) رواه البخاري (٢٣٢١).

وفي الصَّحِيح: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ: سلَّطَ الله عليكم ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حتَّى تَرجِعُوا إِلى دِينِكُم»[١].

وفي الصَّحِيح كذلك: «لَا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فَتَرْغَبُوا فِي الدُّنْيَا»[٢] والضيعة: هيَ العقار أو الحرفة، ففي هذه الأحاديث جمع رسول الله ﷺ متاع الدُّنيَا وأسباب الانشغال: الزراعة، والتجارة بالربا وحيلة (العينة) والإنتاج الحيواني، والصناعة، والحرف (الصنعة)، فالانشغال بهذه في وقت يتعرض فيه الإِسْلَام لمعركة الوجود أو الاجتثاث يعد حراما وموبقة شرعيّة.

أما الجِهَاد بالمال فهو فرض إذا احتاج المُجَاهدون إليه، فرض عَلى النِّسَاء وفي أموال الصغار حتَّى لو كانَ الجِهَاد فرض كفاية، كما قرر ذلك ابن تَيمِيّة.

ولذا يحرم عَلى النّاس الادخار في حالة الحاجة للمال، بل لقد سئل ابن تَيمِيّة سؤالا: (لو ضاق المال عن إطعام الجياع والجِهَاد الّذي يتضرر بتركه فقال: قدمنا الجِهَاد وإن مات الجياع، كما في مسألة التترس وأولى، فإن هناك - التترس - نقتلهم بفعلنا وهنا يموتون بفعل الله).

قَالَ القرطبي: (اتفق العُلَماء عَلى أنه إذا نزلت بالمُسلِمين حاجة بعد أداء الزّكاة فإنه يجب صرف المال إليها)، وقال مالك: (يجب عَلى النّاس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم وهذا إجماع أيضا).

والحفاظ عَلى الدّين مقدم عَلى الحفاظ عَلى النفوس، والحفاظ أولى من الحفاظ عَلى المال، فأموال الأغنياء ليست أغلى ولا أثمن من دماء المُجَاهدين، فلينتبه الأغنياء إلى حكم الله في أموالهم، حيث الجِهَاد في أشد الحاجة، ودين المُسلِمِين وديارهم معرضة للزوال، والأغنياء غارقون في شهواتهم، ولو صام الأغنياء يوما واحدا عن شهواتهم، وأمسكوا أيديهم عن إتلاف الأموال في كمالياتهم، وحولوها إلى المُجَاهدين الّذين يموتون بردا، وتتقطع أقدامهم من الثلج، ولا يجدون قوت يومهم، ولا ذخيرة يدفعون بها عن أنفسهم ويحقنون بها دماءهم.

---

(١) رواه أبو داود (٣٤٦٢) وصححه الألباني.

(٢) رواه أحمد (٤٠٤٨، ٣٥٧٩، ٤٢٣٤) صحح إسناده شاكر وضعفه الأرنؤوط، ورواه الترمذي (٢٣٢٨) وقال: حديث حسن، وصححه الألباني، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٧٩١٠) وصححه ووافقه الذهبي، ورواه ابن حبان في صحيحه (٧١٠).

الخلاصة:

أولًا: الجِهَاد بالنّفس فرض عين عَلى كلّ المُسلِمين في الأرض.

ثانيًا: لا إذن لأحد عَلى أحد في الجِهَاد، فلا إذن للوالدّين عَلى الولد.

ثالثًا: الجِهَاد بالمال فرض عين ويحرم الادخار ما دام الجِهَاد بحاجة إلى مال المُسلِمين.

رابعًا: إن ترك الجِهَاد كترك الصّلاة والصّيام، بل ترك الجِهَاد أشد في هذه الأيّام، ونقل ابن رشد الإتفاق عَلى أن الجِهَاد إذا تعين أقوى من الذهاب إلى حجة الفريضة].أهـ.(١)

القعود وطمس البصيرة:

وختاما نقول: ليست القضية بكثرة النّصوص ووفرة الشواهد، وإنما الأمر متعلق بالقلوب، فإن أعطاه الله نورا أبصرت الحقّ وأتضح فيه، وإن أظلمت القلوب لم تعد ترى، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحج]

وإبصار القلوب للبصائر والآيات الربانية تأتي نتيجة التقوى والطاعة والاجتهاد في العِبَادة ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ۝١٠٤﴾ [الأنعام]، **وهذه البصيرة تفجر في القلب ينابيع المعرفة والإدراك، وهذه لا تنال بكسب ولا دراسة، إن هو إلا فهم يؤتيه الله عبدا في كتابه ودينه عَلى قدر بصيرة قلبه، (وهذه البصيرة تنبت في أرض القلب)، يفرق به بين الحقّ والبَاطِل، والصادق من الكاذب، قَالَ تَعَالَى:** ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥﴾ [الحجر]

وكل من آثر الدُّنيَا من أهل العلم واستحبها، فلا بُدَّ أن يقول عَلى الله غير الحقّ في فتواه وحكمه في خبره وإلزامه، لأن أحكام الرب سبحانه كثيرا ما تأتي عَلى خلاف أغراض النّاس، ولاسيما أهل الرياسة والّذين يتبعون الشَّهَوَات فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحقّ، ولاسيما إذا قامت له شبهة، فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى فيخفى الصُّورة وينطمس وجه الحقّ، وإذا كانَ الحقّ ظاهرا لا خفاء به ولا شبه فيه أقدم عَلى مخالفته وقال: لي مخرج بالتوبة، وفي هَؤُلَاءِ وأشباههم قَالَ تَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ

---

(١) (الذخائر العظام: ج١/ ١٣٠).

ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الأعراف]

فإن إتباع الهوى يعمي عين القلب، فلا يمز بين السنة والبِدَعة، أو ينكسه فيرى البِدَعة السنة والسنة بدعة، فهذه آفة العُلَماء إذا آثروا الدُّنيَا واتبعوا الرياسات والشهوات.(١).

وهذه الآيات فيهم إلا قولهم: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف] ولذلك فإن النّصوص وحدها لا تكفي، ولا بُدَّ من بصيرة القلب حتَّى يبصر بها الحقّ.

إن القلب إذا كثر تكالبه عَلى الدُّنيَا، وكثرت ذنوب النّفس الّتي تحمله يكون عليه الران، لأن كلّ ذنب يكون نكتة سوداء عَلى القلب، ولا تزال النكات السوداء تتكاثر حتَّى يكون الران (الغلاف الأسود) الّذي يمنع النور إلى هذا القلب.

وعندما يظلم القلب لا تظهر صورة الأشياء عَلى حقيقتها، فيلتبس الحقّ ولا تظهر صورته، وقد ينتكس القلب فيرى الحقّ بَاطِلا والبَاطِل حقا.

ولذا لا بُدَّ من التقوى حتَّى يظهر الفرقان، ويصفو القلب، وتبدو الأشياء عَلى مرآته جلية واضحة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال] ولذا كانوا إذا أشكل عليهم وأعضلتهم مسألة يقولون: اسألوا أهل الثُّغُور لأنَّهم أقرب النّاس إلى الله، وقد سألوا أحمد بن حنبل من نسأل بعدك؟ قَالَ: أسألوا أبا بكر الوراق فإن عنده ورع – كما يحسب – وأرجوا أن يوفق للإجابة] أهـ.(٢)

مبررات الجِهَاد:

إنّ النّاظر في واقع المُسلِمِين اليَوْم يجد أنّ مصيبتهم الكبرى هيَ ترك الجِهَاد «**حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ**»، ولذا تسلط الطّغاة عَلى رقاب المُسلِمِين في كلّ ناحية وفوق كلّ أرض، وذلك لأنّ الكفّار لا

---

(١) (الفوائد لابن القيم: ١١٣).

(٢) (الذخائر العظام: ج١/ ١٣٩).

يهابون إلّا القِتَال: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾﴾ [النساء]

ونحن إذ ندعو المُسلِمِين ونستحث خطاهم للقتال لأسباب كثيرة وعلى رأسها:

١- حتَّى لا يسود الكفر.

٢- لقلة الرّجال { المستعدين للقتال }.

٣- الخوف من النار.

٤- أداء الفريضة واستجابة للنداء الرباني.

٥- إتباعا للسلف الصّالح.

٦- إقامة القَاعِدَة الصلبة الّتي تكون منطلقا للإسلام.

٧- حماية المستضعفين في الأرض.

٨- طمعا في الشَّهَادة.

١ - حتَّى لا يسود الكفر:

ففي الآية الكريمة: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة]

إذا توقف القِتَال ساد الكفر، وانتشر الفتنة وهي الشرك.

٢ - لقلة الرّجال:

إن أزمة العالِم الإِسْلَامِيّ هِيَ أزمة الرّجال الّذين يضطلعون بحمل المسؤوليّة، والقيام بأعباء الأمانة، وكما جاء في الصَّحِيح[1]: «النّاسُ كَإِبِلٍ مائة لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَة».

أي لا تجد في كلّ (مائة جمل) واحدا يحتملك في أسفارك، وقد روي أن عمر بن الخطاب ﷺ قَالَ لصفوة من صحبه: تمنوا، فتمنى كلّ واحد منهم شيئا، ثمّ قالوا: تمن يا أمير المُؤمِنِين، فقال: أتمنى أن

(١) رواه البخاري (٦٤٩٨) ومسلم (٢٥٤٧).

يكون لي ملء هذا البيت مثل أبي عبيدة، إن الرّجال الّذين يعلمون قليلون، والّذين يعملون أقل، وإن الّذين يجاهدون أندر وأغرب، وإن الّذين يصبرون عَلى هذا الطّريق لا يكادون يذكرون.

ونحن نأمل من الإخوة الّذين لم يستطيعوا أن ينفلتوا من قفص العادات الاجتماعيَّة، ولم ينفضوا عن رؤوسهم ركام التقاليد، ولم يلقوا عن كاهلهم موروثات الأجيال المهزومة تحت ضغط الواقع المرير، وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر الشرير، أقول لهَؤُلَاءِ الإخوة: إن لم ينفروا إلينا بأنفسهم فلا أقل من أن يدعوا الّذين يرفرفون بأرواحهم فوق أرض الجِهَاد أن يصلوا بأجسادهم إليها.

ولذا فقد آن أوان الرّجال، وهذا مقام الفعال دون حال المقال.

فدع عنك نهباً صحيحاً في حجراته ... وهات حديثا ما حديث الرواحل

لقد حلّ بالمُسلِمين أمور عظيمة، وأرزاء فادحة أليمة، فدع الكلام عن الطعام وعن أساليب الكلام، ولكن حدثني عن هذا الأمر الجلل وماذا قدم له المُسلِمُون.

أمـــــور لـو تـأملهن طفل ... لطفل في عوارضه المشيبُ
أتسبى المسلمات بكل صقع ... وعيش المُسلِمِين إذا يطيبُ
أما لله والإِسْـــــلَام حـــق ... يـدافـع عنه شبان وشيبُ

٣ – الخوف من النار:

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾ [التوبة]

قَالَ ابن العربيّ[1]: (فَالْعَذَابُ الْأَلِيمُ هُوَ الَّذِي فِي الدُّنْيَا بِاسْتِيلَاءِ الْعَدُوِّ عَلَى مَنْ لَمْ يَسْتَوْلِ عَلَيْهِ، وَبِالنَّارِ فِي الْآخِرَةِ)

وقال القرطبي[2]: (وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْآيَةِ وُجُوبُ النَّفِيرِ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَظُهُورِ الْكَفَرَةِ وَاشْتِدَادِ شَوْكَتِهِمْ)، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٥١١)

(٢) تفسير القرطبي (٨/ ١٤٣).

﴿قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ٩٩﴾ [النساء].

روى البُخَارِيّ[1] بإسناده عن عكرمة قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَنَّ نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله، يَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى بِهِ فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ، فَيَقْتُلُهُ» فَأَنْزَلَ الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ...﴾ فإذا كانَ الْمُؤمِنُون في مكّة – القابضون عَلى دينهم ولم يهاجروا وخرجوا حياء وخوفا من الكفّار يوم بدر فكثروا سواد المشركين (عددهم) ثمّ قتل بعضهم – قد استحقوا جهنم برواية البُخَارِيّ، فما بالك بالملايين من المتمسلمين الّذين يسامون سوء العذاب، ويعيشون حياة السوائم، لا يملكون أن يردوا عادية عن أعراضهم أو دمائهم أو أموالهم، بل لا يستطيع أحدهم أن يتحكم في لحيته فيطلقها لأنها تهمة إسلاميّة ظاهرة، بل لا يستطيع أن ينفرد في لباس زوجته فيطيله حسب الشَّرع لأنها جريمة يؤخذ عليا بالنواصي والأقدام، ولا يستطيع أن يعلم القرآن لثلاثة من الشَّبَاب المسلم في بيت الله، لأن هتجمع غير مشروع في عرف الجَاهِليَّة، بل لا يستطيع في بعض البلدان المسماة الإِسْلَاميّة أن يغطي شعر زوجته، ولا يستطيع أن يمنع رجال المخابرات أن يأخذوا بيد ابنته بعد وهن من الليل، تحت جنح الظلام الدامس إلى حيث يشاؤون!! وهل يستطيع أن يرفض أمرا يصدر من الطَّاغوت يقدم فيه هذا الفرد قربانا رخيصا عَلى مذبح شهوات هذا الطَّاغية؟!

أليست هذه الملايين تعيش ذليلة مهينة مستضعفة وتتوفاها الملائكة ظالمة لأنفسها ؟ فماذا سيكون جوابها إذا سألتها الملائكة ﴿فِيمَ كُنتُمۡ﴾ ألا يقولون: ﴿كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ إن الضّعف ليس عذرًا عند ربّ العَالَمِيّن، بل هو جريمة يستحق صاحبها جهنّم، وقد أعذر الله الطّاعنين في السّنّ والأطفال والصغار والنِّسَاء الّذين لا يجدون حيلةً للتخلّص، ولا يعرفون الطّريق إلى أرض العزّة، ولا يستطيعون الهِجرَة إلى دار الإِسْلَام، ولا الوصول إلى قاعدة الجِهَاد:

سأصرف وجهي عن بلاد غدا بها ... لساني معقولًا وقلبي مقفلَا

وإن صريح الحزم والرّأي لامرئٍ ... إذا بلغته الشّمس أن يتحوّلَا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤٥٩٦).

إن الجِهَاد والهِجرَة إلى الجِهَاد جزء أصيل لا يتجزأ عن طبيعة هذا الدّين، والدّين الّذي ليس فيه جِهَاد لا يستطيع أن يثبت فوق أي أرض ولا أن تستوي شجرته عَلى سوقها، وأصالة الجِهَاد الّتي هيَ من صميم هذا الدّين ولها وزنها في ميزان ربّ العامين ليست ملابسة طارئة من ملابسات تلك الفترة الّتي تنزل فيها القرآن، وإنما هو ضرورة مصاحبة لهذه القافلة الّتي يوجهها هذا الدّين.

يقول الأستاذ سيد قطب في الظلال (٢-٧٤٢) في تفسير هذه الآية: [لو كانَ الجِهَاد ملابسة طارئة في حياة الأُمّة المسلمة ما استغرق كلّ هذه الفصول من صلب الكتاب الله في مثل هذا الأسلوب ! ولما استغرق كذلك كلّ هذه الفصول من سنة رسول الله ﷺ وفي مثل هذا الأسلوب، لو كانَ الجِهَاد ملابسة طارئة ما قَالَ رسول الله ﷺ تلك الكلمة لكل مسلم إلى قيام السَّاعة: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ مَاتَ عَلى شُعبَةٍ مِنْ النِّفَاقِ»[1].]

إن الله سبحانه يعلم أن هذا أمرا تكرهه الملوك! ويعلم أن لا بُدَّ لأصحاب السُّلطَان أن يقاوموه، لأنه طريق غير طريقهم، ومنهج غير منهجهم، ليس في ذلك الزَّمن فقط ولكن اليَوْم وغدا وفي كلّ أرض وفي كلّ جيل! وإن الله سبحانه يعلم أن الشر متبجح، ولا يمكن أن يكون منصفا، ولا يمكن أن يدع الخير ينمو مهما يسلك هذا الخير من طرق سليمة موادعة، فإن مجرد نمو الخير يحمل الخطر عَلى الشر، ومجرد وجود الحقّ يحمل الخطر عَلى البَاطِل، ولا بُدَّ أن ينجح الشر إلى العدوان ولا بُدَّ أن يدافع البَاطِل عن نفسه بمحاولة قتل الحقّ وخنقه بالقوة! هذه جبلة! وليست ملابسة وقتية، هذه فطرة ! وليست حالة طارئة.

ومن ثمّ لا بُدَّ من الجِهَاد... لا بُدَّ منه في كلّ صورة... ولا بُدَّ أن يبدأ في عالم الضمير، ثمّ يظهر فيشمل عالم الحقيقة والواقع والشهود... ولا بُدَّ من لقاء البَاطِل المترس بالعدد بالحق المتوشح بالعدة... وإلا كانَ الأمر انتحار أو كانَ هزلا لا يليق بالمُؤمِنين.

(١) رواه مسلم (١٩١٠).

٤- **الإستجابة للنداء الرباني:**

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ [التوبة]

وقد أورد القرطبي[1] في تفسيرها عشرة أقوال[2] [﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ :

١- روي عن ابن عباس: شُبَّانًا وَكُهُولًا.

٢- روي عن ابن عباس وقتادة: نشاطاً وغير نشاط.

٣- الخفيف: الغني، والثقيل: والفقير، قاله مُجَاهد.

وَالصَّحِيحُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ النَّاسَ أُمِرُوا جُمْلَةً أَيِ انْفِرُوا خَفَّتْ عَلَيْكُمُ الْحَرَكَةُ أَوْ ثَقُلَتْ... وَرُوِيَ أَنَّ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ جَاءَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَقَالَ لَهُ: أَعَلَيَّ أَنْ أَنْفِرَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» حَتَّى أَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [الفتح: ١٧]، وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ إِنَّمَا هِيَ عَلَى مَعْنَى الْمِثَالِ فِي الثِّقَلِ وَالْخِفَّةِ].

ولا يشك عاقل أن حالتنا الّتي نعيشها في أفغانستان وفي فِلَسطِين، بل في معظم أرجاء العالم الإِسْلَام يداخله تحت نص هذه الآية، فقد اتفق المفسرون المحدثون والفقهاء والأصوليون عَلى أنه إذا دخل العدوّ أرضا إسلاميّة أو كانت في يوم من الأيّام دار للإسلام، فإنه يجب عَلى أهل تلك البلدة أن يخرجوا الملاقاة العدوّ، فإن قعدوا أو قصروا أو تكاسلوا أو لم يكفوا توسع فرض العين عَلى من يليهم، فإن قصروا أو قعدوا فعلى من يليهم، وثم حتَّى يعم فرض العين الأرض كلها، ولا يسع (يمكن) أخذا تركه كلاصلاة والصّيام، بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والمدين دون إذن دائنه، والمرأة دون إذن زوجها والعبد

---

(١) تفسير القرطبي: (٨ - ١٥٠) بتصرف يسير.

(٢) والعشرة أقوال هي : (الْأَوَّلُ: رُوِيَ عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّهُ قَالَ: شُبَّانٌ وَكُهُولٌ، مَا سَمِعَ الله عُذْرَ أَحَدٍ؛ فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَجَاهَدَ حَتَّى مَاتَ. الثَّانِي: شُبَّانًا وَشِيبًا. الثَّالِثُ: فِي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ. الرَّابِعُ: فِي الْفَرَاغِ وَالشُّغْلِ.

الْخَامِسُ: مَعَ الْكَسَلِ وَالنَّشَاطِ. السَّادِسُ: رِجَالًا وَرُكْبَانًا. السَّابِعُ: صَاحِبُ صَنْعَةٍ وَمَنْ لَا صَنْعَةَ لَهُ.

الثَّامِنُ: جَبَانًا وَشُجَاعًا. التَّاسِعُ: ذَا عِيَالٍ وَمَنْ لَا عِيَالَ لَهُ. الْعَاشِرُ: الثَّقِيلُ: الْجَيْشُ كُلُّهُ، وَالْخَفِيفُ: الْمُقَدَّمَةُ.

وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا غَيْرُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ جُمْلَةٌ تَدُلُّ عَلَى مَا بَقِيَ، وَالْكُلُّ مُحْتَمَلٌ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا بِالْآيَةِ، لَكِنْ مِنْهُ مَا يَقْرُبُ، وَمِنْهُ مَا يَبْعُدُ).

دون إذن سيده، ويبقى فرض العين مستمرًا حتَّى تطهر من رجس الكفّار (ولكن خروج المرأة لا بُدَّ له من محرم).

ولم أجد (بقدر اطلاعي القليل) كتابا في الفقه، أو التفسير أو في الحديث إلا ونصّ عَلى هذه الحالة، ولم يقل أحد من السَّلَف أن هذه الحالة فرض كفاية، أو أنه يجب استئذان الوالدّين، ولا يسقط الإثم عن رقاب المُسلِمين ما دامت أية بقعة في الأرض (كانت إسلاميّة) في يد الكفّار، ولا ينجو من الإثم إلا الّذي يجاهد.

فكل من ترك الجِهَاد اليَوْم فهو تارك لفريضة، كالمفطر في رمضان بدون عذر، أو كالغني الّذي يمنع زكاة ماله، بل تارك الجِهَاد أشد.

وكما يقول ابن تَيمِيّة[1]: (والْعَدُوُّ الصَّائِلُ الَّذِي يُفْسِدُ الدِّينَ وَالدُّنْيَا لَا شَيْءَ أَوْجَبَ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ دَفْعِهِ).

والحق المبين الّذي لا محيد عنه قول أبي طلحة عندما قرأ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ [التوبة: ٤١] قَالَ: شُبَّانًا وَكُهُولًا، مَا سَمِعَ الله عُذْرَ أَحَدٍ، ثمّ قَالَ: أَيْ بَنِيَّ جَهِّزُونِي جَهِّزُونِي فَقَالَ بَنُوهُ: يَرْحَمُكَ الله! لَقَدْ غَزَوْتَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى مَاتَ وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ حتى مَاتَ وَمَعَ عُمَرَ حَتَّى مَاتَ فَنَحْنُ نَغْزُو عَنْكَ، قَالَ: لَا، جَهِّزُونِي، فَغَزَا فِي الْبَحْرِ فَمَاتَ فِي الْبَحْرِ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ جَزِيرَةً يَدْفِنُونَهُ فِيهَا إِلَّا بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ فَدَفَنُوهُ فِيهَا، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ رضي الله عنه[2].

يقول القرطبي[3] في تفسيره: (إِذَا تَعَيَّنَ الْجِهَادُ بِغَلَبَةِ الْعَدُوِّ عَلَى قُطْرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ، أَوْ بِحُلُولِهِ بِالْعُقْرِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ وَجَبَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ تِلْكَ الدَّارِ أَنْ يَنْفِرُوا وَيَخْرُجُوا إِلَيْهِ خِفَافًا وَثِقَالًا، شَبَابًا وَشُيُوخًا، كُلٌّ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ، مَنْ كَانَ لَهُ أَبٌ بِغَيْرِ إِذْنِهِ وَمَنْ لَا أَبَ لَهُ.

وَلَا يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى الْخُرُوجِ، مِنْ مُقَاتِلٍ أَوْ مُكَثِّرٍ، فَإِنْ عَجَزَ أَهْلُ تِلْكَ الْبَلْدَةِ عَنِ القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاورهم أَنْ يَخْرُجُوا عَلَى حَسَبِ مَا لَزِمَ أَهْلَ تِلْكَ الْبَلْدَةِ، حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّ فِيهِمْ

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٥٣٨).

(٢) رواه ابن حبان (٧١٨٤) والحاكم (٢٥٠٣) وصححه الذّهبي على شرط مسلم، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) تفسير القرطبي: (٨-١٥١).

طَاقَةً عَلَى الْقِيَامِ بِهِمْ وَمُدَافَعَتِهِمْ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ علم بضعفهم عن عدو هم وَعَلِمَ أَنَّهُ يُدْرِكُهُمْ وَيُمْكِنُهُ غِيَاثُهُمْ لَزِمَهُ أَيْضًا الْخُرُوجُ إِلَيْهِمْ.

فَالْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، حَتَّى إِذَا قَامَ بِدَفْعِ الْعَدُوِّ أَهْلُ النَّاحِيَةِ الَّتِي نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْهَا وَاحْتَلَّ بِهَا سَقَطَ الْفَرْضُ عَنِ الْآخَرِينَ.

وَلَوْ قَارَبَ الْعَدُوُّ دَارَ الْإِسْلَامِ وَلَمْ يَدْخُلُوهَا لَزِمَهُمْ أَيْضًا الْخُرُوجُ إِلَيْهِ، حَتَّى يَظْهَرَ دِينُ الله وَتُحْمَى الْبَيْضَةُ وَتُحْفَظُ الْحَوْزَةُ وَيُخْزَى الْعَدُوُّ، وَلَا خِلَافَ فِي هَذَا) أهـ.

وما أجمل أبيات النابغة الجعدي وهو يخاطب زوجته الّتي ترجوه أن يجلس عند عائلته:

باتت تذكرني بالله قاعدة ... والدمع يهطل من شأنيها سبلا

يا بنت عمي كتاب الله أخرجني ... كرها وهل أمنعن الله ما فعلا

فإن رجعت فرب الخلق أرجعني ... وإن لحقت بربي فابتغي بدلا

ما كنت أعرج أو أعمى فيعذرني ... أو ضارعا من ضنى لم يستطع حولا

٥- اتباعاً للسّلف الصّالح:

فقد كانَ الجِهَاد دينا للسلف الصّالح وكان ﷺ سيدا للمُجَاهدين، وقائدا للغر الميامين، فكانوا إذا اشتد الوطيس يحتمون برسول الله ﷺ فيكون أقربهم إلى العدوّ، وعدد مغازيه ﷺ الّتي خرج بنفسه فيها سبع وعشرون، وقاتل في تسع منها بنفسه: (بدر، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، وفتح مكّة، وحنين، والطائف) وهذا عَلى قول من قَالَ: مكّة فتحت عنوة، وكانت سَراياه الّتي بعثها سبعاً وأربعين، وقيل أنّه قاتل بني النّضير.

وهذا يعني أن رسول الله ﷺ كانَ يخرج في غزوة أو يرسل سرية في كلّ شهرين أو أقل.

وسار الصحب الكرام عَلى سنة النبيّ الكريم ﷺ، فلقد كانَ القرآن الكريم يربي هذا الجيل تربية جهاديّة، ويحميهم من أن ينغمسوا في الدُّنيَا كما يحمي أحدنا لديغه من الماء، فلقد روى الحاكم في المستدرك[١] وصحّحه ووافقه الذهبي، عن أسلم أبو عمران قَالَ: **حمل رجل من المُهَاجِرين – بالقُسطَنْطينيَّة – عَلى**

---

(١) رواه الحاكم (٣٠٨٨، ٢٤٣٤) ورواه أبو داود (٢٥١٢) والترمذي (٢٩٧٢) وصححه الألباني.



صف العدوّ حتَّى خرقه، ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذا الآية، إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فلما فشا الإِسْلَام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار تحببا، فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ حتَّى فشا الإِسْلَام وكثر أهله، وكنا قد آثرناه عَلَى الأهلين، والأموال والأولاد، وقد وضعت الحَرب أوزارها، فنرجع إلى أهلنا وأولادنا فنقيم فيها، فنزل فينا: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة] **فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجِهَاد،** وقد روى عكرمة أن ضمرة بن العيص – وكان من المستضعفين في مكّة وكان مريضا – فلما سمع ما أنزل الله في الهِجرَة قَالَ: أخرجوني، فهيء له فراش ثمّ وضع عليه وخرج، فمات في الطّريق بالتنعيم – عَلَى بعد (٦كم) من مكّة. وأسند الطبري عمن رأى المقداد بن الأسود في حمص عَلَى تابوت صراف، وقد فضل عَلَى التابوت من سمنه وهو يتجهز للغزو، فقيل: عذرك الله، فقال: أتت علينا سورة البعوث ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ [التوبة: ٤١].

وقال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهب إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل، فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحَرب كثرت السواد وحفظت المتاع.

وروى أن بعض النّاس رأى في غزوات الشّام رجلا حاجباه عَلَى عينيه من الكبر، فقال له: يا عم إن الله قد عذرك، فقال: يا ابن أخي قد أمرنا بالنَّفِير خفافا وثقالا.

وهذا إبراهيم بن أدهم (الصوفي !) عندما أحس بالموت قَالَ: أوتروا لي قوسي، وتوفي وهو في كفه، ودفن في إحدى جزائر البحر في بلاد الرُّوم.

وهذا عبدالله بن المبارك كانَ يقطع مسافة ألفين وستمائة كيلومترا راجلا أو راكبا عَلَى دابته ليقاتل في سبيل الله في ثغور المُسلِمِين.

وقال زهير بن قمير المروزي: أشتهى لحما من أربعين سنة ولا آكلها حتَّى أدخل الرُّوم فآكله من مغانم الرُّوم.

وهذا قاضي الكوفة عروة بن الجعد كانَ في بيته سبعون فرسا مربوطة للجِهَاد.

وهذا محمّد بن واسع كانَ من العِبَاد المحدثين الغُزَاة المرابطين يقول عنه القائد قتيبة بن مسلم الباهلي: لإصبع محمّد بن واسع تشير إلى السّماء في المَعْرَكة أحب إلى من مائة ألف سيف شهير وشاب طرير – قوي –.

وهذا أحمد بن إسحاق السلمي يقول: أعلم يقينا أَنّي قتلت بسيفي هذا ألف تركي ولولا أن يكون بدعة لأمرت أن يدفن معي.

وهذا أبو عبدالله بن قادوس لكثرة قتله من نصارى الأندلس كانَ النّصراني إذا سقى فرسه فلم يقبل عَلى الماء قَالَ له: مالك أرأيت بن قادوس في الماء؟!

وهذا بدر بن عمار يقتل الأسد بسوطة، فيمدحه المتنبي:

أمعفر الليث الهزبر بسوطه ۞ لمن ادخرت الصارم المصقولا

وهذا عمر المختار يقول عنه غارسياني (القائد الإيطالي): لقد خاض عمر المختار مع جنودنا (٢٦٣) معركة خلال عشرين شهرا، أما مجموع معاركة فقد بلغت ألف معركة!!

وهذا الشَّيْخ محمّد فرغلي { مُجَاهد من الإخوان المُسلِمِين } كانَ الإنجليز في الإسماعيلية { في مصر} يعلنون حالة الطوارئ في معسكراتهم إذا دخل الفرغلي المدينة، وقد دفع الإنجليز خمسة آلاف جنيه لمن يأتي برأسه حيا أو ميتا.

وهذا يوسف طلعت { مُجَاهد آخر من الإخوان } كانَ يسمى (جزار الإنجليز) لكثرة ما قتل منهم في قناة السويس، فأعدمهما عبد النّاصر { رئيس مصر١٩٥٢-١٩٦٩} إرضاء لسادته الأمريكان!!

٦ – إقامة القَاعِدَة الصّلبة لدار الإِسْلَام:

إن إقامة المجتمع المسلم فوق بقعة أرض ضرورية للمسلمين، ضرورة الماء والهواء، وهذا الدار لن تكون إلا بحركة إسلاميّة منظّمة تلتزم الجِهَاد واقعا وشعارا، وتتخذ القِتَال لحمة ودثارا.

وإن الحركة الإِسْلَاميّة لن تستطيع إقامة المجتمع المسلم إلا من خلال جِهَاد شعبي عام، تكون الحركة الإِسْلَاميّة قلبه النابض، وعقله المفكر، وتكون بمثابة الصاعق الصغير الّذي يفجر العبوة النّاسفة الكبيرة، فالحركة الإِسْلَاميّة تفجر طاقات الأُمّة الكامنة وينابيع الخير المخزونة في أعماقها.

فالصّحابة رضوان الله عليهم كانَ عددهم قليلا جدا بالنسبة لمجموع عامة المُسلِمِين الّذين قوضوا عرش كسرى وثلوا مجد قيصر. بل إن القبائل المرتدّة عن الإِسْلَام في أيّام الصّديق قد سيرهم عمر بن الخطاب – بعد أن أعلنوا توبتهم – إلى قتال الفرس، ولقد أصبح طلحة بن خويلد الأسدي – الّذي ادعى النبوة من قبل – أحد أبطال القادسية البارزين، واختاره سعد لمهمة استكشاف أخبار الفرس فأبدى شجاعة فائقة.

أما الحفنة من الضُّبَّاط الّتي يمكن أن يتوهم البعض أن بإمكان هم عمل مجتمع مسلم فهذا ضرب من الخيال، أو وهم يشبه المحال لا يعدوا أن يكون تكرارا لمأساة عبد النّاصر مع الحركة الإِسْلَاميّة مرّة أُخرى.

والحركة الشعبيَّة الجهاديّة مع طول الطّريق ومرارة المعاناة وضخامة التضحيات، وفداحة الأرزاء تصفي النفوس فتعلو عَلى واقع الأرض الهابط، وترتفع الاهتمامات عن الخصومات الصغيرة عَلى دراهم، وعن الأغراض القريبة، وسفاف المتاع، وتزول الأحقاد، وتصقل الأرواح، وتسير القافلة صعدا من السفح الهابط إلى القمة السامقة بعيدا عن نتن الطين وصراع الغايات.

وعلى طول طريق الجِهَاد تفرز القيادات، وتظهر الكفاءات من خلال العطاء والتَّضحِيَة، ويبرز الرّجال شجاعتهم وبذلهم.

ولا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلا الحَرب والفتكة البكر

ومع ارتفاع الاهتمامات ترتفع النفوس عن الصغائر، وتصبح الأمور العظيمة غاية القلوب وأمل الشّعوب.

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم
يرى الجبناء أن الجبن عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم

وطبيعة المجتمعات كالماء تماما، ففي الماء الراكد تطفو عَلى السطح الطحالب والأعفان، وأما المتحرك فلا يحمل العفن فوقه، والقيادات في المجتمعات الراكدة لا يمكن أن تكون عَلى قدر المسؤوليّة لأنها لا تبرز من خلال الحركة والتَّضحِيَة والبذل والعطاء، فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ما برزوا إلا

من خلال الأعمال الجليلة والتضحيات الباهظة، ولذا لم يكن أبو بكر بحاجة إلى دعاية انتخابية عندما أجمعت الأُمّة عَلى انتخابه، فما أن فاضت روح رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى في الجنّة تطلعت العيون إلى السَّاحَة فلم تجد أفضل من أبي بكر رضي الله عنه.

والأُمّة الّتي تجاهد، تبذل الثَّمن غاليا فتجني الثمرة الناضجة، ليس من السهل أن تفرط فيما جنته بالعرق والدم، وأما الّذين يتربعون عَلى صدور النّاس من خلال البيان الأوّل في انقلاب عسكريّ صنع وراء الكواليس في السفارات، يسهل عليهم التفريط بكل شيء.

ومن أخذ البلاد بغير حرب ... يهون عليه تسليم البلاد

والأُمّة الجهاديّة الّتي يقودها أفذاذ بروزا من خلال الحركة الجهاديّة الطويلة، ليس من السهل أن تفرط بقياداتها أو تخطط للإطاحة بها، وليس من اليسير عَلى أعدائها أن يشككوها بمسيرة أبطالها، والحركة الجهاديّة الطويلة تشعر الأُمّة بأفرادها جميعا أنهم قد دفعوا الثَّمن وشاركوا في التَّضحِيَة من أجل قيام المجتمع الإِسْلَاميّ، فيكون حراسا أمناء لهذا المجتمع الوليد، الّذي عانت الأُمّة جميعها من آلام مخاضه.

لا بُدَّ للمجتمع الإِسْلَاميّ من ميلاد، ولا بُدَّ للميلاد من مخاض، ولا بُدَّ للمخاض من آلام.

٧ – حماية المستضعفين في الأرض:

إن من بواعث الجِهَاد الإِسْلَاميّ حماية المستضعفين في الأرض، ورفع الظُّلم عنهم..

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء]

ومعنى الآية وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وفي سبيل المستضعفين.

كيف القرار وكيف يهنأ مسلم ... والمسلمات مع العدوّ المعتدي

القـائـلات إذا أردن تأسـفا ... جهد المقالة ليتنا لم نـولـد

وقد اتفق الفقهاء عَلى أن الجِهَاد فرض عين بالنّفس والمال إذا سبيت امرأة مسلمة، وفي (البزازية) إذا امرأة سبيت في المشرق وجب عَلى أهل المغرب تخليصها.

فـليتهم إذا لـم يـذودوا حـمـيـة ... عن الدّين ضنوا غيرة بالمحارم

وإن زهدوا في الأجر إذ حمي الوغى ۞ فهـلا أتـوه رغبة في المغانم

وكما قَالَ آخر:

أتسبى المسلمات بكل ثغر ۞ وعيش المُسلِمين إذا يطيب

أمــا لله والإِسْلَام حق ۞ يدافع عنه شبان وشيب

لقد جاء الإِسْلَام لإقرار العدل فالأرض: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد]

٨- طمعا بالشَّهَادة والمنازل العلى في الجنّة:

لقد جاء في الحديث الصَّحِيح الّذي رواه أحمد والتِّرْمِذِيّ(١) عن المقدام بن معد يكرب مرفوعاً: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ الله سَبْعُ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجُنَّةِ وَيُحَلَّى حُلَّةَ الإِيمَانِ وَيُزَوَّجُ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ الْعِينِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَيَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَاناً مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ».

وقد روى البُخَارِيّ(٢) عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ ﷺ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَّ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ».

٩ - إن الجِهَاد حفظ لعزة الأُمّة ورفع للذل عنها:

ففي الحديث الصَّحِيح الّذي رواه أحمد(٣) عن ابن عمر مرفوعاً: «إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَتَبَايَعُوا بِالْعِينَةِ، وَتَبِعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ، [سلط الله عَلَيْهِمْ ذُلًّا] لَا يَرْفَعْهُ عَنْهُمْ حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ».

---

(١) رواه أحمد: (١٧١٨٢)، والترمذي: (١٦٦٣)، وابن ماجة (٢٧٩٩) وصححه الألباني: (صحيح الجامع – ٥١٨٢).

(٢) صحيح البخاري (٢٧٩٠).

(٣) رواه أحمد (٤٨٢٥) والطبراني في الكبير (١٣٥٨٣)، والبيهقي في الشعب (٤٢٢٤)، ضعفه الأرنؤوط وصححه الألباني في (صحيح الجامع (٦٧٥). وروى نحوه أبو داود (٣٤٦٢) ولفظ: «سلط الله عليهم ذلا» عنده وليس عند أحمد.

١٠ – إن الجِهَاد حفظ لهيبة الأُمّة ورد لكيد أعدائها:

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء]

وفي الحديث الصَّحيح الّذي رواه أحمد وأبو داوود[1] عن ثوبان: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله! فَمِنْ قِلَّةٍ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «لا ولكنّكُم غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ يُجْعَلُ الْوَهْنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَيُنْزَعُ الرُّعْبُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ لِحُبِّكُمُ الدُّنْيَا وكَرَاهِيَتِكُم الموْت».

١١ – في الجِهَاد صلاح الأرض وحمايتها من الفساد:

﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]

١٢ – في الجِهَاد حماية للشعائر الإسْلَاميّة:

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [الحج]

١٣– وفي الجِهَاد حماية الأُمّة من العذاب ومن المسخ والاستبدال:

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ [التوبة: ٣٩]

١٤ – وفي الجِهَاد غني الأُمّة وزيادة ثرواتها:

«وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي»[2].

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٧) وأحمد (٢٢٣٩٧، ٨٧١٣)، حسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني بهذا اللفظ: انظر صحيح الجامع (٨١٨٣).

(٢) رواه أحمد (٥١١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧) وضعّفه الأرنؤوط، وصححه شاكر والألباني (صحيح الجامع-٢٨٣١)، وقد ذكره البخاري بصيغة ليست بالقوية في (باب: ماقيل في الرماح، وَيُذْكَرُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي...»)

١٥ – والجِهَاد ذروة سنام الإسْلَام:

«ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ الْجِهَادُ»(١) حديث صحيح عن معاذ، وهو رهبانية هذه الأُمّة «وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ»(٢).

١٦ –الجِهَاد من أفضل العِبَادات وبه ينال المسلم أرفع الدرجات:

قَالَ أفضل بن زياد: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل وذكر أمر العدوّ يبكي ويقول: ما من أعمال البر أفضل منه، وقال عنه غيره: ليس يعدل لقاء العدوّ شيئ، ومباشرة القِتَال بنفسه أفضل الأعمال، والّذين يقتلون العدوّ هم الّذين يدافعون عن الإِسْلَام، وعن حريمهم، فأي عمل أفضل منه؟ النّاس آمنون وهم خائفون وقد بذلوا مهج أنفسهم.

ورد في البُخَارِيّ(٣) الحديث: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ».

ونحن عَلى قدر إطلاعنا القليل وعلمنا اليسير، نعتقد أن الجِهَاد في مثل هذه الحالة الراهنة في أفغانستان فرض عين بالنّفس والمال كما قرره فُقَهَاء المذاهب الأربعة بلا استثناء، ومعهم جمهرة المفسّرين والمحدثين الأصوليين.

يقول ابن تَيمِيّة في الفتاوى الكبرى (٤–٦٠٨): إذا دخل العدوّ بلاد الإِسْلَام فلا ريب أنه يجب دفعه عَلى الأقرب فالأقرب...

ويقول في مجموع الفتاوى (٢٨–٣٥٨): فإذا أراد العدوّ الهجوم عَلى المُسلِمِين فإنه يصير دفعه واجبا عَلى المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]

(١) رواه أحمد (٢٢٠٥١) وصححه الأرنؤوط.

(٢) رواه أحمد (١١٧٧٤)، ضعفه الأرنؤوط، وحسنه الألباني بمجموع طرقه.

(٣) صحيح البخاري (٢٧٩٠).

كما أمر النبيّ ﷺ بنصر المسلم، وسواء كانَ الرجل من المرتزقة للقتال، أو لم يكن، وهذا يجب بحسب الإمكان عَلى كلّ أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة والمشي والركوب، وكما كانَ المُسلِمُون لما قصدهم العدوّ عام الخندق لم يأذن الله في تركه لأحد.

ونصوص فُقَهَاء المذاهب الأربعة صريحة قاطعة بهذا لا تحتمل تأويلا دون لبس ولا غموض.

يقول ابن عابدين الحنفي في حاشيته(٣- ٢٣٨): (إن هجم العدوّ عَلى ثغر من ثغور الإِسْلَام، فيصير فرض عين عَلى من قرب منه، فأما من وراءه ببعد عن العدوّ فرض كفاية إذا لم يحتج إليهم، فإن احتيج إليهم بأن عجز من كانَ قرب العدوّ عن المُقاوَمة مع العدوّ أو لم يعجزوا عنها ولكنهم تكاسلوا ولم يجاهدوا، فإنه يفترض عَلى من يليهم -فرض عين - كالصّلاة والصّوم، ولا يسهم تركه، وثم وثم إلى أن يفترض عَلى جميع أهل الإِسْلَام شرقا وغربا عَلى هذا التدريج).

وبمثل هذا النّص الواضح الجلي أفتى الكاساني الحنفي في بدائع الصنائع (٧- ٧٢)، وابن نجيم الحنفي في البحر الرائق (٥- ٧٢)، وابن همام في فتح القدير (٥-١٩١).

وراجع إن شئت حاشية الدسوقي المالكي (٢-١٧٤)، ونهاية المحتاج للرملي الشّافعي (٨-٥٨)، والمغني لابن قدامة الحنبلي (٨-٣٤٥).

ولعلّ بعض النّاس يجدون مبررا لأنفسهم بأن كثيرا من الأفغان ليسوا عَلى المستوى الإِسْلَاميّ المقبول من التّربية، ويعذرون أنفسهم بالقعود بسبب بعض المخالفات.

ولكن الردّ عَلى هذا بأن الفقهاء نصوا عَلى أنه يجب الجِهَاد ولو مع عسكر كثيري الفجور.

وهذا من أصول أهل السّنّة والجماعة (الغزو مع كلّ بر وفاجر) «**فإِنَّ اللهَ يُؤَيّد هذا الدّين بالرجل الفاجر**»[1]، و«**بِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ**»، وهذا طريقة خيار هذه الأُمّة قديما وحديثا، وهي واجبة عَلى كلّ مكلف.

(١) رواه البخاري (٣٠٦٢، ٦٦٠٦) ومسلم (١١١).

وعدم الغزو مع الأمراء (ولو كانوا فجارا) أو مع عسكر كثيري الفجور هو مسلك الحرورية – من فئات الخوارج – وأمثالهم ممن يسلك مسلك الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم(١).

وبعض النّاس يعذرون أنفسهم بأن مكانهم في بلدهم ضروري للتربية والتّعليم، ونحن نورد لهم قول الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل، فقال استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحَرب كثرت السواد وحفظت المتاع.

فأي النّاس منزلته وعمله يداني سيد التَّابعين، ووارث علم النبوة عن طريق صهره والد زوجته أبي هريرة ﷺ، لقد بلغ السيل الزبى، وجاوز الحزام الطبيين، واشتد الأمر عَلى المُسلِمين، فمتى النَّفِير؟! وإلى متى القرار؟!

فإن كانَ الفقهاء يفتون كما جاء في البزازية: امرأة سبيت في المشرق وجب عَلى أهل المغرب تخليصها.

فماذا يفتي علماؤنا بالآلاف من العواتق تنتهك أعراضهن في خدورهن؟

وماذا يجيبون في النِّسَاء اللواتي يلقين بأنفسهن في نهر (كونر في لغمان) فرارا بأعراضهن من الانتهاك عَلى يد الجنود الحمر، لأن المرأة لا يجوز لها باتفاق العُلَماء أن تستسلم للأسر إذا خشيت عَلى عرضها.

أو ما تخشى أن تدور الدّائرة عليك ويصل الأمر إلى عرضك؟ {ورسول الله ﷺ يقول}: «مَا مِنْ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا عِنْدَ مَوْطِنٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنْ امْرِئٍ يَنْصُرُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ الله فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ»(٢) فاتقوا الله في أعراضكم.

وقال حبان بن موسى: خرجنا مع ابن المبارك مرابطين إلى، الشّام، فلما نظر إلى ما فيه القوم من التعبد والغزو والسَرايا كلّ يوم التفت إلي وقال: إنا لله إنا إليه راجعون عَلى أعمار أفنيناها وليال وأيّام قطعناها في علم (الخلية والبرية) – كنايات الطلاق– وتركنا هاهنا أبواب الجنّة مفتوحة!!

---

(١) (مجموع الفتاوى لابن تَيمِيّة ٢٨– ٥٠٦).

(٢) رواه أبو داوود (٤٨٨٤) وأحمد (١٦٣٦٨) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

هذا ابن المبارك الّذي كانَ يرابط شهرين أو أكثر في السنة، يدع تجارته ومجالس الحديث ويخرج للرباط، لأنه لم يرابط طيلة عمره انشغل بالعلم عن الرِّبَاط، فماذا يقول الّذين لم يطلقوا طلقة في سبيل الله؟!

إذا كانَ مرض الموت الّذي ألم برسول الله ﷺ لم يشغله عن تذكير الصّحابة بإنفاذ بعث أُسَامَةَ رضي الله عنه.

وعندما حاول أبو بكر الصّديق أن ينفذ بعث أُسَامَة حاول الصّحابة أن يثنوه عن عزمه، فقال كلمته المشهورة: والّذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشا وجهه رسول الله ﷺ، ولا حللت لواء عقده رسول الله.

ويشاء الله أن تكون آخر وصايا صاحب رسول الله ﷺ في حث النّاس عَلَى الجِهَاد إذ يستدعي أبو بكر عمر في آخر ساعات حياته قائلا: اسمع يا عمر! أقول لك ثمّ اعمل به، أَنّي لأرجو أن أموت من يومي هذا – وذلك يوم الاثنين – فإن أنا مت فلا تمسين حتَّى تندب النّاس مع المثنى، وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتَّى تندب النّاس مع المثنى، لا يشغلنكم مصيبة – وإن عظمت – عن أمر دينكم، ووصية ربكم، وقد رأيتني مُتوفَى رسول الله ﷺ وما صنعت، ولم يصب الخلق بمثله، وبالله لو أَنّي تأخرت عن أمر رسوله لخذلنا الله ولعاقبنا فأضرمت المدينة نارا.

فلقد أدرك أبو بكر – خير النّاس بعد النبيّ ﷺ – أن التأخر في تنفيذ أمر الله وأمر رسوله ﷺ بالنَّفِير إلى الجِهَاد عاقبته الخذلان ومآله الخسران.

هذا كتاب الله يحكم بيننا، وهذه سنة رسوله ﷺ ناطقة شاهدة علينا، وهذا هدي أصحابه في فهمهم لأهمية الجِهَاد في هذا الدّين فهل لنا من تعقيب عَلَى هذه النّصوص المتوافرة الناصعة الجلبة القاطعة؟

لقد وصل اللص إلى داخل خدور المؤمنات، فهل ندعه ؟!! ينتهك الأعراض ويمسخ القيم ويجتث المبادئ؟!

رُبَّ وَا مُعتَصِمَاهُ انطَلَقَت ۞ مِلءَ أَفوَاهِ الصَّبَايَا اليُتَّمِ
لامَسَتْ أسمَاعَهُمْ لكنَّهَا ۞ لَمْ تُلَامِسْ نَخْوَةَ المُعتَصِمِ

لقد أخذ الرُّوس مائتين وخمسة آلاف من أطفال المُسلِمِين الأفغان لتربيتهم عَلى العَقِيْدَة الشُّيُوعِيّة، ولغرس الإلحاد في أعماقهم، وقرر الأمريكان فتح ستمائة مدرسة، وتعهد مائة وخمسة آلاف من أطفال الأفغان في الداخل والخارج بالتّربية والتّعليم.

فأين دعاة الإِسْلَام؟ وأين المربون المُسلِمُون؟ وماذا أعدو لإنقاذ الجيل المسلم، ومن أجل رعاية هذا الجيل المبارك العظيم، { أقول: ولله الأمر من قبل ومن بعد، فقد آتت أعمال الأمريكان هذه أكلها في بحر عشرين سنة، وجاءتنا مع كرزاي (٢٠٠٢م) بجيش من هَؤُلَاءِ الأفغان المتأمركين الّذين تربوا في مدارسها وبلدها } .

لقد نص الفقهاء عَلى أن بلاد المُسلِمِين كالبلد الواحد، فأي بقعة من بقاع المُسلِمِين تعرضت الخطر وجب أن يتداعى جسد الأُمّة الإِسْلَاميّة كلها لحماية هذا الشلو الّذي تعرض لغزو الجراثيم.

ماذا عَلى العُلَماء لو حرضوا الشَّبَاب عَلى الجِهَاد ؟ لاسيما والتّحريض فرض ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [النساء: ٨٤]

ماذا عَلى الدعاة لو خصصوا سنة من حياتهم للعيش بين المُجَاهدين يوجهون ويرشدون؟

ماذا عَلى طلاب الجامعة لو أجلوا سنة من دراستهم لينالوا شرف الجِهَاد، وليسهموا بأنفسهم في إقامة دين الله في الأرض؟ ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٨٧ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨٨﴾ [التوبة]

ماذا عَلى الأئمة لو أخلصوا النصح لمن يستنصحهم بالخروج في سبيل الله بالدم والروح؟

إلى متى يُثبَط الشَّبَاب المؤمن ويعوق عن جِهَاد؟ الفتية الّذين تضطرم أفئدتهم نارا وتتفجر حماسا وتلتهب غيرة لتسقي تربة المُسلِمِين بدمهم الطّاهر، إن الّذي ينهى شابا عن الجِهَاد لا يفرق عن الّذي ينهاه عن الصّلاة والصّوم.

أما يخشى الّذي ينهى عن الجِهَاد أن يدخل – ولو بطريقة غير مباشرة – تحت المعنى العام الآية الكريمة في قوله تَعالَى: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٩﴾ [الأحزاب]

ماذا عَلى الأمهات لو قدمت الواحدة منهن أحد أبنائها في سبيل الله يكون عزا لها في الدُّنيَا وذخرا لها في الآخرة بالشفاعة؟

ماذا عَلى الآباء لو دفعوا بأحد أبنائهم ليشب في مصانع الأبطال وميادين الرّجال وساحات النزال؟ وليهب أحدهم أن الله خلقه عقيما، فمن شكر النعمة أن يُؤَدِّي زكاة أولاده شكرا لربه.

أنفس هو خالقها، وأموال هو رازقها، فلم البخل عَلى ربّ العَالَمِيّن؟ البخل عَلى المالك بما يملك، مع العَقِيْدَة الراسخة بأنه: **(لن تموت حتَّى تستكمل أجلها ورزقها)**.

ماذا عَلى المُسلِمِين لو سطروا في صحائف أعمالهم وديوان حسناتهم أيّاما من الرِّبَاط، وساعات من القِتَال؟

وقد ثبت في الحديث الصَّحِيح: «**رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه**»[1]، وفي الحديث الحسن[2]: «**رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل يقام ليلها ويصام نهارها**»، وفي الحديث الصَّحِيح[3]: «**قيام ساعة في الصف للقِتَال في سبيل الله خير من قيام ستين سنة**».

فيا إخوة الإِسْلَام أقبلوا لحماية دينكم ونصرة ربكم وإعلاء سنة نبيكم.

أيها الأخ الحبيب: إمتشق حسامك، واعل صهوة جوادك، وامسح العار عن أمتك، إن لم تقم بالعبء أنت فمن يقوم به إذن؟ أيها الأخ الكريم:

طال المنام عَلى الهـــــوان ... فـأين زمجرة الأســود
و استنسرت عصب البغاث ... ونحن في ذل الــعـبيد
ذل العبيد من الخـــــنــوع ... وليس من زرذ الحديد
فمـتى نثور عَلى الـــقيود ... متى نثور عَلى الــقيود

فيا خيل الله اركبي!!!

(١) رواه أحمد (٢٣٧٢٨) وصححه الأرنؤوط لغيره.

(٢) رواه الترمذي (١٦٦٧) وأحمد (٤٧٠) والنسائي (٣١٦٩) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه أحمد والتِّرْمِذِيّ وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٢٩).

أيها الأخ العزيز: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف: ١١١]

فقصة بخارى الدامية، ورواية فِلَسطِين الجريحة، وعدن المحترقة، والأوجادين الأسيرة، وأحاديث الأندلس الأسيفة، وإرتريا الأليمة، وبلغاريا المكلومة، السُّودَان مع قرنك المحزنة، ولبنان الممزقة أشلاؤها، والصّومال وبورما وتشاد وقفقاسيا بجراحاتها العميقة، وأوغندا وزنجبار وإندونيسيا ونيجيريا...... ذات الملاحم والمآسي خير عبرة لنا، فهل نعتبر فيما مضى قبل فوات الأوان؟ أم تجري علينا السنن ونحن نتجرع الهوان، ونندثر كما اندثروا، ونضيع كما ضاعوا؟ ونحن نأمل من الله أن يندحر الرُّوس في أفغانستان { وينهزموا من تلقاء أنفسهم في العراق وغيرها }، ويرتدوا عَلى أعقابهم خائبين، وإن كانت الأخرى، فليت شعري أي داهية تحل بالمُسلِمين؟

فقد روى أبو داوود بإسناد قوي عن أبي أمامة مرفوعا: «**من لم يغز أو يجهز غازيا، أو يخلف غازيا في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة**»[1].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧﴾ [ق٧]

ألا هل بلغت؟ اللّهم فاشهد، ألا هل بلغت؟ اللّهم فاشهد؟ ألا هل بلغت؟ اللّهم فاشهد.

١- إذا دخل العدوّ أرض المُسلِمِين يصبح الجِهَاد فرض عين عند جميع الفقهاء المفسّرين والمحدثين.

٢- إذا أصبح الجِهَاد فرض عين فلا فرق بينه وبين الصّلاة والصّوم عند الأئمة الثّلاثة، أما الحنبلية فيقدمون الصّلاة.

جاء في بغلة السالك لأقرب المسالك في مذهب الإِمَام مالك: الجِهَاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تَعَالَى كلّ سنة فرض كفاية إذا قام البعض سقط عن الباقين ويتعين - أي يصير فرض عين كالصّلاة والصّوم - يتعين الإِمَام وبهجوم العدوّ عَلى محلة قوم وجاء في مجمع الأنهر في المذهب الحنفي: **فإذا لم تقع الكفاية إلا بجميع النّاس فحينئذ صار فرض عين كالصّلاة.**

وجاء في حاشية ابن عابدين الحنفي (٢-٢٣٨): وفرض عين هجم العدوّ عَلى ثغر من ثغور الإِسْلَام، فيصير فرض عين كالصّلاة والصّوم ولا يسعهم تركه.

(١) رواه أبو داود (٢٥٠٣) وابن ماجة (٢٧٦٢) وحسنه الألباني وصححه الأرنؤوط.

٣- إذا أصبح الجِهَاد فرض عين فلا إذن للوالدّين، كما لا يستأذن الوالدّين في أداء فريضة الصبح أو صيام رمضان.

٤- لا فرق بين تارك الجِهَاد بدون عذر إذا تعين (صار فرض عين) وبين مفطر رمضان بدون عذر.

٥- لا يغني دفع المال عن الجِهَاد بالنّفس مهما كانَ المبلغ الّذي دفع، ولا تسقط فريضة الجِهَاد اللازمة في عنقه، فكما أنه لا يجوز أن يدفع مبلغا من المال لفقير حتَّى يصوم عنه أو يلي فكذلك الجِهَاد بالنّفس.

٦- الجِهَاد فريضة العمر كالصّلاة والصّوم، فكما أنه لا يجوز أن يصوم عاماً ويفطر أو يصلي يوما ويترك آخر، فكذلك الجِهَاد لا يجوز أن يجاهد سنة ويترك سَنَوات قدر طاقته.

٧- إن الجِهَاد الآن فرض عين بالنّفس والمال في كلّ مكان استولى عليه الكفّار، ويبقى فرض العين مستمرا حتَّى تتحرر كلّ بقعة الأرض كانت في يوم من الأيّام إسلاميّة.

٨- إن كلمة الجِهَاد إذا أطلقت إنما تعني القِتَال بالسّلاح كما قَالَ ابن رشد وعليه اتفق الأئمة الأربعة.

٩- إن المتبادر من كلمة (**في سبيل الله**) هو الجِهَاد، كما قَالَ ابن حجر في الفتح (٦- ٢٢).

١٠- إن قولهم رجعنا من الجِهَاد الأصغر - القِتَال - إلى الجِهَاد الأكبر - جِهَاد النّفس - الّذي يرددونه عَلَى أساس أنه حديث، هو حديث بَاطِل موضوع لا أصل له، وإنما هو من قول إبراهيم بن أبي عبلة أحد التَّابعين، وهو مخالف للنصوص والواقع.

١١- إن الجِهَاد ذروة سنام الإِسْلَام وتسبقه مراحل، فقبله الهِجرَة، ثمّ الإِعداد (التّدريب) وثمّ الرِّبَاط، ثمّ القِتَال، والهِجرَة ملازمة للجِهَاد، ففي الحديث الصَّحِيح الّذي رواه أحمد[1] عن جنادة مرفوعا: « «إِنَّ الْهِجْرَةَ لَا تَنْقَطِعُ مَا كَانَ الْجِهَادُ».

وأما الرِّبَاط وهو السكن عَلَى حدود العدوّ لحماية المُسلِمِين فهو ضرورة من ضرورات القِتَال، لأن المعارك ليست كلّ يوم، فقد يرابط الإنسان فترة طويلة ويدخل معركة أو معركتين في هذه الفترة.

---

(١) رواه أحمد (١٦٥٩٧) وصححه الأرنؤوط.

١٢- إن الجِهَاد اليَوْم فرض عين بالنّفس والمال عَلى كلّ مسلم، وتبقى الأُمّة الإِسْلَاميّة آثمة حتَّى تتحرر آخر بقعة إسلاميّة من يد الكفر، **ولا ينجو من الإثم إلا المُجَاهدون**.

١٣- إن الجِهَاد في زمان رسول الله ﷺ كانَ أنواعا، فقد كانت غزوة بدر مندوبة – مستحبة – وكانت غزوة الخندق وتبوك فرض عين عَلى كلّ مسلم، استنفر الأُمّة، وأما الخندق فلأن الكفّار غزوا أرض الإِسْلَام، وأما غزوة خيبر (٧هـ) فكانت فرض كفاية ولم يأذن رسول الله ﷺ بحضورها إلا لمن شهد الحديبية (٦هـ).

١٤- أما الجِهَاد في أيّام الصّحابة والتَّابعين فمعظم أحواله فرض كفاية، لأنه كان فتوحات جديدة.

١٥- أما الجِهَاد بالنّفس اليَوْم فكله فرض عين.

١٦- لم يعذر الله عَزَّ وَجَلَّ أحدا بترك الجِهَاد إلا المريض والأعرج والأعمى، والطفل الّذي لم يبلغ الحنث، والمرأة الّتي لا تعرف طريق الجِهَاد والهِجرَة، والطاعن السن وحتى المريض مرضا شديدا، والأعرج، والأعمى إذا استطاعوا أن يصلوا مُعَسْكَرَات التّدريب لينضموا للمُجَاهدين ويعلموهم القرآن ويحدثوهم ويشجعوهم فالأولى أن يأتوا كما فعل عبدالله بن أم مكتوم في أحد وفي القادسية.

وغير هَؤُلَاءِ ليس لهم عذر عند الله سواء كانَ موظفا أو صاحب صنعة أو من أرباب الأعمال أو تاجرا كبيرا، فهَؤُلَاءِ ليسوا معذورين بترك الجِهَاد بأنفسهم وأن يدفعوا أموالهم.

١٧- إن الجِهَاد عبادة جماعية، وكل جماعة لا بُدَّ لها من أمير، وطاعة الأمير في الجِهَاد من الضَّرورات، فلا بُدَّ من تعويد النّفس عَلى التزام طاعة الأمير: «عَلَيْكَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ»[١].

حكم الصادّين عن الجِهَاد:

إن الّذي يصد عن الجِهَاد كالذي يصد عن الصّيام، ومن نصح مسلما قادرا.

---

(١) أصله عند البخاري (٧٠٥٥، ٧١٩٩) ومسلم (١٧٠٩).

الأولى هجران الّذين يثبطون عن الجِهَاد وعدم الدخول معهم في نقاش يُؤَدِّي إلى جدل يقسي القلوب.

يقول شيخ الإِسْلَام ابن تَيمِيّة في مجموع الفتاوى (١٥- ٣١٣): [وجماع الهِجرَة هيَ هِجرَة السيئات وأهلها، وكذلك هجران الدعاة إلى البِدَع، وهجران الفساق، وهجران من يخالط هَؤُلَاءِ أو يعاونهم، **وكذلك من يترك الجِهَاد الّذي لا مصلحة لهم بدونه، فإنه يعاقب بهجرهم له لما لم يعاونهم عَلى البر والتقوى، فالزناة واللوطية ومن ترك الجِهَاد وأهل البِدَع وشربة الخمر فهَؤُلَاءِ كلهم، ومن خالطهم مضرة عَلى دين الإِسْلَام، وليس فيهم معاونة عَلى بر ولا تقوى فمن يهجرهم كانَ تاركا للمأمور فاعلا للمحظور**].

{ فانظر بمن قرن الإِمَام تارك الجِهَاد !! سبحان الله !! }

حكم التخوف من سؤال أجهزة الأمن إذا رجع المُجَاهد من الجِهَاد إلى مسقط رأسه:

إن هذا الأمر ليس عذرا أبدا لأنه ظن وشك، واليقين لا يزول بالشك، فالجِهَاد يقيني، والخوف من سؤال المخابرات شك، وكذلك لو تيقن أن المخابرات تسأله فهذا ليس عذرا يرفع به إثم القعود عن الجِهَاد، لأن العذر بالإكراه المعتبر في الشّريعة الّذي يسقط به إثم ترك الفرائض هو (الإكراه الملجئ الّذي به فوات النّفس أو العضو) أي الّذي فيه موت أو قطع عضو، وكذلك التخوف من أجهزة الأمن في البلدان الّتي يحمل جوازها – ولو تيقن أنه إذا رجع وأمسكت به قتلته أو قطعت عضوا من أعضائه – فهذا ليس عذرا مقبولا عند الله، لأنه في هذه الحالة يجب أن يترك بلده في أرض الجِهَاد:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [النساء].]أهـ.[1]

حكم الّذي به عاهة تمنعه عن القِتَال ولكن لا تمنعه من العمل في مجالات أُخرى:

---

(١) (الذخائر: ج١/ ١٩٤)

إن فرضية العين لا تسقط عن الأعرج ولا عن المريض غير مقعد، لأن بإمكانهم أن يعملوا في مجالات الصحة والتّعليم وهو ميدان واسع، والمُجَاهدون الآن حاجتهم إلى الدعاة أشد من حاجتهم إلى الطعام والسّلاح والدَّواء.

قَالَ ابن الهمام[1]: (وَأَمَّا الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى الْخُرُوجِ دُونَ الدَّفْعِ -القِتَال - يَنْبَغِي - يجب - أَنْ يَخْرُجَ لِتَكْثِيرِ السَّوَادِ، فَإِنَّ فِيهِ إرْهَابًا)، فإذا كانَ الخروج لتكثير العدد واجب، فكيف بالخروج لتعليم المُجَاهدين أحكام دينهم ؟ إن هذا أشد وجوبا وأعظم فرضية.] أهـ.[2]

(١) فتح القدير لابن الهمام: (٥/ ٤٤١)

(٢) الذخائر العظام: (ج- ١- ١٧٩/ ١٩٤).

إتحاف العِباد بفضائل الجِهاد

فضل الشَّهادة:

١ – رائحة دمه كالمسك: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ الله كَلْمًا – وَالله أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ الله – إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ»(١).

سبحان الله، لقد رأينا هذا من كثير الشّهداء، رائحة دمائهم كالمسك...

٢ – أحبّ القطرات إلى الله: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى الله مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ، قَطْرَةُ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ الله، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ فِي سَبِيلِ الله، وَأَمَّا الأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ الله، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ الله»(٢).

كلمة الجِهَاد إذا أطلقت كما يقول ابن رشد: (وكلمة الجِهَاد إذا أطلقت إنما تعني قتال الكفّار بالسيف حتَّى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون).

٣– الشّهيد يحب أن يرجع إلى الدُّنيا: عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ، لَهُ عِنْدَ الله خَيْرٌ، يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدَ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى»، وفي لفظ: «فيقتل عشرَ مراتٍ لما يرى منَ الكَرَامة»(٣).

٤ – حارثة في الفردوس الأعلى: عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ البَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ الله، أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ، قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٢٨٠٣) ومسلم (١٨٧٦) وأصحاب السنن.

(٢) رواه التِّرمِذِيّ (١٦٦٩) وحسنه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٢٨١٧، ٢٧٩٥) واللفظ له، ومسلم(١٨٧٧).

(٤) رواه البخاري (٢٨٠٩، ٣٩٨٢، ٦٥٥٠).

٥- أرواحهم في حواصل طيور خضر: عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ الله عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران] قَالَ: (أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً»، فَقَالَ: «هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟» قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا»[1].

قَالَ القاضي: فيه أن الأرواح باقية لا تفنى فينعم المحسن، ويعذب المسيء، وقد جاء به القرآن، والآثار، وهو مذهب أهل السّنّة، فأرواح الشّهداء في حواصل طيور خضر، وأما غيرهم فإنما يعرض مقعده بالغداة والعشي كما جاء في حديث ابن عمر، وكما قَالَ في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]

وقيل: بل المراد وجميع المُؤمِنِين الّذين يدخلون الجنّة الآن بدليل عموم الأحاديث، وقيل بل أرواح المُؤمِنِين عَلى أفنية قبورهم: وقيل إن المتنعم جزء من الجسد تبقى فيه الرّوح.

---

(١) رواه مسلم (١٨٨٧).

٦- خصال الشّهيد: عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ الْحَكَمُ: سِتَّ خِصَالٍ - أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى - قَالَ الْحَكَمُ: وَيُرَى - مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ - قَالَ الْحَكَمُ: يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ - وَيُوضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعَ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ»[1]

٧- شهداء أحد: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ، لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا فِي الْحَرْبِ؟ فَقَالَ اللهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠]»[2].

الشّهداء أحياء:

وقد رأينا بعض الآيات البينات تدل حسّا عَلى أن الشّهداء أحياء...

٨- الشّهداء عَلى بارق نهر: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ - نَهْرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ - فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»[3].

يعني تعرض أرزاقهم عَلى أرواحهم فيصل إليهم الرّوح والفرح كما تعرض النار عَلى آل فرعون غدوا وعشيا فيصل إليهم الوجع..

قَالَ القرطبي في الجامع: لعلّ هَؤُلَاءِ هم الشّهداء الّذين عليهم دين وكان معهم وفاء ولم يوفوه.

---

(١) رواه أحمد(١٧١٨٢، ١٧١٨٣) والتِّرمِذِيّ (١٦٦٣) وابن ماجه(٢٧٩٩) وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو داود (٢٥٢٠) وأحمد (٢٣٨٨) وحسن إسناده الألباني.

(٣) رواه أحمد (٢٣٩٠) وابن حبان (٤٦٥٨) والحاكم (٢٤٠٣) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

٩- الشَّهَادة خير من المدن والقرى: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «وَلَأَنْ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِ الله، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي أَهْلُ الْوَبَرِ وَالْمَدَرِ»(١).

١٠- الشّهيد لا يحس بالألم: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ»، وفي رواية صحيحة: «الشَّهِيدُ لَا يَجِدُ مَسَّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمُ الْقَرْصَةَ يُقْرَصُهَا»(٢).

١١- منازل الشُّهَدَاء: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أفضل الشّهداء الَّذِينَ إِنْ يُلْقَوْا فِي الصَّفِّ لَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْغُرَفِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ»(٣).

١٢- القتلى ثلاثة: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «الْقَتْلَى ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ الله حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ فَذَلِكَ الشَّهِيدُ الْمُمْتَحَنُ، فِي خَيْمَةِ الله، تَحْتَ عَرْشِهِ، وَلَا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إِلَّا بِفَضْلِ دَرَجَةِ النُّبُوَّةِ، وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ قَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ الله حَتَّى، إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَتِلْكَ مَصْمَصَةٌ مَحَتْ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ، إِنَّ السَّيْفَ مَحَّاءٌ لِلْخَطَايَا، وَأُدْخِلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ، فَإِنَّ لَهَا ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، وَبَعْضُهَا أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَرَجُلٌ مُنَافِقٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ الله، حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَذَلِكَ فِي النَّارِ، إِنَّ السَّيْفَ لَا يَمْحُو النِّفَاقَ»(٤)، فأين المُجَاهدون الّذين يريدون غسل ذنوبهم بالسّيوف؟

(١) رواه النّسائيّ (٣١٥٣) وأحمد (١٧٨٩٤) وحسنه الألباني، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٢) رواه الترمذي (١٦٦٨) والنسائي (٣١٦١) وابن ماجه (٢٨٠٢) وأحمد (٧٩٥٣) وقال الألباني: حسن صحيح.

(٣) رواه أحمد (٢٢٤٧٦) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه أحمد (١٧٦٥٧) وابن حبان (٤٦٦٣) والدارمي (٢٤٥٥) وصححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

١٣- أي القتل أفضل: عن رسول الله ﷺ أنه سُئِلَ: أَيُّ الْقَتْلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ أُهَرِيقَ دَمُهُ، وَعُقِرَ جَوَادُهُ»(١).

١٤- سيد الشّهداء: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ»(٢).

وهذا يدل عَلى منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر في الإِسْلَام.. وإنكار المُنكر والظُّلم في المجتمع واجب، ولو في وجه الحاكم المسلم إذا كانَ ظالماً أو فاسقًا، أما الحاكم الكافر فلا يجوز السكوت عليه بحال، ولا تجوز ولايته، والخروج عليه فرضٌ من قبلِ الأُمّة جميعًا.

١٥- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الشهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ»(٣).

١٦- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «ادْفِنُوا الْقَتْلَى فِي مَصَارِعِهِمْ»(٤)، قالها رسول الله ﷺ في شهداء أحد، قَالَ جابر: [بَيْنَمَا أَنَا فِي النَّظَّارِينَ إِذْ جَاءَتْ عَمَّتِي بِأَبِي، وَخَالِي عَادِلَتَهُمَا عَلَى نَاضِحِ (جمل)، فَدَخَلَتْ بِهِمَا الْمَدِينَةَ لِتَدْفِنَهُمَا فِي مَقَابِرِنَا، وجاء رَجُلٌ يُنَادِي: أَلَا «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا بِالْقَتْلَى، فَتَدْفِنُوهَا فِي مَصَارِعِهَا حَيْثُ قُتِلَتْ» فَرَجَعْنَا بِهِمَا فَدَفَنَّاهُمَا حَيْثُ قُتِلَا، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ إِذْ جَاءَنِي رَجُلٌ فَقَالَ: يَا جَابِرُ بْنَ عَبْدِ الله، وَالله لَقَدْ أَثَارَ أَبَاكَ عُمَّالُ مُعَاوِيَةَ، فَبَدَا (ظهر) فَخَرَجَ طَائِفَةٌ (جزء) مِنْهُ، فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي دَفَنْتُهُ، لَمْ يَتَغَيَّرْ إِلَّا مَا لَمْ يَدَعِ الْقَتْلُ - أَوِ الْقَتِيلُ - فَوَارَيْتُهُ](٥)، فصارت سنة الشّهداء أن يدفنوا في مصارعهم.

---

(١) جاء بهذا اللفظ في معجم ابن الأعرابي (١١٨٨) ورواه أبو داود (١٤٤٩) والنسائي (٢٥٢٦) وأحمد (١٥٤٠١) وغيرهم بلفظ «أي القتل أشرف»، وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤٨٨٤) وصححه الألباني في الصحيحة (٣٧٤).

(٣) رواه التِّرْمِذِيّ (١٦٤١) وأحمد (٢٧١٦٦) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه أبو داود (٣١٦٥) والترمذي (١٧١٧) والنسائي (٢٠٠٥) وصححه الألباني.

(٥) رواه أحمد (١٥٢٨١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

١٧- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «خَمْسٌ مَنْ قُبِضَ فِي شَيْءٍ مِنْهُنَّ فَهُوَ شَهِيدٌ: الْمَقْتُولُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ وَالْغَرِيقُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ، وَالْمَطْعُونُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ، وَالنُّفَسَاءُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ»[1].

١٨- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»[2]، ولكن الصِّدق في طلب الشَّهَادة هو إعداد العدة: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦]، أما أن تمر عشر سَنَوات عَلَى الجِهَاد في أفغانستان، والطريق آمنة، والحدود مفتوحة، ولا يصل بيشاور، فهذا نرجو الله أن يغفر له إن كانَ يظن أنه صادق في طلب الشَّهَادة، ألم تر إلى ذلك الأعرابي الّذي قَالَ لرسول الله ﷺ: **اتبعك عَلَى أن أضرب ها هنا – حلقه – فأدخل الجنّة فأصيب الأعرابي حَيْثُ أَشَارَ فقال** ﷺ: «صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ»[3].

١٩- وفي حديث أمّ حَرام بنت مِلحَان: «**فَخَرَجَتْ مَعَ زَوْجِهَا عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ غَازِيًا أَوَّلَ مَا رَكِبَ الْمُسْلِمُونَ الْبَحْرَ مَعَ مُعَاوِيَةَ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا مِنْ غَزْوِهِمْ قَافِلِينَ، فَنَزَلُوا الشَّأْمَ، فَقُرِّبَتْ إِلَيْهَا دَابَّةٌ لِتَرْكَبَهَا، فَصَرَعَتْهَا، فَمَاتَتْ**»[4]، وهذا يدل أيضا أن حكم الراجع من الغزو، حكم الذاهب إليه.

٢٠- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[5].

وهذا يسمى في الفقه: دفع الصّائل هو الّذي يسطو بالقوة عَلَى الأعراض والنفوس والأموال.

---

(١) رواه النسائي (٣١٦٣) وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (١٩٠٩).

(٣) رواه النسائي (١٩٥٣) وصححه الألباني.

(٤) رواه البخاري (٢٧٩٩) ومسلم (١٩١٢).

(٥) رواه أحمد (١٦٥٢) وصححه الأرنؤوط، وروى أبو داود نحوه (٤٧٧٢) وصحَّحه الألباني والأرنؤوط.

وقد اتفق الفقهاء الأربعة عَلى وجوب دفع الصّائل عَلى الأعراض، وأما الصّائل عَلى النّفس أو المال فيجب دفعه عند جمهور العُلَماء، مع الرَّأي الراجح في مذهبي مالك والشّافعي، ولو أدى إلى قتل الصّائل المسلم.

قَالَ الجصاص: (لا تعلم خلافا أن رجلا لو شهر سيفا عَلى رجل ليقتله بغير حق أن عَلى المُسلِمِين قتله).

وقال ابن تَيمِيّة: فالعدو الصّائل الّذي يفسد الدّين والدُّنيَا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه.

وكم كلف جهل هذا الحكم الشَّرعيّ المُسلِمِين من ضحايا، لأن المخبر كانَ يأخذ زوجته في منتصف الليل ولا يقتله خوفًا من سفك دم امرئ مسلم!!

٢١- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»[١].

ويفسر الحديث الّذي رواه مسلم[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «**فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ**» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «**قَاتِلْهُ**» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «**فَأَنْتَ شَهِيدٌ**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**».

تمني الشَّهَادة:

٢٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ الله، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ الله، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ**»[٣] وفي رواية[٤]: «**وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً فَيَتَّبِعُونِي، وَلَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَقْعُدُوا بَعْدِي**».

---

(١) رواه النسائي (٤٠٩٣، ٤٠٩٦) وقال الألباني: صحيح- صحيح الجامع الصغير (٦٤٤٧).

(٢) رواه مسلم (١٤٠).

(٣) رواه البخاري (٢٧٩٧)

(٤) وهذه رواية مسلم (١٨٧٦).

وروى الحاكم بسند صحيح[١] عن جابر: **كانَ النبيّ ﷺ إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابُ أُحُدٍ قال: «وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي غُودِرْتُ مَعَ أَصْحَابِي بِحِضْنِ الجَبَلِ».**

٢٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«غَزْوَةٌ فِي الْبَحْرِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرِ غَزَوَاتٍ فِي الْبَرِّ، وَمَنْ أَجَازَ الْبَحْرَ فَكَأَنَّمَا أَجَازَ الْأَوْدِيَةَ كُلَّهَا، وَالْمَائِدُ فِيهِ كَالْمُتَشَحِّطِ فِي دَمِهِ»**[٢].

٢٤- وعنه: **قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ»**[٣].

قَالَ القرطبي: (الدّين الّذي يحبس به صاحبه عن الجنّة - والله أعلم - هو الّذي قد ترك له وفاء ولم يوص به، أو قدر عَلى الأداء ولم يؤده أو أدانه - استدانه - في سرف أو في سفه ومات ولم يوفه وأما من أدان في حق واجب لفاقة أو عسر ومات ولم يترك وفاء فإن الله لا يحبسه عن الجنّة إن شاء الله).

والشّهِيد الّذي يحبس عن الجنّة تكون روحه عَلى نهر بباب الجنّة يسمى (بارقا) في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم بكرة وعشيا - والله أعلم - كما قَالَ القرطبي.

وهنا يرد سؤال: إذن أيها أولى للمدين، أينفر في سبيل الله أم يعمل حتَّى يسد الدّين ثمّ ينفر؟

وهنا يقول وبالله التوفيق: (إنه إذا وطئ شبر من أراضي المُسلِمِين أصبح الجِهَاد فرض عين، وهنا يخرج المدين دون إذن دائنه والولد دون إذن والده) وهذا محل اتفاق بين سلف الأُمّة وخلفها.

وينظر المدين: فإن لم يكن معه سداد (قضاء) دينه فإنه ينفر ولا ينتظر قضاء الدّين، وإن كانَ مع المدين وفاء دينه فإنه ينظر فإن كانَ يظن أن الدائن لو استوفى دينه فإنه يستعمل المال في الجِهَاد فالواجب أداء الدّين له - وفاؤه - لتحصيل المصلحتين: الوفاء والجِهَاد.

هكذا أفتى ابن تَيمِيّة في الفتاوى الكبرى (٤/ ١٨٣).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك بموضعين الأول (٢٤٠٧) باللفظ المذكور أعلاه وصححه ووافقه الذهبي على شرط مسلم، والثاني (٤٣١٨) بلفظ: «بِحِضْنِ الْجَبَلِ» يَقُولُ: «قُتِلْتُ مَعَهُمْ»، ورواه أحمد (١٥٠٢٥) بلفظ : «مَعَ أَصْحَابِ نُحْصِ الْجَبَلِ» يَعْنِي: سَفْحَ الْجَبَلِ. وحسنه الأرنؤوط.

(٢) رواه الحاكم (٢٦٣٤) وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي، وصححه الألباني (صحيح الجامع ٤١٥٤)

(٣) رواه مسلم (١٨٨٦).

وقال ابن تَيمِيّة: (يجب عَلى النِّسَاء الجِهَاد إن كانَ فيها فضل وكذلك في أموال الصغار إذا هجم العدوّ، فإن دفع ضررهم عن الدّين والنّفس والحرمة واجب إجماعا).

٢٥- شهيد لم يركع لله ركعة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنْ عَمْرَو بْنَ أُقَيْشٍ، كَانَ لَهُ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُسْلِمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمُ أُحُدٍ، فَقَالَ: أَيْنَ بَنُو عَمِّي؟ قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا بِأُحُدٍ، قَالَ: فَأَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ وَرَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ، قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو، قَالَ: إِنِّي قَدْ آمَنْتُ، فَقَاتَلَ حَتَّى جُرِحَ، فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ جَرِيحًا، فَجَاءَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ لِأُخْتِهِ: سَلِيهِ حَمِيَّةً لِقَوْمِكَ، أَوْ غَضَبًا لَهُمْ أَمْ غَضَبًا للهِ؟ فَقَالَ: بَلْ غَضَبًا للهِ وَلِرَسُولِهِ، فَمَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَا صَلَّى للهِ صَلَاةً»(١).

٢٦- شهيد قتل بسلاح نفسه: عن سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ قَاتَلَ أَخِي قِتَالًا شَدِيدًا، فَارْتَدَّ عَلَيْهِ سَيْفُهُ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ فِي ذَلِكَ: وَشَكُّوا فِيهِ رَجُلٌ مَاتَ بِسِلَاحِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَاتَ جَاهِدًا مُجَاهِدًا»، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: ثُمَّ سَأَلْتُ ابْنًا لِسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، فَحَدَّثَنِي عَنْ أَبِيهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَذَبُوا مَاتَ جَاهِدًا مُجَاهِدًا، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ»(٢).

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٣٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه أبو داود (٢٥٣٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

فضائل الهِجرَة:

١- استمرار الهِجرَة إلى يوم القيامة: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ الْهِجْرَةَ لَا تَنْقَطِعُ مَا دَامَ الْجِهَادُ»(١) وعن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا قُوتِلَ الْكُفَّارُ»(٢).

وهذا يدل عَلَى أن الهِجرَة مرتبطة بالجِهَاد، والحق أن الجِهَاد لا ينفصم عن الهِجرَة، والهِجرَة ماضية إلى يوم القيامة بسبب استمرار الجِهَاد إلى يوم القيامة.

٢- الأمر بالهِجرَة: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ: وأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ»(٣).

قَالَ العيني: (الهِجرَة في الشَّرع مفارقة دار الكفّار إلى دار الإِسْلَام خوف الفتنة وطلب إقامة الدّين).

وقال ابن حجر: وقد وقعت في الإِسْلَام عَلَى وجهين:

- الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هِجرَة الحبشة.
- الانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان وذلك بعد أن استقر النبيّ ﷺ في المدينة.

والرَّسُول ﷺ رتب الأمور الضَّرورية الّتي لا بُدَّ منها للوصول إلى الجِهَاد، فهي درجات تبتدئ بالجماعة، لأن الجِهَاد عبادة جماعية، فلا بُدَّ من جماعة، ولا جماعة بلا أمير، ولا إمارة بلا سمع وطاعة، ثمّ الهِجرَة وهي الخطوة الأساسيّة للجِهَاد، لأنها عنوان الصِّدق في الخلاص من عوائق الأرض، وتحطيم القيود، وأما الجِهَاد فهو ذروة سنام الإِسْلَام.

٣- الشّيطان يحارب الهِجرَة لأنها طريق الجنّة: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقْسَمُ الْمَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

---

(١) رواه أحمد: (١٦٥٩٧، ٢٣١٨٦) والطبراني في الكبير (٢٥١٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه النسائي (٤١٧٣) وابن حبان (٤٨٦٦) وأحمد (١٦٧١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه الترمذي (٢٨٦٣) وأحمد (١٧١٧٠) وصححه الألباني والأرنؤوط.

أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ»(١).

٤- تزداد حصته في الجنّة بقدر بعده عن مولده: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ بِغَيْرِ مَوْلِدِهِ قِيسَ لَهُ مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَى مُنْقَطَعِ أَثَرِهِ فِي الْجَنَّةِ»(٢).

٥- الرَّسُول ﷺ يكفل للمهاجر ببيوت في الجنّة: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَهَاجَرَ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى غُرَفِ الْجَنَّةِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلَمْ يَدَعْ لِلْخَيْرِ مَطْلَبًا، وَلَا مِنَ الشَّرِّ مَهْرَبًا، يَمُوتُ حَيْثُ يَشَاءُ أَنْ يَمُوتَ»(٣).

٦- براءة الرَّسُول ﷺ ممن يسكن مع المشركين: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «بَرِئَتِ الذِّمَّةُ مِمَّنْ أَقَامَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي دِيَارِهِمْ»(٤).

لا يجوز السكن في أرض لا يستطيع المسلم أن يظهر فيها شعائر دينه كالصّلاة والصّوم والزّكاة، وتجب الهِجرَة من كلّ أرض تجري فيها أحكام الكفر إلى بلد فيها أحكام الإِسْلَام ويختار في آخر الزّمان أقلها إثما وأحوطها لسلامة العرض والدّين والمال، ولا يجوز السكن تحت حكم عدوّ الدّين بحيث يخاف المسلم عَلى دينه وأهله وماله.

٧- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ»(٥)

قَالَ ابن تَيمِيّة: (المشابهة والمشاكلة في الأمور الظَّاهِرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة، والمشاركة في الأمر الظَّاهِر توجب مناسبة وائتلافا، وإن بعد المكان والزّمان، وهذا أمر محسوس فمرافقتهم ومساكنتهم ولو قليلا سبب لاكتساب أخلاقهم، ولما كانَ مظنة الفساد خفي غير منضبط

---

(١) رواه النسائي (٣١٣٤) وابن حبان (٤٥٩٣) وأحمد (١٥٩٥٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه ابن ماجه (١٦١٤) والنسائي (١٨٣٢) وأحمد (٦٦٥٦) وحسنه الألباني وضعفه الأرنؤوط.

(٣) رواه النسائي (٣١٣٣) وابن حبان (٤٦١٩) والحاكم (٢٣٩١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٢٢٦٢) وروى نحوه البيهقي في الكبرى (١٧٧٥٠) وحسنه الألباني : صحيح الجامع (٢٨١٨).

(٥) رواه أبو داود (٢٧٨٧) وضعف إسناده الأرنؤوط، وصحح الحديثَ الألباني.

علق الحكم به (المساكنة) وأدير التحريم عليه، فمساكنتهم في الظَّاهِر سبب ومظنة لمشابهتهم في الأخلاق والأفعال المذمومة، بل في نفس الاعتقادات، فيصر المساكن للكافر مثله، وأيضا المشاركة في الظَّاهِر تورث نوع محبة ومودة وموالاة في الباطن).

٨- المهاجر له الجنّة مهما كانت ميتته: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ فَصَلَ فِي سَبِيلِ الله فَمَاتَ أَوْ قُتِلَ أَوْ وَقَصَهُ فَرَسُهُ أَوْ بَعِيرُهُ أَوْ لَدَغَتْهُ هَامَّةٌ أَو مَاتَ فِي فِرَاشِهِ بِأَيِّ حَتْفٍ شَاءَ الله فَإِنَّهُ شَهِيدٌ وَإِن لَهُ الْجَنَّة»[١].

فضل الإعداد والرمي:

١- عن عُقبة بن عَامِر يقولُ: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقول: «سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ، وَيَكْفِيكُمُ الله، فَلَا يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ»[٢].

٢- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ، أَنَّ فُقَيْمًا اللَّخْمِيَّ، قَالَ لِعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: تَخْتَلِفُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْغَرَضَيْنِ وَأَنْتَ كَبِيرٌ يَشُقُّ عَلَيْكَ، قَالَ عُقْبَةُ: لَوْلَا كَلَامٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ لَمْ أُعَانِيهِ، قَالَ الْحَارِثُ: فَقُلْتُ لِابْنِ شَمَاسَةَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّهُ قَالَ: «مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا» أَوْ «قَدْ عَصَى»[٣].

٣- عن رسولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ الله فَبَلَغَ مُخْطِئاً أَوْ مُصِيباً فَلَهُ مِنَ الأَجْرِ كَرَقَبَةٍ أعْتَقَهَا مِنَ وَلَدِ اسْمَاعِيلَ وأَيُّمَا رَجُل شاب فِي سَبِيلِ الله فهوَ لَهُ نُورٌ»[٤].

---

(١) رواه أبو داود (٢٤٩٩) والحاكم (٢٤١٦) وصححه، ولم يوافقه الذهبي، وضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه مسلم (١٩١٨).

(٣) رواه مسلم (١٩١٩).

(٤) رواه أحمد (١٩٤٣٩)، والطبراني في الأوسط عن عمرو بن عبسة (٣١٦٥)، وصححه الألباني: (صحيح الجامع٢٧٣٩)، وصححه الأرنؤوط دون لفظ: «مِنَ وَلَدِ اسْمَاعِيلَ».

٤- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «كلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ الله لَهْوٌ وَلَعِبٌ إلا أَنْ يَكُونَ أَرْبَعَةً: مُلاَعَبَةُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَتَأْدِيبُ الرَّجُلِ فَرَسَهُ، وَمَشْيُ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ، وَتَعْلِيمُ الرَّجُلِ السِّبَاحَة»[١]، أي هذه الأربعة من اللهو المشروع.

٥- مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا»[٢].

٦- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «اللَّهْوُ فِي ثَلاَثٍ: تَأْدِيبِ فَرَسِكَ، وَرَمْيِكَ بِقَوْسِكَ، وَمُلاَعَبَتِكَ أَهْلَكَ»[٣].

٧- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ أَحْسَنَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ فَقَدْ تَرَكَ نِعْمَةً مِنَ النِّعَمِ»[٤].

٨- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالرَّمْيِ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَعِبِكُمْ»[٥].

٩- عن عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو عَلى المنبر يقول: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»[٦]، وهذا الحديث من دلائل النبوة، لأن الرمي بالسهم في عهد رسول الله ﷺ لم يكن الوسيلة الغالبة في المعارك، إذ أن معظم أدوات المعارك المستعملة كانت السّيف والرّمح، أما اليَوْم فالرّمي هو الوسيلة الغالبة

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (٨٨٩٠، ٨٨٩١) والطبراني في الكبير (١٧٨٥) والبيهقي في الكبرى (١٩٧٤١) وصححه الألباني (صحيح الجامع ٤٥٣٤).

(٢) رواه البُخَارِيّ (٣٥٠٧، ٣٣٧٣، ٢٨٩٩).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٥٣٠٩) والحاكم (٢٤٦٨) وصححه ووافقه الذهبي، ورواه إسحاق القراب في فضائل الرمي (١٣) واللفظ عنده، وصححه الألباني (صحيح الجامع٥٤٩٨).

(٤) رواه إسحاق القراب في فضائل الرّمي (٢٩)، عن يحيى بن سعيد مرسلًا، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٧٢).

(٥) رواه الطبراني في الأوسط (٢٠٤٩) وصححه الألباني (الصحيحة ٦٢٨).

(٦) رواه مسلم (١٩١٧).

في الحُرُوب الحديثة ابتداء من طلقة المسدس والبندقيّة ومرورًا بالمدفعيّة والهاون وانتهاء بالصّواريخ.

فضل الرِّبَاط:

١ – عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «**أَرْبَعَةٌ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ: مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ عَلِمَ عِلْمًا أُجْرِيَ لَهُ أَجْرُهُ مَا عَمِلَ بِهِ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَجْرُهَا يَجْرِي لَهُ مَا جرت، وَرَجُلٌ تَرَكَ وَلَدًا صَالِحًا، فَهُوَ يَدْعُو لَهُ**»(١).

وهذا أجر عظيم ومنزلة رفيعة، أن يموت المرء وتبقى أعماله جارية عليه إلى يوم القيامة، فنرجوا الله سبحانه ألّا يحرمنا من الشَّهَادة في سبيله، وأن تكون الخاتمة في أرض الرِّبَاط إنّه سميع قريب مجيب.

وسمي الرِّبَاط رباطًا لأنّهم كانوا يربطون خيولهم بجانبهم انتظارًا لمعركة يكرون أو يدفعون بها عَلى الثُّغُور، فسمّي المقام بالثّغر رباطًا وإن لم يكن فيه خيل.

٢ – عن رَسُولِ الله ﷺ أنّه قَالَ: «**رِبَاطُ شَهْرٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ دَهْرٍ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ الله أَمِنَ مِنَ الفَزَعِ الأكبرِ، وَغُدِيَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ وَرِيحَ مِنْ الْجَنَّةِ، وَيَجْرِي عَلَيْهِ أَجْرُ الْمرابِطِ، حتّى يَبعثَهُ الله عَزّ وجَلّ**»(٢).

قَالَ ابن العربيّ: (والأمن من فتنة القبر فضيلة عظيمة لم تعط إلا للشّهيد والمرابط).

٣– «**رِباطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِنْ صِيامِ شَهْرٍ وَقِيامِهِ، وَمَنْ مات فِيهِ وَقِي فَتْنَةَ القَبْرِ وَنَما لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ**»(٣).

قَالَ أحمد: (ليس يعدل الجِهَاد عندي والرِّبَاط شيء دفع عن المُسلِمِين وعن حريمهم، وقوة لأهل الثغر ولأهل الغزو، فالرِّبَاط أصل الجِهَاد وفرعه، والجِهَاد أفضل منه للعناء والتعب والمشقة).

---

(١) رواه أحمد (٢٢٢٤٧) والطبراني في الكبير (٧٨٣١) وصححه الألباني والأرنؤوط .

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٥٠٤) وذَكَرَ أنّه من رواية الطبراني ورجاله ثقات ، وصححه الألباني (صحيح الجامع -٣٤٧٩)

(٣) رواه الترمذي (١٦٦٥) وصححه الألباني.

قَالَ القرطبي في الجامع: (وأما سكان الثُّغُور دائما بأهليهم الّذين يعمرون ويكتسبون هناك فهم وإن كانوا حماة فليسوا مرابطين).

قَالَ ابن عطية، وقال ابن خويز منداد: (وللرباط حالتان: حالة يكون فيها الثغرة مأمونا منيعا يجوز سكناه بالأهل والولد، وإن كانَ غير مأمون جاز أن يرابط فيه إذا كانَ من أهل القِتَال ولا ينقل إليه والولد).

٤- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «كُلُّ عَمَلٍ مُنْقَطِعٌ عَنْ صَاحِبِهِ إِذَا مَاتَ، إِلَّا الْمُرَابِطُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ، وَيُجْرَى عَلَيْهِ رِزْقُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[(١)].

قَالَ المناوي: (والرِّبَاط وأجره فيمن ذهب للثغر لحراسة الْمُسلِمِين فيه مدّة لا في سكانه أبدا وهم وإن كانوا حماة مرابطين).

قَالَ ابن حجر: (وفيه نظر، لأن ذلك المكان قد يكون وطنه وينوي الإقامة فيه لدفع العدوّ).. وكلام ابن حجر: فيمن كانَ مستعدا لدفع العدوّ بأن كانَ مدربا مستعدا وعنده السّلاح الّذي يدفع به لا من يعيش من أجل راتبه أو وظيفته أو تجارته أو زراعته.

٥- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَا رُزِقَ عَبْدٌ خَيْرًا لَهُ وَلَا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[(٢)].

وقد أوردت حديث الصّبر في الرِّبَاط لأن الرِّبَاط قائم عَلى قاعدة كبير وهي الصّبر.

والرِّبَاط: هو حبس النّفس في الثُّغُور حيث تخيف العدوّ ويخيفك انتظارا لمعركة والجِهَاد – القِتَال – عموده الرِّبَاط، وأن المعارك قليلة والرِّبَاط ممتد وطويلة، والنّفس مع طول الانتظار تمل وتسأم، خاصّة حيث تقل الحركة ويقسو الجو ويخشن العيش، وقد وجدنا أن أعظم مشكلة تواجهنا في الجِهَاد هيَ أن الإخوة لا يصبرون عَلى طول الرِّبَاط، فكان الإخوة المرابطون عَلى الحدود لا يستمرون طويلا ولا يطيقون الصّبر عَلى الرِّبَاط فينزلون من الثُّغُور إلى مدينة بيشاور، وبقاء الْمُجَاهد في المدينة يفسد نفسيته،

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٦٤١) وصححه الألباني (صحيح الجامع ٤٥٣٩).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣٥٥٢) وصححه وافقه الذهبي، وصححه الألباني (صحيح الجامع ٥٦٢٦).

ويقلل أجره، وقد يطلق للسانه العنان فيحبط أجره وقد يرجع مأزورا غير مأجور، كما جاء في الحديث الصَّحِيح[١]: «لم يرجع بالكفاف».

٦- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ الله أَجْرَى عَلَيْهِ أَجْرَ عَمَلِهِ الصَّالِحِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ رِزْقَهُ، وَأَمِنَ مِنَ الْفَتَّانِ، وَبَعَثَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمِنًا مِنَ الْفَزَعِ»[٢].

قَالَ بن حبيب: (الرِّبَاط شعبة من الجِهَاد وبقدر خوف ذلك الثغر يكون كثرة الأجر).

وقال أبو عمرو: (شرع الجِهَاد لسفك دماء المشركين، وشرع الرِّبَاط لصون دماء المُسلِمِين وصون دماء المُسلِمِين أحب إلي) وهذا يدل عَلى أنه مفضل عَلى الجِهَاد.

٧- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «الْإِيمَانُ: الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ»[٣].

فالصّبر: حبس النّفس عن شهواتها، وإلجامها عن نزوتها، والكرم، تطهير النّفس من أدران شحها.

٨- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ الْمَعُونَةَ تَأْتِي مِنَ اللهَّ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْنَةِ، وَإِنَّ الصَّبْرَ يَأْتِي مِنَ الله عَلَى قَدْرِ الْبَلاءِ»[٤].

وهذا الحديث هو الّذي فسر لي صبر المُجَاهدين الأفغان هذه السنين العشر، والبلايا تطحن أعِصَابهم وتسحق عظامهم، ورحى الحَرب دائرة لا تذر شيئا أتت عليه إلا جعلته كالرميم تحول كلّ بيت إلى مأتم وميتم، ومع ذلك فلم تلن لهم قناة ولم تهن لهم عزيمة، إنه إلقاء الصّبر عَلى القلوب المبتلاة.

---

(١) رواه أبو داود (٢٥١٥) والنسائي (٣١٨٨) وأحمد (٢٢٠٤٢)، حسنه الألباني وضعفه الأرنؤوط، وتمام الحديث: «الْغَزْوُ غَزْوَانِ: فَأَمَّا مَنْ ابْتَغَى وَجْهَ الله وَأَطَاعَ الْإِمَامَ وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ، وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ، وَاجْتَنَبَ الْفَسَادَ، فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ، وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً، وَعَصَى الْإِمَامَ، وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ».

(٢) رواه ابن ماجة (٢٧٦٧) وأحمد (٩٢٤٤) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه الطبراني في مكارم الأخلاق (٣١) وأحمد (١٩٤٣٥) وصححه الألباني (صحيح الجامع ٢٧٩٥).

(٤) رواه البزار (٨٨٧٨) وقال: لا نَعْلَمُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلا بِهَذَا الإِسْنَادِ. وقال الألباني: حسن لغيره، ورواته محتج بهم في (الصحيح)؛ إلا طارق بن عمار، ففيه كلام قريب، ولم يترك، والحديث غريب .(الصحيحة ١٦٦٤)

٩- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «رباط ليلة في سبيل الله خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ»[(١)].

وأما الراوية الأخرى: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ رَابَطَ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ الله تعالى كانت كَأَلْفِ لَيْلَةٍ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»[(٢)].

قَالَ ابن العربيّ: وخرج التِّرْمِذِيّ[(١)] عن عثمان صحيحًا: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ الله خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ» فجعل حسنة الجِهَاد بألف.

(نصوص في) الجِهَاد والقتال والإعداد:

١- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله»[(٣)].

٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلاَ وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ»[(٤)].

وهذا يعني أن النِّيَّة الصادقة مع العذر المقبول عند الله فيها أجر عظيم، والنِّيَّة الصادقة تعني أنه لولا العذر لنفذ العمل المطلوب، ولذ ففي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا»[(٥)].

٣- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «انْتَدَبَ الله لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ الله ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»[(٦)]

---

(١) لم أقف عليه بلفظ «رباط ليلة» وإنما هو بلفظ «رباط يوم»، رواه أحمد (٤٧٠، ٤٤٢، ٤٧٧) والترمذي (١٦٦٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه ابن ماجة (٢٧٦٦) وضعفه الأرنؤوط والألباني.

(٣) رواه أبو داوود: (٢٤٨٦) وحسنه الألباني.

(٤) رواه البُخَارِيّ (٢٨٣٩).

(٥) رواه البخاري (٢٩٩٦).

(٦) متفق عليه، رواه البخاري (٢٧٩٧، ٢٩٧٥، ٣٦) ومسلم (١٨٧٦).

٤- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «اطْلُبُوا اسْتِجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْتِقَاءِ الْجُيُوشِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَنُزُولِ الْغَيْثِ»(١).

٥- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَتَبَايَعُوا بِالْعِينَةِ، وَاتَّبَعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ ذُلًّا، ثُمَّ لَا يَنْزِعُهُ عَنْهُمْ حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ»(٢).

٦- «خَيْرُ النَّاسِ فِي الْفِتَنِ رَجُلٌ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ - أَوْ قَالَ: بِرَسَنِ فَرَسِهِ - خَلْفَ أَعْدَاءِ اللهِ يُخِيفُهُمْ وَيُخِيفُونَهُ، أَوْ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي بَادِيَتِهِ يُؤَدِّي حَقَّ اللهِ الَّذِي عَلَيْهِ»(٣) .

قَالَ النووي: مذهب الشّافعي وأكثر العُلَماء: أن الاختلاط أفضل (٣/ ٤٠٤٢) بشرط السَّلامة، وقال النووي أيضا: فيه فضل العزلة في أيّام الفتن إلا أن يكون له قوة عَلى إزالة الفتن فيلزمه السعي في إزالها عينا وكفاية.

وفي الحديث: «الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»(٤).

والمُجَاهد: يحقق الجهتين، يحقق العزلة ويحقق عبادة الجِهَاد الّتي هيَ ذروة سنام الإِسْلَام.

٧- «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ

---

(١) رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار (٧٢٣٦) بسنده عن الشّافعي عن مكحول مرسلا، وصححه الألباني (صحيح الجامع ١٠٢٦).

(٢) رواه أحمد (٢٨٢٥، ٥٠٠٧) وأبو داود (٣٤٦٢) وهو باللفظ الوارد عند أبي نعيم في الحلية (٣/ ٣١٨) وصححه الألباني (الصحيحة ١١) .

(٣) رواه الحاكم (٨٤٣٣، ٨٣٨٠) وصححه ووافقه الذهبي على شرطهما، وصححه الألباني (الصحيحة ٦٩٨).

(٤) رواه الترمذي (٢٥٠٧) وأحمد (٥٠٢٢) وصححه الألباني والأرنؤوط.

قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»(١).

قَالَ ابن الحجر في الفتح (٦/ ٨٣): (إن كانَ في الحراسة كانَ في الحراسة، أي: إن كانَ في الحراسة كانَ فيها أو: فهو في ثواب الحراسة، وقيل: هو للتعظيم أي كانَ في الحراسة فهو في أمر عظيم، والمراد منه لازمة أي فعليه أن يأتي بلوازمه، ويكون مشتغلا بخويصة عمله).

وقال ابن الجوزي: أي أنه خامل الذكر لا يقصد السمو، فكأنه قَالَ: إن كانَ في الحراسة استمر فيها، قوله: إن استأذن لم يؤذن له فيه ترك حب الرياسة والشهرة، وفضل الخمول والتواضع، والساقة، مؤخرة الجيش.

٨- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ الله فَانْهَزَمَ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ، فَرَجَعَ حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ، فَيَقُولُ الله تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ»(٢).

وهذا دليل أنه يستحب للمسلم أن يجاهد ولو وحده، ولو تيقن من القتل إن كانَ في ذلك مصلحة للمسلمين ورفع لمعنوياتهم أو نكاية بأعدائهم، وهذا دليل كذلك أنه يستحب للمسلمين أن يقوم بعمليَّات انتحارية { استشهادية } يتيقن من الموت فيها إن كانَ في ذلك مصلحة للإسلام، وقد ثبت أن بعض الصّحابة انغمسوا في صفوف الكفّار وكانوا وحدهم.

٩- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لاَ يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا؟ وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلاَ أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلاَ أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلاَدَهَا، فَغَزَا فَدَنَا مِنَ القَرْيَةِ صَلاَةَ العَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللهمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ الله عَلَيْهِ»(٣).

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٢٨٨٧).

(٢) رواه أبو داوود (٢٥٣٦) وأحمد (٣٩٤٩) وحسنه الألباني، وصححه الأرنؤوط.

(٣) متفق عليه، رواه البخاري (٣١٢٤) ومسلم (١٧٤٧).

وهذا دليل عَلى أنه يجب التفرغ للجِهَاد، لأن النّفس المرتبطة بالدنيا لا تبذل كلّ طاقتها ولا تعطي كلّ إنتاجها، وأما النبيّ فهو (يوشع بن نون) وأما القرية فهي بيت المَقْدِس.

١٠- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «غَزْوَةٌ فِي الْبَحْرِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرِ غَزَوَاتٍ فِي الْبَرِّ، وَمَنْ أَجَازَ الْبَحْرَ، فَكَأَنَّمَا أَجَازَ الْأَوْدِيَةَ كُلَّهَا، وَالْمَائِدُ فِيهَا كَالْمُتَشَحِّطِ فِي دَمِهِ»(١).

١١- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ الله أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» **وفي رواية** : «خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ» وآخر الحديث في البُخَارِيّ: «وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(٢).

وقال ابن المهلب: خير من الدُّنيَا أي ثواب هذا الزَّمن القليل في الجنّة من زمن الدُّنيَا كلها.

وكذا ورد في البُخَارِيّ(٣): عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَقَابُ قَوْسٍ فِي الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَتَغْرُبُ».

قاب القوس: طول القوس وهو ذراع (٤٦ سم): أي موضع سوط أحدكم في الجنّة، فأخبر أن قصير الزّمان وصغير المكان في الآخرة خير من طويل الزّمان وكبير المكان في الدُّنيَا، تصغيرا لها وتزهيدا بها وترغيبا في الجِهَاد.

قَالَ القرطبي: أي الثواب الحاصل عَلى مشية واحد في الجِهَاد، خير لصاحبه من الدُّنيَا وما فيها لو جمعت له بحذافيرها.

١٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «الْغَازِي فِي سَبِيلِ الله، وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ، وَفْدُ الله، دَعَاهُمْ، فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ»(٤).

---

(١) رواه الحاكم (٢٦٣٤) وصححه ووافقه الذهبي على شرط البخاري، وصححه الألباني (صحيح الألباني ٤١٥٤).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٢٧٩٢، ٦٤١٥، ٦٥٦٨) ومسلم (١٨٨٠، ١٨٨٣).

(٣) رواه البخاري (٢٧٩٣).

(٤) رواه ابن ماجة (٢٨٩٣) وحسنه الألباني.

١٣- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «الْغَزْوُ غَزْوَانِ، فَأَمَّا مَنْ غَزَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله [تعالى] وَأَطَاعَ الْإِمَامَ وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ، وَاجْتَنَبَ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ، وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً، وَعَصَى الْإِمَامَ، وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ»(١).

١٤- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «قِيَامُ سَاعَةٍ فِي الصَّفِّ لِلْقِتَالِ فِي سَبِيلِ الله خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ سِتِّينَ سَنَةً»(٢).

١٥- عن راشد بن سعد ﷺ، عن رجل من الصّحابة، أن رجلا قَالَ: **يَا رَسُولَ الله، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ:** «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»(٣).

١٦- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَوْقِفُ سَاعَةٍ فِي سَبِيلِ الله، خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ»(٤).

١٧- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «اطْلُبُوا إِجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ الْتِقَاءِ الْجُيُوشِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَنُزُولِ الْغَيْثِ»(٥).

١٨- عن أنس أن رسول الله ﷺ **كانَ إذا غزا قَالَ:** «اللهمَّ أَنْتَ عَضُدِي، وَأَنْتَ نَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ»(٦).

١٩- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «كانَ يُعجبهُ أَن يَلقَى العَدُوَّ عنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ»(٧).

---

(١) رواه أبو داود (٢٥١٥)، والنسائي (٣١٨٨، ٤١٩٥) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه ابن عدي وابن عساكر (٢٧٢٣) وصححه الألباني (صحيح الجامع ٤٤٢٩).

(٣) رواه النسائي (٢٠٥٣) وصححه الألباني.

(٤) رواه ابن حبان (٤٦٠٣) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٥) الأم للشافعي (ج١ص٢٨٩) وصححه الألباني (الصَّحِيحَة: ١٤٦٩)

(٦) رواه أبو داود (٢٦٣٢) واللفظ له، والترمذي (٣٥٨٤) وغيرهما وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٧) رواه الطبراني عن عبدالله بن أبي أوفى في المسند (٢٢) وأحمد (١٩١٤١) وصححه الأرنؤوط والألباني (الصحيحة ٢١٢٦).

٢٠- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ الله أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمِهِ مِنَ الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الأَرْضِ، لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[١] .

٢١- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَقَيْدُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»[٢].

٢٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لِلْمَائِدِ أَجْرُ شَهِيدٍ، وَلِلْغَرِيقِ أَجْرُ شَهِيدَيْنَ»[٣].

٢٣- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[٤].

٢٤- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ الله فَتَمَسَّهُ النَّارُ»[٥].

٢٥- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله، وَالله أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ، وَتَوَكَّلَ الله لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ، بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»[٦].

والله أعلم بمن يجاهد في سبيله: تنبيه عَلَى أهمية الإخلاص والصدق (٨١٥٦/ ٥).

قَالَ ابن العربيّ: (والمعنى فيه أنه بما يدخل عَلَى قلب العدوّ من الهم الدائم والغيظ اللازم يكون عمله دائما وسائر الأعمال تدركها الفترات (الضّعف والإنقطاع).

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٢٧٩٦، ٦٥٦٨) ومسلم (١٨٨٠).

(٢) رواه أحمد (٨١٦٧) وابن حبان (٦١٥٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٣٢٤) وابن أبي عاصم في الجهاد (٢٨٦، ٢٨٥) وأبو داود بنحوه (٢٤٩٣) وصححه الألباني (صحيح الجامع ٥١٨٧).

(٤) رواه مسلم (١٩٢٢).

(٥) رواه البخاري (٢٨١١).

(٦) متفق عليه، رواه البخاري (٢٧٨٧) ومسلم (١٨٧٨).

٢٦- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْخَاشِعِ الرَّاكِعِ السَّاجِدِ»(١).

٢٧- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً، أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ»(٢).

٢٨- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمَا الله مِنَ النَّارِ: عِصَابَةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ، وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام»(٣).

٢٩- عَنْ سَلَمَةَ بْنِ نُفَيْلٍ الْكِنْدِيِّ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله أَذَالَ النَّاسُ الْخَيْلَ وَوَضَعُوا السِّلَاحَ وَقَالُوا: لَا جِهَادَ قَدْ وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا فَأَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «كَذَبُوا الْآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، وَلَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، وَيُزِيغُ اللهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ، وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ الله، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٤).

٣٠- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، وَقَرَأَ: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾[آل عمران](٥).

---

(١) رواه النسائي (٣١٢٧) وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (١٨٨٩).

(٣) رواه النسائي (٣١٧٥) وأحمد (٢٢٣٩٦)، وصححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

(٤) رواه النسائي في سننه (٣٥٦١) وصححه الألباني (الصحيحة -١٩٣٥)، وروى نحوه أحمد (١٦٩٦٥) وحسنه الأرنؤوط.

(٥) رواه أحمد (٩٦٥١) والدارمي (٢٨٦٢) والترمذي (٣٠١٧ و ٣٢٨٨) وصححه الألباني والأرنؤوط.

٣١- «مَنْ رَاحَ رَوْحَةً فِي سَبِيلِ الله، كَانَ لَهُ بِمِثْلِ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْغُبَارِ مِسْكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

٣٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «من قاتلَ في سبيلِ الله فُواقَ ناقةٍ فقد وجَبَتْ له الجنةُ، ومن سألَ اللهَ القتلَ من نفسِه صادقاً ثم ماتَ أو قُتِلَ فإن له أَجرَ شهيدٍ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ الله أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ، لونُها لونُ الزعفرانِ، وريحُها ريحُ المِسك، ومن خَرج به خُرَاج في سبيل الله فإن عليه طابَعَ الشهداءِ»(٢).

٣٣- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أفضل الجِهَاد مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ وَأُهْرِيقَ دَمُهُ»(٣).

٣٤- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ الله وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ، وَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ»(٤).

٣٥- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْخُذُ الْوَبَرَةَ مِنْ جَنْبِ الْبَعِيرِ مِنَ الْمَغْنَمِ ثُمَّ يَقُولُ: «مَا لِي فِيهِ إِلا مِثْلُ مَا لأَحَدِكُمْ مِنْهُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُولَ فَإِنَّ الْغُلُولَ خِزْيٌ عَلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمَخِيطَ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ الله تَعَالَى الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِنَّهُ لَيُنَجِّي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَأَقِيمُوا حُدُودَ الله فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَلا تَأْخُذُكُمْ فِي الله لومة لائم»(٥).

٣٦- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أَتَعْلَمُ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي؟» قَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَقَالَ: «الْمُهَاجِرُونَ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَيَسْتَفْتِحُونَ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْخَزَنَةُ، أَوَ قَدْ

---

(١) رواه ابن ماجة (٢٧٧٥) ضعفه الأرنؤوط وحسنه الألباني.

(٢) رواه أبو داود (٢٥٤١) والترمذي (١٦٥٧) والنسائي (٣١٤١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه أحمد (١٧٠٢٧، ١٩٤٣٥) وقال الأرنؤوط: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه فمن رجال مسلم.

(٤) أخرجه أحمد (١١٧٧٤) ضعفه الأرنؤوط وصححه الألباني (الصحيحة ٥٥٥).

(٥) أخرجه عبدالله بن أحمد (٢٢٧٩٥) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني (الصحيحة ٦٧٠).

حُوسِبْتُمْ، فَيَقُولُونَ بِأَيِّ شَيْءٍ نُحَاسَبُ، وَإِنَّمَا كَانَتْ أَسْيَافُنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا فِي سَبِيلِ الله، حَتَّى مِتْنَا عَلَى ذَلِكَ، -قَالَ-: فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيَقِيلُونَ فِيهِ أَرْبَعِينَ عَامًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا النَّاسُ»(١).

٣٧- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ الله مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ الله فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(٢).

٣٨- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «مَنْ آمَنَ بِالله وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ الله أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ.فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنّة وأعلى الجنّة – أراه – فوق عرش الرَّحمٰن ومنه تفجر أنهار الجنّة»(٣).

٣٩- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ الله، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»(٤).

٤٠- مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ بِشِعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَةٌ فَأَعْجَبَتْهُ لِطِيبِهَا، فَقَالَ: لَوِ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ، فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشِّعْبِ، وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ الله ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ

(١) أخرجه الحاكم (٢٣٨٩) وصححه ووافقه الذهبي على شرط الشيخين، وصححه الألباني على شرط مسلم فقط (الصحيحة ٨٥٣).

(٢) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني – السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

(٣) صحيح البخاري (٢٧٩٠).

(٤) رواه مسلم (١٩٢٤).

سَبْعِينَ عَامًا، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ، اغْزُو فِي سَبِيلِ الله، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ الله فَوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ»(١).

٤١- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ الله هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»(٢).

٤٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ مُسْلِمٌ قَتَلَ كَافِرًا ثُمَّ سَدَّدَ وَقَارَبَ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي جَوْفِ مُؤْمِنٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ الله وَفَيْحُ جَهَنَّمَ، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ»(٣).

٤٣- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لَا يَزَالُ الله يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ»(٤).

٤٤- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى الله عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ العَفَافَ»(٥).

٤٥- جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: «لَا أَجِدُهُ» قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟»، قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟!(٦).

---

(١) رواه التِّرْمِذِيّ (١٦٥٠) وقال: هذا حديث حسن. وحسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٩٢٢).

(٣) رواه النسائي (٣١٠٩) وأحمد (٨٤٧٩) وحسنه الألباني وصححه الأرنؤوط.

(٤) رواه أحمد (١٧٧٨٧) وابن ماجة (٨) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٥) رواه الترمذي (١٦٥٥) وقال: حسن، وحسنه الألباني.

(٦) رواه البُخَارِيّ (٢٧٨٥).

٤٦- قِيلَ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ»، قَالُوا: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»(١).

اختلف العُلَماء في العزلة والبعد عن الاختلاط وأكثر العُلَماء قالوا: أن الاختلاط أفضل بشرط السَّلامة من الفتن، وهذا هو رأي الشّافعي، فقد كانَ الأنبياء عليهم الصّلاة والسَّلام يختلطون بالنّاس، وهذا حال جماهير الصّحابة والتّابعين والزهاد، فيحصلون بالاختلاط منافع شهود الجمعة والجماعة وعيادة المرضى وحلق الذكر، وفي الحديث الصَّحيح: عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»(٢).

وقال قسم من العُلَماء: العزلة خير من الاختلاط خاصّة في الفتن والحُرُوب بين المُسلِمين.

٤٧- عن أم حرام ﵂ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ البَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا»، قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: «أَنْتِ فِيهِمْ»، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ»، فَقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «لاَ»(٣)، والحديث من معجزات النبوة.

٤٨- عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّبِيتِ -قَبِيلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ-، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَمِلَ هَذَا يَسِيرًا، وَأُجِرَ كَثِيرًا»(٤).

٤٩- عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، وَهُوَ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»، فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الْهَيْئَةِ، فَقَالَ:

---

(١) رواه البُخَارِيّ (٢٧٨٦).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٨٨) وابن ماجة (٤٠٣٢) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه البُخَارِيّ (٢٩٢٤).

(٤) رواه مسلم (١٩٠٠).

يَا أَبَا مُوسَى، آنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى الْعَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ(١).

٥٠- حدث النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أُسْقِيَ الْحَاجَّ، وَقَالَ آخَرُ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَقَالَ آخَرُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ، فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ، وَقَالَ: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩](٢)

٥١- عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ: غَزَوْنَا بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَعَلَى الْجَمَاعَةِ عَبْدُ الرَّحمن بن الوَلِيد، وَالرُّوم مُلصِقُوا ظُهُورِهِمْ بِحَائِطِ الْمَدِينَةِ فَحَمَلَ رَجُلٌ عَلَى الْعَدُوِّ فَقَالَ النَّاسُ: مَهْ مَهْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ! فَقَالَ أَبُو أَيُّوب: إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا نَصَرَ الله نَبِيَّهُ وَأَظْهَرَ دِينَهُ الْإِسْلَامَ، قُلْنَا: هَلُمَّ نُقِيمُ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحُهَا، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] فَالْإِلْقَاءُ بِالْأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ أَنْ نُقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا فَنُصْلِحَهَا وَنَدَعَ الْجِهَادَ». قَالَ أبو عمران: (فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتَّى دفن بالقُسطَنْطينيَّة). وفي التِّرْمِذِيّ: فضالة بن عبيد بدل عبد الرَّحمٰن بن خالد بن الوليد.(٣)

(١) رواه مسلم (١٩٠٢).

(٢) رواه مسلم (١٨٧٩).

(٣) رواه أبو داود (٢٥١٢) والتِّرْمِذِيّ (٢٩٧٢) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

رعاية أسر المُجَاهدين والشّهداء:

١- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أَيُّكُمْ خَلَفَ الْخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ، كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الْخَارِجِ»[١]. الخارج: الغازي أو المُجَاهد في سبيل الله

٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَالسَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ»[٢].

٣- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا - وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ»، «وإن سوء الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ، كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ»[٣].

٤- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ»[٤].

٥- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «اللهمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمِ، وَالْمَرْأَةِ»[٥].

---

(١) رواه مسلم (١٨٩٦).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٤٧٤٢) وصححه الألباني انظر (المشكاة ٤٩٥٢).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٣٦٤٦) وحسنه لغيره الألباني دون « وإن سوء....العسل» فهي ضعيفة جداً، ولم ترد في رواية الطبراني، انظر (السلسلة الصحيحة ٩٠٦). وقد كرر «الشيخ أبو مصعب» هذا الحديث في الصفحة التالية وقد قمنا بحذف التكرار.

(٤) متفق عليه، رواه البخاري (٦٠٠٦، ٦٠٠٧، ٥٣٥٣) ومسلم (٢٩٨٢).

(٥) رواه ابن ماجة (٣٦٧٨) وابن حبان (٥٥٦٥) والحاكم (٢١١) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني والأرنؤوط.

٦- عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ»(١).

٧- عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَخُونُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْتَقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»(٢).

٨- عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

حرمة نساء المُجَاهدين:

١- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «كُلَّمَا نَفَرْنَا غَازِينَ فِي سَبِيلِ الله، تَخَلَّفَ أَحَدُكُمْ يَنِبُّ نَبِيبَ التَّيْسِ، يَمْنَحُ إِحْدَاهُنَّ الْكُثْبَةَ، إِنَّ اللهَ لَا يُمْكِنِّي مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا جَعَلْتُهُ نَكَالًا» أَوْ «نَكَّلْتُهُ»(٤).

٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيَخُونُهُ فِيهِمْ، إِلَّا وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ، فَمَا ظَنُّكُمْ؟»(٥).

---

(١) متفق عليه، رواه البُخَارِيّ (٣٤٦٧) ومسلم (٢٢٤٥).

(٢) رواه التِّرْمِذِيّ (١٩٢٧) وقال: حسن غريب، وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠).

(٤) رواه مسلم (١٦٩٢). والحديث عن رجل قصير أشعر زنى آناء خروج النبي وصحبه للغزو. (ينب نبيب التيس): أي يصوت كصوته عند السفاد وهو كناية عن إرادة الوقاع لشدة توقانه إليه. (إلا جعلته نكالا) أي: عظة وعبرة لمن بعده بما أصبته من العقوبة ليمتنعوا من تلك الفاحشة].

(٥) رواه مسلم (١٨٩٧).

من أنواع الجِهَاد:

١- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «**اهْجُ قُرَيْشاً فَإِنَّهُ أَشَدّ عَلَيْهِم مِنْ رَشْقِ النَّبْلِ**»[(١)].

٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «**اهْجُ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنْ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَكَ**» قاله لحسان[(٢)].

٣- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**»[(٣)].

لأن مُجَاهد العدوّ متردد بين رجاء وخوف، وصاحب السُّلطَان إذا أمره بمعروف تعرض للعذاب والموت أحيانا، فهو أفضل من جهة غلبة الخوف، ولأن ظلم السُّلطَان يسري إلى جم غفير، فإذا كفه فقد أوصل النفع إلى خلق كثير، بخلاف قتل كافر.

والسلطان: من له سلاطة وقهر.

٤- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ**»[(٤)].

ومن الجِهَاد باللسان فتوى العُلَماء في وجوب الجِهَاد خاصّة عندما تخالف هوى السُّلطَان، فهنا تكون الفتوى شديدة عَلى النّفس، لأنها قد تكلف العالم وظيفته أو عنقه، ولذا لا يستفتى في أمور الجِهَاد إلا الصادقون العالمون العاملون.

قَالَ ابن تَيمِيّة في فتاوى الكبرى (٤/ ١٨٥): **والواجب أن يعتبر في أمور الجِهَاد برأي أهل الدّين الصَّحِيح الّذين لهم خبرة بما عليه أهل الدُّنيَا، دون الّذين يغلب عليهم النَّظر في ظاهر الدّين فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدّين الّذين لا خبرة لهم في الدُّنيَا أي يشترط في الّذي يفتي في أمور الجِهَاد: أن يكون قادرا عَلى الاستنباط مخلصا، وأن يعرف طبيعة المَعْرَكة وأحوال أهلها.**

٥- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ**»[(٥)].

إذا أطلق الجِهَاد فهو قتال الكفّار بالسّلاح حتَّى يسلموا أو يعطوا الجزية.

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩٠).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٣٢١٣) ومسلم (٢٤٨٦) وهذا اللفظ لأحمد (١٨٦٧٨).

(٣) رواه التِّرْمِذِيّ (٢١٧٤) وصححه الألباني.

(٤) رواه أحمد (١٥٧٨٥)، وصححه الألباني، وقال الأرنؤوط: على شرط الشيخين.

(٥) رواه أحمد (١٢٢٤٦) وأبو داود (٢٥٠٤) وغيرهما، وصححه الألباني والأرنؤوط.

بأموالكم: بتجهيز الغُزَاة، وأنفسكم: بالقتال بالسّلاح، بألسنتكم: بهجو الكافرين والإغلاظ عليهم، ولا يعارض هذا مطلق النهي عن المشركين لئلا يسبوا المُسلِمِين.

وجاء في الحاشية: بأن تخوفوهم وتوعدوهم بالقتل والأخذ والنهب وغير ذلك، وبأن تذلوهم وتذلوهن وتسبوهم إذا لم يؤد ذلك إلى سب الله تَعَالَى، وبأن تدعوا عليهم بالخذلان والهزيمة، وللمسلمين بالنّصر والغنيمة، وبأن تحرضوا النّاس عَلى الغزو ونحو ذلك.

والآن الجِهَاد باللسان: بأن تظهر الجِهَاد كذلك بأنصع صورة، وبدر عنه الحملة الإعلاميَّة مما نراه من الحملات المسعورة عَلى الجِهَاد الأفغاني، وأن تقف دون تشويه الجِهَاد أو حرق شخصياته أو الإساءة إلى رموزه، وترد عَلى المثبطين والمعوقين والمخذلين والمرجفين.

٦- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «**سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ: رَجُلٌ لَهُ دِرْهَمَانِ فَأَخَذَ أَحَدَهُمَا فَتَصَدَّقَ بِهِ، وَرَجُلٌ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَأَخَذَ مِنْ عُرْضِ مَالِهِ مِائَةَ أَلْفٍ فَتَصَدَّقَ بِهِ**»(١).

سئل ابن تَيمِيّة: لو ضاق المال عن إطعام جياع والجِهَاد الّذي يتضرر بتركه قدمنا الجِهَاد وإن مات الجياع كما في مسألة التترس (اعتصام الكافرين ببعض المُسلِمِين عند القِتَال) وأولى، فإن هناك نقتلهم بفعلها وهنا يموتون بفعل الله.

٧- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «**فَقَاتِلْ حَتَّى تَحْرُزَ مَالَكَ، أَوْ تُقْتَلَ فَتَكُونَ فِي شُهَدَاءِ الْآخِرَةِ** »(٢).

٨- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «**مَنْ أُتِيَ عِنْدَ مَالِهِ، فَقُوتِلَ فَقَاتَلَ فَقُتِلَ، فَهُوَ شَهِيدٌ**»(٣).

قَالَ ابن جرير: هذا أبين بيان وأوضح برهان عَلى الإذن لمن أريد ماله ظلما في قتال ظالمه، والحث عليه كائنا من كانَ، لأن مقام الشَّهَادة عظيم، فقتال اللصوص والقطاع مطلوب، وتركه من ترك النهي عن المُنكر، ولا مُنكر أعظم من قتل المؤمن وأخذ ماله ظلما.

٩- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ**

---

(١) رواه النسائي (٢٥٢٧) وابن حبان (٣٣٤٧) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٢) رواه أحمد (٢٢٥١٤)، وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه ابن ماجه (٢٥٨١) وصححه الألباني والأرنؤوط.

مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»(١).

١٠- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «لك بها سبعمائة ناقة مخطوطة في الجنّة»(٢).

١١- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «نِعمَ [الميتَةُ] أَنْ يَمُوتَ الرَّجُلُ دُونَ حَقِّهِ»(٣).

فإنه يموت شهيداً كما مر في الأحاديث الماضية وهذا شهيد الآخرة، أما نحن فنعامله معاملة الميت العادي نغسله ونكفنه ونصلي علي أي كثواب الشّهيد مع التفاوت تبين الشهادتين والثوابين.

١٢- عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يُعْطَوْنَ مِثْلَ أُجُورِ أَوَّلِهِمْ فَيُنْكِرُونَ الْمُنْكَرَ»(٤).

أي إن الله يثيب جماعة من المُسلِمِين تأتي متأخرة كما يعطي الصّحابة الّذين نصروا الإِسْلَام وأسسوا مجتمعه.

تعريف الرَّسُول ﷺ الجِهَاد بأنه القِتَال:

١٣- عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «أَنْ يُسْلِمَ قَلْبُكَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ»، قَالَ: فَأَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ»، قَالَ: وَمَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «تُؤْمِنُ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ»، قَالَ: فَأَيُّ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْهِجْرَةُ»، قَالَ: فَمَا الْهِجْرَةُ؟ قَالَ: «تَهْجُرُ السُّوءَ»، قَالَ: فَأَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ»، قَالَ: وَمَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: «أَنْ تُقَاتِلَ الْكُفَّارَ إِذَا لَقِيتَهُمْ»، قَالَ: فَأَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:

---

(١) [تم اختصار الروايات]، رواه البُخَارِيّ (٢٤٩٣).

(٢) رواه مسلم (١٨٩٢) واللفظ عند أبي نعيم في الحلية (٨/ ١١٦).

(٣) أخرجه أحمد: (١٥٩٨) وقال الأرنؤوط : إسناده ضعيف لانقطاعه، وصححه الألباني في الصحيحة (٦٩٧).

(٤) رواه أحمد في المسند (١٦٥٩٢، ٢٣١٨١) وحسنه الأرنؤوط لغيره، وصححه الألباني لغيره (الصحيحة ١٧٠٠).

«مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ وَأُهْرِيقَ دَمُهُ»، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثُمَّ عَمَلَانِ هُمَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِمِثْلِهِمَا: حَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ أَوْ عُمْرَةٌ»[1]]أهـ[2].

مبررات القِتَال ودوافعه:

عن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ، سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: إنَّ رَجُلاً قَالَ يَا رَسُولَ الله: رَجُلٌ يُرِيدُ الجِهَادَ في سَبِيلِ الله وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضاً مِنَ الدُّنيَا، فَقَالَ: «لَا أَجْرَ لَهُ»، فَأَعَادَهَا ثَلاثاً، كلّ ذلكَ يَقُولُ: «لَا أَجْرَ لَهُ»[4].

الآيات:

١- ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٣]

٢- ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩ ﴾ [الصف]

٣- ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ ﴾ [الصف]

٤- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]

٥- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧ ﴾ [الأنبياء]

إن هذا الدّين جاء إعلانا عاماً للبشرية كافّة يؤذن المجال عمله هو الإنسان – كلّ إنسان – في الأرض – كلّ الأرض – ومن ثمّ فإن الجِهَاد ضرورة حتمية تلازمه كلما أردنا أن نبلغه للنَّاس أو ننشره في ربوع العَالَمِيّن، لأنه سيقف في وجهه العقبات الكبرى الّتي يقوم عليها كيان الجَاهِليَّة.

---

(١) رواه أحمد (١٧٠٢٧، ١٩٤٣٥) وقال الأرنؤوط : حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه فمن رجال مسلم.

(٢) الذخائر العظام: (ج١– ٢٥٢/ ٢٧٦).

(٣) رواه البخاري : (٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨) ومسلم (١٩٠٤) وأصحاب السنن.

(٤) رواه أبو داود (٢٥١٦) وأحمد (٧٩٠٠، ٨٧٩٣)، وحسنه الألباني.

سيقف في وجهه عقبات كأداء: سياسيّة واجتماعيَّة واقتصاديَّة وعرقية وجغرافية، ولا يمكن لدين جاء لينقذ البشرية أن يقف مكتوف اليدين يبلغ باللسان ويدع للجاهلية السّلاح والسنان، لأن الجَاهِليَّة نفسها ستتحرك لتحمي كيانها وتجتث الإِسْلَام من الجُذُور ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الصف: ٨].

وسواء تحركت الجَاهِليَّة أم لم تتحرك فلا بُدَّ للإسلام أن ينطلق بحركته الذاتية الّتي لا بُدَّ منها لقانون التدافع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة].

إن قانون التدافع بين الحقّ والبَاطِل هو الّذي يحفظ الحياة الصّالحة، وإلا أسنت الحياة وتعفنت، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي النّاس ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال]، يعني إن لم تحصل الموالاة بين المُؤمِنِين، والجِهَاد، والهِجرَة في سبيل الله يعم الشرك الأرض.

وقانون التدافع: هو التفسير الإِسْلَاميّ للتاريخ والأحداث، إن الإِسْلَام لم يأت ليكون دين الجَزِيرَة العربيَّة فحسب، أو ليكون دين العَرَب فقط، ثمّ بعد ذلك يقبع في أرجاء الجَزِيرَة يدافع عن حدودها ويحمي أطرافها، إن رسول الله ﷺ بعث للأحمر والأسود.

إن الجِهَاد ضرورة لحماية الشعائر، وحفظ الفرائض التعبدية وأماكن أدائها ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠].

فالتمكين في الأرض ضرورة حتمية وفرض لازم لحماية العِبَادة ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الحج: ٤١].

لقد بلغت الجرأة بأعداء الله أن يعلن أتاتورك تحويل مسجد أياصوفيا إلى متحف، ويمنع الأذان بالعربيَّة، ويمنع الصّلاة أمام النّاس، ويفرض السفور عَلى كلّ امرأة تتعامل الدّولة أو تدرس في مدارسها!!

ولقد وصل الصلف بعبد الحكيم عامر أن يوزع عَلى خطباء المساجد أن يمتنعوا عن الكلام عَلى فرعون سيدنا موسى!!

وبلغ الغرور بالنصيري حافظ الأسد { رئيس سوريا } أن يعلن الحكم بالإعدام عقوبة عَلى من ثبت أنه من الإخوان المُسلِمِين!!

ووصل الاستهتار والسخرية بالقيم عند أحدهم أن يؤسس نوادي للعراة يسميها (صفر في الأخلاق!)!!

ويعلن جمال سالم { أحد أعوان الرَّئيس المصري عبد النّاصر } هزأه بالقرآن الكريم، فيطلب من الأستاذ الهضيبي أن يقرأ الفاتحة معكوسة.

ويصرح حمزة البسيوني { رئيس استخبارات عبد النّاصر في مصر } قائلا لمن استغاثوا بالله أثناء التعذيب: (لو جاء الله لوضعته في الزنزانة)!!

إنها مهزلة مضحكة قاتلة أن يقول قائل: إن وظيفة الإِسْلَام أن يقف واعظا لأمثال هَؤُلَاءِ ينصحهم باللسان ولا شأن له بالسنان، لأنه لا إكراه في الدّين!!

لا بُدَّ للإسلام من البيان باللسان، وإزالة الحواجز أما دعوته بالسنان.

نعم لا إكراه في الدّين بعد تحطيم العقبات الّتي تحول دون وصول الإِسْلَام إلى النّاس، وتمنع دخول النّاس في هذا الدّين، وتعبدهم لغير ربّ العَالِمِّيَن، وإن الحقّ يأبى الحدود الجغرافيّة، ولا يرضى أن ينحصر في حدود ضيقة اخترعها علماء الجغرافيّا، فالحق يتحدى العقول البشرية النزيهة ويقول لها: ما بالكم تقولون إن القضية الفلانية في هذا الجانب من الجبل أو النهر، وهي بَاطِل إذا تعدت هذا الشاطئ الآخر.

إن وظيفة الجِهَاد الإِسْلَاميّ تتخلص في ثلاث نقاط:

١- نشر الدّعوة الإِسْلَاميّة – وهذه أهمّها وأساسها –.

٢- حماية دار الإِسْلَام الّتي يقيمها لتكون منطلقا لدعوته ومحضنا آمنا لفكرته.

٣- إنقاذ المستضعفين في الأرض.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء]

إن قيمة الأرض ذاتها؛ أنها ليس لها قيمة ولا وزن في نظر الإِسْلَام إلا إذا ساد فيها منهج الله، وحكمتها شريعته، وهيمن عليها دينه.

يقول الشّهيد سيد[١]: [إن الأرض تعتبر قيّمة في المنهج الإِسْلَاميّ عندما تكون محضنا للعَقِيْدَة، وحقلا للمنهج، ودارا للإسلام، ومنطلقا لتحرير الإنسان، وحقيقة أن حماية دار الإِسْلَام حماية للعَقِيْدَة والمنهج والمجتمع الّذي يسود فيه المنهج، ولكنها ليست الهدف النّهائيّ، وليست حمايتها هيَ الغاية الأخيرة لحركة الجِهَاد الإِسْلَاميّ، وإنما هيَ الوسيلة لقيام مملكة الله فيها، ثمّ لاتخاذها قاعدة انطلاق إلى الأرض كلها، وإلى النوع الإنساني هو موضوع هذا الدّين، والأرض هيَ مجاله الكبير.

إن مكّة – وهي الّتي تضم البيت العتيق ويكن حبها في قلبه ﷺ _ تترك إذا أقفرت من أن تنبت خضرة أو تعطي ثمرة، إن الجِهَاد في الإِسْلَام لا يمكن أن يكون دفاعا عن بقعة أرض أو عن عرق أو قومية إنه دفاع عن الدّعوة والعَقِيْدَة الّتي يجب أن تعم الأرض كلها، وعن الدّين الّذي يريد الله أن يظهره عَلى كله، إن من حق الإِسْلَام أن يتحرك ابتداء، فالإِسْلَام ليس نحلة قوم ولا نظام وطن، ولكنه منهج إله ونظام عالم، ومن حقه أن يتحرك لتحطيم الحواجز بين الأنظمة والأوضاع الّتي تغل من حرية الإنسان في الاختيار.

إن الإِسْلَام دين واقعي يواجه فساد التصوُّر والمعتقدات بالآيات البينات، ويقابل قوة الجَاهِليَّة والسلطان بالقوة والحركة والسنان].

ولا بُدَّ من الانتباه إلى بعض النقاط الهامة عَلى الطّريق إلى الجِهَاد:

١ - إن الطّريق إلى الجِهَاد لنشر دين الله في ربوع العَالَمِيّن لا بُدَّ أن يبدأ بدعوة صريحة للتوحيد الخالص، ولتوضيح لَاإِلٰهَ إِلَّا الله في النفوس، وتوحيد الربوبية (المعرفة والإثبات)، وتوحيد الله بأفعاله بأن نثبت له الوحدانية في الرزق والأجل والإحياء والإماتة والقدرة.

٢- توحيد الأسماء والصفات فنثبت لله الأسماء الحسنة والصفات العليا، دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، كما ورد في الكتاب والسنة، دون اشتقاق أسماء جديدة لله عَزَّ وَجَلَّ فلا نقول أن الله جابر مع أن اسمه الجبار، فلا نسمي عبد الجابر، ولا نقول يا ساتر لأن صفته الواردة في السنة هيَ (الستير).

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣/ ١٤٤٣)

وهذه الدّعوة هيَ جماع دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]

وتبدأ هذه الدّعوة إلى التّوحيد منذُ اللحظة الأولى بتجمع النّاس عليها، وعندما يتجمع حولها مجموعة من النّاس، يضحكون من أجلها، ويعيشون في سبيل إعلائها، تتحرك الجَاهِليَّة من حولهم لسحقها وسحقهم، فتقوم المَعْرَكة بين الحقّ والبَاطِل، فيسقط عَلى الطّريق أناس، ويفتن أناس، ويستشهد أناس، ويصبر أناس يحملون اللواء والنبراس، وهَؤُلَاءِ ينصرهم الله ويمكن لهم في الأرض، ويجعلهم ستارا وأداة لنصرة شريعته.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف]

لا بُدَّ من البحث عن قطعة أرض مناسبة يقام عليها دين الله، وعلى الدعاة أن يركزوا جهودهم وجِهَادهم عليها حتَّى يأذن الله لهم بالنّصر، ويفتح عليهم بالغلبة، هذه الأرض تكون دارا للإسلام، ومن طلقا لدعوته، ومحضنا لفكرته، ومناخا صالحا لنبتته، ولذا لا بُدَّ من وضع النقاط عَلى الحروف في هذه القضية:

١ - إن سكوت الجَاهِليَّة عن الحقّ ومهادنته لهو أمر خلاف سنة الله في الحياة، وعكس قانونه في التدافع، فإن كانَ هنالك سكوت فهو أمر عارض ولوقت محدود.

﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة]

إنه يستحيل عَلى النّفس أن تعيش طويلا في مجتمع فاسد دون أن تتحرك لإزالته وتغييره.

٢- إن نصر الله لا يتنزل إلا بعد طول البلاء وشدة المحنة: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة]

فالّذين ينتظرون أن يتنزل النّصر عليهم وراء مكاتبهم وهم جالسون عَلى مقاعدهم، هَؤُلَاءِ لا يدركون سنة الله في المجتمعات ولا قانونه في الدعوات.

إن الأفغانيين قد قدموا حتَّى الآن بين مليون إلى أكثر من مليون ومائتي ألف شهيد، ولم يصلوا إلى نصر دين الله بعد، ولم يتمكنوا من إقامة شرعه في الحياة.

٣- إن الصّبر الطويل عَلى ظلم الجَاهِليَّة وكبت الأنفاس الحارة من أن تخرج من الأعماق، والزفرات من أن تفرج عن الصدور، أقول إن الصّبر الطويل قد يظنه البعض مفيدا للدعوات، ولا يعلمون أنه قاتل للنفوس، خاصّة إذا صاحبه هلع شديد، وحذر بالغ يصل إلى حد الهوس، وجبن خالع يُؤَدِّي إلى الموت البطيء التدريجي.

إن الغير تكبت أولا، ثمّ تذوي، ثمّ تضمحل، ثمّ تموت، فإذا ماتت تحول الإنسان إلى جثة هامدة لا تنكر مُنكرا ولا تعرف معروفا، أو كما جاء في الحديث: «إنَّهُ لم يَتَمَعَّرْ – أي يحمَرّ – وَجهُهُ يوماً غَضَباً لله»[1].

يَرَى الجُبناءُ أنَّ الجُبْنَ عَقلٌ ❁ وَتِلكَ خَدِيعَةُ الطَّبعِ اللئيم

إن الصّبر الطويل عَلى المُنكرات وأنت غارق في سريتك القاتلة يُؤَدِّي إلى الإستئناس يوميا بالجَاهِليَّة الطَّاغية، وأخيرا يُؤَدِّي إلى الإلفة الّتي تمسخ الفطرة، وتعكس النَّظرة «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا؟»[2]، إن الإلفة الّتي تقتل الحس الإِسْلَاميّ في القلب هو الداء الّذي يصيب كثيرا من الدعاة الصامتين، بل أكثر من ذلك يُؤَدِّي إلى اختلاف الدعاة وتمزق العاملين عَلى هذا النهج، «لَمَّا وَقَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي المَعَاصِي فَنَهَتْهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا، فَجَالَسُوهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ وَوَاكَلُوهُمْ وَشَارَبُوهُمْ، فَضَرَبَ الله قُلُوبَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَعَنَهُمْ عَلى لسان داود وعيسى ابن مريم، -ثمّ تلا ﷺ الآية- ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ [المائدة: ٧٨] -وقال:- كلّا لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِي الظَّالِمِ وَلتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، ولَتقصرنَّهُ عَلى الحقّ قصراً، أَوْ لَيَضربَنَّ اللهُ قُلوبَ بَعضِكُم بِبَعضٍ ويَلعَنكُم كَما لَعَنَهُمْ»[3].

بل وصل الأمر لأكثر من ذلك، حيث يوسم الّذي يغار عَلى الحرمات ويصدع بالحق بالتهور والاندفاع، ويوصف الساكت بالتزام والإتزان !!

---

(١) رواه ابن الأعرابي في معجمه (٢٠١٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧١٨٩)، والطبراني في الأوسط (٧٦٦١) وقال الألباني: ضعيف جداً (الضعيفة ١٩٠٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٩٣٢٥) وابن حماد في الفتن (١١١) وأبو يعلى في مسنده (٦٤٢٠) وإسناده ضعيف.

(٣) رواه أبو داود (٤٣٣٦) وضعفه الألباني.

قَالَ لِي أحد الدعاة: لقد مكثت في مكتب سنتين مع موظف آخر لم يعرف اتجاهي خلالها، فقلت: إذن لم تتكلم خلال السنتين كلمة واحدة عن الحقّ الّذي تحمله بين جوانحك!!

ترى لو فعل الصّحابة كما يفعل كثير من الدعاة السريين اليَوْم، هل تظنون أن الإِسْلَام خرج من حدود مكّة ؟!

لو سكت بلال، وراوغ ياسر وسمية واستسلم ظاهرا عثمان بن مظعون، وقبل أبو بكر بشرط ابن الدغنة – الّذي أجار أبا بكر بشرط ألا يرفع صوته في القرآن لأن صوته مؤثر بأبناء الحي من قريش – أقول لو سكت هَؤُلَاءِ أمام طغيان الجَاهِلِيَّة وجبروتها، فإن الإِسْلَام لا يمكن أن يخرج من بطحاء مكّة ويتجاوز الحروراء.

إن إصبع بلال الّتي تشير إلى السّماء، وهو تحت العذاب الشديد مرددا: أحد.. أحد.. لهو زلزلة للكفر من أعماقه، وهز لشجرة الجَاهِلِيَّة من جُذُورها.

إن الدعوات لا تنتصر في مراحلها الأولى إلا (بصوت الرّوح) لا بصوت العقل كما يقول مالك بن نبي، إن مرحلة العقل هيَ مرحلة تالية لمرحلة (صوت الرّوح) الّتي تدفع للبذل وتحرك التَّضحِيَة.

إن صوت العقل يقول لبلال: أخدع أمية ابن خلف، وقل له أنا عَلَى دين اللاة والعزى، وفي الليل تعال إلى محمّد ﷺ قائدك الحقيقي وواليك ورائدك وقل له: لقد ضحكت عَلَى أمية وخدعته فحسبني معه وتركني وشأني.

ولكن الدعوات لا تنتصر بهذه الكياسة والسّياسة، إنها تنتكس وتتحطم إذا لم يوجد من يغذيها بالدِّماء، ويبنيها بالجماجم والأشلاء.

لقد أصبح الدعاة يرددون عَلَى ألسنتهم: هذا عاطفي، وهذا طيب ووهذا مندفع، وكأن هذه الصفات الّتي يقوم عليها الجِهَاد الحقيقي أصبحت معرة وملامة في أنظار الّذين لا يعلمون سنن الدعوات..

لا بُدَّ من السرية في بادئ الأمر وولا بُدَّ من الحذر أثناء الطّريق، ولا بُدَّ من ضبط النفوس أثناء المسيرة، ولكن السرية في دعوة الرَّسُول ﷺ كانَ لها وقت قصير سرعان ما تجاوزته إلى الإعلان، والحذر لا بُدَّ منه مع النَّفِير، ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ﴾ [النساء: ٧١]، ليس الحذر الّذي يُؤَدِّي إلى الشلل والجزع والموت.

وضبط النّفس أثناء المسيرة ليس عن إعلان العَقِيْدَة وتوضيح المبدأ، فهذا شيء لم يضبط أحد من الصّحابة نفسه عنه.

إن عرض الدّعوة وإشهار الدّين كانَ ديدن كلّ مسلم بعد أن نزل قول الله تَعَالَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر: ٢]، إن الصّبر له حدود، والصمت له مدى، وإلا مسخ الفطرة وقتل الغيرة.

٤- إن المَعْرَكة مع الجَاهِليَّة بالسّلاح والسنان لا تمكن إلا إذا سبقتها معركة البيان واللسان، وإن التَّضحِيَة بالنّفس والجود بالروح في أرض القِتَال لا يكون إلا بعد بذل الوقت والمال.

إن الّذين يعجزون أن يسيروا أمتارا، سيهلكون إذا حاولوا قطع الأميال.

إن الّذين ينتظرون من حفنة من الضُّبَّاط أن يقيموا لهم دين الله في الأرض وهم يصدرون لهم الأوامر لهم أثناء معافسة الأولاد والنِّسَاء والانشغال بِعَدِّ الأموال وتسجيل العقارات، هَؤُلَاءِ يظنُّون أن إقامة المجتمعات وتغيير النفوس والأشخاص والقلوب وبناء الأرواح وصقلها يتم بهذه السهولة وبهذا الرخص من التَّضحِيَة !!

٥- إن المَعْرَكة والجِهَاد في سبيل الله هيَ الّتي تفرز القيادات، وتبرز الرّجال من خلال التضحيات.

إن قدر أبي بكر بين المُسلِمِين بحيث أن انتخابه كانَ بشبه إجماع، لم يأت مصادفة ولا اعتباطا، وإنما أبرزت أبا بكر الأحداث وميزته التضحيات، ورفعته المواقف والمحن والملمات، ولذا قَالَ عمر يوم تبوك، بعد أن جاء بنصف ماله، ورأى أن أبا بكر قد جاء بماله كله، وقال لرسول الله ﷺ عندما سأله: «ماذا تَرَكْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: (تَرَكتُ لَهم اللهَ ورسولَه) ! عندها قَالَ عمر: (ما تسابقت أنا وأبو بكر في مسألة إلا سبقني أبو بكر)[(١)].

ولم يكن أبو بكر بحاجة إلى دعاية انتخابية، ولا للاشتراك في قائمة مرشحين، لأن قدره كانَ قد برز أثناء المسيرة، وعلى طول الطّريق، فلم يعد بحاجة إلى شراء الضمائر بالأموال، ولا إلى تضليل النفوس ببريق الإعلام وتلميع الأعمال.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥) وقال: حسن صحيح، والحاكم (١٥١٠) وصححه، وحسنه الألباني.

إن المجتمعات الراكدة كالماء الراكد، لا يطفو عليها إلا العفن والطحالب والأشنات، فقيادة المجتمعات الراكدة الّتي لا تتحرك للقتال تطفو متعفنة فاسدة، وأما المجتمع المُجَاهد فإنه كالماء المتحرك والنهر الجاري، يأبى أن يحمل العفن أو أن يطفو عَلى وجهه الخبث.

كيف يمكنني أن أسوي بين إنسان عادي تاجر أو صاحب مال، يأتي من السّعُودِيّة أو دول البترول، ليقدم ماله بيده، ويقدم زكاته بنفسه إلى المُجَاهدين ويطلع عَلى أحوالهم، كيف أسوي بينه وبين داعية يحضر إلى باكستان لأداء امتحان في جامعة من جامعاتها، ويمكث شهرا أو شهرين انتظارا لموعد مناقشة الماجستير، أو النَّظر في أمر تسجيله في الجامعة ؟ دون أن يخصص أسبوعا للمُجَاهدين !!

أنا أقول في نفسي: إن هذا الداعية لم يعد في نفسه أية حرقة عَلى هذا الدّين، وأية غيرة تدفعه للاهتمام بأمر المُسلِمين، ولا يمكن لقلبي أن يصدق أن هذا من الدعاة، بل إن ذلك الإنسان العادي أفضل بكثير من هذا الداعية الّذي طال عليه الأمد فقسى قلبه، وأرجو أن لا يكون من الفاسقين فإن «مَنْ لمْ يَهتَمّ بِأَمرِ المُسلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُم»[1].] أهـ[2].

انتهى كلام شيخنا الشّهِيد أكرم الله نزله، وجمعنا به مع الرفيق الأعلى في عليين، ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾

****

(١) «من لم يهتم....» : رواه الطبراني في الأوسط (٤٧١) وقال الألباني : ضعيف جداً (الضعيفة ٣١٠).

(٢) (الذخائر العظام: ج١/ ٦٥٣-٦٥٧).

دَعوةُ المُقاوَمَةِ الإسلاميّةِ العالميّةِ

الشّيخ عُمَر عبدُ الحكيم أبو مُصْعَب السّوري

الفَصْلُ التّاسِع

وَصَايَا.. وَرُدُود.. وَمُبَشِّرَات

مكتبة الجيل الثالث

أولاً : وصايا ومحاذير

- ❖ حذار من ترك مراقبة النِّيَّة والإخلاص والمحاسبة علىَ الدوام.
- ❖ حذار من إهمال زرع العَقِيْدَة الجهاديّة بتفاصيلها في قلوب المُجَاهدين وعقولهم.
- ❖ حذار من إهمال التّربية المُتَكامِلة وخاصة العِبَادية الشَّرعيَّة والأخلاقية السُّلُوكية.
- ❖ حذار من تكفير المُسلِمِين بالبَاطِل، وحذار من الجري وراء تكفير المعيّنين.
- ❖ حذار من الخلط بين مجالات جِهَاد السّلاح والسنان ومجالات جِهَاد الحجة والبيان.
- ❖ حذار من مُوَاجَهة علماء السُّلطَان وضلاّل قيادات الصّحوة بغير الحجة والبينة.
- ❖ حذار من عدم الاحتياط الشديد في دماء المُسلِمِين أثناء قتال الكافرين والمرتدّين.
- ❖ حذار من إهمال أحكام الجِهَاد، وآدابه وأخلاقيات الإسْلاَم مع العدوّ والصديق.
- ❖ حذار من كلّ ما يجعل المُقاوَمة والمُجَاهدين يخسرون الرَّأي العام للمسلمين.
- ❖ حذار من استهداف المحايدين في هذه المُوَاجَهة ولو كانوا كفارا.
- ❖ حذار من تحويل سَرايا دعوة المُقاوَمة إلى تنظيمات مركزية هرمية.
- ❖ حذار من إصدار بيانات منهجيّة أو إعلاميَّة من قبل أي سرية من سَرايا المُقاوَمة باسم دعوة المُقاوَمة الإسْلاَميّة العَالمَيّة. فهذا لمكتب الإرشاد المركزي فقط.
- ❖ حذار من الإنتماء إلى مؤسسات الإحتلال أو الطواغيت الحاكمين بغير ما أنزل الله، باسم مصلحة الدّعوة ومقاومة الإحتلال أو الطواغيت.
- ❖ حذار من الجِهَاد المكشوف المتمركز في جبهات مفتوحة، أو مجالات محددة، إلا اضطرارا، ما لم تسقط قوة أمريكا العسكريّة وتنتهي هيمنتها، وخاصة الجوية.
- ❖ حذار من التهاون في أمن الاتّصالات بكل أشكالها الهاتفية واللاسلكية والإنترنيت..
- ❖ حذار من حب الإشاعة وإفشاء الأسرار، وإهمال شعار المعرفة علىَ قدر الحاجة.
- ❖ حذار من ترك فريضة القِتَال وخداع النّفس بالتّحريض عليها فقط.
- ❖ حذار من الانشغال بالجدليات والمعارك الفكريّة مع المُسلِمِين. وخاصة خارج دائرة المُوَاجَهة.

وعليكم بتقوى الله تَعَالَى في السر والعلن، فإن خير الزاد التقوى. وعليكم بحسن التوكل عليه. واللجوء إليه، ولا تتركوا الذكر فهو الدرع الواقي، وسبب لمعية الله. ولا تنسوا سلاح الدّعاء، فإنه أمضى أسلحتنا وهو مخ العِبَادة. واعلموا أن ما شاء الله كانَ وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثانياً: استشراف المستقبل والبشائر الواقعية والنصية

ونحنُ نختتمُ هذا الكتاب بآخرِ فُصُولِه، نحاولُ تلمُّسَ أسباب النّصرِ، وتتبّع ما يبشّرنا بالنّصر المحتوم عَلى أعدائنا كما تتابعت به البَشائِرِ في كتاب الله تَعَالَى، وفي أحاديث الصَّادق المَصدُوق ﷺ، وكذلك فيما تدل عليه وقائع السّياسة والأحوال في بلاد المُسلِمِين وأعدائهم الكافرين عَلى حدٍّ سَوَاء، ونبتدِئ بدلائل الواقع، ونختم باستشراف المستقبل من خلال الأحاديث النّبويّة والآثار الشَّريفة مما جاء في أخبار آخر الزّمان – الّذي أظلَّنا – وآثار الملاحِم والفِتَن وأشرَاط اقتراب السَّاعة.

قَالَ الشَّيْخ عبدالله عزَّام تحتَ عنوان:

مبشِّرَات نَصْرِ الإِسْلَام:

- **الأدِلَّة الواقعيَّة لانهيَار الحضَارَة الغَربِيّة:**

لقد تسلَّم الرَّجل الغَربيّ قيادة البَشريَّة بعد أن خاضَ معركةً شرِسَةً مع الكنيسة، وبعد أن دفعَ ثمنًا غاليًا ليحطِّمَ القيودَ الوثيقة الّتي كبَّلَتْهُ بها، ورأى بأمِّ عينه زهرة أبناء مجتمعات أوروبّا تحرق في الشَّوارع العامّة عَلى يدِ محاكم التَّفتِيش الكَنَسِّيَة، ولذا سخط عَلى الكنيسة وإلهها، ونفضَ عن كاهِلِهِ غُبَار القُرون المتَرَاكِم، وانطلقَ لا يَلوي على شيءٍ، لا يقبلُ وصايَةً من دينٍ ولا من حزبٍ، ولا يريدُ أن يؤمنَ بشيءٍ يغلُّ يدَهُ ويحجُرُ عَلى عقلِه، وحاربَ التَّفكير الدّينيّ والطَّابع الغَيبيّ.

ولكن الجوعة الرُّوحيّة الّتي كانت تشبع – نوعًا ما – من خلال تردّد هذا الرَّجل الغَربيّ عَلى الكَنيسةِ، وإيمانه بالآخرة، ولقائِه برجالِ الدّين.

هذه الجوعة لم يَعُدْ يُشبِعُها شيءٌ بعد أن كفرَ الرَّجلُ الغَربيّ بالكنيسةِ ورِجَالِها، فحصَلَ الفراغُ الرُّوحيُّ الهائِل، وحاولت أوروبّا أن تُقيمَ من العقلِ إلهاً يسدّ الفراغ النّفسيّ الرَّهيب، ونَصَبَت تِمثَالاً لإلهِ العَقلِ في إِحدَى المُدُنِ الفرنسيّة وهو صورة أجمل امرأةٍ في باريس، ودفعت بأمثالِ (هِيجل ونِيتشه) لسدّ الفراغ من خلال المدرَسَة (العقليَّة المثاليّة)، ولكن هيهات هيهات.

وجاء (كومت) لينصب الطّبيعة إلهًا مقامَ الكنيسة، ولكن لم تكن نتيجة محاولته تختلف عن المحاولات السَّابقة، وأخيرًا جاء (ماركس) ليقيمَ منَ الاقتصادِ إلهًا يسدّ الفراغ ويفسّر التّاريخَ ويحلّل سيرَ الجنس البَشريّ، كلّ هذه المحاولات باءَت بالفشلِ الذَّريع.

يقول (ليبولد فلم دانز) في كتابِه (الإنسان والضّمير المأسَاوِيّ المُمَزَّق): "إنَّ الإنسان المُنتمي إلى عصرنا هذا لا يؤمنُ بشيءٍ، ولا يفكّرُ، أو أنّه لم يفكر بعدُ ولكنَّه يعلمُ كثيرًا، إنّ نهاية المَسيحيَّة تشكّل أيضاً نهاية الأيديولوجيات الأخرى كالماركسيّة الّتي تجتاز من أجلِ ذلكَ أزمة عميقة، وإنَّ هذه الأَزمة لَيست أبداً علامة حياة بل علامة موت".

ويقول المفكّر (لامُوني): "إنَّ الجنس البشريّ بكامله يمشي بخطى حثيثة إلى الهَلاك، إنّه في النّزع الأخير، كذلك الإنسان الجريح المسكين الّذي لا يُرجَى لَهُ شفاء، فكثرة الأخطاء في حضارتنا تجرّها إلى الغَرق".

ومن هنا فإنّ سبب انهيار الحضارة الغربيّة واضح بسيط، هو أنّها قامت بلا دين، واتّخذت ربّها وراءها ظهريّاً ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٣ لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٣٤﴾ [الرعد]

يقول (برجسبون – الفيلسوف الفرنسي): "إنّ فصل الدّينِ عن العلمِ هو فَناءٌ محتُوم للاثنين"

ويقول (برناردشو):" كنتُ أعرفُ دائمًا أنّ الحضارةَ تحتاجُ إلى دينٍ، وأنّ حياتها أو موتها يتوقّفَان عَلى ذلك".

ولقد وضع كذلك الكاتب الإنجليزي (كولن ولسون) في كتابه (اللامنتمي) أي المتمرّد يده عَلى الدّاءِ فقال: "إنَّ حلّ القدّيس بولس يعتبر أمرًا غير مقبول بالنّسبة لحضارة في مُنتصف القَرن العِشرين، حضارة ذاتَ تطوّرٍ ميكانيكيّ عالٍ استمرّ ثلاثَةَ قُرون يصاحبه فراغٌ كبيرٌ لا تعرف الحضارة كيف تُنفِقه" – أي تملأه –] أهـ(١).

---

(١) (الذخائر العظام – ج١: ٧٥٦).

يقول (ألكسيس كاريل) في كتابه (الإنسان ذلك المجهول): "إنّ القلق والهموم الّتي يعاني منها سكّان المدن العصريّة تتولّد عن نظمهم السّياسيّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، إنّ البيئة الّتي أوجدها العلمُ للإنسانِ لا تلائمه لأنّها أُنشئت دونَ اعتبارِ ذاتِ الإنسان".

ويضيف (برتراند رسل) عن شقاء الإنسان فيقول: "إنّ حيوانات عالمنا يغمرُها السُّرور والفرح، عَلى حين كانَ النّاس أجدر من الحيوان بهذه السعادة، ولكنَّهم محرومونَ من نعمتها في العالم الحديث، واليوم أصبح من المستحيل عَلى هذه النَّعمة ولا سعادة".

ويقول (ما كنيل): "إنَّ الحضارة الغربيّة في الطَّور الأخير من أطوار حياتها الأشبه بالوحش الّذي بلغت شراسَتُهُ النِّهاية في انتهاكه ما هو معنويٌّ، وبلغ اعتداؤه – عَلى تراثِ السَّلَفِ وعلى كلِّ مقدّسٍ ومحرَّمٍ – قمَّتَهُ، ثمّ أغاصَ مخالبَه في أمعائِه فانتزعها وأخذَ يمُوقُها ويَلُوكُهَا بين فكّيه بمنتهى الغيظِ والتَّشفّي".

إنّ الخَواء الرّوحيّ والفراغُ في حياةِ الغَربِ، وعدمُ وجودِ غايةٍ كُبرى يهدفُ إليها الإنسانُ، والجحودُ بالإلهِ الّذي تفزَع إليه وقتَ الشّدّة والحزن، كلّ هذه أوصلت الغرب إلى المصير المُؤلم، والنّهاية الأسيفة المُحزنة، إنّه الشَّقاءُ والتَّمزُّق الدَّاخليّ، والتّوتُّر العَصبيّ، والفزع وشبح هولِ الحَربِ المُسيطر عَلى الأخيلَةِ، إنّه الهُرُوب من الحياة إلى الكُحُول ثمّ المُخدَّرات، وأخيرًا لا بُدَّ من وضعِ حدّ لهذه الحياة البَئيسة التّعيسَة بالانتحار الّذي هو إعلانٌ عامٌّ أنَّ الشّقاء في النّفس لم يَعُد يُحتَمَل، كما فعل (جاكوب مارينو، وآرنست همنغواي ونيتشه، وغيرهم).] أهـ[1].

- **مأساة الفكر الغربيّ:**

إنّ المتتبّع للكتّاب الغربيّين، وخاصّةً الكتّاب الطّليعيين أو رُوَّاد مسرح اللّامعقول من الوجوديين ليرى العجب العُجاب من القلقِ والضَّنك من خلالِ أسطُرِهم الّتي تفوح بالآلام وتعتصرُ بالأسى.

إنَّ اليأس، والقلق، والأسى، والألم، والملل، والعبث، والتمزُّق، والمأساة والشَّقاء.. هذه العبارات لا تكاد تخلو منها صفحةٌ واحدةٌ من صفحاتِ هَؤُلَاءِ الكتَّاب، اقرأ إن شئت للكاتب الفرنسيّ (وكاميو)

(١) (الذخائر العظام – ج١: ٧٥٨).

في مسرحيَّات: (الرَّجل المتمرّد، سوء التّفاهم، حالة الحصار...)، يقول (كامي): "ينبغي ألّا نؤمن بشيءٍ في هذه العالم سوى الخَمر هيَ الموتُ للعالمِ، حطِّموا كلّ شيءٍ، يجبُ أن نُلغيَ كلّ شيءٍ، الإلغاءُ والإطاحةُ هو إنجيلي".

ويقول (آرثر ميللر) الأمريكيّ في مسرحيّته (بعد السُّقوطِ): "إنّ أكثر الأماكن براءةً في بلدي هو مصحَّة الأمراض العقليَّة، وكمال البَرَاءةِ هو الجُنون".

يقول (سلاكرو – الكاتب الفرنسيّ): "إنَّ الآلهة لا عمل لها إلَّا أن تعبث بحطام الإنسان".

واقرأ إن شئتَ كذلك مسرحيَّات (جان بول سارتر) الفرنسيّ (جلسة سريّة، موتى بلا قُبور، الأيدي القذره، البغيُّ الفاضِلة، سُجَنَاء الطّونا)، واقرأ من كتبه: (موتة الرّوح، سبيلُ العقلِ، عصر الحريَّة الذّباب).

يقول (يونسكو) الفرنسيّ: "الواقعُ كابوسٌ مؤلمٌ لا يُطَاقُ"، وطالع كتابه: (قاتلٌ بلا أجرٍ)، والموتُ هو مشكلةُ المشاكلِ في نظرِ الكُتَّاب الغربيّين، فالموتُ يثيرُ الرُعبَ لأَنَّهُ واقعةُ فظيعةُ في حدِّ ذاتها، بل أنّه يجعل كلّ الحياة الّتي سبقتهُ عبثًا وسُخفًا كما يقولُ (صموئيل بكت) في كتابه: (الأيّامُ السَّعيدةُ): "فاليَأسُ والعبثُ والألمُ والقلقُ هو عنوانُ الحياةِ الغَربيّة".

يرى (هيدجر): أنَّ الحياة الحقَّةَ تكون في اليأسِ، أمّا (سارتر) فَيَرى أنَّ الحياةَ الحقّةَ تكون فيما وراء اليأسِ، بل يقول سارتر: "الإنسانُ في صميمِه قلقٌ".

أما نيتشه – الفيلسوف الألمانيّ – فيرى أنَّ الإنسانَ بين التَّسليمِ والتَّمرُّدِ، فوجوده تمزّقٌ وسلبٌ، وهو العالم اللامعقول، ولا يجدُ الخلاصَ إلَّا بالجنونِ الّذي يخلّصهُ من تَعاسَتِه الحاضرة، ويرى نيتشه أنَّ اليأس والقلق شَرطان دائمًا للعظَمَة الإنسانيَّة.

أمَّا (كيرك جارد) – رائد الفلسفة الوجوديّة – فيقول:" إنَّ الوجودَ معناهُ أن نعاني اليأس والقلق حتمًا، وإنّ من يختارُ اليأسَ يختارُ ذاتَه في قيمتها الأَبديَّة"، ولذا نَجدُه قد حاولَ الإنتحارَ مرارًا.

إنَّ الوعيَ يظهرُ دائمًا في صورةِ القلقِ، وأما اليأسُ فهو الحدُّ الّذي يُفضي إليه، لقد بقيت الكآبة القاتلة ملازمة لكيرك جارد حتَّى الموت، وهناك عنوانٌ لأحد كُتبه: (الخوف والرَّعدة)، وعنوانٌ لبحثٍ له (اليأسُ أو المرضُ حتَّى الموت).

هذه الملامح الرَّئيسيَّة للعالم اليَوْم، والَّتي تبرز واضحةً مجسَّدةً في معطياتٍ كبار الكتَّاب والأدباء، فوضى تأخذ بخناق العالم، تبعثر كلّ ما تبقى فيه من نظام وتسعى إلى تمزيق بقايا خيوط العنكبوت من القيم الغربيّة، والإنسانُ اليَوْم يرى هذا الإعصار الفوضويّ المأساويّ يُحيق بالإنسانيَّة، ويُدمِّر كيانها، ويسحق آدميَّتها، آليّة طاغية عارمة حوَّلت الإنسان إلى آلة، وسحقت كلّ تجارب الرّوح والوجدان، وجماعيّة صمّاء قضت عَلى كلّ مطمحٍ بالتَّفردِ والنُّبوغ والتَّفوّق والإبداع، واختلال رهيب بين كفيّ المادّة والرُّوح، وعزلة غربيَّة مُضنية إزاءَ عالمٍ أصمٍّ لا يستجيب لتوسُّلاته، وسقوط وتهافت في سائر النُّظم والوضعِيَّة السّياسيّة والاجتماعيَّة والعسكريّة الّتي تُمسك بزمامِ العالم اليَوْم، بالإضافةِ إلى الخوفِ العَالَمِيّ من الدّمار والحُرُوب والقنابل الذَّريَّة وميكافيليّة تضحّي في سبيل المصلحة بكل خلق وقيمة.

وكلمة أوسبورن الكاتب الإنجليزيّ في مسرحيّته (المُسافر) هيَ خير تعبير عن حالةِ الإنسان الغربيّ: "نحن موتى مكدودون مضيَّعون، نحن سكّيرون مجانين، نحن حمقى، نحن تافهون"] أهـ.[1]

- **قانون الله في المجتمعات:**

إنّ ناموس الله للحياة البشريّة لا يخيب ولا يخطئ، وإنّ قانون الله للإنسان لا يتخلّف ولا يكذب ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى]

المصائب تنتج نتيجة البعد عن منهج الله.

الذّنوب مصائب وآلام ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٥﴾ [الأنعام].

هيَ ثلاثة أطوار مرَّت بها أوربّا وتمرُّ بها كلّ الحضارات العلمانيّة المادّيّة:

١- **الهرب من الله.**
٢- **فتح أبواب كلّ شيء عليها: الإنتاج والإبداع في ناحية أو نواح كثيرة.**
٣- **طور الضمور والانحلال فالاستبدال.**

---

(١) (الذخائر العظام – ج١: ٧٥٩).

لقد كانت كلمات الحريَّة والدِّيمقراطيَّة ومصلحة الأُمّة تحرّك مشاعر الجماهير في أوروبّا، وتسيّر الجُيُوش من أجل استعمار الشّعوب وامتصاص خيراتها ودمائها.

ثمّ حصلت الحَربُ العَالَمِيّة الأولى والثّانية، وفقدت أوروبّا حوالي ستّين مليونًا من زهرات شبابها في ميادين الحَرب، وانتهت الحَرب ليفقد الشَّبَاب كلّ قيمة كانَ يتمسّك بها، وانتهت هذه الكلمات، لم يعد للحياة أي معنى، وجاء عصر الجاز، ابتدأ من سنة (١٩٢٠م)، واستبدل الشَّبَاب بأنهار الدِّماء الّتي جرّت الحَرب أنّها الخمر الّذي أصبح المهرب الوحيد للشّباب من القلق الفارغ، وانطلق الشَّبَاب يريد أن يستمتع ويُشبع بهيميَّة الجنس وسعاره الحيوانيّ، وأضحى المجتمع بحاجة ماسّة إلى مستشفيات الأمراض الجنسيّة المريعة وبحاجة إلى علوم النّفس، ومستشفيات الأمراض العصبيّة والعقليَّة.

مصائب الفراغ الرُّوحيّ:

نرى أن الفراغ والخواء الرُّوحيّ أنتج ما يلي:

١- الولوغ في المشروبات الكحوليّة.

٢- الإدمان عَلى المخدّراتِ.

٣- الأمراض العصبيّة والعقليَّة.

٤- التّمرّد وعدمُ الإنتماء إلى الحضارة.

٥- الجرَائم.

٦- السّعارُ الجنسيّ وأمراض الجنس.

٧- الانتحار.

وإليك بعض الأرقام المذهلةِ عن أمراضِ الحضارة:

١- في أمريكا (في الأربعينيّات) عدد مدمني الخمر سنويّاً (٤٢) مليون.

٢- الّذين يتعاطون المخدّرات (سنة ١٩٧٥م) (١٩٪) من الشَّعب الأمريكيّ.

الّذين يتعاطون المخدّرات (سنة ١٩٧٨م) (٤٩٪) من الشّعب الأمريكيّ.

٣- عدد المرضى في مستشفيات الأمراض العقليَّة في الولايات المتّحدة (٧٥٠) ألفا، ويشغلون (٥٥٪) من جميع أسرة المستشفيات.

عدد من أعفتهم القوّات المُسلّحة الأمريكيّة في الحَرب الثّانية لاضطرابات نفسيّة وعقليَّة (٤٣٪) من المجموع الّذي يُساوي (٩٨٠) ألفًا، وعدد من رفضوا الامتحانات لاختبار الخدمة العسكريّة (٩٦٠) ألفًا.

أما السّويد:

وهي من أرقى بلدان العالم من ناحية مستوى دخل الفرد والتَّأمينات الاجتماعيَّة ففيها أعلى نسبة للأمراض النّفسيَّة والعقليَّة، فنسبة المرضى عقليّاً وعصبيّاً ونفسيّاً (٢٥٪) من سكّان السّويد ! وتُنفق الدّولة (٣٠٪) من ميزانياتها عَلى علاجهم.

ونسبة الموظّفين الّذين يخرجون من وظائفهم بسبب هذه الأمراض يساوي (٥٠٪) من مجموع المخرّجين.

٤- أما التّمردّ فيكفي ما نشاهد من ظواهر (البيتلز والهيبيين).

٥- أما الجرائم ففي أمريكا وحسب إحصائيّات دوائرها: حصلت سنة (١٩٧٥م) (١١٠٢٥٧) جريمة.

٦- أما الجنس وأمراضه وسعاره فحدّث عنه ولا حرج، ففي نيويورك (١٢٠٨٢٩)، عمليَّة إجهاض سنة (١٩٧٤م) بنسبة ١١٣٨ إجهاض، مقابل كلّ ١٠٠٠ ولادة، و(٦٧٪) من المجهِضات غير متزوِّجَات، وفي نيويورك (١,٢٠٠,٠٠٠) شاذٍّ جنسيّاً، أجريت في جامعة (لو أنجلس/ كاليفورنيا) إحصائيّة للشّاذِّين جنسيّاً من الجنسين في الجامعة فكانت النّسبَة (٨٤٪).

وقد كانَ عدد المستشفيات المخصّصة للأمراض الجنسيّة في الولايات المتّحدة (٦٥٢)، وهذا يفوق جميع المستشفيات لجميع الأمراض عدا السّل.

ونقل المودودي رحمه الله عن دائرة المعارف البريطانيَّة أنّه في الأربعينيّات كانَ (٩٠٪) من الشَّبَاب الأمريكيّ مصابًا بالزُّهريِّ، وقد كنت أحتفظ في جيبي بصورةٍ لأحد الشَّبَاب الأمريكيّ عمره في الحادية والعشرين تزوّج جدّته وعمرها (٧٧) سنة، وعقدت لهما عقدهما الكنيسة في قرية قرب لوس أنجلس!

وقد صرح الرَّئيس كندي سنة (١٩٦٢ م) أنّ (٧, ٨٥٪) من الشَّبَاب الّذين يتقدّمون للجنديّة غير صالحين، لأنّ الشّهوات الّتي غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطّبّيّة والنّفسيّة.

إنّ مستقبل أمريكا في خطر لأنّ شبابها مائع منحلٌّ غارقٌ في الشَّهَوَاتِ، الأمر الّذي سيجعلهم عاجزين عن القيامِ بالمهامِ الملقاةِ عَلى عواتِقِهِم.

- **الانهيارُ في الشَّرق الشُّيُوعِيّ:**

أما الشّرقُ الشُّيُوعِيّ الملحدُ فحدّث ولا حرج من حيث:

١- كبت الحريّات، وتكميم الأفواه، وإحصاء الأنفاس، وأجهزة المراقبة عَلى البيوت، وشقاء الإنسان بين فكيّ الجوع والإِرهَابِ.

٢- الإنهيار الاقتصاديّ وفقد الأقوَّات من الأسواقِ رغمَ أنّ جميع دماء النّاس وعرقهم يصبُّ في جيوب الطّغمة الحاكمة.

فالإتّحاد السُّوفيتيّ {البائد} كانَ يستورد من أمريكا سنوّيًا (١٥٠٨) مليون طن من القمح، وفي رومانيا كانَ العجز في الميزانيّة سنة (١٩٦٧م) (٢١٥) مليون جنيه إسترليني، وإنتاج العامل في رومانيا بمقدار (٣٣٪ -٥٠٪) من إنتاج العامل الإيطاليّ والفرنسيّ.

وكانت نتيجة الاستفتاء الّذي أجراه (دوبتشك) سكرتير الحزب الشُّيُوعِيّ في تشيكوسلوفاكيا: أنّ (٩٠٪) من الشّعب يحبذون إلغاء الحزب الشُّيُوعِيّ من الحكم، لأن الحزب: أنانيّ، جبان، وأصحابه ذوو ضمائر سيّئة.

وبعد قرارات لينين سنة (١٩١٧م): إخضاع الملكيّات الزّراعيّة والصّناعيّة والتّجاريَّة والمؤسّسات والبنوك والعمّال ولجانهم، حصل التّدهور الاقتصاديّ الكبير، حيث انهار الإنتاج إلى (٢٠٪) مما كانَ عليه، وأمّا العملة فقد وصلت إلى (١٪) من قيمتها الّتي كانت عليها قبل الثَّورة.

٣- هِجرَة الأدمغة، وهرب العقول، رغم السّتار الحديديّ المضروب عَلى النّاس وحرمان الفرد حتَّى من جواز السّفر.

٤- الشّقاء الّذي يعاني منه العمّال وجميع الطّبقات ما عدا سدنة الحزب الشُّيُوعِيّ وكبار دهاقينهم الّذين يستأثرون بالسّلطة والمال، وبقية الأُمّة محرومون من الحياة البسيطة العاديّة، وهذا مما حدا

بشعب الشّقاء وأمّة الضّياع في المجتمعات الشُّيُوعِيّة أن تتّجه إلى الكحول بنَهمٍ عجيبٍ لم يشهد التّاريخ له مثيلاً، وذلك تسرية لأحزانهم ونسيانهم لهمومهم وشقائهم، إنّ شجرة المادّيّة بفرعيها الغربيّ النّفعيّ العلمانيّ، والشّرقيّ الإلحاديّ تتآكل اليَوْمَ وينخر بها السّوس من كلّ طرف وجزء من كيانها.

لقد بدأ العفن منذُ أيّامها الأولى لأنها قامت عَلى غير أساس وبُنِيَت على غيرِ هدى، لقد أراد زارعها الغربيّ أن يتحدّى طبيعتها وفطرتها، وظنّ أنّه يستطيع أن يغيّر صبغتها فيزرعها بلا ريٍّ، وأراد أن يغرس الموز في بلاد الإسكيمو، والصّنوبر والتّفاح في خطّ الاستواء ففشل فشلاً ذريعًا، وذهب جدّه وكدّه أدراج الرّياح، وراح جهده هباء منثورًا، لأنه تحدى إِرادَة الله وناموسه فقهر.

لقد زرع الغربيّ حضارته بعيدا عن الله، وخنق فيها الرّوح منذُ اللحظة الأولى، فولت ميتة بلا روح، مادية بلا حياة، لا يجري الدَّم في عروقها.

ولدت الحضارة الغربيّة مشلولة الدماغ، وظن الغربيّ أنه يستطيع علاج هذا الشلل، ولكن كلما تقدم الزّمان ومرت الأيّام يبين الشلل في الأعضاء والعطل في جميع الأنحاء.

إنني ألمح الذبول في فرعي الحضارة (الغربيّ والشرقي)، ولكنني أرى أن الضمور والاصفرار في الفرع الشرقي أشد وأكثر، هذا مع تأكيدي – والله أعلم – أن الشجرة بفرعها ستذوي، وليس زمن سقوطها نهَائِيًّاً بعيدا لأنها سنة الله، ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾[يونس: ١٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٨١﴾ [يونس].

سنة الله وناموسه يمضي عَلى كلّ حضارة، إن القانون يجري عَلى المجتمعات والحياة والأحياء: ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ۝٤٣﴾ [فاطر]، لقد استكبر الإنسان الغربيّ في الأرض واستعلى، ومكر السيئات، وأظهر الفساد في البلاد، فجنى حصاد ما زرعت يداه، ﴿ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ﴾

جنى الشوك والشقاء، والقلق وبالبلاء، وحصد من بذور الشك شوكا، وأنتج من بذور الهجر لله ندما وخسارا، وألما وبوارا، وضياعا وحيرة وانتحارا

أقول: إنني ألمح الذبول في الفرع الشرقي أشد رغم أنه أحدث سنا وأصغر عمرا، أراه يلوي عَلى نفسه ويتدلى بسرعة ويفقد بقية الحياة فيه اللحظة تلو اللحظة، ولذا فإنني أتوقع أن يكون انهيار الشُّيُوعِيّة – الفرع الشرقي – أسرع والله أعلم، لأن بقية نسمات الحريَّة في الفرع الغربيّ، بقية الأقلام الّتي ما زالت تنتقد وتحذر، بقية العقول الّتي لم توضع في داخل الطوق الحديدي، مازالت تشير إلى النهاية الرهيبة، بقية الأفواه المكممة ما زالت تصيح وتنذر من الهوة المهلكة الّتي ستسقط فيها البشرية.

فأوروبّا بشقيها الآن في طور الاستبدال والتغيير، ولكن من المرشح لوراثة الإنسان الغربيّ في قيادة البشرية؟ وأي حضارة هذه الّتي ستتقدم بإذن ربها لإنقاذ الإنسان؟ إنها الإِسْلَام، دين الله الّذي ارتضاه للنَّاس منهاجًا وإمامًا ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١﴾ [آل عمران].

يقول شبنجلز: **(إن للحضارة دورات فلكية تغرب هنا لتشرق هناك، وإن حضارة جديدة أوشكت عَلى الشروق في أروع صورة هيَ حضارة الإِسْلَام الّذي يملك أقوى قوة روحانية عالميّة نقية).**

وهنالك نصوص في الكتاب والسنة تؤيد هذه النَّتِيجَة وتثبت هذه الحقيقة.] أهـ.[1]

المبشرات النصية الّتي تبشر بانتصار الإسْلَام والمُسلِمين في الكتاب والسنة:

هنالك نصوص كثيرة تطمئن النّفس وتؤذن أن الإِسْلَام سيتقدم لإنقاذ البشرية كلها إن شاء الله.

أ. ففي الكتاب العزيز:

١- ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾[التوبة]

قَالَ الشّافعي: **(لَيُظْهِرَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ دِينَهُ عَلَى الْأَدْيَانِ حَتَّى لَا يُدَانَ الله عَزَّ وَجَلَّ إلَّا بِهِ وَذَلِكَ مَتَى شَاءَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى)**[2]. فلا بُدَّ إن شاء الله أن يعم هذا الدّين الأرض ليظهر عَلى الدّين كله، لا بُدَّ أن يبدد هذا النور ظلمات الجَاهِليَّة الّتي عمت الأرض، لا شيء إلا لأنه دين الله الّذي

(١) (الذخائر العظام :ج١/ ٧٦٠).

(٢) الأم للشافعي: (٤/ ١٨٠).

يشبع الرّوح، وينسجم مع الفطرة، وترتاح له النّفس، ويستقر به الضمير، وكما بين الله عَزَّ وَجَلَّ في مبررات سيادته وانتشاره أنه الهدى ودين الحقّ، ولذا لا جرم أن الحقّ ثابت والبَاطِل زاهق، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء].

٢- والحق أصيل في الأرض والنّفس، والبَاطِل دخيل لصيق في الأرض والنّفس كذلك: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم]

٣- والحق نافع يبقى، والبَاطِل زبد زائل: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد]

ب. **أما بشارات النُّبوَّة فهيَ كثيرةٌ جدّاً وإليك بعضها:**

١- روى ثوبان ﷺ قَالَ: قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**»(١).

٢- قَالَ ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**»(٢).

٣- عن أبي قبيل قَالَ: **كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي، وَسُئِلَ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا: الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَدَعَا عَبْدُ الله بِصُنْدُوقٍ لَهُ حَلَقٌ، قَالَ: فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ**

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩)

(٢) رواه أحمد (١٦٩٥٧) من حديث تميم الداري ﷺ، وصححه الأرنؤوط وقال: على شرط مسلم، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣).

الله: "بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ نَكْتُبُ، إِذْ سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا: قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا» يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةَ.[١].

٤- قَالَ ﷺ: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ الله أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ الله أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ الله أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ الله أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ الله أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»[٢].

هذه الأحاديث تطمئن القلب أن هذا الدّين سيعود لينقذ الإنسان المعذب، ويأخذ بيده من الهوة السحيقة إلى المرتقى السامق، سيطهره ويريحه ويقدم إليه إنسانيته الّتي فقدها، سيجد الإنسان أنه ولد من جديد، يتذوق السعادة والطمأنينة، ويشعر أنه مخلوق كريم إن شاء الله، وهناك حديث رواه البزار بسند صحيح وهو قريب في لفظه من الحديث الرَّابع: «إن أول دينكم نبوة ورحمة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثمّ يرفعها الله ﷻ، ثمّ يكون ملكا عضا فيكم ما شاء الله أن يكون ثمّ يرفعه الله ﷻ، ثمّ تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل في النّاس بسنة النبيّ، وَيُلْقِي الْإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ فِي الْأَرْضِ، يرضى عنها ساكن السّماء وساكن الأرض، لا تدع السّماء من قطر إلا صبته مدرارا، ولا تدع الأرض من نباتها وبركاتها شيئا إلا أخرجته»[٣].

وهناك أحاديث صحيحة كثيرة تشير إلى أن نهاية اليَهُوْد في فِلَسطِين، وأن الجيش الّذي سيقاتلهم جيش مسلم، حتَّى يقول الشجر والحجر: «يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ الله هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ»[٤].

---

(١) رواه الحاكم (٨٣٠١) وصححه الذهبي، ورواه الدارمي (٥٠٣) و أحمد (٦٦٤٥)، وضعفه الأرنؤوط، وصححه شاكر، والألباني في الصحيحة : (٤).

(٢) رواه أحمد (١٨٤٠٦) وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥).

(٣) لم أقف عليه بهذه السياقة عند البزار وغيره.

(٤) صحيح مسلم (٢٩٢٢).

وفي رواية البزار ورجالها ثقات رجال الصَّحِيح كما جاء في مجمع الزوائد للهيثمي في المجلد السَّابع[(١)]: «**أَنْتُمْ شَرْقِيَّ النهر وَهُمْ غَرْبِيَّهُ**»، ويُعقِّب رواي الحديث فيَقُولُ: ولم نكن نعرف أين الأردن من الأرض يومذاك.

فهذا يعني أن المنطقة قبل المَعْرَكة الفاصلة لا بُدَّ أن تكون محكومة بالإِسْلَام، ويهيمن الإِسْلَام عَلَى الجندي والقائد والحاكم والمحكوم، بدليل أن الشجر والحجر سينادي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله.

وقد جاء الروايات تشير إلى أن رجوع المُسلِمِين إلى الله، واستسلامهم لشرعه، وجِهَادهم في سبيله، عندما تكون الفتن تبدأ في الأرض المباركة حيث تكون الجماعة المسلمة، وحيث يقوم فسطاط المُسلِمِين.

ففي رواية الإِمَام أحمد وأبي داوود: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**». **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ:** «**بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**»[(٢)]، الحديث قسم منه في الصَّحِيحين[(٣)] وبقية الحديث جاء من روايات عديدة في غير الصَّحِيحين.

وقد عقد البيهقي بابا في سننه عنوانه: باب إظهار دين النبيّ ﷺ عَلَى سائر الأديان (ج٩/ ١٧٧)، وقد قَالَ الشَّيْخ سعيد حوى: " إن هذا الدّين سينتصر، ولا بُدَّ أن ينطلق من فوق أرض صلبة يتمثل فوقها هذا الدّين حيًا واقعيًا، وهذه الأرض الّتي تمثّل شمالَ أفغانستان مع تركستان الشَّرقيَّة والغَربيّة إسمها (طُوران) وقد أخرجت الأتراك الّذين حكموا العالم الإِسْلَاميّ خمسةَ قُرونٍ بالإِسْلَام، ومن أرضِ أفغانستانَ خرجَ محمودُ الغزنويّ الّذي حكم الهند وحطَّم ساموناتا، ومنها خرجَ أحمدْ شاه بابا الّذي حكم شرقَ إيرانَ وأفغانستانَ والهِند.

فهل يبدأ التَّغير من فِلَسطِين والأرض المباركة (بلاد الشّام)؟ أم يبدأ من خُراسان (أفغانستان)؟ إنَّه في علمِ العليمِ الحكيمِ....".

---

(١) مجمع الزوائد: (٣٣٨٧)، والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم: (٢٤٥٨) وغيرهما، وضعفه الألباني: (الضعيفة ١٢٩٧)

(٢) رواه أحمد (٢٢٣٢٠) وصححه الأرنؤوط والألباني دون: [قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»] فهذه الزيادة ضعيفة.

(٣) حتى أنه متواتر كما قال الألباني.

وإن الغرب الممزق المعذب فيه صرخات الاستنجاد، وإصبعه الباقية فوق سطح الماء قبل الغرق الوشيك تتوسل بالشرق أن يتقدم بدينه لينقذها.

يقولا (سولجنستين) – الروائي الرُّوسي –: (إن الطَّريقة الوحيدة نحو تصحيح المسار المادي المنحرف للإنسان الغربيّ المعاصر هو عودة الإنسان إلى الإيمان بقوة مهيمنة عَلى مصير الإنسان، وهي الّتي تحدد له قيمه ومسؤولياته الأخلاقية والاجتماعيَّة، وكذلك الإيمان بوجود قيم أخلاقية عالية وموضوعية شاملة لكل البشر، وهي تعلو عَلى كلّ اعتبارات الحريَّة الفرديَّة الّتي لا تحدها حدود)

ألا ترى معي أن سولجنستين يشير إلينا أن نتقدم له هذه الشّريعة الربانية الّتي تنقذه ولو رغم أنفه، وتجره إلى السعادة كارها أو راضيا؟

وهذا (ديباسيكييه) المفكر الفرنسي يرشح الإِسْلَام كمنقذ وحيد للبشرية فيقول: (إن الغرب لم يعرف الإِسْلَام أبدا، فمنذ ظهور الإِسْلَام اتخذ الغرب موقفا عدائيا منه، ولم يكف عن الإفتراء عليه والتنديد به لكي يجد المبررات لقتاله، وقد ترتب عَلى هذا التشويه أن رسخت في العقليَّة الغربيّة مقولات فظة عن الإِسْلَام، ولا شَّكَّ أن الإِسْلَام هو الوحدانية الّتي يحتاج إليها العالم المعاصر ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة الّتي لا بُدَّ إن استمرت أن تنتهي بتدمير الإنسان).] أهـ.[1]

ما أشبه اليَوْم بالبارحة:

دين الله يحارب في بلاده، وتشن عليه معارك يعرفها العام والخاص، والدعاة إلى الله يشردون ويسجنون ويقتلون ويرسفون في الأغلال عَلى يد أبناء جنسهم الّذين يلهجون بلغتهم وهم من جلدتهم.

ولكن الغرب يفرق من مستقبل هذا الدّين، الغرب بشقيه الصّليبيّ والإلحادي الشرقي، أضف إليه الخوف الرعيب الّذي ترتجف منه أوصال الصّهيونيّة العَالَمِيّة من التّيار الإِسْلَاميّ في المنطقة، وهي تحذر وتنذر وتصرخ وتخطط لمُوَاجَهة المد الإِسْلَاميّ المقبل.

يقول بن غوريون: **(نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا القوميات ولا الملكيات في المنطقة، إنما نخشى الإِسْلَام، وهذا المارد الّذي نام طويلا وبدأ يتململ في المنطقة، إنّي أخشى أن يظهر محمّد جديد في المنطقة).**

---

(١) (الذخائر العظام – ج١: ٧٦٥).

ويقول جب في كتابه (wither Islam) (جهة الإِسْلَام):

(إن الحركات الإِسْلَاميّة تتطور عادة بسرعة مذهلة مدهشة، فهي تنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الإسترابة في أمرها، فالحركات الإِسْلَاميّة لا ينقصها إلا الزعامة وظهور صلاح الدّين).] أهـ.[١]

****

المبشرات الواقعية في الواقع الحياة:

يتسم النصف الأخير من القرن العِشرين برجوع خاشع قانت إلى الله، رجوع النفوس الظامئة لري هذا الدّين، أوبة الّذين يئسوا من كلّ أنظمة الأرض، فالإنسان أصبح آيسا من كلّ التَّجَارب البشرية.

لقد فشلت الرأسمالية بديمقراطيتها، وانهارت الليبرالية بفروعها، كفر الإنسان بكل ما قدمه الفلاسفة الغربيّون، لم تستطع الطبيعة أن تملأ الفراغ الّذي خلفه دين الكنيسة بعد أن نابذته العناد والعداء، ولم يفلح ماركس في حلّ لغز الإنسان، ولم يسد جوعته لمعرفة سره وطياته وأعماقه.

لقد سقطت الأنظمة جميعا لأنها اصطدمت بفطرة الإنسان.

لقد كفر الإنسان بالفلسفة وفلاسفتها، وبالآراء ومفكريها، لقد فقد الإنسان الغربيّ والشرقي أي هدف يتعلق به في الحياة لم يعد للبشر مثل أعلى يتعلقون به ويبذلون من أجله، ولم يعد الغربيّ يردد عَلى لسانه أثناء أزَمَاته وملماته: يا الله، ولم يعد يفزع لإله ولا كنيسة ولا للمسيح فتراكم الشقاء عَلى قلبه.

ومن هنا فهذا الإنسان الحائر اليائس القلق الّذي ليس له هدف، لا يعرف لماذا يعيش، كما جاء في إحصائية في أمريكا جوابا عَلى سؤال: ما هدفك في الحياة؟ فأجاب (٨٠٪) لا أدري. (٢٠٪) قالوا: لجمع المال.

ومن هنا بدأ المفكرون في الغرب ينادون بالرجوع إلى الدّين، لقد ظهر في إحصائية للحزب الشُّيُوعِيّ الإيطالي أن (٧٠٪) منهم يترددون عَلى الكنيسة.

---

(١) (الذخائر العظام – ج١: ٧٦٧).

الشُّيُوعِيّة الّذي أنكر الله والأديان ضغطت عليه مشاعره المكبوته وفطرته المسحوقة المغمورة بالمكابرة والعناد فاضطرته إلى العودة إلى الكنيسة ليردد وراء القسيس ألحانه، لقد زار البَاب يوحنا الثّاني في يونيو حزيران سنة (١٩٧٩م) مسقط رأسه بولونيا الّتي حكمت بالشُّيُوعِيّة منذُ نيف وثلاثين عاماً فكتب الصّحف الغربيّة (الأيّام التِّسعة الّتي هزت العالم)، لم تعد رحلة الأوديسا الّتي قام بها عَلى مدى تسعة أيّام مجرد فصل مثير في تاريخ البشرية، بل أصبحت أكبر مجابهة في الأزمة الحديثة بين القوى الملحدة والمشاعر الإيمانية العارمة.

وتقول عجوز كاثوليكية في فرصوفيا – بولونيا –: (إنّنا دولة كاثوليكية منذُ ألف سنة، وسنظل هكذا عَلى الدوام).

إن الحنين إلى الله منغرز في أعماق الفطرة البشرية لن تمحوه أدوات إرهاب ولا وسائل إغراء، إن اللجوء إلى الخالق صبغة الله الّتي صبغ النّاس عليها، وفطرته الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله.

أما في العالم الشرقي الّذي كانَ يحكم بالإِسْلَام، والّذي خطط لأبنائه أن يظلوا بعيدين عن الله وعن دينه، والّذين رسم لهم أن يكفروا بكل تفكير غيبي خاصّة المثقفين منهم، حيث ظن الغرب أنه سيخرج أجيالا علمانية شهوانية لا أخلاقية، حتَّى افتخر (زويمر) في بداية هذا المؤتمر العَالَمِيّ للتبشير في القُدس سنة (١٩٣٣م) حيث قَالَ:

(إن مهمتكم إخراج المسلم من الإِسْلَام ليصبح مخلوقا لا صلة بالله وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاقية الّتي تعتمد عليها الأمم في حياتها، إنكم أعددتم شبابا في بلاد الإِسْلَام لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإِسْلَام، وبالتالي جاء النشء الإِسْلَاميّ طبقا لما أراده له الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في الدُّنيَا إلا في الشَّهَوَات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشَّهَوَات يجود بأغلى ما يملك).

يقول زويمر: **(إن السّياسيّة الاستعماريّة لما قضت منذُ سنة (١٨٨٢م) عَلى بَرَامج التّعليم في المدارس الابتدائية أخرجت منها القرآن ثمّ تاريخ الإِسْلَام، وبذلك أخرجت ناشئة لا هيَ مسلمة ولا**

هيَ مسيحية ولا هيَ يهودية، ناشئة مضطربة مادية الأغراض لا تؤمن بعَقِيْدَة ولا تعرف حقا للدين ولا للوطن حرمة).

ويقول (هاملتون جب) المستشرق الإنجليزي في كتابه (جهة الإِسْلَام) سنة (١٩٣٢): (إن العالم الإِسْلَاميّ سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينيا في كلّ مظاهر حياته)

هذا ما كانَ الغرب يتوقعه من الأجيال القادمة، ولقد عادوا يفركون أيديهم فرحا أن رأوا مجموعات من خريجي جامعاتهم لا يعبأون بدين ولا يهتمون بخلق ولا قيمة، ولكنهم يمكرون ويمكر الله ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال]، ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١﴾ [النمل].

لقد أنفقوا أموالهم، وأحكموا خططهم، ودبروا مكائدهم لإخراج جيل لا ديني – علماني –، توقع سادته أن يكون سحق الإِسْلَام في المنطقة عَلَى يده وأقاموا الجامعات، وفرضوا الاختلاط، وأقصوا الصادقين – حملة القيم والأخلاق – عن كلّ المراكز الحساسة، وقربوا دعاة الإباحية والإلحاد والعلمانيّة والفساد إليهم، ونصبوهم قضاة وسادة، وأقاموا حولهم الهالات، ونفخوا في الأقزام حتَّى أضحوا عمالقة في أعين الرعاع والدهماء، ولكن هل كانَ لهم الّذي أرادوا ؟ هل أُقصي الإِسْلَام نهَائِيًّا عن حياة الفرد والأسرة والمجتمع؟ نعم لقد جنوا بعض الثمرات النكدة لجهودهم المضنية، ولكن إلى حين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝٣٦﴾ [الأنفال]

لقد عادت المدارس الّتي خططوا لها تدفع بالأفواج إلى الله، عاد الجيل آيبا خاشعا متبتلا صادقا إلى ربه.

لقد أضحت الجامعات الّتي سهروا عَلَى منهاجها وظنوها مراكز التدمير، أضحت تقدم نماذج من الشَّبَاب الصادق الملتزم الّذي يضحي بكل شيء من أجل عقيدته ودينه.

لقد أصبحت الجامعات كبلاط فرعون يربي فيه موسى عليه الصّلاة والسَّلام ليهدم بيده عرش فرعون، ويسحب البساط من تحت رجليه.

لقد بطل السحر وألقي السحرة سجدا، وقالوا آمنا برب هارون وموسى، وقالوا لفرعون بعد تهديدهم بالقتل: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾[طه]

لم يعد سحر الحضارة الغربيّة يخدع الأبصار ويأخذ بالألباب، فلقد تفتحت أعين الجيل عَلى نور الإِسْلَام، وانفتحت بصائرهم لتقبل الحقّ، وبطل السحر وبان الزيف، بعد انبلاج الحقّ وسطوع نوره عَلى القلوب والنفوس.

حيثما تتوجه الآن في الكرة الأرضية تجد رجوعا إلى الله، ونفوسا متعطشة للدين حتَّى تستظل بفيئه بعد أن أضناها لفح الهاجرة، وأرهقها طول المشي في التيه.

أما في الشّرق الّذي كانَ دارا للإسلام يتحاكم إلى شريعته، ثمّ أقضي عن دينه تدريجيا رغبا ورهبا، فإنك تجد النفوس الآن مصممة عَلى طريق الله مهما يكن الثَّمن باهظا، طالما صفقت هذه النفوس للحضارة المادية الغربيّة الّتي أفلست.] أهـ.(١)

لقد كنت في القاهرة أيّام إعداد الدكتوراة سنة (١٩٧١م)، وكان في جامعة القاهرة – الّتي تعد حوالي مائة وعشرين ألفا – طالبة واحدة فقط ترتدي اللباس الشَّرعيّ، اليَوْم وبعد مضي بضع سَنَوات نرى العجب العجاب في الجامعة نفسها، إذ أن عدد اللواتي يرتدين اللباس الشَّرعيّ يفوق (١٥,٠٠٠) فتاة، وبينهن مجموعات تعد بالألوف ممن ينتقبن – أي يغطين وجوهن بالنقاب –، وترى مثل هذه الإعداد في جامعة الإسكندرية، وسر إلى جامعة أسيوط والمنيا وهكذا دواليك في أنحاء العالم العربيّ والإِسْلَاميّ تجد الشَّبَاب الّذي يبحث عن تراثه ودينه يتلمس الطّريق إلى ربه.

إن الكتاب الإِسْلَاميّ هو أكثر الكتب رواجا في الأسواق، لذا فقد أقبل أصحاب المطابع عليه – حتَّى أصحاب المطابع النّصرانية – وقد كانَ دارجا عَلى ألسنة تجار الكتب في بيروت وغيرها أنه إذا أشرف أحدهم عَلى الإفلاس ينصحه زملاؤه قائلين:

إطبع كمية من (ظلال القرآن) لسيد قطب، لقد اكتسح الكتاب الإِسْلَاميّ السوق، وكسدت كتب الأدب الرخيص والشعر الماجن.

---

(١) (الذخائر العظام – ج١: ٧٧٠).

لقد أضحت مكّة المكرمة هيَ قبلة الشَّبَاب فعلا – عدا عن الصّلاة – فرحلاتهم ونزهاتهم وقضاء أوقات العطل الرَّسميَّة تكون عمرة إلى البت العتيق، ودعاء عند الحجر الأسود والملتزم وزيارة للمسجد النبوي وقبر الرَّسُول ﷺ.

وكذلك التّحول الكبير من الأحزاب القوميّة والعلمانيّة الشُّيُوعِيّة إلى الحركة الإِسْلَاميّة، كما يحصل الآن في المنطقة المحتلة، وحيثما أدركك الوقت – ظهرا أو عصرا – في أروقة أية كلية في الجامعات أو مستشفى من المستشفيات يطرق مسامعك صوت الأذان الّذي يدوي بـ (اللهُ أكبَر).

لقد أصبح الفكر الإِسْلَاميّ والصوت الإِسْلَاميّ حديث المنتديات الفكريّة في الشّرق والغرب، وأصبح ذوو المناصب والهيئات في العالم الإِسْلَاميّ يحاولون أن يتلبسون بثياب الإِسْلَام نقاط التشابه بين واقعهم وبين الحياة الإِسْلَاميّة.

المظاهر الإِسْلَاميّة.. الشعائر الإِسْلَاميّة.. الحياة الإِسْلَاميّة.. في الأفراح والأحزان، العقيقة – ذبحة تذبح للمولود –، اللحية، عزل النِّسَاء عن الرّجال في قاعة الدرس.

الامتناع عن تقديم الدخان في المأتم والأفراح، والإعراض عن لبس خواتيم الخطبة خاصّة الذهبية منها.

تحري الحلال والحرام في المأكولات المستوردة المعلبات والذبح والحلويات والمعجنات والصابون واللحوم المثلجة والمرطبات...

التدقيق عَلى خلو الأطعمة والأشربة من شحم الخنزير والكحول، وانتشار أشرطة القرآن الكريم، والندوات الإِسْلَاميّة أصبحت من الظواهر الاجتماعيَّة.

امتلاء المساجد بالشَّبَاب، والرحلات في نشرة الدّعوة الإِسْلَاميّة، ودعوة النّاس إلى الكتاب والسنة.

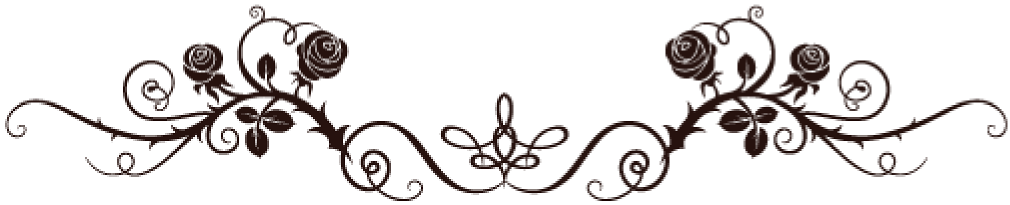
الاعتزاز بالفكر الإِسْلَاميّ، وانتقال الشَّبَاب الملتزم بدينه من دور الدّفاع إلى دور التحدي، ونقل الفكر الإِسْلَاميّ من مرحلة الاستحياء إلى مرحلة البروز والاعتزاز.

كانَ الّذين يكتبون عن الإِسْلَام يصورون الإِسْلَام كأنه متهم في قفص الاتهام يدفعون عنه، ويبررون قضايا الطلاق وتعدد الزوجات والجِهَاد، فالجِهَاد عندهم دفاعي – أي دفاع عن حدود الجَزِيرَة العربيَّة وعما حولها –.

ومُوَاجَهة هذا الدّين لأهل الكتاب كأنها قضية تارِيخِيَّة مرت وانتهت، ألا ترى الآن أن الإِسْلَام بدأ يمرغ الصّليبيّة في الوحل؟ أجل فالمسلمون الآن يعتزون بإعلان أن الجِهَاد إنما شرع لحماية الدّعوة ونشرها في كلّ أجزاء الأرض لإنقاذ الإنسان من عبادة العِبَاد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدُّنيَا إلى سعة الدُّنيَا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإِسْلَام.

والجِهَاد ماض إلى يوم القيامة، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، وأنت تبصر مصداق هذا في الشّرق الإِسْلَاميّ كله كانَ المُسلِمُون يتلمسون نقاط التشابه بين الإِسْلَام والنظم المعاصرة، ويخلعون عَلى الإِسْلَام كلّ يوم اسما جديدا، ولونا جديد ويصبغونه صبغة تشبه الصبغة الباهتة الّتي سرعان ما تزول، ففترة يطلقون عَلى الإِسْلَام بأنه (ديموقراطي)، وأخرى يسمونه (اشتراكيا)، بل أيّام الغزو الهتلري للعالم كانوا يتشبثون ببعض النقاط في النازية لتلوين الإِسْلَام بها، أما الآن فقد أضحى الشَّبَاب المسلم يبرزون الإِسْلَام كحل لقضايا العالم المعاصر ومشكلاته، وأيقن الشَّبَاب تهاوي الأنظمة الغربيّة ابتداء بالرأسمالية والدِّيمقراطيَّة وانتهاء الإشتراكية والشُّيُوعِيّة.] أهـ.[1]

انتهى النقل عن كتاب شيخنا الشّهيد رَحِمَهُ اللهُ.



(١) (الذخائر العظام – ج: ٧٧١).

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية



مِسْكُ الخِتَام



مكتبة الجيل الثالث

مِسكُ الخِتَام

ونَختِمُ هَذا الكتابَ بِمسكِ الخِتَامِ:

ونقلُ فيهِ طائفةً مِنَ المُختاراتِ مِمَّا وردَ في أَهَمِّ كُتُبِ السُّنّةِ منَ الآثارِ النّبويّةِ في أحوالِ النّاسِ في آخرِ الزّمانِ الّذي أَظلَّنَا، وأحداثه وما يكون فيهِ، ومَا وَرَدَ منْ أَخبارِ الملاحمِ والفِتنِ مع أعداءِ هذهِ الأُمّةِ وخاصّةً الملاحم معَ الرُّومِ واليَهُوْدِ، وما وردَ من الأخبارِ في خروجِ المَهديّ لِيَملأَ الأرضَ قِسطاً وعدلًا بعدَ أن مُلِأت ظُلمًا وجُورًا، وما يسبقه من إرهاصاتٍ وما يُعاصِرهُ ويتلوهُ من أحداثٍ، وما وردَ من الآثارِ في عَلاماتِ السَّاعةِ، وما يسبِقها من خروجِ الدَّجَّالِ ونزولِ عيسى بن مَريمَ عليه السلام، وخروجِ يأجوجَ ومأجوجَ، ثمّ آخر علاماتِ السَّاعة من خروجِ الدَّابَّة ثمّ خروجِ الشّمسِ من مغرِبها، ثمّ السَّاعة، نسألُ اللهَ حسنَ الختامِ في الدُّنيَا والآخرة.

وأقدّم لذلك – من أجل حسن الاستفادة من هذه المختارات – بالملاحظات والتّنبيهات المُهمَّة التّالية:

١- رتَّبت المُختارات بحيث يكون التّرتيب مُبتَدِئاً بالصَّحِيح من كتب السُّنَّة: البُخَارِيّ فمسلمٌ، فباقي الكُتُبِ السِّتَّة، ثمّ باقي المصادر – عَلى أصحابها رحمة الله –، وإذا تكرَّر الحديث في المصادر، اكتفيت بالَّذي ورد في المصدر الأصحّ، والله أعلم.

٢- نقلتُ متنَ الآثار مُكتفيًا براويها عنِ النبيّ ﷺ، من غيرِ إيرادِ السَّند للاختصار، ويمكن لمن أراد أن يعودَ للمصادِر.

٣- معلومٌ أنَّ الأقلَّ ممَّا ورد في آثار أحاديث الملاحم والفتن وأشراط السَّاعة في مجموع ما ورد، هيَ من مرتبة الحديث الصَّحِيح والحسن، وأنَّ الأكثر منها ممَّا ورد من الأحاديث الّتي تُكُلِّمَ في صحَّتها، أو من الأحاديث الضَّعيفة، وإنَّما أوردتها للاستئناس بها، وخاصَّة تلك الّتي أخبَرَت بأحوالٍ حصلت، أو تُشيرُ إرهاصاتُ أحوالِنا إلى إمكانيَّة حُصُولِها، وذلكَ

للاستئناس بها عَلى ذمَّة رواتها، ولمن أرادَ تمحيص تلك الأحاديث أن يعود بها للمختصِّين بعلومِ الحديثِ.

٤- هناك آثار تتحدَّث عن تفاصيل وعلامات يقتَربُ - واللهُ أعلمُ - زمانها مثل أحاديث خروج الرّاياتِ السُّود والمهديّ وملاحم الرُّومِ وقتال اليَهُوْد، وما يَسبِقُها ويُرافِقُها من علاماتٍ، وقد أوردتها ليكون المهتمّ بذلك عَلى علمٍ بها فيما لو حصلت، هناك العديد من أحاديثِ علاماتِ السَّاعةِ كانَ مصنَّفًا في الضَّعيف بحسب ضوابط علم الحديث، ولكن ثبت صحّتها بحصولِ ما أخبرت به، فليسَ كلّ حديث ضعيفٍ لا تثبتُ نسبته للرَّسُول ﷺ ، وليس كلّ متَّهم من الرُّواة، لم يتفق له أن يرو بعض ما يصحّ من الحديث.

٥- هناك الكثيرُ من الأحاديثِ الّتي أخبرَ بها النبيّ ﷺ عن أحداثٍ سوف تحصلُ، وحصلت فعلًا، كأخبار الفتنة الكُبرى، وبعض أحداث ما تلا من دولٍ وممالكٍ ووقائع، كعلامات بعض الأشخاص أو الملوك وأحوالهم، وبعض الأحداث مثل طاعون عمواس، وفتوحِ الرُّومِ والفرس وغيرها، وقتال أصحابِ الوجُوه كالمجان المطرّقة من التُّرك وأخبار غزو التّتار، وبعض الآيات كخبر خروج النَّار من بركان في الحجاز ورؤية ضوئها من بصرى الشّام (وقد حصلت سنة ٦٥٤هجرية وأرخ لها العُلَماء). . . إلخ، وللاختصار لم أورد تلك الآثار الّتي حصلت أخبارها فعلا – عَلى جمالها – لكونها من معجزات النّبوَّة، وهي مما يقوّي الإيمان، واكتفيت بتتبع ما نستقبلُ حدوثه والله تَعَالَى أعلم بصحّة الأخبار وبموعد حصولها لو صحَّت.

٦- الّذي لا أشكُّ فيه ختامًا – والله أعلم – أنّنا قد دخلنا زمان الملاحم والفِتن، وإرهاصات الكثير من وقائع تلك الأخبار، مما يعطي العلم بهذه الآثار أهميَّة كبرى، للاستئناس بهديه ﷺ ، والحرص عَلى النَّجاة، واللّحاق بطائفة الغُرَباء القابضين عَلى دينهم، الظَّاهِرين عَلى الحقّ لا يضرّهُم من خذلهم ولا من خالفهم حتَّى يأتي أمر الله وهم عَلى ما يرضيه، والتَّصبُّر



بما أخبر عنه رسول الله ﷺ من أحوالهم ومآلهم وما يلاقونه، وما أعدَّ الله لهم من الجزاء، جعلنا الله وإيَّاكم منه بمَنِّهِ وفَضلِه وكَرَمِهِ، إنَّه سميعٌ مُجيبٌ.

وقد بوّبتُ لتلكَ المُختاراتِ – مع الحفاظِ عَلى تقديمِ ما وردَ في الصّحاحِ والسُّنن في كلّ باب – بحيث تشتمل عَلى الأبواب التّالية:

(١) – **فسادُ الأحوالِ آخر الزّمان.**

(٢) – **فسادُ أكثر العُلَماء في آخر الزّمان.**

(٣) – **غربةُ الصّالحين في آخر الزّمان.**

(٤) – **علاماتُ السَّاعة.**

(٥) – **خروجُ المهديّ وعلاماته، وأخبار الرّاياتِ السُّودِ، وملك القحطانيّ.**

(٦) – **الملاحمُ مع الرُّومِ.**

(٧) – **خروج الدَّجَّال ونزول عيسى بن مريم** عليه السلام.

(٨) – **خروج يأجوج مأجوج.**

وإلى تلك الأحاديث الشَّريفة وما يلحق بها من الأخبارِ والآثارِ.

جولةٌ مع مختارات من الأحاديث والأخبار والآثـــار الوَاردة في أحداثِ آخرِ الزّمَانِ وما يكونُ فيه من الملاحمِ والفتنِ وعلاماتِ اقترابِ السَّاعةِ

روى الإِمَامُ مسلمٌ في صحيحِه عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ:

(قَامَ فِينَا رَسُولُ الله ﷺ مَقَامًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ).

وروى ابن حبَّان في صحيحه عن عَمْرُو بْنُ أَخْطَبَ، قَالَ:

(صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ الصُّبْحَ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَ حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، فَحَدَّثَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا).

(١) - فساد الأحوال آخر الزّمان وبلاء المُؤمِنين فيه

البُخَارِيّ:

- ٨٥ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ**»، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ الله؟ قال: «**القتلُ القتل**»(١).
- ١٨٧٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا**»(٢).
- ٧١١٤ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّمَا كَانَ النِّفَاقُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَمَّا اليَوْمَ فَإِنَّمَا هُوَ الكُفْرُ بَعْدَ الإِيمَانِ».
- ٧١١٣عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رضي الله عنه، قَالَ: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ اليَوْمَ شَرٌّ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، كَانُوا يَوْمَئِذٍ يُسِرُّونَ وَاليَوْمَ يَجْهَرُونَ».
- ٧١١٦ عن سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ، قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الخَلَصَةِ**» وَ (ذُو الخَلَصَةِ): طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ.

صَحِيحُ مُسلِمٍ:

- ١٨٤٧ عن حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ رضي الله عنه ، يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهذا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هذا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ

---

(١) البُخَارِيّ (٨٥،١٠٣٦،٦٠٣٧،٧١٢١) ومسلم (١٥٧) وغيرهم من أصحاب السنن.

(٢) كَمَا تأرز الحية إلى جحرها: أي إنها كما تنتشر من جحرها في طلب ما تعيش به فإذا راعها شيء رجعت إلى جحرها، كذلك الإيمان انتشر من المدينة.

ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[1].

- ١٤٣ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ حَدَّثَنَا: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»، ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ قَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ - ثُمَّ أَخَذَ حَصًى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ - فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا»[2].

- ٢٨٨٩ عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ

(١) البُخَارِيّ (٣٦٠٦،٧٠٨٤) ومسلم (١٨٤٧).

(٢) وأخرجه البُخَارِيّ (٦٤٩٧، ٧٠٨٦). جذر: أصل ، الوكت والوكتة : الأثر اليسير في الشيء من غير لونه، المجل: نفاخات تخرج في اليد مملوءة ماء من أثر العمل بالفأس ونحوه، منتبراً: مرتفعا منتفخاً، ساعيه : رئيسه الذي يحكم لي عليه وينصفني منه.

بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[١].

- ٢٩٠٥ عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقِ، يَقُولُ: «أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»[٢].

- ٢٩٠٥ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ مَا أَسْأَلَكُمْ عَنِ الصَّغِيرَةِ، وَأَرْكَبَكُمْ لِلْكَبِيرَةِ سَمِعْتُ أَبِي عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَاهُنَا» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ «مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ» وَأَنْتُمْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ، مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، خَطَأً فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]

- ١٥٧ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ. وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ، إِلَّا الْبَلَاءُ»[٣].

- ٢٩٠٨ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ» فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ».

---

(١) زوى: جمع، الكنزين: الذهب والفضة وقال العلماء: كنزي كسرى وقيصر، يستبيح بيضتهم: أي جماعتهم وأيضاً عزهم وملكهم

(٢) ورواه البُخَارِيّ (٧٠٩٤،٧٠٩٣،٧٠٩٢،٣٥١١،٣١٠٤،١٠٣٧). قرن الشيطان: حزبه وشيعته، وقيل: قوته وتسلطه.

(٣) ورواه البُخَارِيّ (٧١٢١).

- ٢٩٤٨ عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ، رَدَّهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، رَدَّهُ إِلَى مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، رَدَّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»(١).

سنن التِّرْمِذِيّ:

- ٢١٦٨ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تقرؤون هَذِهِ الآيَةَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله بِعِقَابٍ مِنْهُ**»(٢).
- ٢١٧٧ عَنْ رَجُلٍ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنْ أُمِّ مَالِكٍ البَهْزِيَّةِ قَالَتْ: ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ فِتْنَةً فَقَرَّبَهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَنْ خَيْرُ النَّاسِ فِيهَا؟ قَالَ: «**رَجُلٌ فِي مَاشِيَتِهِ يُؤَدِّي حَقَّهَا وَيَعْبُدُ رَبَّهُ، وَرَجُلٌ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ يُخِيفُ العَدُوَّ وَيُخِيفُونَهُ**»(٣).
- ٢١٨٨ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ البَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»(٤).

سنن أبي داوود:

- ٤٢٤٢ عن عُمير بن هاني العنسي قَالَ: سمعتُ عبد اللهَّ بن عُمر رضي الله عنهما قال: كُنَّا قُعودًا عند رسول اللهَّ ﷺ فذكر الفتن، فأكثر في ذكرها، حتَّى ذكر فِتْنَةَ الأحلاسِ، فقال قائلٌ: يا رسولَ

---

(١) المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس وسبب كثرة فضل العبادة فيه أنَّ النَّاس يغفلون عنها ويشتغلون عنها ولا يتفرَّغ لها إلَّا الأفراد.

(٢) ورواه أبو داود (٤٣٣٨) وابن ماجة (٤٠٠٥) وأحمد (١،١٦،٢٩،٣٠،٥٣) وصححه الألباني (١٥٦٤-الصحيحة).

(٣) ورواه أحمد (٢٧٣٥٣) وصححه الألباني (الصحيحة ٦٩٨).

(٤) ورواه مسلم (٨٢٢) وقال الألباني: حسن صحيح (ابن ماجة-١٦٨).

اللهَّ وما فتنةُ الأَحْلَاسِ؟ قالَ: «هِيَ هَرَبٌ وَحَربٌ، ثُمَّ فِتنةُ السَّرَّاءِ، دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْل بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنّه مِنِّي، وليسَ منّي، وإنّما أوْليَائِي المُتَّقُون، ثمَّ يَصطَلَحُ الناسُ عَلَى رجلٍ كَوَرِكٍ على ضِلَعٍ ثُمَّ فتنةُ الدُّهيْماء، لا تدعُ أَحدًا منْ هذِهِ الأمَّةِ إلا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فإذا قيل: انْقضتْ، تمادتْ يُصْبحُ الرَّجُلُ فيها مؤْمِنًا وَيُمسي كافرًا، حتّى يصير النّاسُ إلى فُسْطَاطيْنِ فُسْطاطِ إيمانٍ، لا نِفاق فيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفاقٍ لا إيمانَ فيه، فإذا كانَ ذاكُمْ فانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ غَدِهِ»[1].

- ٤٢٤٤ عَنْ سُبَيْعِ بْنِ خَالِدٍ، قَالَ: أَتَيْتُ الْكُوفَةَ فِي زَمَنِ فُتِحَتْ تُسْتَرُ، أَجْلُبُ مِنْهَا بِغَالًا، فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا صَدْعٌ مِنَ الرِّجَالِ، وَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ تَعْرِفُ إِذَا رَأَيْتَهُ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ أَهْلِ الْحِجَازِ، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَتَجَهَّمَنِي الْقَوْمُ، وَقَالُوا: أَمَا تَعْرِفُ هَذَا؟ هَذَا حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ صَاحِبُ رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: إِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، فَأَحْدَقَهُ الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي أَرَى الَّذِي تُنْكِرُونَ، إِنِّي قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ هَذَا الْخَيْرَ الَّذِي أَعْطَانَا الله، أَيَكُونُ بَعْدَهُ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: فَمَا الْعِصْمَةُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: «السَّيْفُ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ثُمَّ مَاذَا يَكُونُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ للهِ خَلِيفَةٌ فِي الْأَرْضِ فَضَرَبَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَأَطِعْهُ، وَإِلَّا فَمُتْ، وَأَنْتَ عَاضٌّ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ»، قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ، فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ، وَجَبَ أَجْرُهُ، وَحُطَّ وِزْرُهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ، وَجَبَ وِزْرُهُ، وَحُطَّ أَجْرُهُ»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ هِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ»[2].

---

(١) ورواه أحمد (٦١٦٨) وصححه الألباني :(الصحيحة-٩٧٢). وقال شعيب أرنؤوط: رجاله ثقات، لكن قال أبو حاتم فيما نقله عنه ابنه في «العلل ٢/ ٤١٧»: روى هذا الحديث ابن جابر، عن عمير بن هانئ، عن النبي ﷺ مرسلاً، والحديث عندي ليس بصحيح كأنه موضوع.

(٢) حسَّن الألباني إسناده، وروى البُخَارِيّ (٣٩٨١،٣٦٠٦) ومسلم (١٨٤٧) بمعناه. الشرح: فتجهمني: أي أظهروا لي آثار الكراهة في وجوههم، بجِذلِ: أي أصل الشجرة القائم.

• ٤٢٥٢ عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ» أَوْ قَالَ: «إِنَّ رَبِّي زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً، فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَلَا أُهْلِكُهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلَا أُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ بِأَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَحَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا، وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ - قَالَ ابْنُ عِيسَى: «ظَاهِرِينَ» ثُمَّ اتَّفَقَا - لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»[1].

• ٤٢٥٦ عَنْ عُثْمَانَ الشَّحَّامِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُسْلِمُ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ يَكُونُ الْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرًا مِنَ الْجَالِسِ، وَالْجَالِسُ خَيْرًا مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرًا مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرًا مِنَ السَّاعِي»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ إِبِلٌ، فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ، فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ»، قَالَ: فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمِدْ إِلَى سَيْفِهِ، فَلْيَضْرِبْ بِحَدِّهِ عَلَى حَرَّةٍ، ثُمَّ لِيَنْجُ مَا اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ»[2].

---

(١) صححه الألباني، وأخرجه مسلم (٢٨٨٩،١٩٢٠) وغيره.

(٢) صححه الألباني، ورواه مسلم (٢٨٨٧) وزاد: «... اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: «يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

سنن ابن ماجه:

- ٣٩٣٢ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ ﵁ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، وَيَقُولُ: «**مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ الله حُرْمَةً مِنْكِ؛ مَالِهِ، وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا**»(١).
- ٣٩٤٨ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يَدْعُو إِلَى عَصَبِيَّةٍ، أَوْ يَغْضَبُ لِعَصَبِيَّةٍ، فَقِتْلَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ**»(٢).
- ٣٩٤٩ عَنْ عَبَّادِ بْنِ كَثِيرٍ الشَّامِيِّ، عَنْ امْرَأَةٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهَا: فُسَيْلَةُ، قَالَتْ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَمِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ؟ قَالَ: «**لَا، وَلَكِنْ مِنْ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُعِينَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ**»(٣).
- ٣٩٦١ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا بِسُيُوفِكُمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنْ دُخِلَ عَلَى أَحَدِكُمْ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ**»(٤).

---

(١) ضعفه الأرنؤوط، والألباني: الضعيفة (٥٣٠٩).

(٢) صححه الألباني والأرنؤوط، ورواه مسلم (١٨٤٨).

(٣) ورواه أبو داود (٥١١٩) وأحمد (١٦٩٨٩،١٧٤٧٢). وضعفه الألباني: ضعيف غاية المرام (٣٠٥)، وقال الأرنؤوط : يحتمل التحسين بمجموع طرقه.

(٤) ورواه أبو داود (٤٢٦٢،٤٢٥٩) وأحمد (١٩٦٦٢،١٩٧٣٠). وصححه الألباني : (صحيح الجامع٢٠٤٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

- ٣٩٦٧ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَكُونُ فِتْنَةٌ تَسْتَنْظِفُ الْعَرَبَ قَتْلَاهَا فِي النَّارِ، اللِّسَانُ فِيهَا أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ السَّيْفِ**»(١).

- ٣٩٦٩ عن عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ، قَالَ: مَرَّ بِهِ رَجُلٌ لَهُ شَرَفٌ، فَقَالَ لَهُ عَلْقَمَةُ: إِنَّ لَكَ رَحِمًا، وَإِنَّ لَكَ حَقًّا، وَإِنِّي رَأَيْتُكَ تَدْخُلُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأُمَرَاءِ، وَتَتَكَلَّمُ عِنْدَهُمْ بِمَا شَاءَ الله أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ بِلَالَ بْنَ الْحَارِثِ الْمُزَنِيَّ، صَاحِبَ رَسُولِ الله ﷺ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ الله عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ الله، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِهَا سُخْطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ**» قَالَ عَلْقَمَةُ: فَانْظُرْ وَيْحَكَ مَاذَا تَقُولُ؟ وَمَاذَا تَكَلَّمُ بِهِ، فَرُبَّ كَلَامٍ قَدْ مَنَعَنِي أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ، مَا سَمِعْتُ مِنْ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ .(٢)

- ٣٩٧٣ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ، تَعْبُدُ الله لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ**» ثُمَّ قَالَ: « **أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾** حتى بلغ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة] » ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ الْجِهَادُ**» ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟**» قُلْتُ: بَلَى، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ،

(١) ورواه أبو داود (٤٢٦٥) والتِّرمِذِيّ (٢١٧٨) وأحمد (٦٩٨٠)، وضعفه الألباني: الضعيفة (٣٢٢٩) وكذا الأرنؤوط. [تَسْتَنْظِفُ الْعَرَبَ]: أي تستوعبهم هلاكاً.

(٢) وأخرجه الترمذي (٢٣١٩) ومالك في الموطأ (٢٨١٨) وله شاهد في البُخَارِيّ (٦٤٧٨) وصححه الألباني الصحيحة (٨٨٦)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

فَقَالَ: «**تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا**» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟**»(١).

- ٣٩٧٧ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**خَيْرُ مَعَايِشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَيَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً، طَارَ عَلَيْهِ إِلَيْهَا، يَبْتَغِي الْمَوْتَ أَوِ الْقَتْلَ مَظَانَّهُ، وَرَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشِّعَافِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ**»(٢).

بَابُ بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا:

- ٣٩٨٦ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»(٣).
- ٣٩٨٨ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»، قَالَ: قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «**النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ**»(٤).

بَابُ مَنْ تُرْجَى لَهُ السَّلَامَةُ مِنَ الْفِتَنِ:

- ٣٩٨٩ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﵁، أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَاعِدًا عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ يَبْكِي؟ فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: يُبْكِينِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَإِنَّ مَنْ**

---

(١) ورواه الترمذي (٢٦١٦) والنسائي (٢٢٢٥،٢٢٢٤) وصححه الألباني: الإرواء (٤١٣) وصححه الأرنؤوط.

(٢) رواه مسلم (١٨٨٩).

(٣) رواه مسلم (١٤٥).

(٤) ورواه الترمذي (٢٦٢٩) والدارمي (٢٧٩٧) وأحمد (٣٧٨٤) وصححه الألباني دون «قال: قيل..» (الصحيحة ٣/ ٢٦٩). وقوله: النزاع من القبائل -قال ابن الأثير: جمع منازع ونزيع: وهو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته، أي: بَعُد وغاب، وقيل: لأنه ينزع إلى وطنه، أي: ينجذب إليه ويميل، والمراد الأول، أي: طوبى للمهاجرين الذين هجروا أوطانهم في الله تعالى.



عَادَى للهِ وَلِيًّا، فَقَدْ بَارَزَ اللهَ بِالْمُحَارَبَةِ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا، وَلَمْ يُعْرَفُوا قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ»(١).

- ٣٩٩٠ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ، لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً»(٢).

بَابُ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ:

- ٣٩٩٢ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ»(٣).
- ٤٠٠١ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، إِذْ دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مِنْ مُزَيْنَةَ تَرْفُلُ فِي زِينَةٍ لَهَا فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْهَوْا نِسَاءَكُمْ عَنْ لُبْسِ الزِّينَةِ، وَالتَّبَخْتُرِ فِي الْمَسْجِدِ، فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يُلْعَنُوا حَتَّى لَبِسَ نِسَاؤُهُمُ الزِّينَةَ، وَتَبَخْتَرْنَ فِي الْمَسَاجِدِ»(٤).
- ٤٠١٩ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا

---

(١) ضعفه الألباني: الضعيفة (٢٩٧٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف جداً.

(٢) رواه البُخَارِيّ (٦٤٩٨)، ومسلم (٢٥٤٧).

(٣) صححه الألباني: الصحيحة (١٤٩٢) وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٤) قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف. وضعفه الألباني: الضعيفة (٤٨٢١).

الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ الله عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ الله، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ الله، إِلَّا جَعَلَ الله بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»(١).

- ٤٠٢٠ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يُعْزَفُ عَلَى رُءُوسِهِمْ بِالْمَعَازِفِ، وَالْمُغَنِّيَاتِ، يَخْسِفُ الله بِهِمُ الْأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ»(٢).

- ٤٠٢١ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة]، قَالَ: «دَوَابُّ الْأَرْضِ»(٣).

- ٤٠٤٩ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فَنَحْنُ نَقُولُهَا » فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ» ثَلَاثًا(٤).

- ٤٠٥٤ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ عَبْدًا، نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ، لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيتًا مُمَقَّتًا، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا مَقِيتًا مُمَقَّتًا، نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ،

---

(١) حسنه الألباني: الصحيحة (١٠٦)، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف.

(٢) ورواه البُخَارِيّ في صحيحه بلفظ قريب (٥٥٩٠).

(٣) ضعف إسناده الألباني والأرنؤوط.

(٤) صححه الألباني: الصحيحة (٨٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ، لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِنًا مُخَوَّنًا، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا خَائِنًا مُخَوَّنًا، نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ، لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيمًا مُلَعَّنًا، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا رَجِيمًا مُلَعَّنًا، نُزِعَتْ مِنْهُ رِبْقَةُ الْإِسْلَامِ»[1]

- ٤٠٥٨ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: «أُمَّتِي عَلَى خَمْسِ طَبَقَاتٍ: فَأَرْبَعُونَ سَنَةٍ، أَهْلُ بِرٍّ وَتَقْوَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ إِلَى عِشْرِينَ وَمِائَةِ سَنَةٍ، أَهْلُ تَرَاحُمٍ وَتَوَاصُلٍ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، إِلَى سِتِّينَ وَمِائَةِ سَنَةٍ أَهْلُ تَدَابُرٍ وَتَقَاطُعٍ، ثُمَّ الْهَرْجُ الْهَرْجُ، النَّجَا النَّجَا»[2].

صحيح ابن حبان:

- ٦٧٠٣ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فمن؟**»[3].
- ٦٧٠٤ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، يَبِيعُ دِينَهُ بعرض من الدنيا**»[4].

---

(١) قال الألباني: موضوع -الضعيفة (٣٠٤٤)، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف جداً.

(٢) ضعفه الألباني: الضعيفة (٢٩٤٠)، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، ومتنه باطل كما قال أبو حاتم فيما نقله المزي في ترجمة خازم العنزي من "تهذيب الكمال"، وقال الذهبي: خبر منكر، نقله عنه ابن حجر في ترجمة المسور بن الحسن من "تهذيب التهذيب"، وذكر ابنُ الجوزي الحديثَ في "الموضوعات".

(٣) رواه البُخَارِيّ (٧٣٢٠) ومسلم (٢٦٦٩) في صحيحهما.

(٤) رواه مسلم (١١٨).

- ٦٧٠٦ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، يَظْهَرُ النِّفَاقُ، وَتُرْفَعُ الْأَمَانَةُ، وَتُقْبَضُ الرَّحْمَةُ، وَيُتَّهَمُ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ غَيْرُ الْأَمِينِ، أَنَاخَ بِكُمُ الشُّرْفُ الجُونُ**»، قَالُوا: وَمَا الشُّرْفُ الجُونُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**فِتَنٌ كقطع الليل المظلم**»(١).
- ٦٧١٥ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَتُنْتَقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتُقِضَتْ عُرْوَةٌ، تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا: الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ: الصلاة**»(٢).
- ٦٧٢٦ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَيَأْتِيَنَّ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بما أخذ المال: بحلال أو حرام**»(٣).
- ٦٧٢٩ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ -ثُمَّ الله أَعْلَمُ أَذَكَرَ الثَّالِثَ أَمْ لَا - ثُمَّ يَنْشَأُ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، ويفشو فيهم السّمن**»(٤).
- ٦٧٥٤ عن أَبِي عَامِرٍ، وَأَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيَّانَ ﵄ سَمِعَا رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لَيَكُونَنَّ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ والمعازف**»(٥).
- ٦٧٦٠ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي المساجد**»(٦)

---

(١) ورواه الحاكم (٨٧٢٥) وقال صحيح ووافقه الذهبي في التعليق ، إلا أنه قد تحرّفَ فيه "الشرف الجون" إلى: "السرف والحوب" ، وحسنه الألباني: «الصحيحة» (٣١٩٤).

(٢) ورواه أحمد (٢٢١٦٠) وصححه الألبانيُّ «التعليق الرغيب» (١/ ١٩٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده قويٌّ.

(٣) رواه البُخَارِيّ (٢٠٥٩).

(٤) رواه البُخَارِيّ (٦٦٩٥،٦٤٢٨،٣٦٥٠) ومسلم (٢٥٣٥).

(٥) رواه البُخَارِيّ مطولاً (٥٥٩٠).

(٦) ورواه أبو داود (٤٤٩) والنسائي (٦٨٩) وأحمد (١٢٣٧٩، ١٤٠٢٠) وغيرهم، وصححه الألباني: (المشكاة ٧١٩)، وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح.

ذِكْرُ الْإِخْبَارِ بِأَنَّ مِنْ أَمَارَةِ آخِرِ الزَّمَانِ اشْتِغَالَ النَّاسِ بِحَدِيثِ الدُّنْيَا فِي مَسَاجِدِهِمْ.

- ٦٧٦١ عَنْ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فِي مساجدهم، ليس لله فيهم حاجة**»(١).
- ٦٧٦٧ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَتَسَافَدُوا فِي الطَّرِيقِ تَسَافُدَ الْحَمِيرِ**» قُلْتُ: إِنَّ ذَاكَ لَكَائِنٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ ليكونن**»(٢).
- ٦٧٦٨ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثٍ لَا يُحَدِّثُكُمْ بِهِ أَحَدٌ بَعْدِي سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، أَوْ مِنْ شَرَائِطِ السَّاعَةِ، أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَى، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قيّم واحد**»(٣).

موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي:

- ١٨٣٦ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ إِبْلِيسَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ وَلكنه فِي التحريش بَينهم**»(٤).
- ١٨٤٢ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُول أَو يتكلّم بِحَق إِذا رَآهُ أَوْ عَرَفَه**» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَمَا زَالَ بِنَا الْبَلَاءُ حَتَّى قَصَّرْنَا، وَإِنَّا لَنُبَلِّغُ فِي السِّرِّ(٥).

---

(١) صححه الألباني: (الصحيحة ١١٦٣)، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٢) صححه الألباني: «الصحيحة» (٤٨١)، وحسنه الأرنؤوط.

(٣) رواه البُخَارِيّ (٨٠،٥٢٣١،٥٥٧٧،٦٨٠٨) ومسلم (٢٦٧١).

(٤) رواه مسلم بلفظ قريب (٢٨١٢)، وأحمد (١٤٣٦٦،١٤٩٤٠،١٥١١٨).

(٥) صححه الألباني (الصحيحة-١٦٨)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

- ١٨٤٥ عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ يَذْكُرُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الله جَلَّ وَعَلا يَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ لَهُ مَا مَنعك إِذْ رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ فَإِذَا لَقَّنَ الله عبدًا حجَّته فَيَقُولُ يَا رَبِّ وَثِقْتُ بِكَ وَفَرِقْتُ مِنَ النَّاسِ أَو فرقت من النَّاس ووثقت بك**»(١).

المستدرك عَلى الصَّحِيحين (أبو عبدالله الحاكم النيسابوري):

- ٨٢٩٤ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ، قَالَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ أَهْلَ دِينَيْنِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي النَّارِ: قَوْمٌ يَقُولُونَ: إِنْ كَانَ أَوَّلُنَا ضُلَّالًا مَا بَالُ خَمْسِ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، إِنَّمَا هُوَ صَلَاتَانِ الْعَصْرُ وَالْفَجْرُ، وَقَوْمٌ يَقُولُونَ: إِنَّمَا الْإِيمَانُ كَلَامٌ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ قَتَلَ»، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٢).
- ٨٣٠١ عن عَبْدِ الله بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ، يَقُولُ: تَذَاكَرْنَا فَتْحَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَالرُّومِيَّةِ، فَدَعَا عَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو بِصُنْدُوقٍ فَفَتَحَهُ، فَقَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ نَكْتُبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ قَبْلُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**مَدِينَةُ هِرَقْلَ**» يُرِيدُ مَدِينَةَ الْقُسْطَنْطِينِيَّة. هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٣).
- ٨٣٠٢ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: «**أَعَاذَكَ الله يَا كَعْبُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ**» قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لَا يَهْدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا يَرِدونَ عَلَى حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُونَ عَلَيَّ حَوْضِي، يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ،**

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١٧) وابن حبان (١٨٤٥) وحسنه الألباني (الصحيحة ٩٢٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده قوي

(٢) وافقه الذهبي، وقال مقبل الوادعي: في إسناده يحيى ابن أبي عمرو السّيباني وابن الديلمي ليسا من رجال الشيخين.

(٣) وقال الذهبي: على شرط البُخَارِيّ ومسلم، وقال الوادعي: لا ففي إسناده أبو قبيل ليس من رجالهما. ورواه الدارمي (٥٠٣) وأحمد (٦٦٤٥). وقال الأرنؤوط في تحقيق المسند :إسناده ضعيف، وقال شاكر والألباني: صحيح .

وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَالصَّلَاةُ قُرْبَانٌ - أَوْ قَالَ: بُرْهَانٌ -، يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ أَبَدًا، النَّارُ أَوْلَى بِهِ، يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَانِ فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا - أَوْ قَالَ: فَمُوبِقُهَا -» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ(١).

- ٨٣٠٣ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ ﵁، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، إِذْ مَرَرْتُ فَسَمِعَ صَوْتِي، فَقَالَ: «**يَا عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ، ادْخُلْ**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَكُلِّي أَمْ بَعْضِي؟ فَقَالَ: «**بَلْ كُلُّكَ**» قَالَ: فَدَخَلْتُ، فَقَالَ: «**يَا عَوْفُ، اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ**» فَقُلْتُ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَوْتُ رَسُولِ اللهِ**» فَبَكَى عَوْفٌ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُلْ: إِحْدَى**» قُلْتُ: إِحْدَى، ثُمَّ قَالَ: «**وَفَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قُلِ: اثْنَيْنِ**» قُلْتُ: اثْنَيْنِ، قَالَ: «**وَمَوْتٌ يَكُونُ فِي أُمَّتِي كَعُقَاصِ الْغَنَمِ، قُلْ: ثَلَاثٌ**» قُلْتُ: ثَلَاثٌ، قَالَ: «**وَتُفْتَحُ لَهُمُ الدُّنْيَا حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ الْمِائَةَ فَيَسْخَطَهَا، قُلْ: أَرْبَعٌ**»، قُلْتُ: أَرْبَعٌ، «**وَفِتْنَةٌ لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ بَيْتَهُ، قُلْ: خَمْسٌ**» قُلْتُ: خَمْسٌ، «**وَهُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ يَأْتُونَكُمْ عَلَى ثَمَانِينَ غَايَةً، كُلُّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، ثُمَّ يَغْدِرُونَ بِكُمْ حَتَّى حَمْلِ امْرَأَةٍ**» قَالَ: فَلَمَّا كَانَ عَامَ عَمْوَاسَ زَعَمُوا أَنَّ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ لِي: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ**» فَقَدْ كَانَ مِنْهُنَّ الثَّلَاثُ وَبَقِيَ الثَّلَاثُ، فَقَالَ مُعَاذٌ: إِنَّ لِهَذَا مُدَّةً وَلَكِنْ خَمْسٌ أَظَلَّتْكُمْ مَنْ أَدْرَكَ مِنْهُنَّ شَيْئًا ثُمَّ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ فَلْيَمُتْ: أَنْ يَظْهَرَ التَّلَاعُنُ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَيُعْطَى مَالُ اللهِ عَلَى الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَتُقْطَعُ الْأَرْحَامُ، وَيُصْبِحُ الْعَبْدُ لَا يَدْرِي أَضَالٌّ هُوَ أَمْ مُهْتَدٍ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ(٢).

---

(١) قال الذهبي في التعليق : صحيح، ورواه أحمد (١٥٢٦٤،١٤٦٦٩،١٤٤٤١) وغيره وقال الأرنؤوط إسناده قوي على شرط مسلم ، وقال الألباني :صحيح (١٧٢٠ التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان).

(٢) وافقه الذهبي. ورواه البخاري (٣١٧٦) بسياق آخر، وأحمد (٢٣٩٨٥) وغيرهم.

- ٨٣٠٨ عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا مَنْ دَعَا دُعَاءَ الْغَرَقِ» هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(١).

- ٨٣١٤ عَنْ عَمْرِو بْنِ وَابِصَةَ الْأَسَدِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: إِنِّي لَبِالْكُوفَةِ فِي دَارِي، إِذْ سَمِعْتُ عَلَى بَابِ الدَّارِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَلِجُ؟ فَقُلْتُ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ فَلْجَّ، فَلَمَّا دَخَلَ إِذَا هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَيَّةُ سَاعَةٍ هَذِهِ لِلزِّيَارَةِ - وَذَلِكَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ - قَالَ: طَالَ عَلَيَّ النَّهَارُ، فَتَذَكَّرْتُ مَنْ أَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ فَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأُحَدِّثُهُ، قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنِي، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ: «**تَكُونُ فِتْنَةٌ النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمُضْطَجِعِ، وَالْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ، وَالْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ الرَّاكِبِ، وَالرَّاكِبُ خَيْرٌ مِنَ الْمُجْرِي**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَتَى ذَلِكَ؟ قَالَ: «**ذَلِكَ أَيَّامَ الْهَرْجِ حِينَ لَا يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ**» قُلْتُ: فَبِمَ تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الزَّمَانَ؟ قَالَ: «**اكْفُفْ نَفْسَكَ وَيَدَكَ وَادْخُلْ دَارَكَ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ دَارِي؟ قَالَ: «**فَادْخُلْ بَيْتَكَ**» قَالَ: قُلْتُ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي؟ قَالَ: «**فَادْخُلْ مَسْجِدَكَ وَاصْنَعْ هَكَذَا - وَقَبَضَ بِيَمِينِهِ عَلَى الْكُوعِ - وَقُلْ رَبِّيَ اللهُ حَتَّى تَمُوتَ عَلَى ذَلِكَ**» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٢).

- ٨٣٢٥ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى بِضْعٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، أَعْظَمُهَا فِرْقَةٌ قَوْمٍ يَقِيسُونَ الْأُمُورَ بِرَأْيِهِمْ فَيُحَرِّمُونَ الْحَلَالَ وَيُحَلِّلُونَ الْحَرَامَ**» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٣)

---

(١) وافقه الذهبي ورده الوادعي. ورواه البيهقي (شعب الإيمان- ١٠٧٧) وأخرجه ابن أبي شيبة في (المصنف-٧١٤٦ -٣٧١٤٥) بإسنادٍ رجاله رجال الشيخين.

(٢) قال الذهبي: صحيح. وقال الوادعي: عمرو بن وابصة روى عنه جماعة ولم يوثقه مُعتَبرٌ. ورواه أحمد بإسنادين (٤٢٨٦،٤٢٨٧) وضعف إسناديه الأرنؤوط.

(٣) تفرد بهذا اللفظ نعيم بن حماد، وقال الوادعي: نعيم ابن حماد ضعيف والحديث مما أُنكر على نعيم.

- ٨٣٢٧ قَالَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ ﵁: «إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ الصَّامِتِ، وَالْقَائِمُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ، وَإِنَّ بَعْدَكُمْ زَمَانًا الصَّامِتُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ النَّاطِقِ، وَالْقَاعِدُ فِيهِ خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ» قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، كَيْفَ يَكُونُ أَمْرٌ مَنْ أَخَذَ بِهِ الْيَوْمَ كَانَ هُدًى، وَمَنْ أَخَذَ بِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ كَانَ ضَلَالَةً؟ قَالَ: « قَدْ فَعَلْتُمُوهُ اعْتَبِرُوا ذَلِكَ بِرَجُلَيْنِ مَرَّا بِقَوْمٍ يَعْمَلُونَ بِالْمَعَاصِي فَأَنْكَرَا كِلَاهُمَا، وَصَمَتَ أَحَدُكُمَا فَسَلِمَ وَتَكَلَّمَ الْآخَرُ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ تَفْعَلُونَ وَتَفْعَلُونَ، فَأَخَذُوهُ وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى ذِي سُلْطَانِهِمْ، فَلَمْ يَزَلْ - أَوْ لَمْ يَزَالُوا - بِهِ حَتَّى أَخَذَ بِأَخْذِهِ، وَعَمِلَ بِعَمَلِهِ». هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(١).
- ٨٣٣١ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: « أَيُّهَا النَّاسُ، أَظَلَّتْكُمْ فِتَنٌ كَأَنَّهَا قِطَعُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، أَيُّهَا النَّاسُ فِيهَا - أَوْ قَالَ: مِنْهَا - صَاحِبُ شَاءٍ يَأْكُلُ مِنْ رَأْسِ غَنَمِهِ، وَرَجُلٌ مِنْ وَرَاءِ الدَّرْبِ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ يَأْكُلُ مِنْ سَيْفِهِ» مَوْقُوفٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٢)
- ٨٣٣٢ عن سبيع بن خالد قَالَ: قَالَ حذيفة ﵁: إِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ هَذَا الْخَيْرَ الَّذِي أَعْطَانَا الله يَكُونُ بَعْدَهُ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، فَمَا الْعِصْمَةُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**السَّيْفُ**» قُلْتُ: وَهَلْ لِلسَّيْفِ مِنْ بَقِيَّةٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**ثُمَّ هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ**» قَالَ: «**جَمَاعَةٌ عَلَى فِرْقَةٍ، فَإِنْ كَانَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةٌ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ وَإِلَّا فَمُتْ عَاضًّا بِجِذْلِ شَجَرَةٍ**» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ وَمَعَهُ**

---

(١) وافقه الذهبي. وقال الوادعي: على شرط مسلم فقط، وموقوف على حذيفة.

(٢) قال الذهبي: صحيح موقوف. وقال الوادعي: لا، فالذي رواه عن أبي هريرة نافع بن سرجس لم يوثقه معتبر فهو مجهول العين، وحسن الأرنؤوط حديث نافع في تحقيق المسند، وأورد الألباني الحديث في الصحيحة- (١٩٨٨).



نَهرٌ وَنارٌ، فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ أَجَرَهُ وَحطَّ وِزْرَهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ وَجَبَ وِزْرُهُ وَحُطَّ أَجْرُهُ» قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ إِنَّمَا هِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(١).

- ٨٣٣٣ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «إِنَّ لِلْفِتْنَةِ وقَفَاتٍ وَتَعَبَاتٍ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ فِي وَقَفَاتِهَا فَلْيَفْعَلْ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٢).
- ٨٣٣٧ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لَتُنْتَقَيَنَّ كَمَا يُنْتَقَى التَّمْرُ مِنَ الْجُفْنَةِ فَلْيَذْهَبَنَّ خِيَارُكُمْ وَلَيَبْقَيَنَّ شِرَارُكُمْ، فَمُوتُوا إِنِ اسْتَطَعْتُمْ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٣).
- ٨٣٤٣ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «لَا تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ لَا يَرَوْنَ لَكُمْ حَقًّا إِلَّا إِذَا شَاءُوا» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ(٤).
- ٨٣٤٤ عن عَبْدُ الله بْنُ رَافِعٍ، مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ يُوشِكُ أَنْ تَرَى قَوْمًا يَغْدُونَ فِي سَخَطِ الله، وَيَرُوحُونَ فِي لَعَنْتِهِ فِي أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٥).
- ٨٣٤٥ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ الثَّقَفِيِّ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوشِكُونَ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ - أَوْ قَالَ: خِيَارَكُمْ مِنْ

---

(١) قال الذهبي :صحيح. وقال الوادعي :لا فسبيع بن خالد لم يوثقه معتبر فهو مجهول. وروى الحديث أبو داود(٤٢٤٤) وحسنه الألباني، وأحمد (٢٣٤٢٥) وحسنه الأرنؤوط، وله شاهد في الصحيحين.

(٢) قال الذهبي : إسناده على شرط البُخَارِيّ ومسلم، و قال الوادعي : هو موقوف.

(٣) وافقه الذهبي. قال الوادعي : في إسناده أبو حميد مولى مسافع مجهول. ورواه ابن ماجة (٤٠٣٨) وقال الألباني: (ضعيف بهذا التمام وهو ثابت دون قوله فموتوا)

(٤) وافقه الذهبي، وقال الوادعي : موقوف.

(٥) وافقه الذهبي. وقال الوادعي : وهم الحاكم فهو ليس على شرط البُخَارِيّ . ولقد رواه مسلم (٢١٢٨،٢٨٥٧).

شِرَارِكُمْ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ: بِمَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّءِ، أَنْتُمْ شُهُودٌ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ**» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(١)

- ٨٣٤٦ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**سَيَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى الْمَيَاثِرِ حَتَّى يَأْتُوا أَبْوَابَ مَسَاجِدِهِمْ، نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ عَلَى رُءُوسِهِمْ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ، الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ، لَوْ كَانَتْ وَرَاءَكُمْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ لَخَدَمَهُمْ كَمَا خَدَمَكُمْ نِسَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ**» فَقُلْتُ لِأَبِي: وَمَا الْمَيَاثِرُ؟ قَالَ: «**سُرُوجًا عِظَامًا**». هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٢).
- ٨٣٤٨ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ وَمَعَهُ دِينُهُ فَيَرْجِعُ وَمَا مَعَهُ شَيْءٌ مِنْهُ يَأْتِي الرَّجُلَ لَا يَمْلِكُ لَهُ وَلَا لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، فَيُقْسِمُ لَهُ بِالله إِنَّكَ لَذَيْتَ وَذَيْتَ فَيَرْجِعُ مَا خَلَّى مِنْ حَاجَتِهِ بِشَيْءٍ، وَقَدْ أَسْخَطَ الله عَلَيْهِ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٣)
- ٨٣٤٩ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، لَا تَنْقَضِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَتَّى يَقَعَ بِهِمُ الْخَسْفُ وَالْمَسْخُ وَالْقَذْفُ**» قَالُوا: وَمَتَى ذَلِكَ يَا نَبِيَّ الله بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتَ النِّسَاءَ قَدْ رَكِبْنَ السُّرُوجَ، وَكَثُرَتِ الْقَيْنَاتُ، وَشُهِدَ شَهَادَاتُ الزُّورِ، وَشَرِبَ الْمُسْلِمُونَ**

---

(١) وافقه الذهبي. وأخرجه أحمد (٢٧٦٤٥،٢٤٠٠٩،١٥٤٣٩) وقال الأرنؤوط: صحيح يحتمل التحسين، ورواه ابن ماجة (٤٢٢١) وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) قال الحاكم على شرط الشيخين، ورد ذلك الذهبي، والوادعي، والألباني في الصحيحة (٢٦٨٣). وأخرج نحوه أحمد (٧٠٨٦) وصحح إسناده شاكر في حاشية المسند، وحسنه الألباني في (الصحيحة-٢٦٨٣). ويشهد لبعضه ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات، عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا، وكذا».

(٣) وافقه الذهبي. وقال الوادعي : موقوف.



فِي آنِيَةِ أَهْلِ الشِّرْكِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَاسْتَغْنَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ فَاسْتَذْفِرُوا وَاسْتَعِدُّوا» وَقَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ وَسَتَرَ وَجْهَهُ.(١)

- ٨٣٥٠ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: «جُعِلَتْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَمْسُ فِتَنٍ: فِتْنَةٌ عَامَّةٌ، ثُمَّ فِتْنَةٌ خَاصَّةٌ، ثُمَّ فِتْنَةٌ عَامَّةٌ، ثُمَّ فِتْنَةٌ خَاصَّةٌ، ثُمَّ تَأْتِي الْفِتْنَةُ الْعَمْيَاءُ الصَّمَّاءُ الْمُطْبِقَةُ الَّتِي تَصِيرُ النَّاسُ فِيهَا كَالْأَنْعَامِ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ(٢).
- ٨٣٥١ عَنْ أَبِي ثَوْرٍ، قَالَ: دَفَعْتُ إِلَى حُذَيْفَةَ، وَابْنِ مَسْعُودٍ وَهُمَا يَتَحَدَّثَانِ فِي الْمَسْجِدِ فَذَكَرُوا الْفِتْنَةَ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «مَا كُنْتُ أَرَى تَرْتَدَّ عَلَى عَقِبَيْهَا لَمْ يُهَرَاقَ فِيهَا مِحْجَمَةٌ مِنْ دَمٍ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُصْبِحُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، يُقَاتِلُ فِي الْفِتْنَةِ الْيَوْمَ وَيَقْتُلُهُ اللهُ غَدًا، يَنْكُسُ قَبْلَهُ فَتَعْلُوا اسْتُهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: صَدَقْتَ هَكَذَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ(٣).
- ٨٣٥٢ عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُخَيَّرُ فِيهِ الرَّجُلُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالْفُجُورِ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ فَلْيَخْتَرِ الْعَجْزَ عَلَى الْفُجُورِ**» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ(٤).
- ٨٣٦٠ عَنْ أَبِي كَبْشَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ ﷺ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ**

(١) قال الذهبي: في إسناده سليمان اليمامي وقد ضعَّفوه والخبر منكر. ويقصد بالنكارة تفرد سليمان بهذا السياق والله أعلم.

(٢) قال الذهبي : صحيح.

(٣) قال الذهبي : صحيح. وقال الوادعي : والأثر موقوف.

(٤) قال الذهبي: صحيح. وتتبعه الوادعي فوجد في إسناده سعيد – مجهول. ورواه أحمد (٧٧٣٠) وقال شاكر والأرنؤوط في تحقيقهما المسند: إسناده ضعيف، وكذا ضعفه الألباني: (الضعيفة-٣٧١١).

السَّاعِي إِلَيْهَا» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ**» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(١).

- ٨٣٦٥ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَجْتَمِعُونَ فِي الْمَسَاجِدِ لَيْسَ فِيهِمْ مُؤْمِنٌ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٢).
- ٨٣٧١ عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَا تَزَالُ الْأُمَّةُ عَلَى شَرِيعَةٍ مَا لَمْ تَظْهَرْ فِيهِمْ ثَلَاثٌ: مَا لَمْ يُقْبَضْ مِنْهُمُ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرُ فِيهِمْ وَلَدُ الْخُبْثِ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّقَّارُونَ**» قَالُوا: وَمَا السَّقَّارُونَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**بَشَرٌ يَكُونُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ تَكُونُ تَحِيَّتُهُمْ بَيْنَهُمْ إِذَا تَلَاقَوا التَّلَاعُنُ**» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاه(٣).
- ٨٣٨٢ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ أَهْلِي حِينَ تَعَشَّوْا عَشَاءَهُمْ، وَاغْتَبَقُوا غَبُوقَهُمْ أَصْبَحُوا مَوْتَى عَلَى فُرُشِهِمْ، قِيلَ: يَا أَبَا فُلَانٍ، أَلَسْتَ عَلَى غِنًى؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ، يَقُولُ: «يُوشِكُ يَا ابْنَ أَخِي إِنْ عِشْتَ إِلَى قَرِيبٍ أَنْ تَرَى الرَّجُلَ يُغْبَطَ بِخِفَّةِ الْحَالِ كَمَا يُغْبَطُ الْيَوْمَ أَبُو الْعَشَرَةِ الرِّجَالِ، وَيُوشِكُ إِنْ عِشْتَ إِلَى قَرِيبٍ أَنْ تَرَى الرَّجُلَ الَّذِي لَا يَعْرِفُهُ السُّلْطَانُ، وَلَا يُدْنِيهُ، وَلَا يُكْرِمُهُ يُغْبَطُ كَمَا يُغْبَطُ الْيَوْمَ الَّذِي يَعْرِفُهُ السُّلْطَانُ وَيُدْنِيهِ وَيُكْرِمُهُ، وَيُوشِكُ يَا ابْنَ أَخِي إِنْ عِشْتَ إِلَى قَرِيبٍ أَنْ يَمُرَّ بِالْجَنَازَةِ فِي السُّوقِ فَيَرْفَعُ الرَّجُلُ رَأْسَهُ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي عَلَى أَعْوَادِهَا » قَالَ: قُلْتُ: تَدْرِي مَا بِهِمْ؟ قَالَ: «عَلَى مَا كَانَ»، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْ أَمْرٍ عَظِيمٍ، قَالَ: «أَجَلْ عَظِيمٌ عَظِيمٌ عَظِيمٌ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٤).

---

(١) سكت عنه الذهبي في التلخيص. ورواه أبو داوود (٤٢٦٢) وصححه الألباني، ورواه أحمد (١٩٦٦٠) وصححه الأرنؤوط.

(٢) قال الذهبي: على شرط الشيخين. وقال الوادعي: إلا أنه موقوف.

(٣) قال الذهبي: منكر. ورواه أحمد (١٥٦٢٨) وضعفه الجميع.

(٤) قال الذهبي: على شرط البُخَارِيّ ومسلم. وقال الوادعي : إلا أنه موقوف.

- ٨٣٨٤ عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ ، يَقُولُ: «**لَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ عَلَى أُمَّتِي حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْهَا بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْهَا الْأَوْثَانَ**»[١].

- ٨٣٩٢ عَنْ أَبَانَ عنِ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسٍ الْحَنْظَلِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي أَنْ يُؤْخَذَ الرَّجُلُ مِنْكُمُ الْبَرِيءُ فَيُؤْشَرُ كَمَا تُؤْشَرُ الْجُزُورُ، وَيُشَاطُ لَحْمُهُ كَمَا يُشَاطُ لَحْمُهَا، وَيُقَالُ عَاصٍ وَلَيْسَ بِعَاصٍ» قَالَ: فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَهُوَ تَحْتَ الْمِنْبَرِ: «وَمَتَى ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ وَبِمَا تَشْتَدُّ الْبَلِيَّةُ وَتَظْهَرُ الْحَمِيَّةُ وَتُسْبَى الذُّرِّيَّةُ وَتَدُقُّهُمُ الْفِتَنُ كَمَا تَدُقُّ الرَّحَا ثُفْلَهَا، وَكَمَا تَدُقُّ النَّارُ الْحَطَبَ؟» قَالَ: «وَمَتَى ذَلِكَ يَا عَلِيُّ؟» قَالَ: «إِذَا تَفَقَّهَ الْمُتَفَقِّهُ لِغَيْرِ الدِّينِ، وَتَعَلَّمَ الْمُتَعَلِّمُ لِغَيْرِ الْعَمَلِ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ»، قَالَ أَبَانُ: وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَخَافُ عَلَيْكُمُ الْهَرْجَ**» قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**الْقَتْلُ**» قَالُوا: وَأَكْثَرُ مِمَّا يُقْتَلُ الْيَوْمَ إِنَّا لَنَقْتُلُ فِي الْيَوْمِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَيْسَ قَتْلَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ قَتْلَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**» قَالُوا: وَفِينَا كِتَابُ الله؟ قَالَ: «**وَفِيكُمْ كِتَابُ الله عَزَّ وَجَلَّ**» قَالُوا: وَمَعَنَا عُقُولُنَا؟ قَالَ: «**إِنَّهُ يُنْتَزَعُ عُقُولُ عَامَّةِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيُخَلَّفُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ**»[٢].

---

(١) سكت عنه الذهبي. وتعقبه الوادعي فقال : في إسناده عباد بن منصور ضعيف. وقد رواه الترمذي (٢٢١٩) من طريق آخر «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى يَعْبُدُوا الأَوْثَانَ...» وصححه الألباني.

(٢) قال الذهبي: (قال أحمد : أبان تركوا حديثه)، ولطرف الحديث «أخاف عليكم الهرج ......» شواهد صححها الألباني والأرنؤوط، انظر مسند أحمد (١٩٤٩٢) وابن ماجة (٣٩٥٩).

- ٨٤٢٤ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ فَنَادَى ابْنَ مَسْعُودٍ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَتَى أَضَلَّ، وَأَنَا أَعْلَمُ؟ قَالَ: «إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ إِذَا أَطَعْتَهُمْ أَدْخَلُوكَ النَّارَ، وَإِذَا عَصَيْتَهُمْ قَتَلُوكَ» وَهَذَا مَوْقُوفٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[1].
- ٨٤٣٩ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «**تَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خدعَاتٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهِمُ الرُّوَيْبِضَةُ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ الله وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**» هذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[2].
- ٨٤٤١ عن عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ الْعَبْسِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، يَقُولُ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَذَكَرَ الْفِتَنَ وَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ؟ قَالَ: «**هِيَ فِتْنَةَ هَرَبٍ وَحَرْبٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّى - أَوِ السَّرَّاءِ - ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدَّهْمَاءِ لَا تَدَعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ انْقَطَعَتْ تَمَادَتْ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنَ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ**» هذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[3].

---

(١) قَالَ الْحَاكِمُ رَحِمَهُ اللهُ: «هَذِهِ أَحَادِيثُ ذَكَرَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ فِي الْمَلَاحِمِ، وَعَلَوْتُ فِيهَا فَأَخْرَجْتُهَا، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ مَسَانِيدَ»، وقال الذهبي: صحيح.

(٢) صححه الذهبي. ورواه أحمد (٨٤٥٩) وابن ماجة (٤٠٣٦) وصححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

(٣) رواه أبو داود (٤٢٤٢) وسكت عنه، وأحمد (٦١٦٨)، والحاكم (٨٤٤١) وصححه الذهبي في التلخيص، والألباني :في السلسلة الصحيحة (٩٧٤).



- ٨٤٤٣ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْلَمَ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ أَمْ لَا، فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ كَانَ رَأَى حَلَالًا كَانَ يَرَاهُ حَرَامًا فَقَدْ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ، وَإِنْ كَانَ يَرَى حَرَامًا كَانَ يَرَاهُ حَلَالًا فَقَدْ أَصَابَتْهُ» هذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(١).
- ٨٤٤٦ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «تُعْرَضُ فِتْنَةٌ عَلَى الْقُلُوبِ، فَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ لَمْ يُنْكِرْهَا نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، ثُمَّ تُعْرَضُ فِتْنَةٌ أُخْرَى عَلَى الْقُلُوبِ، فَإِنْ أَنْكَرَهَا الْقَلْبُ الَّذِي أَنْكَرَهَا فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، وَإِنْ لَمْ يُنْكِرْهَا نُكِتَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، ثُمَّ تُعْرَضُ فِتْنَةٌ أُخْرَى عَلَى الْقُلُوبِ، فَإِنْ أَنْكَرَهَا الَّذِي أَنْكَرَهَا فِي الْمَرَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ اشْتَدَّ وَابْيَضَّ وَصَفَا وَلَمْ تَضُرَّهُ فِتْنَةٌ أَبَدًا، وَإِنْ لَمْ يُنْكِرْهَا فِي الْمَرَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ اسْوَدَّ وَارْتَدَّ وَنَكَسَ فَلَا يَعْرِفُ حَقًّا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا» هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٢).
- ٨٤٤٧ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: قَالَ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ: «**أُحَذِّرُكُمْ سَبْعَ فِتَنٍ تَكُونُ بَعْدِي: فِتْنَةً تُقْبِلُ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَفِتْنَةً بِمَكَّةَ، وَفِتْنَةً تُقْبِلُ مِنَ الْيَمَنِ، وَفِتْنَةً تُقْبِلُ مِنَ الشَّامِ، وَفِتْنَةً تُقْبِلُ مِنَ الْمَشْرِقِ، وَفِتْنَةً تُقْبِلُ مِنَ الْمَغْرِبِ، وَفِتْنَةً مِنْ بَطْنِ الشَّامِ وَهِيَ السُّفْيَانِيُّ**» قَالَ: فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «مِنْكُمْ مَنْ يُدْرِكُ أَوَّلَهَا، وَمِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ يُدْرِكُ آخِرَهَا»، قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عَيَّاشٍ: «فَكَانَتْ فِتْنَةُ الْمَدِينَةِ مِنْ قِبَلِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، وَفِتْنَةُ مَكَّةَ فِتْنَةُ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ وَفِتْنَةُ الشَّامِ مِنْ قِبَلِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَفِتْنَةُ الْمَشْرِقِ مِنْ قِبَلِ هَؤُلَاءِ» هذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٣).

---

(١) وافقه الذهبي. وهو موقوف على حذيفة.

(٢) صححه الحاكم ووافقه الذهبي، ومعنى الحديث عند مسلم (١٤٤).

(٣) ضعفه الألباني :السلسلة الضعيفة (١٨٧٠).

- ٨٤٤٨ عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: «أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْخُشُوعُ، وَآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، وَلَيُصَلِّيَنَّ النِّسَاءُ وَهُنَّ حُيَّضٌ، وَلَتَسْلُكُنَّ طَرِيقَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، وَحَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، لَا تُخْطِئُونَ طَرِيقَهُمْ، وَلَا يُخْطِأَنَّكُمْ حَتَّى تَبْقَى فِرْقَتَانِ مِنْ فِرَقٍ كَثِيرَةٍ فَتَقُولُ إِحْدَاهُمَا: مَا بَالُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، لَقَدْ ضَلَّ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا إِنَّمَا قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ [هود: ١١٤] لَا تُصَلُّوا إِلَّا ثَلَاثًا، وَتَقُولُ الْأُخْرَى: إِيمَانُ الْمُؤْمِنِينَ بِالله كَإِيمَانِ الْمَلَائِكَةِ مَا فِينَا كَافِرٌ وَلَا مُنَافِقٌ، حَقٌّ عَلَى الله أَنْ يَحْشُرَهُمَا مَعَ الدَّجَّالِ» هذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(١).
- ٨٤٥٩ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ الله بَدَأَ هذا الْأَمْرَ حِينَ بَدَأَ بِنُبُوَّةٍ وَرَحْمَةٍ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى خِلَافَةٍ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى سُلْطَانٍ وَرَحْمَةٍ، ثُمَّ يَعُودُ مُلْكًا وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَعُودُ جَبْرِيَّةً تَكَادَمُونَ تَكَادُمَ الْحَمِيرِ، أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالْغَزْوِ وَالْجِهَادِ مَا كَانَ حُلْوًا خَضِرًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مُرًّا عَسِرًا، وَيَكُونُ تَمَامًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ رِمَامًا - أَوْ يَكُونَ حُطَامًا - فَإِذَا أَشَاطَتِ الْمَغَازِي وَأُكِلَتِ الْغَنَائِمُ وَاسْتُحِلَّ الْحَرَامُ، فَعَلَيْكُمْ بِالرِّبَاطِ فَإِنَّهُ خَيْرُ جِهَادِكُمْ»(٢).
- ٨٤٩٥ عَنْ أَبِي الزَّعْرَاءِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُغْبَطَ فِيهِ الرَّجُلُ بِخِفَّةِ حَالِهِ كَمَا يُغْبَطَ الرَّجُلُ الْيَوْمَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ» قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَيُّ الْمَالِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ؟ قَالَ: «سِلَاحٌ صَالِحٌ، وَفَرَسٌ صَالِحٌ يَزُولُ مَعَهُ أَيْنَمَا زَالَ». هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٣).

---

(١) صححه الذهبي. والحديث موقوف.

(٢) سكت عنه الذهبي في التلخيص. و في إسناده نكارة فسعيد بن هبيرة المروزي اِتهمه ابن حبان وابن عدي.

(٣) قال الذهبي: صحيح على شرط الشيخين. وقال الألباني : بل إسناده ضعيف مظلم ، انظر (الضعيفة-٣٥٨٠)

- ٨٥١٨ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: تَلَا رَسُولُ الله ﷺ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ [النصر] فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَيُخْرِجَنَّ مِنْهُ أَفْوَاجًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ أَفْوَاجًا**» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[1].
- ٨٥٣٦ عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ الله: «إِذَا بُخِسَ الْمِيزَانُ حُبِسَ الْقَطْرُ، وَإِذَا كَثُرَ الزِّنَا كَثُرَ الْقَتْلُ وَوَقَعَ الطَّاعُونُ، وَإِذَا كَثُرَ الْكَذِبُ كَثُرَ الْهَرْجُ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[2].
- ٨٥٣٩ عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: «يَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُعَذِّبُونَكُمْ وَيُعَذِّبُهُمُ الله» صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[3].
- ٨٥٤١ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: «تَعْلَمُنَّ أَنَّكُمْ بِحَيْثُ تَخْتَلِفُ الْإِنْسُ مِنْ بَيْنِ بَابِلَ وَالْحِيرَةِ، تَعْلَمُنَّ أَنَّ تِسْعَةَ أَعْشَارٍ مِنَ الْخَيْرِ وَعُشْرًا مِنَ الشَّرِّ بِالشَّامِ، تَعْلَمُنَّ أَنَّ تِسْعَةَ أَعْشَارٍ مِنَ الشَّرِّ وَعُشْرًا مِنَ الْخَيْرِ بِسِوَاهَا، وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ مَسْعُودٍ بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَكُونَ أَحَبُّ شَيْءٍ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ إِلَى أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ أَحْمِرَةٌ تَنْقُلُ أَهْلَهُ إِلَى الشَّامِ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[4].
- ٨٥٤٣ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلَاةَ الْعَصْرِ، ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبَانِ الشَّمْسِ حَفِظَهَا مَنْ حَفِظَهَا، وَنَسِيَهَا مَنْ نَسِيَهَا، وَأَخْبَرَ فِيهَا بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَحَمِدَ الله تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ الله**

---

(١) قال الذهبي: صحيح. ورواه أبو عمر الداني في السنن الواردة في الفتن (٤١٧)، وقد جاء في مسند أحمد (١٤٦٩٦) مرفوعا من حديث جابر: «إِنَّ النَّاسَ دَخَلُوا فِي دِينِ الله أَفْوَاجًا، وَسَيَخْرُجُونَ مِنْهُ أَفْوَاجًا» وضعفه الأرنؤوط والألباني.

(٢) قال الذهبي : على شرط البُخَارِيّ ومسلم. والحديث موقوف له حكم المرفوع إذ يخبر عن الغيبيات وإسناده كلهم ثقات. ورواه الداني في الفتن (٣٢٥) .

(٣) ورواه الحاكم من طريق آخر (٨٣٤٢) وصححه الذهبي.

(٤) وصححه الذهبي.



تَعَالَى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، أَلَا فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، أَلَا إِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى فَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا، وَيَحْيَى مُؤْمِنًا، وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا وَيَحْيَى كَافِرًا وَيَمُوتُ كَافِرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا وَيَحْيَى مُؤْمِنًا وَيَمُوتُ كَافِرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا وَيَحْيَى كَافِرًا وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا، أَلَا إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَلْزِقْ بِالْأَرْضِ، أَلَا إِنَّ خَيْرَ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ بَطِيءَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْفَيْءِ، وَشَرَّ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ سَرِيعَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الْفَيْءِ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ سَرِيعَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْفَيْءِ فَإِنَّهَا بِهَا وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ بَطِيءَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الْفَيْءِ فَإِنَّهَا بِهَا، أَلَا إِنَّ خَيْرَ التُّجَّارِ مَنْ كَانَ حَسَنَ الْقَضَاءِ حَسَنَ الطَّلَبِ، وَشَرَّ التُّجَّارِ مَنْ كَانَ سَيِّءَ الْقَضَاءِ سَيِّءَ الطَّلَبِ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ حَسَنَ الْقَضَاءِ سَيِّءَ الطَّلَبِ فَإِنَّهَا بِهَا، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ سَيِّءَ الْقَضَاءِ حَسَنَ الطَّلَبِ فَإِنَّهَا بِهَا، أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا مَهَابَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِالْحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ، أَلَا إِنَّ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ، أَلَا وَإِنَّ أَكْبَرَ الْغَدْرِ غَدْرُ إِمَامِ عَامَّةٍ، أَلَا وَإِنَّ الْغَادِرَ لِوَاؤُهُ عِنْدَ اسْتِهِ، أَلَا وَإِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ» فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ مَغْرِبَانِ الشَّمْسِ ، قَالَ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا كَمَثَلِ مَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى»(١).

- ٨٥٤٨ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «لَنْ تَنْفَكُّوا بِخَيْرٍ مَا اسْتَغْنَى أَهْلُ بَدْوِكُمْ عَنْ أَهْلِ حَضَرِكُمْ» قَالَ: «وَلَتَسُوقَنَّهُمُ السِّنِينُ وَالسِّنَاتُ حَتَّى يَكُونُوا مَعَكُمْ فِي الدِّيَارِ، وَلَا تَمْنَعُوا مِنْهُمْ لِكَثْرَةِ مَنْ يُسْتَرُ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ» قَالَ: «يَقُولُونَ طَالَمَا جُعْنَا وَشَبِعْتُمْ، وَطَالَمَا شَقِينَا وَنَعِمْتُمْ فَوَاسُونَا الْيَوْمَ وَلَنَسْتَصْعِبَنَّ بِكُمُ الْأَرْضَ حَتَّى يَغْبِطَ أَهْلُ حَضَرِكُمْ أَهْلَ

---

(١) قال الحاكم : هَذَا حَدِيثٌ تَفَرَّدَ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ عَلِيُّ بْنُ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ الْقُرَشِيُّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ وَالشَّيْخَانِ رضي الله عنهما لَمْ يَحْتَجَّا بِعَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، وقال الذَّهبي في التعليق : ابن جدعان صالح الحديث. ورواه أحمد (١١١٤٣) وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف. وقد روى أطرافا منه مسلم (١٧٣٨،٢٧٤٢).

بَدْوِكُمْ مِنِ اسْتِصْعَابِ الْأَرْضِ»، قَالَ: «وَلَتَمِيلَنَّ بِكُمُ الْأَرْضُ مَيْلَةً يَهْلِكُ مِنْهَا مَنْ هَلَكَ وَيَبْقَى مَنْ بَقِيَ حَتَّى تُعْتَقَ الرِّقَابُ، ثُمَّ تَهْدَأُ بِكُمُ الْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى يَنْدَمَ الْمُعْتِقُونَ»، قَالَ: «ثُمَّ تَمِيلُ بِكُمُ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدَ ذَلِكَ مَيْلَةً أُخْرَى فَيَهْلِكُ فِيهَا مَنْ هَلَكَ وَيَبْقَى مَنْ بَقِيَ حَتَّى تُعْتَقَ الرِّقَابُ ثُمَّ تَهْدَأُ بِكُمُ الْأَرْضُ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا نُعْتِقُ رَبَّنَا نُعْتِقُ فَيُكَذِّبُهُمُ الله: كَذَبْتُمْ أَنَا أُعْتِقُ» ، قَالَ: «وَلَيَبْتَلِيَنَّ أُخْرَيَاتُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالرَّجْفِ فَإِنْ تَابُوا تَابَ الله عَلَيْهِمْ»، قَالَ: « وَإِنْ عَادُوا أَعَادَ الله عَلَيْهِمْ بِالرَّجْفِ وَالْقَذْفِ وَالْخَذْفِ وَالْخَسْفِ وَالْمَسْخِ وَالصَّوَاعِقِ، فَإِذَا قِيلَ: هَلَكَ النَّاسُ هَلَكَ النَّاسُ، فَقَدْ هَلَكُوا، وَلَنْ يُعَذِّبَ الله تَعَالَى أُمَّةً حَتَّى تَغْدِرَ»، قَالُوا: وَمَا غَدْرُهَا؟ قَالَ: «يَعْتَرِفُونَ بِالذُّنُوبِ وَلَا يَتُوبُونَ، وَلِتَطْمَئِنَّ بِالْقُلُوبِ بِمَا فِيهَا مِنْ بِرِّهَا وَفُجُورِهَا كَمَا تَطْمَئِنُّ الشَّجَرَةُ بِمَا فِيهَا، حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ مُحْسِنٌ أَنْ يَزْدَادَ إِحْسَانًا، وَلَا يَسْتَطِيعَ مُسِيءٌ اسْتِعْتَابًا»، وَذَلِكَ بِأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين] هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ[١].

- ٨٥٥٤ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ عَمُودَ الْكِتَابِ انْتُزِعَ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي فَإِذَا هُوَ نُورٌ سَاطِعٌ عُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ إِذَا وَقَعَتِ الْفِتَنُ بِالشَّامِ**»[٢].
- ٨٥٥٧ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ، قَالَ: «**اللهمَّ لَا يُدْرِكُنِي زَمَانٌ - أَوْ لَا أُدْرِكُ زَمَانَ - قَوْمٍ لَا يَتَّبِعُونَ الْعِلْمَ وَلَا يَسْتَحْيُونَ مِنَ الْحَلِيمِ، قُلُوبُهُمُ الْأَعَاجِمُ، وَأَلْسِنَتُهُمْ أَلْسِنَةُ الْعَرَبِ**» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ[٣].

---

(١) قال الذهبي: في إسناده سعيد بن سنان وهو متهم ساقط.

(٢) قال الحاكم والذهبي : على شرط البُخَارِيّ ومسلم. وقال الألباني: (قد وَهِمَا في قولها إنه على شرطها، وإنما هو صحيح فقط؛ لأن في السند يونس بن ميسرة بن حلبس، ولم يخرِّج له الشيخان شيئًا، وهو ثقة). ورواه أحمد بسياق آخر (٢١٧٣٣) وصححه الأرنؤوط.

(٣) وافقه الذهبي.

- ٨٥٦٦ عَنْ أَبِي سَبْرَةَ الْهُذَلِيِّ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو فَحَدَّثَنِي حَدِيثًا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَفَهِمْتُهُ وَكَتَبْتُهُ بِيَدِي: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا حَدَّثَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ وَلَا الْمُتَفَحِّشَ**» ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ، وَسُوءُ الْجِوَارِ، وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ، وَحَتَّى يُخَوَّنَ الْأَمِينُ وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ**» ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ النَّخْلَةِ وَقَعَتْ فَأَكَلْتَ طَيِّبًا، ثُمَّ سَقَطَتْ وَلَمْ تَفْسُدْ وَلَمْ تُكْسَرْ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ قِطْعَةِ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ أُدْخِلَتِ النَّارَ فَنُفِخَ عَلَيْهَا فَلَمْ تَتَغَيَّرْ وَوُزِنَتْ فَلَمْ تَنْقُصْ**» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[1].
- ٨٥٧٢ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**يَبِيتُ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلَهْوٍ، فَيُصْبِحُونَ قَدْ مُسِخُوا خَنَازِيرَ، وَلَيُخْسَفَنَّ بِقَبَائِلَ فِيهَا وَفِي دُورٍ فِيهَا، حَتَّى يُصْبِحُوا فَيَقُولُوا خُسِفَ اللَّيْلَةَ بِبَنِي فُلَانٍ خُسِفَ اللَّيْلَةَ بِدَارِ بَنِي فُلَانٍ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ حَصْبَاءُ حِجَارَةٌ كَمَا أُرْسِلَتْ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الرِّيحُ الْعَقِيمُ فَتَنْسِفُهُمْ كَمَا نَسَفَتْ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ بِشُرْبِهِمُ الْخَمْرَ، وَأَكْلِهِمُ الرِّبَا، وَلُبْسِهِمُ الْحَرِيرَ، وَاتِّخَاذِهِمُ الْقَيْنَاتِ، وَقَطِيعَتِهِمُ الرَّحِمَ**» قَالَ: «**وَذَكَرَ خَصْلَةً أُخْرَى فَنَسِيتُهَا**» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ[2].
- ٨٥٧٥ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَرَجُلٌ مَعَهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ حَدِّثِينَا حَدِيثًا عَنِ الزَّلْزَلَةِ، فَأَعْرَضَتْ عَنْهُ بِوَجْهِهَا، قَالَ أَنَسٌ: فَقُلْتُ لَهَا: حَدِّثِينَا يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الزَّلْزَلَةِ، فَقَالَتْ: «يَا أَنَسُ إِنْ حَدَّثْتُكَ عَنْهَا عِشْتَ حَزِينًا، وَبُعِثْتَ حِينَ تُبْعَثُ وَذَلِكَ الْحُزْنُ فِي قَلْبِكَ» فَقُلْتُ: يَا أُمَّاهُ حَدِّثِينَا، فَقَالَتْ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا خَلَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا هَتَكَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ حِجَابٍ، وَإِنْ تَطَيَّبَتْ لِغَيْرِ زَوْجِهَا كَانَ عَلَيْهَا نَارًا وَشَنَارًا، فَإِذَا اسْتَحَلُّوا الزِّنَا وَشَرِبُوا الْخُمُورَ بَعْدَ هَذَا وَضَرَبُوا الْمَعَازِفَ غَارَ اللهِ

---

(١) وافقه الذهبي. وروى أحمد طرفا منه (٦٨٧٢) وصححه الأرنؤوط.

(٢) وافقه الذهبي.



فِي سَمَائِهِ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ: تَزَلْزَلِي بِهِمْ، فَإِنْ تَابُوا وَنَزَعُوا وَإِلَّا هَدَمَهَا عَلَيْهِمْ» فَقَالَ أَنَسٌ: عُقُوبَةٌ لَهُمْ؟ قَالَتْ: «رَحْمَةٌ وَبَرَكَةٌ وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَنَكَالًا وَسَخْطَةً وَعَذَابًا لِلْكَافِرِينَ» قَالَ أَنَسٌ: «سَمِعْتُ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا أَنَا أَشَدُّ بِهِ فَرَحًا مِنِّي بِهَذَا الْحَدِيثِ، بَلْ أَعِيشُ فَرِحًا وَأُبْعَثُ حِينَ أُبْعَثُ وَذَلِكَ الْفَرَحُ فِي قَلْبِي - أَوْ قَالَ: فِي نَفْسِي -» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[1].

- ٨٥٧٧ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَدْ رَأَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَالَهُ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: «**يُقَالُ لِرِجَالٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اطْرَحُوا سِيَاطَكُمْ وَادْخُلُوا جَهَنَّمَ**» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[2].

- ٨٥٨٤ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: «يَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يَتْرُكُونَ مِنَ السُّنَّةِ مِثْلَ هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى أَصْلِ إِصْبَعِهِ - وَإِنْ تَرَكْتُمُوهُمْ جَاءُوا بِالطَّامَّةِ الْكُبْرَى، وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ أُمَّةٌ إِلَّا كَانَ أَوَّلُ مَا يَتْرُكُونَ مِنْ دِينِهِمُ السُّنَّةُ، وَآخِرُ مَا يَدَعُونَ الصَّلَاةُ، وَلَوْلَا أَنَّهُمْ يَسْتَحْيُونَ مَا صَلُّوا» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[3].

- ٨٥٩١ عن الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ، قَالَ: كُنْتُ بِالْمَدِينَةِ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ يَفِرُّ النَّاسُ مِنْهُ حِينَ يَرَوْنَهُ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قُلْتُ: لِمَا يَفِرُّ النَّاسُ مِنْكَ؟ قَالَ: «أَنْهَاهُمْ عَنِ الْكُنُوزِ بِالَّذِي كَانَ يَنْهَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ»، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنَّ أُعْطِيَاتِنَا قَدِ ارْتَفَعَتِ الْيَوْمَ وَبَلَغَتْ هَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا شَيْئًا؟ قَالَ: «أَمَّا الْيَوْمَ فَلَا، وَلَكِنَّهَا يُوشِكُ أَنْ تَكُونَ أَثْمَانُ دِينِكُمْ، فَإِذَا كَانَتْ أَثْمَانَ دِينِكُمْ فَدَعُوهَا وَإِيَّاكُمْ». هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[4].

---

(١) قال الذهبي: بل أحسبه موضوعاً. وضعفه الألباني.

(٢) وافقه الذهبي.

(٣) صححه الذهبي.

(٤) وافقه الذهبي، وروى أحمد (٢١٥٣٤،٢١٤٨٥،٢١٤٧٠،٢١٤٥١)، ومسلم (٩٩٢) بمعناه.

- ٨٦٠٠ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَ الْفِتْنَةَ - أَوْ ذُكِرَتْ لَهُ - فَقَالَ: «**إِذَا النَّاسُ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَصَارُوا هَكَذَا**» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ عِنْدَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله جَعَلَنِي الله فِدَاكَ؟ قَالَ: «**أَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَاجْلِسْ فِي بَيْتِكَ، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ**» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[١].
- ٨٦٦٠ عن عَمْرُو بْنُ قَيْسٍ الْكِنْدِيُّ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي الْفَوَارِسِ وَأَنَا غُلَامٌ شَابٌّ، فَرَأَيْتُ النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى رَجُلٍ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مِنَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ أَنْ تُرْفَعَ الْأَشْرَارُ وَتُوضَعَ الْأَخْيَارُ، وَيُفْتَحَ الْقَوْلُ وَيُخْزَنَ الْعَمَلُ، وَيُقْرَأَ بِالْقَوْمِ الْمُثَنَّاةُ لَيْسَ فِيهِمْ أَحَدٌ يُنْكِرُهَا**» قِيلَ: وَمَا الْمُثَنَّاةُ؟ قَالَ: «**مَا اكْتُتِبَتْ سِوَى كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ**». وَقَدْ رَوَاهُ الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ السَّكُونِيِّ[٢].

(مجمع الزوائد) لمؤلفه علي بن أبي بكر الهيثمي رَحِمَهُ اللهُ:

- ١١٩٥٧ عَنْ عِصْمَةَ بْنِ قَيْسٍ السُّلَمِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ الله [عَنِ النَّبِيِّ ﷺ] «أَنَّهُ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ فِتْنَةِ الْمَشْرِقِ، قِيلَ لَهُ: فَكَيْفَ فِتْنَةُ الْمَغْرِبِ؟ قَالَ: «تِلْكَ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ»[٣] ورجاله ثقات.
- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّكُمْ عَلَى تَقِيَّةٍ مِنْ رَبِّكُمْ مَا لَمْ تَظْهَرْ فِيكُمْ سَكْرَتَانِ: سَكْرَةُ الْجَهْلِ وَسَكْرَةُ حُبِّ الْعَيْشِ، وَأَنْتُمْ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله، فَإِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ حُبُّ الدُّنْيَا فَلَا تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا تَنْهَوْنَ عَنِ

---

(١) وافقه الذهبي، ورواه أبو داود (٤٣٤٣) وأحمد (٦٩٨٧،٧٠٤٩) وصححه الألباني.

(٢) ورواه الدارمي (٤٩٣) بإسناد جيد.

(٣) ورواه الطبراني (المعجم الكبير:٥٠١)، وضعفه الألباني ، ورجّح أنه موقوف - الضعيفة (٦٠٢٩).

الْمُنْكَرِ وَلَا تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله، الْقَائِلُونَ يَوْمَئِذٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَالسَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ» رَوَاهُ الْبَزَّارُ(١).

• ١٢٢٢٣ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**سَتُغَرْبَلُونَ حَتَّى تَصِيرُوا فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَرِبَتْ أَمَانَتُهُمْ**» فَقَالَ قَائِلُنَا: فَكَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**تَعْمَلُونَ بِمَا تَعْرِفُونَ، وَتَتْرُكُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتَقُولُونَ: أَحَدٌ أَحَدٌ انْصُرْنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وَاكْفِنَا مَنْ بَغَانَا**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ مَنْ لَمْ أَعْرِفْهُمْ(٢).

• ١٢٢٢٥ وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُكَذَّبُ فِيهِ الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهِ الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهِ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهِ الْخَائِنُ، وَيَشْهَدُ الْمَرْءُ وَإِنْ لَمْ يُسْتَشْهَدْ، وَيَحْلِفُ الْمَرْءُ وَإِنْ لَمْ يُسْتَحْلَفْ، وَيَكُونُ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ بْنُ لُكَعٍ لَا يُؤْمِنُ بِالله وَرَسُولِهِ**». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَالْكَبِيرِ، وَفِيهِ عَبْدُ الله بْنُ صَالِحٍ كَاتِبُ اللَّيْثِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ وَقَدْ وُثِّقَ.(٣)

• ١٢٢٣٨ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ الله، مَتَى يُتْرَكُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمَا سَيِّدَا أَعْمَالِ أَهْلِ الْبِرِّ؟ قَالَ: «إِذَا أَصَابَكُمْ مَا أَصَابَ بَنِي إِسْرَائِيلَ »، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا أَصَابَ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: «إِذَا دَاهَنَ خِيَارُكُمْ فُجَّارَكُمْ، وَصَارَ الْفِقْهُ فِي شِرَارِكُمْ، وَصَارَ الْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَلْبَسُكُمْ فِتْنَةٌ تَكُرُّونَ وَيُكَرُّ عَلَيْكُمْ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ(٤).

• ١٢٢٤٤ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ لِثَوْبَانَ: «**كَيْفَ بِكَ يَا ثَوْبَانُ إِذَا تَدَاعَتْ عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ كَتَدَاعِيكُمْ عَلَى قَصْعَةِ الطَّعَامِ تُصِيبُونَ مِنْهُ؟**» ، قَالَ ثَوْبَانُ: بِأَبِي أَنْتَ

---

(١) رواه البزار (٢٦٣١) وقال الهيثمي: وفِيهِ الْحَسَنُ بْنُ بِشْرٍ، وَثَّقَهُ أَبُو حَاتِمٍ وَغَيْرُهُ وَفِيهِ ضَعْفٌ.

(٢) رواه الطبراني (المعجم الأوسط – ٦٢٥٢)، وقد وردت أحاديث بمعناه ، انظر (حديث الحاكم ٨٦٠٠ وتخريجه).

(٣) رواه الطبراني (الكبير ٧١١، والأوسط ٨٦٤٣) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٨٦٥).

(٤) قال الهيثمي: وَفِيهِ عَمَّارُ بْنُ سَيْفٍ، وَثَّقَهُ الْعِجْلِيُّ وَغَيْرُهُ وَضَعَّفَهُ جَمَاعَةٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ وَفِي بَعْضِهِمْ خِلَافٌ.

وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا؟ قَالَ: «**لَا، أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ يُلْقَى فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنُ**»، قَالُوا: وَمَا الْوَهْنُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**حُبُّكُمُ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَتُكُمُ الْقِتَالَ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِنَحْوِهِ، وَإِسْنَادُ أَحْمَدَ جَيِّدٌ(١).

- ١٢٢٨١ وَعَنْ ثَرْوَانَ بْنِ مِلْحَانَ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ فَمَرَّ عَلَيْنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَقُلْنَا: حَدِّثْنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَكُونُ بَعْدِي قَوْمٌ يَأْخُذُونَ الْمُلْكَ، يَقْتُلُ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا**» ، قَالَ: قُلْنَا لَهُ: لَوْ حَدَّثَنَا غَيْرُكَ مَا صَدَّقْنَاهُ، قَالَ: فَإِنَّهُ سَيَكُونُ. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ وَأَبُو يَعْلَى، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ ثَرْوَانَ وَهُوَ ثِقَةٌ(٢).
- ١٢٤٥٦ وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَلَمَّا صَلَّى صَلَاتَهُ نَادَاهُ رَجُلٌ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَزَجَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَانْتَهَرَهُ وَقَالَ: «**اسْكُتْ**» ، حَتَّى إِذَا أَسْفَرَ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «**تَبَارَكَ رَافِعُهَا وَمُدَبِّرُهَا**»، ثُمَّ رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى الْأَرْضِ فَقَالَ: «**تَبَارَكَ دَاحِيهَا وَخَالِقُهَا**»، ثُمَّ قَالَ: « **أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟**» ، فَجَثَا رَجُلٌ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: أَنَا بِأَبِي وَأُمِّي سَأَلْتُكَ، فَقَالَ: «**ذَاكَ عِنْدَ حَيْفِ الْأَئِمَّةِ، وَتَصْدِيقٍ بِالنُّجُومِ، وَتَكْذِيبٍ بِالْقَدَرِ، وَحَتَّى تُتَّخَذَ الْأَمَانَةُ مَغْنَمًا وَالصَّدَقَةُ مَغْرَمًا وَالْفَاحِشَةُ زِيَادَةً، فَعِنْدَ ذَلِكَ هَلَكَ قَوْمُكَ**». رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَفِيهِ مَنْ لَمْ أَعْرِفْهُمْ(٣).
- ١٢٥٩٤ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ تُدَاوِي الْجَرْحَى فِي عَسْكَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ دَعَوْتَ اللهَ لِابْنِي، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُنَيْسٌ؟**»، قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَقْعَدَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِي وَقَالَ: «**يَا أُنَيْسُ، إِنَّ الْمُسْلِمِينَ يُمَصِّرُونَ بَعْدِي أَمْصَارًا، مِمَّا يُمَصِّرُونَ، مِصْرًا يُقَالُ لَهَا: الْبَصْرَةُ، فَإِنْ أَنْتَ وَرَدْتَهَا، فَإِيَّاكَ وَمَقْصِفَهَا وَسُوقَهَا وَبَابَ سُلْطَانِهَا،**

---

(١) رواه أحمد (٨٧١٣) وحسنه الأرنؤوط.

(٢) رواه أحمد (١٨٣٢٠) وضعفه الأرنؤوط.

(٣) انظر (كشف الأستار عن زوائد البزار-٣٤٠٦) قَالَ الْبَزَّارُ: لا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا اللَّفْظِ إِلا بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَيُونُسُ بْنُ أَرْقَمَ [راوي الحديث] كَانَ صَدُوقًا، رَوَى عَنْهُ أَهْلُ الْعِلْمِ، عَلَى أَنَّ فِيهِ شِيعِيَّةً شَدِيدَةً.

فَإِنَّهَا سَيَكُونُ بِهَا خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ، آيَةُ ذَلِكَ أَنْ يَمُوتَ الْعَدْلُ، وَيَفْشُوَ فِيهَا الْجُورُ، وَيَكْثُرَ فِيهَا الزِّنَا، وَتَفْشُوَ فِيهَا شَهَادَةُ الزُّورِ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ جَمَاعَةٌ لَمْ أَعْرِفْهُمْ[1].

(المصنف في الأحاديث والآثار): لأبي بكر عبدالله بن محمّد بن أبي شيبة الكوفي.

- ٣٧١٨١ عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ، قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي مُوسَى: «إِنَّ لِلنَّاسِ نَفْرَةً عَنْ سُلْطَانِهِمْ، فَأَعُوذُ بِالله أَنْ تُدْرِكَنِي، وَإِيَّاكُمْ، ضَغَائِنَ مَحْمُولَةً وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَأَهْوَاءَ مُتَّبَعَةً، وَإِنَّهُ سَتَدَاعَى الْقَبَائِلُ ؛ وَذَلِكَ نَخْوَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فَالسَّيْفُ السَّيْفُ، الْقَتْلُ الْقَتْلُ، يَقُولُونَ: يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ»[2].
- ٣٧١٩٣ عَنْ شِمْرِ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ مُلُوكٌ، ثُمَّ جَبَابِرَةٌ، ثُمَّ الطَّوَاغِيتُ»[3].
- ٣٧٢٠٢ عَنْ سَلْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ عُمَرَ، قَالَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ أُمَرَاءُ وَعُمَّالٌ صُحْبَتُهُمْ فِتْنَةٌ وَمُفَارَقَتُهُمْ كُفْرٌ»، قَالَ: قُلْتُ: الله أَكْبَرُ، أَعِدْ عَلَيَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَرَّجْتَ عَنِّي، فَأَعَادَ عَلَيْهِ، قَالَ سَلْمَانُ بْنُ رَبِيعَةَ: قَالَ الله: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] وَالْفِتْنَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْقَتْلِ[4].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٦٠٩١) وقال: لا يروى هذا الحديث عن زياد الأبرص إلا بهذا الإسناد. وروى أوبو داود (٤٣٠٧) بمعناه وصححه الألباني، ولفظه «يا أنس، إن الناس يمصرون أمصارا، وإن مصرا منها يقال له: البصرة - أو البصيرة - فإن أنت مررت بها، أو دخلتها، فإياك وسباخها، وكلاءها، وسوقها، وباب أمرائها، وعليك بضواحيها، فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف، وقوم يبيتون يصبحون قردة وخنازير»

(٢) والحديث موقوف.

(٣) الحديث موقوف له حكم المرفوع ، وإسناده صحيح ورواته ثقات، وسبق تخريجه في الفصل الأول (باب واقع المسلمين..)

(٤) في إسناده ضعف، وقد جاء بمعناه من طريق ثاني صحيح عن عفان بن مسلم، حدثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: «سَيَكُونُ أُمَرَاءُ اتِّبَاعُهُمْ بَلَاءٌ

- ٣٧٢٠٧ عَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ، قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ: «وَاللهِ لَا يَأْتِيهِمْ أَمْرٌ يَضِجُّونَ مِنْهُ إِلَّا أَرْدَفَهُمْ أَمْرٌ يُشْغِلُهُمْ عَنْهُ»(١).
- ٣٧٢٣٧ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: «أَتَمَنَّى لِحَبِيبِي أَنْ يَقِلَّ، مَالُهُ أَوْ يُعَجَّلَ مَوْتُهُ»، فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مُتَمَنِّيًا مُحِبًّا لِحَبِيبِهِ، فَقَالَ: «أَخْشَى أَنْ يُدْرِكَكُمْ أُمَرَاءُ، إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَدْخَلُوكُمُ النَّارَ، وَإِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَخْبِرْنَا مَنْ هُمْ حَتَّى نَفْقَأَ أَعْيُنَهُمْ، قَالَ شُعْبَةُ: أَوْ نَحْثُوَ فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ، فَقَالَ: «عَسَى أَنْ تُدْرِكُوهُمْ فَيَكُونُوا هُمُ الَّذِينَ يَفْقَأُونَ عَيْنَكَ، وَيَحْثُونَ فِي وَجْهِكَ التُّرَابَ»(٢).
- ٣٧٢٨١ عَنْ رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ، عَنْ مُعَاذٍ، قَالَ: «إِنَّكُمُ ابْتُلِيتُمْ بِفِتْنَةِ الضَّرَّاءِ فَصَبَرْتُمْ، وَسَوْفَ تُبْتَلَوْنَ بِفِتْنَةِ السَّرَّاءِ، وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ النِّسَاءِ إِذَا تَسَوَّرْنَ الذَّهَبَ، وَلَبِسْنَ رَيْطَ الشَّامِ، فَأَتْعَبْنَ الْغَنِيَّ، وَكَلَّفْنَ الْفَقِيرَ مَا لَا يَجِدُ»(٣).
- ٣٧٣٤٧ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: جَلَدَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَجُلًا حَدًّا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَلَدَ رَجُلًا آخَرَ حَدًّا فَقَالَ رَجُلٌ هَذِهِ وَاللهِ الْفِتْنَةُ، جَلَدَ أَمْسُ رَجُلًا فِي حَدٍّ، وَجَلَدَ الْيَوْمَ رَجُلًا فِي حَدٍّ، فَقَالَ خَالِدٌ: «لَيْسَ هَذِهِ بِفِتْنَةٍ، إِنَّمَا الْفِتْنَةُ أَنْ تَكُونَ فِي أَرْضٍ يُعْمَلُ فِيهَا بِالْمَعَاصِي فَتُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا إِلَى أَرْضٍ لَا يُعْمَلُ فِيهَا بِالْمَعَاصِي فَلَا تَجِدُهَا».
- ٣٧٥٠٨ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبَ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ جَالِسًا وَأَصْحَابُهُ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ، قَالَ: فَجَاءَ حُذَيْفَةُ فَقَالَ: مِمَّا هَذِهِ الْأَصْوَاتُ يَا ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ؟ قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، ذَكَرُوا الدَّجَّالَ

وَمُفَارَقَتُهُمْ كُفْر»، وكذاك رواه الداني في السنن الواردة في الفتن (١٣٦) بإسناد ثالث في ضعف، والخلاصة: أن الأثر قد يصح عن سيدنا عمر ﷺ بمجموع طرقه.

(١) وأصله عند البخاري مرفوعا (٧٠٦٨): «اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ».

(٢) حديث موقوف.

(٣) ورواه البيهقي في الشعب (١٠١٤٦)



وَتَخَوَّفْنَاهُ ؛ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: وَاللهِ مَا أُبَالِي أَهُوَ لَقِيتُ أَمْ هَذِهِ الْعَنْزَ السَّوْدَاءَ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِعَنْزٍ تَأْكُلُ النَّوَى فِي جَانِبِ الْمَسْجِدِ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: لِمَ؟ للهِ أَبُوكَ، قَالَ حُذَيْفَةُ: لِأَنَّا قَوْمٌ مُؤْمِنُونَ وَهُوَ امْرُؤٌ كَافِرٌ، وَإِنَّ اللهَ سَيُعْطِينَا عَلَيْهِ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ، وَايْمُ اللهِ، لَا يَخْرُجُ حَتَّى يَكُونَ خُرُوجُهُ أَحَبَّ إِلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ مِنْ بَرْدَةِ الشَّرَابِ عَلَى الظَّمَأِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: لِمَ؟ للهِ أَبُوكَ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: مِنْ شِدَّةِ الْبَلَاءِ وَجَنَادِعِ الشَّرِّ.

- ٣٧٥٤٧ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، قَالَ: «إِنَّ مِنَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ أَنْ يَظْهَرَ الْبِنَاءُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَأَنْ تُقْطَعَ الْأَرْحَامُ، وَأَنْ يُؤْذِيَ الْجَارُ جَارَهُ».
- ٣٧٥٤٨ عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَظْهَرَ الْفُحْشُ، وَالتَّفَحُّشُ، وَسُوءُ الْخُلُقِ، وَسُوءُ الْجِوَارِ».
- ٣٧٥٤٩ عن عَبْد اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَظْهَرَ الْقَوْلُ، وَيُخْزَنَ، وَيَرْتَفِعَ الْأَشْرَارُ، وَيُوضَعَ الْأَخْيَارُ، وَتُقْرَأُ الْمَثَانِي عَلَيْهِمْ، فَلَا يَعِيبُهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ»، قَالَ: قُلْتُ: مَا الْمَثَانِي؟ قَالَ: «كُلُّ كِتَابٍ سِوَى كِتَابِ اللهِ»[١].
- ٣٧٥٧٤ -حدثنا وَكِيعٌ عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ وَاقِعِ بْنِ سَحْبَانَ، عَنْ طَرِيفِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ طَرِيفٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، حَتَّى يَقُومَ الرَّجُلُ إِلَى أُمِّهِ فَيَضْرِبُهَا بِالسَّيْفِ مِنَ الْجَهْلِ»[٢].
- ٣٧٥٦٩ عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سُئِلَ حُذَيْفَةُ: أَيُّ الْفِتْنَةِ أَشَدُّ؟ قَالَ: «أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ لَا تَدْرِي أَيَّهُمَا تَتْبَعُ».
- ٣٧٥٨٨ عَنْ مُجَالِدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَصِيرَ الْعِلْمُ جَهْلًا وَالْجَهْلُ عِلْمًا».

---

(١) ورواه الدارمي (٤٩٣) بإسناد جيد، والحاكم (٨٦٦٠،٨٦٦١) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) ورواه البخاري (٧٠٦٢) ومسلم (٢٦٧٢) دون « حتى يقوم الرجل إلى أمه ..».

- ٣٧٥٩١ عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: «تَهْلَكُ الْعَرَبُ حِينَ تَبْلُغُ أَبْنَاءُ بَنَاتِ فَارِسَ».
- ٣٧٥٩٢ وَكِيعٌ عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: «لَمْ يَزَلْ أَمْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعْتَدِلًا حَتَّى نَشَأَ فِيهِمْ أَبْنَاءُ سَبَايَا الْأُمَمِ، فَقَالُوا فِيهِمْ بِالرَّأْيِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[١].
- ٣٧٧٣٦ عَنْ زَاذَانَ، عَنْ عَلِيمٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَهُ عَلَى سَطْحٍ وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَيَّامِ الطَّاعُونِ، فَجَعَلَتِ الْجَنَازِيرُ تَمُرُّ، فَقَالَ يَا طَاعُونُ خُذْنِي، قَالَ: فَقَالَ عَلِيمٌ، أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، فَإِنَّهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ عَمَلِهِ، وَلَا يُرَدُّ فَيَسْتَعْتِبَهُ» فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «بَادِرُوا بِالْمَوْتِ سِتًّا، إِمْرَةَ السُّفَهَاءِ، وَكَثْرَةَ الشَّرْطِ، وَبَيْعَ الْحُكْمِ، وَاسْتِخْفَافًا بِالدَّمِ، وَنُشُوءًا يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ، يُقَدِّمُونَهُ لِيُغَنِّيَهُمْ، وَإِنْ كَانَ أَقَلَّهُمْ فِقْهًا»[٢].
- ٣٧٧٤٢ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: (إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِ اللهِ الْمُنَزَّلِ صِنْفَيْنِ فِي النَّارِ: قَوْمٌ يَكُونُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ لَا يُدْخِلُونَ بُطُونَهُمْ إِلَّا خَبِيثًا، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَّاتٌ مَائِلَاتٌ مُمِيلَاتٌ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا).
- ٣٧٧٤٣ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ أُمَرَاءُ تَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ بَارَاهُمْ نَجَا، وَمَنِ اعْتَزَلَهُمْ سَلِمَ أَوْ كَادَ، وَمَنْ خَالَطَهُمْ هَلَكَ**»[٣].
- ٣٧٧٤٤ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، أَنَّهُ قَالَ: ابْعَثُوا إِلَى أَمَلَةَ يَذِبُّونَ عَنْ فَسَادِ الْأَرْضِ، فَقَالَ لَهُ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: مَهْ لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ الْمُنَزَّلِ: أَنَّ قَوْمًا يُقَالُ لَهُمُ الْأَمَلَةُ يَحْمِلُونَ

---

(١) ورواه البزار (٢٤٢٤) وقال: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُ أَحَدًا قَالَ: عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، إِلَّا قَيْسٌ، وَرَوَاهُ غَيْرُ قَيْسٍ مُرْسَلًا.

(٢) ورواه أحمد (١٦٠٤٠) وصححه الأرنؤوط.

(٣) ورواه الطبراني في الكبير (١٠٩٧٣) وفي إسنادهما الْهَيَّاحُ بْنُ بِسْطَامٍ الْحَنْظَلِيُّ وهو ضعيف.

بِأَيْدِيهِمْ سِيَاطًا كَأَنَّهَا أَذْنَابُ الْبَقَرِ، لَا يَرِيحُونَ رِيحَ الجَنَّةِ، فَلَا تَكُنْ أَنْتَ أَوَّلَ مَنْ يُبْعَثُ فِيهِمْ، قَالَ: فَفَعَلَ فَقُلْتُ أَنَا لِيَحْيَى: مَا الْأَمَلَةُ؟ قَالَ: أَنْتُمْ تُسَمُّونَهُمْ بِالْعِرَاقِ الشُّرَطَ[١].

(الدُّرُّ المَنْثُورُ) للسُّيُوطيّ:

- وَأخرج الْحَاكِم وَصَححهُ[٢] عَن ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**لتركبنَّ سنَن من كَانَ قبلكُمْ شبْرًا بشبرٍ وذِراعاً بِذِرَاعٍ حَتَّى لَو أَنَّ أَحَدهُم دَخَلَ حُجرَ ضَبٍّ لدَخلتُم وَحَتَّى لَو أَنَّ أَحَدَهُم جَامَعَ امْرَأَته بِالطَّرِيقِ لفَعلتُمُوهُ**».
- وَأخرجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي ذمِّ المَلاهي[٣] عَن فَرقد السَّبخيّ قَالَ: قَرَأتُ فِي التَّوْرَاةِ الَّتِي جَاءَ بهَا جِبْرِيُل إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام: لَيَكُونَنَّ مَسخٌ وَقذفٌ وَخَسفٌ فِي أمَّة مُحَمَّد فِي أهلِ الْقبْلَةِ، قيلَ يَا أَبَا يَعْقُوب: مَا أَعْمَالُهم قَالَ: باتِّخَاذِهم الْقَيْنَاتِ وضربهم بِالدُّفُوفِ ولباسهم الْحَرِير وَالذَّهَب وَلنْ تغيبَ حَتَّى ترى أعمالاً أزليّة فاستيقن واستعدَّ وَاحْذَرْ قِيلَ: مَا هِيَ قَالَ: تكافأ الرِّجَالِ بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ بِالنسَاءِ ورغبت الْعَرَبُ فِي آنِيةِ الْعَجم فَعِنْدَ ذَلِك ثمَّ قَالَ: وَالله ليُقذَفَنَّ رجالٌ من السَّمَاءِ بِالْحِجَارَةِ يُشدَخون بهَا فِي طرقِهم وقبائِلهم كَمَا فعل بِقومِ لوطٍ وليُمسخنَّ آخَرُونَ قردة وَخَنَازِير كَمَا فُعِل ببني إِسْرَائيل وليُخسف بِقومٍ كَمَا خُسفَ بقارونَ.

---

(١) في إسناده أبو قبيل عن يُسيع : وأبو قبيل هو حيي بن هانىء، قال عنه ابن حجر صدوق يهم ، وقال الذهبي وثقه جماعة، وقال أبو حاتم صالح الحديث . ويسيع : هو ابن معدان الحضرمي وثقه غير واحد.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٨٤٠٤) وصححه ووافقه الذهبي. وأورده الهيثمي في كشف الأستار (٣٢٨٥) وقال : (قَالَ الْبَزَّارُ: لا نَعْلَمُهُ يُرْوَى بِهَذَا اللَّفْظِ إِلا بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَثَوْرٌ مَدَنِيٌّ ثِقَةٌ مَشْهُورٌ).

(٣) ابن أبي الدنيا (ذم الملاهي ١/ ٣٥/ ١٧)

السنن الواردة في الفتن: (أبو عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني):

- ٢٢ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «سَتكُونُ فِتَنٌ لَا يَسْتَطِيعُ الْمُؤْمِنُ أَنْ يُغَيِّرَ فِيهَا بِيَدٍ وَلَا بِلِسَانٍ» قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، وَفِيهِمْ يَوْمَئِذٍ مُؤْمِنٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: وَكَيْفَ بِذَلِكَ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ: «يَكْرَهُونَهَا بِقُلُوبِهِمْ» قَالَ: فَهَلْ يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ إِيمَانِهِمْ شَيْئًا؟ قَالَ: «لَا، إِلَّا كَمَا يُنْقِصُ الْقَطْرُ مِنَ السِّقَاءِ»(١).
- ٢٠ عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلْحَمَةِ فِتَنٌ يَمُوتُ فِيهَا قَلْبُ الرَّجُلِ كَمَا يَمُوتُ بَدَنُهُ»**(٢).
- ٥٦ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ بَعْضِ، أَشْيَاخِهِمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ أَشَدَّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الشَّيْطَانُ، وَلَا الدَّجَّالُ، وَلَكِنْ أَشَدَّ مَا أَتَّقِي عَلَيْهِمُ الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ»(٣).
- ١١٨ عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو كَيْفَ بِكَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَمَرِجَتْ أَمَانَتُهُمْ وَكَانُوا هَكَذَا» وَشَبَّكَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «آمُرُكَ أَنْ تَتَّقِي الله وَتَأْخُذَ مَا تَعْرِفُ وَتَدَعْ مَا تُنْكِرُ وَعَلَيْكَ بِخُوَيِّصَتِكَ وَإِيَّاكَ وَالْعَامَّةَ»(٤).
- ١٤٩ عَنْ عَرِيفٍ الْهَمْدَانِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ: إِنَّا إِذَا دَخَلْنَا عَلَى الْأُمَرَاءِ زَكَّيْنَاهُمْ بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ دَعَوْنَا الله عَلَيْهِمْ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ ذَلِكَ النِّفَاقَ .

---

(١) في إسناد الداني إرسال، وفيه نصر بن مرزوق: مجهول الحال، وروى الحديث الطبراني في الأوسط (٦١٥٣) ومسند الشاميين (٦٧٠) وقال الهيثمي: فِيهِ طَلْحَةُ بْنُ زَيْدٍ الْقُرَشِيُّ وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا.

(٢) في إسناده نصر بن مرزوق مجهول الحال ، والحديث مرسل.

(٣) إسناده مرسل مليء بالضعفاء. ويؤيد معناه ما رواه أحمد بسنده (٢١٢٩٦)... قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو ذَرٍّ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «لَغَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَى أُمَّتِي» قَالَهَا ثَلَاثًا. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا هَذَا الَّذِي غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: «أَئِمَّةً مُضِلِّينَ» وصححه الأرنؤوط لغيره.

(٤) سبق تخريجه في فصل المستدرك على الصحيحين رقم (٨٦٠٠).

- ١٦٣ عن عباد بن كثير يرفعه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «بَشِّرِ الْفَرَّارِينَ بِدِينِهِمْ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ وَمِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ أَنَّهُمْ مَعِي أَوْ مَعَ إِبْرَاهِيمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَاتَيْنِ» وَجَمَعَ بَيْنَ أُصْبُعَهُ الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِيهَا[1].
- ٤٠١ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «سَيَظْهَرُ شِرَارُ أُمَّتِي عَلَى خِيَارِهِمْ حَتَّى يَسْتَخْفِيَ فِيهِمُ الْمُؤْمِنُ كَمَا يَسْتَخْفِي فِينَا الْمُنَافِقُ»[2].
- ٤٠٤ عن ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسُودَ كُلَّ قَبِيلَةٍ مُنَافِقُوهَا»[3].

الفتن لنعيم بن حماد[4]:

- ٢٣ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ فِي أُمَّتِي حَتَّى يُفَارِقَ الرَّجُلُ فِيهَا أَبَاهُ وَأَخَاهُ، حَتَّى يُعَيَّرَ الرَّجُلُ بِبَلَائِهِ كَمَا تُعَيَّرُ الزَّانِيَةُ بِزِنَاهَا».

---

(١) [موضوع] إسناده مرسل، وفيه نصر : مجهول الحال ، وأبو يحيى الخراساني: منكر الحديث، وعباد بن كثير: وضاع روى أحاديث مكذوبة.

(٢) في إسناده نصر: مجهول الحال، ورواه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٤٥) وكلا الاسنادين مرسل.

(٣) ورواه الطبراني في الكبير (٩٧٧١) والبزار (١٤٣٤) وإسناديهما ضعيف جدا.

(٤) هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك الخزاعى ، أبو عبد الله المروزى الفارض الأعور، من كبار الآخذين عن تبع الأتباع، مات محبوسا في فتنة خلق القرآن ٢٢٨هـ ببغداد أو سامراء، وقد وثقه أحمد، وجماعة، وقال الحافظ أبو علي النيسابوري: سمعت النسائي يذكر فضل نعيم بن حماد وتقدمه في العلم والمعرفة والسنن، فقيل له في قبول حديثه، فقال: قد كثر تفرده عن الائمة، فصار في حد من لا يحتج به. وقال الأزدي: قالوا: كان يضع الحديث، وقال أبو داود: عنده نحو من عشرين حديثاً ليس لها أصل، وقال الدارقطني: كثير الوهم، وقد روى له مسلم والبخاري إلا أنه مقرونا بغيره. وقال الذهبي: (وصنف كتاب الفتن، فأتى فيه بعجائب ومناكير) وعليه [فجميع ما رواه ابن حماد ولم نعلق عليه ضعيفٌ إلا ما ورد من طريق آخر صحيح أو قوى معناه الشواهد].

- ٥٩ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ رَأَى بُنْيَانًا عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ فَقَالَ: «يَا مُجَاهِدُ، إِذَا رَأَيْتَ بُيُوتَ مَكَّةَ قَدْ ظَهَرَتْ عَلَى أَخَاشِبِهَا، وَجَرَى الْمَاءُ فِي طُرُقِهَا، فَخُذْ حِذْرَكَ».
- ٦٣ عَنْ عَزْرَةَ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: قَامَ رَجُلٌ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه بِالشَّامِ وَهُوَ يَخْطُبُ فَقَالَ: إِنَّ الْفِتَنَ قَدْ ظَهَرَتْ، فَقَالَ خَالِدٌ: «أَمَا وَابْنُ الْخَطَّابِ حَيٌّ فَلَا، إِنَّمَا ذَاكَ إِذَا كَانَ النَّاسُ بِذِي بَلِيٍّ، وَذِي بَلِيٍّ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَتَذَكَّرُ الْأَرْضَ لَيْسَ بِهَا مِثْلُ الَّذِي يَفِرُّ إِلَيْهَا مِنْهُ، فَلَا يَجِدُهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَظْهَرُ الْفِتَنُ»[١].
- ٦٦ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَأَنَّهَا قِطَعُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ قَوْمٌ فِيهَا خَلَاقَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرٍ، أَوْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» قَالَ الْحَسَنُ: فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صُوَرًا وَلَا عُقُولَ، وَأَجْسَامًا وَلَا أَحْلَامَ، فَرَاشَ نَارٍ، وَذِبَّانَ طَمَعٍ، يَغْدُونَ بِدِرْهَمَيْنِ، وَيَرُوحُونَ بِدِرْهَمَيْنِ، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِثَمَنِ عَنْزٍ [٢].
- ٨٩ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَأْتِيكُمْ بَعْدِي أَرْبَعُ فِتَنٍ، الْأُولَى يُسْتَحَلُّ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالثَّانِيَةُ يُسْتَحَلُّ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالْأَمْوَالُ، وَالثَّالِثَةُ يُسْتَحَلُّ فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالْأَمْوَالُ، وَالْفُرُوجُ، وَالرَّابِعَةُ صَمَّاءُ عَمْيَاءُ مُطْبِقَةٌ، تَمُورُ مَوْرَ الْمَوْجِ فِي الْبَحْرِ، حَتَّى لَا يَجِدَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مِنْهَا مَلْجَأً، تُطِيفُ بِالشَّامِ، وَتَغْشَى الْعِرَاقَ، وَتَخْبِطُ الْجَزِيرَةَ بِيَدِهَا وَرِجْلِهَا، وَتُعْرَكُ الْأُمَّةُ فِيهَا بِالْبَلَاءِ عَرْكَ الْأَدِيمِ، ثُمَّ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُ فِيهَا: مَهْ مَهْ، ثُمَّ لَا يَعْرِفُونَهَا مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا انْفَتَقَتْ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى»[٣].

---

(١) وروى أحمد بمعناه (١٦٨٢٠) وضعفه الأرنؤوط.

(٢) ورواه أحمد (١٨٤٠٤) والحاكم (٦٢٦٣) وغيرهم، وقال الأرنؤوط صحيح لغيره.

(٣) إسناده مبهم ومسلسل بالمتروكين.

- ٩١ حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، عَنْ أَرْطَاةَ بْنِ الْمُنْذِرِ، قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « تَكُونُ فِي أُمَّتِي أَرْبَعُ فِتَنٍ تُصِيبُ أُمَّتِي فِي آخِرِهَا فِتَنٌ مُتَرَادِفَةٌ، فَالْأُولَى تُصِيبُهُمْ فِيهَا بَلَاءٌ حَتَّى يَقُولَ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَالثَّانِيَةُ حَتَّى يَقُولَ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَالثَّالِثَةُ كُلَّمَا قِيلَ: انْقَضَتْ، تَمَادَتْ، وَالْفِتْنَةُ الرَّابِعَةُ تَصِيرُونَ فِيهَا إِلَى الْكُفْرِ، إِذَا كَانَتِ الْأُمَّةُ مَعَ هَذَا مَرَّةً، وَمَعَ هَذَا مَرَّةً، بِلَا إِمَامٍ، وَلَا جَمَاعَةٍ، ثُمَّ الْمَسِيحُ، ثُمَّ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَدُونَ السَّاعَةِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ دَجَّالًا، مِنْهُمْ مَنْ لَا يَتْبَعُهُ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ».
- ٩٣ عَنْ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ فِيهَا حَرْبٌ وَهَرَبٌ، وَفِتْنَةُ السَّرَّاءِ يَخْرُجُ دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي، إِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ، ثُمَّ يَكُونُ فِتْنَةُ الدَّهْمِ، كُلَّمَا قِيلَ: انْقَطَعَتْ تَمَادَتْ، حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، يُقَاتِلُ فِيهَا لَا يَدْرِي عَلَى حَقٍّ يُقَاتِلُ أَمْ عَلَى بَاطِلٍ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَصِيرُوا إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطاطِ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ، فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا فَأَبْصِرِ الدَّجَّالَ الْيَوْمَ أَوْ غَدًا»(١).
- ١١٥ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، رضي الله عنه قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ هَرْجًا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَأَخَاهُ وَابْنَ عَمِّهِ، قَالُوا: وَمَعَنَا عُقُولُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «تُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيُخَلَّفُ لَهَا دهَيْمَاءُ مِنَ النَّاسِ، يَحْسِبُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ»(٢).
- ١٢٤ عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مِنْ عَلَامَاتِ الْبَلَاءِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تَعْزُبَ الْعُقُولُ، وَتُنْقَصَ الْأَحْلَامُ، وَيَكْثُرَ الْهَمُّ، وَتُرْفَعَ عَلَامَاتُ الْحَقِّ، وَيَظْهَرَ الظُّلْمُ».
- ١٥٤ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، رضي الله عنه قَالَ: «لَنْ تَرَوْا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءً وَفِتْنَةً، وَلَنْ يَزْدَادَ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَنْ تَرَوْا مِنَ الْأَئِمَّةِ إِلَّا غِلْظَةً، وَلَنْ تَرَوْا أَمْرًا يَهُولُكُمْ إِلَّا حَقَرَهُ بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ».

---

(١) ضعيف مرسل.

(٢) إسناده ضعيف ولمعناه شواهد في الصحيح وقد تقدمت.

- ١٥٦ عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: «كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ أَوَّلَ مَا يُرْفَعُ عَنِ النَّاسِ الْأُلْفَةُ»[١].
- ١٥٧ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ فِتْنَةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «إِذَا لَمْ يَأْمَنِ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ»[٢].
- ١٥٩ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الدَّمَ يُسْفَكُ بِغَيْرِ حَقِّهِ، وَالْمَالَ يُعْطَى عَلَى الْكَذِبِ، وَظَهَرَ الشَّكُّ وَالتَّلَاعُنُ، وَكَانَتِ الرِّدَّةُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ فَلْيَمُتْ».
- ٥٠١ قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، الْمُؤْمِنُ فِيهِ أَذَلُّ مِنَ الْأَمَةِ، أَكْيَسُهُمُ الَّذِي يَرُوغُ بِدِينِهِ رَوَغَانَ الثَّعَالِبِ»[٣].
- ٦٢٥ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «تَكُونُ عَلَامَةٌ فِي صَفَرٍ، وَيَبْتَدِأُ نَجْمٌ لَهُ ذِنَابٌ».
- ٦٧٩ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: «تَكُونُ بِالشَّامِ فِتْنَةٌ تَرْتَفِعُ فِيهَا نِسَاؤُهُمْ وَأَشْرَافُهُمْ، ثُمَّ لَا يَأْتِي عَلَيْهَا إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى يَرْتَفِعَ فِيهَا سُفَهَاؤُهُمْ وَسِفْلَتُهُمْ حَتَّى يَسْتَعْبِدُوا نِسَاءَهُمْ كَمَا كَانُوا يَسْتَعْبِدُونَهُمْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ».

****

---

(١) ورواه البخاري في الأدب المفرد (٢٦٣) وضعفه الألباني.

(٢) ورواه أحمد (٤٢٨٦) والحاكم (٥٣٩٧-٨٣١٤) وضعف إسناده الألباني والأرنؤوط.

(٣) موقوف ورواه أبو داود في الزهد (١٧٦).

(٢) – فساد العُلَماء في آخر الزّمان

البُخَارِيّ:

◉ ١٠٠- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(١).

سنن أبي داوود:

• ٤٣٣٦ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هذا، اتَّقِ اللهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ» ثُمَّ قَالَ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة: ٧٨] إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨١]، ثُمَّ قَالَ: «كَلَّا وَاللهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا».

◉ ٤٣٣٧ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِهِ، زَادَ: «أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ» قَالَ أَبُو دَاوُدَ: رَوَاهُ الْمُحَارِبِيُّ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيِّبِ(٢).

---

(١) وأخرجه مسلم في باب العلم (٢٦٧٣) وغيره.

(٢) ورواه الترمذي (٣٠٤٧،٣٠٤٨) وابن ماجة (٤٠٠٦) وأحمد (٣٧١٣) وضعفه الألباني هو والذي قبله – المشكاة (٥١٤٨).

◉ ٤٣٣٨ عَن قَيس، قَال: قَال أَبُو بكر: بعدَ أَن حمِدَ الله، وَأثنى عَليه: يَا أَيُّها النَّاس، إنَّكم تَقرءون هَذه الآيةَ، وتضَعُونَها عَلى غيرِ مَواضِعها: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٥]، قال: عن خالد، وإنَّا سَمِعنا النَّبي ﷺ يقول: «**إنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَاب**» وقال عَمرو: عن هُشيم، وإنِّي سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**ما مِن قومٍ يُعمَلُ فيهم بالمعاصي، ثم يَقدِرُونَ على أن يُغيِّروا، ثم لا يُغيِّروا إلا يوشِكُ أن يعمَّهُمُ الله منهُ بِعِقَاب** » قال أبو داود: ورواه كما قال خالد أبو أسامة: وجماعة، وقال شعبة فيه: «مَا مِن قَومٍ يُعمَل فِيهم بِالمعاصي هُم أَكثر ممن يَعمله»[1].

◉ ٤٣٣٩ عَنِ ابْنِ جَرِيرٍ، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ فِي قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَيْهِ، فَلَا يُغَيِّرُوا، إِلَّا أَصَابَهُمُ الله بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمُوتُوا**»[2].

◉ ٤٣٤١ قال أَبُو أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيُّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ، كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٥]؟ قَالَ: أَمَا وَالله لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ - يَعْنِي - بِنَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ»، وَزَادَنِي غَيْرُهُ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ»[3].

---

(١) رواه الترمذي (٢١٦٨،٣٠٥٧) وابن ماجة (٤٠٠٥) وأحمد (١،١٦،٢٩،٣٠،٥٣) وصححه الألباني والأرنؤوط

(٢) رواه ابن ماجة (٤٠٠٩) وأحمد (١٩١٩٢،١٩٢١٦،١٩٢٥٣) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه الترمذي (٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤) وقال الألباني : ضعيف لكن فقرة أيام الصبر ثابتة.

◈ ٤٣٤٤ عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ، أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ»(١).

◈ ٤٣٤٥ عَنِ الْعُرْسِ بْنِ عُمَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ، كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا»(٢).

سنن ابن ماجة:

• ٤٠٠٦ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا وَقَعَ فِيهِمُ النَّقْصُ، كَانَ الرَّجُلُ يَرَى أَخَاهُ عَلَى الذَّنْبِ فَيَنْهَاهُ عَنْهُ، فَإِذَا كَانَ الْغَدُ لَمْ يَمْنَعْهُ مَا رَأَى مِنْهُ، أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَخَلِيطَهُ، فَضَرَبَ الله قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، وَنَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ، فَقَالَ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة: ٧٨] حَتَّى بَلَغَ ﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١﴾ [المائدة: ٨١]، قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ، مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، وَقَالَ: «لَا حَتَّى تَأْخُذُوا عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، فَتَأْطِرُوهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا»(٣).

● ٤٠١٥ عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ الله مَتَى نَتْرُكُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: «إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله وَمَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا؟ قَالَ: «الْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، وَالْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ، وَالْعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ» قَالَ زَيْدٌ: "تَفْسِيرُ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَالْعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ»، إِذَا كَانَ الْعِلْمُ فِي الْفُسَّاقِ". (٤)

---

(١) رواه الترمذي (٢١٧٤) وابن ماجة (٤٠١١) وأحمد (١١٥٨٧،١١١٤٣) وصححه الألباني.

(٢) حسنه الألباني: المشكاة (٥١٤١)

(٣) وأخرجه الترمذي (٣٢٩٨) وضعفه الألباني: المشكاة (٥١٤٨).

(٤) ضعفه الألباني لعنعنة مكحول في تعليقه على سنن ابن ماجه، وقال شعيب أرنؤوط إسناده قوي، وقد ثبت أبو مسهر والبُخَارِيّ سماع مكحول من أنس. وأخرجه أحمد (١٢٩٤٣)، والبيهقي (شعب الإيمان ٧٥٥٥).

- ٤٠١٦ سَنِ، عَنْ جُنْدُبٍ عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ» قَالُوا: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: يَتَعَرَّضُ مِنْ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُهُ.(١)
- ٤٠٤٨ عَنْ زِيَادِ بْنِ لَبِيدٍ، قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، فَقَالَ: «ذَاكَ عِنْدَ أَوَانِ ذَهَابِ الْعِلْمِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، وَكَيْفَ يَذْهَبُ الْعِلْمُ، وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَنُقْرِئُهُ أَبْنَاءَنَا وَيُقْرِئُهُ أَبْنَاؤُنَا أَبْنَاءَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ زِيَادُ، إِنْ كُنْتُ لَأُرَاكَ مِنْ أَفْقَهِ رَجُلٍ بِالْمَدِينَةِ، أَوَلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يَقْرَؤُونَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيهِمَا؟!»(٢).

المستدرك عَلى الصَّحِيحين أبو عبدالله الحاكم النيسابوري:

◈ ٨٣٥٦ عَنْ أَبِي فِرَاسٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: «أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذْ فِينَا رَسُولُ الله ﷺ، وَإِذْ يَنْزِلُ الْوَحْيُ، وَإِذْ يَبْنَنَا مِنْ أَخْبَارِكُمْ، أَلَا وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدِ انْطَلَقَ وَرُفِعَ الْوَحْيُ، وَإِنَّمَا نَعْرِفُكُمْ بِمَا أَقُولُ لَكُمْ، أَلَا وَمَنْ يُظْهِرُ مِنْكُمْ خَيْرًا ظَنَنَّا بِهِ خَيْرًا وَأَحْبَبْنَاهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ يُظْهِرُ مِنْكُمْ شَرًّا ظَنَنَّا بِهِ شَرًّا وَأَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ سَرَائِرُكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ، أَلَا وَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَأَنَا أَحْسَبُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ يُرِيدُ بِهِ الله تَعَالَى وَمَا عِنْدَهُ، وَلَقَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ بِآخِرِهِ أَنَّ قَوْمًا يَقْرَأُونَهُ يُرِيدُونَ مَا عِنْدَ النَّاسِ، أَلَا فَأَرِيدُوا مَا عِنْدَ الله بِقِرَاءَتِكُمْ وَبِعَمَلِكُمْ، أَلَا وَإِنِّي وَالله مَا أَبْعَثُ عُمَّالِي لِيَضْرِبُوا أَبْشَارَكُمْ وَيَأْخُذُوا أَمْوَالَكُمْ، وَلَكِنِّي أَبْعَثُهُمْ لِيُعَلِّمُوكُمْ دِينَكُمْ وَسُنَنَكُمْ، وَيَعْدِلُوا بَيْنَكُمْ وَيَقْسِمُوا فِيكُمْ فَيْئَكُمْ، أَلَا مَنْ فُعِلَ بِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلْيُرَافِعْهُ إِلَيَّ، وَالَّذِي نَفْسُ عُمَرَ بِيَدِهِ لَأُقُصَّهُ مِنْهُ» فَوَثَبَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ عَلَى رَعِيَّةٍ، فَأَدَّبَ بَعْضَ رَعِيَّتِهِ إِنَّكَ لَمُقِصُّهُ مِنْهُ، قَالَ: «وَمَا لِي لَا أُقُصُّهُ وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُصُّ مِنْ نَفْسِهِ، أَلَا لَا تَضْرِبُوهُمْ فَتُذِلُّوهُمْ، وَلَا تَمْنَعُوهُمْ حَقَّهُمْ

---

(١) قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن بشاهده، وهذا إسناد ضعيف، وأخرجه الترمذي (٢٤٠٤) وأحمد (٢٣٤٤٤) وحسنه الألباني: (الصحيحة٦١٣).

(٢) قال الأرنؤوط: صحيح لغيره ورجال إسناده ثقات إلا أن فيه انقطاعا، وصححه الألباني: المشكاة (٢٤٥ و ٢٧٧).

فَتُكَفِّرُوهُمْ، وَلَا تُجْبِرُوهُمْ فَتَفْتِنُوهُمْ، وَلَا تُنْزِلُوهُمُ الْغِيَاضَ فَتُضَيِّعُوهُمْ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(١).

◉ ٨٤١٢ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «سَيَأْتِي عَلَى أُمَّتِي زَمَانٌ تَكْثُرُ فِيهِ الْقُرَّاءُ، وَتَقِلُّ الْفُقَهَاءُ وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ» قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ زَمَانٌ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ رِجَالٌ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ زَمَانٌ يُجَادِلُ الْمُنَافِقُ الْكَافِرُ الْمُشْرِكُ بِاللهِ الْمُؤْمِنَ بِمِثْلِ مَا يَقُولُ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاه(٢).

◉ ٨٤٤٠ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ، قَالَ: (تَكُونُ فِتْنَةٌ يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَقْرَأَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ، يَقْرَأُهُ الرَّجُلُ سِرًّا فَلَا يُتَّبَعُ عَلَيْهَا، فَيَقُولُ: وَاللهِ لَأَقْرَأَنَّهُ عَلَانِيَةً، ثُمَّ يَقْرَأُهُ عَلَانِيَةً فَلَا يُتَّبَعُ عَلَيْهَا، فَيَتَّخِذُ مَسْجِدًا وَيَبْتَدِعُ كَلَامًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ وَلَا مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُ فَإِنَّ كُلَّ مَا ابْتَدَعَ ضَلَالَةٌ)(٣).

---

(١) وافقه الذهبي، ورواه أحمد (٢٨٦) وقال الأرنؤوط : (أبو فِراس – وهو النهدي – لم يرو عنه غير أبي نضرة المنذر بن مالك، ولم يوثقه غير ابن حبان، وقال أبو زرعة: لا أعرفه. وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين). وأخرج البخاري مختصرا بنحوه (٢٦٤١).... سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول: «أن ناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسب سريرتَه، ومن أظهر لنا سوءاً لم نَأْمَنْه، ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة».

(٢) وافقه الذهبي . وضعفه الألباني (الضعيفة-٣٧١٢).

(٣) سكت عنه الذهبي في التلخيص . ورواه أبو داود (٤٦١١) وقال الألباني : صحيح الإسناد موقوف.

مجمع الزوائد لمؤلفه علي بن أبي بكر الهيثمي رَحِمَهُ اللهُ:

- ٩٢٦٠ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ لَا تَدْخُلَنَّ عَلَى الْأُمَرَاءِ، فَإِنْ غُلِبْتَ عَلَى ذَلِكَ فَلَا تُجَاوِزْ سُنَّتِي وَلَا تَخَافَنَّ سَيْفَهُ وَسَوْطَهُ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِتَقْوَى الله». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ[١].

- ١٢١٢٨ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ وَيُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ فَإِنَّهُ لَا يُقَرِّبُ مِنْ أَجَلٍ وَلَا يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ أَوْ يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ». قُلْتُ: رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ طَرَفًا مِنْهُ، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ شَيْخِ الطَّبَرَانِيِّ[٢].

- ١٢١٣٨ وَعَنْ جَابِرٍ وَأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَا: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنِ امْرِئٍ يَخْذُلُ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا خَذَلَهُ الله فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنِ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ الله فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ»، قُلْتُ: حَدِيثُ جَابِرٍ وَحْدَهُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ[٣].

---

(١) قال الهيثمي: وَفِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ.

(٢) ورواه أحمد (١١٤٧٤) وقال الأرنؤوط : صحيح دون (فإنه لا يقرب من أجل، ولا يباعد من رزق أن يقول بحق، أو يذكر بعظيم).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٨٤) وأحمد (١٦٣٦٨) والطبراني في الأوسط (٨٦٣٧) وضعفه الألباني والأرنؤوط.

المصنف في الأحاديث والآثار أبو بكر عبدالله بن محمّد بن أبي شيبة الكوفي.

◉ ٣٧٢٠٦ أَبُو أُسَامَةَ، قَالَ حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ أَنْبَأَنَا هِلَالُ بْنُ خَبَّابٍ أَبُو الْعَلَاءِ، قَالَ: سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الله، مَا عَلَامَةُ هَلَاكِ النَّاسِ؟ قَالَ: (إِذَا هَلَكَ عُلَمَاؤُهُمْ)(١).

◉ ٣٧٤٨٦ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ نَجِيٍّ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ جُلُوسًا وَهُوَ نَائِمٌ، فَذَكَرْنَا الدَّجَّالَ فَاسْتَيْقَظَ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الدَّجَّالِ: أَئِمَّةٌ مُضِلُّونَ»(٢).

◉ ٣٧٧٣١ عَنْ مُعَاذٍ قَالَ: (يَكُونُ فِي آخِرِ هذا الزَّمَانِ قُرَّاءٌ فَسَقَةٌ، وَوُزَرَاءُ فَجَرَةٌ، وَأُمَنَاءُ خَوَنَةٌ، وَعُرَفَاءُ ظَلَمَةٌ، وَأُمَرَاءُ كَذَبَةٌ)(٣).

◉ ٣٧٧٣٢ عَنْ قَيْسِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: حَدَّثَتْنِي مَوْلَاتِي سِدْرَةُ أَنَّ جَدِّي سَلَمَةَ بْنَ قَيْسٍ حَدَّثَنِي، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ فَقَالَ: (يَا سَلَمَةُ بْنَ قَيْسٍ، ثَلَاثٌ قَدْ حَفِظْتُهَا لَا تَجْمَعْ بَيْنَ الضَّرَائِرِ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْدِلَ وَلَوْ حَرَصْتَ، وَلَا تَعْمَلْ عَلَى الصَّدَقَةِ فَإِنَّ صَاحِبَ الصَّدَقَةِ زَائِدٌ وَنَاقِصٌ، وَلَا تَغْشَ ذَا سُلْطَانٍ فَإِنَّكَ لَا تُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ شَيْئًا إِلَّا أَصَابُوا مِنْ دِينِكَ أَفْضَلَ مِنْهُ)(٤).

◉ ٣٧٧٣٣ قَالَ حُذَيْفَةُ: (اتَّقُوا أَبْوَابَ الْأُمَرَاءِ فَإِنَّهَا مَوَاقِفُ الْفِتَنِ، أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ شَبِيهَةٌ مُقْبِلَةً وَتَبِينُ مُدْبِرَةً)(٥).

---

(١) ورواه الدارمي (٢٤٧) وضعفه ابن حجر لأن فيه هلال بن خباب: اختلط آخر عمره.

(٢) ورواه أحمد (٧٦٥) وضعفه الأرنؤوط.

(٣) ورواه أحمد في الزهد (١١٧٨).

(٤) ورواه البيهقي في الشعب (٨٩٦٣)

(٥) إسناده ضعيف لأن فيه عمارة بن عبد، قال ابن حجر: لين الحديث، وقال ابن معين صدوق له مناكير.

السنن الواردة في الفتن:

◉ ٢١٨ عَنْ رَوَّادٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي صَدَقَةَ الْيَمَانِيِّ، قَالَ: (يُبْعَثُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أُمَرَاءُ كَذَبَةٌ، وَوُزَرَاءُ فَجَرَةٌ، وَأُمَنَاءُ خَوَنَةٌ، وَعُرَفَاءُ ظَلَمَةٌ، وَقُرَّاءُ فَسَقَةٌ، أَهْوَاؤُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ، سِيمَاهُمْ سِيمَا الرُّهْبَانِ، لَيْسَ لَهُمْ دعَةٌ، قُلُوبُهُمْ أَنْتَنُ مِنَ الْجِيَفِ، يَلْبِسُهُمُ الله فِتْنَةً غَبْرَاءَ مُظْلِمَةً، يَتَهَوَّكُونَ فِيهَا تَهَوُّكَ الْيَهُودِ الظَّلَمَةِ)(١).

◉ ٢٣٦ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: (يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ، وَلَا يَبْقَى مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ، مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ، وَهِيَ خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى، عُلَمَاؤُهُمْ شَرُّ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، مِنْ عِنْدِهِمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ، وَفِيهِمْ تَعُودُ)(٢).

◉ ٣٣١ عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ تَحْتَ يَدِ الله عَزَّ وَجَلَّ وَفِي كَنَفِهِ مَا لَمْ يُمَالِ قُرَّاؤُهَا أُمَرَاءَهَا، وَلَمْ يُزَكِّ صُلَحَاؤُهَا فُجَّارَهَا، وَمَا لَمْ يَشْتِمْ خِيَارُهَا أَشْرَارَهَا، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ رَفَعَ الله الْكَرِيمُ عَنْهُمْ يَدَهُ، ثُمَّ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ جَبَابِرَتَهُمْ فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَضَرَبَهُمْ بِالْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ، وَمَلَأَ قُلُوبَهُمْ رُعْبًا»(٣).

◉ ٣٧١ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « لَا يَزَالُ الْجِهَادُ حُلْوًا أَخْضَرَ مَا قَطَرَ الْقَطْرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَقُولُ فِيهِ قُرَّاءٌ مِنْهُمْ: لَيْسَ هذا زَمَانَ جِهَادٍ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ فَنِعْمَ زَمَانُ الْجِهَادِ » قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَاحِدٌ يَقُولُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، مَنْ عَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(٤).

---

(١) إسناده ضعيف فيه انقطاع.

(٢) ضعفه الألباني (الضعيفة -١٩٣٦).

(٣) إسناده ضعيف جدا.

(٤) ضعيف في إسناده عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، قال النسائى : ليس بالقوى، و قال معاوية بن صالح ، عن يحيى بن معين : ضعيف.

****

(٣) - غربة الصّالحين في آخر الزّمان

سنن ابن ماجة:

- ٤٠٢٣ عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا، اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ، حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ»[١].
- ٤٠٢٩ عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَحْصُوا لِي كُلَّ مَنْ تَلَفَّظَ بِالْإِسْلَامِ**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، أَتَخَافُ عَلَيْنَا، وَنَحْنُ مَا بَيْنَ السِّتِّ مِئَة إِلَى السَّبْعِ مئة؟! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ، لَعَلَّكُمْ أَنْ تُبْتَلُوا**» قَالَ: فَابْتُلِينَا، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ مِنَّا مَا يُصَلِّي إِلَّا سِرًّا[٢].
- ٤٠٣١ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ الله إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**»[٣].
- ٤٠٣٥ عن أَبِي عَبْدِ رَبّه يَقُولُ:سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ**»[٤].

---

(١) ورواه الترمذي (٢٥٦١) وأحمد (١٤٨١)، وابن حبان (٢٩٠٠). وقال الأرنؤوط : صحيح، وحسنه الألباني المشكاة (١٥٦٢)، الصحيحة (١٤٣).

(٢) وأخرجه البُخَارِيّ (٣٠٦٠)، ومسلم (١٤٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٥٩) وحسنه الألباني: المشكاة (١٥٦٦) والصحيحة (١٤٦)، وقال الأرنؤوط : حسن لغيره.

(٤) و في مسند أحمد (١٦٨٥٣)، وابن حبان (٦٩٠) و (٢٨٩٩) وصححه الألباني، وقال الأرنؤوط : حسن.

- ٤٠٣٦ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ» قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»(١).
- ٤٠٣٧ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغَ عَلَيْهِ، وَيَقُولَ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ»(٢).
- ٤٠٣٨ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَتُنْتَقَوُنَّ كَمَا يُنْتَقَى التَّمْرُ مِنْ أَغْفَالِهِ، فَلْيَذْهَبَنَّ خِيَارُكُمْ، وَلَيَبْقَيَنَّ شِرَارُكُمْ، فَمُوتُوا إِنْ اسْتَطَعْتُمْ»(٣).
- ٤٠٣٩ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِدْبَارًا، وَلَا النَّاسُ إِلَّا شُحًّا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ، وَلَا الْمَهْدِيُّ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»(٤).

---

(١) ورواه أحمد (٧٩١٢) وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني: الصحيحة (١٨٨٧)

(٢) صححه الألباني : الصحيحة (٥٧٨)، وأخرجه البُخَارِيّ (٧١١٥) و (٧١٢١)، ومسلم (٢٩٠٧)

(٣) أخرجه ابن حبان في (٦٨٥١)، والطبراني في الأوسط (٤٦٧٦) والحاكم (٧٨٨٦، ٨٣٣٨) وقال صحيح ووافقه الذهبي، وقال الألباني: صحيحٌ لكنه ضعيف بهذا التمام، وهو ثابت دون قوله: «فموتوا إن استطعتم» الصحيحة (١٧٨١) وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(٤) قال الألباني: ضعيف جدًا – إلا جملة: «الساعة . . . » فصحيحة (الضعيفة ٧٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف والحديث صحيح لغيره لوجود شواهد عليه في البُخَارِيّ وغيره دون قوله: «ولا المهدي إلا عيسى ابن مريم» فمنكرة.

صحيح ابن حبان:

- ٦٧٧٩ عن سعيد بن المسيب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وما فيها»(١).

المستدرك عَلى الصَّحِيحين أبو عبدالله الحاكم النيسابوري:

- ٨٤٦٥ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّئِلِيُّ، سَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو، يَقُولُ: «يُوشِكُ أَنْ لَا يَبْقَى فِي أَرْضِ الْعَجَمِ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا قَتِيلٌ، أَوْ أَسِيرٌ يُحْكُمُ فِي دَمِهِ» ، فَقَالَ زُرْعَةُ بْنُ ضَمْرَةَ: أَتَظْهَرُ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَدَافَعَ مَنَاكِبُ نِسَاءِ بَنِي عَامِرٍ عَلَى ذِي الْخَلَصَةِ»، قَالَ: فَذَكَرَ قَوْلَهُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: عَبْدُ الله أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(٢)، عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيّ وَمُسْلِمٍ.

(٤)- علامات السّاعة

صحيح البُخَارِيّ:

- ٣٣٢٩ قَالَ أَنَسٌ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «...**أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ**...».
- ٧١١٩ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يُوشِكُ الفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا**»(٣).

(١) أخرجه بأطول مما هنا: البُخَارِيّ (٣٤٤٨)، وقال الأرنؤوط :إسناده صحيح على شرط البُخَارِيّ.

(٢) ورواه الحاكم أيضا برقم (٨٦٥٣) ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاع.

(٣) وفي مسلم (٢٨٩٤).



- ٧١٢١ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ: وَهُوَ القَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لاَ أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي البُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ - يَعْنِي آمَنُوا - أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا، فَلاَ يَتَبَايَعَانِهِ وَلاَ يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلاَ يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلاَ يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلاَ يَطْعَمُهَا»[١].

صَحِيحُ مُسلِمٍ:

- ٢٨٩١ عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَامًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ»، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ.
- ٢٨٩٤ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ، تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو»[٢].

---

(١) وفي مسلم (٢٩٥٤،٢٧٠٣،١٥٨،١٥٧،١٥٥،١٠،٩).

(٢) رواه البخاري (٧١١٩).

- ٢٩٠١ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** ﷺ **، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**».
- ٢٩٠٩ عن أَبِي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «**يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ**»(١).
- ٢٩٢٢ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**»(٢).
- ٢٩٤٠ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ يَعْقُوبَ بْنَ عَاصِمِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، وَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟ تَقُولُ: إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا - لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا، إِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا، يُحَرَّقُ الْبَيْتُ، وَيَكُونُ وَيَكُونُ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ - لَا أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ**» قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ: «**فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا**

---

(١) رواه البخاري (١٥٩٦،١٥٩١).

(٢) رواه البخاري (٢٩٢٦).

تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ - نُعْمَانُ الشَّاكُّ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ».

- **باب قصة الجساسة:**

- ٢٩٤٢ عن عَامِرِ بْنُ شَرَاحِيلَ الشَّعْبِيُّ، شَعْبُ هَمْدَانَ، أَنَّهُ سَأَلَ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ، أُخْتَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ - وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلِ - فَقَالَ: حَدِّثِينِي حَدِيثًا سَمِعْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا تُسْنِدِيهِ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ، فَقَالَتْ: لَئِنْ شِئْتَ لَأَفْعَلَنَّ، فَقَالَ لَهَا: أَجَلْ حَدِّثِينِي فَقَالَتْ: نَكَحْتُ ابْنَ الْمُغِيرَةِ، وَهُوَ مِنْ خِيَارِ شَبَابِ قُرَيْشٍ يَوْمَئِذٍ، فَأُصِيبَ فِي أَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ خَطَبَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَخَطَبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى مَوْلَاهُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَكُنْتُ قَدْ حُدِّثْتُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: **«مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ»** فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ: أَمْرِي بِيَدِكَ، فَأَنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ، فَقَالَ: **«انْتَقِلِي إِلَى أُمِّ شَرِيكٍ»** وَأُمُّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ، مِنَ الْأَنْصَارِ، عَظِيمَةُ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضِّيفَانُ، فَقُلْتُ: سَأَفْعَلُ، فَقَالَ: **«لَا تَفْعَلِي، إِنَّ أُمَّ شَرِيكٍ امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضِّيفَانِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْكِ خِمَارُكِ أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوْبُ عَنْ سَاقَيْكِ، فَيَرَى الْقَوْمُ مِنْكِ بَعْضَ مَا تَكْرَهِينَ وَلَكِنِ انْتَقِلِي إِلَى ابْنِ عَمِّكِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ»** - وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فِهْرٍ، فِهْرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ مِنَ الْبَطْنِ الَّذِي هِيَ مِنْهُ - فَانْتَقَلْتُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: **«لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»**، ثُمَّ قَالَ: **«أَتَدْرُونَ لِمَ**



جَمَعْتُكُمْ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ

خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ» - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

سنن أبي داوود:

- ٤٣٥٠ عن سعد بن أبي وقاص، أن النبي ﷺ قال: «**إنِّي لأَرجُو أنْ لا تعجزَ أُمَّتِي عندَ ربِّهَا أنْ يُؤَخِّرَهم نصفَ يومٍ**»، قيلَ لسعدٍ: وكَم نصف ذلكَ اليومِ؟ قالَ: «**خمسُ مائةِ سنةٍ**»[١].

سنن ابن ماجة:

۞ ٤٠٦٦ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، وَعَصَا مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا، وَتَخْطِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتِمِ، حَتَّى أَنَّ أَهْلَ الْحِوَاءِ لَيَجْتَمِعُونَ، فَيَقُولُ: هَذَا يَا مُؤْمِنُ وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ "، قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَطَّانُ: حَدَّثَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَصْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ، وَقَالَ فِيهِ مَرَّةً، فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ وَهَذَا: يَا كَافِرُ»[٢].

---

(١) صححه الألباني: صحيح الجامع (١٨١١ و ٢٤٨١). ورواه أحمد (١٣٦٥،١٤٦٤) وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٢) ضعفه الألباني: الضعيفة (١٦٠٨)، ضعيف الجامع (٢٤١٣).

◈ ٤٠٧٠ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا، عَرْضُهُ سَبْعُونَ سَنَةً، فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ الْبَابُ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ نَحْوِهِ، لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»[١].

صحيح ابن حبان:

- ٦٦٣٨ عن زَيْدٍ واسْمُهُ عَمْرُو بْنُ أَخْطَبَ، قَالَ: «**صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ الصُّبْحَ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَ حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، فَحَدَّثَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا**»[٢].
- ٦٧٠٠ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ:، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا**»[٣].
- ٦٧٠١ عن الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ ، يَقُولُ: «**لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ**»[٤].

---

(١) حسنه الألباني : التعليق الرغيب (٤ / ٧٣)

(٢) ورواه مسلم (٢٨٩٢) في الفتن: باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، وصحح إسناد ابن حبانَ الألبانيُّ والأرنؤوط.

(٣) صححه الألباني (الصحيحة:٦)، وقال الأرنؤوط : على شرط مسلم.

(٤) صححه الألباني والأرنؤوط.

- ٦٨٤٢ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونُ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعَفَةِ، أَوِ الْخُوصَةِ**»(١).
- ٦٨٤٤ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالْبُخْلُ، ويُخَوَّنُ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ، وَيَهْلِكَ الوُعُول، وَتَظْهَرَ التَّحُوتُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا الْوُعُولُ وَالتَّحُوتُ؟ قَالَ: «الْوُعُولُ: وجُوهُ النَّاسِ وَأَشْرَافُهُمْ، وَالتَّحُوتُ: الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ لَا يُعْلَمُ بِهِمْ»(٢).
- ٦٨٤٧ عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ الله، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «**مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ**»(٣).
- ٦٨٥٣ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُبْعَثَ رِيحٌ حَمْرَاءُ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ، فَيَكْفِتُ الله بِهَا كُلَّ نَفْسٍ تُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَا يُنْكِرُهَا النَّاسُ مِنْ قِلَّةِ مَنْ يَمُوتُ فِيهَا: مَاتَ شَيْخٌ فِي بَنِي فُلَانٍ، وَمَاتَتْ عَجُوزٌ فِي بَنِي فُلَانٍ، وَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ الله، فَيُرْفَعُ إِلَى السَّمَاءِ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَمُرُّ بِهَا الرَّجُلُ فَيَضْرِبُهَا بِرِجْلِهِ، وَيَقُولُ: فِي هَذِهِ كَانَ يَقْتَتِلُ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، وَأَصْبَحَتِ الْيَوْمَ لَا يُنْتَفَعُ بِهَا**»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَإِنَّ أَوَّلَ قَبَائِلِ الْعَرَبِ فَنَاءً قُرَيْشٌ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أَوْشَكَ أَنْ يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى النَّعْلِ وَهِيَ مُلْقَاةٌ فِي الْكُنَاسَةِ فَيَأْخُذُهَا بِيَدِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: كَانَتْ هَذِهِ مِنْ نِعَالِ قُرَيْشٍ فِي النَّاسِ. (٤)

---

(١) صححه الألباني «المشكاة» (٥٤٤٨ / التحقيق الثاني)، وقال الأرنؤوط : على شرط الصحيح .

(٢)وأخرجه البُخَارِيّ في "تاريخه"٩٨/ ١، وصححه الألباني لغيره (الصحيحة-٣٢١١) ، وقال الأرنؤوط : إسناده ضعيف.

(٣) قال الألباني : حسن صحيح (تحذير الساجد-ص ٢٦ - ٢٧)، وحسنه الأرنؤوط .

(٤) صححه الألباني والأرنؤوط .

المستدرك على الصَّحِيحين أبو عبدالله الحاكم النيسابوري:

- ٨٣٠٩ عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ، أَنَّ ابْنَ زُغْبٍ الإِيَادِيَّ حَدَّثَهُ، قَالَ: نَزَلَتْ عَلَى عَبْدِ الله بْنِ حَوَالَةَ الْأَزْدِيِّ، فَقَالَ لِي وَإِنَّهُ لَنَازِلٌ عَلَيَّ فِي بَيْتِي: لَا أُمَّ لَكَ أَمَا يَكْفِي ابْنَ حَوَالَةَ مِائَةٌ يَجْرِي عَلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ، ثُمَّ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ حَوْلَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَقْدَامِنَا لِنَغْنَمَ، فَرَجَعْنَا وَلَمْ نَغْنَمْ، وَعُرِفَ الْجَهْدُ فِي وُجُوهِنَا، فَقَامَ فِينَا خَطِيبًا، فَقَالَ: «اللهمَّ لَا تَكِلْهُمْ إِلَيَّ فَأَضْعُفَ عَنْهُمْ، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَيَعْجِزُوا عَنْهَا، وَلَا تَكِلْهُمْ إِلَى النَّاسِ فَيَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ» ثُمَّ قَالَ: «لَتَفْتَحُنَّ الشَّامَ وَفَارِسَ - أَوِ الرُّومَ وَفَارِسَ - حَتَّى يَكُونَ لِأَحَدِكُمْ مِنَ الْإِبِلِ كَذَا وَكَذَا وَمِنَ الْبَقَرِ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى يُعْطَى أَحَدُكُمْ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَسْخَطَهَا» ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي - أَوْ عَلَى هَامَتِي -، فَقَالَ: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتِ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ لِلنَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زُغْبٍ الْإِيَادِيُّ مَعْرُوفٌ فِي تَابِعِي أَهْلِ مِصْرَ [1].
- ٨٣١٧ عن وَاثِلَةَ بْنُ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالدَّجَّالُ، وَالدُّخَانُ، وَنُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَالدَّابَّةُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنَ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ، تَحْشُرُ الذَّرَّ وَالنَّمْلَ». هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[2].

---

(١) وافقه الذهبي. ورواه أبو داود (٢٥٣٥) وصححه الألباني.

(٢) صححه الذهبي، ورواه الطبراني في الشاميين (٨٦٤) وقال الهيثمي: وَفِيهِ عِمْرَانُ بْنُ هَارُونَ وَهُوَ ضَعِيفٌ.



• ٨٣٧٣ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَكْثُرُ الصَّوَاعِقُ عِنْدَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ، فَيُصْبِحُ الْقَوْمُ فَيَقُولُونَ مِنْ صُعِقَ الْبَارِحَةَ، فَيَقُولُونَ صُعِقَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[1].

• ٨٣٧٥ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صُحَارٍ الْعَبْدِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخْسَفَ بِقَبَائِلَ مِنَ الْعَرَبِ، فَيُقَالُ: مَنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي فُلَانٍ» قَالَ: فَعَرَفْتُ حِينَ قَالَ قَبَائِلَ أَنَّهَا الْعَرَبُ، لِأَنَّ الْعَجَمَ تُنْسَبُ إِلَى قُرَاهَا. هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[2].

◈ ٨٣٧٨ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ جُلُوسًا، فَجَاءَ آذِنُهُ، فَقَالَ: قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَرَأَى النَّاسَ رُكُوعًا فِي مُقَدَّمِ الْمَسْجِدِ، فَكَبَّرَ وَرَكَعَ وَمَشَى، وَفَعَلْنَا مِثْلَ مَا فَعَلَ، قَالَ: فَمَرَّ رَجُلٌ مُسْرِعٌ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَبَلَّغَ رَسُولُهُ ﷺ ، فَلَمَّا صَلَّيْنَا رَجَعَ فَوَلَجَ أَهْلَهُ، وَجَلَسْنَا فِي مَكَانِهِ نَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَخْرُجَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَسْأَلُهُ؟ قَالَ طَارِقٌ: أَنَا أَسْأَلُهُ، فَسَأَلَهُ طَارِقٌ، فَقَالَ: سَلَّمَ عَلَيْكَ الرَّجُلُ فَرَدَدْتَ عَلَيْهِ صَدَقَ اللهُ وَبَلَّغَ رَسُولُهُ ﷺ ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَحَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِمَالِهِ إِلَى أَطْرَافِ الْأَرْضِ فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: لَمْ أَرْبَحْ شَيْئًا»[3].

◈ ٨٣٧٩ عَنْ خَارِجَةَ بْنِ الصَّلْتِ الْبُرْجُمِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ عَبْدِ اللهِ يَوْمًا الْمَسْجِدَ، فَإِذَا الْقَوْمُ رُكُوعٌ، فَمَرَّ رَجُلٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُتَّخَذَ الْمَسَاجِدُ طُرُقًا، وَحَتَّى يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ

---

(١) ورواه أحمد (١١٦٢٠) وصححه الأرنؤوط.

(٢) صححه الذهبي. ورواه أحمد (٢٠٣٤٠،١٥٩٥٦) وضعفه الأرنؤوط.

(٣) سكت عنه الذهبي. ورواه أحمد (٣٨٧٠) والبخاري في الأدب المفرد (١٠٤٩) دون «وحتى يخرج الرجل ...» وصححه الألباني وحسنه الأرنؤوط.

بِالْمَعْرِفَةِ، وَحَتَّى تَتْجَرَ الْمَرْأَةُ وَزَوْجُهَا، وَحَتَّى تَغْلُو الْخَيْلُ وَالنِّسَاءُ، ثُمَّ تَرْخُصَ فَلَا تَغْلُو إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَقَدْ أَسْنَدَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ بَشِيرُ بْنُ سَلْمَانَ فِي رِوَايَتِهِ، ثُمَّ صَارَ الْحَدِيثُ بِرِوَايَةِ شُعْبَةَ هَذِهِ صَحِيحًا وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[1].

- ٨٤٠٧ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ رِيحًا لَا تَدَعُ أَحَدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ تُقًى أَوْ نُهًى إِلَّا قَبَضَتْهُ، وَيَلْحَقُ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيَبْقَى عَجَاجٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَأْمُرُونَ بِمَعْرُوفٍ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ، يَتَنَاكَحُونَ فِي الطُّرُقِ كَمَا تَتَنَاكَحُ الْبَهَائِمُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ اشْتَدَّ غَضِبُ اللهِ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَأَقَامَ السَّاعَةَ»[2].
- ٨٤١٣ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِ مُؤْمِنٌ إِلَّا لَحِقَ بِالشَّامِ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[3].
- ٨٤١٥ عَنْ أَبِي غَطَفَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما، يَقُولُ: «تَخْرُجُ مَعَادِنُ مُخْتَلِفَةٌ مَعْدِنٌ مِنْهَا قَرِيبٌ مِنَ الْحِجَازِ يَأْتِيهِ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ، يُقَالُ لَهُ فِرْعَوْنُ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَعْمَلُونَ فِيهِ إِذْ حَسَرَ عَنِ الذَّهَبِ فَأَعْجَبَهُمْ مُعْتَمَلُهُ إِذْ خُسِفَ بِهِ وَبِهِمْ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[4].

◉ ٨٤٤٢ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَانَ، وَحَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذْبَةُ سَوْطِهِ، وَشِرَاكُ نَعْلِهِ، وَتُخْبِرُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[5].

---

(١) قال الذهبي : موقوف . ورواه الطبراني في الكبير (٩٤٨٦) وإسناد الحاكم ضعيف لجهالة حال عبد الأعلى بن الحكم. ولبعض أطراف الحديث شواهد قد تجعلها حسنة.

(٢) قال الذهبي : موقوف. وفي إسناد الحاكم (علي بن حمشاذ) ضعيف.

(٣) وافقه الذهبي .ورواه ابن أبي الشيبة في المصنف (١٩٤٤٥) وإسناده صحيح.

(٤) قال الذهبي صحيح. وضعفه الألباني وقال: موقوف (الضعيفة ٦١٤١)

(٥) وافقه الذهبي، ورواه ابن حبان (٦٤٩٤) والترمذي (٢١٨١) وغيرهم، وصححه الألباني والأرنؤوط.

- ٨٤٧٢ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ سُفْيَانُ: لَا أَعْلَمُ إِلَّا قَدْ رَفَعَهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا**» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[1].
- ٨٤٩٠ عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَكُونُ لِلدَّابَّةِ ثَلَاثُ خَرْجَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ، تَخْرُجُ أَوَّلَ خَرْجَةٍ بِأَقْصَى الْيَمَنِ فَيَفْشُو ذِكْرُهَا بِالْبَادِيَةِ وَلَا يَدْخُلُ ذِكْرُهَا الْقَرْيَةَ - يَعْنِي مَكَّةَ - ثُمَّ يَمْكُثُ زَمَانًا طَوِيلًا بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَخْرُجُ خَرْجَةً أُخْرَى قَرِيبًا مِنْ مَكَّةَ فَيُنْشَرُ ذِكْرُهَا فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَيُنْشَرُ ذِكْرُهَا بِمَكَّةَ، ثُمَّ تَكْمُنُ زَمَانًا طَوِيلًا، ثُمَّ بَيْنَمَا النَّاسُ فِي أَعْظَمِ الْمَسَاجِدِ حُرْمَةً وَأَحَبِّهَا إِلَى الله وَأَكْرَمِهَا عَلَى الله تَعَالَى الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ لَمْ يَرُعْهُمْ إِلَّا وَهِيَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، تَدْنُو وَتَرْبُو بَيْنَ الرُّكْنِ الْأَسْوَدِ، وَبَيْنَ بَابِ بَنِي مَخْزُومٍ عَنْ يَمِينِ الْخَارِجِ فِي وَسَطٍ مِنْ ذَلِكَ، فَيَرْفَضُّ النَّاسُ عَنْهَا شَتَّى وَمَعًا، وَيَثْبُتُ لَهَا عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَرَفُوا أَنَّهُمْ لَنْ يُعْجِزُوا الله، فَخَرَجَتْ عَلَيْهِمْ تَنْفُضُ عَنْ رَأْسِهَا التُّرَابَ، فَبَدَتْ بِهِمْ فَجَلَتْ عَنْ وُجُوهِهِمْ حَتَّى تَرَكَتْهَا كَأَنَّهَا الْكَوَاكِبُ الدُّرِّيَّةُ، ثُمَّ وَلَّتْ فِي الْأَرْضِ لَا يُدْرِكُهَا طَالِبٌ وَلَا يُعْجِزُهَا هَارِبٌ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لِيَتَعَوَّذُ مِنْهَا بِالصَّلَاةِ فَتَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِهِ فَتَقُولُ: أَيْ فُلَانُ الْآنَ تُصَلِّي؟ فَيَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَتَسِمُهُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ تَذْهَبُ، فَيُجَاوِرُ النَّاسُ فِي دِيَارِهِمْ وَيَصْطَحِبُونَ فِي أَسْفَارِهِمْ وَيَشْتَرِكُونَ فِي الْأَمْوَالِ، يَعْرِفُ الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ حَتَّى إِنَّ الْكَافِرَ يَقُولُ: يَا مُؤْمِنُ اقْضِنِي حَقِّي، وَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: يَا كَافِرُ اقْضِنِي حَقِّي» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَهُوَ أَبْيَنُ حَدِيثٍ فِي ذِكْرِ دَابَّةِ الْأَرْضِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[2].

---

(١) وافقه الذهبي. ورواه مسلم (١٥٧).

(٢) قال الذهبي: طلحة بن عمرو الحضرمي ضعفوه وتركه أحمد.

- ٨٤٩٣ عَنِ ابْنِ عَمْرٍو ﵄، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٢] قَالَ: «إِذَا لَمْ يَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَلَمْ يَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ»(١).
- ٨٤٩٧ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، قَالَ: لَمَّا جَاءَتْ بَيْعَةُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ قُلْتُ: لَوْ خَرَجْتُ إِلَى الشَّامِ فَتَنَحَّيْتُ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الْبَيْعَةِ، فَخَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَأُخْبِرْتُ بِمَقَامٍ يَقُومُهُ نَوْفٌ، فَجِئْتُهُ فَإِذَا رَجُلٌ فَاسِدُ الْعَيْنَيْنِ، عَلَيْهِ خَمِيصَةٌ وَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﵄، فَلَمَّا رَآهُ نَوْفٌ أَمْسَكَ عَنِ الْحَدِيثِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: حَدِّثْ بِمَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ، قَالَ: أَنْتَ أَحَقُّ بِالْحَدِيثِ مِنِّي أَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ مَنَعُونَا عَنِ الْحَدِيثِ - يَعْنِي الْأُمَرَاءَ - قَالَ: أَعْزِمُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا حَدَّثْتَنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ يَجْتَازُ النَّاسُ إِلَى مُهَاجَرِ إِبْرَاهِيمَ، لَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ إِلَّا شِرَارُ أَهْلِهَا، تَلْفِظُهُمْ أَرْضُهُمْ، وَتَقْذَرُهُمْ أَنْفُسُهُمْ، وَاللهُ يَحْشُرُهُمْ إِلَى النَّارِ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، تَبِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا، وَتَأْكُلُ مَنْ تَخَلَّفَ»(٢).
- ٨٥١٥ عَنْ أَنَسٍ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللهُ اللهُ**، وَحَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ لَتَمُرُّ بِالنَّعْلِ فَتَرْفَعُهَا وَتَقُولُ: قَدْ كَانَتْ هَذِهِ لِرَجُلٍ، وَحَتَّى يَكُونَ فِي خَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ، وَحَتَّى تُمْطِرَ السَّمَاءُ وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٣).
- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ لِلَّهِ فِيهِ حَاجَةٌ، وَحَتَّى تُوجَدَ الْمَرْأَةُ نَهَارًا جِهَارًا تُنْكَحُ وَسَطَ الطَّرِيقِ، لَا يُنْكِرُ ذَلِكَ أَحَدٌ وَلَا

---

(١) سكت عنه الذهبي. والحديث موقوف وإسناده فيه نكارة وضعف.

(٢) سكت عنه الذهبي، ورواه أحمد (٦٨٧١) وأبو داود (٢٤٨٢) وضعفه الأرنؤوط والألباني.

(٣) سكت عنه الذهبي، ورواه البزار (٦٩٨٠) وقال الهيثمي: (رجاله رجال الصحيح وفي الصحيح بعضه).

يُغَيِّرُهُ، فَيَكُونُ أَمْثَلَهُمْ يَوْمَئِذٍ الَّذِي يَقُولُ: لَوْ نَحَّيْتَهَا عَنِ الطَّرِيقِ قَلِيلًا، فَذَاكَ فِيهِمْ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فِيكُمْ». هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[1].

مجمع الزوائد لمؤلفه علي بن أبي بكر الهيثمي رَحِمَهُ اللهُ:

• ١٢٤٣٤ وَعَنْ عُتَيٍّ السَّعْدِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ حَتَّى قَدِمْتُ الْكُوفَةَ، فَإِذَا أَنَا بِعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ بَيْنَ ظَهَرَانَيْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَأُرْشِدْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ فِي مَسْجِدِهَا الْأَعْظَمِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي جِئْتُ إِلَيْكَ أَضْرِبُ إِلَيْكَ أَلْتَمِسُ مِنْكَ عِلْمًا لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ بَعْدَكَ، فَقَالَ لِي: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ قُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، قَالَ: مِمَّنْ؟ قُلْتُ: مِنْ هَذَا الْحَيِّ مِنْ بَنِي سَعْدٍ، فَقَالَ: يَا سَعْدِيُّ، لَأُحَدِّثَنَّ فِيكُمْ بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى قَوْمٍ كَثِيرَةٍ أَمْوَالُهُمْ كَثِيرَةٍ شَوْكَتُهُمْ تُصِيبُ مِنْهُمْ مَالًا دَثْرًا - أَوْ قَالَ كَثِيرًا - قَالَ: «مَنْ هُمْ؟» قَالَ: هَذَا الْحَيُّ مِنْ بَنِي سَعْدٍ مِنْ أَهْلِ الرِّمَالِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَهْ، فَإِنَّ بَنِي سَعْدٍ عِنْدَ اللهِ ذَوُو حَظٍّ عَظِيمٍ»، سَلْ يَا سَعْدِيُّ، قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، هَلْ لِلسَّاعَةِ مِنْ عَلَمٍ تُعْرَفُ بِهِ؟ قَالَ: وَكَانَ مُتَّكِئًا فَاسْتَوَى جَالِسًا، فَقَالَ: يَا سَعْدِيُّ، سَأَلْتَنِي عَمَّا سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لِلسَّاعَةِ مَنْ عَلَمٍ تُعْرَفُ بِهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، إِنَّ لِلسَّاعَةِ أَعْلَامًا، وَإِنَّ لِلسَّاعَةِ أَشْرَاطًا، أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَعْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ يَكُونَ الْوَلَدُ غَيْظًا، وَأَنْ يَكُونَ الْمَطَرُ قَيْظًا، وَأَنْ تَفِيضَ الْأَشْرَارُ فَيْضًا، يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، إِنَّ مِنْ أَعْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ يُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ، وَأَنْ يُخَوَّنَ الْأَمِينُ [وَأَنْ يُصَدَّقَ الْكَاذِبُ وَأَنْ يُكَذَّبَ الصَّادِقُ].

يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، إِنَّ مِنْ أَعْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ تُوَاصَلَ الْأَطْبَاقُ، وَأَنْ تُقْطَعَ الْأَرْحَامُ.

يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، إِنَّ مِنْ أَعْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ يَسُودَ كُلَّ قَبِيلَةٍ مُنَافِقُوهَا، وَكُلَّ سُوقٍ فُجَّارُهَا.

يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، إِنَّ مِنْ أَعْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ تُزَخْرَفَ الْمَحَارِيبُ، وَأَنْ تَخْرَبَ الْقُلُوبُ.

يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، إِنَّ مِنْ أَعْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ فِي الْقَبِيلَةِ أَذَلَّ مِنَ النَّقَدِ.

---

(١) قال الذهبي الخبر شبه خرافة.

يَا ابْنَ مَسْعُودٍ إِنَّ مِنْ أَعْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ يَكْتَفِيَ الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ.

يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، إِنَّ مِنْ أَعْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا مُلْكَ الصِّبْيَانِ وَمُؤَامَرَةَ النِّسَاءِ.

يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَأَعْلَامِهَا أَنْ يُعَمَّرَ خَرَابُ الدُّنْيَا، وَيُخَرَّبَ عُمْرَانُهَا.

يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، إِنَّ مِنْ أَعْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ تَظْهَرَ الْمَعَازِفُ وَالْكِبْرُ وَتُشْرَبَ الْخُمُورُ.

[يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، إِنَّ مِنْ أَعْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا: الشُّرَطُ وَالْغَمَّازُونَ وَاللَّمَّازُونَ].

يَا ابْنَ مَسْعُودٍ، إِنَّ مِنْ أَعْلَامِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا أَنْ يَكْثُرَ أَوْلَادُ الزِّنَا».

قُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَهُمْ مُسْلِمُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ قُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالْقُرْآنُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَأَنَّى ذَلِكَ؟ قَالَ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُطَلِّقُ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ [ثُمَّ يَجْحَدُ] طَلَاقَهَا فَيُقِيمُ عَلَى فِرَاشِهَا فَهُمَا زَانِيَانِ مَا أَقَامَا. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَالْكَبِيرِ[1].

• ١٢٤٣٥ وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كَيْفَ أَنْتَ يَا عَوْفُ إِذَا افْتَرَقَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةٍ، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَائِرُهُنَّ فِي النَّارِ؟**»، قُلْتُ: وَمَتَى ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «إِذَا كَثُرَتِ الشُّرَطُ، وَمُلِّكَتِ الْإِمَاءُ، وَقَعَدَتِ الْحُمْلَانُ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَاتُّخِذَ الْقُرْآنُ مَزَامِيرَ، وَزُخْرِفَتِ الْمَسَاجِدُ، وَرُفِعَتِ الْمَنَابِرُ، وَاتُّخِذَ الْفَيْءُ دُوَلًا وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا وَالْأَمَانَةُ مَغْنَمًا، وَتُفُقِّهَ فِي الدِّينِ لِغَيْرِ الله، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ وَعَقَّ أُمَّهُ وَأَقْصَى أَبَاهُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا، وَسَادَ الْقَبِيلَةَ فَاسِقُهُمْ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ، وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ، فَيَوْمَئِذٍ يَكُونُ ذَلِكَ، وَيَفْزَعُ النَّاسُ إِلَى الشَّامِ وَإِلَى مَدِينَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ مِنْ خَيْرِ مُدُنِ الشَّامِ فَتُحَصِّنُهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ» قُلْتُ: وَهَلْ تُفْتَحُ الشَّامُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَشِيكًا ثُمَّ تَقَعُ الْفِتَنُ بَعْدَ فَتْحِهَا، ثُمَّ تَجِيءُ فِتْنَةٌ غَبْرَاءُ مُظْلِمَةٌ، ثُمَّ يَتْبَعُ الْفِتَنَ

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤٨٦١) وَفِيهِ سَيْفُ بْنُ مِسْكِينٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ.



بَعْضُهَا بَعْضًا حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُقَالُ لَهُ الْمَهْدِيُّ، فَإِنْ أَدْرَكْتَهُ فَاتَّبِعْهُ وَكُنْ مِنَ الْمَهْدِيِّينَ»(١).

- ١٢٤٣٦وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنِ السَّاعَةِ وَأَنَا شَاهِدٌ، فَقَالَ: «لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الله، وَلَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكُمْ بِمَشَارِيطِهَا وَمَا بَيْنَ يَدَيْهَا، أَلَا إِنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا فِتَنًا وَهَرْجًا»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله، أَمَّا الْفِتَنُ فَقَدْ عَرَفْنَاهَا، أَرَأَيْتَ هَرْجَ مَا هُوَ؟ قَالَ: «هُوَ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ الْقَتْلُ، وَأَنْ يُلْقَى بَيْنَ النَّاسِ التَّنَاكُرُ فَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ أَحَدًا، وَتَجِفُّ قُلُوبُ النَّاسِ وَتَبْقَى رَجْرَاجَةٌ لَا تَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا تُنْكِرُ مُنْكَرًا»(٢).
- ١٢٤٣٧ وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ كِتَابُ الله عَارًا، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَنْتَقِضَ عُرَاهُ، وَتَنْتَقِصَ السُّنُونَ وَالثَّمَرَاتُ، وَيُؤْتَمَنَ التُّهَمَاءُ، وَيُتَّهَمَ الْأُمَنَاءُ، وَيُصَدَّقَ الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبَ الصَّادِقُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ»، قَالُوا: مَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «الْقَتْلُ، وَيَظْهَرَ الْبَغْيُ وَالْحَسَدُ وَالشُّحُّ، وَتَخْتَلِفَ الْأُمُورُ بَيْنَ النَّاسِ، وَيُتَّبَعَ الْهَوَى، وَيُقْضَى بِالظَّنِّ، وَيُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَكُونُ الْوَلَدُ غَيْظًا وَالشِّتَاءُ قَيْظًا، وَيُجْهَرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَتُرْوَى الْأَرْضُ دَمًا»(٣).
- ١٢٤٤١وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَمَارَاتِ السَّاعَةِ أَنْ يُرَى الْهِلَالُ لِلَيْلَةٍ، فَيُقَالُ: لِلَيْلَتَيْنِ، وَأَنْ تُتَّخَذَ الْمَسَاجِدُ طُرُقًا، وَأَنْ يَظْهَرَ مَوْتُ الْفَجْأَةِ»(٤). رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ.

---

(١) رَوَى ابْنُ مَاجَهْ طَرَفًا مِنْ أَوَّلِهِ (٣٩٩٢) ورَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ في الكبير (٩١)، وَفِيهِ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَفِيهِ جَمَاعَةٌ لَمْ يعرفوا.

(٢) فِي الصَّحِيحِ طَرَفٌ مِنْ أَوَّلِهِ ورَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ مَنْ لَمْ يُسَمَّ. ورواه أبو يعلى (٧٢٢٨) وإسناده ضعيف.

(٣) قال الهيثمي: فِي الصَّحِيحِ طَرَفٌ مِنْهُ ورَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ وَفِي بَعْضِهِمْ خِلَافٌ.

(٤) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ عَنْ شَيْخِهِ الْهَيْثَمِ بْنِ خَالِدٍ الْمِصِّيصِيِّ وَهُوَ ضَعِيفٌ.

- ١٢٤٧٤وَعَنْ أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا، وَحَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَمَكَّةَ لَا يَخَافُ إِلَّا ضُلَّالَ الطَّرِيقِ [وَحَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ» قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «الْقَتْلُ»]. رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ(١).
- ١٢٤٧٥ وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَرِبَ الزَّمَانُ، وَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَالْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَالْيَوْمُ كَاحْتِرَاقِ الْخُوصَةِ». رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ(٢).

المصنف في الأحاديث والآثار أبو بكر عبدالله بن محمّد بن أبي شيبة الكوفي.

- ٣٧٢٣٢ غُنْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنْتُ آخِذًا بِلِجَامِ دَابَّةِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو فَقَالَ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا هَدَمْتُمُ الْبَيْتَ، فَلَمْ تَدَعُوا حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ»، قَالُوا: وَنَحْنُ عَلَى الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: «وَأَنْتُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ»، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ يُبْنَى أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا رَأَيْتَ مَكَّةَ قَدْ بَعَجَتْ كَظَائِمَ وَرَأَيْتَ الْبِنَاءَ يَعْلُو رُءُوسَ الْجِبَالِ فَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ أَظَلَّكَ»(٣).
- ٣٧٥٥٢ وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أَبِي الْوَدَّاكِ، قَالَ: «مِنَ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ انْتِفَاخُ الْأَهِلَّةِ»(٤).

---

(١) رواه أحمد (٨٨٣٣) وصححه الأرنؤوط.

(٢) رواه أبو يعلى (٦٦٨٠) وابن حبان (٦٨٤٢) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) الحديث موقوف، وإسناده ضعيف، (عطاء) لم يوثقه معتبر، وقد ورد معنى الحديث عن عبدالله بن عمرو من طرق أخرى ضعيفة ، وقد تحتمل التحسين بمجموع طرقها.

(٤) حديث موقوف، وإسناده ضعيف.

- ٣٧٥٥٦ وَكِيعٌ عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ أُخْبِرْتُ أَنَّ «السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى تَقُولَ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ: يَا مُؤْمِنُ، هَذَا يَهُودِيٌّ، هَذَا نَصْرَانِيٌّ، فَاقْتُلْهُ»[١].
- ٣٧٧٥٠ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ أَخْبَرَنَا حَمَّادٌ، عَنِ الْجُرَيْرِيِّ، عَنِ ابْنِ الْمُثَنَّى، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَحَوَّلَ شِرَارُ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى الْعِرَاقِ، وَخِيَارُ أَهْلِ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ)[٢].

الدر المنثور للسيوطي:

- وَأخرج البُخَارِيّ عَن أبي هُرَيْرَة ﵁ أَن أَعْرَابِيًا سَأَلَ رَسُول الله ﷺ فَقَالَ: مَتى السَّاعَة؟ فَقَالَ: «إِذا ضيعت الْأَمَانَة فانتظر السَّاعَة» قَالَ يَا رَسُول الله وَكَيف إضاعتها؟ قَالَ: «إِذا وسد الْأَمر إِلَى غير أَهله فانتظر السَّاعَة»[٣].
- وَأخرج ابْن مرْدَوَيْه عَن أبي هُرَيْرَة ﵁ قَالَ: أَتَى رجل فَقَالَ: يَا رَسُول الله مَتى السَّاعَة قَالَ: مَا السَّائِل بِأَعْلَم منَ المسؤُول، قَالَ: فَلَو عَلّمتنا أشرَاطَها، قَالَ: تقَاربُ الْأَسْوَاقِ، قلت: وَمَا تقَارب الْأَسْوَاق قَالَ: أَن يشكو النَّاس بَعضهم إِلَى بعضٍ قلَّة إصابتهم وَيكثر وَلد الْبَغي وتَفشُوا الْغَيْبَة ويعظم رب المَال وترتفع أصوات الْفُسَّاق فِي الْمَسَاجِد وَيظْهر أهل الْمُنكر وَيظْهر الْبغاء[٤].
- وَأخرج ابْن مرْدَوَيْه والديلمي عَن أبي هُرَيْرَة ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: من أَشْرَاط السَّاعَة سوء الْجوَار وَقَطِيعَة الْأَرْحَام وَأَن يعطل السَّيْف من الْجِهَاد وَأَن ينتحل الدُّنْيَا بِالدّينِ.

---

(١) حديث مقطوع، وقد جاء عند مسلم (٢٩٢٢) : «لا تقومُ الساعةُ حتى يقاتلَ المسلمون اليهودَ فيقتلُهم المسلمونَ حتى يختبئَ اليهودُ من وراءِ الحجرِ والشجرِ فيقولُ الحجرُ أو الشجرُ يا مسلمُ ! يا عبدَ اللهِ ! هذا يهوديٌّ خلفي فتعالَ فاقتلْه إلا الغرْقَدُ فإنه من شجرِ اليهودِ»

(٢) موقوف وضعفه الألباني (الضعيفة ٦٧١٢).

(٣) رواه البخاري (٥٩).

(٤) الدر المنثور (٧/ ٤٦٨)

- وَأخرج الْبَيْهَقِيّ فِي الْبَعْث والنشور عَن الْحسن قَالَ: قَالَ عليّ خرجت فِي طلب الْعلم فَقدمت الْكُوفَة فَإِذا أَنا بِعَبْد الله بن مَسْعُود ﷺ فَقلت يَا أَبَا عبد الرَّحْمَن: هَل للساعة من علم تعرب بِهِ قَالَ: سَأَلت رَسُول الله ﷺ عَن ذَلِك فَقَالَ: «إِن من أَشْرَاط السَّاعَة أَن يكون الْوَلَد غيظاً والمطر قيظاً وَتفِيض الأشرار فيضاً وَيصدق الْكَاذِب ويؤتمن الخائن ويخون الْأمين ويسود كل قَبيلَة وكل سوق فجارهم وتزخرف المحاريب وتخرب الْقُلُوب ويكتفي الرِّجَال بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاء بِالنسَاء وَيخرب عمرَان الدُّنْيَا ويعمر خرابها وَتظهر الْفِتْنَة وَأكل الرِّبَا وَتظهر المعازف والكنوز وَشرب الْخمر وَيكثر الشَّرْط والغمازون والهمازون»(١).
- وَأخرج أَبُو نعيم فِي الْحِلْيَة عَن حُذَيْفَة بن الْيَمَان ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: من اقتراب السَّاعَة اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ خصْلَة إِذْ رَأَيْتُمْ النَّاس أماتوا الصَّلَاة وأضاعوا الْأَمَانَة وأكلوا الرِّبَا وَاسْتَحَلُّوا الْكَذِب واستخفوا بالدماء واستعلوا الْبناء وَبَاعُوا الدّين بالدنيا وتقطعت الْأَرْحَام وَيكون الحكم ضعفا وَالْكذب صدقا وَالْحَرِير لباساً وَظهر الْجور وَكَثْرَة الطَّلَاق وَمَوْت الْفُجَاءَة وائتمن الخائن وخوّن الْأمين وَصدق الْكَاذِب وَكذب الصَّادِق وَكثر الْقَذْف وَكَانَ الْمَطَر قيظاً وَالْولد غيظاً وفاض اللئام فيضاً وغاض الْكِرَام غيضاً وَكَانَ الْأُمَرَاء والوزراء كذبة والأمناء خونة والعرفاء ظَلَمَة والقراء فَسَقَة إِذا لبسوا مسوك الضَّأْن قُلُوبهم أنتن من الْجِيَف وأمرّ من الصَّبْر يغشيهم الله تَعَالَى فتْنَة يتهاركون (يتهاركون: يَمْشُونَ باختيال وبطىء) فِيهَا تهارك الْيَهُود الظلمَة وَتظهر الصَّفْرَاء يَعْنِي الدَّنَانِير وتطلب الْبَيْضَاء وتكثر الْخَطَايَا ويقل الْأَمْن وحليت الْمَصَاحِف وصورت الْمَسَاجِد وطوّلت المنائر وخرّبت الْقُلُوب وشربت الْخُمُور وعطلت الْحُدُود وَولدت الْأمة ربتها وَترى الحفاة العراة قد صَارُوا ملوكاً وشاركت الْمَرْأَة زَوجهَا فِي التِّجَارَة وتشبه الرِّجَال بِالنسَاء وَالنِّسَاء بِالرِّجَالِ وَحلف بِغَيْر الله وَشهد الْمُؤمن من غير أَن يستشهد وَسلم للمعرفة وتفقه لغير دين الله وَطلب الدُّنْيَا بِعَمَل الْآخِرَة وَاتخذ الْمغنم دولاً وَالْأَمَانَة مغنماً وَالزَّكَاة مغرماً وَكَانَ زعيم الْقَوْم أرذلهم وعق الرجل أَبَاهُ وجفا أمه وضر صديقه وأطاع امْرَأَته وعلت أصوات الفسقة فِي

(١) ورواه مطولا الطبراني في الأوسط (٥٠٠٣) وإسناده ضعيف.

الْمَسَاجِد وَاتخذ الْقَيْنَات وَالْمَعَازِف وشربت الْخُمُور فِي الطّرق وَاتخذ الظُّلم فخراً وَبيع الحكم وَكَثُرت الشَّرْط وَاتخذ الْقُرْآن مَزَامِير وجلود السبَاع خفافاً وَلعن آخر هَذِه الْأمة أَولهَا فليرتقبوا عِنْد ذَلِك ريحًا حَمْرَاء وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات[١].

• وَأخرج ابْن مرْدَوَيْه عَن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: حج النَّبِي ﷺ حجَّة الْوَدَاع ثمَّ أَخذ بِحَلقَة بَاب الْكَعْبَة قَالَ: أَيهَا النَّاس أَلا أخْبركُم بأشراط السَّاعَة فَقَامَ إِلَيْهِ سلمَان رضي الله عنه فَقَالَ: أخبرنَا فدَاك أبي وَأمي يَا رَسُول الله، قَالَ: إِن من أَشْرَاط السَّاعَة إِضَاعَة الصَّلَاة والميل مَعَ الْهوى وتعظيم رب المَال، فَقَالَ سلمَان: وَيكون هَذَا يَا رَسُول الله قَالَ: نعم وَالَّذِي نفس مُحَمَّد بِيَدِهِ فَعِنْدَ ذَلِك يَا سلمَان تكون الزَّكَاة مغرماً والفيء مغنماً وَيصدق الْكَاذِب ويكذب الصَّادِق ويؤتمن الخائن ويخون الْأمين وَيتَكَلَّم الرويبضة، قَالَ: وَمَا الرويبضة قَالَ: يتَكَلَّم فِي النَّاس من لم يتَكَلَّم وينكر الْحق تِسْعَة أعشارهم وَيذْهب الإِسلام فَلَا يبْقى إِلَّا اسْمه وَيذْهب الْقُرْآن فَلَا يبْقى إِلَّا رسمه وتحلى الْمَصَاحِف بِالذَّهَب وتتسمن ذُكُور أمتِي وَتَكون المشورة للإِماء ويخطب على المنابر الصّبيان وَتَكون المخاطبة للنِّسَاء فَعِنْدَ ذَلِك تزخرف الْمَسَاجِد كَمَا تزخرف الْكَنَائِس وَالْبيع وتطول المنائر وتكثر الصُّفُوف مَعَ قُلُوب متباغضة وألسن مُخْتَلفَة وَأَهْوَاء جمة، قَالَ سلمَان: وَيكون ذَلِك يَا رَسُول الله قَالَ: نعم وَالَّذِي نفس مُحَمَّد بِيَدِهِ عِنْد ذَلِك يَا سلمَان يكون الْمُؤمن فيهم أذلّ من الْأمة يذوب قلبه فِي جَوْفه كَمَا يذوب الْملح فِي المَاء مِمَّا يرى من الْمُنكر فَلَا يَسْتَطِيع أَن يُغَيِّرهُ ويكتفي الرِّجَال بِالرِّجَالِ وَالنِّسَاء بِالنسَاء ويغار على الغلمان كَمَا يغار على الْجَارِيَة الْبكر فَعِنْدَ ذَلِك يَا سلمَان يكون أُمَرَاء فسقة ووزراء فجرة وأمناء خونة يضيعون الصَّلَوَات ويتبعون الشَّهَوَات فَإِن أدركتموهم فصلوا صَلَاتكُمْ لوَقْتهَا، عِنْد ذَلِك يَا سلمَان يجي سبي من الْمشرق وَسبي من الْمغرب جثاؤهم جثاء النَّاس وَقُلُوبهمْ قُلُوب الشَّيَاطِين لَا يرحمون صَغِيرا وَلَا يوقرون كَبِيرا، عِنْد ذَلِك يَا سلمَان يحجّ النَّاس إِلَى هَذَا الْبَيْت الْحَرَام تحج مُلُوكهمْ لهواً وتنزهاً وأغنياؤهم للتِّجَارَة ومساكينهم

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٥٨/٣) وضعفه الألباني (١١٧١) وعلى الرغم من ضعف إسناد هذا الحديث ، إلا أن القارئ يعلم بما لا شك فيه أن جُلَّ ما ذُكِرَ في هذا الحديث قد وقع ، إن لم يكن كُلُّه.

للمسألة وقراؤهم رِيَاء وَسُمْعَة، قَالَ: وَيكون ذَلِك يَا رَسُول الله قَالَ: نعم وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ عِنْد ذَلِك يَا سلمَان يفشوا الْكَذِب وَيظْهر الْكَوْكَب لَهُ الذَّنب وتشارك الْمَرْأَة زَوجهَا فِي التِّجَارَة وتتقارب الْأَسْوَاق، قَالَ: وَمَا تقاربها قَالَ: كسادها وَقلة أرباحها عِنْد ذَلِك يَا سلمَان يبْعَث الله ريحًا فِيهَا حيات صفر فتلتقط رُؤَسَاء الْعلمَاء لما رَأَوْا الْمُنكر فَلم يغيروه قَالَ: وَيكون ذَلِك يَا رَسُول الله قَالَ: نعم وَالَّذِي بعث مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ.

- وَأخرج عبد الرَّزَّاق فِي الْمُصَنّف عَن حُذَيْفَة رضي الله عنه قَالَ: وَالله لَا تقوم السَّاعَة حَتَّى يَلِي عَلَيْكُم من لَا يزن عشر بعوضة يَوْم الْقِيَامَة .
- وَأخرج أَحْمد وَابْن ماجة وَالطَّبَرَانِيّ عَن سَلامَة بنت الْحر قَالَت: سَمِعت رَسُول الله ﷺ يَقُول: يَأْتِي على النَّاس زمَان يقومُونَ سَاعَة لَا يَجدونَ إِمَامًا يُصَلِّي بهم
- وَأخرج ابْن أبي الدُّنْيَا عَن أبي الزَّاهِرِيَّة رضي الله عنه قَالَ: لَا تقوم السَّاعَة حَتَّى يمشي الرّجلَانِ إِلَى الْأَمر يعملانه فيمسخ أَحدهمَا قرداً أَو خنزيراً فَلَا يمْنَع الَّذِي نجا مِنْهُمَا مَا رأى بِصَاحِبِهِ أَن يمشي إِلَى شَأْنه ذَلِك حَتَّى يقْضِي شَهْوَته وَحَتَّى يمشي الرّجلَانِ إِلَى الْأَمر يعملانه فيخسف بِأَحَدِهِمَا فَلَا يمْنَع الَّذِي نجا مِنْهُمَا مَا رأى بِصَاحِبِهِ أَن يمْضِي إِلَى شَأْنه ذَلِك حَتَّى يقْضِي شَهْوَته مِنْهُ.
- وَأخرج ابْن أبي الدُّنْيَا عَن مَالك بن دِينَار قَالَ: بَلغنِي أَن ريحًا تكون فِي آخر الزَّمَان وظلمة فيفزع النَّاس إِلَى عُلَمَائهمْ فيجدونهم قد مسخوا.
- وَأخرج التِّرْمِذِيّ فِي نَوَادِر الْأُصُول عَن أبي أُمَامَة قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: يكون فِي أمتِي فزعة فَيصير النَّاس إِلَى عُلَمَائهمْ فَإِذا هم قردة وَخَنَازِير
- وَأخرج ابْن أبي شيبَة عَن حُذَيْفَة أَنه قَالَ: لتعملن عمل بني إِسْرَائِيل فَلَا يكون فيهم شَيْء إِلَّا كَانَ فِيكُم مثله، فَقَالَ رجل: يكون منا قردة وَخَنَازِير قَالَ: وَمَا يبرئك من ذَلِك.

السنن الواردة في الفتن:

- ٤٢٨ عَنِ النَّزَّالِ بْنِ سَبْرَةَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَامَ إِلَيْهِ صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ الْعَبْدِيُّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَبِّئْنَا مَتَى خُرُوجُ الدَّجَّالِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ صُوحَانَ اقْعُدْ، عَلِمَ الله مَقَالَتَكَ، مَا الْمَسْؤولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ لَهَا عَلَامَاتٌ وَهَنَاتٌ وَأَشْيَاءُ يَتْلُو بَعْضُهَا بَعْضًا كَحَذْوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِعَلَامَتِهَا، قَالَ: عَنْ ذَلِكَ سَأَلْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: اعْقِدْ بِيَدِكَ يَا صَعْصَعَةُ، إِذَا أَمَاتَ النَّاسُ الصَّلَاةَ، وَأَضَاعُوا الْأَهِلَّةَ، وَاسْتَحَلُّوا الْكَذِبَ، وَأَكَلُوا الرِّبَاءَ، وَأَخَذُوا الرِّشَا، وَشَيَّدُوا الْبِنَاءَ، وَاتَّبَعُوا الْأَهْوَاءَ، وَبَاعُوا الدِّينَ بِالدُّنْيَا، وَاسْتَخَفُّوا بِالدِّمَاءِ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَرْحَامُ، وَصَارَ الْحِلْمُ ضَعْفًا، وَالظُّلْمُ فَرَحًا، وَالْأُمَرَاءُ فَجَرَةً، وَالْوُزَرَاءُ خَوَنَةً، وَعُرَفَاؤُهُمْ ظَلَمَةً، وَقُرَّاؤُهُمْ فَسَقَةً، وَظَهَرَ الْجَوْرُ، وَكَثُرَ الطَّلَاقُ، وَمَوْتُ الْفَجْأَةِ، وَقَوْلُ الْبُهْتَانِ، وَحُلِّيَتِ الْمَصَاحِفُ، وَزُخْرِفَتِ الْمَسَاجِدُ، وَطُوِّلَ الْمَنَارُ، وَازْدَحَمَتِ الصُّفُوفُ، وَنُقِضَتِ الْعُهُودُ، وَخُرِّبَتِ الْقُلُوبُ، وَشَارَكَتِ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا فِي التِّجَارَةِ حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا، وَتَرَكَ النِّسَاءُ الْمَيَازِرَ، وَتَشَبَّهْنَ بِالرِّجَالِ، وَتَشَبَّهَ الرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ، وَالسَّلَامُ لِلْمَعْرِفَةِ، وَالشَّهَادَةُ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدَ، وَلَبِسُوا جُلُودَ الضَّأْنِ عَلَى قُلُوبِ الذِّئَابِ، قُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ، وَأَنْتَنُ مِنَ الْجِيفَةِ، وَالْتَمَسُوا الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَالتَّفَقُّهُ بِغَيْرِ الْمَعْرِفَةِ، فَالنَّجَاءَ فَالنَّجَاءَ، الْوَحَا الْوَحَا، الْحَذَرَ الْحَذَرَ، الْجِدَّ الْجِدَّ يَا صَعْصَعَةُ بْنَ صُوحَانَ، نِعْمَ الْمَسْكَنُ يَوْمَئِذٍ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: يَا لَيْتَنِي تِبْنَةٌ فِي لَبِنَةٍ فِي سُورِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»[١].

---

(١) حديث موقوف وفي إسناده ضعف.

الفتن لنعيم بن حماد [١]:

- ١٨٧٦عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ الطَّوَافِ بِهَذَا الْبَيْتِ، فَكَأَنِّي بِرَجُلٍ أَصْلَعَ أَصْمَعَ، حَمْشَ السَّاقَيْنِ، مَعَهُ مِسْحَاةٌ يَهْدِمُهَا».
- ١٨٧٨ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (تَخْرُجُ الْحَبَشَةُ خَرْجَةً يَنْتَهُونَ فِيهَا إِلَى الْبَيْتِ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الشَّامِ فَيَجِدُونَهُمْ قَدِ افْتَرَشُوا الْأَرْضَ فَيَقْتُلُونَهُمْ فِي أَوْدِيَةِ بَنِي عَلِيٍّ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، حَتَّى أَنَّ الْحَبَشِيَّ يُبَاعُ بِالشَّمْلَةِ) قَالَ صَفْوَانُ، وَحَدَّثَنِي أَبُو الْيَمَانِ، عَنْ كَعْبٍ قَالَ: يُخَرِّبُونَ الْبَيْتَ، وَيَأْخُذُونَ الْمَقَامَ، فَيُدْرَكُونَ عَلَى ذَلِكَ فَيَقْتُلُهُمُ اللهُ تَعَالَى.
- ١٨٧٩ حَدَّثَنَا نُعَيْمٌ ثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ الْعُرْيَانِ بْنِ الْهَيْثَمِ، سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، يَقُولُ: «تَخْرُجُ الْحَبَشَةُ بَعْدَ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَبْعَثُ عِيسَى طَلِيعَةً فَيَنْهَزِمُوا»
- ١٨٨٠ عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَمْعَانَ، مَوْلَى آلِ فُلَانٍ، سَمَّاهُ ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه يُحَدِّثُ أَبَا قَتَادَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَ الْبَيْتَ خَرَابًا لَا يُعْمَرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ»[٢].
- ١٨٨٧ عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ، عَنْ أَبِي قَبِيلٍ، قَالَ: خَرَجَ يَوْمًا وَرْدَانُ مِنْ عِنْدِ مَسْلَمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى مِصْرَ، فَمَرَّ عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو مُسْتَعْجِلًا، فَنَادَاهُ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا عُبَيْدٍ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي الْأَمِيرُ إِلَى مَنْفٍ، فَأُحْضِرُ لَهُ كَنْزَ فِرْعَوْنَ، قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَيْهِ فَأَقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ» وَقُلْ لَهُ: «إِنَّ» كَنْزَ فِرْعَوْنَ لَيْسَ لَكَ وَلَا لِأَصْحَابِكَ، إِنَّمَا هُوَ لِلْحَبَشَةِ، يَأْتُونَ فِي سُفُنِهِمْ يُرِيدُونَ الْفُسْطَاطَ، فَيَسِيرُونَ حَتَّى يَنْزِلُوا مَنْفًا فَيُظْهِرُ اللهُ لَهُمْ كَنْزَ فِرْعَوْنَ فَيَأْخُذُونَ مِنْهُ مَا شَاءُوا،

---

(١) [كل ما تفرد به ابن حماد ضعيف إلا إذا ورد من طريق آخر صحيح أو صحح معناه الشواهد، وكل ما لم نعلق عليه من حديثه: ضعيف الإسناد]

(٢) ورواه أحمد بإسناده (٨١١٤،٧٩١٠) وصححه الأرنؤوط.



فَيَقُولُونَ: مَا نَبْتَغِي غَنِيمَةً أَفْضَلَ مِنْ هَذِهِ، فَيَرْجِعُونَ، وَيَخْرُجُ الْمُسْلِمُونَ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى يُدْرِكُوهُمْ، فَيَهْزِمُ اللهُ الْحَبَشَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَيَأْسِرُونَهُمْ، حَتَّى يُبَاعَ الْحَبَشِيُّ يَوْمَئِذٍ بِالْكِسَاءِ».

****

(٥) - المهدي وعلاماته وأخبار السفياني وخروج القحطاني

البُخَارِيّ:

- ٧١١٧ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ، يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ**»(١).

صَحِيحُ مُسلِمٍ:

- ٢٨٨٢ عَنْ عُبَيْدِ الله ابْنِ الْقِبْطِيَّةِ، قَالَ: دَخَلَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَبْدُ الله بْنُ صَفْوَانَ وَأَنَا مَعَهُمَا، عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَسَأَلَاهَا عَنِ الْجَيْشِ الَّذِي يُخْسَفُ بِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهًا؟ قَالَ: «**يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ**» وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: هِيَ بَيْدَاءُ الْمَدِينَةِ(٢).
- ٢٩١١ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «**لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْجَهْجَاهُ**».

سنن أبي داوود:

- ٤٢٨٢ عن زِرٍّ عن عبدِ الله، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لَوْ لَم يَبقَ مِن الدُّنيا إلَّا يومٌ -قال زائدة في حديثه- لَطَوَّل اللهُ ذَلكَ اليومَ -ثمَّ اتَّفقُوا- حتَّى يَبْعَثَ اللهُ فيهِ رجُلاً مِنِّي أَو مِنْ أَهْلِ بَيْتِي،**

---

(١) وأخرجه مسلم (٢٩١٠).

(٢) وأخرج البُخَارِيّ نحوه (٢١١٨).

يُواطِئُ اسمُه اسمِي، واسمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي -زَادَ فِي حَدِيث فطر- يَملأُ الأَرْضَ قِسْطَاً وَعَدلاً، كَما مُلِئَت ظُلْمَاً وَجَوْراً»(١).

- ٤٢٨٥ عن أبي نَضرَةَ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**المهديُّ منِّي أَجْلَى الجَبهَةِ، أَقنَى الأنفِ، يملأُ الأرضَ قِسطاً وعَدلاً، كما مُلِئَت جَوْراً وظُلماً، يملِكُ سبعَ سنين**»(٢).
- ٤٢٨٦ عن أمِّ سلمة زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يكون اختلافٌ عندَ موتِ خليفةٍ، فيخرجُ رَجُلٌ مِن أهلِ المدينةِ هارباً إلى مكَةَ، فيأتيه ناسٌ من أهلِ مكَّة فيُخرِجُونَه وهو كارِهٌ فيبايعُونَه بين الرُّكنِ والمقامِ، ويُبعَثُ إليه بَعْثٌ مِن الشامِ، فيُخسَفُ بهم بالبيداء بين مكةَ والمدينةِ، فإذا رأى النَّاسُ ذلك أتاه أبدالُ الشام وعصَائبُ أهلِ العراقِ، فيبايعُونه، ثم ينشأ رجُلٌ من قريشٍ أخوالُهُ كَلبٌ فيبعثُ إليهم بَعثاً، فيظهرونَ عليهم، وذلك بَعْثُ كَلْبٍ، والخيبةُ لمن لم يَشهد غنيمةَ كلبٍ، فيَقسِمُ المالَ، ويَعملُ في النَّاس بسُنَّةِ نبيِّهم ﷺ ، ويُلقي الإِسلامُ بجِرَانهِ إلى الأرضِ، فيَلْبَثُ سبعَ سنين، ثم يُتوفَّى ويُصلِّي عليه المسلمون»(٣).
- ٤٢٩٠ عن هلال بن عمرو قَالَ سمعت علياً يقول: قال النبيُّ ﷺ: «يخرج رجلٌ من وراءِ النهرِ يقال له: الحارثُ بن حَرَّاثٍ، على مُقدِّمتِهِ رجُلٌ يقال له: منصورٌ، يُوطِّئُ -أو يُمكِّنُ- لآل مُحمَّدٍ، كما مكَّنت قُريشٌ لرسول الله ﷺ ، وَجَبَت على كلِّ مؤمنٍ نُصرَتُه -أو قال: إجابتُه»(٤).

---

(١) ورواه الترمذي (٢٢٣١،٢٢٣٠) وقال الألباني: حسن صحيح، وأخرجه أحمد (٣٥٧٣،٣٥٧٢،٣٥٧١) وحسنه الأرنؤوط.

(٢). ورواه أحمد (١١١٣٠) وابن حبان (٦٨٢٦) وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٣) وأخرجه أحمد (٢٦٦٨٩) وضعفه الأرنؤوط والألباني: الضعيفة (١٩٦٥).

(٤) ضعفه الأرنؤوط ، والألباني: المشكاة (٥٤٥٨).

سنن ابن ماجة:

- ٤٠٨٢ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ أَقْبَلَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَلَمَّا رَآهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، قَالَ، فَقُلْتُ: مَا نَزَالُ نَرَى فِي وَجْهِكَ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَقَالَ: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيدًا وَتَطْرِيدًا، حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ رَايَاتٌ سُودٌ، فَيَسْأَلُونَ الْخَيْرَ، فَلَا يُعْطَوْنَهُ، فَيُقَاتِلُونَ فَيُنْصَرُونَ، فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا، فَلَا يَقْبَلُونَهُ، حَتَّى يَدْفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَيَمْلَؤُهَا قِسْطًا، كَمَا مَلَؤُوهَا جَوْرًا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ»[١].
- ٤٠٨٤ عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمُ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ» - ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ فَقَالَ - «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ الْمَهْدِيُّ»[٢].
- ٤٠٨٥ عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ»[٣].
- ٤٠٨٨ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ عَمْرِو بْنِ جَابِرٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنَ جَزْءٍ الزُّبَيْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ، فَيُوَطِّئُونَ لِلْمَهْدِيِّ» يَعْنِي سُلْطَانَهُ[٤].
- ٤٠٩٤ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ الرَّقِّيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو يَعْقُوبَ الْحُنَيْنِيُّ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ

---

(١) ضعفه الألباني: الروض النضير (٦٤٧)، وقال الأرنؤوط: حديث منكر ويشبه أن يكون موضوعاً.

(٢) ضعف إسناده الألباني والأرنؤوط.

(٣) حسنه الألباني. ورواه أحمد (٦٤٥) والبزار (٦٤٤)، وأبو يعلى (٤٦٥) وقال الأرنؤوط: (إسناده ضعيف وأخطأ الشيخ الألباني، فأدرج هذا الحديث في «صحيحته-٢٣٧١»).

(٤) ضعفه الألباني والأرنؤوط.

أَدْنَى مَسَالِحِ الْمُسْلِمِينَ بِبَوْلَاءَ» ثُمَّ قَالَ ﷺ: «يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ،» قَالَ: بِأَبِي، وَأُمِّي، قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتُقَاتِلُونَ بَنِي الْأَصْفَرِ، وَيُقَاتِلُهُمُ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِكُمْ، حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ رُوقَةُ الْإِسْلَامِ، أَهْلُ الْحِجَازِ، الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، فَيَفْتَتِحُونَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ، فَيُصِيبُونَ غَنَائِمَ لَمْ يُصِيبُوا مِثْلَهَا، حَتَّى يَقْتَسِمُوا بِالْأَتْرِسَةِ، وَيَأْتِي آتٍ فَيَقُولُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَرَجَ فِي بِلَادِكُمْ، أَلَا وَهِيَ كِذْبَةٌ فَالْآخِذُ نَادِمٌ، وَالتَّارِكُ نَادِمٌ»(١).

صحيح ابن حبان:

- ٦٧٥٧ عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، فَيَبْعَثُونَ إِلَيْهِ جَيْشًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَإِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ، فَإِذَا بَلَغَ النَّاسَ ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ أَهْلِ الشَّامِ وَعِصَابَةُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَيُبَايِعُونَهُ، وَيَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، أَخْوَالُهُ مِنْ كَلْبٍ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ جَيْشًا، فَيَهْزِمُونَهُمْ، وَيَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْسِمُ بَيْنَ النَّاسِ فَيْأَهُمْ، وَيَعْمَلُ فِيهِمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، وَيُلْقِي الْإِسْلَامُ بِجِرَانِهِ إِلَى الْأَرْضِ، يَمْكُثُ سَبْعَ سِنِينَ».(٢)

---

(١) وأخرجه البزار (٣٣٩٠) وقال الألباني: موضوع، الضعيفة (٤٧٩٠). وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف، كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ضعفه الجمهور، إلا أن البُخَارِيّ كان حسن الرأي فيه، وكذلك تلميذه الترمذي، واتهمه بعضهم، قال الحافظ في «التقريب»: أفرط من نسبه إلى الكذب، وأبو يعقوب الحنيني -واسمه إسحاق بن إبراهيم- وإن كان ضعيف الحديث متابع .

(٢) وأخرجه أبو داود: في كتاب المهدي (٤٢٨٦)، وضعفه الألباني - «الضعيفة» (١٩٦٥) و (٦٤٨٤) . قال الخطابي: "ضرب الجران مثلا للإسلام إذا استقر قراره فلم يكن فتنة ولا هيج، وجرت أحكامه على العدل والاستقامة".



- ٦٨٢٣ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي - أَوْ عِتْرَتِي - فَيَمْلَؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا**»(١).

المستدرك عَلى الصَّحِيحين أبو عبدالله الحاكم النيسابوري:

- ٨٣٢٨ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُبَايِعُ لِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، كَعِدَّةِ أَهْلِ بَدْرٍ، فَيَأْتِيهِ عَصَبُ الْعِرَاقِ، وَأَبْدَالُ الشَّامِ، فَيَأْتِيهِمْ جَيْشٌ مِنَ الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ، ثُمَّ يَسِيرُ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَخْوَالُهُ كَلْبٌ فَيَهْزِمُهُمُ اللهُ» قَالَ: (وَكَانَ يُقَالُ: إِنَّ الْخَائِبَ يَوْمَئِذٍ مَنْ خَابَ مِنْ غَنِيمَةِ كَلْبٍ)(٢).
- ٨٣٢٩ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، مَرْفُوعًا: «الْمَحْرُومُ مِنْ حُرِمَ غَنِيمَةَ كَلْبٍ وَلَوْ عِقَالًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُبَاعُنَّ نِسَاءَهُمْ عَلَى دَرَجِ دِمَشْقَ، حَتَّى تُرَدَّ الْمَرْأَةُ مِنْ كَسَرٍ يُوجَدُ بِسَاقِهَا» هذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٣).
- ٨٤٣٤ - أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ دَارِمٍ الْحَافِظُ، بِالْكُوفَةِ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ الْقُرَشِيُّ، ثَنَا يَزِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الثَّقَفِيُّ، ثَنَا حَنَانُ بْنُ سُدَيْرٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ الْمُلَائِيِّ، عَنِ الْحَكَمِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ قَيْسٍ، وَعَبِيدَةَ السَّلْمَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ إِلَيْنَا مُسْتَبْشِرًا يُعْرَفُ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ، فَمَا سَأَلْنَاهُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرَنَا بِهِ، وَلَا سَكَتْنَا إِلَّا ابْتَدَأَنَا، حَتَّى مَرَّتْ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فِيهِمُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، فَلَمَّا رَآهُمُ الْتَزَمَهُمْ

---

(١) صححه الألباني (الروض النضير– ٢/ ٥٣)، وقال الأرنؤوط : صحيح على شرط الشيخين.

(٢) قال الذهبي في إسناده أبو العوام عمران وكان ضعيفا خارجيا، وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة (١٩٦٥) .

(٣) صححه الذهبي. وفي إسناده (كثير بن زيد) قال الأرنؤوط: وكثير بن زيد قد اختلفت فيه أقوال المجرحين والمعدلين، وخلاصة القول فيه أنه حسن الحديث في المتابعات والشواهد، ضعيف في التفرد، خاصة إذا أتى بما يُنكَر. ورواه أحمد (٨٦٦٩) وضعفه الأرنؤوط.

وَانْهَمَلَتْ عَيْنَاهُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله مَا نَزَالُ نَرَى فِي وَجْهِكَ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَقَالَ: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ الله لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ سَيَلْقَى أَهْلُ بَيْتِي مِنْ بَعْدِي تَطْرِيدًا وَتَشْرِيدًا فِي الْبِلَادِ، حَتَّى تَرْتَفِعَ رَايَاتٌ سُودٌ مِنَ الْمَشْرِقِ، فَيَسْأَلُونَ الْحَقَّ فَلَا يُعْطَوْنَهُ، ثُمَّ يَسْأَلُونَهُ فَلَا يُعْطَوْنَهُ، ثُمَّ يَسْأَلُونَهُ فَلَا يُعْطَوْنَهُ، فَيُقَاتِلُونَ فَيُنْصَرُونَ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ أَوْ مِنْ أَعْقَابِكُمْ فَلْيَأْتِ إِمَامَ أَهْلِ بَيْتِي وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهَا رَايَاتُ هُدًى يَدْفَعُونَهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي، فَيَمْلِكُ الْأَرْضَ فَيَمْلَأُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا»(١).

- ٨٤٣٨ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁، قَالَ: قَالَ نَبِيُّ الله ﷺ: «يَنْزِلُ بِأُمَّتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ بَلَاءٌ شَدِيدٌ مِنْ سُلْطَانِهِمْ لَمْ يُسْمَعْ بَلَاءٌ أَشَدُّ مِنْهُ، حَتَّى تَضِيقَ عَنْهُمُ الْأَرْضُ الرَّحْبَةُ، وَحَتَّى يُمْلَأَ الْأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا، لَا يَجِدُ الْمُؤْمِنُ مَلْجَأً يَلْتَجِئُ إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ، فَيَبْعَثُ الله عَزَّ وَجَلَّ رَجُلًا مِنْ عِتْرَتِي، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، لَا تَدَّخِرُ الْأَرْضُ مِنْ بَذْرِهَا شَيْئًا إِلَّا أَخْرَجَتْهُ، وَلَا السَّمَاءُ مِنْ قَطْرِهَا شَيْئًا إِلَّا صَبَّهُ الله عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا، يَعِيشُ فِيهَا سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ أَوْ تِسْعَ، تَتَمَنَّى الْأَحْيَاءُ الْأَمْوَاتَ مِمَّا صَنَعَ الله عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ خَيْرِهِ» هذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٢).
- ٨٥٣٠ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﵁، قَالَ: «يَظْهَرُ السُّفْيَانِيُّ عَلَى الشَّامِ، ثُمَّ يَكُونُ بَيْنَهُمْ وَقْعَةٌ بِقَرْقِيسَا حَتَّى تَشْبَعَ طَيْرُ السَّمَاءِ وَسِبَاعُ الْأَرْضِ مِنْ جِيَفِهِمْ، ثُمَّ يَنْفَتِقُ عَلَيْهِمْ فَتْقٌ مِنْ خَلْفِهِمْ، فَتُقْبِلُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ حَتَّى يَدْخُلُوا أَرْضَ خُرَاسَانَ، وَتُقْبِلُ خَيْلُ السُّفْيَانِيِّ فِي طَلَبِ أَهْلِ خُرَاسَانَ، وَيَقْتُلُونَ شِيعَةَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْكُوفَةِ، ثُمَّ يَخْرُجُ أَهْلُ خُرَاسَانَ فِي طَلَبِ الْمَهْدِيِّ»(٣).

---

(١) قال عنه الذهبي : حديث موضوع . وهو كما قال فقد تفرد به (حنان بن سدير بن حكيم) وهو من شيوخ الشيعة. وطرف الحديث الأخير « رجل من أهل بيتي يواطئ...» ورد بطرق أخرى صحيحة.

(٢) قال الذهبي: سنده مظلم. ولبعض أطراف الحديث شواهد في الصحيح وقد تقدمت.

(٣) قال الذهبي : خبر واه. وهو كما قال.

- ٨٥٣١ عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ خَرَجَتْ مِنْ قِبَلِ خُرَاسَانَ فَأْتُوهَا وَلَوْ حَبْوًا، فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللهِ الْمَهْدِيَّ» هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[١].
- ٨٥٣٧ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «فِي ذِي الْقَعْدَةِ تُجَاذِبُ الْقَبَائِلُ وَتُغَادِرُ، فَيُنْهَبُ الْحَاجُّ، فَتَكُونُ مَلْحَمَةٌ بِمِنًى، يَكْثُرُ فِيهَا الْقَتْلَى، وَيَسِيلُ فِيهَا الدِّمَاءُ، حَتَّى تَسِيلَ دِمَاؤُهُمْ عَلَى عَقَبَةِ الْجَمْرَةِ، وَحَتَّى يَهْرُبَ صَاحِبُهُمْ فَيَأْتِي بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، فَيُبَايَعُ وَهُوَ كَارِهٌ، يُقَالُ لَهُ: إِنْ أَبِيتَ ضَرَبْنَا عُنُقَكَ، يُبَايِعُهُ مِثْلُ عِدَّةِ أَهْلِ بَدْرٍ يَرْضَى عَنْهُمْ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ» قَالَ أَبُو يُوسُفَ: فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قَالَ: (يَحُجُّ النَّاسُ مَعًا وَيُعَرِّفُونَ مَعًا عَلَى غَيْرِ إِمَامٍ، فَبَيْنَمَا هُمْ نُزُولٌ بِمِنًى إِذْ أَخَذَهُمْ كَالْكَلَبِ، فَثَارَتِ الْقَبَائِلُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَاقْتَتَلُوا حَتَّى تَسِيلَ الْعَقَبَةُ دَمًا، فَيَفْزَعُونَ إِلَى خَيْرِهِمْ، فَيَأْتُونَهُ وَهُوَ مُلْصِقٌ وَجْهَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ يَبْكِي كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى دُمُوعِهِ، فَيَقُولُونَ: هَلُمَّ فَلْنُبَايِعَكَ، فَيَقُولُ: وَيْحَكُمْ كَمْ عَهْدٍ قَدْ نَقَضْتُمُوهُ وَكَمْ دَمٍ قَدْ سَفَكْتُمُوهُ، فَيُبَايَعُ كَرْهًا فَإِذَا أَدْرَكْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ فَإِنَّهُ الْمَهْدِيُّ فِي الْأَرْضِ، وَالْمَهْدِيُّ فِي السَّمَاءِ)[٢].
- ٨٥٨٠ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: «تَكُونُ هَدَّةٌ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ تُوقِظُ النَّائِمَ وَتُفْزِعُ الْيَقْظَانَ، ثُمَّ تَظْهَرُ عِصَابَةٌ فِي شَوَّالٍ، ثُمَّ مَعْمَعَةٌ فِي ذِي الْحِجَّةِ، ثُمَّ تُنْتَهَكُ الْمَحَارِمُ فِي الْمُحَرَّمِ، ثُمَّ يَكُونُ مَوْتٌ فِي صَفَرٍ، ثُمَّ تَتَنَازَعُ الْقَبَائِلُ فِي الرَّبِيعِ، ثُمَّ الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ بَيْنَ جُمَادَى وَرَجَبٍ، ثُمَّ نَاقَةٌ مُقْتَبَةٌ خَيْرٌ مِنْ دَسْكَرَةٍ تُقِلُّ مِائَةَ أَلْفٍ»[٣].
- ٨٥٨٦ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «يَخْرُجُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: السُّفْيَانِيُّ فِي عُمْقِ دِمَشْقَ، وَعَامَّةُ مَنْ يَتْبَعُهُ مِنْ كَلْبٍ، فَيَقْتُلُ حَتَّى يَبْقَرَ بُطُونَ النِّسَاءِ، وَيَقْتُلُ الصِّبْيَانَ، فَتَجْمَعُ

---

(١) ضعفه الألباني والأرنؤوط.

(٢) قال الذهبي سنده ساقط.

(٣) قال الذهبي موضوع. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وقد جاء الحديث من طرق أخرى ضعيفة جدًا

لَهُمْ قَيْسٌ فَيَقْتُلُهَا حَتَّى لَا يُمْنَعُ ذَنَبُ تَلْعَةٍ، وَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي الْحَرَّةِ فَيَبْلُغُ السُّفْيَانِيَّ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِ جُنْدًا مِنْ جُنْدِهِ فَيَهْزِمُهُمْ، فَيَسِيرُ إِلَيْهِ السُّفْيَانِيُّ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى إِذَا صَارَ بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ، فَلَا يَنْجُو مِنْهُمْ إِلَّا الْمُخْبِرُ عَنْهُمْ» هذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ[١].

- ٨٦٥٨ عن عَلِيِّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: «سَتَكُونُ فِتْنَةٌ يُحَصَّلُ النَّاسُ مِنْهَا كَمَا يُحَصَّلُ الذَّهَبُ فِي الْمَعْدِنِ، فَلَا تَسُبُّوا أَهْلَ الشَّامِ، وَسُبُّوا ظَلَمَتَهُمْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْأَبْدَالُ، وَسَيُرْسِلُ اللهُ إِلَيْهِمْ سَيْبًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُغْرِقُهُمْ حَتَّى لَوْ قَاتَلَتْهُمُ الثَّعَالِبُ غَلَبَتْهُمْ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ عِنْدَ ذَلِكَ رَجُلًا مِنْ عِتْرَةِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا إِنْ قَلُّوا، وَخَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا إِنْ كَثُرُوا، أَمَارَتُهُمْ أَوْ عَلَامَتُهُمْ أَمِتْ أَمِتْ عَلَى ثَلَاثِ رَايَاتٍ يُقَاتِلُهُمْ أَهْلُ سَبْعِ رَايَاتٍ لَيْسَ مِنْ صَاحِبِ رَايَةٍ إِلَّا وَهُوَ يَطْمَعُ بِالْمُلْكِ، فَيَقْتَتِلُونَ وَيُهْزَمُونَ، ثُمَّ يَظْهَرُ الْهَاشِمِيُّ فَيَرُدُّ اللهُ إِلَى النَّاسِ إِلْفَتَهُمْ وَنِعْمَتَهُمْ، فَيَكُونُونَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَخْرُجَ الدَّجَّالُ» هذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ[٢].
- ٨٦٥٩ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَلِيٍّ رضي الله عنه، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْمَهْدِيِّ، فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: هَيْهَاتَ، ثُمَّ عَقَدَ بِيَدِهِ سَبْعًا، فَقَالَ: «ذَاكَ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: اللهَ اللهَ قُتِلَ، فَيَجْمَعُ اللهُ تَعَالَى لَهُ قَوْمًا قُزُعًا كَقَزَعِ السَّحَابِ، يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَا يَسْتَوْحِشُونَ إِلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْرَحُونَ بِأَحَدٍ، يَدْخُلُ فِيهِمْ عَلَى عِدَّةُ أَصْحَابِ بَدْرٍ، لَمْ يَسْبِقْهُمُ الْأَوَّلُونَ وَلَا يُدْرِكُهُمُ الْآخِرُونَ، وَعَلَى عَدَدِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ، قَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ: قَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ: أَتُرِيدُهُ؟ قُلْتُ: «نَعَمْ»، قَالَ: إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ هَذَيْنِ الْخَشَبَتَيْنِ، قُلْتُ: «لَا جَرَمَ وَاللهِ

---

(١) صححه الحاكم ووافقه الذهبي وقالا على شرط الشَّيْخين. وقال الألباني منكر (الضعيفة-٦٥٢٠).

(٢) وافقه الذهبي. ويشهد لبعضه ما رواه أحمد في فضائل الصحابة (١٧٢٦) بإسناد رواته ثقات عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَوْمَ صِفِّينَ: اللَّهُمَّ الْعَنْ أَهْلَ الشَّامِ فَقَالَ: عَلِيٌّ «لَا تَسُبَّ أَهْلَ الشَّامِ جَمًّا غَفِيرًا فَإِنَّ بِهَا الْأَبْدَالَ، فَإِنَّ بِهَا الْأَبْدَالَ، فَإِنَّ بِهَا الْأَبْدَالَ».



لَا أُرِيهِمَا حَتَّى أَمُوتَ»، فَمَاتَ بِهَا يَعْنِي مَكَّةَ حَرَسَهَا الله تَعَالَى. هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[1].

مجمع الزوائد لمؤلفه علي بن أبي بكر الهيثمي رَحِمَهُ اللهُ.

- ١٢٣٩٨عن أم سلمة قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَسِيرُ مَلِكُ الْمُشْرِقِ إِلَى مَلِكِ الْمُغْرِبِ فَيَقْتُلُهُ، فَيَبْعَثُ جَيْشًا إِلَى الْمَدِينَةِ فَيَخْسِفُ بِهِمْ، ثُمَّ يَبْعَثُ جَيْشًا فَيَنْسَى نَاسًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَيَعُوذُ عَائِذٌ بِالْحَرَمِ فَيَجْتَمِعُ النَّاسُ إِلَيْهِ كَالطَّيْرِ الْوَارِدَةِ الْمُتَفَرِّقَةِ حَتَّى يَجْتَمِعَ إِلَيْهِ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فِيهِمْ نِسْوَةٌ، فَيَظْهَرُ عَلَى كُلِّ جَبَّارٍ وَابْنِ جَبَّارٍ، وَيُظْهِرُ مِنَ الْعَدْلِ مَا يَتَمَنَّى لَهُ الْأَحْيَاءُ أَمْوَاتَهُمْ، فَيَحْيَا سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ مَا تَحْتَ الْأَرْضِ خَيْرٌ مِمَّا فَوْقَهَا»[2]. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ لَيْثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ وَهُوَ مُدَلِّسٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ.
- ١٢٤٠١وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنِي خَلِيلِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَيَضْرِبُهُمْ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ»، قَالَ: قُلْتُ: وَكَمْ يَمْلِكُ؟ قَالَ: «خَمْسًا وَاثْنَتَيْنِ»، قَالَ: قُلْتُ: مَا خَمْسًا وَاثْنَتَيْنِ؟ قَالَ: «لَا أَدْرِي»[3]. رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَفِيهِ الْمُرَجَّى بْنُ رَجَاءٍ، وَثَّقَهُ أَبُو زُرْعَةَ وَضَعَّفَهُ ابْنُ مَعِينٍ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ.

---

(١) وافقه الذهبي.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٥٤٧٣) وقال: (لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَّا اللَّيْثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ، تَفَرَّدَ بِهِ: الْمُطَّلِبُ بْنُ زِيَادٍ). والحديث ضعيف لأجل تفرد ليث وهو (مدلس) كما قال الهيثمي.

(٣) رواه أبي يعلى الموصلي (٦٦٦٥) وفي إسناده المرجى بن رجاء، قال عنه ابن حجر : صدوق ربما وهم، وضعفه ابن معين، وقال الذهبي : مختلف في حاله.

مسند الإِمَام أحمد بن حنبل:

• ١١٣٢٦عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ، يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلَ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا. . .»(١).

المصنف في الأحاديث والآثار (أبو بكر عبدالله بن محمّد بن أبي شيبة الكوفي).

• ٣٧٢٠١ أَبُو أُسَامَةَ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ بْنُ حَكِيمٍ، عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: قَالَ عَاصِمٌ الْبَجَلِيُّ: «سَلُوا بِكَيْلِيكُمْ يَعْنِي نَوْفًا عَنِ الْآيَةِ فِي شَعْبَانَ وَالْحَدَثَانِ فِي رَمَضَانَ وَالتَّمْيِيزِ فِي شَوَّالَ، وَالْحَسْنِ - يَعْنِي الْقَتْلَ وَالْمَعْمَعَةَ - فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَالْقَضَاءِ فِي ذِي الْحِجَّةِ»(٢).

مسند الشّاميين:

• ٩٣٧ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ الْمَهْدِيُّ وَعَلَى رَأْسِهِ مَلَكٌ يُنَادِي إِنَّ هذا الْمَهْدِيَّ فَاتَّبِعُوهُ»(٣).

(١) الحديث بطوله ضعف إسناده الأرنؤوط والألباني (الضعيفة ١٥٨٨). ولهذا الطرف من الحديث شواهد في الصحيح منها ما رواه أحمد (١١٣١٣).

(٢) إسناده ضعيف، فيه أَبُو الْأَحْوَصِ بْنُ حَكِيمٍ : ضعيف.

(٣) حديث موضوع: قاله الألباني (الضعيفة – ٦٦٨٦).

أحاديث الرّايات السود في كتاب البداية والنهاية: لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ.

- عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يُقْتَلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ هَذِهِ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمْ وَلَدُ خَلِيفَةٍ، لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تُقْبَلُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ خُرَاسَانَ، فَيَقْتُلُونَكُمْ مَقْتَلَةً لَمْ يَرَوْا مِثْلَهَا، ثُمَّ يَجِيءُ خَلِيفَةُ الله الْمَهْدِيُّ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ فَأْتُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ الله الْمَهْدِيُّ»(١).
- عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا أَقْبَلَتِ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ عَقِبِ خُرَاسَانَ فَأْتُوهَا وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ الله الْمَهْدِيَّ»(٢).
- عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ذَكَرَ فِتْيَةً مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ، وَذَكَرَ الرَّايات، قَالَ: فَمَنْ أَدْرَكَهَا فَلْيَأْتِهَا وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلج(٣).
- عَنْ عَبْدِ الله ابْنُ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «تجيء رَايَاتٌ سُودٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، تَخُوضُ الْخَيْلُ الدَّم إلى أن يظهروا الْعَدْلَ وَيَطْلُبُونَ الْعَدْلَ فَلَا يُعْطَوْنَهُ، فَيَظْهَرُونَ فَيُطْلَبُ مِنْهُمُ الْعَدْلُ فَلَا يُعْطُونَهُ» هذا إِسْنَادٌ حَسَنٌ(٤).
- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنْ خُرَاسَانَ رَايَاتٌ سُودٌ لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تنصب بإيليا»(٥) قَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ قُتَيْبَةَ بِهِ، وَقَالَ: غَرِيبٌ. وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَالْحَاكِمُ.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٨٧) وابن ماجه (٤٠٨٤) والحاكم (٨٤٣٢) وضعف إسناده الألباني (الضعيفة٨٥) وقال في موضع آخر: صحيح المعنى دون ذكر «فإن فيها خليفة الله المهدي».

(٢) ورواه أحمد (٢٢٣٨٧) والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٥١٦) وإسناده ضعيف كسابقه (الضعيفة٨٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٧١٦)، وابن ماجة (٤٠٨٢) وضعفه الألباني : الروض النضير (٦٤٧) ، وقال الأرنؤوط: حديث منكر ويشبه أن يكون موضوعاً.

(٤) قال ابن كثير اسناده حسن، وقال الهيثمي: فيه يزيد بن أبي زياد وهو لين. وبقية رجاله ثقات.

(٥) رواه أحمد (٨٧٧٥)، والتِّرمِذيّ (٢٢٦٩) وضعف إسناده الألباني (الضعيفة٤٨٢٥) وشاكر والأرنؤوط: في تحقيق المسند.

- أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَخْرُجُ عِنْدَ انْقِطَاعٍ مِنَ الزَّمان، وَظُهُورٍ مِنَ الْفِتَنِ، رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ السَّفاح، فيكون إعطاؤه المال حثواً»(١).
- رَوَى نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ عَنِ ابْنِ وَهْبٍ عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَمْرٍو المعافري من قدوم الحميريّ سمع نفيع بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: يَعِيشُ السَّفاح أَرْبَعِينَ سَنَةً اسْمُهُ فِي التَّوراة طَائِرُ السَّماء(٢).

- **قال ابن كثير رحمه الله**: قُلْتُ: وَقَدْ تَكُونُ صِفَةً لِلْمَهْدِيِّ الَّذِي يَظْهَرُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ لِكَثْرَةِ مَا يَسْفَحُ أَيْ يُرِيقُ مِنَ الدِّماء لِإِقَامَةِ الْعَدْلِ، وَنَشْرِ الْقِسْطِ، وَتَكُونُ الرَّايات السُّود الْمَذْكُورَةُ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ إِنْ صحَّت هِيَ الَّتِي تَكُونُ مَعَ الْمَهْدِيِّ، وَيَكُونُ أَوَّل ظُهُورِ بَيْعَتِهِ بِمَكَّةَ، ثمَّ تَكُونُ أَنْصَارُهُ مِنْ خُرَاسَانَ، كَمَا وَقَعَ قَدِيمًا للسَّفاح، وَالله تَعَالَى أَعْلَمُ، هذا كُلُّهُ تَفْرِيعٌ عَلَى صحَّة هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَإِلَّا فَلَا يَخْلُو سَنَدٌ مِنْهَا عَنْ كلام، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصَّواب.

الدر المنثور للسيوطي:

- وَأخرج ابْن أبي شيبَة وَأحمد وَأَبُو دَاوُد وَأَبُو يعلى وَالطَّبَرَانِيّ عَن أم سَلمَة رضي الله عنها عَن النَّبي ﷺ قَالَ: «يكون اخْتِلَاف عِنْد موت خَليفَة فَيخرج رجل من أهل الْمَدِينَة هَارِبا إِلَى مَكَّة فيأتيه نَاس من أهل الْمَدِينَة فيخرجونه وَهُوَ كَارِه فيبايعونه بَين الرُّكْن وَالْمقَام وَيبْعَث إِلَيْهِ بعث من الشَّام فيخسف بهم بِالْبَيْدَاءِ بَين مَكَّة وَالْمَدينَة فَإِذا رأى النَّاس ذَلِك أَتَاهُ أبْدَال الشَّام وعصائب أهل الْعرَاق فيبايعونه ثمَّ ينشأ رجل من قُرَيْش أخواله كلب فيبعث إِلَيْهِم بعثاً فيظهرون عَلَيْهِم فَذَلِك بعث كلب والخيبة لمن لم يشْهد غنيمَة كلب فَيقسم المَال وَيعْمل فِي النَّاس سنة نَبِيّهم ويلقى الْإِسْلَام بجرانه إِلَى الأَرْض فيلبث سِنِين ثمَّ يتوفى وَيُصلي عَلَيْهِ الْمُسلمُونَ»(٣).

---

(١) رواه أحمد (١١٧٥٧) والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٥١٤) وضعفه الأرنؤوط.

(٢) نعيم بن حماد وابن لهيعة: من الضعفاء.

(٣) رواه أحمد (٢٦٦٨٩) وأبو داود (٤٢٨٦) أبو يعلى (٦٩٤٠) وغيرهم، وضعفه الألباني والأرنؤوط.

- وَأخرج ابْن أبي شيبَة عَن مُجَاهِد ﷺ قَالَ: حَدثنِي رجل من أَصْحَاب النَّبِي ﷺ: «أَن الْمهْدي لَا يخرج حَتَّى يقتل النَّفس الزكية فَإِذا قتلت النَّفس الزكية غضب عَلَيْهِم من فِي السَّمَاء وَمن فِي الأَرْض فَأتى النَّاس الْمهْدي فزفوه كَمَا تزف الْعَرُوس إِلَى زَوجهَا لَيْلَة عرسها وَهُوَ يمْلَأ الأَرْض قسطاً وعدلاً وَتخرج الأَرْض نباتها وتمطر السَّمَاء مطرها وتنعم أمتِي فِي ولَايَته نعْمَة لَا تنعمها قطّ»[1].
- خرج ابْن أبي شيبَة عَن أبي الْجلد قَالَ: تكون فتْنَة بعْدهَا فتْنَة أَلا وَفِي الْآخِرَة كثمرة السَّوْط يتبعهَا ذُبَاب السَّيْف ثمَّ يكون بعد ذَلِك فتْنَة تُسْتَحَلُّ فِيهَا الْمَحَارِم كلهَا ثمَّ يَأْتِي الْخلَافَة خير أهل الأَرْض وَهُوَ قَاعد فِي بَيته هَهُنَا[2].
- وَأخرج ابْن أبي شيبَة عَن عَاصِم بن عمر والبجيلي ﷺ قَالَ: لَيُنَادَيَنَّ باسم رجل من السَّمَاء لَا يُنكره الذَّلِيل وَلَا يمْتَنع مِنْهُ الذَّلِيل[3].

السنن الواردة في الفتن:

- ٤٩٧ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ زُرَيْرٍ الْغَافِقِيِّ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: (إِذَا انْسَابَتْ عَلَيْكُمُ التُّرْكُ، وَجَهَّزَتِ الْجُيُوشَ إِلَيْكُمْ، وَمَاتَ خَلِيفَتُكُمُ الَّذِي يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ، وَيُسْتَخْلَفُ مِنْ بَعْدِهِ رَجُلٌ ضَعِيفٌ، فَيُخْلَعُ بَعْدَ سَنَتَيْنِ، وَيُخَالِفَ الرُّومَ وَالتُّرْكَ وَتَظْهَرُ الْحُرُوبُ فِي الْأَرْضِ، وَيُنَادِي مُنَادٍ عَلَى سُورِ دِمَشْقَ: وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، وَيُخْسَفُ بِغَرْبِيِّ مَسْجِدِهَا، حَتَّى يَخِرَّ حَائِطُهَا، وَيَخْرُجَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ بِالشَّامِ، كُلُّهُمْ يَطْلُبُ الْمُلْكَ، رَجُلٌ أَبْقَعُ، وَرَجُلٌ أَصْهَبُ، وَرَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ أَبِي سُفْيَانَ، يَخْرُجُ بِكَلْبٍ وَيُحْصَرُ النَّاسَ بِدِمَشْقَ، وَيَخْرُجُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ يَنْحَدِرُونَ إِلَى مِصْرَ،

---

(١) مصنف ابن أبي الشيبة (٣٧٦٥٣) وقال الألباني: هذا متن منكر، مع كونه موقوفا، وإسناده نظيف، لا يبدو لي فيه علة سوى الوقف (الضعيفة-٢١٥٥).

(٢) مصنف ابن أبي الشيبة (٣٧٧٥٤) وإسناده مقطوع.

(٣) مصنف ابن أبي الشيبة (٣٧٧٥٥) وإسناده موقوف.



فَإِذَا دَخلُوا فَتِلْكَ إِمَارَةُ السُّفْيَانِيِّ، وَيَخْرُجُ قَبْلَ ذَلِكَ مَنْ يَدْعُو لِآلِ مُحَمَّدٍ، وَتَتْرُكُ التُّرْكُ الْجَزِيرَةَ، وَتَنْزِلُ الرُّومُ فِلَسْطِينَ، وَيُقْبِلُ صَاحِبُ الْمَغْرِبِ، فَيَقْتُلُ الرِّجَالَ، وَيَسْبِي النِّسَاءَ، ثُمَّ يَرْجِعُ حَتَّى يَنْزِلَ الْجَزِيرَةَ إِلَى السُّفْيَانِيِّ)[١].

- ٥١٨ عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَكُونُ فِي رَمَضَانَ صَوْتٌ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فِي أَوَّلِهِ أَوْ فِي وَسَطِهِ أَوْ فِي آخِرِهِ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ فِي النِّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ لَيْلَةُ جُمُعَةٍ يَكُونُ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ يُصْعَقُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا يَتِيهُ سَبْعُونَ أَلْفًا وَيَعْمَى سَبْعُونَ أَلْفًا وَيُصَمُّ سَبْعُونَ أَلْفًا وَيُخْرَسُ فِيهِ سَبْعُونَ أَلْفًا وَيَنْفَتِقُ فِيهِ سَبْعُونَ أَلْفَ عَذْرَاءَ» قَالُوا: فَمَنِ السَّالِمُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَتَعَوَّذَ بِالسُّجُودِ وَجَهَرَ بِالتَّكْبِيرِ» قَالَ: «وَمَعَهُ صَوْتٌ آخَرُ فَالصُّوتُ الْأَوَّلُ صَوْتُ جِبْرِيلَ، وَالصَّوْتُ الثَّانِي صَوْتُ الشَّيْطَانِ، فَالصُّوتُ فِي رَمَضَانَ، وَالْمَعْمَعَةُ فِي شَوَّالٍ، وَتَمْيِيزُ الْقَبَائِلِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَيُغَارُ عَلَى الْحَاجِّ فِي ذِي الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمِ، وَأَمَّا الْمُحَرَّمُ أَوَّلُهُ بَلَاءٌ وَآخِرُهُ فَرَجٌ عَلَى أُمَّتِي، رَاحِلَةٌ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يَنْجُو عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُ خَيْرٌ مِنْ دَسْكَرَةٍ تَغُلُّ مِائَةَ أَلْفٍ»[٢].
- ٥٥٧ عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: (يُجَاءُ إِلَى الْمَهْدِيِّ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ وَالنَّاسُ فِي فِتْنَةٍ تُهَرَاقُ فِيهَا الدِّمَاءُ، فَيُقَالُ لَهُ: قُمْ عَلَيْنَا فَيَأْبَى حَتَّى يُخَوَّفَ بِالْقَتْلِ، فَإِذَا خُوِّفَ بِالْقَتْلِ قَامَ عَلَيْهِمْ، فَلَا يُهَرَاقُ فِي سَبَبِهِ مِحْجَمَةُ دَمٍ)[٣].
- ٥٦٦ حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ: «لَنْ تَذْهَبَ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الدُّنْيَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي» قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا يُوَاطِئُ؟ قَالَ: يُشْبِهُ[٤].

---

(١) حديث موقوف وفي إسناده ضعف.
(٢) قال الألباني : حديث موضوع (الضعيفة ٦١٧٩)
(٣) حديث مقطوع.
(٤) ورواه الترمذي (٢٢٣٠) وأبو داود (٤٢٨٢) وصححه الألباني.

- ٥٧٣ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، قَالَ: «تَخْرُجُ رَايَةٌ مِنْ خُرَاسَانَ ثُمَّ تَخْرُجُ أُخْرَى ثِيَابُهُمْ بِيضٌ عَلَى مُقَدَّمَتِهِمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُوَطِّئُ لِلْمَهْدِيِّ سُلْطَانَهُ يَكُونُ بَيْنَ خُرُوجِهِ وَبَيْنَ أَنْ يُسَلِّمَ لِلْمَهْدِيِّ سُلْطَانَهُ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ شَهْرًا»[١].
- ٥٨٣ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ نَوْفٍ، قَالَ: «رَايَةُ الْمَهْدِيِّ فِيهَا مَكْتُوبٌ: الْبَيْعَةُ لله»[٢].
- ٥٨٦ حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ، قَالَ: قَالَ ابْنُ شَوْذَبٍ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْمَهْدِيَّ لِأَنَّهُ يُهْدَى إِلَى جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ الشَّامِ يَسْتَخْرِجُ مِنْهُ أَسْفَارًا مِنْ أَسْفَارِ التَّوْرَاةِ فَيُحَاجَّ بِهَا الْيَهُودَ فَيُسْلِمُ عَلَى يَدَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْيَهُودِ »[٣].

الفتن لابن حماد[٤] :

- ٢٨٦ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَيْسِ بْنِ جَابِرٍ الصَّدَفِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَكُونُ بَعْدَ الْجَبَابِرَةِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا، ثُمَّ الْقَحْطَانِيُّ بَعْدَهُ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا هُوَ دُونَهُ».
- ٦٢٥ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «تَكُونُ عَلَامَةٌ فِي صَفَرٍ، وَيَبْتَدِأُ نَجْمٌ لَهُ ذِنَابٌ».
- ٦٢٦ عَنْ مَكْحُولٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فِي رَمَضَانَ فِي السَّمَاءِ آيَةٌ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا أَوْ بَقِيَتَا، وَفِي شَوَّالٍ الْمَهْمَةُ، وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ الْمَعْمَعَةُ، وَفِي ذِي الْحِجَّةِ النَّزَائِلُ، وَفِي الْمُحَرَّمِ وَمَا الْمُحَرَّمُ؟». قَالَ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ بُخْتٍ: وَبَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «فِي رَمَضَانَ آيَةٌ فِي السَّمَاءِ كَعَمُودٍ سَاطِعٍ، وَفِي شَوَّالٍ الْبَلَاءُ، وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ الْفَنَاءُ، وَفِي ذِي الْحِجَّةِ يُنْتَهَبُ الْحَاجُّ الْمُحْرِمُ، وَمَا الْمُحْرِمُ».
- ٦٣٠ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، عَنْ عَنْبَسَةَ الْقُرَشِيِّ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَكُونُ فِي رَمَضَانَ صَوْتٌ، وَفِي شَوَّالٍ مَهْمَهَةٌ، وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ

---

(١) حديث مقطوع.
(٢) إسناده ضعيف مقطوع.
(٣) حديث مقطوع.
(٤) جميع ما تفرد به ابن حماد ضعيف .



تحَازُبُ الْقَبَائِلِ، وَفِي ذِي الْحِجَّةِ يُنْتَهَبُ الْحَاجُّ، وَفِي الْمُحَرَّمِ يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَلَا إِنَّ صَفْوَةَ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ فُلَانٌ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا».

- ٦٣٣ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، قَالَ: إِنَّهُ «سَتَبْدُو آيَةٌ عَمُودًا مِنْ نَارٍ، يَطْلُعُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، يَرَاهُ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ فَلْيُعِدَّ لِأَهْلِهِ طَعَامَ سَنَةٍ»
- ٦٣٤ قَالَ الْوَلِيدُ: فَأَخْبَرَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ الْحَضْرَمِيِّ، قَالَ: «آيَةُ الْحِدْثَانِ فِي رَمَضَانَ عَلَامَةٌ فِي السَّمَاءِ، بَعْدَهَا اخْتِلَافٌ فِي النَّاسِ، فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا فَأَكْثِرْ مِنَ الطَّعَامِ مَا اسْتَطَعْتَ».
- ٦٣٥ قَالَ الْوَلِيدُ: فَأَخْبَرَنِي شَيْخٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: «وَفِي وِلَايَةِ السُّفْيَانِيِّ الثَّانِي وَخُرُوجِهِ عَلَامَةٌ تُرَى فِي السَّمَاءِ».
- ٦٣٨ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَتْ صَيْحَةٌ فِي رَمَضَانَ فَإِنَّهُ يَكُونُ مَعْمَعَةٌ فِي شَوَّالٍ، وَتَمْيِيزُ الْقَبَائِلِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَتُسْفَكُ الدِّمَاءُ فِي ذِي الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمِ، وَمَا الْمُحَرَّمُ»، يَقُولُهَا ثَلَاثًا، «هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، يُقْتَلُ النَّاسُ فِيهَا هَرْجًا هَرْجًا» قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الصَّيْحَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " هَدَّةٌ فِي النِّصْفِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ جُمُعَةٍ، فَتَكُونُ هَدَّةٌ تُوقِظُ النَّائِمَ، وَتُقْعِدُ الْقَائِمَ، وَتُخْرِجُ الْعَوَاتِقَ مِنْ خُدُورِهِنَّ، فِي لَيْلَةِ جُمُعَةٍ، فِي سَنَةٍ كَثِيرَةِ الزَّلَازِلِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْفَجْرَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَادْخُلُوا بُيُوتَكُمْ، وَاغْلِقُوا أَبْوَابَكُمْ، وَسُدُّوا كُوَاكُمْ، وَدِثِّرُوا أَنْفُسَكُمْ، وَسُدُّوا آذَانَكُمْ، فَإِذَا حَسَسْتُمْ بِالصَّيْحَةِ فَخِرُّوا للهِ سُجَّدًا، وَقُولُوا: سُبْحَانَ الْقُدُّوسِ، سُبْحَانَ الْقُدُّوسِ، رَبُّنَا الْقُدُّوسُ، فَإِنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ نَجَا، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ هَلَكَ»[1].

(١) الخبر ضعيف جدا أشبه بالموضوع.

- ٦٤٢ عَنِ الْوَلِيدِ، قَالَ: بَلَغَنِي عَنْ كَعْبٍ، أَنَّهُ قَالَ: «يَطْلُعُ نَجْمٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَبْلَ خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ، لَهُ ذِنَابٌ»، قَالَ: وَحُدِّثْتُ عَنْ شَرِيكٍ، أَنَّهُ قَالَ: «بَلَغَنِي أَنَّهُ قَبْلَ خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ تَنْكَسِفُ الشَّمْسُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مَرَّتَيْنِ».
- ٦٤٧ عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: «آيَةُ الْحِدْثَانِ فِي رَمَضَانَ، وَالْهَيْشُ فِي شَوَّالٍ، وَالنَّزَائِلُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَالْمَعْمَعَةُ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَآيَةُ ذَلِكَ عَمُودٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِنْ نُورٍ»
- ٧٥٠ - حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، سَمِعَ رَجُلًا، مِنْ تُجِيبٍ، سَمِعَ ابْنَ الْمُسَيِّبِ، يَقُولُ: «لَا بُدَّ لِأَهْلِ الْمَغْرِبِ مِنْ دَوْلَةٍ دَوْلَةِ كُفْرٍ» .
- ٧٥١ - قَالَ الْوَلِيدُ: حَدَّثَنِي أَبُو جُبَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مَنْ، يُحَدِّثُ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ، أَوْ مَنْ يُحَدِّثُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، يَقُولُ: «يَمْلُكُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ، وَهُمْ شَرُّ مَنْ مَلَكَ» .
- ٧٦٥- عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ قَالَ لِأَهْلِ مِصْرَ: «إِذَا جَاءَكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنَ الْمَغْرِبِ اقْتَتَلْتُمْ أَنْتُمْ وَهُمْ عِنْدَ الْقَنْطَرَةِ، فَيَكُونُ بَيْنَكُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْقَتْلَى، وَلَيُخْرِجُنَّكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ وَأَرْضِ الشَّامِ كَفْرًا كَفْرًا، وَلَتُبَاعَنَّ الْمَرْأَةُ الْعَرَبِيَّةُ عَلَى دَرَجِ دِمَشْقَ بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا، ثُمَّ يَدْخُلُونَ أَرْضَ حِمْصَ فَيُقِيمُونَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا، يَقْتَسِمُونَ فِيهَا الْأَمْوَالَ، وَيَقْتُلُونَ فِيهَا الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، ثُمَّ يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ شَرُّ مَنْ أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَيَقْتُلُهُمْ فَيَهْزِمُهُمْ، حَتَّى يُدْخِلَهُمْ أَرْضَ مِصْرَ».
- ٧٧٠ - حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ الْأَخْيَلِ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ أَبِي أُمَيَّةَ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، قَالَ: «يَدْخُلُ أَوَائِلُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَبَيْنَا هُمْ يَنْظُرُونَ فِي أَعَاجِيبِهِ إِذْ رَجَفَتِ الْأَرْضُ فَانْقَعَرَ غَرْبِيُّ مَسْجِدِهَا، وَيُخْسَفُ بِقَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا حَرَسْتَا، ثُمَّ يَخْرُجُ عِنْدَ ذَلِكَ السُّفْيَانِيُّ فَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى يُدْخِلَهُمْ مِصْرَ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيُقَاتِلُ أَهْلَ الْمَشْرِقِ حَتَّى يَرُدَّهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ»
- ٧٧٢ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَرْوَانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ التَّنُوخِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: (إِذَا اخْتَلَفَتِ الرَّايَاتُ السُّودُ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَتَاهُمُ الرَّايَاتُ الصُّفْرُ، فَيَجْتَمِعُونَ فِي قَنْطَرَةِ أَهْلِ مِصْرَ،



فَيَقْتَتِلُ أَهْلُ الْمُشْرِقِ وَأَهْلُ الْمُغْرِبِ سَبْعًا، ثُمَّ تَكُونُ الدَّبْرَةُ عَلَى أَهْلِ الْمُشْرِقِ حَتَّى يَنْزِلُوا الرَّمْلَةَ، فَيَقَعُ بَيْنَ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْمُغْرِبِ شَيْءٌ، فَيَغْضَبُ أَهْلُ الْمُغْرِبِ فَيَقُولُونَ: إِنَّا جِئْنَا لِنَنْصُرَكُمْ ثُمَّ تَفْعَلُونَ مَا يَفْعَلُونَ؟ وَاللهِ لَيُخَلِّيَنَّ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْمُشْرِقِ فَيَنْهَبُونَكُمْ، لِقِلَّةِ أَهْلِ الشَّامِ يَوْمَئِذٍ فِي أَعْيُنِهِمْ، ثُمَّ يَخْرُجُ السُّفْيَانِيُّ وَيَتْبَعُهُ أَهْلُ الشَّامِ فَيُقَاتِلُ أَهْلَ الْمُشْرِقِ)

- ٧٧٦ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (إِذَا ظَهَرَ الْمُغْرِبُ عَلَى مِصْرَ فَبَطْنُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا لِأَهْلِ الشَّامِ، وَيْلٌ لِلْجُنْدَيْنِ: جُنْدِ فِلَسْطِينَ وَالْأُرْدُنِّ، وَبَلَدِ حِمْصَ مِنْ بَرْبَرٍ يَضْرِبُونَ بِسُيُوفِهِمْ إِلَى بَابِ لِلْعِطْرِ، وَصَاحِبُ الْمُغْرِبِ رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ أَعْرَجُ)
- ٧٧٨ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ، قَالَ: كَانَ يُقَالُ: (إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ الصُّفْرَ فَبَطْنُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا).
- ٧٨١ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّايَاتِ الصُّفْرَ نَزَلَتِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ، ثُمَّ نَزَلُوا سُرَّةَ الشَّامِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُخْسَفُ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى دِمَشْقَ يُقَالُ لَهَا حَرَسْتَا».
- ٧٩٧ حَدَّثَنَا ابْنُ حِمْيَرَ، عَنِ النَّجِيبِ، قَالَ: «يَخْرُجُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِأَهْلِ الْمُغْرِبِ وَقَدِ اسْتَوْلَتِ الرُّومُ عَلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَهُمْ فِيهَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَهْزِمُونَهُمْ وَيَنْفُونَهُمْ عَنْهَا».
- ٨٠٢ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الْكَلْبِيِّ، عَنْ شَيْخٍ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ قَالَ: «بُدُوُّ السُّفْيَانِيِّ خُرُوجُهُ مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ غَرْبِ الشَّامِ يُقَالُ لَهَا أَنْدَرَا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ».
- ٨٠٤ عَنِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، قَالَ: «بَيْنَ خُرُوجِ الرَّايَةِ السَّوْدَاءِ مِنْ خُرَاسَانَ وَشُعَيْبِ بْنِ صَالِحٍ، وَخُرُوجِ الْمَهْدِيِّ وَبَيْنَ أَنْ يُسَلَّمَ الْأَمْرُ لِلْمَهْدِيِّ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ شَهْرًا».
- ٨٠٨ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (يَمْلُكُ حَمْلَ امْرَأَةٍ، اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ، وَهُوَ الْأَزْهَرُ بْنُ الْكَلْبِيَّةِ، أَوِ الزُّهْرِيُّ ابْنُ الْكَلْبِيَّةِ، الْمُشَوَّهُ السُّفْيَانِيُّ).



- ٨١٠ عَنْ أَرْطَاةَ، قَالَ: (السُّفْيَانِيُّ الَّذِي يَمُوتُ الَّذِي يُقَاتِلُ أَوَّلَ شَيْءٍ مِنَ الرَّايَاتِ السُّودِ وَالرَّايَاتِ الصُّفْرِ فِي سُرَّةِ الشَّامِ، مَخْرَجُهُ مِنَ المندرون شَرْقِيَّ بَيْسَانَ، عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ، عَلَيْهِ تَاجٌ يَهْزِمُ الْجَمَاعَةَ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ يَهْلِكُ وَهُوَ يَقْبَلُ الْجِزْيَةَ، وَيَسْبِي الذُّرِّيَّةَ، وَيَبْقُرُ بُطُونَ الْحَبَالَى).
- ٨١٢ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: (السُّفْيَانِيُّ مِنْ وَلَدِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، رَجُلٌ ضَخْمُ الْهَامَةِ، بِوَجْهِهِ آثَارُ جُدَرِيٍّ، وَبِعَيْنِهِ نُكْتَةُ بَيَاضٍ، يَخْرُجُ مِنْ نَاحِيَةِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ فِي وَادٍ يُقَالُ لَهُ وَادِي الْيَابِسِ، يَخْرُجُ فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ، مَعَ رَجُلٍ مِنْهُمْ لِوَاءٌ مَعْقُودٌ، يَعْرِفُونَ فِي لِوَائِهِ النَّصْرَ، يَسِيرُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى ثَلَاثِينَ مِيلًا، لَا يَرَى ذَلِكَ الْعَلَمَ أَحَدٌ يُرِيدُهُ إِلَّا انْهَزَمَ).
- ٨٣٢ عَنْ أَرْطَاةَ، قَالَ: (فِي زَمَانِ السُّفْيَانِيِّ الثَّانِي تَكُونُ الْهَدَّةُ حَتَّى يَظُنَّ كُلُّ قَوْمٍ أَنَّهُ قَدْ خَرَّبَ مَا يَلِيهِمْ).
- ٨٤٤ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، رضي الله عنه قَالَ: (فَتَخْرُجُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، كُلُّهُمْ يَطْلُبُ الْمُلْكَ: رَجُلٌ أَبْقَعُ، وَرَجُلٌ أَصْهَبُ، وَرَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ أَبِي سُفْيَانَ، يَخْرُجُ بِكَلْبٍ، وَيَحْصُرُ النَّاسَ بِدِمَشْقَ).
- ٨٤٥ عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: (تَخْرُجُ بِالشَّامِ ثَلَاثُ رَايَاتٍ: الْأَصْهَبُ، وَالْأَبْقَعُ، وَالسُّفْيَانِيُّ، يَخْرُجُ السُّفْيَانِيُّ مِنَ الشَّامِ، وَالْأَبْقَعُ مِنْ مِصْرَ، فَيَظْهَرُ السُّفْيَانِيُّ عَلَيْهِمْ).
- ٨٤٦ عَنْ ذِي قَرَنَاتٍ، قَالَ: (يَخْتَلِفُ النَّاسُ فِي صَفَرٍ، وَيَفْتَرِقُونَ عَلَى أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: رَجُلٍ بِمَكَّةَ الْعَائِذُ، وَرَجُلَيْنِ بِالشَّامِ: أَحَدُهُمَا السُّفْيَانِيُّ، وَالْآخَرُ مِنْ وَلَدِ الْحَكَمِ أَزْرَقُ أَصْهَبُ، وَرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ جَبَّارٍ، فَذَلِكَ أَرْبَعَةٌ، فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ فَيَخْرُجُ إِلَى الَّذِينَ بِالشَّامِ، فَيَأْتِي الْجَيْشَ إِلَى مِصْرَ، فَيُقْتَلُ ذَلِكَ الْجَبَّارُ، وَيَفُتُّ مِصْرَ فَتَّ الْبَعْرَةِ، ثُمَّ يَبْعَثُ إِلَى الَّذِي بِمَكَّةَ).
- ٨٤٧ عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: (إِذَا دَخَلَ السُّفْيَانِيُّ أَرْضَ مِصْرَ قَامَ فِيهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، يَقْتُلُ وَيَسْبِي أَهْلَهَا، فَيَوْمَئِذٍ تَقُومُ النَّائِحَاتُ، بَاكِيَةٌ تَبْكِي عَلَى اسْتِحْلَالِ فُرُوجِهَا، وَبَاكِيَةٌ تَبْكِي عَلَى قَتْلِ أَوْلَادِهَا، وَبَاكِيَةٌ تَبْكِي عَلَى ذُلِّهَا بَعْدَ عِزِّهَا، وَبَاكِيَةٌ تَبْكِي شَوْقًا إِلَى قُبُورِهَا).

- ٨٥٠ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (إِذَا كَانَتْ رَجْفَتَانِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ انْتُدِبَ لَهَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ، أَحَدُهُمْ يَطْلُبُهَا بِالْجَبَرُوتِ، وَالْآخَرُ يَطْلُبُهَا بِالنَّسْكِ وَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَالثَّالِثُ يَطْلُبُهَا بِالْقَتْلِ وَاسْمُهُ عَبْدُ اللهِ، وَيَكُونُ بِنَاحِيَةِ الْفُرَاتِ مُجْتَمَعٌ عَظِيمٌ، يَقْتَتِلُونَ عَلَى الْمَالِ، يُقْتَلُ مِنْ كُلِّ تِسْعَةٍ سَبْعَةٌ).
- ٨٥١ عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: (إِذَا الْتَقَى أَصْحَابُ الرَّايَاتِ السُّودِ وَأَهْلُ الرَّايَاتِ الصُّفْرِ عِنْدَ الْقَنْطَرَةِ كَانَتِ الدَّبْرَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ، فَيُهْزَمُونَ حَتَّى يَأْتُوا فِلَسْطِينَ، فَيَخْرُجُ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ السُّفْيَانِيُّ، فَإِذَا نَزَلَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ الْأُرْدُنَّ مَاتَ صَاحِبُهُمْ، وَافْتَرَقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ تَرْجِعُ مِنْ حَيْثُ جَاءَتْ، وَفِرْقَةٌ تَحُجُّ، وَفِرْقَةٌ تَثْبُتُ، فَيُقَاتِلَهُمُ السُّفْيَانِيُّ فَيَهْزِمُهُمْ وَيَدْخُلُونَ فِي طَاعَتِهِ).
- ٨٦٠ عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: (يُبَايِعُ السُّفْيَانِيَّ أَهْلُ الشَّامِ فَيُقَاتِلُ أَهْلَ الْمَشْرِقِ فَيَهْزِمُهُمْ مِنْ فِلَسْطِينَ حَتَّى يَنْزِلُوا مَرْجَ الصُّفْرِ، ثُمَّ يَلْتَقُونَ فَتَكُونُ الدَّبْرَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ حَتَّى يَنْزِلُوا مَرْجَ الثَّنِيَّةِ، ثُمَّ يَقْتَتِلُونَ فَتَكُونُ الدَّبْرَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ حَتَّى يَأْتُوا الْحُصَّ، ثُمَّ يَقْتَتِلُونَ فَتَكُونُ الدَّبْرَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ حَتَّى يَبْلُغُوا إِلَى الْمَدِينَةِ الْخَرْبَةُ يَعْنِي قَرْقِيسِيَا، ثُمَّ يَقْتَتِلُونَ فَتَكُونُ الدَّبْرَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى عَاقِرْقُوفَا، ثُمَّ يَقْتَتِلُونَ فَتَكُونُ الدَّبْرَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ فَيَحُوزُ السُّفْيَانِيُّ الْأَمْوَالَ، ثُمَّ تَخْرُجُ فِي حَلَقِ السُّفْيَانِيِّ قَرْحَةٌ، ثُمَّ يَدْخُلُ إِلَى الْكُوفَةِ غُدْوَةً، وَيَخْرُجُ مِنْهَا بِالْعَشِيِّ بِجِيُوشِهِ، فَإِذَا كَانَ بِأَفْوَاهِ الشَّامِ تُوُفِّيَ، وَثَارَ أَهْلُ الشَّامِ فَبَايَعُوا ابْنَ الْكَلْبِيَّةِ، اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ الْكَلْبِيَّةِ، غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشَوَّهُ الْوَجْهِ، فَيَبْلُغُ أَهْلَ الْمَشْرِقِ وَفَاةُ السُّفْيَانِيِّ فَيَقُولُونَ: ذَهَبَتْ دَوْلَةُ أَهْلِ الشَّامِ، فَيَثُورُونَ وَيَبْلُغُ ابْنَ الْكَلْبِيَّةَ فَيَثُورُ بِمَجْمُوعَةٍ إِلَيْهِمْ، فَيَقْتَتِلُونَ بِالْأَلْوِيَةِ فَتَكُونُ الدَّبْرَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ، حَتَّى يَدْخُلُوا الْكُوفَةَ، فَيَقْتُلُ الْمُقَاتِلَةَ، وَيَسْبِي الذُّرِّيَّةَ وَالنِّسَاءَ، ثُمَّ يُخَرِّبُ الْكُوفَةَ، ثُمَّ يَبْعَثُ مِنْهَا جَيْشًا إِلَى الْحِجَازِ).
- ٨٦٧ عَنْ أَرْطَاةَ، قَالَ: (يَقْتُلُ السُّفْيَانِيُّ كُلَّ مَنْ عَصَاهُ، وَيَنْشُرُهُمْ بِالْمَنَاشِيرِ وَيَطْحَنُهُمْ بِالْقُدُورِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ) قَالَ: (وَيَلْتَقِي الْمَشْرِقَانِ وَالْمَغْرِبَانِ).



- ٨٩٤ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، قَالَ: (تَخْرُجُ رَايَةٌ سَوْدَاءُ لِبَنِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ تَخْرُجُ مِنْ خُرَاسَانَ أُخْرَى سَوْدَاءُ، قَلَانِسُهُمْ سُودٌ، وَثِيَابُهُمْ بِيضٌ، عَلَى مُقَدِّمَتِهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ شُعَيْبُ بْنُ صَالِحِ بْنِ شُعَيْبٍ مِنْ تَمِيمٍ، يَهْزِمُونَ أَصْحَابَ السُّفْيَانِيِّ حَتَّى يَنْزِلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، يُوَطِّئُ لِلْمَهْدِيِّ سُلْطَانَهُ، وَيَمُدُّ إِلَيْهِ ثَلَاثُمِائَةٍ مِنَ الشَّامِ، يَكُونُ بَيْنَ خُرُوجِهِ وَبَيْنَ أَنْ يُسَلِّمَ الْأَمْرَ لِلْمَهْدِيِّ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ شَهْرًا).
- ٨٩٧ عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: (يَخْرُجُ بِالرِّيِّ رَجُلٌ رَبْعَةٌ أَسْمَرُ مَوْلًى لِبَنِي تَمِيمٍ كَوْسَجٌ، يُقَالُ لَهُ شُعَيْبُ بْنُ صَالِحٍ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ، ثِيَابُهُمْ بِيضٌ، وَرَايَاتُهُمْ سُودٌ، يَكُونُ عَلَى مُقَدِّمَةِ الْمَهْدِيِّ، لَا يَلْقَاهُ أَحَدٌ إِلَّا فَلَّهُ).
- ٨٩٨ عَنْ عَلِيٍّ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي تِسْعِ رَايَاتٍ» يَعْنِي بِمَكَّةَ.
- ٨٩٩ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَالَ: «الْمَهْدِيُّ عَلَى لِوَائِهِ شُعَيْبُ بْنُ صَالِحٍ».
- ٩٠١ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: (يَخْرُجُ شَابٌّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ بِكَفِّهِ الْيُمْنَى خَالٌ مِنْ خُرَاسَانَ بِرَايَاتٍ سُودٍ بَيْنَ يَدَيْهِ شُعَيْبُ بْنُ صَالِحٍ، يُقَاتِلُ أَصْحَابَ السُّفْيَانِيِّ فَيَهْزِمُهُمْ).
- ٩٠٢ عَنْ كَعْبِ بْنِ عَلْقَمَةَ، عَنْ سُفْيَانَ الْكَلْبِيِّ، قَالَ: (يَخْرُجُ عَلَى لِوَاءِ الْمَهْدِيِّ غُلَامٌ حَدِيثُ السِّنِّ خَفِيفُ اللِّحْيَةِ أَصْفَرُ) وَلَمْ يَذْكُرِ الْوَلِيدُ: أَصْفَرُ (لَوْ قَاتَلَ الْجِبَالَ لَهَزَّهَا) وَقَالَ الْوَلِيدُ: (لَهَدَّهَا حَتَّى يَنْزِلَ إِيلِيَاءَ).
- ٩٠٣ قَالَ: «إِذَا مَلَكَ رَجُلٌ الشَّامَ، وَآخَرُ مِصْرَ، فَاقْتَتَلَ الشَّامِيُّ وَالْمِصْرِيُّ، وَسَبَى أَهْلُ الشَّامِ قَبَائِلَ مِنْ مِصْرَ، وَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمَشْرِقِ بِرَايَاتٍ سُودٍ صِغَارٍ قَبْلَ صَاحِبِ الشَّامِ، فَهُوَ الَّذِي يُؤَدِّي الطَّاعَةَ إِلَى الْمَهْدِيِّ» قَالَ أَبُو قَبِيلٍ: يَكُونُ بِإِفْرِيقِيَّةَ أَمِيرًا اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ بَعْدَهُ فِتْنَةٌ، ثُمَّ يَمْلُكُ رَجُلٌ أَسْمَرُ يَمْلَؤُهَا عَدْلًا، ثُمَّ يَسِيرُ إِلَى الْمَهْدِيِّ فَيُؤَدِّي إِلَيْهِ الطَّاعَةَ وَيُقَاتِلُ عَنْهُ.



- ٩٠٧ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: (تَخْرُجُ رَايَاتٌ سُودٌ تُقَاتِلُ السُّفْيَانِيَّ، فِيهِمْ شَابٌّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فِي كَتِفِهِ الْيُسْرَى خَالٌ، وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُدْعَى شُعَيْبَ بْنَ صَالِحٍ، فَيَهْزِمُ أَصْحَابَهُ).
- ٩١٤عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: (يَلْتَقِي السُّفْيَانِيُّ وَالرَّايَاتُ السُّودُ، فِيهِمْ شَابٌّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فِي كَفِّهِ الْيُسْرَى خَالٌ، وَعَلَى مُقَدِّمَتِهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ شُعَيْبُ بْنُ صَالِحٍ بِبَابِ إِصْطَخْرَ، فَتكُونُ بَيْنَهُمْ مَلْحَمَةٌ عَظِيمَةٌ، فَتَظْهَرُ الرَّايَاتُ السُّودُ، وَتَهْرُبُ خَيْلُ السُّفْيَانِيِّ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَمَنَّى النَّاسُ الْمَهْدِيَّ وَيَطْلُبُونَهُ).
- ٩١٥ عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ، وَرَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، وَضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ، وَمَشَايِخِهِمْ قَالُوا: (يَبْعَثُ السُّفْيَانِيُّ خَيْلَهُ وَجُنُودَهُ، فَيَبْلُغُ عَامَّةَ الشَّرْقِ مِنْ أَرْضِ خُرَاسَانَ وَأَرْضِ فَارِسَ، فَيَثُورُ بِهِمْ أَهْلُ الْمَشْرِقِ فَيُقَاتِلُونَهُمْ، وَيَكُونُ بَيْنَهُمْ وَقَعَاتٌ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، فَإِذَا طَالَ عَلَيْهِمْ قِتَالُهُمْ إِيَّاهُ بَايَعُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ فِي آخِرِ الشَّرْقِ، فَيَخْرُجُ بِأَهْلِ خُرَاسَانَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ مَوْلًى لَهُمْ أَصْفَرُ قَلِيلُ اللِّحْيَةِ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ فِي خَمْسَةِ آلَافٍ، إِذَا بَلَغَهُ خُرُوجُهُ فَيُبَايِعُهُ، فَيُصَيِّرُهُ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ، لَوِ اسْتَقْبَلَتْهُ الْجِبَالُ الرَّوَاسِي لَهَدَّهَا، فَيَلْتَقِي هُوَ وَخَيْلُ السُّفْيَانِيِّ فَيَهْزِمُهُمْ وَيَقْتُلُ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، ثُمَّ تَكُونُ الْغَلَبَةُ لِلسُّفْيَانِيِّ وَيَهْرُبُ الْهَاشِمِيُّ، وَيَخْرُجُ شُعَيْبُ بْنُ صَالِحٍ مُخْتَفِيًا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، يُوَطِّئُ لِلْمَهْدِيِّ مَنْزِلَهُ إِذَا بَلَغَهُ خُرُوجُهُ إِلَى الشَّامِ).
- ٩١٦ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ هذا الْهَاشِمِيَّ، أَخُو الْمَهْدِيِّ لِأَبِيهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ ابْنُ عَمِّهِ.
- ٩١٧ قَالَ الْوَلِيدُ: (وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ لَا يَمُوتُ وَلَكِنَّهُ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ يَخْرُجُ إِلَى مَكَّةَ، فَإِذَا ظَهَرَ الْمَهْدِيُّ خَرَجَ مَعَهُ).
- ٩٢٠ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ رَجُلٌ قَبْلَ الْمَهْدِيِّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ بِالْمَشْرِقِ، يَحْمِلُ السَّيْفَ عَلَى عَاتِقِهِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، يَقْتُلُ وَيُمَثِّلُ وَيَتَوَجَّهُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَلَا يَبْلُغُهُ حَتَّى يَمُوتَ».



- ٩٢١ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: «تَنْزِلُ الرَّايَاتُ السُّودُ الَّتِي تُقْبِلُ مِنْ خُرَاسَانَ الْكُوفَةَ، فَإِذَا ظَهَرَ الْمَهْدِيُّ بِمَكَّةَ بُعِثَ بِالْبَيْعَةِ إِلَى الْمَهْدِيِّ».
- ٩٢٢ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: «يَكْتُبُ السُّفْيَانِيُّ إِلَى الَّذِي دَخَلَ الْكُوفَةَ بِخَيْلِهِ بَعْدَمَا يَعْرِكُهَا عَرْكَ الْأَدِيمِ، يَأْمُرُهُ بِالسَّيْرِ إِلَى الْحِجَازِ، فَيَسِيرُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَيَضَعُ السَّيْفَ فِي قُرَيْشٍ، فَيَقْتُلُ مِنْهُمْ وَمِنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَمِائَةِ رَجُلٍ، وَيَبْقُرُ الْبُطُونَ، وَيَقْتُلُ الْوِلْدَانَ، وَيَقْتُلُ أَخَوَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، رَجُلًا وَأُخْتَهُ يُقَالُ لَهُمَا مُحَمَّدٌ وَفَاطِمَةُ، وَيَصْلِبُهُمَا عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ بِالْمَدِينَةِ».
- ٩٢٣ عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: «يَبْعَثُ بِجَيْشٍ إِلَى الْمَدِينَةِ فَيَأْخُذُونَ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيُقْتَلُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَهْرُبُ الْمَهْدِيُّ وَالْمُبَيَّضُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، فَيَبْعَثُ فِي طَلَبِهِمَا، وَقَدْ لَحِقَا بِحَرَمِ اللهِ وَأَمْنِهِ».
- ٩٣٢ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه قَالَ: «تَكُونُ بِالْمَدِينَةِ وَقْعَةٌ تَغْرَقُ فِيهَا أَحْجَارُ الزَّيْتِ، مَا الْحَرَّةُ عِنْدَهَا إِلَّا كَضَرْبَةِ سَوْطٍ، فَيَتَنَحِّي عَنِ الْمَدِينَةِ قَدْرَ بَرِيدَيْنِ، ثُمَّ يُبَايِعُ إِلَى الْمَهْدِيِّ».
- ٩٣٤ عَنْ حَنَشِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ، رضي الله عنه يَقُولُ: (يَبْعَثُ صَاحِبُ الْمَدِينَةِ إِلَى الْهَاشِمِيِّينَ بِمَكَّةَ جَيْشًا فَيَهْزِمُونَهُمْ، فَيَسْمَعُ بِذَلِكَ الْخَلِيفَةُ بِالشَّامِ، فَيَقْطَعُ إِلَيْهِمْ بَعْثًا فِيهِمْ سِتُّمِائَةِ عَرِيفٍ، فَإِذَا أَتَوُا الْبَيْدَاءَ فَنَزَلُوهَا فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ أَقْبَلَ رَاعٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَعْجَبُ وَيَقُولُ: يَا وَيْحَ أَهْلِ مَكَّةَ، مَا أَصَابَهُمْ؟ فَيَنْصَرِفُ إِلَى غَنَمِهِ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَلَا يَرَى أَحَدًا، فَإِذَا هُمْ قَدْ خُسِفَ بِهِمْ، فَيَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ، ارْتَحَلُوا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَيَأْتِي مَنْزِلَهُمْ فَيَجِدُ قَطِيفَةً قَدْ خُسِفَ بِبَعْضِهَا، وَبَعْضُهَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، فَيُعَالِجُهَا فَلَا يُطِيقُهَا، فَيَعْرِفُ أَنَّهُ قَدْ خُسِفَ بِهِمْ، فَيَنْطَلِقُ إِلَى صَاحِبِ مَكَّةَ فَيُبَشِّرُهُ، فَيَقُولُ صَاحِبُ مَكَّةَ: الْحَمْدُ للهِ، هَذِهِ الْعَلَامَةُ الَّتِي كُنْتُمْ تُخْبَرُونَ، فَيَسِيرُونَ إِلَى الشَّامِ).
- ٩٣٥ عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ تُبَيْعٍ، قَالَ: (سَيَعُوذُ بِمَكَّةَ عَائِذٌ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِمْ، ثُمَّ يَعُوذُ عَائِذٌ آخَرُ، فَإِنْ أَدْرَكْتَهُ فَلَا تَغْزُوَنَّهُ، فَإِنَّهُ جَيْشُ الْخَسْفِ).



- ٩٣٧ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: (سَيَكُونُ عَائِذٌ بِمَكَّةَ، يُبْعَثُ إِلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفًا، عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا الثَّنِيَّةَ دَخَلَ آخِرُهُمْ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا أَوَّلُهُمْ، نَادَى جِبْرِيلُ: بَيْدَاءُ، يَا بَيْدَاءُ يَا بَيْدَاءُ، يَسْمَعُ مَشَارِقُهَا وَمَغَارِبُهَا، خُذِيهِمْ فَلَا خَيْرَ فِيهِمْ، فَلَا يَظْهَرُ عَلَى هَلَاكِهِمْ إِلَّا رَاعِي غَنَمٍ فِي الْجَبَلِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ حِينَ سَاخُوا، فَيُخْبِرُهُمْ فَإِذَا سَمِعَ الْعَائِذُ بِهِمْ خَرَجَ).
- ٩٣٨ عن ذِي قَرَنَاتٍ قَالَ: (فَإِذَا بَلَغَ السُّفْيَانِيَّ الَّذِي بِمِصْرَ بَعْثَ جَيْشًا إِلَى الَّذِي بِمَكَّةَ، فَيُخْرِبُونَ الْمَدِينَةَ أَشَدَّ مِنَ الْحَرَّةِ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا الْبَيْدَاءَ خُسِفَ بِهِمْ).
- ٩٤٥ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ أَبُو عُثْمَانَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: (إِذَا بَلَغَ السُّفْيَانِيَّ قَتْلُ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ، وَهُوَ الَّذِي كَتَبَ عَلَيْهِ، فَهَرَبَ عَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ حَرَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حَرَمِ اللهِ تَعَالَى بِمَكَّةَ، فَإِذَا بَلَغَهُ ذَلِكَ بَعَثَ جُنْدًا إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ، حَتَّى إِذَا بَلَغُوا الْبَيْدَاءَ خُسِفَ بِهِمْ، وَيَنْفَلِتُ أَمِيرُهُمْ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ مِنْ مَذْحِجٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مِنْ كَلْبٍ).
- ٩٤٧ عَنْ أَبِي قَبِيلٍ، قَالَ: (لَا يَفْلِتُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ، فَأَمَّا الْبَشِيرُ فَإِنَّهُ يَأْتِي الْمَهْدِيَّ بِمَكَّةَ وَأَصْحَابَهُ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَيَكُونُ شَاهِدَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ قَدْ حُوِّلَ وَجْهُهُ فِي قَفَاهُ، فَيُصَدِّقُونَهُ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ تَحْوِيلِ وَجْهِهِ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خُسِفَ بِهِمْ، وَالثَّانِي مِثْلُ ذَلِكَ قَدْ حُوِّلَ وَجْهُهُ إِلَى قَفَاهُ، يَأْتِي السُّفْيَانِيَّ فَيُخْبِرُهُ بِمَا أُنْزِلَ بِأَصْحَابِهِ فَيُصَدِّقُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ لِمَا يَرَى فِيهِ مِنَ الْعَلَامَةِ، وَهُمَا رَجُلَانِ مِنْ كَلْبٍ).
- ٩٥١ عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «لَا يَخْرُجُ الْمَهْدِيُّ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ آيَةً».
- ٩٥٢ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (عَلَامَةُ خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ أَلْوِيَةٌ تُقْبِلُ مِنَ الْمَغْرِبِ، عَلَيْهَا رَجُلٌ أَعْرَجُ مِنْ كِنْدَةَ).
- ٩٥٣ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه قَالَ: «يَخْرُجُ السُّفْيَانِيُّ وَالْمَهْدِيُّ كَفَرَسَيْ رِهَانٍ، فَيَغْلِبُ السُّفْيَانِيُّ عَلَى مَا يَلِيهِ، وَالْمَهْدِيُّ عَلَى مَا يَلِيهِ».
- ٩٥٦ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: (لَا يَخْرُجُ السُّفْيَانِيُّ حَتَّى تَرْقَى الظُّلْمَةُ).

- ٩٥٧ عَنْ مَطَرٍ الْوَرَّاقِ، قَالَ: (لَا يَخْرُجُ الْمَهْدِيُّ حَتَّى يُكْفَرَ بِالله جَهْرَةً).
- ٩٦٣ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، رضي الله عنه قَالَ: (عَلَامَةُ الْمَهْدِيِّ إِذَا انْسَابَ عَلَيْكُمُ التُّرْكُ، وَمَاتَ خَلِيفَتُكُمُ الَّذِي يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ، وَيُسْتَخْلَفُ بَعْدَهُ ضَعِيفٌ فَيُخْلَعُ بَعْدَ سَنَتَيْنِ مِنْ بَيْعَتِهِ، وَيُخْسَفُ بِغَرْبِيِّ مَسْجِدِ دِمَشْقَ، وَخُرُوجُ ثَلَاثَةِ نَفَرٍ بِالشَّامِ، وَخُرُوجُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ إِلَى مِصْرَ، وَتِلْكَ أَمَارَةُ السُّفْيَانِيِّ).
- ٩٦٥ عَنْ عَلِيٍّ، رضي الله عنه قَالَ: (إِذَا نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: إِنَّ الْحَقَّ فِي آلِ مُحَمَّدٍ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَظْهَرُ الْمَهْدِيُّ عَلَى أَفْوَاهِ النَّاسِ، وَيُشْرَبُونَ حُبَّهُ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ ذِكْرٌ غَيْرُهُ).
- ٩٧٠ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «تَدُومَ الْفِتْنَةُ الرَّابِعَةُ اثْنَيْ عَشَرَ عَامًا، تَنْجَلِي حِينَ تَنْجَلِي وَقَدِ انْحَسَرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَيُقْتَلُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ تِسْعَةٍ سَبْعَةٌ».
- ٩٧١ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: « يَكُونُ نَاحِيَةَ الْفُرَاتِ فِي نَاحِيَةِ الشَّامِ أَوْ بَعْدَهَا بِقَلِيلٍ مُجْتَمَعٌ عَظِيمٌ فَيَقْتَتِلُونَ عَلَى الْأَمْوَالِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ تِسْعَةٍ سَبْعَةٌ، وَذَاكَ بَعْدَ الْهَدَّةِ وَالْوَاهِيَةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَبَعْدَ افْتِرَاقِ ثَلَاثِ رَايَاتٍ، يَطْلُبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الْمُلْكَ لِنَفْسِهِ، فِيهِمْ رَجُلٌ اسْمُهُ عَبْدُ الله».
- ٩٧٢ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ ضِرَارِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي فَرْوَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «الْفِتْنَةُ الرَّابِعَةُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا، ثُمَّ تَنْجَلِي حِينَ تَنْجَلِي وَقَدِ انْحَسَرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، تَكُبُّ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ، فَيُقْتَلُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ تِسْعَةٍ سَبْعَةٌ»(١).
- ٩٧٤ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: (يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَلَا إِنَّ الْحَقَّ فِي آلِ مُحَمَّدٍ، وَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ الْأَرْضِ: أَلَا إِنَّ الْحَقَّ فِي آلِ عِيسَى، أَوْ قَالَ الْعَبَّاسُ): أَنَا أَشُكُّ فِيهِ، (وَإِنَّمَا الصَّوْتُ الْأَسْفَلُ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُلْبِسَ عَلَى النَّاسِ) شَكَّ أَبُو عَبْدِ الله نُعَيْمٌ.

---

(١) أحاديث انحسار الفرات عن جبل من ذهب: صحيحة ثابتة في الصحيحين وغيرهما، إلا أن أسانيد ابن حماد ضعيفة.

- ٩٧٥ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ شَيْخٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: (يُؤَمَّرُ مِنْ آلِ أَبِي سُفْيَانَ الثَّانِي أَمِيرًا عَلَى الْمَوْسِمِ، وَيَبْعَثُ مَعَهُ بَعْثًا، فَإِذَا كَانُوا بِالْمَوْسِمِ سَمِعُوا مُنَادِيًا مِنَ السَّمَاءِ: أَلَا إِنَّ الْأَمِيرَ فُلَانٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ الْأَرْضِ: كَذَبَ، وَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: صَدَقَ، فَيَطُولُ ذَلِكَ فَلَا يَدْرُونَ أَيَّهُمَا يَتَّبِعُونَ، وَإِنَّمَا يُصَدِّقُ مَنْ فِي السَّمَاءِ الصَّوْتَ الثَّانِي الَّذِي يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ ذَلِكَ فَاعْلَمُوا أَنَّ كَلِمَةَ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَكَلِمَةُ الشَّيْطَانِ هِيَ السُّفْلَى).
- ٩٧٧ عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: (تَكُونُ فِتْنَةٌ بِالشَّامِ، كَأَنَّ أَوَّلَهَا لَعِبُ الصِّبْيَانِ، ثُمَّ لَا يَسْتَقِيمُ أَمْرُ النَّاسِ عَلَى شَيْءٍ، وَلَا تَكُونُ لَهُمْ جَمَاعَةٌ حَتَّى يُنَادِيَ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: عَلَيْكُمْ بِفُلَانٍ، وَتَطْلُعُ كَفٌّ تُشِيرُ).
- ٩٨٤ عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: (إِذَا الْتَقَى السُّفْيَانِيُّ وَالْمَهْدِيُّ لِلْقِتَالِ يَوْمَئِذٍ يُسْمَعُ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ أَصْحَابُ فُلَانٍ)، يَعْنِي الْمَهْدِيَّ قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَقَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ: إِنَّ أَمَارَةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ كَفًّا مِنَ السَّمَاءِ مُدَلَّاةً يَنْظُرُ إِلَيْهَا النَّاسُ.
- ٩٩٠ عَنْ أَبَانَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ، رضي الله عنه يَقُولُ: (يَبْعَثُ اللهُ تَعَالَى الْمَهْدِيَّ بَعْدَ إِيَاسٍ، وَحَتَّى يَقُولَ النَّاسُ: لَا مَهْدِيَّ، وَأَنْصَارُهُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، عِدَّتُهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا، عِدَّةُ أَصْحَابِ بَدْرٍ، يَسِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الشَّامِ حَتَّى يَسْتَخْرِجُوهُ مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ مِنْ دَارٍ عِنْدَ الصَّفَا، فَيُبَايِعُونَهُ كُرْهًا، فَيُصَلِّي بِهِمْ رَكْعَتَيْنِ صَلَاةَ الْمُسَافِرِ عِنْدَ الْمَقَامِ، ثُمَّ يَصْعَدُ الْمِنْبَرَ).
- ٩٩١ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه قَالَ: «يُبَايِعُ الْمَهْدِيُّ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَلَا يُهْرِيقُ دَمًا»
- ٩٩٢ عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: (يُنَادِي تِلْكَ السَّنَةَ مُنَادِيَانِ: مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَلَا إِنَّ الْأَمِيرَ فُلَانٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ الْأَرْضِ: كَذَبَ، فَيَقْتَتِلُ أَنْصَارُ الصَّوْتِ الْأَسْفَلِ حَتَّى أَنَّ أُصُولَ الشَّجَرِ لَتُخْضَبُ دَمًا، وَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي -قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو- جَيْشٌ يُسَمَّى جَيْشُ الْبَرَاذِعِ، يَشُقُّونَ الْبَرَاذِعَ فَيَتَّخِذُونَهَا مِجَانًا -قَالَ- فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى مِنْ أَنْصَارِ ذَلِكَ الصَّوْتِ إِلَّا عِدَّةُ أَهْلِ



بَدْرٍ، ثَلَاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَيُنْصَرُونَ ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ إِلَى صَاحِبِهِمْ، فَيَجِدُونَهُ مُلْصِقًا ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ، تَرْعَدُ فَرَائِصُهُ، يَتَعَوَّذُ بِالله مِنْ شَرِّ مَا يَدْعُونَهُ إِلَيْهِ، فَيُكْرِهُونَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ، وَيَرْجِعُ أَنْصَارُ الصَّوْتِ الْأَسْفَلِ إِلَى الشَّامِ، فَيَقُولُونَ: قَاتَلْنَا قَوْمًا مَا رَأَيْنَا مِثْلَهُمْ قَطُّ، وَإِنَّمَا هُمْ شِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ).

- ٩٩٣ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: «أَمَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ مَعًا، وَيَحُجُّونَ مَعًا، وَيُعَرِّفُونَ مَعًا، وَيُضَحُّونَ مَعًا، ثُمَّ تَهِيجُ كَالْكَلْبِ، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى تَسِيلَ الْعَقَبَةُ دَمًا، وَحَتَّى يَرَى الْبَرِيءُ أَنَّ بَرَاءَتَهُ لَنْ تُنْجِيَهُ، وَيَرَى الْمُعْتَزِلُ أَنَّ اعْتِزَالَهُ لَنْ يَنْفَعَهُ، ثُمَّ يَسْتَكْرِهُونَ رَجُلًا شَابًّا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ بِالرُّكْنِ، تَرْعَدُ فَرَائِصُهُ، يُقَالُ لَهُ الْمَهْدِيُّ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ الْمَهْدِيُّ فِي السَّمَاءِ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ فَلْيَتَّبِعْهُ»

- ٩٩٦ عَنْ عَلِيٍّ، رضي الله عنه قَالَ: (إِذَا هَزَمَتِ الرَّايَاتُ السُّودُ خَيْلَ السُّفْيَانِيِّ الَّتِي فِيهَا شُعَيْبُ بْنُ صَالِحٍ، تَمَنَّى النَّاسُ الْمَهْدِيَّ، فَيَطْلُبُونَهُ فَيَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ وَمَعَهُ رَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَئِسَ النَّاسُ مِنْ خُرُوجِهِ لَمَّا طَالَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ انْصَرَفَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَحَّ الْبَلَاءُ بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وبِأَهْلِ بَيْتِهِ خَاصَّةً قُهِرْنَا وَبُغِيَ عَلَيْنَا).

- ٩٩٧ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رضي الله عنه قَالَ: «يَخْرُجُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى مَكَّةَ مِنْ جَيْشِ السُّفْيَانِيِّ، مَنْظُورٌ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا بَلَغَهُمُ الْخَسْفُ اجْتَمَعُوا بِمَكَّةَ لِأُولَئِكَ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْبِلَادِ، فَيُبَايِعُ أَحَدُهُمْ كُرْهًا» .

- ٩٩٩ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، قَالَ: (ثُمَّ يَظْهَرُ الْمَهْدِيُّ بِمَكَّةَ عِنْدَ الْعِشَاءِ وَمَعَهُ رَايَةُ رَسُولِ الله ﷺ وَقَمِيصُهُ وَسَيْفُهُ، وَعَلَامَاتٌ وَنُورٌ وَبَيَانٌ، فَإِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَقُولُ: أُذَكِّرُكُمُ الله أَيُّهَا النَّاسُ، وَمَقَامَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّكُمْ، فَقَدِ اتَّخَذَ الْحُجَّةَ، وَبَعَثَ الْأَنْبِيَاءَ، وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ، وَأَمَرَكُمْ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تُحَافِظُوا عَلَى طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَأَنْ تُحْيُوا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ، وَتُمِيتُوا مَا أَمَاتَ، وَتَكُونُوا أَعْوَانًا عَلَى الْهُدَى، وَوِزْرًا عَلَى التَّقْوَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ دَنَا فَنَاؤُهَا وَزَوَالُهَا، وَأَذِنَتْ بِالْوَدَاعِ، فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى الله، وَإِلَى رَسُولِهِ، وَالْعَمَلِ بِكِتَابِهِ، وَإِمَاتَةِ

الْبَاطِلِ، وَإِحْيَاءِ سُنَّتِهِ، فَيَظْهَرُ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، عِدَّةُ أَهْلِ بَدْرٍ، عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ قَرْعًا كَقَرْعِ الْخَرِيفِ، رُهْبَانٌ بِاللَّيْلِ، أُسْدٌ بِالنَّهَارِ، فَيَفْتَحُ الله لِلْمَهْدِيِّ أَرْضَ الْحِجَازِ، وَيَسْتَخْرِجُ مَنْ كَانَ فِي السِّجْنِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَتَنْزِلُ الرَّايَاتُ السُّودُ الْكُوفَةَ، فَيُبْعَثُ بِالْبَيْعَةِ إِلَى الْمَهْدِيِّ، وَيَبْعَثُ الْمَهْدِيُّ جُنُودَهُ فِي الْآفَاقِ، وَيُمِيتُ الْجَوْرَ وَأَهْلَهُ، وَتَسْتَقِيمُ لَهُ الْبُلْدَانُ، وَيَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيْهِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ).

- ١٠٠٠ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، ﵁ قَالَ: (إِذَا انْقَطَعَتِ التِّجَارَاتُ وَالطُّرُقُ، وَكَثُرَتِ الْفِتَنُ، خَرَجَ سَبْعَةُ رِجَالٍ عُلَمَاءُ مِنْ أُفُقٍ شَتَّى، عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، يُبَايِعُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، حَتَّى يَجْتَمِعُوا بِمَكَّةَ، فَيَلْتَقِي السَّبْعَةُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا فِي طَلَبِ هذا الرَّجُلِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَهْدَأَ عَلَى يَدَيْهِ هَذِهِ الْفِتَنُ، وَتُفْتَحُ لَهُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، قَدْ عَرَفْنَاهُ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَحِلْيَتِهِ، فَيَتَّفِقُ السَّبْعَةُ عَلَى ذَلِكَ، فَيَطْلُبُونَهُ فَيُصِيبُونَهُ بِمَكَّةَ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ؟ فَيَقُولُ: لَا، بَلْ أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، حَتَّى يَفْلِتَ مِنْهُمْ، فَيَصِفُونَهُ لِأَهْلِ الْخِبْرَةِ وَالْمَعْرِفَةِ بِهِ، فَيُقَالُ: هُوَ صَاحِبُكُمُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ، وَقَدْ لَحِقَ بِالْمَدِينَةِ، فَيَطْلُبُونَهُ بِالْمَدِينَةِ فَيُخَالِفُهُمْ إِلَى مَكَّةَ، فَيَطْلُبُونَهُ بِمَكَّةَ فَيُصِيبُونَهُ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، وَأُمُّكَ فُلَانَةُ بِنْتُ فُلَانٍ، وَفِيكَ آيَةُ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ أَفْلَتَّ مِنَّا مَرَّةً، فَمُدَّ يَدَكَ نُبَايِعْكَ؟ فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِكُمْ، أَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ الْأَنْصَارِيُّ، مُرُّوا بِنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى صَاحِبِكُمْ، حَتَّى يَفْلِتَ مِنْهُمْ، فَيَطْلُبُونَهُ بِالْمَدِينَةِ فَيُخَالِفُهُمْ إِلَى مَكَّةَ، فَيُصِيبُونَهُ بِمَكَّةَ عِنْدَ الرُّكْنِ، فَيَقُولُونَ: إِثْمُنَا عَلَيْكَ، وَدِمَاؤُنَا فِي عُنُقِكَ إِنْ لَمْ تَمُدَّ يَدَكَ نُبَايِعْكَ، هذا عَسْكَرُ السُّفْيَانِيِّ قَدْ تَوَجَّهَ فِي طَلَبِنَا، عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ جَرْمٍ، فَيَجْلِسُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، فَيَمُدُّ يَدَهُ فَيُبَايَعُ لَهُ، وَيُلْقِي الله مَحَبَّتَهُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، فَيَسِيرُ مَعَ قَوْمٍ أُسْدٌ بِالنَّهَارِ، رُهْبَانٌ بِاللَّيْلِ).
- ١٠٠٢ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: (إِذَا سَمِعَ الْعَائِذُ الَّذِي بِمَكَّةَ بِالْخَسْفِ خَرَجَ مَعَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، فِيهِمُ الْأَبْدَالُ، حَتَّى يَنْزِلُوا إِيلِيَاءَ، فَيَقُولُ الَّذِي بَعَثَ الْجَيْشَ حِينَ يَبْلُغُهُ الْخَبَرُ بِإِيلِيَاءَ: لَعَمْرُو الله لَقَدْ جَعَلَ الله فِي هذا الرَّجُلِ عِبْرَةً، بَعَثْتُ إِلَيْهِ مَا بَعَثْتُ فَسَاخُوا فِي الْأَرْضِ، إِنَّ هذا

لَعِبْرَةٌ وَبَصِيرَةٌ، وَيُؤَدِّي إِلَيْهِ السُّفْيَانِيُّ الطَّاعَةَ، ثُمَّ يَخْرُجُ حَتَّى يَلْقَى كَلْبًا وَهُمْ أَخْوَالُهُ، فَيُعَيِّرُونَهُ بِمَا صَنَعَ وَيَقُولُونَ: كَسَاكَ اللهُ قَمِيصًا فَخَلَعْتَهُ؟ فَيَقُولُ: مَا تَرَوْنَ، أَسْتَقِيلُهُ الْبَيْعَةَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَأْتِيهِ إِلَى إِيلِيَاءَ فَيَقُولُ: أَقِلْنِي، فَيَقُولُ: إِنِّي غَيْرُ فَاعِلٍ، فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ لَهُ: أَتُحِبُّ أَنْ أَقِيلَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، ثُمَّ يَقُولُ: هذا رَجُلٌ قَدْ خَلَعَ طَاعَتِي، فَيَأْمُرُ بِهِ عِنْدَ ذَلِكَ فَيُذْبَحُ عَلَى بَلَاطَةِ إِيلِيَاءَ، ثُمَّ يَسِيرُ إِلَى كَلْبٍ، فَالْخَائِبُ مَنْ خَابَ يَوْمَ نَهْبِ كَلْبٍ).

- ١٠٠٨ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَدِّثٌ، أَنَّ: (الْمَهْدِيَّ، وَالسُّفْيَانِيَّ، وَكَلْبًا، يَقْتَتِلُونَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حِينَ يَسْتَقِيلُهُ الْبَيْعَةَ، فَيُؤْتَى بِالسُّفْيَانِيِّ أَسِيرًا، فَيُأْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ عَلَى بَابِ الرَّحْمَةِ، ثُمَّ تُبَاعُ نِسَاؤُهُمْ وَغَنَائِمُهُمْ عَلَى دَرَجِ دِمَشْقَ).
- ١٠١٦ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه قَالَ: (يُبَايِعُ الْمَهْدِيَّ سَبْعَةُ رِجَالٍ عُلَمَاءُ تَوَجَّهُوا إِلَى مَكَّةَ مِنْ أُفُقٍ شَتَّى عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، قَدْ بَايَعَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَيَجْتَمِعُونَ بِمَكَّةَ فَيُبَايِعُونَهُ، وَيَقْذِفُ اللهُ مَحَبَّتَهُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، فَيَسِيرُ بِهِمْ وَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَى الَّذِينَ بَايَعُوا خَيْلَ السُّفْيَانِيِّ، عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ جَرْمٍ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ خَلْفَ أَصْحَابِهِ وَمَشَى فِي إِزَارٍ وَرِدَاءٍ حَتَّى يَأْتِيَ الْجَرْمِيُّ، فَيُبَايِعُ لَهُ، فَيُنَدِّمُهُ كَلْبٌ عَلَى بَيْعَتِهِ، فَيَأْتِيهِ فَيَسْتَقِيلُهُ الْبَيْعَةَ فَيُقِيلُهُ، ثُمَّ يُعَبِّئُ جُيُوشَهُ لِقِتَالِهِ فَيَهْزِمُهُ، وَيَهْزِمُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ الرُّومَ، وَيُذْهِبُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ الْفِتَنَ، وَيَنْزِلُ الشَّامَ).
- ١٠١٧ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (إِذَا رَأَيْتَ خَلِيفَةً بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَآخَرَ دُونَهُ، يَعْنِي بِدِمَشْقَ، فَلَا تَتْبَعِ الَّذِي دُونَهُ، فَإِنَّهُ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ).
- ١٠١٩ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْقُدُّوسِ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَشْيَاخُنَا، قَالَ: (السُّفْيَانِيُّ هُوَ الَّذِي يَدْفَعُ الْخِلَافَةَ إِلَى الْمَهْدِيِّ).
- ١٠٢٠ عَنْ أَرْطَاةَ، قَالَ: (يَدْخُلُ الصَّخْرِيُّ الْكُوفَةَ، ثُمَّ يَبْلُغُهُ ظُهُورُ الْمَهْدِيِّ بِمَكَّةَ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِ مِنَ الْكُوفَةِ بَعْثًا، فَيُخْسَفُ بِهِ فَلَا يَنْجُو مِنْهُمْ إِلَّا بَشِيرٌ إِلَى الْمَهْدِيِّ، وَنَذِيرٌ يُنْذِرُ الصَّخْرِيَّ، فَيُقْبِلُ الْمَهْدِيُّ مِنْ مَكَّةَ، وَالصَّخْرِيُّ مِنَ الْكُوفَةِ نَحْوَ الشَّامِ، كَأَنَّهُمَا فَرَسَا رِهَانٍ، فَيَسْبِقُهُ الصَّخْرِيُّ،



فَيَقْطَعُ بَعْثًا آخَرَ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْمَهْدِيِّ، فَيَلْقَوْنَ الْمَهْدِيَّ بِأَرْضِ الْحِجَازِ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْعَةَ الْهُدَى، وَيُقْبِلُونَ مَعَهُ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى حَدِّ الشَّامِ الَّذِي بَيْنَ الشَّامِ وَالْحِجَازِ، فَيُقِيمُ بِهَا، وَيُقَالُ لَهُ: انْفُذْ، فَيَكْرَهُ الْحِجَازَ وَيَقُولُ: أَكْتُبُ إِلَى ابْنِ عَمِّي، فَإِنْ يَخْلَعْ طَاعَتَهُ فَأَنَا صَاحِبُكُمْ، فَإِذَا وَصَلَ الْكِتَابُ إِلَى الصَّخْرِيِّ سَلَّمَ لَهُ وَبَايَعَ، وَسَارَ الْمَهْدِيُّ حَتَّى يَنْزِلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَلَا يَتْرُكُ الْمَهْدِيُّ بِيَدِ رَجُلٍ مِنَ الشَّامِ فِتْرًا مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا رَدَّهَا عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَرَدَّ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا إِلَى الْجِهَادِ، فَيَمْكُثُ فِي ذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ، ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ يُقَالُ لَهُ كِنَانَةُ، يُعِينُهُ كَوْكَبٌ فِي رَهْطٍ مِنْ قَوْمِهِ، حَتَّى يَأْتِيَ الصَّخْرِيُّ فَيَقُولُ: بَايَعْنَاكَ وَنَصَرْنَاكَ حَتَّى إِذَا مَلَكْتَ بَايَعْتَ عَدُوَّنَا؟ لَتَخْرُجَنَّ فَلْتُقَاتِلَنَّ، فَيَقُولُ: فِيمَنْ أَخْرُجُ؟ فَيَقُولُ: لَا يَبْقَى عَامِرِيَّةٌ أُمُّهَا أَكْبَرُ مِنْكَ إِلَّا لَحِقَتْكَ، وَلَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ ذَاتُ خُفٍّ وَلَا ظِلْفٍ، فَيَرْحَلُ وَتَرْحَلُ مَعَهُ عَامِرٌ بِأَسْرِهَا، حَتَّى يَنْزِلَ بَيْسَانَ، وَيُوَجِّهُ إِلَيْهِمُ الْمَهْدِيُّ رَايَةً، وَأَعْظَمُ رَايَةٍ فِي زَمَانِ الْمَهْدِيِّ مِائَةُ رَجُلٍ، فَيَنْزِلُونَ عَلَى فَاثُورِ إِبْرَاهِيمَ، فَتَصِفُ كَلْبٌ خَيْلَهَا وَرِجَالَهَا وَإِبِلَهَا وَغَنَمَهَا، فَإِذَا تَشَامَّتِ الْخُيَلَانُ، وَلَّتْ كَلْبٌ أَدْبَارَهَا، وَأُخِذَ الصَّخْرِيُّ فَيُذْبَحُ عَلَى الصَّفَا الْمُعْتَرِضَةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ عِنْدَ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَطْنِ الْوَادِي عَلَى طَرَفِ دَرَجِ طُورِ زِيتَا، الْقَنْطَرَةِ الَّتِي عَلَى يَمِينِ الْوَادِي عَلَى الصَّفَا الْمُعْتَرِضَةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، عَلَيْهَا يُذْبَحُ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ، فَالْخَائِبُ مَنْ خَابَ يَوْمَ كَلْبٍ، حَتَّى تُبَاعَ الْجَارِيَةُ الْعَذْرَاءُ بِثَمَانِيَةِ دَرَاهِمَ).

- ١٠٢٢ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (الْمَهْدِيُّ يُبْعَثُ بِقِتَالِ الرُّومِ، يُعْطَى فِقْهَ عَشَرَةٍ، يَسْتَخْرِجُ تَابُوتَ السَّكِينَةِ مِنْ غَارٍ بِأَنْطَاكِيَةَ، فِيهِ التَّوْرَاةُ الَّتِي أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْإِنْجِيلُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَحْكُمُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْرَاةِ بِتَوْرَاتِهِمْ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ).
- ١٠٢٣ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (إِنَّمَا سُمِّيَ الْمَهْدِيَّ لِأَنَّهُ يَهْدِي لِأَمْرٍ خَفِيٍّ، وَيَسْتَخْرِجُ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا أَنْطَاكِيَةُ).

- ١٠٣٠ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (قَادَةُ الْمَهْدِيِّ خَيْرُ النَّاسِ، أَهْلُ نُصْرَتِهِ وَبَيْعَتِهِ مِنْ أَهْلِ كُوفَانَ وَالْيَمَنِ، وَأَبْدَالِ الشَّامِ، مُقَدِّمَتُهُ جِبْرِيلُ، وَسَاقَتُهُ مِيكَائِيلُ، مَحْبُوبٌ فِي الْخَلَائِقِ، يُطْفِئُ الله تَعَالَى الْفِتْنَةَ الْعَمْيَاءَ، وَتَأْمَنُ الْأَرْضُ، حَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ لَتَحُجُّ فِي خَمْسِ نِسْوَةٍ مَا مَعَهُنَّ رَجُلٌ، لَا تَتَّقِي شَيْئًا إِلَّا الله، تُعْطِي الْأَرْضُ زَكَاتَهَا، وَالسَّمَاءُ بَرَكَتَهَا).
- ١٠٣١ عَنْ طَاوُسٍ، قَالَ: (عَلَامَةُ الْمَهْدِيِّ أَنْ يَكُونَ، شَدِيدًا عَلَى الْعُمَّالِ، جَوَادًا بِالْمَالِ، رَحِيمًا بِالْمَسَاكِينِ).
- ١٠٣٥ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (إِنَّمَا سُمِّيَ الْمَهْدِيَّ لِأَنَّهُ يَهْدِي إِلَى أَسْفَارٍ مِنْ أَسْفَارِ التَّوْرَاةِ، يَسْتَخْرِجُهَا مِنْ جِبَالِ الشَّامِ، يَدْعُو إِلَيْهَا الْيَهُودَ، فَيُسْلِمُ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ، ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا).
- ١٠٣٦ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، أَنَّهُ ذَكَرَ فِتْنَةً تَكُونُ، فَقَالَ: «إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَاجْلِسُوا فِي بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْمَعُوا عَلَى النَّاسِ بِخَيْرٍ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما»، قِيلَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، خَيْرٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ قَالَ: «قَدْ كَانَ يَفْضُلُ عَلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ».
- ١٠٤٣ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا، يُحَدِّثُ قَوْمًا فَقَالَ: (الْمَهْدِيُّونَ ثَلَاثَةٌ: مَهْدِيُّ الْخَيْرِ وَهُوَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَمَهْدِيُّ الدَّمِ وَهُوَ الَّذِي تَسْكُنُ عَلَيْهِ الدِّمَاءُ، وَمَهْدِيُّ الدِّينِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، تُسْلِمُ أُمَّتُهُ فِي زَمَانِهِ) .
- ١٠٤٥ عَنْ طَاوُسٍ، قَالَ: (إِذَا كَانَ الْمَهْدِيُّ زِيدَ الْمُحْسِنُ فِي إِحْسَانِهِ، وَتِيبَ عَلَى الْمُسِيءِ مِنْ إِسَاءَتِهِ، وَهُوَ يَبْذُلُ الْمَالَ وَيَشُدُّ عَلَى الْعُمَّالِ، وَيَرْحَمُ الْمَسَاكِينَ).
- ١٠٥٠ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عِيسَى، قَالَ: (قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ عَلَى يَدَيِ الْمَهْدِيِّ يَظْهَرُ تَابُوتُ السَّكِينَةِ مِنْ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، حَتَّى يُحْمَلَ فَيُوضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَإِذَا نَظَرَتْ إِلَيْهِ الْيَهُودُ أَسْلَمَتْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ، ثُمَّ يَمُوتُ الْمَهْدِيُّ).

- ١٠٥٣ عن عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْمَهْدِيُّ يُصْلِحُهُ الله تَعَالَى فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ»[١].
- ١٠٧٢ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حِمْيَرَ، عَنِ الصَّقْرِ بْنِ رُسْتُمَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «الْمَهْدِيُّ رَجُلٌ أَزَجُّ أَبْلَجُ أَعْيَنُ، يَجِيءُ مِنَ الْحِجَازِ حَتَّى يَسْتَوِيَ عَلَى مِنْبَرِ دِمَشْقَ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنة.
- ١٠٧٣ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رضي الله عنه قَالَ: «الْمَهْدِيُّ مَوْلِدُهُ بِالْمَدِينَةِ، مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْمُهُ اسْمُ أَبِي، وَمُهَاجِرُهُ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، أَكْحَلُ الْعَيْنَيْنِ، بَرَّاقُ الثَّنَايَا، فِي وَجْهِهِ خَالٌ، أَقْنَى أَجْلَى، فِي كَتِفِهِ عَلَامَةُ النَّبِيِّ، يَخْرُجُ بِرَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مِرْطٍ مُخْمَلَةٍ سَوْدَاءِ مُرَبَّعَةٍ، فِيهَا حَجَرٌ لَمْ يُنْشَرْ مُنْذُ تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ، وَلَا تُنْشَرُ حَتَّى يَخْرُجَ الْمَهْدِيُّ، يَمُدُّهُ الله بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَضْرِبُونَ وجُوهَ مَنْ خَالَفَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ، يُبْعَثُ وَهُوَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ» .
- ١٠٧٤ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: (هُوَ فَتًى مِنْ قُرَيْشٍ، آدَمُ ضَرْبٌ مِنَ الرِّجَالِ) .
- ١٠٩٥ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، رضي الله عنهما قَالَ: (يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، وَلَوِ اسْتَقْبَلَتْهُ الْجِبَالُ لَهَدَمَهَا وَاتَّخَذَ فِيهَا طُرُقًا).
- ١١٣٢ عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: (يَعِيشُ الْمَهْدِيُّ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، ثُمَّ يَمُوتُ مَوْتًا).
- ١١٣٣ عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: (يَلِي الْمَهْدِيُّ أَمْرَ النَّاسِ ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً).
- ١١٣٨ – حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَيْسِ بْنِ جَابِرٍ الصَّدَفِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا الْقَحْطَانِيُّ بِدُونِ الْمَهْدِيِّ» .
- ١١٣٩ – حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَسُوقَ النَّاسَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ»[٢].

---

(١) ورواه ابن ماجة (٤٠٨٥) وحسنه الألباني.

(٢) ورواه البخاري (٧١١٧) ومسلم (٢٩١٠) بإسنادهما.

- ١١٤٦ - حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَيْسِ بْنِ جَابِرٍ الصَّدَفِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي رَجُلٌ يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ الْقَحْطَانِيُّ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا هُوَ دُونَهُ».
- ١١٩٠ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (يَكُونُ بَعْدَ الْمَهْدِيِّ خَلِيفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ قَحْطَانَ أَخُو الْمَهْدِيِّ فِي دِينِهِ، يَعْمَلُ بِعَمَلِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَفْتَحُ مَدِينَةَ الرُّومِ، وَيُصِيبُ غَنَائِمَهَا) قَالَ كَعْبٌ: (وَيَلِي النَّاسَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، يُطْفِئُ سُنَنًا كَانَتْ مَعْرُوفَةً، وَيَبْتَدِعُ سُنَنًا لَمْ تَكُنْ، حَتَّى لَا تَجِدَ عَالِمًا يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ وَاحِدٍ، وَفِي زَمَانِهِ الْخَسْفُ وَالْمَسْخُ، وَيَعُودُ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَالْمُتَمَسِّكُ يَوْمَئِذٍ بِدِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، وَكَخَارِطِ الْقَتَادِ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، وَيُرْسِلُ ابْنَتَهُ تَخْطُرُ فِي الْأَسْوَاقِ مَعَهَا الشّرط، عَلَيْهَا بَطِيطَانِ مِنْ ذَهَبٍ، لَا تَوَارَى مُقْبِلَةً وَلَا مُدْبِرَةً، فَلَوْ تَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ رَجُلٌ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ).
- ١٢٠٠ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، قَالَ: (يَنْزِلُ خَلِيفَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ بَيْتَ الْمَقْدِسِ يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا، يَبْنِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ بِنَاءً لَمْ يُبْنَ مِثْلُهُ، يَمْلُكُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، تَكُونُ هُدْنَةُ الرُّومِ عَلَى يَدَيْهِ فِي سَبْعِ سِنِينَ بَقِينَ مِنْ خِلَافَتِهِ، ثُمَّ يَغْدِرُونَ بِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ لَهُ بِالْعَمْقِ، فَيَمُوتُ فِيهَا غَمًّا، ثُمَّ يَلِي بَعْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ تَكُونُ هَزِيمَتُهُمْ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ عَلَى يَدَيْهِ، ثُمَّ يَسِيرُ إِلَى رُومِيَّةَ فَيَفْتَحُهَا، وَيَسْتَخْرِجُ كُنُوزَهَا وَمَائِدَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَيَنْزِلُهَا، وَيَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي زَمَانِهِ، وَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيُصَلِّي خَلْفَهُ).
- ١٢٠١ قَالَ الْوَلِيدُ: قَالَ جَرَّاحٌ، عَنْ أَرْطَاةَ، (عَلَى يَدَيْ ذَلِكَ الْخَلِيفَةِ، وَهُوَ يَمَانٌ، تَكُونُ غَزْوَةُ الْهِنْدِ الَّتِي قَالَ فِيهَا أَبُو هُرَيْرَةَ).
- ١٢١٤ عَنْ أَرْطَاةَ، قَالَ: (بَلَغَنِي أَنَّ الْمَهْدِيَّ، يَعِيشُ أَرْبَعِينَ عَامًا، ثُمَّ يَمُوتُ عَلَى فِرَاشِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ مَثْقُوبُ الْأُذُنَيْنِ، عَلَى سِيرَةِ الْمَهْدِيِّ، بَقَاؤُهُ عِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَمُوتُ قَتْلًا بِالسِّلَاحِ، ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ مَهْدِيُّ حَسَنُ السِّيرَةِ، يَفْتَحُ مَدِينَةَ قَيْصَرَ،

وَهُوَ آخِرُ أَمِيرٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، ثُمَّ يَخْرُجُ فِي زَمَانِهِ الدَّجَّالُ، وَيَنْزِلُ فِي زَمَانِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ).

- ١٢١٥ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (يَبْعَثُ مَلِكٌ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ جَيْشًا إِلَى الْهِنْدِ فَيَفْتَحُهَا، وَيَأْخُذُ كُنُوزَهَا، فَيَجْعَلُهُ حِلْيَةً لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَيُقْدِمُوا عَلَيْهِ بِمُلُوكِ الْهِنْدِ مَغْلُولِينَ، يُقِيمُ ذَلِكَ الْجَيْشُ فِي الْهِنْدِ إِلَى خُرُوجِ الدَّجَّالِ).
- ١٢١٧ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيُدْرِكَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ رِجَالٌ مِنْ أُمَّتِي، هُمْ مِثْلُكُمْ أَوْ خَيْرُهُمْ مِثْلُكُمْ أَوْ أَخْيَرُ».
- ١٢٣٨ عَنْ أَرْطَاةَ، قَالَ: (عَلَى يَدَيْ ذَلِكَ الْخَلِيفَةِ الْيَمَانِيِّ الَّذِي تُفْتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ وَرُومِيَّةُ عَلَى يَدَيْهِ، يَخْرُجُ الدَّجَّالُ وَفِي زَمَانِهِ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى يَدَيْهِ تَكُونُ غَزْوَةُ الْهِنْدِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)، غَزْوَةُ الْهِنْدِ الَّتِي قَالَ فِيهَا أَبُو هُرَيْرَةَ .
- ١٩٧٦ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: (يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ حُسَيْنٍ اسْمُهُ اسْمُ نَبِيِّكُمْ، يَفْرَحُ بِخُرُوجِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَالسُّفْيَانِيُّ مَا اسْمُهُ؟ قَالَ: هُوَ مِنْ وَلَدِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، رَجُلٌ ضَخْمُ الْهَامَةِ، بِوَجْهِهِ آثَارُ جُدَرِيٍّ، وَبِعَيْنِهِ نُكْتَةُ بَيَاضٍ، خُرُوجُهُ خُرُوجَ الْمَهْدِيِّ، لَيْسَ بَيْنَهُمَا سُلْطَانٌ، هُوَ يَدْفَعُ الْخِلَافَةَ إِلَى الْمَهْدِيِّ، يَخْرُجُ مِنَ الشَّامِ مِنْ وَادٍ مِنْ أَرْضِ دِمَشْقَ يُقَالُ لَهُ وَادِي الْيَابِسِ، يَخْرُجُ فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ، مَعَ رَجُلٍ مِنْهُمْ لِوَاءٌ مَعْقُودٌ، يَعْرِفُونَ فِي لِوَائِهِ النَّصْرَ، يَسِيرُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى ثَلَاثِينَ مِيلًا، لَا يَرَى ذَلِكَ الْعَلَمَ أَحَدٌ يُرِيدُهُ إِلَّا انْهَزَمَ، يَأْتِي دِمَشْقَ فَيَقْعُدُ عَلَى مِنْبَرِهَا، وَيُدْنِي الْفُقَهَاءَ وَالْقُرَّاءَ، وَيَضَعُ السَّيْفَ فِي التُّجَّارِ، وَأَصْحَابِ الْأَمْوَالِ، وَيَسْتَصْحِبُ الْقُرَّاءَ وَيَسْتَعِينُ بِهِمْ عَلَى أُمُورِهِمْ، لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا قَتَلَهُ، وَيُجَهِّزُ الْجَيْشَ إِلَى الْمَشْرِقِ جَيْشًا إِلَيْهَا، وَآخَرَ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَآخَرَ إِلَى الْيَمَنِ، وَيُوَلِّي جَيْشَ الْعِرَاقِ رَجُلًا مِنْ بَنِي حَارِثَةَ يُقَالُ لَهُ قَمَرُ بْنُ عَبَّادٍ، رَجُلٌ جَسِيمٌ لَهُ غَدِيرَتَانِ، عَلَى مُقَدِّمَتِهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ قَصِيرٌ أَصْلَعُ، عَرِيضُ الْمَنْكِبَيْنِ، يُقَاتِلُهُ مَنْ بِالشَّامِ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ، وَبِهَا يَوْمَئِذٍ مِنْهُمْ جُنْدٌ عَظِيمٌ، يُقَاتِلُهُمْ فِيمَا بَيْنَ دِمَشْقَ، وَفِي مَوْضِعٍ



يُقَالُ لَهُ الْبَنِيَّةُ، وَأَهْلُ حِمْصَ فِي حَرْبِ أَهْلِ الْمُشْرِقِ وَأَنْصَارِهِمْ، كُلُّ ذَلِكَ يَهْزِمُهُمُ السُّفْيَانِيُّ، ثُمَّ يَنْحَازُ مَنْ بِدِمَشْقَ وَحِمْصَ مَعَ السُّفْيَانِيِّ، وَيَلْتَقُونَ وَأَهْلُ الْمُشْرِقِ فِي مَوْضِعٍ مِنْ أَرْضِ حِمْصَ يُقَالُ لَهُ لِيدِينُ إِلَى جَانِبِ سَلَمِيَّةَ، يُقْتَلُ مِنَ النَّاسِ نَيِّفٌ وَسِتُّونَ أَلْفًا، ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمُشْرِقِ، ثُمَّ تَكُونُ الدَّبْرَةُ عَلَيْهِمْ، وَلَيَسِيرُ الْجَيْشُ الَّذِي يُوَجِّهُهُ إِلَى الْمُشْرِقِ حَتَّى يَنْزِلَ الْكُوفَةَ، فَيَكُونُ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ شَدِيدٌ، يَكْثُرُ فِيهِ الْقَتْلَى، ثُمَّ تَكُونُ الْهَزِيمَةُ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، فَكَمْ مِنْ دَمٍ مُهْرَاقٍ، وَبَطْنٍ مَبْقُورٍ، وَوَلِيدٍ مَقْتُولٍ، وَمَالٍ مَنْهُوبٍ، وَفَرْجٍ مُسْتَحَلٍّ، وَتَهْرُبُ النَّاسُ إِلَى مَكَّةَ، وَيَكْتُبُ السُّفْيَانِيُّ إِلَى صَاحِبِ ذَلِكَ الْجَيْشِ أَنْ سِرْ إِلَى الْحِجَازِ، فَيَسِيرُ بَعْدَ أَنْ يَعْرِكَهَا عَرْكَ الْأَدِيمِ، فَيَنْزِلُ الْمَدِينَةَ، فَيَضَعُ السَّيْفَ فِي قُرَيْشٍ، فَيَقْتُلُ مِنْهُمْ وَمَنَ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَمِائَةِ رَجُلٍ، وَيَبْقُرُ الْبُطُونَ، وَيَقْتُلُ الْوِلْدَانَ، وَيَقْتُلُ أَخَوَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَيَصْلِبُهُمَا عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، رَجُلٌ وَأُخْتُهُ يُقَالُ لَهُمَا مُحَمَّدٌ وَفَاطِمَةُ، وَيَهْرُبُ النَّاسُ مِنْهُ إِلَى مَكَّةَ، فَيَسِيرُ بِجَيْشِهِ ذَلِكَ إِلَى مَكَّةَ يُرِيدُهَا، فَيَنْزِلُ الْبَيْدَاءَ، فَيَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَصْرُخُ بِصَوْتِهِ: يَا بَيْدَاءُ بِيدِي بِهِمْ، فَيُبَادُونَ مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ، وَيَبْقَى مِنْهُمْ رَجُلَانِ يَلْقَاهُمَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمَا إِلَى أَدْبَارِهِمَا، فَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمَا يَمْشِيَانِ الْقَهْقَرَى، يُخْبِرَانِ النَّاسَ مَا لَقَوْا).

****

(٦) - ملاحم الرّوم

صَحِيحُ مُسلِمٍ:

- ٢٨٩٧ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافُّوا، قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ**

اللهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ، لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمِ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ».

باب تقوم السَّاعة والرُّوم أكثر النّاس:

- ٢٨٩٨ مُوسَى بْنُ عُلَيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ، عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ: «**تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ**» فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ.
- ٢٨٩٦ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنَعَتِ الشَّأْمُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ**» شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ.

باب إقبال الرُّوم في كثرة القتل ثمّ خروج الدَّجّال:

- ٢٨٩٩ عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى إِلَّا: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتِ السَّاعَةُ، قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: **إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ، حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ،** ثُمَّ قَالَ: بِيَدِهِ هَكَذَا - وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ - فَقَالَ: **عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ، قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشّرطةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ**

الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشّرطةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً، فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا، فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ، وَتَفْنَى الشّرطةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ، نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَيَجْعَلُ اللهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً - إِمَّا قَالَ لَا يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا - حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ، كَانُوا مِائَةً، فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ، فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ؟ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ، هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَيُقْبِلُونَ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ - أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ -» قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي رِوَايَتِهِ: عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ.

- ٢٩١٣ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ فَقَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ، يَمْنَعُونَ ذَاكَ، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لَا يُجْبَى إِلَيْهِمْ دِينَارٌ وَلَا مُدْيٌ، قُلْنَا: مِنْ أَيْنَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الرُّومِ، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيَّةً، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا، لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا» قَالَ قُلْتُ لِأَبِي نَضْرَةَ وَأَبِي الْعَلَاءِ: أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَا: لَا.
- ٢٩٢٠ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا - قَالَ ثَوْرٌ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ - الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ

لَهُمْ، فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ».

سنن أبي داوود:

- ٤٢٩٢ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنِ الْهُدْنَةِ، قَالَ: قَالَ جُبَيْرٌ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى ذِي مِخْبَرٍ، رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: فَأَتَيْنَاهُ فَسَأَلَهُ جُبَيْرٌ عَنِ الْهُدْنَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ، فَتُنْصَرُونَ، وَتَغْنَمُونَ، وَتَسْلَمُونَ، ثُمَّ تَرْجِعُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ، فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ، فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَدُقُّهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ، وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ**»[١].
- ٤٢٩٣ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ، بِهذا الْحَدِيثِ، وَزَادَ فِيهِ: «**وَيَثُورُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ، فَيَقْتَتِلُونَ، فَيُكْرِمُ الله تِلْكَ الْعِصَابَةَ بِالشَّهَادَةِ**»[٢].
- ٤٢٩٤ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ يَخَامِرَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فَخِذِ الَّذِي حَدَّثَهُ، - أَوْ مَنْكِبِهِ - ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هذا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هَاهُنَا»، أَوْ «كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ»، يَعْنِي مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ[٣].

باب في تواتر الملاحم:

---

(١) ورواه ابن ماجه (٤٠٨٩) وأحمد (٢٣٤٧٧،٢٣٤٥٧،١٦٨٢٦،١٦٨٢٥) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٢) صححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) حسنه الألباني- المشكاة (٥٤٢٤)، ورواه أحمد (٢٢١٢١،٢٢٠٢٣) وضعف إسناده الأرنؤوط.

- ٤٢٩٥ عَنْ أَبِي بَحْرِيَّةَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْمَلْحَمَةُ الْكُبْرَى، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَخُرُوجُ الدَّجَّالِ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ»(١).
- ٤٢٩٦ عن ابن أبي بلال عن عبدِ الله بن بُسرٍ، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «بَيْنَ الملحَمَةِ وَفَتْحِ المدِيْنَةِ سِتُّ سِنِينَ، وَيخرُج المسِيحُ الدَّجالُ في السَّابِعَةِ» قال أبو داود: هذا أصحُّ من حديثِ عيسى.(٢)
- ٤٢٩٨ عن أبي الدَّرداء أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ فُسْطَاطَ المسْلمينَ يومَ الَملحَمَةِ بالغوطةِ إلى جانبِ مَدينةٍ يُقال لها: دِمشقُ، مِن خيرِ مَدَائِنِ الشَّام**»(٣).
- ٤٢٩٩ عن نافع عن ابنِ عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُوْشِكُ المسلِمُونَ أَنْ يُحاصَرُوا إلى المدِينةِ حَتَّى يَكونَ أبعدَ مَسَالِحِهُم سَلاَحُ**»(٤)
- ٤٣٠٠ عن الزُّهريّ، قال: «وَسلاحُ قَرِيبٌ مِن خَيْبَرَ»(٥).
- ٤٣٠١ عن عوف بن مالكِ، قَال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**لَنْ يَجمعَ اللهُ على هَذِهِ الأُمَّةِ سَيْفَينِ: سَيْفَاً مِنهَا، وَسَيْفاً مِن عَدُوِّهَا**»(٦).

باب في النهي عن تهييج الترك والحبشة:

---

(١) وأخرجه الترمذي (٢٣٨٨) وابن ماجة (٤٠٩٢)، و أحمد (٢٢٠٤٥) وضعفه الأرنؤوط، والألباني: المشكاة (٥٤٢٥).

(٢) وأخرجه ابن ماجة (٤٠٩٣) وأحمد (١٧٦٩١) وضعفه الأرنؤوط والألباني- المشكاة (٥٤٢٦).

(٣) وأخرجه أحمد (٢١٧٢٥) وصححه الأرنؤ وط، وكذا الألباني في تخريج فضائل الشام رقم (١٥).

(٤) صححه الأرنؤوط والألباني.

(٥) قال الألباني: صحيح مقطوع.

(٦) أخرجه أحمد (٢٣٨٨٩) وحسنه الأرنؤوط، وقال الألباني: صحيح- صحيح الجامع (٥٢٢١).

- ٤٣٠٢ عن أبي سكينةَ رجلٍ من المحرَّرين عن رجُلٍ من أصحابِ النبي، عن النبيَّ ﷺ أنه قال: «**دَعُوا الحَبَشةَ مَا وَدَعُوكُم، واتْرُكُوا التُّركَ ما تركُوكُم**»(١).

المستدرك عَلى الصَّحِيحين أبو عبدالله الحاكم النيسابوري:

- ٨٢٩٨ عَنْ ذِي مِخْمَرٍ - رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ أَخِي النَّجَاشِيِّ - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «تُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا حَتَّى تَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِهِمْ، فَتُنْصَرُونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَنْصَرِفُونَ، حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ فَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ الرُّومِ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، وَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: بَلِ الله غَلَبَ فَيَتَدَاوَلَانِهَا بَيْنَهُمْ، فَيَثُورُ الْمُسْلِمُ إِلَى صَلِيبِهِمْ وَهُمْ مِنْهُمْ غَيْرُ بَعِيدٍ فَيَدُقُّهُ، وَيَثُورُ الرُّومُ إِلَى كَاسِرِ صَلِيبِهِمْ فَيَقْتُلُونَهُ، وَيَثُورُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ فَيُقْتَلُونَ فَيُكْرِمُ الله عَزَّ وَجَلَّ تِلْكَ الْعِصَابَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالشَّهَادَةِ، فَيَقُولُ الرُّومُ لِصَاحِبِ الرُّومِ: كَفَيْنَاكَ جَدَّ الْعَرَبِ فَيَغْدِرُونَ فَيَجْتَمِعُونَ لِلْمَلْحَمَةِ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةٍ تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا. هذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»(٢).
- ٨٤٠٠ عن جابر بن عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما، قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لَا يَجِيءَ إِلَيْهِمْ دِرْهَمٌ وَلَا قَفِيزٌ، قَالُوا: مِمَّ ذَاكَ يَا أَبَا عَبْدِ الله؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ يَمْنَعُونَ ذَاكَ، ثُمَّ سَكَتَ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ أَهْلُ الشَّامِ أَنْ لَا يَجِيءَ إِلَيْهِمْ دِينَارٌ، وَلَا مُدٌّ، قَالُوا: مِمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ الرُّومِ يَمْنَعُونَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَكُونُ فِي أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا لَا يَعُدُّهُ عَدًّا» ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيَعُودَنَّ الْأَمْرُ كَمَا بَدَأَ لَيَعُودَنَّ كُلُّ إِيمَانٍ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا بَدَأَ مِنْهَا حَتَّى يَكُونَ كُلُّ إِيمَانٍ بِالْمَدِينَةِ» ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٤٣٧٠) وأحمد (٢٣١٥٥) وصححه الألباني -الصحيحة (٧٧٢)، صحيح الجامع (٣٣٨٤) وقال الأرنؤوط : حسن لغيره .

(٢) إسناد الحاكم ضعيف فيه محمد بن كثير المصيصي: صدوق كثير الغلط، والحديث صحيح لغيره، رواه أبو داود مختصرا (٤٢٩٢) وابن ماجة (٤٠٨٩) وأحمد (١٦٨٢٦) وصححه الألباني والأرنؤوط.



يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْدَلَهَا الله خَيْرًا مِنْهُ، وَلَيَسْمَعَنَّ نَاسٌ بِرِخَصٍ مِنْ أَسْعَارٍ وَرِيفٍ فَيَتَّبِعُونَهُ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ [١].

- ٨٤٢٣ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، (أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَنْدَلُسِ يُقَالُ لَهُ: ذُو الْعُرْفِ يَجْمَعُ مِنْ قَبَائِلِ الشِّرْكِ جَمْعًا عَظِيمًا، يَعْرِفُ مَنْ بِالْأَنْدَلُسِ أَنْ لَا طَاقَةَ لَهُمْ، فَيَهْرُبُ أَهْلُ الْقُوَّةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي السُّفُنِ، فَيُجِيزُونَ إِلَى طَنْجَةَ وَيَبْقَى ضَعَفَةُ النَّاسِ وَجَمَاعَتُهُمْ، لَيْسَ لَهُمْ سُفُنٌ يُجِيزُونَ عَلَيْهَا، فَيَبْعَثُ الله عَزَّ وَجَلَّ وَعْلًا وَيَعْبُرُ لَهُمْ فِي الْبَحْرِ، فَيُجِزِ الْوَعْلُ لَا يُغَطِّي الْمَاءُ أَظْلَافَهُ، فَيَرَاهُ النَّاسُ فَيَقُولُونَ: الْوَعْلُ الْوَعْلُ اتَّبِعُوهُ، فَيُجِيزُ النَّاسُ عَلَى أَثَرِهِ كُلُّهُمْ، ثُمَّ يَصِيرُ الْبَحْرُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ وَيُجِيزُ الْعَدُوُّ فِي الْمَرَاكِبِ، فَإِذَا حَسَّ بِهِمْ أَهْلُ الْإِفْرِيقِيَّةِ هَرَبُوا كُلُّهُمْ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ وَمَعَهُمْ مَنْ كَانَ بِالْأَنْدَلُسِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى يَدْخُلُوا الْفُسْطَاطَ، وَيُقْبِلُ ذَلِكَ الْعَدُوُّ حَتَّى يَنْزِلُوا فِيمَا بَيْنَ مَرْيُوطَ إِلَى الْأَهْرَامِ مَسِيرَةَ خَمْسَةِ بُرُدٍ، فَيَمْلَأُونَ مَا هُنَالِكَ شَرًّا، فَتَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رَايَةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْجِسْرِ، فَيَنْصُرُهُمُ الله عَلَيْهِمْ فَيَهْزِمُونَهُمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ إِلَى الْوَلَبَةَ مَسِيرَةَ عَشْرِ لَيَالٍ، وَيَسْتَوْقِدُ أَهْلُ الْفُسْطَاطِ بِعَجَلِهِمْ وَأَدَاتِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ، وَيَنْفَلِتُ ذُو الْعُرْفِ مِنَ الْقَتْلِ وَمَعَهُ كِتَابٌ لَا يَنْظُرُ فِيهِ إِلَّا وَهُوَ مُنْهَزِمٌ، فَيَجِدُ فِيهِ ذِكْرَ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهُ يُؤْمَرُ فِيهِ بِالدُّخُولِ فِي السَّلَمِ، فَيَسْأَلُ الْأَمَانَ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى مَنْ أَجَابَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَقْبَلُوا مَعَهُ، فَيُسْلِمُ فَيَصِيرُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ يَأْتِي الْعَامُ الثَّانِي رَجُلٌ مِنَ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهُ أَسِيسُ، وَقَدْ جَمَعَ جَمْعًا عَظِيمًا فَيَهْرُبُ الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ مِنْ أَسْوَانَ، حَتَّى لَا يَبْقَى بِهَا وَلَا فِيهَا دُونَهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا دَخَلَ الْفُسْطَاطَ، فَيَنْزِلُ أَسِيسُ بِجَيْشِهِ مَنْفَ، وَهُوَ عَلَى رَأْسِ بَرَيْدٍ مِنَ الْفُسْطَاطِ، فَتَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رَايَةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْجِسْرِ فَيَنْصُرُهُمُ الله عَلَيْهِمْ فَيَقْتُلُونَهُمْ وَيَأْسِرُونَهُمْ،

---

(١) سكت عنه الذهبي. ورواه مسلم (٢٩١٣).

حَتَّى يُبَاعَ الْأَسْوَدُ بِعَبَاءَةٍ). هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ مَوْقُوفُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَهُوَ أَصْلٌ فِي مَعْرِفَةِ وُقُوعِ الْفِتَنِ بِمِصْرَ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(١).

- ٨٤٢٦ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (إِنَّ الْمَعَاقِلَ ثَلَاثَةٌ: فَمَعْقِلُ النَّاسِ يَوْمَ الْمَلَاحِمِ بِدِمَشْقَ، وَمَعْقِلُ النَّاسِ يَوْمَ الدَّجَّالِ نَهْرُ أَبِي قَطْرَسٍ، يَمْرُقُ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: بَيْتُ الْمَقْدِسِ، وَمَعْقِلُهُمْ يَوْمَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ بِطُورِ سَيْنَاءَ)(٢)

- ٨٤٢٨ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (الْجَزِيرَةُ آمِنَةٌ مِنَ الْخَرَابِ حَتَّى تَخْرَبَ أَرْمِينِيَةُ، وَمِصْرُ آمِنَةٌ مِنَ الْخَرَابِ حَتَّى تَخْرَبَ الْجَزِيرَةُ، وَالْكُوفَةُ آمِنَةٌ مِنَ الْخَرَابِ حَتَّى تَخْرَبَ مِصْرُ، وَلَا تَكُونُ الْمَلْحَمَةُ حَتَّى تَخْرَبَ الْكُوفَةُ، وَلَا تُفْتَحُ مَدِينَةُ الْكُفْرِ حَتَّى تَكُونَ الْمَلْحَمَةُ، وَلَا يَخْرُجُ الدَّجَّالُ حَتَّى تُفْتَحَ مَدِينَةُ الْكُفْرِ)(٣).

- ٨٤٨٨ كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا يَا عَلِيُّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ» قَالَ عَلِيٌّ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «اعْلَمْ أَنَّكُمْ سَتُقَاتِلُونَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَوْ يُقَاتِلُهُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رُوقَةُ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلِ الْحِجَازِ الَّذِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَرُومِيَّةَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ فَيَنْهَدِمُ حِصْنُهَا فَيُصِيبُونَ نَبْلًا عَظِيمًا لَمْ يُصِيبُوا مِثْلَهُ قَطُّ، حَتَّى إِنَّهُمْ يَقْتَسِمُونَ بِالتُّرْسِ، ثُمَّ يَصْرُخُ صَارِخٌ: يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ قَدْ خَرَجَ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ فِي بِلَادِكُمْ وَذَرَارِيِّكُمْ، فَيَنْفَضُّ النَّاسُ عَنِ الْمَالِ، فَمِنْهُمُ الْآخِذُ، وَمِنْهُمُ التَّارِكُ، فَالْآخِذُ نَادِمٌ، وَالتَّارِكُ نَادِمٌ، يَقُولُونَ: مَنْ هذا الصَّائِحُ؟ فَلَا يَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ، فَيَقُولُونَ: ابْعَثُوا طَلِيعَةً إِلَى لُدٍّ، فَإِنْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ خَرَجَ فَيَأْتُونَكُمْ بِعِلْمِهِ، فَيَأْتُونَ فَيَنْظُرُونَ فَلَا يَرَوْنَ شَيْئًا، وَيَرَوْنَ النَّاسَ

---

(١) قال الذهبي: (ليس على شرطهما)، والحديث موقوف وفي إسناده عبدالله بن صالح كاتب الليث بن سعد روى المناكير.

(٢) قال الذهبي: منقطع.

(٣) الذهبي : منقطع واه



شَاكِّينَ، فَيَقُولُونَ: مَا صَرَخَ الصَّارِخُ إِلَّا لِنَبَأٍ فَاعْتَزِمُوا، ثُمَّ ارْشُدُوا فَيَعْتَزِمُونَ أَنْ نُخْرِجَ بِأَجْمَعِنَا إِلَى لُدٍّ، فَإِنْ يَكُنْ بِهَا الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ نُقَاتِلْهُ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ، وَإِنْ يَكُنِ الْأُخْرَى فَإِنَّهَا بِلَادُكُمْ وَعَشَائِرُكُمْ وَعَسَاكِرُكُمْ رَجَعْتُمْ إِلَيْهَا»[1].

- ٨٤٩٦ عن أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «**يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ الْكُبْرَى فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ، بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا الْغُوطَةُ، فِيهَا مَدِينَةٌ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ، خَيْرُ مَنَازِلِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ**». هذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[2].

- ٨٦٥٥ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ الله، أَنَّ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيَّ، أَتَى رَسُولَ الله ﷺ فِي فَتْحٍ لَهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: هَنِيئًا لَكَ يَا رَسُولَ الله، قَدْ أَعَزَّ الله نَصْرَكَ وَأَظْهَرَ دِينَكَ وَوَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا بِجِرَانِهَا، قَالَ: وَرَسُولُ الله ﷺ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ: «ادْخُلْ يَا عَوْفُ» فَقَالَ: أَدْخُلُ كُلِّي أَوْ بَعْضِي؟ فَقَالَ: «ادْخُلْ كُلُّكَ» فَقَالَ: «إِنَّ الْحَرْبَ لَنْ تَضَعَ أَوْزَارَهَا حَتَّى تَكُونَ سِتٌّ أَوَّلُهُنَّ مَوْتِي» فَبَكَى عَوْفٌ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قُلْ: إِحْدَى، وَالثَّانِيَةُ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالثَّالِثَةُ: فِتْنَةٌ تَكُونُ فِي النَّاسِ كَعُقَاصِ الْغَنَمِ، وَالرَّابِعَةُ: فِتْنَةٌ تَكُونُ فِي النَّاسِ لَا يَبْقَى أَهْلُ بَيْتٍ إِلَّا دَخَلَ عَلَيْهِمْ نَصِيبُهُمْ مِنْهَا، وَالْخَامِسَةُ: يُولَدُ فِي بَنِي الْأَصْفَرِ غُلَامٌ مِنْ أَوْلَادِ الْمُلُوكِ يَشِبُّ فِي الْيَوْمِ كَمَا يَشِبُّ الصَّبِيُّ فِي الْجُمُعَةِ، وَيَشِبُّ فِي الْجُمُعَةِ كَمَا يَشِبُّ الصَّبِيُّ فِي الشَّهْرِ، وَيَشِبُّ فِي الشَّهْرِ كَمَا يَشِبُّ الصَّبِيُّ فِي السَّنَةِ، فَمَا بَلَغَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً مَلَّكُوهُ عَلَيْهِمْ، فَقَامَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَقَالَ: إِلَى مَتَى يَغْلِبُنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى مَكَارِمِ أَرْضِنَا، إِنِّي رَأَيْتُ أَنْ أَسِيرَ إِلَيْهِمْ حَتَّى أُخْرِجَهُمْ مِنْهَا، فَقَامَ الْخُطَبَاءُ فَحَسَّنُوا لَهُ رَأْيَهُ، فَبَعَثَ فِي الْجَزَائِرِ وَالْبَرِّيَّةِ بِصَنْعَةِ السُّفُنِ، ثُمَّ حَمَلَ فِيهَا الْمُقَاتِلَةَ حَتَّى نَزَلَ بَيْنَ أَنْطَاكِيَّةَ وَالْعَرِيشِ» - قَالَ ابْنُ شُرَيْحٍ: فَسَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُمُ اثْنَا عَشَرَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، فَيَجْتَمِعُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى صَاحِبِهِمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَجْمَعُوا فِي

---

(١) قال الذهبي: كثير هذا واه.

(٢) صححه الذهبي، ورواه أبو داود (٤٢٩٨) وصححه الألباني.

رَأْيِهِمْ أَنْ يَسِيرُوا إِلَى مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ حَتَّى يَكُونَ مَسَالِحُهُمْ بِالسَّرْحِ وَخَيْبَرَ - قَالَ ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُخْرِجُوا أُمَّتِي مِنْ مَنَابِتِ الشِّيحِ» قَالَ: أَوْ قَالَ الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ: «إِنَّهُمْ سَيُقِيمُوا فِيهَا هُنَالِكَ فَيَفِرُّ مِنْهُمُ الثُّلُثُ وَيُقْتَلُ مِنْهُمُ الثُّلُثُ فَيَهْزِمُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالثُّلُثِ الصَّابِرِ»، وَقَالَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ: «يَوْمَئِذٍ يَضْرِبُ وَاللهِ بِسَيْفِهِ وَيَطْعَنُ بِرُمْحِهِ وَيَتْبَعُهُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَبْلُغُوا الْمَضِيقَ الَّذِي عِنْدَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، فَيَجِدُونَهُ قَدْ يَبِسَ مَاؤُهُ فَيُجِيزُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى يَنْزِلُوا بِهَا، فَيَهْدِمُ اللهُ جُدْرَانَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ، ثُمَّ يَدْخُلُونَهَا فَيَقْسِمُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَتْرِسَةِ»، وَقَالَ أَبُو قَبِيلٍ الْمَعَافِرِيُّ: «فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذَا جَاءَهُمْ رَاكِبٌ، فَقَالَ: أَنْتُمْ هَاهُنَا وَالدَّجَّالُ قَدْ خَالَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، وَإِنَّمَا كَانَتْ كَذِبَةً، فَمَنْ سَمِعَ الْعُلَمَاءَ فِي ذَلِكَ أَقَامَ عَلَى مَا أَصَابَهُ، وَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَانْفَضُّوا وَيَكُونُ الْمُسْلِمُونَ يَبْنُونَ الْمَسَاجِدَ فِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَيَغْزُونَ وَرَاءَ ذَلِكَ حَتَّى يَخْرُجَ الدَّجَّالُ السَّادِسَةَ». هذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(١).

مجمع الزوائد لمؤلفه علي بن أبي بكر الهيثمي رَحِمَهُ اللهُ.

● ١٢٤٢٠ وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: أَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو فِي بَيْتِهِ، وَحَوْلَهُ سِمَاطَانِ مِنَ النَّاسِ وَلَيْسَ عَلَى فِرَاشِهِ أَحَدٌ، فَجَلَسْتُ عَلَى فِرَاشِهِ مِمَّا يَلِي رِجْلَيْهِ، فَجَاءَ رَجُلٌ أَحْمَرُ عَظِيمُ الْبَطْنِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: مَنِ الرَّجُلُ؟ قُلْتُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، فَقَالَ: وَمَنْ أَبُو بَكْرَةَ؟ فَقَالَ: وَمَا تَذْكُرُ الرَّجُلَ الَّذِي وَثَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ سُورِ الطَّائِفِ؟ فَقَالَ: بَلَى. ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا فَقَالَ: يُوشِكُ أَنْ يَخْرُجَ ابْنُ حَمَلِ الضَّأْنِ [ثَلَاثَ مَرَّاتٍ]، قُلْتُ: وَمَا حَمَلُ الضَّأْنِ؟ قَالَ: رَجُلٌ أَحَدُ أَبَوَيْهِ شَيْطَانٌ، يَمْلِكُ الرُّومَ، يَجِيءُ فِي أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ النَّاسِ خَمْسِمَائَةِ أَلْفٍ فِي الْبَرِّ وَخَمْسِمَائَةِ أَلْفٍ فِي الْبَحْرِ، يَنْزِلُونَ أَرْضًا يُقَالُ لَهَا الْعَمِيقُ، فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ لِي فِي سَفِينَتِكُمْ بَقِيَّةً، فَيَحْرِقُهَا بِالنَّارِ ثُمَّ يَقُولُ: لَا رُومِيَّةَ لَكُمْ وَلَا قُسْطَنْطِينِيَّةَ لَكُمْ، مَنْ شَاءَ أَنْ يَفِرَّ، وَيَسْتَمِدُّ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَمُدَّهُمْ أَهْلُ عَدَنِ أَبْيَنَ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ: الْحَقُوا بِهِمْ فَكُونُوا

(١) قال الذهبي : (فيه انقطاع)، فإسناد الحاكم ضعيف، ولبعض أطراف الحديث شواهد في الصحيح.

سِلَاحًا وَاحِدًا، فَيَقْتَتِلُونَ شَهْرًا حَتَّى يَخُوضَ فِي سَنَابِكِهَا الدِّمَاءُ، وَلِلْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ كِفْلَانِ مِنَ الْأَجْرِ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِذَا كَانَ آخِرُ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: الْيَوْمَ أَسُلُّ سَيْفِي وَأَنْصُرُ دِينِي وَأَنْتَقِمُ مِنْ عَدُوِّي، فَيَجْعَلُ الله لَهُمُ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَهْزِمُهُمُ الله حَتَّى تُسْتَفْتَحَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: لَا غُلُولَ الْيَوْمَ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ يُقَسِّمُونَ بِتِرْسِهِمُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ إِذْ نُودِيَ فِيهِمْ: أَنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَّفَكُمْ فِي دِيَارِكُمْ، فَيَدَعُونَ مَا بِأَيْدِيهِمْ وَيَقْتُلُونَ الدَّجَّالَ. رَوَاهُ الْبَزَّارُ [1] مَوْقُوفًا، وَفِيهِ عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ وَهُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ.

السنن الواردة في الفتن :

- ٤٧٤ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَصْحَابُ الرَّايَاتِ الصُّفْرِ مِصْرَ فَلْيَحْفُرْ أَهْلُ الشَّامِ أَسْرَابًا تَحْتَ الْأَرْضِ»[2].
- ٤٧٧ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، قَالَ: «يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ الْبَرْبَرِ، فَوَيْلٌ لِأَهْلِ مِصْرَ»[3].
- ٤٧٨ عَنْ مَوْلًى، لِشُرَحْبِيلَ ابْنِ حَسَنَةَ أَوْ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَوْمًا، وَاسْتَقْبَلَنَا، فَقَالَ: (إِيهًا لَكِ مِصْرُ، إِذَا رُمِيتِ بِالْقِسِيِّ الْأَرْبَعِ: قَوْسِ الْأَنْدَلُسِ، وَقَوْسِ الْحَبَشَةِ، وَقَوْسِ التُّرْكِ، وَقَوْسِ الرُّومِ)[4].

---

(١) مسند البزار (٢٤٨٦) وضعفه الألباني (الضعيفة ٦١٦٩)

(٢) رواه عن الأوزاعي : إسحاق بن أبي يحيى الكعبي وهو متروك يأتي بالمناكير.
(٣) إسناده منقطع ضعيف.
(٤) ضعيف موقوف، وفي إسناده ابن لهيعة.

الفتن لنعيم بن حماد :

- ١٢٦٣ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (فَتغْدِرُ الرُّومُ بِمَنْ كَانَ فِيهَا، فَتَجْتَمِعُ وَتَأْتِي بِجَيْشٍ فِي الْبَحْرِ مِنْ رُومِيَّةَ، عَلَيْهِمْ صَاحِبٌ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ الْجَمَلُ، أَحَدُ أَبَوَيْهِ جِنِّيَّةٌ، أَوْ قَالَ: شَيْطَانٌ، فَيَسِيرُ بِسُفُنِهِ حَتَّى يَنْزِلَ دَيْرًا يُقَالُ لَهُ عَمْقٌ فِي عَكَّا).
- ١٣١٩ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَمُدُّ أَهْلَ الشَّامِ إِذَا قَاتَلَهُمُ الرُّومُ فِي الْمَلَاحِمِ بِقَطِيعَتَيْنِ، دَفْعَةٌ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَدفَعَةٌ ثَمَانُونَ أَلْفًا، مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، حَمَائِلُ سُيُوفِهِمُ الْمَسَدُ، يَقُولُونَ: نَحْنُ عِبَادُ اللهِ حَقًّا حَقًّا، نُقَاتِلُ أَعْدَاءَ اللهِ، رَفَعَ اللهُ عَنْهُمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعَ وَالْأَوْصَابَ، حَتَّى لَا يَكُونَ بَلَدٌ أَبْرَأَ مِنَ الشَّامِ، وَيَكُونُ مَا كَانَ فِي الشَّامِ مِنْ تِلْكَ الْأَوْجَاعِ وَالطَّاعُونِ فِي غَيْرِهَا)، قَالَ كَعْبٌ: (وَإِنَّ بِالْمَغْرِبِ لِحَمْلِ الضَّأْنِ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِهِمْ، يُعِدُّ لِأَهْلِ الشَّامِ أَلْفَ قِلْعٍ، وَكُلَّمَا أَعَدَّهَا بَعَثَ اللهُ عَلَيْهَا قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ حَتَّى يَأْذَنَ اللهُ بِخُرُوجِهَا، فَتَرْسُو مَا بَيْنَ عَكَّا وَالنَّهَرِ، فَيَشْغَلُوا كُلَّ جُنْدٍ أَنْ يَمُدَّ جُنْدًا، فَسَأَلْتُهُ: أَيُّ نَهَرٍ هُوَ؟ قَالَ: مُهْرَاقُ الْأَرْنَطِ، نَهَرُ حِمْصَ، وَمِهْرَاقُهُ مَا بَيْنَ الْأَقْرَعِ إِلَى الْمُصِّيصَةِ).
- ١٣٢٦ عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ، عَنْ أَبِي قَبِيلٍ، قَالَ: (إِذَا افْتَتَحْتُمْ رُومِيَّةَ فَادْخُلُوا كَنِيسَتَهَا الْعُظْمَى الشَّرْقِيَّةَ مِنْ بَابِهَا الشَّرْقِيِّ، فَاعْتَدُّوا سَبْعَ بَلَاطَاتٍ، ثُمَّ اقْتَلِعُوا الثَّامِنَةَ، فَإِنَّ تَحْتَهَا عَصَى مُوسَى وَالْإِنْجِيلُ طَرِيَّةً، وَحُلِيُّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ).
- ١٣٣٣ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: «إِذَا عُبِدَتْ ذُو الْخَلَصَةِ، كَانَ ظُهُورُ الرُّومِ عَلَى الشَّامِ»
- عَنِ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا فَارِسُ نَطْحَةٌ أَوْ نَطْحَتَانِ، ثُمَّ لَا فَارِسَ بَعْدَ الرُّومِ ذَاتُ الْقُرُونِ، كُلَّمَا ذَهَبَ قَرْنٌ خَلَفَهُمْ قَرْنٌ مَكَانَهُ، أَصْحَابُ صَخْرٍ وَبَحْرٍ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، هُمْ أَصْحَابُكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ»
- ١٣٤٧ عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ، عَنْ أَبِي قَبِيلٍ، قَالَ: (الَّذِي يَفْتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ اسْمُهُ اسْمُ نَبِيٍّ) قَالَ ابْنُ لَهِيعَةَ: وَيُرْوَى فِي كُتُبِهِمْ، يَعْنِي الرُّومَ، أَنَّ اسْمَهُ صَالِحٌ.

- ١٣٧٥ عَنْ يُونُسَ بْنِ سَيْفٍ الْخَوْلَانِيِّ، قَالَ: (تُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا حَتَّى تَغْزُوا أَنْتُمْ وَهُمُ التُّرْكَ وَكَرْمَانَ، فَيَفْتَحُ الله لَكُمْ، فَتَقُولُ الرُّومُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، فَيَغْضَبُ الْمُسْلِمُونَ فَيَنْحَازُونَ وتَنْحَازُونَ، فَتَقْتَتِلُونَ قِتَالًا شَدِيدًا عِنْدَ مَرْجٍ ذِي تُلُولٍ، ثُمَّ يَفْتَحُ الله لَكُمْ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ تَكُونُ الْمَلَاحِمُ بَعْدَ ذَلِكَ).
- ١٤٠٩ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو، يَقُولُ: (يُوشِكُ أَنْ يَخْرُجَ حَمَلُ الضَّأْنِ ثَلَاثَ مِرَارٍ)، قُلْتُ: مَا حَمَلُ الضَّأْنِ؟ قَالَ: (رَجُلٌ أَحَدُ أَبَوَيْهِ شَيْطَانٌ، يَمْلُكُ الرُّومَ، يَجِيءُ فِي أَلْفِ أَلْفٍ وَخَمْسِ مِائَةِ أَلْفٍ فِي الْبَرِّ، وَخَمْسِ مِائَةِ أَلْفٍ فِي الْبَحْرِ، حَتَّى يَنْزِلَ أَرْضًا يُقَالُ لَهَا الْعَمْقُ، فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ لِيَ فِي سُفُنِكُمْ طَلِبَةً، فَإِذَا نَزَلُوا عَنْهَا أَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ، ثُمَّ يَقُولُ: لَا قُسْطَنْطِينِيَّةَ لَكُمْ، وَلَا رُومِيَّةَ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُقِمْ، وَيَسْتَمِدُّ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ حَتَّى تَسْتَفْتِحُوا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ الزَّانِيَةَ، إِنِّي لَأَجِدُهَا فِي كِتَابِ الله تَعَالَى الزَّانِيَةَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: لَا غُلُولَ الْيَوْمَ).
- ١٤٢٨ عَنْ أَرْطَاةَ، قَالَ: (يَكُونُ بَيْنَ الْمَهْدِيِّ وَبَيْنَ طَاغِيَةِ الرُّومِ صُلْحٌ بَعْدَ قَتْلِهِ السُّفْيَانِيِّ، وَنَهْبِ كَلْبٍ، حَتَّى يَخْتَلِفَ تِجَارُكُمْ إِلَيْهِمْ، وَتِجَارُهُمْ إِلَيْكُمْ، وَيَأْخُذُونَ فِي صَنْعَةِ سُفُنِهِمْ ثَلَاثَ سِنِينَ، ثُمَّ يَهْلِكُ الْمَهْدِيُّ، فَيَمْلُكُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَعْدِلُ قَلِيلًا، ثُمَّ يَجُورُ، فَيُقْتَلُ قَتْلًا، وَلَا يَنْطَفِئُ ذِكْرُهُ حَتَّى تُرْسُو الرُّومُ فِيمَا بَيْنَ صُورَ إِلَى عَكَّا، فَهِيَ الْمَلَاحِمُ).

****

(٧) - خروج الدَّجَّال ونزول عيسى عليه السلام

صحيح البُخَارِيّ:

- ١٨٧٩ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لاَ يَدْخُلُ المَدِينَةَ رُعْبُ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ»(١).

- ١٨٨١ عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ، إِلَّا عَلَيْهِ المَلاَئِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»(٢).

- ١٨٨٢ عن أَبَي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رضي الله عنه، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثًا طَوِيلًا عَنِ الدَّجَّالِ فَكَانَ فِيمَا حَدَّثَنَا بِهِ أَنْ قَالَ: «يَأْتِي الدَّجَّالُ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ المَدِينَةِ، بَعْضَ السِّبَاخِ الَّتِي بِالمَدِينَةِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ، أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ، فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ، الَّذِي حَدَّثَنَا عَنْكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُ هذا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي اليَوْمَ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَقْتُلُهُ فَلاَ أُسَلَّطُ عَلَيْهِ»(٣).

صَحِيحُ مُسلِمٍ:

- ١٦٩ قَالَ سَالِمٌ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: تَعَلَّمُوا أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ

---

(١) البُخَارِيّ (٧١٢٥،٧١٢٦)

(٢) البُخَارِيّ (٧١٣٤،٧٤٧٣) ومسلم (٢٩٤٣).

(٣) البُخَارِيّ (٧١٣٢) ومسلم (١٣٧٤،٢٩٢٧،٢٩٣٨).



بِأَعْوَرَ » قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ يَوْمَ حَذَّرَ النَّاسَ الدَّجَّالَ: «إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ، أَوْ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ»، وَقَالَ: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ».

- ٢٩٣٣ عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك.ف.ر»[1].

- ٢٩٣٤ عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ، نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ، فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ».

- ٢٩٣٧ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ

---

(١) رواه البخاري (٧١٣١،٧٤٠٨)



كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ



مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».

- ٢٩٣٨ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ - مَسَالِحُ الدَّجَّالِ - فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هذا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ، فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هذا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ، فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هذا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ».
- ٢٩٤٣ عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا، فَيَنْزِلُ بِالسِّبْخَةِ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ».
- ٢٩٤٤ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ عَمِّهِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ».

- ٢٩٤٥ عَن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ شَرِيكٍ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ ، يَقُولُ: «لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ»، قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «هُمْ قَلِيلٌ».

سنن أبي داوود:

- ٤٣١٩ عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول اللهَّ ﷺ: «منْ سمعَ بالدَّجالِ فَلْيَنْأ عنهُ، فوالله إنَّ الرجلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحسِبُ أنهُ مؤمنٌ، فَيَتَّبِعُهُ ممَّا يَبعثُ بِهِ منَ الشُّبُهَاتِ، أو لما يَبعثُ بِهِ منَ الشُّبهاتِ»[١].
- ٤٣٢١ وعن النَّواس بن سَمعان الكِلابي رضي الله عنه، قال: ذَكَرَ رسول اللهَّ ﷺ الدجال، فقال: «إنْ يخرجْ وأنا فِيكُم، فَأَنا حَجيجُهُ دُونكم، وإنْ يَخرُجْ وَلَستُ فِيكُم فامرؤٌ حَجيجُ نفسهِ، والله خليفتي على كلِّ مُسلِم، فَمَنْ أَدرَكَهُ مِنكُم فليَقرَأ عَلَيهِ فَوَاتِحَ سُورَة الكَهف، فَإنَّها جِوارُكم من فتنته، قُلنا: وَمَا لُبْثُه في الأَرضِ؟ قَال: أَربعونَ يَومًا: يوم كَسَنَةٍ، ويوم كشهرٍ، وَيوم كَجُمعة، وسَائر أَيَّامِهِ كَأيامِكُم، فَقُلنَا: يَا رَسُولَ اللهَّ، هَذَا اليَوم الّذي كَسَنَةٍ: أتكفِينَا فيهِ صَلاة يوم وليلة؟ قَالَ: لا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ، ثُمَّ يَنزلُ عِيسَى ابن مَريَم عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، فيدركه عند باب لُدٍّ فَيَقْتُله»[٢].
- ٤٣٢٤ عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة: أن النبي -ﷺ- قال: «لَيسَ بَينِي وَبَينَه نَبيٌّ -يعني: عِيسَى- وإنَّه نَازلٌ، فَإذا رَأيْتمُوه، فاعرِفُوه: رَجلٌ مَرْبُوعٌ، إلى الحُمْرَةِ والبَيَاض، بَين مُمَصَّرَتَيْن، كَأَنَّ رَأْسَه يَقْطُر، وإنْ لم يُصِبْه بَلَل، فيقَاتل النَّاسَ عَلى الإِسْلام، فَيُدَقُّ الصَّليبَ،

---

(١) صححه الألباني: المشكاة (٥٤٨٨)، ورواه أحمد (١٩٨٧٥،١٩٩٦٨)

(٢) صححه الألباني، ورواه مسلم (٢٩٣٧) والتِّرمِذيّ (٢٢٤٠) والنسائي (٨٠٢٤ - الكبرى) وابن ماجة (٤٠٧٥)

وَيقتل الخِنزير، ويَضَعُ الجِزية، ويُهْلِك اللهَّ في زَمَانِه الملل كلَّها إلَّا الإِسلام، ويُهْلِك المسِيح الدَّجَّال، فيَمكث في الأرضِ أَربَعِينَ سنةً، ثمَّ يُتوَفَّى، فَيُصَلِّي عَلَيهِ المسلِمُونَ»[١].

سنن ابن ماجة:

- ٤٠٧٢ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصّديق، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ الله ﷺ: «أَنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ، يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ، يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ»[٢].
- ٤٠٧٥عن النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ، يَقُولُ: ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ الدَّجَّالَ الْغَدَاةَ، فَخَفَضَ فِيهِ وَرَفَعَ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ الْغَدَاةَ، فَخَفَضْتَ فِيهِ ثُمَّ رَفَعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، قَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ: إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَالله خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ قَائِمَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ رَآهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ، وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا، وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ الله اثْبُتُوا»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله وَمَا لُبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، تَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «فَاقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»، قَالَ، قُلْنَا: فَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ»، قَالَ: «فَيَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ، وَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًى، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ

---

(١) صححه الألباني: قصة الدجال، الصحيحة (٢١٨٢)، انظر البُخَارِيّ (٢٢٢) ومسلم (١٥٥)، وابن ماجة (٤٠٧٨) والتِّرمِذِيّ (٢٢٣٣).

(٢) صححه الألباني – الصحيحة (١٥٩١)، وقال شعيب أرنؤوط في تحقيق ابن ماجه: حسن كما قال عنه التِّرمِذِيّ.



فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ، مَا بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يَمُرَّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَيَنْطَلِقُ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ ضَرْبَةً، فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ، رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبِلُ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ الله عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ، شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ يَنْحَدِرُ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، وَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرَفُهُ، فَيَنْطَلِقُ حَتَّى يُدْرِكَهُ عِنْدَ بَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي نَبِيُّ الله عِيسَى، قَوْمًا قَدْ عَصَمَهُمُ الله، فَيَمْسَحُ وُجُوهَهُمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى الله إِلَيْهِ: يَا عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، وَأَحْرِزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ الله يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ كَمَا قَالَ الله: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦﴾ [الأنبياء]، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، ثُمَّ يَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ فِي هذا مَاءٌ مَرَّةً، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الله، فَيُرْسِلُ الله عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَيَهْبِطُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَلَا يَجِدُونَ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا قَدْ مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ، وَنَتْنُهُمْ، وَدِمَاؤُهُمْ، فَيَرْغَبُونَ إِلَى الله سُبْحَانَهُ، فَيُرْسِلُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ الله، ثُمَّ يُرْسِلُ الله عَلَيْهِمْ مَطَرًا لَا يُكِنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُهُ حَتَّى يَتْرُكَهُ كَالزَّلَقَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، فَتُشْبِعُهُمْ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارِكُ الله فِي الرِّسْلِ حَتَّى إِنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ تَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ تَكْفِي الْقَبِيلَةَ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ تَكْفِي الْفَخِذَ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ

الله عَلَيْهِمْ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى سَائِرُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ، كَمَا تَتَهَارَجُ الْحُمُرُ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»(١).

- ٤٠٧٧ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ ، فَكَانَ أَكْثَرُ خُطْبَتِهِ حَدِيثًا، حَدَّثَنَاهُ عَنِ الدَّجَّالِ، وَحَذَّرَنَاهُ، فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ أَنْ قَالَ: «إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، مُنْذُ ذَرَأَ الله ذُرِّيَّةَ آدَمَ، أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَإِنَّ الله لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ، وَأَنَا آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ، وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لَا مَحَالَةَ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ، فَأَنَا حَجِيجٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنْ يَخْرُجْ مِنْ بَعْدِي، فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَالله خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ، وَالْعِرَاقِ، فَيَعِيثُ يَمِينًا وَيَعِيثُ شِمَالًا، يَا عِبَادَ الله فَاثْبُتُوا، فَإِنِّي سَأَصِفُهُ لَكُمْ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا إِيَّاهُ نَبِيٌّ قَبْلِي، إِنَّهُ يَبْدَأُ، فَيَقُولُ: أَنَا نَبِيٌّ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي، ثُمَّ يُثَنِّي فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ وَلَا تَرَوْنَ رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ أَوْ غَيْرِ كَاتِبٍ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَارًا، فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ، فَمَنِ ابْتُلِيَ بِنَارِهِ، فَلْيَسْتَغِثْ بِالله، وَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ الْكَهْفِ فَتَكُونَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، كَمَا كَانَتِ النَّارُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لِأَعْرَابِيٍّ: أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ، وَأُمِّهِ، فَيَقُولَانِ: يَا بُنَيَّ، اتَّبِعْهُ، فَإِنَّهُ رَبُّكَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَيَقْتُلَهَا، وَيَنْشُرَهَا بِالْمِنْشَارِ، حَتَّى يُلْقَى شِقَّتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولَ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هذا، فَإِنِّي أَبْعَثُهُ الْآنَ، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا غَيْرِي، فَيَبْعَثُهُ الله، وَيَقُولُ لَهُ الْخَبِيثُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ رَبِّيَ الله، وَأَنْتَ عَدُوُّ الله، أَنْتَ الدَّجَّالُ، وَالله مَا كُنْتُ بَعْدُ أَشَدَّ بَصِيرَةً بِكَ مِنِّي الْيَوْمَ»، قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الطَّنَافِسِيُّ: فَحَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ الله بْنُ الْوَلِيدِ الْوَصَّافِيُّ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ذَلِكَ الرَّجُلُ أَرْفَعُ أُمَّتِي دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ» . قَالَ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَالله مَا كُنَّا

---

(١) صححه الألباني .



نُرى ذَلِكَ الرَّجُلَ إِلَّا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ. قَالَ الْمُحَارِبِيُّ، ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: «وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ، وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيُكَذِّبُونَهُ، فَلَا تَبْقَى لَهُمْ سَائِمَةٌ إِلَّا هَلَكَتْ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيُصَدِّقُونَهُ، فَيَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ، وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ، حَتَّى تَرُوحَ مَوَاشِيهِمْ، مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ أَسْمَنَ مَا كَانَتْ وَأَعْظَمَهُ، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، وَأَدَرَّهُ ضُرُوعًا، وَإِنَّهُ لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَطِئَهُ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالْمَدِينَةَ، لَا يَأْتِيهِمَا مِنْ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهِمَا إِلَّا لَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالسُّيُوفِ صَلْتَةً، حَتَّى يَنْزِلَ عِنْدَ الظُّرَيْبِ الْأَحْمَرِ، عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّبَخَةِ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ، وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، فَتَنْفِي الْخَبَثَ مِنْهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ، خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَيُدْعَى ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ الْخَلَاصِ»، فَقَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ بِنْتُ أَبِي الْعَكَرِ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ «هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ، وَجُلُّهُمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ، فَرَجَعَ ذَلِكَ الْإِمَامُ يَنْكُصُ، يَمْشِي الْقَهْقَرَى، لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: تَقَدَّمْ فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ، فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ، فَإِذَا انْصَرَفَ، قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: افْتَحُوا الْبَابَ، فَيُفْتَحُ، وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ، كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وَسَاجٍ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ، كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا، وَيَقُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً، لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا، فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ، فَيَقْتُلُهُ، فَيَهْزِمُ اللهُ الْيَهُودَ، فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، لَا حَجَرَ، وَلَا شَجَرَ، وَلَا حَائِطَ، وَلَا دَابَّةَ، إِلَّا الْغَرْقَدَةَ، فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ، لَا تَنْطِقُ، إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ الْمُسْلِمَ هذا يَهُودِيٌّ، فَتَعَالَ اقْتُلْهُ» قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَإِنَّ أَيَّامَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً، السَّنَةُ كَنِصْفِ السَّنَةِ، وَالسَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَآخِرُ أَيَّامِهِ كَالشَّرَرَةِ، يُصْبِحُ أَحَدُكُمْ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، فَلَا يَبْلُغُ بَابَهَا الْآخَرَ حَتَّى يُمْسِيَ»، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ نُصَلِّي فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْقِصَارِ؟ قَالَ: «تَقْدُرُونَ فِيهَا الصَّلَاةَ كَمَا تَقْدُرُونَهَا فِي



هَذِهِ الْأَيَّامِ الطِّوَالِ، ثُمَّ صَلُّوا»، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَيَكُونُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلًا، وَإِمَامًا مُقْسِطًا، يَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَذْبَحُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ، فَلَا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ، وَلَا بَعِيرٍ، وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ، وَالتَّبَاغُضُ، وَتُنْزَعُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ، حَتَّى يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي فِي الْحَيَّةِ، فَلَا تَضُرَّهُ، وَتُفِرَّ الْوَلِيدَةُ الْأَسَدَ، فَلَا يَضُرُّهَا، وَيَكُونَ الذِّئْبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا، وَتُمْلَأُ الْأَرْضُ مِنَ السِّلْمِ كَمَا يُمْلَأُ الْإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ، وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا الله، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا، وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الْقِطْفِ مِنَ الْعِنَبِ فَيُشْبِعَهُمْ، وَيَجْتَمِعَ النَّفَرُ عَلَى الرُّمَّانَةِ فَتُشْبِعَهُمْ، وَيَكُونَ الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ، وَتَكُونَ الْفَرَسُ بِالدُّرَيْهِمَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا يُرْخِصُ الْفَرَسَ؟ قَالَ «لَا تُرْكَبُ لِحَرْبٍ أَبَدًا»، قِيلَ لَهُ: فَمَا يُغْلِي الثَّوْرَ؟ قَالَ «تُحْرَثُ الْأَرْضُ كُلُّهَا، وَإِنَّ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ شِدَادٍ، يُصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ، يَأْمُرُ الله السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى أَنْ تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ، فِي الثَّانِيَةِ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ الله السَّمَاءَ، فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ، فَتَحْبِسُ مَطَرَهَا كُلَّهُ، فَلَا تُقْطِرُ قَطْرَةً، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ، فَتَحْبِسُ نَبَاتَهَا كُلَّهُ، فَلَا تُنْبِتُ خَضْرَاءَ، فَلَا تَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ إِلَّا هَلَكَتْ، إِلَّا مَا شَاءَ الله»، قِيلَ: فَمَا يُعِيشُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؟ قَالَ «التَّهْلِيلُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَيُجْرَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مُجْرَى الطَّعَامِ»، قَالَ أَبُو عَبْدِ الله: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الطَّنَافِسِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْمُحَارِبِيَّ، يَقُولُ: «يَنْبَغِي أَنْ يُدْفَعَ هذا الْحَدِيثُ إِلَى الْمُؤَدِّبِ، حَتَّى يُعَلِّمَهُ الصِّبْيَانَ فِي الْكُتَّابِ»(١).

---

(١) ضعف إسناده الألباني والأرنؤوط، وذكر الأرنؤوط لأجزائه شواهد كثيرة من الصحيحين.

صحيح ابن حبان:

- ٦٧٨٤ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: لَقِيَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ ابْنَ صَائِدٍ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، قَالَ: وَابْنُ صَائِدٍ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟** »، قَالَ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ: «**آمَنْتُ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ**»، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا تَرَى؟**»، قَالَ: أَرَى عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ، فَقَالَ ﷺ: «**تَرَى عَرْشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ**»، قَالَ: «انْظُرْ مَا تَرَى؟ »، قَالَ: أَرَى صَادِقِينَ وَكَاذِبِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لُبِسَ عَلَى نَفْسِهِ**» فَدَعَاهُ(١).
- ٦٧٨٧ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، أَنَّهُ، قَالَ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ: حَدِّثِينِي بِشَيْءٍ سَمِعْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَلَا تُحَدِّثِينِي بِشَيْءٍ لَمْ تَسْمَعِيهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَتْ: نَعَمْ، نُودِيَ بِالصَّلَاةِ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَفَزِعُوا، قَالَتْ: فَصَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: «**إِنِّي لَمْ أَجْمَعْكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ حَدِيثٌ حَدَّثَنِيهِ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ، زَعَمَ أَنَّهُ رَكِبَ الْبَحْرَ فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامٍ، قَالَ: فَلَعِبَ بِنَا الْبَحْرُ – وَرُبَّمَا، قَالَ: لَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ – شَهْرًا ثُمَّ قَذَفَ بِنَا السَّفِينَةَ إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ، قَالَ: فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا فَلَقِيَتْنَا جَارِيَةٌ تَجُرُّ شَعْرَهَا، لَا نَدْرِي مُقْبِلَةٌ هِيَ أَمْ مُدْبِرَةٌ، قُلْنَا: مَا أَنْتِ؟ قَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: أَخْبِرِينَا، قَالَتْ: عَلَيْكُمْ بِصَاحِبِ الدَّيْرِ، وَهُوَ يُخْبِرُكُمْ وَيَسْتَخْبِرُكُمْ، قَالَ: فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَإِذَا رَجُلٌ – ذَكَرَ مِنْ عِظَمِهِ مَا شَاءَ اللهُ – وَهُوَ مُوثَقٌ إِلَى حَبَلٍ بِالْحَدِيدِ، فَقُلْنَا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَخْبِرُونِي عَمَّا أَسْأَلُكُمْ عَنْهُ، قَالُوا: سَلْنَا، قَالَ: مَا فَعَلَ نَخْلُ بَيْسَانَ، يُطْعِمُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: يُوشِكُ أَنْ لَا يُطْعَمَ، ثُمَّ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، بِهَا مَاءٌ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: يُوشِكُ أَنْ لَا يَكُونَ بِهَا مَاءٌ، ثُمَّ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ هذا الرَّجُلِ، هَلْ خَرَجَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: إِنَّهُ صَادِقٌ فَاتَّبِعُوهُ، فَقُلْنَا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الدَّجَّالُ**» قَالَ

(١) صححه الألباني، وقال شعيب أرنؤوط : صحيح على شرط مسلم.

كَهْمَسٌ: فَذَكَرَ ابْنُ بُرَيْدَةَ شَيْئًا لَمْ أَحْفَظْهُ، إِلَّا أَنَّهُ، قَالَ: «**تُطْوَى لَهُ الْأَرْضُ، وَيَأْتِي عَلَى جَمِيعِهِنَّ فِي أَرْبَعِينَ صَبَاحًا**»(١).

- ٦٧٩٣ عن أيوب وعبيد الله بن عمر عن نافع ثمّ أن ابن عمر رأى ابن صَائِدٍ فِي سِكَّةٍ مِنْ سِكَكِ الْمَدِينَةِ، فَسَبَّهُ ابْنُ عُمَرَ، وَوَقَعَ فِيهِ، فَانْتَفَخَ حَتَّى سَدَّ الطَّرِيقَ، فَضَرَبَهُ ابْنُ عُمَرَ بِعَصًا، فَسَكَنَ حَتَّى عَادَ، فَانْتَفَخَ حَتَّى سَدَّ الطَّرِيقَ، فَضَرَبَهُ ابْنُ عُمَرَ بِعَصًا مَعَهُ حَتَّى كَسَرَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَتْ لَهُ حَفْصَةُ، مَا شَأْنُكَ وَشَأْنُهُ، مَا يُولِعُكَ بِهِ، أَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا**»(٢).
- ٦٧٩٨ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَتْبَعُ الدَّجَّالَ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ**»(٣).

المستدرك عَلى الصَّحِيحين أبو عبدالله الحاكم النيسابوري:

- ٨٤١٩ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: غَدَوْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: «مَا نِمْتُ الْبَارِحَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ»، قُلْتُ: لِمَ؟ قَالَ: «قَالُوا: طَلَعَ الْكَوْكَبُ ذُو الذَّنَبِ، فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ الدَّجَّالُ قَدْ طَرَقَ» هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٤).

---

(١) صححه الألباني (صحيح أبي داود).

(٢) وروى مسلم بمعناه (٢٩٣٢) و صححه الأرنؤوط، والألباني (الصحيحة-٢٤٥٧).

(٣) وأخرجه مسلم (٢٩٤٤) وصححه الألباني- (الصحيحة-٣٠٨٠) وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط البُخَارِيّ

(٤) وافقه الذهبي. ورواه ابن جرير بإسناد رجاله ثقات، وفيهم ابن جريج عن ابن أبي مليكة، وابن جريج كثير التدليس والإرسال، ولم يصرح هنا بالسماع. لكن تابعه عبد الله بن أبي يزيد؛ فقد روى ابن أبي حاتم بإسناده إلى سفيان عن عبد الله بن أبي يزيد عن ابن أبي مليكة؛ كما أورده ابن كثير في (التفسير) ، وصحح إسناده. انظر: (تفسير ابن كثير٧/ ٢٤٩)

- ٨٤٢٠ عَنْ أَبِي قَبِيلٍ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: «لِلدَّجَّالِ آيَاتٌ مَعْلُومَاتٌ: إِذَا غَارَتِ الْعُيُونُ، وَنَزَفَتِ الْأَنْهَارُ، وَاصْفَرَّ الرَّيْحَانُ، وَانْتَقَلَتْ مَذْحِجُ وَهَمْدَانُ مِنَ الْعِرَاقِ، فَنَزَلَتْ قِنَّسْرِينَ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ غَادِيًا أَوْ رَائِحًا». هذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(١).
- ٨٤٧٣ عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: أَتَيْنَا عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِنُعَارِضَ مُصْحَفَنَا بِمُصْحَفِهِ، فَلَمَّا حَضَرَتِ الْجُمُعَةُ أَمَرَنَا فَاغْتَسَلْنَا وَتَطَيَّبْنَا، وَرُحْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَلَسْنَا إِلَى رَجُلٍ يُحَدِّثُ ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ فَتَحَوَّلْنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ عُثْمَانُ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم ، يَقُولُ: «يَكُونُ لِلْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةُ أَمْصَارٍ: مِصْرٌ بِمُلْتَقَى الْبَحْرَيْنِ، وَمِصْرٌ بِالْجَزِيرَةِ، وَمِصْرٌ بِالشَّامِ، فَيَفْزَعُ النَّاسُ ثَلَاثَ فَزَعَاتٍ فَيَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي عِرَاضِ جَيْشٍ فَيَهْزِمُ مَنْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ، فَأَوَّلُ مِصْرٍ يَرِدُهُ الْمِصْرُ الَّذِي بِمُلْتَقَى الْبَحْرَيْنِ، فَتَصِيرُ أَهْلُهَا ثَلَاثَ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ تُقِيمُ وَتَقُولُ نُشَامُّهُ وَنَنْظُرُ مَا هُوَ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْأَعْرَابِ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْمِصْرِ الَّذِي يَلِيهِمْ، ثُمَّ يَأْتِي الْمِصْرَ الَّذِي يَلِيهِمْ فَيَصِيرُ أَهْلُهُ ثَلَاثَ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ تَقُولُ نُشَامُّهُ وَنَنْظُرُ مَا هُوَ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْأَعْرَابِ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْمِصْرِ الَّذِي يَلِيهِمْ، ثُمَّ يَأْتِي الشَّامَ فَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَقَبَةِ أَفِيقَ فَيَبْعَثُونَ بِسَرْحٍ لَهُمْ، فَيُصَابُ سَرْحُهُمْ فَيَشْتَدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَتُصِيبُهُمْ مَجَاعَةٌ شَدِيدَةٌ وَجَهْدٌ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُحْرِقُ وِتْرَ قَوْسِهِ فَيَأْكُلُهُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّحَرِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَتَاكُمُ الْغَوْثُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ هذا لَصَوْتُ رَجُلٍ شَبْعَانَ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَيَقُولُ لَهُ إِمَامُ النَّاسِ: تَقَدَّمْ يَا رُوحَ الله فَصَلِّ بِنَا، فَيَقُولُ: إِنَّكُمْ مَعْشَرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أُمَرَاءُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، تَقَدَّمْ أَنْتَ فَصَلِّ بِنَا، فَيَتَقَدَّمُ فَيُصَلِّي بِهِمْ فَإِذَا انْصَرَفَ أَخَذَ عِيسَى صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ حَرْبَتَهُ نَحْوَ الدَّجَّالِ فَإِذَا رَآهُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ، فَتَقَعُ حَرْبَتُهُ بَيْنَ تَنْدُوَتِهِ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَنْهَزِمُ أَصْحَابُهُ فَلَيْسَ

(١) صححه الذهبي. والحديث موقوف

شَيْءٌ يَوْمَئِذٍ يُحْبَسُ مِنْهُمْ أَحَدًا، حَتَّى إِنَّ الْحَجَرَ يَقُولُ: يَا مُؤْمِنُ هذا كَافِرٌ فَاقْتُلْهُ». هذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ بِذِكْرِ أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(١).

- ٨٥٠٧ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، نَهْرَانِ: أَحَدُهُمَا نَارٌ تَأَجَّجُ فِي عَيْنِ مَنْ رَآهُ، وَالْآخَرُ مَاءٌ أَبْيَضُ فَإِنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ أَحَدٌ فَلْيُغْمِضْ، وَلْيَشْرَبْ مِنَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِيَّاكُمْ وَالْآخَرُ فَإِنَّهُ الْفِتْنَةُ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَأُهُ مَنْ يَكْتُبُ وَمَنْ لَا يَكْتُبُ، وَأَنَّ إِحْدَى عَيْنَيْهِ مَمْسُوحَةٌ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ، أَنَّهُ يَطْلُعُ مِنْ آخِرِ أَمْرِهِ عَلَى بَطْنِ الْأُرْدُنِّ، عَلَى بَيْتِهِ أَفْيَقُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ بِبَطْنِ الْأُرْدُنِّ، وَأَنَّهُ يَقْتُلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُلُثًا، وَيَهْزِمُ ثُلُثًا، وَيُبْقِي ثُلُثًا، وَيَجِنُّ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ، فَيَقُولُ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ لِبَعْضٍ: مَا تَنْتَظِرُونَ أَنْ تَلْحَقُوا بِإِخْوَانِكُمْ فِي مَرْضَاةِ رَبِّكُمْ، مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ طَعَامٍ فَلْيَغْدُ بِهِ عَلَى أَخِيهِ، وَصَلُّوا حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ، وَعَجِّلُوا الصَّلَاةَ، ثُمَّ أَقْبِلُوا عَلَى عَدُوِّكُمْ، فَلَمَّا قَامُوا يُصَلُّونَ نَزَلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ إِمَامُهُمْ، فَصَلَّى بِهِمْ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: هَكَذَا افْرِجُوا بَيْنِي وَبَيْنَ عَدُوِّ الله» قَالَ أَبُو حَازِمٍ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «فَيَذُوبُ كَمَا تَذُوبُ الْإِهَالَةُ فِي الشَّمْسِ»، وَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو: «كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، وَسَلَّطَ الله عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمِينَ فَيَقْتُلُونَهُمْ حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ لَيُنَادِي: يَا عَبْدَ الله، يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، يَا مُسْلِمُ هذا يَهُودِيٌّ فَاقْتُلْهُ، فَيُفْنِيهِمُ الله وَيَظْهَرُ الْمُسْلِمُونَ، فَيَكْسِرُونَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُونَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُونَ الْجِزْيَةَ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، أَخْرَجَ الله أَهْلَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ فَيَشْرَبُ أَوَّلُهُمُ الْبُحَيْرَةَ، وَيَجِيءُ آخِرُهُمْ وَقَدِ اسْتَقَوْهُ، فَمَا يَدَعُونَ فِيهِ قَطْرَةً، فَيَقُولُونَ: ظَهَرْنَا عَلَى أَعْدَائِنَا قَدْ كَانَ هَاهُنَا أَثَرُ مَاءٍ، فَيَجِيءُ نَبِيُّ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَرَاءَهُ، حَتَّى يَدْخُلُوا مَدِينَةً مِنْ مَدَائِنِ فِلَسْطِينَ، يُقَالُ لَهَا: لُدٌّ، فَيَقُولُونَ: ظَهَرْنَا عَلَى مَنْ فِي الْأَرْضِ، فَتَعَالَوْا نُقَاتِلُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَدْعُو الله نَبِيَّهُ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ، فَيَبْعَثُ الله عَلَيْهِمْ قُرْحَةً فِي حُلُوقِهِمْ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ بِشْرٌ، فَتُؤْذِيَ

(١) قال الذهبي: في إسناده أبو هبيرة وهو واهٍ



رِيحُهُمُ الْمُسْلِمِينَ، فَيَدْعُو عِيسَى صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ عَلَيْهِمْ، فَيُرْسِلُ الله عَلَيْهِمْ رِيحًا فَتَقْذِفُهُمْ فِي الْبَحْرِ أَجْمَعِينَ» هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(١).

- ٨٥٠٨ عن النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ، يَقُولُ: ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَضَ فِيهِ وَرَفَعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، وَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ الْغَدَاةَ فَخَفَضْتَ وَرَفَعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّخْلِ، قَالَ: «إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَالله خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ لِحْيَتُهُ، قَائِمَةٌ كَأَنَّهُ شَبِيهُ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ رَآهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ» ثُمَّ قَالَ: «أُرَاهُ يَخْرُجُ مَا بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ الله اثْبُتُوا» قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله وَمَا لُبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعِينَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله فَذَلِكَ الَّذِي كَسَنَةٍ يَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله فَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ» قَالَ: «فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، وَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ دَرًّا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَتَتْبَعُهُ أَمْوَالُهُمْ وَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ مَا بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَيَنْطَلِقُ وَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُسْلِمًا شَابًّا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ، قَطْعَ رَمْيَةِ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ وَيَضْحَكُ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ الله تَعَالَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ فِي مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، وَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ عِنْدَ بَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ الله، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ

---

(١) سكت عنه الذهبي. قال الوادعي : «أصل الحديث متفق عليه البخاري(٣٤٥٠)، ومسلم (٢٩٣٥،٢٩٣٤)»



السَّلَامُ نَبِيُّ الله قَوْمًا قَدْ عَصَمَهُمُ الله مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وَجْهِهِ وَيُحَدِّثُهُمْ عَنْ دَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى الله إِلَيْهِ: يَا عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يُدَانُ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، حَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ الله يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَيَمُرُّ أَوَّلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، ثُمَّ يَمُرُّ آخِرُهُمْ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ فِي هذا مَاءٌ مَرَّةً فَيَحْصُرُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ، فَيُرْسِلُ الله عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَيَهْبِطُ نَبِيُّ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ لَا يَجِدُونَ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا وَقَدْ مَلَأَهُ الله بِزَهَمِهِمْ وَنَتْنِهِمْ وَدِمَائِهِمْ، وَيَرْغَبُ نَبِيُّ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الله، فَيُرْسِلُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ، وَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ، ثُمَّ يُرْسِلُ الله مَطَرًا لَا يَكُنْ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ قَالَ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرُّسُلِ حَتَّى إِنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ تَكْفِي الْقَبِيلَةَ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ تَكْفِي الْفَخِذَ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ الله رِيحًا طَيْبَةً تَأْخُذُ تَحْتَ آبَاطِهِمْ وَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى سَائِرُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ كَمَا تَهَارَجُ الْحُمُرُ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ». هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[١].

- ٨٥٥١ عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: إِنَّ رَأْسَ الدَّجَّالِ مِنْ وَرَائِهِ حُبُكٌ حُبُكٌ، وَإِنَّهُ سَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَمَنْ قَالَ: أَنْتَ رَبِّي افْتُتِنَ، وَمَنْ قَالَ: كَذَبْتَ رَبِّيَ الله وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْهِ أُنِيبُ فَلَا يَضُرَّهُ - أَوْ قَالَ: فَلَا فِتْنَةَ عَلَيْهِ -» هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ[٢].

---

(١) وافقه الذهبي، وأخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) وافقه الذهبي، ورواه أحمد (١٦٢٦٠) وضعفه الأرنؤوط.

- ٨٥٦١ عَنْ أَبِي الزَّاهِرِيَّةِ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ طَعَامِ الْمُؤْمِنِينَ فِي زَمَنِ الدَّجَّالِ، قَالَ: «طَعَامُ الْمَلَائِكَةِ» قَالُوا: وَمَا طَعَامُ الْمَلَائِكَةِ؟ قَالَ: «طَعَامُهُمْ مَنْطِقُهُمْ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ، فَمَنْ كَانَ مَنْطِقُهُ يَوْمَئِذٍ التَّسْبِيحَ وَالتَّقْدِيسَ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُ الْجُوعَ، فَلَمْ يَخْشَ جُوعًا»(١).

- ٨٦١٤ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَكُلُّ امْرِئٍ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، أَلَا وَإِنَّهُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ كَأَنَّهَا عَيْنُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ الْخُزَاعِيِّ، أَلَا فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَأُ كُلُّ مُسْلِمٍ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكَهْفِ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللهِ اثْبُتُوا» ثَلَاثًا، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا مُكْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَالسَّنَةِ، وَيَوْمٌ كَالشَّهْرِ، وَيَوْمٌ كَالْجُمُعَةِ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَكَيْفَ نَصْنَعُ بِالصَّلَاةِ يَوْمَئِذٍ صَلَاةُ يَوْمٍ أَوْ نَقْدُرُ؟ قَالَ: «بَلْ تَقْدُرُوا» هذا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(٢).

- ٨٦٣١ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ عَنْ مِحْجَنِ بْنِ الْأَدْرَعِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ: «يَوْمُ الْخَلَاصِ وَمَا يَوْمُ الْخَلَاصِ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا يَوْمُ الْخَلَاصِ؟ فَقَالَ: «يَجِيءُ الدَّجَّالُ فَيَصْعَدُ أُحُدًا فَيَطَّلِعُ فَيَنْظُرُ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ أَلَا تَرَوْنَ إِلَى هذا الْقَصْرِ الْأَبْيَضِ، هذا مَسْجِدُ أَحْمَدَ، ثُمَّ يَأْتِي الْمَدِينَةَ فَيَجِدُ بِكُلِّ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهَا مَلَكًا مُصْلِتًا، فَيَأْتِي سُبْخَةَ الْجُرُفِ فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ ثُمَّ تَرْتَجِفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ، وَلَا فَاسِقٌ وَلَا فَاسِقَةٌ

---

(١) قال الحاكم: حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وقال الذهبي: كلا فسعيد مُتّهَم تَالِف.

(٢) صححه الذهبي. وقال الحافظ في «الإصابة» في ترجمة نفير في هذا الحديث: (وهو عند مسلم جبير بن نفير عن النواس بن سمعان، فإن كان محفوظا فهو عن جبير بن نفير عن شيخين)

إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، فَتَخْلُصُ الْمَدِينَةُ وَذَلِكَ يَوْمُ الْخَلَاصِ» هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ(١).

مجمع الزوائد لمؤلفه علي بن أبي بكر الهيثمي رَحِمَهُ اللهُ.

- ١٢٤٩٨«وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «لَأَنَا لِفِتْنَةِ بَعْضِكُمْ أَخْوَفُ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَلَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِمَّا قَبْلَهَا إِلَّا نَجا مِنْهَا، وَمَا صُنِعَتْ فِتْنَةٌ مُنْذُ كَانَتِ الدُّنْيَا صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ»(٢)، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَزَّارُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.
- ١٢٤٩٩ عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ إِصْطَخْرُ إِذَا مُنَادٍ يُنَادِي: أَلَا إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، قَالَ: فَلَقِيَهُمُ الصَّعْبُ بْنُ جَثَّامَةَ فَقَالَ: لَوْلَا مَا تَقُولُونَ لَأَخْبَرْتُكُمْ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَخْرُجُ الدَّجَّالُ حَتَّى يَذْهَلَ النَّاسُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَحَتَّى تَتْرُكَ الْأَئِمَّةُ ذِكْرَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ»(٣). رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ مِنْ رِوَايَةِ بَقِيَّةَ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو، وَهِيَ صَحِيحَةٌ كَمَا قَالَ ابْنُ مَعِينٍ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ.
- ١٢٥١٥ وَعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَادَى: «الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ»، فَخَرَجْتُ فِي نِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ، فَصَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الظُّهْرِ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، قَالَتْ فَاطِمَةُ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَافِعًا يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبِطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ أَنَّ هَذِهِ طِيبَةُ؟» ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ»، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ أُرِيحَ، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ: «بَلْ فِي بَحْرِ الْعِرَاقِ بَلْ هُوَ فِي بَحْرِ الْعِرَاقِ، يَخْرُجُ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَلْدَةٍ يُقَالُ لَهَا أَصْبَهَانُ مِنْ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَاهَا يُقَالُ لَهَا رُسْتَقَ آبَاذُ يَخْرُجُ حِينَ يَخْرُجُ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ السِّيجَانُ، مَعَهُ نَهْرَانِ نَهْرٌ مِنْ مَاءٍ وَنَهْرٌ مِنْ نَارٍ، فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ ذَلِكَ فَقِيلَ لَهُ: ادْخُلِ الْمَاءَ فَلَا يَدْخُلْ

---

(١) وافقه الذهبي. ورواه أحمد (١٨٩٧٥) وضعفه الأرنؤوط لانقطاعه: عبد الله بن شقيق لم يسمع محجن بن الأدرع.

(٢) رواه أحمد (٢٣٣٥٢) وابن حبان (٦٨٠٧) وصححه الألباني والأرنؤوط.

(٣) رواه أحمد (١٦٦٦٧) وضعفه الأرنؤوط.



فَإِنَّهُ نَارٌ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ: ادْخُلِ النَّارَ فَلْيَدْخُلْهَا فَإِنَّهَا مَاءٌ»(١)، رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ فِي حَدِيثِهَا الطَّوِيلِ، وَفِيهِ سَيْفُ بْنُ مِسْكِينٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا.

- ١٢٥١٨ وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: نَزَلَ عَلَيَّ عَبْدُ اللهِ ابْنُ مُعْتِمٍ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الدَّجَّالُ لَيْسَ بِهِ خَفَاءٌ، إِنَّهُ يَجِيءُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَيَدْعُو لِي فَيُتَّبَعُ، وَيَنْصَبُ لِلنَّاسِ فَيُقَاتِلُهُمْ وَيَظْهَرُ عَلَيْهِمْ، فَلَا يَزَالُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَقْدَمَ الْكُوفَةَ، فَيُظْهِرُ دِينَ اللهِ وَيَعْمَلُ بِهِ فَيُتَّبَعُ وَيُحَبُّ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنِّي نَبِيٌّ، فَيَفْزَعُ مِنْ ذَلِكَ كُلُّ ذِي لُبٍّ وَيُفَارِقُهُ، فَيَمْكُثُ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى يَقُولَ: أَنَا اللهُ، فَتُغْشَى عَيْنُهُ، وَتُقْطَعُ أُذُنُهُ، وَيُكْتَبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، فَلَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَيُفَارِقُهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَيَكُونُ أَصْحَابُهُ وَجُنُودُهُ الْمَجُوسَ وَالْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَهَذِهِ الْأَعَاجِمُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ يَدْعُو بِرَجُلٍ فِيمَا يَرَوْنَ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَقْطَعُ أَعْضَاءَهُ كُلَّ عُضْوٍ عَلَى حِدَةٍ، فَيُفَرِّقُ بَيْنَهَا حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ، ثُمَّ يَجْمَعُ بَيْنَهَا، ثُمَّ يَضْرِبُ بِعَصَاهُ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَيَقُولُ: أَنَا اللهُ الَّذِي أُحْيِي وَأُمِيتُ، وَذَلِكَ كُلُّهُ سِحْرٌ يَسْحَرُ بِهِ أَعْيُنَ النَّاسِ لَيْسَ يَعْمَلُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا»(٢).

- ١٢٥٤٩وَعَنِ الْعُرْيَانِ بْنِ الْهَيْثَمِ قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَأَخَذَ مِرْفَقَتَهُ فَاتَّكَأَ عَلَيْهَا، قُلْنَا: مَنْ هذا ؟ قَالَ بَعْضُهُمْ: هذا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ بَعْضُنَا: يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، إِنَّا لَنُحَدِّثُ عَنْكَ أَحَادِيثَ، قَالَ: إِنَّكُمْ مَعَاشِرَ أَهْلِ الْعِرَاقِ تَأْخُذُونَ الْأَحَادِيثَ مِنْ أَسَافِلِهَا وَلَا تَأْخُذُونَهَا مِنْ أَعَالِيهَا، وَذَكَرُوا الدَّجَّالَ، فَقَالَ: أَبِأَرْضِكُمْ أَرْضٌ يُقَالُ لَهَا كُوثًا ذَاتُ سِبَاخٍ وَنَخْلٍ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا)(٣). رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢٧٠) والأوسط (٤٨٥٩) وإسناده ضعيف جدا، فيه سيف بن مسكين (قال ابن حبان: سيف بن مسكين يأتي بالمقلوبات والأشياء الموضوعات لا يحل الاحتجاج به لمخالفته الأثبات في الروايات على قلتها)

(٢) قال الهيثمي : (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ وَهُوَ مَتْرُوكٌ)، وهو كما قال.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٤١٦٤) ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ٣٥٠) ، وقال: «رواه الطبراني، ورجاله ثقات» . إلا أنه جعله من رواية العريان بن الهيثم عن عبد الله بن عمرو، ولم يذكر: «عن أبيه» .ورواه مسدد في "مسنده"؛

- ١٢٥٥٦عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ: «تَلِدُهُ أُمُّهُ وَهِيَ مَنْبُوذَةٌ فِي قَبْرِهَا، فَإِذَا وَلَدَتْهُ حَمَلَتِ النِّسَاءُ بِالْخَطَّائِينَ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُمَحِيُّ، قَالَ الْبُخَارِيّ: مَجْهُولٌ.

المصنف في الأحاديث والآثار أبو بكر عبدالله بن محمّد بن أبي شيبة الكوفي.

- ٣٧٤٩٢ عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، قَالَ: سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ، يَقُولُ: «لَوْ خَرَجَ الدَّجَّالُ لَآمَنَ بِهِ قَوْمٌ فِي قُبُورِهِمْ»[١].
- ٣٧٤٩٩ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «هَلْ بِالْعِرَاقِ أَرْضٌ يُقَالُ لَهَا خُرَاسَانُ»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْهَا»[٢].
- ٣٧٥٣٦ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، عَنْ رَجُلٍ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ عَلَى حِمَارٍ، رِجْسٌ عَلَى رِجْسٍ»[٣].
- ٣٧٥٣٧ أَبُو بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَيَصْحَبَنَّ الدَّجَّالَ قَوْمٌ يَقُولُونَ: إِنَّا لَنَصْحَبُهُ، وَإِنَّا لَنَعْلَمُ

كما في "المطالب العالية" (٤٥١٩) ورواه عبد الرزاق (٢٠٨٢٩) ، ونعيم بن حماد في "الفتن" (١٥٠٣) ؛ من طريق محمد بن شبيب، عن العريان بن الهيثم، عن عبد الله بن عمرو، به، مختصرًا عند نعيم بن حماد، ومطولاً عند عبد الرزاق، وجعل القصة مع معاوية بن أبي سفيان، لا مع ابنه يزيد بن معاوية، ولم يذكر في إسناده: «عن أبيه» .ورواه نعيم بن حماد في "الفتن" (١٥٠٢ و١٥٠٤ و١٥١١) ، وابن أبي شيبة (٣٨٥٠٧) ؛ من طريق أبي قيس عبد الرحمن بن ثروان، عن الهيثم بن الأسود، به، مختصرًا بدون ذكر القصة عند نعيم بن حماد، ومطولاً مع ذكر القصة عند ابن أبي شيبة، إلا أنه جعل القصة أيضًا مع معاوية بن أبي سفيان.

(١) إسناده ضعيف. فيه قيس بن أبي مسلم كان رافضيا ولم يوثقه معتبر.

(٢) رجال إسناده ثقات إلا سعيد بن أبي عروبة قال ابن حجر: صدوق يهم.

(٣) إسناده ثقات إلا فطر: قال ابن حجر: صدوق رمي بالتشيع.



أَنَّهُ كَذَّابٌ، وَلَكِنَّا إِنَّمَا نَصْحَبُهُ لِنَأْكُلَ مِنَ الطَّعَامِ وَنَرْعَى مِنَ الشَّجَرِ، وَإِذَا نَزَلَ غَضَبُ الله نَزَلَ عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ»(١).

- ٣٧٥٣٨ وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِي الْمِقْدَامِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ الله، قَالَ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ كُوثَى»(٢).
- ٣٧٥٣٩ وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي صَادِقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ الله: (إِنِّي لَأَعْلَمُ أَوَّلَ أَهْلِ أَبْيَاتٍ يَقْرَعُهُمُ الدَّجَّالُ: أَنْتُمْ أَهْلُ الْكُوفَةِ)(٣).

الجامع لمعمر بن راشد:

أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي سُفْيَانَ الثَّقَفِيُّ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ رَجُلٌ، مِنَ الْأَنْصَارِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «يَأْتِي سِبَاخَ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَهَا، فَتَنْتَفِضُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا نَفْضَةً أَوْ نَفْضَتَيْنِ، وَهِيَ الزَّلْزَلَةُ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ، ثُمَّ يُوَلِّي الدَّجَّالُ قِبَلَ الشَّامِ، حَتَّى يَأْتِيَ بَعْضَ جِبَالِ الشَّامِ فَيُحَاصِرَهُمْ، وَبَقِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُعْتَصِمُونَ بِذِرْوَةِ جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ الشَّامِ، فَيُحَاصِرُهُمُ الدَّجَّالُ نَازِلًا بِأَصْلِهِ، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى مَتَى أَنْتُمْ هَكَذَا وَعَدُوُّ الله نَازِلٌ بِأَرْضِكُمْ هَكَذَا، هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا بَيْنَ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ، بَيْنَ أَنْ يَسْتَشْهِدَكُمُ الله أَوْ يُظْهِرَكُمْ، فَيُبَايِعُونَ عَلَى الْمَوْتِ بَيْعَةً يَعْلَمُ الله أَنَّهَا الصِّدْقُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ تَأْخُذُهُمْ ظُلْمَةٌ لَا يُبْصِرُ امْرُؤٌ فِيهَا كَفَّهُ، قَالَ: فَيَنْزِلُ ابْنُ مَرْيَمَ فَيَحْسِرُ عَنِ أَبْصَارِهِمْ، وَبَيْنَ أَظْهُرِهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ لَأْمَتُهُ يَقُولُونَ: مَنْ أَنْتَ يَا عَبْدَ الله؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ، وَكَلِمَتُهُ، عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، اخْتَارُوا بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: بَيْنَ أَنْ يَبْعَثَ الله عَلَى الدَّجَّالِ وَجُنُودِهِ عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ يَخْسِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ، أَوْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ سِلَاحَكُمْ، وَيَكُفَّ

---

(١) إسناده ثقات.

(٢) إسناده ثقات.

(٣) إسناده ثقات.

سِلاحَهُمْ عَنْكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذِهِ يَا رَسُولَ الله، أَشْفَى لِصُدُورِنَا وَلِأَنْفُسِنَا، فَيَوْمَئِذٍ تَرَى الْيَهُودِيَّ الْعَظِيمَ الطَّوِيلَ، الْأَكُولَ الشَّرُوبَ، لَا تُقِلُّ يَدُهُ سَيْفَهُ مِنَ الرِّعْدَةِ، فَيَقُومُونَ إِلَيْهِمْ فَيُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَذُوبُ الدَّجَّالُ حِينَ يَرَى ابْنَ مَرْيَمَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ، حَتَّى يَأْتِيَهُ أَوْ يُدْرِكَهُ عِيسَى فَيَقْتُلَهُ»[1].

الفتن لابنِ حَمَّاد:

- ١٢٠٢ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (يَغْزُو قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي الْهِنْدَ، فَيَفْتَحُ الله عَلَيْهِمْ حَتَّى يَأْتُوا بِمُلُوكِ الْهِنْدِ مَغْلُولِينَ فِي السَّلَاسِلِ، يَغْفِرُ الله لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، فَيَنْصَرِفُونَ إِلَى الشَّامِ فَيَجِدُونَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ بِالشَّامِ).
- ١٤٤٧ حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، قَالَ: (كَانَ يُقَالُ: كَلْبُ السَّاعَةِ الدَّجَّالُ، وَمَنْ صَبَرَ عَلَى فِتْنَةِ الدَّجَّالِ لَمْ يُفْتَنْ، وَلَنْ يُفْتَنَ أَبَدًا حَيًّا وَلَا مَيِّتًا، وَمَنْ أَدْرَكَهُ وَلَمْ يَتْبَعْهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَإِذَا خَلُصَ الرَّجُلُ وَكَذَّبَ الدَّجَّالَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ مَنْ أَنْتَ، أَنْتَ الدَّجَّالُ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ بِفَاتِحَةِ سُورَةِ الْكَهْفِ، لَمْ يَخْشَهُ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَفْتِنَهُ، وَكَانَتْ لَهُ تِلْكَ الْآيَةُ كَالتَّمِيمَةِ مِنَ الدَّجَّالِ، فَطُوبَى لِمَنْ نَجَا بِإِيمَانِهِ قَبْلَ فِتَنِ الدَّجَّالِ وَهَوَانِهِ وَصَغَارِهِ، وَلَيُدْرِكَنَّ أَقْوَامًا مِثْلَ خِيَارِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ).
- ١٤٧٩ حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، قَالَ: أحدثنا صَفْوَانُ، عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ، وَالله أَعْلَمُ، أَيُّ الثَّمَانِينَ، ثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ، أَوْ غَيْرُهَا).
- ١٤٨٥ حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، عَنْ جَرَّاحٍ، عَنْ أَرْطَاةَ، قَالَ: (تُفْتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، ثُمَّ يَأْتِيهِمُ الْخَبَرُ بِخُرُوجِ الدَّجَّالِ فَيَكُونُ بَاطِلًا، ثُمَّ يُقِيمُونَ ثَلَاثَ سَبْعٍ سَابُوعًا، فَتُمْسِكُ السَّمَاءُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ ثُلُثَ قَطْرِهَا، وَفِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ ثُلُثَيْهَا، وَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ تُمْسِكُ قَطْرَهَا أَجْمَعَ، فَلَا يَبْقَى ذُو ظُفُرٍ وَلَا نَابٍ

(١) جامع معمر بن راشد الملحق بمصنف عبدالرزاق: (٢٠٨٣٤). وقال الألباني: إسناده ثقات رجال الشَّيْخين غير الرجل الأنصاري فإنه لم يسم ويحتمل أن يكون صحابيا لأن الثقفي هذا تابعي روى عن أبي موسى الأشعري وغيره فإن كان كذلك فالسند صحيح لأن جهالة الصحابي لا تضر عند أهل السنة.

إِلَّا هَلَكَ، وَيَقَعُ الْجُوعُ فَيَمُوتُونَ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْ كُلِّ سَبْعِينَ عَشَرَةٌ، وَيَهْرُبُ النَّاسُ إِلَى جِبَالِ الْجَوْفِ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ، وَمَنْ عَلَامَاتِ خُرُوجِ الدَّجَّالِ رِيحٌ شَرْقِيَّةٌ لَيْسَتْ بِحَارَّةٍ وَلَا بَارِدَةٍ، تَهْدِمُ صَنَمَ إِسْكَنْدَرِيَّةَ، وَتَقْطَعُ زَيْتُونَ الْمَغْرِبِ وَالشَّامِ مِنْ أُصُولِهَا، وَتُيَبِّسُ الْفُرَاتَ وَالْعُيُونَ وَالْأَنْهَارَ، وَتُنْسَأُ لَهَا مَوَاقِيتُ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ، وَمَوَاقِيتُ الْأَهِلَّةِ).

- ١٤٩٤ حَدَّثَنَا رِشْدِينُ، عَنِ ابْنِ لَهِيعَةَ، عَنْ بَكْرِ بْنِ سَوَادَةَ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَوْسٍ الْمُزَنِيَّ، حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: (يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ بِالْعِرَاقِ، فَيَفْتَرِقُ النَّاسُ عِنْدَ خُرُوجِهِ، فَتَقُولُ فِرْقَةٌ مِنْهُمْ: هَلُمَّ إِلَى الشَّامِ، هَلُمَّ إِلَى إِخْوَانِكُمْ).
- ١٤٩٥ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ، عَنْ يَحْيَى أَبِي زَكَرِيَّا، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصّديق، رِضْوَانُ الله عَلَيْهِ، قَالَ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ مَرْوَ، مِنْ يَهُودِيَّتِهَا».
- ١٤٩٦ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصّديق رضي الله عنه قَالَ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ خُرَاسَانَ».
- ١٤٩٧ حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، عَنْ جَرَّاحٍ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (مَوْلِدُ الدَّجَّالِ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى مِصْرَ، يُقَالُ لَهُ قُوصَ، وَهِيَ بُسْرَى).
- ١٤٩٨ قَالَ الْحَكَمُ، وَأَخْبَرَنِي أَبُو عَبْدُ الله، عَنْ يَزِيدَ بْنِ خُمَيْرٍ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، وَشُرَيْحٍ، وَالْمِقْدَامِ، وَعَمْرِو بْنِ الْأَسْوَدِ، وَكَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ، قَالُوا: (لَيْسَ هُوَ إِنْسَانٌ، إِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ).
- ١٤٩٩ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ، عَنْ حَنْظَلَةَ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «هُوَ ابْنُ صَائِدٍ، الَّذِي وُلِدَ بِالْمَدِينَةِ».
- ١٥٠٦ قَالَ مَعْمَرٌ: وَأَخْبَرَنَا قَتَادَةُ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، سَمِعَ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو، رضي الله عنهما، سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «سَيَخْرُجُ نَاسٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ» حَتَّى عَدَّهَا النَّبِيُّ ﷺ زِيَادَةً عَلَى عَشْرِ مَرَّاتٍ «كُلَّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، حَتَّى يَخْرُجَ الدَّجَّالُ فِي بَقِيَّتِهِمْ»(١).

---

(١) ورواه أحمد (٦٨٧١،٦٩٥٢) والحاكم (٤/ ٥٣٣) وضعفه الأرنؤوط.



- ١٥١٨ حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي فَرْوَةَ، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، وَابْنِ شَابُورَ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (يَخْرُجُ الدَّجَّالُ عَدُوُّ الله وَمَعَهُ جُنُودٌ مِنَ الْيَهُودِ وَأَصْنَافُ النَّاسِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، وَرِجَالٌ يَقْتُلُهُمْ ثُمَّ يُحْيِيهِمْ، مَعَهُ جَبَلٌ مِنْ ثَرِيدٍ، وَنَهَرٌ مِنْ مَاءٍ، وَإِنِّي سَأَنْعَتُ لَكُمْ نَعْتَهُ، إِنَّهُ يَخْرُجُ مَمْسُوحَ الْعَيْنِ، فِي جَبْهَتِهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ، يَقْرَأُهُ كُلُّ مَنْ يُحْسِنُ الْكِتَابَ، وَمَنْ لَا يُحْسِنُ، فَجَنَّتُهُ نَارٌ، وَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَهُوَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، وَيَتْبَعُهُ مِنْ نِسَاءِ الْيَهُودِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ امْرَأَةٍ، فَرَحِمَ الله رَجُلًا مَنَعَ سَفِيهَتَهُ أَنْ تَتْبَعَهُ، وَالْقُوَّةُ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّ شَأْنَهُ بَلَاءٌ شَدِيدٌ، يَبْعَثُ الله الشَّيَاطِينَ مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، فَيَقُولُونَ لَهُ: اسْتَعِنْ بِنَا عَلَى مَا شِئْتَ، فَيَقُولُ لَهُمْ: انْطَلِقُوا فَأَخْبِرُوا النَّاسَ أَنِّي رَبُّهُمْ، وَأَنِّي قَدْ جِئْتُهُمْ بِجَنَّتِي وَنَارِي، فَتَنْطَلِقُ الشَّيَاطِينُ فَيَدْخُلُ عَلَى الرَّجُلِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ شَيْطَانٍ فَيَتَمَثَّلُونَ لَهُ بِصُورَةِ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَإِخْوَتِهِ، وَمَوَالِيهِ، وَرَفِيقِهِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، أَتَعْرِفُنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمُ الرَّجُلُ: نَعَمْ، هذا أَبِي، وَهَذِهِ أُمِّي، وَهَذِهِ أُخْتِي، وَهذا أَخِي، وَيَقُولُ الرَّجُلُ: مَا نَبَأُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: بَلْ أَنْتَ فَأَخْبِرْنَا مَا نَبَأُكَ؟ فَيَقُولُ الرَّجُلُ: إِنَّا قَدْ أُخْبِرْنَا أَنَّ عَدُوَّ الله الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَتَقُولُ لَهُ الشَّيَاطِينُ: مَهْلًا، لَا تَقُلْ هذا، فَإِنَّهُ رَبُّكُمْ يُرِيدُ الْقَضَاءَ فِيكُمْ، هَذِهِ جَنَّتُهُ قَدْ جَاءَ بِهَا وَنَارُهُ، وَمَعَهُ الْأَنْهَارُ وَالطَّعَامُ، فَلَا طَعَامَ إِلَّا مَا كَانَ قَبْلَهُ إِلَّا مَا شَاءَ الله، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: كَذَبْتُمْ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا شَيَاطِينَ، وَهُوَ الْكَذَّابُ، قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ حَدَّثَ حَدِيثَكُمْ، وَحَذَّرَنَا وَأَنْبَأَنَا بِهِ، فَلَا مَرْحَبًا بِكُمْ، أَنْتُمُ الشَّيَاطِينُ، وَهُوَ عَدُوُّ الله، وَلَيَسُوقَنَّ الله عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ حَتَّى يَقْتُلَهُ، فَيَخْسَئُوا فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ)، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّمَا أُحَدِّثُكُمْ هذا لِتَعْقِلُوهُ وَتَفْقَهُوهُ وَتَعُوهُ، وَاعْمَلُوا عَلَيْهِ، وَحَدِّثُوا بِهِ مَنْ خَلْفَكُمْ، فَلْيُحَدِّثِ الْآخَرُ الْآخَرَ، فَإِنَّ فِتْنَتَهُ أَشَدُّ الْفِتَنِ»(١).

---

(١) لبعض أطرافه شواهد في الصحيح.

- ١٥٢١ قَالَ بَكْرُ بْنُ سَوَادَةَ: وَأَخْبَرَنِي صَالِحُ بْنُ خَيْوَانَ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: (مُقَدِّمَةُ الدَّجَّالِ سَبْعُونَ أَلْفًا، أَسْرَعُ وَأَجْرَأُ مِنَ النَّمِرَانِ)، فَقَالَ رَجُلٌ: مَنْ يَسْتَطِيعُ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: (لَا أَحَدَ إِلَّا الله).

- ١٥٢٢ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْقُدُّوسِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ الْغَسَّانِيِّ، حَدَّثَنِي الْهَيْثَمُ بْنُ مَالِكٍ الطَّائِيُّ، رَفَعَ الْحَدِيثَ قَالَ: «يَلِي الدَّجَّالُ بِالْعِرَاقِ سَنَتَيْنِ، يُحْمَدُ فِيهَا عَدْلُهُ، وَتَشْرَئِبُ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَيَصْعَدُ يَوْمًا الْمِنْبَرَ فَيَخْطُبُ بِهَا، ثُمَّ يُقْبِلُ عَلَيْهِمْ فَيَقُولُ لَهُمْ: مَا آنَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا رَبَّكُمْ؟ فَيَقُولُ لَهُ قَائِلٌ: وَمَنْ رَبُّنَا؟ فَيَقُولُ: أَنَا، فَيُنْكِرُ مُنْكِرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ عِبَادِ الله قَوْلَهُ، فَيَأْخُذُهُ فَيَقْتُلُهُ، وَيَنْزِلُ عَلَيْهِ مَلَكَانِ مِنَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لَهُ، حِينَ يَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ،: كَذَبَ، وَيَقُولُ لَهُ صَاحِبُهُ: صَدَقَ، مُصَدِّقًا لِصَاحِبِهِ، فَمَنْ أَرَادَ الله بِهِ الْهُدَى ثَبَّتَهُ، وَعَلِمَ أَنَّ الْمَلَكَ إِنَّمَا يُصَدِّقُ صَاحِبَهُ، وَمَنْ أَرَادَ الله ضَلَالَتَهُ شُبِّهَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ الْمَلَكَ حِينَ يُصَدِّقُ صَاحِبَهُ إِنَّمَا يُصَدِّقُ الدَّجَّالَ تَرْتِيبًا لِضَلَالَتِهِ، ثُمَّ يَسِيرُ الدَّجَّالُ، فَمَنْ أَجَابَهُ أَمَرَ السَّمَاءَ فَأَمْطَرَتْهُمْ، وَمَنْ خَالَفَهُ أَصْبَحُوا وَقَدْ تَبِعَتْ أَمْوَالُهُمْ كُلُّهَا الدَّجَّالَ، وَجُلُّ تَبَعِهِ الْيَهُودُ وَالْأَعْرَابُ، وَيُقْتِرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَبْلُغَهُمُ الْجَهْدُ، وَحَتَّى أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ لَهُمُ الْعَدَدُ تُعَشِّيهِمُ الْعَنْزُ الْوَاحِدَةُ».

- ١٥٢٦ قَالَ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ: وَحَدَّثَنِي جَرَّاحٌ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ كَعْبٍ، قَالَ: (الدَّجَّالُ بَشَرٌ وَلَدَتْهُ امْرَأَةٌ، وَلَمْ يَنْزِلْ شَأْنِهِ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَلَكِنْ ذُكِرَ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ، يُولَدُ فِي قَرْيَةٍ بِمِصْرَ يُقَالُ لَهَا قُوصُ، يَكُونُ بَيْنَ مَوْلِدِهِ وَمَخْرَجِهِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، فَإِذَا ظَهَرَ خَرَجَ إِدْرِيسُ وَخُنُوكُ يَصْرُخَانِ فِي الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَإِذَا أَقْبَلَ أَهْلُ الشَّامِ لِخُرُوجِهِ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، ثُمَّ يَنْزِلُ عِنْدَ بَابِ دِمَشْقَ الشَّرْقِيِّ، ثُمَّ يُلْتَمَسُ فَلَا يُقْدَرُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُرَى عِنْدَ الْمَنَارَةِ الَّتِي عِنْدَ نَهَرِ الْكِسْوَةِ، ثُمَّ يُطْلَبُ فَلَا يُدْرَى أَيْنَ سَلَكَ، فَيُنْسَى ذِكْرُهُ، ثُمَّ يَأْتِي الْمَشْرِقَ فَيَظْهَرُ وَيَعْدِلُ، ثُمَّ يُعْطَى الْخِلَافَةَ، فَيُسْتَخْلَفُ، وَذَلِكَ عِنْدَ خُرُوجِ الْمَسِيحِ، وَيُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، حَتَّى يَتَعَجَّبَ النَّاسُ، ثُمَّ يُظْهِرُ السِّحْرَ، وَيَدَّعِي النُّبُوَّةَ، فَيَفْتَرِقُ عَنْهُ النَّاسُ وَيُفَارِقُهُ أَهْلُ الشَّامِ، فَيَفْتَرِقُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَشْرِقِ ثَلَاثَ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالشَّامِ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِالْأَعْرَابِ، وَفِرْقَةٌ تَلْحَقُ بِهِ، فَيُقْبِلُ بِمَنْ مَعَهُ) قَالَ كَعْبٌ:



(وَهُمْ أَرْبَعُونَ أَلْفًا، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: سَبْعُونَ أَلْفًا، وَيَأْتِي الْأُمَمَ فَيَسْتَمِدُّهُمْ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ فَيُجِيبُونَهُ، وَتُجْمَعُ إِلَيْهِ الْيَهُودُ جَمِيعًا، فَيَسِيرُ نَحْوَ الشَّامِ، مُقَدِّمَتُهُ الْعِصَابَةُ الْمُشْرِقِيَّةُ، مَعَهُمْ أَعْرَابُ جَدِيسٍ، عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ، فَيَفْزَعُ أَهْلُ الشَّامِ فَيَهْرُبُونَ إِلَى الْجِبَالِ، وَمَأْوَى السِّبَاعِ، اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الرِّجَالِ، وَسَبْعَةُ آلَافِ امْرَأَةٍ، عَامَّتُهُمْ إِلَى جَبَلِ الْبَلْقَاءِ، قَدِ اعْتَصَمُوا بِهِ، لَا يَجِدُونَ مَا يَأْكُلُونَ غَيْرَ شَجَرِ الْمِلْحِ، وَتَهْرُبُ عَنْهُمُ السِّبَاعُ إِلَى السَّهْلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ فَيَسْكُنُهَا، ثُمَّ يَتَرَاسَلُونَ فَيُقْبِلُونَ سِرَاعًا، حَتَّى يَنْزِلُوا غَرْبِيَّ الْأُرْدُنِّ، عِنْدَ نَهَرِ أَبِي فُطْرُسٍ، يَنْطَوِي إِلَيْهِمْ كُلُّ فَارٍّ مِنَ الدَّجَّالِ، وَيُعَبِّئُونَ مَسْلَحَةً عِنْدَ الْمَنَارَةِ الَّتِي غَرْبِيَّ الْأُرْدُنِّ، وَيُقْبِلُ الدَّجَّالُ فَيَهْبِطُ مِنْ عَقَبَةِ أَفِيقَ، فَيَنْزِلُ شَرْقِيَّ الْأُرْدُنِّ، فَيَحْصُرُهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَيَأْمُرُ نَهَرَ أَبِي فُطْرُسٍ فَيَسِيلُ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعْ فَيَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهِ، وَيَقُولُ: أَيْبِسْ فَيَيْبَسُ، وَيَأْمُرُ جَبَلَ ثَوْرٍ وَجَبَلَ طُورِ زِيتَا أَنْ يَنْتَطِحَا فَيَنْتَطِحَانِ، وَيَأْمُرُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ السَّحَابَ مِنَ الْبَحْرِ، فَتُمْطِرُ الْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، وَيَأْمُرُ إِبْلِيسَ الْأَكْبَرَ ذُرِّيَّتَهُ بِاتِّبَاعِهِ، فَيُظْهِرُونَ لَهُ الْكُنُوزَ، فَلَا يَمُرُّونَ بِخَرِبَةٍ وَلَا أَرْضٍ فِيهَا كَنْزٌ إِلَّا نُبِذَ إِلَيْهِ كَنْزُهُ، وَمَعَهُ قَبِيلٌ مِنَ الْجِنِّ، فَيَتَشَبَّهُونَ بِمَوْتَى النَّاسِ، وَيَقُولُ: أَنَا أَبْعَثُ مَوْتَاكُمْ فَيُشَبَّهُونَ بِمَوْتَاهُمْ، فَيَقُولُ الْحَمِيمُ لِحَمِيمِهِ: أَلَمْ أَمُتْ وَقَدْ حَيِيتُ؟، وَيَخُوضُ الْبَحْرُ فِي الْيَوْمِ ثَلَاثَ خَوْضَاتٍ، فَلَا يَبْلُغُ حِقْوَيْهِ، فَيُمَيَّزُ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُنَافِقُونَ وَالْكَافِرُونَ، وَالْهَرَبُ عَنْهُ خَيْرٌ مِنَ الْمُقَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ، لِلْمُتَكَلِّمِ يَوْمَئِذٍ بِكَلِمَةٍ يُخْلِصُ بِهَا مِنَ الْأَجْرِ كَعَدَدِ رَمْلِ الدُّنْيَا، وَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْكُفْرِ، فَمَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ أَضَاءَتْ قُبُورُهُمْ فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ وَاللَّيْلِ الدَّامِسِ قَالَ كَعْبٌ: فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ قَتْلَهُ، وَلَا أَصْحَابَهُ، سَارُوا غَرْبِيَّ الْأُرْدُنِّ الَّتِي بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيُبَارَكُ لَهُمْ فِي ثَمَرِهَا، وَيَشْبَعُ الْآكِلُ مِنَ الشَّيْءِ الْيَسِيرِ لِعَظِيمِ بَرَكَتِهَا، وَيَشْبَعُونَ فِيهَا مِنَ الْخُبْزِ وَالزَّيْتِ، وَيَتْبَعُهُمُ الدَّجَّالُ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَقُولُ: أَنَا الرَّبُّ، فَيَقُولُ لَهُ أَحَدُهُمَا: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ الْآخَرُ لِصَاحِبِهِ: صَدَقْتَ، وَصِفَتُهُ أَنَّهُ أَفْحَجُ، أَصْهَبُ، مُخْتَلِفُ الْخَلْقِ، مَطْمُوسُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، إِحْدَى يَدَيْهِ أَطْوَلُ مِنَ الْأُخْرَى، يَغْمِسُ الطَّوِيلَةَ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ فَيَبْلُغُ قَعْرَهُ، فَتُخْرِجُ مِنَ الْحِيتَانِ، يَسِيرُ أَقْصَى الْأَرْضِ وَأَدْنَاهَا فِي يَوْمَيْنِ، خُطْوَتُهُ مَدُّ بَصَرِهِ، وَتُسَخَّرُ لَهُ الْجِبَالُ وَالْأَنْهَارُ وَالسَّحَابُ، وَيَأْتِي الْجَبَلَ فَيَقُودُهُ، وَيُدْرِكُ زَرْعُهُ فِي يَوْمٍ، وَيَقُولُ لِلْجِبَالِ: تَنَحَّيْ عَنِ الطَّرِيقِ، فَتَفْعَلُ،

وَيَجِيءُ إِلَى الْأَرْضِ فَيَقُولُ: أَخْرِجِي مَا فِيكَ مِنَ الذَّهَبِ، فَتَلْفَظُهُ كَالْيَعَاسِيبِ، وَكَأَعْيُنِ الْجَرَادِ، وَمَعَهُ نَهَرُ مَاءٍ، وَنَهَرُ نَارٍ، جَنَّتُهُ خَضْرَاءُ، وَنَارُهُ حَمْرَاءُ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ، وَجَبَلٌ مِنْ خُبْزٍ، مَنْ أَلْقَاهُ فِي نَارِهِ لَمْ يَحْتَرِقْ، يَظْهَرُ عِنْدَ عَالِيَةَ مَرَّةً، وَعَلَى بَابِ دِمَشْقَ مَرَّةً، وَعِنْدَ نَهَرِ أَبِي فُطْرُسٍ مَرَّةً، وَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﵇).

(٨) - خروج يأجوج ومأجوج

صَحِيحُ مُسلِمٍ:

- ٢٨٨٠ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**» وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشَرَةً، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**»[١].

ابن ماجة:

- ٤٠٧٦ عن النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَيُوقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ، وَنُشَّابِهِمْ، وَأَتْرِسَتِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ**»[٢].
- ٤٠٧٩ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ: «**تُفْتَحُ يَأْجُوجُ، وَمَأْجُوجُ فَيَخْرُجُونَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦﴾ [الأنبياء]، فَيَعُمُّونَ الْأَرْضَ، وَيَنْحَازُ مِنْهُمُ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى تَصِيرَ بَقِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِي مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ، حَتَّى**

(١) وأخرجه البُخَارِيّ (٣٣٤٦، ٣٥٩٨، ٧٠٥٩، ٧١٣٥). "وعقد سفيان بيده عشرة" :أي حلق بإصبعه الإبهام والتي تليها. "أنهلك" : بكسر اللام.

(٢) صححه الأرنؤوط، وقال الألباني: صحيح على شرط مسلم – الصحيحة (١٩٤٠) . الشرح: (قسي) جمع قوس، (نشابهم) هي السهام، (أترستهم) جمع ترس .

أَنَّهُمْ لَيَمُرُّونَ بِالنَّهَرِ فَيَشْرَبُونَهُ، حَتَّى مَا يَذَرُونَ فِيهِ شَيْئًا، فَيَمُرُّ آخِرُهُمْ عَلَى أَثَرِهِمْ، فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ: لَقَدْ كَانَ بِهذا الْمَكَانِ، مَرَّةً مَاءٌ، وَيَظْهَرُونَ عَلَى الْأَرْضِ فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ، قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ، وَلَنُنَازِلَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَهُزُّ حَرْبَتَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ مُخَضَّبَةً بِالدَّمِ، فَيَقُولُونَ: قَدْ قَتَلْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ الله دَوَابَّ كَنَغَفِ الْجَرَادِ، فَتَأْخُذُ بِأَعْنَاقِهِمْ فَيَمُوتُونَ، مَوْتَ الْجَرَادِ، يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَيُصْبِحُ الْمُسْلِمُونَ لَا يَسْمَعُونَ لَهُمْ حِسًّا، فَيَقُولُونَ: مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي نَفْسَهُ، وَيَنْظُرُ مَا فَعَلُوا؟ فَيَنْزِلُ مِنْهُمْ رَجُلٌ قَدْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى أَنْ يَقْتُلُوهُ، فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى فَيُنَادِيهِمْ أَلَا أَبْشِرُوا فَقَدْ هَلَكَ عَدُوُّكُمْ، فَيَخْرُجُ النَّاسُ، وَيَخْلُونَ سَبِيلَ مَوَاشِيهِمْ، فَمَا يَكُونُ لَهُمْ رَعْيٌ إِلَّا لُحُومُهُمْ فَتَشْكَرُ عَلَيْهَا، كَأَحْسَنِ مَا شَكِرَتْ مِنْ نَبَاتٍ أَصَابَتْهُ قَطُّ»(١).

ابن حبّان:

- ٦٨٣٢ عن أبي سعيد الخدري قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**لَيُحَجَّنَّ هذا البيتُ وليُعتَمَرَنَّ بعد خروج يأجوج ومأجوج**»(٢).

****



ونحن في:

شوّال – ١٤٢٥ هـ / (كانون الأوّل) – ٢٠٠٤م

---

(١) قال الألباني: حسن صحيح – الصحيحة (١٧٩٣). ورواه أحمد (١١٧٣١)، وحسنه الأرنؤوط،

(٢) ورواه البُخَارِيّ (١٥٩٣)، وأحمد (١١٢١٩، ١١٤٥٥، ١١٦١٧). وحسن شعيب الأرنؤوط إسناد ابن حبان.

****

وأنصح من أراد طباعة الكتاب أن يخرج نسخته بأحد ثلاثة أشكال:

١- أن يطبعه في مجلدين (الجزء الأوّل) و(الجزء الثّاني) إن طبعه بخط صغير.

٢- أن يطبعه في خمسة مجلدات إن كانَ الخط متوسطا، وسيكون زهاء ١٣٠٠ صفحة، وذلك عَلى الشّكل التّالي:

- المجلد الأوّل: وفيه: (الفَصل الأوّل والثّاني)، (المقدمات والواقع والأحكام الشَّرعيَّة فيه).
- المجلد الثّاني: وفيه: (الفَصل الثّالث والرَّابع)، (التّاريخ وتحليلاته).
- المجلد الثّالث: وفيه: (الفَصل الخامس والسَّادس والسَّابع)، (تاريخ الصّحوة والتّيار الجهاديّ وحصاده).
- المجلد الرَّابع: وفيه: (مقدمة الجزء الثّاني والأبواب ١-٢-٣ من الفَصل الثَّامن)، وهي (المنهج والعَقِيْدَة الجهاديّة والنَّظريَّة السّياسيّة، ونظريَّة التّربية المُتكامِلة).
- المجلد الخامس: وفيه: (الأبواب ٤-٥- ٦- ٧-٨) وهي (النَّظريَّات العسكريّة والحَركيّة والتَّنظِيمية، ونظريَّة التّحريض للمقاومة، بالإضافة للفصل التّاسع، المبشرات ومسك الختام).

٣- أن يطبعه في ١٢ رسالة منفصلة بخط واضح وسيكون زهاء ١٦٣٥ صفحة بمجموعه، وذلك كما قسمته وهي رسالة المقدِّمة وأحد عشرة رسالة كلّ واحدة منها في موضوع منفصل، وهذا أسهل للتداول وأيسر لمن لم يألف قراءة المطولات.

****

اللّهمَّ هذا الأذانُ وعليكَ البَلاغُ

اللّهمَّ اكتب لي في هذا الكتاب الإخلاص والقبول

وبلِّغه المشارقَ والمغارب، وضع له القبول عندَ عبادِك

وانفع به أهل الإِسْلَامِ عامَّةً، وأهل الجِهَادِ خاصّةً

واجعل لدعوتي هذهِ رجالَها وتقبَّل منهُم واكتب لي مثلَ أجورِهِم

اللّهمَّ أعذني بنورِ وجهكَ أن أبتغي في كلّ حالي ومَقالي وما خطَّ قلمي رضَا النّاس بسخطِكَ،

وألقِ عليَّ محبَّةً من عندِكَ، وأعوذُ بك أن أكونَ ممَّن قلتَ عنهم:

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾

بل اجعلني مِمَّن قلتَ عنهم:

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

اللّهمَّ آمين . . آمين.

وصلِّ اللّهمَّ عَلى نبيِّك وعبدك سيِّدنا وقائدنا مُحمّد وعلى آله وصحبِهِ وسلّم.

وآخرُ دعوَانا أن الحَمْدُ لله ِربّ العَالمين

وحقّ لكاتبِ مثلَ هذا الكتاب أن يَكتُب وصيَّتهُ في آخره

فهذه وصيَّتي. . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله ربّ العَالَمِيْن، والصّلاةُ والسَّلامُ عَلى سيِّدنا محمّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعِين، ومن تبِعَهُم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين، وبعد:

فهذه وصيَّتي أنَا العبدُ الفقيرُ إلى رَحمةِ الله:

مُصطَفَى بِنْ عَبد القَادِر سِتّ مَريَم نَصَّار، المَعرُوف باسمِ: (عُمَر عَبد الحَكِيم / أَبُو مُصعَب السُّوريّ)

أُوصي أَهلي وإِخواني جَميعًا بتقوى الله عَزَّ وَجَلَّ، وبالتَّمسّك بِدينِه وهدي نبيّه محمّد ﷺ، فقد أَقبَلت الفِتَنُ كَقطع اللَّيل المُظلم يجرُّ بَعضُها بَعضَاً، وأَصبَحنَا في (أيّامِ الصَّبرِ) الّتي يَكونُ فيها القَابضُ عَلى دينه كالقابِضِ عَلى الجمرِ، في الزَّمنِ الّذي قَالَ عنهُ ﷺ بأنَّه: (يُصبِحُ الرَّجُلُ مُؤمِنًا ويُمسِي كَافِرًا يَبيعُ دِينَه بِعَرضٍ مِنَ الدُّنيَا قَلِيلٌ)، ولا يُنجِي مِن هذهِ الفِتَن بَعدَ رَحمةِ الله إلَّا التَّمسُّك بِمَا أَمَرَ اللهُ وصُحبَةِ أهَلِ طَاعَتِهِ، والابتعادُ عَمَّا نَهى اللهُ عنهُ والابتعادُ عَن أَهلِ مَعصِيَتِهِ، وسُؤَالِ الله العَافِيَة في الدِّين والدُّنيَا وحُسن الخَاتِمَة.

وأُوصِيهِم جَمِيعًا ومَنْ بَلغَتهُ وَصيَّتي هَذِهِ مِنَ المُسلِمِينَ بِجِهَادِ أعداءِ الله مِنَ الغُزَاةِ الكَافِرِينَ ومَنْ وَالاهُم وأَعَانَهُم مِنَ المُنَافِقينَ بِأَيدِيهم وأَلسِنَتِهم وقُلُوبِهِم، لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفسَاً إلَّا وُسعَهَا، فهذا اليَوْم الجهادُ فرضُ عَينٍ كالصَّلاة والزَّكاة.

أخطُّ وَصيَّتي هذهِ ونَحنُ نَتَقَلَّبُ فِيمَا أَنعمَ اللهُ بِهِ علينا مِنَ البَلاء فِي سبيله، حيثُ مَازِلنا نَتنقلُ مِنْ مَخبَئٍ إلى مَخبئٍ يُطَارِدُنَا أَعداءُ الله منَ الكَافِرينَ وأعوَانِهم المُرتَدّينَ المُنَافِقين، ولذلك أُحبُّ أن أُنَبِّهَ إلى أمرٍ مُهمٍّ جِدّاً في وصيَّتي هذه، وهو:

أَنَّهُ إنْ كَتَبَ اللهُ لَنَا السَّلامَةَ والعَافيةَ إنْ شَاءَ اللهُ كما نَرجُوا، فَسَنُجَاهِدُ أَعداءَ الله الكَفرَةَ وحُلَفَاءَهُم المُنَافِقينَ كَمَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى، سَعياً لِدَحرِهِم، ولأنْ نَلقَاهُ شُهَدَاءَ في سَبيلِه وهُوَ راضٍ عَنَّا إنْ شَاءَ اللهُ، وقَدْ سَجَّلتُ خُلاصَةَ عَقيدَتي وفِكرِي ومَنْهَجِي فِي آخرِ مَا كَتبتُ فِي مَرحَلَةِ المَخَابِئِ هَذِه في كِتابي:

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

وفيهِ تفاصِيل خُلاصَة عَقيدَتي وفِكري، وخُلاصَة نَصيحتي ودَعوتِي لِلمُسلِمينَ عامَّةً ولشَبَابِهم المُجَاهد لأعداءِ الله خَاصّةً، وآخِر ما رَأيتُه من فَوائِدِ دُروسِ التَّجربةِ، أسالُ اللهَ الهُدى والمَغفرة.

ولَئِن كَتَبَ اللهُ عليَّ الأَسرَ- وأَسألُه العافيةَ - كَما كَتَبَهُ عَلى كَثيرٍ من خيرةِ إخوانِنا المُجَاهدينَ، فأنبِّهُ إلى أنَّ السَّعيَ لإنقاذِ أسرى المُسلِمِينَ أمانةٌ في عُنقِ جَميع المُسلِمِينَ، والمُجَاهدينَ مِنهُم خَاصّةً، وأُنبِّه إِلى أنَّ الأَسير إنسانٌ فاقدُ الإِرادَةِ لا إعتبارَ لأقوالِه ومَا أُكرِهَ عليه شَرعًا، ولَئِنْ صَدَرَ عَنِّي إنْ حَصَلَ ذَلك - لا قدَّر الله - ما يتناقضُ معَ ما كتَبْتُهُ في كِتَابي هذا مِنَ الدَّعوَة لجِهَادِ أعداءِ الله، أَو أيِّ مَوقفٍ أَو تصريحٍ يَتناقضُ معَ ما آمنَّا بِهِ ودعونَا إليهِ منَ الحقِّ، فَأعرِضُوا عَنهُ واضربُوا بِهِ عَرضَ الحائِطِ، وهذا هُوَ الحُكمُ الشَّرعيُّ فيمَا يَصدُر عن أَسَرَى المُسلِمِينَ تحتَ ضغطِ أعداءِ الله، ولَنَا في مثلِ ما حَصَلَ في مصر عِبرَة.

فقد عشتُ أكثر عُمري ساعيًا في جِهَادِ هَؤُلَاءِ الكفّار وأعوانِهم منَ المُرتدّينَ والمُنَافِقينَ، بنَفسي ولِسَانِي وقَلَمي، وما استطعتُ، وأرجو أن يتقبَّل اللهُ منِّي ما أحسنتُ ويتجاوزَ عن زَلَّاتي وضَعفِي وما أسأتُ برحمتِه وواسعِ عفوهِ ومغفرتِه، وأنْ يكتبَ لِي الإِخلَاصَ والقبُول والشَّهَادَة في سبيلِهِ، ويَجعلَنِي معَ الّذينَ أنعمَ اللهُ عليهم بفضلِه وكرَمِهِ.

وقد كانَ بنِيَّتِي أنْ أجمعَ كلَّ ما سجَّلتُ من محاضراتٍ صوتيةٍ، وفيديو، وأنسخَ مُحتَوَاها كتابيّاً، وأضيف إليهِ مجموعَ ما كتبتُه مَخطُوطاً، بتسلسلهِ التّاريخيِّ، وإخراجِه في مجموعةٍ بعنوانِ الأعمال الكاملة، وقد لا تُتيحُ لِيَ الظّرُوفُ ذلك، فإن رأى بعضُ من تَتوفَّر فيهم الأهليَّة لذلك القيامَ بهذا العَملِ، فإنّي أرجو أن يكون فيهِ ما ينفعُ المُسلِمِينَ، وأن يكونَ لي فِيهِ مَا يَصلني أجرُه إذا انقطَعَ عَملي، وأن يكونَ للعاملينَ في هَذا المَشرُوعِ شراكة في الأجرِ، وليستفيدُوا من تجربةِ نسخِ أعمالِ الشَّيْخ عَبدالله عزّام وإخراجِها في مَوسُوعةٍ

كامِلةٍ، وقدْ كَتبُوا فِي مُقدِّمَتِها مَنهجَ عملِهِم، فقد كانت تَجرِبَةً ناجحةً جزى اللهُ مَن قامَ عليها خيراً، وبإمكانِهِم الاعتماد عَلى رسالةِ (فهرس الإنتاج) الّتي تحتوي قائمةً كاملةً بالمواضيعِ تَقريبًا، والله الموفق.

وأسألُ الجميعَ أن يُسَامِحُونِي، ويَستَغفِرُوا لِي، ويَسألُوا اللهَ لِيَ المغفرةَ والعافيةَ في الدُّنيَا والآخرةِ ومنازِلَ الشُّهَدَاءِ.

وقدْ كانَ لبعضِ الإخوةِ بعضَ الدُّيون عليَّ، فإنْ رَأَوا أنْ يُسامِحُوني بها، فهذا رَجَائِي فيهم، وإن رَأَوا طلب حقِّهم، فليَسعَوا إلى أهلي، وأرجُو مِنهُم أن يُوفوا ما بِذمَّتِي، والحَمْدُ لله الّذي شَغلنَا بالجِهَادِ في سبيلِهِ عنْ طلبِ الدُّنيَا، وإنِّي أرجو أن ألقى اللهَ وليسَ في عُنُقِي حقٌّ لأحدٍ من الخلقِ إلَّا وقد قُضِيَ لهُ أو سامَحَنِي بهِ، وأن يَتولَّى اللهُ بفضلِهِ ما كانَ من ذلكَ وكل أمري بعفوه وكرمه.

وأُوصِي وَالِديَّ وزَوجَتِي وأولَادِي وإخوَتِي وأَخوَاتِي، وإخوانِي بالصّبر والاحتِسَاب، وأن لا يقولوا إذا بَلغَهُم خبرُ وفاتي أو مَا يُصيبُنِي إلّا الخيرَ وما يُرضي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ومن خيرِ ذلكَ أن يَقُولُوا: "إنَّا لله وإنَّا إليهِ رَاجِعُون، لله ما أعطَى ولَهُ ما أَخذ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العَظيم، اللّهمَّ اغفر لعبدِكَ المِسكين الضَّعيف".

وأُوصي من يَقُوم عَلى دَفني إن أنا متُّ أو قُتلتُ، أن يتَحرَّوا السُّنَّة في أمرِ جهازي، وأن لا يَرفعوا عَلى قَبري بِناءاً، هذا إن ظفرتُ بقبرٍ.

وأقولُ في مقامِ وداعِ الدُّنيَا واستقبالِ الآخرةِ أبياتًا نظمتُها أثناءَ كتابةِ وصيَّتي هذهِ مُؤمِّلاً فيها رحمةَ اللهِ وهي:

قدمتُ عَلى إلهٍ كلّ ظَنِي ... أَنْجُو وأنِّي لا أخيبُ
فربّي غافرٌ برٌّ رحيمٌ ... كريمٌ مُحسِنٌ وهو المُجيبُ
وما في جُعبتي إلا رجاءٌ ... وحُسنُ الظَّنِ فيهِ لا يَخيبُ
وأنّي شَاهدٌ أن لا إلهٌ ... سوى الرَّحمٰن يرجوهُ الأريبُ
وأنَّ محمّداً خيرُ البَرايا ... رسولُ اللهِ للبَاري حَبيبُ

أيها المُؤمِنُون؛ أوصيكم بما كانَ قد أوصى بهِ شهيدُ الإِسْلَامِ في سُوريا الشّام شَيخُنَا مَروان حَديد رَحِمَهُ اللهُ وأسكنه فسيح جنَّاته:

أسوتُكم رسولُ الله ﷺ جاهدَ في اللهِ حتَّى أتاهُ اليَقين، فعامِلُوا أعداءَ الله بما أمرَ اللهُ، ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ [محمد: ٤]، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

و اعلموا أنَّه: **لَا غَالِبَ إِلَّا اللهُ، فَلَا نَامَتْ أَعيُنُ الجُبَنَاء.**

أحبّائي جَميعاً:

قَالَ الله تَعَالَى لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ فكلُّ مصيبةٍ بعده جَلل.

وغدًا إن شاءَ اللهُ نَلقَى الأحبَّة محمّدًا وصحبه وصلى الله عَلى سيّدنا محمّد وعلى آلهِ وصَحبِهِ وسلَّم، وآخرُ دعوانَا أن الحَمْدُ لله ربِّ العَالَمِيْن.

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ

العبدُ الفَقيرُ إلى رحمةِ اللهِ وعفوهِ وكرمِهِ:
مُصطَفَى بنْ عَبد القَادِر سِت مَريَم نَصَّار
(عُمَر عَبد الحَكِيم / أَبُو مُصعَبٍ السُّوريّ)

شوال ١٤٢٥هـ
كانون الأوّل ٢٠٠٤م

فهرس المراجع

- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، المؤلف محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، المؤلف مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- **سنن الترمذي**، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م
- **سنن أبي داود**، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
- **سنن ابن ماجه** ت الأرنؤوط ،المؤلف ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) ،المحقق: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: دار الرسالة العالمية ، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م

- **صحيح ابن خزيمة**، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، عدد الأجزاء: ٤
- **مسند عبد الله بن أبي أوفى**، المؤلف: أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب الهاشمي البغدادي (المتوفى: ٣١٨هـ)، المحقق: سعد بن عبد الله آل الحميد، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض.
- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، المؤلف محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣
- **مسند أبي يعلى**، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة ،عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م
- **المعجم الكبير**، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية
- **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق

الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)

- **المعجم الأوسط**، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة
- **شعب الإيمان**، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م
- **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، المؤلف أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي
- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، المؤلف أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياضط: الأولى، (لمكتبة المعارف).
- **نوادر الأصول في أحاديث الرسول** ﷺ، المؤلف محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ)المحقق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل - بيروت.
- **المستدرك على الصحيحين**، المؤلف أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠

- **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم النيسابوري طبعة متضمنة انتقادات الذهبي ، وبذيله تتبع أوهام الحاكم التي سكت عنها الذهبي لأبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي،ط: دار الحرمين١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م
- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** ،المؤلف علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ)، المحقق: بكري حياني - صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م
- **السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها**، المؤلف عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: د. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة – الرياض، ط: الأولى، ١٤١٦
- **كتاب الفتن**، المؤلف: أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (المتوفى: ٢٢٨هـ)، المحقق: سمير أمين الزهيري، الناشر: مكتبة التوحيد – القاهرة.
- **الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)**، المؤلف: معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ
- **قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام**، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتبة الإسلامية - عمان – الأردن، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ
- **الدر المنثور**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت

- **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع،** المؤلف علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
- ***مختصر تفسير ابن كثير*** (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني ، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان ، ط: السابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م
- **تفسير القرآن العظيم،** المؤلف أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- **فتح القدير** ، المؤلف كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ) الناشر: دار الفكر.
- **الفتاوى الكبرى لابن تيمية** ،المؤلف تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية ط: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- **مجموع الفتاوى،** المؤلف لابن تيمية المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م
- **المغني لابن قدامة،** المؤلف أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م
- **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج،** المؤلف شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

- **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، المؤلف: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (المتوفى: ١٢٣٠هـ) الناشر: دار الفكر.
- **الأولياء**، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣، عدد الأجزاء: ١
- **رد المحتار على الدر المختار**، المؤلف ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ)، الناشر: دار الفكر-بيروت، ط: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المؤلف زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط: الأولى، ١٣٥٦
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، المؤلف محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)،المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار . العربي – بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م
- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال** ،المؤلف علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ)، المحقق: بكري حياني - صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م
- **المغازي**، المؤلف محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي - بيروت، ط: الثالثة - ١٤٠٩/ ١٩٨٩.

- **السيرة النبوية لابن هشام،** المؤلف عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م
- **البداية والنهاية ،** المؤلف أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م
- أحكام القرآن، المؤلف أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ
- **ذم الملاهي لابن أبي الدنيا،** المؤلف أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة- مصر، مكتبة العلم، جدة - السعودية، ط: الأولى، ١٤١٦ هـ
- **الصارم المسلول على شاتم الرسول،** المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي ، الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد
- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية،** المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)،المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

- **الفتاوى الكبرى لابن تيمية**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م
- **الرسالة التبوكية** (ضمن مجموع الرسائل)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٥٩ - ٧٥١)، المحقق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ
- **كلمة حق** ، المؤلف: أحمد محمد شاكر المصري المتوفى: ١٩٥٨م ،ط: منبر التوحيد والجهاد ، تقديم عبد السلام هارون.
- **غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام**، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٥
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ
- **جامع البيان في تأويل القرآن**، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.
- **في ظلال القرآن**، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.

- **أحكام القرآن**، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء:٤
- **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م
- **مشكاة المصابيح**، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥
- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م
- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ
- **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- **العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ**، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، المحقق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة
- **الاعْتِصَام**، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
- **المحلى بالآثار**، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت
- **أحكام أهل الذمة**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: يوسف بن أحمد البكري – شاكر بن توفيق العاروري، الناشر: رمادى للنشر – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ – ١٩٩٧
- **الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك**، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، تقديم ومراجعة: الوليد بن عبد الرحمن الفريان، الناشر: مكتبة دار الهداية، الرياض.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي،

قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

- **في الجهاد فقه واجتهاد** ، للإمام الشهيد عبد الله عزام، من منشورات: مركـــز الـــــشهيد عــــزام الإعـــلامـــي
- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢
- **إكفار الملحدين في ضروريات الدِّين**، المؤلف: محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: المجلس العلمي – باكستان، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م
- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة ١٣٢٣ هـ
- **فتح القدير**، المؤلف: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ)، الناشر: دار الفكر، بأعلى الصفحة كتاب الهداية للمرغيناني يليه - مفصولا بفاصل - «فتح القدير» للكمال بن الهمام وتكملته «نتائج الأفكار» لقاضي زاده.
- **الزهد**، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى ١٣٥٦.

- **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**، المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: ط أخيرة - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م
- **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، المؤلف: محمد فريد (بك) ابن أحمد فريد (باشا) ، المحامي (المتوفى: ١٣٣٨هـ)، المحقق: إحسان حقي، الناشر: دار النفائس، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ – ١٩٨١، الناشر: دار النفائس – بيروت.
- **إحياء علوم الدين**، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت
- **رسائل ابن حزم الأندلسي**، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عنوان الناشر: بناية برج الكارلتون – ساقية الجنزير- بيروت – لبنان – ت ٨٠٧٩٠٠/ ١. برقياً – موكيالي – بيروت – ص.ب: ١١/ ٥٤٦ بيروت
- **تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري**، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧هـ
- **الكامل في التاريخ**، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار . العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

- **الإنباء في تاريخ الخلفاء**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني (المتوفى: ٥٨٠هـ)، المحقق: قاسم السامرائي، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م
- **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م
- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- **سير أعلام النبلاء**، المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.
- **تاريخ الخلفاء**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: حمدي الدمرداش، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- **طبقات الشافعية الكبرى**، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ
- **معجم البلدان**، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية ١٩٩٥م.

- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ)، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب-مصر.
- **صورة الأرض**، المؤلف: محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم (المتوفى: بعد ٣٦٧هـ)، الناشر: دار صادر، أفست ليدن، بيروت، عام النشر: ١٩٣٨م.
- **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، المؤلف: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ)، المحقق: أبو القاسم إمامي، الناشر: سروش، طهران، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٠ م.
- **أصول الفقه**، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور فهد بن محمد السَّدَحَان، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- **نيل الأوطار**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٨ ، منتقى الأخبار بأعلى الصفحة، يليه - مفصولا بفاصل - شرح الشوكاني.
- **الأحكام السلطانية**، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة.
- **المبسوط**، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٣٠.
- **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٤

- **شرح السير الكبير**، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: الشركة الشرقية للإعلانات، تاريخ النشر: ١٩٧١م، عدد الأجزاء: ٥
- **مكارم الأخلاق للطبراني (مطبوع مع مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا)**، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، كتب هوامشه: أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩م.
- **الكامل في التاريخ**، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- **العمدة في إعداد العدة**: المؤلف: سيد إمام المصري (عبدالقادر عبدالعزير) النسخة منتشرة على شبكة المعلومات، وفي منبر التوحيد والجهاد.
- **الدولة السعودية وموقف ابن باز وابن عثيمين منها**، المؤلف: الشيخ أبو محمد المقدسي، الطبعة موجودة على شبكة المعلومات وفي منبر التوحيد والجهاد.
- **الذخائر العظام** (مجموع أعمال الشيخ عبدالله عزام)، المؤلف الشيخ عبدالله عزام، الطبعة موجودة ومنتشرة على شبكة المعلومات.

الفهرس





